

تفسير - أسباب نزول - أحاديث - نماذج إعراب

الجزء الأول

تأليف

الدكتور أسعد محمود حومد

راجعه
فضيلة الأستاذ الشيخ
محمد متولي الشعراوي
وزير الأوقاف الأسبق
في جمهورية مصر العربية

راجعه
فضيلة الأستاذ الشيخ
أحمد حسن مسلم
من علماء الأزهر
وعضو لجنة الفتوى بالجامع الأزهر

قدم له فضيلة الأستاذ
الدكتور ابراهيم السلقيني
عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق

(٨٤ شارع زنوبيا دمشق)

الطبعة الرابعة

١٤١٩هـ = ٢٠٠٩م

رقم الايداع: ٤٣٥٩١

تاريخ: ١٤/١٠/١٩٩٨



تفسير . أسباب نزول . أحاديث . نماذج إعراب

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه و سلم

بعد نفاذ الطبعة الثالثة من كتاب "أيسر التفاسير" و بحمد الله ، فقد طلب منا إعادة طباعته. و كانت الطبعات الأولى للكتاب في مجلدين من الحجم الكبير،

و بناء على طلب من والدنا "الدكتور أسعد حومد" مؤلف الكتاب ، وعلى رأي كثير من الأخوان ، قررنا طباعة الطبعة الرابعة في ثلاث مجلدات في حجم أصغر .

و نحن لسنا بغرباء عن كتاب التفسير إذ أننا كنا قد ترجمناه إلى اللغة الانكليزية و طبع في عام ١٩٩٨

راجين من الله تعالى التوفيق و القبول و أن يكون عملنا خالصا لوجهه تعالى

د. أسعد حومد

د. نهى حومد   ميادة حومد   غادة حومد

للطلب : دمشق ٣٧١٤٥٠٢ الكويت : نقال :٩٦٣١٧٢٥ (٩٦٥) ميادة حومد - نقال ٩٠٠٦٧٤١ (٩٦٥) غادة حومد

REPUBLIQUE ARABE SYRIENNE
ACADEMIE ARABE
DAMAS
B. P. 327

No. :

الجمهورية العربية السورية
مجمع اللغة العربية بدمشق

ص.ب (٣٢٧)
رقم : ١٧٧١/ص

الأستاذ الدكتور عبد الله الصالح العثيمين المحترم

الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية

ص.ب ٢٢٤٧٦ الرياض ١١٤٩٥

المملكة العربية السعودية

تحية طيبة وبعد ،

فقد اطلع مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٤١٤/٩/٢٧هـ الموافق ١٩٩٤/٣/٩ على خطابكم رقم ١٩٨ تاريخ ١٨ جمادى الثانية ١٤١٤ - ٤ديسمبر ١٩٩٣ بشأن ترشيح بعض اصحاب الكفايات النادرة في الموضوعات المحددة في هذا الخطاب ، الى واحدة أو أكثر من جوائز الملك فيصل العالمية .

وقد تبين له أن كتاب " أيسر التفاسير" لمؤلفه الدكتور أسعد حومد سلطان مستوف شروط الترشيح التي وضعتموها ، لاصالته وموضوعيته ويسر تعابيره وتوفيقه بين ضرورات التراث المقدس ومقتضيات الحداثة المعاصرة ، واستيفائه للمعاني القرآنية استيفاء كاملا وضبطه ضبطا كاملا بالحركات ، اضافة الى فصل مطول يحتوى على اعراب بعض الكلمات والنصوص القرآنية ، التي يستشكل اعرابها على بعض القراء

فاتخذ قرارا في الجلسة المذكورة بترشيح هذا المؤلف الى جائزة الملك فيصل عن تفسير القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا وعلميا .

وقد شفعنا هذا الترشيح بالمتطلبات التي اشترطها خطابكم وهي :

١- سبع نسخ من ايسر التفاسير
٢- موجز عن سيرة المؤلف
٣- كلمة حول الكتاب الذى قررنا ترشيحه

٤- كلمة بين يدى الترجمتين الانكليزية والفرنسية التي يقوم بهما المؤلف لشرح نص التفسير ، اكمالا للفائدة ، وتلبية لحاجات المسلمين الذين لا يعرفون العربية ، أو لا يجيدونها .

وهو جهد مبارك ، لما يتطلبه من جهد ومال ، قام به المؤلف بسعي منه وعلى نفقته .

٥- آثار المؤلف العلمية .

وختاما نود أن نعرب لسعادتكم من صادق تمنيات أعضاء المجمع وتمنياتنا سائلين الله أن يوفقكم الى مافيه خير الاسلام والعروبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

٢٨/ ١١/ ١٤١٤هـ
٨ / ٥ / ١٩٩٤م

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور شاكر الفحام

REPUBLIQUE ARABE SYRIENNE
ACADEMIE ARABE
DAMAS
B. P. 327

الجمهورية العربية السورية
مجمع اللغة العربية بدمشق
ص.ب (٣٢٧)

No. :

رقم : ١٠٤٧ /ص

الأستاذ الدكتور عبد الله الصالح العثيمين

الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية

تحية طيبة وبعد ،

ففي جلسة مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق السادسة المنعقدة بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٢٣ وافق المجلس بالاجماع على ترشيح الدكتور أسعد حومد لنيل جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الاسلامية لعام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م في موضوع :

الدراسات الاسلامية التي تناولت انتشار الاسلام في اقليم أو أكثر خارج العالم العربي وأثر ذلك الانتشار حضاريا •

وقد صدر للدكتور أسعد حومد ثلاثة مؤلفات في هذا الميدان هي :

١- أيسر التفاسير : وهو تفسير للقرآن الكريم أراده الدكتور حومد محاولة جادة لتمكين العامة ومتوسطي الثقافة من فهم معاني القرآن الكريم دون عناء ، كما ترجمه الى اللغتين الانكليزية والفرنسية رغبة منه في مساعدة أبناء المسلمين المقيمين في أرض غير عربية على فهم قرآنهم العظيم •

٢- محنة العرب في الاندلس : يتعرض فيه الدكتور حومد لمعاناة العرب الاندلسيين أنواع التعذيب والابادة والقهر من قبل الاسبان أكثر من مئة عام

٣- دعوة الايمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب : يتصدى فيه الدكتور حومد لجماعة من الكذبة الملفقين الذين حاولوا في كتابهم (قس ونبي) أن يشوهوا دعوة الاسلام وأن يسيؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتابع ليتحدث عن الكتب التي في أيدي المسيحيين واليهود اليوم ثم يقارن بين بعض ماجاء فيها وفي القرآن من قصص الأنبياء •

وتجدون رفق هذا الكتاب نماذج من الكتب التي تقدم بها الدكتور أسعد حومد لنيل الجائزة مرفقة بسيرته الذاتية •

دمشق في ١٤١٩/٩/١١هـ
١٩٩٨/١٢/٣٠م

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور محمد احسان النص

الهاتف: ٣٧١٣١٠٣ - ٣٧١٣١٤٥ - ٣٧١١٤٢٩ / الناسوخ (فاكس) ٣٧٣٣٣٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم أسعد حومد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فالحمد لله على ما هداك له من خدمة كتابه الكريم خدمة تيسره فهما وكتابة فقد حافظت على المأثور من خط المصحف حتى يظل كتاب الله بجلاله ولا يجرئ على اقتحام تصور كلماته، وحسبك يا أخي ما انتهيت إليه من التوفيق بين المأثور وبين ما علم من قواعد الإملاء، وحسبك يا أخي أنك عشت مع كتاب الله قراءة وحبا ولك إن شاء الله بكل ما بذلت من جهد جزاء من الله ونعم الجزاء

يسر الله لك كل أمرك وأعانك دائما على خدمة دينك خدمة تشيع خيره وتيسر الإقبال عليه. وسيجزيك الله إن شاء الله عن كل فهم أوصلته إلى إخوانك المؤمنين جزاء موصولا إلى يوم الدين

بارك الله فيك وبارك لك وبارك منك

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد متولي الشعراوي

٢٤ من جمادى الأولى ١٤٠٥

١٤ من فبراير ١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله إمام المتقين وخاتم النبيين، وبعد فإن الأستاذ المفضال الشيخ أحمد حسن مسلم هو من العلماء القلائل الذين يطمأن إلى علمهم ودينهم، وقد راجع الكتاب الذي ألفه في تفسير القرآن الكريم الأستاذ الدكتور أسعد حومد بعنوان (المختار من التفسير) وقد أطلعت على الكتاب المبارك فإذا هو كتاب يحتاج إليه كل طالب علم مطمئناً إلى ما حواه من معلومات تتقيد بتفكير السلف الصالح ومنهاجهم في تفسير القرآن الكريم وقد زادني ثقة بالكتاب المبارك ما كتبه حوله فضيلة الأستاذ الشيخ مسلم عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، والرائد الديني لجمعيات الشبان المسلمين العالمية.

وليس في وسعنا إلا أن نثني على الكتاب ومؤلفه بما هو أهل له فنرى من الحق علينا أن نستبدل بحسن الثناء جميل الدعاء أن يتفضل الله فيفتح للكتاب طريق القبول في العالمين العربي والإسلامي، وأن يمنح مؤلفه المزيد من التوفيق في خدمة العروبة والعرب والإسلام والمسلمين، والله تعالى سميع مجيب الدعاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

القاهرة في يوم ١٣ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ
في ١٦ يناير ١٩٨٤ م

أحمد حسن الباقوري
رئيس جامعة الأزهر الأسبق
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

حول تفسير المختار

رغب إليَّ بعض أهل العلم والفضل، أن أراجع الكتاب الذي ألفه الأستاذ الدكتور أسعد حومد وسماه (المختار في التفسير).

وقد راجعت هذا الكتاب فوجدته على ما يحب الغيارى على كتاب الله العزيز، لأنه - في مبلغ علمي - عمل صالح، يحتاج إليه المسلمون في هذه الأيام التي يكاد يتأبى فيها تحصيل العلم النافع على طلابه، بسبب العقبات الكثيرة التي من شأنها أن تحول بينهم وبين ما ينفعهم في شؤون الدنيا وشؤون الدين.

ولست أبالغ إذا قلت أن هذا التفسير، ينبغي اعتباره في الصف الأول من التفاسير السهلة التي تجمع بين النفع والإمتاع للخاصة والعامة على سواء:

أما الخاصة فينتفعون منه بما يعينهم على فهم القرآن العظيم وافهامه لغيرهم من أهل العناية بالقرآن.

وأما العامة فيأخذون منه بقدر حاجتهم. ولا ريب في أن الكتاب الذي ينتفع به الخاصة والعامة خليق بالتقدير والإحترام.

وليس يسعني إلا أن أشكر للسيد الدكتور المؤلف هذا الصنيع الجميل قادراً لسيادته ما بذل من جهد واحتمل من عناء في سبيل إتمام هذا العمل المجيد.

وليس يستعصي على من يتغيا الإنصاف في الحكم على الأشياء أن يرد الفضل في هذا الكتاب إلى أمرين:

أحدهما أن المؤلف إلتزم طريقة السلف الصالح في تناول القرآن الكريم بالشرح، فلم يذهب مذهب الذين يحملون القرآن فوق ما يحتمل من الضرب في آفاق لا دليل عليها في المأثور عن سلفنا الصالح، كما يذهب إلى ذلك بعض الذين يتحدثون عن القرآن في إطار من النظريات الحديثة التي لا يقوم عليها دليل، ولا يناصرها برهان لأنها في ضمن الغيب المحجب الذي لا يعلمه إلا علاّم الغيب، ولعل الأستاذ المؤلف قد اقتدى في مذهبه هذا بعالم دمشقي جليل هو الأستاذ جمال الدين القاسمي الذي كان إذا أراد الإشارة إلى معنى جديد، لم يشأ أن يضعه في نطاق التفسير للآيات، بل يذكر الآية ويشير إلى معناها المعروف المألوف عند علماء الأمة ثم يضع المعنى الذي يريده تحت عنوان (تنبيه) على ما يرى ذلك الذين يتناولون كتابه في تفسير الآية الشريفة:

﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾.

فقد ذكر الشيخ القاسمي في كتابه أن المراد بجمع دواب السموات والأرض هو حشرهم يوم القيامة فالمراد من القدرة على ذلك أنه تعالى متمكن منه لا يتعذر عليه وإن تفرقت أوصالهم. ثم وضع في أسفل هذه الكلمات كلمة (تنبيه)، يشير بذلك الوضع إلى معنى علمي حديث لا يبعد أن يكون مراداً في القرآن إذا قامت الأدلة على صحته في مستقبل قريب أو بعيد فذلك حيث قال رحمه الله: **ذهب بعض** الباحثين في آيات القرآن الفلكية والعوالم العلوية إلى معنى آخر في الآية وعبارته على النحو التالي: يفهم من هذه الآية أن الله تعالى خلق في السموات دواب ثم يستدل بقوله: **﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء﴾**. فهذه الدواب في السماء ليست ملائكة كما قال بعض المفسرين ولكنها حيوانات كحيوانات الأرض لا يبعد أن يكون بينهم حيوان عاقل كالإنسان، ويلزم لحياة تلك الحيوانات أن يكون في السموات نباتات وأشجار وبحار وأنهار، كما تحقق في هذا العصر لدى

علماء الأرصاد الجوية، والطائرين في المراكب الفضائيـة التي لا يشك القـائمون على شـأنها في أنهم صـائرون إلى علم يقيني في بعض الكواكب بأن هناك عالماً كعالمنا الأرضي فيه إنسان سخر الله له جميع الكواكب، ولعل الإمام القاسمي يريد أن يقول إن علماء الرياضة الذين اخترعوا المراكب الفضائية في الغرب والشرق، يصرون على أن في الكواكب الكثيرة المنتشرة في كون الله العظيم مخلوقات كثيرة من نبات وحيوان عاقل كالإنسان، وغير عاقل؛ وهو ما لا يستبعده أهل العلم كلما ذهب مركب فضائي وخلفه مركب آخر، وهنا يقول الإمام القاسمي تلميذ الإمام الشيخ محمد عبده، وزميل السيد محمد رشيد رضا، يقول رحمه الله: ولعمري إن هذه الآية التي نزلت على محمد ﷺ قبل ألف وثلاثمئة وعشرين سنة لآية لأهل هذا العصر وآية وآية؟ آية لأهل العلم والفلسفة الذين يبذلون الأموال والأرواح ليتوصلوا إلى معرفة سر من أسرار الكائنات، ومع ذلك الجد الصارم العنيف والجهد المتواصل، لم يتوصلوا - إلا بالظن - إلى ما أنبأت به هذه الآية.

هذا والأمر الثاني تيسير قراءة الكلمات المكتوبة في الرسم العثماني بكتابتها على صورة الإملاء الحديث، ذلك أن من هذه الكلمات ما لا يمكن أن يقرأه أبناؤنا وبناتنا في الجيل المعاصر والأجيال التالية ونضرب لذلك مثلاً الكلمة في الآية الشريفة في سورة فاطر: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خـالق غير الله يـرزقكم من السماء والأرض لا إلـه إلا هو فـأنى تؤفكون﴾. فـالكلمة (نعمت) لا يستـطيع المعاصرون من طلاب العلم وغيرهم قراءتها إلا على أنها فعل مدح للأنثى ولا يقـرؤها قـارىء بمعنى النعمة وهي اسم لمـا أنعم الله به من مختلف النعم. فإذا جاء مفسر القرآن الكريم فوضع في الهامش هذه الكلمة بإملاء العصر الحديث هكذا (نعمة) فإن أحداً لا يستطيع أن يلومه إلا إذا آثر للقرآن الكريم أن يكون غير مفهوم لسواد الناس.

وعلى هذا النحو جاءت في سورة النمل كلمة تصعب قراءتها على الطلاب وغيرهم في كتابة المصحف العثماني ولا بد من كتابتها بـالإملاء الحديث وهي:

الكلمة التي كتبت في المصحف العثماني ضمن الآية الشريفة: ﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كـان من الغائبين لأعـذبنّه عذاباً شديداً أو لا أذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ فليس من الميسور أن يقرأ الطالب كلمة لا أذبحنه على وجه يرضاه أهل العلم فإذا جاء مفسر القرآن فكتب كلمة (لأذبحنه) في هامش التفسير بالإملاء الحديث هكذا (أو لأذبحنه) فليس هناك وجه للوم إلا من المتعنتين الذين لا يعبأ الله بهم.

والذين يلاحظون هاتين الكلمتين في سورتي فاطر والنمل لا ينبغي أن تضيق صـدورهم بكتابـة بعض الكلمات في هـوامش التفاسيـر بالإملاء الحديث لأن ذلك تيسير والإسلام بني على التيسير.

وهنا فرق بين أمرين لا يجمل بطلاب الحق أن يهملوا التنبيه عليهما:

وأحد الأمرين أن كتابة الكلمات بالإملاء الحديث في صلب المصحف أمر لا يسوغ فلا يليق بأحد أن يذهب إليه ويناصر القائلين به.

والأمر الثاني أن تكتب الكلمات مفرقة في هوامش التفاسير، فذلك أمر سائغ لا غبار عليه، ولا ينبغي الاعتراض عليه لمن يؤثر العدل والإنصاف.

فهذان أمران سلك السبيل إليهما الأستاذ الدكتور المؤلف طلباً للتيسير على أبناء وبنات الأمة الإسلامية فجزاه الله على صنيعه هذا أفضل ما جزى صادقاً بصدق، ومخلصاً بإخلاص، وغيوراً على الإسلام بغيرته على القرآن، أن تستعصي قراءته ثم الإنتفاع به على أبناء أمتنا التي تتربص بها أحقاد الحاقدين، وتتلمظ إليها أطماع الطامعين.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وعلى كل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أحمد حسن مسلّم.
عضو لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف
والرائد الديني لجمعيات الشبان المسلمين العالمية

دار المركز العام للشبان المسلمين بالقاهرة.
في يوم ١٣ من ربيع الثاني ١٤٠٤ هجرية.
في ١٦ يناير ١٩٨٤ ميلادية.

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كتاب أنزلناهُ إليكَ مبارك ليدبَّروا آياتِه وليتذكر أولو الألباب﴾.

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد جاء بالهدى ودين الحق وأرسله به شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

وبعد: فإن القرآن الكريم نزل رحمةً يخاطب الأجيال كلها في كل العصور، وهو المنقول إلينا بالتواتر، والمفيد لليقين، والمحرر للإنسان من الخرافة والتبعية والانحراف في الفكر والسلوك والوجدان، وهو هداية الخالق لإصلاح الخلق، تكفل بجميع ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم... في العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات المدنية والجنائية والإقتصادية والسياسية والعلاقات الدولية في السلم والحرب... وهو في كل ذلك حكيم كل الحكمة، قرّر أقوم القواعد التي تحقق مصلحة الفرد والجماعة وسعادتهما، وكفل إنشاء الإنسان الراقي المتحرر، والمجتمع الفاضل المتحضر، لا يعتريه خلل ولا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً).

هو حبل الله المتين والنور المبين، والصراط المستقيم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على طول التكرار.

ومع هذا كله فإن أكثر المنتسبين للإسلام اليوم في أقطار العالم معرضون عنه، وعن التدبر في آياته، غير مكترثين لقول خالقهم عز وجل: ﴿أفلا يتدَّبرون القرآن أم على قلوب أقفالُها﴾.

والقرآن الكريم لم ينزله رب العالمين لنجعله على الصدور أو على الرفوف والجدران، أو لنفتتح به الحفلات، أو لنقرأه في الأفراح والمآتم والمناسبات فحسب، إنما أنزله الله تعالى ليقرأه الناس، ويفهموه فهماً صحيحاً، ويعملوا بما فيه، ليخرجوا من صحراء الضياع إلى صدر العالم، وليستضيئوا بهديه.

لهذا كان من أهم الأعمال وأفضلها خدمة هذا القرآن من بيان معانيه، وإظهار كنوزه، وبيان أحكامه بأسلوب ميسر ليستطيع الناس فهمه، وليقفوا على ما فيه من دروس وعبر، ويستنبطوا من مضامينه ما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا المؤلف محاولة كبيرة وكريمة من أخٍ وفق لنفع الخلق الذين هم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. وهو جهد عظيم مشكور جاء بشكل منسق يسهل الرجوع إليه، وبأسلوب واضح معزز بأسباب النزول للآيات الكريمة، وتوضيح أوجه الترابط بينها.

وقد اختار المؤلف لكتابه عنوان (المختار من التفسير) ليطابق الإسم مسماه. وهو كتاب علمي وعملي عَوْنٌ للعالم، ومرجع للمتعلم، وما أحوج المسلمين إلى من يعرفهم بكتاب ربهم، ويعينهم على تفهم أسراره، فجزى الله تعالى الأخ الدكتور أسعد حومد على مؤلفه خير الجزاء، وأخرج به إلى النور من يريدون أن يتفهموا كتاب الله تعالى، وزاده وأمثاله إحساناً وتوفيقاً إنه سميع مجيب.

دمشق في ١٥ من شهر جمادي الأولى ١٤٠٦ هجرية
الموافق الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ ميلادية.

الدكتور إبراهيم محمد السلقيني
عميد كلية الشريعة الأسبق
في جامعة دمشق

موسوعة
المصادر والمراجع
الدكتور عبد الرحمن عطبة
الطبعة الثامنة ١٩٨٨ الصفحات ٢٩٨ -٣٠١

أيسر التفاسير

ألفه الدكتور أسعد محمود حومد، وهو من أحدث التفاسير التي أصدرتها المطابع، ومن أجلها نفعا؛ ذلك أنه ــ مع عنايتــه بــالمضمون شرحا وتفسيرا ــ عني بالإخراج الذي يجعل تناول التفسير في غاية اليسر مهما تفاوتت درجات ثقافة القارئين.

وقد التزم المؤلف ــ من حيث المضمون ــ طريقة السلف في تناول القرآن الكريم في الشرح والتفسير دون التعرض للنظريات الحديثة التي يوغل بعض المفسرين المحدثين في اللجوء إليها، وعلى هذا فإن هذا التفسير بالشكل الذي عرضه فيه المؤلف يعد من ألوان «التفســـير بالمأثور ».

والمؤلف، في سياق التفسير، إذا انفرد برأي خاص وجده أقرب إلى فهمه لم ينكر على الآخرين فهمهم للقضية التي انفرد برأي حولهـــا، بل أثبت آراءهم حولها وذلك بوضع هذه الآراء ضمن قوسين مع عبارة: (وقيل: إن المعنى هو...)

وفي تفسير الآيات حرص المؤلف على إجمال معاني القرآن على أساس ربط معاني مقاطع الآية بعضها ببعض، ثم ربط معاني الآيات بمـــا تقدمها لتقديره أن ذلك أكثر مساعدة على توضيح المعاني القرآنية.

وعني المؤلف بإيراد أسباب النزول في سياق التفسير لا خارج إطاره ليكون السبب في نزول الآية واقعة ترسخ المعنى في الذهن، كمـــا عني بإيراد الأحاديث الشريفة التي جاءت في تفسير بعض الآيات القرآنية.

وقد أشار المؤلف إلى المراجع التي استعان بها في إعداد تفسيره وذكر منها تفسر ابن كثير وتفسير الجلالين وفي ظلال القرآن وتفســـير المراغي.

أما عن طريقة إخراج التفسير فإنها تنم عن عقل منظم استطاع تسهيل فهم التفسير بيسر وبتشويق وإمتاع، وهو أمر تفتقده كثير من التفاسير. ويتجلى تنظيم هذا الإخراج بالأمور التالية:

١ ــ قسم المؤلف الصفحة طولانيا إلى حقلين خصص الأيمن والأصغر للآيات التي يفسرها وخصص الأيسر والأكبر للتفسير.

٢ ــ في كل آية يسجل رقم الآية ونصها في الحقل الأيمن ثم يضع تفسيرها في مقابلها من الحقل الأيسر، ولا يبدأ بتسجيل آية جديـــدة إلا بعد الانتهاء من تفسيرها، وبما أن حجم التفسير يكون عادة أكبر من حجم نص الآية، فلا بد أن يقع فراغ بعد الانتهاء مـــن كتابـــة الآية، وبعد هذا الفراغ تبدأ الآية الجديدة ويبدأ ما يقابلها من التفسير؛ الأمر الذي يجعل حدود الآية وحدود تفسيرها واضحـــين كـــل الوضوح أمام القارئ. ولا يحتاج إلى جهد في تتبع موقع تفسير الآية بعيدا عن نصها في هوامش الصفحة نفسها أو في هوامش صفحـــات أخرى.

٣ ــ خلال عملية التفسير لأية آية يتم شرح بعض ألفاظها ثم يعقب باللفظ المشروح ضمن قوسين، ومثال ذلك حين شـــرح المؤلـــف كلمة (وابل) من قوله تعالى :﴿كمثل جنة أصابها وابل﴾ قال: «أصابها مطر شديد (وابل)». وذلك رغبة من المؤلفة في التبسيط والتسهيل.

٤ ــ ومن باب التيسر أيضاً وفي شرحه لأية آية يضع في نهاية الشرح الألفاظ التي يقدر أنها صعبة ويضع مقابلها شرحها مثال ذلـــك شرحه للآية التي تشتمل على الجزء السابق يضع في نهايتها شرح بعض الألفاظ على الصورة التالية:

رئاء الناس: مراءاة لهم وطلباً للسمعة عند الناس.

صفوان: حجر أملس.

وابل: مطر شديد.

صلدا: أجرد نقياً من التراب.

٥ ــ حافظ المؤلف على الرسم العثماني في كتابة الآيات، وفي الرسم العثماني كلمات يخالف رسمها ما تعارف عليه الناس في الإمـــلاء. ودفعاً للالتباس عند من لم يألفوا الرسم العثماني يضع المؤلف في سطر مستقل في مطلع التفسير هذه الكلمات مكتوبة بالرســـم الإملائـــي المألوف وبخط كبير وذلك بغية تأدية غرضين أولهما المحافظة على الرسم العثماني الذي تواترت كتابته في المصحف منذ عـــهد الصحابـــة. وثانيهما إعادة كتابة الكلمات في الحقل المخصص للتفسير وذلك بالرسم الإملائي المألوف في العصر الحديث.

ومن باب تواضع العلماء وتقديرهم لأهل العلم اتصل المؤلف شخصياً بعدد من جلّة العلماء والقراء يعرض عليهم عمله ويطلب منهم الرأي والنصيحة منهم أصحاب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي والأستاذ الشيخ أحمد الباقوري والأستاذ الشيخ أحمد حسن مسلّم والشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية والأستاذ الدكتور الشيخ إبراهيم السلقيني الذي وضع مقدمة الكتاب، وقـــد قرظوا جميعاً عمل المؤلف وباركوه.

طبع الكتاب في دمشق طبعتين متتاليتين خلال سنة واحدة أولاها عام ١٤١١هـــ / ١٩٩١م والثانية ١٤١٢هـــ/ ١٩٩٢م.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على محمد وعلى آله أجمعين.

صدرت الطبعة الأولى من هذا التفسير في أوائل عام ١٩٩١ فاستقبلها جمهور القراء أحسن استقبال لما لاحظوه فيه من الوضوح في الأداء، ومن الحرص على التمسك بمذهب السلف الصالح في تفسير القرآن الكريم، حتى كادت الطبعة الأولى أن تنفد خلال شهور قليلة. فكان التحضير للطبعة الثانية مناسبة حسنة لتدارك النواقص التي ظهرت في الطبعة الأولى، ولإضافة فصل فيه بعض قواعد النحو وفيه نماذج من إعراب بعض الآيات القرآنية، مما يستشكل عادة إدراكه على متوسطي الثقافة. وقد دفعني إلى إضافة هذا الفصل ما قصه علي بعض الصحاب عما لاحظه في أوروبا من نشاط محموم يقوم به بعض أعداء الإسلام من العرب المقيمين هناك للدس على الإسلام وعلى القرآن، لإضعاف ثقة المسلمين المقيمين في الغرب بدينهم وكتابهم، لكي يسهل إغراقهم في البحر الذي يقيمون فيه، وابتلاعهم بصورة نهائية... وقال لي هذا الصاحب إن فيما يدسه هؤلاء الأعداء، ويروجون له، هو الزعم أن القرآن وقعت فيه بعض الأغلاط النحوية، ولو كان من عند الله لما وقع فيه ذلك الغلط، ويضربون أمثالاً على ذلك الذي ظنوه أخطاء ـ لجهلهم ولضحالة ثقافتهم في اللغة العربية ـ. ومن ذلك ما جاء في الآية/٦٣من سورة طه ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، فيقولون إن القاعدة النحوية تقضي بأن يكون النص ﴿إِنَّ هٰذَيْن لَسَاحِرَانِ﴾ لأن إنَّ تنصب المبتدأ وترفع الخبر... ونسوا تتمة القاعدة النحوية القائلة إنه إذا خففت إنَّ بطل عملها، وأصبح ما بعدها مرفوعَين على أنهما مبتدأ وخبر، فقلت في نفسي إنَّ الضرورة إذاً تقضي بأن أُضيف فصلاً في الإعراب، وأن أقدم بين يدي هذا الفصل بإشارة عابرة إلى بعض قواعد النحو التي يحاول بعض الجهلة إثارتها.. وبذلك يدرك القارىء أن القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ... أما أولئك الأعداء الذين يضيعون وقتهم في البحث عما يسيئون به إلى الإسلام وإلى القرآن، ويحاولون جهلاً منهم وغباءً، مناطحة أرسخ ثوابت الإسلام، ألا وهو القرآن الكريم، فإن خير رد عليهم أن ننقل إليهم حواراً جرى في القرن الثالث الهجري بين رجل مجوسي وبين أبي الهذيل العلاف حول موضوعات تشبه ما يثيره اليوم أعداء الإسلام، فلم ينته الحوار حتى شهد الرجل أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونحن لا نتوقع أن يفعل أعداء الإسلام اليوم الشيء ذاته لأن الحقد أعمى بصيرتهم وأبصارهم، ولم يجعلوا الحقيقة قصدهم ورائدهم في حياتهم، ولذلك فإنهم سيبقون في الجهالة والعماية يترددون حتى يأتي يوم لا ينفعهم فيه دس ولا كذب ولا نفاق ولا كفر بآيات الله.

جاء في كتاب طبقات المعتزلة في الصفحتين ٤٤ و ٤٥ الكلمة التالية:

(ومن محاسن مناظرات أبي الهذيل العلاف أنه أتاه رجل فقال له: أشكل علي أشياء من القرآن فقصدت هذا البلد فلم أجد عند أحد ممن سألتهم شفاء لما أردته، فلما خرجت منه في هذا الوقت قال لي قائل: إن بغيتك عند هذا الرجل (أي عند أبي الهذيل نفسه) فاتق الله وأفدني. فقال له أبو الهذيل: فماذا أشكل عليك؟ قال آيات من القرآن توهمني أنها متناقضة، وآيات توهمني أنها ملحونة. قال فماذا أحب إليك؟ أجيبك بالجملة أو تسألني عن آية آية؟ قال: بل تجيبني بالجملة. فقال أبو الهذيل: هل تعلم أن محمداً كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب، فلم يكن مطعوناً عليه؟ قال اللهم نعم. فقال أبو الهذيل: فهل تعلم أن العرب كانوا أهل جدل؟ قال: اللهم نعم. قال فهل اجتهدوا في تكذيبه؟ قال اللهم نعم. قال فهل تعلم أنهم عابوا عليه بالمناقضة أو باللحن؟ قال اللهم لا. قال أبو الهذيل: فتدع قولهم، على علمهم باللغة، وتأخذ بقول رجل من الأوساط؟ قال فأشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله. قال كفاني هذا وانصرف وتفقه في الدين (طبقات المعتزلة ص ٤٤ و ٤٥].

والذي نضيفه إلى ما قاله أبو الهذيل العلاف هو أن ما يثيره هؤلاء الجهلة لم يكن ليخفى على أبسط العرب كشفه لو كان شيء منه صحيحاً، ولعابه كل واحد، ولكننا نجد الأمر على غير ما يقولون، نجد بعض زعماء الضلالة من قريش يعترفون بأن ما يقوله محمد (من القرآن) ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن. وأن امرأة أعرابية سمعت القرآن يتلى فسجدت، فسألوها عن سبب سجودها فقالت لفصاحته.

فإلى هؤلاء جميعاً نقول إنهم لو انصرفوا إلى ما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم من السعي إلى إصلاح بيتهم من الداخل بعد أن كادت تضيع فيه معالم الإيمان، لكان ذلك أجدى لهم وأنفع.

والإعراب الذي اوردناه في هذا الكتاب اعتمدنا في أكثره على كتاب الأستاذ محيي الدين الدرويش (إعراب القرآن الكريم)، واعتمدنا في قلة منه تفسير الزمخشري وعلى كتاب مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي أبي طالب القيسي الذي حققه ونشره الدكتور حاتم صالح الضامن.

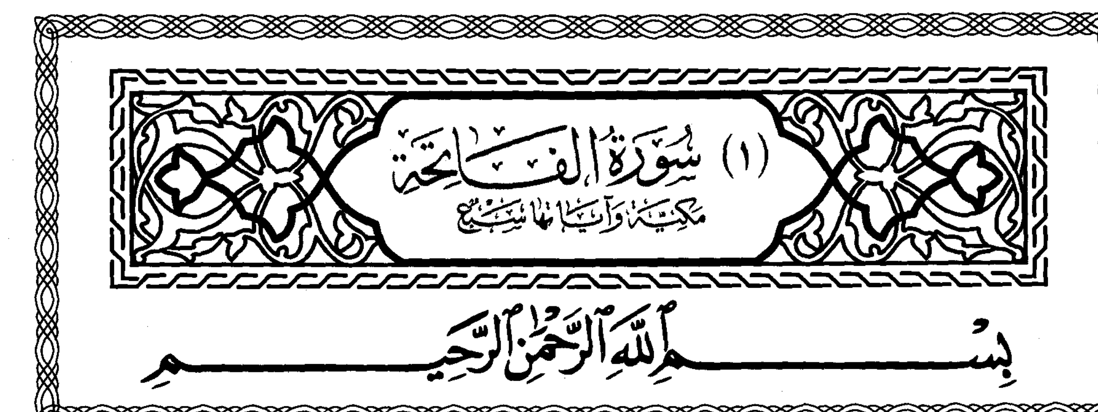
فالحمد لله على ما أنعم به من التوفيق إلى خدمة الأجيال الإسلامية، وأسأله السداد والرشاد. وأود قبل أن أختم كلمتي هذه أن أزجي جزيل الشكر للصديقين الفاضلين الأستاذ الشيخ عصام خلف والأستاذ عبد الله صباغ لما بذلاه من جهد في ضبط طباعة التفسير، جزاهما الله عني خير الجزاء على جهدهما المشكور، كما أشكر الأستاذ الفاضل عبد الحليم الخطيب السلقيني الذي تطوع في إبداء ملاحظات قيمة جزاه الله خيراً.

والصلاة والسلام على محمد رسول الله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الدكتور/ أسعد حومد

دمشق في الخامس من شهر رجب عام ١٤١٢ هـ

الموافق العاشر من شهر كانون الثاني ١٩٩٢ م



(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٢) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(٣) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٤) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

(٥) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

(٦) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

(٧) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

تُسَمَّى هَذِهِ السُّورَةُ أُمَّ الكِتَابِ، لِأَنَّها تَشْتَمِلُ بِطَرِيقِ الإِيجَازِ والإِشَارَةِ عَلَى مَقَاصِدِ القُرْآنِ وَهِيَ: التَّوْحِيدُ، وَالوَعْدُ وَالبُشْرَى للمُؤْمِنِ المُحْسِنِ، والوَعِيدُ والإِنْذَارُ لِلكَافِرِ المُسِيءِ، وَبَيَانُ طَرِيقِ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَقَصَصُ الَّذِينَ أَطَاعُوا رَبَّهُمْ فَفَازُوا، والذِينَ عَصَوْا فَخابوا.

(١) - بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ، المُتَّصِفِ بِكُلِّ كَمَالٍ، المُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَهُوَ صَاحِبُ الرَّحْمَةِ الَّذِي يُفِيضُ بِالنِّعَمِ الجَلِيلَةِ عَامِّهَا وَخَاصِّهَا عَلَى خَلْقِه، وَهُوَ المُتَّصِفُ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ الدَّائِمَةِ.

(الْعَالَمِينَ)

(٢) - الثَّنَاءُ الجَمِيلُ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لِلهِ وَحْدَهُ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الثَّنَاءَ لِأَنَّهُ مُنْشِئُ المَخْلُوقَاتِ، والقَائِمُ عَلَيْهَا.

(٣) - وَهُو صَاحِبُ الرَّحْمَةِ الدَّائِمَةِ ومَصْدَرُها، يُنْعِمُ بِكُلِّ النِّعَمِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا عَلَى خَلْقِهِ.

(مَالِكِ)

(٤) - وَهُوَ وَحْدَهُ المَالِكُ لِيَوْمِ الجَزَاءِ والحِسَابِ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ، وَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ في التَّصَرُّفِ.

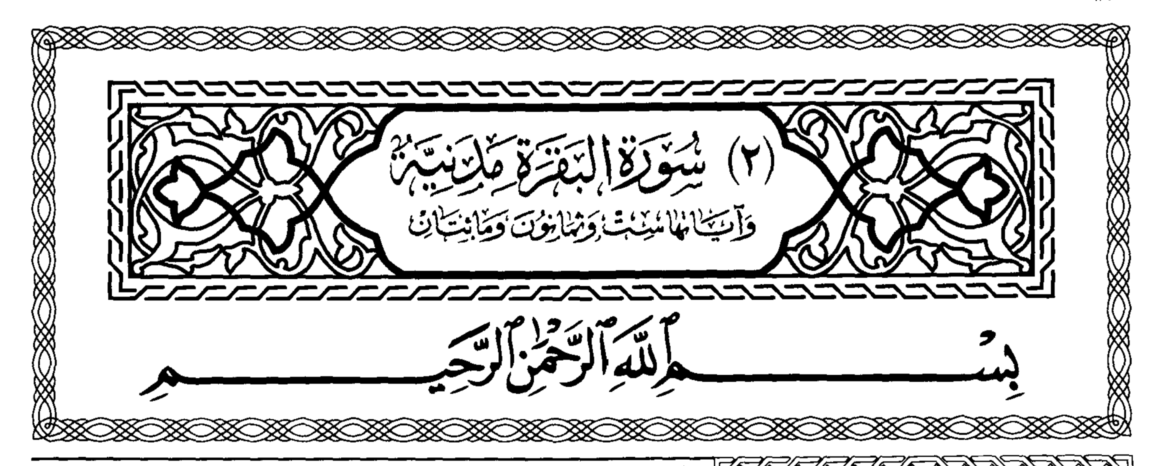
(٥) - وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، يَارَبَّنا، وَلَا نَطْلُبُ العَوْنَ والخَيْرَ إِلَّا مِنْكَ.

(الصِّرَاطَ)

(٦) - وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا إِلى طَرِيقِ الحَقِّ، والخَيْرِ والسَّعَادَةِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمُ الَّذِي يُوصِلُنَا إِلَيْكَ.

(صِرَاطَ)

(٧) - وَهُوَ طَرِيقُ عِبَادِكَ الَّذِينَ وَفَّقْتَهُمْ إِلى الإِيمَانِ بِكَ، وَوَهَبْتَ لَهُمُ الهِدَايَةَ والرِّضَا مِنْكَ، لَا طَرِيقُ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا غَضَبَكَ، وَضَلُّوا طَرِيقَ الحَقِّ والخَيْرِ لِأَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنِ الإِيمَانِ بِكَ، والإِذْعَانِ لِهَدْيِكَ.



(١) الٓمٓ

أَلِفْ. لام. ميم.

وَتُقْرأُ مُقَطَّعةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ. آختَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ تَفسِيرِ مَعْنَى الحُروفِ الوَارِدَةِ فِي مَطَالِعِ السُّورِ، وأَكثَرُهُمْ مُتَفِقُونَ عَلى أَنَّها مِمَّا آستَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ. وَمِنهُمْ مَنْ فَسَّرها، ولَكِنَّهُمْ آختَلَفُوا حولَ مَقَاصِدِهَا، فَمِنهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّها حُروفُ تَنْبيهٍ، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ: أيا وَهَيَا: وَالتَّفسِيرُ الذِي آختَارَهُ بَعضُهُمْ وَرأى أَنَّهُ أَقْرَبُ إِلى المَنْطِقِ هُوَ: أَنَّ هَـذا القُرآنَ المُنَزَّلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِأَمْثَالِ هذِهِ الحُروفِ، المَعْرُوفَةِ عِنْدَ العَرَبِ، هُوَ المُعْجِزَةُ، لأَنَّهُ تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، مَعَ أَنَّه مُنَزَّلٌ بِلُغَتِهِمْ، وَهُمْ أَهْلُ الفَصَاحَةِ وَالبَيَانِ وَاللَّسَنِ.

وَمَا دَامَ المُفَسِّرونَ قَدِ آخْتَلَفُوا حَوْلَ مَعْنَاهَا الصَّحِيحِ فَالأَفْضَلُ أَنْ نَقُولَ: اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٢) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

(الْكِتَابُ)

(٢) ـ لَا شَكَّ في أَنَّ هَذَا القُرآنَ (الكِتَابُ) مُنْزَلٌ مِنْ عِندِ اللهِ، وَهُوَ هُدًى وَنُورٌ يَهتَدِي بِهِ المُتَّقُونَ، الذِينَ يَجتَهِدُونَ في العَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ، وَيَتَّقُونَ الشِّرْكَ وَأَسْبَابَ العِقَابِ.

الاتِّقَاءُ ـ هُوَ الحَجْزُ بَيْنَ شَيئَينِ وَمِنْهُ آتَّقَى الطَّعنَةَ بِتِرْسِهِ، أَيْ جَعَلَ التُّرْسَ حَاجِزاً بَيْنَ الرُّمْحِ وَبَيْنَهُ.

هُدًى ـ هَادٍ مِنَ الضَّلالَةِ.

(٣) ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

(الصَّلاَةَ) (رَزَقْنَاهُم)

(٣) ـ وَهؤلاءِ المُتَّقُونَ هُمُ الذينَ يُصَدِّقُونَ بِحَزمٍ وَإِيمانٍ وإِذعَانٍ بما لاَ يَقَعُ تَحْتَ حَواسِّهِمْ (الغَيْبِ) فَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

﴿٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

وَجَنَّتِهِ وَلِقَائِهِ، وَبِالحَيَاةِ بَعْدَ المَوْتِ. وَهُمْ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ، وَيُؤدُّونَها حَقَّ أَدَائِهَا وَيُتِمُّونَ - بِخُشُوعٍ تَامٍّ، وَحُضُورِ قَلْبٍ - رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَتِلاوَتَهَا، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ في وُجُوهِ الخَيْرِ، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ.

الغَيْبُ - هُوَ مَا غَابَ عَنْ حِسِّ الإِنسَانِ، أَوْ مَا غَابَ عِلْمُهُ عَنِ الإِنسَانِ كَذَاتِ اللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ.

الإِيمانُ - هُوَ تَصْدِيقٌ جَازِمٌ يَقْتَرِنُ بِإِذْعَانِ النَّفْسِ وَاسْتِسلامِهَا.

(بالآخِرَةِ)

(٤) - وَهؤلاءِ المُتَّقُونَ هُمُ الذينَ يُصَدِّقُونَ بما جِئْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبِمَا أُنزِلَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ، لا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلا يَجْحَدُونَ بما جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ بِصِدْقِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ النُّبُوَّاتُ مِنَ البَعْثِ وَالحِسَابِ في الآخِرَةِ.

اليَقِينُ - هُوَ التَّصدِيقُ الجَازِمُ. وَيُعرَفُ اليَقِينُ بآثَارِهِ في الأَعْمَالِ، فَمَنْ شَهِدَ زُوراً، أَوْ أَكَلَ مَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، لاَ يُمكِنُ أَنْ يَكُونَ إِيمانُهُ قَائِماً عَلَى اليَقِينِ.

(أُولئِكَ)

(٥) - فَهؤُلاءِ المُتَّصِفُونَ بالصِّفَاتِ المُتَقَدِّمَةِ: مِنْ إِيمَانٍ بِاللهِ، وَإِيمَانٍ بِالبَعْثِ وَالحِسَابِ، وَإِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَتَأْدِيَةِ الزَّكَاةِ... هُمْ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَنُورٍ وَبَصِيرَةٍ، وَهُمُ المُفْلِحُونَ الفَائِزُونَ الذِينَ أَدْرَكُوا مَا طَلَبُوهُ بعدَ السَّعيِ الحَثِيثِ فِي الحُصُولِ عليهِ، وَنَجَوْا مِنْ شَرِّ مَا اجْتَنَبُوهُ.

عَلَى هُدًى - تَعْبِيرٌ يُفِيدُ التَّمَكُّنَ مِنَ الهُدَى، وَكَمَالَ الرُّسُوخِ فِيهِ.

(أأَنْذَرتَهُمْ)

(٦) - أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَجَحَدُوا الحَقَّ وَسَتَرُوهُ، فَإِنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، سَوَاءٌ أأَنْذَرْتَهُمْ وَخَوَّفْتَهُمْ عَاقِبَةَ بَغْيِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ تُؤَثِّرُ فِيهِم المَوْعِظَةُ.

الكُفْرُ - هُوَ سَتْرُ الشَّيءِ وَتَغْطِيَتُهُ.

سَوَاءٌ - مُسْتَوٍ.

٧ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ
سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ
غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(أَبْصَارِهِمْ) (غِشَاوَةٌ)

(٧) - وَهٰؤُلاءِ قَدْ تَمكَّنَ الكُفْرُ مِنْهُمْ حَتَّى أَصْبَحُوا وَكَأَنَّ اللهَ، قَدْ وَضَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ خَتْماً فَأَصْبَحَتْ لاَ يَصِلُ إِلَيها شَيءٌ مِنَ الهِدَايَةِ، وَكَأَنَّ اللهَ وَضعَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ خَتماً فَأَصْبَحَتْ لاَ تَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، وَلاَ تَتأَثَّرُ بِأَسْبابِ الهِدَايَةِ، وَكَأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَلْقَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً فَأَفْقَدَهَا القُدْرَةَ عَلَى الرُّؤْيَةِ الوَاضِحَةِ الجَلِيَّةِ، لِذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ سَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَسَيَكُونُ ذٰلِكَ سَبَباً لاستِحْقَاقِهِم العَذَابَ العَظِيمَ مِنْ رَبِّهِمْ.

الخَتْمُ وَالطَّبْعُ والرَّينُ - بِمَعْنىً وَاحِدٍ، وَهُوَ تَغْطِيَةُ الشَّيءِ.

الغِشَاوَةُ - الغِطَاءُ والسَّتْرُ.

٨ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم
بِمُؤْمِنِينَ

(آمَنَّا) (الآخِرِ)

(٨) - يَفْضَحُ اللهُ تَعَالَى المُنَافِقِينَ، وَيَكْشِفُ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَمْرَهُمْ وَخَفَايَا نُفُوسِهِمْ. وَالمُنَافِقُونَ هُمُ الذِينَ آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالإِسْلاَمِ، وَهُمْ كُفَّارٌ، فَهٰؤُلاءِ المُنَافِقُونَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللهِ وَبِاليَومِ الآخِرِ، وَلٰكِنَّهُمْ فِي الحَقِيقَةِ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ، وَلاَ مُخْلِصِينَ فِي إِيمَانِهِمْ.

(وَيَنْطَبِقُ لَفْظُ المُنَافِقِ عَلَى كُلِّ مَنْ يُظْهِرُ الخَيْرَ وَيُبطِنُ الشَّرَّ).

النَّاسِ - هُمْ بَنُو البَشَرِ، وَسُمِّيَ النَّاسُ أُناساً لِظُهُورِهِمْ وَتَعَلُّقِ الإِينَاسِ بِهِمْ.

٩ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ

(يُخادِعُونَ) (آمَنُوا)

(٩) - وَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُونَ خِدَاعَ النَّبِيِّ وَالمُؤْمِنِينَ وَغِشَّهُمْ مِنْ وَرَاءِ تَظَاهُرِهِمْ أَمَامَ المسلمينَ بِالإِسْلاَمِ. وَلٰكِنَّ اللهَ يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُمْ، وَقَدْ نَبَّهَ رَسُولَهُ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ إِلى ذٰلِكَ، وَلِهٰذا فَإِنَّهُمْ لا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ أَنَّ أَمْرَهُمْ مَكْشُوفٌ.

الخِدَاعُ - أَنْ يُوهِمَ الإِنْسَانُ غَيْرَهُ خِلاَفَ مَا يُخْفِيهِ لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَينَ مَا يُرِيدُ.

١٠ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ
مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ

(١٠) - فِي قُلُوبِ هٰؤُلاءِ المُنَافِقِينَ شَكٌّ وَنِفَاقٌ (مَرَضٌ) فَزَادَهُمُ اللهُ شَكّاً وَنِفَاقاً وَرِجْساً (مَرَضاً)، وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً فِي الآخِرَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كَذِبِهِمْ عَلَى اللهِ وَعَلَى النَّاسِ.

مَرَضٌ - شَكٌّ وَنِفَاقٌ.

(١١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

(١١) - فَإِذَا قِيلَ لِهٰؤلاءِ المُنَافِقِينَ: لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ، وَلاَ تُثِيرُوا فِيها الفِتَنَ وَالحُرُوبَ، وَلاَ تُحَرِّضُوا الأَعـدَاءَ عَلَى المُؤْمِنِينَ، وَلاَ تُفْشُوا أَسْرارَ المُؤْمنينَ لأَعْدائِهِمْ، وَلاَ ترتَكِبُوا المَعَـاصِيَ وَغَيْرَ ذٰلِـكَ مِنْ فُنُونِ الشَّـرِّ. . . قَالُـوا: إِنَّنـا نُـرِيـدُ الإِصْلاَحَ، فَنَحْنُ بَعِيـدُونَ عَنِ الإِفسَادِ وَشَوَائِبِهِ. والمُفْسِدُونَ يَدَّعُونَ دَائماً أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الإِصْلاَحَ.

الفَسَادُ - هُوَ خُروجُ الشَّيءِ عَنْ حَدِّ الاعتِدالِ.

وَالفَسَادُ فِي الأَرْضِ - هُوَ إِثَارَةُ الاضْطِرَابَاتِ وَالفِتَنِ فِيهَا.

الصَّلاحُ - هُوَ عَكْسُ الفَسَادِ.

(١٢) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ

(١٢) - وَلٰكِنَّهُمْ فِي الحَقِيقَةِ هُمُ المُفْسِدُونَ، لأَنَّ مَا يَقُومُونَ بِهِ هُوَ عَيْنُ الفَسَادِ، وَلٰكِنَّهُمْ لِجَهْلِهِمْ لا يَشْعُرونَ بِأَنَّهُ فَسَادٌ، وَلاَ يُدْرِكُون سُوءَ العَاقِبَةِ الذي سَيَصِيرُون إليهِ.

(١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ

(آمِنُوا)

(١٣) - وَإذا قِيلَ لِهٰؤلاءِ المُنافِقِينَ: آمِنُوا بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِهِ، وَبِـالبَعْثِ بَعْدَ المَـوْتِ، وَبِـالحِسَـابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّـارِ كَمَـا آمَنَ النَّـاسُ المُؤْمِنُونَ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ في آمتِثَالِ الأَوَامِرِ وَتَرْكِ الزَّوَاجِرِ، قَالُوا سَاخِرِينَ: كَيْفَ نُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ هٰؤلاءِ السُّفَهاءُ، وَنَصِيرُ مَعَهُمْ فِي مَنْزِلَـةٍ وَاحِدَةٍ؟

وَيَـرُدُّ اللهُ تَعَـالَى عَلَيْهِم قَـائِـلاً: إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَـاءُ وَلٰكِنَّهُمْ لِجَهْلِهِمْ، وَضَعْفِ عُقُولِهِمْ لاَ يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ.

السَّفَهُ - خِفَّةٌ فِي العَقْلِ، وَفَسَادٌ فِي الرَّأْيِ، وَمِنْهُ ثَوْبٌ سَفِيهٌ أَيْ رَدِيءٌ.

(١٤) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ

(آمَنَّا) (شَياطِينِهِمْ) (مُسْتَهْزِئُونَ) (آمَنُوا)

(١٤) - كَانَ المُنافِقُونَ إذا آلتَقَوْا بِـالمُؤْمِنينَ أَظْهَرُوا لَهُمُ الإِيمَـانَ نِفَاقـاً وَمُصَـانَعَةً وَتَقِيَّـةً، وَلٰكِنَّهُمْ حِينَما كَـانُـوا يَـذْهَبُـونَ إِلى شَيَـاطِينِهِمْ - أَيْ سَـادَتِهِمْ وَكُبَـرَائِهِمْ مِنْ أَحْبَـارِ اليَهُـودِ، وَرُؤُوسِ الشِّـرْكِ وَالنِّفَـاقِ - ، وَيَختَلُونَ بِهِمْ بَعِيداً عَنْ سَمْعِ المُؤْمنينَ وَأَبْصَارِهِمْ، كَانُوا يَقُولُـونَ لَهُمْ إِنَّهُمْ كَفَـرَةٌ، وَإِنَّهُمْ مَـا زَالُـوا مُقِيمِينَ عَلَى كُفْـرِهِمْ وَنِفَـاقِهِمْ، وَلٰكِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الإِيمَانَ لِلْمُؤْمنِينَ نِفَاقـاً وَتَقِيَّةً وَمُصَـانَعَةً، وآسْتِهْـزَاءً بِالمُؤْمِنِينَ وَدِينِهِمْ.

(١٥) ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ

(١٦) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ

(١٧) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ

(١٨) صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ

الاستِهْزَاءُ - السُّخْرِيَةُ.

خلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ - آنْصَرَفُوا إِلَيهِمْ، وَآنْفَرَدُوا بِهِمْ.

(طُغْيَانِهِم)

(١٥) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالى عَلَى هٰؤُلاءِ المُنَافِقِينَ وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ عَالِمٌ بِسَرَائِرِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ، وَإِنَّهُ يَمُدُّ لَهُمْ فِي الغِوَايَةِ وَالضَّلاَلِ، وَيَزِيدُهُمْ مِنهُما، وَهُوَ الذِي يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَتْرُكُهُمْ حَيَارَى فِي ضَلاَلِهِمْ لاَ يَجِدُونَ إِلى الخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ سَبِيلاً.

العَمَهُ - هُوَ الضَّلاَلُ والاسْتِرْسَالُ فيهِ، وَهُوَ ظُلْمَةُ البَصِيرَةِ.

مَدَّ الجَيْشَ، وَأَمَدَّهُ - زَادَهُ عَدَداً وَقَوَّاهُ بِالمَدَدِ.

طُغْيَانِهِمْ - مُجاوَزَتِهِم الحَدَّ فِي الكُفْرِ.

(أُوْلَئِكَ) (الضَّلاَلَةَ) (تِجارَتُهم)

(١٦) - فَهٰؤُلاءِ المُنَافِقُونَ هُمُ الذِينَ أَخَذُوا الضَّلاَلَةَ وَالكُفْرَ وَتَرَكُوا الهُدَى وَالإِيمَانَ، وَكَأَنَّهُمْ عَقَدُوا صَفْقَةً بِذٰلِكَ، وَلٰكِنَّ هٰذِهِ الصَّفْقَةَ خَسِرَتْ وَلَمْ تَرْبَحْ لأَنَّهُمْ بَاعُوا مَا وَهَبَهُمُ اللهُ مِنْ نُورٍ وَهُدًى، بِضَلاَلاَتِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ، وَلَمْ يَهْتَدُوا فِي عَمَلِهِمْ هٰذا إِلى الحَقِّ وَالإِيمانِ والصَّوابِ.

(ظُلُمَاتٍ)

(١٧) - يُصَوِّرُ اللهُ تَعَالى حَالَ المُنَافِقِينَ الذِينَ أَسْلَمُوا وَدَخَلَ نُورُ الإِيمَانِ إِلى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ دَاخَلَهُمُ الشَّكُّ فِيهِ فَكَفَرُوا، فَيَقُولُ: إِنَّ حَالَهُمْ يُشْبِهُ حَالَ جَمَاعَةٍ أَوْقَدوا نَاراً لِيَنْتَفِعُوا بها فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ مِنَ الأَشْيَاءِ وَالأَمَاكِنِ، عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ أَطْفَأَهَا فَأَصْبَحُوا فِي ظَلامٍ دَامِسٍ لا يَتَسَنَّى لَهُمْ مَعَهُ الإِبْصارُ والاهْتِدَاءُ، ذٰلِكَ لأَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا فَضَائِلَ الإِيمَانِ وَمَحَاسِنَهُ، فَأَصْبَحُوا فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ لاَ يُبْصِرُونَ مَسْلَكاً مِنْ مَسَالِكِ الهِدَايَةِ وَالنَّجَاةِ.

المَثَلُ - الشَّبَهُ.

اسْتَوْقَدَ نَاراً - طَلَبَ إِيقَادَها.

(١٨) - وَهٰؤُلاءِ كَأَنَّهُمْ صُمٌّ لاَ يَسْمَعُونَ، وَبُكْمٌ لاَ يَنْطِقُونَ، وَعُمْيٌ لاَ يُبْصِرُونَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَنْتَفِعُونَ بِحَوَاسِّهِمْ مَعَ سَلاَمَتِهَا، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلى الحَقِّ لأَنَّ مَنْ فَقَدَ حَوَاسَّهُ لاَ يَسْمَعُ صَوْتاً

يهْتَدِي بِهِ، وَلاَ يَصِيحُ لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ، وَلاَ يَرَى بَارِقاً مِنْ نُورٍ يَتَّجِهُ إليهِ وَيَقْصُدُهُ، وَلاَ تَزَالُ هٰذِهِ حَالُهُ: ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَهُوَ يَتَرَدَّى فِي مَهَاوِي الهَلاَكِ.

الصَّمَمُ - آفَةٌ تَمْنَعُ السَّمعَ.

البَكَمُ - الخَرَسُ، وَفَقْدُ القُدْرَةِ عَلَى النُّطْقِ.

﴿١٩﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ

(ظُلُماتٌ) (أَصَابِعَهُمْ) (آذانِهِم) (الصَّوَاعِقِ) (بالكَافِرِين)

(١٩) - وَحِينَما جاءَتْ هؤُلاءِ المُنَافِقِينَ دَعْوَةُ اللهِ، وَبَيِّناتُهُ وآياتُهُ، وَوُجِّهَتْ أبْصارُهُمْ إلى حُجَجِ اللهِ القَائِمَةِ في الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ الْتَمَعَ في نُفُوسِهِمْ قَبَسٌ مِنْ نُورِ الهِدَايَةِ، وَلٰكِنَّهُمْ سُرْعَانَ مَا اعْتَرَضَتْهُمْ ظُلُمَاتُ الشُّبَهِ وَالتَّقَالِيدِ وَالخَوْفِ مِنَ الذَّمِّ، إذا أَخَذُوا بِمَا يُخَالِفُ آراءَ مَنْ حَوْلَهُمْ، فَاعْتَرَتْ نُفُوسَهُمُ الحَيْرَةُ والقَلَقُ وَالاضْطِرابُ. وَقَدْ مَثَّلَ اللهُ حَالَ هٰؤلاءِ المُنَافِقِينَ بِحَالِ قَوْمٍ في إحدَى الفَلَوَاتِ نَزَلَ بِهِمْ - بَعْدَ حُلُولِ ظَلاَمِ اللَّيلِ - مَطَرٌ شَدِيدٌ يَتَساقَطُ مِنَ السَّمَاءِ، تُصَاحِبُهُ رُعُودٌ قَاصِفَةٌ، وَبُرُوقٌ لاَمِعَةٌ، وَصَوَاعِقُ مُنْقَضَّةٌ فَتَوَلاَّهُمُ الدَّهَشُ والرُّعْبُ، وَأَهْوَوْا بِأَصَابِعِهِمْ لِيَضَعُوهَا فِي آذانِهِمْ لِيَمْنَعُوا وُصُولَ الأَصْوَاتِ المُخِيفَةِ المُزْعِجَةِ إلى أَسْمَاعِهِمْ، لِمَا يَحْذَرُونَهُ مِنَ المَوْتِ. وَلٰكِنْ هَلْ يُنْجِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ؟ إنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ بِأَسْمَاعِهِم وَأَبْصارِهِمْ وَلٰكِنَّهُ إذا لَمْ يَفْعَلْ فَمَا ذٰلِكَ إلاَّ لِحِكْمَةٍ اقْتَضَتْهَا مَشِيئَتُهُ.

الصَّيِّبُ - المَطَرُ الذِي يَنْزِلُ.

الرَّعْدُ - الصَّوتُ الذِي يُسْمَعُ فِي السَّحَابِ وَقْتَ البَرْقِ.

البَرْقُ - النُّورُ اللاَّمِعُ في السَّحَابِ.

الصَّاعِقَةُ - نَارٌ تَنْقَضُّ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ.

﴿٢٠﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(أبْصَارَهُمْ) (وأبْصَارِهِمْ)

(٢٠) - يَكَادُ بَرْقُ الإيمَان يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ لِشِدَّةِ ضَوْئِهِ، فَكُلَّما ظَهَرَ لَهُمْ شَيءٌ مِنَ الإيمَانِ، آسْتَأْنَسُوا بِهِ وآتَّبَعُوهُ، ثُمَّ تَعْرِضُ لَهُمُ الشُّكُوكُ فَتُظْلِمُ نُفُوسُهُمْ، وَيَقِفُونَ حَائِرِينَ مُتَرَدِّدِينَ. وَكَذٰلِكَ يَكُونُ حَالُ المُنَافِقِينَ مُتَفَاوِتِينَ فِي الدَّرَجَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، لِمَا تَرَكُوا مِنَ الحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَاللهُ وَاسِعُ القُدْرَةِ، إذا أَرَادَ شَيْئاً فَعَلَهُ، ولا يُعْجِزُهُ شيءٌ أَبَداً فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ.

قَام - وَقَفَ في مَكَانِهِ .

أَظْلَمَ عَلَيهِمْ - خَفِيَ عَلَيهِم البَرْقُ وَاسْتَتَرَ .

يَخْطَفُ - يَذْهَبُ بِهَا بِسُرْعَةٍ .

﴿٢١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(يَا أَيُّهَا)

(٢١) - يَدْعُو اللهُ تَعَالَى النَّاسَ (وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ إِنَّهُ قَصَدَ بِدَعْوَتِهِ هـٰذِهِ هُنَا المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ) إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، عِبَادَةَ خُشُوعٍ وَإِخْلاصٍ ، لأَنَّهُ هُوَ الذي خَلَقَهُمْ، وَخَلَقَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الأَجْيَالِ ، فَإِنْ فَعَلُوا ذٰلِكَ أَعَدُّوا أَنْفُسَهُمْ لِلتَّقْوَى، وَبَلَغُوا الغَايَةَ القُصْوَى، وَكَانُوا مِنْ عِبَادِ اللهِ المُتَّقِينَ الذِينَ يُذْعِنُونَ لِلْحَقِّ، وَيَخَافُونَ سُوءَ العَاقِبَةِ .

﴿٢٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

(فِرَاشاً) (الثَّمَرَاتِ)

(٢٢) - فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الذِي جَعَلَ الأَرْضَ لِلنَّاسِ مُوطَّأَةً مِثْلَ الفِرَاشِ لِيَنْتَفِعُوا بِخَيْرَاتِها، وَلِيَسْهُلَ عَلَيهِم الاسْتِقْرَارُ عَلَيهَا، وَجَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفاً يُحِيطُ بِالأَرْضِ (بِنَاءً)، وَزَيَّنَهَا بِالكَوَاكِبِ لِيَهْتَدِيَ بِهَا السَّارِي فِي ظُلُمَاتِ اللَّيلِ ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَراً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ رِزْقاً لَهُمْ وَلأَنْعَامِهِمْ، وَفِي كُلِّ ذٰلِكَ مَا يَهْدِي العَقْلَ إِلى أَنَّ خَالِقَ هٰذا الكَوْنِ البَدِيعِ المِثَالِ لا نِدَّ لَهُ وَلاَ نَظِيرَ، لِذٰلِكَ فَإِنَّهُ وَحْدَه الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدُوهُ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالى العِبَادَ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ، وبِأَنْ لا يَجْعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَأَنْدَاداً يُمَاثِلُونَهُمْ بِهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَالخَلْقِ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ وَلاَ مُمَاثِلَ .

نِدٌّ - نَظِيرٌ وَمُمَاثِلٌ وَشَبِيهٌ .

فِرَاشاً - بِسَاطاً وَوِطَاءً للاسْتِقْرَارِ عَلَيهَا .

﴿٢٣﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(صَادِقِين)

(٢٣) - وَيَتَحَدَّى اللهُ المُشْرِكِينَ وَالكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا فِي شَكٍّ (رَيْبٍ) مِنْ صِحَّةِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ، مِنْ وَحْيٍ وَقُرْآنٍ، فَلْيَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِ هٰذا القُرآنِ فِي بَلاغَتِهَا وَإِحْكَامِهَا وَهِدَايَتِهَا، وَلْيَدْعُوا آلِهَتَهُمْ وَأَعْوَانَهُمْ وَمَنْ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ (شُهَدَاءَهُمْ) مِنْ دُونِ اللهِ ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ .

ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ - أَحْضِرُوا آلِهَتَكُمْ الذِينَ تَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ .

(٢٤) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟
فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا
ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ
لِلْكَٰفِرِينَ

(٢٥) وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا
مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ
وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(٢٦) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن
يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ

ربع الحزب ١

(لِلْكَافِرِينَ)

(٢٤) - فَإِنْ لَم يَسْتَطِيعُوا هُمْ وَشُرَكَاؤهُمْ وَشُهداؤهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِ ما أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنَ القُرآنِ الكَريم (وَهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا ذٰلِكَ أَبداً مَهْما طَالَ الزَّمَنُ) فَلْيَعْلَموا أَنَّ ما جاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ مِنْ وَحيِ اللهِ، وَأَنَّهُ صَادِقٌ في دَعْوَتِهِ، وَفِيما يُبَلِّغُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَيَكُونُونَ هُمْ المُكَابِرينَ المُعَانِدِينَ المُكَذِّبينَ بالحَقِّ، وَعَلَيهِمْ أَنْ يَخْشَوْا عَذابَ اللهِ وَنارَهُ التِي يَكُونُ النَّاسُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنامٍ وَحِجارَةٍ. . . مِنَ الوَقُودِ الذي تَشْتَعِلُ بِهِ، وَهِيَ مُعَدَّةٌ لِتَعْذِيبِ الكَافِرينَ الجَاحِدِينَ المُعَانِدِينَ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحاتِ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهارُ) (مُتَشابِهاً) (أَزْواجٌ) (خالِدُونَ)

(٢٥) - ويُبَشِّرُ اللهُ تَعالى الذينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، وَعَمِلُوا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ، أَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ في الآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْري الأَنْهارُ في جَنَباتِها، وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالأَذى وَالآثام ومَساوِىءِ الأَخْلاقِ، كَالكَيْدِ والمَكْرِ والخَديعَةِ. . وَتَأْتِيهِمُ الثِّمارُ في الجَنَّةِ فَيَظُنُّونَ أَنَّها مِنَ الثِّمارِ التِي عَرَفُوها في الدُّنيا (أَوْ أَنَّها مِنَ الثِّمارِ التِي أَتَتْهُمْ قَبْلَ ذٰلِكَ فِي الجَنَّةِ، وَتَخْتَلِفُ عَنْها طَعْماً مَعَ أَنَّها تُشْبِهُهَا فِي شَكْلِها وَمَنْظَرِها). وَكُلَّما رُزِقُوا مِنْها ثَمَرَةً قالُوا: هٰذا ما وُعِدْنا بِهِ في الدُّنيا جَزاءً عَلَى الإِيمانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ. والذينَ آمَنُوا إِيماناً صادِقاً، وَعَمِلُوا عَمَلاً صالِحاً يَبقَوْنَ في الجَنَّةِ خالِدينَ أَبداً، لا يَمُوتُونَ فِيها، وَلا يَحُولُونَ عَنْها.

(وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ في آياتٍ كَثيرَةٍ، مِنْها أَوَّلُ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ المُؤْمِنُونَ).

مُتَشابِهاً - فِي اللَّوْنِ وَالمَنْظَرِ لا فِي الطَّعْمِ.

(آمَنُوا) (الفَاسِقِينَ)

(٢٦) - لَمَّا ضَرَبَ اللهُ تَعالى الأَمْثالَ السَّابِقَةَ لِلنَّاسِ قالَ اليَهُودُ وَالمُشْرِكُونَ: (اللهُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَضْرِبَ هٰذِهِ الأَمْثالَ). فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَتَيْنِ ٢٦ و ٢٧ تَكْذِيباً لَهُمْ، فَقالَ تَعالى: إِنَّهُ لا يَسْتَنْكِفُ، وَلا يَرى مِنَ النَّقْصِ (لا يَسْتَحْيِي)، أَنْ يَذْكُرَ شَيْئاً مِمَّا قَلَّ أَوْ كَثُرَ فِي قِيمَتِهِ: البَعُوضَةَ وَمَا هُوَ أَدْنَى مِنْها، وَمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْها لأَنَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ جَليلاً كانَ أَوْ حَقيراً، فَالذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ يَعْلَمُونَ أَنَّ هٰذا قَوْلُ اللهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا فَيَسْتَغْرِبُونَ ذٰلِكَ وَيُنْكِرُونَهُ، فَيُضِلُّ اللهُ بِهٰذا المَثَلِ كَثيراً

كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ

مِنَ النَّاسِ مِنَ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ، وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ المُؤْمِنِينَ، وَاللهُ لا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، الذِينَ لا يَطْلُبُونَ الحَقَّ، وَلا يُرِيدُونَهُ.

﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

(مِيثَاقِهِ) (أُولَئِكَ) (الخَاسِرُونَ)

(٢٧) - آخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ مَعْنَى العَهْدِ الذِي وُصِفَ هؤُلاءِ الفَاسِقُونَ بِنَقْضِهِ:

- فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ وَصِيَّةُ اللهِ إِلَى الخَلْقِ بِأَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَبِأَنْ يَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فِي كُتُبِهِ وَعَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ الكِرَامِ فَتَرْكُهُمُ العَمَلَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَالانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ هُوَ نَقْضٌ لِلْعَهْدِ.

- وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِأَهْلِ الكِتَابِ وَالمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِم العَهْدَ، فِي التَّوراةِ بِأَنْ يَعْمَلُوا بِها، وَبِأَنْ يَتَّبِعُوا مُحَمَّداً ﷺ حِينَ يَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَى، وَبِأَنْ يُصَدِّقُوا بِرِسَالَتِهِ وَكِتَابِهِ، وَقَدْ تَرَكُوا العَمَلَ بِمَا جَاءَ فِي التَّوراةِ، وَجَحَدُوا رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ وَنُبُوَّتَهُ، بَعْدَ مَا عَرَفُوهُ مِنْ حَقِيقَتِها، وَأَنْكَرُوهَا وَكَتَمُوا عَنِ النَّاسِ ذٰلِكَ لِكَيْلا يَتَّبِعُوهُ، فَكَانَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ نَقْضاً لِلْعَهْدِ.

- وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّ الآيَةَ تَعْنِي جَمِيعَ أَهْلِ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ وَقَدْ نَصَبَ اللهُ تَعَالَى لَهُمُ الأَدِلَّةَ فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ فَكَفَرُوا بِاللهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ وَكُتُبَهُ فَكَانَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ نَقْضاً لِلْعَهْدِ.

وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى عَهِدَ إِلى جَمِيعِ النَّاسِ عَهْدَ فِطْرَةٍ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَبِوُجُودِهِ، وَقَدْ وَثَّقَ عَهْدَ الفِطْرَةِ بِأَنْ جَعَلَ العُقُولَ قَابِلَةً لِإِدْرَاكِ السُّنَنِ الإِلٰهِيَّةِ، ثُمَّ أَقَامَ لَهُمُ الأَدِلَّةَ وَالبَرَاهِينَ عَلَى وُجُودِهِ.

﴿٢٨﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(أَمْواتاً) (فَأَحْيَاكُم)

(٢٨) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ كُفْرَهُمْ بِهِ وَبِقُدْرَتِهِ، كَمَا يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ إِنْكَارَهُمْ عَلَيهِ أَنْ يَبْعَثَ مِنْهُمْ رَسُولاً يَدْعُوهُمْ إِلى عِبَادَتِهِ تَعَالَى، مَعَ أَنَّ نَظْرَةً وَاحِدَةً إِلى أَنْفُسِهِمْ، وَإِلَى مَا حَوْلَهُمْ فِي الكَوْنِ، تَكْفِي لِحَمْلِهِمْ عَلَى الإِقْلاعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ، فَقَدْ كَانُوا أَمْوَاتاً فِي أَصْلابِ آبَائِهِمْ فَأَحْيَاهُمُ اللهُ، وَأَخْرَجَهُمْ إِلى الحَيَاةِ وَالوُجُودِ فِي أَحْسَنِ خَلْقٍ وَتَكْوِينٍ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ مَوْتَةَ الحَقِّ التِي فَرَضَها عَلى جَمِيعِ خَلْقِهِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَبْعَثُهُمْ وَيُحْيِيهِمْ مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِليهِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(٢٩) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ

(سَوَّاهُنَّ) (سَمَاوَاتٍ)

(٢٩) - وَيَسُوقُ اللهُ تَعَالى لِلنَّاسِ دَليلاً آخَرَ عَلَى أَنَّهُ الخَالِقُ الذِي لاَ تَجِبُ العِبَادَةُ إلاَّ لَهُ، فَهُوَ الذِي خَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ نِعَمٍ وَخَيْراتٍ لِيَسْتَفِيدُوا مِنْها، وَلِيَنْتَفِعُوا بِهَا، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ إرادَتُهُ تَعالى إلى السَّماءِ فَخَلَقَهَا وَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ مُنْتَظِمَاتٍ تَامَّاتِ الخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، وَإِنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ.

فَسَوَّاهُنَّ - فَأَتَمَّهُنَّ وَأَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ.

(٣٠) وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ

(لِلمَلائِكَةِ)

(٣٠) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ: إنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ قَوْماً يَخْلُفُ بَعْضُهُم بَعْضاً، قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، أُمَكِّنُ لَهُمْ فِيهَا، وَأَجْعَلُهُمْ أَصْحابَ سُلْطَانٍ عَلَيها، فَقَالَتِ المَلاَئِكَةُ مُسْتَعْلِمِينَ مِنَ الرَّبِّ الكَرِيمِ عَنِ الحِكْمَةِ مِنْ خَلْقِ هٰذا الخَلَفِ الذِي سَيُوجَدُ مِنْهُ مَنْ يُفْسِدُ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ. فَإِنْ كَانَ المَقْصُودُ مِنْ خَلْقِهِمْ عِبَادَةَ اللهِ، فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، وَنُصَلِّي لَكَ (نُقَدِّسُ لَكَ)، وَلا يَصْدُرُ مِنَّا شَيءٌ مِنْ ذٰلِكَ الفَسَادِ. فَقَالَ اللهُ تَعَالى: إنِّي أَعْلَمُ مِنْ مُبَرِّراتِ خَلْقِهِمْ مَا لاَ تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ، فَأَجْعَلُ فِيهِمُ الأَنبياءَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءَ وَالصَّالِحِينَ وَالخَاشِعِينَ.

وَالكَافِرُونَ الفَاسِقُونَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ بِإثَارَةِ الفِتَنِ والقَلاَقِلِ وَشَنِّ الحُرُوبِ، وَتَخْرِيبِ العُمْرَانِ وَقَطْعِ الأَرْحَامِ، والإسَاءَةِ إلى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ النَّاسَ مِنْ تَوادٍّ وَتَرَاحُمٍ فِيمَا بَيْنَهُم. وَهٰؤُلاَءِ هُمُ الخَاسِرُونَ لأَنَّهُمْ يُحْرَمُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ. وَيَصِيرُونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(٣١) وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

(آدَمَ) (الْمَلاَئِكَةِ) (صَادِقِينَ)

(٣١) - وَبَعْدَ أَنْ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا: الأَرْضِ والسَّماءِ وَأَصْنَافِ الحَيَوانَاتِ والسَّهْلِ وَالجَبَلِ وَالبَحْرِ. وَذَواتِها وَخَصَائِصِهَا وَأَفْعَالِها. ثُمَّ عَرَضَ هذِهِ المُسَمَّيَاتِ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ: أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَعْتَقِدُونَ مِنْ أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ أَعْلَمَ مِنْكُمْ؟

﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ

﴿٣٣﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ

﴿٣٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ

(سُبْحَانَكَ)

(٣٢) - قَالَتِ المَلاَئِكَةُ: تَنَزَّهَ ٱسْمُكَ يَا رَبُّ (سُبْحَانَكَ) إِنَّنا لاَ نَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنا، وَهٰذِهِ الأَشْيَاءُ لاَ نَعْرِفُها، وَأَنْتَ العَلِيمُ بِكُلِّ شَيءٍ، الحَكِيمُ في خَلْقِكَ وَأَمْرِكَ، وَفِي تَعْلِيمِكَ مَا تَشاءُ، وَمَنْعِكَ مَا تَشاءُ.

(يَا آدَمُ) (بِأَسْمَائِهِم) (السَّماوَاتِ)

(٣٣) - قَالَ اللهُ تَعَالَى لآدَمَ: أَخْبِرْهُمْ يَا آدَمُ بِأَسْمَاءِ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ فَأَخْبَرَهُمْ. وَلَمَّا ظَهَرَ فَضْلُ آدَمَ عَلَى المَلاَئِكَةِ فِي سَرْدِهِ مَا عَلَّمَهُ رَبُّهُ مِنْ أَسْمَاءِ الأَشْيَاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْمَلاَئِكَةِ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّني أَعْلَمُ الغَيْبَ الظَّاهِرَ وَالخَفِيَّ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَعَلاَنِيَتَكُمْ (أَيْ إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا أَظْهَرُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها)، كَمَا أَعْلَمُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَهُ (مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّ اللهَ لَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيهِ مِنَّا، فَنَحْنُ أَحَقُّ بالخِلاَفَةِ مِنْ هٰذا المَخْلُوقِ)، كَمَا أَعْلَمُ مَا أَنْطَوَتْ عَلَيهِ نَفْسُ إِبلِيسَ مِنْ حَسَدٍ وَمُخَالَفَةٍ لأَمرِ اللهِ.

(لِلْمَلاَئِكَةِ) (الكَافِرِينَ) (لآدَمَ)

(٣٤) - بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى المَلاَئِكَةَ بِمَكَانَةِ آدَمَ، وَأَنَّهُ جَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ، أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْجُدُوا لآدَمَ سُجُودَ خُضُوعٍ لاَ سُجُودَ عِبَادَةٍ، تَكْرِيماً لَهُ، وَٱعْتِرافاً بِفَضْلِهِ، وَٱعْتِذاراً عَمَّا قَالُوهُ فِي شَأْنِهِ، فَسَجَدُوا، إِلا إِبليسَ فَقَدْ دَاخَلَهُ الحَسَدُ وَالكِبْرُ مِمَّا آمْتَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى آدَمَ مِنَ الكَرَامَةِ، فَأَبَى أَنْ يَسْجُدَ، وَصَارَ مِنَ الكَافِرِينَ بِعِصْيَانِهِ أَمْرَ اللهِ.

(وَهُنَاكَ مُفَسِّرُونَ يَرَوْنَ أَنَّ الأَرْضَ كَانَ يَعْمُرُها، قَبْلَ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، خَلْقٌ آخرونَ ٱنْقَرَضُوا بَعْدَ أَنْ أَفْسَدُوا فِي الأَرْضِ، وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُحِلَّ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ مَحَلَّ أُولٰئِكَ الخَلْقِ. وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى، بَعْدَ ذِكْرِ هَلاَكِ القُرُونِ: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾**(١). وَمِنْ سُؤَالِ المَلاَئِكَةِ للهِ: **﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾**(٢) قِيَاساً عَلَى مَنْ كَانَ فِي الأَرْضِ قَبْلَ آدَمَ مِنَ المَخْلُوقَاتِ التِي سَفَكَتِ الدِّمَاءَ).

---

(١) الآية ١٤ من سورة يونس.

(٢) الآية ٣٠ من سورة البقرة.

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

(وهُنَاكَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ يَرَوْنَ أَنَّ المُرادَ بالخِلافَةِ، الخِلافَةُ عَنِ اللهِ في تَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ بينَ النَّاسِ، وَهٰذا الاسْتِخْلافُ يَشْمَلُ اسْتِخْلافَ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ بِأَنْ يُوحِيَ بِشَرائِعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ أُناسٍ مِنْهُمْ، يَصْطَفِيهِمْ لِيَكُونُوا خُلَفَاءَ عَنْهُ).

اسْتَكْبَرَ - أَظْهَرَ الكِبْرَ وَالتَّرَفُّعَ.

(يَا آدَمُ) (الظَّالِمِينَ)

(٣٥) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِآدَمَ: اسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ، وَكُلا مِنْها مَا شِئْتُما هَنِيئاً مَرِيئاً، بِلا عَناءٍ وَلاَ تَعَبٍ، وَلاَ تَقْرَبَا شَجَرَةً مُعَيَّنَةً (وَاخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ تَحْدِيدِ نَوْعِ الشَّجَرَةِ)، وَنَبَّهَهُمَا اللهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُمَا إِنْ أَكَلا مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ كَانَا مِنَ المُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللهِ.

الرَّغَدُ - الهَنِيءُ الذي لاَ عَنَاءَ فِيه، أَوِ الوَاسِعُ.

الظَّالِمُ - هُوَ الذِي يَظْلِمُ نَفْسَهُ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللهِ إِذْ يُعَرِّضُهَا لِلْعِقَابِ.

(الشَّيْطَانُ) (وَمَتَاعٌ)

(٣٦) - فَأَغْرَاهُما الشَّيْطَانُ بالشَّجَرَةِ، وَحَمَلَهُما عَلَى الوُقُوعِ فِي الزَّلَلِ (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنى أَزَلَّهُما الشَّيْطَانُ عَنْهَا نَحَّاهُمَا عَنِ الجَنَّةِ وَعَمَّا كَانَا فِيهِ مِنَ الحَيَاةِ الهَانِئَةِ السَّعِيدَةِ بِرِضَا اللهِ وَفَضْلِهِ). فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطِباً آدَمَ وَزَوْجَهُ وَإِبْلِيسَ: اهْبِطُوا جَمِيعاً مِنَ الجَنَّةِ إِلى الأَرْضِ، وَسَيَكُونُ لَكُمْ فِي الأَرْضِ قَرَارٌ وَأَرْزَاقٌ وَآجَالٌ إِلى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ.

الزَّلَلُ - الغَلَطُ، وَأَزَلَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الوُقُوعِ فِي الغَلَطِ.

المُسْتَقَرُّ - الاسْتِقْرَارُ وَالبَقَاءُ.

المَتَاعُ - الانْتِفَاعُ الذِي يَمْتَدُّ وَقْتُهُ.

(آدَمُ) (كَلِمَاتٍ)

(٣٧) - فَأَلْهَمَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ كَلِمَاتٍ يَقُولُها وَيَعْتَذِرُ بِهَا عَمَّا فَعَلَهُ هُوَ وَزَوْجُهُ، (وَقِيلَ إِنَّ هٰذِهِ الكَلِمَاتِ هِيَ: رَبَّنَا إِنَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ) فَقَالَها آدَمُ فَتَابَ اللهُ عَلَيهِ، وَغَفَرَ لَهُ، وَاللهُ هُوَ الذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنَ التَّائِبِينَ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ الضُّعَفَاءِ.

(التَّوْبُ - هُوَ الرُّجُوعُ عَنِ المَعْصِيَةِ إِلى الطَّاعَةِ بالنِّسْبَةِ لِلْعَبْدِ، وَإِذا وُصِفَ بِهِ الخَالِقُ فَيَعْنِي ذَلِكَ الرُّجُوعَ عَنِ العُقُوبَةِ إِلى العَفْوِ والمَغْفِرَةِ).

(٣٨) قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(٣٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ

(٤٠) يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ

(٣٨) - فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ وَزَوْجَهُ وَإِبْلِيسَ بِالهُبُوطِ مِنَ الجَنَّةِ إِلَى الأَرْضِ، وَأَنْذَرَهُمْ وَذُرِّيَاتِهِمْ بِأَنَّهُ سَيَبْعَثُ الرُّسُلَ، وَيُنَزِّلُ الكُتُبَ وَيَفْرِضُ التَّكَالِيفَ، فَمَنْ آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكِتَابِ، وَبِمَنْ بَعَثَ مِنَ الرُّسُلِ، وَآهْتَدَى وَآسْتَقَامَ عَلَى الهِدَايَةِ، وَقَامَ بِمَا فُرِضَ عَلَيهِ مِنَ التَّكَالِيفِ.. فَهؤُلاءِ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنيا.

(بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٣٩) - أَمَّا الذِينَ سَيَكْفُرونَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الكُتُبِ، وَبِمَنْ بَعَثَهُمْ مِنَ الرُّسُلِ فَهؤُلاءِ سَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَداً، لَا يَمُوتُونَ فِيها وَلا يَحُولُونَ عَنْهَا أَبَداً.

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (وإِيَّايَ)

(٤٠) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (وَهُمُ اليَهُودُ - وَإِسْرَائِيلُ هُوَ يَعْقُوبُ عَلَيهِ السَّلامُ) بِالدُّخُولِ فِي الإِسلامِ، وَمُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِتَذْكِيرِهِمْ بِالنِّعَمِ التِي أَنْعَمَهَا عَلَيهِمْ، بِأَنْ جَعَلَ فِيهِم النُّبُوَّةَ، وَبِأَنْ أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَفَجَّرَ لَهُمُ المَاءَ مِنَ الحَجَرِ فِي سَيْنَاءَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِم المَنَّ وَالسَّلْوَى. وَيُطَالِبُهُمْ بِالوَفَاءِ بِالعَهْدِ الذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ بِوُجُوبِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الذِي سَيَبْعَثُهُ اللهُ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ.

فَقَدْ جَاءَ فِي التَّوراةِ فِي صِفَةِ النَّبي ﷺ: (إِنَّه يُقِيمُ مِنْ إِخْوَتِهِمْ نَبِيّاً يُقِيمُ الحَقَّ)، وَجَاءَ فِي سِفْرِ تَثْنِيَةِ الاشْتِرَاعِ: (قَالَ لِيَ الرَّبُّ: أَحْسِنُوا فِيمَا تَتَكَلَّمُونَ سَوْفَ أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ، وَيَكُونُ الإِنْسَانُ الذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي، وَالذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَكُونُ المُنْتَقِمَ مِنْهُ). وَلَكِنَّ اليَهُودَ حَرَّفُوا هٰذِهِ البِشَارَاتِ وَأَوَّلُوهَا بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ.

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ أَوْفَى بِعَهْدِهِ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ سَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَسَيُدْخِلُهُم الجَنَّةَ. أَمَّا إِذا لَمْ يَفْعَلُوا مَا أَمَرَهُم اللهُ بِهِ، فَلْيَحْذَرُوا أَنْ تَحِلَّ بِهِمْ نِقَمُ اللهِ التِي أَنْزَلَهَا بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ، مِنَ المَسْخِ وَغَيْرِهِ مِنَ العُقُوبَاتِ.

فَاللهُ تَعَالَى يُرَغِّبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الإِيمَانِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الكُفْرِ وَالمُعَانَدَةِ (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ).

فَارْهَبُونِ - فَخَافُونِي فِي نَقْضِكُمُ العَهْدَ.

﴿٤١﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ

(آمِنُوا) (بِآيَاتِي) (وإيَّايَ)

(٤١) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بالقُرْآنِ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ مُصَدِّقاً لِمَا جَاءَ بِهِ مَا سَبَقَهُ مِنَ الكُتُبِ - التَّوراةِ وَالإِنجيلِ - وَهِيَ الكُتُبُ التِي وَرَدَتْ فِيها إِشارَةٌ إِلى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِلى أَوْصَافِهِ. وَيَقُولُ اللهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ يَكْفُرُ بِالقُرآنِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ النَّاسِ، لأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ مَا لا يَعْلَمُهُ غَيْرُكُمْ مِنْ صِدْقِهِ، وَصِحَّةِ دَعْوَتِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَلا تَعْتَاضُوا بِالدُّنيا وَلَذَّاتِها الفَانِيَةِ عَنِ الإِيمانِ بِاللهِ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ. وَيَتَوعَّدُ اللهُ اليَهُودَ فِيمَا يَتَعَمَّدُونَهُ مِنْ كِتْمَانِ الحَقِّ وَالمُعَانَدَةِ، وَمُخَالَفَةِ رَسُولِهِ، وَيَطْلُبُ مِنَ اليَهُودِ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ، رَجَاءَ الفَوْزِ بِرَحْمَتِهِ ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾.

﴿٤٢﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

(بِالْبَاطِلِ)

(٤٢) - يَنْهَى اللهُ اليَهُودَ عَنِ القِيَامِ بِمَا كَانُوا يَتَعَمَّدُونَهُ مِنَ التَّمْوِيهِ (إِلبَاسِ الحَقِّ بِالبَاطِلِ)، وَعَنْ خَلْطِ الحَقِّ المُنْزَلِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، بِالبَاطِلِ الذِي يَخْتَرِعُونَهُ وَيَكْتُبُونَهُ لِيُمَوِّهُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ وَيُضِلُّوهُمْ بِهِ، وَيَأْمُرُهُمُ اللهُ بِأَلاَّ يَكْتُمُوا الحَقَّ، وَهُوَ المَعْرِفَةُ بِرَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ.

لاَ تَلْبِسُوا - لاَ تَخْلُطُوا وَلاَ تَسْتُرُوا.

﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ

(الصَّلاَةَ) (وآتُوا الزَّكَاةَ) (الرَّاكِعِينَ)

(٤٣) - وَيَأْمُرُهُمُ اللهُ بِأَنْ يُصَلُّوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِأَنْ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيَدفَعُوهَا إِلى النَّبِيِّ، وَبِأَنْ يُصَلُّوا مَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، أَيْ إِنَّهُ يَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ وَمِنْهُمْ.

﴿٤٤﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

نصف الحزب ١

(الْكِتَابَ)

(٤٤) - يَنْعِي اللهُ تَعَالَى عَلَى اليَهُودِ - وَهُمْ أَهْلُ الكِتَابِ - أَنْ يَأْمُرُوا النَّاسَ بِالخَيْرِ وَالبِرِّ وَطَاعَةِ اللهِ، فِي حَالِ أَنَّهُمْ يَنْسَوْنَ وَعْظَ أَنْفُسِهِمْ، وَحَمْلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، فَلا يَأْتَمِرُونَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ، مَعَ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ المُنْزَلَ إِلَيْهِمْ، وَيَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مِنْ عِقَابٍ يَحِلُّ بِمَنْ يُقَصِّرُ فِي القِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللهُ. وَلَكِنَّ الأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ مِنْهُمْ لاَ يَذْكُرُونَ مِنَ الحَقِّ إِلاَّ مَا يُوافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَلا يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الأَحْكَامِ إِذَا عَارَضَ شَهَوَاتِهِمْ.

البِرَّ - التَّوَسُّعَ فِي الطَّاعَاتِ.

(٤٥) وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ

(الصَّلاَة) (الخَاشِعِينَ)

(٤٥) - ويأمُرُ اللهُ تعالَى عِبادَهُ بالاسْتِعَانَةِ علَى أَداءِ التَّكاليفِ، وما فَرَضَهُ عَلَيهِمْ، بالصَّبْرِ علَى الفَرائِضِ، وضَبْطِ النَّفْسِ عنِ المَعَاصِي، وبالصَّلاةِ، لَعَلَّهُمْ يَبْلُغونَ ما يُؤَمِّلُونَ مِنْ خيْرِ الدُّنيا والآخِرَةِ. ويُنَبِّهُهُمُ اللهُ تعالَى إِلَى أَنَّ القِيامَ بِهٰذهِ الوَصِيَّةِ التي يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ الأَخْذَ بِها مِنْ صَبْرٍ وَصَلاةٍ. . . أَمْرٌ شاقٌ ثَقِيلٌ عَلَى النُّفُوسِ، إلاَّ النُّفُوسَ المُؤْمِنَةَ الخاشِعَةَ المُسْتَكِينَةَ لِطاعَةِ اللهِ، المُتَذَلِّلَةَ مِنْ مَخافَتِهِ.

إنَّها لَكَبِيرَةٌ - إنَّها لَشاقَّةٌ صَعْبَةٌ.

الخَاشِعِينَ - المُسْتَكِينينَ للهِ.

(٤٦) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ

(مُلاَقُو) (رَاجِعُونَ)

(٤٦) - وهٰؤُلاءِ الخاشِعُونَ، المُطْمَئِنَّةُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ، يَعْتَقِدُونَ بأَنَّهُمْ سَيُحْشَرُونَ إلى اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ، وأَنَّهُمْ سَيُعْرَضُونَ عَلَيهِ، وأَنَّ أُمُورَهُمْ سَتَرْجِعُ إلى مَشِيئَتِهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى لِيَحْكُمَ فِيها بِما يَشاءُ بِعَدْلِهِ. وإنَّ إيمانَهُمْ بأَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إلى اللهِ هُوَ الذي يُسَهِّلُ عليهِمْ طاعَةَ اللهِ، وتَرْكَ مُحرَّماتِهِ.

يَظُنُّونَ - يَعْلَمُونَ ويَسْتَيْقِنُونَ.

(٤٧) يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الْعَالَمِينَ)

(٤٧) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعالَى بَنِي إِسْرائِيلَ (اليَهُود) الذِينَ كانُوا في زَمَنِ الرَّسُولِ ﷺ بِما أَنْعَمَهُ اللهُ عَلى آبائِهِمْ مِنَ النِّعَمِ والأَفْضالِ، ويَقُولُ لَهُمْ: إنَّهُ فَضَّلَهُمْ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَهْلِ زَمانِهِمْ إذْ جَعَلَ فِيهِم النُّبُوَّةَ، ومَعْرِفَةَ اللهِ تَعالَى.

العَالَمِينَ - النَّاسِ مِنْ أَهْلِ زَمانِكُمْ.

(٤٨) وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

(شَفَاعَةٌ)

(٤٨) - وَبَعْدَ أَنْ ذَكَّرَهُمُ اللهُ تَعالَى بِنِعَمِهِ الكَثِيرَةِ عَلَيهِمْ، عادَ فَحَذَّرَهُمْ مِنْ طُولِ نِقَمِهِ عَلَيهِمْ، يَوْمَ القِيامَةِ (وَاتَّقُوا يَوْماً)، وهُوَ اليَوْمُ الذِي لاَ يُغْنِي فِيهِ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً، ولاَ يُقْبَلُ مِنَ الكافِرِينَ شَفَاعَةٌ، وَلاَ يُقْبَلُ مِنَ النَّفْسِ الكافِرَةِ فِداءٌ أَوْ بَدَلٌ (عَدْلٌ)، ولاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ في ذٰلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ أَنْ يَنْصُرَهُمْ ويَدْفَعَ عَنْهُمُ الضُّرَّ، ولاَ أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ تَعالَى.

﴿٤٩﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

العَدْلُ - الفِدْيَةُ لأنَّها تُعادِلُ المَفْدِيَّ قِيمَةً وَقَدْراً.

النُّصْرَةُ - العَوْنُ لِدَفْعِ الضُّرِّ.

لا تَجْزِي - لَا تُغْنِي وَلَا تُؤَدِّي.

(نَجَّيْنَاكُم) (آلِ فِرْعَوْنَ)

(٤٩) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرائِيلَ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ (آلِ فِرْعَوْنَ) الذِينَ كَانُوا يُذِيقُونَ بَنِي إِسْرائِيلَ أَسْوَأَ العَذَابِ جَزَاءَ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ جَرائِمَ وَآثَامٍ، إِذْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الذُّكُورَ مِنْ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الذِينَ كَانُوا فِي مِصْرَ، وَيَسْتَبْقُونَ البَنَاتِ مِنْهُمْ، زِيَادَةً فِي القَهْرِ وَالإِذْلَالِ، وَإِنَّ هٰذا الذِي قَامَ بِهِ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ ذَبْحِ الأَبْنَاءِ، وَإِرْهَاقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِشَاقِّ الأَعْمَالِ، إِنَّمَا هُوَ بَلاءٌ عَظِيمٌ، وَشَرٌّ كَبِيرٌ، ٱبْتَلَى اللهُ بِهِ اليَهُودَ.

سَامَهُ العَذَابَ - أَذَاقَهُ العَذَابَ، وَأَوْلاهُ إِيَّاهُ.

يَسْتَحْيُونَ - يَسْتَبْقُونَ البَنَاتِ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ.

بَلاءٌ - ٱمتِحَانٌ وَٱخْتِبَارٌ.

﴿٥٠﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ

(فَأَنْجَيْنَاكُمْ) (آلَ فِرْعَوْنَ)

(٥٠) - وَيُذَكِّرُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ غَادَرُوا مِصْرَ بِصُحْبَةِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ، تَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، وَكَادَ أَنْ يُدْرِكَهُمْ، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ مُوسَى فَضَرَبَ البَحْرَ بِعَصَاهُ، فَانْفَلَقَ، وَمَرَّ مُوسَى وَقَوْمُهُ إِلى الجَانِبِ الآخَرِ، وَلَمَّا اتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ أَطْبَقَ اللهُ عَلَيهِمْ جَانِبَي البَحْرِ، فَأَغْرَقَهُمْ، وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يُشَاهِدُونَ هٰذِهِ المُعْجِزَةَ الإِلٰهِيَّةَ الخَارِقَةَ بِأَعْيُنِهِمْ.

فَرَقْنا - فَلَقْنَا وَشَقَقْنَا وَشَطَرْنَا.

﴿٥١﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ

(وَاعَدْنَا) (ظَالِمُونَ)

(٥١) - وَيُتَابِعُ اللهُ تَعَالَى تَذْكِيرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْعُمِهِ وَأَفْضَالِهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى آبائِهِمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ: اذْكُرُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِعَفْوِي عَنْكُمْ حِينَمَا عَبَدْتُمُ العِجْلَ. وَقَدْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمُ العِجْلَ بَعْدَ أَنِ ٱجْتَازُوا البَحْرَ هَرَباً مِنْ فِرْعَوْنَ، فَسَأَلُوا مُوسَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِكِتَابٍ مِنْ رَبِّهِمْ، فَوَاعَدَهُ رَبُّهُ أَنْ

يُعْطِيَهُ التَّوراةَ، وَعَيَّنَ لَهُ مِيقاتاً لِذلِكَ، بَعْدَ أَنْ صَامَ ثَلاثِينَ لَيْلَةً، وَأَتَمَّهَا بِصِيامِ عَشرِ لَيَالٍ أُخَر، وَلَمَّا ذَهَبَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ ٱسْتَبْطَأَهُ قَوْمُهُ، فَاتَّخَذُوا عِجْلاً مِنْ ذَهَبٍ جَعَلُوهُ لَهُمْ إِلَهاً، فَعَبَدُوهُ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِشْرَاكِهِمْ، وَبِعِبَادَتِهِم العِجْلَ.

ٱتَّخَذْتُم العِجْلَ - جَعَلْتُمُوهُ إِلَهاً مَعْبُوداً.

﴿٥٢﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(٥٢) - ثُمَّ عَفَا اللهُ عَنْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتُوبُونَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، وَالعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ، وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ وَتَشْكُرُونَ أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمْ.

﴿٥٣﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ)

(٥٣) - ثُمَّ يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى التَّوْرَاةَ والفُرْقَانَ (وَالفُرْقَانُ هُنَا هُوَ الآيَاتُ التِي أَيَّدَ اللهُ بِهَا مُوسَى لِلدَّلاَلَةِ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ، وَسُمِّيَتْ فُرْقَاناً لأَنَّهَا تَفْرِقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَبَيْنَ الهُدَى والضَّلاَلِ)، لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بِنُورِهَا إِلى طَرِيقِ اللهِ القَوِيمِ. وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ البَحْرِ، وَإِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ.

الفُرْقَانَ - الشَّرْعَ الفَارِقَ بَيْنَ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ، أَوْ هُوَ الآيَاتُ التِي أَيَّدَ اللهُ بِهَا مُوسَى.

﴿٥٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

(يَا قَوْمِ) (بَارِئِكُم)

(٥٤) - وَلَمَّا أَنْجَى اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَذَابِ فِرْعَوْنَ وَوَصَلُوا إِلى سِينَاءَ مَرُّوا بِقَوْمٍ هُنَاكَ يَعْبُدُونَ البَقَرَ، فَوَقَعَتْ فِي نُفُوسِهِمْ عِبَادَةُ العِجْلِ، فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ عِجْلاً عَبَدُوهُ، فَلَمَّا عَادَ مُوسَى غَضِبَ لَمَّا رَآهُمْ يَعْبُدُونَ العِجْلَ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُم يَا قَوْمُ ٱرْتَكَبْتُمْ ظُلْماً بِحَقِّ أَنْفُسِكُمْ إِذِ ٱتَّخَذْتُمُ العِجْلَ رَبّاً، فَتُوبُوا إِلَى اللهِ الذِي خَلَقَكُمْ وَبَرَأَكُمْ. وَبَيَّنَ اللهُ لَهُمْ سَبِيلَ التَّوْبَةِ التِي تَكُونُ بِقَتْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، لأَنَّ القَتْلَ يُطَهِّرُ النُّفُوسَ مِنَ الرِّجْسِ الذِي دَنَّسُوا أَنْفُسَهُمْ بِهِ، وَيَجْعَلُهُمْ أَهْلاً لِلتَّوْبَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقْتُلَ البَرِيءُ مِنْهُمُ المُذْنِبَ، حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ جَمْعٌ كَبِيرٌ، فَدَعَا مُوسَى وَهَارُونُ رَبَّهُمَا فَأَمَرَهُمْ بِالكَفِّ عَنِ القَتْلِ، وَتَابَ اللهُ عَلَيهِمْ. وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِهِمْ. فَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ هٰذِهِ القِصَّةَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيرِهِمْ فِيمَا تُلْقِيهِ عَلَيهِمْ مِنَ العِظَاتِ.

٥٥ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

٥٦ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

٥٧ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

بَارِئِكُمْ - خَالِقِكُمْ وَمُبْدِعِكُمْ.

فَاقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ - فَلْيَقْتُلِ البَرِيءُ مِنْكُمُ المُذْنِبَ.

(يَا مُوسَى) (الصَّاعِقَةُ)

(٥٥) - وَيُتَابِعُ اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ تَذْكِيرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِانْعَامِهِ عَلَيهِمْ فَيُذَكِّرُهُمْ بِإِحْيَائِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ أَنْ صَعقَهُمْ، حِينَما قَالُوا لِمُوسَى إِنَّهُمْ لَنْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ بِأَنَّ هٰذا كِتابُ اللهِ، وَأَنَّ مُوسَى سَمِعَ كَلامَ رَبِّهِ حَتَّى يَرَوا اللهَ عِيَاناً، بِدُونَ سَاتِرٍ بَيْنَهُم وَبَيْنَهُ، فَصَعَقَهُمُ اللهُ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ بَلاءٍ وَعَذَابٍ، وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلاً آخْتَارَهُمْ مُوسَى مِنْ قَومِهِ لِيَذْهَبُوا مَعَهُ إِلى مِيقَاتِ رَبِّهِ للاعْتِذَارِ إِليهِ عَنْ عِبَادَةِ قَوْمِهِم العِجْلَ.

جَهْرَةً - عِيَاناً بِالبَصَرِ.

(بَعَثْنَاكُم)

(٥٦) - ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَحْيَاهُمْ بِدُعَاءِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ، فَقَامُوا يَنْظُرُونَ كَيفَ يُحْيِيهِم اللهُ، وَكَانَتْ تِلْكَ مِنْ أَنْعُمِ اللهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ اللهَ.

(طَيِّبَاتِ) (رَزَقْنَاكُم)

(٥٧) - وَحِينَما وَصَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلى صَحْرَاءِ سِينَاءَ (التِّيه) كَانَ الحَرُّ شَدِيداً، فَأَرْسَلَ اللهُ إِليهِمْ غُيُوماً بِيضاً (غَماماً) تُظَلِّلُهُمْ، وَتَقِيهِم الحَرَّ والشَّمْسَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُم طَعَامٌ فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ، فَأَنْزَلَ عَلَيهِم المَنَّ (وَهُوَ مَادَّةٌ سُكَّرِيَّةٌ تَقَعُ عَلَى الأَشْجَارِ) فَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْدُونَ عَلَيهِ فَيَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَأَرْسَلَ إِليهِم السَّلْوى وَهُوَ طَائِرٌ يُشْبِهُ السُّمَانَى، لَحْمُهُ لَذِيذُ الطَّعْمِ، فَصَارُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ. وَقَالَ اللهُ لَهُمْ: إِنَّهُ أَبَاحَ لَهُمُ الأَكْلَ مِنَ المَنِّ وَالسَّلْوَى، وَهُمَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي رَزَقَهُمْ إِيَّاهَا فَلْيَأْكُلُوا مَا شَاؤُوا وَلْيَعْبُدُوا اللهَ. وَلٰكِنَّهُمْ خَالَفُوا عَنْ أَمْرِ اللهِ، فَكَفَرُوا تِلْكَ النِّعَمَ الجَزِيلَةَ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ بِعَمَلِهِمْ هٰذا لا يُسِيئُونَ إِلى اللهِ، وَإِنَّما يَظْلِمُون أَنْفُسَهُمْ، وَيُسِيئُونَ إِليها لأَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، وَعَنْ عِبَادَتِهِم.

الغَمَامَ - الغُيُومَ البِيضَ.

المَنَّ - مَادَّةٌ صِمْغِيَّةٌ حُلْوَةٌ.

السَّلْوى - طَائِرُ السُّمَانَى.

(٥٨) وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ
فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ

(خطاياكم)

(٥٨) - وَيُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِالجِهَادِ مَعَ مُوسَى لِدُخُولِ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، لَمَّا قَدِمُوا مِنْ مِصْرَ، وَقِتَالِ أَهْلِهَا العَمَالِيقِ الكَفَرَةِ فَنَكَلُوا عَنْ قِتَالِهِمْ وَضَعُفُوا، فَرَمَاهُمُ اللهُ فِي صَحْرَاءِ التِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً عُقُوبَةً لَهُمْ، وَلَمَّا خَرَجَ بِهِمْ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ مِنَ التِّيهِ، وَكَانَ مُوسَى قَدْ مَاتَ، وَدَخَلَ بِهِمْ إِحْدَى مُدُنِ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ أَمَرَهُمْ تَعَالَى بِأَنْ يَدْخُلُوا بَابَ البَلَدِ رُكَّعاً شُكْراً للهِ، وَبِأَنْ يَقُولُوا (حِطَّةٌ) (أَيِ اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا، وَٱغْفِرْ لَنَا) فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقِ نِيَّةٍ، فَإِنَّ اللهَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ دُعَاءَهُمْ، وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيُضَاعِفُ لَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ.

رَغَداً - أَكْلاً هَنِيئاً لَا عَنَاءَ فِيهِ.

قُولُوا حِطَّةٌ - اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَحُطَّ عَنَّا.

(٥٩) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا
عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ

(٥٩) - فَلَمْ يَدْخُلِ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم البَلَدَ خَاشِعِينَ سُجَّداً للهِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، بَلْ دَخَلُوهُ زَاحِفِينَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ (أَيْ أَدْبَارِهِمْ) وَبَدَّلُوا قَوْلَ اللهِ ٱسْتِهْزَاءً وَتَمَرُّداً، فَقَالُوا (حِنْطَةٌ) بَدَلَ (حِطَّةٍ)، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

الفِسْقُ - الخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ.

بَدَّلَ قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُ - جَاءَ بِذَلِكَ القَوْلِ مَكَانَ القَوْلِ الأَوَّلِ.

رِجْزاً - عَذَاباً.

(٦٠) ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ (ثلاثة أرباع الحزب ١)
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ
ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا
عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ
أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟
فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

(٦٠) - وَيُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا ٱمْتَنَّهُ عَلَى أَسْلَافِهِمْ إِذِ ٱسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ، حِينَ ٱسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ المَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ فِي صَحْرَاءِ التِّيهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيهِ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ حَجَراً مِنْ أَحْجَارِ الصَّحْرَاءِ، فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً، لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَيْنٌ، عَرَفَهَا وَأَخَذَ يَشْرَبُ مِنْهَا، مَنْعاً لِلتَّزَاحُمِ وَالتَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ عَلَى وُرُودِ المَاءِ. فَصَارَ بَنُو إِسرائِيلَ يَأْكُلُونَ مِنَ المَنِّ وَالسَّلْوَى وَيَشْرَبُونَ مِنَ المَاءِ. وَأَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ لَا يُقَابِلُوا هٰذِهِ النِّعَمَ بِالجُحُودِ وَالعِصْيَانِ وَالإِسرَافِ فِي الإِفسَادِ.

السِّبْطُ - وَلَدُ الوَلَدِ.

ٱسْتَسْقَى - طَلَبَ السُّقْيَا عِنْدَ عَدَمِ تَوَفُّرِ المَاءِ.

﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ

﴿٦٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

العُتِيُّ ـ مُجاوَزَةُ الحَدِّ فِي كُلِّ شَيءٍ، ثُمَّ غَلَبَ آسْتِعْمَالُهُ فِي الفَسَادِ.

فَانْفَجَرَتْ ـ فَانْشَقَّتْ وَسَالَتْ بِكَثْرَةٍ.

(يَا مُوسَى) (وَاحِدٍ) (وَقِثَّائِهَا) (وَبَاؤُوا) (بِآيَاتِ) (النَّبِيِّينَ)

(٦١) ـ يُذَكِّر اللهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، بَنِي إِسْرَائِيلَ بِضَجَرِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ الكَرِيمِ الذِي مَنَّ بِهِ عَلَيهِمْ إِذْ أَنْزَلَ عَلَيهِم المَنَّ وَالسَّلْوَى، وَفَجَّرَ لَهُمُ المَاءَ، فَطَلَبُوا مِنْ مُوسَى أن يَدعُوَ رَبَّهُ لِيُخرِجَ لَهُمْ مِمَّا تُنْبِتُ الأَرضُ مِنَ الثُّومِ وَالبَصَلِ وَالبقُولِ وَالعَدَسِ، وَمَا أَلِفُوا العَيْشَ عَلَيهِ حِينَما كَانُوا فِي مِصْرَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى مُقَرِّعاً وَمُوَبِّخاً، وَمُسْتَنْكِراً سُؤَالَهُم الأَطْعِمَةَ الدُّنِيئَةَ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ العَيْشِ الرَّغِيدِ: أَتَسْتَبدِلُونَ الذِي هُوَ أَدْنَى (العَدَسَ وَالبَصَلَ وَالثُّومَ وَالفُومَ..) بِالذِي هُوَ خَيْرٌ (المَنِّ وَالسَّلْوَى)؟. ثُمَّ قَالَ لَهُم آدْخُلُوا مِصْراً مِنَ الأَمْصَارِ (أي آدْخُلُوا أَيَّ بَلَدٍ مِنَ البُلْدَانِ) فَإِنَّكُمْ وَاجِدُونَ فِيهِ مَا سَأَلْتُمْ، وَهُوَ لا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ فِيهِ.

وَقَدْ عَاقَبَهُمُ اللهُ تَعالى عَلَى كُفْرانِهِمْ تِلْكَ النِّعَمِ بِأَنْ ضَرَبَ عَلَيهِم الذِّلَّةَ التِي يَهُونُ مَعَها عَلَى النُّفُوسِ قَبُولُ الضَّيْمِ وَالاسْتِكَانَةِ، فَأَصْبَحَ يَسْتَذِلُّهُمْ كُلُّ مَنْ رَآهُمْ، فَلا مُنْقِذَ لَهُمْ، وَآسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ غَضَبَ اللهِ.

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ مَا قَضَى اللهُ بِهِ عَلَيهِمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالمَسْكَنَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرونَ بِآيَاتِ اللهِ، وَوَصَلَ بِهِمْ كُفرهُمْ إِلى حَدِّ قَتْلِ أَنْبِياءِ اللهِ ظُلْماً وَعُدْواناً، فَلا أَحَدَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ إِثْماً. ثُمَّ إِنَّهُمْ عَصَوا اللهَ وَآرْتَكَبُوا مَا حَرَّمَهُ عَلَيهِمْ، وَتَجاوَزُوا الحُدُودَ التِي أَبَاحَهَا اللهُ.

الاسْتِبْدَالُ ـ طَلَبُ شَيءٍ بَدَلاً مِنْ شَيءٍ.

ضُرِبَتْ عَلَيهِمْ ـ أَحَاطَتْ بِهِمْ كَمَا تُحِيطُ الخَيْمَةُ بِمَنْ تُضْرَبُ عَلَيهِ.

بَاؤُوا بِغَضَبٍ ـ آسْتَحَقُّوا الغَضَبَ أَوْ رَجَعُوا بِهِ.

المَسْكَنَةُ ـ الفَقْرُ، أَيْ فَقْرُ النُّفُوسِ وَشُحُّهَا.

الاعْتِدَاءُ ـ تَجَاوُزُ الحُدُودِ.

الفُومُ ـ الحِنْطَةُ أَوِ الثُّومُ.

(آمَنُوا) (وَالنَّصَارَى) (وَالصَّابِئِينَ) (آمَنَ) (صَالِحاً)

(٦٢) ـ (هٰذِهِ الآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بالآية ٩٥ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ) يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى، أَنَّ أَهْلَ المِلَلِ السَّابِقَةِ لاَ يُضَيِّعُ اللهُ إِيمَانَهُمْ، وَلا يَبْخَسُهُمْ ثَوابَ

وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ

أعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ، ويَسْتَمِرُّ ذَلِكَ جَائِزاً حَتَّى ظُهُورِ النَّبِيِّ الذِي يَلِي نَبِيَّهُمْ. فَاليَهُودُ الذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لَا يَبْخَسُونَ ثَوَابَ أَعْمَالِهِم الخَيِّرَةِ حَتَّى بُعِثَ عِيسَى، عَلَيهِ السَّلامُ. والنَّصَارَى الذِينَ أحْسَنُوا العَمَلَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَتَّى جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ. فَالمَفْرُوضُ أَنْ يُؤْمِنَ أَتْبَاعُ الدِّينِ السَّابِقِ بِالنَّبِيِّ الجَدِيدِ (الذِينَ عَاصَرُوهُ وَالذِينَ جَاؤُوا بَعْدَهُ).

الصَّابِئُونَ - أُنَاسٌ يَعْبُدُونَ الكَوَاكِبَ. وَقِيلَ إِنَّ اللَّفْظَةَ تُطْلَقُ أيضاً عَلَى مَنْ يُقَدِّسُونَ المَلائِكَةَ.

(٦٣) وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ

(مِيثَاقَكُمْ) (آتَيْنَاكُم)

(٦٣) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرائِيلَ بِمَا أَخَذَهُ عَلَى أَسْلاَفِهِمْ مِنَ العُهُودِ وَالمَواثِيقِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِأَنْ يَتَّبِعُوا رُسُلَهُ. وَأَخْبَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَمَّا أَخَذَ عَلَى أَسْلاَفِهِم المِيثَاقَ رَفَعَ جَبَلَ الطُّورِ فَوْقَهُمْ تَرعِيباً لَهُمْ وَتَهْدِيداً، لِيُقِرُّوا بِمَا عُوهِدُوا عَلَيهِ، وَلِيَأْخُذُوا بِهِ بِقُوَّةٍ وَحَزْمٍ وَٱمْتِثَالٍ، كَمَا أَمَرَ اللهُ. وَقَالَ لَهُمْ: ٱذْكُرُوا مَا فِي التَّوراةِ مِنْ أَحْكَامٍ وَتَعَالِيمَ وَحَثٍّ عَلَى الإِيمَانِ بِاللهِ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِتَدَارُسِهَا وَالعَمَلِ بِهَا، لَعَلَّهُمْ يَكُونُونَ مِنَ المُتَّقِينَ.

مِيثَاقَكُمْ - العَهْدَ عَلَيْكُمْ بِالعَمَلِ بِمَا فِي التَّوراةِ.

(٦٤) ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ

(ٱلْخَاسِرِينَ)

(٦٤) - وَيُقَرِّعُهُمُ اللهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، عَلَى كُفْرِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ تَوَلَّوا عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَنَقَضُوا العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، رَغْمَ جَمِيعِ مَا رَأَوْهُ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَمُعْجِزَاتِهِ، وَرَغْمَ مَا أَخَذَهُ اللهُ عَلَيهِمْ مِنْ مِيثَاقٍ عَظِيمٍ، فَلَوْلا لُطْفُ اللهِ بِهِمْ، وَإِمْهَالُهُ إِيَّاهُمْ، وَتَوْبَتُهُ عَلَيهِمْ، وَإِرْسَالُهُ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ إِلَيهِمْ، لَكَانُوا مِنَ الخَاسِرِينَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، بِسَبَبِ نَقْضِهِمْ ذَلِكَ المِيثَاقَ، وَٱنْهِمَاكِهِمْ فِي المَعَاصِي.

الخُسْرَانُ - هُوَ ضِيَاعُ رَأْسِ المَالِ كُلّاً أَوْ بَعْضاً.

التَّوَلِّي - الرُّجُوعُ إِلَى الوَرَاءِ.

(٦٥) وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ

(خَاسِئِينَ)

(٦٥) - وَيُذَكِّرُهُمُ اللهُ بِمَا عَلِمُوهُ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ القَرْيَةِ التِي كَانَتْ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ. وَكَانَ اللهُ تَعَالَى قَدْ أَخَذَ عَلَيهِم المِيثَاقَ بِتَعْظِيمِ حُرْمَةِ

يوم السَّبْتِ، والقِيَام فِيهِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَأَمْرِهِ، فَخَرَقُوا حُرْمَةَ السَّبْتِ بِاحْتِيالِهِمْ عَلَى صَيْدِ الحِيتَانِ، إِذْ كَانُوا يَنْصُبُونَ لَهَا الشِّبَاكَ والحَبَائِلَ قَبْلَ دُخُولِ السَّبْتِ، وَفي ظَنِّهِمْ أَنَّ مِثْلَ هٰذَا التَّحَايلِ يُمْكِنُ أَنْ يَجُوزَ عَلَى اللهِ فَمَسَخَهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ عِقَاباً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللهِ. وَتَجَاوُزِهِمْ حُدُودَ مَا أَمَرَ.

وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ إِنَّ اللهَ لَمْ يَمْسَخْ صُورَهُمْ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا مَسَخَ قُلُوبَهُمْ فَجَعَلَهَا كَقُلُوبِ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ فِي شَهَوَاتِهَا بَعِيدِينَ عَنِ الفَضَائِلِ الإِنْسَانِيَّةِ يَأْتُونَ المُنْكَرَاتِ جِهَاراً وَعِيَاناً بِلاَ حَيَاءٍ وَلاَ خَجَلٍ.

(وَيَرى الإمَامُ مُحَمَّدٌ عَبْدُه أَنَّ سُنَّةَ اللهِ في خَلْقِهِ لَمْ تَجْرِ بِمَسْخِ كُلِّ عَاصٍ، وَبِإِخْرَاجِهِ عَنْ نَوْعِ الإِنسَانِ، وَالعِبْرَةُ الكُبْرى تَكْمُنُ فِي العِلْمِ بِأَنَّ مَنْ يَفْسُقُ عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَيَتَنَكَّبُ الصِّراطَ الذي شَرَعَهُ، يَنْزِلُ بِهِ عَنْ مَرْتَبَةِ الإِنسَانِ إلى مَرْتَبَةِ العَجْمَاوَاتِ).

٦٦ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

(فَجَعَلْنَاهَا) (نَكَالاً)

(٦٦) - فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ العُقُوبَةَ نَكَالاً لَهُمْ، وَعِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ، وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ المَقْصُودَ بِضَمِيرِ (فَجَعَلْنَاهَا) هُوَ القَرْيَةُ أَيْ فَجَعَلَ اللهُ العُقُوبَةَ التِي أَنْزَلَهَا بِهٰذِهِ القَرْيَةِ عِبْرَةً لِمَا حَوْلَهَا مِنَ القُرَى. وَكَانَتْ هٰذِهِ العُقُوبَةُ عِظَةً لِلْمُتَّقِينَ الذِينَ سَيَأْتُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ لِيَتَّقُوا نَقْمَةَ اللهِ، وَلْيَحْذَرُوا مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُهَا، إِذا آعْتَدَوْا وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ شَرْعِ اللهِ.

نَكَالاً - أَيْ يَنْكُلُ مَنْ يَعْلَمُ بِهَا وَيَمْتَنِعُ عَنْ إِتْيَانِ مِثْلِهَا.

٦٧ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ

(ٱلْجَاهِلِينَ)

(٦٧) - كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ وَلاَ وَلَدَ لَهُ، وَكَانَ وَارِثُهُ الوَحِيدَ آبْنُ أَخِيهِ، فَآسْتَعْجَلَ آبْنُ الأَخِ المِيرَاثَ. وَقَتَلَ عَمَّهُ، ثُمَّ حَمَلَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْهُمْ. وَآدَّعَى عَلَى صَاحِبِ البَيْتِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ، وَتَسَلَّحَ النَّاسُ، وَتَثَاوَرُوا حَتَّى كَادَ الشَّرُّ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهُمْ. فَدَعَاهُمْ ذَوُو الرَّأْيِ فِيهِمْ أَنْ يَذْهَبُوا إِلى مُوسَى يَسْأَلُونَهُ الرَّأْيَ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً. فَقَالُوا لَهُ: أَتَسْخَرُ مِنَّا، وَتَتَّخِذُنا مَوْضِعاً لِلْهُزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ؟ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ الذِينَ يَسْخَرُونَ مِنَ النَّاسِ، أَوْ يَأْمُرُونَ بِشَيءٍ لاَ فَائِدَةَ مِنْهُ.

الهُزْءُ - السُّخْرِيَةُ .

عَاذَ - آعْتَصَمَ وَلاَذَ .

الجَهْلُ - فِعْلُ مَا لاَ يَنْبَغِي .

(٦٨) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ

(٦٨) - وَفِي هٰذِهِ الآيَةِ وَالآيَاتِ التَّالِيَاتِ يُبَيِّنُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَدَى تَعَنُّتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ لِرَسُولِهِمْ، فَضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَضَيَّقَ اللهُ عَلَيْهِمْ. قَالُوا لَهُ: ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا مَا هِيَ هٰذِهِ البَقَرَةُ، وَأَيُّ شَيءٍ وَصْفُها؟ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى، إنَّ اللهَ يَقُولُ: إنَّها بَقَرَةٌ لا مُسِنَّةٌ هَرِمَةٌ آنْقَطَعَتْ وِلاَدَتُها (فَارِضٌ)، وَلاَ صَغِيرَةٌ لَمْ يَلْحَقْها الفَحْلُ بَعْدُ، وَإِنَّما هِيَ نَصَفٌ بَيْنَ الكَبِيرَةِ والصَّغِيرَةِ (عَوانٌ)، فَهٰذِهِ تَكُونُ أَحْسَنَ الدَّوَابِّ وَأَقْوَاهَا، فَآذْبَحُوها وَآفْعَلُوا مَا أَمَرَكُمُ اللهُ .

الفَارِضُ - المُسِنَّةُ التِي آنْقَطَعَتْ وِلاَدَتُها.

البِكْرُ - الصَّغِيرَةُ التِي لَمْ تَحْمِلْ بَعْدُ.

العَوَانُ - النَّصَفُ أيْ لَيْسَتْ بِالصَّغِيرَةِ وَلا الكَبِيرَةِ .

(٦٩) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ

(النَّاظِرِينَ)

(٦٩) - فَأَلَحُّوا فِي السُّؤالِ، وَطَلَبُوا أَنْ يُبَيِّنَ اللهُ لَهُمْ لَوْنَها، فَرَدَّ اللهُ عَلَيهِمْ قَائِلاً: إنَّها بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ صَافِيَةُ اللَّوْنِ، تُعْجِبُ النَّاظِرِينَ إِلَيها، وَتَسُرُّهُمْ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا.

فَاقِعٌ لَوْنُها - لَوْنُهَا صافٍ أَوْ شَدِيدُ الصُّفْرَةِ .

(٧٠) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ

(تَشَابَه)

(٧٠) - فَعَادُوا إِلى السُّؤالِ، وَطَلَبُوا مِنْ مُوسَى أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا هِيَ صِفَاتُ هٰذِهِ البَقَرَةِ، لأَنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيهِمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوا أَيُّها المَقصودَ، وَإِنَّهُمْ سَيَهْتَدُونَ إِلَيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ .

(٧١) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ

(الآنَ)

(٧١) - فَرَدَّ عَلَيهِمْ مُوسَى قَائِلاً: إنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّها بَقَرَةٌ لَيْسَتْ مُذَلَّلَةً بِالحِرَاثَةِ، وَلاَ مُعَدَّةً للسِّقَايَةِ، وَهِيَ سَالِمَةٌ مِنَ العُيُوبِ والأَمْرَاضِ، لَوْنُهَا وَاحِدٌ، وَلَيسَ فِيها لَوْنٌ آخَرُ. فَقَالَ بَنُو إِسْرائِيلَ لِمُوسَى: الآنَ قُلْتَ الحَقَّ وَبَيَّنْتَهُ، فَبَحَثُوا عَنْها، وَآشْتَرَوْهَا مِنْ صَاحِبِها، وَذَبَحُوهَا وَكَادُوا أَنْ لا يَقُومُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ ذَبْحِهَا، لِمَا لاَحَظُوهُ مِنْ غَلاَءِ ثَمَنِهَا.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٧٢)

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣)

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤)

الذَّلُول - المُذَلَّلَةُ والمُرَوَّضَةُ التي زَالَتْ صُعُوبَتُها.

الحَرْث - الأَرْض المُهَيَّأَة لِلزِّرَاعَةِ.

مُسَلَّمَةٌ - سَالِمَةٌ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالعُيُوبِ.

لا شِيَةَ فِيها - لَوْنُها وَاحِدٌ، وَلا لَوْنَ آخَرَ مَعَ لَوْنِها.

تُثِيرُ الأَرْضَ - تَقْلِبُها لِلزِّرَاعَةِ.

(فَادَّارَأْتُم)

(٧٢) - وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَاخْتَلَفْتُمْ وَتَخَاصَمْتُمْ فِيها، وَاللهُ مُظْهِرٌ مَا تَكْتُمُونَ فِي سَرَائِرِكُمْ مِنْ أَمْرِ حَادِثِ القَتْلِ، وَمَعْرِفَة القَاتِلِ.

ادَّارَأْتُم - تَدَافَعْتُمْ، وَاخْتَلَفْتُمْ فِيهَا.

(آيَاتِهِ) (يُحْيِي)

(٧٣) - فَأَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِضَرْبِ المَيْتِ بِأَيِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ البَقَرَةِ التِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِذَبْحِهَا فَفَعَلُوا، وَحَصَلَتِ المُعْجِزَةُ بِخَرْقِ العَادَةِ، فَأَحْيَا اللهُ المَيْتَ، وَذَكَرَ اسْمَ قَاتِلِهِ، ثُمَّ أَمَاتَهُ اللهُ فَسَكَنَتِ الفِتْنَةُ، بَعْدَ أَنْ كَشَفَ اللهُ القَاتِلَ. وَهٰكَذا يُحْيِي اللهُ المَوْتَى، وَيُرِي بَنِي إِسْرَائِيلَ آيَاتِهِ، لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ بِأَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّ عَلَيهِمْ إِطَاعَةَ أَوَامِرِ رَبِّهِمْ، وَالانْتِهَاءَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَحَرَّمَهُ عَلَيهِمْ.

(الأَنْهَارُ) (بِغَافِلٍ)

(٧٤) - يُقَرِّعُ اللهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، بَنِي إِسْرَائِيلَ الذِينَ شَهِدُوا قُدْرَةَ اللهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وَتَحَقَّقُوا مِنْ آيَاتِهِ وَعِبَرِهِ، ثُمَّ عَادُوا إِلى الكُفْرِ وَالجُحُودِ وَالفَسَادِ، فَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ وَأَصْبَحَتْ بَعِيدَةً عَنِ التَّأَثُّرِ بِالوَازِعِ الدِّينِيِّ، وَبِالمَوَاعِظِ وَالآيَاتِ، فَأَصْبَحَتْ كَالحِجَارَةِ قَسْوَةً. وَيَسْتَدْرِكُ تَعَالَى، فَيَقُولُ: إِنَّ بَعْضَ الحِجَارَةِ أَكْثَرُ لِيناً مِنْ قُلُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعْضُ الحِجَارَةِ تَنْشَقُّ فَتَتَفَجَّرُ مِنْها المِيَاهُ، وَتَسِيلُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْ هٰذِهِ الحِجَارَةِ لَمَا يَهْبِطُ مِنْ رُؤُوسِ الجِبَالِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ. أَمَّا قُلُوبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهَا لا تَتَأَثَّرُ بِمَوْعِظَةٍ، وَلاَ تَلِينُ لِذِكْرِ اللهِ، وَلا يَزْدَادُونَ إِلا فَسَاداً وَعُتُوّاً فِي الأَرْضِ، فَلَهُمُ الوَيْلُ عَلَى ذٰلِكَ، فَاللهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَيهَا الجَزَاءَ الأَوْفَى، يَوْمَ القِيَامَةِ.

يتفجَّر - يَتَفَتَّحُ بِسَعَةٍ وَكَثْرَةٍ.

يَشَّقَّقُ - يَتَصَدَّعُ بِطُولٍ وَعَرْضٍ.

﴿٧٥﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

الحزب ٢

(كَلاَم)

(٧٥) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ شَدِيدِي الحِرْصِ عَلَى دُخُولِ اليَهُودِ فِي الإِسْلاَمِ ، لِأَنَّ شَرِيعَةَ مُوسَى - كَمَا نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللهِ - تَدْعُو مِثْلَ الإِسْلاَمِ إِلَى التَّوْحِيدِ الخَالِصِ ، وَإِلَى الإِيمَانِ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ ، وَكِتَابُهُمُ التَّوْرَاةُ يُبَشِّرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِعْثَتِهِ وَرِسَالَتِهِ ، وَيُصَدِّقُ القُرْآنَ فِيمَا جَاءَ بِهِ ، فَكَشَفَ اللهُ لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ وَلِلْمُسْلِمِينَ حَالَ اليَهُودِ وَعِنَادَهُمْ وَكُفْرَهُمْ ، فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطِباً النَّبِيَّ وَالمُسْلِمِينَ : أَتَطْمَعُونَ أَنْ يَنْقَادَ اليَهُودُ إِلَيكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَقَدْ شَاهَدَ آبَاؤُهُم مِنْ آيَاتِ اللهِ وَمُعْجِزَاتِهِ الكَثِيرَ ، ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَكَانَ فَرِيقٌ مِنْ أَحْبَارِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يَتَأَوَّلُونَهُ ، وَيُعْطُونَهُ مَعْنىً آخَرَ غَيْرَ مَعْنَاهُ الصَّحِيحِ (يُحَرِّفُونَهُ) مِنْ بَعْدِ مَا عَرَفُوهُ ، وَفَهِمُوا مَعْنَاهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ عَنْ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيهِ مِنْ تَأَوُّلٍ وَتَحْرِيفٍ .

الطَّمَعُ - تَعَلُّقُ النَّفْسِ بِإِدْرَاكِ مَا تُحِبُّ تَعَلُّقاً قَوِيّاً .

يُحَرِّفُونَهُ - يُعْطُونَهُ مَعنىً غَيرَ مَعْنَاهُ الصَّحِيحِ .

﴿٧٦﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(آمَنُوا) (آمَنَّا)

(٧٦) - وَكَانَتْ فِئَةٌ مِنَ اليَهُودِ إِذَا التَقَوْا بِالمُسْلِمِينَ قَالُوا لَهُمْ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ رَسُولُ اللهِ حَقّاً ، وَلٰكِنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيكُمْ خَاصَّةً . وَإِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ ، قَالَتْ فِئَةٌ مِنْهُمْ لاَ تُحَدِّثُوا العَرَبَ بِهٰذا . فَإِنَّكُمْ كُنْتُم تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَليهِمْ ، وَتَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّ نَبِيّاً سَيُبْعَثُ قَرِيباً ، وَقَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ ، وَإِنَّكُمْ سَوْفَ تُقَاتِلُونَ العَرَبَ تَحْتَ لِوائِهِ ، وَتَنْتَقِمُونَ مِنْهُمْ ، فَكَانَ النَّبِيُّ مِنْهُم ، فَإِذا أَقْرَرْتُم بِنُبُوَّتِهِ قَامَتْ عَلَيكُمُ الحُجَّةُ ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ أَخَذَ لَهُ المِيثَاقَ عَلَيكُم بِاتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ وَنَصْرِهِ ، وَأَنَّهُ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ بِعْثَتَهُ ، وَنَجِدُهُ فِي كُتُبِنا ؛ فَاجْحَدُوهُ وَلاَ تُقِرُّوا بِهِ .

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ المَقْصُودَ بِهٰذِهِ الآيَةِ أُنَاسٌ مِنَ اليَهُودِ آمَنُوا ثُمَّ نَافَقُوا ، وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذا دَخَلُوا المَدِينَةَ : نَحْنُ مُسْلِمُونَ لِيَعْلَمُوا خَبَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ . فَإِذا رَجَعُوا إِلى قَوْمِهِمْ رَجَعُوا إِلى الكُفْرِ . وَكَانَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ يَظُنُّ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ . فَيَقُولُونَ لَهُمْ أَلَيْسَ اللهُ قَدْ قَالَ لَكُمْ كَذا وَكَذا . فَيَقُولُونَ : بَلى . فَقَالَ بَعْضُ اليَهُودِ لِبَعْضٍ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فِي كُتُبِكُمْ مِنْ بَعْثِ النَّبِيِّ وَصِفَاتِهِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ أَنَّ هٰذَا

	خطأً فاحِشٌ منْكُمْ ، وأنَّ ذلِكَ يكُونُ حُجَّةً عَلَيكُمْ؟) .
	خلا بَعْضُهُمْ ـ مَضَى إلَيهِ أوِ انْفَرَدَ بِهِ .
	فتحَ اللهُ عَلَيكُمْ ـ حَكَمَ بِهِ أوْ قَصَّهُ عَلَيكُمْ فِي كُتُبِكُمْ .
﴿٧٧﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ	(٧٧) ـ وَاسْتَنْكَرَ اللهُ تصرُّفَهُمْ هذا لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتابٍ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالعَلانِيَةَ ، وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُونَ فِيما بَيْنَهُمْ ، وَمَا يُبَيِّتُونَ ، فإذا كانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً ، فَلِمَ لا يَخْشَوْنَ بَأْسَهُ وَنِقْمَتَهُ ، وَهُوَ المُطَّلِعُ عَلَى الظَّاهِرِ ، وَيَعْلَمُ مَا يَجُولُ فِي الضَّمائِرِ؟
	(الْكِتَاب)
﴿٧٨﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ	(٧٨) ـ وَمِنْ بَيْنِ الذِينَ يَتحدَّثُ اللهُ تَعالَى عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُناسٌ أُمِّيُّونَ لَا يَعْرِفُونَ القِراءَةَ وَلَا الكِتابَةَ ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا فِي كُتُبِهِمْ ، وَكَانُوا يَتكَلَّمُونَ بِالظَّنِّ بِغَيْرِ عِلْمٍ صَحِيحٍ عَمَّا فِي كِتَابِهِمُ الذِي أَنزَلَهُ اللهُ ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِن الكِتَابِ . وَهذا الذي يَقُولُونَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ظَنٌّ وَتَخْمِينٌ وَتَخَرُّصٌ لِلكَذِبِ . مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِلْمَعْنى ، وَلَا تَدَبُّرٍ وَلَا عِلْمٍ . (أمانِيَّ يَتَمَنَّوْنَها) .
	أُمِّيُّونَ ـ لا يَقْرَؤُونَ .
	أَمانِيَّ ـ أَكاذِيبَ تَلَقَّوهَا عَنْ أَحْبارِهِمْ .
	(الْكِتَاب)
﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ	(٧٩) ـ وَهؤُلاءِ صِنْفٌ مِنَ اليَهُودِ هُمُ العُلَماءُ ، وَالدُّعاةُ إِلى الضَّلالَةِ بِالكَذِبِ وَالبُهْتانِ وَالزُّورِ ، وَقَوْلِ غَيْرِ الحَقِّ عَلَى اللهِ ، وَأَكْلِ أَمْوالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ ، وَهُمْ أَحْبارُ اليَهُودِ الذِينَ كَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ كِتاباً مُحرَّفاً وَمُلَفَّقاً مِنْ عِنْدِهِمْ ، يَبِيعُونَهُ لِعَوامِّهِمْ زَاعِمِينَ أَنَّهُ التَّوراةُ المُنْزَلَةُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، لِيَأْخُذُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً مِنْهُمْ . وَيُحَذِّرُ اللهُ هؤُلاءِ المُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : الوَيْلُ لَهُمْ ـ أَيِ الهَلاكُ وَالدَّمارُ لَهُمْ وَشِدَّةُ الشَّرِّ ـ مِمَّا أَكَلُوا مِنْ هذا الكَسْبِ الحَرامِ . وَقَدِ ارْتَكَبَ هؤُلاءِ بِعَمَلِهِمْ هذا ثَلاثَ جِنَاياتٍ :
	أُولاها ـ كِتْمانُ مَا فِي كِتَابِهِمْ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ وَتَغْيِيرِهَا .
	وَثانِيَتُها ـ الافْتِراءُ عَلَى اللهِ وَنِسْبَةُ شَيءٍ إِليهِ لَمْ يَقُلْهُ .
	وَثالِثُها ـ الكَسْبُ الحَرامُ ثَمَناً لِهذا الكَذِبِ وَالتَّحريفِ وَالإِفْكِ .
	فَوَيلٌ ـ هَلاكٌ أَوْ شِدَّةُ عَذابٍ .

(٨٠) وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ
أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ
عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ
ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ

(٨٠) - كَانَ اليَهُودُ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، يُؤَاخِذُهُمْ مُؤَاخَذَةَ الأَبِ لابْنِهِ، بِرِفْقٍ وَحَنَانٍ، وَإِنَّهُمْ لَنْ يُعَذَّبُوا فِي النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ، ثُمَّ يَرْضَى اللهُ عَنْهُم فَيَنْجُونَ مِنَ العَذابِ وَمِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، مَهْمَا كَانَتْ ذُنُوبُهُمْ عَظِيمَةً.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ قَائِلاً: أَحَصَلْتُمْ عَلَى عَهْدٍ وَوَحْيٍ وَخَبرٍ صَادِقٍ بِذَلِكَ مِنَ اللهِ؟ فَإِنْ كُنْتُم حَصَلْتُمْ عَلَى عَهْدٍ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ عَهْدَهُ وَوَعْدَهُ أَبداً، وَلكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَقَعْ، وَلَمْ يَصْدُرْ مِنَ اللهِ عَهْدٌ لِلْيَهُودِ، وَإِنَّكُمْ مُفْتَرُونَ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ شَيئاً لاَ عِلْمَ لَكُمْ بِهِ.

مَعْدُودَةً - مَحْصُورَةَ العَدَدِ.

(٨١) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ

(أَحَاطَتْ) (فَأُولئِكَ) (أَصحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٨١) - وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْيَهُودِ: لَيْسَ الأَمرُ كَما تَمَنَّيتُم، وَلاَ كَمَا تَشْتَهُونَ، بَلِ الأَمرُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ قَضَى بِأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَتَى رَبَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَقَدْ أَثْقَلَتْهُ خَطَايَاهُ وَآثَامُهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلاَ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، وَلَمْ يَتُبْ مِنْ خَطَايَاهُ إِلَى اللهِ، فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَبْقَى فِيهَا خَالِداً.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ السَّيِّئَةَ هُنَا تَعْنِي الشِّرْكَ، لأَنَّ المُشْرِكَ خَالِدٌ فِي النَّارِ.

(٨٢) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحاتِ) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٨٢) - أَمَّا الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَبِاليَومِ الآخِرِ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، فَأَدَّوُا الوَاجِبَاتِ، وَانْتَهَوا عَنِ المَعَاصِي فَهؤُلاءِ هُمْ أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَخْلُدُونَ فِيها أَبداً. فَدُخُولُ الجَنَّةِ مَنُوطٌ بِالإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ مَعاً.

(٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ

(مِيثَاقَ) (إِسْرائِيلَ) (بِالْوَالِدَيْنِ) (الصَّلاَةَ) (وآتُوا) (الزَّكَاةَ) (اليَتَامَى)(الْمَسَاكِينِ)

(٨٣) - وَيُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسرائِيلَ بِأَوامِرِهِ إِلَيهِمْ، وَبِالمِيثَاقِ الذِي أَخَذَهُ عَلَيهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى وَغيرِهِ مِنْ أَنبِيَائِهِمْ أَلاَّ يَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ وَحْدَهُ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَلاَّ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، وَأَنْ يُحسِنُوا مُعَامَلَةَ الوَالِدَينِ، وَأَنْ يُحسِنُوا إِلى ذَوِي قُرْبَاهُمْ، وَإِلَى اليَتَامَى الذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ، وَإِلى المَسَاكِينِ الذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ

وَعِيَالِهِمْ، وَأَنْ يُحسِنُوا مُعَامَلَةَ النَّاسِ وَمُعَاشَرَتَهُمْ، وَأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ كَلِمَاتٍ طَيِّبَاتٍ (وَيدخُلُ في ذٰلِكَ الأَمرُ بِالمَعْرُوفِ والنَّهيُ عَنِ المُنْكَرِ) وَأَنْ يُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَأَنْ يُؤَدُّوا الزَّكَاةَ. وَلَكِنَّ بَني إِسرَائِيلَ تَوَلَّوْا عَنْ ذٰلِكَ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ عَنْ عَمْدٍ، بَعْدَ العِلْمِ بِهِ، وَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ بِأَمْرِ اللهِ إِلَّا قَلِيلُونَ، أَقَامُوا الشَّرِيعَةَ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ فِي زَمَنِ مُوسَى وَبَعْدَهُ، وَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ حِينَمَا أَدْرَكُوهُ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ وَثَعْلَبَةَ بْنِ سعيدٍ.

المِيثَاقَ ـ هُوَ العَهْدُ الشَّدِيدُ المُؤَكَّدُ.

٨٤ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ

(مِيثَاقَكُمْ) (دِيَارِكُم)

(٨٤) ـ يُذَكِّرُ اللهُ تَعالى فِي هٰذِهِ الآيَةِ اليَهُودَ بِأَهَمِّ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَخذَ المِيثَاقَ عَلَيهِمْ لاجْتِنَابِهِ، فَيَقُولُ تَعالى: إِنَّهُ أَخَذَ المِيثَاقَ فِي التَّوراةِ عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنْ لَا يَسْفِكَ بعضُهُمْ دَمَ بَعْضٍ، وَأَنْ لا يُخْرِجَ بَعضُهُم بَعْضاً مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، وَإِنَّ يَهُودَ المَدِينَةِ يُقِرُّونَ بذٰلِكَ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَتْ بِهِ دِيَانَتُهُمْ فِي ذٰلِكَ، فَالحُجَّةُ قَائِمَةٌ عَلَيهِمْ.

لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ـ أَيْ لَا يَسْفِكُ بَعضُكُمْ دَمَ بَعْضٍ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ بَعْضَ أَفرادِ الجَمَاعَةِ هُمْ مِنْ نَفْسِها.

السَّفْكُ ـ الصَّبُّ والإِرَاقَةُ.

٨٥ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي

(دِيَارِهِم) (تَظَاهَرُونَ) (الْعُدْوَانِ) (أُسَارَى) (تُفَادُوهُم) (الْكِتَابِ) (الْحَيَاةِ) (الْقِيَامَةِ) (بِغَافِلٍ)

(٨٥) ـ كَانَ فِي المَدِينَةِ ثَلاثُ قَبَائِلَ مِنَ اليَهودِ: بَنُو قَيْنُقَاعَ وَبَنُو النَّضِيرِ، وَهُمْ حُلَفَاءُ الخَزْرَجِ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ وَهُمْ حُلَفَاءُ الأَوْسِ، وَكَانُوا إِذَا وَقَعَتِ الحَرْبُ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ انْتَصَرَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَ اليَهُودِ لِحُلَفَائِهِ، وَانْضَمَّ إِلَيهِمْ يُقَاتِلُ خُصُومَهُمْ. وَكَثِيراً مَا كَانَ اليَهودِيُّ يَقْتُلُ اليَهُودِيَّ فِي الحَرْبِ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ، وَيَنْتَهِبُ مَالَهُ وَأَثَاثَ مَنْزِلِهِ، وَكُلُّ ذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيهِمْ فِعْلُهُ بِنَصِّ التَّوراةِ.

وَلٰكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا وَضَعَتِ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا يَقُومُونَ بِافْتِكَاكِ الأَسْرَى وَمُفَادَاتِهِمْ، عَمَلاً بِنَصِّ التَّوراةِ، فَاسْتَنْكَرَ اللهُ تَعَالَى أَفْعَالَهُمْ هٰذِهِ، فَهُمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُم بَعْضاً خِلافاً للنَّصِّ، وَلٰكِنَّهُمْ يَفْتَكُّونَ الأَسْرَى وَيُفَادُونَهُمْ عَمَلاً بِنَصِّ التَّوراةِ.

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

وَيقُولُ اللهُ تَعالى لَهُمْ مُسْتَنْكِراً تصرُّفاتِهِمْ هٰذِهِ: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَعْمَلُونَ بِهِ، وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ وَتُخالِفُونَهُ؟ وَتَوعَّدَ اللهُ تَعالَى مَنْ يُؤْمِنُ بِبَعْضِ الكِتَابِ، وَيَكْفُرُ بِبَعْضِهِ الآخَرِ بِالخِزْيِ وَالمَذَلَّةِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا، وَبِالعَذابِ الأَلِيمِ الشَّدِيدِ يَوْمَ القِيَامَةِ. ثُمَّ يُذَكِّرُهُمُ اللهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ غَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ.

تَظاهَرُونَ - تَتَعاوَنُونَ.

الإِثْمُ - الفِعْلُ الذِي يَسْتَحِقُّ فاعِلُهُ اللَّوْمَ (العِقَابَ).

العُدْوَانُ - تَجَاوُزُ الحَدِّ فِي الظُّلْمِ.

خِزْيٌ - ذُلٌّ وَفَضِيحَةٌ.

٨٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

(أُولَئِكَ) (الْحَيَاةَ)

(٨٦) - وَهٰؤُلاءِ الذِينَ يُخَالِفُونَ أَوَامِرَ التَّوراةِ، وَيَعْمَلُونَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ فِيها، هُمُ الذِينَ ٱسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنيا، وَآثَروها وَفَضَّلُوهَا عَلَى الآخِرَةِ، بِمَا أَهْمَلُوا مِنَ الشَّرائِعِ، وَبِمَا تَرَكُوا مِنْ أَوامِرِها التِي يَعْرِفُونَها (كَالانْتِصَارِ لِلحَلِيفِ المُشْرِكِ وَمُظاهَرَتِهِ عَلَى قَوْمِهِمْ فِي الدِّينِ وَالنَّسَبِ، وَإِخْراجِ أَهْلِهِمْ مِنْ دِيَارِهِم ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ ذٰلِكَ الحَلِيفِ المُشْرِكِ)، فَكَانُوا كَمَنِ ٱشْتَرَى الحَيَاةَ الدُّنيا بِالآخِرَةِ. وَهٰؤُلاءِ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ نَاصِراً يُنْقِذُهُمْ مِنَ العَذَابِ، وَلا مُجِيراً يُجِيرُهُمْ.

ٱشْتَرَوْا - هِيَ هُنَا بِمَعْنَى آثَرُوا، أَوِ ٱسْتَبْدَلُوا.

٨٧ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ
وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ
أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا
تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ
فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا
تَقْتُلُونَ

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (وَآتَيْنَا) (البَيِّنَاتِ) (وَأَيَّدْنَاهُ)

(٨٧) - يَصِفُ اللهُ تَعالَى بَنِي إِسرائِيلَ بِالعُتُوِّ والعِنادِ وَالاسْتِكْبارِ عَلَى الأَنبِياءِ، وَيقُولُ تَعالَى: إِنَّهُمْ يَتبعُونَ في ذٰلِكَ أَهْواءَهُمْ. وَيُذَكِّرُهُمُ اللهُ تَعالَى بِأَنَّهُ آتَى مُوسَى التَّوراةَ فَحَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، وَخَالَفُوا أَوامِرَهُ وَأَوَّلُوها. ثُمَّ أَرْسَلَ مِنْ بَعْدِهِ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلَ، يَحْكُمُونَ بِشَرِيعَتِهِ، وَيُذَكِّرُونَ النَّاسَ بِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَيأْمُرُونَ بِالالتِزامِ بِأَحْكَامِهِ، وَلِذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ لِبَنِي إِسْرائِيلَ عُذْرٌ فِي نِسْيَانِ الشَّرائِعِ وَتَحْرِيفِهَا. وَخَتَمَ اللهُ تَعالَى أَنْبِياءَ بَنِي إِسْرائِيلَ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَجاءَ بِمُخَالَفَةِ بَعْضِ أَحْكَامِ التَّوراةِ، وَلِهٰذا أَيَّدَهُ اللهُ بِالبَيِّنَاتِ وَالمُعْجِزاتِ، تَأْكِيداً لِنُبُوَّتِهِ، وَلِما أَتَى بِهِ، وَأَيَّدَهُ بِجِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ. وَكَانَ بَنُو إِسْرائِيلَ يُعَامِلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَسْوأَ مُعَامَلَةٍ، فَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بَعْضَهُمْ كَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ، وَيَقْتُلُونَ بَعْضاً آخَرَ كَزَكَرِيَّا

﴿٨٨﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ

﴿٨٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ

وَيحْيى، وَكُلُّ ذلِكَ لأَنَّ هؤُلاءِ الأنبياءَ والرُّسُلَ كَانُوا يُطالِبُونَهُمْ بالالْتِزامِ بِأحْكَامِ التَّوراةِ، وَكَانُوا يَأْتُونَ بِمَا يُخالِفُ أَهْوَاءَهُمْ، وَلِذلِكَ فَلا عَجَبَ إِنْ هُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، لأَنَّ العِنادَ وَالجُحُودَ مِنْ صِفَتِهِمْ.

قَفَّاهُ بِهِ - أَتْبَعَهُ بِهِ.

الكِتَابَ - التَّوراةَ.

رُوحِ القُدُسِ - جِبْرِيلَ، عَلَيهِ السَّلامُ.

(٨٨) - وَقَالَ اليَهُودُ لِلرَّسُولِ ﷺ حِينَ دَعَاهُمْ إلى الإِسْلامِ: إنَّ قُلُوبَهُمْ مُغَطَّاةٌ بِأَغْشِيَةٍ خِلْقِيَّةٍ تَمْنَعُهَا مِنْ تَفَهُّمِ مَا جاءَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ، فَهِيَ لا تَعِي، وَلاَ يَصِلُ إِليهَا شَيءٌ مِمَّا يَقُولُهُ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُكَذِّباً: إِنَّ الأَمرَ لَيسَ كَمَا يَدَّعُونَ، فَقُلُوبُهم خُلِقَتْ مُسْتَعِدَّةً، بِحَسَبِ الفِطْرَةِ، لِلنَّظَرِ الذِي يُوصِلُ إِلى الحَقِّ، وَلَكِنَّ اللهَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بالأَنبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَبِالكِتَابِ الذِي تَرَكُوا العَمَلَ بِهِ وَحَرَّفُوهُ اتِّبَاعاً لأَهْوائِهِمْ، فَهُمْ يُؤْمِنُونَ إيماناً قَليلاً، وَهُوَ إِيمَانُهُمْ بِبَعْضِ الكِتَابِ، وَتَحْرِيفُ بَعْضِهِ الآخرِ، وَتَرْكُ العَمَلِ بِهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ أَنَّ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ قَليلُونَ مِنْهُمْ).

الغُلْفُ - وَاحِدُها أَغْلَفُ - هُوَ الذِي لا يَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهُ أَوْ هُوَ الذِي غُلِّفَ قَلْبُهُ بِأَغْطِيَةٍ خِلْقِيَّةٍ.

(كِتَابٌ) (الْكَافِرِينَ)

(٨٩) - وَلَمَّا جَاءَ اليَهُودَ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، هُوَ مُحَمَّدٌ عَلَيهِ السَّلامُ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، هُوَ القُرآنُ، يُصَدِّقُ التَّوراةَ وَأَحْكَامَهَا، وَيُوافِقُها فِي التَّوحِيدِ، وَأُصُولِ الدِّينِ وَمَقَاصِدِهِ، كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبالقُرآنِ، مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ حَقٌّ، وَأَنَّ القُرآنَ صِدْقٌ، وَقَدْ كَانُوا مِنْ قبلُ، يَقُولُونَ لِمُشْرِكِي المَدِينَةِ إِنَّ كُتُبَهُمْ تُشِيرُ إلى مَبْعَثِ نَبِيٍّ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، وَإِنَّهُمْ سَيُحَارِبُونَ المُشْرِكِينَ تَحْتَ لِوائِهِ، وَيَنْتَقِمُونَ مِنْهُمْ، أَيْ إِنَّ اليَهُودَ كَانُوا يَسْتَنْصِرُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ المُنْتَظَرِ، وَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَى المُشْرِكِينَ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ اتَّبَعَهُ عَرَبُ المَدِينَةِ، وَكَفَرَ بِهِ اليَهُودُ، وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى الكُفْرِ إلاَّ الحَسَدُ وَالجُحُودُ، وَالعِنادُ وَالطَّمَعُ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا الحَقِيرِ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ الكَافِرِينَ.

يَسْتَفْتِحُون - يَسْتَنْصِرُونَ بِبَعْثَةِ نَبِيٍّ.

(٩٠) بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ

(فباؤوا) (وللْكافِرين)

(٩٠) - يقولُ اللهُ تعالَى: بِئْسَما آخْتارَهُ هؤُلاءِ اليَهُودُ لأَنفُسِهِمْ مِنَ الكُفْرِ بِما أَنْزَلَ اللهُ عَلى مُحمَّدٍ، فَبَدَلاً مِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيُصَدِّقُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، كَفَرُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ. وَما حَمَلَهُمْ عَلى ذلِكَ إِلَّا البَغْيُ وَالحَسَدُ والكَراهِيَةُ لاخْتِيارِ اللهِ النَّبِيَّ الذي يُنَزِّلُ عَلَيهِ رِسالَتَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَآسْتَحقُّوا بِذلِكَ غَضَباً مِنَ اللهِ لِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ وَقُرْآنِهِ، كَما آسْتَحَقُّوا مِنْ قَبْلُ غَضَبَ اللهِ لِكُفْرِهِمْ، ولإِعْناتِهِمْ مُوسَى، عليهِ السَّلامُ، ثُمَّ لِكُفْرِهِمْ بِعِيسَى وَإِنْجيلِهِ، وَبِذلِكَ يَكُونُونَ قَدِ آسْتَحقُّوا غَضَباً عَلى غَضَبٍ. وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعالَى لِهؤُلاءِ اليَهُودِ الكافِرينَ عَذاباً مُهيناً لَهُمْ، يَتَمَثَّلُ فِي الدُّنيا بالخِزْيِ والنَّكالِ وَسُوءِ الحالِ، وَيَتَمَثَّلُ فِي الآخِرَةِ بِالخُلُودِ في نَارِ جَهَنَّمَ.

آشْتَرَوْا - بِمَعْنَى بَاعُوا.

بَاءَ - رَجَعَ أَوْ حَمَلَ.

مُهِينٌ - فِيهِ إِهَانَةٌ وَذِلَّةٌ.

(٩١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(آمِنُوا)

(٩١) - يَقُولُ اللهُ تَعالَى إِنَّ اليَهُودَ إذا قيلَ لَهُمْ: آمِنُوا بِمُحَمَّدٍ وَصَدِّقُوهُ وَآتَّبِعُوهُ، قالُوا: يَكْفِينَا الإِيمانُ بما أُنزِلَ إِلَينا (التَّوراةُ) وَلا يُقِرُّونَ بِغَيْرِ ذَلِكَ (وَيَكْفُرُونَ بِما وَراءَ ذلِكَ) مِمَّا جاءَ بَعْدَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ما أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ هُوَ الحَقُّ، وَهُوَ يُصَدِّقُ ما جاءَتْ بِهِ التَّوراةُ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ بِالقُرآنِ وَبِمُحَمَّدٍ هُوَ كُفْرٌ بِكِتابِهِمْ نَفْسِهِ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعالَى عَلَيهِمْ قائِلاً: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَدَّعُونَ الإِيمانَ بِما جاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَى لِسانِ أَنْبِيائِكُمْ، فَلِماذا كُنْتُمْ تَقْتُلُونَ أَنبياءَ اللهِ، وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيكُمْ ذَلِكَ في كُتُبِكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمْ بِاتِّباعِهِمْ؟ وَقَتْلُكُمُ الأَنْبِياءَ دَليلٌ واضِحٌ عَلى أَنَّكُمْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِرِسالَةِ رَبِّكُمْ. (وَقَدْ نَسَبَ اللهُ تَعالَى القَتْلَ لِلْيَهُودِ الذينَ كانُوا في زَمَنِ مُحَمَّدٍ عَلَيهِ السَّلامُ، مَعَ أَنَّ القَتْلَ آرْتَكَبَهُ أَسْلافُهُمْ، وَهذا يُقْصَدُ بِهِ وَحْدَةُ الأُمَّةِ وَتَكافُلُها، وَأَنَّها في الطَّبائِعِ وَالأَخْلاقِ المُشْتَرَكَةِ كَالشَّخْصِ الوَاحِدِ).

وَراءَ - سِوَى أَوْ غَيْرَ.

(٩٢) ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ

ربع الحزب ٢

(بالبَيِّنَاتِ) (ظَالِمُون)

(٩٢) - لَقَدْ كَفَرْتُمْ يا أَيُّها اليَهُودُ بِكِتابِكُمْ، وَرَجَعْتُمْ إِلى الشِّرْكِ في عَهْدِ مُوسَى، فَقَدْ جاءَكُمْ مُوسَى بِالآياتِ الواضِحاتِ، والمُعْجِزاتِ

(البَيِّنات)، وَالدَّلائِلِ القَاطِعَاتِ عَلى وَحْدانِيَّةِ اللهِ، وَعَلى أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ، وَعَلى أنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَكِنَّكُمُ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مَعْبُوداً مِنْ دُونِ اللهِ بَعْدَ أنْ ذَهَبَ مُوسَى لِمُنَاجاةِ رَبِّهِ فِي جَبَلِ الطُّورِ، وَأنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فَعِبَادَتُكُمْ غَيْرَهُ ظُلْمٌ كَبِيرٌ، وَكُفْرانٌ بِالنِّعَمِ.

(والآيَاتُ التي جَاءَ بِهَا مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ: هِيَ العَصَا وَاليَدُ وَالطُّوفَانُ وَالجَرادُ وَالقُمَّلُ وَانبِجَاسُ المَاءِ مِنَ الحَجَرِ وَانفِلاقُ البَحْرِ، والغَمَامُ والمَنُّ والسَّلْوى والدَّمُ).

﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(مِيثَاقَكُمْ) (آتَيْنَاكُم) (إيمَانُكُمْ)

(٩٣) - وَحِينَمَا جَاءَكُمْ مُوسَى بالتَّوراةِ، وَرَأيْتُمْ مَا فِيهَا مِنْ تَكالِيفَ، شَقَّتْ عَلَيْكُمْ، واسْتَثْقَلْتُمْ أعْبَاءَهَا، فَأرَادَ اللهُ أنْ يُرِيَكُمْ آيَةً عَلَى صِدْقِ التَّوراةِ، وبُرْهَاناً عَلى أنَّهَا كِتَابُ اللهِ، فَرَفَعَ فَوْقَكُمْ جَبَلَ الطُّورِ حَتَّى صَارَ فَوْقَكُمْ كَالمِظَلَّةِ، وَهَدَّدَكُمْ بِإسْقَاطِهِ عَلَيكُمْ إنْ لَمْ تُعْلِنُوا قَبُولَكُمْ بِالمِيثَاقِ الذِي وَاثَقَكُمُ اللهُ بِهِ، وَهوَ ألاَّ يَأخُذَكُمْ هَوًى فِي الامتِثَالِ لِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ وألاَّ تُقَصِّرُوا فِي الأخْذِ بِمَا فِيهِ، فَقُلْتُمْ آمَنَّا وَسَمِعْنَا وَأطَعْنَا قَوْلاً، وَلَكِنَّكُمْ عُدْتُمْ إلى مُخَالَفَته عَمَلاً فَكُنْتُم وَكَأنَّكُمْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ شَعَرُوا بِحُبِّ العِجْلِ يَخْلُصُ إلَى قُلُوبِهِمْ، وَيَنْفُذُ إليها كَمَا يَنْفُذُ المَاءُ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ فَيَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ يَدَّعُونَ الإيمَانَ لأنفُسِهِمْ بَعْدَ أنْ قَامُوا بِجَمِيعِ هذِهِ الأعْمَالِ المُنْكَرَةِ، مِنْ نَقْضِ مَوَاثِيقِ اللهِ، وَالكُفْرِ بآيَاتِهِ، وَمِنْ عِبَادَتِهِمُ العِجْلَ، وَقَتْلِهِمِ الأنْبِيَاءَ؟ وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأنْ يَقُولَ لِلْيَهُودِ تَوبِيخاً بَعْدَ أنْ عَلِمُوا أحْوالَ أسْلافِهِمُ الذِينَ يَقْتَدُونَ بِهِمْ فِي كُلِّ مَا يَأتُونَ وَمَا يَذَرُونَ: إنْ كُنْتُمْ مُخْلِصِينَ في إيمَانِكُمْ بِالتَّوراةِ، فَبِئْسَ هذَا الإيمَانُ الذِي يَأمُرُكُمْ بِالأعْمَالِ التِي تَعْمَلُونها، كَعِبَادَةِ العِجْلِ، وَقَتْلِ الأنْبِيَاءِ، وَالإيمَانِ بِبَعْضِ الكِتَابِ، وَتَرْكِ العَمَلِ بِبَعْضِهِ الآخرِ.

أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِم العِجْلَ - شَعَرُوا بِحُبِّ العِجْلِ يَخْلُصُ إلى قُلُوبِهِمْ وَيَنْفُذُ إلَيْها كَمَا يُنْفُذُ المَاءُ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ.

﴿٩٤﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ

(صَادِقِينَ)

(٩٤) - قُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ: إنْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ صِدْقاً أنَّكُمْ أوْلِيَاءُ اللهِ وأحبَاؤُهُ مِنْ دُونِ النَّاسِ، وأنَّ النَّارَ لَنْ تَمَسَّكُمْ إلاَّ أيَّاماً مَعْدُودَاتٍ، وأنَّ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

لَكُمُ الجنَّةَ وَحْدَكُمْ وَمَنْ عَداكُمْ مِنَ الخَلْقِ في النَّارِ، فَتَمَنَّوا المَوْتَ الذي يُوصِلُكُمْ إلى ذَلِكَ النَّعيمِ الخَالِصِ الدَّائِمِ الذي لا يُنَازِعُكُمْ فِيهِ أَحَدٌ، وَاطْلُبُوا المَوْتَ مِنَ اللهِ. فَإذا لَمْ يَتَمَنَّوْهُ كَانُوا غَيْرَ صَادِقِينَ في إيمَانِهِمْ.

تَمنَّوا المَوْتَ - آجْعلوا أنْفسكُمْ تَرْتَاحُ إليهِ.

٩٥ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ

(بِالظَّالِمِينَ)

(٩٥) - وَلَنْ يَتَمنَّى هَؤُلاءِ الكَافِرُونَ بِكَ يا مُحَمَّدُ أنْ يَنْزِلَ بِهِم المَوْتُ أبداً، لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ، وَمَا أَسْلَفَتْ مِنْ سَيِّئِ الأَعْمَالِ، فَهُمْ يَخافُونَ عِقَابَ الله عَلَيها، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ في قَوْلِهِمْ: إنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ خَالِصَةٌ لَهُم مِنْ دُونِ النَّاسِ.

٩٦ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ

(٩٦) - وَلَتَجِدَنَّ يَا مُحَمَّدُ اليَهُودَ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى البَقَاءِ في الحَيَاةِ، حَتَّى لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ مِنَ المُشْرِكِينَ الذِينَ لاَ كِتَابَ لَهُمْ، وَلاَ يَعْتَقِدُونَ بِوُجُودِ بَعْثٍ وَحَشْرٍ وَحِسَابٍ عَلَى الأَعْمَالِ، وَلِذَلِكَ حَصَرُوا هَمَّهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنيَا. أَمَّا اليَهُودُ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَالحِسَابِ، وَيَعْلَمُونَ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ كُفْرٍ وَخُرُوجٍ عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَقَتْلٍ لأَنْبِيائِهِ، وَيَعْلَمُونَ مَا يَنْتَظِرُهُمْ فِي الآخِرَةِ مِنْ مَقْتِ اللهِ وَغَضَبِهِ وَشَدِيدِ عَذَابِهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَتَمَنَّونَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَوْمِ القِيَامَةِ أَمَدٌ بَعِيدٌ، وَأَنْ يَعِيشُوا دَهْراً طَوِيلاً لِكَيْلا يَصِلُوا إلى العَذَابِ الذِي يَنْتَظِرُهُمْ في الآخِرَةِ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: وَلَوْ عَاشَ أَحَدُهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُنْجِيهِ مِنَ العَذَابِ، مَا دَامَ مُقِيماً عَلَى كُفْرِهِ، وَمُصِرّاً عَلَى الإِتْيَانِ بِالأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَاللهُ مُبْصِرٌ وَمُشَاهِدٌ مَا يَعْمَلُونَ.

(رُوِيَ في سَبَبِ نُزُولِ هذِهِ الآيةِ: أَنَّ اليَهُودَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَقَالُوا: إنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلا مَنْ كَانَ يَهُودِيّاً. فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المُبَاهَلَةِ، وَالدُّعَاءِ بِالمَوْتِ وَاللَّعْنَةِ عَلَى أَكْذَبِ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْهُمْ وَمِنَ المُسْلِمِينَ. فَنَكَلَ اليَهُودُ عَنْ ذَلِكَ وَظَهَرَ كَذِبُهُمْ فِيمَا يَدَّعُونَ).

وَرَوَى ابنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِليَهُودِ (إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في مَقَالَتِكُمْ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ أَمِتْنَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلاَّ غُصَّ بِرِيقِهِ وَمَاتَ مَكَانَهُ). وَهَذَا تَحَدٍّ آخَرَ لِليَهُودِ قَائِمٌ فَوْقَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

٩٧ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ

(٩٧) - نَاظَرَ اليَهُودُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي أَمْرِ نُبُوَّتِهِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا القَاسِمِ أَخْبِرْنَا عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ فَإِن أَنْبَأتَنا بِهَا عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ. فَأَخَذَ النَّبِيُّ عَلَيهِم المِيثَاقَ إِذْ قَالَ: (وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ). ثُمَّ قَالَ

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

لَهُمْ: هاتُوا. فَسَأَلُوهُ أَسْئِلَةً أَرْبَعَةً أَجابَهُمْ عَلَيْها، ثُمَّ قَالُوا لَهُ: لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَلَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالخَبَرِ، فَأَخْبِرْنا مَنْ صَاحِبُكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: (صَاحِبِي جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ). قَالُوا جِبْرِيلُ ذَاكَ الذِي يَنْزِلُ بِالحَرْبِ وَالقِتَالِ وَالعَذَابِ عَدُوُّنا، وَإِنَّهُ أَنْذَرَ اليَهُودَ بِخَرَابِ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَكَانَ مَا أَنْذَرَ بِهِ، لَوْ قُلْتَ: إِنَّ صَاحِبَكَ مِيكَائِيلُ لاتَّبَعْنَاكَ، لأَنَّهُ المَلَكُ الذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالغَيْثِ. فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ.

وَمَعْنَى الآيَةِ: إِنَّ مَنْ عَادَى جِبْرِيلَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الرُّوحُ الأَمِينُ الذِي أَنْزَلَ القُرآنَ عَلَى قَلبِكَ يَا مُحَمَّدُ، بِأَمْرِ اللهِ، مُصَدِّقاً لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمِنْهَا التَّوراةُ، وَهُوَ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ وَبُشْرَى لِقُلُوبِهِمْ بِالجَنَّةِ.

(٩٨) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ

(وَمَلائِكَتِهِ) (ومِيكَالَ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٩٨) أَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى اليَهُودَ بِأَنَّ مَنْ عَادَى اللهَ بِالكُفْرِ بِهِ وَمُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ، أَوْ عَادَى أَحَداً مِنْ مَلائِكَتِهِ، أَوْ أَحَداً مِنْ رُسُلِهِ أَوْ جِبْرِيلَ أَوْ مِيكَائِيلَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَدُوّاً للهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ كَافِراً، وَاللهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ، وَمَنْ عَادَاهُ اللهُ خَسِرَ الدُّنيا وَالآخِرَةَ.

(٩٩) وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ

(آياتٍ) (بَيِّنَاتٍ) (الْفَاسِقُونَ)

(٩٩) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ ﷺ أَنَّهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، أَنْزَلَ إِليهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَتِلْكَ الآيَاتُ هِيَ مَا حَوَاهُ كِتَابُ اللهِ مِنْ خَفَايَا عُلُومِ اليَهُودِ، وَمَكْنُونَاتِ سَرَائِرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ، وَمَا حَرَّفَهُ أَوَائِلُهُمْ وَأَوَاخِرُهُمْ، وَمَا بَدَّلُوهُ مِنَ الأَحْكَامِ التِي كَانَتْ فِي التَّوراةِ، وَمَا يَكْفُرُ بِهذِهِ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ، وَلاَ يَجْحَدُ بِهَا إلاَّ الفَاسِقُونَ الخَارِجُونَ عَنِ الطَّاعَةِ، الذِينَ استَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى حَسَداً لِلنَّبِيِّ، وَعِنَاداً وَمُكَابَرَةً مِنْهُمْ.

الفَاسِقُونَ - الخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

(١٠٠) أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(عَاهَدُوا)

(١٠٠) - وَكَانَ اليَهُودُ قَدْ قَالُوا حِينَمَا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺ: وَاللهِ، مَا عَهِدَ اللهُ إِلينَا فِي مُحَمَّدٍ، وَمَا أَخَذَ عَلينَا مِيثَاقاً. فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ.

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ: إِنَّ العُهودَ المَقْصُودَةَ هُنَا هِيَ عُهُودُهُمْ للنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي المَدِينَة).

﴿١٠١﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ

﴿١٠٢﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ

وَمَعْنَى الآيَةِ: إِنَّ اليَهُودَ كُلَّما عَاهَدُوا عَهْداً نَقَضَهُ (نَبَذَهُ) فَرِيقٌ مِنْهُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَلا يُؤْمِنُونَ بِحُرْمَةِ العُهُودِ وَالمَوَاثِيقِ.

(الْكِتَاب) (كِتَابَ اللهِ)

(١٠١) ـ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالقُرآنِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالى، وَهُوَ يُصَدِّقُ التَّوراةَ التي بَيْنَ أيدِيهِمْ بِمَا فِيهِ مِنْ أُصُولِ التَّوحِيدِ، وَقَوَاعِدِ التَّشْرِيعِ، وَأَخْبَارِ الأُمَمِ الغَابِرَةِ، نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ اليَهُودِ التَّوراةَ وَأَهْمَلُوها، وَكَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ بِمَا فِيها، مَعَ أَنَّها حَوتْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ، وَبَشَّرَتْ بِرِسَالَتِهِ، وَلٰكِنَّهُمْ كَتَمُوا ذَلِكَ وَجَحَدُوهُ؛ وَاليَهُودُ حِينَ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ، وَبِالقُرْآنِ المُصَدِّقِ لِلتَّوراةِ، يَكُونُونَ قَدْ نَبَذُوا التَّوراةَ التِي جَاءَ فِيها: إِنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ رَسُولاً لِلنَّاسِ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ.

نَبَذَ ـ طَرَحَ وَأَلْقَى.

الفَرِيقُ ـ العَدَدُ القَلِيلُ.

(الشَّيَّاطِينُ) (سُلَيْمَانَ) (هَارُوتَ) (وَمَارُوتَ) (اشْتَراهُ) (خَلاَقٍ) (تَتْلُو)

(١٠٢) ـ وَلَقَدْ صَدَّقُوا مَا تَتَقَوَّلُهُ الشَّيَاطِينُ وَالفَجَرَةُ مِنْهُمْ عَلَى مُلْكِ سُلَيمَانَ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيّاً وَلاَ رَسُولاً يَنْزِلُ عَلَيهِ الوَحْيُ مِنَ اللهِ، بَلْ كَانَ سَاحِراً يَسْتَمِدُّ العَوْنَ مِن سِحْرِهِ، وَأَنَّ سِحْرَهُ هَذا هُوَ الذِي وَطَّدَ لَهُ المُلْكَ، وَجَعَلَهُ يُسَيْطِرُ عَلَى الجِنِّ وَالطَّيْرِ وَالرِّيَاحِ، فَنَسَبُوا بِذَلِكَ الكُفْرَ لِسُلَيْمانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ، وَلٰكِنَّ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينَ الفَجَرَةَ هُمُ الذِينَ كَفَرُوا، إِذْ تَقَوَّلُوا عَلَيهِ الأَقَاوِيلَ، وَأَخَذُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَمِنْ آثَارِ مَا أُنْزِلَ بِبَابِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ. مَعَ أَنَّ هذينِ المَلَكَيْنِ مَا كَانَا يُعَلِّمَانِ أَحَداً حَتَّى يَقُولاَ لَهُ: إِنَّما نُعَلِّمُكَ مَا يُؤَدِّي إِلَى الفِتْنَةِ وَالكُفْرِ فَاعْرِفْهُ وَاحْذَرْهُ، وَتَوَقَّ العَمَلَ بِهِ. وَلٰكِنَّ النَّاسَ لَمْ يَأْخُذُوا بِهذِهِ النَّصِيحَةِ، فَاسْتَخْدَمُوا، مِمَّا تَعَلَّمُوهُ مِنْهُمَا، مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرءِ وَزَوْجِهِ. لَقَدْ كَفَرَ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينُ الفَجَرَةُ إِذْ تَقَوَّلُوا هٰذِهِ الأَقَاوِيلَ، وَاتَّخَذُوا مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ وَأَسَاطِيرِهِمْ ذَرِيعَةً لِتَعْلِيمِ اليَهُودِ السِّحْرَ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِسِحْرِهِمْ هذا أَحَداً، وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الذِي يَأْذَنُ بِالضَّرَرِ إِنْ شَاءَ، وَأَنَّ مَا يُؤْخَذُ عَنْهُمْ مِنْ سِحْرٍ لَيَضُرُّ مَنْ تَعَلَّمَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلاَ يُفِيدُهُ شَيْئاً، وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَعْلَمُونَ حَقَّ العِلْمِ أَنَّ مَنِ اتَّجَهَ هذا الاتِّجاهَ لَنْ يَكُونَ لَهُ حَظٌّ أَوْ نَصِيبٌ فِي نَعِيمِ الآخِرَةِ، وَلَبِئْسَ مَا اخْتَارَهُ هَؤُلاءِ لأَنْفُسِهِمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.

مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ

(١٠٣) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ

(١٠٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(١٠٥) مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ

السِّحْرَ - الخِدْعَ.
شَرَوْا - بَاعُوا.
الإِنْزالُ - الإِلْهَامُ.
عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ - فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ.

(آمَنُوا)

(١٠٣) - وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا الإِيمَانَ الحَقَّ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِكِتَابِهِمُ الذِي يُبَشِّرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَاتَّقَوا اللهَ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ لَكَانَ ثَوَابُ اللهِ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ مِمَّا اخْتَارُوا لأَنْفُسِهِمْ، وَرَضُوا بِهِ مِنَ المَنَافِعِ وَالمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ، لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى شَيءٍ مِنَ العِلْمِ الصَّحِيحِ.
المَثُوبَةُ - الثَّوَابُ العَظِيمُ.

(آمَنُوا) (رَاعِنَا) (لِلْكَافِرِينَ) (يَا أَيُّهَا)

(١٠٤) - كَانَ الأَنْصَارُ يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ حِينَمَا يَتْلُو عَلَيهِمِ الوَحْيَ: رَاعِنَا (أَيْ تَمَهَّلْ عَلَينا فِي التِّلاوَةِ حَتَّى نَعِيَ مَا تَقْرَؤُهُ عَلَينا). وَكَانَ اليَهُودُ يَسْتَعْمِلُونَ هذا التَّعْبِيرَ فِي مُخَاطَبَتِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ وَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا لَهُ: (ارْعِنَا سَمْعَكَ).
وَلكِنَّهُمْ كَانُوا يُمِيلُونَ الكَلِمَاتِ بَعْضَ الشَّيءِ، وَيُورُونَ بِها عَنِ الرُّعُونَةِ. (وَرَاعِينُو فِي العِبْرِيَّةِ مَعْنَاهَا شِرِّيرٌ). فَنَبَّهَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ إِلى ذَلِكَ، وَنَهَاهُمْ عَنِ اسْتِعْمَالِ هذِهِ الكَلِمَةِ فِي مُخَاطَبَةِ الرَّسُولِ. وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْتَعْمِلُوا بَدَلاً مِنْ كَلِمَةِ (رَاعِنَا)، كَلِمَةَ (انْظُرْنَا).
وَيَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى اليَهُودَ الكَافِرِينَ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ الذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَسُوءِ أَدَبِهِمْ بِحَقِّ الرَّسُولِ الكَرِيمِ.
رَاعِنَا - ارْعِنَا سَمعَكَ، أَوْ تَمَهَّلْ عَلَينا.
انْظُرْنَا - انْظُرْ إِلَينَا أَوِ انْتَظِرْنَا أَوْ تَأَنَّ عَلَينَا.

(أَهْلِ الكِتَابِ)

(١٠٥) - إِنَّ الذِينَ عَرَفْتُمْ حَالَهُمْ مَعَ أَنْبِيائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، هُمْ حَسَدَةٌ لَكُمْ لا يُرِيدُونَ أَنْ يُصِيبَكُمْ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلا أَنْ يَتَرَسَّخَ دِينُكُمْ، وَلا أَنْ تَتَثَبَّتَ أَرْكَانُهُ. وَالمُشْرِكُونَ مِثْلُ أَهْلِ الكِتَابِ فِي كُرْهِهِمْ لَكُمْ، وَحَسَدِهِمْ إِيَّاكُمْ، وَتَمَنِّيهِمْ أَنْ تَدُورَ عَلَى المُسْلِمِينَ الدَّوَائِرُ، وَأَنْ يَنْتَهِيَ أَمْرُ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ. وَحَسَدُ الحَاسِدِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَاخِطٌ عَلَى رَبِّهِ، مُعْتَرِضٌ عَلَى حُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، لأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى المَحْسُودِ بِمَا أَنْعَمَ،

وَاللهُ لا يُضِيرُهُ سَخَطُ السَّاخِطِينَ، وَلا يُحَوِّلُ مَجَارِي نِعْمَتِهِ حَسَدُ الحَاسِدِينَ، فَهُوَ يَخْتَصُّ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ وَهُوَ صَاحِبُ الفَضْلِ العَظِيمِ عَلَى مَنِ آخْتَارَهُ لِلنُّبُوَّةِ، وَهُوَ صَاحِبُ الإِحْسَانِ وَالمِنَّةِ عَلَى عِبَادِهِ.

﴿١٠٦﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

نصف الحزب ٢

(آيَةٍ)

(١٠٦) يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ يَأْمُرُ بِالشَّيءِ، لِمَا يَعْلَمُهُ فِيهِ مِنَ المَصْلَحَةِ، ثُمَّ يَنْهَى عَنْهُ لِمَا يَرَى فِي ذَلِكَ مِنَ الخَيْرِ حِينَئِذٍ، فَهُوَ لاَ يُبَدِّلُ حُكْماً مِنَ الأَحْكَامِ المُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ أَوْ يَمْحُوهُ إلا جَاءَ بِحُكْمٍ أَرْفَقَ مِنَ الحُكْمِ المَنْسُوخِ بِالمُكَلَّفِينَ، وَخَيْرٍ لَهُمْ فِي المَنْفَعَةِ أَوْ مِثْلِهِ. وَيُنَبِّهُ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ إلى أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ المُطْلَقُ فِي الكَوْنِ وَمَا فِيهِ، فَيُحِلُّ مَا يَشَاءُ، وَيُحَرِّمُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ الذِي يَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ وَلاَ مُعَقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَعَلَى المُؤْمِنِينَ إِطَاعَةُ أَمْرِ رَبِّهِم، وَآتِّبَاعُ رَسُولِهِ ﷺ فِي تَصْدِيقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

(نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ رَدّاً عَلَى المُشْرِكِينَ وَاليَهُودِ حِينَ قَالُوا: أَلاَ تَرَوْنَ إلى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِأَمْرٍ ثُمَّ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِخِلافِهِ، وَيَقُولُ اليَوْمَ قَوْلاً وَيَرْجِعُ عَنْهُ غَداً)؟

النَّسْخُ ـ الإِزَالَةُ.

الإِنْسَاءُ ـ إِذْهَابُ الآيَةِ مِنْ ذَاكِرَةِ النَّبِيِّ بَعْدَ تَبْلِيغِهَا إِلَيهِ.

﴿١٠٧﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ

(السَّمَاوَاتِ)

(١٠٧) يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ مِنْ دُونِهِ مِنْ نَاصِرٍ، وَعَلَى الخَلْقِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لَهُ أَنْ يَنْسَخَ مَا يَشَاءُ مِنَ الأَحْكَامِ، وَيُبْطِلَهَا، لأَنَّ الأَعْمَالَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالأَحْكَامَ الخُلْقِيَّةَ قَدْ تَكُونُ فِيهَا مَصْلَحَةٌ فِي وَقْتٍ، وَتَكُونُ مَفْسَدَةً فِي وَقْتٍ آخَرَ.

الوَلِيُّ ـ القَرِيبُ وَالصَّدِيقُ.

النَّصِيرُ ـ المُعِينُ.

﴿١٠٨﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ

(أَنْ تَسْأَلُوا) (كما سُئِلَ) (بالإيمانِ).

(١٠٨) نَهَى اللهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) عَنِ الأَشْيَاءِ قَبْلَ وُقُوعِهَا، عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ وَالاقْتِرَاحِ، كَمَا سَأَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى تَكْذِيباً وَعِنَاداً وَتَعَنُّتاً، فَقَالُوا لَهُ: أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً. وَشَبَّهَ اللهُ حَالَ الذِينَ عَدَلُوا عَنْ تَصْدِيقِ الأَنْبِيَاءِ وَاتِّبَاعِهِمْ، وَالطَّاعَةِ لَهُمْ، إِلَى مُخَالَفَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَالاقتراحِ عَلَيهِمْ بِالأَسْئِلَةِ التِي لاَ يَحْتَاجُونَ إِليها، وَإِنَّمَا

﴿١٠٩﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿١١٠﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ وَالكُفْرِ، بِحَالِ الذِي خَرَجَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَى الكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ المُسْتَقِيمَ.

(يُرْوَى فِي سَبَبِ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ أَنَّ رَافِعَ بْنَ خُزَيْمَةَ وَوَهَبَ بْنَ زَيْدٍ قَالَا لِلنَّبِيِّ ﷺ :آتِنَا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ نَقْرَؤُهُ، وَفَجِّرِ الأَنْهَارَ نَتْبَعْكَ)

السُّؤَالُ - الاقْتِرَاحُ المَقْصُودُ بِهِ التَّعَنُّتُ.

بَدَّلَ وَتَبَدَّلَ - جَعَلَ شَيْئاً مَوْضِعَ شَيْءٍ.

(أَهْلِ الْكِتَابِ) (بَعْدِ إِيمَانِكُم)

(١٠٩) يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ، وَهُمُ اليَهُودُ هُنا، يَكْرَهُونَ المُسْلِمِينَ، وَيُبْطِنُونَ لَهُم العَدَاوَةَ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ جَاهِدِينَ عَلَى رَدِّ المُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ، وَعَلَى إِعَادَتِهِمْ إِلَى الكُفْرِ، وَذٰلِكَ بِسَبَبِ حَسَدِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَخَوْفِهِمْ مِنْ أَنْ يَنْتَقِلَ السُّلْطَانُ إِلى المُسْلِمِينَ، بَعْدَ أَنْ تَأَكَّدُوا مِنْ أَنَّ الرَّسُولَ صَادِقٌ فِي رِسَالَتِهِ، وَأَنَّ مَا أُنزِلَ إِليهِ هُوَ الحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللهِ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنينَ بِأَنْ يَعْفُوا عَنْ هٰؤلاءِ الكُفَّارِ الحُسَّادِ، وَبِأَنْ يَصْفَحُوا عَنْهُمْ، وَبِأَنْ يَحْتَمِلُوا أَذَاهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللّٰهِ بالنَّصْرِ أَوِ الفَتْحِ، وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

(هٰذا المَقْطَعُ مِنَ الآيةِ: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، ﴿فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾(١)، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَاتِلُوا الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَومِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ * وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٢).

(الصَّلَاةَ) (وآتُوا) (الزَّكَاةَ)

(١١٠) يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ عَلَى الاشْتِغَالِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيا، وَيُسَاعِدُهُمْ عَلَى تَحْقِيقِ النَّصْرِ الذِي وَعَدَهُمْ بِهِ، وَبِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَيُوصِلُهُمْ إِلى الفَوْزِ بِجَنَّةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ، مِثْلِ إِقَامَةِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ حَتَّى تَطْمَئِنَّ نُفُوسُهُمْ إِلى رِضَا اللهِ وَرِضْوَانِهِ، وَإِلَى حُسْنِ العَاقِبَةِ فِي الآخِرَةِ، فَتَكُونَ أَثْبَتَ عَلَى تَحَمُّلِ الصِّعَابِ والشَّدَائِدِ. وَيُعْلِمُ اللهُ المُؤْمِنينَ أَنَّ كُلَّ مَا يُقَدِّمُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ وَخَيْرٍ يَجِدُونَ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللهِ مَحْفُوظاً لِيَومِ الحِسَابِ، لَا يَضِيعُ عَلَيهِمْ مِنْهُ شَيءٌ، لِأَنَّ اللهَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَأَنَّهُ سَيُجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ.

---

(١) الآية ٥ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

﴿١١١﴾ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(نَصَارَى) (بُرْهَانَكُم) (صَادِقِينَ)

(١١١) - ادَّعَى اليَهُودُ، وَادَّعَتِ النَّصَارَى أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ هُمْ. فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ قَائِلاً: تِلْكَ أَشْيَاءُ يَتَمَنَّوْنَهَا عَلَى اللهِ بِغَيرِ وَجْهِ حَقٍّ، وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ وَلا حُجَّةَ عَلَى مَا يَقُولُونَ. فَإِنْ كَانَ لِدَعْوَاهُمْ هٰذِهِ أَسَاسٌ فَلْيَأْتُوا بِبُرْهَانٍ عَلَيهَا. وَبِمَا أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ الدَّلِيلِ عَلَى دَعْوَاهُمْ هٰذِهِ فَهُمْ إِذاً كَاذِبُونَ مُتَخَرِّصُونَ.

الأَمَانِيُّ - مَا يَتَمَنَّاهُ المَرْءُ وَلاَ يُدْرِكُهُ أَوْ هِيَ مَا لا حُجَّةَ عَلَيهِ.

﴿١١٢﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(١١٢) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى دَعْوَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى تِلْكَ فَيَقُولُ لَهُمْ: بَلَى سَيَدْخُلُ الجَنَّةَ الذِينَ يُسْلِمُونَ وُجُوهَهُمْ للهِ، وَيَنْقَادُونَ لأَمْرِهِ مُطِيعِينَ مُخْلِصِينَ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، فَهٰؤُلاءِ يُوَفِّيهِمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، وَيُدْخِلُهُم الجَنَّةَ، وَيُذْهِبُ عَنْهُمُ الخَوْفَ وَالحَزَنَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنَ الأَمْرِ، وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا يَتْرُكُونَهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنيا. فَرَحْمَةُ اللهِ لاَ يَخْتَصُّ بِهَا شَعْبٌ دُونَ شَعْبٍ، وَكُلُّ مَنْ عَمِلَ لَهَا، وَأَخْلَصَ فِي عَمَلِهِ، كَانَ مِنْ أَهْلِهَا.

أَسْلَمَ وَجْهَهَ - انْقَادَ مُخْلِصاً.

﴿١١٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

(النَّصَارَى) (الْكِتَابَ) (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(١١٣) - جَاءَ وَفْدٌ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ مِنَ اليَمَنِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَهُمْ أَحْبَارُ يَهُودِ المَدِينَةِ فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ، فَقَالَ يَهُودِيٌّ لِلنَّصَارَى: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيءٍ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَكَفَرَ بِعِيسَى وَبِالإِنْجِيلِ. وَقَالَ نَصْرَانِيٌّ مِنَ الوَفْدِ لِلْيَهُودِ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيءٍ، وَكَفَرَ بِنُبُوَّةِ مُوسَى وَبِالتَّورَاةِ. مَعَ أَنَّ عِيسَى جَاءَ مُتَمِّماً شَرْعَ التَّوراةِ لا نَاقِضاً لَهُ. وَقَدْ كَفَرَ كُلُّ فَرِيقٍ بِنُبُوَّةِ نَبِيٍّ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ هُوَ، فَاليَهُودُ كَفَرُوا بِعِيسَى وَبَينَ أَيدِيهِم التَّوراةُ، وَفِيهَا أَخَذَ اللهُ المِيثَاقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بِالتَّصْدِيقِ بِنُبُوَّةِ عِيسَى، وَجَاءَ عِيسَى بِتَصْدِيقِ مُوسَى وَنُبُوَّتِهِ وَكِتَابِهِ، وَنَصَارَى الوَفْدِ كَفَرُوا بِمُوسَى، وَهٰذَا مُخَالِفٌ لِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَكُلُّ فَرِيقٍ يَتْلُو كِتَابَهُ وَيَعْلَمُ شَرِيعَةَ التَّوراةِ وَالإِنجِيلِ، وَلٰكِنَّهُمْ تَجَاحَدُوا كُفْراً وَعِنَاداً. وَكَذٰلِكَ قَالَ غَيْرُ هٰؤُلاءِ مِنَ الجَاهِلِينَ، الذِينَ كَفَرُوا بِالنُّبُوَّاتِ، مِثْلَ هٰذِهِ الأَقْوَالِ، وَكَفَرُوا عِنَاداً وَحَسَداً، فَاللهُ سَيَجْمَعُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِقَضَائِهِ العَادِلِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.

(١١٤) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(مَسَاجِدَ) (أولَئِكَ) (خَائِفِينَ) (الآخِرَة)

(١١٤) ـ يُشِيرُ اللهُ تَعَالَى فِي هٰذِهِ الآيَةِ إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ القَائِدِ الرُّومَانِيِّ الذِي هَاجَمَ بَيْتَ المَقْدِسِ بَعْدَ مِيلادِ السَّيِّدِ المَسِيحِ ، عَلَيهِ السَّلامُ، بِنَحْوِ سَبْعِينَ سَنَةً، بِتَحْرِيضٍ مِنَ النَّصَارَى الذِينَ هَرَبُوا إِلى رُومَا تَخَلُّصاً مِنْ ظُلْمِ اليهُودِ وَطُغْيَانِهِمْ وَمُؤَامَرَاتِهِمْ. فَدَخَلَ القُدْسَ وَخَرَّبَهَا، وَخَرَّبَ الهَيْكَلَ وَدُورَ العِبَادَةِ، وَأَحْرَقَ التَّوراةَ. وَكَانَ المَسِيحُ قَدْ أَنْذَرَ اليَهُودَ بِذلِكَ.

وَفِي هٰذِهِ الآيَةِ يُعَرِّضُ اللهُ تَعَالَى بِالكَافِرِينَ الذِينَ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ إِلى مَسَاجِدِ اللهِ وَبُيُوتِهِ، لِيَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَهُ بِالتَّسْبِيحِ والصَّلاةِ، وَيَسْعَوْنَ فِي خَرَابِ هٰذِهِ المَسَاجِدِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هٰؤُلاءِ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَلاَ أَحَدَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ ظُلْماً. وَيَجِبُ أَنْ لاَ يَدْخُلَ هٰؤُلاءِ الظَّالِمُونَ إِلى بُيُوتِ اللهِ ـ إِذَا قَدَرَ المُسْلِمُونَ عَلَيهِمْ ـ إِلاَّ وَهُمْ أَذِلَّةٌ يَدْفَعُونَ الجِزْيَةَ، أَوْ فِي ظِلِّ هدْنَةٍ يَعْقِدُونَهَا مَعَ المُسْلِمِينَ، فَيَدْخُلُونَ المَسَاجِدَ وَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ أَنْ يَبْطِشَ بِهِمُ المُسْلِمُونَ. وَهٰؤُلاءِ الظَّالِمُونَ قَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ خِزْياً فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، بِأَنْ سَلَّطَ المُسْلِمِينَ عَلَيهِمْ، وَأَظْفَرَهُمْ بِهِمْ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَاباً عَظِيماً جَزَاءَ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: مِنْ مَظَاهِرِ عِدَاءِ هٰذِهِ الطَّوائِفِ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ أَنَّ بَعْضَهُمْ خَرَّبَ مَعَابِدَ الطَّوائِفِ الأُخْرَى، وَمَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَقْتَرِفُوا مِثْلَ هٰذا الجُرْمِ الخَطِيرِ، وَإِنَّما كَانَ عَلَيهِمْ أَنْ يَحْفَظُوا لِلْمَعَابِدِ حُرْمَتَها، وَأَنْ لا يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَاشِعِينَ، وَأَنْ لاَ يَمْنَعُوا غَيرَهُمْ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ فِيهَا).

(١١٥) وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

(وَاسِعٌ)

(١١٥) ـ بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ كَانَ يُصَلِّي مُتَّجِهاً إِلى بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَلٰكِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الكَعْبَةَ قِبْلَةَ أَبِيهِ إِبْراهِيمَ وَيَدْعُو اللهَ وَيقَلِّبُ طَرْفَهُ فِي السَّمَاءِ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِ قَوْلَهُ: **﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاها﴾**[1]. فَقَالَ يَهُودُ المَدِينَةِ: مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِم التِي كَانُوا عَلَيْها؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ.

---

(١) الآية ١٤٤ من سورة البقرة.

وَمَعْنَى الآيَةِ: إِنَّ المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ كُلُّ ذٰلِكَ للهِ، وَإِلى أَيِّ مَكانٍ اتَّجَهَ الإِنسانُ في صَلاتِهِ كانَ تَوَجُّهُهُ إِلى اللهِ، لا يَقْصِدُ بِصَلاتِهِ غَيْرَهُ، فَلا يَخْلُو مَكانٌ مِنَ اللهِ تَعالَى. وَاللهُ واسِعٌ لا يُحْصَرُ وَلا يُحَدُّ، يَسَعُ خَلْقَهُ بِالكِفايَةِ وَالجُودِ، وَهُوَ عَليمٌ بِأَعْمالِهِمْ، لا يَغِيبُ عَنْهُ شَيءٌ مِنْها.

﴿١١٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ

(سُبْحانَهُ) (السَّماواتِ) (قانِتُونَ)

(١١٦) - رَدَّ اللهُ تَعالَى بِهٰذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ عَلَى النَّصارَى الذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ المَسيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ، وَعَلى فِئَةٍ مِنَ اليَهُودِ ادَّعَتْ أَنَّ عُزَيْراً ابْنُ اللهِ، وَعَلى فِئَةٍ مِنَ المُشْرِكِينَ ادَّعَتْ أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ، فَكَذَّبَهُمْ جَمِيعاً فِي دَعاوَاهُمْ، تَنَزَّهَ اسْمُهُ وَتَقَدَّسَ، فَلَيسَ الأَمْرُ كَما افْتَرَوْا وَكَذَبُوا، وَإِنَّما هُوَ إِلٰه واحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ، وَلا وَلَدٌ، لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَجَميعُ مَنْ فِيهِنَّ مُقِرٌّ لَهُ بالعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ.

قانِتُونَ - مُقِرُّونَ للهِ بِالعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ.

سُبْحانَهُ - تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ.

﴿١١٧﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

(السَّماواتِ)

(١١٧) - إِنَّ اللهَ تَعالَى هُوَ خالِقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمُبْدِعُها عَلَى غَيْرِ مِثالٍ سَبَقَ وُجُودَهُ، فَإِذا أَرادَ شَيْئاً، أَوْ أَراد تَنْفِيذَ أَمْرٍ قَضاهُ قالَ لَهُ: كُنْ. فَيَكُونُ الشَّيءُ لِتَوِّهِ، فَهُوَ تَعالى لا يَحْتاجُ إِلَى نَسْلٍ أَوْ وَلَد، تَنَزَّهَ عَنْ ذٰلِكَ وَتَعالَى.

بَديعُ السَّماواتِ - مُبْدِعُ السَّماواتِ وَخالِقُها عَلى غَيْرِ مِثالٍ سَبَقَ.

﴿١١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

(آيَةٌ) (تَشابَهَتْ) (الآياتِ)

(١١٨) - وَقالَ الكُفَّارُ الذِينَ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً عَنِ النُّبُوَّاتِ، وَعَمَّا يَصِحُّ أَنْ يُعطاهُ الأَنبياءُ مِنَ الآياتِ: هَلاَّ يُكَلِّمُنا اللهُ وَيَقُولُ لَنا إِنَّكَ رَسُولُهُ حَقّاً، أَوْ يُرْسِلُ إِلَينا مَلَكاً فَيُخْبِرُنا بِذٰلِكَ، كَما كَلَّمَكَ، وَأَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُنا. وَهَلاَّ تَأْتِينا بِبُرْهانٍ عَلى صِدْقِكَ فِي دَعْواكَ النُّبُوَّةَ. وَهُمْ إِنَّما يَقُولُونَ ذٰلِكَ عَلى سَبيلِ التَّعَنُّتِ والاسْتِكْبارِ وَالتَّعْجِيزِ، لا لِلْوُصُولِ إِلى الحَقِيقَةِ، وَجَلاءِ الغَوامِضِ، وَقَدْ قالَ مِثْلَ هٰذِهِ الأَقْوالِ، التِي يُرادُ بِها التَّعَنُّتُ والعِنادُ، مَنْ جاءَ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، فَسَأَلَ اليَهُودُ مُوسَى أَنْ يَرَوْا اللهَ جَهْرَةً، فَأَشْبَهَتْ قُلُوبُ مُشْرِكِي العَرَبِ قُلُوبَ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ فِي الكُفْرِ

وَالعُتُوِّ وَالعِنَادِ. وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ الدَّلالاتِ، وَأَقَامَ الحُجَجَ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ بِمَا لاَ يَحْتَاجُ إِلى مَزِيدٍ من الأَدِلَّةِ، لِمَنْ كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ إِيمَانٌ. أَمَّا الذِينَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، فَهؤلاءِ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ.

(وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ فِي سَبَبِ نُزُولِ هذِهِ الآيَةِ أَنَّ رَافِعَ بْنَ حَرْمَلَةَ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللهِ كَمَا تَقُولُ فَقُلْ للهِ أَنْ يُكَلِّمَنا حَتَّى نَسْمَعَ كَلامَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ).

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (١١٩)

(١١٩) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بالشَّيءِ الثَّابِتِ الحَقِّ لِتُبَشِّرَ بِهِ مَنْ أَطَاعَ، وَتُنْذِرَ بِهِ مَنْ عَصَى وَاسْتَكْبَرَ، لاَ لِتُجْبِرَ النَّاسَ عَلَى الإِيمانِ، فَلاَ عَلَيْكَ إِذَا أَصَرُّوا عَلَى الكُفْرِ وَالعِنَادِ، فَلاَ يَضُرُّنَّكَ تَكْذِيبُ المُكَذِّبِينَ، فَأَنْتَ لَمْ تُبْعَثْ مُلْزِماً وَمُجْبِراً، فَتَكُونَ مُقَصِّراً إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا لَكَ.

الحَقُّ - الشَّيءُ الثَّابِتُ الذِي لاَ شَكَّ فِيهِ.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٢٠)

(النَّصارَى) (ولَئِن)

(١٢٠) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْجُو أَنْ يُبَادِرَ أَهْلُ الكِتَابِ إِلَى الإِيمَانِ بِهِ قَبْلَ غَيْرِهِمْ، لِذلِكَ كَبُرَ عَلَيهِ إِعْرَاضُهُمْ عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، وَإِلْحَافُهُمْ في مُجَاحَدَتِهِ، فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى فِي هٰذِهِ الآيَةِ أَنْ يُيْئِسَهُ مِنَ الطَّمَعِ فِي إِسْلامِهِمْ، إِذْ عَلَّقَ رِضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَكُونَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اليَهُودَ والنَّصارَى لَنْ يَرْضَوْا عَنْكَ أَبداً مَا لَمْ تَتَّبِعْ مِلَّتَهُمْ وَشَرِيعَتَهُمْ، لِذلِكَ عَلَيكَ تَرْكُ طَلَبِ مَرْضَاتِهِمْ، وَالاتِّجَاهُ إِلى طَلَبِ مَرْضَاةِ اللهِ في دَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلى مَا بَعَثَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الحَقِّ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الدِّينَ الذِي جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، والذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ (هُدَى اللهِ) هُوَ الدِّينُ الصَّحِيح. وَيَتَوَعَّدَ اللهُ المُؤْمِنينَ الذِينَ يَتَّبِعُونَ طَرَائِقَ اليَهُودِ والنَّصَارَى وَيَقْبَلُونَ مَا أَضَافُوهُ إِلى دِينِهِمْ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ، بِحَسَبِ أَهْوَائِهِمْ وَغَايَاتِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُمْ لَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَاصِرٌ من عَذَابِ اللهِ، لأَنَّهُمْ أَصْبَحُوا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنَ الحَقِّ بَعْدَ مَا عَلِمُوهُ مِنَ القُرآنِ والسُّنَّةِ، (وَالخِطَابُ هُنَا لِلرَّسُولِ والتحذيرُ لأُمَّتِهِ، لأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعْصُومٌ).

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ﴾ (١٢١)

(آتَيْنَاهُمُ) (الْكِتَابَ) (أُولَئِكَ) (فَأُولَئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(١٢١) - وَمِنْ أَهْلِ الكِتاب طَائِفَةٌ يَقْرَؤُونَ التَّوراةَ بِخُشُوعٍ وَإِمْعَانٍ،

وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

وَيتدبَّرون مَعْنَاها، وَيَفْقَهُونَ أَسْرارَها وحِكَمَها، وَأُولئِكَ هُمُ الذينَ يَعْقِلُونَ أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ هُوَ الحَقُّ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ إلى سَواءِ السَّبيلِ، (كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّام). وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا أُنْزِلَ إليكَ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ الحَقُّ، مِنَ الرُّؤَسَاءِ المُعَانِدِينَ، وَالجُهَّالِ المُقَلِّدِينَ، فَأُولئِكَ هُمُ الذينَ خَسِرُوا سَعادَةَ الدُّنْيا، وَالمَجْدَ وَالسِّيادَةَ التي يُعْطِيهَا اللهُ مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ.

(١٢٢) يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الْعَالَمِينَ)

(١٢٢) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى اليَهُودَ بِأَفْضَالِهِ وَأَنْعُمِهِ عَلَى أَسْلافِهِمْ، وَتَفْضِيلِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ، الذِينَ لَمْ يَكُونُوا يَدِينُونَ بِدِينٍ سَمَاوِيٍّ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى شُكْرِ اللهِ عَلَى إِنْزَالِهِ التَّوراةَ إليهِمْ. وَشُكْرُ اللهِ يَكُونُ بالإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِيها، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا جَاءَ فِيهَا وَصْفُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالبِشَارَةُ بِهِ، وَالمِيثَاقُ الذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الإِيمَانِ بِهِ وَمُنَاصَرَتِهِ.

فَاللهُ تَعَالَى يُذَكِّرُهُمْ بِذلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَرِسَالَتِهِ، وَلِكَيْلا يَحْمِلَهُمْ الحَسَدُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَتَكْذِيبِهِ وَالكَيْدِ لَهُ.

(١٢٣) وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

(شَفَاعَةٌ)

(١٢٣) - وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى اليَهُودَ بالخَوْفِ مِنْ عِقَابِ اللهِ فِي يَوْمٍ لَا تَدْفَعُ فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ، وَلا يُقْبَلُ مِنْها فِدَاءٌ، وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ، وَلا يَجِدُ فِيهِ الكَافِرُ نَصِيراً لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ.

ثلاثة أرباع الحزب ٢

(١٢٤) ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ

(إِبْراهِيمَ) (بِكَلِمَاتٍ) (الظَّالِمِينَ)

(١٢٤) - وَآذكُرْ يَا مُحَمَّدُ لأَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ اخْتِبَارَ اللهِ لإبراهِيمَ بِمَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنَ الأَوامِرِ وَالنَّواهِي، فَقَامَ بِها عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ، فَجَعَلَهُ اللهُ للنَّاسِ قُدْوَةً وَإِمَاماً. فَدَعا إبراهِيمُ النَّاسَ إلى تَوحِيدِ اللهِ، وَالبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ. وَسَأَلَ إبراهِيمُ رَبَّهُ أَنْ تَكُونَ الإِمَامَةُ في ذُرِّيَّتِهِ، فَأَجَابَهُ اللهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، إلى مَا سَأَلَ، وَلكِنَّهُ قَالَ لَهُ: إِنَّ عَهْدَهُ سُبْحَانَهُ لا يَنَالُ الظَّالِمِينَ، وَلِذلِكَ فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الظَّالِمُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ.

الابْتِلاءُ - الاخْتِبَارُ.

﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ

(إبْراهِيمَ) (إسْمَاعِيلَ) (لِلطَّائِفِينَ) (الْعَاكِفِينَ)

(١٢٥) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاءِ إِذْ جَعَلْنَا الكَعْبَةَ بَيْتاً حَرَاماً وَمَرجعاً لِلنَّاسِ يَثُوبُونَ إليهِ للعِبَادَةِ، وَيقْصِدُونَهُ لأَدَاءِ المَنَاسِكِ فِيهِ، وَأَمَاناً لِلخَائِفِينَ اللائِذِينَ بِهِ، لاحتِرَامِ النَّاسِ لَهُ، وَتَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُ، وَإِذ أَوْحَينَا إلى النَّاسِ أَنِ اتَّخِذُوا مِنَ المَكَانِ الذِي كَانَ إبرَاهِيمُ يَقُومُ عَلَيهِ، وَهُوَ يَبْنِي البَيْتَ، مُصَلىً. وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤلاءِ إِذْ أَمَرْنَا وَوَصَّيْنَا إبرَاهِيمَ وَابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ أَنْ يُطَهِّرَا بَيْتَ اللهِ (الكَعْبَةَ) مِنَ الأقذَارِ وَالأَرْجَاسِ وَالشِّرْكِ وَالأَوْثَانِ، لِلطَّائِفِينَ بِهِ، وَهُمْ آتُونَ مِنْ غُرْبَةٍ، وَلِلْعَاكِفِينَ المُقِيمِينَ فِيهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَلِلْمُصَلِّينَ الذِينَ يُؤَدُّونَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فِيهِ. (وَيَشْمَلُ الأَمْرُ تَطْهِيرَ البَيْتِ مِنَ الرِّجْسِ الحِسِّيِّ كَالرَّفَثِ وَاللَّغْوِ وَالتَّنَازُعِ فِيهِ حِينَ أَدَاءِ العِبَادَاتِ، كَالطَّوَافِ وَالسَّعْيِ وَالصَّلاةِ).

مَثَابَةً - مَلْجَأً وَمَكَانَ أَمْنٍ.

عَهِدْنَا - وَصَّيْنَا وَأَمَرْنَا.

العَاكِفِينَ - المُعْتَكِفِينَ، الذِينَ يَبْقَوْنَ فَتْرَةً لِلْعِبَادَةِ.

﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

(إبْراهِيمَ) (آمِناً) (الثَّمراتِ) (مَنْ آمَنَ) (الآخِرِ)

(١٢٦) - وَاذْكُرْ لِقَوْمِكَ إِذْ دَعَا إبراهِيمُ رَبَّهُ فَقَالَ: رَبِّ اجْعَلْ هٰذِهِ البُقْعَةَ المُحِيطَةَ بِالكَعْبَةِ بَلَداً آمِناً مِنَ الخَوْفِ فَلا يُرعَبُ أَهْلُهُ، وَارْزُقْ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِهِ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ مِنَ الثَّمَرَاتِ. فَرَدَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيهِ قَائِلاً: إِنَّهُ سَيَرْزُقُ المُؤْمِنِينَ وَغَيْرَ المُؤْمِنِينَ مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا يَخْلُقُ خَلْقاً لا يَرْزُقُهُ. وَلٰكِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ ذٰلِكَ الرِّزْقَ لِمَنْ كَفَرَ مَتَاعاً قَلِيلاً، مُدَّةَ وُجُودِهِمْ فِي الدُّنيا، ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ وَيَسُوقُهُمْ إِلى نَارِ جَهَنَّمَ سَوْقاً لِيُعَذِّبَهُمْ فِيهَا، وَمَا أَسْوَأَهُ مِنْ مَصِيرٍ.

(وَفِي الحَدِيثِ: إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ).

أَضْطَرُّهُ - أَدْفَعُهُ وَأَسُوقُهُ وَأُلْجِئُهُ.

﴿١٢٧﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(إبْراهِيمُ) (إسْماعِيلُ)

(١٢٧) - وَاذْكُرْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ حِينما كَانَ يَرْفَعُ إبراهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ القَوَاعِدَ وَالأَسَاسَ مِنَ الكَعْبَةِ، وَيَدْعُوَانِ رَبَّهُمَا أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمَا عَمَلَهُمَا، لأَنَّهُمَا يَقُومَانِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، فَهُوَ تَعَالى الذِي يَسْمَعُ الدُّعَاءَ، وَهُوَ الذِي

﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

﴿١٢٩﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

يَعْلَمُ النِّيَاتِ. فَمَصْدَرُ شَرَفِ الكَعْبَةِ أَنَّها بُنِيَتْ عَلى آسْمِ اللهِ، وَلِعِبَادَةِ اللهِ فِي تِلْكَ الأَرْضِ، التِي تَطْغَى عَلَيهَا الوَثَنِيَّةُ، لاَ لِأَحْجَارِهَا وَلا لِمَوْقِعِهَا.

(١٢٨) - رَبَّنَا وَآجْعَلْنَا مُخْلِصَيْنِ لَكَ فِي العِبَادَةِ، مُسْتَسْلِمَيْنِ لِأَمْرِكَ وَقَضَائِكَ، خَاضِعَيْنِ لِطَاعَتِكَ، لاَ نُشْرِكُ مَعَكَ فِي العِبَادَةِ أَحَداً، وَآجْعَلْ مِنْ ذُرِّيتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ تَعْبُدُكَ، وَلاَ تُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً، لِيَسْتَمِرَّ الإِسْلاَمُ بِقُوَّةِ الأُمَّةِ، وَتَعَاوُنِ الجَمَاعَةِ، وَعَلِّمْنا مَنَاسِكَ حَجِّنَا، وَوَفِّقْنَا لِنَتُوبَ إِليكَ، وَنَرْجِعَ إِليكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ يَشْغَلُنا عَنْكَ، وَأَنْتَ يَا رَبِّ الكَثِيرُ التَّوْبِ، الرَّحِيمُ بِالتَّائِبِينَ.

(وَقَدْ صَحِبَ جِبْرِيلُ، عَلَيهِ السَّلاَمُ، إِبراهِيمَ إِلى مِنىً وَعَرَفَاتٍ وَالمَشْعَرِ الحَرَامِ، لِيُرِيَهُ المَنَاسِكَ، وَالأَعْمَالَ الوَاجِبَ إِتمَامُهَا فِي الحَجِّ، وَفِي الطَّرِيقِ عَرَضَ إِبليسُ لِإِبراهِيمَ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، فَذَلِكَ سَبَبُ رَمْيِ الجمارِ).

أَرِنا مَنَاسِكَنَا - عَلِّمْنا مَنَاسِكَ حَجِّنا.

المَنْسَكُ - المَكَانُ المُقَدَّسُ، وَيُقْصَدُ بِالمَنَاسِكِ هُنَا الأَفْعَالُ التِي يَقُومُ الحَاجُّ بِها. كَالطَّوافِ وَالوُقُوفِ فِي عَرَفَاتٍ وَمِنىً.

التَّوَّابُ - كَثِيرُ التَوْبِ وَالمَغْفِرةِ.

(يَتْلُو) (آيَاتِكَ) (الْكِتَابَ)

(١٢٩) - وَأَتَمَّ إِبراهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ، عَلَيْهِما السَّلاَمُ، دَعْوَتَهُمَا لِأَهْلِ الحَرَمِ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ (أَيْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبراهِيمَ) يَتلُو عَلَيهِمْ آيَاتِ اللهِ، وَيُعَلِّمُهُمُ القُرآنَ (الكِتَابَ) وَيُعَلِّمُهُمْ أَسْرَارَ الشَّرِيعَةِ وَمَقَاصِدَهَا بِسِيرَتِهِ فِي المُسْلِمِينَ، فَيَكُونُ قُدْوَةً لَهُمْ (السُّنَّةُ) وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ (يُعَلِّمُهُمُ الحِكْمَةَ) (أَيْ إِنَّ الرَّسُولَ يُعَلِّمُهُمُ الخَيْرَ فَيَفْعَلُونَهُ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِالشَّرِّ فَيَجْتَنِبُونَهُ، وَيُخْبِرُهُمْ بِرِضَا اللهِ عَنْهُمْ إِذَا أَطَاعُوهُ، لِيَسْتَكْثِرُوا مِنْ طَاعَتِهِ، وَيَجْتَنِبُوا مَا يُسْخِطُهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ).

وَخَتَمَا دَعْوَتَهُمَا بِقَوْلِهِما: إِنَّكَ يَا رَبِّ أَنْتَ العَزِيزُ الذِي لاَ يُعْجِزُهُ شَيءٌ، القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، الحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوالِهِ وَشَرْعِهِ فَيَضَعُ الأَشْيَاءَ فِي مَحَالِّهَا لِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ.

يُزَكِّيهِم - يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالمَعَاصِي.

﴿١٣٠﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(إِبْرَاهِيمَ) (اصْطَفَيْنَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

(١٣٠) - لَقَدْ تَجَرَّدَ إبراهِيمُ فِي عِبَادَةِ اللهِ فَلَمْ يَدَعْ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً، وَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ حَتَّى تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ، وَخَالَفَ قَوْمَهُ. فَمَنْ يَتْرُكْ طَرِيقَ إبراهيمَ هٰذا وَمَسْلَكَهُ وَمِلَّتَهُ، وَيَتَّبِعْ طَرِيقَ الغَيِّ وَالضَّلالِ، فَهُوَ سَفِيهٌ، وَلاَ يَرْتَكِبُ الضَّلاَلَةَ إِلَّا السَّفِيهُ.

وَلَقَدِ اصْطَفَى اللهُ إبراهِيمَ وَاخْتَارَهُ في الدُّنيا، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ المُقَرَّبينَ عِنْدَ اللهِ.

يَرْغَبُ عَنْ - يَزْهَدُ وَيَنْصَرِفُ عَنِ الشَّيْءِ.

سَفِهَ نَفْسَهُ - امْتَهَنَهَا وَاسْتَخَفَّ بِهَا.

﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(الْعَالَمِينَ)

(١٣١) - أَمَرَ اللهُ إبراهيمَ بالإِخلاَصِ لَهُ، وَالاسْتِسْلامِ لِحُكْمِهِ، فَامْتَثَلَ لأَمْرِ رَبِّهِ، وَقَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ جَمِيعاً.

أَسْلِمْ - انْقَدْ وَأَخْلِصِ العِبَادَةَ.

﴿١٣٢﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ

(إِبْرَاهِيمُ) (يَا بَنِيَّ)

(١٣٢) - وَكَانَتْ كَلِمَةُ الإِسْلامِ للهِ مُحَبَّبَةً إِلَى نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فَأَوصَوْا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ حِينَ حَضَرَتْهُمُ الوَفَاةُ وَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَأَحْسِنُوا فِي حَيَاتِكُمْ، وَالْزَمُوا ذٰلِكَ لِيَرْزُقَكُمُ اللهُ الوَفَاةَ عَلَيهِ، لِأَنَّ المَرْءَ يَمُوتُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيهِ، وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ.

﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ

(آبَائِكَ) (إِبْرَاهِيمَ) (إِسْمَاعِيلَ) (إِسْحَاقَ) (وَاحِداً)

(١٣٣) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ اليَهُودَ الذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ يُجَادِلُونَهُ، وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَهُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّما يَسِيرُونَ عَلَى الدِّينِ الذِي مَاتَ عَلَيهِ يَعقُوبُ، مَعَ أَنَّهُم لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ (شُهَدَاءَ) حِينَما حَانَتْ مَنِيَّةُ يَعْقُوبَ، وَجَاءَهُ المَوْتُ، وَلٰكِنَّ اللهَ كَانَ شَاهِداً عَلَى ذٰلِكَ. وَيُقَرِّرُ سُبْحَانَهُ: إِنَّ يَعقُوبَ سَأَلَ بَنِيهِ عَمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلٰهَهُ وَإِلٰهَ آبَائِهِ، الوَاحِدَ الأَحَدَ، الذِي لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَسَيُسْلِمُونَ أَمْرَهُمْ إِلَيهِ.

(هٰذِهِ الآيَةُ تُرشِدُ إِلى أَنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ، وَرُوحُهُ التَّوحِيدُ وَالاسْتِسْلاَمُ للهِ، وَالإِذْعَانُ لِهَدْيِ الأَنْبِيَاءِ).

(١٣٤) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ
وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(١٣٥) وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ
نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ
إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ

(١٣٦) قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا
وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ
وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ
وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ
أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ
لَهُۥ مُسْلِمُونَ

(١٣٧) فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم
بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(لا تُسْأَلُونَ)

(١٣٤) ـ فَتِلْكَ الأَجْيالُ السَّالِفَةِ كَانُوا أُمَّةً مُؤْمِنَةً، فَلا يَنْفَعُكُمُ الانتِسَابُ إِلَيهِمْ، إِذَا لَمْ تَفعَلُوا أَنْتُم خَيْراً تَنْتَفِعُونَ بِهِ، فَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ عَلَى أَنْ لا يُجْزَى أَحَدٌ إِلاَّ بِكَسْبِهِ وعَمَلِهِ، ولا يُسْأَلُ أَحَدٌ إِلاَّ عَنْ كَسْبِهِ وَعَمَلِهِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ يُحَاسَبُ عَلَى عَمَلِهِ، وَلاَ تُسْأَلُونَ أَنْتُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُمْ.

خَلَتْ ـ مَضَتْ وَسَلَفَتْ.

(نَصَارَىٰ) (إِبْرَاهِيمَ)

(١٣٥) ـ قَالَ يَهُودُ لِلرَّسُولِ، عَلَيهِ السَّلاَمُ: مَا الهُدَى إِلاَّ مَا نَحْنُ عَلَيهِ، فَاتَّبِعْنا يَا مُحَمَّدُ تَهْتَدِ. وَقَالَتِ النَّصَارَى مِثْلَ ذٰلِكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ يَرُدُّ بِهَا عَلَيهِمْ. فَقَالَ لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّنا لاَ نُرِيدُ اتِّبَاعَ مِلَّةِ اليَهُودِ، وَلا اتِّبَاعَ مِلَّةِ النَّصَارَى، لأَنَّ كِلتَا المِلَّتَيْنِ قَدْ حُرِّفَتَا عَنْ أَصْلِهِمَا الصَّحِيحِ، وبَعُدَتا عَنْ مِلَّةِ إبراهِيمَ، وَلٰكِنّنا نَتَّبِعُ الإِسْلاَمَ، مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ المُخْلِصِ المُسْتَقِيمِ (حَنِيفاً) الذِي لَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَمِلَّتُهُ أَصْلُ مِلَّتِنا وَمِلَّتِكُمْ، فَهِيَ المِلَّةُ التِي لاَ انْحِرافَ فِيهَا وَلا زَيْغَ.

حَنِيفاً ـ مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ.

(آمَنَّا) (إِبْرَاهِيمَ) (وإِسْمَاعِيلَ) (وإِسْحَاقَ)

(١٣٦) ـ وَقُولُوا يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ لِهٰؤُلاءِ وَهٰؤُلاءِ: إِنَّا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَى جَمِيعِ الأَنبياءِ وَالمُرْسَلِينَ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ لِرَبِّنا. (كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ يَقْرَؤُونَ التَّوراةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَها لِلمُسْلِمِينَ بِالعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ).

(آمَنُوا) (آمَنْتُمْ بِهِ)

(١٣٧) ـ فَإِن آمَنَ الكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ، أي بِجَمِيعِ كُتُبِ اللهِ، وَبِجَمِيعِ رُسُلِهِ، وَلَم يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَقَدِ اهْتَدَوْا لِلْحَقِّ، وَإِنْ تَوَلَّوْا عَنِ الحَقِّ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيهِمْ، وَاتَّبَعُوا البَاطِلَ، فَإِنَّهُمْ مُشَاقُّونَ مُخَالِفُونَ، وَسَيَنْصُرُكَ اللهُ عَلَيهِمْ يَا مُحَمَّدُ، وَيُظْفِرُكَ بِهِمْ، وَهُوَ الذِي يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ وَيَعْلَمُ مَا يُدَبِّرُونَ.

﴿١٣٨﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ

(عَابِدُونَ)

(١٣٨) - لَقَدْ صَبَغَنَا اللهُ وَفَطَرَنَا عَلَى الاسْتِعْدَادِ لِلْحَقِّ وَالإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الأنبياءُ وَالمُرْسَلُونَ، وَهٰذِهِ هِيَ مِيزَتُنَا التِي نَتَحَلَّى بِهَا، كَمَا يَتَحَلَّى الثَّوبُ بِالصَّبْغِ ، وَلا أَحَدَ تَكُونُ صِبْغَتُهُ أَحسَنَ مِن صِبْغَةِ اللهِ، فَإِنَّهُ هُوَ الذِي يَصْبُغُ عِبَادَهُ بِالإِيمَانِ، وَنَحن لاَ نَعْبُدُ غَيْرَه، وَلاَ نَخْضَعُ إِلاَّ لَهُ، وَلاَ نَتَّبعُ إِلاَّ مَا هَدَانا وَأَرْشَدنَا إِلَيهِ.

صِبْغَةَ اللهِ - مَصْدرٌ مُؤَكِّدٌ فَهُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (آلزَمُوا صِبْغَةَ اللهِ أي دِينَ اللهِ أَوْ فِطْرَتَهُ).

﴿١٣٩﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ

(أَعْمَالُنَا) (ولكم أَعْمالُكُم)

(١٣٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى إِنَّكُمْ تُجَادِلُونَنَا وَتَدَّعُونَ أَنَّ الدِّينَ الحَقَّ هُوَ دِينُكُمْ (اليَهُودِيَّةُ أَوِ النَّصْرَانِيَّةُ)، فَتَقُولُونَ حِيناً (لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصارَى)، وَتَقُولُونَ حِيناً آخَرَ: (كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارَى تَهْتَدُوا..) وَلٰكِنْ مِنْ أَيْنَ جَاءَكُمْ هٰذا القُرْبُ مِنَ اللهِ مِنْ دُونِنا؟ واللهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ وَرَبُّ العَالَمِينَ جَمِيعاً، فَهُوَ خالِقُنَا جَمِيعاً، وَالنَّاسُ لاَ يَتَفَاضَلُونَ عِنْدَ اللهِ إِلاَّ بِأَعْمَالِهِمْ وَصَلاَحِهِمْ؛ وَآثارُ أَعْمَالِنا عَائِدَةٌ إِلينا، خَيْراً كَانَتْ أَوْ شَرّاً، وَآثَارُ أَعْمَالِكُمْ عَائِدَةٌ عَلَيكُمْ. وَنَحْنُ مُخْلِصُونَ للهِ فِي أَعْمَالِنا لاَ نَبْتَغِي بِهَا إِلاَّ وَجْهَهُ الكَرِيمَ، أَمَّا أَنْتُمْ فَقَدِ آتَّكَلْتُمْ عَلَى أَسْلاَفِكُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ سَيَشْفَعُونَ لَكُم عِنْدَ رَبِّكُمْ، مَعَ أَنَّكُمْ مُنْحَرِفُونَ عَنْ سِيرَتِهِمْ.

﴿١٤٠﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(إِبْرَاهِيمَ) (إِسْمَاعِيلَ) (إِسْحَاقَ) (أو نَصارَى) (أَأَنْتُم) (شَهَادَةً) (بِغَافِلٍ)

(١٤٠) - أَتَقُولُونَ إِنَّ قُرْبَكُمْ مِنَ اللهِ أَكثر مِنَّا، كَانَ بِسَبَبِ آمتِيازِكُمْ بِاليَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ التِي كَانَ عَلَيهَا أنبياءُ اللهِ، إبراهِيمُ وإسماعِيلُ وإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ. فَإِنْ كَانَ هٰذا مَا تَدَّعُونَ فَأَنْتُمْ كاذِبُونَ فِيمَا تَقُولُونَ، فَإِنَّ اليَهُودِيَّةَ لَمْ تَظْهَرْ كَاسمٍ إِلاَّ بَعْدَ مُوسَى، وَالنَّصْرانِيَّةُ لَمْ تَظْهَرْ إِلاَّ بَعْدَ عِيسَى، فَكَيفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ هٰؤُلاءِ الأنبياءَ الذِينَ سَبَقُوا مُوسَى وَعِيسَى بِكَثِيرٍ مِنَ الوَقْتِ، كَانُوا يَهُوداً أَوْ نَصارَى، وَالعَقْلُ شَاهِدٌ عَلَى كَذِبِكُمْ فِيما تَدَّعُونَ؟ وَهَلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ يَرْضَى اللهُ عَنْهُم، أَمِ اللهُ هُوَ الأَعْلَمُ بِمَا يَرْتَضِيهِ وَيَتَقَبَّلُهُ؟ وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيمُ بِذٰلِكَ، وَقَدِ ارْتَضَى

(١٤١) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(١٤٢) ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

للنَّاسِ مِلَّةَ إبراهِيمَ، وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذٰلِكَ، وَتَعْتَرِفُونَ بِهِ، وَكُتُبُكُمْ تُصَدِّقُهُ، فلِمَاذا لا تَرْتَضُونَ لأَنْفُسِكُمْ هٰذِهِ المِلَّةَ؟

وَلاَ أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ كَتَمَ حَقِيقَةً مُثْبَتَةً فِي كِتَابِ اللهِ (شَهَادَةً). وَهٰذِهِ الحَقِيقَةُ وَرَدَتْ فِي التَّوراةِ وَتَتَضَمَّنُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَبْعَثُ فِيهِم نَبِيّاً مِنْ بَنِي إِخْوَتِهِمْ (وَهُمُ العَرَبُ أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ) وَهُمْ لاَ يَزَالُونَ يَكْتُمُونَ ذٰلِكَ فَيُنْكِرُونَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى التَّوراةِ، وَيُحَرِّفُونَهُ عَلَى المُطَّلِعِ، وَلَنْ يَتْرُكَ اللهُ أَمْرَكُمْ بِلا عِقَابٍ، وَهُوَ مُحِيطٌ بِمَا تَأْتُونَ وَمَا تَذَرُونَ.

(تَسْأَلُونَ)

(١٤١) - إِنَّ جَمَاعَةَ الأَنْبِيَاءِ قَدْ مَضَتْ بِالمَوتِ، لَهَا مَا كَسَبَتْ مِنَ الأَعْمَالِ، وَأَنْتُمْ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الأَعْمَالِ، وَلاَ يُسْأَلُ أَحَدٌ عَنْ عَمَلِ غَيْرِهِ، فَلاَ يَضُرُّهُ وَلاَ يَنْفَعُهُ.

(وَلاَّهُمْ) (صِرَاطٍ)

(١٤٢) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي مَكَّةَ يَسْتَقْبِلُ فِي صَلاَتِهِ الصَّخْرَةَ التِي فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أنبياءُ بَنِي إِسْرائيلَ قَبلَهُ، وَلٰكِنَّهُ كانَ يُحِبُّ اسْتِقْبَالَ الكَعْبَةِ، وَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ اللهَ حَوَّلَ القِبْلَةَ إليها، ولِذٰلِكَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ اسْتِقْبالِ الكَعْبَةِ وَبيتِ المَقْدِسِ، فَيَقِفُ جَنُوبِيَّ الكَعبَةِ مُسْتَقْبِلاً الشِّمَالَ، فَتَكُونُ الكعبَةُ والصَّخْرَةُ في جِهةٍ واحِدةٍ، وَتَابَعَ المُسلِمُونَ نَبِيَّهُمْ فِي ذٰلِكَ. وَلَمَّا هَاجَرَ الرَّسُولُ إلى المَدِينَةِ تَعذَّرَ عَلَيهِ الجَمْعُ بَينَ القِبلَتَينِ، فَصَلَّى مُسْتَقْبِلاً بَيْتَ المَقْدِسِ، وَبَقِيَ عَلَى ذٰلِكَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهراً. ثُمَّ أَمرهُ اللهُ تَعالَى بِأَنْ يَجْعَلَ الكَعْبَةَ قِبلَتَهُ، لأنها قِبْلَةُ أَبِيهِ إبراهِيمَ. وَنَبَّهَ اللهُ رَسُولَهُ - وقبلَ أَنْ يَقَعَ ذٰلِكَ - إلى أَنَّ اليَهُودَ سَيَتَّخِذُونَ مِنْ ذٰلِكَ التَّحَوُّلِ ذَرِيعَةً للدَّسِّ والتَّشْكِيكِ للادِّعَاءِ بِأَنَّ دِينَهُمْ هُوَ الدِّينُ الحَقُّ، لأنَّ مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ كَانُوا اتَّجَهُوا إلى قِبْلَتِهِمْ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ، فَمَا الذي صَرَفَهُمْ وَوَلاَّهُمْ عَنِ القِبْلَةِ التِي كَانُوا عَلَيها؟ وَقَدْ تَأَثَّر بِذٰلِكَ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَمَنْ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ وَمَرَضٌ - وَهٰؤُلاءِ جَمِيعاً هُمُ السُّفَهَاءُ الذِينَ عَنَاهُمُ اللهُ تَعَالَى - فَقَالُوا: مَا وَلَّى المُسْلِمِينَ عَنْ قِبْلَتِهِمْ؟

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هٰؤلاءِ قَائِلاً: إِنَّ المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ للهِ وَلَهُ الأَمرُ كُلُّهُ، وَلا فَضْلَ لِجِهَةٍ عَلَى جِهَةٍ، وَحيثُما تَوَجَّهَ المُؤْمِنُ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ، وَالمُهِمُّ أَنْ يَمْتَثِلَ النَّاسُ لأَمرِ اللهِ مِنْ غيرِ تَشَكُّكٍ، وَدُونَ ارْتِيَابٍ، وَهُوَ

﴿١٤٣﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى الصَّلاحِ والطَّريقِ المُستَقِيمِ المُوصِلِ إلى جَنَّةِ اللهِ تَعالَى.

السَّفَهُ - هُوَ اضْطِرابُ الرَّأْيِ وَالخُلُقِ. والسُّفَهاءُ هُنَا هُمُ اليَهُودُ.

مَا وَلَّاهُمْ - مَا صَرَفَهُمْ.

(جَعَلْنَاكُمْ) (إيمانَكُم) (لَرَؤُوفٌ)

(١٤٣) - كَانَ النَّاسُ، قَبْلَ الإسْلامِ، فِئَتَينِ:

- فِئَةٌ مادِّيَّةٌ لا هَمَّ لَهَا إلَّا تَحْقيقُ ما يَتَطَلَّبُهُ الجَسَدُ ولَذائِذُهُ كالمُشْرِكينَ واليَهُودِ، وَقَالُوا إنْ هيَ إلَّا حَيَاتُنا الدُّنيا، وَمَا يُهْلِكُنا إلَّا الدَّهرُ.

- وَفِئَةٌ طَغَتْ عَلَيها النَّزعَةُ الرُّوحَانِيَّةُ الخَالِصَةُ، وَسَيْطَرَتْ عَلَيها فِكْرَةُ تَرْكِ الدُّنيا وَمَا فِيها مِنَ اللَّذائِذِ الجَسَدِيَّةِ كَالنَّصارَى وَالصَّابِئَةِ وَبَعْضِ طَوائِفِ الهُنُودِ.

فَجاءَ الإسلامُ لِيَجْعَلَ المُسْلِمِينَ وَسَطاً بَيْنَ هٰؤلاءِ وَهٰؤلاءِ، فَقَالَ بِتَحقيقِ مَطالِبِ الجَسَدِ بِلا إسْرافٍ وَلَا مُبالَغَةٍ، مَعَ المُحافَظَةِ عَلَى السُّمُوِّ الرُّوحِيِّ، لِأَنَّ الإنسَانَ جَسَدٌ وَرُوحٌ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ المُسْلِمِينَ أُمَّةً وَسَطاً لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى المَادِيِّينَ الذِينَ فَرَّطُوا في جَنْبِ اللهِ، وأخلَدُوا إلى اللَّذاتِ، وَصَرَفُوا أنفُسَهُمْ عَنْ قَضَايا الرُّوحِ، وَشُهَداءَ عَلَى الغُلاةِ في الرُّوحَانِيَّةِ الذينَ قَالُوا بِتَخَلِّي الإنسَانِ عن اللَّذاتِ الجَسَدِيَّةِ، وَبِحِرْمَانِ النَّفْسِ مِنْ جَميعِ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا.

وَلِيَكُونَ الرَّسُولُ ﷺ، وَهُوَ القُدوَةُ والمَثَلُ الأَعلَى لِلمُؤمِنينَ باللهِ، شَهِيداً عَلَى المُسلِمِينَ إن كَانُوا اتَّبعُوا سِيرَتَهُ وَشَرْعَهُ، أَوِ انحَرَفُوا وَحَادُوا عَنِ الاعتِدالِ.

وَيَقُولُ اللهُ تَعالَى إنَّهُ إنَّما شَرَعَ لِلنَّبِيِّ التَّوَجُّهَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ أَوَّلاً، ثُمَّ صَرَفَهُ إلى البَيتِ الحَرَامِ لِيَظْهَرَ مَنْ يَتَّبِعُ النَّبِيَّ وَيُطِيعُهُ وَيَتَّجِهُ حَيثُما اتَّجَهَ، دُونَ تَشَكُّكٍ وَلا ارتِيابٍ، مِمَّن يَرتَدُّ عنْ دِينِهِ (يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ)، وَإنْ كَانَ فِي هٰذا الصَّرفِ عَنْ بيتِ المَقْدِسِ مَشَقَّةٌ عَلَى النُّفُوسِ، غَيرَ النُّفُوسِ التِي هَدَاهَا اللهُ إلى الإيمَانِ، وَلِيَظْهَرَ مَنْ يُصَدِّقُ الرَّسُولَ وَمَا جَاءَ إليهِ مِنْ رَبِّهِ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ؛ وَهٰؤلاءِ المُؤمِنُونَ المُصَدِّقُونَ يَكُونُ الأمرُ عَلَيهِمْ سَهْلاً يَسِيراً.

﴿١٤٤﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي
ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً
تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ
مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ
لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

﴿١٤٥﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ
قِبْلَتَكَۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ
وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ
وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ

وردَّ اللهُ تعالى على المُتسائِلين عَنْ أحوالِ قومٍ مِنَ المُسلِمين كانوا يُصلُّونَ إلى بيتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ ماتوا قبلَ أن تُحوَّلَ القِبْلَةُ إلى الكَعْبَةِ، فقالَ لَهُمْ: إنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجْرَ المُؤْمنينَ المُحْسِنينَ، فَاللهُ تعالى رَؤوفٌ بالنَّاسِ رَحيمٌ.

أمَّةً وَسطاً - خِياراً أوْ مُتوسِّطين مُعْتدِلينَ.

يَنْقلبُ على عَقِبيهِ - يَرْتَدُّ عَنِ الإسْلامِ عندَ تَحويلِ القِبلَةِ إلى الكَعْبَةِ.

لَكبيرَةً - لَشاقَّةٌ على النُّفوسِ.

(تَرْضَاهَا) (الكِتَاب) (بِغافِلٍ) (حَيْثُما)

(١٤٤) - كَانَ الرَّسُولُ ﷺ حِينَما هَاجر إلى المَدِينَةِ يَسْتقبلُ في صَلاتِهِ الصَّخرَةَ في بيتِ المَقْدِسِ، فَفرِحَ اليَهُودُ بِذلِكَ، وكَانَ الرَّسُولُ يُحِبُّ قِبلَةَ إبراهِيمَ - الكَعْبَةَ - فكَانَ يَدْعُو اللهَ وَيَنْظُرُ إلى السَّماءِ فَأنزَلَ اللهُ هذهِ الآيةَ. وقَدْ أمَرَهُ فِيها بالتَّوجُّهِ إلى الجِهَةِ التي يَقَعُ فِيها المَسْجِدُ الحَرَامُ (شَطْرَهُ)، وَأَمَرَ اللهُ المُسْلِمينَ بأنْ يَتَّجِهُوا في صَلاتِهِمْ جِهَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ أينمَا كَانوا في بِقَاعِ الأرضِ. وَأعْلَمَ اللهُ الرَّسُولَ ﷺ والمُؤْمنينَ، بأنَّ اليَهُودَ الذِينَ أنكَرُوا عَلَى المُسْلِمِينَ تَرْكَ الصَّلاةِ إلى بَيْتِ المَقدِسِ، يَعْلَمُونَ أنَّ هذا التَّولِّيَ إلى المَسْجِدِ الحَرَامِ هُوَ الحَقُّ المُنْزَلُ مِنَ اللهِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَأنَّ آخِرَ نَبِيٍّ سَتَكُونُ قِبْلَتُهُ الكَعْبَةَ، وَلكِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ ذلِكَ كُفْراً وَحَسَداً وَعِناداً، لِيَخْدَعُوا ضِعَافَ الإيمَانِ، وَيُثيروا الفِتْنَةَ وَالشُّكُوكَ في نُفُوسِهِمْ، إذْ هُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ أمرَ القِبْلَةِ أمْرٌ مِنْ أمورِ الدِّينِ كَغَيرِهِ، لاَ مَحيصَ لِلمُؤمنِ عَنِ اتِّبَاعِهِ إذا جَاءَ بِهِ الوَحْيُ الذي لاَ شَكَّ فِيهِ.

ثُمَّ يُهَدِّدُهُمُ اللهُ تَعَالَى وَيَقُولُ لَهُمْ: إنَّهُ عَالِمٌ بِحَالِهِمْ، وَإنَّهُ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُمْ فِيما يَعْمَلُونَ.

شَطْرَ - اتِجاهَ وَتِلْقاءَ.

(ولَئِنْ) (الكِتَاب) (آيَةٍ) (الظَّالِمين)

(١٤٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى، بأنَّ كُفْرَ اليَهُودِ هُوَ كُفْرُ عِنادٍ وَمُكابَرةٍ، وَلِذَلِكَ فَلا يُمْكِنُ أنْ تُزِيلَهُ الحُجَّةُ والدَّليلُ. وَيقُولُ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَريمِ ﷺ: إنَّهُ لَوْ جَاءَهُمْ بِكُلِّ حُجَّةٍ، وَكُلِّ دَليلٍ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، وَعَلَى أنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ هُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِم، لَمَا اتَّبَعُوهُ، وَلَمَا صَدَّقُوهُ، لأنَّهُمْ إنَّما

بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

خالَفُوا الرَّسُولَ عِناداً ومُكابَرَةً وَحَسَداً، وَلِذٰلِكَ فَلا يُمْكِنُ أَنْ تُؤَثِّرَ فِيهِم الحُجَّةُ. وَيَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ: إِنَّكَ لاَ تَتْبَعُ قِبْلَةَ أَهْلِ الكِتَابِ لأَنَّكَ عَلَى قِبْلَةِ إبراهيمَ الذِي يُجِلُّونَهُ، فَهِيَ الأَجْدَرُ بِالاتِّبَاعِ. وأَهْلُ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى لاَ يَتبَعُ بَعْضُهُمْ قِبْلَةَ بَعْضٍ. فَاليَهُودُ لا يَتَّجِهُونَ إِلى الشَّرْقِ، وَالنَّصَارَى لاَ يُغَيِّرُونَ قِبْلَتَهُمْ وَيَتَّجِهُونَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ مُتَمَسِّكٌ بِمَا هُوَ عَلَيهِ، مُحِقّاً كَانَ أَوْ مُبطِلاً، غَيرَ نَاظِرٍ إِلى حُجَّةٍ وَلا إِلى بُرهَانٍ. وَلَئِنْ وَافَقْتَهُمْ فِيما يُرِيدُونَ فَصَلَّيتَ إِلى قِبلَتِهِمْ مُداراةً لَهُمْ، وَحِرْصاً عَلَى أَنْ يَتبَعُوكَ، وَيُؤْمِنُوا بِكَ بَعدَ مَا جَاءَكَ الحَقُّ اليَقِينُ، لَتَكُونَنَّ فِي جُملَةِ الظَّالِمِينَ، وَحَاشَاكَ أَنْ تَفْعَلَ ذٰلِكَ.

(آتَيْنَاهُمُ) (الْكِتَابَ)

﴿١٤٦﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

(١٤٦) - يَقُولُ اللهُ تَعالى: إنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ الكِتَابِ يَعْرِفُونَ صِحَّةَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، كَمَا يَعْرِفُ أَحَدُهُمْ وَلَدَهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلادِ النَّاسِ، لاَ يَشُكُّ فيهِ وَلا يَمْتَرِي. وَلٰكِنَّ فَرِيقاً مِنْ أَهلِ الكِتَابِ يَكْتُمُونَ الحَقَّ، وَيُنْكِرُونَ وُجُودَ صِفَةِ الرَّسُولِ فِي كُتُبِهِمْ، مَعَ أَنَّ كُتُبَهُمْ أَشَارَتْ إِلى أَنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ رَسُولاً مِنَ العَرَبِ مِنْ وُلدِ إسْمَاعِيلَ، وَأَنَّهُ سَيُحَوِّلُ القِبلَةَ إلى الكَعْبَةِ، وَهِيَ قِبْلَةُ إبراهِيمَ، عَلَيهِ السَّلامُ.

﴿١٤٧﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ

(١٤٧) - وَيُخبِرُ اللهُ تَعالى أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِ، لاَ مَا يَقُولُهُ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَالقِبْلَةُ التِي وَجَّهَ اللهُ إليها نَبِيَّهُ هِيَ القِبْلَةُ الحَقُّ التِي كَانَ عَلَيْهَا إبراهِيمُ، فَاعْمَلْ يَا مُحَمَّدُ بِمَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَلا تَلْتَفِتْ إِلى أَوهَامِ الجَاحِدِينَ، وَلا تَمْتَرِ بِالحَقِّ، وَلاَ تَتَشَكَّكْ بَعدَ مَا تَبَيَّنَ لَكَ.

(والنَّهيُ فِي هذهِ الآيةِ كَالوَعِيدِ فِي الآيةِ السَّابِقَةِ مُوَجَّهُ الخِطَابُ فِيهِ إِلى النَّبِيِّ ﷺ، وَالمُرَادُ بِهِ مَنْ كَانُوا غيرَ رَاسِخي الإيمانِ مِنْ أُمَّتِهِ، مِمَّنْ يُخشَى عَلَيهم الاغترارُ بِزُخْرُفِ القَوْلِ مِنَ المُخادِعِينَ).

المُمْتَرِينَ - المُتَشَكِّكِينَ.

(الخَيْرَاتِ)

﴿١٤٨﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(١٤٨) - لِكُلِّ أُمَّةٍ جِهَةٌ تَتَّجِهُ إِليهَا فِي صَلاَتِها، فَإِبراهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ كَانَا يُوَلِّيَانِ جِهَةَ الكَعْبَةِ، وَبَنُو إِسْرائِيلَ كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ صَخْرَةَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَالنَّصَارَى كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ المَشْرِقَ، فَالقِبْلَةُ مِنَ المَسَائِلِ التِي اخْتَلَفَتْ بِاخْتِلاَفِ الأُمَمِ، وَلَيْسَتْ أُسّاً مِنْ أُسُسِ الدِّينِ كَتَوحِيدِ

اللهِ، وَالإِيمَانِ بِالبَعْثِ. فَالوَاجِبُ فِيهَا التَّسلِيمُ لأمرِ الوَحيِ. فَبَادِرُوا إلى فِعْلِ الخَيرَاتِ، وَلِيحرِصْ كُلٌّ منكُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ سَبَّاقاً إليهِ.

وَفِي أَيِّ مَكَانٍ تَكُونُونَ فَإِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يأتِيَ بِكُمْ جَمِيعاً، وَيَجْمَعَكُمْ لِلْحِسَابِ، فَعَلَيكُمْ أَنْ تَسْتَبِقُوا لِفِعْلِ الخَيرَاتِ، فَالبِلادُ وَالجِهَاتُ لاَ شَأْنَ لَهَا فِي أمرِ الدِّينِ. واللهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شيءٍ، وَلا يُعجِزُهُ أَنْ يَحْشُرَ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَهْمَا بَعُدَتْ بَيْنَهُمُ المَسَافَاتُ.

﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(بغَافِلٍ)

(١٤٩) - وَيعُودُ اللهُ تَعَالَى لِيُكَرِّرَ هُنَا أَمْرَهُ لِلْمرَّةِ الثَّالِثَةِ فِي التَّوَجُّهِ إلى البَيْتِ الحَرَامِ، وَيَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ: إنَّ التَّوَجُّهَ إلى البَيْتِ الحَرَامِ هُوَ الحَقُّ مِنَ اللهِ، وَاللهُ لاَ يَغْفُلُ عَنْ أَعمَالِ النَّاسِ وَإخلاصِهِمْ، فِي مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ فِي كُلِّ مَا يَجِيءُ بِهِ مِنْ أَمرِ الدِّينِ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيهِ أَوْفَى الجَزَاءِ.

﴿١٥٠﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(١٥٠) - وَيُكَرِّرُ اللهُ تَعَالَى أَمْرَهُ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ حَيثُمَا كَانُوا بِالتَّوجُّهِ فَوْراً إلى المَسْجِدِ الحَرَامِ لِكَيْلا يَكُونَ لِلنَّاسِ (وَهُمْ هُنَا أَهْلُ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ) حُجَّةٌ عَلَى المُؤْمِنِينَ إذا تَرَكُوا قِبْلَتَهُم التِي أَمَرَهُم اللهُ بِالتَّوجُّهِ إليها. وَكَانَ اليَهُودُ قَدْ قَالُوا إنَّ مُحمَّداً اشْتَاقَ إلى بَيْتِ أَبِيهِ، وَدِينِ قَوْمِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ مُشْرِكِي قُرَيش (وَهُمْ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ): مَا دَامَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى دِينِ إبراهِيمَ، وَإِنَّهُ تَوجَّهَ إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ عَلَى مِلَّةِ إبراهِيمَ، فَلِمَ رَجَعَ عَنْهُ؟ فَأَجَابَهُمُ اللهُ تَعَالَى: إنَّ مُحَمَّداً أَطَاعَ أَمرَ رَبِّهِ فِي الأُولَى وَالثَّانِيَةِ. وَحَثَّ اللهُ نَبِيَّهُ وَالمُؤمِنِينَ عَلَى عَدَمِ الخَوْفِ وَالخَشْيَةِ مِنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ المُتَعَنِّتِينَ وَفِعْلِهِمْ، وَحَثَّهُمْ تَعَالَى عَلَى إطَاعَةِ أَمرِهِ وَالخَشْيَةِ مِنهُ. وَامْتِثَالُ المُؤْمِنِينَ لأَمْرِ اللهِ فِي الاتِّجَاهِ إلى جِهَةِ البَيْتِ الحَرَامِ، يُبْطِلُ حُجَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ فِي الطَّعْنِ عَلَى النُّبُوَّةِ بِتَحْوِيلِ القِبْلَةِ عَنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إلَى الكَعْبَةِ، لأَنَّ أهلَ الكِتَابِ كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ الذِي سَيُبْعَثُ مِنَ ولدِ إسْمَاعِيلَ يَكُونُ عَلَى قِبْلَتِهِ، وَهِيَ الكَعْبَةُ، فَبَقَاءُ بَيْتِ المَقْدِسِ قِبْلَةً دَائِمَةً لَهُ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيسَ النَّبِيَّ المُبَشَّرَ بِهِ، فَلَمَّا جَاءَ هٰذا التَّحوِيلُ عَرَفُوا أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ.

﴿١٥١﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ

(يَتْلُو) (آياتنا) (الْكِتَاب)

(١٥١) - كَانَ إبراهِيمُ عَلَيهِ السَّلامُ قَدْ دَعَا رَبَّهُ، وَهُوَ يَرْفَعُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، أَنْ يَبْعَثَ اللهُ فِي أَهْلِ البَيْتِ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيهِم آيَاتِ اللهِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ، وَيُزَكِّيهم. فاستَجَابَ اللهُ تَعَالى لِدُعَائِهِ وَأَرْسَلَ مُحَمَّداً ﷺ رَسُولاً مِن نَسْلِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ، وَأنزلَ عَليهِ القُرآن لِيَتْلُوَهُ عَلَى النَّاسِ، وَجَعَلَ رَسُولَهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَمَنْهَجٍ قَوِيمٍ، لِيَقْتَدِيَ بِهِ المُؤْمِنُونَ في أَعمَالِهِمْ، يُعَلِّمُهُمْ أَحْكَامَ دِينِهِمْ، وَيُزَكِّي نُفُوسَهُمْ وَيُطَهِّرُهَا مِن رَذَائِلِ الأَخلاَقِ وَٱنْحِرافَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، وَيُخرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ وَفَسَادِ الأَخلاَقِ إلى نُورِ الإيمانِ وَالعِلْمِ وَسُمُوِّ الأَخْلاَقِ، وَهُوَ مَا صَارُوا إليهِ فِي الإِسْلاَمِ.

وَقَدْ كَانَتْ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ العَمَلِيَّةُ، وَسِيرَتُهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَعَ أَصْحَابِهِ مُفَصِّلَةً لِمُجْمَلِ القُرآنِ، مُبَيِّنَةً لِمُبْهَمِهِ، كَاشِفَةً عَنِ المَنَافِعِ وَالأَسْرَارِ التِي تَنْطَوي عَلَيهَا الأَحكَامُ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَهُ مِنْ قَبْلُ، مِمَّا جَاءَ بِهِ الوَحْيُ.

يُزَكِّيكُمْ - يُطَهِّرُكُم مِنَ الشِّرْكِ وَالمَعَاصِي.

الكِتَابَ - القرآنَ.

الحِكْمَةَ - السُّنَنَ وَالفِقْهَ فِي الدِّينِ.

﴿١٥٢﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ

(١٥٢) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِأَنْ يَذْكُرُوهُ فِيمَا ٱفْتَرَضَهُ عَلَيهِمْ مِنْ طَاعَةٍ وَحَمْدٍ وَتَسْبِيحٍ وَقِراءةِ قُرآنٍ، لِيَذْكُرَهُمْ فِيمَا أَوْجَبَ لَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ مِنْ إدَامَةِ النِّعَمِ وَالفَضْلِ، وَلِيُجْزِلَ لَهُمُ الثَّوابَ، وَيُفِيضَ عَلَيهِم الخَيْرَاتِ (أَيِ آذكُرُوني بِطَاعَتي، أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي)، وَأَمَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ بالشُّكْرِ لَهُ، وَوَعَدَ الشَّاكِرِينَ بِمَزِيدٍ مِنَ الخَيْرِ وَالبَرَكَاتِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الكُفْرِ بِالنِّعْمَةِ.

﴿١٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (الصَّلاَةِ) (الصَّابِرِينَ)

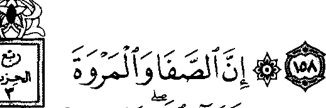
(١٥٣) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ أَنَّ خَيْرَ مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ دِينِهِمْ، وَالدِّفَاعِ عَنْهُ، وَعَلَى سَائِرِ مَا يَشُقُّ عَلَيهِمْ مِنْ مَصَائِبِ الحَيَاةِ هُوَ التَّحَلِّي بالصَّبْرِ، وَتَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى آحتِمَالِ المَكَارِهِ، وَأَدَاءِ الصَّلاَةِ وَإِقَامَتِها حَقَّ إِقَامَتِهَا. فَالصَّبْرُ أَشَدُّ الأَعْمَالِ البَاطِنَةِ عَلَى النَّفْسِ، وَالصَّلاَةُ أَشَدُّ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ عَلَى البَدَنِ، وَاللهُ نَاصِرُ الصَّابِرِينَ، وَمُجِيبٌ لِدُعَائِهِمْ.

﴿١٥٤﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ

﴿١٥٥﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ

﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ

﴿١٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ



﴿١٥٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ

(أمواتٌ)

(١٥٤) - يُخبِرُ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ بِفَضْلِ الشَّهادَةِ وَيَقُولُ لَهُمْ: إنَّ الشُّهَداءَ الذينَ يُقْتَلُونَ في سَبيلِ اللهِ هُمْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ بِغيرِ حِسابٍ، وَلكِنَّ الأحياءَ لا يَشْعُرُونَ بِذلِكَ، لأنَّ حَياتَهُمْ لَيْسَتْ فِي عَالَمِ الحِسِّ الذي يُدْرَكُ بِالمَشَاعِرِ.

(الأَمْوالِ) (الثَّمَراتِ) (الصَّابِرينَ)

(١٥٥) - يُخبِرُ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ بِأَنَّهُ سَيَبْلُوهُمْ وَيَخْتَبِرُهُمْ بِقَليلٍ (بِشَيءٍ) مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ، وَبِذَهابِ بَعْضِ المالِ، وَبِموتِ بَعْضِ الأَصْحابِ وَالأَقارِبِ وَالأَحْبابِ، وَبِنَقْصِ غِلالِ المَزارِعِ . . . فَمَنْ صَبَرَ عَلَى قَضاءِ اللهِ وَحُكْمِهِ أَثابَهُ، وَمَنْ قَنَطَ وَلَجَّ أَحَلَّ بِهِ عِقابَهُ.

وَيُبَشِّرُ اللهُ الصَّابِرينَ بِحُسْنِ العَاقِبَةِ فِي أُمورِهِمْ.

لَنَبْلُوَنَّكُمْ - لَنَخْتَبِرَنَّكُمْ.

(أَصابَتْهُمْ) (راجِعُونَ)

(١٥٦) - أَمَّا الصَّابِرُونَ الذينَ خَصَّهُمُ اللهُ بِالبُشْرَى فَهُمُ الذينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللهِ، وَإذا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصيبَةٌ صَبَرُوا، وَتَمَسَّكُوا بِقَولِهِمْ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إليهِ راجِعُونَ، أيْ إنَّهُم عبيدُ اللهِ وَمُلْكُهُ، وَإِنَّهُمْ راجِعُونَ إليهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ. (وَفي الحَديثِ: مَنِ آسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصيبَةِ جَبَرَ اللهُ مُصيبَتَهُ، وَأَحْسَنَ عاقِبَتَهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفاً صالِحاً يَرْضاهُ). (أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ عَنِ آبْنِ عَبَّاسٍ).

(أُولئِكَ) (صَلَواتٌ) (وَأُولَئِكَ)

(١٥٧) - يُثْني اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هُؤلاءِ الصَّابِرينَ، وَيُخْبِرُ بِأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نُزُولِ المُصيبَةِ، وَأَنَّهُمْ هُمُ المُهْتَدُونَ إلى طَريقِ الخَيْرِ، وَإلى الحَقِّ وَالصَّوابِ، وَأَنَّهُمْ آسْتَسْلَمُوا لِقَضاءِ اللهِ فَلَمْ يَسْتَحْوِذِ الجَزَعُ عَلَيهِمْ.

صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ - ثَناءٌ أَوْ مَغْفِرَةٌ.

(شَعائِرِ)

(١٥٨) - كَانَ الأَنْصارُ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَناةَ الطَّاغِيَةِ عِنْدَ المُشَلَّلِ، وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بالصَّفَا والمَرْوَةِ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ

عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

عَنْ ذلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا نَتحَرَّجُ أَنْ نَطوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، في الجَاهِلِيَّة، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ.

وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّعيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَيسَ لِأَحدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوافَ بِهِمَا سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ كَانَ الصَّنَمُ (أَسَاف) عَلَى الصَّفَا، وَكَانَتْ نَائِلَةُ (صَنَمٌ) عَلَى المَرْوَةِ، وَكَانُوا يَسْتَلِمُونَهُمَا، فَتَحَرَّجُوا بَعْدَ الإِسْلامِ مِنَ الطَّوافِ بَيْنَهُما، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ. وَمَنْ تَطَوَّعَ للهِ فَزَادَ فِي طَوَافِهِ شَوْطاً ثَامِناً أَوْ تَاسِعاً، أَوْ مَنْ تَطَوَّعَ فِي عِبَادَتِهِ فَزَادَ فِي سَائِرِ العِبَادَاتِ، فَإِنَّ اللهَ سَيُثِيبُهُ عَلَى ذلِكَ، وَلاَ يَبْخَسُ أَحداً ثَوَابَ عَمَلٍ عَمِلَهُ.

الشَّعائِرُ - هِيَ مَا شَرَعَهُ اللهُ لِمَصْلَحَةٍ لاَ يُعْرَفُ سِرُّهَا كَالحَجِّ وَالسَّعيِ.

فَلاَ جُنَاحَ عَليهِ - فَلا إِثْمَ وَلاَ حَرَجَ.

يطَّوَّف بِهِمَا - يَسْعَى بَيْنَهُمَا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾

(البَيِّنَاتِ) (بَيَّنَّاهُ) (الْكِتَاب) (أُولَئِكَ) (اللاَّعِنُونَ)

(١٥٩) - يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالى بِاللَّعْنَةِ الذِينَ يَكْتُمُونَ الحَقَّ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلى النَّاسِ فِي كُتُبِهِ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَالهُدَى النَّافِعِ، وَيَقْصُدُ بِهِمْ أَهْلَ الكِتَابِ، الذِينَ كَتَمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ التِي وَرَدَتْ في كُتُبِهِمْ، وَمَا بَشَّرَتْ بِهِ هٰذِهِ الكُتُبُ مِنْ قُربِ مَبْعَثِ نَبِيٍّ عَرَبِيٍّ، يُؤمِنُ بِاللهِ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنينَ. فَهؤُلاءِ الذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَ اللهِ وَأَوامِرَهُ عَنِ النَّاسِ لِيُضِلُّوهُمْ، وَيَصْرِفُوهُمْ عَنِ الحَقِّ، فَإِنَّ اللهَ يَلْعَنُهُمْ، وَتَلْعَنُهُمُ المَلاَئِكَةُ والمُؤْمِنُونَ (اللاعِنُونَ).

(وحُكْمُ هٰذِهِ الآيَةِ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ كَتَمَ عِلْماً فَرَضَ اللهُ بَيَانَهُ لِلنَاسِ، وَلِذٰلِكَ قَالَ الأَئِمَّةُ: إِنَّ الذي يَرَى حُرُمَاتِ اللهِ تُنْتَهَكُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَالدِّينَ يُداسُ جِهَاراً بَيْنَ يَدَيهِ، وَالضَّلاَلَ يَغْشَى الهُدَى، ثُمَّ هُوَ لاَ يَنْتَصِرُ لِدِينِ اللهِ يَكُونُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّونَ وَعِيدَ اللهِ).

يَلْعَنُهُمْ - يَطْرُدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

(أُولَئِكَ)

(١٦٠) - وَيَسْتَثْنِي اللهُ تَعَالى مِنَ اللَّعْنَةِ الذِينَ تَابُوا وَأَحْسَنُوا العَمَلَ، وَرَجَعُوا عَنْ كِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَأَظْهَرُوا لِلنَّاسِ مَا عَلِمُوهُ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ وَالرِّسَالَةِ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يَتَقَبَّلُ تَوْبَتَهُمْ، وَيَعْفُو عَنْهُمْ، وَيَمْحُو ذُنُوبَهُمْ.

﴿١٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ

﴿١٦٢﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ

﴿١٦٣﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ

﴿١٦٤﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(أُولئِكَ) (والمَلائِكَةِ)

(١٦١) - إنَّ الذينَ كَفَروا باللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَكَتَموا الحَقَّ وَلَمْ يُظْهِروهُ وَماتوا وَهُمْ عَلى تِلْكَ الحالِ مِنَ الكُفْرِ وَالظُّلْمِ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ لَعْنَةَ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي نارِ جَهَنَّمَ لِيَخْلُدُوا فِيهَا أَبداً.

(خالِدِينَ)

(١٦٢) - وَيَبْقَوْنَ خالِدِينَ في هٰذِهِ اللَّعْنَةِ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ، وَتُصاحِبُهُمُ اللَّعنَةُ فِي نارِ جهَنَّمَ، فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ شَيءٌ مِنَ العَذابِ الذِي هُمْ فِيهِ، وَلا يُغَيَّرُ عَنْهُمْ ساعَةً واحِدَةً، وَلا يُفَتَّرُ بَلْ يَكُونُ مُتَواصِلاً، وَإِذا طَلَبُوا الإِمْهالَ وَالتَّأْخِيرَ لَمْ يُجابُوا إِليهِ.

وَلاَ يُنْظَرُونَ - وَلاَ يُؤَخَّرُونَ عَنِ العَذابِ لَحْظَةً.

(١٦٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ بِأَنَّهُ مُتَفَرِّدٌ بِالأُلوهِيَّةِ، وَأَنَّهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَلاَ عِدْلَ، وَأَنَّهُ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ، وَقَدْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

(السَّماواتِ) (واخْتِلافِ) (اللَّيْلِ) (الرِّياحِ) (لآياتٍ)

(١٦٤) - يَلْفِتُ اللهُ تَعالى أَنْظارَ العُقَلاءِ مِنَ النَّاسِ إِلى الآياتِ الدَّالَّةِ عَلى أُلوهِيَّتِهِ، وَهِيَ الآياتُ التِي أَقامَها فِي الكَوْنِ، وَمِنْ هٰذِهِ الآياتِ: خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما فِيهِما مِنْ عَجائِبَ، وَارْتِفاعُ السَّماءِ وَكَواكِبُها، وَدَوَرانُ فَلَكِها، وَاتِّساعُها، وَما فِي الأَرْضِ مِنْ بِحارٍ وَجِبالٍ وَأَنْهارٍ وَعُمْرانٍ وَقِفارٍ... وَاخْتِلافُ اللَّيلِ وَالنَّهارِ وَتَعاقُبُهُما، يَجيءُ هٰذا وَيَذْهَبُ، وَيَعْقُبُهُ الآخَرُ، وَاخْتِلافُهُما طُولاً وَقِصَراً.. وَتَسْخِيرُ البَحْرِ لِحَمْلِ السُّفُنِ (الفُلْكِ) لِيَنْتَقِلَ بِها النَّاسُ مِنْ جانِبٍ إِلى آخَرَ، وَإِنْزالُ اللهِ الماءَ مِنَ السَّماءِ لِيُحْيِيَ بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ يَبَسِها (مَوْتِها)، فَتَزْدَهِرَ وَتُنْبِتَ بِالخُضْرَةِ وَالزَّرْعِ وَالثِّمارِ. وَمِنَ آياتِهِ بَثُّ الدَّوابِّ فِي الأَرْضِ عَلى اخْتِلافِ أَنْواعِها وَأَشْكالِها وَأَلْوانِها، وَهُوَ يَعْلَمُ ذٰلِكَ الخَلْقَ كُلَّهُ وَيَرْزُقُهُ. وَمِنْها تَسْخِيرُ الرِّياحِ السَّائِرَةِ بينَ السَّماءِ وَالأَرضِ إِلى مَشِيئَةِ اللهِ تَعالى وَإِرادَتِهِ، وَسَوْقُ الغُيُومِ حَيْثُ يَشاءُ اللهُ... فَكُلُّ هٰذِهِ الآياتِ فِيها عِبَرٌ وَدَلالاتٌ لِلنَّاسِ العُقَلاءِ عَلى أُلوهِيَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ.

بَثَّ - نَشَرَ وَفَرَّقَ فِيها بِالتَّوالُدِ، وَبَثَّ مَعْطُوفٌ عَلى أَنْزَلَ.

تَصْرِيفِ الرِّياحِ - تَقْلِيبِها فِي مَهابِّها، وَتَصْرِيفِ مَعْطُوفٌ عَلى خَلْقِ.

(١٦٥) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ

(آمَنُوا)

(١٦٥) - وَمَعَ قِيَامِ الأَدِلَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ مِنَ الكُفَّارِ يَتَّخِذُونَ للهِ شُرَكَاءَ وَأَمْثَالاً (أَنداداً) يَعْبُدُونَهُمْ مَعَهُ، وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَهُوَ اللهُ الذِي لاَ مَثِيلَ لَهُ، وَلا شَرِيكَ مَعَهُ. أَمَّا الذِينَ آمَنُوا فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَيُحِبُّونَهُ وَحْدَهُ، وَهُمْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ مِنْ أَيِّ شَيءٍ آخَرَ. وَحِينَ يَرَى المُشْرِكُونَ العَذَابَ الشَّدِيدَ الذِي يُنْزِلُهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالكُفَّارِ، فَتَتَقَطَّعُ بِهِمُ الأَسْبَابُ، وَلاَ تُغْنِي عَنْهُم الأَنْدَادُ، يُدْرِكُونَ حِينَئِذٍ أَنَّ القُوَّةَ جَمِيعَهَا للهِ، وَأَنَّ الحُكْمَ لَهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

أَنْدَاداً - أَمثَالاً وَأَشْبَاهاً مِنَ الأَوثَانِ.

(١٦٦) إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ

(١٦٦) - وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَتَبَرَّأُ الذِينَ كَانَ المُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ - المَلاَئِكَةُ وَالجِنُّ وَالبَشَرُ - كَمَا يَتَبَرَّأُ الرُّؤَسَاءُ المُضِلُّونَ الذِينَ اتَّبَعَهُمُ الضُّعَفَاءُ وَالأَعْوَانُ، مِنْ أَتْبَاعِهِم الذِينَ أَغْوَوْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، وَيَتَنَصَّلُونَ مِنْ إِضْلاَلِهِمْ لأَنَّهُمْ قَدْ تَضَاعَفَ عَذَابُهُمْ، وَحَمْلُهُمْ أَوْزاراً فَوْقَ أَوْزَارِهِمْ، وَتَتَقَطَّعُ الرَّوَابِطُ وَالصِّلاَتُ التِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، وَيَصِيرُ بَعْضُهُمْ عَدُوّاً لِبَعْضٍ.

تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ - تَصَرَّمَتِ الصِّلاَتُ التِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنيا مِنْ نَسَبٍ وَصَدَاقَةٍ.

(١٦٧) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ

(أَعْمَالَهُم) (حَسَرَاتٍ) (بِخَارِجِينَ) (تَبَرَّؤُوا)

(١٦٧) - وَيَقُولُ التَّابِعُونَ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا أَنَّهُمْ كَانُوا في ضَلالٍ: لَوْ أَنَّ لَنَا رَجْعَةً إِلَى الدَّارِ الدُّنيا لِنَتَبَرَّأَ مِنْ هٰؤُلاءِ، وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ، فَلاَ نَلْتَفِتَ إِلَيهِمْ، بَلْ نُوَحِّدُ اللهَ، وَنَهْتَدِي بِهَدْيِهِ. وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي هٰذا القَوْلِ، إِذْ أَنَّهُمْ لَوْ عَادُوا إِلى الدُّنيا لَعَادُوا إِلى مَا نُهُوا عَنْهُ. وَكَمَا أَرَاهُمُ اللهُ العَذَابَ، كَذٰلِكَ سَيُرِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ تَذْهَبُ وَتَضْمَحِلُّ فَيَتَحَسَّرُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ، لأَنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ، وَلَنْ يَعُودُوا إِلى الدُّنيا.

كَرَّةً - عَوْدَةً إِلى الدُّنيا.

حَسَرَاتٍ - نَدَامَاتٍ شَدِيدَةٍ.

﴿١٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى
ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ

(يا أيُّها) (حَلاَلاً) (خُطُواتِ) (الشَّيطانِ)

(١٦٨) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعالى جَدُّهُ عَلى النَّاسِ بِما أَباحَ لَهُمْ مِنَ الأَكلِ مِمَّا فِي الأَرْضِ مِنْ أَصْنافِ المَأْكُولاتِ حَلاَلاً طَيِّباً، وَيَنْهاهُمْ عَنِ اتِّباعِ سِيرَةِ الشَّيطَانِ في الإِغْوَاءِ والإِضْلاَلِ، والوَسْوَسَةِ بالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ مَسْلَكِهِ وَطَرَائِقِهِ فِيمَا أَضَلَّ بِهِ أَتْبَاعَهُ مِنْ تَحْرِيمِ البَحَائِرِ وَالسَّوائِبِ وَالوَصَائِلِ وَغيرِهَا مِمَّا كَانَ زَيَّنَهُ لِلْمُشْرِكِينَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، لأَنَّ الشَّيطَانَ عَدُوٌّ مُبِينُ العَدَاوَةِ للإِنسَانِ.

خُطُواتِ الشَّيطَانِ - طُرُقَهُ وَأَسَالِيبَهُ.

﴿١٦٩﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ
وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(١٦٩) - والشَّيطَانُ العَدُوُّ يُوَسْوِسُ لِلْكَفَرَةِ وَالمُشْرِكِينَ، وَيَحثُّهُمْ عَلى الإِتيانِ بالأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ المُنْكَرَةِ، وَالفَوَاحِشِ، وَالقَوْلِ عَلى اللهِ في دِينِهِ مَا لا يُعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّهُ شَرَعَهُ للنَّاسِ، مِنْ عَقَائِدَ وَشَعَائِرَ دِينِيَّةٍ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا الأَصْلُ فِيهِ التَّحْرِيمُ.

يَأمُرُكُمْ بالسُّوءِ - بِالمَعَاصِي.

الفَحْشَاءِ - مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿١٧٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ

(آباءَنَا) (آباؤُهُم)

(١٧٠) - وَإِذَا قِيلَ لِلْكَفَرَةِ الذِينَ يَتَّبِعُونَ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ: اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَاتْرُكُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيهِ مِنَ الجَهْلِ والضَّلاَلِ، أَجَابُوا قَائِلِينَ: بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَيهِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَنْدَادِ.

وَيَرُدُّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيهِمْ قَائِلاً: أَيَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً مِنْ عَقَائِدِ الدِّينِ وَعِبَادَاتِهِ، وَلا يَهْتَدُونَ إِلى سَبيلِ الحَقِّ والرَّشَادِ؟

أَلْفِينا - وَجَدْنَا.

﴿١٧١﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ
ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً
وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ

(١٧١) - وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الغَيِّ والضَّلاَلِ، وَالجَهْلِ وَتَقْلِيدِ الآبَاءِ والرُّؤَسَاءِ، كَمَثَلِ الدَّوَابِّ السَّارِحَةِ التِي لاَ تَفْقَهُ شَيْئاً مِمَّا يُقَالُ لَهَا، فَإِذَا نَعَقَ فِيها رَاعِيها فَإِنَّها تَسْمَعُ صَوْتَهُ، وَلكِنَّها لاَ تَفْقَهُ مَا يَقُولُ وَلاَ تَفْهَمُهُ، فَهُمْ صُمٌّ عَنْ سَمَاعِ الحَقِّ، وَبُكْمٌ لاَ يَتفَوَّهُونَ بِهِ، وَعُمْيٌ عَنْ رُؤْيَةِ طَرِيقِهِ وَمَسْلَكِهِ، لاَ يَعْقِلُونَ شَيئاً وَلاَ يَفْهَمُونَ.

يَنْعِقُ - يَصِيحُ.

بُكْمٌ - خُرْسٌ عَنِ النُّطْقِ بِالحَقِّ.

﴿١٧٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (طَيِّبَاتِ) (رَزَقْنَاكُمْ)

(١٧٢) - كَانَ الْمُشْرِكُونَ وَأَهْلُ الكِتَابِ قَبْلَ الإسلامِ فِرَقاً وَأَصْنافاً: فَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أشياءَ كَالبَحِيرَةِ والسَّائِبَةِ عِنْدَ العَرَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّمَ بَعْضَ الحَيَوانِ، وَكَانَ الشَّائِعُ عِنْدَ النَّصارَى الافْتِتَانُ فِي حِرْمَانِ النَّفسِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، فَقَدْ حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِم اللَّحْمَ والسَّمْنَ فِي بَعْضِ أنواعِ صَوْمِهِمْ، وَحَرَّمُوا السَّمَكَ وَاللَّبَنَ وَالبَيْضَ فِي بَعْضِها الآخَرِ..

وَهٰذِهِ الأَحْكَامُ وَضَعَهَا الرُّؤَسَاءُ، وَلا وُجُودَ لَهَا فِي التَّوراةِ، وَلا نُقِلَتْ عَنِ المَسِيحِ، عَلَيهِ السَّلامُ. وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلى اللهِ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِتَعْذِيبِ النَّفسِ، وَتَرْكِ حُظُوظِ الجَسَدِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ المُسْلِمِينَ أُمَّةً وَسَطاً تُعطِي الجَسَدَ حَقَّهُ، وَالرُّوحَ حَقَّهَا. وَقَدْ أَبَاحَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الأَكْلَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى شُكْرِهِ عَلى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيهِمْ.

﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(١٧٣) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعالى لِلمُؤْمِنِينَ مَا حَرَّمَهُ عَلَيهِمْ مِنَ المآكِلِ: المَيْتَةَ (وَهيَ الحَيَوانُ الذِي مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ مِنْ غَيرِ تَذْكِيَةٍ وَلاَ ذَبحٍ) والدَّمَ المَسْفُوحَ، وَلَحْمَ الخِنْزِيرِ، وَمَا ذُبِحَ مِنَ الأَنْعَامِ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ كَالأَصْنامِ، وَالأَوْثَانِ، فَهٰذا كُلُّهُ حَرَامٌ.

أَمَّا الذِينَ يُضْطَرُّونَ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ المُحَرَّمَاتِ، وَهُمْ لاَ يَجِدُونَ وَسِيلَةً أُخرَى لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يَسُدُّ رَمَقَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ الحَلالِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مَيْلٌ إِلَى تَعَدِّي الحَلاَلِ إِلَى الحَرَامِ، وَهُمْ يَجِدُونَ عَنْ أَكْلِ الحَرَامِ مَنْدُوحَةً (غَيْرَ بَاغٍ)، وَدُونَ أَنْ يُجَاوِزُوا فِيمَا يَأْكُلُونَ حُدُودَ الضَّرُورَةِ الَّتِي تَكْفِي لِسَدِّ الرَّمَقِ، وَحِفْظِ الحَيَاةِ، حَتَّى يَجِدُوا الطَّعَامَ الحَلاَلَ (عَادٍ)، فَهؤُلاءِ لا إِثْمَ عَلَيهِمْ وَلاَ مَسْؤُولِيَّةَ. وَاللهُ تَعَالَى غَفُورٌ لَهُمْ لِما أَكَلُوا مِنَ الحَرَامِ، رَحِيمٌ بِهِمْ إِذ أَحَلَّ لَهُمُ الحَرَامَ فِي حَالَةِ الاضْطِرَارِ.

وَلاَ عَادٍ - غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

غَيْرَ بَاغٍ - غَيْرَ طَالِبٍ لِلحَرَامِ لِلَذَّةٍ أَوِ اسْتِئْثَارٍ عَلَى مُضْطَرٍّ آخَرَ.

﴿١٧٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا

(الكِتَابِ) (أُوْلَئِكَ) (القِيَامَةِ)

(١٧٤) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الذِينَ يُخْفُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ عَلَى رُسُلِهِ، أَوْ يُؤَوِّلُونَهُ أَوْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَضَعُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، بِرَأْيِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ، فِي مُقَابِلِ الثَّمَنِ الحَقِيرِ مِنْ حُطَامِ الدُّنيا، كَالرِّشْوَةِ عَلَى ذٰلِكَ، وَالجُعْلِ

يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(الأجرِ عَلَى الفَتَاوَى البَاطِلَةِ) وَنحوِ ذلِكَ. . . وَالذِينَ يَكْتُمُونَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ (وَهُمُ اليَهُودُ)، وَعَنْ رِسَالَتِهِ وَنُبُوَّتِهِ لِئَلَّا تَذْهَبَ زَعَامَاتُهُمْ، وَرِيَاسَاتُهُمْ إنْ صَدَّقُوا مُحمَّداً، وَآمَنُوا بِهِ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ، وَلِئَلاَّ يَخْسَرُوا مَا كَانَ يَصِلُ إليهِمْ مِنْ أموالٍ وَهَدَايا، وَهُوَ شَيءٌ تَافِهٌ يَسِيرٌ إذا مَا قُورِنَ بِمَا وَعَدَ اللهُ بِهِ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ جَزِيلِ الثَّوابِ. . فَهؤُلاءِ إنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَأْكُلُونَهُ فِي مُقَابِلِ كِتْمَانِ الحَقِّ نَاراً تَتَأَجَّجُ فِي بُطُونِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِغَضَبِهِ عَلَيهِمْ، وَلا يُزَكِّيهِم، وَلا يَمْدَحُهُمْ وَلا يُثْنِي عَلَيهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً.

(وَقِيلَ أَيْضاً فِي تَفْسِيرِ: مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلاَّ النَّارَ: إِنَّهُمْ لاَ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَنِهِ إلاَّ مَا يَكُونُ سَبَباً لِدُخُولِهِمْ نارَ جَهَنَّمَ).

ثَمَناً قَلِيلاً - عِوَضاً يَسِيراً.

لا يُزَكِّيهِمْ - لاَ يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ المَعَاصِي.

(١٧٥) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ

(أُولَئِكَ) (الضَّلاَلَةَ)

(١٧٥) - وَهؤُلاءِ الآثِمُونَ الذِينَ أَنْذَرَهُمُ اللهُ بِالعَذَابِ، اعْتَاضُوا عَنِ الهُدَى الذِي يَقْتَضِيهِمْ نَشْرَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ، وَذِكْرِ مَبْعَثِهِ، وَوُجُوبِ اتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ، بِالضَّلالِ وَهُوَ تَكْذِيبُهُ، وَالكُفْرُ بِهِ، وَكِتْمَانُ صِفَاتِهِ، وَاعْتَاضُوا عَنِ المَغْفِرَةِ، التِي وَعَدَ اللهُ بِهَا المُؤْمِنِينَ العَامِلِينَ السَّاعِينَ فِي الخَيْرَاتِ، بِالعَذَابِ الذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَكِتْمَانِ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ. فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (أَيْ إِنَّ مَنْ يَرَاهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَعَجَّبُ مِنْ صَبْرِهِمْ عَلَى احتِمَالِها، مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ العَذَابِ).

(أَوْ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ انْهِمَاكَهُمْ فِي العَمَلِ الذِي يُوصِلُهُمْ إلى النَّارِ هُوَ مَثَارُ العَجَبِ، فَسَيْرُهُمْ فِي الطَّرِيقِ المُوصِلَةِ إليها، وَعَدَمُ مُبَالاتِهِمْ بِمَآلِ أَعْمَالِهِمْ هُوَ مَثَارُ العَجَبِ).

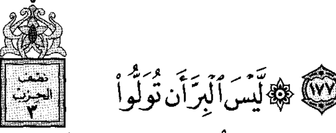
(١٧٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ

(الكِتَابَ) (الكِتَابِ)

(١٧٦) - وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّ هؤُلاءِ العَذابَ لِكُفْرِهِمْ بِكِتَابِ اللهِ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ بِالحَقِّ وَالصِّدْقِ لِجَمْعِ الكَلِمَةِ عَلَى اتِّبَاعِ الحَقِّ، وَإِزَالَةِ الاخْتِلاَفِ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَبِيراً دَفَعَ إليهِ حُبُّ الجَدَلِ، وَمُجَانَبَةُ

الحَقِّ، وَالانْقِيَادُ إِلَى الهَوَى، فَحَرَّفُوهُ وَأَفْسَدُوهُ وَفَسَّرُوهُ بِغَيرِ مَعَانِيهِ.

شِقَاقٍ بَعِيدٍ - خِلافٍ وَنِزاعٍ بَعيدٍ عن الحَقِّ.



(١٧٧) ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟
وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ
وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ
وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ
وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُتَّقُونَ

(آمَنَ) (والمَـلائِكَةِ) (والكِتَـابِ) (وَالنَّبِيِّينَ) (وآتَى) (واليَتَامَى) (والمَسَاكِينَ) (والسَّائِلِينَ) (الصَّلاةَ) (وآتَى) (الزَّكاةَ) (عَاهَدُوا) (والصَّابِرِينَ) (أُولَئِكَ)

(١٧٧) - بَعدَ أن حَوَّلَ اللهُ قِبْلَةَ المُسْلِمِينَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إلى البَيتِ الحَرامِ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى نُفُوسِ طَائِفَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَخَذَ اليَهُودُ في الدَّسِّ وَالنَّقْدِ بُغْيَةَ زَعْزَعَةِ ثِقَةِ المُسْلِمِينَ بِرَبِّهِمْ وَنَبِيِّهِمْ ﷺ، فَأَوْضَحَ اللهُ في عَدَدٍ مِنَ الآيَاتِ حِكْمَتَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ: أَنَّ المُرادَ أَساساً هُوَ طَاعَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وآمتِثَالُ أَوَامِرِهِ، وَالتَّوَجُّهُ حَيثُما أَمَرَ وَوَجَّهَ، فَهٰذا هُوَ البِرُّ وَالتَّقْوَى والإِيمَانُ الكَامِلُ، وَلَيسَ فِي التَّوجُّهِ نَحْوَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ بِحَدِّ ذَاتِهِ طَاعَةٌ ولا بِرٌّ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ شَرْعِ اللهِ وَأَمْرِهِ. فَالبِرُّ يَقُومُ بِالإِيمَانِ باللهِ، وَاليَومِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ، وَالكِتَابِ المُنْزَلِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالإِيمَانِ بِالنَّبِيِّينَ الذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلى النَّاسِ، وَبِإِنفَاقِ المَالِ في طَاعَتِهِ - وَالإِنسَانُ حَيٌّ سَلِيمٌ صَحِيحٌ يَأْمَلُ العَيْشَ، وَيَخْشى الفَقْرَ - عَلى ذَوِي قُرْبَاهُ، وَعَلى اليَتَامَى الذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ، وَهُمْ صِغَارٌ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى الكَسْبِ، وَعَلَى المَسَاكِينِ الذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ فِي قُوتِهِمْ وَمَسْكَنِهِمْ وَكُسْوَتِهِمْ، وَعَلى ابنِ السَّبِيلِ - وَهُوَ المُسَافِرُ المُجْتَازُ الذِي نَفَدَتْ نَفَقَتُهُ - وَعَلَى مَنْ يُرِيدُ سَفَراً فِي طَاعَةِ اللهِ فَيُعطَى مَا يَكْفِيهِ في ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، وَعَلَى السَّائِلِينَ الذِينَ يَتَعرَّضُونَ لِلسُّؤالِ، وَعَلى العَبِيدِ المُكَاتَبِينَ الذِين لاَ يَجِدُونَ مَا يُؤَدُّونَهُ في كِتَابَتِهِمْ.

كَما أَنَّ البِرَّ يَقُومُ: بِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ (وَإِتمَامِ أَفْعَالِهَا بِخُشُوعٍ تَامٍّ في أَوْقَاتِهَا وَإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا)، وَبِدَفْعِ الزَّكَاةِ، وَبِالتَّمسُّكِ بالعُهُودِ والمَواثِيقِ وَعَدَمِ النَّكْثِ بِها، وَبِالصَّبرِ فِي البَأْسَاءِ - أَيْ فِي حَالِ الفَقْرِ - وَفِي الضَّرَّاءِ - أَيْ فِي حَالِ المَرَضِ -، وَالصَّبرِ حِينَ البَأْسِ - أَيْ فِي حَالَةِ القِتالِ وَلِقَاءِ الأَعْدَاءِ -.

فالذِينَ اتَّصَفُوا بالصِّفَاتِ المُتَقَدِّمَةِ هُمُ البَرَرَةُ الذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ، وَفَازُوا بِرِضَا اللهِ.

(وَقَدْ نَصَبَ اللهُ تَعَالَى الصَّابِرِينَ عَلَى المَدْحِ وَالثَّناءِ عَلَى الصَّبرِ، وَالحَثِّ عَلَيهِ لِشِدَّتِهِ، وَصُعُوبَةِ احْتِمَالِهِ عَلَى النُّفُوسِ).

﴿١٧٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ

البِرَّ - التوسُّع فِي الطَّاعَاتِ وَفِعْلِ الخَيْرِ.

ٱبْنَ السَّبِيلِ - المُسَافِرَ الذِي ٱنْقَطَعَ عَنْ أَهْلِهِ.

فِي الرِّقَابِ - فِي تَحْرِيرِ الرِّقَابِ مِنَ الأَسْرِ وَالرِّقِ.

الصَّابِرِينَ - أَخُصُّ الصَّابِرِينَ لِمَزِيدِ فَضْلِهِمْ.

البَأْسَاءِ - البُؤْسِ وَالفَقْرِ.

الضَّرَّاءِ - السُّقم وَالأَلَمِ.

حِينَ البَأْسِ - وَقْتَ القِتَالِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (بِإِحْسَانٍ)

(١٧٨) - يَقُولُ اللهُ تَعَالى لِلْمُؤمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ فَرَضَ (كَتَبَ) عَلَيْهِمُ العَدْلَ وَالمُسَاوَاةَ فِي القِصَاصِ، فَالحُرُّ يُقْتَلُ بِالحُرِّ، إِذا كَانَ القَتْلُ عَمْداً، وَالعَبْدُ يُقْتَلُ بِالعَبْدِ، وَالأُنْثَى تُقْتَلُ بِالأُنْثَى (وَقَدْ جَرى العَمَلُ مِنْ لَدُنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلِ الرَّجُلِ بِالمَرْأَةِ، وَالحُرِّ بِالعَبْدِ إِنْ لَمْ يَكُنِ القَاتِلُ سَيِّدَ العَبْدِ، فَإِذا كَانَ سَيِّدَهُ عُزِّرَ بِشِدَّةٍ)، وَأَمَرَهُمُ اللهُ بِأَلاَّ يَعْتَدُوا وَلا يَتَجاوَزُوا، كَمَا ٱعْتَدَى اليَهُودُ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَغَيَّرُوا حُكْمَ اللهِ. فَكَانَتْ قَبِيلَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ ضَعِيفَةً، وَقَبِيلَةُ بَنِي النَّضِيرِ قَوِيَّةً، فَكَانُوا إِذا قَتَلَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ أَحَداً مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ لَمْ يَكُنْ يُقْتَلُ بِهِ بَلْ يُفَادَى. وَإِذا قَتَلَ القُرَظِيُّ نَضِيرِيّاً كَانَ يُقْتَلُ بِهِ، وَإِذا فَادَوْهُ كَانَ يُفَادَى بِمِثْلَيْ مَا يُفَادَى بِهِ النَّضِيرِيُّ.

وَكَانَ حَيَّانِ مِنَ العَرَبِ قَدِ ٱقْتَتَلا فِي الجَاهِلِيَّةِ قُبَيْلَ الإِسْلامِ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى وَجِرَاحَاتٌ حَتَّى قَتَلُوا العَبِيدَ وَالنِّسَاءَ، فَكَانَ أَحَدُ الحَيَّيْنِ لاَ يَرْضَى حَتَّى يَقْتُلَ بِالعَبْدِ مِنْهُ الحُرَّ مِنْ خُصُومِهِ، وَبِالمَرْأَةِ مِنْهُ الرَّجُلَ. وَكَانَ هٰؤلاءِ لاَ يَقْتُلُونَ الرَّجُلَ الذِي يَقْتُلُ المَرْأَةَ عَمْداً، وَلٰكِنْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الرَّجُلَ بِالرَّجُلِ، وَالمَرْأَةَ بِالمَرْأَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنُ بِالعَيْنِ مُبْطِلاً ذٰلكَ التَّعَامُلَ، فَإِذا قَبِلَ وَلِيُّ الدَّمِ أَنْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ، وَيَعْفُوَ عَنِ القَاتِلِ، فَعَلَيهِ أَنْ يَتَّبِعَ ذٰلِكَ بِالمَعْرُوفِ، وَأَنْ يَطْلُبَ الدِّيَةَ بِرِفْقٍ، وَأَنْ لاَ يُرْهِقَ القَاتِلَ مِنْ أَمْرِهِ عُسْراً. وَعَلَى القَاتِلِ أَنْ يُؤَدِّيَ المَطْلُوبَ مِنْهُ بِإِحسَانٍ، وَأَنْ لاَ يَمْطُلَ وَلاَ يَنْقُصَ، وَلا يُسيءَ فِي كَيْفِيَّةِ الأَدَاءِ.

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ شَرَعَ لِلنَّاسِ أَخْذَ الدِّيَةِ فِي حَالَةِ القَتْلِ العَمْدِ

﴿١٧٩﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

﴿١٨٠﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

تَخْفِيفاً مِنْهُ، وَرَحْمَةً بِالمُسْلِمِينَ، إِذْ كَانَ يَتَوَجَّبُ عَلَى الأُمَمِ السَّالِفَةِ القَتْلُ أَوِ العَفْوُ. وَإِذا تَعَدَّدَ أَوْلِياءُ الدَّمِ وَعَفَا أَحَدُهُمْ وَجَبَ اتِّبَاعُهُ، وَسَقَطَ القِصَاصُ. وَيَجُوزُ العَفْوُ فِي الدِّيَةِ أَيْضاً. (وَقِيلَ إِنَّ بَنِي إِسْرائِيلَ كَانَ مَفْرُوضاً عَلَيهِمُ القَتْلُ لاَ غَيْرَ، وَأَهْلَ الإِنْجِيلِ أُمِرُوا بِالعَفْوِ، وَلَيسَ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مُقَابِلَ العَفْوِ دِيَةً).

وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالى مَنْ يَعْتَدِي بِالقَتْلِ عَلَى القَاتِلِ - بَعْدَ العَفْوِ وَالرِّضَا بِالدِّيَةِ - بِالعَذَابِ الشَّدِيدِ مِنْ رَبِّهِ يومَ القِيَامَةِ.

كُتِبَ عَليكُمْ - فُرِضَ عَلَيْكُمْ.

عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ - تُرِكَ لَهُ مِنْ وَلِيِّ المَقْتُولِ.

(حَيَاةٌ) (يَا أُولِي) (الأَلْبَابِ)

(١٧٩) - فِي القِصَاصِ رَاحَةُ البَالِ، وَصِيَانَةُ النَّاسِ مِنِ اعتِدَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضِهِم الآخرِ، لأَنَّ مَعْرِفَةَ النَّاسِ أَنَّ مَنْ قَتَلَ يُعَاقَبُ بِالقَتْلِ، تَحْمِلُهُمْ عَلَى الارتِدَاعِ عَنِ القَتْلِ، فَتُصَانُ حَيَاةُ النَّاسِ، وَحَيَاةُ مَنْ يُفَكِّرُ بِالقَتْلِ. وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى بِالنِّدَاءِ أَرْبَابَ العُقُولِ لِلدَّلاَلَةِ عَلى أَنَّ الذِينَ يَفْهَمُونَ قِيمَةَ الحَيَاةِ، وَيُحَافِظُونَ عَلَيهَا هُمُ العُقَلاَءُ. وَإِذا تَدَبَّرَ أُولُو الأَلبَابِ الحِكْمَةَ مِنْ شَرْعِ القِصَاصِ حَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى اتِّقَاءِ الاعتِدَاءِ، وَالكَفِّ عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ.

(لِلْوَالِدَيْنِ)

(١٨٠) - فَرَضَ اللهُ تَعَالى عَلَيكُمْ يَا مَعْشَرَ المُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذا حَضَرَتْ أَسْبَابُ المَوْتِ وَعِلَلُهُ، وَتَرَكْتُمْ مَالاً كَثِيراً لِوَرَثَتِكُمْ أَنْ تُوصُوا لِلوَالِدَينِ وَذَوِي القُرْبَى بِشَيءٍ مِنْ هٰذا المَالِ (لاَ يَزِيدُ عَلَى الثُّلُثِ إِذا لَمْ يَكُنِ المُوصَى لَهُمْ مِنَ الوَارِثِينَ فِي بَعْضِ المَذَاهِبِ، وَجَوَّزَ بَعْضُ الأَئِمَّةِ الوَصِيَّةَ لِلْوَارِثِ بِأَنْ يَخُصَّ بِها بَعْضَ مَنْ يَرَاهُ أَحْوَجَ مِنَ الوَرَثَةِ). وَإِذا أَسْلَمَ الكَافِرُ وَحَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، ووالدَاهُ كَافِرانِ، فَلَهُ أَنْ يُوصِيَ لَهُمَا بِشَيءٍ يَتَأَلَّفُ بِهِ قُلُوبَهُما. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ ذٰلِكَ الإِيصَاءَ حَقّاً عَلَى المُتَّقِينَ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ هٰذِهِ الآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ المَوَارِيثِ).

تَرَكَ خيراً - مَالاً كَثيراً.

الوَصِيَّةُ - نُسِخَ وُجُوبُها بِآيَةِ المَوَارِيثِ.

(١٨١) فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ

(١٨١) ـ وَإذا صَدَرَتِ الوَصِيَّةُ عَنِ المُوصِي كَانَتْ حَقّاً وَاجِباً لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُهُ وَلَا تبديلُهُ، إلَّا إذا كَانَتِ الوَصِيَّةُ مُجَافِيَةً لِلعَدْلِ، فَمَنْ بَدَّلَ الوَصِيَّةَ ـ سَواءٌ أكَانَ وَصِيّاً أو شَاهِداً ـ أوْ حَرَّفَها فَغَيَّرَ في حُكْمِها، وَزَادَ فِيها أوْ أنْقَصَ أوْ كَتَمَها، فَإثْمُ التَّبْدِيلِ يَقَعُ عَلَى الذينَ يَقُومُونَ بِهِ، وَيَقَعُ أجْرُ المَيِّتِ عَلَى اللهِ، لأنَّهُ أطَّلَعَ عَلَى مَا أوْصَى بِهِ المَيِّتُ، وَعَلِمَ بِهِ وَبِما بَدَّلَهُ المُوصَى إلَيهِمْ. وَاللهُ سَمِيعٌ لأقْوالِ المُبَدِّلِينَ وَالمُوصِينَ، وَيَعْلَمُ نِيَّاتِهِمْ، وَيُجازِيهِمْ عَلَيها.

(١٨٢) فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ

(١٨٢) ـ فَإذا خَافَ الوَصِيُّ خُرُوجَ المُوصِي فِي وَصِيَّتِهِ عَنْ نَهْجِ الشَّرْعِ وَالعَدْلِ خَطَأً أوْ عَمْداً، بِأنْ زَادَ فِي حِصَّةٍ، أوْ أنْقَصَ فِيها... وَتَنَازَعَ المُوصَى لَهُمْ بِالمَالِ فِيما بَيْنَهُمْ، أوْ تَنَازَعُوا مَعَ الوَرَثَةِ، فَتَوسَّطَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَعْلَمُ بِذلِكَ، وَأصْلَحَ بِتَبْدِيلِ هذا الحَيْفِ وَالجَنَفِ، فَلا إثْمَ عَلَيهِ فِي هذا التَّبدِيلِ، لأنَّهُ تَبْدِيلُ بَاطِلٍ بِحَقٍّ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، وَيُثِيبُهُ عَلَى عَمَلِهِ.

جَنفاً ـ خُرُوجاً عَنْ نَهجِ الشَّرْعِ.

إثْماً ـ آرْتِكَاباً لِلظُّلمِ عَمْداً أوْ جَوْراً خَطَأً أوْ جَهْلاً.

(١٨٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(١٨٣) ـ أمَرَ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِالصَّومِ تَهْذِيباً لِنُفُوسِهِمْ، وَقَالَ تَعَالَى: إنَّهُ أوْجَبَ الصَّومَ عَلَى الأمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ أهْلِ الكِتَابِ، لِذلِكَ فَإنَّهُ يُوجِبُهُ عَلَى المُسلِمِينَ، وَقَدْ فَرَضَ اللهُ الصَّوْمَ عَلَى المُؤْمِنِينَ لِيُعِدَّهُمْ لِتَقْوَى اللهِ، بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ المُبَاحَةِ المَيْسُورَةِ آمتِثالاً لأمْرِهِ، وَآحتِسَاباً لِلأجْرِ عِنْدَهُ، فَتَرَبَّى بِذلِكَ العَزِيمَةُ وَالإرَادَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ.

(١٨٤) أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ

(مَعْدُودَاتٍ)

(١٨٤) ـ وَقَدْ فَرَضَ اللهُ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ فِي أيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، وَلَمْ يُكَلِّفْكُمْ فِي الصَّومِ مَا لَا تُطِيقُونَ، فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضاً مَرَضاً يَضُرُّ الصَّومُ مَعَهُ، أوْ كَانَ عَلَى سَفَرٍ فَلَهُ أنْ يفطِرَ وَيَقْضِيَ الأيَّامَ التِي أفْطَرَهَا بَعْدَ بُرْئِهِ مِنَ المَرَضِ، أوْ رُجُوعِهِ مِنَ السَّفَرِ.

أمَّا المُقيمُ غَيرُ المَريضِ الذِي لَا يَسْتَطِيعُ الصَّومَ إلَّا بِمَشَقَّةٍ لِعُذْرٍ دَائِمٍ كَشَيخُوخَةٍ أو مَرَضٍ لا يُرْجَى بُرْؤُهُ فَلَهُ أنْ يُفْطِرَ، وَعليهِ أنْ يُطْعِمَ مِسْكِيناً عَنْ كُلِّ يومٍ. وَمَنْ صَامَ مُتَطَوِّعاً زِيَادَةً عَنِ الفَرْضِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ.

﴿١٨٥﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿١٨٦﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

﴿١٨٧﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ

الإِطَاقَةُ - هِيَ الاحْتِمَالُ مَعَ الجُهْدِ الشَّدِيدِ.

تَطَوَّعَ خَيراً - زَادَ فِي الفِدْيَةِ.

(الْقُرْآنُ) (وَبَيِّنَاتٍ) (هَدَاكُم)

(١٨٥) - وَالأَيَّامُ المَعْدُودَاتُ التِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِصِيامِهَا هِيَ شَهْرُ رَمَضَانَ. وَيَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى شَهْرَ رَمَضَانَ وَيُشِيدُ بِفَضْلِهِ، وَهُوَ الشَّهْرُ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ الذِي يَهْدِي الذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَفِيهِ دَلائِلُ وَحُجَجٌ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ لِمَنْ فَهِمَهَا وَتَدَبَّرَهَا، تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الهُدَى المُنَافِي لِلضَّلاَلَةِ، فَمَنْ شَهِدَ اسْتِهْلاَلَ الشَّهْرِ وَجَبَ عَلَيهِ الصَّوْمُ إِنْ كَانَ مُقِيماً في البَلَدِ، وَهُوَ صَحِيحٌ فِي بَدَنِهِ. وَيُكَرِّرُ تَعَالى ذِكْرَ الرُّخْصَةِ فِي الإِفْطَارِ لِلْمَرْضَى وَالمُسَافِرِينَ بِشَرْطِ قَضَاءِ الأَيَّامِ التِي يُفْطِرُونَهَا إِكْمَالاً لِلعِدَّةِ، وَلِيُصْبِحَ مَجْمُوعُ مَا يَصُومُونَهُ شَهْراً. وَهٰذا تَيْسِيرٌ مِنَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ. وَمَتَى أَنْهى المُؤْمِنُ عِبَادَتَهُ مِنْ صِيَامٍ وَصَلاَةٍ، كَبَّرَ اللهَ، وَذَكَرَهُ وَشَكَرَهُ عَلَى مَا هَدَاهُ، لَعَلَّهُ إِنْ فَعَلَ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ للهِ عَلَى مَا أَعَانَهُ عَلَيهِ مِنَ القِيَامِ بِطَاعَتِهِ، وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

(١٨٦) - قَالَ أَعْرابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَقَرِيبٌ رَبُّنا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ فَسَكَتَ الرَّسُولُ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ هٰذِهِ الآيَةَ. وَفِي الحَدِيثِ: (القُلُوبُ أَوْعِيَةٌ وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذا سَأَلْتُمُ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ).

ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالاسْتِجَابَةِ إِليهِ، وَبِالقِيَامِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الإِيمَانِ وَالعِبَادَاتِ، كَالصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ.. لَعَلَّهُمْ يَكُونُونَ مِنَ المُهْتَدِينَ الرَّاشِدِينَ.

(نِسَائِكُمْ) (فَالآنَ) (بَاشِرُوهُنَّ) (اللَّيْلِ) (ولا تُبَاشِرُوهُنَّ) (عَاكِفُونَ) (الْمَسَاجِدِ) (آياته)

(١٨٧) - (فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِ الإِسْلاَمِ كَانَ المُسْلِمُ إِذا أَفْطَرَ يَحِلُّ لَهُ الأَكْلُ وَالشُّربُ وَالجِمَاعُ حَتَّى صَلاَةِ العِشَاءِ، أَوْ إِلى أَنْ يَنَامَ قَبْلَ ذٰلِكَ. فَإِذا صَلَّى العِشَاءَ، أَوْ نَامَ قَبْلَ صَلاَةِ العِشَاءِ حَرُمَ عَلَيهِ الطَّعَامُ وَالشَّرابُ وَالجِمَاعُ إِلَى اللَّيْلَةِ القَابِلَةِ. فَوَجَدُوا فِي ذٰلِكَ مَشَقَّةً كَبِيرَةً بِسَبَبِ اخْتِلاطِهِمْ فِي المَبِيتِ وَالحَيَاةِ، فَخَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ).

وَفِي هٰذِهِ الآيَةِ يَقُولُ اللهُ تَعَالى لِلْمُؤْمِنِينَ:

وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

أحلّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الجِماعُ (الرَّفَثُ)، أَنْتُمْ سَكَنٌ (لِبَاسٌ) لِنِسائِكُمْ، وَهُنَّ سَكَنٌ لَكُم، فَقَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّ بَعْضَ المُؤْمِنينَ كَانَ يُخالِفُ الأَمْرَ الدِّينيَّ فيَخْتانُ نَفْسَهُ، إِذْ يَعْتَقِدُ شَيْئاً ثُمَّ لا يَلْتَزِمُ العَمَلَ بِهِ، فيَأْكُلُ ويَشْرَبُ ويُجامِعُ بَعْدَ صَلاةِ العِشاءِ أَوْ بَعْدَ نَوْمِهِ إِنْ نَامَ قَبْلَ الصَّلاةِ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وعَفَا عَنْكُمْ، وتَجاوَزَ عَنْ أَخْطائِكُمْ. ثُمَّ أَعْلَمَهُمُ اللهُ تَعالَى بِأَنَّهُ سَمَحَ لَهُمْ بِالطَّعامِ والشَّرابِ ومُباشَرَةِ نِسائِهِمْ حَتَّى الفَجْرِ (أَيْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ضِياءُ الصُّبْحِ مِنْ سَوادِ اللَّيْلِ). فَمَتَى ظَهَرَ الفَجْرُ امْتَنَعَ عَلَى الصَّائِمِ ما كَانَ مُباحاً لَهُ فِي اللَّيْلِ، ويَسْتَمِرُّ صَوْمُهُ حَتَّى مَغيبِ الشَّمْسِ، وظُهُورِ أَوَّلِ اللَّيْلِ.

وَكَانَ المُسْلِمُونَ يَعْتَكِفُونَ فِي المَساجِدِ أَوْ غَيْرِها فِي رَمَضانَ، أَوْ فِي غَيْرِهِ لِلنُّسُكِ والعِبادَةِ، فَحَرَّمَ اللهُ عَلَيهِمْ مُباشَرَةَ النِّساءِ، مَا دَامُوا مُعْتَكِفينَ، حَتَّى وَلَوْ أَتَوْا إِلى مَنازِلِهِمْ لِقَضاءِ بَعْضِ حَوائِجِهِمْ لِيَعُودُوا بَعْدَها إِلى الاعْتِكافِ فِي المَكانِ الذي يَعْتَكِفُونَ فيهِ. ويَقُولُ تَعالَى إِنَّ مَا بَيَّنَهُ وفَرَضَهُ وحَدَّدَهُ مِنَ الصِّيامِ، ومَا أَباحَهُ ومَا حَرَّمَهُ. هِيَ الحُدُودُ التِي شَرَعَها اللهُ لِعِبادِهِ، وبَيَّنَها بِنَفْسِهِ، فَعَلَيْكُمْ يا أَيُّها المُؤْمِنُونَ أَلَّا تَتَعَدَّوْها، ولاَ تَتَجاوَزُوها. وكَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ، عَلَى لِسانِ أَنْبِيائِهِ ورُسُلِهِ، آياتِهِ لِلنَّاسِ لِيَعْرِفُوا كَيْفَ يَهْتَدُونَ، وكَيْفَ يُطِيعُونَ (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

الرَّفَثُ - الوِقَاعُ - أَوْ هُوَ كَلامٌ يَكُونُ بَيْنَ الرِّجالِ والنِّساءِ وَقْتَ الوِقاعِ.

هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ - هُنَّ سَكَنٌ أَوْ سِتْرٌ لَكُمْ عَنِ الحَرامِ.

حُدُودُ اللهِ - مَا نَهاكُمْ عَنْهُ وحَرَّمَهُ عَلَيكُمْ.

(١٨٨) وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

(أَمْوالَكُمْ) (بِالْبَاطِلِ) (أَمْوالِ)

(١٨٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنِينَ بِأَلَّا يَأْكُلَ بَعْضُهُمْ مالَ بَعْضٍ بِالبَاطِلِ، وبِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ: كَالسَّرِقَةِ، والغِشِّ، والتَّعَدِّي عَلَى النَّاسِ، والكَسْبِ عَنْ طَرِيقٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ.. وبِأَلَّا يُلْقُوا بِأَمْوالِهِمْ رَشْوَةً إِلى الحُكَّامِ لِيَحْصُلُوا عَلَى أَحْكامٍ لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ يَقِيناً أَنَّهُمْ لاَ حَقَّ لَهُمْ، وأَنَّهُمْ آثِمُونَ آكِلُو حَرامٍ.

وحُكْمُ الحاكِمِ لاَ يُحِلُّ حَراماً، ولاَ يُحَرِّمُ حَلالاً، وإِنَّما هُوَ مُلْزِمٌ فِي الظَّاهِرِ. أَمَّا مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ، وأَنَّهُ يَأْكُلُ مَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ فَإِنَّهُ يَأْكُلُ حَراماً، وإِنْ قَضَى بِهِ حاكِمٌ. وهُوَ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ فَلْيَحْمِلْها أَوْ لِيَذَرْها - كَما جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ -.

تُدْلُوا بِهَا - تُلْقوا بِالخُصُومَةِ فِيهَا ظُلْماً وَبَاطِلاً .

١٨٩ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣

(يَسْأَلُونَكَ) (مَوَاقِيتُ) (أَبْوَابِهَا)

(١٨٩) - سَأَلَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ الرَّسُولَ ﷺ عَنِ ٱخْتِلافِ الهِلالِ : يَكُونُ صَغِيراً فَيَكْبُرُ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَصْغُرُ . فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ . وَفِيهَا يُجِيبُهُمُ اللهُ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الحِكْمَةِ فِي ٱخْتِلافِ الأَهِلَّةِ وَفَائِدَتِهِ ، فَأَجِبْهُمْ : بِأَنَّهَا مَعَالِمُ لِلنَّاسِ ، يُوَقِّتُونَ بِهَا أُمُورَ دُنْيَاهُمْ ، فَيَعْلَمُونَ أَوْقَاتَ زُرُوعِهِمْ ، وَأَجَلَ عُقُودِهِمْ ، وَهِيَ مَعَالِمُ لِلْعِبَادَاتِ المُوَقَّتَةِ ، فَيَعْرِفُونَ بِهَا أَوْقَاتَهَا كَالصِّيَامِ ، وَالإِفْطَارِ وَالحَجِّ . وَلَوْ كَانَ الهِلالُ مُلازِماً حَالاً وَاحِداً لَمَا تَيَسَّرَ التَّوْقِيتُ بِهِ .

وَكَانَ العَرَبُ إِذَا أَحْرَمُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَتَوا البَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ سَفَراً وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِسَفَرِهِ ، ثُمَّ بَدَا لَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ أَنْ يُقِيمَ وَيَدَعَ السَّفَرَ ، لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ مِنْ بَابِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَسَوَّرُهُ مِنْ ظَهْرِهِ . فَأَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِدُخُولِ البُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا . وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ البِرَّ هُوَ التَّقْوَى ، وَلَيسَ فِي إِتْيَانِ البُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا بِرٌّ ، وَلاَ تَقْوَى . فَٱتَّقُوا اللهَ ، وَٱفْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَٱتْرُكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِذَا وَقَفْتُمْ فِي الآخِرَةِ بَيْنَ يَدَيهِ لِلْحِسَابِ .

الأَهِلَّة - جَمْعُ هِلالٍ ، وَهُوَ القَمَرُ يَكُونُ لِلَيْلَتَينِ أَوْ ثَلاثاً مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ لأَنَّ النَّاسَ يَرْفَعُونَ أَصْواتَهُمْ بِالذِّكْرِ حِينَ رُؤْيَتِهِ . وَأَهَلَّ القَوْمُ بِالحَجِّ إِذَا رَفَعُوا أَصْواتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ .

١٩٠ ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾

(وَقَاتِلُوا) (يُقَاتِلُونَكُمْ)

(١٩٠) - هٰذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي القِتَالِ فِي المَدِينَةِ . قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَبِثَ بَعْدَ هٰذِهِ الآيَةِ يُقَاتِلُ مَنْ قَاتَلَهُ ، وَيَكُفُّ عَمَّنْ كَفَّ عَنْهُ ، حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ التَّوْبَةِ ، وَجَاءَ فِيهَا : ﴿**فَٱقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** . .﴾[1] وَهٰذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ ، فَقَدْ خَافَ المُسْلِمُونَ أَنْ لاَ تَفِيَ لَهُمْ قُرَيْشٌ بِمَا ٱتَّفَقَتْ عَلَيهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَصُدَّهُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ بِالقُوَّةِ وَتُقَاتِلَهُمْ ، وَكَرِهَ المُسْلِمُونَ القِتَالَ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ ، وَفِي البَلَدِ الحَرَامِ .

---

(١) الآية ٥ من سورة التوبة .

وَفِي هٰذِهِ الآيَةِ يَأْذَنُ اللهُ لِلْمُؤْمِنينَ فِي قِتَالِ المُشْرِكينَ إعْزازاً لِدينِ اللهِ، وَإعلاءً لِكَلِمَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِألَّا يَعْتَدُوا فِي ذٰلِكَ، وَأنْ لا يَبْدَؤُوهُمْ بِالقِتَالِ.

(وَيدْخُلُ فِي الاعْتِداءِ آرْتِكَابُ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ كَالمُثْلَةِ فِي القَتْلَى، وَالغُلُولِ (وَهُوَ إخْفَاءُ شَيءٍ مِنَ المَغْنَمِ)، وَقَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالشُّيوخِ، وَأَصْحَابِ الصَّوامِعِ، وَتَحْرِيقِ الأشْجَارِ، وَقَتْلِ الحَيَوانِ لِغَيرِ مَصْلَحَةٍ).

﴿١٩١﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ

(لَا تُقَاتِلُوهُمْ) (حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ) (فَإنْ قَاتَلُوكُمْ) (ٱلْكَافِرِينَ)

(١٩١) - الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ فِيهِ إزْهَاقٌ لِلأنْفُسِ، وَقَتْلٌ لِلرِّجَالِ، لِذٰلِكَ نَبَّهَ اللهُ المُؤْمِنينَ إلى أنَّ مَا آشْتَمَلَ عَليهِ الكَافِرونَ مِنَ الكُفْرِ باللهِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبيلِهِ، هُوَ أعْظَمُ مِنَ القَتْلِ، لِذٰلِكَ قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: (الشِّرْكُ أشَدُّ مِنَ القَتْلِ). وَنَهَى اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ عَنْ قِتَالِ المُشْرِكِينَ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ لِحُرْمَتِهِ، إلَّا إذَا بَدَأهُمُ المُشْرِكُونَ بِالقِتَالِ. فَإذا نَشِبَتِ الحَرْبُ كَانَ عَلَى المُؤْمِنينَ قِتَالُهُمْ وَقَتْلُهُمْ حَيْثُمَا وَجَدُوهُمْ، لأنَّ هٰذا القِتَالَ هُوَ دَفْعٌ لِلاعْتِداءِ، وَجَزَاءٌ عَلَى نَكْثِ العَهْدِ، وَعَلى مُبَاشَرَتِهِمْ بِالاعْتِداءِ عَلَى المُسْلِمينَ، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ. وَيَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنينَ - إذَا بَدَأَ المُشْرِكُونَ بالاعتِداءِ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَقَاتَلُوهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنْ زِيَارَةِ المَسْجِدِ الحَرَامِ - بِأنْ يُخْرِجَ المُسْلِمُونَ المُشْرِكِينَ مِنْ مَكَّةَ، كَمَا أخْرَجُوا الرَّسُولَ وَالمُؤْمِنينَ مِنْهَا، لأنَّ فِتْنَتَهُم المُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ بِالإيذاءِ وَالتَّعْذِيبِ وَالإخْرَاجِ مِنَ الوَطَنِ، وَمُصَادَرَةِ الأمْوالِ... كُلُّ ذٰلِكَ أشَدُّ قُبْحاً مِنَ القَتْلِ فِي البَلَدِ الحَرَامِ.

وَآسْتَثْنَى اللهُ مِنْ قَتْلِ المُشْرِكِينَ، فِي كُلِّ مَكَانٍ أدْرَكَهُمْ فِيهِ المُسْلِمُونَ، المَسْجِدَ الحَرَامَ، فَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً، إلَّا أنْ يُقَاتِلَ فِيهِ وَيَنْتَهِكَ حُرْمَتَهُ، فَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ لَهُ أمَانٌ، وَذٰلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ المُعْتَدِينَ.

ثَقِفْتُمُوهُمْ - وَجَدْتُمُوهُمْ وَأدْرَكْتُمُوهُمْ.

الفِتْنَةُ - الشِّرْكُ.


﴿١٩٢﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(١٩٢) - فَإذا تَرَكَ الكَافِرُونَ الكُفْرَ، وَأسْلَمُوا وَتَابُوا فَإنَّ الإسْلَامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَإنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ التِي آرْتَكَبُوهَا مِنْ قَبْلُ، وَلَوْ كَانُوا قَتَلُوا المُسْلِمِينَ فِي الحَرَمِ، لأنَّهُ تَعَالَى لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ.

﴿١٩٣﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ

(وَقَاتِلُوهُم) (عُدْوَانَ) (الظَّالِمِينَ)

(١٩٣) - وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِقِتَالِ الكُفَّارِ حَتَّى لَا تَكُونَ لَهُمْ قُوَّةٌ يَفْتِنُونَ بِهَا المُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ، وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنْ إِظْهَارِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيهِ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ شِرْكٌ، وَحَتَّى تَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرَ العَالِيَ عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ. فَإِنِ ٱنْتَهَى المُشْرِكُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَكَفُّوا عَنْ قِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَلَا سَبِيلَ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى قِتَالِهِمْ، لِأَنَّ القِتَالَ إِنَّمَا شُرِعَ لِرَدْعِ الكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالفِتْنَةِ. وَالعُدْوَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِالكُفْرِ وَالمَعَاصِي، وَتَجَاوَزَ العَدْلَ.

﴿١٩٤﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ

(ٱلْحُرُمَاتُ)

(١٩٤) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى حُكْمَ القِتَالِ فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ، وَهِيَ رَجَبٌ وَذُو القِعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ، فَالذِي يَنْتَهِكُ حُرْمَةَ الشَّهْرِ الحَرَامِ جَزَاؤُهُ أَنْ يُحْرَمَ الضَّمَانَاتِ التِي كَفِلَهَا لَهُ الشَّهْرُ الحَرَامُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ الأَشْهُرَ الحُرُمَ وَاحَةَ أَمْنٍ تُصَانُ فِيهَا الدِّمَاءُ وَالأَمْوَالُ وَالحُرُمَاتُ، وَلٰكِنْ مَنْ أَرَادَ العُدْوَانَ عَلَى المُسْلِمِينَ فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ، فَقَدْ أَجَازَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ الرَّدَّ عَلَيهِ بِمِثْلِ عُدْوَانِهِ، بِدُونِ تَجَاوُزٍ وَلَا مُغَالَاةٍ فِي المُجَازَاةِ وَالقِصَاصِ إِذْ أَمَرَهُمُ اللهُ بِالتَّقْوى، وَذَكَّرَهُمْ بِأَنَّهُ مَعَ المُتَّقِينَ.

وَبِمَا أَنَّ المُشْرِكِينَ مَنَعُوا الرَّسُولَ ﷺ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ مُعْتَمِراً فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ لِلْهِجْرَةِ، وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدِ ٱنْتَهَكُوا حُرْمَةَ الشَّهْرِ الحَرَامِ بِالصَّدِّ عَنِ البَيْتِ الحَرَامِ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ بَعْدَ أَنِ ٱتَّفَقَ مَعَهُمْ، وَجَازَاهُمْ عَلَى ٱنْتِهَاكِ حُرْمَةِ الشَّهْرِ الحَرَامِ.

الحُرُمَاتُ قِصَاصٌ - أَيْ يَجِبُ مُقَاصَّةُ المُشْرِكِينَ عَلَى ٱنْتِهَاكِ حُرْمَةِ الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَالحُرُمَاتُ هِيَ مَا تَجِبُ المُحَافَظَةُ عَلَيهِ.

﴿١٩٥﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

(١٩٥) - بَذَلَ الأَنْصَارُ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَآوَوا المُهَاجِرِينَ وَسَاعَدُوهُمْ، فَلَمَّا أَعَزَّ اللهُ الإِسْلَامَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، قَالَ بَعْضُ الأَنْصَارِ لِبَعْضٍ: لَوْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحُوهَا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ. وَفِيهَا يُبَيِّنُ اللهُ لَهُمْ أَنَّ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ، وَإِصْلَاحَهَا، وَتَرْكَ الغَزْوِ وَالجِهَادِ وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ... فِيهِ التَّهْلُكَةُ. فَعَادُوا إِلَى الجِهَادِ، وَإِلَى إِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَفِي وُجُوهِ الطَّاعَاتِ. وَأَخْبَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّ تَرْكَ الجِهَادِ، وَتَرْكَ الإِنْفَاقِ، فِيهِ هَلَاكٌ وَدَمَارٌ لِمَنْ لَزِمَهُ وَٱعْتَادَهُ، فَإِذَا بَخِلَ

﴿١٩٦﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ
أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ
وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ
مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ
أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ
أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن
تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ
مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ
أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ
عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ
أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ

المُؤْمِنُونَ، وَقَعَدُوا عَنِ الجِهَادِ رَكِبَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ وَأَذَلُّوهُمْ، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَلْقَوا بِأَيْدِيهِمْ إلى التَّهْلُكَةِ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ المُسْلِمِينَ بِأَنْ يُحْسِنُوا كُلَّ أَعْمَالِهِمْ، وَأَنْ يُجَوِّدُوهَا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّطَوُّعُ بِالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ.

التَّهْلُكَةِ - الهَلاَكِ بِتَرْكِ الجِهَادِ وَالإِنْفَاقِ فِيهِ.

(ثلاثَةِ) (رُؤُوسَكُمْ)

(١٩٦) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِإِكْمَالِ أَفْعَالِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، بَعْدَ الشُّرُوعِ فِيهِمَا، وَذَلِكَ بِأَدَاءِ المَنَاسِكِ عَلَى وَجْهِهَا التَّامِ الصَّحِيحِ، وَبِالإِخْلاَصِ للهِ تَعَالَى دُونَ قَصْدِ الكَسْبِ وَالتِّجَارَةِ. فَإِنْ مُنِعْتُمْ مِنَ الوُصُولِ إلى البَيْتِ (أُحْصِرْتُم) وَتَعَذَّرَ عَلَيْكُمْ إِتْمَامُهَا، بِسَبَبِ عَدُوٍّ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيرِ ذَلِكَ، فَقَدْ رَخَّصَ اللهُ لَكُمْ بِأَنْ تَتَحَلَّلُوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ، بِأَنْ تَذْبَحُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الهَدْيِ، ثُمَّ تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ. أَمَّا الذِينَ لاَ يَعْتَرِضُهُمْ مَانِعٌ فَعَلَيهِمْ أَنْ يُتِمُّوا أَفْعَالَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ. وَأَمَرَهُمُ اللهُ بِأَنْ لاَ يَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ حَتَّى يَفْرَغُوا مِنْ أَفْعَالِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، وَيَنْحَرُوا هَدْيَهُمْ فِي المَكَانِ الذِي يَحِلُّ فِيهِ ذَبْحُهُ، وَهُوَ مَكَانُ الإِحْصَارِ أَوِ الكَعْبَةِ. فَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ مِنْ قُمَّلٍ وَغَيْرِهِ، فَقَدْ أَبَاحَ اللهُ لَهُ حَلْقَ شَعْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّ أَفْعَالَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، عَلَى أَنْ يَفْتَدِيَ مِنْ ذَلِكَ بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ إِطْعَامِ سِتَّةِ مَسَاكِينَ، أَوْ ذَبْحِ شَاةٍ (نُسُكٍ) وَتَوْزِيعِ لَحْمِهَا عَلَى الفُقَرَاءِ. وَالمَرِيضُ مُخَيَّرٌ بِأَنْ يَفْعَلَ أَيَّها شَاءَ. فَإِذا تَمَكَّنَ المُسْلِمُونَ مِنْ أَدَاءِ مَنَاسِكِهِمْ (أَمِنْتُمْ) فَمَنْ كَانَ مُتَمَتِّعاً بِالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ (أَيْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَمْتِعَ وَيَنْتَقِلَ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِالعُمْرَةِ إِلَى وَقْتِ الانْتِفَاعِ بِأَعْمَالِ الحَجِّ) - وَهٰذا يَشْمَلُ مَنْ أَحْرَمَ بِهِمَا، أَوْ أَحْرَمَ بِالعُمْرَةِ أَولاً، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا أَحْرَمَ بِالحَجِّ - فَلْيَذْبَحْ مَا قدرَ عَلَيهِ مِنَ الهَدْيِ وَأَقَلُّهُ شَاةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْياً، أَوْ مَنْ لَمْ يَجِدْ ثَمَنَهُ، فَلْيَصُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ (أَيْ فِي المَنَاسِكِ)، وَالأَوْلَى أَنْ يَصُومَهَا قَبْلَ يَوْمِ عَرَفَةَ. وَمِنَ الفُقَهَاءِ مَنْ يُجِيزُ صَوْمَها مِنْ أَوَّلِ شَوَّالٍ، ثُمَّ يَصُومُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ إِذا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ.

وَالتَّمَتُّعُ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ خَاصٌّ بِأَهْلِ الآفاقِ، أما أَهْلُ مَكَّةَ فَلاَ شَيْءَ عَلَيْهِمْ إذا تَمَتَّعُوا. وَأَمَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِالتَّقْوَى فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَارْتَكَبَ مَا نَهَى عَنْهُ.

﴿١٩٧﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ

﴿١٩٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ

الهَدْيُ - هُوَ مَا يُهْدَى إِلَى الكَعْبَةِ مِنَ الذَّبَائِحِ ، بَعِيرٍ أَوْ بَقَرَةٍ أَوْ شَاةٍ، وَيتَصَدَّقُ بِاللَّحْمِ عَلَى المَسَاكِينِ .

أُحْصِرْتُمْ - مُنِعْتُمْ مِنْ إِتْمامِ مَنَاسِكِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ .

فَمَا آسْتَيْسَرَ - مَا تَيَسَّرَ .

لاَ تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ - لاَ تَتَحَلَّلُوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ بِحَلْقِ شُعُورِكُمْ .

يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ - مَكَانَ وُجُوبِ ذَبْحِهِ وَهُوَ الحَرَمُ أَوْ مَكَانُ الإِحْصَارِ .

نُسُكٍ - ذَبِيحَةٍ وَيُرادُ بِهَا هُنَا شَاةٌ .

(مَعْلُومَاتٌ) (يَا أُولِي الأَلْبَابِ)

(١٩٧) - لأَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ لَدَى النَّاسِ هِيَ شَوَّال وَذُو القِعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ. فَلا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُحرِمَ بِالحَجِّ إِلا فِي هٰذِهِ الشُّهُورِ. فَمَنْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ حَجّاً بِإِحْرَامِهِ - وَالفَرْضُ هُنَا هُوَ الإِحْرَامُ - فَعَلَيهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الجِمَاعَ وَدَوَاعِيَهُ (الرَّفَثَ)، وَالمَعَاصِيَ (الفُسُوقَ)، وَعَلَيهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الجِدَالَ وَالمُخَاصَمَةَ وَالمُلاحَاةَ فِي الحَجِّ . وَيَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنينَ عَلَى فِعْلِ الجَمِيلِ ، وَتَرْكِ الرَّفَثِ وَالفُسُوقِ وَالجِدَالِ ، لِتَصْفُوَ نُفُوسُهُمْ، وَتَتَخَلَّى عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَتَتَحلَّى بِالفَضَائِلِ . ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، وَأَنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ عَلَيهِ الجَزَاءَ الأَوْفَى يَوْمَ القِيَامَةِ .

وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ. الذِينَ يُرِيدُونَ الحَجَّ بِالتَّزَوُّدِ لِلطَّرِيقِ لِكَي يَكُفُّوا وُجُوهَهُمْ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ ، لأَنَّ أُنَاساً مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا يَحُجُّونَ مِنْ غَيرِ زَادٍ. وَأَعْلَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ خَيْرَ زَادِ المُؤْمِنِ لِلآخِرَةِ هُوَ التَّقْوَى، وَفِعْلُ الجَمِيلِ . ثُمَّ حَذَّرَ اللهُ ذَوِي العُقُولِ وَالأَفْهَامِ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ .

فَرَضَ - أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِالإِحْرَامِ .

فَلا رَفَثَ - لاَ وِقَاعَ وَلا فُحْشَ فِي القَوْلِ .

(عرَفَاتٍ) (هَدَاكُم)

(١٩٨) - ظَنَّ المُسْلِمُونَ فِي بَادِىءِ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي اتِّجَارِهِمْ أَيَّامَ مَوْسِمِ الحَجِّ إِثْمٌ. إِذْ كَانَ العَرَبُ يَتْجِرُونَ فِي أَسْوَاقِ عُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ وَذِي المَجَازِ. فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ لإِشْعَارِ المُسْلِمِينَ بِأَنَّهُ لا إِثْم، وَلا حَرَجَ عَلَيهِمْ، إِنِ اتَّجَرُوا وَآبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ. (أَيْ رِبْحاً مِنْ رَبِّهِمْ بِالتِّجَارَةِ، عَلَى أَنْ لاَ يَكُونَ الكَسْبُ وَالرِّبْحُ هُمَا المَقْصُودَيْنِ بِالذَّاتِ).

وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ

فَإِذا أَفاضَ المُسْلِمُونَ مِنْ عَرَفَاتٍ، بَعْدَ الوُقُوفِ بِهَا مِنْ زَوالِ اليَوْمِ التَّاسِعِ إِلى مَا قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ (وَالوُقُوفُ بِعَرَفَةَ هُوَ عُمْدَةُ الحَجِّ)، فَيَتَوَقَّفُونَ، وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلى مِنىً، فِي المُزْدَلِفَةِ - وَهِيَ المَشْعَرُ الحَرَامُ، (وَالمَشَاعِرُ هِيَ المَعَالِمُ الظَّاهِرَةُ) - لِيَذْكُرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاهُمْ إِلى مَعْرِفَةِ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَمَشَاعِرِ حَجِّهِمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ هُدَى اللهِ لَهُمْ مِنَ الضَّالِّينَ.

الجُنَاحُ - الحَرَجُ أَوِ الإِثْمُ - وَالجُنَاحُ مِنَ الجُنُوحِ وَهُوَ المَيْلُ عَنِ القَصْدِ.

فَضْلاً - رِزْقاً بِالتِّجَارَةِ.

أَفَضْتُمْ - دَفَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَسِرْتُمْ.

المَشْعَرُ الحَرَامُ - المُزْدَلِفَةُ.

١٩٩ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ

(١٩٩) - رَوَتْ عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشاً وَمَنْ وَالاهَا مِنْ كِنَانَةَ وَجُدَيْلَةَ وَقَيْس، كَانُوا يَقِفُونَ بِالمُزْدَلِفَةِ تَرَفُّعاً عَنِ الوُقُوفِ مَعَ النَّاسِ فِي عَرَفَاتٍ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ بِالحُمُسِ، أَيِ الشَّدِيدِي التَّصَلُّبِ فِي الدِّينِ، أَمَّا سَائِرُ العَرَبِ فَتَقِفُ فِي عَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلامُ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ الكَرِيمَ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا مَعَ النَّاسِ، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا. وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ وَالمُؤْمِنِينَ بِالاسْتِغْفَارِ، وَبِذِكْرِ اللهِ فِي هٰذِهِ الأَمَاكِنِ المُبَارَكَةِ.

٢٠٠ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ

(مَنَاسِكَكُم) (آبَاءَكُم) (آتِنَا) (خَلَاقٍ)

(٢٠٠) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ بِالإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ بَعْدَ قَضَاءِ المَنَاسِكِ وَالفَرَاغِ مِنْهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ العَرَبَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَقِفُونَ فِي المَوْسِمِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: كَانَ أَبِي يُطْعِمُ وَيَحْمِلُ الدِّيَاتِ... إلخ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ غَيْرُ ذِكْرِ فِعَالِ آبَائِهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ هٰذِهِ الآيَةَ، وَأَرْشَدَ المُسْلِمِينَ إِلى دُعَائِهِ بَعْدَ ذِكْرِهِ كَثِيراً، لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ مَظَنَّةِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ. وَذَمَّ اللهُ الذِينَ لَا يَسْأَلُونَ إِلَّا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِمْ، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِهِ.

الخَلَاقُ - النَّصِيبُ أَوِ الحَظُّ.

المَنَاسِكُ - مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الحَاجِّ القِيَامُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ.

٢٠١ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ

(آتِنَا) (الآخِرَةِ)

(٢٠١) - وَإِلى جَانِبِ أُولٰئِكَ المُهْتَمِّينَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَقَطْ، آخَرُونَ يَهْتَمُّونَ

وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

بِأَمْرِ الآخِرَةِ إلى جَانِبِ آهْتِمَامِهِمْ بِأَمْرِ الدُّنيا فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا آتِنا فِي الدُّنيا حَسَنَةً (وَتَشْمَلُ كُلَّ مَطْلَبٍ دُنْيَوِيٍّ) وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً (وَتَشْمَلُ دُخُولَ الجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ)، وَهٰذا يَقْتَضِي تَيْسِيرَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيا: مِنِ آجْتِنَابِ المَحَارِمِ وَالآثَامِ، وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ.

٢٠٢ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

(أُولٰئِكَ)

(٢٠٢) - وَهٰؤُلاءِ لَهُمْ نَصِيبٌ مَضْمُونٌ مِمَّا كَسَبُوهُ بِالطَّلَبِ وَالرُّكُونِ إلَى اللهِ، لا يُبْطِىءُ عَلَيْهِمْ، فَاللهُ تَعَالَى سَرِيعُ الحِسَابِ، وَهُوَ يَجْزِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

الحزب ٤

٢٠٣ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(مَعْدُودَاتٍ)

(٢٠٣) - الأَيَّامُ المَعْدُودَاتُ هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ (يَوْمُ النَّحْرِ وَثَلاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَهُ - وَهِيَ أَيَّامُ رَمْيِ الجِمَارِ) فَكَبِّرُوا اللهَ بَعْدَ صَلَواتِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. ثُمَّ أَشَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلى النَفرِ مِنْ مِنىً فِي اليَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ - أَيْ ثَالِثِ أَيَّامِ العِيدِ - قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ، عَلَى قَوْلِ الأَئِمَّةِ الثَّلاثَةِ، وَقَبْلَ فَجْرِ اليَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ عَلَى قَوْلِ الإمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَبِذٰلِكَ يَسْقُطُ عَنْهُ، رَمِيُ الجِمَارِ فِي اليَوْمِ الأَخِيرِ مِنْ أَيَّامِ العِيدِ، وَلا إثْمَ عَلَيهِ فِي ذٰلِكَ، وَمَنْ بَقِيَ إلى اليَوْمِ الرَّابِعِ فَلا إِثْمَ عَلَيهِ. فَالمُهِمُّ فِي الأَمْرِ مُرَاقَبَةُ المَرْءِ تَقْوَى اللهِ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَيُعْلِمُهُمْ أَنَّهُمْ إليهِ رَاجِعُونَ يَوْمَ الحَشْرِ.

٢٠٤ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ

(الحَيَاةِ)

(٢٠٤) - وَهُنَاكَ أُنَاسٌ مُنَافِقُونَ تُعجِبُ المَرْءَ حَلاوةُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالوَرَعِ وَطِيبِ السَّرِيرَةِ، وَيُشْهِدُونَ اللهَ عَلَى صِدْقِ طَوِيَّتِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَقُلُوبُهُمْ فِي الحَقِيقَةِ هِيَ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ، فَهُمْ يَقُولُونَ حَسَناً، وَيَفْعَلُونَ سَيِّئاً، وَهُمْ شَدِيدُو الجَدَلِ، لا يُعْجِزُهُمْ أَنْ يَغُشُّوا النَّاسَ بِمَا يَظْهَرُ عَلَيهِمْ مِنَ المَيْلِ إلى الإِصْلاحِ.

أَلَدُّ الخِصَامِ - شَدِيدُ الخُصُومَةِ فِي البَاطِلِ.

٢٠٥ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ

(٢٠٥) - فَإِذَا آنْصَرَفَ الوَاحِدُ مِنْ هٰؤُلاءِ إلى العَمَلِ، أَوْ إذا تَوَلَّى وِلايَةً يَكُونُ لَهُ فِيهَا سُلْطَانٌ، آتَّجَهَ إلى الشَّرِّ وَالفَسَادِ فِي قَسْوَةٍ وَجَفْوَةٍ، تَتَمَثَّلُ فِي إِهْلاكِ النَّبَاتِ وَالحَرْثِ، وَإِتْلافِ النَّسْلِ الذي يُمَثِّلُ آمْتِدَادَ الحَيَاةِ، وَاللهُ تَعَالَى يَكْرَهُ الفَسَادَ وَالمُفْسِدِينَ.

الحَرْثُ - الزَّرْعُ.

٢٠٦ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ

(٢٠٦) - فَإِذا أَخْرَجَ هٰذا المُنافِقُ حِقْدَهُ عَنْ طَرِيقِ التَّخْرِيبِ وَالفَسَادِ، وَقِيلَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ ذٰلِكَ وَاتَّقِ الله، وَاسْتَحِ مِنْهُ، اسْتَعَزَّ بِالإِثْمِ وَالخَطِيئَةِ. وَرَفَعَ رَأْسَهُ فِي وَجْهِ الحَقِّ. فَإِنْ يَفْعَلْ هٰذا المُنافِقُ ذٰلِكَ فَجَهَنَّمُ حَسْبُهُ، وَفِيهَا الكِفَايَةُ لَهُ، وَهِيَ بِئْسَ المَقَرُّ وَالمِهَادُ لَهُ، وَهِيَ الجَزاءُ الأَوْفَى عَلَى أَفْعَالِهِ وَآثامِهِ.

حَسْبُهُ - يَكْفِيهِ نَارُ جَهَنَّمَ جَزاءً.

(مَرْضَاةِ) (رَؤُوفٌ)

٢٠٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ

(٢٠٧) - وَهُنَاكَ آخَرُونَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ للهِ، وَلاَ غَايَةَ لَهُمْ مِنْ هٰذا البَيْعِ إِلَّا مَرْضَاةُ اللهِ، فَمَا أَبْعَدَ الفَرْقَ بَيْنَ هٰؤُلاءِ المُنَافِقِينَ وَبَيْنَ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَاللهُ رَؤُوفٌ بِعِبَادِهِ.

وَيُرْوَى أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي صُهَيْبٍ الرُّومِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ خَرَجَ مُهَاجِراً مِنْ مَكَّةَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فِي المَدِينَةِ، فَلَحِقَتْ بِهِ قُرَيْشٌ، وَقَالُوا لَهُ: أَتَيْتَنا صُعْلُوكاً لا مَالَ لَكَ، وَتَخْرُجُ عَنَّا أَنْتَ وَمَالُكَ، فَهٰذا لَنْ يَكُونَ. فَقَالَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَرَكْتُ لَكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ عَنِّي؟ فَقَالُوا نَعَمْ. فَدَلَّهُمْ عَلَى مَالِهِ فِي مَكَّةَ، وَتَرَكُوهُ يَذْهَبُ. فَلَمَّا وَصَلَ المَدِينَةَ وَأَخبرَ الرَّسُولُ بِأَمْرِهِ قَالَ: رَبِحَ البَيْعُ ،رَبِحَ البَيْعُ.

الشِّراءُ هُنا - بِمَعْنَى البَيْعِ.

(آمَنُوا) (خُطُواتِ) (الشَّيْطَانِ) (يَا أَيُّها)

٢٠٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

(٢٠٨) - يَدْعُو اللهُ المُؤْمِنِينَ إِلَى الأَخْذِ بِجَمِيعِ عُرَى الإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، وَالعَمَلِ بِجَمِيعِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وَيُرْشِدُهُمْ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ مِنْ شَأْنِ المُؤْمِنِينَ الاتِّفَاقُ والاتِّحَادُ، لَا التَّفَرُّقُ وَالانْقِسَامُ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً، أَيْ ادْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ).

ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَجْتَنِبُوا مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ لأَنَّهُ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ، وَيَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، وَلِهٰذا كَانَ الشَّيْطَانُ عَدُوّاً بَيِّنَ العَدَاوَةِ لِلإِنْسَانِ.

فِي السِّلْمِ كَافَّةً - فِي الإِسْلامِ وَشَرَائِعِهِ كُلِّهَا.

خُطُواتِ الشَّيْطَانِ - طُرُقَهُ وَأَعْمَالَهُ.

(٢٠٩) فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(٢١٠) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

(٢١١) سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(٢١٢) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ

(الْبَيِّنَاتُ)

(٢٠٩) - فَإِنْ عَدَلْتُمْ عَنِ الحَقِّ، وَحِدْتُمْ عَنِ الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ الذِي دَعَاكُمُ اللهُ إِلَيهِ، وَهُوَ السِّلْمُ، وَسِرْتُمْ فِي طَرِيقِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ طَرِيقُ الخِلاَفِ وَالافْتِرَاقِ، بَعْدَمَا قَامَتِ الحُجَّةُ عَلَى أَنَّ صِراطَ اللهِ هُوَ طَرِيقُ الحَقِّ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ فِي انتِقَامِهِ، لاَ يَفُوتُهُ هَارِبٌ، وَلاَ يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، حَكِيمٌ فِي أَحْكَامِهِ، وَفِي نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ.

زَلَلْتُمْ - وَقَعْتُمْ فِي الخَطَإِ، وَحِدْتُمْ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ.

(والْمَلاَئِكَةُ)

(٢١٠) - وَيُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى المُخَالِفِينَ مِنْ عَاقِبَةِ الانْحِرَافِ عَنِ الدُّخُولِ فِي السِّلْمِ، وَالاسْتِمْرارِ فِي اتِّبَاعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ. ثُمَّ يَسْأَلُهُمْ، مُسْتَنْكِراً تَرَدُّدَهُمْ فِي الاسْتِجَابَةِ للهِ وَرَسُولِهِ: مَا الذِي يَنْتَظِرُونَ، وَمَاذَا يَترَقَّبُونَ؟ وَهَلْ سَيَبْقَوْنَ فِي تَرَدُّدِهِمْ حَتَّى يَوْمِ القِيَامَةِ وَالحَشْرِ يَوْمَ يَأْتِي اللهُ تَعَالَى فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ لِمُحَاسَبَةِ الخَلاَئِقِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَتَوْفِيَتِهِمْ جَزَاءَهُمُ العَادِلَ.

وَتَأْتِي المَلاَئِكَةُ صَفّاً لِتَنْفِيذِ مَا قَضَاهُ اللهُ وَيَقِفُونَ لا يَتَكَلَّمُونَ.

وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَجِدُ المُتَرَدِّدُونَ أَنَّ الأَمْرَ قُضِيَ، وَفَاتَتْ فُرْصَةُ التَّوْبَةِ إِلَى اللهِ، وَعَزَّتِ النَّجَاةُ، وَوَقَفُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ سُبْحَانَهُ، وَإِلَيهِ تَرْجِعُ الأُمُورُ كُلُّهَا فَيَضَعُ كُلَّ شَيءٍ فِي المَوْضِعِ الذِي قَضَاهُ.

ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ - طَاقَاتٍ مِنَ السَّحَابِ الأَبْيَضِ الرَّقِيقِ.

(بَنِي إِسْرائِيلَ) (آتَيْنَاهُم) (آيَةٍ)

(٢١١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَاهَدُوا مَعَ مُوسَى أَكْثَرَ مِنْ حُجَّةٍ قَاطِعَةٍ (آيةٍ) تَشْهَدُ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ أَعْرَضُوا عَنْهَا، وَاسْتَبْدَلُوا بِالإِيمَانِ بِنِعْمَةِ اللهِ الكُفْرَ بِهَا، وَالإِعْرَاضَ عَنْهَا، وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَإِنَّ اللهَ ذُو عِقَابٍ شَدِيدٍ أَليمٍ.

(الْحَيَاةُ) (آمَنُوا) (القِيَامَةِ)

(٢١٢) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ زَيَّنَ الحَيَاةَ الدُّنيا، وَحَسَّنَهَا فِي أَعْيُنِ الكَافِرِينَ الذِينَ رَضُوا بِهَا، وَجَمَعُوا الأَمْوالَ، وَمَنَعُوا إِنْفَاقَهَا فِيمَا أَمَرَ اللهُ، وَسَخِرُوا مِنَ الذِينَ آمَنُوا، الذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الحَيَاةِ الدُّنيا وَزُخْرُفِهَا، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ رَبِّهِمْ، فَفَازُوا بِالمَقَامِ

بِغَيۡرِ حِسَابٖ

﴿٢١٣﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ

﴿٢١٤﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ

الأَوَّلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَكَانُوا بِذَلِكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ القِيَامَةِ. وَيُعْطِي اللهُ مَنْ يُرِيدُ مِنْ خَلْقِهِ عَطَاءً جَزِيلاً بِلا حَصْرٍ وَلا تَعْدَادٍ فِي الدُّنيا، لأَنَّ الرِزْقَ لاَ يُقَدَّرُ عَلَى حِسَابِ الإيمَانِ وَالكُفْرِ، بَلْ يَجْرِي تَبَعاً لِمَشِيئَةِ اللهِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُزَادُ لَهُ الرِّزْقُ آسْتِدْرَاجاً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقْتَر عَلَيهِ آخْتِبَاراً.

بِغَيْرِ حِسَابٍ - بِلا تَحْدِيدٍ وَلاَ تَقْتِيرٍ.

(وَاحِدَةً) (النَّبِيِّينَ) (الْكِتَابَ) (الْبَيِّنَاتُ) (آمَنُوا) (صِرَاطٍ)

(٢١٣) - كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً مُتَّفِقَةً عَلَى مِلَّةِ آدَمَ عَلَيهِ السَّلاَمُ، وَلَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيهِمُ العَهْدُ تَطَرَّقَ الزَّيْغُ وَالشِّرْكُ إلى عَقَائِدِهِمْ، وَآخْتَلَفُوا فِي المَذَاهِبِ وَالآرَاءِ وَالمُعْتَقَدَاتِ فَكَانَ مِنْ لُطْفِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ بِالخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَمُنْذِرِينَ بِحُبُوطِ عَمَلِ مَنِ آتَّبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي العَاقِبَةِ. وَاللهُ تَعَالَى يَبْعَثُ الأَنْبِيَاءَ لِيُنَبِّهُوا أَقْوَامَهُمْ إلى مَا غَفَلُوا عَنْهُ، وَيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ سَيِّءِ العَادَاتِ، وَقَبِيحِ الأَعْمَالِ. وَكِتَابُ اللهِ هُوَ الذِي يَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا آخْتَلَفُوا فِيهِ. وَقَدْ قَامَ الاخْتِلاَفُ بَيْنَ النَّاسِ بِسَبَبِ الاخْتِلاَفِ الذِي وَقَعَ بَيْنَ الرُّؤَسَاءِ وَالأَحْبَارِ وَالعُلَمَاءِ القَائِمِينَ عَلَى الدِّينِ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ سَبَبُ الاخْتِلاَفِ هٰذا هُوَ البَغْيُ وَتَعَدِّي الحُدُودِ التِي أَقَامَهَا الدِّينُ حَوَاجِزَ بَيْنَ النَّاسِ.

وَقَدْ هَدَى اللهُ المُؤْمِنِينَ إلى الحَقِّ الذِي آخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ، فَوَصَلُوا إلَى مَا يُرْضِي رَبَّهُمْ. فَالإيمَانُ الصَّحِيحُ نُورٌ يَسْطَعُ فِي العُقُولِ فَيَهْدِيهَا فِي ظُلُمَاتِ الشُّبَهِ وَالضَّلاَلاَتِ، وَيُضِيءُ السَّبِيلَ إلى الحَقِّ الذِي لاَ يُخَالِطُهُ بَاطِلٌ، فَالمُؤْمِنُ هَادِئُ القَلْبِ، مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ فِي آضْطِرَابٍ وَقَلَقٍ وَحُرُوبٍ، أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِأَنْعُمِ اللهِ فَقَدْ عُوقِبُوا عَلَى هٰذا الكُفْرِ بِفَشْوِ الشَّرِّ، وَفَسَادِ الأَمْرِ، وَآضْطِرَابِ النَّفْسِ.

بَغْياً بَيْنَهُمْ - حَسَداً وَظُلْماً بَيْنَهُمْ.

(آمَنُوا)

(٢١٤) - يُخَاطِبُ اللهُ تَعَالَى الذِينَ هَدَاهُمْ إلى السِّلْمِ، وَإِلَى الخُرُوجِ مِنْ ظُلْمَةِ الاخْتِلاَفِ، إلَى نُورِ الوِفَاقِ، بِاتِّبَاعِهِمْ هُدَى الكِتَابِ زَمَنَ التَّنْزِيلِ، الذِينَ يَظُنُّونَ مِنْهُمْ أَنَّ آنْتِسَابَهُمْ إلى الإِسْلامِ فِيهِ الكِفَايَةُ لِدُخُولِ الجَنَّةِ دُونَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا الشَّدَائِدَ وَالأَذَى فِي سَبِيلِ الحَقِّ،

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ

وَهِدايَةِ الخَلْقِ، جهْلاً مِنْهُمْ بِسُنَّةِ اللهِ تَعالَى فِي أَهْلِ الهُدَى مُنْذُ أَنْ خَلقَهُمْ. فَيقُولُ لَهُمْ: هَلْ تَحْسَبُونَ أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ تُبْتَلوا وَتُخْتَبَرُوا كَما فُعِلَ بِالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الأُمَمِ الذِينَ ٱبتُلُوا بِالفَقْرِ (البَأْسَاءُ)، وَبِالأَسْقَامِ وَالأَمْرَاضِ (الضَّرَّاءُ)، وَخُوِّفُوا وَهُدِّدُوا مِنَ الأَعْدَاءِ، (زُلْزِلُوا)، وَٱمتُحِنُوا ٱمْتِحَاناً عَظِيماً، وَٱشْتَدَّتِ الأُمُورُ بِهِمْ حَتَّى تَسَاءَلَ الرَّسُولُ وَالمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ: مَتَى يَأْتِي نَصْرُ اللهِ؟

وَحِينَما تَثْبُتُ القُلُوبُ عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ المِحَنِ المُزَلْزِلَةِ، حِينَئِذٍ تَتِمُّ كَلِمَةُ اللهِ، وَيَجِيءُ نَصْرُهُ الذِي يَدَّخِرُهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِبَادِهِ الذِينَ يَسْتَيْقِنُونَ أَنْ لا نَصْرَ إِلاَّ نَصْرُ اللهِ.

مَثَلُ الذِينَ خلَوا - حَال الذِينَ مَضَوا مِنَ المُؤْمِنينَ.

البَأْسَاءُ - البُؤْسُ وَالفقْرُ.

الضَّرَّاءُ - المَرَضُ وَالأَلَمُ.

زُلْزِلُوا - أُزْعِجُوا إِزْعاجاً شَدِيداً.

(يَسْأَلُونَكَ) (فلِلْوَالِدَيْنِ) (واليَتَامَى) (والْمَسَاكِينِ)

﴿٢١٥﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ

(٢١٥) - يَسْأَلُكَ المُؤْمِنُونَ: كَيْفَ يُنْفِقُونَ؟ وَبِأَيِّ شَيءٍ يَتَصدَّقُونَ؟ وَعلَى مَنْ يَتَصدَّقُونَ؟ فَأَجِبْهُمْ يا مُحَمَّدُ: أَنْ يُنْفِقوا مَا تَيَسَّرَ لَهُمْ عَلَى الوالِدينِ وَالأَقْربِينَ وَاليَتامَى وَالمَساكِينِ وَأَبْناءِ السَّبِيلِ؛ وَأَيُّ فِعْلِ مَعْرُوفٍ، وَأَيَّةُ نفَقَةٍ تُنْفِقُونَها فِي وُجُوهِ البِرِّ وَالطَّاعَةِ فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِها، وَسَيَجْزِي عَلَيها فَاعِلِيها أَوْفَرَ الجَزَاءِ، وَاللهُ لاَ يَظْلِمُ أَحداً مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. وَالإِنفَاقُ إِنَّما يَكُونُ مِنَ المَالِ الطَّيِّبِ الحَلاَلِ.

﴿٢١٦﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

(٢١٦) - كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعالَى بِالإِنْفَاقِ عَلَى اليَتامَى وَالمَساكِينِ لِحِمايَةِ المُجْتَمعِ مِنْ دَاخِلِه، كَذٰلِكَ فَرَضَ اللهُ الجِهادَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَمُحَارَبَةَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، لِيَكُفُّوا عَنِ الجَماعَةِ المُسْلِمَةِ شَرَّ أَعْدَائِها. وَالجِهادُ فَرْضُ كِفايَةٍ إِذَا قَامَ بِهِ بَعْضُ الأُمَّةِ سَقَطَ عَنِ البَاقِينَ، وَالجِهادُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ غَزا أَوْ قَعَدَ، فَالقاعِدُ عَلَيهِ أَنْ يُعِينَ إِذا ٱسْتَعَانَ بِهِ النَّاسُ، وَأَنْ يُغِيثَ إِذا ٱسْتَغَاثُوا بِهِ، وَأَنْ يَنْفِرَ إِذا ٱسْتُنْفِرَ.

وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ الجِهادَ فِيهِ كُرْهٌ وَمَشَقَّةٌ عَلَى الأَنْفُسِ، مِنْ تَحمُّلِ مَشَقَّةِ السَّفَرِ، إِلَى مَخاطِرِ الحُرُوبِ وَمَا فِيها مِنْ جَرْحٍ وَقَتْلٍ وَأَسْرٍ، وَتَرْكٍ لِلْعِيالِ، وَتَرْكٍ لِلتِّجارَةِ وَالصَّنْعَةِ وَالعَمَلِ.. إلخ، وَلٰكِنْ قَدْ يَكُونُ

(٢١٧) يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(٢١٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

فِيهِ الخَيْرُ لأَنَّهُ قَدْ يَعْقُبُهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ بِالأَعْدَاءِ، وَالاستِيلاءُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَبِلادِهِمْ. وَقَدْ يُحِبُّ المَرْءُ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَهُ، وَمِنْهُ القُعُودُ عَنِ الجِهَادِ، فَقَدْ يَعْقُبُهُ آستِيلاءُ الأَعْدَاءِ عَلَى البِلادِ وَالحُكْمِ، وَاللهُ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الأُمُورِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْلَمُها العِبَادُ.

كُرْهٌ لَكُمْ - مَكْرُوهٌ لَكُم طَبْعاً.

(يَسْأَلُونَكَ) (يُقَاتِلُونَكُمْ) (اسْتَطَاعُوا) (فَأُولَئِكَ) (أَعْمَالُهُم) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢١٧) - بَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْش عَلَى سَرِيَّةٍ وَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَلَقِيَتِ السَّرِيَّةُ آبْنَ الحَضْرَمِيِّ فَقَتَلَتْهُ، وَلَمْ يَعْرِفْ رِجَالُ السَّرِيَّةِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ اليَوْمُ مِنْ رَجَبٍ أَوْ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ. فَقَالَ المُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ: قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هٰذِهِ الآيَةَ. وَفِيهَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِلْمُشْرِكِينَ: إِنَّ القِتَالَ فِي الشَّهرِ الحَرَامِ أَمْرٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِهِ، وَجُرْمٌ عَظِيمٌ، وَلٰكِنَّهُ إِذا آرتُكِبَ لإِزَالَةِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، كَانَ لَهُ مَا يُبَرِّرُهُ، وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ المُشْرِكُونَ مِنَ الكُفْرِ بِاللهِ، وَالصَّدُّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَمُحَاوَلَةِ فِتْنَةِ المُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ بِالتَّعْذِيبِ وَالتَّهْدِيدِ، وَإِخراجِ المُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ. كُلُّ ذٰلِكَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ مِنَ القِتَالِ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ.

وَقَدْ كَانَ المُشْرِكُونَ يَفْتِنُونَ المُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ بِالتَّعْذِيبِ وَالإِخَافَةِ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَى الكُفْرِ، وَهٰذا أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ مِنَ القَتْلِ، وَهُمْ مَا زَالُوا مُقِيمِينَ عَلَى الكُفْرِ، وَعَلَى مُحَاوَلَةِ فِتْنَةِ المُسْلِمِينَ لِيَرُدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ إِنِ آسْتَطَاعُوا، وَعَلَى مُحَاوَلَةِ مَنْعِ الإِسْلامِ مِنَ الانْتِشَارِ وَالقَضَاءِ عَلَيهِ، إِنْ أَمْكَنَهُم ذٰلِكَ، لاِسْتِحْكَامِ عَدَاوَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ. وَيُهَدِّدُ اللهُ مَنْ يَضْعُفُ مِنَ المُسْلِمِينَ أَمَامَ هَجَمَاتِهِمْ، وَمُحَاوَلاتِهِمْ وَإِغْرَاءَاتِهِمْ فَيَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ، ثُمَّ يَمُوتُ وَهُوَ كَافِرٌ، بِالعَذَابِ الأَلِيمِ الأَبَدِيِّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَبِحُبُوطِ عَمَلِهِ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ - مُسْتَكْبَرٌ عَظِيمُ الوِزْرِ.

الفِتْنَةُ - الشِّرْكُ وَالظُّلْمُ وَالكُفْرُ بِاللهِ.

حَبِطَتْ - هَلَكَتْ وَبَطَلَتْ.

(آمَنُوا) (وَجَاهَدُوا) (أُولَئِكَ) (رَحْمَةَ)

(٢١٨) - يَعِدُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ الذِينَ دَفَعَهُمْ إِيمَانُهُمُ الصَّادِقُ إِلى

أُولَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ

الهِجْرَةِ، وَإلى الجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، لِنَصْرِ دِينِ اللهِ، وَرَدِّ أذَى الكُفَّارِ، وَإلى الصَّبْرِ عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ مِنْ أذَى المُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِمْ وَإيمَانِهِم، بِإحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: النَّصْرِ أوِ الشَّهَادَةِ، وَهؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ الصَّابِرُونَ هُمُ الذِينَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ، وَاللهُ تَعَالَى لاَ يُخَيِّبُ رَجَاءَهُمْ، وَهُوَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ للتَّائِبِينَ المُسْتَغْفِرِينَ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ بِالمُؤْمِنِينَ.

ربع الحزب ٤

٢١٩ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ
ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ
كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ
أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ
مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ

(يَسْألُونَكَ) (وَمَنَافِعُ) (وَيَسْألُونَكَ) (الآيَاتِ)

(٢١٩) ـ جَاءَ الرَّسُولُ ﷺ المَدِينَةَ وَكَانَ النَّاسُ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ. وَالخَمْرُ عِنْدَ الإمَامِ الشَّافِعِيِّ هِيَ كُلُّ مَا أسْكَرَ.

وَكَانَ العَرَبُ يَعْرِفُونَ لَعِبَ المَيْسِرِ (أي القِمَارِ) وَيُمَارِسُونَهُ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَهُ وَسِيلَةً لِمُسَاعَدَةِ الفُقَرَاءِ وَكَانَتِ العَرَبُ تَلْعَبُ المَيْسِرَ بِقِدَاحٍ (وَالقِدْحُ هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الخَشَبِ كَالقَلَمِ أوِ السَّهْمِ) وَالقِدَاحُ عَشَرَةٌ كُتِبَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا اسْمٌ، فَمِنْ هَذِهِ القِدَاحِ مَا يَرْبَحُ رِبْحاً عَظِيماً، وَمِنْهَا مَا يَرْبَحُ رِبْحاً مُتَوَسِّطاً، وَمِنْهَا مَا لاَ يَرْبَحُ وَهِيَ ثَلاَثَةُ قِدَاحٍ (المَنِيحُ وَالسَّفِيحُ وَالوَغْدُ). فَمَنْ خَرَجَ لَهُ سَهْمٌ رَابِحٌ أخَذَ نَصِيباً مِنَ الجَزُورِ (وَهُوَ البَعِيرُ المَذْبُوحُ) يُقَابِلُ الأسْهُمَ المُخَصَّصَةَ لِقِدْحِهِ.

وَمَنْ خَرَجَ لَهُ سَهْمٌ غَيْرُ رَابِحٍ غَرِمَ ثَمَنَ الجَزُورِ، وَلاَ يَأْخُذُ شَيْئاً. وَكَانَ المُقَامِرُونَ لاَ يَأخُذُونَ شَيْئاً مِنَ الرِّبْحِ لأنْفُسِهِمْ، وَإنَّمَا يُوَزِّعُونَهُ عَلَى الفُقَرَاءِ. وَكَانَ العَرَبُ يَعِيبُونَ عَلَى مَنْ لاَ يُمَارِسُ القِمَارَ، وَيُسَمُّونَهُ الوَغْدَ. وَتَطَوَّرَ لَعِبُ المَيْسِرِ فَشَمَلَ صُوَراً أخْرَى، وَأصْبَحَتْ لَهُ غَايَاتٌ أخْرَى غَيرُ الإنْفَاقِ عَلَى الفُقَرَاءِ، فَأصْبَحَ المُقَامِرُ يَسْعَى وَرَاءَ نَفْعِ نَفْسِهِ. وَقَدْ سَألَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ حُكْمِ تَنَاوُلِ الخَمْرِ وَبَيْعِهَا، وَعَنْ حُكْمِ لَعِبِ المَيْسِرِ، فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

أمَّا إثْمُ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ فَهُوَ فِي الدِّينِ، أمَّا المَنَافِعُ فَهِيَ دُنْيَوِيَّةٌ، وَلَكِنَّ هَذِهِ المَنَافِعَ لاَ تُوَازِي المَضَارَّ الوَاضِحَةَ لِتَعَلُّقِهَا بِالعَقْلِ وَالدِّينِ (فَإثْمُهُمَا أكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا).

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾

وَسَأَلَ المُسْلِمُونَ الرَّسُولَ ﷺ مَاذَا يُنْفِقُونَ؟ فَأَجَابَهُمُ اللهُ تَعَالَى قَائِلاً: (العَفْوَ) أَيْ مَا يَسْهُلُ عَلَى الإِنْسَانِ إِنْفَاقُهُ مِمَّا يَفِيضُ عَنْ حَاجَةِ الإِنْسَانِ، وَحَاجَةِ عِيَالِهِ، وَذَوِي قُرْبَاهُ. (وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلى، وَٱبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ). وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ الآيَاتِ فِي أَحْكَامِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَشُؤُونِهِما مَعاً، فَتَجْتَمِعَ مَصَالِحُ الجَسَدِ وَالرُّوحِ، وَتَكُونُوا أُمَّةً وَسَطاً لاَ تَتَهَالَكُ عَلَى الدُّنيا وَتَنْسَى الآخِرَةَ، وَلاَ تَنْسَى الدُّنيا لأَنَّ الدُّنيا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ.

المَيْسِرُ - القِمَارُ.

العَفْوَ - مَا فَضُلَ عَنِ الحَاجَةِ.

(الآخِرَةِ) (وَيَسْأَلُونَكَ) (اليَتَامَى) (فَإِخْوَانُكُمْ)

(٢٢٠) - وَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(١) وَقَوْلَهُ: ﴿**إِنَّ الذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾(٢)، ٱنْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ فَجَعَلَ يَفْضُلُ لَهُ الشَّيءُ مِنْ طَعَامِهِ فَيَحْبِسُهُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ. فَٱشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَذَكَرُوهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ. وَمَعْنَاهَا: إِنَّ عَزْلَ مَالِهِمْ خَيْرٌ، وَمُخَالَطَتَهُمْ خَيْرٌ، لأَنَّهُمْ إِخْوَانٌ فِي الدِّينِ، واللهُ يَعْلَمُ نَوَايَا النَّاسِ، مَنْ يَقْصُدُ الإِفْسَادَ مِنْهُمْ، وَمَنْ يَقْصُدُ الإِصْلاحَ. وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَضَيَّقَ عَلَى النَّاسِ، وَلأَحْرَجَهُمْ، وَلَكِنَّهُ وَاسِعٌ فَوَسَّعَ عَلَيهِمْ، وَخَفَّفَ عَنْهُمْ، وَأَبَاحَ لَهُمْ مُخَالَطَةَ اليَتَامَى بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَمُعَامَلَتَهُمْ مُعَامَلَةَ الإِخْوَةِ، وَعَفَا عَمَّا جَرَى العُرْفُ بِهِ مِنَ المُسَامَحَةِ فِيهِ، إِذْ أَنَّ ذَلِكَ لاَ يَسْتَغْنِي عَنْهُ الخُلَطَاءُ، وَوَكَّلَ ذَلِكَ إِلى ضَمَائِرِهِمْ. وَاللهُ مُرَاقِبٌ لأَعْمَالِ النَّاسِ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ، فَالمُهِمُّ فِي الأَمرِ أَنْ تَكُونَ نِيَّةُ الإِنْسَانِ مُنْصَرِفَةً إِلَى الخَيْرِ، وَإِلَى الحِفَاظِ عَلَى مَصْلَحَةِ اليَتِيمِ، وَمُرَاقَبَةِ اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ.

---

(١) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ١٠ من سورة النساء.

﴿٢٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(الْمُشرِكَاتِ) (أولئِكَ) (يَدْعُو) (آيَاتِهِ)

(٢٢١) - يُحَرِّمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنينَ أنْ يَتَزَوَّجُوا الْمُشْرِكَاتِ اللَّواتي لاَ كِتَابَ لَهُنَّ، طَمَعاً فِي مَالِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ وَحَسَبِهِنَّ، مَا دُمْنَ عَلَى شِرْكِهِنَّ، لأنَّ الْمُشْرِكَةَ لاَ دِينَ لَهَا يُحَرِّمُ عَلَيها الخِيَانَةَ، وَيأمُرُهَا بِالخَيْرِ، وَينْهَاهَا عَنِ الشَّرِّ، وَقَدْ تُفسِدُ عَقِيدَةَ أوْلادِها. وَقِيلَ: إنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ رَواحَةَ، الأنْصَارِيِّ، فَقَدْ كَانَتْ عِنْدَهُ أمَةٌ سَوْدَاءُ فَغَضِبَ عَليهَا يَوْماً فَلَطَمَهَا، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ يَعْتَذِرُ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لأعْتِقَنَّهَا وَلأتَزَوَّجَنَّهَا. فَعَابَ عَليهِ أنَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ ذَلِكَ. وَقَالُوا: نَكَحَ أمَتَهُ. وَكَانُوا يُفَضِّلُونَ نِكَاحَ الْمُشْرِكَاتِ، وَإنكَاحَ الْمُشْرِكِينَ بَنَاتِهِمْ طَمَعاً فِي أحْسَابِهِمْ. فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

وَكَذَلِكَ مَنَعَ اللهُ الْمُسْلِمينَ مِنْ أنْ يُزَوِّجُوا بَنَاتِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَا دَامُوا مُقِيمِينَ عَلَى شِرْكِهِمْ.

أمَّا زَوَاجُ الكِتَابِيِّ بِمُسْلِمَةٍ فَحَرَامٌ بِنَصِّ السُّنَّةِ، وإجماعِ المُسْلِمينَ عَلَى ذَلِكَ، إذ يُخْشَى أنْ يُزِيغَهَا عَنْ دِينِها بِمَا لَهُ عَلَيهَا مِنْ سُلطانٍ. وَقَالَ تَعَالَى: إنَّ مُعَاشَرَةَ الْمُشْرِكِينَ تَدْعُو إلى حُبِّ الدُّنْيَا والافْتِتَانِ بها، وَإلى التَّقْصِيرِ فِي أدَاءِ الوَاجِبَاتِ الدِّينِيةِ، وَعَاقِبةُ ذَلِكَ وَخِيمَةٌ. وَاللهُ يَدْعُو إلَى المَغْفِرَةِ بِمَا أمَرَ بِهِ فِي شَرْعِهِ، وَبِمَا نَهَى عَنْهُ. وَهُوَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَ صَلاحَهُمْ وَرَشَادَهُمْ.

﴿٢٢٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ

(وَيسألُونَكَ) (التَّوَّابِينَ)

(٢٢٢) - قَالَ أنسٌ: كَانَتِ اليَهُودُ إذا حَاضَتِ المَرْأةُ مِنْهُمْ لَمْ يُؤاكِلُوهَا، وَلَمْ يَجْتَمِعُوا مَعَهَا فِي البَيْتِ. فَسَألَ الصَّحَابَةُ الرَّسُولَ ﷺ فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

وَسَألَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَمَّا يَحِلُّ لَهُ مِنِ امْرَأتِهِ وَهِيَ حَائِضٌ. فَقَالَ: (مَا فَوْقَ الإزَارِ وَالتَّعَفُّفُ عَنْ ذَلِكَ أفْضَلُ).

وَقَدِ اتَّفَقَ الفُقَهَاءُ عَلَى أنَّ المَرأةَ إذا انْقَطَعَ حَيْضُهَا لاَ تَحِلُّ حَتَّى تَغْتَسِلَ، أوْ تَتَيَمَّمَ، إنْ تَعَذَّرَ عَلَيهَا المَاءُ بِشُرُوطِهِ. فَإذا طَهُرْنَ حَلَّ وَطْؤُهُنَّ فِي مَكَانِ الحَرْثِ، بَعْدَ أنْ كَانَ اللهُ قَدْ أمَرَ بِاعْتِزَالِهِنَّ فِي المَحِيضِ، وَاللهُ يُحِبُّ التَّوابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَإنْ تَكَرَّرَ غِشْيَانُها، وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ عَنِ الأقْذَارِ وَالأذَى وَالفَوَاحِشِ.

أذىً - قَذَرٌ يُؤْذِي.

٢٢٣ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(مُلاقُوهُ)

(٢٢٣) - كَانَ اليَهُودُ يَقُولُونَ لِلأنْصَارِ: إنَّهُ مَنْ وَاقَعَ امْرَأتَهُ وَهِيَ مُدْبِرَةٌ أوْ مُضْطَجِعَةٌ عَلَى جَنْبِهَا جَاءَ الوَلَدُ أحْوَلَ العَيْنَيْنِ. فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ مُبِيحاً فِيهَا لِلأزْوَاجِ إتْيَانَ نِسَائِهِمْ فِي مَكَانِ الحَرْثِ، وَإنْجَابِ النَّسْلِ - وَهُوَ القُبُلُ - عَلَى أيَّةِ صُورَةٍ شَاؤُوا (عَلَى أنْ يَتَّقُوا الدُّبُرَ وَالحَيْضَةَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ).

وَيَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بأنْ يُقَدِّمُوا لأنْفُسِهِمْ مِنَ الأفْعَالِ الصَّالِحَاتِ، وَأنْ يَتْرُكُوا المُحَرَّمَاتِ، وَأنْ يَتَّقُوا اللهَ، وَأنْ يَعْلَمُوا أنَّهُمْ مُلاقُوهُ، يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أعْمَالِهِمْ جَمِيعِها. وَيُبَشِّرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ المُطِيعِينَ لَهُ فِيمَا أمَرَهُمْ، وَالتَّارِكِينَ مَا زَجَرَهُمْ عَنْهُ بِأنَّ لَهُمُ الثَّوَابَ الحَسَنَ.

٢٢٤ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(لأيْمَانِكُمْ)

(٢٢٤) - لاَ تَجْعَلُوا أيْمَانَكُمْ بِاللهِ، وَحَلْفَكُمْ بِهِ مَانِعَةً لَكُمْ مِنَ البِرِّ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، إذا حَلَفْتُمْ عَلَى تَرْكِها. فَالاسْتِمْرارُ عَلَى اليَمِينِ المَانِعَةِ لِلبِّرِ أكْثَرُ إثماً لِصَاحِبِها مِنَ الخُرُوجِ مِنْها بِالتَّكْفِيرِ عَنِ الحِنْثِ بِاليَمِينِ. وَاللهُ لا يَرْضَى أنْ يَكُونَ آسْمُهُ حِجَاباً دُونَ الخَيْرِ. (وَقِيلَ إنَّ مَعْنَى الآيَةِ هُوَ: لاَ تَجْعَلُوا آسْمَ اللهِ مُعَرَّضاً لِكَثْرَةِ الحَلْفِ بِهِ، لأنَّ ذَلِكَ يَنْفِي تَعْظِيمَ آسْمِ اللهِ، وَلأنَّ التَّصَوُّنَ عَنْ كَثْرَةِ الحَلْفِ بِآسْمِ اللهِ يُؤدِّي إلى البِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالقُدْرَةِ عَلَى الإصْلاحِ بَيْنَ النَّاسِ، إذْ يَكُونُ المُتَصَوِّنُ جَلِيلَ القَدْرِ فِي أعْيُنِ النَّاسِ فَيُقْبَلُ قَوْلُهُ).

وَاللهُ سَمِيعٌ لأقْوَالِ العِبَادِ وَأيْمَانِهِمْ، عَلِيمٌ بِأقْوَالِهِمْ وَأحْوَالِهِمْ وَنَوَايَاهُمْ.

عُرْضَةً لأيمانِكُم - مَانِعاً عَنِ الخَيرِ لحلْفِكُمْ بِهِ عَلَى تَرْكِهِ.

٢٢٥ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

(أيْمَانِكُمْ)

(٢٢٥) - لاَ يُؤَاخِذُ اللهُ المُؤْمِنِينَ وَلاَ يُعَاقِبُهُمْ عَمَّا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ أيمانٍ لاغِيَةٍ لَمْ يُقْصَدْ بِهَا الحَلْفُ وَعَقْدُ اليَمِينِ، وَإنَّمَا جَرَتْ عَلَى ألْسِنَتِهِمْ عَادَةً مِنْ غيرِ عَقْدٍ وَلاَ تَوْكِيدٍ (كَقَولِ الرَّجُلِ بَلَى وَاللهِ، وَلا وَاللهِ، فَذلِكَ لاَ إثْمَ فِيهِ وَلاَ كَفَّارَةَ) وَلكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُؤَاخِذُ الذِي يَحْلِفُ عَلَى الشَّيءِ وَهُوَ يَقْصُدُ عَقْدَ اليَمِينِ، وَيَعْلَمُ أنَّهُ كَاذِبٌ، وَاللهُ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ التَّائِبِينَ، حَلِيمٌ عَلَيهِمْ.

بِاللَّغْوِ فِي أيْمَانِكُمْ - مَا يَجْرِي عَلَى اللِسَانِ مِمّا لا يُقْصَدُ بِهِ اليَمِينُ.

﴿٢٢٦﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(نِسَائِهِم) (فاؤُوا)

(٢٢٦) - الإيلاءُ هُوَ الحَلْفُ، وَهُوَ مِنْ ضِرارِ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ، إذْ كَانَ الرَّجُلُ لاَ يُحِبُّ امرأتَه، ويَكْرَهُ أنْ يَتزوَّجها غَيْرُهُ إنْ طَلَّقها، فَيَحْلِفُ أنْ لاَ يَقْربَها أبداً، ويَتْرُكُها لاَ هِيَ أَيِّمٌ وَلاَ هِيَ ذَاتُ زَوْجٍ ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ فِي ابتداءِ أمرِ الإِسْلاَمِ يَفْعَلُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأزَالَ اللهُ تَعَالَى بِهذِهِ الآيَةِ الضَّرَرَ عَنِ النِّسَاءِ.

فَإذا حَلَفَ الرَّجُلُ أنْ لاَ يُوَاقِعَ امْرَأتَهُ مُدَّةً، فإنْ كَانَتْ يَمِينُهُ لأقَلَّ مِنْ أربَعَةِ أشْهُرٍ انْتَظَرَ انْقِضاءَ المُدَّةِ ثُمَّ يَعُودُ إلى مُواقَعَتِها، وَلَيسَ لِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةُ الزَّوْجِ بالفَيْئَةِ (أيْ العَوْدَةِ إلى مُعَاشرتِها مُعاشَرَةَ الأَزْوَاجِ) خِلالَ ذَلِكَ. أمَّا إذا كَانَ الإِيلاءُ لأَكْثَرَ مِنْ أربَعَةِ أشْهُرٍ، فَلِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةُ زَوْجِها بالفَيْئَةِ عِنْدَ انْقِضَاءِ أرْبَعَةِ أشْهُرٍ؛ وَهُوَ إمَّا أنْ يَعُودَ إلى مُعَاشَرتِها مُعاشَرَةَ الأَزْوَاجِ ، وَإمَا أنْ يُطَلِّقَها. فَإنْ عَادَ إلى مُعَاشَرتِها، فَإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَا سَلَفَ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَعَلَى الزَّوْجِ فِي كُلِّ حَالٍ أنْ يُرَاقِبَ اللهَ فِيمَا يَخْتارُهُ بِحَقِّ النِّسَاءِ. وَلِلزَّوْجِ خِلالَ مُدَّةِ الإِيلاَءِ أنْ يُواقِعَ زَوْجَتَهُ، ويُكَفِّرَ عَنْ يَمِينِهِ، فَيَسْتَمِرَّ الزَّوَاجُ قَائِماً.

يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ - يَحْلِفُونَ عَلَى تَرْكِ مُوَاقَعَةِ نِسَائِهِمْ.
تَرَبُّصُ - انْتِظَارُ.
فَاؤُوا - رَجَعُوا فِي المُدَّةِ عَمَّا حَلَفُوا عَلَيه.

﴿٢٢٧﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(الطَّلاَقَ)

(٢٢٧) - أمَّا إذا مَضتِ الأَشْهُرُ الأَرْبَعَةُ المُحدَّدَةُ، فَقَدِ اخْتَلَفَ الفُقَهاءُ حَوْلَ مَسْألَةِ وُقُوعِ الطَّلاقِ بِمُجَرَّدِ انْقِضَاءِ المُدَّةِ، وَأكْثَرُهُمْ عَلَى أنَّ الطَّلاَقَ لاَ يَقَعُ، فَإذا لَمْ يُطَلِّقْهَا أُلْزِمَ بالطَّلاَقِ. وَاللهُ سَمِيعٌ لأَيْمَانِهِمْ، عَلِيمٌ بِأحْوَالِهِمْ، وَسَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ.

﴿٢٢٨﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ

(المُطَلَّقَاتُ) (ثلاثَةَ) (إصْلاَحاً)

(٢٢٨) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُطَلَّقَاتِ المَدْخُولَ بِهِنَّ أنْ يَتَربَّصْنَ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ (أيْ حَيْضَاتٍ - وَقَالَ بَعْضُ الفُقَهَاءِ إنَّ قُرُوءاً تَعْنِي الأَطْهَارَ) اسْتِبْراءً لِلرَّحِمِ ، وَفُسْحَةً لاحْتِمَالِ المُرَاجَعَةِ، وبَعْدَ أنْ تَطْهُرَ المُطَلَّقَةُ مِنَ الحَيْضَةِ الثَّالِثَةِ لها أنْ تَتزَوَّجَ إنْ شَاءَتْ بِهِ. وَلاَ يَحِلُّ لِلْمُطَلَّقَةِ أنْ تَكْتُمَ مَا خَلَقَ اللهُ فِيهَا مِنْ حَمْلٍ إنْ عَلِمَتْ بِهِ. وَرَدَّ اللهُ الأَمْرَ إليهَا، وَوَكَلَهُ إلى إيمَانِهَا، لأنَّ المُؤْمِنَةَ تُراعي أمْرَ اللهِ، وَلأنَّ أمْرَ الحَمْلِ لاَ يُعْلَمُ إلاَّ

مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

مِنْ جِهتِها، وتَتَعذَّرُ إقامةُ البيِّنَةِ عَلَيه، وتوعَّدَها الله بالعِقابِ إنْ أخبرَتْ بغيرِ الحقِّ.

والزَّوجُ الذي طَلَّقَ المَرْأةَ هُو أحقُّ بردِّها ما دامَتْ في عِدَّتِها، إنْ كانَ يَبْغِي مِنْ وراءِ ردِّها الإصْلاحَ والخيْرَ، ومُعاشرتَها بالمَعْرُوفِ لا المَضارَّةَ والإيذاءَ، وَلَمَّا كانَتْ إرادةُ الإصْلاحِ بردِّ المَرْأةِ لا تُؤتي ثِمارَها إلَّا إذا قامَ كُلٌّ مِنْهُما بما عَليهِ مِنْ واجِباتٍ لِذلِكَ قالَ تَعالَى: إنَّ لِلْمَرْأةِ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الحُقُوقِ مِثْلَ ما لَهُ عَلَيها مِنْها، فَلْيُؤدِّ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ بالمَعْرُوفِ، وللرِّجالِ عَلَى النِّساءِ درجةٌ هِيَ الرِّئاسةُ، والقِيامُ عَلى المَصالِحِ، كَما فسَّرتْها الآيةُ: **﴿الرِّجالُ قوَّامُونَ على النِّساءِ بما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ وبمـا أنفقُوا مِنْ أمْوالِهِمْ﴾**(١). وفَسَّرَ بعْضُهُمْ (وللرِّجالِ عَليهِنَّ درجَةٌ) بأنَّها حَقُّ الرَّجُلِ في ردِّ المُطَلَّقةِ إلى عِصْمَتِهِ في فَتْرَةِ العِدَّةِ، وقَدْ جَعَلَ اللهُ هذا الحَقَّ في يَدِ الرَّجُلِ لأنَّهُ هُوَ الذِي طَلَّقَ. واللهُ عَزيزٌ في انْتِقامِهِ مِمَّنْ عَصاهُ، حَكِيمٌ في شَرْعِهِ وتَدْبِيرِهِ.

قُرُوءٍ - حَيْضَاتٍ (أوْ أطهارٍ).
بُعولَتُهُنَّ - أزْواجُهُنَّ.
دَرَجَةٌ - مَنْزِلَةٌ أوْ فَضِيلَةٌ بِالرِّعَايَةِ وَالإنْفَاقِ.

٢٢٩ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

(الطَّلاقُ) (بإحْسانٍ) (آتَيْتُمُوهُنَّ) (فأولئكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٢٢٩) - لَمْ يَكُنْ لِلطَّلاقِ في أوَّلِ الإسْلامِ وَقْتٌ وَلا عَدَدٌ، فَكانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ ثُمَّ يُراجِعُها. وقالَ أنصارِيٌّ لِزَوْجَتِهِ في حالٍ مِنْ خِصامِهِما: إنَّهُ سَيَتْرُكُها لا أيِّماً ولا ذاتَ زَوْجٍ. فَشَكَتْ أمْرَها لِلرَّسُولِ ﷺ فأنْزَلَ اللهُ تَعالَى هَذِهِ الآيَةَ. فَجَعَلَ الطَّلاقَ ثَلاثاً لا رَجْعَةَ فِيهِ بَعْدَ الطَّلْقَةِ الثَّالِثَةِ، حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ، فَلَهُ أنْ يُطَلِّقَها مَرَّتَيْنِ وفي الثَّالِثَةِ إمَّا أنْ يُمْسِكَها ويُعاشِرَها بالمَعْرُوفِ، وإمَّا أنْ يُفارِقَها بإحْسانٍ. فالطَّلاقُ الذي يَثْبُتُ فِيهِ للزَّوْجِ حَقُّ مُراجَعَةِ زَوْجَتِهِ وهِيَ في العِدَّةِ، هُوَ أنْ يُوجَدَ طَلْقَتانِ فَقَطْ، أمَّا في الثَّالِثَةِ فَلا يَثْبُتُ لِلزَّوْجِ حَقُّ المُراجَعَةِ، ولا تَحِلُّ المَرْأةُ لَهُ إلا بَعْدَ أنْ يَنْكِحَها زَوْجٌ آخَرُ.

وسَألَ صَحابِيٌّ النَّبِيَّ (ﷺ) قائِلاً: سَمِعْتُ اللهَ تَعالَى يَقُولُ: الطَّلاقُ مَرَّتانِ، فأيْنَ الثَّالِثَةُ؟ فَقالَ النَّبِيُّ: أوْ تَسْرِيحٌ بإحْسانٍ. ونَبَّهَ اللهُ تَعالَى

(١) الآية ٣٤ من سورة النساء.

عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بِأَنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يُضاجِرُوا زَوْجَاتِهِمْ، وَلاَ أَنْ يُضيِّقُوا عَلَيهِنَّ لِيَضْطَرُوهُنَّ إلى الافْتِداءِ بالتَّنازُلِ عَمَّا أَعْطُوهُنَّ مِنَ المُهُورِ وَغَيْرِهَا، أَوْ عَنْ بَعْضِ مَا أَعْطُوهُنَّ. أَمَّا إذا تَنازَلْنَ عَنْ طِيبِ خاطِرٍ فَلاَ بَأسَ فِي ذَلِكَ. أَمَّا إذا وَقَعَ الشِّقَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَينِ وَخَافَا أَنْ لاَ يَسْتَطِيعا القِيَامَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ كُلاً مِنْهُمَا مِنْ حُسْنِ المُعَاشَرَةِ إذا آسْتَمَرَّا فِي الحَياةِ الزَّوْجِيَّةِ، فَلِلزَّوْجَةِ أَنْ تَفتَدِيَ مِنَ الزَّوْجِ بِرَدِّ مَا أَعْطَاهَا مِنْ مَهْرٍ وَغَيْرِهِ، وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهَا فِي بَذْلِهَا لَهُ، وَلاَ حَرَجَ عَلَيهِ فِي قَبُولِهِ مِنْهَا. أَمَّا إذا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْأةِ عُذْرٌ، وَسَأَلَتْ زَوْجَها الافْتِداءَ مِنْهُ فَذَلِكَ حَرَامٌ. (وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّمَا آمْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقَهَا فِي غَيْرِ مَا بَأسٍ، فَحَرامٌ عَلَيها رَائِحَةُ الجَنَّةِ). (رَواهُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ). (وَقَالَ الرَّسُولُ أيضاً. المُخْتَلِعَاتُ هُنَّ المُنَافِقَاتُ) (رَواهُ أَحْمَدُ وَالتِّرمِذِيُّ). وَلا يَجُوزُ لِلزَّوْجِ عِنْدَ الإمَامِ أَحْمَدَ أَنْ يَأخُذَ مِنْ زَوْجَتِهِ غَيْرَ مَا أَعْطَاهَا. أَمَّا جُمْهُورُ الفُقَهَاءِ فَيُجِيزُونَ أَنْ يَأخُذَ مِنْهَا مَا يَتَّفِقَانِ عليهِ، وَلَوْ كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهَا. وَهَذا هُوَ شَرْعُ اللهِ وَحُدُودُهُ، فَلا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَتَجاوَزَ حُدُودَ اللهِ وَشَرْعَهُ، وَمَنْ يَتَجاوَزْها فَهُوَ مُعْتَدٍ ظَالِمٌ.

الطَّلاقُ مَرَّتَانِ - الطَّلاَقُ الرَّجْعِيُّ مَرَّةٌ بَعْدَ مَرَّةٍ.
تَسرِيحٌ بِإحْسَانٍ - طَلاَقٌ مَعَ أَداءِ الحُقُوقِ وَعَدَمِ المَضَارَّةِ.
تِلْكَ حُدُودُ اللهِ - أَحْكَامُهُ المَفْرُوضَةُ.

﴿٢٣٠﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(٢٣٠) - فَإنْ طَلَّقَ الزَّوْجُ زَوْجَتَهُ طَلْقَةً ثَالِثَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ طَلَّقَهَا طَلْقَتَيْنِ سَابِقَتَينِ، فَإنَّها تَحْرُمُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَعُودَ إلى نِكَاحِها حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ. وَيُجْمِعُ الفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ المُرادَ بِنِكَاحِ زَوْجٍ آخَرَ لَهَا لَيْسَ مُجَرَّدَ العَقْدِ، وَإنَّما المُعَاشَرَةُ الزَّوْجِيَّةُ الكَامِلَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عِقاباً لِذَوِي النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ. وَلَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ. (رَواهُ أَحْمَدُ وَالنَّسائِيُّ) وَالمُحَلِّلُ هُوَ الرَّجُلُ الذِي يَتَقَدَّمُ لِلْعَقْدِ عَلَى الزَّوْجَةِ المُطَلَّقَةِ، وَكُلُّ قَصْدِهِ هُوَ أَنْ يُحِلَّها لِزَوْجِها الأَوَّلِ، وَلا يُعَاشِرُهَا وَلا يَقْرَبُهَا. أَمَّا إذا كَانَ الزَّوْجُ الثَّانِي قَدْ تَزَوَّجَها بِفِكْرَةِ المُعَاشَرَةِ المُسْتَمِرَّةِ، فَإذا طَلَّقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَلا جُنَاحَ عَلَى زَوْجِها الأَوَّلِ أَنْ يَعُودَ إليها، إذَا تَرَجَّحَ لَدَى كُلٍّ مِنْهُما أَنْ يَقُومَ بِحَقِّ الآخَرِ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ، الذِي حَدَّدَهُ اللهُ مِنْ حُسْنِ العِشْرَةِ، وَسَلامَةِ النِّيَّةِ، فَإنْ خَافَا حِينَ المُراجَعَةِ نُشُوزاً مِنْها، أَوْ إضْراراً مِنْهُ فَالرُّجُوعُ مَمْقُوتٌ. وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَشَرائِعهُ يُبَيِّنُها لِقَومٍ يَعْلَمُونَ.

(٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(آيَاتِ) (نِعْمَةَ) (الْكِتَاب)

(٢٣١) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى الرِّجَالَ المُؤْمِنينَ إذَا طَلَّقَ أحَدُهُمْ زَوْجَتَه طَلاقاً، لَهُ عَليها رَجْعَةٌ فِيه، أنْ يُحْسِنَ فِي أمْرِها إذا قَارَبَتْ عِدَّتُهَا عَلَى الانْقِضَاءِ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا إلاَّ مِقْدَارُ مَا يُمْكِنُهُ مِنْ مُراجَعَتِهَا، فَإمَّا أنْ يُمْسِكَها بِمَعْرُوفٍ (أيْ يُراجِعُها وَيُعيدُهَا إلى عِصْمَتِهِ)، فَيُشْهِدَ عَلَى رَجْعَتِها، وَهُوَ يَنْوِي مُعَاشَرَتَها بِالمَعْرُوفِ، أوْ يُسَرِّحَها وَيَتْرُكَها تَنْقَضِي عِدَّتُها وَيُخْرِجَها مِنْ مَنْزِلِهِ بِالتِي هِيَ أحْسَنُ، بِدُونِ خِصَامٍ وَلا شِقَاقٍ. وَيُكَرِّرُ اللهُ أمْرَهُ لِلرِّجَالِ بِأنْ لا يُمْسِكُوا زَوْجَاتِهِمْ لِلاضْرارِ وَالاعْتِدَاءِ. (أيْ أنْ لاَ يُراجِعُوهُنَّ وَهُمْ يُرِيدُونَ مُضَارَّتَهُنَّ وَإيذاءَهُنَّ بِالحَبْسِ وَتَطْوِيلِ مُدَّةِ العِدَّةِ لِيُلْجِئُوهُنَّ إلى الافْتِدَاءِ). وَحَذَّرَ اللهُ مَنْ يُخَالِفُ أمْرَه بِأنَّهُ يَكُونُ قَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ. وَنَهَى اللهُ المُؤْمِنينَ عَنِ التَّلاعُبِ فِي الطَّلاقِ وَالتَّسَلِّي فِيه، وَعَدَّ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ اتِّخَاذِ آياتِ اللهِ هُزْواً وَسُخْرِيَةً. وَقَالَ تَعَالَى: اذْكُرُوا يَا أيُّها المُؤْمِنُونَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُمْ فِي إرْسَالِ الرَّسُولِ إليكُمْ بِالهُدَى وَالبَيِّنَاتِ وَمَا أنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ (أي القُرآنِ وَالسُّنَّةِ)، وَاللهُ يَعِظُكُمْ بِهِ فَيَأمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ وَيَتَوعَّدُكُمْ عَلَى ارْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ، فَاتَّقُوا اللهَ في جَمِيعِ أعْمَالِكُمْ وَأحْوالِكُمْ.

فَبَلَغْنَ أجَلَهُنَّ - شَارَفْنَ انْقِضَاءَ عِدَّتِهِنَّ.
وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً - مُضَارَّةً لَهُنَّ.
هُزْواً - سُخْرِيَةً بِالتَّهَاوُنِ فِي المُحَافَظَةِ عَلَيْها.
الكِتَاب وَالحِكْمَة - القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَمَعْرِفَةِ الأحْكَامِ.

(٢٣٢) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(أزْوَاجَهُنَّ) (تَرَاضَوْا) (الآخِرِ)

(٢٣٢) - فَإذا طَلَّقَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ مَرَّةً أوْ مَرَّتَينِ، وَأرَادَ مُرَاجَعَتَهَا، وَرَغِبَتْ هِيَ فِي العَوْدَةِ إليهِ، فَلَيْسَ لأهْلِهَا أنْ يَمْنَعُوهَا مِنْ ذَلِكَ إذا تَرَاضَيَا. وَاحْتِرامُ أمْرِ اللهِ هَذا يَأتَمِرُ بِهِ، وَيَتَّعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، وَبِاليَوْمِ الآخِرِ. وَاتِّبَاعُ المُؤْمِنينَ شَرْعَ اللهِ، وَرَدُّ المُؤْمِنَاتِ إلى أزْوَاجِهِنَّ، وَتَرْكُ الحَمِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ. هُوَ أزْكَى لِلْمُؤْمِنينَ، وَأطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ. وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِيهِ الخَيْرُ وَالمَصْلَحَةُ فِيما يَأمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَنْهُ. وَأنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ أيْنَ يَكُونُ الخَيْرُ فِيمَا تَأتُونَ وَفِيمَا تَذَرُونَ.

لا تَعْضُلُوهُنَّ - لاَ تَمْنَعُوهُنَّ.
أزْكَى لَكُمْ - أنْمَى لَكُمْ وَأنْفَعُ.

(٢٣٣) ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ
أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ
لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ
وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا
وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا
وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ
مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن
تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ
أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا
سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ

نصف الحزب ٤

(وَالْوَالِدَاتُ) (أَوْلَادَهُنَّ) (وَالِدَةٌ) (أَوْلَادَكُمْ) (آتَيْتُمْ)

(٢٣٣) - يُرشِدُ اللهُ تَعالَى الوَالِدَاتِ إلى أنَّ كَمالَ مُدَّةِ الرَّضَاعَةِ لِلطفلِ هِيَ سَنَتَانِ. وَعَلَى وَالِدِ الطِّفْلِ نفقةُ الوَالِدَاتِ المُطلَّقَاتِ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ أمْثَالِهِنَّ، مِنْ غَيْرِ إسْرافٍ وَلا إقْتارٍ، بِحَسَبِ قُدْرَةِ الزَّوْجِ وَيَسارِهِ. وَيُنَبِّهُ اللهُ الوَالِدَاتِ والآباءَ إلى ضَرُورَةِ عَدَمِ التَّصَرُّفِ تَحْتَ شُعُورِ الرَّغْبَةِ فِي الإضْرارِ، فَلَيْسَ لِلزَّوْجَةِ أنْ تَتْرُكَ رَضَاعَةَ ابْنِهـا إلى مُدَّتِها (سَنَتَين) لِلإضرارِ بِالزَّوْجِ. وَلَيسَ لِلزَّوْجِ أنْ يَنْتَزِعَ الوَلَدَ مِنْ أمِّهِ قَبْلَ أنْ تَتِمَّ مُدَّةُ رَضاعَتِهِ لِلإِضْرارِ بِهَا وَإِيذائِها. وَعَلَى وَارِثِ الطِّفْلِ - إنْ كَانَ وَالِدُهُ قَدْ مَاتَ، أوْ كَانَ فَقِيراً، أوْ عَاجِزاً عَنِ الكَسْبِ - أنْ يَقُومَ بِالإنْفَاقِ عَلَى الطِّفْلِ وَأمِّهِ، وَعَلَيهِ عَدَمُ الإضْرارِ بِهَا.

أمَّا إذا أرَادَ أبَوا الطِّفْلِ فِطَامَهُ، قَبْلَ مُضِيِّ الحَوْلَيْنِ، وَرَأيَا فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةً لَهُ، وَتَشَاوَرا فِي ذَلِكَ، وَاتَّفَقَا عَلَيهِ، فَلا جُنَاحَ عَلَيهِما، وَلاَ حَرَجَ وَلاَ بَأْسَ فِي ذَلِكَ.

وَإذا اتَّفَقَ الوَالِدَانِ عَلَى أنْ يَسْتَلِمَ الوَالِدُ الوَلَدَ مِنْهَا، إمَّا لِعُذْرٍ مِنْهَا، أوْ لِعُذْرٍ مِنْهُ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ فِي عَرْضِهِ عَلَيْها، وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهَا فِي قَبُولِهَا مِنْهُ، إذا دَفَعَ إليها أجْرَتَها عَنِ المُدَّةِ المَاضِيَةِ بِالمَعْرُوفِ، وَقَامَ بِدَفْعِ الوَلَدِ إلى مُرْضِعَةٍ أُخْرَى. وَيَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنينَ عَلَى التَّقوى فِي جَمِيعِ الأحْوالِ، وَعَلَى تَرْكِ التَّصَرُّفِ بِرَغبَةِ المضارَّةِ وَالإيذاءِ، وَأنْ يَعْلَمُوا أنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَهُ، وَلاَ يَخْفَى عَليهِ مِنْهُ شَيءٌ، وَأنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيهِ.

وَعَلَى الوَارِثِ - وَارِثِ الوَلَدِ عِنْدَ عَدَمِ وُجُودِ الأبِ.
أرادا فِصَالاً - فِطَاماً لِلْوَلَدِ قَبْلَ الحَوْلَيْنِ.
سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ - إذا دَفَعْتُمْ مَا الْتَزَمْتُمْ بِهِ.

(٢٣٤) وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ
أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ
أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ
أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ

(أزْواجاً)

(٢٣٤) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى النِّسَاءَ اللَّواتِي يُتَوفَّى عَنْهُنَّ أزْوَاجُهُنَّ بِأنْ يَعْتَدِدْنَ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْرَ لَيالٍ (وَالحُكْمُ يَشْمَلُ الزَّوْجَاتِ المَدْخُولَ بِهِنَّ وَغَيْرَ المَدْخُولِ بِهِنَّ)، وَلا يَشُذُّ عَنْ هَذِهِ الحَالَةِ إلاّ المُتَوفَّى عَنْهَا زَوْجُها وَهِيَ حَامِلٌ، فَإنَّ عِدَّتَها تَكُونُ بِوَضْعِ حَمْلِها. فَإذا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ (بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ)، فَلا جُنَاحَ عَلَيهِنَّ وَلا حَرَجَ فِي الزِّينَةِ وَالتَّصَنُّعِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلتَّزْوِيجِ، وَلا فِي أنْ يَأتِينَ شَرِيفَ الأعْمَالِ الَّتِي يَرْضَاهَا

٢٣٥ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم
بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ
فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ
سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا
تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟
قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟
عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ

٢٣٦ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ
فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ

الشَّرْعُ، لِيَصِلْنَ بِها إلى الزَّواجِ. واللهُ خَبيرٌ بِما يَفْعَلُهُ العِبادُ.

(وَخِلالَ مُدَّةِ العِدَّةِ لَا يَحِلُّ للزَّوْجَةِ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلخِطْبَةِ وَلا للزَّواجِ، وَلا للخُرُوجِ مِنَ المَنْزِلِ إلَّا لعُذْرٍ شَرْعِيٍّ).

(الْكِتَابُ)

(٢٣٥) - وَلا جُناحَ عَلَيكُمْ أيُّها الرِّجالُ وَلا حَرَجَ وَلا إثْمَ فِي أنْ تُعَرِّضُوا بِخِطْبَةِ النِّساءِ وَهُنَّ في العِدَّةِ، مِنْ غيرِ تَصْرِيحٍ، كَأنْ يَقُولَ أحَدُكُمْ أريدُ الزَّواجَ.. وَلا جُناحَ عَليكُمْ فِيما أضمَرْتُمُوهُ فِي أنفُسكُمْ مِنْ خِطْبَتِهِنَّ. وَاللهُ يَعْلَمُ أنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ في أنْفُسِكُمْ سِرّاً، فَرفَعَ عَنْكُمْ هذا الحَرَجَ، وَلَكِنْ لا تُعْطُوهُنَّ وَعْداً بالزَّواجِ، إلا أنْ يَكُونَ ذلِكَ إشارَةً لا نُكْرَ فيها وَلا فُحْشَ وَلَا تَقولُوا لَهُنَّ إنَّكُمْ عاشِقون مَثلاً، وَلا تَطْلُبُوا مِنْهُنَّ الوَعْدَ بِعَدَمِ الزَّواجِ مِنْ غَيْرِكُمْ.. إلخ فَذلِكَ مِمَّا نَهى اللهُ تَعالَى عَنْهُ.

وَلَا تَعْقِدُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ حَتَّى تَنْقَضِيَ العِدَّةُ (يَبْلُغَ الكِتابُ أجَلَهُ) وَإذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ مِن امْرأةٍ وَهِيَ في العِدَّةِ، فَقَدْ أجْمَعَ الفُقَهاءُ عَلى أنَّ هذا الزَّواجَ باطِلٌ. وَلكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا حَوْلَ حُرْمَةِ المَرْأةِ عَلى الرَّجُلِ أبَداً. فَقالَ بَعْضُ الفُقَهاءِ: إنَّها تَحْرُمُ عَلَيهِ أبَداً، وَقَالَ آخَرُون إنَّها لَا تَحْرُمُ عَلَيهِ أبَداً، وَلَهُ أنْ يَتَقَدَّمَ إلى خِطْبَتِها إذا انْقَضَتْ عِدَّتُها، وَيَعْقِدَ عَلَيْها بَعْدَ ذَلِكَ.

وَيُذَكِّر اللهُ المُؤْمِنينَ بِأنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَإنَّهُ يُريدُهُمْ ألَّا يُضمِرُوا فِي أنْفُسِهِمْ إلَّا الخَيْرَ. وَالذي تَخْطُرُ عَلى بالِهِ خَواطِرُ شِرِّيرَةٌ جَعَلَ اللهُ لَهُ باباً لِلتَّوبَةِ وَالاسْتِغْفارِ مِمَّا خَطَرَ لَهُ، فَاللهُ كَثيرُ الحِلْمِ لَا يُعَجِّلُ بِالعُقُوبَةِ لِمَنْ قارَفَ المُحَرَّماتِ، لَعَلَّهُ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ وَيَرْجِعُ إليهِ.

عَرَّضْتُمْ بِهِ - لَوَّحْتُم بِهِ وَأشَرْتُم إليْهِ.
أكْنَنْتُمْ - أسْرَرْتُم وَأخْفَيْتُم.
لَا تُواعِدُوهُنَّ سِرّاً - لَا تَذْكُرُوا لَهُنَّ صَرِيحَ النِّكاحِ.
يَبْلُغَ الكِتابُ أجَلَهُ - يَنْتَهِيَ المَفْرُوضُ مِنَ العِدَّةِ.

(مَتاعاً)

(٢٣٦) - فِي هَذِهِ الآيةِ يُبيحُ اللهُ تَعالَى طَلاقَ المَرْأةِ قَبلَ الدُّخُولِ بِها (المَساسِ)، فَإذا طَلَّقَها قَبْلَ أنْ يَدْخُلَ بِها، وَقَبْلَ أنْ يَفْرِضَ لَها مَهراً،

قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ

فلا مَهْرَ لَهَا عَليهِ، ولكِنْ عَليهِ إمْتاعُها بِشَيءٍ يُطيِّبُ بِهِ قَلْبَها عَلَى حَسَبِ حالِهِ (عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ)، وَلَمْ يُحَدِّدِ اللهُ تَعالَى مِقْدارَ هَذِهِ المُتْعَةِ، بَلْ وَكَلَها إلى اجْتِهادِ الزَّوْجِ لأنَّهُ أدْرَى بِحالِهِ، وَالإمتاعُ عَمَلٌ مِنْ أعْمالِ البِرِّ يَلْتَزِمُ بِهِ ذَوُو المُرُوءاتِ وَأهْلُ الخَيْرِ.

(وَقَالَ أبُو حَنِيفَةَ: إنَّهُ مَتَى تَنَازَعَ الزَّوْجانِ فِي مِقْدارِ المُتْعَةِ وَجَبَ لَهَا عَلَيْهِ نِصْفُ مَهْرِ مِثْلِها).

(وَيَقُولُ بَعْضُ الفُقَهاءِ إنَّ المُتْعَةَ مُسْتَحَبَّةٌ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ لِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى المُتَّقِينَ﴾[1] وَهِيَ وَاجِبَةٌ لِلْمُطَلَّقَةِ قَبْلَ الدُّخُولِ إذا كانَتْ لَمْ يُفْرَضْ لَهَا مَهْرٌ).

فَرِيضَةً - مَهْراً.

مَتِّعُوهُنَّ - أعْطُوهُنَّ مَا يَتَمَتَّعْنَ بِهِ.

المُوسِعِ - قَدْرُ إمْكانِهِ وَطاقَتِهِ.

المُقْتِرِ - الفَقِيرِ الضَّيِّقِ الحَالِ.

٢٣٧ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ

(أوْ يَعْفُو)

(٢٣٧) - إذا طَلَّقَ الزَّوْجُ زَوْجَتَهُ وَقَدْ فَرَضَ لَهَا مَهْراً قَبْلَ أنْ يَمَسَّها، فَعَلَيهِ نِصْفُ المَهْرِ، إلاَّ أنْ تَعْفُوَ الزَّوْجَةُ أوِ الوَلِيُّ الذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ، أوْ يَعْفُوَ الزَّوْجُ وَيَتْرُكَ مَا يَعُودُ إليهِ مِنْ نِصْفِ المَهْرِ الذِي سَاقَهُ عِنْدَ العَقْدِ إليها تَكَرُّماً مِنْهُ. وَحَثَّ اللهُ تَعالَى الرِّجالَ وَالنِّساءَ عَلَى العَفْوِ، وَجَعَلَ اللهُ أقْرَبَهُمْ للتَّقْوَى هُوَ الذِي يَعْفُو، لا سِيَّما إذا كانَ الطَّلاقُ بِلا دَاعٍ مِنْ قِبَلِ أحَدِهِما. وَيَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنِينَ عَلَى أنْ لا يَنْسَوْا أنَّ الخَيْرَ فِي التَّفَضُّلِ وَحُسْنِ المُعامَلَةِ، لأنَّ ذَلِكَ أجْلَبُ للمَوَدَّةِ وَالتَّحابِّ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُذَكِّرُهُمْ تَعالَى بأنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى ضَمائِرِهِمْ، وَأنَّهُ سَيُجازِيهِمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ.

وَإذا مَاتَ أحَدُ الزَّوْجَيْنِ قَبْلَ الدُّخُولِ وَجَبَ المَهْرُ كُلُّهُ لأنَّ المَوْتَ كالدُّخُولِ يُوجِبُ المَهْرَ كُلَّهُ.

٢٣٨ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ

(حافِظُوا) (الصَّلَواتِ) (الصَّلاةِ) (قانِتِينَ).

(٢٣٨) - يَأمُرُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنِينَ بِالحِرْصِ عَلَى إقامَةِ الصَّلاةِ في

(١) الآية ٢٤١ من سورة البقرة.

(٢٣٩) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

(٢٤٠) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

أوْقاتِها، وَحِفْظِ حُدُودِها، وَأدائِها بِخُشُوعِها. وَالصَّلاةُ الوُسْطَى هِيَ صَلاةُ العَصْرِ عَلَى أرْجَحِ الأقْوالِ. وَيَأمُرُهُمْ تَعالَى بِالقِيامِ خاشِعِينَ مُسْتَكِينِينَ بَيْنَ يَدَيهِ، مُتَفَرِّغِينَ مِنْ كُلِّ فِكْرٍ وَعَمَلٍ يَشْغَلُ عَنْ حُضُورِ القَلْبِ وَخُشُوعِهِ.

قَانِتِينَ - خَاشِعِينَ مُسْتَكِينِينَ بَيْنَ يَدَي اللهِ.

الصَّلاةِ الوُسْطَى - صَلاةِ العَصْرِ.

(٢٣٩) - وَلَمَّا شَدَّدَ اللهُ تَعالَى عَلَى المُحافَظَةِ عَلَى الصَّلَواتِ، وَأدائِها فِي أوْقاتِها، ذَكَرَ حالَةَ الخَوْفِ التِي لاَ يَتَمَكَّنُ فِيها المُسْلِمُونَ مِنْ أداءِ الصَّلاةِ بِخُشُوعِها وَقُنُوتِها، كَحالَةِ القِتالِ التِي يَشْتَغِلُ فِيهَا المَرْءُ عَنْ أداءِ الصَّلاةِ عَلَى الوَجْهِ الأكْمَلِ، فَطَلَبَ إلى المُسْلِمِينَ أنْ يُصَلُّوا عَلَى أيِّ حالٍ سَوَاء كَانُوا رَاجِلِينَ أوْ رَاكِبِينَ، مُسْتَقْبِلِي القِبْلَة أوْ غَيرَ مُسْتَقْبِلِيها. فَإذا أمِنَ المُسْلِمُونَ، وَزَالَ الخَوْفُ عَنْهُمْ فَعَلَيهِمْ إقامَةُ الصَّلاةِ كَمَا أمَرَهُمُ اللهُ، وَإتْمامُ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَقِيَامِهَا وَخُشُوعِها. وَكَمَا هَدَاهُمُ اللهُ لِلإيمَانِ، وَعَلَّمَهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، فَعَلَيهِمْ أنْ يُقابِلُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ بالشُّكْرِ وَالذِّكْرِ.

رِجالاً - أيْ رَاجِلِينَ وَهُمُ الذِينَ يَسِيرُونَ عَلَى أرْجُلِهِمْ.

رُكْبَاناً - رَاكِبِينَ.

(أزْواجاً) (لأزْوَاجِهِم) (مَتَاعاً)

(٢٤٠) - أكْثَرُ الصَّحابَةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أنَّ هَذِهِ الآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ عِدَّةِ الوَفَاةِ ﴿يَتَربصن بِأنفُسِهِنَّ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْراً﴾[1]، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ إذا مَاتَ وَتَرَكَ آمْرأةً عِنْدَهُ، آعْتَدَّتْ سَنَةً فِي بَيْتِهِ يُنْفَقُ عَلَيها مِنْ مَالِهِ ثُمَّ نُسِخَتْ.

وَفَسَّرَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الآيَةَ: انَّ عَلَى الأزْواجِ أنْ يُوصُوا لِزَوْجَاتِهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ المَالِ يُنْفِقْنَهُ مُدَّةَ الحَوْلِ، وَألاّ يَخْرُجْنَ مِنَ البُيُوتِ سَنَةً كَامِلَةً. أمَّا إذا خَرَجْنَ قَبْلَ آنْتِهاءِ السَّنَةِ فَلا جُناحَ عَلَى الأوْلِياءِ أنْ يَتْرُكُوهنَّ يَتَصرَّفْنَ فِي أنْفُسِهِنَّ بِمَا لاَ يُنْكِرُهُ الشَّرْعُ عَلَيهِنَّ. وَلا جُنَاحَ عَلَيهِنَّ فِي ذَلِكَ. وَاللهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ قَادِرٌ عَلَى الانْتِقامِ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِيمَا يُشَرِّعُ لِعِبادِهِ.

(١) الآية ٢٣٤ من سورة البقرة.

﴿٢٤١﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

﴿٢٤٢﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

ثلاثة أرباع الحزب ٤

﴿٢٤٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

(وَلِلْمُطَلَّقَاتِ) (مَتَاعٌ)

(٢٤١) - اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى وُجُوبِ المُتْعَةِ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ، وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ المُتْعَةَ حَقّاً عَلَى الزَّوْجِ الذِي يَتَّقِي اللهَ وَيَخَافُهُ. وَالمُتْعَةُ وَاجِبَةٌ لِلزَّوْجَةِ غَيرِ المَدْخُولِ بِهَا، إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ سُمِّيَ لَهَا مَهْرٌ، وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ غَيْرِهَا، جَبْراً لِخَاطِرِهَا. وَيَدْفَعُهَا الزَّوْجُ عَنْ رِضاً وَطِيبِ خَاطِرٍ لأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا تُوجِبُهُ عَلَيهِ تَقْوَى اللهِ.

مَتَاعٌ - مُتْعَةٌ أَوْ نَفَقَةُ العِدَّةِ.

(آيَاتِهِ)

(٢٤٢) - وَيُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لَكُمْ آيَاتِهِ (أَيْ الحُدُودَ وَالأَحْكَامَ وَالشَّرْعَ) مِثْلَ هَذَا البَيَانِ الجَلِيِّ الوَاضِحِ، لِتَتَدَبَّرُوهَا وَلِتَفْهَمُوهَا.

(دِيَارِهِم) (أَحْيَاهُم)

(٢٤٣) - يَقُولُ المُفَسِّرُونَ انَّ قَوْماً خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فِرَاراً مِنْ وَبَاءٍ أَوْ مَرَضٍ حَلَّ بِهَا أَوْ خَوْفاً مِنْ عَدُوٍّ مُهَاجِمٍ وَهُمْ أُلُوفٌ كَثِيرَةٌ تَدْعُو كَثْرَتُهُمْ إِلَى الشَّجَاعَةِ وَالاطْمِئْنَانِ إِلى القُدْرَةِ عَلَى الدِّفَاعِ عَنِ الأَهْلِ وَالوَطَنِ وَالعِرْضِ، لا إِلى الهَلَعِ وَالخَوْفِ، الذِي يَحْمِلُ الخَائِفَ عَلَى الهَرَبِ لا يَلْوِي عَلَى شَيءٍ. وَقِيلَ إِنَّ هَؤُلاءِ الهَارِبِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ حَذَرَ المَوْتِ نَزَلُوا وَادِياً فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِالمَوْتِ فَمَاتُوا جَمِيعاً. ثُمَّ مَرَّ نَبِيٌّ فَدَعَا اللهَ أَنْ يُحْيِيَهُمْ عَلَى يَدَيهِ، فَأَحيَاهُمْ لِيَكُونُوا عِظَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ خَلْفَهُمْ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ لا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ. واللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ فِيما يُرِيهِمْ مِنْ آيَاتِهِ وَحُجَجِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَقُومُونَ بِشُكْرِ اللهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَأَفْضَالِهِ.

(وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ إِنَّ هَذَا مَثَلٌ لاَ قِصَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ وَهُوَ يَعْنِي أَنَّ هَؤُلاءِ الأُلُوفُ الَّذِينَ دَبَّ الذُّعْرُ فِيهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ فَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ هَارِبِينَ، فَجَاءَ أَعْدَاؤُهم وَفَتَكُوا بِهِمْ، وَفَرَّقُوا شَمْلَهُم، وَأَصْبَحَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ خَاضِعاً لِلْغَالِبِينَ، ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللهُ بَعْدَ أَنْ يَسَّرَ لَهُمْ جَمْعَ كَلِمَتِهِمْ، وَتَوْثِيقَ رَوَابِطِهِمْ، فَقَامُوا بِمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيهِمْ مِنْ مُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِمْ، وَبَذْلِ الأَنْفُسِ وَالأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ الجَمَاعَةِ، فَخَرَجُوا مِنْ ذُلِّ العُبُودِيَّةِ إِلى رِيَاضِ الحُرِّيَّةِ، وَكَانَ كُلُّ الذِي أَصَابَهُمْ مِنَ البَلاءِ تَأْدِيباً لَهُمْ وَعِظَةً).

﴿٢٤٤﴾ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(وَقَاتِلُوا)

(٢٤٤) - وَيَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ لإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَتَأمِينِ الدَّعْوَةِ والدِّفَاعِ عَنْ بِلادِ الإِسْلاَمِ. وَيُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ القُعُودَ عَنِ الجِهَادِ خَوفَ المَوْتِ لا يُطِيلُ عُمْراً، كَمَا أَنَّ الجِهَادَ لاَ يُقَرِّبُ أجَلاً، فَلِكُلِّ أجلٍ كِتَابٌ. وَأيْنَما كَانَ الإِنسَانُ فَالمَوْتُ مُدْرِكُهُ، وَاللهُ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُهُ العَبْدُ، عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ، وَعَلى العَبْدِ أنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ حَتَى يَتَجلَّى لَهُ تَقْصِيرُهُ فَيُشَمِّرُ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ لِتدارُكِ مَا فَاتَ.

﴿٢٤٥﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(فَيُضَاعِفَهُ) (يَبْسُطُ)

(٢٤٥) - يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَجعَلَ مَايُنْفِقُهُ العَبْدُ لإِعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ قَرْضاً يَرُدُّهُ اللهُ إلى أصْحَابِهِ أضْعَافاً مُضَاعَفَةً، واللهُ هُوَ الذِي يَقْبِضُ الرِّزْقَ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ، لِحِكْمَةٍ لاَ يَعْلَمُها إلاَّ هُوَ، وَهُوَ الذِي يَبْسُطُ الرِّزْقَ وَيُوسِعهُ عَلى بَعْضِهِم الآخرِ وَفْقَ حِكْمَتِهِ، فَلَيسَ لِلْعِبَادِ أنْ يَخْشَوْا إذَا أنفَقُوا الفَاقَةَ. وَيَرْجِعُ الخَلْقُ إلى اللهِ فِي الآخِرَةِ فَيُجَازِيهِمْ عَلَى مَا بَذَلُوا مِنْ مَالٍ وَنَفْسٍ فِي سَبيلِ إعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ.

قَبَضَ الرِّزْقَ - ضَيَّقَهُ وَقَتَرهُ.

بَسطَ الرِّزْقَ - وَسَّعَهُ وَأفَاضَهُ.

قَرْضاً حَسَناً - آحْتِسَاباً بِهِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ.

﴿٢٤٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ

(إِسْرَائِيلَ) (نُقَاتِل) (تُقَاتِلُوا) (نُقَاتِلَ) (دِيَارِنَا) (وأَبْنَائِنَا) (بِالظَّالِمِينَ)

(٢٤٦) - قَالَ المُفَسِّرُونَ إنَّ بَني إسرائِيلَ كَانُوا فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، وَلَبِثُوا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ. ثُمَّ تَضَعضَعَ أمْرُهُمْ، وَعَبَدَ بَعْضُهُمُ الأوْثَانَ، وَضَاعَ المُلْكُ مِنْهُمْ. وَتَسَلَّطَ عَلَيهِمْ أعْدَاؤُهُمْ، فَأخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ بِالقَهْرِ، فَأرْسَلَ اللهُ إلَيْهِمْ نَبيّاً، وَأمَرَهُ بِدَعْوَتِهِمْ إلى اللهِ، وَإلى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَتَوْحِيدِهِ. فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أنْ يُقِيمَ لَهُمْ مَلِكاً يُقَاتِلُونَ مَعَهُ أعْدَاءَهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: لَعَلَّكُمْ إنْ أقَامَ اللهُ لَكُمْ مَلِكاً ألاَّ تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَألاَّ تُوفُوا بِمَا التَزَمْتُمْ بِهِ مِنَ القِتَالِ مَعَهُ. فَقَالُوا: كَيْفَ لا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ ضَاعَتْ بِلادُنا، وَسُبِيَتْ ذَرارِينا؟ فَلَمّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ لَمْ يُوفُوا بِمَا وَعَدُوا، وَنَكَلُوا عَنِ الجِهَادِ

عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ

(٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

(٢٤٨) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

وَاللهُ عَليمٌ بِالظَّالِمينَ النَّاكِلِينَ عَن الجِهادِ دِفاعاً عَنْ دِينِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ.

المَلأ - كُبَراءِ القَوْمِ.

عَسَيْتُمْ - قارَبْتُمْ.

(اصْطَفاهُ) (وَاسِعٌ)

(٢٤٧) - كَانَ مُلْكُ بَني إِسْرائِيلَ فِي سِبْطِ يَهُوذا وَلَمَّا قَالَ لَهُم النَّبِيُّ إِنَّ المَلِكَ سَيَكُونُ طَالُوتَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ يَهُوذا، آحْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَينا وَهُوَ لَيْسَ مِنْ بَيْتِ المَلِكِ، وَلَيْسَ مِنَ الأَغْنِياءِ الذينَ يَسْتَطِيعُونَ تَحَمُّلَ نَفَقاتِ المُلْكِ؟ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ: إِنَّ اللهَ آصْطَفَاهُ وَآخْتَارَهُ عليكُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِهِ، وَزَادَهُ عِلْماً وَقُوَّةً في بَدَنِهِ، وَجَعَلَهُ أَصْبَرَ مِنْكُمْ عَلَى الحُرُوبِ، وَاللهُ هُوَ الحَاكِمُ الذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُوَ وَاسِعُ العِلْمِ وَالفَضْلِ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ عَليمٌ بِمنْ يَسْتَحِقُّ المُلْكَ مِمَّنْ لاَ يَسْتَحِقُّهُ.

أَنَّى يَكُونُ - مِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَكُونَ، أَوْ كَيفَ لَهُ أَنْ يَكُونَ؟

زَادَهُ بَسْطَةً - سَعَةً وَآمْتِداداً وَفضِيلَةً.

(آيَة) (آلُ مُوسَى وآلُ هَارُونَ) (المَلاَئِكَةُ)

(٢٤٨) - كَانَ عِنْدَ بَني إِسْرائِيلَ التَّوْرَاةُ وَتَابُوتُ العَهْدِ الذي كَانَ عِنْدَهُمْ مُنْذُ مَطْلعِ تَاريخِهِمْ، وَكَانَ يَـرِثُهُ خَلَفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ، وَكَـانُوا يَتَبَـرَّكُونَ بِهِ فِي حُرُوبِهِمْ. وَلَمَّا ضَلُّوا وَبَغَوْا سَلَّط اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ سَلَبَهُمْ إِيَّاهُ (وَهُمُ العَمالِيقُ الفِلَسْطِينِيُّونَ)، وَقَدْ حَارَبُوا اليَهُـودَ وَآنْتَصَرُوا عَلَيهِمْ، فَـأَخَذُوا التَّابُوتَ وَنَكَّلُوا بِهِمْ تَنْكِيلاً شَدِيداً، فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ عَلامَةَ رِضَـا اللهِ عَلَى مُلْكِ طَالُوتَ هُوَ أَنْ يَرُدَّ عليكُمُ التَّابُوتَ فَيُورِثُكُمرَدُّهُ عَلَيكُم السَّكِينَةَ والطُّمَأْنِينَةَ. وَفِي التَّابُوتِ التَوراةُ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَـرَكَ مُوسَى وَهَـارُونُ وَمِنْهَا بَقَايَا الأَلْوَاحِ. فَجَاءَتِ المَلاَئِكَةُ تَحْمِلُ التَّابُوتَ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَي طَالُوتَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ. وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِبَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَى صِـدْقِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِمْ، وَعَلَى صِدْقِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ وُجُوبِ إِطَاعَةِ طَـالُوتَ، هَـذا إِنْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ.

التَّابُوتُ - صُنْدُوقٌ كَانَ بَنُو إِسْرائِيلَ يَضَعُونَ فِيهِ التَّوراةَ.

فِيهِ سَكِينَةٌ - سُكُونٌ وَطُمَأْنِينَةٌ لِقُلُوبِكُمْ.

(٢٤٩) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ

(آمَنوا) (مُلاقو) (الصَّابِرِين)

(٢٤٩) - وَلَمّا خَرَجَ طَالُوتُ بِجَيْشِهِ مِنَ البَلَدِ مُتَّجِهاً إلى حَرْبِ الأَعْدَاءِ، وَكَانَ الوَقْتُ قَائِظاً، سَأَلَ بَنُو إسْرائيل طَالُوتَ المَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ إنَّ اللهَ مُخْتَبِرُكُمْ بِنَهْرٍ سَتَمُرُّونَ بِهِ (وَهُوَ نَهْرُ الأَرْدُنِّ عَلَى قَوْلٍ) فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلا يُصَاحِبْنِي، وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ فَلْيُصَاحِبْنِي، وَلَكِنْ لا بَأسَ فِي أَنْ يَغْتَرِفَ الوَاحِدُ غُرْفَةً بِيَدَيهِ يَبُلُّ بهَا رِيقَهُ، فَتَمَرَّدَ أَكْثَرُهُمْ، وَشَرِبُوا مِنَ النَّهْرِ، وَبَقِيَ طَالُوتُ فِي فِئَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ جُنُودِهِ، فَاجْتَازَ بِهِم النَّهْرَ، فَلَمَّا نَظَرَ أَصْحَابُ طَالُوتَ إلى قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ، قَالُوا: إنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ مُحَارَبَةَ جَالُوتَ وَجُنُودِه لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَشَجَّعَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ، وَقَالُوا لَهُمْ: إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَإنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَيْسَ بِكَثْرَةِ العَدَدِ والعُدَّةِ، وَكثيراً مَا غَلَبَتْ قُوَّةٌ صَغِيرَةٌ مُؤْمِنَةٌ مُخْلِصَةٌ فِي قِتَالِهَا، فِئَةً كَثِيرَةَ العَدَدِ بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ يُؤَيِّدُ الصَّابِرِينَ وَيَنْصُرُهُمْ.

فَصَلَ - انْفَصَلَ عَنِ المَدِينَةِ.

مُبْتَلِيكُمْ - مُخْتَبِرُكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ.

اغْتَرَفَ - أَخَذَ بِيَدِهِ.

لاَ طَاقَةَ لَنَا - لاَ قُدْرَةَ وَلاَ قُوَّةَ لَنَا.

فِئَةٍ - جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ.

(٢٥٠) وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ

(الْكَافِرِين)

(٢٥٠) - وَلَمّا تَقَدَّمَ المُؤْمِنُونَ المُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللهِ مَعَ طَالُوتَ لِقِتَالِ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ، دَعَوا اللهَ وَرَجَوْهُ أنْ يُنزِلَ عَلَيهِم الصَّبْرَ عَلَى الشِّدَّةِ، وَأنْ يُثَبِّتَ أقْدَامَهُم عِنْدَ لِقَاءِ أعْدَائِهِمْ، وَأنْ يُجَنِّبَهُمُ العَجْزَ وَالفِرَارَ، وَأنْ يَمُنَّ عَلَيهِمْ بِالنَّصْرِ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ.

بَرَزُوا - ظَهَرُوا وَانْكَشَفُوا.

(٢٥١) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ

(وَآتَاهُ) (العَالَمِين)

(٢٥١) - فَهَزَمَ المُؤْمِنُونَ الذِينَ كَانُوا مَعَ طَالُوتَ أعْدَاءَهُمُ الكَافِرِينَ بِإِذْنِ اللهِ، وَقَتَلَ دَاوُدُ (مِنْ جَيْشِ طَالُوت) جَالُوتَ مَلِكَ الكُفَّارِ، وَمَنَّ اللهُ عَلَى دَاوُدَ بِأنْ آتَاهُ المُلْكَ الذي كَانَ بِيَدِ طَالُوتَ، وَالنُّبُوَّةَ (الحِكْمَةَ)، وَعَلَّمَهُ اللهُ مِنَ العِلْمِ الذِي اخْتَصَّهُ بِهِ، وَلَوْلا أنَّ اللهَ يَدْفَعُ بَأسَ أهْلِ البَغْيِ وَالجَوْرِ وَالآثَامِ، بِأَهْلِ الصَّلاحِ وَالخَيْرِ، لَغَلَبَ أهْلُ الفَسَادِ، وَبَغَوْا عَلَى الصَّالِحِينَ، وَصَارَ لَهُمْ سُلْطَانٌ فَفَسَدَتِ الأَرْضُ، فَكَانَ مِنْ

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

(٢٥٢) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ

(٢٥٣) ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

الجزء ٣ الحزب ٥

رَحْمَةِ اللهِ أَنْ أَذِنَ لِلْمُصْلِحِينَ بِقِتَالِ البُغَاةِ المُفْسِدِينَ. وَاللهُ يَمُنُّ عَلَى عِبَادِهِ وَيَرْحَمُهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ، وَلَهُ الحِكْمَةُ وَالحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

الحِكْمَةَ - النُّبُوَّةَ.

(آيَاتُ)

(٢٥٢) - وَهَذِهِ القَصَصُ التِي قَصَّهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ إِنَّمَا قَصَّهَا بِالحَقِّ (أَيْ بِالوَاقِعِ الذِي كَانَ الأَمرُ عَلَيهِ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَي أَهْلِ الكِتَابِ مِنَ الحَقِّ) لِتَكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أُسْوَةٌ يَتَأَسَّى بِهَا، وَلِتَكُونَ دَلِيلاً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ اللهَ سَيَنْصُرُهُ كَمَا نَصَرَ مَنْ جَاءَ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَلِيَعلَمَ أَنَّهُ مِنَ المُرْسَلِينَ الذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ.

(دَرَجَاتٍ) (وَآتَيْنَا) (الْبَيِّنَاتِ) (وأَيَّدْنَاهُ) (الْبَيِّنَاتُ) (آمَنَ)

(٢٥٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الرُّسُلَ الذِينَ ذَكَرَهُمْ قَدْ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي مَرَاتِبِ الكَمَالِ وَالشَّرَفِ، فَخَصَّ بَعْضَهُمْ بِمَآثِرَ جَلِيلَةٍ خَلا عَنْهَا غَيْرُهُ مَعَ اسْتِوائِهِمْ جَمِيعاً فِي اخْتِيارِهِ تَعَالَى لإِبْلاغِ رِسَالَتِهِ، وَهِدايَةِ خَلْقِهِ. فَمِنْهُمْ مُوسَى الذِي كَلَّمَهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ سَفِيرٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَهُ اللهُ مَرَاتِبَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَيُؤَيِّدُهُ السِّيَاقُ أَيْضاً. وَمِنْ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَخْلاقِهِ الشَّرِيفَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[(١)]، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِكِتَابِهِ وَشَرِيعَتِهِ ﴿**إِنَّ هذَا القُرآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[(٢)]، وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمْ يُؤْتَ مِنَ المُعْجِزَاتِ أَعْظَمَ مِنْ مُعْجِزَةِ القُرآنِ.

وَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأُمَّتِهِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾[(٣)]. ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾[(٤)]. (وَرُوِيَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ **قَوْلُهُ**: فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ).

---

(١) الآية ٤ من سورة القلم.

(٢) الآية ٩ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

وَفضَّلَ اللهُ تَعَالَى عِيسَى عَليهِ السَّلَامُ بِأَنْ آتاهُ البَيِّنَاتِ (وَهِيَ مَا يُتَبَيَّنُ بِهِ الحَقُّ مِنَ الآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ)، وَأَيَّدَهُ بِرُوحِ القُدُسِ، (وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ) وَقَدْ خصَّ اللهُ عِيسَى بِإِيتَاءِ البَيِّنَاتِ تَقْبِيحاً لإِفْرَاطِ اليَهُودِ فِي تَكْذِيبِهِ وَانْتِقَاصِهِ، وَلإِفراطِ النَّصَارَى فِي تَعْظِيمِهِ حَتَّى أَخْرَجُوهُ مِنْ مَرْتَبَةِ الرِّسَالَةِ إلى مَرْتَبَةِ الأُلوهِيَّةِ.

وَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يُؤْمِنَ النَّاسُ جَمِيعاً، وَأَلاَّ يَخْتَلِفُوا وَلاَ يَقْتَتِلُوا. وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَلاَّ يَقْتَتِلَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالآيَاتِ الوَاضِحَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الحَقِّ، لَمَا حَدَثَ اقْتِتَالٌ وَلاَ اخْتِلافٌ. وَلَكِنْ لَمْ يَشَأِ اللهُ ذَلِكَ، وَلِهَذَا اخْتَلَفُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ.

وَقَدْ نَهَى اللهُ تَعَالَى المُسْلِمِينَ عَنِ الاخْتِلافِ وَالتَّفَرُّقِ، وَأَمَرَهُمْ بِالاتِّحَادِ وَالوِئَامِ، فَامْتَثَلُوا أَمْرَهُ ثُمَّ عَادُوا إلى الاخْتِلَافِ. وَلَوْ شَاءَ اللهُ جَمْعَهُمْ عَلَى الحَقِّ، لَفَعَلَ، وَلكِنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ لِحِكْمَةٍ لاَ يُقَدِّرُها إلاّ هُوَ.

بِرُوحِ القُدسِ - جِبْرِيلُ، عَلَيهِ السَّلامُ.

﴿٢٥٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (رَزَقْنَاكُم) (شَفَاعَةٌ) (والكَافِرُونَ) (الظَّالِمُونَ)

(٢٥٤) يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمنينَ بِالإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمْ فِي دَفْعِ زَكَاةِ أَمْوالِهِمْ، وَفي سَبيلِ الخَيْرِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، لِيَكْسِبُوا ثَوَابَ اللهِ وَرِضْوَانَهُ فِي الآخِرَةِ، فإذا جَاؤُوهُ يَوْمَ القِيَامَةِ - وَهُوَ يَوْمٌ لا يَنْفَعُ فِيهِ الإنسَانَ إلاّ عَمَلُهُ الصَّالِحُ الطَّيِّبُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وَلا تَنْفَعُهُ فيهِ صَدَاقَةٌ وَلا شَفَاعَةُ شَفِيعٍ - وَجَدُوا ما أَنْفَقوا عَمَلاً صَالِحاً لَهُمْ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللهِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْماً لِنَفْسِهِ مِمَّنْ يَأتِي اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَافِراً بِرَبِّهِ، شَحِيحاً بَخِيلاً مُمْتَنِعاً عَنْ دَفْعِ زَكَاةِ مَالِهِ وَعَنِ الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

لاَ خُلَّةَ - لاَ مَوَدَّةٌ وَلاَ صَدَاقَةٌ.

﴿٢٥٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ

(السَّمَاوَاتِ) (يَؤُودُهُ)

(٢٥٥) - هَذِهِ آيَةُ الكُرسِيِّ، وَلَهَا شَأنٌ عَظِيمٌ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى عَشْرِ جُمَلٍ مُسْتَقِلَّةٍ:

اللهُ لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ - وَهُوَ إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ المُتَفَرِّدُ بِالأُلُوهِيَّةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعبَدَ دُونَ سِوَاهُ.

الحَيُّ القَيُّومُ - الحَيُّ فِي نَفْسِهِ، الذِي لاَ يَمُوتُ أبداً. وَالقَيِّمُ عَلَى غَيْرِهِ،

إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ

وَهُوَ القَائِمُ بِتَدْبِيرِ أَمْرِ عِبَادِهِ، يَكْلَؤُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ وَيَرْعَاهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وَلا قِوَامَ لِلْمَخْلُوقَاتِ بِدُونِ أَمْرِهِ.

لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ - لَا يَعْتَرِيهِ نَقْصٌ وَلا غَفْلَةٌ وَلا ذُهُولٌ عَنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ تَمَامِ القَيُّومَةِ أَنْ لَا يَعْتَرِيَهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ، لأَنَّ اعْتِرَاءَ النُّعَاسِ وَالوَسَنِ دَلِيلٌ عَلَى العَجْزِ وَالضُّعْفِ.

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ - وَهُوَ إِخْبَارٌ بِأَنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي الكَوْنِ عَبِيدٌ لَهُ وَفِي مُلْكِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ بِشُؤُونِهِمْ، الحَافِظُ لِوُجُودِهِمْ.

مَنْ ذا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ - وَمِنْ عَظَمَتِهِ، جَلَّ شَأْنُهُ وَعَلا، لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ لأَحَدٍ عِنْدَهُ إلا إذا أَذِنَ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ، وَلا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ بِدُونِ إِذْنِهِ.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ - وَهذا دَلِيلٌ عَلَى إِحَاطَتِهِ عِلْماً بِكُلِّ شيءٍ فِي المَاضِي وَالحَاضِرِ وَالمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أُمُورَ الدُّنيا التِي خَلَّفُوها، وَأمورَ الآخِرَةِ التِي يَسْتَقْبِلُونَها.

وَلا يُحِيطُونَ بِشيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلَّا بِمَا شَاءَ - وَلَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى شَيءٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللهُ، وَأَطْلَعَهُ عَلَيهِ، وَأَذِنَ لَهُ بِهِ. وَلا يُعرف إِذْنُهُ تَعَالَى إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْهُ.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوَاتِ والأَرْضَ - والكُرْسِيُّ غَيْرُ العَرْشِ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ما الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إلاّ كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ.

ولاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا - ولاَ يُعْجِزُهُ حِفْظُ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وما فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا بَلْ هو سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسيرٌ؛ فَلاَ يَعْزبُ عَنْ عِلْمِهِ شئٌ، وَلاَ يَغِيبُ عَنْهُ شئٌ.

وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ - وَهُوَ الكَبِيرُ المُتَعَالِي عَنِ النَّقْصِ، العَظِيمُ بِجَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ.

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

(الطَّاغُوتِ)

(٢٥٦) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِأَلَّا يُكْرِهُوا أَحداً عَلَى الدُّخُولِ فِي الإِسْلامِ، لأَنَّ الإِسْلامَ بَيِّنٌ وَاضِحٌ لَا يَحْتَاجُ إلى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ. وَالإيمانُ إِذْعَانٌ وَخُضُوعٌ، وَلا يَكُونَ ذَلِكَ بِالإِلْزامِ وَالإِكراهِ. وَإِنما يَكونُ بِالحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ وَالبُرْهَانِ، وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ فِي هذا الدِّينِ الرُّشْدَ والصَّلاحَ، وَأَنَّ مَا خَالَفَهُ مِنَ المِلَلِ الأخرى غَيٌّ وَضَلالٌ. فَمَنْ كَفَرَ بِالأَنْدَادِ وَالأَوْثَانِ وَمَا يَدْعُو إِليهِ الشَّيْطَانُ مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا يُعْبَدُ

(٢٥٧) ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(٢٥٨) أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ

مِنْ دُونِ اللهِ (أيْ وَمَنْ كَفرَ بِمَا تَكُونُ عِبَادَتُهُ وَالإِيمَانُ بِهِ سَبَباً فِي الطُّغْيَانِ وَالخُرُوجِ عَنِ الحَقِّ مِنْ عِبَادَةِ مَخْلُوقٍ) فَقَدْ ثَبَتَ أمْرُهُ، وَٱسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ المُثْلَى، وَامْسَكَ بِأوْثَقِ عُرَى النَّجَاةِ التي تَمْنَعُهُ مِنَ التَّرَدِّي فِي مَهَاوِي الضَّلاَلاَتِ.

وَاللهُ سَمِيعٌ لأقْوَالِ مَنْ يَدَّعِي الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ باللهِ. عَليمٌ بِمَا يُكِنُّهُ قَلْبُهُ مِمَّا يُصَدِّقُ هذا أوْ يُكَذِّبُهُ.

الطَّاغُوتِ - هُوَ كُلُّ مَا كَانَ عَليهِ أهْلُ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِبَادَةِ الأوثَانِ وَالتَّحَاكُمِ إلَيها، وَالاسْتِنْصَارِ بِهَا، وَقِيلَ أيْضاً إنَّ الطَّاغُوتَ هُوَ الشَّيْطَانُ.

تَبَيَّنَ الرُّشْدُ - تَميَّزَ الهُدَى وَالإِيمَانُ.

مِنَ الغَيِّ - مِنَ الضَّلالِ وَالكُفْرِ.

بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى - بِالعَقِيدَةِ الوَثِيقَةِ المُحْكَمَةِ.

لاَ انْفِصَامَ لَهَا - لاَ ٱنْقِطاعَ وَلاَ زَوالَ.

(آمَنُوا) (الظُّلُمَاتِ) (الطَّاغُوتُ) (الظُّلُمَاتِ) (أولَئِكَ) (أصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢٥٧) - اللهُ وَلِيُّ الذينَ آمَنُوا وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ، فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الكُفْرِ والشَّكِّ وَالرَّيبِ إلى نُورِ الحَقِّ الوَاضِحِ. والمُؤْمِنُ لا وَليَّ لهُ، وَلا سُلْطَانَ لأحَدٍ عَلَى ٱعْتِقَادِهِ إلاّ اللهُ تَعَالَى. أمَّا الذِينَ كَفَرُوا فَوَلِيُّهُمُ الشَّيْطَانُ، يُزَيِّنُ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ وَالجَهَالَةِ، وَيُخْرِجُهُمْ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ وَنُورِهِ، إلى الكُفْرِ وَظُلُمَاتِهِ، وَيُؤَدِّي بِهِمْ إلى نَارِ جَهَنَّمَ لِيَبْقَوا فِيها خَالِدِينَ أبداً. وَالنُّورُ هُوَ الحَقُّ، وَالحَقُّ وَاحِدٌ، أمَّا الظُّلُمَاتُ وَهِيَ الكُفْرُ فَهِيَ أجْنَاسٌ.

(إبْرَاهِيمَ) (آتَاهُ) (الظَّالِمِينَ) (يُحيِي) (أحْيِي)

(٢٥٨) - ألَمْ يَنْتَهِ إلى عِلْمِكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَأ المَلِكِ الذِي ٱدَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، فَجَادَلَ إبْرَاهِيمَ في وُجُودِ رَبِّهِ؟ وَمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ إلاّ الطُّغْيَانُ وَالكُفْرُ وَالتَّجَبُّرُ وطُولُ مُدَّتِهِ في المُلْكِ، فَطَلَبَ مِنْ إبراهِيمَ دليلاً عَلَى وُجُودِ اللهِ، الذِي يَدْعُو إليهِ. فَقَالَ إبراهِيمُ: إنَّ رَبِّي هُوَ الذِي يَخْلُقُ الحَيَاةَ، وَهُوَ الذِي يُعْدِمُهَا. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ المُجَادِلُ المُدَّعِي الرُّبُوبِيَّةِ (وَقِيلَ إنَّهُ النَّمْرُودُ بْنُ كِنْعَانَ)؛ إنَّـهُ قَادِرٌ على أنْ يُحْيِيَ بِـالعَفْـوِ مَنْ حُكِـمَ عليـهِ

بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

٢٥٩ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

بالإعْدام ، وَيُمِيتَ مَنْ شَاء إماتَتَهُ بأنْ يَأمُرَ بقَتْلِهِ. فَقَالَ إبراهيمُ: إنَّ الذي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَادِرٌ عَلَى التَّصرُّفِ في الوُجُودِ، وَتَسْخِيرِ الكَواكِبِ وَحرَكَاتِها، فَإنْ كُنْتَ كما تَدَّعِي إلَهاً فَبَدِّلْ حَرَكَةَ الشَّمْسِ التي تَطْلُعُ مِنَ المَشْرِقِ، فَاجْعَلْهَا تَطْلُعُ مِنَ المَغْرِبِ. فَبُهِتَ الذي كَفَرَ وَأُبْلِسَ، إذْ قَامَتْ عَليهِ الحُجَّةُ، واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمينَ وَلا يُلْهِمُهُمْ حُجَّةً وَلاَ بُرْهَاناً.

بُهِتَ - تَحَيَّرَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ.

(يُحْيِي) (آيَةً)

(٢٥٩) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ مَثَلاً مِنَ الأمْثَالِ البَالِغَةِ الغَرَابَةِ، وَهُوَ مَثَلُ الرَّجُلِ الذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ سُكَّانِها (وَقِيلَ هِيَ بَيْتُ المَقْدِسِ بَعْدَ أنْ خَرَّبَها بَخْتَنَصَّرُ) وَقَدْ خَرِبَتْ وَسَقَطَتْ سُقُوفُهَا عَلَى عَرَصَاتِها، فأخذ يَتَفَكَّرُ فِيمَا آلَ إليهِ حَالُها، وَقَدْ كَانَتْ عَامِرَةً فِيمَا سَلَفَ مِنَ الأزْمَانِ، وَسَأَلَ نَفْسَهُ كَيْفَ (أنَّى) يَسْتَطِيعُ اللهُ أنْ يُحْيِيَ هَذِهِ القَرْيَةَ، وَيُعِيدَها إلى مَا كَانَتْ عَليهِ مِنْ عُمْرانٍ وَسُكَّانٍ. فَأَمَاتَهُ اللهُ تَعَالى مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ، وَقَدْ عَمَرَتِ المَدِينَةُ، وَتَكَامَلَ سَاكِنُوهَا. وَسَأَلَهُ اللهُ تَعَالَى كَمْ لَبِثْتَ؟ قَالَ: يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ. قَالَ اللهُ تَعالى: بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ. فَانْظُرْ إلى مَا كَانَ مَعكَ مِنْ طَعَامٍ وَشَرابٍ وَفَاكِهَةٍ لَمْ يَتَعَطَّلْ مِنْهُ شيءٌ وَلَم يَفْسُدْ. وَانْظر إلى حِمَارِكَ الذِي نَخِرَتْ عِظَامُهُ، وَتَقَطَّعَتْ أوْصَالُهُ، كَيْفَ يُحيِيهِ اللهُ، وَأنتَ تَنْظُرُ إليهِ، وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً عَلَى قُدْرَتِنا عَلَى بَعْثِ العِبَادِ يَوْمَ المَعَادِ، وَنُزِيلَ بِذَلِكَ تَعَجُّبَكَ، وَنُرِيَكَ آيَاتِنا فِي نَفْسِكَ وَطَعَامِكَ وَشَرَابِكَ. وَانْظُرْ إلى عِظَامِ الحِمَارِ كَيْفَ نَرْفَعُها (نُنْشِزُها) فَيَرْكَبُ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، ثُمَّ نَكْسُو العِظَامَ لَحْماً. وَالقَادِرُ على أنْ يَكْسُوَ هَذِهِ العِظَامَ لَحْماً، وَيمُدَّهَا بِالحَيَاةِ، وَيَجْعَلَها أصْلاً لِجِسْمٍ حَيٍّ، قَادِرٌ عَلَى أنْ يُحْيِيَ هَذِهِ القَرْيَةَ.

فَلَمَّا رَأى الرَّجُلُ ذَلِكَ بِعَينِهِ قَالَ: إنِّي أعْلَمُ بِأنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَقَدْ رَأيْتُ ذَلِكَ بِعَيْنِي.

خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا - سَاقِطَةٌ عَلَى سُقُوفِها التِي سَقَطَتْ.

أنَّى يُحْيِي - كَيْفَ أوْ مَتَى يُحْيِي.

لَمْ يَتَسَنَّهْ - لَمْ يَتَغَيَّرْ مَعَ مُرُورِ الزَّمنِ عَلَيهِ.

نُنْشِزُهَا - نَرْفَعُهَا مِنَ الأرْضِ لِنُؤلِّفَهَا.

(٢٦٠) وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي
كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ
قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ
يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(إِبْراهِيمُ) (تُحْيِي) (لِيَطْمَئِنَّ)

(٢٦٠) ـ وَآذكُرْ إِذْ سَأل إبراهِيمُ رَبَّهُ أنْ يُرِيَهُ كَيفَ يُحْيِي ٱلْمَوْتَى لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ، فَسَألَهُ رَبُّهُ أو لَمْ تُؤمِنْ بِي وَأنِّي قَادِرٌ عَلَى الإِحْيَاءِ كَيفَ أشاءُ حَتَّى تَسْألَنِي إرَاءَتَكَ إيَّاهُ؟ قَالَ: بَلَى إنِي مُؤمِنٌ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّنِي أرِيدُ زِيَادَةً فِي اليقِينِ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: خُذْ أرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَآذْبَحْهُنَّ وَقَطِّعْهُنَّ وَآخْلُطْ بَعْضَهُنَّ بِبَعْضٍ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً. ثُمَّ أمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِأنْ يَدْعُوهُنَّ، فَدَعَاهُنَّ، فَأخَذَ يَنْظُرُ إلَى الرِّيشِ يَطِيرُ إلَى الرِّيشِ، وَالدَّمِ إلَى الدَّمِ، وَاللَّحْمِ إلَى اللَّحْمِ، وَالأجْزَاءِ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، حَتَّى تَكَامَلَ كُلُّ طَائِرٍ عَلَى حِدَتِهِ، وَأتَيْنَهُ يَمْشِينَ سَعْياً لِيَكُونَ ذَلِكَ أبلغَ فِي الرُّؤْيَةِ الَّتِي سَألَهَا. ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى لإِبْرَاهِيمَ: آعْلَمْ يَا إبراهِيمُ أنَّ اللهَ عَزِيزٌ لاَ يَغْلِبُهُ أحَدٌ، وَلاَ يَمْتَنِعُ عَلَيهِ شيءٌ، لأنَّهُ القَاهِرُ لِكُلِّ شَيءٍ، الحَكِيمُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

فَصُرْهُنَّ ـ آجْمَعْهُنَّ إليكَ وَقَطِّعْهُنَّ.

(٢٦١) مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ
مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن
يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

(أمْوالَهُمْ) (يُضاعِفُ) (واسِعٌ)

(٢٦١) ـ يَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنينَ عَلَى إنْفَاقِ أمْوالِهِمْ فِي سَبيلِ اللهِ، وَآبْتِغاءِ مَرْضَاتِهِ (فِي الحجِّ وفِي الجِهادِ وَفِي الزَّكَاةِ والصَّدَقَاتِ) وَيَضْرِبُ لَهُمُ الزَّرْعَ مَثَلاً عَلَى تَنْمِيَتِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الأعْمَالَ الصَّالِحَةَ لأصْحَابِها، فَكَمَا يَنْمُو الزَّرْعُ لِمَنْ بَذَرَهُ، كَذَلِكَ يَتَضَاعَفُ العَمَلُ الصَّالِحُ عِنْدَ اللهِ، وَاللهُ يُضَاعِفُ الأجْرَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ، فَيَزِيدُهُ زِيَادَةً لا حَصْرَ لَهَا بِحَسَبِ إخْلاصِ العَبْدِ فِي عَمَلِهِ، وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ لاَ يَنْحَصِرُ فَضْلُهُ، وَلا يُحَدُّ عَطَاؤُهُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ المُضَاعَفَةَ وَبِمَنْ لاَ يَسْتَحِقُّهَا.

(٢٦٢) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ
مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ

(أمْوالَهُم)

(٢٦٢) ـ يَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى الذِينَ يُنْفِقُونَ أمْوالَهُمْ فِي سَبيلِ اللهِ، وَآبْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ إنْفَاقَهُم مَنّاً عَلَى النَّاسِ بِفِعْلٍ أوْ قَوْلٍ، وَلا يَفْعَلُونَ مَعَ مَنْ أحْسَنُوا إلَيهِمْ مَكْرُوهاً أوْ أذًى يُحْبِطُونَ بِهِ مَا أسْلَفُوهُ مِنَ الإحْسَانِ، فَهؤلاءِ ثَوابُهُمْ عَلَى اللهِ لا عَلَى أحَدٍ سِوَاهُ، وَلا خَوفٌ عَلَيهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أهْوالِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ فِي الدُّنيا مِنَ الأوْلادِ وَالأمْوالِ، وَلا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الحَيَاةِ وَزِينَتِها، لأنَّهُمْ صَارُوا إلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانُوا فِيهِ.

﴿٢٦٣﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ

ربع الحزب ٥

﴿٢٦٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ

﴿٢٦٥﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

مَنّاً - عَدّاً للإحْسَانِ وَإِظْهاراً لَهُ.

أذىً - تطاوُلاً وَتفاخُراً بالإنْفاقِ أوْ تبرُّماً بِهِ.

(٢٦٣) - كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ، وَردٌّ جميلٌ عَلَى سَائِلٍ، وَدُعَاءٌ لِمُسْلِمٍ، وَعَفْوٌ وَمَغْفِرَةٌ عَنْ ظُلْمٍ لَحِقَ بالمُؤْمِنِ، خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يُتبعُها الإنسانُ بإيذاءِ مَنْ تَصدَّقَ عَلَيهِ، واللهُ غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ، حَلِيمٌ يَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيَصْفَحُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (صدَقَاتِكُمْ) (الْكَافِرِينَ) (الآخِرِ)

(٢٦٤) - يُخبِرُ اللهُ تَعَالى عِبَادَهُ بِأنَّ المَنَّ وَالأذى يُبْطِلانِ الفَائِدَةَ المَقْصُودَةَ مِنْ إعْطَاءِ الصَّدَقَاتِ، كَمَا يُبْطِلُها إعْطَاءُ الصَّدَقَةِ للتَّباهِي وَالمُرَاءَاةِ أَمَامَ النَّاسِ بِها، كَمَنْ يَتَصدَّقُ مُتَظاهِراً بأنَّهُ يُرِيدُ وَجْهَ اللهِ، وَتَخْفِيفَ بُؤْسِ المُحْتَاجِينَ. وهو إنما يُريدُ مَدْحَ النَّاسِ، والاشْتِهَارَ بَيْنَهُمْ بِأنَّهُ مِنَ المُحْسِنِينَ. وَهؤلاءِ المُراؤونَ مَثَلُ أعْمَالِهِم مَثَلُ تُرابٍ عَلَى حَجَرٍ أمْلَسَ، فَهطَلَ مَطَرٌ فَغَسَلَ الحَجَرَ، وَلَمْ يَتْرُكْ عَلَيهِ شَيئاً مِنْ ذَلِكَ التُّرابِ، وَأصْبَحَ الحَجَرُ صَلْداً لا تُرابَ عَلَيهِ. وَكَذَلِكَ يَذْهَبُ عَمَلُ المُرائِينَ وَلا يَبْقَى مِنْهُ شَيءٌ، فَلا يَنْتَفِعُونَ بِشَيءٍ مِنْ عَمَلِهِمْ عِنْدَ اللهِ، وَإنْ ظَهَرَ أنَّ لَهُم أعْمالاً حَسَنَةً، واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ المُنَافِقِينَ المُرائِينَ، إلى الخَيْرِ وَالرَّشَادِ.

رِئَاءَ النَّاسِ - مُرَاءَاةً لَهُمْ وَطَلَباً لِلسُّمْعَةِ عِنْدَ النَّاسِ.

صَفْوانٍ - حَجَرٍ أمْلَسَ.

وَابِلٌ - مَطَرٌ شَدِيدٌ عَظِيمُ القَطْرِ.

صَلْداً - أجْرَدَ نَقِيّاً مِنَ التُّرابِ.

(أمْوالَهُمُ) (مَرْضَاةِ) (فَآتَتْ)

(٢٦٥) - أمّا المُؤْمِنونَ الذينَ يُنْفِقُونَ أمْوالَهُم طَلَباً لِمَرْضَاةِ اللهِ عَنْهُمْ، وَهُمْ مُتَحقِّقُونَ مِنْ أنَّ اللهَ سَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ بُسْتَانٍ (جَنَّةٍ) بِرَبْوَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَنِ الأرْضِ، فَأصَابَهَا مَطَرٌ شَدِيدٌ (وَابِلٌ)، فَأثْمَرَتْ ضِعْفَيْنِ مِمّا أثْمرَتْهُ غَيْرُها مِنَ الجِنَانِ (أوْ ضِعْفَينِ مِمّا كَانَتْ تُثْمِرُهُ قَبْلاً) فَإنْ لَمْ يُصِبْهَا المَطَرُ الشَّدِيدُ، أصَابَهَا مَطَرٌ خَفِيفٌ يَكْفِيها لِجَوْدَةِ تُرْبَتِها، وَحُسْنِ مَوْقِعِها، فَهِيَ لاَ تُمْحِلُ أبداً. وَكَذَلِكَ عَمَلُ المُؤْمِنِ لا يَبُورُ أبداً، بَلْ يَتَقَبَّلُهُ اللهُ وَيُكَثِّرُهُ وَيُنَمِّيهِ.

﴿٢٦٦﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ
جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ
ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ
إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

﴿٢٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ
أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا
تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ

(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى هُوَ: وَكَذَلِكَ الإِنْسَانُ الجَوادُ البَرُّ إِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ كَثيرٌ أَغْدَقَ وَوَسَّعَ في الإِنْفَاقِ، وَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ قليلٌ أَنْفَقَ بِقَدرِهِ، فَخَيْرُهُ دائِمٌ، وَبِرُّهُ لاَ يَنْقَطِعُ).

وَاللهُ لاَ يَخْفى عَلَيهِ شَيْءٌ مِنْ أعْمالِ العِبادِ.

الجَنَّةُ - البُسْتَانُ.

الوَابِلُ - المَطرُ الشَّدِيدُ.

الطَّلُّ - المَطرُ الخَفِيفُ.

الأُكُلُ - مَا تُعْطِيهِ الشَّجَرَةُ مِنْ ثِمارٍ.

تَثْبِيتاً - تَصْدِيقاً وَيَقِيناً بِثَوابِ الإِنْفَاقِ.

(الأنْهارُ) (الثَّمَراتِ) (الآيَاتِ)

(٢٦٦) - ضَرَبَ اللهُ فِي هَذهِ الآيةِ مَثلاً لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطاعَةِ اللهِ، ثُمَّ بَعَثَ اللهُ إليهِ الشَّيْطَانَ فَعمِلَ بِالمَعَاصِي حَتَّى أغْرَقَ أعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ وَأبْطَلَها، وَاحْتَاجَ يَوْمَ القِيامَةِ إلى شَيءٍ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ فَلَمْ يَحْصَلْ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، لأنَّهُ هَلَكَ وَبطَلَ، وَعَزَّ عَليهِ وَهُوَ أشَدُّ مَا يَكُونُ احْتِياجاً إليهِ. فَمَثَلُ هَذا الرَّجُلِ مَثَلُ إنسانٍ غَرَسَ بُسْتاناً فِي شَبيبَتِهِ، وَأجْرَى فِيهِ الأنْهارَ، فَكَبُرَتِ الأشْجارُ وأثْمرَتْ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الكِبَرُ كَانَ البُسْتَانُ فِي أفْضلِ حالاَتِهِ، وَكَانَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ صِغَارٌ لاَ يَقْوونَ عَلَى القِيَامِ بِعَمَلِ البُسْتَانِ، فَأرْسَلَ اللهُ إليهِ رِيحاً شَدِيدةً (إعْصَارٌ) فِيهَا نَارٌ أحْرَقَتِ البُسْتَانَ، فَلَمْ يَكُنْ في الرَّجلِ قُوَّةٌ لِيُعِيدَ غَرْسَ البُسْتَانِ بِالأشْجارِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ذُرِّيَّةٌ قَادِرَةٌ عَلَى أنْ تَعُودَ عَليهِ بِالخَيْرِ. وَكَذلِكَ حَالُ مَنْ يَفْعَلُ الخَيْرَ وَيَبْذُلُ المَالَ، ثُمَّ يُحْبِطُ عَمَلَهُ بِالرِّياءِ أوِ المَنِّ وَالأذَى.

واللهُ يَسُوقُ الأمْثَالَ لِلنَّاسِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَتَّعِظُونَ، وَيَفْهَمُونَ الأمْثَالَ وَالمَعَانِيَ وَيُنْزِلُونَها مَنْزِلَها.

إعْصَارٌ - رِيحٌ عَاصِفَةٌ.

فِيهِ نَارٌ - سَمُومٌ شَدِيدٌ أوْ صَاعِقَةٌ.

(يَاأيُّها) (آمَنُوا) (طَيِّبَاتِ) (بِآخِذِيهِ)

(٢٦٧) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بِالإنْفَاقِ مِنْ أطْيَبِ المَالِ وَأجْوَدِهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّصَدُّقِ بِأرْذَلِ المَالِ وَأخَسِّهِ. لأنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً. وَيَقُولُ لَهُمْ لاَ تَقْصِدُوا المَالَ الخَبِيثَ لِتُنْفِقُوا مِنْهُ، وَهذا المَالُ الخَبِيثُ لَو أنَّهُ أُعْطِيَ إلَيْكُمْ لَمَا أخَذْتُمُوهُ، إلاَّ عَنْ إغْمَاضٍ

وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ

وَحَياءٍ. وَلْيَعْلَمِ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ اللهَ وَإِنْ أَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَاتِ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ وَعَنْ صَدَقَاتِهِمْ، وَهُوَ إِنَّمَا يَحُثُّهُمْ عَلَى التَّصَدُّقِ وَالإِنْفَاقِ لِيُسَاوِيَ بَيْنَ الغَنِيِّ وَالفَقِيرِ، وَاللهُ حَمِيدٌ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ (وَيُرْوَى أَنَّ السَّبَبَ فِي نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ هُوَ أَنَّ بَعْضَ المُسْلِمِينَ كَانُوا يَأْتُونَ بِصَدَقَتِهِمْ مِنْ رَدِيءِ التَّمْرِ).

لا تَيَمَّمُوا - لاَ تَقْصُدُوا.

لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ - لاَ تَأْخُذُونَهُ لَوْ أَنَّهُ أُعْطِيَ إِلَيْكُمْ.

إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ - إِلَّا عَنْ إِغْمَاضٍ وَاسْتِحْيَاءٍ وَتَسَاهُلٍ.

الخَبِيثَ - المَالَ الرَّدِيءَ.

٢٦٨ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

(الشَّيْطَانُ) (وَاسِعٌ)

(٢٦٨) - الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ المُتَصَدِّقِينَ مِنْكُمْ مِنَ الفَقْرِ، لِتُمْسِكُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلا تُنْفِقُوهُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ اللهِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِارْتِكَابِ المَعَاصِي وَالمَآثِمِ، وَمُخَالَفَةِ الأَخْلاَقِ، وَاللهُ يَعِدُكُم بِالخَيْرِ وَالمَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ، وَبِمَا أَوْدَعَهُ اللهُ فِي الفِطَرِ السَّلِيمَةِ مِنْ حُبِّ الخَيْرِ. وَاللهُ وَاسِعُ الرِّزْقِ وَالعَطَاءِ وَالمَغْفِرَةِ. عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَمَا فِيهِ خَيْرُكُمْ.

الفَضْلُ - الرِّزْقُ.

٢٦٩ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

(أُولُو) (الأَلْبَابِ)

(٢٦٩) - اللهُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ المَعْرِفَةَ بِالعِلْمِ النَّافِعِ وَالفِقْهِ وَالقُرْآنِ (الحِكْمَةَ)، وَمَنْ يُؤْتِهِ اللهُ الحِكْمَةَ فَقَدْ آتَاهُ خَيْراً كَثِيراً فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَمَا يَنْتَفِعُ بِالذِّكْرِ وَالمَوْعِظَةِ إِلاَّ مَنْ لَهُمْ عُقُولٌ سَلِيمَةٌ يَعُونَ بِهَا مَعْنَى الكَلامِ.

الحِكْمَةَ - مَعْرِفَةَ العِلْمِ النَّافِعِ وَالفِقْهِ وَالقُرْآنِ.

٢٧٠ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ

(لِلظَّالِمِين)

(٢٧٠) - إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا يَفْعَلُهُ العِبَادُ العَامِلُونَ مِنَ النَّفَقَاتِ وَالمَنْذُورَاتِ، وَهُوَ يُجَازِي مَنْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِم الكَرِيمِ، أَفْضَلَ الجَزَاءِ وَأَكْرَمَهُ. أَمَّا الظَّالِمُونَ الذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ، وَيُكَذِّبُونَ بِآيَاتِهِ وَأَخْبَارِهِ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ آلِهَةً وَيَتَصَدَّقُونَ لِلرِّيَاءِ، أَوْ يُؤْذُونَ مَنْ أَعْطَوْهُمُ الصَّدَقَاتِ... فَهَؤُلاءِ لَيْسَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ يُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَنِقْمَتِهِ.

﴿٢٧١﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا
هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ
وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

نصف الحزب ٥

﴿٢٧٢﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن
يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ
إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

﴿٢٧٣﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا
يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى
ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ
أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ
إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ

(الصدَقَاتِ)

(٢٧١) ـ إنْ أظْهَرْتُمُ الصَّدَقَاتِ فَلا بَأسَ فِي ذَلِكَ، وإنْ أسْرَرْتُمُ الصَّدَقَاتِ فَذَلِكَ أفْضَلُ لأنَّهُ أبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ، إلاّ أنْ يَتَرتَّبَ عَلَى الإظْهَارِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ، مِن اقْتِداءِ النَّاسِ بِهِ، فَيَكُونُ الإظْهَارُ أفْضَلَ. وَيُجَازِي اللهُ عِبَادَهُ المُخْلِصِينَ المُتَصَدِّقِينَ عَلَى صَدَقَاتِهِمْ بِتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِمْ، واللهُ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِهِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَدَقَةُ السِّرِّ فِي التَّطَوُّعِ تَفْضُلُ عَلانِيَتَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً، وَصَدَقَةُ الفَرِيضَةِ عَلانِيَتُها أفْضَلُ مِنْ سِرِّها بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ ضِعْفاً).

(هُدَاهُمْ)

(٢٧٢) ـ كَانَ المُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ أنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَى أقْرِبَائِهِم المُشْرِكِينَ المُحْتَاجِينَ، وَلكِنَّهُمْ كَانوا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ. فَأمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُؤْمِنِينَ بَعْدَهَا بالصَّدَقَةِ عَلَيهِمْ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَألَهُمْ مِنْ كُلِّ دِينٍ، فَالمُؤْمِنُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى هِدَايَةِ الآخَرِينَ، وَاللهُ هُوَ وَحْدَهُ القَادِرُ عَلَى هِدايَتِهِمْ.

وَالإنْفَاقُ عَمَلُ خَيْرٍ يَعُود نَفْعُهُ عَلَى المُنْفِقِ نَفْسِهِ، وَالمُؤْمِنُ لا يُنْفِقُ إلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، وَمَتَى ابْتَغَى المُؤْمِنُ مِنْ إنْفَاقِهِ وَجْهَ اللهِ فَقَدْ وَقَعَ أجْرُهُ عَلى اللهِ، لاَ يَهُمُّهُ مَنِ الذِي نَالَهُ الإنْفَاقُ بَرّاً كَانَ أوْ فَاجِراً. وَكُلُّ مَا تُنفِقُونَهُ سَيُوفَّى إليكُمْ بِالتَّمَامِ، وَلا يَنْقُصُكُمْ مِنْهُ شَيءٌ (لاَ تُظْلَمُونَ).

(بِسِيمَاهُمْ) (يَسْألُونَ)

(٢٧٣) ـ اجْعَلُوا مَا تُنْفِقُونَ لِلَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ صِفَاتِهِم الخَمْسَ، التي هِيَ أجَلُّ الأوْصَافِ قَدْراً، وَهِيَ: (الإحْصَارُ، وَالعَجْزُ عَنِ الكَسْبِ، وَالتَّعَفُّفُ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِسِيمَاهُمْ، وَعَدَمُ سُؤَالِهِمْ شَيْئاً مِمَّا فِي أيدِي النَّاسِ). وَهؤُلاءِ هُمُ الفُقَرَاءُ مِنَ المُهَاجِرِينَ الذينَ انْقَطَعُوا للهِ وَرَسُولِهِ، وَسَكَنُوا المَدِينَةَ، وَلَيسَ لَهُمْ وَسيلةُ عَيْشٍ يُنْفِقُونَ مِنها عَلَى أنْفُسِهِمْ، وَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَفَراً لِلْبَحْثِ عَنِ الرِّزْقِ، وَيَحْسَبُهُمْ مَنْ لاَ يَعْرِفُهُمْ، وَلا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ، أنَّهُمْ أغْنِيَاءُ مِنْ تَعَفُّفِهِمْ فِي لِبَاسِهِمْ وَحَالِهِمْ وَمَقَالِهِمْ، وَتَعْرِفُهُمْ بِمَا يَظْهَرُ لِذَوِي الألْبَابِ مِنْ صِفَاتِهِمْ: لاَ يُلِحُّونَ فِي المَسْألَةِ، وَلاَ يَطْلُبُونَ مِنَ النَّاسِ مَا لاَ يَحْتَاجُونَ إليهِ.

وَجَمِيعُ مَا تُنْفِقُونَهُ مِنْ خَيرٍ فَإِنَّ اللهَ عَالِمٌ بِهِ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيهِ أوْفَى الجَزَاءِ يَومَ القِيَامَةِ.

الإِحْصَارُ ـ هُوَ الانْقِطَاعُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ.
ضَرْباً فِي الأَرْضِ ـ سَفَراً فِي سَبِيلِ الرِّزْقِ وَالتِّجَارَةِ.
سِيمَاهُمْ ـ صِفَاتُهُمْ وَمَظْهَرُهُم الخَارِجِيُّ الدَّالُّ عَلَى الفَاقَةِ.
إِلْحَافاً ـ لاَ يُلِحُّونَ فِي المَسْأَلَةِ.
التَّعَفُّفِ ـ التَّنَزُّهِ عَنِ السُّؤَالِ.

(٢٧٤) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(٢٧٥) ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(أَموالَهم) (بالليْلِ)

(٢٧٤) ـ وَيَمْدَحُ اللهُ تَعَالى الذينَ يُنْفِقُونَ فِي جَميعِ الأَوْقَاتِ وَالأَحْوالِ، فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ، وَهُمْ لاَ يَبْتَغُونَ مِنْ وَراءِ إِنْفَاقِهِمْ إلا مَرْضَاةَ اللهِ فَهَؤُلاءِ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يَخافُونَ هَوْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ، وَلاَ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكُوا مِنْ لَذَائِذِ الدُّنيا.

(الرِّبا) (الشَّيْطانُ) (فَأولئِكَ) (أَصحابُ) (خالِدُونَ)

(٢٧٥) ـ بَعْدَ أَنْ ذَكَر اللهُ تَعَالى الإِنفَاقَ فِي سَبيلِ اللهِ، وَالتَّصدُّقَ عَلَى عِبَادِهِ، وَإِخْراجَ الزَّكَاةِ، شَرَعَ فِي عَرْضِ حَالِ آكِلِي الرِّبا، وَأَمْوالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، وَأَنْواعِ الشُّبُهَاتِ، فَأَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَقَالَ عَنْهُم: إِنَّهُم لاَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إلاّ قِياماً مُنْكراً، كَمَا يَقُومُ المَصْرُوعُ حَالَ صَرعِهِ. وَأَكْلُهُمْ الرِّبَا هَذا قائِمٌ عَلى ٱسْتِحْلاَلِهِمْ لَهُ، وَجَعْلِهِ كَالبَيْعِ، فَيَقُولُونَ: كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَبِيعَ الإِنْسَانُ سِلعَتَهُ التي ثَمَنُهَا عَشَرَةُ دَراهِمَ نَقْداً بِعِشْرِينَ دِرْهَماً لأَجَلٍ، كَذلِكَ يَجُوز لَهُ أَنْ يُعْطِيَ المُحْتَاجَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ عَلَى أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيهِ عِشْرِينَ دِرْهَماً بَعْدَ سَنَةٍ، فَالسَّبَبُ فِي رَأيِهِمْ وَاحِدٌ فِي كُلٍّ مِنَ الزِّيَادَتَيْنِ، وَهُوَ الأَجَلُ.

هَذِهِ هِيَ حُجَّةُ آكِلِي الرِّبا وَهُمْ وَاهِمُونَ فِيمَا قَالُوهُ، وَقِيَاسُهُمْ فَاسِدٌ، لأَنَّ البَيْعَ فِيهِ مَا يَقْتَضِي حِلَّهُ لأَنَّهُ يُلاحَظُ فِيهِ دَائماً ٱنْتِفاعُ المُشْتَري بِالشَّيْءِ ٱنْتِفاعاً حَقِيقيّاً.

أَمَّا الرِّبا فَهُوَ إِعْطاءُ الدَّراهِمِ وَالْمِثْلِيَّاتِ وَأَخْذُها مُضَاعَفَةً فِي وَقْتٍ آخَرَ. فَمَا يُؤْخَذُ مِنَ المَدِينِ زِيَادَةً في رَأْسِ المَالِ لاَ مُقَابِلَ لَهُ مِنْ عَيْنٍ وَلاَ عَمَلٍ. فَمَنْ بَلَغَهُ نَهْيُ اللهِ عَنِ الرِّبا، فَانْتَهى عَنِ الرِّبا فَلَهُ مَا سَلَفَ مِمَّا أَكَلَهُ مِنَ الرِّبا قَبْلَ التَّحْريمِ، وَمَا سَبَقَ لَهُ أَنْ أَخَذَهُ أَيَّامَ الجاهِلِيَّةِ، وَأَمْرُهُ مَرْدُودٌ إِلى اللهِ. وَمَنْ عَادَ إِلى الرِّبا، بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ النَّهْيُ عَنْهُ، فَقَدِ ٱسْتَوْجَبَ العُقُوبَةَ مِنَ اللهِ، وَالخُلُودَ في نَارِ جَهَنَّمَ.

الذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ ـ أي المَصْرُوعُ. وَكَانَتِ العَرَبُ تَعْتَقِدُ أنَّ الشَيْطَانَ يَخْبِطُ الإنْسَانَ فَيصْرَعُهُ.

جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ـ بَلَغَهُ أمْرُ نَهْيِ اللهِ عَنْ أكْلِ الرِّبا.

المَسّ ـ الجُنُونِ وَالخَبَل.

مَرَاحِلُ تَحْرِيمِ الرِّبا فِي القُرْآنِ:

كَمَا مَرَّ تَحْرِيمُ الخَمْرِ فِي مَرَاحِلَ، كَذَلِكَ مَرَّ تَحْرِيمُ الرِّبا فِي أرْبَعِ مَرَاحِلَ مُتَدَرِّجَةٍ:

١ ـ فِي المَرْحَلَةِ الأولى ـ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ المَكِّيَّةِ ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللهِ﴾ (١) أيْ إنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ إنَّ الرِّبا لاَ ثَوَابَ فِيهِ عِنْدَ اللهِ.

٢ ـ وَفِي المَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ ـ ألْقَىَ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُسْلِمِينَ دَرْساً وَعِبْرَةً مِنْ سِيرَةِ اليَهُودِ الذِينَ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِمْ أكْلَ الرِّبَا فَأكَلُوهُ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ بِمَعْصِيَتِهِمْ.

فَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيهِمْ طَيِّبَاتٍ أحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً﴾ (٢).

كَمَا جَاءَ بَعْدَهَا ﴿وَأخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأكْلِهِمْ أمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَأعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً ألِيماً﴾(٣).

وَهَذِهِ العِبْرَةُ لاَ يَكُونُ لَهَا أثَرٌ إلاَّ إذَا كَانَ مِنْ وَرَائِهَا نَوْعٌ مِنْ تَحْرِيمِ الرِّبا عَلَى المُسْلِمِينَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذا المَوْضِعِ نَهْيٌ صَرِيحٌ عَنِ الرِّبَا، وَلكِنَّهُ ألْمحَ إلَيهِ.

٣ ـ المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ ـ وَلَمْ يَجِيءِ النَّهْيُ الصَّرِيحُ إلاَّ فِي المَرْحَلَةِ الثَّالِثَةِ، وَلَمْ يَكُنْ إلاَّ نَهْياً جُزْئِياً عَنِ الرِّبَا الفَاحِشِ الذِي يَتَزَايَدُ حَتَّى يَصِيرَ أضْعَافاً مُضَاعَفَةً.

﴿يَا أيُّها الذِينَ آمَنُوا لاَ تَأكُلُوا الرِّبَا أضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾ (٤).

٤ ـ المَرْحَلَةُ الرَابِعَةُ ـ وَفِي المَرْحَلَةِ الرَابِعَةِ وَالأخِيرَةِ خُتِمَ التَّشْرِيعُ القُرْآنِيُّ كُلُّهُ بِالنَّهْيِ الحَاسِمِ عَنْ كُلِ مَا يَزِيدُ عَلَى رَأسِ مَالِ الدَّيْنِ.

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الروم.
(٢) الآية ١٦٠ من سورة النساء.
(٣) الآية ١٦١ من سورة النساء.
(٤) الآية ١٣٠ من سورة آل عمران.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٧)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨)

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ (٢٧٩)

﴿يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا، إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾(1).

وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: (إِيَّاكَ وَالذُّنوبَ التِي لاَ تُغْفَرُ: الغُلُولُ فَمَنْ غَلَّ شَيْئاً أَتى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ والرِّبا، فَمَنْ أَكَلَ الرِّبا بُعِثَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَجْنُوناً يَتَخَبَّطُ).

وَاللهُ تَعَالَى لاَ يُحِبُّ الذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى ارْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ وَعَلَى تَحْلِيلِها، وَلاَ يُحِبُّ الذِينَ لاَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبيلِهِ.

(الرِّبَا) (الصَّدَقَاتِ)

(٢٧٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى عِبادَهُ أَنَّهُ يَمْحَقُ الرِّبا، وَيُذْهِبُ مِنْ يَدِ آكِلِهِ بَرَكَةَ مَالِهِ، وَيُهْلِكُ المَالَ الذِي دَخَلَ فِيهِ الرِّبا، فَلاَ يَنْتَفِعُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنَّهُ يُضاعِفُ ثَوابَ الصَّدَقَاتِ، وَيَزِيدُ المَالَ الذِي أُخْرِجَتْ مِنْهُ، وَيُعَاقِبُ آكِلَ الرِّبا يَوْمَ القِيَامَةِ. وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الكَفُورَ المُتَمادِيَ فِي كُفْرِ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيهِ مِنْ مَالٍ، لأَنَّهُ لا يُنْفِقُ مِنْهُ فِي سَبيلِهِ، وَلا يُحِبُّ الذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى تَحْلِيلِ المُحَرَّمَاتِ، وَلاَ الذِينَ يَسْتَمِرُّونَ عَلَى ارْتِكَابِها.

يَمْحَقُ - يُهْلِكُ المَالَ الذِي يَدْخُلُ فِيهِ الرِّبا.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الصَّلاَة) (وآتَوُا) (الزَّكَاة)

(٢٧٧) - يَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمنين المُصَدِّقِينَ بِمَا جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، المُقِيمِينَ الصَّلاَةَ، وَعَامِلِي الصَّالِحَاتِ وَالمُزَكِّينَ، وَيُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُ يَحْفَظُ لَهُمْ أَجْرَهُمْ، وَأَنَّهُمْ لاَ خَوفٌ عَلَيهِمْ، وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِي الدُّنيا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الرِّبَا)

(٢٧٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ، المُصَدِّقِينَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، بِالتَّقْوى، فَيَقُولُ لَهُمْ: اتَّقُوا اللهَ وَاتْرُكُوا مَا لَكُمْ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الرِّبا (أيْ مَا يَزيدُ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوالِكُمْ) إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنينَ حَقّاً بِمَا شَرَّعَ اللهُ لَكُمْ مِن تَحْلِيلِ البَيْعِ، وَتَحْرِيمِ الرِّبا، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(أَمْوالِكُمْ)

(٢٧٩) - وَأَنْذَرَ اللهُ تَعَالَى الذِينَ لاَ يَمْتَثِلُونَ لأَمْرِهِ مِنْ تَرْكِ مَا بَقِيَ مِنَ

---

(١) الآيتان ٢٧٨ و٢٧٩ من سورة البقرة.

وَلَا تُظْلَمُونَ

﴿٢٨٠﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ
إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٢٨١﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

﴿٢٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ
كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ
اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي
عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ
وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ
ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ
هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ
وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن
رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ

الرِّبا عِنْدَ النَّاسِ، بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ لِخُرُوجِهِمْ عَنِ الشَّرْعِ، وَعَدَمِ خُضُوعِهِمْ لَهُ، فَإِنْ تَابُوا فَلَهُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِهِمْ بِدُونِ زِيادَةٍ، لَا يَظْلِمُونَ بِأَخْذِ زِيادَةٍ، وَلَا يُظْلَمُونَ بِوَضْعِ شَيْءٍ مِنْ رَأْسِ المَالِ.

حَرْبُ اللهِ - غَضَبُهُ وَانْتِقامُهُ مِمَّنْ يَأْكُلُ الرِّبا.

حَرْبُ رَسُولِهِ - مُقاوَمَتُهُ لَهُمْ بِاعْتِبارِهِمْ خارِجِينَ عَنِ الإِسْلامِ.

فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ - فَأَيْقِنُوا بِحَرْبٍ.

(٢٨٠) - فَإِنْ كَانَ المَدِينُ مُعْسِراً لَا يَجِدُ وَفاءَ دَيْنِهِ، فَإِنَّ اللهَ يَأْمُرُ الدَّائِنَ بِنَظِرَتِهِ إِلى حِينِ مَيْسَرَتِهِ، وَتَمَكُّنِهِ مِنْ دَفْعِ ما عَلَيْهِ. وَإِنْ تَصَدَّقَ الدَّائِنُ عَلَى المَدِينِ المُعْسِرِ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْسِ المَالِ، أَوْ بِرَأْسِ المَالِ كُلِّهِ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ. وَقَدْ وَرَدَتْ أَحادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الحَثِّ عَلَى تَنْفِيسِ كُرْبَةِ المَكْرُوبِ وَالتَّجاوُزِ عَنِ المُعْسِرِ.

(٢٨١) - وَاحْذَرُوا يا أَيُّها النَّاسُ ذَلِكَ اليَوْمَ العَظِيمَ، يَوْمَ القِيامَةِ الذِي تَتَفَرَّغُونَ فِيهِ مِنْ مَشاغِلِكُمُ الجَسَدِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ التِي كَانَتْ تَصْرِفُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ فِي هَذِهِ الحَياةِ الدُّنيا، وَيُجازِي اللهُ كُلّاً بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً، وَلَا تُنْقَصُ نَفْسٌ مِنْ ثَوابِها، وَلَا يُزادُ فِي عِقابِها.

(يا أَيُّها) (آمَنُوا) (إِحْداهُما) (تَسْأَمُوا) (لِلشَّهادَةِ) (تِجارَةً)

(٢٨٢) - يُرْشِدُ اللهُ تَعالى المُؤْمِنِينَ إِذا تَعامَلُوا بِمُعامَلاتٍ مُؤَجَّلَةٍ فَإِنَّ عَلَيهِمْ أَنْ يَكْتُبُوها، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَحْفَظَ لِمِقْدارِها وَمِيقاتِها، وَأَضْبَطَ لِلشَّهادَةِ فِيها، وَلْيَكْتُبْ بَيْنَهُمْ كاتِبٌ بِالقِسْطِ وَالحَقِّ (بِالعَدْلِ)، وَلَا يَجُرْ فِي كِتابَتِهِ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَكْتُبْ إِلّا ما اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ دُونِ زِيادَةٍ وَلَا نُقْصانٍ. وَعَلَى مَنْ يَعْرِفُ الكِتابَةَ أَنْ لَا يَمْتَنِعَ عَنِ الكِتابَةِ إِذا ما سُئِلَ الكِتابَةَ لِلنَّاسِ، وَلَا ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَكَمَا عَلَّمَهُ اللهُ ما لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ فَلْيَتَصَدَّقْ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُحْسِنُ الكِتابَةَ.

وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: (مَنْ كَتَمَ عِلْماً يَعْلَمُهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ).

وَلْيُمْلِلِ الذِي عَلَيهِ الدَّيْنُ عَلَى الكَاتِبِ مُقِرّاً بِما فِي ذِمَّتِهِ مِنَ الدَّيْنِ، لِيَكُونَ إِمْلاؤُهُ حُجَّةً عَلَيهِ تَحْفَظُها الكِتابَةُ، وَلْيَتَّقِ اللهَ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَكْتُمْ مِنْهُ شَيْئاً وَلَا يُنْقِصْ (لَا يَبْخَسْ). أَمَّا إِذا كَانَ المَدِينُ سَفِيهاً مَحْجُوراً عَلَيهِ لِتَبْذِيرِهِ، أَوْ كَانَ ضَعِيفاً أَيْ صَغِيراً أَوْ مَجْنُوناً، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقِرَّ وَيُمْلِيَ عَلَى الكَاتِبِ لِعِيٍّ أَوْ لِجَهْلٍ . . . فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ وَلِيُّهُ بِالعَدْلِ.

فَرَجُلٌ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن
تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ
إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ
ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ
أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا
إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ
ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا
تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً
حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ
فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ
وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا
يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن
تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ
ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ
٢٨٢ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ
وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ
مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم
بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ
أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا
تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن
يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ
٢٨٣ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ
وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ

ثلاثة أرباع الحزب ٥

وَٱسْتَشْهِدُوا شاهِدَيْنِ زِيادَةً فِي الاسْتِيثَاقِ: رَجُلَينِ أَوْ رَجُلاً وَٱمْرأتينِ مِنَ الشُّهُودِ العُدُولِ الذِينَ تَرْضَوْنَ شَهادَتَهُمْ. وَإذا دُعِيَ الشُّهُودُ لأداءِ الشَّهادَةِ فَعلَيْهِمْ ألاَّ يَمْتَنِعُوا. وَيَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنينَ عَلى عَدَمِ إهْمَالِ الكِتابَةِ فِي الدَّين، صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً، لأنَّ ذَلِكَ أعْدَلُ عِنْدَ اللهِ (أَقْسَطُ) وَأَثْبَتُ لِلشَّهادَةِ، فَإِنَّ الشاهِدَ حِينَ يَضَعُ خَطَّهُ عَلى السَّنَدِ ثُمَّ يَراهُ فَيَذْكُرُ الشَّهادَةَ، وَهُوَ أَقرَبُ إلى عَدَمِ الرِّيبَةِ إذْ تَرْجِعُونَ عِنْدَ التَّنَازُعِ إلى الكِتابَةِ وَمَا جاءَ فِيهَا.

أَمَّا إذا كَانَ البَيْعُ بِالحَاضِرِ يَداً بِيَدٍ (تِجارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَها) فَلا بأسَ فِي تَرْكِ الكِتابَةِ، لانْتِفَاءِ المَحْذُورِ في تَرْكِهَا. وَلاَ يَجُوزُ أنْ يَلْحَقَ ضَرَرٌ بِالكَاتِبِ أَوْ بِالشَّاهِدِ لِمَا يَقُومانِ بِهِ. وَمَنْ يُخَالِفْ أَمْرَ اللهِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ عَدَمِ إيذاءِ الكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ فَإنَّ ذَلِكَ فِسْقٌ وَخُرُوجٌ عَنْ شَرْعِ اللهِ. وَٱتَّقُوا اللهَ وَرَاقِبُوهُ، واللهُ يُعَلِّمُكُمْ واجِبَاتِكُمْ، وَيُرْشِدُكُمْ إلى خَيْرِكُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيءٍ.

وَلْيُمْلِلْ - وَلْيُمْلِ وَلْيُقِرَّ.
لاَ يَبْخَسْ مِنْهُ - لاَ يُنْقِصْ مِنْهُ.
أنْ يُمِلَّ - أنْ يُمْلِيَ بِنَفْسِهِ وَيُقِرَّ.
لاَ يَأْبَ - لاَ يَمْتَنِعْ.
لاَ تَسْأَمُوا - لاَ تَمَلُّوا وَلاَ تَضْجَرُوا.
أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ - أثْبَتُ لَهَا وَأعْوَنُ عَلَى أدائِها.
أدْنَى - أقْرَبُ.

(فَرِهانٌ) (أَمانَتَه) (الشَّهادَةَ) (آثِمٌ)

(٢٨٣) - فَإنْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ وَتَدايَنْتُمْ بِدَينٍ إلى أجَلٍ مُعَيَّنٍ (مُسَمّى)، وَلَمْ تَجِدُوا مَنْ يَكْتُبُ، أوْ لَمْ تَجِدُوا أدَواتِ الكِتَابَةِ، فَلْيَكُنْ مَقامَ الكِتابَةِ رَهْنٌ يُسَلِّمُهُ المَدِينُ إلى صَاحِبِ الحَقِّ، فَإذَا وَثِقَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلا بَأسَ فِي ألاَّ تَكْتُبُوا، أوْ ألاَّ تُشْهِدُوا شاهِدِينَ، وَلْيَتَّقِ المُؤْمِنُ اللهَ رَبَّهُ، وَعَلَيكُمْ أنْ لاَ تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ، وَأنْ لاَ تَمْتَنِعُوا عَنْ أدائِهَا، إذا دُعِيتُم إلى أدائِها، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإنَّهُ يَكُونُ آثِمَ القَلْبِ، وَقَدِ ٱرْتَكَبَ إثْماً وَذَنْباً. وَلاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ أعْمالِكُمْ شَيءٌ.

(السَّماوَاتِ)

(٢٨٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أنَّهُ مَالِكُ السَّماوَاتِ وَالأرْضِ وَمَنْ

أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(٢٨٥) ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ

(٢٨٦) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ

فِيهِنَّ، لا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِيهِنَّ، لا تَخْفَى عَليهِ السَّرائِرُ وَلاَ الظَّواهِرُ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُ عِبادَهُ عَلَى مَا فَعَلُوهُ، وَمَا أَخْفَوْهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(آمَنَ) (مَلاَئِكَتِهِ)

(٢٨٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّهُ صَدَّقَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ الوَحْيِ، وَآمَنَ بِمَا أُنْزِلَ إليهِ مِنْ رَبِّهِ. وَالمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ كَذَلِكَ بِوُجُودِ اللهِ وَوحدَانِيَّتِهِ وَتَمامِ حِكْمَتِهِ فِي نِظَامِ خَلِيقَتِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِوُجُودِ مَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَيُصَدِّقُونَ بِجَميعِ الأَنْبِياءِ وَالرُّسُلِ وَالكُتُبِ المُنْزَلَةِ مِنَ السَّماءِ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالأنبياءِ، لاَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالأنبياءِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ جميعاً صَادِقُونَ، هَادُونَ إلى سَبيلِ الخَيْرِ، وَإنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَنْسَخُ شَرِيعَةَ بَعْضٍ بِإِذْنِ اللهِ. وَقَالُوا: سَمِعْنَا قَوْلَكَ يَا رَبَّنَا وَفَهِمْنَاهُ، وَآمْتَثَلْنَا لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، نَسْأَلُكَ المَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَإليكَ نَحْنُ صَائِرُونَ.

غُفْرَانَكَ - نَسْأَلُكَ المَغْفِرَةَ.

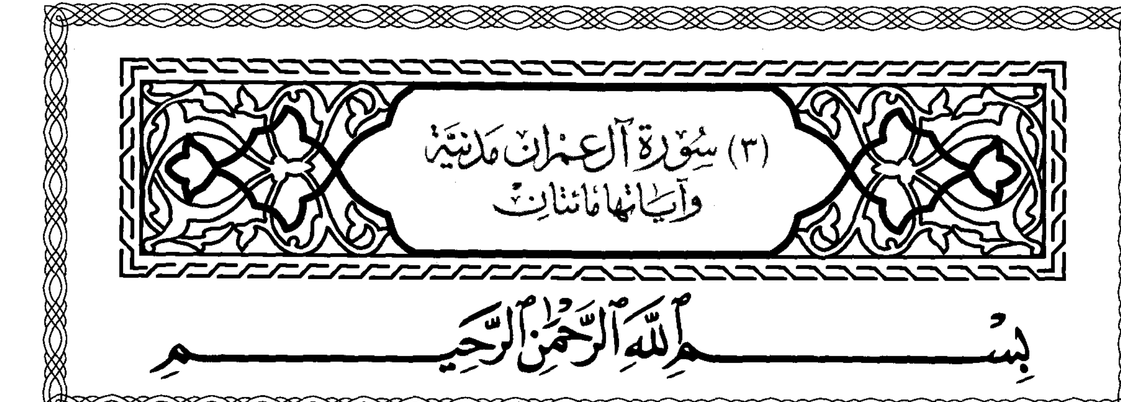
(مَوْلاَنا) (الْكَافِرينَ)

(٢٨٦) - لاَ يُكَلِّفُ اللهُ أحداً فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَهذا مِنْ لُطْفِ اللهِ بِخَلْقِهِ. وَلِلنَّفْسِ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ. وَعَلَيْهَا مَا آكْتَسَبَتْ مِنْ شَرٍّ، مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. وَأَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إلى دُعَائِهِ وَآسْتِرْحَامِهِ، وَالضَّراعَةِ إليهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولُوا: رَبَّنا لا تُؤَاخِذْنا إنْ تَرَكْنا فَرْضَنا وَنَحْنُ نَاسُونَ أوِ آرْتَكَبْنَا مُحَرَّماً وَنَحْنُ نَاسُونَ أَوْ مُخْطِئُونَ، أَوْ عَنْ جَهْلٍ بِوَجْهِهِ الشَّرْعِيِّ، رَبَّنا وَلا تُكَلِّفْنا مِنَ الأعْمالِ الشَّاقَّةِ وَإنْ أَطَقْنَاها، كَمَا شَرَّعْتَهُ لِلأُمَمِ السَّالِفَةِ مِنَ الأغْلاَلِ وَالآصارِ، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنا بِهِ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالمَصَائِبِ وَالبَلاءِ، وَآعْفُ عَنَّا فِيمَا بَيْنَنا وَبَيْنَكَ، وَآغْفِرْ لَنا فِيمَا بَيْنَنا وَبَيْنَ العِبادِ، فَلاَ تُظْهِرْهُمْ عَلَى أعْمَالِنا القَبِيحَةِ وَمَساوئِنا، وَآرْحَمْنا لِكَيْلاَ نَقَعَ مُسْتَقْبَلاً فِي ذَنْبٍ، أَنْتَ وَلِيُّنا وَمَوْلاَنا، فَانْصُرْنا عَلَى القَوْمِ الذِينَ كَفَرُوا بِكَ، وَجَحَدُوا دينك.

وُسْعَها - طَاقَتَها وَمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ.

إصْراً - عِبْئاً ثَقِيلاً وَهُوَ التَّكالِيفُ الشَّاقَّةُ.

لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ - لاَ قُدْرَةَ لَنا عَلَى القِيَامِ بِهِ.



﴿١﴾ الٓمٓ

﴿٢﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

﴿٣﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ

﴿٤﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ

أَلِف. لَام. مِيم.

(١) - وَتُقْرَأُ مُقَطَّعَةً كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ.

سَبَقَتِ الإِشَارَةُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ البَقَرَةِ إِلى شَرْحِ مَعَانِي الحُروفِ الوَارِدَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَنَعُودُ فَنَقُولُ إِنَّهُ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ نَقُولَ: اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٢) - يُخْبِرِ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُتَفَرِّدٌ بِالأُلُوهِيَّةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ الحَيُّ فِي نَفْسِهِ الذِي لَا يَمُوتُ أَبَداً، القَيِّمُ عَلَى أَمْرِ العَالَمِ، يُدَبِّرُهُ وَيُصَرِّفُهُ.

الحَيُّ - الدَّائِمُ الحَيَاةِ بِلا زَوَالٍ.

القَيُّومُ - الدَّائِمُ القِيَامِ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

(الكِتَابَ) (التَّوْرَاةَ)

(٣) - وَهُوَ تَعَالَى الذِي أَنْزَلَ عَلَيكَ القُرْآنَ، يَا مُحَمَّدُ، مُشْتَمِلاً عَلَى الحَقِّ فِي كُلِّ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ أُصُولِ الشَّرَائِعِ التِي تَضَمَّنَتْهَا الكُتُبُ السَّابِقَةُ، وَمُصَدِّقاً لها. فَهِيَ تُصَدِّقُهُ بِمَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ، وَبَشَّرَتْ بِهِ، مِنَ الوَعْدِ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، وَبِإِنْزالِ القُرْآنِ عَلَيْهِ. وَهُوَ يُصَدِّقُهَا لأَنَّهُ وَافَقَ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ. وَاللهُ هُوَ الذِي أَنْزَلَ التَّوراةَ عَلَى مُوسَى، وَالإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى، عَلَيهِمَا السَّلامُ.

(٤) - وَقَدْ أَنْزَلَهُمَا اللهُ مِنْ قَبلِ هذا القُرآنِ لِهِدَايَةِ النَّاسِ إلى الحَقِّ، وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ الإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، حِينَ يُبْعَثُ. وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ - وَهُوَ مَا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الهُدَى والضَّلالَةِ، وَالحَقِّ وَالبَاطِلِ، بِمَا يَذْكُرُهُ اللهُ مِنَ الحُجَجِ وَالبَيِّنَاتِ القَاطِعَاتِ - (وَيَرَى بَعْضُ المُفَسِّرِينَ أَنَّ المُرَادَ بِالفُرْقَانِ (التَّوْرَاةُ).

وإنَّ الذينَ كَفروا، وَجَحدُوا بآياتِ اللهِ النَّاطِقةِ بتَوْحِيدِه، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لا يَليقُ بعِزَّةِ جَلالِهِ، فَكَذَّبُوا بالقُرْآنِ، ثُمَّ بِسَائِرِ الكُتُبِ تَبْعاً لِذلِكَ، وأنْكَرُوها، لَهُمْ عَذابٌ شَديدٌ يَوْمَ القِيامَةِ، واللهُ مَنيعٌ، عَزِيزُ الجَانِبِ، يَنْتَقِمُ مِمَّنْ جَحَدَ بآيَاتِهِ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ.

الفُرْقَانَ - ما يُفْرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾

(٥) - يُعْلِمُ اللهُ النَّاسَ أنَّهُ عَليمٌ لا يَخْفى عَليهِ شَيءٌ مِنْ غَيْبِ السَّماوَاتِ والأرْضِ، وأنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ، فَلا يَخْفى عَلَيهِ حَالُ الصَّادِقِ فِي إيمانِهِ، ولاَ حَالُ الكافِرِ، ولاَ حَالُ المُنافِقِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

(٦) - واللهُ تَعالى هُوَ الذِي يَخْلُقُكُمْ فِي الأرْحَامِ، ويَجْعَلُكُمْ عَلى صُوَرٍ مُتَغايِرَةٍ: مِنَ النُّطَفِ إلى العَلَقِ إلى المُضَغِ.. وَمِنْ ذَكَرٍ وأنْثى، وَجَميلٍ وَقبيحٍ، وَشَقيٍّ وَسَعِيدٍ. لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ، ولاَ رَبَّ غَيْرُهُ، وَهُوَ العَزِيزُ الذِي لاَ شَرِيكَ لَهُ، المُتَفَرِّدُ بِالخَلْقِ والتَّصْوِيرِ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾

(الْكِتَابَ) (آيَاتٌ) (مُحْكَمَاتٌ) (مُتَشَابِهَاتٌ) (تَشَابَهَ) (الرَّاسِخُونَ) (آمَنَّا) (أولُو) (الأَلْبَابِ)

(٧) - وَاللهُ تَعالى هُوَ الذِي أنْزَلَ القُرآنَ عَلى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَانَ مِنْ حِكْمَتِهِ أنْ جَعَلَ مِنْهُ آياتٍ مُحْكَماتٍ مُحَدَّدَةَ المَعْنى، بَيِّنَةَ المَقاصِدِ، هِيَ الأَصْلُ وإليها المَرْجِعُ (أمُّ الكِتَابِ). وَجَعَلَ مِنْهُ آياتٍ مُتَشابِهاتٍ، يَدِقُّ فَهْمُ مَعْنَاهَا عَلى كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَشْتَبِهُ عَلى غَيْرِ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ.

فَيَأخُذُونَ المُتَشابهَ الذي يَسْتَطِعُونَ تَحْرِيفَهُ لِيَسْتَخْدِمُوهُ فِي الوُصُولِ إلى أغْراضِهِم الفَاسِدَةِ مِنْ إضْلاَلِ النَّاسِ لاحْتِمَالِ لَفْظِهِ لِمَا يَصْرِفُونَهُ إليْهِ. أمَّا المُحْكَمُ فإنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الإِفادَةَ مِنْهُ لأنَّهُ دَامِغٌ لَهُمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيهِمْ.

أمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ عَنِ الحَقِّ، فَإنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي إثَارَةِ الفِتْنَةِ، وَيَسْتَعِينُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا فِي غَرائِزِ النَّاسِ وَطِبَاعِهِمْ مِنْ شَكٍّ فِيمَا لَمْ يَصِلْ إليهِ عِلْمُهُمْ، ولاَ يَنالُهُ حِسُّهُمْ. كَالإِحْيَاءِ بَعْدَ المَوْتِ، وَجَميعِ شُؤُونِ العَالَمِ الآخرِ. وَيَأخُذُونَ المُتَشَابِهَ عَلى ظَاهِرِهِ دُونَ نَظَرٍ إلى المُحْكَمِ، وَيَرْجِعُونَ فِي تَفْسِيرِ المُحْكَمِ إلى أهْوائِهِمْ، وَتَقَالِيدِهِمْ، لاَ إلى الأصْلِ المُحْكَمِ الذِي بُنِيَ عَلَيهِ الاعْتِقَادُ.

وَتَأويلُ المُتَشابِهِ مِنَ القُرآنِ لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ، المُتَمَكِّنُونَ مِنْهُ.

(وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرينَ المُتَقَدِّمِينَ: إنَّ المَفْهُومَ مِنْ هٰذِهِ الآيَةِ: أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ تَفْسِيرَ المُتَشَابِهِ إلاّ اللهُ. أَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ فَعِبَارَةٌ مُسْتَأنَفَةٌ).

وَهَؤُلاءِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَرُدُّونَ المُتَشابِهَ إلى المُحْكَمِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهٰذَا وَهذا عَلَى أنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلاَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ مُحْكَمِ القُرْآنِ وَمُتَشابِهِهِ.

وَلاَ يَعْقِلُ ذَلِكَ وَلاَ يَفْهَمُهُ إلاّ أصْحَابُ العُقُولِ السَّلِيمَةِ التِي لاَ تَخْضَعُ لِتَأثِيرِ الهَوَى وَالشَّهَواتِ.

وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ فَقَالَ عَنْهُمْ: (مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ، وَآسْتَقَامَ قَلْبُهُ، وَمَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ، فَذلِكَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ) (أَخْرَجَهُ آبْنُ أبي حَاتِمٍ).

﴿٨﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ

(٨) - وَهَؤُلاءِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ، مَعَ إيمَانِهِمْ بِالمُتَشَابِهِ، فَإنَّهُمْ يَسْألُونَ اللهَ أنْ يَحْفَظَهُمْ مِنَ الزَّيْغِ بَعْدَ الهِدَايَةِ، وَأنْ يَهَبَهُم الثَّبَاتَ عَلَى مَعْرِفَةِ الحَقِيقَةِ، وَالاسْتِقَامَةَ عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنا لا تُحِلْ قُلُوبَنا عَنِ الهُدَى بَعْدَ أنْ أقَمْتَها عَلَيْهِ، وَآمْنَحْنا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تُثَبِّتُ بِها قُلُوبَنا، وَتزِيدُنا بِها إيماناً وَيَقِيناً، إنَّكَ يَا رَبِّ أنْتَ المُعْطِي الوَهَّابُ.

الوَهَّابُ - الكَثِيرُ العَطَاءِ.

لا تُزِغْ قُلُوبَنا - لاَ تُمِلْها عَنِ الحَقِّ وَالهُدَى.

﴿٩﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ

(٩) - وَيُتَابِعُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ دُعاءَهُمْ قَائِلِينَ: يَا رَبِّ إنَّكَ سَتَجْمَعُ النَّاسَ لِلْجَزاءِ، يَوْمَ المَعَادِ الذِي لاَ رَيْبَ فِي أنَّهُ وَاقِعٌ وَآتٍ، وَتَفْصِلُ بَيْنَهُمْ، وَتَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيما آخْتَلَفُوا فِيهِ، وَتَجْزي كُلاًّ مِنْهُمْ عَلَى عَمَلِهِ، وَإنَّكَ يَا رَبِّ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ.

﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ

(أمْوالُهُمْ) (أوْلاَدُهُمْ) (أولئِكَ)

(١٠) - إنَّ الذِينَ كَفَروا باللهِ، وَبِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَحَدُوا مَا عَرَفُوهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَنْ تُفِيدَهُمْ شَيْئاً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ أمْوالُهُمْ (التِي يَبْذُلُونَها فِي جَلْبِ المَنَافِعِ، وَدَفْعِ المَضَارِّ) وَلاَ أوْلاَدُهُمْ (الذِينَ يَتَنَاصَرُونَ بِهِمْ فِي الدُّنيا)، وَسَيَكُونُونَ حَطَباً تُوقَدُ بِهِ جَهَنَّمُ.

﴿١١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(آل فِرْعَوْنَ) (بِآيَاتِنَا)

(١١) - وَسَيَكُونُ حَالُ هٰؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ وَشَأنُهُمْ (دَأْبُهُمْ) مِثْلَ حَالِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ (آلِ فِرْعَونَ)، وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَبِمَا ٱرْتَكَبُوهُ مِنْ كُفْرٍ وَآثَامٍ، واللهُ شَدِيدُ العَذَابِ أليمُهُ، لاَ يَمْتَنِعُ عليهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ.

الدَّأبُ - العَادَةُ وَالحَالُ.

آلِ فِرعَوْنَ - قَوْمِ فِرْعَوْنَ.

أَخَذَهُمْ - عَاقَبَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ.

﴿١٢﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ

(١٢) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْكَافِرِينَ - وَهُمْ هُنَا اليَهُودُ -: إِنَّهُمْ سَيُغْلَبُونَ فِي الدُّنيا وَيُحْشَرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُسَاقُونَ إلى جَهَنَّمَ، لِتَكُونَ لَهُمْ مَهْداً وَفِرَاشاً، وَبِئْسَ ذٰلِكَ المَهْدُ وَالفِرَاشُ.

(هٰذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي يَهُودِ بَنِي قَيْنُقَاع. فَبَعْدَ أَنْ نَصَرَ اللهُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، جَمَعَ الرَّسُولُ ﷺ يَهُودَ المَدِينَةِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِمَا أَصَابَ بِهِ قُرَيْشاً.

فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ لاَ يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَراً مِنْ قُرَيشٍ لاَ يَعْرِفُونَ القِتَالَ، إنَّكَ وَاللهِ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ والتي بَعْدَهَا، وَقَدْ صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ فَقَتَلَ المُسْلِمُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَأَجْلَوا بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَفَتَحُوا خَيْبَرَ).

المِهَادُ - الفِرَاشُ.

﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ

(آيَةٌ) (تُقَاتِلُ) (الأَبْصَارِ)

(١٣) - ثُمَّ حَذَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى وَأَنْذَرَهُمْ بِألاَّ يَغْتَرُّوا بِكَثْرَةِ العَدَدِ وَالعُدَّةِ، فَلَهُمْ فِيمَا يُشَاهِدُونَهُ عِبْرَةٌ. فَأَمَرَ رَسُولَهُ بِأنْ يَقُولَ لليَهُودِ الذِينَ قَالُوا لَهُ مَا قَالُوا: إِنَّ اللهَ مُعِزٌّ دِينَهُ، وَنَاصِرٌ رَسُولَهُ، وَإِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ مَا أَظْهَرَهُ اللهُ يَوْمَ بَدْرٍ، إذِ التَقَتْ فِئَتَانِ فِي سَاحَةِ الحَرْبِ فِئَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبيلِ إعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَنَصْرِ دِينِهِ، (وَهُمُ المُسْلِمُونَ)، وَفِئَةٌ أُخْرَى كَافِرَةٌ (وَهُمْ مُشْرِكُو قُرَيشٍ). وَقَدْ أَرَى اللهُ تَعَالى المُشْرِكِينَ المُسْلِمِينَ فِي مِثْلَي عَدَدِ المُشْرِكِينَ (أَيْ قَرِيباً مِنْ أَلْفَي مُقَاتِلٍ) بِصُورَةٍ جَلِيَّةٍ وَاضِحَةٍ، وَهُمْ إنَّما كَانُوا فِي الحَقِيقَةِ ثَلاثَمِئةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، وَكَانَ ذَلِكَ إضْعَافاً لِقُلُوبِ المُشْرِكِينَ، وَلِيَهَابُوا المُسْلِمِينَ، وَلِيَجْبُنُوا عَنْ

قِتَالِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ مَدَداً مِنَ اللهِ، كَمَا أَمَدَّهُمْ بِالمَلاَئِكَةِ. وَقَدْ أَرَى اللهُ المُسْلِمِينَ المُشْرِكِينَ قَلِيلِي العَدَدِ لِيَجْتَرِئُوا عَلَيهِمْ.

وَدَارَتِ المَعْرَكَةُ فَانْتَصَرَ جُنْدُ اللهِ، وَأَعَزَّ اللهُ دِينَهُ، وَقُتِلَ رُؤُوسُ الكُفْرِ. وَفي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لأولِي البَصَائِرِ لِيَهْتَدُوا إلى حِكَمِ اللهِ وَأَفْعَالِهِ وَقَدَرِهِ الجَارِي بِنَصْرِ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَمْتَثِلُون لِمَا أَوْصَاهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ، فَيُقَاتِلُونَ ثَابِتِينَ وَاثِقِينَ بِنَصْرِ اللهِ.

لَعِبْرَةً - لَعِظَةً وَدَلاَلَةً.

﴿١٤﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ

(الشَّهَوَاتِ) (وَالْقَنَاطِيرِ) (والأَنْعَامِ) (مَتَاعُ) (الْحَيَاةِ) (الْمَآبِ)

(١٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَى حُبِّ الشَّهَواتِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنْ أَنْواعِ المَلَذَّاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ، وَالأَمْوَالِ وَالخَيْلِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ، وَهِيَ زَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنيا الفَانِيَةِ، وَزِينَتُهَا الزَّائِلَةُ، وَهِيَ لاَ تُقَاسُ بِمَا ادَّخَرَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي الآخِرَةِ، وَعِنْدَ اللهِ حُسْنُ المَرْجِعِ، وَعِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ.

الشَّهْوَةُ - رَغْبَةُ النَّفْسِ.

الحَرْثُ - الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ.

المُسَوَّمَةِ - المُطْلَقَةِ لِتَرْعَى فِي أَرْضِ اللهِ، أوِ المُعَلَّمَةِ.

المَآبِ - المَرْجِعِ.

المُقَنْطَرَةِ - المُضَاعَفَةِ أوِ المُحْكَمَةِ، المُحَصَّنَةِ.

الحزب ٦

﴿١٥﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ

(جَنَّاتٌ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ) (وَأَزْوَاجٌ) (وَرِضْوانٌ)

(١٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ أَتُرِيدُونَ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّا زُيِّنَ لِلنَّاسِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا مِنْ نَعِيمِها الزَّائِلِ؟ هُوَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالى لِلْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ، الذِينَ أَخْبَتُوا إلى رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إليهِ، مِنْ جَنَّاتٍ تَتَفَجَّرُ فِي أَرْضِهَا الأَنْهَارُ، مُخَلَّدِينَ فِيها لا تَزُولُ عَنْهُمْ أبداً، وَلاَ يَبْغُونَ عَنْهَا تَحَوُّلاً، وَلَهُمْ فِيها أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالخُبْثِ وَالكَيْدِ وَسُوءِ الخُلُقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْتَرِي النِّسَاءَ. وَيَغْمُرُهُمْ رِضْوَانُ اللهِ فَلاَ يَسْخَطُ عَلَيهِمْ رَبُّهُمْ أبداً، وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ، يُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ العَطَاءِ.

الرِّضْوانُ - الرِّضَا.

التَّقْوى - الإِخْبَاتُ للهِ.

﴿١٦﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

﴿١٧﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ

﴿١٨﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(آمَنَّا)

(١٦) - وَعِبَادُ اللهِ المُتَّقُونَ الذِينَ يَسْتَحِقُّونَ نَعِيمَ الآخِرَةِ، وَرِضْوَانَ اللهِ، هُمُ الذِينَ تَتَأثَّرُ قُلُوبُهُمْ بِثَمَراتِ إيمَانِهِمْ فَتَفِيضُ أَلْسِنَتُهُمْ بِالاعْتِرافِ بِهَذَا الإِيمَانِ حِينَ الدُّعَاءِ وَالابْتِهَالِ إلى اللهِ فَيَقُولُونَ: رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا بِكَ، وَبِكُتُبِكَ، وَبِرُسُلِكَ، فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنا، وَآمْحُها بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَآدْفَعْ عَنَّا عَذابَ النَّارِ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(الصَّابِرِينَ) (والصَّادِقِينَ) (والْقانِتِينَ)

(١٧) - وَهؤلاءِ العِبَادُ المُتَّقُونَ هُمْ: الصَّابِرُونَ عَلَى قِيَامِهِمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَتَرْكِ مُحَرَّمَاتِهِ، وَهُمُ الصَّادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنْ إيمَانِهِمْ بِمَا آلتَزَمُوا بِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، والمُلْتَزِمُونَ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالخُضُوعِ لَهُ (القَانِتُونَ)، وَهُمُ المُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوالِهِمْ فِي جَمِيعِ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ وَمُوَاسَاةِ ذَوِي الحَاجَاتِ، وَهُمُ المُسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ فِي أَوْقَاتِ السَّحَرِ، حِينَما يَكُونُ النَّاسُ نَائِمِينَ. وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الأخِيرِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَه؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟)

(والْمَلائِكَةُ) (وَأُولُو) (قَائِماً)

(١٨) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ، الذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ، وَأَنَّهُ قائِمٌ عَلَى شُؤُونِ خَلْقِهِ بِالعَدْلِ، وَقَدْ أَقَامَ الدَّلاَئِلَ عَلَى ذَلِكَ فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ. وَفِي إِنْزالِ التَّشْرِيعَاتِ النَّاطِقَةِ بِذَلِكَ. وَأَخْبَرَ المَلائِكَةُ الرُّسُلَ بِهذَا، وَشَهِدُوا بِهِ شَهَادَةً مُؤَيَّدَةً بِعِلْمٍ ضَرُورِيٍّ - وَهُوَ عِنْدَ الأَنْبِياءِ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ اليَقِينِيَّاتِ - وَأُولُو العِلْمِ أَخْبَرُوا بِذَلِكَ وَبَيَّنُوهُ، وَشَهِدُوا بِهِ شَهَادَةً مَقْرُونَةً بِالدَّلائِلِ وَالحُجَجِ، لأَنَّ العَالِمَ بِالشَّيءِ لا تُعْوِزُهُ الحُجَّةُ عَلَيهِ.

وَقَوامَةُ اللهِ فِي تَدْبِيرِ هَـذَا الكَوْنِ، وَأُمُورِ الخَلْقِ، تَتَّصِفُ دَائِماً بِصِفَةِ العَدْلِ (قَائِماً بِالقِسْطِ). وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى سُنَنَ الخَلْقِ قَائِمَةً عَلَى أَسَاسِ العَدْلِ. ثُمَّ أَكَّدَ تَعَالَى كَوْنَهُ مُنْفَرِداً بِالأُلُوهِيَّةِ، وَقَائِماً بِالعَدْلِ (لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يُجَاءُ بِصَاحِبِها - أَيْ بِمَنْ شَهِدَ بِمَا شَهِدَ اللهُ تَعَالَى بِهِ - يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي عَهِدَ إِلَيَّ وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ

﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

وَفَى بِالعَهْدِ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الجَنَّةَ) (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ).

(الإِسْلَامُ) (الكِتَابَ) (بِآيَاتِ)

(١٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ دِيناً مِنْ أَحَدٍ غَيْرَ دِينِ الإِسْلَامِ. وَالإِسْلَامُ هُوَ الاسْتِسْلَامُ الكَامِلُ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا بَعَثَهُمُ اللهُ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ لَقِيَ اللهَ بَعْدَ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ عَلَى غَيْرِ شَرِيعَتِهِ فَلا يُقْبَلُ مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ، وَجَاءَتِ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ اتِّبَاعَ سَبِيلِ اللهِ هذا، وَيَحُثُّونَهُمْ عَلَى تَوْحِيدِ اللهِ وَلكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَخَرَجُوا عَنِ الإِسْلامِ الذِي جَاءَهُمْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، وَتَفَرَّقُوا شِيَعاً وَطَوَائِفَ مُتَنَاحِرَةً مُتَقَاتِلَةً. وَلَمْ يَكُنْ سَبَبُ ذَلِكَ الاخْتِلَافِ جَهْلاً بِحَقِيقَةِ الدِّينِ، فَالدِّينُ وَاحِدٌ لا مَجَالَ لِلاخْتِلافِ فِيهِ، وَلكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا اعْتِداءً وَظُلْماً وَبَغْياً وَتَبَاغُضاً بَيْنَهُمْ (بَغْياً بَيْنَهُمْ)، وَاتِّبَاعاً لِلرُّؤَسَاءِ الذِينَ تَجَاوَزُوا الحُدُودَ، وَلَوْلا بَغْيُهُمْ وَنَصْرُهُم مَذْهَباً على مَذْهَبٍ، وَتَضْلِيلُهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ بِتَفْسِيرِ نُصُوصِ الدِّينِ بِالرَّأْيِ وَالهَوَى، وَتَأْوِيلُ بَعْضِهِ أَوْ تَحْرِيفُهُ، لَمَا حَدَثَ هَذا الاخْتِلافُ.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ على وُجوبِ الاعْتِصَامِ بِالدِّينِ وَوَحْدَتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُجَازِيهِ عَلَى مَا اجْتَرَحَ مِنَ السَّيِّئاتِ، واللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ.

أولُو العِلْمِ - أَهْلُ البُرْهَانِ القَادِرُونَ عَلَى الإِقْنَاعِ.

بِالقِسْطِ - بِالعَدْلِ.

بَغْياً - اعْتِدَاءً وَتَجَاوُزاً لِلْحُدُودِ.

الدِّينَ - الطَّاعَةَ وَالانْقِيَادَ للهِ، أوِ المِلَّةَ.

﴿٢٠﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ

(الْكِتَابَ) (وَالأُمِّيِّينَ) (أَأَسْلَمْتُمْ) (البَلَاغُ)

(٢٠) - فَإِنْ جَادَلَكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَوْ غَيْرُهُمْ (حَاجُّوكَ) يَا مُحَمَّدُ فِي التَّوْحِيدِ، بَعْدَ أَنْ أَقَمْتَ لَهُمُ البَيِّنَاتِ وَالبَراهِينَ، وَبَعْدَ أَنْ جِئْتَهُمْ بِالحَقِّ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّنِي أَخْلَصْتُ عِبَادَتِي للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلا نِدَّ، وَلا وَلَدَ وَلَا صَاحِبَةَ: وَمَنِ اتَّبَعَنِي عَلى دِينِي يَقُولُ كَمَقَالَتِي. وَقُلْ لأَهْلِ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلِلأُمِّيينَ (مُشْرِكِي العَرَبِ) أَأَسْلَمْتُمْ وَآمَنْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ، كَمَا أَسْلَمْتُ أنا؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا إلى الخَيْرِ وَالرَّشَادِ، وَإِنْ رَفَضُوا الدُّخُولَ فِي الإِسْلَامِ، وَآثَرُوا البَقَاءَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيهِ، فَأَنْتَ مُكَلَّفٌ بِبَلاغِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ، وَإِلى اللهِ مَرْجِعُهُمْ، وَعَلَيهِ حِسَابُهُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ، مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ.

﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

﴿٢٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ

﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ

(بآيَاتِ) (النَّبِيِّينَ)

(٢١) - يَذُمُّ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الكِتَابِ الذِينَ ٱرْتَكَبُوا المَآثِمَ وَالمَحَارِمَ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَآيَاتِهِ، وَقَتَلُوا الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ الذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللهِ وَإِلَى ٱتِّبَاعِ الحَقِّ. وَالمَقْصُودُونَ فِي هذِهِ الآيَةِ هُمُ اليَهُودُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، الذِينَ قَتَلُوا عَدَداً مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ٱسْتِكْبَاراً، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ بِالذِّلَّةِ وَالصَّغَارِ فِي الدُّنيا، وَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مُهِينٍ فِي الآخِرَةِ، لأَنَّ هذا هُوَ جَزَاءُ جُرْمِهِمْ وَصَنِيعِهِمْ.

(أولَئِكَ) (أَعْمَالُهُمْ) (نَاصِرِينَ)

(٢٢) - قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ: (يَا أَبَا عُبَيْدَةَ قَتَلَتْ بَنُو إِسْرائيلَ ثَلاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِياً أَوَّلَ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. فَقَامَ مِئَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائيلَ فَأَمَروا القَتَلَةَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَوْهُمْ عَنِ المُنْكَرِ، فَقُتِلُوا جَمِيعاً مِنْ آخِرِ ذَلِكَ اليَوْمِ. فَهُمُ الذِينَ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ) (أَخْرَجَهُ ٱبْنُ أبي حَاتِمٍ).

وَيَقُولُ تَعَالى إِنَّ الذِينَ يَرْتَكِبُونَ هَذِهِ المُنْكَرَاتِ يُهْلِكُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَيُبْطِلُهَا فِي الدُّنْيا، فَلا يَنَالُونَ عَلَيها حَمْداً، وَلا ثَنَاءً مِنَ النَّاسِ. وَقَدْ لَعَنَهُمُ اللهُ، وَهَتَكَ أَسْتَارَهُمْ وَأَبْدَى مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ، عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيائِهِ وَرُسُلِهِ. وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ، العَذَابَ الأَلِيمَ وَالخُلُودَ فِي جَهَنَّمَ، وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَأسِ اللهِ.

(الْكِتَابِ) (كِتَابِ)

(٢٣) - يُنكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى اليَهُودِ رَفْضَهُمُ الأَخْذَ بِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِم - التِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهَا - حِينَمَا يَكُونُ الحُكْمُ فِيهَا لاَ يُوافِقُ أَهْوَاءَهُمْ. فَقَدْ زَنَى أَحَدُ أَشْرَافِ اليَهُودِ فَجَاؤُوا إِلى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَهُ الحُكْمَ فِي الأَمْرِ، فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِمِثْلِ مَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ. وَحُكْمُ الزِّنَا فِي التَّوراةِ هُوَ الرَّجْمُ، فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُعْرِضِينَ. وَلَمْ يَقْبَلُوا حُكْمَهُ. فَهُمْ إِنَّمَا جَاؤُوا إِلَيهِ لِيَجِدُوا لَدَيهِ حُكْماً أَخَفَّ مِمَّا فِي التَّوراةِ، وَكَانَ مِنَ المَفْرُوضِ فِيهِمْ أَلاَّ يَتَرَدَّدُوا فِي إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ إِلى كِتَابِهِمْ، إِذْ أَنَّهُ أَصْلُ دِينِهِمْ، وَعَلَيْهِ بُنِيَتْ عَقِيدَتُهُمْ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الذِينَ أوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ﴾ إِشَارَةٌ إِلى أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ طَرَفاً مِنْ كِتَابِهِمْ الذِي أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيهِمْ. وَقَدْ فَقَدُوا سَائِرَهُ، وَأَنَّهُمْ لا يُحْسِنُونَ فَهْمَهُ، وَلاَ يَلْتَزِمُونَ العَمَلَ بِهِ.

النَّصِيبُ ـ الحَظُّ وهُوَ هُنا طَرَفٌ مِنَ التَّوراةِ وَشيءٌ مِنْهُ.
التَّوَلِّي ـ الإعْراضُ بِالبَدَنِ.

(٢٤) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ

(مَعْدُوداتٍ)

(٢٤) ـ وَما حَمَلَهُمْ عَلى مُخالَفَةِ الحَقِّ، وَعَلى العِنادِ إلّا ٱفْتِراؤُهُمْ عَلى اللهِ فِيما آدَّعَوْهُ لأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنَّهُمْ لَنْ يُعَذَّبُوا فِي النّارِ، إلّا أياماً مَعْدُوداتٍ (قِيلَ: إنَّها سَبْعَةُ أيّامٍ، عَنْ كُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ عُمْرِ الدُّنْيا يَوْمٌ مِنَ العَذابِ). وَقَدْ خَدَعَهُمْ هذا الاعْتِقادُ الباطِلُ وَغَرَّهُمْ، فَاسْتَمَرُّوا فِي غَيِّهِمْ وَضَلالِهِمْ، وَأَقامُوا عَلى آرْتِكابِ المَعاصِي وَالذُّنُوبِ.
لَنْ تَمسَّنا النّارُ ـ لَنْ نُعَذَّبَ فِي النّارِ.
الافْتِراءُ ـ آخْتِلاقُ الكَذِبِ.
غَرَّهُ ـ خَدَعَهُ.

(٢٥) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(جَمَعْناهُمْ)

(٢٥) ـ فَكَيْفَ يَكُونُ حالُهُمْ ـ وَقَدْ كَذَّبُوا وَآفْتَرَوْا عَلى اللهِ الكَذِبَ ـ إذا جَمَعَهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لا شَكَّ فِي أَنَّهُ آتٍ وَواقِعٌ، وَرَأَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ مُحْضَراً لا نَقْصَ فِيهِ، ثُمَّ جُوزِيَتْ عَلَيهِ؟ وَاللهُ لا يَظْلِمُ أَحَداً.
وَفَّى ـ مِنَ الوَفاءِ وَهُوَ تَسْدِيدُ الدَّيْنِ.

(٢٦) قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(مالِكَ)

(٢٦) ـ قُلْ يا مُحَمَّدُ مُعَظِّماً رَبَّكَ، وَشاكِراً لَهُ أَنْعُمَهُ عَلَيكَ: اللَّهُمَّ لَكَ المُلْكُ وَالسُّلْطانُ الأعْلى، والتَّصَرُّفُ التّامُّ في تَدْبِيرِ الأُمُورِ، تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، وَتُعْطِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ، وَتَمْنَعُهُ وَتَنْزِعُهُ عَمَّنْ تَشاءُ، إنَّكَ أنْتَ الفَعّالُ لِما تُرِيدُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ وَحْدَكَ، وَأَنْتَ قادِرٌ عَلى كُلِّ شَيءٍ، لا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ عَنْ تَنْفِيذِ مُرادِكَ.

(٢٧) تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

(اللَّيْلَ) (اللَّيْل)

(٢٧) ـ إنَّكَ يا رَبِّ تَأْخُذُ مِنْ طُولِ النَّهارِ فَتَزِيدُ فِي اللَّيلِ، ثُمَّ تَزِيدُ فِي النَّهارِ وَتَأْخُذُ مِنْ طُولِ اللَّيلِ، وَهكَذا فِي فُصُولِ السَّنَةِ، وَتُخْرِجُ الزَّرْعَ الحَيَّ مِنَ الحَبِّ المَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الحَبَّ المَيِّتَ مِنَ الزَّرْعِ الحَيِّ، وَالبَيْضَ مِنَ الدَّجاجِ، وَالدَّجاجَ مِنَ البَيْضِ، وَالنَّخْلَةَ مِنَ النَّواةِ.
(وَقالَ الدُّكْتُورُ عَبْدُ العَزِيزِ إسْماعِيلُ: إنَّ النُّطْفَةَ شَيءٌ حَيٌّ، وَكَذلِكَ

﴿٢٨﴾ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ

﴿٢٩﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ

النَّواةُ. وَإِنَّ التَفْسِيرَ الصَّحِيحَ لِقَوْلِهِ تَعالَى ﴿تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المِيِّتِ﴾ هُوَ ما يَحْصُلُ يَوْمِياً مِنْ أنَّ الحَيَّ يَنْمُو بِأكْلِ الأشْياءِ المَيِّتَةِ، فالصَّغِيرُ يَكْبُرُ جِسْمُهُ بِتَغْذِيَتِهِ بِاللَّبَنِ وَغَيرِهِ، وَالغِذاءُ شَيءٌ مَيِّتٌ. وَإنَّ القُدْرَةَ عَلَى تَحْويلِ الشَّيءِ المَيِّتِ الذِي يأكُلُه إلى عَناصِرَ وَمَوادَّ مِنْ نوعِ جِسْمِهِ فَتَكُونُ سَبَباً فِي نُمُوِّ جِسْمِهِ، هُوَ أهَمُّ عَلامَةٍ تَفْصِلُ الجِسْمَ الحَيَّ عَنِ الجِسْمِ المَيِّتِ).

وَإنَّكَ يَا رَبِّ تَهَبُ عَطاءَكَ الوَاسِعَ مَنْ تَشاءُ وَفْقَ حِكْمَتِكَ فَلا رَقِيبَ عَلَيكَ يُحاسِبُكَ عَلَى مَا تَعْمَلُ.

بِغَيْرِ حِسَابٍ - بِلا نِهايَةٍ لِما تُعْطِي.

الوُلُوجُ - الدُّخُولُ.

(الْكَافِرِينَ) (تُقَاةً)

(٢٨) - رَوَى آبْنُ عَبَّاسٍ أنَّ الحَجَّاجَ بْنَ عَمْرو، وَآبْنَ أبي الحَقِيقِ وَقَيْسَ بْنَ زَيْدٍ (مِنَ اليَهُودِ) كَانُوا يُلازِمُونَ (يُبَاطِنُونَ) نَفَراً مِنَ الأنْصارِ يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ رِفاعَةُ بْنُ المُنْذِرِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ لأولَئِكَ النَّفَرِ: آجْتَنِبُوا هَؤُلاءِ اليَهُودَ. فَأبَوْا إلاّ مُبَاطَنَتَهُمْ. فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ. وَفِيهَا يَنْهَى اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ عَنْ مُوالاةِ الكَافِرِينَ، وَعَنْ أنْ يَتَّخِذُوهُم أوْلِيَاءَ يُسِرُّونَ إليْهِمْ بِالمَوَدَّةِ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ. ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى مَنْ يُخَالِفُ أمْرَهُ فِي ذَلِكَ، إلا مَنْ خَافَ فِي بَعْضِ البُلْدَانِ وَالأوقَاتِ شُرُورَهُمْ (إلا أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)، فَلَهُ أن يَتَّقِيَهُمْ بِظَاهِرِهِ، لاَ بِبَاطِنِهِ وَنِيَّتِهِ.

(وَقَالَ آبنُ عَبَّاسٍ: الْتَقِيَّةُ لاَ تَكُونُ بِالعَمَلِ، وَإنَّمَا تَكُونُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ) ثُمَّ هَدَّدَ اللهُ تَعَالَى المُخَالِفِينَ عَنْ أمْرِهِ بِأنْ يَحْذَرُوا نِقْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، إذَا آسْتَمَرُّوا فِي مُخَالَفَةِ أمْرِهِ، وَمُوَالاةِ أعْدَائِهِ، وَعَادَوا أوْلِيَاءَ اللهِ، وَإلى اللهِ المَرْجِعُ وَالمُنْقَلَبُ، فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ.

الوَلِيُّ - النَّصِيرُ.

التُّقَاةُ - الاتِّقَاءُ وَالخَوْفُ.

يُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ - يُخَوِّفُكُمُ اللهُ غَضَبَهُ وَعِقَابَهُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأنَّـهُ يَعْلَمُ سَرَائِرَهُمْ وَضَمَائِرَهُمْ وَظَوَاهِرَهُمْ، وَأنَّهُ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِنْ أمُورِهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الكَوْنِ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

جميعاً مِنَ السَّماوَاتِ وَالأرض ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلى عُقُوبَةِ المُخَالِفِينَ عَنْ أَمْرِهِ، وَالمُوالِينَ أَعْدَاءَهُ. فَما مِنْ مَعْصِيَةٍ خَفِيَّةٍ، أَوْ ظَاهِرَةٍ إلاّ وَهُوَ مُطَّلِعٌ عليها، وَقَادِرٌ عَلى عِقَابِ فَاعِلِهَا عَلَيهَا.

(٣٠) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ

(٣٠) - وَيُحَذِّرُ اللهُ تَعَالى النَّاسَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ تَجِدُ فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا حَاضِراً أَمامَها، فَما رَأَتْهُ مِنْ أَعْمالِها حَسَناً سُرَّتْ بِهِ وَفرِحَتْ، وَمَا رَأَتْهُ قَبِيحاً تودُّ لَوْ أنها تَبَرَّأَتْ مِنْهُ، وَأنْ يَكُون بَيْنَها وبَيْنَهُ أَمَدٌ بَعِيدٌ. وَيُحَذِّرُ اللهُ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنَ عِقَابِهِ، لأَنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ يُحِبُّ أَنْ يَسْتَقِيمُوا عَلى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ ، وَدِينِهِ القَوِيمِ .

الأمدُ - المُدَّةُ المَحدَّدَةُ.

مُحْضَراً - حَاضِراً لَدَيْهَا أوْ مُشَاهَداً فِي صُحُفِ أعْمالِها.

(٣١) قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(٣١) - هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ حِينَ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَعْبَ بنَ الأَشْرَفِ وَمَنْ تَابَعَهُ مِنَ اليَهُودِ إلى الإيمانِ، فَقالوا: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ). فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، وَفِيهَا يَأْمُرُ اللهُ نَبِيَّهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: مَنِ آدَّعَى حُبَّ اللهِ دُونَ أَنْ يَتَّبِعَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ، فَهُوَ غَيْرُ صَادِقٍ، فَدِينُ اللهِ وَاحِدٌ، وَشَرْعُهُ وَاحِدٌ، وَالأَدْيَانُ يُصَدِّقُ بَعْضُها بَعْضاً وَيُكَمِّلُها.

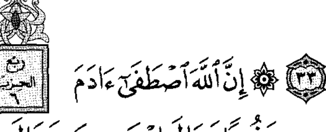
وَجَاءَ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيَخْتِمَ الأَدْيَانَ السَّابِقَةَ وَيُكَمِّلَها، فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَدَّعِي أَحَدٌ حُبَّ اللهِ، وَهُوَ يَكْفُرُ بِشَرْعِهِ وَمَا أَنْزَلَهُ عَلى رَسُولِه. وَمَنْ يَتَّبِعْ شَرْعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُخْلِصْ فِي ذَلِكَ يُحِبَّهُ اللهُ، وَيُكْرِمْهُ وَيَغْفِرْ ذُنُوبَهُ، مَكَافَأَةً لَهُ عَلى إِخْلاصِهِ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَآتِّبَاعِ أَمْرِهِ. وَاللهُ كَثِيرُ الغُفْرَانِ لِعِبَادِهِ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ. وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ).

(٣٢) قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ

(الْكافِرِينَ)

(٣٢) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَطِيعُوا اللهَ بِاتِّبَاعِ أوامِرِهِ، وَآجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَدَعْوَتِهِ، فَإِنْ رَفَضُوا ذَلِكَ، وَخَالَفُوا عَنْ أَمْرِ اللهِ، فَهُمْ كَافِرونَ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ.

التَّوَلِّي - الإعْرَاضُ بِالبَدَنِ.



(٣٣) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

(آدَم) (وآلَ إِبْراهِيمَ) (وآلَ عِمْرانَ) (الْعَالَمِينَ)

(٣٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالى أَنَّهُ آخْتَارَ هَذِهِ البُيُوتَ عَلى سَائِرِ أَهْلِ الأَرْضِ، وَجَعَلَهُمْ صَفْوَةَ العَالَمِينَ بِجَعْلِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ فِيهِمْ، فَاصْطَفَى آدَمَ وَخَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ. وَآخْتَارَ نُوحاً وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الرُّسُلِ، لَمَّا

﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿٣٥﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ

﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

عَبَدَ النَّاسُ الأوْثَانَ وَأَشْرَكُوا بِاللهِ. وَانْتَقَمَ اللهُ مِنْ قَوْمِهِ الذِينَ رَفَضُوا الاسْتِجَابَةَ إليهِ حِينَما دَعَاهُمْ إلى الحَقِّ.

وَجاءَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّبِيِّينَ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَانْتَشَرَتْ فِي البِلَادِ، وَفَشَتْ فيهم الوَثَنِيَّةُ، فَظَهَر إبراهِيمُ نَبِيّاً مُرْسَلاً، وَتَتَابَعَ المُرْسَلُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَآلِهِ كإسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ، وَكَانَ مِنْ أرْفَعِ أوْلَادِهِ ذِكْراً آلُ عِمْرانَ وَهُمْ عِيسَى وَأُمُّهُ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وَخُتِمَتِ النُّبُوَّةُ بِولَدِ إسْمَاعِيلَ محمدٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ.

آصْطَفَى - أخَذَ مَا صَفَا مِنَ الشَّيء - آخْتَارَ.

آلَ عِمْرَانَ - عِيسى وَأُمِّهِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ.

(٣٤) - وَهِيَ ذُرِّيَّةٌ صَالِحَةٌ تَوارَثَتِ الصَّلَاحَ وَالتُّقَى وَالإيمَانَ بِاللهِ، وَهُمْ أشْبَاهٌ وَأمْثَالٌ فِي الخَيْرِ وَالفَضِيلَةِ التي كَانَتْ سَبَباً في آصْطِفَائِهِمْ.

الذُّرِّيَّةُ - الأنْسَالُ - الأوْلَادُ وَالأحْفَادُ وَأنْسَالُهُمْ.

(امْرأةُ) (عِمْرَانَ)

(٣٥) - قِيلَ إنَّ آمْرَأةَ عِمرانَ كَانَتْ عَاقِراً، فَرأَتْ طَائِراً يَزُقُّ فَرْخَهُ فَتَمَنَّتْ أنْ يَكُونَ لَهَا وَلَدٌ، فَدَعَتِ اللهَ أنْ يَرْزُقَها وَلَداً فَحَمَلَتْ.

وَلَمَّا شَعَرَتْ بِالحَمْلِ نَذَرَتْ أنْ يَكُونَ حَمْلُها خَالِصاً مُتفرِّغاً لِعِبَادَةِ اللهِ، وَخِدْمَةِ المَعْبَدِ. وَدَعَتِ اللهَ أنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهَا نَذْرَها، فَإنَّهُ تَعالى هُوَ السَّمِيعُ لِدُعَائِها، العَلِيمُ بِنِيَّتِها.

النَّذْرُ - مَا يُوجِبُهُ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ.

المُحَرَّرُ - المُخَصَّصُ لِلْعِبَادَةِ وَالخِدْمَةِ.

(الشَّيْطَانِ)

(٣٦) - فَلَمَّا وَضَعَتِ امْرَأةُ عِمْرَانَ حَمْلَها، وَرَأَتْ أنَّهُ أُنثى، تَحَسَّرَتْ عَلَى مَا رَأَتْ مِنْ خَيْبَةِ رَجَائِها، فَإنَّها نَذَرَتْ أنْ تُحَرِّرَ مَا فِي بَطْنِهَا لِخِدْمَةِ المَعْبَدِ، وَالانْقِطَاعِ لِلعِبَادَةِ، وَالأنْثَى لَا تُصْلُحُ لِذَلِكَ.

وَقَالَتْ رَبِّ إنِّي وَضَعْتُها أُنثى، وَاللهُ أعْلَمُ بِمَكَانَةِ الأنثى التِي وَضَعتها، وَأنَّها خَيْرٌ مِنَ الذُّكُورِ. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأنثى فِي القُوَّةِ وَالجَلدِ فِي العِبَادَةِ، وَفِي آحْتِمَالِ خِدْمَةِ المَعْبَدِ، وَقَالَتْ إني سَمَّيْتُها مَرْيَمَ، وَإني عَوَّذْتُها بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

أُعِيذُهَا بِكَ - أجْعَلُها فِي حِفْظِكَ وَرِعَايَتِكَ، وَعَاذَ فُلَانٌ بِفُلانٍ إذا آسْتَجارَ بِهِ.

(٣٧) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

(يَا مَرْيَمُ)

(٣٧) ـ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّها نَذِيرَةً مُحَرَّرَةً لِلْعِبَادَةِ وَخِدْمَةِ بَيْتِهِ، وَأَحْسَنَ نَشْأَتَها وَنَباتَها، وَقَرَنَها بالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِهِ، تَتَعَلَّمُ مِنْهُمُ العِلْمَ وَالخَيْرَ وَالدِّينَ. وَجعلَ زَكَرِيّا كافِلاً لَها، إتْماماً لِسَعادَتِها، لِتَقْتَبِسَ مِنْهُ العِلْمَ وَالعَمَلَ الصَّالِحَ. وَكُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيّا مَكانَ مُصَلاّها (المِحْرابَ) وَجدَ عِنْدَها رِزْقاً، فَكانَ زَكَرِيّا يَسْأَلُها مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذا الرِّزْقُ يا مَرْيَمُ؟ فَتَرُدُّ عَلَيهِ قائِلَةً إنَّهُ مَنْ عِنْدِ اللهِ الذِي يَرْزُقُ النَّاسَ جَمِيعاً بِتَسْخِيرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَهُوَ تَعالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ رِزْقاً كَثِيراً بِلاَ حُدُودٍ.

تَقَبَّلَهَا رَبُّها ـ قَبِلَهَا رَاضِياً بِهَا.

أَنْبَتَها ـ رَبَّاهَا وجَعَلَ زَكَرِيَّا كَافِلاً لَهَا وَرَاعِياً لِمَصالِحِهَا.

المِحْرابَ ـ المُصَلَّى أَوْ غُرْفَةَ العِبادَةِ.

(٣٨) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ

(٣٨) ـ فَلَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا مِنْ كَرَامَاتِ مَرْيَمَ، وَكَانَ قَدِ آشْتَعَلَ رَأسُهُ شَيْباً، وَأَصْبَحَ شَيْخاً طَاعِناً فِي السِّنِّ، طَمِعَ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ مِثْلُهَا هِبَةً وَفَضْلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَانَتِ آمْرَأَتُهُ عَاقِراً، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَنَادَاهُ نِداءً خَفِيّاً، وَقَالَ: يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، إنَّكَ تَسْمَعُ دُعَاءَ الصَّالِحِينَ، وَأَنْتَ القَدِيرُ عَلَى الإِجَابَةِ.

الطَّيِّبُ ـ مَا تَسْتَطِيبُهُ النَّفْسُ ـ أَوْ هُوَ مَا تُسْتَطَابُ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ.

(٣٩) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ

(الْمَلاَئِكَةُ) (قَائِمٌ) (الصَّالِحِينَ)

(٣٩) ـ فَخَاطَبَتْهُ المَلاَئِكَةُ خِطَاباً سَمِعَهُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِحْرَابِهِ، وَمَحلِّ خَلْوَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَقَالَتْ لَهُ إن اللهَ يُبَشِّرُكَ بِوَلَدٍ يُولَدُ لَكَ آسْمُهُ يَحْيى، يَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُصَدِّقُ بِعِيسى الذِي خُلِقَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ، إذْ قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ، وَيَكُونُ حَلِيماً وَسَيِّداً يَفُوقُ قَوْمَهُ فِي الشَّرَفِ وَالعِبَادَةِ وَالعِلْمِ، وَيَكُونُ حَصُوراً يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنِ آتِّبَاعِ شَهَوَاتِهَا، وَيَكُونُ مَعْصُوماً عَنِ الفَوَاحِشِ، وَسَيَكُونُ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ حِينَمَا يَبْلُغُ سِنَّ النُّبُوَّةِ.

كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ ـ أيْ عِيسى بنَ مَرْيَمَ الذِي خُلِقَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ.

السَّيِّدُ ـ الرَّئِيسُ يَسُودُ قَوْمَهُ.

الحَصُورُ ـ الذِي يَحْصُرُ نَفْسَهُ وَيَمْنَعُهَا مِنْ إتْيانِ النَّقَائِصِ. وَيَأْتِي اللَّفْظُ، لُغَةً، بِمَعْنَى العَاجِزِ عَنْ إتْيانِ النِّسَاءِ.

﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ

﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ

﴿٤٢﴾ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ

﴿٤٣﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ

(غُلامٌ)

(٤٠) - فَلَمَّا تَحقَّقَ زَكَرِيا مِنَ البشَارَةِ، أخَذَ يَتَعجَّبُ مِنْ وِلادَةِ وَلَدٍ لَهُ بَعْدَ الكِبَرِ، فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلامٌ، وَقَدْ كَبِرْتُ وَامْرأتِي عَاقِرٌ لاَ تَلِدُ، فَرَدَّ عَلَيهِ المَلَكُ قَائِلاً: إنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُرِيدُ، لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلا يَتَعاظَمُهُ أمْرٌ،وَلاَ يَحُولُ دُونَ نَفَاذِ مَشِيئَتِهِ حَائِلٌ.

أنَّى يَكُونُ - كَيْفَ يَكُونُ وَمِنْ أيْنَ يَكُونُ.

العَاقِرُ - الذِي لاَ يُولَدُ لَهُ أوْلاَدٌ.

(آيَةً) (آيَتُكَ) (ثَلاثَةَ) (والإِبْكَارِ)

(٤١) - قَالَ زَكَرِيَّا: رَبِّ اجْعَلْ لِي عَلامَةً (آيَةً) أسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى وُجُودِ الوَلَدِ مِنِّي. قَالَ: العَلامَةُ عَلى ذَلِكَ هِيَ أنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ النُّطْقَ مَعَ اسْتِواءِ صِحَّتِكَ مُدَّةَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ كَامِلَةٍ. ثُمَّ أمَرَهُ بِكَثْرَةِ ذِكرِ اللهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَسْبِيحِهِ فِي الصَّباحِ وَالمَسَاءِ حِينَمَا تَعْرِضُ لَهُ هذِهِ الحَالَةُ.

رَمْزاً - إشَارَةً بِاليَدِ أوْ بِالرَّأسِ.

الإبْكَارِ - مِن وَقْتِ طُلوعِ الفَجْرِ إلى وَقْتِ الزَّوَالِ.

العَشِيِّ - من الزَّوالِ حَتَّى مَغِيبِ الشَّمْسِ.

(المَلائِكَةُ) (يَا مَرْيَمُ) (اصْطَفَاكِ) (العَالَمِينَ)

(٤٢) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ حِينَ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ: يَا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ اخْتَارَكِ لِتكُونِي أمّاً لِنَبِيِّهِ عِيسَى، لِكَثْرَةِ عِبَادَتِكِ وَزُهْدِكِ وَطَهَارَتِكِ، وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ.

(يَا مَرْيَمُ) (الرَّاكِعِينَ)

(٤٣) - وَأمَرَتْها المَلاَئِكَةُ (وَقِيلَ المُرادُ بِالمَلاَئِكَةِ هُنَا جِبْرِيلُ، عَلَيهِ السَّلاَمُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَةٌ أخْرى) بِأنْ تَقْنُتَ لِرَبِّها وَتَعْبُدَهُ، وَتَتَذَلَّلَ لَهُ، وَبِأنْ تَكُونَ مِنَ السَّاجِدِينَ وَالرَّاكِعِينَ.

(وَقِيلَ إنَّ كَلاَمَ جِبْرِيلَ مَعَهَا لَمْ يَكُنْ وَحْياً إلَيْهَا، وَإنَّمَا كَانَ إلْهَاماً لَهَا بِمَا لَهَا عِنْدَ رَبِّهَا مِنَ المَكَانَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى **﴿وَمَا أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجَالاً نُوحِي إلَيْهِمْ﴾**[١].

اقْنُتِي - أخْلِصِي العِبَادَةَ وَأدِيمِي الطَّاعَةَ.

---

(١) الآية ١٠٩ من سورة يوسف.

(٤٤) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ

(أقْلامَهُمْ)

(٤٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺ: أَنَّ مَا يُوحِيهِ إِلَيهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنباءِ الغَيْبِ أطْلَعَهُ اللهُ عَليهِ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ بَيْنَ القَوْمِ حِينَما اقْتَرَعُوا فِي شَأنِ مَرْيمَ لِيَرَوْا مَنْ يَكْفُلُهَا، وَذَلِكَ حَسْماً لِلنِّزَاعِ وَالخِصَامِ عَلَى كَفَالَتِهَا وَالقَوامَةِ عَلَيها، إِذْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَرْغَبُ فِي كَفالَتِهَا لِيَفُوزَ بِالأَجْرِ مِنَ اللهِ.

الأقْلامَ - القِدَاحَ المَبْرِيَّةِ، وَهِيَ السِّهَامُ وَالأَزْلامُ التِي يَضْرِبُونَ بِهَا القُرْعَةَ.

(٤٥) إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ

(المَلائِكَةُ) (يا مَرْيَمُ)

(٤٥) - وَبَشَّرَتِ المَلائِكَةُ مَرْيَمَ، عَلَيهَا السَّلامُ، وَقَالَتْ لَها: إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِأنْ يَكُونَ لَكِ وَلَدٌ عَظِيمُ الشَّأنِ، وَيَكُونُ وُجُودُهُ وَخَلْقُهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ، فَيَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَسَيَكُونُ الاسْمُ الذِي يَعْرِفُهُ بِهِ المُؤْمِنُونَ (المَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ)، وَسَيَكُونُ وَجِيهاً وَذَا مَكَانَةٍ عِنْدَ اللهِ فِي الدُّنيا بِمَا يُوحِيهِ إليهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَيَكُونُ وَجِيهاً فِي الآخِرَةِ بِأنْ يَجْعَلَهُ اللهُ شَفِيعاً لِمَنْ يَأذَنُ لَهُ بالشَّفَاعَةِ فِيهِمْ.

(وَقَدْ أُطْلِقَ عَليهِ اسْمُ المَسِيحِ - وَهُوَ لَقَبُ المَلِكِ عِنْدَهُمْ - فَقَدْ كَانَ مِنْ تَقَالِيدِهِمْ أنْ يَمْسَحَ الكَاهِنُ بالدُّهْنِ المُقَدَّسِ مَنْ يَتَوَلَّى المُلْكَ، وَيُعَبِّرُ عَنْ تَوَلِّيهِ المُلْكَ بِالمَسْحِ).

وَجِيهاً - ذَا جَاهٍ وَقَدْرٍ وَشَرَفٍ.

بِكَلِمَةٍ مِنْهُ - بِقَوْلٍ مِنْهُ (كُنْ) مُبْتَدأ مِنَ اللهِ.

(٤٦) وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(الصَّالِحِينَ)

(٤٦) - فَيَتَكَلَّمُ وَهُوَ فِي المَهْدِ، وَيَدْعُو إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ حِينَمَا يُصْبِحُ كَهْلاً، وَيَكُونُ لَهُ عِلْمٌ صَحِيحٌ، وَعَمَلٌ صَالِحٌ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ حِينَمَا جَاءَتْ بِهِ قَوْمَهَا وَهِيَ تَحْمِلُهُ، فَبَرَّأَهَا مِمَّا رَمَاهَا بِهِ اليَهُودُ مِنَ الإفْكِ، وَنَزَّهَهَا عَنِ افْترائِهِمْ.

الكَهْلُ - مَنْ لَهُ مِنَ العُمْرِ بَيْنَ الثَّلاثِينَ وَالأرْبَعِينَ عَاماً.

فِي المَهْدِ - فِي السَّرِيرِ زَمَنَ الرَّضَاعَةِ.

(٤٧) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ

(٤٧) - فَلَمَّا جَاءَتْها البُشْرَى مِنَ المَلائِكَةِ أَخَذَتْ تُنَاجِي رَبَّها وَتَقُولُ: كَيْفَ يَا رَبِّ يَكُونُ لِي وَلَدٌ، وَأنَا لَسْتُ بِذَاتِ زَوْجٍ، وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ؟

ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

فأجابَتها المَلائِكَةُ: إنَّ اللهَ إذا أرادَ أمراً فلا يُعجِزُهُ شيءٌ، ويَخلُقُ ما يُريدُ بأنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فيَكُونُ الشَّيءُ فَوْرَ أمْرِ اللهِ، مِنْ غَيرِ رَيْثٍ ولا إبْطاءٍ.

قضى أمراً - أرادَ شيئاً أوْ أحْكَمَهُ وحَتَّمَهُ.

(٤٨) وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ

(الْكِتَاب) (والتَّوْرَاة)

(٤٨) - يُخبِرُ اللهُ تَعالَى عَن تَتِمَّةِ بِشارَةِ المَلائِكَةِ لِمَرْيَمَ بابْنِها إذْ قالَتْ لَها: إنَّ اللهَ يُعَلِّمُهُ الكِتابَةَ، والعِلْمَ الصَّحيحَ الباعِثَ لِلإرادَةِ إلى الأعْمالِ النَّافِعَةِ، ويُفَقِّهُهُ في التَّوراةِ، ويُعَلِّمُهُ أسْرارَها وأحْكامَها، ويُعَلِّمُهُ الإنْجيلَ الذي يُوحي بِهِ إليهِ.

الحِكْمَةَ - الفِقْهَ والصَّوابَ قَوْلاً وعَمَلاً.

الكِتابَ - الخَطَّ باليَدِ.

(٤٩) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ

(بَني إسْرائيلَ) (بِآيَةٍ) (أُحْيي)

(٤٩) - وإنَّ اللهَ سَيَبْعَثُهُ رَسُولاً إلى بَني إسْرائيلَ فيَقُولُ لَهُمْ: إنَّهُ رَسُولُ اللهِ إليهِم، وإنَّ اللهَ أعْطاهُ آياتٍ ومُعْجِزاتٍ تَدُلُّ عَلى صِدْقِ رِسالَتِهِ، مِنْها أنَّهُ كانَ يُصَوِّرُ لَهُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فيهِ، بإذْنِ اللهِ، فَتَدُبُّ فيهِ الحَياةُ ويَطيرُ. وأنَّهُ كانَ يُبْرِئُ الأكْمَهَ الذي وُلِدَ وهُوَ أعْمى، ويُبْرِئُ الأبْرَصَ - والبَرَصُ داءٌ مَعْرُوفٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَواءٌ ولا شِفاءٌ - وأنَّهُ يُحْيي المَوْتى بإذْنِ اللهِ، ويُنَبِّئُهُمْ بِما يَأكُلُونَ في بُيُوتِهِمْ مِنْ أنْواعِ المَآكِلِ، وبِما يَدَّخِرُونَهُ فيها إلى الغَدِ. وفي كُلِّ ذلِكَ آيَةٌ ومُعْجِزَةٌ تَدُلُّ عَلى صِدْقِهِ فيما جاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، إنْ كانُوا مُؤْمِنينَ مُصَدِّقينَ بِحُجَجِ اللهِ وآياتِهِ، مُقِرِّينَ بِوَحْدانِيَّتِهِ.

الأكْمَهَ - الأعْمى الذي وُلِدَ وهُوَ أعْمى.

الأبْرَصَ - مَنْ بِهِ داءُ البَرَصِ.

أخْلُقُ لَكُمْ - أُصَوِّرُ لَكُمْ.

(٥٠) وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ

(التَّوْراةِ) (بِآيَةٍ)

(٥٠) - وسَيَكُونُ عِيسى مُصَدِّقاً لِلتَّوراةِ وشَريعَتِها، ومُقَرِّراً لَها ومُثْبِتاً، وقَدْ نَسَخَتْ شَريعَةُ عِيسى بَعْضَ ما جاءَ في شَريعَةِ التَّوراةِ عَلى أصَحِّ الأقْوالِ لأنَّهُ تَعالَى أتْبَعَ ذلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿ولأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

وقالَ لَهُمْ إنَّهُ جاءَهُمْ بِمُعْجِزاتٍ تَدُلُّ عَلى صِدْقِهِ فيما يَقُولُهُ لَهُمْ: (مِثْلِ خَلْقِ الطَّيرِ مِنَ الطِّينِ، ونَفْخِ الرُّوحِ فيهِ، وإبْراءِ الأكْمَهِ والأبْرَصِ

(٥١) إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ

(٥٢) ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

نصف الحزب ٦

(٥٣) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ

(٥٤) وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ

وَإِحْيَاءِ المَيِّتِ، وَالإِنْبَاءِ بالخَفِيَّاتِ..) ثُمَّ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يُطِيعُوا رَسُولَهُ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إليهِ.

مَا تَدَّخِرُونَ - مَا تُخَبِّئُونَ فِي بُيُوتِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ.

(صِراطٌ)

(٥١) - ثُمَّ أَمَرَهُمْ عِيسَى بالتَّوْحِيدِ، وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِمُلازَمَةِ الطَّاعَةِ بِأَدَاءِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَهذا هُوَ الطَّرِيقُ السَّوِيُّ الوَاضِحُ، الذي أَجْمَعَ عَليهِ الرُّسُلُ جَمِيعاً، وَهُوَ المُوصِلُ إلى خَيْرَيِ الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ - طَرِيقٌ سَوِيٌّ لاَ عِوَجَ فِيهِ.

(آمَنَّا)

(٥٢) - فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى عِيسَى رَسُولاً إلى قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، دَعَاهُمْ إلى دِينِ اللهِ القَوِيمِ، فَأَبَى أَكْثَرُهُمْ وَسَخِرُوا مِنْهُ، فَلَمَّا آسْتَشْعَرَ عِيسى مِنْهُمْ الكُفْرَ وَالاسْتِمْرارَ فِي العِنَادِ وَالضَّلالَةِ، وَقَصْدِ الإِيذَاءِ، سَأَلَ النَّاسَ قَائِلاً: مَنْ يَتْبَعُنِي إلى اللهِ، وَيَنْصُرُ دَعْوتِي إليهِ؟ فَقَالَ الحَوارِيُّونَ (أَيِ الأَنْصَارُ) نَحْنُ عَلى آستعدادٍ لِنُصْرَتِكَ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِكَ إلى اللهِ، فَقَدْ آمَنَّا بِاللهِ، وَآشْهَدْ عَلينا بِأَنَّنا أَسْلَمْنَا إليهِ وُجُوهَنَا، وَنَحْنُ مُنْقَادُونَ لأَوامِرِهِ.

(وَفِي هذا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الإِسْلاَمَ هُوَ دِينُ اللهِ عَلَى لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ).

أَحَسَّ - عَلِمَ أَوْ شَعَرَ.

الأَنْصَارُ - وَاحِدُهُمْ نَصِيرٌ وَهُوَ المُعِينُ وَالمُظَاهِرُ.

الحَوَارِيُّ - الصَّفِيُّ وَالنَّاصِرُ.

(آمَنَّا) (الشَّاهِدِينَ)

(٥٣) - وَتَضَرَّعَ الحَوَارِيُّونَ إلى رَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنا آمَنَّا بِكَ وَبِنَبِيِّكَ، وَبِمَا أَنْزَلْتَ عَلَيهِ، وَآتَّبَعْنا رَسُولَكَ وَصَدَّقْنَاهُ، وَآمْتَثَلْنَا لِمَا أَتى بِهِ، فَآكْتُبْنا وَآجْعَلْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ لِرَسُولِكَ بِالتَّبْلِيغِ، وَعَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالكُفْرِ وَالعِنَادِ وَالجُحُودِ.

(الْمَاكِرِينَ)

(٥٤) - وَأَرَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ التَّخَلُّصَ مِنْ عِيسَى وَدَعْوَتِهِ، فَوَشَوْا بِهِ إلى مُمَثِّلِ رُومَا فِي فِلَسْطِينَ، وَقَالُوا لَهُ إِنَّهُ يُوجَدُ رَجُلٌ يُضِلُّ النَّاسَ،

وَيصْرِفُهُمْ عَنْ طَاعَةِ المَلِكِ، وَيُفْسِدُ الرَّعِيَّةَ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الأب وَٱبْنِهِ، فَبَعَثَ ثُلَّةً مِنَ الجُنْدِ لأخْذِهِ وَصَلْبِهِ، فَلَمَّا أحاطَ الجُنْدُ بالبَيْتِ، وَظَنُّوا أنَّهُمْ ظَفِرُوا بِهِ نَجَّاهُ اللهُ، وَٱشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ظَنُّوهُ المَسِيحَ فَأخَذُوهُ وَصَلَبُوهُ.

(وَيُقَالُ إنَّ هذا الشَّخْصَ هُوَ الذِي وَشَى بِالمَسِيحِ وَأرَادَ الدَّلاَلَةَ عَلَيهِ) أمَّا المَسِيحُ فَقَدْ رَفَعَهُ اللهُ إليهِ وَنَجَّاهُ. وَهٰكَذا مَكَرَ اللهُ بِبَنِي إسْرائيلَ، وَأبْطَلَ مَكْرَهُمْ وَكَيْدَهُمْ وَتَدْبِيرَهُمْ.

المَكْرُ - التَّدْبِيرُ المُحْكَمُ الخَفِيُّ - وَغَلَبَ ٱسْتِعمَالُهُ فِي التَّدْبِيرِ السَّيِّءِ.

﴿٥٥﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

(يَا عِيسَى) (القِيامَةِ)

(٥٥) - وَٱذْكُرْ يا مُحَمَّدُ لِقَومِكَ فِيما تَقُصُّهُ عَلَيْهِمْ إذْ بَشَّرَ اللهُ تَعالَى عِيسَى بأنَّهُ سَيُنَجِّيهِ مِنْ مَكْرِ اليَهُودِ، وَأنَّهُ سَيَسْتَوفِي أجَلَهُ، وَأنَّهُمْ لَنْ يَنالُوا مِنْهُ مَا كَانُوا يُرِيدُونَ بِمَكْرِهِمْ وَخُبْثِهِمْ، وَأنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ فِي مَكانٍ رَفِيعٍ عِنْدَ اللهِ، وَأنَّهُ سَيَجْعَلُ الذِينَ آمَنُوا بأنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَدَّقُوهُ فِي قَوْلِهِ **﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أحْمَدُ﴾**[1]، ثُمَّ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ بَعْدَ ذلِكَ، ظَاهِرِينَ بِالقُوَّةِ والسُّلْطَانِ عَلَى الذِينَ مَكَرُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ، مِنَ اليَهُودِ، وَمَنْ سَارُوا بِسِيرَتِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهُدَى عِيسَى، وَسَيَسْتَمِرُّ هذا الظُّهُورُ والسُّلْطَانُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

ثُمَّ يَصِيرُ الجَمِيعُ إلى اللهِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أمُورِ الدِّينِ.

مُتَوفِّيكَ - مُمِيتُكَ - آخِذُكَ وَافِياً بِرُوحِكَ وَجَسَدِكَ.

﴿٥٦﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ

(نَاصِرِينَ)

(٥٦) - فَأمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرِسَالَةِ المَسِيحِ فَإنَّ اللهَ سَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً، فِي الدُّنيا بِالقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَأخْذِ الأمْوالِ، وَزَوالِ المُلْكِ، وَتَسْلِيطِ الأمَمِ عَليهِمْ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ فِي الآخِرَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَما لَهُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ وَبَأسِهِ.

﴿٥٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الظَّالِمِينَ)

(٥٧) - وَأمَّا المُهْتَدُونَ الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَعَمِلُوا الأعْمَالَ الصَّالِحَةَ فَيُثِيبُهُمْ ثَوَاباً وَافِياً عَلَى أعْمَالِهِمْ، فِي الدُّنيا بِالنَّصْرِ والظَّفَرِ، وَفِي الآخِرَةِ بِالخُلُودِ فِي جَنَّتِهِ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ المُتَجَاوِزِينَ لِحُدُودِهِ، وَلاَ يَرْفَعُ لَهُمْ قَدْراً.

(١) سورة الصف الآية ٦.

(٥٨) ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ

(٥٩) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

(٦٠) ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ

(٦١) فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ

(الآيَاتِ)

(٥٨) - مَا قَصَصْنَاهُ عَلَيكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَمْرِ عِيسَى، وَأُمِّهِ مَرْيَمَ، وَأُمِّهَا امْرَأَةِ عِمْرَانَ، وَمَبْدَأِ وِلَادَةِ عِيسَى، وَتَفْصِيلِ أَمْرِهِ، وأَمْرِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى، وَمَا قَصَصْنَاهُ عَلَيكَ مِنْ أَمْرِ الحَوَارِيينَ وَاليَهُودِ.. إِنَّمَا هُوَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ أَلْقَاهُ إِليكَ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ، وَهُوَ مِنَ القرآنِ وَالحِكْمَةِ، يُبَيِّنُ وُجُوهَ العِبَرِ عَلَى مَنْ حَاجَّكَ مِنْ وَفْدِ نَجْرانَ، وَيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الذِينَ كَذَّبُوكَ، وَكَذَّبُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الحَقِّ.

(آدَمَ)

(٥٩) - إِنَّ مَثَلَ عِيسَى فِي قُدْرَةِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ دُونِ أَبٍ، كَمَثَلِ آدَمَ فِي خَلْقِهِ مِنْ تُرابٍ (مِنْ دُونِ أبٍ وَلاَ أُمٍّ)، وَإِنَّمَا أَنْشَأَهُ بَشَراً بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، فَكَانَ كَمَا أَمَرَ اللهُ.

مَثَلَ عِيسَى - حَالَهُ وَصِفَتَهُ العَجِيبَةَ.

(٦٠) - وَهذا القَوْلُ الذِي أَنْبَأَكَ بِهِ رَبُّكَ في شَأْنِ عِيسَى وَمَرْيَمَ عَلَيهِمَا السَّلاَمُ، هُوَ القَوْلُ الحَقُّ الذِي لاَ حَقَّ سِوَاهُ.

المُمْتَرِينَ - المُتَشَكِّكِينَ.

(لَعْنَةَ) (الكَاذِبِينَ)

(٦١) - قَدِمَ وَفْدٌ مِنْ نَصَارَى نَجْرانَ فِيهِ سُتُّونَ رَاكِباً أَخَذُوا يُحَاجُّونَ الرَّسُولَ ﷺ، وَيَقُولُونَ فِي المَسِيحِ عَلَيهِ السَّلاَمُ: إِنَّهُ اللهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ ابْنُ اللهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ.. وَلَمَّا طَالَ الجَدَلُ أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ الآيَاتِ المُتَعَلِّقَةَ بِعِيسَى وَمَرْيَمَ، وَأَمَرَهُ بِدَعْوَتِهِمْ إِلى المُبَاهَلَةِ، بِأَنْ يَدْعُوَ كُلُّ فَرِيقٍ أَبْنَاءَهُ وَنِسَاءَهُ وَنَفْسَهُ ثُمَّ يَضْرَعُونَ إِلى اللهِ بِأَنْ يَجْعَلَ غَضَبَهُ وَنِقْمَتَهُ عَلَى مَنْ كَذَبَ فِي أَمْرِ عِيسَى مِنْ كَوْنِهِ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَيسَ إِلَهاً.

فَتَشَاوَرَ أَعْضَاءُ الوَفْدِ فِي أَمْرِهِمْ فَرَأَوا أَنْ لاَ يُلاَعِنُوا النَّبِيَّ خَوْفاً مِنَ العَاقِبَةِ.

(وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يُكَذِّبُ اللهُ اليَهُودَ فِيمَا رَمَوْا بِهِ السَّيِّدَةَ البَتُولَ مَرْيَمَ مِنَ الإِفْكِ وَالبُهْتَانِ، وَفِي تَكْذِيبِهِمْ عِيسَى، وَيُكَذِّبُ مَنْ زَعَمَ مِنَ النَّصَارَى أَنَّ المَسِيحَ إِلَهٌ).

(المُبَاهَلَةُ هِيَ أَنْ يَجْتَمِعَ فَرِيقَانِ يَخْتَلِفَانِ فِي أَمْرٍ ثُمَّ يَبْتَهِلاَنِ إِلى اللهِ بِأَنْ يَجْعَلَ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ).

(٦٢) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(٦٣) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ

(٦٤) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

(٦٥) يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ

(وهذا الطَّلَبُ يَدُلُّ عَلى قُوَّةِ يقِينِ صَاحِبِهِ، وَثِقَتِهِ بِمَا يَقُولُ).

حَاجَّكَ - جَادَلَكَ.

تَعالَوْا - هَلُمُّوا وَأَقْبِلُوا.

نَبْتَهِلْ - نَدْعُ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الكَاذِبِ مِنّا.

(٦٢) - هذا الذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فِي أَمْرِ عِيسَى وَأُمِّهِ هُوَ القَصَصُ الحَقُّ الذِي لا مَعْدَى عَنْهُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ، وَاللهُ هُوَ العَزِيزُ فِي قُدْرَتِهِ، الحَكِيمُ فِيمَا قَضَى بِهِ.

القَصَصُ - تَتَبُّعُ الأَثَرِ. ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الحَدِيثِ.

(٦٣) - فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ اتِّبَاعِكَ وَتَصْدِيقِكَ، وَلَمْ يَقْبَلُوا عَقِيدَةَ التَّوْحِيدِ التِي جِئْتَ بِهَا، وَلَمْ يُجِيبُوكَ إِلى المُبَاهَلَةِ، فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِحَالِ المُفْسِدِينَ الذِينَ يَعْدِلُونَ عَنِ الحَقِّ إِلى البَاطِلِ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللهُ عَلَى خُبْثِ سَرَائِرِهِم شَرَّ الجَزَاءِ.

(يَا أَهْلَ) (الكِتَابِ)

(٦٤) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لأَهْلِ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى: أَنَا وَأَنْتُمْ نَعْتَقِدُ أَنَّ العَالَمَ مِنْ صُنْعِ إِلَهٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ خَالِقُهُ وَمُدَبِّرُهُ، وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الأَنْبِيَاءَ لِيُبَلِّغُوا عَنْهُ مَا يُرِيدُ، فَتَعَالَوا إِلى عِبَارَةٍ، أَوْ جُمْلَةِ عَدْلٍ وَإِنْصَافٍ (سَوَاءٍ)، نَسْتَوِي نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ فِيهَا، وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهَا جَمِيعُ الرُّسُلِ وَالكُتُبِ التِي أُنْزِلَتْ إِلَيْهِمْ، وَهِيَ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَحْدَهُ، لَهُ السُّلْطَةُ المُطْلَقَةُ فِي التَّشْرِيعِ وَالتَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً (لاَ وَثَناً وَلاَ صَنَماً وَلاَ صَلِيباً وَلاَ طَاغُوتاً) وَهَذِهِ هِيَ دَعْوَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ، وَلا يُطِيعَ بَعْضُنا بَعْضاً فِي مَعْصِيَةِ اللهِ. فَإِنْ رَفَضُوا الاسْتِجَابَةَ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَتَوَلَّوْا عَنْهَا، وَأَبَوْا إِلاَّ أَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَ اللهِ، وَاتَّخَذُوا الشُّرَكَاءَ وَالوُسَطَاءَ وَالأَرْبَابَ الذِينَ يُحَلِّلُونَ وَيُحَرِّمُونَ، فَقُولُوا لَهُمْ - أَنْتَ وَالمُسْلِمُونَ مَعَكَ -: اشْهَدُوا عَلَيْنَا بِأَنَّنَا مُقِيمُونَ عَلَى دِينِ الإِسْلاَمِ الذِي شَرَعَهُ اللهُ لَنَا، وَنَحْنُ مُخْلِصُونَ لَهُ لاَ نَعْبُدُ مَعَ اللهِ أَحداً غَيْرَهُ.

الرَّبُّ - السَّيِّدُ المُرَبِّي الذِي يُطَاعُ فِي أَمْرِهِ وَنَهيِهِ.

مُسْلِمُونَ - مُنْقَادُونَ إليه.

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ - كَلِمَةِ عَدْلٍ وَإِنْصَافٍ، لاَ تَخْتَلِفُ فِيهَا الشَّرَائِعُ.

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ) (إِبْرَاهِيمَ) (التَّوْرَاةُ)

(٦٥) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى ادِّعَاءَ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِأَنَّ إبراهِيمَ كَانَ مِنْهُمْ، وَعَلَى دِينِهِمْ. فَقَدِ اجْتَمَعَ وَفْدٌ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ

إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ

وَأَحْبارِ يَهُودِ المَدِينَةِ عِنْد النَّبِيِّ ﷺ فَتَنازَعُوا عِنْدَهُ حَوْلَ إبراهِيمَ. فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ مُسْتَنْكِراً ادِّعاءَاتِهِمْ لأَنَّ إبراهِيمَ كَانَ قَبْلَ نُزُولِ التَّوْراةِ، وَقَبْلَ نُـزُولِ الإنْجِيلِ. وَلَمْ يَكُنْ إبراهِيمُ عَلى شَيءٍ مِنْ تَقالِيدِ اليَهُودِ وَلا النَّصارَى، وَإنَّمَا كَانَ عَلَى الإِسْلامِ الذي يَدْعُو إليهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَكَيفَ يَقُولُونَ قَوْلاً يَدُلُّ عَلَى جَهْلِهِمْ، وَقِصَرِ عُقُولِهِمْ؟

حَاجَّ - جَادَلَ.

٦٦ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

(هَا أَنْتُمْ) (حَاجَجْتُمْ)

(٦٦) - لَقَدْ جَادَلْتُمْ وَحَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ - عَلى مَا تَزْعُمُونَ - مِنْ أَمْرِ عِيسَى، وَإذْ قَامَتْ عَلَيكُمُ الحُجَّةُ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ مِنْكُمْ مَنْ غَلا وَأَفْرَطَ وَادَّعَى أُلُوهِيَّتَهُ، وَمِنْكُمْ مَنْ فَرَّطَ وَقَالَ: إنَّهُ دَعِيٌّ كَذَّابٌ، وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُكُمْ بِمَانِعٍ لَكُمْ مِنَ الخَطَأ، فَلِمَاذَا تُحَاجُّونَ فِي أَمْرِ إبراهِيمَ، وَلَيسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَلاَ لِدِينِهِ ذِكْرٌ فِي كُتُبِكُمْ، فَمِنْ أَيْنَ أَتَاكُمْ أَنَّهُ كَانَ يَهودِيّاً أَوْ نَصْرانِيّاً؟ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ وَلَمْ تُشَاهِدُوهُ، وَلَمْ تَأْتِكُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ أَمْرِ إبْراهِيمَ وَغَيْرِهِ مِمَّا تُجَادِلُونَ فِيهِ، وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ إلاّ مَا عَايَنْتُمْ وَشَاهَدْتُمْ وَأدْرَكْتُمْ عِلْمَهُ بِالسَّمَاعِ.

٦٧ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ

(إبْراهِيمُ)

(٦٧) - إنَّ اليَهُودَ وَالنَّصارى الذينَ جَادَلُوا فِي إبْراهِيم وَمِلَّتِهِ، وَقَالُوا: إنَّهُ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ وَدِينِهِمْ، هُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ، وَإنَّ الصَّادِقَ هُمْ أَهْلُ الإسْلامِ، فَإنَّهُمْ وَحْدَهُمْ أَهْلُ دِينِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِهِ وَشَرِيعَتِهِ، دُونَ سَائِرِ المِلَلِ، فَقَدْ كَانَ إبراهِيمُ مُطِيعاً للهِ، مُقِيماً عَلَى مَحَجَّةِ الهُدَى التِي أُمِرَ بِلُزُومِهَا، خَاشِعاً للهِ، مُتَذَلِّلَ القَلْبِ، مُذْعِناً لِمَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيهِ، وَأَلْزَمَهُ بِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكِينَ.

الحَنِيفُ - المُنْحَرِفُ عَنِ الشِّرْكِ وَالعَقَائِدِ الزَّائِفَةِ.

مُسْلِماً - مُوَحِّداً أَوْ مُنْقَاداً للهِ مُطِيعاً.

٦٨ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(بِإبْرَاهِيمَ) (آمَنُوا)

(٦٨) - إنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِإبْرَاهِيمَ وَنُصْرَتِهِ وَوِلاَيتِهِ، هُمُ الذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ، وَسَلَكُوا طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ فِي عَصْرِهِ، فَوَحَّدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَكَانُوا حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ، ثُمَّ هذا النَّبِيُّ (يَعْنِي مُحَمَّداً ﷺ)، وَالذِينَ آمَنُوا مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بَعْدَهُمْ، فَهؤُلاءِ هُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ الخَالِصِ، وَهُمُ المُخْلِصُونَ للهِ فِي

أعْمَالِهِمْ وعِبَادَتِهِمْ، دُونَ شِرْكٍ وَلاَ رِيَاءٍ، وَاللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنينَ.

أوْلَى النَّاسِ - أحَقُّ النَّاسِ.

وَلِيُّ المُؤْمِنينَ - نَاصِرُهُمْ ومُجَازِيهِمْ بِالحُسْنَى.

﴿٦٩﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

(طَائِفَةٌ) (الْكِتَاب)

(٦٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَسَدِ اليَهُودِ لِلْمُؤْمِنينَ، وَرَغْبَتِهِمْ في إضْلالِهِمْ، وَصَرْفِهِمْ عَنِ الإيمَانِ، فَقَالَ: إنَّ طَائِفَةً مِنْ أحْبَارِ اليَهُودِ وَرُؤَسَائِهِمْ أحبُّوا أنْ يُوقِعُوكُمْ فِي الضَّلاَلَةِ بِإلْقَاءِ الشُّبُهَاتِ التي تُشَكِّكُكُمْ في دِينِكُمْ، وَتَرُدُّكُمْ إلى مَا كُنْتُم عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ، ولكِنَّهُمْ فِي الحَقِيقَةِ يُضِلُّونَ أنْفُسَهُمْ، ويُفْسِدُونَ فِطْرَتَهُمْ بِٱخْتِيارِهِمْ، لأنَّهُمْ يَشْغَلُونَ أنْفُسَهُمْ فِي البَحْثِ عَنْ وَسِيلةٍ لإضْلاَلِكُمْ فَيَصْرِفُونَ أنْفُسَهُمْ عَنِ النَّظَرِفي طُرقِ الهِدَايَةِ، وَلاَ يَشْعُرُونَ أنَّ مَكْرَهُمْ مُحِيقٌ بِهِمْ، وَأنَّ عَاقِبَةَ سَعْيِهِمْ لاَ تَضُرُّ المُؤْمِنينَ.

وَدَّتْ - تَمَنَّتْ.

الطَّائِفَةُ - الجَمَاعَةُ.

﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ

(يَا أهْلَ الْكِتَابِ) (بِآيَاتِ)

(٧٠) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى اليَهُودِ كُفْرَهُمْ بِآيَاتِ اللهِ، وَبَرَاهِينِهِ الوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّها حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَكُتُبُهُمْ تَشْهَدُ بِصِحَّتِهَا، وَقَدْ جَاءَتْ فِيها البِشَارَةُ بِهِ، وَبَيَّنَتْ أوْصَافَهُ، وَهِيَ لاَ تَنْطَبِقُ إلاَّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿٧١﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

(يَا أهْلَ الْكِتَابِ) (بِالْبَاطِلِ)

(٧١) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى اليَهُودِ كُفْرَهُمْ، وَخَلْطَهُمُ الحَقَّ الذِي جَاءَ بِهِ الأنْبِياءُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الكُتُبُ، بِالشُّبُهَاتِ الوَاهِيَةِ، وَالتَّأويلاتِ البَاطِلَةِ، وَعَدَمَ إذاعَتِهِم الحَقَّ صَرِيحاً وَاضِحاً بَعِيداً عَنِ التَّخْلِيطِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ عِقَابَ اللهِ عَظِيمٌ عَلى مِثْلِ هذِهِ الأعْمَالِ.

تَلْبِسُونَ - تَخْلِطُونَ وَتُمَوِّهُونَ أوْ تَسْتُرُونَ.

﴿٧٢﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ

(طَائِفَةٌ) (الْكِتَاب) (آمَنُوا) (آخِرَه) (آمِنُوا)

(٧٢) - ٱقْتَرَحَتْ طَائِفَةٌ مِنَ اليَهُودِ: هُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ الصَّيْفِ، وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ، وَالحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ عَلَى إخْوَانِهِم اليَهُودِ أنْ يَكِيدُوا لِلْمُسْلِمِينَ،

ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ

وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُؤْمِنَ فَرِيقٌ مِنَ اليَهُودِ بالإِسْلامِ أَوَّلَ النَّهارِ (وَجْهَ النَّهارِ)، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَرْتَدُّونَ عَنْهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ، لِيَظُنَّ الجَهَلَةُ مِنَ المُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ إِنَّما رَدَّهُمْ إلى دِينِهِمْ اطِّلاعُهُمْ عَلَى نَقِيصَةٍ وَعَيْبٍ فِي دِينِ الإِسْلامِ، فَيَرْتَدُّونَ هُمْ أَيْضاً.

وَقَدْ حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ مِنْ هَؤلاءِ، وَأَطْلَعَهُ عَلَى سِرِّهِمْ وَمَكْرِهِمْ، حَتَّى لاَ تُؤَثِّرَ هَذِهِ الحِيَلُ فِي قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الإِيمَانِ.

(وَقَالَ آبْنُ جَرِيرٍ: صَلَّتِ اليَهُودُ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ، وَكَفَرُوا آخِرَ النَّهَارِ مَكْراً مِنْهُمْ لِيُرُوا النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ بَدَتْ لَهُمُ الضَّلاَلَةُ مِنْهُ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا آتَّبَعُوهُ).

وَجْهَ النَّهارِ - أَوَّلَهُ.

٧٣ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ

(وَاسِعٌ)

(٧٣) - وَتَقُولُ هَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ: لاَ تَطْمَئِنُّوا وَلا تُظْهِرُوا أَسْرارَ دِينِكُمْ، وَمَا عِنْدَكُمْ إِلَّا لِمُتَّبِعِي دِينِكُمْ، وَلاَ تُظْهِرُوا شَيْئاً مِمَّا عِنْدَكُمْ لِلْمُسْلِمِينَ فَيَتَعَلَّمُوا، وَيُسَاوُوكُمْ بِهِ، وَيَحْتَجُّوا بِهِ عَلَيْكُمْ.

وَقَالُوا: لاَ تَعْتَرِفُوا أَمَامَ العَرَبِ، أَوْ غَيْرِهِمْ أَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيٌّ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَرَدَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيهِم بِقَوْلِهِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الرِّسَالَةَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ، وَهُوَ تَعَالَى العَلِيمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ فَيُعْطِيهِ، وَإِنَّ اللهَ هُوَ الذِي يَهْدِي القُلُوبَ إلى الإِيمَانِ الكَامِلِ، بِمَا يُنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ مِنَ الآيَاتِ، وَالدَّلائِلِ، وَالحُجَجِ الوَاضِحَاتِ. وَإِذا كُنْتُمْ يَا أَيُّها اليَهُودُ تَكْتُمُونَ صِفَةَ مُحَمَّدٍ المُبَيَّنَةَ فِي كُتُبِكُمْ، وَوَصَلَتْكُمْ مِنْ أَنْبِيَائِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ أَعْلَمَ بِهَا رَسُولَهُ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الفَضْلَ وَالأُمُورَ كُلَّها بِيدِ اللهِ، وَهُوَ المُعْطِي وَالمَانِعُ، يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بالإِيمانِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ وَاسِعُ العِلْمِ وَالفَضْلِ.

آمَنَ لَهُ - صَدَّقَهُ وَسَلَّمَ بِمَا يَقُولُ.

الفَضْلَ - هُنَا النُّبُوَّةَ. وَفِي الأَصْلِ الزِّيَادَةُ.

وَاسِعٌ - مَغْفِرَتُهُ وَاسِعَةٌ.

٧٤ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ

(٧٤) - وَاللهُ تَعَالَى يَخْتَصُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَيَبْعَثُهُ نَبِيّاً لإِبْلاغِ رِسَالاَتِهِ، وَقَدِ آخْتَصَّ بِهَا مُحَمَّداً ﷺ، وَاللهُ هُوَ صَاحِبُ الفَضْلِ العَظِيمِ، لا يُنَازِعُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَلا يُحْجَرُ عَلَيهِ فِي عَطَاءٍ.

(٧٥) وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ

ثلاثة أرباع الحزب ٦

(الْكِتَابِ) (قَائِماً) (الأُمِّيِّينَ)

(٧٥) - يُخبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ خِيانَةِ اليهُودِ، وَيُحَذِّرُ المُؤْمِنينَ مِنَ الاغْتِرَارِ بِهِمْ، فَمِنْهُمْ جماعَةٌ أمَناءُ يُؤدُّونَ ما آئْتُمِنوا عليهِ، حتَّى وَلَوْ كانَ قِنطاراً مِنَ المالِ. وَمِنْهُمْ دُونَ ذلِكَ فِي الأَمَانَةِ، فَلا يُؤَدُّونَ مَا آئْتُمِنُوا عَلَيهِ، إلا بِالمُلازَمَةِ وَالإِلْحاحِ، لاسْتِخْلاصِ الحَقِّ مِنْهُمْ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ دِيناراً وَاحِداً. وَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ هُوَ قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ لاَ حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي أَكْلِ أَمْوالِ العَرَبِ (الأُمِّيِّينَ)، وَآعْتِقادُهُمْ بِأَنَّ اللهَ أَحَلَّ لَهُمْ أَكْلَ أَمْوالِ النَّاسِ، مِمَّنْ هُمْ عَلَى غَيْرِ دِينِهِمْ بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ كَانَتْ، بِالحَقِّ أَوْ بِالبَاطِلِ. وَقَوْلُهُمْ هذا كَذِبٌ، وَآعتِقادُهُمْ باطِلٌ، لأَنَّ اللهَ حَرَّمَ أَكْلَ الأَمْوالِ إلاَّ بِحَقِّها، وَإِنَّما هُمْ قَوْمٌ بُهْتٌ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ كَذِبَ قَوْلِهِمْ هَذا، كَمَا يَعْلَمُونَ أنَّ اللهَ حَرَّمَ أَكْلَ أمْوالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ.

(وَرَوَى آبْنُ جَرِيرٍ أَنَّ جَماعَةً مِنَ المُسْلِمينَ بَاعُوا إلى اليَهُودِ بَعْضَ السِّلَعِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَتَقاضَوْهُمُ الثَّمَنَ قَالُوا: لَيْسَ لَكُمْ عَلَينا أَمَانَةٌ، وَلا قَضاءَ لَكُمْ عِنْدَنا، لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ دِينَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيهِ، وَآدَّعَوْا أَنَّهُمْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ).

تَأْمَنْهُ - تَأْتَمِنْهُ مِنَ الأَمَانَةِ.

الأُمِّيُّونَ - العَرَبُ لأَنَّهُمْ لاَ يَقْرَؤُونَ وَلاَ يَكْتُبُونَ.

السَّبِيلُ - المُؤَاخَذَةُ أو الإِثْمُ أوِ الجُرْمُ.

عَلَيهِ قَائِماً - مُلازِماً لَهُ تُطالِبُهُ وَتُقاضِيهِ.

(٧٦) بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ

(٧٦) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعالَى عَلَيهِمْ قَائِلاً: بَلَى عَلَيكُمْ فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ، وَعَلَيكُمُ الوَفَاءُ بِعُقُودِكُم المُؤَجَّلَةِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَاتِ لأَصْحَابِها، فَعَلَى أَهْلِ الكِتَابِ أَنْ يُوفُوا بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يَتَّقُوا مَحَارِمَ اللهِ، وَيَتَّبِعُوا طَاعَتَهُ وَشَرْعَهُ، لأَنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ.

(٧٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ

(وَأَيْمانِهِمْ) (أُولَئِكَ) (خَلاقَ) (الْقِيَامَةِ)

(٧٧) - أَخَذَ اللهُ المِيثَاقَ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُلِّ نَبِيٍّ يُرْسِلُهُ، وَأَنْ يُؤَيِّدُوهُ، وَأَلاَّ يَكْتُمُوا شَيْئاً مِمَّا شَرَعَ اللهُ، وَأَلْزَمَهُمْ شَرْعُهُمْ بِالصِّدْقِ وَالوَفَاءِ بِمَا يَتَعَاهَدُونَ عَلَيهِ، وَبِمَا يَتَعاقَدُونَ، وَبِأَنْ يُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا، وَأَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، فَخَالَفُوا عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَكَفَرُوا بِعِيسَى وَبِمُحَمَّدٍ، وَبِغَيْرِهِمَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلامُ. وَقَتَلُوا النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَكَتَمُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَاتِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ، وَمِنَ التَّبْشِيرِ بِهِمَا، خَوْفاً عَلَى نُفُوذِهِمْ مِنْ أَنْ يَزُولَ، وَعَلَى مَوارِدِهِمْ مِنْ أَنْ

(٧٨) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

(٧٩) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ

تقِلّ، إذا بَيَّنُوا لِلنَّاسِ شَرْعَ اللهِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ خالَفُوا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ وَكَأَنَّهُمْ اشْتَرَوا بِهذا العَهْدِ قَلِيلاً مِنْ حُطَامِ الدُّنيا الفَانِيَةِ، فَهُؤلاءِ لاَ نَصِيبَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ حَظَّ، وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَإِنَّما يَتَلَقَّاهُمْ وَهُوَ عَلَيهِمْ غَضْبَانُ، وَيَأمُرُ بِإلْقَائِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيَنالُوا العَذَابَ الأليِمَ الذِي يَسْتَحِقُّونَهُ.

(وَهَذِهِ الآيَةُ تَنْطَبِقُ عَلى كُلِّ مَنْ يَحْلِفُ يَمِيناً كَاذِبَةً لِيَأكُلَ بِهَا مَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَليهِ غَضْبَانُ، وَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ هَذِهِ الآيَةَ).

يَشْتَرُونَ - يَسْتَبْدِلُونَ.

لاَ يُزَكِّيهِمْ - لاَ يُثْنِي عَلَيهِمْ وَلاَ يَمْدَحُهُمْ.

العَهْدُ - عَهْدُ اللهِ إِلَى النَّاسِ بِأَنْ يَلْتَزِمُوا الصِّدْقَ وَالوَفَاءَ بِمَا يَتَعَاهَدُونَ عَلَيهِ.

الأَيْمَانُ - يُقْصَدُ بِهَا هُنَا الأَيْمَانُ الكَاذِبَةُ.

الخَلاَقُ - النَّصِيبُ وَالحَظُّ.

(يَلْوُونَ) (بِالْكِتَابِ)

(٧٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أنَّ فَرِيقاً مِنَ اليَهُودِ (مِثْلَ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ وَأضْرابِهِمَا) يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَتَأَوَّلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيُمِيلُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالقِرَاءَةِ لِيَظُنَّ المُسْلِمُونَ أنَّ الذِي يَقُولُونَهُ هُوَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَهُمْ يَنْسُبُونَهُ إلى اللهِ، وَهَذَا كَذِبٌ عَلَى اللهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ إنهم لَكَاذِبُونَ.

لَيُّ اللِّسَانِ بِالكِتَابِ - فَتْلُهُ لِلْكَلامِ، أوْ تَحْرِيفُهُ بِصَرْفِهِ عَنْ مَعْنَاهُ إلى مَعْنىً آخَرَ.

(الْكِتَابَ) (رَبَّانِيِّينَ)

(٧٩) - مَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ آتَاهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ أنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ اعْبُدُونِي مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَكِنَّ الرَّسُولَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: اعْبُدُوا اللهَ، وَكُونُوا أَهْلَ عِبَادَةٍ للهِ وَتَقْوَىً (رَبَّانِيِّينَ)، وَكُونُوا فُقَهَاءَ تَفْهَمُونَ شَرَائِعَ دِينِهِ، وَتَحْفَظُونَها، وَتَدْرُسُونَ كُتُبَهُ وَتَعْمَلُونَ بِهَا.

الرَّبَّانِيُّ - المَنْسُوبُ إِلى الرَّبِّ، لأنَّهُ عَالِمٌ بِهِ، قَائِمٌ بِطَاعَتِهِ.

تَدْرُسُونَ - تَقْرَؤُونَ الكِتَابَ.

الحُكْمَ - الحِكْمَةَ أوِ الفَهْمَ وَالعِلْمَ.

﴿٨٠﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ

(الْمَلائِكَةَ) (النَّبِيينَ)

(٨٠) - وَلاَ يَأمُرُكُمُ النَّبِيُّ أنْ تَعْبُدُوا أحداً غَيْرَ اللهِ، لا نَبِيّاً مُرْسَلاً وَلاَ مَلَكاً مُقَرَّباً، لأنَّ عِبادَةَ غَيرِ اللهِ كُفْرٌ. وَمَنْ دَعَا إلى عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ فَقَدْ دَعَا إلى الكُفْرِ. والأَنْبِياءُ إنَّما يَأمُرُونَ بالإِيمانِ، وَهُوَ عِبادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وبإِخْلاصِ العِبادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ مِنَ المَعْقُولِ أنْ يَدْعُوَ النَّبِيُّ النَّاسَ إلى الكُفْرِ، بَعْدَ أنْ أسْلَمُوا وُجُوهَهُمْ للهِ مُؤْمِنينَ مُطِيعِينَ.

﴿٨١﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ

(مِيثَاقَ) (النَّبِيِّينَ) (آتَيْتُكُمْ) (كِتَابٍ) (أأقْرَرْتُمْ) (الشَّاهِدِينَ)

(٨١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أنَّهُ أخَذَ المِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، أنَّهُ مَهْمَا آتَى أحدَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، وَبَلَغَ أيَّ مَبْلَغٍ، ثُمَّ جاءَ رَسُولٌ بَعْدَهُ فَإنَّ عَلَيهِ أنْ يُؤْمِنَ بِهِ وَيَنْصُرَهُ، وَلاَ يَمْنَعُهُ مَا هُوَ عَلَيهِ مِنَ العِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ مِن اتِّباعِ مَنْ بُعِثَ بَعْدَهُ، وَمِنْ نُصْرَتِهِ.
وَقَالَ اللهُ لِلأنْبِياءِ: أأقْرَرْتُمْ بِذلِكَ، وَعَاهَدْتُمُونِي عَهْداً وَثِيقاً مُؤَكَّداً؟ قَالُوا: أقْرَرْنا. قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلأنْبِياءِ: فَاشْهَدُوا وَأنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَقَدْ أبْلَغَ الأنْبِياءُ، صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِمْ، أمَمَهُمْ بِهَذا العَهْدِ، فَوَجَبَ عَلَى أُمَمِهِمْ أنْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ الذِي يَبْعَثُهُ اللهُ، وَيَنْصُرُوهُ، وَفَاءً وَاتِّباعاً بِمَا الْتَزَمَ بِهِ أنْبِياؤُهُمْ.
المِيثَاقُ - العَهْدُ المُوثَّقُ بِالأيْمانِ.
الإِصْرُ - العَهْدُ المُؤَكَّدُ المُغَلَّظُ.
أخَذْتُمْ - قَبِلْتُمْ.

﴿٨٢﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ

(فَأولَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٨٢) - فَمَنْ تَخَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ هذا العَهْدِ والمِيثَاقِ، وَاتَّخَذَ الدِّينَ وَسِيلَةً لِلتَّفْرِيقِ وَالعُدْوانِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالنَّبِيِّ المُتَأخِّرِ المُصَدِّقِ لِمَنْ تَقَدَّمَهُ، وَلَمْ يَنْصُرْهُ، فَأولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ الجَاحِدُونَ الخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ. فَأهْلُ الكِتَابِ الذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُمْ خَارِجُونَ عَنْ مِيثَاقِ اللهِ، نَاقِضُونَ لِعَهْدِهِ، وَلَيْسُوا عَلَى الدِّينِ الحَقِّ.

﴿٨٣﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

(السَّمَاوَاتِ)

(٨٣) - يُنكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنِ ابْتَغَى دِيناً غَيْرَ دِينِ اللهِ الذِي أنْزَلَهُ فِي كُتُبِهِ، وَأرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَهُوَ دِينُ الإِسلامِ، الذِي يَدْعُو إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، الذِي اسْتَسْلَمَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ، طَوْعاً كَمَا يَفْعَلُ المُؤْمِنُونَ، وَكَرْهاً كَمَا اسْتَسْلَمَ الكَافِرُونَ، فَإنَّهُمْ جَمِيعاً

﴿٨٤﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ

﴿٨٥﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

﴿٨٦﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿٨٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ

تَحْتَ سُلْطَانِ اللهِ العَظِيمِ الذي لاَ يُعَارَضُ وَلا يُرَدُّ، وَإليهِ يُرْجَعُونَ جَميعاً يَوْمَ الحَشْرِ وَالمَعَادِ، فَيُجَازِي كُلاًّ بِعَمَلِه.

(آمَنَّا) (إبْرَاهِيمَ) (وَإِسْمَاعِيلَ) (وَإِسْحَاقَ)

(٨٤) - قُلْ: آمَنَّا، أنَا وَمَنْ مَعِي، بِوُجُودِ اللهِ، وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِالقُرآنِ الذي أُنْزِلَ عَلَينا، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنَ الصُّحُفِ وَالوَحْيِ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى مِنَ التَّوراةِ، وَعَلَى عِيسَى مِنَ الإِنْجِيلِ وَالمُعْجِزَاتِ، وَمَا أُنزِلَ عَلَى النَّبِيِّينَ مَنْ وَحْيٍ مِنْ رَبِّهِمْ (وَهَذا يَعُمُّ وَيَشْمَلُ جميعَ الأَنْبِيَاءِ) فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِهِمْ جَميعاً وَبِمَا أنزلَ عليهِمْ، وَلاَ نُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ، وَلاَ نُمَيِّزُ أحداً مِنْهُمْ عَلَى أحَدٍ، وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وُجُوهَنا للهِ، لا نَبْتَغِي بِذَلِكَ إلاَّ التَّقَرُّبَ إليهِ.

السِّبْطُ - وَلَدُ الوَلَدِ - وَالأسْبَاطُ هُنَا أحْفَادُ يَعْقُوبَ.

(الإِسْلاَمِ) (الآخِرَةِ) (الخَاسِرِينَ)

(٨٥) - مَن ٱبْتَغَى دِيناً لاَ يَقُودُهُ إلَى الإِسْلاَمِ الكَامِلِ للهِ، وَالخُضُوعِ التَّامِّ لَهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، فَلاَ يُقْبَلُ مِنْهُ هَذا الدِّينُ، وَيَكُونُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ، لأنَّهُ يَكُونُ قَدْ سَلَكَ طَرِيقاً غَيْرَ مَا شَرَعَهُ اللهُ. وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيهِ أمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ).

الخَاسِرُ - مَنْ أضَاعَ رَأسَ مَالِهِ.

الإِسْلاَمُ - التَّوْحِيدُ أوْ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(إيمَانِهِمْ) (البَيِّنَاتُ) (الظَّالِمِينَ)

(٨٦) - أسْلَمَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ ثُمَّ ٱرْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشِّرْكِ، ثُمَّ نَدِمَ فَأرْسَلَ إلَى قَوْمِهِ أنْ آسْألُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا فَعَادَ إلى الإِسْلاَمِ.

فَالذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنِ الإِسْلاَمِ بَعْدَ أنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ هُدَاهُ، وَقَامَتْ لَدَيْهِمِ البَرَاهِينُ عَلَى صِدْقِهِ، وَصِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ، كَيْفَ يَسْتَحِقُّونَ الهِدَايَةَ؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إنَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ أنْفُسَهُمْ، الجَانِينَ عَلَيها، لأنَّهُمْ تَنَكَّبُوا عَنِ الطَّرِيقِ القَوِيمِ، وَتَرَكُوا هِدَايَةَ العَقْلِ، بَعْدَ أنْ ظَهَرَ نُورُ النُّبُوَّةِ، وَعَرَفُوهُ بِالبَيِّنَاتِ.

(أولَئِكَ) (والمَلاَئِكَةِ)

(٨٧) - وَهَؤُلاءِ يَسْتَحِقُّونَ سَخَطَ اللهِ وَغَضَبَهُ، وَسَخَطَ المَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ جَمِيعاً، إذْ أنَّهُمْ مَتَى عَرَفُوا حَقِيقَةَ حَالِهِمْ لَعَنُوهُمْ.

﴿٨٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ

﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ

﴿٩١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ

﴿٩٢﴾ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ

(خالِدِين)

(٨٨) ـ وَمَنْ لَعَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى كَانَ جَزاؤُهُم العَذابَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الآخِرَةِ، وَيَبْقَوْنَ خَالِدِينَ فِي اللَّعْنَةِ وَالعَذابِ مَسْخُوطاً عَلَيْهِمْ إِلَى الأَبَدِ.

وَلَا يُفَتَّر عَنْهُمُ العَذابُ، وَلَا يُخَفَّفُ سَاعَةًوَاحِدَةً، وَلَا يُمْهَلُونَ لِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ بِهَا.

لَا يُنظَرُونَ ـ لَا يُؤَخَّرُونَ عَنِ العَذابِ لَحْظَةً.

(٨٩) ـ وَمِنْ لُطْفِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّ مَنْ تَابَ إِلَيهِ مِنْ عِبَادِهِ، تَابَ اللهُ عَلَيهِ، فَاسْتَثْنَى، اللهُ تَعَالَى مِنْ حُكْمِ المُرْتَدِّينَ، الذِينَ تَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَنَابُوا إِلى رَبِّهِمْ، وَتَرَكُوا الكُفْرَ الذِي دَنَّسُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، نَادِمِينَ عَلَى مَا أَصَابُوا مِنْهُ، وَأَصْلَحُوا أَنْفُسَهُمْ بِصَالِحِ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيهِمْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ لأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(إِيمَانِهِمْ) (وَأُولَئِكَ)

(٩٠) ـ وَقَبُولُ التَّوبَةِ مَنُوطٌ بالاسْتِمْرارِ عَلَى الإِيمَانِ، فَالذِينَ يَكْفُرُونَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَيَزْدَادُونَ فِي كُفْرِهِمْ طُغْيَاناً وَفَسَاداً، وَإِيذَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي ذَلِكَ حَتَّى مَمَاتِهِمْ فإِنَّ اللهَ لَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ التِي يُحْدِثُونَها وَقْتَ المَوْتِ لأَنَّها لَيْسَتْ تَوْبَةً خَالِصَةً، وَهؤُلاءِ هُمْ أَهْلُ الضَّلالَةِ.

(أُولَئِكَ) (نَاصِرِينَ)

(٩١) ـ يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى الذِينَ يَكْفُرُونَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ يَزْدَادُونَ كُفْراً وَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى الكُفْرِ إِلى حِينِ مَمَاتِهِمْ، فَهؤُلاءِ لَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ تَوْبَةٌ عِنْدَ المَمَاتِ، وَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ عَمَلُ خَيْرٍ أَبداً، وَلَوْ كَانُوا أَنْفَقُوا مِلْءَ الأَرْضِ ذَهَباً فِيمَا يَظُنُّونَ أَنَّهُ خَيْرٌ وَقُرْبَةٌ إِلى اللهِ. كَمَا لَا تُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِم فِدْيَةٌ وَلَوْ كَانَتْ فِي مِثْلِ الأَرْضِ ذَهَباً، وَهؤُلاءِ هُمُ الكَافِرُونَ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَنْ يَجِدُوا أَحَداً يُنْقِذُهُمْ وَيُجِيرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ الأَلِيمِ.

(٩٢) ـ لَنْ تَنَالُوا يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ الخَيْرَ وَالجَنَّةَ حَتَّى تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَحَبِّ أَمْوَالِكُمْ إِلَيكُمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيءٍ يُنْفِقُهُ العَبْدُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ.

نَالَ الشَّيءَ ـ حَصَلَ عَلَيهِ.

البِرَّ ـ مَا يَكُونُ بِهِ الإِنْسَانُ بَارّاً وَهُوَ الإِحْسَانُ وَالخَيْرُ.

﴿ ٩٣ ﴾ ۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

الجزء ٤ الحزب ٧

﴿ ٩٤ ﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

﴿ ٩٥ ﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(إِسْرَائِيلَ) (إِسْرَائِيلُ) (التَّوْرَاةُ) (التَّوْرَاةِ) (صَادِقِينَ)

(٩٣) ـ جَاءَ وَفْدٌ مِنَ اليَهُودِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَمَّا حَرَّمَ يَعْقُوبُ عَلَى نَفْسِهِ (إِسْرَائِيلُ) فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ مَرِضَ مَرَضاً شَدِيداً، فَنَذَرَ إِنْ عَافَاهُ اللهُ أَنْ يُقْلِعَ عَنْ أَكْلِ أَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَيهِ، وَهُوَ لَحْمُ الإِبْلِ، وَأَلَذِّ الشَّرَابِ إِلَيهِ وَهُوَ أَلْبَانُها، فَحَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ شِفَائِهِ، وَتَابَعَهُ بَنُوهُ اقْتِدَاءً بِهِ.

(وَيُرْوَى أَيْضاً: أَنَّ اليَهُودَ جَاؤُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَدَّعِي أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَكَيْفَ تَأْكُلُ لُحُومَ الإِبِلِ، وَتَشْرَبُ أَلْبَانَها مَعَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُحَرَّماً فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَأَنْتَ قَدْ اسْتَحْلَلْتَ مَا كَانَ مُحَرَّماً. فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِم بِهَذِهِ الآيَةِ).

ثُمَّ ارْتَكَبَ اليَهُودُ جَرَائِمَ وَمُخَالَفَاتٍ دِينِيَّةً فَعَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ حَلاَلاً عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَتِ التَّوْرَاةُ هَذِهِ المُحَرَّمَاتِ عَلَى اليَهُودِ. وَقَدْ أَكَّدَ اللهُ هَذَا الوَاقِعَ بِقَوْلِهِ فِي القُرْآنِ:

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[(١)]. وَهَذِهِ هِيَ التَّوْرَاةُ تَشْهَدُ بِصِدْقِ مَا نَقُولُ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ يَرُدُّ بِهَا عَلَى هَؤُلاَءِ المُفْتَرِينَ الكَذِبَ عَلَى اللهِ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ التَّوْرَاةَ أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى، وَمُوسَى مِنْ أَنْسَالِ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى مِئَاتُ السِّنِينَ وَلِذَلِكَ فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ المُنَزَّلَةِ عَلَى مُوسَى دَلِيلاً عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ شَرْعُ إِبْرَاهِيمَ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يَطْلُبَ مِنَ اليَهُودِ بِأَنْ يَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ لِيَقْرَؤُوهَا وَيَرَوْا صِدْقَ مَا أَوْحَى اللهُ بِهِ إِلَيْهِ.

(فَأُولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٩٤) ـ فَمَنِ افْتَرَى الكَذِبَ عَلَى اللهِ، وَاخْتَرَعَهُ، وَزَعَمَ أَنَّ التَّحْرِيمَ كَانَ نَزَلَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، قَبْلَ نُزُولِ التَّوراةِ، فَهَؤُلاءِ هُمُ الظَّالِمُونَ المُسْتَحِقُّونَ عَذَابَ اللهِ، لأَنَّهُمْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا أَشْيَاعَهُمْ بِإِصْرَارِهِمْ عَلَى اتِّبَاعِ البَاطِلِ، وَعَدَمِ تَصْدِيقِهِمْ رَسُولَ اللهِ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(٩٥) ـ بَعْدَ أَنْ أَثْبَتَ اللهُ تَعَالَى عَجْزَ اليَهُودِ عَنِ الإِتْيَانِ بِدَلِيلٍ مِنَ التَّوراةِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدَّعُونَ مِنْ أَنَّ مَا يُحَرِّمُونَهُ كَانَ حَرَاماً فِي شَرْعِ إِبراهِيمَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: صَدَقَ اللهُ فِيما أَخْبَرَ بِهِ، بِأَنَّ سَائِرَ الأَطْعِمَةِ كَانَتْ حَلاَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ نُزُولِ التَّوراةِ، وَأَنا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ ذَلِكَ لَوْلاَ وَحْيُ اللهِ الذِي أَعْلَمَنِي بِهِ، وَبِذَلِكَ ثَبَتَ أَنِّي مُبَلِّغٌ

(١) الآية ١٦٠ من سورة النساء.

﴿٩٦﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ

﴿٩٧﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ

عَنِ اللهِ، فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهِيمَ التي شَرَعَهَا اللهُ، وَبَيَّنَها فِي القُرآنِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ؛ وَكَانَتْ مِلَّةُ إبراهِيمَ حَنِيفِيَّةً سَمْحَةً، فَهِيَ المِلَّةُ التِي لَمْ يَأتِ نَبِيٌّ بأكْمَلَ مِنْهَا وَلاَ أبْيَنَ، وَلَمْ يَكُنْ إبراهِيمُ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإنَّما كَانَ مُسْلِماً مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ.

حَنِيفاً - مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ.

(لِلعَالَمِينَ)

(٩٦) - وَمِن آتِّبَاعِ مِلَّةِ إبراهِيمَ الاتِّجاهُ في الصَّلاَةِ إلى البَيْتِ الذِي بَنَاهُ، والحَجُّ إليهِ فَإنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْعِبَادَةِ (أيْ لِعِبَادَةِ النَّاسِ) هُوَ البَيْتُ الحَرَامُ (الكَعْبَةُ) المَوْجُودَةُ فِي مَكَّةَ.

(وَتُسَمَّى مَكَّةُ أيْضاً بَكَّةَ، وَإبْدَالُ المِيمِ بَاءً كَثِيرُ الاسْتِعْمَالِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَيقُولُونَ دَائِمٌ وَدَائِبٌ).

وَهَذا البَيْتُ قَدْ بَنَاهُ إبراهِيمُ، عَلَيهِ السَّلاَمُ، أمَّا بَيْتُ المَقْدِسِ فَقَدْ بُنِيَ بَعْدَهُ بِزَمَنٍ (وَقِيلَ إنَّ الذي بَنَاهُ هُوَ سُلَيْمَانُ سَنَةَ ١٠٠٥ قَبْلَ المِيلادِ).
وَقَدْ جَعَلَ اللهُ البَيْتَ الحَرَامَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلنَّاسِ.
البَرَكَةُ - تُطْلَقُ فِي العَرَبِيَّةِ عَلَى مَعْنَيينِ:
- الزِّيَادَةِ وَالنماءِ.
- البَقَاءِ وَالدَّوَامِ.
بَكَّـةَ - مَكَّةَ.

(آيَاتٌ) (بَيِّنَاتٌ) (إبْرَاهِيمَ) (آمِناً) (الْعَالَمِينَ)

(٩٧) - وفيهِ دَلاَلاَتٌ ظَاهِرَاتٌ عَلَى أنَّ إبْرَاهِيمَ الخَلِيلَ هُوَ الذِي بَنَاهُ، وَهَذِهِ الدَّلاَلاَتُ هِيَ مَقَامُ إبراهِيمَ. إذْ أنَّ إبراهِيمَ لَمَّا آرْتَفَعَ بِنَاءُ البَيْتِ، آتَّخَذَ لَهُ مَقَاماً يَقِفُ عَلَيْهِ، وَإسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ مَوادَّ البِنَاءِ، (وَكَانَ المَقَامُ مُلْتَصِقاً بِجِدَارِ الكَعْبَةِ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرَّهُ إلى حَيْثُ يَقُومُ الآنَ لِيَتَمكَّنَ النَّاسُ مِنَ الصَّلاَةِ عِنْدَهُ دُونَ إزْعَاجِ الطَّائِفِينَ بِالبَيْتِ، وَكَانَ إبراهِيمُ يَتَّخِذُهُ مَوْضِعاً لِصَلاتِهِ وَعِبَادَتِهِ). وَقَدِ آتَّفَقَ العَرَبُ جَمِيعاً عَلَى آحْتِرَامِ البَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ، لِذَلِكَ كَانَ مَنْ دَخَلَهُ يُصْبِحُ آمِناً مِمَّا يُخِيفُهُ.

وَفي هَذِهِ الآيَةِ يَفْرِضُ اللهُ تَعَالَى الحَجَّ عَلَى المُسْلِمينَ، وَبِذَلِكَ أصْبَحَ أَحَدَ أرْكَانِ الإسْلاَمِ، وَأصْبَحَ فَرْضاً عَلَى مَنِ آسْتَطَاعَ الحَجَّ مِنْ نَفَقَةٍ وَقُدْرَةٍ.

وَمَنْ جَحَدَ فَرِيضَةَ الحَجِّ فَقَدْ كَفَرَ وَاللهُ غَنِيٌّ عَنْهُ (وَقِيلَ المُرَادُ بِالكُفْرِ هُوَ جُحُودُ كَوْنِ البَيْتِ الحَرامِ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِعِبَادَةِ النَّاسِ).

﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ) (بِآيَاتِ)

(٩٨) - يُعَنِّفُ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الكِتَابِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ، وَصَدِّهِمِ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى صَنِيعِهِمْ بِمَا خَالَفُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ كُتُبِ الأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَيهِ، وَذَلِكَ مِمَّا يُوجِبُ عَلَيْهِمْ أَلاَّ يَجْتَرِئُوا عَلَى الكُفْرِ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ.

آيَاتِ اللهِ - هِيَ الآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.
شهيدٌ - شَاهِدٌ.

﴿٩٩﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) (آمَنَ) (بِغَافِلٍ)

(٩٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لأَهْلِ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى: لِمَ تَمْنَعُونَ المُؤْمِنِينَ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الإِيمَانِ المُسْتَقِيمِ المُوصِلِ إِلَى اللهِ، وَتُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَرِسَالَتِهِ، كُفْراً وَعِنَاداً، وَكِبْراً وَحَسَداً، وَتُلْقُونَ الشُّبُهَاتِ البَاطِلَةَ فِي قُلُوبِ الضُّعَفَاءِ مِنَ المُسْلِمِينَ بَغْياً وَكَيْداً لِلنَّبِيِّ؟ هَلْ تُرِيدُونَ اعْوِجَاجَ الأُمُورِ، وَسِيَادَةَ الشَّرِّ وَالفَسَادِ فِي الأَرْضِ؟ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَلَى صِحَّةِ مَا أَقُولُ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَنِي مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لاَ يَغِيبُ عَنْ عِلْمِ اللهِ شَيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ مِنْ صَدٍّ وَكُفْرٍ وَبَغْيٍ.

صَدُّهُ - صَرْفُهُ.
تَبْغُونَها - تُرِيدُونَها.
السَّبِيلُ - الطَّرِيقُ.
العِوَجُ - الاعْوِجَاجُ، وَهُوَ ضِدُّ الاسْتِقَامَةِ.

﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (الْكِتَابَ) (إِيمَانِكُمْ) (كَافِرِينَ)

(١٠٠) - يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ مِنْ إِطَاعَةِ اليَهُودِ الذِينَ يَحْسُدُونَ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَمَا مَنَحَهُمْ مِنْ إِرْسَالِ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ، لأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى الكُفْرِ.

وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي اثْنَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ. فَيُرْوَى أَنَّ الأَوْسَ وَالخَزْرَجَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ، وَعَدَاوَاتٌ مُسْتَحْكِمَةٌ، وَلَمَّا دَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ أَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْبَحُوا إِخْوَةً فِي الإِسْلاَمِ. وَمَرَّ يَهُودِيٌّ فَرَأَى الأَوْسَ وَالخَزْرَجَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ

أكثَرُ ما يكُونُون تَوادّاً وَصفَاءً، فَساءَهُ ذَلِك، فَدسَّ يَهُودِياً يُذَكِّرُهُمْ بأيّامِ الحُرُوبِ بَيْنَهُمْ، وبِمَا كَانُوا يُفاخِرُونَ بِهِ مِنْ أشْعارٍ، فَفعَلَ، فَقامَ رَجُلٌ مِنَ الأوْسِ وَآخرُ مِنَ الخزْرَجِ فَتلاسَنا، وَأثَارَ كُلٌّ مِنْهُمَا جمَاعَتَهُ، وَدعَاهُمْ بِدَعْوةِ الجَاهِلِيّةِ، وَتَسلَّحَ النَّاسُ وَخَرجُوا لِلْقِتَالِ، فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ وَخطَبَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ بِإيمانِهِمْ فَسكَنُوا، فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ وَالتي قَبْلَهَا.

﴿١٠١﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(آيَاتُ) (صِرَاطٍ)

(١٠١) ـ وَيَسْتَبْعِدُ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُسْلِمِينَ أنْ يَكْفُروا، وَحَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ). فَآيَاتُ اللهِ تُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ لَيْلاً وَنَهاراً، وَهُوَ يَتْلُوهَا عَلَيْهِمْ، وَيُبَلِّغُهَا إِليْهِمْ، وَلاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنينَ أنْ يَلْتَفِتُوا إِلى قَوْلِ هَؤُلاءِ الأعْدَاءِ، بَلِ الوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أنْ يَرْجِعُوا، عِنْدَ كُلِّ شُبْهَةٍ يَسْمَعُونَها مِنْ هَؤُلاءِ اليَهُودِ، إلى الرَّسُولِ ﷺ حَتّى يَكْشِفَ لَهُمْ عَنْهَا، وَيُزِيلَ مَا عَلِقَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْهَا.

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ، وَيَتَوكَّلْ عَلَيهِ فَإنَّ ذَلِكَ يُبْعِدُهُ عَنِ الغَيِّ وَالضَّلاَلِ، وَيُوصِلُهُ إلى الهِدَايَةِ وَالرَّشَادِ، وَطَرِيقِ السَّدَادِ.
اعْتَصَمَ بالشَّيءِ ـ تَمَسَّكَ بِهِ فَمَنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الوُقُوعِ فِي الهَلاَكِ.

﴿١٠٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(١٠٢) ـ يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بأنْ يَتَّقُوهُ حَقَّ تُقاتِهِ، وَذَلِكَ بِأنْ يُطَاعَ فَلاَ يُعْصَى، وَأنْ يُشْكَرَ فَلا يُكْفَرَ، وَأنْ يُذْكَرَ فَلا يُنْسَى، وَيَقُولُ لَهُمْ: حَافِظُوا عَلَى الإِسْلاَمِ فِي حَيَاتِكُمْ لِتَمُوتُوا عَلَيهِ، فَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيهِ.
التُّقَاةُ ـ التَّقْوى. وَحَقَّ تُقَاتِهِ يَعْنِي اتِّقَاءً حَقاً.

﴿١٠٣﴾ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ

(نِعْمَةَ) (إخْواناً) (آياتِهِ)

(١٠٣) ـ يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤمنينَ بالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللهِ، أيْ بِعَهْدِهِ وَدِينِهِ وَذِمَّتِهِ وَقُرْآنِهِ، وَمَا أمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الإِلْفَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالاجْتِماعِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ، وَيَطْلُبُ إلَيْهِمْ أنْ يَذْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيهِمْ إذْ ألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَآخَى بَيْنَهُم بَعْدَ العَدَاوَةِ المُسْتَحْكِمَةِ، وَالفُرْقَةِ التِي كَانَتْ بَيْنَ الأوْسِ وَالخزْرَجِ، فَقَدْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ شَفِيرِ النَّارِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضَلاَلِهِمْ وَاقْتِتَالِهِمْ، فَهَدَاهُمُ اللهُ وَأنْقَذَهُمْ.

وَكَمَا بَيَّنَ لَهُمْ رَبُّهُمْ، فِي هَذِهِ الآيَاتِ، مَا يُضْمِرُهُ لَهُمُ اليَهُودُ مِنْ شَرٍّ

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

وَخِداعٍ وَغِشٍّ، وَمَا كانُوا عَلَيهِ فِي حَالِ جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنْ كُفْرٍ وَفُرْقَةٍ وَٱقْتِتَالٍ، وَمَا صَارُوا إليهِ بِفَضْلِ الإِسْلامِ مِنْ وَحْدَةٍ وَإِخَاءٍ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ سَائِرَ حُجَجِهِ فِي تَنْزِيلِهِ على رَسُولِهِ، لِيُعِدَّهُمْ لِلاهْتِدَاءِ الدَّائِمِ، حَتَّى لاَ يَعُودُوا إلى عَمَلِ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالعَدَاوَةِ وَالاقْتِتَالِ.

حَبْلُ اللهِ - يَعْنِي هُنَا كِتَابَهُ.

شَفَا الحُفْرَةِ وَشَفِيرُهَا - طَرَفُهَا وحافَّتُها.

١٠٤ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

(وَأولَئِكَ)

(١٠٤) - لِتَكُنْ مِنَ المُؤْمِنينَ جَمَاعَةٌ مُتَخَصِّصَةٌ مُتَمَيِّزَةٌ تَعْرِفُ أَسْرَارَ الأَحْكَامِ، وَحِكْمَةَ التَّشْرِيعِ وَفِقْهَهُ، تَتَوَلَّى القِيَامَ بِالدَّعْوَةِ إلى الدِّينِ، وَتَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَتُحَارِبُ المُنْكَرَ، وَتَنْهَى عَنْهُ. وَمِنْ وَاجِبِ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُحَارِبَ المُنْكَرَ مَا ٱسْتَطَاعَ إلى ذَلِكَ. وَهَؤُلاءِ هُمُ الفَائِزُونَ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

الأُمَّةُ - الجَمَاعَةُ.

المَعْرُوفُ - مَا ٱسْتَحْسَنَهُ الشَّرْعُ وَالعَقْلُ.

المُنْكَرُ - مَا تُنْكِرُهُ النُّفُوسُ.

١٠٥ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(البَيِّنَاتُ) (وَأولَئِكَ)

(١٠٥) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى المُسْلِمِينَ عَنْ أَنْ يَكُونُوا كَأَهْلِ الكِتَابِ الذِينَ تفرَّقُوا فِي الدِّينِ، وَكَانُوا شِيعاً تَذْهَبُ كُلُّ شِيعَةٍ مِنْهَا مَذْهَباً تَدْعُو إليهِ، وَتُخَطِّىءُ غَيْرَها، وَلِذَلِكَ تَعَادَوْا وَٱقْتَتَلُوا.

وَلَوْ كَانَ فِيهِمْ جَمَاعَةٌ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، وَتَتَّجِهُ إلى غَايَةٍ وَاحِدَةٍ، لَمَا تَفَرَّقُوا، وَلَمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ. وَهَؤُلاءِ المُخْتَلِفُونَ المُتَفَرِّقُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي الدُّنيا، وَعَذَابٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الآخِرَةِ.

١٠٦ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ

(إِيمَانِكُمْ)

(١٠٦) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ تَبْيَضُّ وُجُوهُ المُؤْمِنِينَ، وَيُسَرُّونَ لِمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ حُسْنِ العَاقِبَةِ. وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الكُفْرِ وَالضَّلالَةِ وَالاخْتِلافِ، لِمَا يَرَوْنَهُ مِنْ سُوءِ العَاقِبَةِ، وَمَا يَحِلُّ بِهَا مِنَ النَّكَالِ وَالوَبَالِ. وَيُسْأَلُ الذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالاخْتِلافِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَكَفَرْتُمْ بِاللهِ، وَخَالَفْتُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ، وَبِالوِفَاقِ وَٱتِّحَادِ الكَلِمَةِ؟ فَذُوقُوا العَذَابَ الذِي تَسْتَحِقُّونَهُ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ.

ٱسْوِدَادُ الوَجْهِ - تَعْبِيرٌ يُقْصَدُ بِهِ المَسَاءَةُ.

(١٠٧) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(خالِدُونَ)

(١٠٧) - وَأَمَّا المُؤْمِنُونَ الذينَ آبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ بالإيمانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبِاتِّحادِ الكَلِمَةِ، وَعَدَمِ التَّفرُّقِ، فَيَكُونُونَ فِي الدُّنيا فِي نَعِيمٍ، مَا دَامُوا عَلى تِلْكَ الحالِ، وَيَكُونُونَ فِي الآخِرَةِ فِي رَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ لِيَكُونُوا فِيهَا خَالِدِينَ أبداً.

(١٠٨) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ

(آيَاتُ) (لِلْعَالَمِينَ)

(١٠٨) - وَهَذِهِ آيَاتُ اللهِ وَحُجَجُهُ وَبَيِّنَاتُهُ نَتْلُوهَا عَلَيكَ، يَا مُحَمَّدُ، مُقَرِّرَةً مَا هُوَ الحَقُّ الذي لاَ مَجَالَ لِلشُّبْهَةِ فيهِ (بِالحَقِّ)، لِتَعْرِفَ أمْرَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ حَاكِمٌ عَادِلٌ لا يُرِيدُ ظُلْماً بِالعِبَادِ، لأنَّهُ قَادِرٌ قَاهِرٌ لا يَحْتَاجُ إلى ظُلْمِ مُخَالِفِي أمْرِهِ.

بِالحَقِّ - عَلَى الوَجْهِ الثَّابِتِ المُتَحَقِّقِ.

(١٠٩) وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ

(السَّمَاوَاتِ)

(١٠٩) - جَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ عَبِيدٌ للهِ، وَهُمْ مُلْكٌ لَهُ، يَتَصَرَّفُ فِي شُؤُونِهِمْ بِحَسَبِ سُنَنِهِ الحَكِيمَةِ التِي لاَ تَغْيِيرَ فِيهَا وَلاَ تَبْدِيلَ، وَهُوَ الحَاكِمُ المُتَصَرِّفُ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَإليهِ تَصِيرُ أمُورُ الخَلْقِ جَمِيعاً فَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أعْمَالِهِمْ.

(١١٠) كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ

(آمَنَ) (الْكِتَابِ) (الْفَاسِقُونَ)

(١١٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى المُؤمنينَ أنَّهُمْ خَيْرُ أمَّةٍ فِي الوُجُودِ، لأنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ إيمَاناً صَادِقاً باللهِ، وَيَظْهَرُ أثَرُهُ فِي نُفُوسِهِمْ، فَيَنْزِعُهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَيَصْرِفُهُمْ إلى الخَيْرِ، فَيَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالأعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرَاتِ وَمَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالبَغْيِ.

وَلَوْ آمَنَ أهْلُ الكِتَابِ إيمَاناً صَحِيحاً يَسْتَوْلِي عَلَى النُّفُوسِ، وَيَمْلِكُ أزِمَّةَ القُلُوبِ فَيَكُونُ مَصْدَرَ الفَضَائِلِ وَالأخْلاَقِ الحَسَنَةِ، كَمَا تُؤْمِنُونَ أنْتُمْ، أيُّها المُسْلِمُونَ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ مِمَّا يَدَّعُونَهُ مِنْ إيمَانٍ لاَ يَزَعُ النُّفُوسَ عَنِ الشُّرُورِ، وَلا يُبْعِدُهَا عَنِ الرَّذَائِلِ. وَبَيْنَ أهْلِ الكِتَابِ جَمَاعَةٌ مُؤْمِنُونَ مُخْلِصُونَ فِي إيمَانِهِمْ، وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ فَاسِقُونَ عَنْ دِينِهِمْ، مُتَمَرِّدُونَ فِي الكُفْرِ.

كُنْتُمْ - وُجِدْتُم وَخُلِقْتُمْ.

أُخْرِجَتْ - أُظْهِرَتْ

الفُسُوقُ - الخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ.

(١١١) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ

(يُقَاتِلُوكُمْ)

(١١١) - لَنْ يَضُرَّ هؤُلاءِ الفاسِقُونَ، مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، المُؤْمِنينَ ضَرَراً بَليغاً يُصِيبُ أَصْلَ العَقِيدَةِ الإِسْلامِيَّةِ، وَلَنْ يُؤَثِّرُوا فِي وُجُودِ الجَمَاعَةِ المُسْلِمَةِ فِي الأَرْضِ، وَإِنَّما يَكُونُ ضَرَرُهُمْ عَرَضِيّاً كالإِيذاءِ بالهِجَاءِ القَبيحِ، وَالطَّعْنِ فِي الدِّينِ، وَإِلقَاءِ الشُّبُهَاتِ، وَتَحْرِيفِ النُّصُوصِ.. وَحِينَ يُرِيدُونَ قِتَالَ المُسْلِمِينَ، وَيَشْتَبِكُونَ مَعَهُمْ فِي الحَرْبِ، فالهَزِيمَةُ مَكْتُوبَةٌ عَلَيهِمْ، وَالنَّصْرُ لِلْمُؤْمِنينَ في النِّهَايَةِ، وَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ مِنْ بَأسِ اللهِ وَبَأسِ المُؤْمِنينَ.

يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ - يَنْهَزِمُونَ.

الأذَى - الإِيذَاءُ وَالضَّرَرُ العَارِضُ اليَسِيرُ.

(١١٢) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ

(وَبَاؤُوا) (بِآيَاتِ)

(١١٢) - ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمُ الذِّلَّةَ وَأَلْزَمَهُمْ بِها، وَجَعَلَهَا لَهُمْ مَصِيراً أَيْنَما وُجِدُوا. وَلاَ يَعْصِمُهُمْ مِنْ بَأسِ المُسْلِمينَ إِلاَّ دُخُولُهُمْ فِي ذِمَّتِهِمْ، فَيَعْصِمُ ذَلِكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، أَيْ إِنَّهُمْ لاَ تَعْصِمُهُمْ مِنْ بَأسِ المُسْلِمِينَ إِلاَّ ذِمَّةُ اللهِ، وَذِمَّةُ المُسْلِمِينَ. وَرَجَعَ هَذا الفَرِيقُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، مِنْ عِدائِهِمْ لِلإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، يَحْمِلُونَ غَضَبَ اللهِ، وَيَسْتَوْجِبُونَ سَخَطَهُ. وَأَلْزَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى بالاسْتِكَانَةِ وَالخُضُوعِ لِغَيْرِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ عَصَوْا وَاعْتَدَوْا فِي دِينِهِ عَلَى الحُرُماتِ: فَقَدْ كَفَرُوا بآيَاتِ اللهِ، وَاعْتَدَوْا عَلَى حُدُودِ اللهِ، وَقَتَلُوا الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَتَلُوا الذِينَ يَأْمُرُونَ بِالعَدْلِ مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُهُمْ أَهْلاً لِلْعَذَابِ، وَلِمَا فَرَضَهُ اللهُ تَعَالى عَلَيْهِمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالمَسْكَنَةِ.

بَاءَ - حَمَلَ أَوْ لَبِثَ وَحَلَّ.

ثُقِفَ - وُجِدَ وَأُدْرِكَ.

المَسْكَنَةُ - فَقْرُ النَّفْسِ وَشُحُّهَا.

حَبْلٌ مِنَ اللهِ - عَهْدٌ مِنَ اللهِ وَهُوَ الإِسْلاَمُ.

ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ - فُرِضَتْ عَلَيهِمْ وَأُلْزِمُوا بِهَا.

(١١٣) ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ

ربع الحزب ٧

(الْكِتَابِ) (قَائِمَةٌ) (آيَاتِ) (اللَّيْلِ)

(١١٣) - وَيَسْتَثْنِي اللهُ تَعَالَى بَعْضَ أَهْلِ الكِتَابِ مِنَ الكُفْرِ وَالعِصْيَانِ، فَيَقُولُ: إِنَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً مُهْتَدِيَةً، آمَنُوا إِيماناً صَادِقاً، وَأَقَامُوا عَلَى أَمْرِ

﴿١١٤﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

﴿١١٥﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ

﴿١١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

﴿١١٧﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

اللهِ لَمْ يَنْزِعُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ، وَآنْضَمُّوا إلى الصَّفِّ المُسْلِمِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَيُسْجُدُونَ للهِ.

(وَيقُولُ آبْنُ عَبَّاسٍ: إنَّ المُرَادَ بِهَذِهِ الأُمَّةِ جَمَاعَةٌ مِنَ اليَهُودِ أسْلَمُوا كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ وَثَعْلَبَةَ بْنِ سَعِيدٍ).

لَيْسُوا سَوَاءً - لَيْسُوا مُتَسَاوِينَ.

قَائِمَةٌ - مُسْتَقِيمَةٌ عَادِلَةٌ.

(يُسَارِعُونَ) (الْخَيْرَاتِ) (وَأولَئِكَ) (الصَّالِحِينَ)

(١١٤) - وَقَدْ آمَنُوا بِاللهِ، وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، إيمَاناً صَادِقاً، وَنَهَضُوا بِتَكَالِيفِ الجَمَاعَةِ المُسْلِمَةِ، فَأمَرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، وَعَمِلُوا الخَيْرَ، فَجَعَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الصَّالِحِينَ، وَشَهِدَ لَهُمْ بِهَذَا الصَّلاحِ.

(١١٥) - وَجَمِيعُ مَا يَفْعَلُونَهُ، مِنَ الخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، فَلَنْ يُحْرَمُوا ثَوَابَهُ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللهُ عَلَيهِ، وَلَنْ يَنْقُصَهُمْ مِنْهُ شَيئاً، وَاللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ.

لَنْ يُكْفَرُوهُ - لَنْ يُحْرَمُوا ثَوَابَهُ.

(أمْوَالُهُمْ) (أوْلادُهُمْ) (وَأولَئِكَ) (أصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(١١٦) - الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ، الذِينَ كَانُوا يُعَيِّرُونَ مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ بِالفَقْرِ، وَيقُولُونَ لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ عَلَى الحَقِّ لَمَا تَرَكَهُ رَبُّهُ فِي هذا الفَقْرِ، وَيَتَفَاخَرُونَ بِكَثْرَةِ الأمْوَالِ وَالأوْلادِ، فَإنَّ هَؤُلاءِ لَنْ تَنْفَعَهُمْ أمْوَالُهُمْ وَلاَ أوْلادُهُمْ شَيْئاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَنْ يَمْنَعَهُمْ شَيءٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ. وَهَؤُلاءِ هُمْ أصْحَابُ النَّارِ يَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أبَداً.

لَنْ تُغْنِيَ - لَنْ تَجْزِيَ وَلَنْ تَنْفَعَ.

(الْحَيَاةِ)

(١١٧) - وَالكَافِرُونَ يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، فِي الصَّدَقَاتِ وَالقُرُبَاتِ، وَفِي آكْتِسَابِ الشُّهْرَةِ وَالثَّنَاءِ... وَلَكِنَّ هَذا الإنْفَاقَ ضَائِعٌ، وَلَنْ يَنْتَفِعُوا مِنْهُ فِي الآخِرَةِ شَيْئاً. وَقَدْ شَبَّهَ اللهُ تَعَالَى حَالَهُم هَذا بِحَالِ زَرْعِ قَومٍ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ والمَعَاصِي، أصَابَتْهُ رِيحٌ فِيها بَرْدٌ شَدِيدٌ فَأهْلَكَتْهُ عُقُوبَةً لَهُمْ. وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ بِضَيَاعِ أجُورِ أعْمَالِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ وَالبَغْيِ، وَآرْتِكَابِ المَعَاصِي.

فِيها صِرٌّ - بَرْدٌ شَدِيدٌ (أوْ سُمُومٌ حَارَّةٌ).

(١١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (أَفْوَاهِهِم) (الآيَاتِ)

(١١٨) - يَنْهى اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ عَنِ اتِّخاذِ الكُفَّارِ واليَهودِ والمُنافِقِينَ بِطانَةً وخَواصَّ لَهُمْ مِنْ دُونِ المُؤْمِنينَ، يُطْلِعُونَهُمْ عَلَى سِرِّهِمْ، ومَا يُضْمِرُونَ لأعْدائِهِمْ. لأنَّ هؤُلاءِ لا يَأْلُونَ جُهْداً، ولاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْ عَمَلٍ فِيهِ إيذاءٌ وإضْرارٌ بالمُؤْمِنينَ، فِي دِينِهِمْ ودُنياهُمْ، وهُمْ يَتَمَنَّوْنَ وُقُوعَ المُؤْمِنينَ فِي الضِّيقِ والمَشَقَّةِ. ولَقَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ والعَداوَةُ فِي أفْواهِهِمْ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى ألْسِنَتِهِمْ مِنْ كَلِماتِ الحِقْدِ، وصُدُورُهُمْ تُخْفِي حِقْداً أكْبَرَ، وبُغْضاً أعْظَمَ للإسْلامِ وأهْلِهِ، وهُوَ أمْرٌ لا يَخْفَى عَلَى عاقِلٍ، وقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعالَى الدَّلالاتِ الواضِحَةَ التِي يُعْرَفُ بِهَا الوَلِيُّ مِنَ العَدُوِّ.

بِطانَةُ الرَّجُلِ - خاصَّتُهُ.
مِنْ دُونِكُمْ - مِنْ غَيْرِكُمْ.
لا يَأْلُونَكُمْ - لاَ يُقَصِّرُونَ.
مَا عَنِتُّمْ - مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ.
الخَبالُ - النُّقْصانُ.

(١١٩) هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

(هَا أَنْتُم) (بالكِتَابِ) (آمَنَّا)

(١١٩) - يَقُولُ اللهُ تَعالَى لِلْمُؤْمِنينَ: إنَّكُمْ تُحِبُّونَ هؤُلاءِ الكُفَّارَ الذِينَ هُمْ أشَدُّ النَّاسِ عَداوَةً لَكُمْ، ولاَ يُقَصِّرُونَ فِي إفْسادِ أمْرِكُمْ، وتَمَنِّي عَنَتِكُمْ. ويُظْهِرُونَ لَكُمُ العَداوَةَ والغِشَّ، ويَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ رَيْبَ المَنُونِ، فَكَيْفَ تُوادُّونَهُمْ وتُواصِلُونَهُمْ، وهُمْ لاَ يُحِبُّونَكُمْ لاَ ظاهِراً ولا باطِناً، وتُؤْمِنُونَ بالكِتابِ الذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ، وبالكُتُبِ التِي أُنْزِلَتْ قَبْلَهُ، ولَيْسَ لَدَيْكُمْ شَيءٌ مِنَ الشَّكِّ فِي شَيءٍ مِنْها، وهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِكِتابِكُمْ، وعِنْدَهُمْ مِنْ كِتابِ اللهِ شَكٌّ وحَيرَةٌ، فأنْتُمْ أحَقُّ بِبُغْضِهِمْ مِنْهُمْ لَكُمْ، فإذا لَقُوكُمْ قالُوا: آمَنَّا إرْضاءً لَكُمْ، وحَذَراً مِنْهُمْ عَلَى أنْفُسِهِمْ مِنْكُمْ. وإذا فارَقُوكُمْ، واخْتَلَوا بِأنْفُسِهِمْ، عَضُّوا عَلَيْكُمْ أطْرافَ أصابِعِهِمْ مِنْ غَيْظِهِمْ مِنْكُمْ، فَقُلْ لَهُمْ: مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَلَنْ يَضُرَّنا ذلِكَ شَيْئاً، واللهُ مُتِمٌّ نِعْمَتِهِ عَلَى المُؤْمِنينَ، واللهُ هُوَ الذِي يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ مِنَ البَغْضاءِ والحَسَدِ والغِلِّ لِلْمُؤْمِنينَ.

البَغْضاءُ - شِدَّةُ البُغْضِ.
عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ - كِنايَةٌ عَنْ شِدَّةِ الغَيْظِ.
خَلَوْا - مَضَوا وانْفَرَدَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

(١٢٠) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

(١٢٠) - ولشدَّةِ عداوةِ هؤلاءِ الكفَّارِ والمنافقينَ للمؤمنينَ يسوؤهم ما يُصيبُ المؤمنينَ من خيرٍ من ربِّهم - نصرٌ أو ربحٌ أو خصبٌ - كما يسرُّهم ما ينزلُ بالمؤمنينَ من بلاءٍ وسوءٍ وهزيمةٍ. وينصحُ اللهُ المؤمنينَ بالتحلِّي بالصَّبرِ والتَّقوى، والتوكُّلِ على اللهِ للنَّجاةِ من كيدِهم وأذاهم، لأنَّهُ محيطٌ بما يعملونَ، وكلُّ شيءٍ بمشيئتِه وقدرِه.

تمسَسْكُم - تُصِبْكُم.

(١٢١) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(مَقاعِدَ)

(١٢١) - وهُنا يتحدَّثُ اللهُ تعالى عن معركةِ أُحُدٍ حينما خرجَ الرَّسولُ ﷺ مُبكِّراً من عندِ أهلِه لحربِ قريشٍ، وإنزالِه الصَّحابةَ في مراكزِ القتالِ. فلمَّا وصلَ الرَّسولُ ﷺ إلى مكانِ المعركةِ نزلَ بأصحابِه في الشِّعبِ من أُحُدٍ، في عُدْوَةِ الوادي، وجعلَ ظهرَ عسكرِه إلى أُحُدٍ، وقالَ للمؤمنينَ لا يُقاتِلَنَّ أحدٌ حتَّى نأمُرَه. وأقامَ خمسينَ رامياً، عليهم عبدُ اللهِ بنُ جُبيرٍ، على تلٍّ، وأمرَهم بأن ينضحوا الخيلَ عن المسلمينَ، وأن لا يتركوا مكانَهم أبداً، حتَّى ولو دارتِ الدَّائرةُ على المسلمينَ.

غدا يغْدُو - انطلقَ في الغَداةِ - ما بَيْنَ طُلوعِ الفجرِ إلى طُلوعِ الشَّمسِ.

تُبوِّىءُ - تُهيِّىءُ، وتُنزِلُ.

(١٢٢) إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(طَائفتانِ)

(١٢٢) - وكانتْ في الأنصارِ طائفتانِ (هما بنو حارثةَ وبنو سلمةَ) قد أثَّرتْ فيهما حركةُ انسحابِ ابنِ أُبَيِّ بنِ سلولٍ، وعودتِه إلى المدينةِ، فكادتا أن تفشلا، وترجعا إلى المدينةِ، ولكنَّ عنايةَ اللهِ تداركتْهُما وثبَّتتْهُما، وأيَّدتْهُما بولايتِه. وعلى اللهِ فليتوكَّلِ المؤمنونَ، فليسَ لهم سندٌ غيرُه.

الهَمُّ - حديثُ النَّفسِ، وتوجُّهُها إلى الشَّيءِ.

(١٢٣) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(١٢٣) - لقدْ نصرَ اللهُ المؤمنينَ في موقعةِ (بدرٍ)، وكانوا قليلي العددِ أذلَّاءَ، وأذلَّ اللهُ الشِّركَ، وهزمَ حزبَه، وذلكَ لتعلموا أنَّ النَّصرَ من عندِ اللهِ، لا بكثرةِ العددِ والعُدَّةِ، فإن تصبِروا لأمرِ اللهِ ينصرْكم كما نصرَكم يومَ بدرٍ، فاتَّقوا اللهَ بطاعتِه، واجتنابِ محارمِه، لتعدُّوا أنفسَكم لشكرِه على ما أنعمَ بهِ عليكم من النَّصرِ على أعدائِكم، وإظهارِ دينِكم.

(لقد كانَ المسلمونَ يومَ بدرٍ ٣١٧ رجلاً، بينما كانتْ قريشٌ بينَ ٩٠٠ و ١٠٠٠ رجل).

أذِلَّةٌ - ذليلونَ لا مَنَعَةَ لكُم.

(١٢٤) إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ

(بِثلاثَةِ آلافٍ) (المَلائِكَةِ)

(١٢٤) - إذْ كُنْتَ تَقُولُ لِلْمُؤْمنِينَ فِي يَوْم بَدْرٍ: إنَّ اللهَ سَيُمِدُّكُم بِثلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ، ألاَ يَكْفِيكُمْ هذا العَدَدُ؟ (وَكَانَ المُسْلِمُونَ قَدْ بَلَغَهُمْ، يَوْمَ بَدْرٍ، أنَّ كرزَ بْنَ جابِرٍ المُحَارِبيُّ يُرِيدُ أنْ يُمدَّ قُرَيشاً، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنينَ، فَأنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ تَثْبِيتاً لِقُلُوبِهِمْ).

(وَيُجْمِعُ أهْلُ التَّفْسِيرِ عَلى أنَّ اللهَ تَعَالَى أنْزَلَ المَلائِكَةَ يَوْمَ بَدْرٍ وَأنَّهُمْ شارَكُوا فِي قِتَالِ الكُفَّارِ. وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ تُقاتِلِ المَلائِكَةُ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ).

الإمْدادُ - تَقْدِيمُ المَدَدِ لِلْجَيْشِ مِنْ عُدَّةٍ وَسِلاحٍ وَرِجَالٍ.

(١٢٥) بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ

(آلافٍ) (المَلائِكَةِ)

(١٢٥) - فَإنْ تَصْبِرُوا فِي المَعْرَكَةِ عَلى لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ، وَتَتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَتُطِيعُوا أمْرَهُ، حِينَما يَطْلَعُ المُشْرِكُونَ عَلَى الفَوْرِ، يُمدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ يَمْتَازُونَ بِعَلامَاتٍ يَضَعُونَها (مُسَوِّمين)، لِيُعَجِّلَ نَصْرَكُمْ، وَيُسَهِّلَ فَتْحَكُمْ.

مِنْ فَوْرِهِمْ - مِنْ سَاعَتِهِمْ وَبِلا إبْطاءٍ.

مُسَوِّمِينَ - ذَوِي سِمَةٍ وَعَلامَةٍ.

(١٢٦) وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ

(وَلِتَطْمَئِنَّ)

(١٢٦) - وَمَا جَعَلَ اللهُ وَعْدَهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ إمْدَادِهِمْ بِالمَلائِكَةِ فِي المَعْرَكَةِ إلاّ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَثْبِيتاً لِقُلُوبِهِمُ التِي تَطَرَّقَ إليها الخَوْفُ مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ الكُفَّارِ، وَقُوَّةِ ٱسْتِعْدَادِهِمْ. وَلَيْسَ النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُوَ قادِرٌ عَلَى أنْ يَنْصُرَ المُسْلِمِينَ دُونَ ٱشْتِراكِهِمْ فِي القِتَالِ.

(١٢٧) لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ

(خَائِبِينَ)

(١٢٧) - لَقَدْ أمَرَ اللهُ تَعَالَى المُسْلِمِينَ بِالجِهادِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الحِكْمَةِ التِي يَرَاهَا سُبْحَانَهُ وَتَعالَى، وَذَلِكَ لِيُسَهِّلَ إهْلاكَ طَائِفَةٍ مِنَ الكَافِرِينَ، فَيُنْقِصَ عَدَدَهُمْ بِالقَتْلِ، أوْ يُنْقِصَ مِنْ سُلْطَانِهِمْ بِالقَهْرِ، أوْ يُنقِصَ مِنْ أمْوالِهِمْ بِالغَنِيمَةِ، أوْ يُنْقِصَ مِنْ تَأثِيرِهِمْ فِي الأرْضِ بِالهَزِيمَةِ، أوْ يَصْرِفَهُمْ مَهْزُومِينَ أذِلاَّءَ فَيَعُودُوا خائِبِينَ مَقْهُورِينَ لاَ أمَلَ لَهُمْ فِي نَصْرٍ.

لِيَقْطَعَ - لِيفْنِيَ وَيُهْلِكَ.

طَرَفاً - جَمَاعَةً وَطَائِفَةً.
الكَبْتُ - شِدَّةُ الغَيْظِ، أوِ الهَوْنُ وَالضَّعْفُ.
انْقَلَبَ - رَجَعَ إلى أهْلِهِ.

(١٢٨) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ

(ظَالِمُونَ)

(١٢٨) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ إلَى أنَّ الأمْرَ كُلَّهُ للهِ، وَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ شَيْءٌ مِنَ الحُكْمِ وَالتَّصَرُّفِ فِي أمْرِ العِبَادِ، غَيْرُ مَا أمَرَهُ مِنْ إبْلاغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَهُوَ تَعَالَى إمَّا أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ، فَيَهْدِيَهُمْ بَعْدَ الضَّلالَةِ، وَإمَّا أنْ يُعَذِّبَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَيَكْبِتَهُمْ وَيُذِلَّهُمْ لأنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ.

(١٢٩) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(السَّمَاوَاتِ)

(١٢٩) - واللهُ يَمْلِكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ، وَأهْلُهُمَا عَبِيدٌ لَهُ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ المُطْلَقُ فِي الوُجُودِ كُلِّهِ، وَلاَ مُعَقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(١٣٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(يَا أيُّهَا) (آمَنُوا) (الرِّبَا) (أضْعَافاً) (مُضَاعَفَةً)

(١٣٠) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ أكْلِ الرِّبا، وَالتَّعَامُلِ بِهِ، بَعْدَ إسْلامِهِمْ، وَهُدَى اللهِ لَهُمْ، كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، إذْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلمَدِينِ إذَا حَلَّ أجَلُ الدَّيْنِ: إمّا أنْ تَقْضِيَ دَيْنَكَ وَإمَّا أنْ تُرْبِيَ. فَإنْ قَضَاهُ فِيهَا، وَإلاَّ زَادَهُ فِي المُدَّةِ وَزَادَهُ فِي المِقْدَارِ، وَهَكَذَا كُلَّ عَامٍ، فَرُبَّمَا تَضَاعَفَ القَلِيلُ حَتَّى يَصِيرَ كَثِيراً مُضَاعَفاً. وَيَأمُرُ اللهُ عِبَادَهُ بِالتَّقْوَى لَعَلَّهُمْ يُفْلِحُونَ فِي الأوْلَى وَالآخِرَةِ.
اتَّقُوا اللهَ - خَافُوهُ وَاجْعَلُوا لأنْفُسِكُمْ وِقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ.

(١٣١) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ

(لِلْكَافِرِينَ)

(١٣١) - وَيَأمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالتَّقْوَى، وَبالابْتِعَادِ عَنْ مُتَابَعَةِ المُرَابِينَ، وَتَعَاطِي مَا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ أكْلِ الرِّبا، الذِي يُفْضِي بِهِمْ إلى دُخُولِ النَّارِ التِي أعَدَّهَا اللهُ لِلْكَافِرِينَ.

(١٣٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

(١٣٢) - وَيَأمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، فِيمَا نَهَيَا عَنْهُ مِنْ أكْلِ الرِّبَا، وَمَا أمَرَا بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ كَي يُرْحَمُوا فِي الدُّنيا، بِصَلاحِ حَالِ المُجْتَمَعِ، وَفِي الآخِرَةِ، بِحُسْنِ الجَزَاءِ.

١٣٣ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ

نصف الحزب ٧

١٣٤ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

(السَّماوَاتُ)

(١٣٣) - وَيَنْدُبُ اللهُ تَعالَى المُؤْمنينَ إلَى القِيَامِ بالأعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وإلى المُسَارَعَةِ فِي فِعْلِ الخَيْرَاتِ، لِيَنَالُوا مَغْفِرَةَ اللهِ ورِضْوَانَهُ، وجَنَّتَهُ الوَاسِعَةَ العَرِيضَةَ التِي أَعَدَّها اللهُ لِعبَادِهِ المُتَّقِينَ، الذِينَ يَمْتَثِلُونَ أمْرَهُ.

(الْكَاظِمِينَ)

(١٣٤) - يَذْكُرُ اللهُ تَعالَى فِي هَذِهِ الآيةِ صِفَاتِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيقُولُ: إنَّهُمُ الذينَ يُنفِقُونَ أمْوَالَهُمْ فِي سَبيلِ مَرْضَاةِ اللهِ، فِي الرَّخَاءِ (السَّرَّاءِ)، وَفِي الشِّدَّةِ (الضَّرَّاءِ)، وَفِي الصِّحَّـةِ وَالمَرَضِ، وَفِي جَمِيـعِ الأحْوَالِ، لاَ يَشْغَلُهُمْ أمْرٌ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَالإنْفَاقِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وإنَّهُمْ يَكْتمُونَ غَيْظَهُمْ إذا ثَارَ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ أَسَاءَ إليهِمْ. وَاللهُ يُحِبُّ الـذِينَ يَتَفَضَّلُونَ عَلَى عِبَادِهِ البَائِسِينَ، وَيُوَاسُونَهُمْ شُكْـراً للهِ عَلَى جَزِيـلِ نِعَمِهِ عَلَيْهِـمْ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَـنْ كَظَـمَ غَيْظَـهُ وَهُـوَ يَقْدِرُ عَلَى إنْفَـاذِهِ مَلأَ اللهُ جَوْفَهُ أمْناً وَإيمَاناً).

كَظَمَ غَيْظَهُ - كَتَمَ غَيْظَهُ فِي نَفْسِهِ وَأخْفَاهُ..

كَظَمَهُ الغَيْظُ - أخَذَ بِنَفْسِهِ - فَهُوَ كَظِيمٌ.

السَّرَّاءِ - الحَالَةِ التِي تَسُرُّ (اليُسْر)

الضَّرَّاءِ - الحَالَةِ التِي تَضُرُّ (العُسْر).

١٣٥ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ

(فَاحِشَةً)

(١٣٥) - وَمِنْ صِفَاتِ أهْلِ الجَنَّةِ أنَّهُمْ إذَا صَدَرَ عَنْهُمْ فِعْلٌ قَبيحٌ يَتَعَدَّى أثَرُهُ إلَى غَيْرِهِـم (كَغِيبَةِ إنسانٍ)، أو صَـدَرَ عَنْهُمْ ذَنْبٌ يَكُونُ مُقْتَصِـراً عَلَيهِمْ (كَشُـرْبِ خَمْـرٍ وَنَحْـوِهِ)، ذَكَـرُوا اللهَ تَـعَـالَى وَوَعِيـدَهُ، وَعَظَمَتَهُ وَجَلاَلَهُ، فَرَجَعُوا إلى اللهِ تَائِبِينَ، طَالِبِينَ مَغْفِرَتَهُ، وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَى القَبِيحِ مِنْ غَيْرِ آسْتِغْفَارٍ، لِعِلْمِهِمْ أنَّ اللهَ هُوَ الـذِي يَغْفِرُ الـذُّنُوبَ جَمِيعاً، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى الذَّنْبِ، لأنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ مَنْ تَابَ إلى اللهِ، تَابَ اللهُ عَلَيهِ، وَغَفَرَ لَهُ.

الفَاحِشَةُ - الفَعْلَةُ الشَّنِيعَةُ.

ظُلْمُ النَّفسِ - آرْتِكَابُ الذَّنْبِ الذِي يَقْتَصِرُ أثَـرُهُ عَلَى الفَاعِـلِ كَشُرْبِ إنْسَانِ الخَمْرَ مُسْتَتِراً.

الإصْرَارُ - الإقَامَةُ عَلَى الفِعْلِ.

﴿١٣٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ

(أولَئِكَ) (وَجَنَّاتٌ) (الأنْهارُ) (خَالِدِينَ) (الْعَامِلِينَ)

(١٣٦) - وَالمُتَّقُونَ المُتَمَتِّعُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ سَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ عَلَيْهَا بِالمَغْفِرَةِ، وَبالأمْنِ مِنَ العِقَابِ، وَلَهُمْ ثَوابٌ عَظِيمٌ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ، وَهُمْ مُخَلَّدُونَ فِيهَا أبداً، وَالجَنَّةُ خَيْرُ مَا يُكَافَأُ بِهِ المُؤْمِنُونَ العَامِلُونَ عَلَى أعْمَالِهِمْ الصَّالِحَاتِ.

﴿١٣٧﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ

(عَاقِبَةُ)

(١٣٧) - يُخَاطِبُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بَعْدَ مُصَابِهِمْ فِي وَقْعَةِ أحُدٍ فَيَقُولُ لَهُمْ:

لَقَدْ جَرَى عَلَى أتْبَاعِ الأنْبياءِ السَّابِقِينَ مِنَ الأمَمِ الغَابِرَةِ نَحْوٌ مِمَّا جَرَى لَكُمْ يَوْمَ أحُدٍ، فَأُصِيبُوا وَقُتِلُوا وَهُزِمُوا. وَلَكِنَّ العَاقِبَةَ كَانَتْ لَهُمْ، وَالدَّائِرَةَ كَانَتْ عَلَى الكَافِرِينَ. وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ أنَّهُ مَا التقى الإيمانُ وَالشِّرْكُ إلاّ نَصرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ، وَأعْلَى رَايَةَ الإيمَانِ، وَهزَمَ الشِّرْكَ وَأهْلَهُ، وَنَكَّسَ أعْلاَمَهُ. وَأجْدَرُ النَّاسِ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الحَقِيقَةِ هُمُ المُؤْمِنُونَ فَسِيرُوا يَا أيُّها المُؤْمِنُونَ فِي الأرْضِ، وَتَأمَّلُوا فِيمَا حَلَّ بِالأمَمِ السَّابِقَةِ.

السُّنَنُ - جَمْعُ سُنَّةٍ - الطَّرِيقَةُ وَالسِّيرَةُ.
خَلَتْ - مَضَتْ.
العَاقِبَةُ - النِّهَايَةُ وَالمَصِيرُ.

﴿١٣٨﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ

(١٣٨) - وَمَا تَقَدَّمَ هُوَ بَيَانٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ خاصَّةً، فَالإرْشَادُ عَامٌّ لِلنَّاسِ، وَحُجَّةٌ عَلَى المُؤْمِنِ وَالكَافِرِ، (وَذَلِكَ يَدْحَضُ مَا قَالَهُ المُشْرِكُونَ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ رَسُولاً حَقّاً لَمَا غُلِبَ فِي وَقْعَةِ أحُد). فَهذا البَيَانُ وَالهُدَى يُرشِدَانِ إلى أنَّ سُنَنَ اللهِ حَاكِمَةٌ عَلَى الأنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، كَمَا هِيَ حَاكِمَةٌ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ، فَمَا مِنْ قَائِدٍ يُخَالِفُهُ جُنْدُهُ، وَيَتْرُكُونَ حِمَايَةَ الثَّغْرِ الذِي عُهِدَ إلَيهِمْ بِحِمَايَتِهِ، إلاّ كَانَ جَيْشُهُ عُرْضَةً لِلْهَزِيمَةِ.

وَهَذَا البَيَانُ هُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، لأنَّهُمْ هُمُ الذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فَيَعْتَبِرُونَ.

هُدًى - إرْشَادٌ إلى الطَّرِيقِ القَوِيمِ.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحۡزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾

(١٣٩) - وَلاَ تَضْعُفُوا عَنِ الجِهَادِ، وَمَا يَتَطَّلبُهُ مِنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ وَالإِعْدَادِ، بِسَبَبِ مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الفَشَلِ وَالجِرَاحِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَقَدْتُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، فَإِنَّ العَاقِبَةَ وَالنَّصْرَ سَيَكُونَانِ لَكُمْ إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِحَبْلِ اللهِ، وَرَاعَيْتُمْ تَعَالِيمَهُ، فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

الوَهَنُ - الضَّعْفُ.

﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

(آمَنُوا) (الظَّالِمِينَ)

(١٤٠) - إِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَصَابَتْكُمْ جِرَاحٌ، وَقُتِلَ مِنْكُمْ رِجَالٌ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَدْ أَصَابَ أَعْدَاءَكُمْ قَرِيبٌ مِمَّا أَصَابَكُمْ، فَلاَ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَقْعُدُوا وَتَتَقَاعَسُوا عَنِ الجِهَادِ بِسَبَبِ مَا أَصَابَكُمْ، فَالمُشْرِكُونَ قَدْ سَبَقَ أَنْ أَصَابَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلُ مَا أَصَابَكُمْ أَنْتُمْ فِي أُحُدٍ، فَلَمْ يَتَقَاعَسُوا، وَلَمْ يَقْعُدُوا عَنِ الإِعْدَادِ لِلْحَرْبِ وَمُبَاشَرَتِهَا، وَهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، فَكَيْفَ تَتَرَدَّدُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ، وَاللهُ وَعَدَكُمْ نَصْرَهُ، وَجَعَلَ العَاقِبَةَ لَكُمْ؟ وَمِنْ سُنَنِ اللهِ تَعَالَى مُدَاوَلَةُ الأَيَّامِ بَيْنَ النَّاسِ، فَمَرَّةً تَكُونُ الغَلَبَةُ لِلْبَاطِلِ عَلَى الحَقِّ، إِذَا أَعَدَّ لَهُ أَهْلُهُ وَاحْتَاطُوا، وَتَرَاخَى أَهْلُ الحَقِّ، وَمَرَّةً تَكُونُ الغَلَبَةُ لِلْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ. وَلَكِنَّ العَاقِبَةَ تَكُونُ دَائِماً لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ. وَاللهُ تَعَالَى يَبْتَلِي المُؤْمِنِينَ لِيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ الصَّادِقِينَ مِنْهُمْ، وَلِيَتَّخِذَ مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالاً يُكْرِمُهُمْ بِالشَّهَادَةِ.

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ - إِنْ يُصِبْكُمْ جِرَاحٌ.

نُدَاوِلُهَا - نُصَرِّفُهَا، فَنُدِيلُ تَارَةً لِهَؤُلاَءِ وَتَارَةً لِهَؤُلاَءِ، وَالمُدَاوَلَةُ نَقْلُ الشَّيءِ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾

(آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ)

(١٤١) - وَيُدَاوِلُ اللهُ الأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ لِيَمِيزَ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، مِنَ المُنَافِقِينَ، وَلِتَطْهُرَ نُفُوسُ بَعضِ ضُعَفَاءِ المُؤْمِنِينَ مِن كُدُورَتِهَا، فَتَصْفُو مِمَّا شَابَهَا وَخَالَطَهَا، وَلاَ يَكُونُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالتَّجَارِبِ الكَثِيرَةِ، وَالامْتِحَانِ بِالشَّدَائِدِ، وَلِيَكُونَ الجِهَادُ وَالحَرْبُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَسِيلَةً لِتَدْمِيرِ الكَافِرِينَ الَّذِينَ إِذَا ظَفِرُوا بَغَوا وَبَطِرُوا.

التَّمْحِيصُ - التَّنْقِيَةُ مِنَ الشَّوَائِبِ.

المَحْقُ - النُّقْصَانُ، وَأَصْلُهُ المَحْوُ وَالإِبَادَةُ.

﴿١٤٢﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ
وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ

﴿١٤٣﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن
قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ
وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ

﴿١٤٤﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ
مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ
أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ
وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن
يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ
ٱلشَّٰكِرِينَ

﴿١٤٥﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ
إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ

(جَاهَدُوا) (الصَّابِرِينَ)

(١٤٢) - وَلاَ تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَبِرَكُمُ اللهُ تَعَالَى وَيُمَحِّصَكُمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالجِهَادِ لِيَرَى صِدْقَ إِيمَانِكُمْ، وَيَرَى مَنْ يَسْتَجِيبُ للهِ، وَيُخْلِصُ فِي طَاعَتِهِ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَكَارِهِ الحُرُوبِ.

جَاهَدَ - احْتَمَلَ المَشَقَّةَ فِي مُكَابَدَةِ الشَّدَائِدِ، وَيُقْصَدُ بِالجِهَادِ هُنَا الدِّفَاعُ عَنِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ.

(١٤٣) - يُخَاطِبُ اللهُ تَعَالَى مَنْ شَهِدَ وَقْعَةَ أُحُدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ الذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْراً، وَكَانُوا يَتَحَرَّقُونَ شَوْقاً لِلْقِتَالِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَكُونَ لَهُمْ يَوْمٌ كَيَوْمِ بَدْرٍ، وَقَدْ أَلَحُّوا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فِي الخُرُوجِ إِلَى أُحُدٍ لِيُقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ. وَيَقُولُ تَعَالَى لِهَؤُلاءِ: لَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ المَوْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ قَبْلَ أَنْ تُلاقُوا القَوْمَ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ، فَهَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ فَمَا بَالُكُمْ دَهِشْتُمْ عِنْدَمَا وَقَعَ المَوْتُ فِيكُمْ؟ وَمَا بَالُكُمْ تَحْزَنُونَ وَتَضْعُفُونَ عَنْ لِقَاءِ مَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ وَتَتَمَنَّوْنَ؟

(أَفَإِنْ) (أَعْقَابِكُمْ) (الشَّاكِرِينَ)

(١٤٤) - لَمَّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، أُشِيعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ قُتِلَ، فَحَصَلَ ضَعْفٌ فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ، وَتَأَخُّرٌ عَنِ القِتَالِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هذِهِ الآيَةَ، وَفِيهَا يُذَكِّرُ المُسْلِمِينَ بِأَنَّ مُحَمَّداً بَشَرٌ قَدْ سَبَقَتْه رُسُلٌ، مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، ثُمَّ يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ ضَعُفَ مِنْهُمْ، حِينَ سَمَاعِ إِشَاعَةِ قَتْلِ الرَّسُولِ، ضَعْفَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: أَفَإِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ، أَوْ قُتِلَ، تَرَاجَعْتُمْ وَنَكَصْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَتَرَاجَعْ وَيَنْكُصْ عَلَى عَقِبَيْهِ، فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً، لأَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ، أَمَّا الذِينَ امْتَثَلُوا لأَمْرِ اللهِ، وَقَاتَلُوا عَنْ دِينِهِ، وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، فَهؤُلاءِ هُمُ الشَّاكِرُونَ، وَسَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ.
انْقَلَبَ عَلَى عَقِبَيْهِ - رَجَعَ إِلَى الوَرَاءِ، وَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ.

(كِتَاباً) (الآخِرَةِ) (الشَّاكِرِينَ)

(١٤٥) - لاَ يَمُوتُ أَحَدٌ إِلاَّ بِقَدَرِ اللهِ، وَحَتَّى يَسْتَوْفِيَ المُدَّةَ التِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُ أَجَلاً (كِتَاباً مُؤَجَّلاً)، فَلاَ يَتَقَدَّمُ عَنْهُ وَلاَ يَتَأَخَّرُ. وَإِذَا كَانَ مَحْيَا الإِنْسَانِ وَمَمَاتُهُ بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ مَحَلَّ لِلْخَوْفِ وَالجُبْنِ، وَلاَ عُذْرَ فِي الوَهَنِ وَالضَّعْفِ.

وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ تَشْجِيعٌ لِلْجُبَناءِ عَلى القِتالِ. فَإِنَّ الإِقْدامَ وَالإِحْجامَ لا يُنْقِصانِ مِنْ عُمْرِ الإِنْسانِ، وَلاَ يَزِيدانِ فِيهِ. وَمَنْ كانَ عَمَلُهُ لِلدُّنيا فَقَطْ نالَهُ مِنْها ما قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ مِنْ ثَوابِها، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ. وَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ ثَوابَ الآخِرَةِ أَعْطاهُ اللهُ مِنْ ثَوابِها، وَأَعْطاهُ مَعَها ما قَسَمَهُ لَهُ فِي الدُّنيا مِنْ نَصِيبٍ. وَاللهُ يَجْزِي الشَّاكِرِينَ الذِينَ يَعْرِفُونَ أَنْعُمَ اللهِ عَلَيهِمْ، وَيَسْتَعْمِلُونَها فِي الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ. وَيُعْطِيهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ بِمِقْدارِ شُكْرِهِمْ وَعَمَلِهِمْ.

المُؤَجَّلُ - ذُو الأَجَلِ أَوِ المُدَّةِ.

١٤٦ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ

(وَكَأَيٍّ) (قاتَلَ) (الصَّابِرِينَ)

(١٤٦) - فِي هَذِهِ الآيَةِ يُسَلِّي اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ عَمَّا وَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقالَ لَهُمْ: كَمْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ وَهُوَ يُقاتِلُ، وَكانَ مَعَهُ جَماعاتٌ كَثِيرَةٌ (رِبِّيُّونَ) مِمَّنْ آمَنُوا بِهِ، وَآعْتَقَدُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، فَما وَهَنُوا، وَما ضَعُفُوا بَعْدَ قَتْلِ النَّبِيِّ، وَما آسْتَكانُوا، وَما آسْتَذَلُّوا لِما أَصابَهُمْ فِي الجِهادِ فِي سَبيلِ اللهِ، وَفِي سَبيلِ إِعْلاءِ دِينِهِ، وَإِنَّما صَبَرُوا عَلَى قِتالِ الأَعْداءِ، وَلَمْ يَهْرُبوا مُوَلِّينَ الأَدْبارَ، لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يُقاتِلُونَ فِي سَبيلِ اللهِ لاَ فِي سَبيلِ نَبِيِّهِمْ، فَعَلَيْكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ أَنْ تَعْتَبِرُوا بِأُولَئِكَ الرِّبِّيِّينَ، وَتَصْبِرُوا كَما صَبَرُوا فَإِنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ، وَسُنَّتَهُ فِي خَلْقِهِ واحِدَةٌ.

رِبِّيُّونَ - جَماعاتٌ كَثِيرَةٌ.

الوَهْنُ - ضَعْفٌ يَلْحَقُ النَّفْسَ.

الضَّعْفُ - اخْتِلالُ قُوَّةِ الجِسْمِ.

الاسْتِكانَةُ - الخُضُوعُ لِلْخَصْمِ.

١٤٧ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ

(الْكافِرِينَ)

(١٤٧) - فَاحْتَسَبَ هَؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ (الرِّبِّيُّونَ) اللهَ عِنْدَ آشْتِدادِ الخَطْبِ، وَهُمْ يُقاتِلُونَ أَعْداءَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَوْلٍ عِنْدَ نُزُولِ الكَوارِثِ إِلاَّ الدُّعاءُ إِلَى اللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ بِجِهادِهِمْ ما كانُوا أَلَمُّوا بِهِ مِنْ ذُنُوبٍ، وَتَجاوَزُوا فِيهِ حُدُودَ الشَّرائِعِ، وأَنْ يُثَبِّتَ أَقْدامَهُمْ عَلَى الصِّراطِ القَوِيمِ، حَتَّى لاَ تُزَحْزِحَهُم الفِتَنُ، وَلا يَعْرُوهُمُ الفَشَلُ حِينَ مُقابَلَةِ الأَعْداءِ فِي ساحَةِ الحَرْبِ.

الإِسْرافُ - مُجاوَزَةُ الحَدِّ.

١٤٨ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

(فآتاهُم) (الآخِرَة)

(١٤٨) - فَآتَاهُمُ اللهُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَهُمَا ثَوَابُ الدُّنْيا، وَجمعَ لَهُمْ، إِلَى ذَلِكَ الظَّفَرِ، حُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ، وَهُوَ الفَوْزُ بِرِضْوانِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاللهُ يُحِبُّ الذِينَ يُحْسِنُونَ العَمَلَ، لأَنَّهُمْ يُقِيمُونَ سُنَّتَهُ فِي أَرْضِهِ، وَيُظْهِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَعْمالِهِمْ أَنَّهُمْ جَدِيرُونَ بِخِلاَفَةِ اللهِ فِيهَا.

١٤٩ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (أَعْقَابِكُمْ) (خَاسِرِينَ)

(١٤٩) - يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ مِنْ إِطَاعَةِ الكَافِرِينَ وَالمُنافِقِينَ، الذِينَ حَاوَلُوا إِلْقَاءَ الشُّبُهَاتِ فِي قُلُوبِ ضِعَافِ المُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيّاً حَقّاً لانْتَصَرَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمٌ وَعَلَيْهِ يَوْمٌ. (وَهؤُلاءِ هُمْ أَبُو سُفْيَانُ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ) لأَنَّ إِطَاعَتَهُمْ تُورِثُ البَوارَ فِي الدُّنْيا، بِخُضُوعِهِمْ لِسُلْطَانِهِمْ، وَذِلَّتِهِمْ بَيْنَهُمْ، وَفِي الآخِرَةِ فِيمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَبدِيِّ فِي نَارِجَهَنَّمَ، وَجَهَنَّمُ بِئْسَ المَصِيرُ وَالمُسْتَقَرُّ.

١٥٠ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ

(مَوْلاَكُمْ) (النَّاصِرِينَ)

(١٥٠) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ، وَمُوَالاتِهِ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيهِ وَحْدَهُ، لأَنَّهُ خَيْرُ نَاصِرٍ لِعِبَادِهِ المُخْلِصِينَ. أَمَّا رُؤُوسُ الكُفْرِ وَالضَّلاَلَةِ وَالنِّفاقِ فَإِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ، وَلاَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ.

١٥١ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ

(سُلْطَاناً) (وَمَأْوَاهُم) (الظَّالِمِينَ)

(١٥١) - يُبَشِّرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيُلْقِي فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِم الرُّعْبَ لأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَشْرَكُوا بِاللهِ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ، قَدْ جَعَلَ نُفُوسَ المُشْرِكِينَ مُضْطَرِبَةً، وَقُلُوبَهُمْ مُمْتَلِئَةً رُعْباً وَهَلَعاً مِنَ المُؤْمِنِينَ، حِينَما يَلْتَقُونَ بِهِمْ فِي سَاحَةِ الحَرْبِ، وَأَنَّهُ سَيَدَّخِرُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ وَنَكالَها. وَالنَّارُ بِئْسَ المَثْوى وَالنِّهَايَةُ لِلظَّالِمِينَ الكَافِرِينَ.

المَثْوَى - المَقَرُّ وَالمَأْوَى.

سُلْطَاناً - حُجَّةً وَبُرْهَاناً.

مَثْوَى الظَّالِمِينَ - مَأْوَاهُمْ وَمُقَامُهُمْ.

١٥٢ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ

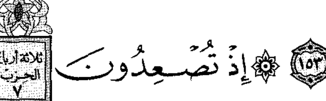
(وَتَنَازَعْتُم) (أَراكُم) (الآخِرَةَ)

(١٥٢) - لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ قَالَ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ: مِنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هذا وَقَدْ وَعَدَنَا اللهُ تَعَالَى

وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ

النَّصْـرَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ وَفِيهَا يَقُولُ لِلْمُؤْمِنينَ: إنَّهُ صَدَقَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ بِهِ مِنْ نَصْر، فَكُنْتُمْ تَقْتُلُونَهُمْ قَتْلاً ذَرِيعاً بِإِذْنِ اللهِ، وَسَلَّطَكُمْ عَلَيهِمْ، حَتَّى إذا أَصَابَكُمُ الضَّعْفُ وَالفَشَلُ، وَعَصَيْتُمْ أَمْرَ الرَّسُولِ، وَتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ، (وَهُوَ مَا وَقَع لِلرُّمَاةِ الذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ أَنْ يَلْزَمُوا مَوَاقِعَهُمْ فَتَخَلَّوا عَنْهَا)، وَكَانَ اللهُ قَدْ أَرَاكُمُ الظَّفَرَ، وَهُوَ مَا تُحِبُّونَهُ، فَكَانَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا، وَيَطْمَعُ فِي المَغْنَمِ، حِينَ رَأَوْا هَزِيمَةَ المُشْرِكِينَ، فَتَرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ عَلَى الجَبَلِ، وَمِنْكُمْ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الآخِرَةَ فِي قِتَالِهِ المُشْرِكِينَ لاَ يَلْتَفِتُ إلى المَغْنَمِ، فَثَبَتَ مَكَانَهُ وَقَاتَلَ، ثُمَّ أَدَالَ اللهُ المُشْرِكِينَ عَلَيكُمْ، وَجَعَلَ لَهُمُ الغَلَبَةَ عَلَيْكُمْ لِيَخْتَبِرَكُمْ، وَيَمتَحِنَ ثَبَاتَكُمْ عَلَى الإِيمَانِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذَلِكَ الفِعْلَ، وَهُوَ عِصْيَانُ أَمْرِ الرَّسُولِ، وَالهَرَبُ مِنَ المَعْرَكَةِ، وَمَحَا أَثَرَهُ مِنْ نُفُوسِكُمْ، حِينَمَا أَظْهَرتُمُ النَّدَمَ، وَرَجَعْتُمْ إلى اللهِ، حَتَّى صِرْتُمْ وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَفْشَلُوا. وَلَمْ يَسْمَحِ اللهُ باسْتِئْصَالِكُمْ لأَنَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤْمِنينَ.

تَحُسُّونَهُم - تَقْتُلُونَهُمْ، وَمِنْهَا سَنَةٌ حَسُوسٌ إذَا أَتَتْ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.
الفَشَلُ - عَدَمُ النَّجَاحِ - وَهُوَ الضَّعْفُ.
صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ - كَفَّكُمْ عَنْهُمْ.
لِيَبْتَلِيَكُمْ - لِيَخْتَبِرَكُمْ.



١٥٣ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

(تَلْوُونَ) (أُخْرَاكُم) (فَأَثَابَكُمْ) (أَصَابَكُمْ)

(١٥٣) - فَقَدْ صَرَفَكُمُ اللهُ عَنِ المُشْرِكِينَ فَأَخَذْتُمْ فِي الهَرَبِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ فِي الجِبَالِ، لاَ تَلْتَفِتُونَ إلى أَحَدٍ مِنَ الدَهَشِ وَالخَوْفِ، وَقَدْ خَلَّفْتُمُ الرَّسُولَ وَرَاءَكُمْ وَهُوَ يَدْعُوكُمْ إِلَى العَوْدَةِ إِلى القِتَالِ، وَيَقُولُ: هَلُمَّ عِبَادَ اللهِ أَنا رَسُولُ اللهِ، مَنْ يَكِرُّ فَلَهُ الجَنَّةُ. فَجَزَاكُمُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ الغَمَّ وَالضِّيقَ وَالشِّدَّةِ التِي تَرَكْتُمُوهَا فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِفِرارِكُمْ، بِغَمٍّ يَمْلأُ نُفُوسَكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ، وَعَلَى تَرْكِكُمْ رَسُولَ اللهِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُ، وَهُوَ ثَابِتٌ دُونَكُمْ، وَذَلِكَ لِكَيْلاَ تَهْتَمُّوا وَتَحْفِلُوا بِشَيءٍ فَاتَكُمْ، وَلا بِأَذَى أَصَابَكُمْ، وَلِتَمْرُنُوا عَلَى تَجَرُّعِ الغُمُومِ، وَاحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ، إذْ كَانَ مَا أَصَابَ النَّبِيَّ، وَمَا لَحِقَ بِنُفُوسِكُمْ مِنَ النَّدَمِ، وَهُوَ أَكْبَرُ عِنْدَكُمْ مِنْ كُلِّ شَيءٍ: أَكْبَرُ مِنَ الجِرَاحِ وَالقَتْلِ وَضَيَاعِ المَغْنَمِ. وَاللهُ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ وَمَقَاصِدِكُمْ، وَقَادِرٌ عَلَى مُجَازَاتِكُمْ عَلَيْهَا.

تُصْعِدُونَ - تَذْهَبُونَ فِي الأَرْضِ، تَبْتَعِدُونَ.
لا تَلْوُونَ - لاَ تَلْتَفِتُونَ إلَى شَيءٍ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ وَالهَلَعِ.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (١٥٤)

فِي أُخْرَاكُمْ - فِي آخِرِكُمْ وَمُؤَخَّرَتِكُمْ.
أَثَابَكُمْ - جَازَاكُمْ وَعَاقَبَكُمْ.
الغَمُّ - الضِّيقُ مِمَّا يُحِسُّ بِهِ الإِنْسَانُ.
غَمّاً بِغَمٍّ - غَمّاً مُتَّصِلاً بِغَمٍّ.

(طَائِفَةً) (طَائِفَةٌ) (الجَاهِلِيَّةِ) (هَا هُنَا)

(١٥٤) - أَصْبَحَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ فَرِيقَيْنِ:

١ - فَرِيقاً ذَكَرُوا مَا أَصَابَهُمْ فَعَرَفُوا أَنَّهُ كَانَ بِتَقْصِيرٍ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَذَكَرُوا وَعْدَ اللهِ بِنَصْرِهِمْ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَوَثِقُوا بِوَعْدِ رَبِّهِمْ، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ إِنْ غُلِبُوا فِي هَذِهِ المَرَّةِ، بِسَبَبِ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الفَشَلِ وَالتَّنَازُعِ وَعِصْيَانِ الرَّسُولِ فِيمَا أَمَرَ، فَإِنَّ اللهَ سَيَنْصُرُهُمْ بَعْدُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِم النُّعَاسَ أَمَنَةً، حَتَّى يَسْتَرِدُّوا مَا فَقَدُوا مِنْ قُوَّةٍ وَأَمْنٍ، وَلِيَذْهَبَ عَنْهُمْ مَا لحِقَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

٢ - وَفَرِيقاً أَذْهَلَهُمُ الخَوْفُ حَتَّى صَارُوا مَشْغُولِينَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُمْ إِذِ الوُثُوقُ بِوَعْدِ اللهِ، وَوَعْدِ رَسُولِهِ، لَمْ يَصِلْ إِلَى قَرَارَةِ نُفُوسِهِمْ، لأَنَّهُمْ كَانُوا غَيْرَ مُؤْمِنِينَ حَقّاً، فَعَظُمَ الخَوْفُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى ظَنُّوا بِاللهِ غَيْرَ الظَّنِّ الحَقِّ، إِذْ كَانُوا يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيّاً حَقّاً لَمَا نَصَرَ اللهُ الكُفَّارَ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَقَالٌ لاَ يَقُولُهُ إِلاَّ أَهْلُ الشِّرْكِ. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ عَلَى سَبِيلِ الإِنْكَارِ: هَلْ لَنَا مِنَ النَّصْرِ وَالفَتْحِ وَالظَّفَرِ نَصِيبٌ؟ ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ﴾، وَهُمْ يَعْنُونَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَكَانَ مَا حَدَثَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ دَلِيلاً، فِي نَظَرِهِمْ، عَلَى أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْسَ بِحَقٍّ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: إِنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي هُوَ بِقَدَرِ اللهِ، وَبِحَسَبِ سُنَنِهِ فِي الخَلِيقَةِ وَلِذَلِكَ فَلاَ أَمْرَ لأَحَدٍ غَيْرِ اللهِ.

ثُمَّ يَكْشِفُ تَعَالَى عَنْ خَبِيئَةِ نُفُوسِ هَؤُلاءِ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ، فَنُفُوسُهُمْ مَلأَى بِالوَسَاوِسِ وَالهَوَاجِسِ، وَالاعْتِرَاضَاتِ، وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ أَمْرُ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِأَيْدِينا كَمَا ادَّعَى مُحَمَّدٌ: (وَهُوَ أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ وَلأَوْلِيَائِهِ وَأَنَّهُمْ هُمُ الغَالِبُونَ) لَمَا غُلِبْنا، وَلَما قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِينَ مَنْ قُتِلَ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ، فَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ خُطَّةَ القِيَادَةِ هِيَ التِي أَوْصَلَتْهُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى مُصَحِّحاً قَوْلَ هَؤُلاءِ وَاعْتِقَادَهُمْ، قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ قَدَرَ

اللهِ سَيَقَعُ لَا مَحَالَةَ، وَلَوْ كَانَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيهِم القَتْلُ مَوْجُودِينَ فِي بُيُوتِهِمْ لَخَرَجُوا، دُونَ دَعْوَةٍ مِنَ أَحَدٍ إِلَى حَيْثُ قُدِّرَ لَهُمْ أَنْ يُقْتَلُوا، لِيُقْتَلُوا. فَهُنَاكَ أَجَلٌ مَكْتُوبٌ لا يَسْتَقْدِمُ وَلا يَسْتَأْخِرُ، وَجَعَلَ اللهُ الأَمْرَ كُلَّهُ ٱبْتِلاءً مِنْهُ، وَٱخْتِباراً لِمَا فِي صُدُورِ المُؤْمِنِينَ وَقُلُوبِهِمْ، وَتَمْحِيصاً لِمَا فِي نُفُوسِهِمْ وَتَطْهِيراً. وَلَيسَ كَالحَقِّ كَاشِفٌ لِلنُّفُوسِ وَالحَقَائِقِ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَبِالأَسْرَارِ الخَفِيَّةِ.

الأَمنَةُ ـ الأَمْنُ.

يَغْشَى ـ يُغَطِّي وَيَسْتُرُ، أيْ يَسْتَوْلِي عَلَيهِم النُّعَاسُ.

لَبَرَزَ ـ لَخَرَجَ.

لِيُمَحِّصَ ـ لِيُنَقِّيَ وَيَكْشِفَ.

ذَاتِ الصُّدُورِ ـ السَّرَائِرِ.

﴿١٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ

(الشَّيْطَانُ)

(١٥٥) ـ إِنَّ الرُّمَاةَ الذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ بِأَن يَثْبُتُوا فِي مَوَاقِعِهِمْ لِيَدْفَعُوا المُشْرِكِينَ عَنْ ظُهُورِ المُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا تَرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ لأَنَّ الشَّيْطَانَ ٱسْتَدرَجَهُمْ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى ٱرْتِكَابِ الزَّلَلِ.. وَالخَطِيئَةُ الصَّغِيرَةُ إِذا تَرَخَّصَ فِيها الإِنسَانُ سَهَّلَتِ ٱسْتِيلاءَ الشَّيْطَانِ عَلَى نَفْسِهِ. فَهُمْ إِنَّما ٱنْحَرَفُوا عَنْ أَمَاكِنِهِمْ بِتَأَوُّلٍ مِنْهُمْ، وَظَنّاً مِنْهُمْ أَنْ لَنْ تَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ كَرَّةٌ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ، فَلا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَهَابِهِمْ وَرَاءَ المَغَانِمِ فَوَاتُ مَنْفَعَةٍ، وَلا وُقُوعُ ضَرَرٍ. وَلَكِنَّ هذا التَّأَوُّلَ كَانَ سَبَباً فِيمَا جَرَى مِنَ المَصَائِبِ، وَقَدْ عَفَا اللهُ عَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَجَعَلَ عُقُوبَتَهُمْ فِي الدُّنيا تَرْبِيةً وَتَمْحِيصاً، وَاللهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَها صَغِيرَها وَكَبِيرَها.

ٱسْتَزَلَّهُم ـ أَوْقَعَهُمْ فِي الزَّلَلِ وَالخَطِيئَةِ.

بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ـ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ.

﴿١٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (لِإِخْوَانِهِمْ)

(١٥٦) ـ يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ مُشَابَهَةِ المُنَافِقِينَ (الكَافِرِينَ) فِي ٱعْتِقَادِهِمُ الفَاسِدِ، إِذْ يَقُولُونَ عَنْ إِخْوَانِهِم الذِينَ قُتِلُوا فِي الحُرُوبِ (كَانُوا غُزًّى)، أَوْ مَاتُوا وَهُم فِي أَسْفَارِهِمْ سَعْياً وَرَاءَ الرِّزْقِ فِي التِّجَارَةِ (ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ): لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَقَامُوا، وَتَرَكُوا ذَلِكَ لَمَا أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى هَذا الاعْتِقَادَ فِي نُفُوسِهِمْ لِيَزْدَادُوا أَلَماً وَحَسْرَةً عَلَى مَوْتَاهُمْ، يَزِيدَانِهِم ضَعْفاً، وَيُورِثَانِهِمْ نَدَماً

حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ

وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧

وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨

فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩

عَلَى تَمكِينِهِمْ إيَّاهُمْ مِنَ التَّعَرُّضِ لما ظَنُّوهُ سَبَباً ضَرُورِياً لِلْموتِ.

ويَرُدُّ اللهُ تعالى عَلَيهِمْ قائِلاً: إنَّ المَوْتَ والحَيَاةَ بِيَدِ اللهِ، وَإليهِ يَرْجِعُ الأمْرُ، وعِلْمُهُ وبَصَرُهُ نافِذانِ في جَميعِ خَلْقِهِ، فَعَلَى المُؤْمِنِينَ أنْ لا يَكُونُوا مِثْلَ هَؤُلاءِ في قَوْلِهِمْ وَاعْتِقادِهِمْ، وَإلاَّ أصابَهُم الضَّعْفُ والوَهَنُ والفَشَلُ؛ وَالإيمانُ الصَّادِقِ يزيدُ صَاحِبَهُ إيقاناً وتَسْلِيماً بِكُلِّ ما يَجْرِي بِهِ القَضاءُ، وَأنَّ ما وَقَعَ كانَ لا بُدَّ لَهُ مِنْ أن يَقَعَ.

غُزًّى - غُزاةً فِي سَبِيلِ اللهِ.

الضَّرْبُ فِي الأرْضِ - السَّفَرُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالتِّجارَةِ.

(وَلَئِن)

(١٥٧) - فَالذِينَ يُقتَلُونَ وَهُمْ يُجاهِدُونَ في سَبيلِ إعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَنَصْرِ دِينِهِ، أوْ يَمُوتُونَ فِي أثْناءِ الجِهادِ، سَيَجِدُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ مَغْفِرَةً تَمْحُو ما كَانَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَرَحْمَةً ورِضْواناً خَيْراً مِنْ جميعِ ما يَتَمَتَّعُ بِهِ الكُفَّارُ مِنَ المالِ وَالمَتاعِ فِي هَذِهِ الدُّنيا الفانِيَةِ، فَهذا ظِلٌّ زائِلٌ، وَذاكَ نَعِيمٌ خالِدٌ.

(وَلَئِن)

(١٥٨) - وَبِأيِّ سَبَبٍ كَانَ هَلاكُكُمْ، فإنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إلَى اللهِ لِيَجْزِيَكُمْ عَلَى أعْمالِكُمْ ما تَسْتَحِقُّونَ، فآثِرُوا ما يُقَرِّبُكُمْ إلى رَبِّكُمْ، وَيُحَقِّقُ لَكُمْ رِضاهُ. فَعَلَيْكُمْ بِطاعَةِ اللهِ وَالجِهادِ فِي سَبِيلِهِ.

(١٥٩) - لَقَدْ كَانَ مِنْ أصْحابِكَ ما يَسْتَحِقُّ المَلامَةَ وَالتَّعْنِيفَ، بِمُقْتَضى الطَّبيعَةِ البَشَرِيَّةِ، إذْ تَخَلَّوْا عَنْكَ حِينَ اشْتِدادِ الحَرْبِ، وَشَمَّرُوا لِلْهَزِيمَةِ والحَرْبُ قائِمَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ لِنْتَ لَهُمْ، وَعامَلْتَهُمْ بالحُسْنَى، لِرَحْمَةٍ أوْدَعَها اللهُ فِي قَلْبِكَ، وَخَصَّكَ بِها. وَقَدْ مَدَحَ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ ﷺ بِحُسْنِ الخُلُقِ فِي أكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتابِهِ العَزِيزِ. ثُمَّ قالَ لَوْ كُنْتَ خَشِناً جَافِياً فِي مُعامَلَتِهِمْ لَتفرَّقُوا عَنْكَ، وَلَنَفَرُوا مِنْكَ، وَلَمْ يَسْكُنُوا إلَيكَ، وَلكِنَّ اللهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ، وَالآنَ جانِبَكَ لَهُمْ تَألُّفاً لِقُلُوبِهِمْ. ثُمَّ أمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بأن يَتجاوَزَ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ وهَفَواتِهِمْ، وَأنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُم اللهَ، وَأنْ يُشاوِرَهُمْ فِي الأمْرِ تَطيِيباً لِقُلُوبِهِمْ، وَشَحْذاً لِهِمَمِهِمْ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعالَى لِرَسُولِهِ: فَإذا شَاوَرْتَهُمْ فِي الأمْرِ، وَعزمتَ عَلَى إنْفاذِهِ، فَتوكَّلْ عَلَى اللهِ فيهِ، لأنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ يَتوكَّلُ عَلَيهِ، وَيَثِقُ بِنَصْرِهِ.

فَبِمَا رَحْمَةٍ - فَبِسَبَبِ رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ رُكِّبَتْ فِيكَ.

(١٦٠) إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(١٦١) وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(١٦٢) أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

(١٦٣) هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ

الفظُّ - الخَشِنُ أوِ الشَّرِسُ الأخْلَاقِ.
الغليظُ - القَاسِي.
انْفضَّ القوْمُ - تفرَّقُوا.

(١٦٠) - النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَإِنْ قَدَّرَ اللهُ نَصْرَكُمْ فَلَنْ يَغْلِبَكُمْ أَحَدٌ، كَمَا وَقَعَ يَوْمَ بَدْرٍ، حِينَ عَمِلْتُمْ بِسُنَّتِهِ. وَإِنْ قَدَّرَ خِذْلَانَكُمْ بِمَا كَسَبَتْ أيدِيكُمْ مِنَ الفَشَلِ وَالتَّنازُعِ والعِصْيَانِ، كَمَا جَرَى يومَ أحُدٍ، فَلا نَاصِرَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ. وَعَلَى المُؤْمِنِينَ أنْ يَتوكَّلُوا عَلَى اللهِ، وَأنْ يُسلِّمُوا أمُورَهُمْ إليهِ.
فلاَ غالِبَ لَكُم - فلاَ قاهِرَ.

(القيامة)

(١٦١) - يُنَزِّهُ اللهُ تعالَى فِي هَذِهِ الآيةِ رَسُولَهُ الكَرِيمَ عَنْ أخْذِ شَيءٍ مِنَ المَغْنَمِ خِلْسَةً (عَنِ الغُلُولِ)، وَعَنِ الخِيَانَةِ فِي أدَاءِ الأمَانَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أنْ يَغُلَّ لأنَّ اللهَ عَصَمَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى مَنْ يَغُلُّ بأنَّهُ سَيأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُوَ يَحْمِلُ مَا غَلَّ لِيُحَاسَبَ عَلَيهِ، وَاللهُ لاَ يَظْلِمُ أحداً مِنْ خَلْقِهِ.

(هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ المَغْنَمِ، فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ لَعَلَّ رَسُولَ اللهِ أخَذَهَا).
الغُلُولُ - الخِيانَةُ فِي المَغْنَمِ وَأخْذُ شيءٍ مِنْهُ خِلْسَةً.

(رِضْوَانَ) (مَأْوَاهُ)

(١٦٢) - لاَ يَسْتَوِي مَنِ اتَّبَعَ أمْرَ اللهِ فِيمَا شَرَعَهُ، وَتَرَكَ الغُلُولَ وَغَيْرَهُ مِنَ الفَوَاحِشِ وَالمُنْكَرَاتِ، حَتَّى زَكَتْ نَفْسُهُ، فَاسْتَحَقَّ رِضْوَانَ اللهِ، وَجزيلَ ثَوَابِهِ، مَعَ مَنِ اسْتَحَقَّ غَضَبَ اللهِ بِفِعْلِ الخَطَايا، وَارْتِكَابِ الذُّنُوبِ: مِنْ سَرِقَةٍ، وَخِيَانَةِ أمَانَةٍ، وَغُلُولٍ، وَقَتْلٍ، وَسَلْبٍ... فَكَانَ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً.
بَاءَ بِسَخَطٍ - رَجَعَ مُتَلَبِّساً بِغَضَبٍ شَدِيدٍ.

(دَرَجَاتٌ)

(١٦٣) - يُخَبِّرُ اللهُ تَعَالَى انَّ أهْلَ الخَيْرِ الذِينَ اسْتَحَقُّوا رِضْوَانَ اللهِ، وَأهلَ الشَّرِّ الذِينَ بَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَبِ أعْمَالِهِمْ، وَاللهُ بَصِيرٌ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، وَسَيُوفِّيهِمْ أعْمَالَهُمْ، وَلا يَظْلِمُهُمْ خَيْراً فَعلُوهُ، وَلاَ يَزِيدُهُمْ شَرّاً لَمْ يَفْعَلُوهُ.

﴿١٦٤﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ

(يَتْلُو) (آيَاتِهِ) (الْكِتَابَ) (ضَلَالٍ)

(١٦٤) - مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ جِنْسِهِمْ، وَمِنْ أَهْلِ بَلَدِهِمْ وَلُغَتِهِمْ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ مُخَاطَبَتِهِ وَمُجَالَسَتِهِ، وَالانْتِفَاعِ بِصُحْبَتِهِ وَسُؤَالِهِ عَمَّا يَسْتَشْكِلُ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ، وَيَتْلُو عَلَيهِم القُرآنَ (آياتِ اللهِ) وَيَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنكَرِ، لِتَزْكُو أَنْفُسُهُم، وَتَطْهُرَ مِنْ أَرْجَاسِ الجَاهِلِيَّةِ، وَيُعَلِّمُهُمْ القُرْآنَ (الكِتَابَ) والسُّنَّةَ (الحِكْمَةَ) فَقَدْ كَانُوا قَبْلَ هَذا الرَّسُولِ فِي غَيٍّ وَجَهَالَةٍ (ضَلَالٍ) ظَاهِرَيْنِ لِكُلِّ أَحَدٍ.

مِنْ أَنْفُسِهِمْ - مِنْ جِنْسِهِمْ وَلُغَتِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

الضَّلالَةُ - الجَهالَةُ.

يُزَكِّيهِمْ - يُطَهِّرُهُمْ مِنْ أَرْجَاسِ الجَاهِلِيَّةِ.

﴿١٦٥﴾ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(أَصابَتْكُمْ)

(١٦٥) - لَا تَعْجَبُوا يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِمَّا حَلَّ بِكُمْ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، فَإِنَّ خِذْلَانَكُم فيها لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ ظَفَرِكُمْ فِي بَدْرٍ، فَقد كَانَ ظَفَرُكُمْ فِي بَدْرٍ ضِعْفَيْ نَصْرِهم في أُحُدٍ، فَقَدْ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعُونَ رجلاً في أُحُدٍ، وَقَتَلْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ سَبْعِينَ رَجُلاً في بَدْرٍ وَأَسَرْتُمْ سَبْعِينَ رجلاً، أيْ مِثْلَي مَا أَصَعْتُم، وأنتم الآنَ تَتَسَاءَلُونَ كَيْفَ حَدَثَ هذا؟ فَأَنْتُمْ تُدَافِعُونَ عَنِ الإسلامِ، وَهُمْ يُدَافِعُونَ عَنِ الشِّرْكِ. فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ مَا حَدَثَ كَانَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، إِذْ كَانَ سَبَبَهُ فَشَلُكُمْ، وَتَنَازُعُكُمْ فِي الأَمْرِ، وَمُخَالَفَتُكُمْ أَمْرَ رَسُولِكُمْ، فَقَدْ كَانَ مِنْ رَأيِ الرَّسُولِ ﷺ عَدَمُ الخُرُوجِ مِنَ المَدِينَةِ، فَإِذا جَاءَ المُشْرِكُونَ إِلَيْكُمْ قَاتَلْتُمُوهُمْ عَلَى أَبْوابِها، وَظُهُورُكُمْ مَحْمِيَّةٌ، فَطَالَبَ بَعْضُكُمْ بِالخُرُوجِ، وَرَجَعَ ثُلُثُ الجَيْشِ الإِسْلَامِيِّ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، وَهَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا. ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَمَرَ الرُّمَاةَ بِلُزُومِ أَمَاكِنِهِمْ، وبِعَدَمِ تَرْكِهَا مَهْمَا كَانَتْ نَتِيجَةُ المَعْرَكَةِ، فَتَرَكُوهَا حِينَمَا لَاحَتْ بَشَائِرُ النَّصْرِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ هُجُومُ فُرْسَانِ المُشْرِكِينَ مِنَ الخَلْفِ، فَتَبَدَّلَ نَصْرُ المُسْلِمِينَ إِلَى هَزِيمَةٍ. وَاللهُ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَهُوَ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا مُعَقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ، فَهُوَ القَادِرُ عَلَى نَصْرِكُمْ، إِنْ أَطَعْتُمْ وَثَبَتُّمْ وَصَبَرْتُمْ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى التَّخَلِّي عَنْكُمْ إِنْ خَالَفْتُمْ وَعَصَيْتُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ رَبَطَ المُسَببَاتِ بِالأَسْبَابِ، وَلَا يَشُذُّ عَنْ ذَلِكَ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ.

﴿١٦٦﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

﴿١٦٧﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ

﴿١٦٨﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

المُرَادُ بِالمُصِيبَةِ - مَا أَصَابَ المُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ.

مِثْلَيْهَا - ضِعْفَيهَا.

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ - بِشُؤْمِ مَعْصِيَتِكُمْ، وَسُوءِ تَصَرُّفِكُمْ.

أَنَّى هَذَا - مِنْ أَيْنَ لَنَا هَذَا الخِذْلاَنُ.

(أَصَابَكُمْ)

(١٦٦) - مَا أَصَابَكُمْ يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، حِينَمَا التَقَيْتُمْ بِعَدوكُمْ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ، وَمَا حَلَّ بِكُمْ مِنْ هَزِيمَةٍ وَقَتْلٍ، إِنَّمَا كَانَ بِإِذْنِ اللهِ وَقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ السَّابِقِ، الذِي جَعَلَ المُسَبِّبَاتِ نَتَائِجَ لأَسْبَابِهَا، فَكُلُّ عَسْكَرٍ يَعْصِي قَائِدَهُ، وَيَكْشِفُ ظَهْرَهُ لِعَدُوِّهِ يُصَابُ بِمِثْلِ مَا أُصِبْتُمْ بِهِ، وَأَكْثَر مِنْهُ، وَللهِ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ فِي ذَلِكَ، لأَنَّ الشَّدَائِدَ تَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَةِ المُؤْمِنِينَ الذِينَ صَبَرُوا وَثَبَتُوا، وَلَمْ يَتَزَلْزَلُوا أَمَامَ العَدُوِّ.

الجَمْعَانِ - هُمَا جَيْشَا المُؤْمِنِينَ وَالمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ.

بِإِذْنِ اللهِ - بِإِرَادَتِهِ الأَزَلِيَّةِ.

(قَاتِلُوا) (لاَتَّبَعْنَاكُمْ) (يَوْمَئِذٍ) (لِلإِيمانِ) (بِأَفْوَاهِهِمْ)

(١٦٧) - وَالشَّدَائِدُ تُظهِرُ المُنَافِقِينَ الذِينَ تَبَطَّنُوا بِالكُفْرِ، وَأَظْهَرُوا الإِيمَانَ، مِنْ جَمَاعَةِ ابْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، الذِينَ رَجَعُوا إِلَى المَدِينَةِ قَبْلَ المَعْرَكَةِ، فَلَحِقَ بِهِمْ رِجَالٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَدْعُونَهُمْ لِلْعَوْدَةِ إِلَى الصَّفِّ، وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى القِتَالِ، وَمُسَاعَدَةِ المُسْلِمِينَ، وَإِكْثَارِ عَدَدِهِمْ أَمَامَ المُشْرِكِينَ (أَوِ ٱدْفَعُوا)، فَرَدُّوا مُتَعَلِّلِينَ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ حَرْباً لاتَّبَعْنَاكُمْ، وَلَكِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَنْ تُقَاتِلُوا عَدُوّاً. وَهُمْ يَقُولُونَ هَذا القَوْلَ بِأَفواهِهِمْ، وَلكِنَّهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ يَعْتَقِدُونَ غَيْرَهُ. وَهُمْ حِينَما قَالُوا هذا القَوْلَ كَانُوا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَقرَبَ لِلْكُفْرِ مِنْهُمْ إِلَى الإِيمَانِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الكُفْرِ وَالكَيْدِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَسَيُعَاقِبُهُمْ عَلَيهِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

(لإِخْوانِهِمْ) (فَادْرَؤُوا) (صَادِقِينَ)

(١٦٨) - وَهَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ الذِينَ قَعَدُوا عَنِ الجِهَادِ، هُمُ الذِينَ قَالُوا عَنْ إِخْوَانِهِم الذِينَ قُتِلُوا فِي المَعْرَكَةِ: لَوْ سَمِعُوا مَشُورَتَنَا فِي القُعُودِ، وَعَدَمِ الخُرُوجِ لَمَا قُتِلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ مُسْتَنْكِراً قَوْلَهُمْ هَذا: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَوْ كَانَ القُعُودُ يَسْلَمُ بِهِ الشَّخْصُ مِنَ القَتْلِ وَالمَوْتِ، فَيَنْبَغِي عَلَيْكُمْ أَلاَّ تَمُوتُوا.

﴿١٦٩﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ

﴿١٧٠﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ

الحزب ٨

﴿١٧١﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ

وَلَكِنَّ المَوْتَ آتٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ.

ادْرَؤُوا - ادْفَعُوا.

(أَمْوَاتاً)

(١٦٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَلَكِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ تُرْزَقُ عِنْدَ اللهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا إِلاَّ الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنيا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى مِمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ).

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: عَلَيهِمْ أَلاَّ يَنْخَدِعُوا بِمَا يَقُولُهُ المُنَافِقُونَ، وَمَا يَفْعَلُونَهُ، فَهُمْ يُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنيا عَلَى الآخِرَةِ، لارْتِيَابِهِمْ فِي البَعْثِ وَالحِسَابِ فِي الآخِرَةِ، فَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ رِزْقاً حَسَناً يَعْلَمُهُ هُوَ.

(آتَاهُمُ)

(١٧٠) - وَيَكُونُ الشُّهَدَاءُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَرِحِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالغِبْطَةِ، الَّتِي مَنَّ اللهُ بِهَا عَلَيْهِمْ، مُسْتَبْشِرِينَ بِإِخْوَانِهِم الذِينَ يُقْتَلُونَ بَعْدَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَنَّهُمْ يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ حِينَمَا يُسْتَشْهَدُونَ، لاَ يَخَافُونَ مِمَّا أَمَامَهُمْ، وَلا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكُوهُ فِي الدُّنْيا.

الاسْتِبْشَارُ - السُّرُورُ الحَاصِلُ بِالبِشَارَةِ.

الذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ - البَاقُونَ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ.

(١٧١) - وَهُمْ مُسْتَبْشِرُونَ مِنْ تَلَقِّيهِمْ مَا يُفِيضُهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالفَضْلِ وَالثَّوَابِ، وَمِنْ يَقِينِهِمْ بِأَنَّ اللهَ لاَ يُضَيِّعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ.

(١٧٢) - بَعْدَ أَنِ انْصَرَفَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ يَوْمَ أُحُدٍ مُتَّجِهَةً إِلَى مَكَّةَ، نَدِمَتْ عَلَى الانْصِرَافِ قَبْلَ اسْتِئْصَالِ شَأْفَةِ المُسْلِمِينَ، وَالقَضَاءِ عَلَيْهِمْ، فَفَكَّرُوا فِي العَوْدَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

وَعَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَنَدَبَ المُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ وَرَاءَ المُشْرِكِينَ لِيُثْنِيَهُمْ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي العَوْدَةِ، وَأَمَرَ بِأَلاَّ يَخْرُجَ مَعَهُ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ أُحُداً، فَتَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى الخُرُوجِ مَعَهُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيهِ مِنْ جِرَاحٍ.

وَقَدْ وَعَدَ اللهُ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ هَؤُلاءِ المُسْتَجِيبِينَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَٱتَّقَى أَجْراً عَظِيماً.

القَرْحُ - الجِرَاحُ.

الإِحْسَانُ - القِيَامُ بِالعَمَلِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾

(إيماناً)

(١٧٣) - وَخَافَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يَجْمعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ المَدِينَةِ مِمَّنْ لَمْ يَشْتَرِكُوا فِي المَعْرَكَةِ، وَيَخْرُجَ وَرَاءَهُمْ، فَأَرْسَلُوا إِلَيهِ بَعْضَ نَاقِلِي الأَخْبَارِ لِيُهَوِّلُوا عَلَيْهِ، لِيَكُفَّ عَنِ اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَقَالَ نَاقِلُو الأَخْبَارِ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ (النَّاس) قَدْ حَشَدُوا لَكُمْ، وَجَمَعُوا قِوَاهُمْ، فَٱحْذَرُوهُمْ، وَٱخْشَوْهُمْ، فَلَمْ يَزِد هذا القَوْلُ هَؤُلاءِ المُؤْمِنِينَ - الذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ القَرْحُ وَخَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُلَبِّينَ دَعْوَتَهُ، رَاغِبِينَ فِي نَيْلِ رِضْوَانِ رَبِّهِمْ وَنَصْرِهِ - إِلاَّ إِيمَاناً بِرَبِّهِمْ، وَثِقَةً بِوَعْدِهِ وَنَصْرِهِ وَأَجْرِهِ، وَرَدُّوا عَلَى مُخَاطِبِيهِمْ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ، وَهُوَ حَسْبُهُمْ.

جَمَعُوا لَكُمْ - حَشَدُوا لَكُمْ قُوَاهُمْ.

﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾

(رِضْوَانَ)

(١٧٤) - فَلَمَا تَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ كَفَاهُم اللهُ مَا أَهَمَّهُمْ وَأَغَمَّهُمْ، وَرَدَّ عَنْهُمْ بَأسَ النَّاسِ (الكَافِرِينَ)، فَرَجَعُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَقَدْ فَازُوا بِرِضْوَانِ اللهِ، وَعَظِيمِ فَضْلِهِ، وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ.

(خَرَجَ المُسْلِمُونَ مَعَ الرَّسُولِ إلى مَوْقِعٍ يُعْرَفُ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَأَرْسَلَ إِلى المُشْرِكِينَ رُسُلاً يُحَذِّرُونَهُمْ، فَخَافَتْ قُرَيشٌ وَتَابَعَتْ سَيْرَهَا نَحْوَ مَكَّةَ).

وَكَانَ أَبو سُفْيَانَ قَدْ وَاعَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَدْراً مِنَ العَامِ القَابِلِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالمُسْلِمِينَ إلى بَدْرٍ فِي المَوْعِدِ المُحَدَّدِ، وَتَخَلَّفَتْ قُرَيشٌ، فَٱشْتَرى رَسُولُ اللهِ عِيْراً مَرَّتْ بِهِمْ فِي المَوْسِمِ، ثُمَّ بَاعَهَا فَرَبِحَ، وَوَزَّعَ الرِّبْحَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَانْقَلَبُوا مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ الثَّانِيَةِ لَمْ يَمْسَسهُمْ سُوءٌ، وَنَالُوا رِضْوَانَ اللهِ، وَحَصَلُوا عَلَى فَضْلِهِ فِي الرِّبْحِ. وَاللهُ عَظِيمُ الفَضْلِ عَلَى عِبَادِهِ.

ٱنْقَلَبُوا - رَجَعُوا.

الفَضْلُ - هُوَ هُنَا الرِّبْحُ فِي التِّجَارَةِ.

﴿١٧٥﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(الشَّيْطَانُ)

(١٧٥) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ، أنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الذِي يَخَوِّفُكُمْ مِنْ أوْلِيَائِهِ المُشْرِكِينَ، وَيُوهِمُكُمْ أَنَّهُمْ ذَوُو بَأسٍ وَقُوَّةٍ، وَهُوَ الذِي قَالَ لَكُمْ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ. فَلاَ تَخَافُوا أوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، وَتَوكَّلُوا عَلَى اللهِ، والْجَؤُوا إليهِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ حَقّاً، فَإنَّهُ كَافِيكُمْ إيَّاهُمْ، وَنَاصِرُكُمْ عَلَيهِمْ. وَخَافُوهُ هُوَ فَهُوَ القَادِرُ عَلَى النَّصْرِ وَعَلَى الخِذْلاَنِ، وَعلى الضَّرِّ وَالنَّفعِ.

يُخوِّفُ أوْلِيَاءَه - يُخَوِّفُكُمْ مِنْ أنْصَارِهِ المُشْرِكِينَ.

﴿١٧٦﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(يُسَارِعُونَ)

(١٧٦) - لاَ يَحْزُنْكَ يَا أيُّها الرَّسُولُ، مُسَارَعَةُ المُنَافِقِينَ وَاليَهُودِ إلَى نُصْرَةِ المُشْرِكِينَ، وَاْهتِمَامُهُمْ بِهِمْ، وَمُحَاوَلَةُ تَثْبِيطِ عَزَائِمِ المُؤْمِنينَ عَنْ حَرْبِهِمْ وَمُقَاوَمَتِهِمْ، وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا أوْلِيَاءَ اللهِ شَيْئاً (وَهُمُ النَّبِيُّ وَأتْبَاعُهُ). وَعَاقِبَةُ مُسَارَعَتِهِمْ فِي الكُفْرِ سَتَكُونُ وبَالاً عَلَيْهِمْ، لاَ عَلَيْكَ، وَلاَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَإنَّ هَؤُلاءِ لاَ يُحَارِبُونَكَ، وَإنَّمَا يُحَارِبُونَ اللهَ، وَهُمْ أعْجَزُ مِنْ أنْ يُحَارِبُوا اللهَ، وَلِذَلِكَ فَإنَّهُمْ لاَ يَضُرُّونَ إلاَّ أنْفُسَهُمْ. وَاللهُ يَمُدُّ لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ لأنَّهُ قَضَى بِأنْ يَحْرِمَهُمْ مِنْ نَعِيمِ الآخِرَةِ وَثَوابِهَا، وَأعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً عَظِيماً.

لاَ يَحْزُنْكَ - لاَ يَحْمِلْكَ تَصَرُّفُهُمْ عَلَى الحُزْنِ.

يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ - يُسَارِعُونَ فِي نُصْرَةِ الكَافِرِينَ.

﴿١٧٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(بِالإِيمَان)

(١٧٧) - وَالذِينَ اسْتَبْدَلُوا (اشْتَرَوا) الكُفْرَ بالإِيمَانِ، رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي الكُفْرِ، وَإعْرَاضاً مِنْهُمْ عَنِ الإِيمَانِ، لَنْ يُلْحِقُوا ضَرَراً بِاللهِ، وَإنَّمَا يَضُرُّونَ أنْفُسَهُمْ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ ألِيمٌ.

اشتروا - استبدلوا.

﴿١٧٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

(١٧٨) - إذَا كَانَ الكَافِرُونَ يَعْتَقِدُونَ بِأنَّ مَا يَمُدُّهُمْ بِهِ اللهُ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ وَإمْهَالٍ وَإطَالَةِ عُمْرٍ، هُوَ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ لأنَّهُ فِي ظَنهِمْ دَلِيلٌ عَلَى صَوَابِ مَسْلَكِهِمْ، وَعَلَى رِضَا اللهِ عَنْهُمْ، فَهُمْ وَاهِمُونَ، فَإنَّ اللهَ يَمُدُّهُمْ لِيَزْدَادُوا ضَلالاً وَإثْماً، فَتَحِقَّ عَلَيهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَقَدْ أعَدَّ اللهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَاباً مُهِيناً.

مُهِينٌ - مُذِلٌّ.

أمْلَى لِفَرَسِهِ - أرْخَى لَهَا الطُّوَلَ لِتَرْعَى، وَهُنا مَعْنَاهُ الإِمْهَالُ.

﴿١٧٩﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ

(فَآمِنُوا)

(١٧٩) - مَا كَانَ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي عِبَادِهِ أَنْ يَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ آمْتِحَانٍ وَتَمْحِيصٍ، لِيَظْهَرَ لَهُ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ، وَيَنْكَشِفَ الْمُنَافِقُ الفَاجِرُ، وَيَبِينَ وَلِيُّ اللهِ، وَيَفْتَضِحَ عَدُوُّهُ، فَامْتَحَنَهُمُ اللهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَظَهَرَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ، وَهَتَكَ أَسْتَارَ الْمُنَافِقِينَ، بِإِظْهَارِ مُخَالَفَتِهِمْ، وَنُكُولِهِمْ عَنِ الجِهَادِ، وَخِيَانَتِهِمْ لِلرَّسُولِ، فَعَرَفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَخَذُوا يَحْذَرُونَهُمْ. وَأَنْتُمْ أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ لاَ تَعْلَمُونَ غَيْبَ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُطْلِعَ عَامَّةَ خَلْقِهِ عَلَى غَيْبِهِ. وَلِذَلِكَ آقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ وَسِيلَةُ تَمَيُّزِ الخَبِيثِ مِنَ الطَّيِّبِ، وَالْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُنَافِقِ، وَهذِهِ الوَسِيلَةُ تَبْتَدِئُ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، فَيُؤْمِنُ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ، وَيَكْفُرُ مَنْ يَكْفُرُ، ثُمَّ يَقُومُ الرُّسُلُ بِالجِهَادِ فَيَبْتَلِي الرُّسُلُ أَصْحَابَهُمْ بِهِ، وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَتِمُّ أَمْرُ اللهِ وَيَتَمَيَّزُ الخبيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَتَطْهُرُ القُلُوبُ والنُّفُوسُ. ثُمَّ يَدْعُو اللهُ تَعَالَى النَّاسَ إلى الإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ - وَمِنْهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ - وَمَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ فَقَدْ آمَنَ بِالرُّسُلِ السَّابِقِينَ جَمِيعاً، لأَنَّهُ جَاءَ مُصَدِّقاً الرُّسُلَ السَّابِقِينَ.

مَيَّزْتُ الشَّيءَ بعضَهُ عَنْ بَعْضٍ - فَرَزْتُهُ وَأَزَلْتُهُ.

آجْتَبَى - آصْطَفَى وَآخْتَارَ.

﴿١٨٠﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(آتَاهُمْ) (الْقِيَامَةِ) (مِيرَاثُ) (السَّمَاوَاتِ)

(١٨٠) - وَلاَ يَظُنَّنَّ أَحَدٌ أَنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعَمِهِ، (كَمَنْعِ الزَّكَاةِ، وَعَدَمِ البَذْلِ حِينَمَا تَتَعَرَّضُ الأُمَّةُ لِلْمَكَارِهِ. .) هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ، وَإِنَّما هُوَ مَضَرَّةٌ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، لأَنَّ العَبْدَ مُطَالَبٌ بِشُكْرِ اللهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالبُخْلُ كُفْرَانٌ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَصْدُرَ عَنْ عَاقِلٍ. وَحِينَما يَتَهَدَّدُ الخَطَرُ الأُمَّةَ، وَيَقْتَضِي الأَمْرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ البَذْلَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ لاَ يَبْخَلُوا لأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى دَفْعِ الضَّرَرِ عَنِ النَّفْسِ وَالمَالِ؛ وَالبُخْلُ وَالامْتِنَاعُ عَنِ البَذْلِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ شَرٌّ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ. أَمَّا فِي دِينِهِمْ فَإِنَّ اللهَ يَتَهَدَّدُهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ بِالمَالِ الذي بَخِلُوا بِهِ، وَيَلْزَمُهُمُ الإِثْمُ وَالذَّنْبُ، وَلاَ يَجِدُونَ إِلى دَفْعِهِ سَبِيلاً.

وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَالمَالُ كُلُّهُ صَائِرٌ إِلَيهِ، فَمَا لِهَؤلاَءِ يَبْخَلُونَ عَلَيهِ بِمَالِهِ، وَلاَ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِهِ، وَهُوَ لاَ تَخْفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ العِبَادِ؟

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا - سَيُلْزَمُونَ إِثْمَهُ فِي الآخِرَةِ كَمَا يَلْزَمُ الطَّوقُ الرَّقَبَةَ

مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ - مَا يَتَوارَثُهُ أَهْلُهُمَا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ.

(١٨١) لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ

(١٨١) ـ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعالَى قَوْلَهُ: ﴿مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[1] قالَتِ اليَهُودُ: يا مُحَمَّدُ أَفْتَقَر رَبُّكَ فَيَسْأَلُ عِبادَهُ القَرْضَ؟ وَرُوِيَ أَنَّ أَبا بَكْرٍ لَقِيَ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ فَدَعاهُ إلى الإِسْلامِ، فَقالَ لَهُ اليَهُودِيُّ: يا أَبا بَكْرٍ مَا بِنا إلى اللهِ مِنْ حاجَةٍ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إلينا لَفَقِيرٌ، ما نَتَضَرَّعُ إليه كَما يَتَضَرَّعُ إلينا، وَإِنا عَنْهُ أَغْنِياءُ، وَلَوْ كانَ عَنّا غَنِيّاً ما آسْتَقْرَضَ مِنّا كَما يَزْعُمُ صاحِبُكُمْ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى هٰذِهِ الآيَةَ.

وَيَتَوَعَّدُ اللهُ تَعالَى اليَهُودَ بِأَنَّهُ سَمِعَ ما قالُوا، وَسَيَكْتُبُهُ وَيُسَجِّلُهُ عَلَيهِمْ، وَسَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيهِ، كَما سَيُحَاسِبُهُمْ عَلى رِضاهُمْ بِما قامَ بِهِ أَسْلافُهُمْ مِنْ قَتْلِهِم الأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍ، وَسَيَجْزِيهِم اللهُ عَلَيهِ شَرَّ الجَزاءِ. وَيَقُولُ لَهُمْ تَعالَى يَوْمَ القِيامَةِ: ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ.

عَذابَ الحَرِيقِ ـ العَذابَ المُحْرِقَ.

(١٨٢) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ

(١٨٢) ـ وَهٰذا العَذابُ المُحْرِقُ الذي تَذُوقُونَهُ، إِنَّما وَقَعَ بِكُمْ بِسَبَبِ ما قَدَّمَتْهُ أَيْدِيكُمْ مِنْ عَمَلٍ سَيِّءٍ، وَكُفْرٍ وَظُلْمٍ، وَقَتْلٍ لِلأَنْبِياءِ، وَقَوْلٍ: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ بِكُمْ هٰذا العِقابَ بِالحَقِّ، وَالعَدْلِ، وَهُوَ لا يَظْلِمُ أَحداً مِنْ خَلْقِهِ.

العَبِيدُ ـ العِبادُ.

(١٨٣) ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(بِالْبَيِّنَاتِ) (صَادِقِينَ)

(١٨٣) ـ لَمَّا دَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ اليَهُودَ إلى الإِسْلامِ، رَدَّ عَلَيهِ بَعْضُ رُؤَسائِهِمْ (مِثْلُ كَعبِ بْنِ الأَشْرَفِ، وَمالِكِ بْنِ الصَّيفِ، وَفِنْحاسِ بْنِ عازُوراءَ) قائِلِينَ: إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِمْ أَنْ لا يُؤْمِنُوا لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَ بِمُعْجِزَةٍ، مِنْها أَنْ يَكُونَ إِذا قَرَّبَ قُرْباناً إلى اللهِ، (أَيْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ) فَتُقُبِّلَ مِنْهُ، تَنْزِلُ نارٌ مِنَ السَّماءِ فَتَحْرُقُ القُرْبانَ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعالَى عَلَيْهِمْ مُكَذِّباً مَقالَتَهُمْ، فَقالَ لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ، قُلْ لَهُمْ: لَقَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ قَبْلِي بِالحُجَجِ وَالبَراهِينِ، وَبِنارٍ تَأْكُلُ القَرابِينَ المُتَقَبَّلَةَ (وَهُوَ الذي قالُوهُ وَطَلَبُوهُ) فَلِماذا قَتَلْتُمُوهُمْ، وَكَذَّبْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُم صادِقِينَ؟

(١) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

﴿١٨٤﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ

﴿١٨٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا
تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ
فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ

ربع الحزب ٨

﴿١٨٦﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ
أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ
ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى

القُرْبَانُ - مَا يُتَقرَّبُ بِهِ إلى اللهِ مِنْ حَيوانٍ وَغَيْرِهِ.
البَيِّنَاتِ - المُعْجزاتِ الوَاضِحَة.

(جَاؤُوا) (بِالْبَيِّنَاتِ) (وَالْكِتَاب)

(١٨٤) - وَيُعَزِّي اللهُ رَسُولَهُ قَائِلاً: إنْ كَذَّبكَ هَؤُلاءِ فَلا يَهُمَّنَّكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَكَ أُسْوَةٌ بِمَنْ جَاءَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، الذِينَ جَاؤُوا المُكَذِّبِينَ مِنْ أقوامِهِمْ بالبَيِّنَاتِ والحُجَجِ وَالبراهينِ القَاطِعَةِ، والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ (الزُّبُرِ) والكِتَابِ الوَاضِحِ الجَلِيِّ (الكِتَابِ المُنيرِ)، وَأتَوا بالقُرْبانِ الذي تَأكُلُهُ النَّارُ... فَقُوبِلُوا مِنْهُمْ بالتَّكْذِيبِ والمُعَانَدَةِ، وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ كَزَكَرِيّا وَيَحْيى، وَهَذا دَلِيلٌ عَلَى أنَّهُمْ قَوْمٌ غِلاظُ الأكْبَادِ، قُسَاةُ القُلُوبِ، لا يُقِيمُونَ الحَقَّ، ولا يُذْعِنُونَ لَهُ.
الزُّبُر - كُتُبِ المَوَاعِظِ وَالزَّوَاجِرِ.

(ذَائِقَةُ) (الْقِيَامَةِ) (الْحَيَاةُ) (مَتَاعُ)

(١٨٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ طَعْمَ المَوْتِ، وَتُحِسُّ بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ. وَٱسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى أنَّ الأرْوَاحَ لاَ تَمُوتُ بِمَوْتِ البَدَنِ، لأنَّ الذَّوْقَ شُعُورٌ لاَ يُحِسُّ بِهِ إلاّ الحَيُّ، وَهُوَ تَعَالَى وَحْدَهُ الحَيُّ الذِي لاَ يَمُوتُ. وَيومَ القِيَامَةِ يُحْشَرُ النَّاسُ إلى اللهِ، وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ أجُورَهَا عَمَّا ٱكْتَسَبَتْهُ مِنْ أعْمَالٍ، فَمَنْ جُنِّبَ النَّارَ، وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ، فَقَدْ فَازَ كُلَّ الفَوزِ.

وَالحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إلاّ مَتاعاً تَافِهاً زَائِلاً، صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ مَخْدُوعٌ، وَهُوَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ يُوشِكُ أنْ يَضْمَحِلَّ عَنْ أهْلِهِ.
تُوَفَّوْنَ أجُورَكُمْ - تَسْتَوْفُونَهَا غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ.
زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ - نُحِّيَ عَنْهَا.
المَتَاعُ - مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ مِمَّا يُبَاعُ وَيُشْرَى.

(أمْوَالِكُمْ) (الْكِتَابَ)

(١٨٦) - يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ، وَيَقُولُ لَهُ: إنَّهُ وَأصْحَابَهُ سَيَلْقَوْنَ مِنَ الكُفَّارِ أذًى كَثيراً فِي النَّفْسِ وَالمَالِ، كَمَا لَقُوهُ مِنْهُمْ مِنْ أذًى يَوْمَ أُحُدٍ، وَعَلَى المُؤْمِنِينَ أنْ يُوطِّنُوا أنْفُسَهُمْ عَلَيهِ، إذْ لاَ بُدَّ مِنْ أنْ يَبْتَلِيَ اللهُ المُؤْمِنَ فِي شَيءٍ مِنْ مَالِهِ، أوْ نَفْسِهِ أوْ وَلَدِهِ أوْ أهْلِهِ.. وَٱبْتِلاءُ المُؤْمِنِ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَإنْ كَانَ فِيهِ صَلاَبَةٌ فِي دِينِهِ زِيدَ فِي بَلاَئِهِ. وَنَبَّهَ اللهُ

كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ

تَعالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ وَالمُؤْمِنينَ عِنْدَ مَقْدَمِهِمْ إلى المَدِينَةِ (وَقَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ) إلى أَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ مِنَ اليَهُودِ وَمِنَ المُشْرِكِينَ أَذًى كَثيراً: مِنَ التَّقَوُّلِ وَالإِرْجَافِ، وَنَقْضِ العُهُودِ وَبَثِّ الشَّائِعَاتِ، وَمُحَاوَلَةِ الإِيذَاءِ. . . وَيَأمر اللهُ نَبِيَّهُ وَالمُؤْمِنينَ بِالصَّفْحِ وَالصَّبْرِ وَالعَفْوِ حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى آحْتِمَالِ ذَلِكَ إلاَّ أُولُو العَزْمِ الأَقْوِيَاءُ.

مِنْ عَزْمِ **الأُمُورِ** - مَا يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يَعْزِمَ عَلَيهِ، وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِتَنْفِيذِهِ.

لَتُبْلَوُنَّ - لَتُخْتَبَرُنَّ وَتُمْتَحَنُنَّ بِالمِحَنِ.

(١٨٧) وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ

(مِيثَاقَ) (الْكِتَابَ)

(١٨٧) - أَخَذَ اللهُ تَعَالَى العَهْدَ وَالمِيثَاقَ عَلَى أَهْلِ الكِتَابِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِمْ، بِأَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ مَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ غَيْرَ كَاتِمِينَ مِنْهُ شَيْئاً، وَبِأَنْ يُوَضِّحُوا مَعَانِيَهُ كَمَا هِيَ دُونَ تَأْوِيلٍ أَوْ تَحْرِيفٍ، وَبِأَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أن كُتُبَهُمْ أَشَارَتْ إلى بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لِيَكُونَ النَّاسُ عَلى أَهْبَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ حَتَّى إذا بَعَثَهُ اللهُ رَسُولاً لِلْخَلْقِ تَابَعُوهُ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الكِتَابِ كَتَمُوا ذَلِكَ، واعْتَاضُوا بِحُطَامِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ (ثمناً قَلِيلاً) عَنِ الأَجْرِ الَّذِي وَعَدَهُم اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَقَدْ وَبَّخَهُم اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ العَمَلِ، تَوْبِيخاً شَدِيداً فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنَ القُرآنِ، وَقَالَ لَهُمْ: بِئْسَتِ البَيْعَةُ بَيْعَتُهُمْ.

(وَوَاجِبُ أَهْلِ الكِتَابِ فِي شَرْحِ مَعَانِي كُتُبِ اللهِ لِلنَّاسِ وَبَيَانِ أَحْكَامِهَا، يَنْطَبِقُ عَلَى المُسْلِمِينَ أَيْضاً).

المِيثَاقُ - العَهْدُ المُؤَكَّدُ.

لَتُبَيِّنُنَّهُ - لَتُظْهِرُنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الأَحْكَامِ.

نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ - طَرَحُوهُ وَلَمْ يَعْتَدُّوا بِهِ.

(١٨٨) لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(١٨٨) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ إلى حَالٍ آخَرَ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الكِتَابِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا مِنَ التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ لِلْكِتَابِ، وَيَرَوْنَ لأَنْفُسِهِمْ، شَرَفاً وَفَضْلاً بِأَنَّهُمْ أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ. وَكَانُوا يُحِبُّونَ أن يُحْمَدُوا بِأَنَّهُمْ حُفَّاظُ الكِتَابِ وَمُفَسِّرُوهُ.

وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّما فَعَلُوا نَقِيضَهُ، إذْ حَوَّلُوهُ مِنَ الهِدَايَةِ إلى مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَ الحُكَّامِ وَالعَامَّةِ.

(وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي اليَهُودِ إذْ سَأَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فِي

كِتَابِهِمْ، فَكَتَمُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ، وَاسْتَحْمَدُوهُ بِذَلِكَ، وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوا مِنْ كِتْمَانِ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ).

(وَقِيلَ إنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي بَعْضِ المُنَافِقِينَ الذِينَ كَانُوا يَتَخَلَّفُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذا غَزَا، فَإذا عَادَ مِنَ الغَزْوِ اعْتَذَرُوا إليهِ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا).

وَيَقُولُ تَعَالَى إنَّ هَؤلاءِ الذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لَيْسُوا نَاجِينَ مِنَ العَذَابِ، بَلْ لاَ بُدَّ مِنْ أنْ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ عَذَاباً أليماً.

بمفَازَةٍ مِن العَذَابِ - بِمَنْجَاةٍ مِنْهُ.
أنْ يُحْمَدُوا - أنْ يَحْمَدَهُمُ النَّاسُ.

﴿١٨٩﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨٩) - لاَ تَحْزَنُوا يَا أيُّها المُؤْمِنُونَ، وَلاَ تَضْعُفُوا، وَبَيِّنُوا الحَقَّ، وَلاَ تَكْتُمُوا مِنْهُ شَيئاً، وَلا تَشْتَروا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَليلاً، وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا عَمِلْتُمْ، فَإنَّ اللهَ يَكْفِيكُم مَا أهَمَّكُمْ وَأغَمَّكُمْ، وَيُغْنِيكُمْ عَنْ هَذِهِ المُنْكَرَاتِ التي نُهِيتُمْ عَنْهَا، لأنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَادِرٌ، لاَ يَعِزُّ عَلَيهِ نَصْرُكُمْ عَلَى مَنْ يُؤْذِيكُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَمِنْ أهْلِ الكِتَابِ.

﴿١٩٠﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ

(السَّمَاوَاتِ) (واخْتِلاَفِ) (اللَّيْلِ) (لآيَاتٍ) (الألْبَابِ)

(١٩٠) - إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنْ مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ، وَكَواكِبَ وَسَيَّارَاتٍ، وَفِي خَلْقِ الأرْضِ، وَمَا فِيهَا مِنْ بِحَارٍ، وَأنْهَارٍ وَجِبَالٍ وَأشْجَارٍ وَنَبَاتٍ، وَفِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَقَارُضِهِمَا الطُّولَ وَالقِصَرَ، يَطُولُ هَذا تَارةً، وَيَطُولُ الآخَرُ تَارَةً أخْرَى... لآيَاتٍ وَبَراهِينَ وَحُجَجاً وَدَلاَئِلَ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، لأهْلِ العُقُولِ وَالألبابِ الزَّكِيَّةِ.

اخْتِلاَفُ اللَّيلِ والنَّهَارِ - تَعَاقُبُهُما وَمَجِيءُ أحَدِهِمَا خَلْفَ الآخَرِ.

﴿١٩١﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

(قِيَاماً) (السَّمَاوَاتِ) (بَاطِلاً) (سُبْحَانَكَ)

(١٩١) - وَيَصِفُ اللهُ تَعَالَى أولِي الألْبَابِ فَيَقُولُ عَنْهُمْ: إنَّهُمْ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قَائِمِينَ وَقَاعِدِينَ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَلاَ يَقْطَعُونَ ذِكْرَ اللهِ في جَمِيعِ أحْوَالِهِمْ، بِسَرَائِرِهِمْ، وَألْسِنَتِهِمْ.... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لِيَفْهَمُوا مَا فِيها مِنْ أسْرَارِ خَلِيقَتِهِ، وَمِنْ حِكَمٍ وَعِبَرٍ

خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

وَعِظَاتٍ، تَدُلُّ عَلَى الخَالِقِ، وَقُدْرَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إلى أنْفُسِهِمْ وَيقُولُونَ سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذا الخَلْقَ عَبَثاً وَبَاطِلاً، رَبَّنَا تنزَّهْتَ عَنِ العَبثِ وَالبَاطِلِ، وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ بالحَقِّ، وَالإِنْسَانُ مِنْ بَعْضِ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقْهُ عَبَثاً، وَإنَّما خَلقْتَهُ لِحِكْمَةٍ. وَمَتى حُشِرَ الخَلْقُ إليكَ حَاسَبْتَهُمْ عَلى أعْمَالِهِمْ، فَتَجْزِي الذِينَ أسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا، وتَجْزِي الذِينَ أحْسَنُوا بِالحُسْنَى. ثُمَّ يتِمُّونَ دُعَاءَهُمْ سَائِلِينَ رَبَّهُمْ أنْ يَقِيَهُمْ عَذابَ النَّارِ.

بَاطِلاً - عَبَثاً لاَ فَائِدَةَ فِيهِ.

فَقِنَا - جَنِّبْنا وَاحْفَظْنا.

١٩٢ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ

(لِلظَّالِمِينَ)

(١٩٢) - ثُمَّ يُتَابِعُونَ دُعَاءَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ لِرَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلْهُ النَّارَ فَقَدْ أهَنْتَهُ وَأذْلَلْتَهُ، وَأظْهَرْتَ خِزْيَهُ لأهْلِ الجَمْعِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالظَّالِمُونَ لاَ يَجِدُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ.

أخْزَيْتَهُ - أذْلَلْتَهُ وَأهَنْتَهُ.

١٩٣ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ

(لِلإيمَانِ) (آمِنُوا) (فَآمَنَّا)

(١٩٣) - وَبَعْدَ أنْ عَرَفُوا اللهَ حَقَّ المَعْرِفَةِ بِالذِّكْرِ وَالفِكْرِ، عَبَّرُوا عَنْ وُصُولِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ إلَيْهِمْ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ سِرَاعاً، فَقَالُوا: رَبَّنَا إنَّنَا سَمِعْنَا دَاعِياً يَدْعُو النَّاسَ إلى الإيمَانِ بِكَ (وَهُوَ الرَّسُولُ)، وَيَقُولُ: آمِنُوا بِرَبِّكُمْ، فَآمَنَّا مُسْتَجِيبِينَ لَهُ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَتجاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِنَا، فِيما بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ الصَّالِحِينَ وَألْحِقْنَا بِهِمْ.

الأبْرَارِ - المُحْسِنِينَ فِي عَمَلِهِمْ.

مُنَادِياً - الرَّسُولَ أوِ القُرآنَ.

كفِّرْ عَنَّا - أزِلْ عَنَّا صَغَائِرَ ذُنُوبِنَا.

١٩٤ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ

(وآتِنَا) (الْقِيامَةِ)

(١٩٤) - رَبَّنَا وَآتِنا مَا وَعَدْتَنا عَلى لِسَانِ رُسُلِكَ، وَلاَ تُخزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ أمَامَ الخَلْقِ، إنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ الذِي أخْبَرَ عَنْهُ رُسُلُكَ الكِرَامُ، وَهُوَ قِيَامُ الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامَةِ بينَ يَدَيْكَ، وَإنَّكَ تَجْزِي العَامِلِينَ الصَّالِحِينَ بالخَيْرِ وَالحُسْنَى، وَتَجْزِي الذِينَ أسَاؤُوا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

عَلَى رُسلِكَ - عَلَى لِسَانِ رُسُلِكَ.

الميعاد - الموعد.

(١٩٥) فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ

(عَامِلٍ) (دِيَارِهِمْ) (وَقَاتَلُوا) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ)

(١٩٥) - لَمَّا سَأَلَ المُؤْمِنُونَ ذَوُو الأَلْبَابِ رَبَّهُمْ مَا سَأَلُوا فِي الآيَاتِ السَّابِقَاتِ، اسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ لِصِدْقِهِمْ فِي إِيمَانِهِمْ، وَذِكْرِهِمْ وَتَفَكُّرِهِمْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَتَنْزِيهِهِمْ رَبَّهُمْ عَنِ العَبَثِ، وَتَصْدِيقِهِمْ رُسُلَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ لا يُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْهُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَإِنَّهُ سَيُوَفِّي كُلَّ عَامِلٍ أَجْرَهُ، وَجَمِيعُهُمْ لَدَيهِ سَوَاءٌ فِي الثَّوابِ (بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)، فَالذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دَارِ الشِّرْكِ وَأَتَوا إِلى دَارِ الإِيمَانِ، وَضَايَقَهُمُ المُشْرِكُونَ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى الخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، لا لِشَيءٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنا اللهُ، وَالذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُقْتَلُونَ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ... فَهؤُلاءِ جَمِيعاً سَيُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَسَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا، وَيُنِيلُهُمْ ذَلِكَ جَزَاءً لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَثَواباً جَزِيلاً مِنْهُ، لأَنَّ اللهَ عَظِيمٌ، وَالعَظِيمُ لا يُعْطِي إِلَّا جَزِيلاً. وَلِلْعِبَادِ الصَّالِحِينَ عِنْدَ اللهِ خَيْرُ الجَزَاءِ وَالثَّوابِ.

بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ - جَمِيعُهُمْ سَواءٌ لَدَيهِ فِي الثَّوابِ.
لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ - لا أَتْرُكُ ثَوابَ عَمَلٍ عَمِلَهُ عَامِلٌ إِلَّا جَزَيْتُهُ بِهِ.

(١٩٦) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ

(البِلادِ)

(١٩٦) - لا تَنْظُرْ إِلَى مَا أُتْرِفَ فِيهِ هؤُلاءِ الكُفَّارُ مِنَ النِّعْمَةِ وَالغِبْطَةِ وَالسُّرُورِ. وَلا تَعْجَبْ مِنْ تَصَرُّفِهِمْ فِي الأَسْفَارِ لِلتِّجَارَةِ وَالتَّكَسُّبِ ثُمَّ عَوْدَتِهِمْ سَالِمِينَ إِلى أَهْلِيهِمْ وَدِيَارِهِمْ.

(١٩٧) مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ

(مَتَاعٌ) (مَأْوَاهُمْ)

(١٩٧) - فَإِنَّهُ مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ، يَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المُسْتَقَرُّ وَالمَهْدُ.

مَتَاعٌ قَلِيلٌ - ذَلِكَ الكَسْبُ وَالرِّبْحُ هُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ.

(١٩٨) لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ

(جَنَّاتٌ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(١٩٨) - أَمَّا المُتَّقُونَ فَلَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا، وَخِلالَ أَشْجَارِهَا، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا مُخَلَّدِينَ أَبَداً، مُنَزَّلِينَ فِيهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَا عِنْدَ اللهِ مِنْ جَزَاءٍ وَثَوابٍ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ الذِينَ يَبَرُّونَ وَالِدِيهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ.

﴿١٩٩﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

﴿٢٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

النُّزُلُ - ما يُهَيَّأُ للضَّيفِ النَّازِلِ مِنَ الضِّيافَةِ.

(الْكِتَابِ) (خَاشِعِينَ) (بِآيَاتِ) (أولَئِكَ)

(١٩٩) - يُخبِرُ اللهُ تَعالَى عَنْ طائِفَةٍ مِنْ أهْلِ الكِتابِ أنَّهُمْ يُؤمِنُونَ باللهِ حَقَّ الإيمانِ، ويُؤمِنُونَ بِما أنْزلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، مَعَ إيمانِهِمْ بِمَا فِي الكُتبِ المُتقدِّمَةِ، وأنَّهُمْ خاشِعُونَ مُطِيعُونَ للهِ، لاَ يَكْتُمُونَ ما بِأيْدِيهِمْ مِنَ البِشارَةِ بِمُحمَّدٍ ﷺ، وَصِفَتِهِ ونَعْتِهِ ومَبْعَثِهِ لِقاءَ عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيا زائِلٍ. ﴿لا يَشْتَرُونَ بآياتِ اللهِ ثَمناً قليلاً﴾.

وَهؤلاءِ لَهُمْ أجْرُهُمْ، وَسَيُلاقُونَهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَاللهُ سَريعُ الحِسابِ (وَقِيلَ إنَّ هذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي النَّجاشِيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ إذْ صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الغائِبِ، فَقالَ بَعْضُ المُسْلِمينَ أيَأمُرُنا أنْ نُصَلِّي عَلَى عِلْجٍ ماتَ فِي الحَبَشَةِ؟).

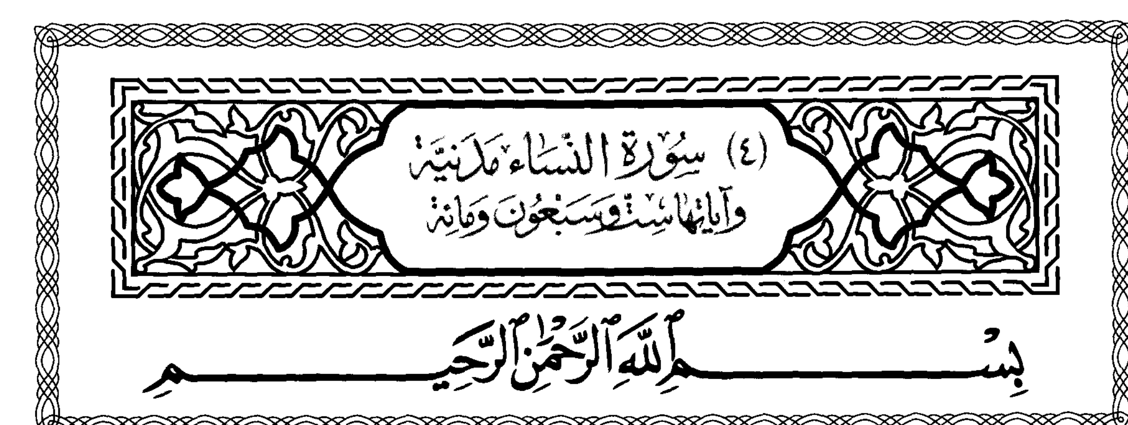
(يَا أيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٠٠) - يَأمُرُ اللهُ تَعالَى المُسْلِمينَ أنْ يَصْبِرُوا عَلَى دِينِهِمِ الذي ارْتَضاهُ اللهُ لَهُمْ، وَهُوَ الإسْلامُ، فَلا يَدعُونَهُ لِشِدَّةٍ وَلا لِرَخاءٍ، حَتَّى يَمُوتُوا مُسْلِمِينَ. والمُرابَطَةُ هِيَ المُرابَطَةُ فِي الثُّغُورِ لِلْغَزْوِ وَالجِهادِ فِي سَبيلِ اللهِ. وَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (رِباطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَما عَلَيْها).

(وَقِيلَ إنَّ المُرابَطَةَ المَقْصُودَةَ هُنا هِيَ الانْتِظارُ فِي المَساجِدِ لأداءِ الصَّلَواتِ حِينَما تَحِينُ أوْقاتُها، أيْ رابِطُوا فِي المَساجِدِ، وَاتَّقُوا اللهَ يا أيُّها المُؤْمِنُونَ فِيما فَرَضَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

صابِرُوا - غالِبُوا الأعْداءَ بِالصَّبْرِ.

رابِطُوا - أقِيمُوا فِي الثُّغُورِ مُتأهِّبِينَ لِلْجِهادِ.



(١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

نصف الحزب ٨

(يا أيُّها) (وَاحِدَة)

(١) - يَأمُرُ اللهُ تَعالَى عِبادَهُ بِتَقْواهُ (أيْ بِعِبادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ)، وَيُحذِّرُهُمْ مِنْ عِصْيانِهِ، فَهُوَ الذِي خَلَقَهُمْ جَمِيعاً مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (هِيَ آدمُ، عَلَيهِ السَّلامُ)، وَخَلَقَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ زَوْجَها (حَوَّاءَ)، وَخَلَقَ مِنْ هَاتَيْنِ النَّفْسَينِ البَشَرَ رِجالاً وَنِساءً، وَنَشَرَهُمْ فِي الأرْضِ عَنْ طَرِيقِ التَّزاوُجِ. ثُمَّ يَعُودُ تَعالَى فَيُكَرِّرُ أمْرَهُ لِعِبادِهِ بِطاعَتِهِ وَتَقْواهُ وَيَقُولُ لَهُمْ: إنَّهُ هُوَ اللهُ الذِي يَتَساءَلُونَ بِهِ فِيما بَيْنَهُمْ (فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أسْألُكَ اللهَ، وَأنْشُدُكَ اللهَ..)، وَيَأمُرُهُمْ تَعالَى بِأنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ قَطْعِ صِلاتِ الرَّحِمِ وَالقَرَابَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، (وَفِي أكْثَرِ مِنْ مَكَانٍ مِنَ القُرْآنِ يُكَرِّرُ تَعالَى أمْرَهُ إلَى عِبادِهِ بِصِلَةِ الأرْحامِ وَبِرِّها)، ثُمَّ يُخْبِرُهُمْ أنَّهُ هُوَ اللهُ، وَأنَّهُ مُشْرِفٌ عَلَى أعْمالِ البَشَرِ، وَمُرَاقِبٌ لَهَا، وَأنَّهُ مُجازِيهِمْ عَلَيها يَوْمَ القِيامَةِ.

النَّفْسُ الوَاحِدَةُ - هِيَ آدَمُ عَليهِ السَّلامُ.
تَساءَلُونَ بِهِ - يَسْألُ بَعْضُكُمْ بِهِ بَعْضاً (سَألْتُكَ اللهَ).
الرَّقِيبُ - المُشْرِفُ مِنْ مَكانٍ مُرْتَفِعٍ لِلْمُراقَبَةِ.
الأرْحَامَ - القَرَابَاتِ.
بَثَّ مِنْهُما - نَشَرَ مِنْهُما بِالتَّناسُلِ.

(٢) وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا

(وآتُوا) (الْيَتَامى) (أمْوالَهُم) (أمْوالِكُم)

(٢) - يَأمُرُ اللهُ تَعالَى الأوصِياءَ والأوْلِياءَ عَلَى الأيْتامِ بِأنْ يُحافِظُوا عَلَى أمْوالِ الأيْتامِ، وَأنْ لا يَتَعَرَّضُوا لَها بِسُوءٍ، وَبِأنْ يَدْفَعُوا إلى الأيْتامِ أمْوالَهُمْ كامِلَةً إذا بَلَغُوا سِنَّ الرُّشْدِ، كَما يَنْهاهُمْ عَنْ أنْ يَتَبَدَّلُوا الأمْوالَ الحَرامَ مِنْ أمْوالِ اليَتامَى، بِالحَلالِ مِنْ أمْوالِهِمْ. وَيَقُولُ لَهُمْ: لا

﴿٣﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا

﴿٤﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا

تَخلِطُوا أمْوَال اليَتَامَى بأَمْوَالِكُمْ حَتَّى لا يَبْقَى بإمْكَانِكُمُ التَّفْرِيقُ بَيْنَها وَتأكُلُوهَا جَميعاً. وَلاَ تُعْطُوا اليَتِيمِ شَاةً مَهْزُولَةً وَتَأخُذُوا شَاةً سَمِينَةً، لأنَّ فِعْلَ ذَلِكَ إِثْمٌ كَبِيرٌ، وَذَنْبٌ عَظِيمٌ فَاجْتَنِبُوهُ.

اليَتِيمُ - مَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَبْلُغِ الحُلُمَ.

الخَبِيثُ - الحَرَامُ.

الطَّيِّبُ - الحَلاَلُ.

الحُوبُ - الذَّنْبُ العَظِيمُ.

(الْيَتَامَى) (وَثُلاثَ) (وَرُبَاعَ) (فَوَاحِدَةً) (أَيْمَانُكُمْ)

(٣) - فَإنْ خِفْتُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أنْ لاَ تَعْدِلُوا مَعَ الزَّوْجَةِ اليَتِيمَةِ، وَأنْ تَأكُلُوا مَالَهَا، فَاعْدِلُوا عَنِ الزَّوَاجِ بِهَا إِلى الزَّوَاجِ بِغَيْرِهَا، فَإِذا كَانَ فِي حِجْرِ أَحدِكُمْ يَتِيمَةٌ وَخَافَ أنْ لاَ يُعْطِيَهَا مَهْرَ مِثْلِهَا، فَعَلَيْهِ أنْ يَعْدِلَ إِلى الزَّوَاجِ بِغَيْرِها، فَإِنَّ النِّسَاءَ كَثِيراتٌ، وَلَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَى النَّاسِ، إِذْ أَبَاحَ لَهُمْ الزَّوَاجَ بِاثْنَتَيْنِ وَثَلاثٍ وَأرْبَعٍ. فَإنْ خِفْتُمْ، فِي حَالِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ عِنْدَكُمْ، أنْ لاَ تَعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ فِي المُعَامَلَةِ، فَاقْتَصِرُوا عَلَى الزَّوَاجِ بِوَاحِدَةٍ، وَعَلَى الجَوَارِي السَّرَارِي (لأنَّهُ لاَ وُجُوبَ لِلْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ، وَإِن كَانَ ذَلِكَ مُسْتَحَبّاً) وَالاقْتِصَارُ عَلَى الزَّوَاجِ بِوَاحِدَةٍ فِيهِ ضَمَانٌ مِنْ عَدَمِ الجَوْرِ وَالظُّلْمِ. (وَقِيلَ إنَّ مَعْنَى - ذَلِكَ أدْنَى ألاّ تَعُولُوا - هُوَ أنْ لاَ تَفْتَقِرُوا) (وَالعَدْلُ يَكُون فِيما يَدْخُلُ تَحْتَ طَاقَةِ الإنْسَانِ كَالتَّسْوِيَةِ فِي المَأكَلِ وَالمَلْبَسِ وَالمَسْكَنِ وَغَيْرِهِ. أمَّا مَا لاَ يَدْخُلُ فِي وُسْعِهِ مِنْ مَيْلِ القَلْبِ إلَى وَاحِدَةٍ دُونَ الأخْرَى فَلاَ يُكَلَّفُ الإنْسَانُ بِالعَدْلِ فِيهِ).

ألا تقْسِطُوا - أنْ لاَ تَعْدِلُوا.

طَابَ - حَسُنَ وَمَالَ القَلْبُ إليْهِ، وَهُوَ هُنَا مَا حَلَّ لَكُمْ.

ألَّا تَعُولُوا - ألاَّ تَجُورُوا فِي المُعَامَلَةِ. أوْ ألاَّ تَفْتَقِرُوا مِنْ كَثْرَةِ العِيَالِ.

النِّكاحُ - الزَّوَاجُ.

مَا مَلَكَتْ أيْمَانُكُمْ - الجَوَارِي المَمْلُوكَاتُ.

(وآتُوا) (صَدُقَاتِهِنَّ) (مَرِيئاً)

(٤) - وَيَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ أنْ يُعطِيَ المَرْأةَ مَهْرَهَا طَيِّباً نَفْساً بِذَلِكَ، لِيَكُونَ رَمْزاً لِلْمَوَدَّةِ التي يَنْبَغِي أنْ تَكُونَ بَيْنَهُمَا، فَإنْ تَنَازَلَتِ المَرْأةُ عَنْ شَيءٍ مِنْ مَهْرِهَا لِلرَّجُلِ مِنْ بَعْدِ فَرْضِ المَهْرِ، عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ مِنْهَا، وَرِضَا نَفْسٍ، دُونَ ضِرارٍ أوْ تَهْدِيدٍ أوْ خَدِيعَةٍ، فَلاَ بَأسَ عَلَيهِ فِي ذَلِكَ، وَلْيَأكُلْهُ حَلالاً طَيِّباً. (وَعَلَى هَذا فَلاَ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أنْ يَأكُلَ مَالَ المَرْأةِ

أوْ شَيئاً مِنْهُ إلاَّ إذا عَلِمَ أنَّ نَفْسَهَا طَيِّبَةٌ بِذَلِكَ، فَإِنْ طَلَبَ مِنْها شَيْئاً وَحملَهَا الخَوْفُ أوِ الخَجلُ عَلَى إعْطَاءِ مَا طَلَبَ فَلاَ يَحِلُّ لَهُ).

الصَّدُقَاتُ ـ المُهُورُ.

نِحْلَةً ـ العَطَاءَ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ.

طَابَ بِهِ نَفْساً ـ أعْطَاهُ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ.

الهَنِيءُ ـ مَا يُسْتَلَذُّ أكْلُهُ.

المَرِيءُ ـ مَا حَسُنَتْ عَاقِبَتُهُ هَضْماً وَغِذَاءً.

٥ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا

(أمْوالَكُم) (قِياماً)

(٥) ـ هذا خِطَابٌ لِمَجْمُوعِ الأمَّةِ، وَالنَّهْيُ فِيهِ شَامِلٌ لِكُلِّ مَالٍ يُعْطَى لأيِّ سَفِيهٍ، فَاللهُ تَعَالَى يَأمُرُ النَّاسَ بإعْطَاءِ كُلِّ يَتِيمٍ مَالَهُ إذَا بَلَغَ، وَكُلَّ امْرَأةٍ صَدَاقَهَا، إلاَّ إذَا كَانَ أحَدُهُمَا سَفِيهاً لاَ يُحْسِنُ التَّصرُّفَ فِي مَالِهِ فَعَلَى المَسْئُولِينَ عَنِ المَالِ أنْ لاَ يُعْطُوهُ مِنْهُ لِئَلاَّ يُبَذِّرَهُ، وَأنْ يَحْفَظُوهُ لَهُ حَتَّى يَرْشُدَ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الأمْوَالَ لِلنَّاسِ لِتَقُومَ بِهَا مَعَاشَاتُهُمْ وَتِجارَتُهُمْ، وَتَثْبُتَ بِهَا مَنَافِعُهُمْ ومَرَافِقُهُمْ. فَمَرَافِقُهُمْ وَمَصَالِحُهُم العَامَّةُ لاَ تَزَالُ ثَابِتَةً قَائِمَةً مَا دَامَتْ أمْوالُهُمْ فِي أيدِي الرَّاشِدِينَ المُقْتَصِدِينَ مِنْهُمْ، الَّذِينَ يُحْسِنُونَ تَثْمِيرَها. وَنَبَّهَ اللهُ تَعالَى الأوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ أمْوَالَ السُّفَهَاءِ وَتَثْمِيرَهَا، بِأنَّ عَلَيهِمْ أنْ يُنْفِقُوا عَلَيْهِمْ، وَيُقَدِّمُوا لَهُمْ كِفَايَتَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالثِّيَابِ وَنَحوِ ذَلِكَ، مِنْ نَتَاجِ الأمْوَالِ وَأرْبَاحِهَا، لاَ مِنْ صُلْبِ المَالِ حَتَّى لاَ يَأكُلَهُ الإِنْفَاقُ. وَعَلَى الوَلِيِّ أنْ يَنْصَحَ اليَتِيمَ الصَّغِيرَ، أوِ السَّفِيهَ، وَأنْ يُبَيِّنَ لَهُ مَا فِيهِ خَيْرُهُ وَمَصْلَحَتُهُ، وَأنْ يَحُثَّهُ عَلَى تَرْكِ الإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَأنْ يُعَامِلَهُ بالرِّفْقِ وَالإِحْسَانِ وَالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ.

السَّفَهُ ـ الخِفَّةُ وَالاضْطِرَابُ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى التَّبْذِيرِ فِي إنْفَاقِ المَالِ فِيمَا لاَ يَنْبَغِي.

قِيَاماً ـ تَقُومُ بِهَا أمُورُ النَّاسِ وَمَعَايِشُهُمْ (وَمِنْها القَوَّامُ).

القَوْلُ المَعْرُوفُ ـ هُوَ القَوْلُ الذِي يطيب بِهِ الخَاطِرُ.

٦ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ

(اليَتامى) (آنَسْتُم) (أمْوالَهُم)

(٦) ـ وَاخْتَبِرُوا اليَتَامَى، بإعْطَائِهِمْ شَيْئاً مِنَ المَالِ يَتَصرَّفُونَ فِيهِ، فَإنْ أحْسَنُوا التَّصرُّفَ كَانُوا رَاشِدِينَ. فَإذا بَلَغُوا سِنَّ الرُّشْدِ، وَبَلَغُوا الحُلُمَ، وَتَأكَّدْتُمْ مِنْ صَلاَحِهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَحِفْظِ أمْوالِهِمْ، فَسَلِّمُوا إلَيْهِمْ أمْوَالَهُمْ التِي تَحْتَ أيْدِيكُمْ. أمّا إذا لَمْ تَجِدُوهُمْ أهْلاً لِتَسلُّمِ المَالِ فَاسْتَمِرُّوا عَلَى الابْتِلاءِ حَتَّى تَأنَسُوا الرُّشْدَ مِنْهُمْ. وَيَنْهَى اللهُ تَعَالَى العِبَادَ

وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا

عَنْ أكْلِ مَالِ اليَتِيمِ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ، وبِمُبَادَرَةٍ مِنَ الوَلِيِّ إلى الإسْرافِ في الإنْفاقِ لِتَبْدِيدِ مَالِ اليَتِيمِ قَبْلَ أنْ يَكْبَرَ. فَإذا كَانَ الوَلِيُّ غَنِيّاً فَلْيَعْفُفْ عَنْ مَالِ اليَتِيمِ، وَلاَ يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئاً، وَإذا كَانَ الوَلِيُّ فَقيراً جَازَ لَهُ أنْ يَأكُلَ مِنْهُ بالمَعْرُوفِ، أيْ بِقَدْرِ جُهْدِهِ في القِيَامِ بِتَدْبيرِ مَالِ اليَتِيمِ (فَلَهُ أنْ يَأكُلَ بِأقَلِّ الأمْرَيْنِ: أجْرِ مِثْلِهِ، وَقَدْرِ حَاجَتِهِ). وَأشْهِدُوا شُهُوداً عَلَى عَمَلِيَّةِ دَفْعِ مَالِ الأيْتَامِ إلَيْهِمْ لِتَبْرَأ ذِمَمُكُمْ.

آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً ـ لاَحَظْتُمْ مِنْهُمْ حُسْنَ التَّصَرُّفِ.

الإسْرافُ ـ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ في التَّصَرُّفِ.

البِدارُ ـ المُبَادَرَةُ وَالمُسَارَعَةُ إلى الشَّيءِ.

يَسْتَعْفِفُ ـ أنْ يَعُفَّ عَنْ مَالِ اليَتِيمِ، وَالعِفَّةُ هِيَ تَرْكُ مَالاَ يَنْبَغِي مِنَ الشَّهَواتِ.

الحَسِيبُ ـ المُحَاسِبُ وَالمُرَاقِبُ.

(٧) لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا

(الوالِدَانِ)

(٧) ـ كَانَ المُشْرِكُونَ يَجْعَلُونَ المَالَ لِلرِّجَالِ الكِبَارِ، وَلاَ يُورِثُونَ النِّسَاءَ وَلاَ الأطْفَالَ، بِحُجَّةِ أنَّهُمْ لاَ يَتَحَمَّلُونَ أعْبَاءَ الحُرُوبِ. فَأبْطَلَ اللهُ تَعَالَى هَذا التَّعَامُلَ الجَائِرَ، وَجَعَلَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأطْفَالَ سَوَاءً في المِيرَاثِ. وَجَعَلَ اللهُ المِيرَاثَ حَقّاً مُعَيَّناً مَقْطُوعاً لَيْسَ لأحدٍ أنْ يُنْقِصَ مِنْهُ شَيْئاً، وَلاَ أن يُحَابِيَ.

(هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ حِينَمَا جَاءَتِ امْرَأةٌ إلَى الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ لِي ابْنَتَانِ قَدْ مَاتَ أبُوهُمَا، وَلَيْسَ لَهُمَا شَيءٌ، وَحَازَ عَمُّهُمَا المَالَ كُلَّهُ).

نَصِيبٌ ـ حِصَّةٌ.

المَفْرُوضُ ـ المُقَدَّرُ وَالمُعَيَّنُ.

(٨) وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا

(أولُو) (وَالْيَتَامَى) (وَالْمَسَاكِينُ)

(٨) ـ (قِيلَ إنَّ هذِهِ الآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الفَرَائِضِ ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ...﴾[١] وَكَانَ حُكْمُ هَذِهِ الآيَةِ مَعْمُولاً بِهِ قَبْلَ أنْ تَنْزِلَ آيَةُ الفَرَائِضِ فَلَمَّا نَزَلَتْ أعْطِيَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ).

إنَّ هَؤُلاءِ الفُقَرَاءَ مِنَ الأقَارِبِ الذِينَ لاَ يَرِثُونَ، وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ إذا حَضَرُوا قِسْمَةَ مَالٍ وَافِرٍ، فَإنَّ نُفُوسَهُمْ تَتُوقُ إلى شَيءٍ مِنْهُ، فَأمَرَ اللهُ تَعَالَى بِأنْ يُعْطَوْا شَيْئاً مِنَ المَالِ يَكُونُ بِرّاً بِهِمْ، وَجَبْراً لِقُلُوبِهِمْ

(١) الآية ١١ من سورة النساء.

الكَبِيرَةِ، وَمَنْعاً مِنْ أنْ يَسْرِيَ الحَسَدُ إلى نُفُوسِهِمْ. وَيَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأنْ يَقُولُوا لِهَؤُلاءِ قَوْلاً طَيِّباً، تَطِيبُ بِهِ نُفُوسُهُمْ عِنْدَمَا يُعْطَوْنَ، حَتَّى لاَ يَثْقُلَ عَلَى أبِيِّ النَّفْسِ مِنْهُمْ مَا يَأخُذُهُ، وَيَرْضَى الطَّامِعُ فِي أكْثَرَ مِمَّا أخَذَ بِمَا أخَذَ.

القَوْلُ المَعْرُوفُ ـ القَوْلُ الذِي يَطِيبُ بِهِ الخَاطِرُ.

(٩) وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا

(ضِعَافاً)

(٩) ـ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الرَّجُلِ تَحْضُرُهُ الوَفَاةُ فَيَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُوصِي بِوَصِيَّةٍ تُضِرُّ بِوَرَثَتِهِ، فَأمَرَ اللهُ تَعَالَى الشَّخْصَ الذِي يَسْمَعُهُ أنْ يَتَّقِيَ اللهَ، وَأنْ يُوَفِّقَهُ وَيُرْشِدَهُ إلَى الصَّوَابِ، فَيَنْظُرَ لِوَرَثَتِهِ كَمَا يُحِبُّ هُوَ أنْ يُصْنَعَ بِوَرَثَتِهِ إذَا خَشِيَ الضَّيْعَةَ عَلَيهِمْ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إنَّكَ إنْ تَذَرْ وَرَثَتَكَ أغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ).

(وَقِيلَ إنَّ هَذِهِ الآيَةَ أمْرٌ لِلأوْلِيَاءِ وَالأوْصِيَاءِ بِأنْ يُعَامِلُوا مَنْ تَحْتَ أيْدِيهِمْ مِنَ اليَتَامَى مُعَامَلَةً طَيِّبَةً، كَمَا يُحِبُّونَ أنْ يُعَامِلَ غَيْرُهُمْ أوْلاَدَهُمْ لَوْ أنَّهُمْ مَاتُوا وَتَرَكُوا ذُرِّيَّةً ضُعَفَاءَ يَحْتَاجُونَ إلى مَنْ يَكُونُ وَلِيّاً أوْ وَصِيّاً عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يَخْشَوْنَ الضَّيْعَةَ عَلَيهِمْ).

لِيَخْشَ ـ لِيَخَفْ.

قَوْلاً سَدِيداً ـ قَوْلاً صَوَاباً مُنْصِفاً.

(١٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا

(أمْوَالَ) (اليَتَامَى)

(١٠) ـ يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى الذِينَ يَأكُلُونَ أمْوَالَ اليَتَامَى بِدُونِ سَبَبٍ مَشْرُوعٍ، وَعَلَى سَبِيلِ الهَضْمِ وَالظُّلْمِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إنَّهُمْ إنَّمَا يَأكُلُونَ مَا يَكُونُ سَبَباً فِي إيصَالِهِمْ إلَى نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، أو إنَّهُمْ إنَّمَا يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً تَتَأجَّجُ. وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ: الشِّرْكَ بِاللهِ، وَالسِّحْرَ، وَقَتْلَ النَّفْسِ التِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ، وَأكْلَ الرِّبا، وَأكْلَ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفَ المُحْصِنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤْمِنَاتِ).

ظُلْماً ـ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ.

سَيَصْلَوْنَ ـ سَيَذُوقُونَ العَذَابَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَمِنْهُ صَلَى اللَّحْمَ، إذا شَوَاهُ عَلَى النَّارِ.

السَّعِيرُ ـ النَّارُ المُسْتَعِرَةُ أيِ المُشْتَعِلَةُ المُتَأجِّجَةُ.

﴿١١﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ
لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن
كُنَّ نِسَآءً فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ
ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةً
فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ
وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ
إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ
وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ فَلِأُمِّهِ
ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ
يُوصِى بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ
وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ
لَكُمۡ نَفۡعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

(أَوْلادِكُمْ) (وَاحِدَةً) (وَاحِدٍ) (يُوصِي) (آبَاؤُكُمْ)

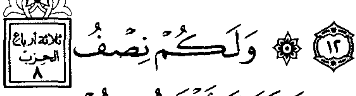
(١١) - يَأمُرُكُمُ اللهُ تَعالَى بِالعَدْلِ فِي مُعامَلَةِ أَبْنائِكُمْ فَإِنَّ أَهْلَ الجَاهِلِيةِ كَانُوا يَجْعَلُونَ المِيرَاثَ كُلَّهُ لِلذُّكورِ دُونَ الإِنَاثِ، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالمُسَاوَاةِ بَيْنَهُمْ فِي المِيرَاثِ، وَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ نَظَراً لاحْتِياجِ الرَّجُلِ إِلى مُؤُونَةِ النَّفَقَةِ، وَالكُلْفَةِ وَمُعانَاةِ التِّجارَةِ وَالتَّكَسُّبِ. فَإِنْ كَانَ الأَوْلادُ إِناثاً اثْنَتَيْنِ فَما فَوْقَ ذَلِكَ، فَلَهُنَّ ثُلُثا المِيراثِ، قِياساً عَلَى حُكْمِ الأُخْتَيْنِ، فَإِنَّهُما تَأْخُذانِ ثُلُثَي التَّرِكَةِ، وَالبِنْتانِ أَوْلى بِذلِكَ مِنَ الأُخْتَينِ، لِذَلِكَ اتَّفَقَ الفُقَهاءُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَكُونُ لِلأَبوَينِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ. وَإِنْ كَانَ لِلْمَيِّتِ بِنْتٌ وَاحِدَةٌ كَانَ لَهَا نِصْفُ المِيرَاثِ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَواهُ، كَانَ لِلأُمِّ الثُّلُثُ وَلِلأَبِ الثُّلُثَانِ. وَتركَةُ المَيْتِ لا تُقْسَمُ بَيْنَ الوَرَثَةِ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا الدَّيْنُ وَالوَصِيَّةُ التي أَوْصَى بِهَا المَيِّتُ عَلَى أَنْ تَكُونَ فِي الحُدُودِ التي عَيَّنَها الشَّرْعُ، فَهُما مُقَدَّمانِ عَلَى المِيرَاثِ. وَإِذا لَمْ يَكُنْ لِلْمُتَوفَّى وَلَدٌ وَلَهُ أَبَوانِ وَإِخْوَةٌ - أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ - تَنْزِلُ حِصَّةُ الأُمِّ إِلى السُّدُسِ، وَلا يَسْتَفِيدُ الأَوْلادُ شَيْئاً مِنَ المِيراثِ بِهذا الحَجْبِ، وَيُحوزُ الأَبُ خَمْسَةَ أَسْداسِ المِيراثِ البَاقِيَةَ كُلَّها، وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ إِنَّ الأَبَ يَلِي نَفَقَةَ أَوْلادِهِ، أَمَّا الأُمُّ فَلا تَجِبُ عَلَيها نَفَقَتُهُمْ.

وَيَقُولُ تَعالَى إِنَّهُ إِنَّما فَرَضَ لِلآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ نَصِيباً مِنَ المِيراثِ، وَجَعَلَ لَهُمْ جَمِيعاً حَقّاً فِي المِيرَاثِ لأَنَّ الإِنسانَ قَدْ يَأْتِيهِ النَّفْعُ فِي الدُّنيا أَوْ فِي الآخِرَةِ مِنْ أَبويهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْتِيهِ مِنْ أَبْنائِهِ، وَقَدْ يَكُونُ العَكْسُ هُوَ الصَّحِيحُ. وَالذي يَعْلَمُ ذَلِكَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ.

الحَظُّ - النَّصِيبُ وَالحِصَّةُ.

يُوصِيكُمْ - يَعْهَدُ إِلَيْكُمْ بِأَنْ تَفْعَلُوا.



﴿١٢﴾ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ
مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن
لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ
لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ
يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۚ

(أَزْوَاجُكُمْ) (كَلالَةً) (وَاحِدٍ)

(١٢) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ حُكْمَ المِيرَاثِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَبَيْنَ الإِخْوَةِ: فَلِلزَّوْجِ نِصْفُ مَالِ زَوْجَتِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ يَرِثُهُ عَصَبَتُها أَوْ ذَوُو أَرْحامِها. أَمَّا إِذا كَانَ لَها وَلَدٌ، فَإِنَّ الزَّوْجَ يَرِثُ الرُّبْعَ. وَلِلزَّوْجَةِ رُبْعُ المِيرَاثِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِزَوْجِها وَلَدٌ، فَإِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَرِثَتِ الزَّوْجَةُ الثُّمنَ، بَعْدَ أَداءِ الدَّيْنِ وَإِخْراجِ الوَصِيَّةِ. وَإِذا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ أُصُولٌ (آباءٌ) أَوْ فُرُوعٌ (أَبْناءٌ أَوْ أَحْفادٌ) وَوَرِثَهُ إِخْوَتُهُ وَحَواشِيهِ (وَالكَلالَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الإِكْلِيلِ وَهُوَ مَا يُحِيطُ بِالرَّأْسِ مِنْ جَوانِبِهِ) فَيُخرجُ

وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ

الدَّيْنُ أَوَّلاً، ثُمَّ تُخْرَجُ الوَصِيَّةُ، ثُمَّ تُوَزَّعُ التَّرِكَةُ مِيراثاً عَلَى المُسْتَحِقِّينَ.

وَالأخ المَذْكُورُ في هذه الآيَةِ هُوَ الأخُ لأمٍّ، وَكَذَلِكَ الأخْتُ. وَالإِخْوَةُ لأمٍّ يَخْتَلِفُونَ عَنْ بَقِيَّةِ الوَرَثَةِ مِنْ وُجُوهٍ:

(أ) - فَهُمْ يَرِثُونَ مَعَ مَنْ أدْلوا بِهِ وَهُوَ الأمُّ.

(ب) - ذُكُورُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ سَواءٌ فِي المِيراثِ.

(جـ) - لاَ يَرِثُونَ إلا إذا كَانَ المَيِّتُ يُورَثُ كَلاَلَةً، فَلاَ يَرِثُونَ مَعَ الأَصْلِ وَالفَرْعِ.

(د) - لاَ يُزَادُونَ عَنِ الثُّلُثِ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْدَيْن غَيْرَ مُضَارٍّ) يَعْنِي أنْ تَكُونَ الوَصِيَّةُ التِي يُوصِي بِهَا المَيِّتُ يَقْصِدُ بِهَا العَدْلُ، وَلَيْسَ عَلَى سَبيلِ الإِضْرارِ وَالجَوْرِ وَالحَيْفِ، كَأنْ يُرِيدَ حِرْمَانَ بَعْضِ الوَرَثَةِ، أَوْ إِنْقَاصَ حِصَّتِهِمْ أَوْ زِيَادَتَها عَمَّا فَرَضَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الفَرِيضَةِ، فَمَنْ سَعَى فِي ذَلِكَ كَانَ كَمَنْ يُضَادُّ الله فِي حُكْمِهِ وَشَرْعِهِ.

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلَهُ: (الإضْرارُ في الوَصِيَّةِ مِنَ الكَبائِرِ). وَاللهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا يَنْفَعُكُمْ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِنِيَّاتِ المُوصِّينَ مِنْكُمْ، حَلِيمٌ لاَ يُعَجِّلُ بِالعُقُوبَةِ عَلَى مُخَالَفَةِ أحْكَامِهِ عَسَى أنْ تَتُوبُوا إليهِ.

غَيْرَ مُضَارٍّ - لاَ يُقْصَدُ بِهِ إلى الإِضْرارِ.

كَلاَلَةً - مَيِّتٌ لاَ وَلَدَ لَهُ وَلاَ وَالِدَ وَحَوْلَهُ وَرَثَةٌ مِنْ حَوَاشِيهِ.

﴿١٣﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ

(جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(١٣) - وَهَذِهِ الأنصِبَةُ التِي حَدَّدَها اللهُ تَعَالَى لِلْوَرَثَةِ بِحَسَبِ قُرْبِهِمْ مِنَ المَيِّتِ هِيَ حُدُودُ اللهِ، فَلا تَعْتَدُوا فِيها، وَلاَ تَتَجاوَزُوهَا. وَمَنْ يُطِعْ أَمْرَ اللهِ، وَأَمْرَ رَسُولِهِ، فِيمَا فَرَضَهُ اللهُ لِلْوَرَثَةِ، فَلَمْ يُنْقِصْ لِبَعْضِهِمْ، وَلَمْ يَزِدْ بَعْضَهُمْ بِحِيلَةٍ.. أدْخَلَهُ اللهُ جَنَّةً تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ خَالِداً فِيها، وهذا هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ.

حُدُودُ اللهِ - حُدُودُ مَا شَرَعَهُ اللهُ لِعِبادِهِ.

﴿١٤﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ

(خالِداً)

(١٤) - وَمَنْ يَعْصِ اللهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ ﷺ، وَيَتَعَدَّ حُدُودَ شَرْعِ اللهِ، وَيُصِرَّ عَلَى العِصْيَانِ، دُونَ اسْتِشْعارِ خَوْفٍ أوْ نَدَمٍ، يُدْخِلْهُ اللهُ نَاراً، وَيَبْقَى خالِداً فِيها أبَداً، وَلَهُ فِيهَا عَذابٌ مُذِلٌّ مُهِينٌ.

(١٥) وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا

(١٦) وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا

(١٧) إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا

(اللَّاتِي) (الْفَاحِشَةَ) (نِسَائِكُمْ) (يَتَوَفَّاهُنَّ)

(١٥) - كَانَ الحُكْمُ فِي ابْتِداءِ الإِسْلامِ أَنَّ المَرْأَةَ إذا زَنَتْ، وَثَبَتَ زِناهَا بِالبَيِّنَةِ العَادِلَةِ، وَهِيَ شَهادَةُ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ مِنَ الرِّجالِ العُدُولِ، حُبِسَتْ فِي بَيْتٍ فَلا تُمَكَّنُ مِنَ الخُرُوجِ حَتَّى تَمُوتَ. وَبَقِيَ الحُكْمُ كَذَلِكَ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آيَةَ النُّورِ فَنَسَخَها بِالجَلْدِ لِلْبِكْرِ، وَبِالرَّجْمِ لِلثَّيِّبِ، وَفْقاً لِمَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ، فَكَانَتْ هِيَ السَّبِيلَ التِي يَجعَلُهَا اللهُ لِلْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ فِي قَوْلِهِ (أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً).

الفَاحِشَةَ - هِيَ الزِّنى فِي هَذِهِ الآيَةِ وَهِيَ لُغَةً الفِعْلُ القَبِيحُ.

(وَاللَّذَانِ) (يَأْتِيَانِهَا) (فَآذُوهُمَا)

(١٦) - نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الرَّجُلَيْنِ إذا فَعَلا اللِّوَاطَةَ، وَكَانَ الحُكْمُ أَنَّهُ إذا ثَبَتَ الفِعْلُ عَلَى الرَّجُلينِ آذاهُما المُسْلِمُونَ بِالضَّرْبِ وَالشَّتْمِ وَالتَّعْيِيرِ، وَهذا العِقَابُ يُنْزَلُ بِهِما إذا لَمْ يَتُوبا وَيُصْلِحا، فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا عَمَلَهُما وَغَيَّرا أَحْوالَهما، بِالإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ مِنْ أَدْرَانِ المَعَاصِي التِي فَرَطَتْ مِنْهُما، فَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِالكَفِّ عَنْ إِيذَائِهِمَا بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ، لأَنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَى العَبْدِ التَّائِبِ، وَهُوَ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ.

وَبَقِيَ الحُكْمُ كَذَلِكَ حَتَّى نُسِخَ بِآيَةِ الجَلْدِ مِنْ سُورَةِ النُّورِ، وَبِالسُّنَّةِ فِي رَجْمِ المُحْصَنِ، (وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الفَاعِلَ وَالمَفْعُولَ بِهِ) (وَمِنَ المُفَسِّرِينَ مَنْ قَالَ إِنَّ المَقْصُودَ هُنَا الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ اللَّذانِ يَرْتَكِبَانِ جَرِيمَةَ الزِّنى. فَإِذا ثَبَتَ الفِعْلُ عَلَيْهِمَا، كَانَ عَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ يُؤْذُوهُمَا بِالتَّوْبِيخِ وَالتَّأْنِيبِ، وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ).

(بِجَهَالَةٍ) (فَأُوْلَئِكَ)

(١٧) - إِنَّ التَّوْبَةَ التِي أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ قَبُولَهَا بِوَعْدِهِ كَرَماً مِنْهُ وَتَفَضُّلاً، لَيْسَتْ إلاّ لِمَنْ يَجْتَرِحُ السَّيِّئَاتِ بِجَهَالَةٍ تُلابِسُ النَّفْسَ مِنْ ثَوْرَةِ غَضَبٍ، أَوْ تَغَلُّبِ شَهْوَةٍ، ثُمَّ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَيُنِيبَ إِلَى رَبِّهِ، وَيَتُوبَ وَيُقْلِعَ عَنْهَا. فَأُولئِكَ الذِينَ فَعَلُوا الذُّنُوبَ بِجَهالَةٍ وَتَابُوا بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ، يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ، لأَنَّ الذُّنُوبَ لَمْ تَتَرَسَّخْ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

واللهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِضَعْفِ عِبَادِهِ، وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْلَمُونَ مِنْ عَمَلِ السُّوءِ، فَشَرَعَ بِحِكْمَتِهِ قَبولَ التَّوْبَةِ، فَفَتَحَ لَهُمْ بَابَ الفَضِيلَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى مَحْوِ السَّيِّئَةِ.

﴿١٨﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى
إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ
يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا
﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ
كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا
بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ
يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ
كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ
فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

السُّوء ـ هُوَ العَمَلُ القَبِيحُ الذِي يَسُوءُ فَاعِلَهُ إذا كَانَ عَاقِلاً سَوِيَّ الفِطْرَةِ.

الجهالَةُ ـ الجَهْلُ وَتَغَلُّبُ السَّفَهِ عَلَى النَّفْسِ عِنْدَ ثَوْرَةِ الشَّهْوَةِ أَوِ الغَضَبِ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهَا الحِلْمُ وَتَنْسَى الحَقَّ.

يَعْمَلُونَ السُّوءَ ـ يَفْعَلُونَ مَا يَسُوءُ.

(الآنَ) (أُوْلَئِكَ)

(١٨) ـ أمَّا الذِينَ يَفْعَلُونَ السَّيِّئَاتِ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي فِعْلِها وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَيها، وَلاَ يَتُوبُونَ حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِمْ، أيْ حَتَّى يَحْضُرَهُمْ مَلَكُ المَوْتِ، فَيَقُولُونَ: تُبْنا الآنَ، وَالذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ، فَهؤُلاءِ وَهؤُلاءِ يَتَوعَّدُهُمُ اللهُ تَعالَى بِالعَذَابِ الأليمِ المُوجِعِ الذِي أعَدَّهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ. (وَجَعَلَ اللهُ تَوْبَةَ التَّائِبِ وَهُوَ عَلَى فِراشِ المَوْتِ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ).

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (آتَيْتُموهُنَّ) (بِفَاحِشَةٍ)

(١٩) ـ كَانَ النَّاسُ قَبْلَ الإِسْلاَمِ يَجْعَلُونَ النِّسَاءَ كَالمَتَاعِ فَإِذا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرأتِـهِ يَتَزَوَّجُونَها بِـدُونِ مَهْرٍ وَلاَ رِضـاً مِنْهَا، وَكَأَنَّها شَيءٌ مِنْ مِيراثِ الرَّجُلِ المُتَوَفَّى، فَإِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَها، وَإِنْ شَاؤُوا زَوَّجُوها، وَإِنْ شَاؤُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا، فَكَانُوا أَحَقَّ بِها مِنْ أهْلِهَا، فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ لإِبْطَالِ هَذا التَّعامُلِ الجَائِرِ.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَأمُرُ اللهُ تَعالَى النَّاسَ بِعَدَمِ الإِضْرَارِ بِـالمَرْأةِ، وَبِعَدَمِ مُضَايَقَتِها (عَضْلِهَا) في العِشْرَةِ لِتَتْرُكَ لِلرَّجُلِ مَا دَفَعَهُ لها مِـنْ مَهْرٍ، أوْ بَعْضَ حُقُوقِهَا عَلَيهِ، أوْ شَيئاً مِنْ حُقُوقِها فِي المِيراثِ، عَلَى سَبِيلِ القَهْرِ وَالإِضْرَارِ.

أمَّا إذَا زَنَتِ المَرْأةُ فَكَانَ لِلرَّجُلِ أنْ يَسْتَرْجِعَ مِنْهَا الصَّدَاقَ الذِي دَفَعَهُ إليها، وَأنْ يُضَاجِرَهَا حَتَّى تَتْرُكَهُ (أيْ أنَّ لَهُ عَضْلَهَا فِي هَذِهِ الحَالَةِ). أمَّا فِي غَيْرِ حَالَـةِ الزِّنَى فَقَـدْ أمَـرَ اللهُ تَعـالَى الـرِّجَـالَ بِمُعَـاشَـرَةِ النِّسَاءِ بِالمَعْرُوفِ، أيْ مَعَ طِيبِ قَوْلٍ، وَحُسْنِ فِعْلٍ، حَتَّى وَلَوْ كَرِهُوهُنَّ، فَقَدْ يَكْرَهُ الإِنسَانُ شَيْئاً وَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً، كَأنْ تَلِدَ لَهُ المَرْأةُ وَلَداً يَنْبُغُ أوْ يَسُودُ، أوْ يَكُـونُ ذا شَأنٍ أوْ أنْ يَنْصَلِحَ حَـالُها فَتَكُـونَ سَبباً فِي سَعَادَته.

العَضْلُ ـ التَّضْيِيـقُ وَالشِّدَّةُ لِلمُضَارَّةِ.

الفَاحِشَةُ ـ الفِعْلَةُ الشَّدِيدَةُ القُبْحِ.

المُبيِّنَةُ ـ الظَّاهِرَةُ الفَاضِحَةُ.

كَرْهاً ـ مُكْرَهاتٍ عَلَيهِ.

(٢٠) وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ
مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟
مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا

(٢١) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
وَأَخَذْنَ مِنكُم
مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا

(٢٢) وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ
ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ
سَبِيلًا

(آتَيْتُم) (إِحْدَاهُنّ) (بُهْتَاناً)

(٢٠) - وإذا أرادَ الرَّجُلُ أنْ يُفارِقَ آمْرَأتَهُ لِكُرْهِـهِ إيّـاهَا، وعَدَمِ صَبْـرِهِ عَلى مُعَاشَرَتِها، وأنْ يَسْتَبْدِلَ غَيْرَهَا بِهَا، وَهِيَ لَمْ تَأْتِ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَـةٍ، وَكَانَ قَدْ أعْطَاهَا الكَثِيرَ مِنَ المَالِ مَقْبُوضاً أوْ مُلْتَزماً، دَفَعَهُ إليها، أوْ صَارَ دَيْناً في ذِمَّتِهِ، فَعَلَى الرَّجُلِ أنْ لا يَأخُذَ مِنْهُ شَيْئاً، بَـلْ عَلَيهِ أنْ يَـدْفَعَهُ إليها بالكَـامِلِ، وَلَـوْ كانَ قِنْـطَاراً مِنَ المَالِ. ثُمَّ يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الرِّجَالِ البَاهِتِينَ الآثِمِينَ الذِينَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ إذَا أرَادُوا تَـطْلِيقَ الزَّوْجَةِ رَمَوهَا بِالفَاحِشَةِ حَتَّى تَخَافَ وَتَشْتَـرِيَ نَفْسَها مِنْهُمْ بِتَـرْكِ المَهْرِ الذِي دَفَعُوهُ.

البُهْتَانُ - الكَذِبُ الذِي يَبْهَتُ المَكْذُوبَ عَلَيهِ وَيُسْكِتُهُ مُتَحَيِّراً.
القِنْطَارُ - يُقْصَدُ بِهِ هُنَا الكَثْرَةُ مِنَ المَالِ.

(مِيثَاقاً)

(٢١) - وَيُكَرِّرُ اللهُ تَعَالَى إنْكَارَهُ عَلَى الرِّجَالِ الذِينَ يُفَكِّرُونَ بِأخْذِ شَيءٍ مِمَّا أعْطوا النِّسَاءَ مِنْ مُهُورٍ وَصَدَاقٍ فَيَقُولُ: كَيْفَ تَسْتَسِيغُونَ أخْذَ شَيءٍ مِمَّا دَفَعْتُمْ إلى نِسَائِكُمْ كُـلاً أوْ بَعْضاً، بَعْـدَ أنْ تَأكَّـدَتِ الرَّابِـطَةُ، بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، بِأقْدَسِ رِبَاطٍ حَيَوِي، وَلاَبَسَ كُلٌّ مِنْهُمَا الآخَرَ، وَأفْضَى إليهِ بالاتِّصَالِ الجَسَدِيِّ، حَتَّى صَارَ أحَدُهُمَا بِمَثَابَةِ الجُزْءِ المُتَمِّمِ لِلآخَرِ، وَأخَذْنَ عَلَيكُمْ عَهْدَ اللهِ عَلَى إمْسَاكِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ، أوْ تَسْرِيحِهِنَّ بإِحْسَانٍ؟!

أفْضَى - وَصَلَ بالوِقَاعِ أوِ الخَلْوَةِ الصَّحِيحَةِ.
مِيثَاقاً غَلِيظاً - عَهْداً وَثِيقاً.

(آبَاؤُكُمْ) (فَاحِشَةً)

(٢٢) - كَانَ زَوَاجُ الأبْنَاءِ بِزَوْجَاتِ الآبَاءِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ فَاشِياً في الجَاهِلِيَّةِ، فَذَمَّ اللهُ تَعَالَى هـذا الفِعْلَ، وَسَمَّـاهُ فَـاحِشَـةً، وَجَعَلَهُ مَبْغُـوضـاً أشَـدَّ البُغْضِ. وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَى الأبْنَاءِ زَوْجَاتِ الآبَاءِ تَكْرِمَةً لَهُمْ وَتَعْظِيماً. وَتَحْـرُمُ آمْرَأةُ الأبِ عَلَى الابْنِ بِمُجَـرَّدِ العَقْدِ عَلَيهـا، دَخَلَ بِهَـا أمْ لَمْ يَدْخُلْ، وَعَدَّ اللهُ تَعَالَى مِثْلَ هذا الزَّوَاجِ فَاحِشَةً، لأنَّهُ يُؤَدِّي بالابْنِ إلى مَقْتِ أبيهِ بَعْدَ أنْ يَتَزَوَّجَ بِآمْرَأتِهِ، وَأنَّهُ طَرِيقٌ سَيِّءٌ لِمَنْ سَلَكَهُ. وَآسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى مِنْ هذا التَّحْرِيمِ الزَّوَاجَ الذِي تَمَّ قَبْلَ نُزُولِ الآيَةِ (مَا قَدْ سَلَفَ).

سَلَفَ - مَضَى.
مَقْتاً - مَمْقُوتاً وَمَبْغُوضاً.
سَاءَ سَبِيلاً - قَبُحَ طَرِيقاً.

(٢٣) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي
حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ
اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ
تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ
أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا
بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ
سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا

الجزء ٥ الحزب ٩

(٢٤) ۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ
وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ
أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ
غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا
اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم
بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

(أُمَّهَاتُكُمْ) (وَأَخَوَاتُكُمْ) (وَعَمَّاتُكُمْ) (وَخَالَاتُكُمْ) (وَأُمَّهَاتُكُمْ) (اللَّاتِي) (وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ) (وَأُمَّهَاتُ) (نِسَائِكُمْ) (وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي) (وَحَلَائِلُ) (أَبْنَائِكُمْ) (مِنْ أَصْلَابِكُمْ)

(٢٣) - هَذِهِ الآيَةُ تَحْوِي تَحْرِيمَ المَحَارِمِ مِنَ النَّسَبِ وَمِنَ الرَّضَاعِ، وَالمَحَارِمِ بِالصِّهْرِ.

فَمِنَ النَّسَبِ - تَحْرُمُ: الأُمُّ وَالجَدَّاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَبَنَاتُ الأَصْلَابِ، وَبَنَاتُ الأَوْلَادِ وَإِنْ نَزَلْنَ، وَالأُخْتُ وَالعَمَّةُ وَالخَالَةُ، وَبَنَاتُ الأُخْتِ، وَبَنَاتُ الأَخِ وَإِنْ نَزَلْنَ.

وَمِنَ الرَّضَاعِ - تَحْرُمُ: الأُمُّ وَالأُخْتُ مِنَ الرَّضَاعِ.

وَمِنَ الصِّهْرِ - تَحْرُمُ أُمُّ الزَّوْجَةِ (وَتَحْرُمُ بِمُجَرَّدِ العَقْدِ عَلَى ٱبْنَتِها)، وَبِنْتُ الزَّوْجَةِ (الرَّبِيبَةُ) المَدْخُولِ بِهَا، وَزَوْجَةُ الابْنِ، وَجَمْعُ أُخْتِ الزَّوْجَةِ مَعَ الزَّوْجَةِ، إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ زَوَاجٍ قَبْلَ هذا التَّحْرِيمِ، فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

الرَّبِيبَةُ - ٱبْنَةُ الزَّوْجَةِ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ - لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ وَلَا حَرَجَ.

(وَالمُحْصَنَاتُ) (أَيْمَانُكُمْ) (كِتَابَ) (بِأَمْوَالِكُمْ) (مُسَافِحِينَ) (فَآتُوهُنَّ) (تَرَاضَيْتُمْ)

(٢٤) - وَتَحْرُمُ النِّسَاءُ الأُخْرَيَاتُ، غَيْرُ الوَارِدَاتِ فِي التَّحْرِيمِ السَّابِقِ، المُتَزَوِّجَاتُ (أَيِ المُحْصَنَاتُ بِالزَّوَاجِ لأَنَّهُنَّ يَكُنَّ فِي حِصْنِ أَزْوَاجِهِنَّ وَحِمَايَتِهِمْ)، إِلَّا النِّسَاءَ المُتَزَوِّجَاتِ اللَّوَاتِي يَقَعْنَ سَبَايَا فِي مُلْكِكُمْ فِي حَرْبٍ دِينِيَّةٍ تُدَافِعُونَ بِهَا عَنْ دِينِكُمْ، وَأَزْوَاجُهُنَّ كُفَّارٌ فِي دَارِ الكُفْرِ، فَحِينَئِذٍ يَنْحَلُّ عَقْدُ زَوَاجِهِنَّ، وَيَكُنَّ حَلَالاً لَكُمْ بِالشُّرُوطِ المَعْرُوفَةِ فِي كُتُبِ الفِقْهِ.

وَيَقُولُ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ مَنْ سُبِيَ مَعَهَا زَوْجُهَا فَلَا تَحِلُّ لِغَيْرِهِ لأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ ٱخْتِلَافِ الدَّارِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، دَارِ الإِسْلَامِ وَدَارِ الكُفْرِ.

وَهذا التَّحْرِيمُ هُوَ كِتَابُ اللهِ عَلَيْكُمْ فَالتَزِمُوا بِهِ.

وَمَا عَدَا هَذِهِ المُحَرَّمَاتِ فَذَلِكَ حَلَالٌ لَكُمْ إِذَا سَعَيْتُمْ إِلَى الحُصُولِ عَلَيهِ بِأَمْوَالِكُمْ لِلزَّوَاجِ، أَوْ لِشِرَاءِ السَّرَارِي، بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ، لَا بِقَصْدِ الزِّنَى وَلَا المُخَادَنَةِ. (وَلِذَا قَالَ تَعَالَى مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ أَيْ لَا تَسْفَحُونَ فِيهِ مَاءَ الفِطْرَةِ سَفْحاً).

وَكَما تَسْتَمْتِعُونَ بِالنِّساءِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُؤْتُوهُنَّ مُهُورَهُنَّ المَفْرُوضَةَ (أُجُورَهُنَّ)، فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ. وَإِنْ كُنْتُمْ فَرَضْتُمْ لِلْمَرْأَةِ مَهْراً ثُمَّ رَضِيَتْ أَنْ تَضَعَ لَكُمْ مِنْهُ شَيئاً بَعْدَ الفَرْضِ، فَلا بَأسَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ، كَذلِكَ لا بَأسَ عَلَيْكُمْ فِي الزِّيَادَةِ فِي المَهْرِ المَفْرُوضِ. وَاللهُ عَليمٌ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ، وَهُوَ حَكيمٌ فِيما أَمَرَ بِهِ وَفَرَضَهُ عَلَى عِبادِهِ.

المُحْصَنَةُ وَالمُحْصَنُ - العَفِيفَةُ وَالعَفِيفُ، وَأُحْصِنَتِ المَرْأَةُ تَزَوَّجَتْ وَأَصْبَحَتْ فِي حِصْنِ الرَّجُلِ وَحِمايَتِهِ.

المُسَافِحُ - الزَّانِي. وَالمُسَافِحَةُ - الزَّانِيَةُ.

الاسْتِمْتاعُ - التَّمَتُّعُ بالشَّيءِ.

الأُجُورُ - هِيَ فِي الأَصْلِ مَا يُعْطَى مُقَابِلَ عَمَلٍ وَيُقْصَدُ بِها هُنا المَهْرُ الذِي يُخَصَّصُ لِلزَّوْجَةِ.

الفَرِيضَةُ - الحِصَّةُ المُحَدَّدَةُ المَفْرُوضَةُ.

﴿٢٥﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا
أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ
فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ
وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ
مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ
وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ
أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى
ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ

(المُحْصَنَاتِ) (المُؤْمِنَاتِ) (أَيْمَانُكُم) (فَتَيَاتِكُمُ المُؤْمِنَاتِ) (بإِيمَانِكُمْ) (وَآتُوهُنَّ) (مُحْصَنَاتٍ) (مُسَافِحَاتٍ) (مُتَّخِذَاتِ) (بِفَاحِشَةٍ) (المُحْصَنَاتِ)

(٢٥) - وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ نَاحِيَةِ المَالِ، وَالقُدْرَةِ عَلَى الإِنْفَاقِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الحَرائِرَ العَفِيفَاتِ المُؤْمِنَاتِ (المُحْصَنَاتِ بالحُرِّيَّةِ) فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الإِماءَ المُؤْمِنَاتِ، اللاتي يَمْلِكُهُنَّ المُؤْمِنُونَ، فَأَنْتُمْ أَيُّها المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فِي الإِيمَانِ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَلا يَنْبَغِي أَنْ تَعدُّوا نِكَاحَ الإِمَاءِ، عِنْدَ الحَاجَةِ إليه، عاراً. وَفِي هَذا إِشارَةٌ إِلى أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ رَفَعَ شَأْنَ الفَتَيَاتِ المُؤْمِنَاتِ، وَسَاوَى بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الحَرائِرِ، وَهُوَ العَلِيمُ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ، وَدَرَجَةِ قُوَّتِهِ وَكَمالِهِ (وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ)، عَلَى أَنْ يَتِمَّ الزَّوَاجُ بإِذْنِ سَيِّدِ الأَمَةِ، لأَنَّهُ وَلِيُّها، وَلاَ تَزَوَّجُ إِلاَّ بإِذْنِهِ، وَعَلَى أَنْ يَدْفَعَ الزَّوْجُ إليها مَهْراً بِالمَعْرُوفِ، عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَعَلَيهِ أَنْ لاَ يُنْقِصَ مِنْهُ شَيْئاً، آسْتِهَانَةً بِها، لِكَونِها أَمَةً مَمْلُوكَةً، عَلَى أَنْ يُحْصِنَهُنَّ الزَّوَاجُ عَنِ الزِّنَى فَلا يَتَعَاطَيْنَهُ (غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ)، وَعَنِ آتِّخَاذِ أَخْدَانٍ وَأَخِلاَّءَ (وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ).

فَإِذا أُحْصِنَتِ الإِماءُ بِالزَّوَاجِ، ثُمَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ، كَأَنْ مَارَسْنَ الزِّنَى، أَوِ آتَّخَذْنَ خَليلاً، فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المُحْصَنَاتِ الحَرائِرِ مِنَ العُقُوبَةِ،

مِنكُمْۗ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(لأنَّ الأمةَ ضَعِيفةٌ عَنْ مُقاوَمةِ الإغْراءِ) وَالأئمَّةُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أنَّهُ لا رَجْمَ عَلَى مَمْلُوكٍ في الزِّنَى.

وَقَدْ أبيحَ الزَّوَاجُ بالشُّرُوطِ المُتَقَدِّمَةِ مِنَ الإمَاءِ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الوُقُوعَ في الزِّنى (خَشِيَ العَنَتَ)، وَشَقَّ عَلَيهِ الصَّبْرُ. أمَّا إذا ٱسْتَطَاعَ الكَفَّ عَنِ التَّزَوُّجِ بالإمَاءِ، وَالصَّبْرَ عَنِ الزِّنَى فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، لأنَّهُ إذَا تَزَوَّجَ الأمَةَ وَجاءَهُ أوْلادٌ مِنْهَا كَانُوا أرِقَّاءَ لِسَيِّدِهَا. وَاللهُ غَفُورٌ لِمَنْ صَدَرَتْ مِنْهُ الهَفَوَاتُ، كَٱحْتِقَارِ الإمَاءِ المُؤْمِنَاتِ، وَالطَّعْنِ فِيهِنَّ أثْنَاءَ الحَدِيثِ، وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى مُعَاشَرَتِهِنَّ بِالمَوَدَّةِ، وَهُوَ تَعَالَى رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ إذْ بَيَّنَ لَهُمْ أحْكَامَ شَرْعِهِ.

الطَّوْلُ ـ القُدْرَةُ على تَحْصِيلِ الرَّغَائِبِ.

الفَتَيَاتُ ـ يُقْصَدُ بِهِنَّ هُنَا الإمَاءُ.

الأخْدَانُ ـ الأصْحَابُ، وَيُرَادُ بِهِمْ هُنَا العُشَّاقُ الذِينَ يَزْنُونَ بِهِنّ سِراً.

العَذَابِ ـ العُقُوبَةُ.

٢٦ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(٢٦) ـ إنَّ اللهَ يُرِيدُ أنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ، أيُّها المُؤْمِنُونَ، مَا أُحِلَّ لَكُم، وَمَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَأنْ يَهْدِيَكُمْ إلَى سُنَنِ مَنْ كَانُوا قَبْلَكُمْ، وَطَرائِقِهِمِ الحَمِيدَةِ، وَإلى ٱتِّبَاعِ شَرَائِعِهِ التِي يُحِبُّهَا وَيَرْضَاهَا، وَيُرِيدُ أنْ يَتُوبَ عَلَيكُمْ مِمَّا ٱرْتَكَبْتُمْ مِنَ الإثْمِ وَالمَحَارِمِ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

السُّنَنُ ـ وَاحِدَتُها سُنَّةٌ وَهِي الشَّرِيعَةُ وَالنَّهْجُ.

٢٧ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا

(الشَّهوَاتِ)

(٢٧) ـ وَاللهُ يُرِيدُ بِمَا شَرَعَهُ لَكُمْ مِنَ الأحْكَامِ أنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ مَا فِيهِ مَصَالِحُكُمْ وَمَنَافِعُكُمْ، وَأنْ تَهْتَدُوا وَتَعْمَلُوا صَالِحاً، وَتَتَّبِعُوا شَرْعَهُ لِيَتُوبَ عَلَيْكُمْ، وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ، وَيُرِيدُ أتْبَاعُ الشَّيْطَانِ الضَّالُونَ أنْ تَمِيلوا عَنِ الحَقِّ إلَى البَاطِلِ مَيْلاً عَظِيماً.

٢٨ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا

(الإنْسَانُ)

(٢٨) ـ وَيُرِيدُ اللهُ تَعَالَى أنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمُ التَّكَالِيفَ فِي أوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَشَرْعِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، لأنَّ الإنْسَانَ ضَعِيفٌ فِي نَفْسِهِ وَعَزْمِهِ وَهِمَّتِهِ، لِذَلِكَ أبَاحَ لَكُمُ الزَّوَاجَ مِنَ الإمَاءِ بِشُرُوطٍ حَدَّدَهَا.

(٢٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

(يا أيها) (آمنوا) (مْوالَكُمْ) (بِالْبَاطِلِ) (تِجارَةً)

(٢٩) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى النَّاسَ عَنْ أنْ يَأكُلَ بَعْضُهُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالبَاطِلِ، أيْ أنْ يَأخُذَهُ بِطَرِيقٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ: كَالقِمَارِ وَالرِّبَا وَالحِيَلِ وَغَيْرِها.. وَإنْ ظَهَرَتْ فِي قَالَبِ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، مِمَّا يَعْلَمُ اللهُ أنَّ مُتَعَاطِيَهَا إنَّمَا يُرِيدُ الحِيلَةَ لأكْلِ الرِّبا. فَاللهُ تَعَالَى يُحَرِّمُ عَلَى النَّاسِ تَعَاطِيَ الأسْبَابِ المُحَرَّمَةِ فِي آكْتِسَابِ الأمْوَالِ، وَآسْتَثْنَى مِنَ التَّحْرِيمِ المُتَاجَرَةَ المَشْرُوعَةَ التِي تَتِمُّ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَ البَائِعِ وَالمُشْتَرِي، فَسَمَحَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِتَعَاطِيهَا، وَالتَّسَبُّبِ فِي كَسْبِ الأمْوَالِ بِهَا. وَيَنْهَى اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَنْ قَتْلِ أنْفُسِهِمْ بِارْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ، وَأكْلِ الأمْوَالِ بِالبَاطِلِ، فَإنَّ اللهَ كَانَ رَحِيماً بِهِمْ فِيمَا أمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، لأنَّ فِيهِ صَلاَحَهُمْ.

وَهٰذِهِ الآيَةُ تَشْمَلُ أيْضاً مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ قَتْلاً حَقِيقِيّاً وَأعْدَمَها الحَيَاةَ بِحَدِيدٍ أوْ بِسُمٍّ أوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أوْ قَتَلَ غَيْرَهُ. وَجَعَلَ اللهُ جِنَايَةَ الإنْسَانِ عَلَى غَيْرِهِ جِنَايَةً عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى البَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ.

أكْلُ المالِ بِالبَاطِلِ - أخْذُهُ بِطَرِيقٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ.

(٣٠) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا

(عُدْوَاناً)

(٣٠) - وَمَنْ تَعَاطَى مَا نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مُعْتَدِياً فِيهِ عَلَى الحَقِّ، وَظَالِماً فِي تَعَاطِيهِ، وَعَارِفاً بِتَحْرِيمِهِ، وَمُتَجَاسِراً عَلَى آنْتِهَاكِهِ، فَإنَّ اللهَ سَوْفَ يُعَذِّبُهُ فِي نَارِ جَهَنَّم، وَذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيهِ.

عُدواناً - مُعْتَدِياً بِهِ عَلَى مَا شَرَعَهُ اللهُ.

نُصْلِيهِ نَاراً - نُدْخِلُهُ فِيهَا وَنُعَذِّبُهُ.

(٣١) إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا

(كَبَائِرَ)

(٣١) - إذا آجْتَنَبْتُمْ مُقَارَفَةَ كَبَائِرِ الآثَامِ وَالذُّنُوبِ التِي نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهَا، كَفَّرَ عَنْكُمْ صَغَائِرَ الذُّنُوبِ، وَأدْخَلَكُمْ فِي جَنَّتِهِ، وَرَحِمَكُمْ مَا دُمْتُمْ بَاذِلِينَ جُهْدَكُمْ فِي الاسْتِقَامَةِ.

وَآخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي عَدَدِ الكَبَائِرِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ إنَّها سَبْعٌ: (الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ، وَالسِّحْرُ، وَأكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَأكْلُ الرِّبا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ) وَقَالَ بَعْضُهُمْ إنَّها أكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: «الكَبَائِرُ إلى سَبْعِينَ أقْرَبُ، إذْ لا صَغِيرَةَ مَعَ

﴿٣٢﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا

﴿٣٣﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا

الإِصْرَارِ، وَلاَ كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ. وَيُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ الذَّنْبَ يُرتَكَبُ لِعَارِضٍ مِنْ ثَوْرَةِ شَهْوَةٍ، أَوْ غَضَبٍ، وَصَاحِبُهُ يَخَافُ اللهَ، وَلاَ يَسْتَحِلُّ مَحَارِمَهُ فَهُوَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يُكَفِّرُهَا اللهُ. وَكُلُّ ذَنْبٍ يُرْتَكَبُ مَعَ التَّهَاوُنِ بِالأَمْرِ، وَعَدَمِ المُبَالاَةِ يُعَدُّ كَبِيراً مَهْمَا صَغُرَ ضَرَرُهُ، إِذَا كَانَ فِيهِ إِصْرَارٌ وَاسْتِهْتَارٌ.

الاجْتِنَابُ - التَّرْكُ وَالابْتِعَادُ.

السَّيِّئَاتُ - صَغَائِرُ الذُّنُوبِ.

مُدْخَلاً كَرِيماً - مُدْخَلاً حَسَناً شَرِيفاً (الجَنَّة)

(وَاسْأَلُوا)

(٣٢) - قَالَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا): يَا رَسُولَ اللهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلاَ نَغْزُو، وَلَنَا نِصْفُ المِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لاَ يَتَمَنَّى الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَيْتَ لِي مَالَ فُلانٍ، وَلَوْ أَنَّ لِي مَالَ فُلانٍ. فَإِنَّ اللهَ نَهَى عَنْ ذَلِكَ وَلكِنْ يَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ. وَلِكُلٍّ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ جَزَاءُ عَمَلِهِ بِحَسبِهِ إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً. وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الدُّنيا فَيُعْطِيهِ مِنْهَا، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الفَقْرَ فَيُفْقِرُهُ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الآخِرَةَ فَيُهَيِّءُ لَهُ أَعْمَالَهَا، وَلِذَلِكَ فَضَّلَ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ مَرَاتِبِ اسْتِعْدَادِهِمْ، وَتَفَاوُتِ اجْتِهَادِهِمْ فِي الحَيَاةِ.

التَّمَنِّي - هُوَ تَشَهِّي الأَمْرِ المَرْغُوبِ فِيهِ.

(مَوَالِيَ) (الْوالِدانِ) (أَيْمانُكُمْ) (فآتوهُمْ)

(٣٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لِكُلٍّ مِنَ الرِّجَالِ الذينَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا، وَمِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَهُنَّ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ، مَوَالِيَ (وَرَثَةٌ)، لَهُمْ حَقُّ الوِلاَيَةِ عَلَى مَا يَتْرُكُونَ مِنْ كَسْبِهِمْ، وَهَؤُلاَءِ المَوَالِي هُمْ جَمِيعُ الوَرَثَةِ مِنَ الأُصُولِ وَالفُرُوعِ وَالحَوَاشِي وَالأَزْوَاجِ، وَالذِينَ عَقَدَ المُتَوَفَّى مَعَهُمْ عَقْداً مِنْ مُقْتَضَاهُ أَنْ يَرِثُوهُ إِذَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ قَرَابَةٍ، فَأَعْطُوا هَؤُلاءِ المَوَالِيَ نَصِيبَهُمُ المُقَدَّرَ لَهُمْ، وَلا تَنْقِصُوهُمْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ اللهَ رَقِيبٌ شَاهِدٌ عَلَى تَصَرُّفَاتِكُمْ، فَلاَ يَطْمَعْ مَنْ كَانَ المَالُ بِيَدِهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ نَصِيبِ أَحَدِ الوَرَثَةِ شَيْئاً، سَوَاءٌ أَكَانَ ذَكَراً أَوْ أُنْثَى، صَغِيراً أَوْ كَبِيراً.

(وَيُقَالُ إِنَّ المُهَاجِرِينَ فِي المَدِينَةِ آخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

﴿٣٤﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا

الأنْصار، فَكَانَ المُتَآخِيَانِ يَتوارثَانِ بِسَبَبِ هذِهِ المُؤَاخَاةِ دُونَ سَائِرِ الوَرَثَةِ، ثُمَّ نُسِخَ هذا التَّعَامُلُ بِهَذِهِ الآيَةِ).

(وقَدْ عَرَفَ المُجْتَمَعُ الإسلامِيُّ أنواعاً مِنَ العُقُودِ أقَرَّتْهَا الشَّرِيعَةُ الإسْلَامِيَّةُ، وَجعلَتْ فِيها الإرْثَ يَذْهَبُ أحْيَاناً لِغَيْرِ الأقْرَبَاءِ، مِنْهَا عَقْدُ وَلَاءِ العِتْقِ فَكَانَ المُتَوفَّى يَرِثُهُ مَوْلَاهُ إذا مَاتَ دُونَ عَصَبَتِهِ. وَعَقْدُ المُوَالَاةِ هُوَ عَقْدٌ يُبِيحُ لِغَيْرِ العَرَبِّي أنْ يَرْتَبِطَ بِعَقْدٍ مَعَ عَرَبِيّ إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ مِنْ عَصَبَتِهِ فَيَرِثُهُ إذَا مَاتَ. وَعَقْدُ المُؤَاخَاةِ الذي عَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأنْصارِ، وَقَدْ أُبْطِلَتْ هَذِهِ العُقُودُ دُونَ أثرٍ رَجْعِيٍّ).

جَعلْنَا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ - وَرَثَةً عَصَبَةً يَرِثُونَ مِمَّا يَتْرُكُ.

الذِينَ عَقَدَتْ أيْمانُكُمْ - حَالَفْتُمُوهُمْ وَعَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَى التَّوارُثِ.

(قَوَّامُونَ) (أمْوالِهِمْ) (فَالصَّالِحَاتُ) (قَانِتَاتٌ) (حَافِظَاتٌ) (واللاتِي)

(٣٤) - مِنْ شَأنِ الرَّجُلِ أنْ يَقُومَ عَلَى المَرْأةِ بِالحِمَايَةِ وَالرِّعَايَةِ، وَلِذَلِكَ فَرَضَ اللهُ تَعَالَى الجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَالجِهَادُ مِن أخصِّ شُؤُونِ الحِمَايَةِ. وَقَدْ فَضَّلَ اللهُ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ فِي الخِلْقَةِ، وَأعْطَاهُمْ مَا لَمْ يُعْطِ النِّسَاءَ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، كَمَا فَضَّلَهُمْ بِالقُدْرَةِ عَلَى الإنْفَاقِ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ أمْوَالِهِمْ، فَإنَّ فِي المُهُورِ تَعْوِيضاً لِلنِّسَاءِ، وَمُكَافَأةً لَهُنَّ عَلَى الدُّخُولِ تَحْتَ رِئَاسَةِ الرَّجُلِ، وَقَبُولِ القِيَامَةِ عَلَيْهِنَّ. وَالقِيَامَةُ تَعْنِي الإرْشَادَ وَالمُرَاقَبَةَ فِي تَنْفِيذِ مَا تُرْشَدُ إليهِ النِّسَاءُ، وَمُلاحَظَةَ أعْمَالِهِنَّ، وَمِنْ ذَلِكَ حِفْظُ المَنْزِلِ، وَعَدَمُ مُفَارَقَتِهِ إلّا بإذْنٍ، وَالانْصِرَافُ إلى وَظِيفَتِهِنَّ الفِطْرِيَّةِ مِنْ حَمْلٍ وَرضَاعٍ وَتَرْبِيَةٍ. وَالنِّسَاءُ الصَّالِحَاتُ مُطِيعَاتٌ لأزْوَاجِهِنَّ، حَافِظَاتٌ لِمَا يَجْرِي بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ أزْوَاجِهِنَّ فِي خَلَوَاتِهِمْ، لا يُطْلِعْنَ عَلَيهِ أحَداً، وَيَحْفَظْنَ أنْفُسَهُنَّ مِنْ أيدِي العَابِثِينَ، وَعَلَيْهِنَّ أنْ يَحْفَظْنَ أمْوَالَ أزْوَاجِهِنَّ مِنَ الضَّيَاعِ، وَهذا الصِّنْفُ مِنَ النِّسَاءِ لَيسَ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ سُلْطَانُ التَّأدِيبِ. أمَّا اللَّوَاتِي تَخْشَوْنَ مِنْهُنَّ أنْ لا يَقُمْنَ بِحَقِّ الزَّوْجِيَّةِ عَلَى الوَجْهِ الذِي تَرْضَوْنَ، فَعَلَى الرِّجَالِ مُعَامَلَتُهُنَّ، مُبْتَدِئِينَ بِالوَعْظِ وَالإرْشَادِ، وَالتَّذْكِيرِ بِوَاجِبَاتِهِنَّ، فَقَدْ يَكْفِي ذَلِكَ، فَإنْ لَمْ يُجْدِ ذَلِكَ، فَجَرِّبُوا الهَجْرَ فِي المَضْجَعِ، وَالإعراضَ عَنْهُنَّ، فَقَدْ يُفِيدُهُنَّ ذَلِكَ فَيَفِئْنَ إلَى الصَّوابِ.

﴿٣٥﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا



﴿٣٦﴾ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ

وَإذا لَمْ يُجْدِ ذَلِكَ فَجَرِّبُوا الضَّرْبَ غَيْرَ المُبَرِّحِ وَغَيْرَ المُؤْذِي، وهذا لاَ يُلجأ إليهِ إلاّ إذا يَئِسَ الرَّجُلُ مِنْ رُجُوعِ المَرْأَةِ عَنْ نُشُوزِهَا إلاَّ بِهِ.

وَإذا أطَاعَتِ المَرْأَةُ زَوْجَهَا فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْهَا، مِمَّا أبَاحَهُ اللهُ لَهُ مِنْهَا، فَلاَ سَبِيلَ لَهُ عَليها، ولَيْسَ لَهُ ضَرْبُها، وَلا هُجْرَانُها، وَلاَ إسَاءَةُ مُعَامَلَتِهَا.

وَيهدِّدُ اللهُ تَعَالَى الرِّجَالَ إذا بَغَوْا عَلَى النِّساءِ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَيُعْلِمُهُمْ بِأنَّهُ وَلِيُّهُنَّ، وَأنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِمَّنْ يَبْغِي عَلَيهِنَّ.

قَوَّامُون - قِيَامَ الوُلاَةِ المُصْلِحِينَ عَلَى الرَّعِيَّةِ.

قَانِتَاتٌ - مُطِيعَاتٌ لأزْوَاجِهِنَّ.

حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ - صَائِنَاتٌ لِلْعِرْضِ وَالمَالِ فِي الغَيْبَةِ.

بِمَا حَفِظَ اللهُ - لَهُنَّ مِنْ حُقُوقِهِنَّ عَلَى أزْوَاجِهِنَّ.

النُّشُوزُ - عَدَمُ المُطَاوَعَةِ.

(إصْلاحاً)

(٣٥) - إذَا وَقَعَ الشِّقَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، أسْكَنَ القَاضِي الزَّوْجَةَ إلَى جَنْبِ ثِقَةٍ يَنْظُرُ فِي أمْرِها، وَيَمْنَعُ مِنْهُمَا الظَّالِمَ مَنْ ظُلْمِهِ، فَإنْ تَفَاقَمَتِ الخُصُومَةُ بَيْنَهُمَا، وَصَارَتْ تُهَدِّدُ بالانْفِصَالِ، بَعَثَ القَاضِي ثِقَةً مِنْ أهْلِ الزَّوْجَةِ وَثِقَةً مِنْ أهْلِ الزَّوْجِ، لِيَجْتَمِعَا وَيَنْظُرا فِي أمْرِهِما، وَيَفْعَلاَ مَا فِيهِ المَصْلَحَةُ مِمَّا يَرَيَانِهِ مِنَ التَّفْرِيقِ أوِ التَّوْفِيقِ، وَالشَّارِعُ أمْيَلُ إلَى التَّوفِيقِ، لِذَلِكَ قَالَ إنْ يُرِيدا إصْلاحاً يُوفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا، فَهَذِهِ الأحْكَامُ إنَّمَا شَرَعَهَا اللهُ العَلِيمُ بِأحْوالِ العِبَادِ وَأخْلاقِهِمْ، وَالخَبِيرُ بِمَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ وبِأسْبَابِهِ.

(وَبالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً) (وَاليَتَامَى) (وَالمَسَاكِينِ) (أيْمَانُكُمْ)

(٣٦) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَبِعَدَمِ الإشْرَاكِ بِهِ، وَبالعَمَلِ بِمَا أمَرَ بِهِ، ثُمَّ أوْصَاهُمْ بالإحْسَانِ إلى الوَالِدَين، فَقَدْ جَعَلَهُمَا اللهُ سَبَباً لِخُرُوجِ الإنْسَانِ مِنَ العَدَمِ. ثُمَّ أمَرَ بالإحْسَانِ إلَى ذَوِي القُرْبَى، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ثُمَّ أمَرَ بالإحْسَانِ إلى اليَتَامَى الذِينَ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ، وَمَنْ يُنْفِقُونَ عَلَيهِمْ، ثُمَّ بالإحْسَانِ إلَى المَسَاكِينِ (وَهُمُ المُحْتَاجُونَ الذينَ لاَ يَجِدُونَ مَنْ يَقُومُ بِكِفَايَتِهِمْ)، فَأمَرَ اللهُ بِمُسَاعَدَتِهِمْ بِمَا تَتِمُّ بِهِ كِفَايَتُهُمْ. ثُمَّ أمَرَ بالإحْسَانِ إلى الجَارِ الجُنُبِ، وَهُوَ الجَارُ الذي ليس بينك وبينَهُ قَرابةٌ، كَمَا أمَرَ تَعَالى بالإحْسَانِ إلى الصَّاحِبِ بِالجَنْبِ، وَهوَ

أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا

الرَّفِيقُ الصَّالحُ فِي الحِلِّ وَالسَّفر، وَآبْنِ السَّبِيلِ وَهُوَ الضَّيْفُ عابِرُ السَّبِيلِ مَارّاً بِك فِي سَفَرٍ فَقَدْ أمَرَ اللهُ بِالإِحْسَانِ إليهِ. كَمَا أَمَرَ اللهُ النَّاسَ بِالإِحْسَانِ إلى الأرِقَّاءِ الذِينَ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ.

ثُمَّ أضَافَ تَعالَى إلى ذَلِكَ، أَنَّهُ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فِي نَفْسِهِ، مُعْجَباً مُتَكَبِّراً فَخُوراً عَلَى النَّاسِ، يَرَى أنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ كَبيرٌ وَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَقِيرٌ.

الجَارِ الجُنُبِ - البَعِيدِ سَكَناً أوْ نِسْبَةً.

الصَّاحِبِ بِالجَنْبِ - الرَّفِيقِ فِي أمْرٍ حَسَنٍ.

مُخْتَالاً - مُتَكَبِّراً مُعْجَباً بِنَفْسِهِ.

فَخُوراً - كَثِيرَ التَّطَاوُلِ وَالتَّعَاظُمِ بِالمَنَاقِبِ.

(٣٧) ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا

(آتاهُمْ) (لِلْكافِرِينَ)

(٣٧) - قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ إنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُخْتَالِينَ الفَخُورِينَ، وَهُنَا يَصِفُ تَعَالَى هَؤُلاَءِ المُخْتَالِينَ الفَخُورِينَ فَيَقُولُ: إنَّهُمْ هُمُ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِأمْوَالِهِمْ أنْ يُنْفِقُوهَا فِيمَا أمَرَ اللهِ بِهِ، مِنْ بِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَالإِحْسَانِ إلى الأقَارِبِ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ، وَالجَارِ وَآبْنِ السَّبِيلِ، وَمَا مَلَكَتِ الأيْمَانُ مِنَ الأرِقَّاءِ، وَلاَ يُؤَدُّونَ حَقَّ اللهِ، وَلاَ يَكْتَفُونَ بِالتَّكَبُّرِ وَالبُخْلِ، وَإِنَّمَا يَأمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ أيْضاً.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ، أمَرَهُمْ بِالقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأمَرَهُمْ بِالفُجُورِ فَفَجَرُوا).

وَالبَخِيلُ جَحُودٌ لِنِعْمَةِ اللهِ فَلاَ تَظْهَرُ عَلَيهِ، وَلا تَبِينُ فِي مَآكِلِهِ، وَلا فِي مَلْبَسِهِ، فَهُوَ كَاتِمٌ لِمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، كَافِرٌ بِنِعْمَتِهِ، وَقَدْ أعَدَّ اللهُ لِلْكَافِرِينَ بِنِعَمِهِ عَذاباً مُهِيناً.

(وَيَشْمَلُ البُخْلُ المَقْصُودُ فِي هَذِهِ الآيَةِ البُخْلَ بِلِيِّنِ الكَلاَمِ، وَالنُّصْحَ فِي التَّعْلِيمِ، وَإِنْقَاذَ المُشْرِفِ عَلَى التَّهْلُكَةِ).

(٣٨) وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا

(أمْوَالَهُمْ) (الشَّيْطَانُ)

(٣٨) - لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى البُخَلاَءَ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ، وَهُنَا يَذْكُرُ تَعَالَى البَاذِلِينَ المُرَائِينَ، الذِينَ يَقْصُدُونَ بِإعْطَائِهِمْ أنْ يُذْكَرُوا بِحُسْنِ السُّمْعَةِ، وَأنْ يُمْدَحُوا بِالكَرَمِ، وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ، وَلاَ يُرِيدُونَ مِنْ إنْفَاقِهِمْ وَجْهَ اللهِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمُ الشَّيْطَانُ عَلَى صَنِيعِهِمِ القَبِيحِ

هذا، وحَسَّنَ لَهُمُ القَبائِحَ، ولِهَذا قَالَ تَعالَى: وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً، أيْ ساءَ الشَّيْطانُ رَفِيقاً لِهَؤُلاءِ المُرائِينَ.

رِئَاءَ النَّاسِ - مُراءاةً لَهُمْ وَسُمْعَةً لا لِوَجْهِ اللهِ.

٣٩ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا

(آمَنُوا) (الآخِرِ)

(٣٩) - تَبّاً لِهَؤُلاءِ! فَمَا الذِي كَانَ يُصِيبُهُمْ مِنَ الضَّرَرِ لَوْ أنَّهُمْ آمَنُوا بِاللهِ إيمَاناً صَحِيحاً مُخْلِصاً، وَسَلَكُوا سَبِيلَ الهُدَى، وَعَدَلُوا عَنِ الرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ إلى الإِخْلاَصِ فِي الاعْتِقَادِ بِأَنَّهُمْ مُلاَقُو رَبِّهِمْ فِي الآخِرَةِ لِيُوفِّيَهُمْ حِسَابَهُمْ، ثُمَّ أنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ فِي الوُجُوهِ التِي يُحِبُّها وَيَرْضَاهَا، وَاللهُ عَلِيمٌ بِنِيَّاتِهِمْ، مَا صَلَحَ مِنْهَا وَمَا فَسَدَ، وَعَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّوْفِيقَ مِنْهُمْ فَيُوَفِّقُهُ، فَعَلَى المُؤْمِنِ أنْ يَكْتَفِيَ بِعِلْمِ اللهِ فِي إنْفَاقِهِ، وَلاَ يُبَالِي بِعِلْمِ النَّاسِ.

٤٠ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

(يُضاعِفْهَا)

(٤٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُوفِّيهِمْ أجُورَ أعْمَالِهِمْ كَامِلَةً، وَلاَ يَظْلِمُ يَوْمَ القِيَامَةِ أحَداً مِنْ خَلْقِهِ مِثْقَالَ (أيْ ثِقَلَ) حَبَّةِ خَرْدَلٍ، وَلاَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنَّمَا يُوَفِّي كُلَّ عَامِلٍ عَمَلَه، وَيُضَاعِفُ الحَسَنَاتِ لِفَاعِلِيهَا، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ الجَنَّةَ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الأجْرُ العَظِيمُ الذِي وَعَدَهُمْ بِهِ.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ - وَزْنَ النَّمْلَةِ الصَّغِيرَةِ.

٤١ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا

(٤١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنْ هَوْلِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَشِدَّةِ أمْرِهِ، فَإذَا كَانَ لاَ يَضِيعُ مِنْ عَمَلِ العَامِلِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فَكَيْفَ يَكُونُ الأمْرُ وَالحَالُ، يَوْمَ القِيَامَةِ، حينَ يَجْمَعُ اللهُ الخَلاَئِقَ، وَيَجِيءُ مِنْ كُلِّ أمَّةٍ بِشَاهِدٍ عَلَيْهَا (هُوَ نَبِيُّها)، وَيَأتِي بِمُحَمَّدٍ شَاهِداً عَلَى قَوْمِهِ (هَؤُلاءِ)؟ وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ هِيَ عَرْضُ أعْمَالِ الأمَمِ عَلَى أنْبِيَائِهِمْ، وَمُقَابَلَةُ عَقَائِدِهِمْ وَأخْلاَقِهِمْ وَأعْمَالِهِمْ بِعَقَائِدِ الأنْبِيَاءِ، وَأعْمَالِهِمْ وَأخْلاَقِهِمْ، فَمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ أنَّهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، وَمَا أمَرَ النَّاسَ بِالعَمَلِ بِهِ فَهُوَ نَاجٍ، وَمَنْ تَبَرَّأ مِنْهُ الأنْبِيَاءُ فَهُوَ مِنَ الأخْسَرِينَ.

٤٢ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا

(يَوْمَئِذٍ)

(٤٢) - فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَتَمَنَّى الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَعَصَوْا رَسُولَهُ، لَوْ أنَّ الأرْضَ انْشَقَّتْ وَابْتَلَعَتْهُمْ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ هَوْلِ المَوْقِفِ، وَمِمَّا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الخِزْيِ وَالفَضِيحَةِ وَالتَّوْبِيخِ. فَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يَجْمَعُ اللهُ الخَلاَئِقَ فِي بَقِيعٍ وَاحِدٍ، فَيَقُولُ المُشْرِكُونَ: إنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ مِنْ أحَدٍ شَيْئاً إلاَّ

﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا

﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ

مِمَّنْ وَحَّدَهُ، فَتَعالَوْا نَجْحَدْ. فيسألُهُمْ رَبُّهُمْ، فيقولُونَ: واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ. فَيَخْتِمُ اللهُ عَلَى أَفْواهِهِمْ، وَيَسْتَنْطِقُ جَوارِحَهُمْ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، فَعِنْدَئِذٍ يَتَمَنَّوْنَ لَوْ أَنَّ الأَرْضَ سُوِّيَتْ بِهِمْ، وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً.

لَوْ تُسَوى بِهِمُ الأَرْضُ - لَوْ كَانُوا وَالأَرْضَ سَواءً فَلا يُبْعَثُونَ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الصَّلاَةَ) (سُكَارَى) (الْغَائِطِ) (لاَمَسْتُمُ)

(٤٣) - يَنْهى اللهُ تَعالَى عِبادَهُ عَنِ الصَّلاَةِ في حالِ السُّكْرِ، الذِي لاَ يَدْرِي مَعَهُ المُصَلِّي ما يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ وَمَا يَقْرَأُ (وَكانَ هذا قَبْلَ تَحْرِيمِ الخَمْرِ بِصُورَةٍ قاطِعَةٍ).

وَيَنْهى اللهُ تَعالَى مَنْ كَانَ جُنُباً عَنْ دُخولِ المَساجِدِ (إلاَّ أنْ يَكُونَ مُجْتازاً مِنْ بَابٍ إلى بَابٍ مِنْ غَيْرِ مَكْثٍ. وَكَانَتْ بُيُوتُ الأَنْصارِ أَبْوابُها مِنْ داخِلِ المَسْجِدِ، فَكَانَتْ تُصِيبُهُمُ الجَنابَةُ وَلاَ ماءَ عِنْدَهُمْ، فَيَرِدُونَ المَاءَ وَلاَ يَجِدُونَ مَمَراً إلاّ في المَسْجِدِ) وَيَسْتَمِرُّ تَحْرِيمُ المَكْثِ فِي المَسْجِدِ عَلَى الجُنُبِ وَالحائِضِ حَتَّى يَغْتَسِلا أوْ يَتَيَمَّما.

وَإذَا كُنْتُمْ مَرْضَى مَرَضاً تَخافُ زِيادَتَهُ بِاسْتِعْمالِ المَاءِ، أَوْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَأَحْدَثْتُمْ حَدَثاً أَصْغَرَ (جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغائِطِ) أَوْ وَاقَعْتُمُ النِّساءَ (لاَمَسْتُمُ النِّساءَ)، وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً لِتَغْتَسِلُوا أَوْ لِتَتَوَضَّؤوا فَتَيَمَّمُوا التُّرابَ الطَّاهِرَ الحَلالَ (الطَّيِّبَ)، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ لِيَقُومَ ذَلِكَ مَقامَ الوُضُوءِ والغُسْلِ، وَمِنْ عَفْوِهِ تَعالَى عَنْكُمْ، وَمِنْ غُفْرانِهِ لَكُمْ، أنْ شَرَعَ لَكُمْ التَّيَمُّمَ، وَأَباحَ لَكُمُ الصَّلاَةَ إذا فَقَدْتُمُ المَاءَ، تَوْسِعَةً عَلَيكُمْ وَرُخْصَةً لَكُم. وَيَكُونُ التَّيَمُّمُ بِضَرْبَتَيْنِ بِاليَدَيْنِ عَلَى الأَرْضِ، ضَرْبَةً يَمْسَحُ بِها وَجْهَهُ، وَضَرْبَةً يَمْسَحُ بِها يَدَيْهِ.

الصَّعِيدُ - مَا صَعِدَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ التُّرابُ وَالرَّمْلُ وَالحَصَى..

عابِري سَبِيلٍ - مُسافِرِينَ فَقَدُوا المَاءَ فَتَيَمَّمُوا.

الغائِطِ - مَكانُ قَضاءِ الحَاجَةِ.

لاَمَسْتُمُ النِّساءَ - واقَعْتُمُوهُنَّ أَوْ لاَمَسْتُمْ بَشَرَتَهُنَّ.

(الْكِتَابِ) (الضَّلاَلَةَ)

(٤٤) - ألا تَعْجَبُ يا مُحَمَّدُ مِنْ أَمْرِ هؤُلاءِ الذِينَ أُعْطُوا حَظّاً مِنَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ كَيْفَ حُرِمُوا هِدايَتَها، وَاسْتَبْدَلُوا بِهَا ضِدَّهَا، فَهُمْ يَخْتارُونَ

﴿٤٥﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا

﴿٤٦﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا

الضَّلاَلَةَ لأَنْفُسِهِمْ، وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا بِهَا طَرِيقَ الحَقِّ القَوِيمِ، كَمَا ضَلُّوا هُمْ، وَهُمْ دَائِبُو الكَيْدِ لِيَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ آسْتَطَاعُوا.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أوتوا نصيباً مِنَ الكِتَابِ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَظُوا كِتَابَهُمْ كُلَّهُ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَظْهِرُوهُ زَمَنَ التَّنْزِيلِ، كَمَا حَفِظَ المُسْلِمُونَ قُرآنَهُمْ، وَلَمْ يَكْتُبُوا مِنْهُ نُسَخاً مُتَعَدِّدَةً فِي العَصْرِ الأَوَّلِ حَتَّى إِذَا فُقِدَ بَعْضُهَا قَامَ مَقَامَهَا بَعْضٌ آخَرُ)

(بِأَعْدَائِكُمْ)

(٤٥) - وَاللهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلاءِ اليَهُودَ أَعْدَاؤُكُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِهِمْ، وَهُوَ يُحَذِّرُكُمْ مِنْهُمْ، وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً لِمَنْ لَجأَ إِلَيهِ، وَكَفَى بِهِ نَصِيراً لِمَنِ آسْتَنْصَرَهُ.

(وَرَاعِنَا)

(٤٦) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ أَعْرَفُ مِنْهُمْ بِأَعْدَائِهِم اليَهُودِ (الذينَ هَادُوا)، وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ يُمِيلُونَ الكَلاَمَ عَنْ مَعْنَاهُ، وَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيرِ حَقِيقَتِهِ (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ) وَيُرِيدُونَ بِهِ غَيْرَ المَقْصُودِ بِهِ، وَهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عَنْ قَصْدٍ مِنْهُمْ، آفْتِرَاءً عَلَى اللهِ، وَرَغْبَةً فِي إِيذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ. وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا مَا قُلْتَ يَا مُحَمَّدُ، وَنَحْنُ لا نُطِيعُكَ فِيهِ. وَهذا أَبْلَغُ فِي الكُفْرِ وَالعِنَادِ لأَنَّهُمْ مُتَوَلُّونَ عَنْ كِتَابِ اللهِ، بَعْدَمَا عَقَلُوهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الإِثْمِ وَالعُقُوبَةِ عِنْدَ اللهِ. وَيَقُولُونَ: آسْمَعْ مَا نَقُولُ لَكَ لاَ سَمِعْتَ (أَيْ لا أَسْمَعَكَ اللهُ دُعَاءً)، وَهُمْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ الدُّعَاءَ عَلَى النَّبِيِّ، مَعَ أَنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ إِيهَامَ مَنْ حَوْلَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الدُّعَاءَ لَهُ. مَعَ أَنَّ المُسْلِمِينَ حِينَمَا كَانُوا يَقُولُونَ هَذِهِ العِبَارَةَ إِنَّمَا كَانُوا يَقْصِدُونَ بِهَا الدُّعَاءَ (لاَ أَسْمَعَكَ اللهُ مَكْرُوهاً).

وَكَانَ اليَهُودُ يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (رَاعِنَا)، وَهُمْ يُوهِمُونَ مَنْ حَوْلَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ (أَرْعِنَا سَمْعَكَ)، أَيِ آنْتَبِهْ لِمَا نَقُولُ لَكَ. وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَلْوُونَ أَلْسِنَتِهِمْ فَيَبْدُو وَكَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ سَبَّ النَّبِيِّ وَوَصْفَهُ بِالرُّعُونَةِ (وَرَاعِينُو بِالعِبْرِيَّةِ تَعْنِي الشِّرِّيرَ) وَهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ آسْتِهْزَاءً بِالدِّينِ الذِي يُبَلِّغُهُ النَّبِيُّ عَنْ رَبِّهِ إِلَى عِبَادِ اللهِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَآسْمَعْ وَآنْظُرْنَا، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ وَأَفْضَلَ، وَلَكِنَّ اللهَ لَعَنَهُمْ وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ

﴿٤٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ
ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا
مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ
وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ
أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ
ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا

﴿٤٨﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ
وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ
إِثْمًا عَظِيمًا

﴿٤٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ
بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا

بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ الخَيْرِ وَالهُدَى، فَلا يُؤْمِنُونَ إِيمَاناً نَافِعاً لَهُمْ.

(وَقَدْ يَكُونُ مَعنَى المَقْطَعِ الأَخِيرِ: إِنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُ مِنْهُمْ بِالإِسْلاَمِ إِلاَّ قَلِيلُونَ).

يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ ـ يُغَيِّرُونَهُ أَوْ يَتَأَوَّلُونَهُ بِالبَاطِلِ.

اَسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ـ قَصَدَ بِهِ اليَهُودُ الدُّعَاءَ عَلَى النَّبِيِّ.

رَاعِنَا ـ قَصَدُوا بِهَا الإِسَاءَةَ إِلَيْهِ.

لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ ـ مَيْلاً بِأَلْسِنَتِهِمْ إِلى جَانِبِ السُّوءِ مِنَ القَوْلِ.

(يَا أَيُّهَا) (الْكِتَابَ) (آمِنُوا) (أَصْحَابَ)

(٤٧) ـ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الكِتَابِ، مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، بِالإِيمَانِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الكِتَابِ العَظِيمِ، الذِي فِيهِ تَصْدِيقُ الأَخْبَارِ التِي جَاءَتْ فِي كُتُبِهِمْ، مِنْ تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ، وَالابْتِعَادِ عَنِ الشِّرْكِ، وَمِنَ التَّبْشِيرِ بِمُحَمَّدٍ وَشَرِيعَتِهِ، وَيَتَهَدَّدُهُمْ، إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ يُعَاقِبُهُمْ بِطَمْسِ وُجُوهِهِمْ، فَلا يُبْقِي لَهُمْ سَمْعاً وَلاَ بَصَراً وَلا أَنْفاً، وَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ إِلى جِهَةِ ظُهُورِهِمْ، فَيَمْشُونَ القَهْقَرَى إِلى الوَرَاءِ، أَوْ يَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَ الذِينَ اعْتَدَوا فِي السَّبْتِ، بِالاحْتِيَالِ فِي صَيْدِ الأَسْمَاكِ، وَقَدْ مَسَخَهُمُ اللهُ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

وَأَمْرُ اللهِ تَعَالَى مَفْعُولٌ لاَ يُخَالَفُ وَلاَ يُمَانَعُ، وَهُوَ وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ فَاحْذَرُوهُ.

نَطْمِسَ وُجُوهاً ـ نَمْحُوهَا أَوْ نَتْرُكَهُمْ فِي الضَّلاَلَةِ.

(٤٨) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ بِأَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ لِعَبْدٍ جَاءَ اللهَ مُشْرِكاً بِعِبَادَتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ، لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ ارْتَكَبَ ذَنْباً عَظِيماً، لاَ يَسْتَحِقُّ مَعَهُ الغُفْرَانَ.

وَالشِّرْكُ ضَرْبَانِ:

ـ شِرْكٌ فِي الأُلُوهِيَّةِ ـ وَهُوَ الشُّعُورُ بِسُلْطَةٍ وَرَاءَ الأَسْبَابِ وَالسُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ.

ـ شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ ـ وَهُوَ الأَخْذُ بِشَيءٍ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ عَنْ بَعْضِ البَشَرِ دُونَ الوَحْيِ.

(٤٩) ـ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي اليَهُودِ وَالنَّصَارَى حِينَ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ

يُظْلَمُونَ فَتِيلًا

وَأَحِبَّاؤُهُ، وَحِينَ قَالُوا: لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصارَى.

(وَقِيلَ إنَّها نَزَلَتْ فِي ذَمِّ مَدْحِ النَّفْسِ، وَتَزْكِيَةِ الإنْسانِ نَفْسَهُ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ).

فَقَالَ تَعَالَى: ألا تَعْجَبُ، يَا مُحَمَّدُ، مِنْ هَؤُلاءِ الكَافِرِينَ الذِينَ نُبَيِّنُ لَهُمْ سُوءَ عَمَلِهِمْ، فَيَرونَهُ حَسناً، وَيُثْنُونَ عَلَى أنْفُسِهِمْ مُزَكِّينَ إيَّاهَا، فَإنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ المَرْجِعُ فِي تَقْدِيرِ أفْعَالِ العِبَادِ، لأنَّهُ العَالِمُ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ وَغَوَامِضِهَا، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَكْتُمُهُ النَّاسُ وَمَا يُعْلِنُونَهُ، وَهُوَ لا يَتْرُكُ لأحَدٍ شَيئاً مِنَ العَمَلِ، وَلَوْ كَانَ مِقْدارَ الفَتِيلِ فِي شِقِّ نَواةِ التَّمْرَةِ، إلاَّ وَيَحْتَسِبُهُ لَهُ.

الفَتِيلُ ـ الخَيْطُ الرَّفِيعُ فِي شِقِّ نَواةِ التَّمْرَةِ.
يُزَكُّونَ أنْفُسَهُمْ ـ يَمْدَحُونَها بِالبَرَاءَةِ مِنَ الذُّنُوبِ.

(٥٠) انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا

(٥٠) ـ انْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ يَفْتَرِي هَؤُلاءِ الكَذِبَ عَلَى اللهِ، فِي تَزْكِيَةِ أنْفُسِهِمْ، وَادِّعَائِهِمْ أنَّهُمْ أبْنَاءُ اللهِ وَأحِبَّاؤُهُ، وَأنَّهُمْ لَنْ تَمَسَّهُمُ النَّارُ إلا أيَّاماً مَعْدُوداتٍ، وَكَفَى بِهذا الذي يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ كَذِباً ظَاهِراً.

(٥١) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا

(الْكِتَابِ) (وَالطَّاغُوتِ) (آمَنُوا)

(٥١) ـ جاءَ بَعْضُ رُؤساءِ اليَهُودِ إلى قُرَيْشٍ فَسَألَتْهُمْ قُرَيْشٌ: أهُمْ، وَمَا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ وَعِبادَةِ الأصْنَامِ، خَيْرٌ أمْ مُحَمَّدٌ وَمَا هُوَ عَلَيهِ مِنَ الإيمَانِ بِاللهِ؟ فَقَالَ اليَهُودُ: بَلْ قُرَيْشٌ أهْدَى سَبِيلاً. فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، يَعِيبُ فِيهَا عَلَى اليَهُودِ قَوْلَهُمْ هذا، وَتَفْضِيلَهُمُ الكُفْرَ، وَعِبادَةَ الأصْنَامِ، عَلَى هُدَى اللهِ، وَدِينِهِ الحَقِّ.

الجِبْتِ ـ أصْلُهُ الجِبْسُ ـ وَهُوَ الرَّدِيءُ الذِي لاَ خَيْرَ فِيهِ أوِ السِّحْرُ وَالأصْنَامُ وَالكُهَّانُ وَالخُرَافَاتُ.

الطَّاغُوتِ ـ مَا تَكُونُ عِبادَتُهُ وَالإيمَانُ بِهِ سَبَباً لِلطُّغْيَانِ وَالخُرُوجِ مِنَ الحَقِّ، مِنْ مَخْلُوقٍ يُعْبَدُ، أوْ رَئِيسٍ يُقَلَّدُ، أوْ هَوىً يُتَّبَعُ. وَقِيلَ إنَّهُ الشَّيْطَانُ.

(٥٢) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا

(أولَئِكَ)

(٥٢) ـ وَالذِينَ يُفَضِّلُونَ الكُفْرَ عَلَى الإيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، إرْضَاءً لِلْكَافِرِينَ، وَاسْتِنْصَاراً بِهِمْ، فَهؤُلاءِ يَلْعَنُهُمُ اللهُ. وَمَنْ لَعَنَهُ اللهُ، وَطَرَدَهُ

(٥٣) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا

(٥٤) أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا

(٥٥) فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا

(٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا

مِنْ رَحْمَتِهِ، فَلا نَاصِرَ لَـهُ مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَلا وَلِيَّ لَهُ يَنْصُرُهُ مِنَ الذُّلِّ وَالعَذَابِ.

(٥٣) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلاءِ اليَهُودِ أنْ يَكُونَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ، بَعْدَ أنْ فَقَدُوهُ بِكُفْرِهِمْ، وَظُلْمِهِمْ، وَطُغْيَانِهِمْ، وَإِيمَانِهِمْ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، ثُمَّ يَصِفُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالبُخْلِ وَالأَثَرَةِ، وَيَقُولُ: لَوْ أنَّهُمْ كَانَ لَهُمُ المُلْكُ، وَحَقُّ التَّصَرُّفِ، لَمَا أعْطَوا النَّاسَ شَيئاً، خَوْفاً مِنْ أنْ يَنْفَدَ مَا لَدَيهِمْ، وَلَحَصَرُوا مَنَافِعَهُ فِي أنْفُسِهِمْ.

النَّقِيرُ - نُقْطَةٌ صَغِيرَةٌ فِي نَوَاةِ التَّمْرِ.

(آتَاهُمْ) (آتَيْنَا) (آلَ) (إِبْرَاهِيمَ) (الْكِتَابَ) (وآتَيْنَاهُمْ)

(٥٤) - إنَّ هَؤُلاءِ اليَهُودَ يُرِيدُونَ أنْ يَضِيقَ فَضْلُ اللهِ بِعِبَادِهِ، وَلا يُحِبُّونَ أنْ يَكُونَ لأُمَّةٍ فَضْلٌ أكْثَرُ مِمَّا لَهُمْ أوْ مِثْلُهُمْ، لِمَا آسْتَحْوذَ عَلَيْهِمْ مِنَ الغُرُورِ بِنَسَبِهِمْ، وَتَقَالِيدِهِمْ، مَعَ سُوءِ حَالِهِمْ. وَإنَّ حَسَدَهُمْ لِلرَّسُولِ ﷺ، عَلَى مَا رَزَقَهُ اللهُ مِنَ النُّبُوَّةِ العَظِيمَةِ، هُوَ الذِي مَنَعَهُمْ مِنَ التَّصْدِيقِ وَالإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، لأنَّهُ مِنَ العَرَبِ، وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَإنْ يَحْسُدُوا مُحَمَّداً عَلَى مَا أوتِيَ، فَقَدْ أخْطَؤُوا إذْ أنَّ مَا آتَى اللهُ مُحَمَّداً لَيْسَ بِدْعاً مِنَ اللهِ، فَقَدْ آتَى اللهُ مِثْلَ هذا آلَ إبْرَاهِيمَ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إسْمَاعِيلَ، فَلِمَاذَا يَعْجَبُونَ مِمَّا آتَى اللهُ مُحَمَّداً، وَلَمْ يَعْجَبُوا مِمَّا آتَى آلَ إبْرَاهِيمَ؟

(آمَنَ)

(٥٥) - وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنَ فَرِيقٌ، مِنْ أقْوامِ هَؤُلاءِ الأنْبِيَاءِ، بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ أنْبِيَاؤُهُمْ، وَكَفَرَ فَرِيقٌ وَسَعَى فِي الأرْضِ يُفْسِدُ فِيهَا، وَيَصُدُّ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَعَنِ آتِّبَاعِ الحَقِّ، وَكَفَى بِالنَّارِ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ كُتُبَ اللهِ وَرُسُلَهُ.

(بِآيَاتِنَا) (بَدَّلْنَاهُمْ)

(٥٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى: بِأنَّهُ سَيُعَاقِبُ الكَافِرِينَ بِآيَاتِ اللهِ وَبِرُسُلِهِ، بِإحْرَاقِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَكُلَّمَا آحتَرَقَتْ جُلُودُهُمْ أبْدَلَهُمْ جُلوداً غَيْرَهَا لِيَسْتَمِرُّوا فِي تَحَسُّسِ العَذَابِ وَآلامِهِ. وَاللهُ عَزِيزٌ لا يَتَحَدَّاهُ أحَدٌ، حَكِيمٌ فِي تَصَرُّفِهِ، يَعْرِفُ مَنْ هُوَ أهْلٌ لِلْعُقُوبَةِ فَيُعَاقِبُهُ، وَمَنْ هُوَ أهْلٌ لِلثَّوابِ فَيُثِيبُهُ.

﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا



﴿٥٨﴾ ۞إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن
تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا
حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا

نُصْلِيهِمْ نَاراً ـ نُدْخِلُهُمْ ناراً هائِلَةً نَشْوِيهِمْ فِيها.
نَضِجَتْ ـ آحْتَرَقَتْ وَتَهرَّأَتْ وَتَلاشَتْ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهارُ) (خَالِدِينَ) (أَزْوَاجٌ)

(٥٧) ـ وَالذِينَ صَدَّقُوا بِمَا جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَإِنَّ اللهَ سَيُثِيبُهُمْ عَلَى إِيمانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ، بِإِدْخَالِهِم الجَنَّةَ التِي تَجْرِي فِي أَرْضِها الأَنْهارُ، وَيَبْقَوْنَ فِيها خَالِدِينَ أَبَداً، لاَ يَحُولُونَ عَنْها وَلاَ يَزُولُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ، مِنَ الحَيْضِ وَالدَّنَسِ وَالأَذى، وَالأَخْلاقِ الرَّذِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ النَّاقِصَةِ، وَيُدْخِلُهُمْ فِي ظِلٍّ وَارِفٍ كَثِيفٍ لا حَرَّ فِيهِ وَلا قَرَّ.
ظَلِيلاً ـ دائِماً لا حَرَّ فِيهِ وَلاَ قَرَّ.

(الأَمَانَاتِ)

(٥٨) ـ يَأْمُرُ اللهُ تَعالَى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بِأَداءِ الأَمانَـاتِ إلى أَهْلِها. وَأَداءُ الأَمَانَاتِ يَشْمَلُ جَمِيعَ الأَمَانَاتِ الوَاجِبَةِ عَلى الإِنْسانِ: مِنْ حُقُوقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (مِنْ صَلاةٍ وَصِيامٍ وَزَكَاةٍ...) وَمِنْ حُقُوقِ العِبادِ (كَالوَدائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْتَمَنُ الإِنْسانُ عَلَيهِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ بِيَدِ أَصْحَابِهَا وَثَائِقُ وَبَيِّنَاتٌ عَلَيها). هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَقَدْ كانَتْ لَهُ حِجابَةُ الكَعْبَةِ. وَلَمَّا فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ طَافَ الرَّسُولُ ﷺ بِالكَعْبَـةِ، ثُمَّ دَعَا بِعُثْمَانَ بْـنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ وَدَخَلَها. فَجَاءَهُ العَبَّاسُ (وَقِيلَ بَلْ جَاءَهُ عَلِيٌّ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، آجْمَعْ لَنـا حِجابَـةَ الكَعْبَـةِ مَعَ السِّقَايَةِ. فَدَعَـا رَسُولُ اللهِ بِعُثْمَـانَ بْنِ أَبي طَلْحَةَ وَدَفَـعَ إليهِ المِفْتَاحَ، وَخَرَجَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ.

وَيَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنينَ بِأَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالعَدْلِ، وَأَنْ يَكُونَ العَدْلُ عَاماً لِلْبَرِّ وَالفَاجِرِ، وَلِكُلِّ أَحدٍ، وَأَنْ لاَ يَمْنَعَهُمْ مِنْ إِقَامَةِ العَدْلِ حِقْدٌ أَوْ كَرَاهِيَةٌ أو عداوة.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَعِظُ بِهِ المُؤْمِنِينَ، هُوَ الشَّرْعُ الكَامِـلُ، وَفِيه خَيْرُهُمْ، وَاللهُ سَمِيعٌ لأَقْوالِ العِبادِ، بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ، فَيُجَـازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ.
تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ ـ جَمِيعَهَا حُقُوقَ اللهِ وَحُقُوقَ النَّاسِ.
نِعِمَّـا يَعِظُكُمْ بِهِ ـ نِعْمَ الذِي يَعِظُكُمْ بِهِ مِمَا ذَكَرَ.

﴿٥٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (تَنَازَعْتُمْ) (الآخِرِ)

(٥٩) - بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا خَرَجُوا آسْتَاءَ مِنْهُمْ مِنْ شيءٍ كَانَ مِنْهُـمْ، فَقَـالَ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا حَطَباً، ثُمَّ دَعَا بِنَارٍ فَاضْرَمَهَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَتَدْخُلُنَّها (أَيْ لَتَقْتُلُنَّ أَنْفُسَكُمْ فِي النَّارِ)، فَرَفَضُوا ذَلِكَ إلى أَنْ يَسْأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ: (الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ: (السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ).

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِإِطَاعَتِهِ تَعَالَى، وَبِالعَمَلِ بِكِتَابِهِ، وَبِإِطَاعَةِ رَسُولِهِ، لأَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيُبَلِّغُ عَنِ اللهِ شَرْعَهُ وَأَوَامِرَهُ، كَمَا يَأْمُرُ اللهُ بِإِطَاعَةِ أُولِي الأَمْرِ، مِنْ حُكَّامٍ وَأُمَرَاءٍ وَرُؤَسَاءِ جُنْدٍ، مِمَّنْ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي الحَاجَاتِ، وَالمَصَالِحِ العَامَّةِ، فَهؤُلاءِ إذَا آتَّفَقُوا عَلَى أَمْرٍ وَجَبَ أَنْ يُطَاعُوا فِيهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ، وَأَنْ لاَ يُخَالِفُوا أَمْرَ اللهِ، وَلاَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ التي عُرِفَتْ بِالتَّوَاتُرِ، وَأَنْ يَكُونُوا مُخْتَارِينَ في بَحْثِهِمْ فِي الأَمْرِ، وَآتِّفَاقِهِمْ عَلَيهِ غَيْرَ مُكْرَهِينَ عَلَيهِ بِقُوَّةِ أَحَدٍ أَوْ نُفُوذِهِ.

وَكُلُّ مَا آخْتَلَفَ فِيهِ المُسْلِمُونَ فَمِنَ الوَاجِبِ رَدُّهُ إلَى كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَيَحْتَكِمْ إلى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، فَلَيْسَ مُؤْمِناً بِاللهِ وَلاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ.

وَمَنْ يَحْتَكِمْ إلى شَرْعِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَآلاً (تَأْوِيلاً)، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُشَرِّعْ لِلنَّاسِ إلاَّ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ وَمَنْفَعَتُهُمْ، وَالاحْتِكَامُ إلَى الشَّرْعِ يَمْنَعُ الاخْتِلافَ المُؤَدِّي إِلَى التَّنَازُعِ وَالضَّلاَلِ.

أَحْسَنُ تَأْوِيلاً - أَجْمَلُ عَاقِبَةً وَأَحْسَنُ مَآلاً.

﴿٦٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ

(آمَنُوا) (الطَّاغُوتِ) (الشَّيْطَانُ) (ضَلاَلاً)

(٦٠) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَدَّعِي الإِيمَانَ بِاللهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُرِيدُ أَنْ يَتَحَاكَمَ فِي فَصْلِ الخُصُومَاتِ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ.

وَقِيلَ: إنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنْصَارِيٍّ وَيَهُودِيٍّ آخْتَلَفَا فِي شَيْءٍ، فَقَالَ

وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا

اليَهودِيُّ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ مُحَمَّدٌ. وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ (وَهُوَ مِنْ كُبَرَاءِ اليَهودِ). وَيَذُمُّ اللهُ تَعَالَى الذِينَ يَعْدِلُونَ عَنْ شَرْعِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ البَاطِلِ (وَهُوَ المُرَادُ هُنَا بِالطَّاغُوتِ)، وَقَدْ أُمِرُوا بِأَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَبِحُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُمْ إِلى اتِّبَاعِهِ لِيُضِلَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَشَرْعِهِمْ وَهُدَى رَبِّهِمْ، وَيُبْعِدَهُمْ عَنْهَا.

٦١ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا

(المُنافِقِينَ)

(٦١) - وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلاءِ - الذِينَ يَدَّعُونَ الإِيمَانَ، ثُمَّ يُرِيدُونَ التَّحَاكُمَ إِلى الطَّاغُوتِ - إِلَى رَسُولِ اللهِ لِلتَّحَاكُمِ لَدَيْهِ، وَفْقاً لِمَا شَرَعَ اللهُ، اسْتَكْبَرُوا وَأَعْرَضُوا وَرَغِبُوا عَنْ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ إِعْرَاضاً مُتَعَمَّداً مِنْهُمْ.

٦٢ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا

(أَصَابَتْهُمْ) (إِحْسَاناً)

(٦٢) - فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُمْ إِذَا سَاقَتْهُمُ المَقَادِيرُ إِلَيْكَ فِي مَصَائِبَ تَحِلُّ بِهِمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَاحْتَاجُوا إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ جَاؤُوكَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكَ، وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا بِذَهَابِهِمْ إِلَى غَيْرِكَ، وَبِتَحَاكُمِهِمْ إِلَى أَعْدَائِكَ، إِلا المُدَارَاةَ وَالمُصَانَعَةَ (إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً)، لا اعْتِقَاداً مِنْهُمْ بِصِحَّةِ تِلْكَ الحُكُومَةِ.

٦٣ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا

(أولَئِكَ)

(٦٣) - وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ هُمُ المُنَافِقُونَ، وَاللهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ مَبْلَغَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الكُفْرِ وَالحِقْدِ وَالكَيْدِ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ. ثُمَّ يَدْعُو اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ إِلى مُعَامَلَتِهِمْ:

- أَوَّلاً - بِالإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَعَدَمِ الإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ بِالبَشَاشَةِ وَالتَّكْرِيمِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ المُعَامَلَةِ يُثِيرُ فِي نُفُوسِهِمُ الهَوَاجِسَ وَالشُّكُوكَ وَالظُّنُونَ.

- ثُمَّ بِالنُّصْحِ وَالتَّذْكِيرِ بِالخَيْرِ، عَلَى وَجْهٍ تَرِقُّ لَهُ قُلُوبُهُمْ، وَيَبْعَثُهُمْ عَلَى التَّأَمُّلِ فِيمَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ العِظَاتِ.

- ثُمَّ بِالقَوْلِ البَلِيغِ، الذِي يُؤَثِّرُ فِي نُفُوسِهِمْ، كَالتَّوَعُّدِ بِالقَتْلِ، وَالاسْتِئْصَالِ إِنْ ظَهَرَ مِنْهُمْ نِفَاقٌ، وَأَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّ اللهَ عَالِمٌ بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ.

٦٤ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ

(٦٤) - مِنْ سُنَّةِ اللهِ فِي رُسُلِهِ أَنَّهُ لا يُرْسِلُهُمْ إِلَّا لِيُطَاعُوا بِإِذْنِ اللهِ، فَمَنْ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِمْ، أَوْ رَغِبَ عَنْ حُكْمِهِمْ، خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللهِ وَسُنَّتِهِ،

أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ
وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا

وَٱرْتَكَبَ إِثْماً عَظِيماً. وَلَوْ أَنَّ هَؤُلاءِ القَوْمَ، حِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَرَغِبُوا عَنْ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ إِلَى حُكْمِ الطَّاغُوتِ، جَاؤُوا الرَّسُولَ، عَقِبَ الذَّنْبِ مُبَاشَرَةً، فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَظْهَرُوا نَدَمَهُمْ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُمْ لِلرَّسُولِ لِيَصْفَحَ عَنْهُمْ، لاعْتِدَائِهِمْ عَلَى حَقِّهِ، وَلِيَدْعُوَ لَهُمْ بِالمَغْفِرَةِ، وَلَوْ أَنَّ الرَّسُولَ دَعَا لَهُمْ بِالمَغْفِرَةِ، لَتَقَبَّلَ اللهُ تَوْبَتَهُمْ، وَلَغَمَرَهُمْ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلَشَمِلَهُمْ بِعَفْوِهِ، فَرَحْمَةُ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ (وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى تَرْكَ طَاعَةِ الرَّسُولِ ظُلْماً لِلنَّفْسِ أَيْ إِفْسَاداً لَهَا).

﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا

(٦٥) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ المُقَدَّسَةِ عَلَى أَنَّ أُولَئِكَ الذِينَ رَغِبُوا عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى الرَّسُولِ، وَمَنْ مَاثَلَهُمْ مِنَ المُنَافِقِينَ، لاَ يُؤْمِنُونَ إِيمَاناً حَقّاً (أَيْ إِيمَانَ إِذْعَانٍ وَانْقِيَادٍ) إِلاّ إِذَا كَمُلَتْ لَهُمْ ثَلاثُ خِصَالٍ:

- أَنْ يُحَكِّمُوا الرَّسُولَ فِي القَضَايَا الَّتِي يَخْتَصِمُونَ فِيهَا، وَلا يَبِينُ لَهُمْ فِيهَا وَجْهُ الحَقِّ.

- أَلاّ يَجِدُوا ضِيقاً وَحَرَجاً مِمَّا يَحْكُمُ بِهِ، وَأَنْ تُذْعِنَ نُفُوسُهُمْ لِقَضَائِهِ، إِذْعَاناً تَامّاً دُونَ امْتِعَاضٍ مِنْ قَبُولِهِ وَالعَمَلِ بِهِ، لأَنَّهُ الحَقُّ وَفِيهِ الخَيْرُ.

- أَنْ يَنْقَادُوا وَيُسَلِّمُوا لِذَلِكَ الحُكْمِ، مُوقِنِينَ بِصِدْقِ الرَّسُولِ فِي حُكْمِهِ، وَبِعِصْمَتِهِ عَنِ الخَطَأ.

مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ - مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ وَالْتَبَسَ مِنَ الأُمُورِ.
حَرَجاً - ضِيقاً أَوْ شَكّاً.

﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ
أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا

(دِيَارِكُمْ)

(٦٦) - بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الإِيمَانَ لاَ يَتِمُّ إِلاّ بِتَحْكِيمِ الرَّسُولِ، مَعَ التَّسْلِيمِ وَالانْقِيَادِ لِحُكْمِهِ، ذَكَرَ هُنَا قُصُورَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ، لِضَعْفِ إِيمَانِهِمْ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، كَمَا أُمِرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِذَلِكَ تَطْهِيراً لأَنْفُسِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ العِجْلِ، أَوْ لَوْ أُمِرُوا بِالهِجْرَةِ مِنْ دِيَارِهِمْ إِلَى دِيَارٍ أُخْرَى، لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لأَنَّهُ لاَ يُوافِقُ أَهْوَاءَهُمْ. فَالمُنَافِقُونَ يَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى حَرْفٍ، فَإِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ اطْمَأَنُّوا بِهِ، وَإِنْ نَالَهُمْ أَذًى انْقَلَبُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ قَدْ خَسِرُوا الدُّنيا وَالآخِرَةَ. أَمَّا صَادِقُو الإِيمَانِ فَإِنَّهُمْ يُطِيعُونَ اللهَ فِي كُلِّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، فِي السَّهْلِ وَالصَّعْبِ، وَالمَحْبُوبِ وَالمَكْرُوهِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، وَتَرَكُوا مَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ الأَوَامِرِ، وَارْتِكَابِ مَا

يُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَأشَدَّ تَصْدِيقاً وَتَثْبِيتاً لَهُمْ فِي إِيمَانِهِمْ.
أشَدَّ تَثْبِيتاً - أقْرَبَ إلى ثَبَاتِ إيمَانِهِمْ.

﴿٦٧﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا

(لآتَيْنَاهُمْ)

(٦٧) - وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، وَتَرَكُوا مَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَأخْلَصُوا فِي ذَلِكَ، لآتَاهُمُ اللهُ مِنْ عِنْدِهِ أجْراً عَظِيماً وَهُوَ الجَنَّةُ، وَفِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَر عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

﴿٦٨﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا

(لَهَدَيْنَاهُمْ) (صِرَاطاً)

(٦٨) - وَلَهَدَاهُمُ اللهُ إلَى الطَّرِيقِ المُوصِلِ إلى رِضْوَانِ اللهِ وَجَنَّتِهِ، فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

﴿٦٩﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا

(فَأولَئِكَ) (النَّبِيِّينَ) (وَالصَّالِحِينَ) (أولَئِكَ)

(٦٩) - وَمَنْ أطَاعَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمِلَ بِمَا أمَرا بِهِ، وَانْتَهَى عَمَّا نَهَيَا عَنْهُ، فَإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُسْكِنُهُ دَارَ كَرَامَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ مُرَافِقاً لِلأنْبِيَاءِ، ثُمَّ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ، وَهُمُ الصِّدِّيقُونَ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ، ثُمَّ عُمُومُ المُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ الذِينَ صَلُحَتْ سَرَائِرُهُمْ وَعَلاَنِيَتُهُمْ وَمَا أحْسَنَ رِفْقَةَ هَؤُلاءِ الذِينَ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ.

(وَيُذْكَرُ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: أنَّ رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ جَاءَ إلَى النَّبِيِّ ﷺ مَحْزُوناً، فَسَألَهُ النَّبِيُّ عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ شَيءٌ فَكَّرْتُ فِيهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَحْنُ نَغْدُو وَنَرُوحُ، وَنَنْظُرُ إلَى وَجْهِكَ وَنُجَالِسُكَ، وَغداً تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ فَلاَ نَصِلُ إلَيْكَ. فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ بِشَيءٍ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلاَمُ بِهَذِهِ الآيَةِ).
(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: مَنْ أحَبَّ قَوْماً حُشِرَ مَعَهُمْ).
(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ أيضاً: المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ).

﴿٧٠﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا

(٧٠) - وَالفَوْزُ بِتِلْكَ المَنْزِلَةِ العَظِيمَةِ، مِنْ مُرَافَقَةِ النَّبِيِّينَ، وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ، وَهُوَ الذِي أهَّلَهُمْ لِذَلِكَ، وَلَمْ يَصِلُوا إلَيْهِ بِأعْمَالِهِمْ، وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً بِالمُخْلِصِينَ وَبِالمُنَافِقِينَ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ.

(٧١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا

(يَا أيُّها) (آمَنُوا)

(٧١) - يَأمُرُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ بِأخْذِ الحَذَرِ مِنَ الأعْدَاءِ، وَهَذا يَسْتَلْزِمُ التَّعرُّفَ عَلَى أحْوالِ هَؤُلاءِ الأعْدَاءِ، وَمعْرِفَةَ أرْضِهِمْ، وَعَدَدِهِمْ، وَسِلاحِهِمْ، وَأحْلافِهِمْ، وَثَرْوتِهِمْ، كَمَا يَسْتَلْزِمُ التَّأهُّبَ لَهُمْ، وَإعْدَادَ الرِّجَالِ لِلْحَرْبِ وَتَدْرِيبِهُمْ وَتَسْلِيحِهُمْ، وَجَمْعَ السِّلاحِ وَالمُؤَنِ وَوَسَائِلِ النَّقْلِ وَالرُّكُوبِ، وَالاسْتِعْدَادَ لِلنَّفِيرِ لِلقِتَالِ، حِينَمَا يَدْعُو دَاعِي الجِهَادِ، وَالخُرُوجَ جَماعَاتٍ مُتَلاحِقَةً (ثُبَاتٍ)، أوْ خُرُوجَ المُؤْمِنينَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً، حَسْبَ حَالِ العَدُوِّ، وَخَطَرِهِ وَقُوَّتِهِ، وَالخَطَرِ الذِي يَتَهَدَّدُ الأُمَّةَ.

ثُبَاتٍ - جَمَاعَاتٍ مُتَلاحِقَةً يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضاً.

خُذُوا حِذْرَكُمْ - تَيَقَّظُوا لِعَدُوِّكُمْ.

(٧٢) وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا

(أَصابَتْكُمْ)

(٧٢) - وَمِنَ النَّاسِ (وَمِنْهُمُ المُنَافِقُونَ وَالجُبَنَاءُ وَضِعَافُ الإيمَانِ) مَنْ يَتَأخَّرُ عَنِ الخُرُوجِ إلى الجِهَادِ، وَيَتَباطأُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْعُدُ عَنِ الجِهَادِ، وَيُثَبِّطُ النَّاسَ عَنِ الخُروجِ، فَإنْ أصَابَتِ المُؤْمِنِينَ مُصِيبَةٌ مِنْ قَتْلٍ وَشَهَادَةٍ، أوْ تَغَلَّبَ عَدُوٌّ عَلى المُؤْمِنِينَ، فَرِحَ وَعَدَّ تَخَلُّفَهُ عَنِ الجِهَادِ نِعْمَةً، إذْ أنْجَاهُ تَخَلُّفُهُ مِنَ المُصَابِ الذِي حَلَّ بِالمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَدْرِ مَا فَاتَهُ مِنَ الأجْرِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الشِّدَّةِ، وَالشَّهَادَةِ إنْ قُتِلَ.

لَيُبَطِّئَنَّ - لَيَتَثَاقَلَنَّ أوْ لَيُثَبِّطَنَّ عَنِ الجِهَادِ.

(٧٣) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا

(وَلَئِنْ) (أَصابَكُمْ) (يَا لَيْتَنِي)

(٧٣) - وَإذا أصَابَ المُسْلِمُونَ نَصْراً، وَحَقَّقُوا ظَفَراً، وَفَازُوا بِمَغْنَمٍ، (فَضْلٌ مِنَ اللهِ)، اغْتَمَّ ألاَّ يَكُونَ مَعَ المُؤْمِنِينَ، فَيُصِيبَهُ سَهْمٌ مِنَ الغَنِيمَةِ. وَالغَنِيمَةُ هِيَ أكْبَرُ هَمِّهِ، وَيَقُولُ، وَكَأنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِ الإسْلامِ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأفُوزَ كَمَا فَازُوا، فَهُوَ قَدْ نَسِيَ مَا يَجِبُ عَلَيهِ، مِنْ مَدِّ يَدِ العَوْنِ لإخْوَتِهِ المُؤْمِنِينَ، وَبَذْلِ كُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ بَذْلَهُ مِنْ نَفْسٍ وَمَالٍ، لِيَتِمَّ لَهُمُ الظَّفَرُ.

ثلاثة أرباع الحزب ٩

(٧٤) ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(فَلْيُقَاتِلْ) (الْحَيَاةَ) (بِالآخِرَةِ) (يُقَاتِلْ)

(٧٤) - فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ أرَادَ أنْ يَبِيعَ الحَيَاةَ الدُّنْيا، وَيَبْذُلَهَا، وَيَجْعَلَهَا ثَمَناً لِلآخِرَةِ، لأنَّهُ يَكُونُ قَدْ أعَزَّ دِينَ اللهِ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ العُلْيا. وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَظْفَرْ بِهِ عَدُوُّهُ وَيَقْتُلْهُ، أوْ يَظْفَرْ هُوَ بِعَدُوِّهِ، فَإنَّ اللهَ سَيُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً مِنْ عِنْدِهِ.

فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

(وفي هـذه الآيَةِ إشـارةٌ إلى أنَّ هَمَّ المُقَاتِلِ المُسْلِمِ يَجِبُ أنْ يَكُونَ الظَّفَرَ أوِ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَعَلَيهِ أنْ لا يُفَكِّرَ فِي الهَـرَبِ وَالنَّجاةِ بِالنَّفسِ ، فالهَرَبُ لاَ يُنَجِّي مِنْ قَدَرِ اللهِ ، وَفيهِ غَضَبُ اللهِ وَسَخَطُهُ) .

٧٥ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا

(تُقَاتِلُونَ) (وَالْوِلْدَانِ)

(٧٥) ـ يُحَرِّضُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمنينَ عَلَى القِتَالِ فِي سَبيلِ إعْلاءِ كَلِمَتِهِ، وَفي سَبيلِ إنْقَاذِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمنينَ المَوْجُودِينَ في مَكَّةَ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبيانِ، المُتَبَرِّمِينَ بالمُقَامِ فِيهَا، وَيَقُولُ لَهُمْ: أيُّ عُـذْرٍ لَكُمْ يَمْنَعُكُمْ مِنْ أنْ تُقَـاتِلُوا فِي سَبِيـلِ اللهِ لِتُقِيمُـوا التَّـوْحِيدَ، وَتَنْصُـرُوا العَدْلَ وَالحَقَّ، وَفِي سَبِيـلِ إنْقَاذِ إخْـوَانِكُمُ المُسْتَضْعَفِينَ الذِينَ يَسْتَذِلُّهُمُ الطُّغَاةُ الكَفَرَةُ فِي مَكَّةَ، وَهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ البَلْدَةِ (القَرْيَةِ) الظَّالِمِ أهْلُها، وَأنْ يُسَخِّرَ لَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ، وَيُنْقِذُهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ .

٧٦ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا

(آمَنُوا) (يُقَاتِلُونَ) (الطَّاغُوتِ) (فَقَاتِلُوا) (الشَّيْطَانِ)

(٧٦) ـ الذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبيلِ إعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَنَشْرِ دِينِهِ، لاَ يَبْتَغُونَ غَيْرَ رِضْوَانِ اللهِ. أمَّا الـذِينَ كَفَرُوا، فَـإنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيـلِ الشَّيْطَانِ (الطَّاغُوتِ)، الذِي يُزَيِّنُ لَهُمُ الكُفْرَ، وَيُمَنِّيهِم النَّصْـرَ. وَكَيْدُ الشَّيْطَانِ ضَعِيفٌ، وَهُوَ لاَ يَسْتَطِيعُ نَصْـرَ أوْلِيَائِـهِ. أمَّا أوْلِيَـاءُ اللهِ فَهُمُ الأعِزَّةُ، لأنَّ اللهَ حَامِيهِمْ وَنَاصِرُهُمْ وَمُعِزُّهُـمْ، وَلِذَلِكَ فَعَلَى المُؤْمِنِينَ، أوْلِيَـاءِ اللهِ، أنْ لاَ يَخَـافُـوا أعْـدَاءَهُمُ الكُفَّـارَ، لأنَّ العَـاقِبَـةَ لِلْمُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ .

الطَّاغُوتِ ـ الشَّيْطَانِ أوِ البَاطِلِ .

٧٧ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ

(الصَّلاَةَ) (وآتُوا) (الزَّكَاةَ) (مَتَاعٌ) (وَالآخِرَةُ)

(٧٧) ـ كَـانَ المُؤْمِنُونَ فِي بَـدْءِ أمْـرِ الإسْـلاَمِ ، فِي مَكَّـةَ، مَـأمُورِينَ بِالصَّلاَةِ، وَالزَّكَاةِ، وَبِمُوَاسَاةِ الفُقَرَاءِ، وَكَانُوا مَأمُورِينَ بِالعَفْـوِ وَالصَّفْحِ عَنِ المُشْرِكِينَ، وَالصَّبْرِ إلى حِينٍ، وَكَانُوا يَتَحَرَّقُونَ شَوْقاً إلى القِتَـالِ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ أنَّ اللهَ تَعَالَى أمَرَهُمْ بِالقِتَالِ ، لِيَنْتَصِفُوا مِنْ أعْدَائِهِمْ، وَيَشْفُوا غَلِيلَهُمْ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الحَالُ إذْ ذَاكَ مُنَاسِباً لِلْقِتَالِ لأسْبَـابٍ كَثِيرَةٍ: مِنْهَا قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَمِنْهَا كَوْنُهُمْ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ ، لِذَلِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالجِهَادِ إلا بَعْدَ أنْ خَرَجُوا إلى المَدِينَةِ، وَصَـارَ لَهُمْ فِيهادَارُ مَنَعَةٍ وَأنْصَارٌ. وَمَعَ

مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا

ذلك فإنهم لمّا أمروا بما كانوا يتمنّونه (وهو القتال) جزع بعضهم جزعاً شديداً، وخافوا من لقاء النّاس في ميدان الحرب، وقالوا: ربّنا لِمَ كتبت علينا القتال الآن؟ لولا أخّرت فرضه إلى وقتٍ آخر (أو لو تأخّرت في فرضه علينا حتى نموت موتاً طبيعياً حتف أنوفنا)، فإنّ فيه سفك الدّماء، ويُتم الأولاد، وتأييم النّساء.. فقل لهم يا محمّد: متاع الدّنيا مهما عظم قليلٌ بالنّسبة إلى الحياة الأخرى، وحياة النّاس في الدّنيا قصيرةٌ، والآخرة خيرٌ للمتّقين، لأنّهم سيكونون خالدين في الجنّات، ينعمون برضوان ربّهم. وقل لهم: إنّهم سيوفّون أعمالهم ولا يُظلمون شيئاً ولو قلّ، ولو كان فتيلاً.

(وقيل إنّ هذه الآية تتعلّق بالأنصار من الأوس والخزرج، الذين كان بينهم قتالٌ دائمٌ قبل الإسلام، فلمّا دخلوا الإسلام ألّف الله بينهم، وأمرهم بكفّ أيديهم عن القتال والعدوان، وطلب إليهم إقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة لتصفو نفوسهم، إلى أن آشتدّت الحاجة إلى القتال لدفع الأذى عن المسلمين، ففرض الله القتال، فكرهه المنافقون والضّعفاء).

الفتيل - خيطٌ رفيعٌ في باطن نواة التّمر.

٧٨ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا

(فما لهؤلاء)

(٧٨) - يُخبر الله تعالى النّاس بأنّهم صائرون إلى الموت لا محالة، ولا ينجو منه أحدٌ منهم، ولو كانوا مقيمين في حصونٍ مبنيّةٍ، قويّة البنيان والتّحصين، وللنّاس أجلٌ محتومٌ، ووقتٌ معلومٌ، لا يتقدّمون عنه ولا يتأخّرون، سواءٌ أجاهدوا وتعرّضوا لمخاطر الحروب، أو قعدوا في بيوتهم، فلا يُقدّم الجهاد أجلاً. ولا يؤخّر القعود أجلاً فلماذا يكرهون القتال، ويجبنون ويتمنّون البقاء، أليس هذا بضعفٍ في العقل والدّين؟

ثمّ ذكر الله تعالى شأناً آخر من شؤونهم فيه دلالةٌ على الحمق وضعف الإدراك، وهو أنّهم إذا أصابتهم سنةٌ خيرٍ وخصبٍ ورزقٍ كثيرٍ، وكثرة أموالٍ وأولادٍ.. قالوا: هذه من عند الله، وهو الذي أكرمهم بها، لأنّهم يستحقّون ذلك منه. وإذا أصابهم قحطٌ وجدبٌ ونقصٌ في الثّمار والزّروع أو موت أولادٍ قالوا: هذه من عندك، وبسبب آتّباعنا لك، وإيماننا بما أتيتنا به، وتركنا ما وجدنا عليه آباءنا. فقل لهم: كلّ ما يصيب النّاس، من خيرٍ وشرٍّ، هو من عند الله، وبتقديره، آختباراً وآبتلاءً، فما لهؤلاء القائلين وكأنّهم لا يفهمون ما يقولون، ولا ما يقال لهم؟

بروجٍ - حصونٍ وقلاعٍ أو قصورٍ.

مُشَيَّدَةٍ - مُحْكَمَةِ البِنَاءِ.

(٧٩) مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا

(وَأَرْسَلْنَاكَ)

(٧٩) - يُخَاطِبُ اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ وَيَقْصُدُ بِالخِطَابِ مَنْ أُرْسِلَ النَّبِيُّ إِلَيهِمْ، فَيَقُولُ: مَا أَصَابَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مِنْ خَيْرٍ وَحَسَنَةٍ، فَهُوَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيكَ، فَهُوَ الذِي سَخَّرَ لَكَ المَنَافِعَ التِي تَتَمَتَّعُ بِهَا، وَتَحسُنُ لَدَيْكَ. وَكُلَّمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَهُوَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ بِمَا أُوتِيتَ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى العَمَلِ وَالاخْتِيَارِ، فِي دَرْءِ المَفَاسِدِ، وَجَلْبِ المَنَافِعِ، وَتَرْجِيحِ بَعْضِ المَقَاصِدِ عَلَى بَعْضٍ... قَدْ تُخْطِىءُ فِي مَعْرِفَةِ مَا يَسُوؤُكَ، وَمَا يَنْفَعُكَ، لأَنَّكَ لاَ تَضْبُطُ إِرَادَتَكَ وَهَوَاكَ، وَلا تُحِيطُ بِالسُّنَنِ وَالأَسْبَابِ، فَأَنْتَ تُرَجِّحُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، إِمَّا بِالهَوَى، وَإِمَّا قَبْلَ أَنْ تُحِيطَ خُبْراً بِمَعْرِفَةِ النَّافِعِ وَالضَّارِّ، فَتَقَعُ فِيمَا يَسُوءُ.

وَقَدْ أَرْسَلَكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ لِتُبَلِّغَهُمْ شَرَائِعَ رَبِّهِمْ، وَأَوَامِرَهُ، وَنَوَاهِيَهُ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا تُبَلِّغُهُمْ إِيَّاهُ، وَبِمَا يَرُدُّونَ عَلَيْكَ بِهِ.

(٨٠) مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٨٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، لأَنَّهُ الآمِرُ النَّاهِي فِي الحَقِيقَةِ، وَالرَّسُولُ هُوَ المُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ، وَمَنْ عَصَاهُ، فَقَدْ عَصَى اللهَ، أَمَّا الذِينَ يَتَوَلَّوْنَ عَنِ الحَقِّ وَيَرْفُضُونَهُ، فَقَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا، وَلَيْسَ عَلَيكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيءٌ لأَنَّكَ لَمْ تُرْسَلْ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَلَمْ تُرْسَلْ مُسَيْطِراً عَلَيهِمْ تَحْفَظُ عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ، فَالأَفْعَالُ وَالطَّاعَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالاخْتِيَارِ بَعْدَ الإِقْنَاعِ.

حَفِيظاً - حَافِظاً وَمُهَيْمِناً وَرَقِيباً.

(٨١) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا

(طَائِفَةٌ)

(٨١) - يُظهِرُ لَكَ هَؤُلاءِ المُنَافِقُونَ الخُضُوعَ لأَمْرِكَ، وَالاسْتِعْدَادَ وَالانقِيَادَ، لِيَأْمَنُوا عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ، وَتَوَارَوْا عَنْ أَنْظَارِكَ، اسْتَسَرُّوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِغَيْرِ مَا أَظْهَرُوهُ لَكَ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا يُبَيِّتُونَ مِنْ مُخَالَفَتِكَ، وَيَكْتُبُهُ عَلَيْهِمُ الكَتَبَةُ الحَافِظُونَ. فَاصْفَحْ عَنْهُمْ، وَاحْلُمْ عَلَيهِمْ، وَلاَ تُؤَاخِذْهُمْ، ؛ وَلاَ تَكْشِفْ لِلنَّاسِ أُمُورَهُمْ (أَعْرِضْ عَنْهُمْ)، وَلاَ تَخَفْ مِنْهُمْ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً وَنَاصِراً.

﴿٨٢﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا

﴿٨٣﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا

بَرَزُوا - خَرَجُوا.
بَيَّتَ طَائِفَةٌ - دَبَّرَتْ أَوْ سَوَّتْ.

(الْقُرْآنَ) (اخْتِلافاً)

(٨٢) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاءِ المُنَافِقِينَ بِأَنْ يَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَ القُرآنِ، وَيَتَفَهَّمُوا مَا فِيهِ مِنْ إِحْكَامٍ وَبَلاغَةٍ، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ، لَعَلِمُوا أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ اللهُ المُتَّقِينَ الصَّادِقِينَ، وَمَا أَنْذَرَ بِهِ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ، وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ. وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ لاَ اخْتِلافَ فِيهِ، وَلا اضْطِرابَ، وَلاَ تَعَارُضَ، لأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَلَوْ كَانَ مُنَزَّلاً مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لما خَلاَ مِنَ اخْتِلافٍ وَتَعَارُضٍ، لأَنَّهُ يَكُونُ مِنْ عَمَلِ المَخْلُوقَاتِ، وَعَمَلُ المَخْلُوقَاتِ لا يَخْلُو مِنَ الاخْتِلافِ وَالتَّنَاقُضِ.

(الشَّيْطَانَ)

(٨٣) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يُبَادِرُ إِلَى الأُمُورِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَقَّقَ مِنْهَا، فَيُخْبِرُ بِهَا وَيُفْشِيهَا، وَيَنْشُرُهَا، وَقَدْ لاَ يَكُونُ لَهَا أَسَاسٌ مِنَ الصِّحَّةِ، وَيَكُونُ مِنْ شَأْنِها أَنْ تُحْدِثَ البَلْبَلَةَ فِي الجَمَاعَةِ، وَقَدْ تَكُونُ صَحِيحَةً وَلَكِنْ يَكُونُ فِي إِفْشَائِها وَالإِعْلانِ عَنْهَا مَضَرَّةٌ بِالأُمَّةِ، يُفِيدُ مِنْها أَعْداؤُها.

وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ يَوْمَ أُشِيعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَلَّقَ زَوْجَاتِهِ فَجَاءَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَرَأَى النَّاسَ فِي المَسْجِدِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ طَلاقِ رَسُولِ اللهِ أَزْوَاجَهُ، فَاسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَيهِ، فَسَأَلَهُ إِنْ كَانَ طَلَّقَ نِسَاءَهُ، فَقَالَ: لاَ. فَخَرَجَ عُمَرُ وَقَالَ لِلنَّاسِ إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُطَلِّقْ نِسَاءَهُ.

وَقِيلَ أَيْضاً: إِنَّهَا نَزَلَتْ يَوْمَ الأَحْزَابِ إِذ اشْتَدَّ الأَمْرُ بِالمُسْلِمِينَ، وَجَاءَ مَنْ يُخْبِرُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ المُسْلِمِينَ، فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ نَفَراً مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْتَكْشِفُونَ خَبَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ لَهُمْ إِنْ وَجَدْتُمُ الخَبَرَ صَحِيحاً فَالْحَنُوا إِلينا بِإِشَارَةٍ لِكَيْلا يَفُتَّ ذَلِكَ فِي عَضُدِ المُسْلِمِينَ، وَيَزِيدَ فِي اضْطِرابِهِمْ. فَعَادَ الوَفْدُ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بِنَقْضِهِم العَهْدَ، وَانْتَشَرَ خَبَرُ نَقْضِ بَنِي قُرَيْظَةَ العَهْدَ، وَانْضِمامِهِمْ إِلَى الكُفَّارِ، وَتَنَاقَلَهُ المُسْلِمُونَ فَزَادَ ذَلِكَ فِي اضْطِرابِهِمْ. وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لَوْ أَنَّ هَؤُلاَءِ رَدُّوا مَا سَمِعُوا إِلى الرَّسُولِ، وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، الذِينَ يَسْتَطِيعُونَ تَقْدِيرَ الأُمُورِ، وَمَعْرِفَةَ مَا يَجُوزُ نَشْرُهُ وَإِذَاعَتُهُ، وَمَا لاَ يَجُوزُ، لَقَدَّرُوهُ، وَلَرأَوا إِنْ كَانَ يَحْسُنُ نَشْرُهُ وَإِذَاعَتُهُ أَوْ لا.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ - إِذْ هَدَاكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَرَدِّ الأُمُورِ العَامَّةِ إِلى الرَّسُولِ، وَإِلى أُولِي الأَمْرِ - لاتَّبَعْتُمْ وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ، كَمَا اتَّبَعَتْها تِلْكَ الطَّائِفَةُ مِنَ المُنَافِقِينَ، التِي تَقُولُ لِلرَّسُولِ : طَاعَةٌ! ثُمَّ تُبَيِّتُ فِعْلَ غَيْرِ مَا قَالَتْ، وَالتِي تُذِيعُ أَمْرَ الأَمْنِ وَالخَوْفِ، وَتُفْسِدُ سِيَاسَةَ الأُمَّةِ، وَلأَخَذْتُمْ بآراءِ المُنَافِقِينَ، فِيما تَأْتُونَ، وَفِيمَا تَذَرُونَ، وَلَمَا اهْتَدى إِلى الصَّوابِ مِنْكُمْ إِلاَّ قَلِيلُونَ.

أَذَاعُوا بِهِ - أَفْشَوْهُ وَأَشَاعُوهُ.

يَسْتَنْبِطُونَهُ - يَسْتَخْرِجُونَ تَدْبِيرَهُ أَوْ عِلْمَهُ.

(٨٤) فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا

(فَقَاتِلْ)

(٨٤) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺ بِأَنْ يُبَاشِرَ القِتَالَ بِنَفْسِهِ، وَمَنْ نَكَلَ فَلَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُ شَيءٌ. كَمَا يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُحَرِّضَ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ، وَيُرَغِّبَهُمْ فِيهِ، وَيُشَجِّعَهُمْ عَلَيْهِ، لِتَنْبَعِثَ هِمَمُهُمْ عَلَى مُنَاجَزَةِ الأَعْدَاءِ، وَمُدَافَعَتِهِمْ عَنْ حَوْزَةِ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، وَمُقَاوَمَتِهِمْ وَمُصَابَرَتِهِمْ، وَبِذَلِكَ يَكُفُّ اللهُ بَأسَ المُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ عَنِ المُسْلِمِينَ، وَاللهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ البَأْسِ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَكِّلَ بِهِم فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

البَأْسُ - القُوَّةُ والحَرْبُ.

التَّنْكِيلُ - مُعَاقَبَةُ المُجْرِمِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ عِبْرَةٌ لِغَيْرِهِ، فَيَنْكِلُ عَنِ الإِقْدَامِ عَلَى ارْتِكَابِ الجَرَائِمِ.

(٨٥) مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا

(شَفَاعَةً)

(٨٥) - مَنْ سَعَى فِي أَمْرٍ، فَتَرَتَّبَ عَلَيهِ خَيْرٌ، كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذا الخَيْرِ، وَمَنْ أَيَّدَكَ وَنَاصَرَكَ فِي القِتَالِ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ شَفِيعاً وَسَنَداً لَكَ، كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ نَتَائِجِ الظَّفَرِ فِي الدُّنيا، وَالثَّوابِ فِي الآخِرَةِ. وَمَنْ سَعَى فِي أَمْرٍ فَتَرَتَّبَ عَلَيهِ سُوءٌ وَإِثْمٌ وَمَضَرَّةٌ، كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنِ انْضَمَّ إِلى أَعْدائِكَ فَقَاتَلَ مَعَهُمْ، أَوْ خَذَلَ المُسْلِمِينَ فِي قِتَالِهِمْ، كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ سُوءِ العَاقِبَةِ، بِمَا يَنَالُهُ مِنَ الخِذْلاَنِ فِي الدُّنيا، وَالعِقَابِ فِي الآخِرَةِ، وَهَذِهِ هِيَ الشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ لأَنَّها إِعَانَةٌ عَلَى السُّوءِ. وَاللهُ حَفِيظٌ وَشَاهِدٌ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ، وَقَادِرٌ عَلَى فِعْلِ كُلِّ شَيءٍ يُرِيدُهُ.

مُقِيتاً - مُقْتَدِراً أَوْ حَفِيظاً.

كِفْلٌ مِنْهَا - نَصِيبٌ أَوْ حَظٌّ مِنْ وِزْرِهَا.

(٨٦) وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ

(٨٦) - وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ، فَرُدُّوا السَّلاَمَ عَلَيهِ بِأَفْضَلَ مِنْهُ، أَوْ رُدُّوا

مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا

عَلَيه بِمِثْلِ مَا سَلَّمَ عَلَيْكُم (فإذا قَالَ لَكُمْ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ فَرُدُّوا عَلَيهِ قَائِلِينَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ وَرحْمَةُ اللهِ وبركَاتُهُ). فَالزِّيَادَةُ مَنْدُوبَةٌ، وَالمُمَاثَلَةُ مَفْرُوضَةٌ.

(وَقَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: السَّلامُ تَطَوُّعٌ، وَالرَّدُّ فَرِيضَةٌ).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤمِنُوا حَتَّى تَحابُّوا، أفَلا أدُلُّكُمْ عَلَى أمرٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ).

وَاللهُ مُحَاسِبٌ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ، وَاللهُ تَعَالَى رَقِيبٌ عَلَيكُمْ فِي مُرَاعَاةِ الصِّلَةِ بَيْنَكُمْ بِالتَّحِيَّةِ، وَيُحَاسِبُكُمْ عَلَى ذَلِكَ.

حَسِيباً - مُحَاسِباً وَمُجَازِياً وَشَهِيداً.

(٨٧) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا

(القِيامَةِ)

(٨٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَنْ تَفَرُّدِهِ بِالأُلُوهِيَّةِ لِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ سَيَجْمَعُ النَّاسَ جَمِيعاً (وَقَدْ أقْسَمَ تَعَالى عَلَى ذَلِكَ) فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُجازِي كُلاً عَلَى عَمَلِهِ، وَلاَ أحَدَ أصْدَقُ حَدِيثاً مِنَ اللهِ، وَلاَ أصْدَقُ وَعْداً وَوَعِيداً وَخَبراً مِنْهُ، فَلاَ إلَه إلاَّ هُوَ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

(٨٨) ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا

الحزب ١٠

(المُنافِقِينَ)

(٨٨) - فَمَا لَكُمْ أصْبَحْتُمْ فِئَتَين فِي المُنَافِقِينَ، وَاخْتَلَفْتُمْ فِي كُفْرِهِمْ، مَعَ تَظَاهُرِ الأدِلَّةِ عَلَيهِ، فَلَيْسَ لَكُمْ أنْ تَخْتَلِفُوا فِي شَأنِهِمْ، وَكَيفَ تَفْتَرِقُونَ فِي شَأنِهِمْ وَقَدْ صَرَفَهُمُ اللهُ عَنِ الحَقِّ الذِي أنْتُمْ عَلَيهِ، بِمَا كَسَبُوا مِنْ أعْمَالِ الشِّرْكِ، وَاجْتَرَحُوا مِنَ المَعَاصِي، وَقَدْ أرْكَسَهُمُ اللهُ، وَجَعَلَهُمْ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ نَاكِسِي الرُّؤُوسِ، بِسَبَبِ إيغَالِهِمْ فِي الضَّلالِ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الحَقِّ؟ وَأنْتُمْ يَا أيُّها المُؤْمِنُونَ لَيسَ بِاسْتِطَاعَتِكُمْ أنْ تُبَدِّلُوا سُنَنَ اللهِ، لأنَّ مَنْ قَضَتْ سُنَنُ اللهِ فِي خَلْقِهِ أنْ يَكُونَ ضَالاً عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً يُمْكِنُ أنْ يَصِلَ بِسُلُوكِهَا إلى الحَقِّ.

وَسَبِيلُ الفِطْرَةِ أنْ يَعرِضَ الإنْسانُ جَمِيعَ أعْمَالِهِ عَلَى سُنَنِ العَقْلِ، وَيَتْبَعَ مَا يَظْهَرُ لَهُ أنَّهُ الحَقُّ الذِي فِيهِ مَنْفَعَتُهُ فِي الدِّينِ وَالدُّنيا. وَأكْثَرُ مَا يَصُدُّ الإنْسَانَ عَنْ سَبِيلِ الفِطْرَةِ هُوَ التَّقْلِيدُ وَالغُرُورُ وَظَنُّ الإنْسَانِ أنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ أكْمَلُ مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَبِهَذَا يَقْطَعُ عَلَى نَفْسِهِ طَرِيقَ العَقْلِ وَالنَّظَرِ فِي النَّفْعِ وَالضَّرِ، وَالحَقِّ وَالبَاطِلِ.

﴿٨٩﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

﴿٩٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا

﴿٩١﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا

الرِّكْسُ - إِرْجَاعُ الشَّيءِ مَنْكُوساً عَلَى رَأْسِهِ، أَوْ مُتَحوِّلاً مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ أَرْدأَ.

(٨٩) - وَهؤُلاءِ لاَ يَقْنَعُونَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ وَالغِوَايةِ، بَلْ يَطْمَعُونَ فِي أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، وَهُمْ يَوَدُّونَ لَكُمُ الضَّـلاَلَةَ لِتَسْتَـوُوا أَنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ فِيهَـا، وَمَا ذلِـكَ إلاَّ لِشِدَّةِ عَـدَاوَتِهِمْ وَبُغْضِهِمْ لَكُم، فَلا تَتَّخِـذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ وَنُصَراءَ وَأَصدِقاءَ، حَتَّى يُؤْمِنوا وَيُهاجِروا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ، لِيُثْبِتُوا صِدْقَ إيمَانِهِمْ، فَإنْ رَفَضُوا الهِجْرَةَ (تولّوا) وَلزِمُوا مَوَاضِعَهُمْ، وَأظْهَرُوا كُفْرَهُمْ فَخُـذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَـدْتُمُـوهُمْ، وَلاَ تُـوَالُـوهُمْ، وَلاَ تَسْتَنْصِرُوا بِهِمْ عَلَى عَدُوٍّ لَكُم مَا دَامُوا كَذَلِكَ.

(مِيثَاقٌ) (يُقَاتِلُوكُمْ) (أَوْ يُقَاتِلُوا) (فَلَقَاتَلُوكُمْ)

(٩٠) - آسْتَثْنى اللهُ تَعَـالى مِنْ هؤلاءِ الكُفَّـارِ وَالمُنَافِقِينَ الـذِينَ أَوْجَبَ قَتْلَهُمْ، حَيْثُ وَجَدَهُمُ المُسْلِمُونَ، الذِينَ لَجَؤُوا وَآنْحَازُوا إلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقُ مُهادَنَةٍ، أَوْ عَقْدُ ذِمَّةٍ، يَمْنَعُ قَتْلَ المُنْتَمِينَ لأحَدِ الفَرِيقَيْنِ، فَـآجْعَلُوا حُكْمَهُمْ كَحُكْمِ هؤلاءِ. وَآسْتَثْنى اللهُ تَعَـالى مِنَ القَتْـلِ فِئَةً أُخْرَى مِنَ النَّاسِ جَاءَتْ إلى مَيدانِ الحَـرْبِ وَصُدُورُهُمْ ضَيِّقَـةٌ، وَهُم كَارِهُونَ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ، وَلاَ يَهُونُ عَلَيْهِمْ أَيْضاً أَنْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُم مَعَكُم، بَلْ هُمْ لاَ لَكُمْ وَلاَ عَلَيْكُمْ، وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِكُمْ أَنْ كَفَّهُمْ عَنْكُمْ، فَـإِنِ آعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ، وَأَرادُوا مُسَالَمَتَكُمْ فَلَيـسَ لَكُمْ أَنْ تُقَاتِلُوهُمْ، مَا دَامَتْ حَالُهُمْ كَذَلِكَ.

وَقَالَ الرَّازِي: إنَّ النَبِيَّ ﷺ وَادَعَ وَقْتَ خُرُوجِهِ إلى مَكَّةَ هِلاَلَ بْنَ عُوَيْمِرٍ الأسْلَمِيَّ عَلَى ألاَّ يُعِينَـهُ وَلاَ يُعِينَ عَلَيهِ، وَعَلَى أَنَّ كُـلَّ مَنْ وَصَـلَ إلى هِلالٍ وَلَجأَ إليهِ فَلَهُ مِنَ الجِوَارِ مِثْلُ مَا لِهِلالٍ.

وَهؤُلاَءِ كَالجَمَاعَةِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ الـذِينَ خَرَجُـوا يَوْمَ بَدْرٍ مَـعَ قُرَيشٍ فَحَضَرُوا القِتَالَ وَهُمْ كَارِهُونَ، لِذَلِكَ نَهى النَّبِيُّ عَنْ قَتْلِ العَبَّاسِ، وَأمَرَ بِأسْرِهِ.

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ - ضَاقَتْ وَآنْقَبَضَتْ.

السَّلَمَ - الاسْتِسْلاَمَ وَالانْقِيَادَ لِلصُّلْحِ.

(آخَرِينَ) (كُلَّمَا) (أولَئِكُمْ) (سُلْطَاناً)

(٩١) - وَهُنَاكَ فِئَةٌ مُنَافِقَةٌ، يُظْهِرُونَ لِلنَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ الإِسْلاَمَ، لِيَأْمَنُوا بِذَلِكَ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، وَيُصَانِعُونَ الكُفَّارَ فِي البَاطِنِ،

فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا

فَيَعْبُدُونَ مَعَهُمْ مَا يَعْبُدُونَ لِيَأْمَنُوا بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ فِي البَاطِنِ مَعَ أولَئِكَ، وَكُلَّما دُعُوا إلى الشِّرْكِ (الفِتْنَةِ) أوْغَلُوا فِيهِ وَانْهَمَكُوا، وَتَحَوَّلُوا إليهِ أقْبَحَ تَحوُّلٍ، فَهَؤُلاءِ أمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِقِتَالِهِمْ إلى أنْ يَعْتَزِلُوا القِتَالَ، ويَقْبَلُوا بِالصُّلْحِ وَالمُهَادَنَةِ، وَيُلْقُوا إلى المُسْلِمِينَ زِمَامَ المُسَالَمَةِ وَالمُهَادَنَةِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِلْمُؤْمِنينَ سُلْطَاناً وَاضِحاً عَلى قِتَالِهِمْ.

حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ - حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.

سُلْطَاناً مُبِيناً - بُرْهَاناً وَاضِحاً.

يُلْقُوا إلَيكُمْ السَّلَمَ - يُلْقُوا إلَيكُمْ زِمَامَ المُهادَنَةِ وَالمُسالَمَةِ.

أُرْكِسُوا فِيها - قُلِبُوا فِي الفِتْنَةِ أشْنَعَ قَلْبٍ.

(٩٢) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

(خطأ) (مِيثاقٌ)

(٩٢) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لاَيَنْبَغِي لِلمُؤْمِنِ، وَلاَ يَجُوزُ لَهُ، أنْ يَقْتُلَ أخَاهُ المُؤْمِنَ مُتَعَمِّداً، لأنَّ الإيمَانَ يَمْنَعُهُ مِن اجْتراحِ هَذِهِ الكَبِيرَةِ، لَكِنْ قَدْ يَقَعُ القَتْلُ مِنْهُ عَنْ خطأ دُونَ قَصْدِ إزْهَاقِ الرُّوحِ، وَقَدْ يَقَعُ مِنْهُ ذَلِكَ أيْضاً عَنْ تَهاوُنٍ أوْ عَدمِ عِنايَةٍ أوْ نِسْيانٍ... فإذا قتَلَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِناً خَطأً، كَأنْ أرَادَ رَمْيَ صَيْدٍ فَأصابَ شَخْصاً فَقَتَلَهُ فَحُكْمُهُ كَالآتِي:

- إذا قَتَلَ المُؤْمِنُ مُؤْمِناً خطأً فَعلَيهِ أنْ يَدْفَعَ الدِيَةَ إلى أهْلِ القَتيلِ، إلاّ أنْ يَعْفُو عَنْهُ هَؤُلاءِ، وَيَتَصدَّقُوا عَلَيهِ بِهَا، وَعَلَيهِ أنْ يُعْتِقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً.

- إذا كَانَ المَقْتُولُ مُؤْمِناً وَلَكِنَّهُ مِنْ قَوْمٍ أعْداءٍ، فَعلَى القَاتِلِ أنْ يُعْتِقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً كَفَّارَةَ عَمَلِهِ، وَلاَ تُدْفَعُ لأهْلِهِ دِيَةٌ لِكَيْلا يَسْتَعِينُوا بِها عَلَى قِتَالِ المُسْلِمينَ.

- إذا كَانَ المَقْتُولُ مُؤْمِناً مِنْ قَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِ القَاتِلِ مِيثَاقٌ، وَعَهْدٌ عَلَى عَدمِ القِتَالِ، فَعلَيهِ أنْ يَدْفَعَ إليهِم الدِيَةَ، وَعَلَيهِ أنْ يُعْتِقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً.

فَإذا لَمْ يَجِدِ القَاتِلُ الدِيَةَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ لِعَجْزِهِ عَنْ دَفْعِ قِيمَتِها، أوْ لِعَدَمِ اسْتِطَاعَتِهِ إيجادَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ يَشْتَرِيها. فَعلَيهِ أنْ يَصُومَ شَهْرَينِ مُتَتَابِعَيْنِ، لا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا إفْطَارٌ بِدُونِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، فَإنْ أفْطَرَ بِدُونِ عُذْرٍ كَانَ مَا صَامَهُ قَبْلاً بَاطِلاً، وَعَلَيهِ أنْ يُعِيدَ الصِّيَامَ مِنْ جَدِيدٍ حَتَّى يُتِمَّ شَهْرَينِ مُتَتَابِعَين. وَذَلِكَ تَكْفِيرٌ مِنْهُ عَنْ ذَنْبِهِ.

وَكَانَ اللهُ عَلِيماً بِمَا يَفْعَلُهُ العِبادُ، حَكِيماً فِي شَرْعِهِ لَهُمْ مَا يُصْلِحُهُمْ.

﴿٩٣﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا

(خالداً)

(٩٣) ـ وإذا عرف الرَّجلُ الإسلامَ وشرائِعَهُ، ثُمَّ قتل رجُلاً مُؤمناً مُتعمِّداً قتلَهُ، مُسْتحِلاً ذلِكَ القتْلَ، فجزاؤُهُ عِنْدَ اللهِ جهنَّمُ يَبْقى مُخلَّداً فِيها، ويلْعَنُهُ اللهُ، ويُبْعِدُهُ مِنْ رحْمَتِهِ، ويجْعلُهُ فِي النَّارِ فِي عذابٍ أليمٍ.
وللْفُقهاءِ ثلاثةُ آراءٍ فِي توْبةِ قاتِلِ المُؤْمِنِ عمْداً:

١ ـ ابنُ عبَّاسٍ وفريقٌ مِنَ السَّلفِ ـ يرَوْنَ أنَّ قاتِلَ المُؤْمِنِ لا توْبةَ لهُ إطْلاقاً، ويبْقى فِي النَّارِ خالِداً. ويسْتنِدُونَ فِي ذلِكَ إلى قوْلِ رسُولِ اللهِ ﷺ: (كُلُّ ذنْبٍ عسى اللهُ أنْ يغْفِرَهُ إلاّ الرَّجُلَ يمُوتُ كافِراً، أوِ الرَّجُلَ يقْتُلُ مُؤْمِناً مُتعمِّداً). وإلى قوْلِ الرَّسُولِ ﷺ:

(منْ أعانَ على قتْلِ امرىءٍ مُسْلِمٍ بِشطْرِ كلِمةٍ كُتِبَ بيْنَ عيْنيْهِ يوْمَ القِيامةِ: آيِس مِنْ رحْمةِ اللهِ).

وإلى قوْلِ الرَّسُولِ ﷺ:

(لوْ أنَّ الثقليْنِ اجتمعُوا على قتْلِ مُؤْمِنٍ لأكبَّهُمُ اللهُ تعالى على مناخِرِهِمْ فِي النَّارِ، وإنَّ اللهَ تعالى حرَّمَ الجنَّةَ على القاتِلِ والآمِرِ بِهِ).

٢ ـ ويرى فريقٌ آخرُ أنَّ الخُلُودَ يعْنِي المُكْثَ الطَّوِيلَ لا الدَّوامَ، لِظاهِرِ النُّصُوصِ القاطِعةِ على أنَّ عُصاةَ المُؤْمِنينَ لا يدُومُ عذابُهُمْ. وما فِي الآيةِ إخْبارٌ مِنَ اللهِ أنَّ جزاءهُ ذلِكَ، لا أنَّهُ يجْزِيهِ بِذلِكَ حتْماً، كما جاءَ فِي قوْلِهِ تعالى: ﴿وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مِثْلُها﴾[1]، فلوْ كانَ المُرادُ أنَّهُ سُبْحانهُ يجْزِي كُلَّ سيِّئةٍ بِمِثْلِها لعارضهُ قوْلُهُ جلَّ شأنُهُ: ﴿ويعْفُو عنْ كثِيرٍ﴾[2]، فالمُرادُ بِذلِكَ أنَّ هذا هُوَ جزاؤُهُ إنْ أرادَ اللهُ مُجازاتهُ.

٣ ـ ويرى فريقٌ ثالِثٌ أنَّ حُكْمَ الآيةِ يتعلَّقُ بِالقاتِلِ المُسْتحِلِّ لِلْقتْلِ، وحُكْمُهُ مِمَّا لا شكَّ فِيهِ.
وقدْ فسَّر عِكْرِمةُ وابْنُ جُريْجٍ (مُتعمِّداً) بِـ (مُسْتحِلاً) فِي الآيةِ.

﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ

(يا أيُّها) (آمنُوا) (السَّلام) (الْحياةِ)

(٩٤) ـ يُنبِّهُ اللهُ تعالى المُؤْمِنينَ إلى ضرْبٍ آخرَ مِنْ ضُرُوبِ القتْلِ خطأً، كأنْ يحْصلَ أثْناءَ سفرٍ، أوْ غزْوٍ فِي سبِيلِ اللهِ إلى أرْضٍ

---
(١) الآية ٤٠ من سورة الشورى.
(٢) الآية ٣٤ من سورة الشورى.

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا

المُشْرِكينَ، بَعْدَ أنْ كَانَ الإسلامُ قَدِ انْتَشَرَ فِي أمَاكِنَ كَثيرةٍ مِنَ الجَزيرَةِ العَرَبِيَّةِ، وَكَانَ بَعْضُ المُسلِمينَ يُحاوِلُونَ الاتِّصالَ بِإخْوانِهِم المُسْلِمِينَ، فَقَدْ أمَرَ اللهُ تَعالَى المُسْلِمِينَ بأنْ لاَ يَحْسَبُوا كُلَّ مَنْ وَجَدُوهُ، فِي أرْضِ الكُفْرِ كافِراً، وَأنْ يَتريَّثُوا فِي الحُكْمِ عَلَيهِ حَتَّى يَفْحَصُوا أمْرَهُ وَيَتَبَيَّنُوهُ.

(وَقَدْ نَزَلَتْ هَذهِ الآيَةُ إثْرَ حَادِثٍ وَقَعَ لِغُزاةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَقَدْ مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ مِنْ سُلَيْمٍ يَرْعَى غَنماً فَسَلَّمَ عَلَيهِمْ بِتَحِيَّةِ الإسْلامِ، فَقالُوا إنَّهُ لاَ يُسَلِّمُ عَلينا إلا لِيَتَعوَّذَ مِنّا، فَعَمَدُوا إليهِ فَقَتَلُوهُ وأتوا بِغَنمِهِ إلى النَّبيِّ).

وَيقُولُ تَعالَى: إذَا كُنْتُم تُجاهِدُونَ فِي أرْضِ الأعْدَاءِ فَتَبَيَّنُوا، وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُسَلِّمُ عَلَيكُم، وَيُظْهِرُ لَكُمْ إسْلاَمَهُ، لَسْتَ مُسْلِماً، وَتَقْتُلُونَهُ رَغْبَةً مِنْكُمْ فِي الاسْتِحْواذِ عَلَى المَغْنَمِ مِنْهُ، فَعِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِمَّا رَغِبْتُمْ فِيهِ مِنْ عَرَضِ الحَياةِ الدُّنيا، الذي حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ مِثْلِ هَذا الرَّجُلِ الذِي ألْقَى إلَيكُمُ السَّلاَمَ، وَأظْهَرَ لَكُمُ الإيمَانَ، فَتَغَافَلْتُم عَنْهُ وَاتَّهَمْتُمُوهُ بالمُصَانَعَةِ وَالتَّقِيَّةِ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَياةِ الدُّنْيا، فَمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرِّزْقِ الحَلالِ خَيْرٌ لَكُم مِنْ مَالِ هذا. وَقَدْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ، فِي مِثْلِ حَالِ هَذا الرَّجُلِ الذِي يُسِرُّ إسْلاَمَهُ، وَيُخْفِيهِ عَنْ قَوْمِهِ، فَمَنَّ اللهُ عَليكُمْ بالعِزِّ وَالنَّصْرِ، وَهَدَاكُمْ إلى الإسْلامِ، وَاللهُ خبيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لاَ يَخْفَى عَليهِ شَيءٌ مِنَ البَوَاعِثِ التِي حَفَزَتْكُمْ عَلَى فِعْلِ مَا فَعَلْتُمُوهُ.

ضَرَبْتُمْ - سَافَرْتُم.

السَّلاَمَ - الاسْتِسْلاَمَ أوْ تَحِيَّةَ الإسْلاَمِ.

٩٥ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا

(القَاعِدُونَ) (وَالْمُجَاهِدُونَ) (بِأمْوالِهِمْ) (الْمُجَاهِدِينَ) (الْقَاعِدِينَ)

(٩٥) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعالَى لِلنَّاسِ مَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبيلِ اللهِ، بأمْوالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ، مِنْ عَظِيمِ الأجْرِ وَالمَغْفِرَةِ والدَّرَجاتِ الكَرِيمَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ، فَقَالَ تَعالَى: إنَّ القَاعِدِينَ عَنِ الجِهَادِ - إذا كَانُوا غَيْرَ مَعْذُورِينَ، وَغَيْرَ ذَوِي عِلَّةٍ وَضَرَرٍ - لاَ يَسْتَوُونَ مَعَ المُجَاهِدِينَ بِأمْوالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ، وَإنَّ اللهَ فَضَّلَ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ، وَخَصَّهُمْ بِدَرَجَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَأجْرٍ كَبيرٍ، وَإنْ كَانَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ القَاعِدِينَ عَنِ الجِهَادِ عَجْزاً، مَعَ تَمنِّي القُدْرَةِ عَليهِ، كَمَا وَعَدَ المُجَاهِدِينَ، بِالخَيْرِ وَالمَثُوبَةِ وَالعَفْوِ وَالمَغْفِرَةِ لأنَّ كُلاًّ مِنْهُمْ كَامِلُ الإيمَانِ، مُخْلِصٌ للهِ فِي العَمَلِ.

﴿٩٦﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا

﴿٩٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ
قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ
فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ
جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا

أولي الضَّرَرِ - أَرْبَابِ الأَعْذَارِ المَانِعَةِ مِنَ الجِهَادِ.

(دَرَجَاتٍ)

(٩٦) - وهذا الأَجْرُ العَظِيمُ الذي وَعَدَ اللهُ بِهِ المُجَاهِدِينَ، وَفَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَى القَاعِدِينَ مِن ذَوِي الأَعْذَارِ، هُوَ دَرَجَاتٌ مِنْهُ، وَمَنَازِلُ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ الكَرَامَةِ، والمَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ، وَكَانَ اللهُ غَفُوراً لِذُنُوبِ أَوْلِيَائِهِ الذينَ يَسْتَحِقُّونَ المَغْفِرَةَ، رَحِيماً بِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

(تَوَفَّاهُمُ) (الْمَلاَئِكَةُ) (وَاسِعَةً) (فَأُولَئِكَ) (مَأْوَاهُمْ)

(٩٧) - كَانَ فِي مَكَّةَ قَوْمٌ قَدْ أَسْلَمُوا، وَأَخْفَوا إِسْلاَمَهُمْ، فَأَخْرَجَهُمُ المُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ إلى قِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ كَانَ أَصْحَابُنا هَؤُلاءِ مُسْلِمِينَ، وَأُكرِهُوا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ. فَكَتَبَ المُسْلِمُونَ إلى مَنْ بَقِيَ مِنَ المُسْلِمِينَ المُسْتَخْفِينَ فِي مَكَّةَ: أَنَّهُمْ لاَ عُذْرَ لَهُمْ، وَأَنَّ عَلَيهِم الهِجْرَةَ.

وَالآيَةُ عَامَّةٌ تَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ المُشْرِكِينَ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الهِجْرَةِ، وَلَيسَ مُتَمَكِّناً فِي مَوطِنِهِ مِنْ إِقَامَةِ أُمُورِ دِينِهِ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، مُرْتَكِبٌ حَرَاماً بِالإِجْمَاعِ. وَظُلْمُهُمْ لأَنْفُسِهِمْ هُوَ تَرْكُهُمُ العَمَلَ بِالحَقِّ خَوْفاً مِنَ الأَذَى، وَفَقْدُ الكَرَامَةِ عِنْدَ ذَوِي قُرْبَاهُمْ مِنَ المُبْطِلِينَ، وَهَذا الاعْتِذَارُ مِمَّا يَعْتَذِرُ بِهِ الذينَ يُسَايِرُونَ أَصْحَابَ البِدَعِ بِحُجَّةِ دَفْعِ الأَذَى عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِمُدَارَاةِ المُبْطِلِينَ، وَهذا لاَ يُعتَدُّ بِهِ، لأَنَّ الوَاجِبَ يَقْضِي عَلَيهِمْ بِإِقَامَةِ الحَقِّ مَعَ احْتِمَالِ الأَذَى فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الهِجْرَةِ إلى حَيْثُ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ إِقَامَةِ دِينِهِمْ.

وَمَعْنَى الآيَةِ: إِنَّ الذينَ تَحْضُرُهُمُ الوَفَاةُ، وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي أَرْضِ الشِّرْكِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ، وَلاَ إِظْهَارَهَا (وَقَدْ عَدَّ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاءِ ظَالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِتَرْكِهِم الهِجْرَةَ إلى دَارِ الأَمْنِ وَالإِسْلاَم)، فَتَسْأَلُهُمُ المَلاَئِكَةُ الكِرَامُ: لِمَ لَبِثْتُمْ مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الكُفْرِ، وَتَرَكْتُمُ الهِجْرَةَ؟ فَيُجِيبُونَ: إِنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْضِ، لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى الخُرُوجِ مِنَ البَلَدِ، وَلا الذَّهَابِ فِي الأَرْضِ. فَتَقُولُ لَهُمُ المَلاَئِكَةُ: أَلَيْسَتْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا إلى حَيْثُ الأَمْنُ وَالحُرِّيَّةُ، وَالقُدْرَةُ عَلَى إِظْهَارِ الإِيمَانِ؟ وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلاءِ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَسَاءَتْ مَصِيراً.

(٩٨) إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا

(والوِلْدَان)

(٩٨) - وَٱسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى مِنْ سُوءِ المَصِيرِ، الذِي يَنْتَظِرُ القَاعِدِينَ عَنِ الهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ - وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ شَعَائِرِ دِينِهِمِ - المُسْتَضْعَفِينَ الذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ أَيْدِي المُشْرِكِينَ، وَالذِينَ لَوْ قَدَرُوا عَلَى التَّخَلُّصِ لَمَا ٱسْتَطَاعُوا الاهْتِداءَ إِلى سُلُوكِ الطَّرِيقِ، وَإِيجَادِ السَّبِيلِ، كَالعَجَزَةِ وَالمَرْضَى وَالنِّسَاءِ وَالمُرَاهِقِينَ الذِينَ عَقَلُوا.

(٩٩) فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا

(فأولئك)

(٩٩) - فَهؤُلاءِ المَعْذُورُونَ قَدْ يَتَجَاوَزُ اللهُ عَنْهُمْ بِتَرْكِ الهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الكُفْرِ، وَاللهُ كَثِيرُ العَفْوِ وَالغُفْرانِ.

ربع الحزب ١٠

(١٠٠) ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا
وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا
إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا

(مُراغماً)

(١٠٠) - يُحَرِّضُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى الهِجْرَةِ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِي مُفَارَقَةِ المُشْرِكِينَ، وَيُعْلِمُهُمْ أَنَّ المُؤْمِنِينَ حَيْثُما ذَهَبُوا وَجَدُوا أَمَاكِنَ أَمْنٍ يَلْجَؤُونَ إِليها، وَيَتَحَصَّنُونَ بِهَا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَيَتَحَرَّرُونَ فِيهَا مِنَ الأَعْدَاءِ، وَيُرَاغِمُونَهُمْ بِهَا، وَيَجِدُونَ سَعَةً فِي الرِّزْقِ. وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ بِنِيَّةِ الهِجْرَةِ فَيَلْقَى حَتْفَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الثَّوابُ عِنْدَ اللهِ، مِثْلَ ثَوابِ مَنْ هَاجَرَ.

وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: إِنَّما الأَعْمَالُ بالنِّيَاتِ، وَإِنَّما لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا نَوى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى دُنْيا يُصِيبُها، أَوِ ٱمْرَأةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِليهِ).

المُرَاغَمُ - هُوَ مَكَانُ الهِجْرَةِ وَالمَأوَى يُصِيبُ فِيهِ المُهَاجِرُ الخَيْرَ وَالسَّعَةَ فَيُرْغِمُ بِذَلِكَ أُنوفَ أَعْدَائِهِ.

(١٠١) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ
خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ
ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا

(الصَّلاةِ) (الْكافِرينَ)

(١٠١) - إِذَا سَافَرْتُمْ فِي البِلادِ فَلَيس عَلَيْكُمْ حَرَجٌ، وَلَا تَضْيِيقَ (جُنَاحٌ) أَنْ تُخَفِّفُوا مِنَ الصَّلاةِ، بِجَعْلِ الصَّلاةِ الرُّبَاعِيَّةِ ثُنَائِيَّةً، وَعَدَّ الرَّسُولُ الكَرِيمُ ﷺ القَصْرَ في هَذِهِ الآيَةِ: (صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَٱقْبَلُوا صَدَقَتَهُ). وَعَدَّهَا الأَئِمَّةُ المُؤْمِنُونَ مُطْلَقَةً حَتَّى وَلَوْ تَحَقَّقَ الأَمْنُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَبْقَ مَا يُخِيفُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ. وَقُدِّرَتِ المَسَافَةُ التِي تُجِيزُ القَصْرَ بـ ٨١ كِيلُومِتْراً عِنْدَ الأَحْنَافِ، وَبِنَحْوِ ٨٩ كِيلُومِتْراً عِنْدَ أَصْحَابِ المَذَاهِبِ الأُخرى.

وَقالَتْ عَائِشَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهَا: (فُرِضَتِ الصَّلاَةُ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا هَاجَرَ الرَّسُولُ إلى المَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلاَةِ الحَضَرِ، وَأُقِرَّتْ صَلاَةُ السَّفَرِ).

والآيَةُ هُنَا تَعْنِي القَصْرَ مِنَ الرَّكَعَاتِ فِي حَالَةِ الخَوْفِ، بِأنْ تُصَلِّي طَائِفَةٌ مَعَ الإمَامِ رَكْعَةً وَاحِدَةً، فَإذا أتَمَّتْهَا مَعَهُ أتَمَّتْ هِيَ الرَّكْعَةَ الأخْرَى لِنَفْسِهَا، وَتَأتِي الطَّائِفَةُ الأخْرَى التِي كَانَتْ تَحْرُسُ الطَّائِفَةَ الأولى، التِي صَلَّتْ، فَتُصَلِّي مَعَ الإمَامِ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ تُتِمُّ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ لِنَفْسِها. (أمَّا قَصْرُ الصَّلاةِ الرُّبَاعِيَّةِ فِي السَّفَرِ فَإنَّهُ مَأخُوذٌ مِنَ السُّنَّةِ المُتَوَاتِرَةِ).

(١٠٢) وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا

(الصَّلاَةَ) (طَائِفَةٌ) (وَرَائِكُمْ) (وَاحِدَةً) (لِلْكَافِرِينَ)

(١٠٢) - يُبينُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ النَّصَّ المُجْمَلَ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ فِي مَشْروعِيَّةِ قَصْرِ الصَّلاَةِ، وَيُبَيِّنُ هُنا كَيْفِيَّةَ أدَاءِ صَلاَةِ الخَوْفِ.

وَالأئِمَّةُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أنَّ صَلاَةَ الخَوْفِ مَنْسُوخَةٌ مِنْ أسْبَابِ تَأخِيرِ الصَّلاَةِ. وَفِي صَلاةِ الخَوْفِ، إذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ في الجَمَاعَةِ وَأمَّ المُسْلِمِينَ فِي الصَّلاَةِ، تَأتِي طَائِفَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ فَتَأتَمُّ بِالرَّسُولِ وَهُمْ بِأسْلِحَتِهِمْ، وَكَامِلِ عُدَّتِهِمْ، وَتُصَلِّي مَعَهُ الرَّكْعَةَ الأولى مِنْ صَلاتِهِ، وَيَسْتَمِرُّ النَّبِيُّ وَاقِفاً يُصَلِّي، وَتُتِمُّ الطَّائِفَةُ المُؤتَمَّةُ بِهِ صَلاَتَها بِأدَاءِ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ لِنَفسِهَا، وَتُسَلِّمُ وَتَقُومُ إلى مَكَانِ الحِرَاسَةِ، وَتَأتِي الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ التِي لَمْ تُصَلِّ، وَالتِي كَانَتْ فِي مَكَانِ الحِرَاسَةِ، فَتَأتَمُّ بِالنَّبِيِّ، وَتُصَلِّي مَعَهُ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ صَلاتِهِ، ثُمَّ تُتِمُّ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ صَلاتِها لِنَفْسِهَا وَتُسَلِّمُ. وَيُحَذِّرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ مِنْ غَدْرِ الكُفَّارِ، وَيُنَبِّهُ المُسْلِمِينَ لِيَأخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأسْلِحَتَهُمْ، وَلِيَكُونُوا عَلَى أُهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ لِمُقَارَعَةِ الأعْدَاءِ إذا أرَادُوا الغَدْرَ بِالمُسْلِمِينَ، وَهُمْ فِي صَلاَتِهِمْ، وَاغْتِنَامَ الفُرْصَةِ فِيهِمْ، وَهُمْ مُنْشَغِلُونَ بِهَا.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالى إنَّهُ لاَ حَرَجَ إنْ كَانَ هُنَاكَ مَطَرٌ، أوْ كَانَ بِالمُسْلِمِينَ مَرَضٌ أنْ يَضَعُوا أسْلِحَتَهُمْ، وَلَكِنْ عَلَيهِمْ أنْ يَحْذَرُوا وَيَحْتَاطُوا لِتَكُونَ أسْلِحَتُهُمْ قَرِيبَةً مِنْهُمْ لأخْذِهَا إذا احْتَاجُوا إلى اسْتِعْمَالِهَا عَلَى عَجَلٍ. وَيُذَكِّرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِأنَّهُ وَلِيُّهُمْ، وَأنَّهُ نَاصِرُهُمْ وَمُخْزِي الكَافِرِينَ، وَأنَّهُ أعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً يَوْمَ القِيَامَةِ.

حِذْرَهُمْ - احْتِرَازَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ.

تَغْفُلُونَ - تَسْهُونَ.

﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا

(الصَّلاَة) (قِياماً) (كِتاباً)

(١٠٣) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ فِي أَنْفُسِهِمْ عَقِبَ صَلاَةِ الخَوْفِ نَظَراً لِمَا وَقَعَ فِيها مِنَ التَّخْفِيفِ في أَرْكَانِها، وَمِنَ الرُّخْصَةِ فِي الذَّهَابِ وَالإِيابِ فِيها مِمَّا لاَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا. فَإِذا ذَهَبَ الخَوْفُ، وَاطْمَأَنَّ المُسْلِمُونَ فَعَلَيهِمْ إقَامَةُ الصَّلاةِ وَإتْمَامُها بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، لأَنَّ الصَّلاَةَ مَفْرُوضَةٌ عَلَى المُؤْمِنينَ لِتُقَامَ فِي أَوْقَاتٍ مَحْدُودَةٍ، لا بُدَّ مِنْ أَدائِها فِيها، عَلَى قَدْرِ الإِمْكَانِ.

وَقَدْ جُعِلَتِ الصَّلاَةُ مَوْقُوتَةً لِتَكُونَ مُذَكِّرَةً لِلْمُؤْمِنينَ بِرَبِّهِمْ فِي الأَوْقَاتِ المُخْتَلِفَةِ، لِئَلاَّ تَحمِلَهُمُ الغَفْلَةُ عَلَى إتْيَانِ الشَّرِّ، أو التَّقْصِيرِ فِي فِعْلِ الخَيْرِ.

كِتاباً مَوْقُوتاً - مَكْتُوباً مَحْدُودَ الأَوْقَاتِ مُقَدَّراً.

﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

(١٠٤) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بالجِدِّ فِي قِتَالِ الأَعْدَاءِ، وَفِي طَلَبِهِمْ وَيُنَبِّهُهُمْ إلى أَنَّهُمْ إنْ كَانَتْ تُصِيبُهُمْ جِراحٌ، وَيَأْلَمُونَ مِنها، فَإنَّ أَعْدَاءَهُمْ تُصِيبُهُم أَيْضاً جِراحٌ، وَيَأْلَمُونَ مِنْهَا. وَالفَارِقُ الوَحِيدُ بَيْنَ المُؤْمِنِ وَالكَافِرِ أَنَّ المُؤْمِنَ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ المَثُوبَةَ وَالأَجْرَ، وَالنَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ، وَإِعْلاَءَ كَلِمَةِ اللهِ، التي وَعَدَهُ اللهُ بِهَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ، وَالكَافِرُ لاَ يَنْتَظِرُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ فِيما يَفْرِضُهُ وَيُقَدِّرُهُ.

لا تَهِنُوا - لاَ تَضْعُفُوا وَلاَ تَتَوانَوْا.

﴿١٠٥﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا

(الْكِتَاب) (أراكَ) (لِلْخَائِنِينَ)

(١٠٥) - نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْ بَنِي أُبَيْرِق. كَانَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَرَقَ لأَنْصَارِيٍّ آخَرَ دِرْعاً، فَاتَّهَمَهُ صَاحِبُ الدِّرْعِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ، فَعَمَدَ السَّارِقُ إلى الدِّرْعِ فَأَخْفَاهَا فِي بَيْتِ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ ذَلِكَ. فَذَهَبُوا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَعْذِرَ صَاحِبَهُمْ، وَيُجَادِلَ عَنْهُ أَمَامَ النَّاسِ، فَقَامَ الرَّسُولُ فَبَرَّأَهُ، وَعَذَرَهُ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ، وَقَالَ النَّبِيُّ لأَصْحَابِ الدِّرْعِ إنَّهُمْ عَمَدُوا إلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ، أَهْلِ تُقىً وَصَلاحٍ فَاتَّهَمُوهُ بِالسَّرِقَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، وَالآيَاتِ التِي بَعْدَهَا. فَأَمَرَ الرَّسُولُ بِالدِّرْعِ فَأُتِيَ بِهَا فَرَدَّهَا إلَى صَاحِبِهَا، وَهَرَبَ السَّارِقُ فَلَحِقَ بِالمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ.

وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ إنَّهُ أَنْزَلَ القُرآنَ عَلَيهِ بِتَحْقِيقِ الحَقِّ وَبَيَانِهِ،

﴿١٠٦﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

﴿١٠٧﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا

﴿١٠٨﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا

لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَعْلَمَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الأَحْكَامِ ، فَعَلَيهِ أنْ لا يُنصِّبَ نَفْسَهُ مُدَافِعاً عَنِ الخَائِنِينَ تِجَاهَ مَنْ يُطَالِبُونَهُمْ بِحُقُوقِهِمْ مِنْهُمْ.

خَصِيماً - مُخَاصِماً وَمُدَافِعاً عَنْهُمْ.

(١٠٦) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ لِنَفْسِهِ مِمَّا قَالَهُ لأَصْحَابِ الدِّرْعِ مِنْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ ، أَهْلِ تُقىً وَوَرَعٍ وَصَلاحٍ ، فَاتَّهَمُوهُ بِالسَّرِقَةِ، وَاللهُ تَعَالَى كَثِيرُ الغُفْرَانِ لِمَنِ اسْتَغْفَرَهُ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ التَّائِبِينَ.

(تُجَادِلْ)

(١٠٧) - هَذَا الخِطَابُ وُجِّهَ إِلَى النَّبِيِّ، وَهُوَ أَعْدَلُ النَّاسِ ، وَأَكْمَلُهُمْ، مُبَالَغَةً فِي التَّحْذِيرِ مِنْ خِلَّةِ التَّأَثُّرِ بِأَصْحَابِ الحُجَجِ القَوِيَّةِ، الَّتِي يَقَعُ فِيها كَثِيرٌ مِنَ الحُكَّامِ . وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى خِيَانَةَ الإِنْسَانِ لِغَيْرِهِ خِيَانَةً لِنَفْسِهِ، لأَنَّ ضَرَرَهَا عَائِدٌ عَلَيهِ.

(وَالمَقْصُودُونَ بِهَذِهِ الآيَةِ هُمْ سَارِقُ الدِّرْعِ وَذَوُوهُ الذِينَ أَعَانُوهُ لأَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لَهُ فِي الإِثْمِ وَالخِيَانَةِ).

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ : لاَ تُدَافِعْ عَنْ هَؤُلاءِ الخَوَنَةِ، وَلا تُسَاعِدْهُمْ عِنْدَ التَّخَاصُمِ ، لأَنَّهُ تَعَالَى يَكْرَهُ مَنِ اعْتَادَ الخِيَانَةَ (مَنْ كَانَ خَوَّاناً)، وَأَلِفَتْ نَفْسُهُ اجْتِرَاحَ السَّيِّئَاتِ، وَلَمْ يَعُدْ لِلْعِقَابِ الإِلَهِي فِي نَفْسِهِ رَهْبَةٌ وَلاَ خَشْيَةٌ تَجْعَلانِ مِثْلَهُ يُفَكِّرُ فِيهِ.

يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ - يَخُونُونَهَا بِارْتِكَابِ المَعَاصِي.

(١٠٨) - ثُمَّ يُبَيِّنُ اللهُ أَحْوَالَ هَؤُلاءِ الخَائِنِينَ، وَيَنْعَى عَلَيهِمْ أَفْعَالَهُمْ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى إِنَّ مِنْ شَأْنِ هَؤُلاءِ الخَائِنِينَ أَنَّهُمْ يَسْتَتِرُونَ مِنَ النَّاسِ عِنْدَ اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ وَالآثَامِ ، إِمَّا حَيَاءً، وَإِمَّا خَوْفاً مِنَ العِقَابِ، وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ، وَلا يَسْتَتِرُونَ مِنْهُ بِتَرْكِ ارْتِكَابِهَا، لِضَعْفِ إِيمَانِهِمْ، لأَنَّ الإِيمَانَ يَمْنَعُ مِنَ الإِصْرَارِ، وَمِنْ تَكْرَارِ الذَّنْبِ، فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَرَاهُ، فِي حَالِكِ الظُّلْمَةِ، لا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَ الذَّنْبَ حَيَاءً مِنَ اللهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ مُشَاهِدُهُمْ حِينَ يَتَّفِقُونَ لَيْلاً عَلَى مَا لاَ يُرْضِي اللهَ مِنَ القَوْلِ تَبْرِئَةً لأَنْفُسِهِمْ، وَرَمْياً لِغَيْرِهِمْ بِجَرِيمَتِهِمْ، وَاللهُ حَافِظٌ لأَعْمَالِهِمْ (مُحِيطاً) لا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاءِ وَلاَ فِي الأَرْضِ ، فَلاَ سَبِيلَ إِلى نَجَاتِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ.

يُبَيِّتُونَ - يُدَبِّرُونَ بِلَيْلٍ.

﴿١٠٩﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا

﴿١١٠﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا

﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا

﴿١١٢﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا

﴿١١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا

(هَا أنْتُمْ) (جَادَلْتُمْ) (الْحَيَاةِ) (يُجَادِلُ) (الْقِيَامَةِ)

(١٠٩) - لَقَدْ جَادَلْتُمْ عَنِ السَّارِقِينَ، وَحَاوَلْتُمْ تَبْرِئَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَوْمَ يَكُونُ الخَصْمَ وَالحَاكِمَ هُوَ اللهُ، المُحِيطُ بِأعْمَالِهِمْ، وَأحْوَالِهِمْ، وَأحْوَالِ الخَلْقِ كَافَّةً، فَعَلَى المُؤْمِنِينَ أنْ يُرَاقِبُوا اللهَ، وَلاَ يَظُنُّوا أنَّ مَنْ أمْكَنَهُ الفَوْزُ بِالحُكْمِ لَهُ مِنْ قُضَاةِ الدُّنْيَا بِغَيرِ حَقٍّ، يُمْكِنُ أنْ يَظْفَرَ بِهِ فِي الآخِرَةِ.

وَكِيلاً - حَافِظاً أوْ مُحَامِياً مِنْ بَأسِ اللهِ.

(١١٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعَفْوِهِ وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، فَمَنْ أذْنَبَ ذَنْباً صَغِيراً كَانَ أوْ كَبِيراً، ثُمَّ ٱسْتَغْفَرَ اللهَ، فَإِنَّهُ يَجِدُ عِنْدَ اللهِ المَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ كَبِيرَةً.

(وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُذْنِبُ ذَنْباً ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَينِ ثُم يَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَلِكَ الذَّنْبِ إلاَّ غَفَرَ لَهُ).

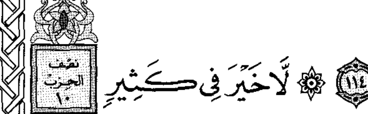
(١١١) - ثُمَّ حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى مِنْ فِعْلِ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ، وَذَكَرَ عَظِيمَ ضَرَرِهَا، فَقَالَ: لاَ يُغْنِي أحَدٌ عَنْ أحَدٍ شَيْئاً. وَمِنْ فَضْلِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ أنَّهُ وَضَعَ لِلنَّاسِ الشَّرَائِعَ، وَبَيَّنَ لَهُمُ الحُدُودَ، وَوَضَعَ لِلحُدُودِ عِقَاباً يُنْزِلُهُ بِمَنْ يَتَجَاوَزُهَا، أوْ يَعْفُو عَنْهُ تَفَضُّلاً وَتَكَرُّماً.

(بَرِيئاً) (بُهْتَاناً)

(١١٢) - وَالذِينَ يَرْتَكِبُونَ الجُرْمَ وَيَرْمُونَ بِهِ بَرِيئاً، كَمَا فَعَلَ بَنُو أبَيْرِقٍ، الذِينَ سَرَقُوا الدِّرْعَ، وَٱتَّهَمُوا الرَّجُلَ اليَهُودِيَّ البَرِيءَ بِهَا، فَإِنَّهُمْ يَرْتَكِبُونَ إثْماً عَظِيماً وَاضِحاً، إذْ حَمَّلُوا أنْفُسَهُمْ وِزْرَ البُهْتَانِ بِافْتِرَائِهِمْ عَلَى إنسَانٍ بَرِيءٍ، مَعَ وِزْرِ الجُرْمِ الذِي ٱرْتَكَبُوهُ.

(طَائِفَةٌ) (الْكِتَابَ)

(١١٣) - لَقَدْ حَاوَلَ أصْحَابُ بَنِي أبَيْرِق تَبْرِئَةَ صَاحِبِهِمْ مِنْ سَرِقَةِ الدِّرْعِ، وَعَزَوْا إلَيهِ الصَّلاَحَ وَالتُّقَى، وَلاَمُوا صَاحِبَ الدِّرْعِ لاتِّهَامِهِ قَوْماً صُلَحَاءَ، وَهُمْ بِذَلِكَ إنَّمَا كَانُوا يُرِيدُونَ أنْ يُضِلُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَكَشَفَ لَهُ حَقِيقَةَ مَا وَقَعَ. وَهَؤُلاءِ الذِينَ حَاوَلُوا تَضْلِيلَ رَسُولِ اللهِ، إنَّمَا يُضِلُّونَ أنْفُسَهُمْ، فَقَدْ عَصَمَ اللهُ رَسُولَهُ مِنْ أنْ يَقَعَ فِي الخَطَأ، وَأيَّدَهُ بِفَضْلِهِ، وَأنْزَلَ عَلَيهِ القُرآنَ (الكِتَابَ) وَالحِكْمَةَ (وَقِيلَ إنَّ مَعْنَى الحِكْمَةِ هُنَا مَا تَضَمَّنَتْهُ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ) وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ



﴿١١٤﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

﴿١١٥﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا

﴿١١٦﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا

مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الوَحْيِ عَلَيهِ، وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَظِيماً عَلَى رَسُولِهِ الكَرِيمِ.

(نَجْوَاهُمْ) (إِصْلَاحٍ) (مَرْضَاةِ)

(١١٤) - لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَتَنَاجَى بِهِ هَؤُلاءِ الذِينَ يُسِرُّونَ الحَدِيثَ، مِنْ جَمَاعَةِ ٱبْنِ أُبَيْرِق، الذِينَ أَرَادُوا مُسَاعَدَتَهُ عَلَى ٱتِّهَامِ اليَهُودِيِّ وَبَهْتِهِ، وَمَنْ مَاثَلَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَلَنْ يَكُونَ الخَيْرُ فِي نَجْوَى النَّاسِ، إِلَّا إِذَا تَنَاوَلَتْ أَحَادِيثُهُمْ ذِكْرَ اللهِ، أَوْ أَمْراً بِصَدَقَةٍ، أَوْ أَمْراً بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْياً عَنْ مُنْكَرٍ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (كَلَامُ ٱبْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيهِ لَا لَهُ إِلَّا ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ)، أَوْ سَعْياً فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ بَيْنَ أُنَاسٍ مُخْتَلِفِينَ مُتَخَاصِمِينَ. وَمَنْ يَفْعَلْ هَذِهِ الأَعْمَالَ الثَّلاثَةَ، ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَرْضَاتِهِ لَا يَبْغِي ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ اللهِ، فَسَوْفَ يُثِيبُهُ اللهُ ثَوَاباً جَزِيلاً كَثِيراً.

النَّجْوَى - المُسَارَّةُ فِي الحَدِيثِ. وَالنَّجْوَى مَظَنَّةُ الشَّرِّ، لأَنَّ عَادَةَ النَّاسِ جَرَتْ بِحُبِّ إِظْهَارِ الخَيْرِ، وَالتَّحَدُّثِ فِيهِ، وَلأَنَّ الإِثْمَ وَالشَّرَّ هُمَا اللَّذَانِ يُذْكَرَانِ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى.

(١١٥) - مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﷺ بِٱرْتِدَادِهِ عَنِ الإِسْلامِ، وَإِظْهَارِ العَدَاوَةِ لَهُ، وَمَنْ يَسْلُكْ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ التِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ، فَصَارَ فِي شِقٍّ، وَالشَّرْعُ فِي شِقٍّ آخَرَ، وَذَلِكَ عَنْ عَمْدٍ مِنْهُ، بَعْدَمَا ظَهَرَ لَهُ الحَقُّ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الرُّشْدُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ، التِي قَامَ عَلَيْهَا إِجْمَاعُ الأُمَّةِ المُسْلِمَةِ (وَإِجْمَاعُ الأُمَّةِ دَلِيلٌ عَلَى العِصْمَةِ مِنَ الخَطَأ)، جَزَاهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يُحَسِّنَ لَهُ أَفْعَالَهُ فِي صَدْرِهِ، وَيُزَيِّنَهَا لَهُ ٱسْتِدْرَاجاً لَهُ، وَيَجْعَلَ مَصِيرَهُ فِي جَهَنَّمَ، يَصْطَلِي بِلَظَاهَا، وَسَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمَصِيراً.

يُشَاقِقِ - يُخَالِفُ.

نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى - نُخَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا ٱخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ.

نُصْلِهِ جَهَنَّمَ - نُدْخِلْهُ فِيهَا فَيُشْوَى فِيهَا.

(ضَلَالاً)

(١١٦) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ يُشْرِكُ مَعَهُ فِي العِبَادَةِ سِوَاهُ، أَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللهَ قَدْ يَغْفِرُهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئاً فَقَدْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الحَقِّ، وَضَلَّ عَنِ الهُدَى، وَٱبْتَعَدَ عَنِ الصَّوَابِ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ، وَخَسِرَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

﴿١١٧﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ
إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا
شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا

﴿١١٨﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا

﴿١١٩﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ
ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن
يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ
خُسْرَانًا مُّبِينًا

(إناثاً) (شَيْطَاناً)

(١١٧) - إنَّ الكافِرِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثاناً صَوَّرُوهَا، وَقَالُوا إنَّهَا تُشْبهُ المَلائِكَةَ التي زَعَمُوا أنَّها بَنَاتُ اللهِ، لِذَلِكَ عَبَدُوهَا، وَسَمَّوهَا بأَسْمَاءِ الإنَاثِ (مِثْلِ اللاَّتِ وَالعُزَّى وَمَنَاةَ . . .) وَالذِي أمَرَهُمْ بِذَلِكَ هُوَ الشَّيْطَانُ، وَهُوَ الذِي حَسَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ، وَزَيَّنَهُ فِي أعْيُنِهِمْ، فَكَانَتْ طَاعَتُهُمْ لَهُ عِبَادَةً.

مَريداً - مُتَمَرِّداً وَمُتَجَرِّداً مِنَ الخَيْرِ.
إنَاثاً - أصْنَاماً يُزَيِّنُونَهَا كَالنِّسَاءِ.

(١١٨) - وَالشَّيْطَانُ الذِي أضَلَّ هَؤُلاءِ الكُفَّارَ قَدْ طَرَدَهُ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأخْرَجَهُ مِنْ جِوَارِهِ (لَعَنَهُ).

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ: إنَّهُ سَيَفْتِنُ عِبَادَ اللهِ، وَسَيَتَّخِذُ مِنْهُمْ نَصِيباً مُعَيَّناً يَجْعَلُهُمْ مِنْ أنْصَارِهِ وَأتْبَاعِهِ.

(وَقِيلَ إنَّ النَّصِيبَ المَفْرُوضَ المَقْصُودَ هُنَا هُوَ مَا لِلشَّيْطَانِ فِي نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِن آسْتِعْدَادٍ لِلشَّرِّ، إذْ مَا مِنْ إنْسَانٍ إلاَّ وَيَشْعُرُ فِي نَفْسِهِ بِوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ).

(ولآمُرَنَّهُمْ) (آذَانَ) (الأنْعامِ) (الشَّيْطَانَ)

(١١٩) - وَيُتَابعُ الشَّيْطَانُ قَوْلَهُ للهِ: إنَّهُ سَيَعْمَلُ عَلَى إضْلاَلِ عِبَادِ اللهِ عَنِ الحَقِّ، وَعَلَى صَرْفِهِمْ عَنِ الهُدَى، وَإنَّهُ سَيُزَيِّنُ لَهُمُ الاسْتِعْجَالَ بِاللَّذَّاتِ الحَاضِرَةِ، وَالتَّسْوِيفَ بِالتَّوْبَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَسَيَعِدُهُمُ الأمَانِيَّ، وَإنَّهُ سَيَأمُرُهُمْ بِتَشْقِيقِ آذَانِ البَهَائِمِ السَّائِمَةِ، وَجَعْلِهَا سِمَةً وَعَلاَمَةً لِلبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالوَصِيلَةِ، وَسَيَأمُرُهُمْ بِتَغْيِيرِ خَلْقِ اللهِ مِنَ النَّاحِيَةِ المَادِيَّةِ كَخَصْيِ الدَّوَابِّ وَالوَشْمِ، وَمِنَ النَّاحِيَةِ المَعْنَوِيَّةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِتَغْيِيرِ الفِطْرَةِ الإنْسَانِيَّةِ عَمَّا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ المَيْلِ إلى النَّظَرِ وَالاسْتِدْلاَلِ وَطَلَبِ الحَقِّ، وَتَرْبِيَتِها وَتَعْوِيدِهَا عَلَى الأبَاطِيلِ وَالرَّذَائِلِ وَالمُنْكَرَاتِ، فَاللهُ تَعَالَى قَدْ أحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ، وَهَؤُلاءِ يُفْسِدُونَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَيَطْمِسُونَ عُقُولَ النَّاسِ.

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِياً لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ يَخْسَرِ الدُّنيا وَالآخِرَةَ وَتِلْكَ خَسَارَةٌ لاَ جَبْرَ لها، وَلا آسْتِدرَاكَ لِفائِتِها.
يُبَتِّكُنَّ - يُشَقِّقُنَّ.
خَلْقَ اللهِ - فِطْرَةَ اللهِ.

﴿١٢٠﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا

(الشَّيْطَانُ)

(١٢٠) - يُخَوِّفُ الشَّيْطَانُ النَّاسَ مِنَ الفقْرِ إذَا هُمْ أنفقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُوَسْوِسُ لَهُمْ بِأَنَّ أَمْوَالَهُمْ تَنْفَدُ أَوْ تَنْقُصُ، وَيُصْبِحُونَ فُقَراءَ أذِلاَّءَ، وَيعِدُهُمْ بِالغِنَى وَالثَّرْوَةِ حِينَ يُغْرِيهِمْ بِلَعِبِ القِمَارِ وَيُمَنِّيهِمْ بِأَنَّهُمُ الفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَقَدْ كَذَبَ وَآفْتَرَى فِي ذَلِكَ فَوُعُودُهُ بَاطِلَةٌ.

غُرُوراً - خِدَاعاً وَبَاطِلاً.

﴿١٢١﴾ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا

(أولَئِكَ) (مَأْوَاهُمْ)

(١٢١) - وَهَؤُلاَءِ المُسْتَحْسِنُونَ لِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَمَنَّاهُمْ بِهِ، سَيَكُونُ مَأْوَاهُمْ وَمَصِيرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ، وَلَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً وَلاَ خَلاَصاً.

مَحِيصاً - مَهْرَباً أو مَحِيداً.

﴿١٢٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(١٢٢) - بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى حَالَ أَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ، ثَنَّى بِبَيَانِ حَالِ المُؤْمِنينَ السُّعَدَاءِ، الذِينَ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، وَلاَ يَمْتَثِلُونَ لأمْرِهِ، وَمَا لَهُمْ مِنَ الكَرَامَةِ التَّامَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: إنَّ الذِينَ آمَنُوا وَصَدَّقَتْ قُلُوبُهُمْ، وَعَمِلَتْ جَوَارِحُهُمْ بِمَا أمِرُوا بِهِ مِنَ الخَيْرَاتِ، وَتَرَكُوا مَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ المُنْكَرَاتِ، سَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي فِيهَا الأَنْهَارُ، وَيَكُونُونَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً، وَهُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللهِ، وَاللهُ هُوَ القَادِرُ عَلَى أنْ يُعْطِيَ مَا وَعَدَ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ، وَلَيْسَ أحَدٌ أصْدَقَ قَوْلاً مِنَ اللهِ.

﴿١٢٣﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

(الْكِتَاب)

(١٢٣) - قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: تَخَاصَمَ أَهْلُ الأدْيَانِ فَقَالَ أَهْلُ التَّوراةِ: كِتَابُنَا خَيْرُ الكُتُبِ، وَنَبِيُّنَا خَيْرُ الأَنْبِيَاءِ.

وَقَالَ أَهْلُ الإنْجِيلِ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَهْلُ الإسْلاَمِ: لاَ دِينَ إلاَّ الإسلامُ، وَكِتَابُنَا نَسَخَ كُلَّ الكُتُبِ، وَنَبِيُّنَا خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَأُمِرْتُمْ وَأُمِرْنَا أنْ نُؤْمِنَ بِكِتَابِكُمْ وَنَعْمَلَ بِكِتَابِنَا. فَقَضَى اللهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الآيَةِ. وَقَالَ لَهُمْ لَيْسَ فَضْلُ الدِّينِ وَشَرَفُهُ، وَلاَ نَجَاةُ أَهْلِهِ تَكُونُ بِأنْ يَقُولَ القَائِلُ مِنْهُمْ إنَّ دِينِي أفْضَلُ وَأكْمَلُ، بَلْ عَلَيهِ أنْ يَعْمَلَ بِمَا يَهْدِيهِ إليهِ دِينُهُ، فَإنَّ الجَزَاءَ إنَّما يَكُونُ

عَلَى العَمَلَ، لاَ عَلَى التَّمَنِّي وَالغُرُورِ، فَلَيْسَ أَمْرُ نَجَاتِكُمْ، وَلاَ نَجَاةُ أَهْلِ الكِتَابِ، مَنُوطاً بِالأَمَانِي فِي الدِّينِ، فَالأَدْيَانُ لَمْ تُشَرَّعْ لِلتَّفَاخُرِ وَالتَّبَاهِي، وَلاَ تَحْصَلُ فَائِدَتُهَا بِالانْتِسَابِ إِليها، دُونَ العَمَلِ بِها. فَالعِبْرَةُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ شَرْعِهِ الذِي جَاءَ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ الكِرامِ، فَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً، مِنْ أَيِّ دِينٍ كَانَ يَجِدْ جَزَاءَهُ، وَلَنْ يَنْصرَهُ أَحدٌ مِنْ بَأسِ اللهِ، وَلَنْ يجيرَهُ أَحدٌ مِنْ سُوءِ العَذَابِ، فَعَلَى الصَّادِقِ فِي دِينِهِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى العَمَلِ بِمَا هَدَاهُ إِليهِ كِتَابُه وَرُسُلُهُ.

(١٢٤) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا

(الصَّالِحَاتِ) (فَأُولَئِكَ)

(١٢٤) ـ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ ذَكَرٍ أو أُنثى عَمَلاً صَالِحاً، وَهُوَ مُطْمَئِنُ القَلْبِ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُكَافِئُهُ عَلى أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ بِإِدْخَالِهِ الجَنَّةَ، وَلاَ يُنْقِصُهُ شَيئاً مِنْ عَمَلِهِ وَلَوْ كَانَ شَيْئاً بَسِيطاً جِدّاً (نَقِيراً).
النَّقِيرُ ـ نُقْطَةٌ دَاخِلَ نَوَاةِ التَّمْرِ لاَ وَزْنَ لَهَا.

(١٢٥) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا

(إِبْرَاهِيمَ)

(١٢٥) ـ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ جَعَلَ قَلْبَهُ خَالِصاً للهِ وَحْدَهُ، وَأَخْلَصَ العَمَلَ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَمِلَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، وَكَانَ فِي عَمَلِهِ مُحْسِناً، وَمتبِعاً مَا شَرَعَهُ اللهُ لَهُ، وَمَا أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الهُدَى وَدِينِ الحَقِّ.
وَهٰذانِ شَرْطَانِ لاَ يَصِحُّ بِدُونِهِمَا عَمَلٌ صَالِحٌ:
ـ أَنْ يَكُونَ العَمَلُ خَالِصاً للهِ.
ـ أَنْ يَكُونَ صَوَاباً مُوافِقاً لِلشَّرْعِ الذِي شَرَعَهُ اللهُ.

وَعَلَى العَامِلِ المُخْلِصِ فِي عَمَلِهِ للهِ أَنْ يَكُونَ قَدِ اتَّبَعَ، مَعَ مُحَمَّدٍ وَالمُسْلِمِينَ، مِلَّةَ إبراهِيمَ مُخْلِصاً، مُنْحرِفاً عَنِ الشِّرْكِ (حَنِيفاً)، وَتَارِكاً لِلشِّرْكِ عَنْ بَصِيرةٍ، وَمقبِلاً عَلى الحَقِّ وَالهُدَى بِكُلِّيَّتِهِ. ثُمَّ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى تَرْغِيبَ المُؤْمِنِينَ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبراهِيمَ، الذِي بَلَغَ غَايَةَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ العِبَادُ إِلى اللهِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ إِبراهِيمَ انْتَهى إِلى مَنْزِلَةِ الخَلِيلِ لَدَى خَالِقِهِ، وَهِيَ أَرْفَعُ مَقَامَاتِ المَحَبَّةِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ هَذِهِ المَنْزِلَةُ كَانَ جَدِيراً بِأَنْ يُتَّبَعَ فِي مِلَّتِهِ.
أَسْلَمَ وَجْهَهُ ـ أَخْلَصَ نَفْسَهُ أَوْ تَوَجُّهَهُ وَعِبَادَتَهُ.
حَنِيفاً ـ مَائِلاً عَنِ البَاطِلِ وَالشِّرْكِ.

﴿١٢٦﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا

(السَّماوَاتِ)

(١٢٦) - جَميعُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ مُلْكٌ للهِ، وَخَلْقٌ مِنْ خلْقِهِ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، لَا رَادَّ لِمَا قَضى، وَلاَ مُعَقِّبَ عَلَيهِ فِي حُكْمِهِ، وَعِلْمُهُ نَافِذٌ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، لا تَخْفى عَلَيهِ خَافِيَةٌ.

﴿١٢٧﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا

(الْكِتَابِ) (يَتَامَى) (اللاَّتِي) (الْوِلْدَانِ) (لِلْيَتَامَى)

(١٢٧) - يَسْتَفْتُونَكَ فِي شَأنِ النِّسَاءِ لِبَيَانِ مَا غَمَضَ وَأشْكَلَ مِنْ أحْكَامِهِنَّ، مِنْ جِهَةِ حُقُوقِهِنَّ المَالِيَّةِ، وَالزَّوْجِيَّةِ، فَقُلْ لَهُمْ: إنَّ اللهَ يُفتِيكُمْ فِيهِنَّ، فِيمَا يُوحِيهِ إليكَ مِنَ الأحْكَامِ فِي كِتَابِهِ، وَيُفْتِيكُمْ فِي شَأنِهِنَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي القُرآنِ، مِمّا نزلَ قبلَ هَذَا الاسْتِفْتَاءِ، فِي أحْكَامِ مُعَامَلَةِ يَتَامَى النِّسَاءِ، اللاتِي جَرَتْ عَادَتُكُمْ ألاَّ تُعْطُوهُنَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَهُنَّ مِنَ الإرْثِ، إذا كَانَ فِي أيدِيكُمْ، لِولاَيَتِكُمْ عَلَيْهِنَّ، وَتَرْغَبُونَ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ لِجَمَالِهِنَّ وَالتَّمتُّعِ بِأمْوَالِهِنَّ، أوْ تَرْغَبُونَ عَنْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ لِدَمَامَتِهِنَّ، فَلاَ تَنْكِحُوهُنَّ أنْتُمْ وَلا تُنكِحُوهُنَّ غَيرَكُمْ مِنَ الرِّجَالِ حَتَّى يَبْقَى مَالُهُنَّ فِي أيْدِيكُمْ، فَحَرَّمَ اللهُ ذَلِكَ وَنَهَى عَنْهُ، وَأمَرَ اللهُ الرَّجُلَ الذِي يُرِيدُ أنْ يَتَزَوَّجَ اليَتِيمَةَ بِأنْ يُمهِرَهَا أسْوَةً بِأمْثَالِهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَإنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيَعْدِلْ إلى غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَقَدْ وَسَّعَ اللهُ عَلَى الرِّجَالِ.

وَكَانَ أهْلُ الجَاهِلِيَّةِ لا يُوَرِّثُونَ الصِّغَارَ وَلاَ البَنَاتِ، فَنَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَبَيَّنَ لِكُلِّ ذِي سَهْمٍ سَهْمَهُ، وَحَثَّ المُؤْمِنِينَ عَلَى فِعْلِ الخَيْرَاتِ، وَآمْتِثَالِ أوَامِرِهِ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُمْ: وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِهِ وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَيهِ أوْفَى الجَزَاءِ.

بِالقِسْطِ - بِالعَدْلِ فِي المِيرَاثِ وَالأمْوَالِ.

﴿١٢٨﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

(١٢٨) - إذَا خَافَتِ المَرْأةُ مِنْ زَوْجِهَا أنْ يَنْفِرَ مِنْهَا، وَيُعْرِضَ عَنْهَا، فَلَهَا أنْ تَتَّفِقَ مَعَهُ عَلَى أنْ تُسْقِطَ عَنْهُ حَقَّهَا كُلَّهُ أو بَعْضَهُ: مِنْ نَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ أوْ مَبِيتٍ، أوْ غَيرِ ذَلِكَ مِنْ حُقُوقِها عَلَيهِ، لِتَبْقَى عِنْدَهُ عَزِيزَةً مُكَرَّمَةً، أوْ تَسْمَحَ لَهُ بِبَعْضِ المَهْرِ، أوْ بِمُتْعَةِ الطَّلاقِ، أوْ بِكُلِّ ذَلِكَ، لِيُطَلِّقَهَا كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أخرى. وَلَهُ أنْ يَقْبَلَ مِنْهَا ذَلِكَ، وَلاَ حَرَجَ عَلَيهَا فِي بَذْلِهِ، وَلاَ حَرَجَ عَلَيهِ فِي قَبُولِهِ مِنْهَا. وَالصُّلْحُ خَيْرٌ مِنَ الفِرَاقِ وَالتَّسرِيحِ، وَقَدْ سَاوَى اللهُ تَعَالَى بَيْنَ الرَّجُلِ وَالمَرْأةِ، وَمَيَّزَ الرِّجَالَ بِالقِيَامِ بِرِئَاسَةِ الأسْرَةِ، لأنَّ الرَّجُلَ أقْوَى مِنَ المَرْأةِ بَدَناً وَعَقْلاً، وَأقْدَرُ عَلَى الكَسْبِ

وَالنَّفقَةِ، فَيَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُعَاشِرَ المَرْأَةَ بِالمَعْرُوفِ، وَأَنْ يَتَحَرَّى العَدْلَ قَدْرَ المُسْتَطَاعِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ النُّفُوسَ عُرْضَةٌ لِلشُّحِّ، فَإِذَا عَرَضَ لَهَا دَاعٍ مِنْ دَوَاعِي البَذْلِ أَلَمَّ بِهَا الشُّحُّ وَالبُخْلُ، فَنَهَاهَا عَنْ أَنْ تَبْذُلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَبْذُلَهُ لأَجْلِ الصُّلْحِ، فَالنِّسَاءُ حَرِيصَاتٌ عَلَى حُقُوقِهِنَّ فِي القَسْمِ وَالنَّفَقَةِ، وَحُسْنِ العِشْرَةِ، وَالرِّجَالُ حَرِيصُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ أَيْضاً، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّسَامُحُ بَيْنَهما كَامِلاً. ثُمَّ رَغَّبَ اللهُ تَعَالَى فِي بَقَاءِ الزَّوْجِيَّةِ **جَهْدَ** المُسْتَطَاعِ فَقَالَ: وَإِنْ تُحْسِنُوا العِشْرَةَ فِيمَا بَيْنَكُم، وَتَتَّقُوا أَسْبَابَ النُّشُوزِ وَالإِعْرَاضِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيهِمَا مِنَ الشِّقَاقِ، فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِذَلِكَ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْهُ.

بَعْلِهَا - زَوْجُهَا.

نُشُوزاً - تَجَافِياً عَنْهَا وَظُلْماً.

الشُّحَّ - البُخْلَ مَعَ الحِرْصِ.

(١٢٩) وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

(١٢٩) - وَلَنْ يَسْتَطِيعَ الرِّجَالُ أَنْ يُسَاووا فِي المُعَامَلَةِ بَيْنَ النِّسَاءِ، مِنْ جَمِيعِ الوُجُوهِ، فَإِنْ وَقَعَ القَسْمُ الصُّورِيّ لَيْلَةً وَلَيْلَةً، فَلا بُدَّ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي المَحَبَّةِ، وَالرَّغْبَةِ (وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي قِسْمَتِهِ بَيْنَ نِسَائِهِ: اللَّهُمَّ هَذا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلا تَلُمْنِي فِيمَا لاَ أَمْلِكُ) - وَيَعْنِي القَلْبَ.

وَاللهُ تَعَالَى لَمْ يُكَلِّفِ النَّاسَ إِلاَّ العَدْلَ فِيمَا يَسْتَطِيعُونَ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: فَإِذَا مِلْتُمْ إِلى وَاحِدَةٍ تُحِبُّونَهَا مِنْهُنَّ، فَلا تُبَالِغُوا فِي المَيْلِ إِلَيهَا فَتَبْقَى الأُخْرى مُعَلَّقَةً، لاَ هِيَ بِذَاتِ زَوْجٍ، وَلاَ هِيَ مُطَلَّقَةً. وَإِنْ أَصْلَحْتُمْ فِي مُعَامَلَةِ النِّسَاءِ، وَاتَّقَيْتُمْ ظُلْمَهُنَّ، وَتَفْضِيلَ بَعْضِهِنَّ عَلَى بَعْضٍ، وَعَدَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ فِيمَا يَدْخُلُ فِي اخْتِيَارِكُمْ كَالقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ وَاتَّقَيْتُمْ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ، غَفَرَ اللهُ لَكُمْ مَا كَانَ مِنْ مَيْلٍ إِلى بَعْضِ النِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ.

أَنْ تَعْدِلُوا - فِي المَحَبَّةِ وَمَيْلِ القَلْبِ وَالمُؤَانَسَةِ.

(١٣٠) وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا

(وَاسِعاً)

(١٣٠) - أَمَّا إِذَا آثَرَ الزَّوْجَانِ أَنْ يَتَفَرَّقَا، لأَنَّهُمَا يَخَافَانِ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يُغْنِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ الآخَرِ، وَيُعَوِّضُهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ صَاحِبِهِ.

وَلَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهُمَا جَدِيراً بِعِنَايَةِ اللهِ، إِلاَّ إِذَا التَزَمَا حُدُودَ اللهِ، بِأَنِ

اجْتَهَدَا فِي الوِفَاقِ وَالصُّلْحِ ، وَلَكِنْ ظَهَرَ لَهُمَا، بَعْدَ التَّفْكِيرِ وَالتَّرَوِّي فِي الأَسْبَابِ، أَنَّ الحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ أَصْبَحَتْ غَيْرَ مُسْتَطَاعَةٍ فَافْتَرَقَا، وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا فِي النُّفُوسِ ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ العَطَاءَ فَيُعْطِيهِ .

﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ
وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن
تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا
حَمِيدًا

(السَّمَاوَاتِ) (الْكِتَابَ)

(١٣١) ـ اللهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَمَالِكُهُمَا، فَلاَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الإِغْنَاءُ بَعْدَ الفَقْرِ، وَلاَ الإِينَاسُ بَعْدَ الوَحْشَةِ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِتَقْوَاهُ فِي إِقَامَةِ سُنَنِهِ وَشَرْعِهِ، لِتَرْتَقِيَ مَعَارِفُكُمْ، وَتَزْكُو نُفُوسُكُمْ، وَتَنْتَظِمَ مَصَالِحُكُمُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ .

أَمَّا إِذَا آخْتَارَ النَّاسُ الكُفْرَ، فَإِنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، غَنِيٌّ عَنِ النَّاسِ لاَ يَضُرُّهُ كُفْرُهُمْ، وَلا تُؤْذِيهِ مَعَاصِيهِمْ، وَلاَ يَنْفَعُهُ شُكْرُهُمْ، وَلا تَقْوَاهُمْ، وَقَدْ أَوْصَاكُمْ بِمَا أَوْصَى بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ رَحْمَةً بِكُمْ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِكُمْ، وَهُوَ تَعَالَى مَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ وَيُشَرِّعُهُ، وَهُوَ المَالِكُ المُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا

(السَّمَاوَاتِ)

(١٣٢) ـ وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ خَلْقاً وَمُلْكاً، وَهُوَ القَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَهُوَ الرَّقِيبُ الشَّهِيدُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ . وَأَنْتُمْ أَيُّها العِبَادُ تَحْتَ سُلْطَانِ اللهِ وَقَهْرِهِ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تُعْجِزُوهُ طَلَباً.

وَكِيلاً ـ شَهِيداً أَوْ دَافِعاً وَمُجِيراً أَوْ قَيِّماً.

﴿١٣٣﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا
ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا

(بِآخَرِينَ)

(١٣٣) ـ وَاللهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِفْنَائِكُمْ، وَعَلَى إِيجَادِ قَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ البَشَرِ، يَحُلُّونَ مَحَلَّكُمْ فِي خِلاَفَةِ الأَرْضِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهَا، إِذَا عَصَيْتُمُوهُ، فَمَا أَهْوَنَ العِبَادَ عَلَى اللهِ إِذَا خَالَفُوهُ، وَعَصَوْا أَمْرَهُ.

﴿١٣٤﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا
فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا
وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا

(الآخِرَةِ)

(١٣٤) ـ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يرِيدُ، بِسَعْيِهِ وَجِهَادِهِ فِي حَيَاتِهِ، نَعِيمَ الدُّنيا: المَالَ وَالجَاهَ وَنَحْوَهُمَا. فَهُوَ قَاصِرُ الهِمَّةِ، لأَنَّ عِنْدَ اللهِ ثَوابَ الدَّارَيْنِ مَعاً، وَالجَمْعُ فِي العَمَلِ لِلدُّنْيا مَعَ العَمَلِ لِلآخِرَةِ أَمْرٌ مَيْسُورٌ لَكُمْ، فَمِنْ خَطَلِ الرَّأْيِ أَنْ تَتْرُكُوا العَمَلَ لِلآخِرَةِ البَاقِيَةِ، وَتَقْصُرُوا هَمَّكُمْ عَلَى



(١٣٥) ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

ثلاثة أرباع الحزب ١٠

العَمَلِ لِلدُّنيا الزَّائِلَةِ الفَانِيَةِ، وَعَلى المُؤْمِنِ العَاقِلِ أنْ يَقُولَ: (رَبَّنا آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنا عَذابَ النَّارِ)، وَاللهُ سَميعٌ لأقْوالِ العِبَادِ، حِينَ مُخاطَبَاتِهِمْ وَمُنَاجَاتِهِمْ، بَصِيرٌ بِجَمِيعِ أُمورِهِمْ، فِي سَائِرِ أحْوالِهِمْ.

(يا أيُّها) (آمَنُوا) (قَوَّامِينَ) (الْوالِدَيْنِ) (تَلْوُوا)

(١٣٥) - العَدْلُ هُوَ نِظَامُ الوُجُودِ، لِذَلِكَ أمَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ بِأنْ يَجْعَلُوا العِنايَةَ بِإقَامَةِ العَدْلِ، عَلى وَجْهِهِ الصَّحيحِ، صِفَةً ثَابِتَةً لَهُمْ، رَاسِخَةً فِي نُفُوسِهِمْ (كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ).

وَالعَدْلُ كَمَا يَكُونُ فِي الحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ، يَكُونُ أيْضاً فِي العَمَلِ: كَالقِيَامِ بِمَا يَجِبُ مِنَ العَدْلِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ وَالأوْلادِ، فِي النَّفَقَةِ، وَالمُسَاوَاةِ بَيْنَهُمْ. وَيَأمُرُ اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ بِأنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ للهِ، بِأنْ يَتَحَرَّوْا الحَقَّ الذِي يَرْضَاهُ اللهُ، وَيَأمُرُ بِهِ، مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةٍ لأحَدٍ، وَلا مُحَابَاةٍ لَهُ، وَلَوْ كَانَتْ الشَّهَادَةُ عَلى نَفْسِ الإنْسَانِ، بِأنْ يُثْبِتَ بِهَا الحَقَّ عَلَيهِ (وَمَنْ أقَرَّ عَلى نَفْسِهِ بِحَقٍّ فَقَدْ شَهِدَ عَلَيهَا)، أوْ عَلى وَالِدَي الإنْسَانِ، أوْ عَلى أقْرَبِ النَّاسِ إلَيهِ، إذْ لَيسَ مِنْ بِرِّ الوَالِدَينِ، وَلا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، أنْ يُعَانُوا عَلى أكْلِ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ حَقٌّ، بَلِ البِرُّ وَالصِّلَةُ فِي الحَقِّ وَالمَعْرُوفِ.

وَيُوصِي اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ بِالْتِزامِ العَدْلِ فِي الشَّهادَةِ، وَإنْ كَانَ المَشْهُودُ عَليهِ مِنَ الأقَارِبِ، سَواءٌ أكَانَ فَقِيراً أو غَنِياً، فَإنَّ اللهَ تَعَالى أوْلَى بِهِ، وَشَرْعُهُ أحَقُّ بِأنْ يُتَّبَعَ فِيهِ، فَحَذَارِ أنْ تُحابُوا غَنِيّاً طَمَعاً فِي بِرِّهِ، أوْ خَوْفاً مِنْ سَطْوَتِهِ، وَحَذَارِ أنْ تُحابُوا فَقيراً عَطْفاً عليهِ، أوْ شَفَقَةً بِهِ فَمَرْضَاةُ المَشْهُودِ عَليهِ لَيْسَتْ خيراً لَكُمْ وَلا لَهُ مِنْ مَرْضَاةِ اللهِ، فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى لِئَلاَّ تَعْدِلُوا عَنِ الحَقِّ إلى البَاطِلِ.

وَيأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ أنْ لا يُحَرِّفُوا الشَّهادَةَ وَلا يَتعمَّدُوا الكَذِبَ فِيها، وَأنْ لاَ يُعْرِضُوا عَنْ أدائِها إذا مَا دُعُوا إلى الشَّهادَةِ، وَيُخْبِرُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأنَّهُ لاَ تَخْفَى عَليهِ خَافِيَةٌ مِنْ تَصَرُّفَاتِ العِبَادِ، فَلاَ يَخْفَى عَليهِ قَصْدُهُمْ، وَأنَّهُ مُجَازِيهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ.

أنْ تَعْدِلُوا - كَرَاهَةَ العُدُولِ عَنِ الحَقِّ.

تَلْوُوا - تُحَرِّفُوا فِي الشَّهَادَةِ.

تُعْرِضُوا - تَتْرُكُوا إقامَتَهَا رَأساً.

(١٣٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (آمِنُوا) (والْكِتَابِ) (مَلاَئِكَتِهِ) (الآخِرِ) (ضَلاَلاً)

(١٣٦) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ بالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِرَسُولِهِ الكَرِيمِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيهِ، وبالكِتَابِ الذِي نَزَلَ عَلَيهِ (وَهُوَ القُرآنُ)، وَبالكُتُبِ التِي نَزَّلَهَا اللهُ مِنْ قَبْلُ، عَلَى رُسُلِهِ وَأنبِيَائِهِ الكِرَامِ ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ عَوَاقِبِ الكُفْرِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: مَنْ يَكْفُرْ باللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، يَكُنْ قَدْ خَرَجَ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى، وَبَعُدَ عَنِ القَصْدِ كُلَّ البُعْدِ.

(وَرُوِيَ: أنَّ هذا خِطَابٌ لِمُؤْمِني اليَهُودِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَّمٍ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ اليهودِ أتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالُوا نُؤْمِن بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِمُوسَى وَبِالتَّوَرَاةِ، وَعُزَيْرٍ، وَنَكْفُرُ بِمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الكُتُبِ وَالرُّسُلِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَلْ آمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَكِتَابِهِ القُرآنِ، وَبِكُلِّ كِتَابٍ كَانَ قَبْلَهُ، فَقَالُوا لاَ نَفْعَلُ. فَأنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ فَآمَنُوا كُلُّهُمْ).

(١٣٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا

(آمَنُوا)

(١٣٧) - الإِيمَانُ إذْعَانٌ مُطْلَقٌ، وَعَمَلٌ مُسْتَمِرٌّ بالحَقِّ، فَالمُتَرَدِّدُونَ المُضْطَرِبُونَ لَيْسُوا بِمُؤْمِنينَ، لِذَلِكَ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أنَّ مَنْ دَخَلَ فِي الإِيمَانِ، ثُمَّ عَادَ فَكَفَر، ثُمَّ آمَنَ، ثُمَّ عَادَ فَكَفَرَ، ثُمَّ ازْدَادَ كُفْراً، فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ فَقَدَ الاسْتِعْدَادَ لِفَهْمِ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ، وَإِدْرَاكِ مَزَايَاهُ وَفَضَائِلِهِ، وَمِثْلُهُ لاَ يُرْجَى لَهُ - بِحَسَبِ سُنَنِ اللهِ فِي خَلْقِهِ - أنْ يَهْتَدِيَ إلَى الخَيْرِ، وَلاَ أنْ يَرْشُدَ إلى مَا يَنْفَعُهُ، وَلاَ أنْ يَسْلُكَ سَبِيلَ اللهِ، فَجَدِيرٌ بِهِ أنْ يَمْنَعَ اللهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ وَرِضْوَانَه وَمَغْفِرَتَهُ وَإحْسَانَهُ، لأنَّ رُوحَهُ تَكُونُ قَدْ تَدَنَّسَتْ، وَقَلْبُهُ قَدْ عَمِيَ، فَلا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أهْلاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَلا لِلرَّجَاءِ فِي ثَوَابِ اللهِ.

(١٣٨) بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا

(الْمُنَافِقِينَ)

(١٣٨) - عَدَّ اللهُ تَعَالَى المُنَافِقِينَ مِنْ هَذا الصِّنْفِ المُتَرَدِّدِ مِنَ النَّاسِ، آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، فَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ بَشَّرَهُمُ اللهُ بِأنَّ لَهُمْ عَذَاباً ألِيماً فِي الآخِرَةِ.

(وَالبِشَارَةُ تُسْتَعْمَلُ عَادَةً فِي الأَخْبَارِ السَّارَّةِ، فَاسْتِعْمَالُهَا هُنَا فِي الأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ هُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّهَكُّمِ وَالتَّوْبِيخِ).

١٣٩ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا

(الْكَافِرِينَ)

(١٣٩) - ثُمَّ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاءِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ المُعَادِينَ لِلإِيمَانِ وَالمُؤْمِنِينَ، أَوْلِيَاءَ لَهُمْ يُلْقُونَ إِلَيهِمْ بِالمَوَدَّةِ. وَيُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ هَذا المَسْلَكَ فِي مُوَالاَةِ الكَافِرِينَ. وَيَسْأَلُ اللهُ مُسْتَنْكِراً: هَلْ يَبْتَغِي هَؤُلاءِ المُنَافِقُونَ العِزَّةَ وَالغَلَبَةَ وَالمَنَعَةَ عِنْدَ الكَافِرِينَ؟ ثُمَّ يُنَبِّهُهُمْ إِلى أَنَّ العِزَّةَ كُلَّها للهِ وَحْدَهُ، وَلا شَرِيكَ لَهُ فِيها، ثُمَّ تَكُونُ العِزَّةُ لِمَنْ جَعَلَهَا اللهُ لَهُ. ثُمَّ يَحُثُّهُمُ اللهُ عَلَى الإِقْبَالِ عَلَى إِعْلانِ عُبُودِيَّتِهِم للهِ وَحْدَهُ، وَالانْتِظَامِ فِي جُمْلَةِ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ الذِينَ لَهُمُ النَّصْرُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا، وَلَهُمُ الفَوْزُ بِرِضْوَانِ اللهِ وَجَنَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

العِزَّةَ - المَنَعَةَ وَالقُوَّةَ وَالنُّصْرَةَ.

١٤٠ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا

(الْكِتَابِ) (آيَاتِ) (الْمُنَافِقِينَ) (والْكَافِرِينَ)

(١٤٠) - كَانَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ يَجْلِسُونَ مَعَ المُشْرِكِينَ، وَهُمْ يَخُوضُونَ فِي الكُفْرِ وَذَمِّ الإِسْلامِ، وَالاسْتِهْزَاءِ بِالقُرآنِ، وَلا يَسْتَطِيعُونَ الإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ لِضَعْفِهِمْ، وَلِقُوَّةِ المُشْرِكِينَ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالإِعْرَاضِ عَنْهُمْ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ فِي القُرْآنِ أَمْراً إِلَى جَمِيعِ مَنْ يُظْهِرُونَ الإِيمَانَ، أَنَّهُمْ إِذا سَمِعُوا أُنَاساً يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ، أَوْ يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا فَعَلَيْهِمْ أَلاَّ يَقْعُدُوا مَعَهُمْ إِلى أَنْ يُقْلِعُوا عَنْ هذا المُنْكَرِ، وَيَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ آخَرَ، وَأَنَّ المُؤْمِنِينَ إِذا قَعَدُوا مَعَ مَنْ يَسْتَهْزِئُونَ بِآيَاتِ اللهِ، وَيَكْفُرُونَ بِاللهِ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ مِثْلَهُمْ فِي ذَلِكَ. وَكَمَا أَشْرَكُوهُمْ فِي الكُفْرِ، كَذَلِكَ يُشْرِكُهُمُ اللهُ مَعَهُمْ فِي الخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَبداً، وَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَهُمْ فِي دَارِ العُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ.

١٤١ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ

(لِلْكَافِرِينَ) (الْقِيَامَةِ)

(١٤١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ هَؤُلاءِ المُنَافِقِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِالمُؤْمِنِينَ دَوَائِرَ السَّوْءِ، وَيَنْتَظِرُونَ زَوَالَ دَوْلَةِ الإِسْلامِ، وَظُهُورَ الكُفْرِ عَلَيْهِمْ، وَذَهَابَ مِلَّتِهِمْ. فَإِذَا نَصَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ، وَفَتَحَ عَلَيْهِمْ، وَآسْتَحْوَذُوا عَلَى الغَنَائِمِ، قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ مُتَوَدِّدِينَ إِلَيْهِمْ: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ وَإِذاً فَنَحْنُ نَسْتَحِقُّ نَصِيباً مِنَ المَغْنَمِ الذِي حُزْتُمُوهُ. وَإِذا كَانَ النَّصْرُ وَالغَلَبَةُ

فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا

لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَمَا وَقَعَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، قَالُوا لِلْكَافِرِينَ الْمُنْتَصِرِينَ: أَلَمْ نُسَاعِدْكُمْ فِي الْبَاطِنِ وَنَحْمِكُمْ، وَنُخَذِّلِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ قِتَالِكُمْ حَتَّى انْتَصَرْتُمْ عَلَيْهِمْ (أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ)؟ فَاعْرِفُوا لَنَا هَذَا الْفَضْلَ، وَأَعْطُونَا نَصِيباً مِمَّا أَصَبْتُمْ مِنَ الْمَغْنَمِ.

وَيَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ حِسَاباً عَسِيراً عَلَى بَوَاطِنِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ تَظَاهُرُهُمْ بِالإِسْلامِ وَالإِيمَانِ وَنِفَاقُهُمْ، وَأَنَّهُ سَيَحْكُمُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ، الذِينَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الإِيمَانَ، وَيُجَازِي كُلا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَنْ يَجْعَلَ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سُلْطَاناً وَسَبِيلاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مَا دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمْ، قَائِمِينَ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَإِنْ حَقَّقَ الْكَافِرُونَ بَعْضَ الظَّفَرِ، فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، فَالْعَاقِبَةُ لِلْحَقِّ دَائِماً، وَالْبَاطِلُ إِلَى زَوَالٍ. كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى لَنْ يَجْعَلَ لِلْكَافِرِينَ سُلْطَاناً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ.

يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ - يَنْتَظِرُونَ بِكُمْ مَا يَحْدُثُ لَكُمْ.

فَتْحٌ - نَصْرٌ وَظَفَرٌ وَغَنِيمَةٌ.

أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ - أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ فَأَبْقَيْنَا عَلَيْكُمْ.

١٤٢ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا

(الْمُنَافِقِينَ) (يُخَادِعُونَ) (خَادِعُهُمْ) (الصَّلاَةِ)

(١٤٢) - يَعْتَقِدُ الْمُنَافِقُونَ، جَهْلاً مِنْهُمْ وَسَفَهاً، أَنَّ أُمُورَهُمْ رَاجَتْ عِنْدَ النَّاسِ لِمَا أَظْهَرُوهُ لَهُمْ مِنَ الإِيمَانِ وَأَبْطَنُوهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَنَّ نِفَاقَهُمْ سَيَرُوجُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْضاً، كَمَا رَاجَ عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ جَهِلَ هَؤُلاءِ الْمَخْدُوعُونَ أَنَّ اللهَ عَالِمٌ بِمَسْلَكِهِمْ وَسَرَائِرِهِمْ، وَهُوَ يَخْدَعُهُمْ إِذْ يَسْتَدْرِجُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ، وَضَلالِهِمْ، وَيَخْدَعُهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالْوُصُولِ إِلَيهِ، فِي الدُّنْيَا، وَكَذلِكَ يَفْعَلُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ خِدَاعَهُ تَعَالَى لَهُمْ هُوَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمْشُونَ بِهِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى الصِّرَاطِ انْطَفَأَ نُورُهُمْ وَبَقُوا فِي ظُلْمَةٍ).

وَمِنْ صِفَةِ هَؤُلاءِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ حَتَّى فِي الصَّلاةِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْفَرَائِضِ وَالْقُرُبَاتِ إِلَى اللهِ، لاَ يُؤَدُّونَهَا إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى، لاَ حَمَاسَةَ لَهُمْ فِيهَا، لأَنَّهُمْ لا نِيَّةَ لَهُمْ، وَلا إِيمَانَ لَهُمْ، وَلا يَفْقَهُونَ مَعْنَى الصَّلاَةِ، وَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالصَّلاةِ أَمَامَ النَّاسِ، تَقِيَّةً وَمُصَانَعَةً، وَهُمْ فِي صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ لاَهُونَ لا يَخْشَعُونَ، وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً.

﴿١٤٣﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا

(١٤٣) - المُنَافِقُونَ مُحَيَّرُونَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَبَيْنَ الكُفْرِ، فَلاَ هُمْ مَعَ المُؤْمِنِينَ، ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَلا هُمْ مَعَ الكَافِرِينَ، ظَاهِراً وَبَاطِناً، بَلْ ظَوَاهِرُهُمْ مَعَ المُؤْمِنِينَ، وَبَوَاطِنُهُمْ مَعَ الكَافِرِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَرِيهِ الشَّكُّ، فَتَارَةً يَمِيلُ إِلى هَؤُلاءِ، وَتَارَةً يَمِيلُ إِلى أُولَئِكَ. وَمَنْ صَرَفَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ طَرِيقِ الهُدَى، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ مُنْقِذاً وَلا مُرْشِداً، فَإِنَّهُ تَعَالَى لاَ مُعَقِّبَ عَلى حُكْمِهِ، وَلا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

مُذَبذِبِينَ - مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ.

﴿١٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا

(يَا أيُّها) (آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ) (سُلْطَاناً)

(١٤٤) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ، مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ، يُصَاحِبُونَهُمْ وَيُصَادِقُونَهُمْ، وَيُنَاصِحُونَهُمْ، وَيُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ، وَيُفْشُونَ إِلَيْهِمْ أَحْوَالَ المُؤْمِنِينَ البَاطِنَةَ. وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ جَعَلُوا للهِ عَلَيْهِم حُجَّةً بَيِّنَةً وَعُذْراً فِي عُقُوبَتِهِ إِيَّاهُمْ. (وَالمُرَادُ هُنَا النُّصْرَةُ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ ضَرَرُ المُسْلِمِينَ).

سُلْطَاناً - حُجَّةً وَسَبَباً لِلْعُقُوبَةِ.

﴿١٤٥﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا

(المُنَافِقِينَ)

(١٤٥) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ المُنَافِقِينَ سَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي أَسْفَلِ طَبَقَاتِ (دَرَكَاتِ) نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَنْ يَنْصُرَهُمْ أَحَدٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

الدَّرْكِ - الطَّبَقَةِ تَكُونُ أَسْفَلَ مِنَ الأُخْرَى. وَالنَّارُ سَبْعُ دَرَكَاتٍ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنَّها مُتَدَارِكَةٌ مُتَتَابِعَةٌ.

﴿١٤٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

(فَأُولَئِكَ)

(١٤٦) - أَمَّا الذِينَ يَتُوبُونَ مِنَ المُنَافِقِينَ، وَيُقْلِعُونَ عَنِ النِّفَاقِ وَالكُفْرِ، وَيُخْلِصُونَ دِينَهُمْ وَعَمَلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يُصْبِحُونَ مَعَ المُؤْمِنِينَ، وَسَيَنَالُهُم الأَجْرُ العَظِيمُ الذِي وَعَدَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ المُتَّقِينَ.

﴿١٤٧﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا

(وآمَنْتُمْ)

(١٤٧) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ لاَ يُعَذِّبُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ انْتِقَاماً مِنْهُ، وَلا طَلَباً لِنَفْعٍ، وَلا دَفْعاً لِضَرَرٍ، لأَنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَهُوَ إِنَّما يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالنَّاسِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِأَنْعُمِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ قَدْ



(١٤٨) ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾

(١٤٩) ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾

(١٥٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾

أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، بِالعَقْلِ وَالحَواسِّ وَالوِجْدانِ، لَكِنَّهُمْ آسْتَعْمَلُوها فِي غَيْرِ ما خُلِقَتْ لَهُ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً لِلاهْتِداءِ بِها إلى وُجُودِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَشَكَرُوا لَطَهُرَتْ أَرْواحُهُمْ، وَظَهَرَتْ آثارُ ذَلِكَ فِي عُقُولِهِمْ، وَسائِرِ أَعْمالِهِمْ، الَّتِي تُصْلِحُهُمْ فِي مَعاشِهِمْ وَمَعادِهِمْ، وَآسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ رِضْوانَ اللهِ. وَاللهُ يَجْعَلُ ثَوابَ المُؤْمِنِينَ الشّاكِرِينَ بِحَسَبِ عِلْمِهِ بِأَحْوالِهِمْ، وَيُنِيلُهُمْ مِنَ الدَّرَجاتِ، أَكْثَرَ مِمّا يَسْتَحِقُّونَ، جَزاءَ شُكْرِهِمْ وَإِيمانِهِمْ.

(١٤٨) - يَقُولُ تَعالَى: إِنَّهُ لا يُحِبُّ مِنْ عِبادِهِ، وَلا يَرْضَى لَهُمْ، أَنْ يَجْهَرُوا فِيما بَيْنَهُمْ بِذِكْرِ العُيُوبِ، وَالسَّيِّئاتِ، لِما فِي ذَلِكَ مِنَ المَفاسِدِ (وَأَقَلُّها أَنَّهُ يَضْعُفُ فِي النَّفْسِ آسْتِقْباحُهُ وَآسْتِبْشاعُهُ خُصُوصاً إذا تَكَرَّرَ سَماعُهُ)، كَما أَنَّهُ لا يُحِبُّ الإِسْرارَ بِالسُّوءِ، إِذْ أَنَّهُ تَعالَى نَهى عَنِ النَّجْوَى بِالإِثْمِ وَالعُدْوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ. وَلَكِنْ مَنْ ظَلَمَهُ ظالِمٌ فَلَهُ أَنْ يَجْهَرَ بِالشَّكْوَى مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَأَنْ يَشْرَحَ ظُلامَتَهُ لِحاكِمٍ أَوْ غَيْرِهِ، مِمَّنْ تُرْجَى نَجْدَتُهُمْ، وَمُساعَدَتُهُمْ عَلَى إِزالَةِ هَذا الظُّلْمِ، وَلا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَلا إِثْمَ، فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ لِعِبادِهِ أَن يَسْكُتُوا عَلَى الظُّلْمِ، وَلا أَنْ يَخْضَعُوا لِلضَّيْمِ، وَالسُّكُوتُ عَلَى الضَّيْمِ وَالظُّلْمِ أَعْظَمُ مِنَ الجَهْرِ بِالسُّوءِ، لِذَلِكَ جازَتِ الشَّكْوَى مِنَ الظُّلْمِ.

وَاللهُ سَمِيعٌ لِمَنْ دَعاهُ، فَلا يَفُوتُهُ قَوْلٌ مِنْ أَقْوالِ مَنْ يَجْهَرُ بِالسُّوءِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِالبَواعِثِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَيهِ.

(١٤٩) - إِنْ عَمِلْتُمْ خَيْراً فِي الجَهْرِ أَوْ فِي السِّرِّ، أَوْ عَفَوْتُمْ عَمَّنْ أَساءَ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمّا يُقَرِّبُكُمْ عِنْدَ اللهِ، وَيُجْزِلُ ثَوابَكُمْ لَدَيهِ، فَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِكُمْ، لأَنَّهُ تَعالَى يَجْزِي العِبادَ مِنْ جِنْسِ أَعْمالِهِمْ. وَمِنْ صِفاتِهِ تَعالَى الصَّفْحُ عَنْ عِبادِهِ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى عِقابِهِمْ. وَقَدْ جاءَ فِي الحَدِيثِ:

(ما نَقَصَ مالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا زادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلا عِزّاً، وَمَنْ تَواضَعَ للهِ رَفَعَهُ).

(١٥٠) - يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعالَى الكافِرِينَ بِهِ، وَالكافِرِينَ بِرُسُلِهِ جَمِيعاً بِالعَذابِ الشَّدِيدِ، وَهَؤُلاءِ هُمُ الذِينَ يُنْكِرُونَ النُّبُوّاتِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ ما أَتَى بِهِ الأَنْبِياءُ، مِنَ الهُدَى وَالشَّرائِعِ، هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، لا مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَما يَتَوَعَّدُ اللهُ، بِالعُقُوبَةِ وَالعَذابِ، الكافِرِينَ بِبَعْضِ رُسُلِهِ أَوْ

وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا

١٥١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا

١٥٢ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا

١٥٣ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا

أحدِهِمْ، كاليهودِ الذين يَكْفُرُون بِمُحَمَّدٍ وعِيسَى، وَالنَّصارَى الذين يَكْفُرُونَ بنُبُوّةِ مُحَمَّدٍ، وَهُمْ إنما يفعَلُونَ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ الهَوَى وَالعَادَةِ، وَلأنَّهُمْ وَجَدُوا آباءَهُمْ عليهِ، وَلا دَليلَ لَهُمْ عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ طَرِيقاً وَسَطاً، وَمَسْلَكاً (سَبِيلاً).

(أولئِكَ) (الْكَافِرُونَ) (لِلْكَافِرِينَ)

(١٥١) - يَقُولُ تَعَالَى إنَّ هؤلاءِ، الذِينَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ رُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ، هُمُ الكَافِرُونَ المُمْعِنُونَ فِي الكُفْرِ، وَقَدْ أعَدَّ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً، عِقَاباً لَهُمْ عَلَى اسْتِهَانَتِهِمْ بأوَامِرِ رَبِّهِمْ.

(آمَنُوا) (أولئِكَ)

(١٥٢) - وَالذِينَ آمَنُوا باللهِ، وَآمَنُوا بِجَمِيعِ رُسُلِهِ (وَهُمْ أمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لأنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ كِتَابٍ أنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ)، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الرُّسُلِ، فَهؤلاءِ سَوفَ يُؤْتِيهِمْ رَبُّهُمْ أجُورَهُمْ بِحَسَبِ حَالِهِمْ فِي العَمَلِ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَى إيمَانِهِمْ باللهِ وَبِرُسُلِهِ. وَاللهُ تَعَالى غَفُورٌ يَغْفِرُ هَفَوَاتِ مَنْ صَحَّ إيمَانُهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِرَبِّهِ أحَداً، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ رُسُلِهِ، وَهُوَ تَعَالَى رَحِيمٌ يَرْحَمُ مَنْ يُعَامِلُهُ بالإِحسَانِ، وَيُضَاعِفُ لَهُ الحَسَنَاتِ، وَيَزِيدُهُ تَفَضُّلاً مِنْهُ.

(يَسْأَلُكَ) (الْكِتَابِ) (كِتَاباً) (الصَّاعِقَةُ) (الْبَيِّنَاتُ) (وآتَيْنَا) (سُلْطَاناً)

(١٥٣) - سَأَلَ اليَهُودُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى سَبِيلِ التَّعَنُّتِ وَالتَّعْجِيزِ **أنْ** يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ مَكْتُوباً بِخَطٍّ سَمَاوِيٍّ، يَشْهَدُ أنَّهُ رَسُولُ اللهِ، كَمَا نَزَلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى مَكْتُوبَةً. وَسَأَلَ كُفَّارُ قُرَيشٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أنْ يُفَجِّرَ لَهُمْ مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً، وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: لاَ تَعْجَبْ مِنْ سُؤَالِهِمْ هَذا، فَإنَّ اليَهُودَ، مِنْ أسْلافِهِمْ، قَدْ سَألُوا مُوسَى مَا هُوَ أكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا لَهُ: أرِنا اللهَ جَهْرَةً وَعِيَاناً، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ بإنْزَالِ الصَّاعِقَةِ عَلَيْهِمْ، بِسَبَبِ طُغْيَانِهِمْ، وَبَغْيِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ وَلأنَّهُمْ سَألُوا مُوسَى تَعَنُّتاً، وَبَعْدَ أنْ رَأوا مِنْ آيَاتِ اللهِ البَاهِرَةِ عَلَى يَدِ مُوسَى فِي مِصْرَ، مِنْ إهْلاكِ فِرْعَونَ وَجُنُودِهِ فِي البَحْرِ. ثُمَّ عَبَدُوا العِجْلَ حِينَما كَانَ مُوسَى يُنَاجِي رَبَّهُ، ثُمَّ أعْطَى اللهُ مُوسَى سُلْطَةً ظَاهِرَةً عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ، وَأخْضَعَهُمْ لِسُلْطَانِهِ، مَعَ مَا هُمْ عَلَيهِ مِنْ تَمَرُّدٍ وَعِنَادٍ. فَلَمَّا أمَرَهُمْ بِأنْ يَقْتُلَ البَرِيءُ مِنْهُمُ المُذْنِبَ فَعَلُوا.

﴿١٥٤﴾ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا

﴿١٥٥﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا

جَهْرَةً - عِيَاناً بِالبَصَرِ.

الصَّاعِقَةُ - نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ صَيْحَةٌ مِنْها.

(بِمِيثَاقِهِمْ) (مِيثَاقاً)

(١٥٤) - ثُمَّ فَرَضَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَلْتَزِمُوا بِأَحْكَامِ التَّوْرَاةِ، وَمَا جَاءَ فِيها، فَظَهَر مِنْهُمْ إِبَاءٌ وَتَمَرُّدٌ عَلَى مُوسَى، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَرَفَعَ اللهُ فَوْقَهُمْ جَبَلَ الطُّورِ، وَهَدَّدَهُمْ بِإِسْقَاطِهِ عَلَيْهِمْ، إِنْ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِأَحْكَامِها، فَخَافُوا وَقَبِلُوا العَمَلَ بِهَا. ثُمَّ أَمَرَهُمُ اللهُ بِأَنْ يَدْخُلُوا بَابَ أَوَّلِ مَدِينَةٍ احْتَلُّوهَا فِي الأَرْضِ سُجَّداً للهِ شُكْراً لَهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَأَنْ يَقُولُوا حِطَّةٌ (أَيْ اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا وَذُنُوبَنَا) فَدَخَلُوهُ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ (أَدْبَارِهِمْ) وَهُمْ يَقُولُونَ: (حِنْطَةٌ فِي شَعْرَةٍ).

وَأَمَرَهُمُ اللهُ بِأَنْ يَلْتَزِمُوا بِأَحْكَامِ السَّبْتِ، وَحُرْمَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ، فَاحْتَالُوا فِيهِ لِصَيْدِ الحِيتَانِ، عَنْ طَرِيقِ نَصْبِ الشِّبَاكِ لَهَا قَبْلَ حُلُولِ السَّبْتِ، وَجَمْعِهَا بَعْدَ انْقِضَائِهِ.

وَأَخَذَ اللهُ مِنْهُمْ عَهْداً مُؤَكَّداً (مِيثَاقاً غَلِيظاً) لَيَأْخُذُنَّ بِأَحْكَامِ التَّوراةِ بِقُوَّةٍ، وَلَيُقِيمُنَّ حُدُودَ اللهِ، وَلاَ يَتَجَاوَزُنَّها، فَخَالَفُوا وَعَصَوْا، وَارْتَكَبُوا مَا حَرَّمَ اللهُ، عَنْ طَرِيقِ الحِيلَةِ وَالخِدَاعِ.

لاَ تَعْدُوا - لاَ تَعْتَدُوا بِصَيْدِ الحِيتَانِ.

مِيثَاقاً غَلِيظاً - عَهْداً مُؤَكَّداً.

(مِيثَاقَهُمْ) (بِآيَاتِ)

(١٥٥) - فَبِسَبَبِ نَقْضِ هَؤُلاءِ اليَهُودِ لِلمِيثَاقِ الذي وَاثَقَهُمُ اللهُ بِهِ، (إِذْ أَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ، وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللهُ). وَبِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَمُعْجِزَاتِهِ الدَّالَّةِ على صِدْقِ أَنْبِيائِهِ، وَبِسَبَبِ قَتْلِهِم الأَنْبِيَاءَ ظُلْماً وَعُدْوَاناً وَاجْتِرَاءً عَلَى مَحَارِمِ اللهِ، وَبِسَبَبِ قَوْلِهِمْ: قُلُوبُنا مُغْلَّفَةٌ بِغِطَاءٍ لاَ يَتَيَسَّرُ مَعَهُ وُصُولُ العِلْمِ وَالهُدى إِليها (غُلْفٌ)... فَبِسَبَبِ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الاعْتِداءِ وَالتَّجَاوُزِ عَلَى أَوَامِرِ اللهِ وَحُدُودِهِ وَشَرْعِهِ، فَعَلَ اللهُ بِهِمْ مَا فَعَلَ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ قُلُوبَ هَؤُلاءِ اليَهُودِ لَيْسَتْ مُغْلَّفَةً، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى طَبَعَ عَلَيهَا بِالكُفْرِ، فَلاَ يَصِلُ إِليها إِلاَّ قَلِيلٌ مِنَ الإِيمَانِ (أَوْ إِنَّهُ لاَ يُؤمِنُ مِنْهُمْ إِلاّ قَلِيلُونَ).

قُلُوبُنَا غُلْفٌ - مُغَطَّاةٌ بِأَغْطِيَةٍ خِلْقِيَّةٍ فَلاَ تَعِي.

طَبَعَ اللهُ عَلَيهَا - خَتَمَ عَلَيْهَا فَحَجَبَهَا عَنِ العِلْمِ.

﴿١٥٦﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا

(بُهْتَاناً)

(١٥٦) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بِهِمْ غَضَبَهُ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِعِيسَى وَرِسَالَتِهِ، وَرَمْيِهِمْ أُمَّهُ الطَّاهِرَةَ البَتُولَ بِالبُهْتَانِ وَالكَذِبِ وَالافْتِرَاءِ.

بُهْتَاناً عَظِيماً - كَذِباً وَبَاطِلاً فَاحِشاً.

﴿١٥٧﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا

(١٥٧) - وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لأَنَّهُمْ قَالُوا سَاخِرِينَ مُسْتَهْزِئِينَ: إِنَّهُمْ قَتَلُوا المَسِيحَ عَلَيهِ السَّلاَمُ، وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ لَمْ يَقْتُلُوهُ، وَلَمْ يَصْلُبُوهُ، وَإِنَّمَا صَلَبُوا شَخْصاً آخَرَ غَيْرَهُ فَاشْتَبَهَ الأَمْرُ عَلَيْهِمْ وَالْتَبَسَ، وَلَمْ يَتَيَقَّنُوا مِنْ أَنَّه هُوَ المَسِيحُ بِعَيْنِهِ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ حَقَّ المَعْرِفَةِ. وَالأَنَاجِيلُ تَقُولُ إِنَّ الذِي أَسْلَمَهُ إِلى الجُنْدِ هُوَ يَهُوذَا الأَسْخَرْيُوطِيُّ، وَقَدْ جَعَلَ لَهُمْ عَلاَمَةً هِيَ أَنَّ مَنْ قَبَّلَهُ يَكُونُ هُوَ المَسِيحَ، فَلَمَّا قَبَّلَهُ قَبَضُوا عَلَيْهِ.

وَانْجِيلُ بِرْنَابَا يَقُولُ إِنَّ الجُنُودَ أَخَذُوا يَهُوذَا الأَسْخَرْيُوطِيَّ نَفْسَهُ ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّهُ المَسِيحُ، لأَنَّ اللهَ أَلْقَى عَلَيهِ شَبَهَهُ. وَالذِينَ اخْتَلَفُوا فِي شَأْنِ عِيسَى مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَفِي شَكٍّ وَتَرَدُّدٍ مِنْ حَقِيقَةِ أَمْرِ قَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، إِذْ لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ قَطْعِيُّ الثُّبُوتِ، وَإِنَّمَا هُمْ يَتْبَعُونَ الظَّنَّ وَالقَرَائِنَ التِي تُرَجِّحُ بَعْضَ الآرَاءِ عَلَى بَعْضٍ.

شُبِّهَ لَهُمْ - أُلْقِيَ عَلَى المَقْتُولِ شَبَهُ عِيسَى.

﴿١٥٨﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

(١٥٨) - وَالذِي تَمَّ فِعْلاً هُوَ أَنَّ اللهَ أَنْجَاهُ مِنْ كَيْدِ اليَهُودِ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ عَزِيزُ الجَانِبِ، لاَ يُرَامُ جَنَابُهُ، وَلاَ يُضَامُ مَنْ لاَذَ بِبَابِهِ الكَرِيمِ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ وَيَقْضِيهِ مِنَ الأُمُورِ.

(وَقِيلَ فِي مَعْنَى: رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ: إِنَّهُ تَوَفَّاهُ وَطَهَّرَهُ مِنَ الذِينَ كَفَرُوا. وَقِيلَ أَيْضاً بَلِ المَعْنَى هُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى رَفَعَهُ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ إِلى السَّمَاءِ. وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ اللهَ تَعَالَى رَفَعَهُ إِلى مَحَلِّ كَرَامَتِهِ).

﴿١٥٩﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

(الْكِتَابِ) (الْقِيَامَةِ)

(١٥٩) - اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ، وَالذِي اخْتَارَهُ ابْنُ كَثِيرٍ هُوَ أَنَّهُ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى عَلَيهِ السَّلاَمُ إِلى الأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ رَفَعَهُ اللهُ إِلى السَّمَاءِ، إِلاَّ آمَنَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ اللهُ عَلَيهِ بِالمَوْتِ، وَيَكُونُ عِيسَى عَلَيهِ السَّلاَمُ يَوْمَ القِيَامَةِ شَاهِداً عَلَيهِمْ بِأَنَّهُ أَبْلَغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَأَقَرَّ بِعُبُودِيَّتِهِ للهِ.

(وَهُنَاكَ مَنْ قَالَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ عِنْدَمَا

يُدْرِكُهُ المَوْتُ، يَنْكَشِفُ لَهُ الحَقُّ فِي أَمْرِ عِيسَى، وَسِواهُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فَيُؤْمِنُ بِعِيسَى إِيماناً حَقّاً صَحِيحاً).

(١٦٠) فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا

(طَيِّباتٍ)

(١٦٠) - يَقُولُ تَعالَى: إِنَّهُ حَرَّمَ عَلَى اليَهُودِ طَيِّباتٍ كَانَتْ حَلالاً عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ صَدِّهِم النَّاسَ عَنْ سَبيلِ اللهِ، إِمَّا بِالأَمْرِ بِالمُنْكَرِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المَعْرُوفِ. وَإِمَّا بِسُوءِ القُدْوَةِ، فَكَانُوا كُلَّما ٱرْتَكَبُوا مَعْصِيَةً، أَوْ مُخالَفَةً لأَمْرِ اللهِ، وَأَمْرِ رَسُولِهِ، عاقَبَهُمُ اللهُ عَلَيْها بِتَحْرِيمِ نَوْعٍ مِنَ الطَّيِّباتِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَيَتُوبُونَ إِلى اللهِ تَعالَى.

(١٦١) وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(الرِّبا) (أَمْوالَ) (بِالْباطِلِ) (لِلْكافِرِينَ)

(١٦١) - وَعاقَبَهُمُ اللهُ بِتَحْرِيمِ الطَّيِّباتِ عَلَيْهِمْ أَيْضاً، بِسَبَبِ تَعامُلِهِمْ بِالرِّبا، وَقَدْ نَهاهُمُ اللهُ عَنْهُ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، فَٱحْتالُوا عَلَى أَكْلِهِ بِأَنْواعِ الحِيَلِ، وَصُنُوفٍ مِنَ الشُّبَهِ، وَبِسَبَبِ أَكْلِهِمْ أَموالَ النَّاسِ بِالباطِلِ، وَذَلِكَ بِالرِّشْوَةِ وَالسَّرِقَةِ وَالخِيانَةِ وَنَحْوِها... مِمَّا فِيهِ أَخْذٌ لِلْمالِ بِلا مُقابِلٍ يُعْتَدُّ بِهِ.

وَيَتَهَدَّدُهُمُ اللهُ تَعالَى بِالعِقابِ الأَلِيمِ الذِي أَعَدَّهُ لِمَنْ يَرْتَكِبُ هٰذِهِ الجَرائِمَ، وَهُوَ الخُلُودُ فِي نارِ جَهَنَّمَ وَفِيها العَذابُ الأَلِيمُ.

(١٦٢) لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا

(الرَّاسِخُونَ) (الصَّلاةَ) (الزَّكاةَ) (أُولَئِكَ)

(١٦٢) - لكِنِ الثَّابِتُونَ فِي العِلْمِ، مِنَ اليَهُودِ، وَالمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّتِكَ يا مُحَمَّدُ، يُصَدِّقُونَ بِما أُوحِيَ إِلَيْكَ، وَما أُوحِيَ إِلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبلِكَ. وَالذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلاةَ حَقَّ أَدائِها، وَيَدْفَعُونَ زَكاةَ أَمْوالِهِمْ، وَيُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَبِالبَعْثِ وَالحِسابِ، فَهؤُلاءِ جَمِيعاً سَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمُ الجَنَّةَ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى إِيمانِهِمْ وَأَعْمالِهِم الصَّالِحَةِ.

(خَصَّ اللهُ تَعالَى المُقِيمِينَ الصَّلاةَ بِالمَدْحِ فَنَصَبَ (المُقِيمِينَ) عَلَى المَدْحِ، لأَنَّ الذِي يُقِيمُ الصَّلاةَ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ لا يَمْنَعُ الزَّكاةَ).

وَالمُقِيمِينَ الصَّلاةَ - مَنْصُوبٌ عَلَى المَدْحِ.

﴿١٦٣﴾ ۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا

ربع الحزب ١١

(وَالنَّبِيِّينَ) (إِبْرَاهِيمَ) (وَإِسْمَاعِيلَ) (وَإِسْحَاقَ) (وَهَارُونَ) (وَسُلَيْمَانَ) (وآتَيْنا) (دَاوُدَ)

(١٦٣) - قَالَ رَجُلٌ لِلرَّسُولِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ مَا نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيءٍ بَعْدَ مُوسَى، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَـٰذِهِ الآيَةَ وَالآيَاتِ التِي تَلِيهَا. ثُمَّ ذَكَرَ فَضَائِحَ المُكَذِّبِينَ وَمَعَايِبَهُمْ، وَمَا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الكَذِبِ، وَمَا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الافْتِرَاءِ وَالتَّعَنُّتِ، وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ، كَمَا أَوْحَى إِلى غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ. وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى دَاوُدَ كِتَاباً هُوَ الزَّبُورُ.

السِّبْطُ - وَلَدُ الوَلَدِ، وَالأَسْبَاطُ هُمْ أَحْفِدَةُ يَعْقُوبَ.

﴿١٦٤﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا

(قَصَصْنَاهُمْ)

(١٦٤) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَوْحَى إِلَى رُسُلٍ قَصَّهُمْ عَلى نَبِيِّهِ فِي الآيَاتِ السَّابِقَاتِ، وَذَكَرَ لَهُ أَسْمَاءَهُمْ، وَإِنَّهُ أَوْحَى أَيْضاً إِلى رُسُلٍ لَمْ يَقْصُصْهُمْ عَلَيهِ، وَلَمْ يَرِدْ ذِكْرُهُمْ فِي القُرآنِ.

وَفِي حَدِيثٍ يرويه أبو ذر: إِنَّ عَدَدَ الأَنْبِيَاءِ مِئَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً وَإِنَّ عَدَدَ الرُّسُلِ مِنْهُمْ ثَلاَثْمِئَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ أَوْ خَمْسَةَ عَشَرَ.)

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ شَرَّفَ مُوسَى بِأَنْ كَلَّمَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ (وَالوَحْيُ لِلرُّسُلِ يُسَمَّى تَكْلِيماً).

﴿١٦٥﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا

(١٦٥) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ، وَاتَّبَعَ رِضْوَانَهُ بِالخَيْرَاتِ وَحُسْنِ الثَّوَابِ، وَيُنْذِرُونَ، بِالعِقَابِ وَالعَذَابِ، مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، وَذَلِكَ لِكَيْلا يَبْقَى لِمُعْتَذِرٍ عُذْرٌ، بَعْدَ أَنْ أَوْضَحَتِ الرُّسُلُ لِلنَّاسِ أَوَامِرَ اللهِ وَنَوَاهِيَهُ، وَالجَزَاءُ لاَ يَكُونُ إِلاَّ لِمَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيحِ. وَكَانَ اللهُ عَزِيزَ الجَانِبِ لاَ يُضَامُ، حَكِيماً فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

﴿١٦٦﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا

(وَالْمَلاَئِكَةُ)

(١٦٦) - لَمَّا أَنْكَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الكَافِرِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ كُفْرَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَكْذِيبَهُمْ بِنُزُولِ الوَحْيِ عَلَيهِ مِنْ رَبِّهِ، وَتَعَنُّتَهُمْ فِي طَلَبِ المُعْجِزَاتِ مِنْهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ يَشْهَدُ بِأَنَّهُ أَنْزَلَ وَحْيَهُ عَلَى رَسُولِهِ، بِعِلْمٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ الرَّسُولُ وَلاَ قَوْمُهُ (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ)، وَالمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ بِذَلِكَ، وَكَفَى بِمَنْ يَشْهَدُ اللهُ لَهُ صِدْقاً.

﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا

﴿١٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا

﴿١٦٩﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا

﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿١٧١﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

(ضَلاَلاً)

(١٦٧) - الـذِينَ كَفَرُوا بـاللهِ، وَرَفَضُوا اتِّبـاعَ الحَقِّ، وَسَعَـوْا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ الهُدَى والإِيمانِ، قَدْ خَرَجُوا عَنِ الحَقِّ، وَضَلُّوا عَنْهُ، وَبَعُدُوا عَنْهُ بُعداً عَظِيماً.

(١٦٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الكَافِرِينَ بِكِتَابِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهمْ بِذَلِكَ، وَبـالصَّدِّ عَنْ سَبيلِ اللهِ، وَبِارْتِكَابِ المَآثِمِ، وَانْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللهِ، بِأَنَّهُمْ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَهُمْ، وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً إلى الخَيْرِ وَالرَّشَادِ (طَرِيقاً).

(خَالِدِينَ)

(١٦٩) - وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّهُ لَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلى طَرِيقٍ غَيْرِ الطَّرِيقِ التِي تُوصِلُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، لِيَبْقَوْا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً، وَذَلِكَ أَمْرٌ يَسِيرٌ عَلَى اللهِ.

(يا أَيُّها) (فَآمِنُوا) (السَّماوَاتِ)

(١٧٠) - بَعْدَ أَنْ أَقَامَ اللهُ سُبْحَانَهُ الحُجَّةَ عَلَى أَهْلِ الكِتَابِ، وَرَدَّ شُبُهَاتِهِمْ، وَاقْتِرَاحَاتِهِم التِي اقْتَرَحُوهَا تَعَنُّتاً وَعِناداً، خَاطَبَ جَمِيعَ النَّاسِ، وَأَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ، وَشَفَعَهُ بِالوَعْدِ عَلَى عَمَلِ الخَيْرِ، وَالوَعِيدِ عَلَى الكُفْرِ وَعَمَلِ السُّوءِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ، بِـالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ، وَالبَيَانِ الشَّافِي مِنَ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوهُ، لأَنَّ فِي ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: أما إذا أَصَرَرْتُم عَلَى الكُفْرِ، أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً، فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ، وَعَنْ إِيمَانِكُمْ، وَلاَ يَلْحَقُهُ ضَرَرٌ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ، لأَنَّهُ يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُمْ جَمِيعاً خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْكُمُ الهِدَايَةَ فَيَهْدِيهِ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الغِوَايَةَ فَيُضِلُّهُ وَيُغْوِيهِ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي أَقْوالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ) (أَلْقَاهَا) (فَآمِنُوا) (ثَلاَثَةٌ) (وَاحِدٌ) (سُبْحَانَهُ) (السَّماوَاتِ)

(١٧١) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الكِتَابِ عَنِ الغُلُوِّ فِي دِينِهِمْ، وَعَنِ المُبَالَغَةِ، وَتَجَاوُزِ الحُدُودِ التِي حَدَّهَا اللهُ، وَيَأْمُرُهُمْ بِأَلا يَعْتَقِدُوا إِلاَّ القَوْلَ الحَقَّ الثَّابِتَ بِنَصٍّ دِينِيٍّ مُتَوَاتِرٍ، وَبُرْهَانٍ قَاطِعٍ. وَيَخُصُّ فِي خِطَابِهِ، فِي هذِهِ الآيَةِ، النَّصَارَى الذِينَ غَلوا فِي المَسِيحِ فَجَعَلُوهُ إِلَهاً يَعْبدونَهُ مَعَ اللهِ. وَيَأْمُرُهُمُ اللهُ بِأَنْ لاَ يَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ، فَيَجْعَلُوا لَهُ

وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا

صَاحِبَةً وَوَلداً، فَلا إِلَه إلاَّ هُوَ، وَلا رَبَّ سِواهُ، فَالمَسِيحُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَخَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ، خَلَقَهُ اللهُ بِكَلِمَةٍ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَم، وَنَفخ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ تَعَالَى بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَبِالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللهَ لاَ إِلَه إلاَّ هُوَ، وَهُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ، لاَ صَاحِبَةَ لَهُ وَلاَ وَلَدَ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَى اليَهُودِ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِأَنْ لاَ يَجْعَلُوا عِيسَى وَأُمَّهُ شَرِيكَيْنِ مَعَ اللهِ، فِي الخَلْقِ وَالمُلْكِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُواً كَبِيراً.

ثُمَّ يَأْمُرُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ يَنْتَهُوا عَنْ هَذِهِ الأَقْوَالِ التِي هِيَ كُفْرٌ وَإِشْرَاكٌ، لأَنَّ فِي الانْتِهَاءِ عَنْ ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَنَزَّهَ، عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِدٌّ أَوْ شَرِيكٌ، وَجَمِيعُ مَا فِي الوُجُودِ مِنْ خَلْقِ مُلْكُهُ، وَهُمْ جَمِيعاً تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ، وَهُوَ وَكِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ صَاحِبَةٌ أَوْ وَلَدٌ؟

لاَ تَغْلُوا - لاَ تُجَاوِزُوا الحَدَّ وَلاَ تُفْرِطُوا.

كَلِمَتُهُ - وُجِدَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ دُونَ أَبٍ.

رُوحٌ مِنْهُ - رُوحٌ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ.

(١٧٢) لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا

(المَلائِكَةُ)

(١٧٢) - لاَ يَسْتَكْبِرُ المَسِيحُ، وَلاَ يَسْتَكْبِرُ المَلاَئِكَةُ المُقَرَّبُونَ، أَنْ يَكُونُوا مِنْ عِبَادِ اللهِ، لأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ عَظَمَتَهُ وَجَلاَلَهُ، وَالذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ لاَ يَلِيقُ بِهِمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ سَيُعَاقِبُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِقَاباً شَدِيداً، وَيَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً فِي جَهَنَّمَ.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ - لَنْ يَسْتَكْبِرَ وَلَنْ يَتَرَفَّعَ.

(١٧٣) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(١٧٣) - أَمَّا الذِينَ آمَنوا، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، فَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ. وَأَمَّا الذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَامْتَنَعُوا عَنْ عِبَادَتِهِ، فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً، فَهُوَ تَعَالَى يُجَازِي المُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ بِالعَدْلِ وَالفَضْلِ، وَيُجَازِي المُسِيءَ عَلَى إِسَاءَتِهِ بِالعَدْلِ. وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ وَلِيّاً يَلِي أُمُورَهُمْ وَيُدَبِّرُهَا، وَلاَ نَاصِراً يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَبَأْسِهِ.

(١٧٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا

(١٧٥) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا

(١٧٦) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(يَا أَيُّهَا) (بُرْهَانٌ)

(١٧٤) - يُخَاطِبُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ جَمِيعاً فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ جَاءَتْهُمْ مِنْ رَبِّهِم الدَّلَائِلُ القَاطِعَةُ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي رِسَالَتِهِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ قُرآناً مُبِيناً كَالنُّورِ يُضِيءُ الطَّرِيقَ، وَيَهْدِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

بُرْهَانٌ - هُوَ مُحَمَّدٌ.

نُوراً - القُرْآنَ.

(صِرَاطاً)

(١٧٥) - أَمَّا الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتَمَسَّكُوا بِحَبْلِ اللهِ الذِي يَعْصِمُهُمْ مِنَ الوُقُوعِ فِي الزَّلَلِ (وَهُوَ القُرْآنُ)، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ، وَإِنَّهُ سَيَهْدِيهِمْ إِلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ، المُوصِلِ إِلَى الجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللهِ.

(الْكَلَالَةِ) (امْرُؤٌ)

(١٧٦) - الكَلَالَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الإِكْلِيلِ الذِي يُحِيطُ بِالرَّأْسِ مِنْ جَوَانِبِهِ، لِذَلِكَ قَالَ أَكْثَرُ الفُقَهَاءِ إِنَّ الكَلَالَةَ تَعْنِي مَنْ يَمُوتُ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، وَلَهُ وَرَثَةٌ مِنْ أَقَارِبِهِ (وَقِيلَ بَلْ تَعْنِي مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ تَمَشِّياً مَعَ النَّصِّ).

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى حُكْمَ مِيرَاثِ مَنْ يَمُوتُ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا أَبٌ يَرِثُهُ فَيَقُولُ:

- إِذَا مَاتَ المَرْءُ (هَلَكَ)، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، وَكَانَ لَهُ أُخْتٌ وَاحِدَةٌ فَإِنَّهَا تَرِثُ نِصْفَ التَّرِكَةِ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ يَرِثُهُ المُسْتَحِقُّونَ مِنَ العَصَبَةِ.

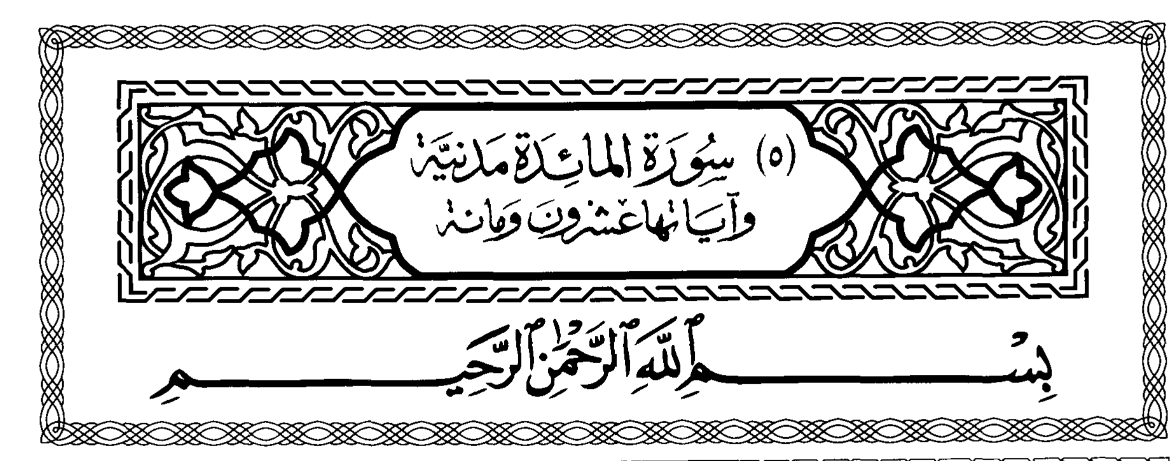
- أَمَّا إِذَا كَانَ المُتَوَفَّى امْرَأَةً، وَلَهَا أَخٌ فَإِنَّهُ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ.

- وَإِذَا كَانَ لِلْمُتَوَفَّى أُخْتَانِ وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ، فَإِنَّهُمَا تَرِثَانِ الثُّلُثَيْنِ لَا غَيْرَ.

- وَإِذَا كَانَ لِلْمُتَوَفَّى إِخْوَةٌ، رِجَالٌ وَنِسَاءٌ، فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ.

وَيُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لَكُمْ أُمُورَ دِينِكُمْ التِي مِنْ أَوَّلِهَا تَفْصِيلُ هَذِهِ الأَحْكَامِ، وَيَفْرِضُ لَكُمْ فَرَائِضَهُ، وَيُوَضِّحُ لَكُمْ شَرَائِعَهُ، لِكَيْلَا تَضِلُّوا عَنِ الحَقِّ بَعْدَ البَيَانِ، وَهُوَ عَالِمٌ بِعَوَاقِبِ الأُمُورِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الخَيْرِ لِعِبَادِهِ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ القَرَابَاتِ بِحَسَبِ قُرْبِهِ.

الكَلَالَةِ - المَيِّتُ الذِي لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ فَيَرِثُهُ أَقْرِبَاؤُهُ مِنَ الحَوَاشِي.



(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

نصف الحزب ١١

(يا أيُّها) (آمَنُوا) (الأنْعام)

(١) - يَا أيُّها الذينَ آمَنُوا التزِمُوا الوَفَاءَ بِجَميعِ العُهُودِ التِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ، وَالعُهُودِ المَشْرُوعَةِ بَيْنَكُمْ وَبيْنَ النَّاسِ، (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إنَّ المُرَادَ بِالعُقُودِ فِي هَذِهِ الآيَةِ هِيَ عُهُودُ اللهِ التِي عَهِدَ بِهَا إِلى عِبَادِهِ، أيْ مَا أحَلَّ وَمَا حَرَّمَ، وَمَا فَرَضَ وَمَا حَدَّ فِي القُرآنِ كُلِّهِ فَلا غَدْرَ وَلاَ نَكْثَ). فَاللهُ تَعَالَى يَأمُرُ فِي هَذِهِ الآيَةِ المُؤْمِنينَ بِالوَفَاءِ بِمَا عَقَدُوهُ، وَارْتَبَطُوا بِهِ مِنْ قَوْلٍ أوْ فِعْلٍ كَمَا أمَرَ اللهُ تَعالَى، مَا لَمْ يَكُنْ يُحَرِّمُ حَلالاً، أوْ يُحَلِّلُ حَرَاماً: كَالعَقْدِ عَلَى الرِّبا، أوْ أكْلِ مَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ (كَالرِّشْوَةِ وَالقِمَارِ).

ثُمَّ فَصَّلَ اللهُ تَعَالَى الأحْكَامَ التِي أمَرَ بِهَا فَقَالَ: إنَّهُ أحَلَّ لِلنَّاسِ أكْلَ البَهِيمَةِ مِنَ الأنْعَامِ (وَهِيَ البَقَرُ وَالإِبْلُ وَالمَاعِزُ وَالغَنَمُ وَألحِق بِهَا الظِّبَاءُ وَبَقَرُ الوَحْشِ وَنَحْوُهَا)، إلاّ مَا سَيُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ بَعْضِهَا فِي بَعْضِ الأحْوَالِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ**﴾[(١)]، وَعَلَى أنْ لاَ يُحِلُّوا صَيْدَ الحَيَوَانَاتِ البَرِّيَّةِ، حِينَمَا يَكُونُونَ مُحْرِمِينَ لِحَجٍّ أوْ عُمْرَةٍ، أوْ لِدُخُولِ مِنْطَقَةِ الحَرَمِ، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا مُحْرِمِينَ لِحَجٍّ أوْ عُمْرَةٍ.

وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقْضِي فِي خَلقِهِ بِمَا يَشَاءُ مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ، بِحَسَبِ الحِكَمِ وَالمَصَالِحِ التِي يَعْلَمُهَا.

العُقُودُ - كُلُّ مَا تَعَاقَدَ عَلَيهِ المَرْءُ وَالتَزَمَ فِيهِ بِمُوجِبٍ نَحْوَ اللهِ وَنَحْوَ النَّاسِ.

وَأنْتُم حُرمٌ - وَأنْتُم فِي حَالَةِ الإحْرَامِ.

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

﴿٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ - غَيْرَ مُسْتَحِلِّيهِ فَهُوَ حَرَامٌ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (شَعَائِرَ) (الْقَلائِدَ) (آمِّينَ) (رِضْوَانـاً) (شَنَآنُ) (الْعُدْوَانِ)

(٢) - يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْتَبِيحُوا حُرْمَةَ شَعَائِرِ اللهِ بِأَنْ تَجْعَلُوا شَعَائِرَ دِينِ اللهِ حَلاَلاً لَكُمْ تَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَيْفَ تَشَاؤُونَ، بَلِ اعْمَلُوا بِمَا بَيَّنَهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ، وَلاَ تَتَهَاوَنُوا بِحُرْمَتِهَا، وَلاَ تَحُولُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ المُتَنَسِّكِينَ بِهَا، فَتَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ.

وَلا تُحِلُّوا القِتَالَ فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ. (وَهِيَ ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ)، وَلاَ تَمْنَعُوا الهَدْيَ (وَهُوَ مَا يُهْدَى إلى الحَرَمِ مِنَ الأَنْعَامِ لِيُذْبَحَ فِيهِ تَقَرُّباً إلى اللهِ) وَذَلِكَ بِأَخْذِهِ غَصْباً وَسَرِقَةً.

وَلاَ تُحِلُّوا أَخْذَ المُقَلَّدِ مِنَ الهَدْيِ (وَكَانُوا يُقَلِّدُونَ الأَنْعَامَ التي تُوَجَّهُ إِلَى البَيْتِ هَدْياً بِوَضْعِ قِلاَدَةٍ فِي أَعْنَاقِهَا لِكَيْلا يَتَعَرَّضَ لَهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ).

وَلاَ تُحِلُّوا قِتَالَ قَاصِدِي البَيْتِ الحَرَامِ لِزِيارَتِهِ فَتَصُدُّوهُمْ عَنْ ذَلِكَ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ.

وَلاَ تَصُدُّوا مَنْ قَصَدَ البَيْتَ الحَرَامَ لِلتِّجَارَةِ أَوْ لِلنُّسُكِ وَالرَّغْبَةِ بِالفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللهِ (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً).

وَإِذا فَرَغْتُمْ مِنْ إِحْرَامِكُمْ بِالحَجِّ وَالعُمْرَةِ، أَوْ خَرَجْتُمْ مِنْ أَرْضِ الحَرَمِ فَاصْطَادُوا إذا شِئْتُمْ. وَلا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ وَعَدَاوَتُهُمْ، (وَهُمُ الذِينَ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ) عَلَى أَنْ تَعْتَدُوا، وَتَتَجَاوَزُوا أَمْرَ اللهِ فِيهِمْ، فَتَقْتَصُّوا مِنْهُمْ ظُلْماً وَعُدْواناً، بَلِ احْكُمُوا بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ اللهُ مِنَ العَدْلِ فِي حَقِّ كُلِّ وَاحِدٍ.

وَرُوِيَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ فِي الحُدَيْبِيةِ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَى المُسْلِمِينَ صَدُّ المُشْرِكِينَ لَهُمْ عَنْ بُلوغِ البَيْتِ، فَمَرَّ بِهِمْ أُنَاسٌ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ المَشْرِقِ، يُرِيدُونَ العُمْرَةَ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ نَصُدُّ هؤُلاءِ كَمَا صَدَّنَا أَصْحَابُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ. وَفِيهَا يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِالتَّقْوَى، وَبِالتَّعَاوُنِ عَلَى فِعْلِ الخَيْراتِ (وَهُوَ البِرُّ)، وَعَلَى تَرْكِ المَعَاصِي والمُنْكَراتِ (وَهُوَ التَّقْوَى)، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّنَاصُرِ عَلَى البَاطِلِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى المَآثِمِ وَالمَحَارِمِ، وَيُحَذِّرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ مِنْ بَطْشِهِ وَعِقَابِهِ، لأَنَّهُ تَعَالَى شَدِيدُ العِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ، وَتَعَدَّى حُدُودَهُ.

﴿٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ
وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ
بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ
وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى
النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ
يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

شَعَائِرَ اللهِ - جَمْعُ شَعِيرَةٍ، مَا شَرَعَ اللهُ وَأَمَرَ بِهِ.

الهَدْيَ - مَا يُهدَى مِنَ الأَنْعَامِ لِلحَرَمِ لِيُذْبَحَ عِنْدَهُ تَقَرُّباً للهِ.

القَلاَئِدَ - مَا قُلِّدَ مِنَ الأَنْعَامِ التِي تُوَجَّهُ إِلَى الحَرَمِ هَدْياً بِطَوْقٍ لِيُعْرَفَ أَنَّهُ مُوَجَّهٌ إِلى الكَعْبَةِ فَلاَ يَتعَرَّضُ لَهُ أحدٌ بِسُوءٍ.

الشَّنَآنُ - البُغْضُ وَالكَرَاهِيَةُ.

صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ - مَنَعُوكُمْ عَنِ الوُصُولِ إليهِ.

لاَ تُحِلُّوا - لاَ تَنْتَهِكُوا حُرْمَتَهُ.

لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ - لاَ يَحْمِلَنَّكُمْ.

(بِالْأَزْلَامِ) (يَئِسَ) (الإِسْلاَمَ)

(٣) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ مَا حَرَّمَ أَكْلَهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ لَحْمِ الأَنْعَامِ وَهِيَ:

المَيْتَةُ - وَهِيَ التِي مَاتَتْ حَتْفَ أَنْفِهَا مِنْ غَيْرِ ذَكَاةٍ وَلاَ اصْطِيَادٍ وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنَ المَضَرَّةِ، وَيُسْتَثْنى مِنَ المَيْتَةِ السَّمَكُ، فَإِنَّهُ حَلالٌ سَوَاءٌ مَاتَ بِتَذْكِيَةٍ أَوْ بِغَيْرِهَا.

وَالدَّمُ المَسْفُوحُ - وَهُوَ الدَّمُ الذِي يَسِيلُ مِنَ الحَيَوَانَاتِ.

وَكَانَ الأَعْرَابُ فِي البَادِيَةِ إذا جَاعُوا فِي الصَّحْرَاءِ يَأْخُذُونَ شَيْئاً مُحَدَّداً مِنْ عَظْمٍ أَوْ نَحْوِهِ فَيَفْصِدُونَ بِهِ حَيَواناً فَيَجْمَعُونَ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ دمٍ فَيَشْرَبُونَهُ، فَحَرَّمَ اللهُ ذَلِكَ.

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا المِيتَتَانِ فَالسَّمَكُ وَالجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالكَبِدُ وَالطِّحَالُ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَيْهَقِيُّ).

لَحْمُ الخِنْزِيرِ - إِنْسِيِّهِ وَوَحْشِيِّهِ. فَلَحْمُهُ حَرَامٌ.

مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ - أَيْ مَا ذُبِحَ فَذُكِرَ اسْمُ غَيْرُ اسْمِ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ. لأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْجَبَ أَنْ تُذْبَحَ الأَنْعَامُ عَلَى اسْمِهِ العَظِيمِ.

(وَالإِهْلاَلُ هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ، وَالإِهْلاَلُ هُنَا رَفْعُ الصَّوْتِ بِذِكْرِ اسْمٍ غَيْرِ اسْمِ اللهِ عِنْدَ الذَّبْحِ).

المُنْخَنِقَةُ - وَهِيَ التِي تَمُوتُ خَنْقاً، بِأَيَّةِ صُورَةٍ تَمَّ فِيهَا خَنْقُهَا. فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى المُسْلِمِينَ.

وَالمَوْقُوذَةُ - وَهِيَ التِي تُضرَبُ بِشَيءٍ ثَقِيلٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ.

وَالمُتَرَدِّيَةُ - وَهِيَ التِي تَقَعُ مِنْ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، أَوْ تَقَعُ فِي بِئْرٍ فَتَمُوتُ فَلا يَحِلُّ أَكْلُ لَحْمِهَا.

وَالنَّطِيحَةُ ـ وَهِيَ التِي مَاتَتْ بِسَبَبِ نَطْحِ غَيْرِها لَهَا، فَهِيَ حَرَامٌ وَلَوْ خَرَجَ مِنْها الدَّمُ، وَلَوْ مِنْ مَذْبَحِهَا.

وَمَا أكَلَ السَّبُعُ ـ وَهِيَ مَا عَدَتْ عَلَيهَا الحَيَوَانَاتُ الجَارِحَةُ فَقَتَلَتْها فَلا تَحِلُّ بِالإِجْمَاعِ.

وَاسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى مِنْ جميعِ مَا تَقَدَّمَ الحَيَوَانَ الذِي لَحِقَهُ الإِنْسَانُ بِالذَّبْحِ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَفِيهِ حَيَاةٌ مُسْتَقِرَّةٌ، فَإِنَّهُ إذا ذُبِحَ أَصْبَحَ حَلالاً يَجُوزُ أَكْلُهُ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ـ مُحَرَّمٌ أَكْلُهُ.

وَالنُّصُبُ هِيَ حِجارَةٌ حَوْلَ الكَعْبَةِ، كانتِ العَرَبُ فِي جاهِلِيَّتِها تَذْبَحُ عِنْدَهَا الذَّبَائِحَ، وَيُنْضَحُ مَا أَقْبَلَ مِنْها إلى البَيْتِ بِدِمَاءِ تِلْكَ الذَّبَائِحِ، وَيُشَرِّحُونَ اللحْمَ وَيَضَعُونَهُ عَلَى النُّصُبِ. فَحَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُؤْمِنِينَ أكلَ الذَّبائِحِ التِي تَمَّ ذَبْحُها عندَ تلكَ النُّصُبِ. فَالذَّبْحُ عندَ النُّصُبِ مِنَ الشِّرْكِ.

ثُمَّ أَضَافَ اللهُ تَعَالَى إِلَى مُحَرَّمَاتِ الطَّعَامِ التِي كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَسْتَحِلُّونَها، عَمَلاً آخَرَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَهُوَ الاسْتِقْسَامُ بِالأَزْلاَمِ.

وَالأَزْلاَمُ وَاحِدُهَا (زَلَمٌ)، هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قِداحٍ (سِهَامٍ) ثَلاثَةٍ أَحَدُهَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: (اَفْعَلْ) وَثَانِيهَا مَكْتُوبٌ عَلَيهِ. (لاَ تَفْعَلْ). وَثَالِثُهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيهِ شَيءٌ. فَإِذا أَجالَهَا فَطَلَعَ السَّهْمُ المَكْتُوبُ عَلَيْهِ (لاَ تَفْعَلْ)، لَمْ يَفْعَلْ. وَإذا خَرَجَ السَّهْمُ المَكْتُوبُ عَلَيْهِ (اَفْعَلْ) فَعَلَ. وَإذَا خَرَجَ السَّهْمُ الغُفْلُ مِنَ الكِتَابَةِ أَعَادَ. فَحَرَّمَ اللهُ الاسْتِقْسَامَ بِالأَزْلاَمِ، وَعَدَّهُ فِسْقاً، وَخُرُوجاً عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ إِذَا تَرَدَّدُوا فِي أَمْرِهِمْ أَنْ يَسْتَخِيرُوهُ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ، ثُمَّ يَسْأَلُوهُ الخِيَرَةَ فِي الأَمْرِ الذِي يُرِيدُونَ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِلْمُؤمِنينَ: اليَوْمَ يَئِسَ الكُفَّارُ مِنَ القَضَاءِ عَلَى دِينِ اللهِ، وَمِنْ رُجُوعِ المُؤْمِنينَ عَنْ دِينِهِمْ، لِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيكُمْ، إِذْ وَفَى بِوَعْدِهِ، وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، فَلا تَخَافُوهُمْ فِي مُخَالَفَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَاخشوني أنا، فَأنَا أَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَجْعَلُكُمْ فَوْقَهُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِباً المُؤْمِنينَ: إِنَّهُ أَكْمَلَ لَهُمُ اليَوْمَ دِينَهُمُ الإِسْلاَمَ، فَلا يَحْتَاجُونَ إلى دِينٍ غَيْرِهِ، وَلاَ إلى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ. وَلَمَّا أَكْمَلَ اللهُ لَهُمْ دِينَهُمْ تَمَّتْ عَلَيهِمْ نِعْمَةُ رَبِّهِمْ، فَلْيَرْضَوْا بِالإِسْلامِ دِيناً لَهُمْ، فَإِنَّهُ الدِّينُ

٤ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

الذي أحبَّهُ اللهُ ورضيَهُ لَهُمْ. فَمَنِ آضْطُرَّ إلى تَناوُلِ شَيءٍ مِمّا حَرَّمَ اللهُ مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ، لِضَرُورَةٍ أَلْجأَتْهُ إلى ذَلِكَ، فَلا بَأسَ فِي ذَلِكَ، وَلَهُ تَناوُلُهُ فِي حُدُودِ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ الضَّرُورَةَ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، لأنَّهُ تَعالَى يَعْلَمُ حَاجَةَ العَبْدِ المُضْطَرِّ، وَآفْتِقارَهُ إلى ذَلِكَ فَيَتَجاوَزُ عَنْهُ، وَيَغْفِرُ لَهُ. بِشَرطِ ألَّا يَكُونَ تَناوُلُهُ المُحَرَّمَ مَيْلاً مِنْهُ إلى مَعْصِيَةِ اللهِ، وَرَغْبَةً فِي الاعْتِداءِ عَلَى حُرُماتِ اللهِ (غَيْرَ مُتَجانِفٍ لإثْمٍ).

(وَفِي الحَدِيثِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤتَى رُخَصُهُ، كَما يَكْرَهُ أنْ تُؤتَى مَعْصِيَتُهُ).

(وَرُوِيَ أيْضاً: إنَّ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ رُخْصَةَ اللهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإثْمِ مِثْلُ جِبالِ عَرَفَةَ). (رَواهُما أحْمَدُ).

المَخْمَصَةُ - حَالَةُ الجُوعِ الشَّدِيدِ.
غَيْرَ مُتَجانِفٍ لإثْمٍ - غَيْرَ رَاغِبٍ فِي آرْتِكابِ إثْمٍ.
الأزْلامُ - سِهامٌ ثَلاثَةٌ يَسْتَعْمِلُونَها فِي الاسْتِقْسامِ، وَالاقْتِراعِ.

(يسألونك) (الطَّيِّبَاتُ)

(٤) - سَأَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، وَزَيْدُ بْنُ مُهَلْهِلٍ الطَّائِيَّيْنِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقالا: قَدْ حَرَّمَ اللهُ المَيْتَةَ، فَماذَا يَحِلُّ لَنا مِنْها؟ فَأنْزَلَ اللهُ تَعالَى هَذِهِ الآيَةَ.

وَهَذِهِ الآيَةُ تَعْنِي: أنَّ اللهَ أَحَلَّ الذَّبائِحَ الحَلالَ الطَّيِّبَةَ لَهُمْ، التِي ذُكِرَ آسْمُ اللهِ عَلَيها، وَأحَلَّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَأحَلَّ لَهُمْ مَا آصْطادُوهُ بِالجَوارِحِ كَالكِلابِ وَالصُّقُورِ وَالفُهُودِ.

(وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الحَيَوانَاتُ بِالجَوارِحِ، آشْتِقاقاً مِنَ الجَرْحِ وَهُوَ الكَسْبُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فُلانٌ لا جارِحَ لَهُ، أيْ لا كَاسِبَ لَهُ).
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿**وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ**﴾(١) أيْ مَا كَسَبْتُمْ.
وَهَذِهِ الجَوارِحُ تَقْتَنِصُ الفَرائِسَ بِمَخالِبِها وَأظْفارِها، وَتَكُونُ قَدْ عُلِّمَتْ عَلَى الصَّيْدِ، فَإذا أرْسَلَها أصْحابُها آسْتَرْسَلَتْ، وَإذا أشْلَوْها اسْتَشْلَتْ، وَإذا أخَذَتِ الصَّيْدَ أمْسَكَتْهُ عَلَى أصْحابِها حَتَّى يَجِيئُوا إلَيْها، وَلا تُمْسِكُهُ لِنَفْسِها. فَمَتَى كانَ الجارِحُ مُعَلَّماً، وَأمْسَكَ الصَّيْدَ عَلَى صاحِبِهِ، وَكانَ صاحِبُهُ قَدْ ذَكَرَ آسْمَ اللهِ قَبْلَ إطْلاقِهِ، حَلَّ الصَّيْدُ، وَإنْ قَتَلَهُ بِالإجْماعِ.

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنعام.

وَيَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِتَقْوَاهُ، وَبِأَنْ لاَ يُقْدِمُوا عَلَى مُخَالَفَةِ أوامِرِهِ، بِالأكْلِ مِنَ المُحَرَّمَاتِ التي سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَيُعْلِمُهُمْ أنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أعْمَالِهِمْ فِي الدُّنيا جميعِها، وَأنَّهُ تَعَالَى سَرِيعُ الحِسَابِ، يُحَاسِبُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

الجَوَارِحُ ـ الحَيوانَاتُ التِي يُصَادُ بِهَا كَالكِلاَبِ وَالصُّقُورِ.

التَّكْلِيبُ ـ تَعْلِيمُ الجَوَارِحِ عَلَى الصَّيْدِ وَتَضْرِيَتُهَا.

الطَّيِّبُ ـ هُوَ مَا تَسْتَطِيبُهُ النُّفُوسُ السَّلِيمَةُ.

(٥) ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

(الطَّيِّبَاتُ) (الْكِتَابَ) (والْمُحْصَنَاتُ) (الْمُؤْمِنَاتِ) (آتَيْتُمُوهُنَّ) (مُسَافِحِينَ) (بالإيمَانِ) (الْخَاسِرِينَ)

(٥) ـ لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مَا حَرَّمَ عَلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنينَ مِنَ الخَبَائِثِ، وَمَا أحَلَّ لَهُمْ مِنَ الطَّيبَاتِ، ذَكَرَ حُكْمَ ذَبَائِحِ أهْلِ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى: فَقَالَ: إنها حَلاَلٌ لِلْمُسْلِمينَ لأنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ ذَبْحِ الذَّبَائِحِ لِغَيْرِ اللهِ، وَلاَ يَذْكُرُونَ عَلَى ذَبَائِحِهِمْ غَيْرَ اسْمِ اللهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: إنَّهُ يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِينَ أنْ يَطْعَمُوا مِنْ ذَبَائِحِ أهْلِ الكِتَابِ مِمَّا لَمْ يَرِدْ نَصٌّ عَلَى تَحْرِيمِهِ. وَأحَلَّ اللهُ لِلْمُسْلمينَ نِكَاحَ العَفِيفَاتِ مِنْ أهْلِ الكِتَابِ (وَقِيلَ بَلْ مَعْنَاهُ المُحْصَنَاتُ بِالحُرِّيَةِ)، إذَا دَفَعُوا لَهُنَّ مُهُورَهُنَّ (أجُورَهُنَّ).

وَكَمَا شَرَطَ اللهُ الإحْصَانَ، وَهُوَ العِفَّةُ، فِي النِّسَاءِ، كَذَلِكَ شَرَطَهُ فِي الرِّجَالِ، وَهُوَ أنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُحْصَناً عَفِيفاً، وَلِهذا قَالَ (غَيْرَ مُسَافِحِينَ) (وَالمُسَافِحُونَ هُمُ الزُّنَاةُ الذِينَ لاَ يَرْتَدِعُونَ عَنْ مَعْصِيَةٍ، وَلاَ يَرُدُّونَ أنْفُسَهُمْ عَمَّنْ جَاءَهُمْ، أوْ هُمُ الذِينَ يُجَاهِرُونَ بِالمَعْصِيَةِ التِي يَأتُونَهَا)، وَلاَ مُتَّخِذِي أخْدَانٍ (وَهُمْ أصْحَابُ العَشِيقَاتِ ـ أوْ هُمُ الذِينَ يَأتُونَ المَعْصِيَةَ سِرّاً)، لِذَلِكَ ذَهَبَ الإمَامُ أحْمَدُ إلى أنَّهُ لاَ يَصِحُّ عِنْدَهُ عَقْدُ الرَّجُلِ الفَاجِرِ عَلَى امْرَأةٍ عَفِيفَةٍ حَتَّى يَتُوبَ.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإيمَانِ، وَيَجْحَدْ بالدِّينِ فَقَدْ هَلَكَ عَمَلُهُ وَبَطَلَ (حَبِطَ) وَسَيَكُونُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ.

مُحْصِنِينَ ـ أصْحَابَ عِفَّةٍ يَتعففُونَ بِالزَّوَاجِ عَنِ الزِّنَى.

غَيْرَ مُسَافِحِينَ ـ غَيْرَ مُجَاهِرِينَ بالزِّنَى.

مُتَّخِذِي أخْدَانٍ ـ مُصَاحِبِي خَلِيلاتٍ للزِّنَى سِرّاً.

٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا
قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ
وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى
ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ
وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ
أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ
أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ
مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا
فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ
وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ
حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ
وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ
لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ
٧ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ
وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ
إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

حَبِطَ عَمَلُهُ ـ هَلَكَ عَمَلُهُ وبَطَلَ ثَوابُهُ.

طَعَامُ ـ ذَبائِحُ اليَهُودِ والنَّصارَى.

يَكْفُرْ بالإيمَانِ ـ يُنْكِرْ شَرَائِعَ الإسْلامِ.

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (الصَّلاَةِ) (الغَائِطِ) (لاَمَسْتُمُ)

(٦) ـ فِي هَـذِهِ الآيَةِ يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِعِبادِهِ المُؤْمِنِينَ شُروطَ الوُضُوءِ والتَّيَمُّمِ، ويَأمُرُ المُؤْمِنينَ بِالوُضُوءِ إذا قَامُوا إلى الصَّلاَةِ وَهُمْ مُحْدِثُونَ (وَيُسْتَحَبُّ الوُضُوءُ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ). وَالوُضُوءُ هُوَ غَسْلُ الوَجْهِ، وَغَسْلُ اليَدَيْنِ إلى المِرْفَقَيْنِ، وَمَسْحُ الرَّأسِ كُلِّهِ أوْ بَعْضِهِ، وَغَسْلُ الرِّجْلَيْنِ إلى الكَعْبَيْنِ. وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنينَ: إذَا كُنْتُمْ جُنُباً فَاغْتَسِلُوا، وَإذا كُنْتُمْ مَرضَى لاَ تَسْتَطِيعُونَ مَسَّ المَاءِ لِلوُضُوءِ وَالاغْتِسَالِ، أوْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ، وَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَكُمُ المَاءُ، وَإذا أحْدَثْتُمْ (جَاءَ أحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ)، أوْ بَاشَرْتُمُ النِّسَاءَ، وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً لِتَغْتَسِلُوا وَتَتَوَضَّؤوا فَتَيَمَّمُوا مَا صَعدَ عَلَى سَطْحِ الأرْضِ مِنْ تُرابٍ طَاهِرٍ (طَيِّب) فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأيْدِيكُمْ مِنْهُ، وَاللهُ يُرِيدُ أنْ يُيَسِّرَ الأمْرَ عَلَيْكُمْ، وَلاَ يُحْرِجَكُمْ فِي أمُورِ دِينِكُمْ، وَلكِنَّهُ يُرِيدُ أنْ يُطَهِّرَكُمْ، وَأنْ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ، فَيَجْمَعَ لَكُمْ بَيْنَ طَهَارَةِ الأبْدانِ وَطَهَارَةِ الرُّوحِ، لِيُعِدَّكُمْ بِذلِكَ لِدَوامِ شُكْرِهِ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى مَا يَسَّرَهُ لَكُمْ.

الغَائِطِ ـ مَكَانِ قَضَاءِ الحَاجَةِ.

لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ـ وَاقَعْتُمُوهُنَّ أوْ مَسَسْتُمْ بَشَرَتَهُنَّ.

صَعِيداً طَيِّباً ـ تُرَاباً طَاهِراً.

حَرَجٍ ـ ضِيقٍ فِي دِينِهِ.

(مِيثَاقَهُ)

(٧) ـ وَتَذَكَّرُوا أيُّها المُؤْمِنُونَ إذْ كُنْتُمْ كُفَاراً مُتَبَاغِضِينَ فَأصْبَحْتُمْ بِفَضْلِ اللهِ إخْواناً مُتَحابِّينَ، وَتَذَكَّرُوا العَهْدَ الذِي عَاهَدَكُمْ بِهِ، حِينَ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ (أي المَحْبُوبِ وَالمَكْرُوهِ)، وَالعُسْرِ وَاليُسْرِ، حِينَ قُلْتُمْ سَمِعْنَا مَا أمَرْتَنَا بِهِ، وَمَا نَهَيْتَنا عَنْهُ، وَأطَعْنَاكَ فِيهِ فَلا نَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ، وَكُلُّ مَا جِئْتَنا بِهِ فَهُوَ مَعْرُوفٌ. وَاتَّقُوا اللهَ فَلا تَنْقُضُوا عَهْدَهُ، وَلاَ تُخَالِفُوا مَا أمَرَكُمْ بِهِ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، إنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِمَّا أضْمَرَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِمَّنْ أخَذَ عَلَيهم المِيثَاقَ مِنَ الوَفَاءِ بِهِ، أوْ عَدَمِ الوَفَاءِ بِهِ، وَمَا تَنْطَوي عَلَيْهِ السَّرائِرُ مِنَ الإخْلاصِ وَالرِّيَاءِ.

﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ
قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ
قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ

﴿٩﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

﴿١٠﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ

المِيثاقُ ـ هُوَ البَيْعَةُ التِي كَانَ المُسْلِمُونَ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهـا حِينَ إِسْلاَمِهِمْ.

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (قَوَّامِينَ) (شَنَآنُ)

(٨) ـ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لِيَكُنْ هَمُّكُمْ وَدَأْبُكُمُ التِزَامَ الحَقِّ فِي أَنْفُسِكُمْ (بِدُونِ آعْتِدَاءٍ عَلَى أَحَدٍ)، وَفِي غَيْرِكُمْ (بِالأَمْرِ بِـالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ آبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَحْـدَهُ، لاَ لأَجْلِ إِرْضَـاءِ النَّاسِ، وَآكْتِسَـابِ السُّمْعَةِ الحَسَنَةِ عِنْدَهُمْ)، وَكُونُوا شُهَدَاءَ بِالعَدْلِ (القِسْطِ)، دُونَ مُحَابَاةٍ لِمَشْهُودٍ لَهُ، وَلا لِمَشْهُودٍ عَلَيهِ، فَالعَدْلُ مِيزانُ الحُقُوقِ، وَمَتَى وَقَعَ الجَوْرُ فِي أَمَّةٍ، زَالَتِ الثِّقَةُ مِنْ نُفُوسِ النَّاسِ، وَآنْتَشَرَتِ المَفَاسِدُ، وَتَقَطَّعَتْ رَوَابِطُ المُجْتَمَعِ. وَلا تَحْمِلَنَّكُمْ عَدَاوَتُكُمُ الشَّـدِيدَةُ لِقَـومٍ، وَبُغْضُكُمْ لَهُمْ عَلَى عَدَمِ العَدْلِ فِي أَمْرِ الشَّهَادَةِ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ إِذَا كَانُوا أَصْحَابَ حَقٍّ، أَوْ عَلَى عَـدَمِ الحُكْمِ لَهُمْ بِذَلِـكَ، فَالمُؤْمِنُ يُؤْثِـرُ العَـدْلَ عَلَى الجَوْرِ وَالمُحَابَاةِ. ثُمَّ يُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى أَمْرَهُ السَّابِقَ بِضَرُورَةِ إِقَامَةِ العَدْلِ، وَأَدَاءِ الشَّهَادَةِ بِالقِسْطِ فَيَقُولُ: آعْدِلُوا لأَنَّ العَدْلَ أَقْرَبُ لِتَقْوَى اللهِ، وَأَبْعَدُ عَنْ سَخَـطِهِ، وَآتَّقُـوا سَخطَ اللهِ وَعِقَـابَـهُ لأَنَّـهُ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا، وَآحْذَرُوا أَنْ يُجَازِيَكُمْ بِالعَدْلِ عَلَى تَرْكِكُمُ القِيَامَ بِالعَدْلِ.

شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ ـ شَاهِدِينَ بِالعَدْلِ.
لاَيَجْرِمَنَّكُمْ ـ لاَ يَحْمِلَنَّكُمْ.
شَنَآنُ قَوْمٍ ـ بُغْضُكُمْ لَهُمْ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٩) ـ وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ التِي يَـرْضَاهَـا رَبُّهُمْ (مِثْلَ العَـدْلِ، وَالأَمْـرِ بِـالمَعْـرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَمُرَاعَاةِ جَانِبِ اللهِ فِي أَوامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي رَوَابِطِهِم الاجْتِمَاعِيَّةِ)، بِأَنَّهُ سَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيُثِيبُهُمْ بِالأَجْرِ العَظِيمِ، وَهُوَ الجَزَاءُ المُضَاعَفُ عَلَى الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، فَضْلاً مِنْهُ وَرَحْمَةً مِنْ لَدُنْهُ.

(بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(١٠) ـ أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ كُلِّهِمْ أَوْ بَعْضِهِمْ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ (سَوَاءٌ مِنْهَا التِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، أَوْ التِي أَقَامَهَا فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ، لِلدَّلاَلَةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَعَلَى صِـدْقِ

(١١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

(١٢) ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا

ثلاثة أرباع الحزب ١١

رُسُلِهِ فِيمَا يبلِّغُونَ عَنْهُ) فَسيكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فِي الآخِرَةِ، وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ نَاصِراً وَلا مُنْقِذاً مِنْ دُونِ اللهِ.

الجَحِيمِ - النَّارِ العَظِيمَةِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (نِعْمَةَ)

(١١) - رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ مَنْزِلاً، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العَضَاةِ يَسْتَظِلُّونَ تَحْتَها، وَعَلَّقَ النَّبِيُّ سِلاحَهُ عَلَى شَجَرةٍ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى سَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخَذَهُ وَسَلَّهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اللهُ. وَكَرَّرَ الأَعْرَابِيُّ مَقَالَتَهُ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاثاً، وَالنَّبِيُّ يُجِيبُهُ بِقَولِهِ: اللهُ. فَرَدَّ الأَعْرَابِيُّ السَّيفَ إِلَى مَكَانِهِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

وَقِيلَ أَيْضاً: إِنَّ اليَهُودَ حَاوَلُوا قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنْهُمْ وَخَذَلَهُمْ.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ تَذْكِيرٌ لِلْمُؤْمِنينَ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَيهِمْ إِذْ دَفَعَ الشَّرَّ وَالمَكْرُوهَ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَعَنْهُمْ، حِينما هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِمْ بِصُنُوفِ الشَّرِّ وَالإِيذاءِ، فَكَفَّ اللهُ تَعَالَى بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ أَيْدِيَهُمْ عَنِ المُؤْمِنينَ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا تَنْفِيذَ مَا هَمُّوا بِهِ.

وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَتَّقُوهُ، وَهُوَ تَعَالَى الذِي أَرَاهُمْ قُدْرَتَهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَقْتَ ضَعْفِ المُؤْمِنينَ، وَقُوَّةِ أَعْدَائِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيهِ وَحْدَهُ، بَعْدَ أَنْ أَرَاهُمْ عِنَايَتَهُ بِمَنْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَيهِ.

يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ - يَبْطُشُوا بِكُمْ بِالقَتْلِ وَالإِهْلاكِ.

(مِيثَاقَ) (إِسْرَائِيلَ) (لَئِنْ) (الصَّلاَةَ) (وَآتَيْتُمُ) (الزَّكَاةَ) (وَآمَنْتُم) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ)

(١٢) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَخَذَ العُهُودَ وَالمَوَاثِيقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيَعْمَلُنَّ بِأَحْكَامِ التَّوراةِ التِي تَحْوِي شَرِيعَتَهُمْ. وَأَمَرَ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ، بِأَنْ يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ، مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الاثْنَي عَشَرَ، نَقِيباً يَكُونُ كَفِيلاً عَلَى جَمَاعَتِهِ، بِالوَفَاءِ بِتَنْفِيذِ مَا أُمِرُوا بِهِ، فَاخْتَارَ مُوسَى النُّقَبَاءَ، وَأَخَذَ المِيثَاقَ وَتَكَفَّلَ لَهُ النُّقَبَاءُ بِالوَفَاءِ بِمَا الْتَزَمُوا بِهِ.

فَسَارَ بِهِمْ مُوسَى إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ التِي وَعَدَهُمُ اللهُ السُّكْنَى فِيهَا، وَكَانَ فِيهَا الكَنْعَانِيُّونَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا بَعَثَ مُوسَى النُّقَبَاءَ يَتَحَسَّسُونَ

حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ

الأخْبَار، فرأوا أجْسَامَ الكَنْعَانِيِّينَ قَوِيَّةً، فَهَابُوهُمْ، وَرَجَعُوا يُحَدِّثُونَ قَوْمَهُمْ بِمَا رَأوا، وَكَانَ مُوسَى قَدْ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَنَكَثُوا المِيثَاقَ، وَلَمْ يَلْتَزِمْ بِهِ إلاَّ نَقِيبَانِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِبَنِي إسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ: إنَّكُمْ بِحِفْظِي وَرِعَايَتِي، وَإنِّي نَاصِرُكُمْ وَمُعِينُكُمْ مَا دُمْتُمْ مُحَافِظِينَ عَلَى المِيثَاقِ، وَإنِي مُشْرِفٌ عَلَيكُمْ، وَمُبْصِرٌ لأفْعَالِكُمْ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ بِضَمَائِرِكُمْ، وَقَادِرٌ عَلَى مُجَازَاتِكُمْ، فإذا أقَمْتُمُ الصَّلاةَ، وَأدَّيْتُمُوهَا حَقَّ أدائِها، وَدَفَعْتُمْ زَكَاةَ أمْوَالِكُمْ، وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي جَمِيعاً، وَصَدَّقْتُمُوهُمْ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ الوَحْيِ، وَنَصَرْتُمُوهُمْ وَآزَرْتُمُوهُمْ عَلَى الحَقِّ (عَزَّرْتُمُوهُمْ)، وَأنْفَقْتُمُ الأمْوَالَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ (أقْرَضْتُمُ اللهَ)... إذَا فَعَلْتُمْ كُلَّ ذَلِكَ لأكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَأمْحُونَّ ذُنُوبَكُمْ، وَأسْتُرُهَا عَلَيكُمْ، وَلا أؤاخِذُكُمْ عَلَيها وَلأدْخِلَنَّكُمْ فِي رَحْمَتِي، وَأسْكِنُكُمْ جَنَّتِي التِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ. وَمَنْ خَالَفَ هَذا المِيثَاقَ بَعْدَ عَقْدِهِ وَتَوْكِيدِهِ، فَقَدْ أخْطأ الطَّرِيقَ الوَاضِحَ، وَعَدَلَ عَنِ الهُدَى إلى الضَّلالِ.

التَّعزيرُ - النُّصْرَةُ مَع التَّعْظِيمِ.

النَّقيبُ - الشَّخْصُ يَخْتَارُهُ جَمَاعَتُهُ لِيَكُونَ كَفِيلاً عَلَيْهِمْ.

قَرْضاً حَسَناً - احْتِسَاباً بِطِيبِ خَاطِرٍ.

(١٣) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

(مِيثَاقَهُمْ) (لَعَنَّاهُمْ) (قَاسِيَةً) (خَائِنَةٍ)

(١٣) - فَبِسَبَبِ نَقْضِهِم المِيثَاقَ الذِي أخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ (وَمِنْهُ الإيمَانُ بِكُلِّ نَبِيٍّ يُرْسِلُهُ اللهُ، وَنَصْرُهُ وَتَبْجِيلُهُ) اسْتَحَقُّوا مَقْتَ اللهِ وَغَضَبَهُ، حَتَّى قَتَلُوا الأنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَافْتَرَوا عَلَى مَرْيَمَ، وَأسَاؤُوا إلى عِيسَى، الذِي جَاءَ لإصْلاحِ مَا فَسَدَ مِنْ عَقَائِدِهِم وَأخْلاقِهِمْ، وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ، فَبِسَبَبِ جَمِيعِ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ ذُنُوبٍ وَمَعَاصٍ جَعَلَ اللهُ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً، فَلا يَتَّعِظُونَ بِمَوْعِظَةٍ لِغِلْظَةِ قُلُوبِهِمْ وَقَسْوَتِها، وَجَعَلَ أفْهَامَهُمْ فَاسِدَةً فَسَاءَتْ تَصَرُّفَاتُهُمْ فِي آيَاتِ اللهِ، فَأخَذُوا فِي تَحْرِيفِهَا وَتَأوِيلِها عَلَى غَيْرِ مَا أنْزِلَتْ لَهُ، وَحَمَلُوهَا عَلَى غَيْرِ المُرَادِ مِنْهَا (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) وَتَرَكُوا العَمَلَ بِهَا رَغْبَةً عَنْهَا (نَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ)، وَلَا تَزَالُ تَكْتَشِفُ مِنْ أكْثَرِهِمْ غَدْراً وَمَكْراً بِكَ وَبِأصْحَابِكَ (تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ)، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ، وَهذا هُوَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ، وَفِيهِ تَألُّفٌ لِقُلُوبِهِمْ، لَعَلَّ اللهَ أنْ يَهْدِيَهُمْ إلَى الحَقِّ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ـ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ـ هُوَ أَنَّهُمْ نَسُوا الكِتَابَ الذِي أُنْزِلَ إلَيْهِمْ).

يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ ـ يُؤَوِّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أُنْزِلَ بِهِ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى غَيْرِ المَعْنَى المَقْصُودِ بِهِ.

تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ ـ تَكْتَشِفُ مِنْهُمْ عَيْنَ غَدْرٍ وَخِيَانَةٍ.

نَسُوا حَظّاً ـ تَرَكُوا نَصِيباً وَافِراً.

(١٤) وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا
نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ
فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ
بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ
وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ

(نَصَارَى) (مِيثَاقَهُمْ) (الْقِيَامَةِ)

(١٤) ـ وَكَذَلِكَ أَخَذَ اللهُ تَعَالَى المِيثَاقَ مِنَ النَّصَارَى عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالقِيَامِ بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِمْ، فَسَلَكُوا فِي مِيثَاقِ اللهِ طَرِيقَ اليَهُودِ، فَبَدَّلُوا دِينَهُمْ، وَنَقَضُوا المِيثَاقَ الذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَنَسُوا حَظّاً كَبِيراً مِنْ كِتَابِهِمْ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ المَسِيحَ عَلَيهِ السَّلامُ لَمْ يَكْتُبْ مَا ذَكَّرَهُمْ بِهِ مِنَ المَوَاعِظِ، وَتَوْحِيدِ اللهِ وَتَنْزِيهِهِ، وَلاَ طُرُقَ الإِرْشَادِ إلى عِبَادَةِ اللهِ، وَكَانَ الذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنَ العَامَّةِ (الحَوَارِيُّونَ كَانُوا مِنَ الصَّيَّادِينَ)، وَاشْتَدَّ اليَهُودُ فِي مُطَارَدَتِهِمْ فَتَفَرَّقُوا، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَاتٌ ذَاتُ قُوَّةٍ وَنُفُوذٍ وَعِلْمٍ تُدَوِّنُ مَا حَفِظُوهُ مِنَ الإِنْجِيلِ. وَالإِنْجِيلُ لَمْ يُكْتَبْ إلاَّ بَعْدَ ثَلاَثَةِ قُرُونٍ عِنْدَمَا دَخَلَ قِسْطَنْطِينُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً فِي تَفَرُّقِهِمْ وَتَعَادِيهِمْ، وَاخْتِلاَفِهِمْ شِيَعاً وَطَوَائِفَ، كُلُّ فِئَةٍ تُكَفِّرُ الأُخْرَى وَتُعَادِيهَا.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إنَّهُ أَلْقَى بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنيا، وَبِمَا اقْتَرَفُوهُ مِنَ الكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِمَا نَسَبُوا إِلَيهِ مِنْ أَنَّ لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَداً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَأَغْرَيْنَا ـ هَيَّجْنَا وَحَرَّشْنَا.

(١٥) يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ
جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ
لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ
تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) (الْكِتَابِ) (وَيَعْفُو) (كِتَابٌ)

(١٥) ـ يَا أَهْلَ الكِتَابِ إِنَّا أَرْسَلْنَا مُحَمَّداً رَسُولَ اللهِ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ كَثِيراً مِنَ الأَحْكَامِ التِي أَنْزَلَهَا اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَكُنْتُمْ تُخْفُونَهَا (كَالرَّجْمِ لِلزَّانِي المُحْصِنِ، وَكَصِفَاتِ مُحَمَّدٍ، وَالبِشَارَةِ بِهِ التِي حَرَّفْتُمُوهَا وَحَمَلْتُمُوهَا عَلَى مَعَانٍ أُخرَى، وَمِثْلِ الأَحْكَامِ التِي أَخْفَيْتُمُوهَا وَنَسِيتُمُوهَا كَنِسْيَانِ اليَهُودِ مَا جَاءَ فِي التَّوراةِ مِنْ أَخْبَارِ الحِسَابِ

جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ

(١٦) يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

(١٧) لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ

(١٨) وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ

وَالجزاءِ في الآخِرَةِ، وَقَدْ أظْهَر الرَّسُولُ لَهُمْ كُلَّ ذلِكَ) وَمَعَ هـذا فَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ الكَرِيمُ يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانُوا يُخْفُونَهُ، وَلا يُظْهِـرُ الكَثِيرَ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِباً أهْلَ الكِتَابِ: إنَّهُمْ قَدْ جَاءَهُمْ نُورٌ مِنَ اللهِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، فَالنُورُ هُوَ النَّبِيُّ الذِي لَوْلاَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالقُرآنِ، لَمَا عَرَفُوا الدِّينَ الحَقَّ، وَلا مَا طَرَأَ عَلَى التَّوراةِ وَالإنْجِيلِ مِنْ تَبْدِيلٍ وَتَحْرِيفٍ، وَالكِتَابُ هُوَ القُرآنُ.

نُورٌ - هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

(رِضْوانَهُ) (السَّلاَمِ) (الظُّلُماتِ) (صِرَاطٍ)

(١٦) - يَهْدِي اللهُ بِالقُرآنِ، مَنْ أرَادَ اتِّبَاعَ رِضْوَانَ رَبِّهِ، إلى طَرِيقِ الجَنَّةِ وَالسَّلاَمَةِ، وَمَناهِجِ الاسْتِقَامَةِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الكُفْرِ وَالجَهْلِ وَالظُّلْمِ إلى نُورِ الإيمَانِ وَالحَقِّ وَالعَدْلِ، بِإذْنِ رَبِّهِ، وَيَهْدِيهِمْ إلى الطَّرِيقِ القَوِيمِ.

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - طَرِيقٍ قَوِيمٍ، لاَ عِوَجَ فِيهِ.

(السَّماوَاتِ)

(١٧) - يَقُولُ تَعَالَى إنَّ الذِينَ قَالُوا: إنَّ المَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ هُوَ اللهُ، قَدْ كَفَرُوا بِذَلِكَ القَوْلِ، لأنَّ المَسِيحَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَخَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: مَنْ ذَا الذِي يَقْدِرُ أنْ يَمْنَعَ المَسِيحَ وَأمَّهُ مِنَ اللهِ، وَأنْ يَحْمِيَهُمَا مِنْهُ إنْ أرَادَ اللهُ أنْ يُهْلِكَهُمَا؟ بَلْ مَنْ يَسْتَطِيعُ أنْ يَعْتَرِضَ سَبِيلَ إرَادَةِ اللهِ إنْ أرَادَ أنْ يُهْلِكَ جَمِيعَ مَنْ فِي الأرْضِ مِنَ الخَلاَئِقِ؟ فَاللهُ هُوَ مَالِكُ السَّمواتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِمَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَلا مُعَقِّبَ عَلَى تَصَرُّفِهِ، فَإذا كَانَ الأمْرُ قَدِ التَبَسَ عَلَى هَؤلاءِ بِسَبَبِ خَلْقِ عِيسَى مِنْ دُونِ أبٍ، فَإنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ دُونِ أبٍ وَلا أمٍّ.

(والنَّصارَى) (أبْنَاءُ) (وَأحِبَّاؤُهُ) (السَّماوَاتِ)

(١٨) - قَالَ كُلٌّ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى نَحْنُ مُنْتَسِبُونَ إلى أنْبِيَاءِ اللهِ، وَهُمْ بَنُوهُ، وَلَهُ بِهِمْ عِنَايَةٌ، وَهُوَ يُحِبُّنَا.

وَأوْرَدُوا فِي كِتَابِهِمْ أنَّ اللهَ قَالَ لِعَبْدِهِ إسْرَائِيلَ (يَعْقُوبَ) أنْتَ ابْنِي البِكْرُ. فَحَمَلُوا هَذا القَوْلَ عَلَى غَيْرِ تَأوِيلِهِ وَحَرَّفُوهُ. وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ غَيْرُ

مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ

واحِدٍ مِنْ عُقَلائِهِمْ: إنَّ هذا القَوْلَ يُطْلَقُ عِنْدَهُمْ عَلى سَبيلِ التَّكْريمِ وَالتَّشْريف.

وَوَرَدَ فِي الإنجيلِ: إنَّ المَسِيحَ قَالَ لَهُمْ: إنِّي ذَاهِبٌ إلى أبي وَأبيكُمْ، يَعْني رَبِّي وَرَبَّكُمْ.

وَيَقُولُ اللهُ تَعالَى لِمُحَمَّدٍ رَدّاً عَلى أقْوالِ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ أنْ يَقُولَ لَهُمْ: لَوْ كُنْتُمْ كَما تَدَّعُونَ أبْناءَ اللهِ وَأحِبَّاءَهُ فَلِمَ أعَدَّ اللهُ لَكُمْ جَهَنَّمَ جَزاءً لَكُمْ عَلى كُفْرِكُمْ وَكَذِبِكُمْ وَآفْتِرائِكُمْ؟ بَلْ أنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ اللهُ، وَلَكُمْ أسْوَةٌ بِأمْثالِكُمْ، وَهُوَ سُبْحانَهُ خالِقُ السَّماواتِ وَالأرْضِ، وَالحاكِمُ المُتَصَرِّفُ فِي جَميعِ عِبادِهِ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ، وَلا مُعَقِّبَ عَلى حُكْمِهِ، وَهُوَ سَريعُ الحِسابِ.

﴿١٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(يَا أهْلَ الْكِتَابِ)

(١٩) ـ يَقُولُ تَعالَى لأهْلِ الكِتابِ إنَّهُ أرْسَلَ إلَيْهِمْ مُحَمَّداً رَسُولاً بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَطاوِلَةٍ ما بَيْنَ إرْسالِ عِيسَى وَإرْسالِهِ، لَمْ يَكُنْ فِيها رَسُولٌ (عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ)، فَآنْطَمَسَتْ سُبُلُ الهُدَى، وَتَغَيَّرَتِ الأدْيانُ، وَكَثُرَ عُبَّادُ الأوْثانِ وَالنِّيرانِ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ إلى أهْلِ الكِتابِ، بَعْدَ أنْ بَشَّرَهُمْ بِهِ فِي الكُتُبِ التي أنْزَلَها عَلى أنْبِيائِهِمْ، وَأخْبَرَهُمْ بِهِ أنْبِياؤُهُمْ، وَذَلِكَ لِكَيْلا يَحْتَجُّوا وَيَقُولُوا: ما جاءَنا رَسُولٌ يُبَشِّرُ بِالخَيْرِ وَيُنْذِرُ بِالشَّرِّ. فَها قَدْ جاءَكُمْ مُحَمَّدٌ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَاللهُ قَدِيرٌ عَلى عِقابِ مَنْ عَصاهُ، وَعَلى إثابَةِ مَنْ أطاعَهُ.

عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ـ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ لَمْ يَأتِ فِيها رُسُلٌ.

﴿٢٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ

(يَا قَوْمِ) (وَآتَاكُم) (الْعَالَمِينَ)

(٢٠) ـ وَآذْكُرْ يا مُحَمَّدُ لأهْلِ الكِتابِ، وَأنْتَ تُبَلِّغُهُمْ دَعْوَةَ رَبِّهِمْ، ما قالَهُ مُوسَى لِقَوْمِهِ، وَما ذَكَّرَهُمْ بِهِ مِنْ أنْعُمِ اللهِ وَأفْضالِهِ عَلَيهِمْ، بِما جَمَعَهُ لَهُمْ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، لَو آسْتَقامُوا عَلى الهُدَى، فَقَدْ جَعَلَ الأنْبِياءَ فِيهِمْ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ قامَ فِيهِمْ نَبِيٌّ يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ نِقَمَهُ، وَأنَّهُ تَعالَى قَدْ جَعَلَهُمْ مُلُوكاً (بِمَعْنَى أنَّ واحِدَهُمْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَمالَهُ وَأهْلَهُ ـ وَقالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَني إسْرائيلَ إذا كانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ وَخادِمٌ وَدارٌ سُمِّيَ مَلِكاً). وَأنَّهُ تَعالَى آتاهُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أحَداً مِنَ العالَمِينَ مِنْ أهْلِ زَمانِهِمْ، فَقَدْ أنْزَلَ اللهُ عَلَيهِمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى، وَظَلَّلَهُمْ بِالغَمامِ فِي مَسِيرَتِهِمْ فِي صَحْراءِ سِيناءَ.

(٢١) يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ

(يَا قَوْمِ) (خَاسِرِينَ)

(٢١) ـ ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى قَالَ لِقَوْمِهِ مُحَرِّضاً إِيَّاهُمْ عَلَى الجِهَادِ لِلاسْتِيلاءِ عَلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ (أي المُطَهَّرَةِ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ لِمَا بَعَثَ اللهُ فِيها مِنَ الأَنْبِياءِ الدُّعَاةِ إلى التَّوحِيدِ)، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ سِيرُوا إلى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ التِي وَعَدَ اللهُ آبَاكُمْ إبْراهِيمَ بِأَنْ يُسْكِنَ فِيها مَنْ آمَنَ مِنْ نَسْلِهِ، وَلاَ تَرْجِعُوا ـ بَعْدَ الذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالهُدَى ـ إِلَى الوَثَنِيَّةِ وَالفَسَادِ فِي الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ وَالبَغْيِ وَاتِّبَاعِ الأَهْوَاءِ، فَإِنَّ فِي هذا الرُّجُوعِ خُسْرَاناً لَكُمْ.

(٢٢) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ

(يَا مُوسَى) (دَاخِلُونَ)

(٢٢) ـ فَاعْتَذَرُوا عَنْ دُخُولِ البَلَدِ بِأَنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ ذَوِي خِلَقٍ هَائِلَةٍ، وَأَجْسَامٍ ضَخْمَةٍ، وَقُوَى شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُمْ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَلاَ يُمْكِنُهُمُ الدُّخُولُ إليها، مَا دَامَ الجَبَّارُونَ فِيها، فَإِنْ خَرَجُوا مِنْها، دَخَلَها قَوْمُ مُوسَى، وَإِلاَّ فَإِنَّهُمْ لاَ طَاقَةَ لَهُمْ بِقِتَالِ الجَبَّارِينَ.

الجَبَّارُ ـ هُوَ القَوِيّ العَاتِي الذِي يُجْبِرُ غَيْرَهُ عَلَى فِعْلِ مَا يُرِيدُ.

(٢٣) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(غَالِبُونَ)

(٢٣) ـ فَلَمَّا نَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْ إِطَاعَةِ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَمُتَابَعَةِ مُوسَى، حَرَّضَهُمْ رَجُلاَنِ، للهِ عَلَيْهِمَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُمَا مِمَّنْ يَخَافُ اللهَ وَيَخْشَى عِقَابَهُ، فَقَالاَ لِقَوْمِهِمَا: إِنْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ، وَتَبِعْتُمْ أَمْرَهُ، وَوَافَقْتُمْ رَسُولَهُ، نَصَرَكُمْ رَبُّكُمْ عَلى أَعْدَائِكُمْ، وَأَيَّدَكُمْ وَأَظْفَرَكُمْ بِهِمْ، وَدَخَلْتُمُ البَلَدَ الذِي كَتَبَ اللهُ لَكُمُ السُّكْنَى فِيها، فَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِمْ هذا القَوْلُ شَيْئاً.

(٢٤) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ

(يَا مُوسَى) (فَقَاتِلاَ) (هَاهُنَا) (قَاعِدُونَ)

(٢٤) ـ وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَصَرُّوا عَلَى النُّكُولِ عَنِ الجِهَادِ، وَعَلَى مُخَالَفَةِ رَسُولِهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا البَلَدَ مَا دَامَ الجَبَّارُونَ مُقِيمِينَ فِيها، فَإِذا أَصَرَّ مُوسَى عَلَى الجِهَادِ فَلْيَذْهَبْ هُوَ وَرَبُّهُ فَلْيُقَاتِلاَ الجَبَّارِين، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ نَتِيجَةَ المَعْرَكَةِ قَاعِدِينَ، حَيْثُ هُمْ يُقِيمُونَ.

(٢٥) قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ

(الْفَاسِقِينَ)

(٢٥) ـ فَلَمَّا نَكَلُوا عَنِ القِتَالِ، غَضِبَ عَلَيْهِمْ مُوسَى، وَاتَّجَهَ إِلى اللهِ بِالدُّعَاءِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ لَيسَ بَيْنَ هؤُلاءِ مَنْ يُطِيعُنِي وَيُجِيبُنِي إِلى تَنْفِيذِ مَا

﴿٢٦﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

﴿٢٧﴾ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

الحزب ١٢

أَمَرْتَني بِهِ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي هَارُونَ، فَاقْضِ يَا رَبِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلاءِ القَوْمِ، الخَارِجِينَ عَلَى طَاعَتِكَ (الفَاسِقِينَ)، بِقَضَاءٍ تَقْضِيهِ بَيْنَنَا، فَتَحْكُمَ لَنَا بِمَا نَسْتَحِقُّ، وَتَحْكُمَ لَهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: إِنَّكَ إِذا أَخَذْتَهُمْ بِالعِقَابِ عَلَى فِسْقِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَتِكَ، فَلا تُعَاقِبْنا مَعَهُمْ).

فَافْرُقْ - فَافْصِلْ بِحُكْمِكَ.

(الْفَاسِقِينَ)

(٢٦) - فَلَمَّا دَعَا مُوسَى عَلَيهم، حِينَ نَكَلُوا عَنِ الجِهَادِ، قَضَى اللهُ عَلَيهِمْ بِأَنْ حَرَّمَ عَلَيهِمْ دُخُولَها أَربعينَ سَنَةً، يَتِيهُونَ خِلاَلَهَا فِي الأَرْضِ (أَيْ فِي صَحْراءِ سِينَاءَ)، وَيَبْقَوْنَ مُتَحَيِّرِينَ مُتَرَدِّدِينَ، لاَ يَدْرُونَ مَصِيرَهُمْ، وَلاَ يَهْتَدُونَ إلى الخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ، خِلاَلَ المُدَّةِ التِي قَضَاهَا اللهُ عَلَيهِمْ.

وَخِلاَلَ وُجُودِهِمْ فِي صَحْراءِ سِينَاءَ تُوُفِّيَ مُوسَى وَهَارُونُ، عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، وَتَوَلَّى قِيَادَةَ بَني إِسْرَائِيلَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ (وَهُوَ مِنْ نَسْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وَجعلَهُ اللهُ نَبِيّاً فِيهِمْ، وَتُوُفِّيَ أَكْثَرُ الجِيلِ القَدِيمِ، وَنَشَأَ فِي الصَّحْرَاءِ وَالحُرِّيَّةِ جِيلٌ جَدِيدٌ. فَلَمَّا انْقَضَتِ المُدَّةُ التِي قَضَاهَا اللهُ عَلَيهِمْ، خَرَجَ بِهِمْ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَتَوَجَّهَ بِهِمْ إلى إحْدَى المُدُنِ فَحاصَرَهَا وَفَتَحَهَا.

ثُمَّ سَلَّى اللهُ نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ: لاَ تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ فِيمَا قَضَيْتُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ القِصَّةُ تَتَضَمَّنُ تَقْرِيعاً لِلْيَهُودِ، وَبَيَاناً لِفَضَائِحِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، وَنُكُولِهِمْ عَنْ طَاعَتِهِمَا.

يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ - يَضِلُّونَ فِي الأَرْضِ وَيَسِيرُونَ عَلَى غَيرِ هُدًى.

فَلاَ تَأْسَ - فَلاَ تَحْزَنْ.

(آدَمَ)

(٢٧) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى عَاقِبَةَ البَغْيِ وَالحَسَدِ وَالظُّلْمِ، فِي خَبَرِ ابْنَيْ آدَمَ (قَابِيلَ وَهَابِيلَ)، وَكَيْفَ عَدا أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ فَقَتَلَهُ بَغْياً عَلَيْهِ، وَحَسَداً لَهُ، فِيمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ، وَتَقَبُّلِ القُرْبَانَ الذِي أَخْلَصَ فِيهِ

﴿٢٨﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿٢٩﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿٣٠﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

صَاحِبُهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَازَ المَقْتُولُ بِغُفْرَانِ اللهِ لَهُ خَطَايَاهُ، وَبِالدُّخُولِ إِلى الجَنَّةِ، وَعَادَ القَاتِلُ وَقَدْ خَسِرَ الدَّارَيْنِ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ.

فَقَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: أَقْصُصْ عَلَى البُغَاةِ الحَسَدَةِ مِنَ اليَهُودِ وَأَمْثَالِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ خَبَرَ آبْنَيْ آدَمَ الذِي يَرْوِيهِ النَّاسُ وَيَتَنَاقَلُونَهُ، لَقَدْ قَرَّبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قُرْبَاناً إِلى اللهِ، فِي أَمْرٍ آخْتَلَفَا عَلَيهِ، فَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْ أَحَدِهِما قُرْبَانَهُ (وَهُوَ هَابِيلُ) وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ الآخَرِ (قَابِيلَ)، بِأَنْ أَنْزَلَ اللهُ نَاراً مِنَ السَّمَاءِ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ، وَلَمْ تَمَسَّ النَّارُ قُرْبَانَ قَابِيلَ. فَغَضِبَ قَابِيلُ، وهَدَّدَ أَخَاهُ بِالقَتْلِ، فَقَالَ لَهُ هَابِيلُ: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ القُرْبَانَ وَالصَّدَقَاتِ مِنَ المُتَّقِينَ، الذِينَ أَخْلَصُوا العِبَادَةَ للهِ، وَآتَّقَوْا الشِّرْكَ، وَخَافُوا عِقَابَ اللهِ، وَآجْتَنَبُوا المَعَاصِيَ.

قُرْبَاناً - مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلى اللهِ تَعَالَى.

(لَئِن) (الْعَالَمِينَ)

(٢٨) - وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَبْسُطَ إِلَيَّ يَدَكَ وَتَمُدَّهَا بِالشَّرِّ، وَإِذَا نَوَيْتَ قَتْلِي، فَإِنِّي لَنْ أُقَابِلَكَ عَلَى صَنِيعِكَ الفَاسِدِ بِمِثْلِهِ، فَأَكُونَ أَنَا وَأَنْتَ سَوَاءً فِي الخَطِيئَةِ، وَإِنِّي أَخَافُ اللهَ مِنْ أَنْ أَصْنَعَ بِكَ مَا تُرِيدُ أَنْتَ أَنْ تَصْنَعَهُ بِي، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي أَصْبِرُ وَأَحْتَسِبُ.

(تَبُوءَ) (أَصْحَاب) (جَزَاءُ) (الظَّالِمِينَ)

(٢٩) - وَإِنِّي إِذْ أَرْفُضُ مُقَابَلَةَ الجَرِيمَةِ بِمِثْلِهَا، فَإِنَّنِي إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تَتَحَمَّلَ إِثْمَ قَتْلِي، وَالإِثْمَ الذِي عَلَيكَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ أَجْلِهِ لَمْ يَتَقَبَّلِ اللهُ قُرْبَانَكَ، فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَهَذا هُوَ الجَزَاءُ الذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ.

وَلَكِنَّ قَابِيلَ لَمْ يَخَفِ النَّارَ التِي خَوَّفَهُ بِهَا أَخُوهُ، وَلَمْ يَنْزَجِرْ (وَقِيلَ إِنَّ القَاتِلَ يَحْمِلُ فِي الآخِرَةِ إِثْمَ مَنْ قَتَلَهُ وَمَا عَلَيهِ مِنْ ذُنُوبٍ وَآثَامٍ وَحُقُوقٍ لِلْعِبَادِ، لأَنَّهُ بِقَتْلِهِ مَنَعَهُ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلى اللهِ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَوَفَاءِ مَا عَلَيهِ مِنْ حُقُوقِ العِبَادِ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ).

تَبُوءَ بِإِثْمِي - تَرْجِعُ أَوْ تَحْمِلُ إِثْمَ قَتْلِي إِذَا قَتَلْتَنِي.

وَإِثْمِكَ - السَّابِقِ المَانِعِ مِنْ قَبُولِ قُرْبَانِكَ.

(الْخَاسِرِينَ)

(٣٠) - فَحَسَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ، وَشَجَّعَتْهُ عَلَيهِ، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مِنْ أَخِيهِ المَوْعِظَةَ فَلَمْ يَتَّعِظْ، وَلَمْ يَزْدَجِرْ، فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ القَاتِلُ مِنَ

الخَاسِرِينَ فِي الدُّنيا بِفَقْدِهِ أخَاهُ، وَفِي الآخِرَةِ إذْ أصْبَحَ مِنْ أهْلِ النَّارِ.

(وَجاءَ فِي الحَديثِ الشَّريفِ: لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إلاَّ كَانَ عَلَى ٱبْنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دمِها، لأنَّهُ كَانَ أوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتْلَ). (رَواهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ).

﴿٣١﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ

(يُوارِي) (يَا وَيْلَتَا) (فَأُوارِيَ) (النَّادِمِينَ)

(٣١) - ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالَى أنَّ الإنْسَانَ قَدْ يَسْتَفِيدُ مِنْ تَجارِبِ غَيْرِهِ، فَلَمَّا مَاتَ الأخُ القَتيلُ، تَرَكَهُ القَاتِلُ فِي العَراءِ، وَهُوَ لاَ يَعْرِفُ كَيفَ يَدْفِنُهُ، فَبَعَثَ اللهُ غُرابَيْنِ فَاقْتَتَلا، فَقَتَلَ أحَدُهُما صَاحِبَهُ، فَحَفَرَ لَهُ حُفْرَةً ألْقَاهُ فِيهَا، ثُمَّ حَثَا عَلَيهِ التُّرابَ. فَلَمَّا رَآهُ ٱبْنُ آدَمَ القَاتِلُ قَالَ: يَا وَيْلَتَا أعَجَزْتُ أنْ أكُونَ مِثْلَ هَذا الغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْءَةَ أخِي؟ فَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ.

السَّوْءَةُ - مَا يَسُوءُ ظُهُورُهُ، وَالمَقْصُودُ بِهَا هُنَا جُثَّتُهُ.

يَبْحَثُ فِي الأرْضِ - **يَحْفِرُ فِيها لِيَدْفِنَ** غُراباً قَتَلَهُ.

﴿٣٢﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ

(بني إسْرائيل) (بِالبَيِّنَاتِ)

(٣٢) - يُخْبِرُ تَعالَى: أنَّهُ بِسَبَبِ قَتْلِ ٱبْنِ آدَمَ أخاهُ، شَرَعَ اللهُ لِبَنِي إسْرائيلَ، وَقَضَى عَلَيْهِمْ، أنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ مِنْ قِصاصٍ أوْ إفْسادٍ فِي الأرْضِ، وَٱسْتَحَلَّ قَتْلَها، بِلا سَبَبٍ وَلاَ جِنَايَةٍ، فَكَأنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَميعاً، لأنَّهُ لاَ فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ نَفْسٍ وَنَفْسٍ. وَمَنْ حَرَّمَ قَتْلَها، وَكَانَ سَبَباً فِي حَياةِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، بِإنْقاذِها مِنْ مَوْتٍ، فَكأنَّما أحْيَا النَّاسَ جَميعاً، لأنَّ البَاعِثَ عَلَى الامتِناعِ عَنِ القَتْلِ هُوَ ٱعْتِقادُهُ بِأنَّ ذَلِكَ شَرٌّ وَأنَّ اللهَ حَرَّمَهُ، وَلِذلِكَ فَإنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَسْلَمُونَ مِنْ شَرِّهِ، وَيَأمَنُونَ أذاهُ، وَلأنَّ البَاعِثَ عَلى إنْقاذِ النَّفْسِ مِنَ المَوْتِ الذي كَانَ يَتَهَدَّدُها هُوَ الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ، وَالوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرائِعِ، فَذَلِكَ دَليلٌ عَلَى أنَّهُ مُسْتَعِدٌ لإنْقَاذِ كُلِّ نَفْسٍ إنِ ٱسْتَطاعَ، وَلِذلِكَ يَكُونُ كَأنَّما أحْيَا النَّاسَ جَميعاً. وَلَقَدْ جَاءَتْ بَنِي إسْرائيلَ رُسُلُهُمْ بِالحُجَجِ وَالبَراهِينِ وَالدَّلائِلِ الوَاضِحَةِ، وَلَكِنَّ الكَثِيرِينَ مِنْهُمْ كَانُوا مَعَ ذَلِكَ مُسْرِفِينَ فِي فَسادِهِمْ فِي الأرْضِ.

(وَهَذا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ تَعالَى لِبَنِي إسْرائِيلَ عَلَى ٱرْتِكَابِهِم المَحارِمَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِأنَّها مَحارِم).

٣٣ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(جزاءُ) (خلافٍ)

(٣٣) ـ المُحَارَبَةُ هُنا هِيَ المُخالَفَةُ وَالمُضادَّةُ، لأَنَّ فِيهَا عَدَمَ إِذْعَانٍ لِدِينِ اللهِ وَشَرْعِهِ، فِي حِفْظِ الحُقُوقِ، وَهِيَ تَصْدُقُ عَلى الكُفْرِ، وَعَلى قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَإِخَافَةِ السَّابِلَةِ. وَكَذَلِكَ يُطْلَقُ الإِفْسَادُ فِي الأَرْضِ عَلى أَنْواعٍ مِنَ الشَّرِّ وَالفَسَادِ.

وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ فَنَقَضُوا العَهْدَ، وَأَفْسَدُوا فِي الأَرْضِ، فَخَيَّرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ إِنْ شَاءَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلافٍ (أَيْ إِنْ قَطَعَ اليَدَ اليُمْنَى قَطَعَ مَعَهَا الرِّجْلَ اليُسْرَى، وَالعَكْسُ عَلَى العَكْسِ) أَوْأَنْ يَنْفِيَهُمْ مِنَ الأَرْضِ التِي ارْتُكِبَ فِيها الجُرْمُ إِلى أَرْضٍ أُخْرى لِيُسْجَنُوا فِيهَا (وَالنَّفْيُ فِي مَفْهُومِ أَبِي حَنِيفَةَ هُوَ السِّجْنُ) وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الآيَةَ عَامَّةٌ تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ ارتَكَبَ عَمَلاً مِنْ أَعمَالِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ.

وَحُكْمُ المُحارَبَةِ عِنْدَ الأَئِمَةِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وابْنِ حَنْبَلٍ يَكُونُ فِي الأَمْصَارِ كَمَا يَكُونُ فِي الطُّرقِ خارِجَ المُدُنِ، حَتَّى إِنَّ مَالِكاً جَعَلَ المُحَارَبَةَ تَشْمَلُ حَالَةَ الرَّجُلِ الذِي يَخْدَعُ رَجُلاً فَيُدْخِلُهُ بَيْتَهُ فَيَقْتُلُهُ وَيَأْخُذُ مَا مَعَهُ.

وَقَالَ أبو حَنِيفَة إِنَّما تَكُونُ المُحَارَبَةُ فِي الطُّرُقَاتِ لِبُعْدِ النَّاسِ عَمَّنْ يُغِيثُ، أَمَّا فِي الأَمْصَارِ فَلا تَكُونُ مُحارَبَةٌ لأَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَلْحَقُهُ غَوْثٌ إِذَا اسْتَغَاثَ.

وَفِي حَالَةِ المُحَارَبَةِ يَكُونُ دَمُ المَقْتُولِ لِلسُّلْطَانِ لا إِلى وَلِيِّ المَقْتُولِ، وَلاَ يَكُونُ عَفْوُهُ سَبباً فِي اسْقَاطِ العُقُوبَةِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ العُقُوبَةَ تَكُونُ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

إِذَا قَتَلُوا يُقْتَلُونَ بِمَنْ قَتَلُوا.

إِذَا قَطَعُوا الطَّرِيقَ وَغَصَبُوا المَالَ وَلَمْ يَقْتُلُوا تُقْطَعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ، وَيُنْفَوْنَ مِنْ بَلَدٍ إِلى بَلَدٍ آخَر.

إِذَا أَخَافُوا السَّابِلَةَ فَقَطْ يُحْبَسُونَ.

وَهذا الجَزَاءُ هُوَ عَارٌ لَهُمْ وَنَكَالٌ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا (خِزْيٌ)، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، إِذَا لَمْ يَتُوبُوا مِنْ فِعْلِهِمْ حَتَّى تَحِينَ وَفَاتُهُمْ.

وَأَكْثَرُ الأَئِمَّةِ يَتَّفِقُونَ عَلى أَنَّ هَاتَينِ الآيَتَينِ نَزَلَتَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَة، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَتَكَلَّمُوا بِالإِسْلامِ فَوَجَدُوا المَدِينَةَ

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٤)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ﴾ (٣٦)

رَدِيئَةَ المُنَاخِ، فَأَمَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ بِبَعْضِ الإِبِلِ وبِراعٍ، وأَمَرَهُمْ بِالخُرُوجِ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى أَطْرَافِهَا لِيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوالِها وأَلْبَانِهَا، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِنَاحِيَةِ الحَرَّةِ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ، وَآسْتَاقُوا الإِبِلَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ فَأَرْسَلَ فِي الطَّلَبِ فِي آثَارِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ، فَسُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَقُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَتُرِكُوا حَتَّى مَاتُوا.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ لِبَيَانِ عُقُوبَةِ المُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ.

يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ - يُبْعَدُوا أَوْ يُسْجَنُوا.

خِزْيٌ - ذُلٌّ وَفَضِيحَةٌ وَعُقُوبَةٌ.

(٣٤) - فَإِذَا تَابَ الجُنَاةُ المُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِمْ السُّلْطَةُ فِي البَلَدِ، سَقَطَ عَنْهُمُ العِقَابُ المَفْرُوضُ (وَهُوَ القَتْلُ أَوِ الصَّلْبُ أَوْ قَطْعُ اليَدَيْنِ..) وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ، وَهُوَ مُخْلِصٌ فِيهَا، لأَنَّ تَوْبَتَهُمْ وَهُمْ فِي قُوَّةٍ وَمَنَعَةٍ جَدِيرَةٌ بِأَنْ تَكُونَ خَالِصَةً للهِ، صَادِرَةً عَنِ آعْتِقَادٍ بِقُبْحِ الذَّنْبِ، وَالعَزْمِ عَلَى تَرْكِ العَوْدَةِ إِلَى فِعْلِ مِثْلِهِ (وَلكِنْ تَبْقَى عَلَيْهِمْ حُقُوقُ العِبَادِ).

قَبْلَ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ - قَبْلَ وُقُوعِهِمْ بِيَدِ السُّلْطَةِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (وَجَاهِدُوا)

(٣٥) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ حَقّاً وَصِدْقاً، وَآتِّقَاءِ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ، وَذَلِكَ بِعَدَمِ مُخَالَفَةِ شَرْعِهِ، وَالانْكِفَافِ عَنْ إِتْيَانِ مَحَارِمِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَبِأَنْ يَتَقَرَّبُوا إِلَيهِ بِطَاعَتِهِ، وَبِالعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ (وَآبْتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ). ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِجِهَادِ أَعْدَائِهِمْ، وَأَعْدَاءِ اللهِ، الخَارِجِينَ عَنِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ. وَرَغَّبَهُمْ تَعَالَى فِي الجِهَادِ، بِأَنْ أَبَانَ لَهُم مَا أَعَدَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ، وَكَرِيمِ المَنْزِلَةِ، فَلَعَلَّهُمْ، إِنْ قَامُوا بِأَمْرِ رَبِّهِمْ، أَنْ يُفْلِحُوا بِالفَوْزِ بِرِضَى اللهِ وَجَنَّتِهِ.

(وَيَشْمُلُ الجِهَادُ كُلَّ جَهْدٍ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الحَقِّ، وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَى آلتِزَامِهِ، كَمَا يَشْمُلُ جِهَادَ النَّفْسِ بِكَفِّهَا عَنْ أَهْوَائِهَا، وَحَمْلِهَا عَلَى العَدْلِ وَالإِنْصَافِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ).

(القِيَامَة)

(٣٦) - إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ، أَوْ أَشْرَكُوا مَعَهُ فِي الأُلُوهِيَّةِ غَيْرَهُ، وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَتُوبُوا، فَإِنَّهُمْ لاَ نَجَاةَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ

عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

وَلَوْ أنَّ أحَدَهُمْ جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ بِمِلءِ الأرْضِ ذَهَباً، وَمِثْلِهِ مَعَهُ، لِيَفْتَدِيَ بِذَلِكَ الذَّهَبِ مِنْ عَذابِ اللهِ الذي قَدْ أحاطَ بِهِ، لَما تُقُبِّلَ مِنْهُ ذَلِكَ، فَلا مَنْدُوحَةَ عَنْ عَذابِهِ، وَلا مَحِيصَ لَهُ مِنْ أنْ يُلاقِيَ جَزاءَهُ العادِلَ مِنَ العَذابِ، وَهُوَ عَذابٌ مُوجِعٌ ألِيمٌ.

٣٧ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

(بِخارِجِينَ)

(٣٧) - وَحِينَما يُحِسُّ المُجْرِمُونَ بِثِقَلِ العَذابِ فِي النَّارِ يُحاوِلُونَ أنْ يَخْرُجُوا مِنْها، وَلَكِنْ لاَ سَبِيلَ لَهُمْ إلى ذَلِكَ، وَلَهُمْ عَذابٌ دائِمٌ مُسْتَمِرٌّ.

مُقِيمٌ - دائِمٌ مُسْتَمِرٌ لاَ يَتَوَقَّفُ وَلاَ يَفْتُرُ.

٣٨ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(نَكالاً)

(٣٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالَى بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ، وَكَانَ القَطْعُ مَعْمولاً بِهِ فِي الجاهِلِيَّةِ، فَقَرَّرَهُ الإِسْلامُ، وَجُعِلَتْ لَهُ شُرُوطٌ:

- الإمامُ مالِكٌ جَعَلَ النِّصابَ الذِي يَسْتَوجِبُ قَطْعَ اليَدِ ثَلاثَةَ دَراهِمَ، مَتى سَرَقَها أوْ سَرَقَ ما يَبْلُغُها ثَمَناً وَجَبَ القَطْعُ.

- الإمامُ الشّافِعِيُّ جَعَلَ النِّصابَ رُبعَ دِينارٍ أوْ مَا يُساوِيهِ.

- الإمامُ أحْمَدُ يَرى أنَّ كلاً مِنَ الدَّراهِمِ الثَّلاثَةِ وَرُبْعِ الدِّينارِ مَرَدٌّ شَرْعِيٌّ فَمَنْ سَرَقَ واحداً مِنْهُما أوْ مَا يُساوِيهِ قُطِعَ.

- الإمامُ أبو حَنِيفَةَ وَزُفَرُ جَعَلا النِّصابَ عَشَرَةَ دَراهِمَ مَضْرُوبَةٍ غَيْرَ مَغْشُوشَةٍ لأنَّ التُّرْسَ التِي قَطَعَ النَّبِيُّ يَدَ سارِقِها كانَ ثَمَنُها عَشرةَ دَراهِمَ وَجَعَلَ اللهُ عُقُوبَةَ القَطْعِ وَسِيلَةً تَرْدَعُ مَنْ فَكَّرَ فِي السَّرِقَةِ عَنِ الإِقْدامِ عَلَيها (نَكالاً مِنَ اللهِ)، وَجزاءً لِلسَّارِقِ عَلَى ٱرْتِكابِ فِعْلِ السَّرِقَةِ. وَاللهُ عَزِيزٌ فِي ٱنْتِقامِهِ، حَكِيمٌ فِي أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ، فَما أمَرَ بِأمْرٍ إلاَّ وَهُوَ صَلاحٌ، وَلاَ نَهى عَنْ أمْرٍ إلا وَهُوَ فَسادٌ.

نَكالاً - عُقُوبَةً رادِعَةً تَجْعَلُ مَنْ أرادَ الإِقْدامَ عَلَى الجُرْمِ يَنْكُلُ عَنْ ذَلِكَ.

٣٩ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(٣٩) - فَمَنْ تابَ مِنَ السَّارِقِينَ، بَعْدَ سَرِقَتِهِ، وَأنابَ إلَى اللهِ، فَإنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. أمَّا أمْوالُ النَّاسِ فَلا بُدَّ مِنْ رَدِّها إلَيْهِمْ، أوْ رَدِّ بَدَلِها.

وَيَقُولُ أبو حَنِيفَةَ: مَتَى قُطِعَتْ يَدُ السَّارِقِ، فَإنَّهُ لاَ يَرُدُّ بَدَلَ المَالِ المَسْرُوقِ إلى صاحِبِهِ إذا هَلَكَ المَسْرُوقُ فِي يَدِهِ.

(٤٠) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(٤١) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

ربع الحزب ١٢

وَتَثْبُتُ السَّرِقَةِ بِالإقْرارِ أَوِ البَيِّنَةِ، وَيَسْقُطُ الحَدُّ بِـالعَفْوِ عَنِ السَّـارِقِ قَبْلَ رَفْعِ أَمْرِهِ إِلَى الإِمَامِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٤٠) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ مَا فِيهِما، وَلاَ مُعَقِّبَ عَلى حُكْمِهِ، وَهُوَ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ، وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَادِرٌ.

(يَا أَيُّها) (يُسَارِعُونَ) (آمَنَّا) (بِأَفْوَاهِهِمْ) (سَمَّاعُونَ) (آخَرِينَ) (أُولَئِكَ) (الآخِرَةِ)

(٤١) ـ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَالتِي بَعْدَهَا فِي المُنافِقِينَ، الذِينَ يَقُولُـونَ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ، وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وَفِي أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ مِنَ اليَهُودِ، الذِينَ كَانُوا كَثِيرِي الاسْتِماعِ إِلى كَلامِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالإِخْبارِ عَنْـهُ، لأَجْلِ الكَـذِبِ عَلَيـهِ بِـالتَّحْرِيفِ وَاسْتِنْباطِ الشُّبُهَـاتِ، فَهُمْ جَـوَاسِيسُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ لأَعْدَائِهِمْ، مَهَمَّتُهُمْ إِبْلاغُ رُؤُوسِ الكُفْرِ أَعْداءِ الإِسْلامِ، كُلَّ مَا يَقِفُونَ عَلَيهِ لِيَكُونَ مَا يَفْتَرُونَـهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ مِنْ كَذِبٍ مَقْبُولاً، لأَنَّهُمْ يَرْوُونَ مَا يُقَالُ، وَيُحَرِّفُونَ فِيـهِ، وَكَانَ هَؤُلاءِ يَـأْتُونَ إِلى الرَّسُولِ ﷺ لِيَسْتَمِعُوا مِنْهُ، ثُمَّ يَنْقُلُونَ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنْهُ إِلى الرُّؤَساءِ ذَوِي الكَيْدِ، الذِينَ لَمْ يَأْتُوا إِلَى النَّبِيِّ لِيَسْتَمِعُوا مِنْهُ بِآذَانِهِمْ، إِمَّا كِبْراً وَإِمَّا تَمَرُّداً.

وَيَقُومُ الرُّؤَساءُ الرُّوحِيُّونَ مِنَ اليَهُودِ بِتَحْرِيفِ كَلامِ التَّـوراةِ مِنْ بَعْدِ أَنْ وَضَعَهُ اللهُ فِي مَوَاضِعِهِ، وَأَحْكَمَهُ، إِمَّـا تَحْرِيفاً لَفْظِيّاً، بِإِبْدَالِ كَلِمَةٍ بِكَلِمَةٍ، وَإِمَّا بِإِخْفَائِهِ وَكِتْمَانِهِ، وَإِما بِالزِّيَادَةِ فِيهِ، أَوْ بِالنَّقْصِ مِنْـهُ، وَإِمَّا تَحْرِيفاً مَعْنَـوِيّاً، بِحَمْـلِ اللَّفْظِ عَلَى مَعْنى يَخْتَلِفُ عَنِ المَعْنَى الذِي قَصَدَهُ الشَّارِعُ، وَيَقُـولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنْ حَكَمَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ الحُكْمَ الذِي تُرِيدُونَ فَاقْبَلُوهُ، وَإِنْ قَضَى بِغَيْرِهِ فَلا تَسْتَمِعُوا إِلَيهِ.

(وَهذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي يَهُودِيَّيْنِ زَنَيا بَعْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ بِقَلِيلٍ، وَكَانَ اليَهُودُ قَدْ تَخَلَّوْا عَنْ تَنْفِيذِ مَا شَرَعَهُ اللهُ لَهُمْ فِي التَّوراةِ مِنْ رَجْمِ الزُّنَاةِ المُحْصَنِينَ، فَحَرَّفُوا حُكْمَ اللهِ، وَاصْطَلَحُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى

جَلْدِ الزَّانِي مِئَةَ جَلْدَةٍ مَعَ صَبْغِ الوَجْهِ بِالسَّوَادِ (وَيُسَمُّونَهُ التَّحْمِيمَ). فَلَمَّا وَقعَتْ حَادِثَةُ الزِّنَى، قَالَ بَعْضُ اليَهُودِ لِبَعْضٍ تَعَالَوا نَتَحاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَإِنْ حَكَمَ بِالجَلْدِ، وَصَبْغِ الوَجْهِ بِالسَّوَادِ، فَخُذُوا ذٰلِكَ عَنْهُ، وَاجْعَلُوهُ حُجَّةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ، وَيَكُونُ نَبِيٌّ مِنْ أنبياءِ اللهِ قَدْ حَكَمَ بَيْنَكُمْ بِذٰلِكَ، وَإِنْ حَكَمَ بِالرَّجْمِ فَلا تَتَّبِعُوهُ. فَلَمَّا جَاؤوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ سَأَلَهُمْ عَمَّا فِي كِتَابِهِمْ فِي حُكْمِ الزُّنَاةِ، فَقالُوا نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. فَقالَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ - وَكَانَ حَبْراً مِنْ أَحْبَارِهِمْ ثُمَّ أَسْلَمَ - : كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهِ الرَّجْمَ).

وَمَنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْتَبِرَهُ فِي دِينِهِ فَيُظْهِرَ الاخْتِبَارُ كُفْرَهُ وَضَلَالَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ مِنَ اللهِ شَيْئاً، لأَنَّ اللهَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُطَهِّرَ قَلْبَهُ، وَلَا أَنْ يَهْدِيَهُ؛ وَلِهٰذَا الضَّالُّ خِزْيٌ فِي الدُّنيا، وَلَهُ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فَلَا تَحْزَنْ يَا مُحَمَّدُ بَعْدَ هٰذا عَلَى مُسَارَعَتِهِمْ فِي الكُفْرِ، وَلَا تَطْمَعْ فِي هِدَايَتِهِمْ إلى الإيمَانِ، فَإِنَّكَ لَا تَمْلِكُ لأَحَدٍ نَفْعاً، وَإِنَّمَا عَلَيكَ البَلَاغُ.

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ - يَسْمَعُونَ كَلامَكَ فَيُحَرِّفُونَ فِيهِ لِيَكْذِبُوا عَلَيكَ.
سَمَّاعُونَ لِقَومٍ آخَرِينَ - يَسْمَعُونَ كَلامَكَ لِلتَّجَسُّسِ عَلَيْكَ.
يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ - يُبَدِّلُونَهُ أَوْ يُؤَوِّلُونَهُ بِالبَاطِلِ.
خِزْيٌ - ذُلٌّ وَفَضِيحَةٌ.
الفِتْنَةُ - هِيَ الاخْتِبَارُ وَالابْتِلاءُ.

(٤٢) سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

(سَمَّاعُونَ) (أَكَّالُونَ)

(٤٢) - وَأَعَادَ اللهُ تَعَالَى وَصْفَهُمْ بِكَثْرَةِ السَّمَاعِ لِلْكَذِبِ، فَقَالَ: وَهُمْ سَمَّاعُونَ لِلْبَاطِلِ، أَكَّالُونَ لِلْمَالِ الحَرَامِ كَالرِّبَا وَالرِّشْوَةِ (السُّحْتِ)، فَإِذَا جَاؤُوكَ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ، فَلا عَلَيكَ أَنْ لَا تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ لأَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ، بِمَجِيئِهِمْ إِليكَ لِلتَّحَاكُمِ، اتِّبَاعَ الحَقِّ، بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ تَحْكُمَ لَهُمْ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ.

(وَهٰذا الحُكْمُ خَاصٌّ بِالمُعَاهِدِينَ دُونَ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَبِالنِّسْبَةِ لِلْمُعَاهِدِينَ لَا يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَهُمْ (كَالأَجَانِبِ المَوْجُودِينَ فِي بِلَادِ المُسْلِمِينَ)، وَإِنْ تَحَاكَمُوا إِلَيْهِمْ، بَلِ المُسْلِمُونَ مُخَيَّرُونَ فِي ذٰلِكَ حَسْبَمَا يَرَوْنَ فِيهِ المَصْلَحَةَ.

وَأَمَّا أَهْلُ الذِّمَّةِ فَيَجِبُ الحُكْمُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَحَاكَمُوا إِلَى المُسْلِمِينَ، لأَنَّ مَنْ أُخِذَتْ مِنْهُ الجِزْيَةُ تَجْرِي عَلَيهِ أَحْكَامُ الإِسْلَامِ، فِي البُيُوعِ وَالمَوَارِيثِ،

﴿٤٣﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ

﴿٤٤﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم

وَالعُقُودِ، عَدا بَيْعِ الخَمْرِ وَالخِنْزِيرِ).

(وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ هذا الحُكْمُ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى **﴿وأَن احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾**[1]).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَٱحْكُمْ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ، لأَنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يَقْضُونَ بِالعَدْلِ (المُقْسِطِينَ).

السُّحْتُ - المَالُ الحَرَامُ - كالرَّشْوَةِ وِالفَائِدَةِ وَالقِمَارِ.

بِالقِسْطِ - بِالعَدْلِ.

المُقْسِطِينَ - العَادِلِينَ فِي الحُكْمِ.

(التَّوْرَاةُ) (أولئِكَ)

(٤٣) - وَيُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلاءِ مَقَاصِدَهُمُ الزَّائِفَةَ، وَنِيَّاتِهِم الفَاسِدَةَ، فِي تَرْكِهِمْ مَا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ مِنَ الكِتَابِ الذِي بِأَيْدِيهِمْ، وَالذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مَأمُورُونَ بِالتَّمَسُّكِ بِهِ أبداً، ثُمَّ يَخْرُجُونَ عَنْ حُكْمِهِ إلَى غَيْرِهِ (القُرآنِ وَالإِسْلامِ)، مِمَّا يَعْتَقِدُونَ بُطْلانَهُ، وَعَدَمَ لُزُومِهِ لَهُمْ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ فِي أَمْرِ الزُّنَاةِ وَعِنْدَهُمُ التَّوراةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ، وَإذا أَرَدْتَ أَنْتَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا يَتَّفِقُ مَعَ شَرْعِهِمْ، لَمْ يَقْبَلُوا حُكْمَكَ (يَتَوَلَّوْنَ) لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُؤْمِنِينَ إِيمَاناً صَحِيحاً لاَ بِدِينِهِمْ، وَلاَ بِدِينِكَ.

يَتوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ - يُعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِكَ المُوافِقِ لِحُكْمِ التَّوراةِ بَعْدَ تَحْكِيمِكَ.

(التَّوراةَ) (وَالرَّبَّانِيُّونَ) (كِتَابِ) (بِآيَاتِي) (فَأولئِكَ) (الْكَافِرُونَ)

(٤٤) - يَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى التَّوراةَ، فَيَقُولُ: إِنَّهُ أَنْزَلَها وَفِيهَا هُدًى وَنُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا الأَنْبِيَاءُ الذِينَ أَسْلَمُوا وُجُوهَهُمْ لِرَبِّهِمْ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (وَهُمْ مُوسَى وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بَيْنَ اليَهُودِ لاَ يَخْرُجُونَ عَنْ حُكْمِهَا، وَلاَ يُبَدِّلُونَها وَلا يُحَرِّفُونَها. وَيَحْكُمُ بِهَا العُلَمَاءُ العُبَّادُ (الرَّبَّانِيُّونَ)، وَالعُلَمَاءُ (الأَحْبَارُ) بِمَا ٱسْتُودِعُوا (ٱسْتُحْفِظُوا) مِنْ كِتَابِ اللهِ الذِي أُمِرُوا بِأَنْ يَحْفَظُوهُ مِنَ التَّبْدِيلِ، وَبِأَنْ يُظْهِرُوهُ، وَيَعْمَلُوا بِأَحْكَامِهِ. ثُمَّ خَاطَبَ اللهُ تَعَالَى رُؤَسَاءَ اليَهُودِ الذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ التَّنْزِيلِ فَقَالَ: كَيْفَ لاَ يَخَافُونَ اللهَ فِي الكِتْمَانِ وَالتَّبْدِيلِ، بَعْدَ أَنْ قَصَّ

(١) الآية ٤٩ من سورة المائدة.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ

اللهُ تَعالَى عَلَيْهِمْ سِيرَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ بَني إِسْرائِيلَ عَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ وَيَرْعَوُونَ عَنْ غَيِّهِمْ. ثُمَّ قالَ لَهُمْ: وَإِذا كانَ الحالُ كَذلِكَ أَيُّها الأَحْبارُ، وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّكُمْ لاَ تُنْكِرُونَهُ، فَلاَ تَخْشَوا النَّاسَ فَتَكْتُمُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الكِتابِ، خَشْيَةَ النَّاسِ، أَوْ طَمَعاً فِي مَنْفَعَةٍ عاجِلَةٍ مِنْهُ، وَٱخْشَوْني أَنا وَٱقْتَدوا بِمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ وَالأَحْبارِ، وَٱحْفَظُوا التَّوراةَ، وَلاَ تَعْدِلُوا عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ النَّفْعَ وَالضَّرَرَ بِيَدِ اللهِ، وَلاَ تَتْرُكُوا بَيانَ أَحْكامِ التَّوراةِ لِلنَّاسِ، والعَمَلَ بِها، لِقاءَ مَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ قَلِيلَةٍ تَأْخُذُونَها مِنَ النَّاسِ كَرَشْوَةٍ أَوْ جاهٍ.

وَكُلُّ مَنْ يَرْغَبُ عَنِ الحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ شَرْعٍ، وَيُخْفِيهِ وَيَحْكُمُ بِغَيْرِهِ (كَحُكْمِ اليَهُودِ فِي الزَّانِيَيْنِ المُحْصَنَيْنِ بِالتَّحْمِيمِ وَالجَلْدِ، وَكِتْمَانِ الرَّجْمِ، وَقَضَائِهِمْ فِي بَعْضِ قَتْلاهُمْ بِدِيَةٍ كامِلَةٍ، وَفِي بَعْضِهِمْ بِنِصْفِ دِيَةٍ، **مَعَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَوَّى بَيْنَ الجَمِيعِ فِي الحُكْمِ**)، **فَأُولَئِكَ هُمُ** الكافِرُونَ الذِينَ سَتَرُوا الحَقَّ الذِي كانَ عَلَيهِمْ كَشْفُهُ وَتَبْيِينُهُ لِلنَّاسِ.

أَسْلَمُوا - ٱنْقَادُوا لِحُكْمِ رَبِّهِمْ فِي التَّوراةِ.

الرَّبَّانِيُّونَ - العُلَماءُ الفُقَهاءُ.

الأَحْبارُ - عُلَماءُ اليَهُودِ.

(٤٥) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ

(فَأُولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٤٥) - جاءَتِ التَّوْراةُ بِشِرْعَةِ القِصَاصِ: فَالنَّفْسُ تُقْتَلُ بِالنَّفْسِ، وَلَكِنَّ اليَهُودَ يُخالِفُونَ هذا الحُكْمَ عَمْداً وَعِناداً: فَقَدْ كانَتْ قَبِيلَتا بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ تَتَحارَبانِ وَتَتَقاتَلانِ، وَكانَتْ قَبِيلَةُ بَنِي النَّضِيرِ قَوِيَّةً عَزِيزَةَ الجانِبِ، وَكانَ بَنُو قُرَيْظَةَ ضُعَفاءَ أَذِلاَّءَ، فَكانَ النَّضِيرِيُّ إِذا قَتَلَ قُرَظِيّاً، لَمْ يَكُنْ لِيُقْتَلَ بِهِ، بَلْ يُعْدَلُ فِيهِ إِلى الدِّيَةِ. أَمَّا إِذا قَتَلَ القُرَظِيُّ نَضِيرِيّاً، فَكانَ يُقْتَلُ بِهِ، وَفِي ذَلِكَ مُخالَفَةٌ لِحُكْمِ التَّوراةِ.

كَما خالَفُوا حُكْمَ التَّوراةِ فِي تَرْكِ رَجْمِ الزَّانِي المُحْصَنِ، كَما أَمَرَتْ بِهِ التَّوراةُ، وَعَدَلُوا عَنْهُ إِلَى الجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ. وَقَضَتِ التَّوراةُ بِأَنْ تُفْقَأَ العَيْنُ بِالعَيْنِ، وَبِأَنْ يُجْدَعَ الأَنْفُ بِالأَنْفِ، وَأَنْ تُصْلَمَ الأُذْنُ بِالأُذْنِ، وَأَنْ تُنزَعَ السِّنُّ بِالسِّنِّ.

أَمَّا الجِراحُ فَيَتِمُّ فِيها القِصَاصُ إِذا كانَتْ فِي مِفْصَلٍ، فَتُقْطَعُ اليَدُ

وَالرِّجْلِ وَالكَفِّ وَالقَدَمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. أَمَّا إذا كَانَ الجُرْحُ فِي عَظْمٍ وَلَيْس فِي مِفْصَلٍ ، فَٱخْتُلِفَ فِي كَيْفِيَّةِ التَّطْبِيقِ.

فَمَنْ عَفَا وَتَصَدَّقَ بِحَقِّهِ فِي القِصَاصِ عَلَى الجَانِي، كَانَ التَّصَدُّقُ كَفَّارَةً لَهُ يَمْحُو اللهُ بِها قَدْراً مِنْ ذُنُوبِهِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى : وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كُتُبِهِ مِنْ شَرعٍ ، فَأولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُنْصِفُوا المَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، فِي أَمْرٍ أَمَرَ اللهُ بِالعَدْلِ وَالمُسَاوَاةِ فِيهِ بَيْنَ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

(٤٦) وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

(آثَارِهِم) (التَّوْرَاةِ) (وآتَيْنَاهُ)

(٤٦) ـ وَأَرْسَلْنَا مِنْ بَعْدِ هَؤُلاءِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مُؤْمِناً بِالتَّوراةِ، وَحَاكِماً بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامٍ ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيهِ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى لِلْحَقِّ، وَبَيَانٌ للأَحْكَامِ ، وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي إِزَالَةِ الشُّبُهَاتِ، وَحَلِّ المُشْكِلاتِ. وَجَاءَ الإِنْجِيلُ مُصَدِّقاً للتوراةِ، وَمُتَّبِعاً لَهَا، غَيْرَ مُخَالِفٍ لِمَا فِيها إلاّ فِي القَلِيلِ مِمَّا بَيَّنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْضَ مَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. وَجَعَلْنَا الإِنْجِيلَ هُدًى يَهْتَدِي بِهِ المُتَّقُونَ، وَوَاعِظاً وَزَاجِراً لَهُمْ عَنِ ٱرْتِكَابِ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَعَنِ ٱقْتِرَافِ المَآثِمِ.

قَفَّاهُ بِهِ ـ جَعَلَهُ يَقْفُو أَثَرَهُ.

(٤٧) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ

(أُولَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٤٧) ـ يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الإِنْجِيلِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الأَحْكَامِ ، وَبِأَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ شَرْعٍ يُؤْمِنُ بِهِ، كَانَ مِنَ الفَاسِقِينَ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَحُكْمِهِ.
الفَاسِقُونَ ـ الخَارِجُونَ مِنْ حَظِيرَةِ الدِّينِ، المُتَجَاوِزُونَ لأَحْكَامِهِ.

(٤٨) وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ

(الْكِتَابَ) (الْكِتَابِ) (وَاحِدَةً) (آتَاكُم) (الْخَيْرَاتِ)

(٤٨) ـ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى القُرآنَ (الكِتَابَ) إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِالحَقِّ وَالصِّدْقِ الذِي لا رَيْبَ فِيهِ، وَلا شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مُصَدِّقاً لِلْكُتُبِ السَّابِقَةِ المُتَضَمِّنَةِ ذِكْرَهُ وَمَدْحَهُ، وَالإِشَارَةَ إِلَى أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَكَانَ نُزُولُهُ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ مِمَّا زَادَهَا صِدْقاً عِنْدَ حَامِلِيها مِنْ ذَوِي البَصَائِرِ، الذِينَ ٱتَّبَعُوا أَمْرَ اللهِ وَشَرْعَهُ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ.

جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

وَالقُرآنُ جاءَ أَميناً عَلى الكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَشاهِداً عَلَيها بِالحَقِّ وَالصِّحَّةِ بِما بَيَّنَهُ مِنْ حَقيقَةِ أَمْرِها (مُهَيمناً عَلَيه)، وَمُبَيِّناً حَالَ مَنْ خُوطِبُوا بِها: مِنْ نِسْيانِ حَظٍّ عَظيمٍ مِنْها، وَتَحْريفِ كَثيرٍ مِمَّا بَقِيَ، أَوْ تَأويلِهِ، وَالإِعْراضِ عَنِ العَمَلِ بِهِ.

وَبِما أَنَّ القُرآنَ جاءَ رَقيباً وَأَميناً وَشاهِداً (مُهَيْمِناً) عَلى الكُتُبِ السَّابِقَةِ، التي أَنْزَلَها اللهُ عَلى أَنْبِيائِهِ، فَاحْكُمْ يا مُحَمَّدُ بَيْنَ أَهْلِ الكِتابِ - إذا تَحاكَمُوا إِلَيكَ - بِما أَنزَلَ اللهُ إِلَيكَ مِنَ الأَحْكامِ، دُونَ ما أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيهِمْ، لأَنَّ شَريعَتَكَ ناسِخَةٌ لِشَريعَتِهِمْ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَرَغَباتِهِمْ في الحُكْمِ لَهُمْ بِما يَسْهُلُ عَلَيهِمْ، وَيَخِفُّ ٱحْتِمالُهُ.

ثُمَّ يَذْكُرُ اللهُ تَعالَى أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ شَريعَةً أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ إِقامَةَ أَحْكامِها، وَمِنْهاجاً وَطَريقاً فَرَضَ عَلَيهِمْ سُلُوكَهُ لِتَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ (فَأَصْلُ الدِّينِ واحِدٌ، وَلَكِنَّ الشَّرائِعَ العَمَلِيَّةَ تَخْتَلِفُ بِٱخْتِلافِ أَحْوالِ البَشَرِ، وَطِباعِهِمْ وَٱسْتِعْدادِهِمْ).

وَلَوْ شاءَ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحدَةً، ذَاتَ شَريعَةٍ واحِدَةٍ وَمِنْهاجٍ واحِدٍ، يَسيرُونَ عَلَيْهِ، لَفَعَلَ، وَلَكِنَّهُ تَعالَى لَمْ يَشَأْ، لِيَخْتَبِرَهُمْ فِيما شَرَعَ لَهُمْ، وَلِيُثِيبَهُمْ عَلى طاعَتِهِ، وَيُعاقِبَهُمْ عَلى مَعْصِيَتِهِ.

وَيَحُثُّ اللهُ تَعالَى النَّاسَ عَلى المُبادَرَةِ وَالإِسراعِ إِلى طاعَةِ اللهِ، وَٱتِّباعِ شَرْعِهِ الذي جَعَلَهُ ناسِخاً ما قَبْلَهُ مِنَ الشَّرائِعِ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ إِلَيهِ مَرْجِعَهُمْ وَمَصيرَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيُخْبِرُهُمْ بِما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ، وَيَجْزي كُلَّ عامِلٍ بِعَمَلِهِ.

المِنْهاجُ - السُّنَّةُ وَالسَّبِيلُ.

الابْتِلاءُ - الاخْتِبارُ.

مُهَيْمناً - أَميناً عَلى الكُتُبِ السَّابِقَةِ وَشاهِداً عَلَيها.

ٱسْتَبِقُوا الخَيْراتِ - ٱبْتَدِرُوا إِلَيها وَسارِعُوا.

٤٩ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ

(لَفاسِقُونَ)

(٤٩) - قَالَ بَعْضُ رُؤَساءِ اليَهُودِ لِبَعْضٍ: ٱذْهَبُوا بِنا إِلى مُحَمَّدٍ لَعَلَّنا نَفْتِنُهُ عَنْ دِينِهِ. فَأَتَوْهُ فَقالُوا: يا مُحَمَّدُ إِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّا أَحْبارُ يَهُودَ وَأَشْرافُهُمْ وَسادَتُهُمْ، وَإِنَّا إِنِ ٱتَّبَعْناكَ ٱتَّبَعَنا يَهُودُ وَلَمْ يُخالِفُونا، وَإِنَّ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا خُصُومَةً، فَنُخاصِمُهُمْ إِلَيكَ فَتَقْضِي لَنا عَلَيهِمْ، وَنُؤْمِنُ لَكَ وَنُصَدِّقُكَ فَأَبَى الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى هَذِهِ الآيَةَ فِيهِمْ.

ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الكِتَابِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيهِ فِي القُرآنِ، وَيُحَذِّرُهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ اليَهُودُ، وَيَصْرِفُوهُ عَنِ الحَقِّ، وَيَأْمُرُهُ بِأَلاَّ يَغْتَرَّ بِهِمْ، فَهُمْ كَذَبَةٌ كَفَرَةٌ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ حُكْمِكَ بَعْدَ تَحَاكُمِهِمْ إِلَيْكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ عَنْ إِرَادَةِ اللهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ فِيهِمْ، أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنِ الهُدَى لِيُعَذِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ، وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، مُخَالِفُونَ لِلْحَقِّ.

أَنْ يَفْتِنُوكَ - أَنْ يَمِيلُوا بِكَ عَنِ الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ.

(٥٠) أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

(الجَاهِلِيَّةِ)

(٥٠) - أَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ حُكْمِكَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؟ فَهَلْ يُرِيدُونَ حُكْماً كَحُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ المَبْنِيِّ عَلَى التَّحَيُّزِ وَالهَوَى، وَتَرْجِيحِ جَانِبِ القَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً، وَمَنْ أَعْدَلُ مِنْهُ فَصْلاً؟ لِمَنْ عَقَلَ شَرْعَ اللهِ وَآمَنَ بِهِ؟

(نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ حِينَما تَخَاصَمَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَهُودٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَيَهُودٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، طَالِبِينَ إِلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا كَانُوا اتَّفَقُوا عَلَيهِ فِي المَاضِي (أَيَّامَ الجَاهِلِيَّةِ) مِنْ أَنْ تَكُونَ دِيَةُ القُرَظِيِّ نِصْفَ دِيَةِ النَّضِيرِيِّ، لأَنَّ بَنِي النَّضِيرِ كَانُوا أَقْوَى مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَأَعَزَّ جَانِباً، فَفَرَضُوا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ (القَتْلَى بَوَاءٌ - أَيْ سَوَاءٌ). فَقَالَ بَنُو النَّضِيرِ: لاَ نَقْبَلُ ذَلِكَ).

نصف الحزب ١٢

(٥١) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (وَالنَّصَارَى) (الظَّالِمِينَ)

(٥١) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالاَةِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَاتِّخَاذِهِمْ حُلَفَاءَ لَهُمْ عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ مَنْ يَتَّخِذُهُمْ نُصَرَاءَ وَحُلَفَاءَ وَأَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ مِنْهُمْ فِي التَّحَزُّبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ بَرِيئَانِ مِنْهُ. وَمَنْ يَتَوَلَّى أَعْدَاءَ اللهِ فَهُوَ ظَالِمٌ، وَاللهُ لاَ يَهْدِيهِ إِلى الخَيْرِ. وَاليَهُودُ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ وَلِيٌّ وَلاَ نَصِيرٌ.

الوَلاَيَةُ - التَّنَاصُرُ وَالمُحَالَفَةُ.

﴿٥٢﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ

(يُسَارِعُونَ) (دَائِرَةٌ) (نَادِمِينَ)

(٥٢) ـ وإذ كانَتْ ولاَيَةُ أهْلِ الكِتابِ لاَ يَتْبَعُها إلاّ الظَّالِمُونَ فإنَّكَ تَرى الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَنِفَاقٌ (مَرَضٌ) يُبَادِرُونَ إلى مُوَالاَتِهِمْ، وَإلى مُوادَّتِهِمْ فِي البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَيَتَأوَّلُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَفي مُوَالاتِهِمْ، أنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أنْ يَقَعَ أمْرٌ مِنْ ظَفَرِ الكافِرِينَ بالمُسْلِمِينَ (تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) فَتَكُونَ لَهُمْ أيَادٍ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصارَى، فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ حِينَئِذٍ. فَعَسَى اللهُ أنْ يُتِمَّ أمْرَهُ بِنَصْرِ المُسْلِمِينَ، وَيُحَقِّقَ لَهُمُ الفَتْحَ وَالغَلَبَةَ، أوْ يَتِمَّ أمْرٌ مِنْ عِنْدِهِ كَفَرْضِ الجِزْيَةِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيُصْبِحَ الذِينَ وَالَوْا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ المُنَافِقِينَ نَادِمِينَ عَلَى مَا أسَرُّوا فِي أنفُسِهِمْ مِنْ مُوَالاَةِ هَؤُلاءِ تَحَسُّباً لِمَا لَمْ يَقَعْ، وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ شَيْئاً، وَلا دَفَعَ عَنْهُمْ مَحْذُوراً.

(هَذِهِ الآيَةُ وَالتِي قَبْلَهَا نَزَلَتَا فِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ مِنَ الخَزْرَجِ ، فَقَدْ كَانَ لَهُمَا حُلَفَاءُ مِنَ اليَهُودِ، فَجَاءَ عُبَادَةُ إلى الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لِي مَوَالٍ مِنَ اليَهُودِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، وَإنِي أبرأ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ وَلاَيَةِ يَهُودٍ، وَأتَوَلَّى اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ بْنِ سَلُولٍ : إنِّي رَجُلٌ أخَافُ الدَّوائِرَ وَلاَ أبرأ مِنْ وَلاَيَةِ مَوَالِيَّ).

الدَّائِرَةُ ـ مَا يَدُورُ بِهِ الزَّمَانُ مِنَ المَصَائِبِ.
الفَتْحُ ـ القَضَاءُ ـ أوْ فَتْحُ المُدُنِ وَغَيْرِهَا أوْ نَصْرُ الرَّسُولِ.
أسَرُّوا ـ أخفَوْا فِي أنْفُسِهِمْ.

﴿٥٣﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ

(آمَنُوا) (أيْمَانِهِمْ) (أعْمَالُهُمْ) (خَاسِرِينَ)

(٥٣) ـ لَمَّا ٱلتجَأ هَؤُلاءِ المُنَافِقُونَ إلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى يُوَالُونَهُمْ وَيُوادُّونَهُمْ، ٱفْتَضَحَ أمْرُهُمْ لِعِبَادِ اللهِ المُؤْمِنِينَ، بَعْدَ أنْ كَانُوا يَتَسَتَّرُونَ، لاَ يَدْرِي أحَدٌ كَيْفَ حَالُهُمْ، فَتَعَجَّبَ المُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ، كَيْفَ كَانُوا يُظْهِرُونَ أنَّهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ، يُعَاضِدُونَهُمْ وَيُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى أعْدَائِهِم اليَهُودِ، فَلَمَّا جَدَّ الجِدُّ أظْهَرُوا مَا كَانُوا يُخفُونَ مِنْ مُوَالاتِهِمْ وَمُمَالأتِهِمْ عَلَى المُؤْمِنِينَ. وَلَمَّا ٱسْتَبَانَ حَالُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: لَقَدْ هَلَكَتْ أعْمَالُ هَؤُلاءِ المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاَةٍ وَصَوْمٍ وَزَكَاةٍ وَجِهَادٍ، وَخَسِرُوا بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَرْجُونَهُ مِنَ الثَّوَابِ.
حَبِطَتْ أعْمَالُهم ـ هَلَكَتْ وَبَطَلَتْ.

﴿٥٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ) (يُجَاهِدُونَ) (لائِمٍ) (وَاسِعٌ)

(٥٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَيَقُولُ إنَّ الذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ إلى الكُفْرِ، وَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ نُصْرَةِ دِينِهِ، وَإقَامَةِ شَرِيعَتِهِ، فَإنَّ اللهَ سَيَسْتَبْدِلُ بِهِمْ مَنْ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأشَدُّ مَنَعَةً، وَأقْوَمُ سَبِيلاً، يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، يَتَّصِفُونَ بِصِفَاتِ المُؤْمِنِينَ وَهِيَ: العِزَّةُ عَلَى الكَافِرِينَ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوَاضُعُ مَعَ المُؤْمِنِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلاَ يَرُدُّهُمْ رَادٌّ عَنْ إذاعَةِ أَمْرِ اللهِ، وَإقَامَةِ حُدُودِهِ، وَقِتَالِ أعْدَائِهِ، يَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ. وَمَن اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيهِ كَبِيراً، وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ فَيُعْطِيهِ، مِمَّنْ لاَ يَسْتَحِقُّهُ فَيَحْرِمُهُ إيَّاهُ.

(وَقِيلَ إنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أبي بَكْرٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَقَدْ عَلِمَ اللهُ أنَّ النَّاسَ سَيَرْتَدُّونَ عَنِ الإِسْلاَمِ، وَأنَّ عُصْبَةً مِنَ المُؤْمِنِينَ، مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ، سَيَقُومُونَ بِمُحَارَبَةِ المُرْتَدِّينَ، وَأنَّهُمْ سَيَثْبُتُونَ فِي حَرْبِهِمْ حَتَّى يُتِمَّ اللهُ نَصْرَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ).

الارْتِدَادُ عَنِ الدِّينِ - العَوْدَةُ إلَى الكُفْرِ بَعْدَ الإِيمَانِ.
أذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ - يَتَواضَعُونَ مَعَ المُؤْمِنِينَ رَحْمَةً بِهِمْ.
أعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ - أشِدَّاءَ عَلَيهِمْ.
لَوْمَةَ لائِمٍ - اعْتِرَاضَ مُعْتَرِضٍ فِي نَصْرِهِم الدِّينَ.

﴿٥٥﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ

(آمَنُوا) (الصَّلاَةَ) (الزَّكَاةَ) (رَاكِعُونَ)

(٥٥) - يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى مُوَالاَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أمْوَالِهِمْ، وَيُسَاعِدُونَ المُحْتَاجِينَ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالمَسَاكِينِ، وَهُمْ دَائِمُو الرُّكُوعِ للهِ.

(نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ حِينَ بَرِىءَ مِنْ مُوالاةِ اليَهُودِ، وَرَضِيَ بِمُوَالاَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ).

﴿٥٦﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ

(آمَنُوا) (الْغَالِبُونَ)

(٥٦) - وَكُلُّ مَنْ رَضِيَ بِمُوَالاَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ هُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ مَنْصُورٌ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، لأنَّهُ يَكُونُ فِي حِزْبِ اللهِ، وَحِزْبُ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ، وَلا يُغْلَبُ مَنْ يَتَوَلاَّهُمُ اللهُ.

﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (الْكِتَابَ)

(٥٧) - يُنفِّرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ مِنْ مُوَالاَةِ أَعْدَاءِ الإِسْلامِ، مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَمِنَ المُشْرِكِينَ، الذِينَ يَتَّخِذُونَ شَرَائِعَ الإِسْلامِ المُطَهَّرَةَ، هُزُوًا يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، وَيَعدُّونَها نَوْعاً مِنَ اللَّعِبِ، وَيَتَمَنَّوْنَ زَوَالَ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، وَيَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَبِألاَّ يَتَّخِذُوا هؤُلاءِ الأَعْدَاءَ أَوْلِيَاءَ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِشَرْعِ اللهِ حَقّاً وَصِدْقاً.

هُزُوًا وَلَعِباً - سُخْرِيَةً وَهَزلاً.

﴿٥٨﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ

(الصَّلاةِ)

(٥٨) - وَهؤُلاَءِ الأَعْدَاءُ يَسْخَرُونَ مِنَ الأَذَانِ، وَمِنَ الصَّلاَةِ، وَمِنَ العِبَادَةِ، وَيَتَّخِذُونَهَا هُزُواً وَلَعِباً وَسُخْرِيَةً، لأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ مَعْنَى العِبَادَةِ، وَلاَ مَعْنَى شَرْعِ اللهِ، وَالصَّلاةُ أَكرَمُ شيءٍ وَأَفْضَلُهُ لِمَنْ يَعْقِلُ وَيَعْلَمُ.

﴿٥٩﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ) (آمَنَّا) (فَاسِقُونَ)

(٥٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لهؤلاءِ الذِينَ يَتَّخِذُونَ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ: هَلْ لَكُمْ مَطْعَنٌ عَلينا، وَمَا الذِي تَعِيبُونَهُ عَلينا، وَتَنْقِمُونَهُ مِنَّا، غَيْرَ إِيمانِنَا بِرَبِّنا، وَبِمَا أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَى أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ قَبْلِنَا، وَغَيْرَ إِيمانِنَا - يَا أَهْلَ الكِتَابِ - بِأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَعَنْ طَرِيقِ الهُدَى؟

نَقَمَ عَلَيهِ - أَنْكَرَ عَلَيهِ أَوْ عَابَهُ.

﴿٦٠﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ

(الطَّاغُوتَ) (أولَئِكَ)

(٦٠) - قُلْ لهؤلاءِ المُسْتَهْزِئِينَ بِالدِّينِ وَالعِبَادَةِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِمَنْ هُوَ شَرٌّ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ، وَبِمَنْ يَنَالُهُ عِنْدَهُ أَسْوَأُ الجَزَاءِ: أولئِكَ هُمُ الذِينَ لَعَنَهُمَ اللهُ، وَغَضِبَ عَلَيهِمْ غَضَباً شَدِيداً لاَ يَرْضَى عَنْهُمْ بَعْدَهُ أَبداً، وَمَسَخَهُم فَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَةَ الطَّاغُوتِ... فَهؤُلاءِ هُمْ شَرٌّ مَكاناً، وَشَرٌّ مَثُوبَةً وَجَزاءً عِنْدَ اللهِ، وَأَكْثَرُ ضَلالاً عَنِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ.

المَثُوبَةُ - الجَزَاءُ.

عَبَدَ الطَّاغُوتَ - أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.

سَواءِ السَّبِيلِ - الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ وَهَوَ الإِسْلاَمُ.

(٦١) وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ

(آمنَّا)

(٦١) - وإذا جاءكُم، هؤُلاءِ المُنافِقُونَ واليَهُودُ السَّاخِرُونَ، تظاهَرُوا بالإيمانِ، مَعَ أنَّ قُلوبَهُمْ في الحَقِيقَةِ مُنْطوِيَةٌ عَلى الكُفْرِ، فَيَدْخُلُونَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، والكُفْرُ في قُلوبِهِمْ، فَيَسْمَعُونَ مِنْهُ العِلْمَ والقُرآنَ، وأحْكَامَ الدِّينِ، وَالمَوَاعِظَ والزَّوَاجِرَ، وَلكِنَّهُمْ لاَ يَنْتَفِعُونَ بشَيءٍ مِنْ ذلِكَ، ويَخْرُجُونَ كَمَا دَخَلُوا وَالكُفْرُ في قُلُوبِهِمْ، وَاللهُ عَالِمٌ بِمَا في سَرائِرهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ مِنَ الكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَإنْ أظْهَرُوا لِخَلْقِ اللهِ غَيْرَ ذلِكَ، وَتزَيَّنُوا بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ.

(٦٢) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ

(يُسَارِعُونَ) (العُدْوَانِ)

(٦٢) - وَتَرَى كَثيراً مِنْ هؤُلاءِ المُنَافِقِينَ وَأهْلِ الكِتَابِ يُبادِرُونَ إلَى ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ المَآثِمِ وَالمَحَارِمِ، بِالاعْتِداءِ عَلَى النَّاسِ، وَأكْلِ أمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ (أكْلِهِم السُّحْتَ)، وَلَبِئْسَ العَمَلُ عَمَلُهُمْ، وبِئْسَ الاعْتَداءُ اعْتِداؤُهُمْ، وَلَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ مِنْ أنَّ مَجِيئَهُمْ إلَى النَّبِيِّ ﷺ إنَّمَا هُوَ لِتَسَقُّطِ الأخْبَارِ، وَالتَّوَسُّلِ إلَى ذَلِكَ بالنِّفَاقِ وَالخِدَاعِ.

يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ - يُبَادِرُونَ إلى ارْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ.

أكْلِهِمُ السُّحْتَ - أكْلِ المَالِ بِصُورَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ كَالقِمَارِ وَالسَّرِقَةِ وَالرِّبَا وَالغِشِّ وَالرِّشْوَةِ.

(٦٣) لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ

(يَنْهَاهُمُ) (الرَّبَّانِيُّونَ)

(٦٣) - هَلاَّ نَهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأحْبَارُ مِنْهُمْ عَنْ قَوْلِ الإثْمِ وَالفُحْشِ، وَعَنْ أكْلِ أمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ؟ فَلَبِئْسَ مَا صَنَعَ هؤُلاءِ الأحْبَارُ وَالرَّبَّانِيُّونَ مِن تَرْكِ النَّصِيحَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ المَعَاصِي، وَلَبِئْسَ مَا صَنَعَ هؤُلاءِ الآثِمُونَ.

الرَّبَّانِيُّونَ - العُلَمَاءُ العُمَّالُ أرْبَابُ الوَلاَيَةِ عِنْدَ اليَهُودِ.

الأحْبَارُ - العُلَمَاءُ.

(٦٤) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ

(طُغْيَاناً) (العَداوَةَ) (القِيامَةِ)

(٦٤) - أخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أنَّ بَعْضَ اليَهُودِ وَصَفُوهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِأنَّهُ بَخِيلٌ (يَدُهُ مَغْلُولَةٌ)، كَمَا وَصَفُوهُ بِأنَّهُ فَقِيرٌ، وَهُمُ الأغْنِيَاءُ، فَلَعَنَهُمُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِمْ هَذا، وَدَعَا عَلَيهِمْ بِالبُخْلِ (غُلَّتْ أيْدِيهِمْ)، وبِانْقِبَاضِ أيْدِيهِمْ عَنِ الإنْفَاقِ فِي سَبيلِ اللهِ، وَفِي سَبِيلِ الخَيْرِ.

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ

(وَقيلَ بَلِ المَقْصُودُ هُنا هُوَ أنَّ اللهَ تَعالَى دَعا عَلَيهِمْ بِأنْ تُغَلَّ أيْدِيهِمْ بِالقُيُودِ وَالأَغْلالِ، وَتُرْبَطَ إلَى أعْنَاقِهِمْ فِي الدُّنْيا وَهُمْ أُسَارَى، وَفِي الآخِرَةِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ).

وَرَدَّ اللهُ تَعالَى عَلَيهِمْ قائِلاً: إنَّ يَدَيهِ مَبْسُوطَتَانِ كَرَماً وَجُوداً، وَهُوَ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ.

وَيَقُولُ تَعالَى لِنَبِيِّه ﷺ إنَّ مَا أنْزَلَهُ اللهُ عَلَيهِ مِنْ خَفِيِّ أُمُورِ هَؤُلاءِ اليَهُودِ المُعَاصِرِينَ لِلرَّسُولِ، وَمِنْ أحْوالِ أسْلافِهِمْ، وَشُؤُونِ كُتُبِهِمْ، وَحَقَائِقِ تَارِيخِهِمْ... هُوَ مِنْ أعْظَمِ الأدِلَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَصِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَكَانَ مِنَ المُفْتَرَضِ أنْ يَدْفَعَهُمْ هَذا إلى الإيمانِ بِمُحَمَّدٍ وَتَصْدِيقِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لِطُغْيَانِهِمْ وَتَجاوُزِهِمُ الحُدُودَ فِي الكُفْرِوَالحَسَدِللمسلمينَ لَمْ يَدْفَعْ ذَلِكَ إلى الإيمانِ إلاّ قَليلاً مِنْهُمْ، وَلَنْ يَزِيدَ أكْثَرَهُمْ إلاّ طُغْيَاناً فِي بُغْضِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَدَاوَتِهِ، وَكُفْراً بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

ثُمَّ أخْبَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أنَّهُ ألْقَى بَيْنَ هَؤُلاءِ الكَفَرَةِ الحَاسِدِينَ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ، وَسَتَسْتَمِرَّانِ بَيْنَهُمْ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلا تَجْتَمِعُ قُلُوبُهُمْ عَلَى كَلِمَةِ حَقٍّ، وَسَتَشْغَلُهُمْ عَدَاوَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَنِ الاجْتِمَاعِ عَلَى قِتَالِ المُؤْمِنِينَ، وَأنَّهُمْ كُلَّما شَرَعُوا فِي إيقادِ نَارِ الحَرْبِ وَالفِتْنَةِ أطْفَأهَا اللهُ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ إلى نُحُورِهِمْ، وَحَاقَ بِهِمْ مَكْرُهُم السَّيِّءُ، لأنَّهُمْ يَسْعَوْنَ إلى الإفْسَادِ فِي الأرْضِ، وَاللهُ لا يُحِبُّ أهْلَ الفَسَادِ.

يَدُهُ مَغْلُولَةٌ - يَدُهُ مَشْدُودَةٌ بِالقَيْدِ إلى عُنُقِهِ وَالتَّعْبِيرُ هُنَا يُقْصَدُ بِهِ الكِنَايَةُ عَنِ البُخْلِ.

أوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ - أعَدُّوا العُدَّةَ لِشَنِّ الحَرْبِ.

يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ - مُنْبَسِطَةٌ وَيُرادُ بِها هُنَا التَّعْبِيرُ عَنِ الكَرَمِ.

(الْكِتَابِ) (آمَنُوا) (وَلأدْخَلْنَاهُمْ) (جَنَّاتِ)

٦٥ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ

(٦٥) - وَلَوْ أنَّ هَؤُلاءِ اليَهُودَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَاتَّقَوْا مَا كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنَ المَحَارِمِ وَالمَآثِمِ، لَكَفَّرَ اللهُ عَنْهُمُ السَّيِّئَاتِ التي اقْتَرَفُوهَا، وَلَغَفَرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَلأدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ فِي الآخِرَةِ.

كَفَّرْنَا - غَفَرْنَا لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ.

(التَّوْرَاةَ)

٦٦ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم

(٦٦) - وَلَوْ أنَّهُمْ عَمِلُوا بِمَا فِي الكِتَابِ الذي أُنْزِلَ إلَيْهِمْ، كَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، دُونَ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَبْدِيلٍ، لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إلى اتِّبَاعِ الحَقِّ،

مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ

(٦٧) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ

ثلاثة أرباع الحزب ١٢

(٦٨) قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ

وَالعَمَلِ بِمُقْتَضى ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، لأنَّ كُلاً مِنَ التَّوْراةِ وَالإنْجيلِ بَشَّرَ بِنَبِيٍّ يَكُونُ مِنْ أَوْلادِ إسْماعِيلَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ آتَّبَعُوا الحَقَّ، وَآمَنُوا بِرِسالَةِ مُحَمَّدٍ الذي بَشَّرَ بِهِ كِتابُهُمْ، لَوَسَّعَ اللهُ عَلَيهِمْ رِزْقَهُمْ، وَلأغْدَقَتِ السَّماءُ عَلَيهِمْ مَطَرَها وبَرَكاتِها، ولأخْرَجَتْ لَهُمْ خَيْراتِها.

وَلَكِنَّ قِلَّةً مِنْهُمْ مُؤْمِنَةٌ مُلْتَزِمَةٌ بِأحْكامِ مَا شَرَعَ اللهُ لَهُمْ، وَأكْثَرُهُمْ طُغاةٌ مُجاوِزُونَ لأوامِرِ اللهِ، وَساءَ عَمَلُهُمْ.

مُقْتَصِدَةٌ - مُعْتَدِلَةٌ وَهُمْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ.

أقامُوا التَّوراةَ - عَمِلُوا بِأحْكامِها تَماماً كَما أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

(يَا أيُّها) (الْكافِرِينَ)

(٦٧) - يَأمُرُ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺ بِأنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ جَميعَ ما أنْزَلَهُ اللهُ عَلَيهِ لِيُبَلِّغَهُمْ إيّاهُ، وَقَدِ آمْتَثَلَ عَلَيهِ السَّلامُ لأمْرِ رَبِّهِ.

وَيَقُولُ تَعالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: فَإذا لَمْ تَقُمْ بِما أُمِرْتَ بِهِ لا تَكُونُ قَدْ بَلَّغْتَ رِسالَةَ رَبِّكَ. ثُمَّ يَقُولُ اللهُ لِرَسُولِهِ: لا تَخَفْ مِنْ أنْ يَصِلَ إلَيكَ أحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِأذًى، فَأنْتَ فِي حِفْظِ اللهِ وَرِعَايَتِهِ، وَهُوَ يَمْنَعُكَ مِنْهُمْ، وَيَحْفَظُكَ وَيُؤَيِّدُكَ بِنَصْرِهِ. وَاللهُ هُوَ الذِي يَهْدِي مَنْ يَشاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ، وَهُوَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ إلَى الطَّرِيقِ السَّوِيِّ.

[وَعَنْ عائِشَةَ رِضْوانُ اللهِ عَلَيها أنَّها قالَتْ: لَوْ كانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كاتِماً شَيْئاً مِنَ القُرآنِ لَكَتَمَ الآيَةَ ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحَقُّ أنْ تَخْشَاهُ**﴾][(1)].

يَعْصِمُكَ - يَمْنَعُكَ وَيَحْمِيكَ.

(يَا أهْلَ الْكِتابِ) (التَّوْراةَ) (طُغْياناً) (الْكافِرِينَ)

(٦٨) - قُلْ لأهْلِ الكِتابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصارَى فِيما تُبَلِّغُهُمْ إيّاهُ عَنْ رَبِّهِمْ: لَسْتُمْ عَلَى شَيءٍ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أمْرِ الدِّينِ وَالهُدَى حَتَّى تُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ ما بِأيْدِيكُمْ مِنَ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ، وَتَعْمَلُوا بِما فِيها، وَمِنْها الإيمانُ بِمُحَمَّدٍ، وَالأمْرُ بِآتِّباعِهِ، وَالإيمانُ بِمَبْعَثِهِ، وَالاقْتِداءُ بِشَرِيعَتِهِ، وَسَيُثِيرُ مَا أنْزَلْنا عَلَيكَ يا مُحَمَّدُ، مِنَ القُرآنِ وَالهُدَى، كَثِيراً مِنَ الحَسَدِ وَالحِقْدِ وَالطُّغْيانِ وَالكُفْرِ فِي نُفُوسِ الكَثِيرِينَ مِنْ هَؤُلاءِ، وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَيكَ أنْ تَهْتَمَّ بِذَلِكَ، أوْ تَحْزَنَ لَهُ.

---

(١) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب.

﴿٦٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿٧٠﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ

﴿٧١﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ

لاَ تأسَ - لاَ تَحْزَنْ وَلاَ تَأسَفْ.
يَزِيدُهُمْ طُغْيَاناً - يَزِيدُهُمْ إمْعَاناً فِي الحَسَدِ.

(آمَنُوا) (والصَّابِئُون) (والنَّصَارَى) (آمَنَ) (صَالِحاً)

(٦٩) - الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ (المُسْلِمُونَ)، وَالذِينَ هَادُوا (أَهْلُ التَّوراةِ)، وَالصَّابِئُونَ (وَهُمْ طَائِفَةٌ يَعْبُدُونَ النُّجُومَ، وَقِيلَ بَلْ إنَّهُمْ يَعْبُدُونَ المَلاَئِكَةَ وَيَقْرَؤُونَ الزَّبُورَ)، وَالنَّصَارَى (أَهْلُ الإِنْجِيلِ)، مَنْ أَخْلَصَ مِنْهُم الإِيمَانَ للهِ، وَمَنْ آمَنَ بِاليَومِ الآخِرِ، وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً يَرْضَاهُ اللهُ، فَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوالِ القِيَامَةِ، وَلاَ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ مِنْ لَذَّاتِ الدُّنيا وَعَيْشِهَا، بَعْدَ أَنْ يُعَايِنُوا مَا أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوابِ.
الصَّابِئُونَ - عُبَّادُ الكَوَاكِبِ أَوْ عُبَّادُ المَلاَئِكَةِ.

(مِيثَاقَ) (إِسْرَائِيلَ)

(٧٠) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَخذَ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي التَّوراةِ، عَلَى تَوْحِيدِهِ تَعَالَى، وَعَلَى اتِّبَاعِ الأَحْكَامِ التِي شَرَعَهَا لِهَدْيِ خَلْقِهِ، وَعَلَى تَحَلِّيهِمْ بِالفَضَائِلِ وَمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ للهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّهُ أَرسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيِّينَ لِيُبَيِّنُوا لَهُمْ أَحْكَامَ التَّوراةِ، وَيُؤَكِّدُوا عَهْدَ اللهِ، فَنَقَضُوا العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، وَاتَّبَعُوا آرَاءَهُمْ، وَقَدَّمُوهَا عَلَى الشَّرَائِعِ، فَمَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ قَبِلُوهُ، وَمَا خَالَفَها رَدُّوهُ، وَرَفَضُوهُ، وَكُلَّما جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَاه أَنْفُسُهُمْ، وَلاَ يَتَّفِقُ مَعَ رَغَبَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، كَذَّبُوهُ أَوْ قَتَلُوهُ.
المِيثَاقُ - العَهْدُ المُوَثَّقُ بالإِيْمَانِ.
بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ - بِمَا لاَ يُحِبُّونَ وَلاَ يُوافِقُ مِزَاجَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ.

(٧١) - وَظَنُّوا أَنَّ اللهَ لَنْ يَخْتَبِرَهُمْ بِشَدَائِدِ الأُمُورِ، كَتَسْلِيطِ الأُمَمِ القَوِيَّةِ عَلَيْهِمْ بِالقَتْلِ وَالتَّخْرِيبِ وَالاضْطِهَادِ، لِمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ مِنْ أَنَّهُمْ أَبنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَلِمَا كَانُوا يَظُنُّونَهُ مِنْ أَنَّ نُبُوَّةَ أَنْبِيائِهِمْ سَتَدْفَعُ عَنْهُمُ العِقَابَ الذِي يَسْتَحِقُّونَهُ بِسَبَبِ قَتْلِ الأَنْبِياءِ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَعَمُوا عَنْ آيَاتِ اللهِ التِي أَنْزَلَهَا فِي كُتُبِهِ عَنْ عِقَابِ المُفْسِدِينَ، فَلَمْ يُبْصِرُوهَا، وَصَمُّوا أَسْمَاعَهُمْ عَنْ سَمَاعِ المَوَاعِظِ فَلَمْ يَهْتَدُوا بِهَا، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ أَذَاقَهُمُ الذُّلَّ، ثُمَّ رَجَعُوا إلى اللهِ تَائِبِينَ فَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ تَوْبَتَهُمْ، وَأَعَادَ إليهِمْ عِزَّهُمْ، ثُمَّ عَادَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إلى مَا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الضَّلاَلِ،

وَصَارُوا كَالعُمْيِ الصُّمِّ، بِسَبَبِ عَوْدَتِهِمْ إلى ظُلْمِهِمْ، وَأعْمَالِهِمْ السَّيِّئَةِ، وَاللهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أعْمَالِهِمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيهَا.

الفِتْنَةُ - الاخْتِبَارُ وَالابْتِلاءُ.

﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ

(يَا بَني إسْرائِيل) (وَمأوَاهُ) (لِلظَّالِمِينَ)

(٧٢) - حَكَمَ اللهُ تَعالَى بِتَكْفِيرِ الذِينَ ادَّعَوْا أنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَم. وَقَالَ اللهُ تَعالَى إنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً، إذْ أنَّهُمْ فِي إطْرَائِهِمْ إيَّاهُ، وَمَدْحِهِ غَلوا غُلُوّاً كَبِيراً، يَفُوقُ غُلُوَّ اليَهُودِ فِي تَكْذِيبِهِ وَالافْتِراءِ عَلَيهِ وَعَلَى أمِّهِ، وَقَوْلِهِمْ عَلَيها بُهْتَاناً عَظِيماً، مَعَ أنَّ المَسِيحَ قَالَ لَهُمْ غَيْرَ مَا يَقُولُونَ، فَقَدْ أمَرَهُمْ بِعبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، مُعْتَرِفاً بِأنَّهُ رَبُّهُ وَرَبُّهُمْ، وَأنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وَأوَّلُ كَلِمَةٍ نَطَقَ بِهَا المَسِيحُ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي المَهْدِ قَوْلُهُ: (إنِّي عَبْدُ اللهِ).

وَيقُولُ تَعَالَى: إنَّ المَسِيحَ قَالَ لِبَنِي إسْرَائِيلَ: إنَّ مَنْ أشْرَكَ بِاللهِ أحَداً فِي ألُوهِيَّتِهِ، فَقَدْ أوْجَبَ اللهُ عَليهِ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيهِ الجَنَّةَ، وَلَنْ يَجِدَ الظَّالِمُونَ نَصِيراً لَهُمْ وَلاَ مُعِيناً، وَلاَ مُنْقِذاً مِنْ عَذَابِ اللهِ الذِي سَيَصِيرُونَ إليهِ.

﴿٧٣﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(ثَلاثَةٍ) (وَاحِدٌ)

(٧٣) - يُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى أنَّ الذِينَ قَالُوا إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ هُمْ كُفَّارٌ، وَأنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إلاَّ إلَهٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ رَبُّ جَمِيعِ الكَائِنَاتِ وَإلَهُهَا. وَيَتَوعَدُ اللهُ القَائِلينَ (إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ مِنَ الأقَانِيم)، وَيَتَهَدَّدُهُمْ بِأنَّهُمْ إنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ مِنَ الكَذِبِ وَالافْتِراءِ، لَيَمَسَّنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ، عَذابٌ ألِيمٌ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ.

(وَتَقُولُ فِئَةٌ مِنَ النَّصَارَى بِالأقَانِيمِ الثَّلاثَةِ: أقْنُومِ الأبِ، وَأقْنُومِ الابْنِ، وَأقْنُومِ الكَلِمَةِ المُنْبَثِقَةِ مِنَ الأبِ إلى الابْنِ).

﴿٧٤﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(٧٤) - يَقُولُ تَعَالَى كَيْفَ يَسْمَعُ هؤُلاءِ مَا ذُكِرَ مِنَ التَّفْنِيدِ لأقْوالِهِمْ، وَالوَعِيدِ عَلَيها، ثُمَّ لاَ يَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ عَلَى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إلى التَّوْحِيدِ، وَعَلَى اسْتِغْفَارِ اللهِ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ؟ ثُمَّ يَحُثُّهُمْ تَعَالَى عَلَى طَلَبِ المَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ لِيَتُوبَ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الجَوَادُ الكَرِيمُ.

﴿٧٥﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ

(الآيَات)

(٧٥) - المَسِيحُ عَبْدٌ مِنْ عِبادِ اللهِ، أنْعَمَ اللهُ عَليهِ بِالرِّسَالَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْهُ رُسُلٌ مِنَ اللهِ، وَلَهُ أسْوَةٌ بِهِمْ. وَأمُّهُ مُؤْمِنَةٌ مُصَدِّقَةٌ لَهُ (صِدِّيقَةٌ - وَهذا

كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ
ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ

أعْلَى مَقَامَاتِها فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أنَّها لَيْسَتْ نَبِيَّةً)، وَكَانَ المَسِيحُ وَأمُّهُ يَحْتَاجَانِ إلى الطَّعَامِ وَالغِذاءِ، وَمَا يَسْتَتْبِعُ الطَّعَامَ وَالغِذَاءَ، فَهُمَا مَخْلُوقَانِ مِنَ البَشَرِ، وَلاَ يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهُما إلهاً خَالِقاً، وَلاَ رَبّاً مَعْبُوداً. فَٱنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ نُوَضِّحُ لَهُمُ الآيَاتِ وَنُظْهِرُهَا، ثُمَّ ٱنْظُرْ، بَعْدَ ذَلِكَ التَّوْضِيحِ، أيْنَ يَذْهَبُونَ، وَبِأيِّ قَوْلٍ يَتَمَسَّكُونَ، وَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ؟

نُبَيِّنُ - نُفَسِّرُ وَنُوَضِّحُ.
يُؤْفَكُونَ - يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ إلَى البَاطِلِ.
خَلَتْ - مَضَتْ.

(٧٦) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(٧٦) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الذِينَ يَعْبُدُونَ الأصْنَامَ وَالأنْدَادَ وَالأوْثَانَ وَالمَخْلُوقَاتِ، ضَلاَلَهُمْ وَكُفْرَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ مَا لاَ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لِهؤُلاءِ النَّصَارَى وَأمْثَالِهِمْ مِمَّنْ عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ: أتَتْرُكُونَ عِبَادَةَ اللهِ الوَاحِدِ الأحَدِ، وَهُوَ القَوِيُّ القَادِرُ، الخَالِقُ السَّمِيعُ العَلِيمُ، وَتَعْبُدُونَ مَا لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلا لِغَيْرِهِ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً؟ وَلاَ حَيَاةً وَلا نُشُوراً، مِنْ بَشَرٍ وَصَنَمٍ وَأنْدَادٍ؟.

(٧٧) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟
فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ
ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ
ٱلسَّبِيلِ

(يا أهْلَ الكِتَابِ)

(٧٧) - قُلْ يَا أيُّها الرَّسُولُ لأهْلِ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارى: إنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أنْ تَتَجَاوَزُوا فِي مُعْتَقَدَاتِكُمْ حُدُودَ الحَقِّ إلى البَاطِلِ، فَتَجْعَلُوا بَعْضَ خَلْقِ اللهِ آلِهَةً، وَتُنْكِرُوا رِسَالَةَ بَعْضِ الرُّسُلِ، وَيَنْهَاكُمْ أنْ تَسِيرُوا وَرَاءَ شَهَوَاتِ أنَاسٍ سَبَقُوكُمْ، قَدْ تَجَنَّبُوا طَرِيقَ الهُدى، وَمَنَعُوا كَثِيراً مِنَ النَّاسِ أنْ يَسْلُكُوهَا، وَٱسْتَمَرُّوا عَلَى مُجَافَاتِهِمْ طَرِيقَ الحَقِّ الوَاضِحِ.

الغُلُوُّ وَالمُغَالاَةُ - تَجَاوُزُ الاعْتِدَالِ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ.

(٧٨) لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ
دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟
يَعْتَدُونَ

(إسْرائِيلَ)

(٧٨) - لَعَنَ اللهُ الذينَ كَفَرُوا مِنْ بَني إسْرائِيلَ فِي الزَّبُورِ وَالإنْجِيلِ، فَقَدْ لَعَنَ دَاوُدُ، عَليهِ السَّلاَمُ، مَنِ ٱعْتَدَى مِنْهُمْ فِي السَّبْتِ، أوْ لَعَنَ العَاصِينَ المُعْتَدِينَ مِنْهُمْ عَامَّةً، وَكَذَلِكَ لَعَنَهُمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَسَبَبُ ذَلِكَ اللَّعْنِ هُوَ تَمَادِيهِمْ فِي العِصْيَانِ، وَتَمَرُّدُهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَتَمَادِيهِمْ فِي الظُّلْمِ وَالفَسَادِ (بِمَا كَانُوا يَعْتَدُونَ).

(٧٩) كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن
مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ

(٧٩) - فَقَدْ كَانُوا لاَ يَنْهَى أحَدٌ مِنْهُمْ أحَداً عَنْ مُنْكَرٍ يَقْتَرِفُهُ مَهْما بَلَغَ مِنَ القُبْحِ وَالضَّرَرِ. وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ هُوَ حِفَاظُ الدِّينِ، وَسِيَاجُ

مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ

الفَضَائِلِ وَالآدابِ، فَإذا تَجرَّأ المُسْتَهْتَرُونَ عَلى إظْهارِ فِسْقِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، ورَآهُمُ الغَوْغاءُ مِنَ النّاسِ قَلَّدُوهُمْ فِيهِ، وَزالَ قُبْحُهُ مِنْ نُفُوسِهِمْ، وَصارَ عادَةً لَهُمْ، وَزالَ سُلْطانُ الدِّينِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وتُرِكَتْ أحْكامُهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ، وَفِي ذلِكَ إشارَةٌ إلى فَشْوِ المُنْكَراتِ فِيهِمْ. وَيُقَبِّحُ اللهُ تَعالَى سُوءَ فِعْلِهِمْ، وَيَذُمُّهُمْ عَلى اقْتِرافِ المُنْكَراتِ، وَإصْرارِهِمْ عَلَيْها وَسُكُوتِ الآخَرِينَ عَنْها، وَرِضاهُمْ بِها.

(وَقَدْ جاءَ فِي الحَدِيثِ: إنَّ أوَّلَ ما دَخَلَ النَّقْصُ عَلى بَنِي إسْرائِيلَ أنْ كانَ الرَّجُلُ يَلْقى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يا هذا اتَّقِ اللهَ وَدَعْ ما تَصْنَعُ، فَإنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ. ثُمَّ يَلْقاهُ مِنَ الغَدِ وَهُوَ عَلى حالِهِ فَلا يَمْنَعُهُ ذلِكَ مِنْ أنْ يَكُونَ أكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمّا فَعَلُوا ذلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ). (رَواهُ ابْنُ مَسْعُودٍ).

يَتَناهَوْنَ - يَنْهى بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

﴿٨٠﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ

(خالِدُونَ)

(٨٠) - وَتَرى يا مُحَمَّدُ كَثِيراً مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ، يَتَوَلَّوْنَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْرِكِي العَرَبِ وَيُحالِفُونَهُمْ عَلَيْكَ، وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلى قِتالِكَ، وَأنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ، وَبِما أنْزَلَ اللهُ عَلى رُسُلِهِ وَأنْبِيائِهِ، وَتَشْهَدُ لَهُمْ بِصِدْقِ الرِّسالَةِ، وَأولئِكَ لا يُؤْمِنُونَ بِكِتابٍ وَلا رَسُولٍ، وَلا يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ، وَلَوْلا اتِّباعُ الهَوى، وَتَزْيِينُ الشَّيْطانِ لَهُمْ أعْمالَهُمْ، ما فَعَلُوا ذلِكَ. فَبِئْسَ ما قَدَّمُوهُ لأنْفُسِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ مِنَ الأعْمالِ التِي اسْتَوْجَبَتْ سَخَطَ اللهِ، وَعَظِيمَ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ، وَسَيُجْزَوْنَ عَلى ذلِكَ شَرَّ الجَزاءِ، وَسَيُحِيطُ بِهِمُ العَذابُ، وَلا يَجِدُونَ عَنْهُ مَصْرِفاً، وَيَخْلُدُونَ فِي النّارِ أبَداً.

السَّخَطُ - أشَدُّ الغَضَبِ.

يَتَوَلَّوْنَ - يُحالِفُونَ وَيُناصِرُونَ.

﴿٨١﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ

(فاسِقُونَ)

(٨١) - وَلَوْ كانَ هؤُلاءِ اليَهُودُ، الذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الكافِرِينَ مِنْ مُشْرِكِي العَرَبِ، يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّ الذِي يَدَّعُونَ اتِّباعَهُ (وَهُوَ مُوسى عَلَيهِ السَّلامُ)، وَما أُنزِلَ إليهِ مِنَ الهُدى وَالبَيِّناتِ، لَما اتَّخَذُوا أولئِكَ الكافِرِينَ مِنْ عابِدِي الأوْثانِ، أوْلِياءَ وَأنْصاراً، وَلَكانَتْ عَقِيدَتُهُمُ الدِّينِيَّةُ صَدَّتْهُمْ عَنْ ذلِكَ، وَلكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مُتَمَرِّدُونَ فِي النِّفاقِ، خارِجُونَ عَنْ حَظِيرَةِ الدِّينِ، وَلا يُرِيدُونَ إلاّ الجاهَ وَالرِّياسَةَ، وَيَسْعَوْنَ إلى تَحْصِيلِهِما بِأيَّةِ طَرِيقَةٍ كانَتْ، وَبِأيَّةِ وَسِيلَةٍ قَدَرُوا عَلَيْها.

(٨٢) ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

الجزء ٧ الحزب ١٣

(عداوةً) (آمَنُوا) (نصارَى)

(٨٢) - يقولُ تعالَى: إنَّ أكثَرَ النَّاسِ عداوةً للْمُؤمنينَ (الذين آمَنُوا بمُحمَّدٍ ﷺ وَآتَّبَعُوه)، هُمُ اليهُودُ والمُشْرِكُونَ. وَإنَّ أقْرَبَ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلْمُسْلِمينَ هُمُ النَّصارى، الذينَ قالُوا عَنْ أنْفُسِهِمْ إنَّهُمْ يُتابِعُونَ المَسِيحَ عَلَى دِينِه، لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرِّقَّةِ والرَّأْفَةِ، وَلأَنَّ بَيْنَهُمْ قِسِّيسِينَ يَتَوَلَّوْنَ تَعْلِيمَهُمْ أحْكَامَ الدِّينِ، وَيُبَصِّرُونَهُمْ بِمَا فِي دِينِهِمْ مِنْ سُمُوٍّ وَآدابٍ وَفضائِلَ، وَلأَنَّ بَيْنَهُمْ رُهْباناً يَضْرِبُونَ لَهُمُ المَثَلَ فِي الزُّهْدِ وَالتَّقَشُّفِ وَالإعْراضِ عَنِ الدُّنْيا وَزُخْرُفِها وَفِتْنَتِها، وَيُنَمُّونَ فِي نُفُوسِهِمِ الخَوْفَ مِنَ اللهِ، وَالانْقِطاعَ لِلْعِبادَةِ، وَإِنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الإذْعانِ لِلْحَقِّ، حِينَما يَتَبَيَّنُ لَهُمْ أنَّهُ حَقٌّ.

(كانَ اليَهُودُ وَالمُشْرِكُونَ يَشْتَرِكُونَ فِي بَعْضِ الصِّفاتِ التي اقْتَضَتْ عَداوَتَهُمُ الشَّدِيدَةَ لِلْمُؤْمِنينَ: كالكِبْرِ وَالعُتُوِّ وَالبَغْيِ وَالأَثَرَةِ وَالقَسْوَةِ، وَضَعْفِ العاطِفَةِ الإنْسانِيَّةِ (مِنْ حَنانٍ وَرَحْمَةٍ) وَالعَصَبِيَّةِ القَوْمِيَّةِ. وَكانَ مُشْرِكُو العَرَبِ فِي جاهِلِيَّتِهِمْ أرَقَّ مِنَ اليَهُودِ قُلُوباً، وَأعْظَمَ سَخاءً وَإيثاراً، وَأكْثَرَ حُرِّيَّةً فِي الفِكْرِ وَاسْتِقْلالاً فِي الرَّأْيِ).

العَداوَةُ - البَغْضاءُ.

المَوَدَّةُ - المَحَبَّةُ.

القِسِّيسُ - رَجُلُ الدِّينِ عِنْدَ النَّصارَى.

الرَّاهِبُ - رَجُلُ الدِّينِ مِنَ النَّصارَى الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيا.

(٨٣) ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾

(آمَنَّا) (الشَّاهِدِينَ)

(٨٣) - وَإذا سَمِعُوا ما أنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ القُرْآنِ، وَتُلِيَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ، تَفِيضُ عُيُونُهُمْ بِالدَّمْعِ (أيْ يَبْكُونَ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمْعُ مِنْ عُيُونِهِمْ)، لأنَّهُمْ عَرَفُوا أنَّ ما بَيَّنَهُ القُرْآنُ هُوَ الحَقُّ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنْ ذَلِكَ عُتُوٌّ وَلا اسْتِكْبارٌ وَلا تَعَصُّبٌ كَما يَمْنَعُ غَيْرَهُمْ. وَحِينَ يَسْمَعُونَ الحَقَّ الذي جاءَ بِهِ القُرْآنُ، وَهُوَ مُطابِقٌ لِما جاءَ فِي كُتُبِهِمْ، يَتَضَرَّعُونَ إلى اللهِ بِأنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ إيمانَهُمْ وَأنْ يَكْتُبَهُمْ مَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ الذينَ جَعَلَهُمُ اللهُ شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ، لأنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَمِمَّا يَتَناقَلُونَهُ عَنْ أسْلافِهِمْ، أنَّ النَّبِيَّ الأخِيرَ الذي يَكْمُلُ بِهِ الدِّينُ، وَيَتِمُّ التَّشْرِيعُ، يَكُونُ مُتَّبِعُوهُ شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونُونَ حُجَّةً عَلَى المُشْرِكِينَ وَالمُبْطِلِينَ.

تَفِيضُ أعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ - يَبْكُونَ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمْعُ مِنْ عُيُونِهِمْ.

﴿٨٤﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ

﴿٨٥﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ

﴿٨٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ

﴿٨٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ

مَعَ الشَّاهِدِينَ ـ مَعَ الذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ حَقٌّ.

(الصَّالِحِين)

(٨٤) ـ وَيَقُولُ هَؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّصَارَى: وَمَا الذِي يَمْنَعُنا مِنْ أَنْ نُؤمِنَ بِاللهِ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَمَا الذِي يَصُدُّنا عَنِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ أَنَّهُ رُوحُ الحَقِّ الذِي بَشَّرَ بِهِ المَسِيحُ وَإِنَّنا لَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ القَوْمِ الذِينَ صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ بِالعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ.

وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ ـ وَمَا الذِي يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُؤْمِنَ.

(فَأَثَابَهُمُ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَار) (خَالِدِينَ)

(٨٥) ـ فَجَازَاهُمُ اللهُ عَلَى إِيمَانِهِمْ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَعَلى تَصْدِيقِهِمْ بِالحَقِّ، وَاعْتِرَافِهِمْ بِهِ بِإِدْخَالِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَإِسْكَانِهِمْ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي فِي جَنَبَاتِها الأَنْهَارُ، وَسَيَكُونُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبداً وَذَلِكَ هُوَ الجَزَاءُ الذِي أَعَدَّهُ االله لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً.

(بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(٨٦) ـ وَالذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَبِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، وَجَحَدُوا آيَاتِهِ وَخَالَفُوهَا، فَأُولَئِكَ سَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَسَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبداً.
الجَحِيمُ ـ النَّارُ التِي اشْتَدَّ حَرُّهَا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (طَيِّبَاتِ)

(٨٧) ـ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، قَالُوا: نَقْطَعُ مَذَاكِيرَنَا، وَنَتْرُكُ شَهَوَاتِ الدُّنيا، وَنَسِيحُ فِي الأَرْضِ كَمَا يَفْعَلُ الرُّهْبَانُ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ قَوْلُهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَسَأَلَهُمْ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ: وَلكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَمَنْ أَخَذَ بِسُنَّتِي فَهُوَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِسُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي. وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ يَأْمُرُ فِيهَا المُؤْمِنِينَ بِأَلاَّ يُحَرِّمُوا الطَّيِّبَاتِ التِي أَحَلَّهَا اللهُ لِعِبَادِهِ، لأَنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَسْتَعْمِلَ عِبَادُهُ نِعَمَهُ فِيمَا خُلِقَتْ لأَجْلِهِ، وَأَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَكْرَهُ أَنْ يَجْنُوا عَلَى الشَّرِيعَةِ التِي شُرِعَتْ لَهُمْ فَيَغْلُوا فِيها بِإِبَاحَةِ مَا حَرَّمَ، أَوْ تَرْكِ مَا أَحَلَّ وَفَرَضَ.
لاَ تَعْتَدُوا ـ لاَ تُجَاوِزُوا حُدُودَ اللهِ، فَتُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ، أَوْ تُحِلُّوا مَا حَرَّمَ.

٨٨ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ

٨٩ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(حلالاً)

(٨٨) - وَيُبيحُ اللهُ تعالَى لِلْمُؤْمِنينَ التَّمتُّعَ بِالحَلالِ الطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ الذي رَزَقَهُمْ، وَيَأمُرُهُمْ بِتقْواهُ فِي جَمِيعِ أُمورِهِمْ، وَبِاتِّبَاعِ طَاعَتِهِ وَرِضْوانِهِ، وَتَرْكِ مُخالَفَتِهِ وَعِصْيَانِهِ، بِتَحْليلِ مَا حَرَّمَ، أَوْ بِتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ.

(أيْمـانِكُمْ) (الأيْمانَ) (فكفَّـارَتُهُ) (مَسـاكِينَ) (ثلاثَـةِ) (كفَّارَةُ) (أيْمانِكُمْ) (آياته)

(٨٩) - هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ تَعالَى الآيَةَ السَّابِقَةَ ﴿**يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ...**﴾.

فَقالَ الجَمَاعَةُ الذينَ كانُوا حَرَّمُوا عَلى أنْفُسِهِم النِّسَاءَ وَاللَّحْمَ...: يا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نَصْنَعُ بِأيْمانِنا التي حَلَفْنَاهَا، فَأنْزَلَ اللهُ تَعالى هَذِهِ الآيَةَ.

وَاللَّغْوُ فِي اليَمِينِ هُوَ قَوْلُ الرَّجُـلِ مِنْ غَيْرِ قَصْـدٍ: لا وَاللهِ، وبَلَى وَاللهِ (وَقِيلَ: إنَّها اليَمِينُ عِنْدَ الهَزْلِ، وَقِيلَ إنَّها فِي غَلَبَةِ الظَّنِّ، وَقِيـلَ إنَّها اليَمِينُ عِنْدَ الغَضَبِ).

فاللهُ تَعالَى لا يُؤاخِذُكُمْ، أيُّها المُؤْمِنُـونَ، بـاللَّغْوِ فِي أيْمـانِكُمْ، وَلَكِنَّهُ يُؤاخِذُكُمْ بِمَا صَمَّمْتُمْ عَلَيهِ وَقَصَدْتُمُوهُ، فَإذا حَنِثَ المُؤْمِنُ بِيَمِينِهِ التِي قَصَدَهَا وَعَقَدَها، فَكَفَّارَتُهُ إطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مُحْتَاجِينَ مِنَ الفُقَراءِ الذينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ، أكْلَةً وَاحِدَةً، أوْ يَوْماً وَاحِداً. ثُمَّ يُبَيِّنُ اللهُ تَعالَى نَوْعَ الطَّعَامِ الذي يُقَدَّمُ لِهؤلاءِ المَسَاكِينِ، فَقَالَ إنَّهُ مِنْ أوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ عِيالَكُمْ فِي القِلَّةِ وَالكَثْرَةِ، أوْ كِسْوَتُهُمْ (عَلى خِلافٍ فِي مِقْدارِ هَذِهِ الكُسْـوَةِ)، أوْ إعتاقُ رَقَبَةٍ مِنَ الرِّقِّ. وإذا لَمْ يَقْـدِرِ المُكَلَّفُ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الخِيَارَاتِ الثَّلاثَةِ كَفَّرَ عَنْ حَنْثِهِ بِيَمِينِهِ بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ عَلَى قَوْلِ أبي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ. وَهَذِهِ هِيَ كَفَّارَةُ اليَمِينِ التِي يَحْلِفُهَا المُؤْمِنُ باللهِ أوْ بِأحَدِ أسْمَائِهِ، إنْ حَنِثَ بِهَـا، أوْ أرَادَ أنْ يَحْنَثَ بها. يَقُولُ تَعَالَى: لاَ تَتْرُكُوا أيْمَانَكُمْ المَحْنُوثَ بِها دُونَ كَفَّارَةٍ. (وَاحْفَظُوا أيْمانَكُمْ - وَقِيلَ إنَّ مَعْنَى وَاحْفَظُوا أيْمانَكُمْ - هُوَ لاَ تَبْذُلُوهَا فِي أتْفَهِ الأمُورِ وَأحْقَرِهَا، وَلاَ تُكْثِرُوا مِنَ الأيْمَانِ الصَّادِقَةِ)، كَـذَلِكَ يُـوَضِّحُ اللهُ آيَاتِهِ وَيُبَيِّنُهَا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إذا اتَّقَيْتُمْ وَأطَعْتُمُ اللهَ.

(وَيَجُـوزُ الحَنْثُ لِمَصْلَحَـةٍ رَاجِحَـةٍ مَـعَ التَّكْفِيـرِ قَبْـلَ الحَنْثِ. وَفِي الحَدِيثِ: إذا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأيْتَ غَيْرَها خَيْراً مِنْها، فَأتِ الذي هُوَ خَيْرٌ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ).

﴿٩٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ

﴿٩١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ

آحْفَظُوا أَيْمَانَكُم - كَفِّرُوا عَنْهَا وَلاَ تَتْرُكُوها دُونَ كَفَّارةٍ.

تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ - إعْتَاقُها.

الحِنْثُ فِي اليَمِين - عَدَمُ التَّمسُّكِ بِمُوجِبَاتِ اليَمِينِ.

اللَّغْوُ فِي الأَيْمَانِ - هُوَ الحَلِفُ عَلَى مَا آعْتَقَدْتُمْ صِدْقَهُ أَوْ مَا يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ لَغْواً.

عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ - وَثَّقْتُمُوها بِالقَصْدِ.

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (الأَزْلاَمُ) (الشَّيْطَانِ)

(٩٠) - يَنْهَى اللهُ تَعَالى عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ عَنْ تَعَاطِي الخَمْرِ وَلِعِبِ القِمَارِ (المَيْسِر)، وَعَنْ ذَبْحِ القَرَابِينِ عِنْدَ الأَنْصَابِ، (وَهِيَ حِجَارَةٌ كَانَتْ تُحِيطُ بِالكَعْبَةِ)، كَمَا يَنْهَاهُمْ عَنِ الاسْتِقْسَامِ بِالأَزْلاَمِ (وَالأَزْلاَمُ ثَلاَثَةُ قِدَاحٍ أَوْ سِهَامٍ يُجِيلُونَهَا ثُمَّ يُلْقُونَهَا، وَقَدْ كُتِبَ عَلَى أَحدِهَا (آفْعَلْ)، وَعَلَى الآخَرِ (لاَ تَفْعَلْ)، وَالثَّالِثُ غُفْلٌ مِنَ الكِتَابَةِ. فَإذا خَرجَ السَّهْمُ الذِي كُتِبَ عَلَيه (آفْعَلْ) فَعَلَ. وَإذَا خَرَجَ السَّهْمُ الذِي كُتِبَ عَلَيهِ (لاَ تَفْعَلْ) لَمْ يَفْعَلْ. وَإذا خَرجَ السَّهْمُ الغُفْلُ مِنَ الكِتابَةِ أَعادَ الاسْتِقْسَامَ.

وَيَقُولُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ المُؤْمنينَ الصَّادِقِينَ إنَّ هَذِهِ المُنْكَراتِ: الخَمْرَ وَالمَيْسِرَ. إنَّما هِيَ شَرٌّ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ (رِجْسٌ) فَآجْتَنِبُوا هذا الرِّجسَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَتَفُوزُونَ بِرِضْوَانِ اللهِ.

الرِّجْسُ - لُغَةً هُوَ المُسْتَقْذَرُ حِسّاً أوْ مَعنىً.

الخَمْرُ - هِيَ مَا تخمَّرَ مِنْ عَصِيرِ الفَوَاكِهِ عَامَّةً. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ إنَّهَا مَا تَخَمَّرَ مِنْ عَصِيرِ العِنَبِ أَوِ التَّمْرِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ إنَّها كُلُّ مَا أَسْكَرَ.

المَيْسِرُ - القِمَارُ.

الأَنْصَابُ - حِجَارَةٌ حَوْلَ الكَعْبَةِ كَانُوا يُعَظِّمُونَها.

(الشَّيْطَانُ) (العَدَاوَةَ) (الصَّلاَةِ)

(٩١) - إنَّ الشَّيطَانَ يُرِيدُ لَكُمْ شُرْبَ الخَمْرِ، وَلَعِبَ المَيْسِر، لِيُعَادِيَ بَعْضُكُم بَعْضاً، وَيُبْغِض بَعْضُكُم بَعْضاً، فَيَتَشَتَّتَ أَمْرُكُم بَعْدَ أَنْ أَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِالإيمَانِ، وَجَمعَ بَيْنَكُم بِأُخُوَّةِ الإسْلاَم، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَصْرِفَكُمْ بِالسُّكْرِ وَالاشْتِغَالِ بِالمَيْسِرِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ الذِي بِهِ صَلاَحُ أَمْرِكُمْ، فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، وَعَنِ الصَّلاَةِ التِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ، تَزْكِيَةً لِنُفُوسِكُمْ، وَتَطْهِيراً لِقُلُوبِكُمْ.

وَالخَمْرُ تُفْقِدُ الإنسانَ عَقْلَهُ الذي يَمْنَعُهُ عَنْ إتْيانِ الأفْعالِ القَبيحَةِ، وَعَنْ تَوْجِيهِ الأقْوالِ الشَّائِنَةِ إلى النَّاسِ، فَإذا شَرِبهَا الإنْسانُ أقْدَمَ عَلَى مَا لاَ يُقْدِمُ عَلَيهِ وَهُوَ صَاحٍ مُتَمالِكٌ قِواهُ فَيُسِيءُ إلى أصْحَابِهِ وَإخْوانِهِ، وَيُؤْذِيهِمْ فَيُؤدِّي ذَلِكَ إلى الشَّحْنَاءِ وَالبَغْضَاءِ.

وَالمَيْسِرُ يُثيرُ البَغْضاءَ وَالشَّحْناءَ بَيْنَ اللاعِبينَ وَالحَاضِرينَ، وَكَثيراً مَا يُفرِّطُ المُقامِرُ فِي حُقُوقِ الوَالِدَيْنِ وَالزَّوْجِ وَالأوْلادِ، حَتَّى يُوشِكَ أنْ يَمْقُتَهُ كُلُّ وَاحِدٍ.

ثُمَّ يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِأنْ يَنْتَهُوا عَنْ هَذِهِ المُنْكَرَاتِ لِيُفَوِّتُوا عَلَى إبْلِيسَ غَرَضَهُ.

(٩٢) وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ

(البَلاغُ)

(٩٢) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِطاعَتِهِ فِيمَا أمَرَ بِهِ مِن آجْتِنَابِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ، وَغَيْرِهِمَا مِنْ سَائِرِ المُحَرَّمَاتِ، وَبِطَاعَةِ رَسُولِهِ فِيمَا بَيَّنَه لَهُمْ مِنْ شَرْعِ اللهِ، وَفِيمَا يَحْكُمُ بِهِ بَيْنَهُمْ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ العِصْيَانِ وَالمُخَالَفَةِ وَالعِنَادِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ إنَّهُمْ إنْ تَوَلَّوْا عَنِ الإيمَانِ، وَأصَرُّوا عَلَى المُخَالَفَةِ، وَالاعْتِداءِ عَلَى حُرُمَاتِ اللهِ، وَعَلَى تَجاوُزِ شَرْعِهِ الكَريمِ، فَإنَّ الحُجَّةَ قَدْ قَامَتْ عَلَيهِمْ، وَالرَّسُولُ قَامَ بِمَا أمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الإبْلاغِ وَالإنْذارِ وَالدَّعْوَةِ، وَإنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إلَى اللهِ فَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أعْمالِهِمْ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِها.

البَلاغُ - تَبْليغُ الدَّعْوَةِ.

(٩٣) لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (وَآمَنُوا)

(٩٣) - حِينَما أنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَحْرِيمَ الخَمْرِ تَسَاءَلَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ عَنْ حَالِ مَنْ شَرِبُوا الخَمْرَ قَبْلَ التَّحريمِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ. وَيُبَيِّنُ لَهُمْ تَعَالَى أنَّ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ إثْمَ، فِيمَا أكَلُوا أوْ شَرِبُوا، قَبْلَ نُزُولِ التَّحْريمِ، مِنْ مَالِ المَيْسِرِ أوْ الرِّبَا، أوْ شَرِبُوا مِنَ الخَمْرِ، أوْ أكَلُوا وَشَرِبُوا، مِمَّا لَمْ يَكُنْ مُحَرَّماً ثُمَّ حُرِّمَ، إذَا مَا آتَّقَوا اللهَ، وَآمَنُوا بِمَا كَانَ قَدْ نَزَلَ مِنَ الأحْكَامِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ التي كَانَتْ قَدْ شُرِعَتْ، كَالصَّلاةِ وَالصَّومِ، ثُمَّ آتَّقَوا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ العِلْمِ بِهِ، وَآمَنُوا بِمَا أنْزِلَ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ، ثُمَّ آسْتَمَرُّوا عَلَى التَّقْوَى، وَأحْسَنُوا أعْمَالَهُمْ، فَأتَوْا بِهَا عَلَى الوَجْهِ الأكْمَلِ، وَتَمَّمُوا نَقْصَ فَرائِضِهَا بِنَوافِلِ الطَّاعَاتِ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنينَ، فَلا يُبقِي فِي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ﴿٩٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ﴿٩٥﴾

قُلُوبِهِمْ أثراً مِنَ الآثارِ السَّيِّئَةِ، التي وَصَفَ بِها الخَمْرَ وَالمَيْسِرَ، مِنَ الإيقاعِ في العَداوَةِ وَالبَغْضاءِ.

الجُناحُ - الحَرَجُ وَالإثْمُ.

طَعِمُوا - أكَلُوا أوْ شَرِبُوا.

(يَا أيُّها) (آمَنُوا)

(٩٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى: بِأنَّهُ يَخْتَبِرُ عِبادَهُ المُؤْمِنِينَ (يَبْلُوهُمْ) فِي حَالَةِ إحْرامِهِمْ، بِأنْ يَجْعَلَ صِغارَ حَيَوانَاتِ الصَّيْدِ وَضِعَافِها فِي مُتَناوَلِ أيْدِيهِمْ، لَوْ شَاؤُوا لَتَناوَلُوها بِأيْدِيهِمْ، كَما أنَّهُ سَيَخْتَبِرُهُمْ بِجَعْلِ كِبارِ الحَيَوانَاتِ فِي مُتَناوَلِ رِماحِهِمْ، تَعْرِضُ لَهُمْ، أوْ تَغْشاهُمْ فِي رِحالِهِمْ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطيعُ اللهَ مِنْهُمْ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، وَيَمْتَنِعُ عَنِ الصَّيْدِ ما دَامَ مُحْرِماً. فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ هذا التَّحْذِيرِ مِنَ اللهِ، وَقَتَلَ الصَّيْدَ أوْ أكَلَ لَحْمَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَلَهُ عَذابٌ ألِيمٌ فِي الآخِرَةِ لِمُخالَفَتِهِ شَرْعَ اللهِ.

يَبْلُوكُمْ - يَخْتَبِرُكُمْ.

تَنالُهُ أيْدِيكُمْ - يَكُونُ فِي مُتَناوَلِ أيْدِيكُمْ.

(يَا أيُّها) (آمَنُوا) (بالِغَ) (كَفَّارَةٌ) (مَسَاكِينَ)

(٩٥) - حَرَّمَ اللهُ قَتْلَ صَيْدِ البَرِّ فِي حَالِ الإحْرامِ، وَنَهَى المُؤْمِنِينَ عَنْ تَناوُلِهِ فِيهِ، وَمَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ مُتَعَمِّداً، وَهُوَ مُحْرِمٌ، يَجِبُ عليهِ جَزاءٌ مِنْ مِثْلِ الحَيَوانِ الذي قَتَلَهُ (إنْ كَانَ لِلْحَيَوانِ مِثْلٌ فِي الحَيَوانَاتِ الألِيفَةِ)، يَحْكُمُ بِهِ رَجُلانِ عَادِلانِ مِنَ المُسْلِمِينَ (وَقَدْ حَكَمَ بَعْضُهُمْ بِنَحْرِ تَيْسٍ فِي جَزاءٍ عَنْ قَتْلِ ظَبْيٍ)، وَعَلَى مَنْ وَقَعَ عليهِ الجَزاءُ أنْ يَأتِيَ بِالمِثْلِ الذي سَيَذْبَحُهُ إلى الكَعْبَةِ، لِيَكُونَ هَدْياً لَها، فَيُذْبَحُ هُناكَ، وَيُوَزَّعُ لَحْمُهُ عَلَى فُقَراءِ أهْلِ الحَرَمِ. فَإذا لَمْ يَجِدِ المُحْرِمُ مِثْلَ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ، أوْ لَمْ يَكُنِ الصَّيْدُ المَقْتُولُ مِنْ ذَواتِ الأمْثالِ فَيُخَيَّرُ المُحْرِمُ بَيْنَ أمُورٍ:

أ - أنْ يُقَوَّمَ الصَّيْدُ المَقْتُولُ، وَيُقَوَّمَ مِثْلُهُ مِنَ النَّعَمِ، لَوْ كَانَ مَوْجُوداً، فِي المَكَانِ الذي تَمَّ فِيهِ الصَّيْدُ، أوْ فِي أقْرَبِ مَكَانٍ إليهِ، ثُمَّ يَشْتَرِي المُحْرِمُ المُخالِفُ بِثَمَنِهِ طَعاماً فَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى فُقَراءِ الحَرَمِ.

ب - أوْ يُطْعِمَ مَسَاكِينَ. وَيَخْتَلِفُ عَدَدُهُمْ بِحَسَبِ أهَمِّيَّةِ الصَّيْدِ المَقْتُولِ: فَقِيلَ إنَّ مَنْ قَتَلَ ظَبْياً فَعَلَيهِ ذَبْحُ شَاةٍ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ. وَإذا قَتَلَ نَعامَةً أوْ حِمارَ وَحْشٍ، فَعَلَيهِ ذَبْحُ بَدَنَةٍ (نَاقَةٍ أوْ بَعِيرٍ)، فَإنْ لَمْ يَجِدْ أطْعَمَ ثَلاثِينَ مِسْكِيناً.

جـ - وَإذا لَمْ يَجِدْ مَا يُطْعِمُ بِهِ المَسَاكِينَ صَامَ أيَّاماً عَنْ ذَلِكَ.

وَتَتَراوَحُ مُدَّةُ الصَّوْمِ مِنْ ثَلاثَةِ أيَّامٍ، فِي قَتْلِ ظَبْيٍ، إلى ثَلاثِينَ يَوْماً، فِي قَتْلِ نَعَامَةٍ أوْ حِمَارِ وَحْشٍ. (يَصُومُ يَوْماً عَنْ إطْعَامِ كُلِّ مِسْكِينٍ).

وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى: أنَّهُ أوْجَبَ الكَفَّارَةَ لِيَذُوقَ المُتَجَاوِزُ العُقُوبَةَ عَنِ الفِعْلِ الذِي آرْتَكَبَ فِيهِ المُخَالَفَةَ (وَبَالَ أمْرِهِ).

وَقَدْ ألْحَقَتِ السُّنَّةُ قَتْلَ الصَّيْدِ خَطَأً بِقَتْلِهِ عَمْداً، فِي وُجُوبِ الكَفَّارَةِ. وَلَكِنْ دُونَ أنْ يَكُونَ عَلَى المُخْطِىءِ إثْمٌ.

وَقَدْ عَفَا اللهُ تَعَالَى عَمَّا سَلَفَ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ فِي حَالَةِ الإحْرامِ، الذِي تَمَّ قَبْلَ هذا التَّحْرِيمِ، وَقَبْلَ بُلُوغِ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لِلنَّاسِ. وَمَنْ عَادَ فِي الإسْلامِ إلى فِعْلِ ذَلِكَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ، وَاللهُ عَزِيزٌ مَنِيعُ الجَانِبِ، قَادِرٌ عَلَى أنْ يَنْتَقِمَ مِمَّنْ عَصَاهُ.

وأنْتُمْ حُرُمٌ - وَأنْتُمْ مُحْرِمُونَ لِلْحَجِّ أوِ العُمْرَةِ.
النَّعَمِ - الحَيَوانَاتُ الألِيفَةُ (الإبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالمَاعِزِ).
ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ - رَجُلانِ عَدْلانِ مَشْهُودٌ لَهُمَا بِالإنْصَافِ، عَلَى أنْ يَكُونَا مِنَ المُسْلِمِينَ.
عَدْلُ ذَلِكَ - عَدْلُ الطَّعَامِ وَمُقَابِلُهُ.

٩٦ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(مَتَاعاً)

(٩٦) - أحَلَّ اللهُ تَعَالَى لَكُمْ صَيْدَ البَحْرِ (وَهُوَ مَا يُصَادُ طَرِيّاً)؛ كَمَا أحَلَّ لَكُمْ طَعَامَهُ (وَهُوَ مَا يُتَزَوَّدُ مِنْهُ مُمَلَّحاً أوْ يَابِساً - وَرُوِيَ أنَّ كَلِمَةَ طَعَامِهِ تَعْنِي مَا قَذَفَهُ البَحْرُ عَلَى شُطْآنِهِ فَمَاتَ، أوْ هُوَ مَا أخْرَجَهُ البَحْرُ مَيِّتاً مِنْ حَيَوانَاتِهِ). وَقَدْ جَعَلَ اللهُ صَيْدَ البَحْرِ وَطَعَامَه مَتَاعاً يَنْتَفِعُ بِهِ وَيَسْتَمْتِعُ مَنْ كَانَ مُقِيماً بِحَاضِرَةِ البَحْرِ، أوْ مُجْتَازاً بِهِ فِي سَفَرٍ (لِلسَّيَارَةِ). وَكَرَّرَ تَعَالَى التَّأكِيدَ عَلَى حُرْمَةِ صَيْدِ البَرِّ فِي حَالَةِ الإحْرَامِ.

وَكَرَّرَ اللهُ تَعَالَى الأمْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَى رَبِّهِمْ الذِي سَيُحْشَرُونَ إلَيهِ فَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى كُلِّ أفْعَالِهِمْ.

(وَيُحرِّمُ اللهُ أكْلَ لَحمِ صَيدِ البَرِّ عَلَى المُحْرِمِ، إذَا كَانَ الصَّيْدُ قَدْ وَقَعَ لأجْلِهِ، أمَّا إذا لَمْ يُقْصَدْ هُوَ بِالصَّيْدِ، وَلَمْ يُشِرْ هُوَ بِهِ، وَلَمْ يُعِنْ عليهِ، جازَ لَهُ أكْلُهُ).
لِلسَّيَارَةِ - لِلْمُسَافِرِينَ.

(٩٧) ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ

ربع الحزب ١٣

(٩٨) ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(٩٩) مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

(قِياماً) (وَالْقَلائِدَ) (السَّماوَاتِ)

(٩٧) - جعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ بَيْتاً حراماً لِلنَّاسِ ، ويَقُومُ بِهِ أَمْرُ دِينِهِمْ بِالحجِّ إليهِ، وأَمْرُ دُنْيَاهُمْ إِذْ يَأمَنُ الدَّاخِلُ إليهِ مِنَ التَّعرُّضِ لَهُ، وتُجْبَى إليهِ ثَمَراتُ كُلِّ شيءٍ.

وَقَدْ جعَلَ اللهُ الأَشْهُرَ الحُرُمَ سَبَباً لِقِيامِ أَمْنِ النَّاسِ مِنَ القِتالِ فِيهَا، فكَانَ النَّاسُ إذا دَخَلَ الشَّهْرُ الحَرامُ، زَالَ خَوْفُهُمْ مِنَ القِتالِ، وأَمِنُوا فِي تِجارَتِهِمْ وأَسْفارِهِمْ.

وَكَذلِكَ جَعَلَ اللهُ الهَدْيَ المُقَلَّدَ (القَلائِدَ - هُوَ الهَدْيُ الذِي طَوَّقَهُ أَصْحابُه بِطَوْقٍ خاصٍّ مِنْ لِحَاءِ الشَّجَرِ) آمناً وَلَوْ سَارَ فِي غَيْرِ الشَّهْرِ الحَرَامِ (لأَنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ مِنَ القَلائِدِ أَنَّهُ مُوَجَّهٌ إلى الحَرَمِ، فَلا يَتعَرَّضُونَ لَهُ بِسُوءٍ، احْتِراماً لِلْحَرَمِ)، وَقَدْ جعَلَ اللهُ هذا التَّدبِيرَ اللَّطِيفَ لأجْلِ أَنْ تَتفَكَّرُوا فِي أَنَّهُ تَعالَى يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ، وَقَدْ أَوْقَعَ فِي قُلوبِ النَّاسِ تَعْظِيمَ البَيْتِ الحَرامِ، وَالشَّهْرِ الحَرامِ، لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ صادِرَةٍ عَنْ عِلْمِهِ بِخَفَايَا الأُمورِ، لِتَأْمِينِ الرِّزْقِ وَالأَمْنِ لِسُكَّانِ البَلَدِ الحَرامِ.

قِياماً لِلنَّاسِ - قَواماً لِمَصالِحِهِمْ دُنْيا وَدِيناً.
الكَعْبَةَ - هِيَ البَيْتُ الحَرَامُ الذِي أَمَرَ اللهُ إِبْراهِيمَ بِبِنائِهِ عَلَى أَرْضِ مَكَّةَ، وَسُمِّيَتْ كَعْبَةً لأنَّها مُكَعَّبَةُ الشَّكْلِ.
الهَدْيَ - ما يُهْدَى إلى الحَرَمِ مِنَ الذَّبائِحِ تَقَرُّباً إلى اللهِ.
القَلائِدَ - الذَّبائِحَ المُوَجَّهَةَ إلى البَيْتِ الحَرامِ وَهِيَ مُقَلَّدَةٌ بِطَوقٍ مِنْ لِحاءِ الشَّجَرِ.

(٩٨) - وَاعْلَمُوا، يَا أَيُّها المُخَالِفُونَ لأَمْرِ اللهِ، أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَعَلانِيَتَكُمْ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُكُمْ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً، وَأَنَّهُ تَعالَى شَدِيدُ العِقابِ لِمَنْ عَصَاهُ، وَاسْتَمرَّ فِي عِنادِهِ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ تَابَ إليهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَرَجَعَ إِلَى اللهِ.

(البَلاغُ)

(٩٩) - الرَّسُولُ مُكَلَّفٌ مِنْ رَبِّهِ بِإِبْلاغِ النَّاسِ أَوَامِرَ رَبِّهِ وَرِسَالاتِهِ، وَحِسَابُ النَّاسِ عَلَى اللهِ، وَهُوَ تَعالَى يَعْلَمُ السَّرائِرَ وَالعَلَنَ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَمَا يُبَيِّتُهُ الإِنْسَانُ فِي سِرِّهِ، وَسَيُحَاسِبُ كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيا.

﴿١٠٠﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(يَا أولِي) (الأَلْبَابِ)

(١٠٠) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ تُخاطِبُهُمْ: لاَ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ، يَا أَيُّها الإِنْسَانُ، كَثْرَةُ الخَبِيثِ، وَقَلِيلٌ مِنَ الحَلالِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الحَرَامِ الضَّارِّ.

(وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى) فَاتَّقُوا اللهَ يَا ذَوِي العُقُولِ الصَّحِيحَةِ المُسْتَقِيمَةِ، وَتَجَنَّبُوا الحَرَامَ، وَاقْنَعُوا بِالحَلالِ، وَاكْتَفُوا بِهِ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

وَكَمَا لاَ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ، كَذَلِكَ لاَ يَسْتَوِي البَرُّ وَالفَاجِرُ، وَلاَ المُصْلِحُ وَالمُفْسِدُ، وَلا بُدَّ مِنَ الجَزاءِ الحَقِّ العَادِلِ.

الطَّيِّبُ - هُوَ مَا طَابَ لِلنَّفْسِ أَكْلُهُ، وَيُقْصَدُ بِهِ هُنا مَا أَحَلَّ اللهُ.

الخَبِيثُ - ضِدُّ الطَّيِّبِ.

﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا
عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ
وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا
وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

(يَا أيُّها) (آمَنُوا) (لاَ تَسْأَلُوا) (القُرْآنُ)

(١٠١) - يُؤَدِّبُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ لاَ فَائِدَةَ لَهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا، وَعَنِ التَّنْقِيبِ عَنْ خَفَايَاهَا، لأَنَّها إِنْ ظَهَرَتْ لَهُمْ تِلْكَ الأَشْيَاءُ رُبَّما سَاءَتْهُمْ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ سَمَاعُهَا.

(وَرُوِيَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرجَ غَضْبَانَ، مُحْمَرَّ الوَجْهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَامَ إِلَيهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْنَ أَبي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّارِ. فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: أَبُوكَ حُذَافَةُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ). (رَوَاهُ البُخارِيُّ)

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْ هَذِهِ الأَشْيَاءِ التِي نُهِيتُمْ عَنِ السُّؤَالِ عَنْها، حِينَ يَنْزِلُ القُرآنُ فِي شَأْنِها أَوْ حُكْمِها، أَوْ لأَجْلِ فَهْمِ مَا نَزَلَ إِلَيكُمْ، فَإِنَّ اللهَ يُبْدِيهِ لَكُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ.

(وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ). (رَوَاهُ العَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

وَقِيلَ إِنَّ المَقْصُودَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ...**﴾ هُوَ لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ تَسْتَأْنِفُونَ السُّؤَالَ عَنْها، فَلَعَلَّهُ يَنْزِلُ بِسَبَبِ سُؤَالِكُمْ تَشْدِيدٌ أَوْ تَضْييقٌ.

(وجاءَ فِي الحَدِيثِ: أعْظَمُ المُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَألَ عَنْ شَيءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أجْلِ مَسْألَتِهِ).
إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ - إنْ ظَهَرتْ لَكُمْ سَاءَتْكُمْ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ سَمَاعُهَا.

(١٠٢) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ

(كَافِرِينَ)

(١٠٢) - لَقَدْ سَألَ هَذِهِ المَسَائِلَ المَنْهِيَّ عَنْها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ فَأُجِيبُوا عَنْهَا، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا فَأصْبَحُوا بِسَبَبِهَا كَافِرِينَ، لأنَّها بُيِّنَتْ لَهُمْ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَلَمْ يَتَّبِعُوهَا.

(١٠٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

(سَائِبَةٍ)

(١٠٣) - البَحِيرَةُ هِيَ الوَاحِدَةُ مِنَ الأنْعَامِ التِي يَبْحَرُونَ أذُنَهَا، أيْ يَشُقُّونَهَا شَقّاً وَاسِعاً، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إذَا أنْتَجَتْ خَمْسَةَ أبْطُنٍ وَكَانَ الخَامِسُ أنْثَى. وَكَانُوا يَجْعَلُونَ دَرَّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، فَلا يَحْلِبُهَا أحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَيُسَيِّبُونَهَا لآلِهَتِهِمْ.

السَّائِبَةُ - وَهِيَ التي تُسَيَّبُ بِأنْ يَنْذُرُوها لآلِهَتِهِمْ، فَتَرْعَى حَيْثُ تَشَاءُ، وَلا يُحْمَلُ عَلَيها شَيءٌ، وَلا يُجَزُّ صُوفُها، وَلا يُحْلَبُ لَبَنُها إلاَّ لِضَيْفٍ.

الوَصِيلَةُ - هِيَ النَّاقَةُ البِكْرُ، تُبْكِرُ فِي أوَّلِ نَتَاجِ الإِبِلِ، ثُمَّ تُثَنِّي بِأنْثَى، وَكَانُوا يُسَيِّبُونَها لِطَواغِيتِهِمْ إنْ وَصَلَتْ إحْداهما بالأخرى لَيْس بَيْنَهُما ذَكَرٌ.

الحَامِي - هُوَ فَحْلُ الإِبِلِ يُولَدُ مِنْ ظَهْرِهِ عَشَرَةُ أبْطُنٍ، فَيَقُولُونَ حَمَى ظَهْرَهُ، فَلا يُحْمَلُ عَلَيْهِ، وَلا يُمْنَعُ مَاءً وَلا مَرْعَى.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إنَّهُ لَمْ يَأذَنْ لِهَؤلاءِ بِأنْ يُحَرِّمُوا مَا أحَلَّهُ اللهُ، وَلَمْ يَشْرَعْ مَا شَرَعَهُ البُغَاةُ لأنْفُسِهِمْ، وَلكنَّ الذِينَ كَفَروا يَفْتَرُونَ الكَذِبَ عَلَى اللهِ، ثُمَّ يَجْعَلُونَهُ شَرْعاً وَقُرْبَةً يَتَقَرَّبُونَ بِها إليهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَاصِلٍ، بَلْ هُوَ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ، وَأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ.

(١٠٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ

(آبَاءَنَا) (آبَاؤُهُمْ)

(١٠٤) - وَإذا دُعُوا إلَى مَا شَرَعَهُ اللهُ وَأوْجَبَهُ، فِي القُرْآنِ، مِنَ الأحْكَامِ المُؤَيَّدَةِ بِالحُجَجِ وَالأدِلَّةِ، وَإلَى رَسُولِهِ المُبَيِّنِ لِمُجْمَلِ هَذِهِ الأحْكَامِ، وَإلَى تَرْكِ مَا حَرَّمَهُ اللهُ قَالُوا: يَكْفِينَا أنْ نَتَّبِعَ مَا وَجَدْنَا عَلَيهِ الآبَاءَ وَالأجْدَادَ مِنَ الطَّرَائِقِ وَالمَسَالِكِ وَالمُعْتَقَدَاتِ. فَإذا كَانَ آبَاؤُهُمْ لا

يَفقهـون شيْئاً، ولا يَعْـرفُون حَقّاً، ولاَ يهْتَدُونَ إليـه، فكَيْف يَتَّبِعُونَهُـمْ والحَالَةُ هَذِهِ؟ إنَّهُمْ إنِ اتَّبَعُوهُمْ كـانُوا بِـلا شَكٍّ أكْثَـرَ جَهْلاً مِنْ آبَـائِهِمْ وَأضلَّ سَبيلاً.

حَسْبُنا - كافِينا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ١٠٥

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(١٠٥) - يَـأمُرُ اللهُ تعَـالَى المُؤْمنينَ بأنْ يُصْلِحُـوا أنْفُسَهُمْ، وَأنْ يَفْعَلُوا الخَيْرَ جَهْدَ طَاقَتِهِمْ، لِيَتَقَرَّبُوا بذَلِكَ إلى اللهِ. وَيُخْبِرُهُمْ تَعَالَى أنَّهُ مَنْ أصْلَحَ نَفْسَهُ وَأمْرَهُ مِنْهُمْ، فَلاَ يَضُرُّهُ فَسَادُ مَنْ فَسَدَ مِنَ النَّاسِ، سَوَاءٌ أكَانَ قَرِيباً أوْ بعِيداً، (وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّى إذا رَأيْتُمْ شُحّاً مُطَاعاً، وَهَوًى مُتَّبَعاً، وَدُنْيا مُؤْثَرَةً، وَإعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأيٍ بِرَأيِهِ، فَعَلَيكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ العَوامَّ، فَإنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أيَّاماً الصَّابِرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَابِضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أجْرُ خَمْسينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ كَعَمَلِكُمْ). (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ).

فالمُؤْمِنُ لاَ يَكُونُ مُهْتَدِياً إذَا أصْلَحَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بإصْلاَحِ غَيْـرِهِ، بأنْ يَأمُرَهُ بالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ، فَهَذا فَـرْضٌ لاَ هَوَادَةَ فِيـهِ، وَلَكِنَّ هـذِهِ الفَرِيضَـةَ تَسْقُطُ إذا فَسَدَ النَّـاسُ فَساداً لاَ يُـرْجَى مَعَهُ تَـأثِيرُ الوَعْظِ وَالإرْشَادِ.

عَلَيْكُم أنفُسَكُمْ - الزَمُوهَا وَاحْفَظُوهَا مِنَ المَعَاصِي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ﴾ ١٠٦

(يـا أيُّها) (آمَنُـوا) (شَهَادَةُ) (آخَـرَانِ) (فَأصَـابَتْكُم) (الصَّـلاَةِ) (شَهَادَةِ)

(١٠٦) - قِيلَ إنَّ حُكْمَ هذِهِ الآيَةِ مَنْسُوخٌ. وَلَكِنَّ الأكْثَرِيَّةَ مُتَفِقَةٌ عَلَى أنَّهُ مُحْكَمٌ. وَهَذِهِ الآيَةُ تَتَضَمَّنُ حُكْمَ مَنْ تُوُفِّيَ وَلَيْسَ عِنْـدَهُ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الإسْلاَمِ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي أوَّلِ الإسْلاَمِ، وَالنَّاسُ كُفَّارٌ، وَالأرْضُ أرْضُ حَرْبٍ - وَكَانَ النَّاسُ يَتَوارَثُونَ بِالوَصِيَّةِ، ثُمَّ نُسِخَتِ الوَصِيَّةُ، وَفُرِضَتِ الفَرَائِضُ، وَعَمِلَ النَّاسُ بِهَا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ مَا يَلِي:

(خَرَجَ بَدِيلٌ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ العَاصِ، مَعَ تَاجِرَينِ نَصْرَانِيَّيْنِ هُمَا تَمِيمٌ الدَّارِيُّ وَعَدِيُّ بْنُ بَـدَاءٍ، فِي تِجَارَةٍ إلى الشَّامِ، وَفِي الطَّرِيقِ اشْتَكَى

ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْأَٰثِمِينَ

(١٠٧) فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

بَديلٌ فكَتَبَ وَصِيَّتَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ دَسَّها فِي مَتاعِهِ، وَأَوْصَى إليهما. فلَمَّا مَاتَ فَتحا مَتاعَهُ فَأخذا مِنْهُ شَيْئاً ثُمَّ حجَراهُ كَمـا كَانَ. وَقَـدِمَا عَلى أَهْلِهِ فِي المَدِينَةِ فَدَفعا مَتاعَهُ، فَفَتحَ أَهْلُهُ المَتاعَ فَوَجَدُوا كِتابَهُ وَعَهْدَهُ، وَمَا خَرجَ بِهِ، وَفقَدُوا جاماً مِنْ فِضَّةٍ مُطَعَّمَةٍ بِالذَّهَبِ، فَسَأَلُوهُمَا عَنْهُ فقَالاَ: هَـذا الذِي قَبَضْنا لَهُ، وَدَفعَ إلينا. فقَالُوا هذا كِتابُهُ بِيَـدِهِ. قَالاَ: مَـا كَتَمْنَا لَـهُ شَيْئاً. فَتَرَافَعُوا إلى النَّبيِّ ﷺ فَنَزلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فَأمَرَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَحْلِفُوهُمَا، دُبُرَ صَلاةِ العَصْرِ، بِاللهِ الذِي لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ مَا قَبَضْنَا غَيْرَ هَذا وَلاَ كَتَمْناهُ. فَحلفَا. ثُمَّ وَجَدَ أَهْلُهُ الجَامَ فِي مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُمْ مَنْ وَجدُوهُ عِنْدَهُ: إنَّهُ آشْتَرَاهُ مِنْ عَدِيٍ وَتَمِيمٍ الدَّارِيِّ. فَقَالَ هَذانِ: نَعَمْ، وَلكِنَّا آشْتَرَيْناهُ مِنْهُ، وَنَسِينا أنْ نَذْكُرَهُ حِينَ حَلَفْنَا، فَكَرِهْنَا أَنْ نَكْذِبَ فِي نُفُوسِنا. فَترَافَعُوا إلَى النَّبِيِّ ﷺ فَنزلَتْ الآيَةُ التَّالِيَةُ ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُما آسْتَحَقَّا﴾(١) فَأمَرَ النَّبيُّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ المَيِّتِ أَنْ يَحْلِفَا عَلَى مَا كَتَم تَمِيمٌ وَعَدِيٌّ وَغَيَّبَاهُ وَيَسْتَحِقَّانه.

ثُمَّ إنَّ تَمِيماً الدَّارِيَّ أَسْلَمَ، وَبَايَعَ النَّبِيَّ، وَكَانَ يَقُولُ صَدَقَ رَسُولُ اللهِ، أَنا أَخذْتُ الإِنَاءَ.

(وَيَرَى آبْنُ عَبَّاسٍ أَنْ يَحْلِفَ الشَّاهِدَانِ، إنْ كَانَا غَيْرَ مُسْلِمِين، بَعْدَ صَلاةِ أَهْلِ دِينِهِمَا، لأَنَّهُ لاَ مَعْنَى لِتَحْلِيفِهِمَا بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ، لأَنَّهُما لاَ يُبَالِيَانِ بِصَلاةِ ظُهْرٍ وَلاَ عَصْرٍ، وَلا يُؤْمِنَانِ بِهَا).
وَقَدْ أَضَافَ اللهُ تَعَالَى الشَّهَادَةَ لِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ تَكْرِيماً لَهَا وَتَعْظِيماً.

الشَّهَادَةُ - قَوْلُ مَنْ أَبْصَرَ وَشَاهَدَ بِمَا شَاهَـدَ.
تَحْبِسُونَهُمَا - تُمْسِكُونَهُمَا وَتَمْنَعُونَهُمَا مِنَ الهَرَبِ.
آرْتَبْتُمْ - شَكَكْتُمْ.
ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ - سَافَرْتُم فِيهَا.
لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمناً - لاَ نَأخُذُ بِقَسَمِنَا كَذِباً عَرَضاً دُنْيَوِيّاً.

(فَآخَرَانِ) (الأَوْلَيَانِ) (لَشَهَادَتُنَا) (شَهَادَتِهِمَا) (الظَّالِمِينَ)

(١٠٧) - فَإِذا ظَهَرَ أَنَّ الشَّاهِدَيْنِ قَدْ خَانَا الأَمَانَةَ، أَوْ غَلاَّ شَيْئاً مِنَ المَالِ المُوصَى بِهِ إلَيْهِما، فَلْيَقُم آثْنَانِ مِنَ الوَرَثَةِ المُسْتَحِقِّينَ لِلتَّرِكَةِ، وَلْيَكُونَا مِنْ أَوْلَى مَنْ يَرِثُ ذَلِكَ المَالَ، فَيُقْسِمَانِ بِـاللهِ لَشَهَادَتُنَـا أَحَقُّ بِالقَبُـولِ وَالتَّصْدِيقِ مِنْ شَهَادَةِ الشَّاهِدَيْنِ الآخَرَيْنِ، وَإِنَّ قَوْلَنَا إِنَّهُمَـا خَانَـا أَحَقُّ

(١) الآية ١٠٧ من سورة المائدة.

(١٠٨) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ
وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ
بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ

(١٠٩) ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ نصف الحزب ١٣
فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ
لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ

بِالقُبُولِ ، وَأَصَحُّ مِنْ شَهادَتِهِمَا المُتَقَدِّمَةِ ، وَمَا آعْتَدَيْنا فِيمَا قُلْنَا فِيهِمَا مِنَ الخِيانَةِ ، وَإِنْ كُنَّا كَذَبْنَا عَلَيْهِماوَآفْتَرَيْنا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ .

عُثِرَ - وُجِدَ .

أَنَّهُما آسْتَحَقَّا إِثْماً - تَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ خِيانَةُ الأَمَانَةِ وَالكَذِبُ فِي الشَّهَادَةِ .

الأَوْلَيَانِ - الأَقْرَبَانِ إِلَى المَيِّتِ الوَارِثَانِ لَهُ .

(بِالشَّهَادَةِ)(أَيْمَانٌ) (أَيْمَانِهِمْ) (الْفَاسِقِينَ)

(١٠٨) - وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ رَجُلاً تُوُفِّيَ وَأَوْصَى بِتَرْكَتِهِ إِلَى ذِمِّيَّيْنِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ، وَلَمَّا سَلَّمَا المَالَ إِلَى أَهْلِ المَيِّتِ أَنْكَرَ أَهْلُ المَيِّتِ ، وَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ، فَأَرَادَ أَبُو مُوسَى أَنْ يَسْتَحْلِفَهُمَا بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ ، فَقَالَ لَهُ آبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّهُمَا لاَ يُبَالِيَانِ صَلاَةَ العَصْرِ ، وَلَكِنِ آسْتَحْلِفْهُمَا بَعْدَ صَلاَتِهِمَا المُقَرَّرَةِ فِي دِينِهِمَا .

وَيَقُولُ الإِمَامُ قَبْلَ أَنْ يُحَلِّفَهُمَا : (إِنْ كَتَمْتُمَا أَوْ خُنْتُمَا فَضَحْتُكُمَا فِي قَوْمِكُمَا ، وَلَمْ نُجِزْ لَكُمَا شَهَادَةً ، وَعَاقَبْتُكُمَا) ثُمَّ يُحَلِّفُهُمَا . فَإِذَا قَالَ الإِمَامُ لَهُمَا ذَلِكَ ، وَحَمَلَهُمَا عَلَى الحَلْفِ أَمَامَ النَّاسِ بِالأَيْمَانِ المُغَلَّظَةِ ، كَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ السُّبُلِ إِلى أَنْ يُؤَدِّيَا الشَّهَادَةَ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيحِ (أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا) .

كَمَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الحَامِلَ لَهُمَا عَلَى الإِتْيَانِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيحِ ، هُوَ تَعْظِيمُ الحَلْفِ بِاللهِ ، وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ وَإِجْلاَلُهُ ، وَالخَوْفُ مِنَ الفَضِيحَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، إِنْ رُدَّتِ اليَمِينُ عَلَى الوَرَثَةِ ، فَيَحْلِفُونَ وَيَسْتَحِقُّونَ مَا يَدَّعُونَ . (أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) .

ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَبِأَنْ لاَ يَحْلِفُوا أَيْمَاناً كَاذِبَةً .

وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ .

أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا - أَقْرَبُ إِلَى قَوْلِ الحَقِّ وَالصِّدْقِ فِي الشَّهَادَةِ .

الفَاسِقِينَ - الخَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ .

(عَلاَّمُ)

(١٠٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَسْأَلُ المُرْسَلِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا أَجَابَتْهُمْ بِهِ الأُمَمُ الَّتِي أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَيْهَا فَيَقُولُونَ : لاَ عِلْمَ لَنَا يَا رَبَّنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى

﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ
وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى
فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ
وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ

﴿١١١﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ
أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ

عِلْمِكَ المُحِيطِ بِكُلِّ شَيءٍ، وَأَنتَ تَعْلَمُ ظَاهِرَ النَّاسِ وَباطِنَهُمْ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ.

الغَيْبُ - ما غَابَ عَنِ الحِسِّ.

(يَا عِيسَى) (وَالِدَتِكَ) (الْكِتَابَ) (وَالتَّوْرَاةَ) (إِسْرَائِيلَ) (بِالْبَيِّنَاتِ)

(١١٠) - وَفِي ذَلِكَ المَوْقِفِ يُنَادِي اللهُ تَعَالَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، مِنْ بَيْنِ الرُّسُلِ، فَيُذَكِّرُهُ تَعَالَى بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيهِ، مِمَّا أجْرَاهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ المُعْجِزَاتِ، وَيَقُولُ لَهُ: ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ بِخَلْقِي إيَّاكَ مِنْ أمٍّ بِدُونِ أب، وَجَعْلِي إيَّاكَ آيَةً وَبُرْهَاناً عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِي عَلَى خَلْقِ الأشْيَاءِ. وَٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَى وَالِدَتِكَ، إِذْ جَعَلْتُكَ لَهَا بُرْهَاناً عَلَى بَرَاءَتِهَا مِمَّا نَسَبَهُ الظَّالِمُونَ الجَاهِلُونَ إلَيها مِنَ الفَاحِشَةِ، إِذْ أيَّدْتُكَ بِجِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، (رُوحِ القُدُسِ)، وَجَعَلْتُكَ نَبِيّاً دَاعِياً إِلَى اللهِ فِي صِغَرِكَ وَفِي كِبَرِكَ، فَأنْطَقْتُكَ وَأنْتَ فِي المَهْدِ صَغِيرٌ، فَشَهِدْتَ بِبَراءَةِ أمِّكَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَٱعْتَرَفْتَ بِالعُبُودِيَّةِ لِي، وَأخْبَرْتَ عَنْ رِسَالَتِي إلِيكَ، وَدَعَوْتَ إلى عِبَادَتِي، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَةَ، وَالعِلْمَ النَّافِعَ، وَالتَّوْرَاةَ المُنَزَّلَةَ عَلَى مُوسَى، وَأنْزَلْتُ عَلَيكَ الإِنْجِيلَ، وَإِذْ تُصَوِّرُ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ مِنَ الطِّينِ فَتَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً ذَا رُوحٍ بِإِذْنِي، وَتَشْفِي بِإِذْنِي الأكْمَهَ (وَهُوَ الأعْمَى مُنْذُ الوِلادَةِ) وَالأبْرَصَ (وَهُوَ المُصَابُ بِدَاءِ البَرَصِ غَيْرِ القَابِلِ لِلشِّفَاءِ)، وَإِذْ تَدْعُو المَوْتَى فَيَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ بِإِذْنِي وَقُدْرَتِي.

وَٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيكَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ عَنْكَ حِينَمَا جِئْتَهُمْ بِالبَرَاهِينِ وَالحُجَجِ الفَاصِلَةِ، عَلَى نُبُوَّتِكَ وَرِسَالَتِكَ مِنَ اللهِ، فَكَذَّبُوكَ وَٱتَّهَمُوكَ بِأنَّكَ سَاحِرٌ، وَسَعَوْا فِي قَتْلِكَ وَصَلْبِكَ، فَنَجَّيْتُكَ مِنْهُمْ، وَرَفَعْتُكَ إلَيَّ، وَطَهَّرْتُكَ مِنْ دَنَسِهِمْ، وَكَفَيْتُكَ شَرَّهُمْ.

السِّحْرُ - تَمْوِيهٌ وَتَخْيِيلٌ يَرَى فِيهِ الإِنْسَانُ الشَّيءَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ.

الأكْمَهُ - الأعْمَى مُنْذُ خِلْقَتِهِ.

كَفَفْتُ - مَنَعْتُ مِنَ الوُصُولِ إلَيكَ - وَمِنْهُ كَفُّ الثَّوْبِ ثَنَاهُ.

رُوحُ القُدُسِ - جِبْرِيلُ.

(الحَوارِيِّينَ) (آمِنُوا) (آمَنَّا)

(١١١) - وَٱذْكُرْ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ حِينَ أَلْهَمْتُ الحَوَارِيِّينَ الإِيمَانَ بِرَبِّهِمْ، وَالتَّصْدِيقَ بِأنَّكَ رَسُولُهُ، حِينَما كَذَّبَكَ جُمْهُورُ بَنِي

(١١٢) إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(١١٣) قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ

(١١٤) قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ

إسْرائيلَ، وَجعَلْتُ الحَوارِيِّينَ أنْصاراً لَكَ يُؤيِّدُونكَ، ويُؤيِّدُون دَعْوتَك، وَيَنْشُرُونَ شَرِيعَتَكَ، فَقالُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى، وَأَشْهَدُوا اللهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، مُخْلِصُونَ فِي إِيمَانِهِمْ، مُذْعِنُونَ لِأَوامِرِهِ، تارِكُونَ لِنَواهِيهِ.

الحَوارِيُّونَ - الأَنْصارُ وَأُطْلِقَ اللَّفْظُ عَلَى أَنْصارِ المَسِيحِ، عَلَيهِ السَّلامُ.

(يَا عِيسَى) (مَائِدَةً)

(١١٢) - وَمِمَّا آمْتَنَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى عَبْدِهِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ آسْتِجَابَتُهُ لِدَعْوَتِهِ فِي إِنْزالِ مَائِدَةٍ عَلَيهِمْ مِنَ السَّماءِ، فَقَدْ سَأَلَ الحَوارِيُّونَ عِيسَى قائِلِينَ: هَلْ يَسْتَجِيبُ لَكَ رَبُّكَ إِنْ سَأَلْتَهُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَينا مَائِدَةً مِنَ السَّماءِ (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) فَقالَ لَهُمْ عِيسَى: آتَّقُوا اللهَ أَنْ تَقْتَرِحُوا عَلَيهِ أَمْثالَ هٰذِهِ الاقْتِراحَاتِ، الَّتِي كَانَ بَنُو إِسْرائيلَ يَقْتَرِحُونَها عَلَى مُوسَى لِلتَّعْجِيزِ، لِئَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً لَكُمْ، فَمِنْ شَأْنِ المُؤْمِنِ الصَّادِقِ أَلَّا يُجَرِّبَ رَبَّهُ، بِآقْتِراحِ الآياتِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ فِي إِيمَانِكُمْ بِاللهِ.

المَائِدَةُ - الخِوَانُ عَلَيهِ طَعَامٌ.

(تَطْمَئِنَّ) (الشَّاهِدِينَ)

(١١٣) - فَقالَ الحَوارِيُّونَ لِعِيسَى: إِنَّنا جائِعُونَ وَمُحْتَاجُونَ لِلأَكْلِ مِنْها، ثُمَّ إِنَّنا إِذا شاهَدْنَاها وَهِيَ تَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ، تَطْمَئِنُّ قُلُوبُنا، وَنَزْدادُ بِكَ إِيماناً، وَعِلْماً بِصِدْقِ رِسالَتِكَ، وَنَشْهَدُ عَلَيها عِنْدَ بَنِي إِسْرائيلَ الذِينَ لَمْ يَحْضُرُوها.

(مَائِدَةً) (آخِرِنَا) (وَآيَةً) (الرَّازِقِينَ)

(١١٤) - وَلَمَّا عَلِمَ عِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ صِدْقَ نِيَّتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لا يُرِيدُونَ تَعْجِيزَهُ، وَلاَ آقْتِراحَ الآياتِ عَلَيهِ، دَعَا اللهَ تَعَالَى بِهٰذا الدُّعاءِ الكَرِيمِ: فَقالَ: يَا أَللهُ، يَا مَالِكَ أَمْرِنا وَمُتَوَلِّي تَرْبِيَتِنا، أَنْزِلْ عَلَينا مَائِدَةً مِنَ السَّماءِ يَراها هٰؤُلاءِ المُقْتَرِحُونَ بِأَبْصارِهِمْ، وَتَتَغَذَّى بِها أَبْدانُهُمْ، وَتَكُونَ عِيداً خاصّاً بِنا، مَعْشَرَ المُؤْمِنِينَ، نُعَظِّمُهُ نَحْنُ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَنا، وَآجْعَلْها عَلامَةً مِنْ لَدُنْكَ تُرْشِدُ بِهَا القَوْمَ إِلى صِحَّةِ دَعْوَتِي، وَصِدْقِ نُبُوَّتِي، وَآرْزُقْنا رِزْقاً هَنِيئاً بِلا كُلْفَةٍ، وَلاَ تَعَبٍ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ رَزَقَ.

عِيداً - فَرَحاً وَسُرُوراً أَوْ يَوْماً نُعَظِّمُهُ.

﴿١١٥﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ

﴿١١٧﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

﴿١١٨﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

﴿١١٩﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(العَالَمِينَ)

(١١٥) - فَقَالَ اللهُ لِعِيسَى: إِنَّهُ اسْتَجَابَ لِدُعَائِهِ، وَإِنَّهُ سَيُنْزِلُ المَائِدَةَ الَّتِي سَأَلَها، وَلَكِنَّهُ نَبَّهَهُ إِلى أَنَّهُ سَيُعَاقِبُ مَنْ يَكْفُرُ بَعْدَ إِنزالِ هَذِهِ الآيَةِ الكُبْرى (المَائِدَةِ) عَذاباً لا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ.

(يَا عِيسَى) (أَأَنْتَ) (سُبْحَانَكَ) (عَلاَّمُ)

(١١٦) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ مَا يَقُولُهُ رَبُّكَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَوْمَ يَجْمَعُ الرُّسُلَ، فَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا أَجَابَتْهُمْ بِهِ أُمَمُهُمْ، ثُمَّ يُذَكِّر عِيسَى بِأَفْضَالِهِ عَلَيهِ وَعَلَى وَالِدَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ بِحُضُورِ مَن اتَّخَذُوهُ وَأُمَّهُ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ: هَلْ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ؟ - أَيْ مُتَجَاوِزَيْنِ بِذَلِكَ تَوْحِيدَ اللهِ وَإِفْرَادَهُ بِالعُبُودِيَّةِ؟ فَيُنْكِرُ عِيسَى أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ، وَيَقُولُ للهِ تَعَالَى: سُبْحَانَكَ! وَتَنَزَّهَ اسْمُكَ، لَيْسَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي حَقٌّ بِقَوْلِهِ. فَإِذا كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ أَنْتَ، لأَنَّكَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ، وَتَعْلَمُ مَا تُخْفِي العِبَادُ وَمَا تُعْلِنُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، لأَنَّكَ رَبِّي وَخَالِقِي، وَأَنَا عَبْدُكَ لا أَعْرِفُ مَا فِي نَفْسِكَ.

سُبْحَانَكَ - تَنْزِيهاً لَكَ مِنْ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ.

(١١٧) - إِنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُمْ فِي أَمْرِ الإِيمَانِ، وَأَسَاسِ الدِّينِ إِلا الذِي أَرْسَلْتَنِي بِهِ، وَأَمَرْتَنِي بِإِبْلاغِهِ، وَهُوَ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، وَكُنْتُ شَهِيداً عَلَى أَعْمَالِهِمْ حِينَ كُنْتُ حَيّاً بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الشَّاهِدَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ.

تَوَفَّيْتَنِي - أَخَذْتَنِي إِلَيْكَ وَافِياً.

(١١٨) - يَرُدُّ عِيسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، الأَمْرَ وَالمَشِيئَةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. وَيَقُولُ: إِنَّ أَمْرَ العِبَادِ مَوْكُولٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَإِنْ عَذَّبَهُمْ فَبِذُنُوبِهِمْ، فَهُوَ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ، وَإِنْ يَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّهُ تَعَالَى الغَفَّارُ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَحُكْمِهِ.

(الصَّادِقِينَ) (جَنَّاتٌ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِين)

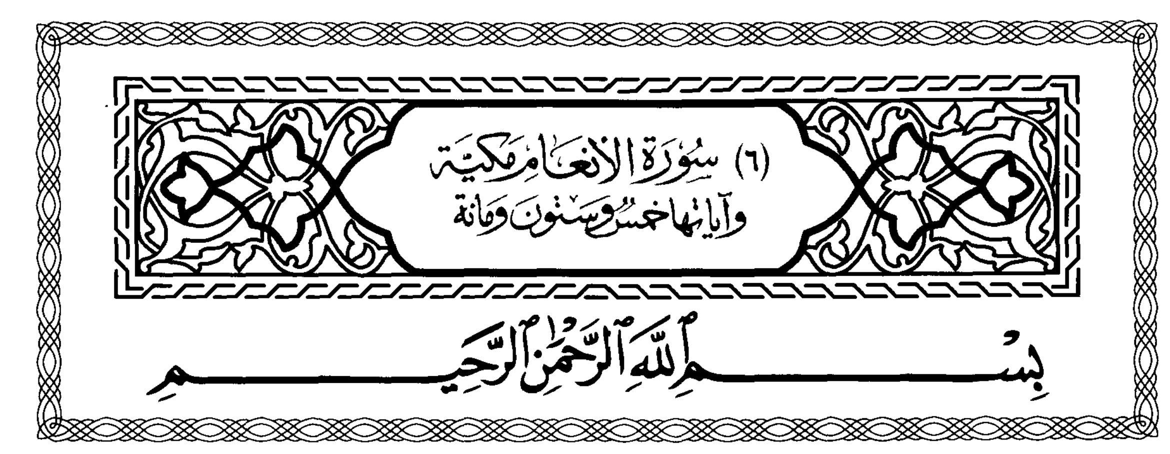
(١١٩) - وَحِينَ تَبَرَّأَ عِيسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، مِنْ عِبَادَةِ مَنْ عَبَدُوهُ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِصِدْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: هَذا هُوَ اليَوْمُ الذِي يَنْفَعُ فِيهِ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ، وَالمُوَحِّدِينَ تَوْحِيدُهُمْ، وَسَتَكُونُ لِلصَّادِقِينَ جَنَّاتٌ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِها، جَزَاءً وِفَاقاً لَهُمْ، وَسَيَكُونُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً، وَلَقَدْ

﴿١٢٠﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ

فَازُوا بِرِضَا رَبِّهِمْ وَرِضْوَانِهِ، وَرَضُوْا عَمَّا أَكْرَمَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَهذا هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ الذِي لاَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٢٠) ـ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وَهُوَ المَالِكُ المُتَصَرِّفُ بِجَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ، وَالقَادِرُ عَلَيهِ، وَالجَمِيعُ مُلْكُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَالمَسِيحُ وَأُمُّهُ اللّذَانِ عَبَدَهُمَا الكَافِرُونَ، مِنْ دُونِ اللهِ، دَاخِلاَنِ تَحْتَ قَبْضَتِهِ، فَلاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى شَفَاعَتِهِما فِيهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.



(١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

(السَّماوَاتِ) (الظُّلُماتِ)

(١) - الحَمْدُ وَالشُّكْرُ للهِ الذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَجعَلَ الأَرْضَ قراراً للنَّاسِ، فَهُوَ المُسْتَوْجِبُ لِلْحَمْدِ عَلى أَنْعُمِهِ عَلى عِبادِهِ، وهُوَ الذِي خلَقَ ظُلْمَةَ ٱللَّيْلِ ونُورَ النَّهارِ (وَقالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: المُرادُ بِالظُّلْمَةِ وَالنُّورِ هُنَا الكُفْرُ والإِيمَانُ)، وَمَعَ وُضُوحِ ذلِكَ لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ فَإِنَّ الذِينَ كَفروا يَعْدِلُونَ بِاللهِ سِواهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ وَالكَوَاكِبِ وَالمَخْلُوقاتِ الأُخْرَى، وَيُسَوُّونَهُمْ بِهِ فِي العِبادَةِ، مَعَ أَنَّ هٰؤُلاءِ الأَرْبَابَ والشُّرَكَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً.

جعَلَ - أَنْشَأَ وَأَبْدَعَ وَخلَقَ.

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ - يُسَوُّونَ غَيْرَهُ بِهِ فِي العِبادَةِ.

(٢) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ

(٢) - وَاللهُ تَعالَى هُوَ الذِي خَلَقَ آدَمَ أَبا البَشَرِ مِنْ طِينٍ (أَيْ مِنْ تُرابٍ خالَطَهُ ماءٌ)، وَٱنْتَشَرَ مِنْهُ أَبْنَاؤُهُ فَهُمْ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ قَضَى بِأَنْ يَكُونَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنَ الخَلْقِ أَجَلٌ مَحْدُودٌ، تَنْتَهِي بِهِ حَياتُهُ، وَجَعَلَ لِلخلائِقِ جَميعاً أَجَلاً تَنْتَهِي بِهِ الحَياةُ بِتَمامِها عَلى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَبْعَثُهُمُ اللهُ مَرَّةً أُخْرَى. وَيَجْمَعُهُمْ لِلْحِسابِ، وَقَدِ ٱخْتَصَّ اللهُ تَعالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ بِعِلْمِ مَوْعِدِ قِيامِ السَّاعَةِ (أَجلٌ مُسَمَّى عِنْدَهُ)، فَلا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَهُنَاكَ أُناسٌ يَشُكُّونَ فِي أَمْرِ السَّاعَةِ.

قَضى أَجلاً - قَدَّرَ زَماناً مُعَيَّناً لِلْموتِ.

أَجلٌ مُسَمَّى عِنْدَهُ - زَمَنٌ مُعَيَّنٌ لِلْبَعْثِ ٱسْتَأْثَرَ تَعالَى بِعِلْمِهِ.

تَمْتَرُونَ - تَشُكُّونَ فِي البَعْثِ أَوْ تُنْكِرُونَهُ.

(٣) وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ

(السَّماوَاتِ)

(٣) - وَهُوَ اللهُ الذِي يَعْبُدُهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، وَيَدِينُونَ لَهُ بالأُلوهِيَّةِ، رَغَباً وَرَهَباً، وَلا يَشُذُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا مَنْ كَفَرَ مِنَ الإِنْسِ

وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ

وَالجِنّ، وَهُوَ تَعالى يَعْلَمُ ما يُسِرُّ الخَلْقُ وَما يُعْلِنُونَ، وَيَعْلَمُ جَمِيعَ ما يَعْمَلُهُ الخَلْقُ مِنْ خَيرٍ وَشرٍ، وَهُوَ يُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ لِيُجازِيَهُمْ عَلَيهِ يَوْمَ الحِسَاب.

(٤) وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ

(آيةٍ) (آيَاتِ)

(٤) - وَمَا تَنْزِلُ عَلَى المُشْرِكِينَ آيَةٌ مِنْ آياتِ القُرآنِ تَلْفِتُ أَنْظارَهُمْ إِلَى مَا أَبْدَعَهُ الخَالِقُ مِنْ صُنْعٍ فِي خَلْقِهِ هٰذا الكَوْنَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلى وَحدَانِيَّتِهِ وَتَفَرُّدِهِ بالأُلوهيَّةِ، وَعَلى صِدْقِ مَا أَرْسَلَ بِهِ الأَنْبِياءَ، إلَّا أَعْرَضَ عَنْهَا هٰؤُلاءِ الكَفَرَةُ المُكَذِّبُونَ، آسْتِهْزاءً وَآسْتِكْباراً غَيْرَ مُتَدبِّرِينَ مَعْنَاها، وَلا مُتَفَكِّرِينَ فِي دَلالَتِها.

(٥) فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ

(أَنْبَاءُ) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٥) - وَبِسَبَبِ إِعْراضِهِمْ عَنِ النَّظَرِ فِي الآيَاتِ، وَالتَّفْكُّرِ فِيهَا، فَقَدْ كَذَّبُوا بِدِينِ اللهِ الحَقِّ، لَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَمْ يَتَرَيَّثُوا، وَلَمْ يَتَدَبَّرُوا مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَهُدًى، وَسَيَرَوْنَ عَاقِبَةَ التَّكْذِيبِ وَالاسْتِهْزاءِ، حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ العُقُوبَاتُ العَاجِلَةُ، التِي أَشَارَتْ إِلَيْهَا الآيَاتُ: مِنْ نَصْرِ الرَّسُولِ، وَإِظْهَارِ دِينِ اللهِ، وَإِعْزَازِ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ...

أَنْبَاءُ - أَخْبَارٌ - وَهِيَ هُنا مَا يَنالُهُمْ مِنَ العُقُوبَةِ.

(٦) أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ

(مَكَّنَّاهُمْ) (الأَنهار) (فَأَهْلَكْنَاهُمْ) (آخرِينَ)

(٦) - يَلْفِتُ اللهُ تَعالَى أَنْظَارَ الكُفَّارِ مِنْ قُرَيشٍ، المُكَذِّبِينَ بِآياتِ رَبِّهِمْ وَرُسُلِهِ، إِلَى الأُمَمِ العَدِيدَةِ التِي كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ رُسُلَهَا، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَكَانَ تَعَالَى قَدْ مَكَّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ أَكْثَرَ مِمَّا مَكَّنَ لِهٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ، وَأَمَدَّهُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَجَعَلَهُمْ أَكْثَرَ قُوَّةً وَعِمَارَةً فِي الأَرْضِ مِنْ هٰؤُلاءِ، وَجَعَلَ السَّماءَ تُمْطِرُهُمْ بِصُورَةٍ مُتَتَالِيَةٍ، مَطَراً غَزِيراً (مِدْرَاراً)، وَفَجَّرَ لَهُمْ مِنَ الأَرْضِ يَنَابِيعَ وَأَنْهَاراً، آسْتِدْرَاجاً لَهُمْ وَإِمْلاءً، ثُمَّ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَجَعَلَهُمْ كَأَمْسِ الدَّابِرِ. وَجَعَلَ، مِنْ بَعْدِ هٰؤُلاءِ الهَالِكِينَ، أَجْيَالاً أُخْرَى (قَرْناً آخرِينَ) لِيَخْتَبِرَهُمْ، فَعَمِلُوا مِثْلَ أَعْمَالِ مَنْ كَانُوا قَبْلَهُمْ، فَآحْذَرُوا أَيُّهَا المُخَاطَبُونَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُمَا أَصَابَهُمْ، فَمَا أَنْتُمْ بِأَعَزَّ عَلَى اللهِ مِنْهُمْ. وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالعَذَابِ وَمُعَاجَلَةِ العُقُوبَةِ مِنْهُمْ، لَوْلا لُطْفُ اللهِ وَإِحْسَانُهُ.

كَمْ أَهْلَكْنا - كَثِيراً مَا أَهْلَكْنَا.

قَرْنٍ - أُمَّةٍ أَوْ جِيلٍ مِنَ النَّاسِ.
مَكَّنَّاهُمْ - أَعْطَيْنَاهُمْ مِنَ المُكْنَةِ وَالقُوَّةِ.
مِدْراراً - غَزِيراً كَثِيرَ الصَّبِّ أَوْ مُتَتَابِعاً.

(٧) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ

(كِتاباً)

(٧) - يُخبِرُ اللهُ تَعالَى عَنْ عِنادِ المُشْرِكِينَ وَتَعَنُّتِهِمْ وَمُكابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ، فَيقُولُ تعالَى: إنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ كِتاباً مَسْطُوراً فِي وَرَقٍ، وَما أَشْبَهَهُ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَيهِ (قِرْطَاسٍ)، وَعَايَنُوه وَرَأوا نُزُولَهُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ، لَقَالَ الكَافِرُونَ إنَّ هٰذا لَسِحْرٌ وَاضِحٌ.
كِتاباً فِي قِرْطَاسٍ - كِتَاباً مَكْتُوباً فِي وَرَقٍ أَوْ رَقٍّ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَيْهِ.

(٨) وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ

(٨) - وَقَالُوا: هَلاَّ أَنْزَلَ اللهُ مَلَكاً عَلَى مُحَمَّدٍ، لِيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً، لِيَقْتَنِعُوا بِأَنَّ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى الرَّسُولِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقّاً وَصِدْقاً.
وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هٰؤُلاءِ القَائِلِينَ قَائِلاً: إنهُ لَوْ أَنْزَلَ مَلَكاً، كَمَا اقْتَرَحُوا، وَلَمْ يُؤْمِنُوا لَقُضِيَ الأَمْرُ بِإهْلاكِهِمْ، ثُمَّ لا يُؤَخَّرُونَ وَلا يُمْهَلُونَ لِيُؤْمِنُوا، بَلْ يَأْخُذُهُمُ العَذابُ عَاجِلاً، كَمَا مَضَتْ بِذٰلِكَ سُنَّةُ اللهِ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ المُكَذِّبِينَ.

هٰذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ رَدّاً عَلَى عَدَدٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ وَعَظَ النَّاسَ وَأَبْلَغَهُمْ مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ بِإبلاغِهِ إلَيْهِمْ: (لَوْ جُعِلَ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ مَلَكٌ يُحَدِّثُ عَنْكَ النَّاسَ، وَيُرى مَعَكَ).
لاَ يُنظَرُونَ - لاَ يُمْهَلُونَ لَحْظَةً بَعْدَ إنْزَالِهِ.

(٩) وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ

(جَعَلْنَاهُ) (لَجَعَلْنَاهُ)

(٩) - وَلَوْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الرَّسُولَ مَلَكاً، لَجَعَلَهُ مُتَمَثِّلاً بِصُورَةِ رَجُلٍ مِنَ البَشَرِ، لِيَتَمَكَّنُوا هُمْ مِنْ رُؤْيَتِهِ، وَلِيَتَمَكَّنَ هُوَ مِنْ مُخَاطَبَتِهِمْ وَالحَدِيثِ مَعَهُمْ، لِيُبَلِّغَهُمْ رِسَالاتِ رَبِّهِ. وَلَوْ جَعَلَ اللهُ المَلَكَ الرَّسُولَ فِي صُورَةِ البَشَرِ لالْتَبَسَ الأَمْرُ عَلَيهِمْ لاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ بَشَرٌ، لأَنَّهُمْ لا يُدْرِكُونَ مِنْهُ إلاَّ صُورَتَهُ وَصِفَاتِهِ البَشَرِيَّةَ التِي يَتَمَثَّلُ لَهُمْ بِهَا، كَمَا يَلْتَبِسُ الأَمْرُ عَلَيهِم الآنَ فِي قَبُولِ رَسُولٍ مِنَ البَشَرِ.

لَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ - لَخَلَطْنَا عَلَيْهِمْ وَأَشْكَلْنَا عَلَيهِمْ حِينَئِذٍ مَا يَخْلِطُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم اليَوْمَ.

(١٠) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(١٠) - ويُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلاقِيهِ مِنْ عِنَادِ الكُفَّارِ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى البَاطِلِ، فَيَقُولُ لَهُ: لَقَدِ آسْتُهزِئَ بِرُسُلٍ جَاؤُوا قَبْلَكَ، وَسَخِرَ مِنْهُمُ الكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَمِنَ العِقَابِ الذِي أَنْذَرُوهُمْ بِهِ، فَعَاقَبَ اللهُ الذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ فَدَمَّرَهُمْ، وَنَصَرَ رُسُلَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، وَكَانَتِ العَاقِبَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

حَاقَ - أَحَاطَ أَوْ نَزَلَ.

(١١) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ

(عَاقِبَةُ)

(١١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأُولئِكَ المُكَذِّبِينَ المُسْتَهْزِئِينَ الجَاحِدِينَ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ: سِيرُوا فِي الأَرْضِ، وَتَتَبَّعُوا أَخْبَارَ الأُمَمِ التِي عَاشَتْ فِيهَا، ثُمَّ آنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ نِهَايَةُ المُكَذِّبِينَ، وَعَاقِبَةُ بَغْيِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَآعْتَبِرُوا بِذَلِكَ المَصِيرِ.

(١٢) قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(السَّمَاوَاتِ) (الْقِيَامَةِ)

(١٢) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِقَوْمِكَ المُكَذِّبِينَ الجَاحِدِينَ لِرِسَالَتِكَ، المُعْرِضِينَ عَنْ دَعْوَتِكَ: لِمَنْ هٰذِهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَمَنْ خَلَقَهَا؟ وَبِمَا أَنَّ مُشْرِكِي العَرَبِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَأَنَّهُ مَالِكُهَا المُتَفَرِّدُ، وَأَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ عَبِيدُهُ، فَسَيَقُولُونَ: إِنَّهُ اللهُ، وَهٰذَا لَا خِلافَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فِيهِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ الذِي تُقِرُّونَ بِمُلْكِهِ لِلْكَوْنِ قَدْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ بِخَلْقِهِ، إِذْ أَفَاضَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، وَمِنْ مُقْتَضَى هٰذِهِ الرَّحْمَةِ أَنْ لا يُعَجِّلَ العُقُوبَةَ لِلنَّاسِ، وَأَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ، إِذَا تَابُوا وَعَمِلُوا أَعْمَالاً صَالِحَةً، وَأَنَّهُ سَيَجْمَعُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ - وَهُوَ يَوْمٌ آتٍ قَرِيبٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ - لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ الجَزَاءَ العَادِلَ عَنْ عَمَلِهِ، إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى أَنْ بَيَّنَ لِعِبَادِهِ هٰذا، لِيَحْذَرُوا، وَلِيُحْسِنُوا العَمَلَ، فَلَوْلا خَوْفُ النَّاسِ مِنَ العِقَابِ وَالحِسَابِ لَسَادَ الفَسَادُ فِي الأَرْضِ، وَلانْتَشَرَ الظُّلْمُ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنيا بِالكُفْرِ، وَالتَّقْلِيدِ وَالتَّرَدُّدِ. لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ فِيمَا خَلَقَهَا اللهُ لَهُ مِنَ التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالاتِّعَاظِ.

كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ - قَضَى وَأَوْجَبَ، تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَاناً، الرَّحْمَةَ عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ.

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ - أَهْلَكُوهَا وَغَبَنُوهَا بِالكُفْرِ.

(١٣) ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

(اللَّيْلِ)

(١٣) - واللهُ تَعَالَى هُوَ المُتَصَرِّفُ فِي الخَلْقِ كُلِّهِ دَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ، كَمَا يَشَاءُ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الرُّبُوبِيَّةِ الكَامِلَةِ، وَجَمِيعُ مَا فِي الوُجُودِ عِبَادُ اللهِ، وَخَلْقٌ مَنْ خَلْقِهِ، وَهُمْ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَتَصَرُّفِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ سَمْعُهُ تَعَالَى بِكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْمَعَ، مَهْمَا يَكُنْ خَفِيّاً، كَمَا أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيءٍ مِنْ حَرَكَاتِ العِبَادِ، وَمِمَّا يُسِرُّونَ فِي ضَمَائِرِهِمْ.

مَا سَكَنَ - مَا ٱسْتَقَرَّ وَحَلَّ.

(١٤) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

(السَّمَاوَاتِ)

(١٤) - قُلْ لَهُمْ: إِنَّنِي لاَ أَطْلُبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ نَفْعاً وَلا ضَرّاً، وَلاَ فِعْلاً وَلاَ مَنْعاً، وَلا أَتَّخِذُ غَيْرَهُ تَعَالَى وَلِيّاً لِي، فَهُوَ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَخَالِقُهُما وَمُبْدِعُهُما عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.

وَهُوَ الذِي يَرْزُقُ العِبَادَ الطَّعَامَ، وَلَيْسَ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلى مَنْ يَرْزُقُهُ وَيُطْعِمُهُ، لأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الحَاجَةِ إِلى كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَقُلْ لَهُمْ بَعْدَ أَنِ ٱسْتَبَانَتْ لَهُمُ الأَدِلَّةُ عَلَى وُجُوبِ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ: لَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي، جَلَّ شَأْنُهُ وَعَلاَ، أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ، وَانْقَادَ لأَمْرِهِ، مِنْ تِلْكَ الأُمَّةِ التِي بُعِثْتُ فِيها، فَلاَ أَدْعُو إِلى شَيءٍ إِلاَّ كُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي بِأَلاَّ أَكُونَ مِنَ المُشْرِكِينَ الذِينَ ٱتَّخَذُوا أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ لِيُقَرِّبُوهُمْ إِليهِ زُلْفَى.

وَلِيّاً - مَعْبُوداً وَنَاصِراً وَمُعِيناً.

فَاطِرِ - خَالِقِ وَمُبْدِعِ.

هُوَ يُطْعِمُ - هُوَ يَرْزُقُ عِبَادَهُ.

مَنْ أَسْلَمَ - مَنْ خَضَعَ للهِ بِالعُبُودِيَّةِ وَٱنْقَادَ لَهُ.

(١٥) قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(١٥) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي لاَ أَعْصِي رَبِّي لأَنَّنِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ أَوَامِرَهُ أَنْ يَمَسَّنِيَ العَذَابُ الأَلِيمُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ لاَ تَنْفَعُ فِيهِ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

(١٦) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ

(١٧) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(١٨) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ

(١٩) قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ

(يَوْمَئِذٍ)

(١٦) - وَمَنْ يُحَوَّلُ عَنْهُ العَذَابُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ (يُصْرَفْ عَنْهُ)، فَيَكُونُ اللهُ تَعَالَى قَدْ رَحِمَهُ، وَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ النَجَاةَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيمِ مِنَ العَذابِ، ثُمَّ دُخُولَ الجَنةِ، هُمَا الفَوْزُ الذِي لاَ فَوْزَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

صُرِفَ عَنْهُ - جُنِّبَهُ وأُبْعِدَ عَنْهُ.

(١٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ الضَّرِّ والنَّفْعِ، وأَنَّهُ المُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، لا مُعَقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَلا رَادَّ لِقَضَائِهِ، فَإِذا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُصِيبَكَ خَيْرٌ فَهُوَ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّ مَا قَدَّرَهُ، فَعَلَى المُؤْمِنِ الصَّادِقِ أَنْ لاَ يَسْأَلَ فِي الشَّدَائِدِ غَيْرَ اللهِ، لأَنَّ مَنْ دُونَهُ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ، وَلا لِغَيْرِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً.

(١٨) - وَهُوَ الذِي خَضَعَتْ لَهُ رِقَابُ العِبَادِ، وَذَلَّتْ لَهُ الجَبَابِرَةُ، وَقَهَرَ كُلَّ شَيءٍ، وَدَانَتْ لَهُ الخَلائِقُ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، فَلا يَقَعُ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَلٌ، وَهُوَ الخَبِيرُ بِمَوَاضِعِ الأَشْيَاءِ وَمَحَالِّهَا، فَلاَ يُعْطِي إِلاَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ، وَلاَ يَمْنَعُ إِلاَّ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّ المَنْعَ عَنْهُ.

القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ - المُسَيْطِرُ عَلَيْهِمْ.

(شَهَادَةً) (القُرْآنُ) (أَئِنَّكُمْ) (آلِهَةً) (وَاحِدٌ)

(١٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَسْأَلَ كُفَّارَ قُرَيشٍ عَنْ أَيِّ شَهَادَةٍ هِيَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ، وَأَجْدَرُ بأَن تَكُونَ أَصَحَّ الشَّهَادَاتِ وَأَصْدَقَها؟ ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُجِيبَ عَلَى هذا السُّؤالِ: بِأَنَّ أَكْبَرَ الأَشْيَاءِ شَهَادَةً هُوَ مَنْ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي شَهادَتِهِ كَذِبٌ وَلاَ خَطَأٌ ولا زُورٌ، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى. وَهُوَ الشَّهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُم، وَهُو الذِي أَوْحَى إِليَّ هذا القُرْآنَ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ عِقَابَهُ عَلى تَكْذِيبِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، مُؤَيَّداً بِشَهَادَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَأُنْذِرَ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ هذا القُرْآنُ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ فَهُوَ مَدْعُوٌّ إِلى اتِّبَاعِهِ حَتَّى تَقُومَ القِيَامَةُ. وَشَهَادَتُهُ تَعَالَى هِيَ شَهَادَةُ آيَاتِهِ فِي القُرْآنِ، وَآيَاتِهِ فِي الأَنْفُسِ وَالأَكْوَانِ، وَآيَاتِهِ فِي العَقْلِ وَالوِجْدَانِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **بَلِّغُوا عَنِ اللهِ فَمَنْ بَلَغَتْهُ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ اللهِ**).

ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ بِأَنْ يَقُولَ لِهؤُلاءِ المُشْرِكِينَ: إِنْ كُنْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى، فَأَنَا لاَ أَشْهَدُ بِذلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، خَلَقَ كُلَّ

(٢٠) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ

(٢٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ

(٢٣) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ

شيءٍ، وَخضعَ لَهُ كُلُّ شيءٍ فِي الوُجُودِ، وَإنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُون بِهِ مِنَ الأَصْنام وَالأَنْدادِ وَالأَوْثانِ.

مَنْ بَلَغ - مَنْ بَلَغَهُ القُرْآنُ إلى قِيام السَّاعَةِ.

(آتَيْناهُمْ) (الْكِتاب)

(٢٠) - إنَّ أَهْلَ الكِتَابِ يَعْرِفُونَ أَنَّ مُحَمَّداً خاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلِ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ، بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الأَخْبارِ وَالأَنْباءِ، عَنِ الأَنْبِياءِ المُتَقَدِّمِينَ، فَقَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ كُلُّهُمْ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ وَنَعْتِهِ، وصِفَتِهِ وَمَكانِ هِجْرَتِهِ، وَصِفَةِ أُمَّتِهِ... وَالذِينَ أَنْكَرُوا نُبوَّةَ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَتَهُ مِنْ عُلَماءِ اليَهُودِ، عِلَّتُهُمْ فِي ذلِكَ كَعِلَّةِ مَنْ أَنْكَرُوها مِنْ زُعَماءِ المُشْرِكِينَ، وَهِيَ الخَوْفُ مِنْ فِقْدانِ الزَّعامَةِ وَالرِّياسَةِ، لِذلِكَ فَإِنَّ هؤُلاءِ يُعَدُّونَ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ لإِيثارِهِمِ الجاهَ وَالرِّيَاسَةَ عَلَى الإِيمانِ باللهِ وَبالرَّسُولِ، الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً فِي كُتُبِهِمْ.

(بِآيَاتِهِ) (الظَّالِمُونَ)

(٢١) - لاَ أَحدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ آفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً، كَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ وَلَداً أَوْ شَرِيكاً... أَوْ زَادَ فِي دِينِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ المُنَزَّلَةِ كَالقُرآنِ، أَوْ آيَاتِهِ الكَوْنِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدانِيَّتِهِ، أَوْ التِي يُؤَيِّدُ بِهَا رُسُلَهُ الكِرامَ...

وَمَن آفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً، أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ يَكُونُ أَظْلَمَ الظَّالِمِينَ، وَلاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ يَوْمَ الحِسَابِ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذابِ اللهِ فِي النَّارِ، وَلا يَفُوزُونَ بِنَعِيمِ اللهِ فِي الجَنَّةِ.

(٢٢) - وَآذْكُرْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ مَا يَحْصَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللهُ هؤُلاءِ الظَّالِمينَ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مِنْهُم - وَهُمْ أَشَدُّهُمْ ظُلْماً -: أَيْنَ الشُّرَكَاءُ الذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنيا أَنَّهُمْ أَوْلِيَاؤُكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ تَزْعُمُونَ أَنَّ لَهُمْ شَرِكَةً فِي الأُلُوهِيَّةِ؟

(٢٣) - وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعْذِرَةٌ يَعْتَذِرُونَ بِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، عَنْ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ وسُوءِ عَمَلِهِمْ، إِلاَّ أَنْ أَقْسَمُوا بِاللهِ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ المُشْرِكِينَ حِينَ يَرَوْنَ، يَوْمَ القِيَامَةِ، أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ أَهْلُ الإِيمَانِ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: (تَعَالَوْا نَجْحَدْ)، فَيَقُولُون: (وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)، فَيَخْتِمُ اللهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتَشْهَدُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَلاَ يَكْتُمونَ اللهَ حَدِيثاً).

(٢٤) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ

(٢٥) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: إِنَّ المُشْرِكِينَ كَانُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا مَفْتُونِينَ بِشِرْكِهِمْ، مُتَهالِكِينَ فِي حُبِّهِ، وَالقِتالِ دُونَهُ، وَحِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ تَكُونُ عاقِبَةُ هٰذا الشِّرْكِ الجُحُودَ بِهِ، وَالتَّبَرُّؤ مِنْهُ).

فِتْنَتُهُمْ - مَعْذِرَتُهُمْ أَوْ عَاقِبَةُ شِرْكِهِمْ.

(٢٤) - وَيَتَعَجَّبُ اللهُ تَعَالَى مِنْ كَذِبِ هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ بِإِنْكارِهِمْ صُدُورَ الإِشْراكِ عَنْهُمْ فِي الدُّنيا، ثُمَّ يَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ: انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا، بِاليَمِينِ الفَاجِرَةِ التِي أَقْسَمُوهَا لِنَفْيِ شِرْكِهِمْ، وَكَيْفَ ذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنَ الإِشْرَاكِ، حَتَّى نَفَوْا صُدُورَهُ عَنْهُمْ.

ضَلَّ عَنْهُمْ - غَابَ عَنْهُمْ وَزَالَ.

(آذَانِهِمْ) (آيَةٍ) (يُجَادِلُونَكَ) (أَسَاطِيرُ)

(٢٥) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

(جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو سُفْيَانَ، وَالوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ، وَالحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو جَهْلٍ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَاسْتَمَعُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ القُرْآنَ. فَقَالُوا لِلنَّضْرِ بْنِ الحَارِثِ: يَا أَبَا قُتَيْلَةَ ما يَقُولُ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ وَالذي جَعَلَ الكَعْبَةَ بَيْتَهُ مَا أَدْرِي مَا يَقُولُ، إِلاَّ أَنِي أَرَاهُ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ يَتَكَلَّمُ بِأَسَاطِيرِ الأَوَّلِينَ، مِثْلِ مَا كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ بِهِ عَنِ القُرُونِ المَاضِيَةِ.

وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنِّي لأَرَى بَعْضَ مَا يَقُولُ حَقّاً. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: كَلاَّ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ..

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ أُولئِكَ الكَافِرِينَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَتْلُو القُرْآنَ دَاعِياً إِلى تَوْحِيدِ اللهِ، وَمُبَشِّراً وَمُنْذِراً، وَلٰكِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَغْطِيَةً، تَحُولُ دُونَ فَهْمِهِ، وَجَعَلَ فِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَصَمَماً وَثِقَلاً يَحُولُ دُونَ سَمَاعِهِ إِذَا أَرَادُوا تَدَبُّرَهُ، وَالوُصُولَ إِلى مَا فِيهِ مِنَ الهِدَايَةِ وَالرُّشْدِ.

وَهٰؤلاءِ لاَ يُؤْمِنُونَ وَإِنْ رَأَوْا كُلَّ آيَةٍ مِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِكَ، وَصِدْقِ دَعْوَتِكَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَفْقَهُونَها وَلا يُدْرِكُونَ المُرَادَ مِنْهَا، وَإِذا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ فِي دَعْوَتِكَ قَالُوا: مَا هٰذَا الذِي تَتْلُوهُ إِلاَّ قَصَصُ الأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُهُمْ، تُسَطَّرُ وَتُكْتَبُ كَغَيْرِها مِنَ الأَنْبَاءِ فَلا عِلْمَ فِيهَا وَلاَ فَائِدَةَ.

أَكِنَّةً - أَغْطِيَةً.

وَقْراً - صَمَماً، وَثِقَلاً فِي السَّمْعِ.

(٢٦) وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ - قَصَصُ الأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُهُمُ المُسَطَّرَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

(وَيَنْأَوْنَ)

(٢٦) - وَهٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ، المُعَانِدُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، الجَاحِدُونَ لِنُبُوَّتِهِ، يَتَبَاعَدُونَ عَنِ النَّبِيِّ، وَلاَ يَأْتُونَ إِلَيهِ (يَنْأَوْنَ عَنْهُ) كُرْهاً لَهُ، وَنُفُوراً مِنْهُ، وَاسْتِكْبَاراً عَلَى الحَقِّ. وَيَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيهِ مَخَافَةَ أَنْ يُسْلِمُوا وَيَهْتَدُوا إِلَى الإِيمَانِ (وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ)، وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ لاَ يُهْلِكُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ بِهٰذا الضَّلالِ وَالإِضْلالِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَمَا يَشْعُرُونَ بِذٰلِكَ.

يَنْأَوْنَ عَنْهُ - يَبْعُدُونَ عَنِ الرَّسُولِ بِأَنْفُسِهِمْ.
وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ - يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا إِلَى الرَّسُولِ.

(٢٧) وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(يَا لَيْتَنَا) (بِآيَاتِ)

(٢٧) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى حَالَ هٰؤُلاءِ الضَّالِّينَ المُضِلِّينَ، يَوْمَ القِيَامَةِ، حِينَ تَقِفُهُمُ المَلائِكَةُ، وَيَحْتَبِسُونَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ (أَوْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ هذا القُرْآنَ): لَوْ تَرَى مَا يَحِلُّ بِهٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ مِنَ الفَزَعِ وَالهَوْلِ، وَالحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ، عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، لَرَأَيْتَ مَا لاَ يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ.
وَيَتَمَنَّى هٰؤُلاءِ أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الدُّنيا لِيُؤْمِنُوا، وَلِيَعمَلُوا عَمَلاً صَالِحاً يُرْضِي اللهَ، وَلٰكِنْ لاَ سَبِيلَ إِلَى الرَّدِّ إلى الدنيا، لأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ تَمَنِّي المُسْتَحِيلِ.

وُقِفُوا عَلَى النَّارِ - حُبِسُوا عِنْدَهَا أَوْ عَرَفُوهَا.

(٢٨) بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ

(لَكَاذِبُونَ)

(٢٨) - وَحِينَ تَقِفُهُمُ المَلائِكَةُ، وَتَحْتَبِسُهُمْ عِنْدَ النَّارِ، يَظْهَرُ لَهُمْ سُوءُ عَاقِبَةِ مَا كَانُوا يُخْفُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ، مِنَ الكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالمُعَانَدَةِ، وَإِنْ أَنْكَرُوهَا.
(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى: وَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ صِدْقِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ فِي الدُّنيا، وَإِنْ كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَيُظْهِرُونَ لأَتْبَاعِهِمْ غَيْرَ ذٰلِكَ).
وَلَوْ أَنَّهُمْ أُعِيدُوا إِلَى الحَيَاةِ الدُّنْيا، لَعَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ الكُفْرِ، وَالتَّكْذِيبِ وَالمُعَانَدَةِ. وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي تَمَنِّيهِم العَوْدَةَ إِلى الدُّنْيا لِيُؤْمِنُوا، وَلِيَعْمَلُوا صَالِحاً، وَلاَ يُكَذِّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ.

(٢٩) وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ

(٢٩) - وَلَوْ رُدوا إلَى الدُّنيا، لَعادُوا إلَى قَوْلِ ما كانُوا يَقُولُونَهُ مِنْ قَبْلُ، فِي الدُّنيا: إنْ هِيَ إلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيا، وَلاَ مَعَادَ بَعْدَهَا وَلاَ رَجْعَةَ إلَى اللهِ، وَلا حَشْرَ بَعْدُ، وَلا حِسَاب.

(٣٠) وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ

(٣٠) - وَلَوْ تَرى هٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ، حِينَ تَقِفُهُمُ المَلائِكَةُ فِي مَوْقِفِ الحِسَابِ، بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى، لَهَالَكَ أمْرُهُمْ، وَلاسْتَبْشَعْتَ مَنْظَرَهُمْ وَلَرَأَيْتَ مَا لاَ يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ تَعَالَى قَائِلاً: ألَيْسَ هٰذا الذِي أنْتُمْ فِيهِ مِنَ البَعْثِ، هُوَ الحَقَّ الذِي لاَ شَكَّ فِيهِ؟ وَلَيْسَ هُوَ بِبَاطِلٍ كَمَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ؟ فَيَرُدُّونَ مُقْسِمِينَ بِأنَّهُ حَقٌّ لاَ شَكَّ فِيهِ. فَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: مَا دَامَ الأمْرُ كَمَا اعْتَرَفْتُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ الأليمَ، الذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِأنَّهُ سَيَكُونُ جَزَاءً لِلْكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ رُسُلَ رَبِّهِمْ.

وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ - حُبِسُوا عَلَى حُكْمِ اللهِ تَعَالَى لِلسُّؤَالِ.

(٣١) قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ

(يا حسرتنا)

(٣١) - لَقَدْ خَسِرَ هٰؤُلاءِ الكُفَّارُ، الذِينَ كَذَّبُوا بِالحَشْرِ، وَلِقَاءِ اللهِ فِي الآخِرَةِ لِلْحِسَابِ، كُلَّ مَا رَبِحَهُ المُؤْمِنُونَ، وَفَازُوا بِهِ مِنْ ثَمَرَاتِ الإيمَانِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَيَسْتَمِرُّ هٰؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ فِي ضَلاَلِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، وَبَاطِلِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ فَجْأَةً دُونَ سَابِقِ إنْذَارٍ، فَحِينَئِذٍ يُدْرِكُونَ أنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ. وَيَقُولُونَ: يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيا فَكَذَّبْنَا وَاسْتَكْبَرْنا، وَاسْتَسْلَمْنَا لِلشَّهَوَاتِ، وَنَحْنُ نَظُنُّ أنَّهُ لاَ حَيَاةَ أخْرَى، وَلا بَعْثَ وَلا حِسَابَ. وَيَأْتُونَ اللهَ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ ذُنُوبَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ وَكَأنَّهَا الأحْمَالُ الثَّقِيلَةُ (أوْزَارَهُمْ)، وَمَا أسْوأَ مَا يَحْمِلُونَ.

بَغْتَةً - فَجْأَةً.

فَرَّطْنَا فِيها - قَصَّرْنا وَضَيَّعْنا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا.

أوْزَارَهُمْ - أحْمَالَهُمْ - وَهِيَ هُنَا ذُنُوبُهُمْ وَخَطَايَاهُمْ.

(٣٢) وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ

(الْحَيَاةُ)

(٣٢) - لَيْسَتِ الحَيَاةُ الدُّنْيا، التِي قَالَ الكُفَّارُ إنَّهَا لا حَيَاةَ غَيْرُهَا، إلاّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ، فَهِيَ دَائِرَةٌ بَيْنَ عَمَلٍ لاَ عَاقِبَةَ لَهُ، وَلاَ فَائِدَةَ، وَبَيْنَ عَمَلٍ فَائِدَتُهُ عَاجِلَةٌ غَايَتُهَا دَفْعُ الهُمُومِ وَالآلامِ. وَمَتَاعُ هٰذِهِ الدُّنْيا مَتَاعٌ قَصِيرُ الأجَلِ، لا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أنْ يَغْتَرَّ بِهِ. وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الدُّنْيا، لِمَنْ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَيَتَّقُونَ عَوَاقِبَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي، فَكَيْفَ

(٣٣) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ

(٣٤) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ

(٣٥) وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

يفوتكُمْ ذلِكَ، ولا تَعْقِلُونَهُ، وأَنْتُم تَرَوْنَ بِأَعْيُنِكُمْ ما يحِلُّ بِالنَّاسِ مِنْ مَوْتٍ وفَواجِعَ؟

(الظَّالِمِينَ) (بآيَاتِ)

(٣٣) - يُسَلِّي اللهُ تَعالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَيقُولُ لَهُ: إِنَّنا نَعْلَمُ تَكْذِيبَ قَوْمِكَ لَكَ، ونَعْلَمُ حُزْنَكَ وأَسفَكَ لِمَا يَقُولُونَ.
وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ الكافِرِينَ يُعانِدُونَ الحَقَّ، وَيَدْفَعُونَهُ بِصُدُورِهِمْ، ولَيْسَتْ غايَتُهُمْ تَكْذِيبَكَ أَنْتَ، ولكِنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بآيَاتِ اللهِ. (كَمَا قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ، عَلَيهِ السَّلامُ: إِنَّنَا لاَ نُكَذِّبُكَ، وَلكِنْ نُكَذِّبُ مَا جِئْتَ بِهِ).
ويَوْمَ بَدْرٍ جاءَ الأَخْنَسُ بْنُ شُرَيقٍ إِلَى أَبِي جَهْلٍ وَآخْتَلَى بِهِ، وَقَالَ لَهُ: لَيْسَ بَيْنَنَا أَحَدٌ مِنْ قُرَيشٍ، أَخْبِرْنِي يَا أَبَا الحَكَمِ عَنْ مُحَمَّدٍ أَصادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: وَيْحَكَ وَاللهِ إِنَّ مُحَمَّداً لَصادِقٌ، وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ، وَلكِنْ إِذَا ذَهَبَتْ بَنُو قُصَيٍّ بِاللِّوَاءِ وَالسِّقَايَةِ وَالحِجَابَةِ وَالنُّبُوَّةِ فَمَاذَا يَبْقَى لِسَائِرِ قُرَيْشٍ؟

(آتاهُمْ) (لِكَلِمَاتِ) (نَبَأ)

(٣٤) - يَلْفِتُ اللهُ تَعَالَى نَظَرَ رَسُولِهِ إِلَى مَا لاَقَاهُ الرُّسُلُ قَبْلَهُ مِنْ تَكْذِيبِ أَقْوَامِهِمْ لَهُمْ، فَصَبَرُوا عَلَى الإِيذَاءِ وَالتَّكْذِيبِ، حَتَّى جَاءَ نَصْرُ اللهِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: فَعَلَيكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ أَنْ تَتَأَسَّى بِهِمْ، وَتَصْبِر، فَكَمَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ مَنْ سَبَقَكَ مِنَ الرُّسُلِ، كَذلِكَ سَيَنْصُرُكَ اللهُ عَلَى أَعْدائِكَ الكَافِرِينَ، وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ التِي قَضَى فِيهَا أَنَّ النَّصْرَ وَالعَاقِبَةَ سَتَكُونَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ. وَلَقَدْ جَاءَكَ أَيُّها الرَّسُولُ نَبَأُ نَصْرِ اللهِ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُمْ وَعَادَاهُمْ مِنْ أَقْوامِهِمْ، فِيما قَصَّهُ عَلَيكَ رَبُّكَ مِنْ نَبَأ المُرْسَلِينَ قَبْلَكَ، وَفِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لَكَ، وَتَثْبِيتٌ.
(وَيُرْوَى أَنَّ سُورَةَ الأَنْعَامِ نَزَلَتْ بَيْنَ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ وَالنَّمْلِ وَهُودٍ وَالقَصَصِ وَالحِجْرِ، المُشْتَمِلَةِ عَلَى أَنْبَاءِ المُرْسَلِينَ بِالتَّفْصِيلِ).
لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ - لاَ مُغَيِّرَ لِمَا وَعَدَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ مِنَ النَّصْرِ.

(بِآيَةٍ) (الجَاهِلِينَ)

(٣٥) - كَانَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يَقْتَرِحُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَاتٍ لِيُؤْمِنُوا لَهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَتَمَنَّى لَوْ آتَاهُ اللهُ بَعْضَ مَا طَلَبُوا، حِرْصاً مِنْهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَأَسَفاً وَحُزْناً مِنْهُ عَلَى إِصْرَارِهِمْ عَلَى الكُفْرِ وَالاسْتِكْبَارِ، وَلكِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ هؤلاءِ الجَاحِدِينَ لا يؤمِنُونَ وَإِنْ أَتَاهُمُ الرَّسُولُ بِمَا

لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ

(٣٦) ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

الحزب ١٤

(٣٧) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(٣٨) وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ

يَطْلُبُونَ مِنَ الآيَاتِ. لِذٰلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخَاطِباً رَسُولَهُ ﷺ: إِنْ كَانَ قَدْ شَقَّ عَلَيكَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْكَ، فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ نَفَقٍ فِي الأَرْضِ فَتَذْهَبَ فِيهِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، أَوْ أَنْ تَجْعَلَ لَكَ سُلَّماً تَرْتَقِي فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ لِتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ أَفْضَلَ مِمَّا أَتَيْتَهُمْ بِهِ فَٱفْعَلْ، فَالآيَاتُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْتِيَ بِمُعْجِزَةٍ مِنْ عِنْدِكَ. وَلَوْ شَاءَ اللهُ هِدَايَتَهُمْ جَمِيعاً لَهَدَاهُمْ، وَلَجَمَعَهُمْ عَلَى الحَقِّ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ سُنَنَ اللهِ فِي خَلْقِهِ، فَتَتَمَنَّى مَا تَرَاهُ حُسْناً نَافِعاً، وَإِنْ كَانَ حُصُولُهُ مُمْتَنِعاً.

(٣٦) - الذِينَ يَسْتَجِيبُونَ، للهِ وَلِلرَّسُولِ، هُمُ الذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ، وَيَعُونَهُ، وَيَتَدَبَّرُونَهُ، فَيَعْقِلُونَ الآيَاتِ، وَيُذْعِنُونَ لِمَا عَرَفُوا بِهَا مِنَ الحَقِّ، لِسَلَامَةِ فِطْرَتِهِمْ، وَصَفَاءِ نُفُوسِهِمْ، وَطَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ. أَمَّا الذِين لَا تُرْجَى ٱسْتِجَابَتُهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَالمَوْتَى، لَا يَسْمَعُونَ السَّمَاعَ النَّافِعَ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ، فَيُتْرَكُ أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ، فَهُوَ الذِي يَبْعَثُهُمْ، بَعْدَ مَوْتِهِمْ، لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَلَا تُهْلِكْ نَفسَكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، فَلَيْسَ فِي ٱسْتِطَاعَتِكَ هِدَايَتُهُمْ، وَلَا إِرْجَاعُهُمْ إِلَى جَادَّةِ الصَّوَابِ.

(آيَةٌ) (آيَةً)

(٣٧) - كَانَ المُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ وَالمَأْلُوفِ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً، وَلٰكِنَّ حِكْمَتَهُ ٱقْتَضَتْ تَأْخِيرَ ذٰلِكَ، لِأَنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ آيَةً، وَفْقَ طَلَبِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، لَعَاجَلَهُمْ بِالعُقُوبَةِ، كَمَا فَعَلَ بِالأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ هٰؤُلاءِ لَا يَعْلَمُونَ حِكَمَ اللهِ، وَسُنَنَهُ فِي خَلْقِهِ.

(طَائِرٍ) (الْكِتَابِ)

(٣٨) - بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ الآيَاتِ إِذَا رَأَى مِنَ الحِكْمَةِ وَالمَصْلَحَةِ إِنْزَالَهَا، ذَكَرَ مَا يُعَدُّ مِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى تِلْكَ القُدْرَةِ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يُوجَدُ نَوْعٌ مِنْ أَنواعِ الأَحْيَاءِ، التِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَلَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الطُّيُورِ التِي تَطِيرُ فِي الهَوَاءِ، إِلَّا وَهِيَ أُمَمٌ مُمَاثِلَةٌ لَكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَهَا نِظَامُهَا، وَخَصَائِصُهَا، وَطَرِيقَةُ حَيَاتِهَا، وَمَعَاشُهَا. وَجَمِيعُ المَخْلُوقَاتِ عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَقَدْ أَثْبَتَهَا عِنْدَهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ، لَا يَنْسَى وَاحِداً مِنْهَا مِنْ رِزْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ. وَجَمِيعُ الخَلَائِقِ تُحْشَرُ إِلَى رَبِّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ.

أُمَمٌ أَمْثَالُكُم - فِي خَلْقِنَا لَهَا وَتَدْبِيرِنَا أُمُورَهَا.

مَا فَرَّطْنَا - مَا أَغْفَلْنَا وَمَا تَرَكْنَا.

(٣٩) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

(بِآيَاتِنَا) (الظُّلُماتِ) (صِراطٍ)

(٣٩) ـ وَالذينَ كفروا بربِّهِمْ، وَكَذَّبُوا بآياتِهِ الدَّالَّةِ عَلى وَحْدانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ ما جاءَ بِهِ رَسُولُهُ مَثَلُهُمْ، فِي جَهْلِهِمْ، كَمَثَلِ الصُّمِّ الذينَ لا يَسْمَعُونَ، البُكْمِ الذينَ لا يَنْطِقُونَ، وَهُمْ فَوْقَ ذلِكَ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ، فَكَيْفَ يَهْتَدِي أَمْثالُ هؤلاءِ إِلى طَريقِ الهُدى، وَيَخْرُجُونَ مِمَّا هُمْ فِيهِ؟ وَاللهُ هُوَ المُتَصَرِّفُ فِي خَلقِهِ فَإِنْ أَرادَ إِضْلالَ إِنْسانٍ، لِفَسادِ قَصْدِهِ، تَرَكَهُ وَشَأْنَهُ، وَإِذا أَرادَ هِدايَتَهُ، لِسَلامَةِ قَصْدِهِ، يَسَّرَ لَهُ السَّيْرَ فِي طَريقِ الإِيمانِ الوَاضِحِ المُسْتَقيمِ.

فِي الظُّلُماتِ ـ ظُلُماتِ الجَهْلِ وَالعِنادِ وَالكُفْرِ.

(٤٠) قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

(أَرَأَيْتَكُمْ) (أَتاكُمْ) (أَتَتْكُمْ) (صادِقِينَ)

(٤٠) ـ قُلْ أَيُّها الرَّسُولُ لِهؤلاءِ المُشْرِكينَ المُكَذِّبينَ: أَخْبِرُوني إِنْ أَتاكُمْ عَذابٌ مِنَ اللهِ، كَالذي نَزَلَ بِمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ الذينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، أَوْ جاءَتْكُمُ السَّاعَةُ بِأَهْوالِها وَخِزْيِها وَنَكالِها، وَبُعِثْتُم لِمَوقِفِ الحِسابِ، مَنْ تَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ، فِي هذِهِ الأَحْوالِ، لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ ما نَزَلَ بِكُمْ مِنَ البَلاءِ؟ وَهَلْ تَفْزَعُونَ إِلى الآلِهَةِ التِي تَزْعُمُونَ شِرْكَتَها مَعَ اللهِ لِكَشْفِ البَلاءِ النَّازِلِ بِكُمْ، هذا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فِي دَعْواكُمْ أُلُوهِيَّةَ هؤلاءِ الشُّرَكاءِ؟

أَرَأَيْتَكُمْ ـ أَخْبِرُوني عَنْ عَجيبِ أَمْرِكُمْ.

(٤١) بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ

(٤١) ـ إِنَّكُمْ أَيُّها المُشْرِكُونَ لا تَدْعُونَ فِي ساعَةِ الهَوْلِ وَالشِّدَّةِ صَنماً وَلا وَثَناً، وَإِنَّما تَدْعُونَ اللهَ وَحْدَهُ، لِعِلْمِكُمْ أَنَّهُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلى كَشْفِ ما نَزَلَ بِكُمْ مِنْ بَلاءٍ وَعَذابٍ، وَتَنْسَوْنَ غَيْرَهُ مِنَ الشُّرَكاءِ وَالأَندادِ. وَإِذا شاءَ اللهُ أَنْ يَكْشِفَ ما بِكُمْ مِنْ ضُرٍ وَبَلاءٍ كَشَفَهُ عَنْكُمْ.

(٤٢) وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ

(فَأَخَذْناهُمْ)

(٤٢) ـ يَقُولُ تَعالَى: إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلى الأُمَمِ السَّالِفَةِ رُسُلاً يَدْعُونَهُمْ إِلى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، فَكَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَابْتَلاهُمُ اللهُ بِالفَقْرِ، وَالضِّيقِ، فِي العَيْشِ (فَأَخَذْناهُمْ بِالبَأْساءِ)، وَسَلَّطَ عَلَيْهِم الأَمْراضَ وَالأَسْقامَ وَالآلامَ (وَالضَّرَّاءِ)، لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ إِلى اللهِ، وَيَخْشَعُونَ إِليهِ، وَيَدْعُونَهُ لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ ما نَزَلَ بِهِمْ، فَقَدْ أَوْدَعَ اللهُ تَعالَى فِي فِطْرَةِ البَشَرِ أَنْ يَضْرَعُوا إِلى اللهِ وَحْدَهُ عِنْدَ الشَّدائِدِ.

البَأْساءِ ـ البُؤْسِ وَالفَقْرِ.

الضَّرَّاءِ - المَرَضِ وَالسَّقَمِ وَالزَّمَانَةِ.

يَتَضَرَّعُونَ - يَتَذَلَّلُونَ وَيَتَخَشَّعُونَ وَيَتُوبُونَ.

﴿٤٣﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(الشَّيْطَانُ)

(٤٣) - فَهَلَّا، إِذ ٱبْتَلاهُمُ اللهُ بِذٰلِكَ البَلاءِ، تَضَرَّعُوا إِلَيهِ وَتَوَسَّلُوا، حِينَ جاءَتْهُم مُقَدِّمَاتُ العَذَابِ، لِيَكْشِفَهُ عَنْهُمْ، وَلٰكِنَّ قُلُوبَهُمْ قَسَتْ فَلَمْ تَرِقَّ وَلَمْ تَخْشَعْ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَالمَعَاصِي وَالمُعَانَدَةِ، وَحَسَّنَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَثْبُتُوا عَلَى مَا وَجَدُوا آباءَهُمْ عَلَيهِ.

جاءَهُمْ بَأْسُنا - أَتاهُمْ عَذابُنا.

﴿٤٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ

(أَبْوَابَ) (أَخَذْنَاهُمْ)

(٤٤) - فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَمَّا أَنْذَرَهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ، وَتَرَكُوا الاهْتِداءَ بِهِ، وَتَناسَوْهُ وَجَعَلُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ، اسْتَدْرَجَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ فَتَحَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ، وَأَعْطَاهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُحِبُّونَ وَيَخْتَارُونَ، وَزادَهُمْ سِعَةً فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ، فَلَمْ تُرَبِّهِم النِّعْمَةُ، وَلا شَكَرُوا اللهَ عَلَى نِعَمِهِ وَآلائِهِ، بَلْ دَفَعَتْهُمْ تِلْكَ النِّعْمَةُ إِلى البَطَرِ وَالأَشَرِ، فَفَرِحُوا بِذٰلِكَ وَسُرُّوا، إِذْ ظَنُّوا أَنَّ الذي أُوتُوا إِنَّما هُوَ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ، وَحِينَئِذٍ أَخَذَهُمُ اللهُ بِالعَذابِ بَغْتَةً، وَعَلَى حِينِ غِرَّةٍ مِنْهُمْ، فَإِذا هُمْ يَائِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

(وَقَالَ قَتادَةُ: مَا أَخَذَ اللهُ قَوْماً قَطُّ إِلَّا عِنْدَ سَكْرَتِهِمْ، وَغِرَّتِهِمْ، وَنِعْمَتِهِمْ فَلا تَغْتَرُّوا).

مُبْلِسُونَ - يائِسُونَ مِنَ الرَّحْمَةِ - أَوْ مُكْتَئِبُونَ.

أَبْوابَ كُلِّ شَيءٍ - أَغْدَقْنَا عَلَيْهِمُ النِّعَمَ الكَثِيرَةَ ٱسْتِدراجاً لَهُمْ.



﴿٤٥﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(العَالَمِينَ)

(٤٥) - فَدَمَّرَ اللهُ تَعَالَى القَوْمَ الكَافِرِينَ جَمِيعاً، أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ، وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَداً. وَإِذَا قَطَعَ اللهُ دَابِرَ القَوْمِ (آخِرَهُمْ) فَقَدْ قَطَعَ أَوَّلَهُمْ، وَالحَمْدُ للهِ فِي الأُولى وَالآخِرَةِ عَلَى مَا أَنْعَمَهُ عَلَى رُسُلِهِ، وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، بِإِظْهارِ حُجَجِهِمْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ.

دَابِرُ القَوْمِ - آخِرُهُمْ.

﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ

(أَرَأَيْتُمْ) (وَأَبْصارَكُمْ) (الآياتِ)

(٤٦) - قُلْ لِهٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ سَلَبَكُمُ اللهُ قُدْرَتَكُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالإِبْصارِ، كَما مَنَحَكُمُوها، وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ، فَلَمْ يَعُدْ يَصِلُ إِلَيْها شَيءٌ، وَلَمْ تَعُدْ تَعِي شَيْئاً، فَهَلْ هُناكَ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ يَقْدِرُ عَلَى رَدِّ

ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ

ذلِكَ إِلَيكُم، إِذَا سَلَبَكُمُ اللهُ إِيَّاهُ؟ بِلا شَكٍّ لاَ يَقْدِرُ عَلى ذلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ. فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ نُبَيِّنُ الآيَاتِ وَالحُجَجَ لِهؤُلاءِ عَلَى أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ لاَ مَعْبُودَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ضَلاَلٌ وَبَاطِلٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ، مَعَ هذا البَيَانِ، يُعْرِضُونَ عَنِ الحَقِّ، وَيَصْرِفُونَ وُجُوهَهُمْ عَنِ الآيَاتِ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِهَا.

أَرَأَيْتُم - أَخْبِرُونِي مَا يَكُونُ حَالُكُمْ

نُصَرِّفُ الآيَاتِ - نُكَرِّرُ الآيَاتِ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ.

يَصْدِفُونَ - يُعْرِضُونَ عَنِ الآيَاتِ وَيَعْدِلُونَ.

(٤٧) قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ

(أَرَأَيْتَكُمْ) (أَتَاكُمْ) (الظَّالِمُونَ)

(٤٧) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ: أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ - الذِي قَضَتْ بِهِ سُنَّتُهُ فِي الأَوَّلِينَ أَنْ يُنْزِلَهُ بِالكُفَّارِ وَالمُكَذِّبِينَ - مُبَاغِتاً، وَمُفَاجِئاً لَكُمْ، فَأَخَذَكُمْ عَلى غِرَّةٍ مِنْكُمْ، وَلَمْ تَسْبِقْهُ مُقَدِّمَاتٌ، وَلاَ أَمَارَاتٌ تُشْعِرُكُمْ بِقُرْبِ نُزُولِهِ بِكُمْ، أَوْ أَتَاكُمْ وَأَنْتُمْ تُعَايِنُونَهُ وَتَنْظُرُونَ إِلَيهِ، فَهَلْ يُهْلِكُ اللهُ إِلاَّ القَوْمَ الظَّالِمِينَ الذِينَ أَصَرُّوا عَلَى الشِّرْكِ وَالجُحُودِ؟ وَلَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُهُ تَعَالَى، فِي مِثْلِ هذا العَذَابِ، أَنْ يُنْجِيَ مِنْهُ رُسُلَهُ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ.

بَغْتَةً - فَجْأَةً أَوْ لَيْلاً.

جَهْرَةً - **مُعَايَنَةً** - أَوْ نَهَاراً.

(٤٨) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(آمَنَ)

(٤٨) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُرْسِلُ الرُّسُلَ لِيُبَشِّرُوا، مَنْ آمَنَ، بِالجَنَّةِ، وَحُسْنِ الثَّوَابِ، وَلِيُنْذِرُوا، مَنْ كَفَرَ وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، بِالعُقُوبَةِ وَالعَذَابِ، فَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَهؤُلاءِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنيا.

(٤٩) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ

(بِآيَاتِنَا)

(٤٩) - أَمَّا الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ سَيُصِيبُهُمُ العَذَابُ، بِمَا كَفَرُوا بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وَخَرَجُوا عَنْ أَوَامِرِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ.

(٥٠) قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا

(خَزَائِنُ)

(٥٠) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ، الذِينَ يَقْتَرِحُونَ عَلَيْكَ الآيَاتِ تَعْجِيزاً لِجَهْلِهِمْ بِحَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ، وَلِظَنِّهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ لا يَكُونُ نَبِيّاً إِلاَّ إِذَا

مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ

أَصْبَحَ قَادِراً عَلَى مَا لاَ يَقْدِرُ البَشَرُ عَلَيهِ: إنِّي لاَ أَقُولُ لَكُمْ إنِي أَمْلِكُ خزَائِنَ اللهِ، وَلا أَتصَرَّفُ بِها، وَلا أَقُولُ لَكُم إنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ اللهِ، فَعِلْمُ الغَيْبِ عِنْدَ اللهِ وَحْدَهُ وَلا أَطَّلِعُ مِنْهُ إلاَّ عَلَى مَا أَطْلَعَنِي عَلَيهِ رَبِّي، سُبْحَانَهُ وَتعَالى، وَلا أَدَّعِي أَني مَلَكٌ، إنَّما أَنَا بَشَرٌ يُوحِي إليهِ اللهُ، وَقَدْ شَرَّفَنِي سُبْحَانَهُ بِذلِكَ، وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ، وَإنَّني أَتَّبعُ مَا يُوحِيهِ اللهُ إلَيَّ، وَلا أَخْرُجُ عَنْهُ مُطْلَقاً. قُلْ لَهُمْ: هَلْ يَسْتَوِي مَنِ اتَّبَعَ الحَقَّ وَهُدِيَ إليهِ، مَعَ مَنْ ضَلَّ عَنْهُ، فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ، وَلَمْ يَنْقَدْ إليهِ؟ أَفَلا تَتفَكَّرُونَ فِي أَنَّهُما لاَ يَسْتَويَانِ؟

خَزائِنُ اللهِ ـ مَرْزُوقَاتُ اللهِ وَمَقْدُورَاتُهُ.

﴿٥١﴾ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ

(٥١) ـ وَأَنْذِرْ بِهذا القُرآنِ المُؤْمِنينَ، الذِينَ يَخَافُونَ أَهْوَالَ الحَشْرِ، وَشِدَّةَ الحِسَابِ، لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيُحْشَرُونَ إلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لاَ شَفِيعَ لَهُمْ عِنْدَهُ، وَلا وَلِيَّ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ إنْ أَرَادَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ. وَذكِّرْهُمْ بِذلِكَ اليَوْمِ الذِي لاَ حَاكِمَ فِيهِ إلاَّ اللهُ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اللهَ، وَيَعْمَلُونَ فِي هذِهِ الدَّارِ عَمَلاً يُنْجِيهِمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ.

﴿٥٢﴾ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

(بِالْغَدَاةِ) (الظَّالِمِينَ)

(٥٢) ـ وَلا تُبعِدْ يَا أَيُّها الرَّسُولُ المُؤْمنينَ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَيُصَلُّونَ إليهِ صَباحَ مَسَاءَ، وَيَدْعُونَهُ لا يُرِيدُونَ بِذلِكَ غَيْرَ رِضَا رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَتِهِ، فَلَيْسَ عَلَيكَ أَنْتَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيءٍ، إنَّمَا حِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ، فَإذَا أَبْعَدْتَهُمْ وَطَرَدْتَهُمْ مِنْ مَجْلِسِكَ كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

(وَرُوِيَ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ هذِهِ الآيَةِ: أَنَّ نَفَراً مِنْ كِبَارِ قُرَيشٍ مَرُّوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدُوهُ قَاعِداً مَعَ أُناسٍ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ وَضُعَفَائِهِمْ: صُهَيْبٍ وَعَمَّارٍ وَبِلالٍ وَخَبَّابٍ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ: أَرَضِيتَ بِهؤُلاءِ مِنْ قَوْمِكَ؟ أَهَؤُلاءِ الذِينَ مَنَّ اللهُ عَلَيهِمْ مِنْ بَيْنِنا؟ أَنَحْنُ نَصِيرُ تَبَعاً لِهؤُلاءِ؟ اطْرُدْهُمْ فَلَعَلَّكَ إنْ طَرَدْتَهُمْ نَتْبَعْكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هذِهِ الآيَةِ.

الغَدَاةُ ـ أَوَّلُ النَّهارِ.

العَشِيُّ ـ آخِرِهِ (أَيْ آدْعُ رَبَّكَ بِصُورَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ).

﴿٥٣﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ

(بِالشَّاكِرِينَ)

(٥٣) ـ وَكَذلِكَ آختَبَرْنَا المُتَكَبِّرِينَ بِسَبْقِ الضُّعَفَاءِ إلَى الإِسْلامِ، لِيَقُولَ الكُبَراءُ عَنِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنينَ سَاخِرِينَ: أَهؤُلاءِ الذِينَ مَنَّ اللهُ عَلَيهِمْ مِنْ بَيْنِنا بِالهِدَايَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَآتِّبَاعِ الحَقِّ؟ (وَهُمْ يَقْصِدُونَ بِذلِكَ أَنَّ اللهَ مَا كَانَ لِيَهْدِيَ هؤُلاءِ المُسْتَضْعَفِينَ إلى الخَيْرِ وَيَدَعَ كُبَراءَ

﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ
ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ
مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ
مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ
وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ

﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ

قُرَيْشٍ). وَيَرُدُّ اللهُ تَعالى عَلَيهِمْ مُسْتَنْكِراً هذا القَوْلَ وَهذا الاعْتِقادَ: أَلَيْسَ اللهُ هُوَ الأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ لَهُ بِأَقْوالِهِمْ وَأَفْعالِهِمْ وَضَمائِرِهِمْ فَيُوفِّقُهُمْ، وَيَهْدِيهِمْ سَبِيلَ السَّلامِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ؟.

فَتَنَّا - ابْتَلَيْنا وَامْتَحَنَّا، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهِمْ.

(بِآيَاتِنَا) سَلامٌ) (بِجَهَالَةٍ)

(٥٤) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يُكْرِمَ الذِينَ يَأْتُونَ إِلَيهِ مِنَ المُؤْمِنينَ، وَبِأَنْ يَرُدَّ السَّلامَ عَلَيْهِمْ، وَبِأَنْ يُبَشِّرَهُمْ بِرَحْمَةِ اللهِ الوَاسِعَةِ، الشَّامِلَةِ لَهُمْ، التي أَوْجَبها اللهُ عَلى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ تَفَضُّلاً وإِحْسَاناً وَامْتِناناً وَأَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ سُوْءاً وَهُوَ جاهِلٌ (وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ كُلُّ مَنْ عَصَى اللهَ فَهُوَ جاهِلٌ. وَقالَ بَعْضُهُمُ الدُّنيا كُلُّها جَهالَةٌ)، ثُمَّ تابَ وَرَجَعَ عَمَّا كانَ عَلَيهِ، وَأَقْلَعَ عَنِ المَعاصِي، وَعَزَمَ عَلى أَنْ لا يَعُودَ إِليها، وَأَصْلَحَ العَمَلَ فِي المُسْتَقْبَلِ، فَإِنَّ اللهَ يَعِدُهُ بِالمَغْفِرَةِ.

(وَلَعَلَّ أَقْرَبَ تَفْسِيرٍ لِقَوْلِهِ تَعالى - مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْءاً بِجَهالَةٍ - هُوَ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الَّذِي يَعْمَلُ السُّوءَ بِجَهالَةٍ هُوَ الَّذي يَرْتَكِبُ الذَّنْبَ فِي لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظاتِ الطَّيْشِ أَوِ الانْفِعالِ، أَوِ الضَّعْفِ الإِنسانِيِّ، أَوِ الهَوى الجَامِحِ أَو ثَوْرَةِ الغَضَبِ... وَما ماثَلَ تِلْكَ الأَحْوالَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّما يَرْتَكِبُ إِثْماً وَذَنْباً، وَيُقْدِمُ عَلى الذَّنْبِ وَهُوَ يَسْتَشْعِرُ فِي نَفْسِهِ النَّدامَةَ، ثُمَّ حِينَما يَثُوبُ إِلى نَفْسِهِ يَنْدَمُ عَلى ما فَعَلَ، وَيَتُوبُ إِلى رَبِّهِ، وَيَسْتَغْفِرُهُ، وَهُوَ يَشْعُرُ بِثِقَلِ الذَّنْبِ عَلى نَفْسِهِ. وَهذا غَيْرُ حالِ مَنْ أَقْدَمَ عَلى اقْتِرافِ الذَّنْبِ وَهُوَ مُسْتَخِفٌّ بِالدِّينِ وَبِحُرُماتِ اللهِ، غَيْرُ عابِىءٍ بِها، وَغَيْرُ مُسْتَشْعِرٍ نَدَماً عَلى فِعْلِهِ).

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ - قَضَى رَبُّكُمْ وَأَوْجَبَ الرَّحْمَةَ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَاناً.

بِجَهالَةٍ - بِسَفَاهَةٍ - وَكُلُّ عَاصٍ مُسيءٍ جاهِلٌ.

(الآيَات)

(٥٥) وَبِمِثْلِ ذلِكَ البَيانِ الوَاضِحِ نُوضِّحُ الدَّلائِلَ المُتَنَوِّعَةَ لِيَظْهَرَ طَرِيقُ الحَقِّ الذِي يَسْلُكُهُ المُؤْمِنُونَ، وَيَبِينَ طَرِيقُ الضَّلالِ الذِي يَسْلُكُهُ الكافِرُونَ.

(٥٦) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَرُدَّ عَلى المُشْرِكِينَ، بِأَنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْ عِبادَةِ الأَصْنامِ وَالأَوْثانِ، وَما يَعْبُدُهُ المُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَنْ

أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ

﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ

﴿٥٨﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ

ربع الحزب ١٤

﴿٥٩﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ

يَتَّبِعُ مَا يَدْعُونَهُ إِلَيهِ مِنْ عِبَادَاتٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى الهَوَى، وَلَيْسَتْ عَلَى شَيءٍ مِنَ الحَقِّ وَالهُدَى، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الضَّالِينَ غَيْرِ المُهْتَدِينَ إِنِ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ.

(الْفَاصِلِينَ)

(٥٧) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنِّي، فِيمَا أُخَالِفُكُمْ فِيهِ، عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ شَرِيعَةِ رَبِّي، التِي أَوْحَاهَا إِلَيَّ، وَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَنْتُمْ بِالقُرآنِ، وَهُوَ بَيِّنَتِي عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِي، وَعَلَى صِدْقِ مَا دَعَوْتُكُمْ إِليهِ، ثُمَّ إِنَّكُمْ تَطمَعُونَ فِي أَنْ أَتَّبِعَكُمْ عَلَى ضَلالٍ أَنْتُمْ مُقِيمُونَ عَلَيهِ، وَلا بَيِّنَةَ لَكُمْ عَلَيهِ غَيرُ التَّقْلِيدِ لِلآبَاءِ، وَالأَجْدَادِ، وَالخُضُوعِ لِهَوى النَّفْسِ، وَإِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِالعَذَابِ الذِي أَنْذَرَكُمْ بِهِ اللهُ، إِنْ أَصْرَرْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَأَنَا لَا أَمْلِكُ أَنْ آتِيَكُمْ بِالعَذَابِ الذِي تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، فَالحُكْمُ فِي هٰذا، وَفِي غَيْرِهِ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، وَهُوَ وَحْدَهُ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَكُمْ بِهِ إِنْ شَاءَ. وَهُوَ تَعَالَى يَقُصُّ الحَقَّ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَجَمِيعِ أَخْبَارِهِ، وَهُوَ خَيرُ الحَاكِمِينَ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَلاَ يَقَعُ فِي قَضَائِهِ حَيْفٌ وَلاَ جَوْرٌ.

يَقُصُّ الحَقَّ - يَتْبَعُهُ فِيمَا حَكَم، أَوْ يُبَيِّنُهُ بَياناً شَامِلاً.

خَيْرُ الفَاصِلِينَ - خَيْرُ الحَاكِمِينَ حُكْماً فَصْلاً بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.

(الظَّالِمِينَ)

(٥٨) - قُلْ لَهُمْ: لَوْ كَانَ مَرْجِعُ الأَمْرِ إِلَيَّ لاسْتَجَبْتُ لِطَلَبِكُمْ، وَلأَوْقَعْتُ عَلَيكُمْ مَا تَسْتَعْجِلُونَهُ مِنَ العَذابِ، وَلانْتَهَى الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ الذِينَ يَسْتَحِقُّونَ العَذابَ وَالعُقُوبَةَ، وَقَدْ جَعَلَ لِعَذابِهِمْ مَوْعِداً حَدَّدَه لا يَعْلَمُهُ إِلاّ هُوَ.

(ظُلُماتِ) (كِتَابٍ)

(٥٩) - قَالَ البُخَارِيُّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ: إِنَّ مَفَاتِحَ الغَيْبِ (أَيْ خَزَائِنَهُ) خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلاّ اللهُ وَهُوَ المُتَصَرِّفُ فِيهِنَّ وَحْدَهُ:

١ - إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ.
٢ - وَيُنْزِلُ الغَيْثَ.
٣ - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غداً.
٤ - وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ.
٥ - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ.

وَاللهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، لَا يَخْفَى

٦٠ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

٦١ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ

٦٢ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ

٦٣ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ

عَلَيهِ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ، وَيَعْلَمُ كُلَّ حَرَكَةٍ فَلا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ، وَلاَ تُوجَدُ حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ إِلاَّ يَعْلَمُهَا اللهُ، وَمَا مِنْ شَجَرَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا، وَيَعْلَمُ رُطُوبَتَها وَيُبُوسَتَهَا.

وَقَدْ أَحْصَى كُلَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ لاَ يُهْمِلُ شَيْئاً مِنْ عَمَلِ جَمِيعِ خَلْقِهِ وَحَالاَتِهِمْ.

كِتَابٍ مبِينٍ - اللَّوحِ المَحْفُوظِ أَوْ أُمِّ الكِتَابِ.

مَفْتَحٌ - بِفَتْحِ المِيمِ - هُوَ المَخْزَنُ.

وَمِفْتَحٌ - بِكَسْرِ المِيمِ - هُوَ المِفْتَاحُ الذِي يَفْتَحُ القفْل.

(يَتوفَّاكُمْ) (بِاللَّيْلِ)

(٦٠) - يَقُولُ تَعالى إِنهُ يَتوفَّى أَنْفُسَ العِبادِ فِي حَالِ نَوْمِهِمْ فِي اللَّيلِ، فَيُزِيلُ إِحْسَاسَهَا، وَيَمْنَعُها مِنَ التَّصَرُّفِ في الأَبْدانِ (وَهُوَ التَّوَفِّي الأَصْغَرُ)، وَيَعْلَمُ ما يَكْسِبُهُ العِبادُ مِنَ الأَعْمالِ فِي النَّهارِ، وَهَذا دَليلٌ عَلى عِلْمِهِ تَعَالَى بِكُلِّ شيءٍ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ فِي النَّهارِ لِكَسْبِ أَقْواتِهِمْ، وَتَأْمِينِ مَعَاشِهِمْ، وَلِيَسْتَوفِيَ كُلُّ إِنسَانٍ أَجَلَهُ كَامِلاً، (لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى)، ثُمَّ يَرْجِعُ الخَلْقُ إِلى اللهِ حِينَما تَنْتَهِي آجَالُهُم، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَجْزِيهِمْ عَنْ أَعْمالِهِم الجَزاءَ الذِي يَسْتَحِقُّونَهُ.

الجَرْح - هُوَ الكَسْبُ وَالعَمَلُ بِالجَوارِحِ - أَيِ الحَوَاسِّ.

(٦١) - واللهُ تَعَالَى هُوَ الغَالِبُ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ حَفَظَةً مِنَ المَلائِكَةِ عَلَى العِبادِ، يَتَعاقَبُونَ عَلَيْهِمْ لَيْلاً وَنَهاراً، يَحْفَظُونَ أَعْمالَهُمْ، وَيُحْصُونَها، مَا دَامُوا عَلَى قَيْدِ الحَياةِ، وَلا يُفَرِّطُونَ فِي شَيءٍ مِنْها، حَتَّى إِذا جَاءَ أَحَدَهُمْ أَجَلُهُ، تَوَفَّتْهُ مَلائِكَةُ المَوْتِ المُوكَلُونَ بِذَلِكَ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَهُمْ لاَ يُقَصِّرُونَ فِيما يُوكَلُ إِلَيْهِمْ.

لاَ يُفَرِّطُونَ - لاَ يَتَوَانَوْنَ وَلاَ يُقَصِّرُونَ.

(مَوْلاَهُمُ) (الْحَاسِبِينَ)

(٦٢) - ثُمَّ يُرَدُّ العِبادُ، الذِينَ تَتَوفَّاهُمُ المَلائِكَةُ، إِلَى اللهِ جَمِيعاً، يَوْمَ القِيامَةِ، وَهُوَ تَعالَى مَوْلاَهُمُ الحَقُّ. فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ صَاحِبُ الحُكْمِ وَالقَوْلِ الفَصلِ، وَهُوَ تَعَالَى أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ.

(ظُلُماتِ) (لَئِنْ) (أَنْجانَا) (الشَّاكِرِينَ)

(٦٣) - قُلْ يَا أَيُّها الرَّسُولُ لِهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ الغَافِلِينَ عَنْ آيَاتِ اللهِ، التِي نَصَبَهَا فِي الأَنْفُسِ وَالآفاقِ: مَنْ غَيرُ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنجيَكُمْ مِنْ ظُلُماتِ

﴿٦٤﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ

﴿٦٥﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ

﴿٦٦﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ

البَرِّ إذا ضَلَلْتُم فتحيَّرتُم، وأظْلَمَتْ عليكُم الطُّرُقُ؟ وَمَنْ يُنْجيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَحْرِ، إذا رَكِبْتُمُوهُ فأظْلَمَتْ عَلَيْكُم فِيهِ السُّبُلُ فَلَمْ تَهْتَدُوا؟ وَهَلْ هُنَاكَ غَيْرُ اللهِ مَنْ تَضْرَعُونَ إليهِ، وَتَفْزَعُونَ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَتَقُولُونَ لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هٰذِهِ المَخَاطِرِ الشَّدِيدَةِ التِي نَحْنُ فِيها، لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ المُخْلِصِينَ فِي العِبَادَةِ.

تَضَرُّعاً - مُعْلِنِينَ الضَّرَاعَةَ وَالتَّذَلُّلَ.

خُفْيَةً - مُسِرِّينَ بالدُّعَاءِ.

(٦٤) - قُلْ لَهُمْ: إنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ الذِي يُنْجِيكُمْ مِنْ تِلْكَ الظُّلُماتِ، وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَعْرِضُ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَدْعُوهُ، وَلٰكِنَّكُمْ بَعْدَ أَنْ يُنْجِيكُمْ إذا بِكُمْ تَعُودُونَ إلَى الشِّرْكِ بِهِ، وتَدْعُونَ مَعَهُ فِي حَالاتِ الرَّخَاءِ آلِهَةً أُخْرَى.

(الآيَاتِ)

(٦٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ، الذِينَ يُشْرِكُونَ مَعَ اللهِ سِواهُ، وَلاَ يَشْكُرُونَهُ عَلَى النِّعَمِ الوَفِيرَةِ التِي أَسدَاهَا إلَيْهِمْ: إنَّ اللهَ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَصُبَّ عَلَيْكُمُ العَذَابَ مِنْ فَوْقِكُمْ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمُ العَذَابَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ، فَيَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ، أَوْ يُزَلْزِلَهَا تَحتَ أَقْدَامِكُمْ، أَوْ يَخْلِطَ الأَمْرَ عَلَيكُمْ مِنَ الالْتِبَاسِ، وَيَجْعَلَكُمْ مُلْتَبِسِينَ شِيَعاً وَفِرَقاً، مُتَخالِفينَ فِي الأَهْوَاءِ وَالمَشَارِبِ، وَيُسَلِّطَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالعَذَابِ وَالقَتْلِ. انْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيفَ نُبَيِّنُ الآيَاتِ وَنُوضِّحُها لَعَلَّ هٰؤلاءِ يَفْهَمُونَها وَيَتَدَبَّرُونَهَا.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إنَّ المُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (مِنْ فَوْقِكُمْ) أَيْ مِنْ حُكَّامِكُمْ وَأُمَرائِكُمْ، وَإِنَّ المُرَادَ بِقَوْلِهِ: (مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) أَيْ مِنْ عَبِيدِكُمْ وَسِفْلَتِكُمْ).

نُصَرِّفُ الآيَاتِ - نُكَرِّرُهَا بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ.

يَلْبِسَكُمْ - يَخْلِطَكُمْ فِي مَلاَحِمِ القِتَالِ.

شِيَعاً - فِرَقاً مُخْتَلِفَةَ الأَهْوَاءِ.

بَأْسَ بَعْضٍ - شِدَّةَ بَعْضٍ فِي القِتَالِ.

(٦٦) - وَكَذَّبَ قَوْمُكَ بِالقُرآنِ الذِي جِئْتَهُمْ بِهِ، وَهُوَ حَقٌّ ثَابِتٌ لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ، فَقُلْ لَهُمْ: إنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مَا جَاءَنِي مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِحَافِظٍ، وَلا بِمُوَكَّلٍ بِكُمْ.

بِوَكِيلٍ - بِحَفِيظٍ، وُكِّلَ إلَيَّ أَمْرُكُمْ فَأُجَازِيكُمْ.

(٦٧) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

(٦٨) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي
آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ
الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

(٦٩) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ
حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

(٧٠) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ
نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ
لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ

(نَبَأٍ)

(٦٧) - وَلِكُلِّ خَبَرٍ جَاءَ فِي القُرآنِ وَقْتٌ يَتَحَقَّقُ فِيهِ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ صِدْقَ هٰذِهِ الأَخْبَارِ عِنْدَ وُقُوعِهَا.

(آيَاتِنَا)(الشَّيْطَانُ) (الظَّالِمِينَ)

(٦٨) - كَانَ المُشْرِكُونَ يَجْلِسُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُحِبُّونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ، فَإِذَا سَمِعُوا ٱسْتَهْزَؤُوا فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ إِذَا ٱسْتَهْزَؤُوا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِمْ فَحَذِرُوا، وَقَالُوا لَا تَسْتَهْزِئُوا فَيَقُومُ. وَالمُخَاطَبُ بِهٰذِهِ الآيَةِ الرَّسُولُ ﷺ وَالمُؤْمِنُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَإِذَا رَأَى المُؤْمِنُ الذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللهِ المُنَزَّلَةِ، مِنَ الكُفَّارِ المُكَذِّبِينَ، وَأَهْلِ الأَهْوَاءِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُدَّ عَنْهُمْ بِوَجْهِهِ، وَأَنْ لَا يَجْلِسَ مَعَهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ آخَرَ غَيْرِ حَدِيثِ الكُفْرِ وَالاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللهِ أَوْ تَأْوِيلِهَا بِالبَاطِلِ مِنْ جَانِبِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، وَإِذَا أَنسَاكَ الشَّيْطَانُ، أَيُّهَا المُؤْمِنُ، هٰذَا النَّهْيَ، وَقَعَدْتَ مَعَهُمْ، وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، ثُمَّ ذَكَرْتَ فَقُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تَقْعُدْ مَعَ هٰؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ، وَالاسْتِهْزَاءِ بِهَا.

يَخُوضُونَ - يَأْخُذُونَ بِالحَدِيثِ بِالاسْتِهْزَاءِ وَالطَّعْنِ.

(٦٩) - وَلَيْسَ عَلَى المُؤْمِنِينَ المُتَّقِينَ شَيْءٌ مِنْ حِسَابِ الخَائِضِينَ فِي آيَاتِ اللهِ، فَلَا يُحَاسَبُونَ عَلَى خَوْضِهِمْ فِيهَا، وَلَا عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، إِذَا هُمْ تَجَنَّبُوهُمْ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُم، كَمَا أُمِرُوا. وَلٰكِنْ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْرِضُوا عَنْ هٰؤُلَاءِ الخَائِضِينَ ٱمْتِثَالاً لأَمْرِ اللهِ، وَتَذْكِيراً لِهٰؤُلَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، وَيَجْتَنِبُونَ الخَوْضَ حَيَاءً أَوْ كَرَاهَةً لِمَسَاءَتِهِمْ.

(الْحَيَاةُ) (أُولَٰئِكَ)

(٧٠) - وَدَعْ أَيُّهَا الرَّسُولُ، أَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، هٰؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ، الذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَسُخْرِيَةً وَهُزُواً، وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنيا، وَلَا تُبَالُوا بِتَكْذِيبِهِمْ وَٱسْتِهْزَائِهِمْ، وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ، وَأَمْهِلُوهُمْ قَلِيلاً، فَإِنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ. وَذَكِّرُوا النَّاسَ دَائِماً بِهٰذَا القُرآنِ، وَحَذِّرُوهُمْ نِقَمَ اللهِ وَعَذَابَهُ الأَلِيمَ، لِكَيْلَا تَفْتَضِحَ نَفْسٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَتَصِيرَ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَتَكُونَ رَهْنَ العَذَابِ (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ)، بِسَبَبِ مَا ٱقْتَرَفَتْهُ مِنَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَمَا ٱجْتَرَحَتْهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا.

وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ لَا يَكُونُ لِهٰذِهِ النَّفْسِ المُذْنِبَةِ شَفِيعٌ وَلَا وَلِيٌّ يَشْفَعُ لَهَا

مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

أَوْ يَنْصُرُهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَإِنَّها إذا بَذَلَتْ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْواعِ الفِدَاءِ (العَدْل)، لِتنجُو مِنَ العَذابِ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهَا ذَلِكَ.

وهؤلاءِ الذينَ افْتَضَحُوا، وَصَارُوا رَهْنَ العَذَابِ (أُبْسِلُوا) بِسَبَبِ مَا اجْتَرَحُوهُ مِنَ الذُّنُوبِ سَيَكُونُ شَرابُهُمْ، يَوْمَ القِيَامَةِ، مِنْ مَاءٍ شَدِيدِ الحَرارَةِ (حَمِيمٍ)، وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ جَزاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ.

غرَّتْهُمْ - خَدَعَتْهُمْ وَأَطْمَعَتْهُمْ بِالبَاطِلِ.

أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ - لِكَيلاَ تُحْتَبَسَ فِي النَّارِ، أَوْ تُسَامَ الهَلَكَةَ أَوْ تَفْتَضِحَ.

تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ - تَفْتَدِ بِكُلِّ فِداءٍ.

حَمِيمٍ - مَاءٍ بَالِغِ النِّهَايَةِ فِي شِدَّةِ الحَرَارَةِ.

(٧١) قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

(أَنَدْعُو) (هَدَانَا) (الشَّيَاطِينُ) (أَصْحَابٌ) (الْعَالَمِينَ)

(٧١) - قَالَ المُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمينَ اتْرُكُوا دِينَ مُحَمَّدٍ وَاتَّبِعُوا سَبِيلَنا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ. وَفِيهَا يَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْمُؤمنينَ أَنْ يَرُدُّوا على هؤلاءِ الدَّاعِينَ مُوَبِّخِينَ: هَلْ يَصِحُّ أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ، مِمَّا لاَ يَمْلِكُ جَلْبَ نَفْعٍ، وَلاَ دَفْعَ ضُرٍّ، وَنَنْتَكِسَ فِي الشِّرْكِ، بَعْدَ أَنْ هَدَانَا اللهُ إلى الإِيمانِ، فَيَكُونَ مَثَلُنَا مَثَلَ رَجُلٍ خَرَجَ مَعَ قَوْمٍ عَلى طَرِيقٍ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ، فَحَيَّرَتْهُ الشَّيَاطِينُ وَاسْتَهْوَتْهُ فِي الأَرْضِ، وَأَصْحَابُهُ عَلَى الطَّرِيقِ فَجَعَلُوا يَدْعُونَهُ إِلَيهِمْ وَيَقُولُونَ لَهُ: ائْتِنا، فَإِنّا عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ يَتَّبِعُ هَؤُلاءِ الكُفَّارَ، بَعْدَ أَنْ عَرَفَ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَمُحَمَّدٌ هُوَ الذي يَدْعُو إلى الطَّرِيقِ، وَالطَّرِيقُ هُوَ الإِسْلامُ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدى، وَمَنْ يَهدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَإِنَّنا أُمِرنا بِإِخْلاصِ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ - أَضَلَّتْهُ.

(٧٢) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(الصَّلاَةَ)

(٧٢) - وَقُولُوا لَهُمْ: لَقَدْ أَمَرَنَا رَبُّنا بِالإِسْلامِ، وَبِإِقَامَةِ الصَّلاةِ، وَبِتَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ، فَهُوَ الذي تُحْشَرُ إِليهِ الخَلاَئِقُ، يَوْمَ القِيَامَةِ، لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(٧٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ

(السَّماوَاتِ) (عَالِمُ) (الشَّهَادَةِ)

(٧٣) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ بِالحِكْمَةِ وَالحَقِّ وَالعَدْلِ، وَلَمْ يَخْلُقْها عَبَثاً وَبَاطِلاً، فَهُوَ لاَ يَتْرُكُ النَّاسَ سُدًى، بَلْ يَجْزِي

وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ

كُلّ نفس بِمَا كَسبَتْ، فَهُوَ خالِقُها ومَالِكُها، وَالمُدَبِّرُ لَها ولِمَنْ فِيها. وَيَوْمَ القِيامَةِ يَقُولُ اللهُ تَعالَى: كُنْ فَيكُونُ كُلُّ شَيءٍ عَنْ أَمْرِهِ كَلَمْحِ البَصَرِ. وَقَوْلُهُ تَعالَى الحَقُّ، وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ الحَشْرِ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ (والصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ فَيُحْدِثُ صَوْتاً) فَيُبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ، وَيُحْشَرُ الخَلْقُ جَميعاً إلى اللهِ، وَاللهُ تَعالَى هُوَ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، وَهُوَ الحَكِيمُ الذِي يَضَعُ الأَشْياءَ فِي مَواضِعِها، وَهُوَ الخَبِيرُ بِدَقائِقِها وَخفاياها.

الغَيْبِ - ما غابَ عَنِ النَّاسِ مِمَّا لا يَرَوْنَهُ.

الشَّهادَةِ - ما شاهَدَ النَّاسُ خَلْقَهُ. (وَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: المَقْصُودُ بِالغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُنا السِّرُّ وَالعَلَنُ).

الصُّورِ - قَرْنٌ إذا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً وَحِينَ يَنْفُخُ فِيهِ إسْرافِيلُ يَصْعَقُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾

نصف الحزب ١٤

(إِبْراهِيمُ) (آزَرَ) (آلِهَةً) (أَراكَ) (ضَلالٍ)

(٧٤) - وَاذْكُرْ أَيُّها الرَّسُولُ لِهؤُلاءِ المُشْرِكِينَ، الذِينَ عَبَدُوا ما لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ، قِصَّةَ جَدِّهِمْ إبراهِيمَ الذِي يُبَجِّلُونَهُ، وَيَدَّعُونَ اتِّباعَ مِلَّتِهِ، إذْ جادَلَ قَوْمَهُ وَراجَعَهُمْ فِي باطِلِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ: فَقالَ لأَبِيهِ آزَرَ: كَيْفَ تَتَّخِذُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ آلِهَةً مِنَ الأَصْنامِ، التِي تَصْنَعُونَها بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الحِجارَةِ وَغَيْرِها، إنِّي أَراكُمْ تائِهِينَ فِي حَيْرَةٍ وَجَهالَةٍ، وَأَمْرُكُمْ فِي الجَهالَةِ وَالضَّلالَةِ عَنِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ بَيِّنٌ وَاضِحٌ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ.

وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

(إِبْراهِيمَ) (السَّماواتِ)

(٧٥) - وَكَما أَرَيْنا إبْراهِيمَ الحَقَّ فِي أَمْرِ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، وَأَنَّهُمْ فِي ضَلالٍ وَجَهالَةٍ فِي عِبادَتِهِمُ الأَصْنامَ، كَذلِكَ أَرَيْناهُ المَرَّةَ بَعْدَ المَرَّةِ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ مِنْ آياتٍ وَعِبَرٍ تَدُلُّ كُلُّها عَلَى وَحْدانِيَّةِ اللهِ فِي مُلْكِهِ وَخَلْقِهِ، وَأَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ، لِيُقِيمَ الحُجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ، وَلِيَزْدادَ إيماناً وَيَقِيناً بِعَظَمَةِ اللهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَوَحْدانِيَّتِهِ.
(وَقَدْ يَكُونُ اللهُ تَعالَى قَدْ كَشَفَ عَنْ بَصَرِ إبراهِيمَ حَتَّى رَأَى ذلِكَ عِياناً، أَوْ كَشَفَ عَنْ بَصِيرَتِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ بِقَلْبِهِ وَفُؤادِهِ وَتَحَقَّقَهُ).
مَلَكُوتَ - مُلْكَ - أَوْ آياتِ وَعَجائِبَ مُلْكِ اللهِ.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ ٧٦

(اللَّيْلُ) (رَأَى) (الآفِلِينَ)

(٧٦) - فَلَمَّا تغشَّاهُ اللَّيلُ وسَتَرَهُ، رأى نجماً عظيماً، مُمْتازاً عَنْ سائِرِ الكَواكِبِ، بإِشْراقِهِ وَبَريقِهِ (وَقِيلَ إِنَّهُ كَوْكَبُ المُشْتَرِي الذِي عَبَدَهُ كَثيرٌ مِنَ الأَقْوامِ التِي عَبَدَتِ الكَواكِبَ)، فَقَالَ إِبْراهِيمُ لِقَوْمِهِ: هٰذا رَبِّي؛ فَلَمَّا غابَ وَغَرَبَ (أَفَلَ) قَالَ لَهُمْ: إِنِّي لا أُحِبُّ الآفِلِينَ، إِذْ أَدْرَكَ أَنَّ رَبَّهُ حاضِرٌ دائِمٌ لاَ يَزُولُ.

وَقَالَ الأُسْتَاذُ المَراغِي - إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ قَالَ لِقَوْمِهِ عَنِ الكَوْكَبِ (هٰذا رَبِّي) فِي مَقامِ المُناظَرَةِ وَالحِجَاجِ، تَمْهِيداً لِلإِنْكارِ عَلَيْهِمْ فَأَوْهَمَهُمْ أَوَّلاً أَنَّهُ مُوافِقٌ لَهُمْ عَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّ كَوْكَباً يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلٰهاً. ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِمْ بِالنَّقْضِ بَانِياً حُجَّتَهُ عَلَى الحِسِّ وَالعَقْلِ).

جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ - تَغَشَّاهُ وَسَتَرَهُ بِظَلامِهِ.

أَفَلَ - غَرَبَ وَغَابَ وَراءَ الأُفُقِ.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ٧٧

(رَأَى) (لَئِنْ)

(٧٧) - فَلَمَّا رَأى القَمَرَ طَالِعاً قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: هٰذا رَبِّي. فَلَمَّا غَرَبَ وَغَابَ، سَأَلَ رَبَّهُ الهِدايَةَ، وَقَالَ لِقَومِهِ إِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي إِلَى الحَقِّ وَالصَّوابِ فِي تَوْحِيدِهِ لأَكُونَنَّ ضالاً.

بازِغاً - طَالِعاً مِنَ الأُفُقِ مُنْتَشِرَ الضَّوْءِ.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ ٧٨

(رَأَى) (يا قَوْمِ)

(٧٨) - فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً، وَرَأى مَا هِيَ عَلَيهِ مِنَ النُّورِ السَّاطِعِ، وَالحَجْمِ الكَبِيرِ، تَظاهَرَ أَمامَ قَوْمِهِ بِأَنَّهُ اهْتَدَى إِلَى الصَّوابِ فِي مَعْرِفَةِ المَعْبُودِ الذِي عَلَيهِ أَنْ يَعْبُدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، فَقَالَ لَهُمْ مُشِيراً إِلَى الشَّمْسِ: هَذا رَبِّي، هَذا أَكْبَرُ مَا رَأَيْتُ مِنَ الكَواكِبِ، وَأَكْثَرُهَا نُوراً. فَلَمَّا غابَتْ تَبَرَّأَ، مِنْ كُلِّ المَعْبُوداتِ التِي جَعَلَهَا قَوْمُهُ أَرْباباً لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ٧٩

(السَّماوَاتِ)

(٧٩) - وَبَعْدَ أَنْ تَبَرَّأَ إِبراهِيمُ مِنْ عِبادَةِ الأَصْنامِ وَالأَوْثانِ وَالكَواكِبِ التِي عَكَفَ قَوْمُهُ عَلَى عِبادَتِها، أَعْلَنَهُمْ بِأَنَّهُ عَبَدَ اللهِ الذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ، وَسَخَّرَهَا وَقَدَّرَهَا، وَهُوَ الذِي بِيَدِهِ مُلْكُ كُلِّ شَيءٍ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ. وَقَالَ إِنَّهُ أَفْرَدَ اللهَ وَحْدَهُ بِالعِبادَةِ مُخْلِصاً فِيهَا، مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ، وَمُتَبَرِّئاً مِنَ المُشْرِكِينَ.

فَطَرَ - أَوْجَدَ وَأَنْشَأَ عَلَى غَيْرِ مِثالٍ سَبَقَ.

(٨٠) وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

حَنِيفاً - مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ.

(أَتحاجُونِّي) (هَدانِي)

(٨٠) - وَجادَلَ إبراهِيمَ قَوْمُهُ فِيما ذَهَبَ إِلَيهِ مِنَ التَّوحِيدِ، وَناظَرُوهُ بِشُبَهٍ مِنَ القَوْلِ، وبَيَّنُوا لَهُ أَوْهامَهُم فِي شِرْكِهِمْ فَقالَ لَهُمْ: أَتُجادِلُونَنِي فِي أَمْرِ اللهِ، وَفِي أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ؟ لَقَدْ بَصَّرَنِي رَبِّي بِالحَقِّ، وَهَدانِي إِلَيهِ، وَأَنا عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ، فَكَيْفَ أَلْتَفِتُ إِلَى أَقْوالِكُمْ وَحُجَجِكُمُ الباطِلَةِ؟ وَمِنَ الدَّلائِلِ عَلَى بُطْلانِ اعْتِقادِكُمْ أَنَّ هٰذِهِ الأَصْنامَ آلِهَةٌ تَسْتَحِقُّ العِبادَةَ، أَنَّها لا تَسْتَطِيعُ ضَرّاً وَلا نَفْعاً لِأَحَدٍ، وَأَنا لا أَخافُها، وَلا أُبالِي بِها، فَإِنْ كَانَ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى الكَيْدِ وَالإِيذاءِ، فَكِيدُونِي بِها، وَلا تُنْظِرُونِ. أَمَّا الذِي يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، حَقِيقَةً، فَهُوَ اللهُ، فَهُوَ وَحْدَه القادِرُ عَلَى ذٰلِكَ، فَأَنا لا أَخافُ الضَّرَرَ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبِّي ذٰلِكَ، وَلَقَدْ أَحاطَ رَبِّي بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً، فَلا تَخْفَى عَلَيهِ خافِيَةٌ، فَكَيْفَ لا تَتَذَكَّرُونَ ذٰلِكَ، وَلا تُدْرِكُونَ أَنَّ الحَجَرَ العَاجِزَ لا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ؟.

حَاجَّهُ قَوْمُهُ - جَادَلُوهُ وَخاصَمُوهُ فِي التَّوْحِيدِ.

(٨١) وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(سُلْطاناً)

(٨١) - وَكَيْفَ أَخافُ أَنا مِنْ هٰذِهِ الأَصْنامِ التِي تَعْبُدُونَها، وَهِيَ لا تَمْلِكُ لِنَفْسِها، وَلا لِغَيْرِها نَفْعاً وَلا ضَرّاً، وَلا تَخافُونَ أَنْتُم مِنْ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ فِي عِبادَةِ اللهِ هٰذِهِ الأَصْنامَ، وَهُوَ القادِرُ القاهِرُ، وَهُوَ تَعالَى لَمْ يُنْزِلْ حُجَّةً وَلا بُرْهاناً وَلا دَلِيلاً عَلَى وُجُوبِ عِبادَةِ هٰذِهِ الأَصْنامِ؟ وَفِي مِثْلِ هٰذِهِ الحالِ التِي نَحْنُ فِيها: أَيُّ الجانِبَيْنِ - أَنا وَأَنْتُمْ - أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ مُطْمَئِناً مِنْ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ أَذىً: الذِي عَبَدَ اللهَ الذِي بِيَدِهِ الخَلْقُ وَالنَّفْعُ وَالضُّرُّ، أَمْ مَنْ عَبَدَ أَصْناماً حِجارَةً لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ؟ هٰذا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَتُقَدِّرُونَ الأُمُورَ.

(٨٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ

(آمَنُوا) (إِيمانَهُم) (أُولَئِكَ)

(٨٢) - ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالَى فِي هٰذِهِ الآيَةِ مَنْ هُوَ الحَقِيقُ بِالأَمْنِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ فَقالَ: الذِينَ أَخْلَصُوا العِبادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، وَلَمْ يَخْلِطُوا إِيمانَهُمْ (يَلْبِسُوا) بِظُلْمٍ، وَلا كُفْرٍ، وَلا شِرْكٍ بِاللهِ، فَهٰؤُلاءِ هُمُ الآمِنُونَ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ الخُلُودِ فِي العَذابِ، وَأُولٰئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

لَمْ يَلْبِسُوا - لَمْ يَخْلِطُوا.

بِظُلْمٍ - بِشِرْكٍ أَوْ كُفْرٍ.

٨٣ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

(آتَيْنَاهَا) إِبْرَاهِيمَ) (دَرَجَاتٍ)

(٨٣) - وَتِلْكَ هِيَ حُجَّةُ اللهِ الدَّامِغَةُ عَلَى وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، أَرْشَدَ إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ، لِيُوَجِّهَهَا إِلَى قَوْمِهِ، وَهُمْ يُجَادِلُونَهُ فِي رَبِّهِ، وَاللهُ يَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، دَرَجَاتٍ فِي الدِّينِ وَالفَهْمِ وَالحُجَّةِ، وَإِنَّ رَبَّكَ اللهَ الذِي رَبَّاكَ وَعَلَّمَكَ وَهَدَاكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَعَلَكَ خَاتَمَ الرُّسُلِ، حَكِيمٌ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَهْتَدِي بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَبِمَنْ يَضِلُّ، وَبِمَنْ قَامَتِ الحُجَّةُ عَلَيهِ.

٨٤ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

(إِسْحَاقَ) (دَاوُدَ) (وَسُلَيْمَانَ) (وَهَارُونَ)

(٨٤) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَهَبَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ بَعْدَ أَنْ شَاخَ وَطَعَنَ فِي السِّنِّ، وَبَشَّرَتْهُ المَلائِكَةُ بِأَنَّ ابْنَهُ إِسْحَاقَ سَيُولَدُ لَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ يَعْقُوبُ، فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ.
وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ هَدَى كُلّاً مِنْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِمَا آتَاهُمَا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالحِكْمَةِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى هَدَى مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ: (أَوْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ - وَإِبْرَاهِيمُ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ): دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ وَأَيُّوبَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَآتَاهُمُ الحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ المُحْسِنِينَ فَيَهْدِيهِمْ إِلَى الحَقِّ وَالصَّوَابِ وَالإِيمَانِ.

٨٥ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(الصَّالِحِينَ)

(٨٥) - وَهَدَى اللهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ أَيْضاً: زَكَرِيَّا وَابْنَهُ يَحْيى وَعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَإِلْيَاسَ، وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللهُ جَمِيعاً مِنَ الصَّالِحِينَ. وَكَانَتْ لِهَؤُلاءِ الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ مِيزَةُ الزُّهْدِ وَالإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيا وَلَذَّاتِها، وَزِينَتِهَا، لِذَلِكَ خَصَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِوَصْفِ الصَّالِحِينَ.

٨٦ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

(إِسْمَاعِيلَ) (الْعَالَمِينَ)

(٨٦) - وَمِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، مِمَّنْ هَدَاهُمُ اللهُ، يَذْكُرُ تَعَالَى: إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْراهِيمَ، وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً فَهَدَاهُمْ، وَآتَاهُمُ النُّبُوَّةَ، وَجَعَلَهُمْ مِنَ المُهْتَدِينَ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى العَالَمِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ.

٨٧ وَمِنْ ءَابَآبِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(آبائِهِمْ) (وذُرِّيَاتِهِمْ) (وَإِخْوانِهِمْ) (اجْتَبَيْنَـاهُمْ) (وَهَدَيْنَـاهُمْ) (صِرَاطٍ)

(٨٧) ـ وَهَدَى اللهُ بَعْضَ آبائِهِمْ وذُرِّيَـاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ، ـ لا كُلَّهُمْ إذْ إنَّ بَعْضَ هٰؤلاءِ الأَقْرَبِينَ لَمْ يَهْتَدِ بِهَدْيِ أَبِيهِ أَوْ ٱبْنِهِ، كَآزَرَ أبِي إبْراهِيم، وَٱبْنِ نُوحٍ وَزَوْجَةِ لُوطٍ ـ. وَيقُولُ تَعالَى إنَّهُ ٱخْتَارَهُمْ وَٱصْطَفاهُمْ وَهَداهُمُ الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ.

٨٨ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(٨٨) ـ وَإنَّما حَصَلَ لَهُمْ ذٰلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ، وَهِـدَايَتِهِ إيَّـاهُم، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحداً، لَهلَكَ عَمَلُهُمْ، وَلَضَاعَ أَجْرُ أَعْمَالِ الخَيْرِ التِي عَمِلُوهَا، (وَهٰذا تَشْدِيدٌ لأَمْرِ الشِّرْكِ، وَتَغْلِيظٌ لشَأْنِهِ).
اجْتَباهُمُ ـ ٱصْطَفاهُمْ.
حَبِطَ ـ بَطَلَ وَسَقَطَ وَهَلَكَ.

٨٩ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ

(أُولَئِكَ) (آتَيْنَاهُمُ) (الْكِتَابَ) (بِكَافِرِينَ)

(٨٩) ـ أُولٰئِكَ الـذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، بِـأَنْ آتـاهُمُ الكِتَـابَ (صُحُفَ إبراهِيمَ، وَتَوْراةَ مُوسَى وزَبُورَ داوُدَ، وَإنْجِيلَ عِيسَى) كَما آتَـاهُمُ العِلْمَ وَالفِقْهَ فِي الدِّينِ (الحُكْمَ)، وَآتاهُمُ النُّبُوَّةَ لِيَهْدُوا النَّاسَ إلَى اللهِ، وَذٰلِكَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ بِعِبادِهِ، وَلُطْفٌ مِنْهُ بِخَلْقِهِ، فَإنْ يَكْفُـرْ أَهْلُ مَكَّـةَ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ فِي الأَرْضِ مِنَ البَشَرِ (هٰؤلاءِ) بِالكِتَابِ وَالحُكْمِ وَالنُّبُوَّةِ فَـإنَّ اللهَ تَعالَى وَكَّلَ بِرعَايَتِهَا قَوْماً مُؤْمِنِينَ، لا يَجْحَدُونَ مِنْهَـا شَيْئاً، وَلا يَـرُدُّونَ مِنْهَا حَرْفاً. (وَهُمُ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصارُ وَالمُؤْمِنُـونَ ـ عَلَى ما قَـالَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هٰذا المَقْطَعِ مِنَ الآيَةِ).

٩٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ

(أُولَئِكَ)(فَبِهُدَاهُمْ)(أَسْأَلُكُمْ) (لِلْعَالَمِينَ)

(٩٠) ـ وَهٰؤلاءِ الثَّمانِيَـةَ عَشَـرَ، الـذِينَ وَرَدَتْ أَسْماؤُهُمْ فِي الآيَـاتِ السَّابِقَةِ، وَالذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ آتاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، هُمُ الذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ هِدايَةً كامِلَةً، فَٱهْتَدِ، يَا مُحَمَّدُ، بِهُدَاهُمْ، وَٱقْتَدِ بِهِمْ، فِي الأَخْـلاقِ الحَمِيدَةِ، وَالصِّفَـاتِ الرَّفِيعَـةِ، وَالصَّبْـرِ عَلَى أَذَى السُّفَهَاءِ، وَالعَفْوِ عَنْهُمْ، وَقُلْ لِقَوْمِكَ إنَّنِي لا أَسْأَلُكُمْ أَجْراً عَلَى إبْلاغِ رِسَالَةِ رَبِّي إلَيْكُمْ، وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَيَّ مِنَ القُرآنِ، فَهٰذا القُرْآنُ هُـوَ تَذْكِيـرٌ (ذِكْرى) لِلْعَالَمِينَ الذِينَ يَتَذَكَّرُونَ فَيَرْشُدُونَ مِنَ الجَهالَةِ وَالضَّلالَةِ.
ٱقْتَدِهْ ـ ٱقْتَدِ وَالهاءُ لِلسَّكْتِ.

(٩١) وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ
بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ
تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا
وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ
تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ
ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

(الْكِتَابَ) (آبَاؤُكُمْ)

(٩١) - مَا عَرَفَ مُنْكِرُو الوَحْيِ ، مِنْ كُفَّارِ قُرَيشٍ ، اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلا عَظَّمُوهُ حَقَّ التَّعْظِيمِ الذِي يَسْتَحِقُّهُ، إِذْ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ ﷺ ؛ وَقَالُوا: (مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيءٍ)، فَقُلْ، يَا مُحَمَّدُ، لِهٰؤُلاءِ المُنْكِرِينَ إِنْزَالَ كِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى البَشَرِ: مَنِ الذِي أَنْزَلَ التَّوراةَ عَلَى مُوسَى، لِيَكُونَ نُوراً يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي كَشْفِ الغَوَامِضِ ، وَحَلِّ المُشْكِلاَتِ، وَهُدًى يُهْتَدَى بِهِ مِنْ ظُلَمِ الشُّبُهَاتِ؟.

وَمُشْرِكُو العَرَبِ يُقِرُّونَ بِأَنَّ التَّوْرَاةَ مُنَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَى رَسُولِهِ مُوسَى، لِذلِكَ يَكُونُ تَعَالَى قَدْ أَقَامَ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اللهَ يُنَزِّلُ الوَحْيَ وَالكُتُبَ عَلَى مَنْ يَخْتَارُهُمْ مِنْ خَلْقِهِ لِحَمْلِ رِسَالاَتِهِ.

وَقَدْ أَرْسَلَ مُشْرِكُو قُرَيشٍ وَفْداً إِلَى المَدِينَةِ يَسْأَلُونَ أَحْبَارَ اليَهُودِ عَمَّا يَجِدُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفَتِهِ، فَرَدَّ الأَحْبَارُ عَلَيْهِم: إِنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ عَنْهُ شَيئاً. وَقَدِ آهْتَدَى اليَهُودُ بِالتَّوراةِ، وَصَارُوا خَلْقاً آخَرَ مُتَمَسِّكاً بِالحَقِّ وَالعَدْلِ، حَتَّى آخْتَلَفُوا، وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَآتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَجَعَلُوا كِتَابَهُمْ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا عِنْدَ الحَاجَةِ، فَكَانَ الحَبْرُ مِنْ أَحْبَارِهِمْ إِذَا آسْتُفْتِيَ فِي مَسْأَلَةٍ لَهُ هَوًى فِي إِظْهَارِ حُكْمِ اللهِ فِيهَا كَتَبَ ذٰلِكَ الحُكْمَ فِي قِرْطَاسٍ ، وَأَظْهَرَهُ لِلْمُسْتَفْتِي وَخُصُومِهِ. وَكَانُوا يُخْفُونَ كَثِيراً مِنْ أَحْكَامِ الكِتَابِ وَأَخْبَارِهِ، إِذَا كَانَ لَهُمْ هَوًى فِي ذٰلِكَ وَمَصْلَحَةٌ. وَالسَّبَبُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ الكِتَابَ كَانَ فِي أَيدِي الأَحْبَارِ، وَلَمْ تَكُنْ فِي أَيدِي العَامَّةِ نُسَخٌ مِنْهُ، وَقَدْ أَخْفَى اليَهُودُ حُكْمَ رَجْمِ الزَّانِي فِي المَدِينَةِ، وَأَخْفَوْا البِشَارَةَ الوَارِدَةَ فِي التَّوراةِ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَكَتَمُوا صِفَتَهُ عَنِ العَامَّةِ، وَصَرَفُوهَا إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى بِالنِّسْبَةِ لِلْخَاصَّةِ، لِكَيْلاَ يَتْبَعَهُ اليَهُودُ.

وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَتَوَلَّى هُوَ الجَوابَ عَنْ هٰذا السُّؤالِ إِذا سَكَتَ الكُفَّارُ: وَلْيَقُلْ إِنَّ الذِي أَنْزَلَ التَوراةَ هُوَ اللهُ، ثُمَّ عَلَيهِ أَنْ يَتْرُكَهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الضَّلالِ، يَخُوضُونَ وَيَلْعَبُونَ كَالصِّبْيَانِ.

مَا قَدَرُوا اللهَ - مَا عَرَفُوا اللهَ وَمَا عَظَّمُوهُ.

قَرَاطِيسَ - أَوْراقاً مَكْتُوبَةً مُتَفَرِّقَةً.

قُلِ اللهُ - قُلْ أَنْزَلَهُ اللهُ (أَيْ أَنْزَلَ التَّوراةَ).

خَوْضِهِمْ - فِيمَا يَخُوضُونَ فِيهِ مِنَ الحَدِيثِ وَالبَاطِلِ.

﴿٩٢﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ
مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

(كِتَابٌ) (أَنْزَلْنَاهُ) (بالآخِرَةِ)

(٩٢) - وَهذا القُرْآنُ كِتابٌ عَظِيمُ القَدْرِ، أَنْزَلْناهُ عَلى مُحَمَّدٍ خاتَمِ الأَنْبياءِ، كَما أَنْزَلْنا مِنْ قَبْلُ التَّوراةَ عَلى مُوسى، وَقَدْ بارَكْنا فِيهِ فَجَعَلْناهُ كَثيرَ الخَيْرِ، دائِمَ البَرَكَةِ وَالمَنْفَعَةِ، يُبَشِّرُ بِالثَّوابِ وَالمَغْفِرَةِ، وَيَنْهى عَنِ المَعْصِيَةِ، مُصَدِّقاً لِما تَقَدَّمَهُ مِنَ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلى الأَنْبِياءِ، في المَبادِىءِ التي جاءَتْ بِها، وَقَدْ أَنْزَلْنا هذا القُرْآنَ عَلى مُحَمَّدٍ لِيُنْذِرَ أَهْلَ مَكَّةَ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ بِلادِ اللهِ جَمِيعاً (كَما قالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ)، وَلِيُحَذِّرَهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ وَبَأْسِهِ، إِذا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ. وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِقِيامِ السَّاعَةِ وَبِالمَعادِ إِلى اللهِ في الآخِرَةِ لِلْحِسابِ، يُؤْمِنُ بِهذا القُرْآنِ، لأَنَّهُمْ يَجِدُونَ فيهِ الهِدايَةَ وَالسَّعادَةَ في تِلْكَ الدَّارِ. وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالقُرْآنِ يُحافِظُونَ عَلى صِلاتِهِمْ فَيُؤَدُّونَها في أَوْقاتِها، لأَنَّ الصَّلاةَ عِمادُ الدِّينِ، وَالمُحافَظَةُ عَلَيها تَدْعُو إِلى القِيامِ بِسائِرِ العِبادَاتِ.

أُمَّ القرى - مَكَّةَ.

مَنْ حَوْلَهَا - أَهْلُ الآفاقِ - أَيْ أَهْلُ بِلادِ العَالَمِ جَمِيعاً.

مُبارَكٌ - كَثيرُ المَنافِعِ وَالفَوائِدِ (وَهُوَ القُرْآنُ).

﴿٩٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ
ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا
كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ

(الظَّالِمُونَ) (غمرَاتِ) (وَالْمَلائِكَةُ) (بَاسِطُو) (آيَاتِهِ)

(٩٣) - لا أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ كَذَبَ عَلى اللهِ، فَجَعَلَ لَهُ شَرِيكاً أَوْ وَلَداً، أَوِ آدَّعى أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ رَسُولاً إِلى النَّاسِ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ قَدْ أَرْسَلَهُ (كَالذِينَ يَدَّعُونَ النُّبُوَّةَ)، أَوِ آدَّعى أَنَّهُ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنْزِلَ مِثْلَما أَنْزَلَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنَ الوَحْيِ وَالقُرْآنِ (كَالذِينَ قالُوا: لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا). وَهؤلاءِ الظَّالِمُونَ وَأَمْثالُهُمْ جُرْمُهُمْ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ. وَلَوْ تَرى يا مُحَمَّدُ حالَهُمْ وَهُمْ يُعانُونَ سَكَراتِ المَوْتِ، وَآلامَ اللَّحَظاتِ الأَخِيرَةِ مِنْ حَياتِهِم التَّعِيسَةِ، لَرَأَيْتَ ما لا سَبِيلَ إِلى وَصْفِهِ وَتَصْوِيرِهِ مِنْ سُوءٍ، وَقَدْ جاءَتْهُمْ مَلائِكَةُ المَوْتِ باسِطِينَ إِلَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالعَذابِ لِيَسْتَخْرِجُوا أَرْواحَهُمْ مِنْ أَجْسادِهِمْ، بِقَسْوَةٍ وَعُنْفٍ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ فَالَيْوَمَ تُهانُونَ غايَةَ الهَوانِ، لِما كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلى اللهِ، وَتَسْتَكْبِرُونَ عَنِ آتِّباعِ آياتِهِ، وَالانْقِيادِ إِلى رُسُلِهِ.

غَمَراتِ المَوْتِ - سَكَراتِهِ وَشَدائِدِهِ.

أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ - خَلِّصُوهَا مِمَّا هِيَ فِيهِ مِنَ العَذابِ - أَوْ تَخَلَّوْا عَنْها.

عَذَابَ الهُونِ - الهَوانَ الشَّدِيدَ وَالذُّلَّ وَالخِزْيَ.

٩٤ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ

(فُرَادَى) (خَلَقْنَاكُمْ) (خَوَّلْنَاكُم) (شُرَكَاءُ)

(٩٤) ـ ثُمَّ يَصِفُ اللهُ تَعَالَى حَالَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يُقَالُ لَهُمْ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَكَمَا بَدَأْنَاكُمْ أَعَدْنَاكُمْ، وَكُنْتُمْ تُنْكِرُونَ ذٰلِكَ، وَتَسْتَبْعِدُونَهُ، فَهٰذَا هُوَ يَوْمُ البَعْثِ الذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ، وَقَدْ تَرَكْتُمْ فِي الدُّنيا مَا آتَيْنَاكُمْ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ، وَالأَمْوَالِ التِي جَمَعْتُمُوهَا. وَيُقَرَّعُونَ عَلى مَا كَانُوا اتَّخَذُوهُ فِي الدُّنيا مِنَ الأَنْدَادِ وَالأَصْنَامِ ظَانِّينَ أَنَّها تَنْفَعُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّنا لاَ نَرَى مَعَكُمُ الشُّفَعَاءَ الذِينَ كُنْتُم تَزْعُمُونَ أَنَّ لَهُمْ قِسْطاً مِن اسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ، لَقَدْ تَقَطَّعَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الأَسْبَابُ وَالصِّلاَتُ، وَتَلاَشَتْ آمَالُكُمْ فِيمَا كُنْتُم تَزْعُمُونَهُ مِنْ رَجَاءِ شَفَاعَتِهِمْ.

(وَيُرْوَى فِي سَبَبِ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ: أَنَّ النَّضْرَ بْنَ الحَارِثِ، وَهُوَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ: سَتَشْفَعُ لِي اللاَّتُ وَالعُزَّى).

مَا خَوَّلْنَاكُمْ ـ مَا أَعْطَيْنَاكُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيا.

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ـ تَفَرَّقَ الاتِّصَالُ بَيْنَكُمْ.

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

٩٥ ۞ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ

(٩٥) ـ وَمِنْ دَلاَئِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى بَعْثِ العِبَادِ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ المَعَادِ، أَنَّهُ هُوَ الذِي يَشُقُّ الحَبَّ والنَّوى فِي جَوْفِ الأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ يُخَالِطَهُ المَاءُ، فَتَنْبُتُ الزُّرُوعُ مِنَ الحُبُوبِ، وَتَنْبُتُ الأَشْجَارُ مِنَ النَّوى، وَاللهُ يُخْرِجُ النَّبَاتَ الحَيَّ مِنَ الحَبِّ وَالنَّوى الذِي هُوَ كَالجَمَادِ المَيِّتِ. وَالذِي يَفْعَلُ ذٰلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ (ذٰلِكُمُ اللهُ) فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ يَا أَيُّها النَّاسُ عَنِ الحَقِّ، وَتَعْدِلُونَ عَنْهُ إِلى البَاطِلِ، فَتَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ؟

فَالِقُ الحَبِّ ـ شَاقُّ الحَبِّ عَنِ النَّبَاتِ، أَوْ خَالِقُهُ.

فَكَيْفَ تُؤْفَكُونَ ـ فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ.

٩٦ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

(اللَّيْلَ)

(٩٦) ـ وَاللهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الضِّيَاءِ وَالظَّلاَمِ، وَهُوَ يَفْلِقُ ظَلاَمَ اللَّيلِ عَنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ، فَيُضِيءُ الوُجُودُ، وَيَتَلاَشَى الظَّلاَمُ، وَهُوَ الذِي جَعَلَ اللَّيلَ سَاجِياً مُظْلِماً لِتَسْكُنَ فِيهِ الكَائِنَاتُ، وَتَرْتَاحَ مِنْ عَنَاءِ النَّهارِ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَنَّنٍ مُقَدَّرٍ، لاَ يَتَغَيَّرُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا مَنَازِلُ يَسْلُكُهَا، وَيَنْتُجُ مِنْ ذٰلِكَ اخْتِلاَفُ اللَّيلِ وَالنَّهارِ، وَذٰلِكَ كُلُّهُ جَارٍ بِتَقْدِيرٍ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الذِي لاَ يُمَانَعُ وَلاَ يُخَالَفُ، وَهُوَ العَلِيمُ بِكُلِّ شَيءٍ، فَلاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ.

(٩٧) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(٩٨) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ

(٩٩) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ

فَالِقُ الإصْباحِ ـ شاقُّ ظُلْمَةِ اللَّيلِ عَنْ بَياضِ النَّهارِ.
حُسْبَاناً ـ يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَدَّرٍ فِي فَلَكِهِما.

(ظُلُماتِ) (الآياتِ)

(٩٧) ـ وَجَعَلَ اللهُ النُّجُومَ لِيَهْتَدِيَ بِهَا النَّاسُ فِي الأوْقَاتِ التِي يَغْشَى فِيها الأَرْضَ الظَّلامُ، وَلِيَعْرِفُوا الاتِّجاهَاتِ، حِينَما تَكُونُ الشَّمْسُ غَائِبَةً. وَيقُولُ تَعَالَى: إنَّه بَيَّنَ الآياتِ وَوَضَّحَها لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَيَعْرِفُونَ الحَقَّ، وَيَتَجَنَّبُونَ البَاطِلَ.

(وَاحِدَةٍ) (الآياتِ)

(٩٨) ـ وَاللهُ تَعالى هُوَ الذِي أَنْشَأَ البَشَرَ، وَخَلَقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ نَفْسُ آدَمَ، إذْ خَلَقَهُ مِنْ طِينٍ (وَهُوَ تُرابٌ خَالَطَهُ مَاءٌ)، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ هٰذِهِ النَّفْسِ زَوْجَها (حوَّاءَ)، وَبَثَّ البَشَرَ جَمِيعاً مِنْهُما بِالتَّزاوُجِ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالإنَاثِ، وَذٰلِكَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، فَمَقَرُّ النُّطْفَةِ صُلْبُ الرَّجُلِ، وَمُسْتَوْدَعُها رَحِمُ الأُنْثَى (فَتَخْرُجُ النُّطْفَةُ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا فِي الأَصْلَابِ وَتُسْتَوْدَعُ فِي الأَرْحَامِ فَيَتَخَلَّقُ البَشَرُ).
وَيقُولُ تَعَالَى: إنَّهُ فَصَّلَ الآيَاتِ وَبَيَّنَها لِمَنْ يَفْقَهُونَ، لأَنَّهُمْ هُمُ الذِينَ يَعُونَ كَلامَ اللهِ، وَيفْهَمُونَ مَعْنَاهُ.
مُسْتَقَرُّ النُّطْفَةِ ـ فِي أَصْلابِ الذُّكُورِ (وَقِيلَ لاَ بَلْ فِي الأَرْحَامِ).
وَمُسْتَوْدَعُها ـ فِي أَرْحَامِ الإنَاثِ (وَقِيلَ لاَ بَلْ تُسْتَودَعُ فِي أَصْلابِ الذُّكُورِ).

(جَنَّاتٍ) (مُتَشَابِهٍ) (لآياتٍ)

(٩٩) ـ وَهُوَ الذِي أَنْزَلَ بِقَدرٍ مِنْهُ مِنَ السَّماءِ مَاءً مُبَارَكاً، وَرِزْقاً لِلْعِبَادِ، وَإِحْيَاءً وَغِيَاثاً لِلْخَلائِقِ، فَأَخْرَجَ النَّبَاتَ وَالزُّروعَ وَالشَّجَرَ الأَخْضَرَ، ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ يَخْلُقُ فِيهِ الحَبَّ وَالثَّمَرَ، وَيُرَكِّبُ بَعْضَ الحَبِّ بَعْضاً كَسَنَابِلِ القَمْحِ وَالذُّرَةِ وَنَحْوِهَا، وَيُخْرِجُ مِنْ طُلُوعِ النَّخْلِ عُذُوقَ الرُّطَبِ (قِنْوَانٌ ـ وَهِيَ عَنَاقِيدُ التَّمْرِ)، وَتَكُونُ دَانِيَةً قَرِيبَةً مِنَ المُتَنَاوَلِ، وَيُخْرِجُ بِالمَاءِ بَسَاتِينَ (جَنَّاتٍ) العِنَبِ وَيُخْرِجُ الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ. وَثِمَارُ هٰذِهِ الأَشْجَارِ تَتَشَابَهُ فِي مَنْظَرِهَا، وَتَخْتَلِفُ فِي طَعْمِهَا، فَانْظُرُوا، فِي تَدَبُّرٍ وَتَمَعُّنٍ، إِلَى ثَمَرِهِ حِينَ يُثْمِرُ، وَإِلَى نُضْجِهِ، وَفَكِّرُوا فِي قُدْرَةِ الخَالِقِ، الذِي أَخْرَجَهُ إِلَى الوُجُودِ، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ حَطَباً صَارَ ثَمَراً صَغِيراً، ثُمَّ أَخَذَ فِي النَّمَاءِ حَتَّى صَارَ فَاكِهَةً نَاضِجَةً. فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ، يَا أَيُّها النَّاسُ، دَلالاتٍ

وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ

عَلى وُجود خالِقِ هٰذِهِ الأشياء، وَعَلى كَمالِ قُدْرَتِه وحِكْمَتِه، لِقَومٍ يُصَدِّقون بِهِ، ويَتَّبِعونَ رُسُلَهُ.

خضراً ـ شيْئاً أخْضرَ غضّاً.

حبّاً متراكِباً ـ يرْكبُ بعْضُهُ بعْضاً، كَسَنابِلِ القَمْحِ وعَناقِيدِ الذُّرة.

طلْعُ النَّخلِ ـ أوَّلُ ما يَخْرُجُ ثَمرُ النَّخلِ فِي الكِيزانِ.

قنوانٌ ـ عُذوقُ النّخْلِ. وهِيَ كالعَناقِيدِ لِلعِنَبِ تَنْشَقُّ عَنْها الكِيزانُ.

دانيةٌ ـ مُتدلِّيَةٌ أو قريبةٌ مِنْ مُتناوَلِ اليَدِ.

ينْعِهِ ـ نُضْجِه.

(١٠٠) وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٖۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ

(بَناتٍ) (سُبْحانَهُ) (تَعالى)

(١٠٠) ـ قالَ ابْنُ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الزَّنادِقَةِ مِنَ المَجُوسِ، الذِينَ قالُوا إنَّ اللهَ خالِقُ النّاسِ والدَّوابِّ والأنْعامِ، فَهُوَ إلٰهُ الخيْرِ. وإبليسُ خالِقُ السِّباعِ والضَّوارِي والحيّاتِ والشَّرِّ، فَهُوَ إلٰهُ الشَّرِّ. ويَقُولُ تَعالى فِي هٰذِهِ الآيَةِ: لَقَدْ جَعَلَ المُشْرِكُونَ للهِ سُبْحانَهُ وتَعالى، شُرَكاءَ مِنَ الجِنِّ، والحالُ أنَّهُ تَعالى خَلَقَ هٰؤُلاءِ الشُّرَكاءَ الذِينَ عَبَدَهُمُ المُشْرِكُونَ، كَما خلقَ غيْرَهُمْ، فَجَمِيعُ الخَلْقِ عَبِيدُهُ، والمَخْلُوقُ لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ رَبّاً وَلا إلٰهاً، واخْتَلَقَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ بِحُمْقِهِمْ، وَجَهْلِهِمْ، للهِ بَناتٍ وبَنينَ، وجَعلُوهُمْ أبْناءَهُ (فَجَعَلَ العَرَبُ المَلائِكَةَ بَناتِ اللهِ، وجَعَلَ اليَهُودُ عُزَيْراً ابْنَ اللهِ، وجَعَلَ النَّصارَى المسيحَ ابْنَ اللهِ). وَهُمْ لا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ ما قالُوا إنْ كانَ خَطأً أوْ صَواباً (بِغَيْرِ عِلْمٍ)، تَنَزَّهَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمّا يَصِفُهُ هٰؤلاءِ الضّالُّونَ، وعَنْ كُلِّ نَقْصٍ يُنافِي انْفِرادَهُ بِالخَلْقِ والتَّدْبِيرِ، إذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ.

الجِنَّ ـ الشَّياطِينَ.

خرقُوا لَهُ ـ اخْتَلَقُوا وافْتَرَوْا وَنَسَبُوا إليهِ افْتِراءً وحَماقَةً.

(١٠١) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ

(السَّماواتِ) (صاحِبَةٌ)

(١٠١) ـ لَقَدْ أبْدَعَ اللهُ السَّماواتِ والأرْضَ، وخَلقَهُما عَلى غَيرِ مِثالٍ سَبَقَ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، والوَلَدُ يَتَوَلَّدُ مِنْ شَيْئَيْنِ مُتَناسِبَيْنِ، واللهُ لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، لأنَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ، فَلا صاحِبَةَ لَهُ وَلا وَلَد، لَقَدْ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ، وَهُوَ عَليمٌ بِكُلِّ شَيءٍ.

بَدِيعُ السَّماواتِ ـ مُبْدِعُهاوخالِقُها عَلى غَيْرِ مِثالٍ سَبَقَ.

أنّى يَكُونُ ـ كَيْفَ يَكُونُ، أوْ مِنْ أيْنَ يَكُونُ؟.

(١٠٢) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

(خالِقُ)

(١٠٢) - وَيَقُولُ تَعَالَى لِهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ، الذِينَ قَامَتْ عَلَيهِمُ الحُجَّةُ: إنَّ الإِلَهَ المُنَزَّهَ عَنْ كُلِّ مَا يَقُولُونَ، المُتَّصِفَ بِصِفَاتِ الكَمَالِ وَالخَلْقِ وَالإِبْداعِ، الذي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ، وَلاَ صَاحِبَةَ لَهُ وَلاَ وَلَد، هُوَ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَه غَيْرُهُ، فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِعُبُودِيَّتِكُمْ لَهُ، وَهُوَ وَكِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، مُتَوَلٍّ شُؤُونَ خَلْقِهِ، وَمُدَبِّرٌ مُلْكِهِ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهُوَ حَفِيظٌ عَلَيهِ، فَهُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ.

وَكِيلٌ - رَقِيبٌ وَمُتَوَلٍّ.

(١٠٣) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ

(الأَبْصَارُ) (الأَبْصار)

(١٠٣) - لاَ تَرَى الأَبْصارُ اللهَ رُؤْيَةَ إِحَاطَةٍ تَعْرِفُ كُنْهَهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ تَعَالَى يَرَى العُيُونَ المُبْصِرَةَ رُؤْيَةَ إِدْرَاكٍ وَإِحَاطَةٍ، فَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ حَقِيقَتِها، وَلاَ شَيءٌ مِنْ عِلْمِهَا، وَهُوَ اللَّطِيفُ بِذَاتِهِ، يُعْجِزُ الأَبْصَارَ عَنْ إِدْراكِ حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ الخَبِيرُ بِدَقَائِقِ الأَشْيَاءِ، فَلاَ يَعْزُبُ عَنْ إِدْرَاكِهِ شَيءٌ.

لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ - لاَ تُحِيطُ بِهِ تَعَالَى.

(١٠٤) قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ

(بَصَائِرُ)

(١٠٤) - وَقُلْ لَهُمْ يَا أَيُّها الرَّسُولُ: قَدْ جَاءَتْكُمْ مِنْ خَالِقِكُمْ بَصَائِرُ فِي هذا القُرآنِ، مِنَ الحُجَجِ الكَوْنِيَّةِ، وَالبَرَاهِينِ العَظِيمَةِ، تُثْبِتُ لَكُمْ عَقَائِدَ الحَقِّ اليَقِينِيَّةِ، فَمَنْ أَبْصَرَ الحَقَّ وَآمَنَ، وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى، فَيَكُونُ قَدْ قَدَّمَ لِنَفْسِهِ الخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ، وَمَنْ عَمِيَ عَنِ الحَقِّ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَصَرَّ عَلَى الضَّلالَةِ، فَيَكُونُ قَدْ جَنَى عَلَى نَفْسِهِ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِرَقِيبٍ أُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيكُمْ، وَاللهُ هُوَ الحَفِيظُ عَلَيْكُمْ.

بَصَائِرُ - آيَاتٌ وَبَرَاهِينُ تَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَتُبَصِّرُ بِهِ.

حَفِيظٌ - رَقِيبٌ يُحْصِي الأَعْمَالَ لِيُحَاسِبَ عَلَيهَا.

(١٠٥) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(الآيَاتِ)

(١٠٥) - وَمِثْلَ ذَلِكَ التَّصْرِيفِ البَدِيعِ، فِي عَرْضِ الدَّلائِلِ الكَوْنِيَّةِ، نَعْرِضُ آيَاتِنا فِي القُرْآنِ، مُنَوَّعَةً مُفَصَّلَةً، لإِثْبَاتِ أُصُولِ الإِيمَانِ، وَتَهْذِيبِ النُّفُوسِ وَالأَخْلاقِ، فَنُحَوِّلُها مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ. فَالمُسْتَعِدُّونَ لِلإِيمَانِ يَهْتَدُونَ بِهُدَى اللهِ وَحُجَجِهِ، وَالجَاحِدُونَ المعَانِدُونَ، مِنَ

﴿١٠٦﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ

﴿١٠٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ

﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

المُشْرِكِينَ يَقُولُونَ قَدْ دَرَسْتَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَبْلُ، وَتَعَلَّمْتَ مِنْ غَيْرِكَ هٰذا الذي تَقُولُهُ، وَلَيْسَ هُوَ بِوحيٍ مُنَزَّلٍ عَلَيكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ كَمَا زَعَمْتَ.

وَقَدْ رَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِمْ هٰذا فِي آيَةٍ أُخْرَى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهٰذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾(١).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَنُبَيِّنُ هٰذا القُرْآنَ المُشْتَمِلَ عَلَى تَصْرِيفِ الآيَاتِ، لِقَوْمٍ لَدَيْهِم الاسْتِعْدادُ إذا عَلِمُوا الحَقَّ أَنْ يَتَّبِعُوهُ، وَإِذا أَدْرَكُوا البَاطِلَ أَنْ يَجْتَنِبُوهُ.

نُصَرِّفُ الآيَاتِ - نُكَرِّرُها بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ.

دَرَسْتَ - قَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ (مِنَ الدِّرَاسَةِ).

(١٠٦) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَتَّبِعَ مَا يُوحِيهِ إِلَيهِ رَبُّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، لِيُرَبِّيَ نَفْسَهُ، وَلِيَكُونَ قُدْوَةً وَإِمَاماً لِلْمُؤْمِنينَ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. ثُمَّ يَأْمُرُهُ، بَعْدَ ذٰلِكَ، بِالإِعْرَاضِ عَنِ المُشْرِكِينَ، لأَنَّ الحَقَّ يَعْلُو بِالقَوْلِ وَبِالإِخْلاصِ وَبِالعَمَلِ.

(جَعَلْنَاكَ)

(١٠٧) - وَلَوْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَلَّا يُشْرِكُوا لَمَا أَشْرَكُوا، وَذٰلِكَ بِأَنْ يَخْلُقَ البَشَرَ مُؤْمنينَ، مُطِيعِينَ بِالفِطْرَةِ كَالمَلائِكَةِ، لٰكِنْ لِحِكْمَةٍ مِنْهُ خَلَقَهُمْ مُخْتَارِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفِي كَسْبِهِمْ لِعُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ. وَقَدْ جَعَلَ فِيهِمُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَمَا جَعَلَكَ اللهُ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً تَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ لِتُحَاسِبَهُمْ عَلَيها، وَلا وَكِيلاً تَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ وَتَتَصَرَّفُ بِهَا. وَإِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، عَلَيكَ البَلاغُ، وَعَلَى اللهِ الحِسَابُ.

(١٠٨) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ وَالمُؤْمِنينَ عَن سَبِّ الآلِهَةِ الَّتِي يَعْبُدُهَا المُشْرِكُونَ، لِكَيْلا يَقُومَ هٰؤُلاءِ بِسَبِّ اللهِ، الَّذِي يَعْبُدُهُ المُؤْمِنُونَ، عَدْواً وَتَجَاوُزاً مِنْهُمْ لِلْحَدِّ فِي السِّبَابِ وَالمُشَاتَمَةِ، لِيَغِيظُوا المُؤْمِنِينَ، وَهُمْ جَاهِلُونَ بِاللهِ، وَبِمَا يَسْتَحِقُّهُ تَعَالَى مِنَ التَّقْدِيسِ وَالإِجْلالِ وَالاحْتِرَامِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ المُشْرِكِينَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ لَتَنْتَهِيَ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنا أَوْ لَنَهْجُوَنَّ رَبَّكَ. فَنَهَى اللهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَسُبُّوا أَوْثَانَ المُشْرِكِينَ لِكَيْلا يَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ).

(١) سورة النحل، الآية ١٠٣.

١٠٩ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ
لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا
قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ
وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ

١١٠ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ
كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ

وَكما زُيِّنَ لِهٰؤُلاءِ الكُفَّارِ حُبُّ أَصْنامِهِمْ، وَالمُحاماةُ عَنْها، وَالانْتِصارُ لَها، كَذٰلِكَ، زُيِّنَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ الضَّالَّةِ الخالِيَةِ عَمَلُهُمُ الذي كَانُوا فِيهِ، وللهِ الحِكْمَةُ التَّامَّةُ، وَالحُجَّةُ البَالِغَةُ فِيمَا يَشاءُ وَيَخْتارُ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَيهِ تَعالَى فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ، فِي حَياتِهِم الدُّنْيا، وَيَجْزِيهِمْ عَلَيهِ الجَزاءَ الأَوْفى إنْ خَيْراً فَخيراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً.

عَدْواً ـ اعْتِداءً وَظُلْماً وَتَجاوُزاً.

(أَيْمانِهِمْ) (لَئِنْ) (آيَةٌ) (الآيَاتُ)

(١٠٩) ـ وَأَقْسَمَ المُشْرِكُونَ أَيمَاناً مُؤَكَّدَةً، لَئِنْ أَتَتْهُمْ مُعْجِزَةٌ مِنَ اللهِ لَيُصَدِّقُنَّها، وَلَيُؤْمِنَنَّ بِها، فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاءِ الذِينَ يَسْأَلُونَ الآيَاتِ، تَعَنُّتاً وَكُفْراً، لا عَلَى سَبيلِ الاسْتِهْداءِ وَالاسْتِرْشادِ: إِنَّ الآيَاتِ عِنْدَ اللهِ وَحْدَهُ، إِنْ شَاءَ جَاءَكُمْ بِهَا، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَكُمْ. وَمَا يُدْرِيكُمْ يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ أَنَّ هٰذِهِ الآيَاتِ إذا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ بِها، وَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى جُحُودِهِمْ بِهَا؟

(وَرُوِيَ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ رَدّاً عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَدْ كَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً قُرَيشاً، فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ: تُخْبِرُنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ مَعَهُ عَصاً يَضْرِبُ بِهَا الحَجَرَ، وَأَنَّ عِيسَى كَانَ يُحْيِي المَوْتَى، وَأَنَّ صَالِحاً كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ... فَأْتِنا بِبَعْضِ تِلْكَ الآيَاتِ حَتَّى نُصَدِّقَكَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ: أَيُّ شَيءٍ تُحِبُّونَ أَنْ آتِيَكُمْ بِهِ؟ قالُوا: تُحَوِّلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَباً. فَقَالَ لَهُمْ إِنْ فَعَلْتُ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. وَاللهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لَنَتَّبِعَنَّكَ أَجْمَعِينَ. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ يَدْعُو. فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ الصَّفَا ذَهَباً، فَإِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا عِنْدَ ذٰلِكَ لَنُعَذِّبَنَّهُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَاتْرُكْهُمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَتْرُكُهُمْ. فَأَنْزَلَ اللهُ هٰذِهِ الآيَةَ).

جَهْدَ أَيْمانِهِم ـ مُجْتَهِدِينَ فِي الحَلْفِ بِأَغْلَظِ الأَيْمانِ وَأَوْكَدِها.

(أَفْئِدَتَهُمْ) (وَأَبْصارَهُمْ) (طُغْيانِهِم)

(١١٠) ـ وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّا نَخْتِمُ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِ الحَقِّ فَلا يُدْرِكُونَهُ، وَنَحُولُ بَيْنَ أَبْصَارِهِمْ وَبَيْنَ اجْتِلائِهِ فَلا يُبْصِرُونَهُ، وَيَكُونُ حَالُهُمْ حِينَئِذٍ كَحَالِهِم الأَوَّلِ فِي عَدَمِ الإِيمانِ بِمَا جَاءَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنَ الآيَاتِ. وَمَنْ لَمْ يُقْنِعْهُ مَا جَاءَ بِهِ القُرْآنُ مِنَ الدَّلائِلِ العَقْلِيَّةِ، وَالبَرَاهِينِ العَمَلِيَّةِ، لا يُقْنِعُهُ مَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ مِنَ الأَدِلَّةِ الحِسِّيَّةِ. وَإِنا نَدَعُهُمْ يَتَجَاوَزُونَ الحَدَّ فِي الكُفْرِ وَالعِصْيانِ، وَيَتَرَدَّدُونَ حَيارَى مُتَخَبِّطِينَ فِيمَا سَمِعُوا مِن

الآيـاتِ وَهُمْ يُحَدِّثُـونَ أَنْفُسَهُمْ : أهذا هُـو الحَقُّ المُبينُ، أَمْ إِنَّهُ سِحْـرٌ خادِعٌ؟

نَذَرُهُمْ - نَتْرُكُهُمْ.

طُغْيَانِهِمْ - تَجاوُزِهِم الحَـدَّ بالكُفْرِ وَالضَّلاَلَةِ.

يَعْمَهُونَ - يَعْمُونَ عَنِ الرُّشْدِ، أَوْ يَتَحَيَّرُونَ.

(١١١) ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ

الجزء ٨ الحزب ١٥

(المَلائِكَةَ)

(١١١) - إِنَّ هؤلاءِ الذينَ أَقْسَمُوا جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا، كَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ. فَلَوْ أَجابَكَ اللهُ عَلَى سُؤالِـكَ - يَا مُحَمَّـدُ - فَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ تُخْبِرُهُمْ بِصِدْقِ الرِّسَالَةِ المُنَزَّلَةِ عَلَيكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَوْ أَحْيَا اللهُ المَوْتَى فَكَلَّمُوهُمْ وَأَخْبَرُوهُمْ بِصِدْقِ ماجِئْتَهُمْ بِهِ، أَوْ جَمَعَ اللهُ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الآياتِ وَالدَّلائِلِ الأُخرى وَأَرْسَلها إِليهِمْ مُعَايَنَةً وَمُواجَهَةً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِحَسَبِ اسْتِعْدادِهِـمْ، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِيمَانَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ وَحْدَهُ القادِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَجَعْلِهِمْ يُؤْمِنُونَ. فَهُوَ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَجْهَلُون هٰذا الأَمْرَ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : جاءَ المُسْتَهْزِئُونَ مِنْ قُرَيشٍ، وَهُمْ خَمْسَةُ نَفَرٍ، فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيشٍ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: أَرِنَا المَلائِكَةَ يَشْهَدُونَ لَـكَ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، أَوِ ابْعَثْ لَنَا بَعْضَ مَـوْتَانَـا نَسْأَلْهُمْ: أَحَقٌّ مَـا تَقُولُ أَوْ بَاطِلٌ. أَوِ ائْتِنَا بِاللهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ).

حَشَرْنَا - جَمَعْنَا.

قُبُلاً - مُقَابَلَةً وَمُوَاجَهَةً أَوْ جَماعَةً جَماعَةً.

(١١٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ

(شَيَاطِينَ)

(١١٢) - وَكَمَا جَعَلْنَا هٰؤُلاءِ وَأَمْثَالَهُمْ أَعْدَاءً لَكَ يَا مُحَمَّـدُ، يُخَالِفُـونَكَ وَيُعَانِدُونَكَ، وَيُعَادُونَكَ، كَـذٰلِـكَ جَعَلْنَا لِكُـلِّ نَبِيٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَعْدَاءً مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ (شَيَاطِينُ الإِنْسِ هُمُ الكُبَرَاءُ وَمَنْ يُضِلُّونَ النَّاسَ عَنِ الهُـدى بِالوَسْوَسَـةِ وَالإِغْـراءِ وَالمُخَـادَعَـةِ)، وَيُلْقِي بَعْضُ هٰؤلاءِ الشَّيَاطِينِ مِنَ الإِنسِ وَالجِنِّ إِلى بَعْضٍ القَوْلَ المُمَوَّهَ الذِي يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَسْتُرُونَ بِهِ قُبْحَ بَاطِلِهِمْ، وَيُؤَدُّونَهُ بِطُرُقٍ خَفِيَّةٍ لاَ يَفْطَنُ إِلى بَاطِلِهَا كُلُّ وَاحِدٍ، حَتَّى يَغُرُّوا النَّاسَ وَيَخْدَعُوهُمْ وَيُمِيلُوهُمْ إِلَى مَا يُرِيـدُونَ، كَمَا وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ لآدَمَ وَحواءَ لِلأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ التِي نَهَاهُمَا اللهُ عَنْهَا،

(١١٣) وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم
مُّقْتَرِفُونَ

(١١٤) أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ
مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ

وَكَمَا يُوَسْوِسُ شَيَاطِينُ الإِنسِ لِمَنْ يَجْتَرِحُونَ السَّيِّئَاتِ، فَيُزَيِّنُونَ لَهُمْ مَا فِيها مِنْ عَظِيمِ اللَّذَّةِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالحُرِّيَّةِ، وَيُمَنُّونَهُمْ بِعَفْوِ اللهِ.

وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ لاَ يَفْعَلُوا ذٰلِكَ لَمَا فَعَلُوهُ وَلٰكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ذٰلِكَ إِذْ خَلَقَ النَّاسَ عَلَى ٱسْتِعْدادٍ لِقَبُولِ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالخَيْرِ وَالشَّرِّ.

زُخْرُفَ القَوْلِ - بَاطِلَ القَوْلِ المُزَوَّقَ المُمَوَّهَ.

غُرُوراً - خِدَاعاً وَأَخْذاً عَلَى غِرَّةٍ.

(بالآخِرَةِ)

(١١٣) - وَيُوحِي هٰؤُلاءِ الشَّيَاطِينُ، بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، القَوْلَ المُمَوَّهَ لِيَغُرُّوا بِهِ المُؤْمِنِينَ، وَيَصْرِفُوهُمْ عَنِ ٱتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَلِتَمِيلَ إِلَيهِ قُلُوبُ الكَافِرِينَ الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ، لأَنَّهُ المُوافِقُ لأَنْفُسِهِمْ إِذْ هُمْ يَمِيلُونَ إِلَى حُبِّ الشَّهَوَاتِ التِي مِنْ جُمْلَتِهَا الأَقَاوِيلُ المُزَخْرَفَةُ، وَالأَبَاطِيلُ المُمَوَّهَةُ، فَيَرْضَوْنَ ذَلِكَ لأَنْفُسِهِمْ بِلا بَحْثٍ وَلاَ تَمْحِيصٍ فِيهِ، وَيَرْتَكِبُونَ مِنَ المَآثِمِ وَالمَعَاصِي مَا هُمْ مُرْتَكِبُونَ بِغُرُورِهِمْ.

لِتَصْغَى - لِتَمِيلَ إِلَى زُخْرُفِ القَوْلِ.

لِيَقْتَرِفُوا - لِيَكْتَسِبُوا مِنَ الآثَامِ.

(الْكِتَابَ) (آتَيْناهُمُ)

(١١٤) - قُلْ لِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ بِاللهِ، الذِينَ يَقْتَرِحُونَ عَلَيكَ تَقْدِيمَ الأَدِلَّةِ، وَالإِتْيَانَ بِالمُعْجِزَاتِ لِلدَّلاَلَةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِكَ: إِنَّ القُرْآنَ هُوَ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ مَا ٱقْتَرَحْتُمُوه مِنَ الأَدِلَّةِ، وَهُوَ الذِي يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيهِ فِي أَمْرِ الرِّسَالَةِ، وَٱتِّبَاعِ حُكْمِ اللهِ فِيها. وَقُلْ لِهٰؤُلاءِ: لَيْسَ لِي أَنْ أَتَعَدَّى حُكْمَ اللهِ، وَلاَ أَنْ أَتَجَاوَزَهُ، لأَنَّهُ لا حُكْمَ أَعْدَلُ مِنْ حُكْمِهِ، وَلاَ قَوْلَ أَصْدَقُ مِنْ قَوْلِهِ، وَهُوَ الذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً فِيهِ كُلُّ مَا يَصِحُّ بِهِ الحُكْمُ. وَإِنْزَالُهُ عَلَى رَجُلٍ أُمِّيٍّ مُشْتَمِلاً عَلَى الحُكْمِ التَّفْصِيلِيِّ لِلْعَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ، هُوَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

وَالذِين آتَاهُمُ اللهُ الكِتَابَ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ لِمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنَّ اللهَ يُوحِي إِلى رُسُلٍ مِنَ البَشَرِ، كَمَا يُوحِي إِلَيكَ، وَلِمَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ البِشَارَةِ بِكَ، وَمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ الأَنْبِياءِ السَّابِقِينَ مِنْ ذِكْرِكَ، فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ المُتَشَكِّكِينَ فِي أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ عَلَيكَ بِالحَقِّ.

المُمْتَرِينَ - المُتَشَكِّكِينَ.

﴿١١٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(كَلِمَةُ) (لِكَلِمَاتِهِ)

(١١٥) - وَتَمَّتْ رَحْمَةُ رَبِّكَ فِيمَا وَعَدَكَ بِهِ مِنَ النَّصْرِ، وَفِيمَا أَوْعَدَ بِهِ المُسْتَهْزِئِينَ مِنَ الهَلاكِ وَالخِذْلاَنِ، كَمَا تَمَّتْ فِي الرُّسُلِ قَبْلَكَ وَفِي أَعْدَائِهِمْ. وَقَدْ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً لِحُصُولِهَا عَلَى الوَجْهِ الذِي أَخْبَرَ بِهِ، وَعَدْلاً بِجزاءِ كُلٍّ من المُؤْمنينَ والكَافِرينَ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، وَقَدْ يُزَادُ المُؤْمِنُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرَحْمَةً، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُبَدِّلَ مَا قَضَى اللهُ بِهِ، وَلاَ أَنْ يَرُدَّ مَا حَكَمَ بِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُهُ هؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ المُخَادِعُونَ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، وَهُوَ العَلِيمُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ المَقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ، وَبِمَا يَقْتَرِفُونَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ.

كَلِمَةُ رَبِّكَ - كَلاَمُهُ وَهُوَ القُرآنُ العَظِيمُ.

صِدْقاً وَعَدْلاً - فِي مَوَاعِيدِهِ وَأَحْكَامِهِ.

﴿١١٦﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

(١١٦) - وَأَكْثَرُ بَنِي البَشَرِ فِي ضَلاَلٍ، وَفِي ظُنُونٍ كَاذِبَةٍ، فَإِذَا أَطَاعَهُمْ أَحَدٌ، بِمُخَالَفَةِ مَا شَرَعَهُ اللهُ، أَوْ أَوْدَعَهُ كَلِمَاتِهِ المُنَزَّلَةَ، أَضَلُّوهُ عَنِ الدِّينِ الحَقِّ، وَعَنْ نَهْجِ الصَّوَابِ فَلاَ تَتَّبِعْ أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ حُكْماً غَيْرَ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيْكَ فِي الكِتَابِ. وَهؤُلاءِ المُضِلُّونَ لاَ يَتَّبِعُونَ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ إِلاَّ الظَّنَّ الذِي تُرَجِّحُهُ لَهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ، وَهُمْ يُرَجِّحُونَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ عَنْ طَرِيقِ التَّخْمِينِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالحَزْرِ (التَّخَرُّصِ)، (كَمَا يُقَدِّرُ أَصْحَابُ البَسَاتِينِ مَا تَحْمِلُهُ شَجَرَةٌ مِنْ ثَمَرٍ وَهُوَ عَلَيْهَا قَبْلَ قِطَافِهِ).

يَخْرُصُونَ - يَكْذِبُون فِيمَا يَنْسِبُونَهُ إِلَى اللهِ، أَوْ يُقَدِّرُونَ تَقْدِيراً جُزَافِيّاً.

﴿١١٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ

(١١٧) - وَاللهُ أَعْلَمُ مِنْكَ، وَمِنْ جَمِيعِ العِبَادِ، بِمَنْ ضَلَّ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ سَبِيلِهِ القَوِيمِ، وَبِمَنِ اهْتَدَى إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، لأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ مَنُوطَةٌ بِقَدَرِ الخَالِقِ وَمَشِيئَتِهِ، فَفَوِّضْ أَمْرَهُمْ إِلَى خَالِقِهِمْ، فَهُوَ العَلِيمُ بِالضَّالِّ مِنْهُمْ وَبِالمُهْتَدِي، وَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

﴿١١٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ

(بِآيَاتِه)

(١١٨) - يُبِيحُ اللهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الأَكْلَ مِنَ الذَّبَائِحِ التِي ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِهَا، أَمَّا مَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيهِ، فَلا يُبَاحُ لَهُمْ أَكْلُهُ، هذا إِنْ كَانُوا مُؤْمنين بآياتِ رَبِّهِم الكَرِيمِ.

﴿١١٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ

(بِأَهْوَائِهِم)

(١١٩) - وَمَا الذِي يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَليه مِنَ الذَّبَائِحِ التِي أَحَلَّ لَكُم اللهُ الأَكْلَ مِنْهَا؟ وَقَدْ بَيَّنَ لَكُمُ اللهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ

إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ

(المَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الخِنْزِيرِ . . الخ) إلاّ مَا دَعَتْكُمُ الضَّرُورَةُ المُلِحَّةُ إلى أَكْلِهِ مِنْ هٰذِهِ المُحَرَّمَاتِ، فَإِنَّ اللهَ أَبَاحَ لَكُمُ الأَكْلَ مِنْهَا بِمِقْدارِ الحَاجَةِ، وَإِنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ يُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ بِأَهْوائِهِم الزَّائِفَةِ، وَشَهَواتِهِم الفَاسِدَةِ، مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ يَقِينِيٍّ أُوتُوه بِصِحَّةِ مَا يَقُولُونَ، وَلا بُرْهَانٍ عَلَيهِ، وَهُمْ إِنَّمَا يُطِيعُونَ الشَّيَاطِينَ فِي ذٰلِكَ، وَيَعْصُونَ اللهَ به. (كَالذِينَ ٱتَّخَذُوا السَّوائِبَ وَالبَحَائِرَ . . وَأَحَلُّوا أَكْلَ المَيْتَةِ وَلَحْمِ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ . .) واللهُ أَعْلَمُ بِالمُعْتَدِينَ الذِينَ يَتَجاوَزُونَ مَا أَحَلَّهُ اللهُ إِلَى مَا حَرَّمَهُ عَلَيهِمْ.

﴿١٢٠﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ

(ظَاهِرَ)

(١٢٠) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ بِتَرْكِ المَحَارِمِ وَالمَآثِمِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا (مِمَّا تَعَلَّقَ بِالجَوارِحِ وَأَفْعَالِهَا)، وَمَا بَطَنَ مِنْهَا (مِمَّا تَعَلَّقَ بِالقَلْبِ وَأَعْمَالِهِ كَالكِبْرِ وَالحَسَدِ، وَتَدْبِيرِ المَكَائِدِ، وَالاعْتِداءِ فِي أَكْلِ المُحَرَّمَاتِ فِي أَكْثَرَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ الضَّرُوراتُ)، وَالذِينَ يَكْسِبُونَ الآثَامَ الظَّاهِرَةَ وَالبَاطِنَةَ سَيَلْقَوْنَ جَزاءَ إِثْمِهِمْ، وَعَاقِبَةَ كَسْبِهِمْ.

الإِثْمُ - لُغَةً مَا قَبُحَ، وَشَرْعاً مَا حَرَّمَهُ اللهُ. وَعَرَّفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ:
هُوَ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيهِ النَّاسُ.

ذَرُوا - ٱتْرُكُوا.

يَقْتَرِفُونَ - يَكْتَسِبُونَ مِنَ الإِثْمِ.

﴿١٢١﴾ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ

(الشَّيَاطِينَ) (أَوْلِيَائِهِمْ) (لِيُجَادِلُوكُمْ)

(١٢١) - فَلَا تَأْكُلُوا أَيُّها المُؤْمِنُونَ مِمَّا مَاتَ فَلَمْ تَذْبَحُوهُ، وَلا مِمَّا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ، مِمَّا ذَبَحَهُ المُشْرِكُونَ لأَوْثَانِهِمْ، فَإِنَّ أَكْلَ ذٰلِكَ فِسْقٌ وَمَعْصِيَةٌ.

وَقَالَ مَالِكٌ وَٱبْنُ حَنْبَلٍ: إِنَّ تَرْكَ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الذَّبْحِ عَمْداً أَوْ سَهْواً يَجْعَلُ الذَّبِيحَةَ غَيْرَ حَلالٍ. وَقَالاَ الذَّبْحُ بِغَيْرِ تَسْمِيَةٍ فِسْقٌ، وَكَذٰلِكَ الأَكْلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ التِي لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ اللهِ عَلَيْهَا فِسْقٌ.

- وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لاَ تُشْتَرَطُ التَّسْمِيَةُ بَلْ هِيَ مُسْتَحَبَّةٌ، فَإِنْ تُرِكَتْ عَمْداً أَوْ سَهْواً فَلاَ ضَرَرَ فِي ذٰلِكَ، وَيَحِلّ الأَكْلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ. وَقَالَ إِنَّ المُحَرَّمَ هُوَ مَا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ قُرَيْشٌ مِنْ نَحْرِ الذَّبَائِحِ لِلأَوْثَانِ.

- وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ تَرْكَ التَّسْمِيَةِ نِسْيَاناً لاَ يَضُرُّ، أَمَّا تَرْكُها عَمْداً فَيَجْعَلُها غَيْرَ حَلالٍ.

وَإِنَّ شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ بِالوَسْوَسَةِ بِمَا يُجَادِلُونَكُمْ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ فَقَدْ جَادَلَتِ اليَهُودُ النَّبِيَّ: فَقَالُوا نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلْنَا، وَلاَ نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلَ اللهُ (أَيْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ، أَرْسَلَتْ فَارِسُ إِلَى قُرَيْشٍ أَنْ خَاصِمُوا مُحَمَّداً، وَقُولُوا لَهُ: فَمَا تَذْبَحُ أَنْتَ بِسِكِّينٍ فَهُوَ حَلاَلٌ، وَمَا ذَبَحَ اللهُ بِشَمْشِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ (أَيِ المَيْتَةَ) فَهُوَ حَرَامٌ؟

وَسَمِعَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ هٰذا القَوْلَ فَوَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ...) ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: فَإِنْ أَطَعْتُم المُشْرِكِينَ فِي أَكْلِ المَيْتَةِ فَإِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ، لأَنَّكُمْ تَكُونُونَ قَدْ عَدَلْتُمْ عَنْ شَرْعِ اللهِ وَأَمْرِهِ، إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ، فَقَدَّمْتُمْ عَلَيهِ غَيْرَهُ، وَهٰذا هُوَ الشِّرْكُ

﴿١٢٢﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(فَأَحْيَيْنَاهُ) (الظُّلُمَاتِ) (لِلْكَافِرِينَ)

(١٢٢) - هٰذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ الذِي كَانَ مَيْتاً فِي الكُفْرِ وَالضَّلاَلِ فَأَحْيَا اللهُ قَلْبَهُ بِالإِيمَانِ، وَهَدَاهُ وَوَفَّقَهُ إِلَى اتِّبَاعِ رُسُلِهِ، وَجَعَلَ لَهُ نُوراً يَهْتَدِي بِهِ كَيْفَ يَسِيرُ، وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ وَالنُّورُ هُوَ القُرْآنُ وَالإِسْلاَمُ.

وَيَقُولُ تَعَالَى هَلْ يَسْتَوِي المُهْتَدِي السَّائِرُ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ، مَعَ الضَّالِّ السَّائِرِ فِي ظُلُمَاتِ الكُفْرِ وَالجَهَالَةِ وَالضَّلاَلِ، وَلاَ يَهْتَدِي إِلَى مَنْفَذٍ يَسْتَطِيعُ مِنْهُ الخُرُوجَ مِمَّا هُوَ فِيهِ؟.

وَكَمَا زَيَّنَ اللهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الإِيمَانِ، كَذٰلِكَ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ لِهٰؤُلاءِ الضَّالِّينَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الجَهَالَةِ وَالضَّلاَلِ، وَذَبْحِ القَرَابِينِ لِغَيْرِ اللهِ، وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ بِمِثْلِ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا.

﴿١٢٣﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

(أَكَابِرَ)

(١٢٣) - وَكَمَا جَعَلْنَا فِي قَرْيَتِكَ أَكَابِرَ مِنَ المُجْرِمِينَ الذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الكُفْرِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مُخَالَفَتِكَ وَمُعَادَاتِكَ.. كَذٰلِكَ كَانَتِ الرُّسُلُ قَبْلَكَ يُبْتَلَوْنَ بِذٰلِكَ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ العَاقِبَةُ. وَيَقُومُ هٰؤُلاءِ المُجْرِمُونَ بِالدَّعْوَةِ إِلى الضَّلالَةِ بِزُخْرُفٍ مِنَ القَوْلِ وَالفِعْلِ (يَمْكُرُونَ).

وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ لاَ يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ، لأَنَّ مَكْرَهُمْ يَعُودُ وَبَالاً عَلَيْهِمْ، لأَنَّ اللهَ يُهْلِكُهُمْ بِالعَذَابِ، وَيُبْطِلُ مَكْرَهُمْ، وَيَنْصُرُ رُسُلَهُ، وَلٰكِنَّهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ يَمْكُرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ.

﴿١٢٤﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن
نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ
رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ
يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ
ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ
ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟
يَمْكُرُونَ

﴿١٢٥﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ
صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن
يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا
حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى
ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ
ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ

المَكْرُ - هُوَ صَرْفُ الإِنْسَانِ عَمَّا يُرِيدُ إِلَى غَيْرِهِ بِضُرُوبٍ مِنَ الحِيلَةِ وَالخِدَاعِ وَزُخْرُفِ القَوْلِ.

(آيَةٌ)

(١٢٤) - وَإِذَا جَاءَ أُولئِكَ المُشْرِكِينَ آيَةٌ مِنَ القُرآنِ تَتَضَمَّنُ صِدْقَ الرَّسُولِ فِيما جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالهُدَى، قَالُوا: لَنْ نُذْعِنَ لِلْحَقِّ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَينا الوَحْيُ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَى الرُّسُلِ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هؤلاءِ قَائلاً: الرِّسَالَةُ فَضْلٌ مِنَ اللهِ يَمُنُّ بِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ، لاَ يَنالُهُ أَحَدٌ بِكَسْبٍ، وَلا يُعْطِيهِ اللهُ إِلاّ مَنْ كَانَ أَهْلاً لَهُ. ثُمَّ يَتَوَعَّدُ اللهُ المُجْرِمِينَ المُتَكَبِّرِينَ عَنِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَالانْقِيادِ لَهُمْ فِيمَا جَاؤوا بِهِ، بِأَنَّهُمْ سَيُصِيبُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ صَغَارٌ وَذِلَّةٌ دَائِمَيْنِ بَيْنَ يَدَي اللهِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى اسْتِكْبَارِهِمْ فِي الدُّنيا، وَسَيَنَالُهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الآخِرَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ وَخَدِيعَتِهِمْ.

صَغَارٌ - ذُلٌّ عَظِيمٌ وَهَوَانٌ.

(لِلإِسْلامِ)

(١٢٥) - إِذا أَرَادَ اللهُ هِدَايَةَ أَحدٍ مِنْ خَلْقِهِ يُيَسِّرُهُ لِلإِسْلامِ، وَيُوَسِّعُ قَلْبَهُ لِلتَّوْحِيدِ، وَالإِيمانِ بِهِ، وَيَقْذِفُ اللهُ فِي قَلْبِهِ نُوراً يَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنْفَسِحُ، كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

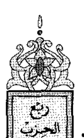
وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُضِلَّ أَحداً يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقاً لاَ يَتَّسِعُ لِشَيءٍ مِنَ الهُدَى وَلا يَخْلُصُ إِليهِ شيءٌ مِنَ الإِيمَانِ، فَإِذا طُلِبَ إِليهِ التَّأَمُّلُ فِيمَا يُدْعَى إِليهِ مِنْ دَلائِلِ التَّوْحِيدِ وَالنَّظَرِ فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ، وَجَدَ فِي صَدْرِهِ ضِيقاً عَنْ ذلِكَ، فَيَكُونُ مَثَلُهُ فِي ضِيقِ الصَّدْرِ مَثَلَ مَنْ يَصْعَدُ إِلى الطَّبَقَاتِ العُلْيا مِنَ السَّماءِ إِذْ يَشْعُرُ بِضِيقٍ فِي التَّنَفُّسِ، وَكُلَّما تَزَايَدَ صُعُودُهُ تَزَايَدَ شُعُورُهُ بِضِيقٍ فِي التَّنَفُّسِ.

وَكَمَا يَجْعَلُ اللهُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلالَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً، كَذلِكَ يُسَلِّطُ اللهُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَمْثَالِهِ مِمَّنْ أَبوا الإِيمَانَ، فَيُغْوِيهِ، وَيَصُدُّهُ عَنْ سَبيلِ اللهِ.

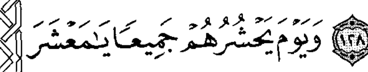
(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرِّجْسُ هُنا هُوَ الشَّيْطَانُ. وَقَالَ مُجَاهِدُ هُوَ مَا لاَ خَيْرَ فِيهِ).

وَالرِّجْسُ لُغَةً - كُلُّ مَا هُوَ مُسْتَقْذَرٌ عَقْلاً أَوْ شَرْعاً أَوْ حِسّاً وَهُوَ هُنَا العَذَابُ.

(١٢٦) وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ



(١٢٧) ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ



(١٢٨) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

حَرَجاً - شَدِيدَ الضِّيقِ.
يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ - يَتَكَلَّفُ صُعُودَهَا فَلاَ يَسْتَطِيعُهُ.

(صِرَاطُ) (الآيَاتِ)

(١٢٦) - وَدِينُ الإِسْلامِ الذِي شَرَّعْنَاهُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، بِمَا أَوْحَينا إِلَيْكَ هٰذا القُرآنَ، هُوَ صِرَاطُ اللهِ المُسْتَقِيمُ، وَقَدْ وَضَّحْنا الآيَاتِ وَبَيَّنَّاهَا، لِقَوْمٍ يَفْهَمُونَ وَيَعْقِلُونَ وَيَعُونَ.
فَصَّلْنَا - بَيَّنَّا وَوَضَّحْنَا.
يَذَّكَّرُونَ - يَعُونَ وَيَفْهَمُونَ وَيَعْقِلُونَ.

(السَّلام)

(١٢٧) - وَلِهٰؤلاءِ المُتَّبِعِينَ صِراطَ رَبِّهِم المُسْتَقِيمَ الجَنَّةُ، عِنْدَ رَبِّهِمْ، يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللهُ حَافِظُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ، فَجَزَاءً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ، تَوَلاَّهُمُ اللهُ، وَأَثَابَهُمُ الجَنَّةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.
دَارُ السَّلامِ - الجَنَّةُ. وَسُمِّيَتْ كَذٰلِكَ لِسَلاَمَةِ المُؤْمِنينَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْها.
وَلِيُّهُمْ - نَاصِرُهُمْ وَحَافِظُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ.

(يَا مَعْشَرَ) (مَثْوَاكُمْ) (خَالِدِينَ)

(١٢٨) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ، فِيمَا تَقُصُّهُ عَلَى هٰؤُلاءِ، وَتُنْذِرُهُمْ بِهِ، مَا يَجْرِي يَوْمَ القِيَامَةِ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللهُ الجِنَّ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الإِنْسِ الذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنيا، وَيَعُوذُونَ بِهِمْ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ إِغْوَاءِ الإِنْسِ وَإِضْلاَلِهِمْ، فَأَوْرَدْتُمُوهُمُ النَّارَ. وَقَالَ أَوْلِيَاءُ الجِنِّ مِنَ الإِنْسِ يُجِيبُونَ اللهَ تَعَالَى: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ، بِمَا كَانَ لِلْجِنِّ مِنَ اللذَّةِ فِي إِغْوائِنا بِالأَبَاطِيلِ، وَأَهْوَاءِ الأَنْفُسِ وَشَهَوَاتِها، وَبِمَا كَانَ لَنَا فِي طَاعَتِهِمْ وَوَسْوَسَتِهِمْ مِنَ المُتْعَةِ، وَاتِّبَاعِ الهَوَى، وَالانْغِمَاسِ فِي اللَّذَّاتِ، وَبَلَغْنَا، بَعْدَ اسْتِمْتَاعِ بَعْضِنا بِبَعْضٍ، إِلى الأَجَلِ الذِي قَدَّرْتَهُ لَنا وَهُوَ المَوْتُ (أَوْ هُوَ يَوْمُ البَعْثِ وَالنُّشُورِ).
فَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ قَائِلاً: النَّارُ مَثْوَاكُمْ وَمَنْزِلُكُمْ، أَنْتُم وَأَوْلِيَاؤُكُمْ، مَاكِثِينَ فِيها سَرْمَداً، إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُنْقِذَهُ، وَاللهُ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ، عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُ النَّاسُ.
اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ - أَكْثَرْتُمْ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلى الضَّلاَلَةِ وَإِغْوَائِهِمْ.
مَثْوَاكُمْ - مَأْوَاكُمْ وَمُسْتَقَرُّكُمْ.

﴿١٢٩﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ

(الظَّالِمِينَ)

(١٢٩) - وَكَما جعَلْنَا هٰؤُلاءِ الخَاسِرِينَ مِنْ الإِنْسِ أَنْصاراً وَأَوْلِيَاءَ لِتِلْكَ الطَّائِفَةِ التِي أَغْوَتْهُمْ مِنَ الجِنِّ، كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالظَّالِمِينَ، نُسَلِّطُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَنُهْلِكُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، وَنَنْتَقِمُ مِنْ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ.

وَقَالَ الأَعْمَشُ فِي تَفْسِيرِ هٰذِهِ الآيَةِ: (إِذَا فَسَدَ النَّاسُ أَمَّرَ اللهُ عَلَيهِمْ شِرَارَهُمْ، وَذٰلِكَ أَنَّ المُلُوكَ يَتَصَرَّفُونَ فِي الأُمَمِ الجَاهِلَةِ تَصَرُّفَ الرُّعَاةِ فِي الأَغْنَامِ السَّائِمَةِ).

﴿١٣٠﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ

(يَا مَعْشَرَ) (آيَاتِي) (الْحَيَاةُ) (كَافِرِينَ)

(١٣٠) - وَيَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ كُفَّارَ الإِنْسِ وَالجِنِّ مُقَرِّعاً فَيَقُولُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَهُمُ الرُّسُلُ رِسَالاتِ رَبِّهِمْ، وَهَلْ أَنْذَرُوهُمْ لِقَاءَ يَوْمِ القِيَامَةِ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّنا نُقِرُّ بِأَنَّ الرُّسُلَ جَاؤُونَا، وَأَبْلَغُونَا آيَاتِكَ، وَأَنْذَرُونَا بِأَنَّنا مُلاقُو رَبِّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ، يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَأَنَّنَا فَرَّطْنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيا، وَهَلَكْنَا بِتَكْذِيبِنَا الرُّسُلَ وَمُخَالَفَتِهِمْ، وَاغْتَرَرْنَا بِزُخْرُفِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَأَنَّنَا نَشْهَدُ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنَّنَا كُنَّا كَافِرِينَ فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا.

غَرَّتْهُم - خَدَعَتْهُمْ بِبَهْرَجِهَا وَزِينَتِهَا.

﴿١٣١﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ

(غَافِلُونَ)

(١٣١) - لَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ تَعَالَى إِلَى الإِنْسِ وَالجِنِّ، بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الكُتُبِ، لِئَلَّا يُؤْخَذَ أَحَدٌ بِظُلْمٍ، وَهُوَ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ اللهِ. فَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يُعَاجِلُ قَوْماً بِالعُقُوبَةِ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، وَيُنْذِرُهُمْ عِقَابَهُ. وَلا يُؤَاخِذُهُمْ رَبُّهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ مِنْهُمْ لِكَيْلا يَقُولُوا: مَا جَاءَنَا بَشِيرٌ وَلَا نَذِيرٌ، وَلَوْ جَاءَنَا رَسُولٌ لاهْتَدَينا، وَلآمَنَّا بِرَبِّنَا وَاتَّبَعْنَا الرُّسُلَ.

﴿١٣٢﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

(دَرَجَاتٌ) (بِغَافِلٍ)

(١٣٢) - وَلِكُلِّ عَامِلٍ - سَوَاءٌ أَطَاعَ اللهَ أَوْ عَصَاهُ - مَرَاتِبُ وَمَنَازِلُ مِنْ عَمَلِهِ، يُبَلِّغه اللهُ إِيَّاها، وَيُثِيبُهُ بِهَا، إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً، وَجَمِيعُ أَعْمَالِهِمْ بِعِلْمِ اللهِ، يُحْصِيهَا وَيُثْبِتُهَا عِنْدَهُ لِيَجْزِيَهُمْ بِهَا، فَهُوَ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا يَعْمَلُونَ.

﴿١٣٣﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ

(آخرينَ)

(١٣٣) - وَرَبُّكَ، يا مُحَمَّدُ، هُوَ الغَنِيُّ عَنْ جَميعِ خَلْقِهِ مِنْ جَميعِ الوُجوهِ، وَهُمُ الفُقَراءُ إليهِ في جَميعِ أَحْوالِهِمْ، وَهُوَ رَحِيمٌ بِعِبادِهِ وَلِذلِكَ أَمَرَهُمْ بِالخَيْرِ، وَنَهاهُمْ عَنِ الشَّرِّ، لِيَفوزُوا بِالثَّوابِ، وَيَجْتَنِبُوا العِقابَ. فَإِذا شاءَ أَذْهَبَكُمْ إذا خالَفْتُمْ أَمْرَهُ، وَجاءَ بِقَومٍ آخَرينَ يَجْعَلُهُمْ خُلَفاءَ في الأَرْضِ يَعْمَلُونَ بِطاعَتِهِ، وَذلِكَ يَسِيرٌ عَلَى اللهِ. فَكَما أَذْهَبَ القُرُونَ الأُولى، وَأَتَى بِغَيْرِهِمْ، كَذلِكَ هُوَ قادِرٌ عَلَى إِذْهابِ قَومِكَ، وَالإِتْيانِ بِآخَرينَ غَيْرِهِمْ.

﴿١٣٤﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ

(لآتٍ)

(١٣٤) - وَأَخْبِرْهُمْ يا مُحَمَّدُ: أَنَّ الذي يُوعَدُونَ بِهِ، مِنْ أَمْرِ الحَشْرِ وَالحِسابِ وَالجَزاءِ، كائِنٌ لا مَحالَةَ، وَأَنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ اللهَ فَهُوَ قادِرٌ عَلَى إِعادَتِهِمْ، وَإِنْ أَصْبَحُوا تُراباً وَعِظاماً، لأَنَّهُ تَعالَى لا يُعْجِزُهُ شَيءٌ.

بِمُعْجِزِينَ - بِقادِرِينَ عَلَى الهَرَبِ مِنْ عَذابِ اللهِ.

﴿١٣٥﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ

(يَا قَوْمِ) (عَاقِبَةُ) (الظَّالِمُونَ)

(١٣٥) - وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعالَى الكُفَّارَ، وَيَتَوعَّدُهُمْ، فَيَأْمُرُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ٱسْتَمِرُّوا عَلَى طَريقَتِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ أَنَّكُمْ عَلَى هُدًى، فَأَنا مُسْتَمِرٌّ عَلَى طَريقَتي وَمَنْهَجِي، وَسَتَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ العاقِبَةُ، أَتَكُونُ لَكُمْ أَمْ لِي؟ وَقَدْ أَنْجَزَ اللهُ وَعْدَهُ لِرَسُولِهِ فَفَتَحَ مَكَّةَ، وَأَذَلَّ اللهُ الشِّرْكَ وَالمُشْرِكِينَ، لأَنَّ المُشْرِكِينَ وَالظَّالِمِينَ لا يُفْلِحُونَ.

عَلَى مَكانَتِكُمْ - غايَةَ ما تَسْتَطِيعُونَ، أَوْ عَلَى طَريقَتِكُمْ.

﴿١٣٦﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ

(الأَنْعَام) (لِشُرَكَائِهِم) (لِشُرَكَائِنَا) (شُرَكَائِهِمْ)

(١٣٦) - يَذُمُّ اللهُ تَعالَى المُشْرِكِينَ، وَيُوَبِّخُهُمْ عَلَى ما ٱبْتَدَعُوهُ مِنْ بِدَعٍ وَكُفْرٍ وَشِرْكٍ، وَعَلَى ما جَعَلُوهُ للهِ، مِنْ أَنْدادٍ وَشُرَكاءَ وَهُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ. فَقَدْ جَعَلُوا لَهُ نَصِيباً مِمَّا خَلَقَ (ذَرَأَ) مِنْ زُرُوعٍ وَثِمارٍ (مِنَ الحَرْثِ)، وَمِنَ البَهائِمِ وَالأَنْعامِ، وَجَعَلُوا لِمَنْ أَشْرَكُوهُمْ في العِبادَةِ مَعَ اللهِ، مِنَ الأَصْنامِ وَالأَوْثانِ، نَصِيباً آخَرَ فَقالُوا: - فِيما زَعَمُوا وَلَيْسَ لَهُمْ دَليلٌ عَلَيهِ - في النَّصِيبِ الأَوَّلِ هٰذا للهِ نَتَقَرَّبُ بِهِ إِليهِ. وَقالُوا في النَّصِيبِ الثَّاني: هٰذا لِمَعْبُودَاتِنا (لِشُرَكَائِنا)، نَتَقَرَّبُ بِهِ إِليها، فَكانُوا يُنْفِقُونَ نَصِيبَ اللهِ عَلَى قِرَى الأَضْيافِ، وَإِكْرامِ الصِّبْيانِ، وَالتَّصَدُّقِ

إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ

١٣٧ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِّنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ
أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ
لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ
عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ

١٣٨ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ
حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ

عَلَى المَسَاكِينِ. أَمَّا نَصِيبُ آلِهَتِهِمْ فَكَانُوا يُنْفِقُونَهُ عَلَى سَدَنَتِهَا، وَعَلَى القَرَابِينِ إِلَيها. فَمَا خَصُّوا مَعْبُودَاتِهِمْ بِهِ، مَا كَانَ لِيُصْرَفَ شَيءٌ مِنْهُ فِي الوُجُوهِ التِي جَعَلُوهَا للهِ، بَلْ يَهْتَمُّونَ بِحِفْظِهِ عَلَى السَّدَنَةِ، وَعَلَى ذَبْحِ القَرَابِينِ إِلَيها. وَمَا خَصُّوا بِهِ اللهَ، وَجَعَلُوهُ لَهُ، فَكَانُوا يُحَوِّلُونَهُ أَحْيَاناً إِلى الأَصْنَامِ. وَقَدْ ذَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى تَصَرُّفِهِمْ هٰذا فَقَالَ: (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)، إِذْ أَنَّهُمْ أَخْطَؤُوا أَوَّلاً فِي القَسْمِ وَالتَّخْصِيصِ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى رَبُّ كُلِّ شَيءٍ، فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ بِهِ أَحَدٌ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَمَّا قَسَمُوا هٰذِهِ القِسْمَةَ الفَاسِدَةَ لَمْ يُحَافِظُوا عَليها، بَلْ جَارُوا فِيهَا وَتَجَاوَزُوا الحَدَّ.

ذَرَأَ - خَلَقَ عَلَى وَجْهِ الاخْتِرَاعِ أَوْ بَثَّ.

الحرْثِ - الزَّرْعِ.

الأَنْعَامِ - الإِبْلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالمَاعِزِ.

(أَوْلاَدِهِمْ)

(١٣٧) - وَكَمَا زَيَّنَتِ الشَّيَاطِينُ لِهٰؤلاءِ أَنْ يَجْعَلُوا للهِ نَصِيباً مِمَّا خَلَقَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ، وَلِلأَوْثَانِ نَصِيباً آخَرَ، كَذٰلِكَ زَيَّنُوا لَهُمْ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ، خَشْيَةَ الفَقْرِ وَالإِمْلاقِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ خَشْيَةَ العَارِ (وَالشُّرَكَاءُ، هُنَا، هُمُ الشَّيَاطِينُ). وَقَدْ زَيَّنَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ هٰذِهِ المُنْكَرَاتِ، لِيُهْلِكُوهُمْ بِالإِغْوَاءِ، وَيُفْسِدُوا عَلَيْهِم فِطْرَتَهُمْ، فَتَنْقَلِبَ عَوَاطِفُ وُدِّ الوَالِدِينِ، مِنْ رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ، إِلَى قَسْوَةٍ وَوَحْشِيَّةٍ، فَيَنْحَرَ الوَالِدُ وَلَدَهُ، وَيَدْفِنَ الأَبُ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ. وَقَدْ لَبَسَتِ الشَّيَاطِينُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَدَّعُونَهُ مِنَ التَّمَسُّكِ بِدِينِ أَبِيهِمْ إِسْمَاعِيلَ، وَجَدِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ. وَقَدِ اخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنْ تَقَالِيدِ الشِّرْكِ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يُعْرَفُ مَا هُوَ الأَصْلُ، وَمَا هُوَ المُبْتَدَعُ فِيهِ. وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَلاَّ يَفْعَلُوا ذٰلِكَ مَا فَعَلُوهُ، وَلٰكِنَّ إِرَادَتَهُ وَحِكْمَتَهُ قَضَتَا بِجَعْلِهِمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلتَّأَثُّرِ بِكُلِّ مَا يَرِدُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الأَفْكَارِ وَالآرَاءِ، وَاخْتِيَارِ مَا يَتَرَجَّحُ لَدَيْهِمْ. فَذَرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَمَا يَتَقَوَّلُونَ وَمَا يَفْتَرُونَ وَيَبْتَدِعُونَ.

لِيُرْدُوهُمْ - لِيُهْلِكُوهُمْ بِالإِغْوَاءِ.

لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ - لِيَخْلِطُوا عَلَيْهِمْ وَلِيُمَوِّهُوا عَلَيْهِمْ.

يَفْتَرُونَ - يَخْتَلِقُونَ مِنَ الكَذِبِ.

(أَنْعَامٌ)

(١٣٨) - وَإِنَّهُمْ، لِغِوَايَتِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، قَسَمُوا أَنْعَامَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ إِلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ
سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ

أ ـ أَنْعام وأَقْوات مِنْ حُبُوب وَغَيْرِها، تُقْتَطَعُ مِنْ أَمْوالِهِمْ وَتُجْعَلُ لِمَعْبُوداتِهِمْ، تَعَبُّداً وَتَدَيُّناً، وَيَمْتَنِعُونَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيها لِغَيْرِ هٰذِهِ المَعْبُوداتِ، وَيَقُولُونَ إِنَّها مُحْتَجَرَةٌ لِلآلِهَةِ، لا تُعْطَى لِغَيْرِها وَلا يَطْعَمُها إِلَّا مَنْ يَشاؤُونَ، أَيْ لا يَأْكُلُ مِنْها إِلَّا الذُّكُورُ دُونَ الإِناثِ.

ب ـ أَنْعام حُرِّمَتْ ظُهُورُها، فَلا تُرْكَبُ وَلا يُحْمَلُ عَلَيْها، وَهِيَ البَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ وَالحامِي.

ج ـ وَأَنْعام لا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ اللهِ عَلَيْها عِنْدَ الذَّبْحِ بَلْ يُهِلُّونَ بِها لِآلِهَتِهِمْ وَحْدَها، وَكانُوا إِذا حَجُّوا لا يَحُجُّونَ عَلَيْها، وَلا يُلَبُّونَ عَلَى ظُهُورِها.
وَقَدْ قَسَمُوا هٰذا التَّقْسِيمَ، وَجَعَلُوهُ مِنْ أَحْكامِ الدِّينِ، وَنَسَبُوهُ إِلَى اللهِ ٱفْتِراءً عَلَيْهِ، وَاللهُ بَرِيءٌ مِنْهُ، فَهُوَ لَمْ يَشْرَعْهُ لَهُمْ، وَسَيَجْزِيهِم اللهُ، عَلَى هٰذا الافْتِراءِ، الجَزاءَ الذي يَسْتَحِقُّونَهُ.
حِجْرٌ ـ مَحْجُورة وَمُحْتَجَرَةٌ وَمُحَرَّمَةٌ.
حُرِّمَتْ ظُهُورُها ـ وَهِيَ السَّوائِبُ وَالبَحائِرُ وَالحَوامِي.

١٣٩ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ
ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا
وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن
يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ
شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ
وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

(الأَنْعامِ) (أَزْواجِنا)

(١٣٩) ـ وَخَصَّصُوا نِتاجَ البَحائِرِ وَالسَّوائِبِ لِذُكُورِهِمْ، وَحَرَّمُوهُ عَلَى إِناثِهِمْ، فَلا تَشْرَبُ الإِناثُ مِنْ لَبَنِ هٰذِهِ الأَنْعامِ، وَإِذا وَلَدَتْ ذَكَراً كانَ لَحْمُهُ مُخَصَّصاً لِلذُّكُورِ دُونَ الإِناثِ، أَمَّا إِذا وَلَدَتْ أُنْثَى فَتُتْرَكُ لِلنِّتاجِ.
وَإِذا وَلَدَتْ مَوْلُوداً مَيْتاً ٱشْتَرَكَ فِي أَكْلِهِ الذُّكُورُ وَالإِناثُ.
وَسَيَجْزِيهِم اللهُ تَعالَى عَلَى قَوْلِهِم الكَذِبَ فِي ذٰلِكَ، إِذِ ٱدَّعَوْا أَنَّ هٰذا التَّحْرِيمَ قَدْ أَمَرَهُمْ بِهِ اللهُ تَعالَى (سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ) إِنَّهُ تَعالَى حَكِيمٌ فِي أَفْعالِهِ وَشَرْعِهِ، عَلِيمٌ بِأَعْمالِ العِبادِ.
البَحِيرَةُ ـ المَشْقُوقَةُ الأُذُنِ مِنَ الأَنْعامِ.
السَّائِبَةُ ـ التي تُسَيَّبُ وَتُتْرَكُ لِلآلِهَةِ فَلا يَتَعَرَّضُ لَها أَحَدٌ.
سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ـ سَيَجْزِيهِمْ كَذِبَهُمْ عَلى اللهِ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ.

١٤٠ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ
سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا
رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ
قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟
مُهْتَدِينَ

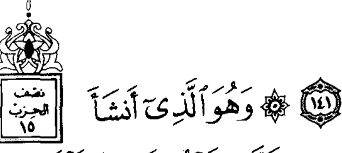
(أَوْلادَهُمْ)

(١٤٠) ـ أَنْكَرَ اللهُ سُبْحانَهُ عَلَى مُشْرِكِي العَرَبِ أَمْرَيْنِ، وَنَعاهُما عَلَيْهِمْ وَهُما:

أ ـ قَتْلُ أَوْلادِهِمْ وَوَأْدُ بَناتِهِمْ سَفَهاً، وَالأَوْلادُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى عِبادِهِ، فَإِذا سَعَى العَبْدُ فِي زَوالِها فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً عَظِيماً.

ب ـ وَتَحْرِيمُ بَعْضِ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، فَقَدْ حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَشْيَاءَ ٱبْتَدَعُوها هُمْ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ.

فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الذينَ أَقْدَمُوا عَلَى قَتْلِ أَوْلَادِهِمْ، وَوَأْدِ بَنَاتِهِمْ، وَتَحْرِيمِ الطَّيِّبَاتِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، قَدْ خَسِرُوا فِي الدُّنْيا، لِأَنَّهُمْ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ، وَخَسِرُوا فِي الآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ فِي أَسْوَأِ المَنَازِلِ بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللهِ، وَٱفْتِرائِهِمْ عَلَيهِ، إذ ٱدَّعَوا أَنَّ اللهَ هُوَ الذِي أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ. وَكُلُّ ذلِكَ ضَلالٌ مِنْهُمْ وَسَفَهٌ، وَبُعْدٌ عَنِ الهُدَى.



نصف الحزب ١٥

(١٤١) ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ

(جَنَّاتٍ) (مَعْرُوشَاتٍ) (مُتَشَابِهاً) (مُتَشَابِهٍ) (وَآتُوا)

(١٤١) ـ وَرَبُّكُمُ اللهُ، أَيُّهَا النَّاسُ، هُوَ الذِي خَلَقَ كُلَّ شيءٍ، وَخَلَقَ بَسَاتِينَ فِيهَا أَشْجَارٌ مَعْرُوشَاتٌ ـ أيْ مَرْفُوعَاتٌ عَلَى عَرائِشَ كَأَشْجَارِ الكُرُومِ ـ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ، وَخَلَقَ الزُّرُوعَ، وَمِنْهَا الحُبُوبُ، وَخَلَقَ النَّخِيلَ مُخْتَلِفاً فِي طَعْمِهِ حِينَ أَكْلِهِ، وَخَلَقَ الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشابِهاً فِي مَنْظَرِهِ، وَغَيرَ مُتَشَابِهٍ فِي طَعْمِهِ، مَعَ أَنَّهُ كُلَّهُ يَنْبُتُ فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ وَيُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ حِينَ يُثْمِرُ، وَأَدُّوا الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ عَلَيهِ يَوْمَ يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ.

وَلاَ تُسْرِفُوا فِي كُلِّ شَيءٍ: فِي الأَكْلِ وَفِي الإِنْفَاقِ وَفِي اللِّبَاسِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ.

(وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ مَنْ يَجُزُّ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ بِأَنْ يَأْتِيَ بِقِنْوٍ مِنْهَا يُعَلِّقُهُ فِي المَسْجِدِ لِيَأْكُلَ مِنْهُ المَسَاكِينُ).

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا حَضَرَكَ المَسَاكِينُ حِينَ الجَنْيِ وَالقِطَافِ طَرَحْتَ لَهُمْ شَيْئاً).

مَعْرُوشَاتٍ ـ مُحْتَاجَةٍ إِلَى الرَّفْعِ عَلَى العَرَائِشِ كَأَشْجَارِ الكُرُومِ.

مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ ـ مُخْتَلِفَ الطَّعْمِ حِينَ الأَكْلِ.

(١٤٢) وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

(الأَنْعَامِ) (خُطُوَاتِ) (الشَّيْطَانِ)

(١٤٢) ـ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ خَلَقَ مِنَ الأَنْعَامِ حَيَوَانَاتٍ كِبَاراً، لِيَحْمِلُوا عَلَيها مَتَاعَهُمْ وَأَثْقَالَهُمْ (حَمُولَةً) كَالجِمَالِ وَالأَبْقَارِ، وَخَلَقَ مِنَ الأَنْعَامِ صِغَاراً كَالفُصْلانِ الدَّانِيَةِ مِنَ الأَرْضِ لِصِغَرِ أَجْسَامِهَا، كَالفَرْشِ المَفْرُوشَةِ عَلَيها، لِيَأْكُلُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَلُحُومِهَا، وَلِيَسْتَفِيدُوا مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَبَاحَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ مِنَ الأَنْعَامِ وَالزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ ٱتِّبَاعِ طَرَائِقِ الشَّيْطَانِ وَمَسَالِكِهِ وَأَوَامِرِهِ كَمَا ٱتَّبَعَهَا المُشْرِكُونَ الذِينَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ ٱفْتِراءً

عليه. وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ لِلإِنْسَانِ بيِّنُ العَدَاوَةِ، لاَ يُرِيدُ لَهُ الخَيْرَ، وَلا يُرِيدُ لَهُ الأَمْنَ وَالسَّلاَمَةَ، وَلا الفَوْزَ بِرِضْوَانِ اللهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يُضِلَّهُ وَيُودِي بِهِ إِلى الهَلاَكِ.

حَمُولَةً - مَا يَحْمِلُ الأَثْقَالَ كَالإِبِلِ.

فَرْشاً - مَا يُفْرَشُ لِلذَّبْحِ، كَالغَنَمِ وَالمَاعِزِ. أَوْ مَا هُوَ صَغِيرُ الجِسْمِ قَرِيبٌ مِنَ الأَرْضِ كَالفِرَاشِ.

خُطُوَاتِ - طُرُقَهُ وَآثَارَهُ تَحْرِيماً وَتَحْلِيلاً.

﴿١٤٣﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(ثَمَانِيَةَ) (أَزْوَاجٍ) (الذَّكَرَيْنِ) (صَادِقِينَ)

(١٤٣) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى هُنَا جَهْلَ العَرَبِ، قَبْلَ الإِسْلامِ، فِيمَا كَانُوا حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الأَنْعَامِ، وَجَعَلُوهَا أَجْزَاءً وَأَنْوَاعاً (بَحِيرَةً وَسَائِبَةً وَحَامِياً...) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ابْتَدَعُوهُ فِي الأَنْعَامِ وَالزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ، فَيُبَيِّنُ اللهُ أَنَّهُ أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ، وَأَنَّهُ جَعَلَ مِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً، ثُمَّ بَيَّنَ أَصْنَافَ الأَنْعَامِ فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، وَلاَ شَيْئاً مِنْ أَوْلاَدِهَا، بَلْ جَعَلَهَا كُلَّهَا مُسَخَّرَةً لِبَنِي آدَمَ، أَكْلاً وَرُكُوباً وَحَمُولَةً وَحَلْباً، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الانْتِفَاعِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ خَلَقَ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الأَنْعَامِ: مِنَ الضَّأْنِ (الغَنَمِ) زَوْجَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثَى وَمِنَ المَاعِزِ زَوْجَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثَى، وَلَمْ يُحَرِّمْ مِنْهَا شَيْئاً لاَ الذُّكُورَ وَلا الإِنَاثَ، فَلِمَ تُحَرِّمُونَ أَنْتُم بَعْضاً، وَتُحِلُّونَ بَعْضاً؟ وَهَلْ يَشْتَمِلُ الرَّحِمُ عِنْدَ الحَمْلِ إِلاَّ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى؟ وَإِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ كُلَّهُ حَلاَلاً.

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرُونِي عَنْ يَقِينٍ (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ) كَيْفَ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مَا زَعَمْتُمْ تَحْرِيمَهُ؟

﴿١٤٤﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

(آلذَّكَرَيْنِ) (وَصَّاكُمْ) (الظَّالِمِينَ)

(١٤٤) - وَخَلَقَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الإِبِلِ زَوْجَينِ، ذَكَراً وَأُنْثَى، وَمِنَ البَقَرِ زَوْجَينِ، فَاسْأَلْهُمْ هَلْ حَرَّمَ اللهُ الذُّكُورَ أَمِ الإِنَاثَ، (أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ)، وَالأُنْثَى لاَ تَحْمِلُ إِلا ذَكَراً أَوْ أُنْثَى. فَاللهُ تَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ شَيْئاً، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ كُلَّهُ حَلاَلاً لِلنَّاسِ لِيَنْتَفِعُوا بِهِ.

وَيَسْأَلُهُمُ اللهُ تَعَالَى إِنْ كَانُوا حَاضِرِينَ (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) حِينَ أَوْصَاهُمُ اللهُ بِمَا ابْتَدَعُوهُ مِنْ تَحْرِيمٍ وَتَحْلِيلٍ؟ (وَهُوَ تَهَكُّمٌ عَلَيْهِمْ).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لاَ أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً وَأَتَى

كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ
عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿١٤٥﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ
مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ
إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا
مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ
فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ
لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ
بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ
﴿١٤٦﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا
كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ
ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ
ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا
ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم
بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ

ببِدَعٍ ، زَعَمَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ ، لِيُضِلَّ بِهَا النَّاسَ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ .

وَصَّاكُمُ اللهُ بِهٰذا - أَمَرَكُمُ اللهُ بِهٰذا التَّحْرِيمِ .

(١٤٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤلاءِ المُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ ، الذِينَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ : إِنَّنِي لَا أَجِدُ ، فِيمَا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ ، طَعَاماً مُحَرَّماً عَلَى آكِلٍ يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، إِلَّا مَا حَرَّمَ اللهُ : (المَيْتَةَ وَلَحْمَ الخِنْزِيرِ وَالدَّمَ المَسْفُوحَ - أيِ المُهْرَاقَ - وَمَا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ (مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ) . . . إلخ .

وَمَنِ اضْطُرَّ إِلَى أَكْلِ شَيءٍ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ ، وَهُوَ لَا يَقْصِدُ بِأَكْلِهِ البَغْيَ وَالعُدْوَانَ ، وَتَجَاوُزَ شَرْعِ اللهِ ، فَإِنَّهُ لا بَأْسَ عَلَيهِ فِي ذٰلِكَ ، لِأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَنْزَلَ اللهُ كِتَابَهُ ، وَأَحَلَّ حَلالَهُ ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ، فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلالٌ ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ) .

وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا حَرَّمَهُ اللهُ ، عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ السِّبَاعِ ، وَعَنْ أَكْلِ لَحْمِ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطُّيُورِ (الجَوَارِحِ) .

طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ - آكِلٍ يَأْكُلُهُ .

دَماً مَسْفُوحاً - دَماً سَائِلاً مُهْرَاقاً .

رِجْسٌ - قَذَرٌ أَوْ نَجَسٌ أَوْ حَرَامٌ .

أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ - ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ

اضْطُرَّ - أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلى أَكْلِهِ .

غَيْرَ بَاغٍ - غَيْرَ طَالِبٍ لِلْحَرَامِ لِلَذَّةٍ أَوِ اسْتِئْثَارٍ .

وَلَا عَادٍ - غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ .

(جَزَيْنَاهُمْ) (لَصَادِقُونَ)

(١٤٦) - وَيَذْكُرُ تَعَالَى : أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى اليَهُودِ - عَلَى سَبِيلِ العُقُوبَةِ لَهُمْ لَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ أُصُولِ شَرْعِهِمْ - لَحْمَ كُلِّ ذِي ظُفْرٍ مِنَ البَهَائِمِ وَالطُّيُورِ (أيْ مَا لَيْسَ بِمَشْقُوقِ الأَصَابِعِ كَالإِبِلِ وَالنَّعَامِ وَالإِوَزِّ وَالبَطِّ) ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَ البَقَرِ وَالغَنَمِ الخَالِصَةَ ، وَهِيَ الثُّرُبُ (الشَّحْمُ الذِي يَلُفُّ الأَمْعَاءَ ، أَمَّا مَا عَلَى الظَّهْرِ مِنْ شَحْمٍ - وَمِنْهُ الإِلْيَةُ - وَمَا وُجِدَ فِي الحَوَايَا (وَهِيَ المَبَاعِرُ وَالمَرَابِضُ) وَمَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ مِنَ الشَّحْمِ وَالعِظَامِ ، فَإِنَّهُ حَلالٌ) . وَهٰذا التَّحْرِيمُ فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى اليَهُودِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى بَغْيِهِمْ ، وَمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِرَ اللهِ ، وَإِنَّهُ تَعَالَى لَعَادِلٌ فِي حُكْمِهِ

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾

فِيمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَصَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ نَبِيَّهُ، مِنْ تَحريمِ ذٰلِكَ عَلَى اليَهُودِ.

(وَقِيلَ إِنَّ السَبَبَ فِي تَحْرِيمِ شُحُومِ البَقَرِ وَالغَنَمِ، هُوَ أَنَّ القَرَابِينَ عِنْدَهُمْ لا تَكُونُ إِلَّا مِنْهُمَا، وَكَانَ يُتَّخَذُ مِنْ شُحُومِها الوَقُودُ لِلرَّبِّ).

شُحُومَهُمَا - شُحُومَ الكَرْشِ وَالكِلْيَتَيْنِ.

الحَوَايَا - المَصَارِينَ.

مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُما - مَا عَلِقَ بِهِمَا مِنَ الشَّحْمِ فَهُوَ حَلالٌ.

مَا آخْتَلَطَ بِعَظْمٍ - كَإِلْيَةِ الغَنَمِ فَهِيَ حَلالٌ.

(وَاسِعَةً)

(١٤٧) - فَإِنْ كَذَّبَكَ قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ، وَكَذَّبَكَ اليَهُودُ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ - وَفِي ذٰلِكَ تَرْغِيبٌ لَهُمْ فِي آبْتِغَاءِ رَحْمَةِ اللهِ وَآتِّبَاعِ رَسُولِهِ - فَإِنْ أَصَرُّوا عَلَى عِنَادِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، فَحَذِّرْهُمْ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ، وَعَذَابِهِ، فَإِنَّ بَأْسَ اللهِ تَعَالَى شَدِيدٌ، وَلا يَرُدُّه شَيءٌ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ.

لا يُرَدُّ بَأْسُهُ - لَا يُدْفَعُ عَذَابُهُ.

(آبَاؤُنَا)

(١٤٨) - سَيَقُولُ هؤلاءِ المُشْرِكُونَ، آعْتِذاراً عَنْ شِرْكِهِمْ، لَوْ شَاءَ اللهُ أَلَّا نُشْرِكَ بِهِ، وَلا يُشْرِكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِنا، لَمَا أَشْرَكْنَا، وَلَما أَشْرَكُوا، وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَلَّا نُحَرِّمَ شَيْئاً مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ وَغَيْرِها، لَمَا حَرَّمْنا، وَلٰكِنَّهُ شَاءَ أَنْ نُشْرِكَ بِهِ الأَوْلِيَاءَ وَالشُّفَعَاءَ، وَشَاءَ أَنْ نُحَرِّمَ مَا حَرَّمْنَا مِنَ البَحَائِرِ وَالسَّوائِبِ وَغَيْرِها فَحَرَّمْنَاهَا، فَإِتْيَانُنَا بِهَا دَلِيلٌ عَلَى مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى رِضَاهُ بِهَا.

وَكَمَا كَذَّبَ مُشْرِكُو مَكَّةَ رَسُولَهُمْ مُحَمَّداً ﷺ، فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، كَذٰلِكَ كَذَّبَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ رُسُلَهُمْ تَكْذِيباً غَيْرَ مَبْنِيٍّ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ العِلْمِ. وَالرُّسُلُ قَدْ أَقَامُوا الأَدِلَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَيَّدَهُمُ اللهُ بِالآيَاتِ، وَالمُعْجِزَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ، فَأَعْرَضَ المُكَذِّبُونَ، وَأَصَرُّوا عَلَى جُحُودِهِمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ (حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا).

وَلَوْ كَانَ اللهُ رَاضِياً عَنْ أَفْعَالِهِمْ لَمَا عَاقَبَهُمْ عَلَيها، كَذٰلِكَ لَوْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ صَادِرَةً عَنْهُمْ جَبْراً، لَمَا آسْتَحَقُّوا العِقَابَ عَلَيها، وَلَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَخَذَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَهْلَكَهُمْ بِظُلْمِهِمْ. وَآسْأَلْهُمْ يَا مُحَمَّدُ:

(١٤٩) قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ

(١٥٠) قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ



(١٥١) ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ

هَلْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ يَعْتَمِدُونَ عليهِ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَحْتَجُّونَ؟ فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَنَدٌ صَحِيحٌ عَلَى أَنَّ اللهَ رَضِيَ لَهُم الشِّرْكَ، وَالتَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ، فَلْيُظْهِرُوهُ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّكُمْ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ العِلْمِ الصَّحِيحِ، بَلْ تَتَّبِعُونَ فِي عَقَائِدِكُمْ وَآرَائِكُمُ الحَدْسَ وَالتَّخْمِينَ الذِي لاَ يَسْتَقِرُّ عِنْدَهُ حُكْمٌ.

التَّخَرُّصُ - التَّخْمِينُ وَالتَّقْدِيرُ أَوِ الكَذِبُ.

(الْبَالِغَةُ) (لَهَدَاكُمْ)

(١٤٩) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: للهِ الحُجَّةُ التَّامَّةُ، وَالحُجَّةُ البَالِغَةُ فِي هِدَايَةِ مَنِ اهْتَدَى، وَضَلاَلِ مَنْ ضَلَّ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ هِدَايَتَكُمْ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ، فَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَاخْتِيَارِهِ.

الحُجَّةُ البَالِغَةُ - بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الكُتُبِ.

(بِآيَاتِنَا) (بِالآخِرَةِ)

(١٥٠) - وَقُلْ لَهُمْ أَحْضِرُوا شُهَدَاءَكُمُ الذِينَ تَقُولُونَ إِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الذِي حَرَّمْتُمُوهُ أَنْتُمْ كَذِباً وَافْتِرَاءً عَلَى اللهِ، فَإِنْ حَضَرَ هؤُلاءِ الشُّهُودُ وَشَهِدُوا فَلاَ تُصَدِّقْهُمْ، وَلاَ تَقْبَلْ لَهُمْ شَهَادَةً، وَلاَ تُسَلِّمْ لَهُمْ بِالسُّكُوتِ عَلَى كَذِبِهِمْ، لأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَشْهَدُون بِالكَذِبِ وَالبَاطِلِ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الكَافِرِينَ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ، وَيُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ، وَيَجْعَلُونَ لَهُ مَنْ يُمَاثِلُهُ مِنَ المَعْبُودَاتِ البَاطِلَةِ، فِي جَلْبِ الخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ.

هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ - أَحْضِرُوا شُهَدَاءَكُمْ.

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ - يُسَوُّونَ بِرَبِّهِمْ غَيْرَهُ فِي العِبَادَةِ.

(وَبِالْوَالِدَيْنِ) (إِحْسَاناً) (أَوْلاَدَكُم) (إِمْلاَقٍ) (الْفَوَاحِشَ) (وَصَّاكُم)

(١٥١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لِهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ، الذِينَ عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ، وَقَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ، وَهُمْ إِنَّما فَعَلُوا ذَلِكَ بِأَهْوَائِهِمْ، وَبِوَحْيٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، قُلْ لَهُمْ: تَعَالَوْا أَقْرَأْ عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُم حَقّاً وَصِدْقاً، لاَ تَخَرُّصاً وَلا ظَنّاً وَتَخْمِيناً، لَقَدْ وَصَّاكُمْ بِأَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَبِأَنْ تُحْسِنُوا إِلَى وَالِدَيْكُمْ، وَإِنْ كَانَا مُشْرِكَيْنِ، وَبِأَلاَّ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمُ الصِّغَارَ خَشْيَةَ الفَقْرِ فِي المُسْتَقْبَلِ، وَبِسَبَبِ فَقْرِكُم الحَاصِلِ، فَاللهُ

مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ

تعَالَى يرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ. وَأَوْصَاكُمْ رَبُّكُمْ بِأَلَّا تَفْعَلُوا الفَوَاحِشَ، كَالزِّنَى وَقَذْفِ المُحْصَنَاتِ، سَوَاءٌ مَا كَانَ مِنْهَا فِي السِّرِّ أَوْ فِي العَلَنِ، وَأَلَّا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ قَتْلها إِلَّا إِذَا كَانَ القَتْلُ بِحَقٍّ تَنْفِيذاً لِحُكْمِ القَضَاءِ، وَهٰذَا مَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ عَنِ اللهِ مَا أَمَرَ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ.

(وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: لَا يَحِلُّ دَمُ ٱمْرِىءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأُمُورٍ ثَلاثَةٍ: كُفْرٍ بَعْدَ إِيمَانٍ، وزِنىً بَعْدَ إِحْصَانٍ وَقَتْلِ نَفْسٍ بِغَيْرِ حَقٍّ).

وَصَّاكُمْ - أَمَرَكُمْ وَأَلْزَمَكُمْ.

أَتْلُ عَلَيْكُمْ - أَقْرَأْ عَلَيْكُمْ.

الإِمْلاقُ - شِدَّةُ الفَقْرِ.

الفَوَاحِشَ - كِبَارَ المَعَاصِي كَالزِّنَى وَنَحْوِهِ.

(وَصَّاكُمْ)

١٥٢ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ

(١٥٢) - وَيُتَابِعُ اللهُ تَعَالَى، فِي هٰذِهِ الآيَةِ، بَيَانَ مَا أَوْصَى بِهِ النَّاسَ، وَمَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُ تَعَالَى: وَمِمَّا أَوْصَى بِهِ النَّاسَ: أَلَّا يَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ، إِذَا وُلُّوا أَمْرَهُ، أَوْ تَعَامَلُوا مَعَهُ، إِلَّا بِالطَّرِيقَةِ الحَسَنَةِ (إِلَّا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ) التِي تَحْفَظُ مَالَهُ، وَتُثَمِّرُهُ، وَتُرَجِّحُ مَصْلَحَتَهُ، وَأَنْ يُنْفِقُوا عَلَيهِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ تَرْبِيَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَنْ يَسْتَمِرَّ ذٰلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ اليَتِيمُ سِنَّ الرُّشْدِ، وَالقُوَّةِ وَالقُدْرَةِ عَلَى الإِدْرَاكِ وَالتَّصَرُّفِ.

وَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ شَقَّ ذٰلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَأَخَذُوا فِي عَزْلِ مَالِ اليَتِيمِ وَطَعَامِهِ، عَنْ مَالِهِمْ، فَكَانَ طَعَامُ اليَتِيمِ يَفْسُدُ، لَا يَمَسُّهُ أَحَدٌ مِمَّنْ هُوَ عِنْدَهُمْ. فَشَكَوا ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ**﴾(١).

فَاللهُ تَعَالَى يَأْمُرُ النَّاسَ بِمُرَاعَاةِ مَصْلَحَةِ اليَتِيمِ، وَالعِنَايَةِ بِمَالِهِ، وَعَدَمِ التَّصَرُّفِ فِيهِ إِلَّا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَيُحَذِّرُهُمْ تَعَالَى مِنَ التَّجَاوُزِ عَلَى مَالِ اليَتِيمِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ مِمَّا أَوْصَى بِهِ النَّاسَ أَيْضاً: إِيفَاءَ الكَيْلِ وَالمِيزَانِ عِنْدَ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَعدمَ غَمْطِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ وَاللهُ تَعَالَى يَدْعُو المُؤْمِنَ أَنْ يَبْلُغَ جُهْدَهُ فِي أَدَاءِ ذٰلِكَ، فَإِذَا بَلَغَ جُهْدَهُ، وَعَمِلَ مَا فِي وُسْعِهِ، يَكُونُ قَدْ قَامَ بِأَمْرِ اللهِ، وَلَا حَرَجَ عَلَيهِ إِنْ أَخْطَأَ بَعْدَ ذٰلِكَ، لِأَنَّ اللهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها، وَقَدرَ طَاقَتِهَا.

(١) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة.

﴿١٥٣﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

وَيقُولُ تَعالَى : إنَّ مِمَّا وَصَّى بِهِ النَّاسَ أَيْضاً العَـدْلَ فِي القَوْلِ وَالفِعْـلِ لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ حَالٍ : فِي الشَّهَادَةِ وَفي الحُكْمِ وَفِي الكَيْلِ وَالمِيزَانِ، وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ يَتعَلَّقُ بِقَرِيبٍ، فَإِنَّ القَرَابَـةَ وَالصَّدَاقَـةَ يَجِبُ أَلَّا تَصْرِفَا الإِنْسَانَ عَنْ قَوْلِ الحَقِّ، وَعَنِ العَدْلِ فِيهِ.

كَمَا يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِالوَفَاءِ بِعَهدِ اللهِ، وَالقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، فِيمَا أَمَرَ وَنَهى، وَفِيمَا عَاهَدُوا النَّاسَ عَلَيهِ.

وَهٰذا مَا أَوْصَى بِهِ اللهُ المُؤْمنينَ، وَأَمرَهُمْ بِهِ، وَأَكَّدَ عَلَيهِ.
وَيقُولُ تَعَالَى : إِذا آجْتَهَدْتُمْ بِالوَفَاءِ بِمَا أَمَرَ اللهُ، وَتَـوَاصَيْتُمْ بِالمَعْـرُوفِ وَتَنَـاهَيْتُمْ عَنِ المُنْكَرِ، فَلَعَلَّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ ذٰلِـكَ تَتَعِظُونَ، وَتَنْتَهُـونَ عَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلاَلِ.

حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ـ حَتَّى يَبْلُغَ آسْتِحْكَامَ قُوَّتِهِ وَيَرْشُدَ.
بِالقِسْطِ ـ بِالعَدْلِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ.
وُسْعَهَا ـ طَاقَتَهَا، وَمَا تَقْدِرُ عَلَيهِ.

(صِرَاطِي) (وَصَّاكُمْ)

(١٥٣) ـ وَدَلَّ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ عَلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ المُوصِلِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَدَعَاهُمْ إِلَى آتِّبَاعِهِ، فَقَـالَ لَهُمْ : إِنَّ هٰذا صِـرَاطِي مُسْتَقِيماً لا عِوَجَ فِيهِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَبِعُوهُ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الهِدَايَةَ، وَالفَوْزَ بِرِضا رَبِّكُمْ وَرِضْوانِهِ. وَقَالَ آبْنُ مَسْعُودٍ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطّاً بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: هٰذا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيماً. وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ خَطّاً وَعَنْ شِمَالِهِ خَطّاً، ثُمَّ قَالَ هٰذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلاَّ عَلَيهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيهِ ثُمَّ قَرأَ هٰذِهِ الآيَةَ.
(وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِراطاً مُسْتَقِيمـاً، وَعَنْ جَنْبَتَي الصِّـرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَـا أَبْـوَابٌ مُفَتَّحَـةٌ، وَعَلى الأَبْـوَابِ سُتُـورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ آدْخُلُـوا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذا أَرَادَ الإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الأَبْوابِ، قَالَ وَيْحكَ لاَ تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلِجْـهُ. فَالصِّرَاطُ هُوَ الإِسْلامُ، وَالسُّورَانِ حُـدُودُ اللهِ، وَالأَبْوَابُ المُفَتَّحَـةُ مَحَارِمُ اللهِ، وَذٰلِـكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّـرَاطِ كِتَـابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ). (أَخْـرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنِّسَائِيُّ عَنِ آبْنِ مَسْعُودٍ).
فَآتَّبِعُوا سَبِيلَ اللهِ يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ، لِأَنَّهُ سَبِيلٌ وَاضِحٌ وَاحِدٌ، وَلاَ تَتَّبِعُوا

﴿١٥٤﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ

﴿١٥٥﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

﴿١٥٦﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ

﴿١٥٧﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ

السُّبُلَ المُتَفَرِّقَةَ المُضِلَّةَ، حَتّى لا تَتَفَرَّقُوا شِيَعاً وأَحْزَاباً، وَتَبْعُدُوا عَنْ صِراطِ اللهِ السَّوِيِّ.

صِراطِي مُسْتَقِيماً - سَبِيلِي وَدِينِي، لا عِوَجَ فِيهِمَا.

(آتَيْنَا) (الْكِتَاب)

(١٥٤) - لَمَّا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنِ القُرْآنِ أَنَّهُ صِراطُهُ المُسْتَقِيمُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِهِ، عَطَفَ يَمْدَحُ التَّوراةَ وَرَسُولَها مُوسَى عليهِ السَّلامُ، فَقَالَ تَعالَى: إنَّهُ أَنْزَلَ التَّوراةَ عَلَى مُوسَى كَامِلاً، جَامِعاً لِمَا يُحْتَاجُ إليهِ مِنَ الشَّرائِعِ، وَقَدْ آتاهُ اللهُ إيَّاهُ إتْماماً لِلنِّعْمَةِ والكَرَامَةِ، عَلَى مَنْ أَحْسَنَ فِي اتِّبَاعِهِ، وَاهْتَدَى بِهِ.

وَالتَّوراةُ دَلِيلٌ مِنْ دَلائِلِ الهِدَايَةِ إلَى الحَقِّ، وَسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ لِمَنْ أَرَادَ الهِدَايَةَ، وَقَدْ تَضَمَّنَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيءٍ، لَعَلَّ قَوْمَ مُوسَى يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَيُحْسِنُوا العَمَلَ، وَيَفُوزُوا فِي الآخِرَةِ بِحُسْنِ العَاقِبَةِ وَالمآبِ.

(كِتَابٌ) (أَنْزَلْنَاهُ)

(١٥٥) - وَهٰذَا القُرْآنُ هُوَ كِتَابٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ، مُبارَكٌ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالَى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاتَّبِعُوهُ أَيُّها النَّاسُ وَتَدَبَّرُوهُ، وَاعْمَلُوا بِمَا فِيهِ، وَادْعُوا إليهِ. وَوَصَفَهُ تَعالَى بِالبَرَكَةِ لِمَنِ اتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِهِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، لأَنَّهُ جَمَعَ أَسْبَابَ الهِدَايَةِ الدَّائِمَةِ.

(الْكِتَابُ) (طَائِفَتَيْنِ) (لَغَافِلِين)

(١٥٦) - وَأَنْزَلْنَا هٰذا القُرْآنَ، المُرْشِدَ إلَى تَوْحِيدِ اللهِ، لِكَيْلا تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ مُعْتَذِرِينَ عَنْ شِرْكِكُمْ: إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصارَى (طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا)، وَمَا كُنَّا نَفْهَمُ مَا جَاءَ فِيهِما، لأَنَّ الكِتَابَيْنِ لَمْ يَكُونا بِلُغَتِنا، وَلَمْ نُؤْمَرْ بِالأَخْذِ بِهِما وَبِمَا جَاءَ فِيهِما مِنْ أَحْكَامٍ، وَلِذٰلِكَ كُنَّا غَافِلِينَ عَنْ دِرَاسَةِ اليَهُودِ وَالنَّصارَى لِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ.

(الْكِتَابُ) (بِآيَاتِ) (آيَاتِنَا)

(١٥٧) - وَأَنْزَلْنَا هٰذا القُرْآنَ لِئَلَّا تَقُولُوا: لَوْ أَنَّنا أُنْزِلَ إلَينا مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الكِتَابِ، لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فِيمَا أُتُوهُ، فَهَا قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ - عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ - قُرْآنٌ عَظِيمٌ، فِيهِ بَيَانٌ لِلْحَقِّ، وَلِلْحَلالِ وَالحَرَامِ، وَفِيهِ هُدًى لِلْقُلُوبِ، وَرَحْمَةٌ مِنَ اللهِ بِالعِبَادِ الذِينَ يَتَّبِعُونَهُ، وَيَقْتَفُونَ مَا فِيهِ.

ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ

ثُمَّ تَهَدَّدَ اللهُ تَعَالَى مَنْ يُعْرِضُ عَنِ القُرآنِ وَآيَاتِهِ، بِسُوءِ العَاقِبَةِ، فَقَالَ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَمْ يَتَّبِعْ مَا أُرْسِلَ بِهِ، وَأَعْرَضَ عَنْ آيَاتِ اللهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا جَاءَ فِيها، وَلَمْ يَنْتَهِ عَمَّا نَهَتْ عَنْهُ، فَلا هُوَ آمَنَ بِهَا، وَلاَ هُوَ عَمِلَ بِمَا فِيها.

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ سَيَجْزِي الذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِهِ التِي بَثَّها فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الإِيمَانِ بِهَا، وَعَنِ اتِّبَاعِهَا، أَسْوَأَ العَذَابِ وَأَشَدَّهُ بِسَبَبِ إِعْرَاضِهِمْ وَصَدِّهِم الآخَرِينَ (بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ).

صَدَفَ عَنْهَا - أَعْرَضَ عَنْهَا أَوْ صَرَفَ النَّاسَ عَنْهَا.

﴿١٥٨﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ

(المَلائِكَةُ) (آيَاتِ) (إِيمَانُهَا) (آمَنَتْ)

(١٥٨) - يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى الكَافِرِينَ بِهِ، وَالمُخَالِفِينَ لِرُسُلِهِ، وَالمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ، والصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ، فَيَقُولُ: مَاذَا يَنْتَظِرُ هؤلاءِ لِيُؤْمِنُوا؟ هَلْ يَنْتَظِرُونَ مَلائِكَةَ المَوْتِ لِتَأْتِيَهُمْ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ؟ أَوْ هَلْ يَنْتَظِرُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ حِينَ يَأْتِي اللهُ وَالمَلائِكَةُ، أَوْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْضُ آيَاتِ اللهِ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهِيَ الآيَاتُ المُوجِبَةُ للإِيمَانِ الاضْطِرارِيِّ، حِينَ يَرَوْنَ شَيْئاً مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

(وَفِي الحَدِيثِ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذا رَآها النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيها - أَيْ مَنْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِنَ البَشَرِ). (رَوَاهُ البُخَارِيُّ).

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ فِي ذلِكَ الحِينَ لاَ يَنْفَعُ النَّفْسَ إِيمَانُها، إِذَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، فَإِذا آمَنَ الكَافِرُ فِي ذلِكَ اليَوْمِ فَلا يُقْبَلُ مِنْهُ إِيمَانُهُ، أَمَّا مَنْ آمَنَ مِنْ قَبْلُ، فَإِنْ كَانَ مُصْلِحاً فِي عَمَلِهِ فَهُوَ بِخَيرٍ عَظِيمٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُصْلِحاً، فَأَحْدَثَ تَوْبَةً حِينَئِذٍ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَتُهُ.

وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى مَنْ يُسَوِّفُ إِيمَانَهُ وَتَوْبَتَهُ إِلَى وَقْتٍ لاَ يَنْفَعُهُ فِيهِ ذلِكَ فَيَقُولُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: انْتَظِرُوا إِنِّي مُنْتَظِرٌ مَعَكُمْ.

﴿١٥٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ

(١٥٩) - (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اخْتَلَفُوا فِي دِينِهِمْ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ فَتَفَرَّقُوا، وَأَصْبَحَ دِينُ كُلٍّ مِنْهُمْ أَدْيَاناً مُتَفَرِّقَةً، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ أَنْزَلَ اللهُ هذِهِ الآيَةَ). فَالذِينَ فَارَقُوا دِينَ اللهِ، وَخَالَفُوهُ، فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَشَرْعُ اللهِ وَاحِدٌ، لاَ اخْتِلافَ فِيهِ وَلا افْتِرَاقَ. وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الكِتَابِ وَشَرْعَهُمْ، وَأَمَرَ مَنِ اسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ الإِسْلامِ بِالوَحْدَةِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ كَمَا تَفَرَّقَ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي الدِّينِ، وَصَارُوا شِيَعاً، كَأَهْلِ المِلَلِ

(١٦٠) مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(١٦١) قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

(١٦٢) قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١٦٣) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ

(١٦٤) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وَالنِّحَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالضَّلالاتِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ بَرَّأَ رَسُولَهُ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَأَمْرُهُمْ إِلى اللهِ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

(١٦٠) - مَنْ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ حَسَنَةٍ، مِنْ خِصَالِ الطَّاعَاتِ، جَزَاهُ اللهُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا، مِنْ عَطَاءِ اللهِ غَيْرِ المَحْدُودِ. وَمَنْ جَاءَ بِسَيِّئَةٍ، فَلا يُجازَى إلاَّ بِعُقُوبَةِ سَيِّئَةٍ، مِثْلِها، وَاللهُ لاَ يَظْلِمُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ عَمَلاً عَمِلَهُ، فَلا يَزِيدُ فِي ذَنْبِ المُسِيءِ، وَلا يَبْخَسُهُ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِهِ الحَسَنَةِ.

(وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشراً. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ يُكْتَبْ عليهِ شَيءٌ، فَإِن عَمِلَها كُتِبَتْ عَلَيهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً). (رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

(هَدَانِي) (صِرَاطٍ) (إِبْرَاهِيم)

(١٦١) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يُخبِرَ النَّاسَ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيهِ مِنَ الهِدَايَةِ إِلى صِرَاطِ رَبِّهِ المُسْتَقِيمِ، الذِي لاَ اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَلا انْحِرَافَ، وَهٰذا الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ هُوَ دِينُ اللهِ الذِي يَقُومُ بِهِ أَمْرُ النَّاسِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَبِهِ يَصْلُحُونَ (دِيناً قِيماً). وَهٰذا الدِّينُ القَيِّمُ هُوَ مِلَّةُ إبراهيمَ الذِي كَانَ حَنِيفاً مُخْلِصاً، مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ.

دِيناً قِيماً - دِيناً ثَابِتاً مُقَوِّماً لأُمورِ المَعَاشِ وَالمَعَادِ.

حَنِيفاً - مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ وَالبَاطِلِ، مَائِلاً إِلَى الدِّينِ الحَقِّ.

(الْعَالَمِينَ)

(١٦٢) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ، الذِينَ يَذْبَحُونَ الذَّبَائِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ: إِنَّكَ مُخَالِفٌ فِي ذٰلِكَ، فَإِنَّ صَلاتَكَ وَنُسُكَكَ وَمَحْيَاكَ عَلَى اسْمِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، خَالِصاً لِوَجْهِ اللهِ الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ، وَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ جَمِيعاً.

النُّسُكُ - العِبَادَةُ.

(١٦٣) - وَأَنَا أُؤمِنُ بِأَنَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ بِذٰلِكَ، وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ المُمْتَثِلِينَ لأَمْرِهِ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ.

(لَقَدْ كَانَتْ دَعْوَةُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلامِ: هِيَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ).

(١٦٤) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ: أَأَطْلُبُ رَبّاً سِوَى اللهِ أُشْرِكُهُ مَعَهُ فِي عِبَادَتِي لَهُ؟ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ، خَلَقَنِي وَحَفِظَنِي وَدَبَّرَ أَمْرِي، فَأَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، وَلا أُنِيبُ وَلا أُخْلِصُ إِلاَّ إِلَيهِ. وَاللهُ تَعَالَى يُجَازِي كُلَّ نَفْسٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، عَلَى مَا فَعَلَتْهُ وَكَسَبَتْهُ

وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ

﴿١٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ

فِي الدُّنيا، إنْ خيراً فخيْراً، وإنْ شرّاً فشرّاً، ولا يَحمِلُ أحدٌ مِنْ خطيئةِ أحدٍ شيْئاً، وهٰذا مِنْ عدْلِ اللهِ تعالى. ثُمَّ ترْجِعُونَ إلى اللهِ فيُخْبِرُكُمْ بِما كُنْتُمْ تختلِفُونَ فِيهِ مِنْ أمْرِ أدْيانِكُمْ المُخْتلِفةِ، ويتولّى جزاءكُمْ عليْهِ وحْدَهُ.

إلّا عليها - إلّا ذنْباً محْمُولاً عليها عِقابُهُ.

لا تزِرُ وازِرةٌ - لا تحمِلُ نفْسٌ آثِمةٌ إثْم غيْرِها.

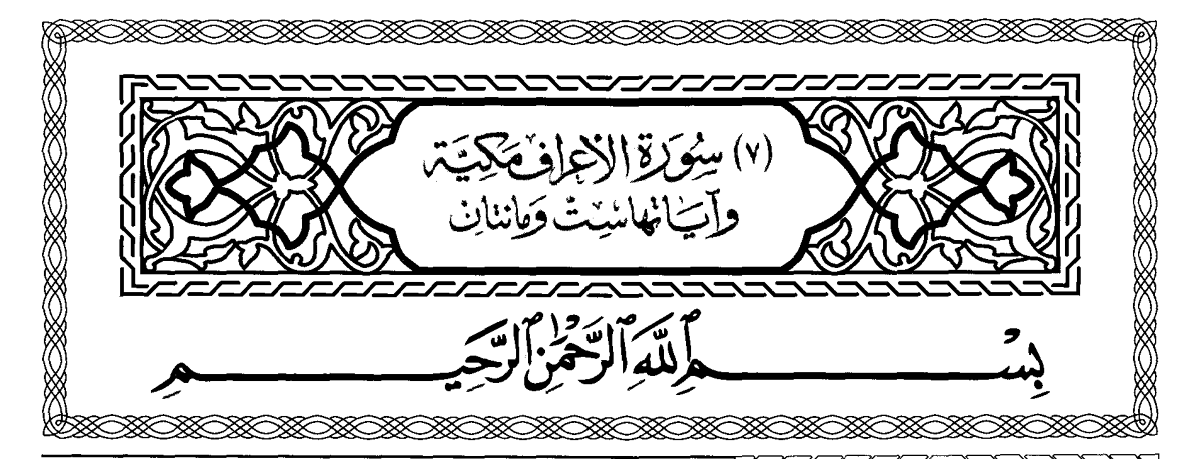
(خلائِف) (درجاتٍ) (آتاكُم)

(١٦٥) - واللهُ ربُّكم وربُّ كُلِّ شيءٍ، هُوَ الذي آسْتخْلفكُمْ فِي الأرْضِ، وجعلكُمْ تعْمُرُونها جِيلاً بعْد جِيلٍ، وخلفاً بعْد سلفٍ، وقدْ فاوت بيْنكُمْ فِي الأرْزاقِ والأخْلاقِ والمحاسِنِ والمساوِىءِ، والمناظِرِ والأشْكالِ والألوانِ... ولهُ الحِكْمةُ فِي ذٰلِك لِيخْتبِركُمْ فِي الذي أنعم بِهِ عليْكُمْ، ويمْتحِنكُمْ بِهِ، فيخْتبِر الغنِيَّ فِي غِناهُ، ويسْألهُ عنْ شُكْرِهِ، والفقِير فِي فقْرِهِ ويسْألهُ عنْ صبْرِهِ.

ويُرهِّبُ اللهُ تعالى العِباد ويُرغِّبُهُمْ، فيقُولُ تعالى: إنَّ حِسابهُ وعِقابهُ لِمنْ خالف رُسُلهُ وكذَّب بآياتِهِ، سرِيعانِ، وإنَّهُ غفُورٌ رحِيمٌ لِمنْ والاهُ واتَّبع رُسُلهُ فِيما جاؤُوا بِهِ مِن الخيْرِ، ولِمنْ تاب وأناب وأحْسن العمل.

خلائِف الأرْضِ - يخْلُفُ بعْضُهُمْ بعْضاً فِي الأرْضِ.

لِيبْلُوكُمْ - لِيخْتبِركُمْ.



(١) الٓمٓصٓ



أَلِفْ. لَامْ. مِيمْ. صَادْ.

(١) - وَتُقْرَأُ مُقَطَّعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ. اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ مَعْنَاهَا: أَنَا اللهُ أَفْصِلُ.

(٢) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

(كِتَابٌ)

(٢) - هٰذَا القُرآنُ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، فَلَا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ مِنَ الإِنْذَارِ بِهِ، وَإِبلاغِهِ إِلَى مَنْ أُمِرتَ بِإِبْلاغِهِ إِلَيْهِمْ، وَاصْبِرْ لِأَمْرِ رَبِّكَ فِيمَا حَمَّلَكَ مِنْ عِبْءِ النُّبُوَّةِ، كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيْكَ لِتُنْذِرَ بِهِ النَّاسَ كَافَّةً، وَلِتُذَكِّرَ بِهِ مَنْ كَتَبَ اللهُ لَهُمُ الهِدَايَةَ وَالإِيمَانَ.

حَرَجٌ مِنْهُ - ضِيقٌ مِنْ تَبْلِيغِهِ خَشْيَةَ التَّكْذِيبِ.

(٣) ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

(٣) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ الذِينَ تُنْذِرُهُمْ: اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، فَهُوَ وَحْدَهُ الذِي لَهُ الحَقُّ فِي شَرْعِ الدِّينِ لَكُمْ، وَفَرْضِ العِبَادَاتِ عَلَيْكُمْ وَتَحْلِيلِ مَا يَنْفَعُكُمْ، وَتَحْرِيمِ مَا يَضُرُّكُمْ، لِأَنَّهُ العَلِيمُ بِمَا فِيهِ الفَائِدَةُ أَوِ الضَّرَرُ لَكُمْ، وَلا تَتَّخِذُوا مِنَ النَّاسِ، أَوْ مِنَ الشَّيَاطِينِ الذِينَ يُوَسْوِسُونَ إِلَيكُمْ، أَوْلِيَاءَ تُوَلُّونَهُمْ أُمُورَكُمْ، وَتُطِيعُونَهُمْ فِيمَا يَرُومُونَ مِنْكُمْ مِنْ ضَلَالِ التَّقَالِيدِ، وَالابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ.

وَقَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ هُمُ الذِينَ يَتَذَكَّرُونَ وَيَتَّعِظُونَ (أَوْ قَلِيلاً مَا تَتَّعِظُونَ بِمَا تُوعَظُونَ بِهِ).

(٤) وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ

(أَهْلَكْنَاهَا) (بَيَاتاً) (قَائِلُونَ)

(٤) - وَكَثِيرٌ مِنَ القُرى (أَوِ البِلادِ) أَهْلَكَ اللهُ أَهْلَهَا، لِمُخَالَفَتِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَأَخْزَاهُمُ اللهُ فِي الدُّنيا، وَسَيُذِلُّهُمْ فِي الآخِرَةِ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَبَأْسُهُ لَيلاً (بَيَاتاً)

٥ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ

٦ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ

٧ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ

٨ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

وَمِنْهُم مَنْ جاءَهُمْ نَهاراً وَهُمْ يَسْتَرِيحُونَ وَسَطَ النَّهارِ (قَائِلُونَ)، وَكِلا الوَقْتَينِ وَقْتُ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ وَلَهْوٍ، فَعَلَى العَاقِلِ أَلَّا يَغْتَرَّ بِالدُّنْيا، وَأَلَّا يَأْمَنَ غَدْرَ اللَّيَالِي.

كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ - كَثِيرٌ مِنَ القُرى.

بَأْسُنا - عَذَابُنَا.

بَيَاتاً - وَهُمْ نَائِمُونَ فِي بُيُوتِهِمْ لَيلاً (كَمَا حَدَثَ لِقَوْمِ لُوطٍ).

قَائِلُونَ - يَرْتَاحُونَ وَقْتَ القَيْلُولَةِ، وَهِيَ بَعْدَ الظُّهْرِ كَمَا حَدَثَ لأَصْحَابِ الأَيْكَةِ قَوْمِ شُعَيْبٍ.

(دَعْواهُمْ) (ظَالِمِينَ)

(٥) - وَحِينَ جَاءَهُمُ العَذَابُ لَمْ يَقُولُوا شَيْئاً غَيْرَ الاعْتِرَافِ بِذُنُوبِهِمْ، وَظُلْمِهِمْ فِيما كَانُوا عَلَيهِ، وَشَهِدُوا بِبُطْلاَنِهِ، وَبِأَنَّهُمْ حَقِيقُونَ بِهذَا العَذَابِ الذِي نَزَلَ بِهِمْ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَظْلِمْهُمْ.

دَعْواهُمْ - دُعَاؤُهُمْ وَتَضَرُّعُهُمْ.

(فَلَنَسْأَلَنَّ) (وَلَنَسْأَلَنَّ)

(٦) - يَقولُ تَعَالَى: إِنَّهُ سَيَسْأَلُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا أَجَابُوا بِهِ رُسُلَهُمْ فِيمَا أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَسَيَسْأَلُ الرُّسُلَ أَيْضاً عَمَّا بَلَّغُوهُ إِلى الأُمَمِ مِنْ رِسَالاتِ رَبِّهِمْ، وَعَمَّا أَجَابَهُمْ بِهِ أَقْوَامُهُمْ.

(٧) - وَسَيَقُصُّ اللهُ تَعَالَى، فِي ذلِكَ اليَوْمِ، عَلَى الرُّسُلِ، وَعَلَى أَقْوَامِهِمُ الذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، كُلَّ مَا وَقَعَ مِنَ الفَرِيقَيْنِ، قَصَصاً بِعِلْمٍ مِنْهُ مُحِيطٍ بِكُلِّ شَيءٍ كَانَ مِنْهُمْ، وَمَا كَانَ اللهُ غَائِباً عَنْهُمْ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، وَلاَ فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، بَلْ كَانَ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، وَيُبْصِرُ مَا يَعْمَلُونَ، وَيُحِيطُ بِمَا يُسِرُّونَ وَيُعْلِنُونَ.

القَصُّ أَصْلاً - هُوَ تَتَبُّعُ الأَثَرِ فِعْلاً أَوْ قَولاً وَيُقْصَدُ بِهِ هُنَا الإِخْبَارُ.

(مَوازِينُهُ) فَأُولَئِكَ) (يَوْمَئِذٍ)

(٨) - وَاللهُ تَعَالى يَزِنُ أَعْمَالَ العِبَادِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُقَدِّرُهَا بِعَدْلٍ تَامٍّ (بِالحَقِّ)، فَلا يَظْلِمُ أَحداً شَيْئاً، فَالذِينَ تَرْجَحُ مَوازِينُ أَعْمالِهِم الصَّالِحَةِ وَحَسَنَاتُهُمْ (ثَقُلَتْ مَوازِينُهُمْ) فَأُولئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ بِالنَّجاةِ مِنَ العَذابِ (المُفْلِحُونَ).

(٩) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ

(١٠) وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

(١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ

(١٢) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ

ثقلت موازينه - رجحت حسناته على سيئاته.

(موازينه) (فأولئك) (بآياتنا)

(٩) - أمَّا الذين خفَّتْ موازينُ أعْمالِهم الصَّالِحَةِ، ورجحتْ سيِّئاتُهمْ بسَبَبِ كُفرِهِمْ، وكَثْرَةِ ما اجْتَرحُوهُ مِنَ السَّيِّئاتِ، فهؤلاءِ يكونُونَ قدْ خسِرُوا أنْفُسَهُمْ لأنَّهُمْ حرمُوهَا السَّعادَةَ التِي كانَتْ مُسْتَعِدَّةً لَهَا لَوْ لَمْ يُفْسِدُوا فِطْرَتَهَا.

والمُؤْمِنُونَ عَلَى تفَاوُتِ درَجَاتِهِمْ فِي الأعْمالِ، هُمُ المُفْلِحُونَ، فَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فهُوَ مُفْلِحٌ، وإنْ عُذِّبَ عَلَى بَعْضِ ذُنُوبِهِ بِمِقْدارِهَا، وإنَّ الكَافِرِينَ عَلَى تفَاوُتِ دركَاتِهِمْ هُمْ فِي خُسْرانٍ عَظِيمٍ.

(مَعَايِشَ)

(١٠) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعالَى عَلَى عِبادِهِ بأنْ جعَلَ لَهُمْ الأرْضَ قراراً يعِيشُونَ ويَسْتقِرُّونَ عَلَيها، وجَعَلَ فِيها جِبالاً راسِياتٍ تُسَهِّلُ اسْتِقْرارَ النَّاسِ عَلَيهَا، فَلا تَميدُ بِهِمْ، وجَعَلَ فِيها أنْهاراً، وأبَاحَ لِلنَّاسِ التَّمتُّعَ بِمَنَافِعِها، وسَخَّرَ الرِّياحَ لإخْرَاجِ أرْزاقِهِمْ مِنْهَا، وجَعَلَ لِلنَّاسِ ما يَتَسَبَّبُونَ بِهِ ويَتكَسَّبُونَ (مَعَايِشَ)، ولَكنَّ النَّاسَ، مَعَ جَميعِ هٰذِهِ النِّعَمِ عَلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، قَليلٌ مِنْهُمُ الشَّكُورُ، واللهُ تَعالَى سَيُحَاسِبُهُمْ على كُفرانِهِمْ بالنِّعَمِ حِسَاباً عَسِيراً.

مكَّنَّاكُمْ - جَعَلْنَا لَكُمْ مَكاناً وقَراراً.

مَعَايِشَ - مَا تَعِيشُونَ بِهِ وتَحْيَوْنَ.

(خلقْناكُمْ) (صَوَّرْنَاكُمْ) (لِلْمَلائِكَةِ) (السَّاجِدِينَ)

(١١) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعالَى النَّاسَ إلَى شَرَفِ أبِيهِم آدَمَ، ويُبَيِّنُ لَهُمْ عَداوَةَ إبْلِيسَ لَهُمْ، ويُذَكِّرُهُمْ بأنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ بَعْدَ أنْ صَوَّرَهُ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وأنَّهُ أمَرَ المَلائِكَةَ بالسُّجُودِ لآدَمَ، تَكْريماً وتَعْظِيماً، فَسَجَدُوا إطَاعَةً لأمرِ اللهِ، إلاَّ إبْلِيسَ فَإنَّهُ رَفَضَ السُّجودَ، وتَمرَّدَ عَلى أمْرِ رَبِّهِ.

(١٢) - وسَألَ اللهُ تَعالَى إبْلِيسَ فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ بالسُّجودِ؟ فرَدَّ عَلَى خالِقِهِ قائِلاً: إنَّهُ خَيرٌ مِنْ آدَمَ، لأنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نارٍ، وآدَمُ مَخْلُوقٌ مِنْ طِينٍ، والنَّارُ أفْضَلُ مِنَ الطِّينِ فِي رَأيِ إبْلِيسَ، لِذٰلِكَ لَمْ يَسْجُدْ لآدَمَ، والأفْضَلُ لا يَسْجُدُ لِلْمَفْضُولِ.

مَا مَنَعَكَ - مَا حَمَلَكَ ومَا دَعَاكَ.

﴿١٣﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ

(الصَّاغِرِينَ)

(١٣) - فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى إِبليسَ بِأَنْ يَهْبِطَ مِنَ الجَنَّةِ إِلى الأَرْضِ، لِعِصْيَانِهِ أَمرَ رَبِّهِ، وَخُرُوجِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَكَبَّرَ فِيها. ثُمَّ أَمرَهُ تَعَالَى بِالخُرُوجِ مِنَ الجَنَّةِ ذَليلاً حَقِيراً، بِسَبَبِ كُفْرِهِ وَتَمَرُّدِهِ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ.

الصَّاغِرِينَ - الأَذِلاَّءِ.

﴿١٤﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(١٤) - فَاسْتَدْرَكَ إِبْلِيسُ، وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُمْهِلَهُ وَلاَ يُمِيتَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الذِي سَيَبْعَثُ فِيهِ اللهُ الخَلاَئِقَ لِلْحِسَابِ. وَقَدْ أَرَادَ إِبلِيسُ بِذَلِكَ أَنْ يَجِدَ فُسْحَةً مِنَ الوَقْتِ لإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ وَإِضْلاَلِهِمْ.

أَنْظِرْنِي - أَخِّرْنِي وَأَمْهِلْنِي فِي الحَيَاةِ.

﴿١٥﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ

(١٥) - فَأَجَابَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى سُؤَالِهِ لِحِكْمَةٍ اقْتَضَتْهَا إِرَادَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ التِي لاَ تُخَالَفُ وَلاَ تُعَارَضُ. وَقَدْ أَنْظَرَهُ اللهُ إِلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1].

المُنْظَرِينَ - المُمْهَلِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

﴿١٦﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

(صِرَاطَكَ)

(١٦) - لَمَّا اسْتَوْثَقَ إِبليسُ مِنْ وَعْدِ اللهِ لَهُ بِإِبْقَائِهِ إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ، أَخَذَ فِي المُعَانَدَةِ وَالتَّمَرُّدِ فَقَالَ لِرَبِّهِ: كَمَا أَغْوَيْتَنِي (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) وَأَضْلَلْتَنِي وَأَهْلَكْتَنِي فَإِنَّنِي سَأُحَاوِلُ فِتْنَةَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وَسَأَعْتَرِضُ سَبِيلَهُمْ مُحَاوِلاً إِبْعَادَهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللهِ المُسْتَقِيمِ، طَرِيقِ الحَقِّ وَالهُدَى، بِأَنْ أُزَيِّنَ لَهُمْ طُرُقاً أُخرى حَتَّى يَضِلُّوا.

فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي - كَمَا أَضْلَلْتَنِي.

لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ - لأَجْلِسَنَّ لَهُمْ، وَلأَتَرَصَّدَنَّ لَهُمْ.

﴿١٧﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ

(أَيْمَانِهِمْ) (شَمَائِلِهِمْ) (شَاكِرِينَ)

(١٧) - ثُمَّ سَأُحَاوِلُ تَشْكِيكَهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) وَأُرَغِّبُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ (مِنْ خَلْفِهِمْ)، وَسَأُشَبِّهُ عَلَيهِمْ دِينَهُمْ (عَنْ أَيْمَانِهِمْ)، وَسَأُزَيِّنُ لَهُم المَعَاصِيَ، وَأُحَسِّنُها لَهُمْ (عَنْ شَمَائِلِهِمْ) وَسَأَفْتِنُهُمْ، مَا اسْتَطَعْتُ، حَتَّى لاَ تَجِدَ يَا رَبِّ بَيْنَ بَنِي آدَمَ كَثِيراً مِنَ المُطِيعِينَ الشَّاكِرِينَ لأَنْعُمِكَ عَلَيْهِمْ.

---

(١) الآية ٣٨ من سورة الحجر.

﴿١٨﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ

(مَذْؤوماً)

(١٨) - ثُمَّ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى لَعْنَتَهُ عَلَى إِبْلِيسَ وَطَرْدَهُ لَهُ، وَإِبْعَادَهُ عَنِ المَلأِ الأَعْلَى، وَهُوَ مَقِيتٌ مَعِيبٌ (مَذْؤُومٌ) مُقْصًى مُبْعَدٌ، وَقَالَ لَهُ مُهَدِّداً: إِنَّهُ وَمَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ سَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ جَهَنَّمَ، وَسَيَمْلَؤُهَا مِنْهُمْ جَمِيعاً.

مَذْؤُوماً - مَذْمُوماً مَعِيباً لَعِيناً.

مَدْحُوراً - مَطْرُوداً مُبْعَداً.

﴿١٩﴾ وَيَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ

(وَيَا آدَمُ) (الظَّالِمِينَ)

(١٩) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لآدَمَ: اسْكُنْ يَا آدَمُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ، وَأَبَاحَ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِنْ جَمِيعِ ثِمَارِهَا، إِلَّا شَجَرَةً وَاحِدَةً نَهَاهُمَا اللهُ عَنِ الاقْتِرَابِ مِنْهَا، وَقَالَ لَهُمَا إِنَّهُمَا إِذَا اقْتَرَبَا مِنْهَا وَأَكَلا مِنْ ثَمَرِهَا، كَانَا مِنَ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ.

وَلَمَّا رَأَى الشَّيْطَانُ ذَلِكَ الصَّنِيعَ الجَمِيلَ مِنَ اللهِ بِآدَمَ وَزَوْجِهِ، أَخَذَهُ الحَسَدُ وَالغَيْرَةُ، وَسَعَى، بِالمَكْرِ وَالوَسْوَسَةِ، لِيَسْلُبَهُمَا مَا هُمَا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ، وَاللِّبَاسِ الحَسَنِ.

﴿٢٠﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ

(الشَّيْطَانُ)(وُورِيَ) (سَوْءَاتِهِمَا) (نَهَاكُمَا) (الْخَالِدِينَ)

(٢٠) - وَأَخَذَ إِبْلِيسُ يُحَرِّضُهُمَا عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِ رَبِّهِمَا، وَيَحُثُّهُمَا، وَيُزَيِّنُ لَهُمَا الأَكْلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ، لِيَسْلُبَهُمَا لِبَاسَهُمَا الحَسَنَ، وَقَالَ لَهُمَا: إِنَّ اللهَ نَهَاكُمَا عَنِ الأَكْلِ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ لِكَيْلَا تُصْبِحَا مَلَكَيْنِ بِأَكْلِكُمَا مِنْهَا، لَكُمَا خَصَائِصُ المَلَائِكَةِ وَمَزَايَاهُمْ، أَوْ تُصْبِحَا مِنَ الخَالِدِينَ فِي الجَنَّةِ، الذِينَ لَا يَمُوتُونَ أَبَداً، وَلَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهُم فِيهَا أَبَداً.

الوَسْوَسَةُ - الصَّوتُ الخَفِيُّ المُكَرَّرُ. وَوَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ لِلْبَشَرِ هِيَ مَا يَجِدُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الخَوَاطِرِ السَّيِّئَةِ التِي تُزَيِّنُ لَهُمْ فِعْلَ القَبِيحِ.

سَوْءَاتِهِمَا - عَوْرَاتِهِمَا.

مَا وُورِيَ عَنْهُمَا - مَا سُتِرَ وَغُطِّيَ عَنْهُمَا.

﴿٢١﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ

(النَّاصِحِينَ)

(٢١) - وَحَلَفَ لَهُمَا بِاللهِ إِنَّهُ نَاصِحٌ لَهُمَا فِيمَا رَغَّبَهُمَا فِيهِ مِنَ الأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِالأَيْمَانِ المُغَلَّظَةِ، إِذْ كَانَ عِنْدَهُمَا مَحَلَّ الشَّكِّ وَالظِّنَّةِ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى كَانَ قَدْ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُمَا.

﴿٢٢﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ
بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ
وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ

﴿٢٣﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ
تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ

﴿٢٤﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ

قَاسَمَهُمَا - أَقْسَمَ لَهُما وَحَلَفَ.

(فَدَلاَّهُمَا) (سَوْءَاتُهُمَا) (وَنَادَاهُمَا) (الشَّيْطَانَ)

(٢٢) - فَمَا زَالَ إِبْلِيسُ يُخَادِعُهُمَا، وَيُرَغِّبُهُمَا فِي الأَكْلِ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ، وَيُقسِمُ لَهُمَا بِاللهِ أَنَّهُ نَاصِحٌ لَهُمَا، حَتَّى حَطَّهُمَا عَمَّا كَانَا عَلَيهِ مِنْ سَلاَمَةِ الفِطْرَةِ وَطَاعَةِ اللهِ، وَنَسِيَا النَّهْيَ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى - فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)(١). فَلَمَّا أَكَلا مِنَ الشَّجَرَةِ التِي نَهَاهُمَا اللهُ عَنْها، تَعَرَّيَا مِمّا كَانَ يَسْتُرُ سَوْآتِهِمَا (عَوْرَاتِهِمَا) فَبَدَتْ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَوْرَةُ الآخرِ، وَكَانَتْ قَبْلاً مَسْتُورَةً عَنْهُ، فَنَبَّهَتْهُمَا إِلَى مَا كَانَ خَفِيَ عَنْهُمَا مِنْ أَمْرِهَا، فَخَجِلا مِنْ ظُهُورِهَا، وَشَعَرَا بِالحَاجَةِ إِلَى سَتْرِهَا، فَأَخَذَا يُلْصِقَانِ عَلَى عَوْرَاتِهِمَا (يَخْصِفَانِ) مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ لِسَتْرِهَا.

وَسَأَلَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ عَنْ أَسْبَابِ مُخَالَفَتِهِمَا لأَمْرِهِ، وَأَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ التِي نَهَاهُمَا اللهُ عَنْها، وَذَكَّرَهُ بِمَا سَبَقَ أَنْ قَالَهُ مِنْ أَنَّ إِبْلِيسَ عَدُوٌّ لَهُ وَلِزَوْجِهِ بَيِّنُ العَدَاوَةِ، وَبِمَا حَذَّرَهُ مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ مُعْتَذِراً: (وَعِزَّتِكَ مَا حَسِبْتُ أَحَداً يَحْلِفُ بِكَ كَاذِباً أَبَداً).

دَلَّى الشَّيءَ تَدْلِيَةً - أَرْسَلَهُ إِلَى أَسْفَلَ.

فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ - فَأَنْزَلَهُما عَنْ رُتْبَةِ الطَّاعَةِ بِخِدَاعٍ.

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا - يُلْصِقَانِ عَلَيهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ لِسَتْرِ عَوْرَاتِهِمَا.

السَّوْءَةُ - مَا يَسُوءُ ظُهُورُهُ وَهِيَ هُنَا العَوْرَةُ.

الغُرُورُ - الخِدَاعُ وَالبَاطِلُ.

(الْخَاسِرِينَ)

(٢٣) - فَقَالَ آدَمُ وَزَوْجُهُ نَادِمَيْنِ مُتَضَرِّعَيْنِ: رَبَّنَا إِنَّنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِطَاعَتِنَا لِلشَّيْطَانِ، وَمَعْصِيَتِنَا لأَمْرِكَ، وَقَدْ أَنْذَرْتَنَا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا مَا ظَلَمْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا، وَتَرْحَمْنَا بِالرِّضَا عَنَّا، وَتُوَفِّقْنَا لِلْهِدَايَةِ، وَتَرْكِ الظُّلْمِ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ لأَنْفُسِنَا.

(وَهٰذِهِ هِيَ الكَلِمَاتُ التِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ مُعْتَذِراً لِيَغْفِرَ لَهُ).

(مَتَاعٌ)

(٢٤) - فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ بِالهُبُوطِ مِنَ الجَنَّةِ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ إِبْلِيسَ سَيَكُونُ عَدُوّاً لِبَنِي آدَمَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ لاَ يَغْفُلُوا عَنْ عَدَاوَتِهِ وَوَسْوَسَتِهِ، وَسَيَكُونُ لِلْجَمِيعِ قَرَارٌ عَلَى الأَرْضِ،

(١) الآية ١١٥ من سورة طه.

وَمعاشٌ وَانْتِفاعٌ بِما فِيها، وَسَتَكونُ لَهُمْ أَعْمارٌ مَضْروبَةٌ إِلى آجالٍ مَعْلُومَةٍ.

﴿٢٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ

(٢٥) - وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الأَرْضَ لِبَني آدَمَ داراً مُدَّةَ حَياتِهِمِ الدُّنْيا، فِيها مَحْياهُمْ، وَفِيها مَماتُهُمْ، وَفِيها قُبورُهُمْ، وَمِنْها نُشورُهُمْ.

﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ

(يا بَني آدَمَ) (يُوارِي) (سَوْءَاتِكُمْ) (آياتِ)

(٢٦) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعالَى عَلَى عِبادِهِ بِما جَعَلَ لَهُمْ مِنَ اللِّباسِ (وَهُوَ ما يُلْبَسُ لِسَتْرِ العَوْرَةِ)، وَمِنَ الرِّيشِ (وَهُوَ ما يُتَجَمَّلُ بِهِ ظاهِراً). ثُمَّ يَقولُ تَعالَى لَهُمْ إِنَّ خَشْيَةَ اللهِ، وَالخَوْفَ مِنْهُ، هُما أَفْضَلُ ما يَكْسِبُهُ الإِنْسانُ وَيَلْبَسُهُ.

وَذَلِكَ الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ النِّعَمِ بِإِنْزالِ المَلابِسِ هُوَ مِنْ آياتِ اللهِ وَدَلائِلِ إِحْسانِهِ وَفَضْلِهِ عَلَى بَني آدَمَ.

(وَقِيلَ بَلِ المَقْصُودُ بِلِباسِ التَّقْوى - هُوَ ما يُلْبَسُ مِنَ الدُّرُوعِ وَالمَغافِرِ وَغَيرِها مِمَّا يُتَّقى بِهِ البَأْسُ فِي الحَرْبِ).

الرِّيشُ - لِبَاسُ الحاجَةِ وَالزِّينَةِ.

أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ - أَعْطَيْناكُمْ وَوَهَبْناكُمْ.

لِباسُ التَّقْوى - الإِيمانُ وَثَمَراتُهُ.

﴿٢٧﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ

(يا بَني آدَمَ) (الشَّيْطانُ) (سَوْءَاتِهِما) (يَراكُمْ) (الشَّياطِينَ)

(٢٧) . يحَذِّرُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ مِنْ إِبْليسَ وَجَماعَتِهِ (قَبِيلِهِ)، وَيُذَكِّرُهُمْ بِعَداوَتِهِ القَدِيمَةِ لآدَمَ وَزَوْجِهِ، حِينَما سَعَى فِي إِخْراجِهِما مِنَ الجَنَّةِ، دارِ السَّعادَةِ وَالهَناءِ، إِلى الأَرْضِ دارِ الشَّقاءِ، وَتَسَبَّبَ فِي هَتْكِ سِتْرِهِما، وَكَشْفِ عَوْراتِهِما، بَعْدَ أَنْ كانَتْ مَسْتُورَةً عَنْهُما، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ بَني آدَمَ عَلَيْهِمْ أَلاّ يُمَكِّنُوا إِبْليسَ مِنْ خِداعِهِمْ، وَإِيقاعِهِمْ فِي المَعاصِي بِوَسْوَسَتِهِ، فَإِبْليسُ يَرَى البَشَرَ فِي حِينِ أَنَّهُمْ لا يَرَوْنَهُ هُمْ. وَالشَّياطِينُ هُمْ أَوْلِياءُ وَأَخِلاَّءُ وَأَصْحابٌ لِلْكُفَّارِ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ مِنَ الإِنْسِ، لاسْتِعْدادِهِمْ لِتَقَبُّلِ وَسْوَسَةِ الشَّياطِينِ وَإِغْوائِهِمْ. أَمَّا المُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ فَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيْسَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ.

لاَ يَفْتِنَنَّكُمْ - لاَ يُضِلَّنَّكُمْ وَلاَ يَخْدَعَنَّكُمْ.

يَنْزِعُ عَنْهُما - يُزِيلُ عَنْهُما.

قَبِيلُهُ - جُنُودُهُ أَوْ ذُرِّيَّتُهُ.

(٢٨) وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا
عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(٢٩) قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟
وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ
كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

(٣٠) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ

(فَاحِشَةً) (آباءَنَا)

(٢٨) - وَإِذَا فَعَلَ المُكَذِّبُونَ أَمْراً بَالِغَ النُّكْرِ، كَالشِّرْكِ، وَالطَّوافِ، بِالبَيْتِ عُرَاةً، اعْتَذَرُوا عَنْ ذلِكَ فَقَالُوا: إِنَّهُمْ وَجَدُوا آباءَهُمْ يَفْعَلُونَ ذلِكَ، وَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدِينَ بِهِمْ، وَاللهُ أَمَرَهُمْ بِهِ، وَرَضِيَ لَهُمْ عَنْ فِعْلِهِ، إِذْ أَقَرَّهُمْ عَلَيهِ.

وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ مُنْكِراً مَا يَفْتَرُونَ: إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِهذِهِ الأُمُورِ المُنْكَرَةِ، فَكَيْفَ يَنْسُبُونَ إِلَيهِ تَعَالَى مَا لاَ يَجِدُونَ دَلِيلاً عَلَى صِحَّةِ نِسْبَتِهِ إِلَيْهِ؟

فَعَلُوا فَاحِشَةً - فَعَلُوا فِعْلاً مُتَنَاهِياً فِي القُبْحِ.

(٢٩) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: أَمَرَ رَبِّي بِالاسْتِقَامَةِ وَالعَدْلِ فِي كُلِّ الأُمُورِ (بِالقِسْطِ)، فَأَقْسِطُوا وَتَوَجَّهُوا إِلَى اللهِ بِخُشُوعٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ، عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ تَعْبُدُونَهُ فِيهِ، وَأَخْلِصُوا فِي عِبَادَتِهِ، وَكَمَا خَلَقَ اللهُ النَّاسَ وَلَمْ يَكُونُوا شَيئاً، كَذلِكَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْشُرَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُعِيدَهُمْ إِلَى الحَيَاةِ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ وَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَاللهُ لاَ يَتَقَبَّلُ العَمَلَ مِنَ العَبْدِ إِلاَّ إِذَا كَانَ مُسْتَجْمِعاً أَمْرَيْنِ:

- الصَّوابَ وَمُوَافَقَةَ الشَّرِيعَةِ.
- وَأَنْ يَكُونَ خَالِصاً لِوَجْهِ اللهِ بَعِيداً عَنِ الشِّرْكِ.

بِالقِسْطِ - بِالعَدْلِ - وَهُوَ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ للهِ.

أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ - تَوَجَّهُوا إِلَى عِبَادَتِهِ مُسْتَقِيمِينَ.

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ - فِي كُلِّ مَكَانِ سُجُودٍ.

(٣٠) - وَكَمَا بَدَأَ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ خَلْقاً وَتَكْوِيناً بِقُدْرَتِهِ، كَذلِكَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرِيقَيْنِ:

أ - فَرِيقاً هَدَاهُ اللهُ فِي الدُّنيا بِبِعْثَةِ الرُّسُلِ فَاهْتَدَى، وَأَقَامَ وَجْهَهُ للهِ مُخْلِصاً فِي عِبَادَتِهِ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً.

ب - وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ لاتِّبَاعِهِمْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ لِرَبِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ حِينَ أَطَاعُوا الشَّيَاطِينَ فِيمَا زَيَّنُوهُ لَهُمْ مِنَ الفَوَاحِشِ وَالمُنْكَرَاتِ، أَصْبَحُوا وَكَأَنَّهُمْ وَلَّوْهُمْ أُمُورَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ الذِي يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَتْهُمْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ.

(٣١) ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ

ربع الحزب ١٦

(٣٢) قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ

(٣٣) قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ

(يَا بَنِي آدَمَ)

(٣١) يَرُدُّ اللهُ تَعَالَى فِي هٰذِه الآيَةِ عَلَى المُشْرِكِينَ، الذِينَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالبَيْتِ وَهُمْ عُرَاةٌ، وَكَانَ الذِينَ يَطُوفُونَ مِنْهُمْ يُحَرِّمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم الدَّسَمَ مَا أَقَامُوا بِالمَوْسِمِ. فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِسَتْرِ عَوْرَاتِهِم حِينَ الطَّوَافِ بِالبَيْتِ، وَبالتَّجَمُّلِ عِنْدَ الصَّلاةِ، ثُمَّ أَبَاحَ لَهُم الأَكْلَ وَالشُّرْبَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ بِدُونِ إِسْرَافٍ (أَيْ بِدُونِ تَجَاوُزِ الحَدِّ المَعْقُولِ)، لأَنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ فِي كُلِّ تَصَرُّفٍ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: كُلُوا وَآشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلا سَرَفٍ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُرى أَثَرُ نِعَمِهِ عَلَى عَبْدِهِ).

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنِّسَائِيُّ وَآبْنُ مَاجه)

يُقْصَدُ بِأَخْذِ الزِّينَةِ - آرْتِدَاءُ المَلابِسِ الحَسَنَةِ لِسَتْرِ العَوْرَةِ.

(الطَّيِّبَات) (آمَنُوا) (الْحَيَاة) (الْقِيَامَة) (الآيَات)

(٣٢) - يَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ حَرَّمَ شَيْئاً مِنَ المَآكِلِ، وَالمَلاَبِسِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ شَرْعٍ مِنَ اللهِ، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ: مَنْ حَرَّمَ مَا خَلَقَ اللهُ لِعِبَادِهِ مِنْ أَسْبَابِ الزِّينَةِ، وَمِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ؟ فَهٰذِهِ الطَّيِّبَاتُ وَالزِّينَةُ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِنْ شَرِكَهُمْ فِيهَا الكُفَّارُ فِي الدُّنيا، وَهِيَ خَالِصَةٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ، لا يَشْرَكُهُمُ الكُفَّارُ فِي شَيءٍ مِنْهَا.

وَهٰكَذا يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى آيَاتِهِ وَيَشْرَحُهَا لِمَنْ يَعْقِلُونَ مِنَ النَّاسِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ مَالِكُ المُلْكِ وَبِيَدِهِ التَّحْلِيلُ وَالتَّحْرِيمُ.

(الْفَوَاحِشَ) (سُلْطَاناً)

(٣٣) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَآفْتَرَوْا عَلَى اللهِ الكَذِبَ، فَزَعَمُوا أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، كَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِم الزِّينَةَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ فِيمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ إِلَّا الأُمُورَ التَّالِيَةَ:

أ - الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ (كَالزِّنَى وَالمَعَاصِي الأُخْرَى).

ب - الإِثْمَ - وَهُوَ المَعْصِيَةُ.

جـ - البَغْيَ عَلَى النَّاسِ، وَالتَّعَدِّي عَلَيْهِم بِغَيْرِ حَقٍّ.

د - وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُشْرِكُوا مَعَهُ أَحَداً فِي عِبَادَتِهِ.

﴿٣٤﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

﴿٣٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٣٧﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

هـ ـ وَأَنْ يفْتَرُوا عَلَى اللهِ وَيَكْذِبوا، وَأَنْ يَقُولُوا عَلَيْهِ مَا لا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ (كَقَوْلِهِمْ إِنَّ لَهُ وَلَداً أَوْ نَحْو ذٰلِكَ. . .).

الفوَاحِش ـ كِبارَ المَعَاصِي لِمَزِيدِ قُبْحِها.

الإِثْمَ ـ مَا يُوجِبُهُ مِنْ سَائِرِ المَعَاصِي.

البَغْيَ ـ الظُّلْمَ وَالاسْتِطَالَةَ عَلَى خَلْقِ اللهِ.

سُلْطاناً ـ حُجَّةً وَبُرْهَاناً.

(٣٤) ـ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلاً وَمِيقَاتاً قَدَّرَهُ لِهَلاكِهِمْ. فَإِذَا جَاءَ الأَجَلُ الذِي حَدَّدَهُ اللهُ لِهَلاكِهِمْ، وَحُلُولِ العِقَابِ بِهِمْ، أَخَذَهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ إِبْطَاءً وَلاَ تَعَجُّلاً، وَلَوْ سَاعَةً وَاحِدَةً.

(يَا بَنِي آدَمَ) (آيَاتِي)

(٣٥) ـ وَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ بِأَنَّهُ سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رُسُلاً مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ مِنَ البَشَرِ، يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللهِ وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ. فَمَنْ آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَآمَنَ بِرُسُلِهِ، وَاتَّقَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَصْلَحَ نَفْسَهُ بِفِعْلِ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيهِ، وَأَحْسَنَ العَمَلَ. فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أَمْنٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، لا يَخَافُ مِمَّا هُوَ مُقْدِمٌ عَليهِ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ، وَلا يَحْزَنُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ حَيَاتِهِ فِي الدُّنيا، وَلا عَلى مَا خَلَّفَهُ فِيهَا وَرَاءَهُ.

(بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٣٦) ـ أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ المُنَزَّلَةِ عَلَى أَحَدِ رُسُلِهِ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ قَبُولِها، وَعَنِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيها، وَعَنِ العَمَلِ بِمَا فِيهَا. فَهؤُلاءِ سَيَكُونُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ أَبداً، لا يَمُوتُونَ وَلاَ يَحْيَوْنَ (خَالِدِينَ أَبَداً).

(بِآيَاتِهِ)(أُولَئِكَ) (الْكِتَابِ) (كَافِرِينَ)

(٣٧) ـ لاَ أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ بِأَنْ أَوْجَبَ عَلَى العِبَادِ شَيْئاً مِنَ العِبَادَاتِ لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ، أَوْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ، أَوْ عَزا إِلى دِينِهِ أَحْكَاماً لَمْ يُنْزِلها اللهُ عَلَى رُسُلِهِ.

وَلاَ أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ، بِالقَوْلِ أَوْ بِالاسْتِهْزَاءِ، وَالاسْتِكْبَارِ عَنِ اتِّبَاعِهَا، وَهؤُلاءِ المُفْتَرُونَ المُكَذِّبُونَ سَيَحْصُلُونَ عَلَى نَصِيبِهِمْ مِمَّا قَدَّرَهُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الآجَالِ وَالأَرْزَاقِ (نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) مَعَ ظُلْمِهِمْ وَافْتِرائِهِمْ، لاَ يُحْرَمُونَ شَيْئاً مِمَّا قَدَّرَهُ اللهُ لَهُمْ إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ. فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ جَاءَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمٰنِ يَتَوَفَّوْنَهُم، فَيَسْأَلُونَهُمْ: أَيْنَ الذِينَ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا، وَتَدْعُونَهُم آلِهَةً،

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ٣٨

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٣٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ ٤٠

وَتَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ؟ أُدْعُوهُم الآنَ لِيُخَلِّصُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ العَذابِ وَالنَّكالِ؟ فَيُجِيبُهُمْ هٰؤلاءِ المُجْرِمُونَ: لَقَدْ غابُوا عَنَّا وَتَوارَوْا (ضَلُّوا عَنَّا) فَلا نَرْجُو مِنهم نَفْعاً وَلاَ ضَراً. وَيُقِرُّونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ بِدَعوَتِهِم الشُّرَكَاءَ مَعَ اللهِ، وَيَعْتَرِفُونَ بِذٰلِكَ.

(أُخْراهُمْ) (لأُولاهُمْ) (فَآتِهِمْ)

(٣٨) - فَيُقَالُ لِهٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ المُفْتَرِينَ الكَذِبَ عَلَى اللهِ: آدْخُلُوا مَعَ جَماعَاتٍ وَأُمَمٍ مِنْ أَمْثَالِكُمْ، وَعَلَى صِفَاتِكُمْ، قَدْ سَبَقَتْكُمْ فِي الكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ. وَكُلَّمَا دَخَلَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فِي النَّارِ، لَعَنَتْ أُخْتَهَا فِي الدِّينِ وَالمِلَّةِ إِذْ هِيَ قَدْ ضَلَّتْ بِاتِّبَاعِهَا، وَالاقْتِداءِ بِهَا فِي الكُفْرِ وَالضَّلالَةِ، حَتَّى إِذَا آجْتَمَعُوا فِي النَّارِ جَمِيعاً (آدَّارَكُوا فِيهَا)، قَالَتْ آخِرُ كُلِّ أُمَّةٍ دَاخِلَةٍ إِلى النَّارِ (وَهُمُ الأَتْبَاعُ وَالسَّفْلَةُ) تَشْكُو أَهْلَ المَنْزِلَةِ وَالمَكَانَةِ مِنَ الكُبَراءِ المَتْبُوعِينَ، مِمَّنْ تَقَدَّمُوهُمْ فِي الدُّخُولِ إِلى نَارِ جَهَنَّمَ:

إِنَّ هٰؤُلاءِ هُمُ الذِينَ أَضَلُّونَا وَدَفَعُونا إِلَى الشِّرْكِ وَالضَّلالَةِ، فَأَضْعِفْ لَهُم العَذَابَ يَا رَبِّ، وَزِدْهُمْ فِيهِ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: لَقَدْ فَعَلْنَا، وَجَعَلْنَا لِكُلٍّ مِنْهُمْ ضِعْفاً مِنَ العَذَابِ لإِضْلالِهِ النَّاسَ، فَوْقَ العَذَابِ الذِي يَسْتَحِقُّهُ عَلَى ضَلالِهِ، وَلٰكِنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَا يُلاقُونَهُ مِنَ العَذَابِ.

آدَّارَكُوا فِيها - تَلاحَقُوا فِي النَّارِ وَآجْتَمَعُوا فِيها.

أُخْراهُمْ - فِي المَنْزِلَةِ وَهُمْ السَّفْلَةُ وَالأَتباعُ (وَقَدْ يَكُونُونَ الآخِرِينَ فِي الدُّخولِ إلى النَّارِ لأَنَّ الكُبَراءَ يَكُونُونَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْها).

أُولاهُمْ - مَنْزِلَةً وَهُمُ القَادَةُ - وَقَدْ يَكُونُونَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلَى النَّارِ.

عَذاباً ضِعْفاً - عَذاباً مُضاعَفاً وَمَزِيداً.

(أُولاهُمْ) (لأُخْراهُمْ)

(٣٩) - وَيَرُدُّ المَتْبُوعُونَ عَلَى الأَتْبَاعِ قَائِلِينَ: لَقَدْ ضَلَلْتُمْ كَمَا ضَلَلْنَا نَحْنُ وَلِذٰلِكَ فَلَيس لأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ يَسْمَحُ بِأَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ العَذابُ، فَذُوقُوا العَذَابَ الذِي تَسْتَحِقُّونَهُ، عَلَى مَا آقْتَرَفْتُمُوهُ مِنَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي وَالأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ. (أَوْ إِنَّ هٰذِهِ العِبَارَة يَقُولُها اللهُ لَهُمْ مُوَبِّخاً وَمُقَرِّعاً).

(بِآيَاتِنَا) (أَبْوَابُ)

(٤٠) - والذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ تَكَبُّراً وَطُغْيَاناً، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَ اللهِ

أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ

٤١ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ

٤٢ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

٤٣ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

آسْتِكْباراً عَنِ التَّصْدِيقِ بِمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، فَهٰؤُلاءِ لَا تُفْتَحُ أَبْوابُ السَّماءِ لِأَرْواحِهِمْ، ولا يُرْفَعُ لَهُمْ فِي حَياتِهِمْ عَمَلٌ ولا دُعاءٌ، وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَدْخُلَ الحبلُ الغَليظُ (الجَمَلُ) فِي فَتْحَةِ الإِبْرَةِ الصَّغِيرَةِ (سَمِّ الخِياطِ). فكَما أَنَّ الحَبْلَ الغَليظَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَمُرَّ فِي فَتْحَةِ الإِبْرَةِ الصَّغِيرَةِ، كَذٰلِكَ لا يَدْخُلُ الكُفَّارُ الجَنَّةَ.

وَهٰذا جَزاءٌ عادِلٌ مِنَ اللهِ لِلْمُجْرِمينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَفِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ.

الجَمَلُ - **الحَبْلُ الغَليظُ** - وَقِيلَ إِنَّ المَقْصُودَ بِهِ هُنا الجَمَلُ حَقِيقَةً.

سَمِّ الخِياطِ - ثُقْبِ الإِبْرَةِ.

(الظَّالِمِينَ)

(٤١) - وَلَهُمْ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ فُرُشٌ مِنْ تَحْتِهِم (مِهادٌ)، وَلَهُمْ مِنْها أَغْطِيَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ تُغَطِّيهِمْ (غَواشٍ). وَبِمِثْلِ هٰذا الجَزاءِ يَجْزِي اللهُ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ، المُضِلِّينَ للنَّاسِ.

مِهادٌ - فُرُشٌ أَوْ مُسْتَقَرٌّ.

غَواشٍ - أَغْطِيَةٌ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحاتِ) (أُولَئِكَ) **(أَصْحَابُ)** (خالِدُونَ)

(٤٢) - وَالَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَدَّقُوا رُسُلَ اللهِ فِيما جاؤُوهُمْ بِهِ، وَعَمِلُوا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ، بِجَوارِحِهِمْ، فَهٰؤُلاءِ أَصْحابُ الجَنَّةِ يَخْلُدُون فِيها أَبَداً.

والإِيمانُ والعَمَلُ الصَّالِحُ سَهْلانِ مَيْسُورٌ فِعْلُهُما لِجَمِيعِ النَّاسِ، لِأَنَّ اللهَ لا يُكَلِّفُ أَحَداً إِلا قَدْرَ طاقَتِهِ وَآسْتِطاعَتِهِ.

وُسْعَها - طاقَتَها وَمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ.

(الأَنْهارُ) **(هَدَانَا)**

(٤٣) - وَيَنْزِعُ اللهُ مَا فِي صُدُورِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ حِقْدٍ وَضَغِينَةٍ وَحَسَدٍ، فَيُصْبِحُونَ مُتَحابِّينَ، وَتَجْرِي الأَنْهارُ مِنْ تَحْتِ أَقْدامِهِمْ فِي أَرْضِ الجَنَّةِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ فَيَقُولُونَ: الحَمْدُ للهِ الذِي هَدانا إِلَى طَرِيقِ الجَنَّةِ، وَلَوْلا هُدَى اللهِ لَما كُنَّا آهْتَدَينا إِليهِ، لَقَدْ كانَ مَا جاءَ بِهِ رُسُلُ اللهِ هُوَ الحَقُّ. وَيُنادَوْنَ (يُنادِيهِم اللهُ تَعالَى أَوْ تُنادِيهِم المَلائِكَةُ الكِرامُ): إِنَّ هٰذِهِ الجَنَّةَ التِي أَنْتُم تَحُلُّونَها قَدْ أَوْرَثَكُمُ اللهُ إِيَّاهَا ثَواباً لَكُمْ وَجَزاءً عَلَى إِيمانِكُمْ وَأَعْمالِكُمُ الصَّالِحَةِ.

الغِلُّ - الحِقْدُ وَالضَّغِينَةُ وَالعَداوَةُ.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

(أَصْحَابُ) (أَصْحَابَ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٤) - وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرَّ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهـا، وَيَحْمَدُونَ اللهَ تَعَالَى عَلَى النَّعِيمِ الذِي أَسْبَغَهُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ، يَطَّلِعُونَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَرَوْنَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ العَذابِ وَالنَّصَبِ، وَيَرَوْنَ قَوْماً مِمَّنْ عَرَفُوهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ، وَيَكْفُرُونَ بِهَا، وَيَسْخَرُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَيُشَكِّكُونَ فِي صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ عَنْ ثَوَابِ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَاعِلِي الخَيْرِ، وَعَنِ العَذابِ الذِي يَنْتَظِرُ المُكَذِّبِينَ المُجْرِمِينَ، فَيُخَاطِبُونَهُمْ قَائِلِينَ: لَقَدْ وَجَدْنَا نَحْنُ مَا وَعَدَنَا رَبُّنا مِنْ نَعِيمٍ، وَجَنَّاتٍ، حَقّاً، جَزَاءً عَلَى الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ أَنْتُمْ يَا أَصْحَابَ النَّارِ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ عَذَابٍ وَنَكَالٍ حَقّاً؟ فَيُجِيبُهُمْ أَهْلُ النَّارِ: أَنْ نَعَمْ، لَقَدْ وَجَدْنَا ذلِكَ. وَبَعْدَ أَن يُقِرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ، يُعْلِنُ مُعْلِنٌ: أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ مُسْتَقِرَّةٌ عَلَى الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ وَالمَعَاصِي.

أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ - نَادَى مُنَادٍ، أَوْ أَعْلَنَ مُعْلِنٌ.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

(بِالآخِرَةِ) (كَافِرُونَ)

(٤٥) - وَيُعَرِّفُ اللهُ تَعَالَى هؤُلاءِ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ فَيَقُولُ: إِنَّهُمُ الذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِن اتِّبَاعِ مَا شَرَعَ اللهُ مِنَ الهُدَى، وَمَا جَاءَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ، وَيَبْغُونَ أَنْ تَكُونَ سَبِيلُ اللهِ مُعْوَجَّةً غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ حَتَّى لاَ يَسْلُكَهَا أَحَدٌ، وَيَكْفُرُونَ بِلِقَاءِ اللهِ فِي الآخِرَةِ، لاَ يُصَدِّقُونَ وَلا يُؤْمِنُونَ، وَلِذلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُبَالُونَ بِمَا يَأْتُونَ مِنْ مُنْكَرِ القَوْلِ وَالفِعْلِ، لأَنَّهُمْ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَ اللهِ وَحِسَابَهُ.

يَبْغُونَهَا عِوَجاً - يَطْلُبُونَهَا ذاتَ اعْوِجَاجٍ.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

(بِسِيمَاهُمْ) (أَصْحَابَ) (سَلاَمٌ)

(٤٦) - وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ بَيْنَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَهْلِ النَّارِ حَاجِزاً (حِجَاباً) يَمْنَعُ وُصُولَ أَهْلِ النَّارِ إِلَى الجَنَّةِ، وَهُوَ السُّورُ الذِي قَالَ عَنْهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾[1] وَهُوَ الأَعْرَافُ.

وَيَقُولُ المُفَسِّرُونَ: يَقِفُ عَلَى الأَعْرَافِ أُنَاسٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ مَعَ

(١) الآية (١٣) سورة الحديد.

﴿٤٧﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

نصف الحزب ١٦

﴿٤٨﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ

﴿٤٩﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ

سَيِّئَاتِهِمْ، فَلا هُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَلا هُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيهِمْ، وَلكِنَّهُمْ يَطْمَعُونَ فِي أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَأَهْلُ الأَعْرَافِ يَعْرِفُونَ كُلًّا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الجَنَّةِ بِسِيمَاهُمُ التِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَا (وَهِيَ بَيَاضُ الوَجْهِ، وَنَضْرَةُ النَّعِيمِ التِي تَعْلُو وُجُوهَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَسَوادُ الوَجْهِ وَالقَتَرَةُ التِي تَرْهَقُ وُجُوهَ أَهْلِ النَّارِ). وَيَتَوَجَّهُ أَهْلُ الأَعْرَافِ إلى أَهْلِ الجَنَّةِ بِالسَّلامِ قَائِلِينَ لَهُمْ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، يَقُولُونَها مُهَنِّئِينَ بِالفَوْزِ بِالحِسَابِ، طَامِعِينَ فِي أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ مَعَهُمْ.

(وَقَالَ مُفَسِّرونَ آخَرونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) إنَّ أَهْلَ الأَعْرافِ يُسَلِّمُونَ عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَجْتَازُوا الحِسَابَ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ، إذْ يَكُونُونَ طَامِعِينَ فِي دُخُولِها لِمَا رَأَوْهُ مِنْ يُسْرِ الحِسَابِ).

بَيْنَهُمَا حِجَابٌ - حَاجِزٌ - وَهُوَ سُورٌ بَيْنَهُمَا.

الأَعْرَافِ - أَعَالِي السُّورِ الفَاصِلِ بَيْنَ النَّارِ وَالجَنَّةِ.

بِسِيمَاهُمْ - بِعَلامَاتٍ مُمَيِّزَةٍ فِيهِمْ.

(أَبْصَارُهُمْ) (أَصْحَاب) (الظَّالِمِين)

(٤٧) - وَكُلَّمَا اتَّجَهَتْ أَبْصَارُهُمْ إلَى جِهَةِ أَهْلِ النَّارِ تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ، وَقَالُوا رَبَّنا لاَ تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ.

(أَصْحَابُ) (بِسِيمَاهُمْ)

(٤٨) - وَيَعْرِفُ أَهْلُ الأَعْرَافِ رُؤُوسَ الكُفْرِ، وَقَادَةَ الشِّرْكِ، وَهُمْ فِي النَّارِ، بِسِيماهُمْ (أَيْ بِسَوادِ وُجُوهِهِمْ) فَيُقَرِّعُونَهُمْ قَائِلِينَ: لَمْ تَنْفَعْكُمْ كَثْرَتُكُمْ، وَجَمْعُكُمُ المَالَ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْكُمُ اسْتِكْبَارُكُمْ، مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَهَا أَنْتُمْ قَدْ صِرْتُمْ إلى مَا أَنْتُمْ عَلَيهِ مِنَ العَذَابِ، وَسُوءِ المَصِيرِ.

لَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ - لَمْ تُفِدْكُمْ وَلَمْ تَنْفَعْكُمْ.

(٤٩) - ثُمَّ يَقُولُونَ لَهُمْ مُوَبِّخِينَ مُقَرِّعِينَ، وَهُمْ يَلْفِتُونَ أَنْظَارَهُمْ إلَى أَهْلِ الجَنَّةِ الذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، وَيَسْتَبْعِدُونَ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ: أَهؤُلاءِ الذِينَ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَنْ يَرْحَمَهُمْ؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قِيلَ لَهُمْ بِأَمْرِ اللهِ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ، لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفْتُمْ وَرَاءَكُمْ فِي الدُّنيا.

٥٠ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ
أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ
٥١ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ
لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا
نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا
كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
٥٢ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ
عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ
٥٣ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي
تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن
قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ
فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ
لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا
نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ

(أَصْحابُ) (أَصْحَابَ) (الْكافِرينَ)

(٥٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى عَنْ ذِلَّةِ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ فِي ذَلِكَ المَوْقِفِ العَظِيمِ، وَسُؤالِهِمْ أَهْلَ الجَنَّةِ أَنْ يُعْطُوهُمْ شَيْئاً مِنْ شَرَابِهِمْ وَطَعَامِهِمْ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الكَافِرِينَ.

أَفِيضُوا عَلَينا - صُبُّوا عَلَينا أَوْ أَعْطُونَا.

(الْحَياةُ) (نَنْسَاهُمْ) (بِآيَاتِنَا)

(٥١) - وَوَصَفَ أَهْلُ الجَنَّةِ هؤلاءِ الكَافِرِينَ، الذينَ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِم المَاءَ وَالطَّعَامَ، بِأَنَّهُمْ: الذينَ ٱتَّخَذُوا الدِّينَ لَهْواً وَلَعِباً، وَٱغْتَرُّوا بِالدُّنيا وَزِينَتِهَا وَزُخْرُفِها، فَانْصَرَفُوا إِليها، وَتَرَكُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ العَمَلِ لِلآخِرَةِ. وَكَما نَسِيَ هؤلاءِ دِينَهُمْ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، وَكَذَّبوا بِآيَاتِ اللهِ وَجَحَدُوا بِهَا، فَإِنَّ اللهَ يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الشَّيءِ المَنْسِيِّ، الذِي لاَ يَبْحَثُ عَنْهُ أَحَدٌ، وَيَنْسَاهُمْ فَلا يُجِيبُ دُعَاءَهُمْ، وَيَتْرُكُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يُعَذَّبُونَ.

غَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيا - خَدَعَتْهُمْ بِزَخَارِفِها وَزِينَتِها.

نَنْسَاهُمْ - نَتْرُكُهُمْ فِي العَذابِ كَالمَنْسِيِّينَ.

وَماكَانُوا - وَكَمَا كَانُوا.

(جِئْنَاهُمْ) (بِكِتَابٍ) (فَصَّلْنَاهُ)

(٥٢) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَعْذَرَ إِلَى المُشْرِكِينَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّداً رَسُولاً، وَأَنْزَلَ عَلَيهِ القُرآنَ، وَفَصَّلَهُ تَفْصِيلاً لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا يَحْتَاجُهُ المُكَلَّفُونَ مِنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ، تَزْكِيَةً لِلنُّفُوسِ، وَتَطْهِيراً لِلْقُلُوبِ، وَجَعَلَهُ سَبَبَ سَعَادَتِهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَجَعَلَهُ هُدًى وَرَحْمَةً لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ إِيماناً يَبْعَثُهُ إِلى العَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، وَالانْتِهاءِ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ.

(٥٣) - إِنَّ هؤلاءِ الكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالقُرآنِ، وَيَشُكُّونَ فِي صِدْقِ مَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ هؤلاءِ الجَاحِدُونَ فِي تَرَدُّدِهِمْ حَتَّى يَتَحَقَّقَ وُقُوعُ مَا أَشَارَ القُرآنُ إِلى حُدُوثِهِ مِنْ أُمُورِ الغَيْبِ وَالمَعَادِ؟ وَمَا وَعَدَ اللهُ بِهِ المُؤْمِنينَ مِنْ نَصْرٍ وَعِزَّةٍ في الدُّنيا، وَجَنَّةٍ وَنَعِيمٍ فِي الآخِرَةِ، وَمَا أَنْذَرَ بِهِ الكَافِرينَ مِنْ ذِلَّةٍ وَخِذْلانٍ فِي الدُّنيا، وَعَذابٍ أَلِيمٍ فِي الآخِرَةِ (هَلْ يَنْظُرونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ). فَإِذا وَقَعَ مَا أَشَارَ إِليهِ القُرآنُ، وَبَيَّنَتِ الأَحْدَاثُ الوَاقِعَةُ تَأْوِيلَهُ وَتَفْسِيرَ مَا جَاءَ فِيهِ، وَبُعِثَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلحِسَابِ، حِينئِذٍ يُفِيقُ هؤلاءِ الكَفَرَةُ مِنْ غَفْلَتِهِمْ، وَهُمُ الذينَ نَسُوا هذا القُرآنَ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، وَيَقُولُونَ لأَنْفُسِهِمْ (أَوْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ):

﴿٥٤﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿٥٥﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ

إنَّ رُسُلَ اللهِ قَدْ جاؤونا بالحقِّ ولكنَّنا لَمْ نُؤمِنْ بذلِك، فهَلْ لَنا مَنْ يَشْفعُ لَنا عِنْدَ رَبِّنا؟ أوْ هَلْ يَرُدُّنا اللهُ إلى الدَّارِ الدُّنيا فنَرْجِعَ عَمَّا كُنَّا فيهِ مِنَ الكُفْرِ والضَّلالَةِ، ونُؤمِنَ باللهِ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، ونَعْمَلَ عَملاً صالحاً يُرْضيهِ؟.

وهؤلاءِ قَدْ خسِروا أنْفُسَهُمْ وغَبنُوها حُظُوظَها بدُخولِهِمُ النَّارَ، وخُلودِهِمْ فيها، وغابَ عَنْهُمْ في ذلِكَ المَوْقِفِ العَسيرِ (ضَلَّ عَنْهُمْ) الذينَ كانُوا يَعْبُدونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، فَلا يَشْفَعُونَ فيهِمْ، ولا يَنْصُرونَهُمْ، ولا يُنقِذُونَهُمْ مِمَّا هُمْ فيهِ.

تأويلُهُ - عاقِبَةُ ما وَعَدَ الكِتابُ (القُرآنُ) ومآلُهُ مِنَ البَعْثِ والحِسابِ والجَزاءِ.

يفترون - يَقُولُونَ كَذِباً واخْتِلاقاً عَنِ الشُّرَكاءِ وشَفاعَتِهِمْ.

(السَّماواتِ) (اللَّيْلَ) (مُسَخَّراتٍ) (الْعالَمينَ)

(٥٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أنَّهُ خلَقَ كُلَّ شيءٍ في الوُجودِ في سِتَّةِ أيَّامٍ: السَّماواتِ والأرْضَ وما فيهما وما بَيْنَهُما، ثُمَّ اسْتَوى على العَرْشِ اسْتِواءً يَليقُ بجَلالِه، وأخَذَ يُدَبِّرُ أمْرَهُما، فيُتْبِعُ اللَّيْلَ النَّهارَ، فيَغْشى الوُجُودَ بالظُّلْمَةِ، ويُتْبِعُ النَّهارَ اللَّيْلَ، فيَغْشاهُ بالضِّياءِ، يَتَتابَعانِ سَريعاً، لا يَتأخَّرُ أحَدُهُما عَنِ الآخرِ، والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجومُ كُلُّها تَسيرُ مُسَخَّرَةً، بأمْرِ رَبِّها، ومُنْقادَةً لِحُكْمِهِ ومَشيئَتِهِ، ولله الأمْرُ والمُلْكُ والتَّصَرُّفُ، وهُوَ رَبُّ العالَمينَ.

ونَسُوقُ هُنا ما قالَهُ الحافِظُ ابْنُ كَثيرٍ حَوْلَ قَوْلِهِ تَعالَى (ثُمَّ اسْتَوى عَلَى العَرْشِ): (نَسْلُكُ في هذا المَقامِ مَذْهَبَ السَّلَفِ الصَّالحِ وهُوَ إمْرارُها كَما جاءَتْ مِنْ غيرِ تَكْييفٍ ولا تَشْبيهٍ ولا تَعْطيلٍ، والظَّاهِرُ المُتَبادِرُ إلى أذْهانِ المُشَبِّهينَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ، فإنَّ اللهَ لا يُشْبِهُهُ شيءٌ (ولَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ). وقَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الخُزاعِيُّ شَيْخُ البُخارِيِّ: (مَنْ شَبَّهَ اللهَ بخَلْقِهِ كَفَرَ، ومَنْ جَحَدَ ما وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، ولَيْسَ فيما وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ ولا رَسُولُهُ تَشْبِيهٌ، فَمَنْ أثْبَتَ ما وَرَدَتْ بِهِ الآثارُ الصَّريحَةُ والأخْبارُ الصَّحيحَةُ على الوَجْهِ الذي يَليقُ بجَلالِهِ، ونَفى عَنِ اللهِ النَّقائِصَ فقَدْ سَلَكَ سَبيلَ الهُدى).

(٥٥) - يُرْشِدُ اللهُ تَعالَى عِبادَهُ إلى دُعائِهِ بتَضَرُّعٍ وبِصُورَةٍ خَفِيَّةٍ. (أيْ بخُشُوعٍ وصِحَّةِ يَقينٍ بوَحْدانِيَّةِ اللهِ وبِرُبُوبيَّتِهِ) لا جِهاراً ولا مُراءاةً، فاللهُ

لَا يُحِبُّ أَنْ يَتَجَاوَزُوا فِي الدُّعَاءِ حُدُودَ مَا أُمِرُوا بِهِ (كَالمُبَالَغَةِ فِي رَفْعِ الصَّوتِ فِي الدُّعَاءِ، أَوْ طَلَبِ العَوْنِ مِنَ اللهِ عَلَى ٱرْتِكَابِ المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ، أَوِ التَّوجُّهِ بِالدُّعَاءِ إِلى غَيْرِ اللهِ لِيَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ. . .).

ٱدْعُوا رَبَّكُمْ - ٱسْأَلُوهُ قَضَاءَ حَاجَاتِكُمْ.

تَضَرُّعاً - مُظْهِرِينَ الضَّرَاعَةَ وَالذِّلَّةَ وَالاسْتِكَانَةَ وَالخُشُوعَ.

خُفْيَةً - سِرّاً فِي أَنْفُسِكُمْ.

٥٦ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ

(إِصْلاحِهَا) (رَحْمَةَ)

(٥٦) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللهُ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ وَالنِّظَامِ، وَبِمَا هَدَى النَّاسَ إِليهِ مِنْ حُسْنِ ٱسْتِغْلالِها، وَالانْتِفَاعِ بِخَيْرَاتِها، وَبِمَا سَخَّرَهُ لَهُمْ مِنْها.

وَيَشْمَلُ الإِفْسَادُ كُلَّ مَا أَفْسَدَ العُقُولَ وَالعَقَائِدَ، وَالآدَابَ الشَّخْصِيَّةَ وَالمَعَايِشَ وَالمَرَافِقَ مِنْ زِرَاعَةٍ وَتِجَارَةٍ وَصِنَاعَةٍ. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِدُعَائِهِ خَوْفاً مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ شَدِيدِ العِقَابِ، وَطَمَعاً بِمَا عِنْدَهُ مِنْ جَزِيلِ الثَّوابِ، فَرَحْمَةُ اللهِ مُرْصَدَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ الذِينَ يَتَّبِعُونَ أَوَامِرَهُ وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ.

رَحْمَةَ اللهِ - إِنْعَامُهُ وَإِحْسَانُهُ أَوْ ثَوَابُهُ.

٥٧ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(الرِّيَاحَ) (سُقْنَاهُ) (الثَّمَرَاتِ)

(٥٧) - واللهُ تَعَالَى هُوَ المُدَبِّرُ لأَمْرِ الخَلْقِ وَالكَوْنِ، وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، مِنَ السَّحَابِ الحَامِلِ لِلْمَاءِ، فَيُنْشِئُ بِهَا السَّحَابَ الثِّقَالَ لِكَثْرَةِ مَا فِيها مِنَ المَاءِ، حَتَّى إِذا أَقَلَّتِ الرِّيحُ السَّحَابَ، وَرَفَعَتْها إِلَى جَوِّ السَّمَاءِ، سَاقَتْها الرِّيَاحُ، بِأَمْرِ رَبِّها، إِلى أَرْضٍ مُجْدِبَةٍ لا نَبَاتَ فِيهَا لِتُمْطِرَ عَلَيها، وَتَصُبَّ مَا فِيهَا مِنَ المَاءِ، فَتُنْبِتَ الأَرْضُ، وَتَخْرُجَ فِيها الثَّمَراتُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. وَكَمَا يُخْرِجُ اللهُ النَّبَاتَ وَالثَّمَراتِ مِنَ الأَرْضِ المَوَاتِ بِالمَطَرِ وَالمَاءِ، كَذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى إِخْراجِ المَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَرِّبُوا هَذا المَثَلَ مِنْ ذَلِكَ لِتَذَكَّرُوا هَذا الشَّبَهَ، فَيَزُولَ ٱسْتِبْعَادُكُمْ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

بُشْراً - مُبَشِّراتٍ بِالمَطَرِ.

بَلَدٍ مَيِّتٍ - بَلَدٍ مُجْدِبٍ، لَا نَبَاتَ فِيهِ وَلَا مَاءَ.

(٥٨) وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ
بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ

(الآيَاتِ)

(٥٨) - والأرضُ مِنها الطَّيِّبَةُ الكَريمَةُ، ومنها الخَبِيثَةُ كالسِّباخِ وغيْرِها، فالأرْضُ الطَّيِّبَةُ يَخْرُجُ نَباتُها بسُهُولَةٍ حَسَناً، والأرْضُ الخَبِيثَةُ لا يَخْرُجُ نَباتُها إلا بصُعُوبَةٍ وعُسْرٍ (نَكِداً)، وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِ البَرِّ والكافِرِ الفَاجِرِ. وهكذا يَضْرِبُ الأمْثالَ لِلنَّاسِ، ويُبَيِّنُ لهم الآياتِ (يُصَرِّفُ) لَعَلَّ المُؤْمنينَ يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ على ما هَداهُمْ وأنْعَمَ عَلَيْهِمْ.

النَّكِدُ - هُوَ العَسِيرُ المُمْتَنِعُ مِنْ إعْطاءِ الخَيْرِ بُخْلاً، أوْ هُوَ القَلِيلُ الذي لا خَيْرَ فِيهِ.

نُصَرِّفُ الآيَاتِ - نُكَرِّرُها بأسالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ لِيَعِيَها النَّاسُ.

(٥٩) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ
فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(يا قَوْمِ)

(٥٩) - بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالَى قِصَّةَ آدَمَ، عَلَيهِ السَّلامُ، شَرَعَ في سَرْدِ قَصَصِ الأنْبياءِ الكِرامِ، فابْتَدأ بنُوحٍ، عَلَيهِ السَّلامُ، لأنَّهُ أوَّلُ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إلَى أهْلِ الأرْضِ بَعْدَ آدَمَ.

وَقَدْ لاقَى نُوحٌ مِنْ قَوْمِهِ عَناءً وعَنَتاً، فَوَجَدَ قَوْمَهُ يَعْبُدُونَ الأصْنامَ وَسَمّوها بأسْماءٍ، مِثْلِ وَدٍّ وسواعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرٍ. فَبَعَثَ اللهُ نُوحاً فأمَرَ قَوْمَهُ بِعِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وحَذَّرَهُمْ مِنْ أنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَذابُ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ (عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ).

(٦٠) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(لَنَراكَ) (ضَلَالٍ)

(٦٠) فقالَ جُمْهُورُ السَّادَةِ والكُبَراءِ (المَلأ) مِنْ قَوْمِ نُوحٍ: إنّنا لَنَراكَ في ضَلالٍ واضِحٍ بَيِّنٍ في دَعْوَتِكَ إيّانا إلى تَرْكِ عِبادَةِ الأصْنامِ التي وَجَدْنا آباءَنا يَعْبُدُونَها.

المَلأ - السَّادَةُ والكُبَراءُ.

(٦١) قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ
وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(يا قَوْمِ) (ضَلالَةٌ) (العالَمِينَ)

(٦١) - فَقالَ لَهُمْ نُوحٌ: إنّني لَسْتُ ضالاً، ولَمْ أخْرُجْ عَنِ الحَقِّ والصَّوابِ في دَعْوتي لَكُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وتَرْكِ عِبادَةِ الأصْنامِ، وإنّما أنا رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ وربِّ كُلِّ شيءٍ في الوُجُودِ ومَالِكِهِ.

(٦٢) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ
لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ

(رِسالاتِ)

(٦٢) - وَأنا أتولّى إبلاغَكُمْ ما أرْسَلَني بهِ اللهُ إلَيْكُمْ مِنَ الدَّعْوَةِ إلى التَّوحِيدِ، وإخْلاصِ العِبادَةِ للهِ، وأتولّى نُصْحَكُمْ وتَوْجِيهَكُم إلى الخَيْرِ

﴿٦٣﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

﴿٦٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ

﴿٦٥﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

﴿٦٦﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ

وَإنَّني أَعْلَم مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ أَنْتُم، لأَنَّني مُرْسَلٌ مِنْ قِبَلِهِ إِلَيْكُمْ.
أَنْصَحُ لَكُمْ - أَتحرَّى مَا فِيهِ صَلاحُكُم قَوْلاً وَفِعْلاً.

(٦٣) - قَالَ لَهُمْ نُوحٌ: أَعَجِبْتُم وَكَذَّبْتُمْ، لأَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَى رَجُلٍ مِنَ البَشَرِ (مِنْكُمْ)، وَأَرْسَلَهُ إِلَيكُم رَسُولاً لِيَدْعُوكُمْ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَيُحَذِّرَكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ إِنْ أَصْرَرْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، لَعَلَّ هٰذا الإِنْذارَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَّقُوا مَا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ، مِنَ الشِّرْكِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، وَإِنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يُعِدَّكُمْ بِالتَّقْوَى لِلْفَوزِ بِرَحْمَتِهِ التِي تُرْجَى لِكُلِّ مَنْ أَجَابَ الدَّعْوَة.

(فَأَنْجَيْنَاهُ) (بِآيَاتِنَا)

(٦٤) - فَكَذَّبَهُ جُمْهُورُهُمْ، وَأَصَرُّوا عَلَى ذٰلِكَ وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنْ مَعَهُ، إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ، فَأَنْجَى اللهُ نُوحاً والذينَ آمَنُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ (الفُلْكِ)، وَأَغْرَقَ بِالطُّوفَانِ الذِينَ كَذَّبُوا نُوحاً بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَبَرَاهِينِهِ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ، فَقَدْ كَانَ الذِينَ أَغْرَقَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالطُّوفَانِ، قَوْماً عَمِينَ عَنِ الحَقِّ، لاَ يُبْصِرُونَهُ، وَلا يَهْتَدُونَ إِليهِ، فَنَصَرَ اللهُ رَسُولَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ.
قَوْماً عَمِينَ - عُمْيَ القُلُوبِ عَنِ الحَقِّ وَالإِيمَانِ.

(يَا قَوْمِ)

(٦٥) - وَكَمَا أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ، كَذٰلِكَ أَرْسَلَ هُوداً إِلَى قَوْمِهِ عَادٍ، وَهُوَ مِنْهُمْ، يَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُ لُغَتَهُمْ وَتَفْكِيرَهُمْ لِيَسْتَطِيعَ مُخاطَبَتَهُمْ. وَكَانَ قَوْمُ عَادٍ ذَوِي بَأْسٍ شَدِيدٍ وَقُوَّةٍ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ فِي الأَحْقَافِ فِي جَنُوبِيِّ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، وَكَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ تَكْذِيباً لِلْحَقِّ، اعْتِدَاداً مِنْهُمْ بِقُوَّتِهِمْ، وَشِدَّةِ بَأْسِهِمْ. فَدَعَاهُمْ هُودٌ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ نِقَمِهِ إِنْ أَصَرُّوا عَلَى فِعْلِ مَا يُسْخِطُ اللهَ مِنَ الشِّرْكِ وَالمَعَاصِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَهَا.

(لَنَرَاكَ) (الْكَاذِبِينَ)

(٦٦) - قَالَ جُمْهُورُ السَّادَةِ مِنْ قَومِهِ (المَلأُ): إِنَّا نَرَاكَ فِي ضَلالٍ وَفَسَادِ رَأْيٍ (فِي سَفَاهَةٍ)، إِذْ تَدْعُونَا إِلى تَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَالإِقْبَالِ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّنَا نَظُنُّ أَنَّكَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاكَ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ إِلَينَا رَسُولاً.
سَفَاهَةٍ - خِفَّةِ عَقْلٍ وَضَلالٍ عَنِ الحَقِّ.

﴿٦٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

(يا قَوْم) (الْعَالَمِينَ)

(٦٧) - فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَسْتُ سَفِيهاً ضَالاًّ عَنِ الحَقِّ وَالصَّوابِ، وَلاَ ضَعِيفَ الرَّأْيِ ، كَما تَزْعُمُونَ ، وَإِنَّما أَنا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالحَقِّ وَالهُدَى مِنَ اللهِ الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وَخالِقُهُ وَمالِكُهُ.

﴿٦٨﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ

(رِسَالاَتِ)

(٦٨) - وَمَهمَّتِي هِيَ مَهمَّةُ جَميعِ الرُّسُلِ الذِينَ جاؤُوا قَبْلِي وَهِيَ إِبْلاغُ رِسالَةِ اللهِ إِلَى عِبادِهِ، وَإِسْدَاءُ النُّصْحِ إِليهِم، وَأَنا صَادِقٌ فِي نُصْحِي لَكُمْ، أَمينٌ فِي إِبلاغِكُمْ مَا أَمَرَنِي رَبِّي بِإِبْلاغِهِ إِلَيْكُمْ.

﴿٦٩﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ

(آلاءَ) (بَسْطَةً)

(٦٩) - أَعَجِبْتُمْ وَكَذَّبْتُمْ أَنْ بَعَثَ اللهُ إِلَيكُمْ رَسُولاً مِنَ البَشَرِ (مِنْكُمْ) يُوحِي إِلَيهِ لِيَدْعُوكُمْ إِلَى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُنْذِرَكُمْ وَيُخَوِّفَكُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ، إِنْ أَصْرَرْتُمْ عَلى الكُفْرِ وَالجُحُودِ وَعِبادَةِ الأَصْنامِ ؟ كَلاّ لاَ تَعْجَبُوا مِنْ ذلِكَ، وَآحْمَدُوا اللهَ عَلَيهِ، فَذلِكَ لُطْفٌ مِنْهُ بِكُمْ، وَآذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ ، الذِي أَهْلَكَ اللهُ النَّاسَ بِدَعْوَتِهِ لَمَّا خَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ.
وَقَدْ أَكْرَمَكُمُ اللهُ فَزادَ فِي أَجْسامِكُمْ بَسْطَةً طُولاً وَقُوَّةً، فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ هٰذِهِ، وَآشْكُرُوهُ عَلَيها بِالإِيمانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَحُسْنِ العِبادَةِ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فِي النَّجاةِ مِنْ نَقْمَتِهِ تَعالَى ، وَتَفُوزُونَ فِي آكْتِسابِ مَرْضَاتِهِ.
بَسْطَة - قُوَّةً وَعِظَمَ أَجْسَامٍ.
آلاءَ اللهِ - نِعَمَهُ وَأَفْضَالَهُ.

﴿٧٠﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

(آباؤُنا) (الصَّادِقِينَ)

(٧٠) - فَتَكَبَّرُوا وَطَغَوا، وَزادُوا فِي عِنادِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَقَالُوا لِهُودٍ: أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، وَنَتَخَلَّى عَنْ عِبادَةِ الأَصْنامِ التِي كَانَ يَعْبُدُها آباؤُنا، فَهذا لَنْ يَكُونَ أَبداً. وَإِذا كُنْتَ صادِقاً بِأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فَأْتِنا بِمَا حَذَّرْتَنا مِنْهُ مِنَ العَذابِ عَلَى تَرْكِ الإِيمانِ بِرَبِّكَ.

﴿٧١﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ

(أَتُجَادِلُونَنِي) (آباؤُكُم) (سُلْطَانٍ)

(٧١) - قَالَ لَهُمْ هُودٌ: لَقَدْ حَقَّ عَلَيكُمْ، بِمَقَالَتِكُمْ هٰذِهِ، سَخَطٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَغَضَبٌ (رِجْسٌ)، أَتُجادِلُونَنِي فِي هٰذِهِ الأَصْنامِ التِي آتَّخَذْتُمُوها

سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ

أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ آلِهَةً، وَجعَلْتُمْ لَهـا أَسْماءً، وَهِيَ فِي الحَقِيقَـةِ لاَ تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، وَلَيْسَ لَكُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللهِ، وَلا دَليلٌ يُبَرِّرُ عِبادَتَكُمْ لَها، أَوْ يُصَدِّقُ زَعْمَكُمْ بِأَنَّهُ رَضِيَ بِأَنْ تَكُونَ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ. وَمَا دُمْتُمْ قَدْ قُلْتُم ما قُلْتُم مِنْ كَلِمَةِ الكُفْرِ، فَانْتَظِرُوا عِقَابَ اللهِ وَقَضَاءَهُ. وَأَنـا مُنْتَظِرٌ مَعَكُمْ نُزُولَهُ بِكُمْ.

رِجْسٌ - عَذَابٌ، أَوْ رَيْنٌ عَلَى القُلُوبِ.
غَضَبٌ - لَعْنٌ وَطَرْدٌ أَوْ سَخَطٌ.

٧٢ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ

(فَأَنْجَيْنَاهُ) (بِآيَاتِنَا)

(٧٢) - فَلَمَّا جاءَ أَمْرُ اللهِ سَاقَ اللهُ إِلَى عَادٍ السَّحَابَ الذِي يَحْمِلُ إِلَيْهِـم العَذَابَ، وَأَنْجى رَسُولَهُ هُوداً وَالذِينَ آمَنُوا مَعَـهُ، بِرَحْمَـةٍ مِنْهُ وَلُـطْفٍ، وَدَمَّـرَ الكَافِـرِينَ جَمِيعاً، مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلى آخِرِهِمْ، لَمْ يُبْقِ مِنْهُم أَحَداً، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنينَ بِرَبِّهِم الوَاحِدِ الأَحَدِ.
قَطَعْنَا دَابِرَ القَوْمِ - أَهْلَكْنَا آخِرَهُمْ، وَمَتَى هَلَكَ الآخِرُ فَقَدْ هَلَكَ الأَوَّلُ.

٧٣ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(صَالِحاً) (يَا قَوْمِ) (آيَةً)

(٧٣) - كَانَتْ دِيَارُ قَبِيلَةِ ثَمُودَ فِي أَرْضِ الحِجَازِ، فِي مَدَائِنِ صَالِـحٍ، بَيْنَ تَبُوكَ وَالمَدِينَةِ. وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ صَالِحاً، عَلَيهِ السَّلامُ، وَهُوَ مِنْهُمْ (أَخَاهُمْ)، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَهُ جَمِيعُ الرُّسُلِ لأَقْوَامِهِمْ: آعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِبُرْهَانٍ مِنَ اللهِ عَلَى صِدْقِ قَوْلِي لَكُمْ إِنَّنِي رَسُولُ اللهِ، وَعَلَى صِحَّةِ دَعْوَتِي، فَقَدْ طَلَبْتُمْ مِنِّي بُرْهَاناً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِي، أَنْ يُخْرِجَ اللهُ لَكُمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ عَيَّنْتُمُوهَا لِي بِذَاتِها، نَاقَةً عُشَـرَاءَ فَدَعَـوْتُ اللهَ فَاسْتَجَابَ لِي، وَأَخْرَجَ لَكُمُ النَّـاقَـةَ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ كَيْفَ تَخْرُجُ، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيكُمُ العُهُودَ وَالمَوَاثِيقَ لَتُؤْمِنُنَّ بِاللهِ إِنْ حَقَّقَ اللهُ عَلَى يَدَيَّ مَا سَأَلْتُمْ، فَآمِنُوا بِاللهِ كَمَـا وَعَدْتُمُـونِي، وَذَرُوا النَّاقَةَ تَسْرَحْ فِي أَرْضِ اللهِ، وَتَأْكُلْ مِنْ رِزْقِهِ، وَلاَ تَتَعَرَّضُوا لَهَا بِسُوءٍ فِي نَفْسِهـا وَلَا فِي أَكْلِهـا، وَأَنـا أُحَذِّرُكُمْ بِـأَنَّكُمْ إِذا آعْتَـدَيْتُم عَلَيهـا، وَمَسَسْتُمُوهَـا بِسُوءٍ، فَإِنَّ اللهَ سَيُصِيبُكُمْ بِعَذابٍ شَدِيدِ الإِيلامِ (وَكَانَتِ النَّاقَةُ تَسْرَحُ فِي الأَرْضِ، وَتَشْرَبُ مَـاءَ البِئْرِ يَـوْماً وَتَتْـرُكُهُ لِقَـوْمِ ثَمُودَ يَوْماً).
آيَةً - مُعْجِزَةً دَالَّةً عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ.

(٧٤) وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ
مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي
ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا
قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ
بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ
وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
(٧٥) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ
مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ
لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ
قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ
(٧٦) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ
إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
(٧٧) فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ
ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ
(٧٨) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ
فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ

(آلاء)

(٧٤) - وَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ اسْتَخْلَفَكُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ عَادٍ، وَمَكَّنَكُمْ فِي الأَرْضِ، تَبْنُونَ القُصُورَ فِي سُهُولِها، وَتَنْحِتُونَ البُيُوتَ فِي جِبالِها، فَاشْكُرُوا اللهَ عَلَى أَنْعُمِهِ وَأَفْضَالِهِ وَذٰلِكَ بِتَوْحِيدِهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ، وَلاَ تَتَصَرَّفُوا فِي الأَرْضِ تَصَرُّفَ كُفْرانٍ وَجُحُودٍ بِفِعْلٍ لاَ يُرْضِي اللهَ.

العَيْثُ والعُثِيُّ - هُوَ الفَسَادُ.

بوَّأَكُمْ - أَنْزَلَكُمْ وَأَسْكَنَكُمْ.

(آمَنَ) (صَالِحاً)

(٧٥) - وَقَالَ رُؤُوسُ الكُفْرِ، مُتَهَكِّمِينَ سَاخِرِينَ، لِلضُّعَفَاءِ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَهُمُ الذينَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى صَالِحٍ: أَتَظُنُّونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ حَقِيقَةً؟ فَرَدَّ المُؤْمِنُونَ المُسْتَضْعَفُونَ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ صَالِحٌ مِنْ رَبِّهِمْ.

(آمَنْتُم) (كَافِرُونَ)

(٧٦) - فَرَدَّ المُسْتَكْبِرُونَ عَلَى المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ كَافِرُونَ جَاحِدُونَ بِالذِي آمَنَ بِهِ المُسْتَضْعَفُونَ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ صَالِحٌ مِنْ رَبِّهِ.

(يَا صَالِحُ)

(٧٧) - فَقَامَ تِسْعَةُ رَهْطٍ (أَفْرادٍ) مِنْ كُبَراءِ ثَمُودَ، بِاسْتِمَالَةِ قَوْمِهِمْ لِمُوافَقَتِهِمْ عَلَى نَحْرِ النَّاقَةِ (عَقْرِهَا)، وَالتَّخَلُّصِ مِنْهَا، فَعَقَرُوهَا اسْتِخْفَافاً بِصَالِحٍ، وَنَاقَتِهِ، وَتَحْذِيرِهِ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ، وَتَمَرَّدُوا وَتَجَبَّرُوا عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ الذِي أَبْلَغَهُمْ إِيَّاهُ صَالِحٌ (عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ)، وَقَالُوا لِصَالِحٍ: إِنْ كُنْتَ صَادِقاً بِأَنَّكَ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّكَ، وَأَنَّكَ تُنْذِرُنَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَأْتِنَا بِهٰذا العَذَابِ.

العُتُوُّ - التَّمَرُّدُ وَالاسْتِكْبَارُ.

العَقْرُ - القَتْلُ وَالذَّبْحُ.

(جَاثِمِينَ)

(٧٨) - فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: لَقَدْ حَقَّ عَلَيْكُمْ غَضَبُ اللهِ، فَتَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَأْتِيكُمْ بَعْدَهَا عَذَابُ اللهِ، فَأَرَادَ المُجْرِمُونَ قَتْلَ صَالِحٍ، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ صَادِقاً نَكُنْ قَدْ عَجَّلْنَا بِهِ قَبْلَنَا، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً نَكُنْ قَدْ

أَلْحَقْناهُ بِناقَتِهِ، وَتَآمَروا عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ وَيَقولُوا لأَهْلِهِ: إِنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا مَصْرَعَهُ، وَيَحْلِفُوا عَلَى ذٰلِكَ، لِدَفْعِ المَسْؤُولِيَّةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ. فَلَمَّا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ لَيْلاً أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ حِجارَةً أَهْلَكَتْهُمْ جَميعاً، وَذٰلِكَ قَبْلَ حُلُولِ العَذابِ بِقَوْمِهِمْ.

وَفي اليَوْمِ الرَّابِعِ ٱسْتَعَدُّوا لِلْهَلاكِ، وَجَلَسُوا فِي بُيُوتِهِمْ لَا يَدْرُونَ مَا يَكُونُ هٰذا العَذابُ، وَلا مَتى يَأْتِيهِمْ. فَلَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّماءِ، وَرَجْفَةٌ مِنَ الأَرْضِ فَفاضَتْ أَرْواحُهُمْ، وَزَهَقَتْ نُفُوسُهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَصْبَحُوا صَرْعَى فِي دِيارِهِمْ لَا أَرْواحَ فِيهِمْ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ. وَنَجَّى اللهُ صَالِحاً وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ.

الرَّجْفَةُ - الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ التِي تَهْتَزُّ بِهَا الأَرْضُ وَهِيَ الصَّيْحَةُ أَيْضاً.
جاثِمِينَ - مَوْتَى هامِدِينَ، لَا حَراكَ بِهِمْ.

﴿٧٩﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ

(يا قَوْمِ) (النَّاصِحِينَ)

(٧٩) - فَقالَ صَالِحٌ، بَعْدَ أَنْ هَلَكَ قَوْمُهُ، تَقْرِيعاً لَهُمْ وَتَوْبِيخاً: لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَلَمْ تَسْتَمِعُوا إِلَيَّ، وَلَمْ تَتَّبِعُونِي، لأَنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ مَنْ يَنْصَحُكُمْ، وَيَدْعُوكُمْ إِلَى الحَقِّ وَالخَيْرِ.
(وَقِيلَ: إِنَّ صَالِحاً قَالَ لِقَوْمِهِ هٰذا القَوْلَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِم العَذابُ).

﴿٨٠﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ

(٨٠) - وَٱذْكُرْ لُوطاً إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى قَوْمِهِ لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبادَةِ اللهِ، وَإِلَى تَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِن ٱرْتِكابِ الفَواحِشِ التِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ، إِلَى الإِتْيانِ بِهَا، أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَبْلَهُمْ، لِمُخالَفَتِها لِمُقْتَضَياتِ الفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ.

﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ

(٨١) - فَقالَ لَهُمْ: لَقَدْ عَدَلْتُمْ عَنِ الاسْتِمْتَاعِ بِالنِّساءِ، الذِي جَعَلَهُ اللهُ وَسِيلَةً لاسْتِمْرارِ النَّسْلِ، وَحِفْظِ النَّوْعِ، إِلَى الاسْتِمْتَاعِ بِالذُّكُورِ لَا تَبْتَغُونَ مِنْ وَراءِ ذٰلِكَ إِلَّا قَضاءَ الوَطَرِ وَالشَّهْوَةِ، وَالمُتْعَةِ الآثِمَةِ، وَهٰذا إِسْرافٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ، وَتَجاوُزٌ لِلْحُدُودِ، لأَنَّهُ وَضْعٌ لِلشَّيءِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ الطَّبِيعِيِّ.

﴿٨٢﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ

(٨٢) - وَكانَ جَوابُ قَوْمِهِ عَلَى هٰذِهِ الدَّعْوَةِ أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، سَاخِرِينَ مُتَهَكِّمِينَ عَلَى طَهارَةِ لُوطٍ وَالمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: أَخْرِجُوا لُوطاً وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ مِنْ بَلْدَتِكُمْ، لأَنَّهُمْ يَتَطَهَّرُونَ وَيَتَعَفَّفُونَ، وَيَرْفُضُونَ

﴿٨٣﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ

﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ

﴿٨٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

مُجَارَاتِكُمْ فِي ٱرْتِكَابِ الفَوَاحِشِ، وَإِتْيَانِ الرِّجَالِ. فَكَانَ إِخْرَاجُ لُوطٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ القَرْيَةِ، تَنْفِيذاً لإِرَادَةِ اللهِ، لأَنَّهُ تَعَالَى دَمَّرَ قَوْمَ لُوطٍ، وَأَهْلَكَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِ لُوطٍ وَالمُؤْمِنِينَ.

يَتَطَهَّرُونَ - يَدَّعُونَ الطَّهَارَةَ مِمَّا نَفْعَلُ.

(٨٣) - لَمْ يُؤْمِنْ لِلُوطٍ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ سِوَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَمْ تُؤْمِنِ ٱمْرَأَتُهُ، فَدَمَّرَهَا اللهُ مَعَ قَوْمِهَا. فَقَدْ أَمَرَ اللهُ لُوطاً بِأَنْ يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ لَيْلاً دُونَ أَنْ تَعْلَمَ زَوْجَتُهُ بِخُرُوجِهِمْ، فَبَقِيَتْ مَعَ البَاقِينَ فَكَانَتْ مِنَ الهَالِكِينَ.

الغَابِرِينَ - البَاقِينَ فِي القَرْيَةِ، وَالهَالِكِينَ مَعَ مَنْ هَلَكَ.

غَبرَ - بَقِيَ أَوْ هَلَكَ.

(عَاقِبَةُ)

(٨٤) - وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ مَطَراً عَلَى قُرَى قَوْمِ لُوطٍ فَدَمَّرَهَا وَأَهْلَكَهَا. وَيَلْفِتُ تَعَالَى نَظَرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى عَاقِبَةِ مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ.

وَجَاءَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى تَفْسِيرٌ لِهٰذَا المَطَرِ فَقَالَ تَعَالَى **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾**[1].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَٱقْتُلُوا الفَاعِلَ وَالمَفْعُولَ بِهِ. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَٱبْنُ مَاجَهْ).

(وَيَشْمُلُ التَّحْرِيمُ إِتْيَانَ النِّسَاءِ فِي الأَدْبَارِ).

(يَا قَوْمِ) (إِصْلَاحِهَا)

(٨٥) - مَدْيَنُ كَلِمَةٌ تُطْلَقُ عَلَى القَوْمِ وَعَلَى القَرْيَةِ، وَمَدْيَنُ قَرْيَةٌ تَقَعُ فِي جَنُوبِيِّ الأُرْدُنِّ قُرْبَ العَقَبَةِ، وَهُمْ أَيْضاً أَصْحَابُ الأَيْكَةِ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، وَيَرْتَكِبُونَ المَعَاصِيَ، وَأَظْهَرُهَا بَخْسُ المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، وَالتَّعَرُّضُ لِعَابِرِي السَّبِيلِ، لِسَلْبِهِمْ وَالاعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ.

وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ شُعَيْباً عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَتَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ وَعِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَالإِقْلَاعِ عَنْ تَطْفِيفِ المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلسَّابِلَةِ بِالإِخَافَةِ وَالسَّلْبِ. فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ

---

(١) الآيتان ٨٢ و٨٣ من سورة هود.

وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ، وَقَدْ أَقَامَ لَكُمُ الحُجَجَ وَالبَرَاهِينَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ إِلَيْكُمْ، ثُمَّ نَصَحَهُمْ بِمُعَامَلَةِ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَبِإِيفَاءِ النَّاسِ، حُقُوقَهُمْ فِي الكَيْلِ وَالمِيزَانِ، وَبِأَلَّا يَخُونُوا النَّاسَ، وَلَا يُخْسِرُوا المِيزَانَ، وَلَا يَبْخَسُوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ (أَشْيَاءَهُمْ)، وَأَنْ يَتْرُكُوا إِخَافَةَ السَّابِلَةِ.

وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ ٱتِّبَاعَ أَمْرِ اللهِ فِيهِ الخَيْرُ لَهُمْ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ.

البَخْسُ - إِنْقَاصُ الحَقِّ.

(صِرَاطٍ) (آمَنَ) (عَاقِبَةُ)

(٨٦) - وَنَهَاهُمْ شُعَيْبٌ عَنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ (الصِّرَاطِ)، وَعَنْ تَوَعُّدِ النَّاسِ بِالقَتْلِ وَالإِيذَاءِ إِذَا لَمْ يُعْطُوهُمْ مَا مَعَهُمْ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ، كَمَا نَهَاهُمْ عَنِ التَّعَدِّي عَلَى المُؤْمِنِينَ الذِينَ ٱتَّبَعُوا شُعَيباً، وَعَنِ التَّصَدِّي لِلنَّاسِ الذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى شُعَيبٍ لِلاسْتِمَاعِ مِنْهُ إِلَى مَا يَدْعُو إِلَيهِ النَّاسَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، لِصَرْفِهِمْ عَنْهُ بِالتَّخْوِيفِ وَالإِيذَاءِ، وَبِالقَوْلِ: إِنَّهُ كَذَّابٌ يُرِيدُ فِتْنَةَ النَّاسِ، ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ بِمَا كَانُوا عَلَيهِ قَبلاً مِنْ قِلَّةٍ فَكَثَّرَهُمُ اللهُ، وَذِلَّةٍ فَأَعَزَّهُمُ اللهُ، وَذَلِكَ لِيَتَّعِظُوا وَيَرْتَدِعُوا عَمَّا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ فَسَادٍ. ثُمَّ لَفَتَ نَظَرَهُمْ إِلى النِّهَايَةِ التِي صَارَ إِلَيهَا المُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ مِنْ خِزْيٍ وَدَمَارٍ.

صِرَاطٍ - طَرِيقٍ.

تَبْغُونَهَا عِوَجاً - تَطْلُبُونَهَا مُعْوَجَّةً أَيْ ذَاتَ ٱعْوِجَاجٍ.

(طَائِفَةٌ) (آمَنُوا) (الْحَاكِمِينَ)

(٨٧) - وَيُتَابِعُ شُعَيْبٌ، عَلَيهِ السَّلَامُ، نُصْحَ قَوْمِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ إِنِ ٱخْتَلَفْتُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَآمَنَ فَرِيقٌ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، وَدَعَوْتُكُمْ إِلَيهِ، وَكَفَرَ فَرِيقٌ بِمَا أَرْسَلَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ رَبِّي، فَلَا تَتَعَجَّلُوا الحُكْمَ عَلَى المُؤْمِنِينَ، وَٱنْتَظِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَيَفْصِلَ فِيمَا ٱخْتَلَفْنَا فِيهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَيْرُ مَنْ يَحْكُمُ، وَأَعْدَلُ مَنْ يَقْضِي، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ سَيَجْعَلُ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَسَيَجْعَلُ الدَّمَارَ عَلَى الكَافِرِينَ، لأَنَّ سُنَّتَهُ تَعَالَى قَدْ جَرَتْ بِذَلِكَ، فَلْيَعْتَبِرِ الكَافِرُونَ بِعَاقِبَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، مِنَ الكُفَّارِ المُكَذِّبِينَ.

﴿٨٨﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ
لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن
قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ
أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ
﴿٨٩﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا
فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ
مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا
كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ
رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ

الجزء ٩ الحزب ١٧

(يَا شُعَيْبُ) (آمَنُوا) (كَارِهِينَ)

(٨٨) ـ تَوَعَّدَ المُسْتَكْبِرُونَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ نَبِيَّهُمْ شُعَيباً، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ بِإِخْراجِهِمْ مِنْ قَرْيَتِهِمْ إذا لَمْ يَقْبَلُوا الرُّجُوعَ عَنْ دِينِهِم الحَقِّ إلى عِبادَةِ الأَصْنامِ وَمِلَّةِ الشِّرْكِ، فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: أَتَأْمُرُونَنا بِأَنْ نَعُودَ إلى مِلَّتِكُمْ، وَتُهَدِّدُونَنا بالنَّفْيِ مِنْ أَوْطانِنا، وَالإخراجِ مِنْ دِيارِنا، إنْ لَمْ نَفْعَلْ مَا تَطْلُبُونَهُ مِنَّا؟ أَتُرِيدُونَ إِجْبارَنا عَلَى الخُرُوجِ مِنْ دِيارِنا، وَعَلَى العَوْدَةِ إلى دِينِكُمْ حَتَّى وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ لِكِلا الأَمْرَيْنِ؟.

(نَجَّانَا) (الْفَاتِحِينَ)

(٨٩) ـ وَقَالَ لَهُمْ شُعيبٌ: إِنَّهُ وَالمُؤْمِنينَ مَعَهُ إِذَا عَادُوا إِلَى مِلَّةِ الكُفْرِ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدِ ٱفْتَرَوْا عَلَى اللهِ أَعْظَمَ الافْتِراءِ، لأَنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ وَأَنْداداً وَلاَ يَلِيقُ بِالمُؤْمِنِ، وَلاَ يَخْلُقُ بِهِ (وَمَا يَكُونُ لَنَا)، أَنْ يَعُودَ إِلَى مِلَّةِ الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْجاهُ اللهُ مِنْهَا، إلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ لَهُ ذٰلِكَ، فَإِنَّهُ تَعالَى إِذَا أَرَادَ أَمْراً فَعَلَهُ، وَلاَ رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلاَ مُعْتَرِضَ عَلَى قَضَائِهِ، وَقَدْ أَحاطَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً، وَلٰكِنَّهُ تَعالَى لاَ يَرْضَى الكُفْرَ لِعِبادِهِ.

ثُمَّ قَالَ شُعَيبٌ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ تَوكَّلَ عَلَى اللهِ هُوَ وَالمُؤْمِنُونَ فِي جَمِيعِ أُمورِهِمْ. ثُمَّ دَعَا شُعَيْبٌ رَبَّهُ قَائِلاً: رَبَّنا ٱحْكُمْ وَٱقضِ (ٱفْتَحْ) بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا فِيما ٱخْتَلَفْنا فِيهِ مَعَهُمْ، وَٱنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ العَدْلُ الذِي لاَ يَجُورُ فِي حُكْمِهِ أَبداً.

ٱفْتَحْ بَيْنَنا ـ ٱقْضِ بَيْنَنا وَٱحْكُمْ.

الفَتاحَةُ ـ القَضاءُ.

﴿٩٠﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ
لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا
لَّخَٰسِرُونَ

(لَئِنْ) (لَخاسِرُونَ)

(٩٠) ـ فَقَالَ الكُبَراءُ الكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ، لِمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ: لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيباً فِيمَا يَقُولُ، وَفِيما جَاءَكُمْ بِهِ، وَأَقْرَرْتُمْ بِنُبُوَّتِهِ، وَآمَنْتُمْ بِما آمَنَ بِهِ، وَكَفَرْتُمْ بِأَصْنامِكُمْ.. وَبِما كَانَ عَلَيهِ آبَاؤُكُمْ مِنْ دِينٍ وَعَادَاتٍ، كُنْتُمْ خَاسِرِينَ.

﴿٩١﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى
دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ

(جَاثِمِينَ)

(٩١) ـ وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: **﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا، وَأَخَذَتِ الذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي**

﴿٩٢﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ

﴿٩٣﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ

﴿٩٤﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ

دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(١) فَاهْتَزَّتْ بِهِمُ الأَرْضُ بِفِعْلِ زَلْزَلَةٍ شَدِيدَةٍ، فَأَصْبَحُوا هَالِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ لاَ حَرَاكَ بِهِمْ، وَهُمْ مُكِبُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

جَاثِمِينَ - هَالِكِينَ وَهُمْ مُكِبُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

الرَّجْفَةُ - الزَّلْزَلَةُ الَّتِي تَهْتَزُّ بِهَا الأَرْضُ وَهِيَ الصَّيْحَةُ أَيْضاً.

(الْخَاسِرِينَ)

(٩٢) - ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى العَاقِبَةَ الَّتِي صَارَ إِلَيهَا قَوْمُ شُعَيبٍ، فَقَدْ هَلَكَ الذِينَ كَذَّبُوا شُعَيباً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُم أَحَدٌ وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُقِيمُوا فِي دِيَارِهِمْ، وَالذِينَ كَذَّبُوا شُعَيباً كَانُوا هُمُ الذِينَ خَسِرُوا الدُّنيا وَالآخِرَةَ، أَمَّا الذِينَ اتَّبَعُوهُ فَكَانُوا هُمُ الفَائِزِينَ المُفْلِحِينَ.

لَمْ يَغْنَوْا فِيها - لَمْ يُقِيمُوا نَاعِمِينَ فِي دِيَارِهِمْ.

(يَا قَوْمِ) (رِسَالاَتِ) (آسَىٰ) (كَافِرِينَ)

(٩٣) - وَبَعْدَ أَنْ نَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ وَدَمَارُهُ تَوَلَّى شُعَيبٌ عَنْهُمْ، وَانْصَرَفَ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَخَاطَبَهُمْ مُقَرِّعاً، فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ يَا قَوْمِي، وَبَلَّغْتُكُمْ مَا أَرْسَلَنِي بِهِ رَبِّي إِلَيْكُمْ، مِنْ دَعْوَةٍ إِلى عِبَادَةِ اللهِ، فَكَفَرْتُمْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ، فَدَمَّرَكُمُ اللهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّنِي لاَ يُمْكِنُ أَنْ آسَفَ وَأَحْزَنَ عَلَى قَوْمٍ جَحَدُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ.

آسَى - أَحْزَنُ وَآسَفُ.

(٩٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ نَبِيّاً إِلَى قَوْمٍ لِيَدْعُوَهُمْ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، ثُمَّ أَعْرَضُوا عَنْ قُبُولِ مَا يَدْعُوهُمْ إِليهِ نَبِيُّهُمْ، إِلاَّ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِإِصَابَتِهِمْ بِأَبْدَانِهِمْ بِالأَمْرَاضِ وَالأَسْقَامِ، وَبِإِنْزَالِ الفَقْرِ وَالحَاجَةِ بِهِمْ، وَذلِكَ لِكَيْ يَتَضَرَّعُوا إِليهِ تَعَالَى لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ ضَرَّاءَ وَبَأْسَاءَ.

البَأْسَاءُ - الفَقْرُ وَالبُؤْسُ.

الضَّرَّاءُ - السُّقْمُ وَالمَرَضُ وَالأَلَمُ.

يَضَّرَّعُونَ - يَتَذَلَّلُونَ وَيَخْضَعُونَ.

(١) الآية ٩٤ من سورة هود.

(٩٥) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(آباءَنا) (فَأَخَذْناهُم)

(٩٥) - فَإِذَا اسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ يَمْتَحِنُهُمْ رَبُّهُمْ بِالعَافِيَةِ وَالرَّخَاءِ، فَيُبَدِّلُ حَالَهُمْ مِنْ بُؤْسٍ وَضِيقٍ وَمَرَضٍ إِلَى رَخَاءٍ وَصِحَّةٍ لِيَشْكُرُوا اللهَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا كَثُرَتْ أَوْلَادُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ (عَفَوْا)، وَاسْتَمْرَؤُوا العَيْشَ الهَنِيءَ، وَنَسُوا نِعْمَةَ اللهِ، وَفَضْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا لَقَدْ مَسَّتْنَا السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ مِثْلَمَا سَبَقَ لَهَا أَنْ أَصَابَتْ آبَاءَنَا فِي سَالِفِ الأَيَّامِ، وَهٰذا هُوَ حَالُ الدُّنيا، فَلا الضَّرَّاءُ عِقَابٌ عَلَى ذَنْبٍ يُرْتَكَبُ، وَلَا السَّرَّاءُ جَزَاءٌ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ يُكْتَسَبُ... فَإِذَا صَرَفُوا هَمَّهُمْ إِلَى هٰذا وَأَمْثَالِهِ أَخَذَهُمُ اللهُ بِالعَذَابِ فَجْأَةً، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا سَيَحِلُّ بِهِمْ، لأَنَّهُمْ جَهِلُوا سُنَنَ اللهِ فِي خَلْقِهِ، فَلا هُمُ اهْتَدوا إِلَيها بِعُقُولِهِمْ، وَلَا هُمْ صَدَّقُوا الرُّسُلَ فِيمَا أَنْذَرُوهُمْ بِهِ.

عَفَوْا - كَثُرُوا وَنَمَوْا عَدَداً وَمَالاً.

بَغْتَةً - فَجْأَةً.

(٩٦) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(آمَنُوا) (بَرَكَاتٍ) (فَأَخَذْنَاهُم)

(٩٦) - وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ القُرَى آمَنُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ النَّبِيُّونَ، وَصَدَّقُوهُمْ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الذِي جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَاتَّقَوْا بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ، لأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلَفَاضَتِ الأَرْضُ بِالخَيْرَاتِ، وَلٰكِنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَى ذٰلِكَ، بِإِهْلَاكِهِمْ عَلَى مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ المَآثِمِ وَالمَحَارِمِ.

(وَقِيلَ: إِنَّ المَقْصُودَ بِأَهْلِ القُرَى هُنَا أَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ القُرَى، وَلٰكِنَّ النَّصَّ أَشْمَلُ وَهوَ يُشِيرُ إِلَى قُرَى الأَقْوَامِ السَّالِفَةِ التِي أَهْلَكَهَا اللهُ تَعَالَى فِيمَا سَلَفَ مِنَ الأَزْمَانِ).

لَفَتَحْنا عَلَيْهِم - لَيَسَّرْنَا عَلَيْهِمْ، أَوْ تَابَعْنَا عَلَيْهِمْ.

(٩٧) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ

(بَيَاتاً) (نائِمُونَ)

(٩٧) - أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى الكَافِرَةِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ اللهِ وَنَكَالُهُ لَيْلاً (بَيَاتاً)، فَيُبَيِّتَهُمْ فِي دُورِهِمْ، وَهُمْ نَائِمُونَ مُطْمَئِنُّونَ لَا يَتَوَقَّعُونَ بَلاءً؟.

يَأْتِيهِمْ بَأْسُنا - يَنْزِلُ بِهِمْ عَذَابُنَا.

بَيَاتاً - وَهُمْ بَائِتُونَ فِي دُورِهِمْ لَيْلاً.

(٩٨) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ

(٩٨) - أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرَى الكَافِرَةِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ اللهِ، وَقْتَ

٩٩ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

١٠٠ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

١٠١ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ

١٠٢ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ

الضُّحَى، وَهُمْ مُطْمَئِنُّونَ فِي أَشْغَالِهِمْ وَمَلاَعِبِهِمْ (يَلْعَبُونَ)، لاَ يَتَوَقَّعُونَ حُلُولَ العَذَابِ بِهِمْ؟.

(الْخَاسِرُونَ)

(٩٩) - أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرى الكَافِرَةِ مَكْرَ اللهِ بِهِمْ، وَبَأْسَهُ وَنِقْمَتَهُ وَٱسْتِدْراجَهُ إِيَّاهُمْ وَقُدْرَتَهُ عَلَى أَخْذِهِمْ، وَتَدْمِيرِهِمْ فِي حَالٍ مِنْ سَهْوِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ؟ وَلاَ يَأْمَنُ مَكرَ اللهِ إلاَّ القَوْمُ الضَّالُّونَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَدَمِ إِدْرَاكِهِمْ مَا فِيهِ صَلاَحُهُمْ وَخَيْرُهُمْ.

(أَصَبْنَاهُم)

(١٠٠) - أَوَلَمْ يَتَبَيَّنْ لِلَّذِينَ يَسْتَخْلِفُهُمُ اللهُ فِي الأَرْضِ - بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَهْلَكَ آخَرِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، سَارُوا سِيرَتَهُمْ، وَعَمِلُوا عَمَلَهُمْ، وَعَتَوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ - أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ مَا فَعَلَهُ بِمَنْ قَبْلَهُمْ، عِقَاباً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، وَأَنَّهُ تَعَالَى يَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ وَعْيَ مَوْعِظَةٍ، وَلاَ فَهْمَ نَصِيحَةٍ.

طَبَعَ - خَتَمَ.

أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ - أَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ - أَوْ أَلَمْ يُبَيِّنِ اللهُ لَهُمْ.

(أَنْبَائِهَا) (بِالْبَيِّنَاتِ) (الْكَافِرِينَ)

(١٠١) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّهُ قَصَّ عَلَيهِ أَخبَارَ القُرى البَائِدَةِ الَّتِي كَذَّبَ أَهْلُهَا الرُّسُلَ حِينَمَا جَاؤُوهُمْ بِالبَيِّنَاتِ، وَالحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِمْ، وَلكِنَّ هُؤُلاءِ الأَقْوَامَ لَمْ يُؤْمِنُوا حِينَما جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِمَا سَأَلُوهُ مِنَ البَراهِينِ وَالحُجَجِ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ المُكَذِّبِينَ عِنَاداً وَٱسْتِكْبَاراً أَوْ تَقْلِيداً، أَنْ يَرْجِعُوا إِلى الحَقِّ، وَيُؤْمِنُوا بِدَعْوَةِ الرُّسُلِ، بَعْدَ أَنْ سَبَقَ لَهُمُ التَّكْذِيبُ بِهَا، حِينَمَا جَاءَتْهُمُ الدَّعْوَةُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهكَذَا يَطْبَعُ اللهُ وَيَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ فَلاَ تَتَفَتَّحُ لِلإِيمَانِ.

(لَفَاسِقِينَ)

(١٠٢) - وَلَمْ يَثْبُتْ أَكْثَرُ هؤُلاءِ الأَقْوَامِ عَلَى عَهْدِ الفِطْرَةِ، الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ، بِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّهُمْ وَخَالِقُهُمْ، وَأَنَّ عَلَيهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَعْبُدُوهُ، فَخَالَفُوا هذا العَهْدَ، وَتَرَكُوهُ وَرَاءَهُم ظِهْرِيّاً، وَعَبَدُوا مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى بِلاَ دَلِيلٍ وَلاَ حُجَّةٍ، وَلاَ

بُرْهَانٍ، فَكَانُوا مِنَ الفَاسِقِينَ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَعَنْ عَهْدِ الفِطْرَةِ.

مِنْ عَهْدٍ - مِنْ وَفَاءٍ بِعَهْدٍ، أَوْ حِفَاظٍ عَلَى عَهْدٍ.

(١٠٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ

(بِآيَاتِنَا) (مَلَئِهِ) (عَاقِبَةُ)

(١٠٣) - ثُمَّ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ الرُّسُلِ، الذِينَ أَتَى عَلَى ذِكْرِهِمْ، مُوسَى بِحُجَجِ رَبِّهِ وَبَرَاهِينِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ (آيَاتِهِ)، إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَكُبَراءِ قَوْمِهِ (مَلَئِهِ)، فَكَفَرُوا بِهَا، ظُلْماً مِنْهُمْ وَعِناداً (أَوْ فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَقَوْمَهُمْ بِالكُفْرِ بِهَا جُحُوداً وَاسْتِكْبَاراً)، وَكَذَّبُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ، فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ هٰؤلاءِ المُكَذِّبينَ المُفْسِدِينَ: لَقَدْ أَغْرَقَهُمُ اللهُ جَمِيعاً - فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ - فِي البَحْرِ، وَمُوسَى وَقَوْمُهُ يَنْظُرُونَ إِلى ذٰلِكَ بِأُمِّ أَعْيُنِهِمْ.

فَظَلَمُوا بِهَا - فَكَفَرُوا بِهَا.

(١٠٤) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(يَا فِرْعَونُ) (العَالَمِينَ)

(١٠٤) - وَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَونَ: لَقَدْ أَرْسَلَنِي رَبِّي وَرَبُّ العَالَمِينَ إِلَيْكَ، وَهُوَ الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فِي هٰذا الوُجُودِ.

(١٠٥) حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(إِسْرَائِيلَ)

(١٠٥) - وَجَدِيرٌ بِي، وَحَقٌّ عَلَيَّ (حَقِيقٌ عَلَىٰ)، أَنْ لا أَفْتَرِيَ عَلَى اللهِ كَذِباً، وَأَنْ لا أَقُولَ إِلاَّ الحَقَّ وَالصِّدْقَ، لِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ جَلالِ شَأْنِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَقَدْ جِئْتُكُمْ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ، مِنْ رَبِّكُمْ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَاسْمَحْ لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَحَرِّرْهُمْ مِنْ رِبْقَةِ العُبُودِيَّةِ التِي فَرَضْتَهَا عَلَيْهِمْ.

حَقِيقٌ عَلَي - خَلِيقٌ بِي.

(١٠٦) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

(بِآيَةٍ) (الصَّادِقِينَ)

(١٠٦) - وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: لَسْتُ أُصَدِّقُكَ فِيمَا تَقُولُ، وَلَسْتُ أُعْطِيكَ مَا تَطْلُبُ، فَإِنْ كَانَ مَعَكَ بُرْهَانٌ وَحُجَّةٌ وَمُعْجِزَةٌ فَأَظْهِرْهَا لِنَراهَا، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِيمَا تَقُولُ وَتَدَّعِي، مِنْ أَنَّ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا.

(١٠٧) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ

(١٠٧) - فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَونَ فَتَحَوَّلَتْ إِلى ثُعْبَانٍ ظَاهِرٍ لِلْعَيَانِ، لا خَفَاءَ فِي كَوْنِهِ ثُعْبَاناً حَقِيقِياً حَيّاً، يَتَنَقَّلُ وَيَسْعَى.

(١٠٨) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ

(١٠٩) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ

(١١٠) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ

(١١١) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ

(١١٢) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ

(١١٣) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ

(١١٤) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ

مُبِينٌ - ظَاهِرٌ أَمْرُهُ لاَ يُشَكُّ فِيهِ.

(لِلنَّاظِرِينَ)

(١٠٨) - وَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ فَإِذا هِيَ بَيْضَاءُ تَتَلأْلأُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلاَ بَرَصٍ.

نَزَعَ يَدَهُ - أَخْرَجَها مِنْ تَحتِ إِبْطِهِ.

(لَسَاحِرٌ)

(١٠٩) - فَقَالَ جُمْهُورُ الكُبَراءِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ نِفَاقاً وَرِياءً، مُرَدِّدِينَ قَوْلَ فِرْعَونَ: إِنَّ هٰذا لَسَاحِرٌ عَليمٌ، أَيْ ذُو مَعْرِفَةٍ بِالسِّحْرِ عَالِيَةٍ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى).

المَلأُ - الكُبَراءُ وَالسَّادَةُ وَأَهْلُ الرَّأْيِ.

(١١٠) - وَغَايَتُهُ مِنْ سِحْرِهِ هٰذا أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيكُمْ بِاسْتِمَالَةِ الشَّعْبِ إِلَيهِ، وَأَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ، فَمَا الذِي تَرَوْنَ أَنْ نَفْعَلَ بِهِ لِنَتَجَنَّبَ حُصُولَ ذٰلِكَ؟.

(حَاشِرِينَ) (الْمَدَائِنِ)

(١١١) - وَبَعْدَ أَنْ قَلَّبُوا أَوْجُهَ الرَّأْيِ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: أَخِّرِ البَتَّ فِي أَمْرِهِ، وَاسْتَبْقِهِ، وَأَرْسِلْ فِي مَدَائِنِ مَمْلَكَتِكَ مَنْ يَجْمَعُ لَكَ السَّحَرَةَ. وَكَانَ السَّحَرَةُ كَثيرينَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ.

أَرْجِهْ - أَخِّرْ أَمْرَ عُقُوبَتِهِ وَلاَ تُعَجِّلْ.

حَاشِرِينَ - رِجَالاً يَجْمَعُونَ لَكَ السَّحَرَةَ.

(سَاحِرٍ)

(١١٢) - فَيَجْمَعُوا لَكَ كُلَّ مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَاسِعٌ بِالسِّحْرِ.

(الْغَالِبِينَ)

(١١٣) - وَسَأَلَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ حِينَمَا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَائِلِينَ: هَلْ لَنَا مِنْ أَجْرٍ عَلَى مَا نَقُومُ بِهِ إِذَا تَغَلَّبْنا عَلَى مُوسَى، وَأَبْطَلْنا مَفْعُولَ سِحْرِهِ؟.

(١١٤) - فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ مُشَجِّعاً، إِنَّهُ سَيُعْطِيهِمْ عَطَاءً جَزِيلاً، وَسَيَجْعَلُهُمْ مِنْ جُلَسَائِهِ وَالمُقَرَّبِينَ إِلَيهِ.

﴿١١٥﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ

(يَا مُوسَىٰ)

(١١٥) ـ وَلَمَّا آسْتَوْثَقَ السَّحَرَةُ مِنْ وَعْدِ فِرْعَوْنَ العَطَاءَ الجَزِيلَ، قَالُوا لِمُوسَى: إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ بِسِحْرِكَ أَمَامَ الجَمِيعِ، وَإِمَّا أَنْ نَبْدَأَ نَحْنُ بِالإِلْقَاءِ قَبْلَكَ.

﴿١١٦﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ

(جَاؤُوا)

(١١٦) ـ قَالَ لَهُمْ مُوسَى: بَلْ أَلْقُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً، فَأَلْقَوْا مَا مَعَهُمْ مِنْ حِبَالٍ وَعِصِيٍّ. وَلَمَّا أَلْقَوْا سِحْرَهُمْ، سَحَرُوا بِهِ أَعْيُنَ النَّاسِ، فَتَخَيَّلُوا أَنَّ مَا يَرَوْنَهُ حَقِيقَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الوَاقِعِ إِلاَّ مُجَرَّدَ صَنْعَةٍ وَخَيَالٍ. وَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ الحِبَالَ الَّتِي أَلْقَاهَا السَّحَرَةُ، وَالعِصِيَّ، حَيَّاتٌ وَأَفَاعٍ تَتَحَرَّكُ فَخَافُوا، وَكَانَ ذٰلِكَ مِنْ ضَخَامَةِ مَا فَعَلَهُ السَّحَرَةُ.

سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ـ خَيَّلُوا لَهُمْ مَا يُخَالِفُ الحَقِيقَةَ.

اسْتَرْهَبُوهُمْ ـ خَوَّفُوهُمْ تَخْوِيفاً شَدِيداً.

﴿١١٧﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ

ربع الحزب ١٧

(١١٧) ـ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ أَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ، فَلَمَّا أَلْقَاهَا آنْقَلَبَتْ ثُعْبَاناً، أَخَذَ يَلْتَقِمُ مَا أَلْقَى بِهِ السَّحَرَةُ مِنْ بَاطِلٍ أَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّهُ حَقٌّ، حَتَّى أَتَى عَلَيهِ جَمِيعاً.

الإِفْكُ ـ الكَذِبُ. مَا يَأْفِكُونَ ـ مَا يَكْذِبُونَ وَيُمَوِّهُونَ.

تَلْقَفُ ـ تَبْتَلِعُ وَتَلْتَقِمُ أَوْ تَتَنَاوَلُ بِسُرْعَةٍ.

﴿١١٨﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

(١١٨) ـ فَثَبَتَ الحَقُّ، وَفَسَدَ مَا فَعَلَهُ السَّحَرَةُ، وَمَوَّهُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ، فَعَرَفَ السَّحَرَةُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى حَقٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَلَيْسَ هُوَ بِالسِّحْرِ.

وَقَعَ الحَقُّ ـ ظَهَرَ أَمْرُ مُوسَى وَتَبَيَّنَ.

﴿١١٩﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ

(صَاغِرِينَ)

(١١٩) ـ وَأَدْرَكَ السَّحَرَةُ أَنَّهُمْ غُلِبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى، وَلاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ، وَشَعَرُوا بِصَغَارِهِمْ أَمَامَ عَظَمَةِ رَسُولِ اللهِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ.

(وَقِيلَ بَلِ المَقْصُودُ بِالذِينَ غُلِبُوا، هُمْ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ، الذِينَ أَدْرَكُوا أَنَّ مُوسَى غَلَبَهُمْ أَمَامَ الجَمْعِ المُحْتَشِدِ، فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ المَشْهُودِ. وَالمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ، فَحِينَمَا أَتَى فِرْعَوْنُ بِالسَّحَرَةِ، إِنَّمَا جَاءَ بِهِمْ لِيُقَارِعُوا

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ١٢٤﴾

مُوسَى، وَهُمْ إِنَّما يُمَثِّلُونَ فِرْعَوْنَ وَباطِلَهُ فِي هٰذِهِ المَعْرَكَةِ، فَانْكِسارُهُمْ هُوَ انْكِسارٌ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ).

(سَاجِدِينَ)

(١٢٠) ـ وَخَرَّ السَّحَرَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدِينَ للهِ إِيمَاناً بِهِ، وَاعْتِذاراً عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ سِحْرٍ أَرادُوا بِهِ مُعارَضَةَ آياتِ اللهِ.

(آمَنَّا) (العَالَمِين)

(١٢١) ـ وَقَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ، لأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَنَّ الذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى شَيءٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهِ، إِذْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ سِحْراً لَمَا اسْتَطاعَ أَنْ يَتَغَلَّبَ بِهِ عَلَيهِمْ.

(هَارُونَ)

(١٢٢) ـ وَهُوَ تَعَالَى رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ الذِي نَصَرَهُمَا عَلَينا.

(آمَنْتُم) (آذَنَ)

(١٢٣) ـ وَأَدْرَكَ فِرْعَوْنَ الأَثَرَ العَظِيمَ الذِي تَرَكَتْهُ فِي نُفُوسِ الشَّعْبِ، هَزِيمَةُ جَمِيعِ السَّحَرَةِ، الذِينَ حَشَدَهُمْ، أَمَامَ عَصَا مُوسَى، ثُمَّ ما تَبِعَ ذَلِكَ مِنْ إِيمَانِ السَّحَرَةِ بِاللهِ رَبِّ مُوسَى وَهارُونَ، وَإِعْلاَنِهِمْ إِيمَانَهُمْ، أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَجُمُوعِهِ، بِالسُّجُودِ للهِ، وَهٰذا يَعْنِي كُفْرَهُمْ بِأُلُوهِيَّةِ فِرْعَوْنَ وَعِبادَتِهِ، فَأَدْرَكَ سُوءَ عَاقِبَةِ جَمِيعِ ذٰلِكَ عَلَيهِ، فَأَرادَ إِزَالَةَ هٰذا الأَثَرِ مِنْ نُفُوسِ الشَّعْبِ، وَإِلْهَاءَ الشَّعْبِ بِشَيءٍ آخَرَ، فَأَخَذَ يَتَوَعَّدُ السَّحَرَةَ لإِيمانِهِمْ بِرَبِّ مُوسَى وَهارُونَ وَبِنُبُوَّتِهِما، قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ هُوَ لَهُمْ بِذٰلِكَ، وَاتَّهَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَواطِئِينَ فِي ذٰلِكَ مَعَ مُوسَى وَهارُونَ، عَلَى أَنْ يَغْلِبَهُمْ مُوسَى، وَقَدْ تَمَّ ذٰلِكَ عَنْ سَبْقِ اتِّفَاقٍ وَتَشَاوُرٍ مَعَهُما، وَذٰلِكَ لِيُتِيحُوا لَهُمَا إِخْراجَ قَوْمِهِمَا مِنْ مِصْرَ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا سَيَصْنَعُهُ بِهِمْ.

المَكْرُ ـ هُوَ تَصَرُّفُ الإِنْسَانِ لِيَصْرِفَ آخَرَ عَنْ قَصْدِهِ بِالحِيلَةِ.

(خِلافٍ)

(١٢٤) ـ ثُمَّ شَرَحَ لَهُمْ مَا سَوفَ يَصْنَعُهُ بِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُ سَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، بِصُورَةٍ مُتَخالِفَةٍ، فَيَقْطَعُ اليَدَ اليُمْنَى وَالرِّجْلَ اليُسْرَى، أَوْ يَقْطَعُ اليَدَ اليُسْرَى وَالرِّجْلَ اليُمْنَى، ثُمَّ أَنَّهُ سَيَصْلِبُهُمْ جَمِيعاً عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ حَتَّى يَمُوتُوا، لِيَكُونُوا عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ.

(١٢٥) قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ

(١٢٦) وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

(١٢٧) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ

(١٢٨) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

(١٢٩) قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا

(١٢٥) ـ فقالَ السَّحرَةُ يَرُدُّونَ عَلى تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ: إنَّنا نَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّنا سَنَرْجِعُ إلى اللهِ رَبِّنا، وعَذابُهُ تَعالَى أَشَدُّ مِنْ عذابِكَ، ونَكالُهُ عَلى ما أَكْرَهْتَنا عَلَيهِ مِنْ مُمارَسَةِ السِّحْرِ لِمُعارَضَةِ الحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَعْظَمُ مِنْ نَكالِكَ، لِذلِكَ فإنَّنا سَنَصْبِرُ عَلى أَذاكَ لِنَنْجُوَ مِنْ عذابِ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ.

(آمَنَّا) (بآيَاتِ)

(١٢٦) ـ ونَحْنُ لَمْ نَرْتَكِبْ إثْماً أَوْ جُرْماً تَنْقِمُ بِهِ عَلينا، والشَّيءُ الوَحِيدُ الذي تُؤاخِذُنا عليهِ هُوَ أنَّنا آمَنَّا بِرَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا آياتُهُ. ثُمَّ اتَّجَهَ السَّحَرَةُ بالدُّعاءِ إلى اللهِ تَعالَى قائِلِينَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْنا عَلى دِينِكَ، وَاجْعَلْنا مِنَ الصَّابرينَ عَلى الأذَى الذي سَيُلْحِقُهُ فِرْعَوْنُ بِنا، وتَوَفَّنا ونَحْنُ مُتَّبِعُونَ دِينَكَ وَنَبِيَّكَ، مُسْتَسْلِمُونَ لِقَضائِكَ.

ما تَنْقِمُ مِنَّا ـ ما تَكْرَهُ مِنَّا ـ وما تَعْتُبُ عَلَيْنا بِهِ.

أَفْرِغْ علينا صَبْراً ـ أَفِضْ أَوْ صُبَّ عَلَينا صَبْراً مِنْ عِنْدِكَ.

(وآلِهتَكَ) (قَاهِرُونَ)

(١٢٧) ـ وَسَأَلَ جُمْهُورُ السَّادَةِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، عَمَّا يَنْوِي فِرْعَوْنُ أنْ يَفْعَلَهُ بِمُوسَى وهارُونَ وقَوْمِهِما، وَهَلْ سَيَتْرُكُهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ، وَيُضِلُّونَ الرَّعِيَّةَ، وَيَدْعُونَهُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ، وإلى تَرْكِ عِبادَةِ فِرْعَوْنَ وَآلِهَتِهِ؟ فَرَدَّ عَلَيهِمْ فِرْعَوْنُ قائلاً: إنَّهُ سَيُقَتِّلُ الذُّكُورَ مِنْ أَبْناءِ بَني إسْرائِيلَ، وَيَسْتَبْقِي النِّساءَ عَلى قَيدِ الحَياةِ، وإنَّهُ سَيُخْضِعُهُمْ جميعاً لِلْقَهْرِ والإذْلالِ، فَلا يَسْتَطِيعُونَ إفْساداً فِي الأَرْضِ.

نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ ـ نَسْتَبْقِي نِساءَهُمْ عَلى قَيْدِ الحَياةِ لِلْخِدْمَةِ.

(العَاقِبَةُ)

(١٢٨) ـ وَلَمَّا سَمِعَ بَنُو إسْرائِيلَ هذا التَّهْدِيدَ خافُوا مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ، فَطَمْأَنَهُمْ مُوسَى، وَقالَ لَهُمْ: اسْتَعِينُوا بِاللهِ عَلى رَفْعِ ذلِكَ الوَعِيدِ عَنْكُمْ، وَاصْبِرُوا وَلاَ تَحْزَنُوا فَإنَّ الأَرْضَ هِيَ للهِ، الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ، يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ. وَالعاقِبَةُ الحُسْنَى لِمَنْ يَتَّقُونَ اللهَ، وَيُراعُونَ سُنَنَهُ فِي أَسْبابِ إرْثِ الأَرْضِ: اتِّحادَ الكَلِمَةِ، والاعْتِصامَ بالحَقِّ، وإقامَةَ العَدْلِ، والصَّبْرَ عَلى الشَّدائِدِ، والاسْتِعانَةَ باللهِ عَلى المَكارِهِ.

(١٢٩) ـ فَقالَ بَنُو إسْرائِيلَ لِمُوسَى: لَقَدْ آذَوْنا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنا، وَذَبَحُوا

وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ
رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ
وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ

(١٣٠) وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ
لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ

(١٣١) فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ
لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ
أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ

(١٣٢) وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ
لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ
بِمُؤۡمِنِينَ

أَبْنَاءَنَا، وَهُمْ يُعِيدُونَ ذٰلِكَ الآنَ بَعْدَ أَنْ جِئْتَنَا. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: اصْبِرُوا عَلَى أَذَاهُمْ عَسَى اللهُ أَنْ يُهْلِكَ هٰؤُلاءِ الأَعْدَاءَ، وَيَجْعَلَكُمْ خُلَفَاءَ بَعْدَهُمْ فِي الأَرْضِ لِيَرَى كَيْفَ تَكُونُ أَعْمَالُكُمْ، وَهَلْ سَتَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ عَلَى نِعَمِهِ وَآلائِهِ عَلَيْكُمْ. أَمْ تَكْفُرُونَ؟ وَهَلْ سَتُصْلِحُونَ أَمْ تُفْسِدُونَ لِيَجْزِيَكُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ.

(آلَ) (الثَّمرَاتِ)

(١٣٠) - لَقَدِ ابتلَى اللهُ قَوْمَ فِرْعَوْنَ (آلَ فِرْعَوْنَ) بِسِنينَ عِجَافٍ، قَلَّتْ فِيهَا الزُّرُوعُ فَجَاعُوا، وَنَقَصَتْ فِيها الثَّمراتُ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالخَيْراتِ، فَيَعْرِفُوا أَنَّ اللهَ ابْتَلاهُمْ بِذٰلِكَ الجُوعِ، وَبِنَقْصِ الثَّمَراتِ لِيُؤْمِنُوا باللهِ، وَلِيُذْكِرُوا عَجْزَ فِرْعَوْنَ وَآلِهَتِهِ أَمَامَ عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَبَالِغِ قُدْرَتِهِ، وَلِيَكُفُّوا عَنْ ظُلْمِ بَنِي إِسْرائيلَ، وَيَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ مُوسى، لأَنَّ المَصَائِبَ تُرَقِّقُ القُلُوبَ القَاسِيَةَ.

بالسِّنِينَ - بِالقَحْطِ وَالجَدْبِ.

(طَائِرُهُمْ)

(١٣١) - فَإِذا جاءَهُمُ الخِصْبُ وَالرِّزْقُ الوَفِيرُ (الحَسَنَةُ) قَالُوا: إِنَّنا نَسْتَحِقُّ ذٰلِكَ لِمَا لَنَا مِنَ الفَضْلِ وَالامْتِيَازِ عَلَى النَّاسِ، وَإِذا أَصَابَتْهُمْ سَنَةُ جَدْبٍ وَقَحْطٍ تَشَاءَمُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ (تَطَيَّرُوا)، وَقَالُوا: هٰذا بِسَبَبِهِمْ، وَبِسَبَبِ مَا جَاؤُوا بِهِ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: إِنَّ عِلْمَ شُؤْمِهِمْ عِنْدَ اللهِ، وَإِنَّ مَا يَتَشَاءَمُونَ مِنْهُ وَيَتَطَيَّرُونَ بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَقَدْ نَزَلَ بِهِمْ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِم القَبِيحَةِ، وَلَيسَ مِنْ عِنْدِ أَحدٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَلاَ بِسَبَبِهِ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ حِكْمَةَ تَصَرُّفِ الخَالِقِ فِي هٰذا الكَوْنِ، وَلاَ أَسْبَابَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ.

يَطَّيَّرُوا - يَتَشَاءَمُوا.

طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ - شُؤْمُهُمْ وَعِقَابُهُمُ المَوْعُودُ في الآخِرَةِ.

(آيَةٍ)

(١٣٢) - وَقَالَ هٰؤُلاءِ لِمُوسَى: إِنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ مَهْما أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتٍ وَحُجَجٍ وَبَراهِينَ، يُدَلِّلُ بِها عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّ مَا يَأْتِيهِمْ بِهِ إِنَّما هُوَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ.

﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

(آيَاتٍ) (مُفَصَّلاتٍ)

(١٣٣) - فَعَاقَبَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى جَرَائِمِهِمْ بِأَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِم الفَيْضَانَاتِ النَّاجِمَةَ عَنِ الأَمْطَارِ الغَزِيرَةِ (الطُّوفَانَ)، وَأَرْسَلَ الجَرَادَ يَأْكُلُ زُرُوعَهُمْ وَأَشْجَارَهُمْ، وَأَرْسَلَ القُمَّلَ (وَهُوَ السُّوسُ الذِي يَأْكُلُ الحُبُوبَ)، وَآبْتَلاهُمْ بِالضَّفَادِعِ التِي أَخَذَتْ تَمْلأُ بُيُوتَهُمْ وَتُزْعِجُهُمْ، ثُمَّ آبْتَلاهُمْ بِالدَّمِ، فَخَالَطَ طَعَامَهُم وَشَرَابَهُمْ (وَقِيلَ إِنَّهُ سَلَّطَ عَلَيْهِمُ النَّزِيفَ الدَّمَوِيَّ الذِي يَنْجُمُ عَنْ أَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ آبْتُلُوا بِهَا).

وَكَانَتْ تِلْكَ كُلُّها آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ، إِذْ كَانَ تَوَعَّدَهُمْ بِوُقُوعِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ، وَقَبْلَ وُقُوعِها، لِتَكُونَ دَلاَلَةً عَلَى صِدْقِهِ لاَ تَحْتَمِلُ تَأْوِيلاً، فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الإِيمَانِ بِهَا لِعُتُوِّهِمْ وَرُسُوخِهِمْ في الإِجْرَامِ، وَإِنْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ صِدْقَ رِسَالَتِهِ، وَصِحَّةَ قَولِهِ.

الطُّوفَانُ - المَاءُ الكَثِيرُ.

﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(يَا مُوسَى) (لَئِنْ) (إِسْرائِيلَ)

(١٣٤) - وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَنْزِلُ بِهِمْ مَا يُنْذِرُهُمْ بِهِ مُوسَى مِنَ العَذَابِ، كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيهِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ رَبَّهُ لِيُنْقِذَهُمْ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ، وَأَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ ذَلِكَ البَلاءَ، وَيَتَعَهَّدُونَ لَهُ بِأَنْ يُؤْمِنُوا لَهُ، وَبِأَنْ يَسْمَحُوا لِبَنِي إِسْرائِيلَ بِالخُرُوجِ مَعَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَكَانَ مُوسَى يَدْعُو اللهَ رَبَّهُ يَسْأَلُهُ كَشْفَ البَلاءِ فَيَكْشِفُهُ، فَلا يَلْبَثُونَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَيُصِرُّونَ عَلَى عَدَمِ السَّماحِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ بِالخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ، فَيَعُودُ اللهُ تَعَالَى إِلَى آبْتِلائِهِمْ بِبَلاءٍ آخَرَ يُرْهِقُهُمْ، فَيَعُودُونَ إِلَى رَجَاءِ مُوسَى.

﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ

(بَالِغُوهُ)

(١٣٥) - فَإِذَا كَشَفَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمُ البَلاءَ بِدُعَاءِ مُوسَى، عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ، وَنَكَثُوا بِوَعْدِهِمْ لَهُ.

الرِّجْزُ - العَذَابُ.

﴿١٣٦﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ

(فَأَغْرَقْنَاهُمْ) (بِآيَاتِنَا) (غَافِلِينَ)

(١٣٦) - بَعْدَ أَنِ آبْتَلاهُمُ اللهُ بِالآيَاتِ الوَاحِدَةِ بَعْدَ الأُخْرَى، وَبَعْدَ أَنْ نَكَثُوا بِوُعُودِهِم المَرَّةَ تِلْوَ المَرَّةِ، آنْتَقَمَ اللهُ مِنْهُمْ بِأَنْ أَغْرَقَهُمْ فِي البَحْرِ (اليَمِّ) الذِي فَرَقَهُ مُوسَى بِضَرْبَةٍ مِنْ عَصَاهُ، فَتَجَاوَزَهُ هُوَ وَبَنُو إِسْرائِيلَ

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾

إلى الطَّرفِ الآخرِ مِنْهُ، ثُمَّ وردَهُ فِرْعَوْنُ وجُنودُهُ، فلَمَّا أَصْبحُوا جميعُهُم داخِلَهُ، أَطْبَقَ عليهِم المَوْجُ فغرِقُوا جميعاً. وقَدْ فعَلَ اللهُ بِهِمْ ذٰلِكَ لأَنَّهُم كذَّبُوا بآياتِ اللهِ، وتَغافَلُوا عَنْها.

(مَشارِقَ) (ومَغارِبَها) (بارَكْنا) (إِسْرائِيلَ) (كَلِمَةُ)

(١٣٧) ـ فأَوْرثَ اللهُ تعالَى بَني إسْرائِيلَ (وَهُمْ الذينَ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ، يَتحكَّمُ فِيهِمْ فِرْعَوْنُ بجَوْرِهِ وطُغْيانِهِ) مَشارِقَ الأَرْضِ المُقدَّسَةِ ومَغارِبَها، وهِيَ فِلَسْطِينُ، التي بارَكَ اللهُ فِيهَا بالخِصْبِ والخَيْرِ الكَثيرِ. وهٰكذا نَفَذَتْ كَلِمَةُ اللهِ الحُسْنَى تامةً، وجَازاهُمْ علَى صَبْرِهِمْ، ودَمَّرَ المَبانِي، وخرَّبَ المَزارِعَ التي كانَ فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ قَدْ أَقامُوها، وآسْتَصْلَحُوها وعَرَشُوهَا.

(جاوَزْنا) (إِسْرائِيلَ) (يَا مُوسَى) (آلِهَةٌ)

(١٣٨) ـ وبَعْدَ أنْ جاوَزَ مُوسَى بِقومِهِ البَحْرَ، بِعَوْنِ اللهِ وتَأْيِيدِهِ مَرُّوا أَثْناءَ سَيْرِهِمْ بِقَوْمٍ يَعْبُدُونَ أَصْناماً (وقِيلَ إنها كانَتْ علَى صُورَةِ البَقرِ)، فرَاقَتْ عِبادَةُ الأَصْنامِ لِلْجَهلَةِ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ، وقَالُوا لِمُوسَى: آصْنَعْ لَنَا آلهةً مِثْلَ آلِهَتِهِمْ. فقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّهُمْ قَوْمٌ يَجْهلُونَ عَظَمَةَ اللهِ وجَلالَهُ، ومَا يَجب لِذاتِهِ الكَريمَةِ مِنَ التَّنْزِيهِ عَنِ الشَّرِيكِ وعَنِ المُماثِلِ.

(وبَاطِلٌ)

(١٣٩) ـ وقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ هٰؤُلاءِ الذِينَ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ مَقْضِيٌّ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ بِالتَّبابِ بِمَا سَيَظْهَرُ مِنْ التَّوحِيدِ الحَقِّ فِي هٰذِهِ الدِّيارِ، وزَائِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنْ عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ (مُتَبَّرٌ).

(العَالَمِينَ)

(١٤٠) ـ قَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللهَ أَكْرَمَكُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ، وفَضَّلَكُمْ عَلَى العَالَمِينَ، وأَرَاكُمُ المُعْجِزاتِ الكَثِيرَةَ، فَكَيْفَ تُريدُونَنِي أَنْ أَبْحثَ لَكُمْ عَنْ إِلٰهٍ غَيْرِهِ؟ وَهُوَ رَبُّ السَّماواتِ والأَرضِ؟ إِنَّ هٰذا لا يُمكِنُ أَنْ يَكُونَ أَبداً.

(أَنْجَيْناكُم) (آلِ)

(١٤١) ـ وَآذْكُرُوا، يَا بَنِي إِسْرائيلَ، إِذْ أَنْجاكُمُ اللهُ تَعَالَى، ـ بِإِرْسَالِ مُوسَى إِلَيْكُمْ، وبِمَا أَيَّدَهُ رَبُّهُ بِهِ مِنَ الآيَاتِ ـ مِنْ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ الذِينَ

سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۖ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ

(١٤٢) ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ

نصف الحزب ١٧

(١٤٣) وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(١٤٤) قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ

كَانُوا يُرْهِقُونَكُمْ بِالعَذَابِ، وَسُوءِ المُعَامَلَةِ، فَيَقْتُلُونَ الذُّكُورَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ، وَيَسْتَبْقُونَ الإِنَاثَ زِيَادَةً فِي التَّنْكِيلِ وَالإِذْلاَلِ، وَذٰلِكَ بَلاَءٌ عَظِيمٌ، ٱبتلاكُمْ بِهِ اللهُ.

(وَوَاعَدْنَا) (ثَلاثِينَ) (وَأَتْمَمْنَاهَا) (مِيقَاتُ) (هَارُونَ)

(١٤٢) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا هَدَاهُمْ إِليهِ، إِذْ كَلَّمَ مُوسَى، وَنَزَّلَ عَليهِ التَّوراةَ، وَفِيهَا أَحْكَامُهُمْ، وَتَفَاصِيلُ شَرْعِهِمْ. فَذَكَرَ أَنَّهُ وَاعَدَ مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً فَصَامَهَا وَطَوَاهَا، فَلَمَّا تَمَّ المِيقَاتُ، أَمَرَهُ اللهُ بِأَنْ يُكْمِلَ الصِّيَامَ بِزِيَادَةِ عَشْرِ لَيَالٍ أُخَرَ فَصَامَهَا. وَلَما أَرَادَ مُوسَى الذَّهَابَ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ، ٱسْتَخْلَفَ أَخَاهُ هَارُونَ مَكَانَهُ لِيَتَوَلَّى رِئَاسَةَ بَنِي إِسْرائيلَ بِالإِصْلاحِ وَعَمَلِ الخَيْرِ، وَبِعَدَمِ ٱتِّبَاعِ طَرِيقِ المُفْسِدِينَ.

(لِمِيقَاتِنَا) (تَرَانِي) (سُبْحَانَكَ)

(١٤٣) - فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِلْمَوعِدِ (المِيقَاتِ) الذِي وَقَّتَهُ اللهُ لَهُ لِلْكَلاَمِ مَعَهُ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، ٱسْتَشْرَفَتْ نَفْسُ مُوسَى أَنْ يَجْتَمِعَ لَهُ فَضِيلَتَا الكَلامِ، وَرُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ رَبِّ مَكِّنِّي مِنْ رُؤْيَتِكَ. فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّ ذٰلِكَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ، وَٱنْظُرْ إِلى الجَبَلِ، فَسَأَتَجَلَّى لَهُ وَأَظْهَرُ، فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، وَلَمْ يَنْدَكَّ وَيَتَهَدَّمْ، فَيُمْكِنُكَ أَنْ تَرَانِي. فَلَمَّا تَجَلَّى اللهُ تَعَالَى لِلْجَبَلِ سَوَّاهُ بِالأَرضِ وَأَصْبَحَ تُرَاباً (جَعَلَهُ دَكّاً)، وَوَقَعَ مُوسَى صَعِقاً مَغْشِياً عَليهِ مِنْ هَوْلِ مَا رأى، فَلَمَّا أَفَاقَ ٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَأَعْلَنَ تَوْبَتَهُ مِمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ سُؤَالٍ، وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَنَزَّهَهُ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَلالِهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ، فِي زَمَانِهِ، بِاللهِ وَجَلالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

(يَا مُوسَى) (بِرِسَالاتِي) (وَبِكَلامِي) (آتَيْتُكَ) (الشَّاكِرِينَ)

(١٤٤) - فَخَاطَبَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيهِ السَّلام، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي ٱخْتَرْتُكَ وَٱصْطَفَيْتُكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ زَمَانِكَ بِأَنْ كَلَّمْتُكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَلَمْ أُوحِ إِليكَ وَحْياً بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ، وَبِأَنْ جَعَلْتُكَ مُرْسَلاً، فَتَمَسَّكْ بِالتَّوراةِ التِي آتَيْتُكَ إِيَّاهَا، وَٱعْمَلْ بِمَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ، وَٱشْكُرْ نِعْمَتِي، عَلَيكَ وَعَلَى قَوْمِكَ، بِإِقَامَةِ التَّوراةِ وَالأَحْكَامِ، بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ، وَبِالعَمَلِ بِهَا.

﴿١٤٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن
كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا
لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ
قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ

(سَأُرِيكُمْ) (الفَاسِقِينَ)

(١٤٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَعْطَى مُوسَى أَلواحاً كُتِبَ فِيها أَنْوَاعُ الهِدَايَةِ وَالمَواعِظِ، وَأَحْكَاماً مُفَصَّلَةً تُبَيِّنُ الحَلالَ وَالحَرامَ (وَقِيلَ: إِنَّ هٰذِهِ الألواحَ كَانَتْ تَشْتَمِلُ عَلَى التَّوراةِ) وَأَمَرَهُ اللهُ بِأَنْ يَأْخُذَ بِهَا بِعَزْمٍ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَنْ يَأْمُرَ قَوْمَه بني إِسْرائيلَ بِأَنْ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِ مَا فِيهَا: كَالإِخْلَاصِ فِي العِبَادَةِ، وَبِالعَفْوِ بَدَلَ القِصَاصِ. أَمَّا الفَاسِقُونَ الذِينَ يُخالِفُونَ أَمْرَ اللهِ، وَيَخْرُجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ، فَإِنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلى الهَلاكِ، وَالدَّمَارِ، وَسيُرِي اللهُ بَني إِسرائيلَ، فِي أَسْفَارِهِمْ، دِيَارَ الأُمَمِ الفَاسِقَةِ السَّالِفَةِ، وَمَا صَارتْ إِليهِ مِنْ خَرابٍ، لِيَعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ.

﴿١٤٦﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ
يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ
ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن
يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ

(آيَاتِي) (آيَةٍ) (بِآيَاتِنَا) (غَافِلِينَ)

(١٤٦) - سَأَصْرِفُ عَنِ الهِدَايَةِ قُلُوبَ الذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنْ طَاعَتِي، وَيَتَكَبَّرُونَ عَلَى النَّاسِ بِغَيرِ الحَقِّ، وَإِذا رَأَوْا آيَاتِ اللهِ لَمْ يُؤْمِنُوا بِها، وَإِذا رَأَوْا طَرِيقَ الخَيْرِ تَنَكَّبُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَتَّخِذُوهُ سَبيلاً، وَإِذا رَأَوا سَبِيلَ الضَّلالِ آتَّبَعُوهُ، وَقَدْ جَازَاهُمُ اللهُ تَعَالَى هٰذا الجَزاءَ لأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ، وَغَفَلُوا عَنْهَا، فَأَضَلَّهُمُ اللهُ، وَلَمْ يَهْدِهِمْ. فَكَما آسْتَكْبَرُوا بِغيرِ الحَقِّ فَإِنَّ اللهَ عَاقَبَهُمْ بِالإِذْلالِ وَبِالخَتْمِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَبِإِلقَاءِ الغِشَاوَةِ عَلَى أَعْيُنِهِمْ حَتَّى لَا يَجِدَ الحَقُّ مَنْفَذاً لِلْوُصُولِ إِلَيها.

﴿١٤٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ

(بِآيَاتِنَا) (الآخِرَةِ) (أَعْمالُهُمْ)

(١٤٧) - وَالذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ، وَكُتُبِهِ، المُنَزَّلَةِ بِالحَقِّ وَالهُدَى، عَلَى رُسُلِهِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِها، وَلَمْ يَهْتَدُوا، وَكَذَّبُوا بِمَا يَكُونُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الجَزاءِ عَلَى الأَعْمَالِ: مِنْ ثَوابٍ عَلَى الخَيْرِ، وَعِقَابٍ عَلَى الشَّرِّ. فَإِنَّ أَعْمَالَهُمْ تَهْلَكُ وَتَتَلاشَى وَتَذْهَبُ سُدًى (تَحْبَطُ)، لأَنَّهُمْ عَمِلُوا لِغَيْرِ اللهِ، وَأَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي غَيْرِ مَا يُرضِي اللهَ، فَتَصِيرُ أَعْمَالُهُمْ وَبالاً عَلَيْهِمْ، وَلا يُجْزَوْنَ إِلَّا عَلَى الأَعْمَالِ التِي قَامُوا بِهَا مِنَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي، وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ بِأَنْ جَعَلَ الجَزاءَ فِي الآخِرَةِ أَثَراً لِلْعَمَلِ فِي الدُّنْيا، وَلا يَظْلِمُ اللهُ تَعَالَى أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ أَبَداً.

﴿١٤٨﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ
حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ
أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا
يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ

(ظَالِمِينَ)

(١٤٨) - وَبَعْدَ أَنْ تَوَجَّهَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، فَتَنَ بَنِي إِسْرائِيلَ رَجُلٌ سَامِرِيٌّ، خَرَجَ مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَ البَقَرَ، فَزَيَّنَ السَّامِرِيُّ لِبَنِي إِسرائيلَ عِبادَةَ العِجْلِ، فَصَنَعَ لَهُمْ

وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ

تِمْثالاً عَلَى صُورَةِ عِجْلٍ مِنَ الحُلِيِّ التي أَخْرَجُوهَا مَعَهُمْ مِنْ مِصْر (وَهِيَ حُلِيٌّ كَانُوا اسْتَعَارُوهَا مِنَ القِبْطِ وَهَرَبُوا بِهَا)، وَكَانَ هٰذَا التِّمْثَالُ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ دَخَلَتْ فِي جَوْفِهِ وَصَدَرَ عَنْ مُرُورِهَا صَوْتٌ كَخُوَارِ البَقَرِ، فَافْتَتَنَ بَنُو إِسْرائيلَ بِهٰذا العِجْلِ، وَعَكَفُوا عَلَى عِبَادَتِهِ وَالطَّوافِ بِهِ.

وَيُوَبِّخُهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى اتِّخَاذِهِمُ العِجْلَ رَبّاً، وَيَسْتَسْخِفُ تَصَرُّفَاتِهِمْ هٰذِهِ، لأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا إِلٰهاً لَهُمْ عِجْلاً لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يُرْشِدُهُمْ إِلى جَنَّةٍ، وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ اللهِ، خَالِقِ السَّماواتِ والأَرضِ، الذي أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَدْ فَعَلُوا ذٰلِكَ وَهُمْ ظَالِمُونَ لأَنْفُسِهِمْ.

(١٤٩) وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ
أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ
يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
(١٥٠) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ
غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي
مِنۢ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ
وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ
ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ
يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ
ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ

(لَئِنْ) (الخَاسِرِين)

(١٤٩) - ثُمَّ نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا (سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ)، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ ضَلُّوا عن الهُدَى، فَقَالُوا مُنِيبِينَ إِلى اللهِ: إِنَّهُمْ إِذا لَمْ يَرْحَمْهُمْ رَبُّهُمْ، وَيَغْفِرْ لَهُم مَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ ظُلْمٍ، بِاتِّخَاذِهِم العِجْلَ رَبّاً، لَيَكُونُنَّ مِنَ الهَالِكِينَ.

(غَضْبَانَ) (الظَّالِمِينَ)

(١٥٠) - أَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ عَلَيه السَّلامُ، بِمَا فَعَلَهُ قَوْمُهُ مِنْ عِبَادَتِهِم العِجْلَ بَعْدَ ذَهَابِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ غَضْبَانَ حَزِيناً، وَقَالَ لَهُمْ بِئْسَ مَا فَعَلْتُمُوهُ فِي غَيْبَتِي بَعْدَ ذَهَابِي عَنْكُمْ إِلى مُنَاجَاةِ رَبِّي، وَقَدْ كُنْتُ عَلَّمْتُكُمُ التَّوْحِيدَ، وَكَفَفْتُكُمْ عَنِ الشِّرْكِ، وَكَانَ مِنْ وَاجِبِكُمْ أَنْ تَقْتَفُوا أَثَرِي، وَتَسِيرُوا بِسِيرَتِي، فَفَعَلْتُمْ غَيْرَ ذٰلِكَ، وَاتَّخَذْتُمْ صَنَماً، وَعَبَدَهُ بَعْضُكُمْ، وَلَمْ يَرْدَعْكُمُ الآخَرُونَ عَنْ ذٰلِكَ. فَهَل اسْتَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَهُوَ انْتِظَارُ عَوْدَتِي وَأَنْتُمْ حَافِظُونَ لِعَهْدِي وَمَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ؟ فَبَنَيْتُمُ الأَمْرَ عَلَى أَنَّ المِيعَادَ قَد بَلَغَ آخِرَهُ وَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ، فَحَدَّثَتْكُمْ أَنْفُسُكُمْ بِأَنِّي مِتُّ، فَغَيَّرْتُم كَمَا غَيَّرَتِ الأُمَمُ بَعْدَ أَنْبِيائِهِمْ؟.

(وَيُرْوَى أَنَّ السَّامِرِيَّ قَالَ لَهُمْ: هٰذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى، إِنَّ مُوسَى مَاتَ وَلَنْ يَرْجِعَ).

فَأَلْقَى مُوسَى الأَلْوَاحَ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ هَارُونَ يَجُرُّهُ إِليهِ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَهَاوَنَ فِي نَهْيِهِمْ عَنِ اتِّخَاذِ العِجْلِ، فَقَالَ لَهُ هَارُونُ: يَا أَخِي يَا ابْنَ أُمِّي، لاَ تُعَنِّفْنِي، وَلاَ تَشُدَّ لِحيَتِي وَرَأْسِي - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرى -، فَإِنَّ القَوْمَ قَدِ اسْتَضْعَفُونِي، وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي لَمَّا نَهَيْتُهُمْ، فَلا

تَصُبَّ نِقْمَتَكَ عَلَيَّ فَتُشْمِت بِيَ الأَعْدَاءَ، وَلاَ تُعَامِلْنِي مُعَامَلَةَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ الذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ إِلَهاً.

(١٥١) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ

(الرَّاحِمِينَ)

(١٥١) - فَلَمَّا تَحقَّقَ مُوسَى مِنْ بَراءَةِ هَارُونَ، وَأَنَّهُ قَامَ بِوَاجِبِهِ كَامِلاً نَحْوَ قَوْمِهِ، دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، فِيهِما غِلْظَةٌ وَجَفَاءٌ، بِحَقِّ أَخِيهِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لأَخِيهِ مَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَّرَ فِيهِ مِنْ نَهْيِ القَوْمِ عَنْ فِعْلِ مَا فَعَلُوهُ، مِنْ عِبَادَةِ العِجْلِ، وَأَنْ يُدْخِلَهُمَا فِي رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ، وَأَنْ يَغْمُرَهُما بِجُودِهِ وَفَضْلِهِ، فَهُوَ تَعَالَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ جَمِيعاً بِعِبَادِهِ.

(١٥٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ

(الْحيَاةِ)

(١٥٢) - إِنَّ الذِينَ اسْتَمَرُّوا عَلَى عِبَادَةِ العِجْلِ، كَالسَّامِرِيِّ وَأَشْيَاعِهِ، سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ عَظِيمٌ مِنْ رَبِّهِمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، وَمَهَانَةٌ شَدِيدَةٌ فِي الحَياةِ الدُّنيا. وَمِثْلُ ذَلِكَ الجَزاءِ الشَّدِيدِ يَجْزِي بِهِ اللهُ كُلَّ مَنِ اخْتَلَقَ الكَذِبَ عَلَيْهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ.

افْتَرَى - اخْتَلَقَ الكَذِبَ.

(١٥٣) وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

(آمَنُوا)

(١٥٣) - وَالَّذِينَ يَفْعَلُونَ فِعْلاً سَيِّئاً، ثُمَّ يَتُوبُونَ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ، وَيُخْلِصُونَ لَهُ العِبَادَةَ وَالإِيمَانَ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُمْ ذَلِكَ الفِعْلَ السَّيِّءَ، لأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ.

(١٥٤) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ

(١٥٤) - وَلَمَّا سَكَنَ غَضَبُ مُوسَى بِاعْتِذَارِ أَخِيهِ إِلَيهِ، وَبَعْدَ أَنْ لَجأَ إِلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَلأَخِيهِ خَطَايَاهُمَا، عَادَ إِلى الأَلْوَاحِ فَأَخَذَهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَ أَلْقَاهَا مِنْ شِدَّةِ الغَضَبِ، فَوَجَدَ فِيهَا أَحْكَاماً وَأَوَامِرَ وَنَوَاهِيَ، إِذا أَخَذَ بِهَا الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، رَحِمَهُمُ اللهُ. (أَوْ أَنَّها هُدًى وَرَحْمَةٌ لِمَنْ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ).

(١٥٥) وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ

(لِمِيقَاتِنَا) (وَإِيَّايَ) (الغَافِرِينَ)

(١٥٥) - أَمَرَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، بِأَنْ يَأْتِيَهُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ، يَعْتَذِرُونَ إِليهِ عَنْ عِبَادَةِ العِجْلِ، وَوَاعَدَهُمْ مَوْعِداً. فَاخْتَارَ مُوسَى سَبْعِينَ رَجُلاً مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدُوا العِجْلَ، وَذَهَبَ مَعَهُمْ. فَلَمَّا

أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ

١٥٦ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

١٥٧ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ

أَتوا المَكانَ المَوْعُودَ، قال أصْحابُ مُوسَى: يا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ عِياناً وجَهْرَةً، فأَنْتَ كَلَّمْتَهُ فاجْعَلْنا نَراهُ. فأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ فَماتُوا، كَما جَاءَ فِي آيةٍ أُخْرى، فَقامَ مُوسَى يَبْكِي ويَدْعُو اللهَ تَعالَى ويَقُولُ: يا رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ إلى المِيقاتِ وأَهْلَكْتَنِي مَعَهُمْ، لِيَرى ذٰلِكَ بَنُو إسْرائيلَ فلا يَتَّهِمُوني بِقَتْلِهِمْ، فَلا تُهْلِكْنا يا رَبِّ بِما فَعَلَهُ الجُهَّالُ مِنّا،فَمامِحْنَةُ عِبادَةِ العِجْلِ إلّا ابْتِلاءٌ مِنْكَ،وفِتْنَةٌ أَضْلَلْتَ بِها مَنْ شِئْتَ إضْلالَهُ مِمَّنْ سَلَكُوا سَبِيلَ الغَوايةِ، وهَدَيْتَ بِها مَنْ شِئْتَ هِدايَتَهُ، ولاَ هادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، فَاغْفِرْ لَنا ولا تُؤاخِذْنا بِذُنُوبِنا، وَارْحَمْنا لِكَيْلا نَقَعَ فِي مِثْلِ ذٰلِكَ فِي المُسْتَقْبَلِ، وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ الغافِرِينَ.

(الزَّكاةُ) (بِآيَاتِنا)

(١٥٦) - وَأَثْبِتْ لَنا، بِرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ ﴿اكْتُبْ لَنَا﴾ حَياةً طَيِّبَةً فِي هٰذِهِ الدُّنيا، مِنْ عافِيةٍ وبَسْطةٍ في الرِّزْقِ، وتَوْفيقٍ للطَّاعَةِ، وَمَثُوبةٍ حَسَنةٍ فِي الآخِرَةِ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، وَنَيْلِ رِضْوانِكَ، إِنَّنا تُبْنا إِلَيْكَ ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ مِمَّا فَرَطَ مِنْ سُفَهائِنا مِنْ عِبادَةِ العِجْلِ، وَمِنْ تَقْصِيرِ العُقَلاءِ مِنّا فِي نَهْيِهِمْ وَالإِنْكارِ عَلَيهِمْ.

وَرَدَّ اللهُ تَعالَى عَلَى دُعاءِ مُوسَى قَائِلاً: لَقَدْ أَوْجَبْتُ أَنْ يَكُونَ عَذابِي خاصّاً أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ مِنَ الكُفَّارِ والعُصاةِ، الذِينَ لَمْ يَتُوبُوا، أَمَّا رَحْمَتِي فَقَدْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ، وَسَأُثْبِتُ رَحْمَتِي بِمَشِيئَتِي لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الكُفْرَ وَالمَعاصِيَ، وَيُؤَدُّونَ الزَّكاةَ المَفْرُوضَةَ، وَيُؤْتُونَ الصَّدَقاتِ الَّتِي تَتَزَكَّى بِها نُفُوسُهُمْ، وَلِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِ آياتِي الدَّالَّةِ عَلَى الوَحْدانِيَّةِ، وَيُصَدِّقُونَ رُسُلِي، وَما جاؤُوهُمْ بِهِ.

(التَّوراةِ) (وَيَنْهاهُمْ) (الطَّيِّباتِ) (الخَبائِثَ) (وَالأَغْلالَ) (آمَنُوا) (أُولَئِكَ)

(١٥٧) - وَيُتابِعُ اللهُ تَعالَى وَصْفَ الذِينَ يَشْمَلُهُمْ بِرَحْمَتِهِ الوَاسِعَةِ فَيَقُولُ: إِنَّهُمُ الذِينَ يَتَّبِعُونَ مُحَمَّداً النَّبِيَّ الأُمِّيَّ، الذِي لا يَكْتُبُ وَلاَ يَقْرَأُ، وَقَدْ جاءَ وَصْفُهُ وَالبِشارَةُ بِهِ فِي التَّوراةِ وَالإِنْجِيلِ، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ بِفِعْلِ الخَيْراتِ، وَبِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهاهُمْ عَنْ فِعْلِ المُنْكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَيَضَعُ عَنْهُمُ التَّكالِيفَ الشَّاقَّةَ، كَاشْتِراطِ قَتْلِ النَّفْسِ فِي صِحَّةِ التَّوْبَةِ، وَالقِصاصِ فِي القَتْلِ العَمْدِ أَوِ الخَطَإِ، مِنْ

إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

غَيْرَ شَرْعٍ لِلدِّيَةِ، وَقَطْعِ الأعْضاءِ الخاطِئَةِ، وَقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجاسَةِ مِنَ الثَّوْبِ، وَتَحْرِيمِ السَّبْتِ. . . فَقَدْ جاءَ مُحَمَّدٌ بِما هُوَ يُسْرٌ وَسَماحَةٌ.

[وَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوصِي أَمِيرَينِ أَرْسَلَهُمَا فِي بَعْثَينِ إلى اليَمَنِ: (بَشِّرا وَلاَ تُنَفِّرا، وَيَسِّرا وَلاَ تُعَسِّرا، وَتَطاوَعا وَلاَ تَخْتَلِفَا)].

وَوَسَّعَ اللهُ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أُمورَها، وَسَهَّلَهَا لَها، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا ٱسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ). فَالذِينَ آمَنُوا بِالرَّسُولِ النَّبِيِّ الأمِيِّ، حِينَ بُعِثَ، مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَعِيسَى، وَمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَعَزَّرُوهُ بِأَنْ مَنَعُوهُ وَحَمَوْهُ مِنْ كُلِّ مَنْ يُعادِيهِ، مَعَ التَّعْظِيمِ وَالإجْلاَلِ، وَنَصَرُوهُ بِاللِّسانِ وَاليَدِ، وَٱتَّبَعُوا النُّورَ الأعْظَمَ الذِي أُنْزِلَ مَعَ رِسالَتِهِ، وَهُوَ القُرآنُ. . فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ، الفَائِزُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوانِ.

(١٥٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(يَا أَيُّها) (السَّماواتِ) (فَآمِنُوا) (وَكَلِمَاتِهِ)

(١٥٨) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ جَمِيعاً: إِنِّي رَسُولُ اللهِ تَعالَى إلى جَمِيعِ البَشَرِ، وَإِنَّ اللهَ تَعالَى هُوَ الذِي أَرْسَلَنِي، وَهُوَ خالِقُ السَّماواتِ وَالأرْضِ وَمالِكُهُما، وَهُوَ مُدَبِّرُهُما وَمُصَرِّفُهُما حَسْبَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، فَهُوَ المَعْبُودُ وَحْدَهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الكائِناتِ، وَهُوَ الذِي يَقْضِي بِفَنائِهَا. فَآمِنُوا يَا أَيُّها النَّاسُ جَمِيعاً بِاللهِ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذِي أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كافَّةً، وَهٰذا الرَّسُولُ يُؤْمِنُ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَيُؤْمِنُ بِكَلِمَاتِهِ التِي أَنْزَلَها عَلَى رُسُلِهِ لِهِدايَةِ خَلْقِهِ.

وَٱتَّبِعُوا يَا أَيُّها النَّاسُ طَرِيقَ الرَّسُولِ الأُمِّيِّ، وَٱقْتَفُوا أَثَرَهُ، فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ، لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ سَعادَتُكُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

(١٥٩) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ

(١٥٩) - وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى جَماعَةٌ كَثِيرَةُ العَدَدِ (أُمَّةٌ) يَهْدُونَ النَّاسَ بِالحَقِّ الذِي جاءَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيَعْدِلُونَ فِي تَنْفِيذِهِ إِذا حَكَمُوا بَيْنَ النَّاسِ، فَلاَ يَتَّبِعُونَ هَوًى، وَلاَ يَأْكُلُونَ سُحْتاً وَلاَ مَالاً حَراماً.

(١٦٠) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

(وَقَطَّعْنَاهُمْ) (اسْتَسْقاهُ) (الغَمامَ) (طَيِّباتِ) (رَزَقْنَاكُمْ)

(١٦٠) - وَجَعَلَ اللهُ تَعالَى بَنِي إِسْرائِيلَ ٱثْنَتَي عَشْرَةَ جَماعَةً، إِذْ جَعَلَ نَسْلَ كُلِّ واحِدٍ مِنْ أَبْناءِ يَعْقُوبَ الاثْنَي عَشَرَ أُمَّةً وَجَماعَةً. وَحِينَما عَطِشَ بَنُو إِسْرائِيلَ فِي صَحْراءِ سِيناءَ، ٱسْتَسْقَى لَهُمْ مُوسَى، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيهِ: أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصاكَ حَجَراً مِنْ أَحْجارِ الصَّحْراءِ، فَضَرَبَهُ فَٱنْبَجَسَتِ المِياهُ

عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(١٦١) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ

(١٦٢) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ

(١٦٣) وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

مِنْهُ، فِي ٱثْنَتَي عَشْرَةَ عَيْناً، لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْهُم عَيْنٌ يَشْرَبُ مِنها، مَنْعاً لِلْخِصَامِ والتَّنافُسِ والتَّزاحُمِ عَلَى الماءِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَسَخَّرَ اللهُ لَهُم الغَمَامَ، فَظَلَّلَ عَلَيْهِم، لِيَقِيَهُم حَرَّ الشَّمْسِ، وَأَرْسَلَ إليهِم المَنَّ وَالسَّلْوَى، فَأخَذُوا يَأكُلُونَ مِنْ طَيِّبَاتِ رِزْقِ اللهِ، وَيَشْرَبُونَ مِنَ الماءِ، فَكَفَرُوا بِهَذِهِ النِّعَمِ، وَخَالَفُوا أمرَ اللهِ، فَأَلْحَقُوا الضَّرَرَ بِأنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً.

ٱنبجست - نَبَعَتْ وَتَفَجَّرَتْ.

المَنُّ - مَادَّةٌ حُلْوَةٌ تَقَعُ عَلَى الأشْجَارِ.

السَّلْوَى - طَائِرٌ يُشْبِهُ السُّمَانَى لَحْمُهُ لَذِيذُ الطَّعْمِ.

السِّبْطُ - وَلَدُ الوَلَدِ وَأُطْلِقَتْ كَلِمَةُ أَسْبَاطٍ عَلَى أَحْفَادِ يَعْقُوبَ، عَلَيهِ السَّلامُ.

(خَطِيئَاتِكُمْ)

(١٦١) - وَبَعْدَ أنْ أسْكَنَهُمْ رَبُّهُمُ البَلَدَ الذِي دَخَلُوهُ بَعْدَ أنِ ٱنْتَصَرُوا عَلَى العَمَالِيقِ، أمَرَهُمْ رَبُّهُمْ بِشُكْرِهِ، وَبِدُخُولِ البَابِ (أيْ بَابِ البَلَدِ) سُجَّداً شُكْراً للهِ، وَبِأنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ - (أيْ اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا) - لِيَسْتَجِيبَ اللهُ إلى دُعَائِهِمْ، فَيَغْفِرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَيَزِيدَ الحَسَنَاتِ لِمُحْسِنِهِمْ.

(١٦٢) - فَلَمْ يَدْخُلِ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بَابَ البَلَدِ سُجَّداً خَاشِعِينَ كَمَا أمَرَهُمْ رَبُّهُمْ، بَلْ دَخَلُوهُ زَاحِفِينَ عَلَى أسْتَاهِهِمْ (أيْ أدْبَارِهِمْ)، وَبَدَّلُوا قَوْلَ اللهِ، فَلَمْ يَقُولُوا (حِطَّةٌ) وَإنَّمَا قَالُوا سَاخِرِينَ حِنْطَةٌ، فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

(وَاسْألْهُمْ)

(١٦٣) - ٱسْألْ يَا مُحَمَّدُ، هٰؤُلاءِ اليَهُودَ الذِينَ بِحَضْرَتِكَ عَنْ قِصَّةِ أصْحَابِهِم الذِينَ خَالَفُوا أمْرَ رَبِّهِمْ، فَأصَابَهُمْ بِنِقْمَتِهِ عَلَى ٱعْتِدَائِهِمْ وَٱحْتِيَالِهِمْ فِي مُخَالَفَتِهِمْ أمْرَ رَبِّهِمْ وَحَذِّرْهُمْ مِنْ أنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِأصْحَابِهِمْ، أصْحَابِ القَرْيَةِ التِي كَانَتْ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ (وَهِيَ أيْلَةُ أوِ العَقَبَةُ اليَوْمَ)، فَقَدْ كَانَ اليَهُودُ فِيهَا يَعْتَدُونَ عَلَى حُرْمَةِ السَّبْتِ، وَيَتَجَاوَزُونَ حُكْمَ اللهِ الذِي يُحَرِّمُ عَلَيهِم الصَّيْدَ فِيهِ، فَقَدْ كَانَتِ الأسْمَاكُ (حِيتَانُهُمْ) تَأتِيهِمْ ظَاهِرَةً عَلَى سَطْحِ المَاءِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الذِي كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ، فَلا يَصِيدُونَ فِيهِ. أمَّا فِي اليَوْمِ الذِي لاَ يَسْبِتُونَ، وَلا يُعَظِّمُونَ حُرْمَةَ السَّبْتِ، فَكَانَتِ الحِيتَانُ لاَ تَظْهَرُ لَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ ٱخْتِبَاراً مِنَ اللهِ لَهُمْ، فَكَانَ اليَهُودُ المُعْتَدُونَ يَنْصِبُونَ الشِّبَاكَ لِلأسْمَاكِ لِتَقَعَ فِيهَا، وَيَتْرُكُونَهَا

(١٦٤) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

(١٦٥) فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ

(١٦٦) فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ

(١٦٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

(١٦٨) وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم

فِي الشِّبَاكِ حَتَّى يَنْتَهِيَ السَّبْتُ فَيَأخُذُوهَا . فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ آنتِهَاكاً لِمَحَارِمِ اللهِ التِي فَرَضَهَا عَلَيهِمْ، وَمِنْهَا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ السَّبْتِ. فَكَانَ تَصرُّفُهُمْ هذا آحْتِيالاً يُخْفِي نِيَّتَهُمْ فِي الاعْتِداءِ عَلَى السَّبْتِ، وَفِسْقاً عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

(١٦٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أنَّ أَهْلَ هَذِهِ القَرْيَةِ صَارُوا ثَلاثَ فِرَقٍ:

- فِرْقَةٍ آرْتَكَبَتِ المُحَرَّمَ، وَآحْتَالَتْ فِي صَيْدِ السَّمكِ.

- فِرْقَةٍ نَهتِ المُتَجَاوِزِينَ عَنْ فِعْلِهِمْ هَذا وَآعْتَزَلَتْهُمْ.

- فِرْقَةٍ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ شَيْئاً وَلَمْ تَنْهَ، وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْفِرْقَةِ المُنْكِرَةِ: لِمَ تَنْهَوْنَ قَوْماً تَعْلَمُونَ أنَّ اللهَ مُهْلِكُهُمْ لاسْتِحْقَاقِهِمْ عُقُوبَتَهُ وَسَخَطَهُ؟ فَلا فَائِدَةَ مِنْ نَهْيِكُمْ إِيَّاهُمْ. فَرَدَّتْ عَلَيهِمْ الفِرْقَةُ النَّاهِيَةُ قَائِلَةً: إنَّ اللهَ أمَرَنا بِأنْ نَأمُرَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، وَنَحْنُ نُذَكِّرُهُمْ لِنَقُومَ بِأمْرِ اللهِ أوّلاً (مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ)، ثُمَّ إنَّنا نَرجُو أنْ يَنْتَهِيَ هَؤُلاءِ المُتَجَاوِزُونَ حُدُودَ اللهِ عَنْ غَيِّهِمْ، وَيَعُودُوا إلى الصَّوابِ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الاعْتِدَاءَ الذي آقْتَرفُوهُ.

(١٦٥) - فَلَمْ يَهْتَمَّ هَؤُلاءِ بِأمْرِ اللهِ، وَلاَ بِتَذْكِيرِ إخْوانِهِمْ، فَجَاءَ أمْرُ اللهِ فَأخَذَهُمْ بِعَذابٍ شَدِيدٍ (بَئِيسٍ) بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَنَجّى اللهُ تَعَالَى الذِينَ قَامُوا مِنْهُمْ بِأمْرِهِ بِالنَّهْي عَنِ المُنْكَرِ.

(خاسِئِينَ) (عمَّا)

(١٦٦) - فَلَمَّا آسْتَمَرُّوا فِي عُتُوِّهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، قَالَ اللهُ لَهُمْ: كُونُوا قِرَدَةً ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ، فَكَانُوا.

خاسِئِينَ - ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ.

(القِيامَةَ)

(١٦٧) - وَآذْكُرْ، أيُّها الرَّسُولُ، لَهُمْ، إذْ أعْلَمَ رَبُّكَ هَؤُلاءِ القَوْمَ، مَرَّةً إثْرَ مَرَّةٍ، عَلَى ألْسِنَةِ أنْبِيائِهِمْ، أنَّهُ قَضَى عَلَيْهِمْ لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِمْ - إلى يَوْمِ القِيَامَةِ - مَنْ يُوقِعُ بِهِم العِقَابَ الشَّدِيدَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَفِسْقِهِمْ وَإفْسادِهِمْ فِي الأرْضِ، وَأنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ لِلأمَمِ التِي تَفْسُقُ عَنْ أمْرِهِ، وَتُفْسِدُ فِي الأرْضِ، وَأنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ أقْلَعَ عَنْ ذَنْبِهِ، وَأنَابَ إلَيهِ وَأصْلَحَ مَا كَانَ قَدْ أفْسَدَ فِي الأرْضِ، قَبْلَ أنْ يَحِلَّ بِهِ العِقَابُ.

(وَقَطَّعْنَاهُمْ) (الصَّالِحُونَ) (وَبَلَوْنَاهُمْ) (بِالْحَسَنَاتِ)

(١٦٨) - يَقُولُ تَعَالَى: إنَّهُ فَرَّقَ بَنِي إسْرائِيلَ فِي الأرْضِ فَكَانُوا طَوائِفَ وَفِرَقاً (أُمَما)، مِنْهُم الصَّالِحُونَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأرْضِ،

بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

وَمِنْهُمْ مَنْ هُمْ غَيْرُ ذَلِكَ، وَإِنَّهُ آخْتَبَرهُمْ (بَلَوْنَاهُمْ) جَمِيعاً بِالرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَبِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَبِالعَافِيَةِ وَالبَلاَءِ، لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَى الحَقِّ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِ اللهِ، فَيَعُودَ إِلَيْهِمْ فَضْلُ اللهِ وَإِحْسَانُهُ وَرَحْمَتُهُ.

بَلَوْنَاهُمْ - آخْتَبَرْنَاهُمْ.

أُمماً - جماعَاتٍ وفِرَقاً.

(١٦٩) فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(الكِتَابَ) (مِيثَاقُ) (الكِتَابِ)

(١٦٩) - فَجَاءَ جِيلٌ جَدِيدٌ - بَعْدَ ذَلِكَ الجِيلِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ الصَّالِحُونَ وَمَنْ هُمْ دُونَ ذَلِكَ - وَقَفُوا عَلَى مَا فِي التَّوراةِ، وَكَانُوا عَالِمِينَ بِأَحْكَامِها وَلَكِنَّهُم كَانُوا يُؤْثِرُونَ حُطَامَ الدُّنيا وَمَتَاعَهَا، عَلَى بَذْلِ الحَقِّ وَنَشْرِهِ، فَكَانُوا يَأْكُلُونَ السُّحْتَ وَالرُّشَا، وَيُتَاجِرُونَ بالدِّينِ، وَيُحَابُونَ فِي الأَحْكَامِ وَإِقَامَةِ العَدْلِ، وَيُسَوِّفُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَعِدُونَهَا بالتَّوبَةِ، وَكُلَّما لاَحَ لَهُمْ مَجَالٌ لِلاحْتِيَالِ عَلَى شَرْعِ اللهِ قَارَفُوهُ (كَما فَعَلَ المُعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ)، وَيَأْمُلُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، وَأَنْ لاَ يُؤَاخِذَهُمْ عَلَى أَفْعَالِهِم القَبِيحَةِ. وَيُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ ضِيقَهُمْ هذا، وَنِسْيَانَهُمْ أَنَّهُ أَوْجَبَ عَلَيهِمْ فِي المِيثَاقِ أَنْ يُبَيِّنُوا الحَقَّ لِلنَّاسِ وَلا يَكْتُمُوهُ، وَأَنْ لاَ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إلا الحَقَّ، فَقَالُوا البَاطِلَ، وَكَتَمُوا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وبَعْثَتَهُ وَرِسَالَتَهُ التِي جَاءَتْ فِي التَّوراةِ.

ثُمَّ يُرَغِّبُهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ رِضْوَانِ اللهِ وَثَوَابِهِ، خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ مِنْ حُطَامِ الدُّنيا الفَانِيَةِ الذِي يُؤْخَذُ بالرِّبَا، وَبِأَكْلِ السُّحْتِ، أفَلا يَعْقِلُ هؤلاءِ الذِينَ آعْتَاضُوا بِعَرَضِ الدُّنْيا عَنْ ثَوَابِ رَبِّهِمْ؟

(١٧٠) وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ

(بِالْكِتَابِ) (الصَّلاَةَ)

(١٧٠) - ثُمَّ يُثْنِي اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنِ آسْتَمْسَكَ بِكِتَابِهِ مِنْهُمْ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَأَدَّاهَا حَقَّ أَدَائِها، وَيُذَكِّرُهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً مِنَ المُصْلِحِينَ.

الحزب ١٨

(١٧١) ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(آتَيْنَاكُم)

(١٧١) - لَمَّا أَبْلَغَهُمْ مُوسَى عَليهِ السَّلاَمُ مَا فِي الأَلْواحِ المُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لِيَعْمَلُوا بِمَا فِيها، ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَأَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا بِهَا حَتَّى رَفَعَ اللهُ تَعَالَى الجَبَلَ فَوْقَهُمْ حَتَّى أَظَلَّ رُؤُوسَهُمْ، وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ عَلَيهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللهَ يَقُولُ لَكُمْ: لَئِنْ لَمْ تَقْبَلُوا التَّوراةَ بِمَا فِيها لأَرْمِيَنَّكُمْ

بهذا الجبَلِ . فوقَعُوا على الأرْضِ سُجَّداً، وهُمْ يَنْظُرُونَ إلى الجبَلِ بِطَرَفِ أعْيُنِهِمْ . ثُمَّ قالَ لَهُمْ : خُذُوا مَا أعْطَيْناكُمْ مِنْ أحْكَامِ الشَّرِيعَةِ بعَزْمٍ ، وَاَحْتِمَالٍ لِلْمِيثَاقِ وَالتَّكَالِيفِ، وَاَذْكُرُوا مَا فِيهِ مِنَ الأوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعِدُّكُمْ لِلتَّقْوى، وَيَجْعَلُهَا مَرْجُوَّةً لَكُمْ .

﴿١٧٢﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ

(آدَم) (القِيَامَةِ) (غَافِلِينَ)

(١٧٢) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ: أَنَّهُ أَقَامَ الأدِلَّةَ عَلَى وُجُودِهِ وَعَظَمَتِهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ، وَعَلَى أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وَقَدْ أَقَامَ هَذِهِ الأدِلَّةَ عَنْ طَرِيقِ مَا بَثَّهُ فِي الكَوْنِ مِنْ أَسْبَابِ الهِدَايَةِ. كَمَا أَقَامَهَا عَنْ طَرِيقِ الكُتُبِ وَالرُّسُلِ . فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطِباً رَسُولَهُ ﷺ : اَذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ ، حِينَ اَسْتَخْرَجَ اللهُ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ أَصْلابِهِمْ لِيَشْهَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، وَأَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، كَمَا أَنَّهُ فَطَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَجَبَلَهُمْ عَلَيهِ .

وَقَالَ اَبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى مَسَحَ صُلْبَ آدَمَ فَاَسْتَخْرَجَ مِنْهُ كُلَّ نَسْمَةٍ خَلَقَهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ المِيثَاقَ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالأرْزَاقِ، ثُمَّ أَعَادَهُمْ فِي صُلْبِهِ، فَلَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يُولَدَ مَنْ أَعْطَى المِيثَاقَ يَوْمَئِذٍ.

﴿١٧٣﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ

(١٧٣) أَوْ يَقُولُوا: إِنَّهُمْ وَرِثُوا الشِّرْكَ عَنْ آبَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ وَإِنَّهُمْ اَقْتَدَوْا بِهِمْ ، وَهُمْ جَاهِلُونَ بِبُطْلانِ شِرْكِ آبَائِهِمْ، فَلِمَاذَا يُهْلِكُهُمْ رَبُّهُمْ بِمَا فَعَلَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ العَمَلِ البَاطِلِ مِنْ أَسْلافِهِمْ، فَهُمْ لاَ ذَنْبَ لَهُمْ، وَلاَ حُجَّةَ عَلَيْهِمْ.

﴿١٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(الآيَاتِ)

(١٧٤) - وَمِثْلَ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ المُسْتَتْبِعِ لِلْمَنَافِعِ الجَلِيلَةِ، نُفَصِّلُ لِلنَّاسِ الآيَاتِ وَالدَّلائِلَ عَلَى وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، لِيَسْتَعْمِلُوا عُقُولَهُمْ فِي التَّبَصُّرِ فِيهَا، وَالتَّدَبُّرِ فِي أَمْرِهَا، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ جَهْلِهِمْ، وَعَنْ تَقْلِيدِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِم، وَيَهْتَدُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ.

﴿١٧٥﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ

(آتَيْنَاهُ) (آيَاتِنَا) (الشَّيْطَانُ)

(١٧٥) - وَاَقْصُصْ، يَا مُحَمَّدُ، عَلَى اليَهُودِ قِصَّةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الذِي آتَيْنَاهُ حُجَجَ التَّوْحِيدِ، وَأَفْهَمْنَاهُ أَدِلَّتَهُ حَتَّى صَارَ عَالِماً بِهَا، فَاَنْسَلَخَ مِنْهَا، وَتَرَكَهَا وَرَاءَهُ ظِهْرِيّاً، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا لِيَهْتَدِيَ بِهَا. وَبَعْدَ أَنْ اَنْسَلَخَ مِنْهَا وَتَرَكَهَا وَرَاءَهُ بِاَخْتِيَارِهِ، لَحِقَهُ الشَّيْطَانُ فَأَدْرَكَهُ وَتَمَكَّنَ مِنَ الوَسْوَسَةِ إِلَيهِ إِذْ

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٧٦

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ ١٧٧

لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ مِنْ نُورِ البَصِيرَةِ، وَلاَ مِنْ أَمَارَاتِ الهِدَايَةِ مَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَبُولِ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، فَصَارَ مِنَ الضَّالِّينَ.

(وَرُوِيَ أنَّ هذِهِ القِصَّةَ هِيَ قِصَّةُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، لا يَسْأَلُ اللهُ شَيْئاً إلاَّ أعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا أَرَادَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، الذِي تَسَلَّمَ أمْرَ بَنِي إسْرائِيلَ بَعْدَ مُوسَى، أنْ يُحَارِبَ الجَبَّارِينَ مِنْ أهْلِ فِلَسْطِينَ، آنْسَلَخَ هذا الرَّجُلُ عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ، وَرَاحَ إلى الجَبَّارِينَ يُحَرِّضُهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: إنَّكُمْ إذَا خَرَجْتُمْ لِقِتَالِ بَنِي إسْرَائِيلَ فَإِنِّي أدْعُو عَلَيْهِمْ فَأُهْلِكُهُمْ).

(لَرفَعْنَاهُ) (هَوَاهُ) (بِآيَاتِنَا)

(١٧٦) - وَلَوْ أرَدْنَا أنْ نَرْفَعَهُ بِتِلْكَ الآيَاتِ وَالعَمَلِ بِهَا إلى دَرَجَاتِ الكَمَالِ لَفَعَلْنَا، بِأنْ نَخْلُقَ لَهُ الهِدَايَةَ خَلْقاً، وَنُلْزِمَهُ العَمَلَ بِهَا طَوْعاً أوْ كَرْهاً، إذْ لاَ يُعْجِزُنَا ذَلِكَ، وَلَكِنَّ هذا الرَّفْعَ مُخَالِفٌ لِسُنَّتِنَا. لَقَدْ رَكَنَ هذا الرَّجُلُ إلى الدُّنيا، وَمَالَ إليها، وَجَعَلَ كُلَّ هَمِّهِ مِنْ حَيَاتِهِ التَّمَتُّعَ بِلَذَائِذِهَا المَادِّيَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَى لَذَّاتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَغَرَّتْهُ كَمَا غَرَّتْ غَيْرَهُ مِنَ العُمْيِ عَنْ أُمُورِ الآخِرَةِ.

وَمَثَلُ هَذا الرَّجُلِ مَثَلُ الكَلْبِ فِي لَهَاثِهِ، فَهُوَ فِي هَمٍّ دَائِبٍ، وَشُغْلٍ شَاغِلٍ، فِي جَمْعِ عَرَضِ الدُّنيا وَزُخْرُفِهَا، وَهُوَ كَاللاَّهِثِ مِنَ الإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ، وَإنْ كَانَ مَا يُعْنَى بِهِ حَقِيراً لاَ يُتْعِبُ وَلا يُعْيِي، وَتَرَاهُ كُلَّمَا أصَابَ سَعَةً مِنَ الرِّزْقِ فِي الدُّنيا، زَادَ طَمَعاً فِيهَا.

وَذَلِكَ المَثَلُ البَالِغُ الحَدَّ فِي الغَرَابَةِ هُوَ مَثَلُ القَوْمِ الذِينَ جَحَدُوا بِآيَاتِ اللهِ، وَآسْتَكْبَرُوا جَهْلاً بِهَا، وَتَقْلِيداً لِلآبَاءِ وَالأجْدَادِ، فَهُمْ قَدْ ظَنُّوا أنَّ إيمَانَهُمْ بِهَا، يَسْلُبُهُمُ العِزَّ وَالجَاهَ، وَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنَ اللَّذَّاتِ. فَاقْصُصْ يَا مُحَمَّدُ قِصَّةَ ذَلِكَ الرَّجلِ عَلَى هَؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، وَيَرَوْنَ الآيَاتِ بِعَيْنِ البَصِيرَةِ، لاَ بِعَيْنِ الهَوَى، فَيَصِلَ الأَمْرُ بِهِم إلى الإِيمَانِ.

(بِآيَاتِنَا)

(١٧٧) - قَبُحَتْ صِفَةُ هَؤُلاءِ القَوْمِ فِي الصِّفَاتِ، وَسَاءَ مَثَلُهُمْ فِي

﴿١٧٨﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

﴿١٧٩﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ

﴿١٨٠﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

الأَمْثَالِ، بِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي الآيَاتِ، وَاسْتِخْلَاصِ العِبَرِ مِنْهَا لِلاهْتِدَاءِ بِهَا وَجَعْلِهَا السَّبِيلَ المُوصِلَةَ إلى السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

(فَأولَئِكَ) (الخَاسِرُونَ)

(١٧٨) - مَنْ يُوَفِّقْهُ اللهُ لِسُلوكِ سُبُلِ الهِدَايَةِ بِاسْتِعْمَالِ عَقْلِهِ وَحَوَاسِّهِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ، بِمُقْتَضَى الفِطْرَةِ، وَإرْشَادِ الدِّينِ، فَهُوَ المُهْتَدِي الذِي شَكَرَ نِعَمَ اللهِ عَلَيهِ، وَأدَّى حَقَّ رَبِّهِ عليهِ، وَمَنْ يَخْذُلْهُ وَيَحْرِمْهُ التَّوْفِيقَ فَيَتَّبِع الشَّيْطَانَ فِي عَدَمِ تَفَهُّمِ آيَاتِهِ، وَفِي التَّقْصِيرِ فِي شُكْرِ رَبِّهِ عَلَى مَا أنْعَمَ بِهِ عَلَيهِ، فَهُوَ الكَفُورُ الذِي خَسِرَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

(آذَانٌ) (أولَئِكَ) (كَالأنْعَامِ) (الغَافِلُونَ)

(١٧٩) - لَقَدْ خَلَقْنَا كَثِيراً مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ لِيَكُونُوا وَقُوداً لِجَهَنَّمَ، لأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلَ أهْلِهَا، وَلاَ يَنْتَفِعُونَ بِشَيءٍ مِنْ جَوَارِحِهِمْ التِي جَعَلَهَا اللهُ سَبِيلاً لِلْهِدَايَةِ، فَلاَ يَسْمَعُونَ الحَقَّ بِآذَانِهِمْ، وَلا يَفْقَهُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ، وَلا يَرَوْنَ النُّورَ بِعُيُونِهِمْ، فَهُمْ كَالبَهَائِمِ وَالأنْعَامِ السَّارِحَةِ، لاَ تَنْتَفِعُ بِحَوَاسِّهَا إلا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَاشِهَا وَبَقَائِهَا، أوْ هُمْ شَرٌّ مِنَ الدَّوَابِّ وَأكْثَرُ ضَلالاً، لأنَّ الدَّوَابَّ قَدْ تَسْتَجِيبُ لِرَاعِيهَا إذا أنِسَتْ بِهِ، وَإنْ لَمْ تَفْقَهْ كَلامَهُ، بِخِلافِ هَؤُلاءِ. ولأنَّ الدَّوَابَّ تَفْعَلُ مَا خُلِقَتْ لَهُ، إمَّا بِطَبْعِهَا وَإمَّا بِتَسْخِيرِهَا. أمَّا الكَافِرُونَ فَإنَّهُمْ خُلِقُوا لِيَعْبُدُوا اللهَ وَيُوَحِّدُوهُ، فَكَفَرُوا بِاللهِ، وَأشْرَكُوا بِهِ فَهُمُ الغَافِلُونَ.

(أسْمَائِهِ)

(١٨٠) - وَللهِ، دُونَ غَيْرِهِ، جَمِيعُ الأسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى أحْسَنِ المَعَانِي، وَأكْمَلِ الصِّفَاتِ، فَاذْكُرُوهُ وَنَادُوهُ بِهَا، إمَّا لِلثَّنَاءِ عَلَيهِ، وَإمَّا لِسُؤَالِهِ العَوْنَ وَالمَغْفِرَةَ، وَمَا أنْتُمْ بِحَاجَةٍ إليهِ. وَادْعُوهُ يَا أيُّهَا المُؤْمِنُونَ، وَاتْرُكُوا جَمِيعَ الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمَائِهِ بِالمَيْلِ فِي ألْفَاظِهَا، أوْ مَعَانِيهَا عَنْ نَهْجِ الحَقِّ، مِنْ تَحْرِيفٍ أوْ تَأوِيلٍ أوْ شِرْكٍ أوْ تَكْذِيبٍ، أوْ زِيَادَةٍ أوْ نُقْصَانٍ، أوْ مَا يَنْفِي وَصْفَهَا بِالحُسْنَى، لأنَّ هَؤُلاءِ المُلْحِدِينَ سَيُجْزَوْنَ جَزَاءً وِفَاقاً عَلَى أعْمَالِهِمْ، وَتَنْزِل بِهِم العُقُوبَةُ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ. فَاجْتَنِبُوا إلْحَادَهُمْ فِي أسْمَاءِ اللهِ لِكَيلا يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أصَابَهُمْ.

(وَفِي الحَدِيث: إنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مَنْ أحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ).
(أخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ)

﴿١٨١﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ

﴿١٨٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ

﴿١٨٣﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ

﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ

﴿١٨٥﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ

يُلْحِدُونَ ـ يَنْحَرِفُونَ وَيَمِيلُونَ إِلَى البَاطِلِ.

(١٨١) ـ وَمِنْ بَعْضِ الأُمَمِ التي خلقْنَاهَا، جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ يَقُومُونَ بالحَقِّ قَوْلاً وَعَمَلاً، يَقُولُونَ الحَقَّ، وَيَدْعُونَ إليهِ ﴿بِالحَقِّ﴾، وَيَعْمَلُونَ بِهِ وَيَقْضُونَ (يَعْدِلُونَ). (وَرُوِيَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلُهُ: هَذِهِ أُمَّتِي، بِالحَقِّ يَحْكُمُونَ وَيَقْضُونَ، وَيَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ). (أَخْرَجَهُ ٱبْنُ جريرٍ عَنِ ٱبْنِ جُرَيْجٍ)

بِهِ يَعْدِلُونَ ـ بِالحَقِّ يَحْكُمُونَ فِي الخُصُومَاتِ.

(بِآيَاتِنَا)

(١٨٢) ـ أَمَّا الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ، وَكَفَرُوا بِهَا، فَسَيَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً مِنْ وُجُوهِ الرِّزْقِ وَالمَعَاشِ فِي الدُّنْيا، حَتَّى يَغْتَرُّوا بِمَا هُمْ فِيهِ، وَيَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ عَلَى شَيءٍ، حَتَّى يُفَاجِئَهُمْ بَأْسُ اللهِ، وَمَا قَضَاهُ عَلَيهِمْ، وَهُمْ غَافِلُونَ، لاَ يَشْعُرُونَ وَلاَ يَعْلَمُونَ.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ـ سَنَسْتَدْنِيهِمْ إلى الهَلاَكِ بِالإِنْعَامِ وَالإِمْهَالِ.

(١٨٣) ـ وَسَيُطِيلُ اللهُ تَعَالَى فِي أَعْمَارِهِمْ، وَسَيُمِدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ لِيَزدَادُوا ٱغْتِرَاراً وَطُغْيَاناً ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، فَتَدْبِيرُهُ تَعَالَى لِلأُمُورِ قَوِيٌّ شَدِيدٌ.

أُمْلِي لَهُمْ ـ أُمْهِلُهُمْ فِي العُقُوبَةِ.

كَيْدِي مَتِينٌ ـ أَخْذِي شَدِيدٌ قَوِيٌّ.

(١٨٤) ـ لَقَدْ بَادَرَ هَؤُلاَءِ الضَّالُّونَ المُكَذِّبُونَ مِنْ قُرَيشٍ، إِلَى تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي حَالِهِ مِنْ بَدْءِ نَشْأَتِهِ، وَفِي حَقِيقَةِ دَعْوَتِهِ، وَدَلاَئِلِ رِسَالَتِهِ، وَآيَاتِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ عَلَى إِعَادَةِ الخَلْقِ إِلى الحَيَاةِ مَرَّةً أُخرى، كَمَا بَدَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، إِنَّهُمْ إِنْ تَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ أَدْرَكُوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ مُحَمَّداً لَيْسَ مَجْنُوناً، وَإِنَّمَا هُوَ نَذِيرٌ نَاصِحٌ، وَمُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّهِ. فَهُوَ يُنْذِرُهُمْ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ إذا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ.

جِنَّةٍ ـ جُنُونٍ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨٥) ـ أَوَ لَمْ يَنْظُرْ هَؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَيَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ، وَيَعْتَبِرُوا بِهِ، وَيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَتَخَلَّوْا عَنِ الأَنْدَادِ وَالأَوْثَانِ؟ فَلْيَحْذَرُوا أَنْ تَكُونَ آجَالُهُمْ قَدِ ٱقْتَرَبَتْ

فَيَهْلِكُوا وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَيَصِيرُوا إلى عَذابٍ أليم. وإذا لَمْ يَتَّعِظُوا بِمَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ، وَبِمَا حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، فَبِأَيِّ وَسِيلَةٍ مِنَ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ يُصَدِّقُونَ؟ وَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ القُرْآنِ يُؤْمِنُونَ، إذا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟

مَلَكُوتٍ - المُلْكِ العَظِيمِ.

﴿١٨٦﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ

(طُغْيَانِهِمْ)

(١٨٦) - لَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى هَذا القُرْآنَ أعْظَمَ أَسْبَابِ الهِدَايَةِ لِلْمُتَّقِينَ، وَجَعَلَ الرَّسُولَ المُبَلِّغَ لَهُ أقْوَى الرُّسُلِ بُرْهَاناً، وَأكْرَمَهُمْ أخْلاقاً، فَمَنْ فَقَدَ الاسْتِعْدَادَ لِلإِيمَانِ بِهَذا الكِتَابِ، وَهَذا الرَّسُولِ، فَهُوَ الذِي أضَلَّهُ اللهُ، وَمَنْ أضَلَّهُ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَيَتْرُكُ تَعَالَى هَؤُلاءِ الضَّالِّينَ فِي طُغْيَانِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي حَيْرَةٍ، وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً لِلْخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ.

الطُّغْيَانُ - تَجَاوُزُ الحَدِّ فِي الكُفْرِ.

العَمَهُ - ظُلْمَةُ البَصِيرَةِ - أوْ هُوَ التَّرَدُّدُ وَالحَيْرَةُ.

﴿١٨٧﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا
لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ
يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(يَسْأَلُونَكَ) (مُرْسَاهَا) (السَّمَاوَاتِ)

(١٨٧) - كَانَ كُفَّارُ قُرَيشٍ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ التِي تَنْتَهِي بِهَا هَذِهِ الدُّنْيا، وَذَلِكَ آسْتِبْعَاداً لِوُقُوعِهَا، وَتَكْذِيباً بِوُجُودِهَا، وَيَقُولُونَ: مَتَى يَحِينُ وَقْتُ رُسُوِّهَا وَآسْتِقْرَارِهَا (أيَّانَ مُرْسَاهَا)؟ وَقَدْ أمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأنْ يَرُدَّ عِلْمَهَا إلى اللهِ تَعَالَى، وَأنْ يَقُولَ لِهَؤُلاءِ السَّائِلِينَ عَنْهَا إنَّ عِلْمَهَا عِنْدَ اللهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ الذِي يُظْهِرُ أمْرَهَا، وَلاَ يَعْلَمُ أحَدٌ وَقْتَهَا إلاَّ هُوَ.

وَحِينَ يَحِينُ وَقْتُهَا فَإِنَّ هَوْلَهَا يَثْقُلُ عَلَى أهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ، وَلاَ يَبْقَى أحَدٌ مِنَ الخَلْقِ إلاَّ وَيُصِيبُهُ ضَرَرٌ مِنْهَا. وَلاَ تَأتِي السَّاعَةُ النَّاسَ إلاَّ فَجْأةً، وَعَلَى حِينِ غِرَّةٍ، وَدُونَ سَابِقِ إنْذَارٍ. وَيَسْأَلُكَ هَؤُلاءِ عَنِ السَّاعَةِ كَأَنَّكَ حَرِيصٌ عَلَى العِلْمِ بِهَا، أوْ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ مُبَالِغٌ فِي سُؤَالِكَ رَبَّكَ عَنْهَا. فَقُلْ لَهُمْ إنَّ اللهَ عِنْدَهُ وَحْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَلكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ تِلْكَ الحَقِيقَةَ.

حَفِيٌّ عَنِ الأمْرِ - بَلِيغٌ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ أوْ عَالِمٌ بِهِ.

أيَّانَ مُرْسَاهَا - مَتَى إثْبَاتُ وُقُوعِهَا.

لاَ يُجَلِّيها - لاَ يَكْشِفُهَا وَيُظْهِرُهَا.

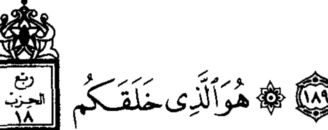
ثَقُلَتْ - عَظُمَتْ لِشِدَّتِهَا.

﴿١٨٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ

(١٨٨) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأنْ يُفَوِّضَ الأمُورَ إلَيهِ تَعَالَى، وَأنْ يُخْبِرَ

ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

النَّاس عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ الغَيْبَ، وَلاَ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى شَيءٍ مِنْهُ، إلاّ مَا أَطْلَعَهُ عَلَيهِ رَبُّهُ. وَأنهُ لَوْ كانَ يَعْلَمُ الغَيْبَ، وَيَعْلَمُ مَتَى يَمُوتُ، لاسْتَكْثَرَ مِنْ فِعْلِ الأعْمالِ الصَّالِحَاتِ وَالخَيْرَاتِ، وَلَتَزَوَّدَ لِلآخِرَةِ؛ أوْ لَوْ أنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إذا آشْتَرَى شَيئاً رَبِحَ فِيهِ لَفَعَلَ ذَلِكَ. أوْ أنَّهُ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ الغَيْبَ لاجْتَنَبَ الشَّرَّ وَالسُّوءَ وَآتَّقَاهُمَا. ثُمَّ أمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بأنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: إنَّهُ نَذِيرٌ مِنَ العَذَابِ، وَبشيرٌ لِلْمُؤْمِنينَ بِالجَنَّةِ، وَهَذِهِ هِيَ مَهمَّتُهُ.



١٨٩ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ

(وَاحِدَةٍ) (تَغشَّاهَا) (لَئِن) (آتَيْتَنَا) (صَالِحاً) (الشَّاكِرِينَ)

(١٨٩) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى خَلْقَهُ إلَى أَنَّ جَميعَ البَشَرِ مَخْلُوقُونَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (هِيَ آدَمُ)، وَأنَّهُ خَلَقَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ زَوْجَها (حَوَّاءَ)، ثُمَّ آنْتَشَرَ النَّاسُ مِنْهُمَا عَنْ طَرِيقِ التَّنَاسُلِ المَعْرُوفِ. وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: إنَّهُ جَعَلَ لِلنَّفْسِ زَوْجاً لَهَا مِنْ جِنْسِها لِيَتآلَفَا، وَلِيَسْكُنَ أحَدُهُما إلى الآخرِ، فَلا أُلفَةَ أعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ. وَحِينَمَا وَاقَعَ الذَّكَرُ الأنْثَى (تَغَشَّاهَا) عَلِقَتْ مِنْهُ. وَكَانَ الحَمْلُ فِي أوَّلِ عَهْدِهِ خَفِيفاً لاَ تَكَادُ الأنْثَى تَشْعُرُ بِهِ. وَلَمَّا تَقَدَّمَ الحَمْلُ بِهَا وَأثْقَلَتْ، تَوَجَّهَ الزَّوْجَانِ إلَى اللهِ رَبِّهما بِالدُّعَاءِ، بأنْ يَرْزُقَهُمَا وَلَداً صَالِحاً (أيْ تَامَّ الخَلْقِ، يَصْلُحُ لِلْقِيَامِ بِالأعْمَالِ النَّافِعَةِ التِي يَعْمَلُها البَشَرُ)، وَأقْسَمَا عَلَى مَا وَطَّنَا نَفْسَيْهما عَلَيهِ مِنَ الشُّكْرِ للهِ عَلَى أنعُمِهِ.

تَغَشَّاهَا - وَاقَعَها.

فَمَرَّتْ بِهِ - فَآسْتَمَرَّتْ بِهِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ.

أثْقَلَتْ - صَارَتْ ذَاتَ ثِقَلٍ بِكِبرِ الحَمْلِ.

صَالِحاً - سَوِيّاً فِي خَلْقِهِ.

١٩٠ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(آتَاهُمَا) (صَالِحاً) (فَتَعَالَى)

(١٩٠) - فَلَمَّا رَزَقَهُمَا اللهُ تَعَالَى وَلَداً سَلِيماً سَوِيّاً، نَسِيَا دَعْوَتَهُمَا للهِ، وَجَعَلا الأصْنَامَ شُرَكَاءَ للهِ فِي عَطِيتِهِ لَهُمَا، وَتَقَرَّبَا إلَيْهَا شَاكِرَيْنِ. فَتَعَالَى اللهُ وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ شَرِكَةٍ فِي المُلْكِ.

(وَيرى الحَسَنُ البَصْرِيُّ أَنَّ المُرَادَ بِالسِّيَاقِ لَيْسَ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَإنَّمَا المُرَادُ المُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا).

١٩١ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

(١٩١) - يَسْتَنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَلَ المُشْرِكِينَ فِي عِبادَتِهِمْ أَنْدَاداً وَأَصْنَاماً مَعَ اللهِ، وَهِيَ مَخْلوقَةٌ مَرْبُوبَةٌ، لاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِها، وَلاَ لِمَنْ يَعْبُدُونَهَا، نَفعاً، وَلاَ ضَرّاً، يَصْنَعُها عابِدُوهَا وَيَخْلُقُونَها بِأيْدِيهِمْ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ هِيَ خَلْقَ

١٩٢ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ

١٩٣ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ

١٩٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

١٩٥ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ

١٩٦ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ

شَيءٍ لِذَلِكَ كَانَ يَنْبَغِي عَلَى ذَوِي العُقُولِ السَّلِيمَةِ أنْ لاَ يَجْعَلُوا المَخْلُوقَ العَاجِزَ شَرِيكاً للهِ الخَالِقِ القَادِرِ القَاهِرِ.

(١٩٢) - وَهَذِهِ الأَصْنَامُ المَعْبُودَةُ وَأَمْثَالُها، لاَ تَسْتَطِيعُ نَصْرَ مَنْ يَعْبُدُونَهَا، كَمَا لاَ تَسْتَطِيعُ نَصْرَ نَفْسِها إذَا آعْتَدَى عَلَيْهَا أحَدٌ، أوْ أَخَذَ مِنْها شَيْئاً.

(صَامِتُونَ)

(١٩٣) - وَهَذِهِ الأَصْنَامُ لاَ تَسْمَعُ دُعَاءَ مَنْ دَعَاهَا وَلاَ تَفْهَمُهُ، وَلاَ تَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهَا، وَسَواءٌ لَدَيْهَا مَنْ دَعَاهَا وَمَنْ دَحَاهَا - كَمَا قَالَ إبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ - .

(صَادِقِينَ)

(١٩٤) - يُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِ: إنَّ هَذِهِ الأَصْنَامَ التِي يَعْبُدُهَا المُشْرِكُونَ، وَيَدْعُونَها مِنْ دُونِ اللهِ، هِيَ حِجَارَةٌ وَمَخْلُوقَاتٌ مِثْلُهُمْ، لاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِها نَفْعاً وَلا ضَرّاً. وَيَقُولُ تَعَالَى لِعَابِدِي هذِهِ الأَصْنَامِ: إنَّهُمْ إنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي زَعْمِهِمْ أنَّها قَادِرَةٌ على مَا يَعْجزُونَ هُمْ عَنْهُ بِقِواهُمْ البَشَرِيَّةِ مِنْ نَفْعٍ وَضَرٍّ، فَلْيَدْعُوا هَذِهِ الأَصْنَامَ لِتَسْتَجِيبَ لَهُمْ، إمَّا بِأنْفُسِها، أوْ بِحَمْلِها الرَّبَّ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عَلَى إعْطَائِهِمْ مَا يَطْلُبُونَ هُمْ مِنْها. وَبِمَا أنَّها لَنْ تَسْتَجِيبَ لِمَنْ يَدْعُوهَا، لأنَّهَا حِجَارَةٌ وَجَمَادَاتٌ، وَمَخْلُوقَاتٌ عَاجِزَةٌ، لِذَلِكَ يَكُونُ مَنْ يَعْبُدُونَها فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ.

(آذَانٌ)

(١٩٥) - وَهَذِهِ الأَصْنَامُ لَيْسَ لَهَا أرْجُلٌ تَمْشِي عَلَيها، وَلاَ أيْدٍ تَضْرِبُ بِهَا وَتَبْطِشُ، وَلاَ عُيُونٌ بِهَا تُبْصِرُ، وَلا آذَانٌ بِهَا تَسْمَعُ، وَلِذَلِكَ فَإنَّهَا لاَ يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ لَهَا أثَرٌ فِي ضَرٍّ أوْ نَفْعٍ. وَقُلْ لَهُم يَا مُحَمَّدُ: آدْعُوا أرْبَابَكُمْ هَؤُلاءِ، وَحَاوِلُوا أنْتُمْ وَإيَّاهُم الكَيْدَ لِي، وَلاَ تُقَصِّرُوا فِي ذَلِكَ، فَإنَّ هذا الكَيْدَ لَنْ يَضُرَّ بِي شَيْئاً.

فَلا تُنْظِرُونِ - فَلاَ تُمْهِلُونِي سَاعَةً.

(الكِتَابَ) (الصَّالِحِينَ) (وَلِيِّيَ)

(١٩٦) - إنَّ اللهَ حَسْبِي، وَهُوَ مُتَوَلِّي أمْرِي وَنَاصِرِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ يَتَوَلَّى نَصْرَ كُلِّ صَالِحٍ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الذِي نَزَّلَ القُرْآنَ بِالحَقِّ عَلَيَّ (الكِتَابَ).

(١٩٧) وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ

(١٩٧) - وَالأَصْنَامُ التِي تَدْعُونَها مِنْ دُونِ اللهِ لاَ تَسْتَطِيعُ نَصْرَكُم إذا سَأَلْتُمُوها النَّصْرَ وَالنَّجْدَةَ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ نَصْرَ نَفْسِها إذا آعْتَدى عَلَيهَا أَحَدٌ.

(١٩٨) وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ

(تَرَاهُمْ)

(١٩٨) - وَإِنْ تَدْعُوا الأَصْنَامَ، التِي يَعْبُدُهَا المُشْرِكُونَ، إِلَى أَنْ يَهْدُوكُمْ إِلَى مَا تُحَصِّلُونَ بِهِ مَقَاصِدَكُمْ وَتَنْتَصِرُونَ بِهِ، لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ، لأَنَّهُمْ حِجَارَةٌ لَهُمْ عُيُونٌ تَنْظُرُ وَلَكِنْ لاَ تُبْصِرُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مَدِّ يَدِ العَوْنِ لأَحَدٍ.

(وَهذا القَوْلُ يَنْطَبِقُ عَلَى المُشْرِكِينَ أَيْضاً. وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ إِنَّ المَقْصُودَ بِهِمْ هُنَا المُشْرِكُونَ).

(١٩٩) خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ

(الجَاهِلِينَ)

(١٩٩) - أَعْرِضْ أَيُّها النَّبِيُّ عَنِ الجَاهِلِينَ، وَسِرْ فِي سَبِيلِ الدَّعْوةِ، وَخُذِ النَّاسَ بِمَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ، وَأْمُرْهُمْ بِكُلِّ أَمْرٍ مُسْتَحْسَنٍ تَعْرِفُهُ العُقُولُ، وَتُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يُخَيَّرُ بَيْنَ أَمْرِينِ إلاَّ آخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا.

(وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ جِبْرِيلَ، عَلَيهِ السَّلاَمُ عَنِ المَقْصُودِ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: (إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ بِأَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ) (رَوَاهُ آبْنُ جَرِيرٍ وَآبْنُ أبي حَاتِمٍ).

وَقِيلَ إنَّ حُسْنَ المُعَامَلَةِ يَكُفُّ العَاصِي عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّمَرُّدِ.

العَفْوُ - هُوَ السَّهْلُ الذِي لاَ كُلْفَةَ فِيهِ.

خُذِ العَفْوَ - خُذْ مَا عَفَا وَصَفَا مِنْ أَخْلاَقِ النَّاسِ

وَأْمُرْ بِالعُرْفِ - المَعْرُوفُ حُسْنُهُ فِي الشَّرْعِ.

(٢٠٠) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(الشَّيْطَانِ)

(٢٠٠) - فَإِذَا مَا آسْتَثَارَ الشَّيْطَانُ غَضَبَكَ لِيَصُدَّكَ عَنِ الإِعْرَاضِ عَنِ الجَاهِلِينَ، وَيَحْمِلَكَ عَلَى مُجَارَاتِهِمْ وَمُجَازَاتِهِمْ، فَآسْتَعِذْ بِاللهِ، وَآسْتَجِرْ بِهِ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِجَهْلِ الجَاهِلِينَ عَلَيكَ، عَلِيمٌ بِمَا يُذْهِبُ عَنْكَ نَزْغَ الشَّيطَانِ.

النَّزْغُ - كَالنَّخْسِ وَهُوَ إِصَابَةُ الجَسَدِ بِرَأْسٍ مُحَدَّدٍ كَالإِبْرَةِ وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ.

(٢٠١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ

(٢٠٢) وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ

(٢٠٣) وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ

يَنْزَغَنَّكَ - يُصِيبَنَّكَ أَوْ يَصْرِفَنَّكَ.

(طَائِفٌ) (الشَّيْطَانِ)

(٢٠١) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّ الْمُتَّقِينَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا أَلَمَّ بِهِمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ بِوَسْوَسَتِهِ إِلَيْهِمْ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، أَوْ لِيُوقِعَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ. . . تَذَكَّرُوا أَنَّ هذا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ عَدُوِّهِمْ وَتَذَكَّرُوا أَنَّ رَبَّهُمْ قَدْ حَذَّرَهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزْغِهِ، وَوَسْوَسَتِهِ، فَتَابُوا وَأَنَابُوا وَاسْتَعَاذُوا بِاللهِ، وَرَجَعُوا إِلَيهِ، فَإِذا هُمْ قَدِ اسْتَقَامُوا وَصَحَوْا (مُبْصِرُونَ).

مَسَّهُمْ طَائِفٌ - أَلَمَّ بِهِمْ وَسْوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

(وَإِخْوَانُهُمْ)

(٢٠٢) - وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الكُفَّارِ، وَهُمُ الجَاهِلُونَ الذِينَ لاَ يَتَّقُونَ اللهَ، تَتَمَكَّنُ الشَّيَاطِينُ مِنْ إِغْوَائِهِمْ فَيَمُدُّونَهُمْ فِي غَيِّهِمْ وَفَسَادِهِمْ، وَيَزِيدُونَهُمْ ضَلاَلاً، وَلا يَكُفُّونَ عَنْ ذَلِكَ وَلا يُقَصِّرُونَ فِيهِ، لأَنَّهُمْ لا يَذْكُرُونَ اللهَ إِذا شَعَرُوا بِالنُّزُوعِ إِلى الشَّرِّ وَلاَ يَسْتَعِيذُونَ بِاللهِ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ وَمَسِّهِ.

يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ - تُعَاوِنُهُمُ الشَّيَاطِينُ فِي الضَّلاَلِ.

لاَ يُقْصِرُونَ - لاَ يَكُفُّونَ عَنْ إِغْوَائِهِمْ.

(بِآيَةٍ) (بَصَائِرُ)

(٢٠٣) - قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ عَلَيهِ السَّلاَمُ: أَلاَ تُجْهِدُ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ الآيَاتِ مِنَ اللهِ حَتَّى نَرَاهَا وَنُؤْمِنَ بِهَا؟ (وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قُرآنِيَّةٍ بِأَنْ تَرَاخَى الوَحْيُ عَلَيْكَ زَمَناً مَا، قَالُوا: لَوْلاَ اخْتَلَقْتَها، وَافْتَعَلْتَ نَظْمَهَا وَتَأْلِيفَهَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ؟).

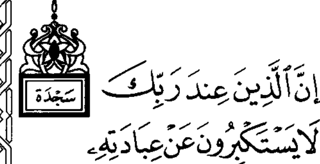
وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: إِنَّنِي لاَ أَتَقَدَّمُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي طَلَبِ شَيْءٍ، وَإِنَّما أَتَّبِعُ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي، فَأَمْتَثِلُ إِلَى مَا يُوحِيهِ إِلَيَّ، فَإِنْ أَنْزَلَ آيَةً أَبْلَغْتُهَا كَمَا أَمَرَ، وَإِنْ مَنَعَهَا لَمْ أَسْأَلْهُ ابْتِدَاءً عَنْهَا. إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لِي بِذَلِكَ. ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلى أَنَّ هذَا القُرآنَ هُوَ أَعْظَمُ المُعْجِزَاتِ، وَأَبْيَنُ الدَّلاَلاتِ وَالبَيِّنَاتِ.

الاجْتِبَاءُ - هُوَ الاخْتِرَاعُ وَالاخْتِلاَقُ.

هذا بَصَائِرُ - هذا القُرآنُ حُجَجٌ بَيِّنَةٌ وَبَرَاهِينُ نَيِّرَةٌ.

(٢٠٤) وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ

(٢٠٥) وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ
مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ
وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ



(٢٠٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ
وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩

(الْقُرْآنُ)

(٢٠٤) - لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ القُرآنَ بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ، أَمَرَ المُؤْمِنينَ بالإِنْصَاتِ إِلَيهِ عِنْدَ تلاوَتِهِ للانْتِفَاعِ بِهُدَاهُ، وَإِعْظاماً لَهُ وَآحْتِراماً. فَإِذا قَرَأَ الإِمَامُ فِي صَلاَةِ الجَهْرِ فَالمُؤْتَمُّونَ بِهِ يِنْصِتُونَ وَلاَ يَقْرَؤُونَ مَعَه.

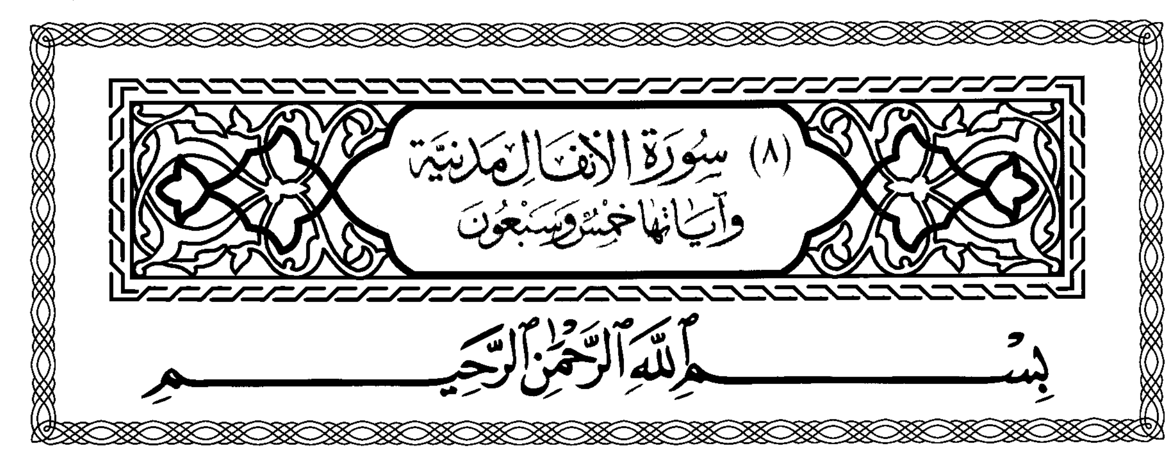
(الغَافِلِينَ) (الآصَالِ)

(٢٠٥) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبادَهُ بِذِكْرِهِ كَثِيراً فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي آخِرِهِ، كَمَا أَمَرَ عِبَادَه بِعبادَتِهِ فِي هَذينِ الوَقْتَينِ، (وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ). وَيَأْمُرُ اللهُ بِأَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ فِي النَّفْسِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَبِالقَوْلِ خُفْيَةً وَسِرّاً، لاَ جَهْراً، وَلِذَلِكَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ خَفِيّاً لاَ نِدَاءً وَلاَ جَهْراً بَلِيغاً، وَبِأَنْ لاَ يَكُونَ الإِنْسَانُ غَافِلاً عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَأَنْ يَسْتَشْعِرَ قَلْبُهُ الخُضُوعَ لَه، وَالخَوْفَ مِنْ قُدْرَتِهِ.

تَضَرُّعاً - مُظْهِراً الضَّرَاعَةَ وَالذِّلَّةَ.

خِيفَةً - خَائِفاً مِنْ عِقَابِهِ.

(٢٠٦) - يُعْلِمُ اللهُ عِبادَهُ أَنَّ المَلاَئِكَةَ الكِرَامَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لاَ يَفْتُرُونَ وَلاَ يَسْتَكْبِرُونَ، فَعَلى المُؤْمِنينَ الاقْتِدَاءُ بِهِمْ.



(١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ
قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ
بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

نصف الحزب ١٨

(٢) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

(يَسْأَلُونَكَ)

(١) ـ الأنفالُ هِيَ المَغانِمُ التي يَغْنَمُها المُقاتِلُونَ فِي الحَرْبِ. وَقَدْ نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ فِي بَدْرٍ حِينَ آخْتَلَفَ المُسْلِمُونَ، بَعْدَ نَصْرِهِمْ عَلَى قُرَيْشٍ، حَوْلَ الطَّرِيقَةِ التِي تُقْسَمُ بِمَوْجِبِهَا الغَنَائِمُ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَدَّعِي الفَضْلَ فِي نَصْرِ المُسْلِمِينَ، وَهَزِيمَةِ أَعْدَائِهِمْ، فَآنْتَزَعَهَا اللهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَجَعَلَهَا إِلى اللهِ، وَإِلَى رَسُولِـهِ، لِيَقْسِمَها الرَّسُولُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ.

وَيقُولُ تَعَالَى: يَسْأَلُكَ المُسْلِمُونَ عَنِ الأَنْفَالِ. قُلْ: هِيَ للهِ يَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمِهِ، وَلِلرَّسُولِ يَقْسِمها وَفْقاً لِمَا شَرَعَهُ اللهُ، فَآتَقُوا اللهَ فِي أُمُورِكُمْ، وَآجْتَنِبُوا مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الخِلافِ حَوْلَ قِسْمَتِها، وَأَصْلِحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَلا تَخْتَصِمُوا وَلا تَتَظَالَمُوا، وَلاَ تَتَشَاتَمُوا، وَلاَ يُعَنِّف بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَمَا آتَاكُمُ اللهُ مِنَ الهُدَى خَيْرٌ مِمَّا تَخْتَصِمُونَ فِيهِ، وَأَطِيعُـوا اللهَ وَرَسُولَهُ فِي قِسْمَتِهَا، فَإِنَّ الرَسُولَ إِنَّمَا يَقْسِمُها وَفْقاً لِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، مِنْ عَدلٍ وَإِنْصَافٍ، وَالمُؤْمِنُونَ المُتَّقُونَ، ذَوُو الإِيمَانِ الكَامِلِ، هُمُ الذِينَ يُطِيعُونَ اللهَ فِيمَا حَكَمَ، وَيُطِيعُونَ رَسُولَهُ فِيمَا قَسَمَ.

الأَنْفَال ـ غَنَائِم الحَرْبِ.
للهِ وَالرَّسُولِ ـ مُفَوَّضٌ إِلَيْهِمَا أَمْرُها.
ذَاتَ بَيْنِكُمْ ـ أَحْوَالَكُمْ التِي يَحْصلُ بِهَا آتِّصَالُكُمْ.

(آيَاتُهُ) (إِيمَاناً)

(٢) ـ يُعَرِّفُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ: الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ فَزِعَتْ قُلُوبُهُمْ وَخَافَتْ (وَجِلَتْ)، وَعَمِلَتْ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَتَرَكَتْ مَا نَهَى عَنْهُ. فَالمُؤْمِنُونَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَهُمُّـوا بِمَعْصِيَةٍ أَوْ يَظْلِمُوا، وَقِيلَ لَهُمْ: آتَّقُوا اللهَ، آرْتَدَعُوا عَمَّا هَمُّوابِهِ خَوفاً مِنَ اللهِ. وَإِذا قُرِىءَ القُرْآنُ عَلَيْهِمْ رَسَخَ

﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

﴿٥﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ

﴿٦﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ

الإيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ وَزَادَ فِيهِ، وَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ، لاَ يَرْجُونَ سِوَاهُ، وَلاَ يَلُوذُونَ إلاَّ بِجَنَابِهِ، وَلاَ يَسْأَلُونَ غَيْرَهُ.

وَجِلَتْ - فَزِعَتْ وَرَقَّتِ ٱسْتِعْظاماً وَهَيْبَةً.

يَتوكَّلُون - يَعْتَمِدُونَ عَلَى اللهِ وَإليهِ يُفَوِّضُونَ أُمورَهُمْ.

(الصَّلاَةَ) (رَزَقْنَاهُمْ)

(٣) - وَبَعْدَ أنْ بَيَّنَ تَعَالَى إيمَانَ المُؤْمِنينَ وَٱعْتِقَادَهُمْ، أشَارَ هُنَا إلَى أعْمَالِهِمْ، فَقَالَ: إنَّهُمْ يُؤَدُّونَ الصَّلاَةَ حَقَّ أَدَائِها، بِخُشُوعٍ وَحُضُورِ قُلُوبٍ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ فِيمَا أمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ جِهادٍ، وَزَكَاةٍ، وَصَدَقَاتٍ، وَيَفْعَلُونَ الخَيْرَاتِ كُلَّهَا.

(أولَئِكَ) (دَرجَاتٌ)

(٤) - وَالمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقَّ الإيمَانِ، لَهُمْ دَرَجَاتٌ مِنَ الكَرَامَةِ وَالزُّلْفَى عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَهُمْ مَنَازِلُ وَمَقَامَاتٌ فِي الجَنَّاتِ، وَيَغْفِرُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيَشْكُرُ لَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ، وَيَرْزُقُهُمْ رِزْقاً طَيِّباً وَافِراً كَرِيماً.

(لَكَارِهُونَ)

(٥) - يَقُولُ تَعَالَى: إنَّكُم كَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ حَوْلَ قِسْمَةِ المَغَانِمِ، فَأخَذَهَا اللهُ مِنْكُمْ، وَجَعَلَهَا لِرَسُولِهِ، يَقْسِمُهَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةُ المُسْلِمِينَ، كَذَلِكَ كَرِهْتُمُ الخُرُوجَ إلى الأعْدَاءِ، وَفَضَّلْتُمُ الاتِّجَاهَ نَحْوَ عِيرِ قُرَيشٍ، لِتَفُوزوا بالمَغْنَمِ، دُونَ التَّعَرُّضِ إلَى مَخَاطِرِ الحَرْبِ، وَلَكِنَّ اللهَ قَدَّرَ لِقَاءَكُمْ بِالمُشْرِكِينَ عَلى غَيْرِ مَوْعِدٍ، وَعَلَى غَيْرِ ٱنْتِظَارٍ، فَأخْرَجَكُمْ رَبُّكُمْ إلَيْهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ كَارِهُونَ لِلْحَرْبِ، وَنَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةُ الإسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ.

(يُجَادِلُونَكَ)

(٦) - خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ بِالمُسْلِمِينَ مِنَ المَدِينَةِ إلَى بَدْرٍ لِيَعْتَرِضَ سَبِيلَ قَافِلَةٍ لِقُرَيشٍ قَادِمَةٍ مِنَ الشَّامِ إلَى مَكَّةَ، وَعَلِمَ أبُو سُفْيَانَ - وَكَانَ عَلَى رَأسِ القَافِلَةِ - بِخُرُوجِ المُسْلِمِينَ فَأرْسَلَ إلَى قُرَيشٍ خَبَراً لِيَخْرُجُوا لِمَنْعِ المُسْلِمِينَ مِنَ الاسْتِيلاءِ عَلَى القَافِلَةِ. وَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُرُوجِ قُرَيشٍ، وَكَانَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ يُفَضِّلُونَ العِيرَ، وَيَكْرَهُونَ القِتَالَ، وَيُرِيدُونَ المَغْنَمَ السَّهْلَ. وَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ إنَّهُ لَوْ قَالَ لَهُمْ إنَّهُمْ سَيَلْقَونَ حَرْباً لاسْتَعَدُّوا لَهَا. وَأخَذُوا يُجَادِلُونَ النَّبِيَّ فِي أمْرِ القِتَالِ، مَعَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أعْلَمَهُمْ بِأنَّ اللهَ وَعَدَهُ النَّصْرَ، وَكَانَ وَعْدُ اللهِ حَقّاً،

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ ٧

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٨

فَهُمْ في ذَهَابِهِمْ إلى القِتَالِ كَأَنَّما يُسَاقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إليهِ.

(الطَّائِفَتَينِ) (بِكَلِمَاتِهِ) (الْكَافِرِينَ)

(٧) ـ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إلى بَدْرٍ وَهُمْ فِي حَوالَي ألفِ رَجُلٍ، وَانْحَرَفَ أبُو سُفْيَانَ بالقَافِلَةِ إلى طَريقِ البَحْرِ، وَخَرجَ المُسْلِمُونَ حَتّى وَصَلُوا بَدْراً، وَهُمْ لا يَعْلَمُونَ بِوُجُودِ قُرَيشٍ بِالقُرْبِ مِنْهُمْ. وَلَمَّا عَلِمَ الرَّسُولُ ﷺ بِوُجُودِ قُرَيْشٍ قَرِيباً مِنهُمْ اسْتَشَارَ أصْحَابَهُ، وَكَانُوا حَوالَي ٣١٧ رَجُلاً، فِيمَا يَفْعَلُ. وَكَانَ يُرِيدُ مَعْرِفَةَ رَأيِ الأنْصَارِ، لأنَّهُمْ كَانُوا الكَثْرَةَ مِنْ أصْحَابِهِ، فَتَكَلَّمَ المُهَاجِرُونَ يُفَوِّضُونَ الأمْرَ إلى رَسُولِ اللهِ، وَالأنْصَارُ سَاكِتُونَ، فَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُكَرِّرُ طَلَبَ المَشُورَةِ، يَقُولُ: أشِيرُوا عَلَيَّ أيُّها النَّاسُ. وَفَطِنَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِ ـ وَهُوَ سَيِّدُ الأوْسِ ـ، إلى أنَّ الرَّسُولَ إنَّمَا يُرِيدُ مَعْرِفَةَ رَأيِ الأنْصَارِ وَمَوْقِفَهُمْ، فَقَالَ قَوْلاً كَرِيماً، وَفَوَّضَ الأمْرَ إلى رَسُولِ اللهِ، وَأكَّدَ لَهُ أنَّهُمْ لَنْ يَتَخَلَّفُوا بِنُفُوسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ.

وَوَعَدَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأنَّهُ سَيُظْفِرُهُ بِإحْدَى الطَّائِفَتَينِ، فَإمَّا أنْ يَنْصُرَهُ على قُرَيشٍ فِي سَاحَةِ الحَرْبِ، وَإمَّا أنْ يُمَكِّنَهُ مِنَ الاسْتِيلاءِ عَلَى القَافِلَةِ وَكَانَ كَثيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ ـ وَأكْثَرُهُمْ فُقَرَاءُ ـ يُرِيدُونَ العِيرَ، لأنَّها تُصْلِحُ حَالَهُمْ مِنْ دُونِ تَعَرُّضٍ إلى مَخَاطِرِ الحَرْبِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ المُسْلِمُونَ يَتَشَاوَرُونَ اقْتَرَبَتْ قُرَيْشٌ كَثيراً مِنْ مَوَاقِعِ المُسْلِمِينَ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ، وَدُونَ أنْ يَعْلَمَ أحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِمَكَانِ الآخَرِ، فَلَمْ يَتْرُكِ اللهُ خِيَاراً لأحَدٍ مِنَ الجَانِبَيْنِ، فَكَانَتِ الحَرْبُ. وَكَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَبِذَلِكَ ثَبَّتَ اللهُ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ المُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ، وَسَحَقَ قُوَّةَ المُشْرِكِينَ، وَقَضَى عَلَى رُؤُوسِ الكُفْرِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَأذَلَّ الشِّرْكَ وَأهْلَهُ، وَأعَزَّ الإسْلاَمَ وَأهْلَهُ.

الطَّائِفَتَينِ ـ العِيرِ وَالقَافِلَةِ أوِ النَّفِيرِ.

ذَاتِ الشَّوْكَةِ ـ ذَاتِ السِّلاحِ وَالقُوَّةِ وَهِيَ النَّفِيرُ.

دَابِرَ الكَافِرِينَ ـ آخِرَهُمْ، وَمَتَى قُطِعَ الدَّابِرُ قُطِعَ الأوَّلُ وَهَلَكَ.

(البَاطِلَ)

(٨) ـ وَقَدْ وَعَدَ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِمَا وَعَدَهُمْ، وَأرَادَ أنْ يَلْتَقِيَ المُؤْمِنُونَ بِالقُوَّةِ الحَرْبِيَّةِ لِقُرَيشٍ لِيَكْسِرَ شَوْكَةَ الشِّرْكِ، وَيُثَبِّتَ الإسْلامَ،

وَيَرْفَع رايَتَهُ (يُحِقَّ الحقَّ)، وَلَوْ كَرِهَ المُجرِمُونَ المُعْتَدُونَ، وَلاَ يَتَحَقَّقُ ذلكَ بالاسْتِيلاءِ عَلَى العِيرِ، وَإِنَّما بِالقَضاءِ عَلَى رُؤوسِ الشِّرْكِ وَقادَتِهِ.

(٩) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ

(المَلائِكَةِ)

(٩) - حِينَما ٱلتقتِ الفِئَتانِ، المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ فِي سَاحَةِ المَعْرَكَةِ، وَجَدَ المُسْلِمُونَ المُشْرِكِينَ كَثِيري العَدَدِ، فَاسْتَغاثَ الرَّسُولُ بِرَبِّهِ، وَقالَ: اللَّهُمَّ أنجِزْنِي وَعْدَكَ الذي وَعَدْتَنِي. فَأنْزَلَ اللهُ تَعالَى هٰذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ. وَفِيها يُعْلِمُ اللهُ تَعالَى رَسُولَه أنَّهُ آسْتَجابَ لِدُعائِهِ وَدُعاءِ المُسْلِمِينَ، وَأنَّهُ سَيَمُدُّهُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ يَأْتُونَهُمْ مَدداً يُرْدِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، أيْ يَأتِي بَعْضُهُمْ إثْرَ بَعْضٍ.

مُرْدِفِينَ - يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضا.

(١٠) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(وَلِتَطْمَئِنَّ)

(١٠) - وَيَذْكُرُ تَعالَى: أنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ إرْسالَ المَلائِكَةِ لإمْدادِ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ إلا بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَطْمِيناً لِقُلُوبِهِمْ، بِأنَّهُمْ سَيَنْتَصِرُونَ، وَتَثْبِيتاً لأقْدامِهِمْ أثْناءَ القِتالِ، لأنَّهُ قادِرٌ عَلَى نَصْرِهِمْ بِدُونَ ذلِكَ، لأنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ العَزِيزُ الجانِبِ، الحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ.

(١١) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ

(الشَّيْطانِ)

(١١) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ بِأنَّهُ أنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِإلْقائِهِ النُّعاسَ عَلَيْهِمْ لِيُؤَمِّنَهُمْ بِهِ مِنَ الخَوْفِ الذي آعْتَراهُمْ مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ بِالنِّسْبَةِ إلى قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، كَمَا أنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِأنْ أمْطَرَتِ السَّماءُ فَمَلأَ المُسْلِمُونَ أوْعِيَتَهُمْ، وَشَرِبُوا وَتَطَهَّرُوا، فَارْتاحَتْ نُفُوسُهُمْ، وَكَانَ بَيْنَ مَواقِعِهِمْ وَمَواقِعِ المُشْرِكِينَ أرْضٌ رَمْلِيَّةٌ، فَلَمَّا نَزَلَ المَطَرُ ثَبَتَ رَمْلُها تَحْتَ الأقْدامِ، فَكانَ ذلِكَ عَوْناً لِلْمُسْلِمِينَ فِي المَعْرَكَةِ.

يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ - يَجْعَلُهُ غاشِياً عَلَيْكُمْ كالغِطاءِ.

أمَنَةً مِنْهُ - أمْناً مِنَ اللهِ وَتَقْوِيَةً لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ.

رِجزَ الشَّيْطانِ - وَسْوَسَتَهُ وَتَخْوِيفَهُ إيَّاكُمْ.

لِيَرْبِطَ - لِيَشُدَّ وَيُقَوِّيَ بِاليَقِينِ وَالصَّبْرِ.

(١٢) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

(المَلائِكَةِ) (آمَنُوا)

(١٢) - وَهٰذِهِ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ أظْهَرَها اللهُ تَعالَى لِلْمُسْلِمِينَ لِيَشْكُرُوهُ عَلَيْها، فَقَدْ أوْحَى اللهُ تَعالَى إلَى المَلائِكَةِ الذِينَ أرْسَلَهُمْ لِنَصْرِ المُسْلِمِينَ، بِأنْ

كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ

يُثَبِّتُوا المُسْلِمِينَ وَيُقَوُّوا قُلُوبَهُمْ، فَيُلْهِمُوهُمْ تَذَكُّرَ وَعْدِ اللهِ لِرَسُولِهِ بِالنَّصْرِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَجْعَلُ الرُّعْبَ يَسْتَوْلِي عَلى قُلوبِ المُشْرِكِينَ فَيُصِيبُهُمُ الفَزَعُ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ المَلاَئِكَةَ بِأَنْ يَضْرِبُوا رِقَابَ المُشْرِكِينَ وَيَقْطَعُوهَا، وَبِأَنْ يَقْطَعُوا الأَيدِي ذَاتَ البَنَانِ التي هِيَ أَدَاةُ الضَّرْبِ فِي الحَرْبِ.

(وَقِيلَ إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ**﴾، هُوَ أَمْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ لاَ لِلْمَلائِكَةِ، وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ مِنَ السِّيَاقِ).

أَنِّي مَعَكُمْ ـ أَنِّي مُعِينُكُمْ عَلَى تَثْبِيتِ المُؤْمِنِينَ.

الرُّعْبَ ـ الخَوْفَ وَالفَزَعَ.

كُلَّ بَنَانٍ ـ كُلَّ الأَطْرَافِ أَيْ كُلَّ مِفْصَلٍ.

(١٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(١٣) ـ وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالى المَلائِكَةَ بِذَلِكَ لأَنَّ الكَافِرِينَ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُما، وَابْتَعَدُوا عَنْهُمَا، وَتَرَكُوا شَرْعَ اللهِ. وَمَنْ يُخَالِفْ شَرْعَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَالِبُ لِمَنْ خَالَفَهُ، وَلاَ أَحَدَ أَجْدَرُ بِالعِقَابِ مِمَّنْ يُخَالِفُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

شَاقُّوا اللهَ ـ خَالَفُوا وَعَصَوْا وَعَانَدُوا.

(١٤) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ

(لِلْكَافِرِينَ)

(١٤) ـ إِنَّ هَذا العِقَابَ نَزَلَ بِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، أَيُّها الكَافِرُونَ المُشَاقُّونَ للهِ وَرَسُولِهِ: مِنِ انْكِسَارٍ وَذِلَّةٍ وَخِزْيٍ.. إِنَّما هُوَ عِقَابُ الدُّنيا الذي عَجَّلَهُ اللهُ لَكُمْ فِيهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ، إِنْ أَصْرَرْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَهُوَ أَشَدُّ وَأَدْهَى مِنْ عَذابِ الدُّنيا.

(١٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(١٥) ـ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِالثَّبَاتِ فِي المَعْرَكَةِ، وَبِمُوَاجَهَةِ الكَافِرِينَ بِقُلُوبٍ مُؤْمِنَةٍ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى عَدَمِ الفِرارِ وَتَوْلِيَةِ الظُّهُورِ لِلأَعْدَاءِ، وَإِنْ كَانَ الكَافِرُونَ أَكْثَرَ مِنَ المُؤْمِنِينَ عَدداً، لأَنَّ الفِرَارَ يُحْدِثُ الوَهَنَ فِي الجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ المُقَاتِلِ.

زَحْفاً ـ جَيْشاً زَاحِفاً نَحْوَكُمْ.

(١٦) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ

(يَوْمَئِذٍ) (مَأْوَاهُ)

(١٦) ـ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى سَمَحَ لِلْمُقَاتِلِ بِحُرِّيَّةِ الحَرَكَةِ أَثْنَاءَ المَعْرَكَةِ، كَأَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَكَانٍ فِي المَعْرَكَةِ إِلى مَكَانٍ آخَرَ، لِنُصْرَةِ فَرِيقٍ مِن

مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ

المُسْلِمِينَ، أَوْ لِسَدِّ ثَغْرَةٍ نَفَذَ مِنها العَدُوُّ، فَالمُهِمُّ هُوَ أَنْ يَكُونَ هَدَفُ المُقَاتِلِ المُسْلِمِ النَّصْرَ أَوِ الشَّهَادَةَ، وَإِطَاعَةَ أَمْرِ القِيَادَةِ. أَمَّا الذِينَ يَتْرُكُونَ المَعْرَكَةَ فِراراً وَهَرَباً مِنَ المَوْتِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَتَوَعَّدُهُمْ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(وَعَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ التَّوَلِّيَ يَوْمَ الزَّحْفِ مِنَ الكَبَائِرِ) (أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ)

مُتحرِّفاً - مُظْهِراً الفِرَارَ خُدْعَةً ثُمَّ يَكُرُّ.

مُتحيِّزاً إلى فِئةٍ - مُنْضَمّاً إِلى فِئَةٍ لِيُقَاتِلَ العَدُوَّ مَعَهَا.

بَاءَ بِغَضَبٍ - رَجَعَ مُتَلَبِّساً بِهِ، مُسْتَحِقّاً لَهُ.

١٧ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(١٧) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ أَنَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِ العِبَادِ، وَأَنَّهُ المَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُم. وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْتُلُوا الكُفَّارَ يَوْمَ بَدْرٍ بِحَوْلِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ، بَلِ اللهُ هُوَ الذِي أَظْفَرَكُمْ بِهِمْ، وَأَظْهَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ الذِي قَتَلَهُمْ بِأَيْدِيكُمْ. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَبْلَ بَدْءِ المَعْرَكَةِ قَدْ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ المُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ أَصَابَهُ شَيءٌ مِنْهَا فِي عَيْنَيْهِ أَوْ فِي حَلْقِهِ أَوْ فِي مِنْخَرِهِ.. فَكَانَتْ مِمَّا سَاعَدَ عَلَى إِلقَاءِ الذُّعْرِ فِي نُفُوسِ قُرَيشٍ وَخِذْلاَنِهِمْ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾، فَالرَّمْيَةُ لَمْ تَكُنْ لِتَبْلُغَ قُرَيْشاً لَوْلاَ إِرَادَةُ اللهِ. وَقَدْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ لأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ المُؤْمِنِينَ القَلِيلِي العَدَدِ بِإِظْهَارِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، الذِي يَفُوقُهُمْ عَدَداً وَعُدَّةً، اخْتِبَاراً حَسَناً، وَلِيَعْرِفُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ وَلِيَشْكُرُوهَا، وَاللهُ تَعَالَى سَمِيعٌ لاسْتِغَاثَةِ الرَّسُولِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ.

لِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ - لِيُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بِالنَّصْرِ وَالأَجْرِ.

١٨ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ

(الكَافِرِينَ)

(١٨) - وَهَذِهِ بِشَارَةٌ أُخْرَى لِلْمُسْلِمِينَ تُضَافُ إِلَى نَصْرِ اللهِ لَهُمْ، فَقَدْ أَعْلَمَهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُضْعِفُ كَيْدَ الكُفَّارِ، وَمُوهِنُ تَدْبِيرِهِمْ وَمَكْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَبِالمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ مُصَغِّرٌ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَجَاعِلُهُمْ إِلى تَبَارٍ وَبَوارٍ.

مُوهِنٌ - مُضْعِفٌ.

١٩ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ

(١٩) - قَالَ أَبُو جَهْلٍ فِي بَدْءِ المَعْرَكَةِ: (اللَّهُمَّ أَقْطَعُنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لاَ نَعْرِفُ، فَأَحِنْهُ الغَدَاةَ). فَكَانَ هُوَ المُسْتَفْتِحَ بِاللهِ وَالمُسْتَنْصِرَ بِهِ.

عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ قُرَيشاً، قَبْلَ أَنْ تَخرُجَ إِلَى بَدْرٍ، طَافَتْ بالكَعْبَةِ وَأَخذَتْ بِأَسْتَارِها، فَٱسْتَنْصَرُوا بِاللهِ وَقَالُوا: (اللَّهُمَّ ٱنْصُرْ أَعلَى الجُنْدَينِ، وَأَكْرَمَ الفِئَتينِ، وَخَيْرَ القِبْلَتَيْنِ). فَرَدَّ اللهُ تَعالَى عَلَيهِمْ بِهٰذِهِ الآيَةِ وَمَعْنَاهَا: إِنْ تَسْتَنصِرُوا بِاللهِ، وَتَسْتَحْكِمُوهُ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْدائِكُمُ المُؤْمِنِينَ، فَقَدْ جاءَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ. وَإِنْ تَنتَهُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ بِـاللهِ، وَالتَّكْذِيبِ لِرَسُولِهِ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ عُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالضَّلالِ وَمُحارَبَةِ النَّبِيِّ وَالمُؤْمِنينَ وَعَداوَتِهِمْ، نَعُدْ لَكُمْ بِمِثْلِ هٰذِهِ الوَقْعَةِ، وَلَنْ تَنفَعَكُمْ وَلَنْ تُفِيدَكُم (تُغْنِيَ عَنْكُمْ) جُمُوعُكُمْ شَيْئاً، وَلَنْ تُحقَّقَ لَكُمُ النَّصْرَ، فَإِنَّ اللهَ مَعَ رَسُولِهِ وَمَعَ المُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كَانَ مَعَ اللهِ فَلا غَالِبَ لَهُ.

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا ـ إِنْ تَطْلُبُوا النَّصْرَ لإِحْدَى الفِئَتَيْنِ.

٢٠ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ

(يا أَيُّها) (آمَنُوا)

(٢٠) ـ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بِإِطَاعَةِ اللهِ، وَإِطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَبِالاسْتِجَابَةِ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاهُمْ إِلى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ مُخَالَفَتِهِ، وَتَرْكِ طَاعَتِهِ، وَرَفْضِ الاسْتِجَابَةِ لَهُ إِذَا دَعَاهُمْ إِلى الجِهادِ، لأَنَّهُـمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ الذِي يَأمُرُهُمْ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ وَمُوالاتِهِ وَنَصْرِهِ، وَيَعْقِلُونَهُ.

٢١ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

(٢١) ـ وَلاَ تَكُونُوا كَالمُنَافِقِينَ وَكَالمُشْرِكِينَ الذِينَ قَـالُوا: سَمِعْنَا مَا قُلْتَهُ يَا مُحَمَّدُ، وَلٰكِنَّهُمْ فِي الحَقِيقَةِ لَمْ يَسْمَعُوا شَيْئاً، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، فَكَانُوا كَغَيرِ السَّامِعِينَ (وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ).

٢٢ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

(٢٢) ـ وَهٰؤُلاءِ الَّـذِينَ يَقُولُـونَ سَمِعْنَـا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُـونَ، هُمْ شَرُّ المَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى سَطْحِ الأَرضِ، وَأَسْوَؤُهـا لأَنَّهُمْ صُمٌّ لاَ يَسْمَعُونَ بِآذَانِهِمْ، وَبُكْمٌ عَنْ فَهْمِ الحَقِّ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَهُ. وَكُلُّ الدَّوابِّ مُطِيعَةٌ لِخَالِقِها، أَمَّا هٰؤُلاءِ فَقَدْ خَلَقَهُمُ اللهُ لِعِبَادَتِهِ فَكَفَرُوا، فَهُمْ شَرٌّ مِنَ الدَّوابِّ.

الـدَّوابُّ ـ كُلُّ مَـا دَبَّ عَلَى الأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقاتٍ وَقَلَّمَـا تُسْتَعْمَـلُ لِلإِنسَانِ، وَٱسْتِعْمَالُهَا هُنَا لِلْمُشْرِكِينَ نَوْعٌ مِنَ التَّحْقِيرِ لِشَأْنِهِمْ.

٢٣ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ

(٢٣) ـ إِنَّ هذِهِ المَخْلُوقَاتِ لاَ تَفْهَمُ فَهْماً صَحِيحاً، وَلَيْسَ لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي عَمَلِ خَيْرٍ صَالِحٍ، وَلَوْ كَانَ اللهُ يَعْلَمُ فِيهِم ٱسْتِعْدَاداً لِلإِيْمَانِ وَالاهْتِدَاءِ بِنُورِ النُّبُـوَّةِ لأَسْمَعَهُمْ وَأَفْهَمَهُمْ، وَلٰكِنَّهُمْ لاَ خَيْرَ فِيهِمْ، وَلِذٰلِـكَ لَـمْ يُسْمِعْهُمْ، لأَنَّـهُ تَعَالَـى يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا عَنِ القَبُولِ قَصْداً وَعِنَاداً، وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ.

﴿٢٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(٢٤) - يَأمُرُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ بِالاسْتِجابَةِ إلى دَعْوَتِه تَعالَى، وَإِلى دَعْوَةِ رَسُولِهِ ﷺ التي أَمَرَهُ اللهُ بِإِبْلاغِها إِلَيْهِمْ، لأنَّها تُزكِّي نُفُوسَهُمْ وَتُطَهِّرُها، وَتُحْيِيها بالإيمانِ، وَتَرْفَعُها إلى مَراتِبِ الكَمالِ فَتَحْظَى بِرِضا اللهِ، ثُمَّ يُعْلِمُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ بِأَنَّهُ قائِمٌ عَلى قُلوبِ العِبادِ يُوَجِّهُها كَيْفَ يَشاءُ، فَيَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، فَيُميتُ الإِحْساسَ وَالوِجْدانَ وَالإِدْراكَ فِيهِ، فَتُشَلُّ الإرادَةُ، وَيَفْقِدُ الإِنْسانُ سَيْطَرَتَهُ عَلى أَعْمالِهِ، وَيَتْبَعُ هَواهُ، فَلا تَعُودُ تَنْفَعُ فِيهِ المَواعِظُ وَالعِبَرُ. وَاللهُ تَعالَى هُوَ وَحْدَهُ القادِرُ عَلى أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِمّا تَرَدَّوْا فِيهِ، إِذا اتَّجَهُوا إلى الطَّريقِ المُسْتَقيمِ.

ثُمَّ يَحْشُرُ اللهُ العِبادَ إليهِ يَوْمَ القِيامَةِ لِيُحاسِبَهُمْ عَلى أَعْمالِهِمْ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَيْها بِما يَسْتَحِقُّونَ.

يُحْيِيكُمْ - يُورِثُكُمْ حَياةً أَبَدِيَّةً في نَعِيمٍ سَرْمَدِيٍّ.

﴿٢٥﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(٢٥) - يُحَذِّرُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ مِنْ وُقوعِ البَلاءِ وَالفِتَنِ بَيْنَهُمْ إذا لَمْ يَقُومُوا بِواجِبِهِمْ نَحْوَ دِينِهِم وَجَماعَتِهِمْ في الجِهادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَفي الضَّرْبِ عَلى أَيْدي المُفْسِدينَ، وَفي النُّصْحِ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُسْلِمينَ، وَفي إِطاعَةِ أولي الأَمْرِ. وَيُنَبِّهُهُمْ تَعالَى إلى أَنَّ العِقابَ الذي يُنْزِلُهُ اللهُ بِالأُمَمِ المُقَصِّرَةِ بِالقِيامِ بِواجِباتِها لا يُصِيبُ السَّيِّئَ وَحْدَهُ، وَإِنَّما يَعُمُّ بِهِ المُسيءَ وَغَيْرَهُ، وَيُعْلِمُهُمْ أَنَّهُ شَديدُ العِقابِ لِلأُمَمِ التي تُخالِفُ سُنَنَهُ وَهُدَى دِينِهِ، وَتُقَصِّرُ في دَرْءِ الفِتَنِ، وَفي التَّعاوُنِ عَلى دَفْعِها، وَالقَضاءِ عَلَيْها.

(وَقالَ ابْنُ عَبّاسٍ في تَفْسيرِ هَذِهِ الآيَةِ: أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ أَنْ لا يُقِرُّوا المُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ فَيَعُمَّهُمُ اللهُ بِالعَذابِ).

﴿٢٦﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(فَآواكُمْ) (الطَّيِّباتِ)

(٢٦) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنينَ إلَى ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الوَفيرَةِ، فَقَدْ كانُوا قَليلي العَدَدِ، مُسْتَضْعَفينَ في الأَرْضِ، يَعْتَدي عَلَيهِم النّاسُ، خائِفينَ مِنْ مُجْرِمي قُرَيْشٍ، فَقَوّاهُمْ وَآواهُمْ، وَنَصَرَهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ، وَكُلُّ هَذِهِ النِّعَمِ التي أَنْعَمَ بِها اللهُ عَلَيْهِمْ

تَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَيهَا، فَاللهُ تَعَالَى مُنْعِمٌ يُحِبُّ الشُّكْرَ مِنْ عِبَادِهِ.

يَتَخَطَّفَكُمُ - يَسْتَلِبُوكُمْ وَيَصْطَلِمُوكُمْ بِسُرْعَةٍ.

(٢٧) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَمَانَاتِكُمْ)

(٢٧) - نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَبِي لُبَابَةَ حِينَ بَعَثَهُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ، فَاسْتَشَارَ اليَهُودُ أَبَا لُبَابَةَ - وَكَانَ حَلِيفاً لَهُمْ - فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالنُّزُولِ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، أَيْ إِنَّهُ الذَّبْحُ. ثُمَّ شَعَرَ أَنَّهُ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَرَبَطَ نَفْسَهُ فِي سَارِيَةِ المَسْجِدِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ لاَ يَذُوقُ طَعَاماً حَتَّى تَابَ اللهُ عَلَيهِ، فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. (وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، الذِي أَرْسَلَ رِسَالَةً إِلى قُرَيشٍ مَعَ امْرَأَةٍ يُعْلِمُهَا فِيها بِأَنَّ الرَّسُولَ تَجَهَّزَ لِغَزْوِهِمْ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ). وَالآيَةُ عَامَّةٌ.

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الآيَةِ بِأَنْ لاَ يَخُونُوا اللهَ بِارْتِكَابِ الذُّنُوبِ، وَأَنْ لاَ يَخُونُوا رَسُولَهُ بِتَرْكِ سُنَنِهِ، وَارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْ لاَ يَخُونُوا أَمَانَاتِهِمْ فِي أَعْمَالِهِمْ التِي ائْتَمَنَ اللهُ العِبَادَ عَلَيهَا: يَعْنِي الفَرَائِضَ، وَهِيَ تَشْمَلُ أَمَانَةَ الإِنْسَانِ نَحْوَ النَّاسِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَهُمْ: كَالمِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، وَأَدَاءِ الشَّهَادَةِ بِالحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَكِتْمَانِ السِّرِّ.. إلخ. فَالأَمَانَةُ وَاحِدَةٌ وَلا تَبْعِيضَ فِيهَا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مَسَاوِىءَ الخِيَانَةِ، وَسُوءَ عَاقِبَتِهَا.

(٢٨) وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ

(أَمْوَالُكُمْ) (وَأَوْلاَدُكُمْ)

(٢٨) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَاكُمُ الأَمْوَالَ وَالأَوْلاَدَ لِيَخْتَبِرَ إِيمَانَكُمْ، وَلِيَرَى هَلْ تَشْكُرُونَ رَبَّكُم عَلَيْهَا، وَتُطِيعُونَهُ فِيهَا، أَمْ تَشْتَغِلُونَ بِهَا عَنْهُ، وَتَعْتَاضُونَ بِهَا مِنْهُ؟ وَثَوابُ اللهِ وَعَطَاؤُهُ وَجَنَّاتُهُ خَيْرٌ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ، فَالأَوْلاَدُ قَدْ يَكُونُ مِنْهُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ، وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ لاَ يُغْنُونَ عَنِ الإِنْسَانِ شَيْئاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَدَى اللهِ الثَّوَابُ الجَزِيلُ الذِي يُغْنِي الإِنْسَانَ عَنِ المَالِ وَالوَلَدِ.

فِتْنَةٌ - اخْتِبَارٌ وَابْتِلاءٌ.

(٢٩) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٩) - يُخْبِرُ تَعَالَى النَّاسَ أَنَّهُمْ إذا آمَنُوا بِهِ وَاتَّقَوْا، فَاتَّبَعُوا أَوَامِرَهُ، وَانْتَهَوْا عَنْ زَوَاجِرِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرَجاً، وَمِنْ ضِيقِهِمْ مَخْرَجاً،

لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

وجعل لَهُمْ نُوراً وَهُدًى (فُرْقاناً) يُفرِّقُون بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ ، وَبَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكَفَّر عنهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَغَفَرَ ذُنُوبَهُمْ، وَاللهُ عَظِيمُ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، جَزِيلُ الثَّوابِ، يُثِيبُ عَلَى القَلِيلِ ، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الكَثِيرِ.

فُرْقَاناً - هِدَايَةً وَنُوراً، أَوْ نَجاةً وَمَخْرَجاً.

٣٠ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

(المَاكِرِينَ)

(٣٠) - تَآمَرَ المُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُرِيدُونَ سَجْنَهُ أَوْ قَتْلَهُ أَوْ إِخْرَاجَهُ مِنْ مَكَّةَ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِخُطَّتِهِمْ. وَجَاءَ جِبْرِيلُ، عَلَيهِ السَّلَامُ، فَأَمَرَهُ بِأَلاَّ يَبِيتَ فِي مَكَانِهِ الذِي يَبِيتُ فِيهِ، فَدَعَا الرَّسُولُ عَلِيَّ بْنَ أبي طَالِبٍ، فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَبِيتَ فِي فِرَاشِهِ، وَيَتَسجَّى بِبُرْدِهِ فَفَعَلَ. ثُمَّ خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ وَالقَوْمُ الذِينَ كُلِّفُوا بِقَتْلِهِ وَاقِفُونَ بِالبَابِ، وَكَانَ مَعَهُ حَفْنَةٌ مِنْ تُرابٍ، فَجَعَلَ يَذْرُوهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَأَخَذَ اللهُ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ (يَس).

وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنَّهُمْ يُخَطِّطُونَ وَيَمْكُرُونَ وَيُدَبِّرُونَ لإِيقَاعِ الأَذَى بِكَ وَبِالمُؤْمِنِينَ، وَاللهُ يَمْكُرُ بِهِمْ، وَيُدَبِّرُ مَا يُفْسِدُ تَدْبِيرَهُمْ، وَيُعَطِّلُ مَكْرَهُمْ، وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ لأَنَّ مَكْرَهُ نَصْرٌ لِلْحَقِّ، وَإِعْزَازٌ لأَهْلِهِ، وَخِذْلاَنٌ لِلبَاطِلِ وَحِزْبِهِ.

يَمْكُرُ اللهُ - أَيْ أَنَّ اللهَ يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ المَاكِرِينَ.

٣١ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

(آيَاتُنَا) (أَسَاطِيرُ)

(٣١) - حِينَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتْلُو القُرْآنَ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ كَانُوا يَقُولُونَ: قَدْ سَمِعْنَا، لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَهُ. وَلكِنَّ أَحَداً مِنْهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَوْلَ شَيْءٍ مِنْهُ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَحَدَّاهُمْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ بَعْدَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ الذِي يَقْرَأُ فِيهِ القُرْآنَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إلى رَبِّهِمْ، يَأْتِي النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ فَيَجْلِسُ مَكَانَ الرَّسُولِ، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَسَاطِيرِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَقَصَصِهِم القَدِيمَةِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: بِاللهِ أَيُّنَا أَحْسَنُ قَصَصاً أَنا أَوْ مُحَمَّدٌ؟

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ - أَكَاذِيبُهُمُ المَسْطُورَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

٣٢ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

(٣٢) - يُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ: إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ: وَيلَكَ إِنَّهُ كَلامُ رَبِّ العَالَمِينَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هذا هُوَ الحَقَّ. وَمَعْنَى الآيَةِ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا القُرْآنُ، وَما يَدْعُو إِليهِ هُوَ الحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ لِتَهْدِيَ بِهِ عِبَادَكَ، كَمَا يَدَّعِي مُحَمَّدٌ، فَأَرْجِمْنَا

بِحِجارَةٍ مِنَ السَّماءِ، أَوْ أَنزِلْ بنا عَذابَكَ الأليمَ. وَهذا القَوْلُ يَدُلُّ عَلى أَنَّ عُتُوَّ قُرَيْشٍ كَانَ كَبيراً، وَعِنادَها كَانَ بَالِغاً، إِذْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ هذا القَوْلَ، وَهُوَ مِمَّا عِيبَ عَلَيهِمْ. وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاهْدِنَا إِليهِ، وَوَفِّقْنَا لاتِّبَاعِهِ، لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ.

﴿٣٣﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

(٣٣) - وَمَا كَانَ مِنْ سُنَّةِ اللهِ، وَلاَ مِنْ مُقْتَضى رَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ، وَأَنْتَ أَيُّها الرَّسُولُ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ إِنَّمَا أَرْسَلَكَ رَحْمَةً وَنِعْمَةً، لاَ عَذاباً وَنِقْمَةً، وَأَنَّ سُنَّتَهُ جَرَتْ أَلاّ يُعَذِّبَ المُكَذِّبِينَ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَظْهرِهِمْ.

وَرَوَى ٱبْنُ جَرِيرٍ: كان رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ: **﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾**. ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ إِلَى المَدِينَةِ، فَأَنْزَلَ تَعالَى قَوْلَهُ: **﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** فَكَانَ قَدْ بَقِيَ فِي مَكَّةَ جَماعَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَلَمَّا خَرَجُوا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: **﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾** فَأَذِنَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ بِفَتْحِ مَكَّةَ.

(وَقِيلَ فِي مَعْنى: **﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** إِنَّ المُشْرِكِينَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ وَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، وَيَقُولُونَ: غُفْرانَكَ اللَّهُمَّ).

﴿٣٤﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(٣٤) - إِنَّهُمْ أَهْلٌ لأنْ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ لأَنَّهُمْ يَصُدُّونَ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَنْ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَالطَّوافِ بِالكَعْبَةِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُنزِلْ بِهِم العَذابَ لِبَرَكَةِ مَقامِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، أَوْقَعَ اللهُ بَأْسَهُ فِيهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَهَؤُلاءِ المُشْرِكُونَ الذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ، لَيْسُوا هُمْ أَهْلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ، فَهُمْ دَنَّسُوهُ بِالشِّرْكِ وَعِبادَةِ الأَصْنَامِ، وَإِنَّمَا أَهْلُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ، الذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الوَلاَيَةَ عَلَيهِ، هُمُ النَّبِيُّ وَالمُسْلِمُونَ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ المُشْرِكِينَ لاَ يَعْلَمُونَ هَذِهِ الحَقِيقَةَ.

﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ

(٣٥) - قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ قُرَيْشاً كَانَتْ تَطُوفُ بِالبَيْتِ عُراةً تُصَفِّرُ وَتُصَفِّقُ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِيَخْلِطُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلاَتَهُ. وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ بِأَنَّهُ سَيُذِيقُهُمُ العَذابَ الأَلِيمَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَجَعْلِهِمِ الصَّلاةَ وَالطَّوافَ لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ وَالسُّخْرِيَةِ.

﴿٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ

﴿٣٧﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

﴿٣٨﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ

مُكَاءً - صَفِيراً، مِنَ المُكَاءِ وَهُوَ التَّصْفِيرُ.
تَصْدِيَةً - تَصْفِيقاً.

(أَمْوَالَهُم)

(٣٦) - لَمَّا أُصِيبَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ قَادَةُ الشِّرْكِ وَزُعَمَاؤُهُ، رَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِالعِيرِ إِلَى مَكَّةَ، وَهِيَ العِيرُ التِي أَنْقَذَتْهَا مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، فَمَشَى أَبْنَاءُ مَنْ قُتِلُوا فِي بَدْرٍ وَإِخْوَتُهُمْ وَأَقْرِبَاؤُهُمْ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُمْ فِي العِيرِ تِجَارَةٌ، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ وَتَرَكُمْ فَأَعِينُونَا بِهذا المَالِ عَلَى حَرْبِهِ لَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأراً، بِمَنْ أُصِيبَ مِنَّا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

وَفِي هـذِهِ الآيَةِ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ إِنْفَاقَكُم المَالَ فِي سَبِيلِ قِتَالِ المُسْلِمِينَ، وَالصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْعَ النَّاسِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ لَنْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ حَسْرَةً، وَلَنْ يُجْدِيَكُمْ نَفْعاً، فَإِنَّكُمْ سَتُغْلَبُونَ مَرَّةً أُخرَى، وَسَيَحْشُرُكُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى جَهَنَّمَ، إِذَا مَا أَصْرَرْتُم عَلى كُفْرِكُمْ، وَعَلَى مُعَانَدَةِ الرَّسُولِ وَالمُؤْمِنينَ.
حَسْرَةً - نَدَماً وَتَأَسُّفاً.

(أولَئِكَ) (الخَاسِرُونَ)

(٣٧) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ لِعِبَادِهِ النَّصْرَ، وَكَتَبَ الحَسْرَةَ وَالخِذْلاَنَ لأَعْدَائِهِمْ وَلِمَنْ يُقَاتِلُهُمْ مِنَ الكُفَّارِ لِلصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَذَلِكَ لِيَمِيزَ اللهُ الكَافِرَ الخَبِيثَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، عَنِ المُؤْمِنِ الطَّيِّبِ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَلِيَجْمَعَ الكُفْرَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَيَقْذِفَهُ فِي جَهَنَّمَ، وَهَؤُلاءِ الذِينَ يَقْذِفُهُمْ فِي جَهَنَّمَ هُمُ الخَاسِرُونَ.
فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً - فَيَجْعَلَهُ مُلْقىً بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

(سُنَّةُ)

(٣٨) - قُلْ، أَيُّها الرَّسُولُ، لِهَؤُلاءِ الكَافِرِينَ: إِنَّهُمْ إِنْ يَنْتَهُوا عَنْ أَعْمَالِهِمِ السَّيِّئَةِ، وَعَما هُمْ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالمُشَاقَّةِ وَالعِنَادِ، وَيَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ وَالطَّاعَةِ، يَغْفِرِ اللهُ مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، أَمَّا إِذا ٱسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، وَعَادُوا إِلى المُشَاقَّةِ وَالحَرْبِ وَالخِصَامِ، فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ فِي الكُفَّارِ مِنْ قُرَيشٍ وَمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الأَمَمِ بِأَنَّ مَصِيرَهُمْ سَيَكُونُ إِلى الدَّمَارِ وَالخِذْلاَنِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَصِيرُونَ إِلى نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِلى الذُّلِّ وَالصَّغَارِ فِي الآخِرَةِ.

(٣٩) وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(٤٠) وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ

(٤١) ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

الجزء ١٠ الحزب ١٩

سُنَّةُ الأَوَّلِينَ - عَادَةُ اللهِ فِي المُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ.

(وَقَاتِلُوهُمْ)

(٣٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُقَاتِلُوا الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ مَنْ يَسْتَطِيعُ فِتْنَةَ المُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ بِالعَذَابِ وَالإِيذَاءِ وَالتَّهْدِيدِ، وَحَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ. فَإِذَا انْتَهَى المُشْرِكُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ، وَكَفُّوا عَنْهُ (وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا بَوَاطِنَهُمْ) فَكُفُّوا عَنْهُمْ، وَكِلُوا بَوَاطِنَهُمْ إِلَى اللهِ، فَهُوَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ.

فِتْنَةٌ - شِرْكٌ أَوْ بَلَاءٌ.

(مَوْلَاكُمْ)

(٤٠) - وَإِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى خِلَافِهِمْ لَكُمْ، وَمُحَارَبَتِهِمْ إِيَّاكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِكُمْ، وَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّاصِرُ، فَأَيْقِنُوا بِنَصْرِ اللهِ لَكُمْ، وَهُوَ مُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ، فَلَا تُبَالُوا بِهِمْ، وَلَا تَخْشَوْهُمْ.

(اليَتَامَى) (وَالمَسَاكِينِ) (آمَنْتُمْ)

(٤١) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ طَرِيقَةَ قِسْمَةِ المَغَانِمِ التِي يَغْنَمُهَا المُسْلِمُونَ فِي الحَرْبِ. وَالغَنِيمَةُ هِيَ المَالُ المَأْخُوذُ مِنَ الكُفَّارِ بِإِيجَافِ خَيْلٍ وَرِكَابٍ. أَمَّا الفَيْءُ فَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ (أَيْ بِدُونِ حَرْبٍ أَوْ بِدُونِ خُرُوجِ جُيُوشِ المُسْلِمِينَ إِلَى الأَعْدَاءِ: كَالأَمْوَالِ التِي يُصَالِحُونَ عَلَيهَا، أَوْ يَمُوتُونَ عَنْهَا دُونَ وَارِثٍ لَهُمْ، وَالخَرَاجِ وَنَحْوِ ذَلِكَ).

يَقُولُ تَعَالَى: اعْلَمُوا يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ أَنَّ كُلَّ مَا غَنِمْتُمُوهُ مِنَ الكُفَّارِ المُحَارِبِينَ فَاجْعَلُوا أَوَّلاً خُمْسَهُ للهِ تَعَالَى لِيُنْفَقَ فِيمَا يُرْضِيهِ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ العَامَّةِ: كَالدَّعْوَةِ لِلإِسْلَامِ وَإِقَامَةِ شَعَائِرِهِ، وَعِمَارَةِ الكَعْبَةِ وَكِسْوَتِهَا، ثُمَّ أَعْطُوا مِنْهُ لِلرَّسُولِ كِفَايَتَهُ لِنَفْسِهِ وَنِسَائِهِ مُدَّةَ سَنَةٍ، ثُمَّ أَعْطُوا مِنْهُ ذَوِي القُرْبَى مِنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ نَسَباً وَوَلَاءً (وَقَدْ خَصَّ الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ بِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي أَخِيهِ المُطَّلِبِ المُسْلِمِينَ)، ثُمَّ المُحْتَاجِينَ مِنْ سَائِرِ المُسْلِمِينَ، وَهُمُ اليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ، وَابْنُ السَّبِيلِ (وَهُوَ المُجْتَازُ الذِي نَفِدَتْ نَفَقَتُهُ). وَهَذَا الخُمْسُ يُدْفَعُ لِلإِمَامِ (بَعْدَ الرَّسُولِ) لِيَصْرِفَهُ فِي الوُجُوهِ المُبَيَّنَةِ فِي الآيَةِ.

وَاليَتَامَى - هُمْ أَيْتَامُ المُسْلِمِينَ - وَقِيلَ: إِنَّ النَّصَّ عَامٌّ يَعُمُّ الأَغْنِيَاءَ مِنَ الأَيْتَامِ وَالفُقَرَاءَ.

٤٢ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ

المَسَاكِينِ - هُمُ المُحْتَاجُونَ الذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يَسُدُّونَ بِهِ خَلَّتَهُم.

وَآبْنِ السَّبِيلِ - هُوَ المُسَافِرُ أوِ المُرِيدُ السَّفَرَ مَسَافَةَ القَصْرِ (أَيْ المَسَافَةُ التِي يُبَاحُ فِيهَا قَصْرُ الصَّلاَةِ) وَلَيْسَ لَهُ مَا يُنْفِقُهُ فِي سَفَرِهِ.

أَمَّا الأَخْمَاسُ الأَرْبَعَةُ البَاقِيَةُ فَهِيَ لِلْمُقَاتِلِينَ فَاعْلَمُوا ذَلِكَ، وَاعْمَلُوا بِهِ، إنْ كُنْتُم آمَنْتُمْ بِاللهِ حَقّاً، وَآمَنْتُمْ بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ آيَاتِ التَّثْبِيتِ وَالمَدَدِ يَوْمَ الفُرْقَانِ الذِي فَرَّقْنَا فِيهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالإِيمَانِ وَالكُفْرِ، وَهُوَ اليَوْمُ الذِي آلتَقَى فِيهِ جَمْعُكُمْ مَعَ جَمْعِ المُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ، وَاللهُ عَظِيمُ القُدْرَةِ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

يَوْمَ الفُرْقَانِ - يَوْمَ بَدْرٍ الذِي فَرَّقَ اللهُ فِيهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.

(المِيعَادِ)

(٤٢) - فَإِذَا كُنْتُم آمَنْتُمْ بِاللهِ، وَبِمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنا يَوْمَ كُنْتُم مُرَابِطِينَ فِي أَقْرَبِ الجَانِبَيْنِ مِنَ الوَادِي إلى المَدِينَةِ (العُدْوَةِ الدُّنْيا - وَالعُدْوَةُ هِيَ طَرَفُ الوَادِي)، وَكَانَتْ قُرَيشٌ تُرابِطُ فِي أَبْعَدِ جَانِبَيْ الوَادِي مِنَ المَدِينَةِ، وَكَانَتْ قَافِلَةُ قُرِيشٍ (العِيرُ أوِ الرَّكْبُ) أَسْفَلَ مِنَ المُسْلِمِينَ مِمَّا يَلِي البَحْرَ. وَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُم تَوَاعَدْتُمْ مَعَ قُرَيشٍ عَلَى هَـذا اللِّقَاءِ، فِي مَكانٍ مُعَيَّنٍ، وَفِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ لِلْقِتَالِ، لاخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعَادِ، وَلَما كَانَ هذا التَّوَافُقُ فِي الزَّمَانِ وَالمَكَانِ. (وَقِيلَ إنَّ مَعْنَى هـذا المَقْطَعِ مِنَ الآيَةِ هُوَ: لَوْ كَانَ اللِّقَاءُ عَنْ مَوْعِدٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ، وَعَلِمْتُمْ بِقِلَّتِكُمْ وَكَثْرَتِهِمْ لَمَا لَقِيتُمُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ هَيَّأَ ظُرُوفَ اللِّقَاءِ لِيَقْضِيَ بِقُدْرَتِهِ إعزَازَ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ، وَإِذْلاَلَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِلُطْفٍ مِنْهُ).

وَقَدْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ لِيَتَرَتَّبَ عَلَى قَضَاءِ هذا الأَمْرِ أنْ يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ مِنَ الكُفَّارِ عَنْ حُجَّةٍ مُبَيِّنَةٍ مُشَاهَدَةٍ بِالبَصَرِ عَلَى صِحَّةِ الإِسْلاَمِ، وَصِدْقِ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، إذْ أَنْجَزَ وَعْدَهُ لِرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ، لِتَنْتَفِيَ الشُّبْهَةُ، وَلا يَكُونَ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلاعْتِـذَارِ عَنْ عَدَمِ إجَـابَةِ الـدَّعْوَةِ، وَيَعِيشَ مَنْ يَعِيشُ مِنَ المُؤْمِنِينَ عَنْ حُجَّةٍ شَاهِدَةٍ، فَيَزْدَادَ يَقِيناً بِالإِيمَانِ، وَنَشَاطاً فِي الأَعْمَالِ. وَاللهُ سَمِيعٌ لِدُعَائِكُمْ وَتَضَرُّعِكُمْ إِلَيْهِ، عَلِيمٌ بِأَنَّكُمْ صَادِقُونَ تَسْتَحِقُّونَ النَّصْرَ.

العُدْوَةِ - طَرَفِ الوَادِي أَوْ ضِفَّتِهِ.

الرَّكْبُ - العِيرُ أوِ القَافِلَةُ وَكَانَتْ أَمْوالُ قُرَيْشٍ فِيهَا.

(٤٣) إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

(٤٤) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

(٤٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(٤٦) وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ

(٤٧) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

(أراكَهُمْ) (ولَتَنازَعْتُمْ)

(٤٣) - أرى اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ المُشْرِكينَ في مَنامِهِ قَلِيلي العَدَدِ فأخْبَرَ جماعَتَهُ فاسْتَبْشَرُوا، وكانَ ذلِكَ تَثْبِيتاً لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، ولَوْ أرى اللهُ المُؤْمِنينَ المُشْرِكينَ كَثِيري العَدَدِ لَجَبُنُوا، ولاخْتَلَفُوا فِيما بَيْنَهُمْ حَوْلَ لِقاءِ العَدُوِّ، ولكِنَّ اللهَ سَلَّمَ مِنْ ذلكَ، ونَجّى مِنْ عَواقِبِهِ، واللهُ عَليمٌ بِما تُكِنُّهُ الضَّمائِرُ، وتَنْطوي عليهِ النُّفوسُ والسَّرائِرُ.

لَفَشِلْتُمْ - لَجَبُنْتُمْ عَنِ القِتالِ وهِبْتُمُوهُ.

(٤٤) - يَذْكُرُ اللهُ تعالى: أنَّهُ أظْهَرَ كُلَّ فِئَةٍ لِخُصُومِها أنَّ عَدَدَها قَليلٌ، لِيَطْمَعُوا فِيها، ولِيَدْفَعَ بَعْضَهُمْ إلى لِقاءِ بَعْضٍ، لِيُنَفِّذَ أمْرَهُ، ولِيَقْضِيَ عَلى الكُفْرِ، ويَنْصُرَ دِينَهُ. ومَرْجِعُ الأُمورِ كُلِّها إلى اللهِ، فَلا يَنْفُذُ إلاَّ ما قَضاهُ وهَيَّأ أسْبابَهُ. وحِينَ التَقَيْتُمْ بالمُشْرِكينَ ثَبَّتَكُمْ وثَبَّطَهُمْ فانْتَصَرْتُمْ عَلَيهِمْ.

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(٤٥) - يَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنينَ عَلى الثَّباتِ عِنْدَ لِقاءِ الأعْداءِ في ساحَةِ الحَرْبِ، ويَأْمُرُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ عِنْدَ الشَّدائِدِ، لِتَقْوى قُلُوبُهُمْ، وتَثْبُتَ نُفُوسُهُمْ، وهذانِ مِنْ أكْبَرِ أسْبابِ الفَوْزِ والنَّصْرِ عَلى الأعْداءِ في الدُّنْيا، ومِنْ أسْبابِ الفَوْزِ بالفَلاحِ وبِرِضْوانِ اللهِ في الآخِرَةِ.

(ولا تَنازَعُوا) (الصَّابِرِينَ)

(٤٦) - وأمَرَ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ بِطاعَتِهِ تَعالى في الثَّباتِ عِنْدَ لِقاءِ الأعْداءِ المُشْرِكينَ، وبالإخْلاصِ لَهُ، وبِبَذْلِ الجُهْدِ في القِتالِ، وبِذِكْرِ اللهِ كَثِيراً لِتَطْمَئِنَّ النُّفُوسُ وتَهْدأ، ويُزايِلَها الخَوْفُ والتَّرَدُّدُ والقَلَقُ، كَما أمَرَهُمْ بِطاعَةِ رَسُولِ اللهِ، والتِزامِ أوامِرِهِ، إنْجاحاً لِلْخُطَّةِ العامَّةِ لِلْجَيْشِ في المَعْرَكَةِ. ثُمَّ أمَرَهُمْ بِألاَّ يَتَنازَعُوا، ولا يَخْتَلِفُوا، لأنَّ في التَّنازُعِ والاخْتِلافِ الفَشَلَ والخِذْلانَ وضَياعَ ما حَقَّقَهُ المُسْلِمُونَ في المَعْرَكَةِ ﴿تَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. ثُمَّ يُكَرِّرُ اللهُ تَعالى أمْرَهُ لِلْمُؤْمِنينَ بِالتِزامِ الصَّبْرِ، لأنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرينَ.

تَذْهَبَ رِيحُكُم - تَتَلاشى قُوَّتُكُمْ أوْ دَوْلَتُكُمْ.

(دِيارِهِمْ)

(٤٧) - وعَلَيْكُمْ، أيُّها المُؤْمِنُونَ، أنْ تَمْتَثِلُوا لِما أمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنْ طاعَتِهِ تَعالى، وطاعَةِ رَسُولِهِ الكَريمِ ﷺ، والتِزامِ أوامِرِهِما، ولا

تَكُونُوا كَأَعْدَائِكُمُ المُشْرِكِينَ الذِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ بَطَراً بِمَا أُوتُوا مِنَ النِّعْمَةِ، وَمُرَاءَاةً لِلنَّاسِ لِيُعْجَبُوا بِهِمْ، وَيُثْنُوا عَلَيْهِمْ بِالغِنَى وَالقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ. . وَهُمْ إنَّمَا يَقْصِدُونَ بِخُرُوجِهِم الصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْعَ النَّاسِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ، وَالحَدَّ مِن ٱنْتِشَارِ الإِسْلاَمِ، وَاللهُ مُحِيطٌ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ، وَسَوفَ يُجَازِيهِمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

بَطراً ـ طُغْيَاناً وَفخراً وَأشراً.

(٤٨) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(الشَّيْطَانُ) (أعْمَالَهُمْ)

(٤٨) ـ وَٱذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ إذْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ لِكُفَّارِ قُرَيشٍ أعْمالَهُمْ بِوَسْوَسَتِهِ، وَإِذْ حَسَّنَ فِي أعْيُنِهِمْ مَا جَاؤُوا لَهُ، وَمَا هَمُّوا بِهِ، وَأَطْمَعَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ، وَأَنَّهُمْ لاَ غَالِبَ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَطَمْأَنَهُمْ إلى أنَّهُمْ لَنْ يُؤْتَوا فِي دِيَارِهِمْ أثْنَاءَ غَيْبَتِهِمْ فِي قِتَالِ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، لأَنَّهُ جَارٌ لَهُمْ وَمُجِيرٌ، فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ بِالمُشْرِكِينَ، وَرَأى الشَّيْطَانُ مَلائِكَةَ اللهِ يَحْمُونَ المُسْلِمِينَ، وَلَّى هَارِباً ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾، وَقَالَ لأَوْلِيَائِهِ مِنَ الكُفَّارِ: إنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ يَرَوْنَ، إنَّهُ يَرَى المَلاَئِكَةَ يَنْصُرُونَ المُسْلِمِينَ، وَإِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ وَقُوَّتِهِ وَسَطْوَتِهِ، مَا لاَ يَعْلَمُهُ أوْلِيَاؤُهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَخَافُ اللهَ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ تَعَالَى شَدِيدُ العِقَابِ.

إنّي جَارٌ لَكُم ـ مُجِيرٌ وَمُعِينٌ وَنَاصِرٌ لَكُم.

نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ ـ رَجَعَ القَهْقَرى وَوَلَّى مُدْبِراً.

(٤٩) إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(المُنَافِقُونَ)

(٤٩) ـ لَمَّا ٱقْتَرَبَ المُسْلِمُونَ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَلاَحَظَ المُشْرِكُونَ قِلَّةَ عَدَدِ المُسْلِمِينَ، ٱسْتَخَفُّوا بِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ هَازِمُوهُمْ لاَ مَحالَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: غَرَّ هَؤُلاءِ دِينَهُمْ حَتَّى أقْدَمُوا عَلى قِتَالِ قُرَيشٍ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّهِمْ. وَلكِنَّ النَّصْرَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ العَدَدِ، فَإِنَّ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَيُسَلِّمْ أَمْرَهُ إلَيهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدِ ٱلتَجَأَ إلَى جَانِبٍ عَزِيزٍ مَنِيعٍ لاَ يُضَامُ. وَاللهُ حَكِيمٌ يَعْرِفُ وَضْعَ الأمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا، فَيَنْصُرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ.

(٥٠) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟

(المَلاَئِكَةُ) (وَأَدْبَارَهُمْ)

(٥٠) ـ وَلَوْ عَايَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الْكُفَّارَ حِينَمَا تَأتِي المَلاَئِكَةُ لِقَبْضِ أرْوَاحِهِمْ، إذاً لَرَأيْتَ أمْراً عَظِيماً مَهُولاً، إذْ يَضْرِبُونَ (يَوْمَ بَدْرٍ) وُجُوهَهُمْ

عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ

بالسُّيُوفِ إذا أقْدَمُوا، وَيَضْرِبُونَ أَدْبَارَهُمْ إذا وَلَّوا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ، بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَسُوءِ أعْمَالِكُمْ.

(وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرينَ إنَّ هذِهِ الآيَةَ تَشْمَلُ أيْضاً حَالَةَ مُوافَاةِ المَلاَئِكَةِ الكُفَّارَ وَهُمْ عَلَى فِراشِ المَوْتِ لِقَبْضِ أرْوَاحِهِمْ، وَنُفُوسُهُمْ تَرْفُضُ الخُرُوجَ، لِما تَعْلَمُهُ مِمّا ٱرْتَكَبَتْهُ مِنْ شُرورٍ وَمَآثِمَ فِي الدُّنيا، وَلما تَعْلَمُهُ مِمّا يَنْتَظِرُها مِنْ عَذابِ اللهِ الشَّدِيدِ فِي الآخِرَةِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (١).

(٥١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ

(بِظَلاَّمٍ)

(٥١) - وَيُتَابِعُ المَلاَئِكَةُ حَدِيثَهُمْ مَعَ الكُفَّارِ وَهُمْ يَقْبِضُونَ أرْوَاحَهُمْ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: إنَّ هذا العَذَابَ الذِي يَنْزِلُ بِكُمْ إنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ، وَمَا عَمِلْتُمْ مِنْ سَيِّئَاتٍ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنيا، وَإنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَظْلِمُ أحَداً مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الحَكَمُ العَدْلُ الذِي لاَ يَجُورُ أبَداً.

(٥٢) كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(آلِ) (بِآيَاتِ)

(٥٢) - هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ، يَا مُحَمَّدُ، إنَّمَا يَفْعَلُونَ مَا فَعَلَهُ قَبْلَهُمْ قَوْمُ فِرْعَونَ (آلِ فِرْعَوْنَ)، وَنَحْنُ نَفْعَلُ بِهِمْ مَا كَانَ مِنْ دَأْبِنا وَعَادَتِنَا أنْ نَفْعَلَهُ بِأمْثَالِهِمْ مِنَ المُكَذِّبِينَ الذِينَ سَبَقُوهُمْ، فَقَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ.

الدَّأبُ - العَادَةُ.

(٥٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(٥٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عَدْلِهِ فِي حُكْمِهِ فِي أمُورِ العِبَادِ، وَأنَّهُ تَعَالَى لاَ يُغَيِّرُ نِعْمَةً أنْعَمَهَا عَلَى أحَدٍ إلاَّ بِسَبَبِ ذَنْبٍ ٱرْتَكَبَهُ. وَأنَّهُ إنَّما أخَذَ قُرَيشاً - بِكُفْرِهَا بِنِعَمِ اللهِ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِ رَبِّهِمْ، فَكَذَّبَهُ الكُفَّارُ مِنْهُمْ وَأخْرَجُوهُ وَحَارَبُوهُ - كَمَا أخَذَ الأُمَمَ المُكَذِّبَةَ قَبْلَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ.

(٥٤) كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ

(آلِ فِرْعَونَ) (بِآيَاتِ) (فَأهْلَكْنَاهُمْ) (آلَ فِرْعَونَ) (ظَالِمِينَ)

(٥٤) - فَإذا كَفَرَتِ الأمَمُ بِأنْعُمِ رَبِّها، فَإنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ فِيهِمْ فِعْلَهُ بِقَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَأمْثَالِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ: أهْلَكَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ

(١) الآية ٩٣ من سورة الأنعام.

﴿٥٥﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿٥٦﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ

﴿٥٧﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

﴿٥٨﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ

وَجرائِمِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ وَآيَاتِهِ، وَأغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ إذْ أغْرَقَهُمْ، وَإنما كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ لأنْفُسِهِمْ.

(٥٥) - نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي نَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، زَعِيمُهُمْ كَعْبُ بْنُ الأشْرَفِ، وَهُوَ مِنْ طَوَاغِيتِ الكُفْرِ وَالكُرْهِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وللإِسْلامِ. وَفِيهَا يُطَمْئِنُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ إلَى أنَّهُ آمِنٌ مِنْ عَاقِبَةِ كَيْدِهِمْ، وَيُبَيِّنُ فِيهَا مَا يَجِبُ أنْ يَفْعَلَهُ الرَّسُولُ مَعَ أمْثَالِهِمْ مِنَ الخَوَنَةِ المُتَرَبِّصِينَ.

يَقُولُ تَعَالَى: إنَّ شَرَّ المَخْلُوقَاتِ التِي تَدِبُّ عَلَى الأرْضِ، فِي حُكْمِ اللهِ وَعَدْلِهِ، هُمُ الكَافِرُونَ الذِينَ اجْتَمَعَتْ فِيهِمْ صِفَتَانِ:

(أ) - الإِصْرَارُ عَلَى الكُفْرِ، وَالرُّسُوخُ فِيهِ حَتَّى لاَ يُرْجَى لَهُمْ إيمَانٌ.

(ب) - نَقْضُ العَهْدِ.

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ حِينَ هِجْرَتِهِ إلى المَدِينَةِ، عَقَدَ مَعَ اليَهُودِ عُقُوداً، أمَّنَهُمْ فِيهَا عَلَى أنْفُسِهِمْ وَأمْوَالِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَنَقَضُوا هَذِهِ العُهُودَ، وَتآمَرُوا عَلَى الرَّسُولِ وَالمُسْلِمِينَ.

(عَاهَدْتَ)

(٥٦) - الذِينَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَقَضُوهُ، وَكُلَّمَا أكَّدُوهُ بِالأيْمَانِ نَكَثُوهُ، وَهُمْ لاَ يَخَافُونَ عِقَابَ اللهِ عَلَى شَيءٍ مِنَ الآثَامِ ارْتَكَبُوهُ.

(٥٧) - فَإذَا مَا لَقِيتَهُمْ يَا أيُّهَا الرَّسُولُ فِي الحَرْبِ، وَظَفِرْتَ بِهِمْ، فَنَكِّلْ بِهِمْ، وَأثْخِنْ فِيهِم قَتْلاً، لِيَخَافَ سِوَاهُمْ مِنَ الأعْدَاءِ (فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ)، وَلِيَكُونُوا عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يُحَاذِرُونَ أنْ يَنْكُثُوا أيْمَانَهُمْ، وَيَخُونُوا عُهُودَهُمْ، فَيَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ.

تَثْقَفَنَّهُمْ - تُصَادِفُهُمْ وَتَظْفَرُ بِهِمْ.

فَشَرِّدْ بِهِمْ - فَفَرِّقْ وَبَدِّدْ وَخَوِّفْ بِهِمْ.

(الْخَائِنِينَ)

(٥٨) - وَإذَا خِفْتَ مِنْ قَوْمٍ عَاهَدْتَهُمْ، خِيَانَةً وَنَقْضاً لِلْعَهْدِ الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَانْبِذْ إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ، وَأعْلِمْهُمْ بِأنَّكَ نَقَضْتَ عَهْدَهُمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أنْ لاَ عَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ، فَتَسْتَوِي أنْتَ وَإيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ بِدُونِ خِدَاعٍ وَلاَ اسْتِخْفَاءٍ. واللهُ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ، حتى وَلَوْ كَانَتِ الخِيَانَةُ مُوَجَّهَةً لِلْكُفَّارِ.

رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنَّهُ قَالَ: (ثَلاثٌ، المُسْلِمُ وَالكَافِرُ فِيهِنَّ سَوَاءٌ: مَنْ عَاهَدْتَهُ فَوَفِّ بِعَهْدِهِ مُسْلِماً كَانَ أوْ كَافِراً، فَإنَّمَا العَهْدُ للهِ،

وَمَنْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَه رحِمٌ فَصِلْهَا، مُسْلِماً كَانَ أَوْ كَافِراً. وَمَنِ ٱئْتَمَنَكَ عَلَى أَمَانَةٍ فَأَدِّهَا إِلَيهِ، مُسْلِماً كَانَ أَوْ كَافِراً). (رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ).

مِنْ قَوْمٍ - مِنْ قَوْمٍ عَاهَدُوكَ.

فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ - فَاطْرَحْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَحَارِبْهُمْ.

عَلَى سَوَاءٍ - عَلَى ٱسْتِوَاءٍ فِي العِلْمِ بِنَبْذِ العَهْدِ.

(٥٩) وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ

(٥٩) - وَلَا يَحْسَبِ الذينَ كفرُوا أَنَّهُمْ فَاتُونَا وَسَبَقُونَا، وَنَجَوا مِنْ عَاقِبَةِ خِيَانَتِهِمْ وَغَدْرِهِمْ، فَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِنَا وَقُدْرَتِنَا، وَفِي قَبْضَةِ مَشِيئَتِنَا، فَلَا يُعْجِزُونَنَا عَنْ إِدْرَاكِهِمْ، وَسَنَجْزِيهِم الجَزَاءَ الأَوْفَى.

سَبَقُوا - خَلَصُوا وَأَفْلَتُوا مِنَ العَذَابِ.

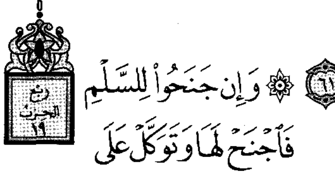
(٦٠) وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

(وَآخَرِينَ)

(٦٠) - يَأْمُرُ اللهُ المُسْلِمِينَ بِالاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ، وَبِإِعْدَادِ آلَاتِهَا لِمُقَاتَلَةِ الكُفَّارِ، وَدَفْعِ العُدْوَانِ، وَحِفْظِ الأَنْفُسِ، وَالحَقِّ وَالفَضِيلَةِ، حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالاسْتِطَاعَةِ: مِنْ خَيْلٍ وَسِلَاحٍ وَعُدَدٍ وَمُؤَنٍ وَتَدْرِيبٍ وَعِلْمٍ وَكُلِّ مَا يَدْخُلُ فِي تَعْرِيفِ القُوَّةِ التِي تُمَكِّنُ الأُمَّةَ مِنْ مُقَاوَمَةِ خُصُومِهَا، بِحَسَبِ مَفْهُومِ العَصْرِ، وَذَلِكَ لِإِرْهَابِ الكُفَّارِ - مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ غَيْرِهِمْ - أَعْدَاءِ اللهِ، وَأَعْدَاءِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَلِإِرْهَابِ الأَعْدَاءِ الآخَرِينَ مِنْ مُنَافِقِينَ وَيَهُودٍ يُجَاوِرُونَ المُسْلِمِينَ فِي المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهُمْ رَسُولُ اللهِ وَالمُسْلِمُونَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُمْ. وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ أَنَّ كُلَّ نَفَقَةٍ يُنْفِقُونَهَا فِي الجِهَادِ وَالاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ، سَتُوفَّى إِلَيْهِمْ بِالتَّمَامِ وَالكَمَالِ، وَلَا يَبْخَسُ اللهُ أَحَداً مِنْهُمْ شَيْئاً.

قُوَّةٍ - كُلُّ مَا يُتَقَوَّى بِهِ فِي الحَرْبِ.

رِبَاطِ الخَيْلِ - حَبْسِهَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.



(٦١) ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(٦١) - وَإِذَا جَنَحَ الأَعْدَاءُ إِلَى السِّلْمِ، وَمَالُوا إِلَى المُهَادَنَةِ وَالمُصَالَحَةِ، فَمِلْ أَنْتَ إِلَيهَا، وَٱقْبَلْ مِنْهُمْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الحَرْبَ لَيْسَتْ غَرَضاً مَقْصُوداً لِذَاتِهِ عِنْدَكَ، وَإِنَّمَا تَقْصِدُ بِهَا أَنْتَ دَفْعَ خَطَرِهِمْ وَعُدْوَانِهِمْ، وَلِأَنَّكَ أَوْلَى بِالسِّلْمِ مِنْهُمْ. وَفَوِّضِ الأَمْرَ للهِ، وَلَا تَخَفْ غَدْرَهُمْ وَمَكْرَهُمْ، فَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُونَ، العَلِيمُ بِمَا يَفْعَلُونَ، فَلَا يَخْفَى عَلَيهِ مَا يَأْتَمِرُونَ بِهِ مِنَ الكَيْدِ وَالخِدَاعِ، وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ.

﴿٦٢﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ

﴿٦٣﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ

﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

﴿٦٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ

(وَلِذٰلِكَ قَبِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّلْحَ فِي الحُدَيْبِيَةِ لَمَّا طَلَبَهُ المُشْرِكُونَ).
[وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هٰذِهِ الآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ وَقَدْ جَاءَ فِيهَا: **﴿قَاتِلُوا الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾**(١)].

جَنَحُوا لِلسَّلْمِ - مَالُوا لِلْمُسَالَمَةِ وَالمُصَالَحَةِ.

(٦٢) - وَإِنْ يُرِدِ الكَافِرُونَ - بِجُنُوحِهِمْ لِلسِّلْمِ - خِيَانَتَكَ وَخِدَاعَكَ، وَالمَكْرَ بِكَ، وَٱنْتِظَارَ الفُرْصَةِ وَالغِرَّةِ لِلْغَدْرِ بِكَ، أَو ٱغْتِنَامَ حَالَةِ السِّلْمِ لِلاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ حِينَمَا تَسْنَحُ لَهُمُ الفُرْصَةُ المُوَاتِيَةُ... فَإِنَّ اللهَ كَافِيكَ أَمْرَهُمْ، وَنَاصِرُكَ عَلَيهِمْ؛ وَمِنْ دَلاَئِلِ عِنَايَتِهِ بِكَ أَنَّهُ أَيَّدَكَ بِالمُؤْمِنِينَ وَنَصَرَكَ.

حَسْبَكَ اللهُ - كَافِيكَ فِي دَفْعِ خَدِيعَتِهِمْ.

(٦٣) - وَهُوَ الذِي أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ، وَجَمَعَهَا عَلَى الإِيمَانِ بِكَ، وَعَلَى طَاعَتِكَ وَمُنَاصَرَتِكَ، وَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ لِتَسْتَطِيعَ التَّأْلِيفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَمِيعَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ قَبْلاً مِنْ عَدَاوَاتٍ وَضَغَائِنَ وَأَحْقَادٍ، كَمَا كَانَ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ.. وَلٰكِنَّ اللهَ جَمَعَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الهُدَى وَالتَّقْوَى، وَاللهُ عَزِيزُ الجَانِبِ لاَ يُضَامُ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ، لاَ يَخِيبُ رَجَاءُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ.

(يَا أَيُّهَا)

(٦٤) - يُحَرِّضُ اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ وَمُنَاجَزَةِ الأَعْدَاءِ، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ حَسْبُهُمْ وَكَافِيهِمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَإِنْ كَثُرَتْ أَعْدَادُهُمْ، وَتَتَابَعَتْ إِمْدَادَاتُهُمْ، وَلَوْ قَلَّ عَدَدُ المُؤْمِنِينَ عَنْ عَدَدِ الكُفَّارِ.

(يَا أَيُّهَا) (صَابِرُونَ)

(٦٥) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِحَثِّ المُؤْمِنِينَ، وَتَحْرِيضِهِمْ عَلَى القِتَالِ، لِدَفْعِ عُدْوَانِ الكَافِرِينَ عَلَى الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ، وَلإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ وَالحَقِّ وَالعَدْلِ وَأَهْلِهَا، عَلَى كَلِمَةِ البَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَأَنْصَارِهِمَا. وَيُخْبِرُ اللهُ نَبِيَّهُ وَالمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ مِنَ المُؤْمِنِينَ عِشْرُونَ مُعْتَصِمُونَ بِالإِيمَانِ

---

(١) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

وَالصَّبْرِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنَّهُمْ يَغْلِبُونَ مِئَتَيْنِ، وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الكُفَّارِ، لأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ مَا تَفْقَهُونَهُ أَنْتُمْ مِنْ حِكْمَةِ الحَرْبِ، وَمَا يُرادُ بِهَا مِنْ مَرْضَاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلاَ يَنْتَظِرُونَ هُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ أَنْتُمْ مِنَ الحَرْبِ: نَصْراً مِنَ اللهِ أَوْ فَوْزاً بِالشَّهَادَةِ وَرِضْوَانِ اللهِ.

وَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ شَقَّ ذٰلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَخَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ فِي الآيَةِ التَّالِيَةِ.

حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ - بَالِغْ فِي حَثِّهِمْ.

٦٦ ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾

(الآنَ) (الصَّابِرِينَ)

(٦٦) - وَفِي هٰذِهِ الآيَةِ يُخَفِّفُ اللهُ تَعَالَى عَنِ المُؤْمِنِينَ، وَيَجْعَلُ المُسْلِمَ الوَاحِدَ فِي مُقَابَلَةِ ٱثْنَيْنِ مِنَ الكُفَّارِ (بَيْنَمَا كَانَ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ الوَاحِدُ بِعَشَرَةٍ)، فَإِذَا كَانَ عَدَدُ المُسْلِمِينَ نِصْفَ عَدَدِ عَدُوِّهِمْ، لَمْ يَسُغْ لَهُم التَّرَدُّدُ فِي لِقَاءِ العَدُوِّ، وَإِذَا كَانُوا دُونَ ذٰلِكَ، لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِم القِتَالُ، وَجَازَ لَهُمْ أَنْ يَتَحَرَّزُوا. فَالعَشَرَةُ مِنَ المُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ يَغْلِبُونَ العِشْرِينَ بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ يُؤَيِّدُ الصَّابِرِينَ وَيَنْصُرُهُمْ، فَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبِالإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَلَيْسَ بِالعَدَدِ وَالعُدَّةِ.

٦٧ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(الآخِرَةَ)

(٦٧) - أَسَرَ المُسْلِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ عَدَداً مِنْ رُؤُوسِ الشِّرْكِ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَأَلَ الرَّسُولُ أَصْحَابَهُ مَا يَفْعَلُ بِالأَسْرَى، فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بِقَتْلِهِمْ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ بِإِيقَادِ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي الوَادِي وَإِحْرَاقِهِمْ فِيهَا، وَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ بِمُفَادَاتِهِمْ. وَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: هُمُ الأَهْلُ وَالعَشِيرَةُ. فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ثُمَّ قَبِلَ الفِدَاءَ.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ، وَفِيهَا يَلُومُ الرَّسُولَ وَالمُسْلِمِينَ عَلَى قَبُولِ الفِدَاءِ، وَتَفْضِيلِ عَرَضِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى مَصْلَحَةِ الإِسْلاَمِ العُلْيَا، وَهِيَ إِبَادَةُ الكُفْرِ وَقَادَتِهِ، حَتَّى يَتَضَعْضَعَ الكُفْرُ، وَيَنْهَارَ بُنْيَانُهُ، وَتَتَقَطَّعَ أَوْصَالُهُ، وَلِذٰلِكَ قَالَ تَعَالَى: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾**، أَيْ إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ وَالمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْدِلُوا عَنْ قَتْلِ أَعْدَائِهِمْ إِلى أَسْرِهِمْ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ لَهُم الغَلَبَةُ التَّامَةُ، وَالسَّيْطَرَةُ الكَامِلَةُ، وَأَنْ تَكُونَ قُوَّتُهُمْ فِي مَوْضِعِ التَّفَوُّقِ المُطْلَقِ عَلَى الأَعْدَاءِ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ هٰؤُلاَءِ الأَعْدَاءُ الثَّأْرَ وَالعَوْدَةَ إِلى القِتَالِ إِذَا سَنَحَتْ لَهُمُ الفُرْصَةُ. فَإِذَا كَانَتْ لَهُم القُوَّةُ وَالسُّلْطَانُ بَعْدَ أَنْ أَنْهَكُوا الأَعْدَاءَ قَتْلاً، جَازَ لَهُمْ

﴿٦٨﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ
لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿٦٩﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم
مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ
فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا
مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

العُدُولُ عَنِ القَتْلِ إِلَى الأَسْرِ. وَقَدْ نَبَّهَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنينَ إِلَى أَنَّهُمْ فَضَّلُوا بِعُدُولِهِمْ إِلى الأَسْرِ، عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيا، أَمَّا هُوَ تَعالى فَإِنَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ، وَاللهُ عَزِيزٌ فِي ٱنْتِقَامِهِ، حَكيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

الإِثْخَانُ - الشِّدَّةُ وَالغَلَبَةُ أَوْ هُوَ المُبَالَغَةُ فِي القَتْلِ لِيَتِمَّ إِذْلاَلُ الكُفْرِ وَأَهْلِهِ.

عَرَضَ الدُّنيا - **حُطامَهَا** - وَذٰلِكَ بِأَخْذِ الفِدْيَةِ.

(كِتَابٌ)

(٦٨) - وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى المُسْلِمينَ أَنَّهُ لَوْلاَ كِتَابٌ سَبَقَ مِنْهُ لَمَسَّهُمْ فِي أَخْذِهِم الفِدَاءَ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وَقِيلَ: إِنَّ عِبَارَةَ (كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) تَحْتَمِلُ أَقْوالاً:

- أَوَّلُهـا: لَوْلاَ أَنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ مَنْ عَصَاهُ حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيهِ بِالإِعْذَارِ، لَعَاقَبَ المُسْلِمينَ عَلَى أَخْذِهِم الفِدَاءَ.

- وَثَانِيها - أَنَّهُ لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ الأَزَلِيِّ أَلاَّ يُعَذِّبَكُمْ وَالرَّسُولُ فِيكُمْ، وَأَنْتُمْ تَسْتَغْفِرُونَهُ مِنَ الذُّنُوبِ لَمَسَّكُمْ بِسَبَبِ أَخْذِكُمْ الفِدَاءَ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

- وَثَالِثُهَا - أَنَّهُ لَوْلاَ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ سَبَقَ مِنْهُ الوَعْدُ لِلْمُسْلِمينَ الذِينَ شَهِدُوا بَدْراً بِالمَغْفِرَةِ لَمَسَّهُمْ عذابٌ عَظِيمٌ.

وَرَابِعُها - لَوْلاَ حُكْمٌ سَابِقٌ مِنَ اللهِ بِالعَفْوِ عَنِ المُجْتَهِدِ المُخْطِيءِ لأَصَابَكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ كَبِيرٌ.

(حَلاَلاً)

(٦٩) - أَمَا وَإِنَّكُمْ قَدْ قَبِلْتُمُ الفِدَاءَ، وَأَطْلَقْتُمُ الأَسَارَى، فَكُلُوا مَا أَخَذْتُمْ مِنَ الفِدَاءِ حَلاَلاً طَيِّباً، وَلا تَتَحَرَّجُوا مِنْ ذٰلِكَ، وَٱتَّقُوا اللهَ الغَفُورَ الرَّحِيمَ.

(يَا أَيُّها)

(٧٠) - وَقَعَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ أَسِيراً فِي أَيْدِي أُنَاسٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَتَوَعَّدُوهُ بِالقَتْلِ. فَحَزِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِذٰلِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَأَذْهَبُ إِلَيْهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَذَهَبَ عُمَرُ إِلَيهِمْ، وَلٰكِنَّهُمْ رَفَضُوا تَسْلِيمَهُ إِلَيهِ، فَقَالَ لَهُمْ أَوَلَوْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ رِضاً فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالُوا: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَضِيَ فَخُذْهُ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ أَنْ يَفْدِيَ نَفْسَهُ، وَيَفْدِيَ ابْنَيْ أَخِيهِ نَوْفَلاً وَعَقِيلاً، وَحَلِيفاً لَهُ. فَتَعَلَّلَ العَبَّاسُ بِأَنَّه لاَ يَمْلِكُ ما يكفي مِنَ المَالِ.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: أَلَمْ تَتْرُكْ عِنْدَ زَوْجَتِكَ أُمِّ الفَضْلِ مالاً دَفَنْتُماهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ نَعَمْ. وإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَدَفَعَ عِشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ. وَقَالَ للرَّسُولِ كُنْتُ مسلماً. فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: اللهُ أَعْلَمُ بِإِسْلامِكَ، فإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ، فَإِنَّ اللهَ يَجْزِيكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هذِهِ الآيَةَ. وَيَقُولُ العَبَّاسُ: إِنَّ اللهَ آتاهُ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْهُ مِئَةَ ضِعْفٍ، وَإِنَّهُ لَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ غَفَرَ لَهُ.

وَمَعْنَى الآيةِ: إِنْ يَكُنْ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ يَعْلَمُهُ اللهُ، يُعَوِّضْكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ، وَيَغْفِرْ مَا كَانَ مِنْكُم مِنَ الشِّرْكِ والسَّيِّئَاتِ.

(٧١) - وَقَالَ بَعْضُ أَسْرَى بَدْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: آمَنَّا بِمَا جِئْتَ بِهِ وَنَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَلَنَنْصَحَنَّ لَكَ عَلَى قَوْمِنَا. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كَانُوا يُرِيدُونَ خِيَانَتَكَ فِيمَا أَظْهَرُوهُ لَكَ مِنَ الأَقْوَالِ، فَقَدْ خَانُوا اللهَ قَبْلَ بَدْرٍ بِكُفْرِهِمْ بِهِ، فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ، وَأَظْفَرَكُمْ بِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ فِي جُمْلَةِ الأَسْرَى، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ، حَكِيمٌ فِيهِ.

فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ - فَأَقْدَرَكُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

(آمَنُوا) (وَجَاهَدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ) (آوَوْا) (أُولئِكَ) (وَلاَيَتِهِمْ) (مِيثَاقٌ)

(٧٢) - إِنَّ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا دِيَارَهُمْ، وَجَاهَدُوا مَعَ الرَّسُولِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالأَنْصَارَ الذِينَ آوَوُا الرَّسُولَ وَنَصَرُوهُ، هَؤُلاءِ جَمِيعاً بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ أَحَقُّ بِالآخَرِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ. لِذَلِكَ آخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، كُلُّ اثْنَيْنِ أَخَوَانِ فِي اللهِ، فَكَانُوا يَتَوارَثُونَ بِذَلِكَ إِرْثاً مُقَدَّماً عَلَى القَرَابَةِ، حَتَّى نَسَخَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِآيَةِ المَوَارِيثِ.

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا، بَلْ أَقَامُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ فَهؤُلاءِ لا يَثْبُتُ لَهُمْ شَيءٌ مِنْ وَلاَيَةِ المُسْلِمِينَ وَنُصْرَتِهِمْ، إِذْ لا سَبِيلَ إلى وَلايَتِهِمْ حتَّى يُهَاجِرُوا، وَلَيْسَ لَهُمْ من المَغَانِمِ نَصِيبٌ وَلا فِي خُمْسِهَا إِلاَّ مَا حَضَرُوا فِيهِ القِتَالَ. وَإِذا آسْتَنْصَرَ هؤُلاءِ، الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا، إِخْوَانَهُمْ المُسْلِمِينَ فِي قِتَالٍ دِينِي عَلَى عَدُوٍ لَهُم، فَعَلَيْهِمْ نَصْرُهُمْ، لأَنَّهُمْ إِخْوَانٌ في الدِّينِ. أَمَّا إِذا كَانَ الاسْتِنْصَارُ عَلى قَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُسْلِمِينَ مِيثَاقٌ وَمُهَادَنَةٌ إلى مدَّةٍ معينةٍ، فَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِينَ أَلاَّ يَخْفِرُوا ذِمَّتَهُمْ وَلاَ أَنْ يَنْقُضُوا أَيْمَانَهُم مَعَ الذينَ عَاهَدُوهُمْ.

﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ
بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ
فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ

(٧٣) - المُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَبِذَلِكَ قَطَعَ اللهُ المُوالاةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الكُفَّارِ، وَمَنَعَ بَيْنَهُمُ المِيراثَ (لا يَتَوارثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ).
والَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أولِيَاءُ بَعْضٍ فَهُمْ يَتَنَاصَرُونَ عَلى البَاطِلِ ، وَيتَعاوَنونَ عَلى عَداوَةِ المُسْلِمينَ، فَلا تُوالُوهُمْ يا أَيُّها المُسْلمونَ وإِذا لَمْ تَجْتَنِبُوا المُشْرِكِينَ، وَتُوالُوا المُؤْمِنينَ كَانَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ النَّاسِ ، وَٱلتِباسٌ لِلأَمْرِ عَلى النَّاسِ ، وَاخْتِلاطُ المُؤْمِنِينَ بالكَافِرِينَ.

﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ
وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ
ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

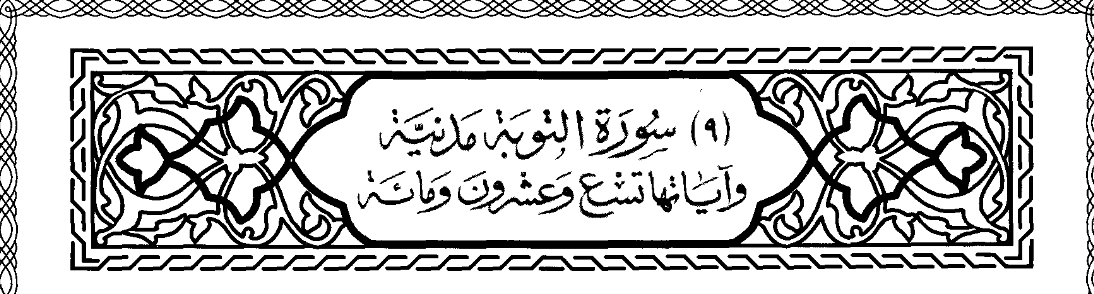
(آمَنُوا) (وَجَاهَدُوا) (آوَوْا) (أُولَئِكَ)

(٧٤) - فِي الآيَاتِ السَّابِقَةِ ذَكَرَ اللهُ تَعالَى حُكْمَ المُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيا، ثُمَّ عَطَفَ فِي هَذِهِ الآيَةِ عَلَى ذِكْرِ مَا لَهُمْ فِي الآخِرَةِ فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَجْزِيهِمْ بِالصَّفْحِ وَالمَغْفِرَةِ عَنِ الذُّنُوبِ، وَبِالرِّزْقِ الكريمِ الحَسَنِ الطَّيِّبِ، الذِّي لاَ يَنْقَطِعُ وَلا يَنْقَضِي، وَلا يُسْأَمُ وَلاَ يُمَلُّ حُسْنُهُ.

﴿٧٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ
وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ
وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ

(آمَنُوا) (وَجَاهَدُوا) (فَأُولَئِكَ) (وَأُولُو) (كِتَابِ)

(٧٥) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الذِينَ يَتْبَعُونَ المُؤمنينَ المُهاجِرينَ وَالأَنْصارَ فِيمَا كَانُوا عَلَيهِ مِنْ إِيمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَكُونُونَ مَعَ السَّابِقِينَ فِي الآخِرَةِ. وَذَوُو الأَرْحَامِ مِنَ الأَقَارِبِ جَمِيعاً لَهُمْ وَلاَيَةُ القَرابَةِ، وَبَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي المَوَدَّةِ وَالمَالِ وَالنُّصْرَةِ كَمَا شَرَعَ اللهُ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيءٍ فِي هَذَا الوُجُودِ.
أُولُو الأَرْحَامِ - ذَوُو القَرَابَةِ.
أَوْلَى - بِالمِيْرَاثِ مِنَ الأَجَانِبِ.



نصف الحزب ١٩

(١) بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

(٢) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى

(عاهَدْتُمْ)

(١) - كانَتْ هذِهِ السُّورَةُ مِنْ أَواخِرِ ما نَزَلَ مِنَ القُرآنِ، وَلَمْ يَكْتُبِ الصَّحابَةُ البَسْمَلَةَ في أَوَّلِها، اقْتِداءً بِعُثْمانَ بْنِ عَفّانَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ إِنْ كانَتْ تابِعَةً لِسُورَةِ الأَنْفالِ أَوْ أَنَّها سُورَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ.

وَأَوَّلُ هذِهِ السُّورَةِ نَزَلَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمّا رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفي هذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ الرَّسُولُ ﷺ أَبا بَكْرٍ أَميراً لِلحَجِّ، وَأَتْبَعَهُ بِعَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ لِيَقْرأَ عَلى النّاسِ سُورَةَ التَّوْبَةِ، وَأَنْ يَطْلُبَ مِنَ المُشْرِكِينَ أَنْ لا يَحُجُّوا بَعْدَ عامِهِمْ هذا.

وَيُعلِمُ تَعالَى المُسْلمينَ أَنَّهُ وَرَسُولَهُ بَرِيئانِ وَمُتَحَرِّرانِ مِنَ العُهُودِ، التي التَزَمَ بِها المُسْلِمُونَ مَعَ المُشْرِكينَ.

وَالرَّأْيُ الرّاجِحُ أَنَّ هذِهِ البَراءَةَ هِيَ مِنَ العُهُودِ المُطْلَقَةِ غَيْرِ المُوَقَّتَةِ بِمُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَمِنْ عُهُودِ أَهْلِ العُهُودِ الذِينَ ظاهَرُوا عَلى الرَّسُولِ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ قَبْلَ انْقِضاءِ مُدَّتِهِ، لأَنَّهُ تَعالَى قالَ فِيما بَعْدُ، إِنَّ الذِينَ تَقُومُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُسْلِمينَ عُهُودٌ مُوَقَّتَةٌ، ذاتُ أَجَلٍ مُعَيَّنٍ، يَجِبُ أَنْ يُتِمَّ المُسْلِمُونَ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ، إِذا لَمْ يَكُونُوا قَدْ نَقَضُوا العَهْدَ، وَظاهَرُوا عَلى المُسْلِمِينَ. وَمَنْ كانَ عَهْدُهُ دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَيُكْمَلُ إِلى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.

بَراءَةٌ مِنَ اللهِ - تَبَرُّؤٌ وَتَباعُدٌ واصِلٌ مِنَ اللهِ.

عاهَدْتُمْ - فَنَقَضُوا العَهْدَ.

(الكافِرِينَ)

(٢) - حَدَّدَ اللهُ تَعالَى لِلَّذِينَ عاهَدُوا الرَّسُولَ ﷺ، وَلَمْ تَكُنْ لِعُهُودِهِمْ مُدَّةٌ مُعَيَّنَةٌ، مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ يَسِيحُونَ خِلالَها فِي الأَرْضِ، وَيَتَنَقَّلُونَ

ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ

كَيْفَ شَاؤُوا آمِنِينَ. أَمَّا الذِينَ لَيْسَ بَيْنَهم وَبَيْنَ الرَّسُولِ عَهْدٌ، فَجعَلَ مُدَّتَهُم آنْسِلاَخَ الأَشْهُرِ الحُرُمِ، فَإذا آنْسَلَخَتِ الأَشْهُرُ الحُرُمُ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَضَعَ الرَّسُولُ فِيهِمُ السَّيْفَ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ.

وَيُعْلِمُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ، أَيْنما كَانُوا، فَهُمْ خَاضِعُونَ لِسُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَهُ طَلَباً، وَأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ الخِزْيَ عَلَى الذِينَ يَكْفُرُونَ بِهِ.

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ - أَوَّلُها عَاشِرُ ذِي الحِجَّةِ.

غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ - غَيْرُ فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِهِ بِالهَرَبِ.

٣ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

(وَأَذَانٌ)

(٣) - وَبَلاَغٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْذَارٌ إِلَى النَّاسِ (أَذَانٌ) يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ (لأَنَّهُ أَكْبَرُ المَنَاسِكِ، وَمَجْمَعُ النَّاسِ فِي الحَجِّ لِيَصِلَ إِلَيْهِمُ البَلاَغُ)، أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ أَيْضاً، فَإِنْ تَابَ المُشْرِكُونَ وَآنْتَهوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالضَّلاَلِ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ، وَإِنْ أَصَرُّوا وَآسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، فَلْيَعْلَمُوا أَنَهُمْ لَيْسُوا بِمُعْجِزِي اللهِ الذِي هُوَ قَادِرٌ عَلَيهِمْ، وَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَفُوتُوهُ أَبداً، وَلَنْ يَجِدُوا مِنْهُ مَهْرباً. وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى الكَافِرِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً إِذا آسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ.

أَذَانٌ - إِعْلاَنٌ وَإِيذَانٌ.

يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ - يَوْمَ النَّحْرِ سَنَةَ تِسْعٍ لِلْهِجْرَةِ.

٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ

(عَاهَدْتُمْ) (يُظَاهِرُوا)

(٤) - وَيَسْتَثْنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ تَحْدِيدِ الأَجَلِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، الذِينَ لَهُمْ عَهْدٌ مُحَدَّدُ المُدَّةِ، فَيَأمُرُ اللهُ المُسْلِمِينَ بِإِتْمَامِ عَهْدِهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَى مُدَّتِهِ المُحَدَّدَةِ، إذا كَانُوا لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ، وَلَمْ يُسَاعِدُوا أَحداً مِنْ أَعْدَاءِ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، لأَنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ الذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ.

(وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الوَفَاءَ بِالعَهْدِ مِنْ فَرائِضِ الإِسْلاَمِ مَا دَامَ العَهْدُ مَعْقُوداً. وَمِنْ شُرُوطِ وُجُوبِ الوَفَاءِ بِالعَهْدِ مُحَافَظَةُ العَدُوِّ عَلَى العَهْدِ بِتَمامِهِ نَصّاً وَرُوحاً، فَإِنْ نَقَصَ مِنْهُ شَيْئاً، أَوْ أَخَلَّ بِغَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ عُدَّ نَاقِضاً لَهُ).

لَمْ يُظَاهِرُوا - لَمْ يُعَاوِنُوا.

٥ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(الصَّلاَةَ) (وَآتَوُا) (الزَّكَاةَ)

(٥) - فَإذَا ٱنْقضتِ الأشْهُرُ المُحدَّدَةُ أجَلاً لِلْمُشْرِكِينَ، وَالتِّي حَرَّمَ الله فِيهَا قِتَالَهُمْ، فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ، حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فِي الأرضِ، وَأسِرُوهُمْ (خُذُوهُمْ)، فَإنْ شِئْتُمْ أسْراً، وَإنْ شِئْتُمْ قَتْلاً. وَلاَ تَكْتَفُوا بِقِتَالِ مَنْ تُصَادِفُونَهُ مِنْهُمْ فِي طَرِيقِكُمْ، وَلكِنِ ٱقْصُدُوهُمْ فِي أمَاكِنِهِمْ، وَحَاصِرُوهُمْ في حُصُونِهِمْ، وَامْنَعُوا خُرُوجَهُمْ وَٱنْفِلاَتَهُمْ، وَٱرْصُدُوا طُرُقَهُمْ وَمَسَالِكَهُمْ، حَتَّى تُضَيِّقُوا عَليهِمُ الوَاسِعَ، وَتَضْطَرُّوهُمْ إلَى القَتْلِ أوِ الإسْلاَمِ.

فَإنْ تَابُوا عنِ الشِّرْكِ وَأسْلَمُوا، وَأقَامُوا الصَّلاَةَ، وَأدَّوا الزَّكَاةَ، وَقَامُوا بِوَاجِبَاتِ الإسْلاَمِ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(وَهَذِهِ الآيَةُ تُسَمَّى آيَةَ السَّيفِ إذْ جَاءَ الأمْرُ فِيهَا بِالقِتَالِ وَكَانَ مُؤَجَّلاً إلَى أنْ يَقْوَى المُسْلِمُونَ).

ٱنْسَلَخَ - ٱنْقَضَى وَيُقْصَدُ بِالأشْهُرِ الحُرُمِ هُنَا أشْهُرُ العَهْدِ الأرْبَعَةُ.

احْصُرُوهُمْ - ٱحْبِسُوهُمْ وَضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ، وَٱمْنَعُوهُمْ مِنَ الانْسِيَاحِ فِي البِلاَدِ.

كُلَّ مَرْصَدٍ - كُلَّ طَرِيقٍ وَمَمَرٍّ وَمَرقَبٍ.

٦ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ

(كَلاَمَ)

(٦) - وَإذَا ٱسْتَجَارَ أحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ (الذينَ أمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِقِتَالِهِمْ) بِالرَّسُولِ ﷺ، وَٱسْتَأمَنَهُ فَعَلَيْهِ أنْ يُؤَمِّنَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ، وَيَقْرَأَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ القُرآنَ، وَيَذْكُرَ لَهُ شَيئاً مِنْ أمْرِ الدِّينِ، لِيُقِيمَ عَلَيْهِ الحُجَّةَ، ثُمَّ يُبْلِغَهُ مَأمَنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيُوصِلَهُ إلَى مَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ آمِناً، لأنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَعْلَمُونَ أمْرَ الدِّينِ، وَلَمْ يُعْرِضُوا عَنِ الإسْلاَمِ إلاَّ عَنْ جَهْلٍ وَعَصَبِيَّةٍ، وَٱغْتِرارٍ بِالقُوَّةِ، وَقَدْ شَرَعَ اللهُ أمَانَهُمْ لِيَعْلَمُوا دِينَ اللهِ، وَلِتَنْتَشِرَ الدَّعْوَةُ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَلِهَذا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُعْطِي أمَانَهُ مُسْتَرشِداً بِالآيَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أسْبَابِ هِدَايَةِ الكَثِيرِينَ مِنْهُمْ.

ٱسْتَجَارَكَ - أيْ بَعْدَ ٱنْسِلاَخِ الأشْهُرِ الحُرُمِ (أشْهُرِ العَهْدِ).

٧ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ

(عَاهَدْتُمْ) (اسْتَقَامُوا)

(٧) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى الحِكْمَةَ مِنَ البَرَاءَةِ مِنَ المُشْرِكِينَ وَعُهُودِهِمْ، وَمِنْ نَظِرَتِهِمْ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ، فَيَقُولُ تَعَالَى: كَيْفَ يُؤَمَّنُ هَؤُلاءُ المُشْرِكُونَ،

عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ

وَيتركون فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالكُفْرِ بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ، وَهُمْ إذا تَمَكَّنُوا مِنَ المُسْلِمِينَ، وَغَلَبُوا عَلَيْهِمْ، لَا يَرْعَوْنَ فِيهِمْ قَرابَةً وَلا عَهْداً؟

أمَّا الذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ (يَوْمَ الحُدَيبِيَةِ)، فَمَا آسْتَمْسَكُوا بِالعَهْدِ، وَآسْتَقَامُوا عَلَيهِ، فَتَمَسَّكُوا أَنْتُمْ بِهِ، وَأَوْفُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ، لأنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ، الذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى عُهُودِهِمْ.

وَقَدِ آسْتَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحَافِظاً عَلَى عَهْدِهِ مَعَ قُرَيْشٍ حَتَّى نَقَضَتْهُ هِيَ، وَسَاعَدَتْ بَنِي بَكْرٍ أَحْلافَهَا، عَلَى خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ الرَّسُولِ، فَسَارَ النَّبِيُّ إِلَى قُرَيْشٍ وَفَتَحَ مَكَّةَ.

فَمَا آسْتَقَامُوا لَكُمْ - فَمَا أقَامُوا عَلَى العَهْدِ مَعَكُمْ.

(٨) كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ

(بأفْواهِهِمْ) (فَاسِقُونَ)

(٨) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى الأَسْبَابَ التِّي تَدْعُو إِلَى أَنْ لَا يَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ، ذَلِكَ لأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَلأَنَّهُمْ إذا آنْتَصَرُوا عَلَى المُسْلِمِينَ، وَظَهَرُوا عَلَيهِمْ، آجْتَثُّوهُمْ وَلَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَم يَرْقُبُوا فِي المُسْلِمِينَ قَرَابَةً، وَلا عَهْداً، فِي نَقْضِ العَهْدِ وَالمِيثَاقِ، وَهؤلاءِ يَخْدَعُونَ المُؤْمنينَ بِكَلامِهِم المَعْسُولِ، وَقُلُوبُهُمْ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى كَرَاهَتِهِمْ، وَأَكْثَرُهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الحَقِّ، نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ.

يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ - يَظْفَرُوا بِكُمْ.

لَا يَرْقُبُوا - لَا يُراعُوا.

إِلًّا - قَرابَةً.

ذِمَّةً - عَهْداً وَأَمَاناً.

(٩) ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(بآيَاتِ)

(٩) - اعْتَاضُوا عَنِ آتِّبَاعِ آيَاتِ اللهِ بِمَا آلتَهَوا بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا الخَسِيسَةِ، فَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الإيمَانِ بِاللهِ، وَعَنِ آتِّبَاعِ الحَقِّ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ فَبِئْسَ العَمَلُ عَمَلُهُمْ، وَسَاءَ مَا عَمِلُوا مِن آشْتِرَاءِ الكُفْرِ بِالإِيمَانِ، وَالضَّلَالَةِ بِالهُدَى.

صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ - مَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ.

(١٠) لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ

(وَأُولَئِكَ)

(١٠) - وَيَجْعَلُهُمْ كُفْرُهُمْ لَا يرعَوْنَ فِي مُؤْمِنٍ، يَقْدِرُونَ عَلَى الفَتْكِ بِهِ، قَرابَةً تَقْتَضِي الوِدَّ، وَلا ذِمَّةً تُوجِبُ الوَفَاءَ بِالعَهْدِ، وَلا رَبّاً يُحَرِّمُ الخِيانَةَ وَالغَدْرَ، وَهؤلاءِ هُمُ المُتَجَاوِزُونَ الحُدُودَ فِي الظُّلْمِ.

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١١

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ ١٢

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٣

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٤

المُعْتَدُون - المُتَجاوِزُونَ الحُدُودَ فِي الظُّلْم.

(الصَّلاَة) (وآتَوا) (الزَّكَاة) (فَإخْوانُكُمْ) (الآيَاتِ)

(١١) - فَإذا انْتَهَوْا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ، وَتابوا وَدَخلُوا فِي الإِسْلاَمِ، وَأدَوا الصَّلاَةَ حَقَّ أدَائِها، وَأدَّوْا زَكَاةَ أمْوالِهِمْ، فَحِينَئِذٍ يُصْبِحُونَ إخْواناً لَكُمْ فِي الدِّينِ، وَاللهُ يُفَصِّلُ الآيَاتِ، وَيُوضِّحُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ما بَيَّنَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الحُجَجِ وَالبَرَاهِينِ وَالآيَاتِ، وَيَنْتَفِعونَ بِهَا.

أقَامُوا الصَّلاَةَ - أدَّوْهَا حَقَّ أدَائِهَا، وَأتَمُّوهَا بِخُشُوعِهَا.

(أيْمَانَهُمْ) (فَقَاتِلُوا) (أئِمَّةَ) (أيْمَانَ)

(١٢) - وَإنْ نَكَثَ هَؤُلاءُ المُشْرِكُونَ، الذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ، عُهودَهُمْ وَمواثِيقَهَمْ (أيْمَانَهُمْ)، وَعَابُوا دِينَكُمْ وَانْتَقَصُوهُ (طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ)، فَقَاتِلوا زُعَمَاءَ الكُفْرِ وَأئِمَّتَهُ، لأنَّهُمْ لاَ عُهُودَ لَهُمْ وَلاَ مَوَاثِيقَ، لَعَلَّهُمْ يَنْتَهونَ عَنِ الكُفْرِ إنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ. (وَمِنْ هَذِهِ الآيَةِ شُرِعَ قَتْلُ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمَنْ طَعَنَ في دِينِ الإِسْلامِ).

نَكَثَ الغَزْلَ وَالحَبْلَ - حَلَّ خُيُوطَهُ التي تَألَّفَ مِنْها وَأرْجَعَهَا إلَى أصْلِهَا.

نَكَثُوا أيْمَانَهُمْ - نَقَضُوا عُهُودَهُمْ المُؤَكَّدَةَ بالأيْمانِ.

(تُقَاتِلُونَ) (أيْمَانَهُمْ)

(١٣) - يَحُضُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمنينَ عَلَى قِتَالِ المُشْرِكينَ، الذِينَ يَنْكُثُونَ عَهْدَهُمْ، وَقَدْ سَبَقَ لَهُمْ أنْ هَمُّوا بِإخْرَاجِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَهُمُ الذِينَ بَدَؤُوكُمْ بِالقِتَالِ أوَّلَ مَرَّةٍ، إذْ خَرَجُوا إلَى بَدْرٍ لِنُصْرَةِ عِيرِهِمْ وَإنْقَاذِهَا، ثُمَّ يَطْلُبُ اللهُ تَعَالَى إلَى المُؤْمِنينَ أنْ لاَ يَخْشَوا الكُفْرَ وَأهْلَهُ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إنْ الذِي يَسْتَحِقُّ الخَشْيَةَ وَالخَوْفَ مِنْهُ هُوَ اللهُ ذُو السَّطْوَةِ وَالعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ. فَالمُؤْمِنُونَ لا يَخْشَوْنَ أحَداً غَيْرَ اللهِ، وَلاَ يَخَافُونَ سِوَاهُ إنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي إيمَانِهِمْ.

(قَاتِلُوهُمْ)

(١٤) - يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمنينَ بِقِتَالِ الكُفَّارِ، وَيَقُولُ لَهُمْ إنَّهُ تَعَالَى سَيُعَذِّبُهُمْ بِأيدِي المُؤْمنينَ، وَيُمَكِّنُ المُؤْمِنينَ مِنْ رِقَابِهِمْ، وَيُخْزِيهِمْ وَيُذِلُّهُمْ بِالأسْرِ وَالقَهْرِ وَالهَزِيمَةِ، وَيَنْصُرُ المُؤْمِنينَ عَلَيهِمْ، وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ اعْتَدَى الكَافِرُونَ عَلَيْهِم، (مِثْلِ خُزاعَة، وَالمُسْتَضْعَفِينَ فِي مَكَّةَ الذِينَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا اللَّحَاقَ بِإخْوانِهِم المُؤْمِنِينَ إلى دَارِ الهِجْرَةِ).

﴿١٥﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(١٥) - ويُذْهِبُ اللهُ بنَصْرِكُمْ عَلَى الكَافِرِينَ، مَا فِي قُلُوبِ هؤُلاءِ المُؤْمِنينَ مِنْ غَيْظٍ عَلَى جَمَاعَةِ الكُفْرِ، بِسَبَبِ غَدْرِهِمْ وَظُلْمِهِمْ وَاعْتِدائِهِمْ، ويَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ، مِنْ غَيْرِ هؤلاءِ، وَيُوَفِّقُهُمْ للإِيمانِ ويَتَقَبَّلُهُ مِنْهُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يُصْلِحُ عِبادَهُ، حَكِيمٌ فِي أَفْعالِهِ وَأَقْوالِهِ.

غَيْظَ قُلُوبِهِمْ - غَيْظَهَا الشَّدِيدَ وَغَضَبَهَا.

(جاهَدُوا)

﴿١٦﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١٦) - أَظَنَنْتُمْ أنْ يَتْرُكَكُمُ اللهُ مُهْمَلِينَ، لا يَخْتَبِرُكُم بِأُمُورٍ تُظْهِرُ فِيكُمُ الصَّادِقَ مِنَ الكاذِبِ، لِيَعْلَمَ الذِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِهِ، وَيُخلِصُونَ فِي جِهَادِهِمْ وَنُصْحِهِمْ، للهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَكُونُ ظَاهِرُهُمْ كَبَاطِنِهِمْ، فِي الإِخْلاصِ للهِ وَلِلرَّسُولِ، وَلَيسَ لَهُمْ بِطَانَةٌ مِنَ لمُشْرِكِينَ، وَلا روابِطُ مَعَ المُشْرِكِينَ، وَلا يُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِأَسْرارِ لمُسْلِمِينَ وَخُطَطِهِمْ، وَاللهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً.

وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ أَنَّ التَّكْلِيفَ الذِي يَشُقُّ عَلَى الأَنْفُسِ هُوَ الذِي يُمَحِّصُ مَا فِي القُلُوبِ، وَيُطَهِّرُ السَّرائِرَ، وَيَكْشِفُ مَكْنُونَاتِ السَّرائِرِ الخَبِيثَةِ.

وَلِيجَةً - بِطَانَةً وَأَصْحَابَ سِرٍّ.

(مَساجِدَ) (شاهِدِينَ) (أولَئِكَ) (أَعْمالُهُمْ) (خالِدُونَ)

﴿١٧﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ

(١٧) - لا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ باللهِ أنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ التِي بُنِيَتْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ - وَمِنْهَا المَسْجِدُ الحَرَامُ -، بالإِقَامَةِ فِيهَا لِلْعِبَادَةِ، أَوْ لِلْخِدْمَةِ أَوْ لِلْوِلايَةِ عَلَيها، وَلا أنْ يَزُورُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ حُجَّاجاً وَمُعْتَمِرِينَ، وَقَدْ شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ، قَوْلاً وَعَمَلاً، بِعِبَادَتِهِم الأَصْنَامَ، وَالاسْتِشْفَاعِ بِهَا، وَالسُّجُودِ لِمَا وَضَعُوهُ مِنْهَا فِي الكَعْبَةِ عَقِبَ كُلِّ شَوْطٍ مِنْ طَوافِهِمْ، إِذْ أَنَّ عَمَلَهُمْ هذا يُعتَبَرُ جَمْعاً لِلنَّقِيضَيْنِ، فَإِنَّ عِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ الحِسِّيَّةَ إِنَّما تَكُونُ بِعِمارَتِهِ المَعْنَوِيَّةِ بِالعِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، وَذَلِكَ لا يَقَعُ إِلا مِنَ المُؤْمِنِ المُوَحِّدِ. أَمَّا المُشْرِكُونَ فَإِنَهُمْ يُشْرِكُونَ بالعِبَادَةِ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَيُساوُونَ اللهَ بِبَعضِ خَلْقِهِ فِي العِبَادَةِ، وَهؤلاءِ المُشْرِكُونَ باللهِ، وَالكَافِرُونَ بِهِ، هَلَكَتْ أَعمالُهُمْ التِي يَفْخَرُونَ بها: مِنْ عِمارَةِ المَسْجِدِ الحَرامِ وَسِقايَةِ الحُجَّاجِ، وَقِرَى الضَّيفِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، . . . بِسَبَبِ شِرْكِهِمْ، وَسَيكُونُونَ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ أَبَداً.

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ

﴿١٩﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

﴿٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ

﴿٢١﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ

حَبِطَتْ أعمالُهُمْ - هَلَكَتْ وبَطَلَتْ وَذَهَبَ ثَوابُها لِكُفْرِهِمْ.

(مَساجِدَ) (آمَنَ) (الآخِرِ) (الصَّلاةَ) (وآتى) (الزَّكاةَ) (أولئِكَ)

(١٨) - إنَّ الذينَ يَسْتَحِقُّونَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللهِ هُمُ الذينَ يُؤْمِنونَ باللهِ وَحدَهُ، وبِكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ، ويُقيمُونَ الصَّلاةَ، ويُؤدُّونَ زَكاةَ أمْوالِهِمْ، ولا يَخْشَوْنَ أحداً غَيْرَ اللهِ، فَهُمْ يُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللهِ، ويَقولونَ كَلِمَةَ الحَقِّ، ويَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ؛ وَمَنْ فَعَلَ ذلِكَ كانَ هُوَ مِمَّنْ يَعْمُرُونَ مَساجِدَ اللهِ، لِتوافُقِ فِعْلِهِ مَعَ إيمانِهِ، وكانَ مِنَ المُهْتَدِينَ إلى طَريقِ الحَقِّ والصَّوابِ.

(آمَنَ) (وَجاهَدَ) (يَسْتَوُونَ) (الظَّالِمِينَ)

(١٩) - نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ في العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، حِينَ أُسِرَ بِبَدْرٍ، فَقالَ لَئِنْ سَبَقْتُمُونا بالإسْلامِ والهِجْرَةِ والجِهادِ، لَقَدْ كُنَّا نُعَمِّرُ المَسْجِدَ الحَرامَ، ونَسْقِي الحاجَّ، ونَفُكُّ العانِيَ. فَرَدَّ اللهُ تَعالَى عَلَيهِ قائِلاً: إنَّ سِقايَةَ الحاجِّ، وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ لا تَسْتَوِيانِ عِنْدَ اللهِ مَعَ الإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، والجِهادِ في سَبيلِهِ، واللهُ تَعالَى لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ إلَى الحَقِّ في أعْمالِهِمْ، ولا إلى الحُكْمِ العَدْلِ في أعْمالِ غَيْرِهِمْ.

سِقايَةَ الحاجِّ - تَقْدِيمَ الماءِ لِلْحُجّاجِ الوافِدِينَ عَلَى مَكَّةَ لِيَشْرَبُوا.

(آمَنُوا) (وَجاهَدُوا) (بِأَمْوالِهِمْ) (وَأولئِكَ) (الفائِزُونَ)

(٢٠) - فالذينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا في سَبيلِ اللهِ بِأمْوالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ، هُمْ أعْظَمُ عِنْدَ اللهِ دَرَجَةً وَمَقاماً، وأكْثَرُ مَثُوبَةً مِنَ الذينَ عَمَّرُوا المَسْجِدَ الحَرامَ، وَسَقَوْا الحاجَّ في الجاهِلِيَّةِ. وَهؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ المُجاهِدُونَ في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ هُمُ الفائِزُونَ بِرَحْمَةِ اللهِ، وَرِضْوانِهِ وَجَنَّاتِهِ.

(وَرِضْوانٍ) (وَجَنَّاتٍ)

(٢١) - وَهؤُلاءِ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ في كِتابِهِ، وَعَلَى لِسانِ رَسُولِهِ، وَعَلى لِسانِ مَلائِكَتِهِ حِينَ مَوْتِهِمْ، بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوانٍ، وبِأنَّهُ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِهِ الواسِعَةَ، وَسَيَبْقَوْنَ فِيها أبَداً في نَعِيمٍ مُقِيمٍ. وَالرِضْوانُ مِنَ اللهِ هُوَ نِهايَةُ الإحْسانِ، وَأعْلَى النَّعِيمِ، وَأكْمَلُ الجَزاءِ.

﴿٢٢﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ

﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ
ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ
إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى
ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

﴿٢٤﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ
وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ
وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ
تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم
مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ
فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ
ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ

﴿٢٥﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ

(خَالِدِينَ)

(٢٢) - وَسَيكونُ هَؤُلاءِ الكِرَامُ مُخَلَّدِينَ في الجَنَّةِ أَبَداً وهذا جزاءٌ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ، وَاللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ الأَجْرُ العَظِيمُ لِمَنْ آمَنَ وَجَاهَدَ، وَقَامَ بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ الإِسْلاَمُ.

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (آبَاءَكُمْ) (وَإِخْوَانَكُمْ) (الإِيمَانِ) (فَأُوْلَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٢٣) - بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ اللهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهُ، وَبَرَاءَةَ رَسُولِهِ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَآذَنَهم بِنَبْذِ عُهُودِهِمْ، بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ لاَ عُهُودَ لَهُمْ، عَزَّ ذَلِكَ على بَعْضِ المُسْلِمِينَ، وَتَبَرَّمَ مِنْهُ ضُعَفَاءُ الإِيمَانِ، وَكَانَ مَوْضِعَ الضَّعْفِ نُصْرَةُ القَرَابَةِ وَالعَصَبِيَّةِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ فَضْلَ الإِيْمَانِ وَالهِجْرَةِ وَالجِهَادِ لاَ يَتَحَقَّقُ، وَلا يَكْتَمِلُ إلا بِتَرْكِ وَلاَيَةِ الكَافِرِينَ، وَإِيثَارِ حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، عَلَى حُبِّ الوَلَدِ وَالوَالِدِ وَالأَخِ وَالعَشِيرَةِ، فَنَهَى اللهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالاَةِ الذِينَ يَخْتَارُونَ الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ. وَتَوَعَّدَ مَنْ يَتَوَلاَّهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ بِالعِقَابِ الشَّدِيدِ، فِي هذِهِ الآيَةِ، وَفي آيَاتٍ أُخْرَى، وَعَدَّ مَنْ يَتَوَلَّى الكُفَّارَ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءً أَوْ إِخواناً، مِنَ الظَّالِمِينَ.

(وَكثيراً مَا عَبَّرَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الكُفْرِ بِالظُّلْمِ وَمَاثَلَ بَيْنَهُما).

اَسْتَحَبُّوا الكُفْرَ - اخْتَارُوهُ وَأَقَامُوا عليهِ.

(آبَاؤُكُمْ) (وَإِخْوَانُكُمْ) (وَأَزْوَاجُكُمْ) (وَأَمْوَالٌ) (وَتِجَارَةٌ) (وَمَسَاكِنُ) (الفَاسِقِينَ)

(٢٤) - ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِتَوَعُّدِ مَنْ آثَرَ حُبَّ القَرَابَةِ وَالعَشِيرَةِ وَالأَهْلِ وَالتِّجَارَةِ وَالأَمْوَالِ وَالمَسَاكِنِ... عَلَى حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَرَبَّصُوا أَمْرَ اللهِ فِيهِمْ، وَيَنْتَظِرُوا عِقَابَه وَنَكَالَهُ بِهِمْ، وَاللهُ تَعَالَى لاَ يَهْدِي الفَاسِقِينَ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ سَوَاءَ السَّبِيلِ.

الأَمْوَالُ المُقْتَرَفَةُ - هِيَ التِي يَكْسِبُهَا المَرْءُ بِنَفْسِهِ.

كَسَادَهَا - بَوَارَهَا بِفَوَاتِ أَيَّامِ المَوْسِمِ.

فَتَرَبَّصُوا - فَانْتَظِرُوا.

(٢٥) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، فِي نَصْرِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَوَاقِعَ كَثِيرَةٍ (مَوَاطِن) مِنْ غَزَوَاتِهِم مَعَ رَسُولِ اللهِ، وَإِنَّ

أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ

ذلك كُلُّهُ كَانَ مِنْ عِنْدِ الله، وبتأييده وتقديره، لا بعَدَدِ المُسْلِمِينَ، ولا بعُدَدِهِمْ، ولا بعَصَبيَّتِهِمْ، ولا بقُوَّتِهِمْ، ولا بكَثْرَةِ أموالِهِمْ، وَنَبَّهَهُمْ تعالى إلى أنَّ النَّصْرَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَلَّ الجمْعُ أوْ كثُر.

وفي يوم حُنَيْنٍ أعْجَبَتِ المُسْلِمِينَ كَثْرَتُهُمْ فَلَمْ تُفِدْهُمْ شَيْئاً، فَوَلَّوا مُدْبِرِينَ حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِم الأرْضُ عَلى سعتها، مِنْ شِدَّةِ فَزَعِهِمْ، فَلَمْ يَهْتَدُوا إلى النَّجاةِ سَبِيلاً، وَلَمْ يَثْبُتْ مِنْهُمْ إلاَّ عَدَدٌ قَلِيلٌ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، وكَانَ ذلِكَ ٱبْتِلاءً مِنَ اللهِ لَهُمْ عَلى عُجْبِهِمْ بكَثْرَتِهِمْ. (ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ وَتَأْيِيدَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَعلى المُؤْمِنِينَ، لِيُعَلِّمَهُمْ أنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ، وَإنْ قَلَّ الجَمْعُ).

بِمَا رَحُبَتْ ـ عَلَى رَحْبِهَا وَسَعَتِهَا.

فَلَمْ تُغْنِ ـ فَلَمْ تَنْفَعْ وَلَمْ تُفِدْ.

(٢٦) ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ

(الكافِرِينَ)

(٢٦) ـ وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الطُّمَأْنِينَةَ عَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى المُؤْمِنِينَ الذِينَ ثَبَتُوا مَعَهُ، فَأَذْهَبَ رَوْعَهُمْ، وَأزالَ حَيْرَتَهُمْ، وأعَادَ إلَيْهِمْ شَجَاعَتَهُمْ، وَلَزِمَ الرَّسُولُ ﷺ مَكَانَهُ، وَمَعَهُ القِلَّةُ التي ثَبَتَتْ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَٱسْتَنْصَرَ الرَّسُولُ رَبَّهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ جُنوداً مِنَ المَلائِكَةِ لَمْ يَرَهَا المُسْلِمُونَ بأبْصارِهِمْ، بَلْ وَجَدُوا أثَرَهَا فِي قُلُوبِهِمْ، بِمَا عَادَ إليْهَا مِنْ رَباطَةِ جَأْشٍ، وَشِدَّةِ بَأسٍ. وَأخَذَ الرَّسُولُ ﷺ حَفْنَةً مِنْ تُرابٍ قَذَفَهَا فِي وَجْهِ القَوْمِ، فَلَمْ يَبْقَ مُقاتِلٌ مِنْ هَوازِنَ إلاّ وَدَخَلَتْ فِي عَيْنِهِ أوْ فَمِهِ حَبَّةٌ مِنْ تُرابٍ أشْغَلَتْهُ عَنِ القِتَالِ، وَتَرَاجَعَ الذِينَ هَرَبُوا مِنَ المُسْلِمِينَ، إلَى حَيْثُ كَانَ يَقِفُ رَسُولُ اللهِ وَصَحْبُهُ الثَّابِتُونَ، وَحَمَلُوا عَلَى هَوازِنَ فَنَصَرَهُمُ اللهُ، وَعَذَّبَ الذِينَ كَفَرُوا، وَقَاتَلُوا رَسُولَ اللهِ، فَأخْزاهُمُ اللهُ وَأذَلَّهُمْ بالقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَهذا هُوَ مَصِيرُ القَوْمِ الكَافِرِينَ، وَجَزاؤُهُمْ.

السَّكِينَةُ ـ الطُّمَأْنِينَةُ أوْ رَحْمَةُ اللهِ.

(٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(٢٧) ـ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ، مِنْ بَعْدِ القَتْلِ وَالخِزْيِ وَالتَّعْذِيبِ، عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ هَوازِنَ فَيَهْدِيهِمْ إلى الإِسْلاَمِ. وَقَدْ قَدِمُوا عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُسْلِمِينَ، وَلَحِقُوا بِهِ فِي مَكَّةَ فِي مَكانٍ يُعْرَفُ بالجِعْرانَةِ، وَذلِكَ بَعْدَ المَوْقِعَةِ بِعِشْرِينَ يَوماً، وَحِينَئِذٍ خَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ سَبْيِهِمْ، وَبَيْنَ أمْوالِهِمْ، فَاخْتَارُوا سَبْيَهُمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلافِ أسِيرٍ مَا بَيْنَ صَبِيٍّ وَٱمْرَأةٍ فَرَدَّهُمْ عَلَيْهِمْ، وَقَسَّمَ الأمْوالَ بَيْنَ المُقَاتِلِينَ.

(٢٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا
ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ
ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ
هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً
فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن
فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(٢٨) - أمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَنْعِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، والطوافِ بِالْكَعْبَةِ، بَعْدَ نُزُولِ هذِهِ الآيَةِ، (وَقَدْ نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ فِي الْعَامِ التَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ) لأَنَّهُمْ قَذِرُونَ، قَلِيلُو النَّظَافَةِ (نَجَسٌ)، لِذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ هذا الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: إِذَا خِفْتُمْ بَوارَ تِجَارَتِكُمْ، وَقِلَّةَ أَرْزَاقِكُمْ، بِسَبَبِ انْقِطَاعِ مَجيءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى مَكَّةَ، فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَنْ ذَلِكَ، وَسَيُعَوِّضُ عَلَيْكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْمَصْلَحَةُ، حَكِيمٌ فِيمَا يَشْرَعُهُ وَيُقَرِّرُهُ.

الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ - شَيءٌ قَذِرٌ أَوْ خَبِيثٌ لِفَسَادِ بَوَاطِنِهِمْ.

خِفْتُمْ عَيْلَةً - خِفْتُمْ فَقْراً وَفَاقَةً بِانْقِطَاعِ تِجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ.

(٢٩) قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ
ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ

(قَاتِلُوا) (الآخِرِ) (الْكِتَابَ) (صَاغِرُونَ)

(٢٩) - بَعْدَ أنِ اسْتَقَامَتِ الأُمُورُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، بِدُخُولِ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ، أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِقِتَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ لِلْهِجْرَةِ، لِذَلِكَ تَجَهَّزَ الرَّسُولُ ﷺ لِقِتَالِ الرُّومِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ، وَأَظْهَرَهُ لَهُمْ، وَنَدَبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجِهَادِ، وَتَخَلَّفَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ الْعَامُ عَامَ جَدْبٍ، وَالْوَقْتُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَخَرَجَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ إِلَى تَبُوك، فَنَزَلَ بِهَا، وَأَقَامَ فِيهَا قَرَابَةَ عِشْرِينَ يَوْماً، ثُمَّ رَجَعَ لِضِيقِ الْحَالِ، وَضَعْفِ النَّاسِ.

فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالإِسْلاَمِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَرَضَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قِتَالَهُ، حَتَّى يُعْطِيَ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ مَقْهُورَةٍ مَغْلُوبَةٍ، وَهُوَ خَاضِعٌ صَاغِرٌ.

وَيَجِبُ قِتَالُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا اجْتَمَعَتْ فِيهِم أَرْبَعُ صِفَاتٍ هِيَ الْعِلَّةُ فِي عَدَاوَتِهِم لِلإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ:

- أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، لأَنَّهُمْ هَدَمُوا التَّوْحِيدَ فَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ مُشَرِّعِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَبَدَ الْمَسِيحَ وَعُزَيْراً.

- أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ، إِذْ يَقُولُونَ إِنَّ الْحَيَاةَ الآخِرَةَ هِيَ حَيَاةٌ رُوحَانِيَّةٌ يَكُونُ فِيهَا النَّاسُ كَالْمَلاَئِكَةِ.

- أَنَّهُمْ لاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَلاَ يَلْتَزِمُونَ الْعَمَلَ بِمَا حُرِّمَ عَلَيهِمْ.

- أنَّهُمْ لاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ الَّذِي أوْحَاهُ اللهُ إلَى أنْبِيَائِهِ، وَإنَّمَا يَتَّبِعُونَ دِيناً وَضَعَهُ لَهُمْ أحْبَارُهُمْ وَأسَاقِفَتُهُمْ.

يُعْطُوا الجِزْيَةَ - الخَرَاجَ المُقَدَّرَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ.

عَنْ يَدٍ - عَنِ انْقِيَادٍ وَخُضُوعٍ، أوْ مِنْ قَهْرٍ وَقُوَّةٍ.

صَاغِرُونَ - مُنْقَادُونَ لِحُكْمِ الإِسْلاَمِ وَهُمْ أذِلاَّءُ.

﴿٣٠﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ

(النَّصَارَى) (بأفْوَاهِهِمْ) (يُضَاهِئُونَ) (قَاتَلَهُمُ)

(٣٠) - يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى قِتَالِ أهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِقَوْلِهِمْ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ، إذِ ادَّعَى الْيَهُودُ أنَّ عُزَيْراً ابْنُ اللهِ، وادَّعَتِ النَّصَارَى أنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللهِ، وَهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ بأفْوَاهِهِمْ، وَلاَ سَنَدَ لَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ سِوَى افْتِرَائِهِمْ وَاخْتِلاَقِهِمْ، وَهُمْ يُشَابِهُونَ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ الَّتِي ضَلَّتْ كَمَا ضَلَّ هَؤُلاَءِ، قَاتَلَهُمُ اللهُ وَلَعَنَهُمْ، كَيْفَ يَضِلُّونَ عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْهُ إلَى الْبَاطِلِ؟

يُضَاهِئُونَ - يُشَابِهُونَ فِي الكُفْرِ وَالقَوْلِ.

أنَّى يُؤْفَكُونَ - كَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ بَعْدَ سُطُوعِهِ.

﴿٣١﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(وَرُهْبَانَهُمْ) (وَاحِداً) (سُبْحَانَهُ)

(٣١) - اتَّخَذَ أهْلُ الْكِتَابِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، كِبَارَ رِجَالِ دِينِهِمْ أرْبَاباً وَمُشَرِّعِينَ، فَأحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلاَلَ، فَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْمُتَابَعَةُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**اتَّخَذُوا أحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أرْبَاباً**﴾؛ وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ للهِ وَلَداً عَبَدُوهُ مَعَ اللهِ، كَعُزَيْرٍ وَالْمَسِيحِ، لاَ إلَهَ غَيْرُ اللهِ، تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ، وَعَنِ النُّظَرَاءِ وَالأعْوَانِ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

وَهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِذَلِكَ، وَإنَّمَا أُمِرُوا بِأنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

الأحْبَارُ - عُلَمَاءُ اليَهُودِ.

الرُّهْبَانُ - مُتَنَسِّكُو النَّصَارَى.

أرْبَاباً - أطَاعُوهُمْ كَمَا يُطَاعُ الرَّبُّ.

﴿٣٢﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

(بأفْوَاهِهِمْ) (الكَافِرُونَ)

(٣٢) - يُرِيدُ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ أهْلِ الْكِتَابِ، أنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي شَرَعَهُ لِهِدَايَةِ عِبَادِهِ، وَأنْ يُخْفُوا مَا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ بِهِ، مِنَ الدَّعْوَةِ إلَى التَّوْحِيدِ وَالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، بِمُجَرَّدِ

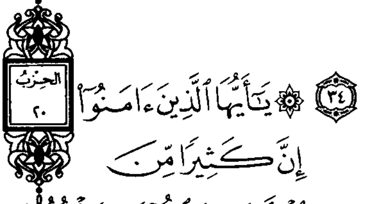
جِدالِهِمْ وَافْتِرائِهِمْ ، فَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِىءَ شُعَاعَ الشَّمْسِ ، أَوْ نُورَ الْقَمَرِ ، بِنَفْخَةٍ مِنْ فَمِهِ . وَبِمَا أَنَّ هَذَا لاَ سَبِيلَ إِلَيْهِ ، كَذَلِكَ لاَ سَبِيلَ إِلَى إِخْفَاءِ نُورِ النُّبُوَّةِ ، وَلاَ بُدَّ لِما أَرْسَلَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ أَنْ يَتِمَّ وَيَظْهَرَ ، وَاللهُ يَأْبَى إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ، وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ذَلِكَ .

الكُفْرُ - سَتْرُ الشَّيءِ وَتَغْطِيَتُهُ .

(٣٣) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

(٣٣) - اللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺ بِكِتَابٍ هُوَ القُرْآنُ ، كَفِلَ حِفْظَهُ حَتَّى آخِرِ الزَّمَانِ ، فِيهِ الهُدَى وَدِينُ الحَقِّ ، وَسَيُظْهِرُهُ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الأَدْيَانِ السَّابِقَةِ ، لأَنَّهُ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ الذِي جَاءَ بِالدَّعْوَةِ الصَّحِيحَةِ (التِي جَاءَتْ بِهَا جَمِيعُ الأَدْيَانِ السَّابِقَةِ) وَهِيَ دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ ، وَالإِيمانُ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، فَبَدَّلَ النَّاسُ ، وَحَرَّفُوا فِيهَا ، فَجَاءَ الإِسْلاَمُ لِتَصْحِيحِ ذَلِكَ ، وَلِيُعِيدَ لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ صَفَاءَهَا وَأَصَالَتَهَا وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ .

يُظْهِرَهُ - يُعْلِيهِ حَتَّى يَظْهَرَ وَيَغْلِبَ .



(٣٤) ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

الحزب ٢٠

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَمْوَالَ) (بِالبَاطِلِ)

(٣٤) - يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ ، وَعُبَّادِ الضَّلاَلَةِ ، وَيقولُ : إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ، اليَهُودِ وَالنَّصَارَى ، يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ ، بِصُوَرٍ وَطَرَائِقَ مُخْتَلِفَةٍ ، وَيَسْتَغِلُّونَ رِئَاسَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ ذَلِكَ ، وَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ اسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلاَلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ، طَمَعاً فِي أَنْ تَبْقَى لَهُمْ تِلْكَ الرِّئَاسَاتُ ، وَأَخَذُوا يَصُدُّونَ النَّاسَ وَيَصْرِفُونَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الإِسْلاَمِ ، وَهُوَ دِينُ الحَقِّ ، وَيُلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الجَهَلَةِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ ، وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ لَوْ أَقَرُّوا بِصِدْقِ مُحَمَّدٍ ، وَصِحَّةِ دِينِهِ ، لَتَوَجَّبَ عَلَيْهِمْ مُتَابَعَتُهُ ، فَيَبْطُلُ حُكْمُهُمْ ، وَتَزُولُ مَكَانَتُهُم ، وَتَنْقَطِعُ مَوَارِدُهُمْ ، وَمَصَادِرُ رِزْقِهِم العَرِيضَةُ .

وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَى النَّارِ ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ . وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى مَنْ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ (أَيْ يُكَدِّسُونَ الأَمْوَالَ) ، وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَفِي الجِهَادِ لِنُصْرَةِ دِينِ اللهِ ، وَفِي الإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ وَمَصَالِحِهِمْ ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .

(٣٥) يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ

(٣٦) إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ

(٣٥) - قَالَ ٱبْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: المَقْصُودُ بِالكَنْزِ هُوَ المَالُ الَّذِي لا تُؤَدَّى زَكَاتُهُ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْه: أَيُّ مَالٍ أَدَّيْتَ زَكَاتَهُ، فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ مَدْفُوناً في الأَرْضِ، وَأَيُّ مَالٍ لَمْ تُؤَدِّ زَكَاتَهُ فَهُوَ كَنْزٌ يُكْوَى بِهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ.

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ المَالَ الَّذِي لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ سَيُحْمَى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ في نَارِ جَهَنَّم، وَتُكْوَى بِهِ جِبَاهُ أَصْحَابِهِ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، وَسَيُقَالُ لَهُمْ تَبْكِيتاً وَتَقْرِيعاً: هَذا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَلَمْ تُؤَدُّوا مِنْهُ حَقَّ اللهِ، وَهَذا مَا خَبَّأْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا طَعْمَهُ الآنَ عَذاباً أَلِيماً.

(كِتَاب) (السَّمَاوَاتِ) (وَقَاتِلُوا) (يُقَاتِلُونَكُمْ)

(٣٦) - خَطَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ في حِجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: (أَلا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَماوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً، منها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ (أيْ فَرَضَ اللهُ احْتِرَامَهَا، وَحَرَّمَ فِيهَا القِتَالَ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ)، ثَلاَثَةٌ مُتَتَالِيَاتٌ: ذو القعدة وذو الحِجَّةِ والمُحَرَّمُ، ورَجَبُ مُضَر بَيْنَ جُمادى وَشَعْبَانَ) وَذَلِكَ هُوَ الشَّرْعُ الصَّحِيحُ، الذِي كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ وإِسْمَاعِيلُ وَغَيْرُهُمَا، وَهَذا مَا يَتَعَلَّقُ بالأَشْهُرِ الحُرُمِ مِنْ أَحْكَام، فَلا تَظْلِمُوا فِي هَذِهِ الأَشْهُرِ الحُرُمِ أَنْفُسَكُمْ بِٱرْتِكَابِكُمُ المَعَاصِيَ لأَنَّ الإِثْمَ فِيها يَتَضَاعَفُ، كَمَا أَنَّ المَعَاصِيَ فِي البَلَدِ الحَرامِ يَتَضَاعَفُ فِيهَا الإِثْمُ. والعَمَلُ الصَّالِحُ فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ وفي البَلَدِ الحَرامِ أَعْظَمُ ثَوَاباً عِنْدَ اللهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى - لاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ - هُوَ لاَ تَجْعَلُوا حَرَامَ هَذِهِ الأَشْهُرِ حَلالاً، وَلاَ حَلاَلَهَا حَرَاماً، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الشِّرْكِ، وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ جَمِيعُكُمْ كَافَّةً، وَكُونُوا يَداً وَاحِدَةً فِي دَفْعِ عُدْوَانِهِمْ، وَكَفِّ أَذَاهُمْ، لأَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً لِهَدْمِ دِينِكُمْ، وَالقَضَاءِ عَلَيْهِ، وَإِطْفَاءِ نُورِ اللهِ، فَأَنْتُمْ أَجْدَرُ بالاتِّحادِ لِدَفْعِ العُدْوَانِ، وَجَعْلِ كَلِمَةِ اللهِ هِيَ العُلْيا، وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ، يَنْصُرُهُمْ وَيَمُدُّهُمْ بِعَوْنِهِ وَجُنْدِهِ).

(وَقِيلَ إِنَّ آيَةَ تَحْرِيمِ الأَشْهُرِ الحُرُمِ قَدْ نُسِخَتْ، بِدَلِيلِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ في الشَّهْرِ الحَرامِ ذِي القِعْدَةِ، وَبِدَلِيلِ أَنَّ اللهَ أَمَرَ بِقِتَالِ المُشْرِكِينَ دُونَ ٱسْتِثْنَاءٍ، وَقَالَ: فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ. وَدَلِيلُ السِّيَاقِ أَنَّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ أَمْراً عَاماً).

الأَشْهُرُ الحُرُمُ - ذُو القِعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ وَرَجَب.

الدِّينُ القَيِّمُ - الدِّينُ المُسْتَقِيمُ دِينُ إِبْرَاهِيم.

﴿٣٧﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى
ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ
عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ
لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ

(أعْمالِهِمْ) (الكَافِرِين)

(٣٧) - النَّسِيءُ لُغَةً هُوَ التَّأْخِيرُ، وَالنَّسِيءُ هُنا يُقصَدُ بِهِ ما كانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْجاهِلِيَّةِ، إذْ يُحِلُّونَ أَحَدَ الأَشْهُرِ الحُرُمِ، فَيُقَاتِلُونَ فِيهِ، ثُمَّ يَتَّفِقُونَ عَلَى جَعْلِ أَحَدِ أَشْهُرِ الحِلِّ مُحَرَّماً مَكَانَهُ ذَلِكَ العَامَ، لِيَجْعَلُوا عِدَّةَ الشُّهُورِ الحُرُمِ أَرْبَعَةً كَمَا أَمَرَ اللهُ.

ويَذُمُّ اللهُ تَعالَى المُشْرِكِينَ لِتَصَرُّفِهِمْ بِشَرْعِ اللهِ بِحَسَبِ أَهْوائِهِمْ، وَبِآرائِهِم الفاسِدَةِ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يُحَرِّمُونَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ كَمَا أَمَرَ اللهُ، وَلاَ بَأْسَ عِنْدَهُمْ فِي تَأْخِيرِ التَّحْرِيمِ أَوْ تَقْدِيمِهِ، فَالمُهِمُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيهِمْ أَنْ تَكُونَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ أَرْبَعَةً فِي السَّنَةِ، لا تَخْصِيصَ أَشْهُرٍ بِعَيْنِها تَقَرَّرَتْ حُرْمَتُهَا، وَإِذْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ، وَقَدْ حَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ المُضِلُّ عَمَلَهُمُ السَّيِّءَ هَذا بِهَذِهِ الشُّبْهَةِ البَاطِلَةِ، إِذْ اكْتَفَوْا بِالعَدَدِ، وَلَمْ يُدْرِكُوا حِكْمَةَ التَّخْصِيصِ. وَاللهُ تَعَالَى لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ إِلَى الحَقِّ وَالْهُدَى.

النَّسِيءُ - تَأْخِيرُ حُرْمَةِ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ آخَرَ.

لِيُواطِئُوا - لِيُوافِقُوا.

﴿٣٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ
أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ
إِلَّا قَلِيلٌ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (بِالْحَيَاةِ) (الآخِرَةِ) (الْحَيَاةِ)

(٣٨) - يُعَاتِبُ اللهُ تَعَالَى مَنْ تَخَلَّفَ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوك، حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَكَانَ الْوَقْتُ حَارّاً قَائِظاً، فَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: مَا لَكُمْ أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَكَاسَلْتُمْ وَتَبَاطَأْتُمْ، وَمِلْتُمْ إِلَى الدَّعَةِ وَالإِقَامَةِ فِي الظِّلِ وَطِيبِ الثِّمَارِ؟ أَفَعَلْتُمْ ذَلِكَ رِضاً مِنْكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَدَلاً مِنَ الآخِرَةِ؟ وَمَا قِيمَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا مَتَاعُهَا إِلاَّ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الآخِرَةِ، إِذْ يَنْتَظِرُ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوانٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، وَجَنَّاتٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.

انْفِرُوا - اخْرُجُوا إِلَى الجِهَادِ.

اثَّاقَلْتُمْ - تَبَاطَأْتُمْ وَأَخْلَدْتُمْ إِلَى الرَّاحَةِ.

﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ

(٣٩) - وَإِذَا لَمْ تَنْفِرُوا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ تَخْرُجُوا مَعَهُ إِلَى الْجِهَادِ فَإِنَّ اللهَ سَيُعَذِّبُكُمْ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا، بِزَوَالِ النِّعْمَةِ وَغَيْرِهَا عَنْكُمْ، وَفِي الآخِرَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلاَ يَصْعُبُ عَلَى اللهِ أَنْ يَسْتَبْدِلَ قَوماً غَيْرَكُمْ

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٤٠ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

٤١ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

بِكُمْ، يَخِفُّونَ لِنُصْرَةِ نَبِيِّهِ، وَيُجَاهِدُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يُضِرُّ اللهَ، لِأَنَّهُ الْغَنِيُّ عَنِ الْعِبَادِ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

(لِصَاحِبِهِ)

(٤٠) - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا لَمْ تَنْصُرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافِيهِ، كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ حِينَ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَكَّةَ حِينَ هَاجَرَ، فَخَرَجَ مِنْهَا هَارِباً بِصُحْبَةِ صَدِيقِهِ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَجَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي آثَارِهِمَا حَتَّى وَقَفُوا بِبَابِ الْغَارِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ جَزِعاً: لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ لَرَآنَا. فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ طُمَأْنِينَتَهُ وَتَأْيِيدَهُ وَنَصْرَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَأَيَّدَهُ بِالْمَلائِكَةِ تَحْفَظُهُ وَتَحْمِيهِ (بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا)، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ السُّفْلَى، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الإِيمَانِ (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ) هِيَ الْعُلْيَا، وَاللهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ وَانْتِصَارِهِ، وَهُوَ مَنِيعُ الْجَانِبِ لاَ يُضَامُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

الغَارِ - غَارِ جَبَلِ ثَوْرٍ قُرْبَ مَكَّةَ.

لِصَاحِبِهِ - لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

(وَجَاهِدُوا) (بِأَمْوَالِكُمْ)

(٤١) - أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّفِيرِ الْعَامِّ، وَالْخُرُوجِ جَمِيعاً مَعَ الرَّسُولِ ﷺ إِذَا دَعَاهُمْ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَلْزَمَهُمْ بِالْخُرُوجِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، فَقَالَ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً، وَأَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ، وَرُكْبَاناً وَمُشَاةً وَأَقْوِيَاءَ وَضُعَفَاءَ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ خَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ لاَ عِزَّ لِلأُمَمِ، وَلاَ سِيَادَةَ إِلَّا بِالْقُوَّةِ الْحَرْبِيَّةِ، وَفِيهِ أَيْضاً خَيْرُهُمْ فِي الدِّينِ لِأَنَّهُ لاَ سَعَادَةَ لِمَنْ لَمْ يَنْصُرِ الْحَقَّ، وَيُقِمِ الْعَدْلَ بِاتِّبَاعِ الْهُدَى وَالْعَمَلِ بِشَرْعِ اللهِ.

وَقَدْ نُسِخَتْ هَذِهِ الآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى **﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ﴾**(١).

(١) الآية ٩١ من سورة التوبة.

(٤٢) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ

(لكَاذِبُونَ)

(٤٢) - يُوَبِّخُ اللهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، مُعْتَذِرِينَ بِأَنَّهُمْ ذَوُو أَعْذَارٍ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي الْحَقِيقَةِ كَذٰلِكَ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ الأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِغَنِيمَةٍ قَرِيبَةٍ (عَرَضاً قَرِيباً)، أَوْ سَفَرٍ قَرِيبٍ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ (سَفَراً قَاصِداً) لَاتَّبَعُوا رَسُولَ اللهِ، وَلٰكِنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ (الشُّقَّةُ) قَدْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمْ. وَيُخْبِرُ اللهُ نَبِيَّهُ أَنَّهُمْ سَيَحْلِفُونَ لَهُ بِاللهِ، بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الغَزْوَةِ، أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْذَارٌ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الخُرُوجِ مَعَهُ لَخَرَجُوا، وَسَيُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالأَيْمَانِ وَالأَعْذَارِ لِيُرْضُوهُ، إِذْ أَنَّهُمْ بِهٰذَا النِّفَاقِ وَالْكَذِبِ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِي حَلْفِهِمْ، وَفِي قَوْلِهِمْ: (لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ) وَلَنْ يَرْضَى اللهُ عَنْهُمْ.

عَرَضاً قَرِيباً - مَغْنَماً سَهْلاً.

سَفَراً قَاصِداً - مُتَوَسِّطاً بَيْنَ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ.

الشُّقَّةُ - المَسَافَةُ التِي تُقْطَعُ بِمَشَقَّةٍ.

(٤٣) عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ

(الكَاذِبِينَ)

(٤٣) - لَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْكَ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، فِيمَا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُكَ مِنَ الإِذْنِ لَهُمْ بِالقُعُودِ، حِينَ اسْتَأْذَنُوكَ، فَهَلَّا تَرَيَّثْتَ فِي الإِذْنِ لَهُمْ، وَتَوَقَّفْتَ عَنْهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ أَمْرُهُمْ، وَيَنْجَلِيَ وَضْعُهُمْ. فَتَعْرِفَ الصَّادِقِينَ مِنْهُمْ وَالْكَاذِبِينَ فِي اعْتِذَارِهِمْ، فَتُعَامِلَ كُلّاً بِمَا يَنْبَغِي أَن يُعَامَلَ بِهِ؟

(٤٤) لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ

(يَسْتَأْذِنُكَ) (الآخِرِ) (يُجَاهِدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ)

(٤٤) - لَا يَسْتَأْذِنُكَ، فِي الْقُعُودِ عَنِ الجِهَادِ، أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْجِهَادَ قُرْبَةً إِلَى اللهِ، وَإِذَا نَدَبَهُمُ النَّبِيُّ إِلَيْهِ بَادَرُوا مُمْتَثِلِينَ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَنْ هُمُ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، وَيَطْلُبُونَ مَرْضَاتَهِ، وَيُعِدُّونَ لِلْجِهَادِ عُدَّتَهُ.

(٤٥) إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ

(يَسْتَأْذِنُكَ) (الآخِرِ)

(٤٥) - وَلٰكِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فِي القُعُودِ عَنِ الجِهَادِ، وَلَا عُذْرَ لَهُمْ، هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلَا يَرْجُونَ ثَوَابَ اللهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَإِنْفَاقِهِمِ المَالَ فِيمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ

٤٦ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ (ربع الحزب ٢٠)
لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ
ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ
ٱلْقَٰعِدِينَ

٤٧ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ
إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟
خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ
وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ

٤٨ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ
وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ
وَهُمْ كَٰرِهُونَ

الإِسْلاَمِ، وَقَدْ شَكَّتْ قُلُوبُهُمْ فِي صِحَّةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَهُمْ يَتَحَيَّرُونَ، وَيَتَرَدَّدُونَ مُتَشَكِّكِينَ.

يَتَرَدَّدُونَ - يَتَحَيَّرُونَ.

(القَاعِدِينَ)

(٤٦) - وَلَوْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ مَعَكَ إِلَى الْجِهَادِ، وَصَحَّتْ نِيَّتُهُمْ لِلْخُرُوجِ مَعَكَ، لَكَانُوا تَأَهَّبُوا لَهُ، وَأَعَدُّوا عُدَّةَ الْحَرْبِ وَالسَّفَرِ، وَلَكِنَّ اللهَ كَرِهَ خُرُوجَهُم مَعَكَ، فَثَبَّطَهُمْ، وَثَنَى عَزَائِمَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَقِيلَ لَهُم اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ وَالْمَرْضَى وَالْعَجَزَةِ وَالشُّيُوخِ.

انْبِعَاثَهُمْ - نُهُوضَهُمْ لِلْخُرُوجِ مَعَكَ.

فَثَبَّطَهُمْ - فَحَبَسَهُمْ وَعَوَّقَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكُمْ.

(خِلاَلَكُمْ) (سَمَّاعُونَ) (بِالظَّالِمِينَ)

(٤٧) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ أَسْبَابَ كَرَاهِيَتِهِ لِخُرُوجِ هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقِينَ إِلَى الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ لَزَادُوهُمُ اضْطِرَاباً وَضَعْفاً (خَبَالاً) لأَنَّهُمْ جُبَناءُ مَخْذُولُونَ، وَلأَخَذُوا بِالسَّعْيِ بَيْنَكُمْ فِي الدَّسِّ وَالنَّمِيمَةِ وَإِثَارَةِ الْفِتْنَةِ، وَيُوجَدُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ، وَيَسْتَمِعُ إِلى قَوْلِهِمْ، مِنْ ضِعَافِ الإِيْمَانِ، وَضِعَافِ الْعَزَائِمِ، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى وُقُوعِ الشَّرِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنينَ. وَاللهُ يَعْلَمُ الظَّالِمِينَ، وَمَا يُبَيِّتُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ لَوْ خَرَجُوا مَعَهُمْ إِلَى الغَزَاةِ.

خَبَالاً - شَرّاً وَفَسَاداً، أَوْ عَجْزاً وَضَعْفاً.

لأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ - لأَسْرَعُوا بَيْنَكُمْ بِالدَّسِّ وَالوَقِيعَةِ وَالنَّمِيمَةِ لإِفْسَادِ مَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ رَوَابِطِ الأُخُوَّةِ.

يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ - يَطْلُبُونَ لَكُمْ مَا تُفْتَنُونَ بِهِ.

(كَارِهُونَ)

(٤٨) - يُحَرِّضُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقِينَ فَيَقُولُ لَهُ: لَقَدْ أَعْمَلُوا رَأْيَهُمْ فِي الْكَيْدِ لَكَ، وَلأَصْحَابِكَ وَلِدِينِكَ، مُدَّةً طَوِيلَةً، فِي بَدْءِ مَقْدَمِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْكَ أَهْلُ الشِّرْكِ، وَالمنافِقُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَيَهُودُ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا نَصَرَكَ اللهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَعلَى كَلِمَةَ الإِسْلاَمِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولٍ لِجَمَاعَتِهِ: هَذا أَمْرٌ قد تَوجَّهَ. فَدَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ ظَاهِراً، وَكَانُوا كُلَّمَا زَادَ اللهُ الإِسْلاَمَ عِزَّةً، زَادَهُمْ ذَلِكَ غَيْظاً وَحَنَقاً. وَقَدِ ابْتَغَى هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقُونَ إِثَارَةَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ

الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقَ شَمْلِهِمْ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ، فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، حِينَ اعْتَزَلَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بِثُلُثِ الْجَيْشِ، وَصَارَ يَقُولُ: أَطَاعَ النَّبِيُّ الْوِلْدَانَ وَمَنْ لاَ رَأْيَ لَهُ، فَعَلاَمَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا؟.

قَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ - دَبَّرُوا لَكَ الْمَكَايِدَ وَالْحِيَلَ.

(٤٩) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ

(بِالْكَافِرِينَ).

(٤٩) - وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَقُولُ لَكَ (وَهُوَ الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ المُنَافِقِينَ): ائْذَنْ لِي فِي الْقُعُودِ وَالتَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ، لأَنَّنِي إِذَا خَرَجْتُ مَعَكَ، أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أُفْتَتَنَ بِنِسَاءِ الرُّومِ (بَنِي الأَصْفَرِ)، إِذَا رَأَيْتُهُنَّ. وَيَقُولُ تَعَالَى: لَقَدْ سَقَطَ هَؤُلاَءِ فِي فِتْنَةٍ أَعْظَمَ بِاعْتِذَارِهِمْ بِمَعَاذِيرَ كَاذِبَةٍ، وَبِسَبَبِ تَخَلُّفِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ، وَبِالرَّغْبَةِ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ. وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ أَنَّ جَهَنَّمَ مُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ، وَهِيَ جَامِعَةٌ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلاَ مَحِيصَ وَلاَ مَهْرَبَ، وَكَفَى بِهَا نَكَالاً وَوَبَالاً.

ائْذَنْ لِي - أَيْ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الجِهَادِ.

لاَ تَفْتِنِّي - لاَ تُوقِعْنِي فِي الإِثْمِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِكَ.

(٥٠) إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ

(٥٠) - وَهَؤُلاَءِ تَسُوؤُهُمْ أَيَّةُ حَسَنَةٍ أَوْ نَصْرٍ أَوْ فَتْحٍ يُصِيبُهُ الرَّسُولُ وَالْمُسْلِمُونَ، وَإِذَا أَصَابَتِ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ مُصِيبَةٌ، أَوْ شِدَّةٌ، يَقُولُونَ قَدِ احْتَطْنَا لأَمْرِنَا، وَأَخَذْنَا حِذْرَنَا إِذْ تَخَلَّفْنَا عَنِ الْقِتَالِ، وَلَمْ نُلْقِ بِأَيْدِينَا إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَيَنْقَلِبُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ فَرِحِينَ بِمَا اجْتَنَبُوهُ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَبِالشَّمَاتَةِ بِالنَّبِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ.

(٥١) قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(مَوْلاَنَا)

(٥١) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصِيبُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَتَسُوؤُهُم النِّعْمَةُ الَّتِي تُصِيبُ الْمُسْلِمِينَ: نَحْنُ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَمَا قَدَّرَهُ لَنَا سَيَأْتِينَا، وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ وَلاَ دَافِعٌ. وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَلاَ نَيْأَسُ عِنْدَ الشِّدَّةِ، وَلاَ نَبْطَرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ.

(٥٢) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ

(٥٣) قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ

(٥٤) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ

(٥٥) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ

(٥٦) وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ

(٥٢) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: هَلْ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا، وَتَنْتَظِرُونَ أَنْ يَقَعَ لَنَا، إِلاَّ وَاحِدَةٌ مِن اثْنَتَيْنِ: وَكِلْتَاهُمَا خَيْرٌ لَنَا وَفِيهِمَا حَسَنَةٌ: شَهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ ظَفَرٌ. أَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا نَنْتَظِرُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ عَذَابُ اللهِ، أَوْ أَنْ يُسَلِّطَنَا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ فَنُذِيقَكُمْ بَأْسَنَا.

هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا - مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَا؟

الْحُسْنَيَيْنِ - النَّصْرِ أَوِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

(فَاسِقِينَ)

(٥٣) - وَقُلْ لِهَؤُلاَءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْتُرُوا نِفَاقَهُمْ بِإِنْفَاقِ الْمَالِ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ: مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ طَائِعِينَ أَوْ مُكْرَهِينَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ذَلِكَ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ مُتَشَكِّكِينَ خَارِجِينَ عَنِ الإِيمَانِ، وَاللهُ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الأَعْمَالَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ.

(نفقاتهم) (الصَّلاَة) (كَارِهُونَ)

(٥٤) - وَيُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ سَبَبَ عَدَمِ تَقَبُّلِهِ نَفَقَاتِهِمْ وَهُوَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَلاَ يُؤَدُّونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى لاَ حَمَاسَةَ لَهُمْ فِي أَدَائِهَا، وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً فِي مَصَالِحِ الْجِهَادِ وَغَيْرِهَا إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ. وَبِمَا أَنَّ الأَعْمَالَ لاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِالإِيمَانِ، وَبِمَا أَنَّ هَؤُلاَءِ لاَ إِيمَانَ لَهُمْ، لِذَلِكَ لَنْ يَقْبَلَ اللهُ مِنْهُمْ نَفَقَةً وَلاَ عَمَلاً.

(أَمْوَالُهُمْ) (أَوْلاَدُهُمْ) (الْحَيَاة) (كَافِرُونَ)

(٥٥) - فَلاَ يُعْجِبْكَ مَا تَرَاهُمْ فِيهِ مِنْ وَفْرَةِ الْمَالِ، وَكَثْرَةِ الأَوْلاَدِ، وَرَفَهِ الْحَيَاةِ، فَإِنَّ اللهَ إِنمَا يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِيمَا أَعْطَاهُمْ بِمَا يَنَالُهُمْ بِسَبَبِهَا مِنَ التَّنْغِيصِ وَالْحَسْرَةِ، وَذَلِكَ بِالْكَدِّ وَالْعَنَاءِ فِي جَمْعِهَا، وَاكْتِسَابِهَا، ثُمَّ بِإِجْبَارِهِمْ عَلَى دَفْعِ الزَّكَاةِ مِنْهَا، وَالإِنْفَاقِ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ مِمَّا يُوجِبُهُ الإِسْلاَمُ عَلَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ نَكَالاً لَهُمْ، وَآلَمَ عَذَاباً فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، فَتَكُونُ الأَمْوَالُ وَالأَوْلاَدُ اسْتِدْرَاجاً لَهُمْ.

تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ - تَخْرُجَ أَرْوَاحهُمْ.

(٥٦) - يَتَظَاهَرُ هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقُونَ بِأَنَّهُمْ مِنْكُمْ، لِيَأْمَنُوا بَأْسَكُمْ، وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ كَذِباً أَنهُمْ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ

(٥٧) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا
أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟
إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ

(٥٨) وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى
ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا
رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ

(٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا
ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ

دِينِكُمْ، بَلْ هُمْ أَهْلُ شَكٍّ وَنِفَاقٍ، وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَيَحْلِفُونَ لَكُمْ، خَوْفاً مِنْكُمْ وَفَرَقاً.

قَوْمٌ يفرَقُونَ - أُنَاسٌ يَخَافُونَ مِنْكُمْ فَيُنَافِقُونَ تَقِيَّةً.

(مَغَارَاتٍ)

(٥٧) - إِنَّ هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقِينَ يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ مَعَكُمْ، وَيُبْغِضُونَ مُعَاشَرَتَهُمْ إِيَّاكُمْ، وَلِكنَّهُمْ يَخَافُونَ مِنْ أَنْ يَظْهَرَ لَكُمْ نِفَاقُهُمْ، وَلِذلِكَ فَإِنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ الْفِرَارَ مِنْكُمْ، وَالْعَيْشَ فِي مَكَانٍ يَعْتَصِمُونَ فِيهِ مِنِ انْتِقَامِكُمْ مِنْهُمْ، فَلَوِ اسْتَطَاعُوا السُّكْنَى فِي الْحُصُونِ وَالْقِلاَعِ، أَوْ فِي كُهُوفِ الْجِبَالِ وَمَغَارَاتِهَا، أَوْ فِي أَنْفَاقِ الأَرْضِ وَأَسْرَابِهَا، لَوَلَّوْا إِلَيْهَا مُسْرِعِينَ، كَالْفَرَسِ الْجَمُوحِ لاَ يَرُدُّهُمْ شَيْءٌ. وَهُمْ قَدْ أَقَامُوا بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، مَعَ كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَرْكِ عَشِيرَتِهِمْ، وَدُورِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، فَصَانَعُوا الْمُسْلِمِينَ بِالنِّفَاقِ، وَادِّعَاءِ الإِسْلاَمِ.

مَلْجأً - حِصْناً أَوْ مَعْقلاً يَلْجَؤُونَ إِليهِ.

مَغارَاتٍ - غِيرَاناً فِي الجِبَالِ يَخْتَفُونَ فِيهَا.

مُدَّخلاً - سِرْباً فِي الأَرْضِ يَنْحجِرُونَ فِيهِ.

يَجْمَحُونَ - يُسْرِعُونَ فِي الدُّخُولِ إِليهِ.

(الصَّدَقَاتِ)

(٥٨) - وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَعِيبُ عَلَيْكَ فِي قِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ وَالْمَغَانِمِ، إِذْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُحَابِي فِيهَا، وَتُؤْتِي مَنْ تَشَاءُ مِنَ الأَقَارِبِ وَأَهْلِ الْمَوَدَّةِ، وَلاَ تُرَاعِي الْعَدْلَ فِي ذَلِكَ. وَهُمْ لاَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ سُخْطاً لِلدِّينِ، وَلاَ غَيْرَةً عَلَى مَصْلَحَةِ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ سَعياً وَرَاءَ مَنْفَعَتِهِم الْخَاصَّةِ، فَإِذَا أُعْطُوْا مِنْ هَذهِ الأَمْوَالِ، وَلَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، رَضُوا الْقِسْمَةَ، وَاسْتَحْسَنُوهَا، وَأَثْنَوْا عَلَى فِعْلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا مَا يُرْضِيهِمْ، سَخِطُوا، وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ مُسْتَحِقِّينَ لِلْعَطَاءِ.

يَلْمِزُكَ - يَعِيبُكَ وَيَطْعَنُ عَلَيْكَ.

(آتَاهُم) (رَاغِبُونَ)

(٥٩) - وَيُعَلِّمُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ أَدَبَ الإِيمَانِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَوْ رَضُوْا بِمَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَقَنِعُوا بِذَلِكَ، وَفَرِحُوا بِهِ، وَقَالُوا حَسْبُنَا

وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ

(٦٠) إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

نصف الحزب ٢٠

اللهُ وَكِيلاً، وَرَازِقاً فِي كُلِّ حَالٍ، وَسَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَرَسُولُهُ لاَ يَبْخَسُ أَحداً مِنَّا شَيْئاً يَسْتَحِقُّهُ فِي شَرْعِ اللهِ، وَإِنَّا رَاغِبُونَ إِلَى اللهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ مِنَ الطَّمَعِ وَلَمْزِ الرَّسُولِ وَهَمْزِهِ.

حَسْبُنَا اللهُ - كَافِينا فَضْلُ اللهِ وَقِسْمَتُه.

(الصَّدَقَاتُ) (المَسَاكِين) (العَامِلِينَ) (الغَارِمِينَ)

(٦٠) - لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى اعْتِرَاضَ الْمُنَافِقِينَ الْجَهَلَةِ، وَلَمْزَهُمُ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ فِي قِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ (أَمْوَالِ الزَّكَاةِ الْوَاجِبَةِ)، بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَّمَهَا، وَبَيَّنَ حُكْمَهَا، وَتَوَلَّى أَمْرَهَا بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَلَمْ يَكِلْ قِسْمَتَهَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِه، فَجَزَّأَهَا لِهَؤُلاَءِ الْمَذْكُورِينَ فِي الآيَةِ. وَهُمْ:

الْفُقَرَاءُ - وَهُمْ مَنْ لَهُمْ مَالٌ قَلِيلٌ دُونَ النِّصَابِ أَيْ أَقَلّ مِنْ ١٢ دِينَاراً.

الْمَسَاكِينُ - وَهُمُ الَّذِينَ لاَ شَيْءَ لَهُمْ، وَهُمْ لاَ يَجِدُونَ غِنىً يُغْنِيهِمْ، وَلاَ يُفْطَنُ إِلَيْهِمْ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ، وَلاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئاً.

الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا - وَهُمُ السُّعَاةُ وَالْجُبَاةُ بِشَرْطِ أَنْ لاَ يَكُونُوا مِنْ أَقْرِبَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، لأَنَّ أَقْرِبَاءَ الرَّسُولِ لاَ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ.

الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ - وَهُمْ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ تَأَلُّفاً لِقُلُوبِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيُسْلِمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَحْسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَجْبِيَ الصَّدَقَاتِ مِمَّنْ يَلِيهِ.

الرِّقَابِ - هُمُ الْعَبِيدُ الْمُكَاتَبُونَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَدَاءَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَرِيضَةٍ لإِعْتَاقِهِمْ (أَوْ تَعْنِي صَرْفَ جُزْءٍ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ فِي إِعْتَاقِ رِقَابٍ).

الْغَارِمُونَ - كَمَنْ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، أَوْ ضَمِنَ دَيْناً فَلَزِمَهُ أَدَاؤُهُ فَأَجْحَفَ بِمَالِهِ، أَوْ غَرِمَ فِي أَدَاءِ دَيْنِهِ، أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْهَا، فَهَؤُلاَءِ يُدْفَعُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ.

فِي سَبِيلِ اللهِ - هُمُ الْغُزَاةُ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُعْطَوْنَ مِنْ مَالِ الصَّدَقَاتِ.

أَبْنَاءُ السَّبِيلِ - هُمُ الْمُسَافِرُونَ الْمُجْتَازُونَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى سَفَرِهِمْ، وَلاَ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ إِحْضَارُ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مِنْ بَلَدِهِمْ، فَيُعْطَوْنَ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ مَا يَكْفِي لِنَفَقَتِهِمْ.

(٦١) وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(آمنوا)

(٦١) - وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ قَوْمٌ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ بِالْكَلاَمِ فِيهِ، وَيقُولُونَ: هُوَ أُذُنٌ يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحدٍ، وَمَنْ قَالَ لَهُ شَيْئاً صَدَّقَهُ، وَمَنْ حَدَّثَهُ بِشَيْءٍ صَدَّقَهُ، فَإِذَا جِئْنَا وَحَدَّثْنَاهُ وَحَلَفْنَا لَهُ صَدَّقَنَا.

فَقُلْ لَهُمْ: هُوَ أُذُنُ خَيْرٍ يَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، وَلاَ يَقْبَلُ مِمَّا يَسْمَعُ إلاَّ مَا يَعُدُّه حقاً، وَفِيهِ مَصْلَحَةُ الْخلْقِ، وَلَيْسَ هُوَ بِأُذُنٍ فِي سَمَاعِ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ والنَّمِيمَةِ، إنَّهُ يُؤْمِنُ باللهِ، وَيُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَثِقُ بِدِينِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، وَهُوَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَهُوَ حُجَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْعَمَلِ قَدْ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذاباً أليماً فِي الآخِرَةِ.

هُوَ أُذُن - يَسْمَعُ كُلَّ مَا يُقَالُ لَهُ وَيُصَدِّقُهُ.

أُذُنُ خيْرٍ - يَسْمَعُ الخَيْرَ وَلاَ يَسْمَعُ الشَّرَّ.

(٦٢) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ

(٦٢) - قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَنْ رُؤَسَاءِ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَنَزَلَ فِيهِمْ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: (إِنَّ هَؤُلاَءِ لَخِيَارُنَا وَأَشْرَافُنَا، وَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ حقاً، لَهُمْ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ). فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّداً لاَ يَقُولُ إِلاَّ حَقّاً، وَلأَنْتَ شَرٌّ مِنَ الْحِمَارِ). ثُمَّ ذَهَبَ الْمُسْلِمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ يُحَدِّثُهُ بِمَا جَرَى. فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ إِلَى الْمُنَافِقِ وَسَأَلَهُ، وَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا قُلْتَ؟ فَأَخَذَ الْمُنَافِقُ يَحْلِفُ بِاللهِ إِنَّهُ مَا قَالَ ذلِكَ. وَقَالَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ: أَللَّهُمَّ صَدِّقِ الصَّادِقَ، وَكَذِّبِ الْكَاذِبَ. فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ الْكَرِيمَةَ.

فَهؤُلاَءِ الْمُنَافِقُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ عَلى أَنَّهُمْ مَا قَالُوا مَا نُقِلَ عَنْهُمْ مِمَّا يُورِثُ أَذى النَّبِيِّ لِيُرْضُوكُمْ، فَلاَ تُخْبِرُوا النَّبِيَّ، مَع أَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَحَقُّ بِالإِرْضَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

(٦٣) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ

(خالداً)

(٦٣) - أَلاَ يَعْلَمُ هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ مَنْ شَاقَّ اللهَ وَرَسُولَهُ بِتَعدِّي حُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَحَارَبَهُمَا وَخَالَفَهُمَا، وَلَمَزَ رَسُولَ اللهِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَخْلاَقِهِ، فَإِنَّهُ سَيَصْلَى نَارَ جهَنَّم، وَيَبْقَى خَالِداً فِيهَا، وَهَذَا هُوَ الذُّلُ الْعَظِيمُ، وَالشَّقَاءُ الْكَبِيرُ.

﴿٦٤﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ

﴿٦٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ

﴿٦٦﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ

المُحَادَدَةُ - المُشَاقَقَةُ وَالمُخَالَفَةُ وَالمُعَادَاةُ.

(المُنَافِقُونَ) (اسْتَهْزِئُوا)

(٦٤) - كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ الْقَوْلَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ عَسَى اللهُ أَنْ لَا يُفْشِيَ عَلَيْنَا سِرَّنَا هَذَا بِإِنْزَالِ آيَةٍ عَلَى رَسُولِهِ، تَفْضَحُ مَا قُلْنَاهُ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: إِنَّهُ سَيُخْرِجُ مَا يَحْذَرُونَ لِيَعْلَمَهُ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَلْيَسْتَهْزِئُوا مَا شَاؤُوا.

وَخَوْفُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَضِيحَةِ، وَمِنْ كَشْفِ عَوْرَاتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، هُمَا أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الشَّكِّ وَالارتِيَابِ، لِأَنَّهُمْ مُذَبْذَبُونَ، لَا هُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوقِنِينَ، وَلَا هُمْ بِالْكَافِرِينَ الْجَازِمِينَ بِصِحَّةِ الْكُفْرِ.

(وَلَئِنْ) (آيَاتِهِ) (تَسْتَهْزِئُونَ)

(٦٥) - حِينَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ مُنْطَلِقاً فِي الطَّرِيقِ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ لِبَعْضٍ: أَتَحْسَبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ (يَعْنِي الرُّومَ) كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَاللهِ لَكَأَنَّنَا بِكُمْ غَداً مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ؟ وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ إِرْجَافاً، وَتَرْهِيباً لِلْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَقَدِ احْتَرَقُوا، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى لَقَدْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ لَهُمْ عَمَّارٌ ذَلِكَ فَأَتَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. أَيْ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا جَادِّينَ فِيمَا يَقُولُونَ، وَإِنَّمَا قَالُوا مَا قَالُوا لِلتَّسَلِّي وَالتَّلَهِّي، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّ هَذَا عُذْرٌ مَقْبُولٌ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اتِّخَاذَ الدِّينِ هُزْواً وَلَعِباً كُفْرٌ مَحْضٌ، لِأَنَّ الْخَوْضَ وَاللَّعِبَ فِي صِفَاتِ اللهِ، وَشَرْعِهِ وَآيَاتِهِ، الْمُنَزَّلَةِ هُوَ اسْتِهْزَاءٌ بِهَا.

نَخُوضُ وَنَلْعَبُ - نَتَلَهَّى بِالحَدِيثِ قَطْعاً لِلطَّرِيقِ.

وَالخَوْضُ لُغَةً - هُوَ الدُّخُولُ فِي البَحْرِ أَوِ الوَحْلِ وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي البَاطِلِ.

(إِيمَانِكُمْ) (طَائِفَةٍ)

(٦٦) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: لَا تَعْتَذِرُوا عَمَّا قُلْتُمْ، فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي اسْتَهْزَأْتُمْ بِهِ بِآيَاتِ اللهِ. وَاعْتِذَارُكُمْ هُوَ إِقْرَارٌ بِذَنْبِكُمْ، فَإِنْ يَعْفُ اللهُ تَعَالَى عَنْ بَعْضِكُمْ لِتَوْبَتِهِمْ، فَإِنَّهُ سَيُعَذِّبُ بَعْضاً

آخرَ لأنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ بِهَذِهِ المَقَالَـةِ الفَاجِـرَةِ، وَلأَنَّهُمْ ظَلُّوا مُصِرِّينَ عَلَى نِفَاقِهِمْ.

(٦٧) ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ

(الْمُنَافِقُونَ) (والْمُنَافِقَاتُ) (الْمُنَافِقِينَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٦٧) - إنَّ أَهْلَ النِّفَاقِ رِجَالاً وَنِسَاءً، يَتَشَابَهُونَ فِي صِفَاتِهِمْ وَأَخْلاقِهِمْ وَأَعْمَـالِهِمْ، يَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِفِعْـلِ المُنْكَرِ، كَـالكَذِبِ وَالخِيَـانَـةِ، وَإِخْلاَفِ الوَعْدِ، وَنَقْضِ العَهْدِ. . وَيَنْهَوْنَ عَنْ فِعلِ الخَيرِ وَالمَعْرُوفِ: كَالجِهَادِ، وَبَذْلِ المَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَضِنُّونَ بالإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ البِرِّ وَالطَّاعَاتِ وَالإِحْسَانِ إلى عِبَادِ اللهِ. . وَقَدْ نَسُوْا أَنْ يَتَقَرَّبُوا إلى اللهِ تَعَالَى بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَاتَّبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ. فَجَازَاهُمُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ بِحِرْمَانِهِمْ مِنْ لُطْفِهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي الدُّنْيـا، وَمِنَ الثَّوَابِ فِي الآخِرَةِ.

وَالمُنَافِقونَ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ فُسُوقاً، وَخُرُوجاً عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَانْسِـلاخاً مِنَ الفَضَائِلِ الفِطْرِيَّةِ السَّلِيمَةِ.

يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ - لاَ يَبْسُطُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي خَيْرٍ وَلاَ فِي طَاعَةٍ شُحّاً.

فَنَسِيَهُمْ - فَتَرَكَهُمْ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَهِدَايَتِهِ.

(٦٨) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

(الْمُنافِقِينَ) (وَالْمُنَافِقَاتِ) (خَالِدِينَ)

(٦٨) - وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ وَالمُنَـافِقَاتِ وَالكُفَّـارِ نَارَ جَهَنَّمَ، وَوَعَدَهُمْ بِها عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ الذي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَسَيَمْكُثُونَ فِيهَـا مُخَلَّدِينَ أَبَـداً، وَلَهُمْ فِيهَـا مِنَ الجَزاءِ وَالعَـذابِ مَـا يَكْفِيهِمْ (حَسْبُهُمْ)، وَلَعَنَهُمُ اللهُ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَهُمْ عَـذابٌ مُقِيمٌ دَائِمٌ غَيرُ عذابِ جَهَنَّمَ: كَالسَّمُومِ يَلْفَحُ وجوهَهُمْ، وَالحَمِيمِ يَصْهَـرُ مَا فِي بُطونِهِمْ.

هِيَ حَسْبُهُمْ - هِيَ كَافِيَةٌ لَهُمْ عِقَاباً عَلَى كُفْرِهِمْ.

(٦٩) كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم

(أَمْوَالاً) (وَأَوْلاداً) (بِخَلاقِهِمْ) (أُولَئِكَ) (أَعْمَالُهُمْ) (وَالآخِرَةِ) (الخَاسِرُونَ) (بِخَلاقِكُمْ)

(٦٩) - إنَّ حَـالَكُمْ أَيُّها المُنَـافِقونَ المُؤذُونَ للهِ وَلِـرَسُولِـهِ وَلِلْمُؤْمنينَ، كَحَالِ المُنافِقِينَ السَّالِفِينَ مِنْ أَقْوامِ الأنبياءِ السَّابقينَ، فُتِنْتُمْ بِـأَموالِكُمْ وَأَولادِكُمْ، وَغَرَّتْكُمُ الدُّنيـا كما فُتِنُـوا وَاغْتَرُّوا بِهـا، وَلكِنَّهُمْ كَانُـوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً، وَأَكْثَرَ مِنْكُمْ أَمْوالاً وَأَوْلاداً، وَقَدْ كَانَ هَمَّهُمُ التَّمَتُّعُ بِالحَيَاةِ،

بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ

وأخذ نصيبهم من نعيمها ومباهجها، فأطغتهم الدُّنيا. وغرَّتهم لذاتها، ولم تكن لهم غاياتٌ سامية كالتي يقصدها المؤمنون: كالإيمان بالله وكتبه ورسله، وإعلاء كلمة الحقِّ، وترسيخ العدل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بنصيبكم من الحياة، ولم تفضلوا على من سبقكم بشيء، مع أنكم رأيتم من آيات الله ما رأيتم، وجاءكم الهدى فلم تهتدوا، فكنتم أحقَّ بالعقاب منهم، وقد دخلتم في الباطل، وخضتم فيه، كما فعل من سبقوكم، مع أنَّ حالكم تقتضي أن تكونوا أهدى منهم سبيلاً.

وهؤلاء المستمتعون بخلاقهم في الدُّنيا، والخائضون في الباطل، حبطت أعمالهم وبطلت، فلا ثواب لهم عليها في الدُّنيا والآخرة لأنَّها فاسدة. ومثل هؤلاء هم الخاسرون لأنَّهم لا ثواب لهم على أعمالهم عند ربِّهم.

فاستمتعوا بخلاقهم - فتمتَّعوا بنصيبهم من ملاذِّ الدُّنيا.

٧٠ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(إبراهيم) (أصحاب) (والمؤتفكات) (بالبيِّنات)

(٧٠) - يقول تعالى واعظاً الكفَّار والمنافقين المكذِّبين: ألم تصلهم أخبار من كان قبلهم من الأمم الذين كذَّبوا رسلهم الذين أرسلوا إليهم: قوم نوح وما أصابهم من الغرق، وقوم عادٍ وكيف أهلكوا بالرِّيح العقيم، وقوم ثمود كيف أخذتهم الصيحة، وقوم إبراهيم إذ نصره الله عليهم، وأصحاب مدين قوم شعيب، وكيف أصابتهم الرَّجفة، وعذاب يوم الظُّلَّة، وقوم لوط أصحاب المؤتفكات. أهلكهم الله بأن جعل عالي ديارهم سافلها.

وقد جاءت هذه الأقوام رسلهم بالحقِّ الواضح من الله (البيِّنات)، فلم يؤمنوا لهم، واستمرُّوا على عنادهم وكفرهم، فدمَّر الله عليهم، ولم يظلمهم بما أنزله عليهم من العذاب، وإنَّما جازاهم بذنوبهم جزاءً وفاقاً، وإنَّهم هم الذين ظلموا أنفسهم.

المؤتفكات - المنقلبات (وهي قرى قوم لوط).

٧١ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

(والمؤمنات) (الصلاة) (الزكاة) (أولئك)

(٧١) - المؤمنون والمؤمنات بينهم أخوَّة، ومودَّة، وتعاون، وتراحم، ويتَّصفون بالصِّفات الحميدة التي يأمرهم بها دينهم: فيتناصرون

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

وَيَتَعَاضَدُونَ وَيَفْعَلُونَ الْخَيْرَ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَيَتْرُكُونَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ. وَالْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الْكَرِيمَةِ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ عَزِيزُ الْجَانِبِ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي قِسْمَتِهِ الصِّفَاتِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَجَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الْمُنْكَرَةِ.

٧٢ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(وَالْمُؤْمِنَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ) (وَمَسَاكِنَ) (وَرِضْوَانٌ)

(٧٢) - وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَنَّهُ سَيُدْخِلُهُمْ فِي الآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، يُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً، فِي مَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ حَسَنَةِ الْبِنَاءِ، وَطَيِّبَةِ الْقَرَارِ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ، وَوَعَدَهُمْ بِرِضْوَانٍ مِنْهُ أَكْبَرَ وَأَجَلَّ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً). (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَمَالِكٌ).

٧٣ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

(يَا أَيُّهَا) (جَاهِدِ) (وَالْمُنَافِقِينَ) (وَمَأْوَاهُمْ)

(٧٣) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَبْذُلَ الْجَهْدَ فِي مُقَاوَمَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يَعِيشُونَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُسْلِمِينَ، مِثْلما تَبْذُلُهُ هَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ فِي عَدَاوَةِ الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ، كَمَا يَأْمُرُهُ بِمُعَامَلَتِهِمَا بِالشِّدَّةِ وَالغِلْظَةِ لِتَرْتَدِعَا، وَيَرْتَدِعَ مَنْ خَلْفَهُمَا. وَمُجَاهَدَةُ الْكُفَّارِ تَكُونُ بِالسَّيْفِ، وَمُجَاهَدَةُ الْمُنَافِقِينَ تَكُونُ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَسَيَكُونُ مَصِيرُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَداً، وَبِذَلِكَ يَجْتَمِعُ لَهُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اغْلُظْ عَلَيْهِمْ - شَدِّدْ عَلَيهِمْ، وَلاَ تَرْفُقْ بِهِمْ.

٧٤ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ
قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ
بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ
يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ
أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن
فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا
لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ

(إِسْلامِهِمْ) (أَغْناهُمْ) (وَالآخِرَةِ)

(٧٤) - نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ بِحَقِّ رَئِيسِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، فَقَدِ اخْتَصَمَ غُلامٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، وَغُلامٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُمَا عَلَى المَاءِ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ لِلأَنْصَارِ: أَلاَ تَنْصُرُونَ أَخَاكُمْ؟ وَاللهِ مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلاَّ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ. وَقَالَ: (وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ).

فَسَعَى بِهَا غُلامٌ اسْمُهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَجَعَلَ يَحْلِفُ بِاللهِ مَا قَالَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ تَكْذِيباً لَهُ. وَفِيهَا عَدَّ اللهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ قَدْ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ. كَمَا أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ هَمَّ بِالْفَتْكِ بِرَسُولِ اللهِ وَهُوَ مُنْصَرِفٌ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ لأَنَّ اللهَ قَدْ عَصَمَهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَيْسَ لِلرَّسُولِ ﷺ مِنْ ذَنْبٍ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقِينَ يَقْتَضِي مِنْهُمْ هَذِهِ الْكَرَاهِيَةَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالإِسْلامِ، وَهَذِهِ الرَّغْبَةَ فِي الانْتِقَامِ، إِلاَّ أَنَّ اللهَ قَدْ أَغْنَاهُمْ بِبَرَكَةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَيُمْنِ سَعَادَتِهِ بِمَا أَصَابُوا مِنَ الْغَنَائِمِ. ثُمَّ دَعَاهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ النِّفَاقِ، وَمَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ سَيِّءِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، لأَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ. أَمَّا إِذَا أَصَرُّوا عَلَى مَسْلَكِهِمْ، وَرَفَضُوا التَّوْبَةَ فَإِنَّ اللهَ سَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَيُعَذِّبُهُمْ فِي الآخِرَةِ بِالنَّكَالِ وَالْهَوَانِ وَالصَّغَارِ وَالْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِنْجَادَهُمْ وَنَصْرَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَعَذَابِهِ، وَدَفْعِ السُّوءِ وَالْمَذَلَّةِ عَنْهُمْ.

مَا نَقَمُوا - مَا كَرِهُوا وَمَا عَابُوا شَيْئاً.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٠

٧٥ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ
لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ
لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ

(عَاهَدَ) (لَئِنْ) (آتَانَا) (الصَّالِحِينَ)

(٧٥) - وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ أَعْطَى اللهَ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ لَئِنْ أَغْنَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَعْطَاهُ مَالاً وَثَرْوَةً لَيَشْكُرَنَّ اللهَ عَلَى نِعْمَتِهِ بِالصَّدَقَةِ مِنْهَا، وَلَيَعْمَلَنَّ عَمَلَ أَهْلِ الصَّلاحِ، مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٧٦ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ
بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ

(آتاهُمْ)

(٧٦) - فَلَمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ، وَأَعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوا، لَمْ يُوفُوا بِالْعَهْدِ، وَبَخِلُوا بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَمْسَكُوهُ فَلَمْ يَتَصَدَّقُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ. وَتَوَلَّوْا

﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ

وَانْصَرَفُوا عَنِ الاسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالصَّلاحِ، وَإِصْلاحِ حَالِهِمْ وَحَالِ أُمَّتِهِمْ، كَمَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ.

(٧٧) - فَكَانَتْ عَاقِبَةُ ذَلِكَ الْبُخْلِ وَالتَّوَلِّي بَعْدَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَنْ تَمَكَّنَ النِّفَاقُ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَلازَمَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لأَنَّهُمْ لا رَجَاءَ لَهُمْ مَعَ هَذَا النِّفَاقِ فِي التَّوْبَةِ، وَذَلِكَ لِتَمَكُّنِ صِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النِّفَاقِ فِي قُلُوبِهِمْ وَهُمَا: الْكَذِبُ فِي الْيَمِينِ، وَإِخْلافُ الْعَهْدِ.

(وَيُرْوَى فِي سَبَبِ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ حَاطِبٍ الأَنْصَارِيَّ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أُدْعُ اللهَ لِي أَنْ يَرْزُقَنِي مَالاً. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لاَ تُطِيقُهُ. قَالَ ثَعْلَبَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ دَعَوْتَ اللهَ فَرَزَقَنِي مَالاً لأُعْطِيَنَّ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: (اَللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالاً).

فَاتَّخَذَ ثَعْلَبَةُ غَنَماً فَنَمَتْ فَضَاقَتْ عَلَيْهَا الْمَدِينَةُ، فَتَنَحَّى عَنْهَا، فَنَزَلَ وَادِياً مِنْ أَوْدِيَتِهَا حَتَّى جَعَلَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمَاعَةً، وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُمَا. ثُمَّ نَمَتْ فَكَثُرَتْ فَتَنَحَّى حَتَّى تَرَكَ الصَّلَوَاتِ إِلاَّ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ تَرَكَ الْجُمُعَةَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّةً عَنْ ثَعْلَبَةَ فَأَخْبَرُوهُ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ: (يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ)).

(وَنَجْوَاهُمْ) (عَلاَّمُ)

(٧٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ أَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِضَمَائِرِ هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُسِرُّونَ غَيْرَ مَا يُعْلِنُونَ، وَإِنْ أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ إِنْ حَصَلَ لَهُمْ مَالٌ تَصَدَّقُوا وَشَكَرُوا عَلَيْهِ، فَاللهُ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، لأَنَّهُ تَعَالَى عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، فَكَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللهِ بِمَا يُعَاهِدُونَهُ عَلَيْهِ؟

يَعْلَمُ سِرَّهُمْ - مَا أَسَرُّوهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ.

نَجْوَاهُمْ - مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ مِنَ الْمَطَاعِنِ فِي الدِّينِ.

(الصَّدَقَاتِ)

(٧٩) - وَمِنْ صِفَاتِ هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقِينَ أَيْضاً أَنَّهُمْ لاَ يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ، وَلَمْزِهِمْ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ. إِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَتَصَدَّقُ بِمَالٍ جَزِيلٍ قَالُوا: هَذَا مُرَاءٍ. وَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ، قَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا.

فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

وَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَضَّ يَوْماً عَلَى الصَّدَقَةِ وَرَغَّبَ فِيهَا، فَتَطَوَّعَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ وَتَصَدَّقَ بِأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، فَقَالُوا هَذَا مُرَاءٍ. وَجَاءَ أَنْصَارِيٌّ بِصَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا.

وَسَخِرَ الْمُنَافِقُونَ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ اجْتَهَدُوا فِي التَّصَدُّقِ قَدْرَ طَاقَتِهِمْ، فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: إِنَّهُ جَازَاهُمْ بِمِثْلِ ذَنْبِهِمْ، فَجَعَلَهُمْ سُخْرِيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، بِفَضِيحَتِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِبَيَانِ مَخَازِيهِمْ وَعُيُوبِهِمْ، وَادَّخَرَ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ - الذِينَ يَعِيبُونَ.

جُهْدَهُمْ - طَاقَتَهُمْ وَوسْعَهُمْ.

سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ - أَهَانَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ جَزَاءً وِفَاقاً.

(٨٠) ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ

(الفَاسِقِينَ)

(٨٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنَّ هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقِينَ لَيْسُوا أَهْلاً لِلاسْتِغْفَارِ، وَأَنَّهُ لَو اسْتَغْفَرَ لَهُم النَّبِيُّ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، وَذَلِكَ لإِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِوَاحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَوَحْيِهِ لِرَسُولِهِ، وَلِشَكِّهِمْ فِي أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى، وَغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ حِينَ مَرِضَ رَئِيسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِيِّ بْنِ سَلُولٍ، انْطَلَقَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِن أَبِي يُحْتَضَرُ فَأُحِبُّ أَنْ تَشْهَدَهُ وَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ. فَانْطَلَقَ مَعَهُ حَتَّى شَهِدَهُ وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ، وَصَلَّى عَلَيْهِ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَتُصَلِّي عَلَيْهِ؟ فَقَالَ إِنَّ اللهَ قَالَ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَلأَسْتَغْفِرَنَّ لَهُمْ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ.

(٨١) فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ

(خِلاَفَ) (يُجَاهِدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ)

(٨١) - ذَمَّ اللهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفَرِحُوا بِقُعُودِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ، وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَهُ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، إِغْرَاءً لَهُمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْمُنْكَرِ، وَتَثْبِيطاً لِعَزَائِمِ الْمُؤْمِنِينَ: لاَ تَخْرُجُوا إِلَى الْجِهَادِ فِي الْحَرِّ. فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ الَّتِي سَيَصِيرُونَ إِلَيْهَا، هِيَ أَشَدُّ حَرّاً مِنْ قَيْظِ الصَّحْرَاءِ الَّذِي فَرُّوا مِنْهُ. وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُدْرِكُونَ وَيَعْقِلُونَ لَمَا خَالَفُوا وَقَعَدُوا، وَلَمَا فَرِحُوا بِقُعُودِهِمْ.

(٨٢) فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ

(٨٣) فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ

(٨٤) وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ

(٨٥) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ

خِلافَ رَسُولِ اللهِ - لِمُخالَفَةِ رَسُولِ اللهِ، أَوْ بَعْدَ خُرُوجِهِ.

لا تَنْفِرُوا - لاَ تَخْرُجُوا لِلْجِهادِ.

(٨٢) - ثُمَّ تَوَعَّدَ اللهُ تَعالَى الْمُنافِقِينَ عَلَى فِعالِهِم السَّيِّئَةِ، فَقالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لِيَضْحَكُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا الْفانِيَةِ قَلِيلاً، لِأَنَّ الدُّنْيا نَفْسَها شَيْءٌ قَلِيلٌ، فَإِذا انْقَطَعَتِ الدُّنْيا، وَصارُوا إِلَى اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، اسْتَأْنَفُوا بُكاءً لاَ يَنْقَطِعُ أَبَداً بِسَبَبِ ما اكْتَسَبُوهُ مِنْ كُفْرٍ وَآثامٍ، وَعَلَى ما فَوَّتُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ فُرَصِ اكْتِسابِ الْحَسَناتِ، وَعَمَلِ ما يُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ صالِحِ الأَعْمالِ.

(طائِفَةٍ) (فَاسْتَأْذَنُوكَ) (تُقاتِلُوا) (الخالِفِينَ)

(٨٣) - فَإِذا رَدَّكَ اللهُ تَعالَى مِنْ غَزْوَتِكَ هَذِهِ إِلَى طائِفَةٍ مِنَ الْمُنافِقِينَ الْمُتَخَلِّفِينَ (وَكانُوا، فِيما قِيلَ، اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً) فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ مَعَكَ إِلَى غَزْوَةٍ أُخْرَى، فَقُلْ لَهُمْ: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَداً، وَذَلِكَ عُقُوبَةٌ لَهُمْ وَتَعْزِيرٌ، وَلَنْ يَكُونَ لَكُمْ شَرَفُ صُحْبَتِي إِلَى الْجِهادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِي أَبَداً، لأَنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِخِزْيِ الْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ دُعِيتُمْ فِيها إِلَى الْجِهادِ، وَأَنْتُمْ لاَ عُذْرَ لَكُمْ يُبَرِّرُ هَذا التَّخَلُّفَ، فَاقْعُدُوا مَعَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْجِهادِ، مِنَ الْعَجَزَةِ وَالْمَرْضَى وَالنِّساءِ وَالأَطْفالِ.

الخالِفِينَ - الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الجِهادِ.

(فاسِقُونَ)

(٨٤) - أَمَرَ اللهُ تَعالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَتَبَرَّأَ مِنَ الْمُنافِقِينَ، وَأَنْ لاَ يُصَلِّيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ، وَأَنْ لاَ يَقُومَ عَلَى قَبْرِهِ داعِياً مُسْتَغْفِراً لَهُ، لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَماتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ. وَهَذا حُكْمٌ عامٌّ فِي كُلِّ نِفاقٍ، وَإِنْ كانَتِ الآيَةُ قَدْ نَزَلَتْ فِي حادِثَةٍ مُعَيَّنَةٍ هِيَ حادِثَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ. وَلَمْ يُصَلِّ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مُنافِقٍ أَبَداً.

(أَمْوالُهُمْ) (أَوْلادُهُمْ) (كافِرُونَ)

(٨٥) - فَلا يُثِرْ عَجَبَكَ ما تَراهُمْ فِيهِ مِنْ وَفْرَةِ الْمالِ، وَكَثْرَةِ الأَوْلادِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالَى إِنَّما يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِيما أَعْطاهُمْ بِدَفْعِ الزَّكاةِ مِنْها، وَفِي الإِنْفاقِ فِي الْجِهادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُوجِبُهُ الإِسْلامُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا، ثُمَّ يُمِيتُهُم اللهُ عَلَى الْكُفْرِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ نَكالاً لَهُمْ، وَعَذاباً فِي الدّارِ الآخِرَةِ فَتَكُونَ الأَمْوالُ وَالأَوْلادُ اسْتِدْراجاً لَهُمْ مِنَ اللهِ.

﴿٨٦﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ

﴿٨٧﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ

﴿٨٨﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ

﴿٨٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ

﴿٩٠﴾ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ

تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ـ تَخْرُجَ أَرْوَاحُهُمْ.

(آمِنُوا) (وَجَاهِدُوا) (اسْتَأْذَنَكَ) (أُولُو) (القَاعِدِينَ)

(٨٦) ـ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ فِيهَا دَعْوَةٌ إِلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ، وَالإِخْلاَصِ فِي الْعَقِيدَةِ لَهُ، وَفِيهَا ذِكْرٌ لِلْقِتَالِ، وَحَثٌّ عَلَى الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَاوَلَ ذَوُو الْقُدْرَةِ عَلَى الْجِهَادِ، وَالسَّعَةِ فِي الإِنْفَاقِ، أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللهُ، وَاسْتَأْذَنُوكَ فِي القُعُودِ مَعَ الْقَاعِدِينَ مِنَ الْعَجَزَةِ وَأَصْحَابِ الأَعْذَارِ.

أُولُو الطَّوْلِ ـ أَصْحَابُ الغِنَى وَاليَسَارِ.

(٨٧) ـ رَضُوا لأَنْفُسِهِمْ بِالْقُعُودِ، وَبِعَارِ الْبَقَاءِ مَعَ النِّسَاءِ الْمُتَخَلِّفَاتِ فِي الْبَلَدِ، بَعْدَ خُرُوجِ الْجَيْشِ (الْخَوَالِفِ)، وَقَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَخَتَمَ عَلَيْهَا، فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِمُ الأُمُورُ، وَأَصْبَحُوا لاَ يَفْقَهُونَ، وَلاَ يَعْرِفُونَ مَا فِي الْجِهَادِ مِنْ خَيْرٍ لِلنَّفْسِ وَلِلْجَمَاعَةِ، وَلاَ مَا فِي الْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ مِنْ مَضَرَّةٍ لِلنَّفْسِ وَلِلْجَمَاعَةِ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

الخَوَالِفِ ـ النِّسَاءِ الْمُتَخَلِّفَاتِ عَنِ الجِهَادِ.

طُبِعَ ـ خُتِمَ.

(آمَنُوا) (جَاهَدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ) (وَأُولَئِكَ) (الخَيْرَاتُ)

(٨٨) ـ إِذَا تَخَلَّفَ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الْجِهَادِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالْمُؤْمِنِينَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَهؤُلاَءِ وَعَدَهُمُ اللهُ بِالْخَيْرَاتِ: فِي الدُّنْيَا بِتَحْقِيقِ النَّصْرِ، وَمَحْوِ الْكُفْرِ، وَإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالْمَغَانِمِ، وَفِي الآخِرَةِ بِرِضَا اللهِ وَجَنَّاتِهِ.

(جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(٨٩) ـ وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِهؤُلاَءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، جَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا، وَهَذَا هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ.

(٩٠) ـ وَجَاءَ ذَوُو الأَعْذَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي تَعِيشُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي القُعُودِ، وَأَبْدَوْا أَعْذَاراً، مِنْهُمُ الصَّادِقُ، وَمِنْهُمُ الْكَاذِبُ، وَلَمْ يَأْتِ آخَرُونَ مِمَّنْ قَعَدُوا لِيَعْتَذِرُوا، وَيُبَيِّنُوا أَسْبَابَ قُعُودِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ الرَّسُولِ، وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ قَعَدُوا مِنْهُمْ كُفْراً، وَجُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَى اللهِ، عَذَابٌ أَلِيمٌ.

﴿٩١﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى
ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ
حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن
سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟
وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ

﴿٩٣﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى (الجزء ١١ الحزب ٢١)
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟
مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

المُعَذِّرُونَ - أَصْحَابُ الأَعْذَارِ (وَقِيلَ إِنَّهُمْ ذَوُو الأَعْذَارِ الكَاذِبَةِ).

(٩١) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ الأَعْذَارَ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَى مَنْ قَعَدَ مَعَهَا عَنِ الْجِهَادِ، فَذَكَرَ مِنْهَا مَا هُوَ مُلَازِمٌ لِبُنْيَةِ الإِنْسَانِ وَيَمْنَعُهُ مِنْ مُبَاشَرَةِ الْقِتَالِ، كَالضَّعْفِ فِي الْبُنْيَةِ الْجَسَدِيَّةِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَارِضٌ، كَالْمَرَضِ الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنَ الْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ كَالفَقْرِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُهُ مِنَ التَّجَهُّزِ لِلْحَرْبِ، وَاقْتِنَاءِ السِّلَاحِ وَالْعُدَّةِ، وَالإِنْفَاقِ عَلَى النَّفْسِ وَالْعِيَالِ خِلَالَ مُدَّةِ الْجِهَادِ.

وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ إِذَا قَعَدُوا وَنَصَحُوا للهِ، وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِ قُعُودِهِمْ، وَلَمْ يُرْجِفُوا بِالنَّاسِ، وَلَمْ يَبُثُّوا الشَّائِعَاتِ المُثَبِّطَةَ لِلْهِمَمِ، فَإِذَا الْتَزَمُوا بِذَلِكَ كَانُوا مِنَ المُحْسِنِينَ، وَاللهُ رَحِيمٌ بِمَنْ يَقْعُدُ وَهُوَ صَاحِبُ عُذْرٍ مَشْرُوعٍ.

حَرَجٌ - ذَنْبٌ أَوْ إِثْمٌ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الجِهَادِ.

(٩٢) - جَاءَ سَبْعَةٌ مِنْ بَنِي مُقْرِنٍ مِنْ مُزَينَةَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى دَابَّةٍ لِيُجَاهِدُوا مَعَهُ، وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ: وَاللهِ مَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ. فَتَوَلَّوا عَنْهُ يَبْكُونَ حُزْناً عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَهُ لِيَذْهَبُوا مَعَ الرَّسُولِ إِلَى الْجِهَادِ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ فِي المَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا قَطَعْتُمْ وَادِياً، وَلَا سِرْتُمْ سَيْراً إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ)، قَالُوا: وَهُمْ فِي المَدِينَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ حَبَسَهُمُ العُذْرُ). (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَه)

تَفِيضُ أَعْيُنُهُمْ - تَمْتَلِئُ أَعْيُنُهُمْ بِالدَّمْعِ حَتَّى تَفِيضَ بِهِ.

(يَسْتَأْذِنُونَكَ)

(٩٣) - ثُمَّ رَدَّ اللهُ تَعَالَى المَلَامَةَ وَجَعَلَهَا عَلَى الذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ الرَّسُولَ فِي القُعُودِ مِنْ غَيرِ عُذْرٍ وَلَا ضَرُورَةٍ، وَهُمْ أَصِحَّاءُ أَغْنِيَاءُ، قَادِرُونَ عَلَى الإِنْفَاقِ، وَوَبَّخَهُمْ لِرِضَاهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ العَجَزَةِ وَالمَرْضَى وَالنِّسَاءِ القَوَاعِدِ، وَقَالَ تَعَالَى إِنَّهُ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَخَتَمَ عَلَيهَا، وَأَحَاطَتْ بِهِمْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبُهُمْ، فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا سُوءَ عَاقِبَتِهِمْ فِي الآخِرَةِ.

(٩٤) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(عَالِمِ) (وَالشَّهَادَةِ)

(٩٤) - أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّهُ إذا رَجَعَ بالجَيْشِ إِلَى المَدِينَةِ، فَإِنَّ المُنَافِقِينَ الذينَ قَعَدُوا عَنِ الجِهَادِ، وَهُمْ أَغْنِيَاءُ أصحَّاءُ، سيأتون إليهِ مُعْتَذِرينَ. ويأمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: لاَ حَاجَةَ بِكُمْ لِأَنْ تَعْتَذِرُوا فَلَنْ نُصَدِّقَكُمْ، وَلَنْ نَثِقَ بِكُمْ، لِأَنَّ اللهَ أَعْلَمَنَا بِأَحْوالِكُمْ وَأَخْبَارِكُمْ، وَسَيَرَى اللهُ ورسُولُهُ عَمَلَكُمْ فِيمَا بَعْدُ، وَهُوَ الذي سَيُبَيِّنُ حَقِيقَةَ حَالِكُمْ: إِمَّا إصْرارٌ على النِّفاقِ، وإمّا توبةٌ وإنابةٌ إلى اللهِ. أمَّا قولُكُمْ باللِّسانِ فَلاَ يُعْتَدُّ بِهِ مَهْمَا أكَّدْتُمُوهُ بالأيْمانِ. ثُمَّ يَتَوَلَّى اللهُ يومَ القِيامَةِ إخْبَارَكُمْ بأعْمَالِكُمْ خيرِها وشرِها، وَيَجْزِيكُمْ عَلَيها بِمَا تَسْتَحِقُّونَ.

(٩٥) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(وَمَأْوَاهُمْ)

(٩٥) - إِذَا رَجَعْتُمْ إلى المَدِينَةِ مِنْ غَزَاتِكُمْ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ الذِينَ تَخَلَّفُوا مَعَ الخَوَالِفِ فِي المَدِينَةِ، وَقَعَدُوا عَنِ الجِهَادِ، وَهُمْ أَغْنِيَاءُ أَصِحَّاءُ، سَيَأْتُونَ إِلَيْكُمْ مُعْتَذِرِينَ، وَسَيُؤَكِّدُونَ اعتذارَهُمْ بالأيْمانِ الكَاذِبَةِ، وَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ تُعْرِضُوا عَنْهُمْ، وَتَكُفُّوا عَنْ تَوْبِيخِهِمْ، وَتَقْرِيعِهِمْ عَلَى قُعُودِهِمْ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِعْرَاضَ الاحْتِقَارِ وَالاسْتِصْغَارِ، لا إعْراضَ الصَّفْحِ، وَقَبُولِ العُذْرِ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَدَنَسٌ مُؤْذٍ لِلنُّفُوسِ المُؤْمِنَةِ الكَرِيمَةِ، يَجِبُ الاحْتِرَاسُ مِنْهُمْ، وَالابْتِعَادُ عَنْهُمْ، لِكَيْلا تَلْحَقَ عَدْواهُمْ بِالمُؤْمِنينَ. وَسَتَكُونُ نَارُ جَهَنَّمَ مُسْتَقَرَّهُمْ، وَجَزَاءَهُم، وَمَأْوَاهُمُ الأخِيرَ.

إِنَّهُم رِجْسٌ - قَذَرٌ بَاطِناً وَظَاهِراً.

(٩٦) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

(الفَاسِقِينَ)

(٩٦) - وَهُمْ إِنَّما يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، وَلَكِنْ إِذا خُدِعْتُمْ أَنْتُمْ بِأَيْمانِهِمْ، وَرَضِيتُمْ أَنْتُمْ عَنْهُمْ، فَهَذا الرِّضَا لاَ يَنْفَعُهُمْ فِي شَيءٍ، لأَنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ، الخَارِجينَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

(٩٧) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(٩٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ فِي الأعْرَابِ (وَالأعْرَابُ هُمْ رِجَالُ البَادِيَةِ مِنَ العَرَبِ) كُفَّاراً وَمُنَافِقِينَ، وَأَنَّ الكُفْرَ وَالنِّفَاقَ فِيهِمْ أَشَدُّ وَأَغْلَظُ مِمَّا عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ المُدُنِ، نَظَراً لِجَفَاءِ طِبَاعِهِمْ، وَغِلْظَةِ قُلُوبِهِمْ، وَلِبُعْدِهِمْ عَنِ الحِكْمَةِ، وَمَنابِعِ العِلْمِ، وَلِذَلِكَ فَحَرِيٌّ بِهِمْ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ، وَلاَ أَحْكَامَ الإِسْلاَمِ، لأَنَّهُمْ لاَ

يَجِدُونَ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يُصْلِحُ النَّاسَ، حَكيمٌ فِي تَدْبِيرِه.

أَجْدَرُ - أَحَقُّ وَأَحْرَى.

(٩٨) وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(الدَّوائِرَ) (دَائِرَةُ)

(٩٨) - وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَعُدُّونَ مَا يُنفِقُونَهُ مِنْ مَالٍ فِي سَبيلِ اللهِ غُرْماً وَخَساراً، يَحْتَمِلُونَهما مُكْرَهِينَ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْتَقِدُونَ فِي ثَوابِ اللهِ تَعَالَى عَنِ الجِهَادِ، وَأَعْمَالِ الخَيْرِ، وَيَنْتَظِرُونَ أَنْ تَحِلَّ بِكُمُ المَصَائِبُ وَالكَوارِثُ، وَأَنْ تَدُورَ عَلَيكُمُ الدَّوائِرُ في الحَرْبِ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هٰؤلاءِ قَائِلاً: عَلَيهِمْ هُمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَالبَوارِ، وَاللهُ سَمِيعٌ لِدُعَاءِ عِبَادِهِ المُخْلِصِينَ، عَليمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الخِذْلاَنَ.

مَغْرَماً - غَرامَةً وَخَساراً.

يَتَرَبَّصُ الدَّوائِرَ - يَنْتَظِرُ بِكُمْ مَصَائِبَ الدَّهْرِ.

عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ - الضَّرَرُ وَالشَّرُّ.

(٩٩) وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(الآخِرِ) (قُرُبَاتٍ) (وَصَلَوَاتِ)

(٩٩) - وَهُنَاكَ مِنَ الأَعْرَابِ جَمَاعَةٌ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَيعُدُّونَ مَا يُنْفِقُونَهُ مِنْ مَالٍ فِي سَبيلِ اللهِ، قُرْبَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللهِ، وَيَبْتَغُونَ بِها دُعَاءَ الرَّسُولِ لَهُمْ (وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ) لأَنَّهُ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، كَانَ يَدْعُو لِلْمُتَصَدِّقِينَ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ قَبِلَ هذهِ النَفَقَةَ مِنْهُمْ، وَسَتَكُونُ قُرْبَةً عَظِيمَةً لَهُمْ عِنْدَهُ، وَسَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَسَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَسَيَرْحَمُهُمْ لأَنَّهُ تَعَالَى كَثِيرُ الغُفْرَانِ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

صَلَوَاتُ الرَّسُولِ - دَعَوَاتُ الرَّسُولِ وَاسْتِغْفَارُهُ لِلْمُنفِقِينَ.

(١٠٠) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(والسَّابِقُونَ) (المُهَاجِرِينَ) (بِإِحْسَانٍ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(١٠٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، (وَهُمُ الذِينَ هَاجَرُوا قَبْلَ صُلْحِ الحُدَيْبِيةِ)، وَمِنَ الأَنْصَارِ (وَهُمُ الذِينَ بَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ فِي بَيْعَتَي العَقَبَةِ وَالرِّضْوانِ)، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ. وَيُخْبِرُ تَعالَى بِرِضَاهُ عَنْهُمْ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنيا، مِنْ عِزٍّ وَنَصْرٍ وَمَغْنَمٍ وَهُدًى، وَبِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي

﴿١٠١﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ
مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم
مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ
عَذَابٍ عَظِيمٍ

﴿١٠٢﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ
خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ
سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ

الآخِرَةِ، مِنْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَوانِبِها، وَهُمْ مُخَلَّدُون فِيهَا أَبداً. وَالفَوْزُ الذِي فَازَ بِهِ هؤلاءِ الكِرامُ البَرَرَةُ هُوَ أَعْظَمُ الفَوْزِ.

(مُنَافِقُونَ)

(١٠١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أَنَّ فِي أَحْيَاءِ العَرَبِ، مِمَّنْ هُمْ حَوْلَ المَدِينَةِ، مُنافِقِينَ، كَمَا يُوجَدُ مُنَافِقُونَ بَيْنَ أَهْلِ المَدِينَةِ، وَقَدْ تَمرَّنُوا عَلَى النِّفاقِ، وَحذَقُوهُ، حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الغَايَةَ فِي إِتْقَانِهِ، وَأَصْبَحَ مِنَ الصَّعْبِ العَسِيرِ كَشْفُهُمْ وَمعْرِفَتُهُمْ (مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ)، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لاَ تَعْرِفُهُمْ، وَلٰكِنَّ اللهَ يَعْرِفُهُمْ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنيا مَرَّتينِ:

أُولاهُمَا: - فِيمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ المَصَائِبِ وَالخَوْفِ مِنَ الفَضِيحَةِ بِهَتْكِ أَسْتَارِهِمْ.

وَثَانِيَتهما: - فِي آلامِ المَوْتِ، وَضَرْبِ المَلاَئِكَةِ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ حِينَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ.

وَفِي الآخِرَةِ يُرَدُّونَ إِلى جَهَنَّمَ، وَبِئْسَ المَصِيرُ.

مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ - تَمرَّنُوا عَلَيهِ، وَحَذَقُوهُ.

(وَآخَرُونَ) (صَالِحاً) (وَآخَرَ)

(١٠٢) - بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى حَالَ المُتَخَلِّفِينَ عَنِ الجِهَادِ تَكْذِيباً وَشكّاً، شرَعَ فِي بَيَانِ حَالِ المُتَخَلِّفِينَ عَنِ الجِهَادِ كَسَلاً، مَعَ إِيمَانِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ بِالحَقِّ، فَقَالَ: وَهُنَاكَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَرُّوا بِهَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ خَلَطُوا بِهَا أَعْمالاً سَيِّئَةً، هِيَ تَقَاعُسُهُمْ عَنِ الخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَتِهِ. وَقُعُودُهُمْ عَنِ الخُرُوجِ مَعَهُ مِنْ غَيرِ عُذْرٍ، فَهٰؤُلاءِ تَحْتَ عَفْوِ اللهِ وَغُفْرَانِهِ، وَقَدْ يُوَفِّقُهُمْ إِلى التَّوْبَةِ الصَّحِيحَةِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ لأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(وَرُوِيَ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ مِنْ غَزْوَتِهِ، رَبَطُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَوارِي المَسْجِدِ، وَحَلَفُوا لاَ يَحُلُّهُمْ إِلاَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ أَطْلَقَهُمْ رَسُولُ اللهِ، وَعَفَا عَنْهُمْ).

(أَمْوَالِهِمْ) (صَلاَتَكَ)

(١٠٣) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَموالِ الذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ البُخْلِ، وَالطَّمَعِ، وَالقَسْوَةِ عَلَى

صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

الفُقَراءِ، وَتُزكّي بِها أَنْفُسَهُمْ، وَتَرْفَعُهُمْ إلى مَنازِلِ الأَبرارِ بِفِعْلِ الخَيْراتِ حَتَّى يَكُونُوا أهلاً للسَّعادَةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِأَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ)، لأنَّ صَلاةَ الرَّسُولِ رَحْمَةٌ بِهِمْ، وَراحَةٌ لأَنْفُسِهِمْ، وَاللهُ سَمِيعٌ لاعْتِرافِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَسَمِيعٌ لِدُعاءِ الرَّسُولِ لَهُمْ، عَلِيمٌ بِإِخْلاصِهِمْ فِي تَوْبَتِهِمْ، وَنَدَمِهِمْ مِن هٰذِهِ الذُّنُوبِ.

تُزَكِّيهِمْ بِهَا - تُنَمِّي بِهَا حَسَنَاتِهِمْ وَأَمْوالَهُمْ.

صَلِّ عَلَيهِمْ - ادْعُ لَهُمْ، وَآسْتَغفِرْ لَهُمْ اللهَ.

سَكَنٌ لَهُمْ - طُمأْنِينَةٌ أَوْ رَحْمَةٌ لَهُم.

(١٠٤) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

(الصَّدقَاتِ)

(١٠٤) - يَحُثُّ اللهُ تَعالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى التَّصدُّقِ، وَعَلَى التَّوْبَةِ، وَهُمَا الوَسِيلَتَانِ اللَّتانِ يَحُطُّ بِهِمَا الذُّنوبَ عَنْ عِبادِهِ، وَيُخْبِرُ اللهُ أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الذي يَقْبَلُ تَوْبَةَ عِبادِهِ، وَأَنَّ مَنْ تَابَ إلى اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيهِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ حَلالٍ فَإِنَّهُ يَتَقَبَّلُها بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيها لِصَاحِبِها حَتَّى تُصْبِحَ التَّمْرةُ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ.

يَأْخُذُ الصَّدقَاتِ يَقْبَلُها وَيُثِيبُ عَلَيهَا.

(١٠٥) وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(عَالِمِ) (الشَّهادَةِ)

(١٠٥) - هٰذا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعالَى لِمَنْ خالَفُوا أَوامِرَهُ، وَتَحْذِيرٌ لَهُمْ بِأَنَّ أَعْمالَهُمْ سَتُعْرَضُ عَلَيهِ، وَعَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى المُؤْمِنِينَ، يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّهُمْ سَيُرَدُّونَ يَوْمَ القِيامَةِ إلى اللهِ، الذي يَعْلَمُ الغَيْبَ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ الشَّاهِدُ عَلَى خَلْقِهِ جَميعاً، فَيُخْبِرُهُمْ بِكُلِّ عَمَلٍ عَمِلُوهُ.

(١٠٦) وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(آخَرُونَ)

(١٠٦) - وَهٰؤُلاءِ المُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ تَعالَى هُمْ: مَرارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ، قَعَدُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قَعَدَ كَسَلاً، وَمَيْلاً إلى الرَّاحةِ، لا شَكّاً وَلا نِفاقاً، أَتَوْا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَآعْتَرَفُوا لَهُ بِأَنَّهُمْ لاَ عُذْرَ لَهُمْ، فَأَرْجَأَهُمْ رَسُولُ اللهِ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي أَمْرِهِمْ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِأَلاَّ يُكَلِّمُوهُمْ، وَلاَ يُخالِطُوهُمْ، فَالْتَزَمُوا بُيُوتَهُمْ حَتَّى ضَاقَتْ بِهِمِ الدُّنيا عَلَى سَعَتِها، خَوْفاً مِنْ عَذابِ اللهِ وَسُخْطِهِ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِما يُصْلِحُ عِبادَهُ، وَيُرَبِّيهِمْ وَيُزَكِّيهِمْ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ لَهُمْ.

مُرْجَوْنَ - مُؤَخَّرُونَ لاَ يُقْطَعُ لَهُمْ بِتَوبةٍ (وَأَصْلُها مُرْجَؤُونَ).

(١٠٧) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ
حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

(لَكَاذِبُونَ)

(١٠٧) - قَالَ ابْنُ عَبَّاس: إِنَّ هٰؤلاءِ هُمْ أُناسٌ مِنَ الأَنْصارِ بَنَوْا مَسْجِداً، فَقالَ لَهُمْ أَبو عامِرٍ الرَّاهِبُ (وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَأَبى الإِسْلامَ، وَأَخَذَ يَكِيدُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَيَتآمَرُ عَلَيهِمْ مَعَ قُرَيشٍ، وَمَعَ أَعْدائِهِمْ، وَأَلَّبَ المُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ، وَحاوَلَ اسْتِمالَةَ الأَنْصارِ فِي المَعْرَكَةِ فَسَبُّوهُ): ابْنُوا مَسْجِداً يَكُونُ مَرْصَداً لَهُ إِذا قَدِمَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْتَعِدُّوا، وَأَنْ يَجْمَعُوا مَا اسْتَطاعُوا مِنْ قُوَّةٍ وَسِلاحٍ، وَقالَ لَهُمْ: إِنَّهُ ذاهِبٌ إِلى قَيْصَرِ الرُّومِ فَآتٍ بِجُنُودٍ مِنَ الرُّومِ لإِخْراجِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحابِهِ، فَأَخَذُوا فِي بِناءِ المَسْجِدِ قُرْبَ مَسْجِدِ قُباءٍ، وَلَمَّا انْتَهَوْا مِنْ بِنائِهِ أَتَوْا إِلى الرَّسُولِ ﷺ فَقالُوا لَهُ: لَقَدْ فَرَغْنا مِنْ بِناءِ مَسْجِدِنا فَنُحِبُّ أَنْ تُصَلِّيَ فِيهِ، وَتَدْعُوَ لَنا بِالبَرَكَةِ. وَكانَ الرَّسُولُ خارِجاً إِلى غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَأَرْجَأَ ذٰلِكَ إِلى حِينِ عَوْدَتِهِ. وَحِينَ عادَ نَزَلَ عَلَيهِ جِبْرِيلُ، عَلَيهِ السَّلامُ، يُخْبِرُهُ بِغايَةِ بُناةِ المَسْجِدِ وَقَصْدِهِمْ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ لا يُصَلِّيَ فِيهِ أَبَداً. وَيَقُولُ تَعالَى: إِنَّ الذِينَ بَنَوْا هٰذا المَسْجِدَ سَيَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ إِنَّما أَرادُوا بِبِنائِهِ الخَيْرَ وَالإِحْسانَ إِلى النَّاسِ، وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ كاذِبُونَ فِيما قالُوهُ، وَفِيما قَصَدُوهُ، وَفِيما نَوَوْهُ؛ فَهُمْ إِنَّما بَنَوْهُ ضِراراً لِمَسْجِدِ قُباءٍ، وَكُفْراً بِاللهِ، وَتَفْرِيقاً لِلْمُؤْمِنِينَ (الذِينَ كانُوا يُصَلُّون جَمِيعاً فِي مَسْجِدٍ واحِدٍ هُوَ مَسْجِدُ قُباءٍ، وَفِي ذٰلِكَ يَحْصُلُ التَّعارُفُ وَالتَّآلُفُ، وَتُجْمَعُ الكَلِمَةُ)، وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ بِناءِ هٰذا المَسْجِدِ.

الضِّرارُ وَالمُضارَّةُ - مُحاوَلَةُ إِيقاعِ الضَّرَرِ.

الإِرْصادُ - الانْتِظارُ وَالتَّرَقُّبُ مَعَ العَداوَةِ.

(١٠٨) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ
أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ
أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ

(١٠٨) - أَمَرَ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ لا يَقُومَ فِي مَسْجِدِ الضِّرارِ هٰذا، وَحَثَّهُ عَلَى الصَّلاةِ فِي مَسْجِدِ قُباءٍ الذِي أُسِّسَ بُنْيانُهُ عَلَى التَّقْوَى (وَهِيَ طاعَةُ اللهِ، وَطاعَةُ رَسُولِهِ، وَجَمْعُ كَلِمَةِ المُؤْمِنِينَ)، وَلِذٰلِكَ جاءَ فِي الحَدِيثِ: (صَلاةٌ فِي مَسْجِدِ قُباءٍ كَعُمْرَةٍ).

وَيَقُولُ تَعالَى: إِنَّ مَسْجِدَ قُباءٍ فِيهِ رِجالٌ يَعْمُرُونَهُ بِإِقامَةِ الصَّلاةِ، وَذِكْرِ اللهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا بِذٰلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالآثامِ. وَيُثْنِي اللهُ تَعالَى عَلَى الأَنْصارِ فِي تَطَهُّرِهِمْ، وَفِي عِنايَتِهِمْ بِنَظافَةِ أَبْدانِهِمْ، لأَنَّهُ تَعالَى يُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ.

(١٠٩) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

(١١٠) لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

ربع الحزب ٢١

(١١١) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(بُنْيانَهُ) (وَرِضْوانٍ) (الظَّالِمِينَ)

(١٠٩) - لاَ يَسْتوِي فِي عَقِيدَتِهِ، وَلاَ فِي عَمَلِهِ، مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوًى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ، مَعَ مَنْ بَنَى مَسْجداً لِلضِّرارِ وَالكُفْرِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ المُؤْمِنينَ، فَهذا الأَخِيرُ حالُهُ كَحالِ مَنْ يَبْنِي بُنْيانَهُ عَلى طَرَفِ حُفْرَةٍ فِي أَرْضٍ رِخْوَةٍ فِي جَانِبِ جَهنَّم، آنْهَارَتْ بِهِ، وبِبُنْيانِهِ، فِي نَارِ جَهنَّم، واللهُ لاَ يَهْدِي إلى الحَقِّ والعَدلِ، القَوْمَ الظَّالِمِينَ المُتَجاوِزِينَ طَاعَةَ اللهِ. فَالإِيمانُ ثَابِتٌ رَاسِخٌ قَوِيٌّ، وَأَهْلُهُ سُعَدَاء بِرِضْوانِ رَبِّهِمْ، وَالبَاطِلُ مُضْمَحِلٌّ وَاهٍ سَرِيعُ الانْهِيارِ، وَأَهْلُهُ أَشْقِيَاءُ مُتَرَدِّدُونَ حَائِرُونَ.

عَلَى شَفَا جُرُفٍ - عَلَى حَرْفِ بِئْرٍ لَمْ تُبْنَ بِالحِجارَةِ.

هَارٍ - هَائِرٍ مُتَصَدِّعٍ أَوْ مُتَهَدِّمٍ.

فَآنْهارَ بِهِ - فَسَقَطَ البُنْيانُ بِالبَانِي.

(بُنْيانُهُم)

(١١٠) - وَسَيَظَلُّ البُنْيانُ، الذِي بَنَاهُ هؤُلاءِ المُنافِقُونَ، يُورِثُهُمْ شَكّاً فِي قُلُوبِهِمْ، وَنِفاقاً حَتَّى مَوْتِهِمْ، بِسَبَبِ إِقْدَامِهِمْ عَلَى هذا الفِعْلِ القَبِيحِ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ النَّاسِ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ.

رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ - شَكّاً وَنِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ.

تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ - تَتَقَطَّعُ وَتَتَفَرَّقُ أَجْزاءً بِالمَوْتِ.

(أَمْوالَهُمْ) (يُقَاتِلُونَ) (التَّوْرَاةِ) (والقُرْآنِ)

(١١١) - يُرَغِّبُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ فِي الجِهادِ، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ سَيُعَوِّضُ المُؤْمِنينَ بِالجَنَّةِ عَنْ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيا، وَلإِحْقَاقِ الحَقِّ، وَإِقامَةِ العَدْلِ فِي الأَرْضِ، فَهُمْ حِينَ يُجاهِدُونَ يَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَيُقْتَلُونَ هُمْ، وَهُمْ فِي كِلا الحَالَيْنِ مُثَابُونَ عَلَى ذلِكَ. وَقَدْ وَعَدَ اللهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِهذا الجَزاءِ الحَقِّ، وَجَعَلَهُ حَقّاً عَلَيهِ فِي التَّوراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرآنِ.

ثُمَّ يَدْعُو اللهُ تَعَالَى مَنِ التَزَمَ مِنَ المُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِ للهِ إلى الاسْتِبْشارِ بِذلِكَ الفَوْزِ العَظِيمِ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، لأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَفَاءً بِالعَهْدِ، وَلاَ أَكْثَرُ مِنْهُ الْتِزاماً بِالوَعْدِ الذِي يَقْطَعُهُ عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ، وَلَيسَ هُنَاكَ رِبْحٌ أَكْبَرُ مِنَ الرِّبحِ الذِي يُحَقِّقُهُ المُؤْمِنُونَ فِي هٰذِهِ الصَّفْقَةِ.

﴿١١٢﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(التَّائِبُونَ) (الْعَابِدُونَ) (الْحَامِدُونَ) (السَّائِحُونَ) (الرَّاكِعُونَ) (السَّاجِدُونَ) (وَالحافِظُونَ)

(١١٢) - وَهُنَا يُعَدِّدُ اللهُ تَعَالَى صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ الذِينَ اشْتَرَى مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالجَنَّةِ، وَهُمْ: التَّائِبُونَ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّها، التَّارِكُونَ لِلْفَوَاحِشِ، القَائِمُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَالمُحَافِظُونَ عَلَيهَا، وَالحَامِدُونَ للهِ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ، السَّائِحُونَ فِي الأَرْضِ، لِلاعْتِبَارِ وَالاسْتِبْصَارِ بِمَا خَلَقَ اللهُ مِنَ العِبَرِ وَالآيَاتِ، (وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ مَعْنَى السَّائِحِينَ هُنَا الصَّائِمُونَ) وَالمُصَلُّونَ. وَهُمْ مَعَ ذلِكَ كُلِّهِ يَسْعَونَ فِي نَفْعِ خَلْقِ اللهِ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلى طَاعَتِهِ، بِأَمْرِهِمْ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ المُنْكَرِ، مَعَ العِلْمِ بِمَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، وَيَجِبُ تَرْكُهُ طَاعَةً للهِ (أَيْ إِنَّهُمْ يَحْفَظُونَ حُدُودَ اللهِ). وَيُبَشِّرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ المُتَّصِفِينَ بِهذِهِ الصِّفَاتِ الكَرِيمَةِ بِخَيْرَي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

السَّائِحُونَ - فِي الأَرْضِ لِلاعْتِبَارِ وَالاسْتِبْصَارِ، أَوْ هُمُ الصَّائِمُونَ أَوْ هُمُ المُجَاهِدُونَ الغُزَاةُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

الحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ - أَيْ المُرَاقِبُونَ لأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

﴿١١٣﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ

(آمَنُوا) (أَصْحَابُ)

(١١٣) - لَمَّا حَضَرَتِ الوَفَاةُ أَبَا طَالِبٍ، عَمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، دَخَلَ النَّبِيُّ، عَلَيهِ السَّلامُ، عَلَيهِ، وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيشٍ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أُمَيَّةَ، فَقَالَ لَهُ: أَيْ عَمُّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَقَالَ أَنَا عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ: لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنهَ عَنْهُ. فَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ، وَفِيهَا دَعْوَةٌ لِلنَّبِيِّ وَالمُؤْمِنِينَ إِلى عَدَمِ الاسْتِغْفَارِ لِلْكفَارِ الذِينَ مَاتُوا عَلَى شِرْكِهِمْ وَلَوْ كَانُوا أَقْرِبَاءَهُمْ.

﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ

(إِبْرَاهِيمَ) (لأَوَّاهٌ)

(١١٤) - قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ مِنْ آبَائِنَا مَنْ كَانَ يُحْسِنُ الجِوَارَ، وَيَصِلُ الأَرْحَامَ، وَيَفُكُّ العَانِي، وَيُوفِي الذِّمَمَ، أَفَلا نَسْتَغْفِر لَهُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ لأَبِي كَمَا اسْتَغْفَرَ إِبراهِيمُ لأَبِيهِ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ، وَالتي قَبْلَهَا، وَعَذَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ

﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ

﴿١١٦﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

﴿١١٧﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ

إبراهيمَ عَلَيهِ السَّلامُ فِي هٰذِهِ الآيَـةِ، عَمَّا كَـانَ مِنْهُ مِنَ الاسْتِغْفَـارِ لأَبِيهِ المُشْرِكِ.

وَالمُسْلِمُ يَدْعُو لِقَرِيبِهِ غَيْرِ المُسْلِمِ بِالصَّلاحِ مَا دَامَ حَيّاً، فَإِذَا مَاتَ وَكَلَهُ إلى شَأْنِهِ، وَتَوَقَّفَ عَنِ الدُّعَاءِ وَالاسْتِغْفَارِ لَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ إبراهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ، أَيْ كَثِيرُ الدُّعَاءِ، كَثِيرُ التَّضَرُّعِ.

أَوَّاهٌ - كَثِيرُ التَّأَوُّهِ خَوْفاً مِنَ اللهِ وَإِشْفَاقاً.

(هَدَاهُمْ)

(١١٥) - وَمَا كَانَ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَلاَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، أَنْ يَصِفَ قَوْماً بِالضَّلالِ، وَيُجْرِيَ عَلَيهِمْ أَحْكَامَهُ بِالذَّمِّ وَالعِقَابِ، بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمْ إلى الإِيمَانِ، بِقَولٍ يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، أَوْ عَمَلٍ يَحْدُثُ مِنْهُمْ بِاجْتِهَادٍ خَاطِىءٍ. وَيَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هٰذِهِ الآيَةِ: وَمَا كَانَ اللهُ لِيَقْضِيَ عَلَيكُمْ فِي اسْتِغْفَارِكُمْ لِمَوْتَاكُمُ المُشْرِكِينَ بِالضَّلالِ، بَعْدَ إِذْ رَزَقَكُمُ الهِـدَايَةَ، وَوَفَّقَكُمْ إلى الإِيمَـانِ بِهِ وَبِرَسُولِـهِ، حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَتَتْرُكُوا، فَأَمَّا قَبْلَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ كَرَاهَةَ ذٰلِكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَحْكُمُ عَلَيْكُمْ بِالضَّلاَلِ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ.

السَّمَاوَاتِ) (يُحْيِي)

(١١٦) - هٰذا تَحْرِيضٌ لِلْمُؤْمِنينَ عَلَى قِتَالِ الكَافِرِينَ، وَدَعْوَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ لِيَتَّقُوا اللهَ، مَالِكَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلِكَيْلا يَرْهَبُـوا أَحداً غَيْـرَ اللهِ، فَهُوَ الذِي يَهَبُ الحَيَاةَ بِقُدْرَتِهِ وَفْقَ سُنَنٍ فِي التَّكْوِينِ، وَهُوَ الذِي يُمِيتُ حِينَما تَنْقَضِي آجَالُ النَّـاسِ. وَحِينَ يَجِيءُ الأَجَلُ المُحَـدَّدُ فَلا تَتَقَـدَّمُ نَفْسٌ وَلاَ تَتَـأَخَّرُ. وَهُـوَ تَعَالَى وَلِيُّ المُؤْمِنينَ، وَنَصِيـرُهُمْ، وَلاَ وَلِيَّ وَلاَ نَصِيرَ لَهُمْ غَيْرُهُ.

(وَالمُهَاجِرِينَ)

(١١٧) - نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ فِي غَزْوَةِ تَبُـوكَ التِي كَانَتْ فِي سَنَـةِ جَدْبٍ، وَوَقْتَ حَـرٍّ شَـدِيـدٍ، وَعُسْـرٍ فِي الـزَّادِ وَالمَـاءِ، وَقَـدْ أَكْـرَمَ اللهُ تَعَـالَى المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ الذِينَ اتَّبَعُوا رَسُولَ اللهِ فِي وَقْتِ عُسْـرَةٍ مِنَ النَّفَقَةِ وَالظَّهْرِ وَالزَّادِ، بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ لِصِدْقِ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ، وَلاسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ رَسُـولِهِ الكَـرِيمِ، بَعْدَ أَنْ كَـادَتْ تَزِيـغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنَ المُسْلِمِينَ عَنِ الحَقِّ، وَهُمُ الذِينَ تَخَلَّفُوا لِغَيْـرِ عِلَّةِ النِّفَاقِ مِمَّنْ خَلَطُوا عَمَـلاً صَالِحـاً

تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

١١٨ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

١١٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

١٢٠ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ

وَآخر سَيِّئاً، وَٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، لِعِظَمِ مَا نَالَهُمْ مِنَ المَشَقَّةِ وَالشِّدَّةِ فِي سَفَرِهِمْ وَغَزْوِهِمْ. ثُمَّ رَزَقَهُمُ اللهُ الإِنَابَةَ إِلَيهِ، وَالرُّجُوعَ وَالثَّبَاتَ عَلَى دِينِهِ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَإِنَّهُ تَعَالَى رَؤُوفٌ رَحِيمٌ بِهِمْ.

سَاعَةِ العُسْرَةِ ـ وَقْتِ الشِّدَّةِ وَالضِّيقِ فِي غَزْوَةِ تَبُوك.

يَزِيغُ ـ يَمِيلُ إِلى التَّخَلُّفِ عَنِ الجِهَادِ.

(الثَّلاثَة)

(١١٨) ـ الثَّلاثَةُ هُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِي، وَهٰؤُلاءِ الثَّلاثَةُ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَٱعْتَرَفُوا لِلرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْذَارٌ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُومُوا حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي أَمْرِكُمْ. وَأَمَرَ الرَّسُولُ النَّاسَ أَنْ لَا يُكَلِّمُوهُمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيهِمُ الأَرْضُ عَلَى رَحْبِهَا وَسَعَتِهَا، وَضَاقَتْ أَنْفُسُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، لِمَا كَانُوا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ ضِيقِ صُدُورِهِمْ بِٱمْتِلائِهَا بِالهَمِّ وَالغَمِّ، وَلَبِثُوا فِي ذٰلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ، وَفِيهَا التَّوْبَةُ عَلَيهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى فِي هٰذِهِ الآيَةِ: إِنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ قَبُولَ تَوْبَتِهِمْ لِيَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَيهِ، بَعْدَ أَنْ قَصَّرُوا فِي ٱتِّبَاعِ رَسُولِهِ إِلى الغَزَاةِ، فَكَانَ عَاقِبَةُ صِدْقِهِمْ خَيْراً لَهُمْ، وَتَوْبَةً عَلَيْهِمْ.

بِمَا رَحُبَتْ ـ مَعَ رَحْبِهَا وَسَعَتِهَا.

لِيَتُوبُوا ـ لِيُدَاوِمُوا عَلَى التَّوْبَةِ فِي المُسْتَقْبَلِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الصَّادِقِينَ)

(١١٩) ـ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا اللهَ، وَرَاقِبُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَوَاجِبَاتِهِ، وَٱجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَٱصْدقُوا وَالزَمُوا الصِّدْقَ تَكُونُوا أَهْلَهُ، وَتَنْجُوا مِنَ المَهَالِكِ، وَيَجْعَلُ اللهُ لَكُمْ فَرَجاً مِنْ أُمُورِكُمْ وَمَخْرَجاً.

(يَطَؤُونَ) (صَالِحٌ)

(١٢٠) ـ يُعَاتِبُ اللهُ تَعَالَى المُتَخَلِّفِينَ عَنْ رَسُولِ اللهِ، عَلَى تَخَلُّفِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِمْ، وَإِيثَارِهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ وَيَخُصُّ بِالعِتَابِ أَهْلَ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَإِنَّهُمْ نَقَصُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الأَجْرِ، لأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ عَطَشٌ وَلَا تَعَبٌ وَلَا مَجَاعَةٌ (مَخْمَصَةٌ)، وَلَا يَنْزِلُونَ مَنْزِلاً يُرْهِبُ الكُفَّارَ، وَيَغِيظُهُمْ، وَلَا يُحَقِّقُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ظَفَراً

ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ
مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا
إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ
صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١٢١﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ
ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ
﴿١٢٢﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (نصف الحزب ٢١)
لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ
مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ
لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ
﴿١٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ
يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ

وَغلَبَةً . إلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُمْ بِهٰذِهِ الأعْمَالِ، ثَوَابَ عَمَلٍ صَالِحٍ جَزِيلٍ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يُضَيِّعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً.

لَا يَرْغَبُوا بِأنْفُسِهِمْ - لَا يَترَفَّعُوا بِهَا، وَلَا يَضِنُّوا بِهَا، وَلَا يَصْرِفُوهَا.

نَصَبٌ - تَعَبٌ مَا.

مَخْمَصَةٌ - مَجَاعَةٌ.

يَغِيظُ الكُفَّارَ - يَغُمُّهُمْ وَيُغْضِبُهُمْ.

نَيْلاً - شَيْئاً مِنْ قَتْلٍ أوْ أسْرٍ أوْ مَغْنَمٍ.

(١٢١) - وَلَا يُنْفِقُ هٰؤُلاءِ الغُزَاةُ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً فِي سَيْرِهِمْ إلى أعْدَائِهِمْ، إلَّا كُتِبَ لَهُمْ، وَسُجِّلَ فِي صَحِيفَةِ أعْمَالِهِمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ عَلَيهِ جَزَاءً أحْسَنَ مِنْ جَزَائِهِمْ عَلَى أعْمَالِهِمُ الجَلِيلَةِ فِي غَيْرِ الجِهَادِ، فَالنَّفَقَةُ الصَّغِيرَةُ فِي الجِهَادِ كَالنَّفَقَةِ الكَبِيرَةِ فِي غَيْرِهِ مِنْ أنْوَاعِ المَبَرَّاتِ.

(طَائِفَةٌ)

(١٢٢) - الجِهَادُ فَرْضُ كِفَايَةٍ إذا قَامَ بِهِ البَعْضُ سَقَطَ عَنِ البَاقِينَ. وَلٰكِنْ إذا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَدَبَ النَّاسَ إلى الخُرُوجِ مَعَهُ لَمْ يَحِلَّ لأحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ أنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ إلَّا أهْلَ الأعْذَارِ. وَحِينَمَا نَزَلَتِ الآيَاتُ السَّابِقَاتُ فِي التَّشْدِيدِ عَلَى المُتَخَلِّفِينَ، قَالُوا: لَا يَتَخَلَّفُ مِنَّا أحَدٌ عَنْ جَيْشٍ أوْ سَرِيَّةٍ أبَداً، فَفَعَلُوا ذٰلِكَ، وَبَقِيَ الرَّسُولُ وَحْدَهُ. فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ. وَفِيهَا يُبَيِّنُ اللهُ لِلْمُؤْمِنينَ أنَّ عَليهِمْ ألَّا يَنْفِرُوا جَمِيعاً، لِيَبْقَى قُرْبَ رَسُولِ اللهِ أنَاسٌ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ، حَتَّى إذا عَادَ الغُزَاةُ إلى أهْلِهِمْ أعْلَمُوهُمْ بِمَا نَزَلَ مِنَ القُرآنِ فِي غَيْبَتِهِمْ، وَبِمَا اسْتَجَدَّ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، وَتَعْلِيمَاتِ الرَّسُولِ، وَبِذٰلِكَ يَكُونُ المُسْلِمُونَ جَمِيعاً عَلَى عِلْمٍ بِأُمُورِ دِينِهِمْ.

لِيَنْفِرُوا كَافَّةً - لِيَخْرُجُوا إلى الجِهَادِ جَمِيعاً.

(يَا أيُّهَا) (آمَنُوا) (قَاتِلُوا)

(١٢٣) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنينَ الطَّرِيقَ الأمْثَلَ فِي قِتَالِ الكُفَّارِ، وَذٰلِكَ بِأنْ يَبْدَؤُوا بِقِتَالِ الأقْرَبِ فَالأقْرَبِ مِنْهُمْ إلى أرْضِ الإسْلامِ، وَبِذٰلِكَ لَا يَبْقَى مَجَالٌ لأنْ يُؤْخَذَ المُسْلِمُونَ مِنْ خَلْفِهِمْ مِنْ قِبَلِ أعْدَائِهِمْ، إذا تَرَكُوا مَنْ هُمْ قُرْبَهُمْ وَذَهَبُوا لِيُقَاتِلُوا مَنْ خَلْفَ أعْدَائِهِمْ، وَلِهٰذا بَدَأ

الرَّسُولُ ﷺ بِقِتَالِ المُشْرِكِينَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَمَّا انْتَهَى مِنَ العَرَبِ شَرَعَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الكِتَابِ فَتَجَهَّزَ لِغَزْوِ الرُّومِ، لأَنَّهُمْ أَهْلُ الكِتَابِ. وَهٰكذا كَانَ المُسْلِمُونَ كُلَّمَا عَلَوْا أُمَّةً انْتَقلُوا إِلى مَنْ هُمْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ مِنَ العُتَاةِ الفُجَّارِ وَهٰكَذا.

وَيَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَكُونُوا أَشِدَّاءَ فِي قِتَالِ الكُفَّارِ، وَأَنْ يُظْهِرُوا لَهُمْ غِلْظَةً وَشِدَّةً وَخُشُونَةً فِي القِتَالِ، لِيُدْخِلُوا الوَهَنَ إِلى نُفُوسِهِمْ، وَنُفُوسِ مَنْ خَلْفَهُمْ. وَمِنْ صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا أَشِدَّاءَ عَلَى الكُفَّارِ، رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ. وَيُخْبِرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ مَعَهُمْ يُثَبِّتُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ إِذا اتَّقَوْهُ وَأَطَاعُوهُ.

غِلْظَةً - شِدَّةً وَقَسْوَةً.

(١٢٤) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

(إِيمَاناً) (آمَنُوا)

(١٢٤) - إِذا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى سُورَةً مِنْ سُوَرِ القُرآنِ فَمِنَ المُنَافِقِينَ مَنْ يَقُولُ لإِخْوَانِهِ: (أَوْ يَقُولُ لِمَنْ يَلْقَاهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ مُشَكِّكاً): أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ السُّورَةُ إِيمَاناً وَيَقِيناً بِحَقِيقَةِ القُرآنِ وَالإِسلامِ، وَصِدْقِ الرَّسُولِ؟

وَيَقُولُ تَعَالَى: أَمَّا الذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ فَتَزِيدُهُمُ الآيَاتُ إِيمَاناً، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِرِضْوَانِ رَبِّهِمْ، وَبِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنْ جَزِيلِ الثَّوابِ.

(وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ الفُقَهَاءِ مِنْ هٰذِهِ الآيَةِ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَزِيدَ أَوْ يَنْقُصَ).

(١٢٥) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ

(كَافِرُونَ)

(١٢٥) - وَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَرِيبَةٌ (مَرَضٌ)، دَعَاهُمْ إِلَى النِّفَاقِ بِإِسْرَارِ الكُفْرِ، وَإِظْهَارِ الإِيمَانِ، فَتَزِيدُهُمُ الآيَاتُ شَكّاً وَرِيبَةً إِلى شُكُوكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَالقُرْآنُ هُوَ الذِي يَهْدِي بِهِ اللهُ قُلُوبَ النَّاسِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِزِيادَةِ ضَلالِهِمْ وَشَقَائِهِمْ، فَيَمُوتُونَ وَهُمْ كَافِرُونَ.

رِجْساً - نِفَاقاً وَكُفْراً.

(١٢٦) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ

(١٢٦) - أَيَجْهَلُ هٰؤلاءِ المُنَافِقُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَخْتَبِرُهُمْ (يُفْتَنُونَ) كُلَّ عَامٍ مَرَّةٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ، بِالغَزاةِ أَوْ غَيرِ ذٰلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الفِتْنَةِ والابْتِلاءِ، والاخْتِبَارِ لَهُمْ، التي تُظْهِرُ اسْتِعْدادَ النُّفوسِ لِلإِيمانِ وَالطَّاعَةِ، أَوْ لِلْكُفْرِ وَالتمرُّدِ، وَالخُروجِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، ثُمَّ لا يَتُوبونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الغَيِّ

(١٢٧) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ

(١٢٨) لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(١٢٩) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ

وَالضَّلالِ، وَاقتِرَافِ الذُّنوبِ، وَمُقَارَفَةِ المَعَاصِي، وَلاَ يَرْجِعُونَ عَنْ غَيِّهِمْ، وَلاَ يَتَّعِظُونَ بِمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ العَذَابِ.

يُفْتَنُونَ - يُمْتَحَنُونَ وَيُخْتَبَرُونَ بِالشَّدائِدِ وَالبَلاَيَا.

(يراكُمْ)

(١٢٧) - وَهُنَا يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى حَالَ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَكُونُونَ حَاضِرِينَ مَجْلِسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ نُزُولِ القُرْآنِ، فَيَقُولُ: وَإِذا أُنزِلَتْ سُورَةٌ وَهُمْ فِي المَجْلِسِ، تَسَارَقُوا النَّظَرَ، وَتَغَامَزُوا بِالعُيُونِ، فِي ذَلِكَ الوَقْتِ الذي تَخْشَعُ فِيهِ أَبْصَارُ المُؤْمِنينَ، وَتَنْحَنِي رُؤُوسُهُمْ سَمعاً للهِ وَطَاعَةً، وَتَشَاوَرُوا فِي الانْسِلالِ مِنَ المَجْلِسِ خِفْيَةً لِئَلاَّ يُفْتَضَحَ أَمْرُهُمْ بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُخْرِيَةٍ وَإِنْكَارٍ. وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلْ يَرَاكُمْ رَسُولُ اللهِ وَالمُؤْمِنُونَ إذا قُمْتُمْ مِنَ المَجْلِسِ؟ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ جَمِيعاً مُتَسَلِّلِينَ كُرْهاً مِنْهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ. وَقَدْ صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الهُدَى وَالإِيمَانِ لأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ مَا يَسْمَعُونَ، وَلاَ يَعْقِلُونَ، وَلاَ يَتَدَبَّرُونَ مَا يَسْمَعُونَ.

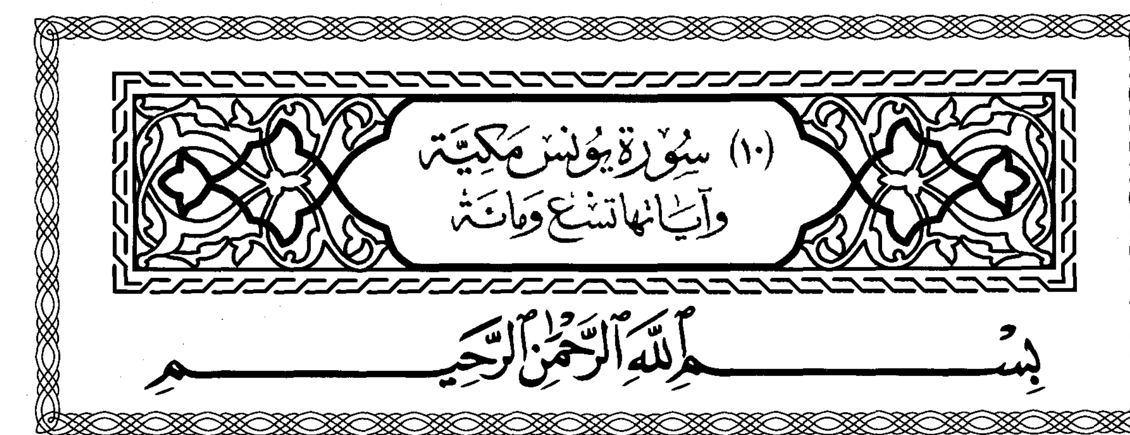
(١٢٨) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُؤْمِنينَ بِأَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً مِنْ جِنْسِهِمْ وَلُغَتِهِمْ وَقَوْمِهِمْ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، يَعِزُّ عَلَيْهِ وَيَصْعُبُ الشَّيْءُ الذي يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَيَزِيدُهُمْ عَنتاً، وَشَرِيعَتُهُ كُلُّها يُسْرٌ وَسَماحَةٌ وَكَمالٌ، عَلَى مَنْ أَرادَها يُسْراً وَسَمَاحَةً، وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَصَلاحِ حَالِهِمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ شَدِيدُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمِةِ بالمؤمنينَ.

عَزيزٌ عَليهِ - صَعْبٌ عَلَيهِ وَشَاقٌّ.

مَا عَنِتُّم - عَنَتُكُمْ وَمَشَقَّتُكُمْ.

(١٢٩) - فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ العَظِيمَةِ المُطَهَّرَةِ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الإِيمانِ بِكَ، وَالاهْتِداءِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَلا تَحْزَنْ لِذَلِكَ، وَقُلْ: يَكْفِينِي اللهُ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيءٍ وَخَالِقُهُ، لأَنَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، وَجَمِيعُ الخَلْقِ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ تَحتَ العَرْشِ، مَقْهُورُونَ بِقُدْرَتِهِ تَعالى، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ، وَقَدَرُهُ نَافِذٌ فِي كُلِّ شَيءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ.

حَسْبِيَ اللهُ - اللهُ كَافِيَّ وَمُعِينِي.



(١) الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ

(٢) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ
إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ
قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ
ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ

ألف. لَام. را

(آياتُ) (الْكِتَابِ)

(١) - أَلِفْ لَامْ رَا وَتُقْرأُ مُقَطَّعَةً. اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ. هٰذِهِ هِيَ آيَاتُ القُرآنِ المُحْكَمِ الذِي أَحْكَمَهُ اللهُ فِي أُسْلُوبِهِ وَمَعَانِيهِ، وَبَيَّنَهُ لِعِبَادِهِ.

(آمَنُوا) (الْكَافِرُونَ) (لَسَاحِرٌ)

(٢) - يَسْتَنْكِرُ اللهُ تَعَالَى تَعَجُّبَ الكُفَّارِ مِنْ إِرْسَالِ المُرْسَلِينَ مِنَ البَشَرِ، فَيَقُولُ: عَجِيبٌ أَمْرُ هٰؤلاءِ الكُفَّارِ أَنْ يُنْكِرُوا إِنْزَالَ الوَحْيِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ جِنْسِهِمْ، وَأَنْ يَعُدُّوا ذٰلِكَ أَمْراً عَجِيباً يَتَفَكَّهُونَ بِهِ.

(وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ رَسُولاً أَنْكَرتِ العَرَبُ ذٰلِكَ، أَوْ مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْهُمْ، فَقَالُوا: اللهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ بَشَراً مِثْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً..).

وَمَهَمَّةُ الرَّسُولِ هِيَ أَنْ يُنْذِرَ الكَافِرِينَ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ، إِذا ٱسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَأَنْ يُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ سَبَقَتْ لَهُم السَّعَادَةُ بِمَا قَدَّمُوهُ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: مِنْ صَوْمٍ وَصَلاةٍ وَتَسْبِيحٍ وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، وَجِهَادٍ لِلْكَافِرِينَ...

أَمَّا الكَافِرُونَ فَقَدْ قَالُوا: إِنَّ هٰذا الرَّسُولَ لَسَاحِرٌ ظَاهِرُ السِّحْرِ (مُبِينٌ)، يُؤَثِّرُ فِي النُّفُوسِ، وَيَجْذِبُهَا إِلى الإِيمَانِ بِاللهِ، وَٱحْتِقَارِ الحَيَاةِ وَلَذَّاتِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَهُمُ الكَاذِبُونَ فِي ذٰلِكَ.

مُبِينٌ - ظَاهِرٌ وَاضِحٌ.

قَدَمَ صِدْقٍ - سَابِقَةَ فَضْلٍ وَمَنْزِلَةً رَفِيعَةً.

(٣) إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

(٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ

(٥) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(السَّماوَاتِ)

(٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ جَمِيعاً، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما، وَمَا فِيهِما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَلَمَّا أَتَمَّ خَلْقَ الوُجُودِ آسْتَوَى عَلَى العَرْشِ آسْتِوَاءً يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ وَجلاَلِهِ، يُدَبِّرُ أَمْرَ الكَوْنِ وَالخَلاَئِقِ وَلاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وَلاَ يَتَبَرَّمُ بِإِلْحاحِ المُلِحِّين، وَلاَ يُلْهِيهِ الكَبِيرُ عَنِ الصَّغِيرِ، وَلاَ يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ رَبُّكُمْ فَأَفْرِدُوهُ بِالعِبَادَةِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ يُسْتَنْكَرُ مِنْ رَبِّ هٰذا الخَلْقِ، وَمُدَبِّرِهِ أَنْ يُفِيضَ مَا شَاءَ مِنْ عِلْمِهِ عَلَى مَنِ آصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ، يَهْدِيهِمْ بِهِ لِمَا فِيهِ صَلاَحُهُمْ وَكَمالُهُمْ. أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ يا أَيُّها المُشْرِكُونَ فِي أَمْرِكُمْ؟ فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَ اللهِ آلِهَةً غَيْرَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ المُتَفَرِّدُ بِالخَلْقِ؟

آسْتَوَى عَلَى العَرْشِ - آسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجلاَلِهِ.

(يَبْدَأُ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ الخَلاَّقُ العَظِيمُ، وَأَنَّ الخَلاَئِقَ تَرْجِعُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لاَ يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحداً حَتَّى يُعِيدَهُ كَما كَانَ بَدَأَهُ، وَهٰذا وَعْدٌ مِنْهُ حَقٌّ لاَ مِرْيَةَ فِيهِ، وَلاَ شَكَّ ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ كَما بَدَأَ الخَلْقَ أَوَّلَ مَرَّةٍ يُعِيدُهُ. وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يَجْزِي الذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، مِنَ المُؤْمِنِينَ، بِالعَدْلِ (بِالقِسْطِ) وَيُوفِّيهِمْ جَزاءَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، كَما يَجْزِي الذِينَ كَفَرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ بِعَدْلِهِ التَّامِّ، وَسَيَكُونُ شَرابُهُمْ مِنْ مَاءٍ شَدِيدِ الحَرَارَةِ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً.

حَمِيم - مَاءٍ بَالِغِ الغَايَةِ فِي شِدَّةِ الحَرَارَةِ.

(الآيَاتِ)

(٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا خَلَقَ مِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً، وَجَعَلَ القَمَرَ نُوراً، وَهٰكَذا فَاوَتَ تَعَالَى بَيْنَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ، وَبَيْنَ نُورِ القَمَرِ، وَقَدَّرَ لِلْقَمَرِ مَنَازِلَ (وَهِيَ ٢٨ مَنْزِلاً)، لِيَعْرِفَ النَّاسُ عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللهُ ذٰلِكَ الخَلْقَ عَبَثاً وَبَاطِلاً وَتَسْلِيَةً، وَإِنَّمَا خَلَقَهُ بِالحَقِّ، وَهُوَ تَعَالَى يُفَصِّلُ الآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى أُلوهِيَّتِهِ، وَكَمالِ قُدْرَتِهِ لِكَيْ يَتَدَبَّرَها الخَلْقُ.

(وَقِيلَ إِنَّ الضَّوْءَ مَا كَانَ مِنْ ذَاتِ الشَّيءِ كَالشَّمْسِ وَالنَّارِ، وَالنُّورُ مَا كَانَ مُكْتَسباً مِنْ خَارِجِ الشَّيءِ كَالقَمَرِ يَسْتَمِدُّ نُورَهُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ).

قَدَّرَهُ مَنَازِلَ ـ صَيَّرَ القَمَرَ ذَا مَنَازِلَ يَسيرُ فِيها.

(٦) إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ

(اخْتِلَافِ) (اللَّيْلِ) (السَّماوات) (لآيَاتٍ)

(٦) ـ إِنَّ فِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، إِذَا ذَهَبَ هَذا جَاءَ ذَاكَ، لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، وَفِي تَقَارُضِهِمَا الطُّولَ والقِصَرَ، يَطُول هٰذا وَيَقْصُرُ ذَاكَ، وَفِيمَا خَلَقَ اللهُ فِي هٰذا الكونِ العَظِيمِ الوَاسِعِ . . . لَدَلَائِلَ عَظِيمَةً عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَحِكْمَتِهِ لِمَنْ يَخْشَوْنَ اللهَ، وَيَخَافُونَ سُخْطَهُ وَعِقَابَهُ (يَتَّقُونَ).

(٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ

(بِالْحَيَاةِ) (آيَاتِنَا) (غَافِلُونَ)

(٧) ـ إِنَّ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَلِقَاءِ اللهِ فِي الآخِرَةِ، وَاعْتَقَدُوا وَاهِمِينَ أَنَّ الحَيَاةَ الدُّنيا هِيَ مُنْتَهَاهُمْ، وَلَيْسَ بَعْدَهَا حَيَاةٌ، فَاطْمَأَنُّوا بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلُوا لِمَا بَعْدَهَا، وَغَفَلُوا عَنْ آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَى البَعْثِ وَالحِسَابِ . . .

(٨) أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ

(أُولَئِكَ) (مَأْوَاهُمُ)

(٨) ـ فَهؤُلاءِ سَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لِيَصْلِيَهُمْ بِنيرانِهَا، وَسَيَجْعَلُها مَأْوًى لَهُمْ وَمَنْزِلاً، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعَلَى مَا اكْتَسَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ المَعَاصِي وَالآثَامِ وَالخَطَايَا وَالإِجْرَامِ.

(٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (بِإِيمَانِهِمْ) (الأَنْهَارُ) (جَنَّاتِ)

(٩) ـ أَمَّا الذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَاتَّقَوْهُ، وَتَبَصَّرُوا بِمَا خَلَقَ اللهُ فِي الكَوْنِ، فَزَادَهُمْ ذٰلِكَ إِيمَاناً وَيَقِيناً، وَعَمِلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ صَالِحَاتِ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَاتِ سَتَكُونُ لَهُمْ نُوراً يَهْدِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى طَرِيقِ الجَنَّةِ التِي وَعَدَهُمْ بِهَا رَبُّهُمْ، وَهِيَ جَنَّةُ رِفَهٍ وَنَعِيمٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا.

(١٠) دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(دَعْوَاهُمْ) (سُبْحَانَكَ) (سَلَامٌ) (وَآخِرُ) (الْعَالَمِينَ)

(١٠) ـ يَبْدَؤُونَ كُلَّ دُعَاءٍ وَثَنَاءٍ عَلَى اللهِ بِكَلِمَةِ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أَيْ تَقْدِيساً وَتَنْزِيهاً لَكَ يَا رَبِّ. وَيُجِيبُهُمْ رَبُّهمْ بِكَلِمَةِ (سَلامٌ) وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَتُحَيِّيهِمُ المَلائِكَةُ بِقَوْلِهِمْ (سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خَالِدِينَ) وَيُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِكَلِمَةِ سَلامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً﴾[1]. وَفِي

(١) سورة مريم الآية ٦٢.

آخِرِ كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، مِنْ دُعَاءٍ يُنَاجُونَ بِهِ رَبَّهُمْ، أَوْ مَطْلَبٍ يَطْلُبُونَهُ مِنْ إِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ يَقُولُونَ: (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ) (وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا قَالُوا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَتَاهُمْ مَا يَشْتَهُونَ).

دَعْوَاهُمْ - دُعَاؤُهُمْ.



ثلاثة أرباع الحزب ٢١

(١١) ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ
لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم
بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ
فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ

(طُغْيَانِهِمْ)

(١١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حِلْمِهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ، وَيَقُولُ إِنَّهُ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ بِالشَّرِّ فِي حَالِ ضَجَرِهِمْ وَغَضَبِهِمْ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لاَ يُرِيدُونَ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ لُطْفاً مِنْهُ، وَرَحْمَةً بِهِمْ.

أَمَّا إِذَا دَعَوا لِأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ بِالخَيْرِ وَالبَرَكَةِ فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ. وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوِ ٱسْتَجَابَ لَهُمْ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ لأَهْلَكَهُمْ. وَيَتْرُكُ اللهُ تَعَالَى الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَلاَ يَرْجُونَ لِقَاءَهُ فِي الآخِرَةِ، سَادِرِينَ فِي غَيِّهِمْ، مُسْتَمِرِّينَ فِي طُغْيَانِهِمْ، مُتَحَيِّرِينَ لاَ يَهْتَدُونَ إِلى الخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ، حَتَّى يَجِيءَ اليَوْمُ الذِي وَعَدَهُمُ اللهُ بِهِ.

(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى: لَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَجِّلُ لِلنَّاسِ إِجَابَةَ دُعَائِهِمْ وَٱسْتِعْجَالَهُمْ فِي الشَّرِّ فِيمَا فِيهِ مَضَرَّتُهُمْ، فِي النَّفْسِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ - كَمَا ٱسْتَعْجَلَ كُفَّارُ قُرَيشٍ رَسُولَ اللهِ بِالعَذَابِ الذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ - كَاسْتِعْجَالِهِمْ بِالخَيْرِ الذِي يَطْلُبُونَهُ بِدُعَائِهِم اللهَ، لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ قَبْلَ وَقْتِهِ الطَّبِيعِيِّ المُحَدَّدِ لَهُمْ، كَمَا أَهْلَكَ الذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَٱسْتَعْجَلُوا بِالعَذَابِ مِنْ قَبْلِهِمْ).

فِي طُغْيَانِهِمْ - فِي تَجَاوُزِهِم الحَدَّ فِي الكُفْرِ.

يَعْمَهُونَ - يَعْمُونَ عَنِ الرُّشْدِ، أَوْ يَتَحَيَّرُونَ فِي الضَّلاَلَةِ.

لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ - لأَهْلَكَهُمْ وَأَبَادَهُمْ.

(١٢) وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا
لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن
لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ

(ٱلإِنْسَانَ) (قَائِماً)

(١٢) - إِنَّ الإِنْسَانَ كَثِيرُ التَّضَجُّرِ وَالقَلَقِ إِذَا مَسَّهُ الضُّرُّ وَالشَّرُّ، فَإِذَا مَسَّهُ السُّوءُ أَكْثَرَ مِنَ التَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ، وَالدُّعَاءِ لَهُ، رَاجِياً كَشْفَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، وَهُوَ قَاعِدٌ، وَهُوَ قَائِمٌ، وَفِي جَمِيعِ

زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

أَحْوَالِهِ. فَإِذَا فَرَّجَ اللهُ كَرْبَهُ وَشِدَّتَهُ أَعْرَضَ وَنَأَى، وَذَهَبَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُ اللهَ رَبَّهُ.

وَيَذُمُّ اللهُ تَعَالَى مَنْ كَانَتْ هٰذِهِ صِفَتُهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَأَسْمَاهُمْ بِالمُسْرِفِينَ. وَقَدْ حَسَّنَ مَسْلَكُ هٰؤُلاءِ الدَّاعِينَ للهِ فِي الشِّدَّةِ، وَالنَّاسِينَ لَهُ فِي الرَّخَاءِ، لِمُشْرِكِي مَكَّةَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنْ أَعْمَالِ السُّوءِ وَالشِّرْكِ، حَتَّى إِنَّهُمْ آسْتَعْجَلُوا بِالعَذَابِ الذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَمِنْ صِفَاتِ المُؤْمِنِ الصَّبْرُ عَلَى الشَّدَائِدِ، وَالشُّكْرُ عَلَى اليُسْرِ، وَفِي كِلا الحَالَيْنِ خَيْرٌ لَهُ.

الضُّرُّ - الجَهْدُ وَالبَلاءُ وَالشِّدَّةُ.

دَعَانَا لِجَنْبِهِ - آسْتَغَاثَ بِنَا لِنَكْشِفَ مَا نَزَلَ بِهِ وَهُوَ مُلْقىً إِلى جَنْبِهِ.

مَرَّ - آسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَلَمْ يَتَّعِظْ.

١٣ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(١٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ مَكَّةَ بِمَا أَنْزَلَهُ مِنَ العَذَابِ فِي الأَقْوَامِ السَّابِقَةِ (القُرُونَ) الذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنَ البَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ لأَنَّهُمْ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا لَوْ تَرَكَهُمُ اللهُ، فَاعْتَبِرُوا يَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَكَمَا أَهْلَكَ اللهُ مَنْ قَبْلَكُمْ، كَذٰلِكَ يَفْعَلُ اللهُ بِالمُجْرِمِينَ مِنْكُمْ.

القَرْنُ - القَوْمُ المُقْتَرِنُونَ فِي زَمَنٍ وَاحِدٍ.

ظَلَمُوا - بِالكُفْرِ وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ.

١٤ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

(جَعَلْنَاكُمْ) (خَلائِفَ)

(١٤) - ثُمَّ آسْتَخْلَفَكُمُ اللهُ تَعَالَى فِي الأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ السَّابِقِينَ، وَذٰلِكَ بِمَا آتَاكُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيا مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، فِي الدِّينِ والدُّنيا، لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَكُونُ أَعْمَالُكُمْ فِي خِلافَتِكُمْ، وَيَظْهَرُ مَا تَخْتَارُونَهُ لأَنْفُسِكُمْ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ عِصْيَانٍ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ سَبَقَكُمْ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: صَدَقَ اللهُ رَبُّنا، مَا جَعَلَنَا خُلَفَاءَ إِلَّا لِيَنْظُرَ إِلى أَعْمالِنا، فَأَرُوا اللهَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَيْراً بِاللَّيْلِ أَوِ النَّهارِ. وَفِي ذٰلِكَ إِيمَاءٌ إِلى أَنَّ الخِلافَةَ مَنُوطَةٌ بِالأَعْمَالِ لِكَيْلا يَغْتَرَّ النَّاسُ بِمَا سَيَنَالُونَهُ، وَيَظُنُّوا أَنَّهُ بَاقٍ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ بِمَنْجَاةٍ مِنْ مُقْتَضَى سُنَّةِ اللهِ فِي الظَّالِمِينَ.

(١٥) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(١٦) قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ

(آيَاتُنَا) (بيِّنَاتٍ) (بِقُرْآنٍ) (تِلْقَاءِ)

(١٥) - كَانَ كُفَّارُ قُرَيشٍ إذا قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ القُرآنَ عَلَيهِمْ قَالُوا لَهُ: ائْتِ بِقُرآنٍ غَير هٰذا أَوْ بَدِّلْهُ، وَضَعْ قُرآناً غَيرَهُ لَيْسَ فِيهِ مَا لا نُؤْمِنُ بِهِ مِنَ البَعْثِ، وَالجزاءِ عَلَى الأَعْمالِ، وَلاَ مَا نَكْرَهُهُ مِنْ ذَمٍّ لآلِهتِنا. وَرَدَّ اللهُ تَعالَى عَلَيْهِمْ آمِراً نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إنَّنِي عَبْدٌ مَأْمُورٌ، وَرَسُولٌ أُبَلِّغُ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ رَبِّي، وَأَتَّبِعُ أَوَامِرَهُ، وَلَيسَ مِنْ شَأنِي، وَلاَ مِمَّا تُجِيزُهُ لِي رِسَالَتِي، أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، وَإِنَّنِي أَخَافُ، إِنْ أَنَا عَصَيْتُ أَمْرَهُ، عَذَابَ يَوْمٍ شَدِيدِ الخَطَرِ وَالهَوْلِ.

(أَدْرَاكُمْ)

(١٦) - وَقُلْ لَهُمْ: إنَّنِي إنَّمَا جِئْتُكُمْ بِهٰذَا القُرْآنِ بِإِذْنِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ لاَ أَتْلُوَهُ عَلَيْكُمْ مَا تَلَوْتُهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ لاَ يُعْلِمَكُمْ بِهِ بِإِرْسَالِي إِلَيْكُمْ، لَمَا أَرْسَلَنِي، وَلَمَا أَدْرَاكُمْ بِهِ، وَلٰكِنَّهُ شَاءَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْكُمْ بِهٰذا العِلْمِ لِتَهْتَدُوا، وَتَكُونُوا خَلائِفَ فِي الأَرْضِ. فَقَدْ عِشْتُ فِيكُمْ وَبَيْنَكُمْ سِنِينَ طَوِيلَةً مِنْ عُمْرِي لَمْ أُبَلِّغْكُمْ خِلاَلَهَا شَيئاً، لأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ بِرِسَالَتِهِ، فَلَمَّا أَوْحَى إِلَيَّ، وَأَمَرَنِي بِأَنْ أُبَلِّغَكُمْ أَوَامِرَهُ فَعَلْتُ، أَلَيسَ لَكُمْ عُقُولٌ تُمَيِّزُونَ بِها بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ؟

(وَلَمَّا سَأَلَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ عَنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لا. فَقَالَ هِرَقْلُ: أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ لِيَكْذِبَ عَلَى اللهِ).

لاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ - لاَ أَعْلَمَكُمْ بِهِ بِوَاسِطَتِي.

(بِآيَاتِهِ)

(١٧) - لاَ أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً، وَلاَ أَشَدُّ إِجْراماً مِنْ رَجُلٍ تَقَوَّلَ عَلَى اللهِ، وَكَذَبَ عَلَيهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ، وَلاَ أَظْلَمَ مِنْ رَجُلٍ كَفَرَ بِاللهِ، وَكَذَّبَ بِمَا يَرَاهُ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رُسُلِهِ، وَلاَ يُفْلِحُ المُجْرِمُونَ الذِينَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنَ الدُّنيا كَافِرِينَ.

لاَ يُفْلِحُ المُجْرِمُونَ - لاَ يَفُوزُونَ بِمَطْلُوبٍ.

﴿١٨﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(شُفَعَاؤُنَا) (السَّمَاوَاتِ) (سُبْحَانَهُ) (وَتَعَالَى)

(١٨) - وهؤُلاءِ المُشْرِكُونَ الذِينَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً غَيْرَ اللهِ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ أَصْنامٌ مِنْ حِجارَةٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ إِنَّما يَعْبُدُونَها لِتَكُونَ شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، آسْأَلْهُمْ يَا مُحَمَّدُ: هَلْ تُخْبِرُونَ اللهَ بِشَرِيكٍ لَهُ لَا يَعْلَمُ اللهُ لَهُ وُجُوداً فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ مَلائِكَةٍ، وَفِي الأَرْضِ مِنْ خَواصِّ خَلْقِهِ؟ وَلَوْ كَانَ لَهُ شُفَعَاءُ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَهُ لَكَانَ هُوَ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْكُمْ، إِذْ لَا يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ.

ثُمَّ نَزَّهَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عَنْ شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ.

سُبْحَانَهُ - تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ آسْمُهُ تَعَالَى.

﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

(وَاحِدَةً)

(١٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الشِّرْكَ حَادِثٌ فِي النَّاسِ، كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّ النَّاسَ كَانُوا جَمِيعاً أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ، ثُمَّ وَقَعَ الاخْتِلافُ بَيْنَ النَّاسِ، وَعُبِدَتِ الأَصْنامُ وَالأَوْثَانُ وَالأَنْدادُ، فَبَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ بِآياتِهِ وَبَيِّنَاتِهِ وَحُجَجِهِ البَالِغَةِ، وَبَراهِينِهِ الدَّامِغَةِ، لِهِدايَتِهِمْ وَإِزالَةِ الاخْتِلافِ بَيْنَهُمْ، وَأَيَّدَ الرُّسُلَ بِكُتُبِهِ وَوَحْيِهِ، وَلَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحداً إِلَّا بَعْدَ قِيامِ الحُجَّةِ عَلَيهِ، وَأَنَّهُ أَجَّلَ الخَلْقَ إِلَى أَجَلٍ مَوْعُودٍ، هُوَ يَوْمُ القِيامَةِ، لَقَضَى بَيْنَهُمْ فِي الدُّنيا فِيمَا آخْتَلَفُوا فِيهِ، فَأَسْعَدَ المُؤْمِنِينَ، وَأَعْنَتَ الكَافِرِينَ.

﴿٢٠﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ

(آيَةٌ)

(٢٠) - وَيَقُولُ الكَافِرُونَ: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةٌ وَمُعْجِزَةٌ مِنْ رَبِّـهِ، كَمَا أُعْطِيَ المُرْسَلُونَ مِنْ قَبْلِهِ، كَأَنْ يُحَوِّلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَباً، أَوْ يُزِيحَ عَنْهُمْ جِبَالَ مَكَّةَ، وَيَجْعَلَ مَكَانَهَا بَسَاتِينَ وَأَنْهَاراً، أَوْ غَيرَ ذٰلِكَ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيهِ اللهُ. فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ الغَيْبَ وَالعَوَاقِبَ فِي الأُمُورِ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَرَوْا مَا سَأَلْتُمْ، فَآنْتَظِرُوا حُكْمَ اللهِ فِيَّ وَفِيكُمْ. وَلَوْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ آسْتِرْشَاداً وَتَثْبِيتاً لأَجَابَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا، وَلٰكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنَّما يَسْأَلُونَ عِناداً، فَلَوْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَا طَلَبُوهُ، ثُمَّ آسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ لأَهْلَكَهُمْ، كَمَا أَهْلَكَ مَنْ كَذَّبَ قَبْلَهُمْ، وَهُوَ تَعَالَى لَا يُرِيدُ إِهْلاكَهُمْ لأَمْرٍ آقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ.

٢١ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ

(آياتنا)

(٢١) - وإذا أنعم اللهُ تعالى على المُشركين بالفرج بعد الكرب، وبالرخاء بعد شدةٍ أصابتهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم. . ، لم يشكروا الله على أنه صرف عنهم الضرّ والبلاء، وبادروا إلى المكر السيِّىء، وقابلوا فضلَ اللهِ بالإمعانِ في الكفرِ والتكذيب بآياتِ اللهِ، فإذا كانتِ الرحمةُ مطراً أحيا الأرض، وأنبت الزرع بعد جدبٍ وقحطٍ، نسبوا ذلك إلى الكواكب والأنواء والأصنام، وإذا كانتْ نجاة من هلكةٍ، وأعوزهم معرفةُ عللها وأسبابها، عزوا ذلك إلى المصادفةِ، وإذا كان سببها دعاءَ نبيٍّ أنكروا إكرامَ اللهِ لنبيِّهِ.

فقل لهم يا محمد: إن الله أسرع منكم مكراً، وأشد آستدراكاً، وهو قادرٌ على إهلاكِكُم، وعلى تعجيلِ العقوبةِ لكم، ولكنّ كلمته تعالى سبقت بتأجيلِ حسابِ الناسِ حتى يومِ الحشرِ، الذي لا يعلم أحدٌ غيرُ اللهِ موعدَهُ.

وملائكةُ الرحمنِ الموكّلون بإحصاءِ أعمالِ العبادِ وتسجيلِها عليهم، يسجّلون ما تمكرون، وسيحاسبكم اللهُ على أعمالكم جميعها.

ضرَّاءَ مسَّتْهُمْ - نائبةٍ أصابتهم كالجوعِ والقحطِ.

لهُمْ مكْرٌ - دفعٌ وطعنٌ وآستهزاءٌ.

اللهُ أسْرعُ مكْراً - أسرعُ جزاءً وعقوبةً.

٢٢ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ

(لئِنْ) (الشّاكرين)

(٢٢) - والله تعالى هو الذي وهب الناسَ القدرةَ على السيرِ في البرِّ مشاةً وركباناً، وفي البحرِ بما سخّر لهم من السفنِ والمراكبِ (الفُلْك)، وهو الذي يحفظُهم ويكلؤُهم بعنايتِهِ ورعايتِهِ، حتى إذا كانوا في السفينةِ، وجرتْ بهم إلى غايتها بريحٍ طيّبةٍ مواتيةٍ، وفرحوا بسرعةِ سيرِها رافلين سعداءَ، فبينما هم كذلك إذ جاءتِ السفينةَ ريحٌ شديدةٌ عاصفةٌ، وأحاط بهم الموجُ من كلِّ جانبٍ، فظنوا أنّهم هالكون، فأخذوا يدعون اللهَ مخلصين له الدينَ لا يشركون به شيئاً، ولا يدعون معه صنماً ولا وثناً، ويفردونه بالدعاءِ والابتهالِ، ويقولون يا ربِّ إن أنجيتنا من الحالِ التي نحنُ فيها لنكوننّ من الشاكرين، ولنكوننّ من المخلصين في عبادتك، ولن نُشرك بك أحداً، كما أفردناك بالدعاء.

(٢٣) فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٢٤) إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

رِيحٌ عَاصِفٌ - رِيحٌ شَدِيدَةُ الهُبُوبِ.

أُحِيطَ بِهِم - أَحْدَقَ بِهِم الهَلاكُ.

(أَنْجاهُمْ) (يا أَيُّها) (مَتاعَ) (الْحَياةِ)

(٢٣) - فَلَمَّا أَنْجاهُمُ اللهُ تَعالَى مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ، مِنَ الشِّدَّةِ وَالكُرْبَةِ، نَقَضُوا عَهْدَهُمْ، وَعَادُوا إِلى مَا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، وَمُبَادَرَةِ النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالبَغْيِ وَالاعْتِدَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَيُخَاطِبُ تَعَالَى هٰؤلاءِ المُفْسِدِينَ الطُّغَاةَ وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا أَيُّها الغَافِلُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَمَا كَفَاكُمْ بَغْياً عَلَى المُسْتَضْعَفِينَ مِنْكُم اغْتِراراً بِقُوَّتِكُمْ؟ إِنَّكُمْ فِي الحَقِيقَةِ إِنَّما تَبْغُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لأَنَّ عَاقِبَةَ بَغْيِكُمْ وَوَبَالَهُ إِنَّما يَعُودانِ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّكُمْ إِنَّما تَتَمَتَّعُونَ بِبَغْيِكُمْ مُدَّةَ الحَيَاةِ الدُّنيا الزَّائِلَةِ، وَهِيَ تَنْقَضِي سَرِيعاً، وَالعِقَابُ عَلَى هذا البَغْيِ بَاقٍ ثُمَّ تَصِيرُونَ إِلى اللهِ فَيُخْبِرُكُمْ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيها أَوْفَى الجَزَاءِ. فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذٰلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ.

يَبْغُونَ - يَعْتَدُونَ وَيُفْسِدُونَ.

(الْحَياةِ) (أَنْزَلْناهُ) (وَالأَنْعامُ) (قادِرونَ) (أَتاها) (فَجَعَلْناها) (الآياتِ)

(٢٤) - ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً لِلْحَيَاةِ الدُّنْيا فِي جَمَالِها وَبَهْجَتِها، ثُمَّ فِي سُرْعَةِ فَنَائِها، بِالنَّبَاتِ الذِي أَخْرَجَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الأَرْضِ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَيهَا مِنَ المَطَرِ، مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ عَلَى اخْتِلافِ أَنواعِها وَأَصْنَافِها، وَمِمَّا تَأْكُلُ الحَيوانَاتُ (الأَنْعَامُ) حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زِينَتَها الفَانِيَةَ (زُخْرُفَها) وَازَّيَّنَتْ بِمَا خَرَجَ فِي رُبَاهَا مِنْ زُهُورٍ نَضِرَةٍ مُخْتَلِفَةِ الأَشْكَالِ وَالأَلوانِ، كَمَا تَتَزَيَّنُ العَرُوسُ لِيَلَةَ زِفَافِهَا، وَظَنَّ أَهْلُها، الذِينَ زَرَعُوها وَغَرَسُوها، أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى جِزازِهَا وَحِصَادِها، وَجَنْيِ ثِمَارِها، وَالتَّمَتُّعِ بِهَا، فَبَينما هُمْ يَأْمُلُونَ ذٰلِكَ إِذْ جَاءَتْها صَاعِقَةٌ، أَوْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ فَأَيْبَسَتْ أَوْرَاقَها، وَأَتْلَفَتْ ثِمَارَها، فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِيناً قَبْلَ ذلِكَ، وَهٰكَذا يُبَيِّنُ اللهُ الحُجَجَ وَالآياتِ، لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهٰذا المَثَلِ، فِي زَوَالِ الدُّنيا عَنْ أَهْلِها سَرِيعاً، مَعَ اغْتِرارِهِمْ بِهَا.

مَثَلُ الحَياةِ الدُّنْيا - حالُها فِي سُرْعَةِ زَوالِها وَانْقِضائِها.

زُخْرُفَهَا - نَضارَتَها وَبَهْجَتَها وَزِينَتَها بِأَلْوانِ النَّباتِ.

﴿٢٥﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

الحزب ٢٢

﴿٢٦﴾ ۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

﴿٢٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ

أمْرُنا ـ ما يَجْتَاحُها مِنَ الآفَاتِ وَالعَاهَاتِ.

حَصِيداً ـ كَالنَّبَاتِ المَحْصُودِ بِالمَنَاجِلِ.

كَأنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ـ كَأنَّها لَمْ تَكُنْ حِيناً قَبْلَ ذٰلِكَ.

(يَدْعُو) (السَّلَامِ) (صِرَاطٍ)

(٢٥) ـ لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الدُّنيا وَسُرْعَةَ زَوَالِها، رَغَّبَ فِي الجَنَّةِ، وَدَعَا إِلَيْها، وَسَمَّاهَا دَارَ السَّلامِ، لِسَلاَمَتِها مِنَ الآفَاتِ وَالنَّقَائِصِ وَالنَّكَبَاتِ، وَلِشُعُورِ مَنْ يَدْخُلُونَهَا بِالاطْمِئْنَانِ وَالسَّلاَمَةِ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلى الطَّرِيقِ المُوصِلِ إِلَيْهَا مِنْ أَقْصَرِ الطُّرُقِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمُ.

(أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢٦) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ اللهِ، وَيُحْسِنُونَ العَمَلَ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، سَيَكُونُ جَزَاؤُهُمُ الحُسْنَى مِنَ اللهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ (وَهَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ)، وَسَيُضَاعِفُ اللهُ لَهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ (وَزِيَادَةً)، وَسَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، وَسَيُعْطِيهِم مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾: (الحُسْنَى الجَنَّةُ. والزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ). وَلاَ يَغْشَى وُجُوهَهُمْ قَتَامٌ أَسْوَدُ، مِمَّا يَعْتَرِي وُجُوهَ الكَفَرَةِ، مِنَ القَتَرَةِ وَالغَبَرَةِ، وَلاَ يَلْحَقُ بِالمُؤْمِنِينَ صَغَارٌ وَلاَ هَوَانٌ وَلا ذِلَّةٌ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى يَصِفُ المُؤْمِنِينَ فِي آيةٍ أُخرَى: ﴿**فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ اليَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً**﴾[١].

لاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ ـ لاَ يَغْشَى وُجُوهَهُمْ وَلاَ يَعْلُوها.

قَتَرٌ ـ غُبَارٌ أَسْوَدُ.

ذِلَّةٌ ـ أَثَرُ هَوَانٍ.

(اللَّيْلِ) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢٧) ـ أَمَّا المُجْرِمُونَ الذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، فَإِنَّهُ تَعَالَى سَيَجْزِيهِمْ عَلَى السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا مِنْ عِقَابٍ فِي الآخِرَةِ، دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ مُضَاعَفَةٍ، وَتَعْتَرِيهِمْ (تَرْهَقُهُمْ) ذِلَّةٌ مِنْ مَعَاصِيهِمْ، وَيَعْلُوهُمْ

(١) سورة الإنسان الآية ١١.

أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

الخوفُ مِنْهَا، وَلَنْ يَجِدُوا، فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ، مَنْ يَعْصِمُهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ، وَتُصْبِحُ وُجُوهُهُمْ سُوداً مِنَ الغَمِّ وَالكَآبَةِ، كَأَنَّما عَلَتْها قِطَعٌ مِنْ ظَلامِ اللَّيْلِ الحَالِكِ، وَهٰؤُلاءِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ يَدْخُلُونَهَا وَيَخْلُدُونَ فِيها أَبَداً.

عَاصِمٍ - مَانِعٍ يَمْنَعُ سُخْطَهُ وَعَذابَهُ.

أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ - كُسِيَتْ وَأُلْبِسَتْ.

(٢٨) وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ

(٢٨) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ أَحْسَنُوا فِي الدُّنيا، وَلِمَنْ أَسَاؤُوا فِيها، أَهْوالَ يَوْمِ القِيَامَةِ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللهُ أَهْلَ الأَرْضِ جَمِيعاً، مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، وَمِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا: الزَمُوا أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ مَكَاناً مُعَيَّناً لاَ تَبْرَحُونَهُ حَتَّى تَنْظُرُوا مَا يُفْعَلُ بِكُمْ، وَيُفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شُرَكَائِكُمْ فِيمَا كَانَ سَبَبَ عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَالحُجَّةِ التِي يُدْلِي بِهَا كُلُّ فَرِيقٍ. ثُمَّ يُفَرِّقُ اللهُ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ، وَبَيْنَ مَنْ أَشْرَكُوهُمْ مَعَ اللهِ، وَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، لِتَقْطِيعِ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنيا مِنْ صِلاتٍ وَرَوابِطَ. وَقَالَ الشُّرَكَاءُ لِمَنْ أَشْرَكُوا: مَا كُنْتُمْ تَخُصُّونَنَا بِالعِبَادَةِ، وَإِنَّما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَهْوَاءَكُمْ وَشَيَاطِينَكُمْ.

مَكَانَكُمْ - الزَمُوا مَكَانَكُمْ.

فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ - فَفَرَّقْنا بَيْنَهُمْ، وَقَطَعْنا وَصْلَهُمْ.

(لَغَافِلِينَ)

(٢٩) فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ

(٢٩) - وَيُصِرُّ الشُّرَكَاءُ الذِينَ كَانَ المُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَشْعُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَلاَ يَعْلَمُونَ بِهَا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَنَا وَنَحْنُ لاَ نَدْرِي بِكُمْ، وَاللهُ شَهِيدٌ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ، إِنَّا مَا دَعَوْنَاكُمْ إِلى عِبَادَتِنا، وَلا أَمَرْنَاكُمْ بِهَا، وَلاَ رَضِينَا مِنْكُمْ بِذٰلِكَ. وَفِي هٰذا تَبْكِيتٌ عَظِيمٌ لِلَّذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ.

(تَبْلُو) (مَوْلاَهُمْ)

(٣٠) هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ

(٣٠) - فِي ذٰلِكَ المَوْقِفِ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَتَلْقَى جَزَاءَهُ، وَفِي هٰذا المَوْقِفِ المَهُولِ يُوقِنُ المُشْرِكُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَيَبْطُلُ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ، فَلا يَجِدُونَ أَحَداً يُنْقِذُهُمْ، أَوْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ.

تَبْلُو - تَخْتَبِرُ أَوْ تَعْلَمُ أَوْ تُعَايِنُ.

(الأَبْصَارَ) (أَمْ مَنْ)

(٣١) قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ

(٣١) - اسْأَلِ المُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ: مَنِ الذِي يُنْزِلُ المَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيَشُقُّ الأَرْضَ شَقّاً بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَيُخْرِجُ لَكُمُ الزُّرُوعَ وَالفَوَاكِهَ

ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ

وَالنَّبَاتَ مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ؟ وَمَنِ الذي وَهَبَكُمْ قُوَّةَ السمعِ وَالإبْصارِ، وَلَوْ شاءَ لَذَهَبَ بِها، وَلَسَلَبَكُمْ إِيَّاها؟ وَمَنْ هُوَ الذي يُخْرِجُ بِقُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ، وَمِنَّتِهِ الكُبْرى، الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، وَالمَيِّتَ مِنَ الحَيِّ؟ وَمَنْ هُوَ الذي يَتَوَلَّى تَدْبِيرَ أَمْرِ الخَلِيقَةِ جَمِيعاً بِما أَوْدَعَهُ فِي كُلٍّ مِنْها مِنَ السُّنَنِ، وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ وَالحاكِمُ المُطْلَقُ فِي الكَوْنِ كُلِّهِ، لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ؟ إِنَّهُمْ بلا شَكٍّ سَيَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ اللهُ وَحْدَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: أَفَلا تَخافُونَ عِقابَهُ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ آلِهَةً غَيْرَهُ؟

(٣٢) فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ

(الضَّلالُ)

(٣٢) - فَهذا، الذِي اعْتَرَفْتُمْ بِأَنَّهُ فاعِلُ كُلِّ ذلِكَ، هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلٰهُكُم الحَقُّ الثَّابِتُ بِذاتِهِ، المُحْيِي لِغَيْرِهِ، الذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَتَفَرَّدَ بِالعِبادَةِ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِواهُ باطِلٌ، وَمَنْ تَجاوَزَ الحَقَّ وَصَلَ إِلى الضَّلالِ. فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَحْدَهُ، وَهِيَ الهُدَى، إِلى عِبادَةِ الشُّرَكاءِ وَالوُسَطاءِ وَالأَنْدادِ وَهِيَ الضَّلالُ؟

رَبُّكُمُ الحَقُّ - الذِي ثَبَتَتْ رُبُوبِيَّتُهُ بِالحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ ثُبُوتاً لا رَيْبَ فِيهِ.
فَأَنَّى تُصْرَفُونَ - فَكَيْفَ تَسْتَجِيزُونَ العُدُولَ عَنِ الحَقِّ إِلى الكُفْرِ وَالضَّلالِ.

(٣٣) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(كَلِمَةُ)

(٣٣) - وَكَما حَقَّتْ كَلِمَةُ اللهِ بِوَحْدانِيَّتِهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالأُلُوهِيَّةِ، وَبِأَنَّ الحَقَّ لَيْسَ بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلالُ، لِمَنْ تَنَكَّبَ عَنْهُ، كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ اللهِ وَوَعِيدُهُ عَلَى الذِينَ خَرَجُوا مِنْ حَظِيرَةِ الحَقِّ، وَاسْتَمَرُّوا عَلى شِرْكِهِمْ وَعِبادَتِهِمْ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى، أَنَّهُمْ سَيَبْقَوْنَ أَشْقِياءَ لا يُؤْمِنُونَ بِما دَعَتْهُمْ إِلَيهِ الرُّسُلُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالإِيمانِ وَالهُدَى، مَهْما تَكُنِ الآيَةُ بَيِّنَةً، وَالحُجَّةُ ظاهِرَةً، لِأَنَّ اللهَ تَعالَى لا يَهْدِي إِلَى الحَقِّ إِلَّا مَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ.
حَقَّتْ - ثَبَتَتْ وَوَجَبَتْ.

(٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ

(شُرَكائِكُمْ) (يَبْدَأُ)

(٣٤) - قُلْ لَهُمْ يا أَيُّها الرَّسُولُ: هَلْ أَحَدٌ مِنْ شُرَكائِكُم الذِينَ عَبَدْتُمُوهُمْ مَعَ اللهِ، أَوْ مِنْ دُونِ اللهِ، مِنَ الأَصْنامِ وَالأَنْدادِ، مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْشِئَ الخَلْقَ ابْتِداءً، ثُمَّ يُعِيدُهُ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ فَنائِهِ؟ فَإِذا عَجَزُوا عَنِ الإِجابَةِ فَقُلْ لَهُمْ: اللهُ هُوَ الذِي أَنْشَأَ الخَلْقَ ابْتِداءً، وَهُوَ القادِرُ عَلى إِعادَتِهِ، لِأَنَّ الإِعادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الابْتِداءِ.

وَبِما أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ شُرَكاءَهُمْ لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنَ الخَلْقِ، وَلا

﴿٣٥﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

﴿٣٦﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ

﴿٣٧﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

إِعَادَةِ الخَلْقِ، فَقُلْ لَهُمْ كَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَهُوَ الحَقُّ وَالرَّشَادُ، إِلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَنْدَادِ وَهِيَ البَاطِلُ والضَّلَالَةُ؟

تُؤْفَكُونَ - تُصْرَفُونَ.

(شُرَكَائِكُمْ) (أَمْ مَنْ)

(٣٥) - وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَهْدِي الضَّالِينَ إِلَى الحَقِّ وَالرَّشَادِ، بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الهِدَايَةِ التِي تَتِمُّ بِهَا حِكْمَةُ الخَلْقِ، فَهَلْ مِنْ مَعْبُودَاتِكُمْ التِي جَعَلْتُمُوهَا شُرَكَاءَ للهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الهُدَى وَالضَّلَالِ، فَيُرْشِدُ غَيْرَهُ إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ؟ وَبِمَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ شُرَكَاءَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: مَنْ هُوَ الأَحَقُّ بِأَنْ يُتَّبَعَ: الذِي يَهْدِي الضَّالِّينَ، وَيَفْتَحُ عُيُونَ العُمْيِ لِيُبْصِرُوا الحَقَّ وَالآيَاتِ، أَمِ الذِي لَا يَسْتَطِيعُ هِدَايَةَ نَفْسِهِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَهْدِيَهُ غَيْرُهُ، فَمَا بَالُكُمْ تَضِلُّونَ؟ وَكَيْفَ سَوَّيْتُمْ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَعَدَلْتُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ إِلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ وَالأَنْدَادِ؟

لَا يَهْدِي - لَا يَهْتَدِي بِنَفْسِهِ.

(٣٦) - إِنَّ أَكْثَرَ المُشْرِكِينَ لا يَتَّبِعُونَ فِي شِرْكِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللهِ، وَلَا فِي إِنْكَارِهِمِ البَعْثَ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ، إِلَّا ضَرْباً مِنْ ضُرُوبِ الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ الذِي لا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيهِ (كَتَقْلِيدِ الآبَاءِ، وَالاعْتِقَادِ بِأَنَّ الآبَاءَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونوا عَلَى خَطإٍ وَضَلالٍ فِيمَا يَعْتَقِدُونَ وَفِيمَا يَعْمَلُونَ). وَلٰكِنَّ الظَّنَّ لا يَقُومُ مَقَامَ اليَقِينِ فِي شَيءٍ، وَلا يُنْتَفَعُ بِهِ حِينَ يَحْتَاجُ الأَمْرُ إِلَى يَقِينٍ.

وَقَلِيلٌ مِنْ هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ كَانَ يَعْلَمُ أَنّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ حَقٌّ، وَأَنَّ أَصْنَامَهُمْ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ، وَجَحَدُوا آيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ آسْتِكْبَاراً وَعِنَاداً.

وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ رُؤُوسُ الكُفْرِ وَأَتْبَاعُهُمُ الذِينَ يُقَلِّدُونَهُمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى ذٰلِكَ.

(الْقُرْآنُ) (الْكِتَابِ) (الْعَالَمِينَ)

(٣٧) - لَا يَصِحُّ وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يَفْتَرِيَ بَشَرٌ القُرْآنَ عَلَى اللهِ، وَيَنْسُبَهُ إِلَيْهِ. فَمَا فِي القُرْآنِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ، وَتَشْرِيعَاتٍ، وَعُلُومٍ بِالغَيْبِ، وَآدَابٍ آجْتِمَاعِيَّةٍ سَامِيَةٍ، وَأُسْلُوبٍ رَفِيعٍ فِي الصِّيَاغَةِ، هِيَ أَشْيَاءُ لَا يَقْدِرُ البَشَرُ أن يَأتِيَ بِمِثْلِهَا. وَقَدْ تَحَدَّاهُمُ اللهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا. وَإِذَا أَضَفْنَا إِلَى ذٰلِكَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ عُرِفَ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا بِالأَمِينِ فِي قَوْمِهِ، فَمَا كَانَ لِيَتْرُكَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى

اللهِ، لِذلِكَ لاَ بدَّ مِنَ القَوْلِ: إنَّ هذا القُرآنَ مُنَزَّلٌ وَحْياً مِنَ اللهِ عَلَى رَسُولِهِ، وَهُوَ مُصَدِّقٌ لما جَاءَ بِهِ الأنبياءُ السَّابِقُونَ، وَمُتَّفِقٌ مَعَهُ فِي الدَّعوةِ إلى الدِّينِ الحَقِّ، مِنَ الإِيمَانِ الكَامِلِ باللهِ وَحْدَهُ، وَباليومِ الآخِرِ، وَفِيهِ تَفْصِيلٌ لِمَا كُتِبَ مِنَ الشَّرائِعِ والأَحْكَامِ، وَكُلُّ ذلِكَ لا يَتْرُكُ مَجالاً لِعَاقِلٍ أَنْ يَرْتَابَ فيهِ، وَأَنْ يَشُكَّ فِي أَنَهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ.

(٣٨) أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

(افْتَراهُ) (صَادِقِينَ)

(٣٨) - وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا: إنَّ مُحَمَّداً آفْتَرى القُرآنَ وَنَسَبَهُ إلى اللهِ، فَإِذا كَانَ القُرآنُ مِنْ صُنْعِ مُحَمَّدٍ، فَأَنْتُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ تَصْنَعُوا مِثْلَهُ، لأَنَّ مُحَمَّداً مِنْكُمْ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَآدْعُوا جَمِيعَ مَنْ تَعْرِفُونَ، وَمَنْ تَسْتَطِيعُونَ دَعْوَتَهُمْ لِمُسَاعَدَتِكُمْ فِي ذَلِكَ. فَإِذا عَجَزْتُمْ عَنِ الإِتْيَانِ بِهذِهِ السُّورَةِ - وَأَنْتُمْ عَاجِزُونَ حَتْماً - فَاعْلَمُوا أَنَّ هذا القُرآنَ لَيسَ مِنْ صُنْعِ البَشَرِ، وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ يُفْتَرى عَلَى اللهِ.

(٣٩) بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ

(الظَّالِمِينَ) (عَاقِبَةُ)

(٣٩) - بَلْ سَارَعَ هؤُلاءِ المُشْرِكُونَ إلى تَكْذِيبِ القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ يَتَدَبَّرُوا مَا فِيهِ، وَيَقِفُوا عَلَى مَا آحْتَوَاهُ مِنَ الأَدِلَّةِ، وَالحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى سُمُوِّهِ وَكَمَالِهِ وَإِعْجَازِهِ، وَقَبْلَ أَنْ يَقِفُوا عَلَى تَفْسِيرِهِ وَبَيَانِ أَحْكَامِهِ بِسُؤَالِ غَيْرِهِمْ. وَقَدْ كَذَّبَ مِثْلَ هذا التَّكْذِيبِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الأُمَمِ السَّابِقَةِ، بِلاَ تَبَصُّرٍ وَلا تَدَبُّرٍ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَدَمَّرَهُمْ تَدْمِيراً، فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ، رَسُولَ رَبِّهِمْ، لِتَعْلَمَ مَصِيرَ مَنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ.

(٤٠) وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ

(٤٠) - وَمِنْ هؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ مَنْ سَيُؤمِنُ بِالقُرآنِ حِينَ يَفْهَمُ مَا جَاءَ فِيهِ، وَيَتَنَبَّهُ لِمَعَانِيهِ، بَعْدَ أَنْ سَعَوْا فِي مُعَارَضَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصِرُّ عَلَى الكُفْرِ وَيَسْتَمِرُّ عليهِ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ، بِالشِّرْكِ وَالظُّلْمِ وَالبَغْيِ لِفَقْدِهِمُ الاسْتِعْدادَ لِلإِيمَانِ، وَهؤُلاءِ سَيُعَذِّبُهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا، وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ، وَفِي الآخِرَةِ يُصْلِيهِمْ نَارَ جَهَنَّمَ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أبداً.

(٤١) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ

(بَرِيئُونَ)

(٤١) - وَإِنْ أَصَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِكَ، مَعَ وُضُوحِ الأَدِلَّةِ عَلَى صِدْقِكَ فِيمَا دَعَوْتَهُمْ إليهِ، فَقُلْ لَهُمْ: إنَّ لِي جزاءَ عَمَلِي، وَلَكُمْ أَنْتُمْ جَزاء

﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ

﴿٤٣﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ

﴿٤٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

﴿٤٥﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

أَعْمَالِكُمْ، وَلَنْ يَحمِلَ أَحَدٌ شَيئاً مِنْ وِزْرِ أَحَدٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ بَرِيءٌ مِنْ عَمَلِ الآخرِ، وَلا يُؤَاخَذُ أَحَدٌ بِعَمَلِ غَيْرِه.

(٤٢) - وَمِنَ المُكَذِّبِينَ أُنَاسٌ يُصِيخُونَ إِليكَ سَمْعَهُمْ إذا قَرأْتَ القُرآنَ، وبَيَّنْتَ مَا فِيهِ، وَلٰكِنَّهُمْ لا يُدْرِكُونَ مَعْنَى مَا يَسْمَعُونَ، فَهُمْ لاَ يَتَدَبَّرُونَ القَوْلَ، وَلاَ يَفْقَهُونَ مَا يُرادُ مِنْهُ، بَلْ هَمُّهُمْ أَنْ يَسْتَمِعُوا إلى غَرابَةِ نَظْمِهِ، وَإِلى جَرْسِ صَوْتِكَ بِتَرْتِيلِهِ. وَالسَّمَاعُ النَّافِعُ لِلْمُسْتَمِعِ هُوَ الذِي يَعْقِلُ بِهِ مَا يَسْمَعُهُ، وَيَفْقَهُهُ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَإِنْ فَقَدَ هَذا كَانَ كَالأَصَمِّ الذِي لاَ يَسْمَعُ.

وَكَمَا أَنَّكَ، أَيُّها الرَّسُولُ، لَمْ تُؤتَ القُدْرَةَ عَلَى إِسْمَاعِ الصُّمِّ الذِينَ فَقَدُوا حَاسَّةَ السَّمْعِ، فَكَذلِكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْتَ أَنْ تُسْمِعَ إِسْمَاعاً نَافِعاً، مَنْ هُمْ في حُكْمِهِمْ، وَهُمُ الذينَ لاَ يَعْقِلُونَ.

(٤٣) - وَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُ إِلَيْكَ نَظَرَهُ، وَلٰكِنَّهُ لاَ يُبْصِرُ مَا آتاكَ اللهُ مِنْ نُورِ الإِيمَانِ، وَالخُلُقِ العَظِيمِ، وَالدَّلاَلةِ القَاطِعَةِ عَلَى نُبُوَّتِكَ. وَكَمَا أَنَّكَ أَيُّها الرَّسُولُ لا تَقْدِرُ عَلى هِدَايَةِ العُمْيِ بِدَلاَئِلِ البَصَرِ الحِسِّيَّةِ، كَذلِكَ فَإِنَّكَ لا تَقْدِرُ عَلى هِدَايَتِهِمْ بِالدَّلائِلِ العَقْلِيّةِ، إذا كَانُوا فَاقِدِينَ لِنِعْمَةِ البَصِيرَةِ التي تُدْرِكُها.

يَنْظُرُ إِلَيْكَ - يُعَايِنُ دَلاَئِلَ نُبُوَّتِكَ.

(٤٤) - وَلَمْ يَكُنْ مِنْ سُنَنِ اللهِ في خَلْقِهِ، أَنْ يُنْقِصَهُمْ شَيْئاً مِنَ الأَسْبَابِ التِي يَهْتَدُونَ بِاسْتِعْمَالِها إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ، مِنْ إدراكٍ وَإِرْشَادٍ إِلَى الحَقِّ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَنَصْبِ الأَدِلَّةِ التِي تُوصِلُهُمْ إِلى سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ. وَلٰكِنَّ النَّاسَ يَتَنَكَّبُونَ عَنْ طَرِيقِ الهِدَايَةِ وَالحَقِّ، وَيُصِرُّونَ عَلَى الكُفْرِ بِاللهِ، والإِشراكِ بِهِ، فَيَظْلِمُونَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ، لأَنَّ كُفْرَهُمْ سَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلى نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللهُ تَعَالى قَدْ أَعْذَرَ إليهم، وَبَيَّنَ لَهُمُ الدَّلاَئِلَ وَالحُجَجَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِهِدَايَتِهِمْ، وَلِذَلِكَ فإنهُ تَعَالى لا يَكُونُ قَدْ ظَلَمَ النَّاسَ شَيئاً.

(٤٥) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ بِتَفَاهَةِ الحَيَاةِ الدُّنْيا، وَبِقِصَرِ مُدَّتِها، وَبِسُرْعَةِ زَوالِهَا، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ يُخْرِجُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَمْوَاتَ مِنْ قُبُورِهِمْ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا فِي قُبُورِهِمْ إلا سَاعَةً مِنْ نَهارٍ (أَوْ أَنَّ حَيَاتَهُمْ فِي الدُّنيا لَمْ تَكُنْ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهارٍ)، وَيَتَعارَفُ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَيَعْرِفُ الأَبْنَاءُ الآبَاءَ، وَيَعْرِفُ الآبَاءُ الأَبناءَ، وَيَعْرِفُ الأَقْرِبَاءُ بَعْضُهُـمْ بَعْضَاً، كَمَا كَانُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا، وَلٰكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَشْغُولٌ بِنَفسِهِ. وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُدْرِكُ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ،

﴿٤٦﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ

﴿٤٧﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

﴿٥٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ

وَآثَرُوا الحَيَاةَ الدُّنيا، القَصِيرَةَ المُنَغَّصَةَ بالأكْدارِ، عَلَى الحَيَاةِ الأبَدِيَّةِ، بِمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ، أنَّهُمْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ حِينَ يَرَوْنَ مَا صَارَتْ إليهِ أُمُورُهُمْ فِي جَهَنَّم، وَأَنَّهُمْ خَسِرُوا أَهْلِيهِمْ، إذْ فُرِّقَ بَيْنَهُمْ.

(٤٦) إنْ أَرَاكَ اللهُ تَعالَى بَعْضَ مَا يَعِدُهُمْ مِنَ العِقَابِ وَالخِذْلانِ فِي الدُّنْيا، فَذلِكَ ما يَسْتَحِقُّونَهُ، وَهُمْ لَهُ أَهْلٌ، (وَقَدْ أَرَى اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ فِي بَدْرٍ قَتْلَ رُؤُوسِ الكُفْرِ، وَأَسْرَهُمْ وَهَزِيمَتَهُمْ) وَإنْ تَوَفَّاكَ اللهُ قَبْلَ أَنْ تَرَى فِيهِمْ ذلِكَ فَمَصِيرُهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ إلى اللهِ، وَسَيَلْقَوْنَ فِي الآخِرَةِ مِنْ صِدْقِ الجَزَاءِ مَا يَعْلَمُونَ بِهِ صِدْقَ وَعِيدِهِ، وَاللهُ شَاهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ، فَيَجْزِيهِمْ عَلَيهِ عَلَى عِلْمٍ، وَشَهَادَةِ حَقٍّ.

(٤٧) - مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ رَسُولاً مِنْهَا لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ: مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، وَمِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ الذي يُنْجِيهِمْ مِنَ العِقَابِ فِي الآخِرَةِ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي مُخَالَفَتِهِ، وَيَوْمَ الحِسَابِ في الآخِرَةِ يَأْتِي كُلُّ رَسُولٍ لِيَشْهَدَ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَعَلى مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ رِسَالَتَهُ، فَيَحْكُمُ اللهُ بَيْنَهُمْ بِالعَدْلِ التَّامِّ، فَلا يَظْلِمُ أَحَداً شَيْئاً مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ.

بِالقِسْطِ - بِالعَدْلِ.

(صَادِقِينَ)

(٤٨) - وَيُمْعِنُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ فِي تَكْذِيبِهِمْ بِاليَوْمِ الآخِرِ، فَيَسْتَعْجِلُونَ بِهِ سَاخِرِينَ مُتَهَكِّمِينَ، وَيَقُولُونَ: مَتى يَكُونُ هَذَا الذي تَعِدُنَا بِهِ مِنَ العَذَابِ، إنْ كُنْتَ يا مُحَمَّدُ وَأَصْحَابُكَ صَادِقِينَ فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنْ حَشْرٍ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ؟

(يَسْتَأْخِرُونَ)

(٤٩) - قُلْ لِهؤُلاءِ المُسْتَعْجِلِينَ بالعَذَابِ: إنِّي بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً، وَلا أَمْلِكُ إِنْزَالَ العَذَابِ بالكُفَّارِ المُعَانِدِينَ، ولا تَحْقِيقَ النَّصْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، والقَادِرُ عَلى ذَلِكَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، يُحَقِّقُهُ مَتى شَاءَ، ولِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ، فإذا جَاءَ الأَجَلُ فَلا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يُقَدِّمَهُ أَوْ يُؤَخِّرَهُ سَاعَةً عَنِ الوَقْتِ الذي حَدَّدَهُ اللهُ لَهَا.

(أَرَأَيْتُمْ) (أَتَاكُمْ) (بَيَاتاً)

(٥٠) - قُلْ أَيُّها الرَّسُولُ الكَرِيمُ لِهؤُلاءِ المُسْتَعْجِلِينَ بِالعَذَابِ: أَخْبِرُونِي عن حَالِكُمْ، وَمَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَفْعَلُوهُ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ الذي تَسْتَعْجِلُونَهُ، فِي وَقْتِ مَبِيتِكُمْ بالليلِ، أَوْ وَقتِ اشْتِغَالِكُمْ بِلَهْوِكُمْ

﴿٥١﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ

﴿٥٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ

ربع الحزب ٢٢

﴿٥٣﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ

﴿٥٤﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

وَلَعِبِكُمْ وَأُمُورِ مَعَايِشِكُمْ نَهاراً؟ وَأَيَّ عَذابٍ يَسْتَعْجِلُ بِهِ هٰؤُلاءِ المُجْرِمُونَ المُكَذِّبونَ؟ أَهُوَ عَذابُ الدُّنْيا أَمْ عَذابُ يَوْمِ القِيامَةِ؟ وَآسْتِعْجالُهُمْ بِالعَذابِ أَيّاً كانَ فَهُوَ جَهالَةٌ.

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي عَنْ حالِكُمْ أَوْ عَنْ عَذابِ اللهِ.

بَياتاً - وَقْتَ البَياتِ أَيْ لَيْلاً.

(آمَنْتُمْ) (آلآنَ)

(٥١) - وَحِينَ يَقَعُ العَذابُ يُعْلِنُونَ إِيمانَهُمْ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا، كَما جاءَ فِي آيَةٍ أُخْرى[1].

وَيُقَرِّعُهُمُ اللهُ تَعالَى عَلى مَسْلَكِهِمْ هٰذا فَيَقُولُ لَهُمْ: آآمَنْتُمْ بِهِ الآنَ حِينَما وَقَعَ، وَكُنْتُمْ قَبْلاً تُكَذِّبُونَ بِهِ، وَتَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ؟

الآنَ - الآنَ تُؤْمِنُونَ بِوُقُوعِ العَذابِ.

(٥٢) - وَيَوْمَ القِيامَةِ يُقالُ لِهٰؤُلاءِ الذِينَ رَأَوا العَذابَ فَآمَنُوا: ذُوقُوا عَذاباً تَخْلُدُونَ فِيهِ، وَهُوَ جَزاءٌ وِفاقٌ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرونَ، وَتَكْسِبُونَ مِنْ ظُلْمٍ، وَفَسادٍ فِي الأَرْضِ.

(٥٣) - وَيَسْتَخْبِرُكَ الكافِرُونَ الذِينَ تَعِدُهُمْ بِالعَذابِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَأَنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ مِنَ الأَمْواتِ لِيُحاسِبَهُمْ عَلى أَعْمالِهِمْ، أَحَقّاً سَيَقَعُ ذٰلِكَ، أَمْ أَنَّهُ إِرْهابٌ وَتَخْوِيفٌ؟ وَهُمْ يَقُولُونَ ذٰلِكَ عَلى سَبِيلِ الإِنْكارِ وَالاسْتِهْزاءِ، فَقُلْ لَهُمْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ، وَلَيْسَ فِي صَيْرُورَتِكُمْ تُراباً ما يُعْجِزُ اللهَ عَنْ إِعادَتِكُمْ كَما بَدَأَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنَ العَدَمِ، وَلَيْسَ فِي ذٰلِكَ البَعْثِ ما يُعْجِزُ اللهَ.

وَيَسْتَنْبِئُونَكَ - وَيَسْتَخْبِرُونَكَ مُسْتَهْزِئِينَ عَنِ العَذابِ.

إِي وَرَبِّي - نَعَمْ وَرَبِّي.

وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ - وَما أَنْتُمْ فائِتِينَ مِنْ عَذابِ اللهِ بِالهَرَبِ.

(٥٤) - وَحِينَ تَقُومُ السّاعَةُ، وَيُحْشَرُ الكافِرُونَ إِلَى اللهِ، يُدْرِكُونَ، حِينَ يَرَوْنَ العَذابَ، أَنَّهُمْ صائِرُونَ إِلَيْهِ لا مَحالَةَ، حِينَئِذٍ تَتَمَنّى كُلُّ نَفْسٍ ظالِمَةٍ لَوْ أَنَّها تَمْلِكُ جَمِيعَ ما فِي الأَرْضِ لِتُقَدِّمَهُ فِداءً لَها مِنَ العَذابِ، وَلٰكِنْ أَنّى لَها ذٰلِكَ.

وَحِينَئِذٍ تَتَرَدَّدُ النَّدامَةُ وَالحَسْرَةُ فِي سَرائِرِ المُجْرِمِينَ الظّالِمِينَ، عَلى ما فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، وَما كَفَرُوا بِآياتِهِ. وَيَقْضِي اللهُ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ بَيْنَ العِبادِ، بِالعَدْلِ وَالقِسْطِ وَلا يَظْلِمُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ شَيْئاً.

أَسَرُّوا النَّدامَةَ - أَخْفَوا الغَمَّ وَالحَسْرَةَ.

---

(١) الآية ١٢ من سورة السجدة.

٥٥ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(السَّماوَاتِ)

(٥٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَأَنَّ وَعْدَهُ حَقٌّ كَائِنٌ لاَ مَحَالَةَ، وَأَنَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيهِ يَرْجِعُ النَّاسُ جَمِيعاً، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ لاَ يَمْلِكُونَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ شَيئاً يَفْتَدُونَ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

٥٦ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(يُحْيِي)

(٥٦) - وَأَنَّهُ القَادِرُ عَلَى خَلْقِ الحَيَاةِ، وَعَلَى إِعْدَامِهَا، وَهُوَ العَلِيمُ بِمَا تَفَرَّقَ مِنَ الأَجْسَامِ، وَتَمَزَّقَ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ وَالبِحَارِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الخَلْقُ حِينَ يَبْعَثُهُمْ وَيَحْشُرُهُمْ لِلْحِسَابِ.

٥٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

٥٨ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

(يَا أَيُّهَا)

(٥٧) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِإِنْزَالِهِ القُرْآنَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَفِيهِ زَاجِرٌ عَنِ الغَيِّ، وَعَنِ الفَوَاحِشِ، وَفِيهِ شِفَاءٌ لِلصُّدُورِ مِنَ الشُّكُوكِ وَالرِّيَبِ، وَالقُرْآنُ يَهْدِي المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَأْخُذُونَ بِهِ، وَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى إِدْخَالِهِمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ.

(٥٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يُبَلِّغَ المُؤْمِنِينَ، بِأَنَّهُ يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَفْرَحُوا بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَبِنِعْمَةِ الإِيمَانِ، وَبِالرَّحْمَةِ الخَاصَّةِ بِهِمْ، وَبِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الهُدَى وَدِينِ الحَقِّ، فَذَلِكَ أَوْلَى بِهِمْ أَنْ يَفْرَحُوا بِهِ، وَهُوَ خَيرٌ مِمَّا يَجْمَعُهُ النَّاسُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيا الزَّائِلَةِ الفَانِيَةِ.

٥٩ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ

(أَرَأَيْتُمْ) (وَحَلالاً) (آللهُ)

(٥٩) - نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، إِنْكَاراً عَلَى المُشْرِكِينَ، فِيمَا كَانُوا يُحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَهُ، مِنَ البَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَالوَصَائِلِ، وَقَدْ أَنْكَرَ اللهُ تَعَالَى فِعْلَ مَنْ حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَفِعْلَ مَنْ أَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللهُ، بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالهَوَى، وَلاَ مُسْتَنَدَ لَهُ عَلَيهِ، وَلاَ دَلِيلَ، لأَنَّ حَقَّ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ لاَ يَكُونُ إِلاَّ للهِ. وَيَسْأَلُهُم اللهُ تَعَالَى عَمَّنْ أَذِنَ لَهُمْ بِهِ؟ هَلْ جَاءَهُمْ بِهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ، أَمْ أَنَّهُمْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ؟ وَبِمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهِ فَهُمْ مُفْتَرُونَ.

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِكُمْ.

أَذِنَ لَكُمْ - أَعْلَمَكُمْ بِهَذَا التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ.

يفتَرُونَ - يَكْذِبُونَ فِي نِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيهِ تَعَالَى.

٦٠ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ

(الْقِيَامَة)

(٦٠) - أيُّ شيءٍ يَكُونُ ظَنُّهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، الذِي تُجزَى فيهِ كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسبَتْ؟ أيظُنُونَ أنَّهُمْ يُتركُونَ بلا عِقابٍ عَلَى جَرِيمَةِ ٱفْتِراءِ الكَذِبِ عَلى اللهِ، وَتَعمُّدِهِ فِيمَا هُوَ خَاصٌّ بِرُبُوبِيَّتِهِ؟ واللهُ ذُو فَضْلٍ عَلى النَّاسِ فِي كُلِّ ما خلَقَهُ لَهُمْ مِنْ أرزَاقٍ، وَكُلِّ مَا شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الدِّينِ، وَمِنْ ذلِكَ أنَّهُ جعَلَ الأَصْلَ فِيما أنْزَلَهُ إِليهِمْ مِنَ الرِّزْقِ الإِبَاحَةَ، وَهُوَ تَعالَى لَمْ يُحرِّمْ عَليهِمْ إلاّ مَا كَانَ ضَارّاً بهِمْ، وَحَصرَ مُحرَّمَاتِ الطَّعَامِ فِي أمُورٍ مُعَيَّنَةٍ. وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ اللهَ عَلَى هٰذِهِ النِّعَمِ وَالأفْضَالِ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: إذا آتاكَ اللهُ مالاً فَلْيُرَ أثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ). (رَواهُ الإمامُ أحْمَدُ).

٦١ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ

(تَتْلُو) (قُرْآنٍ) (كِتَاب)

(٦١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى بأنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أحْوالِ رَسُولهِ وأُمُورِهِ، سَوَاءٌ مِنْهَا مَا هُوَ خاصٌّ بِهِ، أوْ مَا هُوَ مُتَعلِّقٌ بِشُؤُونِ الدَّعْوَةِ، وأنَّهُ لاَ يَتْلُو مِنْ أجْلِ ذلِكَ مِنْ قُرآنٍ أنْزَلَهُ عَلَيهِ اللهُ تَعَبُّداً وتَهجُّداً به، أوْ تَبْليغاً لَهُ للنَّاسِ، وَلا يَقُومُ أحَدٌ مِنَ النَّاسِ، مِنَ المُؤْمنِينَ وَغَيْرِهِمْ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ أوْ غَيْرِ صَالِحٍ، كَبيرٍ أوْ صَغِيرٍ، إلاَّ كَانَ اللهُ تَعالَى رَقيباً عَلَيهِمْ فَيَحفَظُهُ لَهُمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِهِ، وَأنَّهُ تَعالَى لاَ يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ صَغُرَ أوْ كَبُرَ حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، أوْ أدْنى مِنْ ذلِكَ، فَكُلُّ شَيءٍ مُحْصًى عِنْدَهُ فِي كِتابٍ مُبِينٍ.

تَكُونُ فِي شَأْنٍ - فِي أمرٍ هَامٍ مُعْتَنًى بِهِ.

تُفِيضُونَ فِيهِ - تَشْرَعُونَ وَتَخوضُونَ فِيهِ.

مَا يَعْزُبُ - ما يَبعُدُ - وما يَغيبُ.

مِثْقَالِ ذَرَّةٍ - وَزنِ ذَرَّةٍ.

٦٢ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ

(٦٢) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أنَّ أوْلِيَاءَهُ، وَهُمُ الذِينَ آمَنُوا وَٱتَّقَوْا وَأخْلَصُوا العِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، وَالتَّوكُلَ عَليهِ، لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أهْوَالِ الآخِرَةِ، وَلاَ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيا.

٦٣ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ

(آمَنُوا)

(٦٣) - وَيَقُولُ تَعالَى مُعَرِّفاً (أوْلِيَاءَ اللهِ): بأنَّهُمُ الذِينَ آمَنُوا باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَيُرَاقِبُونَهُ فِي سِرِّهِمْ وَعَلاَنِيَتِهِمْ، فَلاَ يَقُومُونَ إلاَّ بِمَا يُرْضِي اللهَ رَبَّهُمْ.

﴿٦٤﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(الْحَياةِ) (الآخِرَةِ) (لِكَلِمَاتِ)

(٦٤) - وَهُؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ المُتَّقُونَ، لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا بِالنَّصْرِ وَالعِزَّةِ، وَبِإِلْهَامِهِم الحَقَّ وَالخَيْرَ، وَبالاسْتِخْلافِ فِي الأَرْضِ مَا أَقَامُوا شَرْعَ اللهِ، وَنَصَرُوا دِينَهُ الحَقَّ، وَأَعْلَوْا كَلِمَتَهُ (وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنيا هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ، أَوْ تُرَى لَهُ، وَهِيَ فِي الآخِرَةِ الجَنَّةُ) (رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عن رسول الله ﷺ). وَهٰذا وَعْدٌ مِنَ اللهِ لا يُبَدَّلُ (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ)، وَلا يُغَيَّرُ وَلا يُخْلَفُ، بَلْ مُقَرَّرٌ ثَابِتٌ كَائِنٌ لا مَحَالَةَ. وَهٰذِهِ البُشْرَى بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ هِيَ الفَوْزُ العَظِيمُ.

﴿٦٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(٦٥) - يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: لَا يَحْزُنْكَ مَا يَقُولُهُ المُشْرِكُونَ بِحَقِّكَ، وَلَا تَهْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَيْهِمْ، وَتَوَكَّلْ عَلَيهِ، فَإِنَّ العِزَّةَ وَالقَهْرَ وَالغَلَبَةَ للهِ وَحْدَهُ، وَلا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ شَيْئاً مِنْهَا، وَهُوَ يَهَبُهَا لِمَنْ يَشَاءُ، وَقَدْ وَعَدَ بها رُسُلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُونَهُ مِنْ تَكْذِيبِ الحَقِّ، وَهُوَ العَلِيمُ بِمَا يَفْعَلُونَ مِنْ إِيذَاءٍ وَكَيْدٍ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ أَوْفَى الجَزَاءِ.

إِنَّ العِزَّةَ للهِ - إِنَّ القَهْرَ وَالغَلَبَةَ للهِ تَعَالَى فِي مُلْكِهِ.

﴿٦٦﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

(السَّمَاوَاتِ)

(٦٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَأَنَّ مَنْ فِيهِمَا عَبِيدٌ لَهُ، وَهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيءٍ، وَلَا مَالِكَ لِشَيءٍ سِوَاهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهاً مَعْبُوداً مَا يَعْبُدُهُ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ مِنَ الأَوْثَانِ وَالأَصْنَامِ؟ وَهٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ الذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ، وَيَدْعُونَهُمْ فِي الشَّدَائِدِ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيهِمْ بِالقَرَابِينِ، لا يَتَّبِعُونَ شُرَكَاءَ للهِ، لأَنَّهُ تَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ فِي الحَقِيقَةِ فِيمَا يَقُولُونَهُ إِلا الظَّنَّ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ هٰؤُلاءِ أَوْلِيَاءُ اللهِ، وَشُفَعَاءُ عِنْدَهُ، وَوُسَطَاءُ لَدَيْهِ، وَهُمْ فِي اتِّبَاعِ الظَّنِّ لَيْسُوا إِلا مُتَخَرِّصِينَ يَقُولُونَ بِغَيرِ عِلْمٍ.

التَّخَرُّصُ - التَّقْدِيرُ لِلشَّيءِ الذِي لا يَجْرِي عَلَى قِيَاسٍ، كَتَقْدِيرِ مَا عَلَى الشَّجَرَةِ مِنْ ثِمَارٍ.

﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

(اللَّيْلَ) (لآيَاتٍ)

(٦٧) - وَاللهُ هُوَ الذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِيَسْكُنَ فِيهِ النَّاسُ، وَيَسْتَرِيحُوا فِيهِ مِنْ نَصَبِهِمْ وَتَعَبِهِمْ، وَجَعَلَ لَهُمُ النَّهَارَ مُضِيئاً (مُبْصِراً) يَسْتَطِيعُونَ الإِبْصَارَ فِيهِ لِيَسْعَوْا فِي تَأْمِينِ رِزْقِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، وَقَضَاءِ مَصَالِحِهِمْ، وَفِي ذٰلِكَ الاخْتِلافِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبَيْنَ أَحْوَالِ النَّاسِ فِيهِمَا، لآيَاتٍ

(٦٨) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(٦٩) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ

(٧٠) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

نصف الحزب ٢٢

(٧١) ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ

وبَراهِينُ عَلَى وُجودِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ وعَظَمَتِهِ، لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ما يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِن التَّذكِيرِ بِحِكْمَتِهِ، فيَعتبِرُونَ بِهَا، وَيَسْتدِلُّونَ بِهَا عَلَى عَظَمَةِ الخَالِقِ.

(سُبْحَانَهُ) (السَّمَاوَاتِ) (سُلْطَانٍ)

(٦٨) ـ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى مُنْكِراً عَلَى مَنْ آدَّعَى أَنَّ للهِ وَلَداً: إِنَّهُ تَقَدَّسَ آسْمُهُ وَتَنَزَّهَ غَنِيٌّ عَمَّنْ سِواهُ، وَكُلُّ شَيءٍ فَقِيرٌ إِليهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ مِمَّا خَلَقَ، وَكُلُّ شيءٍ مَمْلُوكٌ لَهُ وَعَبْدٌ؟ ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: لَيْسَ لَدَيْكُمْ أَيُّهَا المُتَخَرِّصُونَ المُفْتَرُونَ مِنْ دَليلٍ (سُلْطَانٍ)، عَلَى مَا تَقُولُونَ مِنْ كَذِبٍ وَبُهْتَانٍ. ثُمَّ يَسْتَنْكِرُ تَعَالَى قَوْلَ مَنْ يَقُولُونَ بِلا عِلْمٍ، وَلا بَيِّنَةٍ يُؤَيِّدُونَ بِهَا صِحَّةَ قَوْلِهِمْ (إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)، فَكَيْفَ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ قَوْلاً لا تَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ وَتَنْسُبُونَهُ إِليهِ؟

مِنْ سُلْطَانٍ ـ مِنْ حُجَّةٍ أَوْ بُرْهَانٍ أَوْ دَلِيلٍ.

سُبْحَانَهُ ـ تَنَزَّهَ آسْمُهُ وَتَقَدَّسَ.

(٦٩) ـ وَيَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى المُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ، مِمَّنْ زَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَداً أَوْ شُرَكَاءَ، بِأَنَّهُمْ لا يُفْلِحُونَ فِي الدُّنيا، لأَنَّهُ تَعَالَى إِذا مَتَّعَهُمْ فِي الدُّنيا قَلِيلاً فَإِنَّهُ يَسْتَدْرِجُهُمْ بِذلِكَ، ثُمَّ يَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ، كَمَا أَنَّهُمْ لا يُفْلِحُونَ فِي الآخِرَةِ لأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ وَقُودَ جَهَنَّمَ.

(مَتَاعٌ)

(٧٠) ـ إِنَّهُمْ يَتَمَتَّعُونَ فِي الدُّنيا الفَانِيَةِ، وَمَتَاعُهُمْ فِيها قَليلٌ حَقِيرٌ، مُدَّةَ حَيَاتِهِم القَصِيرةِ فِي الدُّنيا، ثُمَّ يُرْجَعُونَ إِلى اللهِ فَيُذِيقُهُمْ فِي الآخِرَةِ العَذَابَ الشَّدِيدَ المُؤْلِمَ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَافْتِرائِهِمْ عَلَى اللهِ الكَذِبَ فِيما آدَّعَوا مِنَ الإِفْكِ وَالبُهْتَانِ.

(يَا قَوْمِ) (بِآيَاتِ)

(٧١) ـ يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلاقِيهِ مِنْ إِيذاءِ قَوْمِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِما يَقُصُّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ. وَيَبْدأُ تَعَالَى بِقِصَّةِ نُوحٍ عليهِ السَّلامُ، فَيَقُولُ تَعَالَى: أَخْبِرْ يَا مُحَمَّدُ كُفَّارَ مَكَّةَ الذِينَ يُكَذِّبُونَكَ خَبَرَ نُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ الذِينَ كَذَّبُوهُ، كَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَدَمَّرَهُمْ بِالغَرَقِ أَجْمَعِينَ، وَلْيَحْذَرْ هؤُلاءِ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنَ البَلاءِ وَالهَلاكِ وَالدَّمارِ ما أَصَابَ أُولئِكَ.

لَقَدْ قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ ثَقُلَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَكُمْ (كَبُرَ)، وَإِنْ شَقَّ عَلَيْكُمْ تَذْكِيري إِيَّاكُمْ بِآيَاتِ اللهِ، وَحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ، فَإِنِّي قَدْ وَكَّلْتُ أَمْري إِلى اللهِ الذِي أَرْسَلَنِي، وَآعْتَمَدْتُ عَلَيهِ وَحْدَهُ، وَإِنِّي لا أُبَالِي بِكُمْ،

(٧٢) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(٧٣) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ

(٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ

(٧٥) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

وَلاَ أَكُفُّ عَنْكُمْ، سَواءٌ عَظُمَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي أَوْ لاَ، فَاجْتَمِعُوا أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ، مِنَ الأَصْنَامِ الذِينَ تَدْعُونَهُمْ، وَلاَ تَتْرُكُوا أَمْرَكُمْ مُلْتَبِساً عَلَيْكُمْ (غُمَّةً)، بَلْ كُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْهُ، لِكَيْلا تَتَحَوَّلُوا عَنْهُ، وَافْصِلُوا أَمْرَكُمْ مَعِي، فَإِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ مُحِقُّونَ فَاقْضُوا إِلَيَّ، وَافْعَلُوا مَا تَسْتَطِيعُونَ، وَلا تُؤَخِّرُونِي سَاعَةً وَاحِدَةً (ولا تُنظِرُونِ).

كَبُرَ عَلَيْكُمْ - عَظُمَ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ.

مَقَامِي - إِقَامَتِي بَيْنَكُمْ دَهْراً طَوِيلاً.

فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ - اعزمُوا وَصَمِّمُوا عَلَى كَيْدِكُمْ.

وَشُرَكَاءَكُمْ - مَعَ شُرَكَائِكُمْ.

غُمَّةً - ضِيقاً شَدِيداً، أَوْ مُلْتَبِساً مُبْهَماً.

(٧٢) - فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ تَذْكِيرِي، وَأَدْبَرْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ (تَوَلَّيْتُمْ)، فَلاَ يَضُرُّنِي ذٰلِكَ لأَنَّنِي لَمْ أَطْلُبْ مِنْكُمْ أَجْراً عَلى نُصْحِي لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ الأَجْرَ مِنَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ الذِي أَمَرَنِي بِأَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ، المُؤْمِنِينَ العَابِدِينَ القَائِمِينَ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ.

(فَنَجَّيْنَاهُ) (وَجَعَلْنَاهُمْ) (خَلائِفَ) (بِآيَاتِنَا) (عَاقِبَةُ)

(٧٣) - فَلَمَّا أَصَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِ، بَعْدَ أَنْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ، نَجَّى اللهُ نُوحاً وَالمُؤْمِنِينَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، وَجَعَلَهُمْ خُلَفَاءَ يَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَوارَثُونَ الإِيمَانَ بِاللهِ، وَأَغْرَقَ اللهُ تَعَالَى الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَآيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ هٰؤُلاءِ الذِينَ جَاءَهُمُ النَّذِيرُ مِنْ رَبِّهِمْ، فَاسْتَخَفُّوا بِهِ.

جَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ - خُلَفَاءَ يَخْلُفُونَ الأُمَمَ التِي أَهْلَكَهَا اللهُ.

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٧٤) - ثُمَّ ضَلَّ النَّاسُ الذِينَ أَتَوْا بَعْدَ نُوحٍ، وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ وَالأَوْثَانَ، فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ رُسُلاً بِالحُجَجِ وَالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِمْ، وَعَلَى مَا جَاءَهُمْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، فَمَا اسْتَقَامَ لِقَوْمٍ مِنْ أُولٰئِكَ الأَقْوَامِ أَنْ يُؤْمِنَ المُتَأَخِّرُ مِنْهُمْ بِمَا كَذَّبَ بِهِ المُتَقَدِّمُ، لأَنَّ التَّكْذِيبَ سَبَقَ التَّبَصُّرَ وَالاعْتِبَارَ. وَكَمَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الأُمَمِ، حَتَّى حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ العَذَابِ، كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ المُعْتَدِينَ مِمَّنْ خَلَفُوا قَوْمَ نُوحٍ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً.

نَطْبَعُ - نَخْتِمُ.

(وَهَارُونَ) (وَمَلَئِهِ) (بِآيَاتِنَا)

(٧٥) - ثُمَّ اللهُ بَعَثَ الرُّسُلَ، الذِينَ أَتَوا بَعْدَ نُوحٍ، مُوسَى وَهَارُونَ إِلى

وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

فِرْعَوْنَ وَأَشْرافِ قَوْمِهِ (مَلَئِهِ - وَقَدْ خصَّ اللهُ تَعالَى الأَشْرافَ بِالذِّكْرِ لأَنَّ الدَّهْمَاءَ كَانُوا تَبَعاً لَهُمْ). وَكَانُوا قَوْماً رَاسِخِينَ فِي الإِجْرَامِ وَالظُّلْمِ وَالفَسَادِ، وَقَدْ أَيَّدَ اللهُ تَعالَى مُوسَى وَهَارُونَ بِآيَاتٍ وَحُجَجٍ وَبَرَاهِينَ، عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَعَلى صِدْقِ نُبُوَّتِهِما، فَاسْتَكْبَرَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ، وَالانْقِيَادِ لَهُ. وَقَدِ ارْتَكَبُوا بِرَفْضِهِم الاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَةِ اللهِ إِثْماً عَظِيماً.

(٧٦) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ

(٧٦) - فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسَى وَهارُونُ بالحَقِّ الوَاضِحِ، وَالدَّلِيلِ القَاطِعِ، عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِما، قَالُوا: إِنَّ هٰذا لَسِحْرٌ وَاضِحٌ لِمَنْ رَآهُ وَعَايَنَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ فِي قَرارَةِ نُفُوسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا شَيْئاً آخرَ يَنْسُبُونَ إِليهِ المُعجِزاتِ التِي أَرسَلَ اللهُ بِهَا مُوسى إِليهِمْ.

(٧٧) قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ

(السَّاحِرُونَ)

(٧٧) - وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى مُوَبِّخاً، وَمُسْتَنْكِراً قَوْلَهُمْ وَاتِّهامَهُمْ إِيَّاهُ بالسِّحْرِ: أتقُولُونَ لِلْحَقِّ الوَاضِحِ الظَّاهِرِ، لَمَّا جاءَكُمْ، إِنَّهُ سِحْرٌ، فَهَلْ هٰذا سِحْرٌ، وَإِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ فِي قَرارَةِ نُفُوسِكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِسِحْرٍ، وَلا يَنْجَحُ السَّاحِرُونَ وَلا يُفْلِحُونَ، لأَنَّ السِّحْرَ بَاطِلٌ.

(٧٨) قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ

(آباءَنَا)

(٧٨) - وَقَالُوا لِمُوسَى: أَجِئْتَنا لِتَصْرِفَنَا عَنِ الدِّينِ الذِي وَجَدْنا آبَاءَنَا يَتْبَعُونَهُ، لِتَكُونَ، لَكَ وَلأَخِيكَ هارُونَ، العَظَمَةُ وَالرِّئَاسَةُ والسُّلْطَانُ، وَمَا يَتْبَعُهُما مِنْ كِبْرِيَاءِ المُلْكِ، وَالعَظَمَةِ الدُّنْيَوِيةِ التَّابِعَةِ لَهَا، فِي أَرْضِ مِصْرَ كُلِّها، فَنَحْنُ لَنْ نُؤْمِنَ بِمَا جِئْتَنا بِهِ.

لِتَلْفِتَنَا - لِتَصْرِفَنَا وَتَلْوِيَنا.

(٧٩) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ

(سَاحِرٍ)

(٧٩) - وَإِذِ ادَّعَى فِرْعَوْنُ عِناداً وَعُتُوّاً أَمَامَ قَوْمِهِ، أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى هُوَ سِحْرٌ، وَذٰلِكَ لِيُزِيلَ مِنْ نُفُوسِهِمْ أَثَرَ مَا جاءَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنَ المُعْجِزاتِ والآيَاتِ، قَالَ لَهُمْ فِرعَوْنُ: إِنَّهُ سَيَرُدُّ عَلَى سِحْرِ مُوسَى بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَأَمَرَ مَنْ حَوْلَهُ أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ كُلَّ سَاحِرٍ عَالِمٍ مُتَعَمِّقٍ فِي فُنُونِ السِّحْرِ (عَلِيمٍ).

(٨٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ

(٨٠) - فَلَمَّا اجْتَمَعَ السَّحَرَةُ إِلى فِرْعَوْنَ، سَأَلُوا فِرْعَوْنَ إِنْ كَانَ سَيَمْنَحُهُمْ أَجْراً جَزِيلاً إِنْ تَغَلَّبُوا عَلَى سِحْرِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُمْ نَعَمْ إِنَّهُ سَيَفْعَلُ ذٰلِكَ، وَإِنَّكُمْ سَتَكُونُونَ مِنَ المُقَرَّبِينَ. فَأَقْسَمُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ هُمُ الغَالِبِينَ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخرى). وَأَرادَ مُوسَى أَنْ يُرِيَ النَّاسَ أَوَّلاً مَا يُقَدِّمُهُ سَحَرَتُهُمْ مِنْ سِحْرٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ يَأْتِي هُوَ بالحَقِّ مِنْ

﴿٨١﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ

﴿٨٢﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ

﴿٨٣﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ

﴿٨٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ

﴿٨٥﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

عِنْدِ اللهِ فَيُبْطِلَ مَا يَكْذِبُونَ بِهِ عَلَى النَّاسِ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا مَا أَنْتُم مُلْقُونَ مِنْ سِحْرٍ.

(٨١) - فَلَمَّا أَلْقَوْا مَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَبْوابِ السِّحْرِ وَفُنُونِهِ، سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ، وَأَخَافُوهُمْ وَجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ، فَشَعَرَ مُوسَى بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ فِي نَفْسِهِ، مِنْ عِظَمِ مَا رَأى، فَأَوحى اللهُ إِليهِ مُثَبِّتاً فَقَالَ لِلسَّحَرَةِ: إِنَّ مَا جِئْتُم بِهِ سِحْرٌ، وَإِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ، لأَنَّ اللهَ لاَ يَنْصُرُ المُفْسِدِينَ الذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ.

(بِكَلِمَاتِهِ)

(٨٢) - وَسَيُحِقُّ اللهُ الحَقَّ بِإِرَادَتِهِ، وَيُثَبِّتُهُ وَيَنْصُرُهُ، وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ذَلِكَ.

(آمَنَ) (مَلَئِهِمْ)

(٨٣) - وَأَظْهَرَ اللهُ الحَقَّ عَلَى البَاطِلِ، فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَالْتَقَفَتْ جَمِيعَ مَا أَلْقَاهُ السَّحَرَةُ، وَمَوَّهُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ. وَكَانَ ذَلِكَ نَصْراً عَظِيماً لِمُوسَى مِنْ رَبِّهِ، وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ اسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ. وَلَمَّا أَلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ للهِ اسْتِغْفَاراً وَتَوْبَةً، وَرَجَاءَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: إِنَّهُ سَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِتَقْطِيعِ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ مِنْ خِلافٍ، وَسَيُصَلِّبُهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، لأَنَّهُمْ آمَنُوا لِمُوسَى قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ هُوَ لَهُمْ بِذَلِكَ - كَمَا جَاءَ فِي آيَاتٍ أُخَرَ -. وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ لِمُوسَى إِلاَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّبَابِ مِنْ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ آمَنُوا بِهِ وَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ أَنْ يَضْطَرُّوهُمْ بِالعَذَابِ وَالنَّكَالِ إِلى الرُّجُوعِ عَنِ الإِيمَانِ بِرَبِّهِمْ (يَفْتِنَهُمْ)، وَذَلِكَ لأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ مُسْتَكْبِراً مُتَعَالِياً فِي الأَرْضِ، مُسْرِفاً فِي كُفْرِهِ، وَفِي أَمْرِهِ كُلِّهِ، وَمُبَالِغاً فِيهِ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يُخَافَ مِنْهُ.
أَنْ يَفْتِنَهُمْ - أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ وَيُعَذِّبَهُمْ.
ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ - طَائِفَةٌ مِنْ شَبَابِ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(يَا قَوْمِ) (آمَنْتُمْ)

(٨٤) - وَلَمَّا أَعْلَنَ جَمَاعَةُ مُوسَى لَهُ إِيمَانَهُمْ بِاللهِ وَبِرِسَالاَتِهِ، وَهُمْ خَائِفُونَ مِنَ العَذَابِ وَالفِتْنَةِ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ إِيمَاناً حَقّاً، فَعَلَيهِ تَوَكَّلُوا، وَبِوُعُودِهِ ثِقُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ مُذْعِنِينَ، إِذْ إِنَّ الإِيمَانَ لاَ يَكُونُ يَقِيناً إِلاَّ إِذَا صَدَّقَهُ العَمَلُ، وَهُوَ الإِسْلاَمُ للهِ وَحْدَهُ.

(الظَّالِمِينَ)

(٨٥) - فَرَدُّوا عَلَيهِ قَائِلِينَ: بِأَنَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ. ثُمَّ تَوَجَّهُوا بِالدُّعَاءِ

إلَى اللهِ قَائِلِينَ: رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا عُرْضَةً لِفِتْنَةِ هٰؤلاءِ الظَّالِمِينَ، وَلاَ تُظْفِرْهُمْ بنا فَيُمَارِسُوا عَلَيْنا ضَغْطاً لِرَدِّنا عَنْ دِينِنا (وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ لاَ يَكْمُلُ إلا بِالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ، وَالدُّعَاءُ لاَ يُسْتَجَابُ إلاّ إذا كَانَ مَقْرُوناً بِاتِّخَاذِ الأَسْبَاب، بِأَنْ يَعْمَلَ الإِنْسَانُ جَمِيعَ مَا يَسْتَطِيعُ عَمَلَهُ).

لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً - لاَ تَجْعَلْنا مَوْضِعَ اخْتِبَارٍ بِالعَذابِ.

﴿٨٦﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ

(الْكَافِرِينَ)

(٨٦) - وَأَنْقِذْنا يَا رَبِّ بِرَحْمَتِكَ وَلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، الذِينَ كَفَرُوا بِالحَقِّ وَجَحَدُوهُ، وَنَحْنُ قَدْ آمنَّا بِكَ وَتَوَكَّلْنا عَلَيْكَ. (وَكَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ يَسْتَعْبِدُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُكَلِّفُونَهُمْ بِأَشَقِّ الأَعْمَالِ وَأَحَطِّها وَأَقْذَرِها).

﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(الصَّلاَةَ) (تَبَوَّأَا)

(٨٧) - قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ إِظْهَارَ صَلاَتِهِمْ خَوْفاً مِنْ فِرْعَونَ وَقَومِهِ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ، أَنْ يَتَّخِذَا لِقَوْمِهِمَا بُيُوتاً فِي مِصْرَ، وَأَنْ يَجْعَلَ بَنُو إِسْرائِيلَ بُيُوتَهُمْ قِبَلَ القِبْلَةِ، لِيُصَلُّوا فِيهَا، وَهُمْ مُتَّجِهُونَ جَمِيعاً جِهَةً وَاحِدَةً، لأَنَّ الاتِّحَادَ فِي الاتِّجاهِ يُسَاعِدُ عَلَى اتِّحَادِ القُلُوبِ. ثُمَّ يَأْمُرُهُمُ اللهُ بِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ بِحِفْظِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَبِالثَّوابِ وَالنَّصْرِ القَرِيبِ وَالفَرَجِ.

تَبَوَّأَا لِقَوْمِكُمَا - اتَّخِذا وَاجْعَلا لَهُمْ.

قِبْلَةً - مَسَاجِدَ أَوْ مُصَلًّى جِهَةَ القِبْلَةِ.

﴿٨٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ

(آتَيْتَ) (أَمْوَالاً) (الْحَيَاةِ) (أَمْوَالِهِمْ)

(٨٨) - بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مُوسَى قَوْمَهُ مَا اسْتَطَاعَ لِلْخُرُوجِ بِهِمْ مِنْ مِصْرَ، وَغَرَسَ فِي قُلُوبِهِم الإِيمَانَ، وَالثِّقَةَ بِاللهِ، وَحُبَّ العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ وَغَيْرَ ذٰلِكَ، تَوَجَّهَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَهُ، وَدَعَا عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، لِمَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الكُفْرِ وَالعُتُوِّ وَالضَّلالِ، وَلِمَا رَفَضُوهُ مِن اتِّبَاعِ الحَقِّ وَالهُدَى، فَقَالَ: رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ أَثَاثِ الدُّنيا، وَمَتَاعِهَا وَزُخْرُفِها، وَمِنَ الأَمْوالِ الجَزِيلَةِ، فَكَانَتْ عَاقِبَةُ ذٰلِكَ إِسْرَافَهُمْ فِي الضَّلالِ، وَافْتِتَانَ الجَهَلَةِ بِمَا أَعْطَيتَ فِرْعَونَ وَقَوْمَهُ إِذْ ظَنُّوا أَنَّكَ إِنَّمَا أَعْطَيْتَهُمْ هذا لأَنَّكَ تُحِبُّهُمْ. رَبَّنا أَهْلِكْ أَمْوَالَهُمْ وَامْحَقْها (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ)، وَاطْبَعْ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَزِدْهَا قَسْوَةً حَتَّى لا تَلِينَ، وَلاَ يَصِلَ إِلَيهَا الإِيمَانُ، لِيَسْتَحِقُّوا عَذَابَكَ الشَّدِيدَ.

اطْمِسْ عَلَى أَمْوالِهِمْ - أَهْلِكْ أَمْوَالَهُمْ وَأَذْهِبْهَا وَامْحَقْهَا.

اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ - اطْبَعْ عَلَيْهَا.

﴿٨٩﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

(٨٩) - فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ: إِنَّ دَعْوَتَكُمَا عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ قَدْ أُجِيبَتْ، فَامْضِيَا لأَمْرِي، وَاثْبُتَا عَلَى مَا أَنْتُمَا عَلَيهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلى الحَقِّ، وَمِنْ إِعْدَادِ شَعْبِكُمَا لِلْكِفَاحِ وَالجِلادِ وَالخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ. وَلاَ تَسْلُكَا سَبِيلَ الذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ سُنَنِي فِي خَلْقِي، الذِينَ يَسْتَعْجِلُونَ الأَمْرَ قَبْلَ مِيقَاتِهِ، وَيَسْتَبْطِئُونَ وُقُوعَهُ فِي حِينِهِ.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٢

﴿٩٠﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(وَجَاوَزْنَا) (إِسْرَائِيلَ) (آمَنْتُ) (بَنُو إِسْرَائِيلَ) (آمَنْتُ)

(٩٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا خَرَجُوا بِدُونِ إِذْنِ فِرْعَوْنَ اشْتَدَّ حَنَقُهُ عَلَيْهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى المَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَجْمَعُونَ لَهُ الجُيُوشَ مِنْ أَقَالِيمِ مَمْلَكَتِهِ، فَرَكِبَ وَرَاءَهُمْ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَجُيُوشٍ كَثِيفَةٍ، فَلَحِقُوا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَهُمْ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ، قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: إِنَّهُمْ مُدْرَكُونَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: لاَ. وَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ، فَضَرَبَهُ فَانْفَلَقَ، وَمَرَّ مُوسَى وَقَوْمُهُ بَيْنَ طَرَفَي المَاءِ. فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ المَاءِ مِنَ الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ البَحْرِ، وَصَلَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ إِلَى حَافَّةِ البَحْرِ، فَاقْتَحَمَ المَمَرَّ وَرَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَمِيعاً فِي البَحْرِ أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ المَاءُ فَأَغْرَقَهُمْ جَمِيعاً.
وَلَمَّا غَشِيَ المَوْجُ فِرْعَوْنَ، وَشَعَرَ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَأَنَّهُ لاَ مُنْقِذَ لَهُ قَالَ إِنَّهُ آمَنَ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، الذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَفِي ذَلِكَ اسْتِجَابَةٌ لِدَعْوَةِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلاَمُ، أَنْ يَشُدَّ عَلَى قَلْبِ فِرْعَوْنَ فَلاَ يُؤْمِنْ حَتَّى يَرَى العَذَابَ الأَلِيمَ.
بَغْياً وَعَدْواً - ظُلْماً وَاعْتِدَاءً.

﴿٩١﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

(آلآنَ)

(٩١) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ قَائِلاً: أَتُؤْمِنُ الآنَ حِينَمَا أَدْرَكَكَ الغَرَقُ، وَقَدْ جَاءَتْكَ البَيِّنَاتُ مِنْ قَبْلُ، وَرَأَيْتَ مِنْ مُعْجِزَاتِ اللهِ، فَعَصَيْتَ وَكُنْتَ مِنَ المُسْتَكْبِرِينَ المُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ؟ فَدَعْوَاكَ الإِسْلاَمَ الآنَ لاَ تُقْبَلُ مِنْكَ، وَلاَ تَنْفَعُكَ.
الآنَ - الآنَ تُؤْمِنُ حِينَ أَيْقَنْتَ بِالهَلاَكِ.

﴿٩٢﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ

(آيَةً) (آيَاتِنَا) (لَغَافِلُونَ)

(٩٢) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَكُّوا فِي مَوْتِ فِرْعَوْنَ، فَأَمَرَ اللهُ البَحْرَ أَنْ يُلْقِيَهُ بِجَسَدِهِ سَوِيّاً بِلا رُوحٍ، لِيَتَحَقَّقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مَوْتِهِ وَهَلاَكِهِ، فَتَكُونَ تِلْكَ آيَةً لَهُمْ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ، وَصِدْقِ وَعْدِهِ لِرَسُولِهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ غَافِلُونَ عَنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَتَّعِظُونَ بِهَا، وَلاَ يَعْتَبِرُونَ.

(وَكَانَ هَلاَكُ فِرْعَوْنَ وَنَجاةُ بَنِي إِسرائِيلَ يَوْمَ عَاشُوراءَ، فَلَمَّا جاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلى المَدِينَةِ وَجَدَ اليَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُوراءَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ: مَا هٰذا الذِي تَصُومُونَهُ؟ فَقالُوا يَوْمَ ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ. فَقالَ النَّبِيُّ لأَصْحَابِهِ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصُومُوهُ). (رَوَاهُ البُخارِيُّ).

آيَةً - عِبْرَةً وَعِظَةً وَنَكَالاً.

٩٣ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ

(إِسْرَائِيلَ) (رَزَقْنَاهُمْ) (الطَّيِّبَاتِ) (الْقِيَامَةِ)

(٩٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ النِّعَمِ فِي الدُّنيا، فَيَقُولُ تَعالَى: إِنَّهُ هَيَّأَ لِبَنِي إِسْرائِيلَ مُلْكَ فِلَسْطِينَ، وَٱنْتِزاعَها مِنْ أَيْدِي العَمالِيقِ الجَبابِرَةِ، بَعْدَ أَنْ نَكَلُوا عَنْ قِتالِهِمْ، وَتاهُوا فِي صَحْراءِ التِّيهِ (سِيناءَ) أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَرَزَقَهُمْ فِي هٰذِهِ الأَرْضِ مِنَ الطَّيِّباتِ، وَهِيَ الرِّزْقُ الحَلالُ النَّافِعُ، فَمَا ٱخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ مِنَ المَسائِلِ إِلَّا من بَعْدِ مَا جاءَهُمُ العِلْمُ بِقِراءَةِ التَّوراةِ، وَالوُقُوفِ عَلَى أَحْكامِها، أَنَّ نَبِيّاً مِنْ ولدِ إِسْماعِيلَ سَيُبْعَثُ. فَقَبْلَ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَعَلَى الإِقْرارِ بِهِ وَبِبَعْثَتِهِ. فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ، كَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَآمَنَ بِهِ آخَرُونَ، وَسَيَقْضِي اللهُ بَيْنَهُمْ، يَوْمَ القِيامَةِ، فِيما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ، فَيُبَيِّنُ المُحِقَّ مِنَ المُبْطِلِ، لأَنَّ هٰذا الاخْتِلافَ لاَ سَبِيلَ إِلى إِزالَتِهِ فِي الدُّنْيا.

المُبَوَّأُ - مَكانُ الإِقامَةِ.

بَوَّأْنا - أَنْزَلْنا وَأَسْكَنَّا.

مُبَوَّأَ صِدْقٍ - مَنْزِلاً صالِحاً مُرْضِياً.

٩٤ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ

(فَاسْأَلِ) (الْكِتَابَ) (يَقْرَؤُونَ)

(٩٤) - فَإِنْ كانَ فِي نَفْسِكَ شَكٌّ، مِمَّا أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ، مِنَ القُرْآنِ، وَمَا جاءَ فِيهِ مِنَ الشَّواهِدِ، مِنْ قِصَّةِ هُودٍ وَنُوحٍ وَمُوسَى وَغَيْرِهِمْ فَرْضاً وَتَقْدِيراً، فَٱسْأَلْ مَنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِالكُتُبِ التِي جاءَتْ قَبْلَكَ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا جاءَ فِي هٰذِهِ الكُتُبِ مِنَ البِشارَةِ بِبَعْثِكَ رَسُولاً مِنَ اللهِ إِلى النَّاسِ، وَحِينَئِذٍ تَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّ الذِي جاءَكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقُّ، فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُتَشَكِّكِينَ.

(وَقَدْ جَرَتْ عادَةُ العَرَبِ أَنْ يُقَدِّرُوا الشَّكَّ فِي الشَّيْءِ لِيَبْنُوا عَلَيْهِ مَا يَنْفِي ٱحْتِمالَ وُقُوعِهِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ لاِبْنِهِ: إِنْ كُنْتَ ٱبْنِي فَكُنْ شُجاعاً).

المُمْتَرِينَ - المُتَشَكِّكِينَ، المُتَزَلْزِلِينَ.

٩٥ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ

(بِآيَاتِ) (الْخَاسِرِينَ)

(٩٥) - لَقَدْ جاءَكَ الحَقُّ الوَاضِحُ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ هٰؤُلاءِ اليَهُودَ

مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ

(٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

(٩٧) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ

(٩٨) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ

(٩٩) وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ

(١٠٠) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

وَالنَّصارَى يَعْلَمُونَ صِحَّةَ ذٰلِكَ، وَيَجِدُونَ نَعْتَكَ وَصِفَتَكَ فِي كُتُبِهِمْ، فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُتَشَكِّكِينَ فِي صِحَّةِ ذٰلِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(كَلِمَةُ)

(٩٦) - الذِينَ قَضَى اللهُ تَعالَى عَلَيْهِمْ بِالكُفْرِ، لِمَا عَلِمَ مِنْ عِنادِهِمْ وَتَعَصُّبِهِمْ، لَنْ يُؤْمِنُوا مَهْمَا أَجْهَدْتَ نَفْسَكَ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلى الإِيمَانِ.

(آيَةٍ)

(٩٧) - حَتَّى وَلَوْ جِئْتَهُمْ بِجَمِيعِ الآيَاتِ الكَوْنِيَّةِ وَالمُعْجِزاتِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وَهٰؤُلاءِ الكَفَرَةُ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَرَوْا العَذَابَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَيُحِسُّوا بِهِ، كَمَا تَمَّ عَلَى فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ كَلِمَةَ الإِيمَانِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الغَرَقُ.

(آمَنَتْ) (إِيمَانُهَا) (آمَنُوا) (الْحَيَاةِ) (وَمَتَّعْنَاهُمْ)

(٩٨) - لَمْ تُوجَدْ قَرْيَةٌ آمَنَ أَهْلُهَا جَمِيعاً بِنَبِيِّهِمْ، مِمَّنْ سَلَفَ مِنَ القُرَى، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ، وَهُمْ أَهْلُ نِينَوَى، وَمَا كَانَ إِيمَانُهُمْ إِلَّا تَخَوُّفاً مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمِ العَذَابُ الذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، فَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ مُغَاضِباً، وَعَايَنُوا أَسْبَابَ العَذَابِ، جَأَرُوا إِلى اللهِ بِالدُّعَاءِ، وَآسْتَغَاثُوا وَتَضَرَّعُوا إِلى رَبِّهِمْ، وَأَحْضَرُوا أَطْفَالَهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ، وَسَأَلُوا اللهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُمُ العَذَابَ الذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، فَعِنْدَهَا رَحِمَهُمُ اللهُ، وَكَشَفَ عَنْهُمُ العَذَابَ، وَمَتَّعَهُمُ اللهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا إِلى زَمَنٍ مَعْلُومٍ، وَهُوَ الوَقْتُ الذِي يَعِيشُ فِيهِ كُلٌّ مِنْهُمْ بِحَسَبِ سُنَنِ اللهِ.

عَذابُ الخِزْيِ - الذُّلُّ وَالهَوَانُ.

(٩٩) - وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُؤْمِنَ أَهْلُ الأَرْضِ جَمِيعاً لَفَعَلَ، إِمَّا بِأَنْ يُلْجِئَهُمْ إِلى الإِيمَانِ قَسْراً، وَإِمَّا بِأَنْ يَخْلُقَهُمْ مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ، وَلٰكِنَّ حِكْمَتَهُ تَعالَى آقْتَضَتْ بِأَنْ يَخْلُقَ الإِنْسَانَ وَفِيهِ القُدْرَةُ عَلَى أَنْ يُوازِنَ بِآخْتِيَارِهِ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالكُفْرِ، فَيُؤْمِنُ بَعْضُ النَّاسِ، وَيَكْفُرُ آخَرُونَ.
وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لا تَسْتَطِيعُ إِكْرَاهَ النَّاسِ عَلَى الإِيمَانِ، وَلَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الرِّسَالَةِ التِي بَعَثَكَ اللهُ بِهَا.

(١٠٠) - وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ، بِمُقْتَضَى مَا أَعْطَاهَا اللهُ مِنَ الاخْتِيَارِ وَالاسْتِقْلالِ فِي الأَفْعَالِ، أَنْ تُؤْمِنَ إِلا بِإِرَادَةِ اللهِ، وَمُقْتَضَى سُنَنِهِ فِي التَّرْجِيحِ بَيْنَ المُتَقَابِلَيْنِ: فَالنَّفْسُ مُخْتَارَةٌ فِي دَائِرَةِ الأَسْبَابِ وَالمُسَبَّبَاتِ، وَلٰكِنَّهَا غَيْرُ مُسْتَقِلَّةٍ فِي آخْتِيَارِهَا آسْتِقْلالاً تَامّاً، بَلْ هِيَ مُقَيَّدَةٌ بِنِظَامِ السُّنَنِ، وَالأَقْدَارِ الإِلٰهِيَّةِ. وَإِذَا كَانَ كُلُّ شَيءٍ بِإِذْنِ اللهِ وَتَيْسِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ التِي تَجْرِي بِقَدْرِهِ فَهُوَ يَجْعَلُ الإِذْنَ، وَيُيَسِّرُ الإِيمَانَ

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾

لِلَّذِينَ يَعْقِلُونَ آيَاتِهِ، وَيُوَازِنُونَ بَيْنَ الأُمُورِ فَيَخْتَارُونَ خَيْرَ الأَعْمَالِ، وَيَتَّقُونَ شَرَّهَا، وَيُرَجِّحُونَ أَنْفَعَهَا عَلَى أَضَرِّهَا بِإِذْنِ اللهِ وَتَيْسِيرِهِ، وَيَجْعَلُ الخِزْيَ وَالخِذْلَانَ المُرَجِّحَ لِلْكُفْرِ وَالفُجُورِ عَلَى الذِينَ لَا يَعْقِلُونَ الحُجَجَ الوَاضِحَةَ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَهَا.

(السَّمَاوَاتِ) (الآيَاتُ)

(١٠١) - يُرْشِدُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيمَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنَ الآيَاتِ التِي لَا تُحْصَى، وَالتِي يَعْقِلُهَا ذَوُو الأَلْبَابِ، وَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أُلُوهِيَّةِ اللهِ، وَوُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ. وَلَكِنْ مَا هِيَ فَائِدَةُ الرُّسُلِ وَالآيَاتِ وَالحُجَجِ وَالبَرَاهِينِ لِقَوْمٍ جَاحِدِينَ، لَا يُتَوَقَّعُ إِيمَانُهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُوَجِّهُوا أَنْظَارَهُمْ إِلَى الاعْتِبَارِ بِالآيَاتِ، وَالاسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيهِ مِنْ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ (وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ).

(١٠٢) - فَهَلْ يَنْتَظِرُ هٰؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا أَنْ يَنَالَهُمْ مِنَ الأَيَّامِ الشِّدَادِ مِثْلُ مَا أَصَابَ أَسْلَافَهُمُ المَاضِينَ، الذِينَ كَانُوا عَلَى مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَالتَّكْذِيبِ لِرُسُلِهِمْ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ غَيْرَ ذٰلِكَ فَانْتَظِرُوا، فَإِنِّي أَنْتَظِرُ أَنْ يُهْلِكَكُمُ اللهُ بِالعُقُوبَةِ لِأَنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ صِدْقِ وَعْدِ اللهِ لِلْمُرْسَلِينَ.

(آمَنُوا)

(١٠٣) - ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالذِينَ آمَنُوا، وَنُهْلِكُ المُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ. وَإِنْجَاءُ الرُّسُلِ وَالمُؤْمِنِينَ مِنَ العَذَابِ وَالهَلَاكِ، الذِي يُنْزِلُهُ اللهُ بِالكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ، حَقٌّ أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ، وَهٰذِهِ هِيَ سُنَّتُهُ.

(يَا أَيُّهَا) (يَتَوَفَّاكُمْ)

(١٠٤) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِلنَّاسِ: إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ صِحَّةِ الدِّينِ الذِي أَدْعُو إِلَيهِ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَكُمْ أَنَّهُ الحَقُّ، فَاسْمَعُوا وَصْفَهُ، وَاعْرِضُوهُ عَلَى عُقُولِكُمْ، وَانْظُرُوا فِيهِ، لِتَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلشَّكِّ: إِنِّي لَا أَعْبُدُ الحِجَارَةَ التِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ رَبِّكُمْ وَخَالِقِكُمْ، بَلْ أَعْبُدُ اللهَ الذِي يَتَوَفَّى الخَلْقَ إِذَا شَاءَ، وَيَنْفَعُهُمْ وَيَضُرُّهُمْ إِذَا أَرَادَ، وَمِثْلُ هٰذَا الإِلٰهِ حَقِيقٌ بِأَنْ يُعْبَدَ، وَأَنْ يُخَافَ مِنْهُ وَيُتَّقَى، وَقَدْ أُمِرْتُ بِأَنْ أَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ المُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِهِ تَعَالَى.

(١٠٥) - كَمَا أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَأَنْ أُخْلِصَ العِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، حَنِيفاً مُخْلِصاً لَهُ، مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ وَالبَاطِلِ.

١٠٦ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

١٠٧ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

١٠٨ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ

١٠٩ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ

أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ - آصْرِفْ ذَاتَكَ كُلَّها لِلدِّينِ الحَنِيفِيِّ.
حَنِيفاً - مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ.

(الظَّالِمِينَ)

(١٠٦) - وَلَا تَدْعُ إلهاً غَيْرَ اللهِ تَعَالَى دُعَاءَ عِبَادَةٍ، لَا عَلَى سَبيلِ الاستِقْلالِ، وَلا عَلَى سَبيلِ الاشْتِراكِ، فَغَيْرُ اللهِ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، فَإِنْ فَعَلْتَ هٰذا، وَدَعَوْتَ غَيْرَهُ، كُنْتَ إِذاً مِنَ الذينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَلا ظُلْمَ لِلنَّفْسِ أَكْبَرُ مِنْ ظُلْمِ الشِّرْكِ بِاللهِ.
وَهٰذا النَّهْيُ مُوَجَّهٌ لِلأُمَّةِ لِأَنَّهُ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ مَعْصُومٌ مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ الأُمورِ.

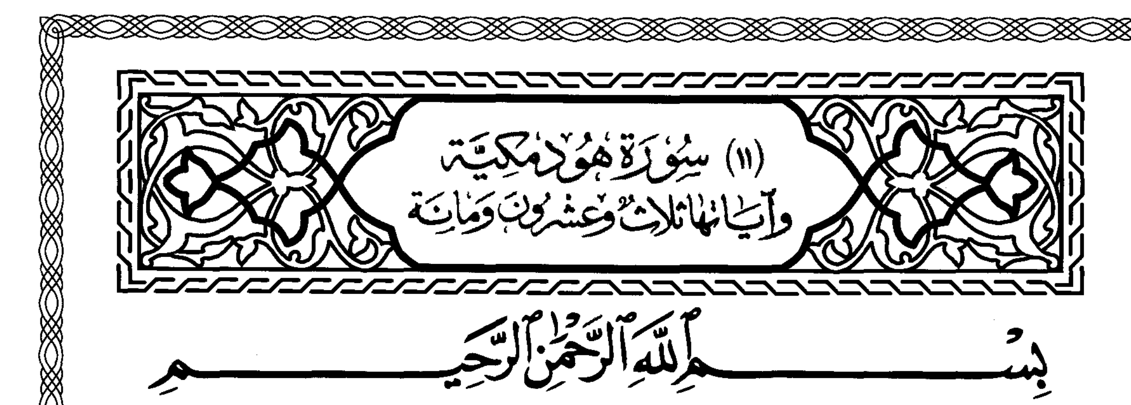
(١٠٧) - **يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالنَّفْعَ وَالضُّرَّ مِنْ عِنْدِهِ** تَعَالَى وَحْدَه، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ، وَإِنْ يُرِدِ اللهُ أَحَداً بِخَيْرٍ فَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّ فَضْلَهُ وَيَمْنَعَهُ عَنْهُ، وَاللهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ إِلَيهِ مِنْ ذَنْبِهِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ الذَّنْبُ شِرْكاً بِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَتُوبُ عَلَى التَّائِبِينَ، وَهُوَ رَحِيمٌ بِالنَّاسِ.

(يَا أَيُّهَا)

(١٠٨) - **يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ** بِأَنْ يُخْبِرَ النَّاسَ جَمِيعاً، أَنَّ الذي جَاءَهُمْ بِهِ هُوَ الحَقُّ الذي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، فَمَنِ آهْتَدَى وَآتَّبَعَهُ، فَإِنَّما يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ، فَإِنَّما يَرْجِعُ وَبالُ ذٰلِكَ عَلَيهِ. كَما أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلى الخَلْقِ كَافَّةً، وَإِنَّهُ نَذِيرٌ لَهُمْ غَيْرُ مُوَكَّلٍ بِهِدايَتِهِمْ، وَلا بِمُسَيْطِرٍ عَلَيهِمْ، وَإِنَّما الهَادِي هُوَ اللهُ.
بِوَكِيلٍ - بِحَفِيظٍ مَوْكُولٍ إِليهِ أَمْرُكُمْ.

(الْحَاكِمِينَ)

(١٠٩) - وَتَمَسَّكْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ، وَأَوْحَاهُ إِلَيْكَ، وَآصْبِرْ عَلَى مُخالَفَةِ مَنْ خالَفَكَ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَهُوَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ وَالقَاضِينَ بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.



(١) الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

(٢) أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ

(٣) وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ

(٤) إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ

(١) أَلِفْ. لَامْ. را ـ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(كِتَابٌ) (آيَاتُهُ)

هٰذا كِتَابٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ جُعِلَتْ آيَاتُهُ مُحْكَمَةَ النَّظْمِ، مُتْقَنَةَ البُنْيَانِ وَالتَّأْلِيفِ، وَاضِحَةَ المَعَانِي، وَجُعِلَتْ فُصُولاً مُتَفَرِّقَةً فِي سُوَرِهِ، ثُمَّ فُصِّلَتْ أَحْكَامُها، وَقَدْ أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ إِلٰهٍ حَكِيمٍ يُقَدِّرُ حَاجَةَ العَبِيدِ، خَبِيرٍ يَضَعُ الأُمُورَ فِي مَوَاضِعِها.

أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ـ نُظِمَتْ نَظْماً مُحْكَماً رَصِيناً.

فُصِّلَتْ ـ فُرِّقَتْ فِي التَّنْزِيلِ نُجُوماً بِالحِكْمَةِ.

(٢) ـ وَأَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ، بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ إِلٰهاً، وَبِأَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: إِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي نَذِيراً مِنَ العَذَابِ إِنْ خَالَفْتُمُوهُ، وَبَشِيراً بِالثَّوَابِ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ.

(مَتَاعاً)

(٣) ـ وَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ مُتَضَرِّعِينَ إِلَيهِ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ أَعْمَالِ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ وَالإِجْرَامِ، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَيهِ بِالتَّوْبَةِ، وَبِإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ، وَاسْتَغْفَرْتُمْ رَبَّكُمْ، وَتُبْتُمْ إِلَيهِ، فَإِنَّهُ يُمَتِّعُكُمْ فِي الدُّنيا مَتَاعاً حَسَناً، وَيَرْزُقُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَنْسَأُ لَكُمْ فِي آجَالِكُمْ إِلى الوَقْتِ الذِي قَضَى عَلَيْكُمْ فِيهِ بِالمَوْتِ، وَيَجْعَلُكُمْ خَيرَ الأُمَمِ نِعْمَةً وَقُوَّةً وَعِزَّةً، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ، مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ، جَزَاءَ فَضْلِهِ. أَمَّا إِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَأَعْرَضْتُمْ عَمَّا دَعَوْتُكُمْ إِليهِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرِ الهَوْلِ، شَدِيدِ البَأْسِ.

(٤) ـ وَسَيَكُون مَعَادُكُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ: مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ، وَانْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى

﴿٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

﴿٦﴾ ۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

﴿٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ

إِعَادَةِ الخَلائِقِ إلى الحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرى يَوْمَ القِيَامَةِ.

(٥) - هٰؤُلاءِ الكَافِرُونَ، الكَارِهُونَ لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، يَحْنُونَ ظُهُورَهُمْ، وَيُنَكِّسُونَ رُؤُوسَهُمْ، كَأَنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ طَيَّ صُدُورِهِمْ عَلَى بُطُونِهِمْ حِينَ يَسْمَعُونَ القُرْآنَ، لِيَسْتَخْفُوا مِنَ الرَّسُولِ وَهُوَ يَتْلُو القُرْآنَ لِكَيْلا يَرَاهُمْ وَهُمْ يَسْمَعُونَ نُذُرَ اللهِ وَآيَاتِهِ. وَيُخْبِرُهُمُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ هٰذا الاسْتِخْفَاءَ لا يُفِيدُهُمْ، وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيئاً، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا يَكْتُمُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ النِّيَّاتِ وَالسَّرَائِرِ، حَتَّى إِنَّهُ لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى أَحْوَالِهِمْ، وَيَعْرِفَ مَا تَنْطَوِي عَلَيهِ نُفُوسُهُمْ حِينَما يَلْبَسُونَ ثِيَابَهُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، فَيُغَطُّونَ بِهَا أَجْسَادَهُمْ، وَيَأْوُونَ إلى فِرَاشِهِمْ، ثُمَّ يَعْلَمُ مَا يُعْلِنُونَهُ نَهاراً، وَمَا يُسِرُّونَهُ فِي صُدُورِهِمْ.

يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ - يَطْوُونَها عَلَى الكُفْرِ وَالعَدَاوَةِ.
يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ - يَتَغَطَّوْنَ بِها مُبَالَغَةً فِي الاسْتِخْفَاءِ.
لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ - مِنَ اللهِ جَهْلاً مِنْهُمْ.

(كِتَابٍ)

(٦) - وَلِيَعْلَمْ هٰؤُلاءِ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ وَنِعَمَهُ وَعِلْمَهُ شَامِلَةٌ لِكُلِّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ، فَلا تُوجَدُ دَابَّةٌ تَتَحَرَّكُ فِي الأَرْضِ إلاَّ وَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِرِزْقِهَا، وَيَعْلَمُ مَكَانَ اسْتِقْرارِها فِي حَالِ حَيَاتِها، وَالمَكَانَ الذِي تُودَعُ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِها، وَكُلُّ شَيءٍ مِنْ ذٰلِكَ مُسَجَّلٌ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ.

(السَّمَاوَاتِ) (وَلَئِنْ)

(٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الخَلْقِ، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. وَكَانَ عَرْشُهُ قَبْلَ ذٰلِكَ عَلَى المَاءِ (وَعَرْشُ الرَّحْمٰنِ عَالِمِ الغَيْبِ لا تُدْرِكُهُ الحَوَاسُّ، وَلا تَتَصَوَّرُهُ أَفْكَارُ البَشَرِ، وَلا يَسْتَطِيعُونَ إِدْرَاكَ كُنْهِ اسْتِوَائِهِ عَلَيهِ)، وَقَدْ خَلَقَ اللهُ البَشَرَ وَمَكَّنَهُمْ فِي الأَرْضِ لِيَخْتَبِرَهُمْ (لِيَبْلُوَهُمْ)، وَلِيَرى أَيُّهُمْ سَيَكُونُ أَحْسَنَ عَمَلاً. وَلا يَكُونُ العَمَلُ حَسَناً إلاَّ إِذَا كَانَ خَالِصاً للهِ، وَمُوَافِقاً لِلشَّرْعِ، وَمَتَى فَقَدَ العَمَلُ وَاحِداً مِنْ هٰذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ حَبِطَ وَبَطَلَ. وَإِذا أَخْبَرْتَ يَا مُحَمَّدُ، هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ أَنَّ اللهَ سَيَبْعَثُهُمْ، بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، كَمَا بَدَأَ خَلْقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لا يُصَدِّقُونَ مَا تَقُولُ مِنْ وُقُوعِ البَعْثِ، وَلا يُؤْمِنُ بِمَا تَقُولُ إلاَّ مَنْ سَحَرْتَهُ أَنْتَ، فَهُوَ الذِي يُتَابِعُكَ وَيُصَدِّقُ قَوْلَكَ هٰذا.

لِيَبْلُوَكُمْ - لِيَخْتَبِرَكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَمْرِكُمْ.
أَحْسَنُ عَمَلاً - أَكْثَرُ طَاعَةً للهِ، وَأَكْثَرُ تَوَرُّعاً عَنْ مُقَارَفَةِ مَحَارِمِهِ.

(٨) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ
مَا يَحْبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم
مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

(وَلَئِن) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٨) - وإذا أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذابَ والمُؤاخذَةَ إلى أَجلٍ (أُمَّةٍ) مُؤَكَّدٍ مَحْصُورٍ، فَسَيَتَساءَلُونَ آسْتِهْزَاءً مَا الذي يَمْنَعُ مِنْ وُقُوعِ العَذابِ الذي يُنْذِرُ بِهِ الرسُولُ؟، فَقَدْ أَلِفَتْ نُفُوسُهُمُ الشَّكَّ وَالتَّكْذِيبَ. وَلَكِنْ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذابُ الذي يَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَنْ يُصْرَفَ عَنْهُمْ، وَسَيُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ - طَائِفَةٍ مِنَ الأَيَّامِ قَلِيلَةِ العَدَدِ - أَوْ أَجَلٍ مُؤَكَّدٍ مَحْصُورٍ.
حَاقَ بِهِمْ - نَزَلَ وَأَحَاطَ بِهِمْ.

(٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا
رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ

(وَلَئِن) (الإِنْسَانَ) (نَزَعْنَاها) (لَيَؤُوسٌ)

(٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا فِي نُفُوسِ البَشَرِ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، فَإِذَا أَصَابَتْهُمْ شِدَّةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ، آعْتَرَاهُمُ اليَأْسُ وَالقُنُوطُ مِنْ أَنْ يُفَرِّجَ اللهُ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةٍ فِي المُسْتَقْبَلِ، وَكَفَرُوا بِنِعَمِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

لَيَؤُوسٌ - شَدِيدُ اليَأْسِ وَالقُنُوطِ.
كَفُورٌ - كَثِيرُ الكُفْرانِ بِالنِّعْمَةِ.

(١٠) وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ
عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

(وَلَئِن) (أَذَقْنَاهُ)

(١٠) - وَكَذَلِكَ الحَالُ إِذَا أَصَابَتْهُمْ نِعْمَةٌ، بَعْدَ نِقْمَةٍ وَشِدَّةٍ، فَسَيَقُولُونَ: لَنْ يُصِيبَنَا بَعْدَ هَذا ضَيْمٌ وَلا سُوءٌ، وَيَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ عَلَى الفَرَحِ بِمَتَاعِ الدُّنيا، وَعَلَى المُبَالَغَةِ فِي التَّفَاخُرِ عَلَى النَّاسِ، فَيَنْشَغِلُ قَلْبُهُمْ عَنْ شُكْرِ رَبِّهِمْ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ.

ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ - نَائِبَةٍ أَوْ نَكْبَةٍ أَصَابَتْهُ.
إِنَّهُ لَفَرِحٌ - لَبَطِرٌ بِالنِّعْمَةِ، مُغْتَرٌّ بِهَا.
فَخُورٌ - عَلَى النَّاسِ بِمَا أُوتِيَ مِنَ النِّعْمَةِ.

(١١) إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

(الصَّالِحَاتِ) (أُولَئِكَ)

(١١) - وَيَسْتَثْنِي اللهُ تَعَالَى مِنَ الأُنَاسِ اللَّجُوجِينَ القَنُوطِينَ، المُؤْمِنِينَ الذِينَ صَبَرُوا عَلَى الشَّدَائِدِ وَالمَكَارِهِ، إِيمَاناً بِاللهِ، وَآحْتِسَاباً، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، فَهَؤُلاءِ سَيَغْفِرُ اللهُ لَهُمْ بِمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الضَّراءِ، وَسَيَجْزِيهِمْ أَجْراً كَبِيراً بِمَا أَسْلَفُوا فِي زَمَنِ الرَّخَاءِ مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ.

(١٢) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ
إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن
يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ

(ضَائِقٌ)

(١٢) - يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلاقِيهِ مِنْ عَنَتِ المُشْرِكِينَ، وَمِنْ تَقَوُّلِهِمْ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَارِكٌ أَنْتَ أَيُّها الرَّسُولُ إِبْلاغَ المُشْرِكِينَ

أَوْ جَاءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

بَعْض مَا يُوحِيهِ إلَيْكَ رَبُّكَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ سَمَاعُهُ، كَالأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ، وَضَائِقٌ صَدْرُكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ؟ ثُمَّ أَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ إلى أَنَّ عَلَيهِ أَنْ لاَ يَضِيقَ صَدْرُهُ بِذلِكَ، وَأَنْ لاَ يَصْرِفَهُ ذلِكَ وَلاَ يَثْنِيهِ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إلى اللهِ، آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ، وَأَنْ لا يَتَضايَقَ مِنْ قَوْلِهِمْ: لِمَاذَا لاَ يُنْزِلُ رَبُّهُ عَلَيهِ كَنْزاً، أَوْ يُرْسِلُ مَعَهُ مَلَكاً يُصَدِّقُهُ، أَوْ غَيْرَ ذلِكَ مِنَ الأَقْوالِ المُتَعَنِّتَةِ. . . وَيُخْبِرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ نَذِيرٌ مِنَ اللهِ إلى النَّاسِ، يُبَلِّغُهُمْ مَا يُؤْمَرُ بِإبلاغِهِ، وَاللهُ هُوَ القَادِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ لَوْ شَاءَ، وَهُوَ الوَكِيلُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ فِي الكَوْنِ.

وَكِيلٌ - قَائِمٌ بِهِ، حَافِظٌ لَهُ.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾

(افْتَراهُ) (مُفْتَرَيَاتٍ) (صَادِقِينَ)

(١٣) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى إعْجَازَ القُرْآنِ، وَيَرُدُّ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ فِي قَوْلِهِمْ: إنَّ مُحَمَّداً آفْتَرى القُرْآنَ، وَأَتى بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَنَسَبَهُ إِلَى اللهِ، آفْتِرَاءً مِنْهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إنْ كَانَ الأَمْرُ كَما تَقُولُونَ وَتَزْعُمُونَ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ، وَآسْتَعِينُوا بِكُلِّ مَن آسْتَطَعْتُمْ فِي ذلِكَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ: إنَّهُ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ. وَإذا كَانَ القُرْآنُ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ فَمِنَ المَفْرُوضِ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ قَوْلَ مِثْلِهِ لأَنَّ مُحَمَّداً مِنْهُمْ.

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

(١٤) - ثُمَّ يُشْعِرُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِعَجْزِهِمْ عَنْ ذلِكَ، وَيَقُولُ لِلرَّسُولِ ﷺ وَالمُؤْمِنينَ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِلَى مَا طَلَبْتُمْ مِنْهُمُ الإِتْيَانَ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْ مِثْلِ هٰذا القُرْآنِ، فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ عاجِزُونَ عَنْ ذلِكَ، وَأَنَّ البَشَرَ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الإِتْيَانَ بِمِثْلِهِ، وَأَنَّ القُرآنَ إِنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، فَأَسْلِمُوا لَهُ، وَأَخْلِصُوا إِليهِ فِي إِيمَانِكُمْ.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾

(الْحَيَاةَ) (أَعْمَالَهُمْ)

(١٥) - مَنْ كَانَ يَطْلُبُ الحَيَاةَ الدُّنيا، وَالتَّمَتُّعَ بِلَذَّاتِها مِنْ طَعَامٍ وَشَرابٍ، وَزِينَتَهَا مِنَ الثِّيابِ وَالأَثَاثِ وَالأَموالِ وَالأَوْلادِ، دُونَ آسْتِعْدادٍ لِلحَيَاةِ الآخِرَةِ بِعَمَلِ البِرِّ وَالإِحْسانِ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ، نُؤَدِّ إِلَيهِمْ ثَمَرَاتِ أَعْمَالِهِمْ وَافيةً تَامَّةً، وَلا يُنْقَصُونَ شَيْئاً مِنْ نِتاجِ كَسْبِهِمْ لأَجْلِ كُفْرِهِمْ، لأَنَّ مَدَارَ الأَرْزَاقِ عَلَى الأَعْمَالِ لاَ عَلَى النِّيَّاتِ وَالمَقَاصِدِ، فَجَزَاءُ الأَعْمَالِ فِي الدُّنيا مَنُوطٌ بِأَمْرينِ: كَسْبِ الإِنْسَانِ، وَقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

وَأَمَّا جَزاءُ الآخِرَةِ فَهُوَ بِفِعْلِ اللهِ تَعَالَى بِلا وِسَاطَةِ أَحَدٍ.

لاَ يُبْخَسُونَ - لاَ يُنْقَصُونَ شَيْئاً مِنْ أُجُورِ أَعْمالِهِمْ.

(١٦) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ
فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

(أولئك) (الآخِرَةِ) (وبَاطِلٌ)

(١٦) - وَهٰؤلاءِ الذينَ لاَ هَمَّ لَهُمْ إلاَّ الدُّنيا، وَزِينَتُها، وَزُخْرُفُها . . . لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ، لأَنَّ الجزاءَ فِيهَا مُتَرَتِّبٌ عَلَى الأَعْمالِ فِي الدُّنيا، وَهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا فِي دُنْيَاهُمْ لآخِرَتِهِمْ شَيْئاً لِيَنْتَفِعُوا بِهِ.

حَبِطَ - هَلَكَ وَبطَلَ.

(١٧) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ
وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ
كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ
أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ
مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ
إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ

(كِتَابُ) (أُولئِكَ)

(١٧) - أَفَمَنْ كَانَ عَلَى نُورٍ وَبَصِيرةٍ فِي دِينِهِ - وَهُوَ مُحَمَّدٌ وَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَابَعَهُ عَلَى دِينِهِ - وَيُؤيِّدُهُ نُورٌ غَيْبِيٌّ يَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ، وَهُوَ القُرآنُ المُشْرِقُ بالنُّورِ وَالهُدَى، وَيُؤيِّدُهُ شَاهِدٌ آخَرُ جاءَ قَبْلَهُ، وَهُوَ الكِتَابُ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى مُوسَى، حَالَ كَوْنِهِ إِماماً مُتَّبَعاً فِي الهُدَى وَالتَّشْرِيعِ، وَرَحْمَةً لِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ، أَفَمَنْ كَانَ عَلَى هٰذِهِ الأَوْصَافِ، كَمَنْ يُريدُ الحَيَاةَ الدُّنيا الفَانِيَةَ، وَيَظَلُّ مَحْرُوماً مِنَ الحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ التِي تُوصِلُ إِلى سَعَادَةِ الدَّارِ الآخِرَةِ الدَّائِمَةِ؟

وَهٰؤلاءِ الذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ البَيِّنَةِ المَوْهُوبَةِ، وَالبَيِّنَةِ المُكْتَسَبَةِ، لَيُؤْمِنُونَ بِهٰذا القُرآنِ إِيمَانَ يَقِينٍ وَإِذْعَانٍ، وَيَجْزِمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ. أَمَّا مَنْ يَكْفُرُ بِهٰذا القُرآنِ، وَيَجْحَدُ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِمَّنْ تَحَزَّبَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَزُعَمَاءِ قُرَيشٍ لِصَدِّ النَّاسِ عَنْهُ، فَإِنَّ مَصِيرَهُ سَيَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مِنْ جَرَّاءِ تَكْذِيبِهِ لِوَعِيدِ اللهِ.

فَلاَ تَكُنْ، أَيُّها المُؤْمِنُ، فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِ هٰذا القُرآنِ فَإِنَّهُ الحَقُّ الذِي لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ. وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ الإِيمَانَ الكَامِلَ.

(١٨) وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ
هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ
رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى
ٱلظَّٰلِمِينَ

(أُولئِكَ) (الأَشْهَادُ) (الظَّالِمِينَ)

(١٨) - يُبَيِّنُ اللهُ حَالَ المُفْتَرِينَ عَلَيهِ، وَفَضِيحَتَهُمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ مِنَ الخَلائِقِ، وَيَقُولُ تَعَالَى: لاَ أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللهِ الكَذِبَ فِي أَقْوَالِهِ أَوْ فِي أَحْكَامِهِ، أَوْ فِي صِفَاتِهِ، أَوْ فِي الزَّعْمِ أَنَّهُ اتَّخَذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَداً، أَوْ فِي تَكْذِيبِ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ. . . وَيُعْرَضُ هٰؤُلاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رَبِّهِمْ لِمُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوالِهِمْ، وَيَقُولُ الذِينَ يَتَقَدَّمُونَ لِلشَّهادَةِ عَلَيْهِمْ، مِنَ المَلائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَصَالِحِي المُؤْمِنِينَ: (هٰؤلاءِ الذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ، وَافْتَرَوْا، أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ).

(وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: إِنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ عَنِ النَّاسِ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ

كَذا، أَتعْرِفُ كَذا، حَتَّى إذا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي سَتَرْتُها عَلَيْكَ فِي الدُّنيا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَهُ وَفِيهِ حَسَنَاتُهُ.

وَأَمَّا الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: (هٰؤُلاءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ). (رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

١٩ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ

(بالآخِرَةِ) (كَافِرُونَ)

(١٩) - وَيُعَرِّفُ اللهُ هٰؤُلاءِ الظَّالِمِينَ فَيَقُولُ: إِنَّهُمُ الذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنَ الإِيمانِ، وَيَسْعَوْنَ لأَنْ تَكُونَ سَبِيلُ اللهِ مُعْوَجَّةً، مُوَافِقَةً لِشَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَيَكْفُرُونَ بِالآخِرَةِ، وَيُكَذِّبُونَ بِوُقُوعِهَا.

يَبْغُونَها عِوَجاً - يَطْلُبُونَها مُعْوَجَّةً، أَوْ ذَاتَ اعْوِجَاجٍ.

٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ

(أُولئِكَ) (يُضَاعَفُ)

(٢٠) - إِنَّ هٰؤُلاءِ الظَّالِمِينَ، لَمْ يَكُونُوا بِالذِينَ يُعْجِزُونَ اللهَ بِهَرَبِهِمْ مِنْهُ فِي الأَرْضِ، إذا أَرادَ عِقَابَهُمْ، بَلْ هُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْفَعَهُمْ، أَوْ أَنْ يَنْصُرَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ. وَلٰكِنَّهُ تَعَالَى يُؤَخِّرُ عُقُوبَتَهُمْ وَالانْتِقَامَ مِنْهُمْ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُضَاعِفُ لَهُمُ العَذَابَ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ، لأَنَّهُ جَعَلَ لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَبَقُوا صُمّاً عَنْ سَمَاعِ الحَقِّ، عُمْياً عَنِ اتِّبَاعِهِ.

مُعْجِزِينَ - فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللهِ بِالهَرَبِ.

٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ

(أُولئِكَ)

(٢١) - لَقَدْ خَسِرَ هٰؤُلاءِ أَنْفُسَهُمْ، وَغَبَنُوهَا حَظَّهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللهِ، وَاشْتِرائِهِم الضَّلالَةَ بِالهُدَى، لأَنَّهُمْ أُدْخِلُوا النَّارَ، وَلاَقَوْا عَذاباً لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ، وَلا يَتَوَقَّفُ، وَغَابَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ عَلَى اللهِ مِنْ نِسْبَةِ الأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ، وَالأَبْنَاءِ إِلَيْهِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ أَصْنَامُهُمْ، وَلا أَوْثَانُهُمْ شَيْئاً مِنَ اللهِ.

٢٢ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ

(الآخِرَةِ)

(٢٢) - وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرَ النَّاسِ خُسْرَاناً. لأَنَّهُمْ اعْتَاضُوا عَنِ الجَنَّةِ بِالجَحِيمِ، وَعَنِ المَغْفِرَةِ بالعَذَابِ.

لا جَرَمَ - لاَ شَكَّ، أو لاَ مَحَالَةَ أَوْ حَقّاً، أَوْ حَقَّ وَثَبَتَ.

٢٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أُولئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢٣) - لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى حَالَ الأَشْقِيَاءِ فِي الآخِرَةِ، ثَنَّى بِذِكْرِ حَالِ

أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

السُّعَداءِ، وَهُمُ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَخَشَعَتْ نُفُوسُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ إلى رَبِّهِمْ، وَتَرَكُوا المُنْكَرَاتِ، فَوَرِثُوا الجَنَّةَ وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ لا يُوصَفُ، بِعَمَلِهِمْ، وَاسْتِكَانَتِهِمْ للهِ، وَخُضُوعِهِمْ لَهُ. وَيَكُونُونَ فِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَداً.

أَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ - اطْمَأَنُّوا إِلَى وَعْدِهِ، أَوْ خَشَعُوا لَهُ.

الحزب ٢٣

٢٤ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

(٢٤) - وَضَرَبَ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً لِحَالِ المُؤْمِنِينَ، أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالجَنَّةِ، وَلِحَالِ الكَافِرِينَ، أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالعَذَابِ فَقَالَ: إِنَّ الكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالعَذَابِ مَثَلُهُمْ مَثَلُ الأَعْمَى وَالأَصَمِّ الذِي لا يُبْصِرُ وَلاَ يَسْمَعُ، وَلا يَهْتَدِي إِلى خَيْرٍ. وَمَثَلُ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ النَّعِيمِ كَمَثَلِ البَصِيرِ السَّمِيعِ الذِي يَتْبَعُ الخَيْرَ، وَيَتْرُكُ الشَّرَّ، وَهُوَ سَمِيعٌ لِلْحُجَّةِ فَلا يَرُوجُ عَلَيهِ البَاطِلُ. فَهَلْ يَسْتَوِي هٰذانِ حَالاً؟ كَلاَّ إِنَّهُمَا لاَ يَسْتَوِيَانِ، أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ يَا أَيُّها النَّاسُ فِيمَا بَيْنَ الهُدَى وَالضَّلالِ مِنَ التَّبَايُنِ، وَفِيمَا بَيْنَ البَاطِلِ وَالحَقِّ مِنَ الاخْتِلافِ وَالتَّمَايُزِ فَتَعْتَبِرُوا وَتَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الهُدَى وَالإِيمَانِ، وَتَبْتَعِدُوا عَنْ طَرِيقِ الكُفْرِ وَالضَّلالِ؟

٢٥ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ

(٢٥) - كَانَ نُوحٌ عَليهِ السَّلامُ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ مِمَّنْ أَشْرَكُوا، وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ وَالأَوْثَانَ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّنِي لَكُمْ نَذِيرٌ مِنَ اللهِ أُبَيِّنُ لَكُمْ طَرِيقَ النَّجَاةِ، فَآمِنُوا بِهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ.

٢٦ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ

(٢٦) - وَلاَ تَعْبُدُوا إِلا اللهَ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، لأَنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ القِيَامَةِ، إِذَا أَقَمْتُم عَلَى شِرْكِكُمْ وَكُفْرِكُمْ بِرَبِّكُمْ، وَعِبَادَةِ غَيْرِهِ تَعَالَى.

٢٧ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ

(نَرَاكَ) (كَاذِبِينَ)

(٢٧) - فَرَدَّ السَّادَةُ الكُبَرَاءُ (المَلأُ) عَلَيهِ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لاَ يَرَوْنَهُ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَهُمْ، وَلَيْسَ مَلَكاً مُنَزَّلاً مِنَ السَّمَاءِ، فَكَيْفَ أَوْحَى اللهُ إِلَيهِ، وَاخْتَارَهُ لِلرِّسَالَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ؟ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَمْ يَتْبَعْهُ إِلاَّ الأَرَاذِلُ الأَخِسَّاءُ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَتْبَعْهُ أَحَدٌ مِنَ الأَشْرَافِ وَالرُّؤَسَاءِ. ثُمَّ إِنَّ هٰؤلاءِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوهُ عَنْ فِكْرٍ وَنَظَرٍ وَتَمْحِيصٍ، وَإِنَّما أَجَابُوهُ فَوْرَ دَعْوَتِهِ إِيَّاهُمْ (بَادِيَ الرَّأْيِ - أَيْ فِي أَوَّلِ بَادِيءٍ).

وَقَالُوا لَهُ أَخِيراً: إِنَّهُمْ لاَ يَرَوْنَ لِنُوحٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ وَلاَ مِيزَةٍ، فِي الخَلْقِ وَلا فِي الخُلُقِ، وَلا فِي الحَالِ وَلا فِي القُوَّةِ، وَلاَ فِي العِلْمِ لِيَتَّبِعُوهُ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيهِ، وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ نُوحاً كَاذِبٌ فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنْ نُبُوَّةٍ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ كَاذِبُونَ فِيمَا يَدَّعُونَهُ لأَنْفُسِهِمْ مِنَ البِرِّ وَالصَّلاحِ وَالعِبَادَةِ.

(٢٨) قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ

(٢٩) وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ

(٣٠) وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

(٣١) وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

المَلأ - السَّادَةُ وَالكُبَرَاءُ.

بَادِيَ الرَّأْيِ - ظَاهِرَهُ دُونَ تَعَمُّقٍ وَلاَ تَثَبُّتٍ.

(يَا قَوْمِ) (أَرَأَيْتُمْ) (وَآتَانِي) (كَارِهُونَ)

(٢٨) - فَرَدَّ عَلَيْهِمْ نُوحٌ قَائِلاً: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ وَأَمْرٍ جَلِيٍّ وَنُبُوَّةٍ صَادِقَةٍ، وَهِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ آتَانِي إِيَّاهَا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ خَفِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ، فَلَمْ تَهْتَدُوا إِلَيها، وَلا عَرَفْتُمْ قَدْرَها، بَلْ بَادَرْتُمْ إِلى تَكْذِيبِها وَرَدِّهَا، أَفَنُجْبِرُكُمْ عَلَى قَبُولِها وَالأَخْذِ بِهَا وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ؟

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي

عَمِيَتْ عَلَيْكُمْ - أُخفِيَتْ عَلَيْكُمْ.

(يَا قَوْمِ) (أَسْأَلُكُمْ) (آمَنُوا) (مُلاَقُو) (أَرَاكُمْ)

(٢٩) - وَأَنَا لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَى نُصْحِي لَكُمْ، وَدَعْوَتِي إِيَّاكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، مَالاً آخُذُهُ مِنْكُمْ أُجْرَةً عَلَى ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ، وَأَنَا لاَ أَسْتَطِيعُ طَرْدَ المُؤْمِنِينَ كَمَا طَلَبْتُمْ مِنِّي، اسْتِعْلاءً مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ، وَتَحَاشِياً مِنَ الجُلُوسِ مَعَهُمْ، لأَنَّهُمْ سَيُلاقُونَ رَبَّهُمْ، وَسَيَسْأَلُنِي اللهُ تَعَالى عَنْ ذٰلِكَ، وَإِنِّي لأَرَاكُمْ قَوْماً تَتَجَاوَزُونَ فِي طَلَبِكُمْ الحَقَّ وَالصَّوابَ، إِلَى الجَهْلِ وَالبَاطِلِ، وَلا تُدْرِكُونَ أَنَّ مَا يَصِحُّ أَنْ يَتَفَاضَلَ فِيهِ الخَلْقُ عِنْدَ اللهِ هُوَ الإِيمَانُ، وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، لاَ المَالُ، وَلا الحَسَبُ وَلا الجَاهُ.

(وَيَا قَوْمِ)

(٣٠) - إِنَّ اللهَ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ فَإِذا طَرَدْتُ أَنَا هٰؤُلاءِ المُؤْمِنِينَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَاتِّبَاعِهِمْ إِيَّايَ فِيمَا بَلَّغْتُهُمْ، أَكُونُ قَدِ ارْتَكَبْتُ جُرْماً عَظِيماً، فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ مَوْلاهُمْ؟ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ أَنَّ اللهَ رَبُّ النَّاسِ جَمِيعاً، وَأَنَّهُ لاَ فَضْلَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ عِنْدَهُ إِلا بِالإِيمَانِ وَالتَّقْوى وَالعَمَلِ الصَّالِحِ؟

(خَزَائِنُ) (الظَّالِمِينَ)

(٣١) - يُخْبِرُهُمْ نُوحٌ عَلَيهِ السَّلامُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَلا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذٰلِكَ أَجْراً، وَهُوَ مُكَلَّفٌ بِدَعْوَةِ النَّاسِ جَمِيعاً، الشَّرِيفِ وَالوَضِيعِ، فَمَنِ اسْتَجَابَ لَهُ فَقَدْ أَفْلَحَ وَنَجَا وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لاَ قُدْرَةَ لَهُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي خَزَائِنِ اللهِ، وَأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ الغَيْبَ، إِلاّ مَا أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَلَكٍ مِنَ المَلائِكَةِ، بَلْ هُوَ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ وَمِنْهُمْ، مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ مِنَ اللهِ رَبِّهِمْ، وَمُؤَيَّدٌ بِمُعْجِزَاتِهِ، وَأَنَّهُ لاَ يَقُولُ عَنِ المُؤْمِنِينَ، الذِينَ يَحْتَقِرُونَهُمْ وَيَزْدَرُونَهُمْ: إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ

٣٢ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا
فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا
تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

٣٣ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ
وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ

٣٤ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ
أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ
تُرۡجَعُونَ

٣٥ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ
ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ

٣٦ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ
مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا
تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ

اللهِ ثَوابٌ عَلَى إيمانِهِمْ وأَعْمالِهِم الصَّالِحَةِ، واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنينَ، حَقّاً وصِدْقاً فَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ جَزاءُ الحُسْنَى، وَإِنَّهُ إِنْ قَالَ غَيْرَ ذٰلِكَ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

خَزائِنُ اللهِ - خَزائِنُ رِزْقِهِ وَمَالِهِ.

تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ - تَسْتَحْقِرُهُمْ وَتَسْتَهزِىءُ بِهِمْ.

(يَا نُوحُ) (جَادَلْتَنَا) (جِدَالَنَا) (الصَّادِقِينَ)

(٣٢) - قَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ يَرُدُّونَ عَلى مَقالَتِهِ هٰذِهِ: لَقَدْ جَادَلْتَنا يا نُوحُ وحاجَجْتَنا، فَأَكْثَرْتَ مِنْ ذٰلِكَ، حَتَّى أَمْلَلْتَنا، ولَمْ يَعُدْ لَدَيْنا شَيءٌ نَقُولُهُ، ونَحْنُ لَنْ نَتَّبِعَكَ، فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنا مِنَ النِّقْمَةِ والعَذابِ، وَادْعُ عَلَينا بِما شِئْتَ، وَلْيَأْتِنَا العَذابُ إِنْ كُنْتَ صادِقاً فِيما تَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّ اللهَ يُعاقِبُنا عَلَى عِصْيانِهِ فِي الدُّنيا قَبْلَ عِقابِ الآخِرَةِ.

(٣٣) - قَالَ لَهُمْ نُوحٌ: أَنَا لا أَمْلِكُ العَذابَ الذِي تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، إِنَّما الذِي سَيَأْتِيكُمْ بِهِ، وَيُعَجِّلُ العِقابَ لَكُمْ، هُوَ اللهُ الذِي لا يُعْجِزُهُ شَيءٌ.

مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ - بِفَائِتِينَ مِنْ عَذابِ اللهِ بِالهَرَبِ.

(٣٤) - وَأَيُّ شَيءٍ يُفِيدُكُمْ نُصْحِي وَإِبلاغِي إِيَّاكُمْ رِسالاتِ رَبِّي إِنْ أَرادَ اللهُ أَنْ يُضِلَّكُمْ وَيُغْوِيَكُمْ؟ فَهُوَ سُبْحَانَهُ مالِكُ أَزِمَّةِ الأُمُورِ، المُتَصَرِّفُ المُطْلَقُ، العَادِلُ الذِي لا يَجُورُ، وَإِلَيهِ يَرْجِعُ النَّاسُ، يَوْمَ الحِسابِ، لِيَجْزِيَ كُلَّ عامِلٍ بِعَمَلِهِ، وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ أَنَّ النُّصْحَ إِنَّما يَتَقَبَّلُهُ المُسْتَعِدُّ لِلرَّشادِ، وَيَرْفُضُهُ مَنْ غَلَبَ عَلَيهِ الغَيُّ والفَسادُ.

أَنْ يُغْوِيَكُمْ - أَنْ يُضِلَّكُمْ.

(افْتَراهُ)

(٣٥) - أَمْ يَقُولُ مُشْرِكُو مَكَّةَ: إِنَّ مُحَمَّداً افْتَرَى خَبَرَ نُوحٍ، وَجَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ؟ فَقُلْ لَهُمْ: إِنْ أَنا افْتَرَيْتُهُ عَلَى اللهِ فَإِنَّ إِثْمَ ذٰلِكَ وَعِقابَهُ عَلَيَّ، وَاللهُ تَعالَى لا يَغْفُلُ عَنْ عُقُوبَةِ مَنْ يَفْتَرِي عَلَيْهِ الكَذِبَ، وَأَنْتُمْ لا تَتَحَمَّلُونَ مَعِي شَيئاً مِنْ ذَنْبِي هٰذا، كَما أَنَّنِي بَرِيءٌ مِنَ الإِجْرامِ المُتَمَثِّلِ بِكُفْرِكُمْ، وَتَجاوُزِكُمُ الحَقَّ.

فَعَلَيَّ إِجْرَامِي - فَعَلَيَّ عِقَابُ مَا اكْتَسَبْتُهُ مِنْ ذَنْبٍ.

(آمَنَ) (تَبْتَئِسْ)

(٣٦) - لَمَّا اسْتَعْجَلَ قَوْمُ نُوحٍ عَذابَ رَبِّهِمْ، وَنِقْمَتَهُ، وَقَالُوا لَهُ ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، دَعَا نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً. فَأَوْحَى تَعالَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ كانَ آمَنَ مِنْ قَبْلُ، فَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِم لِمَا كانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي

السِّنِينَ الخَوالي ، مِنَ التَّكْذِيبِ وَالعِنادِ وَالايذاءِ، وَلاَ يهُمُّكَ أَمْرُهُمْ .
فَلاَ تَبْتَئِسْ - فَلاَ تَحْزَنْ .

(٣٧) وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا
وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ

(تُخاطِبْني)

(٣٧) - وَأَمَرَ اللهُ تَعالَى عَبْدَهُ نُوحاً أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً (فُلْكاً) حَسَبَ التَّعْلِيماتِ التي يَتَلَقَّاها، وَحْياً مِنْ رَبِّهِ لِيُنْجِيَهُ هُوَ وَالمُؤْمِنينَ بِها. وَيُخبِرُ اللهُ رَسُولَهُ أَنَّهُ مَشْمُولٌ بالعِنايَةِ الإِلَهِيَّةِ وَالرِّعايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَأَنَّهُ سَيُغْرِقُ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ.
بِأَعْيُنِنا - بِحِفْظِنَا وَرِعَايَتِنا الكامِلَتَيْنِ.

(٣٨) وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ
عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ
مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا
نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ

(٣٨) - وَأَخَذَ نُوحٌ يَصْنَعُ السَّفِينَةَ، فَكانَ كُبَراءُ قَوْمِهِ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ، وَيَرَوْنَ ما يَصْنَعُ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيُكَذِّبُونَهُ فِيما يَتَوعَّدُهُمْ بِهِ مِنَ الغَرَقِ، فَكانَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا لِرُؤْيَتِكُمْ ما لاَ تَتَصَوَّرُونَهُ مُفِيداً اليَوْمَ، فَإِنَّنا سَنَسْخَرُ مِنْكُمْ غَداً، حِينَما يَأْتِي وَعْدُ اللهِ، وَيَحِلُّ بِكُمْ ما أَنْذَرَكُمْ بِهِ مِنْ عَذابِهِ.

(٣٩) فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ
عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ
مُّقِيمٌ

(٣٩) - وَحِينَ يَجِيءُ أَمْرُ اللهِ حامِلاً إِلَيْكُمْ عَذابَهُ المَوْعُودَ، فَفِي ذلِكَ اليَوْمِ فَقَطْ تَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ الذِي سَيَحِلُّ بِهِ عَذابُ اللهِ الذِي سَيُخْزِيهِ، وَيُذِلُّهُ، بِالغَرَقِ فِي الدُّنيا، وَيَوْمَ القِيامَةِ لَهُ عَذابٌ دائِمٌ سَرْمَدِيٌّ (مُقِيمٌ).
يُخْزِيهِ - يُذِلُّهُ وَيُهِينُهُ.
يَحِلُّ عَلَيهِ - يَجِبُ عَلَيهِ وَيَنْزِلُ بِهِ.

(آمَنَ)

(٤٠) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ
قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ
زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن
سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ
ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ

(٤٠) - وَجَعَلَ اللهُ تَعالَى لِنُوحٍ عَلامَةً عَلَى حُلُولِ العَذابِ بِقَوْمِهِ، وَهِيَ أَنْ يَهْطِلَ المَطَرُ بِصُورَةٍ مُتَواصِلَةٍ لاَ يُقْلِعُ وَلا يَفْتُرُ، وَيَتَفَجَّرُ وَجْهُ الأَرْضِ عُيُوناً تَنْبُعُ وَتَفُورُ حَتَّى يَفُورَ الماءُ مِنَ التَّنانِيرِ التي هِيَ أَماكِنُ النِّيرانِ، فَحِينَما يَرَى نُوحٌ ذلِكَ فَعَلَيهِ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ المَخْلُوقاتِ، ذَواتِ الأَرْواحِ وَالنَّباتاتِ، زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثَى، وَأَمَرَهُ اللهُ تَعالَى بِأَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِيها أَهْلَهُ (أَهْلَ بَيْتِهِ وَأَقْرِباءَهُ)، وَاسْتَثْنَى تَعالَى مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِرِسالَةِ نُوحٍ ، وَبِرَبِّ نُوحٍ ، وَكانَ مِنْهُمُ امْرَأَتُهُ وَابْنُهُ. وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَحْمِلَ فِيها مَنْ آمَنَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَلَمْ يَكُونُوا كَثِيرِينَ، كَما أَخْبَرَ اللهُ تَعالَى.
فارَ التَّنُّورُ - نَبَعَ الماءُ وَجاشَ بِشِدَّةٍ مِنْ تَنُّورِ الخُبْزِ.

﴿٤١﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ

نصف الحزب ٢٣

(مَجْرَاهَا) (وَمُرْسَاهَا)

(٤١) - فَحَمَلَهُمْ نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ وَقَالَ لَهُمْ: ٱرْكَبُوا فِيها بِٱسْمِ اللهِ جَرْيُهَا عَلَى وَجْهِ المَاءِ، وَبِٱسْمِ اللهِ مُنْتَهَى سَيرِهَا وَرُسُوُّها، فَهُوَ الذِي يَتَوَلَّى ذٰلِكَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَحِفْظِهِ وَعِنَايَتِهِ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ لِمَنْ تَابَ إِليهِ مِنْ ذَنْبِهِ، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ.

مَجْرَاهَا - وَقْتُ إِجْرَائِهَا.

مُرْسَاهَا - وَقْتُ إِرْسَائِهَا.

﴿٤٢﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ

(يَا بُنَيَّ) (الْكَافِرِينَ)

(٤٢) - وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تَجْرِي بِرَاكِبِيهَا عَلَى وَجْهِ المَاءِ فِي أَمْوَاجٍ كَالجِبالِ بَعْدَ أَنْ غَطَّى المَاءُ الأَرْضَ، وَنَادَى نُوحٌ ٱبْنَهُ، وَكَانَ كَافِراً، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُؤْمِنَ وَيَرْكَبَ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ، لِكَيْلَا يَغْرَقَ كَمَا سَيَغْرَقُ الآخَرُونَ مِنَ الكَفَرَةِ، وَكَانَ الابْنُ يَقِفُ فِي مَكَانٍ مُنْعَزِلٍ عَزَلَهُ المَاءُ وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

مَعْزِلٍ - مَكَانٍ مُنْعَزِلٍ عَزَلَهُ المَاءُ.

﴿٤٣﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ

(سآوِي)

(٤٣) - فَرَدَّ عَلَيهِ ٱبْنُهُ قَائِلاً: إِنَّنِي سَأَلْتَجِىءُ إِلَى قُمَّةِ جَبَلٍ عَالِيَةٍ تَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ، ظَنّاً مِنْهُ أَنَّ الطُّوفَانَ لَنْ يَبْلُغَ رُؤُوسَ الجِبَالِ، وَأَنَّهُ إِذَا تَعَلَّقَ بِرَأْسِ جَبَلٍ أَنْجَاهُ ذٰلِكَ مِنَ الغَرَقِ، فَقَالَ لَهُ نُوحٌ: لَيْسَ هُنَاكَ شَيءٌ يَعْصِمُ اليَوْمَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ وَأَمْرِهِ، وَٱرْتَفَعَ المَوْجُ، وَحَالَ دُونَ رُؤْيَةِ أَحَدِهِما الآخَرَ فَكَانَ ٱبْنُ نُوحٍ مِنَ المُغْرَقِينَ.

سَآوِي - سَأَلْتَجِىءُ وَأَسْتَنِدُ.

لَا عَاصِمَ - لَا مَانِعَ وَلا حَافِظَ.

﴿٤٤﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

(يَا أَرْضُ) (وَيَا سَمَاءُ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمَّا غَرِقَ قَوْمُ نُوحٍ كُلُّهُمْ، إِلاَّ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ، أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الأَرْضَ بِأَنْ تَبْتَلِعَ مَاءَهَا الذِي نَبَعَ مِنْهَا، وَٱجْتَمَعَ عَلَيها، وَأَمَرَ السَّمَاءَ بِأَنْ تَكُفَّ عَنِ المَطَرِ (تُقْلِعَ) وَغِيضَ المَاءُ، وَأَخَذَ فِي التَّنَاقُصِ، وَقُضِيَ أَمْرُ اللهِ فَهَلَكَ قَوْمُ نُوحٍ قَاطِبَةً مِمَّنْ كَفَرَ بِاللهِ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَٱسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلِ الجُودِيِّ (وَقِيلَ إِنَّهُ جَبَلٌ قُرْبَ الموصل)، وقيل: هَلَاكاً وَخَسَاراً وَبُعْداً لِلظَّالِمِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

أَقْلِعِي - كُفِّي عن المَطَرِ وَأَمْسِكِي.

غِيضَ المَاءُ - نَقَصَ وَذَهَبَ فِي الأَرْضِ.

ٱسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ - ٱسْتَقَرَّتْ فَوْقَ جَبَلِ الجُودِيِّ.

بُعْداً - هلاكاً وخساراً وَسُحْقاً.

٤٥ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ

(الْحَاكِمِينَ)

(٤٥) - هٰذا سُؤالُ ٱسْتِعْلامٍ مِنْ نُوحٍ عَلَيهِ السَّلامُ، عَنْ حَالِ وَلَدِهِ الذِي غَرِقَ، فَقالَ: يا رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي هُوَ مِنْ أَهْلِي، وَقَدْ وَعَدْتَنِي بِنَجاةِ أَهْلِي، وَوَعْدُكَ حَقٌّ لا يُخْلَفُ، فَكَيْفَ غَرِقَ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ، وَحُكْمُكَ يَصْدُرُ عَنْ كَمالِ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، وَلا يَعْرِضُ لَهُ الخَطَأُ وَالظُّلْمُ؟

٤٦ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ

(يَا نُوحُ) (صَالِح) (فَلَا تَسْأَلْنِ) (الْجَاهِلِينَ)

(٤٦) - فَرَدَّ اللهُ سُبْحَانَهُ قائِلاً: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الذِينَ وَعَدْتُكَ بِإِنْجائِهِمْ مَعَكَ فِي السَّفِينَةِ، لأَنِّي وَعَدْتُكَ بِنَجاةِ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِكَ. وَٱبْنُكَ هٰذا لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِذْ إِنَّهُ بِكُفْرِهِ قَدِ ٱنْقَطَعَتِ المُوالاةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَقَدْ عَمِلَ أَعْمالاً غَيْرَ صالِحَةٍ، فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيءٍ لا عِلْمَ ثابِتٌ لَكَ بِهِ، وَإِنِّي أَنْهاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ زُمْرَةِ مَنْ يَجْهَلُونَ، فَيَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يُبْطِلَ حُكْمَهُ، وَتَقْدِيرَهُ فِي خَلْقِهِ، ٱسْتِجابَةً لِشَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوائِهِمْ.

٤٧ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

(أَسْأَلَكَ) (الْخَاسِرِينَ)

(٤٧) - قَالَ نُوحٌ: رَبِّ إِنِّي أَلْتَجِيءُ إِلَيْكَ، وَأَحْتَمِي بِكَ (أَعُوذُ بِكَ) مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ شَيْئاً بَعْدَ الآنِ لا أَعْلَمُ الحَقَّ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِي بِفَضْلِكَ وَمَنِّكَ ذَنْبَ هٰذا السُّؤالِ، وَتَشْمَلْنِي بِرَحْمَتِكَ، أَكُنْ فِي عِدادِ الخَاسِرِينَ.

٤٨ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ

(يَا نُوحُ) (بِسَلَامٍ) (وَبَرَكَاتٍ)

(٤٨) - وَلَمَّا غِيضَ المَاءُ، وَٱسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلِ الجُودِيِّ، أَمَرَ اللهُ تَعالَى نُوحاً بِأَنْ يَهْبِطَ مِنَ السَّفِينَةِ، مُمَتَّعاً بِسَلامٍ وَتَحِيَّةٍ وَبَرَكاتٍ عَلَى نُوحٍ، وَعَلَى الذِينَ مَعَهُ، فِي المَعَاشِ وَالأَرْزاقِ، تَفِيضُ عَلَيْهِمْ، وَسَيَكُونُونَ أُمَماً مُخْتَلِفَةً مِنْ بَعْدِهِ، وَسَيَنالُ بَرَكَةَ الإِيمانِ بَعْضُهُمْ، وَسَيَكُونُ مِنْهُمْ آخَرُونَ سَيُمَتَّعُونَ فِي الدُّنيا بِالبَرَكاتِ وَالأَرْزاقِ لا يُصِيبُهُمْ لُطْفٌ مِنَ اللهِ وَلا رَحْمَةٌ، كَما يُصِيبُ المُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الشَّيْطانَ سَيُضِلُّهُمْ، وَيُزَيِّنُ لَهُم الشِّرْكَ وَالظُّلْمَ وَالبَغْيَ، ثُمَّ يَمَسُّهُمُ العَذابُ الأَلِيمُ يَوْمَ القِيامَةِ.

بَرَكَاتٍ - خَيْراتٍ ثابِتَةٍ وَنامِيَةٍ.

٤٩ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

(الْعَاقِبَةَ)

(٤٩) - هٰذا القَصَصُ الذِي قَصَصْناهُ عَلَيْكَ مِنْ خَبَرِ نُوحٍ وَقَومِهِ هُوَ مِنْ أَخْبارِ الغَيْبِ السَّالِفَةِ، نُعْلِمُكَ بِها عَلَى حَقِيقَتِها، وَحْياً مِنَّا إِلَيكَ كَما وَقَعَتْ، وَكَأَنَّكَ شاهِدُها، وَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ، وَلَمْ يَكُنْ قَوْمُكَ يَعْلَمُونَها حَتَّى يَقُولَ مَنْ يُكَذِّبُكَ مِنْهُمْ إِنَّكَ تَعَلَّمْتَها مِنْهُ، بَلْ أَخْبَرَكَ اللهُ بِها مُطابِقَةً لِما

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ ٥٠

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٥١

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ ٥٢

كَانَتْ عَلَيْهِ مُجْرَيَاتُها، كَمَا تَشْهَدُ بِهِ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ السَّالِفِينَ قَبْلَكَ، فَٱصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْ قَوْمِكَ، وَٱصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ لَكَ، كَمَا صَبَرَ الرُّسُلُ قَبْلَكَ عَلَى أَذَى أَقْوَامِهِمْ، فَإِنَّنا سَنَنْصُرُكَ، وَنَحُوطُكَ بِعِنَايَتِنَا، وَنَجْعَلُ العَاقِبَةَ لَكَ، بِالفَوْزِ وَالنَّجَاةِ لَكَ وَلأَتْبَاعِكَ المُتَّقِينَ، فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، كَمَا فَعَلْنَا بِالمُرْسَلِينَ السَّابِقِينَ إِذْ نَصَرْنَاهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

(يَا قَوْمِ)

(٥٠) - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا هُوداً عَلَيهِ السَّلامُ إِلَى قَوْمِ عَادٍ، وَهُوَ مِنْهُمْ (أَخَاهُمْ) لِيَأْمُرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ التِي ٱفْتَرَوْهَا كَذِباً، وَٱخْتَلَقُوا لَهَا الأَسْمَاءَ الإِلَهِيَّةَ.

(يَا قَوْمِ) (أَسْأَلُكُمْ)

(٥١) - وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لاَ يُرِيدُ مِنْهُمْ أَجْراً عَلَى نُصْحِهِ لَهُمْ وَإِبلاغِهِ إِيَّاهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَإِنَّما يَبْغِي الثَّوابَ مِنَ اللهِ، الذِي خَلَقَهُ عَلَى الفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، مُبَرَّأً مِنَ البِدَعِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَفَلا تَعْقِلُونَ مَا يُقَالُ لَكُمْ فَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ مَا يَضُرُّ وَمَا يَنْفَعُ، وَأَنَّ مَنْ يَدْعُوكُمْ إِلَى مَا يُصْلِحُكُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ مِنْ غَيْرِ أُجْرَةٍ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَاذِباً.

فَطَرَنِي - خَلَقَنِي وَأَبْدَعَنِي.

(وَيَا قَوْمِ)

(٥٢) - وَأَمَرَ هُودُ قَوْمَهُ بِٱسْتِغْفَارِ رَبِّهِمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَمِمَّا أَسْلَفُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَبِإِخْلاصِ التَّوْبَةِ إِليه عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ. وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَى رَبِّهِ وَٱسْتَغْفَرَهُ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيهِ رِزْقَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيهِ أَمْرَهُ، وَحَفِظَ شَأْنَهُ، وَأَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَيهِ بِالمَطَرِ المُتَتَابعِ، فَيَزْدَادُ قُوَّةً وَرَفَاهاً.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ هُودُ بِأَنْ لاَ يُعْرِضُوا عَمَّا دَعَاهُمْ إِليهِ، وَأَنْ يُقْلِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالإِجْرامِ والإِسَاءَةِ إِلى النَّاسِ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ).

السَّمَاءَ - المَطَرَ.

مِدْرَاراً - مُتَتَابِعاً غَزِيراً بِلا أَضْرَارٍ.

﴿٥٣﴾ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ
وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن
قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ

﴿٥٤﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ
ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُشۡرِكُونَ

﴿٥٥﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ
لَا تُنظِرُونِ

﴿٥٦﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ
مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ
بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ

﴿٥٧﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ
بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ

(يَا هُودُ) (آلِهَتِنَا)

(٥٣) - قَالُوا لَهُ: يَا هُودُ إِنَّكَ لَمْ تَأْتِنا بِحُجَّةٍ وبُرْهَانٍ (بَيِّنَةٍ) عَلَى صِحَّةِ مَا تَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَنَحْنُ لَنْ نَتْرُكَ عِبادَةَ آلِهَتِنَا بِمُجَرَّدِ قَوْلِكَ لَنَا اتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَلَنْ نُصَدِّقَكَ فِيمَا تَقُولُ وتَدَّعِي مِنْ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ إِلَينا.

(اعْتَرَاكَ) (آلِهَتِنَا)

(٥٤) - وَقَالُوا لَهُ: مَا نَظُنُّ إِلاَّ أَنَّ بَعْضَ آلِهَتِنَا أَصَابَكَ بِمَسٍّ مِنْ جُنُونٍ وَخَبالٍ فِي عَقْلِكَ (اعْتَرَاكَ)، بِسَبَبِ نَهْيِكَ إِيَّانا عَنْ عِبادَتِها، وَطَعْنِكَ فِيها، فَصِرْتَ تَهْذِي بِهذا الكَلامِ. فَرَدَّ عَلَيهِمْ هُودٌ قَائِلاً: اشْهَدُوا أَنْتُمْ، وَإِنِّي أُشْهِدُ اللهَ رَبِّي عَلَى مَا أَقُولُ، بِأَنِّي بَرِيءٌ مِنْ جَمِيعِ الأَصْنَامِ وَالأَنْدادِ الذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ.
اعْتَرَاكَ - أَصَابَكَ.
بِسُوءٍ - بِجُنُونٍ وَخَبالٍ.

(٥٥) - فَاجْتَمِعُوا أَنْتُم وَآلِهَتُكُمْ عَلَى الكَيْدِ لِي، وَلاَ تَتَوانَوْا فِي ذٰلِكَ، وَلا تُقَصِّرُوا فِيهِ لَحْظَةً، فَهُوَ لاَ يُهِمُّنِي، وَلا يَضُرُّنِي فِي شَيْءٍ.
فَكِيدُونِي - فَاحْتَالُوا فِي الكَيْدِ لِي وَالضُّرِّ.
لاَ تُنْظِرُونِ - لاَ تُمْهِلُونِي.

(آخِذٌ) (صِرَاطٍ)

(٥٦) - إِنِّي وَكَّلْتُ أُمُورِي إِلى اللهِ، وَهُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمُ الحَقُّ، خَلَقَ المَخْلُوقاتِ كُلَّها، وَجَعَلَها تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُوَ الحَاكِمُ العَادِلُ الذِي لاَ يَجُورُ فِي حُكْمِهِ. وَأَفْعَالُهُ تَعالى، تَجْرِي عَلى طَرِيقِ الحَقِّ وَالعَدْلِ فِي مُلْكِهِ.
أَمَّا الأَصْنَامُ وَالأَوْثَانُ فَهِيَ حِجَارَةٌ لاَ تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ وَلاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرّاً وَلا نَفْعاً.
آخِذٌ بِنَاصِيَتِها - مَالِكُها، وَقَادِرٌ عَلَيها.

(٥٧) - فَإِنْ تَتَوَلَّوا عَمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِبادَةِ رَبِّكُمْ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَقَدْ قَامَتْ عَلَيكُم الحُجَّةُ بِإِبلاغِي إِيَّاكُمْ رِسَالَةَ اللهِ الذِي بَعَثَنِي بِهَا إِلَيْكُمْ، وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُهْلِكَكُمْ وَأَنْ يَأْتِيَ بِقَوْمٍ غَيْرِكُمْ يَخْلُفُونَكُمْ فِي دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، يَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ، وَلاَ يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً، وَلاَ يُبَالِي رَبُّكُمْ بِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَضُرونَهُ بِكُفْرِكُمْ وَإِعْراضِكُمْ، بَلْ يَعُودُ وَبَالُ كُفْرِكُمْ عَلَيْكُمْ وَحْدَكُمْ، وَرَبِّي رَقِيبٌ عَلَى كُلِّ شيءٍ، قَائِمٌ بِالحِفْظِ عَلَيهِ.
حَفِيظٌ - رَقِيبٌ مُهَيْمِنٌ.

﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ

﴿٥٩﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

﴿٦٠﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ

﴿٦١﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ

ثلاثة أرباع الحزب ٢٣

﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ

(آمَنُوا) (وَنَجَّيْنَاهُمْ)

(٥٨) - وَلَمَّا جاءَ أَمْرُ اللهِ بِإِهلاكِ قَوْمِ عادٍ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ، فَأَهْلَكَهُمْ بِها جَمِيعاً، وَلَمْ يَتْرُكْ أَحداً مِنْهُمْ حَيّاً. وَنَجّى اللهُ هُوداً وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ، مِنَ العَذَابِ الغَلِيظِ الذِي أَنْزَلَهُ بِقَوْمِ عادٍ.

غَلِيظٍ - شَدِيدٍ مُضاعَفٍ.

(بِآيَاتِ)

(٥٩) - وَكَانَ ذلِكَ مَصِيرَ قَوْمِ عادٍ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأَنْكَرُوا آيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ (لأَنَّ مَنْ كَذَّبَ رَسُولاً فَقَدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ جَمِيعاً). وَٱتَّبَعَ الدَّهْمَاءُ مِنْهُمْ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ، وَقَادَتِهِم الطُّغَاةِ، الذِينَ يَأْبَوْنَ الحَقَّ، وَلا يُذْعِنُونَ لَهُ وَإِنْ قَامَ عَلَيهِ الدَّلِيلُ.

جَبَّارٍ - يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجْبِرَ غَيْرَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ.

عَنِيدٍ - طَاغٍ مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ، مُجَانِبٍ لَهُ.

(القِيامَةِ)

(٦٠) - وَبِسَبَبِ كُفْرِهِمْ هٰذا وَعُتُوِّهِمْ، ٱسْتَحَقُّوا مِنَ اللهِ، وَالمَلائِكَةِ، وَالنَّاسِ، لَعْنَةً فِي الدُّنيا كُلَّما ذُكِرُوا، وَتَتْبَعُهُمُ اللَّعْنَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَما يُنَادَى عَلَيْهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ: أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ.

بُعْداً - هَلاكاً وَخَسَاراً.

(صَالِحاً) (يَا قَوْمِ)

(٦١) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ بَعَثَ إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ رَسُولاً مِنْهُمْ هُوَ صَالِحٌ (وَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَسْكُنُونَ مَدَائِنَ الحِجْرِ بَيْنَ تَبُوكَ وَالمَدِينَةِ، وَكَانُوا بَعْدَ قَوْمِ عَادٍ) فَأَمَرَهُمْ صَالِحٌ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ اللهَ هُوَ الذِي خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، وَجَعَلَكُمْ تَعْمُرُونَ الأَرْضَ، وَتَسْتَغِلُّونَهَا، فَٱسْتَغْفِرُوهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ، وَتُوبُوا إِلَيهِ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَهُ، فَإِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ، يَسْمَعُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ، وَيُجِيبُهُ إِذا كَانَ مُؤْمِناً، مُخْلِصاً فِي دَعْوَتِهِ.

ٱسْتَعْمَرَكُم فِيها - جَعَلَكُمْ عُمَّارَهَا وَسُكَّانَهَا.

(يَا صَالِحُ) (أَتَنْهَانَا) (آبَاؤُنَا)

(٦٢) - فَرَدَّ عَلَيهِ قَوْمُهُ قَائِلِينَ: لَقَدْ كُنْتَ مَحطَّ رَجَائِنَا وَآمَالِنَا قَبْلَ أَنْ تَنْهَانَا عَنْ أَنْ نَعْبُدَ مَا كَانَ يَعْبُدُهُ آبَاؤُنَا وَأَسْلافُنا، وَقَبْلَ أَنْ تَدْعُوَنَا إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّنا لَفِي شَكٍّ كَبِيرٍ مِمَّا جِئْتَنَا بِهِ.

مُرِيبٍ - مُوقِعٍ فِي الرِّيبَةِ وَالقَلَقِ.

مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ
(٦٣) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ

(يَا قَوْمِ) (أَرَأَيْتُمْ) (وَآتَانِي)

(٦٣) - فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: هَلِ تَرَوْنَ لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ عَلَى هُدًى وَبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي تَجْعَلُنِي عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ هٰذَا هُوَ الطَّرِيقُ القَوِيمُ، وَأَنَّهُ آتَانِي رَحْمَةً مِنْهُ فَاخْتَارَنِي لِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ عَصَيْتُهُ فِيمَا أَرْسَلَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، وَتَرَكْتُ دَعْوَتَكُمْ إِلَى الحَقِّ وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ يَنْصُرُنِي وَيُجِيرُنِي مِنَ اللهِ حِينَئِذٍ؟ إِنَّكُمْ لا تَسْتَطِيعُونَ نَفْعِي إِنْ عَصَيْتُهُ، وَلا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ خَسَارَةٍ عَلَى خَسَارَةٍ (تَخْسِيرٍ)، إِنْ آثَرْتُ مَا عِنْدَكُمْ عَلَى مَا عِنْدَ اللهِ، وَاشْتَرَيْتُ رِضَاكُمْ بِسُخْطِهِ.

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي.
بَيِّنَةٍ - يَقِينٍ وَبُرْهَانٍ وَبَصِيرَةٍ.
تَخْسِيرٍ - خُسْرَانٍ - أَوْ خَسَارَةٍ إِثْرَ خَسَارَةٍ.

(٦٤) وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ

(يَا قَوْمِ) (آيَةً)

(٦٤) - وَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ: هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ تَمْتَازُ عَنْ سَائِرِ الإِبِلِ فِي أَكْلِهَا وَشُرْبِهَا وَخَلْقِهَا، أَرْسَلَهَا اللهُ إِلَيْكُمْ حُجَّةً، وَبُرْهَاناً عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِي إِلَيْكُمْ، فَذَرُوهَا تَسْرَحْ فِي أَرْضِ اللهِ، وَلا تُحَاوِلُوا أَنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ، فَيُعَاقِبَكُمْ اللهُ عَلَى فِعْلِكُمُ المُنْكَرِ بِإِهْلاكِكُمْ بِعَذَابٍ لا يَتَأَخَّرُ كَثِيراً عَنْ مَسِّكُمُ النَّاقَةَ بِسُوءٍ.

آيَةً - مُعْجِزَةً دَالَّةً عَلَى صِدْقِ النُّبُوَّةِ.

(٦٥) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ

(ثَلاثَةَ)

(٦٥) - فَضَاقَتْ ثَمُودُ بِالنَّاقَةِ وَبِصَالِحٍ، فَعَقَرُوهَا تَحَدِّياً لِصَالِحٍ، وَتَكْذِيباً لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ اللهَ سَيَنْتَقِمُ مِنْكُمْ، وَسَيَصُبُّ العَذَابَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ تَتَمَتَّعُونَ خِلالَهَا، وَهُوَ وَعْدٌ مِنَ اللهِ لاَ يَتَخَلَّفُ، وَلا يَقَعُ عَلَيهِ تَكْذِيبٌ.

(٦٦) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ

(صَالِحاً) (آمَنُوا) (يَوْمِئِذٍ)

(٦٦) - فَلَمَّا حَلَّ بِهِمُ العَذَابُ، نَجَّى اللهُ صَالِحاً وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ اللهِ، مِنْ عَذَابِ ذٰلِكَ اليَوْمِ وَنَكَالِهِ، وَاللهُ هُوَ القَوِيُّ القَادِرُ، وَهُوَ العَزِيزُ الذِي لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَحَدَّاهُ، وَلا يُعْجِزُهُ شَيءٌ.

(٦٧) وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ

(دِيَارِهِمْ) (جَاثِمِينَ)

(٦٧) - وَبَعْدَ أَنْ نَجَّى اللهُ صَالِحاً وَالمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، أَخَذَتِ الكَفَرَةَ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، صَيْحَةُ العَذَابِ، فَانْدَكَّتْ بِهِمِ الأَرْضُ، وَتَزَلْزَلَتْ وَأَصْبَحُوا هَالِكِينَ، وَهُمْ جَاثِمُونَ عَلَى رُكَبِهِمْ، وَمُكِبُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾

الصَّيْحَةُ - صَوْتٌ مُهْلِكٌ مِنَ السَّمَاءِ.
جَاثِمِينَ - هَامِدِينَ مَيِّتِينَ لَا حَرَاكَ بِهِمْ.

(ثَمُودَ)

(٦٨) - فَكَانُوا بِسُرْعَةِ زَوَالِهِمْ، وَشُمُولِ هَلَاكِهِمْ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يُعَمِّرُوا دِيَارَهُمْ، وَلَمْ يُقِيمُوا فِيهَا. وَقَدْ أَخَذَ العَذَابُ ثَمُودَ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا رَبَّهُمْ، وَأَشْرَكُوا بِهِ، وَخَالَفُوا عَنْ أَمْرِهِ، أَلَا بُعْداً لِثَمُودَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.
لَمْ يَغْنَوا فِيها - لَمْ يُقِيمُوا طَوِيلاً فِي رَغْدٍ.
بُعْدا لِثَمُودَ - هَلَاكاً وَسُحْقاً لِثَمُودَ.

(إِبْرَاهِيمَ) (سَلَاماً) (سَلَامٌ)

(٦٩) - وَجَاءَ المَلَائِكَةُ، رُسُلُ اللهِ، إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُبَشِّرُونَهُ بِوِلَادَةِ ٱبْنِهِ إِسْحَاقَ، فَقَالُوا لَهُ: نُسَلِّمُ عَلَيكَ سَلَاماً فَقَالَ: وَعَلَيكُم سَلَامٌ. فَذَهَبَ سَرِيعاً فَأَتَاهُمْ بِعِجْلٍ مِنَ البَقَرِ مَشْوِيٍّ (حَنِيذٍ) وَهُوَ مَا يُوجِبُهُ عَلَيهِ حَقُّ الضِّيَافَةِ لِلنَّازِلِينَ عَلَيهِ.
عِجْلٍ حَنِيذٍ - عِجْلٍ مَشْوِيٍّ عَلَى حِجَارَةٍ مُحَمَّاةٍ فِي حُفْرَةٍ.

(رَأَى)

(٧٠) - فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ أَنَّ المَلَائِكَةَ لَا يَمُدُّونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى طَعَامِهِ كَمَا تَقْضِي بِهِ آدَابُ الضِّيَافَةِ، أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ (نَكِرَهُمْ)، وَٱسْتَشْعَرَ مِنْهُم الخَوْفَ، فَقَالُوا: لَا تَخَفْ مِنَّا فَإِنَّنَا لَا نُرِيدُ بِكَ سُوءاً، وَإِنَّما نَحْنُ مُرْسَلُونَ مِنْ رَبِّكَ لِنُهْلِكَ قَوْمَ لُوطٍ.
نَكِرَهُمْ - أَنْكَرَهُمْ وَنَفَرَ مِنْهُمْ.
أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - ٱسْتَشْعَرَ فِي نَفْسِهِ الخَوْفَ مِنْهُمْ وَأَحَسَّ بِهِ.

(قَائِمَةٌ) (فَبَشَّرْنَاهَا) (بِإِسْحَاقَ)

(٧١) - وَكَانَتِ ٱمْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ (سَارَةُ) وَاقِفَةً وَهِيَ تَقُومُ بِخِدْمَةِ الضُّيُوفِ، فَضَحِكَتِ ٱسْتِبْشَاراً بِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ لِكَثْرَةِ فَسَادِهِمْ، فَبَشَّرَتْهَا المَلَائِكَةُ بِأَنَّها سَيُولَدُ لَهَا وَلَدٌ ٱسْمُهُ إِسْحَاقُ، ثُمَّ يَكُونُ لِإِسْحَاقَ خَلَفٌ، فِي حَيَاتِها وَحَيَاةِ زَوْجِها، وَهُوَ يَعْقُوبُ.

(يَا وَيْلَتَا) (أَأَلِدُ)

(٧٢) - قَالَتْ لَهُمْ سَارَةُ: كَيْفَ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ، وَزَوْجِي شَيْخٌ طَاعِنٌ فِي السِّنِّ لَا يُولَدُ لِمِثْلِهِ وَلَدٌ، وَهٰذا بِلا شَكٍّ أَمْرٌ عَجِيبٌ إِنْ وَقَعَ.
يَا وَيْلَتَا - كَلِمَةُ تَعَجُّبٍ.

(٧٣) قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ

(رَحْمَةُ) (وَبَرَكَاتُهُ)

(٧٣) - فَرَدَّتْ عَلَيها المَلائِكَةُ قَائِلَةً: لا يَنْبَغِي لَكِ أَنْ تَعْجَبِي مِنْ أَمْرِ قَضاهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ، وَهَلْ يَحُولُ شَيءٌ دُونَ قَدَرِ اللهِ؟ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ البَيْتِ، إِنَّ اللهَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

حَمِيدٌ - مَحْمُودٌ عَلَى أَفْعَالِهِ كُلِّها.

مَجِيدٌ - كَثِيرُ الخَيْرِ وَالإِحْسَانِ.

(٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ

(إِبْراهِيم) (يُجَادِلُنَا)

(٧٤) - خَافَ إبراهِيمُ مِنَ المَلائِكَةِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَأْكُلُوا طَعَامَهُ، ثُمَّ بَشَّرُوهُ بِإِسْحَاقَ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ مُرْسَلُونَ لإِهْلاكِ قَوْمِ لُوطٍ، فَارْتَاعَ لِذلِكَ. وَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ أَخَذَهُ الإِشْفَاقُ، فَرَاحَ يُجَادِلُ المَلائِكَةَ كَيْفَ يُهْلِكُونَ قَوْمَ لُوطٍ، وَفِيهِمْ أُنَاسٌ مُؤْمِنُونَ؟

الرَّوْعُ - الخَوْفُ وَالفَزَعُ.

(٧٥) إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ

(إِبْراهِيمَ) (أَوَّاهٌ)

(٧٥) - وَيَصِفُ اللهُ تَعَالَى إبْراهِيمَ بِأَنَّهُ رَجُلٌ حَلِيمٌ كَثِيرُ التَّأَوُّهِ، وَكَثِيرُ الإِنَابَةِ إِلى اللهِ، وَالتَّسْلِيمِ لأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ.

أَوَّاهٌ - كَثِيرُ التَّأَوُّهِ مِنْ خَوْفِ اللهِ.

حَلِيمٌ - مُتَأَنٍّ غَيْرُ عَجُولٍ.

مُنِيبٌ - رَاجِعٌ إِلى رَبِّهِ.

(٧٦) يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ

(يَا إِبْراهِيمُ) (آتِيهِمْ)

(٧٦) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لإِبراهِيمَ: يَا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنِ الجِدَالِ فِي أَمْرِ قَوْمِ لُوطٍ، وَالاسْتِرْحَامِ لَهُمْ. ثُمَّ أَعْلَمَهُ أَنَّ قَضَاءَ اللهِ تَعَالَى قَدْ نَفَذَ فِي قَوْمِ لُوطٍ وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الكَلِمَةُ بِالهَلاكِ، وَحُلُولِ البَأْسِ الذِي لا يُرَدُّ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ.

أَعْرِضْ عَنْ هذا - كُفَّ عَنْهُ.

(٧٧) وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ

(٧٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ وُصُولِ المَلائِكَةِ إِلَى لُوطٍ عَلَيهِ السَّلامُ، وَهُمْ عَلَى أَجْمَلِ صُورَةٍ لِشُبَّانٍ حِسَانِ الوُجُوهِ، وَكَانَ قَوْمُ لُوطٍ قَدْ نَهَوْهُ عَنْ أَنْ يَسْتَضِيفَ أَحداً لِكَيْلا يُدَافِعَهُمْ عَنْ أَضْيافِهِ، إِذَا أَرادُوا الاعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ، كَمَا كَانَتْ عَادَتُهُمْ فِيمَنْ يَمُرُّونَ فِي أَرْضِهِمْ، فَاغْتَمَّ لُوطٌ لِمَجِيءِ هؤلاءِ الضُّيُوفِ، إِذْ خَافَ أَنْ يَعْتَدِيَ قَوْمُهُ عَلَيهِمْ، وَهُمْ فِي مِثْلِ هذِهِ الصَّبَاحَةِ، فَأَدْخَلَهُمْ بَيْتَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِدُخُولِهِمْ غَيْرُ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَخَرَجَتِ امْرَأَتُهُ فَأَخْبَرَتْ قَوْمَهَا، فَجَاؤُوا يُهْرَعُونَ إِليهِ، وَهُمْ يَحثُونَ الخُطا طَمَعاً بِهذا الصَّيْدِ الثَّمِينِ، فَقَالَ لُوطٌ فِي نَفْسِهِ إِنَّ هذا لَيَومٌ شَدِيدُ البَلاءِ.

﴿٧٨﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ

سِيءَ بِهِمْ - نَالَتْهُ المَسَاءَةُ مِنْ مَجِيئِهِمْ إِلَيْهِ خَوْفاً عَلَيْهِمْ.
ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً - ضَعُفَتْ طَاقَتُهُ عَنْ تَدْبِيرِ خَلاصِهِمْ.
يَوْمٌ عَصِيبٌ - يَوْمٌ شَدِيدُ الشَّرِّ وَالبَلاءِ.

(يَا قَوْمِ)

(٧٨) - وَلَمَّا عَلِمَ قَوْمُ لُوطٍ بِنَبأ مَجِيءِ أَضْيَافٍ حِسَانِ الوُجُوهِ إِلى دَارِ لُوطٍ أَسْرَعُوا إِلَيهِ فَرِحِينَ بِمَا سَمِعُوا عَنْ أَضْيَافِهِ، وَكَانَ مِنْ طَبْعِهِمْ وَسَجَايَاهُمْ فِعْلُ السَّيِّئَاتِ، وَارْتِكَابُ المُنْكَرِ، إِذْ كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، وَيُجَاهِرُونَ بِهٰذَا المُنْكَرِ فِي أَنْدِيَتِهِمْ. فَقَالَ لَهُمْ لُوطٌ إِنَّ النِّسَاءَ أَطْهَرُ لَكُمْ، وَهُوَ بِذٰلِكَ يُرْشِدُهُمْ إِلى مَا خَلَقَ اللهُ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، وَوَجَّهَ مَنْ أَرَادَ الزَّوَاجَ مِنْهُمْ إِلى النِّسَاءِ مِنْ قَوْمِهِمْ، لأَنَّ الاسْتِمْتَاعَ بِهِنَّ بِالزَّوَاجِ أَطْهَرُ مِنَ التَّلَوُّثِ بِرِجْسِ اللِّوَاطِ.
ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالخَوْفِ مِنْهُ، وَسَأَلَهُمُ الكَفَّ عَنْ طَلَبِ أَضْيَافِهِ مِنْهُ لأَنَّ فِي الإِسَاءَةِ إِلى أَضْيَافِهِ خِزْياً لَهُ وَإِذْلالاً. وَخَتَمَ كَلامَهُ شِبْهَ يَائِسٍ مِنْ دَفْعِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: أَلَيسَ بَيْنَكُمْ رَجُلٌ عَاقِلٌ رَشِيدٌ يُعِينُنِي عَلَى دَفْعِكُمْ، وَكَفِّكُمْ عَنْ غَيِّكُمْ؟
(وَالنَّبِيُّ يَعُدُّ نِسَاءَ قَوْمِهِ جَمِيعاً بَنَاتاً لَهُ، وَلُوطٌ لَمْ يَكُنْ يَدُلُّهُمْ عَلَى بَنَاتِهِ بِالذَّاتِ، وَأَنْبِيَاءُ اللهِ لا يَقْبَلُونَ بِالزِّنَى وَدَفْعِ النَّاسِ إِلَيْهِ).
يُهْرَعُونَ إِلَيهِ - يُسْرِعُونَ إِلَيهِ وَكَأَنَّهُمْ يُدْفَعُونَ دَفْعاً.
لا تُخْزُونِ - لا تَفْضَحُونِي وَلا تُهِينُونِي.

﴿٧٩﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ

(٧٩) - فَقَالُوا لِلُوطٍ: إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لا أَرَبَ لَنَا فِي النِّسَاءِ، وَلا نَشْتَهِيهِنَّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهُ لا غَرَضَ لَنَا، وَلا هَوَى، إِلاَّ فِي الذُّكُورِ، وَهُوَ مَا جِئْنَا نَسْعَى إِليهِ عِنْدَكَ، فَلا فَائِدَةَ مِنْ تَكْرَارِ هٰذِهِ الأَقْوَالِ عَلَينا.
مِنْ حَقٍّ - مِنْ حَاجَةٍ وَلا أَرَبٍ.

﴿٨٠﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ

(آوِي)

(٨٠) - فَقَالَ لَهُمْ لُوطٌ: لَوْ أَنَّهُ يَجِدُ القُوَّةَ فِي نَفْسِهِ، وَفِي عَشِيرَتِهِ، وَمَنْ يَسْنُدُونَهُ، لَفَعَلَ فِيهِم الأَفَاعِيلَ، وَلَنَكَّلَ بِهِمْ، وَلَمَنَعَهُمْ مِمَّا يُرِيدُونَ، وَلٰكِنَّهُ لا يَجِدُ ذٰلِكَ.
(وَلِهٰذا قِيلَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُرْسِلْ، بَعْدَ لُوطٍ، نَبِيّاً إِلاَّ وَلَهُ عِزٌّ فِي قَوْمِهِ).
آوِي إِلى رُكْنٍ - أَنْضَمُّ إِلى قَوِيٍّ أَنْتَصِرُ بِهِ عَلَيكُمْ.

﴿٨١﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ

(يَا لُوطُ) (اللَّيْلِ)

(٨١) - وَحِينَئِذٍ أَعْلَمَهُ الرُّسُلُ أَنَّهُمْ مَلائِكَةُ اللهِ وَرُسُلُهُ، وَأَنَّ قَوْمَهُ لَنْ

مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ

يَصِلُوا إلَيهِ وَلا إلَيْهِمْ (إلى ضُيُوفِهِ) بِسُوءٍ، ثُمَّ أَمَرُوهُ بِأَنْ يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ هَجْعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) وَأَنْ يَسِيرَ هُوَ فِي المُؤَخِّرَةِ، وَيَتْبَعُ أَدْبَارَ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَمَرُوهُ بِأَنْ لاَ يَلْتَفِتَ أَحَدٌ إِذَا سَمِعُوا صَوْتَ البَلاَءِ المُنْصَبِّ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ، وَلاَ يَهُولَنَّهُمْ ذٰلِكَ.

وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ آمْرَأَتَهُ سَتَكُونُ مِنَ الهَالِكِينَ، لأَنَّهَا مِنْ قَوْمِهَا فِي فَسَادِهَا. ثُمَّ قَرَّبُوا لَهُ مَوْعِدَ الهَلاَكِ، وَقَالُوا لَهُ إِنَّهُ الصُّبْحُ. (أَيْ مِنَ الفَجْرِ حَتَّى شُروقِ الشَّمْسِ)، فَقَالَ لَهُمْ: أَهْلِكُوهُمُ السَّاعَةَ، فَقَالُوا لَهُ: أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟

(وَقِيلَ: إِنَّ قَوْمَ لُوطٍ كَانُوا وَاقِفِينَ بِبَابِهِ، وَلُوطٌ يُدَافِعُهُمْ، وَيَرْدَعُهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَهُمْ لاَ يَقْبَلُونَ مِنْهُ، فَطَمَسَ اللهُ عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَرَجَعُوا لاَ يَهْتَدُونَ إلى الطَّرِيقِ كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾[1].

بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ - بِطَائِفَةٍ مِنْهُ أَوْ مِنْ آخِرِهِ.

٨٢ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ

(عَالِيَهَا)

(٨٢) - فَلَمَّا جَاءَ المَوْعِدُ، الذِي قَدَّرَهُ اللهُ لِنُزُولِ العَذَابِ بِهِمْ جَعَلَ عَالِيَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيهَا حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مَشْوِيٍّ (مِنْ سِجِّيلٍ)، مُصَفَّفَةٍ، بَعْضِها فَوْقَ بَعْضٍ، لِتَقَعَ عَلَيْهِمْ بِصُورَةٍ مُتَتَالِيَةٍ (مَنْضُودٍ).

سِجِّيلٍ - طِينٍ طُبِخَ بِالنَّارِ كَالفَخَّارِ أَوِ القِرْمِيدِ.

مَنْضُودٍ - مُتَتَابِعٍ، أَوْ مَجْمُوعٍ وَمُعَدٍّ لِلْعَذَابِ.

٨٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ

(الظَّالِمِينَ)

(٨٣) - وَكَانَتْ هٰذِهِ الحِجَارَةُ تَحْمِلُ عَلاَمَاتٍ (مُسَوَّمَةً). وَمِثْلُ هٰذِهِ الحِجَارَةِ التِي أَهْلَكَ اللهُ بها قَوْمَ لُوطٍ مُعَدَّةٌ وَجَاهِزَةٌ، بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، لإِهْلاَكِ الظَّالِمِينَ الفَجَرَةِ، وَهُمْ لَيْسُوا بِنَجْوَةٍ مِنْهَا.

مُسَوَّمَةً - مُعَلَّمَةً لِلْعَذَابِ.

الحِزْبُ ٢٤

٨٤ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ

(يَا قَوْمِ) (أَرَاكُمْ)

(٨٤) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ (وَهِيَ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ كَانَتْ تَسْكُنُ بَيْنَ الشَّامِ وَالحِجَازِ قَرِيباً مِنْ مَعَانَ) أَخَاهُمْ شُعَيْباً رَسُولاً، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَاهُمْ عَنِ

---

(١) سورة القمر، الآية ٣٧.

أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ

التَّطْفِيفِ فِي المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ فِي مَعِيشَتِكُمْ وَرِزْقِكُمْ، وَهٰذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُغْنِيَكُمْ عَنِ الدَّنَاءَةِ فِي بَخْسِ حُقُوقِ النَّاسِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ بِالبَاطِلِ بِمَا تُنْقِصُونَهُ لَهُمْ فِي المَبِيعِ. وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُسْلَبُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ فِي الدُّنيا بِسَبَبِ ٱنْتِهَاكِكُمْ مَحَارِمَ اللهِ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عَذَابُ اللهِ فِي يَوْمِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَهُوَ يَوْمٌ يُحِيطُ بِأَهْوَالِهِ بِالنَّاسِ جَمِيعاً، وَلا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ.

أَرَاكُمْ بخَيْرٍ - بِسَعَةٍ تُغْنِيكُمْ عَنِ التَّطْفِيفِ.

يَوْمٍ مُحِيطٍ - مُهْلِكٍ يُحِيطُ بِأَهْوَالِهِ بالنَّاسِ جَمِيعاً.

التَّطْفِيفُ - هُوَ الإِنْقَاصُ فِي المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ إِذَا كَالُوا لِلنَّاسِ أَوْ وَزَنُوهُمْ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ فِيهِ إِذَا ٱشْتَرَوا مِنَ النَّاسِ وَٱكْتَالُوا أَوْ وَزَنُوا.

(٨٥) وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

(وَيَا قَوْمِ)

(٨٥) - وَنَهَاهُمْ عَنْ إِنْقَاصِ المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، إِذَا أَعْطَوا النَّاسَ، وَأَمَرَهُمْ بِوَفَاءِ الكَيْلِ وَالوَزْنِ إِذا أَخَذُوا مِنَ النَّاسِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ العُتُوِّ فِي الأَرْضِ، وَالفَسَادِ فِيها، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى عِبَادِ اللهِ.

بِالقِسْطِ - بِالعَدْلِ بِلا زِيَادَةٍ وَلا نُقْصَانٍ.

لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ - لَا تُنْقِصُوهُمْ شَيْئاً مِنْ حُقُوقِهِمْ.

لَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ - لَا تُفْسِدُوا فِيها أَشَدَّ الفَسَادِ.

(٨٦) بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ

(بَقِيَّةُ)

(٨٦) - مَا يَبْقَى لَكُمْ مِنَ الرِّبْحِ الحَلَالِ، بَعْدَ إِيفَاءِ المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تَأْخُذُونَهُ مِنَ التَّطْفِيفِ، وَمِنْ بَخْسِكُمُ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ، وَأَكْلِ الأَمْوَالِ الحَرَامِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللهِ، وَبِمَا يُوجِبُهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الاسْتِقَامَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ، وَرَاقِبُوا رَبَّكُمْ، فَأَنا لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِرَقِيبٍ وَلا حَفِيظٍ.

بَقِيَّةُ اللهِ - مَا أَبْقَاهُ اللهُ لَكُمْ مِنَ الحَلَالِ.

بِحَفِيظٍ - بِرَقِيبٍ مُوَكَّلٍ بِكُمْ لِأُجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

(٨٧) قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ

(يَا شُعَيْبُ) (أَصَلَاتُكَ) (آبَاؤُنَا) (أَمْوَالِنَا) (نَشَاءُ)

(٨٧) - قَالُوا عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ وَالسُّخْرِيَةِ: يَا شُعَيْبُ هَلْ صَلَاتُكَ وَإِيمَانُكَ بِرَبِّكَ يَأْمُرَانِكَ بِأَنْ تَدْعُونَا إِلَى تَرْكِ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ، أَوْ أَنْ تَمْنَعَنَا عَنِ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِنا بِمَا يُنَاسِبُ مَصْلَحَتَنا مِنَ الحِذْقِ وَالخَدِيعَةِ، وَبِالشَّكْلِ الذِي نُرِيدُ؟ إِنَّ هٰذا غَايَةُ السَّفَهِ. أَهٰذا أَنْتَ الحَلِيمُ المُكْتَمِلُ العَقْلِ (الرَّشِيدُ)؟.

(٨٨) قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ
عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ
رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ
عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ
مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ
عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ

(يَا قَوْمِ) (أَرَأَيْتُمْ) (أَنْهَاكُمْ) (الإِصْلاَحَ)

(٨٨) - فَقَالَ لَهُمْ شُعَيبٌ: هَلْ ترون لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَهُدًى، وَأَنَّهُ آتَانِي النُّبُوَّةَ، ورزقني رِزْقاً حلالاً طَيِّباً حَسَناً، ثُمَّ عَصَيْتُهُ فِيمَا أَرْسَلَنِي بِهِ إِلَيكُم، وَتَرَكْتُ دَعْوَتَكُمْ إِلَى الحَقِّ، وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَه، فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ حِينَئِذٍ؟ وَأَنَا لاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ شَيءٍ وَأُخَالِفُكُمْ فِي السِّرِّ إِلَيهِ فَأَفْعَلُهُ، وَأَنا أُرِيدُ أَنْ أَقولَ لَكُمْ إِنَّ اللهَ أَكْرَمَنِي بِالرِّزْقِ الحَلاَلِ الحَسَنِ، دُونَ أَنْ أَحْتَاجَ إِلى التَّطْفِيفِ فِي المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، وَدُونَ أَنْ أَبْخَسَ فِيهِما.

وَأَنَا لاَ أُرِيدُ مِنْ أَمْرِي إِيَّاكُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَبِالإِقْلاعِ عَنِ المَفَاسِدِ، إِلاَّ الإِصْلاَحَ بِقَدْرِ جَهْدِي وَطَاقَتِي. وَلا أَسْأَلُ غَيْرَ اللهِ التَّوفِيقَ فِي إِصَابَةِ الحَقِّ وَإِنَّنِي تَوَكَّلْتُ عَلَيهِ، وَإِلَيهِ أَخْلَصْتُ وَأَنَبْتُ فِي عِبَادَتِي وَطَاعَتِي.

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي.

بَيِّنَةٍ - هِدَايَةٍ وَبَصِيرَةٍ.

(٨٩) وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ
أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ
صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ

(وَيَا قَوْمِ) (صَالِحٍ)

(٨٩) - وَتَابَعَ شُعَيبٌ حَدِيثَهُ مَعَ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ لاَ يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضِي وَعَدَاوَتِي عَلَى الإِصْرَارِ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالفَسَادِ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ غَرَقٍ، وَقَوْمَ هُودٍ، مِنْ عَذَابِ الرِّيحِ العَقِيمِ، وَقَوْمَ صَالِحٍ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ، وَقَومَ لُوطٍ المُجَاوِرِينَ لَكُمْ مِنْ هَلاكٍ شَامِلٍ وَعَذَابٍ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعُتُوِّهِمْ عَنْ أَمْرِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ.

لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ - لاَ يَحْمِلَنَّكُمْ، أَوْ لاَ يَدْفَعَنَّكُمْ.

(٩٠) وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ
إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ

(٩٠) - وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ رَبَّكُمْ مِمَّا أَسْلَفْتُمْ مِنْ ذُنُوبٍ، وَتُوبُوا إِلَيهِ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَيَّامِكُمْ عَنِ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، إِنَّ رَبِّي وَدُودٌ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِمَنْ أَخْلَصَ التَّوْبَةَ إِلَيهِ.

(٩١) قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا
مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا
ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ

(يَا شُعَيْبُ) (لَنَرَاكَ) (لَرَجَمْنَاكَ)

(٩١) - قَالُوا: يَا شُعَيْبُ إِنَّنَا لاَ نَفْهَمُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ لَنَا عَنْ بُطْلاَنِ عِبَادَةِ آلِهَتِنَا، وَقُبحِ حُرِّيَّةِ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِنَا، وَمَجِيءِ عَذَابٍ يُحِيطُ بِنا، وَإِنَّا نَرَاكَ ضَعِيفاً فِينا، لأَنَّ أَكْثَرَ عَشِيرَتِكَ لَيْسَتْ عَلَى دِينِكَ، وَلَوْلا عَشِيرَتُكَ الأَقْرَبُونَ لَقَتَلْنَاكَ رَجْماً بِالحِجَارَةِ، وَأَنْتَ لَسْتَ فِينا بِذِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَحُولَ بَيْنَنا وَبَيْنَ رَجْمِكَ.

رَهْطُكَ - جَمَاعَتُكَ وَعَشِيرَتُكَ.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ ٩٢

(يَا قَوْمِ)

(٩٢) - قَالَ لَهُمْ شُعَيبٌ: هَلْ جَمَاعَتِي أَحَقُّ بِالمُجَامَلَةِ وَالرِّعَايَةِ عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ؟ فَتَتْرُكُونَ مَسَاءَتِي إِكْرَاماً وَاحْتِرَاماً لِقَوْمِي، وَلاَ تَتْرُكُونَهَا إِعْظَاماً للهِ القَدِيرِ أَنْ تَنَالُوا نَبِيَّهُ بِمَسَاءَةٍ، وَقَدْ نَبَذْتُمْ جَانِبَ اللهِ وَحَقَّهُ، وَجَعَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ لاَ تُطِيعُونَ رَبَّكُمْ، وَلاَ تُعَظِّمُونَهُ. وَرَبِّي يَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ وَهُوَ مُحِيطٌ بِهَا، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيهَا أَوْفَى الجَزَاءِ.

وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً - مَنْبُوذاً وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ مَنْسِيّاً.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ ٩٣

(يَا قَوْمِ) (عَامِلٌ) (كَاذِبٌ)

(٩٣) - وَلَمَّا يَئِسَ نَبِيُّ اللهِ شُعَيبٌ مِنِ اسْتِجَابَةِ قَوْمِهِ لِدَعْوَتِهِ، قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اعْمَلُوا أَنْتُمْ عَلَى طَرِيقَتِكُمْ، وَمَا هُوَ فِي إِمْكَانِكُمْ (عَلَى مَكَانَتِكُمْ)، وَأَنَا سَوْفَ أَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِي، وَعَلَى قَدْرِ مَا يُؤَيِّدُنِي اللهُ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ مِنَّا، أَنَا وَأَنْتُمْ، سَيَأْتِيهِ عَذَابٌ مِنَ اللهِ يُهِينُهُ وَيُخْزِيهِ، وَمَنْ مِنَّا هُوَ الكَاذِبُ، وَانْتَظِرُوا ذَلِكَ، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرِينَ.

مَكَانَتِكُمْ - غَايَةِ تَمَكُّنِكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ، أَوْ طَرِيقَتِكُمْ.

ارْتَقِبُوا - انْتَظِرُوا العَاقِبَةَ وَالمَآلَ.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ ٩٤

(آمَنُوا) (دِيَارِهِمْ) (جَاثِمِينَ)

(٩٤) - وَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ انْتِقَامِ اللهِ تَعَالَى مِنْهُمْ، جَاءَهُمُ العَذَابُ الذِي أُنْذِرُوا بِهِ، فَنَجَّى اللهُ شُعَيباً وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَلُطفٍ، وَأَخَذَتِ الكَافِرِينَ الصَّيْحَةُ وَالرَّجْفَةُ، وَأَظَلَّهُمْ عَذَابٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَاهْتَزَّتْ بِهِمِ الأَرْضُ فَأَصْبَحُوا جَمِيعُهُمْ هَلْكَى فِي دِيَارِهِمْ، وَهُمْ جَالِسُونَ عَلَى رُكَبِهِمْ، مُكِبُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

جَاثِمِينَ - مَيِّتِينَ هَامِدِينَ لاَ حَرَاكَ فِيهِمْ - أَوْ مُكِبِّينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

الصَّيْحَةُ - صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ مُهْلِكٌ مُرْجِفٌ.

﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾ ٩٥

(٩٥) - فَأَصْبَحَ القَوْمُ هَلْكَى كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمُرُوا دِيَارَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُقِيمُوا فِيهَا، أَلا بُعْداً وَهَلاكاً لِمَدْيَنَ، كَمَا هَلَكَتْ ثَمُودُ وَبَعُدَتْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ. (وَكَانَتْ ثَمُودُ جِيرَانَ مَدْيَنَ فِي الأَرْضِ، وَأَشْبَاهَهُمْ فِي الكُفْرِ وَالتَّمَرُّدِ عَلَى اللهِ).

لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا - لَمْ يُقِيمُوا طَوِيلاً فِيهَا فِي رَغَدٍ.

بُعْداً لِمَدْيَنَ - هَلاَكاً وَسُحْقاً لَهُمْ.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ ٩٦

(بِآيَاتِنَا) (وَسُلْطَانٍ)

(٩٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ إِرْسَالِهِ مُوسَى، عَلَيهِ السَّلاَمُ، إِلَى فِرْعَوْنَ

مَلِكِ مِصْرَ، وَكِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ (مَلَئِهِ)، مُؤَيَّداً بِآيَاتِ اللهِ البَيِّنَاتِ، الدَّالَّاتِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ، وَفِيها السُّلْطَانُ المُبِينُ، وَالحُجَجُ الوَاضِحَةُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ.
سُلْطَانٍ مُبِينٍ - بُرْهَانٍ بَيِّنٍ وَاضِحٍ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ.

٩٧ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ

(مَلَئِهِ)

(٩٧) - فَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيهِ السَّلَامُ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَكِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ (مَلَئِهِ) مِنَ القِبْطِ، فَكَفَرَ فِرْعَوْنُ بِمَا جَاءَهُ بِهِ موسَى، وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَنْ يَتْبَعُوهُ فِي الكُفْرِ، فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ، وَمَسْلَكَهُ وَطَرِيقَتَهُ فِي الغَيِّ وَالضَّلَالِ، وَلَمْ يَكُنْ مَسْلَكُ فِرْعَوْنَ مَهْدِياً رَشِيداً حَتَّى يُتَّبَعَ.
(وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى المَلأَ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُمُ الكُبَرَاءُ وَالعَامَّةُ تَبَعٌ لَهُمْ).

٩٨ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ

(القِيامَةِ)

(٩٨) - وَكَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكَ قَوْمِهِ وَقَائِدَهُمْ فِي الدُّنيا، كَذَلِكَ يَتَقَدَّمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إلى نَارِ جَهَنَّمَ، وبِئْسَ المَوْرِدُ الذِي يَرِدُونَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِإِطْفَاءِ ظَمَئِهِمْ، وَهُوَ المَاءُ الحَمِيمُ.
يَقْدُمُ قَوْمَهُ - يَتَقَدَّمُهُمْ كَمَا يَتَقَدَّمُ الوَارِدُ.
فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ - أَدْخَلَهُمْ فِيهَا بِكُفْرِهِ وَكُفْرِهِمْ.
الوِرْدُ المَوْرُودُ - المَدْخَلُ المَدْخُولُ فِيهِ وَهُوَ النَّارُ.

٩٩ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ

(الْقِيامَةِ)

(٩٩) - وَلَحِقَتْ بِهِمْ فِي هٰذِهِ الدُّنيا لَعْنَةٌ مِنَ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ، وَمِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ الأُمَمِ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَلْعَنُهُمْ أَهْلُ المَوْقِفِ جَمِيعاً فَتَكُونُ اللَّعْنَةُ تَابِعَةً لَهُمْ حَيْثُمَا سَارُوا، وَبِئْسَتْ هٰذِهِ اللَّعَنَاتُ عَطَاءً وَرِفْداً يُعطَوْنَهُ وَيَتْبَعُهُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ. (وَيَتَهَكَّمُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِم حِينَما يُسَمِّي هٰذِهِ اللَّعَنَاتِ رِفْداً وَعَطَاءً).
الرِّفْدُ المَرْفُودُ - العَطَاءُ المُعْطَى لَهُمْ وَهُوَ اللَّعْنَةُ.

١٠٠ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ

(قَائِمٌ)

(١٠٠) - يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّ مَا سَبَقَ أَنْ قَصَصْنَاهُ عَلَيكَ لِتَعِظَ بِهِ قَوْمَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الأَنبِياءِ السَّابِقِينَ، وَمَا جَرَى لَهُمْ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، وَمَا حَدَثَ لِبِلادِهِمْ، وَمِنْ هٰذِهِ القُرَى وَالبِلادِ مَا هُوَ قَائِمٌ، وَمِنها مَا هُوَ مُدَمَّرٌ مَدْكُوكٌ فِي الأَرْضِ، وَمُلْقًى كَالحَصَادِ (الحَصِيدِ)، هُوَ القَصَصُ الحَقُّ، وَمَا رَوَيْنَاهُ لَكَ هُوَ الحَقُّ الثَّابِتُ، كَمَا وَقَعَتْ أَحْدَاثُهُ.
حَصِيدٌ - عَافِي الأَثَرِ كَالزَّرْعِ المَحْصُودِ.

(١٠١) وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ

(ظَلَمْناهُمْ) (آلِهَتَهُمْ)

(١٠١) - وَمَا ظَلَمْنا هٰذِهِ الأَقْوامَ إذْ أَهْلَكْناهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الذِين ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ، وكُفْرِهِمْ بربِّهِمْ وَآياتِهِ وَرُسُلِهِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ آلِهَتُهُمْ التِي كانوا يَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَم تَسْتَطِعْ أَنْ تُنْقِذَهُمْ مِنَ الهَلاكِ الذِي قَضَاهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تَزِدْهُمْ عِبادَةُ هٰذِهِ الأَصْنامِ وَالأَوْثانِ غَيْرَ خَسارَةٍ، وَذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ إنَّما خَسِرُوا، وَدُمِّرُوا بِسَبَبِ عِبادَتِهِمْ لَها، وَلَمْ تُجْدِهِمْ هِيَ نَفْعاً.

غَيْرَ تَتْبِيبٍ - غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَهَلاكٍ.

(١٠٢) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

(ظالِمَةٌ)

(١٠٢) - وَمِثْلُ ذٰلِكَ الأَخْذِ بِالعَذابِ الذِي أَخَذَ بِهِ رَبُّكَ القُرى الظَّالِمَةَ المُكَذِّبَةَ لِرُسُلِهِ، يَفْعَلُهُ اللهُ بِأَشْباهِهِمْ فِي الكُفْرِ وَالعُتُوِّ عَنْ أَمْرِهِ، وَإِنَّ أَخْذَهُ تَعالَى لَمُؤْلِمٌ شَدِيدٌ.

(١٠٣) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ

(لآيَةً) (الآخِرَةِ)

(١٠٣) - إنَّ فِيمَا قَصَّهُ اللهُ مِنْ إهْلاكِ أُولٰئِكَ الأُمَمِ، وَبَيانِ سُنَّتِهِ فِي عاقِبَةِ الظَّالِمِينَ، لَحُجَّةً بَيِّنَةً، وَعِبْرَةً ظاهِرَةً لِمَنْ يَخافُ عَذابَ الآخِرَةِ فَيَعْتَبِرُ بِها، وَيَتَّقِي الظُّلْمَ فِي الدُّنيا، إذْ يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ عَذَّبَ الظَّالِمِينَ فِي الدُّنيا، لَقادِرٌ عَلَى أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِي الآخِرَةِ.

وَيَوْمُ القِيامَةِ هُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ الخَلائِقُ كُلُّها لِلْحِسابِ، وَتَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ الكِرامُ، وَتَجْتَمِعُ فِيهِ الرُّسُلُ، وَتُحْشَرُ الخَلائِقُ، وَيَحْكُمُ فِيهِ المَلِكُ العادِلُ، الذِي لا يَظْلِمُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ مِثْقالَ ذَرَّةٍ.

(١٠٤) وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ

(١٠٤) - وَمَا يُؤَخِّرُ اللهُ تَعالى إقامَةَ ذٰلِكَ اليَوْمِ (يَوْمِ القِيامَةِ) إلَّا لِمُدَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ مَعْلُومَةٍ فِي عِلْمِ اللهِ، لا يُزادُ عَلَيها وَلا يُنْقَصُ مِنْها.

(١٠٥) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ

(١٠٥) - وَحِينَ يَأْتِي يَوْمُ القِيامَةِ بِأَهْوالِهِ، لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ إلَّا بِإِذْنِ اللهِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَمْعِ شَقِيٌّ بِما يَنْتَظِرُهُ مِنَ العَذابِ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ بِما يَنْتَظِرُهُ مِنَ النَّعِيمِ الذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُتَّقِينَ.

(١٠٦) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ

(١٠٦) - أَمَّا الأَشْقِياءُ، الذِين شَقُوا بِمَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ العَذابِ بِسَبَبِ أَعْمالِهِم السَّيِّئَةِ فِي الدُّنيا، فَيَصِيرُونَ إلَى نارِ جَهَنَّمَ، وَتَضِيقُ صُدُورُهُمْ بِثِقْلِ العَذابِ، فَيُصْبِحُ تَنَفُّسُهُمْ زَفِيراً، وَأَخْذُهُمُ النَّفَسَ شَهِيقاً.

زَفِيرٌ - إخْراجٌ شَدِيدٌ لِلنَّفَسِ مِنَ الصَّدْرِ.

شَهِيقٌ - رَدُّ النَّفَسِ إلى الصَّدْرِ.

(١٠٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ
رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ

(١٠٨) ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟
فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ
رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ

ربع الحزب ٢٤

(١٠٩) فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ
هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ
نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ

(١١٠) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ

(خالِدِينَ) (السَّماوَاتُ)

(١٠٧) - وَيَبْقَوْنَ فِي النَّارِ خَالِدِينَ، مَا دَامَتْ هُنَاكَ سَماوَاتٌ تُظِلُّ المَخْلُوقَاتِ، وَأَرْضٌ يَقِفُونَ عَلَيها، إلاَّ مَا شَاءَ اللهُ، إِذْ يُخرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِهِ العُصاةَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ يَمْتَنُّ عَلَى الآخرينَ فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَهُوَ القَادِرُ وَالفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ.

(خَالِدِينَ) (السَّماوَاتُ)

(١٠٨) - أَمَّا السُّعَدَاءُ الذِينَ اتَّبَعُوا الرُّسُلَ، وَآمَنُوا باللهِ، وَعَمِلُوا صَالِحاً، فَيَصِيرُونَ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَمْكُثُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبداً، مَا دَامَتْ هُنَاكَ سَمَاوَاتٌ وَأَرْضٌ، إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ.
(وَهٰذا الاسْتِثْنَاءُ يَعْنِي أَنَّ وُجُودَهُمْ فِي النَّعِيمِ لَيْسَ أَمْراً وَاجِباً بَلْ هُوَ مَوْكُولٌ إلى مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى، فَلَهُ المِنَّةُ عَلَيهِمْ دَائِماً، وَعَطَاؤُهُ دَائِمٌ مُتَواصِلٌ لاَ يَنْقَطِعُ).
غَيْرَ مَجْذُوذٍ - غَيْرَ مَقْطُوعٍ عَنْهُمْ.

(آباؤُهُمْ)

(١٠٩) - فَلاَ تَكُ فِي شَكٍّ (مِرْيَةٍ) مِنْ أَنَّ مَا يَعْبُدُهُ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ بَاطِلٌ وَضَلالٌ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ مَا عَبَدَ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ، لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِيمَا هُمْ فِيهِ، إِلاَّ اتِّبَاعُ الآباءِ فِي الضَّلالِ وَالجَهْلِ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللهُ عَلَيهِ أَتَمَّ الجَزاءِ. (فَأَعْمَالُ الخَيْرِ التِي يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنيا: كَبِرِّ الوَالِدَينِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِغاثَةِ المَلْهُوفِ. يُوَفَّوْنَ جَزاءَهُمْ عَلَيهَا فِي الدُّنيا بِسعَةِ الرِّزْقِ، وَكَشْفِ الضُّرِّ. . . ، وَلاَ يُجْزَونَ عَلَيهَا فِي الآخِرَةِ).

(آتينا) (الْكِتَابَ)

(١١٠) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ التَّوراةَ عَلَى مُوسَى (الكِتَابَ) فَاخْتَلَفَ قَوْمُهُ فِي تَفْسِيرِهَا، وَفَهْمِ مَعْنَاهَا، حَسَبَ أَهْوائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، فَتَفَرَّقُوا شِيَعاً، وَابْتَعَدَ الكَثِيرُونَ مِنْهُمْ عَنِ الحَقِّ، وَلَولا مَا تَقَدَّمَ مِنَ اللهِ تَعَالَى مِنْ وَعْدِهِ بِتَأْجِيلِ العَذَابِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ (أَجَلٍ مَعْلُومٍ)! لَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمْ. وَهٰؤُلاءِ الذِينَ وَرِثُوا التَّوراةَ لَفِي شَكٍّ مُحَيِّرٍ مِنْ أَمْرِهَا.
(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى هُوَ: وَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَضَى بِأَنْ لاَ يُعَذِّبَ أَحَداً إِلاَّ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيهِ، وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ لَقَضَى بَيْنَهُمْ).
مُرِيبٍ - مُثِيرٍ لِلرِّيبَةِ وَقَلَقِ النَّفْسِ أَوْ مُوقِعٍ فِي الرِّيبَةِ.

(١١١) وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(١١٢) فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(١١٣) وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ

(١١٤) وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ

(١١٥) وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ

(١١٦) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ

(أعْمَالَهُمْ)

(١١١) - وَإِنَّ أُولئِكَ المُخْتَلِفِينَ، الذِينَ سَرَدْنَا عَلَيْكَ قَصَصَهُمْ، لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ جَزاءَ أَعْمالِهِمْ، فَهُوَ خَبيرٌ بِما يَعْمَلُونَ، وَلا يَخْفَى عَلَيهِ شيءٌ مِنْ أَعْمالِهِمْ.

(١١٢) - فَالْزَمِ الصِّراطَ المُسْتَقيمَ الذي لا عِوَجَ فِيهِ، وَاثْبتْ عَلَيهِ. وَكَذلِكَ فَلْيَسْتَقِمْ مَنْ تابَ مِنَ الشِّرْكِ، وَآمَنَ مَعَكَ، وَلا تَنحَرِفُوا عَمَّا رُسِمَ لَكُمْ، وَلا تَتجاوَزُوا حُدُودَ الاعْتِدالِ. فَتُكَلِّفُوا أَنْفُسَكُمْ ما لا تُطيقُونَ، فَالإِفْراطُ فِيهِ كَالتَّفْرِيطِ، كِلاهُمَا زَيْغٌ عَنِ الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ.
لا تَطْغَوْا فِيهِ - لا تَتجاوَزُوا ما حَدَّهُ اللهُ لَكُمْ.

(١١٣) - وَلاَ تَسْتَعِينُوا بِالظَّالِمِينَ، وَلا تَعْتَمِدُوا عَلَيهِمْ، وَلا تَعْتَزُّوا بِهِمْ، وَلا تَسْتَحْسِنُوا طَرِيقَتَهُم (لا تَرْكَنُوا) فَتَكُونُوا كَأَنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِأَعْمالِهِمْ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذلِكَ أَصابَتْكُمُ النَّارُ التِي هِيَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ، وَلَنْ تَجِدُوا يَوْمَئِذٍ مَنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ.
(وَالآيَةُ عَامَّةٌ تَشْمَلُ الظَّالِمِينَ دُونَ تَفْرِيقٍ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ).
لا تَرْكَنُوا - لا تَمِلْ قُلُوبُكُمْ بِالمَحَبَّةِ.

(الصَّلاَةَ) (اللَّيْلِ) (الْحَسَنَاتِ) (لِلذَّاكِرِينَ)

(١١٤) - وَأَدِّ الصَّلاَةَ عَلَى الوَجْهِ القَوِيمِ، وَأَدِمْهَا فِي طَرَفَي النَّهَارِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ، فِي الغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، وَفِي أَوَائِلِ اللَّيْلِ، لأَنَّ الأَعْمَالَ الحَسَنَةَ تُزَكّي النُّفُوسَ وَتُصْلِحُها، وَتُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ المُؤَاخَذَ عَنْهَا.
وَفِي الوَصَايَا التِي أَوْصَاكَ اللهُ بهَا مِنَ الاسْتِقَامَةِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الطُّغْيانِ، وَإِقَامَةِ الصَّلاَةِ... عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ، الذِينَ يُرَاقِبُونَ اللهَ، وَلا يَنْسَوْنَهُ.
الزُّلْفَةُ - الطَّائِفَةُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ لِقُرْبِها مِنَ النَّهارِ.
ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ - عِظَةٌ لِلْمُتَعِظِينَ.

(١١٥). وَوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ وَاحْتِمَالِ المَشَقَّةِ فِي سَبيلِ مَا أُمِرْتَ بِهِ، وَمَا نُهِيتَ عَنْهُ، فِي هٰذِهِ الوَصَايَا وَفِي غَيْرِها، فَإِنَّ اللهَ لا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً.

(أُولُو)

(١١٦) - لَقَدْ كَانَ مِنَ الوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ التِي أَهْلَكَهَا اللهُ بِظُلْمِها، جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أُولُو عَقْلٍ، وَرَأْيٍ، وَصَلاحٍ، يَنْهَوْنَ المُفْسِدِينَ عَنِ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، وَيَأْخُذُونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِكَيْلاَ يَنْزِلَ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ، لأَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ أَنْ لا يُهْلِكَ قَوْماً إِلاَّ إِذا عَمَّ الفَسَادُ وَالظُّلْمُ أَكْثَرَهُمْ. وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ هٰؤُلاءِ الأَقْوامِ الظَّالِمِينَ إلا قِلَّةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الضُّعَفَاءِ الذِينَ لاَ يُؤْخَذُ بِرَأْيِهِمْ، وَلا تُسْمَعُ

﴿١١٧﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ

﴿١١٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

كَلِمَتُهُمْ، وَلا يُقْبَلُ أَمْرُهُمْ وَنَهْيُهُمْ. أَمَّا الأَكْثَرُون فَكَانُوا مِنَ الظَّالِمِينَ المُسْتَكْبِرِينَ المُعَانِدِينَ، فَأَصَرُّوا عَلَى ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَاتَّبَعُوا حَيَاةَ التَّرَفِ وَالفَسَادِ، فَحَالَ ذٰلِكَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الانْتِفَاعِ بِدَعْوَةِ الحَقِّ، فَبَطِرُوا وَآسْتَكْبَرُوا، وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَقَدْ أَغْرَقُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الجَرَائِمِ التِي وَلَّدَهَا النَّعِيمُ وَالتَّرَفُ، وَآسْتَسْلَمُوا لَهَا، وَلِذٰلِكَ رَجَّحُوا مَا أَتَوا بِهِ عَلى آتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَطَاعَةِ اللهِ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ.

القُرُونِ ـ الأُمَم.

أُولُو بَقِيَّةٍ ـ أَصْحَابُ فَضْلٍ وَخَيْرٍ.

مَا أُترِفُوا فِيهِ ـ مَا أُنعِمُوا فِيهِ مِنَ الخِصْبِ وَالسَّعَةِ.

(١١٧) ـ لَيْسَ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَلاَ مِنْ عَدْلِهِ فِي خَلْقِهِ، أَنْ يُهْلِكَ القُرَى بِشِرْكِ أَهْلِها، مَا دَامُوا مُصْلِحِينَ فِي أَعْمَالِهِم الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالعُمْرَانِيَّةِ وَالمَدَنِيَّـةِ، فَلاَ يَبْخَسُونَ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ، وَلا يَبْطِشُونَ بِالنَّاس، وَلا يَذِلُّونَ لِمُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ كَقَوم فِرْعَوْنَ، وَلاَ يَرْتَكِبُونَ الفَوَاحِشَ وَلا يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ، وَلا يَأْتُونَ فِي نَادِيهِم المُنْكَرَ، بَلْ لاَ بُدَّ لَهُمْ، لِيَحِقَّ عَلَيْهِمُ العَذَابُ وَالهَلاكُ، مِنْ أَنْ يَجْمَعُوا إِلى الشِّرْكِ الإِفْسَادَ فِي الأَرْضِ، وَالاسَاءَةَ فِي الأَعْمَالِ وَالأَحْكَامِ، وَأَنْ يَفْعَلُوا الظُّلْمَ المُدَمِّرَ لِلْعُمْرانِ.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَالدَّيْلَمِيُّ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ هٰذِهِ الآيَة فَقَالَ: (وَأَهْلُها يُنْصِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً).

فَالأُمَّةُ التِي يَقَعُ فِيهَا الفَسَادُ بِتَعْبِيدِ النَّاسِ لِغَيْرِ اللهِ بِصُورَةٍ مِنْ صُورِهِ فَيَكُونُ فِيهَا مَنْ يَنْهَضُ لِدَفْعِهِ هِيَ أُمَمٌ نَاجِيَةٌ لاَ يَأْخُذُهَا اللهُ بِالعَذَابِ وَالتَّدْمِيرِ. أَمَّا الأُمَمُ التِي لا يَجِدُ فِيهَا الظَّالِمُونَ مَنْ يَرْدَعُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ فَإِنَّ سُنَّةَ اللهِ تَعَالَى تَحِقُّ عَلَيْهَا إِمَّا بِهَلاكِ الاسْتِئْصَالِ، وَإِما بِهَلاكِ الانْحِلالِ وَالاخْتِلالِ.

(وَاحِدَةً)

(١١٨) ـ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّكَ حَرِيصٌ عَلَى إِيمَانِ قَوْمِكَ، وَحَزِينٌ لإِعْرَاضِهِمْ، أَوْ إِعْرَاضِ أَكْثَرِهِمْ، عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِكَ، وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، بِمُقْتَضَى الغَرِيزَةِ وَالفِطْرَةِ، وَلٰكِنَّهُ تَعَالى خَلَقَهُمْ كَاسِبِينَ مُلْهَمِينَ، وَعَامِلِينَ مُخْتَارِينَ، لاَ مُجْبَرِينَ، وَجَعَلَهُمْ مُتَفَاوِتِينَ فِي الاسْتِعْدَادِ، وَكَسْبِ العِلْمِ. وَكَانُوا فِي أَطْوَارِهِم الأُولى لاَ آخْتِلافَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ كَثُرَتْ حَاجَاتُهُمْ وَتَنَوَّعَتْ، وَكَثُرَتْ مَطَالِبُهُمْ، فَظَهَرَ فِيهِم الاسْتِعْدَادُ لِلاخْتِلافِ، وَهُمْ لا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ فِي شُؤُونِهِم الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، تَبَعاً لِمُيُولِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَآسْتِعْدَادِهِم الفِطْرِيِّ، يَتَعَصَّبُ كُلُّ فَرِيقٍ لِرَأْيِهِ، وَلِمَا وَجَدَ عَلَيهِ آبَاءَهُ.

(١١٩) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

(١٢٠) وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

(١٢١) وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ

(١٢٢) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ

(١٢٣) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(١١٩) - إلاّ الذينَ رَحِمَهُمُ اللهُ فإنَّهُمْ يَبْقَوْنَ مُتمسِّكِينَ بِمَا جاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُل، وغَيْرَ مُخْتَلِفِينَ، وَلَقَدْ سَبَقَ عِلْمُ اللهِ أَنَّ النَّاسَ سَيَكُونُونَ مُخْتَلِفِينَ، وَأَنَّ مِنْهُمْ فَرِيقاً سَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَسَتَكُونُ الجَنَّةُ مَصِيرَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ، وَقَدْ قَضَى اللهُ، لِحِكْمَةٍ يَراها هُوَ، أَنَّهُ سَيَمْلأُ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنِّ وَمِنَ البَشَرِ جَمِيعاً.

تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ - وَجَبَتْ وَثَبَتَتْ.

(١٢٠) - كُلُّ مَا قَصَصْنَاهُ عَلَيكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ المُتَقَدِّمِينَ، وَمَا جَرَى لَهُمْ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، وَمَا احْتَمَلَهُ كُلُّ نَبِيٍّ مِنَ الأَذَى وَالتَّكْذِيبِ، وَكَيْفَ نَصَرَ اللهُ حِزْبَهُ مِنَ المُؤْمِنينَ، وَخَذَلَ أَعْداءَهُ مِنَ الكَافِرِينَ. . . إِنَّمَا قَصَصْنَاهُ عَلَيكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَنُقَوِّيَ عَزِيمَتَكَ، وَلِتَتَأَسَّى بِإِخْوانِكَ المُرْسَلِينَ. وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ السُّورَةِ، المُشْتَمِلَةِ عَلَى قَصَصِ الأَنْبِياءِ، وَتَفَاصِيلِ مَا جَرَى لَهُمْ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، القَصَصُ الحَقُّ، وَالنَّبَأُ الصِّدْقُ، وَالمَوْعِظَةُ التِي يَرْتَدِعُ بِهَا الكَافِرُونَ، وَيَتَذَكَّرُ بِهَا المُؤْمِنُونَ.

(عَامِلُونَ)

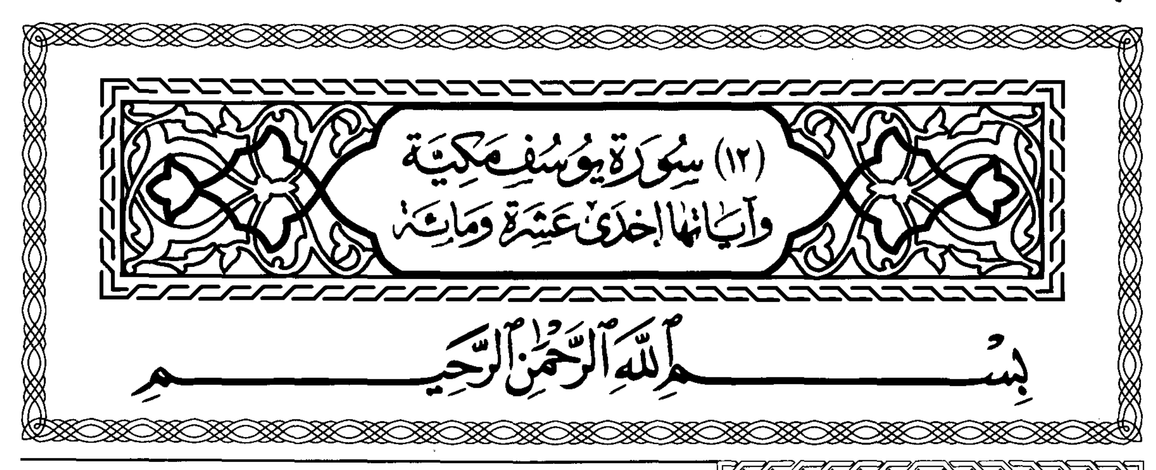
(١٢١) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ - عَلَى وَجْهِ التَّهْدِيدِ وَالوَعِيدِ - لِلَّذِينَ أَصَرُّوا عَلَى الكُفْرِ وَالاسْتِكْبَارِ: اعْمَلُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ وَمَنْهَجِكُمْ، وَمَا هُوَ مُسْتَطاعُكُمْ وَإِمْكَانُكُمْ (عَلَى مَكَانَتِكُمْ)، وَإِنَّنَا سَنَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِنَا وَمَنْهَجِنا، وَمَا يُقَدِّرُهُ اللهُ لَنَا، وَنَحْنُ مَاضُونَ فِي طَرِيقِنَا، ثَابِتُونَ عَلَى عَمَلِنا.

مَكَانَتِكُمْ - طَرِيقَتِكُمْ، أَوْ غَايَةِ مَا يُمْكِنُكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ.

(١٢٢) - وَانْتَظِرُوا، وَنَحْنُ مَعَكُمْ مُنْتَظِرُونَ، لِمَنْ تَكُونُ عَاقِبَةُ الدَّارِ. فَمِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى أَنْ لا يُفْلِحَ الظَّالِمُونَ. وَقَدْ أَنْجَزَ اللهُ تَعَالَى وَعْدَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَنَصَرَهُ وَأَيَّدَهُ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللهِ العُلْيا، وَكَلِمَةَ الذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى.

(السَّمَاوَاتِ) (بِغَافِلٍ)

(١٢٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَحْدَهُ الذِي يَعْلَمُ الغَيْبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَأَنَّ المَرْجِعَ وَالمَآبَ إِلَيهِ، وَأَنَّهُ سَيُؤْتِي كُلَّ عَامِلٍ جَزاءَ عَمَلِهِ يَوْمَ الحِسَابِ، فَلَهُ الخَلْقُ وَلَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيهِ، فَإِنَّهُ كَافٍ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيهِ وَأَنَابَ إِلَيهِ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ لا يَخْفَى عَلَى رَبِّكَ حَالُ مُكَذِّبِيكَ يا مُحَمَّدُ، فَهُوَ عَالِمٌ، بِأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذٰلِكَ أَتَمَّ الجَزاءِ، فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَسَيَنْصُرُكَ وَحِزْبَكَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ.



١ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ

٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ

٣ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن
قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ

٤ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى
رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ

(آيَاتُ) (الْكِتَاب)

(١) - أَلِفْ، لاَمْ رَا - وَتُقرأُ مُقطَّعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ، اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

هٰذِهِ الآيَاتُ هِيَ آيَاتُ القرآنِ (الكتَابِ) الجَلِيِّ الوَاضِحِ، الذِي يُفْصِحُ عَنِ الأَشْيَاءِ المُبْهَمَةِ مِنْ حقائِقِ الدِّينِ، وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَيُفَسِّرُها، وَيُبَيِّنُها لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَرْشِدَ بِها.

(أَنْزَلْنَاهُ) (قُرآناً)

(٢) - لَقَدْ أَنْزَلْنَا هٰذا القُرْآنَ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، لُغَةِ القَوْمِ الذِينَ أُنْزِلَ إِلَيهِمْ، لِيَفْهَمُوهُ، وَيَتَدَبَّرُوهُ، وَيَعْقِلُوهُ.

(الْقُرْآنَ) (الْغَافِلِينَ)

(٣) - قَالَ بَعْضُ المُؤْمِنينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَينا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ هٰذِهِ الآيَةَ يَدُلُّهُمْ فِيهَا عَلَى أَحْسَنِ القَصَصِ، مِمَّا يَحْوِيهِ القُرآنُ مِنْ قَصَصِ الأَنْبِياءِ الكِرامِ، وَمِنْ أَخْبَارِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَمِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ وَالإِيمَانِ باللهِ... وَقَدْ كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ إليكَ هٰذا القُرآنُ فِي زُمْرَةِ الغَافِلِينَ عَنْهُ مِنْ قَوْمِكَ الأُمِّيِّينَ.

نَقُصُّ عَلَيكَ - نُحَدِّثُكَ، أَوْ نُبَيِّنُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ.

(يَا أَبتِ) (سَاجِدِينَ)

(٤) - اذْكُرْ، يَا مُحَمَّدُ، لِقَوْمِكَ فِي قَصصِكَ عَلَيهِمْ، قِصَّةَ يُوسُفَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَعْقُوبَ، عليهِمَا السَّلاَمُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ

وأحدَ عشرَ كوكباً تسجدُ لي. ففسَّرها يعقوبُ أنَّ ابنَهُ يوسفَ سيحتلُّ مركزاً رفيعاً مرموقاً، وأنَّهُ وزوجتَهُ أمَّ يوسفَ، وإخوتَهُ الأحدَ عشرَ، سيكونونَ ممَّنْ يعظِّمونَ مركزَهُ تعظيماً زائداً، حتَّى ليَصِلُوا إلى حدِّ السُّجودِ لَهُ إجلالاً واحتراماً.

٥ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ

(يا بُنَيَّ) (رُؤْيَاكَ) (الشَّيْطَانَ) (لِلإِنْسَانِ)

(٥) - فَخَشِيَ يعقوبُ أنْ يحدِّثَ يوسفُ أحداً مِنْ إخوتِهِ لأبيهِ برؤياهُ هٰذِهِ فيحسدُوهُ عليها، ويأخذُوا في الكيدِ لَهُ لإهلاكِهِ، لِذٰلِكَ طلبَ إليهِ أنْ لا يقصَّ على أحدٍ مِنْ إخوتِهِ شيئاً مِنْ رؤياهُ، مخافةَ أنْ يُغريَهُمُ الشَّيطانُ بالإساءةِ إليهِ، لأنَّ الشَّيطانَ عدوٌّ للإنسانِ، بيِّنُ العداوةِ وواضِحُها.

٦ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ

(آلِ) (إِبْرَاهِيمَ) (إِسْحَاقَ)

(٦) - وكما اختارَكَ اللهُ ربُّكَ وأراكَ هٰذِهِ الكواكبَ ساجدةً مَعَ الشَّمسِ والقمرِ، كَذٰلِكَ يختارُكَ ربُّكَ ويصطفيكَ للنُّبوَّةِ (يجتبيكَ)، ويعلِّمُكَ تعبيرَ الرُّؤيا (تأويلِ الأحاديثِ)، ويُتِمُّ نعمتَهُ عليكَ، ويجعلُكَ رسولاً بالإيحاءِ إليكَ، كما أتمَّ نعمتَهُ على إبراهيمَ وإسحاقَ أبويْكَ، إنَّ ربَّكَ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ، وهُوَ حكيمٌ في تدبيرِهِ.

يَجْتَبِيكَ - يصطفيكَ لأمورٍ عظامٍ.

تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ - تعبيرِ الرُّؤيا وتفسيرِها.

نصف الحزب ٢٤

٧ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ

(آيَاتٌ) (لِلسَّائِلِينَ)

(٧) - لقدْ كانَ في قصَّةِ يوسفَ، وخبرِهِ مَعَ إخوتِهِ لأبيهِ، عِبرةٌ دالَّةٌ على قدرةِ اللهِ، وعظيمِ حكمتِهِ، وتوفيقِ أقدارِهِ، ولطفِهِ بمَنِ اصطفى مِنْ عبادِهِ، وعظةٌ للسَّائلينَ عَنْ ذٰلِكَ (آياتٌ) لأنَّهُ خبرٌ عجيبٌ، يستحقُّ أنْ يُروى، ويُخبرَ عنْهُ.

٨ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ

(ضَلالٍ)

(٨) - إذْ قالَ إخوةُ يوسفَ لأبيهِ، فيما بينَهُمْ، وهُمْ عشرةُ رجالٍ، إنَّ يوسفَ وأخاهُ لأمِّهِ وأبيهِ، أحبُّ إلى أبينا منَّا، ونحنُ أنفعُ لَهُ منهُما لأنَّنا جماعةٌ كبيرةُ العددِ (عُصبةٌ)، وإنَّ أبانا لَعَلى خطأٍ واضحٍ في تفضيلِ هٰذينِ الأخوينِ، وتقديمِهِما علينا، وقدْ ضلَّ طريقَ العدالةِ والمساواةِ ضلالاً مبيناً لا يخفى على أحدٍ، فكيفَ يفضِّلُ غلامَيْنِ ضعيفَيْنِ لا يقومانِ بخدمةٍ نافعةٍ، على العصبةِ أولي القوَّةِ والبأسِ؟.

نَحْنُ عُصْبَةٌ - نحنُ جماعةٌ كبيرةُ العددِ، كفاةٌ للقيامِ بما يأمرُنا بِهِ أبونا.

ضَلالٍ مُبِينٍ - خطأٍ بيِّنٍ في إيثارِهِما علينا.

﴿٩﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ

(صَالِحِينَ)

(٩) - فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ يُوسُفَ يُزَاحِمُكُمْ فِي حُبِّ أَبِيكُمْ لَكُمْ، فَأَبْعِدُوهُ عَنْ وَجْهِهِ لِيَخْلُوَ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَحْدَكُمْ، إِمَّا بِقَتْلِهِ، وَإِمَّا بِطَرْحِهِ فِي أَرْضٍ أُخْرَى. وَبَعْدَ أَنْ تُزِيلُوا يُوسُفَ - الذِي يَقِفُ حَائِلاً دُونَ مَحَبَّةِ أَبِيكُمْ - تَتُوبُونَ إِلَى اللهِ، وَتَنْصَلِحُ الأُمُورُ، وَتَكُونُونَ قَوْماً صَالِحِينَ.

اطْرَحُوهُ أَرْضاً - أَلْقُوهُ فِي أَرْضٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أَبِيهِ.

يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ - يَخْلُصْ لَكُمْ حُبُّ أَبِيكُمْ وَإِقْبَالُهُ عَلَيْكُمْ.

﴿١٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

(قَائِلٌ) (غَيَابَةِ) (فَاعِلِينَ)

(١٠) - فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَا تَبْلُغُوا فِي كُرْهِكُمْ يُوسُفَ حَدَّ القَتْلِ، وَاكْتَفُوا بِإِلْقَائِهِ فِي أَعْمَاقِ بِئْرٍ (غَيَابَةِ الجُبِّ)، فَتَمُرُّ قَافِلَةٌ مِنَ المُسَافِرِينَ، مِمَّنْ أَلِفُوا الاسْتِقَاءَ مِنْ هذِهِ البِئْرِ، فَتَلْتَقِطُهُ، وَتَأْخُذُهُ بَعِيداً، فَتَرْتَاحُونَ مِنْهُ بِدُونِ ارْتِكَابِ جَرِيمَةِ قَتْلِ أَخِيكُمْ، هذا إِنْ كُنْتُمْ مُصِرِّينَ عَلَى أَنْ تَفْعَلُوا ذٰلِكَ. وَبِمَا أَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ قَضَتْ بِأَنْ يَكُونَ يُوسُفُ ذَا شَأْنٍ عَظِيمٍ فَقَدْ قَبِلَ الآخَرُونَ الاقْتِرَاحَ، لِيَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ.

غَيَابَةِ الجُبِّ - مَا غَابَ وَأَظْلَمَ مِنْ قَعْرِ الجُبِّ.

السَّيَّارَةِ - المُسَافِرِينَ.

﴿١١﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ

(يَا أَبَانَا) (لَنَاصِحُونَ)

(١١) - وَبَعْدَ أَنِ اتَّفَقُوا عَلَى الخُطَّةِ، جَاؤُوا إِلَى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ، عَلَيهِ السَّلامُ، يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيهِمْ بِأَخِيهِمْ يُوسُفَ، لِيُنَفِّذُوا فِيهِ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيهِ رَأْيُهُمْ مِن إِلْقَائِهِ فِي البِئْرِ، وَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالنُّصْحِ وَالمَحَبَّةِ لِأَخِيهِمْ يُوسُفَ.

﴿١٢﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

(لَحَافِظُونَ)

(١٢) - وَقَالُوا لِأَبِيهِمْ: لِمَاذا لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَنَحْنُ لَهُ نَاصِحُونَ؟ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً إِلَى البَرِّيَّةِ لِيَسْتَمْتِعَ بِرِفْقَتِنَا وَيَلْعَبَ، وَإِنَّنَا نَتَكَفَّلُ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ.

يَرْتَعْ - يَتَّسِعْ فِي أَكْلِ مَا لَذَّ وَطَابَ.

يَلْعَبْ - يُسَابِقْ وَيَرْمِ بِالسِّهَامِ.

﴿١٣﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ

(غَافِلُونَ)

(١٣) - قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: إِنَّهُ لَيَشُقُّ عَلَيهِ مُفَارَقَةُ يُوسُفَ مُدَّةَ ذَهَابِهِمْ بِهِ لِلرَّعْيِ لِفَرْطِ تَعَلُّقِهِ بِهِ، وَلِمَا يَتَوَسَّمُهُ فِيهِ مِنَ الخَيْرِ العَظِيمِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَنْشَغِلُوا عَنْهُ فَيَأْتِيَهُ الذِّئْبُ وَيَأْكُلَهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

(لَئِنْ) (لَخاسِرُونَ)

(١٤) - فَرَدُّوا عَلَى أَبِيهِمْ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ عُصْبَةٌ وَافِرَةُ العَدَدِ، فَإِذَا تَمَكَّنَ الذِّئْبُ مِنْ أَكْلِ أَخِيهِمْ يُوسُفَ وَهُوَ فِي حِرَاسَتِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ خَاسِرِينَ عَاجِزِينَ لاَ غَنَاءَ فِيهِمْ.

(غَيابَةِ)

(١٥) - فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ بَعِيداً عَنْ أَبِيهِ، وَعَزَمُوا عَزْماً أَكِيداً عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ، أَتَوْا بِهِ إِلَى البِئْرِ، فَرَبَطُوهُ بِحَبْلٍ، وَدَلَّوْهُ فِيهَا إِلَى قَاعِهَا (غَيَابَةِ الجُبِّ). وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَوْحَى، وَحْيَ إِلْهَامٍ، إِلَى يُوسُفَ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الحَالِ مِنَ الكَرْبِ وَالضِّيقِ، تَطْيِيباً لِقَلْبِهِ، وَتَثْبِيتاً لَهُ: أَنْ لاَ تَحْزَنَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الكَرْبِ وَالشِّدَّةِ، فَإِنَّ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجاً حَسَناً، وَسَيَنْصُرُكَ اللهُ، وَيُعْلِي قَدْرَكَ، وَيَرْفَعُكَ دَرَجَةً، وَسَتُخْبِرُ إِخْوَتَكَ بِمَا فَعَلُوا مَعَكَ مِنْ سُوءِ الصَّنِيعِ، وَهُمْ لاَ يَعْرِفُونَكَ، وَلا يَشْعُرُونَ بِكَ، لأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ تَخَلَّصُوا مِنْكَ.

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ - عَزَمُوا وَصَمَّمُوا.

(وَجَاؤُوا)

(١٦) - وَبَعْدَ أَنْ أَلْقَوْا يُوسُفَ فِي الجُبِّ رَجَعُوا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَقْتَ العِشَاءِ، إِلَى أَبِيهِمْ وَهُمْ يَبْكُونَ وَيُظْهِرُونَ الجَزَعَ وَالحُزْنَ عَلَى يُوسُفَ.

(يَا أَبَانَا) (مَتَاعِنَا) (صَادِقِينَ)

(١٧) - وَقَالُوا لأَبِيهِمْ مُعْتَذِرِينَ عَمَّا وَقَعَ: إِنَّهُمْ ذَهَبُوا يَتَسَابَقُونَ فِي الرَّمْيِ، وَتَرَكُوا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِهِمْ لِيَحْرُسَهُ، فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ. ثُمَّ قَالُوا لَهُ: إِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ لاَ تُصَدِّقُنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ فِيمَا نَقُولُ، فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَتَّهِمُنَا فِي ذَلِكَ، لأَنَّكَ خَشِيتَ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ فَأَكَلَهُ، فَأَنْتَ مَعْذُورٌ فِي تَكْذِيبِكَ إِيَّانَا.

نَسْتَبِقُ - نَنْتَضِلُ بِالسِّهَامِ.

مَتَاعِنَا - ثِيَابِنَا وَعُدَّتِنَا.

(وَجَاؤُوا)

(١٨) - وَيُقَالُ إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ عَمَدُوا إِلَى جَدْيٍ فَذَبَحُوهُ، وَلَطَّخُوا بِدَمِهِ ثِيَابَ يُوسُفَ الَّتِي حَمَلُوهَا إِلَى أَبِيهِمْ لِيُوهِمُوهُ أَنَّ هذا هُوَ قَمِيصُهُ الَّذِي أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَهُوَ يَلْبَسُهُ. وَيُقَالُ إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ نَسُوا أَنْ يُخَرِّقُوا القَمِيصَ، لأَنَّ الذِّئْبَ لَوْ أَكَلَهُ لَمَزَّقَ ثِيَابَهُ. وَلاَحَظَ نَبِيُّ اللهِ يَعْقُوبُ ذَلِكَ، فَأَدْرَكَ أَنَّ أَوْلاَدَهُ كَاذِبُونَ، فَقَالَ لَهُمْ مُكَذِّباً: بَلْ حَسَّنَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرَ الجَرِيمَةِ، وَسَهَّلَتْهُ عَلَيْكُمْ، فَارْتَكَبْتُمْ أَمْراً مُنْكَراً، فَسَأَصْبِرُ صَبْراً جَمِيلاً

(١٩) وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ

(٢٠) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ

لَا شَكْوَى فِيهِ عَلَى مَا ٱتَّفَقْتُمْ عَلَيه، حَتَّى يُفَرِّجَهُ اللهُ بِكَرَمِهِ وَمَنِّهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَذْكُرُونَ مِنَ الكَذِبِ وَالبُهْتَانِ.

سَوَّلَتْ لَكُمْ ـ زَيَّنَتْهُ لَكُمْ وَسَهَّلَتِ ٱرْتِكَابَهُ عَلَيْكُمْ.

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ـ لَا شَكْوَى فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى.

مَا تَصِفُونَ ـ مَا تَذْكُرُونَ مِنَ الكَذِبِ وَالبُهْتَانِ.

(يَا بُشْرَىٰ) (غُلَامٌ) (بِضَاعَةً)

(١٩) ـ وَمَرَّتْ بِالبِئْرِ قَافِلَةٌ (سَيَّارَةٌ) مُجْتَازَةٌ فَأَرْسَلُوا رَجُلاً مِنْهُمْ إِلَى البِئْرِ لِيَسْتَقِيَ لَهُمُ المَاءَ، فَأَدْلَى دَلْوَهُ فِي البِئْرِ، فَتَعَلَّقَ يُوسُفُ بِالدَّلْوِ، فَأَخْرَجَهُ الرَّجُلُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الوَارِدِينَ عَلَى المَاءِ، وَٱسْتَبْشَروا بِرُؤْيَتِهِ، وَعَادُوا إِلَى القَافِلَةِ بِهِ، وَقَالُوا لِمَنْ مَعَهُمْ إِنَّهُمْ ٱشْتَرَوْهُ مِنْ وَارِدِينَ عَلى المَاءِ لِكَيْلَا يُشَارِكَهُمُ الآخَرُونَ مِنْ رِفَاقِهِمْ فِي القَافِلَةِ فِيهِ إِنْ عَلِمُوا حَقِيقَةَ خَبَرِهِ. وَأَخْفَوْهُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ لِكَيْلَا يَدَّعِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ذٰلِكَ المَكَانِ، لِيَكُونَ بِضَاعَةً مِنْ جُمْلَةِ تِجَارَتِهِمْ؛ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

(وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ كَانُوا يُرَاقِبُونَ البِئْرَ لِيَعْلَمُوا مَا الذِي سَيَكُونُ عَلَيهِ حَالُ يُوسُفَ، وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَذَكَرُوا خَبَرَهُ لِوَارِدِهَا، فَنَادَى أَصْحَابَهُ وَقَالَ: يَا بُشْرَى هٰذا غُلَامٌ يُبَاعُ، فَبَاعَهُ إِخْوَتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ قَلِيلٍ إِلى وَارِدِ السَّيَّارَةِ، وَلَمْ يَقُولُوا إِنَّهُ أَخُوهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ هُوَ إِنَّهُمْ إِخْوَتُهُ، مُفَضِّلاً الرِّقَّ وَالبَيْعَ عَلَى أَنْ يَقْتُلَهُ إِخْوَتُهُ، وَكَانَ الإِخْوَةُ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي يُوسُفَ وَلَوْ سَأَلَهُمْ أَحَدٌ أَنْ يُعْطُوهُ إِيَّاهُ بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَفَعَلُوا).

سَيَّارَةٌ ـ رِفْقَةٌ مُسَافِرُونَ مِنْ مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ.

وَارِدَهُمْ ـ مَنْ يَتَقَدَّمُ الرُّفْقَةَ لِيَسْقِيَ لَهُمْ.

فَأَدْلَى دَلْوَهُ ـ فَأَرْسَلَ دَلْوَهُ فِي الجُبِّ.

أَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ـ أَخْفَاهُ الوَارِدُ عَنْ أَصْحَابِهِ فِي القَافِلَةِ، أَوْ أَخْفَى إِخْوَتُهُ أَمْرَهُ لِيَكُونَ مَتَاعاً لِلتِّجَارَةِ (بِضَاعَةً).

(دَرَاهِمَ) (الزَّاهِدِينَ)

(٢٠) ـ وَبَاعَهُ رِجَالُ السَّيَّارَةِ فِي مِصْرَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ قَلِيلٍ نَاقِصٍ، عَنْ ثَمَنِهِ الحَقِيقِيِّ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ دَرَاهِمَ مَعْدُودَاتٍ (وَكَانُوا قَدِيماً يَعُدُّونَ ثَمَنَ مَا يَشْتَرُونَ عَدّاً إِذا لَم يَبْلُغِ المَبْلَغُ الأُوقِيَّةَ ـ أَيْ أَرْبَعِينَ دِرْهَماً ـ أَمَّا إِذا جَاوَزَ المَبْلَغُ الأَرْبَعِينَ دِرْهَماً فَكَانُوا يَدْفَعُونَهُ بِالمِيزَانِ).

وَكَانَ الذِينَ بَاعُوهُ يَرْغَبُونَ فِي الخَلَاصِ مِنْهُ لِئَلَّا يَظْهَرَ مَنْ يُطَالِبُهُمْ بِهِ، لِأَنَّهُ حُرٌّ، وَلِذٰلِكَ قَنِعُوا بِالثَّمَنِ البَخْسِ.

شَرَوْهُ ـ بَاعُوهُ.

بِثَمَنٍ بَخْسٍ ـ نَاقِصٍ عَنِ القِيمَةِ نَقْصاً ظَاهِراً.

(٢١) وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(اشْتَراهُ) (مَثْوَاهُ)

(٢١) - يَقُولُ تَعالَى: إِنَّ السَّيَّارَةَ بَاعَتْ يُوسُفَ لِرَجُلٍ مِنْ مِصْرَ (هُوَ عَزِيزُها أَوِ الوَزِيرُ الأَوَّلُ فِيها) فَأَكْرَمَهُ هذا الرَّجُلُ، مُتَوَسِّماً فِيهِ الخَيْرَ، وَأَوْصَى أَهْلَهُ بِهِ. وَهٰكَذا مَكَّنَ اللهُ لِيُوسُفَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَعَلَّمَهُ تَعْبِيرَ الرُّؤْيا (تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ)، وَاللهُ إِذَا أَرَادَ أَمْراً فَلا يُرَدُّ وَلا يُمانَعُ، بَلْ هُوَ الغَالِبُ لِمَا سِواهُ، وَالفَعَّالُ لِمَا يَشاءُ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ حِكْمَتَهُ فِي خَلْقِهِ، وَتَلَطُّفَهُ فِي فِعْلِهِ مَا يُرِيدُ.

أَكْرِمِي مَثْوَاهُ - اجْعَلِي مَحَلَّ إِقَامَتِهِ كَرِيماً مُرْضِياً.

غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ - لاَ يَقْهَرُهُ شَيءٌ، وَلاَ يَدْفَعُهُ عَنْهُ أَحَدٌ.

(٢٢) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

(آتَيْنَاهُ)

(٢٢) - وَلَمَّا اسْتَكْمَلَ يُوسُفُ عَقْلَهُ، وَتَمَّ خَلْقُهُ (بَلَغَ أَشُدَّهُ)، آتَاهُ اللهُ النُّبُوَّةَ (حُكْماً وَعِلْماً)، وَحَبَاهُ بِهَا، مِنْ بَيْنِ أُولٰئِكَ القَوْمِ، فَقَدْ كَانَ عَلَيهِ السَّلامُ مُحْسِناً فِي عَمَلِهِ، عَامِلاً بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَكَذٰلِكَ يَجْزِي اللهُ المُحْسِنِينَ.

بَلَغَ أَشُدَّهُ - بَلَغَ مُنْتَهى قُوَّةِ جِسْمِهِ.

(٢٣) وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ

(وَرَاوَدَتْهُ) (الأَبْوَابَ) (الظَّالِمُونَ)

(٢٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ مُحَاوَلَةِ امْرَأَةِ العَزِيزِ - الَّتِي أَوْصَاهَا زَوْجُهَا بِيُوسُفَ - اسْتِغْوَاءَهُ، وَطَلَبَهَا مِنْهُ فِعْلَ الفَاحِشَةِ، بَعْدَ أَنْ أَحَبَّتْهُ حُبّاً شَدِيداً، لِجَمَالِهِ وَبَهَائِهِ، فَحَمَلَهَا ذٰلِكَ عَلَى أَنْ تَجَمَّلَتْ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَغْلَقَتِ الأَبْوَابَ، وَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا، قَائِلَةً لَهُ: (هَيْتَ لَكَ - أَيْ هَلُمَّ إِلَيَّ)، فَامْتَنَعَ يُوسُفُ عَنِ الاسْتِجَابَةِ إِلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا إِنَّ بَعْلَكِ هُوَ سَيِّدُ البَيْتِ الَّذِي أُقِيمُ فِيهِ (رَبِّي)، وَقَدْ أَحْسَنَ إِلَيَّ، فَلا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُقَابِلَهُ عَلَى ذٰلِكَ بِفِعْلِ الفَاحِشَةِ مَعَ أَهْلِهِ. وَالظَّالِمُونَ النَّاكِرُونَ لِلْجَمِيلِ لاَ يُفْلِحُونَ أَبداً.

رَاوَدَتْهُ - تَمَحَّلَتْ لِمُواقَعَتِهِ إِيَّاهَا.

هَيْتَ لَكَ - هَلُمَّ إِلَيَّ، أَسْرِعْ.

مَعَاذَ اللهِ - أَعُوذُ بِاللهِ مَعَاذاً مِمَّا دَعَوْتِنِي إِلَيهِ.

(٢٤) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ

(رَأَى)

(٢٤) - وَيَقُولُ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ إِنَّ نَفْسَ يُوسُفَ حَدَّثَتْهُ بِالمَرْأَةِ فَرَأَى شَيْئاً مِنْ آيَاتِ اللهِ أَعَادَهُ إِلَى عَقْلِهِ. وَتَرَاجَعَ عَمَّا هَمَّتْ بِهِ نَفْسُهُ، وَبِذٰلِكَ صَرَفَ اللهُ عَنْهُ السُّوءَ، وَعَمَلَ الفَاحِشَةِ، لأَنَّهُ مِنْ عِبَادِ اللهِ المُخْلَصِينَ.

(وَاخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ الآيَاتِ الَّتِي رَآهَا يُوسُفُ فَأَيْقَظَتْهُ، فَقِيلَ إِنَّهُ

﴿٢٥﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ

﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ

﴿٢٧﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

رَأى صُورَةَ أَبِيهِ يَعْقُوبَ يُحَذِّرُهُ، وَقِيلَ إِنَّهُ رَأى صُورَةَ رَبِّ البَيْتِ، وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّهُ رَأَى بَعْضَ آيَاتِ اللهِ مَكْتُوباً عَلَى الجِدَارِ..).

وَلكِنَّ أَكْثَرَ المُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ هَمٌّ بِهَا وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى مَا يَذْهَبُونَ إِلَيهِ مِنَ ٱسْتِعْمَالِ النَّصِّ (لَوْلا) التي هِيَ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ حَرْفُ ٱمْتِنَاعٍ لِوُجُودٍ، وبِذلِكَ يَكُونُ مَعْنَى الآيَةِ: (وَلَوْلا أَنْ رَأى يُوسُفُ بُرْهَانَ رَبِّهُ لَهَمَّ بها، فَوُجُودُ الهَمِّ مِنْهُ يَقُومُ عَلَى ٱنْتِفاءِ رُؤْيَةِ البُرْهَانِ وَلٰكِنْ وُجِدَتْ رُؤْيَةُ البُرْهَانِ فَٱنْتَفَى الهَمُّ مِنْ جَانِبِهِ).

وَقَدْ بَرَّأَ اللهُ يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، فِي الآيَةِ نَفْسِها وَقَالَ إِنَّهُ صَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ لأَنَّهُ مِنْ عِبَادِ اللهِ الذِينَ أَخْلَصَهُمْ رَبُّهُمْ لِطَاعَتِهِ عَنْ فِعْلِ مَا يَشِينُهُمْ مِنَ المَعَاصِي.

(لَدَى)

(٢٥) - وَهَرَبَ يُوسُفُ مِنَ المَرْأَةِ نَحْوَ البَابِ لِيَنْجُوَ بِنَفْسِهِ مِنْها، فَلَحِقَتْ بِهِ لِتُرْجِعَهُ إِلَيهَا، وَأَمْسَكَتْ بِهِ مِنْ قَمِيصِهِ مِنْ خَلْفِهِ فَقَدَّتْهُ وَمَزَّقَتْهُ، وَوَجَدا (أَلْفَيَا) زَوْجَ المَرْأَةِ عِنْدَ البَابِ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ هٰذا المَوْقِفِ المُحْرِجِ بِكَيْدِها وَمَكْرِها، فَٱتَّهَمَتْ يُوسُفَ بِأَنَّهُ رَاوَدَها عَنْ نَفْسِها، فَقَالَتْ لِزَوْجِها: مَا جَزاءُ الذِي يُرِيدُ بِزَوْجَتِكَ السُّوءَ وَالفَاحِشَةَ، إِلاّ أَنْ يُسْجَنَ فِي السِّجْنِ، أَوْ أَنْ يُوقَعَ عَليهِ عَذابٌ أَلِيمٌ، عُقُوبَةً لَهُ عَلَى مَا جَنَتْهُ يَدَاهُ؟

ٱسْتَبَقَا البَابَ - تَسَابَقَا إِلَيهِ هُوَ يُرِيدُ الخُرُوجَ وَهِيَ تُرِيدُ مَنْعَهُ.
قَدَّتْ قَمِيصَهُ - مَزَّقَتْهُ وَشَقَّتْهُ.
أَلْفَيَا سَيِّدَهَا - وَجَدَا زَوْجَهَا.

(رَاوَدَتْنِي) (الْكَاذِبِينَ)

(٢٦) - فَتَبَرَّأَ يُوسُفُ مِنَ التُّهْمَةِ التي رَمَتْهُ بِهَا المَرْأَةُ مِنْ مُرَاوَدَتِهِ إِيَّاهَا عَنْ نَفْسِها، وَقَالَ: هِيَ التي رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي، وَطَلَبَتْنِي لِفِعْلِ الفَاحِشَةِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ هَرَبَ مِنْها نَحْوَ البَابِ، وَلٰكِنَّهَا لَحِقَتْ بِهِ، وَأَمْسَكَتْ بِقَمِيصِهِ مِنَ الخَلْفِ فَتَمَزَّقَ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَرْأَةِ: إِنْ كَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ تَمَزَّقَ مِنْ قُبُلِهِ (أَيْ مِنَ الأَمَامِ)، فَتَكُونُ المَرْأَةُ هِيَ الصَّادِقَةَ وَيَكُونُ هُوَ الكَاذِبَ، لأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ دَعَاها إِلى نَفْسِهِ، وَأَبَتْ هِيَ عَليهِ ذٰلِكَ، فَهَاجَمَها فَدَفَعَتْهُ عَنْ نَفْسِها، وَأَخَذَتْ بِتَلابِيبِهِ فَتَمَزَّقَ قَمِيصُهُ فَيَصِحُّ مَا قَالَتْ هِيَ.

(الصَّادِقِينَ)

(٢٧) - وَإِنْ كَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ تَمَزَّقَ مِنَ الخَلْفِ (مِنْ دُبُرٍ) فَيَكُونُ هُوَ

﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ

﴿٢٩﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

﴿٣٠﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ

﴿٣١﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ

الصَّادِقَ وَهِيَ الكَاذِبَةَ، لأَنَّها تَكُونُ هِيَ التِي لَحِقَتْ بِهِ، وَهُوَ هَارِبٌ مِنْهَا، فَجذَبَتْهُ مِنْ قَمِيصِهِ مِنَ الخَلْفِ فَتَمزَّقَ، فَيَصِحُّ مَا قَالَهُ يُوسُفُ.

(رَأَى)

(٢٨) - فَلَمَّا تَحقَّقَ زَوْجُ المَرْأَةِ مِنْ صِدْقِ يُوسُفَ، وَكَذِبِ المَرْأَةِ، إِذْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ قَمِيصَ يُوسُفَ قَدْ تَمزَّقَ مِنَ الخَلْفِ قَالَ لَهَا: إِنَّ هٰذا البُهْتَ، وَمَا حَاوَلَتْ بِهِ تَلْطِيخَ سُمْعَةِ الشَّابِّ، هُوَ مِنْ كَيْدِ النِّسَاءِ العَظِيمِ.

(٢٩) - ثُمَّ أَمَرَ صَاحِبُ البَيْتِ يُوسُفَ بِكِتْمَانِ مَا وَقَعَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: آضْرِبْ صَفْحاً عَنْهُ فَلا تَذْكُرْهُ لأَحدٍ لِكَيْلا يَشِيعَ خَبَرُهُ، وَيَنْتَشِرَ بَيْنَ النَّاسِ. وَقَالَ لامْرأَتِهِ آسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ الذِي وَقَعَ مِنْكِ مِنْ إِرَادَةِ الفَاحِشَةِ بِالشَّابِّ، ثُمَّ آتِّهَامِهِ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، لأَنَّكِ كُنْتِ بِفِعْلِكِ هٰذا مِنَ الذِينَ يَرْتَكِبُونَ الخَطِيئَةَ عَنْ عَمْدٍ وَتَصْمِيمٍ.

(امْرَأَةُ) (تُرَاوِدُ) (فَتَاهَا) (لَنَرَاهَا) (ضَلالٍ)

(٣٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ قِصَّةَ يُوسُفَ مَعَ المَرْأَةِ قَدْ شَاعَ خَبَرُهَا فِي المَدِينَةِ (مِصْرَ)، حَتَّى تَحدَّثَ النَّاسُ بِها، فَقَالَتْ نِسَاءُ الكُبَراءِ وَالأُمَراءِ يُنْكِرْنَ عَلَى آمْرَأَةِ العَزِيزِ (وَهُوَ الوَزِيرُ الأَوَّلُ) فِعْلَهَا، وَيَعِبْنَ عَلَيْها مَسْلَكَهَا فِي مُرَاوَدَةِ غُلامِها (فَتَاهَا) وَعَبْدِها عَنْ نَفْسِهِ، وَدَعْوَتِهِ إِلى نَفْسِها، وَقُلْنَ إِنَّهُ قَدْ سَلَبَ لُبَّهَا مِنَ الحُبِّ، وَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَهَا فِي ضَلالٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ فِي تَصَرُّفِها هٰذا.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاس: الشَّغفُ هُوَ الحُبُّ القَاتِلُ، وَالشَّغَافُ هُوَ حِجَابُ القَلْبِ،، أَيْ إِنَّ حُبَّهُ قَدْ مَسَّ شَغافَ قَلْبِها).

شَغَفَهَا حُبّاً - شَقَّ حُبُّهُ سُوَيْدَاءَ قَلْبِهَا.

(مُتَّكَأً) (وَآتَتْ) (وَاحِدَةٍ) (حَاشَ)

((٣١) - فَلَمَّا سَمِعَتِ آمْرَأَةُ العَزِيزِ مَقَالَةَ نِسْوَةِ الكُبَرَاءِ التِي أَرَدْنَ بِهَا إِغْضَابَها، وَمَا يَتَحدَّثْنَ بِهِ عَنْ ذَهَابِ الحُبِّ بِهَا كُلَّ مَذْهَبٍ، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ تَدْعُوهُنَّ إِلى مَنْزِلِها لِتُضَيِّفَهُنَّ، وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مَفارِشَ وَأَرائِكَ، وَطَعَاماً مِمَّا يُقْطَعُ بِالسَّكَاكِينِ، وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً لِتَسْتَعْمِلَهُ، وَكَانَ ذٰلِكَ مِنْها مَكِيدَةً، وَمُقَابَلَةً مِنها لَهُنَّ عَلَى كَيْدِهِنَّ. ثُمَّ دَعَتْ يُوسُفَ إِلى الدُّخُولِ عَلَيْهِنَّ. فَلَمَّا رَآتْهُ النِّسْوَةُ أَعْظَمْنَ شَأْنَهُ، وَأَجْلَلْنَ قَدْرَهُ، وَجَعَلْنَ يُجَرِّحْنَ أَيْدِيَهُنَّ دَهَشاً بِرُؤْيَتِهِ. وَلَمَّا شَكَوْنَ لَهَا مِمَّا أَصَابَهُنَّ، قَالَتْ لَهُنَّ: أَنْتُنَّ فَعَلْتُنَّ هٰذا مِنْ نَظْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَيْفَ أُلامُ أَنا؟ فَقُلْنَ لا لَوْمَ عَلَيْكِ بَعْدَ الذِي رَأَيْنا، فَهٰذا لَيْسَ بَشَراً مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّما هُوَ أَحَدُ مَلائِكَةِ اللهِ المُكَرَّمِينَ.

٣٢ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ

٣٣ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ

٣٤ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

٣٥ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ

قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ - جرَّحْنَ أَيْدِيَهُنَّ.

حَاشَ لِلّهِ - تَنْزِيهاً عَنِ العَجْزِ عَنْ خَلْقِ مِثْلِهِ.

(رَاوَدتُّهُ) (وَلَئِنْ) (آمُرُهُ) (لَيَكُونَنْ) (الصَّاغِرِينَ)

(٣٢) - وَقَالَتْ امْرَأَةُ العَزِيزِ لِلنِّسْوَةِ تُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهَا: هَـذَا هُوَ الغُـلَامُ الَّـذِي لُمْتُنَّنِي لِأَنَّنِي شُغِفْتُ بِـهِ حُبّاً، وَهَـا قَـدْ رَأَيْتُنَّ جَمَالَـهُ وَبَهَاءَهُ بِأَعْيُنِكُنَّ، فَكَيْفَ لَا يَتَعَلَّقُ قَلْبِي بِهِ، وَمِثْلُ هَذَا الجَمَالِ خَلِيقٌ بِأَنْ يُفْتَتَنَ بِهِ؟ وَاعْتَرَفَتْ لَهُنَّ بِأَنَّهَا رَاوَدَتْهُ فِعلاً عَنْ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ اسْتَعْصَمَ وَامْتَنَعَ، وَإِنَّـهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ مَـا أَمَرَتْـهُ بِهِ، وَيَخْضَـعْ لِإِرَادَتِهَـا، وَإِذَا لَمْ يَسْتَجِبْ لِـرَغْبَتِهَـا، فَـإِنَّـهُ سَيُسْجَنُ وَسَيَكُـونُ مِنَ المَنْبُـوذِينَ المُسْتَكِينِينَ (الصَّاغِرِينَ).

فَاسْتَعْصَمَ - امْتَنَعَ امْتِنَاعاً شَدِيداً وَأَبَى.

(الجَاهِلِينَ)

(٣٣) - فَاسْتَعَاذَ يُوسُفُ بِاللهِ مِنْ شَرِّهِنَّ، وَمِنْ كَيْدِهِنَّ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، السِّجْنُ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنَ الاسْتِجَابَةِ إِلَى مَا يَطْلُبْنَهُ مِنِّي مِنْ فِعْلِ الفَاحِشَةِ (وَفِي هٰذَا القَوْلِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ النِّسْوَةَ اشْتَرَكْنَ مَعَ امْرَأَةِ العَزِيزِ فِي تَهْدِيدِ يُوسُفَ وَتَخْوِيفِهِ مِنْ عَاقِبَةِ إِصْرَارِهِ عَلَى الامْتِنَاعِ عَنْهَا، وَرَغَّبْنَهُ فِي مُسَايَرَتِهَا، وَالاسْتِجَابَةِ إِلَيها)، وَإِنْ وَكَلْتَنِي يَا رَبِّ إِلَى نَفْسِي فَلَيْسَ لِي مِنْها قُدْرَةٌ، وَلا أَمْلِكُ لَهَا ضَرّاً وَلا نَفْعاً إِلا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، فَإِنْ لَمْ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ، وَتَعْصِمْنِي مِنَ الفَاحِشَةِ، أَسْتَجِبْ لَهُنَّ، وَأَكُنْ بِذَلِكَ مِنَ الجَاهِلِينَ الذِينَ تَسْتَخِفُّهُمُ الشَّهَوَاتُ، فَيَجْنَحُونَ إِلَى ارْتِكَابِ المُوبِقَاتِ، وَاجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ.

أَصْبُ إِلَيْهِنَّ - أَمِلْ إِلَى إِجَابَتِهِنَّ إِلَى مَا يَطْلُبْنَهُ.

(٣٤) - فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لِدُعَائِهِ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ، إِذْ كَفَّتِ المَرْأَةُ عَنْ مُلاحَقَتِهِ وَمُطَالَبَتِهِ بِالفَاحِشَةِ، وَعَصَمَهُ اللهُ مِنْهُنَّ، وَاللهُ تَعَالَى سَمِيعٌ لِمَنْ يَدْعُوهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيهِ، عَلِيمٌ بِصِدْقِ إِيمَانِهِ، وَبِمَا يُصْلِحُ أَحْوَالَهُ.

(الآيَاتِ)

(٣٥) - وَلَمَّا قَامَتِ الأَدِلَّةُ عَلَى صِدْقِ يُوسُفَ وَعِفَّتِهِ، وَبَرَاءَتِهِ مِمَّا رَمَتْهُ بِهِ امْرَأَةُ العَزِيزِ، رَأَوا أَنَّهُ مِنَ المَصْلَحَةِ أَنْ يَسْجُنُوهُ بَعْضَ الوَقْتِ (حَتَّى حِينٍ)، إِيهَاماً بِأَنَّهُ هُوَ الذِي رَاوَدَ امرأَةَ العَزِيزِ عَنْ نَفْسِهَا، وَأَنَّهَا كَانَتْ صَادِقَةً فِيمَا قَالَتْهُ عَنْهُ، وَإِبْعَاداً لَهُ مِنَ الدَّارِ التِي فَتَنَ رَبَّتَهَا وَصَدِيقَاتِهَا، وَاسْتَخَفَّهُنَّ حُبّاً وَشَغَفاً، دُونَ أَنْ يَتْرُكَ لَهُنَّ فِيهِ مَطْمَعاً، وَقَطْعاً لِأَلْسِنَةِ السُّوءِ التِي أَخَذَتْ فِي اللَّغْطِ فِي قِصَّةِ المُرَاوَدَةِ.

٣٦ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ

(أَرَانِي) (نَرَاكَ)

(٣٦) - وَدَخَلَ السِّجْنَ مَعَ يُوسُفَ عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ لِمَلِكِ مِصْرَ (فتيان)، قِيلَ إِنَّ أَحَدَهُمَا سَاقِي المَلِكِ، وَالآخَرَ خَبَّازُهُ، وَقَدْ اتُّهِمَا بِمُحَاوَلَةِ دَسِّ السُّمِّ لِلْمَلِكِ لِلْفَتْكِ بِهِ. وَقَدْ شَاعَ فِي السِّجْنِ مَا عَلَيهِ يُوسُفُ مِنَ الصدْقِ وَالصَّلاحِ، وَمَعْرِفَةِ تَعْبِيرِ الأَحْلامِ، وَقَدْ رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الغُلامَيْنِ مَناماً قَصَّهُ عَلَى يُوسُفَ، وَرَجَاهُ أَنْ يُفَسِّرَهُ لَهُ. وَكَانَ السَّاقِي قَدْ رَأَى فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ يَعْصِرُ عِنَباً وَيَصْنَعُ مِنْهُ خَمراً، وَرَأَى الآخَرُ أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خُبزاً فَتَأْتِي الطَّيْرُ فَتَأْكُلُ مِنْهُ. وَطَلَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ يُوسُفَ أَنْ يُفَسِّرَ لَهُ رُؤْيَاهُ، لأَنَّهُ يَرَاهُ مِنَ الذِينَ يُحْسِنُونَ تَفْسِيرَ الأَحْلامِ وَتَأْوِيلَها.

أَعْصِرُ خَمْراً - أَعْصِرُ عِنَباً يَؤُولُ إِلَى خَمْرٍ أَسْقِيهِ المَلِكَ.

٣٧ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ

(بِالآخِرَةِ) (كَافِرُونَ)

(٣٧) - قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ: إِنَّهُ يَعْرِفُ تَفْسِيرَ مَا رَآهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ حُلْمٍ وَسَيُخْبِرُهُمَا بِتَأْوِيلِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمَا إِنَّهُمَا لاَ يَأْتِيهِمَا طَعَامٌ إِلاَّ أَخْبَرَهُمَا بِهِ، وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِهِ، وَبِمَا يُرِيدُونَ مِنْ إِرْسَالِهِ. (وَقِيلَ إِنَّ مُدَبِّرِي المُؤَامَرَةِ عَلَى المَلِكِ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ كَانُوا يُحَاوِلُونَ إِرْسَالَ طَعَامٍ مَسْمُومٍ إِلى الغُلامَيْنِ لِقَتْلِهِمَا لِكَيْ لاَ يُقِرَّا بِشَيءٍ عَنِ اشْتِرَاكِهِمْ بِالمُؤَامَرَةِ) وَهٰذِهِ القُدْرَةُ عَلَى تَفْسِيرِ الأَحْلامِ، وَوَحْيِ الإِلْهَامِ الذِي تَمَتَّعَ بِهِ، هُمَا مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ رَبُّهُ بِوَحْيٍ مِنْهُ، لأَنَّهُ تَرَكَ مُشَارَكَةَ القَوْمِ الكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَفِلَسْطِينَ فِي عِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَآلِهَةٍ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى، وَيَكْفُرُونَ بِالآخِرَةِ وَبِالحِسَابِ وَالجَزَاءِ. وَأَنَّهُ آمَنَ بِاللهِ وَحْدَهُ إِلٰهاً وَاحِداً لاَ شَرِيكَ لَهُ.

ذٰلِكُمَا - التَّأْوِيلُ وَالإِخْبَارُ بِمَا يَأْتِي.

٣٨ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

(آبَائِي) (إِبْرَاهِيم) (وَإِسْحَاق)

(٣٨) - وَقَالَ يُوسُفُ، عَلَيهِ السَّلامُ، لِلْغُلامَيْنِ: إِنَّهُ تَرَكَ طَرِيقَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَ المُرْسَلِينَ المُهْتَدِينَ مِنْ آبَائِهِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِمْ، وَهٰذَا التَّوْحِيدُ وَالاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، هُوَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيهِ وَعَلَى آبَائِهِ، وَقَدْ أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيهِمْ، وَأَمَرَهُمْ بِهِ. وَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ جَعَلَ يُوسُفَ وَآبَاءَهُ دُعَاةً لِلنَّاسِ إِلَى الخَيْرِ، وَإِلَى سَبِيلِ اللهِ القَوِيمِ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيهِمْ بِإِرْسَالِ

(٣٩) يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ

(٤٠) مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ

(٤١) يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ

(٤٢) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ

الرُّسُلِ، وَلا يَشْكُرُونَهُ تَعَالَى عَلَى هٰذِهِ النِّعْمَةِ بِالطَّاعَةِ وَالإِيمَانِ وَحُسْنِ العَمَلِ.

(يَا صَاحِبَيِ) (أَأَرْبَابٌ) (الْوَاحِدُ)

(٣٩) ـ وَسَأَلَ يُوسُفُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، الفَتَيَيْنِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمَا إِلى الإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ: هَلْ عِبَادَةُ أَرْبَابٍ مُتَفَرِّقِينَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً، خَيْرٌ أَمْ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ الإِلٰهُ الوَاحِدُ الذِي لاَ يُقْهَرُ وَلا يُغَالَبُ، وَقَدْ ذَلَّ لِعِزَّتِهِ وَجَلالِهِ كُلُّ شَيْءٍ.
(أَشَارَ يُوسُفُ إِلى الآلِهَةِ المُتَفَرِّقِينَ، لأَنَّ التَّفَرُّقَ يَقْتَضِي التَّنَازُعَ وَالاخْتِلاَفَ فِي الأَعْمَالِ وَالتدبيرِ وَيَقْتَضِي إِفْسَادَ نِظَامِ الكَوْنِ).

(آبَاؤُكُمْ) (سُلْطَانٍ)

(٤٠) ـ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ مَا يَعْبُدُونَهُ هُمْ وَآبَاؤُهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ الحَقِّ مِنْ آلِهَةٍ أُخْرى، كَالأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ... هِيَ أَسْمَاءٌ سَمَّوْهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، تَلَقَّاهَا خَلَفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ، وَلَيْسَ لِذٰلِكَ مُسْتَنَدٌ عِنْدَ اللهِ، وَلا حُجَّةٌ وَلا بُرْهَانٌ. ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الحُكْمَ وَالمَشِيئَةَ وَالمُلْكَ، كُلُّ ذٰلِكَ للهِ وَحْدَهُ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ قَاطِبَةً، أَنْ لاَ يَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ. ثُمَّ قَالَ لِلْغُلاَمَيْنِ: إِنَّ مَا يَدْعُوهُمَا إِلَيهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، هُوَ الدِّينُ القَوِيمُ المُسْتَقِيمُ الذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ هٰذِهِ الحَقِيقَةَ لِذٰلِكَ كَانُوا مُشْرِكِينَ.
الدِّينُ القَيِّمُ ـ الدِّينُ القَوِيمُ المُسْتَقِيمُ بِالبَرَاهِينِ.

(يَا صَاحِبَيِ)

(٤١) ـ ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ عَلَيهِ السَّلامُ يُفَسِّرُ حُلْمَ الشَّابَّيْنِ: إِنَّ أَحَدَهُمَا، وَهُوَ الذِي رَأَى نَفْسَهُ فِي المَنَامِ يَعْصِرُ خَمْراً، سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ، وَسَيَسْقِي سَيِّدَهُ المَلِكَ (رَبَّهُ) الخَمْرَ، وَإِنَّ الآخَرَ ـ وَهُوَ الذِي رَأَى أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خُبْزاً تَأْتِي الطَّيْرُ فَتَأْكُلُ مِنْهُ ـ فَإِنَّهُ سَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ لَحْمِ رَأْسِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمَا إِنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ سَيَقَعُ بِتَمَامِهِ، وَإِنَّهُ أَمْرٌ مَقْضِيٌّ مِنَ اللهِ.

(فَأَنْسَاهُ) (الشَّيْطَانُ)

(٤٢) ـ ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ لِلسَّاقِي الذِي تَوَقَّعَ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ: اذْكُرْ حَالِي وَقِصَّتِي عِنْدَ سَيِّدِكَ المَلِكِ، لَعَلَّهُ يُنْصِفُنِي، وَيُخْرِجُنِي مِنَ السِّجْنِ، فَنَسِيَ الشَّابُّ يُوسُفَ وَمَا قَالَهُ، فَبَقِي يُوسُفُ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ.

٤٣ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ

٤٤ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ

٤٥ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ

٤٦ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ

(وَالبِضعُ تُسْتَعْمَلُ فِي الأَعْدادِ لِما بَيْنَ الثَّلاثِ وَالتِّسْعِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ عَلى السَّبْعِ).

(بقَراتٍ) (سُنْبُلَاتٍ) (يَابِسَاتٍ) (يَا أَيُّها) (رُؤْيَايَ) (لِلرُّؤْيَا)

(٤٣) - وَرَأى المَلِكُ رُؤْيا هَالَتْهُ، وَتَعَجَّبَ مِنْ أَمْرِها، فَجَمَعَ الكَهَنَةَ، وَكِبَارَ رِجالِ الدَّوْلَةِ فَقَصَّ عَلَيْهِمْ رُؤْياهُ، وَطَلَبَ إِلَيْهِمْ تَفْسِيرَها فَلَمْ يَعْرِفُوا ذٰلِكَ. وَقَدْ رَأى المَلِكُ فِي مَنامِهِ سَبْعَ بَقَراتٍ عِجَافٍ هَزِيلاتٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ، وَرَأى سَبْعَ سَنَابِلَ قَمْحٍ عِجَافٍ يَابِسَاتٍ، وَسَبْعَ سَنَابِلَ خُضْرٍ سِمانٍ.

عِجَافٌ - مَهَازِيلُ جِدّاً.

تَعْبُرُونَ - تَعْلَمُونَ تَأْوِيلَها وَتَفْسِيرَها.

(أَضْغَاثُ) (أَحْلامٍ) (الأَحْلامِ) (بِعَالِمِينَ)

(٤٤) - فَرَدَّ الكَهَنَةُ وَرِجالُ الدَّوْلَةِ عَلَى المَلِكِ قَائِلِينَ لَهُ: هٰذِهِ الرُّؤْيا هِيَ مِنَ الأَحْلامِ المُخْتَلِطَةِ، مِنْ خَوَاطِرَ وَخَيالاتٍ، يَتَصَوَّرُها الدِّماغُ فِي النَّومِ ، وَتَهْجُسُ بِهَا النَّفْسُ، فَلا تَعْنِي شَيْئاً مَقْصُوداً بِذاتِهِ، وَإِنَّهُمْ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى تَفْسِيرِ وَتَأْوِيلِ مِثْلِ هٰذِهِ الأَحْلامِ المُضْطَرِبَةِ، وَإِنَّما هُمْ يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَ الأَحْلامِ المَفْهُومَةِ المَعْقُولَةِ.

(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنى: إِنَّهُمْ يَنْفُونَ مَعْرِفَتَهُمْ بِتَفْسِيرِ الأَحْلامِ عُمُوماً لأَنَّها صُوَرٌ وَخَيالاتٌ تَعْرِضُ لِلْمُخَيِّلَةِ فِي النَّوْمِ).

أَضْغَاثُ أَحْلامٍ - تَخَالِيطُ أَحْلامٍ وَأَباطِيلُها، أَوْ بَاقَاتُ أَحْلامٍ.

(٤٥) - وَتَذَكَّرَ الغُلامُ، الذِي كَانَ مَعَ يُوسُفَ فِي السِّجْنِ ثُمَّ نَجا، أَمْرَ يُوسُفَ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى تَفْسِيرِ الأَحْلامِ ، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ قَدْ أَوْصاهُ بِهِ يُوسُفُ مِنْ رَفْعِ أَمْرِهِ إِلى المَلِكِ، فَنَسِيَ ذٰلِكَ، وَبَقِيَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ عَدَداً مِنَ السِّنِينَ. فَرَجا المَلِكَ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالذَّهابِ إِلى يُوسُفَ فِي السِّجْنِ لِيَسْأَلَهُ عَنْ تَفْسِيرِ حُلْمِ المَلِكِ، وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ سَيَأْتِيهِ بِالجَوابِ.

ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ - تَذَكَّرَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ.

(بقَراتٍ) (سُنْبُلاتٍ) (يَابِسَاتٍ)

(٤٦) - وَجاءَ الشَّابُّ إِلى يُوسُفَ، وَسَأَلَهُ عَنْ تَفْسِيرِ حُلْمِ المَلِكِ، وَنَعَتَهُ بِالصِّدِّيقِ، لِمَا عَرَفَهُ فِيهِ مِنَ الصَّلاحِ وَالصِّدْقِ، وَرَجاهُ أَنْ يُعَرِّفَهُ تَفْسِيرَ حُلْمٍ رَأى فِيهِ المَلِكُ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ مَهازِيلُ، وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ يَا بِسَات ، لَعَلَّهُ يَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ بِالتَّفْسِيرِ الصَّحِيحِ لِيَعْلَمَ النَّاسُ مَعْنَى هٰذا الحُلْمِ ، وَلِيَعْرِفُوا لِيُوسُفَ فَضْلَهُ وَعِلْمَهُ.

٤٧ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا
حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ

(٤٧) - فَقَالَ يُوسُفُ مُفَسِّراً الحُلْمَ: إِنَّهُمْ سَتَأْتِيهِمْ سَبْعُ سِنِينَ مِنَ الخِصْبِ وَالمَطَرِ مُتَوالِياتٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتْرُكُوا الغَلَّةَ فِي سَنابِلِها لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَحْفَظَ، وَأَبْعَدَ عَنْ إِسْراعِ الفَسادِ إِلَيْها، إِلاّ القَلِيلَ مِمَّا يَأْكُلُونَهُ. (فَقَدْ أَوْصاهُمْ بِالاقْتِصادِ وَالتَّوْفِيرِ، وَالأَكْلِ دُونَ إِسْرافٍ لِيَبْقَى لَهُمْ وَفْرٌ كافٍ لِسِنِيِّ الجَدْبِ التَّالِيَةِ).

دَأَباً - دائِبِينَ كَعادَتِكُمْ فِي الزِّراعَةِ.

٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا
مِّمَّا تُحْصِنُونَ

(٤٨) - ثُمَّ تَأْتِي بَعْدَ هٰذِهِ السِّنِينَ، مِنَ الخِصْبِ وَالخَيْرِ، سَبْعُ سِنِينَ مِنَ الجَدْبِ وَالشِّدَّةِ، يَزْرَعُونَ فِيهَا وَلا يَحْصُدُونَ غَلَّةً، فَتَسْتَهْلِكُ هٰذِهِ السُّنُونَ السَّبْعُ الشِّدادُ ما جَمَعُوهُ فِي سِنِيِّ الخِصْبِ، إِلاّ القَلِيلَ الذِي أَحْصَنُوهُ، وَاحْتاطُوا لَهُ.

تُحْصِنُونَ - تُخَبِّئُونَ مِنَ البَذْرِ لِلزِّراعَةِ.

٤٩ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ
ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ

(٤٩) - وَبَعْدَ هٰذِهِ السِّنِينَ السَّبْعِ الشِّدادِ يَأْتِي عامُ خِصْبٍ وَخَيْرٍ، فَتُمْطِرُ السَّماءُ، وَتُغِلُّ الأَرْضُ، وَيَعْصِرُ النّاسُ ما كانُوا يَعْصِرُونَهُ عَلَى عادَتِهِمْ مِنْ سُكَّرٍ وَعِنَبٍ وَزَيْتٍ.

يُغاثُ النّاسُ - يُمْطَرُونَ فَتُخْصِبُ أَرْضُهُمْ.

يَعْصِرُونَ - ما شَأْنُهُ أَنْ يُعْصَرَ كَالزَّيْتُونِ وَقَصَبِ السُّكَّرِ.

٥٠ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ
ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ
فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي
قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ
عَلِيمٌ

(فاسْأَلْهُ) (اللاتِي)

(٥٠) - فَعَرَفَ المَلِكُ فَضْلَ يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، وَعِلْمَهُ وَحُسْنَ اطِّلاعِهِ عَلَى رُؤْياهُ، فَقالَ لأَصْحابِهِ أَخْرِجُوهُ مِنَ السِّجْنِ، وَأَحْضِرُوهُ إِلَيَّ، وَذٰلِكَ لِيَسْتَمِعَ مِنْهُ، وَيَتَحَقَّقَ مِنْ صِدْقِهِ. فَلَمَّا جاءَ رَسُولُ المَلِكِ إِلى يُوسُفَ امْتَنَعَ مِنَ الخُرُوجِ مِنَ السِّجْنِ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ المَلِكُ، وَمَنْ حَوْلَهُ، مِنْ بَراءَتِهِ وَنَزاهَةِ عِرْضِهِ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِ امْرَأَةِ العَزِيزِ. فَقالَ يُوسُفُ لِرَسُولِ المَلِكِ: قُلْ لِلْمَلِكِ لِيَسْأَلِ النِّسْوَةَ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ حِينَما كُنَّ عِنْدَ امْرأةِ العَزِيزِ، لِماذا فَعَلْنَ ذٰلِكَ، وَفِي جَوابِهِنَّ ما يَكْشِفُ عَنْ بَراءَتِي مِنَ التُّهْمَةِ التِي أُلْصِقَتْ بِي، أَمَّا رَبِّي فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِكَيْدِهِنَّ وَاحْتِيالِهِنَّ.

ما بالُ النِّسْوَةِ - ما حالُهُنَّ وَما شَأْنُهُنَّ.

٥١ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ
عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ
ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ
ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ
وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

(رَاوَدْتُنَّ) (حَاشَا) (امْرَأَةُ) (الآنَ) (رَاوَدْتُهُ) (الصَّادِقِينَ)

(٥١) - فَجَمَعَ المَلِكُ النِّسْوَةَ اللاّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وَمَعَهُنَّ امْرَأَةُ العَزِيزِ التِي كانَ يُوسُفُ فِي بَيْتِها، وَاتَّهَمَتْهُ بِمُراوَدَتِها عَنْ نَفْسِها، وَسَأَلَهُنَّ المَلِكُ عَنْ حالِهِنَّ مَعَ يُوسُفَ، وَما اتَّهَمْنَهُ بِهِ مِنْ مُراوَدَتِهِ إِيَّاهُنَّ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ (وَهُوَ إِنَّما يَقْصِدُ بِسُؤالِهِ امْرَأَةَ العَزِيزِ). فَقُلْنَ: حاشَ للهِ لَمْ نَعْرِفْ عَلَيْهِ سُوءاً، وَما عَرَفْنا مِنْهُ إِلا طُهْراً وَعِفَّةً وَوَقاراً. وَهُنا اعْتَرَفَتِ امْرَأَةُ العَزِيزِ بِفِعْلِها، فَقالَتْ لَقَدْ حانَ الوَقْتُ لإِظْهارِ الحَقِّ، وَجَلاءِ ما خَفِيَ، وَإِنَّها هِيَ التِي راوَدَتْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ، وَهُوَ صادِقٌ فِيما قالَهُ مِنْ

أنَّها هِيَ الَّتِي رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَمْسَكَ بِعِصْمَتِهِ، وأَنَّهُ هَرَبَ مِنْهَا نَحْوَ البَابِ.

﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ

(الخَائِنِينَ)

(٥٢) ـ وَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّهُ إِنَّمَا رَدَّ الرَّسُولَ، وَرَجَا المَلِكَ سُؤَالَ النِّسْوَةِ، وَالتَّحَقُّقَ مِمَّا جَرَى، لِتَظْهَرَ بَرَاءَتُهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخُنْ مَوْلاهُ العَزِيزَ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ الذي رَبَّى فِي بَيْتِهِ، وَاللهُ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ. وهذا مَا نَقَلَهُ ٱبْنُ جَرير وٱبْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ بِهِ مُجَاهِدٌ والحَسَنُ وَقَتَادَةُ والسُّدِّي، وَهُوَ الأَقْرَبُ إِلى مَضْمُونِ النَّصِّ الذِي يَسْتَعْمِلُ القَائِلُ فِيهِ ٱسْمَ اللهِ، وَعِبَارَاتٍ لا يَقُولُها غَيْرُ المُؤْمِنِينَ والإِيمَانُ لَمْ يَكُنْ قَدْ دَخَلَ حَتَّى ذٰلِكَ الحِينِ أَرْضَ مِصْرَ. ثُمَّ إِنَّ القَوْلَ ـ إِذَا كَانَتِ المَرْأَةُ هِيَ قَائِلَتُهُ ـ قِيلَ فِي حَضْرَةِ المَلِكِ وَهُوَ كَافِرٌ يَفْرِضُ عَلَى الشَّعْبِ عِبَادَةَ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ المَعْقُولِ أَنْ تَتَجَرَّأَ ٱلمَرْأَةُ عَلَى ذِكْرِ ٱسْمِ اللهِ أَمَامَ المَلِكِ.

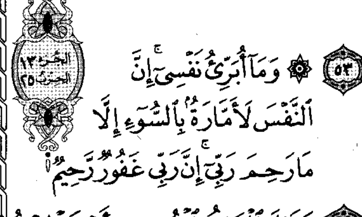
(وَقِيلَ إِنَّ هٰذا الكَلامَ قَالَتْهُ ٱمْرَأَةُ العَزِيزِ لِتُظْهِرَ بَرَاءَتَها أَمَامَ زَوْجِها، وأَنَّها إِنَّمَا رَاوَدَتْ يُوسُفَ مُرَاوَدَةً فَقَطْ. وَلٰكِنَّ السِّيَاقَ يَدْعُو إِلى الأَخْذِ بِالقَوْلِ الأَوَّلِ:

١ ـ لأَنَّ يُوسُفَ هُوَ الَّذِي طَرَحَ السُّؤَالَ وَرَفَضَ الخُرُوجَ مِنَ السِّجْنِ قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ بَرَاءَتُهُ، وَيَثْبُتَ أَنَّهُ لَمْ يَخُنْ سَيِّدَهُ فِي أَهْلِهِ.

٢ ـ لأَنَّ المَرْأَةَ خَانَتْ زَوْجَهَا فِعْلاً بِمُرَاوَدَةِ يُوسُفَ. أَمَّا القَوْلُ بِأَنَّهَا إِنَّمَا قَصَدَتْ بِقَوْلِهَا (لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ..) يُوسفَ وَلَيْسَ زَوْجَها. فَإِنَّ النَّصَّ لاَ يَحْتَمِلُ هٰذا التَّأْوِيلَ الَّذِي لاَ سَنَدَ لَهُ.

٣ ـ لأَنَّ المَرْأَةَ كَافِرَةٌ لاَ تَعْرِفُ اللهَ وَلاَ تُؤْمِنُ بِهِ حَتَّى تَقُولَ: (إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ) و (وَإِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي).

٤ ـ أَمَّا القَوْلُ بِأَنَّ المَرْأَةَ آمَنَتْ فَإِنَّ النَّصَّ لاَ يَحْتَمِلُهُ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ لاَ يَتَرَتَّبُ عَلَى الأَخْذِ بِهٰذَا القَوْلِ أَوْ ذَاكَ كَبِيرُ أَثَرٍ لأَنَّ القِصَّةَ إِنَّمَا سِيقَتْ لِيَعْتَبِرَ النَّبِيُّ وَالمُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ أَمْراً هَيَّأَ لَهُ أَسْبَابَهُ وَتَلَطَّفَ بِهِ بِبَالِغِ حِكْمَتِهِ حَتَّى تَأْتِيَ النَّتَائِجُ كَمَا أَرادَهَا تَعَالَى.



﴿٥٣﴾ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

(٥٣) ـ ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ عَلَيهِ السَّلامُ: وَإِنِّي لاَ أُبَرِّىءُ نَفْسِي مِنَ التَّفْكِيرِ بِالسُّوءِ، لأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِهِ، وَكُلُّ نَفْسٍ تُفَكِّرُ بِالسُّوءِ إِلاَّ النَّفْسَ التِي عَصَمَهَا اللهُ مِنْ ذٰلِكَ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

﴿٥٤﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ

(٥٤) ـ فَلَمَّا تَحَقَّقَ المَلِكُ مِنْ بَرَاءَةِ يُوسُفَ قَالَ لأَصْحَابِهِ: أَحْضِرُوهُ إِلَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِي (أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) فَلَمَّا جِيءَ بِيُوسُفَ، وَتَحَدَّثَ المَلِكُ إِلَيْهِ، وَعَرَفَ فَضْلَهُ. وَحُسْنَ رَأْيِهِ، وَكَانَ عَرَفَ حُسْنَ خُلُقِهِ، وَسِيرَتِهِ، وَطَهَارَةَ نَفْسِهِ، قَالَ لَهُ: إِنَّكَ عِنْدَنا ذُو مَكَانَةٍ

(٥٥) قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ

(٥٦) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ

(٥٧) وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ

(٥٨) وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ

سَامِيَةٍ، وأَمَانَةٍ تَامَّةٍ، فَأَنْتَ غَيْرُ مُنَازَعٍ فِي تَصَرُّفِكَ، وَلا مُتَّهَمٍ فِي أَمَانَتِكَ.

مَكِينٌ - ذُو مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ وَنُفُوذٍ وَأَمْرٍ.

(خزائِن)

(٥٥) - فَقَالَ يُوسُفُ عَلَيهِ السَّلامُ لِلْمَلِكِ: آجْعَلْنِي حَافِظاً عَلَى خَزَائِنِ مُلْكِكَ، فَإِنِّي خَازِنٌ أَمِينٌ شَدِيدُ الحِفْظِ، فَلا يَضِيعُ مِنْها شَيْءٌ، وَإِنِّي ذُو عِلْمٍ وَذُو بَصِيرَةٍ بِمَا أَقُومُ بِهِ مِنَ الأَعْمَالِ.

(٥٦) - وَقَدْ قَبِلَ المَلِكُ عَرْضَ يُوسُفَ، فَجَعَلَهُ المَلِكُ وَزِيراً. وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ مَكَّنَ بِذلِكَ لِيُوسُفَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، يَتَصَرَّفُ فِيهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَإِنَّهُ تَعَالَى يُصِيبُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَلا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ، الذِينَ أَحْسَنُوا العَمَلَ، وَإِنَّهُ لَمْ يُضِعْ صَبْرَ يُوسُفَ عَلى أَذى إِخْوَتِهِ، وَصَبْرَهُ فِي السِّجْنِ.

يَتَبَوَّأُ مِنْها - يَتَّخِذُ مِنْهَا مَبَاءَةً وَمَنْزِلاً.

(الآخِرَةِ) (آمَنُوا)

(٥٧) - وَإِنَّ مَا آدَّخَرَهُ اللهُ تَعَالَى لِيُوسُفَ فِي الآخِرَةِ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِمَّا أَعْطَاهُ فِي الدُّنيا، وَكَذلِكَ يَجْزِي اللهُ الذِينَ آمَنُوا وَآتَّقَوْا.

(٥٨) - لَمَّا تَسَلَّمَ يُوسُفُ الإِدَارَةَ فِي مِصْرَ، أَخَذَ فِي جَمْعِ الغِلاَلِ وَآدِّخَارِها، ثُمَّ جَاءَتِ السَّنَواتُ العِجَافُ المُجْدِبَةُ الشِّدَادُ، التِي تَوَقَّعَهَا، فَأَصَابَتْ مِصْرَ وَفِلَسْطِينَ (بِلادَ كِنْعَانَ) فَأَخَذَ النَّاسُ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلى مِصْرَ لِلْحُصُولِ عَلَى المِيرَةِ لِعِيَالِهِمْ، فَكَانَ يُوسُفُ لاَ يُعْطِي الرَّجُلَ أَكْثَرَ مِنْ حِمْلِ بَعِيرٍ فِي العَامِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ وَرَدُوا عَلَيهِ فِي طَلَبِ المِيرَةِ إِخْوَتُهُ لأَبِيهِ، إِذْ بَلَغَهُمْ أَنَّ عَزِيزَ مِصْرَ يُعْطِي النَّاسَ الطَّعَامَ بِثَمَنِهِ، فَأَخَذُوا مَعَهُمْ بِضَاعَةً يَعْتَاضُونَ بِهَا طَعَاماً. وَكَانُوا عَشَرَةَ أَشْخَاصٍ، إِذْ أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيهِ السَّلامُ لَمْ يُرْسِلْ مَعَهُمْ آبْنَهُ الأَصْغَرَ شَقِيقَ يُوسُفَ، فَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي كُرْسِيِّ الحُكْمِ، فَعَرَفَهُمْ، وَهُمْ لا يَعْرِفُونَهُ، لأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَغَيَّرَ شَكْلاً، إِذْ تَرَكُوهُ صَبِيّاً وَأَتَوْهُ كَهْلاً، وَلأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَكُونَ صَارَ إِلى مَا صَارَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ وَمِنْ أَيْنَ جَاؤُوا. فَقَالُوا: إِنَّهُمْ أَتَوا مِنْ بِلادِ كِنْعَانَ، وَأَبُوهُمْ نَبِيُّ اللهِ يَعْقُوبُ. قَالَ: وَهَلْ لَهُ أَوْلادٌ غَيْرُكُمْ؟ قَالُوا نَعَمْ، كُنَّا آثْنَي عَشَرَ رَجُلاً هَلَكَ وَاحِدٌ مِنَّا فِي البَرِّيَّةِ، وَبَقِيَ لَهُ وَلَدٌ صَغِيرٌ آسْتَبْقَاهُ عِنْدَهُ يَتَسَلَّى بِهِ عَنْهُ. فَأَكْرَمَهُمْ يُوسُفُ.

وَقِيلَ إِنَّهُمْ سَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ حِمْلَ بَعِيرٍ لأَخِيهِمْ وَأَبِيهِمْ لأَنَّهُما لا بُدَّ لَهُما مِنَ الطَّعَامِ، فَجَهَّزَ لَهُمْ بَعِيرَيْنِ لأَخِيهِمْ وَأَبِيهِمْ. وَقَالَ لَهُمْ: آئْتُونِي بِأَخِيكُمْ هٰذا لأَرَاهُ وَأَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِكُمْ.

٥٩ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ

٦٠ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ

٦١ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ

٦٢ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

٦٣ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ

(٥٩) - وَأَوْفَى لَهُمْ كَيْلَهُمْ، وَحَمَلَ لَهُمْ أَحْمَالَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: ٱئْتُونِي فِي المَرَّةِ القَادِمَةِ بِأَخِيكُمْ هٰذا الذي ذَكَرْتُمْ لِأَعْلَمَ صِدْقَكُمْ فِيمَا زَعَمْتُمْ، وَأَخَذَ فِي تَرْغِيبِهِمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ حَقَّهُ، وَأَنَا أَكْرَمُ مَنْ أَنْزَلَ ضَيْفاً.

فَقَدْ أَحْسَنَ ضِيَافَتَهُمْ، وَجَهَّزَهُمْ بِالزَّادِ الكَافِي لَهُمْ مُدَّةَ سَفَرِهِمْ.

جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ - أَعْطَاهُمْ مَا هُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيهِ.

(٦٠) - وَهَدَّدَهُمْ يُوسُفُ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَأْتُوا بِأَخِيهِمْ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ سَيَمْنَعُ عَنْهُم المِيرَةَ فِي المَرَّةِ القَادِمَةِ.

(سَنُرَاوِدُ) (لَفَاعِلُونَ)

(٦١) - قَالُوا: سَنَحْرِصُ عَلَى أَنْ نَأْتِيَ بِهِ، وَسَنُحَاوِلُ إِقْنَاعَ أَبِيهِ لِيُرْسِلَهُ مَعَنا، لِتَعْلَمَ أَنَّنا صَادِقُونَ فِيمَا قُلْنَاهُ.

(لِفِتْيَانِهِ) (بِضَاعَتَهُمْ)

(٦٢) - وَقَالَ يُوسُفُ لِغِلْمَانِهِ: اجْعَلُوا البِضَاعَةَ التِي قَدِمُوا بِهَا لِيَمْتَارُوا عِوَضاً عَنْهَا، فِي أَمْتِعَتِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، حَتَّى إِذَا رَجَعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ، وَوَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ مَعَهُمْ، عَادُوا يَمْتَارُونَ بِهَا مَرَّةً أُخْرَى، فَقَدْ خَشِيَ يُوسُفُ، عَلَيهِ السَّلَامُ، أَنْ لَا تَكُونَ لَدَيهِمْ بِضَاعَةٌ غَيْرُهَا يَأْتُونَ بِهَا فِي المَرَّةِ القَادِمَةِ.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ إِذَا رَجَعُوا، وَوَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي مَتَاعِهِمْ يُدْرِكُونَ أَنَّ عَلَيهِم العَوْدَةَ إِلَى مِصْرَ لِرَدِّهَا تَحَرُّجاً مِنْ أَكْلِ المَالِ الحَرَامِ.

كَمَا قِيلَ أَيْضاً بَلِ المَعْنَى: لِكَيْ يَعْرِفُوا لِيُوسُفَ حَقَّ إِكْرَامِهِمْ بِإِعَادَتِهَا إِلَيْهِمْ، وَجَعْلِ مَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الغَلَّةِ مَجَّاناً بِلا ثَمَنٍ فَيَرْجِعُونَ طَمَعاً فِي بِرِّ يُوسُفَ، فَإِنَّ العَوَزَ إِلَى القُوتِ مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي إِلَى رُجُوعِهِمْ).

بِضَاعَتَهُمْ - ثَمَنَ مَا ٱشْتَرَوْهُ مِنْ طَعَامٍ.

رِحَالِهِمْ - أَوْعِيَتِهِمِ التِي يَضَعُونَ فِيهَا الطَّعَامَ وَغَيْرَهُ.

(يَا أَبَانَا) (لَحَافِظُونَ)

(٦٣) - فَلَمَّا عَادُوا إِلَى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ، عَلَيهِ السَّلَامُ، بِالمِيرَةِ أَعْلَمُوهُ بِقِصَّتِهِمْ مَعَ عَزِيزِ مِصْرَ، وَمَا لَقُوهُ مِنْهُ مِنْ إِكْرَامٍ، وَقَالُوا: إِنَّ عَزِيزَ مِصْرَ أَنْذَرَهُمْ بِمَنْعِ المِيرَةِ عَنْهُمْ فِي المَرَّةِ القَادِمَةِ إِنْ لَمْ يَأْتُوا مَعَهُمْ بِأَخِيهِم الأَصْغَرِ، وَقَالُوا لَهُ: أَرْسِلْهُ مَعَنَا نَكْتَلْ وَنَحْصُلْ عَلَى المِيرَةِ بِحَسَبِ عَدَدِنا، وَبِذٰلِكَ نَكُونُ قَدْ وَفَّيْنَا بِمَا شَرَطَ العَزِيزُ عَلَينا، وَإِنَّنا نَعِدُكَ بِأَنَّنا سَنَحْفَظُهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

(٦٤) قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ

(آمَنُكُمْ) (حافِظاً) (الرَّاحِمِينَ)

(٦٤) - فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: هَلْ أَنْتُمْ صَانِعُونَ بِهِ إِلَّا كَما صَنَعْتُمْ بِأَخِيهِ يُوسُفَ مِنْ قَبْلُ؟ وَلٰكِنَّ اللهَ خَيْرُ حَافِظٍ، وَأَنَا أَتَوَكَّلُ عَلَيهِ فِي حِفْظِ هٰذا الصَّغِيرِ لا عَلَى حِفْظِكُمْ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، سَيَرْحَمُ كِبَرِي وَضَعْفِي.

(٦٥) وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ

(مَتاعَهُمْ) (بِضَاعَتَهُمْ) (يَا أَبانَا) (بِضاعَتُنَا)

(٦٥) - وَلَمَّا فَتَح إِخْوَةُ يُوسُفَ مَتاعَهُمْ، وَالأَحْمَالَ التِي جَاؤُوا بِهَا مِنْ مِصْرَ، وَجَدُوا البِضَاعَةَ التِي ذَهَبُوا بِهَا إِلى مِصْرَ لِيَمْتَارُوا بِهَا بَيْنَ مَتَاعِهِمْ، فَقَالُوا لأَبِيهِمْ: مَاذَا نَطْلُبُ وَرَاءَ مَا وَصَفْنَا لَكَ مِنْ إِحْسَانِ المَلِكِ إِلَيْنَا، وَكَرَمِهِ الذِي يُوجِبُ عَلَينا آمْتِثَالَ أَمْرِهِ، فَقَدْ أَوْفَى العَزِيزُ لَنا الكَيْلَ، وَرَدَّ بِضَاعَتَنَا إِلَيْنَا، فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا، وَسَنَحْصلُ عَلَى المِيرَةِ لأَهْلِنا، وَنَحْفَظُ أَخَانَا مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ، وَنَحْصلُ عَلَى حِمْلِ بَعِيرٍ زِيَادَةً عَنِ المَرَّةِ السَّابِقَةِ، لأَنَّ المَلِكَ يُعْطِي لِكُلِّ شَخْصٍ حِمْلَ بَعِيرٍ، وَهُوَ أَمْرٌ سَهْلٌ يَسِيرٌ لا صُعُوبَةَ فِيهِ لَدَى مَلِكِ مِصْرَ.

نَمِيرُ أَهْلَنَا - نَجْلُبُ لَهُمُ المِيرَةَ وَالطَّعَامَ مِنْ مِصْرَ.
مَتاعَهُمْ - طَعَامَهُمْ أَوْ رِحَالَهُمْ.
مَا نَبْغِي - مَا نَطْلُبُ مِنَ الإِحْسَانِ بَعْدَ ذٰلِكَ.

(٦٦) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ

(آتَوْهُ)

(٦٦) - فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: لَنْ أُرْسِلَ أَخَاكُمُ الصَّغِيرَ مَعَكُمْ حَتَّى تُعْطُونِي عَهْداً مُوثَّقاً بِتَأْكِيدِهِ بِإِشْهَادِ اللهِ عَلَيهِ، وَبِالقَسَمِ بِهِ، لَتَعُودُنَّ بِهِ مَعَكُمْ إِلَّا أَنْ تَتَعَرَّضُوا جَمِيعاً لأَمْرٍ لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَلا تَقْدِرُونَ جَمِيعاً عَلَى تَخْلِيصِهِ، فَلَمَّا حَلَفُوا لَهُ قَالَ: اللهُ وَكِيلٌ وَشَاهِدٌ عَلَى مَا نَقُولُ إِذْ إِنَّ يَعْقُوبَ لَمْ يَجِدْ بُدّاً مِنْ إِرْسَالِهِ مَعَهُمْ لِيَأْتُوا بِالمِيرَةِ لأَهْلِهِمْ.

مَوْثِقاً - عَهْداً مُؤَكَّداً بِاليَمِينِ يُوثَقُ بِهِ.
يُحاطَ بِكُمْ - تُغْلَبُوا وَتَهْلِكُوا جَمِيعاً.
وَكِيلٌ - مُطَّلِعٌ وَرَقِيبٌ.

(٦٧) وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ

(يَا بَنِيَّ) (وَاحِدٍ) (أَبْوَابٍ)

(٦٧) - وَأَمَرَ يَعْقُوبُ بَنِيهِ بِأَنْ لا يَدْخُلُوا، حِينَما يَصِلُونَ إِلى مِصْرَ، مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ لِكَيْلا يَلْفِتُوا الأَنْظَارَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ يَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ، لأَنَّهُ خَشِيَ عَلَيهِم العَيْنَ إِنْ دَخَلُوا جَمِيعاً مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ بَابِ الاحْتِرَازِ، لأَنَّ قَدَرَ اللهِ نَافِذٌ، وَقَضَاءَهُ لا يَرُدُّهُ شَيءٌ بِغَيرِ

تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ

(٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(٧٠) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ

(٧١) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ

(٧٢) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ

إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعِدَّ الْعُدَّةَ لِلأَمْرِ الذِي يَبْغِيهِ، وَيَبْذُلَ جُهْدَهُ، وَيَكِلَ أَمْرَ النَّجَاحِ إِلى اللهِ، وَيَطْلُبَ مِنْهُ المَعُونَةَ وَالتَّوْفِيقَ.

(قَضَاهَا) (عَلَّمْنَاهُ)

(٦٨) - وَلَمَّا دَخَلُوا مِنَ الأَبْوابِ المُتَفَرِّقَةِ، كَمَا أَوْصَاهُمْ أَبُوهُمْ بِهِ، لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ الدُّخُولُ لِيَمْنَعَ عَنْهُمْ شَيْئاً مِنْ قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَيَعْقُوبُ يَعْرِفُ ذٰلِكَ، وَلٰكِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَاجَةٌ لَمْ يُخْبِرْ أَوْلاَدَهُ بِهَا، قَضَاهَا بِهٰذِهِ الوَصِيَّةِ، وَهِيَ خَوْفُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ العَيْنِ، وَمِنْ أَنْ يَنَالَهُمْ مَكْرُوهٌ، مِنْ قِبَلِ ذٰلِكَ، وَهُوَ ذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَهُ اللهُ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الوَاجِبَ يَقْضِي بِالجَمْعِ بَيْنَ الإِعْدَادِ لِلأُمُورِ عُدَّتَهَا وَالاحْتِرَازِ، وَبَيْنَ الاتِّكَالِ عَلَى اللهِ.

(آوَى) (تَبْتَئِسْ)

(٦٩) - وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، وَمَعَهُمْ أَخُوهُمْ لأَبِيهِمْ، أَحْسَنَ اسْتِقْبَالَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ، وَاخْتَلَى بِأَخِيهِ، وَعَرَّفَهُ بِنَفْسِهِ، وَقَصَّ عَلَيهِ مَا وَقَعَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ أَخُوهُ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يَأْسَفَ عَلَى مَا صَنَعُوا بِهِ، وَأَمَرَهُ بِكِتْمَانِ ذٰلِكَ عَنْهُمْ. وَأَعْلَمَهُ بِأَنَّهُ سَيَحْتَالُ لِيَسْتَبْقِيَهُ عِنْدَهُ.

آوَى إِلَيهِ أَخَاهُ - ضَمَّهُ إِلى صَدْرِهِ.

فَلا تَبْتَئِسْ - فَلاَ تَحْزَنْ.

(لَسَارِقُونَ)

(٧٠) - وَلَمَّا أَعْطَاهُمْ يُوسُفُ مَا جَاؤُوا يَسْعَوْنَ إِلَيهِ مِنَ المِيرَةِ، وَحَمَلُوهَا عَلَى جِمَالِهِمْ، جَعَلَ الوِعَاءَ الذِي يَكْتَالُونَ بِهِ (السِّقَايَةَ) فِي مَتَاعِ أَخِيهِ (رَحْلِهِ) دُونَ أَنْ يُشْعِرَهُمْ بِذٰلِكَ، ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ: يَا أَيُّهَا الرَّكْبُ القَافِلُونَ بِأَحْمَالِكُمْ، قِفُوا إِنَّكُمْ سَارِقُونَ.

السِّقَايَةَ - إِنَاءً لِلشُّرْبِ اتُّخِذَ لِلْمِكْيَالِ.

أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ - نَادَى مُنَادٍ أَوْ أَعْلَنَ مُعْلِنٌ.

العِيرُ - القَافِلَةُ فِيهَا الأَحْمَالُ.

(٧١) - قَالَ لَهُمْ إِخْوَةُ يُوسُفَ: وَمَا الذِي ضَاعَ لَكُمْ، وَمَا الذِي افْتَقَدْتُمُوهُ؟

(٧٢) - فَقَالَ غِلْمَانُ يُوسُفَ: افْتَقَدْنَا وِعَاءَ الكَيْلِ الذِي يَتِمُّ بِهِ الكَيْلُ، وَسَنُعْطِي لِمَنْ يَجِدُهُ وَيَأْتِي بِهِ حِمْلَ بَعِيرٍ مِنَ المَؤُونَةِ مُكَافَأَةً لَهُ. وَقَالَ المُؤَذِّنُ الذِي يَتَوَلَّى النِّدَاءَ (أَوِ الذِي قَالَ ذٰلِكَ رَئِيسُ أَعْوَانِ يُوسُفَ): وَأَنَا كَفِيلٌ بِالوَفَاءِ بِهٰذَا الوَعْدِ.

﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا
لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ

﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ
كَٰذِبِينَ

﴿٧٥﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ
فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿٧٦﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ
أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ
أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ
مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ
ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ
نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ



﴿٧٧﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ
فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ

صُوَاعَ المَلِكِ - صَاعَهُ وَمِكْيَالَهُ، وَهُوَ السِّقَايَةُ.
زَعِيمٌ - كَفِيلٌ بِأَنْ أُؤَدِّيَهُ.

(سَارِقِينَ)

(٧٣) - وَلَمَّا اتَّهَمَ الغِلْمَانُ إِخْوَةَ يُوسُفَ بِالسَّرِقَةِ رَدُّوا قائِلِينَ: لقدْ عَلِمْتُمْ وَتَحَقَّقْتُمْ، مُنْذُ عَرَفْتُمونا، أنَّنا مَا جِئْنا لِنَسْرِقَ وَنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ، وَلَمْ تَكُنِ السَّرِقَةُ عَادَتَنا، وَلا هِيَ مِنْ أَخْلاقِنا.

(جَزَاؤُهُ) (كَاذِبِينَ)

(٧٤) - فَقَالَ لَهُمْ غِلْمَانُ يُوسُفَ: فَإِذا كُنْتُمْ كَاذِبِينَ، وَثَبَتَتْ عَلَيْكُمُ السَّرِقَةُ، فَمَا جَزَاءُ السَّارِقِ فِي شَرْعِكُمْ إِنْ ثَبَتَ أَنَّ السَارِقَ مِنْكُمْ؟ (وَقِيلَ إِنَّ يُوسُفَ هُوَ الذِي أَوْحَى إِلى غِلْمَانِهِ بِطَرْحِ هذا السُّؤالِ عَلَى إِخْوَتِهِ).

(جَزَاؤُهُ) (الظَّالِمِينَ)

(٧٥) - قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ: إِنَّ شَرْعَهُمْ يَقْضِي بِأَنْ يُدْفَعَ السَّارِقُ إِلى المَسْرُوقِ مِنْهُ لِيَسْتَرِقَّهُ، وَيَكُونَ لَهُ عَبْداً. وَهذا هُوَ الجَزَاءُ عَلَى السَّرِقَةِ الذِي يُنْزِلُونَهُ بِالسَّارِقِ، فِي شَرْعِهِمْ.

(درجَاتٍ)

(٧٦) - فَبَدَأَ يُوسُفُ بِتَفْتِيشِ أَمْتِعَةِ إِخْوَتِهِ دَفْعاً لِشُبْهَةِ المَكِيدَةِ، وَالتَّدْبِيرِ، ثُمَّ وَصَلَ إِلى مَتَاعِ أَخِيهِ فَاسْتَخْرَجَ الصَّاعَ مِنْهُ. كَذَلِكَ يَسَّرَ اللهُ لِيُوسُفَ طَرِيقَةً لَطِيفَةً يَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ يَسْتَبْقِيَ أَخَاهُ عِنْدَهُ دُونَ أَنْ يَلْفِتَ أَنْظَارَ إِخْوَتِهِ إِلَيْهِ، فَبَعْدَ أَنِ اعْتَرَفُوا أَنَّ شَرْعَهُمْ يَقْضِي بِأَنْ يُدفَعَ السَّارِقُ إِلى المَسْرُوقِ مِنْهُ لِيَسْتَرِقَّهُ، لَمْ يَعُودُوا يَسْتَطِيعُونَ المُطَالَبَةَ بِأَخِيهِمْ، بَعْدَ أَنْ وُجِدَ الصَّاعُ فِي رَحْلِهِ. وَلَمْ يَكُنْ يُوسُفُ لِيَتَمَكَّنَ مِنِ اسْتِبْقَاءِ أَخِيهِ لَدَيْهِ لَوْ لَمْ يَهْدِهِ اللهُ إِلى مَعْرِفَةِ شَرْعِ أَبِيهِ يَعْقُوبَ، لأَنَّ القَانُونَ المِصْرِيَّ لا يُجِيزُ اسْتِرْقَاقَ السَّارِقِ، وَلَمْ تَكُنْ أَمَانَةُ يُوسُفَ، وَإِخْلاَصُهُ لِمَلِكِ مِصْرَ، يُبِيحَانِ لَهُ بِأَنْ يُخَالِفَ قَانُونَ المَلِكِ الذِي فَوَّضَ إِلَيهِ أَمْرَ تَطْبِيقِهِ وَالعَمَلَ بِهِ.

كِدْنَا لِيُوسُفَ - دَبَّرْنَا لِتَحْصِيلِ غَرَضِهِ.
دِينِ المَلِكِ - شَرِيعَةِ مَلِكِ مِصْرَ أَوْ حُكْمِهِ.

(٧٧) - وَلَمَّا رَأَى إِخْوَةُ يُوسُفَ الصَّاعَ تُسْتَخْرَجُ مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِمْ لأَبِيهِمْ، قَالُوا مُتَنَصِّلِينَ، أَمَامَ العَزِيزِ، مِنْ فِعْلِ أَخِيهِم: إِن يَسْرِقْ هذا الأَخُ فَقَدْ سَبَقَ لأَخِيهِ يُوسُفَ أَنْ سَرَقَ، فَالسَّرِقَةُ وَرِثَها هذانِ الأَخَوانِ مِنْ أُمِّهِما.

وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ

(وَقِيلَ إِنَّ يُوسُفَ كَانَ سَرَقَ لِجَدِّهِ لِأُمِّهِ صَنَماً وَكَسَرَهُ، وَأَلْقَاهُ فَعَيَّرَهُ إِخْوَتُهُ بِفِعْلِهِ، وَهٰذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الحَسَدَ مَا زَالَ فِي صُدُورِهِمْ).
فَٱسْتَاءَ يُوسُفُ مِنْ قَوْلِهِمْ هٰذا، وَلٰكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَأَسَرَّ الامْتِعَاضَ وَلَمْ يُبْدِهِ لإِخْوَتِهِ، وَقَالَ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ: (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً)، أَيْ أَنْتُم أَسْوَأُ مِنْ ذٰلِكَ مَكَانَةً وَمَنْزِلَةً مِمَّنْ تُعَرِّضُونَ بِهِ، وَتَفْتَرُونَ عَلَيْهِ، إِذْ أَنَّكُمْ سَرَقْتُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَحَبَّ أَبْنَائِهِ إِلَيْهِ، وَعَرَّضْتُمُوهُ لِلْهَلاَكِ وَالرِّقِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا تَصِفُونَهُ بِهِ.

٧٨ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

(يَا أَيُّهَا) (نَرَاكَ)

(٧٨) - أَخَذَ إِخْوَةُ يُوسُفَ يَتَرَفَّقُونَ بِهِ، وَيَسْتَعْطِفُونَهُ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَيُّهَا العَزِيزُ إِنَّ لِهٰذا الشَّابِّ وَالِداً عَجُوزاً يُحِبُّهُ حُبّاً كَبيراً وَيَتَسَلَّى بِهِ عَنْ وَلَدِهِ الذِي فَقَدَهُ، فَخُذْ أَحَدَنَا لِيَكُونَ عِنْدَكَ بَدَلاً عَنْهُ، فَإِنَّا نَرَاكَ رَجُلاً مُحْسِناً بَرّاً رَفِيقاً، فَأَتِمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيْنا.

٧٩ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ

(مَتَاعَنَا) (لَظَالِمُونَ)

(٧٩) - فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ يَكُونُ ظَالِماً إِنْ أَخَذَ بَرِيئاً مَكَانَ مُسِيءٍ. وَبِمَا أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ شَرْعَهُمْ يَقْضِي بِأَنْ يَكُونَ السَّارِقُ عَبْداً لِلْمَسْرُوقِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَتَقَيَّدُ بِشَرْعِهِمْ هٰذا.
مَعَاذَ اللهِ - نَعُوذُ بِاللهِ مَعَاذاً، وَنَعْتَصِمُ بِهِ.

٨٠ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ

(الْحَاكِمِينَ)

(٨٠) - وَلَمَّا يَئِسَ إِخْوَةُ يُوسُفَ من إِقْنَاعِ العَزِيزِ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَخَاهُمُ الصَّغِيرَ لِقَاءَ دَفْعِ أَحَدِهِمْ إِلَيهِ بَدَلاً عَنْهُ، ٱنْتَحَوْا جَانِباً يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَهُوَ الذِي أَشَارَ بِأَلاَّ يَقْتُلُوا يُوسُفَ، وَبِأَنْ يَكْتَفُوا بِإِلْقَائِهِ فِي الجُبِّ: أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ لَتَرُدُّنَّ عَلَيْهِ ٱبْنَهُ، وَهَا قَدْ تَعَذَّرَ عَلَيْكُمْ ذٰلِكَ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَضَعْتُمْ يُوسُفَ، وَأَبْعَدْتُمُوهُ عَنْ أَبِيهِ فَقَاسَى الحُزْنَ الشَّدِيدَ عَلَيْهِ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّنِي لَنْ أَتْرُكَ هٰذِهِ الأَرْضَ، وَسَأَبْقَى فِيهَا أَتَتَبَّعُ أَخْبَارَ أَخِينَا الصَّغِيرِ، إِلاَّ إِذَا فَهِمَ أَبِي الوَضْعَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَسَمَحَ لِي بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَهُوَ رَاضٍ عَنِّي، أَوْ يَحْكُمُ اللهُ لِي بِأَنْ يُمَكِّنَنِي مِنْ أَخْذِ أَخِي، وَالعَوْدَةِ بِهِ إِلى أَبِينا. وَاللهُ خَيْرُ الحَاكِمِينَ، لاَ يَحْكُمُ إِلاَّ بِمَا هُوَ حَقٌّ وَعَدْلٌ، وَهُوَ المُسَخِّرُ لِلأَسْبَابِ، وَالمُقَدِّرُ لِلأَقْدارِ.
ٱسْتَيْأَسُوا مِنْهُ - يَئِسُوا مِنْ إِجَابَةِ طَلَبِهِمْ.
خَلَصُوا نَجِيّاً - ٱنْفَرَدُوا عَنِ الرَّكْبِ يَتَنَاجَوْنَ وَيَتَشَاوَرُونَ.
مَا فَرَّطْتُم بِيُوسُفَ - مَا قَصَّرْتُم.

(٨١) ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ

(٨٢) وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ

(٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ

(٨٤) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ

(٨٥) قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا

(يَا أَبَانَا) (حَافِظِينَ)

(٨١) - ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَخُوهُمُ الأَكْبَرُ بِالرُّجُوعِ إِلَى أَبِيهِمْ وَبِإِخْبَارِهِ بِمَا حَدَثَ لَهُمْ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ عُذْراً لَهُمْ، وَلِيَتَبَرَّؤُوا مِمَّا وَقَعَ، وَلِيَقُولُوا لَهُ: وَمَا عَلِمْنَا يَقِيناً أَنَّ ابْنَكَ سَرَقَ، وَإِنَّمَا رَأَيْنَا صُوَاعَ المَلِكِ يُسْتَخْرَجُ مِنْ رَحْلِهِ، وَلَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ - حِينَمَا أَعْطَيْنَاكَ العَهْدَ وَالمَوْثِقَ - أَنَّهُ سَيَسْرِقُ، وَأَنَّهُمْ سَيَأْخُذُونَهُ بِسَرِقَتِهِ.

(وَاسْأَلِ) (لَصَادِقُونَ)

(٨٢) - وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَبْلَغْنَاكَ فَأَرْسِلْ مَنْ يَأْتِيكَ بِشَهَادَةِ أَهْلِ مِصْرَ، وَاسْأَلْ أَنْتَ القَافِلَةَ (العِيرَ) التِي رَافَقْنَاهَا عَنْ صِدْقِ قَوْلِنَا، وَأَمَانَتِنَا فِي حِفْظِ أَخِينَا، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ مِنْ أَنَّهُ سَرَقَ، وَأَنَّهُمْ أَخَذُوهُ بِسَرِقَتِهِ.

العِيرَ - القَافِلَةَ.

(٨٣) - فَرَجَعَ الأَبْنَاءُ التِّسْعَةُ إِلَى أَبِيهِمْ، وَتَخَلَّفَ كَبِيرُهُمْ فِي مِصْرَ، وَقَصُّوا عَلَى أَبِيهِمْ مَا حَدَثَ لَهُمْ، وَقَالُوا لَهُ مَا اتَّفَقَ الإِخْوَةُ عَلَى قَوْلِهِ لأَبِيهِمْ. وَخَشِيَ يَعْقُوبُ أَنْ يَكُونُوا فَعَلُوا بِابْنِهِ الصَّغِيرِ مَا فَعَلُوهُ بِأَخِيهِ يُوسُفَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ كَرَّرَ نَفْسَ العِبَارَةِ، التِي قَالَهَا لَمَّا أَخْبَرُوهُ عَنْ أَكْلِ الذِّئْبِ يُوسُفَ: ﴿**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾. ثُمَّ تَرَجَّى اللهَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَوْلادَهُ الثَّلاثَةَ: يُوسُفَ وَشَقِيقَهُ الأَصْغَرَ، وَالأَخَ الأَكْبَرَ الذِي بَقِيَ فِي مِصْرَ يَتَقَصَّى أَخْبَارَ أَخِيهِ الصَّغِيرِ، وَيَنْتَظِرُ أَمْرَ أَبِيهِ، وَاللهُ هُوَ العَلِيمُ بِالحَالِ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ.

سَوَّلَتْ - زَيَّنَتْ وَسَهَّلَتْ.

(يَا أَسَفَا)

(٨٤) - وَأَعْرَضَ يَعْقُوبُ عَنْ بَنِيهِ، وَقَالَ مُتَذَكِّراً حُزْنَهُ القَدِيمَ عَلَى يُوسُفَ: (يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ)، وَجَدَّدَ لَهُ حُزْنُهُ الجَدِيدُ عَلَى ابْنِهِ الأَصْغَرِ، حُزْنَهُ الدَّفِينَ عَلَى يُوسُفَ، وَعَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَصَابَتْهُمَا غِشَاوَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ كَثْرَةِ البُكَاءِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَكْظِمُ غَيْظَهُ عَلَى بَنِيهِ، وَيَحْمِلُ مُصَابَهُ وَهُوَ صَامِتٌ لا يَشْكُو إِلَى مَخْلُوقٍ مَا يُعَانِيهِ.

يَا أَسَفَا - يَا حُزْنِي الشَّدِيدَ.

ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ - أَصَابَتْهُمَا غِشَاوَةٌ فَابْيَضَّتَا.

كَظِيمٌ - مُمْتَلِئٌ غَيْظاً وَحُزْناً وَلَكِنَّهُ يَكْتُمُهُ وَلا يُبْدِيهِ.

(تَفْتَأُ) (الْهَالِكِينَ)

(٨٥) - وَقَالَ لَهُ أَبْنَاؤُهُ: إِنَّكَ لا تُفَارِقُ ذِكْرَ يُوسُفَ، وَإِنَّنَا لَنَخَافُ عَلَيْكَ،

أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ

إن ٱسْتَمَرَّتْ بِكَ هٰذِهِ الحَالُ، أَنْ يَحِلَّ بِكَ الهَلاكُ وَالتَّلَفُ، وَأَنْ تَتَدَهْوَرَ صِحَّتُكَ وَتَضْعُفَ قِوَاكَ.

تَكُونَ حَرَضاً - تَصِيرَ مَرِيضاً مُشْرِفاً عَلَى الهَلاكِ.

تَفْتَأُ - لَا تَفْتَأُ وَلَا تَزَالُ.

(٨٦) قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(أَشْكُو)

(٨٦) - فَأَجَابَهُمْ أَبُوهُمْ عَمَّا قَالُوهُ لَهُ: إِنَّهُ لا يَشْكُو إِلَيْهِمْ أَمْرَهُ وَحُزْنَهُ، وَإِنَّمَا يَشْكُو ذٰلِكَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّهُ يَرْجُو مِنْهُ وَحْدَهُ الخَيْرَ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنَ اللهِ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ، وَأَنَّها لا بُدَّ لَهَا مِنْ أَنْ تَتَحَقَّقَ، وَأَنَّهُ وَأَبْنَاءَهُ سَيَسْجُدُونَ لَهُ تَعْظِيماً لأَمْرِهِ، وَأَنَّ أَوْلادَهُ لا يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ وَلا يُدْرِكُونَهُ.

بَثِّي - شِدَّةَ غَمِّي وَهَمِّي.

(٨٧) يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

(يَا بَنِيَّ) (تَيْأَسُوا) (الْكَافِرُونَ) (يَيْأَسُ)

(٨٧) - وَحَثَّ يَعْقُوبُ بَنِيهِ عَلَى الذَّهَابِ إِلى مِصْرَ لِتَقَصِّي أَخْبَارِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ (وَالتَّحَسُّسُ يَكُونُ فِي الخَيْرِ، وَالتَّوَجُّسُ يَكُونُ فِي الشَّرِّ)، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّلَطُّفِ فِي البَحْثِ وَالسُّؤَالِ عَنْهُمَا، وَبِأَلَّا يَيأَسُوا وَيَقْطَعُوا رَجاءَهُمْ وَأَمَلَهُمْ مِنَ اللهِ فِيمَا يَرُومُونَهُ وَيَقْصِدُونَه، فَإِنَّهُ لَا يَقْطَعُ الرَّجَاءَ مِنَ اللهِ، وَلا يَقْنَطُ وَيَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ.

فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ - تَعَرَّفُوا مِنْ خَبَرِهِ.

رَوْحِ اللهِ - رَحْمَتِهِ وَفَرَجِهِ وَتَنْفِيسِهِ الكَرْبَ.

(٨٨) فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ

(يَا أَيُّهَا) (بِبِضَاعَةٍ) (مُزْجَاةٍ)

(٨٨) - فَذَهَبَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى مِصْرَ، عَمَلاً بِوَصِيَّه أَبِيهِمْ، فَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، وَمَعَهُمْ بِضاعَةٌ رَدِيئَةٌ (مُزْجَاةٌ) حمَلُوهَا مَعَهُمْ لِيَدْفعُوها ثَمنَ المِيرَةِ التِي أَتَوْا يَطْلُبُونَهَا، وَقَالُوا لِيُوسُفَ: لَقَدْ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَالأَذى، وَعَضَّنَا الجُوعُ، فَجِئْنَا بِهٰذِهِ البِضاعَةِ الرَّدِيئَةِ نَطْلُبُ أَنْ تُعْطِيَنَا بِهَا شَيْئاً مِنَ المِيرَةِ، وَتَصدَّقْ عَلَيْنَا بِقَبُولِ هٰذِهِ البِضَاعَةِ الرَّدِيئَةِ ثَمَناً لِمِيرَتِنا، إِنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ خَيْراً عَلَى عَمَلِهِمْ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: وَتَصدَّقْ عَلَيْنَا بِرَدِّ أَخِينَا عَلَيْنا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يُرِيدُونَ بِهٰذِهِ المَقَالَةِ رُؤْيَةَ الأَثَرِ الذِي تَتْرُكُهُ على مَلامِحِ وَجْهِهِ).

الضُّرُّ - الهُزَالُ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ.

بِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ - بِأَثْمَانٍ رَدِيئَةٍ كَاسِدَةٍ.

(٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ

(جَاهِلُونَ)

(٨٩) - وَلَمَّا أَدْرَكَ يُوسُفُ أَنَّ الجَهْدَ وَالمَجَاعَةَ وَالجَدْبَ أَرْهَقَ كُلَّ ذٰلِكَ

﴿٩٠﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

﴿٩١﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ

﴿٩٢﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ

﴿٩٣﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ

﴿٩٤﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ

أَهْلَهُ، تَذَكَّرَ أَبَاهُ وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ هٰذِهِ الحَالِ. وَمِنْ فَقْدِ وَلَدَيْهِ، فَرَقَّ قَلْبُهُ، وَعَرَّفَ إِخْوَتَهُ بِنَفْسِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ مِنَ الكَيْدِ وَالإِيذَاءِ، حِينَمَا كُنْتُمْ جَاهِلِينَ قُبْحَ مَا فَعَلْتُمُوهُ فِي حُكْمِ شَرْعِكُمْ، وَحُقُوقِ بِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَمَا يَجِبُ مِنْ تَرَاحُمِ القَرَابَةِ وَالرَّحِمِ، وَلاَ تُقَدِّرُونَ عَوَاقِبَ هٰذَا الطَّيْشِ، وَٱتِّبَاعِ الهَوَى، وَإِطَاعَةِ الحَسَدِ؟.

(أَئِنَّكَ)

(٩٠) - فَقَالُوا لَهُ بِتَعَجُّبٍ مِمَّا بَلَغَهُ أَمْرُهُ مِنْ عُلُوِّ المَنْزِلَةِ فِي مِصْرَ: أَأَنْتَ يُوسُفُ وَقَدْ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ؟ قَالَ: أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي، قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِالاجْتِمَاعِ بَعْدَ طُولِ ٱفْتِرَاقٍ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَنِي، وَرَفَعَ شَأْنِي، وَهُوَ تَعَالَى لاَ يُضَيِّعُ أَجْرَ ٱمْرِىءٍ ٱتَّقَاهُ وَصَبَرَ وَأَحْسَنَ العَمَلَ.

(آثَرَكَ) (لَخَاطِئِينَ)

(٩١) - فَٱعْتَرَفُوا بِمَا فَضَّلَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالخُلُقِ وَالخَلْقِ، وَالحِلْمِ وَالسَّعَةِ وَالمُلْكِ، وَأَقَرُّوا بِذَنْبِهِمْ وَخَطَئِهِمْ فِي حَقِّهِ وَحَقِّ أَخِيهِ، وَأَنَّهُمْ لاَ عُذْرَ لَهُمْ فِيمَا فَعَلُوهُ.

آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا - ٱخْتَارَكَ وَفَضَّلَكَ عَلَيْنَا.

(الرَّاحِمِينَ)

(٩٢) - قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: لاَ عَتَبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ لَوْمَ، فِيمَا فَعَلْتُمْ بِي وَبِأَخِي، وَدَعَا لَهُمْ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَظُلْمَهُمْ، وَأَنْ يَسْتُرَهَا عَلَيْهِمْ، فَهُوَ تَعَالَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِمَنْ تَابَ وَأَقْلَعَ عَنْ ذَنْبِهِ، وَأَنَابَ إِلَى طَاعَتِهِ بِالتَّوْبَةِ.

لاَ تَثْرِيبَ - لاَ تَأْنِيبَ وَلاَ لَوْمَ.

(٩٣) - وَسَأَلَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ عَنْ حَالِ أَبِيهِمْ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ بَصَرَهُ قَدْ كُفَّ مِنْ كَثْرَةِ البُكَاءِ وَالحُزْنِ العَمِيقِ، فَدَفَعَ إِلَيْهِمْ قَمِيصَهُ وَقَالَ لَهُمْ: ٱذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا إِلَى أَبِي، وَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِهِ يَرْجِعْ مُبْصِراً، وَأْتُونِي مَعَ أَبِيكُمْ وَجَمِيعِ آلِ يَعْقُوبَ وَأَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ.

يَأْتِ بَصِيراً - يَرْجِعْ بَصِيراً مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ.

(٩٤) - وَلَمَّا خَرَجَتِ القَافِلَةُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، مُتَّجِهَةً إِلَى فِلَسْطِينَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَحْفَادِهِ وَأَزْوَاجِهِمْ: إِنَّهُ يَشُمُّ رَائِحَةَ يُوسُفَ كَمَا عَرَفَهَا وَهُوَ صَغِيرٌ، لَوْلا أَنْ يَنْسُبُوا ذٰلِكَ مِنْهُ إِلَى الخَرَفِ، وَكِبَرِ السِّنِّ (الفَنَدِ).

فَصَلَتِ العِيرُ - فَارَقَتِ القَافِلَةُ عَرِيشَ مِصْرَ.

تُفَنِّدُونِ - تُسَفِّهُونَ أَوْ تُكَذِّبُونَ أَوْ تَنْسُبُونَ ذٰلِكَ إِلَى الفَنَدِ.

٩٥ قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ
ٱلْقَدِيمِ

٩٦ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ
وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ
ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

٩٧ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ
إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ

٩٨ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

٩٩ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ
ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ
مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ

١٠٠ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ
لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا
تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ
أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ
ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ

(ضَلالِكَ)

(٩٥) ـ فقَالَ بَنُوهُ: إِنَّكَ مَا زِلْتَ مُقِيماً عَلَى خَطَئِكَ القَدِيمِ مِنْ حُبِّ يُوسُفَ، وَعَدَمِ السُّلُوِّ عَنْهُ، وَعَدَمِ نِسْيَانِ أَمْرِهِ، وَالاعْتِقَادِ، أَنَّهُ مَا زَالَ حَيّاً، وَأَنَّكَ تَرْجُو لِقَاءَهُ عَمَّا قَرِيبٍ.

ضَلالِكَ ـ ذَهَابِكَ عَنِ الصَّوَابِ.

(أَلْقَاهُ)

(٩٦) ـ فَلَمَّا جَاءَهُ حَامِلُ القَمِيصِ، الذِي أَرْسَلَهُ يُوسُفُ، أَلْقَى القَمِيصَ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً، وَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ شَيْئاً لاَ تَعْلَمُونَهُ أَنْتُمْ، وَهُوَ أَنَّهُ سَيَرُدُّ عَلَيَّ يُوسُفَ، وَقَدْ أَرْسَلْتُكُمْ لِمِصْرَ لاعْتِقَادِي أَنَّهُ حَيٌّ فِيها، وَأَنَّهُ ذُو مَكَانَةٍ.

(يَا أَبَانَا) (خَاطِئِينَ)

(٩٧) ـ فَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِيهِمْ مُعْتَذِرِينَ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ، وَرَجَوْهُ أَنْ يَصْفَحَ عَنْهُمْ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمِ اللهَ عَمَّا ارْتَكَبُوهُ مِنْ ذُنُوبٍ وَأَخْطَاءٍ بِعُقُوقِ أَبِيهِمْ وَإِيذَاءِ أَخَوَيْهِمْ، لأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَمِّدِينَ فِي ارْتِكَابِ هٰذِهِ الخَطَايَا.

(٩٨) ـ قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمُ اللهَ رَبِّي، فَهُوَ تَوَّابٌ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأَصْلَحَ، وَهُوَ رَحِيمٌ يُحِبُّ العَفْوَ وَالمَغْفِرَةَ.

(آوَى) (آمِنِينَ)

(٩٩) ـ وَارْتَحَلَ يَعْقُوبُ بِأَهْلِهِ وَبَنِيهِ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا دَخَلُوا مِصْرَ، خَرَجَ يُوسُفُ لاسْتِقْبَالِهِمْ، وَعَانَقَ أَبَوَيْهِ، وَقَالَ لأَهْلِهِ: ادْخُلُوا مِصْرَ آمِنِينَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَضُرٍّ إِنْ شَاءَ اللهُ.

آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ـ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَاعْتَنَقَهُمَا.

(يَا أَبَتِ) (رُؤْيَايَ) (الشَّيْطَانُ)

(١٠٠) ـ وَأَجْلَسَ يُوسُفُ أَبَوَيهِ عَلَى سَرِيرِهِ (العَرْشِ) وَسَجَدَ لَهُ أَبَوَاهُ وَإِخْوَتُهُ الأَحَدَ عَشَرَ، وَقَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنَّ هٰذا السُّجُودَ مِنْكُمْ هُوَ تَفْسِيرٌ لِلرُّؤْيا التِي كُنْتُ رَأَيْتُها مِنْ قَبْلُ، وَقَصَصْتُها عَلَيْكَ. وَلَقَدْ جَعَلَ رَبِّي رُؤْيَايَ هٰذِهِ حَقّاً وَوَاقِعاً، وَلَمْ تَكُنْ أَضْغَاثَ أَحْلامٍ، وَقَدْ أَكْرَمَنِي رَبِّي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ بَرَاءَتِي، وَسَمَا بِي إِلَى عَرْشِ المُلْكِ، وَإِذْ جَاءَ بِكُمْ مِنَ البَادِيَةِ حَيْثُ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ عِيشَةَ الشَّظَفِ وَالخُشُونَةِ، فَاجْتَمَعَ شَمْلُنا مِنْ جَدِيدٍ، بَعْدَ أَنْ أَفْسَدَ الشَّيْطَانُ الأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي، وَقَطَعَ مَا بَيْنَنا مِنْ وَشَائِجِ الرَّحِمِ. وَإِنَّ رَبِّي

إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ

لَطيفٌ لِما يَشاءُ، فإذا قَضى امْراً وَأَرادَهُ هَيَّأَ لَهُ أَسْبابَهُ، وَقَدَّرَهُ وَيَسَّرَهُ، وَهُوَ العَليمُ بِمَصالِحِ العِبادِ، الحَكِيمُ فِي أَفْعالِهِ وَقَضائِهِ.

سُجَّداً ـ كَانَ السُّجُودُ جائِزاً فِي شَرِيعَتِهِمْ.

البَدْوِ ـ البَادِيَةِ.

نَزَغَ الشَّيْطانُ ـ أَفْسَدَ الشَّيْطانُ وَحَرَّشَ وَأَغْرَى.

نصف الحزب ٢٥

١٠١ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ

(آتَيْتَني) (السَّماوَاتِ) (الآخِرَةِ) (بالصَّالِحِينَ)

(١٠١) ـ لَما تَمَّتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلى يُوسُفَ بِاجْتِماعِهِ بِأَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ، وَرأى ما مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالمُلْكِ، وَمَا وَهَبَهُ مِنَ العِلْمِ وَالقُدْرَةِ عَلَى تَفْسِيرِ الأَحْلامِ، اتَّجَهَ إِلى اللهِ رَبِّهِ بالدُّعاءِ قائِلاً: يَا رَبِّ أَنْتَ خالِقِي وَمالِكُ أَمْرِي، وَمُتَوَلِّي نِعْمَتِي، فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَماتِي، تَوَفَّنِي عَلَى مَا ارْتَضَيْتَ لأَنْبِيائِكَ مِنْ دِينِ الإِسْلامِ، وَأَدْخِلْنِي فِي زُمْرَةِ مَنْ هَدَيْتَهُمْ إِلى الصَّلاحِ مِنْ عِبادِكَ المُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ.

١٠٢ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ

(١٠٢) ـ لَمَّا قَصَّ اللهُ تَعالَى عَلَى رَسُولِهِ الكَرِيمِ نَبأَ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ، وَكَيْفَ رَفَعَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ العَاقِبَةَ وَالنَّصْرَ وَالمُلْكَ لَهُ، مَعَ مَا أَرادَهُ إِخْوَتُـهُ مِنَ الكَيْدِ وَالسُّوءِ وَالهَلاكِ، قَالَ اللهُ تَعالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّ هٰذا الذِي قَصَّهُ عَلَيْهِ هُوَ مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ، وَقَدْ أَوْحاهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَأَعْلَمَهُ بِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ العَظَمَةِ وَالعِبْرَةِ لَهُ وَلِمَنْ خَالَفَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ مَوْجُوداً مَعَ إِخْوَةِ يُوسُفَ حِينَ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى الكَيْدِ لِيُوسُفَ، وَالمَكْرِ بِهِ، لِيَعْلَمَهُ مُحَمَّدٌ بِتَفاصِيلِهِ، وَإِنَّما أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيهِ، وَأَعْلَمَهُ بِهِ وَحْياً مِنْ عِنْدِهِ تَعالَى.

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ـ عَزَمُوا عَلَى الكَيْدِ لِيُوسُفَ.

١٠٣ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ

(١٠٣) ـ وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَنْ يُؤْمِنُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ يَوْمَ القِيامَةِ، وَلَوْ حَرَصْتَ أَنْتَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَوْ أَتَيْتَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ.

١٠٤ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ

(تَسْأَلُهُمْ) (لِلْعَالَمِينَ)

(١٠٤) ـ وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لاَ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً عَلَى نُصْحِكَ لَهُمْ، وَلاَ عَلَى دَعْوَتِـكَ إِيَّاهُمْ إِلى اللهِ، وَإِلى تَرْكِ عِبادَةِ الأَصْنَامِ وَعِبادَةِ الشَّيْطانِ، فَإِنْ لَمْ يَهْتَدُوا فَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَسَيَهْدِي اللهُ قَوْماً غَيْرَهُمْ، فَمَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لَيْسَ إِلاَّ مَوْعِظَةً وَعِبْرَةً لِلْعِبادِ.

١٠٥ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

(وَكَأَيٍّ) (آيَةٍ) (السَّماوَاتِ)

(١٠٥) ـ وَمَا أَكْثَرَ الدَّلائِلَ التِي بَثَّها اللهُ تَعالَى فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ التِي تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الخَالِقِ، وَوَحْدانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَلٰكِنَّ قَوْمَكَ

يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْها، وَعَنِ التَّفْكِيرِ فِيهَا، وَفِيمَنْ خَلَقَهَا وَأَبْدَعَ نِظَامَهَا.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (١٠٦)

(١٠٦) - وَأَكْثَرُ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ هٰؤُلاءِ بِاللهِ لا يَقُومُ إِيمَانُهُمْ عَلَى أَسَاسٍ سَلِيمٍ مِنَ التَّوْحِيدِ الخَالِصِ، فَهُمْ لا يَعْتَرِفُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ اعْتِرافاً خَالِصاً، وَإِنَّما يَشُوبُ إِيمَانَهُمْ شَيءٌ مِنَ الشِّرْكِ (كَمَنْ زَعَمَ أَنَّ المَلائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، وَأَنَّ المَسِيحَ ابْنُ اللهِ، وَأَنَّ عُزَيْراً ابْنُ اللهِ...).

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧)

(غَاشِيَةٌ)

(١٠٧) - هَل اتَّخذهؤُلاءِ - الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ، وَهُمْ يُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي العِبَادَةِ غَيْرَهُ - عَهْداً عِنْدَ اللهِ بِأَنَّهُ لا يُعَذِّبُهُمْ فَضَمِنُوا السَّلامَةَ وَالأَمْنَ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللهُ بِعَذابٍ يَغْمُرُهُمْ وَيَغْشَاهُمْ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ؟ أَوْ ضَمِنُوا أَنْ لا تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ فَجأةً (بَغْتَةً) وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى الكُفْرِ وَالشِّرْكِ، فَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلى النَّارِ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً؟.
غَاشِيَةٌ - عُقُوبَةٌ تَغْشَاهُمْ وَتُجَلِّلُهُمْ.
بَغْتَةً - فَجأةً.

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

(أَدْعُو) (سُبْحَانَ)

(١٠٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يُخبِرَ النَّاسَ أَنَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةَ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلٰه إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ سَبِيلُهُ وَمَسْلَكُهُ وَسُنَّتُهُ، وَأَنَّهُ إِنَّما يَدْعُوهُمْ إِلَيها وَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنَ اللهِ وَيقِينٍ، هُوَ وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبعَهُ، مِنْ حَقِيقَةِ مَا يَدْعُونَ إِلَيهِ، وَمَا يَقُولُونَ بِهِ، وَأَنَّهُ يُنَزِّهُ اسْمَ اللهِ، وَيُقَدِّسُهُ عَنِ الشِّرْكِ وَالوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذٰلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩)

(عَاقِبَةُ) (الآخِرَةِ)

(١٠٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلَهُ جَمِيعاً مِنَ البَشَرِ، فَكَيْفَ عَجِبُوا مِنْكَ، وَلَمْ يَعْجَبُوا مِمَّنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ؟ وَأَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَهُمْ رِجَالاً - لا نِسَاءً - مِنْ أَهْلِ المُدُنِ - لا القُرَى - لأَنَّ أَهْلَ البَادِيَةِ أَجْفَى النَّاسِ طِبَاعاً وَأَخْلاقاً، وَلأَنَّ أَهْلَ المُدُنِ إِذا آمَنُوا تَبِعَهُمْ أَهْلُ البَوَادِي فِي الإِيمَانِ، أَفَلَمْ يَسِرْ هٰؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ لَكَ، يَا مُحَمَّدُ، فِي الأَرْضِ لِيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الذِينَ كَذَّبُوا الأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُمْ، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَبِرُسُلِهِ وَبِالمَعَادِ، وَكَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ جَمِيعاً، وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ؟
وَكَمَا نَجَّيْنَا المُؤْمِنِينَ بِدَعْوَةِ الرُّسُلِ حِينَمَا أَهْلَكْنَا المُكَذِّبِينَ مِنْ

أَقْوَامِهِمْ، وَهٰذِهِ هِيَ سُنَّتُنا فِي الدُّنْيا، كَذٰلِكَ نُنجيهِمْ فِي الآخِرَةِ، وَهِيَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيا وَأَفْضَلُ.

١١٠ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ

(١١٠) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلاً قَبْلَهُ فَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ تَعالَى أَنْ يَتَراخَى نَصْرُ اللهِ عَنِ الرُّسُلِ، وَأَنْ يَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ التَّكْذِيبُ مِنْ قَوْمِهِمْ، حَتَّى إذا زُلْزِلَتِ النُّفُوسُ، وَاسْتَشْعَرَتِ القُنُوطَ وَاليَأْسَ مِنَ النَّجاةِ وَالنَّصْرِ، فَحِينَئِذٍ يَأْتِي نَصْرُ اللهِ، فَيُنَجِّي مَنْ يَشاءُ اللهُ إِنْجاءَهُ، وَيُهْلِكُ مَنْ يَشاءُ إِهلاكَهُ، وَلا يَرُدُّ أَحَدٌ بَأْسَ اللهِ وَعِقابَهُ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ..

وَفِي قَوْلِهِ تَعالَى (كُذِبُوا) قِراءَتانِ:

الأُولَى - (كُذِّبُوا) - بِضَمِّ الكافِ وَتَشْدِيدِ الذّالِ - وَكَذٰلِكَ كانَتْ تَقْرَؤُها عائِشَةُ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْها - وَمَعْناها: إِنَّ الرُّسُلَ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ، وَلَنْ يُؤْمِنُوا لَهُمْ، وَيَئِسُوا مِنْ قَوْمِهِم الكافِرِينَ.

وَالثّانِيَةُ - (كُذِبُوا) - بِضَمِّ الكافِ وَتَخْفِيفِ الذّالِ - وَكَذٰلِكَ كانَ يَقْرَؤُها ابْنُ عَبّاسٍ - وَمَعْناها: إِنَّهُ لَمّا يَئِسَ الرُّسُلُ مِنْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ قَوْمُهُمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمْ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبُوهُمْ، جاءَ نَصْرُ اللهِ فَأَيَّدَ الرُّسُلَ.

فَفِي القِراءَةِ الأُولَى: يَشْعُرُ الرُّسُلُ أَنَّهُمْ كُذِّبُوا مِنْ قِبَلِ أَقْوامِهِمْ.

وَفِي القِراءَةِ الثّانِيَةِ: يُدْرِكُ القَوْمُ أَنَّ الرُّسُلَ كَذَبُوهُمْ بِما جاؤُوهُمْ بِهِ.

اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ - يَئِسُوا مِنَ النَّصْرِ لِتَطاوُلِ الزَّمَنِ.

ظَنُّوا - تَوَهَّمَ الرُّسُلُ وَحَدَّثَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ.

قَدْ كُذِبُوا - قَدْ كَذَبَهُمْ رَجاؤُهُم النَّصْرَ فِي الدُّنْيا.

بَأْسُنا - عَذابُنا.

١١١ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(الأَلْبابِ)

(١١١) - لَقَدْ كانَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ مَعَ أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ عِبْرَةٌ لِذَوِي العُقُولِ وَالأَلْبابِ، لأَنَّهُمْ هُمُ الذِينَ يَعْتَبِرُونَ بِعَواقِبِ الأُمُورِ التِي تَدُلُّ عَلَيها أَوائِلُها وَمُقَدِّماتُها، وَجِهَةُ الاعْتِبارِ فِي هٰذِهِ القِصَّةِ أَنَّ الذِي قَدَرَ عَلَى إِنْجاءِ يُوسُفَ بَعْدَ إِلْقائِهِ فِي غَيابَةِ الجُبِّ، وَإِعْلاءِ شَأْنِهِ، حَتَّى أَصْبَحَ عَزِيزَ مِصْرَ، وَرَئِيسَ وُزَرائِها، بَعْدَ أَنْ بِيعَ بِالثَّمَنِ البَخْسِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ لَهُ بَعْدَ الحَبْسِ وَالسِّجْنِ، وَجَمْعِ شَمْلِهِ مَعَ أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ.. لَقادِرٌ عَلَى إِعْزازِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِعْلاءِ كَلِمَتِهِ، وَإِظْهارِ دِينِهِ.

وَما كانَ هٰذا القَصَصُ حَدِيثاً يُفْتَرى وَيُخْتَلَقُ لأَنَّهُ أَعْجَزَ رُواةَ الأَخْبارِ، فَهُوَ

دَلِيلٌ ظَاهِرٌ، وَبُرْهَانٌ قَاهِرٌ، عَلَى أَنَّهُ جَاءَ بِطَرِيقِ الوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ، وَقَدْ جَاءَ مُصَدِّقاً لِمَا جَاءَتْ بِهِ الكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ السَّابِقَةُ المُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَفِيهِ تَفْصِيلٌ لِلأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالوَعْدِ وَالوَعِيدِ، وَهُوَ هُدًى لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، وَأَمْعَنَ النَّظَرَ فِيهِ، وَتَلاَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، وَهُوَ رَحْمَةٌ عَامَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الذِينَ تَنْفُذُ فِيهِمْ شَرَائِعُهُ، فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

عِبْرَةٌ - عِظَةٌ وَتَذْكِرَةٌ.

يُفْتَرى - يُخْتَلَقُ.



(١) الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

(٢) ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ
عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ
يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ

(٣) وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ
فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ

(آيَاتُ) (الْكِتَابِ)

(١) - أَلِفْ. لَامْ. مِيمْ رَا - اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

هٰذِهِ الآيَاتُ هِيَ آيَاتُ القُرآنِ. وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَبِّكَ مِنَ القُرآنِ هُوَ الحَقُّ الذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلا مِرْيَةَ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْكَ، مَعَ مَا فِي القُرآنِ مِنَ البَيَانِ وَالوُضُوحِ وَالجَلاءِ.

(السَّمَاوَاتِ) (الآيَاتِ)

(٢) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَعَظِيمِ شَأْنِهِ، فَقَدْ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ بِدُونِ أَعْمِدَةٍ تَحْمِلُهَا كَمَا يَرَاهَا النَّاسُ وَاضِحَةً لِلعِيَانِ. ثُمَّ آسْتَوَى عَلَى العَرْشِ آسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَذَلَّلَهُمَا وَجَعَلَهُمَا طَائِعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسِيرُ فِي مَدَارِهِ وَمَسَارِهِ مَا شَاءَ اللهُ لَهُ ذٰلِكَ، إِلَى أَنْ يَحِينَ الأَجَلُ الذِي حَدَّدَهُ اللهُ لَهُمَا. وَهُوَ تَعَالَى يُدَبِّرُ أَمْرَ الخَلْقِ وَالكَوْنِ، وَيُسَيِّرُ المَوْجُودَاتِ وَفْقَ نِظَامٍ مُحْكَمٍ دَقِيقٍ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ دَلِيلاً وَآيَةً عَلَى الخَلْقِ البَدِيعِ (يُفَصِّلُ الآيَاتِ).. فَإِذَا عَلِمْتُمْ ذٰلِكَ وَأَدْرَكْتُمُوهُ، فَلَعَلَّكُمْ تُؤْمِنُونَ بِرَبِّكُمْ، وَتُوقِنُونَ بِلِقَائِهِ يَوْمَ المَعَادِ، وَتُدْرِكُونَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى كُلِّ ذٰلِكَ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَإِحْيَاءِ المَوْتَى مِنَ القُبُورِ.

بِغَيْرِ عَمَدٍ - بِغَيْرِ دَعَائِمَ وَأَسَاطِينَ تُقِيمُهَا.

يُدَبِّرُ الأَمْرَ - يُصَرِّفُ العَوَالِمَ كُلَّهَا بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

(رَوَاسِيَ) (وَأَنْهَاراً) (الثَّمَرَاتِ) (اللَّيْلَ) (لآيَاتٍ)

(٣) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى العَالَمَ العُلْوِيَّ، شَرَعَ فِي ذِكْرِ قُدْرَتِهِ

يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ

وَحِكْمَتِهِ وَأَحْكَامِهِ فِي العَالَمِ السُّفْلِيِّ، فَهُوَ الذِي مَدَّ الأَرْضَ وَبَسَطَها، وَجَعَلَهَا مُمْتَدَّةً طُولاً وَعَرْضاً، وَأَرْسَاهَا بِجِبَالٍ رَاسِيَاتٍ لِكَيْ يَحْفَظَ تَوازُنَها، وَيَجْعَلَ آسْتِقْرَارَ الخَلْقِ عَلَيْها أَمْراً هَيِّناً مَيْسُوراً فَلاَ تَمِيدَ بِهِمْ، وَأَجْرَى فِيهَا الأَنْهَارَ وَالعُيُونَ لِيَسْقِيَ مَا فِيهَا مِنْ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ، يُخْرِجُ مِنْ كُلِّ الثَّمراتِ. وَجَعَلَ مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ زَوْجَيْنِ آثْنَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثَى حِينَ تَكَوُّنِها.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ اللَّيْلَ يَتْبَعُ النَّهَارَ حَثِيثاً (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ)، بِدُونِ آنْفِصالٍ. وَفِي كُلِّ مَا ذُكِرَ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ لَدَلائِلُ وَحُجَجٌ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ وَيَعْتَبِرُ.

رَواسِيَ - جِبالاً ثَوابِتَ لِكَيْلا تَمِيدَ.

زَوْجَيْنِ - نَوْعَيْنِ وَضَرْبَيْنِ.

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ - يُلْبِسُ النَّهارَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ.

٤ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ

(مُتَجاوِراتٌ) (وَجَنَّاتٌ) (أَعْنَابٌ) (وَاحِدٍ) (لآيَاتٍ)

(٤) - وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مِنَ الأَرْضِ يُجَاوِرُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلٰكِنَّها تَخْتَلِفُ، وَتَتَفاضَلُ فِيمَا بَيْنَهَا مَعَ تَجاوُرِها، فَهٰذِهِ قِطْعَةُ أَرْضٍ طَيِّبَةٌ، تَنْبتُ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَتِلْكَ سَبْخَةٌ مِلْحٌ، لاَ تُنْبِتُ شَيْئاً، وَهٰذِهِ مُحْجِرَةٌ وَتِلْكَ سَهْلَةٌ.. إلخ وَكُلُّها مُتَجاوِراتٌ، وَهٰذا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى الخالِقِ المُبْدِعِ. وَفِي الأَرْضِ مَزارِعُ وَبَسَاتِينُ (جَنَّاتٌ) مِنْ أَشْجارِ النَّخِيلِ، وَالعِنَبِ، وَالزُّرُوعِ، مِنْهَا مَا تَجْتَمِعُ أُصُولُهُ فِي مَنْبَتٍ وَاحِدٍ وَتَتَشَعَّبُ فُرُوعُهُ، كَالتِّينِ وَالرُّمَّانِ (صِنْوانٌ) وَمِنْهَا مَا كَانَ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ كَسَائِرِ الأَشْجارِ (غَيْرُ صِنْوانٍ)، وَتُسْقَى هٰذِهِ الأَشْجارُ وَالزُّرُوعُ فِي مَنَابِتِها بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَتَقُومُ فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ، وَمَعَ ذٰلِكَ يُفَضِّلُ اللهُ بَعْضَهَا عَلى بَعْضٍ فِي الشَّكْلِ، وَفِي الطَّعْمِ، وَالمَذاقِ، وَالرَّائِحَةِ.. وَهٰذا دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ اللهِ الخالِقِ وَوُجُودِهِ، وَوَحْدانِيَّتِهِ، لِمَنْ يَتَفَكَّرُونَ وَيَعْقِلُونَ.

قِطَعٌ - بِقاعٌ مُخْتَلِفَةُ الطِّباعِ وَالصِّفَاتِ.

نَخِيلٌ صِنْوانٌ - نَخْلاتٌ يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ.

الأُكُلِ - مَا يُؤْكَلُ وَهُوَ الثَّمَراتُ وَالحُبُوبُ.

٥ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ

ثلاثة أرباع الحزب ٢٥

(أَئِذَا) (تُراباً) (أَئِنَّا) (أُولَئِكَ) (الأَغْلالُ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٥) - وَإِنْ تَعْجَبْ مِنْ عِبادَةِ هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ مَا لاَ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ مِنَ الأَصْنامِ وَالأَوْثانِ، بَعْدَ أَنْ قَامَتِ الحُجَّةُ وَالأَدِلَّةُ عَلَى وُجُودِ الخالِقِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، فَأَعْجَبُ مِنْهُ تَكْذِيبُهُمْ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَآسْتِبْعادُهُمْ وُقُوعَهُ، وَقَوْلُهُمْ: أَبَعْدَ أَنْ نَمُوتَ، وَتُصْبِحَ عِظَامُنا رُفَاتاً

أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

وَتُراباً، هَلْ سَيُعِيدُنَا اللهُ إلى الحَياةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَخْلُقُنا خَلْقاً جَدِيداً؟ مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ إِعادَةَ الشَّيءِ أَسْهَلُ مِن ٱبْتِدائِهِ، وَأَنَّ خَلْقَ الكَوْنِ العَظِيمِ أَصْعَبُ مِنْ خَلْقِ الإنسانِ. فَهٰؤلاءِ الذِينَ يَقُولُونَ هٰذا القَوْلَ إِنْكاراً لِلْبَعْثِ وَالمَعادِ، هُمُ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأُولٰئِكَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ يُسْحَبونَ فِيها عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَالسَّلاسِلُ وَالأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ، وَيَبْقَوْنَ فِي النَّارِ خالِدِينَ أَبداً.

الأَغْلال - الأَطْواقُ مِنَ الحَدِيدِ.

(المَثُلاتُ)

٦ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(٦) - وَهٰؤلاءِ الذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالحَشْرِ وَالمَعادِ، يَسْتَعْجِلُونَكَ بِأَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِم العَذابَ الذي هُدِّدوا بِهِ إذا مَا أَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَهُمْ يُبادِرُونَ إلى هٰذا التَّكْذِيبِ وَالاسْتِهْزاءِ بالعُقُوبَةِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلُوا الثَّوابَ وَالحَسَنَةَ والسَّلامَةَ مِنَ العُقُوبَةِ، مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الأَمْثِلَةِ سَبَقَتْ عَلَى إِنْزالِ اللهِ تَعالَى العَذابَ وَالعِقابَ بِالأُمَمِ الخالِيَةِ، التِي كَذَّبَتْ رُسُلَها، وَٱسْتَهْزَأَتْ بِهِمْ، وَجَعْلِهِ إِيَّاهُمْ عِظَةً لِمَنِ ٱتَّعَظَ بِهِمْ. وَلَوْلا حِلْمُ اللهِ تَعالَى وَعَفْوُهُ لَعاجَلَهُمْ بالعُقُوبَةِ حالَ ٱجْتِراحِهِم الذُّنُوبَ، وَٱكْتِسابِهِم المَعاصِيَ، وَلٰكِنَّهُ تَعالَى يَغْفِرُ لِلنَّاسِ ذُنُوبَهُمْ وَتَجاوُزَهُمْ إذا تابُوا إِلَيْهِ وَأَصْلَحُوا، وَهُوَ شَدِيدُ العِقابِ لِمَنْ أَصَرَّ عَلى كُفْرِهِ وَعِنادِهِ وَتَمادَى فِي غَيِّهِ.

(وَكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعِدُهُمْ بِأَنَّهُمْ إذا آمَنُوا، وَأَقْلَعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعِصْيانِهِمْ وَسُخْرِيَتِهِمْ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ، فَإِنَّ اللهَ سَيُكَفِّرُ سَيِّئاتِهِمْ، وَسَيُدْخِلُهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ).

المَثُلاتُ - العُقُوباتُ الفاضِحاتُ لِأَمْثالِهِمْ.

مَغْفِرَةٍ لِلنّاسِ - سِتْرٍ وَإِمْهالٍ.

(آيَةٌ)

٧ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ

(٧) - وَيَقُولُ المُشْرِكُونَ كُفْراً وَعِناداً: لَوْ أَنَّ مُحَمَّداً يَأْتِينا بِمُعْجِزَةٍ مِنْ رَبِّهِ (آيَةٍ)، مِثْلِ الآياتِ التِي جاءَ بِها الأَنْبِياءُ السّابِقُونَ (وَقَدْ طَلَبُوا مِنْ مُحَمَّدٍ أَنْ يَجْعَلَ لَهُم الصَّفا ذَهَباً. وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُزِيحَ عَنْهُمْ جِبالَ مَكَّةَ وَيَجْعَلَ مَكانَها مُرُوجاً وَأَنْهاراً..).

وَقَدْ رَدَّ اللهُ تَعالَى عَلَيْهِمْ قائِلاً: إِنَّ مَهَمَّةَ النَّبِيِّ هِيَ تَبْلِيغُ رِسالَةِ اللهِ إلى النّاسِ، وَالإِنْذارُ بِالعُقُوبَةِ وَالعَذابِ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَدْعُوهُمْ إلى الهُدَى وَالإِيمانِ بِاللهِ، وَقَدْ فَطَرَهُ اللهُ تَعالَى عَلَى طَرِيقِ الهُدَى. وَهٰذا

الهَادِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً أَوْ حَكِيماً أَوْ مُجْتَهِداً يَسِيرُ عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ وَيَقْتَفِي خُطَاهُ.

(٨) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ

(٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ تَمامِ عِلْمِهِ الذِي لاَ يَخْفى عَلَيْهِ شَيءٌ، فَإِنَّهُ مُحِيطٌ بِمَا تَحْمِلُهُ الحَوامِلُ مِنْ إِنَاثِ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ. وَيَعْلَمُ مَا تُنْقِصُهُ الأَرْحَامُ (تَغِيضُه) وَمَا تَزْدَادُهُ مِنْ عَدَدٍ فِي الوَلَدِ (فَقَدْ يَكُونُ وَاحِداً أَوْ أَكْثَرَ) وَقَدْ يَكُونُ تَامّاً فِي الخَلْقِ، أَوْ نَاقِصاً فِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَكَراً أَوْ أُنْثَى، وَشَقِيّاً أَوْ سَعِيداً، وَحَسَناً أَوْ قَبِيحاً. وَمَا سَيَكُونُ عَلَيهِ حالُ الجَنِينِ فِي حَيَاتِهِ، وَكُلُّ شَيءٍ عِنْدَ اللهِ بِأَجَلٍ وَتَقْدِيرٍ. لَقَدْ حَفِظَ اللهُ آجالَ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ، وَجَعَلَ لِكُلِّ ذَلِكَ أَجَلاً مَعْلُوماً، وَمِقْدَاراً مَقْسُوماً.

مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ - مَا تُسْقِطُه أَوْ تُنْقِصُهُ.

بِمِقْدارٍ - بِقَدَرٍ وَاحِدٍ لاَ يَتَعَدَّاهُ.

(٩) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ

(عَالِم) (الشَّهَادَةِ)

(٩) - يَعْلَمُ اللهُ تَعَالَى كُلَّ شَيءٍ مِمَّا يُشَاهِدُهُ العِبَادُ، وَمِمَّا يَغِيبُ عَنْهُمْ مِنْ عَوالِمَ لاَ نِهَايَةَ لَهَا، وَلاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِنْهُ، وَهُوَ الكَبِيرُ المُتَعَالِي عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً.

الكَبِيرُ - العَظِيمُ الذِي كُلُّ شَيءٍ دُونَهُ.

المُتَعَالِ - المُسْتَعْلِي عَلَى كُلِّ شَيءٍ بِقُدْرَتِهِ.

(١٠) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ

(باللَّيْلِ)

(١٠) - وَسَواءٌ عِنْدَ اللهِ مَنْ أَسَرَّ قَوْلَهُ وَلَمْ يَتَلَفَّظْ بِهِ، أَوْ جَهَرَ بِهِ وَأَعْلَنَهُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُ جَمِيعاً وَيَسْمَعُهُ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيءٌ؛ وَسَواءٌ عِنْدَهُ مَنِ آسْتَخْفَى فِي بَيْتِهِ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ، وَمَنْ ظَهَرَ وَسَارَ فِي النَّهَارِ (سَارِبٌ بالنَّهارِ)، فَإِنَّهُمَا فِي عِلْمِ اللهِ عَلَى السَّواءِ.

سَارِبٌ - ذَاهِبٌ فِي سِرْبِهِ وَطَرِيقِهِ، ظَاهِراً.

(١١) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم

(مُعَقِّبَاتٌ)

(١١) - لِلْعَبْدِ مَلاَئِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَى مُرَاقَبَتِهِ وَحِرَاسَتِهِ، وَيَحْفَظُونَهُ مِنَ المَضارِّ فِي نَوْمِهِ، وَفِي حَالِ يَقَظَتِهِ، بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ، فَلا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيءٌ إِلاَّ إِذا كَانَ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ، وَإِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ، مِنْ خَيْرٍ إِلَى سُوءٍ، إِلاَّ إِذا غَيَّرُوا مَا هُمْ عَلَيهِ، وَلا يُغَيِّرُ اللهُ مَا بِقَوْمٍ مِنْ سُوءٍ إِلَى خَيْرٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ.

مِن دُونِهِۦ مِن وَالٍ

(وَرُوِيَ: أَنَّهُ أُوحِيَ إلى نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ، وَلاَ أَهْلِ بَيْتٍ يَكُونُونَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، فَيَتَحَوَّلُونَ مِنْهَا إلى مَعْصِيَتِهِ، إلاَّ حَوَّلَ اللهُ عَنْهُمْ مَا يُحِبُّونَ إلى مَا يَكْرَهُونَ).
وَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُصِيبَ قَوْماً بِشَرٍّ عِقَاباً لَهُمْ، فَلاَ رَادَّ لإرَادَتِهِ وَقَضَائِهِ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِيٌّ يَنْصُرُهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ يَرُدُّ قَضَاءَ اللهِ عَنْهُمْ.
لَهُ مُعقِبَاتٌ - لَهُ مَلاَئِكَةٌ تَعْتَقِبُ فِي حِفْظِهِ.
مِنْ أَمْرِ اللهِ - بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَبِحِفْظِهِ.
مِنْ وَالٍ - مِنْ نَاصِرٍ أَوْ وَالٍ يَلِي أُمُورَهُمْ.

﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ

(١٢) - وَقُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى فِي الكَوْنِ ظَاهِرَةٌ بَارِزَةٌ لِلْعِيَانِ، فَهُوَ الذِي يُسَخِّرُ البَرْقَ الذِي يَخَافُ ضَرَرَهُ المُسَافِرُ، وَمَنْ يَتَضَرَّرُونَ مِنَ المَطَرِ وَالصَّوَاعِقِ، وَيَطْمَعُ فِيهِ بَعْضُ خَلْقِ اللهِ، كَالمُقِيمِ وَصَاحِبِ الزُّرُوعِ وَالمَاشِيَةِ، رَجَاءَ أَنْ يَهْطِلَ المَطَرُ فَيَسْقُوا حَرْثَهُمْ وَضَرْعَهُمْ. وَهُوَ تَعَالَى الذِي يَخْلُقُ خَلْقاً مُبْتَدأً (يُنْشِيءُ) السَّحَابَ المُثْقَلَ بِالمَاءِ لِيُنْزِلَهُ مَطَراً حَيْثُ يَشَاءُ.
السَّحَابَ الثِّقَالَ - المُوقَرَةَ بِالمَاءِ المُثْقَلَةَ بِهِ.

﴿١٣﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ

(وَالْمَلاَئِكَةُ) (الصَّوَاعِقَ) (يُجَادِلُونَ)

(١٣) - يَقُولُ تَعَالَى: كُلُّ شَيءٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ تَعَالَى، وَصَوْتُ الرَّعْدِ دَلاَلَةٌ عَلَى خُضُوعِهِ للهِ، وَتَنْزِيهِهِ إِيَّاهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَعَنِ العَجْزِ، كَمَا يَدُلُّ صَوْتُ المُسَبِّحِ عَلَى انْقِيَادِهِ لِقُدْرَةِ اللهِ.
(وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ). (أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ).
وَتُسَبِّحُ المَلاَئِكَةُ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، وَيُرْسِلُ اللهُ الصَّوَاعِقَ نِقْمَةً، يَنْتَقِمُ بِهَا مِمَّنْ يَشَاءُ. وَيَشُكُّ هُؤُلاءِ الكُفَّارُ فِي عَظَمَةِ اللهِ، وَفِي أَنَّهُ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ (يُجَادِلُونَ فِي اللهِ)، وَهُوَ تَعَالَى شَدِيدُ الأَخْذِ، شَدِيدُ القُوَّةِ، لاَ يُغَالَبُ وَلاَ يُعَانَدُ.
شَدِيدُ المِحَالِ - المُكَايَدَةِ أَوِ القُوَّةِ أَوِ العُقُوبَةِ.

﴿١٤﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ

(كَبَاسِطِ) (بِبَالِغِهِ) (الْكَافِرِينَ) (ضَلاَلٍ)

(١٤) - وَللهِ تَعَالَى دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ يُوَجَّهُ الدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ (دَعْوَةُ الحَقِّ)، وَالأَصْنَامُ التِي يَدْعُوهَا هُؤُلاءِ المُشْرِكُونَ، وَيَعْبُدُونَهَا، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهَا، لاَ تُجِيبُهُمْ بِشَيءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ، مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ، إِلاَّ كَمَا يُجِيبُ المَاءُ مَنْ يَبْسُطُ إِلَيهِ كَفَّيْهِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَبْلُغَ فَاهُ

(١٥) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩

سجدة

(١٦) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ

(١٧) أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ

فَالمَاءُ جَمادٌ لَا يُدْرِكُ بَسْطَ الكَفَّيْنِ، وَلا قَبْضَهُما، فَكَيْفَ يُجِيبُ دُعاءَهُ؟ وَكَذلِكَ أَصْنامُهُمْ فإِنَّها حِجارَةٌ لَا تُدْرِكُ دُعاءَ مَنْ عَبَدُوها، وَلا تَفْهَمُهُ، وَلِذلِكَ فإِنَّ مَنْ عَبَدُوها لاَ يَنْتَفِعُونَ مِنْهَا بِشَيءٍ فِي الدُّنيا وَلا فِي الآخِرَةِ. وَمَا دُعاءُ الكَافِرِينَ إلاّ فِي ضَلالٍ.

لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ - للهِ الدَّعْوَةُ الحَقُّ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوحِيدِ.

(السَّماوَاتِ) (ظِلاَلُهُمْ)

(١٥) - يُخْبِرُ اللهُ عَنْ عَظَمَةِ سُلْطَانِهِ الذِي خَضَعَ لَهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، فَيَسْجُدُ لَهُ المُؤْمِنُونَ طَوْعاً فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ، وَيَسْجُدُ لَهُ الكُفَّارُ كَرْهاً فِي حَالِ الشِّدَّةِ، وَتَسْجُدُ لَهُ ظِلاَلُ كُلِّ شَيءٍ لَهُ ظِلٌّ مِنَ المَخْلُوقَاتِ فِي أَوائِلِ النَّهارِ (الغُدُوِّ) وَفي أَواخِرِهِ (الآصَالِ).

للهِ يَسْجُدُ - لِأَمْرِهِ تَعَالَى يَنْقَادُ وَيَخْضَعُ.

ظِلاَلُهُمْ - تَنْقَادُ لِأَمْرِهِ تَعَالَى وَتَخْضَعُ.

الغَدَاةُ - أَوَّلُ النَّهارِ (وَجَمْعُ الغَدَاةِ الغُدُوِّ).

الآصَالِ - جَمْعُ أَصِيلٍ - آخِرِ النَّهارِ.

(السَّماوَاتِ) (الظُّلُماتُ) (فَتَشَابَهَ) (خَالِقُ) (الْوَاحِدُ) (الْقَهَّارُ)

(١٦) - يُقَرِّرُ اللهُ تَعالَى أَنَّهُ الآلهُ الوَاحِدُ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكَانَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ هُوَ الذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ رَبُّها وَمُدَبِّرُها، وَيَقُولُ تَعالَى: إِنَّ هؤُلاءِ، مَعَ اعْتِرافِهِمْ هذا، اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِياءَ يَعْبُدُونَهُمْ، وَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلا لِعَابِدِيهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً. فَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ، وَمَنْ عَبَدَ هذِهِ الآلِهَةَ مَعَ اللهِ، وَأَشْرَكَها فِي العِبادَةِ مَعَهُ؟ وَكَما لَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ، وَكَما لاَ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ، كَذلِكَ لاَ يَسْتَوِي مَنْ عَبَدَ اللهَ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وَمَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي العِبادَةِ آلِهَةً لاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِها ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً.

(مَتاعٍ) (الْبَاطِلَ)

(١٧) - ضَرَبَ اللهُ تَعالَى فِي هذِهِ الآيَةِ مَثَلَيْنِ لِلْحَقِّ فِي ثَباتِهِ وَبَقائِهِ، وَلِلْبَاطِلِ فِي زَوالِهِ وَفَنائِهِ.

فَقالَ تَعالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَطَراً فَسالَتْ بِهِ الأَوْدِيَةُ، فَأَخَذَ كُلُّ وَادٍ مِنَ المَاءِ بِحَسَبِ سَعَتِهِ (بِقَدَرِها)، فَهذا كَبِيرٌ اتَّسَعَ لِماءٍ كَثِيرٍ، وَهذا صَغِيرٌ وَسِعَ مِنَ المَاءِ بِقَدَرِهِ، فَحَملَ السَّيْلُ أَثْناءَ سَيْرِهِ فِي هذِهِ الأَوْدِيَةِ

وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ
فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ

زَبداً عالياً (رابياً)، يَطْفو عَليه (وَهذا إِشارَةٌ إِلَى القُلوبِ وَتفاوُتها فمِنْها ما يَسعُ عِلْماً كَثيراً، وَمِنْها ما لا يتَّسِعُ لِكَثيرٍ مِنَ العِلْمِ).
والمَثَلُ الثَّاني الذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالَى هُوَ ما يُصْهَرُ مِنَ المَعادِنِ، مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، لِيُجْعَلَ مِنْهُ حِلْيَةٌ، وَما يُصْهَرُ مِنَ المَعادِنِ الأخرى، مِنْ نُحاسٍ وَحديدٍ وَغَيْرِهما، لِيُجْعَلَ مِنْهُ مَتاعٌ يَسْتَفيدُ مِنْهُ النَّاسُ في حَياتِهِمْ، وَمَعاشِهِمْ، فَجَميعُ هٰذِهِ المَعادِنِ يَعْلُوها، حِينَ صَهْرِهَا، زَبَدٌ مِنْها (خَبَثٌ)، كَما يَعْلُو الماءَ زَبَدٌ مِنْهُ؛ وَكَما أَنَّ الزَّبَدَ يَتلاشَى وَيَتفرَّقُ (يَذْهَبُ جُفاءً)، وَيَبْقَى ما يَنْفَعُ النَّاسَ وَالأَرْضَ مِنْ ماءٍ وَمَعْدِنٍ خالِصٍ، كَذٰلِكَ يَتلاشَى الباطِلُ إذا ٱجْتَمَعَ مَعَ الحَقِّ، وَيَبْقَى الحَقُّ وَيَثْبُتُ.
بِقَدَرِهَا - بِمِقْدارِها الذي ٱقْتَضَتْهُ الحِكْمَةُ.
الزَّبَدُ - الغُثَاءُ (أَوِ الرَّغْوَةُ) الطَّافي عَلَى وَجْهِ المَاءِ.
رَابِياً - مُرْتَفِعاً مُنْتَفِخاً.
زَبَدُ المَعادِنِ - خَبَثُهَا وَهُوَ ما يَطْفُو عَلَى سَطْحِها حِينَ صَهْرِهَا.
جُفاءً - مَرْمِيّاً بِهِ مَطْرُوحاً أَوْ مُتفرِّقاً.

١٨ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ
وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ
أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ

(أُولَئِكَ) (وَمَأْوَاهُمْ)

(١٨) - النَّاسُ في تَلَقِّيهِمْ دَعْوَةَ اللهِ صِنْفانِ: فَالذينَ أَطاعُوا رَبَّهُمْ، وَٱنْقادُوا لِأوامِرِهِ، وَٱسْتَجابُوا لِدَعْوَةِ رَسُولِهِ ﷺ لَهُمْ، يَوْمَ القِيامَةِ، المَثُوبَةُ الحُسْنَى الخالِصَةُ. وَالذينَ عَصَوْا رَبَّهُمْ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، سَيُلاقُونَ حِساباً عَسِيراً يَوْمَ القِيامَةِ، فَيُحاسَبُونَ عَلَى الجَليلِ والحَقيرِ مِنَ الأعْمالِ، لِأَنَّ كُفْرَهُمْ أَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ، وَلَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ سُوءِ المَصيرِ أَحَدٌ، وَلَنْ يُغْنِيَ عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ وَلاَ مَالُهُمْ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِمِثْلِ الأَرْضِ ذَهَباً، وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ اللهِ، فَلا يُمْكِنُهُمْ ذٰلِكَ، وَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ، وَسَتَكُونُ جَهَنَّمُ مَأْواهُمْ وَمُسْتَقَرَّهُمْ، يَوْمَ القِيامَةِ، وَساءَتْ مَصيراً.
بِئْسَ المِهَادُ - بِئْسَ الفِراشُ وَالمُسْتَقَرُّ جَهَنَّمُ.

١٩ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ

الحزب ٢٦

(أُولُو) (الأَلْبَابِ)

(١٩) - لاَ يَسْتَوِي المُهْتَدِي مِنَ النَّاسِ، الذي يَعْلَمُ أَنَّ الذي أُنْزِلَ عَلَيكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقُّ، الذي لاَ شَكَّ فِيهِ، مَعَ الضَّالِّ، الذي لاَ يَعْلَمُ ذٰلِكَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالأَعْمَى لاَ يَهْتَدِي إِلى خَيْرٍ، وَلا يَفْهَمُهُ، وَلَوْ فَهِمَهُ مَا ٱنْقادَ إِلَيهِ، وَلا صَدَّقَ بِهِ وَلاَ ٱنْتَفَعَ. فَالذينَ يَتَّعِظُونَ وَيَعْتَبِرُونَ هُمْ أَصْحابُ العُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَالبَصائِرِ المُدْرِكَةِ (أُولُو الأَلْبَابِ).

٢٠ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ

(الْمِيثَاقَ)

(٢٠) - وَالمُهْتَدُون الذِينَ سَتَكُونُ لَهُمُ العَاقِبَةُ وَالنُّصْرَةُ، فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، هُمُ الذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدُوا، وَلاَ يَنْقُضُـونَ عَهْدَهُمْ مَعَ عِبَادِهِ، وَلا يَغْدُرُونَ بِذِمَّةٍ، وَلاَ يَفْجُرُونَ وَلا يَخُونُونَ.

٢١ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ

(٢١) - وَهٰؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ المُهْتَدُونَ يَصِلُونَ الأَرْحَامَ التِي أَمَرَ اللهُ بِوَصْلِها، وَيُحْسِنُونَ إلى الأَقْرِبَاءِ وَالفُقَراءِ، وَيُعَامِلُونَهُمْ بِالمَودَّةِ وَالحُسْنَى، وَيَبْذُلُونَ المَعْرُوفَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فِيمَا يَأْتُونَ، وَيُراقِبُونَهُ فِي ذٰلِكَ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، وَعَدَمَ الصَّفْحِ عَـنْ ذُنُوبِهِمْ وَخطَايَاهُمْ.

٢٢ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ

(الصَّلاَةَ) (رَزَقْنَاهُمْ) (أُولَئِكَ) (يَدْرَؤُونَ)

(٢٢) - وَهٰؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ المُهْتَدُونَ يَصْبِرُونَ عَنِ آرْتِكَابِ المَحَارِمِ وَالمَآثِمِ، وَيَمْتَنِعُونَ عَنْ مُقَارَفَتِها طَاعَةً للهِ، وَتَقرُّباً إِليهِ، وَطَمَعاً بِمَرْضَاتِهِ وَجَزِيلِ ثَوَابِه، وَيُؤَدُّونَ الصَّلاةَ حَقَّ أَدائِها، وَيُنفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ عَلى مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُمْ، مِنْ أَقْرِبَاءَ وَمُحْتَاجِينَ وَسَائِلِينَ. فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، لاَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذٰلِكَ حَالٌ مِنَ الأَحْوالِ، فَإِذا آذَاهُمْ أَحَدٌ قَابَلُوهُ بِالجَمِيلِ صَبْراً، وَآحْتِمَالاً وَحِلْماً وَعَفْواً، فَهٰؤلاءِ لَهُمْ حُسْنُ العَاقِبَةِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ.

يَدْرَؤُونَ - يَدْفَعُونَ وَيُجَازُونَ.

عُقْبَى الدَّارِ - عَاقِبَتُهَا المَحْمُودَةُ وَهِيَ الجَنَّاتُ.

٢٣ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ

(جَنَّاتُ) (آبَائِهِمْ) (وَأَزْوَاجِهِمْ) (وَذُرِّيَاتِهِمْ) (وَالْمَلاَئِكَةُ)

(٢٣) - وَتِلْكَ العَاقِبَةُ الحَسَنَةُ هِيَ دُخُولُ جَنَاتِ عَدْنٍ، وَالإِقَامَةُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً، لاَ يَخْرُجُـونَ مِنها. وَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِمْ مِنَ الآبَاءِ وَالأَزْوَاجِ وَالأَبْنَاءِ الصَّالِحِينَ لِدُخُولِ الجَنَّةِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ؛ وَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مُسَلِّمِينَ مُهَنِّئِينَ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، وَبِرِضْوَانِ اللهِ عَلَيْهِمْ.

٢٤ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ

(سَلاَمٌ)

(٢٤) - وَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةُ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، وَأَمْنٌ دَائِمٌ لَكُمْ، لَقَدْ صَبَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَآحْتَمَلْتُمُ المَشَاقَّ وَالآلامَ، فَفُزْتُم بِرِضْوَانِ اللهِ، فَنِعمَتْ عَاقِبَتُكُـمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ..

٢٥ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ

(مِيثَاقِهِ) (أُولَئِكَ)

(٢٥) - أَمَّا الذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ الذِي أَلْزَمَ بِهِ عِبَادَهُ، وَأَقَامَ الأَدِلَّةَ العَقْلِيَّةَ عَلَى صِحَّتِهِ (كَالتَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ وَالقَدَرِ) إِمَّا بِإِهْمَالِهِم النَّظَرَ فِيهِ، وَإِمَّا بِأَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ وَيَعْلَمُوا صِحَّتَهُ، وَلٰكِنَّهُمْ يُعَانِدُونَ فِيهِ، وَالذِينَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (مِنْ صِلَةِ الأَرْحَامِ، وَالتَّحَابِّ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ..)، وَالذِينَ يَخُونُونَ أَمَانَاتِهِمْ، وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ، وَيَرْتَكِبُونَ المُوبِقَاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ... فَأُولَئِكَ هُمُ المُشْرِكُونَ الذِينَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ، وَيُبْعِدُهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ، وَيُعِدُّ لَهُمْ سُوءَ العَاقِبَةِ وَالمَآلِ.

سُوءُ الدَّارِ - عَاقِبَتُهَا السَّيِّئَةُ وَهِيَ النَّارُ.

٢٦ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ

(بِالحَيَاةِ) (الحَيَاةُ) (الآخِرَةِ) (مَتَاعٌ)

(٢٦) - وَإِذَا كَانَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ يَسْتَعْلُونَ، بِأَمْوَالِهِمْ، عَلَى المُسْلِمِينَ الفُقَرَاءِ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ الذِي يَبْسُطُ الرِّزْقَ وَيُوسِعُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَتِّرُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ (وَيَقْدِرُ)، لِمَا لَهُ مِنَ الحِكْمَةِ فِي ذٰلِكَ، وَهٰؤُلاءِ الكُفَّارُ الذِينَ نَقَضُوا العَهْدَ وَالمِيثَاقَ يَفْرَحُونَ بِمَا بَسَطَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، وَبِمَا آتَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا آسْتِدْرَاجاً وَإِمْهَالاً، مَعَ أَنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا المُؤْمِنَ وَغَيْرَ المُؤْمِنِ، فَلا يَظُنَّنَّ أَهْلُ المَالِ أَنَّ كَثْرَةَ المَالِ فِي أَيْدِيهِمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِهٰؤُلاءِ مُصَغِّراً شَأْنَ الدُّنْيَا: إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ شَيْئاً يُذْكَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الآخِرَةِ، وَإِنْ هِيَ إِلاَّ مَتَاعٌ سَرِيعُ الزَّوَالِ.

(وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِجَدْيٍ صَغِيرِ الأُذُنَيْنِ مَيِّتٍ وَمُلْقَى فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ: (وَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هٰذَا عَلَى أَهْلِهِ حِينَ أَلْقَوْهُ) (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَتِهِ.

مَتَاعٌ - شَيْءٌ قَلِيلٌ ذَاهِبٌ زَائِلٌ.

٢٧ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ

(آيَةٌ)

(٢٧) - وَيَقُولُ المُشْرِكُونَ الذِينَ بَطِرُوا وَآغْتَرُّوا بِالدُّنيا: هَلاَّ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مُعْجِزَاتٌ مِنْ رَبِّهِ (آيَةٌ): (كَسُقُوطِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ كِسَفاً، أَوِ الرُّقِيِّ فِي السَّمَاءِ...) فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ هُوَ المُضِلُّ وَهُوَ الهَادِي، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوا، وَلٰكِنَّ هِدَايَتَهُمْ وَضَلالَهُمْ لَيْسَا مُتَعَلِّقَيْنِ بِإِجَابَةِ طَلَبِهِمْ بِإِنْزَالِ الآيَةِ أَوْ عَدَمِ إِجَابَتِهِ، وَإِنَّ الأَمْرَ مُتَعَلِّقٌ بِإِرَادَةِ اللهِ، وَهُوَ الذِي يَهْدِي مَنْ أَخْلَصَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَرَجَعَ عَنْ غَيِّهِ، وَآسْتَعَانَ بِرَبِّهِ.

(٢٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ

(٢٩) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ

(٣٠) كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ

(٣١) وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم

أَنَابَ - رَجَعَ بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ.

(آمَنُوا) (تَطْمَئِنُّ)

(٢٨) - وَهُؤُلاءِ الذِينَ يَهْدِيهِمُ اللهُ هُمُ المُؤْمِنُونَ، الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَتَطِيبُ قُلُوبُهُمْ، وَتَهْدَأُ إِلى جَانِبِ اللهِ، وَتَسْكُنُ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَتَرْضَى بِهِ مَوْلىً وَنَاصِراً. وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّ القُلُوبَ المُؤْمِنَةَ تَطْمَئِنُّ وَتَسْكُنُ وَتَهْدَأُ عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (مآبٍ)

(٢٩) - وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَرْحَةٌ، وَسَعَادَةٌ، وَقُرَّةُ عَيْنٍ (طُوبى)، وَلَهُمْ عِنْدَهُ حُسْنُ المَرْجِعِ وَالمَآبِ.

طُوبَى لَهُمْ - عَيْشٌ طَيِّبٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ.

(أَرْسَلْنَاكَ) (لِتَتْلُوَ)

(٣٠) - وَكَمَا أَرْسَلْنَاكَ، يَا مُحَمَّدُ، فِي هٰذِهِ الأُمَّةِ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمْ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَلِتُبَلِّغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ، كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَا رُسُلاً فِي الأُمَمِ المَاضِيَةِ الكَافِرَةِ بِاللهِ، وَقَدْ كُذِّبَ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ، فَلَكَ أُسْوَةٌ بِهِمْ. وَكَمَا أَنْزَلْنَا بَأْسَنَا وَنَقْمَتَنا بِأُولئِكَ فَلْيَحْذَرْ هٰؤُلاءِ مِنْ حُلُولِ النِّقَمِ بِهِمْ. وَقُلْ لِقَوْمِكَ الذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالرَّحْمٰنِ، وَلاَ يُقِرُّونَ بِهِ: إِنَّ الذِي تَكْفُرُونَ بِهِ هُوَ اللهُ رَبِّي، وَأَنا مُؤْمِنٌ بِهِ، مُعْتَرِفٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ. عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فِي جَمِيعِ أُمُورِي، وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ وَأَتُوبُ، فَإِنَّهُ لا يَسْتَحِقُّ ذٰلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ. (لَمَّا صَالَحَ الرَّسُولُ ﷺ قُرَيْشاً، يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ فِي كِتَابِ الصُّلْحِ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ أَمَّا الرَّحْمٰنُ فَلا نَعْرِفُهُ، وَكَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَكْتُبُونَ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ).

(قُرْآناً) (يَيْأَسِ) (آمَنُوا)

(٣١) - لَوْ ثَبَتَ أَنَّ كِتَاباً سُيِّرَتْ بِتِلاَوَتِهِ الجِبَالُ، وَزُعْزِعَتْ مِن أَمَاكِنِهَا، أَوْ شُقِّقَتْ بِهِ الأَرْضُ فَتَفَجَّرَتْ عُيُوناً وَأَنْهَاراً (كَمَا حَدَثَ لِلْحَجَرِ حِينَ ضَرَبَهُ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ)، أَوْ كُلِّمَ بِهِ أَحَدُ المَوْتَى، وَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ، فَأَحْيَاهُمْ بِقِرَاءَتِهِ، وَتَكَلَّمُوا مَعَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ (كَمَا حَدَثَ لِعِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ).. لَوْ ثَبَتَ هٰذا لِشَيءٍ مِنَ الكُتُبِ لَثَبَتَ لِهٰذا القُرْآنِ، الذِي لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَلا مِنْ خَلْفِهِ، لِمَا انْطَوى عَلَيْهِ مِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ وَبَدِيعِ صُنْعِهِ، وَلِمَا فِيهِ مِنَ الإِعْجَازِ وَالحِكَمِ. وَإِذَا كَانَ هٰؤُلاءِ لَمْ يَتَأَثَّرُوا بِهٰذا القُرْآنِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَوُضُوحِهِ وَحُجَجِهِ،

بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ

وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ تُؤَثِّرَ فِيهِمُ المُعْجِزَاتُ الأُخْرَى التِي ٱقْتَرَحُوهَا، وَلَنْ تَكُونَ سَبَباً لإِيمَانِهِمْ.
وَالأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللهِ تَعَالَى، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُها، فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذٰلِكَ، أَفَلَمْ يَيْأَسِ المُؤْمِنُونَ مِنْ إِيمَانِ جَمِيعِ خَلْقِ اللهِ؟
وَلَا تَزَالُ الكَوَارِثُ وَالقَوَارِعُ تَنْزِلُ بِالذِينَ كَفَرُوا فِي الدُّنيا، أَوْ تُصِيبُ مَنْ حَوْلَهُمْ لِيَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا، وَلٰكِنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَسَيَظَلُّونَ عَلَى ذٰلِكَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ القِيَامَةِ الذِي وَعَدَهُمُ اللهُ بِهِ، وَهُوَ آتٍ بِلا رَيْبٍ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ أَبداً.
أَفَلَمْ يَيْأَسْ - أَفَلَمْ يَعْلَمْ وَيَتَبَيَّنْ.
قَارِعَةٌ - دَاهِيَةٌ تَقْرَعُهُمْ بِصُنُوفِ البَلَايَا.

٣٢ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ

(٣٢) - يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ عَمَّا يُلاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: لَقَدْ سَخِرَتِ الأَقْوَامُ البَائِدَةُ بِالرُّسُلِ الذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، فَأَنْظَرَ اللهُ الذِينَ كَفَرُوا، وَأَمْهَلَهُمْ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ (فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ)، ثُمَّ أَخَذَهُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ عِقَابَهُ فَلَمْ يُفْلِتْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ عِقَابِهِ. فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ اللهِ؟
فَأَمْلَيْتُ لَهُمْ - أَمْهَلْتُ وَأَطَلْتُ فِي أَمْنٍ وَدَعَةٍ.

٣٣ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ

(قَائِمٌ) (بِظَاهِرٍ)
(٣٣) - بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ اللهُ تَعَالَى فِي الآيَاتِ السَّابِقَةِ عَدَداً مِنَ الحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ، التِي أَقَامَ الأَدِلَّةَ عَلَيْهَا، وَضَرَبَ لَهَا الأَمْثَالَ، وَمِنْهَا: وَحْدَانِيَّةُ اللهِ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ، وَتَفَرُّدُهُ تَعَالَى بِخَلْقِ كُلِّ شَيءٍ، وَسَيْطَرَتُهُ المُطْلَقَةُ عَلَى الكَوْنِ سَيْطَرَةً تَامَّةً، وَعِلْمُهُ التَّامُّ بِكُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ فِيهِ، وَعِلْمُهُ بِمَا تُسِرُّ المَخْلُوقَاتُ وَمَا تُعْلِنُ. بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ كُلَّ ذٰلِكَ سَأَلَ الذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى الكُفْرِ، وَعَلَى إِشْرَاكِهِمْ مَعَهُ غَيْرَهُ فِي العِبَادَةِ، وَٱدِّعَائِهِمْ أَنَّ لَهُ شُرَكَاءَ فَقَالَ لَهُمْ مُسْتَنْكِراً: هَلْ يَتَسَاوَى اللهُ القَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، وَالحَفِيظُ الرَّقِيبُ عَلَيْها، الذِي يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. مَعَ الأَصْنَامِ التِي يَعْبُدُونَها، وَهِيَ حِجَارَةٌ لَا تَسْمَعُ وَلا تُبْصِرُ وَلَا تَعْقِلُ، وَلا تَكْشِفُ ضُرّاً، وَلا تَجْلُبُ نَفْعاً لِمَنْ يَعْبُدُونَها (وَقَدْ حُذِفَ هٰذا الجَوابُ لِدَلَالَةِ المَعْنَى عَلَيْهِ)؟ فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاءِ الذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَ اللهِ أَصْنَاماً جَعَلُوهَا شُرَكَاءَ لَهُ: سَمُّوا لَنَا هٰذِهِ الآلِهَةَ فَإِنَّهُمْ نَكِرَاتٌ مَجْهُولَةٌ، لَا حَقِيقَةَ لَهُمْ، وَلا وُجُودَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ إِذْ لَوْ كَانَ لَهُمْ وُجُودٌ لَكَانَ ذٰلِكَ فِي عِلْمِ اللهِ. أَمْ إِنَّكُمْ

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (٣٤)

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٥)

ربع الحزب ٢٦

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ (٣٦)

تَعْلَمُونَ شَيْئاً لَا يَعْلَمُهُ اللهُ؟ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ هُنَاكَ آلِهَةً فِي الأَرْضِ وَغَابَ ذٰلِكَ عَنْ عِلْمِ اللهِ؟ أَمْ تَدَّعُونَ وُجُودَهَا بِكَلامٍ سَطْحِيٍّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَدْلُولٌ (أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ). وَقَضِيَّةُ الأُلُوهِيَّةِ لَيْسَتْ مِنَ التَّفَاهَةِ وَالهَزْلِ بِحَيْثُ يَتَنَاوَلُهَا النَّاسُ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ؟

لَقَدْ تَصَوَّرَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ أَنَّهُمْ عَلَى صَوابٍ، وَأَنَّ مَكْرَهُمْ وَتَدْبِيرَهُمْ ضِدَّ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ حَسَنٌ جَمِيلٌ، فَصَدَّهُمْ هٰذا التَّصَوُّرُ عَنِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ، وَمَنَعَهُمْ مِنَ الاهْتِداءِ إِلى الحَقِّ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ فَلا هَادِيَ لَهُ.

(الْحَيَاةِ) (الآخِرَةِ)

(٣٤) - وَلِلْمُشْرِكِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا بِالقَتْلِ وَالأَسْرِ وَالآفاتِ وَالقَوارِعِ، وَالعَذَابُ المُدَّخَرُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ أَشَقُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا بِكَثِيرٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ مَنْ يَحْمِيهِمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَلا مَنْ يَقِيهِمْ عَذابَهُ الأَلِيمَ، فَهُوَ تَعَالَى القَاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيءٍ.

وَاقٍ - حَافِظٌ وَعَاصِمٌ.

(الأَنْهَارُ) (دَائِمٌ) (الْكَافِرِينَ)

(٣٥) - صِفَةُ الجَنَّةِ التي وَعَدَ اللهُ بِهَا المُتَّقِينَ، وَنَعْتُهَا، أَنَّها تَجْرِي الأَنْهارُ فِي أَرْجَائِهَا وَجَوانِبِها، وَحَيْثُ شَاءَ أَهْلُها يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً، فِيهَا الفَوَاكِهُ وَالمَطَاعِمُ وَالمَشَارِبُ، لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَلَا فَنَاءَ (أُكُلُها دائِمٌ)، وَظِلُّها دائِمٌ لا يَنْكَمِشُ وَلا يَزُولُ. وَهٰذِهِ الجَنَّةُ التِي تَقَدَّمَتْ صِفَتُها، هِيَ جَزَاءُ المُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ (عُقْبَى الذِينَ اتَّقَوا)، أَمَّا الكَافِرُونَ فَعُقْبَاهُمْ وَمَصِيرُهُمْ النَّارُ. وَلَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ الجَنَّةِ وَأَصْحَابُ النَّارِ.

أُكُلُهَا دَائِمٌ - ثَمَرُهَا الذِي يُؤْكَلُ لَا يَنْقَطِعُ.

(آتَيْنَاهُمْ) (الْكِتَابَ) (أَدْعُو) (مَآبِ)

(٣٦) - وَالفَرِيقُ الصَّادِقُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فِي الاسْتِمْسَاكِ بِدِينِهِ، يَجِدُ فِي هٰذا القُرْآنِ مِصْدَاقَ القَواعِدِ الأَسَاسِيَّةِ فِي عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، كَمَا يَجِدُ فِيهِ الاعْتِرَافَ بِالدِّيَانَاتِ التِي سَبَقَتْهُ بِالإِكْبَارِ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُ يَفْرَحُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ مِنَ القُرْآنِ، وَيُؤْمِنُ بِهِ لِمَا فِي كُتُبِهِ مِنَ الشَّوَاهِدِ عَلَى تَصْدِيقِهِ، وَالتَّبْشِيرِ بِهِ. أَمَّا الفَرِيقُ، الذِي يَتَّخِذُ الدِّينَ تَحَزُّباً، فَإِنَّهُ يُنْكِرُ بَعْضَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ عَدَاوَةً وَعَصَبِيَّةً. فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّما بُعِثْتُ لأَعْبُدَ اللهَ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلأَدْعُوَ النَّاسَ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَإِلَيهِ تَعَالى مَرْجِعِي، وَمَصِيرِي، وَمَآبِي، وَبِذٰلِكَ أُرْسِلَ الأَنْبِياءُ مِنْ قَبْلِي.

إِلَيْهِ مَآبِ - إِلَى اللهِ وَحْدَهُ مَرْجِعِي لِلْجَزاءِ.

﴿٣٧﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ

(أَنْزَلْنَاهُ) (وَلَئِنْ)

(٣٧) ـ وَكَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِم الْكُتُبَ مِنَ السَّمَاءِ، كَذٰلِكَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، بِلِسَانِ قَوْمِكَ الْعَرَبِ، لِيَسْهُلَ عَلَيْهِمْ تَفَهُّمُ مَعَانِيهِ، وَحِفْظُهُ، فَاصِلاً لِلْأُمُورِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِّ، مُبَيِّناً لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ (حُكْماً)، لِيَعْرِفَ الْمُكَلَّفُونَ مَا هُوَ مَفْرُوضٌ عَلَيْهِمْ. وَإِذا اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هٰؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُتَحَزِّبِينَ وَآرَاءَهُمْ، بَعْدَ أَنْ جَاءَكَ الْعِلْمُ مِنْ رَبِّكَ وَالْهُدَى، فَلا وَاقِيَ لَكَ مِنَ اللهِ، وَلا نَاصِرَ يَنْصُرُكَ مِنْ دُونِه.

(وَهٰذا تَهْدِيدٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لِكَيْلا يَتَّبِعُوا سُبُلَ أَهْلِ الضَّلالَةِ، بَعْدَ مَا صَارُوا إِلَيهِ مِنِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ مِنْ ذٰلِكَ).

﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

(أَزْوَاجاً) (بِآيَةٍ)

(٣٨) ـ وَكَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَنْتَ مِنَ الْبَشَرِ، كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَا الْمُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلِكَ بَشَراً، يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُنْجِبُونَ الْأَوْلادَ. وَلَمْ يَكُنْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِمُعْجِزَةٍ إِلَّا إِذا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِذٰلِكَ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ لِلهِ، وَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. وَلِكُلِّ أَمْرٍ كَتَبَهُ اللهُ، وَقَدَّرَهُ، أَجَلٌ مُعَيَّنٌ، وَوَقْتٌ مَعْلُومٌ، فَلا تَنْزِلُ آيَةٌ قَبْلَ أَوَانِها، وَلا عَذَابٌ مِمَّا خُوِّفُوا بِهِ حَاصِلٌ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللهُ لَهُ، وَكَذٰلِكَ الْبَشَرُ يَتَعَاقَبُونَ فِي الْأَرْضِ وَفْقَ مَا قَضَاهُ اللهُ.

(وَيُرْوَى أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ رَدّاً عَلَى الْيَهُودِ حِينَما عَابُوا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ كَثْرَةَ مَنْ تَزَوَّجَهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالُوا لَوْ كَانَ نَبِيّاً حَقّاً كَمَا يَزْعُمُ لَشَغَلَهُ أَمْرُ النُّبُوَّةِ عَنِ النِّسَاءِ).
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ـ لِكُلِّ وَقْتٍ حُكْمٌ مُعَيَّنٌ بِالْحِكْمَةِ.

﴿٣٩﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ

(يَمْحُو) (أُمُّ الْكِتَابِ)

(٣٩) ـ يَنْسَخُ اللهُ تَعَالَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَقْدارِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا فِي أُمِّ الكِتَابِ المَحْفُوظِ.
وَقَدْ أُثِر عَنِ الفُقَهَاءِ المُسْلِمينَ أَقْوالٌ عِدَّةٌ فِي تَفْسِيرِ هٰذِهِ الآيَةِ مِنْهَا:
ـ يَمْحُو اللهُ مَنْ جَاءَ أَجَلُـهُ، وَيُثْبِتُ مَنْ بَقِيَ أَجَلُهُ.
ـ يَمْحُو اللهُ القَمَرَ وَيُثْبِتُ الشَّمْسَ.
ـ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ مِنَ الشَّرائِعِ بِالنَّسْخِ، وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ.
أُمُّ الكِتَابِ ـ اللَّوْحُ المَحْفُوظُ.

٤٠ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ

٤١ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

٤٢ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ

٤٣ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ

(وَإِمَّا) (الْبَلاغُ)

(٤٠) - وَإِنْ أَرَيْناكَ، يَا مُحَمَّدُ، بَعْضَ الذِي أَوْعَدْنَا بِهِ أَعْدَاءَكَ مِنَ الخِزْيِ وَالنَّكَالِ فِي الدُّنيا، أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ قَبْلَ ذلِكَ، فَإِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ لِتُبَلِّغَهُمْ رِسَالَةَ اللهِ، وَقَدْ فَعَلْتَ مَا أُمِرْتَ بِهِ، وَجَزاؤُهُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ، وَسَيَجْزِي اللهُ المُؤْمِنينَ بِالجَنَّةِ، وَيَجْزِي الكَافِرِينَ بالخِزْيِ، فِي الدُّنْيا، وَبِالعَذابِ الدَّائِمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الآخِرَةِ.

(٤١) - أَيَشُكُّ المُشْرِكُونَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِصِدْقِكَ فِيمَا أَنْذَرْتَهُمْ بِهِ؟ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّنا نَفْتَحُ لَكَ الأَرْضَ بَعْدَ الأَرْضِ، وَنُظْهِرُ الإِسلامَ عَلَى الشِّرْكِ، فَتَضِيقُ الدُّنْيا عَلَى المُشْرِكِينَ، وَيَتَحَقَّقُ مَا وَعَدَكَ اللهُ بِهِ مِنَ النَّصْرِ وَالغَلَبَةِ، وَاللهُ يَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَلا مُعَقِّبَ عَلَى أَحْكَامِهِ، وَلاَ مُبَدِّلَ لَهَا، وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ.

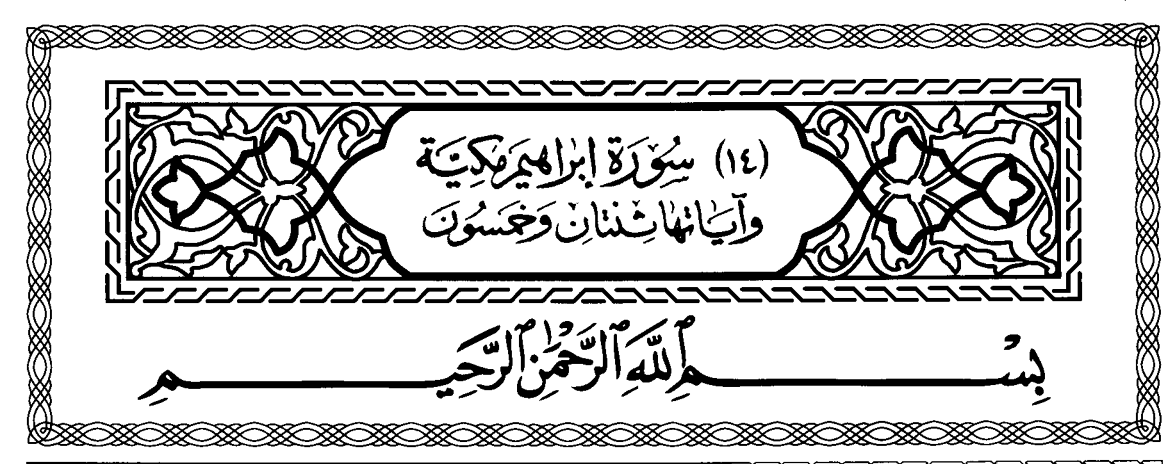
لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ - لاَ رَادَّ وَلاَ مُبْطِلَ لِحُكْمِهِ.

(الْكُفَّارُ)

(٤٢) - وَقَدْ مَكَرَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ بِرُسُلِهِمْ، وَأَرادُوا إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ، فَمَكَرَ اللهُ بِهِمْ وَأَبْطَلَ مَكْرَهُمْ، وَجَعَلَهُم الأَسْفَلِينَ، وَجَعَلَ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَاللهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِجَمِيعِ السَّرائِرِ وَالضَّمَائِرِ، وَسَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ؛ وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ، يَوْمَ القِيَامَةِ، لِمَنْ تَكُونُ العَاقِبَةُ: إِنَّهَا سَتَكُونُ لأَتْبَاعِ الرُّسُلِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

(الْكِتَابِ)

(٤٣) - يُكَذِّبُكَ الكُفَّارُ وَيَقُولُونَ: إِنَّكَ لَسْتَ مُرْسَلاً، يَا مُحَمَّدُ، مِنْ عِنْدِ اللهِ. فَقُلْ لَهُمْ: كَفَى بِاللهِ شَاهِداً عَلَى رِسَالَتِي، وَحَسْبِيَ اللهُ شَاهِداً عَلَى مَا بَلَّغْتُ مِنَ الرِّسَالَةِ، وَعَلَى مَا كَذَبْتُمْ وَافْتَرَيْتُمْ مِنَ البُهْتَانِ، وَكَذلِكَ يَكْفِينِي شَاهِداً عَلَى صِدْقِي، وَصِدْقِ رِسَالَتِي، مَنْ عِنْدَهِ عِلْمٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ بِنُبُوَّتِي وَرِسَالَتِي.



(١) الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ

(٢) ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ

(٣) ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ

(كِتَابٌ) (أَنْزَلْنَاهُ) (الظُّلُماتِ) (صِراطِ)

(١) - أَلِفْ. لاَمْ. رَا. اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.
هٰذا القُرْآنُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يا مُحَمَّدُ لِتُخْرِجَ بِهِ النَّاسَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ ظُلُماتِ الكُفْرِ وَالضَّلالِ، إِلَى نُورِ الهُدَى وَالرَّشَادِ وَالإِيمَانِ، بِإِذْنِ رَبِّهِمْ وَتَوْفِيقِهِ، فَمَنْ قَدَّرَ اللهُ لَهُ الهِدَايَةَ أَرْسَلَ نُوراً يَهْدِي قَلْبَهُ فَيَهْتَدِي إِلى طَرِيقِ اللهِ العَزِيزِ الذي لا يُمانَعُ وَلا يُغالَبُ، المَحْمُودِ في جميعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوالِهِ وَشَرْعِهِ، الصَّادِقِ فِي خَبَرِهِ.
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ - بِتَيْسِيرِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَهُمْ، أَوْ بِأَمْرِهِ.
العَزِيزِ - الغَالِبِ الذِي لاَ مِثْلَ لَهُ.
الحَمِيدِ - المَحْمُودِ المُثْنَى عَلَيهِ.

(السَّماوَاتِ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٢) - وَرَبُّهم هُوَ اللهُ الذِي يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، وَيَتَصَرَّفُ بِهِ كَيفَ يَشاءُ، وَالوَيْلُ وَالهَلاَكُ لِلْكَافِرِينَ، يَوْمَ القِيامَةِ، مِنَ العَذابِ الشَّدِيدِ الذِي يَنْتَظِرُهُمْ، إِذا خَالَفُوكَ يَا مُحَمَّدُ وَكَذَّبُوكَ.
وَيْلٌ - هَلاَكٌ أَوْ حَسْرَةٌ.

(الْحَيَاةَ) (الآخِرَةِ) (ضَلاَلٍ) (أُولَئِكَ)

(٣) - وَهٰؤُلاءِ الكَافِرُونَ الذِينَ يُهَدِّدُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالوَيْلِ، يَوْمَ القِيامَةِ، هُمُ الذِينَ يُفَضِّلُونَ الحَيَاةَ الدُّنيا، وَيُؤْثِرُونَهَا عَلَى الآخِرَةِ، وَيَعْمَلُونَ لِلدُّنيا، وَيَنْسَوْنَ الآخِرَةَ، وَيَتْرُكُونَهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ ﴿يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾، وَيُحِبُّونَ أَنْ تَكُونَ **سَبِيلُ اللهِ** مُعْوَجَّةً، غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ، لِكَيْ يَنْفِرَ النَّاسُ مِنْها. وَبِمَا أَنَّ **سَبِيلَ اللهِ**

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ

مُسْتَقِيمَةٌ فِي ذَاتِهَا فَلاَ يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا، وَلاَ مَنْ صَدَّ عَنْها، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ فِي آخْتِيَارِهِمْ حُبَّ الدُّنيا العَاجِلَةِ، وَفِي صَدِّهِم النَّاسَ عن آتِّبَاعِ دِينِ الإِسْلامِ، وَفِي آبْتِغَائِهِمْ أَنْ تَكُونَ سَبِيلُ اللهِ مُعْوَجَّةً.. إِنَّمَا هُمْ فِي جَهْلٍ وَضَلالٍ، وَبُعْدٍ عَنِ الحَقِّ، وَلا يُرْجَى لَهُمْ صَلاحٌ.

يَسْتَحِبُّونَ - يَخْتَارُونَ وَيُؤْثِرُونَ.

يَبْغُونَهَا عِوَجاً - يَطْلُبُونَهَا مُعْوَجَّةً أَوْ ذَاتَ آعْوِجَاجٍ.

(٤) - مِنْ لُطْفِ اللهِ بِخَلْقِهِ أَنَّهُ لا يُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلى النَّاسِ إِلاّ بِلِسَانِهِمْ، لِيَفْهَمُوا مِنْهُمْ مَا يُرِيدُونَ قَوْلَهُ لَهُمْ، وَلِيُوضِحُوا لَهُمْ مَا أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ بِهِ، لِتَقُومَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ، وَيَنْقَطِعَ العُذْرُ. وَبَعْدَ أَنْ يَقُومَ الرُّسُلُ بِمَهَمَّةِ الدَّعْوَةِ وَالإِيضَاحِ وَالبَلاغِ، وَإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَى النَّاسِ، يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ عَنْ وَجْهِ الحَقِّ وَالهُدَى، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ، وَاللهُ هُوَ العَزِيزُ الذِي لاَ يُقْهَرُ، مَا شَاءَ كَانَ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَأَفْعَالِهِ.

(بِآيَاتِنَا) (الظُّلُمَاتِ) (بِأَيَّامِ) (لآيَاتٍ)

(٥) - وَكَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ، لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَا مُوسَى إِلى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَيَّدْنَاهُ بِآيَاتِنَا (وَهِيَ تِسْعُ آيَاتٍ) وَأَمَرْنَاهُ قَائِلِينَ: آدْعُ قَوْمَكَ إِلَى الإِيمَانِ، لِيَخْرُجُوا مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ الذِي كَانُوا فِيهِ إِلَى نُورِ الهُدَى، وَبَصِيرَةِ الإِيمَانِ، وَعِظْهُمْ مُذَكِّراً إِيَّاهُمْ بِأَفْضَالِ اللهِ عَلَيْهِمْ (ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ)، فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَقَهْرِهِ وَبَطْشِهِ، وَفِي إِنْجَائِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَفَلْقِهِ البَحْرَ لَهُمْ، وَتَظْلِيلِهِ الغَمَامَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءِ سِينَاءَ، وَإِنْزَالِهِ عَلَيْهِم المَنَّ وَالسَّلْوَى.. وَفِي جَمِيعِ مَا صَنَعْنَاهُ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَعِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِكُلِّ صَبَّارٍ عَلَى الضَّرَّاءِ، شَكُورٍ فِي السَّرَّاءِ.

بِأَيَّامِ اللهِ - بِنَعْمَائِهِ أَوْ وَقَائِعِهِ فِي الأُمَمِ الخَالِيَةِ.

(أَنْجَاكُمْ) (آلِ)

(٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، امتَثَلَ لأَمْرِ رَبِّهِ، فَأَخَذَ بِدَعْوَةِ قَوْمِهِ، وَوَعْظِهِمْ، وَتَذْكِيرِهِمْ بِمِنَنِ اللهِ وَأَنْعُمِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ آذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْقَذَكُمْ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، الذِينَ كَانُوا يَسُومُونَكُمُ العَذَابَ الشَّدِيدَ المُهِينَ (سُوءَ العَذَابِ)، إِذْ كَانُوا يَذْبَحُونَ الذُّكُورَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ، وَيَسْتَبْقُونَ الإِنَاثَ زِيَادَةً فِي الإِذْلاَلِ وَالتَّنْكِيلِ، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ مِنْ ذٰلِكَ البَلاءِ، وَهٰذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ رَبِّكُم

وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

عَلَيْكُم أَنْتُم عاجِزُونَ عَنِ القِيامِ بِشُكْرِهِ عَلَيْها. وَفي كُلِّ ما ذُكِرَ مِنَ التَّعْذِيبِ، والإِنْجاءِ... آخْتِبارٌ مِنَ اللهِ عَظِيمٌ، لِيُظْهِرَ مِقْدارَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ عَلَيهِ.

يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ - يَسْتَبْقُونَ البَناتِ أَحْياءً لِلْخِدْمَةِ.

يَسُومُونَكُمْ - يُذِيقُونَكُمْ وَيُكَلِّفُونَكُمْ.

بَلاَءٌ - آبْتِلاءٌ بِالنِّعَمِ وَالنِّقَمِ.

٧ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ

(لَئِنْ)

(٧) - وَآذْكُرُوا يا بَنِي إِسْرائِيلَ حِينَ آذَنَكُمْ رَبُّكُمْ، وَأَعْلَمَكُمْ بِوَعْدِهِ، فَقالَ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ مِنْها، وَلَئِنْ كَفَرْتُمُ النِّعَمَ وَسَتَرْتُمُوها وَجَحَدْتُمُوها، لأُعاقِبَنَّكُمْ عِقابا شَدِيداً عَلَى كُفْرِها، وَلأَسْلُبَنَّكُمْ إِيَّاها.

(وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المَعْنَى لِعِبارَةِ: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ» هُوَ: وَإِذْ أَقْسَمَ رَبُّكُمْ بِعِزَّتِهِ وَجَلالِهِ وَكِبْرِيائِهِ).

تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ - أَعْلَمَ إِعْلاماً لا شُبْهَةَ فِيهِ.

٨ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ

(٨) - وَقالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ حِينَما عانَدُوا وَجَحَدُوا: إِنْ كَفَرْتُمْ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ، أَنْتُمْ وَجَمِيعُ مَنْ فِي الأَرْضِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ لَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً، وَإِنَّهُ تَعالَى غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِ عِبادِهِ لَهُ، وَهُوَ الحَمِيدُ المَحْمُودُ، وَإِنْ كَفَرَهُ مَنْ كَفَرَهُ، وَإِنَّكُمْ لا تَضُرُّونَ، بِالكُفْرِ وَالجُحُودِ، إِلاَّ أَنْفُسَكُمْ لأَنَّكُمْ تَحْرِمُونَها بِذٰلِكَ مِنْ مَزِيدٍ مِنَ الإِنْعامِ، وَتُعَرِّضُونَها لِعَذابِ اللهِ.

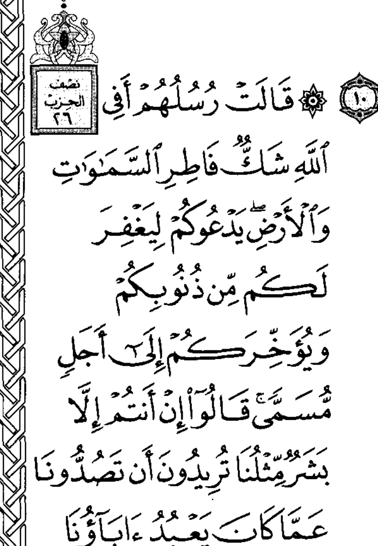
٩ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ

(نَبَأُ) (البَيِّناتِ) (أَفْواهِهِمْ)

(٩) - قَصَّ اللهُ تَعالَى خَبَرَ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ، وَالأُمَمِ الأُخْرَى المُكَذِّبَةِ، الذِينَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالحُجَجِ، وَالبَراهِينِ القاطِعَةِ عَلَى وَحْدانِيَّةِ اللهِ، وَعَلَى تَصَرُّفِهِ المُطْلَقِ بِالكَوْنِ، وَعَلَى صِدْقِ ما جاءَهُمْ بِهِ الأَنْبِياءُ فَقالَ: إِنَّهُمْ كَذَّبُوا أَنْبِياءَهُمْ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ بِأَفْواهِهِمْ، وَقالُوا لَهُمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِما جاءَ بِهِ الرُّسُلُ، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مُثِيرٍ لِلرَّيْبِ مِمَّا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ.

(وَقالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ مَعْنَى ﴿رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا كَلامَ اللهِ عَجِبُوا، وَرَجَعُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَفْواهِهِمْ كَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُسْمِعَ صَوْتَهُ مَنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ، أَيْ إِنَّ هٰذا تَعْبِيرٌ عَنْ أَنَّهُمْ رَفَعُوا أَصْواتَهُمْ مُعْلِنِينَ كُفْرَهُمْ بِما جاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ).

وَقِيلَ إِنَّ هٰذا التَّعْبِيرَ مَثَلٌ يُرادُ بِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلَمْ يَرُدُّوا جَواباً.



نصف الحزب ٢٦

(١٠) ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي
اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ

(١١) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
(١٢) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ
وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ

وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ مَعْنَاهُ أَنهُمْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِم آسْتِغْرَاباً وَآسْتِنْكَاراً).

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ المَعْنَى هُوَ أَنَّهُمْ عَضُوا عَلَى أَنَامِلِهِمْ تَغَيُّظاً مِنَ الرُّسُلِ وَكَلَامِهِمْ).

مُرِيبٍ - مُوقِعٍ فِي الرِّيبَةِ وَالقَلَقِ.

(السَّمَاوَاتِ) (آبَاؤُنَا) (بِسُلْطَانٍ)

(١٠) - فَقَالَ الرُّسُلُ لِهٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِمْ شَكَّهُمْ فِي وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ: أَفِي وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ شَكٌّ؟ فَإِنَّ الفِطْرَةَ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِهِ، وَمَجْبُولَةٌ عَلَى الإِقْرارِ بِهِ، لِذٰلِكَ كَانَ الاعْتِرَافُ بِهِ ضَرُورِيّاً فِي الفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَلٰكِنْ قَدْ يَعْرِضُ لِبَعْضِهَا شَكٌّ وَآضْطِرَابٌ فَتَحْتَاجُ إِلى الدَّلِيلِ المُوصِلِ إِلى وُجُودِ اللهِ، وَلِذٰلِكَ لَفَتَ الرُّسُلُ نَظَرَهُمْ إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّهُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمُبْدِعُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَهُوَ تَعَالَى يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَيُؤَخِّرَكُمْ فِي الدُّنْيا إِلى أَجَلٍ مُعَيَّنٍ (مُسَمّى). فَقَالَتِ الأُمَمُ لِلرُّسُلِ: كَيْفَ نَتَّبِعُكُمْ بِمُجَرَّدِ قَوْلِكُمْ أَنَّكُمْ رُسُلُ اللهِ، فَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا، وَلَمْ نَرَ مِنْكُمْ مُعْجِزَةً تَدُلُّ عَلَى رِسَالَتِكُمْ، فَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ فَأْتُونَا بِبُرْهَانٍ وَدَلِيلٍ وَاضِحٍ عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُونَ.

فَاطِرِ - مُبْدِعِ وَمُخْتَرِعِ.

بِسُلْطَانٍ - حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَى صِدْقِكُمْ.

(بِسُلْطَانٍ)

(١١) - فَقَالَتْ لَهُمْ الرُّسُلُ: صَحِيحٌ أَنَّنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ بِفَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيُؤْتِيهِ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ، وَلا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِمَا سَأَلْتُمُوهُ مِنَ المُعْجِزاتِ وَالخَوَارِقِ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَأَمْرِهِ، فَهُوَ الذِي يَأْتِي بِالمُعْجِزَاتِ، وَيَأْذَنُ بِها، وَالمُؤْمِنُونَ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، فَلْنَتَوكَّلْ عَلَيهِ بِالصَّبْرِ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّانَا.

(هَدَانَا) (آذَيْتُمُونَا)

(١٢) - وَبَعْدَ أَنْ أَجَابَهُم الأَنْبِيَاءُ عَلَى شُبُهَاتِهِمْ، أَخَذَ المُشْرِكُونَ يُخَوِّفُونَهُمْ، وَيَتَوَعَّدُونَهُمْ بِالانْتِقَامِ وَالإِيذَاءِ، فَقَالَ لَهُم الأَنْبِيَاءُ إِنَّنَا لا نَخَافُ تَهْدِيدَكُمْ، بَلْ نَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ، وَنَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ لَا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ، وَقَدْ هَـدَانَا لِأَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِها وَأَبْيَنِهَا؟ وَسَنَصْبِرُ عَلَى مَا

أَلْحقْتُمُوهُ بِنَا مِنَ الأَذى بِأَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَمَنْ تَوكَلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ مَا أَهَمَّهُ وَأَغَمَّهُ.

(١٣) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ

(الظَّالِمِينَ)

(١٣) - وَلَمَّا عَجز رُؤُوسُ الكُفْرِ وَالضَّلاَلَةِ عَنْ مُقَارَعَةِ الحُجَّةِ بِالحُجَّةِ، عَمَدُوا إلى تَهْدِيدِ الرُّسُلِ بالنَّفْيِ وَالإِخْراجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، إنْ لَمْ يَعُودُوا فِي مِلَّتِهِمْ، فَأَوْحَى اللهُ إلَى الرُّسُلِ: أَنَّهُ تَعَالَى سَيُهْلِكُ هٰؤُلاءِ المُكذِّبينَ الظَّالِمِينَ.

(١٤) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ

(١٤) - وَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إلَى الرُّسُلِ: أَنَّهُ سَيُسْكِنُهُمْ أَرْضَ الكَافِرِينَ وَدِيَارَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهٰذا جَزاءٌ عَادِلٌ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، يَوْمَ القِيَامَةِ، وَخَافَ مَا خَوَّفَهُ بِهِ رَبُّهُ، وَمَا تَوعَّدَهُ بِهِ مِنَ العَذابِ وَالنَّكَالِ.

خَافَ مَقَامِي - خَافَ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ لِلْحِسَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(١٥) وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

(١٥) - وَٱسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ بِرَبِّهِمْ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، لَمَّا يَئِسُوا مِنْ إِيمَانِهِمْ، وَطَلَبُوا مِنَ اللهِ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَى الكَافِرِينَ فَنصَرَهُمُ اللهُ، فَرَبِحُوا، وَخسِرَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، شَدِيدِ العِنَادِ لِلْحَقِّ.

(وَقِيلَ بَلْ مَعْنَاهُ هُوَ: أَنَّ الأُمَمَ ٱسْتَفْتَحَتْ عَلَى نَفْسِهَا، كَمَا قَالَ كُفَّارُ قُرَيشٍ: ﴿**اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هٰذا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[1].

ٱسْتَفْتَحُوا - ٱسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ بِاللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.

خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ - خَسِرَ وَهَلَكَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ مُتَعَاظِمٍ.

عَنِيدٍ - مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ.

(١٦) مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ

(وَرَائِهِ)

(١٦) - فَقَدْ حَلَّتِ الهَزِيمَةُ بِهٰذا الجَبَّارِ العَنِيدِ فِي الدُّنْيا، وَأَمَامَهُ فِي الآخِرَةِ جَهَنَّمُ تَنْتَظِرُهُ، فَهِيَ لَهُ بِالمِرْصَادِ، وَسَيَكُونُ خَالِداً فِيها، وَيُسْقَى فِي النَّارِ مِنَ الصَّدِيدِ الذِي يَسِيلُ مِنْ لَحْمِهِ وَجِلْدِهِ المُحْتَرِقَيْنِ.

(وَوَرَاءُ، هُنا، مَعْنَاهَا أَمَامُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**﴾[2]، أَيْ كَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ).

الصَّدِيدُ - مَا يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ المُحْتَرِقَةِ.

(١٧) يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ

(وَرَائِهِ)

(١٧) - يَشْرَبُهُ قَسْراً وَقَهْراً، جَرْعَةً بَعْدَ جَرْعَةٍ، وَلاَ يَكَادُ يَبْتَلِعُهُ لِسُوءِ

(١) الآية ٣٢ من سورة الأنفال.

(٢) سورة الكهف، الآية ٧٩.

طَعْمِهِ، وَنَتْنِ رَائِحَتِهِ، وَحَرارَتِهِ، فَإِذا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعاءَهُ، وَيَأْتِيهِ العَذَابُ بِأَنْوَاعِهِ، لَيْسَ مِنْهَا نَوْعٌ إِلا يَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لاَ يَمُوتُ لِيَخْلُدَ فِي النَّارِ وَالعَذَابِ، وَلَهُ بَعْدَ هٰذِهِ الحَالَةِ عَذَابٌ آخَرُ شَدِيدٌ غَلِيظٌ أَدْهَى مِنَ الذِي قَبْلَهُ وَأَمَرُّ.

يَتجرَّعُهُ - يَتَكَلَّفُ بَلْعَهُ لِشِدَّةِ حَرارَتِهِ، وَمَرارَةِ طَعْمِهِ.

لاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ - لاَ يَكَادُ يَبْتَلِعُهُ لِشِدَّةِ كَرَاهَتِهِ وَنَتْنِهِ.

(١٨) مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ

(أَعْمالُهُمْ) (الضَّلاَلُ)

(١٨) - هٰذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لأَعْمَالِ الخَيْرِ التِي يَعْمَلُهَا الكُفَّارُ، الذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَبَنَوْا أَعْمَالَهُمْ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ صَحِيحٍ مِنَ الإِيمَانِ وَالتَّقْوى، فَانْهارَتْ. فَقَالَ تَعالَى: مَثَلُ أَعْمالِ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ مَثَلُ الرَّمَادِ الذِي لَعِبَتْ بِهِ الرِّيحُ العَاصِفَةُ الشَّدِيدَةُ فَتَبَعْثَرَ، وَأَصْبَحَ مِنَ المُسْتَحِيلِ جَمْعُهُ. كَذٰلِكَ أَعْمالُ الكَافِرِينَ، فَإِنَّها تَتَبَدَّدُ وَتَذْهَبُ هَباءً، وَلاَ يَقْدِرُونَ فِي الآخِرَةِ أَنْ يُقَدِّمُوا شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِهِمِ التِي كَسَبُوهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا، يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَهُمْ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهَا فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ. وَذٰلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ البَعِيدُ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى وَالصَّوابِ.

يَوْمٍ عَاصِفٍ - شَدِيدِ هُبُوبِ الرِّيحِ.

(١٩) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ

(السَّمَاوَاتِ)

(١٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِ الأَبْدَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ تَعالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحِكْمَةِ عَلَى أَكْمَلِ صُورَةٍ، وَأَحْسَنِ خَلْقٍ، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ، أَفَلَيْسَ الذِي قَدَرَ عَلَى خَلْقِ كُلِّ مَا فِي هٰذا الكَوْنِ العَظِيمِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، قَادِراً عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِ البَشَرِ مِنْ جَدِيدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُهْلِكَ النَّاسَ إِنْ شَاءَ، وَعَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ غَيْرِهِمْ.

(٢٠) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ

(٢٠) - وَلَيْسَ ذٰلِكَ الإِذْهَابُ وَالإِتْيانُ صَعْباً عَلَى اللهِ، وَلا مُمْتَنِعاً عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى.

(٢١) وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

(الضُّعَفاءُ) (هَدَانَا) (لَهَدَيْنَاكُمْ)

(٢١) - وَيَوْمَ القِيامَةِ تَبْرُزُ الخَلاَئِقُ كُلُّها لِلْوَاحِدِ القَهَّارِ، وَتَجْتَمِعُ فِي بَرَازٍ وَاحِدٍ (وَهُوَ المَكَانُ الوَاسِعُ الخَالِي الـذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَسْتُرُهُ)، فَيَقُولُ الأَتْبَاعُ (الضُّعَفَاءُ) لِلقَادَةِ الذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ: لَقَدْ كُنَّا تَابِعِينَ لَكُمْ نَأْتَمِرُ بِأَمْرِكُمْ، وَقَدْ فَعَلْنَا مَا أَمَرْتُمونا بِهِ، فَهَلْ

لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ

تدْفعُون عَنَّا اليَوْمَ شَيْئاً مِن العَذابِ ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾؟ فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ القَادَةُ الكُبَرَاءُ قَائِلِينَ: لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانَا لَهَدَيْنَاكُمْ مَعَنَا، وَلٰكِنَّنا ضَلَلْنَا فَضَلَلْتُمْ مَعَنَا، فَحقَّتْ كَلِمَةُ العَذابِ عَلَى الكَافِرِينَ، وَلا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ لِأَنَّ الجَزَعَ لَا يُفِيدُ، وَسَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا فَلا نَجَاةَ لَنَا مِنَ النَّارِ، وَلَا مَصْرِفَ لَنَا عَنْهَا.

بَرَزُوا - خَرَجُوا مِنَ القُبُورِ لِلْحِسَابِ.

مُغْنُونَ عَنَّا - دَافِعُونَ عَنَّا.

مَحِيصٍ - مَنْجىً وَمَهْرَبٍ.

٢٢ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ

(الشَّيْطَانُ) (سُلْطَانٍ) (الظَّالِمِينَ)

(٢٢) - وَبَعْدَ أَنْ يُتِمَّ اللهُ تَعَالَى قَضَاءَهُ بَيْنَ العِبَادِ، وَيُدْخِلَ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَيُدْخِلَ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، يَقُومُ إبْلِيسُ خَطِيباً فِي أَهْلِ النَّارِ، لِيَزِيدَهُمْ حُزْناً إلى حُزْنِهِمْ، وَحَسْرَةً إلى حَسْرَتِهِمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ عَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ، وَوَعَدَكُمْ بِالنَّجَاةِ وَالسَّلامَةِ إنْ آمَنْتُمْ بِهِ، وَصَدَّقْتُمْ رُسُلَهُ، وَكَانَ وَعْدُهُ حَقّاً. أَمَّا أَنَا فَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي دَلِيلٌ وَلَا حُجَّةٌ فِيمَا وَعَدْتُكُمْ بِهِ، وَدَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَقَدِ اسْتَجَبْتُمْ لِي بِمُجَرَّدِ أَنْ دَعَوْتُكُمْ وَوَسْوَسْتُ لَكُمْ، وَقَدْ أَقَامَتِ الرُّسُلُ عَلَيْكُمُ الحُجَجَ وَالأَدِلَّةَ الصَّحِيحَةَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاؤُوكُمْ بِهِ، فَخَالَفْتُمُوهُمْ وَاتَّبَعْتُمُونِي فَصِرْتُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ، فَلَا تَلُومُونِي اليَوْمَ، وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ لِأَنَّ الذَّنْبَ ذَنْبُكُمْ، فَمَا أَنَا اليَوْمَ بِمغِيثِكُمْ (مُصْرِخِكُمْ)، وَلَا مُنْقِذِكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَمَا أَنْتُمْ بِنَافِعِيَّ وَلَا مُنْقِذِيَّ وَلَا مُغِيثِيَّ (مُصْرِخِيَّ) مِمَّا أَنَا فِيهِ، مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَإِنِّي جَحَدْتُ (كَفَرْتُ) أَنْ أَكُونَ شَرِيكاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا أَشْرَكْتُمُونِي فِيهِ فِي الدُّنيا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ إِبْلِيسُ: إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الحَقِّ، وَاتِّبَاعِهِم البَاطِلَ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَقَدْ قَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ مَا سَيَكُونُ عَلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَالُ إِبلِيسَ مَعَ الذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي الدُّنيا لِيَكُونَ ذٰلِكَ تَنْبِيهاً لَهُمْ، وَحَضّاً لَهُمْ عَلَى التَّبَصُّرِ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ.

سُلْطَانٍ - تَسَلُّطٍ أَوْ حُجَّةٍ.

بِمُصْرِخِكُمْ - بِمُنْقِذِكُمْ مِنَ العَذَابِ.

بِمُصْرِخِيَّ - بِمُنْقِذِيَّ مِنَ العَذَابِ.

٢٣ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ) (سَلامٌ)

(٢٣) - أَمَّا المُؤْمِنُونَ الذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا فِي

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ

الدُّنْيا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ، وَأَخْلَصُوا العِبادَةَ للهِ، فَإِنَّ اللهَ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي المِياهُ فِي جَنَباتِها، لِيَكُونُوا فِيها خالِدِينَ أَبَداً، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ إِلى الإِيمانِ، وَفِعْلِ الخَيْراتِ وَتُحَيِّيهِمُ المَلائِكَةُ فِيهَا قائِلِينَ لَهُمْ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ.

٢٤ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ

(٢٤) - بَيَّنَ اللهُ تَعالَى فِي الآياتِ السَّابِقاتِ حالَ الأَشْقِياءِ، وَما يُلاقُونَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الأَهْوالِ الشَّدِيدَةِ فِي نارِ جَهَنَّمَ، كَما بَيَّنَ حالَ السُّعَداءِ الأَبْرارِ وَما يَنالُونَهُ مِنْ فَوْزٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلاً يُبَيِّنُ حالَ الفَرِيقَيْنِ، وَيُوضِحُ الفَرْقَ بَيْنَهُما، لِتَقْرِيبِ الصُّورَةِ إِلَى العُقُولِ وَالأَفْهامِ فَقالَ تَعالَى: أَلَمْ تَعْلَمْ يا أَيُّها الإِنْسانُ عِلْمَ اليَقِينِ، كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً وَوَضَعَهُ المَوْضِعَ اللائِقَ بِهِ، فَشَبَّهَ الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ (وَهِيَ الإِيمانُ الثَّابِتُ فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ الذِي يُرْفَعُ بِهِ عَمَلُهُ إِلى السَّماءِ، وَتَنالُهُ بَرَكَتُهُ وَثَوابُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ)، بِالشَّجَرَةِ المُثْمِرَةِ الجَمِيلَةِ المَنْظَرِ التِي أَصْلُها راسِخٌ فِي الأَرْضِ وَفُرُوعُها مُتَصاعِدَةٌ إِلى السَّماءِ.

(وَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الطَّيِّبَةَ هِيَ النَّخْلَةُ).

كَلِمَةً طَيِّبَةً - هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَالإِسْلامِ.

٢٥ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(٢٥) - وَهٰذِهِ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ تَكُونُ عَلَيْها ثِمارُها فِي كُلِّ حِينٍ، وَفِي كُلِّ آنٍ بِإِذْنِ رَبِّها اللهِ، كَذَلِكَ المُؤْمِنُ لَا يَزالُ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ صالِحٌ آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ، وَاللهُ يَضْرِبُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ لِيُقَرِّبَ الأُمُورَ إِلى أَفْهامِهِمْ، وَيَزِيدَ فِي إِيضاحِها لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّعِظُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ.

تُؤْتِي أُكُلَها - تُعْطِي ثَمَرَها الذِي يُؤْكَلُ.

٢٦ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ

(٢٦) - وَضَرَبَ اللهُ تَعالَى مَثَلاً لِكَلِمَةِ الكُفْرِ وَما ماثَلَها (كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ)، شَجَرَةً خَبِيثَةً كَالحَنْظَلِ وَنَحْوِهِ، لَيْسَ لَها جُذُورٌ ثابِتَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفُرُوعُها لَا تَتَجاوَزُ سَطْحَ الأَرْضِ، وَقَدِ اقْتُلِعَتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ لأَنَّ عُرُوقَها قَرِيبَةٌ مِنْ سَطْحِ الأَرْضِ، وَأُلْقِيَتْ.

كَما أَنَّ هٰذِهِ الشَّجَرَةَ الخَبِيثَةَ لَا ثَباتَ لَها وَلا دَوامَ، وَثَمَرُها مُرُّ المَذاقِ، كَذَلِكَ الكُفْرُ لَا يَدُومُ وَلا يَثْبُتُ، وَعاقِبَتُهُ وَخِيمَةٌ.

كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ - كَلِمَةِ الكُفْرِ وَالضَّلالِ.

٢٧ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ

(آمَنُوا) (الْحَياةِ) (الآخِرَةِ) (الظَّالِمِينَ)

(٢٧) - بَعْدَ أَنْ وَصَفَ اللهُ تَعالَى الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ فِيما تَقَدَّمَ، أَخْبَرَ عَنْ فَوْزِ أَصْحابِها بِبُغْيَتِهِمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، فَهُوَ تَعالَى قَدْ ثَبَّتَهُمْ بِالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ

ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ

التي ذكرها الله مُدَّةَ حياتِهِم - إذا أرادَ أحدٌ فِتْنَتَهُمْ وصَرْفَهُمْ عَنِ الإيمانِ - كَما يُثَبِّتُهُمْ بَعْدَ المَوْتِ في القَبْرِ.
أمَّا الكُفَّارُ الظَّالِمونَ، الذين ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ بِتَبْديلِ فِطْرَةِ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيها، وعَدَمِ اهْتِدائِهِمْ إلى القَوْلِ الثَّابِتِ، فَإنَّ اللهَ تَعالَى يُضِلُّهُمْ عَنِ الحقِّ. واللهُ تَعالَى بِيَدِهِ الهِدايَةُ والضَّلالُ.
(وَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إذا سُئِلَ المُؤْمِنُ في القَبْرِ شَهِدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، فَذلِكَ مَعْنى قَوْلِهِ تَعالَى ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ**﴾. أمَّا الكافِرُ فإذا أُدْخِلَ في قَبْرِهِ أُقْعِدَ فَقِيلَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ وأنْساهُ اللهُ ذِكْرَ ذلِكَ، وإذا قِيلَ لَهُ مَنِ الرَّسُولُ الذي بُعِثَ إلَيْكُمْ، لَمْ يَهْتَدِ لَهُ، ولَمْ يَرْجِعْ إلَيْهِمْ بِشَيْءٍ. فَذلِكَ مَعْنى قَوْلِهِ تَعالَى: وَيُضِلُّ الظَّالِمِينَ). (رَواهُ البُخارِيُّ).
فِي الحَياةِ الدُّنْيا - وفِي القَبْرِ عِنْدَ السُّؤالِ.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

٢٨ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ

(نِعْمَةَ)
(٢٨) - ألَمْ تَعْلَمْ وتَعْجَبْ مِنْ قَوْمٍ أتَتْهُمْ نِعْمَةُ اللهِ فَكانَ عَلَيْهِمْ أنْ يَشْكُرُوها ويُقَدِّرُوها، ولكِنَّهُمْ غَمَطُوها، وكَفَرُوا بِها وجَحَدُوها، كأهْلِ مَكَّةَ الذينَ أسْكَنَهُمُ اللهُ حَرَماً آمِناً تُجْبَى إليهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ، وجَعَلَهُمْ سَدَنَةَ بَيْتِهِ، وشَرَّفَهُمْ بِإرْسالِ نَبِيٍّ مِنْهُمْ، فَكَفَرُوا بِتِلْكَ النِّعْمَةِ، فَأصابَهُمُ الجَدْبُ والقَحْطُ سَبْعَ سِنِينَ، وأُسِرُوا يَوْمَ بَدْرٍ، وقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً مِنْ سَراتِهِمْ وقادَتِهِمْ... وأحَلُّوا الذينَ شايَعُوهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ دارَ الهَلاكِ (دارَ البَوارِ).
دارَ البَوارِ - دارَ الهَلاكِ وهِيَ جَهَنَّمُ.

٢٩ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ

(٢٩) - وَدارُ البَوارِ هِيَ جَهَنَّمُ يُلْقَوْنَ فِيها لِيُقاسُوا حَرَّها. ويَبْقَوْنَ فِيها خالِدِينَ أبَداً، وبِئْسَ المَقامُ والمُسْتَقَرُّ.
يَصْلَوْنَها - يَدْخُلُونَها، أوْ يُقاسُونَ حَرَّها.

٣٠ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ

(٣٠) - وَجَعَلُوا للهِ شُرَكاءَ (أنْداداً) عَبَدُوهُمْ مَعَهُ، ودَعَوُا النَّاسَ إلى عِبادَتِهِمْ، لِيَصْرِفُوهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ القَوِيمِ، فَقُلْ يا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ الذينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً، وجَعَلُوا للهِ أنْداداً، وصَدُّوا النَّاسَ عَنِ اتِّباعِ دِينِهِ الحَنِيفِ: اسْتَمْتِعُوا فِي الدُّنْيا، قَدرَ ما تَسْتَطِيعُونَ، وافْعَلُوا ما يُمْكِنُكُمْ فِعْلُهُ، فَإنَّ أعْمالَكُمْ هذِهِ سَتُورِدُكُمْ مَوارِدَ الهَلاكِ، وسَيَكُونُ مَصِيرُكُمْ فِي نارِ جَهَنَّمَ جَزاءً وِفاقاً.
أنْداداً - أمْثالاً مِنَ الأوْثانِ يَعْبُدُونَها.

﴿٣١﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ

(آمَنوا) (الصَّلاةَ) (رزَقْنَاهُمْ) (خِلَالٌ)

(٣١) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِطَاعَتِهِ، وَالقِيَامِ بِحَقِّهِ، وَالإِحسَانِ إِلَى خَلْقِهِ، وَذٰلِكَ بِأَنْ يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُتِمُّوها بِرُكُوعِها وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِها، وَبِأَنْ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ بِأَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَالإِنْفَاقِ عَلَى الأَقْرِبَاءِ، وَالإِحْسَانِ إِلى غَيْرِ الأَقَارِبِ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى المُبَادَرَةِ إِلى ذٰلِكَ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لاَ بَيْعَ فِيهِ، وَلاَ يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ فِدْيَةٌ يَفْتَدِي بِها مِنَ العَذَابِ، وَلاَ تَنْفَعُ الإِنْسَانَ صَدَاقَةُ صَدِيقٍ، وَلا شَفَاعَةُ شَفِيعٍ.

لا خِلاَلٌ - لاَ مخالَّةَ وَلاَ مَوادَّةَ.

﴿٣٢﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ

(السَّماوَاتِ) (الثَمرَاتِ) (الأَنْهارَ)

(٣٢) يَلْفِتُ اللهُ تَعَالَى نَظَرَ الخَلْقِ إِلَى الأَدِلَّةِ المَنْصُوبَةِ فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ التِي تُوجِبُ عَلَى العِبَادِ المُثَابَرَةَ عَلَى شُكْرِهِ، وَدَوامِ طَاعَتِهِ، وَيُعَدِّدُ النِّعَمَ العَظِيمَةَ التِي أَغْدَقَهَا عَلَيْهِمْ لِيَكُونَ فِي ذٰلِكَ حَثٌّ لَهُمْ عَلَى التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، فِيما يَأْتُونَ، وَفِيمَا يَذَرُونَ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ خَلَقَ لَهُمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ، وَخَلْقُهُما أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَطَراً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ، وَأَخْرَجَ الزرُوعَ وَالثِّمَارَ مُخْتَلِفَةَ الأَلْوانِ وَالأَشْكَالِ، وَالطُّعُومِ وَالمَنَافِعِ، وَسَخَّرَ السُّفُنَ وَالمَرَاكِبَ (الفُلْكَ) لِمَنْفَعَةِ الإِنْسَانِ، وَجَعلَهَا طَافِيَةً عَلَى سَطْحِ المَاءِ، وَسَخَّرَ البَحْرَ لِحَمْلِها لِتَسْهِيلِ انْتِقَالِ النَّاسِ فِيها، وَسَخَّرَ الأَنْهَارَ تَشُقُّ الأَرْضَ مِنْ قُطْرٍ إِلى قُطْرٍ، فَيشْرَبُ مِنْهَا النَّاسُ وَالأَنْعامُ، وَتُسْقَى الزُّرُوعُ مِنْها، وَتَجْرِي فِيهَا المَرَاكِبُ، وَكُلُّ ذٰلِكَ فِيهِ رِزْقٌ وَمَنَافِعُ لِلْعِبَادِ.

﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

(دائِبَيْنِ) (اللَّيْلَ)

(٣٣) - وَسَخَّرَ لِلنَّاسِ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، يَسِيرَانِ دائِمَيِ الحَرَكَةِ (دَائِبَيْنِ)، لاَ يَفْتُرانِ، لَيْلاً وَلاَ نَهاراً، وَسَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ يَتَعاقَبَانِ، وَيَتَفاوَتَانِ طُولاً وَقِصراً، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَالنَّهارَ مَعاشاً لَهُمْ.

دائِبَيْنِ - دائِمَيْنِ فِي حَرَكَتِهِما وَمَنَافِعِهِمَا لَكُمْ.

﴿٣٤﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

(وَآتَاكُمْ) (نِعْمَةَ) (الإِنْسَانَ)

(٣٤) - وَهَيَّأَ لَكُم مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، فِي جَمِيعِ أَحْوالِكُمْ، مِمَّا تَسْأَلُونَهُ بِلِسَانِكُمْ، وَبِلِسَانِ حَالِكُمْ، وَنِعَمُ اللهِ عَلَى النَّاسِ لاَ تُعَدُّ وَلا تُحْصَى، وَالإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنْ أَنْ يُؤَدِّيَ الشُّكْرَ للهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيهِ بِهِ. وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَقُومَ الإِنْسَانُ بِشُكْرِ اللهِ عَلَى نِعَمِهِ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ هٰذِهِ النِّعَمَ، وَقَدْ يَشْكُرُ

(٣٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ

(٣٦) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(٣٧) رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

عَلَى هٰذِهِ النِّعَمِ غَيْرَ مَنْ تَفَضَّلَ بِالإنعَامِ بِهَا عَلَيْهِ كَالأَصْنَامِ وَالأَنْدَادِ، فَهُوَ ظَلُومٌ كَثِيرُ الكُفْرانِ لِلنِّعْمَةِ.

(وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلا مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغْنَىً عَنْهُ رَبنا). (رَوَاهُ البُخَارِيُّ).

لاَ تُحْصُوهَا - لاَ تُطِيقُوا عَدَّهَا لِعَدَمِ تَنَاهِيهَا.

(إِبْرَاهِيمُ) (آمِناً)

(٣٥) - وَٱذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ، وَأَنْتَ تَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، خَبَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، إِذْ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مَكَّةَ بَلَداً آمِناً فَٱسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهَا بَلَداً حَرَاماً آمِناً لاَ يُسْفَكُ فِيهَا دَمٌ، وَلا يُظْلَمُ فِيهَا أَحَدٌ **﴿أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّا جَعَلْنَا لَهُمْ حَرَماً آمِناً﴾**(١) كَمَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ أَنْ يُجَنِّبَهُ، وَيُجَنِّبَ بَنِيهِ، عِبَادَةَ الأَصْنَامِ، وَأَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَمِلَّةِ الإِسْلامِ.

آجْنُبْنِي - أَبْعِدْنِي وَنَحِّنِي.

(٣٦) - فَقَدْ أَضَلَّتْ هٰذِهِ الأَصْنَامُ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ٱفْتَتَنُوا بِهَا فَعَبَدُوهَا، وَتَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِمَّنْ عَبَدَ الأَصْنَامَ وَقَالَ: إِنَّ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عَلَى دِينِهِ، وَأَخْلَصَ العَمَلَ وَالعِبَادَةَ للهِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ. أَمَّا العُصَاةُ الذِينَ يُخَالِفُونَهُ، وَيَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، فَقَدْ رَدَّ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، أَمْرَهُمْ إِلى مَشِيئَةِ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَاللهُ تَعَالى هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(الصَّلاَةَ) (الثَّمَرَاتِ)

(٣٧) - وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، رَبَّهُ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ البَيْتَ الحَرَامَ (الكَعْبَةَ)، فَقَالَ: رَبِّ إِنَّنِي أَسْكَنْتُ أُناساً مِنْ أَبْنَائِي وَذُرِّيَّتِي بِهٰذا الوَادِي الذِي لاَ زَرْعَ فِيهِ، عِنْدَ بَيْتِكَ الحَرَامِ، الذِي أَمَرْتَنِي بِإِقَامَتِهِ فَأَقَمْتُهُ، وَقَدْ جَعَلْتَهُ مُحَرَّماً لِيَتَمَكَّنَ أَهْلُهُ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاةِ عِنْدَهُ، فَٱجْعَلْ جَمَاعَاتٍ مِنَ النَّاسِ تَأْتِي إِلَيْهِمْ (أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)، وَمَعَهُمُ الأَرْزَاقُ وَالمِيرَةُ وَالثَّمَرَاتُ لِيَأْكُلوا مِنْهَا، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْناً لَهُمْ عَلَى طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ.

وَقَدِ ٱسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، فَفَرَضَ عَلَى النَّاسِ الحَجَّ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ، وَأَلْهَمَهُمُ القِيَامَ بِذٰلِكَ وَقَالَ تَعَالَى **﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا﴾**(٢).

تَهْوِي إِلَيْهِمْ - تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ شَوْقاً وَوِدَاداً...

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٧.

(٢) سورة القصص، الآية ٥٧.

﴿٣٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ

﴿٣٩﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ

﴿٤٠﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ

﴿٤١﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ

﴿٤٢﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ

﴿٤٣﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ

(٣٨) - وَقالَ إبْراهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، مُتابِعاً دُعاءَهُ: رَبَّنا أَنْتَ تَعْلَمُ قَصْدِي فِي دُعائِي، وَما أَرَدْتُ بِدُعائِي لِأَهْلِ هٰذا البَلَدِ، وَأَنَّهُ القَصْدُ إلى رِضاكَ، وَالإِخْلاصُ لَكَ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ الأَشْياءَ كُلَّها ظاهِرَها وَباطِنَها، وَلا يَخْفى عَلَيْكَ مِنْها شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ.

(إِسْماعِيلَ) (إِسْحاقَ)

(٣٩) - وَحَمِدَ إبْراهِيمُ رَبَّهُ عَلى ما رَزَقَهُ مِنَ الوَلَدِ - إِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ - بَعْدَ أَنْ عَلاهُ الكِبَرُ، وَآيَسَ مِنَ الوَلَدِ، وَقالَ: إِنَّ اللهَ يَسْتَجِيبُ لِدُعاءِ مَنْ دَعاهُ مُخْلِصاً، وَلَقَدِ آسْتَجابَ لِي فِيما سَأَلْتُهُ مِنَ الوَلَدِ، وَفِيما سَأَلْتُهُ مِنْ جَعْلِ هٰذا البَلَدِ حَرَماً آمِناً، وَفِيما سَأَلْتُهُ مِنْ أَنْ يَجْنُبَنِي وَبَنِيَّ عِبادَةَ الأَصْنامِ.

(الصَّلاةِ)

(٤٠) - رَبِّ آجْعَلْنِي مُحافِظاً عَلَى الصَّلاةِ، مُقِيماً لِحُدُودِها، كَما فَرَضْتَها عَلَيَّ، وَآجْعَلْ ذُرِّيَتِي كَذٰلِكَ مُقِيمِينَ لِلصَّلاةِ، رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعائِي فِيما سَأَلْتُكَ فِيهِ.

(وَقَدْ خَصَّ إبْراهِيمُ الصَّلاةَ مِنْ بَيْنِ الفَرائِضِ الأُخْرى لِأَنَّها العُنْوانُ الذِي يَمْتازُ بِهِ المُؤْمِنُ عَنْ غَيْرِ المُؤْمِنِ).

(وَلِوالِدَيَّ)

(٤١) - وَدَعا إبْراهِيمُ رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ما فَرَطَ مِنْهُ مِنْ ذُنُوبٍ، وَلِوالِدَيْهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ، يَوْمَ يُحاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، فَيُجازِي كُلَّ واحِدٍ عَلى عَمَلِهِ.

(وَكانَ هٰذا الدُّعاءُ قَبْلَ أَنْ يَتَبَرَّأَ إبْراهِيمُ مِنْ أَبِيهِ، لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ).

(غافِلًا) (الظّالِمُونَ) (الأَبْصارُ)

(٤٢) - وَلَا تَحْسَبَنَّ، يا مُحَمَّدُ، اللهَ غافِلًا عَمَّا يَفْعَلُهُ الظّالِمُونَ مِنْ مُحارَبَةِ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، وَإِذا كانَ قَدْ أَنْظَرَهُمْ وَأَجَّلَهُمْ فَإِنَّهُ إِنَّما يُحْصِي عَلَيهِمْ أَعْمالَهُمْ، وَيُؤَخِّرُ إِنْزالَ عِقابِهِ بِهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدُ الهَوْلِ، تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصارُ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ وَالرُّعْبِ.

تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصارُ - تَرْتَفِعُ الأَبْصارُ وَتَبْقى مَفْتُوحَةً مِنَ الهَوْلِ وَالفَزَعِ.

(٤٣) - ثُمَّ يَصِفُ اللهُ تَعالَى هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ حالَ قِيامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الحَشْرِ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مُسْرِعِينَ (مُهْطِعِينَ) فِي مَشْيِهِمْ، وَقَدْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ إِلَى الأَعْلَى (مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ) وَأَبْصارُهُمْ شاخِصَةٌ

(٤٤) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ
ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ
نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ
أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم
مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ
(٤٥) وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ
لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ
وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ
(٤٦) وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ
ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ
مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ
ٱلْجِبَالُ
(٤٧) فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ
رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو ٱنتِقَامٍ

مُدِيمَةُ النَّظَرِ، لا تَطْرِفُ عُيُونُهُمْ، ولا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ، لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ، مِمَّا يُعَايِنُونَهُ مِنَ الأَهْوَالِ، وقُلُوبُهُمْ خَاوِيَةٌ خَالِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيءٌ لِشِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الخَوْفِ وَالرُّعْبِ، وَلا تَعِي شَيْئاً.

مُهْطِعِينَ - مُسْرِعِي المَشْيِ إِلَى الدَّاعِي بِذِلَّةٍ.

مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ - رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ مُدِيمِي النَّظَرِ إِلى الأَمَامِ.

أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ - قُلُوبُهُمْ خَالِيَةٌ لا تَعِي لِفَرْطِ الحَيْرَةِ.

(٤٤) - خَوِّفْ أَيُّها الرَّسُولُ هؤُلاءِ الظَّالِمِينَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَشِدَّتِهِ، إِذْ يَقُولُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ: رَبَّنا أَخِّرْنا إلى مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ، وَنُؤْمِنْ بِكَ، وَبِكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: لَقَدْ كُنْتُمْ أَقْسَمْتُمْ، وَأَنْتُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا، أَنَّهُ لا زَوَالَ لَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَأَنَّهُ لا حَشْرَ وَلا مَعَادَ وَلا حِسَابَ؟ فَذُوقُوا هٰذا العَذَابَ بِذاكَ الكُفْرِ.

(مَسَاكِنِ)

(٤٥) - وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ العِقَابِ الشَّدِيدِ بِالأُمَمِ المُتَقَدِّمَةِ التِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ بِهِمْ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ هٰؤُلاءِ المكَذِّبِينَ، وَلَمْ تَعْتَبِرُوا، وَلَمْ تَزْدَجِرُوا عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالظُّلْمِ، وَالآنَ تَسْأَلُونَ التَّأْخِيرَ لِلتَّوْبَةِ حِينَ نَزَلَ بِكُمُ العَذَابُ، فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَقَدْ فَاتَ الأَوَانُ.

(٤٦) - فِي تَفْسِيرِ هٰذِهِ الآيَةِ قَوْلانِ:

الأَوَّلُ - إِنَّ الذِي فَعَلُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ شِرْكٍ بِاللهِ، وَكُفْرٍ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، مَا ضَرَّ الجِبَالَ شَيْئاً، وَلا أَثَّرَ فِيها. وَآيَاتُ اللهِ وَشَرْعُهُ وَدِينُهُ هِيَ كَالجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ رُسُوخاً وَثَبَاتاً، وَلِذلِكَ فَلَنْ يُؤَثِّرَ فِيهَا مَكْرُهُمْ شَيْئاً لِتَفَاهَتِهِ، وَضَعْفِ أَثَرِهِ. وَقَدِ آسْتُعْمِلَتْ (إِن) بِمَعْنَى (مَا).

وَالثَّانِي - إِنَّ مَكْرَهُمْ وَكُفْرَهُمْ تَكَادُ الجِبَالُ لِتَزُولُ مِنْهُ لِدِقَّةِ تَدْبِيرِهِ، وَقُوَّةِ إِحْكَامِهِ، أَوْ لِضَخَامَةِ مَا فِيهِ مِنْ كُفْرٍ وَعُتُوٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً**﴾[1].

(٤٧) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ وَعَدَ رُسُلَهُ بِالنَّصْرِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ؛ وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ لَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ لِرُسُلِهِ، وَإِنَّهُ سَيَنْصُرُهُمْ، وَاللهُ تَعَالَى لا يُغَالَبُ، وَلا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيءٌ أَرَادَهُ، وَإِنَّهُ سَيَنْصُرُهُ، وَهُوَ ذُو آنْتِقَامٍ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَجَحَدَ بِآيَاتِهِ.

(وَهٰذا خِطَابٌ لِلرَّسُولِ يُقْصَدُ مِنْهُ تَثْبِيتُ أُمَّتِهِ عَلَى ثِقَتِهِمْ بِوَعْدِ اللهِ، وَبِأَنَّهُ سَيُنْزِلُ عِقَابَهُ بِالظَّالِمِينَ).

(١) سورة مريم، الآية ٩٠.

(٤٨) يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ

(السَّماوَاتُ) (الْوَاحِدِ)

(٤٨) - وَيَوْمَ القِيامَةِ تُبَدَّلُ الأَرْضُ فَتُصْبحُ غَيْرَ الأَرْضِ التي يَعْرِفُها البَشَرُ، وَتُبَدَّلُ السَّماءُ فَتُصْبحُ غَيْرَ السَّماءِ التي يَرَوْنَها. وَتَخْرُجُ الخلائِقُ جَميعاً مِنَ القُبُورِ، وَيُساقُونَ لِيَقِفُوا أَمامَ اللهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، الذي قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ، وَدَانَتْ لَهُ الرِّقَابُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الأَلْبَابُ، فَلا مُغِيثَ لأَحَدٍ، وَلا مُجِيرَ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

(وَفِي الحَديثِ: يُبَدِّلُ اللهُ الأَرْضَ غَيْرَ الأَرْضِ فَيَبْسُطُها وَيَمُدُّها مدَّ الأَديمِ العُكَاظِيِّ، فَلا تَرَى عِوَجاً وَلا أَمْتاً).

بَرَزُوا للهِ - خَرَجُوا مِنَ القُبُورِ إلى الحِسَابِ.

(٤٩) وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ

(يَوْمَئِذٍ)

(٤٩) - وَفِي ذلِكَ اليَوْمِ الذِي تَتَبَدَّلُ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَتَبْرُزُ الخَلائِقُ للهِ، تَرَى يَوْمَئِذٍ يا مُحَمَّدُ الذينَ أَجْرَمُوا بِكُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، مُقَرَّنينَ (مَجْمُوعِينَ) بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ فِي القُيُودِ، فَيَجْتَمِعُ النُّظَراءُ فِي الكُفْرِ وَالإِجْرامِ، كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفِهِ.

مُقَرَّنِينَ - مَقْرُوناً بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ.

الأَصْفَادِ - القُيُودِ وَالأَغْلالِ.

(٥٠) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ

(٥٠) - وَتَكُونُ ثِيابُهُمُ التِي يَلْبَسُونَها مِنْ قَطِرانٍ (وَالقَطِرَانُ مَادَّةٌ سَائِلَةٌ تُطْلَى بِهَا الإبلُ الجَرْبَاء، وَهُوَ أَلْصَقُ شَيءٍ بالنَّارِ)، وَتَلْفَحُ النَّارُ وُجُوهَهُمْ.

سَرَابِيلُهُمْ - قُمْصَانُهُم أَوْ ثِيَابُهُمْ.

تَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ - تُغَطِّيها وَتُجَلِّلُها.

(٥١) لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

(٥١) - وَإِنَّما فَعَلَ اللهُ تَعالَى ذلِكَ بِهِمْ جَزاءً وِفَاقاً لَهُمْ بِما كَسَبُوا فِي الدُّنيا مِنَ الكُفْرِ وَالآثامِ. وَيَوْمَ القِيامَةِ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِعَمَلِها فِي الدُّنيا، إنْ خَيْراً فَخيراً، وَإِنْ شراً فَشَراً. وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ، لأَنَّهُ تَعالَى يَعْلَمُ كُلَّ شَيءٍ مِنْ أَفْعالِ عِبادِهِ، وَلا تَخْفَى عَلَيهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

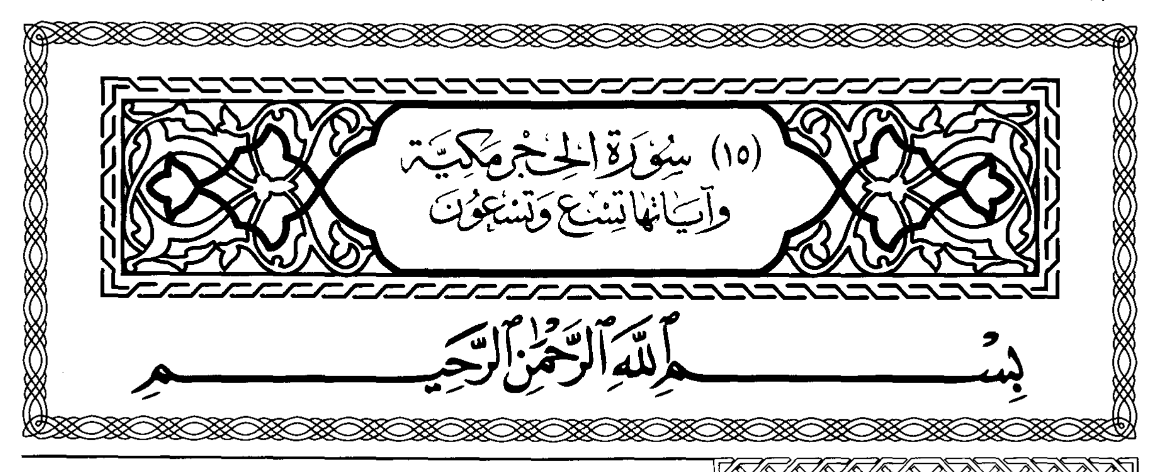
(٥٢) هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ

(بَلاغٌ) (وَاحِدٌ) (أُولُو) (الأَلْبَابِ)

(٥٢) - هٰذا القُرْآنُ بَلاغٌ لِجَميعِ المَخْلُوقاتِ، مِنْ إنْسٍ وَجِنٍّ، لِيَتَّعِظُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رُسُلِهِ، وَلِيَسْتَدِلُّوا بِما فِيهِ مِنَ الحُجَجِ وَالدَّلالاتِ عَلَى أَنَّ اللهَ واحِدٌ لا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلْيَتَذَكَّرْ ذَوُو العُقُولِ وَالأَفْهامِ (الأَلْبَابِ).

بَلاغٌ لِلنَّاسِ - كِفَايَةٌ فِي العِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ.

الأَلْبَابِ - العُقُولِ وَالأَفْهَامِ.



الجزء ١٤ الحزب ٢٧

(١) الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ

(٢) رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ

(٣) ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

(٤) وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ

(آيَاتُ) (الْكِتَابِ) (قُرْآنٍ)

(١) - أَلِفْ. لَامْ. را. وَتُقْرَأُ مُقَطَّعَةً - اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.
هٰذِهِ الآيَاتُ هِيَ آيَاتُ القُرْآنِ الجَلِيِّ الوَاضِحِ (المُبِين)

(٢) - يَقُولُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ حِينَمَا يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.
(وَرُبَّمَا كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا قَلِيلُ الحُصُولِ).
وَقِيلَ بَلْ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ يَوَدُّ عِنْدَ ٱحْتِضَارِهِ أَنْ لَوْ كَانَ مُسْلِماً.
وَفِي الحَدِيثِ : (إِذَا ٱجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ، وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، قَالَ الكُفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ : أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنْكُمُ الإِسْلامُ، وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا إِلَى النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا. فَسَمِعَ اللهُ مَا قَالُوا، فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ فَأُخْرِجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ الكُفَّارُ قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ فَنَخْرُجَ كَمَا خَرَجُوا). ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هٰذِهِ الآيَةَ. (رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ).
رُبَّ - لِلتَّقْلِيلِ

(٣) - يَتَهَدَّدُ اللهُ تَعَالَى الكَافِرِينَ، وَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ : دَعْهُمْ فِي غَفَلاتِهِمْ، يَتَمَتَّعُوا وَيَأْكُلُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ بِالحَيَاةِ عَنِ التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ إِلَى اللهِ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ سُوءَ عَاقِبَتِهِمْ إِذَا هُمْ عَايَنُوا سُوءَ الجَزَاءِ.
ذَرْهُمْ - دَعْهُمْ وَٱتْرُكْهُمْ.

(٤) - وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ مِنَ القُرَى إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مُقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، لَا يُنْسَى، وَلَا يُغْفَلُ عَنْهُ، وَلَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ.

﴿٥﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ

﴿٦﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ

﴿٧﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ

﴿٨﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ

﴿٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ

﴿١٠﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ

لَهَا كِتَابٌ - أَجَلٌ مُقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ.

(يَسْتَأْخِرُونَ)

(٥) - لاَ يَجِيءُ هَلاَكُ أُمَّةٍ قَبْلَ حُلُولِ الأَجلِ المُحَدَّدِ لَهَا، وَلاَ يَتَأَخَّرُ الهَلاَكُ مَتى حَلَّ الأَجَلُ.

(يَا أيُّهَا)

(٦) - وَقَالَ الكَفَرَةُ الظَّالِمُونَ - ٱسْتِهْزَاءً وَتَهَكُّماً - لِلنَّبِيِّ : يَا أَيُّها الرَّجُلُ الذِي زَعَمَ أَنَّ اللهَ نَزَّلَ عَلَيهِ القُرآنَ، إِنَّ مَا تَقُولُهُ إِنَّما أَمْلاهُ عَلَيكَ الجُنُونُ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لآرَائِنا وَمُعْتَقَدَاتِنا، فَكَيْفَ نَقْبَلُ مَا لاَ تَقْبَلُهُ العُقُولُ؟

(بِالْمَلاَئِكَةِ) (الصَّادِقِينَ)

(٧) - فَإِنْ كَانَ مَا تَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّ اللهَ أَيَّدَكَ وَأَرْسَلَكَ حَقّاً، فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ أَنْ يُنْزِلَ مَعَكَ المَلاَئِكَةَ مِنَ السَّمَاءِ لِيَشْهَدُوا بِصِدْقِ نُبُوَّتِكَ.
لَوْ مَا تَأْتِينا - هَلاَّ أَتَيْتَنا.

(الْمَلاَئِكَةَ)

(٨) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: إِنَّهُ لاَ يُنْزِلُ المَلاَئِكَةَ لِيَشْهَدُوا عَلَى صِدْقِ الأَنْبِيَاءِ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَإِنَّمَا يُنْزِلُهُمْ لِنُصْرَةِ الرُّسُلِ، وَتَدْمِيرِ المُكَذِّبِينَ. وَحِينَ يُنزِلُ اللهُ المَلاَئِكَةَ إِلَى قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّهُ يُحِلُّ بِهِم العَذابَ سَرِيعاً وَلا يُنْظَرُونَ، لأَنَّ سُنَّةَ اللهِ قَدْ جَرَتْ فِي الأُمَمِ السَّابِقَةِ أَنَّهُمْ إذا ٱقْتَرَحُوا آيَةً وَأَنْزَلَها اللهُ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا، أَهْلَكَهُمُ اللهُ فَوراً دُونَ إِمْهَالٍ.
مُنْظَرِينَ - مُؤَخَّرِينَ فِي العَذابِ.
إِلاَّ بِالحَقِّ - إِلاَّ بِالوَجْهِ الذِي تَقْتَضِيهِ الحِكْمَةُ.

(لَحافِظُونَ)

(٩) - يُقَرِّرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الذِي أَنْزَلَ القُرْآنَ (الذِّكْرَ) عَلَى رَسُولِهِ، وَهُوَ الحَافِظُ لَهُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ.
الذِّكْرَ - القُرآنَ.

(١٠) - يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَنْ تَكْذِيبِ الكُفَّارِ لَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ رُسُلاً إِلَى الأُمَمِ الخَالِيَةِ التِي كَانَتْ تَكْفُرُ بِرَبِّهَا، وَتُكَذِّبُ رُسُلَهُ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ، لأَنَّهُمْ أَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِم رُسُلَ رَبِّهِمْ.

﴿١١﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

﴿١٢﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ

﴿١٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ

﴿١٤﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ

﴿١٥﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ

﴿١٦﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ

شِيَعِ الأَوَّلِينَ - فِرَقِ الأُمَمِ السَّابِقِينَ.

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(١١) - وَلَمْ يَأْتِ أُمَّةً رَسُولٌ إِلّا ٱسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ، لِأَنَّ حَمْلَ النَّفْسِ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ، مُسْتَثْقَلٌ عَلَى النُّفُوسِ، كَمَا أَنَّ حَمْلَ النَّاسِ عَلَى تَرْكِ مَا أَلِفُوهُ مِنَ المُعْتَقَدَاتِ هُوَ ثَقِيلٌ أَيْضاً.

(١٢) - وَكَذٰلِكَ يُلْقِي اللهُ تَعَالَى القُرْآنَ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ، وَيَسْلُكُهُ فِيهَا مُكَذَّباً بِمَا فِيهِ، مُسْتَهْزَأً بِهِ غَيْرَ مَقْبُولٍ لَدَيْهِمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي نُفُوسِهِمْ ٱسْتِعْدادٌ لِتَلَقِّي الحَقِّ، وَلا تُضِيءُ نُفُوسُهُمْ بِمَصَابِيحِ هِدَايَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ كَمَا فَعَلَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَعَ أَنْبِيائِهِمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَلَكَ يَا مُحَمَّدُ أُسْوَةٌ بِمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الرُّسُلِ.

نَسْلُكُهُ - نُدْخِلُهُ.

(١٣) - وَقَوْمُكَ، يَا مُحَمَّدُ، لاَ يُؤْمِنُونَ بِهٰذا القُرْآنِ مَعَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا بِمَا فَعَلَهُ اللهُ بِمَنْ كَذَّبَ رُسُلَهُ مِنَ العَذَابِ وَالاسْتِئْصَالِ، وَكَيْفَ نَجَّى رُسُلَهُ وَالذِينَ آمَنُوا لَهُمْ، وَهٰذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ، وَسَيَحِلُّ بِهٰؤُلاءِ الذِينَ يُكَذِّبُونَكَ مَا حَلَّ بِالمُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ، وَنَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ حِينٍ.

خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ - مَضَتْ عَادَةُ اللهِ بِإِهْلاَكِ المُكَذِّبِينَ.

(١٤) - إِنَّ هٰؤُلاءِ الكَفَرَةَ المُعَانِدِينَ يَطْلُبُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ لِيُؤْمِنُوا لَكَ، وَلٰكِنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا، حَتَّى إِنَّنا لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ أَبْوابِ السَّمَاءِ فَظَلُّوا يَصْعَدُونَ فِي ذٰلِكَ البَابِ فَيَرَوْنَ مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ المَلائِكَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ العَجَائِبِ لَمَا صَدَّقُوا بِذٰلِكَ.

يَعْرُجُونَ - يَصْعَدُونَ فَيَرَوْنَ المَلائِكَةَ وَالعَجَائِبَ.

(أَبْصارُنا)

(١٥) - وَلَقَالُوا: لَقَدْ سُدَّتْ أَبْصَارُنا، وَحُبِسَتْ عَنِ النَّظَرِ، وَشُبِّهَ عَلَيْنا (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا)، وَسُحِرْنا، فَمَا نَرَاهُ هُوَ تَخَيُّلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَقَدْ سَحَرَنا مُحَمَّدٌ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الآيَاتِ. فَإِذا كَانَ الامْرُ كَذٰلِكَ، فَكَيْفَ يَقْتَرِحُ عَلَيْكَ هٰؤُلاءِ الآيَاتِ؟

سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا - سُدَّتْ وَمُنِعَتْ مِنَ الإِبْصَارِ.

قَوْمٌ مَسْحُورُونَ - أَصَابَنَا مُحَمَّدٌ بِسِحْرِهِ.

(وَزَيَّنّاها) (لِلنَّاظِرِينَ)

(١٦) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ زَيَّنَ السَّمَاءَ بِالكَوَاكِبِ، وَجَعَلَ فِيهَا بُرُوجاً -

وَهِيَ مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ - وَجَعَلَ السَّماءَ وَكَوَاكِبَهَا وَبُرُوجَهَا بَهْجَةً لِمَنْ تَأَمَّلَ، وَكَرَّرَ النَّظَرَ فِيمَا يَرَى مِنْ آيَاتِهَا البَاهِرَاتِ.
بُرُوجاً - مَنَازِلَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ، أَوْ مَنَازِلَ الكَوَاكِبِ السَّيَّارَاتِ.

١٧ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ

(حَفِظْنَاهَا) (شَيْطَانٍ)

(١٧) - وَحَفِظَ اللهُ تَعَالَى السَّمَاءَ مِنْ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهَا كُلُّ شَيْطَانٍ مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.
رَجِيمٍ - مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ - أَوْ مَرْجُومٍ بِالشُّهُبِ.

١٨ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ

(١٨) - وَقَدْ يُحَاوِلُ شَيْطَانٌ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى السَّماءِ لِيَسْتَرِقَ السَّمْعَ إِلَى مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ المَلائِكَةُ فِي المَلأِ الأَعْلَى فَيَتْبَعُهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ مُشْتَعِلٌ نَاراً ظَاهِرَةً لِلْعَيَانِ فَيُهْلِكُهُ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى).
اسْتَرَقَ السَّمْعَ - خَطِفَ المَسْمُوعَ مِنَ المَلأِ الأَعْلَى.
فَأَتْبَعَهُ - أَدْرَكَهُ وَلَحِقَهُ.
شِهَابٌ - شُعْلَةُ نَارٍ مُنْقَضَّةٌ مِنَ السَّمَاءِ.
مُبِينٌ - ظَاهِرٌ لِلْمُبْصِرِينَ.

١٩ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ

(مَدَدْنَاهَا) (رَوَاسِيَ)

(١٩) - وَخَلَقَ اللهُ الأَرْضَ وَمَدَّهَا، وَوَسَّعَهَا، وَبَسَطَهَا أَمَامَ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ، لِيُمَكِّنَ الانْتِفَاعَ بِهَا عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ، وَجَعَلَ فِيهَا جِبَالاً ثَوَابِتَ (رَاسِيَاتٍ)، لِئَلَّا تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الخَلائِقِ، وَأَنْبَتَ فِيهَا الزُّرُوعَ وَالنَّبَاتَ وَالأَشْجَارَ. وَكُلُّ نَبَاتٍ قُدِّرَتْ عَنَاصِرُ تَكْوِينِهِ تَقْدِيراً وَوُزِنَتْ بِدِقَّةٍ. (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى مَوْزُونٍ هُنَا هُوَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُقَدَّرُ وَيُوزَنُ).
الأَرْضَ مَدَدْنَاهَا - بَسَطْنَاهَا لِلانْتِفَاعِ بِهَا.
رَوَاسِيَ - جِبَالاً ثَوَابِتَ كَيْلَا تَمِيدَ.
مَوْزُونٍ - مُقَدَّرٍ بِمِيزَانِ الحِكْمَةِ.

٢٠ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ

(مَعَايِشَ) (بِرَازِقِينَ)

(٢٠) - وَقَدْ جَعَلَ اللهُ فِي الأَرْضِ مَعَايِشَ لِلنَّاسِ مِمَّا يَأْكُلُونَ مِنْ نَبَاتِهَا وَحُبُوبِهَا وَثِمَارِهَا، وَمِمَّا يَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِ الحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، وَكُلُّهَا تَتَغَذَّى عَلَى مَا يَخْرُجُ مِنَ الأَرْضِ، وَمِمَّا تُخْرِجُهُ البِحَارُ وَالأَنْهَارُ، وَمِمَّا يَلْبَسُونَ مِنْ أَصْوَافِ الحَيَوَانَاتِ وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَمِنْ بَعْضِ نَبَاتَاتِ الأَرْضِ كَالقُطْنِ وَالكَتَّانِ..
وَقَدْ جَعَلَ اللهُ فِي الأَرْضِ دَوَابَّ وَأَنْعَاماً يَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَلَا يَتَوَلَّوْنَ هُمْ

رِزْقِهَا وَإِطْعَامِهَا، وَإِنما تُحَصِّلُ رِزْقَهَا مِمَّا أَخْرَجَ اللهُ مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ، فَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يَرْزُقُهَا، وَيُؤَمِّنُ لَهَا قُوتَهَا، وَلَيْسَ الإِنسَانُ. وَفِي ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ عَلَى النَّاسِ عَظِيمٌ.

مَعَايِشَ - أَرْزَاقاً يُعَاشُ بِهَا.

(٢١) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ

(خزائنُهُ)

(٢١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَهْلٌ عَلَيهِ يَسِيرٌ، وَأَنَّ عِنْدَهُ خَزَائِنَ جَمِيعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ العِبَادُ، وَلٰكِنَّهُ يُنْزِلُ مِنْهَا بِحِسَابٍ وَمِقْدَارٍ، كَمَا يَشَاءُ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الحِكْمَةِ البَالِغَةِ، وَالرَّحْمَةِ بِالعِبَادِ.

عِنْدَنَا خزائِنُهُ - نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى خَلْقِهِ.

نُنَزِّلُهُ - نُوجِدُهُ أَوْ نُعْطِيهِ.

بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ - بِمِقْدَارٍ مَا تَقْتَضِيهِ الحِكْمَةُ.

(٢٢) وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ

(الرِّيَاحَ) (لَوَاقِحَ) (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) (بِخَازِنِينَ)

(٢٢) - وَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى الرِّيَاحَ، فَتُلْقِحُ السَّحَابَ فَتَدُرُّ بِالمَاءِ، وَتُلْقِحُ الشَّجَرَ، فَتَتَفَتَّحُ عَنْ أَوْرَاقِهَا وَأَكْمَامِهَا وَأَثْمَارِهَـا، فَهِيَ رِيَاحٌ يَكُـونُ مِنْهَا الإِنْتَاجُ (وَهٰذِهِ الرِّيَاحُ هِيَ غَيْرُ الرِّيحِ العَقِيمِ التِي لاَ تُنْتِجُ شَيْئاً)، وَيُنْزِلُ اللهُ المَاءَ مِنَ السَّمَاءِ عَذْباً تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَشْرَبُوا مِنْهُ، وَلَسْتُمْ أَنْتُم الَّذِينَ تَحْفَظُونَهُ، وَإِنَّمَا اللهُ هُوَ الذِي يَحْفَظُهُ فِي العُيُونِ وَالأَنْهَارِ وَالآبَارِ، لِيَسْتَقِيَ مِنْهُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ وَالزُّرُوعُ وَالأَشْجَارُ.

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى - لَسْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ - هُوَ: لَيْسَتْ خَزَائِنُهُ فِي أَيْدِيكُمْ).

الرِّيَاحَ **لَوَاقِحَ** - حَوَامِلَ لِلسَّحَابِ أَوْ لِلْمَاءِ تَمُجُّهُ فِيهِ، أَوْ مُلْقِحَـاتٍ لِلسَّحَابِ أَوْ لِلأَشْجَارِ.

(٢٣) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ

(الْوَارِثُونَ) (نُحْيِي)

(٢٣) - وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى بَدْءِ الخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الذِي أَحْيَا الخَلْقَ مِنَ العَدَمِ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ كُلَّهُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ. وَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَرِثُ الأَرْضَ وَمَا عَلَيهَا، لأَنَّهُ لاَ يَبْقَى فِي الوُجُودِ حَيٌّ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ.

الوَارِثُونَ - البَاقُونَ بَعْدَ فَنَاءِ الخَلْقِ.

(٢٤) وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ

(الْمُسْتَأْخِرِينَ)

(٢٤) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: المُسْتَقْدِمُونَ هُمُ الذِينَ هَلَكُوا مِنْ لَدُنِ آدَمَ حَتَّى تَارِيخِ نُزُولِ الآيَةِ. وَالمُسْتَأْخِرُونَ هُمُ الذِينَ كَانُوا أَحْيَاءً حِينَ

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ٢٥

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ٢٦

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ ٢٧

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ٢٨

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ ٢٩

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ ٣٠

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ٣١

نُزُولِ الآيَةِ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: لَقَدْ عَلِمْنَا مَنْ مَضَى مِنْكُمْ وَأَحْصَيْنَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَمَنْ هُوَ حَيٌّ، وَمَنْ سَيَأْتِي بَعْدُ، فَلا تَخْفَى عَلَيْنَا خَافِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ.

(٢٥) - ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْعَثُ المُتَقَدِّمِينَ وَالمُتَأَخِّرِينَ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ، يَوْمَ القِيَامَةِ، لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُ الحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِهِمْ جَمِيعاً.

(ٱلإِنْسَانَ) (صَلْصَالٍ) (حَمَإٍ)

(٢٦) - وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ أَبَا البَشَرِ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ لَهُ صَلْصَلَةٌ إِذَا نُقِرَ بِاليَدِ (صَلْصَالٍ)، وَكَانَ قَبْلاً طِيناً رَطْباً (حَمَإٍ) مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ مُسْوَدَّهُ (مَسْنُونٍ).

صَلْصَالٍ - طِينٍ يَابِسٍ كَالفَخَّارِ.

حَمَإٍ - طِينٍ أَسْوَدَ مُتَغَيِّرٍ.

(خَلَقْنَاهُ)

(٢٧) - وَخَلَقْنَا الجَانَّ قَبْلَ الإِنسَانِ (مِنْ قَبْلُ) مِنَ النَّارِ ذَاتِ الحَرَارَةِ الشَّدِيدَةِ التِي تَنْفُذُ فِي مَسَامِّ الجِسْمِ.

السَّمُومُ - الرِّيحُ الحَارَّةُ التِي تَقْتُلُ وَتَنْفُذُ فِي المَسَامِّ.

(لِلْمَلاَئِكَةِ) (خَالِقٌ) (صَلْصَالٍ) (حَمَإٍ)

(٢٨) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ: إِنِّي سَأَخْلُقُ بَشَراً (هُوَ آدَمُ) مِنْ طِينٍ يَابِسٍ يُصَلْصِلُ إِذا نُقِرَ بِاليَدِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ، طِيناً رَطْباً (حَمَإٍ) مُتَغَيِّراً، مُسْوَدَّ اللَّوْنِ (مَسْنُونٍ).

(سَاجِدِينَ)

(٢٩) - وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَ المَلاَئِكَةَ بِالسُّجُودِ لآدَمَ، سُجُودَ تَعْظِيمٍ لاَ سُجُودَ عِبَادَةٍ، حِينَمَا يُسَوِّيهِ وَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ.

سَوَّيْتُهُ - أَتْمَمْتُ خَلْقَهُ وَهَيَّأْتُهُ لِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ.

(ٱلْمَلاَئِكَةُ)

(٣٠) - فَاسْتَجَابَ المَلاَئِكَةُ جَمِيعاً لأَمْرِ رَبِّهِمْ، فَسَجَدُوا لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ.

(ٱلسَّاجِدِينَ)

(٣١) - وَلَمْ يَشُذَّ عَنِ السُّجُودِ امْتِثَالاً لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى إِلاَّ إِبْلِيسُ، فَقَدْ رَفَضَ السُّجودَ حَسَداً وَكُفْراً وَعِنَاداً وَاسْتِكْبَاراً.

٣٢ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ

٣٣ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ

٣٤ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ

٣٥ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ

٣٦ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ

٣٧ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ

٣٨ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ

٣٩ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ

٤٠ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ

أبى - آمْتَنَعَ.

(يَا إِبْلِيسُ) (السَّاجِدِينَ)

(٣٢) - فَسَأَلَهُ المَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ قَائِلاً: مَا لِي، يَا إِبْلِيسُ، لاَ أَرَاكَ مَعَ السَّاجِدِينَ المُمْتَثِلِينَ لِأَمْرِي؟.

مَا لَكَ - أَيُّ غَرَضٍ لَكَ، أَوْ مَا عُذْرُكَ؟

(صَلْصَالٍ) (حَمَإٍ)

(٣٣) - فَقَالَ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ الكَرِيمِ: إِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِلسُّجُودِ لِمَخْلُوقٍ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ مُتَغَيِّرِ اللَّوْنِ مُسْوَدِّهِ.

(٣٤) - فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى إِبْلِيسَ بِالخُرُوجِ مِنَ المَنْزِلَةِ التِي كَانَ فِيهَا مِنَ المَلإِ الأَعْلَى، وَهُوَ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ (أَوْ مَرْجُومٌ بِالشُّهُبِ - رَجِيمٌ).

رَجِيمٌ - مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ أَوْ مَرْجُومٌ بِالشُّهُبِ.

(٣٥) - وَأَتْبَعَهُ لَعْنَةً لاَ تَزَالُ مُتَوَاصِلَةً لاَحِقَةً بِهِ، مُتَوَاتِرَةً عَلَيْهِ، إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، يَوْمِ الحِسَابِ (يَوْمِ الدِّينِ) وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يُنْزِلُ بِهِ العِقَابَ الذِي يَسْتَحِقُّهُ.

اللَّعْنَةُ - الإِبْعَادُ عَلَى سَبِيلِ السَّخَطِ.

(٣٦) - وَلَمَّا تَحَقَّقَ إِبْلِيسُ مِنَ الغَضَبِ الذِي لاَ مَصرِفَ لَهُ عَنْهُ، سَأَلَ الرَّبَّ الكَرِيمَ النَّظِرَةَ وَالإِمْهَالَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَأَنْ يُؤَخِّرَ مَوْتَهُ إِلَى ذَلِكَ اليَوْمِ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ حَسَدِهِ لآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ.

أَنْظِرْنِي - أَمْهِلْنِي وَلاَ تُمِتْنِي.

(٣٧) - فَأَجَابَهُ الرَّبُّ تَعَالَى شَأْنُهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ المُمْهَلِينَ، آسْتِدْرَاجاً لَهُ.

(٣٨) - إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ الوَقْتُ المَعْلُومُ.

الوَقْتِ المَعْلُومِ - وَقْتِ النَّفْخَةِ الأُولَى التِي يَصْعَقُ اللهُ بِهَا الخَلاَئِقَ جَمِيعاً.

(٣٩) - فَقَالَ إِبْلِيسُ لِلرَّبِّ جَلَّ وَعَلاَ: رَبِّ بِسَبَبِ إِغْوَائِكَ إِيَّايَ، وَإِضْلاَلِكَ لِي لأُحَبِّبَنَّ لِذُرِّيَةِ آدَمَ (لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ) المَعَاصِيَ، وَلأُرَغِّبَنَّهُمْ فِيهَا، وَلأُغْوِيَنَّهُمْ وَأُضِلَّنَّهُمْ جَمِيعاً، كَمَا أَغْوَيْتَنِي، وَقَدَّرْتَ ذَلِكَ عَلَيَّ.

لأُغْوِيَنَّهُمْ - لأَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الغَوَايَةِ وَالضَّلاَلِ.

(٤٠) - وَيُتَابِعُ إِبْلِيسُ خِطَابَهُ لِلرَّبِّ الكَرِيمِ قَائِلاً: وَلاَ أَسْتَثْنِي، مِنْ بَنِي آدَمَ الذِينَ سَأَعْمَلُ عَلَى إِضْلاَلِهِمْ وَإِغْوَائِهِمْ، إِلاَّ عِبَادَكَ الذِينَ أَخْلَصُوا

لَكَ العِبادَةَ، وَلَمْ أَتمكَّنْ مِنَ الاسْتِيلاءِ عَلَى نُفُوسِهِمْ لِعُمْرانِها بِذِكْرِكَ.
المُخْلَصِينَ ـ الَّذِينَ أَخْلَصْتَهُمْ لِطاعَتِكَ.

﴿٤١﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ

(صِراطٌ)

(٤١) ـ فَقَالَ اللهُ تَعالَى لإِبْلِيسَ مُتَوعِّداً مُتَهَدِّداً: إِنَّ مَرْجِعَكُمْ إِلَيَّ، وَلا مَهْرَبَ لَكُمْ مِنْهُ، وَسَأُجازِيكُمْ عَلَى أَعْمالِكُمْ إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً.
(وَقِيلَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ طَرِيقَ الحَقِّ مَرْجِعُها إِلَى اللهِ، وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي).
(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ الطَرِيقَ المُسْتَقِيمَ حَقٌّ عَلَيَّ مُراعَاتُهُ).

﴿٤٢﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ

(سُلْطَانٌ)

(٤٢) ـ إِنَّ عِبادِي الذِينَ قَدَّرْتُ لَهُمُ الهِدايَةَ لَا سُلْطانَ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ عَلَى إِضْلالِهِمْ، وَلَا عَلَى أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى ٱرْتِكابِ ذُنُوبٍ يَضِيقُ عَنْها عَفْوِي، وَلٰكِنَّ مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنْهُمْ بِٱخْتِيارِهِ صارَ مِنْ أَتْباعِكَ، وَسَيَكُونُ سُلْطَانُكَ عَلَى هٰؤُلاءِ.
سُلْطانٌ ـ تَسَلُّطٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى الإِغْواءِ.

﴿٤٣﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ

(٤٣) ـ وَإِنَّ جَهَنَّمَ هِيَ مَكانُ اللِّقاءِ وَالاجْتِماعِ (مَوْعِدُهُمْ) لِجَمِيعِ مَنِ ٱتَّبَعُوا إِبْلِيسَ وَهِيَ مَقَرُّهُمْ وَبِئْسَ المِهادُ.

﴿٤٤﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ

(أَبْوابٍ)

(٤٤) ـ وَيُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أَنَّ لِجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوابٍ، وَقَدْ قَدَّرَ اللهُ لِكُلِّ بابٍ مِنْ هٰذِهِ الأَبْوابِ السَّبْعَةِ نَصِيباً مُعَيَّناً مِنْ أَتْباعِ إِبْلِيسَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلى جَهَنَّمَ بِحَسَبِ أَعْمالِهِمْ.
(وَجاءَ فِي الحَدِيثِ: لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوابٍ، بَابٌ مِنْها لِمَنْ سَلَّ سَيْفاً عَلَى أُمَّتِي). (رَواهُ التِّرْمِذِي).
(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ سَبْعَ طَبَقاتٍ ـ أَوْ دَرَكاتٍ ـ يَنْزِلُونَها بِحَسَبِ مَراتِبِهِمْ فِي العَذابِ).
جُزْءٌ مَقْسُومٌ ـ فَرِيقٌ مُعَيَّنٌ مُتَمَيِّزٌ عَنْ غَيْرِهِ.

﴿٤٥﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ

(جَنَّاتٍ)

(٤٥) ـ ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالَى حالَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَقالَ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَٱتَّقَوا رَبَّهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ، وَتَنْبُعُ فِي أَرْضِها عُيُونُ الماءِ.

﴿٤٦﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ

(بِسَلاَمٍ) (آمِنِينَ)

(٤٦) - وَيُقَالُ لَهُمْ: ٱدْخُلُوا الجَنَّةَ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ مِنَ الآفَاتِ وَالمُنَغِّصَاتِ، آمِنُونَ مِنْ سَلْبِ تِلْكَ النِّعْمَةِ التِي أَنْعَمَ بِهَا اللهُ عَلَيْكُمْ، وَمِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَفَزَعٍ، لاَ تَخَافُونَ إِخْرَاجاً وَلاَ فَنَاءً وَلاَ زَوَالاً.

﴿٤٧﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ

(إِخْوَاناً) (مُتَقَابِلِينَ)

(٤٧) - وَيَنْزِعُ اللهُ الغِلَّ وَالحِقْدَ وَالضَّغِينَةَ مِنْ صُدُورِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَكُونُونَ إِخْوَاناً مُتَحَابِّينَ، وَيَجْلِسُونَ عَلَى سُرُرٍ بَعْضُهُمْ يُقَابِلُ بَعْضاً، وَيَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ، وَهُمْ يَتَسَامَرُونَ وَيَتَحَادَثُونَ، وَلا يَتَدَابَرُونَ، وَلا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى أَقْفِيَةِ بَعْضٍ، شَأْنَ المُتَبَاغِضِينَ المُتَجَافِينَ.

غِلٍّ - ضَغِينَةٍ وَعَدَاوَةٍ وَحِقْدٍ.

﴿٤٨﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ

(٤٨) - لاَ تَلْحَقُهُمْ فِي الجَنَّةِ مَشَقَّةٌ وَلا أَذًى (نَصَبٌ)، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَى العَمَلِ لِتَوْفِيرِ مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيهِ، فَقَدْ كَفَاهُمْ رَبُّهُمُ اللهُ ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِأَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَشْتَهُونَ وَيَطْلُبُونَ.

نَصَبٌ - تَعَبٌ وَعَنَاءٌ.

ربع الحزب ٢٧

﴿٤٩﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

(٤٩) - أَخْبِرْ، يَا مُحَمَّدُ، عِبَادِي أَنِّي غَفُورٌ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، أَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ تَابَ وَٱسْتَغْفَرَ وَأَخْلَصَ العَمَلَ، فَلا أَفْضَحُهُ وَلا أُعَاقِبُهُ، وَلا أُعَذِّبُهُ عَلَى ذَنْبٍ بَعْدَ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ.

﴿٥٠﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ

(٥٠) - وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ عَذَابِي لِمَنْ كَفَرَ وَعَتَا وَٱسْتَكْبَرَ، وَأَصَرَّ عَلَى ٱرْتِكَابِ المَعَاصِي، وَالإِقَامَةِ عَلَيْهَا... هُوَ العَذَابُ المُؤْلِمُ المُوجِعُ الذِي لا عَذَابَ مِثْلُهُ.

﴿٥١﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ

(إِبْرَاهِيمَ)

(٥١) - وَخَبِّرْهُمْ عَنْ قِصَّةِ الضَّيْفِ الذِينَ نَزَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، (وَكَلِمَةُ ضَيْفٍ تُطْلَقُ عَلَى الوَاحِدِ وَعَلَى الجَمْعِ) وَضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ هٰؤُلاءِ هُمُ المَلائِكَةُ الكِرَامُ، الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَى قَوْمِ لُوطٍ لإِيقَاعِ العَذَابِ بِهِمْ.

ضَيْفِ إِبراهِيمَ - أَضْيَافِهِ وَكَانُوا مِنَ المَلائِكَةِ.

﴿٥٢﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ

(سَلاماً)

(٥٢) - فَقَدْ دَخَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ خَائِفٌ مِنْهُمْ (وَجِلُونَ). وَسَبَبُ خَوْفِهِ أَنَّهُ قَدَّمَ إِلَيْهِم العِجْلَ المَشْوِيَّ فَرَآهُمْ لاَ

تَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى الطَّعَامِ ، فَظَنَّ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ شَرّاً.
وَجِلُونَ - فزِعُونَ وَخائِفُونَ.

﴿٥٣﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ

(بِغُلامٍ)

(٥٣) - فقَالُوا لَهُ لا تَخفْ مِنّا إِنّنا رُسُلُ رَبِّكَ، وَقَدْ أَتَيْنا لِنُبَشِّرَكَ بِأَنَّ اللهَ سَيَرْزُقُكَ وَلَداً (وَهُوَ إِسْحَاقُ عَلَيهِ السَّلامُ)، يَكُونُ ذَا عِلْمٍ وَفِطْنَةٍ وَفَهْمٍ فِي الدِّينِ.

﴿٥٤﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ

(٥٤) فقَالَ لَهُمْ مُتعَجِّباً أَنْ يُولَدَ لَهُ وَلَدٌ، بَعْدَ أَنْ كَبِرَ وَطَعَنَ فِي السِّنِّ هُوَ وَزَوْجَتُهُ: كَيْفَ تُبَشِّرُونَنِي بِولادَةِ وَلَدٍ لِي بَعْدَ أَنْ عَلانِيَ الكِبَرُ، وَأَثَّرَ فِيَّ، وَتِلْكَ حالٌ تَتَنافَى مَعَ هٰذِهِ البُشْرَى، فَبِأَيِّ أُعْجُوبَةٍ تُبَشِّرُونَ؟ وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ هٰذا القَوْلَ مُتعَجِّباً، لاَ مُسْتَبْعِداً حُصُولَ ذٰلِكَ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ،فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ.

﴿٥٥﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ

(بَشَّرْنَاكَ) (الْقَانِطِينَ)

(٥٥) - فَأَجَابَهُ الرُّسُلُ مُؤَكِّدِينَ البُشْرَى: إِنَّهُمْ يُبَشِّرُونَهُ بِالوَلَدِ تَحْقِيقاً وَبِشارَةً، وَيَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يَكُونَ مِنَ اليَائِسِينَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ.
القَانِطِينَ - الآيِسِينَ مِنَ الخَيْرِ أَوِ الوَلَدِ.

﴿٥٦﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ

(٥٦) - فَأَجابَهُمْ إِنَّهُ لَيْسَ قَانِطاً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلٰكِنَّهُ يَرْجُو الوَلَدَ مِنَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ كَبِرَ وَأَسَنَّتْ زَوْجَتُهُ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذٰلِكَ. وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِلاَّ مَنْ ضَلَّ طَرِيقَ الهِدَايَةِ وَالإِيمَانِ، وَجَهِلَ عَظَمَةَ الخَالِقِ.

﴿٥٧﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ

(٥٧) - وَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ، وَجَاءَتْهُ البُشْرَى، أَخَذَ يَسْأَلُ المَلائِكَةَ الكِرامَ عَمَّا جَاؤُوا مِنْ أَجْلِهِ غَيْرَ البُشْرَى، فَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ، وَالبُشْرَى لاَ تَحْتاجُ إِلى هٰذا العَدَدِ.
فَمَا خَطْبُكُمْ - فَمَا شَأْنُكُمُ الخَطِيرُ؟

﴿٥٨﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ

(٥٨) - فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ مُرْسَلُونَ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ،وَلإِهْلاكِهِمْ، وَهؤُلاَءِ هُمْ قَوْمُ لُوطٍ.

﴿٥٩﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ

(آلَ)

(٥٩) - وَإِنَّهُمْ سَيُنَجُّونَ لُوطاً وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ.

(٦٠) إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ

(الغابِرينَ)

(٦٠) - ولَا يَسْتَثْنُونَ مِنْ آلِ لُوطٍ إلَّا آمْرَأَتَهُ، فإنَّها سَتكُونُ مِنَ الَّذِينَ يَبْقونَ في المَدِينَةِ حِينَ نُزُولِ العَذابِ بِقَوْمِها، فَتَهْلِكُ مَعَ مَنْ يَهْلِكُ مِنْ قَوْمِها.

الغَابِرِينَ - تَأْتِي بِمَعْنَى البَاقِينَ، وبِمَعْنَى الهَالِكِينَ.
قَدَّرْنَا - قَضَيْنَا وحَكَمْنَا أَوْ عَلِمْنَا.

(٦١) فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ

(آلَ)

(٦١) - ولَمَّا جَاءَ المُرْسَلُونَ إلى لُوطٍ، في صُورَةِ شُبَّانٍ صِباحِ الوُجُوهِ.

(٦٢) قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ

(٦٢) - فَضَاقَ لُوطٌ، عَلَيْهِ السَّلامُ، بِهٰؤُلاءِ الضُّيُوفِ ذَرْعاً، خَوْفاً عَلَيْهِمْ مِنْ فَسَادِ قَوْمِهِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِم القُدُومَ إلى هٰذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها.
قَوْمٌ مُنْكَرُونَ - أُنْكِرُكُمْ ولَا أَعْرِفُكُمْ.

(٦٣) قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ

(جِئْنَاكَ)

(٦٣) - فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ جَاؤُوهُ بالعَذابِ لِقَوْمِهِ، وبِهَلاكِهِمْ ودَمارِهِمْ وَقَدْ كَانُوا يَشُكُّونَ في حُلُولِهِ بِسَاحَتِهِمْ، حِينَما كَانَ لُوطٌ يُحَذِّرُهُمْ مِنْهُ، ويُخَوِّفُهُمْ نُزُولَهُ بِهِمْ، عِقَاباً لَهُمْ مِنَ اللهِ عَلَى كُفْرِهِمْ وفِسْقِهِمْ وفَسادِهِمْ.

فِيهِ يَمْتَرُونَ - يَشُكُّونَ ويُكَذِّبُونَ فِيهِ.

(٦٤) وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ

(وَأَتَيْنَاكَ) (لَصادِقُونَ)

(٦٤) - وَإِنَّا أَتَيْنَاكَ بالأَمْرِ المُحَقَّقِ المُتَيَقَّنِ الذِي لَا مَجَالَ لِلشَّكِّ فِيهِ، وَهُوَ العَذابُ الذِي قَدَّرَ اللهُ إِنْزالَهُ بِقَوْمِهِ، وَإِنَّا لَصادِقُونَ فِيما أَخْبَرْنَاكَ بِهِ مِنْ إِهْلاكِ قَوْمِكَ وَإِنْجائِكَ وَأَهْلَكَ.

(٦٥) فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ

(اللَّيْلِ) (أَدْبَارَهُمْ)

(٦٥) - ثُمَّ أَمَرَتِ المَلائِكَةُ لُوطاً بِأَنْ يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ مُضِيِّ جَانِبٍ مِنَ اللَّيْلِ، أَيْ بِطَائِفَةٍ مِنْهُ (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) وَأَنْ يَمْشِيَ لُوطٌ، عَلَيْهِ السَّلامُ، خَلْفَهُمْ فِي المُؤَخِّرَةِ لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَحْفَظَ لَهُمْ، وَأَمَرُوهُ بِأَنْ لَا يَلْتَفِتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلى الخَلْفِ حِينَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ تَنْزِلُ بِالقَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَفِيهَا العَذابُ والدَّمارُ. وَلْيَتَّجِهْ لُوطٌ وَأَهْلُهُ إلى المَكانِ الذِي عَيَّنَهُ اللهُ لَهُمْ، لِيَكُونَ دَارَ مَقامِهِمِ الجَدِيدِ.
بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ - جَانِبٍ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنْهُ أَوْ مِنْ آخِرِهِ.
اتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ - سِرْ خَلْفَهُمْ لِتَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ.

(٦٦) وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ

(٦٦) - وَأَوْحى الله تَعَالَى إِلَيْهِ أَنَّ ذٰلِكَ الأَمْرَ مَقْضِيٌّ مَبْتُوتٌ فِيه، وَهُوَ أَنَّ آخرَ قَوْمِكَ (دَابِرَهُمْ) سيكونُ هَالِكاً مُسْتَأْصلاً حِينَمَا يَدْخُلُ صَبَاحُ لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ، وَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ حَيّاً. (وَإذا هَلكَ دَابِرُ القَوْمِ فَقَدْ هَلكَ أَوَّلُهُمْ، أَيْ هَلكُوا جَمِيعاً).

قَضَيْنَا إِلَيْهِ - أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ.

دَابِرَ هؤلاءِ - آخِرَهُمْ. وَالمُرَادُ بِالتَّعْبِيرِ أَنَّهُمْ جَمِيعاً سَيَكُونُونَ هَالِكِينَ.

(٦٧) وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ

(٦٧) - ثُمَّ شَرَعَ اللهُ تَعَالَى يَقصُّ مَا صَدَرَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، حِينَما عَلِمُوا بِقُدُومِ أَضْيَافٍ صِبَاحِ الوُجُوهِ إلى دَارِ لُوطٍ، وَمَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ دَمَارِهِمْ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى سَابِقاً. فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ أَهْلَ القَرْيَةِ جَاؤوا إِلَى دَارِ لُوطٍ مُسْرِعِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَنَالُونَ بُغْيَتَهُمْ، بِفِعْلِ الفَاحِشَةِ، مِنْ هَؤُلَاءِ الضُّيُوفِ.

(وَقِيلَ إِنَّ آمْرَأَةَ لُوطٍ هِيَ التِي أَخْبَرَتْ قَوْمَهَا بِوُصُولِ الأَضْيَافِ إِلَى دَارِ زَوْجِها).

(٦٨) قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ

(٦٨) - وَقَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ لُوطٌ أَنَّ أَضْيَافَهُ هُمْ رُسُلُ رَبِّهِ إِلَيْهِ، أَخَذَ يُدَافِعُ قَوْمَهُ عَنْهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ أَضْيَافُهُ، وَرَجَاهُمْ أَنْ لَا يَخْذُلُوهُ، وَيُهِينُوهُ بِالاعْتِدَاءِ عَلَى أَضْيَافِهِ وَخَفْرِ ذِمَّتِهِ.

(٦٩) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ

(٦٩) - وَأَرَادَ لُوطٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِحَقِّهِ عَلَيْهِمْ، وَيَرْجُوهُمْ أَنْ لا يُخْزُوهُ أَمَامَ ضُيُوفِهِ، فَنَاشَدَهُمُ الله، وَذَكَّرَهُمْ بِمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَقْوَى اللهِ، وَمُرَاعَاةِ جَانِبِهِ تَعَالَى.

(٧٠) قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ

(العَالَمِينَ)

(٧٠) - فَقَالُوا لَهُ: أَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ آسْتِضَافَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي قَرْيَتِنَا، فَقَدْ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِكُلِّ غَرِيبٍ بِالسُّوءِ، وَكَانَ لُوطٌ يُدَافِعُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ آرْتِكَابِ الفَوَاحِشِ، وَيُدَافِعُهُمْ عَنْ أَضْيَافِهِ.

عَنِ العَالَمِينَ - عَنْ إِجَارَةِ أَوْ ضِيَافَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.

(٧١) قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ

(فَاعِلِينَ)

(٧١) - فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ لَهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الزَّوَاجِ مِنْ نِسَاءِ القَرْيَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ إِتْيَانِ الرِّجَالِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ.

(وَقَدْ سَمَّى نِسَاءَ قَوْمِهِ بَنَاتِهِ لأَنَّ رَسُولَ الأُمَّةِ كَالأَبِ فِيهَا).

(٧٢) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ

(٧٢) فَقَالَتِ المَلَائِكَةُ لِلُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَحَيَاتِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ، إِنَّ قَوْمَكَ لَفِي ضَلَالَتِهِمْ التِي جَعَلَتْهُمْ حَيَارَى لَا يَعْرِفُونَ مَا أَحَاطَ بِهِمْ مِنَ البَلَاءِ، وَلَا

مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ العَذابِ، لِمَا أَصابَهُمْ مِنْ عَمَى البَصِيرَةِ (يَعْمَهُونَ). (أَوْ أَنَّ القَسَمَ بِحَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى).
سَكْرَتِهِمْ - غِوَايَتِهِمْ وَضَلالَتِهِمْ.
يَعْمَهُونَ - يَعْمَوْنَ عَنِ الرُّشْدِ أَوْ يَتَحَيَّرُونَ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣﴾

(٧٣) - فَنَزَلَ بِهِم العَذابُ المُنْتَظَرُ، وَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ، وَقْتَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَكَانَ آبْتِدَاؤُهَا مِنَ الصُّبْحِ، وَآنْتِهاؤُهَا حِينَ الشُّرُوقِ، لِذلِكَ قَالَ أَوَّلاً (مُصْبِحِينَ) وَقَالَ هُنَا (مُشْرِقِينَ).
الصَّيْحَةُ - صَوْتٌ مُهْلِكٌ مِنَ السَّمَاءِ.
مُشْرِقِينَ - دَاخِلِينَ وَقْتَ الشُّرُوقِ.

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾

(عالِيَها)

(٧٤) فَهَدَمَ اللهُ بَلَدَهُمْ، وَقَلَبَهَا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، زَلْزَلَ أَرْضَهُمْ، وَجَعَلَ عَالِيَ بَلَدِهِمْ سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ أَثْنَاءَ ذلِكَ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مَشْوِيٍّ، أَوْ مُتَحَجِّرٍ، (سِجِّيلٍ)، فَقَتَلَتْ مَنْ لَمْ يَقْتُلْهُ الزِّلْزَالُ، وَهَدَمَتِ البُيُوتَ.
سِجِّيلٍ - طِينٍ مُتَحَجِّرٍ طُبِخَ بِالنَّارِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾

(لآياتٍ)

(٧٥) - وَإِنَّ فِيما فَعَلْنَاهُ بِقَوْمِ لُوطٍ، مِنَ الهَلاكِ وَالعَذابِ، لَدَلالاتٍ لِمَنْ يَتَفَكَّرُونَ فِي الكَوْنِ فَيَعْتَبِرُونَ بِمَا يَحْدُثُ فِيهِ مِنَ العِظَاتِ وَالعِبَرِ، وَلِمَنْ يَتَأَمَّلُونَ ذلِكَ وَيَتَوَسَّمُونَهُ، وَيَنْظُرُونَهُ بِعَيْنِ البَصِيرَةِ وَالبَصَرِ.
لِلْمُتَوَسِّمِينَ - لِلْمُتَفَرِّسِينَ. المُتَأَمِّلِينَ.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾

(٧٦) - وَإِنَّ هذِهِ القَرْيَةَ (قَرْيَةَ قَوْمِ لُوطٍ) التِي دَمَّرَهَا اللهُ تَعَالَى، وَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا لَهِيَ فِي طَرِيقٍ مُعْلَمٍ وَاضِحٍ يَمُرُّ بِهِ المُسَافِرُ مِنَ الحِجَازِ إِلَى الشَّامِ، وَيَرَى آثَارَهَا البَاقِيَةَ.
لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ - فِي طَرِيقٍ وَاضِحٍ بَاقٍ لَمْ يَنْدَثِرْ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾

(لآيَةً)

(٧٧) - وَالذِي صَنَعْنَاهُ بِقَوْمِ لُوطٍ مِنَ الهَلاكِ وَالدَّمَارِ، وَمَا قُمْنَا بِهِ مِنْ إِنْجَاءِ لُوطٍ وَأَهْلِهِ، لَدَلالَةٌ، وَعِبْرَةٌ جَلِيَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، لأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ العَذابِ إِنَّمَا كَانَ آنْتِقَاماً مِنْ أُولئِكَ الكَفَرَةِ الفَسَقَةِ، الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِهِ.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۝٧٨﴾

(أَصْحَابُ) (لَظَالِمِينَ)

((٧٨) - وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ هُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ، وَكَانَ ظُلْمُهُمْ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ،

وَقَطْعِهِم الطَّرِيقَ عَلَى السَّابِلَة، وَبَخْسِهِم المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ شُعَيْباً فَكَذَّبُوهُ.

الأَيْكَة - البُقْعَةِ الكَثِيفَةِ الشَّجَرِ.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ٧٩﴾

(٧٩) - فَانْتَقَمَ اللهُ مِنْهُمْ بِالصَّيْحَةِ وَالرَّجْفَةِ، وَعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ. وَكَانَتْ أَرْضُهُمْ قَرِيبَةً مِنْ أَرْضِ قَوْمِ لُوطٍ، وَكَانُوا بَعْدَهُمْ فِي الزَّمَانِ، وَكَانَتْ قَرْيَتُهُمْ وَقُرَى قَوْمِ لُوطٍ تَقَعُ عَلَى طَرِيقٍ ظَاهِرٍ يَأْتَمُّونَ بِهِ، وَيَهْتَدُونَ فِي سَيْرِهِمْ، بَيْنَ الحِجَازِ وَالشَّامِ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، حِينَما حَذَّرَهُمْ نِقْمَةَ اللهِ: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾[1].

وَإِنَّهُمَا - أَيْ قَرْيَةُ قَوْمِ لُوطٍ وَقَرْيَةُ أَصْحَابِ الأَيْكَةِ.

لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ - بِطَرِيقٍ وَاضِحٍ يَأْتَمُّونَ بِهِ فِي أَسْفَارِهِمْ.

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠﴾

(أَصْحَابُ)

(٨٠) - وَأَصْحَابُ الحِجْرِ هُمْ قَوْمُ ثَمُودَ، وَقَدْ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحاً، وَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ المُرْسَلِينَ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى إِنَّهُمْ كَذَّبُوا المُرْسَلِينَ.

الحِجْر - دِيَارُ ثَمُودَ بَيْنَ المَدِينَةِ وَتَبُوكَ.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٨١﴾

(آتَيْنَاهُمْ) (آيَاتِنَا)

(٨١) - وَآتَاهُم اللهُ مِنَ الآيَاتِ مَا يَدُلُّهُمْ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ صَالِحٌ، وَمِنْ هٰذِهِ الآيَاتِ أَنَّهُ دَعَا اللهَ - بِنَاءً عَلَى اقْتِرَاحِ قَوْمِهِ - فَأَخْرَجَ لَهُمْ نَاقَةً عُشَرَاءَ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ، وَكَانَتِ النَّاقَةُ تَسْرَحُ فِي بِلاَدِهِمْ، وَتَقْتَسِمُ مَعَهُمُ المَاءَ، فَتَشْرَبُهُ يَوْماً، وَيَشْرَبُونَهُ يَوْماً. فَضَاقُوا بِالنَّاقَةِ ذَرْعاً فَعَقَرُوهَا (ذَبَحُوهَا أَوْ قَتَلُوهَا)، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ عَنْ آخِرِهِمْ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾

(آمِنِينَ)

(٨٢) - وَكَانُوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الجِبَالِ، مَخَافَةَ هَدْمِهَا أَوْ نَقْبِهَا مِنْ قِبَلِ اللُّصُوصِ، أَوْ مَخَافَةَ تَخْرِيبِ الأَعْدَاءِ لَهَا.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الجِبَالِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ، وَمِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْها، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ بَطَراً وَأَشَراً وَعَبَثاً).

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣﴾

(٨٣) - فَلَمَّا كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، وَعَقَرُوا النَّاقَةَ، قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ نَبِيُّهُمْ: لَقَدْ عَتَوْتُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ فَانْتَظِرُوا عِقَابَ اللهِ، وَعَذَابَهُ عَلَى فِعْلِكُمْ، بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. وَفِي اليَوْمِ المُحَدَّدِ لِنُزُولِ العَذَابِ بِهِمْ - وَهُوَ اليَوْمُ الرَّابِعُ - أَخَذَتْهُمْ صَيْحَةُ العَذَابِ عِنْدَ الصَّبَاحِ، فَدَمَّرَهُمُ اللهُ جَمِيعاً، وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَداً.

---

(١) الآية ٨٩ مِنْ سُورَةِ هُود.

﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤﴾

(٨٤) - فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ما كَانُوا يَسْتَغِلُّونَهُ مِنْ زُرُوعِهِمْ وَثِمَارِهِمْ التي ضَنُّوا بِمائِهَا عَلَى النَّاقَةِ، حَتَّى عَقَرُوهَا، لِكَيْلا تُشارِكَهُمْ فِيهِ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمُ الأَمْوالُ التي يَكْسِبُونَها مِنْ أَعْمَالِهِمْ فِي نَحتِ البُيُوتِ، وَإِعْمَارِ الأَرْضِ ، لَمَّا جاءَهُمْ أَمْرُ اللهِ، كَمَا لَمْ تَمْنَعْهُمُ البُيُوتُ التي نَحَتُوهَا فِي الجِبَالِ لِتَدْفَعَ عَنْهُم عَادِيَاتِ الدَّهْرِ، مِنْ قَضَاءِ اللهِ شَيْئاً.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾

(السَّماوات)

(٨٥) - يَقُولُ تَعالَى : إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ ، وَلِحِكْمَةٍ وَمَصْلَحَةٍ. وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا بَاطِلاً وَعَبَثاً، لِلَّهْوِ وَالتَّسْلِيَةِ. ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّ السَّاعَةَ سَتَقُومُ لاَ مَحَالَةَ، وَحِينَئِذٍ يَلْقَى كُلُّ وَاحِدٍ جَزَاءَهُ. ثُمَّ أَمَرَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ إِساءَاتِ المُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ لَهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾

(الْخَلاَّقُ)

(٨٦) - وَيُقَرِّرُ اللهُ تَعَالَى : أَنَّهُ سَيَبْعَثُ الخَلْقَ حِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذٰلِكَ لأَنَّهُ الخَلاَّقُ الذي لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ، وَقَدْ خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ، لأَنَّهُ العَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَبِمَا تَفَرَّقَ مِنَ أَجْسَادِهِمْ فِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ .

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾

(آتَيْنَاكَ) (الْقُرْآنَ)

(٨٧) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : إِنَّهُ آتَاهُ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ، وَآتَاهُ القُرْآنَ العَظِيمَ.

وَآخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ المَقْصُودِ (بِالسَّبْعِ المَثَانِي) فَقَالَ آبْنُ مَسْعُودٍ وَآبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّهَا سُوَرُ القُرآنِ الطِّوَالِ (البَقَرَةُ وَآلُ عُمْرانَ وَالنِّسَاءُ وَالمَائِدَةُ وَالأَنْعَامُ وَالأَعْرَافُ وَيُونُسُ). وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ فِي هٰذِهِ السُّوَرِ السَّبْعِ الفَرَائِضَ وَالحُدُودَ وَالقِصَاصَ وَالأَحْكَامَ.

وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى بَيَّنَ، فِي هٰذِهِ السُّوَرِ السَّبْعِ ، الأَمْثَالَ وَالخَبَرَ وَالعِبَرَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّها سُورَةُ الفَاتِحَةِ، وَسُمِّيَتْ بِالسَّبْعِ المَثَانِي لأَنَّهَا تَتَأَلَّفُ مِنْ سَبْعِ آيَاتٍ فِيهَا الحَمْدُ وَالثَّنَاءُ عَلَى اللهِ، وَيُثَنَّى بِهَا فَتُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ رَكَعَاتِ الصَّلاةِ.

وَفِي حَدِيثٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ (أُمُّ القُرآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ). (رَواهُ أَبُو هُرَيْرَة).

سَبْعاً - سَبْعَ آيَاتٍ وَهِيَ الفَاتِحَةُ.

مِنَ المَثَانِي - التي تُثَنَّى وَتُكَرَّرُ قِرَاءَتُهَا فِي الصَّلاةِ.

﴿٨٨﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ

(أَزْواجاً)

(٨٨) - لَقَدْ آتَيْنَاكَ، يَا مُحَمَّدُ، القُرْآنَ العَظِيمَ، وَالسَّبْعَ المَثَانِيَ، فَقَدْ أُوتِيتَ النِّعَمَ العَظِيمَةَ التِي لاَ تُدَانِيهَا نِعَمٌ فِي الدُّنْيَا، فَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى الدُّنْيا، وَلاَ تَنْظُرْ إِلى زِينَتِها وَزُخْرُفِهَا، وَلاَ إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَهْلَهَا مِنْ زَهْرَتِها الفَانِيَةِ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ، فَلاَ تَغْبِطْهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، وَلاَ تُذْهِبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسراتٍ حُزْناً عَلَيْهِمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ لَكَ، وَمُخَالَفَتِكَ فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ، وَأَلِنْ جَانِبَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

آخْفِضْ جَنَاحَكَ - تَوَاضَعْ وَأَلِنْ جَانِبَكَ.

أَزْواجاً مِنْهُمْ - أَصْنَافاً مِنَ الكُفَّارِ.

الأَزْوَاجُ - وَاحِدُهَا زَوْجُ - وَهُوَ هُنَا الصِّنْفُ.

﴿٨٩﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ

(٨٩) - وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ إِنَّهُ نَذِيرٌ إِلَيْهِمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، قَدْ يَحِلُّ بِهِمْ، كَمَا حَلَّ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الأُمَمِ التِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا وَأَخَذَهَا اللهُ.

﴿٩٠﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ

(٩٠) - المُقْتَسِمُونَ هُمُ الذِينَ يَجْتَمِعُونَ وَيَحْلِفُونَ (يُقْسِمُونَ) عَلَى مُخَالَفَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى إِيذَائِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ. أَوْ كَمَا فَعَلَ الرَّهْطُ مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ الذِينَ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ، إِذِ آجْتَمَعُوا وَأَقْسَمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، عَلَى مَا آتَّفَقُوا عَلَيْهِ، لِكَيْلا يَنْكِلَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَيَتَراجَعَ عَمَّا آجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، فَكَأَنَّ هٰؤلاءِ المُقْتَسِمِينَ لاَ يُجْمِعُونَ عَلَى أَمْرٍ إِلاَّ أَقْسَمُوا عَلَيْهِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ العَذَابَ بِهٰؤلاءِ، كَمَا أَنْزَلَهُ بِالذِينَ تَقَاسَمُوا وَتَحالَفُوا عَلَى تَكْذِيبِ الأَنْبِيَاءِ وَقَتْلِهِمْ وَإِيذائِهِمْ.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ المَعْنى هُوَ: إِنَّنا آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي، كَمَا آتَيْنا مِنْ قَبْلِكَ اليَهُودَ التَّوْرَاةَ، وَالنَّصارَى الإِنْجِيلَ، وَهُمُ الذِينَ آقْتَسَمُوا القُرآنَ، وَجَزَّؤُوهُ أَجْزَاءً، فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ الذِي وَافَقَ كِتَابَهُمْ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ وَهُوَ مَا خَالَفَهُ).

المُقْتَسِمِينَ - أَهْلِ الكِتَابِ - أَوْ مَنْ يُقْسِمُونَ عَلَى كُلِّ مَا آجْتَمَعُوا عَلَيْهِ.

﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ

(القُرْآنَ)

(٩١) - الذِينَ جَزَّؤوا كِتَابَ اللهِ فَجَعَلُوهُ أَصْنَافاً فَآمَنُوا بِبَعْضٍ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ.

عِضِينَ - أَعْضَاءً وَأَجْزَاءً فَآمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٩٢

(لَنسْأَلَنَّهُم)

(٩٢) - وَيُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِذَاتِهِ الكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّهُ سَيَسْأَلُ هٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ وَالمُقْتَسِمِينَ . . جَمِيعاً عَمَّا كَانُوا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ فِيمَا بَعَثْنَاكَ بِهِ إِلَيْهِمْ .

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٣

(٩٣) - أَيْ إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَسْأَلُ هٰؤُلاءِ الذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ، فَآمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ ، عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ، حِينَمَا يَحْشُرُهُمْ لِلْحِسَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ .

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٩٤

(٩٤) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِإِبْلاغِ أَمْرِ رَبِّهِ إِلَى النَّاسِ ، وَالصَّدْعِ بِهِ، وَمُوَاجَهَةِ المُشْرِكِينَ بِهِ، وَعَدَمِ الخَوْفِ مِنْهُمْ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ عَصَمَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَحَفِظَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

فَاصْدَعْ - فَاجْهَرْ بِهِ، أَوِ امْضِهِ وَنَفِّذْهُ .

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ٩٥

(كَفَيْنَاكَ) (المُسْتَهْزِئِين)

(٩٥) - وَاللهُ تَعَالَى قَدْ كَفَاكَ أَيُّها الرَّسُولُ أَمْرَ الذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْكَ وَمِنَ القُرآنِ، وَحَفِظَكَ مِنْهُمْ .

وَالمُسْتَهْزِئُونَ هُمْ رُؤُوسُ الشِّرْكِ الذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ قَدْ مَرَّ بِخَمْسَةٍ مِنْهُمْ، فَأَخَذُوا يَتَغَامَزُونَ عَلَيهِ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَكَفَاهُ اللهُ أَمْرَهُمْ، وَشَرَّهُمْ .

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٩٦

(آخَرَ)

(٩٦) - وَهٰؤُلاءِ حَلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللهِ وَعَذَابُهُ لأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَعَ اللهِ مَعْبُوداً آخَرَ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَصِيرَهُمْ فِي العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ .

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ٩٧

(٩٧) - وَإِنَّا لَنَعْلَمُ - يَا مُحَمَّدُ - أَنَّكَ تَشْعُرُ بِالضِّيقِ وَالانْقِبَاضِ مِنْ أَذَاهُمْ، وَمِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِكَ، فَلا يَضِيقَنَّ بِذٰلِكَ صَدْرُكَ، وَلاَ يَثْنِيَنَّكَ ذٰلِكَ عَنْ إِبْلاغِ رِسَالَةِ رَبِّكَ .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ٩٨

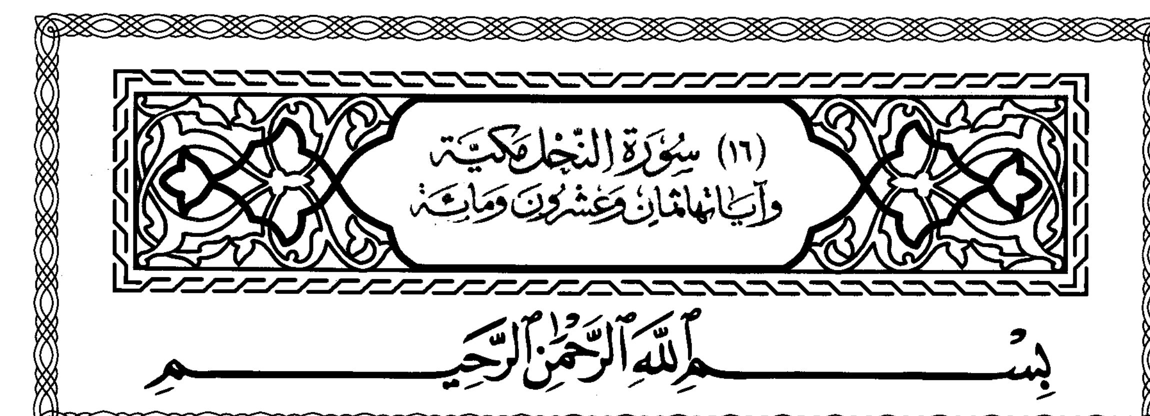
(السَّاجِدِينَ)

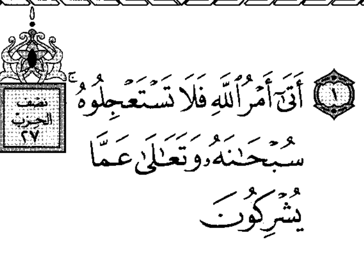
(٩٨) - وَإِذَا نَزَلَ بِكَ ضِيقٌ، وَأَخَذَتْكَ شِدَّةٌ، فَافْزَعْ إِلَى رَبِّكَ، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، وَاشْتَغِلْ بِذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ، وَتَسْبِيحِهِ وَعِبَادَتِهِ وَالصَّلاةِ لَهُ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُخَفِّفُ عَنْكَ مَا تَلْقَاهُ مِنْهُمْ. (وَلِذٰلِكَ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ لَجَأَ إِلَى الصَّلاةِ).

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ٩٩

(٩٩) - وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِالدَّوَامِ عَلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى، وَبِالمُوَاظَبَةِ عَلَيْهَا حَتَّى يَحِينَ أَجَلُهُ .

اليَقِينُ - هُوَ المَوْتُ المُتَيَقَّنُ وُقُوعُهُ .





(١) أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ

(سُبْحَانَهُ) (وَتَعَالَى)

(١) - يُخبِرُ اللهُ تَعالَى عَنِ ٱقْتِرابِ قِيامَ السَّاعَةِ، وَدُنُوِّ وَقْتِها، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْ ذٰلِكَ بِصِيغَةِ المَاضِي لِلدَّلاَلَةِ عَلَى التَّحقُّقِ وَالوُقُوعِ لاَ مَحَالَةَ. وَمَتى قامَتِ السَّاعَةُ، وَجَرَى الحِسَابُ، كَانَ مَصِيرُ الكُفَّارِ المُجْرِمِينَ العَذَابَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. فَٱسْتِعْجَالُهُمْ قِيامَ السَّاعَةِ كَاسْتِعْجَالِهِمْ حُلولَ العَذَابِ بِهِمْ، لِذٰلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ: فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا أَيُّها المُشْرِكُون بِالعَذَابِ.

(وَكَانَ مُشْرِكُو مَكَّةَ يَسْتَعْجِلُونَ الرَّسُولَ أَن يَأْتِيَهُمْ بِعَذَابِ الدُّنيا أو عَذَابِ الآخِرَةِ إن كَانَ صَادِقاً، وَكَانَ ذٰلِكَ ٱسْتِبْعَاداً مِنْهُمْ لِوُقُوعِ العَذَابِ، وَتَكْذِيباً للرَّسُولِ ﷺ).

ثُمَّ نَزَّهَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عَنْ شِرْكِهِمْ بِهِ غَيْرَهُ، وَعِبادَتِهِم الأَوْثَانَ وَالأَنْدَادَ مَعَهُ، تَقدَّسَ وَتَعَالَى عَنْ ذٰلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

سُبْحَانَهُ - تَنَزَّهَ ٱسْمُ اللهِ تَعَالَى.

تَعَالَى - تَعَاظَمَ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الجَلِيلَةِ.

(٢) يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ

(الْمَلاَئِكَةَ)

(٢) - يُنَزِّلُ اللهُ المَلاَئِكَةَ بِالوَحْيِ عَلَى مَنْ يَصْطَفِيهِمْ مِنْ خَلْقِهِ (الأَنْبِياءِ)، وَيَأْمُرُهُمْ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلى عِبادَتِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَيُنْذِرُهُمْ وَيُخَوِّفُهُمْ مِنْ عَذابِهِ وَعِقَابِهِ، لِمَنْ خَالَفَ مِنْهُمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَأَشْرَكَ بِهِ غَيْرَهُ فِي عِبادَتِهِ.

بِالرُّوحِ - بِالوَحْيِ - وَمِنْهُ القُرآنُ العَظِيمُ.

﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(السَّماوَاتِ) (تَعالَى)

(٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أَنَّهُ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْض وَمَا بَيْنَهُما عَلَى نَهْجٍ تَقْتَضِيهِ الحِكْمَةُ الإِلَهِيَّةُ، (بالحَقِّ)، لاَ عَبَثاً، وَإِنَّما لِيَجْزِيَ الذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى. ثُمَّ نَزَّهَ اللهُ تَعالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عَنْ شِرْكِ مَنْ عَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَهُوَ تَعالَى المُسْتَقِلُّ بِالخَلْقِ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي ذٰلِكَ، وَلاَ مُعِينَ، فَلِهٰذا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدَهُ الخَلْقُ وَحْدَهُ.

﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ

(ٱلإِنْسَانَ)

(٤) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعالَى العِبادَ إِلَى أَنَّهُ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ ضَعِيفٍ مَهِينٍ، وَمَرَّ فِي أَطْوارٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى خَرَجَ طِفْلاً، فَغَذَّاهُ وَنَمَّاهُ، وَرَزَقَهُ القُوتَ. فَلَمَّا آسْتَقَلَّ وَدَرَجَ إِذا هُوَ يُخاصِمُ رَبَّهُ تَعالَى، وَيُكَذِّبُهُ وَيُحارِبُهُ، وَيُحارِبُ رُسُلَهُ، مَعَ أَنَّ اللهَ إِنَّما خَلَقَهُ لِيَكُونَ لَهُ عَبْداً لاَ ضِدّاً.

وَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَقَ فِي كَفِّهِ ثُمَّ قَالَ: (يَقُولُ اللهُ تَعالَى: آبْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ فَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْكَ، وَلِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذا بَلَغَتِ الحلْقُومَ قُلْتَ أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوانُ الصَّدَقَةِ؟).
(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَآبْنُ مَاجه).

الخَصِيمُ - الشَّدِيدُ الخُصُومَةِ بِالبَاطِلِ.

النُّطْفَةُ - المَاءُ الصَّافِي وَهُوَ هُنَا مَادَّةُ التَّلْقِيحِ.

﴿٥﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

(الأَنْعَامَ) (مَنَافِعُ)

(٥) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعالَى عَلَى عِبادِهِ بِما خَلَقَهُ لَهُمْ مِنَ الأَنْعامِ (وَهِيَ الإِبْلُ وَالبَقَرُ وَالغَنَمُ وَالمَاعِزُ) وَبِمَا جَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ، مِنْ أَصْوافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا يَلْبَسُونَ وَيَفْتَرِشُونَ (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ)، وَمِنْ لُحُومِهَا وَأَلْبَانِهَا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ.

دِفْءٌ - مَا تَتَدَفَّؤُونَ بِهِ مِنَ البَرْدِ.

﴿٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ

(٦) - وَلَهُمْ فِيهَا زِينَةٌ وَبَهْجَةٌ لِلنَّفْسِ، حِينَ تَرْجِعُ مِنَ المَرْعَى عَشِيَّةً شَبْعَى رِيَّا (حِينَ تُرِيحُونَ)، وَحِينَ تَغْدُو إِلى مَرَاعِيهَا صَباحاً (حِينَ تَسْرَحُونَ).

فِيهَا جَمَالٌ - فِيهَا تَجَمُّلٌ وَتَزَيُّنٌ.

حِينَ تُرِيحُونَ - حِينَ تَرُدُّونَهَا بِالعَشِيِّ إلَى المَرَاحِ .

حِينَ تَسْرَحُونَ - حِينَ تَخْرُجُونَ بِهَا فِي الغَدَاةِ إلى المَسْرَحِ .

٧ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(بَالِغِيهِ)

(٧) - وَهِيَ تَحْمِلُ أَيْضاً مَتَاعَكُمْ وَأَحْمَالَكُمُ الثَّقِيلَةَ (أَثْقَالَكُمْ) الَّتِي تَعْجِزُونَ عَنْ حَمْلِها وَنَقْلِها فِي أَسْفَارِكُمْ إلى بِلادٍ بَعِيدَةٍ، لَمْ تَكُونُوا لِتَبْلُغُوهَا بِأَنْفُسِكُمْ إلَّا بِمَشَقَّةٍ زَائِدَةٍ، وَلٰكِنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوهَا، وَلِتَحْمِلُوا عَلَيْها أَثْقَالَكُم، لِأَنَّهُ تَعَالَى رَؤُوفٌ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ.

أَثْقَالَكُمْ - أَمْتِعَتَكُمُ الثَّقِيلَةَ الحَمْلِ .

بِشِقِّ الأَنْفُسِ - بِمَشَقَّتِهَا وَتَعَبِهَا.

٨ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(٨) - وَخَلَقَ اللهُ الخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِلرُّكُوبِ وَالزِّينَةِ، وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَخْلُوقَاتٍ وَوَسَائِلَ أُخْرَى لَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ، تُفِيدُ فِي الزِّينَةِ وَالرُّكُوبِ (كَالقُطُرِ وَالسُّفُنِ وَالطَّائِرَاتِ . . .) .

٩ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ

(جَائِرٌ) (لَهَدَاكُمْ)

(٩) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الحَيَوانَاتِ الَّتِي يَرْكَبُونَهَا لِيَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَاتِهِمْ، شَرَعَ فِي ذِكْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا النَّاسُ إلى رَبِّهِمْ. فَقَالَ إنَّ هُنَاكَ طُرُقاً كَثِيرَةً يَسْلُكُهَا النَّاسُ، وَلٰكِنْ لَا يَصِلُ مِنْهَا إِلَيْهِ إلَّا طَرِيقُ الحَقِّ، وَهُوَ الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمُ الذِي شَرَعَهُ وَرَضِيَهُ، وَأَمَرَ بِهِ، وَهُوَ طَرِيقُ الإِسْلامِ لَهُ، وَالإِخْبَاتِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ تَعَالَى الذِي هَدَى النَّاسَ إِلَيْهِ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ. أَمَّا مَا عَدَاهَا مِنَ الطُّرُقِ فَإِنَّهَا مَسْدُودَةٌ، وَالأَعْمَالُ فِيهَا مَرْدُودَةٌ. وَمِنْ هٰذِهِ الطُّرُقِ مَا هُوَ مُعْوَجٌّ وَمُنْحَرِفٌ عَنِ الحَقِّ (جَائِرٌ)، وَكُلُّ ذٰلِكَ كَائِنٌ بِقَدَرِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً.

وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ - بَيَانُ الطَّرِيقِ القَاصِدِ المُسْتَقِيمِ .

مِنْهَا جَائِرٌ - مِنَ السَّبِيلِ مَائِلٌ عَنِ الحَقِّ .

١٠ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ

(١٠) - ثُمَّ يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ إِنْزَالِ المَطَرِ عَلَيْهِمْ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ، هُمْ وَأَنْعَامُهُمْ وَزُرُوعُهُمْ، وَلِيَخْرُجَ بِالمَاءِ الزَّرْعُ وَالنَّبَاتُ وَالأَشْجَارُ، فَيَأْكُلَ النَّاسُ مِنْهُ، وَيَرْعَوْا أَنْعَامَهُمْ.

تُسِيمُونَ - تَرْعَوْنَ أَنْعَامَكُمْ، وَالسَّوْمُ هُوَ الرَّعْيُ .

(١١) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ

(الأَعْنَابَ) (الثَّمَرَاتِ) (لآيَةً)

(١١) - فَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ الأَرْضِ، بِمَا يُنْزِلُهُ مِنَ المَطَرِ، الزُّرُوعَ وَالحُبُوبَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَالثِّمَارَ الأُخْرَى، المُخْتَلِفَةَ فِي طُعُومِهَا وَأَلْوَانِهَا وَأَشْكَالِهَا، مَعَ أَنَّهَا كُلَّهَا تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَتَخْرُجُ فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ. وَفِي ذٰلِكَ آيَاتٌ بَاهِرَاتٌ لِلَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ بِصُنْعِ اللهِ وَيَعْقِلُونَ.

(١٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ

(اللَّيْلَ) (مُسَخَّرَاتٌ) (لآيَاتٍ)

(١٢) - ثُمَّ يُنَبِّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى آيَاتِهِ العِظَامِ فِي تَسْخِيرِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يَتَعَاقَبَانِ، وَفِي اللَّيْلِ سَكَنٌ وَرَاحَةٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ، وَفِي النَّهَارِ سَعْيٌ، وَعَمَلٌ، وَمَعَاشٌ، وَفِي تَسْخِيرِهِ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ فِي السَّمَاوَاتِ لِتَكُونَ نُوراً وَضِيَاءً وَحَرَارَةً، وَلِيُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ. وَكُلٌّ مِنْهَا يَسِيرُ فِي فَلَكِهِ الذِي جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ بِحَرَكَةٍ مُقَدَّرَةٍ مُعَيَّنَةٍ: مِنْ تَسْخِيرٍ وَمَنَافِعَ وَنِظَامٍ... إلخ وَالجَمِيعُ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَتَقْدِيرِهِ. وَفِي ذٰلِكَ لآيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَدَلالاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ البَاهِرَةِ، وَسُلْطَانِهِ العَظِيمِ.

(١٣) وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ

(أَلْوَانُهُ) (لآيَةً)

(١٣) - ثُمَّ يُنَبِّهُ تَعَالَى البَشَرَ إِلَى مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ مِنَ الأَشْيَاءِ وَالمَخْلُوقَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ وَالمَعَادِنِ عَلَى اخْتِلافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ وَالخَوَاصِّ، وَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ إِنَّ فِي كُلِّ ذٰلِكَ لآيَاتٍ وَدَلالاتٍ لِمَنْ يَتَذَكَّرُونَ نِعَمَ اللهِ وَآلاءَهُ فَيَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ.

ذَرَأَ - خَلَقَ وَأَبْدَعَ لِمَنَافِعِكُم.

(١٤) وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ

(١٤) - ثُمَّ يَلْفِتُ اللهُ تَعَالَى نَظَرَ عِبَادِهِ إِلَى البَحْرِ المُتَلاطِمِ الأَمْوَاجِ، وَمَا فِيهِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ يَأْكُلُ مِنْهَا الإِنْسَانُ لَحْماً طَرِيّاً، وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنْ مَنَافِعَ لِلْبَشَرِ، إِذْ يَسْتَخْرِجُونَ مِنْهُ اللآلِىءَ وَالمَرْجَانَ وَغَيْرَهَا، وَيَجْعَلُونَ مِنْهَا الحُلِيَّ، وَإِذْ يُسَيِّرُونَ فِيهِ السُّفُنَ وَالمَرَاكِبَ، تَشُقُّ أَمْوَاجَهُ (تَمْخُرُ فِيهِ)، لِيَنْتَقِلُوا بِوَاسِطَتِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لِلتِّجَارَةِ وَنَقْلِ البَضَائِعِ وَتَأْمِينِ الرِّزْقِ، وَقَدْ هَدَاهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَى صُنْعِ السُّفُنِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ سَفِينَةً هُوَ نُوحٌ، عَلَيهِ السَّلامُ. وَيُذَكِّرُ اللهُ النَّاسَ بِجَمِيعِ هٰذِهِ النِّعَمِ التِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَهَا، وَيُقَدِّرُونَهَا، فَيَشْكُرُوا اللهَ تَعَالَى عَلَيْهَا، وَيَعْرِفُوا عَظِيمَ قُدْرَتِهِ عَلَى الخَلْقِ وَالبَعْثِ وَالحَشْرِ وَالحِسَابِ.

مَوَاخِرَ - جَوَارِيَ فِيهِ تَشُقُّ المَاءَ شَقّاً.

(١٥) وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(رَواسِيَ) (وَأَنْهاراً)

(١٥) - وَأَلْقَى اللهُ فِي الأَرْضِ جِبالاً شَامِخَاتٍ وَأَرْسَاهَا فِي الأَرْضِ لِتَسْتَقِرَّ الأَرْضُ بِهَا، فَلا تَمِيدَ وَلاَ تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَجَعَلَ فِي الأَرْضِ أَنْهَاراً تَجْرِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِمَا يَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْهَا مِنْ رِزْقٍ، وَبِمَا يُفِيدُونَهُ مِنْهَا مِنْ تَسْيِيرِ المَرَاكِبِ لِلْحُمُولَةِ وَالانْتِقَالِ، وَبِمَا يَشْرَبُونَ مِنْهَا مِنْ مَاءٍ، وَبِمَا يَرْوُونَ أَرْضَهُمْ وَأَنْعَامَهُمْ مِنْهُ، وَجَعَلَ فِي الأَرْضِ طُرُقاً (سُبُلاً) يَسْلُكُهَا النَّاسُ فِي انْتِقَالِهِمْ مِنْ أَرْضٍ إِلى أَرْضٍ، وَلِيَهْتَدُوا بِهَا فَلا يَضِلُّوا.

رَواسِيَ - جِبَالاً ثَوَابِتَ.

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ - لِكَيْلَا تَتَحَرَّكَ وَتَضْطَرِبَ بِكُمْ.

(١٦) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ

(عَلامَاتٍ)

(١٦) - وَجَعَلَ اللهُ فِي الأَرْضِ دَلالاتٍ (عَلامَاتٍ)، مِنْ جِبالٍ وَآكَامٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ. يَسْتَدِلُّ بِهَا المُسَافِرُونَ بَرّاً وَبَحْراً، إِذَا ضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَإِنَّهُ تَعَالَى أَلْهَمَ النَّاسَ الاسْتِدْلاَلَ بِالنُّجُومِ لِيَهْتَدُوا بِهَا أَثْنَاءَ سَيْرِهِمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ، فِي البَرِّ وَالبَحْرِ.

عَلامَاتٍ - مَعَالِمَ لِلطُّرُقِ تَهْتَدُونَ بِهَا.

(١٧) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

(١٧) - أَفَمَنْ يَخْلُقُ هٰذِهِ الخَلائِقَ العَجِيبَةَ، وَيُنْعِمُ هٰذِهِ النِّعَمَ العَظِيمَةَ، كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً، وَلاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلاَ لِعَابِدِيهِ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً؟ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ هٰذِهِ النِّعَمَ، وَهٰذِهِ القُدْرَةَ العَظِيمَةَ لِتُدْرِكُوا أَنَّ العِبَادَةَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِ اللهِ المُنْعِمِ المُتَفَضِّلِ عَلَى خَلْقِهِ. أَمَّا الأَصْنَامُ وَالأَوْثَانُ فَإِنَّها حِجَارَةٌ لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ شَيْئاً.

(١٨) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

(١٨) - وَيُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ شُكْرِهِ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ عَلَيْهِم، التِي لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى، وَلاَ يُمْكِنُ لِعُقُولِ هٰؤُلاَءِ حَصْرُهَا، وَلَوْ طَالَبَهُمْ بِالشُّكْرِ عَلَى جَمِيعِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ لَعَجَزُوا، وَإِذا عَذَّبَهُمْ لِتَقْصِيرِهِمْ فِي شُكْرِهِ لَكَانَ ذٰلِكَ بِذَنْبِهِمْ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلٰكِنَّهُ تَعَالَى غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَغْفِرُ الكَثِيرَ، وَيُثِيبُ عَلَى اليَسِيرِ.

لاَ تُحْصُوهَا - لاَ تُطِيقُوا حَصْرَهَا لِعَدَمِ تَنَاهِيهَا.

(١٩) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

(١٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَيُخْفُونَ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَمَا يَجُولُ فِي خَوَاطِرِهِمْ، كَمَا يَعْلَمُ مَا يُبْدُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ

وَجَوارِحِهِمْ وَأَفعَالِهِمْ، وَهُوَ مُحْصٍ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ، وَسَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(٢٠) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

(٢٠) ـ أَمَّا الأَصْنَامُ التِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنَّهَا حِجَارَةٌ لاَ تَخْلُقُ شَيْئاً، وَهِيَ مِنْ صُنْعِ البَشَرِ، أَيْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَالمَخْلُوقُ لاَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدَهُ البَشَرُ.

(٢١) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ

(أَمْوَاتٌ)

(٢١) ـ وَالأَصْنَامُ التِي يَعْبُدُهَا هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ، وَيَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، هِيَ حِجَارَةٌ لاَ رُوحَ فِيهَا، وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ تَسْمَعُ، وَلاَ تُبْصِرُ، وَلاَ تَعْقِلُ، وَلاَ تَدْرِي مَتَى تَكُونُ السَّاعَةُ وَالبَعْثُ وَالحِسَابُ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنْهَا نَفْعٌ أَوْ ثَوَابٌ أَوْ جَزَاءٌ؟ وَهَلْ يَلِيقُ بِالعَاقِلِ أَنْ يُشْرِكَ مِثْلَ هٰذِهِ الحِجَارَةِ فِي العِبَادَةِ مَعَ اللهِ؟

(٢٢) إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ

(وَاحِدٌ) (بِالآخِرَةِ)

(٢٢) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ أَنَّ إِلٰهَهُمْ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ، أَمَّا الكَافِرُونَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالآخِرَةِ، فَتَنْكُرُ قُلُوبُهُمْ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَتَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَتَجْحَدُ قُلُوبُهُمْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَإِبْدَاعِهِ، وَفَضْلِهِ عَلَى العِبَادِ.

(٢٣) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

(٢٣) ـ وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّهُ هٰؤُلاءِ المُسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، مِنْ كِبْرٍ، وَآسْتِكْبَارٍ، وَإِنْكَارٍ لِنِعَمِ اللهِ، وَيَعْلَمُ مَا يُعْلِنُونَ مِنْ كُفْرٍ وَآفْتِرَاءٍ عَلَى اللهِ، لأَنَّهُ مَعَهُمْ حَيْثُمَا كَانُوا، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذٰلِكَ أَوْفَى الجَزَاءِ فِي الآخِرَةِ، وَهُوَ لاَ يُحِبُّ مَنِ آسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، وَتَجَبَّرَ فِي الأَرْضِ.

لاَ جَرَمَ ـ لاَ شَكَّ أَوْ حَقَّ وَثَبَتَ أَوْ حَقّاً.

(٢٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

(أَسَاطِيرُ)

(٢٤) ـ وَإِذَا قِيلَ لِهٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ المُسْتَكْبِرِينَ: مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؟ قَالُوا مُعْرِضِينَ عَنِ الجَوَابِ: لَمْ يُنْزِلْ شَيْئاً، إِنَّمَا هٰذَا الذِي نَسْمَعُهُ هُوَ مِنْ أَسَاطِيرِ الأَوَّلِينَ، مَأْخُوذٌ مِنْ كُتُبِهِمْ وَقَصَصِهِمْ.

(وَيُرْوَى فِي سَبَبِ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ أَنَّ قُرَيْشاً تَذَاكَرَتْ أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ

﴿٢٥﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ

﴿٢٦﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

﴿٢٧﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ

فَقَالُوا: إِنَّهُ حُلْوُ اللِّسَانِ إِذَا كَلَّمَهُ أَحَدٌ ذَهَبَ بِعَقْلِهِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا فِي الدُّرُوبِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى مَكَّةَ أُنَاساً مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنِ الوُصُولِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانُوا إِذَا ٱلتَقَوا بِوَافِدٍ عَلَى الرَّسُولِ عَرَّفُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ مُحَمَّداً لَمْ يَتْبَعْهُ إِلاَّ العَبِيدُ وَالسُّفَهَاءُ، وَمَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِمْ، أَمَّا شُيُوخُ قَوْمِهِ فَهُمْ لَهُ مُفَارِقُونَ، فَيَرْجِعُ الوَافِدُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾**.

وَإِذَا كَانَ الوَافِدُ رَشِيداً فَأَصَرَّ عَلَى مُقَابَلَةِ مُحَمَّدٍ لِيَسْمَعَ مِنْهُ، فَيَدْخُلُ مَكَّةَ، وَيَلْقَى المُؤْمِنِينَ فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ الرَّسُولِ، وَمَا يَقُولُ؟ فَيَقُولُونَ: خَيْراً.

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ - أَبَاطِيلُهُم المُسَطَّرَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

(الْقِيَامَةِ)

(٢٥) - وَلَقَدْ قَالُوا مَا قَالُوهُ عَنِ الرَّسُولِ وَعَنِ القُرآنِ، وَعَنْ رِسَالَةِ اللهِ، لِتَكُونَ عَاقِبَتُهُمْ أَنْ يَتَحَمَّلُوا آثَامَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَأَوْزَارَ كُفْرِهِمْ، وَلِيَتَحَمَّلُوا مَعَهَا مِنْ خَطَايَا وَأَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ، وَيَحْمِلُونَهُمْ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ، **﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً﴾**[1].

أَوْزَارُهُمْ - آثَامُهُمْ وَذُنُوبُهُمْ.

(بُنْيَانَهُمْ) (وَأَتَاهُمُ)

(٢٦) - لَقَدِ ٱحْتَالَ مَنْ هُمْ قَبْلَ قَوْمِكَ، يَا مُحَمَّدُ، فِي إِيذَاءِ الرُّسُلِ، وَفِي إِضْلاَلِ النَّاسِ بِكُلِّ حِيلَةٍ، وَحَاوَلُوا ٱسْتِمَالَتَهُمْ إِلَى شِرْكِهِمْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ **﴿مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾**، فَفَضَحَهُمُ اللهُ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ، وَأَبْطَلَ كَيْدَهُمْ وَمَكْرَهُمْ، وَهَدَمَ بُنْيَانَ مَكْرِهِمْ مِنْ أَسَاسِهِ، وَعَادَ عَلَيْهِمْ وَبَالُ مَكْرِهِمْ وَكَيْدِهِمْ، وَأَتَاهُمْ عَذَابُ اللهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَلَمْ يَنْتَظِرُوا فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ.

القَوَاعِدِ - الدَّعَائِمِ وَالعَمَدِ أَوِ الأُسُسِ.

(الْقِيَامَةِ) (شُرَكَائِيَ) (تُشَاقُّونَ) (الْكَافِرِينَ)

(٢٧) - وَيُخْزِيهِمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ وَالخَلاَئِقِ، إِذْ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَسْتُرُونَ مِنَ المَكْرِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذِينَ كُنْتُمْ تُحَارِبُونَ، وَتُعَادُونَ النَّبِيَّ وَالمُؤْمِنِينَ فِي سَبِيلِهِمْ (تُشَاقُّونَ

(١) الآية ١٠١ من سورة طه.

فِيهِمْ)؟ لِمَاذا يَتَأَخَّرُونَ عَنْ نَصْرِكُمْ، وَإِنْقَاذِكُمُ اليَوْمَ؟ فَإِذَا تَوَجَّهَتِ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلالاتُ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الكَلِمَةُ، وَسَكَتُوا عَنِ الاعْتِذَارِ، قَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ (وَهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالمُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ، وَهُمُ السَّادَةُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ): إِنَّ الفَضِيحَةَ وَالعَذَابَ مُحِيطَانِ اليَوْمَ بِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي العِبَادَةِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَلاَ يَنْفَعُهُ.

يُخْزِيهِمْ - يُذِلُّهُمْ وَيُهِينُهُمْ بِالعَذَابِ.

تُشَاقُّونَ فِيهِمْ - تُخَاصِمُونَ وَتُعَادُونَ الأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ.

الخِزْيَ - الذُّلَّ وَالهَوَانَ.

(٢٨) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(تتوفَّاهُمُ) (المَلائِكَةُ)

(٢٨) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الكَافِرِينَ، الذِينَ يَسْتَحِقُّونَ العَذَابَ، هُمُ الذِينَ آسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ جَاءَتْهُمْ مَلاَئِكَةُ المَوْتِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَهُمْ ظَالِمُونَ لأَنْفُسِهِمْ، فَحِينَ تَأْتِي المَلاَئِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِ هَؤُلاَءِ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِتَعْرِيضِهَا لِلْعَذَابِ المُخَلَّدِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، يَسْتَسْلِمُونَ حِينَئِذٍ، وَيَنْقَادُونَ حِينَ يُعَايِنُونَ العَذَابَ قَائِلِينَ: مَا كُنَّا نُشْرِكُ بِرَبِّنَا أَحَداً، وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ هَذا. وَيُكَذِّبُهُمْ تَعَالَى فِيمَا يَقُولُونَ وَيَقُولُ لَهُمْ: بَلْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَتُشْرِكُونَ وَتَرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَلاَ فَائِدَةَ اليَوْمَ مِنَ الإِنْكَارِ، وَاللهُ مُجَازِيكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ.

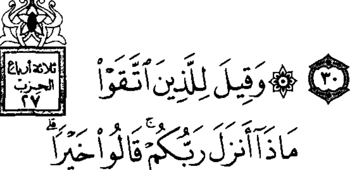
أَلْقَوا السَّلَمَ - أَظْهَرُوا الاسْتِسْلاَمَ وَالخُضُوعَ.

(٢٩) فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ

(أَبْوَاب) (خَالِدِينَ)

(٢٩) - وَيَأْمُرُهُمُ اللهُ بِدُخُولِ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ لِيَبْقَوْا فِيهَا، وَلِيَذُوقُوا أَلْوَاناً مِنَ العَذَابِ، جَزَاءً لَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَآرْتَكَبُوا مِنَ المَعَاصِي، وَلَبِئْسَ جَهَنَّمُ مَقِيلاً وَمَقَاماً لِلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنِ آتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَالاهْتِدَاءِ بِالآيَاتِ التِي أُنْزِلَتْ إِلَيْهِمْ.

مَثْوَى - مَأْوَى وَمَقَامٌ.



(٣٠) ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا

(الآخِرَةِ)

(٣٠) - وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ المُؤْمِنِينَ السُّعَدَاءِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ عَلَى رَسُولِهِ؟ قَالُوا: أَنْزَلَ القُرْآنَ، فِيهِ خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ، وَبَرَكَةٌ لِمَنِ آتَّبَعَهُ، وَآمَنَ بِهِ.

حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ

ثُمَّ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، فَقَالَ: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ فِي الدُّنْيا، فَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَمَرَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ المُنْكَرِ. أَحْسَنَ اللهُ إِلَيهِ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ. وَإِنَّ دَارَ الآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا الفَانِيَةِ، وَالجَزَاءُ فِيها أَتَمُّ مِنَ الجَزَاءِ فِي الدُّنيا، وَنَعِمَتْ دَارُ الآخِرَةِ دَاراً لِلْمُتَّقِينَ.

(٣١) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ

(جَنَّاتُ) (الأَنْهَارُ)

(٣١) - وَالدَّارُ التِي وَعَدَ اللهُ بِهَا المُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ فِي الآخِرَةِ هِيَ جَنَّاتُ مَقَام (عَدْنٍ)، يَدْخُلُونَها، تَجْرِي فِي أَرْضِهَا الأَنْهَارُ (مِنْ تَحْتِهَا) بَيْنَ أَشْجَارِها وَقُصُورِها، وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَطْلُبُونَ وَيَشْتَهُونَ، وَكَذلِكَ يَجْزِي اللهُ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّقَاهُ، وَأَحْسَنَ عَمَلَهُ.

(٣٢) الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(تتوفَّاهُمُ) (المَلائِكَةُ) (سَلامٌ)

(٣٢) - وَيُخبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ المُؤْمِنِينَ القَائِمِينَ بِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالمُنْتَهِينَ عَنْ جَمِيعِ مَا نَهَى عَنْهُ (الطَّيِّبِينَ) حِينَ تَحْضُرُهُمُ المَلائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ طَيِّبُونَ، مُخْلَصُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَالدَّنَسِ وَالسُّوءِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَتُبَشِّرُهُمْ بِالجَنَّةِ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعَلَى أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ.

طَيِّبُونَ - طَاهِرُونَ مِنْ دَنَسِ الشِّرْكِ وَالمَعَاصِي أَوْ يَطِيبُ لِلْمَلائِكَةِ قَبْضُ أَرْوَاحِهِمْ.

(٣٣) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(المَلائِكَةُ)

(٣٣) - يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى المُشْرِكِينَ عَلَى تَمَادِيهِمْ فِي الكُفْرِ وَالضَّلالَةِ، وَاغْتِرَارِهِمْ بِالدُّنيا، فَيَقُولُ: هَلْ سَيَظَلُّ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ مُقِيمِينَ عَلَى شِرْكِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَهُمْ ظَالِمُونَ لأَنْفُسِهِمْ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ اللهِ فَيُهْلِكَهُمْ جَمِيعاً؟ فَإِنَّهُمْ بِعِنَادِهِمْ، وَبَقَائِهِمْ عَلَى شِرْكِهِمْ، لا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا المَلائِكَةَ تَأْتِي لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَهُمْ ظَالِمُونَ لأَنْفُسِهِمْ، بِالشِّرْكِ، وَعَمَلِ السَّيِّئَاتِ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمُ القِيَامَةِ (أَمْرُ رَبِّكَ)، وَمَا يُعَايِنُونَ فِيهِ مِنَ الأَهْوَالِ؟

(وَقِيلَ بَلِ المَقْصُودُ هُنا أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ بِالعَذَابِ فِي الدُّنْيا، كَمَا فَعَلَ بِأَسْلافِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ فَيُرْسِلُ عَلَيْهِم الصَّوَاعِقَ، أَوْ يَخْسِفُ بِهِمُ الأَرْضَ).

وَكَمَا فَعَلَ مُشْرِكُو مَكَّةَ، وَتَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، كَذٰلِكَ فَعَلَ أَسْلاَفُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى غَيِّهِمْ وَضَلاَلِهِمْ، حَتَّى حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ وَبَأْسُهُ وَنَكَالُهُ.

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ، لأَنَّهُ أَعْذَرَ إِلَيْهِمْ، وَأَقَامَ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، بِإِرْسَالِ رُسُلِهِ إِلَيْهِمْ، وَإِنْزَالِ الكُتُبِ، وَلٰكِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ، وَبِمُخَالَفَةِ الرُّسُلِ، وَبِالتَّكْذِيبِ بِمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ.

﴿٣٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٣٤) - وَلِهٰذَا حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ الأَلِيمُ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوا، وَأَحَاطَ بِهِمْ (حَاقَ بِهِمْ)، وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَهْزِئُونَ بِهٰذَا العَذَابِ، حِينَ كَانَ الرُّسُلُ يُحَذِّرُونَهُمْ مِنْهُ، وَلِهٰذَا يُقَالُ لَهُمْ، يَوْمَ القِيَامَةِ: **﴿هٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾**، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1].

حَاقَ بِهِمْ - أَحَاطَ بِهِمْ.

﴿٣٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

(آبَاؤُنَا) (الْبَلاَغُ)

(٣٥) - وَيَعْتَذِرُ الْمُشْرِكُونَ عَنْ شِرْكِهِمْ، وَعِبَادَتِهِم الأَصْنَامَ، وَتَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوهُ مِنَ السَّوائِبِ وَالبَحَائِرِ وَالوَصَائِلِ.. إلخ وَيَحْتَمُونَ بِالقَدَرِ، وَبِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرَادَ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذٰلِكَ. وَيَقُولُونَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَوْ كَانَ كَارِهاً ذٰلِكَ لَمَا فَعَلُوهُ هُمْ، وَلاَ فَعَلَهُ آبَاؤُهُمْ، وَلأَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ بِالعُقُوبَةِ، وَلَمَا مَكَّنَهُمْ مِنْهُ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْهُ عَلَيْكُمْ، فَقَدْ أَنْكَرَهُ عَلَيْكُمْ أَشَدَّ الإِنْكَارِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ أَشَدَّ النَّهْيِ، وَبَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ رَسُولاً يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ وَعِبَادَتِهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ عَوَاقِبَ الشِّرْكِ، وَنَتَائِجَ البَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالكُفْرِ، وَلٰكِنَّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، كَمَا كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَتَابَعُوا أَسْلاَفَهُمْ عَلَى ضَلاَلِهِمْ فِي تَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ، كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. وَمَهَمَّةُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ هِيَ إِبْلاَغُ النَّاسِ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ وَلَيْسَتْ مَهَمَّتُهُمْ إِجْبَارَ النَّاسِ، وَإِكْرَاهَهُمْ عَلَى الإِيمَانِ.

﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ

(الطَّاغُوتَ) (الضَّلاَلَةُ) (عَاقِبَةُ)

(٣٦) - فَقَدْ بَعَثَ اللهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ (الطَّاغُوتِ)، وَعَنْ عِبَادَةِ

(١) الآية ١٤ من سورة الطُّور.

حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ

الأَوْثانِ، وَعَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ، وَٱتَّبَعَ الرُّسُلَ فَٱهْتَدَى، وَمِنْهُمْ مَنْ ضَلَّ وَٱسْتَكْبَرَ وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ. فَقُلْ، يَا مُحَمَّدُ، لِهٰؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ: سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ نِهَايَةُ المُكَذِّبِينَ، وَكَيْفَ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَهْلَكَهُمْ، وَجَعَلَ عَاقِبَتَهُمْ أَسْوَأَ عَاقِبَةٍ، وَلِذٰلِكَ كُلِّهِ فَإِنَّ هٰؤُلاَءِ لاَ بُرْهَانَ لَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ اللهَ رَضِيَ لَهُمُ الكُفْرَ.

ٱجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ـ كُلَّ مَعْبُودٍ بَاطِلٍ، وَكُلَّ دَاعٍ إِلَى ضَلاَلَةٍ.

حَقَّتْ ـ ثَبَتَتْ وَوَجَبَتْ.

(٣٧) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ

(هُدَاهُمْ) (نَاصِرِينَ)

(٣٧) ـ يُخْبِرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّ حِرْصَهُ عَلَى هِدَايَةِ المُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِهِ لاَ يَنْفَعُهُمْ إِذَا كَانَ اللهُ قَدْ قَدَّرَ لَهُمُ الضَّلاَلَ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى.

(٣٨) وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(أَيْمَانِهِمْ)

(٣٨) ـ حَلَفَ المُشْرِكُونَ وَأَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الحَلْفِ (جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)، وَغَلَّظُوا الأَيْمَانَ عَلَى أَنَّ اللهَ لاَ يَبْعَثُ المَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ، يَوْمَ القِيَامَةِ، فَٱسْتَبْعَدُوا ذٰلِكَ، وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ فِي إِخْبَارِهِمْ لَهُمْ بِذٰلِكَ. وَحَلَفُوا عَلَى نَقِيضِهِ. وَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: بَلَى. سَيَكُونُ ذٰلِكَ البَعْثُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ وَعْدٌ مِنَ اللهِ حَقٌّ لاَ بُدَّ مِنْهُ. وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَجْهَلُونَ حِكْمَةَ اللهِ فِي خَلْقِ هٰذا العَالَمِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْهُ عَبَثاً، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ الرُّسُلَ، وَيَقَعُونَ فِي الكُفْرِ وَيُكَذِّبُونَ بِوُقُوعِ البَعْثِ، وَحُدُوثِ المَعَادِ.

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ـ يُجْهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الحَلِفِ بِأَغْلَظِ الأَيْمَانِ وَأَوْكَدِهَا.

(٣٩) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ

(كَاذِبِينَ)

(٣٩) ـ وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى حِكْمَتَهُ فِي المَعَادِ وَالحَشْرِ، فَيَقُولُ: إِنَّ حِكْمَتَهُ ٱقْتَضَتْ ذٰلِكَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِي أَيْمَانِهِمْ، وَفِي حَلْفِهِمْ عَلَى أَنَّ اللهَ لاَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ.

(٤٠) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

(أَرَدْنَاهُ)

(٤٠) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ بَعْثَ الخَلاَئِقِ، يَوْمَ القِيَامَةِ، سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُ لاَ دَاعِيَ

لأَنْ يَسْتَبْعِدَهُ الكُفَّارُ، فَإِذَا أَرادَ اللهُ أَمْراً فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ الشَّيْءُ لِوَقْتِهِ دُونَ أَنْ يُكَرِّرَ اللهُ أَمْرَهُ مَرَّةً أُخْرَى ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ**﴾(١).

(٤١) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

(٤١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الجَزَاءِ الذِي أَعَدَّهُ لِلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِهِ، وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَهُمُ الذِينَ فَارَقُوا الدَّارَ وَالإِخْوَانَ وَالخِلاَّنَ، رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ وَحُسْنِ جَزَائِهِ: فَقَالَ إِنَّهُ وَعَدَهُمْ بِالمُجَازَاةِ الحَسَنَةِ فِي الدَّارِ الدُّنْيا وَفِي الدَّارِ الآخِرَةِ، فَأَكْرَمَهُمُ اللهُ بِالسَّكَنِ فِي المَدِينَةِ، وَآتَاهُمُ الرِّزْقَ الحَلاَلَ الطَّيِّبَ، وَجَعَلَهُمْ سَادَةً وَأُمَرَاءَ، وَسَيَكُونُ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِمَّا آتَاهُمْ فِي الدُّنْيا. وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الهِجْرَةِ يَعْلَمُونَ مَا ٱدَّخَرَ اللهُ، لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَٱتَّبَعَ رَسُولَهُ، مِنْ عَظِيمِ الثَّوابِ، لَمَا تَأَخَّرُوا عَنِ اللَّحَاقِ بِهِمْ.

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ - لَنُنْزِلَنَّهُمْ.

حَسَنَةً - مَبَاءَةً حَسَنَةً أَوْ داراً أَوْ أُعْطِيَةً حَسَنَةً.

(٤٢) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

(٤٢) - وَهٰؤُلاَءِ المُهَاجِرُونَ هُمُ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى مَا نَالَهُمْ مِنْ أَذَى قَوْمِهِمْ، وَٱحْتَمَلُوهُ مُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللهِ، الذِي أَحْسَنَ لَهُم العَاقِبَةَ، فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

(٤٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(فَاسْأَلُوا)

(٤٣) - لَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً رَسُولاً أَنْكَرَتِ العَرَبُ ذٰلِكَ، وَقَالُوا: اللهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ مِنَ البَشَرِ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ**﴾(٢)، وَهُنَا يُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ المُرْسَلِينَ، مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ، إِلاَّ مِنَ البَشَرِ، فَٱسْأَلُوا، يَا أَيُّهَا المُنْكِرُونَ ذٰلِكَ، أَهْلَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ (أَهْلَ الذِّكْرِ) أَمِنَ البَشَرِ كَانَ الرُّسُلُ أَمْ مِنَ المَلاَئِكَةِ؟ فَإِنْ كَانُوا مِنَ المَلاَئِكَةِ أَنْكَرْتُمْ، وَإِنْ كَانُوا مِنَ البَشَرِ، فَلِمَ تُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولاً؟

(٤٤) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٤٤) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ السَّابِقِينَ مِنَ البَشَرِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالحُجَجِ وَالدَّلاَئِلِ (البَيِّنَاتِ)، وَبِالكُتُبِ (الزُّبُرِ وَهِيَ جَمْعُ زَبُورٍ أَيْ

(١) الآية ٥ من سورة القمر.

(٢) الآية ٢ من سورة يونس.

كِتَاب) لِلدَّلاَلَةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ القُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ، لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيُفَصِّلَ لَهُمْ مَا أُجْمِلَ، وَيُفَسِّرَ لَهُمْ مَا أُشْكِلَ عَلَيْهِمْ، لَعَلَّ النَّاسَ يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ فَيَهْتَدُوا، وَيَفُوزُوا بِالنَّجَاةِ فِي الدَّارَيْنِ.

بِالْبَيِّنَاتِ - أَرْسَلْنَاهُمْ بِالمُعْجِزَاتِ.

الزُّبُرِ - كُتُبِ الشَّرَائِعِ وَالتَّكَالِيفِ.

الذِّكْرَ - الْقُرْآنَ.

٤٥ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

(٤٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حِلْمِهِ عَلَى العُصَاةِ، الذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، وَيَدْعُونَ إِلَيْهَا، وَيَمْكُرُونَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ، وَيُحَاوِلُونَ صَرْفَ المُؤْمِنِينَ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى الكُفْرِ وَالضَّلاَلَةِ فَيَقُولُ تَعَالَى: أَأَمِنَ هٰؤُلاءِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِم الأَرْضَ، أَوْ يَصُبَّ عَلَيْهِمُ العَذَابَ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَلاَ يَشْعُرُونَ إِلاَّ وَقَدْ أَخَذَهُمْ بَغْتَةً، وَاللهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى ذٰلِكَ، وَلٰكِنَّهُ يُنْظِرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يُؤْمِنُونَ، وَيُقْلِعُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الجَهَالَةِ.

يَخْسِفَ - يُغَيِّبَ.

٤٦ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ

(٤٦) - أَوْ أَمِنَ هٰؤُلاءِ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَأْخُذَهُمُ اللهُ تَعَالَى، أَثْنَاءَ تَقَلُّبِهِمْ، فِي مَعَايِشِهِمْ، وَآشْتِغَالِهِمْ بِهَا فِي أَسْفَارِهِمْ، وَنَحْوِهَا مِنَ الأَشْغَالِ المُلْهِيَةِ، فَهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ اللهَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا؟

تَقَلُّبِهِمْ - أَسْفَارِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ.

بِمُعْجِزِينَ - بِفَائِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللهِ بِالهَرَبِ.

(رَؤُوفٌ)

٤٧ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(٤٧) - أَوْ أَمِنُوا أَنْ يَأْخُذَهُمُ اللهُ - بَعْدَ أَنْ يُثِيرَ فِي نُفُوسِهِم الخَوْفَ وَالرُّعْبَ، بِأَنَّهُ تَعَالَى سَيَأْخُذُهُمْ بِالعَذَابِ - فَإِنَّ مِثْلَ هٰذا الأَخْذِ يَكُونُ أَبْلَغَ وَأَشَدَّ، لأَنَّ أَثَرَ مَا يَحْصُلُ لِلإِنْسَانِ، وَهُوَ خَائِفٌ مِنْهُ مُتَوَقِّعٌ لَهُ، أَشَدُّ وَأَبْلَغ، وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالَى رَؤُوفٌ رَحِيمٌ بِهِمْ، إِذْ لَمْ يُعَاجِلْهُمْ بِالعُقُوبَةِ.

(وَفِي الحَدِيثِ - لاَ أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلداً وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ). (رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

تَخَوُّفٍ - مَخَافَةٍ مِنَ العَذَابِ أَوْ تَنَقُّصٍ.

﴿٤٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ

(يتفيأُ) (ظِلالُه) (الشَّمائِل) (داخِرُونَ)

(٤٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى عَنْ عَظَمَتِهِ، وَكِبْرِيائِه، وَجلالِه الذي خَضعَ لَهُ كُلُّ شيءٍ في الوُجُودِ، وَدانَ، فَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ ما لَهُ ظِلٌّ يَتفيأُ وَيَنْتَقِلُ وَيَمِيلُ ذاتَ اليَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ - أيْ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً - فَإِنَّهُ يَسْجُدُ بِظِلِّهِ للهِ تَعالَى، صاغِراً ذَلِيلاً، فَكَيْفَ لَمْ يَرَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ هٰذِهِ الأَشْياءَ القائِمَةَ حَوْلَهُمْ، فَيَتَفَكَّرُوا في عَظَمَةِ الخالِقِ المُدَبِّرِ لِهٰذِهِ المَوْجُوداتِ، وَيَهْتَدُوا إلى وُجُوبِ عِبادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلى الخُضُوعِ لَهُ؟

(وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعالَى هٰذِهِ المَخْلُوقاتِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَعْقِلُ لأَنَّهُ نَسَبَ إِلَيْها السُّجُودَ).

يتفيأُ ظِلالُهُ - تَمِيلُ وَتَنْتَقِلُ مِنْ جانِبٍ إِلى آخَرَ، أَوْ يَرْجِعُ بَعْدَ امْتِدادٍ.

مِنْ شَيءٍ - مِنْ جِسْمٍ قائِمٍ لَهُ ظِلٌّ.

سُجَّداً - مُنْقادُونَ لِحُكْمِهِ وَتَسْخِيرِه تَعالَى.

وَهُمْ داخِرُونَ - وَالظِّلالُ صاغِرُونَ مُنْقادُونَ كَأَصْحابِها.

سجدة

الحزب ٢٨

﴿٤٩﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

(السَّماوات) (والمَلائِكَةُ)

(٤٩) - وَيَسْجُدُ للهِ جَمِيعُ ما خَلَقَهُ اللهُ في السَّماواتِ وَالأَرْضِ مِنْ مَلائِكَةٍ وَإِنْسانٍ وَحَيوانٍ وَشَجَرٍ وَجَمادٍ، وَلا يَسْتَكْبِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنِ السُّجُودِ للهِ تَعالَى، وَعَنِ الخُضُوعِ لِذاتِهِ العَلِيَّةِ.

﴿٥٠﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩

(٥٠) - وَيَسْجُدُ للهِ جَمِيعُ ما خَلَقَهُ اللهُ في السَّماواتِ وَالأَرْضِ مِنْ مَلائِكَةٍ وَبَشَرٍ وَحَيوانٍ وَجَمادٍ، وَهُمْ خائِفُونَ وَجِلُونَ مِنَ الرَّبِّ العَظِيمِ، جَلَّ جَلالُهُ، وَهُمْ مُثابِرُونَ عَلى طاعَتِهِ، وَامْتِثالِ أَوامِرِهِ، وَتَرْكِ ما نَهاهُمْ عَنْهُ.

﴿٥١﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ

(واحِدٌ) (فإيَّايَ)

(٥١) - وَقالَ اللهُ تَعالَى لِعِبادِهِ: لا تُشْرِكُوا في العِبادَةِ مَعَ اللهِ أَحَداً، وَلا تَعْبُدُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ واحِدٌ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، وَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ تَتِمَّ العِبادَةُ إِلاَّ لَهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّهُ مالِكُ كُلِّ شَيءٍ وَخالِقُهُ وَرَبُّهُ، وَإِنَّهُ تَعالَى هُوَ وَحْدَهُ الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَخْشاهُ النَّاسُ وَيَرْهَبُوهُ.

﴿٥٢﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ

(السَّماوات)

(٥٢) - وَللهِ ما في السَّماواتِ وَالأَرْضِ مِنْ شَيءٍ، لا شَرِيكَ لَهُ في شَيءٍ مِنْ ذٰلِكَ، وَهُوَ الذي خَلَقَهُمْ. وَهُوَ الذي يَرْزُقُهُمْ وَبِيَدِهِ حَياتُهُمْ

وَمَوْتُهُمْ، وَلَهُ العِبَادَةُ وَاجِبَةٌ دَائِماً، أَفَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَيَتَّقُونَ سِوَاهُ، وَقَدْ عَلِمُوا كُلَّ ذٰلِكَ؟

لَهُ الدِّينُ - لَهُ الطَّاعَةُ وَالانْقِيَادُ وَحْدَهُ.

وَاصِباً - دَائِماً وَاجِباً لَازِباً أَوْ خَالِصاً.

(٥٣) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ

(تَجْأَرُونَ)

(٥٣) - وَإِلَيْهِ يَعُودُ الفَضْلُ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالرِّزْقِ وَالعَافِيَةِ وَالنَّصْرِ وَالإِحْسَانِ، وَحِينَمَا يَمَسُّكُم الضُّرُّ وَالسَّقَمُ، وَيَحِلُّ بِكُمُ البَلَاءُ، تَلْجَؤُونَ إِلَيهِ، وَتَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيهِ مُسْتَغِيثِينَ بِهِ، مُلِحِّينَ فِي الرَّجَاءِ، لَا تَدْعُونَ غَيْرَهُ، وَلَا تَلْجَؤُونَ إِلَى سِوَاهُ.

تَجْأَرُونَ - تَضِجُّونَ بِالاسْتِغَاثَةِ وَالتَّضَرُّعِ.

(٥٤) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ

(٥٤) - وَحِينَمَا يَكْشِفُ اللهُ تَعَالَى الضُّرَّ عَنْكُمْ يَنْسَى بَعْضُكُمْ حَقَّ اللهِ عَلَيهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ لَهُ، وَيَعُودُ إِلَى الإِشْرَاكِ بِاللهِ.

(٥٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

(آتَيْنَاهُم)

(٥٥) - وَقَدْ فَعَلُوا ذٰلِكَ لِتَكُونَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِم الكُفْرَ وَالجُحُودَ بِأَنْعُمِ اللهِ عَلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ المُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ، وَبِكَشْفِ البَلَاءِ وَالضُّرِّ عَنْهُمْ، وَالذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هٰذَا الكُفْرِ وَالجُحُودِ هُوَ خُبْثُ طَوِيَّتِهِمْ، وَمَا رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الكُفْرِ وَالجُحُودِ وَالعِصْيَانِ. ثُمَّ يَتَوَعَّدُهُمْ تَعَالَى وَيَقُولُ لَهُمْ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِمَا أَنْتُمْ فِيهِ قَلِيلاً، فَسَوفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ ذٰلِكَ.

(٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ

(رَزَقْنَاهُم) (لَتُسْأَلُنَّ)

(٥٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ المُشْرِكِينَ الذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، جَعَلُوا لِلأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ التِي لَا يَعْلَمُونَ لَهَا ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، نَصِيباً مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ. فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ لَيَسْأَلَنَّهُمْ عَنْ ذٰلِكَ الافْتِرَاءِ وَالإِفْكِ، وَلَيُقَابِلَنَّهُمْ عَلَيْهِ، وَلَيُجَازِيَنَّهُمْ أَوْفَى الجَزَاءِ، يَوْمَ القِيَامَةِ.

(قَوْلُهُ تَعَالَى: وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ - أَيِ الآلِهَةُ التِي عَبَدُوهَا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لَهَا شَيْئاً مِنَ الصِّفَاتِ التِي يَجِبُ أَنْ تَتَوَفَّرَ فِيمَنْ يُعْبَد).

تَفْتَرُونَ - تَكْذِبُونَ عَلَى اللهِ.

(٥٧) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ

(الْبَنَاتِ) (سُبْحَانَه)

(٥٧) - ثُمَّ جعَلُوا المَلاَئِكَةَ إِنَاثاً، وَجعَلُوهَا بَنَاتِ اللهِ، يَعْبُدُونَهَا مَعَهُ، فَنَسَبُوا إِلَيهِ تَعَالَى الوَلَدَ، وَهُوَ تَنَزَّهَ آسْمُهُ لاَ وَلَدَ لَهُ، ثُمَّ جعَلُوا البَنَاتِ لَهُ، وَآخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ الذُّكُورَ، لِأَنَّهُمْ يَشْتَهُونَ أَنْ يَكُونَ أَبْنَاؤُهُمْ مِنَ الذُّكُورِ، وَقَدْ أَنِفُوا هُمْ لأَنْفُسِهِم البَنَاتِ، وَنَسَبُوهَا إِلَى اللهِ.

(٥٨) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ

(٥٨) - وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُ هٰؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ، الذِينَ يَجْعَلُونَ المَلاَئِكَةَ بَنَاتِ اللهِ، بِولاَدَةِ أُنْثَى لَهُ آعْتَرَاهُ الحُزْنُ، وَعَلَتْهُ الكَآبَةُ، وَظَلَّ سَاكِناً يَكْظِمُ غَيْظَهُ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُخْفِيَهِ مِنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الحُزْنِ.

وَهُوَ كَظِيمٌ - وَهُوَ مُمْتَلِىءٌ غَيْظاً فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ.

(٥٩) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

(يَتَوارَىٰ)

(٥٩) - يَتَوَارَى عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ خَجَلاً وَحَيَاءً، لِكَيْلاَ يَرَوْهُ مِنْ شِدَّةِ مَسَاءَتِهِ مِمَّا بُشِّرَ بِهِ، وَيَظَلُّ حَائِراً مُتَرَدِّداً فِي أَمْرِهَا، فَإِنْ أَبْقَاهَا أَبْقَاهَا مُهَانَةً (عَلَى هُونٍ)، لاَ يُورِثُهَا، وَلاَ يَعْتَنِي بِهَا، وَيُفَضِّلُ أَوْلاَدَهُ الذُّكُورَ عَلَيْهَا، وَإِلاَّ وَأَدَهَا وَدَفَنَهَا فِي التُّرابِ وَهِيَ حَيَّةٌ (يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ)، كَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ. وَهٰذَا المَخْلُوقُ (الأُنْثَى) الذِي يَكْرَهُونَهُ كُلَّ هٰذِهِ الكَرَاهِيَّةِ، وَيَأْبَوْنَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، يَجْعَلُونَهُ للهِ؛ بِئْسَ مَا قَالُوا، وَبِئْسَ مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ، وَبِئْسَ مَا قَسَمُوا.

يَتَوارَى - يَسْتَخْفِي وَيَتَغَيَّبُ.

عَلَى هُونٍ - عَلَى هَوَانٍ وَذُلٍّ.

يَدُسُّهُ - يُخْفِيهِ بِالوَأْدِ، وَيَدْفِنُهُ حَيّاً.

(٦٠) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(الآخِرَةِ)

(٦٠) - لِلْكَافِرِينَ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَلاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ، وَلاَ يُصَدِّقُونَ بِوُجُودِ حَشْرٍ وَلاَ نَشْرٍ وَلاَ حِسَابٍ، صِفَةُ السُّوءِ وَالنَّقْصِ، التِي تَحْمِلُهُمْ عَلَى تَفْضِيلِ الذُّكُورِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ عَلَى الإِنَاثِ، لِبَقَاءِ ذِكْرِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَلِلاسْتِظْهَارِ وَالاسْتِنْصَارِ بِهِمْ، وَصِفَةُ النَّقْصِ هٰذِهِ هِيَ التِي تَدْفَعُهُمْ إِلَى وَأْدِ البَنَاتِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْهُنَّ خَشْيَةَ العَارِ أَوِ الفَقْرِ.

وَللهِ تَعَالَى الصِّفَةُ العُلْيَا، التِي لاَ يَعْتَرِيهَا نَقْصٌ، لِأَنَّهُ تَعَالَى الوَاحِدُ الأَحَدُ، المُنَزَّهُ عَنْ حَاجَتِهِ لِلوَلَدِ، وَلَهُ صِفَاتُ الكَمَالِ وَالجَلاَلِ، وَالقُدْرَةِ

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾

وَالعِلْمِ وَالإِرَادَةِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَهُوَ العَزِيزُ المَنِيعُ، تَكَبُّراً وَجَلاَلاً، لاَ يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَهُوَ الحَكِيمُ الذِي لاَ يَفْعَلُ إِلاَّ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ البَالِغَةُ.

مَثَلُ السَّوْءِ - صِفَتُهُ القَبِيحَةُ مِنَ الجَهْلِ وَالكُفْرِ.

(يَسْتَأْخِرُونَ)

(٦١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ بِأَنَّهُ يَحْلُمُ عَلَى العُصَاةِ مِنَ البَشَرِ، مَعَ ظُلْمِهِمْ، وَأَنَّهُ لاَ يُعَجِّلُ بِمُؤَاخَذَتِهِمْ بِأَفْعَالِهِمْ، وَبِمَا كَسَبُوا، وَلَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذٰلِكَ لأَهْلَكَ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَلَمْ يَتْرُكْ عَلَى ظَهْرِهَا مَخْلُوقاً يَدِبُّ عَلَيْهَا. وَلٰكِنَّهُ تَعَالَى يَحْلُمُ عَلَى العُصَاةِ، وَيَسْتُرُ عَلَيْهِمْ عُيُوبَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَلاَ يُعَاجِلُهُمْ بِالعُقُوبَةِ، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى اليَوْمِ المُحَدَّدِ لَهُمْ، فَإِذَا جَاءَ الأَجَلُ لاَ يُمْهَلُونَ لَحْظَةً وَاحِدَةً.

(٦٢) - وَيَجْعَلُونَ للهِ بَنَاتٍ وَشُرَكَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُمْ يَأْنَفُونَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لأَحَدِهِمْ بِنْتٌ أَوْ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، وَيَقُولُونَ، كَذِباً عَلَى أَنْفُسِهِمْ: إِنَّ لَهُمُ العَاقِبَةَ الحُسْنَى عِنْدَ اللهِ، إِذا بُعِثُوا يَوْمَ القِيَامَةِ، فَجَمَعُوا عَمَلَ السُّوءِ (الكُفْرِ وَنِسْبَةَ البَنَاتِ وَالشُّرَكَاءِ للهِ)، مَعَ تَمَنِّيهِمِ البَاطِلَ المُحَالَ، بِأَنْ يُجَازِيَهُم اللهُ عَلَى ذٰلِكَ جَزَاءً حَسَناً، وَهٰذا مُسْتَحِيلٌ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: لاَ شَكَّ (لاَ جَرَمَ) أَنَّ لَهُمْ، عِنْدَ اللهِ، يَوْمَ القِيَامَةِ، النَّارَ، وَأَنَّهُ سَيُعَجِّلُ بِهِمْ إِلَيها، وَيُنْسَونَ فِيهَا فَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَداً.

لاَ جَرَمَ - لاَ شَكَّ - أَوْ حَقّاً.

مُفْرَطُونَ - مُقَدَّمُونَ وَمُعَجَّلٌ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ: أَفْرَطَهُ إِلَى كَذَا أَيْ قَدَّمَهُ.

(الشَّيْطَانُ) (أَعْمَالَهُمْ)

(٦٣) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الأُمَمِ الخَالِيَةِ رُسُلاً يَدْعُونَهُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ مُعَزِّياً وَمُسَلِّياً: لَقَدْ كَذَّبَتِ الأُمَمُ رُسُلَهَا فَلَكَ يَا مُحَمَّدُ بِالمُرْسَلِينَ قَبْلَكَ أُسْوَةٌ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ تَكْذِيبُ قَوْمِكَ لَكَ. وَالذِينَ كَذَّبُوا بِالرُّسُلِ إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ الشَّيْطَانُ الذِي زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَمَا هُمْ عَلَيهِ مِنْ كُفْرٍ وَضَلاَلٍ، وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ وَأَصْنَامٍ وَفَسَادٍ فِي الأَرْضِ. وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُجَازِي اللهُ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ جَزَاءً عَادِلاً عَلَى مَا كَذَّبُوا وَكَفَرُوا، وَيُلْقَوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلاَ يَمْلِكُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ خَلاصاً، وَلاَ نَصْراً فَيَذُوقُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ.

﴿٦٤﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

﴿٦٥﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

﴿٦٦﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ

﴿٦٧﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

تَاللهِ - قَسَمٌ يَعْنِي وَاللهِ.

(الْكِتَابَ)

(٦٤) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ القُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ مِنْ دِينِ اللهِ، وَلِيَعْرِفُوا الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، وَيُقِيمَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ التِي بَعَثَهُ اللهُ بِهَا. وَالقُرْآنُ هُدًى لِلْقُلُوبِ الضَّالَّةِ، وَرَحْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَهُوَ فَاصِلٌ بَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَا يَتَنَازَعُونَ فِيهِ.

(٦٥) - بَعْدَ أَنْ وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِالجَنَّةِ وَأَوْعَدَ الكُفَّارَ بِالنَّارِ فِي الآيَاتِ السَّابِقَةِ، عَادَ تَعَالَى إِلَى التَّذْكِيرِ بِالدَّلَائِلِ عَلَى وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ، وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، فَقَالَ: وَكَمَا جَعَلَ اللهُ تَعَالَى القُرْآنَ حَيَاةً لِلْقُلُوبِ المَيِّتَةِ، كَذَلِكَ جَعَلَ اللهُ المَاءَ حَيَاةً لِلأَرْضِ، فَهُوَ يُنْزِلُ المَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَيُنْبِتُ فِيهَا الزُّرُوعَ وَالأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَ، وَيُخْرِجُ الثِّمَارَ وَالحُبُوبَ، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ الكَلَامَ، وَيَفْهَمُونَ مَعْنَاهُ.

(الأَنْعَامِ) (سَائِغاً) (لِلشَّارِبِينَ)

(٦٦) - وَإِنَّ لَكُمْ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فِي الأَنْعَامِ لآيَةً وَعِبْرَةً، وَدَلَالَةً عَلَى حِكْمَةِ الخَالِقِ، وَرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ. فَهُوَ تَعَالَى يَسْقِي النَّاسَ مِمَّا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ لَبَناً خَالِصاً صَافِياً، طَيِّبَ المَذَاقِ وَالطَّعْمِ، لَا يَغَصُّ بِهِ شَارِبٌ، وَلَا تَشْمَئِزُّ مِنْهُ نَفْسُهُ (سَائِغاً)، بَعْدَ أَنْ يَتَحَوَّلَ طَعَامُ الحَيَوَانِ فِي بَطْنِهِ إِلَى دَمٍ وَلَبَنٍ وَفَضَلَاتٍ (فَرْثٍ)، فَيَجْرِي كُلٌّ إِلَى مَوْضِعِهِ خَالِصاً لَا يَشُوبُهُ الآخَرُ وَلَا يُخَالِطُهُ، وَلَا يُؤَثِّرُ عَلَيْهِ.

فَرْثٌ - مَا فِي الكَرِشِ مِنَ الثُّفْلِ.

لَعِبْرَةً - لَعِظَةً وَدَلَالَةً عَلَى قُدْرَةِ اللهِ.

(ثَمَرَاتِ) (وَالأَعْنَابِ)

(٦٧) - وَيَتَّخِذُ النَّاسُ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ أَشْرِبَةً، مِنْهَا النَّبِيذُ المُسْكِرُ (وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ)، وَمِنْهَا الرِّزْقُ الحَسَنُ: كَالدِّبْسِ وَالعَصِيرِ وَالخَلِّ. إلخ وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِذَوِي العُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَعِبْرَةٌ لَهُمْ بَالِغَةُ الدَّلَالَةِ عَلَى بَدِيعِ صُنْعِ اللهِ.

(وقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : السَّكَرُ هُوَ مَا حُرِّمَ مِنْ ثَمَرَتَي النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ، وَالرِّزْقُ الحَسَنُ هُوَ مَا أُحِلَّ مِنْهُمَا).

السَّكَرُ - المُسْكِرُ أَوِ الخَمْرُ.

٦٨ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

(٦٨) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : إِنَّهُ أَلْهَمَ النَّحْلَ، وَأَرْشَدَهَا (أَوْحَى إِلَيْهَا) أَنْ تَجْعَلَ لَهَا بُيُوتاً فِي الجِبَالِ تَأْوِي إِلَيْها، وَفِي الأَشْجَارِ، أَوْ فِيمَا يَعْرِشُهُ النَّاسُ مِنَ الأَشْجَارِ المَرْفُوعَةِ عَلَى العَرَائِشِ. (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى وَمِمَّا يَعْرِشُونَ هُوَ مِمَّا يَبْنِي النَّاسُ مِنَ الخَلَايَا لِلنَّحْلِ).

أَوْحَى - أَلْهَمَ وَأَرْشَدَ وَسَخَّرَ.

بُيُوتاً - أَوْكاراً تَبْنِيها لِتَضَعَ العَسَلَ فِيهَا.

(الثَّمَرَاتِ) (أَلْوَانُهُ)

٦٩ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(٦٩) - ثُمَّ هَدَاها اللهُ إِلَى أَنْ تَأْكُلَ مِنَ كُلِّ الثَمَرَاتِ، وَأَنْ تَسْلُكَ الطُّرُقَ التِي جَعَلَهَا اللهُ مُذَلَّلَةً لَهَا مُسَهَّلَةً عَلَيْهَا، حَيْثُ شَاءَتْ فِي الفَضَاءِ الوَاسِعِ، وَأَرْشَدَهَا اللهُ إِلى الاهْتِدَاءِ إِلى أَوْكَارِهَا وَمَسَاكِنِهَا. وَيَخْرُجُ مِنْ بُطُونِ هٰذِهِ النَّحْلِ شَرَابٌ (عَسَلٌ)، مُخْتَلِفُ الأَلْوَانِ، بِحَسَبِ المَرَاعِي التِي يَأْكُلُ مِنْهَا النَّحْلُ، وَهٰذا العَسَلُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَمْرَاضٍ تَعْرِضُ لَهُمْ.

وَفِي إِلْهَامِ اللهِ لِهٰذِهِ الحَيَوانَاتِ الضَّعِيفَةِ الخِلْقَةِ، إِلَى بِنَاءِ البُيُوتِ وَجَمْعِ العَسَلِ وَالشَّمْعِ . . . آيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فِي ذٰلِكَ الصُّنْعِ العَجِيبِ، فَيَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ القَادِرِ الحَكِيمِ.

ذُلُلاً - مُذَلَّلَةً مُسَهَّلَةً لَكِ.

(يتوفَّاكُم)

٧٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

(٧٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ تَصَرُّفِهِ فِي عِبادِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الذِي أَنْشَأَهُمْ مِنَ العَدَمِ، وَوَقَّتَ أَعْمَارَهُمْ بِآجَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، ثُمَّ يَتَوَفَّاهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ، حِينَمَا تَحِينُ آجَالُهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَعْجَلُ وَفَاتُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَتَأَخَّرُ، حَتَّى يُدْرِكَهُ الهَرَمُ فَيَصِيرَ إِلَى أَرْذَلِ العُمْرِ، فَتَضْعُفَ قُواهُ، وَتَضْعُفَ ذَاكِرَتُهُ، وَيُصِيبَهُ الخَرَفُ، فَيَنْسَى مَا كَانَ يَحْفَظُ، وَتَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الأُمُورُ لِضَعْفِ قُواهُ العَقْلِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَالِماً. وَاللهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيءٍ، قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

أَرْذَلِ العُمْرِ - أَرْدَؤُهُ وَأَخَسُّهُ (الخَرَفُ أَوِ الهَرَمُ).

(٧١) وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ

(أيمانُهُمْ)

(٧١) - وَاللهُ تَعالَى جعَلَ النَّاسَ مُتَفَاوِتِينَ فِي الرِّزْقِ، فَفضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنِ الَّذِين فَضَّلَهُمُ اللهُ بِالرِّزْقِ الوَفِيرِ لِيَقْبَلُوا فِي إِشْرَاكِ مَمالِيكِهِمْ وَعَبيدِهِمْ وَنِسَائِهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَرُدُّوا مَا فَضلَ عَنْهُمْ مِنَ الرِّزْقِ عَلَى عَبِيدِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، فَيَتَسَاوَوا هُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي المَلْبَسِ وَالمَطْعَمِ وَالمَسْكَنِ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَرْضَوْا بِهٰذِهِ المُسَاوَاةِ، مَعَ أَنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ. فَكَيْفَ يَرْضَوْنَ للهِ مَا لاَ يَرْضَوْنَ لأَنْفُسِهِمْ؟ وَكَيْفَ يُشْرِكُونَ عَبِيدَ اللهِ مَعَهُ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ؟ وَكَيْفَ يَجْحَدُ هٰؤلاءِ بِنِعْمَةِ اللهِ، وَيُشْرِكُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ؟

فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ - أَفَهُمْ فِي الرِّزْقِ مُسْتَوُونَ؟ لاَ.

(٧٢) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ

(أَزْواجاً) (أَزْوَاجِكُم) (الطَّيباتِ) (أَفبالْبَاطِلِ)

(٧٢) - وَاللهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ للنَّاسِ أَزْوَاجاً مِنْ جِنْسِهِمْ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، يَأْنَسُونَ بِهِنَّ، وَتَقُومُ بِهِنَّ جَمِيعُ مَصَالِحِهِمْ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْهُنَّ بَنِينَ وَأَحْفَاداً (حَفَدَةً - أَوْلاَدَ الأَوْلاَدِ) وَرزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ (مِنْ مَأْكلٍ وَمَلْبَسٍ وَمَشْرَبٍ..) وَكلُّ هٰذا مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى النَّاسِ، فَكَيْفَ يَكْفُرُ الكَافِرُونَ بِاللهِ، وَيَجْحَدُونَ نِعَمَهُ، وَيُضِيفُونَهَا إِلَى غَيْرِهِ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِالأَصْنَامِ وَالأَنْدَادِ (بِالبَاطِلِ)؟

حَفدَةً - أَبْنَاءَ البَنِينَ - أَوْ خَدَماً وَأَعْوَاناً.

(٧٣) وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ

(السَّماوَاتِ)

(٧٣) - إِنَّ هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ يَنْسَوْنَ نِعَمَ اللهِ كُلَّها عَلَيْهِمْ، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ الأَصْنَامَ وَالأَنْدَادَ وَالأَوْثَانَ، وَمَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَهُم بِرزْقٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَلاَ مِنَ الأَرْضِ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْزِلَ المَطَرَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ زُرُوعاً أَوْ شَجَراً أَوْ ثَمَراً ،وَلاَ يَمْلِكُ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، وَلاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَوْ أَرَادَهُ (وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ).

(٧٤) فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

(٧٤) - وَإِذْ ثَبتَ لَكُمْ عَدَمُ نَفْعِ غَيْرِ اللهِ لَكُمْ، فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَمْثَالاً، وَلاَ تُشَبِّهُوهُ بِخَلْقِهِ (فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ) فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ وَيَشْهَدُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، وَأَنْتُمْ بِجَهْلِكُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ غَيْرَهُ، وَلاَ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ.

(٧٥) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

ربع الحزب ٢٨

(٧٦) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(٧٧) وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(رِزْقْناه) (يَسْتَوُونَ)

(٧٥) ـ مَثَلُكُمْ فِي إِشْرَاكِكُمْ بِاللهِ الأَوْثَانَ وَالأَصْنَامَ، مَثَلُ مَنْ سَوَّى بَيْنَ عَبْدٍ مَمْلُوكٍ عَاجِزٍ عَنِ التَّصَرُّفِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ حُرٍّ يَمْلِكُ مَالاً يُنْفِقُ مِنْهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يُرِيدُ، فَكَمَا أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَفَاوُتٍ فِي القُدْرَةِ عَلَى التَّصَرُّفِ، كَذٰلِكَ لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ الإِلٰهِ القَادِرِ عَلَى الرِّزْقِ وَالإِفْضَالِ، وَبَيْنَ الأَصْنَامِ التِي لاَ تَمْلِكُ شَيْئاً، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ.

(مَوْلاَهُ) (صِراطٍ)

(٧٦) ـ وَضَرَبَ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً لِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ وَلِلآلِهَةِ التِي يَعْبُدُهَا المُشْرِكُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَغَيْرِهَا، مَثَلَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَخْرَسُ أَصَمُّ لاَ يَفْهَمُ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ نَفْسِهِ، فَلاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ عَالَةٌ عَلَى مَنْ يَعُولُهُ وَيَلِي أَمْرَهُ، وَإِذا أَرْسَلَهُ مَوْلاَهُ فِي أَمْرٍ لاَ يَرْجِعُ بِنَجَاحٍ وَلاَ تَوْفِيقٍ.

وَالآخَرُ رَجُلٌ سَوِيٌّ، سَلِيمُ الحَوَاسِّ، عَاقِلٌ يَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَنْفَعُ غَيْرَهُ، يَأْمُرُ النَّاسَ بِالعَدْلِ، وَهُوَ عَلَى سِيرَةٍ صَالِحَةٍ، وَدِينٍ قَوِيمٍ، فَهَلْ يَسْتَوِيَانِ؟ وَكَذٰلِكَ الصَّنَمُ لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يَنْطِقُ وَلاَ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ، وَلاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ، وَهُوَ عَالَةٌ عَلَى مَنْ يَصْنَعُهُ، وَهُوَ لاَ يَعْقِلُ وَلاَ يَنْطِقُ، فَهَلْ يَسْتَوِي هٰذا الصَّنَمُ مَعَ اللهِ القَادِرِ القَاهِرِ، مَالِكِ كُلِّ شَيءٍ، وَخَالِقِ كُلِّ شَيءٍ، وَمُدَبِّرِ أَمْرِ الوُجُودِ كُلِّهِ؟.

وَاللهُ تَعَالَى يَأْمُرُ عِبادَهُ بِالعَدْلِ، وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِهِ لِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ.

أَبْكَمُ ـ أَخْرَسُ خِلْقَةً.

هُوَ كَلٌّ ـ عِبْءٌ وَعِيَالٌ.

(السَّماوَاتِ)

(٧٧) ـ وَللهِ عِلْمُ مَا غَابَ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، مِمَّا لاَ سَبِيلَ إِلَى إِدْرَاكِهِ حِسّاً، وَلاَ فَهْمِهِ عَقْلاً، وَهُوَ تَعَالَى يَخْتَصُّ بِعِلْمِ مَوْعِدِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَقِيَامِ القِيَامَةِ. وَحُدُوثُ السَّاعَةِ التِي يَقِفُ الخَلاَئِقُ فِيهَا بَيْنَ يَدَي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحِسَابِ، كَرَجْعِ البَصَرِ، وَطَرْفَةِ العَيْنِ، فِي السُّرْعَةِ، فَاللهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ شَيْئاً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلاَ يُكَرِّرُ اللهُ تَعَالَى

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

أَمْرَهُ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ﴾[1]. واللهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

كَلَمْحِ البَصَرِ - كَخَطْفَةِ البَصَرِ، أَوِ آخْتِلاَسِ النَّظَرِ.

(أُمَّهَاتِكُم) (الأَبْصَار)

(٧٨) - ثُمَّ يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى مِنَنَهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي إِخْرَاجِهِمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً، ثُمَّ بَعْدَ هٰذا يَرْزُقُهُمُ السَّمْعَ، الذِي يُدْرِكُونَ بِهِ الأَصْواتَ، وَيُمَيِّزُونَهَا، وَالأَبْصَارَ التِي يَرَوْنَ بِهَا، وَالأَفْئِدَةَ (العُقُولَ)، التِي يَتَدَبَّرُونَ بِهَا الأُمُورَ، وَهُوَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَى الإِنْسَانَ هٰذِهِ الجَوَارِحَ لِيَتَمَكَّنَ بِهَا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَشُكْرِهِ عَلَى نِعَمِهِ بِآسْتِعْمَالِ هٰذِهِ النِّعَمِ، فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ.

وَإِذَا أَخْلَصَ العَبْدُ المُؤْمِنُ الطَّاعَةَ للهِ، كَانَتْ أَفْعَالُهُ كُلُّهَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(مُسَخَّرَاتٍ) (لآيَاتٍ)

(٧٩) - أَلَمْ يَنْظُرْ، هٰؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ، إِلَى الطَّيْرِ مُذَلَّلاَتٍ لِلطَّيْرانِ فِي الفَضَاءِ، بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ، مَا يُمْسِكُهُنَّ فِي جَوِّ السَّمَاءِ عَنِ الوُقُوعِ إلا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقُدْرَتِهِ، وَقَدْ كَانَ فِي ثِقَلِ أَجْسَامِهَا مَا يَقْتَضِي وُقُوعَها. وَلَوْ سَلَبَها اللهُ مَا أَعْطَاهَا مِنَ القُدْرَةِ عَلَى الطَّيرانِ لَمْ تَسْتَطِعِ النُّهُوضَ، وَفِي ذٰلِكَ كُلِّهِ دَلاَلاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

(الأَنْعَامِ) (أَثَاثاً) (وَمَتَاعاً)

(٨٠) - جَعَلَ اللهُ لِلنَّاسِ بُيُوتَهُمْ سَكَناً لَهُمْ يَأْوُونَ إِلَيْها، وَيَسْتَتِرُونَ بِهَا، وَيَنْتَفِعُونَ مِنْهَا. وَجَعَلَ لَهُمْ مِمَّا عَلَى جُلودِ الأَنْعَامِ مِنْ أَشْعَارٍ وَأَصْوَافٍ وَأَوْبَارٍ (أَوْ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ جُلُودِهَا) بُيُوتاً يَسْتَخِفُّونَ حَمْلَهَا فِي أَسْفَارِهِمْ وَفِي إِقَامَتِهِمْ، كَمَا جَعَلَ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ مِنْ أَصْوافِ الأَغْنَامِ وَأَوْبَارِ الجِمَالِ، وَأَشْعَارِ المَاعِزِ أَثَاثاً لِبُيُوتِهِمْ (مِنْ فُرُشٍ وَبُسُطٍ)، وَثِيَاباً يَلْبَسُونَهَا، وَمَالاً لِلتِّجَارَةِ، وَمَتَاعاً يَتَمَتَّعُونَ بِهِ إِلى أَنْ تَحِينَ آجَالُهُمْ، (إِلى حِينٍ).

تَسْتَخِفُّونَهَا - تَسْتَخِفُّونَ حَمْلَهَا، تَجِدُونَها خَفِيفَةً عِنْدَ الحَمْلِ.

---

(١) الآية ٥٠ من سورة القمر.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴿٨٤﴾

يَوْمَ ظَعْنِكُمْ - وَقْتَ تَرْحَالِكُمْ.

أَثَاثاً - مَتَاعاً لِبُيُوتِكُمْ كَالفُرُشِ.

مَتَاعاً - تَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي مَعَايِشِكُمْ وَمَتَاجِرِكُمْ.

(ظِلاَلاً) (أَكْنَاناً) (سَرَابِيلَ)

(٨١) - وَمِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُمْ مِمَّا خَلَقَ، مِنَ الشَّجَرِ وَالجِبَالِ، ظِلاَلاً يَفِيئُونَ إِلَيْهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الجِبَالِ كُهُوفاً يَسْتَكِنُونَ فِيهَا، وَمَعَاقِلَ (أَكْنَاناً)، وَجَعَلَ لَهُمْ ثِيَاباً وَأَرْدِيَةً وَأَغْطِيَةً (سَرَابِيل) تَقِيهِمُ الحَرَّ (مِنَ القُطْنِ وَالصُّوفِ وَالكَتَّانِ.. وَغَيْرِهَا)، وَسَرَابِيلَ تَقِيهِمْ بَأْسَ الحَدِيدِ وَالسِّلاحِ فِي الحَرْبِ وَالقِتَالِ، (هِيَ الدُّرُوعُ مِنَ الحَدِيدِ المُصَفَّحِ وَالزَّرَدِ وَالجُلُودِ وَغَيرِهَا..) وَهٰكَذا يَجْعَلُ اللهُ لَكُمْ مَا تَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى أُمُورِكُمْ، وَمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لِيَكُونَ عَوْناً عَلى طَاعَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ، لَعَلَّكُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَتُسْلِمُونَ إِلَيْهِ.

الإِسْلاَمُ - آسْتِسْلاَمٌ وَسَكَنٌ وَرُكُونٌ.

ظِلاَلاً - أَشْيَاءَ تَسْتَظِلُّونَ بِهَا.

أَكْنَاناً - مَوَاضِعَ تَسْتَكِنُونَ فِيهَا (كَالغِيرانِ).

سَرَابِيلَ - مَلاَبِسَ أَوْ دُرُوعاً.

تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ - تَقِيكُمُ الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ أَثْنَاءَ القِتَالِ.

(الْبَلاَغُ)

(٨٢) - فَإِن آسْتَمَرُّوا عَلَى غَيِّهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ بَعْدَ أَنْ بَيَّنْتَ لَهُمْ وَوَضَّحْتَ، وَأَبْلَغْتَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ.. فَلاَ عَلَيْكَ مِنْهُمْ، وَلاَ تُهْلِكْ نَفْسَكَ حُزْناً عَلَيْهِمْ، فَأَنْتَ مُكَلَّفٌ بِإِبْلاغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الحَقِّ وَالهُدَى وَالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَقَدْ أَدَّيْتَ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ.

(نِعْمَةَ) (الْكَافِرُونَ)

(٨٣) - وَهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِجَمِيعِ هٰذِهِ النِّعَمِ، وَمَعَ هٰذَا فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ ذٰلِكَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَأَصْبَحَ أَكْثَرُهُمْ كَافِرِينَ.

(٨٤) - وَحَذِّرْ أَيُّها الرَّسُولُ هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ،

ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ

وَهُوَ اليَوْمُ الذي يَبْعَثُ اللهُ فِيهِ الخَلْقَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ عَلَيْها هُوَ نَبِيُّها، يَشْهَدُ عَلَيْها، بِمَا أَجابَتْهُ بِهِ حِينَما بَلَّغَها رِسالَةَ رَبِّهِ، ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا - بَعْدَ شَهَادَةِ الأَنْبِيَاءِ - بِالكَلامِ وَالاعْتِذَارِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ بُطْلانَ مَا سَيَعْتَذِرُونَ بِهِ وَكَذِبَهُ، وَلَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَرْضُوا رَبَّهُمْ، وَيُزِيلُوا عَتَبَهُ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، لِأَنَّهُ قَدْ فَاتَ أَوَانُ العِتَابِ وَالاسْتِرْضَاءِ.

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ - لَا يُطْلَبُ مِنْهُمُ اسْتِرْضَاءُ رَبِّهِمْ.

٨٥ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ

(رأى)

(٨٥) - وَحِينَ يَرَى الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأَشْرَكُوا بِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، العَذابَ يَوْمَ القِيامَةِ، فَلا يُنْجِيهِمْ مِنْهُ شَيءٌ، إِذْ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ بِالاعْتِذَارِ فَيَعْتَذِرُونَ فَيُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ، بِهٰذا العُذْرِ، وَلَا يُمْهَلُونَ لِلتَّوْبَةِ، لِأَنَّ وَقْتَ التَّوْبَةِ قَدْ فَاتَ، فَيَأْخُذُهُمُ العَذابُ سَرِيعاً دُونَ إِبْطاءٍ، وَيَكُونُ عَذَابُهُمْ مُسْتَمِرّاً مُتَواصِلاً فِي شِدَّتِهِ، لَا يَتَوَقَّفُ لَحْظَةً، وَلَا يُخَفَّفُ وَلَا يَفْتُرُ.

لَا يُنْظَرُونَ - لَا يُمْهَلُونَ وَلَا يُؤَخَّرُونَ.

٨٦ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ

(رأى) (نَدْعُو) (لَكاذِبُونَ)

(٨٦) - وَحِينَ يَرَى المُشْرِكُونَ يَوْمَ القِيامَةِ آلِهَتَهُمُ الذِينَ أَشْرَكُوهُمْ بِالعِبادَةِ مَعَ اللهِ، يَقُولُونَ للهِ العَظِيمِ الجَبَّارِ: رَبَّنا هٰؤلاءِ هُمُ الذِينَ كُنَّا نَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِكَ. وَيَسْأَلُونَ اللهَ تَعالَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ كانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ وَضَلالِهِمْ، وَصَرْفِهِمْ عَنْ عِبادَةِ اللهِ الحَقِّ، فَيَرُدُّ هٰؤلاءِ المَعْبُودُونَ عَلَى المُشْرِكِينَ قائِلِينَ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْكُمْ بِعِبادَتِنا، وَإِنَّكُمْ لَمْ تَعْبُدُونا وَلٰكِنْ عَبَدْتُمْ أَهْواءَكُمْ.

٨٧ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ

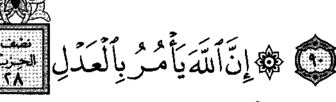
(يَوْمَئِذٍ)

(٨٧) - وَفِي ذٰلِكَ اليَوْمِ يَجِدُ المُشْرِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فُرادَى ضِعافاً أَمامَ اللهِ القَوِيِّ الجَبَّارِ، وَيُعَايِنُونَ العَذَابَ وَيَتَلَفَّتُونَ فَلا يَجِدُونَ لَهُمْ وَلِيّاً وَلَا نَاصِراً مِنْ دُونِهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ كُفْرَهُمْ وَإِجْرامَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنيا، فَيَذِلُّونَ وَيَسْتَكِينُونَ للهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ الأَرْبَابَ هُمُ الذِينَ يُلْقُونَ السَّلَمَ للهِ، وَالواقِعُ أَنَّهُمْ جَمِيعاً العَابِدُونَ وَالمَعْبُودُونَ يُلْقُونَ السَّلَمَ للهِ العَظِيمِ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ).

﴿٨٨﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ

﴿٨٩﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ



﴿٩٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُمْ وَتَلاشَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ آفْتِرَاءً وَكَذِباً عَلَى اللهِ.

السَّلَمَ - الاسْتِسْلامَ والانْقِيَادَ لِحِكْمَةِ اللهِ.

(زِدْناهُم)

(٨٨) - أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَقَامُوا بِصَدِّ النَّاسِ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَآتِّبَاعِ الرُّسُلِ فَيَزِيدُهُمُ اللهُ تَعَالَى عَذاباً، يُعَذِّبُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى صَدِّ النَّاسِ عَنِ الإِيمَانِ، وَعَلَى الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ. (وَهٰذا دَليلٌ عَلَى تَفَاوُتِ الكُفَّارِ فِي العَذَابِ).

(الْكِتَابَ) (تِبْيَاناً)

(٨٩) - وَآذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِكُفَّارِ قَوْمِكَ مَا سَيَحْصُلُ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِذْ يُحْضِرُ اللهُ نَبِيَّ كُلِّ أُمَّةٍ لِيَكُونَ شَاهِداً عَلَيْهَا، عَلَى أَنَّهُ دَعَاهَا إِلى اللهِ، وَأَنْذَرَهَا عِقَابَهُ، وَحَذَّرَهَا عَذَابَهُ، ثُمَّ نَأْتِي بِكَ لِتَشْهَدَ عَلَى قَوْمِكَ (هٰؤُلاَءِ)، وَمَا أَجَابُوكَ بِهِ حِينَ دَعَوْتَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ. وَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ عِلْمَ كُلِّ شَيءٍ يَحْتَاجُهُ النَّاسُ، فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، وَفِي أُمُورِ مَعَاشِهِمْ، وَهُوَ هُدًى لِلْقُلُوبِ، وَرَحْمَةٌ مِنَ اللهِ بِعِبَادِهِ، إِذْ يَدُلُّهُمْ عَلَى طَرِيقِ الخَيْرِ وَالرَّشَادِ، وَفِيهِ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم الجَنَّةَ.

(الإِحْسَانِ) (وَإِيتَاءِ)

(٩٠) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي كِتَابِهِ الذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ، وَيَنْدُبُ إِلى الإِحسَانِ وَالفَضْلِ، وَيَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِعْطَاءِ ذَوِي القُرْبَى مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَيَنْهَى عَنِ آرْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ وَالمُنْكَرَاتِ وَالفَوَاحِشِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، مِمَّا يَأْتِيهِ العَبْدُ سِرّاً وَخفْيَةً. وَاللهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالخَيْرِ، وَيَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَالشَّرِّ، لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللهُ فِي الفِطْرَةِ مِنْ وَحْيٍ قَوِيمٍ أَصِيلٍ، فَتَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ.

العَدْلِ - الاعْتِدَالِ وَالتَّوَسُّطِ فِي الأَمْرِ.

الإِحْسَانِ - إِتْقَانِ العَمَلِ، أَوْ نَفْعِ الخَلْقِ.

الفَحْشَاءِ - الذُّنُوبِ المُفْرِطَةِ فِي القُبْحِ.

المُنْكَرِ - مَا تُنْكِرُهُ العُقُولُ مِنَ المَسَاوِىءِ.

(٩١) وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ

(٩٢) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

البَغي ـ الظُّلْم والتَّعدِّي والتَّطاوُل عَلَى النَّاسِ .

(عَاهَدْتُم) (الأَيْمَان)

(٩١) ـ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ وَمِيثَاقِهِ إِذَا وَاثَقْتُمُوهُ، وَعَقْدِهُ إِذَا عَاقَدْتُمُوهُ، فَأَوْجَبْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ حَقّاً لِمَنْ عَاقَدْتُموهُمْ وَواثَقْتُموهُمْ عَلَيْهِ (وَيَدْخلُ فِي ذٰلِكَ كُلُّ عَقْدٍ يَلْتَزِمُ بِهِ الإِنْسَانُ بِاخْتِيَارِهِ) وَأَشْهَدْتُمُ اللهَ عَلَى الوَفَاءِ بِهِ. وَلاَ تُخَالِفُوا مَا عَقَدْتُمْ فِيهِ الأَيمَانَ، وَشَدَّدْتُم عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ شَاهِداً وَرَاعِياً عَلَيْكُمْ فِي الوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مِنْ وَفَاءٍ وَحَلْفٍ، وَبِرٍّ وَحِنْثٍ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى مَا تَفْعَلُونَ.

كَفِيلًا ـ شَاهِداً أَوْ رَقِيباً أَوْ ضَامِناً.

(أَنْكَاثاً) (أَيْمَانَكُم) (القِيَامَة)

(٩٢) ـ قِيلَ إِنَّهُ كَانَتْ فِي مَكَّةَ امْرَأَةٌ مُلْتَاثَةُ العَقْلِ تَغْزِلُ غَزْلَهَا فِي النَّهارِ، ثُمَّ تَعُودُ فَتَنْقُضُهُ فِي اللَّيْلِ (أَنْكَاثاً)، وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى فِعْلَ هٰذِهِ المَرْأَةِ المُلْتَاثَةِ العَقْلِ مَثَلاً لِلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ تَحْقِيراً لَهُمْ، وَتَقْبِيحاً لِفِعْلِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: وَلاَ تَكُونُوا يَا أَيُّهَا القَوْمُ فِي نَقْضِكُمْ أَيْمَانَكُمْ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَإِعْطَائِكُمْ رَبَّكُمُ العُهُودَ وَالمَوَاثِيقَ، كَمَنْ تَنْقُضُ غَزْلَهَا بَعْدَ إِبْرَامِهِ حَمَاقَةً وَجَهْلاً. إِذْ تَجْعَلُونَ أَيْمَانَكُمُ التِي تَحْلِفُونَهَا عَلَى أَنَّكُمْ مُوفُونَ بِالعَهْدِ الذِي عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ، وَسِيلَةً لِلْخِدَاعِ، وَلِغِشِّ مَنْ عَاقَدْتُمُوهُمْ لِيَطْمَئِنُّوا إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ تُضْمِرُونَ الغَدْرَ وَعَدَمَ الوَفَاءِ، إِذَا وَجَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنَ الجَمَاعَةِ التِي تَعَاقَدْتُمْ مَعَهَا، وَأَكْثَرَ عَدَداً، فَإِذَا وَجَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنَ الجَمَاعَةِ الأُولَى، التِي تَعَاقَدْتُمْ مَعَهَا، تَحَالَفْتُمْ مَعَهُ، وَحَنِثْتُمْ بِأَيْمَانِكُمْ التِي أَقْسَمْتُمُوهَا لِلْجَمَاعَةِ الأُولَى (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ).

وَاللهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالوَفَاءِ بِالعُهُودِ لِيَخْتَبِرَكُمْ وَيَمْتَحِنَكُمْ، وَيَبْلُوَ إِيمَانَكُمْ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ـ مِنْ بَعْدِ إِبرامٍ وَإِحْكَامٍ .

أَنْكَاثاً ـ أَنْقَاضاً مَحْلُولَةَ الفَتْلِ .

دَخَلاً بَيْنَكُمْ ـ مَفْسَدَةً وَخِيَانَةً وَخَدِيعَةً بَيْنَكُم.

أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ ـ أَنْ تَكُونَ جَمَاعَةً.

(٩٣) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٩٤) وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(٩٥) وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(٩٦) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ

هِيَ أَرْبى مِنْ أُمَّةٍ - أَكْثَرُ عَدداً وَأَعَزُّ نَفراً أَوْ أَوْفرُ مَالاً.

يَبْلُوكُمْ - يَخْتَبِرُكُمْ.

(وَاحِدَةً) (وَلَتُسْأَلُنَّ)

(٩٣) - وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ، يَا أَيُّها النَّاسُ، أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وَوفَّقَ بَيْنَكُمْ، وَأَزَالَ مَا بَيْنَكُمْ مِنَ ٱخْتِلَافٍ، وَلٰكِنَّهُ تَعَالَى يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، ثُمَّ يَسْأَلُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْها الجَزَاءَ الأَوْفَى.

(أَيْمَانَكُمْ)

(٩٤) - وَلَا تَجْعَلُوا أَيْمَانَكُمْ، التِي تَحْلِفُونَها فِيمَا تَتَعَاهَدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ، خَدِيعَةً تَغُرُّونَ بِهَا النَّاسَ (دَخَلًا بَيْنَكُمْ) فَإِنَّكُمْ بِعَمَلِكُمْ هٰذا تَكُونُونَ قَدْ وَقَعْتُمْ فِي ثَلَاثٍ مِنَ المَحْظُورَاتِ:

أ - أَنَّكُمْ تَضِلُّونَ وَتَبْتَعِدُونَ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى، بَعْدَ أَنْ رَسَخَتْ أَقْدَامُكُمْ فِيهَا (فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا).

ب - أَنَّكُمْ تَكُونُونَ قُدْوَةً سَيِّئَةً لِسِوَاكُمْ، وَتَسُنُّونَ سُنَّةً لِغَيْرِكُمْ فِيهَا صَدٌّ لِلنَّاسِ عَنْ سَبيلِ الحَقِّ.

جـ - أَنَّكُمْ سَتُعَاقَبُونَ عَلَى فِعْلِكُمْ هٰذا فِي الآخِرَةِ جَزَاءَ مَا ٱجْتَرَحْتُمْ مِنْ مُجَانَبَةِ الحَقِّ، وَالإِعراضِ عَنْ أَهْلِهِ.

(٩٥) - وَلَا تَطْمَعُوا فِي أَنْ تَأْخُذُوا مُقَابِلَ نَقْضِ العَهْدِ المَذْكُورِ عِوَضاً يَسِيراً مِنْ عُرُوضِ الدُّنيا الفَانِيَةِ، فَهُوَ قَلِيلٌ مَهْمَا كَانَ كَثِيراً، فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقى، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ المُحَافِظِينَ عَلَى العُهُودِ، بِجَزِيلِ الثَّوابِ فِي الآخِرَةِ.

(وَهٰذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا وَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَنْقُضُوا مَا بَايَعُوا الرَّسُولَ عَلَيْهِ، جَزَعاً مِمَّا رَأَوْا مِنْ غَلَبَةِ قُرَيشٍ، وَٱسْتِضْعَافِهِمْ لِلْمُؤْمنينَ، وَلِمَا كَانُوا يَتَلَقَّوْنَهُ مِنَ المُشْرِكينَ مِنْ وَعْدٍ بِجَزِيلِ العَطَاءِ إِنِ ٱرْتَدُّوا عَنِ الإِسْلامِ).

(٩٦) - مَا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيا يَنْفَدُ وَيَفْنَى، وَمَا تَحْصُلُونَ عَلَيْهِ نَتِيجَةَ الغَدْرِ وَنَقْضِ العَهْدِ، وَالحَنْثِ بالأَيْمَانِ، كُلُّهُ يَنْفَدُ، لأَنَّهُ عَرَضٌ زَائِلٌ، أَمَّا ثَوابُ اللهِ لَكُمْ فِي الجَنَّةِ فَهُوَ بَاقٍ، وَلَا ٱنْقِطَاعَ لَهُ وَلَا نَفَادَ، لِأَنَّهُ دَائِمٌ لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ. وَيُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ سَيَجْزِي الصَّابِرينَ

عَلَى صَبْرِهِمْ، وَهُوَ أَحْسَنُ أَعْمَالِهِمْ، لأَنَّ جَمِيعَ التَّكَالِيفِ تَحْتَاجُ إلى الصَّبْرِ، وَهُوَ أُسُّ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَحِينَ يَجْزِي اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ فَإِنَّهُ تَعَالَى يَعِدُهُمْ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

يَنْفَدُ - يَنْقَضِي وَيَفْنَى وَيَزُولُ.

٩٧ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(صَالِحاً) (حَيَاةً)

(٩٧) - مَنْ عَمِلَ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَقَامَ بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ، مُصَدِّقٌ كُتُبَهُ وَرُسُلَهُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعِدُهُ بِأَنْ يُحْيِيَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً، تَصْحَبُهَا القَنَاعَةُ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، وَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَاهُ، إِذْ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقٍ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ بِتَدْبِيرِ اللهِ تَعَالَى وَقِسْمَتِهِ، وَاللهُ مُحْسِنٌ كَرِيمٌ، لاَ يَفْعَلُ إِلاَّ مَا فِيهِ المَصْلَحَةُ، وَفِي الآخِرَةِ يَجْزِيهِ اللهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى، وَيُثِيبُهُ أَحْسَنَ الثَّوابِ، جَزَاءَ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَمَا تَحَلَّى بِهِ مِنْ إِيمَانٍ.

٩٨ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

(القُرْآنَ) (الشَّيْطَانِ)

(٩٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ وَعِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ بِأَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إِذَا أَرَادُوا قِرَاءَةَ القُرْآنِ.

اسْتَعِذْ بِاللهِ - اعْتَصِمْ بِاللهِ وَالْجَأْ إِلَيْهِ.

٩٩ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

(سُلْطَانٌ) (آمَنُوا)

(٩٩) - وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ الشَّيْطَانَ لاَ سُلْطَةَ لَهُ وَلاَ سُلْطَانَ عَلَى المُؤْمِنِينَ المُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ ذَنْبٍ لاَ يَتُوبُونَ مِنْهُ.

سُلْطَانٌ - تَسَلُّطٌ أَوْ وِلاَيَةٌ.

١٠٠ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ

(سُلْطَانُهُ)

(١٠٠) - إِنَّمَا تَسَلُّطُهُ بِالغَوَايَةِ وَالضَّلاَلَةِ يَكُونُ عَلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ نَصِيراً فَيُحِبُّونَهُ وَيُطِيعُونَهُ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إِغْوَائِهِ يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ.

يَتَوَلَّوْنَهُ - يَتَّخِذُونَهُ وَلِيّاً مُطَاعاً.

(١٠١) وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(١٠٢) قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ

(١٠٣) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ

(١٠٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(آيَةً)

(١٠١) ـ وَإِذَا نَسَخْنَا حُكْمَ آيَةٍ فَأَبْدَلْنَا مَكَانَهُ حُكْمَ آيَةٍ أُخْرَى، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالذِي هُوَ أَصْلَحُ لِخَلْقِهِ، فِيمَا يُبَدِّلُ مِنْ أَحْكَامٍ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ مُتَقَوِّلٌ عَلَى اللهِ، تَأْمُرُ بِشيءٍ، ثُمَّ تَعُودُ فَتَنْهَى عَنْهُ، وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّبْدِيلِ مِنْ حِكَمٍ بَالِغَةٍ. وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ وَيُنْكِرُونَ الفَائِدَةَ عِناداً وَٱسْتِكْبَاراً.

(آمَنُوا)

(١٠٢) ـ قُلْ لَهُمْ: إِنَّ القُرْآنَ قَدْ نَزَلَ عَلَيَّ مِنْ رَبِّي مَعَ جِبْرِيلَ الرُّوحِ الطَّاهِرِ، مُقْتَرِناً بِالحَقِّ وَمُشْتَمِلاً عَلَيْهِ لِيُثَبِّتَ بِهِ المُؤْمِنِينَ، وَلِيَهْدِيَ بِهِ النَّاسَ إِلَى الخَيْرِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ حَثٍّ عَلَى التَّأَمُّلِ فِيمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بَاهِرِ الآيَاتِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ تَشْرِيعٍ وَتَعَالِيمَ وَأَحْكَامٍ، فَهُوَ هَادٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَبَشِيرٌ لَهُمْ بِحُسْنِ الثَّوابِ عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ.

رُوحُ القُدُسِ ـ الرُّوحُ المُطَهَّرُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

(١٠٣) ـ كَانَ المُشْرِكُونَ يَفْتَرُونَ كَذِباً عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُونَ إِنَّ الذِي يُعَلِّمُ مُحَمَّداً القُرْآنَ هُوَ رَجُلٌ أَعْجَمِيٌّ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَكَانَ غُلاماً لِبَعْضِ بُطُونِ قُرَيْشٍ، وَبَيَّاعاً عِنْدَ الصَّفَا. وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى رَدّاً عَلَى هٰؤُلاَءِ المُفْتَرِينَ: إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الكُفَّارَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّداً يَتَلَقَّى القُرآنَ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ يُسَمُّونَهُ، وَلٰكِنَّ هٰذا الرَّجُلَ الأَعْجَمِيَّ لاَ يَعْرِفُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ هٰذا الأَعْجَمِيُّ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ هٰذا القُرْآنِ فِي بَلاَغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَإِحْكَامِهِ، وَقَدْ تَحَدَّى اللهُ تَعَالَى قُرَيْشاً ـ وَالعَرَبَ جَمِيعاً ـ وَهُمْ أَهْلُ الفَصَاحَةِ وَاللَّسَنِ، أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ يَأْتُوا بِآيَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا.

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ـ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ وَيَنْسُبُونَ.

(بِآيَاتِ)

(١٠٤) ـ إِنَّ الذِينَ لاَ يُصَدِّقُونَ بِأَنَّ هٰذِهِ الآيَاتِ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، بَلْ يَقُولُونَ إِنَّهَا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ.. لاَ يَهْدِيهِمُ اللهُ تَعَالَى إِلَى مَعْرِفَةِ الحَقِّ الذِي يُنْجِيهِمْ مِنْ عَذابِ النَّارِ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ سُوءِ ٱسْتِعْدَادِهِمْ بِمَا ٱجْتَرَحُوهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ، جَزَاءَ مَا نَصَبُوا لَهُ أَنْفُسَهُمْ مِنَ العِدَاءِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَرِسَالَتِهِ.

﴿١٠٥﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ

(بِآيَاتِ) (الْكَاذِبُونَ) (أُولَئِكَ)

(١٠٥) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺ لَيْسَ بِمُفْتَرٍ، وَلَا كَذَّابٍ، لِأَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ الكَذِبَ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ هُمْ شِرَارُ الخَلْقِ، الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَآيَاتِهِ مِنَ الكَفَرَةِ المُلْحِدِينَ المَعْرُوفِينَ بِالكَذِبِ عِنْدَ النَّاسِ، وَمُحَمَّدٌ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ، وَأَبَرَّهُمْ وَأَكْمَلَهُمْ عِلْماً وَأَخْلَاقاً، وَكَانَ يُعْرَفُ بِالأَمِينِ عِنْدَ قَوْمِهِ، فَهُوَ لَا يَفْتَرِي الكَذِبَ عَلَى اللهِ.

﴿١٠٦﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(إِيمَانِهِ) (بِالإِيمَانِ)

(١٠٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الذِي كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ بِالكُفْرِ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، لِأَنَّهُ ارْتَدَّ عَنِ الإِيمَانِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا، وَلِأَنَّهُ عَلِمَ بِالإِيمَانِ ثُمَّ عَدَلَ عَنْهُ، وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ.

وَيَسْتَثْنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ ذٰلِكَ المَصِيرِ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى النُّطْقِ بِكَلِمَةِ الكُفْرِ، فَارْتَدَّ عَنِ الإِسْلَامِ بِلِسَانِهِ، وَوَافَقَ المُشْرِكِينَ بِلَفْظِهِ مُكْرَهاً، لِمَا نَالَهُ مِنْ أَذًى، وَبَقِيَ مُؤْمِناً بِقَلْبِهِ مُطْمَئِناً بِالإِيمَانِ. فَمِثْلُ هٰذا المُكْرَهِ يُمْكِنُ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ، إِذَا عَلِمَ صِدْقَ نِيَّتِهِ.

﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

(الْحَيَاةَ) (الآخِرَةِ) (الْكَافِرِينَ)

(١٠٧) - وَذٰلِكَ الغَضَبُ مِنَ اللهِ، وَذٰلِكَ العَذَابُ العَظِيمُ، إِنَّمَا اسْتَحَقَّهُ هٰؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ آثَرُوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا عَلَى نَعِيمِ الآخِرَةِ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ مَنْ يَجْحَدُ آيَاتِهِ، وَيُصِرُّ عَلَى إِنْكَارِهَا، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ فَقَدَ الاسْتِعْدَادَ لِسُبُلِ الخَيْرِ بِمَا زَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ مِنَ الكُفْرِ.

اسْتَحَبُّوا - اخْتَارُوا أَوْ آثَرُوا.

﴿١٠٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

(أُولَئِكَ) (وَأَبْصَارِهِمْ) (الْغَافِلُونَ)

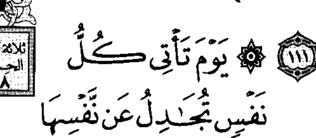
(١٠٨) - وَهٰؤُلَاءِ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلَامِ قَدْ خَتَمَ اللهُ (طَبَعَ) عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ فَلَمْ يَعُودُوا يَنْتَفِعُونَ بِجَوَارِحِهِمْ، فَهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ.

﴿١٠٩﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

(الآخِرَةِ) (الْخَاسِرُونَ)

(١٠٩) - حَقّاً وَبِلَا شَكٍّ فِي أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ فِي الآخِرَةِ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ، لِأَنَّهُمْ بَخَسُوهَا حُظُوظَهَا، وَصَرَفُوا أَعْمَارَهُمْ فِيمَا أَفْضَى بِهِمْ إِلَى العَذَابِ.

﴿١١٠﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ



﴿١١١﴾ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ

﴿١١٢﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ

لا جَرَمَ - لا شَكَّ أوْ حَقٌّ وَثَبَتَ.

(جَاهَدُوا)

(١١٠) - وَهٰؤُلاءِ صِنْفٌ آخَرُ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ مُهَانِينَ فِي قَوْمِهِمْ، فَوافَقُوهُمْ عَلَى الفِتْنَةِ، ثُمَّ أَمْكَنَهُمُ الخَلاصُ بَعْدَ الهِجْرَةِ، فَتَرَكُوا بِلادَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَغُفْرانِهِ، وَالتَحَقُوا بِالمُؤْمِنِينَ، وَجَاهَدُوا مَعَهُمْ، فَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ مِنْ بَعْدِ أَفْعَالِهِمْ (مِنْ بَعْدِهَا)، وَمِنْ بَعْدِ هٰذِهِ الاسْتِجَابَةِ إِلى الفِتْنَةِ، لَغَفُورٌ رَحِيمٌ بِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.

فُتِنُوا - عُذِّبُوا وَابْتُلُوا بِسَبَبِ إِسْلامِهِمْ.

(تُجَادِلُ)

(١١١) - وَإِنَّ رَبَّكَ سَيَغْفِرُ لِهٰؤُلاءِ المُكْرَهِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا، حِينَمَا تَمَكَّنُوا مِنْ ذَلِكَ، إلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَسَيَرْحَمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي تَأْتِي فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ تُخَاصِمُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَحَاجُّ عَنْهَا، وَتَسْعَى فِي خَلاصِهَا بِمَا أَسْلَفَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ، وَتَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ جَزَاءَ مَا عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا فَتُعْطَاهُ (تُوَفّى)، وَتُجَازَى بِهِ.

وَاللهُ تَعَالَى لاَ يَظْلِمُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ، فَلاَ يُنْقَصُ مِنْ حَسَنَاتِ المُسِيءِ، وَلاَ يُزَادُ فِي سَيِّئَاتِهِ.

(آمِنَةً) (فَأَذَاقَهَا) (مُطْمَئِنَّةً)

(١١٢) - جَعَلَ اللهُ تَعَالَى حَالَ أَهْلِ مَكَّةَ مِثْلَ حَالِ هٰذِهِ القَرْيَةِ، الَّتِي كَانَتْ آمِنَةً لاَ تَخَافُ عَدُوّاً، وَقَدْ تَدَفَّقَ الرِّزْقُ الوَفِيرُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَكَفَرَ أَهْلُهَا بِأَنْعُمِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الخَوفَ، وَأَذَاقَهُمْ مَرَارَةَ الجُوعِ. كَذَلِكَ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ، فَقَدْ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِها، وَمَنْ دَخَلَهَا كَانَ آمِناً، لاَ يَخَافُ شَيْئاً، وَكَانَ الرِّزْقُ الوَفِيرُ يَتَدَفَّقُ عَلَيْهَا هَنِيئاً سَهْلاً مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ، وَجَحَدَتْ بِهَا، وَأَعْظَمُ هٰذِهِ النِّعَمِ هِيَ بِعْثَةُ رَسُولٍ مِنْهُمْ. وَلِهٰذا بَدَّلَ اللهُ أَهْلَهَا بِحَالَيْهِمْ (الأَمْنِ وَالعَيشِ الرَّغِيدِ)، بِحَالَيْنِ جَدِيدَيْنِ، هُمَا: (الجُوعُ وَالخَوفُ - لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ) فَقَدْ جَاءَتْهُمْ سِنُونَ شِدَادٌ فَجَاعُوا، وَهَاجَرَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلى المَدِينَةِ فَكَانَتْ سَرَايَا المُسْلِمِينَ تَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى قَوَافِلِهِمْ إِلى الشَّامِ، فَخَافُوا. وَكُلُّ ذلِكَ كَانَ عِقَاباً لَهُمْ مِنَ اللهِ بِسَبَبِ سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَبَغْيِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ.

﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ

(ظَالِمُونَ)

(١١٣) ـ لَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِأَنْ أَرْسَلَ إِليهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللهِ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِمِنَنِ اللهِ عَلَيْهِمْ، إِذْ جَعَلَ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَشْكُرُوا اللهَ عَلَى هٰذِهِ النِّعْمَةِ، وَلٰكِنَّهُمْ بَدَلاً مِنَ الشُّكْرِ كَذَّبُوا الرَّسُوْلَ، وَآسْتَكْبَرُوا، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ، وَأَذَلَّهُمُ اللهُ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، فَهُزِمُوا فِي بَدْرٍ، وَتَتَالَتْ هَزَائِمُهُمْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

﴿١١٤﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

(حَلالًا) (نِعْمَةَ)

(١١٤) ـ فَكُلُوْا يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ التِي أَحَلَّهَا لَكُمْ، وَذَرُوْا مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الخَبَائِثِ، وَآشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَى نِعَمِهِ وَآلائِهِ، إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، وَلاَ تُشْرِكُون مَعَهُ فِي العِبَادَةِ أَحَداً، فَهُوَ المَعْبُودُ المُنْعِمُ.

﴿١١٥﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(١١٥) ـ يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى مَا حَرَّمَ عَلَى المُؤْمِنينَ مِنَ الطَّعَامِ مِمَّا فِيْهِ مَضَرَّةٌ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَدُنْيَاهُمْ، مِنَ المَيْتَةِ وَلَحْمِ الخِنْزِيرِ وَالدَّمِ المَسْفُوحِ، وَما ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ آسْمِ اللهِ. فَمَنِ آضْطُرَّ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ المُحَرَّمَةِ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فِي حُدُودِ إِزالَةِ الضَّرُورَةِ، لِيَقِيَ نَفْسَهُ الهَلاَكَ، وَدُونَ أَنْ يَكُونَ مُتَعَمِّداً العُدْوانَ وَالبَغْيَ، وَتَجَاوُزَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُ ذٰلِكَ، لأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

الدَّمَ المَسْفُوحَ ـ السَّائِلَ أَوِ المُهْرَاقَ.

لَحْمَ الخِنْزِيرِ ـ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ.

أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ـ ذُكِرَ عِنْدَ ذَبْحِهِ آسْمُ غَيْرُ آسْمِ اللهِ.

آضْطُرَّ ـ أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلى التَّنَاوُلِ مِنْهُ.

غَيْرَ بَاغٍ ـ غَيْرُ طَالِبٍ لِلْحَرَامِ لِلَذَّةٍ.

عَادٍ ـ مُتَجَاوِزٍ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ، وَيُزِيلُ الضَّرُورَةَ.

﴿١١٦﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ

(حَلالٌ)

(١١٦) ـ وَلاَ تَقُولُوا عَنْ شَيءٍ هٰذا حَرامٌ، وَهٰذا حَلاَلٌ، إِذَا لَمْ يَأْتِكُمْ حِلُّهُ وَتَحْرِيمُهُ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَالذِي يُحَلِّلُ وَيُحَرِّمُ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ.

(وَيَدْخُلُ فِي هٰذا آبْتِداعُ بِدْعَةٍ لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ شَرْعِيٌّ، أَوْ تَحْلِيلُ شَيْءٍ

ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ

﴿١١٧﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ

﴿١١٨﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ

﴿١١٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ

مِمَّا حَرَّمَ اللهُ، أَوْ تَحرِيمُ شَيءٍ مِمَّا أَحَلَّهُ اللهُ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالهَوَى).

ثُمَّ يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ الكَذِبَ عَلَى اللهِ، وَيَقُولُ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ لاَ يُفْلِحُونَ فِي الدُّنْيا، وَلاَ فِي الآخِرَةِ.

(مَتَاعٌ)

(١١٧) - فَالمَنَافِعُ التِي يَحْصَلُ عَلَيْهَا هؤُلاءِ المُحَلِّلُونَ وَالمُحَرِّمُونَ مِن هٰذا التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ الذِي لاَ مُسْتَنَدَ شَرْعِيّاً لَهُمْ فِيهِ مِنْ شَرْعِ اللهِ، هِيَ تَافِهَةٌ حَقِيرَةٌ، لاَ يَعْتَدُّ بِهَا عَاقِلٌ، إِذا عَلِمَ أَنَّهَا سَتَكُونُ عَظِيمَةَ الضَّرَرِ عَلَيهِ فِي الآخِرَةِ، وَسَتَجْعَلُهُ يَدْخُلُ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَلْقَى فِيهَا العَذَابَ الأَلِيمَ الذِي وَعَدَهُ اللهُ بِهِ.

(ظَلَمْنَاهُمْ)

(١١٨) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ حَرَّمَ عَلَى اليَهُودِ فِي شَرْعِهِمْ مَا قَصَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ الكَرِيمِ مِنْ قَبْلِ هٰذِهِ الآيَةِ (فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ [1] إِذْ جَاءَ فِيهَا ﴿وَعَلَى الَّذينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلت ظهُورُهُما. ﴾ وَهُنَا يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ ضَيَّقَ عَلَى اليَهُودِ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ، وَبَغْيِهِمْ، وَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، فَاسْتَحَقُّوا ذٰلِكَ، وَلَمْ يَظْلِمْهُمُ اللهُ، وَإِنَّمَا هُمُ الذِّينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ.

(بِجَهَالَةٍ)

(١١٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ تَكَرُّمِهِ وَتَفَضُّلِهِ عَلَى المُؤْمِنِينَ العُصَاةِ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، بِأَنَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ، إِذَا تَابُوا وَاسْتَغْفَرُوا رَبَّهُمْ، وَعَمِلُوا عَمَلاً صَالِحاً يَرْضَاهُ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ يَعْنِي مِنْ بَعْدِ هٰذِهِ الفِعْلَةِ).

وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ هُمُ الَّذِينَ يُقَارِفُونَ الفِعْلَ المُحَرَّمَ فِي لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِ الطَّيْشِ وَالانْفِعَالِ وَالضَّعْفِ الإِنْسَانِيِّ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُقَارِفُونَ مُحَرَّماً مُنْكَراً، وَيَشْعُرُونَ فِي قَرَارَةِ نُفُوسِهِمْ بِالنَّدَمِ وَوَخْزِ الضَّمِيرِ لِمَا يَرْتَكِبُونَهُ حِينَمَا يَرْتَكِبُونَهُ. ثُمَّ لاَ يَلْبَثُونَ - حِينَمَا تَهْدَأُ نُفُوسُهُمْ وَيَثُوبُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ - أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللهِ، وَيَسْتَغْفِرُوهُ، وَيَشْعُرُوا بِالنَّدَمِ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُمْ.

---

(١) الآية ١٤٦ من سورة الأنعام.

(١٢٠) إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

(١٢١) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(١٢٢) وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(١٢٣) ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

(١٢٤) إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

بِجهالَةٍ - بِتَعَدِّي الطَّورِ ورُكُوبِ الرَّأْسِ.

(إبْراهِيمَ)

(١٢٠) - يَمْدَحُ اللهُ تَعالَى عَبْدَهُ إبْراهِيمَ، إمَامَ الحُنَفاءِ، وَيُبَرِّئُهُ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَمِنَ اليَهُودِ وَالنَّصارَى، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ أُمَّةً (أَيْ إمَاماً يُؤْتَمُّ بِهِ وَيُقْتَدَى بِهِ) خاشِعاً مُطِيعاً للهِ، مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ، وَمَائِلاً إلى التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكِينَ.

أُمَّةً - مُعَلِّماً لِلْخَيْرِ، وَمُؤْمِناً وَحْدَهُ.

قَانِتاً - مُطِيعاً خاشِعاً للهِ.

حَنِيفاً - مَائِلاً عَنِ البَاطِلِ إلى الدِّينِ القَوِيمِ.

(اجْتَبَاهُ) (وَهَدَاهُ) (صِراطٍ)

(١٢١) - وَكَانَ قَائِماً بِشُكْرِ اللهِ تَعالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَقَدِ آخْتَارَهُ اللهُ لِلنُّبُوَّةِ وَآصْطَفَاهُ (آجْتَبَاهُ)، مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ، وَهَدَاهُ إلى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَهِيَ الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمُ.

آجْتَبَاهُ - آصْطَفاهُ وَآخْتَارَهُ لِلنُّبُوَّةِ.

(وَآتَيْناهُ) (الآخِرَةِ) (الصَّالِحِينَ)

(١٢٢) - وَقَدْ آتَاهُ اللهُ تَعالَى فِي الدُّنْيا حَسَنَةً بِأَنْ جَعَلَهُ نَبِيّاً، وَإِمَاماً لِلْقَانِتِينَ، وَأَباً للأَنْبِياءِ، وَسَيَكُونُ حَالُهُ فِي الآخِرَةِ أَفْضَلَ لأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَرْضَى اللهُ عَنْ أَعْمالِهِمْ.

(اتَّبِعْ) (إبْراهِيمَ)

(١٢٣) - ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَنْتَ خَاتَمُ الأَنْبِياءِ: أَنِ آتَّبِعْ مِلَّةَ إبْراهِيمَ فِي مَيْلِهِ إلَى الإيمانِ، وَبُعْدِهِ وَآنْحِرافِهِ عَنِ الشِّرْكِ، فَإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِناً قانِتاً خاشِعاً للهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكِينَ.

مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ - شَرِيعَةَ إبْراهِيمَ وَهِيَ التَّوْحِيدُ.

(القِيامَةِ)

(١٢٤) - شَرَعَ اللهُ لِكُلِّ مِلَّةٍ يَوْماً مِنَ الأُسْبُوعِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهِ لِلْعِبادَةِ، فَشَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الجُمُعَةِ لأَنَّهُ اليَوْمُ السَّادِسُ الذِي أَكْمَلَ اللهُ فِيهِ خَلْقَ العَالَمِ.

وَقِيلَ إِنَّ اللهَ شَرَعَ يَوْمَ الجُمُعَةِ لِبَنِي إسْرائِيلَ عَلَى لِسانِ مُوسَى فَعَدَلُوا

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾

عَنْهُ، وَاخْتَارُوا السَّبْتَ لِأَنَّهُ الْيَوْمُ الذِي لَمْ يَخْلُقْ فِيهِ الرَّبُ شَيْئاً، فَأَلْزَمَهُمُ اللهُ بِهِ فِي شَرِيعَتِهِمْ، وَوَصَّاهُمْ بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَبِأَنْ يُحَافِظُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ تَحْرِيمُ السَّبْتِ فِي دِينِ إِبْرَاهِيمَ.

وَقَدْ جَعَلَ وَبَالَ الاعْتِدَاءِ فِي السَّبْتِ (وَهُوَ المَسْخُ) عَلَى الذِينَ اعْتَدَوا فِيهِ، فَاسْتَحَلُّوا الصَّيْدَ فِيهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ وَاجِبِ اليَهُودِ أَنْ يَتَّفِقُوا عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بَعْدَ أَنْ أُمِرُوا بِتَعْظِيمِ السَّبْتِ، وَالكَفِّ عَنِ الصَّيْدِ فِيهِ، كَمَا جَعَلَ الوَبَالَ الذِي يَلْحَقُ بِالذِينَ حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، مِنَ المُشْرِكِينَ، عَلَيْهِمْ هُمْ، وَسَيَحْكُمُ اللهُ بَيْنَ هٰؤُلاءِ وَهٰؤُلاءِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فِي الدُّنْيا، حِينَمَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(وَجَادِلْهُمْ)

(١٢٥) - ادْعُ يَا مُحَمَّدُ قَوْمَكَ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِ اللهِ، طَرِيقِ الحَقِّ الذِي شَرَعَهُ اللهُ لِلنَّاسِ، وَاسْتَعْمِلْ فِي دَعْوَتِكَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الوَسِيلَةَ النَّاجِعَةَ مَعَهُ، وَالطَّرِيقَةَ المُنَاسِبَةَ، وَجَادِلْ أَهْلَ الكِتَابِ بِالحُجَّةِ وَالقَوْلِ اللَّيِّنِ، وَالعِبَارَةِ الحَسَنَةِ التِي لاَ تَشُوبُهَا قَسْوَةٌ وَلاَ عُنْفٌ، لِيَسْتَمِرَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمُ الحِوَارُ وَالجَدَلُ وَالنِّقَاشُ، فَتَسْتَطِيعَ إِقْنَاعَهُمْ بِصِحَّةِ دَعْوَتِكَ، وَحَمْلَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِكَ، وَاتْرُكْ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرَهُمْ للهِ، فَهُوَ الذِي يَعْلَمُ مَنْ ضَلَّ فَلاَ يُفِيدُ مَعَهُ جَدَلٌ وَلاَ دَعْوَةٌ، وَهُوَ الذِي يَعْلَمُ مَنْ صَفَتْ نَفْسُهُ، وَسَلِمَ تَفْكِيرُهُ، فَاهْتَدَى وَآمَنَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

(لِلصَّابِرِينَ) (لَئِنْ)

(١٢٦) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِالعَدْلِ فِي القِصَاصِ، وَالمُمَاثَلَةِ فِي الاسْتِيفَاءِ لِلْحَقِّ، فَإِنْ أَخَذَ رَجُلٌ مِنْكُمْ شَيْئاً، فَخُذُوا مِثْلَهُ. وَفِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ قُتِلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ (عَمُّ الرَّسُولِ ﷺ) وَمَثَّلَ المُشْرِكُونَ بِجُثَّتِهِ، فَاغْتَاظَ الرَّسُولُ لِذٰلِكَ كَثِيراً وَقَالَ: (لَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ). فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ، فَكَفَّرَ الرَّسُولُ عَنْ يَمِينِهِ وَأَمْسَكَ عَنْ ذٰلِكَ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ المُؤْمِنِينَ إِذَا صَبَرُوا، وَلَمْ يَقْتَصُّوا لأَنْفُسِهِمْ، كَانَ ذٰلِكَ خَيْراً لَهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

وَلِهٰذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ أَمْثَالٌ فِي القُرْآنِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ العَدْلِ وَالنَّدْبِ إِلَى الفَضْلِ ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾(١)، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾(١).

(١) الآية ٤٠ من سورة الشورى.

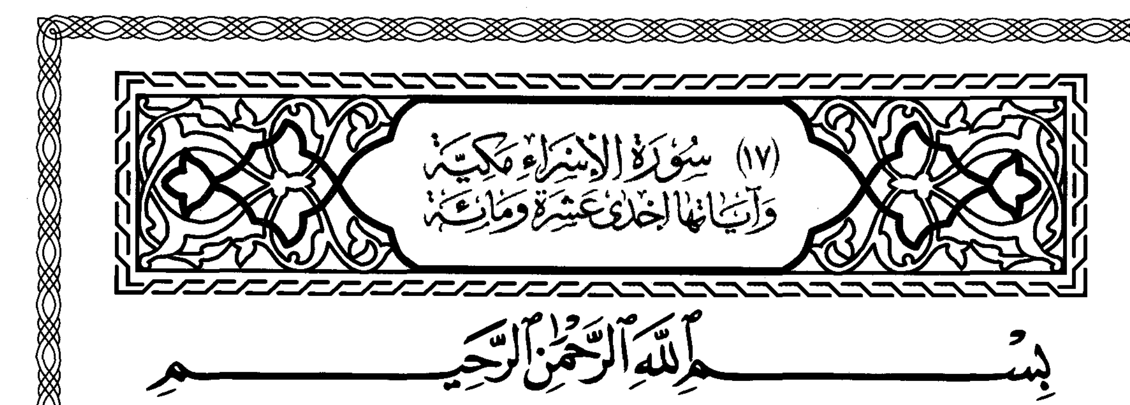
(١٢٧) وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ

(١٢٧) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ الكَرِيمَ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ أَذًى فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمِنْ إِعْرَاضٍ عَنِ الدَّعْوَةِ، وَيُخْبِرُهُ بِأَنَّ الصَبْرَ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَعَوْنِهِ وَقُوَّتِهِ، وَيَقُولُ لَهُ لاَ تَحْزَنْ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، وَلاَ تَكُنْ فِي ضِيقٍ وَغَمٍّ مِمَّا يُجْهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهِ فِي عَدَاوَتِكَ، وَإِيصَالِ الأَذَى إِلَيْكَ، فَإِنَّ اللهَ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ وَمُظْهِرُكَ عَلَيْهِمْ.

ضَيْقٍ - ضِيقِ صَدْرٍ وَحَرَجٍ.

(١٢٨) إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ

(١٢٨) - إِنَّ اللهَ مُؤَيِّدٌ بِنَصْرِهِ وَعَوْنِهِ وَهُدَاهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَاتَّقَوْا مَحَارِمَ رَبِّهِمْ، فَاجْتَنَبُوهَا خَوْفاً مِنْ عِقَابِهِ، وَالَّذِينَ يُحْسِنُونَ رِعَايَةَ فَرَائِضِهِ، وَالقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَلُزُومَ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَفِي تَرْكِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.



(١) سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

الجزء ١٥ الحزب ٢٩

(سُبْحَانَ) (ٱلأَقْصى) (بَارَكْنَا) (آيَاتِنَا)

(١) - يُمَجِّدُ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ، وَيُنَزِّهُهَا عَنْ شِرْكِ مَنْ أَشْرَكَ، وَيُعَظِّمُ شَأْنَهُ لِقُدْرَتِهِ عَلَى مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَقَدْ أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلاً مِنْ مَكَّةَ (المَسْجِدِ الحَرَامِ)، إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ (المَسْجِدِ الأَقْصَى)، وَهُوَ المَسْجِدُ الَّذِي بَارَكَ اللهُ مَا حَوْلَهُ، مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ وَنَبَاتٍ. . لِيُرِيَ عَبْدَهُ مُحَمَّداً، مِنْ آيَاتِهِ العِظَامِ، مَا فِيهِ الدَّلِيلُ القَاطِعُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ لأَقْوَالِ العِبَادِ، البَصِيرُ بِأَحْوَالِهِمْ.

(كَانَ الإِسْرَاءُ قَبْلَ خَمْسِ سِنِينَ مِنَ الهِجْرَةِ، فَأَسْرَى اللهُ تَعَالَى بِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلى السَّمَاءِ، وَفْقاً لِمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ).

(وَٱخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ مَا إِذَا كَانَ الإِسْرَاءُ قَدْ تَمَّ بِبَدَنِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَوْ بِرُوحِهِ فَقَطْ. وَأَكْثَرُ الفُقَهَاءِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ، يَقَظَةً لاَ مَنَاماً. وَلَمَّا حَدَّثَ الرَّسُولُ قُرَيْشاً بِإِسْرَائِهِ ٱسْتَغْرَبُوا ذٰلِكَ كَثِيراً، وَأَخَذُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْ صِفَاتِ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَأَخَذَ يَصِفُهُ لَهُمْ، فَقَالُوا: أَمَّا النَّعْتُ فَصَحِيحٌ.

وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ بِبَدَنِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَدَأَ السُّورَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، فَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الأُمُورِ العِظَامِ، فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ لَمْ يَتَعَدَّ المَنَامَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعْظَماً، وَلَمَا ٱرْتَدَّتْ جَمَاعَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ عَنِ الإِسْلاَمِ، وَلَمَا بَادَرَتْ قُرَيْشٌ إِلَى تَكْذِيبِهِ، ثُمَّ إِنَّ عِبَارَةَ (عَبْدِهِ) تَدُلُّ عَلَى مَجْمُوعِ الرُّوحِ وَالجَسَدِ. وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى عَنْ هٰذا الإِسْرَاءِ: ﴿مَا زَاغَ

الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[١]، وَالبَصَرُ مِنْ آلاَتِ الذَّاتِ لاَ الرُّوحِ.

وَمَنْ آمَنَ بِقُدْرَتِهِ تَعَالَى التِي لاَ حُدُودَ لَهَا، لاَ يَسْتَعْظِمُ أَنْ يُسْرِيَ اللهُ بِرَسُولِهِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى بِجَسَدِهِ، لأَنَّ الإِسْرَاءَ بِالنَّبِيِّ بِجَسَدِهِ هُوَ أَمَامَ قُدْرَةِ اللهِ فِي مِثْلِ السُّهُولَةِ التِي يُسْرَى بِهِ بِرُوحِهِ، وَلِذَلِكَ فَلاَ يَسْتَغْرِبُ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وُقُوعَ هَذَا الحَادِثِ).

وَقَدْ جَاءَ فِي كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ نُبُوءَتَانِ لِنَبِيَّيْنِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ تُشِيرُ أُولاَهُمَا إِلَى أَنَّ سَيِّدَ الرُّسُلِ أَوْ رَسُولَ اللهِ سَيَزُورُ بَيْتَ المَقْدِسِ (الهَيْكَلَ) فَجْأَةً. وَتَقُولُ الأُخْرَى إِنَّهُ سَيُعْرَجُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ لِيَمْثُلَ فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ العَظِيمِ لِيَمْنَحَهُ المَجْدَ وَالسُّلْطَانَ لإِبَادَةِ الشِّرْكِ مِنَ الأَرْضِ. وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ هَذَا الشَّرَفَ العَظِيمَ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ هُوَ المَقْصُودَ بِالنبوءَتَيْنِ.

﴿٢﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا

﴿٣﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا

﴿٤﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا

﴿٥﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا

(وَآتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (وَجَعَلْنَاهُ) (إِسْرَائِيلَ)

(٢) - وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى التَّوْرَاةَ عَلَى عَبْدِهِ مُوسَى (الكِتَابَ) وَجَعَلَهُ هَادِياً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَمَرَهُمْ بِأَلاَّ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً، وَلاَ نَصِيراً، وَلاَ مَعْبُوداً (وَكِيلاً)، يَكِلُونَ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وَيُعَوِّلُونَ فِيهَا عَلَيْهِ.

(٣) - وَيُهِيبُ اللهُ تَعَالَى بِذُرِّيَّةِ مَنْ كَانُوا مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ - وَيُرَادُ بِهِمْ هُنَا بَنُو إِسْرَائِيلَ - أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِأَبِيهِمْ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، الذِي كَانَ عَبْداً كَثِيرَ الشُّكْرَانِ لَهُ (شَكُوراً)، وَأَنْ يَقْتَدُوا بِهِ، كَمَا اقْتَدَى بِهِ المُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ مِنْ أَسْلاَفِهِمْ.

(إِسْرَائِيلَ) (الْكِتَابِ)

(٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَضَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ بِأَنَّهُمْ سَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَسَتَكُونُ لَهُمْ قُوَّةٌ وَسَيْطَرَةٌ، وَغَلَبٌ فِي الأَرْضِ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَجْعَلُونَ فِيهَا القُوَّةَ وَالسَّيْطَرَةَ وَسِيلَةً لِلطُّغْيَانِ، وَالفَسَادِ فِي الأَرْضِ، يُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ مَنْ يَقْهَرُهُمْ، وَيُعَاقِبُهُمْ عِقَاباً شَدِيداً، وَيَسْتَبِيحُ حُرُمَاتِهِمْ، وَيُدَمِّرُهُمْ تَدْمِيراً.

(٥) - فَإِذَا حَانَ وَقْتُ العِقَابِ، عَلَى إِفْسَادِهِمْ فِي الأَرْضِ فِي المَرَّةِ الأُولَى، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عِبَاداً مُؤْمِنِينَ مِنْ خَلْقِهِ، ذَوِي بَطْشٍ شَدِيدٍ فِي الحُرُوبِ، فَقَهَرُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَرَدَّدُوا خِلاَلَ بُيُوتِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ لاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً، وَلاَ يَخَافُونَ عَلَيْهِمْ رِدَّةً. وَكَانَ وَعْدُ اللهِ وَمَا قَضَاهُ كَائِناً لاَ بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ، كَمَا قَضَى اللهُ وَأَعْلَمُ.

(١) الآية ١٧ من سورة النجم.

وَقَدْ وَرَدَتْ أَقْوالٌ كَثِيرَةٌ حَوْلَ (العِبَادِ) الَّذِينَ سَيُسَلِّطُهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُلُّهَا تَجْعَلُ هٰؤُلاءِ مِنَ الأَقْوَامِ البَائِدَةِ (الآشُورِيِّينَ وَالكِلْدَانِيِّينَ وَالرُّومَانِ. . .) عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ تِلْكَ الأَقْوَامَ سَبَقَ لَهَا أَنْ أَذَاقَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الوَيْلَاتِ، وَدَمَّرَتْ مُلْكَهُمْ، وَشَرَّدَتْهُمْ فِي الأَرْضِ.

وَلٰكِنَّ الأُسْتَاذَ مُحَمَّد مُتَوَلِّي الشَّعْرَاوِيَّ يَرَى أَنَّ العِبَادَ الَّذِينَ عَنَاهُمُ النَّصُّ هُمُ المُسْلِمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ شُعُوبِ الأَرْضِ. وَيُدَعِّمُ رَأْيَهُ بِمَا خُلاصَتُهُ:

أ ـ اسْتَعْمَلَتِ الآيَةُ تَعْبِيرَ (فَإِذَا جَاءَ)؛ (وَإِذا) ظَرْفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، يَعْنِي أَنَّ الفِعْلَ المَحْكِيَّ عَنْهُ سَيَحْدُثُ بَعْدَ القَوْلِ الذِي تَضَمَّنَ لَفْظَةَ (إِذا جَاءَ). وَهٰذا يَعْنِي أَنَّ الأَمْرَ الذِي قَضَاهُ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَقَعُ بَعْدَ نُزُولِ الآيَةِ القُرْآنِيَّةِ التِي أَشَارَتْ إِلَى مَا قَضَاهُ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقاً بِحَادِثٍ وَقَعَ قَبْلَهَا.

ب ـ اسْتَعْمَلَتِ الآيَةُ عِبَارَةَ (عِباداً لَنَا). وَعِبَادُ اللهِ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ، فِي التَّعْبِيرِ القُرآنِي تَعْنِي أَنَّ القَوْمَ الَّذِينَ سَيُسَلِّطُهُمُ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كُتُبٍ، وَمَنْ أَرْسَلَ مِنْ رُسُلٍ وَأَنْبِيَاء لِهِدَايَةِ البَشَرِ، وَلَيسَ فِي الأَرْضِ اليَوْمَ مَنْ تَجْتَمِعُ فِيهِمْ هٰذِهِ الأَوْصَافُ غَيْرُ المُسْلِمِينَ.

كَمَا أَنَّ الأُمَمَ الخَالِيَةَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَها مَنْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ عَنْهَا إِنَها مِنْ أَهْلِ الإِيْمَانِ الخَالِصِ.

جـ ـ إِنَّ العِبَادَ الَّذِينَ سَيُسَلِّطُهُمُ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ هُمْ أَنْفُسُهُمْ فِي المَرَّتَيْنِ، وَإِنَّ اليَهُودَ سَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى هٰؤُلاءِ العِبَادِ بَعْدَ المَرَّةِ الأُولى، ثُمَّ يَرُدُّ اللهُ تَعالى الكَرَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ يُمْعِنَ بَنُو إِسْرائِيلَ فَسَاداً فِي الأَرْضِ وَطُغْيَاناً. وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الأُمَمِ الخَالِيَةِ بَقِيَّةٌ يُمْكِنُ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى أَسْلَافِها المُؤْمِنِينَ أَيضاً لِتَقُومَ عَنْهُمْ بِالانْتِقَامِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ غَيْرُ أَهْلِ الإِسْلَامِ.

وَيَرَى الأُسْتَاذُ مُحَمَّد مُتَوَلِّي الشَّعْرَاوِيّ أَنَّ اليَهُودَ كَانَ لَهُمْ سُلْطَانٌ فِي الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ فَأَكْثَرُوا الفَسَادَ زَمَنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَآمَرُوا عَلَى الرَّسُولِ وَالمُسْلِمِينَ، وَحَادُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَلَّبُوا المُشْرِكِينَ عَلَى الرَّسُولِ وَالمُسْلِمِينَ، فَسَلَّطَ اللهُ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَأَخْرَجُوا البَاقِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعَالَى فِي النَّصِّ قَهْرَ اليَهُودِ فِي المَرَّةِ الأُولَى مِنْ قِبَلِ عِبَادِ اللهِ مُتَلازِماً مَعَ دُخُولِ هٰؤُلاءِ العِبَادِ

﴿٦ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾

المَسْجِدَ الأَقْصَى، وَلاَ بِحُدُوثِ ذٰلِكَ فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ. وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّ المَسْجِدَ الأَقْصَى كَانَ، حِينَما قَهَرَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ فِي الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، تَحْتَ حُكْمِ الرُّومَانِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ فِي فِلَسْطِينَ سُلْطَانٌ وَلاَ كِيَانٌ مُتَمَيِّزٌ فِي ذٰلِكَ الحِينِ.

ثُمَّ يَبْتَعِدُ المُسْلِمُونَ عَنْ دِينِهِمْ، وَيَتْرُكُونَ الأَخْذَ بِشَرِيعَتِهِمْ، وَتَتَفَرَّقُ كَلِمَتُهُمْ، فَيُدِيلُ اللهُ لِلْيَهُودِ عَلَيْهِمْ، بَعْدَ أَنْ يُمِدَّهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَيَجْعَلَهُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً مِنْهُمْ فِي المَرَّةِ الأُولَى.

ثُمَّ يَسْتَسْلِمُ اليَهُودُ إِلى الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى مَسْلَكِهِم القَدِيمِ فِي الإِسَاءَةِ إِلى عِبَادِ اللهِ، وَيَسْتَطِيلُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَيَعُودُ المُسْلِمُونَ إِلَى دِينِهِمْ، فَتَتَّحِدُ كَلِمَتُهُمْ، وَيَجْمَعُونَ قُوَاهُمْ، وَيُهَاجِمُونَ اليَهُودَ لِيَنْتَقِمُوا مِنْهُمْ فَيَقْهَرُونَهُمْ، وَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِم المَسْجِدَ الأَقْصَى لاَ يُنَازِعُهُمْ فِي دُخُولِهِمْ إِلَيْهِ مُنَازِعٌ (كَمَا وَقَعَ لَهُمْ فِي المَرَّةِ الأُولَى بَعْدَ أَنِ احْتَلُّوا فِلَسْطِينَ وَطَرَدُوا الرُّومَانَ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ أَخْرَجُوا اليَهُودَ مِنَ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ)، وَيُدَمِّرُونَ مَا يَمْلِكُهُ اليَهُودُ تَدْمِيراً شَامِلاً.

وَإِذا أَضَفْنَا إِلى حُجَجِ الأُسْتَاذِ شَعْرَاوِي المُسْتَوْحَاةِ مِنَ النَّصِّ القُرْآنِيِّ الكَرِيمِ حَدِيثاً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ (رَوَاهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ) عَنْ مُسْتَقْبَلِ العَلاَقَاتِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ، وَمَا سَيَكُونُ مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْ قَتْلِ اليَهُودِ قَتْلاً ذَرِيعاً لاَ يُبْقُونَ فِيهِ وَلاَ يَذَرُونَ، نَجِدُ أَنَّ الرَّأْيَ الذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أُسْتَاذُنَا الجَلِيلُ يَقُومُ عَلَى سَنَدٍ مَتِينٍ. وَالحَدِيثُ الذِي رَوَاهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ هُوَ التَّالِي:

(لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ فَيَقْتُلُهُم المُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِىءَ اليَهُودِيُّ وَرَاءَ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الحَجَرُ وَالشَّجَرُ يَا عَبْدَ اللهِ هٰذا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ) (صَدَقَ رَسُولُ اللهِ).

(وَأَمْدَدْنَاكُمْ) (بِأَمْوَالٍ) (وَجَعَلْنَاكُمْ)

(٦ ـ حَتَّى إِذا ذَاقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَيْلاَتِ القَهْرِ وَالذُّلِّ وَالغَلَبِ، رَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ، فَجَمَعُوا شَمْلَهُمْ، وَأَصْلَحُوا أُمُورَهُمْ، وَاسْتَنْجَدُوا بِبَعْضِ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ لاَ يُدْرِكُونَ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ، وَفِي ذٰلِكَ الحِينِ يَكُونُونَ قَدْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَتَزَايَدَ عَدَدُهُمْ، وَيَكُونَ أَعْدَاؤُهُمْ ـ العِبَادُ

﴿٧﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا

﴿٨﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا

المُؤْمِنُونَ - قَدِ ٱبْتَعَدُوا عَنْ دِينِهِمْ، وَمَنْهَجِ شَرِيعَتِهِم، فَيُعَاقِبُهُمُ اللهُ، وَيُدِيلُ لِلْيَهُودِ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ لِأَنَّ اليَهُودَ عَادُوا إِلى اللهِ تَائِبِينَ مُخْلِصِينَ، وَٱلْتَزَمُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ رَبُّهُمْ فِي كِتَابِهِمْ، وَإِنَّمَا لِأَنَّ أَعْدَاءَهُمْ هُمُ الَّذِينَ ٱبْتَعَدُوا عَنْ دِينِهِمْ، وَتَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ، فَسَلَّطَ اليَهُودَ عَلَيْهِمْ (كَمَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ فِي الإِصْحَاحِ التَّاسِعِ مِن سِفْرِ تَثْنِيَةِ الاشْتِرَاعِ).

(الآخِرَةِ)

(٧) - وَيُقَرِّرُ اللهُ تَعَالَى هُنَا القَاعِدَةَ الثَّابِتَةَ التِي لاَ تَتَغَيَّرُ أَبداً، وَهِيَ أَنَّ عَمَلَ الإِنسَانِ عَائِدٌ عَلَيْهِ بِنَتَائِجِهِ إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً. فَإِنْ أَحْسَنَ الإِنسَانُ كَانَ إِحْسَانُهُ لِنَفْسِهِ. يَنْتَفِعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَفِي الدُّنْيَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ الأَذى، وَيَرُدُّ كَيْدَ أَعْدَائِهِ إِلى نُحُورِهِمْ، وَيَزِيدُهُ قُوَّةً. وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَإِنَّ اللهَ يُثِيبُهُ عَلَى عَمَلِهِ بِالجَنَّةِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِرِضْوَانِهِ.

فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ العِقَابِ عَلَى إِفْسَادِهِمْ فِي الأَرْضِ فِي المَرَّةِ الثَّانِيَةِ، فَإِنَّ الأَعْدَاءَ الَّذِينَ غَلَبَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسْتَجْمِعُونَ قُوَاهُمْ، وَيَنْدَفِعُونَ لِعِقَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ المَرَّةَ المَسْجِدَ الأَقْصَى، وَيُذِيقُونَهُمْ أَنْوَاعاً مِنَ القَهْرِ وَالوَيلاَتِ وَالإِذْلاَلِ، وَيَقْتُلُونَهُمْ قَتْلاً ذَرِيعاً، وَيُخَرِّبُونَ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَيْدِيهِمْ مِمَّا كَانَ يَمْلِكُهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، حَتَّى لَتُرَى آثَارُ المَسَاءَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

(لِلْكَافِرِينَ)

(٨) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ قَدْ يَرْحَمُهُمْ، وَيَصْرِفُ عَنْهُمْ عَدُوَّهُمْ، بَعْدَ المَرَّةِ الثَّانِيَةِ، إِذَا ٱسْتَفَادُوا مِنَ الدُّرُوسِ وَالعِبَرِ، وَعَادُوا إِلى طَرِيقِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَكَفُّوا عَنِ ٱرْتِكَابِ المَعَاصِي وَالفَسَادِ فِي الأَرْضِ، وَقَتْلِ الأَنْبِيَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيُهَدِّدُهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ إِنْ عَادُوا إِلى الإِفْسَادِ، عَادَ اللهُ إِلى الإِدَالَةِ عَلَيْهِمْ، وَتَسْلِيطِ الأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا.

(وَقَدْ سَلَّطَ اللهُ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَفَرَضُوا عَلَيْهِم الجِزْيَةَ، وَأَذَاقُوهُمْ وَيْلاتِ الحُرُوبِ).

وَيُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّ مَصِيرَ الكُفَّارِ وَالمُفْسِدِينَ وَاحِدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ العَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، التِي تَحْصُرُهُمْ جَمِيعاً، وَتُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلاَ يُفْلِتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

حَصِيراً - سِجْناً أَوْ مِهَاداً أَوْ فِرَاشاً.

(٩) إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا

(القُرْآنَ) (الصَّالِحَاتِ)

(٩) - يَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى القُرآنَ، وَيقُولُ: إِنَّهُ يَتَّصِفُ بِثلاثِ صِفَاتٍ:

- إِنَّهُ يَهْدِي لأَقْوَمِ الطُّرُقِ، وَأَوْضَحِ السُّبُلِ.

- إِنَّهُ يُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ وَفْقَ مَا شَرَعَهُ اللهُ، أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.

- إِنَّهُ يُنْذِرُ الكَافِرِينَ الذِينَ يُكَذِّبُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَبِرِسَالَةِ رُسُلِهِ، وَبالمَعَادِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ.

هِيَ أَقْوَمُ - أَسَدُّ الطُّرُقِ، وَهِيَ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ.

(١٠) وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(١٠) - وَيُنْذِرُ اللهُ تَعَالَى الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالمَعَادِ فِي الآخِرَةِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِوُجُودِ ثَوابٍ وَعِقَابٍ عَلَى الأَعْمَالِ فِي الدُّنْيا، فَلَا يَتَحَاشَوْنَ ٱرْتِكَابَ المَعَاصِي.. بِأَنَّهُ تَعَالَى أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً فِي الآخِرَةِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَمَا ٱجْتَرَحُوهُ مِنَ الآثَامِ.

أَعْتَدْنَا - أَعْدَدْنَا.

(١١) وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا

(الإِنْسَانُ)

(١١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَجَلَةِ الإنسَانِ، وَدُعَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ بِالشَّرِّ حِينَ الغَضَبِ، كَمَا يُسَارِعُ إِلَى الدُّعَاءِ فِي الخَيْرِ، فَلَوِ ٱسْتَجَابَ اللهُ لَهُ لأَهْلَكَهُ وَأَهْلَكَ أَهْلَهُ. وَالَّذِي يَحْمِلُ الإِنْسَانَ عَلَى ذٰلِكَ هُوَ قَلَقُهُ، وَعَجَلَتُهُ، وَقِلَّةُ صَبْرِهِ.

(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى: أَنَّ الإِنسَانَ قَدْ يُبَالِغُ فِي الدُّعَاءِ طَلَباً لِشَيْءٍ يُعْتَقَدُ أَنَّ فِيهِ خَيْرَهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَبَبَ بَلائِهِ وَشَرِّهِ لِجَهْلِهِ بِحَالِهِ، وَهُوَ إِنَّمَا يُقْدِمُ عَلَى ذٰلِكَ لِكَوْنِهِ عَجُولاً مُغْتَرّاً بِظَوَاهِرِ الأُمُورِ).

(١٢) وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا

(اللَّيْلَ) (آيَتَيْنِ) (اللَّيْلِ) (فَصَّلْنَاهُ)

(١٢) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الهِدَايَةَ وَالإِرْشَادَ بِالقُرْآنِ، جَاءَ عَلَى ذِكْرِ الاسْتِدْلَالِ بِآيَاتِ اللهِ التِي بَثَّهَا فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ، وَلَفَتَ الأَنْظَارَ إِلَيْهَا لِيَتَفَكَّرَ النَّاسُ فِيها، وَيَتَّعِظُوا، وَيَتَّقُوا رَبَّهُمْ، وَيُؤْمِنُوا بِهِ، وَبِأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، تَنَزَّهَ عَنِ الشَّرِيكِ وَالوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ. فَقَالَ: إِنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ مِنْ آيَاتِهِ، فَجَعَلَ اللَّيْلَ مُظْلِماً، وَمَحَا الضِّيَاءَ مِنْهُ لِتَسْكُنَ الخَلَائِقُ فِيهِ، وَتَرْتَاحَ الأَبْدَانُ مِنْ عَنَاءِ العَمَلِ فِي النَّهَارِ. وَجَعَلَ

١٣ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا

١٤ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا

١٥ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ

النَّهَارَ مُبْصِراً مُضِيئاً، لِيَسْعَى النَّاسُ فِيهِ طَلَباً لِمَعَاشِهِمْ، وَتَصْرِيفِ أُمُورِهِمْ.

وَقَدْ خَالَفَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، طُولاً وَقِصَراً، لِيَعْلَمَ النَّاسُ عَدَدَ السِّنِينَ، وَالحِسَابَ، لأَنَّهُ لَوِ ٱسْتَمَرَّ الضِّيَاءُ لَمَا عَرَفَ النَّاسُ مِقْدَارَ الوَقْتِ الَّذِي يَمُرُّ. وَكَذَلِكَ لَوْ جَعَلَ اللَّيْلَ مُسْتَمِراً، لَمَا عَرَفَ النَّاسُ مِنْهُ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ بَيَّنَ كُلَّ شَيءٍ، عَلَى نَحْوٍ مُفَصَّلٍ، لِيَعْلَمَ العِبَادُ مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَتَقُومَ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً لِلْمُصَادَفَةِ.

فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ - خَلَقْنَا القَمَرَ مَطْمُوسَ النُّورِ مُظْلِماً.

آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً - الشَّمْسَ مُضِيئَةً مُنِيرَةً لِلإِبْصَارِ.

(إِنْسَانٍ) (أَلْزَمْنَاهُ) (طَائِرَهُ) (القِيَامَةِ) (كِتَاباً) (يَلْقَاهُ)

(١٣) - وَالإِنْسَانُ مُلْتَزِمٌ بِعَمَلِهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْهُ. وَهَذَا العَمَلُ مُلْتَصِقٌ بِالإِنسَانِ، وَمُلاَزِمٌ لَهُ مُلاَزَمَةَ القِلاَدَةِ لِلْعُنُقِ، لاَ يَنْفَكُّ عَنْهُ بِحَالٍ، وَسَيُؤَاخِذُهُ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُخْرِجُ لَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ كُلِّهَا، لاَ يَغِيبُ عَنْهَا عَمَلٌ صَغِيرٌ وَلاَ كَبِيرٌ، لِيُحَاسَبَ عَلَى هَذِهِ الأَعْمَالِ جَمِيعِهَا.

(وَطَائِرُ الإِنسَانِ هُنَا عَمَلُهُ الذِي سَبَّبَ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَكَانَتِ العَرَبُ تَزْجُرُ الطَّيْرَ، فَإِذا طَارَ الطَّائِرُ يَمِيناً تَيَمَّنُوا وَتَفَاءَلُوا بِالخَيْرِ، وَإِنْ طَارَ شِمَالاً تَشَاءَمُوا وَتَوَجَّسُوا خِيفَةً مِنَ الشَّرِّ. وَالعَرَبُ تَضْرِبُ مَثَلاً لِلشَّيءِ الذِي يُلاَزِمُ الإِنسَانَ وَلاَ يُفَارِقُهُ أَبداً، فَتَقُولُ: أَلْزَمْتُهُ إِيَّاهُ فِي عُنُقِهِ).

(كِتَابَكَ)

(١٤) - وَيُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ: إِقْرَأْ كِتَابَكَ الَّذِي يَحْوِي أَعْمَالَكَ كُلَّهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ المُحَاسِبَ عَلَى نَفْسِكَ، وَقَدْ عَدَلَ مَعَكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيباً عَلَى نَفْسِكَ.

حَسِيباً - حَاسِباً وَعَادّاً أَوْ مُحَاسِباً.

(١٥) - مَنِ ٱسْتَقَامَ عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَٱتَّبَعَهُ، وَٱتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدِ ٱهْتَدَى، وَتَكُونُ عَاقِبَةُ هُدَاهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ عَنِ الحَقِّ، وَزَاغَ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَإِنَّمَا يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ، وَيَعُودُ

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

وَبَالُ سَعْيِهِ عَلَيْهِ هُوَ، وَلاَ يَحمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحدٍ، وَلاَ يَجْنِي جَانٍ إلاَّ عَلَى نَفْسِهِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إنَّهُ لاَ يُعَذِّبُ أَحداً إلاَّ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ بِإرْسَالِ الرُّسُلِ إلَيْهِ، يَدْعُونَهُ إلى الحَقِّ.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاس: إنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ حِينَ قَالَ: آكْفُرُوا بِمُحَمَّدٍ وَعَلَيَّ وِزْرُكُمْ).

لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ - لاَ تَحمِلُ نَفسٌ آثِمَةٌ.

(فَدَمَّرْنَاهَا)

(١٦) - فِي قِرَاءَةِ (أَمَرْنَا) وَجْهَانِ:

(أَمَرْنَا بِالتَّخْفِيفِ - وَهُوَ المَشْهُورُ فِي قِرَاءَتِهَا: فَمِنْ قَائِلٍ: إنَّ المَعْنَى هُوَ أنَّهُ إذا دَنا وَقْتُ تَعَلُّقِ إرَادَتِنَا بِإهْلاكِ قَرْيَةٍ بِعَذَابِ الاسْتِئْصَالِ لِمَا ظَهَرَ فِيهَا مِنَ المَعَاصِي، وَلِمَا دَنَّسَتْ بِهِ نَفْسَهَا مِنَ الآثَامِ، لَمْ يُعَاجِلْهَا اللهُ تَعَالَى بِالعُقُوبَةِ، بَلْ يَأْمُرُ مُتْرَفِيهَا بِالطَّاعَةِ فَإذا فَسَقُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَتَمَرَّدُوا، حَقَّ عَلَيْهِمُ العَذَابُ لاِرْتِكَابِهِم الكَبَائِرَ وَالفَوَاحِشَ، فَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِتَدْمِيرِ تِلْكَ القَرْيَةِ. (وَخصَّ اللهُ تَعَالَى المُتْرَفِينَ بِالذِّكرِ لِمَا جَرَتْ بِهِ العَادَةُ مِنْ أَنَّ العَامَّةَ تُقَلِّدُهُمْ وَتَكُونُ تَبَعاً لَهُمْ، فِيمَا يَفْعَلُونَ).

- وَمِنْ قَائِلٍ بَلْ إنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ اللهَ يُسَخِّرُهُمْ لِفِعْلِ الفَوَاحِشِ فَيَسْتَحِقُّونَ العُقُوبَةَ.

- وَأَمَّرْنا - بِتَشْدِيدِ المِيمِ - وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ إنَّ مَعْنَاهَا سَلَّطْنَا شِرارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا، فَإذا فَعَلُوا ذٰلِكَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِالعَذَابِ. وَهٰذا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا**﴾[1].

- وَعَنِ آبْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً: إنَّ مَعْنَى (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا)، أَكْثَرْنا عَدَدَهُمْ فَيُؤَدِّي ذٰلِكَ إلى آنْتِشَارِ الفِسْقِ وَالفَسَادِ وَالكُفْرِ، فَيُهْلِكُكُم اللهُ بِالعَذَابِ.

أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا - أَمَرْنَا مُنَعَّمِيهَا بِطَاعَةِ اللهِ.

فَفَسَقُوا فِيهَا - فَتَمَرَّدُوا وَعَصَوْا وَخَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ.

فَدَمَّرْنَاهَا - آسْتَأْصَلْنَاهَا وَمَحَوْنا آثَارَهَا.

(١) الآية ١٢٣ من سورة الأنعام.

١٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا

(١٧) - يُنْذِرُ اللهُ الكُفَّارَ مِنْ قُرَيشٍ ، الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺ ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَذَابُهُ، عَلَى مَا يَفْعَلُونَ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ أَهْلَكَ أُمَماً مِنَ المُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ، وَإِنَّ كُفَّارَ قُرَيشٍ لَيْسُوا أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِمَّنْ أَهْلَكَهُمْ، فَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ العُقُوبَةَ بِالأُخرَى وَالأُولَى، لأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَاللهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَلاَ تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ .

القُرُونِ - الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ السَّالِفَةِ.

١٨ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا

(يَصْلاَهَا)

(١٨) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ لاَ يَصِلُ إِلَى الدُّنْيا وَمَا فِيهَا كُلُّ مَنْ أَرَادَهَا، وَإِنَّما يَصِلُ إِلَيْهَا مَنْ أَرَادَ اللهُ لَهُ ذٰلِكَ، وَبِالقَدْرِ الَّذِي يُرِيدُهُ اللهُ لَهُ، وَفِي الدَّارِ الآخِرَةِ يَكُونُ مَصِيرُهُ نَارَ جَهَنَّمَ، يَدْخُلُهَا حَتَّى تَغْمُرَهُ مِنْ جَوَانِبِهِ (يَصْلاَهَا)، وَهُوَ مَذْمُومٌ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِ وَتَصَرُّفِهِ، إِذِ اخْتَارَ الدُّنْيا الفَانِيَةَ عَلَى الآخِرَةِ البَاقِيَةِ، وَهُوَ مُبْعَدٌ حَقِيرٌ مُهَانٌ (مَدْحُوراً). وَفِي الحَدِيثِ (الدُّنْيا دَارُ مَنْ لاَ دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لاَ مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعاً).

يَصْلاَهَا - يَدْخُلُهَا أَوْ يُقَاسِي حَرَّها.

مَدْحُوراً - مَطْرُوداً مُبْعَداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

١٩ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا

(الآخِرَةِ) (فَأُولَئِكَ)

(١٩) - وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ وَسُرُورٍ، وَرِضْوانٍ مِنَ اللهِ، وَطَلَبَ ذٰلِكَ مِنْ طَرِيقِهِ، وَهُوَ مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَ قَلْبُهُ مُؤْمِناً مُصَدِّقاً بِالثَّوابِ وَالجَزَاءِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَأُولَئِكَ يَشْكُرُ اللهُ سَعْيَهُمْ وَيَجْزِيهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، وَهُوَ دُخُولُ الجَنَّةِ.

٢٠ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا

(٢٠) - وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ: الَّذِينَ أَرَادُوا الدُّنْيا وَزِينَتَهَا، وَالَّذِينَ أَرَادُوا الآخِرَةَ وَنَعِيمَها، وَسَعَوْا لَهَا سَعْيَها، يَمُدُّهُمُ اللهُ فِيمَا هُمْ فِيهِ (مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ)، فَهُوَ المُتَصَرِّفُ الحَاكِمُ الذِي لاَ يَجُورُ، فَيُعْطِي كُلاًّ مِنْهُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنيا المِقْدَارَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ صَلاحُهُ، ثُمَّ تَخْتَلِفُ الأَحْوالُ: فَفَرِيقُ العَاجِلَةِ يُصْرَفُ إِلَى جَهَنَّمَ، وَفَرِيقُ الآجِلَةِ يَصِيرُ إِلَى الجَنَّةِ. وَعَطَاءُ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَهُ أَوْ يَرُدَّهُ أَوْ يُنْقِصَ مِنْهُ.

كُلاًّ نُمِدُّ - نَزِيدُ مِنَ العَطَاءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

(٢١) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا

(٢٢) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا

(٢٣) ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

ربع الحزب ٢٩

(٢٤) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

مَحْظُوراً - مَمْنُوعاً عَمَّنْ يُرِيدُهُ اللهُ.

(لَلآخِرَةُ) (دَرَجَاتٍ)

(٢١) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ فَضَّلَ النَّاسَ، بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فِي الدُّنْيَا: فِي المَالِ وَالجَمَالِ وَالحَيَاةِ وَالعَمَلِ وَالأَعْمَارِ، لِحِكْمَةٍ وَأَسْبَابٍ آقْتَضَتْهَا حِكْمَتُهُ، وَإِنَّ تَفَاوُتَهُمْ فِي الآخِرَةِ سَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْ تَفَاوُتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَسَيَكُونُ تَفَاضُلُهُمْ فِي الآخِرَةِ أَكْبَرَ مِنْ تَفَاضُلِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

(آخَرَ)

(٢٢) - وَيُخَاطِبُ اللهُ تَعَالَى المُكَلَّفِينَ مِنَ الأُمَّةِ فَيَقُولُ لَهُمْ: لاَ تَجْعَلْ أَيُّهَا الإِنْسَانُ للهِ شَرِيكاً وَأَنْتَ تَعْبُدُهُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ قَعَدْتَ مَذْمُوماً عَلَى إِشْرَاكِكَ بِرَبِّكَ، مَخْذُولاً لاَ يَنْصُرُكَ اللهُ، وَيَكِلُكَ إِلَى مَنْ عَبَدْتَهُ، وَهُوَ لاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً، وَلاَ يَمْلِكُ لَكَ أَنْتَ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً.

(وَبِالْوَالِدَيْنِ) (إِحْسَاناً)

(٢٣) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ (وَقَضَى رَبُّكَ - يَعْنِي أَمَرَ رَبُّكَ وَوَصَّى)، وَوَصَّى اللهُ المُؤْمِنِينَ بِالإِحْسَانِ إِلَى الوَالِدَيْنِ، فَإِذَا بَلَغَا الكِبَرَ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا، عِنْدَ أَبْنَائِهِمَا، فَعَلَى الأَبْنَاءِ أَلاَّ يُسْمِعُوهُمَا قَوْلاً سَيِّئاً حَتَّى وَلاَ تَأَفُّفاً (وَأُفٍّ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى الضَّجَرِ وَالضِّيقِ)، وَيَجِبُ أَنْ لاَ يَنْتَهِرُوهُمَا، وَأَنْ لاَ يَصْدُرَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمَا فِعْلٌ قَبِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ الأَدَبِ. وَأَمَرَ اللهُ الأَبْنَاءَ بِالإِحْسَانِ فِي القَوْلِ إِلَى الأَبَوَيْنِ وَتَوْقِيرِهِمَا، وَبِاسْتِعْمَالِ الكَلاَمِ الطَّيِّبِ الكَرِيمِ فِي مُخَاطَبَتِهِمَا (فَلاَ نِعْمَةَ تَصِلُ إِلَى الإِنْسَانِ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَةِ الخَالِقِ ثُمَّ نِعْمَةِ الأَبَوَيْنِ).

قَضَى رَبُّكَ - أَمَرَ وَأَلْزَمَ وَحَكَمَ.

أُفٍّ - كَلِمَةُ تَضَجُّرٍ وَتَبَرُّمٍ.

لاَ تَنْهَرْهُمَا - لاَ تَزْجُرْهُمَا عَمَّا لاَ يُعْجِبُكَ.

قَوْلاً كَرِيماً - حَسَناً لَيِّناً جَمِيلاً.

(٢٤) - وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى الأَبْنَاءَ بِالتَّوَاضُعِ لِلأَبَوَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمْ مَعَهُمَا، حَتَّى يَبْدُوَ الأَبْنَاءُ وَكَأَنَّهُمْ أَذِلاَّءُ مِنْ شِدَّةِ الرَّحْمَةِ، لاَ يَرُدُّونَ لَهُمَا طَلَباً، وَلاَ يَرْفُضُونَ لَهُمَا أَمْراً. ثُمَّ أَمَرَ الأَبْنَاءَ بِالدُّعَاءِ لِلأَبَوَيْنِ، وَالتَّرَحُّمِ عَلَيْهِمَا، جَزَاءَ مَا احْتَمَلاَهُ فِي تَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ مِنْ عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ وَعَنَتٍ.

﴿٢٥﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا

﴿٢٦﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا

﴿٢٧﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا

(وَفِي الحَدِيثِ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ). (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ).

(صَالِحِينَ) (لِلأَوَّابِينَ)

(٢٥) - رَبُّكُمْ أَيُّها النَّاسُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ مِنْ تَعْظِيمِكُمْ أَمْرَ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، وَالبِرِّ بِهِمْ، وَمِنَ الاسْتِخْفَافِ بِحُقُوقِهِمْ، وَالعُقُوقِ لَهُمْ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى حَسَنِ ذٰلِكَ وَسَيِّئِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُضْمِرُوا لَهُمْ سُوءاً، أَوْ تَجْعَلُوا لَهُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عُقُوقاً، فَأَنْتُمْ إِنْ أَصْلَحْتُمْ نِيَّاتِكُمْ فِيهِمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ البِرِّ بِهِمْ، بَعْدَ هَفْوَةٍ كَانَتْ مِنْكُمْ، أَوْ زَلَّةٍ فِي وَاجِبٍ لَهُمْ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لَكُمْ مَا فَرَطَ مِنْكُمْ، فَهُوَ غَفَّارٌ لِمَنْ يَتُوبُ مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجِعُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَى طَاعَتِهِ.

لِلأَوَّابِينَ - لِلتَّوَّابِينَ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ.

(وَآتِ)

(٢٦) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى بِرَّ الوَالِدَيْنِ، عَطَفَ عَلَى ذِكْرِ الإِحْسَانِ إِلَى الأَقَارِبِ، وَإِلَى صِلَةِ الأَرْحَامِ، وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الفُقَرَاءِ، وَالمَسَاكِينِ، وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ العَابِرِينَ، الذِينَ انْقَطَعَتْ نَفَقَتُهُمْ.

(وَفِي الحَدِيثِ: أُمُّكَ وَأَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ).

(وَفِي الحَدِيثِ أَيضاً: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ).

وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالإِنْفَاقِ نَهَى عَنِ الإِسْرَافِ فِيهِ، وَحَثَّ عَلَى الاعْتِدَالِ (وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: التَّبْذِيرُ هُوَ الإِنْفَاقُ فِي غَيْرِ حَقٍّ، فَلَوْ أَنْفَقَ الإِنْسَانُ مَالَهُ كُلَّهُ فِي أَوْجُهِ الحَقِّ لَمْ يَكُنْ مُبَذِّراً، وَإِذَا أَنْفَقَ مُدّاً فِي غَيْرِ حَقٍّ كَانَ مُبَذِّراً.

(إِخْوَانَ) (الشَّيَاطِينِ) (الشَّيْطَانُ)

(٢٧) - وَالمُبَذِّرُونَ هُمْ قُرَنَاءُ الشَّيَاطِينِ فِي السَّفَهِ وَالتَّبْذِيرِ وَتَرْكِ طَاعَةِ اللهِ، وَارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ كَفُوراً بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، جَحُوداً بِهَا، لأَنَّهُ أَنْكَرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ.

(وَتَقُولُ العَرَبُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لاَزَمَ سُنَّةَ قَوْمٍ، وَاتَّبَعَ أَثَرَهُمْ هُوَ أَخُوهُمْ).

٢٨ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا

(٢٨) - فَإِذَا سَأَلَكَ أَقَارِبُكَ، وَمَنْ أَمَرَكَ اللهُ بِإِعْطَائِهِمْ، وَلَيْسَ لَدَيْكَ شَيءٌ تُعْطِيهِم إِيَّاهُ، وَأَعْرَضْتَ عَنْهُمْ لِضِيقِ اليَدِ، وَفِقْدَانِ مَا تُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، فَعِدْهُمْ وَعْداً لَيِّناً جَمِيلاً، تَطِيبُ بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَقُلْ لَهُمْ إِذا جَاءَكَ رِزْقٌ فَسَتَصِلُهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ.

٢٩ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا

(٢٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالاقْتِصَادِ فِي العَيْشِ، وَيَنْهَى عَنِ السَّرَفِ، فَيَقُولُ: لاَ تَكُنْ أَيُّها الإنسَانُ بَخِيلاً مَنُوعاً لاَ تُعْطِي أَحداً شَيْئاً، وَلاَ تُسْرِفُ فِي الانْفَاقِ فَتُعْطِي فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَإِذَا بَخِلْتَ قَعَدْتَ مَلُوماً يَلُومُكَ النَّاسُ عَلَى البُخْلِ وَيَذُمُّونَكَ، وَإِذَا بَسَطْتَ يَدَكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ ٱفْتَقَرْتَ وَقَعَدْتَ بِلا شَيءٍ تُنْفِقُهُ، فَتَكُونُ كَالحَسِيرِ الكَلِيلِ.

(وَفِي الحَدِيثِ: إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالفُجُورِ فَفَجَرُوا). (أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَالحَاكِمُ).

يَدَكَ مَغْلُولَةً - كِنَايَةٌ عَنِ الشُّحِّ.

تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ - كِنَايَةٌ عَنِ التَّبْذِيرِ وَالإِسْرافِ.

مَحْسُوراً - نَادِماً، أَوْ مُنْقَطِعاً بِكَ نَدَماً. وَالدَّابَّةُ الحَسِيرُ - الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَنِ السَّيْرِ كَلالاً وَإِعْيَاءً.

٣٠ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا

(٣٠) - إِنَّ رَبَّكَ أَيُّها الرَّسُولُ يبسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ، وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِ، وَيُقَتِّرُ عَلَى مَنْ يَشاءُ وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ، لِمَا لَهُ مِنَ الحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ خَبِيرٌ بِعِبَادِهِ، فَيَعْرِفُ مَنْ يُصْلِحُهُ الغِنَى فَيُغْنِيهِ، وَمَنْ يُصْلِحُهُ الفَقْرُ. وَهُوَ بَصِيرٌ بِتَدْبِيرِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ.

(وَفِي الحَدِيثِ: إِنَّ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لاَ يُصْلِحُهُ إِلاَّ الفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لأَفْسَدْتُ عَلَيْهِ دِينَهُ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لاَ يُصْلِحُهُ إِلاَّ الغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لأَفْسَدْتُ عَلَيْهِ دِينَهُ)

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ.

٣١ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا

(أَوْلاَدَكُمْ) (إِمْلاَقٍ)

(٣١) - وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم خَوفَ أَنْ تَفْتَقِرُوا إِذَا أَنْفَقْتُمْ عَلَيْهِمْ، كَمَا كَانَ يَفْعَل بَعْضُ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ، إِذْ كَانُوا يَئِدُونَ بَنَاتِهِمْ وَهُنَّ أَحْيَاءُ. فَاللهُ تَعَالَى مُتَكَفِّلٌ بِرِزْقِهِمْ وَرِزْقِكُمْ مَعاً، وَقَتْلُهُمْ فِيهِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، وَخَطِيئَةٌ كَبِيرَةٌ.

خَشْيَةَ إِمْلاقٍ - خوفَ فقرٍ وفاقةٍ.

خِطْئاً كبيراً - إثماً عظيماً.

(٣٢) وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا

(فَاحِشَةً)

(٣٢) - يَنْهى اللهُ تَعالَى عِبادَهُ عَنْ مُقارَفَةِ الزِّنى، وَمُباشَرَةِ أَسْبابِهِ وَدَواعِيهِ، فَهُوَ فَعْلَةٌ ظاهِرَةُ القُبْحِ (فَاحِشَةً)، وَبِئْسَ طَرِيقاً وَمَسْلَكاً (ساءَ سَبِيلاً)، لِمَا فِيهِ مِنِ اخْتِلاطِ الأَنْسابِ، وَفَسادِ العَلاقَةِ بَيْنَ الأَزْواجِ، لِضَياعِ الثِّقَةِ الواجِبِ تَوَفُّرُها لِاطْمِئْنانِ الحَياةِ الزَّوْجِيَّةِ.

(وَفِي الحَدِيثِ: مَا مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ نُطْفَةٍ يَضَعُها رَجُلٌ فِي رَحِمٍ لاَ يَحِلُّ لَهُ). (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيا عَنِ الهَيْثَمِ بْنِ مالِكٍ الطَّائِيِّ مَرْفُوعاً).

(٣٣) وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا

(سُلْطَاناً)

(٣٣) - يَنْهى اللهُ تَعالَى عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ شَرْعِيٍّ.

(وَفِي الحَدِيثِ: لَزَوالُ الدُّنْيا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ). (رَواهُ أَبُو داوُدَ). وَفِي الحَدِيثِ أَيْضاً (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ إلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالزَّانِي المُحْصِنِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، المُفارِقُ لِلْجَماعَةِ). (وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ).

ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعالَى: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ يُوجِبُ قَتْلَهُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً وَسَلَّطَهُ عَلَى القاتِلِ، إِنْ شاءَ قَتَلَهُ قَوداً، وَإِنْ شاءَ عَفا عَنْهُ، وَأَخَذَ الدِّيَةَ، وَإِنْ شاءَ عَفا عَنْهُ بِغَيْرِ دِيَةٍ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعالَى وَلِيَّ المَقْتُولِ بِأَلاَّ يَتَجاوَزَ الحَدَّ المَشْرُوعَ بِأَنْ يَقْتُلَ اثْنَيْنِ مُقابِلَ واحِدٍ، أَوْ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ غَيْرِ القاتِلِ، كَإِخْوَتِهِ وَأَقْرِبائِهِ. وَيُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أَنَّ وَلِيَّ المَقْتُولِ مَنْصُورٌ عَلَى القاتِلِ، بِأَنْ أَوْجَبَ لَهُ القِصاصَ أَوِ الدِّيَةَ وَأَمَرَ الحُكّامَ بِأَنْ يُعِينُوهُ فِي اسْتِيفائِهِ حَقَّهُ.

سُلْطاناً - تَسَلُّطاً عَلَى القاتِلِ بِالقِصاصِ أَوِ الدِّيَةِ.

(٣٤) وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا

(٣٤) - وَبَعْدَ أَنْ نَهَى اللهُ تَعالَى عَنِ إِتْلافِ الأَنْفُسِ، نَهَى عَنْ إِتْلافِ الأَمْوالِ، وَأَحَقُّ الأَمْوالِ بِالرِّعايَةِ مالُ اليَتِيمِ، فَبَدأَ اللهُ تَعالَى بِدَعْوَةِ المُؤْمِنِينَ إلى المُحافَظَةِ عَلَيْهِ فَقالَ: وَلاَ تَتَصَرَّفُوا بِمالِ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالطَّرِيقَةِ التِي هِيَ أَحْسَنُ الطُّرُقِ، وَهِيَ طَرِيقَةُ حِفْظِهِ وَتَثْمِيرِهِ لأَنَّهُ ضَعِيفٌ عَنْ تَدْبِيرِ مالِهِ، عاجِزٌ عَنِ الذَّوْدِ عَنْهُ، وَالجَماعَةُ المُسْلِمَةُ مُكَلَّفَةٌ

بِرِعَايَةِ اليَتِيمِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَالقُدْرَةَ عَلَى العِنَايَةِ بِمَالِهِ وَتَدْبِيرِهِ. وَبِمَا أَنَّ رِعَايَةَ مَالِ اليَتِيمِ وَشَخْصِهِ عَهْدٌ عَلَى الجَمَاعَةِ المُسْلِمَةِ، لِذَلِكَ أَلْحَقَ اللهُ تَعَالَى بِهِ الوَفَاءَ بِالعَهْدِ إِطْلاقاً، وَحَثَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ يَسْأَلُ عَنِ الوَفَاءِ بِالعَهْدِ وَيُحَاسِبُ عَلَيْهِ مَنْ يَنْكُثُ بِهِ وَيَنْقُضُهُ.

يَبْلُغَ أَشُدَّهُ - قُدْرَتَهُ عَلَى حِفْظِ مَالِهِ وَرُشْدِهِ فِيهِ.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥)

(٣٥) - وَالوَفَاءُ بِالكَيْلِ وَالاسْتِقَامَةُ فِي الوَزْنِ هُمَا مِنْ أَمَانَاتِ التَّعَامُلِ، يَسْتَقِيمُ بِهِما التَّعَامُلُ فِي الجَمَاعَةِ، وَتَتَوَافَرُ بِهِمَا الثِّقَةُ فِي النُّفُوسِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُ المُؤْمِنِينَ بِإِيفَاءِ الكَيْلِ وَالمِيزَانِ وَإِتْمَامِهِمَا مِنْ غَيرِ بَخْسٍ وَلاَ تَطْفِيفٍ، وَبِأَنْ يَزِنُوا بِمِيزَانٍ عَادِلٍ سَلِيمٍ مَضْبُوطٍ (المُسْتَقِيمِ).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الوَفَاءَ بِالعَهْدِ وَإِيفَاءَ الكَيْلِ وَالوَزْنِ خَيْرٌ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكْثِ بِالعَهْدِ، وَبَخْسِ النَّاسِ حَقَّهُمْ فِي المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمُنْقَلَباً فِي الآخِرَةِ.

بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ - بِالمِيزَانِ العَدْلِ المَضْبُوطِ الصَّحِيحِ.

أَحْسَنُ تَأْوِيلاً - أَحْسَنُ مَآلاً وَعَاقِبَةً.

(أُولَئِكَ) (مَسْؤُولاً)

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦)

(٣٦) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى العِبَادَ عَنِ القَوْلِ بِلا عِلْمٍ، وَبِدُونِ تَثَبُّتٍ، فَعَلَى المُؤْمِنِ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنِ الحَدِيثِ فِي أَمْرٍ عَلَى الظَّنِّ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّوَهُّمِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: لاَ تَشْهَدْ إِلاَّ بِمَا رَأَتْ عَيْنَاكَ، وَسَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ، وَوَعَاهُ قَلْبُكَ.

(وَفِي الحَدِيثِ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ). وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْعِبَادِ إِنَّهُ سَيَسْأَلُهُمْ عَنْ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَمَّا اجْتَرَحَتْهُ كُلُّ جَارِحَةٍ مِنْ هَذِهِ الجَوَارِحِ.

لاَ تَقْفُ - لاَ تَتْبَعْ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧)

(٣٧) - يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ التَّجَبُّرِ، وَالتَّبَخْتُرِ فِي المِشْيَةِ، كَمَا يَفْعَلُ الجَبَّارُونَ، فَيَقُولُ تَعَالَى: وَلاَ تَمْشِ أَيُّهَا الإِنْسَانُ فِي الأَرْضِ مُتَكَبِّراً مُتَخَايِلاً مَزْهُوّاً بِقُوَّتِكَ فَأَنْتَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ التِي تَمْشِي عَلَيْهَا، بِشِدَّةِ وَطْئِكَ عَلَيْهَا بِقَدَمَيْكَ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطَاوِلَ الجِبَالَ، وَلاَ أَنْ تَبْلُغَ طُولَ قِمَمِهَا.

(وجَاءَ فِي الحَدِيثِ: مَنْ تَواضَعَ للهِ رَفعَهُ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيرٌ، وعِنْدَ النَّاسِ كَبِيرٌ).

مَرحاً - فَرحاً وَبَطَراً وَآخْتِيالاً وَآفْتِخاراً.

٣٨ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا

(٣٨) - لَقَدْ نَهى اللهُ تَعَالَى فِي الآيَاتِ السَّابِقَاتِ عَنْ أُمُورٍ، كَمَا أَمَرَ بِأُمُورٍ، وَجميعُ مَا نَهى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (وَهُوَ سَيِّئُهُ): مِنَ الإِشْرَاكِ بِاللهِ تَعَالَى، وَالتَّبْذِيرِ وَالتَّأَفّفِ مِنَ الوَالِدَيْنِ، وَغَلِّ اليَدِ بُخْلاً، وَقَتْلِ الأَبْنَاءِ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ، وَالمَشْيِ مَرَحاً.. هُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ اللهِ وَمَمْقُوتٌ.

٣٩ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا

(آخر)

(٣٩) - وَهٰذا الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِهِ مِنَ الأَخْلاقِ الحَسَنَةِ، وَنَهَيْنَاكَ عَنْهُ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، هُوَ مِمَّا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ فِقْهِ الدِّينِ، وَمَعْرِفَةِ أَسْرارِهِ، وَمِنَ الحِكَمِ فِي تَشْرِيعِهِ لِتَأْمُرَ النَّاسَ بِهِ. وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخرَ فَتَكُونَ عَاقِبَتُكَ نَارَ جهنَّمَ، فَتَلُومَ نَفْسَكَ وَيَلُومَكَ اللهُ وَالخَلْقُ (مَلُوماً) وَتَكُونَ مُبْعَداً وَمَطْرُوداً مِنْ كُلِّ خَيْرٍ (مَدْحُوراً).

(وَالمَقْصُودُ بِهٰذا الخِطَابِ الأُمَّةُ الإِسْلامِيَّةُ بِوَاسِطَةِ الرَّسُولِ، فَهُوَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ مَعْصُومٌ مِنْ مِثْلِ ذٰلِكَ).

مَدْحُوراً - مُبْعَداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

٤٠ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا

(أَفَأَصْفَاكُمْ) (الْمَلائِكَةِ) (إِنَاثاً)

(٤٠) - يَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُشْرِكِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ المَلائِكَةَ هُمْ إِنَاثٌ، وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ اللهِ، ثُمَّ عَبَدُوهُمْ. فَقَالَ تَعَالَى مُنْكِراً عَلَيْهِمْ زَعْمَهُمْ هٰذا: أَخصَّكُمُ اللهُ بِالذُّكُورِ، وَآخْتَارَ لِنَفْسِهِ البَنَاتِ حَسْبَما زَعَمْتُمْ، وَأَنْتُمْ لا تَرْضَوْنَ الإِنَاثَ لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَجْعَلُونَ لَهُ مَا لَا تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ؟ إِنَّكُمْ أَيُّها المُشْرِكُونَ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً فِي بَشَاعَتِهِ فِي نِسْبَةِ الوَلَدِ للهِ، ثُمَّ فِي خَصِّ اللهِ بِالإِنَاثِ.

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ - أَفَضَّلَكُمْ رَبُّكُمْ فَخَصَّكُمْ؟

٤١ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا

(الْقُرْآنِ)

(٤١) - وَلَقَدْ بَيَّنَّا فِي هٰذا القُرْآنِ الآيَاتِ وَالحُجَجَ، وَضَرَبْنَا لِلنَّاسِ الأَمْثَالَ، وَحَذَّرْنَاهُمْ وَأَنْذَرْنَاهُمْ، لِيَذَّكَّرُوا، وَيَتَّعِظُوا، فَيَقِفُوا عَلَى بُطْلانِ مَا يَقُولُونَ، وَلٰكِنَّهُمْ مَعَ ذٰلِكَ كُلِّهِ لَا يَتَّعِظُونَ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنَ الآيَاتِ وَالنُّذُرِ، بَلْ لا يَزِيدُهُمُ التَّذْكِيرُ إِلا نُفُوراً وَبُعْداً عَنِ الحَقِّ.

صَرَّفْنَا - كَرَّرْنَا القَوْلَ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ.

نُفُوراً - تَبَاعُداً وَإِعْرَاضاً عَنِ الحَقِّ.

(٤٢) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا

(آلِهَةٌ)

(٤٢) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الشُّفَعَاءَ وَالأَنْدَادَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاءِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ للهِ شُرَكَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، العَابِدِينَ مَعَهُ غَيْرَهُ لِيُقَرِّبَهُمْ إِلَيْهِ زُلْفَى: لَوْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، وَأَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى تُعبَدُ لِتُقَرِّبَ إِلَيْهِ، وَلِتَشْفَعَ عِنْدَهُ، لَكَانَ أُولٰئِكَ المَعْبُودُونَ يَعْبُدُونَهُ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ، وَيَبْتَغُونَ إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَالقُرْبَةَ، فَاعْبُدُوهُ أَنْتُمْ وَحْدَهُ، كَمَا يَعْبُدُهُ مَنْ دُونَهُ، وَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ إِلى مَعْبُودٍ يَكُونُ وَسِيطاً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، فَاللهُ لاَ يُحِبُّ ذٰلِكَ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: لَطَلَبَ هٰؤُلاءِ الآلِهَةُ طَرِيقاً يَصِلُونَ مَعَهُ إِلى صَاحِبِ المُلْكِ المُطْلَقِ لِيُنَازِعُوهُ عَلَيْهِ).

لابْتَغَوْا - لَطَلَبُوا.

سَبِيلاً - بِالمُطَالَبَةِ وَالمُمَانَعَةِ أَوْ بِالتَّقَرُّبِ.

(٤٣) سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا

(سُبْحَانَهُ) (وَتَعَالَى)

(٤٣) - ثُمَّ نَزَّهَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ، وَقَدَّسَهَا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، فَقَالَ: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُهُ المُشْرِكُونَ الظَّالِمُونَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرى، بَلْ هُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ.

(٤٤) تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

(السَّمَاوَاتُ)

(٤٤) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ تُقَدِّسُهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَتُنَزِّهُهُ وَتُعَظِّمُهُ وَتُجِلُّهُ عَمَّا يَقُولُهُ المُشْرِكُونَ، وَتَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالوحدَانِيَّةِ، وَمَا مِنْ شَيءٍ فِي الوُجُودِ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلٰكِنَّ النَّاسَ لاَ يَفْهَمُونَ تَسْبِيحَهُمْ، لأَنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ لُغَةً، وَوَسِيلَةً لِلتَّعْبِيرِ عَنْ تَسْبِيحِهِ رَبَّهُ. وَكَانَ اللهُ حَلِيماً لاَ يُعَاجِلُ مَنْ عَصَاهُ بِالعُقُوبَةِ، بَلْ يُؤَجِّلُهُ وَيُنْظِرُهُ، فَإِنْ تَابَ وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ مُسْتَغْفِراً غَفَرَ لَهُ، وَإِنِ آسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَغَيِّهِ أَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

(٤٥) وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا

(الْقُرْآن) (بِالآخِرَةِ)

(٤٥) - وَإِذَا قَرَأْتَ، يَا مُحَمَّدُ، القُرْآنَ عَلَى هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ، جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَاباً مَسْتُوراً عَنِ الأَبْصَارِ، يَمْنَعُ وُصُولَ الهُدَى إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَذٰلِكَ عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَٱقْتِرافِهِم المُنْكَرَ وَالمَعَاصِيَ، التِي تَجْعَلُ القُلُوبَ مُظْلِمَةً، وَتَضَعُ عَلَيْها أَغْشِيَةً تَحْجُبُ عَنْهَا الهُدَى.

حِجَاباً مَسْتُوراً - حِجَاباً سَاتِراً، أَوْ مَسْتُوراً عَنِ الحِسِّ.

(٤٦) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا

(آذَانِهِمْ) (الْقُرْآنِ) (أَدْبَارِهِمْ)

(٤٦) - وَجَعَلْنا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَغْطِيَةً (أَكِنَّةً) تَغْشَى عَلَيْها فَلا يَفْقَهُونَ مِنَ القُرْآنِ الذِي تَقْرَؤُه شَيئاً، وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ صَمَماً ثَقِيلاً يَمْنَعُهُمْ مِنَ السَّمعِ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ لا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَإِذا تَلَوْتَ مِنَ القُرآنِ مَا يَتَحَدَّثُ عَنْ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى أَدْبَرُوا رَاجِعِينَ نَافِرِينَ مِنْهُ، لأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ سَمَاعَ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ: اللاَّتِ وَالعُزَّى. . .

أَكِنَّةً - أَغْطِيَةً كَثِيرَةً مَانِعَةً.

وَقْراً - صَمَماً وَثِقَلاً فِي السَّمعِ عَظِيماً.

(٤٧) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا

(الظَّالِمُونَ)

(٤٧) - وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالوَجْهِ الَّذِي يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِلَى القُرْآنِ، وَهُوَ الهُزْءُ وَالسُّخْرِيَةُ وَالتَّكْذِيبُ بِهِ حِينَ ٱسْتِمَاعِهِمْ إِلَيْكَ، وَأَعْلَمُ بِمَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ وَيَتَسَارُّونَ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: مَجْنُونٌ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: كَاهِنٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: رَجُلٌ مَسْحُورٌ.

هُمْ نَجْوَى - يَتَنَاجَوْنَ فِي أَمْرِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

مَسْحُوراً - مَغْلُوباً عَلَى عَقْلِهِ بِالسِّحْرِ، أَوْ سَاحِراً.

(٤٨) ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا

(٤٨) - وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ: ٱنْظُرْ كَيْفَ يَضْرِبُ هٰؤلاءِ لَكَ الأَمْثَالَ، وَقَدْ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ، وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلى طَرِيقِ الحَقِّ، لِضَلاَلِهِمْ عَنْهُ، وَبُعْدِهِم مِنْهُ.

(٤٩) وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا

(أَئِذَا) (عِظَاماً) (وَرُفَاتاً) (أَئِنَّا)

(٤٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا قَالَهُ الكُفَّارُ، وَهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَ الحَشْرِ وَالمَعَادِ، فَيَسْتَفْهِمُونَ ٱسْتِفْهَامَ مُنْكِرٍ: هَلْ إِذا صِرْنَا عِظَاماً وَتُرَاباً هَلْ

سَنُخْلَقُ مِنْ جَدِيدٍ خَلْقاً آخرَ يَوْمَ القِيامَةِ؟ إِنَّ هٰذا لَشيءٌ لا يُصَدِّقُهُ العَقْلُ السَّلِيمُ.

رُفاتاً - أَجْزاءً مُفَتَّتَةً أَوْ تُراباً أَوْ غُباراً.

﴿٥٠﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا

نصف الحزب ٢٩

(٥٠) - وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَى هٰؤُلاءِ المُسْتَبْعِدِينَ إِمْكَانَ وُقُوعِ الحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالخَلْقِ الجَدِيدِ بَعْدَ المَوْتِ وَالبِلَى، بِقَوْلِهِ: كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً، وَهُما أَشَدُّ آمْتِناعاً مِنَ العِظامِ وَالرُّفاتِ لِقَبُولِ الحَياةِ.

﴿٥١﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا

(رُؤُوسَهُمْ)

(٥١) - وَقُلْ لَهُمْ: أَوْ كُونُوا أَيَّ شَيءٍ، مِمَّا تَعْتَقِدُونَهُ عَظِيماً فِي أَنْفُسِكُمْ كَالجِبالِ وَالأَرْضِ، فَإِنَّ اللهَ قادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَكُمْ أَحْياءً. وَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا إذا كُنَّا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً آخرَ مِمَّا يُسْتَبْعَدُ قَبُولُهُ لِلْحَياةِ؟ فَقُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ: يُعِيدُكُم الذِي خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ (فَطَرَكُمْ) وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئاً مَذْكُوراً، ثُمَّ صِرْتُمْ بَشَراً تَنْتَشِرُونَ، فَإِنَّهُ قادِرٌ عَلَى إِعادَتِكُمْ، وَلَوْ صِرْتُمْ عَلَى أَيِّ حالٍ، وَلَنْ يُعْجِزَهُ إِحْياؤُكُمْ. وَيَقُولُ تَعالَى: إِنَّ الكافِرِينَ حِينَما يَسْمَعُونَ هٰذا الجَوابَ مِنْ رَسُولِ اللهِ سَيُحَرِّكُونَ رُؤُوسَهُمْ حَرَكَةَ آسْتِهْزاءٍ، وَيَقُولُونَ: مَتَى يَكُونُ هٰذا الحَشْرُ وَالمَعادُ؟ آسْتِبْعاداً مِنْهُمْ لِوُقُوعِهِ. وَيَأْمُرُ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ قَرِيباً فَلْيَحْذَرُوا ذٰلِكَ، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ إِلَيْهِمْ وَسَيَأْتِيهِمْ لا مَحالَةَ.

يَكْبُرُ - يَعْظُمُ عَنْ قَبُولِ الحَياةِ كَالسَّماواتِ.

فَطَرَكُمْ - أَبْدَعَكُمْ وَأَحْدَثَكُمْ.

فَسَيُنْغِضُونَ - يُحَرِّكُونَ رُؤُوسَهُمْ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ وَمِنْ أَسْفَلٍ إِلَى أَعْلَى حَرَكَةَ آسْتِهْزاءٍ.

﴿٥٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا

(٥٢) - وَفِي يَوْمِ القِيامَةِ يَدْعُو اللهُ عِبادَهُ فَيَقُومُونَ كُلُّهُم آسْتِجابَةً لأَمْرِهِ، وَطاعَةً لإِرادَتِهِ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا فِي الدُّنْيا إِلاَّ قَلِيلاً مِنَ الوَقْتِ، وَهٰذا يُقَلِّلُ مِنْ قِيمَةِ الدُّنيا، بِالنِّسْبَةِ إِلَى ما هُمْ مُقْدِمُونَ عَلَيْهِ.

بِحَمْدِهِ - مُنْقادُونَ آنْقِيادَ الحامِدِينَ لَهُ.

﴿٥٣﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ

(الشَّيْطانَ) (لِلإِنْسانِ)

(٥٣) - وَيَأْمُرُ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يَنْصَحَ المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَقُولُوا فِي مُخاطَباتِهِمْ، وَمُحاوَرَتِهِم الكَلامِيَّةِ، العِباراتِ الأَحْسَنَ، وَالكَلِماتِ

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا

الأطْيَب، فَإِنَّهُمْ إنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذٰلِكَ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَوْقَعَ بَيْنَهُمُ الشَّرَّ وَالمُخَاصَمَةَ، وَالعَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ، فَهُوَ عَدُوٌّ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ، ظَاهِرُ العَدَاوَةِ سَافِرُها.

يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ - يُفْسِدُ وَيُهَيِّجُ الشَّرَّ بَيْنَهُمْ.

(٥٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٥٤) - رَبُّكُمْ هُوَ العَلِيمُ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ وَبِمَنْ لاَ يَسْتَحِقُّها، فَإِنْ شَاءَ رَحِمَكُمْ بِتَوْفِيقِكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ بِصَرْفِكُمْ عَنِ الإِيمَانِ وَالهُدَى، فَتَمُوتُونَ عَلَى شِرْكِكُمْ، وَتَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ وَعَذابِها. فَعَاقِبَةُ النَّاسِ مَجْهُولَةٌ، وَلاَ يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلاَّ اللهُ، وَلَمْ نُرْسِلْكَ يَا مُحَمَّدُ وَكِيلاً عَلَيْهِمْ لِتُجْبِرَهُمْ عَلَى الإِيمَانِ بِاللهِ، وَإِنَّما أَرْسَلْنَاكَ مُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ، وَحِسَابُ النَّاسِ عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَكِيلاً - مَوْكُولاً إِلَيْكَ أَمْرُهُمْ.

(٥٥) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

(السَّمَاوَاتِ) (النَّبِيِّينَ) (وَآتَيْنَا)

(٥٥) - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَرَاتِبِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فِي الطَّاعَةِ وَالمَعْصِيَةِ، وَقَدْ فَضَّلَ بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ. وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1]، وَهُوَ تَفْضِيلُ اللهِ أَعْلَمُ بِأَسْبَابِهِ. وَهٰذا القَوْلُ لاَ يُنَافِي مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ)، فَالمَقْصُودُ هُنَا التَّفْضِيلُ بِمُجَرَّدِ التَّشَهِّي وَالعَصَبِيَّةِ، لاَ بِمُقْتَضَى دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، وَلٰكِنْ إِذا قَامَ دَلِيلٌ عَلَى شَيءٍ وَجَبَ اتِّبَاعُهُ، وَلاَ خِلاَفَ فِي أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَاقِي الأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ أَفْضَلُهُمْ.

وَأُولُو العَزْمِ هُمْ خَمْسَةٌ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّه آتَى دَاوُدَ زَبُوراً، وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَمْ يُفَضِّلْهُ بِالمُلْكِ.

الزَّبُورُ - كِتَابٌ فِيهِ تَحْمِيدٌ وَتَمْجِيدٌ لِلْخَالِقِ وَمَواعِظُ.

(٥٦) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا

(٥٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ: ادْعُوا الأَصْنَامَ وَالأَنْدَادَ - الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ أَرْبَابٌ وَآلِهَةٌ مِنْ دُونِ اللهِ - حِينَ

(١) الآية ٢٥٣ من سورة البقرة.

يَنْزِلُ بِكُم الضُّرُّ إِلى عَوْنِكُمْ، وَلِرَفْعِ الضُّرِّ عَنْكُمْ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ، وَلاَ يَمْلِكُونَ تَحْوِيلَهُ إِلى غَيْرِكُمْ، وَالذِي يَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ.

تَحْوِيلاً - نَقْلَهُ إِلى غَيْرِكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدْهُمْ.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾

(أُوْلٰئِكَ)

(٥٧) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الإِنْسِ كَانُوا يَعْبُدُونَ جَمَاعَةً مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ الجِنِّيُّونَ، وَالإِنْسُ لاَ يَدْرُونَ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَبَقُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمْ، فَنَزَلَتْ هٰذِه الآيَةُ. يَقُولُ تَعَالَى لِهٰؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ جَمِيعاً: إِنَّ هٰؤُلاَءِ الذِينَ تَدْعُونَهُمْ آلِهَةً، وَتَعْبُدونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، هُمْ عِبَادٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَيَعْمَلُونَ جَاهِدِينَ عَلَى الفَوْزِ بِالقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَى، بِالطَّاعَةِ وَالقُرْبَةِ، وَأَكْثَرُ هٰؤُلاَءِ المَعْبُودِينَ قُرْباً مِنَ اللهِ يَدْعُو اللهَ، وَيَبْتَغِي إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَالقُرْبَةَ مِنْهُ، وَيَخْشَى عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ. فَإِذَا كَانَ هٰذا هُوَ حَالَ هٰؤُلاَءِ الأَرْبَابِ فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهُمْ؟ وَمَا أَجْدَرَكُمْ أَنْ تَتَوَجَّهُوا إِلَى اللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ الخَالِقِ القَاهِرِ بِالعِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ وَالخَشْيَةِ، كَمَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِهَا الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ أَنْتُمْ وَتَدْعُونَهُمْ أَرْبَاباً. وَعَذَابُ اللهِ خَلِيقٌ بِأَنْ يُحْذَرَ، وَيُخَافَ مِنْهُ.

الوَسِيلَةَ - القُرْبَةَ بِالطَّاعَةِ وَالعِبَادَةِ.

وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾

(الْقِيَامَةِ) (الْكِتَابِ)

(٥٨) - وَمَا مِنْ قَرْيَةٍ مِنَ القُرَى التِي ظَلَمَ أَهْلُهَا أَنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ وَالمَعَاصِي، إِلاَّ وَيُهْلِكُهَا اللهُ، وَيُهْلِكُ أَهْلَها، وَيُبِيدُهُمْ بِالاسْتِئْصَالِ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ بِابْتِلاَئِهِمْ بِأَصْنَافٍ مِنَ العَذَابِ، بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَخَطَايَاهُمْ، وَكَانَ ذٰلِكَ مُثْبَتاً فِي عِلْمِ اللهِ، أَوْ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ المُقَدَّرَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ). (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ).

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ ﴿٥٩﴾

(بِالآيَاتِ) (وآتَيْنَا)

(٥٩) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَباً، وَأَنْ يُنَحِّي عَنْهُمْ جِبَالَ مَكَّةَ فَيَزْرَعُوا، عَلَى أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ إِنْ حَقَّقَ لَهُمْ ذٰلِكَ. فَقَالَ لَهُم الرَّسُولُ: أَوَتَفْعَلُونَ؟ قَالُوا:

فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا

نعم قال: فدعا رسولُ الله ربَّه، فأتاه جبريل، عليه السلام، فقال له: إنّ ربَّك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إنْ شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذَّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين. وإنْ شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة، فقال رسول الله: بل باب التوبة والرحمة.

ويقول الله تعالى لنبيّه الكريم: إنّه قادرٌ على أنْ يبعث إلى قريش كما سألوه، فإنّ ذلك سهلٌ عليه يسيرٌ، ولكنّ الذي منعه من إرسال الآيات التي سألوها هو تكذيب الأوّلين بمثلها، بعد أنْ سألوها وجاءتهم. فإذا أرسلها الله إلى قريش، وكذّبوا بها عوجلوا بالعذاب، ولم يُمهلوا.

وقد سألت ثمود نبيَّها صالحاً أنْ يخرج لهم ناقة عشراء، فدعا الله، فأخرجها لهم من صخرةٍ صمّاء وهم ينظرون إليها، وقد جعل الله هذه الناقة حجّةً واضحةً، ودلالةً على وحدانيّة خالقها وقدرته، وعلامةً على صدق رسالة رسوله صالح، فكفرت ثمود بالناقة، ومنعوها شربها، وقتلوها، فأبادهم الله عن آخرهم. ثمّ قال تعالى إنّه يخوّف الناس بما شاء من الآيات لعلّهم يعتبرون ويرجعون إلى الله.

مبصرةً - آيةً بيّنةً واضحةً أو ذات بصيرةٍ لمن يتأمّلها.

فظلموا بها - فكفروا بها ظالمين فأُهلكوا.

٦٠ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا

(الرؤيا) (أريناك) (القرآن) (طغياناً)

(٦٠) - يحثُّ الله تعالى رسوله الكريم على القيام بما أمره به من إبلاغ الرسالة، ويقول له: إنّ ربّك هو القادر على عباده، وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته، فلا يقدرون على أمرٍ إلاّ بقضائه وقدره، وقد عصمك الله من أعدائك، فلا يقدرون على إيصال الأذى إليك وما جعل الله الرؤيا، التي أراها رسوله ليلة الإسراء، إلا امتحاناً واختباراً للناس، فأنكرها قوم، وكذّبوا بها، وكفر بعض من كان أسلم وآمن برسالة الرسول، وازداد المخلصون إيماناً.

(وقال ابن عبّاس: إنّ الرؤيا كانت رؤيا عينٍ أُريها رسول الله، ليلة الإسراء).

وما جعل الله الشجرة الملعونة التي جاء ذكرها في القرآن (وهي شجرة الزقوم - إنّ شجرة الزقوم طعام الأثيم -، فعجب المشركون واستهزؤوا .. من وجود شجرةٍ في أصل الجحيم ..) إلاّ فتنةً للناس،

﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا

﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا

﴿٦٣﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا

﴿٦٤﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا

فالمُؤْمِنُونَ زَادَتْهُمْ إِيماناً، وَعَلِمُوا أَنَّ الذِي جَاءَ هُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا المُجْرِمُونَ المُكَذِّبُونَ فَازْدَادُوا تَشَكُّكاً وَطُغْيَاناً، وَكُفْراً. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ يُخَوِّفُ الكُفَّارَ بِالوَعِيدِ، وَالعَذَابِ، وَالنَّكَالِ، فَلاَ يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلاَّ طُغْيَاناً، وَتَمَادِياً فِي الكُفْرِ وَالضَّلاَلِ.

(لِلْمَلاَئِكَةِ) (لآدَمَ) (أَأَسْجُد)

(٦١) - يُذَكِّرُ اللهُ العِبَادَ بِعَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ أَمَرَ المَلاَئِكَةَ بِالسُّجُودِ لآدَمَ. فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ إِلاَّ إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ اسْتَكْبَرَ وَأَبَى السُّجُودَ لآدَمَ اسْتِعْلاَءً عَلَيْهِ، وَاحْتِقَاراً لَهُ، وَقَالَ للهِ العَظِيمِ: كَيْفَ أَسْجُد لِمَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ؟

(أَرَأَيْتَكَ) (لَئِنْ) (الْقِيَامَةِ)

(٦٢) - وَقَالَ إِبْلِيسُ لِلرَّبِّ الكَرِيمِ مُتَوَاقِحاً: أَلاَ تَرَى إِلَى هَذَا الذِي شَرَّفْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ عَلَيَّ فَإِنْ أَخَّرْتَنِي وَأَنْظَرْتَنِي إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ، لأُضِلَّنَّ ذُرِّيَّتَهُ، وَلأُسَيْطِرَنَّ عَلَيْهِمْ، وَلأَحْتَوِيَنَّهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ.

أَرَأَيْتَكَ - أَخْبِرْنِي.

لأَحْتَنِكَنَّ - الاحْتِنَاكُ، لُغَةً، وَضْعُ شَيءٍ فِي حَنَكِ الدَّابَّةِ الأَسْفَلِ لِتُقَادَ بِهِ، أَيْ إِنَّهُ سَيَمْلِكُ نَاصِيَتَهُمْ، وَيُسَيْطِرُ عَلَيْهِمْ. أَوْ لأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ بِالإِغْوَاءِ.

(٦٣) - لَمَّا سَأَلَ إِبْلِيسُ النَّظِرَةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ لِشَأْنِكَ الذِي اخْتَرْتَهُ، فَقَدْ أَنْظَرْتُكَ. ثُمَّ أَوْعَدَهُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، نَارَ جَهَنَّمَ، وَأَنَّهَا سَتَكُونُ جَزَاءً لَهُمْ، جَزَاءً وَافِياً كَافِياً لاَ يَنْقُصُ لَهُمْ مِنْهُ شَيءٌ. (جَزَاءً مَوْفُوراً).

(الأَمْوَالِ) (وَالأَوْلاَدِ) (الشَّيْطَانُ)

(٦٤) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لإِبْلِيسَ: وَادْعُ مِنْهُمْ مَنِ اسْتَطَعْتَ إِلَى مَعْصِيَةِ اللهِ، وَاسْتَخِفَّهُ وَازْعِجْهُ (اسْتَفْزِزْ) وَاحْمِلْ عَلَيْهِمْ بِجُنُودِكَ: خَيَّالَتِهِمْ وَرَجَّالَتِهِمْ (بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ)، وَحَاوِلْ إِغْوَاءَهُمْ بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتَ، وَادْعُهُمْ إِلَى كَسْبِ أَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ السَّبِيلِ المَشْرُوعِ، وَإِنْفَاقِهَا فِي غَيْرِ الطُّرُقِ التِي أَبَاحَهَا اللهُ، وَاحْمِلْهُمْ عَلى عِصْيَانِ اللهِ فِي أَوْلاَدِهِمْ بِتَسْمِيَتِهِمْ بِمَا يَكْرَهُ اللهُ (كَعَبْدِ اللاَّتِ وَعَبْدِ العُزَّى)، وَبِالزِّنَى بِأُمَّهَاتِهِمْ، أَوْ بِإِدْخَالِهِمْ فِي غَيْرِ دِينِ اللهِ، (وَهَذَا كُلُّهُ مُشَارَكَةٌ مِنْ إِبْلِيسَ فِي

﴿٦٥﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا

﴿٦٦﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

﴿٦٧﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا

الأَوْلاَدِ)، وَعِدْهُمْ بَاطِلاً بِالنُّصْرَةِ وَالعَوْنِ. فَإِنَّكَ فِي كُلِّ ذٰلِكَ لَنْ تُضِلَّ غَيرَ الضَّالِّينَ، وَهٰؤُلاءِ الضَّالُّونَ هُمْ وَحْدَهُم الَّذِينَ تَسْتَطِيعُ إِغْوَاءَهُمْ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَعِدُ أَوْلِيَاءَهُ إِلاَّ كَذِباً وَبَاطِلاً وَغُرُوراً، لأَنَّهُ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً مِنْ عِقَابِ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ.

آسْتَفْزِزْ - آسْتَخِفَّ وَآسْتَعْجِلْ أَوْ أَزْعِجْ.

أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ - صِحْ عَلَيْهِمْ وَسُقْهُمْ.

بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ - بِكُلِّ رَاكِبٍ وَمَاشٍ فِي مَعَاصِي اللهِ.

غُرُوراً - بَاطِلاً وَخِدَاعاً.

(سُلْطَانٌ)

(٦٥) - وَيَقُولُ تَعَالَى لإِبْلِيسَ: أَمَّا عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي فَاتَّبَعُوا أَمْرِي وَعَصَوْكَ، فَلَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ إِضْلاَلَهُمْ وَلاَ إِغْوَاءَهُمْ، فَهُمْ فِي حِفْظِي، وَحِرَاسَتِي، وَرِعَايَتِي، وَكَفَى بِاللهِ حَافِظاً وَمُؤَيِّداً وَنَصِيراً.

سُلْطَانٌ - تَسَلُّطٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى إِغْوَائِهِمْ.

(٦٦) - وَاللهُ تَعَالَى رَبُّكُمْ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ السُّفُنَ وَالمَرَاكِبَ، لِتَسِيرَ فِي البَحْرِ، وَتَنْقُلَكُمْ وَأَثْقَالَكُمْ وَأَمْتِعَتَكُمْ وَتِجَارَتَكُمْ، مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، لِتَبْتَغُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَفَضْلِهِ، بِالتِّجَارَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ وَالكَسْبِ، وَتَبَادُلِ الحَاجَاتِ وَهٰذا كُلُّهُ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

يُزْجِي - يُجْرِي وَيُسَيِّرُ وَيَسُوقُ بِرِفْقٍ.

(نَجَّاكُمْ) (الإِنْسَانُ)

(٦٧) - وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ الضُّرُّ فِي البَحْرِ، لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ اللهِ تَعَالَى مَنْ يَدْعُونَهُ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لِيُنْقِذَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ، وَيَغِيبُ فِي سَاعَةِ الشِّدَّةِ وَالضِّيقِ عَنْ خَوَاطِرِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَأَذْهَانِهِمْ كُلُّ مَعْبُودٍ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ غَيْرَ اللهِ، لأَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ القَادِرُ عَلَى إِنْجَائِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ.

وَلٰكِنَّهُمْ حِينَ يُنْجِيهِمُ اللهُ، وَيُعِيدُهُمْ إِلَى البَرِّ سَالِمِينَ، يَنْسَوْنَ اللهَ الذِي عَبَدُوهُ، وَدَعَوْهُ فِي البَحْرِ، وَيُعْرِضُونَ عَنْ دُعَائِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَمِنْ سَجِيَّةِ الإِنْسَانِ الكُفْرُ، يَنْسَى النِّعَمَ وَيَجْحَدُهَا (وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً).

﴿٦٨﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا

(٦٨) - أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ بِخُرُوجِكُمْ سَالِمِينَ مِنَ البَحْرِ إِلَى البَرِّ، قَدْ أَمِنْتُم انْتِقَامَ اللهِ وَعَذَابَهُ؟ فَقَدْ يَخْسِفُ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ بِزِلْزَالٍ أَوْ بُرْكَانٍ. وَقَدْ يُرْسِلُ عَلَيْكُم رِيحاً شَدِيدَةً تَرْمِيكُمْ بِالحَصْبَاءِ، أَوْ يُهْلِكُكُمْ بِغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الأَسْبَابِ المُسَخرةِ لِقُدْرَةِ اللهِ، دُونَ أَنْ تَجِدُوا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَكِيلاً يَحْمِيكُمْ وَيَدْفَعُ عَنْكُمْ.

الحَاصِبُ - مَطَرٌ تَسْقُطُ مَعَهُ حَصْبَاءُ، أَوْ رِيحٌ تَحْمِلُ حَصْبَاءَ. وَالحَصْبَاءُ حِجَارَةٌ صَغِيرَةٌ.

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ - أَنْ يُغَوِّرَ وَيُغَيِّبَ بِكُمْ تَحْتَ الثَّرَى.

﴿٦٩﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا

(٦٩) - أَمْ أَمِنْتُمْ أَيُّها المُعْرِضُونَ عَنْ رَبِّكُمْ فِي البَرِّ، بَعْدَ مَا اعْتَرَفْتُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَأَنْتُمْ فِي البَحْرِ، أَنْ يُعِيدَكُمْ فِي البَحْرِ مَرَّةً أُخْرَى، فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ رِيحاً تَقْصِفُ الصَّوَارِيَ، وَتُغْرِقُ المَرْكَبَ، بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ، وَإِعْرَاضِكُمْ عَنِ اللهِ، وَحِينَئِذٍ لاَ تَجِدُونَ لَكُمْ مَنْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يَأْخُذُ بِثَأْرِكُمْ بَعْدَكُمْ.

قَاصِفاً - عَاصِفاً شَدِيداً مُهْلِكاً - أَوْ هُوَ رِيحُ البِحَارِ.

تَبِيعاً - نَصِيراً أَوْ مُطَالِباً بِالثَّأْرِ.

﴿٧٠﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا

ثلاثة أرباع الحزب ٢٩

(آدم) (وَحملْنَاهُمْ) (وَرزَقْنَاهُمْ) (الطَّيِّبَاتِ) (وَفَضَّلْنَاهُمْ)

(٧٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ تَشْرِيفِهِ لِبَنِي آدَمَ، وَتَكْرِيمِهِ إِيَّاهُمْ بِأَنْ خَلَقَهُمْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَكْمَلِ هَيْئَةٍ، وَبِأَنْ مَيَّزَهُمْ بِالعَقْلِ، وَبِأَنْ حَمَلَهُمْ فِي البَرِّ عَلَى الدَّوَابِّ وَغَيْرِها، وَفِي البَحْرِ فِي السُّفُنِ وَالمَرَاكِبِ، وَبِأَنْ رَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ، وَلُحُومٍ وَلِبَاسٍ وَسَكَنٍ، وَمِنْ مَنَاظِرَ مُبْهِجَةٍ. كَمَا يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَفْضِيلِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ، بِالعَقْلِ، وَالتَّفْكِيرِ، وَقَدْ فَضَّلَهُمْ بِاسْتِخْلافِهِمْ فِي الأَرْضِ.

﴿٧١﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا

(نَدْعُو) (بِإِمَامِهِمْ) (كِتَابَهُ) (كِتَابَهُمْ) (أُولئِكَ) (يَقْرَؤُونَ)

(٧١) - وَيَوْمَ القِيَامَةِ تُدْعَى كُلُّ أُمَّةٍ بِالشِّعَارِ الذِي تُعْرَفُ بِهِ، فَيُقَالُ: يَا أُمَّةَ عِيسَى، وَيَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ. لِيَتَسَلَّمُوا كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ، فَالَّذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَهُمُ السُّعَدَاءُ، فَهؤلاءِ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ مُبْتَهِجِينَ، وَلاَ يُنْقَصُونَ مِنْ أُجُورِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئاً.

إِمَامُهُم - شِعَارُهُمْ أَوْ نَبِيُّهُمْ أَوْ كِتَابُ أَعْمَالِهِمْ.

الفَتِيلُ - خَيْطٌ رَفِيعٌ فِي نَوَاةِ التَّمْرَةِ.

﴿٧٢﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا

(الآخِرَةِ)

(٧٢) - وَمَنْ كَانَ فِي هٰذِهِ الحَيَاةِ أَعْمَى القَلْبِ، لَا يُبْصِرُ سَبِيلَ الهُدَى وَالرَّشَادِ، وَلَا يَتَأَمَّلُ حُجَجَ اللهِ وَآيَاتِهِ وَبَيِّنَاتِهِ، فَهُوَ كَذٰلِكَ أَعْمَى فِي الآخِرَةِ لَا يَرَى طَرِيقَ الخَيْرِ وَالنَّجَاةِ، وَيَكُونُ فِي الآخِرَةِ أَشَدَّ ضَلَالاً مِنْهُ فِي الدُّنْيا.

﴿٧٣﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا

(٧٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ تَأْيِيدِهِ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ، وَعَنْ تَثْبِيتِهِ إِيَّاهُ، وَعِصْمَتِهِ لَهُ مِنْ شَرِّ الأَشْرَارِ، وَكَيْدِ الفُجَّارِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ المُتَوَلِّي أَمْرَهُ وَنَصْرَهُ، فَقَدْ حَاوَلَ المُشْرِكُونَ فِتْنَتَهُ عَمَّا أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، لِيَفْتَرِيَ عَلَى اللهِ غَيْرَهُ، وَهُوَ الصَّادِقُ الأَمِينُ، فَقَدْ سَاوَمُوهُ عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ رَبَّهُ، مُقَابِلَ أَنْ يَتْرُكَ التَّنْدِيدَ بِآلِهَتِهِمْ، وَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ. وَسَاوَمُوهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ لِبَعْضِ كُبَرَائِهِمْ مَجْلِساً غَيْرَ مَجْلِسِ الفُقَرَاءِ، وَلَوْ أَنَّهُ رَضِيَ مُسَايَرَتَهُمْ فِيمَا أَرَادُوا لَاتَّخَذُوهُ خَلِيلاً، وَلَكَفُّوا عَنْ إِيذَائِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

لَيَفْتِنُونَكَ - لَيُوقِعُونَكَ فِي الفِتْنَةِ، وَلَيَصْرِفُونَكَ.

لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ - لِتَخْتَلِقَ وَتَتَقَوَّلَ عَلَيْنَا.

﴿٧٤﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا

(ثَبَّتْنَاكَ)

(٧٤) - وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالَى ثَبَّتَ رَسُولَهُ ﷺ، وَعَصَمَهُ عَنِ الانْحِرَافِ عَنِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ. وَلَوْلَا عِصْمَةُ اللهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ لَرَكَنَ إِلَى الكُفَّارِ بَعْضَ الشَّيْءِ. وَالانْحِرَافُ الطَّفِيفُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ يَنْتَهِي إِلَى الانْحِرَافِ الكَامِلِ فِي نِهَايَتِهِ.

تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ - تَمِيلُ إِلَيْهِمْ.

﴿٧٥﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا

(لأذَقْنَاكَ) (الْحَيَاةِ)

(٧٥) - وَلَوْ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ رَكَنَ إِلَى الكُفَّارِ، وَلَوْ قَلِيلاً، لَعَاقَبَهُ اللهُ عَلَى ذٰلِكَ الرُّكُونِ بِإِذَاقَتِهِ عَذَابَ الدُّنيا، وَعَذَابَ الآخِرَةِ مُضَاعَفَيْنِ، وَبِإِفْقَادِهِ المُعِينَ وَالنَّصِيرَ. وَلِأَنَّ الرَّسُولَ العَظِيمَ قُدْوَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَقْتَدُونَ بِهِ، فَأَيُّ تَصَرُّفٍ مِنْهُ يُتَابِعُهُ المُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ، وَيَتَّخِذُونَهُ سُنَّةً.

ضِعْفَ الحَيَاةِ - عَذَاباً مُضَاعَفاً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا و فِي الآخِرَةِ.

﴿٧٦﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ

(خِلافَكَ)

(٧٦) - وَلَمَّا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ إِمْكَانِ اسْتِدْرَاجِ الرَّسُولِ ﷺ إِلى

وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا

الانْحِرافِ بِالدَّعْوَةِ عَمَّا أَوْحَى اللهُ بِهِ إِلَيْهِ، أَرَادُوا أَنْ يُزْعِجُوهُ، وَيَسْتَخِفُّوهُ (يَسْتَفِزُّونَكَ)، لِيُخْرِجُوهُ مِنْ مَكَّةَ (مِنَ الأَرْضِ)، فَضَيَّقُوا عَلَيْهِ، وَعَلَى بَنِي هَاشِمٍ، وَأَلْجَؤُوهُمْ إِلى الشِّعْبِ ثَلاثَ سِنِينَ. وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مُهَاجِراً، لِما سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَنْ يُهْلِكَ قُرَيْشاً بِالإِبَادَةِ. وَلَوْ أَنَّ قُرَيْشاً أَخْرَجَتْ رَسُولَ اللهِ عَنْوَةً وَقَسْراً، لَحَلَّ بِهِمُ الهَلاكُ (وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً).

لَيَسْتَفِزُّونَكَ - لَيَسْتَخِفُّونَكَ وَيُزْعِجُونَكَ.

٧٧ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا

(٧٧) - فَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ فِي تَدْمِيرِ الأُمَمِ التِي تُكَذِّبُ رُسُلَهَا، وَتُخْرِجُهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ ذٰلِكَ سُنَّةً جَارِيَةً، لَا تَتَحَوَّلُ وَلَا تَتَبَدَّلُ. وَلَمَّا لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَأْخُذَ قُرَيْشاً بِعَذَابِ الإِبَادَةِ، لَمْ يُقَدِّرْ أَنْ يُخْرِجُوهُ عَنْوَةً، بَلْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِالهِجْرَةِ، وَهٰكَذا مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ فِي طَرِيقِهَا، لَا تَحْوِيلَ لَهَا وَلَا تَبْدِيلَ.

تَحْوِيلاً - تَغْيِيراً وَتَبْدِيلاً.

٧٨ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا

(الصَّلاَة) (اللَّيْل) (قُرْآن)

(٧٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ المَفْرُوضَةِ، وَأَدَائِهَا عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيحِ الأَكْمَلِ، مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ (عِنْدَ مُنْتَصَفِ النَّهَارِ - دُلُوكِهَا)، إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ، وَحُلُولِ الظَّلامِ، وَبِذٰلِكَ تَدْخُلُ الصَّلَوَاتُ المَفْرُوضَةُ: الظُّهْرُ وَالعَصْرُ وَالمَغْرِبُ وَالعِشَاءُ. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى صَلاَةَ الفَجْرِ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا لِمَا لَهَا مِنَ الفَضْلِ، وَشُهُودِ المَلائِكَةِ لَهَا.

(وَمَوَاقِيتُ الصَّلاَةِ حُدِّدَتْ بِفِعْلِ الرَّسُولِ ﷺ).

دُلُوكُ الشَّمْسِ - زَوَالُهَا عَنْ دَائِرَةِ نِصْفِ النَّهَارِ.

الغَسَقُ - اشْتِدَادُ الظُّلْمَةِ.

قُرآنَ الفَجْرِ - صَلاَةَ الصُّبْحِ.

٧٩ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا

(اللَّيْل)

(٧٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِقِيَامِ بَعْضِ اللَّيْلِ مُصَلِّياً، زِيَادَةً عَنِ الصَّلاَةِ المَفْرُوضَةِ (نَافِلَةً). وَقَدْ خَصَّ الرَّسُولُ بِهٰذا الأَمْرِ. ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى بِأَنْ يَتْلُوَ القُرآنَ فِي اللَّيْلِ بَعْدَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ لِلصَّلاَةِ.

التَّهَجُّدُ - الصَّلاَةُ بَعْدَ الاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّومِ.

نَافِلَةً لَكَ - فَرِيضَةً زَائِدَةً خَاصَّةً بِكَ.

(٨٠) وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا

مَقاماً مَحْمُوداً - مَقامَ الشَّفاعَةِ العُظْمى.

(سُلْطاناً)

(٨٠) - يُعَلِّمُ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ ﷺ دُعاءً يَدْعُوهُ بِهِ هُوَ وَأُمَّتُهُ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: رَبِّ أَدْخِلْنِي فِي كُلِّ مَقامٍ تُرِيدُ إِدْخالِي فِيهِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ مُدْخَلاً صادِقاً، أَيْ يَسْتَحِقُّ الدّاخِلُ فِيهِ أَنْ يُقالَ لَهُ أَنْتَ صادِقٌ فِي قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ، وَأَخْرِجْنِي مِنْ كُلِّ ما تُخْرِجُنِي مِنْهُ مُخْرَجَ صِدْقٍ، أَيْ يَسْتَحِقُّ الخارِجُ مِنْهُ أَنْ يُقالَ لَهُ: أَنْتَ صادِقٌ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُ سُلْطاناً وَهَيْبَةً وَقُوَّةَ حُجَّةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، يَسْتَعْلِي بِها عَلَى سُلْطانِ أَهْلِ الأَرْضِ، وَقُوَّةِ المُشْرِكِينَ، وَيَنْصُرُ بِها كَلِمَةَ اللهِ، وَكُتُبَهُ وَحُدُودَهُ، وَفَرائِضَهُ.

فَحِينَما ٱئْتَمَرَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِالرَّسُولِ ﷺ فِي مَكَّةَ، أَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلَيْهِ بِالخُرُوجِ إِلَى المَدِينَةِ، وَعَلَّمَ نَبِيَّهُ هٰذا الدُّعاءَ، لِيَدْعُوَهُ حِينَ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ، وَحِينَ دُخُولِهِ إِلى المَدِينَةِ.

مُدْخَلَ صِدْقٍ - إِدْخالاً مُرْضِياً جَيِّداً فِي أُمُورِي.

سُلْطاناً نَصِيراً - قَهْراً وَعِزّاً تَنْصُرُ بِهِ الإِسْلامَ.

(٨١) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا

(البَاطِلُ) (الْبَاطِلَ)

(٨١) - وَقُلْ لِلْمُشْرِكِينَ مُهَدِّداً: لَقَدْ جاءَهُم الحَقُّ الَّذِي لا مِرْيَةَ فِيهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ. وَمَتَى جاءَ الحَقُّ زَهَقَ الباطِلُ وَٱضْمَحَلَّ، لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ الباطِلِ عَدَمَ الثَّباتِ مَعَ الحَقِّ. وَحِينَما دَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، كانَ حَوْلَ الكَعْبَةِ (٣٦٠) ثَلاثُمِئَةٍ وَسِتُّونَ نَصْباً، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ يَطْعَنُها بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَتْلُو: ﴿**جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إِنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً**﴾.

زَهَقَ الباطِلُ - زالَ وَٱضْمَحَلَّ.

(٨٢) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا

(القُرآنِ) (الظَّالِمِينَ)

(٨٢) - وَنُنَزِّلُ عَلَيْكَ يا أَيُّها الرَّسُولُ مِنَ القُرآنِ ما يُسْتَشْفَى بِهِ مِنَ الجَهْلِ وَالضَّلالِ، وَما يُذْهِبُ ما فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَمْراضِ الشَّكِّ وَالنِّفاقِ، وَالشِّرْكِ وَالزَّيْغِ، وَيَشْفِي مِنْها، وَهُوَ رَحْمَةٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَمِلَ بِأَوامِرِهِ، وَٱجْتَنَبَ نَواهِيَهِ. أَمّا الكافِرُونَ الظّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ فَلا يَزِيدُهُمْ سَماعُ القُرآنِ إِلّا بُعْداً عَنِ الإِيمانِ وَكُفْراً، وَعُتُوّاً وَخَساراً، لِأَنَّهُمْ قَدْ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ.

خَساراً - هَلاكاً بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِهِ.

(٨٣) وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا

(الإِنْسَانِ) (وَنَأى) (يَؤُوساً)

(٨٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَقْصِ الإِنسَانِ، إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ، فَإِذا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِمَالٍ وَعَافِيَةٍ وَرِزْقٍ وَنَصْرٍ. وَأَنَالَهُ مَا يُرِيدُ، أَعْرَضَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ، وَنَأى بِجَانِبِهِ عَنِ اللهِ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ وَالضُّرُّ وَالسُّوءُ، وَنَزَلَتْ بِهِ المَصَائِبُ وَالنَّوائِبُ... قَنطَ وَيَئِسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَظَنَّ أَنَّ اللهَ لَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ.

نَأى بِجَانِبِهِ - لَوَى عِطْفَهُ تَكَبُّراً وَعِنَاداً.

كَانَ يَؤُوساً - شَدِيدَ اليَأْسِ وَالقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

(٨٤) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا

(٨٤) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ: كُلٌّ مِنَّا أَنَا وَأَنْتُمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَالكَافِرِينَ يَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَحَالِهِ فِي الهُدَى وَالضَّلاَلِ (شَاكِلَتِهِ)، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَكْثَرُ هِدَايَةً، وَأَوْضَحُ سَبِيلاً، وَاتِّبَاعاً لِلْحَقِّ، فَيُؤْتِيهِ أَجْرَهُ مَوْفُوراً، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَضَلُّ سَبِيلاً، فَيُعَاقِبُهُ.

شَاكِلَتِهِ - مَذْهَبِهِ الَّذِي يُشَاكِلُ حَالَهُ.

(٨٥) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

(وَيَسْأَلُونَكَ)

(٨٥) - اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ المُرادِ بِالرُّوحِ هُنَا.

- فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اليَهُودَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ رُوحِ البَشَرِ، وَكَيْفَ تُعَذَّبُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ. فَالمَقْصُودُ بِالرُّوحِ هُنَا، رُوحُ الإِنسَانِ، وَهُوَ القَوْلُ الأَرْجَحُ.

- وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ المُرَادَ بِالرُّوحِ هُنَا جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

- وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ المَقْصُودَ بِالرُّوحِ هُنَا مَلَكٌ عَظِيمٌ.

وَمَعْنَى الآيَةِ إِنَّ الرُّوحَ مِنْ شَأْنِ اللهِ تَعَالَى، وَمِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَلَمْ يُطْلِعِ الخَلْقَ إِلاَّ عَلَى القَلِيلِ مِنْ عِلْمِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يُحِيطُ أَحَدٌ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ.

(٨٦) وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ

(وَلَئِنْ)

(٨٦) - لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُؤْتِ النَّاسَ إِلاَّ قَلِيلاً مِنَ العِلْمِ، بَيَّنَ هُنَا أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ بِهذا القَلِيلِ مِنَ العِلْمِ، وَيَأْخُذَهُ مِنْهُمْ لَفَعَلَ،

عَلَيۡنَا وَكِيلًا

لَوْ شاءَ أَنْ يَمْحُوَ القُرْآنَ مِنَ الصُّدُورِ وَالمَصَاحِفِ، وَأَنْ لاَ يَتْرُكَ لَهُ أَثَراً لَفَعَلَ، حَتَّى يَعُودَ النَّبِيُّ لاَ يَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ.

وَإِذا فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ لَنْ يَجِدَ لَهُ نَاصِراً يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ، فَيَحُولُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ فِعْلِ مَا يُرِيدُ.

وَكِيلاً - مَنْ يَتَعَهَّدُ بِإِعَادَتِهِ إِلَيْكَ.

٨٧ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا

(٨٧) - وَلَكِنْ رَحِمَهُ اللهُ فَتَرَكَهُ وَلَمْ يَذْهَبْ بِهِ. ثُمَّ يَقُولُ تَعالَى: وَقَدْ كَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً يَا مُحَمَّدُ إِذْ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ، وَأَبْقَاهُ فِي حِفْظِكَ، وَفِي حِفْظِ المُؤْمِنِينَ وَمَصَاحِفِهِمْ.

٨٨ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا

(لَئِنْ) (الْقُرْآنِ)

(٨٨) - وَقُلْ لِهؤُلاءِ المُشْرِكِينَ مُتَحَدِّياً لَهُمْ: القُرْآنُ كَلامُ اللهِ، وَلاَ يَمْلِكُ البَشَرُ مُحاكَاتَهُ، وَلاَ يَمْلِكُ الإِنْسُ وَالجِنُّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَلَوْ تَظَاهَرُوا وَتَعَاوَنُوا فِي ذَلِكَ. فَالقُرْآنُ لَيْسَ أَلْفَاظاً وَعِبَارَاتٍ يَسْتَطِيعُ المَخْلُوقُونَ مُحَاكَاتَهَا، وَإِنَّما هُوَ كَسائِرِ مَا يُبْدِعُهُ اللهُ، يَعْجَزُ المَخْلُوقُونَ عَنْ صُنْعِهِ، وَمُحَاكَاتِهِ.

ظَهِيراً - مُعِيناً.

٨٩ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا

(الْقُرْآنِ)

(٨٩) - وَلَقَدْ رَدَّدْنا القَوْلَ فِيهِ بِوُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَكَرَّرْنا الآيَاتِ وَالعِبَرَ، وَالتَّرْغِيبَ وَالتَّرْهِيبَ وَالأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ، وَأَقَاصِيصَ الأَوَّلِينَ لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ، وَلِيَتَّعِظُوا بِهَا، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاّ كُفْراً وَجُحُوداً وَإِنْكَاراً لِلْحَقِّ، وَإِعْرَاضاً عَنْهُ.

صَرَّفْنَا - رَدَّدْنَا القَوْلَ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ.

مِنْ كُلِّ مَثَلٍ - مِنْ كُلِّ مَعْنىً غَرِيبٍ حَسَنٍ بَدِيعٍ.

فَأَبَى - فَلَمْ يَرْضَ.

كُفُوراً - جُحُوداً لِلْحَقِّ.

٩٠ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا

(٩٠) - اجْتَمَعَ قَادَةُ قُرَيْشٍ عِنْدَ الكَعْبَةِ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ لِيَأْتِيَهُمْ لِيُكَلِّمُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ جِئْتَنا بِشَيءٍ فَرَّقَتْ بِهِ الجَمَاعَةَ، فَإِنْ كُنْتَ جِئْتَ تُرِيدُ الشَّرَفَ فِينَا، سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنا، وَإِنْ كَانَ مَا

يَأْتِيكَ رِئْياً (أيْ تَابِعاً) مِنَ الجِنِّ، جعَلْنا مِنَ المالِ، وطَلَبْنا لَكَ الأطِبَّاء حتَّى تشْفى أوْ نُعْذَرَ.

فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا بِهٰذا جِئْتُكُمْ، إنَّ اللهَ بَعَثَني إلَيْكُمْ رَسُولاً فإنْ تَسْمَعُوا مِنِّي، وتَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ مِنَ الدُّنيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ أصْبِرْ حتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وبينَكُمْ. ثُمَّ أخَذُوا فِي الاقْتِراحِ علَيهِ تَعْجِيزاً وتَعَنُّتاً:

- فاقْتَرَحُوا عليهِ أنْ يَدْعُوَ رَبَّهُ لِيُسَيِّرَ عَنْهُم الجِبالَ التي ضَيَّقَتْ عَلَيْهِمْ، ولِيَبْسطَ لَهُمْ بِلادَهُمْ، ولِيُفجِّرَ فِيها أنْهاراً.

- ثُمَّ اقْتَرَحُوا علَيهِ أنْ يَدْعُوَ رَبَّهُ لِيَبْعَثَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ لِيَشْهَدُوا على صِدْقِ رِسَالَتِهِ.

- ثُمَّ اقْتَرَحُوا عَلَيهِ أنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أنْ يَبْعَثَ مَلكاً يُصَدِّقُهُ فِيما جاءَهُمْ بِهِ، وأنْ يَجْعَلَ لَهُ رَبُّهُ جَناتٍ وبَسَاتِينَ وكُنُوزاً وقُصُوراً مِنْ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ.

- ثُمَّ اقْتَرَحُوا عَلَيهِ أنْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ كِسَفاً (أيْ قِطَعاً) كَما زَعَمَ لَهُمْ أنَّ رَبَّهُ إنْ شاءَ فَعَلَ ذٰلِكَ، فإنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا لَهُ إلاَّ بِفِعْلِ مَا طَلَبُوهُ مِنْهُ.

فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إنَّ ذٰلِكَ إلى اللهِ، إنْ شَاءَ فَعَلَهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ ابْنُ عَمَّتِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومِي: واللهِ، لا أُؤْمِنُ بِكَ حَتَّى تَتَّخِذَ إلى السَّماءِ سُلَّماً ثُمَّ تَرقَى فِيهِ، وأنا أنْظُرُ إلَيْكَ حتَّى تأتِيَها، وتَأْتِيَ مَعَكَ بِصَحِيفَةٍ مَنْشُورَةٍ ومَعَكَ أرْبَعَةٌ مِنَ المَلائِكَةِ يَشْهَدُونَ أنَّكَ رَسُولُ اللهِ كَما تَقُولُ، وأَيْمُ اللهِ لَوْ فَعَلْتَ لَظَنَنْتُ أنّي لا أُصَدِّقُكَ. فَهُمْ أُناسٌ مُتَعَنِّتُونَ لاَ يَسْأَلُونَ اسْتِرْشَاداً، وَلَوْ كَانَ سُؤَالُهُمْ اسْتِرْشَاداً لأُجِيبُوا إلَيْهِ، ولٰكِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ كُفْراً وعِناداً، وهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ حُدُوثَ مَا يَطْلُبُونَ.

فَقِيلَ لِرَسُولِ اللهِ: إنْ شِئْتَ أعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، فَإنْ كَفَرُوا عَذَّبْتُهُمْ عذاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أحداً مِنَ العَالَمِينَ، وإنْ شِئْتَ فَتَحتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ والرَّحْمَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَلْ تَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ والرَّحْمَةِ.

تَفْجُرَ مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً - تجْعَلَ عَيْنَ مَاءٍ تَجْرِي فِي الأرْضِ لاَ يَنْضُبُ مَاؤُها.

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾

(الأنْهار) (خِلالَها)

(٩١) - أوْ يَكُونُ لَكَ يا مُحَمَّدُ بُسْتَانٌ (جَنَّةٌ)، فِيهِ أشْجَارُ النَّخِيلِ والعِنَبِ، وتَتَدَفَّقُ الأنْهارُ فِي أرْضِهِ بالمِياهِ.

﴿٩٢﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا

﴿٩٣﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا

﴿٩٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا

﴿٩٥﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا

(الْملاَئِكَةِ)

(٩٢) - أَوْ أَنْ يُسْقِطَ السَّماءَ عَلَيْهِمْ قِطَعاً قِطَعاً (كِسَفاً) كَمَا زَعَمَ أَنَّ رَبَّهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ ذلِكَ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَ بِاللهِ وَالمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً يُناصِرُونَهُ، وَيَدْفَعُونَ عَنْهُ، كَمَا يَفْعَلُونَ فِي قَبَائِلِهِمْ (وَقِيلَ بَلْ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنْ يَأْتِيَ بِاللهِ وَالمَلاَئِكَةِ لِيُقَابِلُوهُمْ مُعَايَنَةً وَمُوَاجَهَةً).

قَبِيلاً - جَماعَاتٍ يُنَاصِرُونَ الرَّسُولَ - أَوْ يُقَابِلُونَهُمْ مُقَابَلَةً وَعِيَاناً.

كِسَفاً - قِطَعاً.

(كِتاباً)

(٩٣) - أَوْ أَنْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ (زُخْرُفٍ)، أَوْ أَنْ تَصْعَدَ فِي السَّماءِ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَلَنْ نُؤْمِنَ أَنَّكَ صَعِدْتَ إِلَى السَّماءِ حَتَّى تَأْتِيَ مَعَكَ بِصُحُفٍ مَكْتُوبَةٍ مُوَجَّهَةٍ إِلى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ المُتَحَدِّثِينَ مَعَ الرَّسُولِ.

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: سُبْحَانَ رَبِّي إِنْ أَنَا إِلاَّ بَشَرٌ رَسُولٌ مِنَ اللهِ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِهِ، وَلاَ أَمْلِكُ شَيْئاً مِمَّا طَلَبْتُمْ، وَالأَمْرُ كُلُّهُ للهِ، إِنْ شَاءَ أَجَابَكُمْ إِلَيْهِ.

زُخْرُفٍ - ذَهَبٍ.

تَرْقَى - تَصْعَدُ.

(٩٤) - وَمَا مَنَعَ أَكْثَرَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، وَالرِّسَالَةِ التِي جَاءَهُمْ بِهَا رَسُولُهُمْ، إِلاَّ تَعَجُّبُهُمْ مِنْ إِرْسَالِ اللهِ رُسُلاً مِنَ البَشَرِ: كَقَوْلِهِمْ: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا﴾[1] وَقَوْلِهِمْ: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[2] وَقَوْلِهِمْ: ﴿أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً﴾[3].

(مَلاَئِكَةٌ) (مُطْمَئِنِّينَ)

(٩٥) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ كَمَا يَمْشِي البَشَرُ، وَيُقِيمُونَ فِيهَا، كَمَا يُقِيمُ البَشَرُ، وَيَسْهُلُ الاجْتِمَاعُ بِهِمْ، وَالحَدِيثُ مَعَهُمْ... لأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ رُسُلاً مِنَ السَّماءِ مِنَ المَلاَئِكَةِ

(١) الآية ١٥ من سورة يس.

(٢) الآية ٦ من سورة التغابن.

(٣) الآية ٩٤ من سورة الإسراء.

لِهِدَايَتِهِمْ، وَإِرْشَادِهِمْ. وَلٰكِنَّ طَبِيعَةَ المَلائِكَةِ لا تَصْلُحُ لِلاجْتِمَاعِ بالبَشَرِ، وَلا يَسْهُلُ عَلَيهِمُ التَّخَاطُبُ مَعَهُمْ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُرْسِلْ رُسُلاً إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ مِنَ المَلائِكَةِ، وَإِنَّما أَرْسَلَهُمْ مِنَ البَشَرِ، وَقَدِ آخْتَارَهُمْ مِنْ بَيْنِ البَشَرِ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ (٩٦)

(٩٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ: إِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ القُرآنَ، وَفِيهِ أَخْبَارُ القُرُونِ الأُولى كَما وَقَعَتْ، وَهِيَ مِمَّا لا يَعْرِفُهُ العَرَبُ، وَهٰذِهِ شَهَادَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى صِدْقِ قَوْلِي، إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَمَنْ شَهِدَ اللهُ تَعَالَى بِصِدْقِهِ، فَهُوَ صَادِقٌ. فَادِّعَاؤُكُمْ أَنَّ الرَّسُولَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المَلائِكَةِ، هُوَ تَعَنُّتٌ مِنْكُمْ.

ثُمَّ نَبَّهَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ إِلَى إِنْهَاءِ الجَدَلِ مَعَ هٰؤُلاءِ المُتَعَنِّتِينَ، وَإِلَى أَنْ يَكِلَ أَمْرَهُمْ إِلى اللهِ، فَهُوَ الخَبِيرُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ فَيَهْدِيهِ، وَهُوَ البَصِيرُ بِأَعْمَالِ العِبَادِ، المُحِيطُ بِهَا، فَلا يَشِذُّ شَيءٌ عَنْ عِلْمِهِ.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧)

(الْقِيَامَةِ) (مَأْوَاهُمْ) (زِدْنَاهُم)

(٩٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ فِي خَلْقِهِ، وَنُفُوذِ حُكْمِهِ فِيهِمْ، لا مُعَقِّبَ عَلَيْهِ فِيهِ، فَمَنْ هَدَاهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَلا يَمْلِكُ أَحَدٌ هِدَايَتَهُ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يَحْشُرُ الكَافِرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُمْ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، عُمْياً لا يُبْصِرُونَ، وَبُكْماً لا يَنْطِقُونَ، وَصُمّاً لا يَسْمَعُونَ. وَذٰلِكَ جَزَاءٌ لَهُمْ لِمَا كَانُوا عَلَيهِ فِي الدُّنْيا مِنَ العَمَى وَالصَّمَمِ وَالبَكَمِ، لا يُبْصِرُونَ الحَقَّ، وَلا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ التِي يُعَذَّبُونَ فِيهَا كُلَّمَا سَكَنَتْ وَخَفَّ لَهِيبُهَا (خَبَتْ)، زَادَ اللهُ فِي تَأَجُّجِهَا وَسَعِيرِهَا عَلَيْهِمْ، لِيَزْدَادَ أَلَمُهُمْ وَعَذَابُهُمْ.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الكُفَّارَ وَقُودُ جَهَنَّمَ، فَإِذَا أَحْرَقَتْهُمْ وَلَمْ يَبْقَ شَيءٌ مِنْهُمْ صَارَتْ جَمراً تَتَوهَّجُ، فَذٰلِكَ خُبُوُّها، فَإِذا بُدِّلُوا خَلْقاً جَدِيداً عَاوَدَتْهُمْ).

خَبَتْ - سَكَنَ لَهِيبُهَا.

سَعِيراً - لَهَباً وَتَوَقُّداً.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ (٩٨)

(بِآيَاتِنَا) (أَئِذَا) (عِظَاماً) (وَرُفَاتاً) (آئِنَّا)

(٩٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّهُ إِنَّما جَازَى الكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ بِبَعْثِهِمْ عُمْياً بُكْماً صُمّاً، لأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَحُجَجِهِ، وَآسْتَبْعَدُوا وُقُوعَ البَعْثِ

وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا

﴿٩٩﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا

الحزب ٣٠

﴿١٠٠﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا

﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا

﴿١٠٢﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَالنُّشُورِ، وَقَالُوا سَاخِرِينَ: أَبَعْدَ أَنْ صِرْنا إِلَى مَا صِرْنَا إِلَيْهِ مِنَ البِلَى وَالهَلاَكِ وَالتَّفَرُّقِ فِي الأَرْضِ .. نُعَادُ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَنُخْلَقُ خَلْقاً جَدِيداً؟

رُفَاتاً - أَجْزَاءً مُفَتَّتَةً، أَوْ تُرَاباً أَوْ غُبَاراً.

(السَّمَاوَاتِ) (الظَّالِمُونَ)

(٩٩) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى هٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَهٰذا أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الإِنسَانِ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، وَيُنْشِئَهُمْ نَشْأَةً أُخْرَى كَمَا بَدَأَهُمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لإِعَادَةِ بَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ أَجَلاً (مَوْعِداً) مَضْرُوباً، وَمُدَّةً مُوَقَّتَةً مُقَدَّرَةً لاَ بُدَّ مِنِ انْقِضَائِهَا، لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللهُ تَعَالَى، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ أَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ تَمَادِياً فِي ضَلاَلِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، مَعَ وُضُوحِ الحُجَّةِ.

(خَزَائِنَ) (الإِنْسَانُ)

(١٠٠) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَوْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ يَا أَيُّها النَّاسُ تَمْلِكُونَ التَّصَرُّفَ فِي خَزَائِنِ اللهِ كُلِّهَا، لأَمْسَكْتُمْ عَنِ الإِنْفَاقِ خَشْيَةَ الفَقْرِ، وَخَشْيَةَ أَنْ يَنْفَدَ مَا فِيهَا، مَعَ أَنَّ خَزَائِنَ اللهِ لاَ تَفْرَغُ وَلاَ تَنْفَدُ أَبَداً، وَلٰكِنْ مِنْ طِبَاعِ الإِنْسَانِ وَسَجَايَاهُ التَّقْتِيرُ وَالبُخْلُ وَالمَنْعُ. وَلَوْ آتَيْنَا هٰؤُلاءِ مَا اقْتَرَحُوهُ لَمَا آمَنُوا، وَلَصَرَفُوهُ عَنْ وَجْهِهِ الصَّحِيحِ.

قَتُوراً - مُبَالِغاً فِي البُخْلِ.

(آتَيْنَا) (آيَاتٍ) (بَيِّنَاتٍ) (فَاسْأَلْ) (إِسْرَائِيلَ) (يَا مُوسَى)

(١٠١) - لَقَدْ أَعْطَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ وَاضِحَاتِ الدَّلاَلَةِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، وَصِدْقِهِ حِينَ أَرْسَلْنَاهُ إِلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها. وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَخْبُولَ العَقْلِ، إِذِ ادَّعَيْتَ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ اللهِ. فَاسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ اليَهُودَ الَّذِينَ هُمْ فِي زَمَانِكَ، سُؤَالَ اسْتِشْهَادٍ، لِتَزِيدَ طُمَأْنِينَتكَ وَيَقِينكَ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ ذٰلِكَ مُحَقَّقٌ ثَابِتٌ فِي كِتَابِهِمْ.

مَسْحُوراً - مَغْلُوباً عَلَى عَقْلِهِ بِالسِّحْرِ - أَوْ سَاحِراً.

(السَّمَاوَاتِ) (بَصَائِرَ) (يَا فِرْعَوْنُ)

(١٠٢) - فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: لَقَدْ عَلِمْتَ يَا فِرْعَوْنُ أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَ هٰذِهِ الآيَاتِ هُوَ اللهُ تَأْيِيداً لِي، وَحُجَّةً عَلَى صِحَّةِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، وَدَعَوْتُكُمْ

بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا

إِلَيْهِ. وَهٰذِهِ الآيَاتُ أَنْزَلَهَا اللهُ لِتَكُونَ بَصَائِرَ لِمَنِ آسْتَبْصَرَ، وَهدى لِمَنِ آهْتَدَى بِهَا، يَعْرِفُ مَنْ رَآها أَنَّ مَنْ جاءَ بِهَا صَادِقٌ مُحِقٌّ. ثُمَّ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يُخَاطِبُ فِرْعَونَ: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَصروفاً عَنِ الخَيْرِ، مَطْبُوعاً عَلَى الشَّرِّ (مَثْبُوراً - وَقِيلَ إِنَّ مَثْبُوراً تَعْنِي هَالِكاً أَوْ مَلْعُوناً).

بَصائِرَ - بَيِّناتٍ تُبَصِّرُ مَنْ يَشْهَدُهَا بِصِدْقِي.

١٠٣ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا

(فَأَغْرَقْنَاهُ)

(١٠٣) - فَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُخرِجَ مُوسَى وَبَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَأَنْ لا يُبْقِيَ أَحَداً مِنْهُمْ فِيها، فَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُ إِلَى نَحْرِهِ، وَأَغْرَقَهُ هُوَ وَجُنُودَهُ جَمِيعاً فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ.

يَسْتَفِزَّهُمْ - يَسْتَخِفَّهُمْ وَيُزْعِجَهُمْ لِلْخُرُوجِ.

١٠٤ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا

(إِسْرائِيلَ)(الآخِرَةِ)

(١٠٤) - وَنَجَّيْنَا مُوسَى وَقَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقُلْنا لَهُمْ بَعْدَ هَلاكِ فِرْعَوْنَ: لَقَدْ أَوْرَثْنَاكُمُ الأَرْضَ فَاسْكُنُوهَا وَاسْتَعْمِرُوهَا، فَإِذا حَانَتِ السَّاعَةُ، وَحُشِرَ النَّاسُ، جِئْنَا بِكُمْ جَمِيعاً (لَفِيفاً)، أَنْتُمْ وَهُمْ لِيَلْقَى كُلُّ وَاحِدٍ جَزاءَ عَمَلِهِ.

لَفِيفاً - جَمِيعاً مُخْتَلِطِينَ.

١٠٥ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَـٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

(أَنْزَلْنَاهُ) (أَرْسَلْنَاكَ)

(١٠٥) - وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا هذا القُرْآنَ قائِماً عَلَى الحَقِّ، وَمُتَضَمِّناً لَهُ، فَفِيهِ أَمْرٌ بِالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ وَمَكارِمِ الأَخْلاقِ، وَفِيهِ نَهْيٌ عَنِ الظُّلْمِ، وَعَنْ ذَمِيمِ الأَخْلاقِ وَالأَفْعَالِ (وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ)، وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَحْفُوظاً مَحْرُوساً لَمْ يُزَدْ فِيهِ وَلَمْ يُنْقَصْ مِنْهُ، وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُ لِيُقِرَّ الحَقَّ فِي الأَرْضِ (وَبِالحَقِّ نَزَلَ)، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا مُبَشِّراً لِمَنْ أَطَاعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ بِالخَيْرِ وَالجَنَّةِ وَحُسْنِ العَاقِبَةِ. وَمُنْذِراً لِمَنْ عَصَاكَ، وَكَذَّبَكَ، مِنَ الكَافِرِينَ، بِالعُقُوبَةِ وَالعَذَابِ الأَلِيمِ.

١٠٦ وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَـٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٍ وَنَزَّلۡنَـٰهُ تَنزِيلًا

(وَقُرْآناً) (فَرَقْنَاهُ) (نَزَّلْنَاهُ)

(١٠٦) - وَآتَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ قُرآناً نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ مُفَرَّقاً وَمُنَجَّماً لِتَتْلُوَهُ عَلَى النَّاسِ، وَتُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى مَهَلٍ (عَلَى مُكْثٍ)، لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ حِفْظِهِ، وَفَهْمِ أَحْكَامِهِ، وَالتَّمَعُّنِ فِيهَا لِتَرْسَخَ فِي عُقُولِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ. وَقَدْ نَزَّلْنَاهُ

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧)

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠٨)

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ (١٠٩)

سجدة

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)

شَيْئاً فَشَيْئاً بِحَسَبِ الظُّرُوفِ وَالحَوادِثِ وَالوَقَائِعِ (نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً).

وَفرَّقناهُ بِالتَّشْدِيدِ ـ كَذلِكَ كَانَ يَقْرَؤُها ٱبْنُ عَبَّاسٍ: وَمَعْنَاهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُ آيَةً فَآيَةً مُفَسَّراً وَمُبَيَّناً لِتَتْلُوَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَهلٍ، وَتُبْلِغَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى مَهَلٍ.

فَرَقْنَاهُ، بِالتَّخْفِيفِ ـ أَنْزَلْنَاهُ مُفَرَّقاً، أَوْ بَيَّنَّاهُ وَفَصَّلْنَاهُ.

عَلَى مُكْثٍ ـ عَلَى تُؤَدَةٍ وَتَأَنٍّ.

(آمِنُوا)

(١٠٧) ـ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤلاءِ الكَافِرِينَ بِالقُرْآنِ العَظِيمِ، الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ: سَواءٌ آمَنْتُمْ بِهِ أَمْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، فَهُوَ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ، أَنْزَلَهُ اللهُ، وَنَوَّهَ بِذِكْرِهِ فِي الكُتُبِ السَّابِقَةِ لَهُ، التِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى رُسُلِهِ السَّابِقِينَ. وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ، وَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِهِمْ، وَلَمْ يُبَدِّلُوهُ، وَلَمْ يُحَرِّفُوهُ، إِذا يُتْلَى عَلَيْهِمُ القُرآنُ يَخِرُّونَ سَاجِدِينَ للهِ شُكْراً لَهُ عَلَى إِنْجازِهِ وَعْدَهُ بِإِرْسَالِكَ إِلَى النَّاسِ.

(سُبْحَانَ)

(١٠٨) ـ وَيَقُولُونَ فِي سُجُودِهِمْ: تَنَزَّهَ رَبُّنا عَنْ خَلفِ الوَعْدِ، إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ آتِياً لاَ مَحَالَةَ.

(١٠٩) ـ وَيَخِرُّونَ سَاجِدِينَ عَلَى ذُقُونِهِمْ (لِلأَذْقَانِ) وَيَبْكُونَ خُشُوعاً وَخُضُوعاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِيماناً وَتَصْدِيقاً بِكِتَابِهِ، وَبِرَسُولِهِ، وَيَزِيدُهُمْ إِيماناً وَتَسْلِيماً (خُشُوعاً).

(١١٠) ـ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ المُنْكِرِينَ صِفَةَ الرَّحْمٰنِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، المُعَارِضِينَ تَسْمِيَتَهُ بِالرَّحْمٰنِ: لاَ فَرْقَ بَيْنَ دُعَائِكُمْ لَهُ بِٱسْمِ اللهِ، أَوْ بِٱسْمِ الرَّحْمٰنِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذُو الأَسْمَاءِ الحُسْنَى.

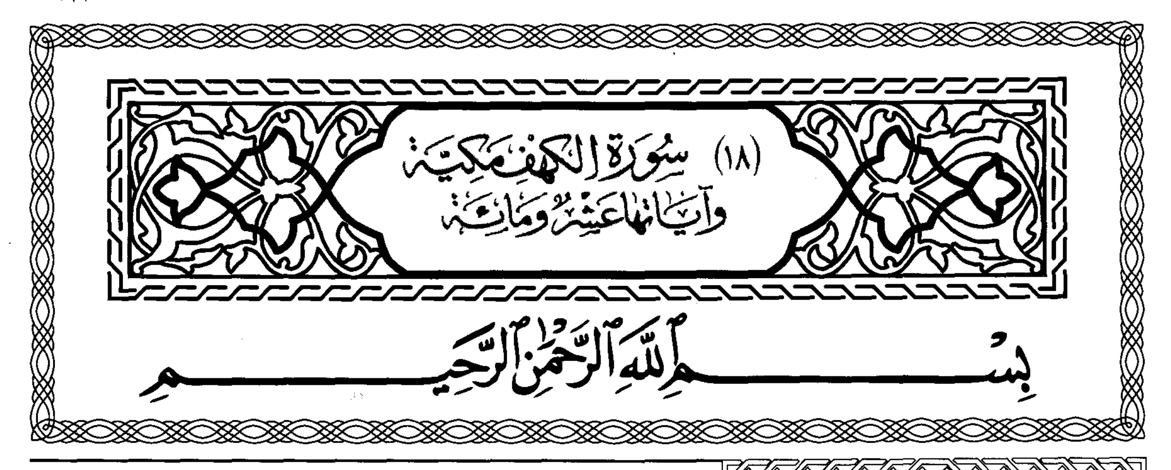
وَلاَ تَجْهَرْ أَيُّها الرَّسُولُ بِصَلاتِكَ، وَلاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ بِالقُرْآنِ فَيَسْمَعُكَ المُشْرِكُونَ، فَيَسُبُّوا القُرْآنَ. وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا عَنْ أَصْحَابِكَ، فَلا تُسْمِعَهُمُ القُرْآنَ، لِيَأْخُذُوا عَنْكَ، وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً وَسَطاً.

(وَرَوَى ٱبْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ وَالرَّسُولُ ﷺ مُتَوارٍ فِي مَكَّةَ، فَكَانَ إِذا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالقُرآنِ، فَلَمَّا سَمِعَ المُشْرِكُونَ ذٰلِكَ سَبُّوا القُرْآنَ، وَسَبُّوا مَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ).

لاَ تُخَافِتْ بِهَا ـ لاَ تُسِرَّ بِهَا حَتَّى لاَ يَسْمَعَكَ مَنْ خَلْفَكَ.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

(١١١) - لَمَّا أَثْبَتَ اللهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ الأَسْمَاءَ الحُسْنَى، نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ النَّقَائِصِ، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ، فَهُوَ تَعَالَى لَيْسَ ذَلِيلاً فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، أَوْ وَلِيٌّ أَوْ حَلِيفٌ، أَوْ وَزِيرٌ، أَوْ مُشِيرٌ، بَلْ هُوَ اللهُ تَعَالَى، خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وَمُدَبِّرُهُ وَمُقَدِّرُهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: آحْمدِ اللهَ، وَعَظِّمْهُ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً.



(١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ

(٢) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا

(٣) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا

(٤) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا

(الْكِتَابَ)

(١) ـ يَحْمَدُ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عِنْدَ فَوَاتِحِ الأُمُورِ وَعِنْدَ خَوَاتِيمِهَا، وَهُنَا يَحْمَدُ نَفْسَهُ عَلَى إِنْزَالِهِ القُرْآنَ (الكِتَابَ) عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَها عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ، إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ كِتَابَهُ مُسْتَقِيماً لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا زَيْغَ.

عِوَجاً ـ آخْتِلافاً، أَوِ آخْتِلالاً أَوِ آنْحِرافاً عَنِ الحَقِّ.

(الصَّالِحَاتِ)

(٢) ـ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى كِتَابَهُ مُعْتَدِلاً (قَيِّماً) لَا إِفْرَاطَ فِيهِ، فِيمَا آشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّكَالِيفِ، وَلَا تَفْرِيطَ فِيهِ بِإِهْمَالِ مَا تَمَسُّ الحَاجَةُ إِلَيْهِ، لِيُنْذِرَ بِهِ مَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، عُقُوبَةً عَاجِلَةً فِي الدُّنْيا، وَآجِلَةً فِي الآخِرَةِ، مِنْ عِنْدِ اللهِ (مِنْ لَدُنْهُ)، وَيُبَشِّرَ، بِهٰذا القُرْآنِ، المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَيَّدُوا إِيمانَهُمْ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ ثَوَاباً حَسَناً جَزِيلاً، هُوَ الجَنَّةُ.

قَيِّماً ـ مُسْتَقِيماً مُعْتَدِلاً.

بَأْساً ـ عَذَاباً آجِلاً أَوْ عَاجِلاً.

(مَاكِثِينَ)

(٣) ـ وَإِنَّهُمْ يَبْقَوْنَ فِي الجَنَّةِ مُخَلَّدِينَ أَبَداً، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا، وَلَا يَزُولُونَ.

فِيهِ ـ يَعْنِي مَاكِثِينَ فِي أَجْرِهِمْ وَثَوَابِهِم الحَسَنِ.

(٤) ـ وَلِيُنْذِرَ وَيُحَذِّرَ، مِنْ بَيْنِ هٰؤُلاءِ الكُفَّارِ، الَّذِينَ قَالُوا: آتَّخَذَ اللهُ

﴿٥﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا

﴿٦﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا

﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا

﴿٨﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا

وَلداً، وَهُمْ مُشْرِكُو العَرَبِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ المَلائِكَةَ بَنَاتِ اللهِ، وَهُنَاكَ مِنَ النَّصَارَى مَنْ جَعَلَ المَسِيحَ ٱبْنَ اللهِ، وَمِنَ اليَهُودِ مَنْ جَعَلَ عُزَيراً ٱبْنَ اللهِ - فَالإِنذَارُ يَشْمَلُ جَمِيعَ هٰؤلاءِ، وَيَشْمَلُ كُلَ مَنْ نَسَبَ إلى اللهِ وَلداً.

(لِآبَائِهِمْ) (أَفْوَاهِهِمْ)

(٥) - وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ لا بُرْهَانَ لَهُمْ، وَلاَ دَليل، عَلَى مَا يَفْتَرُونَ، وَمَا يَنْسُبُونَ إلى اللهِ مِنَ الوَلَدِ، وَكَذلِكَ لَيْسَ لآبَائِهِمْ عِلْمٌ وَلاَ بُرْهَانٌ عَلَى هَذِهِ الفِرْيَةِ. وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً فِي الكُفْرِ (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ). وَهٰذا القَوْلُ الّذِي يَقُولُونَهُ إِنْ هُوَ إلاَّ كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ.

كَبُرَتْ كَلِمَةٌ - مَا أَكْبرَهَا وَمَا أَعْظَمها فِي القُبْحِ مِنْ كَلِمَةٍ.

(بَاخِعٌ) (آثَارِهِمْ)

(٦) - لاَ تُهْلِك يَا مُحَمَّدُ نَفْسَكَ حُزناً عَلَى هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ لأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، وَبِهٰذا القُرْآنِ (بِهَذا الحَدِيثِ)، بَلْ أَبْلِغْهُمْ أَنْتَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَٱدْعُهُمْ إلَى اللهِ، وَهذِهِ هِيَ مَهمَّتُكَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ، فَمَنِ ٱهْتَدَى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيهَا.

بَخَعَ نَفْسَهُ - قَتَلَهَا وَأَهْلَكَهَا.

أَسفاً - حُزْناً أَوْ غَيْظاً.

(٧) - إِنَّ اللهَ جَعَلَ الدُّنْيا حُلوَةً خَضِرَةً، لِيَنْظُرَ مَاذَا يَعْمَلُ النَّاسُ - كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ -، وَجَعَلَ مَا عَلَى هٰذِهِ الأَرْضِ مِنْ نَبَاتٍ وَجَمَادٍ وَحَيَوانٍ.. زِينَةً لَهَا وَلأَهْلِها لِيَخْتَبِرَهُمْ فِي فَهْمِ مَقَاصِدِ تِلْكَ الزِّينَةِ، التِي مِنْ شَأْنِها أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى وُجُودِ الخَالِقِ وَوَحْدانِيَّتِهِ، وَلِيَبْتَلِيَهُمْ أَيُّهُمْ يُحْسِنُ العَمَلَ فِيها، وَفْقاً لِلْمَقاصِدِ التِي أَرادَهَا اللهُ.

لِيَبْلُوَهُمْ - لِيَخْتَبِرَهُمْ مَعَ عِلْمِ اللهِ بِحَالِهِمْ.

أَحْسَنُ عَمَلاً - أَزْهَدُ فِيها وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللهِ.

(لَجَاعِلُونَ)

(٨) - ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ زَوالِ الدُّنيا وَذَهَابِهَا، وَذَهَابِ مَا عَلَيْها، إِذْ يَجْعَلُ اللهُ جَمِيعَ مَا عَلَيْهَا خَرَاباً يَبَاباً، وَبَلْقَعاً لاَ نَبْتَ فِيهِ (صَعيداً جُرُزاً)، بَعْدَ أَنْ كَانَ خَضِراً نَضِراً، مُبْهِجاً، تُسَرُّ بِهِ العُيُونُ.

صَعِيداً جُرُزاً - تُراباً أَجْرَدَ لاَ نَبَاتَ فِيهِ.

﴿٩﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا

(أَصْحَابَ) (آيَاتِنَا)

(٩) - قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ فِي نُزُولِ هٰذِهِ السُّورَةِ: إِنَّ قُرَيْشاً أَرْسَلَتْ شَخْصَيْنِ إِلَى يَهُودِ المَدِينَةِ يَسْأَلُونَهُمْ رَأْيَهُمْ فِي دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ اليَهُودُ لِرَسُولَيْ قُرَيْشٍ: آسْأَلُوهُ عَنْ ثَلاثَةِ أُمُورٍ، فَإِنْ أَجَابَكُمْ عَلَيهِنَّ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِلاَّ فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، فَتَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ.

- سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الأَوَّلِ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ.

- وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَها، مَا كَانَ نَبَؤُهُ؟

- وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ؟

وَلَمَّا سَأَلَتْ قُرَيْشٌ النَّبِيَّ (عَلَيْهِ السَّلامُ)، آسْتَمْهَلَهُمْ إِلَى الغَدِ وَلَمْ يَسْتَثْنِ (أَيْ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ)، فَتَأَخَّرَ الوَحْيُ عَنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً، فَحَزِنَ الرَّسُولُ لِذٰلِكَ، وَتَقَوَّلَ المُشْرِكُونَ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَيهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِهٰذِهِ السُّورَةِ.

وَيَبْدَأُ تَعَالَى بِسَرْدِ قِصَّةِ أَهْلِ الكَهْفِ، وَهُمُ الفِتْيَةُ الَّذِينَ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الأَوَّلِ. وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ إِنَّ أَمْرَهُمْ لَيْسَ عَجِيباً فِي قُدْرَتِنَا وَسُلْطَانِنَا، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَخَلْقُ كُلِّ ذٰلِكَ أَعْجَبُ مِنْ أَخْبَارِ أَهْلِ الكَهْفِ. وَيَقُولُ تَعَالَى مُبْتَدِئاً سَرْدَ قِصَّةِ أَهْلِ الكَهْفِ: لاَ تَحْسَبْ أَنَّ قِصَّةَ أَهْلِ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ، الَّذِينَ نَامُوا أَمَداً طَوِيلاً، هِيَ الآيَةُ العَجِيبَةُ وَحْدَهَا مِنْ بَيْنِ آيَاتِنَا التِي لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى، والتِي تَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِنا، فَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا فِيهِما، أَعْجَبُ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الكَهْفِ.

أَمْ حَسِبْتَ - بَلْ ظَنَنْتَ.

الكَهْفِ - النَّقَبُ المُتَّسِعُ فِي الجَبَلِ.

الرَّقِيمِ - اللَّوْحِ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الكَهْفِ وَقِصَّتُهُمْ.

﴿١٠﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا

(آتِنَا)

(١٠) - آذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ قِصَّةَ الفِتْيَةِ الَّذِينَ فَرُّوا بِدِينِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، لِئَلاَّ يَفْتِنُوهُمْ عَنْهُ، فَلَجَؤُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، لِيَخْتَفُوا فِيهِ عَنْ عُيُونِ قَوْمِهِمْ. فَلَمَّا دَخَلُوهُ سَأَلُوا اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ عاقِبَتَهُمْ رُشْداً وَهُدًى.

﴿١١﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا

﴿١٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا

﴿١٣﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى

﴿١٤﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا

أَوَى الفِتْيَةُ - ٱلتجَؤوا هَرَباً بِدِينِهِمْ.

رَشَداً - آهْتِداءً إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ.

(آذَانِهِمْ)

(١١) - فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ حِجاباً يَمْنَعُهُمْ مِنَ السَّماعِ، وَأَنَمْناهُمْ فِي الكَهْفِ عَدداً مِنَ السِّنِينَ.

فَضَرَبْنا عَلَى آذَانِهِمْ - أَنَمْنَاهُمْ إِنَامَةً ثَقِيلَةً.

(بَعَثْنَاهُمْ)

(١٢) - ثُمَّ أَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ تِلْكَ، لِنَعْلَمَ أَيُّ واحِدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ (الحِزْبَيْنِ)، وَالمُخْتَلِفَيْنِ فِيهِمْ أَدَقُّ إِحْصَاءً، وَأَعْرَفُ بِالمُدَّةِ الَّتِي نَامُوهَا فِي الكَهْفِ.

بَعَثْنَاهُمْ - أَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ.

أَمَداً - مُدَّةً وَعَدَداً مِنَ السِّنِينَ، أَوْ غَايَةً.

(آمَنُوا) (وَزِدْنَاهُمْ)

(١٣) - نَحْنُ نُخْبِرُكَ بِنَبَإِ هٰؤُلاءِ الفِتْيَةِ الَّذِينَ اوَوْا إِلَى الكَهْفِ كَمَا وَقَعَ، وَلاَ مَحَلَّ فِيهِ لِلرِّيبَةِ أَوِ الشَّكِّ.

إِنَّهُمْ شُبَّانٌ فِي مُقْتَبَلِ العُمرِ (فِتْيَةٌ)، آهْتَدوا إِلَى الإِيمَانِ بِرَبِّهِمْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، فَعَبَدُوهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، ثُمَّ زَادَهُمْ رَبُّهُمْ هُدًى عَلَى هُدَاهُمْ، بِتَثْبِيتِهِمْ عَلَى الإِيمَانِ، وَتَوْفِيقِهِمْ إِلَى العَمَلِ الصَّالِحِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيا.

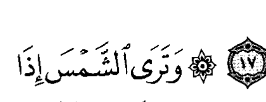
(وَيَرَى آبْنُ كَثِيرٍ أَنَّ قِصَّةَ أَهْلِ الكَهْفِ كَانَتْ قَبْلَ ظُهُورِ النَّصْرَانِيَّةِ لاَ بَعْدَهَا، لِأَنَّ أَحْبَارَ اليَهُودِ كَانُوا يَعْرِفُونَهَا، وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَى قُرَيشٍ لِسُؤَالِ النَّبِيِّ عَنْهَا عَلَى وَجْهِ التَّعْجِيزِ)، (وَآسْتَدَلَّ الفُقَهَاءُ مِنْ هٰذِهِ الآيَةِ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَزِيدَ وَيَنْقُصَ).

(السَّمَاوَاتِ) (نَدْعُوَ)

(١٤) - وَيُقَالُ إِنَّ هٰؤُلاءِ الفِتْيَةَ نَظَرُوا إِلَى مَا يَعْبُدُهُ قَوْمُهُمْ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ فَنَفَرُوا مِنْها، فَآتَّخَذُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَكَاناً يَتَعَبَّدُونَ اللهَ فِيهِ، فَعَلِمَ بِهِمْ قَوْمُهُمْ، فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى المَلِكِ، وَكَانَ مَلِكاً جَبَّاراً عَنِيداً، فَآسْتَحْضَرَهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ، وَمَا يَعْبُدُونَ، فَأَلْهَمَهُمُ اللهُ قُوَّةَ العَزِيمَةِ، وَشَدَّدَ قُلُوبَهُمْ بِنُورِ الإِيمَانِ، فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ، فَآعْتَرَفُوا

﴿١٥﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا

﴿١٦﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا



﴿١٧﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن

لَهُ بِنُفُورِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ، وَبِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ. ثُمَّ دَعَوْهُ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، فَذلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى **﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾**. وَلَمَّا أَرَادَ المَلِكُ أَنْ يُقْنِعَهُمْ بِالعَوْدَةِ إِلى دِينِ قَوْمِهِمْ قَالُوا لَهُ: إِنَّ دِينَهُمْ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ الحَقُّ، وَلَنْ يَرْجِعُوا إِلى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ أَبداً، لأَنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوا ذلِكَ لَكَانَ ذلِكَ مِنْهُمْ بُهْتَاناً وَبَاطِلاً (لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً).

رَبَطْنَا ـ شَدَدْنَا وَقَوَّيْنَا بِالصَّبْرِ.

شَطَطاً ـ قَوْلاً مُفْرِطاً فِي البُعْدِ عَنِ الحَقِّ.

(آلِهَةً) (بِسُلْطَانٍ)

(١٥) ـ لَقَدِ اتَّخَذَ قَوْمُنا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، هِيَ أَصْنَامٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي عِبَادَتِها مِنْ حُجَّةٍ وَلاَ بُرْهَانٍ وَلاَ دَلِيلٍ، فَهَلاَّ جَاؤُوا عَلَى صِدْقِ قَوْلِهِمْ فِي أَنَّها آلِهَةٌ بِدَلِيلٍ مُقْنِعٍ؟ فَلا أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ تَعَالى قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ، وَأَمراً لَمْ يَأْمُرْ بِهِ **﴿افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾**.

(فَأْوُوا)

(١٦) ـ وَيُقَالُ: إِنَّ المَلِكَ هَدَّدَهُمْ إِنْ لَمْ يَعُودُوا إِلَى دِينِ قَوْمِهِمْ، وَسَجَنَهُمْ، فَفَرُّوا مِنَ السِّجْنِ، وَالتَجَؤُوا إِلَى الكَهْفِ. وَلِهذا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّكُمْ اعْتَزَلْتُمْ قَوْمَكُمْ وَخَالَفْتُمُوهُمْ فِيمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ، فَابْتَعِدوا عَنْهُمْ، وَفَارِقُوهُمْ وَاذْهَبُوا إِلى الكَهْفِ، يَبْسُطْ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ رَحْمَةً يَسْتُرْكُمْ بِهَا مِنْ قَوْمِكُمْ، وَيُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمُ الذِي أَنْتُمْ فِيهِ، أَمْراً تَرْتَفِقُونَ بِهِ وَتَنْتَفِعُونَ (مِرْفَقاً). فَخَرَجُوا إِلى الكَهْفِ، وَالتَجَؤُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِمْ قَوْمُهُمْ.

مِرْفَقاً ـ مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي عَيْشِكُمْ.

(تَزَاوَرُ) (آيَاتِ)

(١٧) ـ وَكَانَ وَضْعُ الكَهْفِ الذِي آوَى الفِتْيَةُ إِلَيْهِ، أَنَّهُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ تَمِيلُ عَنْهُ ذَاتَ اليَمِينِ، وَإِذَا مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، دَخَلَتْ غَارَهُمْ مِنْ شَمَالِيِّ بَابِهِ (تَقْرِضُهُمْ)، (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ مَعْنَى تَقْرِضُهُمْ هُوَ: تَتْرُكُهُمْ، وَتَعْدِلُ عَنْهُمْ)، وَكَانَ الفِتْيَةُ فِي مَكَانٍ مُتَّسِعٍ، دَاخِلَ الكَهْفِ (فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) لاَ تَمَسُّهُمْ فِيهِ الشَّمْسُ. وَمِنْ آيَاتِ اللهِ وَلُطْفِهِ بِهِمْ أَنَّهُ

يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا

أَرْشَدَهُمْ إلى الإيمانِ، وَثَبَّتَهُمْ عَلَيْهِ، حِينَ قَامُوا بَيْنَ يَدَي المَلِكِ الجَبَّارِ، ثُمَّ أَنَّهُ هَدَاهُمْ إلى هٰذا الكَهْفِ الَّذي يَدْخُلُهُ النُّورُ وَالهَوَاءُ وَالشَّمْسُ لِتَبْقَى أَبْدَانُهُمْ سَلِيمَةً. وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي هَدَى هٰؤلاءِ الفِتْيَةَ إلى عِبَادَتِهِ، وَالإيمانِ بِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِمْ، وَمَنْ هَدَاهُ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ وَيُرْشِدُهُ إلى الحَقِّ وَالصَّوَابِ.

قَرَضَتِ المَكَانَ - عَدَلَتْ عَنْهُ.

تزَاوَرُ - تتَنَحَّى وَتَمِيلُ.

فَجْوَةٍ - مُتَّسَعٍ مِنَ الكَهْفِ.

١٨ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا

(بَاسِطٌ)

(١٨) - وَيُقَالُ: إنَّ الفِتْيَةَ نَامُوا وَعُيُونُهُمْ مَفْتُوحَةٌ لِكَيْلا يُسْرِعَ إِلَيْها البِلَى، فَيَحْسَبُ النَّاظِرُ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَيقَاظٌ، وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ نِيَامٌ (رُقُودٌ)، وَيُقَلِّبُهُمْ اللهُ عَلَى جَنْبَيْهِمْ: ذَاتَ اليَمِينَ، وَذَاتَ الشِّمَالِ، لِئَلَّا تَأْكُلَ الأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ، وَيُسْرِعَ إِلَيها البِلَى، وَكَلْبُهُمْ رَابِضٌ فِي فِنَاءِ الكَهْفِ (أَوْ عِنْدَ بَابِهِ) - (بِالوَصِيدِ) عَلَى هَيْئَتِهِ فِي جُلُوسِهِ حَالَ الحِرَاسَةِ، وَكَأَنَّهُ يَحْرُسُهُمْ، وَأَضْفَى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَهَابَةً، لِكَيْلا يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلِكَيْلا تَمَسَّهُمُ الأَيْدِي حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ، فَإِذا نَظَرَ إِلَيْهِمْ نَاظِرٌ آمْتَلأَتْ نَفْسُهُ مِنْهُمْ مَهَابَةً وَخَوْفاً.

بِالوَصِيدِ - بِفِنَاءِ الكَهْفِ، أَوْ عَتَبَةِ بَابِهِ.

رُعْباً - خَوْفاً وَفَزَعاً.

١٩ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ

(بَعَثْنَاهُمْ) (قَائِلٌ)

(١٩) - وَكَمَا أَرْقَدَهُمْ اللهُ تَعَالَى فِي الكَهْفِ وَحَفِظَ أَجْسَادَهُمْ مِنَ البِلَى، بَعَثَهُمْ مِنْ رُقُودِهِمْ، وَأَبْدَانُهُمْ سَلِيمَةٌ، وَشُعُورُهُمْ وَأَبْشَارُهُمْ سَلِيمَةٌ، فَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً كَمْ كَانَتْ مُدَّةُ رَقْدَتِكُمْ؟ فَقَالُوا: لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ (إِذْ يُقَالُ إِنَّهُمْ دَخَلُوا الكَهْفَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَآسْتَيْقَظُوا فِي آخِرِهِ)، فَقَالُوا وَكَأَنَّهُمْ آسْتَكْثَرُوا نَوْمَهُمْ: اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ. وَالمُهِمُّ الآنَ أَنْ تَبْعَثُوا وَاحِداً مِنْكُمْ إلى المَدِينَةِ بِمَا مَعَكُمْ مِنْ عِمْلَةٍ مِنَ الفِضَّةِ (وَرِقِكُمْ)، فَلْيَبْحَثْ لَكُمْ عَنْ أَطْيَبِ طَعَامٍ وَأَطْهَرِهِ، وَلْيَأْتِكُمْ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَعَلَى هٰذا الرَّسُولِ أَنْ يُحَاوِلَ قَدْرَ جُهْدِهِ عَدَمَ لَفْتِ الأَنْظَارِ إِلَيْهِ، وَلْيَتَلَطَّفْ فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، لِكَيْلا يُشْعِرَ أَحَداً بِمَكَانِكُمْ.

مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا

﴿٢٠﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا

﴿٢١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا

﴿٢٢﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا

بَعَثْنَاهُمْ - أَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ.

بِوَرِقِكُمْ - بِدَرَاهِمِكُم المَضْرُوبَةِ مِنَ الفِضَّةِ.

أَزْكَى طَعَاماً - أَكْثَرُ حِلًّا، أَوْ أَجْوَدُ طَعَاماً.

(٢٠) - لِأَنَّ قَوْمَكُمْ إِنْ عَلِمُوا بِمَكَانِكُمْ عَذَّبُوكُمْ، وَآذَوْكُمْ إِلَى أَنْ يَضْطَرُّوكُمْ إِلَى العَوْدَةِ فِي مِلَّتِهِمْ، أَوْ يَبْلُغُوا بِكُمُ المَوْتَ رَجْماً بِالحِجَارَةِ، وَإِذَا وَافَقْتُمُوهُمْ عَلَى العَوْدَةِ إِلَى دِينِهِمْ فَلَا فَلَاحَ لَكُمْ فِي الدُّنْيا، وَلَا فِي الآخِرَةِ.

يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ - يَطَّلِعُوا عَلَيْكُمْ، أَوْ يَغْلِبُوكُمْ.

(يَتَنَازَعُونَ) (بُنْيَاناً)

(٢١) - وَكَمَا أَرْقَدْنَاهُمْ وَأَيْقَظْنَاهُمْ بِهَيْئَاتِهِمْ، أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ أَهْلَ ذٰلِكَ الزَّمَانِ، لِيَعْلَمَ الشَّاكُّونَ بِالبَعْثِ وَالحَشْرِ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَنَّ القِيَامَةَ سَتَقُومُ فِي الوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللهُ لَهَا، بِدُونِ شَكٍّ. وَأَخَذَ النَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي أَمْرِ هٰؤُلَاءِ الفِتْيَةِ فَقَالَ قَوْمٌ: سُدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَ الكَهْفِ بِبِنَاءٍ وَآتْرُكُوهُمْ لِإِرَادَةِ اللهِ. وَقَالَ آخَرُونَ (وَهُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمُ الغَلَبَةُ فِي الحُكْمِ)، إِنَّهُمْ سَيُقِيمُونَ عَلَى كَهْفِهِمْ مَعْبَداً يُصَلِّي النَّاسُ فِيهِ ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾.

أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ - أَطْلَعْنَا النَّاسَ عَلَيْهِمْ.

(ثَلَاثَةٌ) (ظَاهِراً)

(٢٢) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ النَّاسَ آخْتَلَفُوا فِي عَدَدِ هٰؤُلَاءِ الفِتْيَةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ، وَكَلْبُهُمْ رَابِعُهُمْ. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُمْ خَمْسَةٌ وَكَلْبُهُمْ سَادِسُهُمْ. وَضَعَّفَ اللهُ تَعَالَى كِلَا القَوْلَيْنِ وَعَدَّهُما مِنْ قَبِيلِ الرَّجْمِ بِالغَيْبِ، وَالقَوْلِ بِلَا عِلْمٍ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِنَّهُمْ سَبْعَةٌ وَكَلْبُهُمْ ثَامِنُهُمْ، وَلَمْ يُضَعِّفِ اللهُ هٰذَا القَوْلَ، وَلَمْ يَقُلْ عَنْهُ إِنَّهُ رَجْمٌ بِالغَيْبِ، فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ، وَإِنَّهُ هُوَ الحَقِيقَةُ - كَمَا قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ -.

ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: إِنَّهُ مِنَ الأَفْضَلِ فِي مِثْلِ هٰذَا المَقَامِ رَدُّ العِلْمِ إِلَى اللهِ، إِذْ لَا ضَرُورَةَ لِلْخَوْضِ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الأُمُورِ بِلَا عِلْمٍ. فَلَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ.

وَيُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ، مِنْ خِلَالِ خِطَابِهِ لِلرَّسُولِ، أَنْ لَا يَخُوضُوا، وَلَا يُجَادِلُوا فِي ذٰلِكَ الأَمْرِ إِلَّا خَوْضاً سَهْلاً هَيِّناً، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ ذٰلِكَ لَا تَتَرَتَّبُ

عَلَيْها فائِدَةٌ كَبيرَةٌ، وَأَنْ لا يَسْأَلُوا أَحداً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِمَّنْ يَدَّعُونَ العِلْمَ فِي أَمْرِ أَهْلِ الكَهْفِ فَإِنَّهُمْ لاَ عِلْمَ لَهُمْ بِشَيءٍ، وَإِنَّ مَا يَقُولُونَهُ إِنَّما هُوَ رَجْمٌ بِالغَيْبِ، وَقَوْلٌ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لاَ مُسْتَنَدَ لَهُمْ فِيهِ، وَقَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فِي أَمْرِ هؤُلاءِ الفِتْيَةِ، وَهُوَ قَوْلٌ لاَ مِرْيَةَ فِيهِ وَلاَ شَكَّ، وَالمُهِمُّ فِي المَوْضُوعِ لَيْسَ مَعْرِفَةَ العَدَدِ، وَلٰكِن الاعْتِبَارَ بِالقِصَّةِ.

رَجْماً بِالغَيْبِ - قَذْفاً بِالظَّنِّ مِنْ غَيْرِ يَقِينٍ.

فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ - فَلاَ تُجَادِلْ فِي عِدَّتِهِمْ وَشَأْنِهِمْ.

إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً - تِلاَوَةَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ فِي أَمْرِهِمْ.

﴿٢٣﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا

(لِشَيْءٍ)

(٢٣) - يُرْشِدُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ إِلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ إِذا عَزَمَ عَلَى فِعْلِ شَيءٍ فِي المُسْتَقْبَلِ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى مَشِيئَةِ اللهِ. أَيْ وَلاَ تَقُلْ أَيُّها الرَّسُولُ إِني سَأَفْعَلُ ذٰلِكَ الشَّيءَ غداً إِلاَّ أَنْ تَقُولَ - إِنْ شَاءَ اللهُ - لأَنَّهُ قَدْ يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنَ الوَفَاءِ بِمَا قَالَ فَيَكُونُ مُخْلِفاً.

﴿٢٤﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا

(٢٤) - حِينَمَا سَأَلَ الكُفَّارُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قِصَّةِ أَهْلِ الكَهْفِ قَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ سَيُجِيبُهُمْ غداً، وَلَمْ يَسْتَثْنِ (أَيْ لَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ) فَتَأَخَّرَ الوَحْيُ عَنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً، فَنَبَّهَ اللهُ رَسُولَهُ إِلي وُجُوبِ رَدِّ المَشِيئَةِ إِلَى اللهِ، وَأَنَّ عَلَيهِ إِذا نَسِيَ أَنْ يَسْتَثْنِي وَيَقُولَ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلْيَذْكُرِ اللهَ، فَإِنَّ ذِكْرَ اللهِ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ. وَإِذا سُئِلَ عَنْ شَيءٍ لاَ يَعْرِفُهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلى اللهِ فِيهِ لِيَسْأَلَهُ أَنْ يُوَفِّقَهُ إِلى الصَّوابِ.

رَشَداً - هِدَايَةً وَإِرْشَاداً لِلنَّاسِ.

﴿٢٥﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا

(ثَلاَثمِئَةٍ)

(٢٥) - وَكَانَتْ مُدَّةُ رَقْدَتِهِمْ فِي الكَهْفِ، مُنْذُ دُخُولِهِمْ إِلَيْهِ حَتَّى بَعْثِهِمْ، وَتَسَاؤُلِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ: ثَلاثمِئَةِ سَنةٍ شَمْسِيَّةٍ (وَهِيَ السَّنَةُ التي كَانَ يَتَعَامَلُ بِهَا أَهْلُ الكِتَابِ)، تُعَادِلُ ثَلاثمِئَةٍ وَتِسْعِ سَنَوَاتٍ قَمَرِيَّةٍ، (وَهِيَ السَّنَةُ التي كَانَ يَتَعَامَلُ بِهَا العَرَبُ).

﴿٢٦﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٦) - ثُمَّ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ المُدَّةَ التي نَامَهَا الفِتْيَةُ فِي الكَهْفِ هِيَ التي بَيَّنَها تَعَالَى فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ، فَقَالَ لِهؤلاءِ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي عَدَدِهِمْ، وَفِي مُدَّةِ لَبْثِهِمْ فِي الكَهْفِ، إِنَّ اللهَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِهِمْ، وَبِعَدَدِهِمْ، وَبِمُدَّةِ

مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا

(٢٧) وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا

(٢٨) وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا

لَبْثِهِمْ، وقَدْ أَخْبَرَ عَنْ مُدَّتِهِمْ، وَقَوْلُهُ الحَقُّ الذِي لا مِرْيَةَ فِيهِ وَلاَ شَكَّ. وَللهِ عِلْمُ مَا غَابَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَفِيَ مِنْ أَحْوَالِهِمَا وَأَحْوَالِ أَهْلِهِما، لاَ يَغْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ مِنْهُ.

وَمَا أَبْصَرَ اللهَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ! وَمَا أَسْمَعَهُ بِكُلِّ مَسْمُوعٍ! لاَ يَخْفَى عَلَيهِ مِنْ ذٰلِكَ شَيءٌ، وَهُوَ تَعَالَى الذِي يَمْلِكُ الخَلْقَ وَالأَمْرَ، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَلاَ مُشِيرٌ، تَعَالَى اللهُ وَتَقَدَّسَ.

أَبْصِرْ بِهِ - مَا أَبْصَرَ اللهَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ!.

(لِكَلِمَاتِهِ)

(٢٧) - وَاْتْلُ الكِتَابَ الذِي أَوْحَاهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ، وَاْلزَمِ العَمَلَ بِهِ، وَاْتَّبِعْ مَا فِيهِ مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهٍ، فَلاَ أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ مَا فِيهِ مِنْ وَعِيدٍ لأَهْلِ المَعَاصِي، وَمِنْ وَعْدٍ لأَهْلِ الطَّاعَةِ وَالإِيمَانِ، وَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتْبَعْهُ نَالَكَ وَعِيدُ اللهِ الذِي أَوْعَدَ بِهِ العُصَاةَ، فَلَنْ تَجِدَ مَوْئِلاً مِنْ دُونِهِ، وَلاَ مَلْجَأً تَلْجَأُ إِلَيْهِ.

مُلْتَحداً - مَلْجَأً وَمَوْئِلاً.

(بِالْغَدَاةِ) (الْحَيَاةِ) (هَوَاهُ)

(٢٨) - وَاْجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ، وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ مِنْ فَضْلِهِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، وَهُمُ المُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِ اللهِ، سَوَاءٌ كَانُوا أَغْنِيَاءَ أَوْ فُقَراءَ (وَيُقَالُ إِنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَشْرافِ قُرَيشٍ حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَأَنْ لاَ يُجَالِسَ الفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ مِنَ المُسْلِمِينَ). ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ لاَ يُجَاوِزَ هٰؤُلاءِ المُؤْمِنِينَ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ، وَبِأَنْ لاَ يُطِيعَ مَنْ شُغِلَ بِالدُّنْيا عَنِ الدِّينِ، وَعَنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي أَعْمَالِهِ حُدُودَ اللهِ، وَتَمَادَى فِي اْرْتِكَابِ المَعَاصِي وَالآثَامِ، وَكَانَ مُفْرِطاً سَفِيهاً فِي أَمْرِهِ.

اْصْبِرْ نَفْسَكَ - اْحْبِسْهَا وَثَبِّتْهَا.

لاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ - لاَ تَصْرِفْ عَيْنَاكَ النَّظَرَ إِلَيْهِمْ.

أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ - جَعَلْنَا قَلْبَهُ غَافِلاً سَاهِياً.

فُرُطاً - إِسْرَافاً، أَوْ تَضْيِيعاً وَهَلاَكاً.

(٢٩) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا

(للظَّالِمِينَ)

(٢٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: إِنَّ هٰذا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الحَقُّ الذِي لاَ مِرْيَةَ فِيهِ، وَلاَ شَكَّ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ بِهِ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ، فَقَدْ أَعْدَدْنا وَأَرْصَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، ناراً لَهَا سُورٌ يُحِيطُ بِمَنْ يَدْخُلُونَهَا (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها). وَإِذا آسْتَغَاثَ أَهْلُ النَّارِ لِيُطْفِئُوا عَطَشَهُمْ يُغَاثُونَ بِمَاءٍ شَدِيدِ الحَرَارَةِ، فَإِذا قَرَّبُوهُ إِلى أَفْوَاهِهِم آشْتَوَتْ وُجُوهُهُمْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ، وَبِئْسَ هٰذا الشَّرابُ شَراباً، وَسَاءَتِ النَّارُ مَنْزِلاً لِلارْتِفَاقِ، وَالاتِّكَاءِ لِلرَّاحَةِ، وَسَاءَتْ مَقيلاً.

سُرَادِقُهَا - فُسْطَاطُهَا أَوْ لَهِيبُهَا أَوْ دُخَانُهَا.

كَالمُهْلِ - كَدُرْدِيِّ الزَّيْتِ أَوِ الذَّائِبِ مِنَ المَعَادِنِ.

سَاءَتْ مُرْتَفقاً - سَاءَتِ النَّارُ مقرّاً أَوْ مُتَّكأً.

(٣٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٣٠) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى حَالَ الأَشْقِيَاءِ، ثَنَّى بِذِكْرِ حَالِ السُّعَدَاءِ، مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَقَالَ تَعالَى: إِنَّهُ لاَ يُضَيِّعُ أَجْرَ مَخْلُوقٍ مِنْ عِبَادِهِ آمَنَ بِالحَقِّ الذِي يُوحَى إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَعَمِلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، وَلاَ يَظْلِمُهُ نَقِيراً.

(٣١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا

(أُوْلٰئِكَ) (جَنَّاتُ) (الأَنْهارُ) (الأَرائِكِ)

(٣١) - فَهٰؤُلاءِ السُّعَداءُ الأَبْرارُ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ لِيُقِيمُوا فِيهَا أَبداً، وَتَجْرِي الأَنْهارُ وَالمِيَاهُ فِي جَنَبَاتِها، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا حُلِيّاً، هِيَ أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا ثِياباً مِنَ الحَرِيرِ خَضْرَاءَ اللَّوْنِ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)[1]، مِنْهَا ثِيَابٌ رَقِيقَةٌ كَالقُمْصَانِ، وَمَا مَاثَلَها، (مِنْ سُنْدُسٍ)، وَمِنْهَا ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ، كَالدِّيبَاجِ لَهُ بَرِيقٌ (مَنْ إِسْتَبْرَقٍ)، وَيَجْلِسُونَ عَلَى الأَرائِكِ وَالأَسِرَّةِ مُسْتَنِدِينَ (مُتَّكِئِينَ)، لِيَرْتَاحُوا فِي جِلْسَتِهِمْ. وَحَسُنَتِ الجَنَّةُ ثَوَاباً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَحَسُنَتْ مَنْزِلاً وَمَقِيلاً.

جَنَّاتُ عَدْنٍ - جَنَّاتُ إِقَامَةٍ وَآسْتِقْرارٍ.

سُنْدُس - رَقِيقُ الدِّيبَاجِ.

إِسْتَبْرَقٍ - غَلِيظِ الدِّيبَاجِ.

الأَرَائِكِ - السُّرُرِ.

(١) الآية ٢٣ من سورة الحج والآية ٣ من سورة فاطر.

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ ٣٢

نصف الحزب ٣٠

(أعْنَابٍ) (وَحَفَفْنَاهُما)

(٣٢) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ : آضْرِبْ لِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ بِاللهِ، الَّذِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تَطْرُدَ المُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، مَثَلاً بِرَجُلَيْنِ أَغْنَى اللهُ أَحَدَهُمَا وَآتَاهُ بُسْتَانَيْنِ مِنْ كَرمِ العِنَبِ، وَأَحَاطَهُمَا بِأَشْجَارِ النَّخِيلِ، وَجَعَلَ وَسَطَ هٰذَينِ البُسْتَانَيْنِ زَرْعاً يُنْتَفَعُ بِهِ.

جَنَّتَيْنِ - بُسْتَانَيْنِ.

حَفَفْنَاهُمَا - أَحَطْنَاهُمَا.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ ٣٣

(آتَتْ) (خِلاَلَهُمَا)

(٣٣) - وَقَدْ أَخْرَجَتْ كُلٌّ مِنَ الجَنَّتَيْنِ ثَمَرَهَا، وَلَمْ تُنْقِصْ مِنْهُ شَيْئاً فِي سَائِرِ الأَعْوَامِ، عَلَى خِلافِ مَا يُعْهَدُ فِي الكُرُومِ وَالأَشْجَارِ، مِنْ أَنَّهَا تَكْثُرُ غَلَّتُهَا أَعْوَاماً، وَتَقِلُّ أَعْوَاماً أُخْرَى. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى وَسَطَ الجَنَّتَيْنِ نَهْراً كَبِيراً تَتَفَرَّعُ مِنْهُ الجَدَاوِلُ، لِيَدُومَ رِيُّ أَشْجَارِهَا وَزَرْعِهَا، فَيَزِيدَ بَهَاؤُها، وَتَكْثُرَ غَلَّتُهَا.

أُكُلَهَا - ثَمَرَهَا الذِي يُؤْكَلُ.

لَمْ تَظْلِمْ - لَمْ تُنْقِصْ مِنْ أُكُلِهَا.

فَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا - شَقَقْنَا وَأَجْرَيْنَا وَسَطَهُمَا.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ٣٤

(لِصَاحِبِهِ)

(٣٤) - وَفِي يَوْمٍ كَانَتْ فِيهِ الثِّمَارُ تَعْلُو الأَشْجَارَ فِي البُسْتَانَيْنِ، فَالْتَقَى صَاحِبُ البُسْتَانَيْنِ بِصَاحِبٍ لَهُ مُؤْمِنٍ، كَانَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِيمَانِ، وَيُذَكِّرُهُ بِأَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَأَنَّ عَلَى العَاقِلِ أَنْ لاَ يَغْتَرَّ بِهَا، وَأَنَّ ثَوَابَ اللهِ وَرِضْوَانَهُ فِي الآخِرَةِ أَعْظَمُ لِلْمُؤْمِنِ المُتَّقِي مِنْ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيا، وَكَانَ يُحَذِّرُهُ مِنْ عِقَابِ اللهِ وَعَذَابِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ البُسْتَانَيْنِ لِصَاحِبِهِ المُؤْمِنِ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ، وَيُجَادِلُهُ: أَلاَ تَرَى أَنِّي أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً، فَلَدَيَّ زُرُوعٌ وَبَسَاتِينُ وَأَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، وَأَنِّي أَعَزُّ مِنْكَ عَشِيرَةً وَرَهْطاً، فَيَنْفُرُ مَعِي أَهْلِي وَعَشِيرَتِي، إِذا آسْتَنْفَرْتُهُمْ لِنُصْرَتِي وَعَوْنِي عِنْدَ الحَاجَةِ.

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ - كَانَتْ لَهُ ثِمَارٌ عَلَى أَشْجَارِهِ وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ المَعْنَى هُوَ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ أُخْرَى يُثَمِّرُها، وَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا.

أَعَزُّ نَفَراً - أَقْوَى أَعْوَاناً وَعَشِيرَةً.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ ٣٥

(٣٥) - وَدَخَلَ الغَنِيُّ، المُفَاخِرُ بِمَالِـهِ، وَعَشِيرَتِـهِ وَنَفَرِهِ، إِلَى بُسْتَـانِهِ، وَرَأى مَـا هُوَ عَلَيْـهِ مِنْ حُسْنٍ وَبَهَاءٍ، وَثِمَـارٍ، وَخِصْبٍ، فَاغْتَـرَّ بِالـدُّنْيا وَزِينَتِهَا، وَقَالَ لِصَاحِبِهِ، المُؤْمِنِ: مَا أَظُنُّ أَنْ تَفْنى هٰذِهِ الجَنَّةُ أَبداً، وَلاَ أَنْ تَخْرَبَ.

أَنْ تَبِيدَ - أَنْ تَهْلِكَ وَتَفْنَى وَتَخْرَبَ.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ ٣٦

(قَائِمَةً) (وَلَئِنْ)

(٣٦) - وَقَادَهُ غُرُورُهُ إِلَى الكُفْرِ بِاللهِ، وَبِالآخِرَةِ وَبِالمَعَادِ، فَقَالَ: إِنَّهُ لاَ يَظُنُّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ حَشْرٌ، وَلاَ مَعَادٌ، وَلاَ حِسَابٌ. وَأَرْدَفَ قَائِلاً: إِنَّهُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ سَاعَةٌ وَحَشْرٌ وَمَعَادٌ إِلَى اللهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِدُ عِنْدَ اللهِ خَيْراً مِنْ هٰذا البُسْتَانِ، لأَنَّهُ لَـولاَ كَرَامَتُـهُ عَلَى اللهِ لَمَا أَعْـطَاهُ هٰذا الـرِّزْقَ الوَفِيـرَ فِي الدُّنْيا.

مُنْقَلباً - مَرْجِعاً وَعَاقِبَةً.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ ٣٧

(سَوَّاكَ)

(٣٧) - فَأَجَابَهُ صَاحِبُهُ المُؤْمِنُ يَعِظُهُ، وَيَزْجُرُهُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ، وَالغَيِّ، وَالاغْتِرَارِ: أَتَكْفُرُ بِاللهِ الذِي خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسلَهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً قَوِياً بَالِغاً؟

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ ٣٨

(٣٨) - لٰكِنَّنِي لاَ أَقُولُ مَا تَقُولُ أَنْتَ، بَلْ أَعْتَرِفُ بِالوَحْدَانِيَّةِ، وَبِالرُّبُوبِيَّةِ للهِ تَعَالَى، وَهُوَ المَعْبُودُ وَحْدَهُ، لاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً.

لَكِنَّا هُوَ اللهُ - لٰكِنْ أَنَا أَقُولُ: هُوَ اللهُ رَبِّي.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ٣٩

(٣٩) - وَلَقَدْ كَانَ الأَوْلى بِكَ (وَلَوْلا)، إِذْ أَعْجَبَتْكَ جَنَّتُكَ حِينَ دَخَلْتَهَا، وَنَظَرْتَ إِلَيْهَا، أَنْ تَحْمَدَ اللهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ، وَأَعْطَاكَ مِنَ المَالِ وَالوَلَدِ، وَأَنْ تَقُولَ: هٰذا مَا شَاءَ اللهُ، وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَى تَحْصِيلِهِ إِلاَّ بِمَعُونَةِ اللهِ. وَإِنَّكَ إِذا كُنْتَ تَرَانِي أَفْقَرَ مِنْكَ، وَأَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلداً.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ ٤٠

(٤٠) - فَإِنِّي أَرْجُو اللهَ أَنْ يَقْلِبَ الآيَةَ، فَيَجْعَلَكَ فَقِيراً، قَلِيلَ المَالِ، وَالـوَلَدِ، وَأَنْ يَـرْزُقَنِي رَبِّي الغِنَى وَالوَلَـدَ لإِيمَانِي وَإِخْلاصِي للهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي جَنَّةً تَكُونُ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ، وَيَسْلُبَكَ بِكُفْرِكَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ، وَيُخَرِّبَ جَنَّتَكَ بِأَنْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا مَطَراً مِنَ السَّمَاءِ، يُدَمِّرُ زُرُوعَهَا، وَيَقْتَلِعُ أَشْجَارَها، فَتُصْبِحَ بَلْقَعاً لاَ تُنْبِتُ شَيْئاً (صَعِيداً زَلَقاً).

حُسْبَاناً - مَطَراً شَدِيداً أَوْ عَذَاباً كَالصَّوَاعِقِ وَالآفَاتِ.

صَعِيداً زَلَقاً ـ بَلْقعاً لاَ تُنْبِتُ شَيْئاً أَوْ رَمْلاً هَائِلاً يَزْلَقُ مَنْ يَسِيرُ عَلَيْهَا.

﴿٤١﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا

(٤١) ـ أَوْ يَغُورُ مَاؤُهَا فِي الأَرْضِ وَيَتَوَارَى، فَلاَ تَسْتَطِيعُ العُثُورَ عَلَيهِ لإِخْرَاجِهِ لِسَقْيِهَا.

غَوْراً ـ غَائِراً ذَاهِباً فِي الأَرْضِ.

(يَا لَيْتَنِي)

﴿٤٢﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا

(٤٢) ـ وَأَحَاطَتِ الكَوَارِثُ بِثِمَارِ جَنَّتِهِ التِي يَقُولُ إِنَّهُ لاَ يَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ أَبَداً، وَحَلَّ بِهَا مَا كَانَ يُحَذِّرُهُ مِنْهُ صَاحِبُهُ المُؤْمِنُ، مِنْ دَمَارٍ وَغَوْرِ مَاءٍ (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ)، فَأَصْبَحَتِ الجَنَّةُ بَلْقعاً يَبَاباً خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا، فَأَخَذَ يَضْرِبُ كَفّاً بِكَفٍّ أَسَفاً وَنَدَماً وَحُزْناً عَلَى مَا حَلَّ بِهَا، وَعَلَى مَا أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنْ مَالٍ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي ثُبْتُ لِرُشْدِي فَلَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً.

أُحِيطَ بِثَمَرِهِ ـ أُهْلِكَتْ أَمْوَالُهُ مَعَ جَنَّتَيْهِ.

يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ـ كِنَايَةٌ عَنِ النَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ.

خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ـ سَاقِطَةٌ سُقُوفُهَا عَلَى قِيعَانِهَا.

﴿٤٣﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا

(٤٣) ـ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ جَمَاعَةٌ (فِئَةٌ) مِنْ عَشِيرَةٍ، أَوْ أَهْلٍ، وَوَلَدٍ، مِمَّنْ كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِمْ، وَيَغْتَرُّ، يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُ، وَمَنْعَ مَا أَرَادَهُ اللهُ بِهِ. وَبِجَنَّتَيْهِ مِنْ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً بِقُوَّتِهِ عَنِ انْتِقَامِ اللهِ مِنْهُ.

(الْوَلاَيَةُ)

﴿٤٤﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا

(٤٤) ـ وَفِي مِثْلِ هٰذِهِ الحَالِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالمِحَنِ، تَكُونُ المُوَالاَةُ، وَتَكُونُ النُّصْرَةُ للهِ وَحْدَهُ. وَفِي الشَّدَائِدِ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، يُعْلِنُونَ خُضُوعَهُمْ وَاعْتِرَافَهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ، فَهُوَ خَيْرُ مَنْ أَثَابَ، وَخَيْرُ مَنْ جَازَى. وَالأَعْمَالُ التِي تَكُونُ خَالِصَةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَكُونُ عَاقِبَتُهَا خَيْراً وَرَشَداً لِفَاعِلِيهَا.

الوَلاَيَةُ ـ النُّصْرَةُ لَهُ تَعَالَى وَحْدَهُ.

خَيْرٌ عُقْباً ـ خَيْرٌ عَاقِبَةً لأَوْلِيَائِهِ.

(الْحَيَاةِ) (أَنْزَلْنَاهُ) (الرِّيَاحُ)

﴿٤٥﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ

(٤٥) ـ وَاضْرِبْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ مَثَلاً بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي نُضْرَتِهَا، ثُمَّ فِي صَيْرُورَتِهَا إِلَى زَوَالٍ، وَانْقِضَائِهَا، بِمَاءٍ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ،

هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا

فَأَصَابَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ بُذُورٍ وَحَبٍّ، فَنبتَ وَحَسُنَ مَنْظَرُهُ، وَعلاهُ الزَّهْرُ، وَالنَّورُ، وَالنُّضْرَةُ، ثُمَّ أَصْبَحَ بَعْدَ ذٰلِكَ يَابِساً، هَشِيماً، مُتَكَسِّراً. تُبَعْثِرُهُ الرِّيَاحُ، وَتُفَرِّقُهُ وَتَطْرَحُهُ يَمِيناً وَشِمالاً (تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ)، وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَالحَيَاةُ الدُّنْيَا مُتْعَةٌ قَلِيلَةٌ ثُمَّ لاَ تَلْبَثُ أَنْ تَفْنَى وَتَنْطَفِىءَ.

هَشِيماً - يَابِساً مُتَفَتِّتاً.

تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ - تُفَرِّقُهُ وَتَنْسِفُهُ.

٤٦ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا

(الْحَيَاةِ) (وَالْبَاقِيَاتُ) (الصَّالِحَاتُ)

(٤٦) - المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَهْجَتُهَا. وَالإِقْبَالُ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَالتَّفَرُّغُ لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِي اللهَ، خَيْرٌ مِنَ المَالِ وَمِنَ البَنِينَ، عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ، لأَنَّ العَمَلَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ الإِنسَانَ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ، وَالمَالُ وَالبَنُونَ لاَ يَنْفَعُونَهُ فِيهِ شَيْئاً، وَالعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ خَيْرُ أَمَلٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ الإِنسَانُ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ).

٤٧ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا

(وَحَشَرْنَاهُمْ)

(٤٧) - وَاذْكُرْ، أَيُّها الرَّسُولُ، مَا يَكُونُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ مِنَ الأُمُورِ العِظَامِ، إِذْ يَقْتَلِعُ اللهُ تَعَالَى الجِبَالَ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيُسَيِّرُهَا فِي الجَوِّ كَالسَّحَابِ، وَيَجْعَلُهَا هَبَاءً مَنْثُوراً، فَتَذْهَبُ الجِبَالُ، وَتَتَسَاوَى المِهَادُ، وَتُصْبِحُ الأَرْضُ قَاعاً صَفْصَفاً، لا تَرَى فِيهِ عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً، وَلاَ أَدِيماً، وَلاَ جَبَلاً. وَفِي ذٰلِكَ اليَوْمِ تَظْهَرُ الأَرْضُ وَلَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ وَاحِدٌ، وَلاَ بِنَاءٌ، وَلاَ شَجَرٌ، وَلاَ مَكَانٌ يُوارِي أَحداً، بَلْ يَكُونُ الخَلْقُ كُلُّهُمْ ضَاحُونَ لِرَبِّهِمْ، وَلاَ تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ، وَيَحْشُرُ اللهُ تَعَالَى الخَلائِقَ كُلَّهُمْ فَيَجْمَعُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَلاَ يَتْرُكُ مِنْهُمْ صَغِيراً وَلاَ كَبِيراً.

بَارِزَةً - ظَاهِرَةً لاَ يَسْتُرُها شَيْءٌ.

٤٨ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا

(خَلَقْنَاكُم) (أَنْ لَنْ)

(٤٨) - وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَحْشُرُ اللهُ الخَلائِقَ، فَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَفّاً وَاحِداً، وَيُقَرِّعُ اللهُ تَعَالَى الكُفَّارَ المُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَكُنْتُمْ تَظُنُّونَ

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

أنَّ هٰذا لَنْ يَكُونَ، وَالآنَ آسْتَبَانَ لَكُمْ أَنَّهُ حَقٌّ.

مَوْعِداً ـ وَقْتاً لإِنْجازِ الوَعْدِ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

(الْكِتَابُ) (يَا وَيْلَتَنَا) (الْكِتَابِ) (أَحْصَاهَا) (مَا لِهٰذا)

(٤٩) ـ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ فَرْدٍ كِتَابُ أَعْمَالِهِ، وَفِيهِ جَمِيعُ مَا عَمِلَهُ فِي حَيَاتِهِ، مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ، وَمِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ. وَيَرَى المُجْرِمُونَ أَعْمَالَهُمُ القَبِيحَةَ مُحْصَاةً بِتَمَامِهَا، لَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيءٌ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ العَذَابَ وَاقِعٌ بِهِمْ، فَيُشْفِقُونَ مِمَّا سَيَحُلُّ بِهِمْ، وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: يَا وَيْلَتَنَا، وَيَا حَسْرَتَنَا، عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، مَا لِهٰذا الكِتَابِ لاَ يَتْرُكُ صَغِيراً مِنْ أَعْمَالِنَا وَذُنُوبِنَا، وَلاَ كَبِيراً إِلاَّ أَحْصَاهُ وَوَعَاهُ؟ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ حَاضِراً لِيُحَاسَبُوا عَلَيْهِ، وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ. وَإِنَّمَا يُحَاسِبُ العِبَادَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِالعَدْلِ التَّامِّ.

وُضِعَ الكِتَابُ ـ صُحُفُ الأَعْمَالِ فِي أَيْدِي أَصْحَابِهَا.

مُشْفِقِينَ ـ خَائِفِينَ وَجِلِينَ.

يَا وَيْلَتَنا ـ يَا هَلاَكَنَا.

لاَ يُغَادِرُ ـ لاَ يَتْرُكُ وَلاَ يُبْقِي.

أَحْصَاهَا ـ عَدَّهَا وَضَبَطَهَا وَأَثْبَتَها.

(لِلْمَلاَئِكَةِ) (لِآدَمَ) (لِلظَّالِمِينَ)

(٥٠) ـ يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ إِلَى عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ، وَلِأَبِيهِمْ آدَمَ، قَبْلَهُمْ، وَيُقَرِّعُهُمْ عَلَى آتِّبَاعِ إِبْلِيسَ، وَمُخَالَفَةِ الخَالِقِ. وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: آذْكُرْ لِقَوْمِكَ إِذْ قَالَ اللهُ لِلْمَلاَئِكَةِ: آسْجُدُوا لآدَمَ، آعْتِرَافاً بِفَضْلِهِ، وَآعْتِذَاراً عَمَّا قَالُوهُ بِحَقِّهِ: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾[1]. فَآمْتَثَلُوا جَمِيعاً لأَمْرِ رَبِّهِم الكَرِيمِ، إِلاَّ إِبْلِيسَ، الذِي كَانَ مِنَ الجِنِّ، فَآمْتَنَعَ عَنِ السُّجُودِ، وَخَرَجَ عَنْ أَمْرِ اللهِ (فَسَقَ)، وَقَالَ للهِ تَعَالَى: إِنَّ اللهَ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَنْ يَسْجُدَ لِمَخْلُوقٍ خَلَقَهُ اللهُ مِنَ الطِّينِ، وَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ. فَكَيْفَ تَتَّخِذُونَ، يَا بَنِي آدَمَ، هٰذا العَدُوَّ لَكُمْ، هُوَ وَذُرِّيَّتَهُ، أَوْلِيَاءَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، وَتُطِيعُونَ أَوَامِرَهُمْ، وَهُم عَلَى مَا عَرَفْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ مِنَ العَدَاوَةِ لآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، فَبِئْسَ مَا فَعَلْتُمْ (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً).

(١) الآية ٣٠ من سورة البقرة.

(٥١) ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا

ثلاثة أرباع الحزب ٣٠

(٥٢) وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا

(٥٣) وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا

(٥٤) وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا

آسْجُدُوا لآدَمَ - سُجودَ تَحِيَّةٍ وتَعْظِيمٍ لاَ سُجودَ عِبادَةٍ.

(السَّماوَاتِ)

(٥١) - وَهٰؤُلاَءِ الَّذِينَ آتَّخَذْتُمُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي (إبْلِيسَ وذُرِّيَّتَهُ)، هُمْ عَبِيدٌ مِثْلُكُمْ، لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً، ولاَ أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، ولاَ كانُوا مَوْجُودِينَ فِي ذٰلِكَ الحِينِ، وَلاَ أَشْهَدْتُ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ، وَأنا وَحْدِي المُسْتَقِلُّ بِخَلْقِ الأَشْيَاءِ كُلِّها وَمُدَبِّرُها وَمُقَدِّرُها، وَمَا كُنْتُ لأَتَّخِذَ المُضِلِّينَ الَّذِينَ لاَ يَهْدُونَ إلى الحَقِّ أَعْوَاناً وَأَنْصاراً.

عَضُداً - أَعْوَاناً وأَنْصاراً.

(شُرَكَائِيَ)

(٥٢) - وَآذْكُرْ، أَيُّها الرَّسُولُ، لِقَوْمِكَ أَيْضاً ما يَقَعُ يَوْمَ الجَمْعِ (يَوْمَ القِيامَةِ)، إذْ يَقُولُ اللهُ تَعالَى لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهادِ، تَقْرِيعاً لَهُمْ وَتَوْبِيخاً: آدْعُوا اليَوْمَ مَنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الحَياةِ الدُّنْيا أَنَّهُمْ شُرَكَائِي فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَفِي خَلْقِ هٰذا الكَوْنِ وَتَدْبِيرِهِ. فَيَدْعُونَهُمْ فَلاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ، وَيَجِدُونَ أَنَّهُ لاَ سَبِيلَ لَهُمْ إلى الوُصُولِ إلى أَرْبَابِهِمْ، إذْ جَعَلَ اللهُ، بَيْنَ هٰؤُلاءِ وَهٰؤُلاءِ، مَهَالِكَ وَأَهْوَالاً.

مَوْبِقاً - مَهْلِكاً يَشْتَرِكُونَ فِيهِ وَهُوَ النَّارُ.

(وَرَأَى)

(٥٣) - وَحِينَما يُعايِنُ المُجْرِمُونَ نَارَ جَهَنَّمَ تَتَلَظَّى يَتَحَقَّقُونَ مِنْ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إلَيْهَا لاَ مَحَالَةَ (مُوَاقِعُوها)، وَأَنَّهُمْ لاَ مَصْرِفَ لَهُمْ وَلاَ مَحِيدَ عَنْهَا، لأَنَّ اللهَ حَتَّمَ ذٰلِكَ، وَلأَنَّها أَحَاطَتْ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

(وَرُؤْيَةُ جَهَنَّمَ، وَتَأَكُّدُ المُجْرِمِ مِنْ أَنَّهُ صَائِرٌ إلَيْهَا لاَ مَحَالَةَ، هُمَا عَذَابٌ نَاجِزٌ).

مُوَاقِعُوهَا - وَاقِعُونَ فِيهَا، وَدَاخِلُونَ فِيهَا.

مَصْرِفاً - مَعْدِلاً وَمَكاناً يَنْصَرِفُونَ إلَيْهِ.

(القُرْآنِ) (الإِنْسَانُ)

(٥٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أَنَّهُ بَيَّنَ لِلنَّاسِ فِي هٰذا القُرْآنِ كُلَّ ما هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ، وَدُنْيَاهُمْ، وَفَصَّلَهُ لِكَيْلا يَضِلُّوا عَنِ الحَقِّ، وَيَخْرُجُوا عَنْ طَرِيقِ الهُدَى وَالصَّوابِ، وَلِيَذْكُرُوا فَيُنِيبُوا إلَى رَبِّهِمْ وَيَعْتَبِرُوا، وَيَزْدَجِرُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ وَسُوءِ العَمَلِ. وَمَعَ هٰذا البَيانِ

۝٥٥ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا

۝٥٦ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا

۝٥٧ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

وَالتَّوْضِيح فَإِنَّ الكَافِرِينَ طَلَبُوا مُعْجِزَاتٍ أُخْرى غَيْرَ القُرآنِ، وَالإِنْسَانُ فِي طَبِيعَتِهِ حُبُّ الجَدَلِ، وَمُعَارَضَةُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، إِلَّا مَنْ هَدَى اللهُ.

صَرَّفْنَا - كَرَّرْنَا القَوْلَ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ.

كُلِّ مَثَلٍ. مَعْنًى غَرِيبٍ كَالمَثَلِ فِي غَرَابَتِهِ.

(٥٥) - وَمَا مَنَعَ هُؤُلَاءِ الكَافِرِينَ مِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، وَبِرُسُلِهِ، وَكُتُبِهِ، حِينَ جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ، وَعَلِمُوا صِحَّةَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، إِلَّا تَعَنُّتُهُمْ وَعِنَادُهُمْ، الذِي جَعَلَ بَعْضَهُمْ يَطْلُبُ مُشَاهَدَةَ العَذَابِ الَّذِي أَوْعَدَهُمْ بِهِ اللهُ، فَقَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِر عَلَينا حجارة مِنَ السَّماء أَوْ ائتنا بِعَذاب أَليم﴾[1]. وَجَعَلَ بَعْضَهُمُ الآخَرُ يَطْلُبُ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ العَذَابِ وَالبَلَاءِ يَتْلُو بَعْضُهُ بَعْضاً، وَهُمْ فِي الدُّنيا، وَهُمْ يُشَاهِدُونَ ذٰلِكَ، وَيَرَوْنَهُ عِيَاناً، أَوْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ اللهِ فِي الأَوَّلِينَ، وَهِيَ الهَلَاكُ المُسْتَأْصِلُ، الذِي أَتَى الأَوَّلِينَ مِثْلَ قَومِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لوطٍ.

سُنَّةُ الأَوَّلِينَ - عَذَابُ الاسْتِئْصَالِ إِذا لَمْ يُؤْمِنُوا.

قُبُلاً - أَنْوَاعاً وَأَلْواناً، أَوْ عِيَاناً وَمُقَابَلَةً.

(وَيُجَادِلُ) (بِالْبَاطِلِ) (آيَاتِي)

(٥٦) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: إِنَّهُ لَا يُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ مَنْ صَدَّقَهُمْ، وَآمَنَ بِدَعْوَتِهِمْ، بِأَنَّ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم الحُسْنَى؛ وَمُنْذِرِينَ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَخَالَفَهُمْ، عِقَابَ اللهِ وَعَذَابَهُ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُرْسِلُ المُرْسَلِينَ لِيَقْتَرِحَ عَلَيْهِمُ الظَّالِمُونَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، وَيَطْلُبُوا مِنْهُمْ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ. وَالظَّالِمُونَ الكُفَّارُ لَا يُجَادِلُونَ، وَلَا يَقْتَرِحُونَ لِلاسْتِرْشَادِ وَالاهْتِدَاءِ، وَإِنَّمَا يُجَادِلُونَ بِالبَاطِلِ لِيُضْعِفُوا الحَقَّ الذِي جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وَيُبْطِلُوهُ (لِيُدْحضُوا بِهِ الحَقَّ)، وَلَنْ يَبْلُغُوا غَايَتَهُمْ. وَقَدِ اتَّخَذُوا جَمِيعَ الحُجَجِ وَالمُعْجِزَاتِ التِي جَاءَهُمْ بِهَا رُسُلُهُمْ، وَالعَذَابَ الَّذِي حَذَّرُوهُمْ مِنْهُ، وَخَوَّفُوهُمْ مِنْ نُزُولِهِ بِهِمْ.. هُزُوًا وَسُخْرِيَةً.

لِيُدْحِضُوا - لِيُبْطِلُوا وَيُزِيلُوا.

هُزُوًا - اسْتِهْزاءً وَسُخْرِيَةً.

(بِآيَاتِ) (آذَانِهِمْ)

(٥٧) - وَلَا أَحَدَ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ وُعِظَ بِآيَاتِ اللهِ، وَدُلَّ بِهَا

(١) الآية ٣٢ من سورة الأنفال.

أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا

عَلَى سَبِيلِ الهُدَى وَالرَّشَادِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمْ يَتَدَبَّرْها، وَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهَا، وَلَمْ يَتفكَّرْ فِي عَوَاقِبِ مَا ٱرْتَكَبَهُ مِنَ الظُّلْمِ، وَالكُفْرِ، وَالمَعَاصِي (نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ)، فَلَم يُنِبْ إِلَى اللهِ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ تَائِباً مُسْتَغْفِراً.

وَقَدْ كَانَ إِعْـرَاضُ الكافِـرِينَ عَمَّا ذُكِّـرُوا بِهِ لأَنَّ اللهَ جَعَـلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَغْطِيَةً وَأَغْلِفَةً لِكَيْلا يَفْقَهُوا مَا يُذَكَّرُونَ بِهِ (أَكِنَّةً) وَلأَنَّـهُ جَعَلَ فِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَثِقَلاً لِكَيْـلا يَسْمَعُوهُ. وَلِـذَلِكَ فَـإِنَّ دَعْوَتَـكَ إِيَّاهُمْ يَـا مُحَمَّدُ إِلَى الهُـدَى وَالإِيمَانِ بِـاللهِ وَبِمَـا أُنْـزِلَ عَلَى رَسُولِـهِ، لَنْ تُؤَثِّـرَ فِيهِمْ، وَلَنْ يَسْتَجِيبُوا لَهَا أَبَداً.

أَكِنَّةً - أَغْطِيَةً كَثِيرَةً مَانِعَةً.

وَقْراً - صَمَماً ثَقِيلاً فِي السَّمْعِ.

(مَوْئِلاً)

٥٨ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا

(٥٨) - وَرَبُّـكَ هُوَ اللهُ الغَفُـورُ الرَّحِيمُ، يُمْهِـلُ النَّاسَ لَعَلَّهُمْ يَتُـوبُـونَ وَيُؤْمِنُونَ، وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ، فَيَتُـوبَ عَلَيْهِمْ، وَيَرْحَمَهُمْ وَيَتجَـاوَزَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَلَوْ أَنَّهُ آخَذَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، لَعَجَّلَ لَهُمُ العُقُوبَةَ وَلأَهْلَكَهُمْ، وَلٰكِنَّهُ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً مُعَيَّناً لا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهُ، وَلاَ مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ.

مَوْئِلاً - مَنْجًى أَوْ مَلْجأً أَوْ مَخْلَصاً.

(أَهْلَكْنَاهُمْ)

٥٩ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا

(٥٩) - لَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ الأُمَمَ السَّالِفَةَ: عَاداً وَثَمُودَ وَقَوْمَ نُوحٍ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَصْحَـابَ الأَيْكَةِ.. وَدَمَّـرَ قُراهُمْ بِسَبَبِ كُفْـرِهِمْ، وَعِنَـادِهِمْ، وَجَعَـلَ لِمَهْلِكِهِمْ وَقْتـاً مُعَيَّناً (مَـوْعِداً)، لاَ يَـزِيدُ وَلاَ يَنْقُصُ، فَـاحْذَرُوا، أَيُّهـا المُشْرِكُونَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَـا أَصَابَهُمْ إِنْ تَمـادَيْتُم فِي تَكْذِيبِ رَسُـولِكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

لِمَهْلِكِهِمْ - لِهَلاكِهِمْ.

(لِفَتَاهُ)

٦٠ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا

(٦٠) - قِيلَ لِمُوسَى عَلَيـهِ السَّلامُ: إِنَّ عَبْـداً مِنْ عِبَادِ اللهِ مَـوْجُوداً فِي مَجْمَعِ البَحْرَينِ، عِنْدَهُ عِلْمٌ لَمْ تُحِطْ بِهِ أَنْتَ، فَأَحَبَّ مُوسَى الرَّحِيلَ إِلَيْهِ لِيَسْمَعَ مِنْهُ. فَقَالَ لِفَتَاهُ (وَقِيلَ إِنَّهُ يُوشَعُ بْنُ نُـونٍ وَهُوَ مِنْ نَسْـلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إِنِّي سَأَسِيرُ حَتَى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ، وَأَلْتَقِي بِالرَّجُلِ، وَلَوْ سِرْتُ أَمَداً طَوِيلاً.

٦١ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا

٦٢ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا

٦٣ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا

٦٤ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا

٦٥ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا

مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ ـ مُلْتَقَاهُمَا.

أَمْضِيَ حُقُباً ـ أَسِيرَ زَمَناً طَوِيلاً.

(٦١) ـ وَكَانَ قِيلَ لِمُوسَى أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ حُوتاً مُمَلَّحاً، وَفِي المَكَانِ الذِي يَفْقِدُ فِيهِ الحُوتَ فَإِنَّهُ يَلْتَقِي بِذَلِكَ الرَّجُلِ العَالِمِ. فَسَارَ مَعَ فَتَاهُ حَتَّى بَلَغَا مَجْمَعَ البَحْرِينِ، فَسَقَطَ الحُوتُ فِي المَاءِ، فَأَخَذَ يَسْبَحُ فِيهِ، وَكَانَ يَشُقُّهُ شَقّاً، وَيَتْرُكُ وَرَاءَهُ مِثْلَ السَّرَبِ (النَّفَقِ).

سَرَباً ـ مَسْلَكاً وَمَنْفَذاً.

(لِفَتَاهُ) (آتِنَا)

(٦٢) ـ فَلَمَّا جَاوَزَا المَكَانَ الذِي أَضَاعَا فِيهِ الحُوتَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: هَاتِ الغَدَاءَ، فَقَدْ أَتْعَبَنَا المَسِيرُ.

نَصَباً ـ تَعَباً وَشِدَّةً وَإِعْيَاءً.

(أَرَأَيْتَ) (أَنْسَانِيهُ) (الشَّيْطَانُ)

(٦٣) ـ فَقَالَ الفَتَى لِمُوسَى: لَقَدْ نَسِيتُ الحُوتَ حِينَمَا جَلَسْنَا نَرْتَاحُ إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ (إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ)، وَلَمْ أَذْكُرْ ذَلِكَ لَكَ لأَنَّ الشَّيْطَانَ أَنْسَانِيهِ، فَاتَّخَذَ الحُوتُ طَرِيقَهُ فِي البَحْرِ بِصُورَةٍ عَجِيبَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ، لأَنَّهُ حُوتٌ مَيِّتٌ، وَكَانَ يَشُقُّ المَاءَ، وَهُوَ يَسْبَحُ، فَيَكُونُ المَاءُ فَوْقَهُ كَالنَّفَقِ، أَوِ الشَّقِّ فِي الأَرْضِ (السَّرَبِ).

أَوَيْنَا ـ جَلَسْنَا للاسْتِرَاحَةِ.

عَجَباً ـ سَبِيلاً أَوِ اتِّخَاذاً يُتَعَجَّبُ مِنْهُ.

(آثَارِهِمَا)

(٦٤) ـ فَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ذَلِكَ هُوَ الَّذِي كُنَّا نَبْغِيهِ وَنُرِيدُهُ مِنْ سَفَرِنَا ـ وَهُوَ فَقْدُ الحُوتِ ـ لأَنَّنَا وُعِدْنَا بِلِقَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي المَكَانِ الذِي نَفْقِدُ فِيهِ الحُوتَ، فَرَجَعَا يَقُصَّانِ أَثَرَهُمَا فِي السَّيْرِ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ.

مَا كُنَّا نَبْغِ ـ الذِي كُنَّا نَطْلُبُهُ وَنَلْتَمِسُهُ.

فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا ـ رَجَعَا فِي طَرِيقِهِمَا الذِي جَاءَا فِيهِ.

(آتَيْنَاهُ) (وَعَلَّمْنَاهُ)

(٦٥) ـ فَوَجَدَ مُوسَى وَفَتَاهُ رَجُلاً عِنْدَ الصَّخْرَةِ، مُسَجًّى بِثَوْبٍ أَبْيَضَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ إِنَّ أَهْلَ أَرْضِكَ لاَ يَعْرِفُونَ السَّلاَمَ.

٦٦ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا

٦٧ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا

٦٨ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا

٦٩ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا

٧٠ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا

٧١ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا

٧٢ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا

٧٣ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا

وَيَصِفُ اللهُ تَعَالَى الرَّجُلَ بِأَنَّ اللهَ آتَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ، وَعَلَّمَهُ مِنْ عِلْمِهِ.

(٦٦) - قَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّهُ مُوسَى نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّهُ جَاءَهُ لِيُعَلِّمَهُ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، لِيَسْتَرْشِدَ بِهِ، فَهَلْ يَسْمَحُ لَهُ بِمُرَافَقَتِهِ؟

رُشْداً - صَوَاباً أَوْ إِصَابَةَ خَيْرٍ.

(٦٧) - فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّهُ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ لاَ يَعْلَمُهُ مُوسَى، وَلاَ يَسْتَطِيعُ مُوسَى أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مُرَافَقَتِهِ حَتَّى يَتَعَلَّمَهُ.

(٦٨) - ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَى أُمُورٍ لاَ تَعْرِفُ أَنْتَ خَفَايَاهَا، وَالمَصْلَحَةَ البَاطِنَةَ فِيهَا، التِي أَطْلَعَنِي اللهُ عَلَيْهَا؟

خُبْراً - عِلْماً وَمَعْرِفَةً.

(٦٩) - فَقَالَ لَهُ مُوسى: سَتَجِدُنِي صَابِراً إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَى مَا سَأَرَى مِنَ الأُمُورِ مِنْكَ، وَلَنْ أَعْصِيَ أَمْراً لَكَ، وَلَنْ أُخَالِفَكَ فِي شَيءٍ.

(تَسْأَلْنِي)

(٧٠) - فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُوسَى: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُرَافِقَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ يَبْدُو لَكَ غَرِيباً، غَيْرَ مَفْهُومٍ، مِنْ أَفْعَالِي، حَتَّى أَبْدَأَكَ أَنَا بِالحَدِيثِ عَنْهُ، وَأَشْرَحَهُ لَكَ.

(٧١) - وَبَعْدَ أَنِ اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يُرَافِقَ مُوسَى الرَّجُلَ الصَّالِحَ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ، رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ فِي البَحْرِ، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ تَمْخُرُ عُبَابَ البَحْرِ، وَلَمَّا أَوْغَلَتِ السَّفِينَةُ فِي البَحْرِ، قَامَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَخَرَقَ السَّفِينَةَ بِأَنِ اسْتَخْرَجَ لَوْحاً مِنْ أَلْوَاحِهَا، ثُمَّ وَضَعَ مَكَانَهُ لَوْحاً آخَرَ، فَأَصْبَحَتِ السَّفِينَةُ وَكَأَنَّهَا مَرْقُوعَةً، فَلَمْ يَتَمَالَكْ مُوسَى نَفْسَهُ، فَقَالَ مُنْكِراً: إِنَّ خَرْقَكَ السَّفِينَةَ يُؤَدِّي إِلَى إِغْرَاقِ مَنْ فِيهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً عَجِيباً مُنْكَراً.

شَيْئاً إِمْراً - شَيْئاً عَظِيماً مُنْكَراً، أَوْ عَجِيباً.

(٧٢) - فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُوسَى: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ صَبْراً عَلَى مَا سَتَرَاهُ مِنْ فِعْلِي؟ وَإِنَّمَا أَنَا قُمْتُ بِمَا قُمْتُ بِهِ لِمَصْلَحَةٍ لاَ تَعْرِفُهَا أَنْتَ.

(٧٣) - فَقَالَ لَهُ مُوسَى مُعْتَذِراً: إِنَّهُ نَسِيَ مَا كَانَ مِنَ اتِّفَاقٍ بَيْنَهُمَا، وَرَجَاهُ أَنْ لاَ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ، وَلاَ يُرْهِقَهُ بِالمُؤَاخَذَةِ.

لاَ تُرْهِقْنِي - لاَ تُحَمِّلْنِي.

عُسْراً - صُعُوبَةً أَوْ مَشَقَّةً.

(٧٤) فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا

(غُلاماً)

(٧٤) ـ وبَعْدَ أَنْ نَزَلَا مِنَ السَّفِينَةِ، سَارَا فِي سَبِيلِهِمَا فَوَجَدَا غُلَاماً فِي إِحْدَى القُرَى يَلْعَبُ مَعَ أَتْرَابِهِ، فَأَخَذَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَتَلَهُ، فَاسْتَنْكَرَ مُوسَى ذَلِكَ. وَقَالَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ: إِنَّكَ قَدِ ارْتَكَبْتَ أَمْراً تُنْكِرُهُ العُقُولُ (نُكْراً)، بِقَتْلِكَ نَفْساً زَكِيَّةً طَاهِرَةً، بِدُونِ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا قَتْلٌ تَسْتَحِقُّ عَلَيهِ العُقُوبَةَ.

شَيْئاً نُكْراً ـ شَيْئاً مُنْكَراً فَظِيعاً تُنْكِرُهُ العُقُولُ.



(٧٥) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

(٧٥) ـ فَقَالَ الرَّجُلُ مُذَكِّراً بِمَا قَالَهُ فِي بَدْءِ الرِّحْلَةِ، وَهُوَ أَنَّ مُوسَى لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يَرَاهُ مِنْهُ، وَأَنَّهُ سَيَعْتَرِضُ عَلَيهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الأَسْبَابَ الخَفِيَّةَ لِلْفِعْلِ؟

(٧٦) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا

(تُصَاحِبْنِي)

(٧٦) ـ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنِ اعْتَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي شَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ المَرَّةِ، فَلَا تُصَاحِبْنِي لِأَنَّكَ أُعْذِرْتَ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(٧٧) فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا

(لاتَّخَذْتَ)

(٧٧) ـ فَسَارَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي سَبِيلِهِمَا حَتَّى أَتَيَا قَرْيَةً، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا زَادٌ، فَسَأَلَا أَهْلَهَا الطَّعَامَ، فَلَمْ يَقْبَلْ أَحَدٌ فِيهَا أَنْ يُطْعِمَهُمَا. وَبَيْنَمَا كَانَا يَسِيرَانِ فِي القَرْيَةِ وَجَدَا جِدَاراً مُتَدَاعِياً لِلسُّقُوطِ، فَقَامَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بِإِقَامَتِهِ وَتَدْعِيمِهِ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ أَهلَ القَرْيَةِ لَمْ يُطْعِمُوهُمَا، فَكَانَ عَلَيهِ أَنْ لَا يَقُومَ لَهُمْ بِعَمَلٍ بِدُونِ أَجْرٍ.

فَأَبَوْا ـ فَامْتَنَعُوا.

يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ ـ مُتَدَاعِياً لِلسُّقُوطِ.

(٧٨) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا

(٧٨) ـ فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُوسَى: إِنَّكَ اشْتَرَطْتَ وَقْتَ قَتْلِ الغُلَامِ أَنْ لَا أُصَاحِبَكَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيءٍ دُونَ أَنْ أُحَدِّثَكَ أَنَا بِأَمْرِهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي أُفَارِقُكَ، وَلَكِنَّنِي سَأُخْبِرُكَ بِتَفْسِيرِ (تَأْوِيلِ) مَا قُمْتُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ اسْتَنْكَرْتَهَا أَنْتَ، وَاسْتَغْرَبْتَهَا، وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْراً عَلَيْهَا.

بِتَأْوِيلِ ـ بِمَآلِ وَعَاقِبَةٍ، أَوْ تَفْسِيرٍ.

(٧٩) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا

(لِمَسَاكِينَ)

(٧٩) ـ وَبَدَأَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بِشَرْحِ الأَسْبَابِ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى خَرْقِ السَّفِينَةِ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِنَّمَا قَامَ بِخَرْقِ السَّفِينَةِ لِيُحْدِثَ فِيهَا عَيْباً، لِأَنَّهُمْ

وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا

كانُوا سيمُرُّون في طَرِيقِهِمْ عَلَى مَلِكٍ ظَالِمٍ، يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ حَسَنَةِ المَنْظَرِ، غَصْباً، وَإِحْدَاثُ العَيْبِ فِي السَفِينَةِ يُنْقِذُهَا مِنْ شَرِّ هٰذَا المَلِكِ الظَّالِمِ، وَالسَّفِينَةُ يَمْلِكُهَا جَمَاعَةٌ مَسَاكِينُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيءٌ غَيْرُها يَرْتَزِقُونَ مِنْهُ.

وَرَاءَهُم - أَمَامَهُم أَوْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

غَصْباً - ٱسْتِلاباً بِغَيْرِ حَقٍّ.

٨٠ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا

(الْغُلامُ) (طُغْيَاناً)

(٨٠) - أَمَّا الغُلامُ الَّذِي قَتَلَهُ، فَإِنَّهُ فِيمَا قَدَّرَ اللهُ، قَدْ طُبِعَ عَلَى الكُفْرِ، وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ صَالِحَيْنِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُمَا لابْنِهِمَا عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى كُفْرِهِ، فَيَكُون فِي ذٰلِكَ هَلاكُهُمَا.

يُرْهِقُهُمَا - يُكَلِّفُهُمَا أَوْ يُغْشِيهِمَا.

٨١ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا

(زَكَاةً)

(٨١) - فَأَرَادَ أَنْ يُبْدِلَهُمَا اللهُ بِهِ وَلَداً أَزْكَى مِنْهُ نَفْساً (خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً)، وَأَكْثَرَ بِرّاً بِوَالِدَيْهِ.

زَكَاةً - طَهَارَةً مِنَ السُّوءِ، أَوْ دِيناً وَصَلاحاً.

أَقْرَبَ رُحْماً - رَحْمَةً عَلَيْهِمَا وَبِرّاً بِهِمَا.

٨٢ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا

(لِغُلامَيْنِ) (صَالِحاً)

(٨٢) - أَمَّا الجِدَارُ الَّذِي أَقَامَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، وَدَعَمَهُ دُونَ أَجْرٍ، فَقَدْ كَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْقَرْيَةِ، وَكَانَ أَبُوهُمَا رَجُلاً صَالِحاً، وَكَانَ تَحْتَ الْجِدَارِ المَائِلِ لِلانْهِدَامِ، كَنْزٌ مَدْفُونٌ لا يَعْرِفُ مَكَانَهُ أَحَدٌ، فَإِذَا ٱنْهَارَ الْجِدَارُ، وَهُمَا صَغِيرَانِ، فَقَدْ يَضِيعُ الكَنْزُ، وَلا يَنْتَفِعَانِ بِهِ، لِذَلِكَ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ الْجِدَارَ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الكَنْزِ الَّذِي تَحْتَهُ، حَتَّى يَبْلُغَ الْغُلامَانِ أَشُدَّهُمَا، وَيَسْتَطِيعَا ٱسْتِخْرَاجَهُ وَالانْتِفَاعَ بِهِ.

وَأَضَافَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَائِلاً: إِنَّ الَّذِي فَعَلَهُ فِي الحَالاتِ الثَّلاثِ إِنَّمَا كَانَ رَحْمَةً مِنَ اللهِ بِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ، وَبِوَالِدَي الغُلامِ الَّذِي قَتَلَهُ، وَبِالْيَتِيمَيْنِ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَقَدْ فَعَلَهُ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَوَحْيِهِ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الذِي تَقَدَّمَ هُوَ تَفْسِيرٌ لِلأَفْعَالِ التِي لَمْ يَسْتَطِعْ مُوسَى الصَّبْرَ عَلَيْها.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ ٨٣

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ ٨٤

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ٨٥

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ ٨٦

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ ٨٧

بَلَغَا أَشُدَّهُمَا - قُوَّتَهُمَا وَشِدَّتَهُمَا وَكَمَالَ عَقْلِهِمَا.

(وَيسْأَلُونَكَ) (سَأَتْلُو)

(٨٣) - وَتَسْأَلُكَ قُرَيْشٌ يَا مُحَمَّدُ - بِتَلْقِينٍ مِنَ الْيَهُودِ - عَنْ خَبَرِ ذِي القَرْنَيْنِ، فَقُلْ لَهُمْ سَأَقُصُّ عَلَيْكُمْ قِصَّتَهُ كَمَا أَخْبَرَنِي بِهَا رَبِّي.

(وَلاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مَنْ هُوَ ذُو القَرْنَيْنِ هَذَا الْمَقْصُودُ فِي هَذِهِ القِصَّةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ ذَا القَرْنَيْنِ المُشَارَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الآيَةِ هُوَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ، يَعْرِفُ اللهَ وَيَمْتَثِلُ لأَمْرِهِ).

(وَآتَيْنَاهُ)

(٨٤) - إِنَّا أَعْطَيْنَاهُ مُلْكاً عَظِيماً ثَابِتاً مُمَكَّناً لَهُ فِيهِ، وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ عِلْماً، وَبَسَطْنَا لَهُ اليَدَ، وَقَدَّرْنَا لَهُ الأَسْبَابَ الَّتِي تُوصِلُهُ إِلى مَا يُرِيدُ.

سَبَباً - عِلْماً وَطَرِيقاً يُوصِلُهُ إِلَيْهِ.

(٨٥) - فَأَرَادَ بُلُوغَ المَغْرِبِ، فَأَتْبَعَ طَرِيقاً يُوصِلُهُ إِلَيهِ، أَيْ سَلَكَ طَرِيقاً يُوصِلُهُ إِلَيْهِ.

(يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ)

(٨٦) فَسَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى وَصَلَ إِلى أَقْصَى مَا يُمْكِنِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّائِرُ، نَحْوَ الغَرْبِ (وَقِيلَ إِنَّهُ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِ المُحِيطِ الأَطْلَسِيِّ)، فَرَأَى الشَّمْسَ وَكَأَنَّهَا تَغْرُبُ، فِي البَحْرِ، فِي عَيْنٍ مِنْ طِينٍ أَسْوَدَ، وَوَجَدَ فِي المَكَانِ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ فِي سَيْرِهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ كُفَّاراً، وَقَدْ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِ الإِلْهَامِ: إِمَّا أَنْ يَقْتُلَهُمْ، إِن هُمْ لَم يُقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَ بِتَعْلِيمِهِمْ طَرِيقَ الهُدَى وَالرَّشَادِ، وَيُبَصِّرَهُم بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالقَوَانِينِ.

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ - بِحَسَبِ رَأْيِ العَيْنِ.

حَمِئَةٍ - ذَاتِ حَمْأَةٍ وَالحَمْأَةُ هِيَ الطِّينُ الأَسْوَدُ وَهُنَاكَ مَنْ قَرَأَهَا فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ أَيْ حَارَّةٍ.

حُسْناً - الدَّعْوَةُ إِلى الحَقِّ وَالهُدَى بِالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ.

(٨٧) - فَأَعْلَنَ ذُو القَرْنَينِ فِي أَفْرَادِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَنَّهُ مَن ظَلَمَ مِنْهُم نَفْسَهُ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ بِرَبِّهِ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، وَحِينَ يَرْجِعُ إِلى رَبِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَإِنَّهُ سَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً شَدِيداً مُؤْلِماً.

عذاباً نُكراً - مُنْكراً فظِيعاً.

(آمن) (صَالحاً)

(٨٨) - وَأَمَّا مَنْ تابعَنا عَلى مَا نَدْعوهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبادَةِ اللهِ، وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، فَلَهُ المَثُوبَةُ الحُسْنَى فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، جَزاءً لَهُ عَلَى إِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالحِ، وَسَنُعَامِلُهُ بِرِفْقٍ فِي الدُّنْيا، وَسَنُعَلِّمُهُ ما يَتَيَسَّرُ لَنا تَعْلِيمُهُ مِمَّا يُقَرِّبُهُ إِلى رَبِّهِ، وَيَلِينُ لَهُ قَلْبُهُ، وَلاَ يَشُقُّ عَلَيه فِعْلُهُ.

(٨٩) - ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعاً فَسَلَكَ الطَّرِيقَ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إلى مَشْرِقِهَا.

(٩٠) - فَلَمَّا بَلَغَ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيهِ الإِنْسَانُ فِي سَيْرِهِ بِاتِّجَاهِ الشَّرقِ مِنَ الأَرْضِ (مَطْلِعَ الشَّمْسِ) وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يُكِنُّهُمْ، وَلاَ أَشْجَارٌ تُظِلُّهُمْ وَتَسْتُرُهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وَلَفْحِهَا، فَهُمْ يَغِيبُونَ فِي سَرَادِيبَ فِي النَّهارِ، تَقِيهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَلَفْحِهَا، وَيَخْرُجُونَ مِنْ هَذِهِ السَّرَادِيبِ لَيْلاً لِكَسْبِ عَيْشِهِم.

سِتْراً - سَاتِراً مِنَ اللِّبَاسِ أَوِ البِنَاءِ.

(٩١) - لَقَدْ كَانَ حَالُ ذِي القَرْنَيْنِ كَمَا وَصَفْنَا مِنْ قَبْلُ: مَكَّنَا لَهُ فِي الأَرْضِ، وَبَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَمَغْرِبَهَا، وَنَحْنُ عَلَى عِلْمٍ وَاطِّلاعٍ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ جَيْشِهِ، لاَ يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهُ شَيءٌ.

خُبْراً - عِلْماً شَامِلاً.

(٩٢) - ثُمَّ أَتْبَعَ طَرِيقاً ثَالِثاً مُعْتَرِضاً مِنْ مَشَارِقِ الأَرْضِ إِلى الشَّمَالِ.

(٩٣) - حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ، وَجَدَ، دُونَ السَّدَّيْنِ، قَوماً لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً، لاسْتِعْجَامِ كَلاَمِهِمْ، وَبُعْدِ لُغَتِهِمْ عَنْ لُغَاتِ النَّاسِ، مَعَ قِلَّةِ فِطْنَتِهِمْ، إِذْ لَوْ كَانَتْ لَهُمْ فِطْنَةٌ لَفَهِمُوا مَا يُرادُ مِن القَوْلِ بِالقَرَائِنِ، وَمُقْتَضَيَاتِ الحَالِ.

السَّدَّيْنِ - جَبَلَيْنِ مُتَنَاوِحَيْنِ بَيْنَهُمَا ثَغْرَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا قَوْمُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ عَلَى بِلادِ التُّرْكِ، فَيَعِيثُونَ فِيهَا فَسَاداً، وَيُهْلِكُونَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ.

(يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ)

(٩٤) - فَقَالُوا: يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ قَوْمَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ هُمْ قَوْمٌ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ، وَيَعِيثُونَ فِي أَرْضِنَا فَسَاداً، فَيَقْتُلُونَ وَيُخَرِّبُونَ. فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ جُعْلاً مِنْ أَمْوَالِنا لِتَبْنِيَ لَنَا سَدّاً يَحُولُ دُونَ وُصُولِهِمْ إِلَيْنَا؟

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾

كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾

قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾

يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ - قَبِيلَتَانِ.

خَرْجاً - جُعْلاً مِنَ المَالِ تَسْتَعِينُ بِهِ فِي البِنَاءِ.

﴿٩٥﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا

(٩٥) - فَقَالَ لَهُمْ ذُو الْقَرْنَينِ: إِنَّ الَّذِي أَعْطَانِي اللهُ رَبِّي مِنَ المَالِ وَالقُوَّةِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي تَبْذُلُونَهُ لِي، فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهِ، وَلٰكِنْ سَاعِدُونِي بِعَمَلِكُمْ، وَبِآلاَتِ الْبِنَاءِ (بِقُوَّةٍ)، أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ سَدّاً مَنِيعاً، وَحَاجِزاً حَصِيناً مَتِيناً (رَدْماً).

(آتُونِي)

﴿٩٦﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا

(٩٦) - قَالَ ائْتُونِي بِقِطَعِ الحَدِيدِ، فَأَتَوْهُ بِهَا، فَأَخَذَ يُنَضِّدُهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ الأَسَاسِ، حَتَّى إِذَا حَاذَى بِهَا رُؤُوسَ الْجِبَالِ طُولاً وَعَرْضاً، أَضْرَمَ النَّارَ، حَتَّى إِذَا صَارَ الْحَدِيدُ كُلُّهُ نَاراً، قَالَ: آتُونِي بِالنُّحَاسِ الذَّائِبِ لِيَصُبَّهُ عَلَى الحَدِيدِ المُحَمَّى. فَصَارَ السَّدُّ كُلُّهُ كُتْلَةً وَاحِدَةً.

زُبَرَ الحَدِيدِ - وَاحِدُهَا زُبرةٌ أَيْ قِطْعَةٌ ضَخْمَةٌ.

القِطْرُ - النُّحَاسُ الذَّائِبُ.

الصَّدَفَيْنِ - جَانِبَي الْجَبَلَيْنِ - أَوْ رَأسَ الْجَبَلَيْنِ.

(اسْطَاعُوا) (اسْتَطَاعُوا)

﴿٩٧﴾ فَمَا اسْطَاعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُۥ نَقْبًا

(٩٧) - فَمَا اسْتَطَاعَ قَوْمُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَنْ يَصْعَدُوا فَوْقَ السَّدِّ لارْتِفَاعِهِ وَمَلاَسَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا نَقْبَهُ لِصَلاَبَتِهِ وَسَمَاكَتِهِ.

أن يَظْهَرُوهُ - أَنْ يَعْلُوا ظَهْرَهُ لارْتِفَاعِهِ.

نَقْباً - خَرْقاً وَثَقْباً لِصَلاَبَتِهِ وَثَخَانَتِهِ.

﴿٩٨﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا

(٩٨) - وَلما انْتَهى ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ إِقَامَةِ السَّدِّ قَالَ: هٰذَا السَّدُّ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ بِالنَّاسِ، إِذْ حَالَ دُونَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَالْعَيْثِ وَالفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَإِذَا اقْتَرَبَ الوَعْدُ الْحَقُّ، وَحَانَ مَوْعِدُ خُرُوجِهِمْ مِنْ وَرَاءِ السَّدِّ، دَكَّهُ اللهُ، وَسَوَّاهُ بِالأَرْضِ، وَكَانَ وَعْدُ اللهِ حَقّاً مَفْعُولاً لاَ مَحَالَةَ.

جَعَلَهُ دَكَّاءَ - مَدْكُوكاً مِنْ أَسَاسِهِ وَمُسَوًّى بِالأَرْضِ. وَتَقُولُ العَرَبُ نَاقَةٌ دَكَّاءُ أَيْ لاَ سَنَامَ لَهَا.



(يَوْمَئِذٍ) (فَجَمَعْنَاهُمْ)

﴿٩٩﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا

(٩٩) - وَيَوْمَ يَدُكُّ اللهُ هٰذَا السَّدَّ يَخْرُجُ هٰؤُلاَءِ فَيَمُوجُونَ فِي النَّاسِ، وَيُفْسِدُونَ عَلَى النَّاسِ أَمْوالَهُمْ، وَيُتْلِفُونَ أَشْيَاءَهُمْ. وَحِينَ يَحِينُ مَوْعِدُ

قِيَامِ السَّاعَةِ يَنْفخُ الْمَلَكُ فِي الصُّورِ، وَيَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ جَمِيعاً إِلَيْهِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

يَمُوجُ - يَخْتَلِطُ وَيَضْطَرِبُ.

نُفِخَ فِي الصُّورِ - نُفِخَ فِي القَرْنِ نَفْخَةُ الْبَعْثِ؛ وَالْصُّورُ قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً.

(يَوْمَئِذٍ) (لِلْكَافِرِينَ)

١٠٠ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا

(١٠٠) - وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ يَعْرِضُ اللهُ تَعَالَى جَهَنَّمَ عَلَى الكَافِرِينَ، وَيُبْرِزُهَا لَهُمْ لِيَرَوْا مَا فِيهَا مِنَ الهَوْلِ وَالنَّكَالِ، قَبْلَ أَنْ يَقْذِفَهُمْ فِيهَا، لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَبْلَغَ فِي تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ وَالأَلَمِ لَهُمْ.

١٠١ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا

(١٠١) - وَهٰؤُلاَءِ الكَافِرُونَ، الَّذِينَ آسْتَحَقُّوا هٰذَا العِقَابَ، هُمُ الَّذِينَ تَغَافَلُوا عَنْ قَبُولِ الهُدَى، وَآتِّبَاعِ الحَقِّ، وَكَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

غِطَاءٍ - غِشَاءٍ غَلِيظٍ، وَسِتْرٍ كَثِيفٍ.

(لِلْكَافِرِينَ)

١٠٢ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا

(١٠٢) - أَفَظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِي، وَآتَّخَذُوا عِبَادِي، الَّذِينَ هُمْ فِي قَبْضَتِي، وَتَحْتَ سُلْطَانِي، كَالْمَلاَئِكَةِ وَعِيسَى وَعُزَيْرٍ. مَعْبُودَاتٍ مِنْ دُونِي أَنَّ هٰؤُلاَءِ الْمَعْبُودِينَ سَيَنْفَعُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ إِنَّ ذٰلِكَ لَنْ يُجْدِيَهُمْ نَفْعاً، وَلَنْ يُنْجِيَهُمْ مِمَّا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ النَّكَالِ وَالوَبَالِ، وَلَنْ يُنْجِيَهُمْ مِنَ العَذَابِ، فَقَدْ هَيَّأْنَا جَهَنَّمَ وَأَعْدَدْنَاهَا لِهٰؤُلاَءِ الْكَافِرِينَ لِتَكُونَ لَهُمْ مَقَرّاً وَمُسْتَقَرّاً (نُزُلاً).

نُزُلاً - مَنْزِلاً أَوْ شَيْئاً يَمْتَنِعُونَ بِهِ.

(أَعْمالاً)

١٠٣ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا

(١٠٣) - قُلْ، أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ بِالبَاطِلِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً؟ إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ عَبَدُوا اللهَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ يَرْضَاهَا تَعَالَى، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُصِيبُونَ فِيهَا، وَأَنَّ عَمَلَهُمْ مَقْبُولٌ. وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ مُخْطِئُونَ وَاهِمُونَ، وَعَمَلُهُمْ مَرْدُودٌ.

١٠٤ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

(الْحَيَاةِ)

(١٠٤) - يُفَسِّرُ اللهُ تَعَالَى هُنَا مَعْنَى (الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً)، وَيَدُلُّ عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ عَمِلُوا أَعْمَالاً بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَتِهِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الهُدَى وَالصَّوَابِ، وَأَنَّهُمْ مَقْبُولُونَ وَمَحْبُوبُونَ، وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَسَنَةٌ يَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَى.

١٠٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا

(أُولَئِكَ) (بِآيَاتِ) (وَلِقَائِهِ) (أَعْمَالُهُمْ) (الْقِيَامَةِ)

(١٠٥) - وَهؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَكَفَرُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَكَفَرُوا بِحُجَجِ رَبِّهِمْ وَبَرَاهِينِهِ وَدَلاَئِلِهِ التِي أَقَامَهَا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ، وَكَذَّبُوا بِالآخِرَةِ وَالْحِسَابِ، فَهَلَكَتْ أَعْمَالُهُمْ وَبَطَلَتْ (حَبِطَتْ)، فَلاَ تَزِنُ أَعْمَالُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ شَيْئاً، وَلاَ يَكُونُ فِي كَفَّةِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَلٌ صَالِحٌ يُرَجِّحُهَا، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ خَالِيَةٌ مِنْ عَمَلِ خَيْرٍ، وَالْمَوَازِينُ لاَ تَرْجَحُ وَلاَ تَثْقُلُ إِلاَّ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِرَجُلٍ عَظِيمٍ طَوِيلٍ فَلاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ). (رَوَاهُ البُخَارِيُّ).

وَزْناً - مِقْدَاراً وَاعْتِبَاراً لِحُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ وَتَلاَشِيهَا.

١٠٦ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا

(آيَاتِي)

(١٠٦) - وَيَكُونُ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، الْعَذَابَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَدْ جَازَاهُمُ اللهُ بِهذَا الجَزَاءِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَاتِّخَاذِهِمْ آيَاتِ اللهِ وَرُسُلِهِ وَنُذُرِهِ هُزْواً، فَاسْتَهْزَؤُوا وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ.

١٠٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتُ)

(١٠٧) أَمَّا السُّعَدَاءُ فَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ التِي تُرْضِي اللهَ، وَهؤُلاَءِ يَكُونُ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ جَنَّاتٍ تَجْرِي فِيهَا الأَنْهَارُ، وَتَكُونُ مَنْزِلاً لَهُمْ.
(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ - الفِرْدَوْسُ مِن رَبْوَةِ الجَنَّةِ هِيَ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا).

١٠٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا

(خَالِدِينَ)

(١٠٨) - وَيُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً، لاَ يَنْتَقِلُونَ مِنْهَا وَلاَ يَخْتَارُونَ عَنْهَا بَدِيلاً، وَلاَ يَرْضَوْنَ بِسِوَاهَا مَنْزِلاً وَمُتَحَوَّلاً.

﴿١٠٩﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

﴿١١٠﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا

حِوَلاً - تَحَوُّلاً وَٱنْتِقالاً.

(لِكَلِمَاتِ) (كَلِمَاتُ)

(١٠٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ: لَوْ كَانَ مَاءُ البَحْرِ كُلُّهُ حِبْراً (مِدَاداً) لِلْقَلَمِ الذِي تُكْتَبُ بِهِ كَلِمَاتُ اللهِ، وَحِكَمُهُ وَآيَاتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيهِ، لَنَفِدَ مَاءُ البَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ كِتَابَةُ ذٰلِكَ وَتُسْتَنْفَدَ، وَلَوْ كَانَ وَرَاءَ البَحْرِ بُحُورٌ أُخْرَى تَمُدُّهُ.

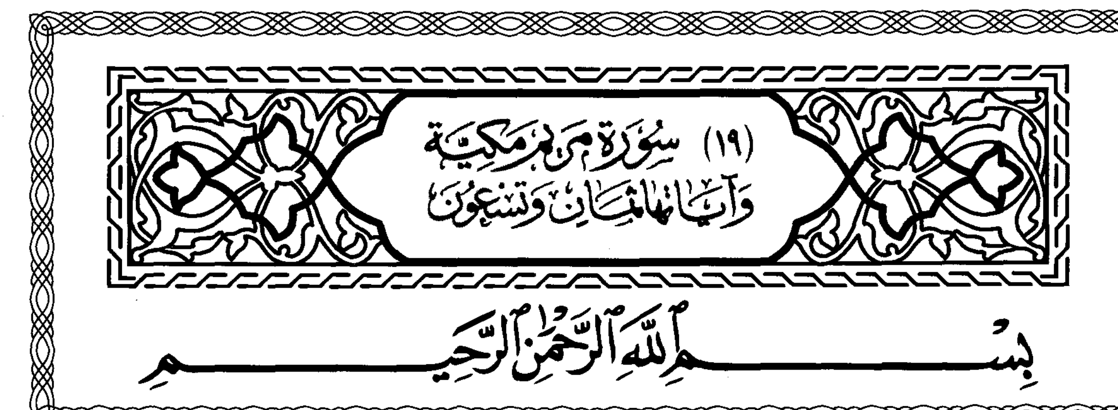
المِدَادُ - المَادَّةُ التِي يُكْتَبُ بِهَا - الحِبْرُ.

(وَاحِدٌ) (صَالِحاً) (يَرْجُو)

(١١٠) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ بِرِسَالَتِكَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، فَمَنْ زَعَمَ أَنِّي كَاذِبٌ فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ، فَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ فِيمَا أُخْبِرُكُمْ بِهِ، مِنَ المَاضِي، عَمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ قَصَصِ أَهْلِ الكَهْفِ، وَخَبَرِ ذِي القَرْنَيْنِ، مِمَّا هُوَ مُطَابِقٌ لِلْحَقِيقَةِ وَوَاقِعِ الحَالِ، وَلَوْ لَمْ يُطْلِعْنِي عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي لَمَا عَلِمْتُهُ.

وَأَنَا أُخْبِرُكُمْ أَنَّ إِلٰهَكُمُ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ. فَمَنْ كَانَ يَرْجُو ثَوَابَ اللهِ (لِقَاءَ رَبِّهِ)، وَجَزَاءَهُ الحَسَنَ فِي الآخِرَةِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً خَيِّراً مُوافِقاً لِلْشَّرْعِ، وَلاَ يُرِدْ بِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى.

(وَمُوَافَقَةُ العَمَلِ لِلْشَّرْعِ، وَٱبْتِغَاءُ وَجْهِ اللهِ بِهِ هُمَا الرُّكْنَانِ الأَسَاسِيَّانِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الذِي يَتَقَبَّلُهُ اللهُ).



(١) كٓهيعٓصٓ

(٢) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ

(٣) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا

(٤) قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا

(٥) وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا

(١) - كَافْ. هَا. يَا. عَيْن. صَادْ. اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(رَحْمَةِ)

(٢) - هٰذَا ذِكْرُ رَحْمَةِ اللهِ لِعَبْدِهِ زَكَرِيَّا نَقُصُّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. (وَزَكَرِيَّا نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ).

(٣) - حِينَ دَعَا رَبَّهُ خفْيَةً عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ (لأَنَّ الدُّعَاءَ الخَفِيَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ لِدَلاَلَتِهِ عَلَى الإِخْلاَصِ، وَالْبُعْد عَنِ الرِّيَاءِ).

(بِدُعَائِكَ)

(٤) - فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، وَخَارَتْ قُوَايَ (وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي)، وَشَابَ رَأْسِي وَلَمْ أَعْهَدْ مِنْكَ إِلاَّ الإِجَابَةَ لِدُعَائِي، وَلَمْ تَرُدَّنِي قَطُّ خَائِباً فِيمَا سَأَلْتُكَ.

وَهَنَ الْعَظْمُ - ضَعُفَ وَرَقَّ.

شَقِيّاً - خَائِباً فِي وَقْتٍ مَا.

(الْمَوَالِي) (وَرَائِي)

(٥) - وَإِنِّي خِفْتُ إِذَا مِتُّ بِلاَ خَلَفٍ وَلاَ وَلَدٍ أَنْ تَتَصَرَّفَ عُصْبَتِي بِالنَّاسِ تَصَرُّفاً سَيِّئاً، وَأَنْ تَخْرُجَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ وَالْهُدَى، وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ لاَ تَلِدُ، فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَداً (وَلِيّاً)، يَكُونُ نَبِيّاً فَيَخْلُفُنِي فِي قَوْمِي، وَيَسُوسُهُمْ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ.

(وَاسْتَبْعَدَ الْمُفَسِّرُونَ أَنْ يَكُونَ المَقْصُودُ بِالآيَةِ أَنَّ زَكَرِيَّا خَافَ أَنْ يَرِثَهُ أَحَدٌ مِنْ مَوَالِيهِ فِي مَالِهِ، لأَنَّ الأَنْبِيَاءَ لاَ يُورِّثُونَ).

﴿٦﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا

﴿٧﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا

﴿٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا

﴿٩﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا

﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا

خِفْتُ المَوَالِي - أَقَارِبي العَصَبَةُ وَالمَوَالِي عَصبَةُ الإِنْسَانِ.

وَلِيّاً - ابْناً يَلِي الأَمْرَ بَعْدِي.

(آل)

(٦) فَيرِثُ هَذَا الوَلَدُ مِنِّي الْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَالحِكْمَةَ، وَيرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ الْمُلْكَ، وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ مَرْضِيّاً عِنْدَكَ، وَعِنْدَ خَلْقِكَ، تُحِبُّهُ أَنْتَ، وَتُحَبِّبُهُ إِلَى الْخَلْقِ فِي دِينِهِ وَخُلُقِهِ.

رَضِيّاً - مَرْضِيّاً عِنْدَكَ قَوْلاً وَفِعْلاً.

(يَا زَكَرِيَّا) (بِغُلَامٍ)

(٧) فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لِدُعَاءِ زَكَرِيَّا، وَقَالَ لَهُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ: إِنَّنا نُبَشِّرُكَ بِوَلَدٍ يُولَدُ لَكَ، وَيَكُونُ ٱسْمُهُ يَحْيى، يَكُونُ نَبِيّاً وَصَالِحاً وَمُصَدِّقاً بِالْمَسِيحِ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)، وَلَمْ نَجْعَلْ لاسْمِهِ مُمَاثِلاً مِنْ قَبْلُ.

(غُلَامٌ)

(٨) - فَتَعَجَّبَ زَكَرِيَّا حِينَ بُشِّرَ بالوَلَدِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ يُولَدُ لِي وَلَدٌ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ، وَأَنَا قَدْ تَقَدَّمَتْ بِيَ السِّنُّ كَثِيراً وَكَبِرْتُ، وَقَحِلَ عَظْمِي، وَلَمْ تَبْقَ فِيَّ قُوَّةٌ؟

أَنَّى يَكُونُ - كَيْفَ يَكُونُ.

العَاقِرُ - العَقِيمُ الَّذِي لاَ يُولَدُ لَهُ وَلَدٌ.

عِتِيّاً - أَيْ كَبِرَ وَيَبِسَتْ مَفَاصِلُهُ.

(٩) - فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ قَائِلاً (أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ المَلَكُ الَّذِي أَبْلَغَهُ البُشْرَى بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى) إِنَّ جَعْلَكَ وَزَوْجَكَ تُنْجِبانِ وَلَداً وَأَنْتَ هَرِمٌ، وَٱمْرَأَتُكَ عَاقِرٌ هُوَ أَمْرٌ هَيِّنٌ يَسِيرٌ عَلَيَّ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ أَنْتَ مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ تَكُنْ شَيْئاً، وَالْخَلْقُ أَصْعَبُ مِنْ تَبْدِيلِ الصِّفَاتِ، كَجَعْلِ العَاقِرِ وَلُوداً.

(آيَةٌ) (آيَتُكَ) (ثَلَاثَ)

(١٠) - قَالَ زَكَرِيَّا: يَا رَبِّ ٱجْعَلْ لِي عَلاَمَةً وَدَلاَلَةً (آيَةً) عَلَى وُجُودِ مَا وَعَدْتَنِي بِهِ مِنْ حَمْلِ زَوْجَتِي، لِتَسْتَقِرَّ نَفْسِي، وَيَطْمَئِنَّ قَلْبِي بِمَا وَعَدْتَنِي؟

قَالَ الرَّبُّ: العَلاَمَةُ هِيَ أَنْ يَنْحَبِسَ لِسَانُكَ ثَلاَثَ لَيَالٍ، وَأَنْتَ صَحِيحٌ

﴿١١﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

﴿١٢﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا

﴿١٣﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا

﴿١٤﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا

مُعافًى (سَوِيّاً)، وَلَيْسَ بِكَ عِلَّةٌ، وَلاَ أَنْتَ تَشْكُو مَرَضاً، فَلا تَسْتَطِيعُ تَكْلِيمَ النَّاسِ وَمُحَاوَرَتَهُمْ. وَخِلالَ هَذِهِ اللَّيَالِي تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِعِبَادَاتِكَ، وَتَسْبِيحَ رَبِّكَ.

آيَةً - عَلامَةً عَلَى تَحَقُّقِ المَسْؤُولِ.

سَوِيّاً - سَلِيماً لاَ خَرَسَ بِكَ وَلاَ عِلَّةٍ.

(١١) - وَبَعْدَ أَنْ أَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِهٰذِهِ العَلاَمَةِ، خَرَجَ زَكَرِيَّا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ مُصَلاَّهُ، أَوْ مَحَلِّ عِبَادَتِهِ (المِحْرَابِ)، وَهُوَ لاَ يَسْتَطِيعُ الكَلاَمَ، وَقَدِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ بِتَسْبِيحِ اللهِ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا بِهِ، فَأَشَارَ إِلَيهِمْ لِيُسَبِّحُوا رَبَّهُمْ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، وَلِيُشَارِكُوهُ الشُّكْرَ للهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، إِذْ جَعَلَ فِيهِمْ نَبِيّاً يَخْلُفُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

المِحْرَابِ - المُصَلَّى أَوْ مَكَانِ العِبَادَةِ.

بُكْرَةً وَعَشِيّاً - طَرَفَيِ النَّهَارِ.

(يَا يَحْيَى) (الْكِتَابَ) (وَآتَيْنَاهُ)

(١٢) - وَوُلِدَ لِزَكَرِيَّا ابْنُهُ يَحْيَى، وَأَصْبَحَ صَبِيّاً، فَنَادَاهُ الرَّبُّ قَائِلاً: يَا يَحْيَى تَعَلَّمِ التَّوْرَاةَ (خُذِ الكِتَابَ) وَاعْمَلْ بِمَا فِيهَا بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ. وَآتَاهُ اللهُ الفَهْمَ وَالعِلْمَ وَالجِدَّ وَالعَزْمَ، وَالإِقْبَالَ عَلَى الخَيْرِ، وَالاجْتِهَادَ فِيهِ وَهُوَ حَدَثٌ صَغِيرُ السِّنِّ.

الْحُكْمَ - فَهْمَ التَّوراةِ وَالعِلْمِ.

(وَزَكَاةً)

(١٣) - وَجَعَلْنَاهُ ذَا حَنَانٍ وَشَفَقَةٍ عَلَى النَّاسِ، مُحِبّاً لِلطَّهَارَةِ مِنَ الدَّنَسِ وَالآثَامِ وَالذُّنُوبِ (وَزَكَاةً)، وَكَانَ تَقِيّاً طَاهِراً لاَ يَرْتَكِبُ الذُّنُوبَ وَالمُحَرَّمَاتِ.

حَنَاناً - رَحْمَةً وَعَطْفاً عَلَى النَّاسِ.

زَكَاةً - بَرَكَةً أَوْ طَهَارَةً مِنَ الذُّنُوبِ.

تَقِيّاً - مُطِيعاً وَمُجْتَنِباً لِلمَعَاصِي.

(بِوَالِدَيْهِ)

(١٤) - وَجَعَلْنَاهُ كَثِيرَ البِرِّ بِوَالِدَيْهِ، مُطِيعاً لَهُمَا، مُجَانِباً لِعُقُوقِهِمَا قَوْلاً

وَفِعْـلاً، وَلَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّراً مُتَجَبِّـراً عَلَى النَّاسِ (جَبَّـاراً)، بَـلْ كَـانَ لَيِّنَ الجَانِبِ، وَلَمْ يَكُنْ عَاصِياً لِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ.

بَرّاً بِوَالِدَيْهِ ـ كَثِيرَ البِرِّ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا.

جَبَّاراً عَصِيّاً ـ طَاغِيَةً مُخَالِفاً أَمْرَ رَبِّهِ.

١٥ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا

(وَسَلَامٌ)

(١٥) ـ وَلَهُ التَّحِيَّةُ مِنَ اللهِ، وَلَهُ الأَمَانُ يَوْمَ وُلِدَ، وَيَوْمَ يَمُوتُ، وَيَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ فِي الآخِرَةِ حَيّاً مَعَ الخَلَائِقِ يَوْمَ الحَشْرِ.

١٦ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

(الْكِتَابِ)

(١٦) ـ وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى قِصَّةَ زَكَرِيَّا فِي إِيجَادِ وَلَدٍ لَهُ بَعْدَ أَنْ كَبِرَ وَشَاخَ، وَامْرَأَتُهُ عَاقِرٌ لَا تَلِدُ، أَتَى عَلَى ذِكْرِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَوِلَادَةِ وَلَدٍ لَهَا مِنْ غَيْرِ أَبٍ. وَفِي كِلَا الأَمْرَيْنِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى عَظَمَةِ الخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ.

وَمَرْيَمُ هِيَ بِنْتُ عِمْرَانَ مِنْ سُلَالَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَـانَتْ مَرْيَمُ مِنْ بَيْتٍ طَيِّبٍ طَاهِرٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى نَشْأَتَهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، فَكَانَتْ إِحْدَى العَابِـدَاتِ النَّاسِكَـاتِ، وَكَانَتْ فِي كَفَـالَةِ زَوْجِ خَالَتِهَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى ـ وَلَهُ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ ـ أَنْ يُـوجِدَ مِنْهَـا وَلَداً مِنْ غَيْـرِ أَبٍ، انْتَحَتْ (انْتَبَـذَتْ) عَنْ أَمَـاكِنِ أَهْلِهَـا، وَاتَّخَذَتْ لَهَا مَكَاناً يَقَعُ شَرْقِيَّ أَمَاكِنِهِمْ (مَكَاناً شَرْقِيّاً).

(وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ النَّصَارَى ٱتَّخَذُوا المَشْرِقَ قِبْلَةً لَهُمْ لأَنَّ المَشْرِقَ كَانَ مَكَانَ مِيلَادِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ٱنْتَبَذَتْ ـ ٱعْتَزَلَتْ وَٱنْفَرَدَتْ.

١٧ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا

(١٧) ـ فَٱتَّخَذَتْ مِنْ دُونِ أَهْلِهَا سِتْراً يَسْتُرُهَا عَنْ أَعْيُنِهِمْ وَعَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَاءَهَا مُتَمَثِّلاً فِي صُورَةِ رَجُلٍ تَامِّ الخَلْقِ.

حِجَاباً ـ سِتْراً.

رُوحَنَا ـ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

بَشَراً سَوِيّاً ـ إِنْسَاناً تَامَّ الخَلْقِ مُسْتَوِيَهُ.

١٨ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ

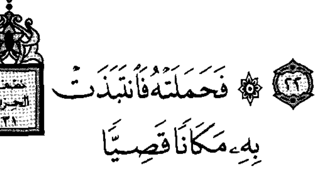
(١٨) ـ وَلَمَّا تَبَدَّى لَهَا المَلَكُ فِي صُورَةِ رَجُـلٍ دَاخِلَ الحِجَـابِ الذِي

إِن كُنتَ تَقِيًّا

١٩ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا

٢٠ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا

٢١ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا



٢٢ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا

٢٣ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا

اتَّخذَتْهُ لِنفسِها، خافتْهُ وظَنَّتْهُ رَجُلاً يُرِيدُ بِها سُوءاً، فَقالَتْ: إنِّي أعُوذُ بِاللهِ وَأَسْتَجِيرُ بِهِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِياً تَخافُ اللهَ، وتَرْعَوي إذا ذُكِّرت بِهِ.

(غلاماً)

(١٩) - فَقالَ لَها المَلَكُ مُطَمْئِناً: إنَّني رَسُولُ اللهِ إلَيْكِ، بَعثَني لأَهَبَ لَكِ غُلاماً طَاهِراً صَالِحاً، وَلَنْ يَنالَكِ مِنِّي أذًى.

غُلاماً زَكِياً - مُزَكًى مُطهَّراً بِالخِلْقَةِ.

(غُلامٌ)

(٢٠) - فَتَعجَّبَتْ مَرْيَمُ مِنْ قَوْلِ المَلَكِ، وَقالَتْ لَهُ: كَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ دُونَ أنْ يَمَسَّنِي رَجُلٌ، وَأنا لَسْتُ بِذاتِ زَوْجٍ، وَلَسْتُ بَغِيّاً: فَاجِرَةً؟

بَغِياً - فاجِرَةً تَبْغِي الرِّجالَ.

(آيةً)

(٢١) - فَقالَ لَها المَلَكُ مُجِيباً: إنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ: إنَّهُ سَيُوجِدُ مِنْكِ وَلَداً، وَإنْ لَمْ يَمْسَسْكِ بَشَرٌ، وَإنْ لَمْ تَكُونِي ذاتَ بَعْلٍ، وَلَمْ تَفْحُشِي، فَإنَّ ذٰلِكَ سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَإنَّهُ تَعالَى قَادِرٌ عَلَى فِعْلِ مَا يَشاءُ، وَسَتَكُونُ وِلادَةُ هٰذا الوَلَدِ عَلَى هٰذِهِ الصُّورَةِ دَلالَةً لِلنَّاسِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ بَارِئِهِمْ وَخالِقِهِمْ، وَسَيَكُونُ هٰذا الوَلَدُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ مِنَ اللهِ، يَدْعُوهُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ وَطاعَتِهِ، وَإنَّهُ أمْرٌ مَقْضِيٌّ مِنَ اللهِ كَائِنٌ لا مَحالَةَ، وَلاَ رادَّ لِما قَضَى.

(٢٢) - وَحِينَما نَفَخَ فِيهَا المَلَكُ مِنْ رُوحِ اللهِ، وَحَمَلَتْ بِابْنِها عِيسَى عَلَيهِما السَّلامُ، ضَاقَتْ بِهِ ذَرْعاً، وَلَمْ تَدْرِ ما تَقُولُ لِلنَّاسِ، فَابْتَعَدَتْ عَنِ أهْلِها، وَذَهَبَتْ إلى مَكانٍ قَاصٍ لا تَراهُمْ فِيهِ وَلاَ يَرَوْنَها.

مَكاناً قصِياً - بَعِيداً عَنْ أهْلِها.

(يا لَيْتَني)

(٢٣) - فَاضْطَرَّها أَلَمُ المَخاضِ، وَألْجَأَها إلى جِذْعِ نَخْلَةٍ تَسْتَنِدُ إلَيهِ فِي المَكانِ الَّذِي لَجأَتْ إلَيْهِ، وَانْتَحَتْ فِيهِ عَنْ أهْلِهَا، وَفَكَّرَتْ فِيما سَيَقُولُهُ قَوْمُها عَنْهَا، إذَا عَادَتْ بِالوَلِيدِ، وَهِيَ تَحْمِلُهُ، فَتَمَنَّتِ المَوْتَ، وَقالَتْ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذا الحَمْلِ، وَلَمْ أكُنْ شَيْئاً يُذْكَرُ فَيُعْرَفُ، وَلَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ مَنْ أنا.

النَّسِيُّ - الشَّيءُ التَّافِهُ الحَقِيرُ الذِي لاَ يُعْتَدُّ بِهِ فَيُنْسَى.

﴿٢٤﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا

﴿٢٥﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا

﴿٢٦﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا

﴿٢٧﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا

﴿٢٨﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا

أجاءَها المَخاضُ - أَلْجأَها وَجَعُ الطَّلْقِ والوِلاَدَةِ.

المَخاضُ - آلامُ الطَّلْقِ.

(فَنَادَاهَا)

(٢٤) - فَنُودِيَتْ مَرْيَمُ عَلَيها السَّلامُ مِنْ تَحْتِهَا (وَٱخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ مَنْ نَادَاهَا: أَهُوَ جِبْرِيلُ أَمْ هُوَ الوَلِيدُ)، وَقَالَ لَهَا مَنْ نَادَاها: لَا تَحْزَنِي لِمَا أَنْتِ فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ، وَقَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَ قَدَمَيْكِ جَدْوَلَ مَاءٍ تَشْرَبِينَ مِنْهُ.

سَرِيّاً - جَدْوَلَ مَاءٍ.

(تُساقِطْ)

(٢٥) - وَهُزِّي جِذْعَ هٰذِهِ النَّخْلَةِ، التِي فَوْقَكِ، فَتُسْقِط عَلَيْكِ ثَمَراً طَازَجاً طَرِياً حَانَ قِطَافُهُ.

رُطَباً - ثَمراً طازَجاً.

جَنِياً - حَانَ جَنْيُهُ وَقِطَافُهُ.

(٢٦) - وَهٰكَذا أَصْبَحَ لَدَيْكِ مَاءٌ تَشْرَبِينَ مِنْهُ وَطَعَامٌ، فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَطِيبِي نَفْساً، وَٱبْعِدِي عَنْكِ الهُمُومَ وَالأَحْزَانَ، فَإِذا رَأَيْتِ أَحَداً مِنَ البَشَرِ فَلَا تُكَلِّمِيهِ، وَأَشِيرِي إِلَيْهِ أَنَّكِ نَذَرْتِ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً عَنِ الكَلامِ، وَأَنَّكِ لَا تُكَلِّمِينَ أَحَداً مِنَ البَشَرِ هٰذا اليَوْمَ.

قَرِّي عَيْناً - طِيبي نَفْساً وَلَا تَحْزَنِي.

(يَا مَرْيَمُ)

(٢٧) - وَحِينَما صَدَرَ الأَمْرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى إِلَى مَرْيَمَ بِأَنْ تَصُومَ ذٰلِكَ اليَوْمَ عَنِ الكَلامِ، وَأَنْ لَا تُكَلِّمَ أَحَداً مِنَ البَشَرِ، فَعَلَتْ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَٱسْتَسْلَمَتْ لِقَضَاءِ اللهِ، فَأَخَذَتْ وَلِيدَها، وَجَاءَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، فَلَمَّا رَأَوْهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا الوَلِيدُ، أَعْظَمُوا الأَمْرَ وَٱسْتَنْكَرُوهُ، وَقَالُوا لَهَا: لَقَدْ جِئْتِ يَا مَرْيَمُ أَمراً عَظِيماً مُنْكَراً.

شَيْئاً فَرِيّاً - شَيْئاً عَظِيماً مُنْكَراً.

(يَا أُخْتَ) (هَارُونَ)

(٢٨) - ثُمَّ تَابَعُوا خِطَابَهُمْ إِلَيْهَا قَائِلِينَ لَهَا: يَا شِبْهَ هَارُونَ فِي التُّقَى

وَالـوَرَع وَالعِبَـادَةِ، أَنْتِ مِنْ بَيْتٍ طَيِّبٍ طَاهِرٍ، مَعْـرُوفٍ بِـالصَّـلاَحِ وَالعِبَادَةِ، فَكَيْفَ صَدَرَ مِنْكِ هٰذا؟ إِنَّ أَبَاكِ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ شَيءٌ مِنَ السُّوءِ، وَكَانَتْ أُمُّكِ صَالِحَةً مِثْلَ أَبِيكِ وَلَمْ تَكُنْ مُتَهتِّكَةً بَغِيّاً.

(وَقَدْ أَلِفَ النَّاسُ أَنْ يُنَادِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِيَا أَخَا تَمِيمٍ، وَيَا أَخَا مُضَرَ، وَيَا أَخَا هَارُونَ.. وَهَارُونُ هٰذا رَجُلٌ صَالِحٌ كَانَ مَعْرُوفاً بِالـزُّهْدِ وَالتُّقَى فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ مُعَاصِراً لِوِلاَدَةِ السَّيِّدِ المَسِيحِ).

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ﴿٢٩﴾

(٢٩) - وَكَانَتْ مَرْيَمُ صَائِمَةً ذٰلِكَ اليَوْمَ، فَأَشَارَتْ إِلَى وَلِيدِهَا لِيَسْأَلُوهُ، فَقَـالُوا لَهَـا مُتَهكِّمِينَ سَـاخِرِينَ: كَيْفَ نُكَلِّمُ طِفْـلاً مَـا زَالَ فِي المَهْـدِ رَضِيعاً؟

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٣٠﴾

(آتَانِي) (الْكِتَاب)

(٣٠) - فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى: إِنَّهُ عَبْدُ اللهِ تَعَالَى، فَنَزَّهَ اللهَ تَعَالَى عَنِ الوَلَدِ، وَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ العُبُودِيَّةَ لِرَبِّهِ. ثُمَّ بَرَّأَ أُمَّهُ مِمَّا اتَّهَمَهَا بِهِ قَوْمُها. فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ اللهَ جَعَلَهُ نَبِيّاً وَآتَاهُ كِتَاباً.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ﴿٣١﴾

(وَأَوْصَانِي) (بِالصَّلاَةِ) (وَالزَّكَاةِ)

(٣١) - وَجَعَلَنِي مُعَلِّماً لِلْخَيْرِ، نَافِعاً لِلنَّاسِ (مُبَارَكـاً)، حَيْثُما حَلَلْتُ، وَأَيْنَمَا كُنْتُ، وأَوْصَانِي رَبِّي بِالمُوَاظَبَةِ عَلَى الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ﴿٣٢﴾

(بِوَالِدَتِي)

(٣٢) - وَأَمَرَنِي رَبِّي بِبِرِّ وَالِدَتِي، وَبِإِطَاعَتِهَا وَالإِحْسَانِ إِلَيها وَلَمْ يَجْعَلْنِي رَبِّي جَبَّـاراً مُسْتَكْبِراً عَنْ عِبَـادَةِ اللهِ وَطَاعَتِـهِ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي عَـدِيمَ البِـرِّ بِوَالِدَتِي فَأَشْقَى بِذٰلِكَ.

بَرّاً بِوَالِدَتِي - بَارّاً بِهَا مُحْسِناً مُكْرِماً.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿٣٣﴾

(والسَّلاَمُ)

(٣٣) - ثُمَّ عَادَ لِيُثْبِتَ عُبُودِيَّتَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِيُؤَكِّدَ أَنَّـهُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، يُولَدُ وَيَحْيَا وَيَمُوتُ وَيُبْعَثُ كَسَائِرِ البَشَرِ، وَلٰكِنَّهُ سَتَكُونُ لَهُ السَّلاَمَةُ فِي هٰذِهِ الأَحْوَالِ الَّتِي هِيَ أَشَقُّ مَا تَكُونُ عَلَى العِبَادِ (السَّلاَمُ عَلَيَّ).

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

(٣٤) - ذٰلِكَ الذي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، مِنْ خَبَرِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، هُوَ القَوْلُ الحَقُّ الـذِي يَخْتَلِفُ فِيهِ المُبْطِلُونَ، الذِينَ كَفَـرُوا بِعِيسَى، وَتَقَوَّلُوا عَلَى أُمِّهِ، وَشَكُّوا فِي وِلاَدَتِهِ، والذِينَ غَالَوْا فِيهِ فَادَّعَوْا أَنَّهُ اللهُ أَوْ أَنَّهُ ابْنُ اللهِ.

(٣٥) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

(٣٦) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ

(٣٧) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ

قَوْلَ الحَقِّ - كَلِمَةَ اللهِ لِخَلْقِهِ كُنْ.

يَمْتَرُونَ - يَشُكُّونَ أَوْ يُجادِلُونَ بِالبَاطِلِ.

(سُبْحَانَهُ)

(٣٥) - لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعالَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلامُ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُ لِيَكُونَ عَبْداً نَبِيّاً، نَزَّهَ نَفْسَهُ المُقَدَّسَةَ عَمَّا يَقُولُهُ الجاهِلُونَ الظَّالِمُونَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لاَ يَلِيقُ بِحِكْمَةِ اللهِ، وَكَمالِ أُلوهِيَّتِهِ أَنْ يَتَّخِذَ الوَلَدَ، لأَنَّهُ لَوْ أَرادَهُ لَخَلَقَهُ بِأَنْ يَقُولَ لَهُ (كُنْ) فَيَكُونُ بِلاَ حَمْلٍ وَلاَ وِلاَدةٍ. وَلأَنَّ الوَلَدَ إِنَّما يَرْغَبُ فِيهِ البَشَرُ لِيَكُونَ حافِظاً لأَبِيهِ يَعولُهُ وَهُوَ حَيٌّ، وَلِيَكُونَ ذِكراً لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَاللهُ تَعالَى لاَ يَحْتاجُ إِلى شَيءٍ مِنْ ذٰلِكَ، فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ مُلْكٌ لَهُ، وَهُوَ حَيٌّ أَبداً لاَ يَمُوتُ.

إِذا قَضى أَمْراً - إِذَا أَرادَ أَنْ يُحْدِثَهُ.

(صِراطٌ)

(٣٦) - وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ عِيسَى لِقَوْمِهِ حِينَما كَلَّمَهُمْ وَهُوَ فِي المَهْدِ: إِنَّ اللهَ رَبُّهُ وَرَبُّهُمْ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِعِبادَةِ اللهِ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ الَّذِي جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ، وَالطَّرِيقُ القَوِيمُ مَنِ اتَّبَعَهُ رَشَدَ، وَمَنْ خالَفَهُ ضَلَّ وَغَوى.

(٣٧) - فَاخْتَلَفَتِ الأَقْوالُ فِي عِيسَى:

- فَقالَ اليَهُودُ إِنَّهُ وُلِدَ مِنْ أَبٍ مَعْرُوفٍ، وَقالُوا عَنْ كَلامِهِ فِي المَهْدِ إِنَّهُ سِحْرٌ.

وَاخْتَلَفَتْ أَقْوالُ النَّصارَى فِي عِيسَى عَلَى وُجُوهٍ شَتَّى:

- فَقالَ اليَعاقِبَةُ - إِنَّ اللهَ هَبَطَ إِلى الأَرْضِ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّماءِ.

- وَقالَ النَّسْطُورِيُّونَ - هُوَ ابْنُ اللهِ أَظْهَرَهُ مَا شاءَ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيهِ.

- وَقالَ الأَرْيُوسِيُّونَ - إِنَّهُ عَبْدٌ كَسائِرِ خَلْقِ اللهِ، وَإِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، وَهٰذا القَوْلُ هُوَ القَوْلُ الحَقُّ الذي أَرْشَدَ اللهُ إِلَيْهِ المُؤْمِنِينَ. ثُمَّ هَدَّدَ اللهُ تَعالَى الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَى اللهِ الكَذِبَ، وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَداً، بِأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ جَزاءَهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَالوَيْلُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ مَشْهَدِ ذٰلِكَ اليَوْمِ العَظِيمِ.

(٣٨) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

(الظَّالِمُونَ) (ضَلَالٍ)

(٣٨) - لَئِنْ كَانَ هٰؤُلاءِ الكَافِرُونَ الذِينَ جعَلُوا للهِ أَنْداداً، وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَداً، عُمْياً فِي الدُّنيا عَنْ إِبصَارِ الحَقِّ، وَعَنْ إِدْراكِ حُجَجِ اللهِ التِي أَوْدَعَها فِي الكَوْنِ، وَكُلُّها تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَبَدِيعِ حِكْمَتِهِ، وَإِذَا كَانَ هٰؤلاءِ اليَوْمَ صُمّاً فِي الدُّنيا عَنْ سَماعِ آيَاتِ اللهِ التِي جَاءَهُمْ بِهَا رُسُلُهُمْ. . فَمَا أَسْمَعَهُمْ يَومَ القِيامَةِ، يَوْمَ يَقْدُمُونَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَمَا أَبْصَرَهُمْ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ، حِينَ لاَ يُجْدِي السَّمَاعُ، وَلا الإِبْصَارُ، وَلاَ يَنْفَعانِ شَيْئاً. وَفِي ذٰلِكَ اليَوْمِ يَعَضُّونَ الأَنامِلَ مِنَ الأَسَفِ وَالنَّدَمِ وَالحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلى الدُّنيا لِيَعْمَلُوا غَيْرَ مَا عَمِلُوا، وَلٰكِنْ لاَ يُجَابُ لَهُمْ طَلَبٌ.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ - مَا أَشَدَّ سَمْعَهُمْ وَمَا أَحَدَّ بَصَرَهُمْ!.

(٣٩) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(٣٩) - وَأَنْذِرِ النَّاسَ جمِيعاً، وَحَذِّرْهُمْ يَومَ الحِسابِ، وَهُوَ يَوْمٌ يَتَحَسَّرُ الظَّالِمُونَ فِيهِ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، حِينَ يُفْرَغُ مِنَ الحِسَابِ، وَيَذْهَبُ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَذْهَبُ أَهْلُ النَّارِ إِلى النَّارِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ فَرِيقٍ: إِنَّهُ الخُلُودُ حَيْثُ هُمْ، فَلاَ مَوْتَ وَلاَ زَوَالَ. وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ ذٰلِكَ اليَوْمِ، وَعَنْ حَسَراتِهِ، وَأَهْوالِهِ، وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَلاَ يُصَدِّقُونَ بِالقِيَامَةِ وَالبَعْثِ وَالحِسَابِ، وَالمُجَازَاةِ عَلَى الأَعْمَالِ.

يَوْمَ الحَسْرَةِ - يَوْمَ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ يَوْمُ النَّدامَةِ عَلَى مَا فَاتَ.

(٤٠) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ

(٤٠) - لاَ يَحْزُنْكَ أَيُّها الرَّسُولُ تَكْذِيبُ المُكَذِّبِينَ لَكَ فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الحَقِّ، فَإِنَّ إِلَينا مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ، وَمَصِيرَ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، فَالخَلاَئِقُ كُلُّها تَهْلِكُ، وَيَبْقَى اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ وَارِثاً لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَتَرجِعُ إِلَيْهِ الخَلاَئِقُ كُلُّها يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمالِهِمْ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ أَحداً مِنْ خَلْقِهِ.

(٤١) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا

(الْكِتَابِ) (إِبْراهِيمَ)

(٤١) - وَاتْلُ عَلَى قَوْمِكَ، الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، خَبَرَ أَبِيهِمْ إِبراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، الذِي يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّتِهِ، وَقَدْ كَانَ نَبِيّاً مُرْسَلاً مُصَدِّقاً بِكَلِماتِ رَبِّهِ.

(٤٢) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا

(يا أبَتِ)

(٤٢) - حِينَمَا قَالَ لأَبِيهِ وَهُوَ يَنْهَاهُ عَنْ عِبادَةِ الأَصْنامِ، وَيَدْعُوهُ إِلَى عِبَادَةِ

﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا

﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا

﴿٤٥﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا

﴿٤٦﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا

﴿٤٧﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا

اللهِ تَعَالَى: يَا أَبَتِ لِمَاذا تَعْبُدُ حِجارَةً أَصْناماً، لا تَسْمَعُ وَلا تُبْصِرُ، وَلا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ.

(يَا أَبَتِ) (صِراطاً)

(٤٣) - يَا أَبَتِ إِنِّي وَإِنْ كُنتُ ٱبْنَكَ، وَإِنْ كُنْتُ أَصْغَرَ مِنْكَ سِنّاً، إِلاَّ أَنَّني قَدِ ٱطَّلَعْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ، لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَمْ تَعْلَمْهُ، فَٱتْبَعْنِي فِيمَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ أُوصِلْكَ إِلى طَرِيقِ اللهِ المُسْتَقِيمِ، الَّذِي يُوصِلُكَ إِلَى الجَنَّةِ، وَإِلَى النَّجَاةِ فِي الآخِرَةِ.

صِراطاً سَوِيّاً - طَرِيقاً مُسْتَقِيماً مُنَجِّياً مِنَ الضَّلالِ.

(يَا أَبَتِ) (الشَّيْطَانَ)

(٤٤) - يَا أَبَتِ لاَ تُطِعِ الشَّيْطَانَ فِي عِبادَتِكَ هٰذِهِ الأَصْنَامَ، فَإِنَّهُ هُوَ الدَّاعِي إِلَى عِبادَتِها، وَقَدْ عَصَى الشَّيْطَانُ اللهَ رَبَّهُ، وَقَدْ خَلَقَهُ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَٱسْتَكْبَرَ عَنْ إِطاعَةِ أَمْرِ رَبِّهِ فَطَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ، فَلا تَتْبَعْهُ يا أَبَتِ لأَنَّهُ يُوصِلُ مَنِ ٱتَّبَعَهُ إِلى الهَلاكِ وَإِلَى نارِ جَهَنَّمَ.

عَصِيّاً - كَثِيرَ العِصْيَانِ.

(يَا أَبَتِ) (لِلشَّيْطَانِ)

(٤٥) - وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ يَا أَبَتِ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي شِرْكِكَ وَفِي تَعَنُّتِكَ، وَٱسْتِكْبارِكَ عَنْ عِبادَةِ اللهِ، فَتَكُونَ قَرِيناً وَتَابِعاً لِلشَّيْطَانِ فِي النَّارِ.

وَلِيّاً - قَرِيناً تَلِيهِ وَيَلِيكَ فِي النَّارِ.

(آلِهَتِي) (يَا إِبْرَاهِيمُ) (لَئِنْ)

(٤٦) - فَأَجَابَهُ أَبُوهُ قَائِلاً: أَتَرْفُضُ عِبادَةَ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ؟ لَئِن لَمْ تَنْتَهِ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنْ مُطَالَبَتِي بِالاقْلاعِ عَنْ عِبادَتِها، وَعِبادَةِ إِلٰهِكَ وَحْدَهُ، لأَرْجُمَنَّكَ بِالْحِجارَةِ، فَٱحْذَرْنِي، وَٱبْتَعِدْ عَنِّي وَفَارِقْنِي دَهْراً طَوِيلاً، حَتَّى تَهْدَأَ ثَائِرَتِي.

(وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ (مَلِيّاً) أَيِ ٱهْجُرْنِي وَأَنْتَ سَوِيٌّ سَالِمٌ، قَبْلَ أَنْ تَنالَكَ عُقُوبَتِي).

وَٱهْجُرْنِي مَلِياً - فارِقْنِي وَقْتاً طَوِيلاً.

(سَلاَمٌ)

(٤٧) - فَقَالَ إِبْراهِيمُ لأَبِيهِ: أَمَّا أَنَا فَلَنْ يَصِلَكَ مِنِّي أَذًى أَوْ مَكْرُوهٌ

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾

آحْتِرَاماً مِنِّي لِمَقَامِ الأُبُوَّةِ، وَسَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لَكَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيَكَ، وَيَغْفِرَ لَكَ ذُنُوبَكَ، فَقَدْ كَانَ رَبِّي دَائِمَ الإِكْرَامِ لِي، وَالاهْتِمَامِ بِحَالِي، وَالإِجَابَةِ لِدَعْوَتِي.

حَفِيّاً ـ بَرّاً لَطِيفاً أَوْ رَحِيماً مُكَرِّماً.

(وَأَدْعُو) ـ

(٤٨) ـ وَسَأَجْتَنِبُكُمْ وَأَتَبَرَّأُ مِنْكُمْ وَمِنْ آلِهَتِكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَسَأَعْبُدُ رَبِّي وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ رَاجِياً أَنْ يُكْرِمَنِي رَبِّي بِسَبَبِ هٰذِهِ العِبَادَةِ، وَهَذَا الدُّعَاءِ، وَأَلاَّ يَجْعَلَنِي شَقِيّاً، كَمَا شَقِيتُمْ أَنْتُمْ بِعِبَادَةِ تِلْكَ الأَصْنَامِ.

شَقِيّاً ـ خَائِباً ضَائِعَ السَّعْيِ.

(إِسْحَاقَ)

(٤٩) ـ فَلَمَّا آعْتَزَلَ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ، وَهَاجَرَ مِنْ أَرْضِهِمْ أَبْدَلَهُ اللهُ خَيْراً مِنْهُمْ، وَجَعَلَ لَهُ نَسْلاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَوَهَبَ لَهُ ابْنَهُ إِسْحَاقَ، وَوَهَبَ لإِسْحَاقَ ابْنَهُ يَعْقُوبَ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ، وَكُلاًّ مِنْهُمْ قَدْ جَعَلَهُ اللهُ نَبِيّاً مُبَارَكاً، وَجَعَلَ لَهُمْ نَسْلاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ.

(٥٠) ـ وَوَهَبَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَنَسْلِهِمْ رَحْمَةً مِنْهُ تَعَالَى فَآتَاهُمُ النَّسْلَ الطَّاهِرَ، وَالذُّرِّيَّةَ المُبَارَكَةَ وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ، وَالبَرَكَةَ فِي المَالِ وَالأَوْلاَدِ، وَجَعَلَ لَهُمْ ثَنَاءً جَمِيلاً وَذِكْراً طَيِّباً عَلَى مَدَى الدَّهْرِ، وَجَعَلَهُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَتِهِمْ، مَسْمُوعِي الكَلِمَةِ فِي قَوْمِهِمْ، يُؤْخَذُ قَوْلُهُمْ بِالطَّاعَةِ وَالتَّبْجِيلِ وَالاحْتِرَامِ.

لِسَانَ صِدْقٍ ـ ثَنَاءً جَمِيلاً فِي أَهْلِ كُلِّ دِينٍ.

(الْكِتَابِ)

(٥١) ـ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ ثَنَّى بِذِكْرِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، فَقَالَ: إِنَّ مُوسَى كَانَ مُخْلِصاً فِي عِبَادَتِهِ (بِكَسْرِ اللامِ) وَقَرَأَهَا آخَرُونَ بِفَتْحِ اللاَّمِ (أَيْ مُصْطَفَى) فَقَدْ جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ـ **﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾**[1] فَكَانَ رَسُولاً مِنْ أُولِي العَزْمِ، وَكَانَ نَبِيّاً دَاعِياً إِلَى الخَيْرِ، وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِلْخَلْقِ.

(١) سورة الأعراف، الآية (١٤٤).

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾

مُخْلِصاً - بِكَسْرِ اللَّامِ - يَعْنِي صَادِقاً فِي عِبَادَتِهِ.

مُخْلَصاً - بِفَتْحِ اللَّامِ - يَعْنِي أَخْلَصَهُ اللهُ وَآصْطَفَاهُ.

(وَنَادَيْنَاهُ) (وَقَرَّبْنَاهُ)

(٥٢) - وَحِينَمَا كَانَ مُوسَى سَائِراً بِأَهْلِهِ مِنْ مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ، وَصَلَ إِلَى وَادِي الطُّورِ، فَلَمَحَ نَاراً عَنْ بُعْدٍ، وَهُوَ فِي اللَّيْلِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ آمْكُثُوا لَعَلِّي آتِيكُمْ بِقَبَسٍ مِنَ النَّارِ، أَوْ أَسْأَلُ مَنْ هُنَاكَ عِنْدَ النَّارِ لِيَهْدُونِي إِلَى الطَّرِيقِ، فَوَجَدَ النَّارَ عَنْ يَمِينِهِ، فَنَادَاهُ اللهُ تَعَالَى وَقَرَّبَهُ وَنَاجَاهُ، وَأَنْبَأَهُ بِأَنَّهُ اخْتَارَهُ لِيَكُونَ رَسُولَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ.

قَرَّبْنَاهُ نَجِياً - مُنَاجِياً لَنَا.

(هَارُونَ)

(٥٣) - حِينَمَا كَلَّفَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَلِإِنْقَاذِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ: **﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً﴾**[1]. وَقَالَ فِي مَكَانٍ آخَرَ: **﴿أشدد به أزري وأشركه في أمري﴾**[2]، فَآسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَائِهِ، وَشَفَاعَتِهِ فِي أَخِيهِ هَارُونَ فَجَعَلَهُ نَبِياً.

(الْكِتَابِ) (إِسْمَاعِيلَ)

(٥٤) - وَآتْلُ يَا مُحَمَّدُ عَلَى قَوْمِكَ صِفَاتِ أَبِيهِمْ إِسْمَاعِيلَ عَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَتَخَلَّقُونَ بِأَخْلَاقِهِ. وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ آبْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَيَصِفُهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ، مَا التَزَمَ بِعِبَادَةٍ **قَطُّ** إِلَّا قَامَ بِهَا. ثُمَّ وَصَفَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ كَانَ رَسُولاً، وَكَانَ نَبِياً، بَيْنَمَا وَصَفَ إِسْحَاقَ بِأَنَّهُ كَانَ نَبِياً.

(بِالصَّلَاةِ) (وَالزَّكَاةِ)

(٥٥) - وَأَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ كَانَ صَابِراً عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، آمِراً أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَكَانَ مَرْضِياً عِنْدَ رَبِّهِ.

(الْكِتَابِ)

(٥٦) - ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِياً. (وَيُقَالُ إِنَّ إِدْرِيسَ كَانَ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ).

---

(١) الآية ٣٤ من سورة القصص.

(٢) الآيتان ٣١ و ٣٢ من سورة طه.

﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾

(وَرَفَعْنَاهُ)

(٥٧) - وَقَالَ تَعَالَى إِنَّهُ رَفَعَهُ فِي الجَنَّةِ مَكَاناً عَلِيّاً. وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ خَيَّاطاً، فَكَانَ لاَ يَغْرِزُ إِبرةً إِلاَّ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ، فَكَانَ يُمْسِي حِينَ يُمْسِي وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ عِنْدَ اللهِ عَمَلاً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾

(أُولَئِكَ) (النَّبِيِّين) (آدَم) (إِبْرَاهِيم) (إِسْرَائِيلَ) (آيَاتُ)

(٥٨) - وَهُؤلاءِ النَّبِيُّونَ الذِينَ قَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ قَصَصَهُمْ، هُمُ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ، وَمَنْ هَدَاهُمْ وَقَرَّبَهُمْ، وَكَانُوا إِذا سَمِعُوا كَلاَمَ اللهِ المُتَضَمِّنَ حُجَجَهُ وَدَلاَئِلَهُ وَبَرَاهِينَهُ، سَجَدُوا لِرَبِّهِمْ خُضُوعاً وَخُشُوعاً وَحَمْداً وَشُكْراً عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ العَظِيمَةِ وَهُمْ يَبْكُونَ.

اجْتَبَيْنَا - اصْطَفَيْنَا وَاخْتَرْنَا لِلنُّبُوَّةِ.

بُكِيّاً - بَاكِينَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ.



﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾

(الصَّلاَةَ) (الشَّهَوَاتِ)

(٥٩) - ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ هُؤلاءِ الأَنْبِيَاءِ الصَّالِحِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ، القَائِمِينَ بِحُدُودِ اللهِ وَأَوَامِرِهِ المُؤَدِّينَ فَرَائِضَهُ، خَلْفُ سُوءٍ، تَرَكُوا الصَّلاَةَ وَإِقَامَتَهَا، وَأَقْبَلُوا عَلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيا، فَهُؤُلاءِ سَوفَ يَلْقَوْنَ خَسَارَةً وَشَرّاً يَوْمَ القِيَامَةِ.

(وَلِذلِكَ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ إِلَى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ).

خَلْفٌ - عَقِبُ سوءٍ.

يَلْقَوْنَ غَيّاً - يَلْقَوْنَ جَزاءَ الغَيِّ وَالضَّلاَلِ.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾

(وآمَنَ) (صَالِحاً) (فَأُوْلَئِكَ)

(٦٠) - إِلاَّ مَنْ تَدَارَكَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ، وَصِدْقِ الإِيمَانِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَرَجَعَ عَنْ تَرْكِ الصَّلاَةِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَيُحْسِنُ عَاقِبَتَهُ، وَخِتَامَهُ، وَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ، لأَنَّ التَّوْبَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا، وَلاَ يُنْقِصُهُ اللهُ شَيْئاً مِنْ ثَوابِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ.

(وَفِي الحَدِيثِ: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ). (أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه).

(٦١) جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا

(جنَّاتِ)

(٦١) - وَالْجَنَّاتُ الَّتِي يُدْخِلُهَا اللهُ تَعَالَى التَّائِبِينَ، هِيَ جَنَّاتُ الإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ (جَنَّاتِ عَدْنٍ)، التِي وَعَدَ اللهُ عِبَادَهُ المُتَّقِينَ بِهَا، وَهِيَ مِنَ الغَيْبِ الذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَلَمْ يَرَوْهُ، وَإِنَّمَا آمَنُوا بِهِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ بِمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَاللهُ تَعَالَى لاَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبداً، فَإِنَّ مَا يَعِدُهُمْ بِهِ رَبُّهِمْ سَيَحْصُلُ، وَسَيَصِلُ إِلَى العِبَادِ (أَوْ سَيَأْتِيهِ العِبَادُ - وَالعَرَبُ تَقُولُ كُلُّ مَا أَتَاكَ فَقَدْ أَتَيْتَهُ، أَيْ إِنَّ مَأْتِيّاً وَآتِياً بِمَعْنىً وَاحِدٍ).

مَأْتِيّاً - آتِياً أَوْ مُنْجزاً.

(٦٢) لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا

(سلاماً)

(٦٢) - وَفِي هٰذِهِ الجَنَّاتِ لاَ يَسْمَعُ نُزَلاَؤُهَا كَلاَماً لَغْواً تَافِهاً لاَ مَعْنَى لَهُ، وَلاَ فَائِدَةَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَسْمَعُونَ المَلاَئِكَةَ يُحَيُّونَهُمْ بِالسَّلاَمِ، مِمَّا يُشْعِرُهُمْ بِالاطْمِئْنَانِ وَالسَّعَادَةِ وَالرِّضَا، وَيَأْتِيهِمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي طَرَفَيِ النَّهَارِ (بُكْرَةً وَعَشِيّاً) كَمَا كَانَ حَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا.

لَغْواً - كَلاَماً قَبِيحاً أَوْ كَلاَماً فُضُولاً لاَ خَيْرَ فِيهِ.

(٦٣) تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا

(٦٣) - وَالْجَنَّةُ الَّتِي بَيَّنَ اللهُ أَوْصَافَهَا العَظِيمَةَ فِيمَا تَقَدَّمَ، هِيَ الَّتِي يُورِثُهَا عِبَادَهُ المُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ، وَيَكْظِمُونَ الغَيْظَ، وَيَعْفُونَ عَنِ النَّاسِ.

(٦٤) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا

(٦٤) - رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِجِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟ فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ. فَالمَلاَئِكَةُ الكِرَامُ لاَ تَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِإِذْنِ رَبِّهِمِ الَّذِي لَهُ أَمْرُ الدُّنْيَا (مَا بَيْنَ أَيْدِينَا)، وَلَهُ أَمْرُ الآخِرَةِ (وَمَا خَلْفَنَا)، وَمَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلاَ يَنْسَى اللهُ شَيْئاً، وَلاَ تَطْرأُ عَلَيْهِ غَفْلَةٌ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ إِنْ كَانَ قَدْ أَخَّرَ الوَحْيَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ يَعْرِفُهَا هُوَ.

(٦٥) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا

(السَّماوَاتِ) (لِعبَادَتِهِ)

(٦٥) - وَرَبُّكَ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَمُدَبِّرُهُ، وَهُوَ الحَاكِمُ المُتَصَرِّفُ فِي هَذَا الوُجُودِ، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلعِبَادَةِ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ وَلاَ شَبِيهٌ وَلاَ مُمَاثِلٌ، فَاعْبُدْهُ يَا مُحَمَّدُ، وَثَابِرْ عَلَى عِبَادَتِهِ صَابِراً مُطْمَئِناً، وَلَيْسَ لِرَبِّكَ

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ٦٦
﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ ٦٧
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ٦٨
﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ ٦٩
﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ ٧٠
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ ٧١

مُمَاثِلٌ يُسَمَّى بِٱسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ.

سَمِيّاً - مُمَاثِلاً فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

(الإِنْسَانُ) (أَئِذَا)

(٦٦) - وَيَقُولُ الكَافِرُ مُتَعَجِّباً مِنْ وُقُوعِ البَعْثِ: كَيْفَ أُبْعَثُ حَيّاً بَعْدَ المَوتِ وَالفَنَاءِ، وَتَنَاثُرِ ذَرَّاتِ الأَجْسَادِ.

(الإِنْسَانُ) (خلقناه)

(٦٧) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى، عَلَى هٰؤُلاَءِ المُتَشَكِّكِينَ فِي أَمْرِ البَعْثِ، فَيَلْفِتُ نَظَرَهُمْ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى ٱبْتَدَأَ الخَلْقَ، وَخَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ لاَ شَيءٍ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَبْلَهُ إِنْسَانٌ. وَيَسْتَدِلُّ اللهُ تَعَالَى بِإِشَارَتِهِ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَدَأَ الخَلْقَ، عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِمْ مِنْ جَدِيدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، لأَنَّ الإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الابْتِدَاءِ، **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾**[1].

(وَالشَّيَاطِينَ)

(٦٨) - يُقْسِمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَاتِهِ الكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّهُ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَحْشُرَهُمْ جَمِيعاً، وَشَيَاطِينَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، ثُمَّ يُحْضِرُهُمْ جَمِيعاً حَوْلَ جَهَنَّمَ قُعُوداً عَلَى رُكَبِهِمْ، تَعْبِيراً عَنِ الإِهَانَةِ وَالتَّحْقِيرِ لَهُمْ.

جِثِيّاً - جَاثِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الهَوْلِ.

(٦٩) - وَيُتَابِعُ تَعَالَى قَسَمَهُ بِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ سَيَنْزِعُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ كُلِّ أُمَةٍ، وَمِنْ كُلِّ أَهْلِ دِينٍ (شِيعَةٍ) قَادَتَهُمْ وَكُبَرَاءَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا أَشَدَّ جَمَاعَتِهِمْ تَكَبُّراً، وَعُتُوّاً عَلَى الَّذِي خَلَقَهُم، وَغَمَرَهُمْ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَكْثَرَهُمْ تَجَاوُزاً لِلْحُدُودِ التِي شَرَّعَهَا اللهُ، ثُمَّ يَدْفَعُ بِهِمْ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ.

عِتِيّاً - عِصْيَاناً. جَرَاءَةً وَفُجُوراً.

(٧٠) - وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنْ يَصْلَى بِنَارِ جَهَنَّمَ، وَيَخْلُدَ فِيهَا، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ مُضَاعَفَةَ العَذَابِ فَيُدْخِلُهُمْ أَوَّلاً فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيَصْلَوْهَا ثُمَّ يُدْخِلُ الآخَرِينَ إِلَيْهَا بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ فِي العُتُوِّ وَالتَّكَبُّرِ.

(٧١) - وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ يَدْنُو مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَصِيرُ حَوْلَهَا (أَوْ

(١) الآية ٢٧ من سورة الروم.

يَدْخُلُها فِعْلًا)، وَقَدْ قَضَى اللهُ رَبُّكَ بِذَلِكَ، وَجَعَلَهُ أَمْراً مَحْتُوماً، مَفْرُوغاً مِنْهُ.

وَفِي الحَدِيثِ: (يَرِدُ النَّاسُ كُلُّهُمُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ).

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ).

(وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فاجِرٌ إلَّا دَخَلَها - أَيْ النَّارَ - فَتَكُونُ عَلَى المُؤْمِنِ بَرْداً وَسَلاماً، كَمَا كَانَتْ عَلَى إبْرَاهِيمَ، حَتَّى إنَّ لِلنَّارِ ضَجِيجاً مِنْ بَرْدِهِمْ، ثُمَّ يُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوا، وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيّاً).

٧٢ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾

(الظَّالِمِينَ)

(٧٢) - وَبَعْدَ أَنْ يَرِدَ النَّاسُ جَمِيعاً النَّارَ، - يَدْخُلُونَهَا أَوْ يَكُونُونَ حَوْلَها - يُنَجِّي اللهُ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْها، وَيَتْرُكُ الظَّالِمِينَ جَاثِينَ فِيها عَلَى رُكَبِهِمْ.

٧٣ ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾

(آيَاتُنا) (بَيِّنَاتٍ) (آمَنُوا)

(٧٣) - وَحِينَ تُتْلَى آيَاتُ اللهِ تَعَالَى عَلَى المُشْرِكِينَ، وَهِيَ ظَاهِرَةُ الدَّلَالَةِ وَاضِحَةُ البُرْهَانِ، يَصُدُّونَ عَنْهَا، وَيُعْرِضُونَ، وَيَقُولُونَ مُفْتَخِرِينَ عَلَى المُؤْمِنِينَ بِالبَاطِلِ: إنَّهُمْ أَحْسَنُ مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْزِلاً، وَأَرْفَعُ دُوراً (خَيْرٌ مَقاماً)، وَإِنَّ نادِيَهُمْ أَعْمَرُ وَأَكْثَرُ رُوَّاداً وَطَارِقاً (أَحْسَنُ نَدِيّاً)، مِنْ دَارِ الأَرْقَمِ، الَّتِي كَانَ المُسْلِمُونَ يَجْتَمِعُونَ فِيها مُسْتَخْفِينَ. وَفِي ظَنِّ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ أَنَّ الأَمْرَ مَا دَامَ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيا، فَإِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ أَحْسَنَ حَالاً مِنْهُمْ فِي الآخِرَةِ، إذْ كَيْفَ يَكُونُونَ هُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَضَلَالٍ، وَفُقَرَاءُ المُسْلِمِينَ المُسْتَخْفِينَ فِي دَارِ الأَرْقَمِ المُتَوَاضِعَةِ عَلَى حَقٍّ.

خَيْرٌ مَقاماً - مَنْزِلاً وَسَكَناً.

أَحْسَنُ نَدِيّاً - مَجْلِساً وَمُجْتَمَعاً (نَادِياً).

٧٤ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾

(أَثاثاً) (وَرِئْياً)

(٧٤) - وَكَمْ مِنْ أُمَّةٍ مِنَ المُكَذِّبِينَ قَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ، وَكَانُوا أَحْسَنَ مِنْ قَوْمِكَ يا مُحَمَّدُ أَمْوالاً وَأَمْتِعَةً وَهَيْئَاتٍ وَمَنَاظِرَ. فَعَلَى هَؤُلَاءِ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَا حَلَّ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الكَفَرَةِ المُكَذِّبِينَ، فَمَا كَانُوا أَحْسَنَ حَالاً، وَلَا أَكْثَرَ قُوَّةً وَمَالاً.

الرِّئْيُ - المَنْظَرُ وَالْهَيْئَةُ.
الأَثَاثُ - المَتَاعُ وَالثِّيابُ.
قَرْنٍ - أُمَّةٍ.

(٧٥) قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا

(الضَّلاَلَةِ)

(٧٥) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُشْرِكِينَ المُتَفَاخِرِينَ عَلَى المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ أَحْسَنُ مَتَاعاً وَمَنْظَراً وَنَادِياً، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ، وَالمُدَّعِينَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ، وَأَنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ : إِنَّ مَا افْتَخَرْتُمْ بِهِ مِنْ زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا لاَ يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الحَالِ فِي الآخِرَةِ، فَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ بِأَنَّ مَنْ كَانُوا مُنْهَمِكِينَ فِي الضَّلاَلَةِ، مُسْتَرْسِلِينَ فِي ارْتِكَابِ المَعَاصِي، فَإِنَّهُ يَبْسُطُ لَهُمْ نَعِيمَ الدُّنْيَا، وَيُطَيِّبُ عَيْشَهُمْ فِيهَا، وَلاَ يَزَالُ يُمْهِلُهُم اسْتِدْرَاجاً لَهُمْ إِلَى أَنْ يُشَاهِدُوا مَا وُعِدُوا بِهِ رَأْيَ العَيْنِ: إِمَا عَذَاباً فِي الدُّنْيَا، كَمَا حَصَلَ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِمَا قِيَامَ السَّاعَةِ، وَهُمْ مُكَذِّبُونَ بِهَا. وَإِذْ ذَاكَ يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ الفَرِيقَيْنِ مَكَاناً، وَمَنْ هُوَ الأَضْعَفُ نَاصِراً وَجُنْداً. إِنَّهُمْ بِلاَ شَكٍّ سَيَجِدُونَ الأَمْرَ عَلَى عَكْسِ مَا كَانُوا يُقَدِّرُونَ.

فَلْيَمْدُدْ لَهُ - يُمْهِلُهُ اسْتِدْرَاجاً.
أَضْعَفُ جُنْداً - أَقَلُّ أَعْوَاناً وَأَنْصَاراً.

(٧٦) وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا

(الْبَاقِيَاتُ) (الصَّالِحَاتُ)

(٧٦) - أَمَّا المُهْتَدُونَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَزِيدُهُمْ هُدًى، عَلَى هُدَاهُمْ، بِمَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الآيَاتِ، وَالطَّاعَاتِ الَّتِي تَنْشَرِحُ لَهَا الصُّدُورُ وَتَسْتَنِيرُ بِهَا القُلُوبُ، وَتُوصِلُ إِلَى القُرْبِ مِنَ اللهِ، وَنَيْلِ رِضْوَانِهِ. . وَهَذِهِ كُلُّهَا خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ جَزَاءً وَعَاقِبَةً مِمَّا مُتِّعَ بِهِ أُولَئِكَ الكَافِرُونَ مِنَ النِّعَمِ الفَانِيَةِ، الَّتِي يَفْخَرُ بِهَا هَؤُلاَءِ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ وَجَاهٍ. . إِلَخ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ - وَتَسْبِيحُ اللهِ وَذِكْرُهُ - سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ).

خَيْرٌ مَرَدّاً - خَيْرٌ مَرْجِعاً وَعَاقِبَةً.

(٧٧) أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا

(أَفَرَأَيْتَ) (بِآيَاتِنَا)

(٧٧) - كَانَ لِخَبَابِ بِنِ الأَرَتِّ دَيْنٌ عِنْدَ العَاصِ بِنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ فَأَتَاهُ

يَطْلُبُ مِنْهُ دَيْنَه، فقَالَ لَهُ العَاص: وَاللهِ لاَ أدْفعُ إِلَيْكَ دينكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ. فقَالَ لَهُ خَبَاب: لاَ وَالله لاَ أكْفُرُ بمُحَمَّدٍ حتَّى تَموتَ ثُمَّ تُبْعَثَ. فقَالَ لَهُ العَاص: فَإنِّي إن مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ جِئْتَنِي وَلِيَ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأُعْطِيكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ. وَيقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: انْظُرْ إِلَى هَذَا الكَافِرِ، وَاعْجَبْ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَجُرْأتِهِ عَلَى اللهِ، إِذْ قَالَ سَأُعْطَى فِي الآخِرَةِ مَالاً وَوَلَداً.

أَفَرَأَيْتَ - أَخْبِرْنِي.

٧٨ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا

(٧٨) - وَهَذَا الكَافِرُ الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ سَيُؤْتَى فِي الآخِرَةِ المَالَ وَالوَلَدَ، هَلِ اطَّلَعَ عَلَى الغَيْبِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ سَيَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ، أَمْ أَنَّ لَهُ عَهْداً عِنْدَ اللهِ عَلَى أَنَّهُ سَيُؤْتِيهِ ذَلِكَ، وَاللهُ لاَ يُخْلِفُ عَهْدَهُ أَبداً؟

أَطَّلَعَ الغَيْبَ - أَعَلِمَ الغَيْبَ.

٧٩ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا

(٧٩) - كَلَّا لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا يَقُولُ (وَكَلَّا حَرْفُ رَدْعٍ لِمَا قَبْلَهَا، وَتَأْكِيدٌ لِمَا بَعْدَهَا)، وَسَيَكْتُبُ اللهُ مَا قَالَهُ هَذَا المُشْرِكُ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ، كَمَا أَثْبَتَ فِيهَا شِرْكَهُ وَكُفْرَهُ بِاللهِ، وَسَيَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذَابِ فِي الآخِرَةِ مَدّاً، وَيَزِيدُهُ مِنْهُ لِتَقَوُّلِهِ الكَذِبَ وَالبَاطِلَ فِي الدُّنْيا، زِيَادَةً عَلَى كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللهِ.

نَمُدُّ لَهُ - نُطَوِّلُ لَهُ أَوْ نَزِيدُهُ.

٨٠ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا

(٨٠) - وَيَقُولُ هَذَا المُشْرِكُ: إِنَّهُ سَيُؤْتَى فِي الآخِرَةِ مَالاً وَوَلَداً، زِيَادَةً عَلَى مَالِهِ وَوَلَدِهِ فِي الدُّنْيا. وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّهُ سَيَمُوتُ وَسَيَتْرُكُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ فِي الدُّنيا. وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَأْتِي رَبَّهُ فَرْداً وَحِيداً لاَ مَالَ لَهُ، وَلاَ وَلَدَ، وَلاَ نَاصِرَ. وَبِمَا أَنَّ جَمِيعَ الخَلاَئِقِ سَتَهْلِكُ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِنَّ الأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا تَبْقَى وَكَأَنَّهَا المِيرَاثُ الآيِلُ إِلَى اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَهُوَ وَارِثُهُمْ جَمِيعاً، وَمِمَّا يَرِثُهُ تَعَالَى مَالُ هَذَا الكَافِرِ.

(آلِهَةً)

٨١ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا

(٨١) - وَاتَّخَذَ المُشْرِكُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ لِتَكُونَ لَهُمْ عِزّاً يَعْتَزُّونَ بِهَا، وَيَسْتَنْصِرُونَهَا، وَيَجْعَلُونَهَا شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

عِزّاً - أَنْصَاراً وَشُفَعَاءَ يَتَعَزَّزُونَ بِهِمْ.

٨٢ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا

(٨٢) - وَلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا ظَنُّوا بِأَنَّ الآلِهَةَ التِي عَبَدُوهَا سَتَنْصُرُهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَسَتَكُونُ لَهُمْ عِزّاً، فَهَذِهِ الآلِهَةُ سَتَكْفُرُ بِعِبَادَةِ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ

لَهَا - أَوْ سَيَكْفُرُ الْمُشْرِكُونَ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الأَصْنَامِ - وَسَيَكُونُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّاً يَوْمَ القِيَامَةِ.

٨٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا

(الشَّيَاطِينَ) (الْكَافِرِينَ)

(٨٣) - أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ سَلَّطَ الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ وَالمُشْرِكِينَ، لِيُغْوُوهُمْ، وَيُغْرُوهُمْ بِارْتِكَابِ المَعَاصِي، وَيَهِيجُوهُمْ لِلْوُقُوعِ فِيهَا؟

تَؤُزُّهُمْ - تُغْرِيهِمْ بِالْمَعَاصِي إِغْرَاءً.

٨٤ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا

(٨٤) - وَلاَ تَسْتَعْجِلْ يَا مُحَمَّدُ إِهْلاَكَ هؤُلاَءِ الْكُفَّارِ، وَاسْتِئْصَالَهُمْ بِعَذَابِ اللهِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ إِلاَّ أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ، وَاللهُ تَعَالَى يُحْصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَأَنْفَاسَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ فِي الْحَيَاةِ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَى عَذَابِ اللهِ.

٨٥ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا

(٨٥) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْشُرُ اللهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَصَدَّقُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ، إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، كَمَا يُكْرَمُ الوُفُودُ القَادِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ.

الْوَفْدُ - القَادِمُونَ رَاكِبِينَ.

٨٦ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا

(٨٦) - أَمَّا المُجْرِمُونَ الكَافِرُونَ بِاللهِ، الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّهُمْ يُسَاقُونَ بِالْعُنْفِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَهُمْ عِطَاشٌ لِيَرِدُوهَا.

وِرْداً - عِطَاشاً أَوْ كَالدَّوَابِّ التِي تَرِدُ الْمَاءَ.

٨٧ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا

(الشَّفَاعَةَ)

(٨٧) - لاَ يَمْلِكُ الْعِبَادُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ اللهِ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عَهْداً عِنْدَ اللهِ، بِأَنْ أَعَدَّ لَهَا عُدَّتَهَا، فَكَانَ فِي الدُّنْيَا مُصْلِحاً وَهَادِياً، فَيَكُونُ فِي الآخِرَةِ شَافِعاً وَمُشَفَّعاً. وَالشَّفَاعَةُ لاَ تَكُونُ إِلاَّ لِلأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالشُّهَدَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: العَهْدُ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنْ يَبْرَأَ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَلاَ يَرْجُو إِلاَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

٨٨ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا

(٨٨) - لَمَّا قَرَّرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ عُبُودِيَّةَ عِيسَى للهِ، وَذَكَرَ خَلْقَهُ مِنْ مَرْيَمَ بِدُونِ أَبٍ، شَرَعَ فِي اسْتِنْكَارِ أَقْوَالِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ للهِ وَلَداً، فَقَالَ: إِنَّهُمْ قَالُوا: اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ أَوْ مِنَ النَّاسِ.

٨٩ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا

(٨٩) - ثُمَّ يَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: لَقَدْ جِئْتُمْ، بِقَوْلِكُمْ هَذَا، شَيْئاً مُنْكَراً عَظِيماً يَدُلُّ عَلَى الجُرْأَةِ الْمُتَنَاهِيَةِ.

شَيْئاً إِدّاً - مُنْكَراً فَظِيعاً.

(٩٠) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا

(السَّماوَاتُ)

(٩٠) - وَلَوْ أَنَّ هَذا الْقَوْلَ الفاجِرَ، الَّذِي يَقُولُهُ هؤُلاءِ، سَمِعَتْهُ السَّماوَاتُ لانْشَقَّتْ وَتفَطَّرتْ مِنْهُ، وَلَوْ أَنَّ الأَرْضَ سَمِعَتْهُ لَتشَقَّقَتْ، وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ سَمِعَتْهُ لانْهَدَّتْ، وَتهَدَّمَتْ، إِعْظَاماً لِلرَّبِّ وَإِجْلالاً، فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ.

يتفطَّرْنَ مِنْهُ - يَتَشَقَّقْنَ وَيَتَفَتَّتْنَ مِنْ شَناعَتِهِ.

تخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً - تَسْقُطُ مَهْدُودَةً عَلَيْهِمْ.

(٩١) أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا

(٩١) - وَتَكَادُ الْجِبالُ تَنْهَدُّ، وَالأَرْضُ تَنْشَقُّ، وَالسَّماءُ تَنْفَطِرُ بِسَبَبِ ما نَسَبَهُ هؤُلاءِ الكافِرُونَ إِلَى اللهِ تَعالَى مِنَ اتِّخاذِ الْوَلَدِ.

(٩٢) وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا

(٩٢) - وَلاَ يَلِيقُ بِجَلالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ فِي الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لأَنَّ إِثْبَاتَ الْوَلَدِ لَهُ يَقْتَضِي حُدُوثَهُ وَحاجَتَهُ. تَنَزَّهَ اللهُ تَعالَى عَنْ ذَلِكَ وَتَعالَى.

(٩٣) إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا

(السَّماوَاتِ) (آتِي)

(٩٣) - لأَنَّ جَمِيعَ الْخَلائِقِ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ هُمْ عَبِيدٌ للهِ وَلأَنَّهُ لاَ كِفاءَ لَهُ، وَلاَ مِثالَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ.

(٩٤) لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا

(أَحْصاهُمْ)

(٩٤) - وَلَقَدْ أَحْصَى اللهُ تَعالَى عَدَدَ جَمِيعِ المَخْلُوقاتِ، مُنْذُ بَدْءِ الخلِيقَةِ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ، وَعَرَفَ ذُكُورَهُمْ وَإِناثَهُمْ، وَصِغارَهُمْ وَكِبارَهُمْ، وَأَحْصَى أَعْمالَهُمْ وَأَنْفاسَهُمْ وَأَقْوالَهُمْ، وَهُمْ جَمِيعاً تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطانِهِ.

(٩٥) وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا

(آتِيه) (الْقِيامَةِ)

(٩٥) - وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلائِقِ سَيَأْتِي اللهَ يَوْمَ القِيامَةِ وَحْدَهُ، لاَ ناصِرَ وَلاَ مُجِيرَ لَهُ، فَيَحْكُمُ اللهُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشاءُ، وَهُوَ الْعادِلُ الذي لاَ يَظْلِمُ أَحداً مِثْقالَ ذَرَّةٍ.

(٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٩٦) - إِنَّ اللهَ تَعالَى يُلْقِي مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ فِي قُلُوبِ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاناً،

فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ يُنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي أَهْلِ الأَرْضِ). (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وُدّاً - مَحَبَّةً وَوُدّاً فِي القُلُوبِ.

٩٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا

(يَسَّرْنَاهُ)

(٩٧) - وَإِنَّمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَهُوَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ، لِتَسْتَطِيعَ قِرَاءَتَهُ عَلَى النَّاسِ، وَإِبْلاَغَهُ إِلَيْهِمْ، فَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُسْتَجِيبِينَ لِرَبِّهِمْ، وَالْمُصَدِّقِينَ رُسُلَهُ، وَلِتُنْذِرَ بِهِ الفُجَّارَ الشَّدِيدِي الخُصُومَةِ وَالْجَدَلِ.

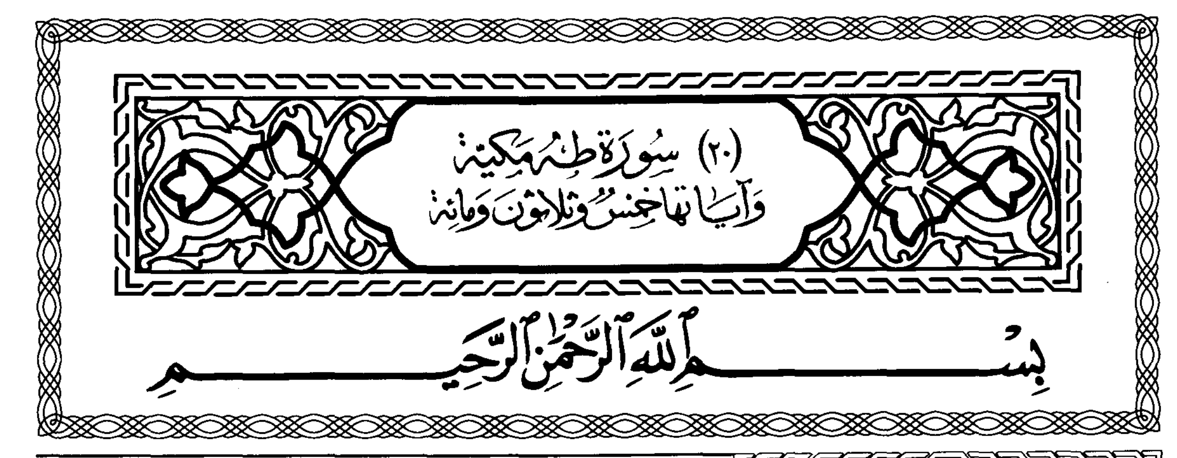
لُدّاً - شَدِيدِي الخُصُومَةِ.

٩٨ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا

(٩٨) - وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أُمَمٍ وَأَجْيَالٍ (قَرْنٍ) كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ. وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَبَادُوا وَانْقَرَضُوا، وَلَمْ تَبْقَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ بَاقِيَةٌ. فَهَلْ تَرَى مِنْهُمْ أَحَداً، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتاً؟

هَلْ تُحِسُّ - هَلْ تَرَى أَوْ تَعْلَمُ.

الرِّكْزُ لُغَةً - الصَّوْتُ الْخَفِيُّ.



(١) طه
(٢) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ



(٣) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ
(٤) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى
(٥) الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ
(٦) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ

(الْقُرْآن)

(٢) ـ مَا جَعَلَ اللهُ الْقُرْآنَ شَقَاءً لَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ هُدًى وَرَحْمَةً وَدَلِيلاً إِلَى الْجَنَّةِ، تُذَكِّر بِهِ قَوْمَكَ، وَتَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، فَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَأَصْلَحَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ، وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ.

لِتَشْقَى ـ لِتُكَابِدَ الشَّدَائِدَ.

(٣) ـ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابَهُ وَبَعَثَ رَسُولَهُ رَحْمَةً رَحِمَ بِهَا عِبَادَهُ، لِيُذَكِّرَ مَنْ يَخْشَى اللهَ، وَيَخْشَعُ قَلْبُهُ لَهُ، وَيَتَأَثَّرُ بِالإِنْذَارِ، وَلِيَنْتَفِعَ بِهِ مَنْ حَسُنَ اسْتِعْدَادُهُ لِلْهُدَى.

(وَالسَّمَاوَات)

(٤) ـ وَهٰذَا القُرآنُ نُزِّلَ عَلَيْكَ تَنْزِيلاً مِنْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلا فِي ارْتِفَاعِهَا وَلَطَافَتِهَا.

(٥) ـ وَالَّذِي نَزَّلَ القُرْآنَ مِنَ المَلأِ الأَعْلَى، وَخَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلاَ، هُوَ الرَّحْمٰنُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ. وَهُوَ المُهَيْمِنُ عَلَى الكَوْنِ كُلِّهِ، فَأَمْرُ النَّاسِ إِلَيْهِ.

(السَّمَاوَات)

(٦) ـ وَللهِ مَا فِي الوُجُودِ كُلِّهِ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الأَرْضِ، وَمَا فِي جَوْفِ الأَرْضِ.

وَمَا تَحْتَ الثَّرى ـ مَا فِي جَوْفِ الأَرْضِ.

(٧) وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى

(٧) - وَإِنْ تَجْهَرْ بِدُعَاءِ اللهِ وَذِكْرِهِ، فَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ ذٰلِكَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا أَسْرَرْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ دُونَ أَنْ تَرْفَعَ بِهِ صَوْتَكَ، وَيَعْلَمُ مَا هُوَ أَخْفَى مِنْهُ مِمَّا يَخْطُرُ فِي بَالِكَ دُونَ أَنْ تَتَفَوَّهَ بِهِ.

وَأَخْفَى - حَدِيثَ النَّفْسِ وَخَوَاطِرَهَا.

(٨) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ

(٨) - وَالَّذِي نَزَّلَ عَلَيْكَ القُرْآنَ هُوَ اللهُ الذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُنْعَتَ بِصِفَاتِ الكَمَالِ المُتَقَدِّمَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّمْجِيدِ (لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى).

(٩) وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ

(أَتَاكَ)

(٩) - يَقُصُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ حَدِيثَ مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، وَكَيْفَ كَانَ ٱبْتِدَاءُ الوَحْيِ إِلَيْهِ.

(١٠) إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى

(رَأَى) (آنَسْتُ) (آتِيكُمْ)

(١٠) - بَعْدَ أَنْ قَضَى مُوسَى مُدَّةَ عَقْدِهِ مَعَ شُعَيْبٍ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ، عَلَى رِعَايَةِ الغَنَمِ لِقَاءَ تَزْوِيجِهِ بِٱبْنَتِهِ، سَارَ مُوسَى بِأَهْلِهِ قَاصِداً بِلَادَ مِصْرَ، بَعْدَ أَنْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهَا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ شَاتِيَةً مُمْطِرَةً، وَالبَرْدُ قَارِساً، فَحَاوَلَ إِشْعَالَ النَّارِ لِيَتَدَفَّأَ، وَقَدَحَ زَنْدَهُ لِيُشْعِلَ بِشَرَارَتِهِ نَاراً كَمَا جَرَتْ لَهُ العَادَةُ، فَلَمْ يُفْلِحْ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ زَنْدِهِ شَرَرٌ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ ظَهَرَتْ لَهُ نَارٌ مِنْ جَانِبِ الجَبَلِ الذِي كَانَ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ يُبَشِّرُهُمْ: إِنَّهُ رَأَى نَاراً، وَطَلَبَ إِلَى زَوْجَتِهِ البَقَاءَ حَيْثُ هِيَ لِيَذْهَبَ إِلَى النَّارِ، فَيَرَى مَنْ حَوْلَهَا، وَيَطْلُبَ مِنْهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ شِهَاباً مِنْ نَارٍ (قَبَساً) يُوقِدُ بِهِ نَاراً لَهُمْ، وَيَسْأَلَهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ.

(١١) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ

(أَتَاهَا) (يَا مُوسَى)

(١١) - فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى النَّارَ التِي رَآهَا، وَجَدَهَا تَشْتَعِلُ فِي شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ، وَكُلَّمَا ٱزْدَادَتِ النَّارُ تَوَهُّجاً، ٱزْدَادَتِ الشَّجَرَةُ ٱخْضِرَاراً، فَوَقَفَ مُتَعَجِّباً مِمَّا يَرَى. فَنُودِيَ: يَا مُوسَى وَصَدَرَ إِلَيْهِ النِّدَاءُ مِنَ الجِهَةِ اليُمْنَى مِنَ الوَادِي، فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ، كَمَا فِي آيَةٍ أُخْرَى[1]. فَرَدَّ مُوسَى عَلَى الصَّوْتِ الذِي نَادَاهُ قَائِلاً: مَنِ المُتَكَلِّمُ؟

(١٢) إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى

(١٢) - فَرَدَّ عَلَيهِ الصَّوْتُ قَائِلاً: إِنَّ الذِي يُكَلِّمُكَ هُوَ اللهُ رَبُّكَ، فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ مِنْ رِجْلَيْكَ.

---

(١) الآية ٣٠ من سورة القصص.

(وَقِيلَ إِنَّ نَعْلَيْهِ كَانَتَا مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ ذَكِيٍّ أَيْ غَيْرِ مَذْبُوحٍ ، وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّهُ أُمِرَ بِخَلْعِهِما تَعْظِيماً لِلْبُقْعَةِ ، وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّهُ أُمِرَ بِذَلِكَ لِيَطَأَ الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ بِقَدَمَيْهِ فَيَمَسَّ تُرابُها جِلْدَهُ).

طُوى - هُوَ آسمُ الوَادِي الَّذِي كَانَ فِيهِ مُوسَى كَمَا قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ .

وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾

(١٣) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنَّهُ آخْتَارَهُ وَآصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ المَوْجُودِينَ فِي زَمَانِهِ لِيَكُونَ رَسُولَهُ، وَطَلَبَ إِليهِ الاسْتِمَاعَ لِمَا سَيُوحِيهِ إِليهِ، وَمَا يَقُولُهُ لَهُ .

إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾

(الصَّلاَة)

(١٤) - إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ لِلْمُكَلَّفِ هُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ رَبُّ المَخْلُوقَاتِ وَخَالِقُها، وَالمُتَصَرِّفُ فِيها، فَقُمْ يَا مُوسَى بِعِبَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكٍ، وَأَدِّ الصَّلاةَ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ الذِي أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، بِكَامِلِ شُرُوطِها لِتَذْكُرَ بِهَا رَبَّكَ، وَتَدْعُوَهُ دُعَاءً خَالِصاً لاَ يَشُوبُهُ إِشْرَاكٌ .

(وَفِي الحَدِيثِ: مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةٍ أَوْ نَسِيها فَكَفَّارَتُها أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلاَّ ذَلِكَ) . (رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ) .

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾

(آتِيَة)

(١٥) - إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ مَحَالَةَ وَلاَ شَكَّ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّهُ تَعَالَى لاَ يُطْلِعُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ عَلَى مَوْعِدِهَا، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكَادُ يُخْفِيهَا عَنْ نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ (أَكَادُ أُخْفِيهَا)، فَهِيَ مِمَّا آسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ وَحْدَهُ، لِيَبْقَى النَّاسُ عَلَى حَذَرٍ بِآسْتِمْرَارٍ، وَإِنَّهُ تَعَالَى سَيُقِيمُ السَّاعَةَ، وَيَحْشُرُ النَّاسَ لِلْحِسَابِ، لِيَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَكَسَبَتْ .

السَّاعَةَ - القِيَامَةَ .

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

(هَوَاهُ)

(١٦) - وَيُخَاطِبُ اللهُ تَعَالَى المُكَلَّفِينَ فِي تَوْجِيهِهِ الخِطَابَ لِرَسُولِهِ مُوسَى (وَقِيلَ إِنَّ هَذا الخِطَابَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ) فَيَقُولُ تَعَالَى: لاَ تَتَّبِعُوا سَبِيلَ مَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ، وَأَنْكَرَ البَعْثَ وَالحِسَابَ، وَأَقْبَلَ عَلَى المَلَذَّاتِ فِي دُنْيَاهُ، وَعَصَى رَبَّهُ وَآتَّبَعَ هَوَاهُ، لأَنَّ آتِّبَاعَ المَلَذَّاتِ، وَعِصْيَانَ اللهِ، يُوصِلانِ الإِنسَانَ إِلى الهَلاكِ، وَالعَطَبِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ .

فَتَرْدَى - فَتَهْلَكَ .

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢﴾

(يَا مُوسَى)

(١٧) - ثُمَّ سَأَلَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى عَنِ العَصَا التِي يَحْمِلُهَا بِيَمِينِهِ فَقَالَ لَهُ: وَمَا ذَلِكَ الشَّيءُ الذِي تَحْمِلُهُ بِيَدِكَ اليُمْنَى؟

(أَتوكَّأُ) (مَآرِبُ)

(١٨) - فَقَالَ مُوسَى: إِنَّها عَصاً يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشْيِهِ (أَتوكَّأُ عَلَيْهَا) وَيُحرِّكُ بِهَا أَغْصَانَ الشَّجرِ لِيَتَساقَطَ ورَقُها، وَثَمرُها، فَتَأْكُلَهُ الغَنَمُ، دُونَ ضَرْبٍ أَوْ خَبْطٍ (أَهُشُّ بِهَا)، وَإِنَّ لَهُ فِيهَا مَنَافِعَ أُخْرَى، وَحَاجَاتٍ غَيْرَ مَا ذَكَرَ.

أَهُشُّ بِهَا - أُحرِّكُ بِهَا أَغْصَانَ الشَّجرِ لِيَتَسَاقَطَ وَرَقُها.

مَآرِبُ أُخْرى - مَنَافِعُ وَٱسْتِعْمَالاتٌ أُخْرى.

(يَا مُوسَى)

(١٩) - قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمُوسَى: أَلْقِ العَصَا التِي تُمْسِكُهَا بِيَمِينِكَ لترى لَهَا شَأْناً آخَرَ.

(فَأَلْقَاهَا)

(٢٠) - فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَٱنْقَلَبَتْ حَيَّةً تَمْشِي (تَسْعَى). وَفِي آيَةٍ أُخْرَى[١] قَالَ إِنَّ العَصَا كَانَتْ تَهْتَزُّ بِسُرْعَةٍ وَكَأَنَّهَا جَانٌّ، (وَالجَانُّ نَوْعٌ سَرِيعُ الحَرَكَةِ مِنَ الحَيَّاتِ).

حَيَّةٌ تَسْعَى - تَمْشِي بِسُرْعَةٍ وَخِفَّةٍ.

(٢١) - فَلَمَّا رَأَى مُوسَى الحَيَّةَ تَتَحرَّكُ بِسُرْعَةٍ خَافَ وَوَلَّى مُدْبِراً، لَا يَلْوِي عَلَى شَيءٍ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)[٢]، ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِالرُّجُوعِ فَرَجَعَ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَقِفُ، وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: خُذِ العَصَا فَإِنَّهُ سَيُعِيدُهَا، عَصاً كَمَا كَانَتْ قَبْلاً.

سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا - إِلَى حَالَتِهَا التِي كَانَتْ عَلَيْهَا قَبْلاً.

(آيَةً)

(٢٢) - ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى بِأَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ تَحتَ إِبْطِهِ (جَنَاحِه) (وَفِي آيَةٍ أُخْرَى جَاءَ: ﴿**ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ**﴾[٣] فَأَدْخَلَ مُوسَى يَدَه

---

(١) الآية ١٠ من سورة النمل.
(٢) الآية ٣١ من سورة القصص.
(٣) الآية ٣٢ من سورة القصص.

تَحْتَ إِبْطِهِ، مِنْ فَتْحَةِ ثَوْبِهِ (جَيْبِهِ)، ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ تَتَلألأُ دُونَ أَنْ يَكُونَ بِهَا أَذًى أَوْ مَرَضٌ أَوْ بَرَصٌ.. فَإِذَا أَعَادَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ مَرَّةً أُخْرَى عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيهِ، وَهٰذا بُرْهَانٌ ثَانٍ لِمُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ.

إِلَى جَناحِكَ - إِلَى جَنْبِكَ تَحْتَ العَضُدِ أَوْ تَحْتَ الإِبْطِ.

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ - مِنْ غَيْرِ داءٍ أَوْ مَرَضٍ.

٢٣ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى

(آياتنا)

(٢٣) - وَهَاتَانِ الآيَتَانِ اللَّتَانِ أُرِيْتَهُمَا، السَّاعَةَ، هُمَا مِنْ آيَاتِ اللهِ الكُبْرَى، وَقَعَتَا تَحْتَ حِسِّكَ وَبَصَرِكَ، لِتَطْمَئِنَّ إِلَى أَنَّكَ لَقِيتَ رَبَّكَ فِعْلاً، تَمْهِيداً لِلنُّهُوضِ بِأَمَانَةِ الرِّسَالَةِ الكُبْرَى التِي سَيَعْهَدُ بِهَا إِلَيْكَ رَبُّكَ.

٢٤ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ

(٢٤) - اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، الذِي خَرَجْتَ هَارِباً مِنْ بَطْشِهِ، فَادْعُهُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأْمُرْهُ فَلْيُحْسِنْ إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فَلاَ يُعَذِّبْهُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ طَغَى وَبَغَى، وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيا، وَنَسِيَ الرَّبَّ الأَعْلَى.

طَغَى - جَاوَزَ الحَدَّ فِي العُتُوِّ وَالتَّجَبُّرِ.

٢٥ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى

(٢٥) - فَسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ صَدْرَهُ (وَشَرْحُ الصَّدْرِ يَعْنِي اطْمِئْنَانَ النَّفْسِ إِلَى مَا يَقُومُ بِهِ الإِنْسَانُ مِنْ عَمَلٍ، وَإِذا اطْمَأَنَّتِ النَّفْسُ إِلَى مَا تَقُومُ بِهِ تَحَوَّلَتْ مَشَقَّةُ التَّكْلِيفِ إِلَى مُتْعَةٍ).

٢٦ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى

(٢٦) - ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ أَمْرَهُ، وَأَنْ يَضْمَنَ لَهُ نَجَاحَ مَهَمَّتِهِ، وَإِذَا لَمْ يُيَسِّرِ اللهُ الأَمْرَ لِعَبْدِهِ فَإِنَّ العَبْدَ بِقُواهُ المَحْدُودَةِ لاَ يَمْلِكُ ضَمَانَ النَّجاحِ.

٢٧ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى

(٢٧) - وَكَانَ فِي لِسَانِ مُوسَى حُبْسَةٌ فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَزُولَ مِنْهَا شَيءٌ بِقَدْرِ مَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الإِفْصَاحِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنِ المَهَمَّةِ التِي أَرْسَلَهُ بِهَا إِلَى فِرْعَوْنَ.

٢٨ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى

(٢٨) - لِيَفْهَمَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مَا يُرِيدُ أَنْ يَقُولَهُ لَهُمْ حِينَمَا يُبَلِّغُهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ.

٢٩ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى

(٢٩) - ثُمَّ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يُعِينَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهِ لِيَكُونَ لَهُ رِدْءاً، وَعَوْناً، عَلَى أَدَاءِ مَهَمَّتِهِ الشَّاقَّةِ.

الوَزِير - المُعِينُ.

(٣٠) هَٰرُونَ أَخِي

(٣١) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي

(٣٢) وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي

(٣٣) كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا

(٣٤) وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا

(٣٥) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا

(٣٦) قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ

(٣٧) وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ

(٣٨) إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ

(٣٩) أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ

(هَارُونَ)

(٣٠) - ثُمَّ خَصَّصَ طَلَبَهُ، فَطَلَبَ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ الذِي يُرِيدُهُ مُعِيناً فِي أَدَاءِ مَهمَّتِهِ أَخَاهُ هَارُونَ، فَهُوَ أَفْصَحُ مِنْهُ لِسَاناً كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1].

(٣١) - تَشُدُّ بِهِ أَزْرِي وَتُقَوِّينِي بِهِ.

أَزْرِي - ظَهْرِي وَقُوَّتِي.

(٣٢) - وَتَجْعَلُهُ حَامِلاً مَعِي أَمَانَةَ التَّكْلِيفِ فِي هٰذِهِ المَهَمَّةِ الكُبْرَى الَّتِي أَمَرْتَنِي بِالقِيَامِ بِهَا.

(٣٣) - وَالأَمْرُ الجَلِيلُ الَّذِي كَلَّفَ اللهُ بِهِ مُوسَى يَحْتَاجُ إِلَى الكَثِيرِ مِنَ التَّسْبِيحِ وَذِكْرِ اللهِ، لِتَقْوَى النَّفْسُ وَتَطْمَئِنَّ وَتَهْدَأَ.

(٣٤) - كَمَا يَحْتَاجُ إِلَى الكَثِيرِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، لِتَطْمَئِنَّ النَّفْسُ وَتَهْدَأَ فَتَتَمَكَّنَ مِنَ القِيَامِ بِمَا كُلِّفَتْ بِهِ بِرَوِيَّةٍ وَهُدُوءِ بَالٍ.

(٣٥) - لَقَدْ كُنْتَ يَا رَبِّ بَصِيراً بِنَا إِذْ آصْطَفَيْتَنَا، وَآتَيْتَنَا النُّبُوَّةَ وَأَمَرْتَنَا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى عَدُوِّكَ فِرْعَوْنَ، فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى ذٰلِكَ.

(يَا مُوسَى)

(٣٦) - فَأَجَابَ الرَّبُّ قَائِلاً: إِنَّ دَعْوَتَهُ قَدِ آسْتُجِيبَتْ جَمِيعَهَا فِيمَا سَأَلَهُ مِنْ شَرْحِ صَدْرِهِ، وَتَيْسِيرِ أَمْرِهِ، وَشَدِّ أَزْرِهِ بِأَخِيهِ هَارُونَ وَجَعْلِهِ وَزِيراً وَنَبِيّاً.

أُوتِيتَ سُؤْلَكَ - أُعْطِيتَ مَا سَأَلْتَ.

(٣٧) - ثُمَّ قَالَ لَهُ تَعَالَى: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ، مَرَّةً أُخْرَى، إِذْ تَوَلَّاهُ بِعِنَايَتِهِ، وَأَكْرَمَهُ وَحَفِظَهُ وَرَعَاهُ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَنْ يَضَنَّ عَلَيهِ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ فِيما سَأَلَ.

(٣٨) - وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَقْتُلُ الذُّكُورَ مِنْ مَوَالِيدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِرُؤْيَا رَآهَا فَأَزْعَجَتْهُ، فَلَمَّا وُلِدَ مُوسَى خَافَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ فِرْعَونُ، فَأَلْهَمَ اللهُ أُمَّ مُوسَى إِلْهاماً طَمْأَنَ قَلْبَها.

(٣٩) - وَهٰذا الإِلْهَامُ الذِي أَلْهَمَهَا اللهُ هُوَ أَنْ تَضَعَ مُوسَى فِي تَابُوتٍ صَغِيرٍ، فَتَقْذِفَهُ فِي المَاءِ (اليَمِّ)، فَيَحْمِلَهُ اليَمُّ إِلَى شَاطِىءِ النَّهْرِ فِي المَكَانِ المُوَاجِهِ لِقَصْرِ فِرْعَوْنَ، فَيَأْخُذَهُ فِرْعَونُ - وَهُوَ عَدُوٌّ للهِ وَلِمُوسَى -

(١) الآية ٣٤ من سورة القصص.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ ﴿٤٠﴾

فَيُرَبِّيَهُ وَزَوْجُهُ، وَيقْذِفَ اللهُ حُبَّهُ فِي قَلْبِ فِرْعَوْنَ وَزَوْجِهِ، وَهَكَذا يُرَبَّى مُوسَى بِعَيْنِ اللهِ وَرِعَايَتِهِ، وَيَنْشَأُ أَحْسَنَ تَنْشِئَةٍ، ففعَلَتْ أُمُّ موسَى مَا أُلْقِيَ فِي رُوعِها، فَأَخذَهُ آلُ فِرْعَوْنَ، وَفرِحَتْ بِهِ زَوْجُهُ، وَلٰكِنَّ اللهَ تَعالَى حَرَّمَ عَلَيهِ المَرَاضِعَ، فَلَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ الرَّضَاعَ مِنْ ثَدْيِ ٱمْرَأَةٍ أُخْرى، وَذٰلِكَ لِيُيَسِّرَ اللهُ عَوْدَتَهُ إلى أُمِّهِ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهَا وَلَا تَحْزَنَ لِفِرَاقِهِ.

ٱقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ - اطْرَحِيهِ فِي مَاءِ النَّهْرِ.

لِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي - لِتُرَبَّى بِمُرَاقَبَتِي وَرِعَايَتِي.

(فَرجَعْنَاكَ) (فَنَجَّيْنَاكَ) (وَفَتَنَّاكَ) (يَا مُوسَى)

(٤٠) - فَلَمّا ٱسْتَقَرَّ مُوسَى عِنْدَ آلِ فِرْعَوْنَ، وَعَرَضُوا عَلَيهِ المَرَاضِعَ فَأَبَاهَا، جاءَتْ أُخْتُ مُوسى، وَقَالَتْ لآلِ فِرْعَوْنَ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أَدُلَّكُم عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ، وَيُرْضِعُونَهُ؟ فَأَخَذَتْهُمْ إلى أُمِّهَا فَعَرَضَتْ ثَدْيَهَا عَلَى مُوسَى فَأَخذَهُ، فَفَرِحَ جَمَاعَةُ فِرْعَوْنَ فَرَحاً شَدِيداً، وَٱسْتَأْجَرُوهَا لإِرْضَاعِهِ، وَبِذٰلِكَ قَرَّتْ عَيْنُهَا، وَٱطْمَأَنَّتْ عَلَى سَلامَةِ ٱبْنِهَا، إِذْ أَصْبَحَ مَشْمُولاً بِرِعَايَةِ فِرْعَوْنَ وَزَوْجِهِ.

وَلَمَّا كَبِرَ مُوسَى، وَجَدَ قِبْطِيّاً يَتَخاصَمُ مَعَ إِسْرَائِيلِيٍّ، فَضَرَبَ مُوسَى القِبْطِيَّ بِجُمْعِ يَدِهِ فَقَتَلَهُ. وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ بِمَقْتَلِهِ، ثُمَّ وَجَدَ ذٰلِكَ الإِسْرَائِيلِيَّ يَتَخَاصَمُ مَعَ قِبْطِيٍّ آخَرَ فَٱسْتَغَاثَ الإِسْرَائِيلِيُّ بِمُوسَى، فَوَبَّخَهُ مُوسَى عَلَى شُرُورِهِ، فَخَافَ الإِسْرائيلِيُّ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ مُوسَى، وَقَالَ لَهُ لَعَلَّكَ تُرِيدُ قَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ القِبْطِيَّ يَوْمَ أَمْسِ. وَعَلِمَ فِرْعَوْنُ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ القِبْطِيِّ فَهَرَبَ إلى مَدْيَنَ. وَلَبِثَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ يَرْعَى الغَنَمَ فِيهَا لِشُعَيْبٍ.

ثُمَّ لَمّا ٱنْتَهَى الأَجَلُ سَارَ مُوسَى بِأَهْلِهِ، وَفِي الطَّرِيقِ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ رِسَالَتَهُ فِي الوَقْتِ المُقَدَّرِ.

حَدِيثُ الفُتُونِ:

وَسَأَلَ سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنِ الفُتُونِ الوَارِدِ فِي هٰذِهِ الآيَةِ فَقَالَ لَهُ:

- أَمَرَ فِرْعَوْنُ بِذَبْحِ الذُّكُورِ مِنَ المَوْلُودِينَ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ، فَكَانَ رِجَالُهُ يَطُوفُونَ، فَلاَ يَتْرُكُونَ لِبَنِي إِسْرائِيلَ المَوْجُودِينَ فِي مِصْرَ وَلِيداً ذَكَراً إِلّاَ ذَبَحُوهُ. وَلَمّا خَافَ الأَقْبَاطُ أَنْ يَفْنَى بَنُو إِسْرائِيلَ وَلَا يَبْقَى لِلأَقْبَاطِ مَنْ

يخدمهم، ويقوم بالأعمال الشاقة لديهم، استقر رأي فرعون على أن يذبح ذكور الأطفال سنة، ويتركهم سنة. وحملت أم موسى به في عام يذبح فيه الذكور، فخافت عليه، فما دخل على موسى وهو في بطن أمه، أو مما يراد به هو من الفتون.

ـ ثم ولدته أمه، وخافت عليه فقذفته في اليم بوحي من الله، فلما اختفى عنها ابنها وسوس لها الشيطان، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني، لو أنه بقي عندي وذبح في حجري لواريته التراب، فذلك أحب إلي من أن تأكله دواب البحر.

ـ ولما التقطه جواري امرأة فرعون وهو في التابوت حملنه إليها، فلما فتحته ونظرت إليه أحبته، بوحي من الله، محبة كبيرة. وجاءها الذباحون ليذبحوا موسى، وذلك من الفتون.

ـ فقالت امرأة فرعون اتركوه حتى آتي فرعون فأستوهبه إياه، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم، فأتت فرعون فقالت: قرة عين لي ولك. فقال فرعون: قرة عين لك، أما أنا فلا حاجة لي فيه.

ـ ثم عرضته على المراضع فأباها، وأصبحت أم موسى والهاً فقالت لابنتها قصي أثره فبصرت به أخته فعرفته، ولما عرفت أنه رفض الرضاع من المرضعات، تقدمت إليهم، فقالت: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه وهم له ناصحون؟ فقالوا وما يدريك ما نصحهم له؟ هل تعرفينه؟ حتى شكوا في أمرها، وذلك من الفتون.

ـ ثم وجد موسى رجلاً إسرائيلياً يتخاصم مع قبطي فاستغاث الإسرائيلي بموسى فقتل القبطي، ولم يعرف أحد من قتله. فخاف موسى على نفسه. ثم وجد موسى ذلك الإسرائيلي يتخاصم مع قبطي آخر، فاستاء موسى من فعل الإسرائيلي، فقال له إنك لغوي مبين. فخاف الإسرائيلي أن يقتله موسى، فقال له: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ فعرف القبطي أن موسى هو الذي قتل القبطي الآخر، فذهب إلى فرعون يعلمه بما سمع، فأمر فرعون بذبح موسى، وأرسل الذباحين يبحثون عنه، وسمع رجل من شيعة موسى بما أمر به فرعون، فأسرع إلى موسى يخبره بما أمر به فرعون، فهرب موسى إلى أهل مدين، وهذا من الفتون أيضاً.

وَبَقِيَ مُوسَى عدداً مِنَ السِّنينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ يَرْعَى الغَنَمَ لِصِهْرِهِ، حَتَّى انْقضَتِ المُدَّةُ التي اتَّفقا عَلَيْها، ثُمَّ جاءَ فِي الوَقْتِ الذِي قَدَّرَهُ اللهُ وَأرادَتْهُ مَشِيئَتُهُ تَعالَى، مِنْ غَيْرِ مِيعادٍ، لِيَجْعَلَهُ رَسُولاً.

مَنْ يَكْفُلُهُ - مَنْ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ وَيُرَبِّيهِ.

تَقَرَّ عَيْنُها - تُسَرَّ بِلِقائِكَ.

فَتَنَّاكَ فُتُوناً - خَلَّصْناكَ مِنَ المِحَنِ تَخْلِيصاً.

جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ - عَلَى وَفْقِ الوَقْتِ المُقَدَّرِ لِرِسالَتِكَ.

وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾

(٤١) - وَاخْتَرْتُكَ لإقامَةِ حُجَّتِي، وَاصْطَفَيْتُكَ بِرِسالَتِي وَبِكَلامِي. فَصِرْتَ أَشْبَهَ بِمَنْ يَراهُ المَلِكُ أهْلاً لِكَرامَتِهِ، فَيُقَرِّبُهُ وَيَجْعَلُهُ مِنْ خَواصِّهِ

ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾

(بآياتي)

(٤٢) - اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ هارُون مُؤَيَّدَيْنِ بِمُعْجِزاتِي، وَحُجَجِي، وَبَراهِينِي الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِكُما، إِلَى فِرْعَوْنَ، وَلاَ تَفْتُرا عَنْ ذِكْرِي عِنْدَ لِقائِكُما إِيَّاهُ، لِيَكُونَ ذلِكَ عَوْناً لَكُما، وَقُوَّةً وَسُلْطاناً كاسِراً لَهُ، وَلاَ تَتَهاوَنا فِي دَعْوَتِهِ وَتَبْلِيغِهِ ما أَرْسَلْتُكُما بِهِ إِلَيْهِ.

لاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي - لاَ تَفْتُرا عَنْ ذِكْرِي حِينَ تَبْلِيغ رِسالَتِي إِلَيْهِ.

ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾

(٤٣) - اذْهَبا إِلَى فِرْعَوْنَ فَإِنَّهُ عَتا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَتَمَرَّدَ وَتَجَبَّرَ عَلَى اللهِ وَعَصاهُ.

فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾

(٤٤) - وَادْعُواهُ بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَحُسْنَى إِلَى عِبادَةِ رَبِّهِ، وَتَرْكِ العُتُوِّ، وَالتَّجَبُّرِ وَالاسْتِعْلاءِ عَلَى خَلْقِ اللهِ، لَعَلَّ الكَلامَ الرَّقِيقَ اللَّيِّنَ يُؤَثِّرُ فِي نَفْسِهِ فَيَرْجِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّلالِ، وَيَتَذَكَّرَ آياتِ اللهِ وَيَخْشَى لِقاءَهُ وَعَذابَهُ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيَرْتَدِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الغَيِّ وَالضَّلالِ.

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾

(٤٥) - فَقالَ هارُونُ وَمُوسَى، عَلَيهِما السَّلامُ: يا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَبْطِشَ بِنا فِرْعَوْنُ إِنْ نَحْنُ دَعَوْناهُ إِلى عِبادَةِ اللهِ، وَالكَفِّ عَنِ العُتُوِّ وَالطُّغْيانِ، وَنَخْشَى أَنْ يُعَجِّلَ لَنا بِالعُقُوبَةِ، أَوْ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْنا.

يَفْرُطَ عَلَيْنا - يُعَجِّلَ عَلَينا بِالعُقُوبَةِ.

يَطْغَى - يَزْدادُ طُغْياناً وَعُتُوّاً.

قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾

(٤٦) - قالَ اللهُ تَعالَى: لاَ تَخافا مِنْهُ فَإِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ كَلامَكُما وَكَلامَهُ، وَأَرَى مَكانَكُما وَمَكانَهُ، وَلاَ يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ شَيْءٌ،

وَآعْلَمَا أنَّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِي ، فَلاَ يَتَكَلَّمُ ، وَلاَ يَتَنَفَّسُ ، وَلاَ يَبْطِشُ إلاَّ بِإِذْنِي ، وَأَنْتُمَا فِي حِفْظِي وَرِعَايَتِي .

إنَّنِي مَعَكُمَا - إنِّي حَافِظُكُمَا وَنَاصِرُكُمَا .

(إسْرَائِيلَ) (جِئْنَاكَ) (بِآيَةٍ) (وَالسَّلاَمُ)

٤٧ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ

(٤٧) - آذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَقُولاَ لَهُ : إِنَّا رَسُولاَ اللهِ رَبِّكَ ، وَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ لِنَدْعُوَكَ إِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ، وَإِلَى الكَفِّ عَنِ البَغْيِ ، وَالطُّغْيَانِ ، وَالضَّلاَلِ ، وَلِنَدْعُوَكَ إِلَى الكَفِّ عَنْ تَعْذِيبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَالإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ جِئْنَاكَ بِحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ مِنَ اللهِ (آيَةٍ) ، عَلَى صِدْقِ قَوْلِنَا إِنَّا رَسُولاَنِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ إِلَيْكَ ، وَالسَّلاَمَةُ وَالأَمْنُ مِنَ العَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ عَلَى مَنِ آتَّبَعَ رُسُلَ رَبِّهِ ، وَآهْتَدَى بِهُدَاهُ .

٤٨ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ

(٤٨) - وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَى فِيمَا أَوْحَاهُ أَنَّ عَذَابَهُ الأَلِيمَ سَيَنْزِلُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِمَنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ ، وَبِمَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنَ الإِيمَانِ ، وَيَتَوَلَّى عَنِ آتِّبَاعِ الحَقِّ وَالاسْتِجَابَةِ إِلَى دَعْوَةِ الحَقِّ وَالهُدَى .

(يَا مُوسَى)

٤٩ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ

(٤٩) - فَقَالَ لَهُمَا فِرْعَوْنُ ، وَقَدْ وَجَّهَ الخِطَابَ إِلَى مُوسَى : إِذَا كُنْتُمَا رَسُولَيْنِ مِنْ رَبِّكُمَا ، كَمَا تَدَّعِيَانِ ، فَمَنْ هُوَ رَبُّكُمَا الذِي أَرْسَلَكُمَا؟

٥٠ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ

(٥٠) - قَالَ مُوسَى : رَبُّنَا هُوَ الَّذِي وَهَبَ الوُجُودَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ، فِي الصُّورَةِ التِي أَوْجَدَهُ فِيهَا ، وَفَطَرَهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ هَدَى كُلَّ شَيءٍ إِلى وَظِيفَتِهِ التِي خَلَقَهُ لَهَا ، وَأَمَدَّهُ بِمَا يُنَاسِبُ هٰذِهِ الوَظِيفَةَ ، وَبِمَا يُعِينُهُ عَلَيْهَا . فَكُلُّ شَيءٍ مَخْلُوقٌ وَمَعَهُ الاهْتِدَاءُ الطَّبِيعِيُّ الفِطْرِيُّ لِلْوَظِيفَةِ التِي خَلَقَهُ اللهُ لَهَا .

أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ - صُورَتَهُ اللاَّئِقَةَ بِخَاصَّتِهِ .

هَدَى - أَرْشَدَهُ إِلَى مَا يَصْلُحُ لَهُ .

٥١ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ

(٥١) - قَالَ فِرْعَوْنُ : فَمَا هُوَ حَالُ الأُمَمِ الخَالِيَةِ (القُرُونِ الأُولَى) ، كَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ نُوحٍ . . . أَيْنَ ذَهَبَتْ ، وَمَنْ كَانَ رَبُّهَا ، وَمَا يَكُونُ شَأْنُهَا ، وَقَدْ هَلَكَتْ هٰذِهِ الأُمَمُ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ تَعْرِفِ اللهَ ، وَقَدْ عَبَدَتْ سِوَاهُ؟

فَمَا بَالُ - فَمَا حَالُ؟ .

القُرُونِ - الأُمَمِ .

٥٢ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى

(كِتَابٍ)

(٥٢) - قَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ القُرُونَ الأُولَى التِي مَضَتْ وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَعْبُدِ اللهَ فَإِنَّ عَمَلَها مَحْفُوظٌ عَلَيْهَا، وَمُحْصًى فِي كِتَابٍ عِنْدَ اللهِ، وَلَا يَشِذُّ عَنْ عِلْمِ اللهِ شَيءٌ وَلَا يَضِيعُ، وَلَا يَفُوتُهُ صَغِيرَةٌ وَلاَ كَبِيرَةٌ، وَلَا يَنْسَى رَبُّنَا شَيْئاً.

لاَ يَضِلُّ - لاَ يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ مَا.

٥٣ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ

(أَزْوَاجاً)

(٥٣) - وَتَابَعَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَائِلاً لِفِرْعَوْنَ: إِنَّ رَبَّنَا هُوَ الذِي جَعَلَ الأَرْضَ لِلنَّاسِ قَرَاراً يَسْتَقِرُّونَ عَلَيها، وَيَقُومُونَ وَيَنَامُونَ عَلَيْهَا، وَيُسَافِرُونَ عَلَى ظَهْرِهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا طُرُقاً يَمْشُونَ فِيها، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَراً فَأَخْرَجَ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً مُخْتَلِفاً، وَزُرُوعاً وَثِمَاراً مُخْتَلِفَةً فِي أَصْنَافِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا.

الأَزْوَاجُ - الأَنْوَاعُ.

مَهْداً - مُمَهَّدَةً كَالفِرَاشِ.

٥٤ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ

(أَنْعَامَكُمْ) (لآيَاتٍ)

(٥٤) - وَقَدْ أَخْرَجَ اللهُ تَعَالَى مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ مَا هُوَ لِطَعَامِكُمْ وَفَاكِهَتِكُمْ، وَمَا هُوَ لأَقْوَاتِ أَنْعَامِكُمْ، تَأْكُلُهُ خَضِراً وَيَابِساً، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ: كُلُوا مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ، وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ مِنْهُ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ دَلاَلاَتٌ وَحُجَجٌ وَبَرَاهِينُ لِذَوِي العُقُولِ السَّلِيمَةِ.

لِأُولِي النُّهَى - لأَصْحَابِ العُقُولِ وَالبَصَائِرِ.

ربع الحزب ٣٢

٥٥ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ

(خَلَقْنَاكُمْ)

(٥٥) - مِنَ الأَرْضِ مَبْدَؤُكُمْ، فَأَبُوكُمْ آدَمُ مَخْلُوقٌ مِنْهَا، وَنُطَفُكُمْ تَتَخَلَّقُ مِمَّا تَتَغَذَّوْنَ بِهِ مِمَّا تُخْرِجُهُ الأَرْضُ، وَإِلَيْهَا تَصِيرُونَ إِذَا مِتُّمْ، وَبَلِيَتْ أَجْسَادُكُمْ، وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ يَوْمَ الحَشْرِ مَرَّةً أُخْرَى.

٥٦ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ

(أَرَيْنَاهُ) (آيَاتِنَا)

(٥٦) - وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّهُ أَرَى فِرْعَوْنَ آيَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى، فَعَايَنَها بِنَفْسِهِ، وَتَحَقَّقَ مِنْهَا، وَلَكِنَّهُ أَبَى أَنْ يَنْقَادَ إِلَيْهَا، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِرَبِّهِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

﴿٥٧﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ

﴿٥٨﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى

﴿٥٩﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى

﴿٦٠﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ

أبى - ٱمْتَنَعَ عَنِ الإيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

(يَا مُوسَى)

(٥٧) - وَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ الآيَةَ الكُبْرَى، وَهِيَ تَحَوُّلُ العَصَا إِلَى حَيَّةٍ، وَخُرُوجُ يَدِ مُوسَى بَيْضَاءَ تَتَلأْلأُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ بِهَا، حِينَمَا نَزَعَهَا مُوسَى مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ، قَالَ لِمُوسَى: هٰذا سِحْرٌ جِئْتَنَا بِهِ مِنَ المَكَانِ الذِي كُنْتَ فِيهِ، بَعْدَ غَيْبَتِكَ الطَّوِيلَةِ، لِتَسْحَرَنَا، وَتَسْتَوليَ عَلَى عُقُولِ النَّاسِ لِكَيْ يَتْبَعُوكَ، وَتُكَاثِرَنَا بِهِمْ، وَتُسَيْطِرَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، وَتُخْرِجَ القِبْطَ مِنْها. وَغَايَةُ فِرْعَوْنَ مِنْ هٰذا القَوْلِ أَنْ يُثِيرَ فِي نُفُوسِ القِبْطِ التَّعَصُّبَ العُنْصُرِيَّ، فَلاَ يَتَّبِعُوا مُوسَى، وَلاَ يَهْتَمُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

(٥٨) - وَنَحْنُ لَدَيْنا سَحَرَةٌ يَقْدِرُونَ عَلَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ أَنْتَ مِنَ السِّحْرِ، فَحَدِّدْ لَنَا مَوْعِداً تَجْتَمِعُ بِهِمْ فِيهِ لِيُعَارِضُوا مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ السِّحْرِ، وَحَدِّدْ أَنْتَ المَوْعِدَ (وَقَالَ هٰذا زِيَادَةً فِي التَّحَدِّي)، فَلاَ تُخْلِفِ المَوْعِدَ أَنْتَ، وَلاَ نُخْلِفُهُ نَحْنُ. وَلْيَكُنِ اللِّقَاءُ فِي مَكَانٍ مَكْشُوفٍ وَمُسْتَوٍ مِنَ الأَرْضِ لِيَشْهَدَهُ النَّاسُ، فَلاَ يَحْجُبَ شَيءٌ عَنْ نَظَرِهِمْ مَا يَجْرِي مِنْ مُبَارَزَةٍ.

مَكاناً سُوىً - مَكَاناً وَسَطاً أَوْ مُسْتَوِياً مِنَ الأَرْضِ.

(٥٩) - فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ المَوْعِدَ هُوَ يَوْمُ الزِّينَةِ، (وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يَوْمَ عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِهِمْ) فَيَكُونُ النَّاسُ مُتَفَرِّغِينَ مِنْ مَشَاغِلِهِمْ، فَيَجْتَمِعُونَ لِيُشَاهِدُوا قُدْرَةَ اللهِ وَمُعْجِزَاتِهِ، وَبُطْلاَنَ السِّحْرِ، وَخَيْبَةَ السَّاحِرِينَ. وَٱقْتَرَحَ مُوسَى أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ جَمِيعاً، وَأَنْ يَجْتَمِعُوا ضُحَى ذٰلِكَ اليَوْمِ، لِيَكُونَ مَا يَقَعُ مِنَ المُبَارَزَةِ بَيْنَ مُوسَى وَالسَّحَرَةِ، أَوْضَحَ لِلنَّاسِ، وَأَظْهَرَ.

يَوْمُ الزِّينَةِ - يَوْمُ عِيدٍ مَشْهُودٌ عِنْدَهُمْ.

(٦٠) - فَخَرَجَ فِرْعَوْنُ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَاكَ، وَشَرَعَ فِي جَمْعِ السَّحَرَةِ مِنْ أَطْرافِ مَمْلَكَتِهِ، وَكَانَ السِّحْرُ كَثِيراً فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ، فَٱجْتَمَعَ لَهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ أَتَى مَعَهُمْ فِي المَوْعِدِ المُحَدَّدِ إِلَى المَكَانِ المُعَيَّنِ لِلِّقَاءِ. وَجَلَسَ فِرْعَوْنُ عَلَى سَرِيرِ المُلْكِ، وَوَقَفَ السَّحَرَةُ صُفُوفاً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَرِّضُهُمْ وَيُشَجِّعُهُمْ. وَجَاءَ مُوسَى يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ، وَإِلى جَانِبِهِ أَخُوهُ هَارُونُ.

كَيْدَهُ - سَحَرَتَهُ الَّذِينَ يَكِيدُ بِهِمْ.

﴿٦١﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ

(٦١) ـ فَقَالَ مُوسَى لِلسَّحَرَةِ: لَا تُحَاوِلُوا خِدَاعَ النَّاسِ بِسِحْرِكُمْ، فَتُظْهِرُوا لَهُمْ وَكَأَنَّ أَشْيَاءَ مَوْجُودَةٌ وَهِيَ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً، فَتَكُونُوا قَدْ كَذَبْتُمْ عَلَى اللهِ فَيُهْلِكَكُمُ اللهُ (يُسْحِتَكُمْ) بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، عِقَاباً لَكُمْ عَلَى كَذِبِكُمْ وَافْتِرَائِكُمْ، وَلَا يُبْقِي لَكُمْ أَثَراً، وَالَّذِي يَفْتَرِي الكَذِبَ عَلَى اللهِ فَاشِلٌ مَغْلُوبٌ لَا مَحَالَةَ.

وَيْلَكُمْ ـ دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِالهَلَاكِ.

فَيُسْحِتَكُمْ ـ فَيُهْلِكَكُمْ وَيَسْتَأْصِلَكُمْ وَيُبِيدَكُمْ.

﴿٦٢﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ

(فَتَنَازَعُوا)

(٦٢) ـ فَاخْتَلَفَ السَّحَرَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَأَخَذُوا يَتَحَاوَرُونَ وَيَتَنَاجَوْنَ سِرّاً، وَيَتَشَاوَرُونَ فِيمَا قَالَهُ لَهُمْ مُوسَى، وَفِيمَا سَيَفْعَلُونَهُ لِيُفَاجِئُوا مُوسَى وَهَارُونَ، وَلِيَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِمَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هٰذَا لَيْسَ بِكَلَامِ سَاحِرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ نَبِيٍّ، وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّهُ وَأَخَاهُ سَاحِرَانِ.

أَسَرُّوا النَّجْوَى ـ أَخْفَوُا التَّنَاجِيَ أَشَدَّ الإِخْفَاءِ.

﴿٦٣﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ

(هٰذَانِ) (لَسَاحِرَانِ)

(٦٣) ـ ثُمَّ اسْتَقَرَّ رَأْيُ الأَغْلَبِيَّةِ عَلَى القَوْلِ إِنَّ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ سَاحِرَانِ، عَالِمَانِ بِصِنَاعَةِ السِّحْرِ وَفُنُونِهَا، وَهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَغْلِبَاكُمْ وَقَوْمَكُمْ بِسِحْرِهِمَا، وَيَسْتَوْلِيَا عَلَى النَّاسِ، وَأَنْ تَتْبَعَهُمَا العَامَّةُ، ثُمَّ يُقَاتِلَانِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، وَيَنْتَصِرَانِ عَلَيْهِ وَيُخْرِجَانِكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ، وَيَسْتَأْثِرَانِ بِالسِّحْرِ، وَهُوَ طَرِيقَةُ عَيْشِكُمُ الفُضْلَى (المُثْلَى)، وَمَوْرِدُ رِزْقِكُمْ، وَمَصْدَرُ جَاهِكُمْ.

بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى ـ بِسُنَّتِكُمْ وَشَرِيعَتِكُمُ الفُضْلَى.

﴿٦٤﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ

(٦٤) ـ وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يُشَدِّدُ عَزِيمَةَ بَعْضٍ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: اجْمَعُوا كَلِمَتَكُمْ، وَقِفُوا صَفّاً وَاحِداً، وَأَلْقُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً لِتَبْهَرُوا الأَبْصَارَ، وَتَغْلِبُوا مُوسَى وَأَخَاهُ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ الغَلَبَةُ اليَوْمَ، كَانَتْ لَهُ الرِّيَاسَةُ وَالعَظَمَةُ.

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ـ فَأَحْكِمُوا سِحْرَكُمْ وَاعْزِمُوا عَلَيْهِ.

أَفْلَحَ ـ فَازَ بِالمَطْلُوبِ.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾

(يا مُوسَى)

(٦٥) - فَقَالَ السَّحَرَةُ لِمُوسَى: إِمَّا أَنْ تَبْدَأَ أَنْتَ بِإِظْهَارِ مَا عِنْدَكَ مِنْ فُنُونِ السِّحْرِ، وَتُلْقِيهِ أَمَامَ النَّاسِ وَالمَلِكِ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ البَادِئِينَ.

(٦٦) - فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: بَلْ أَلْقُوا أَنْتُمْ لِنَرَى مَاذَا تَصْنَعُونَ مِنَ السِّحْرِ، فَأَلْقَوا مَا لَدَيْهِمْ فَسَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ، وَآسْتَرْهَبُوهُمْ وَأَدْخَلُوا الرُّوعَ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1] - وَظَهَرَ لِلنَّاسِ مِنْ قُوَّةِ سِحْرِهِمْ أَنَّ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ التِي أَلْقَوْهَا، تَسْعَى وَتَسِيرُ بِآخْتِيَارِهَا.

(٦٧) - فَشَعَرَ مُوسَى بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ. وَقَالَ مُفَسِّرُونَ إِنَّهُ إِنَّمَا خَافَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَفْتِنَهُمُ السَّحَرَةُ، وَيَغْتَرُّوا بِهِمْ، قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَ هُوَ عَصَاهُ، وَيُبْطِلَ عَمَلَ السَّحَرَةِ.

أَوْجَسَ - آسْتَشْعَرَ فِي نَفْسِهِ.

(٦٨) - فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى: لَا تَخَفْ شَيْئاً فَأَنْتَ الغَالِبُ، اليَوْمَ.

(سَاحِرٍ)

(٦٩) - وَأَلْقِ عَصَاكَ فَإِنَّهَا تَتَحَوَّلُ إِلَى ثُعْبَانٍ ضَخْمٍ يَبْتَلِعُ جَمِيعَ مَا أَلْقَوْهُ مِنَ الحِبَالِ وَالعِصِيِّ، وَيُبْطِلُ جَمِيعَ مَا صَنَعُوهُ مِنَ السِّحْرِ، لأَنَّ مَا صَنَعُوهُ سِحْرٌ وَتَمْوِيهٌ، لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَاللهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ السَّاحِرِينَ، وَلَا مَا يَصْنَعُونَ.

وَقَدْ تَحَوَّلَتِ العَصَا إِلَى ثُعْبَانٍ أَخَذَ يَبْتَلِعُ جَمِيعَ مَا أَلْقَاهُ السَّحَرَةُ حَتَّى لَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً، وَفِرْعَوْنُ وَالسَّحَرَةُ وَالنَّاسُ يَرَوْنَ كُلَّ ذٰلِكَ. فَوَقَعَ الحَقُّ، وَزَهَقَ البَاطِلُ.

تَلْقَفْ - تَبْتَلِعُ وَتَلْتَقِمُ بِسُرْعَةٍ.

(آمَنَّا) (هَارُونَ)

(٧٠) - وَلَمَّا عَايَنَ السَّحَرَةُ ذٰلِكَ وَشَاهَدُوهُ، وَهُمْ أَصْحَابُ الخِبْرَةِ بِفُنُونِ السِّحْرِ، وَطُرُقِهِ، عَلِمُوا عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّ الذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ وَالحِيَلِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُ اللهِ وَحْدَهُ، وَحِينَئِذٍ وَقَعُوا سَاجِدِينَ للهِ، وَقَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ.

(١) الآية ١١٦ من سورة الأعراف.

(٧١) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ

(آمَنْتُم) (آذَن) (خِلاَفٍ)

(٧١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ كُفْرِ فِرْعَوْنَ وَعِنَادِهِ، وَمُكَابَرَتِهِ الحَقَّ بالبَاطِلِ، حِينَ رَأى المُعْجِزَةَ البَاهِرَةَ، وَرأى الذِينَ آسْتَنْصَرَ بِهِمْ قَدْ آمَنُوا بحَضْرَتِهِ، وَأمَامَ النَّاسِ جَمِيعاً، وَغُلِبَ عَلَى أمْرِهِ، فَشَرَعَ فِي المُكَابَرَةِ وَالتَّهْدِيدِ، وَتَوَعَّدَ السَّحَرَةَ وَقَالَ لَهُمْ: آمَنْتُمْ بِهِ وَصَدَّقْتُمُوهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ بِذلِكَ، وَهذا كَائِنٌ مِنْكُمْ عَنِ آتِّفَاقٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَلَيَّ، فَهُوَ كَبِيرُكُمْ فِي السِّحْرِ، وَهُوَ الذِي عَلَّمَكُمْ إيَّاهُ، ثُمَّ شَرَعَ فِي بَيَانِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إنَّهُ سَيَقْطَعُ أيْدِيَهُمْ وَأرْجُلَهُمْ مِنْ خِلاَفٍ، فإذا قَطَعَ اليَدَ اليُمْنَى قَطَعَ الرِّجْلَ اليُسْرَى. وَإنَّهُ سَيَصْلُبُهُمْ عَلَى جُذوعِ النَّخْلِ، وَسَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً وَمُثْلَةً.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إنَّكُمْ تَقُولُونَ إنَّنِي وَقَوْمِي عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَإنَّكُمْ وَمُوسَى عَلَى حَقٍّ وَهُدًى، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَكُونُ أشَدَّ عَذاباً وَأدْوَمَ زَمناً، أَنَا أمْ إله مُوسَى؟

(٧٢) قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ

(البَيِّنَات) (الحَيَاة)

(٧٢) - وَلَمَّا صَالَ عَلَيْهِم فِرْعَوْنُ وَتَوَعَّدَهُمْ، هَانَتْ عَلَيْهِم نُفُوسُهُم فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالُوا لَهُ: لَنْ نَخْتَارَكَ عَلَى رَبِّنَا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ، وَخَالِقِنا وَخَالِقِ كُلِّ شَيءٍ مِنْ عَدَمٍ، فَهُوَ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ العِبادَةَ لاَ أنْتَ، فَافْعَلْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أنْ تَفْعَلَ شَيْئاً إلاَّ فِي هذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا، وَهِيَ دَارٌ زَائِلَةٌ فَانِيَةٌ، وَنَحْنُ قَدْ رَغِبْنَا فِي دَارِ القَرارِ، الدَّارِ الآخِرَةِ.

الذِي فَطَرَنا - الذِي أبْدَعَنَا وَأوْجَدَنَا وَهُوَ اللهُ تَعَالَى.

(٧٣) إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ

(آمَنَّا) (خطايَانَا)

(٧٣) - إنَّنا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا مَا كَانَ مِنَّا مِنْ خَطَايَا وَآثَامٍ، وَلِيَغْفِرَ لَنا مَا أكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ القِيَامِ بالسِّحْرِ، لِتُعَارِضَ بِهِ آيَاتِ اللهِ وَمُعْجِزَاتِهِ، وَاللهُ خَيْرٌ مِنْكَ ثَواباً إنْ أُطِيعَ، وَأبْقَى عَذاباً إنْ عُصِيَ.

(وَقِيلَ بَلْ مَعْنَاهُ: وَاللهُ خَيْرٌ مِنْكَ وَأدْوَمُ ثَواباً مِمَّا وَعَدْتَنا وَمَنَّيْتَنا).

(٧٤) إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ

(٧٤) - وَتَابَعَ السَّحَرَةُ وَعْظَهُمْ لِفِرْعَوْنَ وَهُمْ يُحَذِّرُونَهُ مِنْ نَقْمَةِ اللهِ، وَعَذَابِهِ الدَّائِمِ، وَيُرَغِّبُونَهُ فِي ثَوَابِهِ الأبَدِيِّ المُخَلَّدِ، فَقَالُوا لَهُ: إنَّهُ مَنْ

(٧٥) وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ

(٧٦) جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ

(٧٧) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ

يأْتِ ربَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعَدَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ جَزَاءً لَهُ، وَكَانَ مُخَلَّداً فِيهَا، وَلاَ يَمُوتُ فِيهَا مِيتَةً مُرِيحَةً فَيَرْتَاحُ، وَلاَ يَحْيَا حَيَاةً مُمْتِعَةً يُسَرُّ بِهَا.

(الصَّالِحَاتِ) (فَأُوْلَئِكَ) (الدَّرَجَاتُ)

(٧٥) - وَمَنْ جَاءَ رَبَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُوَ مُؤْمِنُ القَلْبِ، قَدْ صَدَّقَ ضَمِيرَهُ، بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ جَزَاهُ رَبُّهُ عَلَى عَمَلِهِ بِالجَنَّةِ، ذَاتِ الدَّرَجَاتِ العَالِيَةِ، وَالغُرَفِ الآمِنَاتِ، وَالمَسَاكِنِ الطَّيِّبَاتِ.

(جَنَّاتُ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(٧٦) - وَهٰذِهِ الدَّرَجَاتُ العُلاَ، هِيَ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ (عَدْنٍ)، تَنْسَابُ فِيهَا الأَنْهَارُ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا مَاكِثِينَ أَبداً، وَهٰذا جَزاءُ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الدَّنَسِ وَالخَبَثِ وَالشِّرْكِ، وَعَبدَ اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَاتَّبَعَ المُرْسَلِينَ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ.

تَزَكَّى - تَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الشِّرْكِ.

(لاَ تَخَافُ)

(٧٧) - وَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى، حِينَ أَبَى فِرْعَوْنُ أَنْ يَنْقَادَ إِلَى الحَقِّ، وَيُرْسِلَ مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يُسْرِيَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَخْرُجَ بِهِمْ لَيْلاً مِنْ مِصْرَ، بِاتِّجَاهِ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ لَمْ يَكُنْ فِي مِصْرَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ، فَغَضِبَ فِرْعَوْنُ غَضَباً شَدِيداً، وَأَرْسَلَ يَجْمَعُ الجُنُودَ، ثُمَّ سَارَ بِجَيْشِهِ يُلاحِقُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَدْرَكَهُمْ عِنْدَ سَاحِلِ البَحْرِ، وَقْتَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ، وَنَظَرَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى الآخَرِ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: إِنَّ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ سَيُدْرِكُونَهُمْ؛ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى لاَ. وَحِينَئِذٍ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَضَرَبَهُ، فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ، فَأَرْسَلَ اللهُ رِيحاً عَلَى أَرْضِ البَحْرِ فَلَفَحَتْهَا فَأَصْبَحَتْ يَابِسَةً، كَوَجْهِ الأَرْضِ وَلِهٰذا قَالَ تَعَالَى (طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً). ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى أَنِ اجْتَزِ البَحْرَ بِمَنْ مَعَكَ مِنْ قَوْمِكَ، وَلاَ تَخْشَوْا أَنْ يُدْرِكَكُمْ فِرْعَوْنُ، وَلاَ تَخْشَوْا أَنْ يُطْبِقَ عَلَيْكُمُ البَحْرُ فَيُغْرِقَكُمْ (لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى).

أَسْرِ بِعِبَادِي - سِرْ بِهِمْ لَيْلاً مِنْ مِصْرَ.

﴿٧٨﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ

﴿٧٩﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ

﴿٨٠﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ

﴿٨١﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ

يَبَساً - يَابساً لا مَاءَ فِيهِ وَلاَ طِينَ.

لاَ تَخَافُ دَرَكاً - لاَ تَخْشَى إدْراكاً وَلِحَاقاً.

لاَ تَخْشَى - الغَرَقَ مِنَ الأَمَامِ.

(٧٨) - وَتبِعَهُمْ فِرعَوْنُ بِجُنُودِهِ، وَسَارُوا حَيْثُ سَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَيْنَ فِرْقَتَي البَحْرِ، فَأَطْبَقَ عَلَيْهِمُ المَاءُ، وَغَشِيَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِأَهْوالِهِ، فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعاً.

غَشِيَهُمْ مَا غَشِيَهُمْ - أَحَاطَ بِهِمْ مَا لاَ سَبِيلَ إِلَى إِدْراكِ كُنْهِهِ.

(٧٩) - وَهٰكَذا أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ، وَدَفَعَ بِهِمْ إِلَى الهَلاَكِ وَالدَّمارِ، فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَلَمْ يَهْدِهِمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ.

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (أَنْجَيْنَاكُمْ) (وَوَاعَدْنَاكُمْ)

(٨٠) - يُذَكِّر اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنجَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ فِرْعَوْنَ، وَأَقَرَّ عُيُونَهُمْ بِإِهْلاَكِهِ، وَإِهْلاَكِ جُنُودِهِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَوَاعَدَ مُوسَى لِيَأْتِيَ إِلَى جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً صَامَهَا، لِيَتَهيَّأَ لِلِقَاءِ رَبِّهِ، لِيَسْمَعَ مَا سَيُوحِيهِ رَبُّهُ إِلَيْهِ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ أُمُورِ العَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ، وَأَرْسَلَ المَنَّ وَالسَّلْوَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِيَأْكُلُوا مِنْهُمَا فِي صَحْرَاءِ سِينَاءَ.

المَنَّ - مَادَّةٌ صمْغِيَّةٌ حُلْوَةٌ كَالعَسَلِ.

السَّلْوى - طَيْرُ السُّمَانَى - أَوْ طَيْرٌ يُشْبِهُ طَائِرَ السُّمَانَى.

(طَيِّبَاتِ) (رَزَقْنَاكُم)

(٨١) - كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ هٰذا الرِّزْقِ الذِي رَزَقْنَاكُمْ، وَلاَ تَطْغَوْا فِي رِزْقِي، فَتُخِلُّوا بِشُكْرِهِ، أَوْ تَأْخُذُوهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ، أَوْ تُخَالِفُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ حَلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ شَقِيَ وَهَلَكَ.

لاَ تَطْغَوا فِيهِ - لاَ تَكْفُرُوا نِعمَهُ وَلاَ تَظْلِمُوا.

فَيحِلَّ عَلَيْكُمْ - فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ وَيَلْزَمُكُمْ.

هَوَى - هَلَكَ أَوْ وَقَعَ فِي الهَاوِيَةِ.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ (٨٢)

(وَآمَنَ) (صَالِحاً)

(٨٢) - وَكُلُّ مَنْ تَابَ إِلَى اللهِ، وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالمَعْصِيَةِ وَالنِّفَاقِ... وَآمَنَ بِقَلْبِهِ، وَعَمِلَ صَالِحاً بِجَوارِحِهِ، وَٱسْتَقَامَ عَلَى السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَلَمْ يُشَكِّكْ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَيَتُوبُ عَلَيْهِ.



﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (٨٣)

(يَا مُوسَى)

(٨٣) - ٱخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلاً صَحِبَهُمْ مَعَهُ فِي ذَهَابِهِ لِلْمِيقَاتِ الذي حَدَّدَهُ لَهُ رَبُّهُ. وَلَما ٱقْتَرَبَ مُوسَى مِنَ المَكَانِ المُحَدَّدِ، تَقَدَّمَ مُوسَى مُسْرِعاً، وَخَلَّفَ قَوْمَهُ يَسِيرُونَ عَلَى مَهَلٍ، فَأَنْكَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ هٰذِهِ العَجَلَةَ، فَقَالَ لَهُ: وَمَا هُوَ السَّبَبُ الذِي حَمَلَكَ عَلَى التَّعَجُّلِ وَعَلَى تَقَدُّمِكَ عَلَى قَوْمِكَ؟ مَعَ أَنَّكَ مَأْمُورٌ بِأَنْ تَسْتَصْحِبَهُمْ مَعَكَ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّكَ؟.

مَا أَعْجَلَكَ - مَا حَمَلَكَ عَلَى العَجَلَةِ.

﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (٨٤)

(٨٤) - فَأَجَابَ مُوسَى رَبَّهُ مُعْتَذِراً: هُمْ آتُونَ خَلْفِي، وَعَلَى أَثَرِي، وَمَا تَقَدَّمْتُهُمْ إِلا بِخُطُواتٍ قَلِيلَةٍ، وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَزْدَادَ عَنِّي رِضاً، وَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ تَقَدُّمِي عَلَيْهِمْ لَيْسَ فِيهِ مَا يُؤْخَذُ عَلَيَّ.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ (٨٥)

(٨٥) - فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلامُ، بِأَنَّهُ ٱخْتَبَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُمْ مُوسَى، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ. فَقَدْ دَعَاهُمْ رَجُلٌ سَامِرِيٌّ، خَرَجَ مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ، (وَكَانَ مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ البَقَرَ)، إِلَى عِبَادَةِ العِجْلِ، فَٱسْتَجَابُوا لَهُ، وَصَنَعَ لَهُمْ عِجْلاً مِنَ الحُلِيِّ التِي أَخْرَجُوهَا مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ، فَكَانَ إِذا دَخَلَتِ الرِّيحُ فِي جَوْفِ العِجْلِ حَدَثَ صَوْتٌ يُشْبِهُ الخُوَارَ، فَٱفْتُتِنَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَصَارُوا يَسْجُدُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هٰذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى.

فَتَنَّا قَوْمَكَ - ٱبْتَلَيْنَاهُمْ أَوْ أَوْقَعْنَاهُمْ فِي الفِتْنَةِ.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٨٦)

(غَضْبَانَ) (يَا قَوْمِ)

(٨٦) - وَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى، بِمَا أَحْدَثَهُ قَوْمُهُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُمْ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ، غَضِبَ غَضَباً شَدِيداً وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ، وَهُوَ مَغِيظٌ مُحْنَقٌ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ عَلَى لِسَانِي بِكُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيا، وَبِحُسْنِ العَاقِبَةِ فِي الآخِرَةِ، وَقَدْ شَاهَدْتُمْ نَصْرَهُ إِيَّاكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ، وَإِظْهَارَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَطُلِ العَهْدُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَنْسَوْا وَعْدَ اللهِ

فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى

لَكُمْ، بَلْ أَرَدْتُمْ بِسُوءِ صَنِيعِكُمْ هٰذا أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَخْلَفْتُمْ مَا عَاهَدْتُمُونِي عَلَيْهِ مِنَ الثَّبَاتِ عَلَى الإِيمَانِ.

أَسِفاً - حَزِيناً أَوْ شَدِيدَ الغَضَبِ.

مَوْعِدِي - وَعْدَكُمْ لِي بِالثَّبَاتِ عَلَى دِينِي.

٨٧ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ

فَقَذَفْنَاهَا)

(٨٧) - فَرَدَّ بَنو إسرائيلِ عَلَى قَوْلِ مُوسَى هٰذا: إِنَّهُمْ لَمْ يُخْلِفُوا مَوْعِدَهُ بِطَوْعِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ (بِمَلْكِنَا)، وَلٰكِنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ حُلِيّاً اسْتَعَارُوهَا مِنَ القِبْطِ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ، وَخَرَجُوا بِهَا وَهُمْ هَارِبُونَ، وَهُمْ يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الاحْتِفَاظِ بِهَا، وَعَنِ الاسْتِفَادَةِ مِنْهَا، فَأَلْقَوْهَا فِي حُفْرَةٍ (فَقَذَفْنَاهَا) وَأَضْرَمُوا النَّارَ فِيها، وَكَذٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ مَا مَعَهُ مِنْ حُلِيٍّ، وَصَنَعَ لَهُمْ مِنْ هٰذِهِ الحُلِيِّ، بَعْدَ إِذَابَتِهَا فِي النَّارِ، تِمْثَالاً عَلَى هَيْئَةِ عِجْلٍ.

مَلْكِنا - مَقْدِرَتِنَا وَطَاقَتِنا.

أَوْزَاراً - **أَثْقَالاً** وَآثَاماً.

مِنْ زِينَةِ القَوْمِ - مِنْ حُلِيِّ القِبْطِ.

٨٨ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ

(٨٨) - وَقَدْ صَنَعَ السَّامِرِيُّ لَهُمْ مِنْ هٰذِهِ الحُلِيِّ تِمْثَالاً عَلَى هَيْئَةِ عِجْلٍ مُجَسَّدٍ، وَكَانَ إِذا هَبَّتِ الرِّيحُ، وَدَخَلَتْ فِي جَوْفِهِ أَحْدَثَتْ صَوْتاً يُشْبِهُ خُوارَ العِجْلِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، فَكَانَ الضَّالُّونَ يَسْجُدُونَ لَهُ إِذا خَارَ، وَيَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ إِذا خارَ. وَأَحَبَّهُ الضَّالُّونَ وَافْتَتَنُوا بِهِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ هٰذا العِجْلَ هُوَ إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى، وَقَدْ نَسِيَ مُوسَى قَبْلَ ذَهَابِهِ إِلَى مَوْعِدِهِ مَعَ رَبِّهِ أَنْ يَذْكُرَ لَكُمْ أَنَّ هٰذا العِجْلَ هُوَ إِلٰهُهُ (وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: إِنَّ مُوسَى ذَهَبَ يَطْلُبُ رَبَّهُ فَوْقَ الجَبَلِ، وَنَسِيَ أَنَّ رَبَّهُ حَاضِرٌ هُنَا).

عِجْلاً جَسَداً - مُجَسَّداً أَيْ أَحْمَرَ مِنْ ذَهَبٍ.

لَهُ خُوارٌ - لَهُ صَوْتٌ كَصَوْتِ البَقَرِ.

٨٩ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

(٨٩) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هٰؤُلاءِ الضَّالِّينَ، مُقَرِّعاً إِيَّاهُمْ فِيما ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ العِجْلِ، وَالقَوْلِ إِنَّهُ إِلٰهُهُمْ: أَلَا يَرَى هٰؤُلاءِ أَنَّ هذا العِجْلَ لا

﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى

﴿٩١﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ

﴿٩٢﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟

﴿٩٣﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى

﴿٩٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى

﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ

يُجِيبُهُمْ إِذَا سَأَلُوهُ، وَلاَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ إِذا خَاطَبُوهُ، وَأَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً فِي دُنْيَاهُمْ وَلاَ فِي آخِرَتِهِمْ؟ .

(هَارُونُ) (يَا قَوْمِ)

(٩٠) ـ وَقَدْ نَهَاهُمْ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ مُوسَى، عَنْ عِبَادَةِ العِجْلِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ العِجْلَ فِتْنَةٌ وَاخْتِبَارٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ هُوَ رَبُّهُمْ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَقَدَّرَهُ. ثُمَّ دَعَاهُم إِلى إِطَاعَةِ أَمْرِهِ، وَالانْتِهَاءِ عَنْ عِبَادَةِ العِجْلِ.

(عَاكِفِينَ)

(٩١) ـ فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لَنْ يَتْرُكُوا عِبَادَةَ العِجْلِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِمْ مُوسَى، وَيَسْمَعُوا قَوْلَهُ فِي أَمْرِ العِجْلِ، وَخَالَفُوا هَارُونَ فِي ذٰلِكَ وَحَارَبُوهُ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ.

(يَا هَارُونُ)

(٩٢) ـ وَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً، وَأَلْقَى مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ مِنَ الأَلْوَاحِ التِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ رَبُّهُ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَكُفَّهُمْ عَنْ هٰذِهِ الضَّلاَلَةِ، حِينَمَا رَأَيْتَهُمْ وَقَعُوا فِيهَا؟.

مَا مَنَعَكَ ـ مَا حَمَلَكَ.

(٩٣) ـ وَمَا الذِي مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَلْحَقَ بِي فَتُخْبِرَنِي بِمَا تَمَّ؟ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي فِيمَا قَدَّمْتُ إِلَيْكَ: أَنِ ﴿**اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ**؟﴾(١):

(يَا ابْنَ أُمَّ) (إِسْرَائِيلَ)

(٩٤) ـ فَقَالَ هَارُونُ مُعْتَذِراً وَمُتَرَفِّقاً: يَا أَخِي، وَيَا ابْنَ أُمِّي لاَ تُعَاجِلْنِي بِغَضَبِكَ، وَلاَ تُمْسِكْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي، إِنِّي خَشِيتُ إِنِ اتَّبَعْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِهذا أَنْ تَقُولَ: لِمَ تَرَكْتَهُمْ وَحْدَهُمْ، كَمَا خَشِيتُ إِنْ شَدَّدْتُ عَلَيْهِمْ فَتَفَرَّقُوا شِيَعاً، أَنْ تَقُولَ لِي لِمَ فَرَّقْتَ بَيْنَ القَوْمِ، وَلَمْ تَتَقَيَّدْ بِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ حِينَ اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَيْهِمْ؟

(يَا سَامِرِيُّ)

(٩٥) ـ فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِلسَّامِرِيِّ: وَمَا الذِي حَمَلَكَ عَلَى

(١) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى

﴿٩٧﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا

﴿٩٨﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا

صُنْع ما صَنَعْتَ؟ وَمَا الذِي عَرَضَ لَكَ حَتَّى فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟

مَا خَطْبُكَ - مَا شَأْنُكَ الخَطِيرُ.

(٩٦) - قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ السَّامِرِيَّ كَانَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَاجِرَ وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَ البَقَرَ، وَكَانَ حُبُّ البَقَرِ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ لِمُوسَى: إِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ جَاءَ لِهَلاَكِ فِرْعَوْنَ، فَقَبَضَ بِكَفِّهِ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ مِنْ تَحْتِ حَافِرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ، ثُمَّ أَلْقَى مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ تُرابٍ فَوْقَ الحُلِيِّ التِي أُضْرِمَتْ فِيهَا النَّارُ مِنْ قِبَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ قَذَفُوهَا فِي الحُفْرَةِ، ثُمَّ دَعَا أَنْ يَكُونَ عِجْلاً فَكَانَ. وَهٰكَذا حَسَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ هٰذا العَمَلَ (وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي).

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ أَنَّ السَّامِرِيَّ قَالَ لِمُوسَى: إِنَّهُ كَانَ آمَنَ بِهِ رَسُولاً، وَٱقْتَفَى أَثَرَهُ، وَتبِعَ دِينَهُ، ثُمَّ ٱسْتَبَانَ أَنَّ ذٰلِكَ ضَلالٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ، فَطَرَحَهُ وَرَاءَهُ ظِهْرِيّاً، وَسَارَ عَلَى النَّهْجِ الذِي رَأَى، وَلَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى فِعْلِ مَا فَعَلَ إِلاَّ هَوَى النَّفْسِ).

بَصُرْتُ - عَلِمْتُ بِالبَصِيرَةِ.

فَنَبَذْتُهَا - فَأَلْقَيْتُهَا فِي الحُلِيِّ الذَّائِبِ.

سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي - زَيَّنَتْ وَحَسَّنَتْ.

(ٱلْحَيَاةِ)

(٩٧) - فَقَالَ مُوسَى لِلسَّامِرِيِّ: ٱذْهَبْ فَأَنْتَ طَرِيدٌ شَرِيدٌ، وَسَتَكُونُ عُقُوبَتُكَ فِي الدُّنْيا أَنْ يَتَجَنَّبَكَ النَّاسُ، وَأَنْ تَتَجَنَّبَهُمْ، وَسَتقُولَ لِمَنْ يَقْتَرِبُ مِنْكَ: لاَ مِسَاسَ - أَيْ لاَ يَمَسُّكَ أَحَدٌ، وَلاَ تَمَسُّ أَحداً - وَسَيَكُونَ لَكَ عِقَابٌ آخَرُ فِي الآخِرَةِ فِي المَوْعِدِ المُحَدَّدِ الذِي هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ، وَهٰذا المَوْعِدُ سَيُنْجِزُهُ اللهُ تَعَالَى لَكَ، وَهُوَ آتٍ لا مَنْأَى عَنْهُ وَلاَ مَحِيدَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ مُوسَى: ٱنْظُرْ إِلَى هٰذا العِجْلِ الذِي ٱتَّخَذْتَهُ إِلٰهاً وَأَقَمْتَ عَاكِفاً عَلَى عِبَادَتِهِ، لَنَحْرُقَنَّهُ فِي النَّارِ، وَلَنُلْقِيَنَّ رَمَادَهُ فِي البَحْرِ وَنَذْرُوَنَّهُ ذَرْواً فِيهِ (لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفاً).

لاَ مِسَاسَ - لاَ تَمَسُّنِيَ وَلاَ أَمسُّكَ.

لَنَنسِفَنَّهُ - لَنَذْرُوَنَّهُ.

(٩٨) - وَبَعْدَ أَنْ أَحْرَقَ مُوسَى العِجْلَ، وَذَرَّاهُ فِي البَحْرِ، قَالَ لِبَنِي

﴿٩٩﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا

﴿١٠٠﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا

﴿١٠١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا

﴿١٠٢﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا

إِسْرَائِيلَ: إِنَّ هـذا العِجْلَ لَيْسَ إلَهكُمْ وإِنَّ اللهَ تَعالَى هُوَ إِلَهُكُمْ وَهُوَ الذِي لاَ تَنْبَغِي العِبَادَةُ إلاَّ لَهُ، فَهُوَ اللهُ تَعالَى، وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيءٍ، وَمُحِيطٌ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيءٍ، وَقَدْ أَحْصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً، فَلا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ.

(آتَيْنَاكَ)

(٩٩) - وَكَمَا قَصَصْنا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرَ مُوسَى، وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ عَلَى الجَلِيَّةِ، وَالأَمْرِ الوَاقِعِ، كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَخْبَارَ الأُمَمِ الخَالِيَةِ، كَمَا وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلاَ نُقْصَانٍ وَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذا القُرْآنَ العَظِيمَ (الذِّكْرَ) الذِي لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ، فَهُوَ جَامِعٌ لِلأَخْبَارِ، حَاوٍ لِلأَحْكَامِ، فِيهِ صَلاَحُ البَشَرِ، فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

(الْقِيَامَةِ)

(١٠٠) - مَنْ كَذَّبَ بِهِ وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِهِ، وَابْتَغَى الهُدَى مِنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُضِلُّهُ، وَيَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَحْمِلُ حِمْلاً ثَقِيلاً (وِزْراً)، مِنَ الكُفْرِ، وَظُلْمِ النَّفْسِ، وَالذُّنُوبِ، فَيَهْوِي فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ.

وِزْراً - عُقُوبَةً ثَقِيلَةً عَلَى إِعْرَاضِهِ.

(خَالِدِينَ) (الْقِيَامَةِ)

(١٠١) - وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ شَقِيَ فِي الدُّنْيا، وَكَانَتِ النَّارُ مَوْعِدَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَبْقَى خَالِداً فِيهَا وَبِئْسَ الحِمْلُ الذِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُوَ يَحْمِلُهُ، وَيَقُودُهُ إِلى نَارِ جَهَنَّمَ.

(يَوْمَئِذٍ)

(١٠٢) - حِينَ يَحِينُ قِيَامُ السَّاعَةِ، يَقُومُ المَلَكُ المُكَلَّفُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، بِالنَّفْخِ فِيهِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى، فَيَحْشُرُ اللهُ النَّاسَ جَمِيعاً، وَيَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ سِرَاعاً يَتْبَعُونَ الدَّاعِيَ، وَيَكُونُ المُجْرِمُونَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ زُرْقَ الوُجُوهِ، مِنْ شِدَّةِ مَا يَرَوْنَهُ مِنَ الأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ.

(وَقِيلَ بَلْ يُحْشَرُونَ زُرْقَ العُيُونِ مِنَ الهَوْلِ وَالفَزَعِ).

﴿١٠٣﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا

﴿١٠٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا

﴿١٠٥﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا

﴿١٠٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا

﴿١٠٧﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا

والصُّورُ ـ قَرْنٌ يُنْفخُ فِيهِ فَيُحْدِثُ صَوْتاً.

وَالنَّفْخَةُ الأُولى فِي الصُّورِ ـ إِيذانٌ بِإِهْلاَكِ الخَلاَئِقِ جَمِيعاً إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ.

ـ وَالنَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ إِيذَانٌ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

زُرْقاً ـ زُرْقَ العُيُونِ أَوْ زُرْقَ الوُجُوهِ مِنَ الهَوْلِ، أَوْ عُمْياً.

(يَتخَافَتُونَ)

(١٠٣) ـ وَيَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، بِصَوْتٍ خَافِتٍ، وَيَهْمِسُ بَعْضُهُمْ فِي أُذنِ بَعْضٍ لِمَا دَاخَلَهُمْ مِنَ الهَلَعِ وَالرُّعْبِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّكُمْ لَمْ تَلْبَثُوا فِي الدُّنْيا إِلاَّ مُدَّةً قَصِيرَةً، عَشْرَةَ أَيَّامٍ أَوْ نَحْوَهَا.

يَتخَافَتُونَ ـ يَتَسَارُّونَ وَيَتَهَامَسُونَ.

(١٠٤) ـ وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ مُدَّةِ لَبْثِهِمْ فِي الدُّنيا، فَالعَاقِلُ الكَامِلُ بَيْنَهُم (أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً) يَقُولُ: إِنَّكُمْ لَمْ تَلْبَثُوا إِلاَّ يَوْماً وَاحِداً ـ وَذٰلِكَ لِقِصَرِ مُدَّةِ الدُّنْيا فِي أَنْفُسِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ـ وَغَايَتُهُمْ مِنَ التَّذَرُّعِ بِهٰذَا القَوْلِ هِيَ دَرْءُ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الدُّنْيا كَانَتْ مُدَّتُهَا قَصِيرَةً فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَقْتٌ لِلتَّفْكِيرِ فِي أَمْرِهِمْ، وَالإِيمَانِ بِرَبِّهِمْ.

أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ـ أَعْدَلُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ رَأْياً.

(وَيَسْأَلُونَكَ)

(١٠٥) ـ وَسَأَلَتْ قُرَيشٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ مَصِيرِ الجِبَالِ، وَكَيْفَ يُفْعَلُ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اللهَ سَيَنْسِفُهَا نَسْفاً وَيَدُكُّها دَكّاً، فَلاَ يُبْقِي لَهَا أَثَراً.

يَنْسِفُهَا ـ يَقْتَلِعُهَا أَوْ يُفَتِّتُها وَيُفَرِّقُها بالرِّياحِ.

(١٠٦) ـ فَيَذَرُهَا بِسَاطاً وَاحِداً مُسْتَوِياً.

القَاعُ ـ المُسْتَوِي مِنَ الأَرْضِ.

الصَّفْصَفُ ـ تَعْبِيرٌ عَنِ اسْتِواءِ الأَرْضِ، أَوْ هُوَ الأَرْضُ التِي لاَ نَبَاتَ فِيهَا.

(١٠٧) ـ وَلاَ تَرَى فِي الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ وَادِياً وَلاَ رَابِيَةً وَلاَ انْحِنَاءً وَلاَ اعْوِجَاجاً.

(١٠٨) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا

(يَوْمَئِذٍ)

(١٠٨) - وَيَوْمَ يَرَوْنَ كُلَّ ذٰلِكَ يَتْبَعُونَ الدَّاعِيَ مُسَارِعِينَ إِلَيهِ حَيْثُما أَمَرَهُمْ، وَلَا يَمِيلُونَ عَنْهُ، وَتَسْكُنُ الأَصْوَاتُ خُشُوعاً للهِ، فَلَا يُسْمَعُ لِهٰذِهِ الخَلَائِقِ صَوْتٌ مُرْتَفِعٌ، وَلَا يُسْمَعُ غَيْرُ وَطْءِ أَقْدَامِهِمْ وَهُمْ مُسْرِعُونَ وَرَاءَ الدَّاعِي إِلى المَحْشَرِ، وَيَتَكَلَّمُونَ هَمْساً فِي إِسْرَارٍ وَصَوْتٍ خَفِيٍّ.

لَا عِوَجَ لَهُ - لَا يَعْوَجُّ لَهُ مَدْعُوٌّ، وَلَا يَزِيغُ عَنْهُ.

هَمْساً - صَوْتاً خَفِيّاً خَافِتاً.

(١٠٩) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا

(يَوْمَئِذٍ) (الشَّفَاعَةُ)

(١٠٩) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ لَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ عِنْدَ اللهِ إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللهُ لِلشَّافِعِ بِأَنْ يَشْفَعَ، وَرَضِيَ قَوْلَهُ.

(١١٠) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا

(١١٠) - وَاللهُ تَعَالَى يُحِيطُ عِلْماً بِالخَلَائِقِ كُلِّهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِي العِبَادِ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيا، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ شُؤُونِ الآخِرَةِ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً مِنْ تَدْبِيرِهِ وَحِكْمَتِهِ.



(١١١) ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا

(١١١) - وَفِي ذٰلِكَ اليَوْمِ تَذِلُّ الوُجُوهُ للهِ، وَتَخْضَعُ الخَلَائِقُ لِجَبَّارِهَا، وَتَسْتَسْلِمُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ، الذِي لَا يَمُوتُ، القَيِّمِ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، يُدَبِّرُهُ وَيَحْفَظُهُ، وَهُوَ الكَامِلُ فِي نَفْسِهِ، الذِي يَفْتَقِرُ كُلُّ شَيءٍ إِلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.

وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يَقْضِي اللهُ تَعَالَى بِالعَدْلِ بَيْنَ الخَلَائِقِ، وَلَا يُجَاوِزُهُ ظُلْمُ ظَالِمٍ، وَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَحُرِمَ الثَّوَابَ مَنْ جَاءَ رَبَّهُ، فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ، وَهُوَ مُشْرِكٌ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، يَحْمِلُ أَوْزَارَهُ.

عَنَتِ الوُجُوهُ - ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ.

الحَيُّ القَيُّومُ - الدَّائِمُ القِيَامِ بِتَدْبِيرِ أُمُورِ الخَلْقِ.

حَمَلَ ظُلْماً - حَمَلَ شِرْكاً أَوْ كُفْراً.

(١١٢) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا

(الصَّالِحَاتِ)

(١١٢) - أَمَّا الذِي آمَنَ بِاللهِ، وَبِكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ جَمِيعاً، وَعَمِلَ الأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ، فَلَا يَخَافُ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ اللهُ عَلَيْهِ ذَنْبَ غَيْرِهِ، وَلَا يَخَافُ مِنْ أَنْ يَنْقُصَهُ شَيْئاً مِنْ حَسَنَاتِهِ.

﴿١١٣﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا

﴿١١٤﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا

﴿١١٥﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا

الظُّلْمُ - حَمْلُ ذَنْبٍ عَلَى آمرِىءٍ وَهُوَ لَمْ يَرْتَكِبْهُ.

الهَضْمُ - النَّقْصُ وَغَمْطُ المَرْءِ شَيْئاً مِنْ حَقِّهِ.

(أَنْزَلْنَاهُ) (قُرْآناً)

(١١٣) - وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ المَعَادِ وَالجَزَاءِ وَاقِعاً لاَ مَحَالَةَ، لِذٰلِكَ أَنْزَلْنَا هٰذا القُرْآنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ لِيَفْهَمَهُ قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ، وَيُدْرِكُوا مَعَانِيَهُ وَمَرَامِيَهُ، وَلِيَكُونَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَذِيراً لِلْكَافِرِينَ. وَقَدْ نَوَّعنا فِي هٰذا القُرْآنِ مِنْ صُوَرِ الوَعِيدِ وَمَوَاقِفِهِ وَمَشَاهِدِهِ. لَعَلَّهُ يُثِيرُ فِي نُفُوسِ المُكَذِّبِينَ شُعُورَ التَّقْوَى، أَوْ يُذَكِّرُهُمْ بِمَا سَيَلْقَوْنَ فِي الآخِرَةِ مِنْ سُوءِ المَآلِ وَالمُنْقَلَبِ فَيَزْدَجِرُوا عَنْ غَيِّهِمْ، وَيُقْلِعُوا عَنْ ضَلاَلِهِمْ.

صَرَّفْنَا - كَرَّرْنَا القَوْلَ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ.

ذِكْراً - عِظَةً وَآعْتِبَاراً.

(فَتَعَالَى) (بِالْقُرْآنِ)

(١١٤) - تَنَزَّهَ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ، وَتَقَدَّسَ سُبْحَانَهُ، فَوَعْدُهُ حَقٌّ، وَوَعِيدُهُ حَقٌّ. وَمِنْ عَدْلِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لاَ يُعَذِّبُ أَحَداً قَبْلَ الإِنْذَارِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، لِكَيْلاَ يَبْقَى لأَحَدٍ حُجَّةٌ وَلاَ شُبْهَةٌ.

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ - كَمَا قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ - يُعَانِي مِنَ الوَحْيِ شِدَّةً، فَكَانَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِهِ، وَيُكَرِّرُ مَا تَلاَهُ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى حِفْظِ مَا يُوحِي إِلَيْهِ، فَأَرْشَدَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى مَا هُوَ أَسْهَلُ وَأَخَفُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: فَإِذَا قَرَأَ عَلَيْكَ المَلَكُ القُرآنَ فَأَنْصِتْ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذٰلِكَ فَآقْرَأْهُ بَعْدَهُ، وَقُلْ: رَبِّ زِدْنِي عِلْماً.

(وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ آنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْماً وَالحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ). (أَخْرَجَهُ آبْنُ مَاجَهْ وَالتِّرْمِذِيُّ).

قَبْلَ أَنْ يُقْضَى - قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ وَيَتِمَّ.

(آدَم)

(١١٥) - قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّما سُمِيَ الإِنْسَانُ إِنْسَاناً لأَنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ، فَقَدْ نَسِيَ آدَمُ مَا عَهِدَ اللهُ بِهِ إِلَيْهِ وَضَعُفَ أَمَامَ الإِغْرَاءِ بِالخُلُودِ، فَاسْتَمَعَ لِوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ عَزِيمَةٌ ثَابِتَةٌ. وَكَانَ هٰذا آبْتِلاَءً

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ ﴿١١٦﴾

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ﴿١١٧﴾

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ ﴿١١٨﴾

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ ﴿١١٩﴾

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ ﴿١٢٠﴾

مِنَ اللهِ تَعَالَى لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْهِ بِخِلَافَةِ الأَرْضِ. وَهُنَا يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ بِعَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لِأَبِيهِمْ آدَمَ لِيَحْذَرُوا وَيَتَّعِظُوا.

عَهِدْنا - أَمَرْنَا وَأَوْحَيْنَا.

(لِلْمَلائِكَةِ)

(١١٦) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ مَا وَقَعَ فِي ذٰلِكَ الحِينِ مِنَّا وَمِنْ آدَمَ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَكَ كَيْفَ نَسِيَ وَفَقَدَ العَزِيمَةَ، وَضَعُفَ فَكَانَ ذٰلِكَ سَبَباً لِإِخْرَاجِهِ مِنَ الجَنَّةِ.

لَقَدْ فَضَّلَ اللهُ آدَمَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ بِأَنْ يَسْجُدُوا لَهُ، فَسَجَدُوا جَمِيعُهُمْ إِلَّا إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ امْتَنَعَ وَاسْتَكْبَرَ (أَبَى).

(يَا آدَمُ)

(١١٧) - فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِآدَمَ، مُحَذِّراً مِنْ عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُ، وَلِزَوْجِهِ حَوَّاءَ: يَا آدَمُ إِنَّ إِبْلِيسَ عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ، وَهُوَ يُحَاوِلُ إِيذَاءَكُمَا وَإِخْرَاجَكُمَا مِنَ الجَنَّةِ، فَإِيَّاكَ أَنْ يَصْدُرَ عَنْكَ مَا يَسْتَوْجِبُ إِخْرَاجَكَ مِنْهَا فَتَشْقَى فِي طَلَبِ رِزْقِكَ وَتَتْعَبَ وَتَنْصَبَ، وَأَنْتَ هُنَا فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ، وَرِزْقٍ وَفِيرٍ بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا مَشَقَّةٍ.

(١١٨) - فَإِنَّكَ هُنَا فِي عَيْشٍ بِلَا كُلْفَةٍ، وَلَا مَشَقَّةٍ، وَقَدْ ضَمِنَّا لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِي هٰذِهِ الجَنَّةِ، وَلَا تَعْرَى، فَلَا تَشْعُرُ بِذُلِّ الجُوعِ وَلَا بِذُلِّ العُرْيِ مِنَ الثِّيَابِ.

(تَظْمَأُ)

(١١٩) - وَلَا تَعْطَشُ فِي الجَنَّةِ، وَلَا تَشْعُرُ بِحَرِّ الشَّمْسِ وَأَنْتَ تَكْدَحُ فِي سَبِيلِ العَيْشِ خَارِجَ الجَنَّةِ.

لَا تَضْحَى - لَا تَبْرُزُ لِلشَّمْسِ فَيُصِيبُكَ حَرُّهَا.

(الشَّيْطَانُ) (يَا آدَمُ)

(١٢٠) - فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ نَاصِحٍ مُشْفِقٍ، وَحَاوَلَ إِغْرَاءَهُ وَإِضْلَالَهُ لِيُخَالِفَ مَا عَهِدَ إِلَيْهِ رَبُّهُ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ الشَّجَرَةَ الَّتِي نَهَاكُمَا اللهُ عَنِ الأَكْلِ مِنْهَا هِيَ شَجَرَةُ الخُلُودِ، مَنْ أَكَلَ مِنْهَا أَصْبَحَ مِنَ الخَالِدِينَ، وَأَصْبَحَ ذَا سُلْطَانٍ، وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى وَلَا يَنْتَهِي. فَضَعُفَ آدَمُ وَزَوْجُهُ تِجَاهَ

﴿١٢١﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ

﴿١٢٢﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ

﴿١٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ

﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ

هذا الإِغْراءِ بِالمُلْكِ، وَالعُمْرِ المَدِيدِ، وَنَسِيَا مَا عَهِدَ اللهُ بِهِ إِلَيْهِمَا، فَأَكَلا مِنَ الشَّجَرَةِ.

لاَ يَبْلَى - لاَ يَزُولُ وَلاَ يَفْنَى.

(سَوْءَاتُهُمَا) (آدَمُ)

(١٢١) - فَأَكَلاَ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَبَدَتْ لَهُمَا عَوْرَاتُهُمَا (سَوءاتُهُمَا)، وَكَانَتْ مَسْتُورَةً عَنْهُما، فَأَخذا يَسْتُرَانِها بِوَرَقِ الشَّجَرِ، يَشْبِكَانِهِ لِيَسْتُرا مَوَاضِعَ العِفَّةِ مِنْهُما، وَبِذٰلِكَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَضَلَّ وَغَوَى.

سَوْءَاتُهُمَا - عَوْرَاتُهُمَا.

طَفِقَا يَخْصِفَانِ - أَخَذَا يُلْصِقَانِ.

عَصَى آدَمُ - خَالَفَ النَّهْيَ سَهْواً أَوْ بِتَأْوِيلٍ.

(اجْتَبَاهُ)

(١٢٢) - ثُمَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَتَابَ عَلَيْهِ، وَهَدَاهُ وَاصْطَفَاهُ وَاجْتَبَاهُ بَعْدَ أَنْ أَلْهَمَهُ اللهُ عِبَارَاتِ اسْتِغْفَارٍ، وَاعْتِذَارٍ قَالَها فَعَفَا اللهُ عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ.

اجْتَبَاهُ - اصْطَفَاهُ لِلنُّبُوَّةِ وَقَرَّبَهُ.

(١٢٣) - فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ وَزَوْجَهُ وَإِبْلِيسَ بِأَنْ يَهْبِطُوا مِنَ الجَنَّةِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ لَهُمْ: سَتَكُونُ هُنَاكَ عَدَاوَةٌ بَيْنَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وَذُرِّيَّةِ إِبْلِيسَ، فَإِذَا جَاءَكُمْ هُدًى مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، فَمَنْ تَبِعَ هُدَى اللهِ فَإِنَّهُ لاَ يَضِلُّ فِي الدُّنْيا، وَلاَ يَشْقَى فِي الآخِرَةِ.

(الْقِيَامَةِ)

(١٢٤) - وَمَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَكَفَرَ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَى رُسُلِي، وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي وَتَنَاسَاهُ فَسَتَكُونُ مَعِيشَتُهُ فِي الدُّنيا ضَنْكاً لاَ طُمَأْنِينَةَ لَهُ فِيهَا، وَلاَ يَنْشَرِحُ فِيهَا صَدْرُهُ، بَلْ يَبْقَى صَدْرُهُ ضَيِّقاً حَرَجاً، بِسَبَبِ ضَلاَلِهِ. وَمَا لَمْ يَخْلُصِ الهُدَى وَاليَقِينُ إِلَى قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ سَيَبْقَى فِي قَلَقٍ وَحَيْرَةٍ وَشَكٍّ، وَيَحْشُرُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى البَصَرِ وَالبَصِيرَةِ، قَدْ عَمِيَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيءٍ إِلاَّ جَهَنَّمَ، لأَنَّ الجَهَالَةَ التي كَانَ فِيهَا فِي الدُّنْيا تَبْقَى مُلاَزِمَةً لَهُ فِي الآخِرَةِ.

مَعِيشَة ضَنكاً - ضَيِّقَةً شَدِيدَةً.

﴿١٢٥﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا

(١٢٥) ـ فَيَسْأَلُ رَبَّهُ قَائِلاً: لَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَلِمَاذَا حَشَرْتَنِي أَعْمَى فِي الآخِرَةِ؟.

(آيَاتُنَا)

﴿١٢٦﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ

(١٢٦) ـ فَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هٰذا المُتَسَائِلِ مُبَيِّناً: لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رُسُلَنَا بِآيَاتِنَا فَأَعْرَضْتَ عَنْها، وَتَنَاسَيْتَها، فَكَذٰلِكَ نُعَامِلُكَ اليَوْمَ مُعَامَلَةَ المَنْسِيِّ، فَتُتْرَكُ فِي النَّارِ.

(بِآيَاتِ) (الآخِرَة)

﴿١٢٧﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ

(١٢٧) ـ وَهٰكَذا نُجَازِي المُسْرِفِينَ المُتَجَاوِزِينَ لِلْحُدُودِ، المُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ، فَنُذِيقُهُمْ عَذَابَنَا فِي الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ، وَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ أَلَماً مِنْ عَذَابِ الدُّنْيا، وَهُوَ دَائِمٌ أَبَداً سَرْمَداً.

(مَسَاكِنِهِمْ) (لآيَاتٍ)

﴿١٢٨﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ

(١٢٨) ـ مَا لِهٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ لاَ يَهْتَدُونَ، وَلاَ يَتَّعِظُونَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الأُمَمِ التِي كَذَّبَتِ الرُّسُلَ قَبْلَهُمْ، فَبَادُوا وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، وَلاَ عَيْنٌ وَلاَ أَثَرٌ، كَمَا يُشَاهِدُونَ ذٰلِكَ مِنْ دِيَارِهِمُ الخَالِيَةِ، التِي خَلَفُوهُمْ فِيهَا، وَهُمُ الآنَ يَمْشُونَ فِيهَا أَفَلَمْ يُرْشِدْهُمْ (يَهْدِ لَهُمْ) مَا فَعَلْنَاهُ بِالأُمَمِ الخَالِيَةِ مِنَ الإِهْلاَكِ وَالإِبَادَةِ، وَيَحْمِلْهُمْ عَلَى الاعْتِبَارِ وَالاتِّعَاظِ؟ إِنَّ فِي ذٰلِكَ بَرَاهِينَ وَحُجَجاً وَدَلاَلاَتٍ لِأَصْحَابِ العُقُولِ السَّلِيمَةِ المُدْرِكَةِ؟

أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ـ أَلَمْ يُرْشِدْهُمْ، وَيُوَضِّحْ لَهُمْ.

كَمْ أَهْلَكْنا ـ كَثِيراً مَا أَهْلَكْنَا مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ.

﴿١٢٩﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى

(١٢٩) ـ وَلَوْلاَ الكَلِمَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللهِ بِأَنَّهُ لاَ يُعَذِّبُ أَحَداً إِلاَّ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَلَوْلا الأَجَلُ المُسَمَّى الذِي أَمْهَلَهُمُ اللهُ إِلَيْهِ لِحُلُولِ العَذَابِ بِهِمْ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ لَجَاءَهُمُ العَذَابُ بَغْتَةً، وَحَلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالقُرُونِ الأُولَى.

لِزاماً ـ لاَزِماً لَهُمْ لاَ يَتَأَخَّرُ عَنْهُمْ.

أَجَلٌ مُسَمًّى ـ يَوْمُ القِيَامَةِ.

(آنَاءِ) (اللَّيْلِ)

﴿١٣٠﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ

(١٣٠) ـ يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ فَيَقُولُ لَهُ: اصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِ

فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ

هؤُلاءِ المُكَذِّبين، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بَعْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ، وَبَعْدَ صَلاَةِ العَصْرِ (قَبْلَ غُرُوبِهَا)، وَفِي فَتَرَاتِ اللَّيْلِ، فَالتَّسْبِيحُ اتِّصَالٌ بِاللهِ تَعَالَى، وَالنَّفْسُ التِي تَتَّصِلُ بِاللهِ تَطْمَئِنُّ وَتَرْضَى. فَالرِّضَا ثَمَرَةُ التَّسْبِيحِ وَالعِبَادَةِ، وَهُوَ وَحْدَهُ جَزَاءٌ حَاضِرٌ يَنْبُعُ مِنْ دَاخِلِ النَّفْسِ.

آنَاءَ اللَّيْلِ - سَاعَاتِ اللَّيْلِ.

(١٣١) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

(أَزْوَاجاً) (الْحَيَاةِ)

(١٣١) - وَلاَ تُطِلِ النَّظَرَ اسْتِحْسَاناً وَرَغْبَةً فِيمَا مُتِّعَ بِهِ هؤُلاءِ المُتْرَفُونَ مِنَ النَّعِيمِ، فَإِنَّما هُوَ زَهْرَةٌ زَائِلَةٌ، وَنِعْمَةٌ حَائِلَةٌ، يَخْتَبِرُهُمُ اللهُ بِهَا، وَلِيَعْلَمَ هَلْ يُؤدُّونَ شُكْرَهَا أَوْ لاَ، فَإِذا لَمْ يُؤدُّوا شُكْرَها كَانَتْ وَبَالاً عَلَيْهِمْ. وَقَدْ آتَاكَ اللهُ خَيْراً مِمَّا آتَاهُمْ، فَرِضَاهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

أَزْوَاجاً مِنْهُمْ - أَصْنَافاً مِنَ الكُفَّارِ.

زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا - زِينَتَها وَبَهْجَتَها.

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ - لِنَجْعَلَهُ فِتْنَةً لَهُمْ.

(١٣٢) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ

(بِالصَّلاَةِ) (نَسْأَلُكَ) (الْعَاقِبَةُ)

(١٣٢) - وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ فِي أَوْقَاتِهَا، لِتُنْقِذَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَاصْبِرْ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأَدِّهَا كَامِلَةً حَقَّ أَدَائِهَا، فَالوَعْظُ بِالفِعْلِ أَشَدُّ أَثَراً مِنْهُ بِالقَوْلِ. وَإِذَا أَقَمْتَ الصَّلاَةَ أَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَحْتَسِبُ، وَلَمْ تُكَلَّفْ أَنْتَ رِزْقَ نَفْسِكَ. وَكَانَ الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ أَمْرٌ فَزِعُوا إِلَى الصَّلاَةِ. وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: (يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنىً، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ. وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ) (رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ).
وَإِنَّ حُسْنَ العَاقِبَةِ - وَهِيَ هُنَا الجَنَّةُ - سَتَكُونُ جَزَاءً لِمَنِ اتَّقَى رَبَّهُ وَأَطَاعَهُ.

(١٣٣) وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ

(بِآيَةٍ)

(١٣٣) - وَقَالَ الكُفَّارُ فِي عِنَادِهِمْ: هَلاَّ يَأْتِينَا مُحَمَّدٌ بِمُعْجِزَةٍ، وَحُجَّةٍ، وَبُرْهَانٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ (بِآيَةٍ)، تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِي أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَمَا جَاءَ مُوسَى بِالعَصَا وَاليَدِ، وَعِيسَى بِإِحْيَاءِ المَوْتَى، وَصَالِحٌ بِالنَّاقَةِ..
وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: لَقَدْ جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ بِالقُرآنِ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ الآيَاتِ، وَأَكْبَرُ المُعْجِزَاتِ فَالرَّسُولُ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لاَ يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ، وَالقُرآنُ يَصِلُ حَاضِرَ الرِّسَالَةِ بِمَاضِيهَا، وَيُوَحِّدُ طَبِيعَةَ

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ ١٣٤

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ ١٣٥

اتِّجاهِها، وَيُبَيِّنُ وَيُفَصِّلُ ما أُجْمِلَ فِي الكُتُبِ السَّابِقَةِ (الصُّحُفِ الأولَى).

بَيِّنَةُ ـ القُرْآنُ المُعْجِزُ، أَوِ الآيَاتُ.

(أَهْلَكْنَاهُمْ) (آيَاتِكَ)

(١٣٤) ـ وَلَوْ أَنَّنا أَهْلَكْنا هؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ قَبْلَ أَنْ نُرْسِلَ إِلَيْهِمْ هذا الرَّسُولَ الكَرِيمَ، وَقَبْلَ أَنْ نُنْزِلَ عَلَيْهِمْ هذا القُرْآنَ العَظِيمَ، لَقالُوا: هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا يا رَبِّ رَسُولاً قَبْلَ أَنْ تُهْلِكَنا حَتَّى نُؤْمِنَ بِهِ وَنَتْبَعَهُ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِنا العَذابُ وَالدَّمارُ، وَقَبْلَ أَنْ يَلْحَقَ بِنا الذُّلُّ وَالخِزْيُ، وَلٰكِنَّ هؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ مُتَعَنِّتُونَ مُعانِدُونَ، لا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جاءَهُمُ الرَّسُولُ بِكُلِّ آيَةٍ.

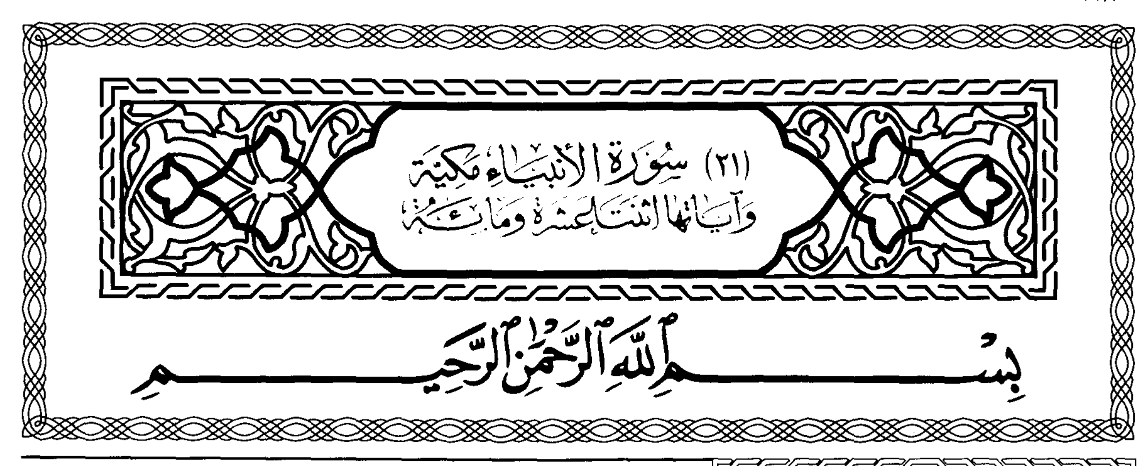
مِنْ قَبْلِهِ ـ مِنْ قَبْلِ الإِثْباتِ بِالبَيِّنَةِ.

نَخْزَى ـ نَفْتَضِحَ فِي الآخِرَةِ بِالعَذابِ.

(أَصْحَابُ) (الصِّرَاطِ)

(١٣٥) ـ وَقُلْ يا مُحَمَّدُ لِمَنْ كَذَّبَكَ وَخالَفَكَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَعِنادِهِ: كُلُّ واحِدٍ مِنّا وَمِنْكُمْ مُنْتَظِرٌ مُتَرَبِّصٌ لِلْمَصِيرِ وَالعاقِبَةِ، وَإِنَّ عاقِبَةَ المُكَذِّبِينَ مَعْرُوفَةٌ، وَمَصِيرَهُمْ أَسْوَأُ مَصِيرٍ، وَإِنِ اعْتَقَدُوا هُمْ أَنَّ مَصِيرَهُمْ سَيَكُونُ غَيْرَ ذٰلِكَ.

وَفِي يَوْمِ الحِسابِ يَعْلَمُ المُكَذِّبُونَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ كانُوا عَلَى طَرِيقِ الهُدَى المُوصِلِ إِلَى اللهِ، وَمَنْ هُمُ الَّذِينَ اهْتَدَوا إِلَى الحَقِّ وَسُبُلِ الرَّشادِ.



(١) ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ

الجزء ١٧ الحزب ٣٣

(٢) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ

(٣) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ

(٤) قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(١) ـ يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعالَى النَّاسَ إلى ٱقْتِرَابِ وَقْتِ قِيامِ السَّاعَةِ، وَدُنُوِّ مَوْعِدِها. ومَتى قامَتِ السَّاعةُ حَشَرَ اللَّهُ الخَلائِقَ إليهِ لِيحَاسِبَهُم عَلى مَا عَمِلُوهُ في الحَياةِ الدُّنيا، وليَجْزِيَ كُلَّ واحِدٍ بما عَمِلَ. ولكنَّ النَّاسَ غافِلونَ عَنْ أمْرِ السَّاعَةِ وأَمْرِ الحِسَابِ، وإذا نُبِّهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ بِمَا يُتْلَى عَلَيْهِم مِن الآياتِ والنُّذُرِ أَعْرَضُوا وٱسْتَكْبَرُوا، ورَفَضُوا الاسْتِماعَ إلى مَا يُقالُ لَهُمْ.

ٱقْتَرَبَ ـ قَرُبَ وَدَنا.

(٢) ـ وإذا تَجَدَّدَ لهُمُ التَّذْكيرُ بالسَّاعةِ والحساب، بما يُنَزِّلُهُ اللَّهُ على رَسُولِهِ الكَريمِ مِنَ القُرآنِ، اسْتَمَعُوا إلى مَا يُتْلَى عَلَيهِمْ، وهُمْ لاعِبُونَ ساخِرونَ.

مُحْدَثٍ ـ تنزيلُه بالوحْي، جَديدٌ إنْزالُـهُ.

(٣) ـ ويَسْتَمِعُونَ إلى آياتِ اللَّهِ المنزَّلَةِ عَلى رَسُولِهِ ﷺ وَقُلُوبُهُمْ لاهِيَةٌ مُسْتَهزِئَةٌ، وقد أخذُوا يَتناجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، ويَتَحَدَّثُ بَعْضُهم إلى بَعْضٍ سِرّاً، فَقالَ الكُفَّارُ (الذينَ ظَلَمُوا): هل الرَّسُولُ إلاّ بَشَرٌ يأكُلُ كَما يأكُلُ النَّاسُ، ويَشْرَبُ كَما يَشْرَبُونَ، فكَيفَ ٱخْتَصَّهُ اللَّهُ بالوحْيِ مِنْ دُونِهِم؟ (وهُمْ يَقُولونَ ذَلِكَ اسْتِبْعاداً لأنْ يَكونَ نبياً حقاً لأنَّهُ مِنَ البَشَرِ). وإنَّ مَا جاءَهُم بِهِ مُحَمَّدٌ إنْ هُوَ إلاّ سِحْرٌ، لا حَقِيقَةَ لَهُ، فَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، ويَتَّبِعُونَه، ويَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟.

(قال)

(٤) ـ ويُجيبُ اللَّهُ تَعالى هؤلاءِ المُفْتَرِينَ عَلَى مَا قَالُوهُ، واخْتَلَقُوهُ مِنَ الكَذِبِ والبُهْتَانِ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إنَّكُم وإنْ أَسْرَرْتُمْ قَوْلَكُمْ، وَطَعَنْتُمْ فِيَّ، فَإنَّ اللَّهَ تَعالى يَعْلَمُهُ فَهُوَ لا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي السَّماءِ وَلا فِي الأَرْضِ، وهُوَ الذي أَنْزَلَ القُرآنَ، وَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأتِيَ بِمِثْلِهِ أَوْ أَنْ يَخْتَلِقَهُ وَيَتَقَوَّلَهُ، وَهُوَ السَّمِيعُ لأَقْوالِكُمْ، العَلِيمُ بِأَحْوالِكُم.

﴿٥﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ

(أضْغَاثُ) (أَحْلام) (افْتَراهُ) (بِآيَةٍ)

(٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَعَنُّتِ الكُفَّارِ، وإلْحَادِهِمْ، واختِلافِهِمْ فِيمَا يَصِفُونَ بِهِ القُرْآنَ، وحَيرَتِهِمْ وَضَلالِهِمْ عَنْهُ، فَتَارَةً يَجْعَلُونَهُ سِحْراً، وتَارَةً يَجْعَلُونَه أَضْغَاثَ أَحْلامٍ، أَيْ أَحْلاماً مُخْتَلَطةً يَرَاهَا مُحَمَّدٌ وَيَرْوِيهَا، وتَارَةً يَجْعَلُونَهُ مُفتَرًى، اخْتَلَقَهُ مُحَمَّدٌ وَنَسَبَهُ إلى اللَّهِ تَعَالَى، وتَارَةً يقُولُونَ إنَّهُ شِعْرٌ. . . ثُمَّ يُحَاوِلُونَ التَخلُّصَ مِنْ هَذَا الحَرَجِ بِأَنْ يَطْلُبُوا بَدَلَ هَذَا القُرْآنِ خَارِقَةً مِنَ الخَوَارِقِ التِي جَاءَ بها الأَنْبياءُ الأَوَّلُونَ: كَنَاقَةِ صَالِحٍ، وَمُعْجِزَاتِ مُوسَى وَعِيسَى، التِي تُثْبِتُ نُبُوَّةَ الأنْبِيَاءِ، وَلاَ تَتْرُكُ مَجَالاً لأَحَدٍ لِيُنَازِعَ فِيها، وكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّ الرَّسُولَ إذَا جَاءَهُم بِمُعْجِزَةٍ خَارِقَةٍ آمَنُوا بِهِ.

أَضْغَاثُ أَحْلامٍ - تَخَالِيطُ أَحْلامٍ رآهَا فِي نَوْمِهِ.

﴿٦﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ

(آمَنَتْ) (أَهْلَكْنَاهَا)

(٦) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تعالى عَلَيهِم مُكَذِّباً مَقَالَتَهُمْ هَذه - أَيْ إنَّ الرسُولَ إذَا جَاءَهُمْ بخارِقَةٍ آمَنُوا بِهِ - فيَقولُ تعَالَى: لَمْ تُؤْمِنْ قَرْيَةٌ مِنَ القُرَى التِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بالآيَاتِ التِي جَاءَهَا بِهَا رَسُولُهَا، بَلْ كَذَّبَتْ بِهَا، فَأَهْلَكَهَا اللَّهُ بِكُفْرِها، أَفَيُؤْمِنُ هَؤُلاءِ بِالآيَاتِ لَوْ رَأَوْهَا مِنْ دُونِ أُولَئِكَ؟ وَهُم أَشَدُّ مِمَّنْ سَبَقُوهُم كُفْراً، وَجَهْلاً، وَعُتُوّاً، واسْتِكْبَاراً، وعِنَاداً؟

﴿٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(فَاسْأَلُوا)

(٧) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَنْكَرَ بِعْثَةَ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ قَائِلاً: إنَّ جَمِيعَ الذِينَ أُرْسِلُوا قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ كَانُوا مِنَ البَشَرِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِن المَلائِكَةِ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ العِلْمِ (الذِّكْرِ) مِنَ الأُمَمِ المُتَقدِّمَةِ (اليَهُودِ والنَّصَارَى) هَلْ كَانَ الرُّسُلُ الذِينَ جَاؤُوهُمْ مِنَ البَشَرِ أَمْ مِنَ المَلائِكَةِ؟

﴿٨﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ

(جَعَلْنَاهُمْ) (خَالِدِينَ)

(٨) - يَقُولُ تَعَالَى إنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ الرُّسُلَ مِنَ المَلائِكَةِ لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ مِنَ البَشَرِ لَهُمْ أَجْسَادٌ، وَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُونَ مِثْلَ النَّاسِ، وَيَدْخُلُونَ إلَى الأَسْوَاقِ يَتَكَسَّبُونَ بِالتِّجَارَةِ والعَمَلِ، وَلاَ يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ وَلاَ يَنْتَقِصُ مِنْهُمْ شَيئاً، وكَانُوا يَعِيشُونَ فِي الدُّنْيا مِثْلَ البَشَرِ، ويَمُوتونَ مِثْلَهُمْ وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ أَحداً مِنْهُم خَالِداً، وإِنَّمَا امْتَازُوا عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ البَشَرِ بِمَا يُنَزَّلُ عَلَيْهِم مِنَ الوَحْيِ مِنْ رَبِّهِمْ.

جَسَداً - أَجْسَاداً أو ذَوِي أَجْسَادٍ

﴿٩﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ

(صدقْنَاهُم) (فأنْجيْنَاهُمْ)

(٩) - وَقَدْ وَعَدَ اللّهُ رُسُلَهُ، فِيمَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِم، أَنَّهُ سَيُهْلِكُ الظَّالِمِينَ المُكَذِّبِينَ (المُسْرِفِينَ)، وأَنَّهُ سَيُنْجِي رُسُلَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُمْ، فَصَدَقَهُمُ اللّهُ وَعْدَهُ، وأَنْجَاهُمْ والذِينَ آمَنُوا مَعَهُم، وأَهْلَكَ المُسْرِفِينَ المُتَجَاوِزِينَ الحَدَّ فِي تَكْذِيبِهِمْ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِم.

﴿١٠﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(كِتَاباً)

(١٠) - يُنَبِّهُ اللّهُ تَعَالَى إِلَى شَرَفِ القُرْآنِ، وَيحُثُّ النَّاسَ عَلَى مَعْرِفَةِ قَدْرِهِ فَيقُولُ: إِنَّهُ أَنْزَلَ القُرآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وفيهِ عِظَتُهُم بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وفَاضِلِ الآدابِ وسَدِيدِ الشَّرائِعِ والأَحْكَامِ، مِمَّا فِيهِ سَعَادَةُ البَشَرِ، فِي حَيَاتِهِم الدُّنيويَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ (ذِكْرُكُمْ)، ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى التَفَكُّرِ فِيهِ، وَعَلَى تَدَبُّرِهِ، لأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَكَّرْ وَلَم يَتَدَبَّرْ كَأَنَّهُ لاَ عَقْلَ لَهُ.

فِيهِ ذِكْرُكُمْ - فِيهِ مَوْعِظَتُكُمْ أَوْ شَرَفُكُمْ وَصِيتُكُم.

﴿١١﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ

(آخَرِينَ)

(١١) - لَقَدْ أَهْلَكْنَا قُرَى وأُمَماً كَثِيرةً كَانَتْ ظَالِمةً بِكُفْرِها وفَسادِها، وتَكْذِيبِهَا الرُّسُلَ، وأَنْشَأنَا بَعْدَهُم أَقْواماً آخرِينَ، خَلَفُوهُم فِي الأَرْضِ.

كَمْ قَصَمْنَا - كَثِيراً ما أَهْلَكْنَا.

﴿١٢﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ

(١٢) - فَلَمَّا تَيَقَّنُوا مِنْ أَنَّ العَذَابَ نَازِلٌ بِسَاحَتِهِمْ لاَ مَحَالَةَ، كَمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ أَنبِيَاؤُهُم، أَخَذُوا يَفِرُّونَ مِن دِيارِهِم وقُرَاهُمْ، وكَانُوا قَبْلَ حُلُولِ العَذَابِ يَسْتَكْبِرُونَ عَلَى رُسُلِهِم، ويُكَذِّبُونَهُم.

أَحَسُّوا بَأْسَنَا - أَدْرَكُوا بِحَاسَّتِهِمْ عَذَابَنَا الشَّدِيدَ.

يَرْكُضُونَ - يَهْرُبُونَ مُسْرِعِينَ.

﴿١٣﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ

(وَمَسَاكِنِكُمْ) (تُسْأَلُونَ)

(١٣) - وَيَتَهَكَّمُ اللّهُ تَعَالَى عَلَيهِم لِفِرارِهِمْ هَرَباً مِنَ العَذَابِ، ويَأْمُرُ بِأَنْ يُنَادَى عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ والسُّرُورِ، والعَيْشِ الرَّغِيدِ، والمَسَاكِنِ الطَّيِّبَةِ، لِتُسْأَلُوا عَمَّا كُنْتُم فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَهَلْ أَدَّيْتُمُ الشُّكْرَ عَلَيْهِ لِلّهِ تَعَالَى.

أُتْرِفْتُمْ فِيهِ - نُعِّمْتُمْ فِيهِ وَبَطِرْتُمْ.

(١٤) قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ

(يَا وَيْلَنا) (ظَالِمِينَ)

(١٤) - وَحِينما اسْتَشْعَرُوا اليأسَ مِنَ النَّجاةِ والخَلاصِ مِنَ العَذَابِ، لَمْ يَجِدُوا أبَداً مِنَ الاعْتِرافِ بِظُلْمِهِم وذُنُوبِهِمْ، وأخذُوا يُرَدِّدُونَ عِبارَةَ: يَا وَيْلَنا إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. (أيْ إنَّهُمْ يُنادُون يَا هَلاكاً وَيَا تَباراً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِم بِربِّهِم، وظُلْمِهِم لأنْفُسِهِمْ).

(١٥) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ

(دَعْوَاهُمْ) (جَعلْنَاهُم) (خامِدِينَ)

(١٥) - وَمَا زَالُوا يُرَدِّدُونَ تِلْكَ المَقالَةَ، وَهِيَ الاعْتِرَافُ بالظُّلْمِ والكُفْرِ، حَتَّى حَصَدَهُمُ اللَّهُ حَصْداً، وأهْلَكَهُم وأخْمَدَ أنْفاسَهُم، فَلَمْ يَعُدْ يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌ.

حَصِيداً - كالنَّبَاتِ المَحْصُودِ بِالمَنَاجِلِ.

خامِدِينَ - مَيِّتِينَ كَالنَّارِ التِي سَكَنَ لَهِيبُهَا.

(١٦) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ

(لَاعِبِينَ)

(١٦) - لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى السَّماوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، بِهَذا النِّظَامِ المُحْكَمِ البَدِيعِ، إلاَّ بالحَقِّ والعَدْلِ لِفَوائِدَ دِينِيَّةٍ، وَحِكَمٍ رَبَّانِيَّةٍ، وِمِنْهَا أنْ تَكُونَ دَلِيلاً عَلَى مَعْرِفَةِ خَالِقِهَا، وَوَسِيلَةً لِلْعِظَةِ والاعْتِبَارِ، وَلَمْ يَخْلُقْهَا لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ والتَّسْلِيَةِ.

(١٧) لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ

(لاتَّخذْنَاهُ) (فَاعِلِينَ)

(١٧) إنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ السَّماوَاتِ والأَرْضَ وَلاَ الجنَّةَ والنَّارَ. لِلَّهْوِ والتَّسْلِيَةِ والعَبَثِ، وإنَّما خَلَقَهَا لِحِكْمَةٍ قَدَّرها، وَصَوَّرَ المَخْلُوقاتِ لِغَايَةٍ رَمَى إلَيْهَا، وَجَعَلَ لَهُمُ السَّمْعَ والأَبْصارَ والعُقُولَ لِمَنَافِعَ اعْتَبَرَها، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ كُلَّه لِلَّهْوِ وَالعَبَثِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإنَّهُ لَنْ يَتْرُكَهُمْ سُدَى بَلْ إنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ وَيُؤاخِذُهُمْ عَلَى مَا قَدَّمَتْ أيْدِيهِم فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا.

وَيُنَزِّهُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عَنِ اللَّهْوِ والعَبَثِ والبَاطِلِ، وَعَنِ الصَاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، أي وَمَا كَانَ لَهُ أنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ

(ولَوْ حَرْفُ امْتِنَاعٍ لامْتِنَاعٍ، تُفِيدُ امْتِنَاعَ وُقُوعِ فِعْلِ الْجَوابِ لامْتِنَاعِ وُقُوعِ فِعْلِ الشَّرْطِ. فَاللَّهُ سُبحَانَه لَمْ يُرِدْ أنْ يَتَّخِذَ لَهْواً فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ لَهْوٌ لاَ مِنْ لَدُنْهُ، وَلاَ مِنْ شَيءٍ خَارِجٍ عَنْهُ).

(وَقَالَ مُجَاهِدٌ كُلُّ شَيءٍ فِي القُرْآنِ (إنْ) فَهُوَ إنْكَارٌ أي مَا كُنَّا فَاعِلِينَ)

نَتَّخِذَ لَهْواً - مَا يُتَلَهَّى بِهِ مِنْ صَاحِبَةٍ أوْ وَلَدٍ

١٨ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ

(الْبَاطِل)

(١٨) - وَمِنْ شَأْنِه تَعَالَى الذي يَلِيقُ بِهِ هُوَ أَنْ يُبَيِّنَ الحَقَّ، فَيَدْحَض بِهِ البَاطِلَ وَيُزْهِقَهُ، وأنَّهُ يَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فيَكْسِرُ دِمَاغه (يَدْمَغُهُ)، وَيُهْلِكُهُ، والوَيْلُ والعَذَابُ الشَّدِيدُ للَّذِينَ يَقُولُونَ إنَّ للَّهِ وَلداً أو صَاحِبَةً، مِمَّا يَقُولُونَ ويَفْتَرُونَ ويَصِفُونَ رَبَّهم عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِه.

(بَلْ - حَرْفٌ يَعْنِي الإِضْرَابَ عَنِ الحَدِيثِ السَّابِقِ وَالعُدُول عَنْهُ إلى حَدِيثٍ آخَر، وَهُنَا يَعْنِي العُدُولَ عَنْ حَدِيثِ اللَّهْوِ إلى الحَدِيثِ عَنِ الحَقِّ وَغَلَبَتِهِ عَلَى البَاطِلِ).

نَقْذِفُ بِالحَقِّ - نَرْمِي بِهِ وَنُورِدُهُ.

فَيَدْمَغُهُ - فَيُزْهِقُهُ وَيَمْحَقُهُ، أو يَكْسِرُ دِمَاغَهُ.

زَاهِقٌ - ذَاهِبٌ، مُضْمَحِلٌّ.

الْوَيْلُ - الهَلاَكُ.

١٩ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ

(السَّمَاوَات)

(١٩) - ولِلَّهِ جَمِيعُ المَخْلوقاتِ فِي السَّمَاوَاتِ والأرْضِ، خَلْقاً وَمُلْكاً وتَدْبِيراً وَتَصَرُّفاً، وإحياءً وَحِسَاباً... دُونَ أنْ يَكُونَ لأحدٍ في ذَلِكَ شيءٌ مِنْ سُلْطَانٍ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالى: إنَّ المَلاَئِكَةَ، الذِينَ شَرُفَتْ مَنْزِلَتُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم، لا يَسْتَعْظِمُونَ عِبَادَتَهُ، ولاَ يَكِلُّونَ عَنْهَا، وَلاَ يَتْعَبُونَ، وَلاَ يَتَوَقَّفُونَ.

لاَ يَسْتَحْسِرُونَ - لا يَكِلُّونَ ولا يَعْيَوْنَ.

والحُسُورُ - تَوَقُّفُ الدَّابَةِ عَنِ السَّيْرِ كَلاَلاً وتَعَباً.

٢٠ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ

(اللَّيْل)

(٢٠) - فَهُمْ دَائِبُونَ فِي تَسْبِيحِهِمْ للَّهِ وَتَنْزِيهِهِ، وفِي عِبَادَتِهِمْ إيَّاهُ لَيلَ نَهارَ لا يَتَوَقَّفُون عَنْ ذَلكَ لَحْظَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ.

لاَ يَفْتُرُونَ - لا يَتَوَقَّفُونَ وَلاَ يَسْكُنُونَ عَنْ نَشَاطِهِم في التَّسْبِيحِ.

٢١ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ

(آلِهَةً)

(٢١) - يُنكِرُ اللَّهُ تَعَالى عَلَى الكَافِرِينَ عِبَادَتَهُم آلهةً مِن دُونِ اللَّهِ، فقالَ تَعَالى: إنَّ هَذه الآلِهَةَ التي جَعَلَهَا الظَّالِمُونَ آلهةً وأنْدَاداً للَّهِ، لا يَسْتَطِيعون شَيْئاً مِنْ خَلْقٍ وَنَشْرٍ وَحَشْرٍ، ورِزْقٍ للعِبادِ، فَكَيْفَ جَعَلُوها أنْدَاداً للَّهِ وأمْثَالاً، وعَبَدُوها مَعَهُ، وهُوَ وَحْدَهُ الخَالِقُ الرازِقُ المُهَيْمِنُ؟

يُنْشِرُون - يُحْيُونَ المَوْتَى ويُخْرِجُونَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ.

٢٢ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

(آلِهَةٌ) (فَسُبْحَانَ)

(٢٢) - لَوْ كَانَ فِي السَّمَاء والأَرْضِ آلِهَةٌ آخَرُونَ غَيْرُ اللَّهِ لَفَسَدَتِ الأمورُ، واضطربَ نِظَامُ الكونِ لأنَّ كُلَّ إِلَهٍ يُمْكِنُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَا خَلَقَهُ، وَيَسْتَقِلَّ بِهِ، فَيتلاشَى هَذَا التَّنَاسُقُ البَدِيعُ القائمُ فِي هَذَا الكَوْنِ، وهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، تَنَزَّهَ اسْمُهُ الكريمُ عَمَّا يقولُهُ الظَّالِمُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ وَلَداً أَوْ شَرِيكاً فِي المُلْكِ.

لَفَسَدَتَا - لاخْتَلَّ نِظَامُهُمَا.

٢٣ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ

(يُسْأَلُ) (يُسْأَلُون)

(٢٣) - وَهُوَ الخَالِقُ البَارِىءُ، وهُوَ الحَاكِمُ المُطْلَقُ المُتَصَرِّفُ بالكَوْنِ كُلِّهِ، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلِيهِ أَحَدٌ لِعَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَهُوَ الذي يَسْأَلُ خَلْقَهُ عَمَّا يَفْعَلونَ.

٢٤ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ

(آلِهَةً) (بُرْهَانَكُمْ)

(٢٤) - يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى المُشْرِكِينَ، عَنِ الدَّلِيلِ النَّقْلِيِّ الذِي يَسْتَنِدُونَ إليهِ فِي دَعْوَى الشِّرْكِ التي يَدَّعُونَها، وَهِيَ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى دَلِيلٍ، فَيَقُولُ تَعَالَى: أَبَعْدَ هَذِهِ الأَدِلَّةِ التي ظَهَرَتْ تَقُولُونَ إِنَّ للَّهِ شَرِيكاً؟ فَهاتُوا بُرْهَانَكُمْ وَدَلِيلَكُمْ عَلَيهِ فَهَذَا القرآنُ المُنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ عِظَةٌ لِلَّذِينَ مَعَهُ، وهُنَاكَ الكُتُبُ التي أُنْزِلَتْ عَلَى مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَهِيَ ذِكْرَى وَعِظَةٌ لأُمَمِهِمْ، لَيسَ فِيهَا جَمِيعاً ذِكْرٌ لِشُرَكَاء، فَكُلُّ الدِّيَانَاتِ قَائِمَةٌ عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وأَنَّه لا إله إِلَّا اللَّهُ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ هَؤُلاءِ المُشْرِكُونَ بِدَعْوَى الشِّرْكِ التي تَنْقُضُهَا طَبِيعَةُ الكَوْنِ؟ ولا يُوجَدُ في الكُتُبِ السَّابِقَةِ دَلِيلٌ عَلَيْهَا. وَلَكِنَّ المُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمونَ الحَقَّ، ولِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ.

٢٥ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ

(٢٥) - فالتَّوْحِيدُ قَاعِدَةُ العَقِيدَةِ مُنْذُ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ إِلى النَّاسِ، لا تَبْدِيلَ فيها، وَلَا تَحْوِيلَ، فَلَا انْفِصَالَ بينَ الأُلُوهِيَّةِ والرُّبُوبِيَّةِ، ولا مَجَالَ للشِّرْكِ فِي الأُلُوهِيَّةِ ولا في العِبَادَةِ. وكُلُّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ كانَ يَدْعُو إِلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، والفِطْرَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، والمُشْرِكُونَ لا بُرْهَانَ لَهُمْ عَلَى مَا يَدَّعُونَ.

٢٦ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ

(سُبْحَانَه)

(٢٦) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعالى عَلَى زَعْمِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَداً مِنَ المَلائِكَةِ، فَنَزَّهَ اللَّهُ تَعالى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عَنْ شِرْكِهِم وقَالَ: المَلائِكَةُ عِبَادٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، مُكْرَمُونَ عِنْدَهُ فِي مَنَازِلَ عَالِيَةٍ، وَمَقَامَاتٍ سَامِيَةٍ، وَهُمْ لَهُ فِي غَايَةِ الطَّاعَةِ قَوْلاً وَفِعْلاً.

(كَانَ بعضُ مُشْرِكِي العَرَبِ يَقُولُونَ المَلائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى).

(٢٧) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

(٢٨) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ

(٢٩) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

ربع الحزب ٣٣

(٣٠) أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

(٣١) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

(٢٧) ـ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَ بِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ تَأَدُّباً وَطَاعَةً، وَلاَ يُخَالِفُونَه فِيما أَمَرَهُمْ بِهِ، بَلْ يُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِه دُونَ تَرَدُّدٍ.

(٢٨) ـ وَعِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِهِم فَلا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ بالشَّفَاعَةِ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إلاَ بإِذْنِهِ وَرِضَاهُ، فَلا يَطْمَعَنَّ أَحَدٌ فِي شَفَاعَتِهِم، وَهُمْ مِنْ خَوْفِ رَبِّهِم يُشْفِقُونَ مِنْ عِقَابِه، وَيَحْذَرُونَ أن يَعْصُوهُ أو يُخَالِفُوا أَمْرَهُ.

مُشْفِقُونَ ـ خَائِفُونَ حَذِرُونَ.

(الظَّالِمِينَ)

(٢٩) ـ والمَلائِكَةُ الأَطْهَارُ يَعْرِفُونَ حُدُودَهُمْ، فَلَا يَدَّعُونَ الأُلُوهِيَّةَ، وإذا ادَّعَى أَحَدٌ مِنْهُمْ الأُلُوهِيَّةَ مَعَ اللَّهِ، كَانَ جَزَاؤُهُ الخُلُودَ فِي جَهَنَّم، وَجَهَنَّمُ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، الذين يَدَّعُونَ هذه الدَّعْوى الظَّالِمَةَ.

(السَّمَاوَاتِ) (فَفَتَقْنَاهُمَا)

(٣٠) أَلَمْ يَعْلَمِ الكَافِرُونَ باللَّهِ وَكُتُبِه وَرُسُلِهِ، والعَابِدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ المُسْتَقِلُّ بالخَلْقِ، المُسْتَبِدُّ بالتَّدْبِيرِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ أَنْ يُعْبَدَ مَعَهُ غَيْرُه، أَوْ يُشْرَكَ بِهِ مَا سِوَاهُ؟ فَقَدْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ وَحْدَةً مُتَّصِلَةً فِي ابتداءِ أَمْرِ الخليقَةِ (كَانَتَا رَتْقاً) فَفَتَقَهُمَا اللَّهُ تَعالى، وفَصَلَ بَيْنَ السماءِ والأَرْضِ بالهواءِ فأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وأَنْبَتَتِ الأَرْضُ وَجَعَلَ اللَّهُ المَاءَ أَصْلَ الحَيَاةِ، فَكَيْفَ لاَ يُؤْمِنُ هَؤُلاَءِ الكَافِرُونَ، وهُم يَرَوْنَ كُلَّ ذَلِكَ؟

كَانَتا رَتْقاً ـ كَانَتَا مُلْتَصِقَتَيْنِ بِلاَ فَصْلٍ.

فَفَتَقْنَاهُمَا ـ فَفَصَلْنَا بَيْنَهُمَا.

(رَوَاسِيَ)

(٣١) ـ وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ فِي الأَرْضِ جِبَالاً أَرْسَاهَا بِهَا، وَثَقَّلَها لِكَيْلَا تَمِيدَ بالنَّاسِ، وتَضْطَرِبَ، فَلاَ يَبْقَى لَهُمْ عَلَيْهَا قَرَارٌ، وَأَنَّه جَعَلَ فِي الجِبَالِ ثُغَرَاتٍ وَفَجَوَاتٍ(فِجَاجاً) لِيَسْلُكَ النَّاسُ فِيهَا طُرُقاً فِي انْتِقَالِهِمْ مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، وَلِيَهْتَدُوا بِهَا فِي أَسْفَارِهِم.

رَوَاسِيَ ـ جِبَالاً ثَوَابِتَ.

أَنْ تَمِيدَ بِهِم ـ لِكَيْلاَ تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا فَلاَ تَسْتَقِرّ.

فِجَاجاً سُبُلاً ـ طُرُقاً وَاسِعَةً مَسْلُوكَةً.

٣٢ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ

(آياتِها)

(٣٢) - وَجَعَلَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَوْقَ النَّاسِ كَالسَّقْفِ لِلأَرْضِ ؛ وَحَفِظَ هَذا السَّقْفَ مِنَ الخَلَلِ ، وَمِنْ أَنْ يُنالَ ، وَلَكِنَّ الكافِرينَ لاَ يَتفَكَّرُونَ فِيمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاءِ مِنَ الاتساعِ العَظِيمِ ، والعُلُوِّ البَاهِرِ ، وَمَا زُيِّنَتْ بِـهِ مِنَ الكَواكِبِ والشُّمُوسِ التي تَسِيرُ فِي مَدَارَاتِها وَفْقَ نِظَامٍ بَـدِيعٍ وَدَقِيقٍ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُم لاَ يَعْتَبِرُونَ .

سَقْفاً مَحْفُوظاً - مَصُوناً مِنَ الوُقُوعِ أَوِ التَّغْيِيرِ .

٣٣ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

(اللَّيْلَ)

(٣٣) - واللَّهُ تَعَالَى هُوَ الذي خَلَقَ اللَّيْلَ بِظَلاَمِهِ وَسُكُونِهِ ، والنَّهارَ بِضِيَائِهِ وأُنسِهِ ، يَطُولُ هَذا ثُمَّ يَقْصُرُ ، وَيَتَنَاوَبانِ ذَلِكَ ، وَخَلَقَ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا لَهُ مَسارٌ ، وَفَلَكٌ يَخْتَصُّ بِهِ ، وَيَسْبَحُ فِيهِ وَيَتَحَرَّكُ ، وتَدُورُ الكَواكِبُ فِي مَدَارَاتِها كَمَا يَدُورُ المِغْزَلُ فِي الفَلْكَةِ .

كُلٌّ فِي فَلَكٍ - أَي الشَّمْسُ والقَمَرُ .

يَسْبَحُونَ - يَجْرُون في السَّمَاءِ .

٣٤ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ

(أَفَإِنْ) (الْخَالِدُونَ)

(٣٤) - وَيقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ : إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ أَحداً مِن البَشَرِ خَالِداً فِي الدُّنْيا ، لأَنَّ الدُّنْيا لَمْ تُجْعَل دَارَ خُلُودٍ ، وَإِنَّما جُعِلَتْ دَارَ ابْتِلاءٍ وامْتِحانٍ ، وَلِتَكُونَ وَسِيلَةً وَطَرِيقاً إِلَى الآخِرَةِ ، وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَمُوتَ كَمَا مَاتَ غَيْرُكَ ، وَلَكِنْ إِذا مِتَّ أَنْتَ فَهَلْ يُؤَمِّلُ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ أَنْ يَكُونُوا هُمْ خَالِدِين بَعْدَكَ؟ إِنَّ الجَمِيعَ إِلَى فَنَاءٍ وَزَوالٍ .

٣٥ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ

(ذَائِقَةُ)

(٣٥) - كُلُّ النَّاسِ سَيَمُوتُونَ لاَ مَحَالَةَ ، وَلَنْ يَخْلُدَ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ . وَيَخْتَبِرُ اللَّهُ النَّاسَ بِالمَصَائِبِ تَارَةً ، وَبِالنِّعَمِ تَارَةً أُخْرَى ، فَيَنْظُرُ مَنْ يَشْكُرُ مِنهُم وَمَنْ يَكْفُرُ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ فَيُجَازِيهِم عَلَى أَعْمَالِهِمْ .

نَبْلُوكُمْ - نَخْتَبِرُكُمْ مَعَ عِلْمِنَا بِحَالِكُمْ .

٣٦ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ

(رآكَ) (آلِهَتَكُمْ) (كَافِرُونَ)

(٣٦) - إِنَّ الكُفَّارَ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْتَهزِئونَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَيَتَنَقَّصُونَكَ حِينَما يَرَوْنَكَ ، وَيَقُـولُ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ اسْتِنْكَاراً ، أَهَـذَا الذِي يَسُبُّ آلِهَتَكُمْ ، وَيُسَفِّهُ أَحْلاَمَكُمْ؟ وَكَيْفَ يَعْجَبُونَ مِنْ ذَلِكَ وَهُمْ كَافِرُونَ بِاللَّهِ الذِي خَلَقَهُمْ ، وأَنْعَمَ عَلَيْهِم ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ؟

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾

(الإنْسَانُ) (سَأُرِيكُمْ) (آيَاتِي)

(٣٧) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعالَى المُسْتَهْزِئِينَ بالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَقَعَ فِي بَعْضِ النُّفوسِ سُرْعَةُ الانْتِقامِ مِنَ المُسْتَهْزِئِينَ، واسْتَعْجَلَتْ ذَلِكَ. واللَّهُ تَعالَى يُمْلِي لِلظَّالِمِينَ، وَيُمْهِلُهُمْ وَيَمُدُّ لَهُمْ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُمْ لَمْ يُفْلِتْهُمْ، إِنَّهُ تَعالَى يُؤَجِّلُ ثُمَّ يُعَجِّلُ، وَيُنْظِرُ ثُمَّ لاَ يُؤَخِّرُ.

ثُمَّ قالَ تَعالَى: سَأُرِيكُمْ نِقَمِي وَحِكَمِي وقُدْرَتِي عَلَى مَنْ عَصَانِي (آيَاتِي)، فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا يا أَيُّها النَّاسُ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾

(صَادِقِينَ)

(٣٨) - وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعالَى عَنِ المُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ أَيْضاً بِوُقُوعِ العَذَابِ بِهِم، تَكْذِيباً وَجُحُوداً وَكُفْراً فَيَسْأَلُونَ: مَتَى يَكُونُ مَوْعِدُ هَذا العَذَابِ الذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الرَّسُولُ والمُؤْمِنُونَ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَقُولُونَ؟

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩﴾

(٣٩) - لَوْ يَعْلَمُ هَؤُلاَءِ الكُفَّارُ المُسْتَعْجِلُونَ بِالعَذَابِ مَاذا أَعَدَّ لَهُمْ رَبُّهُم مِنْ أَلِيمِ العَذابِ فِي نارِ جَهَنَّم، وَما يَكُونُ عَلَيْهِ حَالُهُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لَمَا قالُوا هَذا القَوْلَ، وَلَما أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَلَما اسْتَعْجَلُوا لأَنْفُسِهِم النَّكالَ والوَبالَ، فَنارُ جَهَنَّمَ سَتُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، تَلْفَحُ وُجُوهَهُم، وَتَكْوِي ظُهُورَهُمْ، فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا، وَلاَ دَفْعَها عَنْ أَنْفُسِهِم، وَلاَ يَجِدُونَ نَاصِراً لَهُمْ يَنْصُرُهُم مِن عَذَابِ اللَّهِ.

لاَ يَكُفُّونَ - لاَ يَمْنَعُونَ وَلاَ يَدْفَعُونَ.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٤٠﴾

(٤٠) - وَبَعْد أَنْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعالَى شِدَّةَ العَذابِ الذِي يَنْتَظِرُ الكَافِرِينَ يَوْمَ القِيامَةِ، ذَكَرَ أَنَّ وَقْتَهُ لاَ يَكُونُ مَعْلُوماً، وإِنَّما تَأْتِي السَّاعَةُ بَغْتَةً فَتَفْجَؤُهُم، فَيَبْهَتُونَ وَيُذْعَرُونَ، لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً فِي رَدِّها وَدَفْعِها، وَلاَ مَهْرَبَ لَهُم مِنْها، وَلاَ يُمْهَلُونَ لِتَوْبَةٍ وَلاَ لِتَقْدِيمِ مَعْذِرَةٍ، فَقَدْ فَاتَ الأَوانُ، وأَحاطَ بِهِمْ مَا كانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَيَسْتَعْجِلُونَ.

بَغْتَةً - فَجْأَةً.

فَتَبْهَتُهُمْ - تُحَيِّرُهُمْ وَتُدْهِشُهُمْ

يُنْظَرُونَ - يُمْهَلونَ وَيُؤَخَّرُونَ.

(٤١) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

(٤٢) قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ

(٤٣) أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ

(٤٤) بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ

(يَسْتَهْزِئُون)

(٤١) - وَيقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ مُسَلِّياً عَمَّا يُلاقِيهِ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنَ الاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ: لَقَدْ اسْتَهزَأَتِ الأُمَمُ السَّابِقَةُ بالرُّسُلِ الذِينَ جَاؤُوهُم، فَنَزَلَ بِالذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمُ العَذَابُ الذِي كَانُوا يَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَهُ، وَلَنْ يَكُونَ حَالُ المُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ بِأَفْضَلَ مِنْ حَالِ الكُفَّارِ السَّابِقِينَ، الذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنَ الرُّسُلِ حِينَما كَانُوا يُحَذِّرُونَهُمْ سَوءَ العَذَابِ.
حَاقَ - أَحَاطَ وَنَزَلَ.

(بِاللَّيْلِ)

(٤٢) - سَلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلاَءِ المُسْتَهْزِئِينَ: مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْفَظَهُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ عَذَابَهُ فِي اللَّيْلِ أَثْنَاءَ نَوْمِهِمْ، وَفِي النَّهَارِ أَثْنَاءَ سَعْيِهِمْ فِي أُمُورِ مَعَاشِهِم؟ إِنَّهُ لاَ أَحَدَ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ هَؤُلاَءِ قَدْ أَلْهَتْهُمُ النِّعَمُ عَنْ مَعْرِفَةِ المُنْعِمِ وَشُكْرِهِ، فَلاَ يَذْكُرونَ اللَّهَ حَتَّى يَخَافُوا بَأْسَهُ.
يَكْلَؤُكُم - يَحْفَظُكُمْ وَيَحْرُسُكُمْ.

(آلِهَةٌ)

(٤٣) - وَيُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِم إِعْرَاضَهُمْ عَنْ ذِكْرِ آيَاتِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ مُقَرِّعاً وَمُوبِّخاً: أَلَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ وَتَكْلَؤُهُمْ غَيْرُ اللَّهِ؟ فِي الحَقِيقَةِ إِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَمَا تَوَهَّمُوا، وَلاَ كَمَا زَعَمُوا، فَالآلِهَةُ التِي اسْتَنَدُوا إِلَيْهَا غَيْرُ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِم مِنَ اللَّهِ، وَلاَ دَفْعَ مَا يَنْزِلُ مِنَ البَلاَءِ، وَلاَ يَجِدُونَ مَنْ يَنْصُرُهُمْ أَوْ يُجِيرُهُمْ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ غَيْرِهِم.
يُصْحَبُونَ - يُجَارُونَ وَيُنْصَرُونَ.

(وآبَاءَهُمْ) (الْغَالِبُونَ)

(٤٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ المُشْرِكِينَ فَيَقُولُ: إِنَّ الذِي غَرَّهُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلاَلِ، هُوَ أَنَّهُمْ مُتِّعُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا هُمْ وَآبَاؤُهُم، وَنُعِّمُوا فِيهَا، وَطَالَ عَلَيْهِمُ العُمرُ فِيمَا هُمْ فِيهِ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى وَصَوَابٍ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَاعِظاً إِيَّاهُمْ: أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ فَنَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَنُظْهِرُ الإِيمانَ عَلَى الشِّرْكِ، وَنَنْصُرُ أَوْلِيَاءَنَا عَلَى أَعْدَائِنَا، وَنُضَيِّقُ الخِنَاقَ عَلَى الشِّرْكِ حَتَّى تَضِيقَ بِهِ الأَرضُ، بِانْتِقَالِ الأَرَاضِي مِنْ أَيْدِي الكَفَرَةِ إِلَى أَيْدِي المُؤْمِنِينَ، وَنُهْلِكُ القُرَى الظَّالِمَةَ وَأَهْلَهَا، وَنُنَجِّي المُؤْمِنِينَ. أَفَلاَ يَعْتَبِرُ هَؤُلاَءِ بِكُلِّ ذَلِكَ؟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا مَا رَأَوْا أَنَّ الغَلَبَةَ لَنْ تَكُونَ لَهُمْ، فِي جَوْلَتِهِم مَعَ الإِيمَانِ، بَلْ سَيَكُونُونَ هُمُ المَغْلُوبِينَ الأَخْسَرِينَ؟

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٤٥)

(٤٥) - وَقُلْ لَهم يَا مُحَمَّدُ: إِنَّمَا أَنَا مُبَلِّغٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ مِن العَذَابِ والنَّكَالِ، وإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، وَهُوَ حَقٌّ وصِدْقٌ، وَلَكِنَّ الإِنْذَارَ لأَمثالِ هؤُلاءِ لاَ يَنْفَعُ، فَحالُهُمْ كَحالِ مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٦)

(وَلَئِن) (يَا وَيْلَنَا) (ظَالِمِينَ)

(٤٦) - وإذا مَسَّ هؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ شَيءٌ يَسِيرٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الذي يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ طَفِيفاً (نَفْحَةً)، فإِنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِذُنُوبِهِم، وَيقُولُونَ: إِنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ الوَاحِدِ الأَحَدِ، الذِي لاَ إِلَهَ سِوَاهُ.

نَفْحَةٌ - دَفْعَةٌ يَسِيرَةٌ، أَوْ نَصِيبٌ يَسِيرٌ.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧)

(الْمَوازِينَ) (الْقِيَامَةِ) (حَاسِبِينَ)

(٤٧) - وَيَضَعُ اللَّهُ تَعَالَى المَوازِينَ العَادِلَةَ، يَوْمَ القِيَامَةِ، لِوَزْنِ أَعْمَالِ الخَلاَئِقِ، فَلاَ يَظْلِمُ أَحداً شَيئاً مِن عَمَلِه، حَتَّى وَلَوْ كَانَ وَزْنَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، فَإِنَّها تُوزَنُ لَهُ أَو عَلَيْهِ. وَكَفَى باللَّهِ حَاسِباً لأَعْمالِ الخَلاَئِقِ، فَلاَ يُغادِرُ مِنْها صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا.

القِسْطَ - العَدْلَ أَوْ ذَواتَ العَدْلِ.

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ - وَهِيَ أَقَلُّ شَيءٍ وَزْناً.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)

(آتَيْنَا) (وَهَارُونَ)

(٤٨) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ التَّوْرَاةَ (الفُرْقَانَ)، وَهِيَ، كَالْكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعالَى، تَفْرِقُ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وَبَيْنَ الهُدَى والضَّلاَلِ، وَفِيهَا نُورٌ لِلقُلُوبِ، وَتَذْكِيرٌ وَعِظَةٌ لِمَنْ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ وَيَخْشَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (٤٩)

(٤٩) - وَهؤُلاَءِ المُتَّقُونَ، الذِينَ تَعِظُهُمْ كُتُبُ اللَّهِ، وَتُذَكِّرُهُمْ، وَتُنِيرُ قُلُوبَهُمْ، هُمْ الذين تَسْتَشْعِرُ قُلُوبُهُم خَشْيَةَ اللَّهِ، وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُم وَهُمْ لَمْ يَرَوْهُ، وَهُمْ يَخَافُونَ قِيامَ السَّاعَةِ، وَيُشْفِقُونَ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَيَعْمَلُونَ لِذَلِكَ اليَوْمِ وَيَسْتَعِدُّونَ.

مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ حَذِرُونَ.

﴿٥٠﴾ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ

(أَنْزَلْنَاهُ)
(٥٠) - وهَذَا القُرْآنُ العَظِيمُ هُوَ ذِكْرٌ مُبَارَكٌ، فِيهِ هُدًى، وَمَوْعِظَةٌ، لاَ يَأْتِيه البَاطِلُ مِنْ بينِ يَدَيْهِ، وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ؛ كَمَا أَنْزَلَ الكُتُبَ السَّابِقَةَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، أَفَتُنْكِرُونَهُ وَهُوَ فِي غَايَةِ الوُضُوحِ والجَلاَءِ؟



﴿٥١﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ

(آتَيْنَا) (إِبْرَاهِيمَ) (عَالِمِينَ)
(٥١) - وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ مَا فِيهِ صَلاَحُهُ وَهُدَاهُ، مِنْ قَبْلِ هَارُونَ وَمُوسَى، وَوَفَّقْنَاهُ لِلْحَقِّ، وَأَضَأْنَا لَهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَكُنَّا عَالِمِينَ بِأَنَّهُ ذُو يَقِينٍ وَإِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدٍ لَهُ، وأَنَّهُ أَهْلٌ لِحَمْلِ الرِّسَالَةِ.
(وقِيلَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: وَفَّقْنَاهُ إِلَى هُدَاهُ مِنْ قَبْلِ النُّبُوَّةِ والْبُلُوغِ، وَوَفَّقْنَاهُ للنَّظَرِ والاسْتِدْلاَلِ، لَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْـلُ، فَرَأَى النَّجْمَ والْقَمَـرَ ثُمَّ رَأَى الشَّمْسَ).

﴿٥٢﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ

(عَاكِفُونَ)
(٥٢) - وَقَدْ ظَهَرَ رُشْدُهُ حِينَمَا أَنْكَرَ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، مُنْذُ صِغَرِهِ، عِبَادَةَ الأَصْنَامِ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الأَصْنَامُ (التَّمَاثِيلُ) التي تَعْكِفُونَ عَلَى عِبَادَتِها؟.
التَّمَاثِيـلُ - الأَصْنَامُ المَصْنُوعَةُ بِأَيْدِيكُمْ

﴿٥٣﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ

(آبَاءَنَا) (عَابِدِينَ)
(٥٣) - فَلَمْ يَجِدُوا مَا يَرُدُّونَ بِهِ عَلَى سُؤَالِهِ لَهُمْ إِلاَّ قَوْلَهُمْ لَهُ: إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ يَعْبُدُونَها، فَهُمْ يَقْتَفُونَ آثَارَهُمْ فِي عِبَادَتِها.

﴿٥٤﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ

(ضَلاَلٍ)
(٥٤) - فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّكُمْ فِي ضَلاَلٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ، كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ عَلَى ضَلاَلٍ فِي عِبَادَةِ هَذِهِ الأَصْنَامِ، الَّتِي لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلاَ تَمْنَعُ وَلاَ تَدْفَعُ.

﴿٥٥﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ

(اللاعِبِينَ)
(٥٥) - فَقَالُوا لَهُ، وَهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى ضَلاَلٍ: إِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِ هَذَا الكَلاَمِ مِنْ قَبْلُ. وَسَأَلُوهُ إِنْ كَانَ جَادّاً فِي قَوْلِهِ هَذَا أَوْ هَازِلاً؟

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

(السَّماوَاتِ) (الشَّاهِدِينَ)

(٥٦) - فَقَالَ لَهُمْ إبْرَاهِيمُ إنَّه جَاءَهُم بالحَقِّ، وإنَّ ربَّهُمْ هُوَ اللَّهُ الذي لاَ إلَهَ غَيْرُهُ، وَهُوَ الذي ابْتَدأ خَلْقَ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، عَلى غَيْرِ مِثالٍ سَبَق (فَطَرَهُنَّ)، وإنَّهُ يَشْهَدُ أنَّهُ لاَ إلَهَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِواهُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلى إثْبَاتِ مَا يَقُولُ بالحُجَّةِ والدَّلِيلِ.

فَطَرَهُنَّ - خَلَقَهُنَّ وأبْدَعَهُنَّ.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

(أصْنَامَكُمْ)

(٥٧) - ثُمَّ أقْسَمَ إبْراهِيمُ فِي نَفْسِهِ عَلَى أنَّهُ سَيَكِيدُ لأَصْنَامِ قَوْمِهِ، وَسَيُحَرِّضُ عَلَى تَحْطِيمِهَا بَعْدَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إلى الاحْتِفالاَتِ بِعِيدِهِمْ، لِيُظْهِرَ لَهُمْ ضَلاَلَ مَا هُمْ عَلَيْهِ فِي عِبَادَتِها.

(وَيُرْوَى أنَّ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ دَعَاهُ أبُوهُ إلى الخُرُوجِ مَعَهُمْ لِيَرى الاحْتِفَالَ بِعِيدِ قَوْمِهِ، وَقَالَ لَهُ إنَّهُ لَوْ رَأى هَذا الاحْتِفَالَ لأعْجَبَهُ دِينُهُمْ. فَخَرَجَ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ألْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى الأرْضِ، وَقَالَ لأبِيهِ إنَّهُ سَقِيمٌ، فَلَمَّا أقْسَمَ عَلَى أنَّهُ سَيَكِيدُ لأَصْنَامِ قَوْمِهِ سَمِعَهُ بَعْضُ مَنْ تَأخَّرَ عَنِ الذَّهابِ مِنْ قَوْمِهِ إلى الاحْتِفَالِ).

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

(جُذَاذاً)

(٥٨) - فَلَمَّا ابْتَعَدُوا عَنْهُ، عَادَ إبْرَاهِيمُ إلى الأصْنَامِ يُحَطِّمُهَا، حَتَّى تَرَكَها حُطاماً (جُذَاذاً)، وَلَمْ يَتْرُكْ إلاَّ الصَّنَمَ الأكْبَرَ عِنْدَهُمْ، وَتَرَكَ الفَأْسَ قُرْبَهُ، لَعَلَّ القَوْمَ يَتَّهِمُونَه بِأنَّه هُوَ الذي قَامَ بِتَحْطِيمِ الأصْنَامِ الصَّغِيرَةِ، غَيْرَةً مِنْهُ أنْ يَعْبُدَهَا القومُ مَعَهُ.

﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾

(بِآلِهَتِنَا) (الظَّالِمِينَ)

(٥٩) - وَحِينَما رَجَعَ القَوْمُ مِنَ الاحْتِفَالِ، وشَاهَدُوا الأَصْنَامَ مُحَطَّمَةً قَالُوا مُتَسَائِلِينَ: مَنْ فَعَلَ هَذا بِآلِهَتِنا وَحَطَّمَها؟ إنَّهُ بِلا شَكٍّ ظَالِمٌ فِي صَنِيعِهِ.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

(إبْرَاهِيمُ)

(٦٠) - فَقَالَ مَنْ سَمِعَ إبْرَاهِيمَ يَحْلِفُ عَلَى أنَّهُ سَيَكِيدُ لِلأَصْنَامِ: إنَّهُ سَمِعَ شَاباً اسْمُهُ إبْراهِيمُ يَذْكُرُ الآلِهَةَ بِسُوءٍ، وَيُقْسِمُ عَلَى أنَّهُ سَيَكِيدُ لَهَا.

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

(٦١) - فَقَالُوا: ائْتُوا بِهِ أمَامَ الجَمْعِ المُحْتَشِدِ لِيُسْأَلَ عَنْ فِعْلَتِهِ أمَامَ الأشْهَادِ، لِتَكُونَ شَهَادَتُهُمْ حُجَّةً عَلَيْهِ.

عَلَى أعْيُنِ النَّاسِ - ظَاهِراً بِمَرْأى مِنَ النَّاسِ.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢﴾

(أَأَنْتَ)(بِآلِهَتِنَا) (يَا إِبْرَاهِيمُ)

(٦٢) - فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ أَمَامَ الجَمْعِ الحَاشِدِ قَالُوا لَهُ: هَلْ أَنْتَ الذي فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنا، وَجَعَلَها جُذَاذاً وَحُطَاماً؟

﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾

(فَاسْأَلُوهُمْ)

(٦٣) - قَالَ لَهُمْ إبْراهِيمُ مُتهكِّماً: إنَّ الذي حطَّمَ الأصنامَ هُوَ الصَّنَمُ الأكبرُ. وَطَلَبَ إِلَيْهِم أَنْ يَسْأَلُوا هَذِهِ الأَصْنامَ الآلِهَةَ لِتَدُلَّهم عَلَى مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَا وَحطَّمَهَا، هَذَا إِنْ كَانَ لَهُمْ لِسَانٌ يَنْطِقُ.

(وَكَانَتْ غايَةُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَعْتَرِفَ النَّاسُ أَمَامَ الحَفْلِ العَظِيمِ أَنَّ الأصنَامَ حِجارَةٌ لاَ تَنْطِقُ، وَأَنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَمْنَعَ مَنِ اعْتَدَى عَلَيْهَا مِنَ القِيَامِ بِفعْلَتِهِ).

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤﴾

(الظَّالِمُونَ)

(٦٤) - فَرَجَعَ القومُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ بالمَلاَمَةِ عَلَى تَرْكِهِمْ آلِهَتَهُم بِدُونِ حارِسٍ وَلاَ حافِظٍ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِم بالملامَةِ إِذْ عَلِمُوا أَنَّ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الأَذى عَنْ نَفْسِهِ، لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَجْلِبَ النَّفْعَ لِغَيْرِهِ، وَلاَ رَدَّ الأَذَى عَنْهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مَعْبُوداً).

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥﴾

(٦٥) - فَأَدْرَكَتِ القومَ حَيْرَةٌ مِنْ مَقَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، فَنَكَّسُوا رُؤُوسَهُم إِلَى الأَرْضِ، ثُمَّ قَالُوا لإِبْراهِيمَ: إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُم حِجَارَةٌ لاَ تَنْطِقُ، فَكَيْفَ نَسْأَلُهُمْ؟

نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِم - رَجَعُوا إِلَى البَاطِلِ والعِنَادِ.

﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦﴾

(٦٦) - فَلَما اعْتَرَفُوا بِأَنَّ الأَصْنامَ حِجارَةٌ لاَ تَنْطِقُ، قَالَ لهم إِبْرَاهِيمُ مُوَبِّخاً وَمُقَرِّعاً: كَيْفَ تَعْبُدُونَ حِجارَةً لاَ تَنْطِقُ وَلاَ تَضرُّ ولاَ تَنْفعُ، وَتَتْرُكُونَ عِبادَةَ اللَّهِ الخَالِقِ المُصَوِّرِ الرَّازِقِ الذي بِيَدِهِ النفْعُ والضَّرُّ؟

﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾

(٦٧) - أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَتُدْرِكُونَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ والضَّلاَلِ الذِي لاَ يَرُوجُ إِلاَّ عَلَى جَاهِلٍ لاَ عَقْلَ لَهُ؟ فَتَبّاً لَكُمْ وَلِمَعْبُودَاتِكُم التِي اتَّخَذْتُموهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وبِذَلِكَ أَقَامَ الحُجَّةَ عَلَيْهِم، وَهِيَ الحُجَّةُ التِي أَشَارَ إِلَيْهَا تَعالَى فِي آيَةٍ أُخرى: ﴿وتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْناها إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[1].

أُفٍّ - كَلِمَةُ تَضَجُّرٍ وَتَبَرُّمٍ.

(١) سورة الأنعام، آية: ٨٣.

٦٨ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ

(آلِهَتكُمْ) (فَاعِلِينَ)
(٦٨) - ولَمَّا دُحِضَتْ حُجَّتُهُمْ، وبانَ عَجْزُهُمْ، وظَهَرَ الحَقُّ، وزَهَقَ البَاطِلُ، عَدَلُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ القُوَّةِ الجَائِرَةِ، وهي وَسِيلَةُ الضَّعِيفِ الجَبَانِ، فقالُوا :اجْمَعُوا حطباً كثيراً ثُمَّ أَشْعِلُوا النَّارَ فِيهِ، وأَلْقُوا إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ انْتِقَاماً لآلِهَتِكُمْ، ففَعَلُوا ذلِكَ. وَقد أَبْطَلَ اللَّهُ كَيْدَهُمْ.

٦٩ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

(يَا نَارُ) (وَسَلاماً) (إِبْرَاهِيمَ)
(٦٩) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّارَ بِأَلاَّ تُحرقَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السلامُ، وبِأَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلاماً فَكَانَتْ. وَنَجَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ مِن المَصِيرِ الذِي أَرَادَهُ لَهُ الظَّالِمُونَ.

٧٠ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ

(فَجَعَلْنَاهُمُ)
(٧٠) - وأَنْجَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الكَيْدِ الذِي أَرَادَهُ بِهِ قَوْمُهُ، وهُوَ التَّحْرِيقُ فِي النَّارِ، وَبَاءَ الكَائِدُونَ لَهُ بِالخَسَارَةِ.

٧١ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ

(وَنَجَّيْنَاهُ) (بَارَكْنَا) (لِلْعَالَمِينَ)
(٧١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ نَجَّى إِبْرَاهِيمَ مِنْ نَارِ قَوْمِهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ مُهَاجِراً إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، التِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَخَرَجَ مَعَهُ مُهَاجِراً ابنُ أَخِيهِ لُوطٌ عَلَيْهِمَا السَّلامُ.
(الأَرْضُ المُبَارَكَةُ المقْصُودَةُ هُنَا هِيَ أَرضُ الشَّامِ أَوْ فِلَسْطِينُ.وفلسطينُ جزءٌ مِنَ أَرضِ الشَّامِ)

٧٢ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ

(إِسْحَاقَ) (صَالِحِينَ)
(٧٢) - وَوَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لإِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ، ووَهَبَ لإِسْحَاقَ ابنَهُ يعْقُوبَ (نَافِلَةً)، فِي حَيَاةِ جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ جمِيعاً أَهْلَ تَقْوَى وَخَيْرٍ وَصَلاحٍ.
نَافِلَةً - عَطِيَّةً أَوْ زِيَادَةً عَمَّا سَأَلَ والنَّافِلَةُ هُنَا وَلَدُ الوَلَدِ.

٧٣ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ

(وجَعَلْنَاهُم) (أَئِمَّةً) (الخَيْرَاتِ) (الصَّلاةِ) (الزَّكَاةِ) (عَابِدِينَ)
(٧٣) - وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ أَئِمَّةً يَقْتَدِي بِهِمُ النَّاسُ، وَيَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ (يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)، وَأَلْهَمَهُم اللَّهُ فِعْلَ الأَعْمَالِ الخَيِّرَةِ، وإِقَامَةَ الصَّلاَةِ، وتَأْدِيَةَ الزَّكَاةِ؛ وكَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، ويَقُومُونَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ النَّاسَ، وَلاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ طَاعَتِهِ (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِين).

(٧٤) وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ

(آتَيْنَاهُ) (نَجَّيْنَاهُ) (الْخَبَائِث) (فَاسِقِينَ)

(٧٤) - وَكَانَ لُوطٌ عَلَيْهِ السلامُ قَدْ آمَنَ مَعَ إبْراهِيمَ، واتَّبَعَهُ، وَخرجَ مَعَهُ إلَى الأرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَآتَاهُ اللَّهُ النُبوَّةَ، وحُسْنَ القَضَاءِ والفَصْلِ فِي الخُصُومَاتِ، والعِلْمَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ، والإِخْبَاتِ للَّهِ، وَبَعثَهُ إلَى أهْلِ سَدُوم (وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ المَيْتِ) فَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ، واسْتَمَرُّوا عَلَى إتْيَانِ الرجالِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِسَاءِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِم، وَأَنْجَى لُوطاً وأَهْلَهُ.

وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ تَعالَى خَبرَ لُوطٍ فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَذَكَرَ الأفْعَالَ الخَبِيثَةَ التِي كَانَ يَرْتَكِبُها أهْلُ سَدُومَ، وكَيْفَ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِم قَرْيَتَهُمْ، وَأهْلَكَهُمْ جَمِيعاً إلاَّ لُوطاً وأَهْلَهُ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ مِنْ أَهْلِه إلاَّ امْرَأَتَهُ أهْلَكَهَا اللهُ مَعَ الهَالِكِينَ.

قَوْمَ سَوْءٍ - قَومَ فَسَادٍ وَفِعْلٍ مَكْرُوهٍ.

الخَبائِثُ - إتْيَانُ الرِّجَالِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ.

(٧٥) وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(أَدْخَلْنَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

(٧٥) - وَجعَلَ اللَّهُ لُوطاً فِي جُمْلَةِ مَنْ يَسْتَحِقُّونَ رَحْمَتَهُ وَلُطْفَهُ فَنَجَّاهُ مِنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ. وَوَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِم الحُسْنَى.

(٧٦) وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ

(فَنَجَّيْنَاهُ)

(٧٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعالَى أنَّ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ دعا رَبَّهُ لَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وَقَالَ لَهُ إنِي مَغْلُوبٌ، وَدَعَا عَلَى قَوْمِهِ قَائِلاً: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[1] فاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَنَجَّاهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ، وَنَصَرَهُ عَلَى قَوْمِهِ، فَأغْرَقَهُمْ أجْمَعِينَ. وَنَجَّى اللهُ نُوحاً، وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، واسْتَثْنَى اللهُ مِنْ أهْلِ بَيْتِ نُوحٍ ابنَهُ وامْرَأتَهُ، فَكَانَا مَعَ الغَارِقِينَ.

(٧٧) وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ

(وَنَصَرْنَاهُ) (بِآيَاتِنَا) (فَأَغْرَقْنَاهُم)

(٧٧) - وَنَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم فَأَغْرَقَهُم اللَّهُ جَمِيعاً بِالطُوفَانِ، لأنَّهُم كَانُوا قَوْماً يُسِيئُونَ الأعْمَالَ فَيَعْصُونَ اللَّهَ، وَيُخَالِفُونَ أوَامِرَهُ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ وَيُؤْذُونَهُ.

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٧٨) وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ

(دَاوُدَ) (وَسُلَيْمانَ) (شَاهِدِينَ)

(٧٨) - أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قِصَّةِ دَاودَ وَسُلَيْمانَ حِينَما حكَما في خِلاَفٍ قَامَ بِسَبَب دُخُولِ غَنَمِ شَخْصٍ كَرْمَ شَخْص آخرَ فَرعَتْهُ لَيْلاً، وَأَتْلَفَتْ شَجَرَه وَعَنَاقِيدَهُ، فَقَضَى دَاوُدُ بِأَنْ تَكُونَ الغَنَمُ لِصَاحِبِ الكَرْمِ، فَقَالَ سُلَيْمانُ أَوْ غَيْرُ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ تَدْفَعُ الكَرْمَ إِلَى صَاحِبِ الغَنَمِ، فَيَقُومُ عَلَيْهِ حَتَى يَعُودَ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعُ الغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الكَرْمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا، وَيَنْتَفِعُ بِنَتَاجِهَا، حَتَّى إِذَا الكَرْمُ عَادَ إِلَى مَا كَانَ دَفَعْتَ الكَرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَدَفَعْتَ الغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا. فَكَانَ حُكْمُ سُلَيْمانَ أَقْرَبَ إِلَى العَدْلِ مِنْ حُكْمِ دَاودَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمانَ.

(وَقَالَ بَعْضُ الفُقَهَاءِ: إِنَّ اللَّه اتَّخَذَ عَلَى الحُكَّامِ ثَلاَثاً: أن لاَ يَشْتَروا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً، وأن لاَ يَتَّبِعُوا فِيهِ الهَوَى، وَأَنْ لاَ يَخْشَوْا فِيهِ أَحَداً).

نَفَشَتْ - رَعَتْ لَيلاً.

الحَرْثُ - الكَرْمُ أوِ الزَّرْعُ.

(٧٩) فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ

(فَفهَّمْناهَا) (سُلَيْمانَ) (آتَيْنا) (دَاوُد) (فَاعِلِينَ)

(٧٩) - ولَقَدْ أوحَى اللهُ تعالى إلى سليمانَ بالقَوْلِ الفَصْلِ في هذا النِّزاعِ، ويقولُ تعالى إنَّه آتى كُلاًّ مِنْ دَاوُدَ وسُلَيْمانَ حُكْماً وعِلْماً، وإنَّه سَخَّرَ الجبالَ والطَّيرَ يُسَبِّحْنَ مَعَ دَاودَ، وذَلِكَ لِطِيبِ صَوْتِهِ بِتِلاوةِ الزَّبُورِ، فكَانَ إذا تَرَنَّمَ به رَدَّدَتْ تَسْبِيحَهُ الجِبَالُ والطَّيرُ تَأويباً، وكانَ اللهُ فاعِلاً ذلك بِقُدْرَتِه التي لا يُعْجِزُها شيءٌ.

(٨٠) وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ

(وَعَلَّمْنَاهُ) (شَاكِرُونَ)

(٨٠) - وعَلَّمَ اللهُ تعالى داودَ عليهِ السَّلامُ صَنْعَةَ الدُّروعِ، فَجَعَلَها حَلَقاً مُتَداخِلاً لِتَيْسِيرِ سُهولَةِ الحَرَكَةِ لِمَنْ لَبِسَهَا، وكَانَتِ الدُّرُوعُ، مِنْ قبلُ، صَفَائِحَ. والغايَةُ مِنْ هذه الدُّرُوعِ هيَ أَنْ تَقِيَ المُقَاتِلَ بَأسَ السِّلاحِ وأذاهُ، فَهَلْ تَشْكُرونَ اللهَ على ما أَلْهَمَ عَبْدَهُ دَاوُدَ هذهِ الصِّنَاعَةَ مِنْ أجلِكُمْ؟

صَنْعَةَ لَبُوسٍ - عَمَلَ الدُّروعِ التي تُلْبَسُ في الحُرُوبِ.

لِتُحْصِنَكُمْ - لِتَحْفَظَكُم وتَقِيكُم.

مِنْ بَأْسِكُمْ - مِن إصَابَتِكُمْ بِسِلاحِ عَدُوِّكُمْ.

٨١ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي
بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا
فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ

(وَلِسُلَيْمَانَ) (بَارَكْنَا) (عالِمِينَ)

(٨١) - وسَخَّرَ اللهُ تعالى الرِّيحَ تَجْرِي بأَمْرِ سُلَيمانَ حَيثُ يَشاءُ عَاصِفَةً تَارَةً، ورُخاءً لَيِّنَةً تَارَةً أُخرى. وهُنا يَقولُ تعالى إنَّها تَجْرِي إلى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ التي بَارَكَ اللهُ فيها. ثُمَّ يَقُولُ تعالى إنَّه عَالِمٌ بِكُلِّ شيءٍ، فَقَدْ آتَى سُليمانَ مَا آتاهُ لِما يَعْلَمُهُ في ذلكَ مِنَ المَصْلَحَةِ والحِكْمَةِ.

عَاصِفَةً - شَدِيدَةَ الهُبُوبِ.

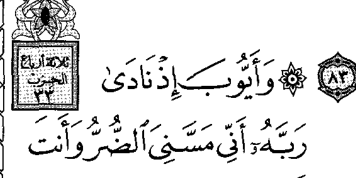
٨٢ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ
لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ

(الشَّيَاطِينِ) (حَافِظِينَ)

(٨٢) - وسَخَّرَ اللهُ تَعالى الشَّياطِينَ لِسُلَيْمانَ: مِنْهُمْ مَنْ يَغُوصُونَ في الماءِ يَسْتَخْرِجُونَ منهُ اللآلىءَ والجَواهِرَ، ومِنْهُم مَنْ يَعْمَلُ لَهُ غيرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْمالِ كَبِناءِ الحُصُونِ والقُصُورِ (دَونَ ذَلِكَ)، ويَحْرُسُهُ اللهُ تعالى مِنْ أَنْ يُصيبَهُ بَعْضُ الشَّياطين بِأَذًى، بَلْ إِنَّه جَعَلَ سُلَيْمانَ مُحَكَّماً في الشَّياطِينِ، إِنْ شَاءَ أَطْلَقَ، وإِنْ شَاءَ حَبَسَ مِنْهم مَنْ أَرَادَ.

يَغُوصُونَ لَهُ - في البِحَارِ لاسْتِخْرَاجِ النَّفائِسِ.

لَهُمْ حَافِظِينَ - مِنَ الزَّيْغِ عَنْ أَمْرِهِ أو الإِفْسَادِ.



٨٣ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ
أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ

(الرَّاحِمِينَ)

(٨٣) - يذْكُرُ اللهُ تَعالى مَا أَصابَ عَبْدَهُ أَيُّوبَ عَلَيْه السلامُ، مِنَ البَلاءِ في مَالِهِ وولَدِهِ وجَسَدِهِ، ولبِثَ فِي ذَلِكَ البَلاءِ مُدَّةً طَوِيلَةً فَنادَى رَبَّه: يَا رَبِّ لَقَدْ مَسَّنِي الضُّرُّ فَارْحَمْنِي، وأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ جُودِكَ وَرَحْمَتِكَ مَا يُسْعِفُنِي، ويَدْفَعُ الضُّرَّ عَنِّي، وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

٨٤ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ
مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ

(وآتَيْنَاهُ) (لِلْعَابِدِينَ)

(٨٤) - فاسْتَجابَ اللهُ لِدُعائِه فَكَشَفَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وداءٍ، وعَوَّضَهُ أَهْلَهُ بِمِثْلِيهِم، وإنما فَعَلَ اللهُ ذلك رَحْمةً منه بِعَبْدِهِ أَيُّوبَ، وجَعَلَهُ قُدْوَةً وَمِثالاً لِكَيْلا يَظُنَّ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ البَلاءِ أَنَّما فَعَلَ اللهُ بِهِمْ ذلك لِهَوانِهِم عَلَيهِ، ولِيَتَأَسَّوْا به في الصَّبْرِ عَلى ما ابتَلاهُمُ اللهُ بِهِ، ولَهُ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ.

٨٥ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ

(إِسْمَاعِيلَ) (الصَّابِرِينَ)

(٨٥) - وإِنَّ إِسْمَاعِيلَ وإدريسَ وذا الكِفْلِ، كلُّهُم مِنَ الرُّسُلِ الكِرَامِ، الذينَ صَبَرُوا على ما ٱبْتَلاهُمْ بِهِ اللهُ، وأَخْبَتُوا لِرَبِّهِم، فَنالُوا رِضاهُ.

ذُو الكِفْل - نَبِيٌّ وقِيلَ إِنَّهُ إِلياسُ عليهِ السلامُ.

﴿٨٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ

(وَأَدْخَلْنَاهُمْ) (الصَّالِحِينَ)

(٨٦) - وإنَّه تعالى أَسْبَغَ عَلَيْهِم رَحْمَتَهُ لأنَّهم مِنَ الصَّالِحِينَ.

﴿٨٧﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

(مُغَاضِباً)(الظُّلُمَاتِ)(سُبْحَانَكَ) (الظَّالِمِينَ)

(٨٧) - يَذْكُرُ اللهُ تعالى قِصَّةَ يونُسَ عليهِ السلامُ (وهوَ ذو النُّونِ أيْ صاحبُ الحُوت)، وكانَ اللهُ قَدْ بَعَثَهُ نَبِياً إلى أَهْلِ نينَوى فَدَعَاهُمْ إلى عِبادةِ اللهِ وَحدَهُ فَأَبَوْا، وَتَمادَوْا في كُفْرِهم، فَخرجَ يونُسُ مِنْ بَيْنِهِم مُغاضِباً لَهُمْ، وأَنْذَرَهُمْ بأَنَّ العَذابَ وَاقِعٌ بِهِمْ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّام، فلما تَحققُوا مِنْ ذَلِكَ، وعلِموا أَنَّ النبيَّ لا يَكْذِبُ، خَرَجُوا مِنَ البلدِ بأطْفَالِهم وأنْعامِهم ومَوَاشِيهِم، ثُمَّ تَضَرَّعُوا إلى اللهِ تَعالى، وَجأَرُوا إليهِ بالدُّعاءِ، فَرفَعَ اللهُ عَنْهُمْ العَذابَ، وصَرَفَهُ عَنْهُم، كَما جاءَ في آيةٍ أُخْرى[1].

أمَّا يونسُ فإنَّه تَرَكَ قَوْمَه مُغاضِباً لَهُم، وذَهَبَ فَرَكِبَ في سَفِينَةٍ فَاضْطَرَبَتْ وَخافَ مَنْ فِيها مِنْ غَرَقِهَا، فاقْترعُوا على رَجُل يُلقُونَهُ مِنْ بينِهِم في الماءِ يَتخفَّفُونَ مِنهُ، فوقَعَتِ القُرْعَةُ على يُونُسَ، فَأَبَوْا أَنْ يُلْقوهُ، ثُمَّ أعادُوا القُرْعَةَ فَوَقَعَتْ عليْهِ، فَأَبَوْا، ثمَّ أعادُوا للمرةِ الثَّالثةِ فَوقَعَتْ عليه، فَتَجَرَّدَ يُونُسُ مِنْ ثِيابِهِ، وأَلْقَى بِنَفْسِهِ في المَاءِ، فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ، ولِذَلِكَ سُمِّيَ بصَاحِبِ الحُوتِ (ذُو النُّونِ).

وكانَ يُونسُ يَظُنُّ أَنَّ الله لَنْ يُضَيِّقَ عليهِ في بَطْنِ الحُوتِ، (أو أنهُ تَعالى لَنْ يَقْدِرَ عليه أَنْ يَكُونَ فِي بَطْنِ الحُوتِ) فَكَانَ في بَطْنِ الحوتِ في ظُلْمَةٍ، وفي أَعْمَاقِ البَحْرِ في ظُلمَةٍ، وفي ظَلاَمِ الليلِ في ظُلْمَةٍ، ولذلك قَالَ تَعالى: (فَنَادَى في الظُّلُمَاتِ) ودَعَا رَبَّهُ قائلاً: لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

ذُوالنُّونِ - هُوَ نَبِيُّ اللهِ يُونُسُ عَليهِ السَّلاَمُ، والنُّونُ هُوَ الحُوتُ.

مُغاضِباً - غَضْبَانَ عَلى قَوْمِهِ لِكُفْرِهِمْ.

لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ - لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ بِحَبْسٍ أَوْ نَحْوِهِ.

﴿٨٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ

(وَنَجَّيْنَاهُ) (نُنْجِي)

(٨٨) - وَلَمَّا نَادَى يُونُسُ رَبَّهُ وَدعَاهُ، اسْتَجابَ اللهُ لِدُعَائِهِ، وَنجَّاهُ مِنَ الغَمِّ، وأَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ الحُوت، ومِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وكَذلِكَ يُنجِّي اللهُ المؤمنينَ إذا كانُوا في شَدَائِدَ، وَدَعَوا رَبَّهُم مُخْلِصِينَ إليهِ مُنِيبِينَ.

(١) سورة يونس، الآية: ٩٨.

﴿٨٩﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ

(الْوَارِثِينَ)

(٨٩) - يُخْبِرُ اللهُ تعالى عَنْ زَكَرِيَّا عَليهِ السَّلامُ حينما تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُ، وطَلبَ مِنَ اللهِ أَنْ يَهَبَهُ وَلَداً يَرِثُ النُّبُوَّةَ من بَعْدِهِ، فَنادَى رَبَّه نِداءً خَفِيّاً عَنْ قَوْمِهِ، وقَالَ: رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً بِلا وَلَدٍ، وَلاَ وَارِثٍ، يَقُومُ بَعْدِي في النَّاسِ ،وأَنْتَ يَا رَبِّ خَيْرُ مَنْ وَرِثَ العِبَادَ (وفي هذا الدُّعَاءِ إِشَارَةٌ إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ، وهَلاَكِ البَشَرِ جَمِيعاً، وَبَقَاءِ اللهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ).

﴿٩٠﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ

(يُسَارِعُونَ) (الْخَيْرَاتِ) (خَاشِعِينَ)

(٩٠) - فاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، وأَصْلَحَ لَهُ زَوْجَهُ، إذ كَانَتْ عَاقِراً لا تَلِدُ فأَزَالَ اللهُ المَوانِعَ التي كانَتْ تَمْنَعُها مِنَ الحَمْلِ والوِلاَدَةِ، وَوَهَبَ لَهُ ابنَهُ يَحْيَى، وكَانَ زَكَرِيَّا وزَوْجُهُ وابنُهُمَا يَحْيَى يقُومُونَ بِعَمَلِ الخَيْرِ، ويَفْعَلونَ الطَّاعاتِ للهِ، ويَدْعونَ رَبَّهُم رَغْبَةً فيما عِنْدَهُ مِنْ خَيْرٍ، وَنَعِيمٍ، وَثَوابٍ، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدَه مِنْ عَذَابٍ، وكانوا مُؤْمِنِينَ حَقّاً، خَاشِعِينَ للهِ ومُصَدِّقِينَ بِما أَنزَلَ اللَّهُ على رُسُلِهِ.

رَغَباً وَرَهَباً - رَجاءً في الثَّوابِ، وَخَوْفاً مِنَ العِقَابِ.

خَاشِعِينَ - مُتَذَلِّلِينَ خاضِعِينَ.

﴿٩١﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ

(وَجعَلْنَاهَا) (آيَةً) (لِلْعَالَمِينَ)

(٩١) - يَذْكُرُ تعالى قِصَّةَ مَرْيَمَ عَليها السَّلامُ، ويَصِفُها بِالعِفَّةِ والطَّهَارَةِ وإِحْصَانِ النَّفْسِ، فَنَفَخَ اللَّهُ فِيها مِنْ رُوحِهِ، فَحَمَلَتْ بابْنِها عِيسَى، وقد جعَلَها اللهُ وابْنَها عِيسَى عَليهِما السَّلامُ، دَلاَلةً مِنَ اللهِ عَلى أَنَّهُ وَاحِدٌ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وأَنَّه يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وأَنَّ أَمْرَهُ يَصْدُرُ مَرَّةً واحِدَةً، لا يَتَكَرَّرُ فَيَكُونُ ما أَرَادَ في لَمْحَةِ بَصَرٍ.

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا - حَفِظَتْهُ.

مِنْ رُوحِنَا - مِنْ جِهَةِ رُوحِنَا! والرُّوحُ جِبْرِيلُ عليهِ السَّلامُ.

﴿٩٢﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ

(وَاحِدَةً)

(٩٢) إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ هو الانْقِيادُ لَهُ وَحْدَهُ، لاَ يَقْبَلُ غَيرَهُ، وعَليهِ اتَّفَقَ جَمِيعُ الأَنبياءِ والشَّرائِعِ، وما اخْتَلَفُوا إِلاَّ في الصُّوَرِ والرُّسُومِ، بِحَسَبِ اخْتِلافِ الأَزْمِنَةِ والأَمْكِنَةِ، فَعَلَيْكُم أَنْ تَعْبُدُوهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

(وفي الحَدِيثِ :نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِياءِ أَوْلاَدُ عَلاَّتٍ: دِينُنَا وَاحِدٌ) وهذا يَعْني أَنَّ المَقْصُودَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ بِشَرائِعَ مُتَنَوِّعَةٍ لِرُسُلِهِ.

أُمَّتُكُمْ - مِلَّتُكُم (الإِسْلامُ).

٩٣ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ

(رَاجِعُون)

(٩٣) - ثُمَّ اخْتَلَفَتِ الأُمَمُ عَلى رُسُلِها، فَصارُوا فِرَقاً كَثِيرَةً فَمِنْ بَينِ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقٍ لَهُمْ. وَيَوْمَ القِيامَةِ يَرْجِعُونَ إلى اللهِ تَعالَى جَمِيعاً، فَيُجازِي كُلًّا بِحَسَبِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيا.

(وقَالَ مُفَسِّرُونَ: إِنَّ الذينَ تَفَرَّقُوا شِيَعاً واخْتَلَفُوا هُمُ المُسْلِمُونَ، فَقَدْ تَفَرَّقُوا فِرَقاً كَثِيرَةً، كُلُّ فِرْقَةٍ تَنْعِى عَلَى ما سِواها، وقَدْ كانَ لَهُمْ مِنْ عِبَرِ الماضِي مَا يَمْنَعُهُم مِنَ الوُقُوعِ فِي مِثْلِ هَذا التَّفَرُّقِ).

تَقَطَّعُوا أَمْرَهُم - تَفَرَّقُوا في دِينِهِم فِرَقاً وأَحْزاباً.

٩٤ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ

(الصَّالِحَاتِ) (كَاتِبُونَ)

(٩٤) - فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً، وكَانَ قَبلَ ذَلِكَ قد آمَنَ بـاللهِ، وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنَّه لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ اللهَ تَعالَى لا يُضيعُ عَلَيهِ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ، ولا يكْفُرُه سَعْيَهُ، بَلْ يَشْكُرُهُ لَهُ، وَيَكْتُبُ لَهُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ، فَلا يَضِيعُ شيءٌ مِنْها، ولا يَظْلِمُهُ مِنْ عَمَلِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.

٩٥ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ

(حَرَامٌ) (أَهْلَكْناهَا)

(٩٥) - وَقَدْ قَضَى اللهُ وَقَدَّرَ أَنَّ كُلَّ قَرْيَةٍ أَهْلَكَ اللهُ أَهْلَهَا بِظُلْمِهِم، فَإِنَّهُم لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الحَيَاةِ قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ. وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِلرَّجْعَةِ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ.

حَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ - مُمْتَنِعٌ البَتَّةَ عَلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ.

أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ - إِلَى الحَيَاةِ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ.

٩٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ

(٩٦) - وَيَسْتَمِرُّ هذا الامْتِناعُ مِنَ الرَّجْعَةِ حَتَّى قِيامِ السَّاعَةِ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعالَى مِنْ إِشَارَاتِ قِيامِها انْسِياحُ يَأْجوجَ وَمَأْجوجَ فِي الأرْضِ، يُهْلِكُونَ الحَرْثَ والنَّسْلَ، يَقْتُلُونَ وَيُدَمِّرُونَ، وَيَنْطَلِقُونَ مِنْ كُلِّ مُرْتَفعٍ (حَدَبٍ) يُسْرِعُونَ المَشْيَ (يَنْسِلُونَ) إِلَى الفَسَادِ، فَيَمُوجُ النَّاسُ بَعْضُهم فِي بَعْضٍ، هَرَباً مِنهم، مُحَاوِلِينَ الانْحِيازَ إِلَى حُصُونِهِمْ وَقِلاعِهِم وَمَعَاقِلِهِم للنَّجاةِ من شُرُورِهِم.

حَدَبٍ - مُرْتَفعٍ مِنَ الأَرْضِ.

يَنْسِلُونَ - يُسْرِعُونَ المَشْيَ فِي الخُرُوجِ.

(٩٧) وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ

(شَاخِصَةٌ) (أَبْصَارُ) (يَا وَيْلَنَا) (ظَالِمِيْنَ)

(٩٧) - فَإِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الأَهْوَالُ وَالزَّلَازِلُ، وَحَدَثَتِ الفَوْضَى بِخُرُوْجِ قَوْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ، فَذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى اقْتِرَابِ الوَعْدِ الحَقِّ (قِيَامِ السَّاعَةِ). فَإِذَا قَامَتْ السَّاعَةُ يُفَاجَأُ الكَافِرُونَ بِهَا، وَيَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِم مَشْدُوهِينَ مَبْهُوتِينَ، فَيَقُولُ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ، وَأَبْصَارُهُم شَاخِصَةٌ مِنْ هَوْلِ مَا يَرَوْنَ: لَقَدْ كُنَّا غَافِلِينَ فِي الدُّنْيَا عَنْ هَذَا اليَوْمِ. وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ، فَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنا عَلَى مَا فَرَّطْنَا، ولَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ.

الْوَعْدُ الحَقُّ - قِيَامُ السَّاعَةِ وَالبَعْثُ وَالحِسَابُ.

شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ - مُرْتَفِعَةٌ أَبْصَارُهُمْ لَا تَكَادُ تَطْرِفُ مِنْ شِدَّةِ الهَوْلِ.

(٩٨) إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ

(وَارِدُونَ)

(٩٨) - وَيُخَاطِبُ اللهُ تَعَالَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ قَائِلاً لَهُمْ: إِنَّهُمْ وَالأَصْنَامَ التي يَعْبُدُونَهَا سَيَكُونُونَ جَمِيعاً وَقُوداً لِنَارِ جَهَنَّمَ، وَسَيَدْخُلُونَهَا يُقْذَفُونَ فِيهَا قَذْفاً كَمَا تُقْذَفُ النَّوَاةُ والحَصَاةُ.

(وَقُرِيءَ أيضاً (حَطَبُ جَهَنَّمَ)، وَاللَّفْظَانِ مُتَقَارِبَانِ فِي المَعْنَى)

حَصَبُ جَهَنَّمَ - حَطَبُهَا وَوَقُودُهَا، أو مَا يُلْقَى فِيهَا إِلْقَاءً

لَهَا وَارِدُونَ - مُقدِمُون عَلَيْهَا، أَوْ دَاخِلُونَ فِيهَا.

(٩٩) لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(آلِهَةً) (خَالِدُونَ)

(٩٩) - لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الأَصْنَامُ وَالأَنْدَادُ آلِهَةً حَقِيقَةً لَمَا دَخَلُوْا نَارَ جَهَنَّمَ، وَلَمَا بَقُوْا خَالِدِيْنَ فِيهَا مَعَ مَنْ عَبَدُوهَا.

(١٠٠) لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ

(١٠٠) - يُسْمَعُ فِيهَا صَوْتُ زَفِيرِهِمْ مِنْ شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الكَرْبِ والشِدَّةِ، وَهُمْ لَا يَسْمَعونَ شَيْئاً مِمَّا يَجْرِي حَوْلَهُمْ لِشِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ، وَلارْتِفَاعِ صَوْتِ زَفِيرِهِمْ.

(وَقَالَ ابنُ مَسْعُود: إِذَا بَقِي فِي النَّارِ مَنْ قَضَى اللهُ خُلُودَهُمْ فِيهَا جُعِلُوا فِي تَوابِيتَ مِنْ نَارٍ فَلا يَرَى أَحَدٌ مِنْهُم أَنَّ فِي النَّارِ غَيْرَهُ مِمَّنْ يُعَذَّبُونَ)

زَفِيرٌ - تَنَفُّسٌ شَدِيْدٌ، وَهُوَ إِخْرَاجُ النَّفَسِ مِنَ الرِّئَتَيْنِ.

(١٠١) إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ

(أُوْلَئِكَ)

(١٠١) - أَمَّا الذينَ قَضَى اللهُ لَهُمْ بِالرَّحْمَةِ والسَّعَادَةِ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِم الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا، فَأُولَئِكَ يُبْعَدُونَ عَنْ جَهَنَّمَ جَزَاءً لَهُمْ، وَثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿١٠٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ
﴿١٠٣﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٤﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٥﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ

(خَالِدُونَ)
(١٠٢) - وَلَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ النَّارِ،(حَسِيسَها) وَهِيَ تَسْرِي وَتُحْرِقُ لِبُعْدِهِمْ عَنْهَا، وَيَكُونُون في الجنَّةِ التي وَعَدَهُمُ الله تَعَالى بِهَا، مُخلَّدِينَ فِيهَا، وَلَهُمْ فِيهَا كُلُّ مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُم.
حَسِيسَهَا - صَوْتَ حَرَكةِ لَهِيبِها.
(وتتلقَّاهُمُ) (الملائِكَةُ)
(١٠٣) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ - يَوْمِ القِيَامَةِ - يَسْتَوْلِي عَلى النَّاسِ الفَزَعُ الأَكْبَرُ لِهَوْلِ مَا يَرَوْنَهُ، وَلِهَوْلِ المُفَاجَأةِ، وَلِهَوْلِ مَا يَنْتَظِرُهُم مِنْ حِسَابٍ كَانُوْا يُكَذِّبُونَ بِهِ. وَلَكِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الحُسْنَى مِنْ رَبِهِّمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُخِيفُهُمْ ذَلِكَ الفَزَعُ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ، فَقَدْ جَنَّبَهُمُ اللهُ تَعَالَى النَّارَ، وَجَنَّبَهُمْ سَمَاعَ حَسِيسِها، وَرُؤْيَةَ مَا فِيهَا، وَأَدْخَلَهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَأَدْخَلَهُمْ الجَنَّةَ، فَتَلَقَّتْهُمُ المَلائِكَةُ يُسَلِّمُون عَلَيْهِمْ، وَيُهَنِّئُونَهُمْ بالسَّلَامَةِ فِي هَذَا اليَوْمِ الَّذِي وَعَدَهُمْ اللهُ بِهِ.
(فاعِلِينَ)
(١٠٤) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَكُونُ فِيهِ الفَزَعُ الأَكْبَرُ، يَطْوِي اللهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ كَمَا تُطْوَى الصَّحِيفَةُ فِي الكِتَابِ، وَكَمَا بَدَأَ اللهُ خَلْقَ الكَوْنِ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ قَبْلاً، كَذَلِكَ يُعِيدُ خَلْقَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَيْهِ. وَذَلِكَ وَاجِبُ الوُقُوعِ لأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ، وَمَا وَعَدَ اللهُ بِهِ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَعَ لأَنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبداً.
السِجِلُّ - الصَّحِيفَةُ التِي يُكْتَبُ فِيهَا.
لِلْكُتُبِ - عَلَى مَا كُتِبَ فِيهَا.
(الصَّالِحُونَ)
(١٠٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَتْمِهِ وَقَضَائِهِ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ بالسَّعَادَةِ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَوِرَاثَةِ الأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ قَضَى فِي الكُتُبِ التِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ (الزَّبُور) كَمَا قَضَى فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ وَهُوَ أُمُّ الكِتَابِ (الذِّكْر) أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا الصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَقَدْ جَعَلَ ذَلِكَ سُنَّةً وَمِنْهَاجاً.
(والصَّالِحُونَ الذين عَنَاهُم اللهُ تَعَالَى هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوْا الإِيْمَانَ والعَمَلَ الصَّالِحَ، فإِذَا اجْتَمَعَ إِيْمَانُ القَلْبِ، وَنَشَاطُ العَمَلِ فِي أُمَّةٍ فَهِيَ الوَارِثَةُ للأَرْضِ. وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ، وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ أبداً).
الزَّبُورُ - الكُتُبُ المُنَزَّلَةُ، والزَّبُورُ قِسْمٌ مِنْ كِتَابٍ أَوْ هُوَ الكِتَابُ المُنَزَّلُ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الذِّكْرُ - اللَّوْحُ المَحْفُوظُ - وَهُوَ أُمُّ الكِتَابِ.

(١٠٦) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ

(لَبَلَاغاً) (عَابِدِينَ)

(١٠٦) - وَفِي هَذَا القُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَى عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ، وَمَا يَكْشِفُهُ مِنْ سُنَنِ الكَوْنِ والحَيَاةِ، وَمِنْ مَصَائِرِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ قَوَاعِدِ العَمَلِ والجَزَاءِ، بَلَاغٌ وَكِفَايَةٌ لِلعَابِدِيْنَ الخَاشِعِينَ، الَّذِيْنَ يَجْمَعُوْنَ بَيْنَ الإِيْمَانِ والعَمَلِ، المُسْتَعِدِّيْنَ لِتَقَبُّلِ هُدَى اللهِ والانْتِفَاعِ بِهِ.

لَبَلَاغاً - كِفَايَةً أَوْ وُصُولاً إِلَى البُغْيَةِ.

(١٠٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

(أَرْسَلْنَاكَ) (لِلْعَالَمِينَ)

(١٠٧) - وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِهَذَا وَأَمْثَالِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ والأَحْكَامِ إِلَّا لِرَحْمَةِ النَّاسِ، وَهِدَايَتِهِمْ فِي شُؤُونِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَلَا يَهْتَدِي بِهِ إِلَّا المُتَهَيِّئُوْنَ لِتَقَبُّلِ الهُدَى.

(١٠٨) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ

(وَاحِدٌ)

(١٠٨) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، وَلِمَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ: إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ إِلَهَكُمْ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَمَرَنِي بِأَنْ أَسْأَلَكُمْ هَلْ تُقِرُّونَ بِذَلِكَ، وَتُسْلِمُونَ لَهُ، وَتَنْقَادُون إِلَيْهِ؟

(١٠٩) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ

(آذَنْتُكُمْ)

(١٠٩) - فَإِنْ رَفَضُوْا الاسْتِجَابَةَ إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ، وَأَعْرَضُوْا عَنْهُ فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ كَمَا أَنَّكُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ جَمِيعاً بِمَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي، وَبِذَلِكَ اسْتَوَيْنَا فِي العِلْمِ أَنَا وَأَنْتُمْ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ مَا يُوعَدُونَ بِهِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَكِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ، قَرِيباً أَمْ بَعِيداً، لأَنَّ اللهَ لَمْ يُطْلِعْكَ عَلَيْهِ.

آذَنْتُكُمْ - أَعْلَمْتُكُمْ بِمَا أُمِرْتُ بِهِ.

عَلَى سَوَاءٍ - مُسْتَوِينَ جَمِيعاً فِي الإِعْلَامِ.

وَإِنْ أَدْرِي - وَمَا أَدْرِي.

(١١٠) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ

(١١٠) - إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ الغَيْبَ جَمِيعَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُظْهِرُهُ العِبَادُ، وَمَا يُسِرُّونَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يَعْمَلُهُ العِبَادُ فِي سِرِّهِم وَعَلَانِيَتِهِمْ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ هَؤُلَاءِ المُكَذِّبُونَ، مِنْ تَكْذِيبِ الرَّسُولِ، والكُفْرِ بِاللهِ، وَآيَاتِهِ، وَيَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ مِنَ العِدَاءِ والرَّغْبَةِ فِي الأَذَى لِلمُؤْمِنِينَ، وإِنَّهُ تَعَالَى سَوْفَ يَجْزِيهِم الجَزَاءَ الأَوْفَى.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝١١١﴾

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١١٢﴾

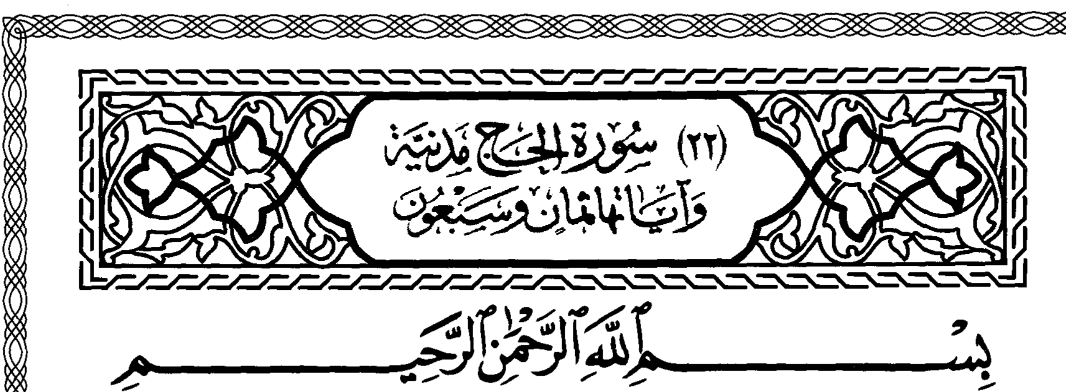
(وَمَتَاعٌ)

(١١١) ـ وَمَا أُدْرِي سَبَبَ تَأْخِيرِ وُقُوعِ الجزَاءِ بِكُمْ؛ لَعَلَّ فِي ذَلِكَ زِيَادَةً فِي فِتْنَتِكُمْ وامْتِحَانِكُمْ لِيَنْظُرَ رَبُّكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؛ أَوْ لَعَلَّهُ يُؤَخِّرُكُمْ إِلَى حِينٍ كي تَتَمَتَّعُوا بِلَذَّاتِ الدُّنْيَا مَعَ اسْتِمْرارِ إِعْرَاضِكُم عَنِ الإِيْمَانِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ سَبباً لاِسْتِحْقَاقِكُمْ العَذَابَ.

فِتْنَةٌ لَكُمْ ـ امْتِحانٌ وَاخْتِبَارٌ.

(قَالَ)

(١١٢) ـ وَقَالَ الرَّسُولُ: اللَّهُمَّ افْصِلْ (احْكُمْ) بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ كَذَّبَنِي، وَكَفَرَ بِكَ، وَعَبَدَ غَيْرَكَ، بِإِحْلالِ نِقْمَتِكَ بِهِ بالعَدْلِ الذي يَقْتَضِي تَعْجِيلَ العَذَابِ لَهُ، وَتَشْدِيدَهُ عَلَيْهِ واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَقُولُونَ مِنَ الكَذِبِ والبُهْتَانِ (مَا تَصِفُونَ).



(١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ

الحزب ٣٤

(يا أيُّها)

(١) ـ يَأْمُرُ اللهُ تَعالَى النَّاسَ بِتَقْواهُ، وَإِطاعَةِ أَمْرِهِ، وَٱجْتِنابِ مَا نَهاهُمْ عَنْهُ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أَهْوالِ يَوْمِ القِيامَةِ، وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ أُمُورٍ عِظامٍ، وَزَلْزَلَةٍ يَشِيبُ لِهَولِها الوِلْدانُ.

وَقَدِ ٱخْتَلَفَ المُفَسِّرُون: هَلْ تَكُونُ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ قَبْلَ قِيامِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ، أَوْ تَكُونُ بَعْدَ قِيامِهِمْ وَنُشُورِهِمْ:

١ ـ فَقالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ تَكُونُ فِي آخِرِ عُمْرِ الدُّنيا، وَأَوَّلِ أَحْوالِ السَّاعَةِ. وَفي حَديثٍ رواه ابنُ جرير عن أبي هُرَيْرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (يَنْفُخُ إِسْرافِيلُ في الصُّورِ ثلاثَ نَفَخاتٍ:

نَفْخَةَ الفَزَعِ ـ فَيَفْزَعُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ، فَتَسِيرُ الجِبالُ فَتَكُونُ تُراباً، وَتَرجُّ الأَرْضُ بِأَهْلِها رَجّاً، وَهِيَ التِي يَقُولُ فِيها اللهُ سُبْحانَهُ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ﴾[1] فَيَتَمَدَّدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، وَتَذْهَلُ المَراضِعُ عَنْ رُضَعَائِها، وَتَضَعُ الحَوامِلُ حَمْلَها، وَيشِيبُ الوِلْدانُ، وَيُولِّي النَّاسُ مُدْبِرينَ يُنادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى ﴿إِنِّي أَخافُ عَلَيكُمْ يَوْمَ التَّنادِ﴾[2]، فَبَيْنَما هُمْ عَلَى ذٰلِكَ ٱنْصَدَعَتِ الأَرْضُ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، وَرَأَوْا أَمْراً عَظِيماً، فَأَخَذَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ الكَرْبُ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى السَّماء فإذا هِيَ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ خُسِفَ شَمْسُها وَقَمَرُها، وَٱنْتَثَرَتْ نُجومُها، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ، وَالأَمواتُ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ.

ب ـ **نَفْخَةَ الصَّعْقِ** ـ وَبِها يُصْعَقُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ.

(١) سورة النازعات، الآية: ٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٢.

ج - **نَفْخَةَ القِيَامِ لِرَبِّ العَالَمِينَ** - وَبِها يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ وَيَقُومُونَ لِرَبِّ العِبادِ).

٢ - وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ بَلْ ذٰلِكَ هَوْلٌ وَفَزَعٌ وزِلْزَالٌ كائِنٌ يَومَ القِيَامَةِ فِي العَرَصَاتِ بَعْدَ قِيَامِ الأَمْوَاتِ مِنْ قُبورِهِمْ. وَسَاقُوا عَلَى ذٰلِكَ بَعْضَ الأَحَادِيثِ.

الزِّلْزَالُ - الهَزَّةُ الشَّدِيدَةُ التِي تَحْدُثُ فِي الأَرْضِ.

وَزَلْزَلَةَ السَّاعةِ - أَهْوَالَ القِيَامَةِ وَشَدَائِدَهَا وَمَا يَحْدُثُ لِلنُّفُوسِ مِنَ الرُّعْبِ وَالفَزَعِ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢﴾

(سُكَارَى) (بِسُكَارَى)

(٢) - وَمِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ الذِي يُدَاخِلُ النُّفُوسَ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ الرَّهِيبِ، تَرَى المَرَاضِعَ ذَاهِلَةً عَنْ رُضَعَائِهَا، وَهُمْ أَحَبُّ شَيءٍ إِلَيْهِنَّ، وَتُسْقِطُ الحَوامِلُ أَجِنَّتَهُنَّ قَبْلَ تَمامِ مُدَّةِ الحَمْلِ، وَيَبْدُو النَّاسُ وَكَأَنَّهُمْ سُكَارَى، وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ مَا بِهِمْ مِنْ سُكْرٍ، وَإِنَّما هُوَ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ الهَوْلِ وَالخَوْفِ مِنْ عَذَابِ اللهِ الشَّدِيدِ، الذِي يَجْعَلُهُمْ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الحَالِ مِنَ الضَّيَاعِ.

تَذْهَلُ - تَغْفلُ وَتُشْغَلُ لِشِدَّةِ الهَوْلِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ ﴿٣﴾

(يُجادِلُ) (شَيْطانٍ)

(٣) - بَعْدَ أَنْ شَرَحَ اللهُ تَعالَى حَالَ النَّاسِ يَوْمَ الحَشْرِ، وَبَعْدَ أَنْ أَكَّدَ أَنَّ الحَشْرَ وَالفَزَعَ وَاقِعَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ لا مَحالَةَ، قَالَ تَعالَى: وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّ هُنَاكَ بَعْضَ النَّاسِ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ: فِي وُجُودِ اللهِ، وَفِي وحْدَانِيَّتِهِ، وفِي قُدْرَتِهِ عَلَى إِحيَاءِ المَوْتَى. وَفِي عِلْمِهِ. وَجِدَالُهُمْ هٰذا بِغَيرِ عِلْمٍ صَحِيحٍ، وَبِدُونِ دَليلٍ وَاضِحٍ، وَهُوَ جِدالٌ نَاتِجٌ عنِ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ المُتَمَرِّدِ عَلَى رَبِّهِ.

المَرِيدُ - العَاتِي المُتَجَرِّدُ لِلْفَسَادِ، المُخَالِفُ لِلْحَقِّ.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ﴿٤﴾

(٤) وقَدَّرَ اللهُ تَعالَى أَنَّ مَنِ اتَّبَعَ الشَّيْطَانَ وَقَلَّدَهُ وَاتَّخذَهُ هَادياً، فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ فِي الدُّنيا، بِمَا يُوَسْوِسُ لَهُ مِن اتِّبَاعِ الغَوَايَةِ والفُجُورِ، وَيَقُودُهُ فِي الآخِرَةِ إِلى عَذَابٍ حَارٍّ مُؤْلِمٍ وَمُزْعِجٍ. وَهٰذِهِ النَّتِيجَةُ هِيَ حَتْمٌ مُقدَّرٌ مِنَ اللهِ.

(وَيَتَهكَّمُ التَعبيرُ عَلَى الكُفَّارِ فَيُسَمِّي قِيَادَةَ الشَّيطَانِ أَتْبَاعَهُ إلى عَذابِ السَّعِيرِ هِدَايةً).

تَوَلَّاهُ - اتَّخَذَهُ ولياً وَتَبِعَهُ.

٥ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي
رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم
مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ
وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ
الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ
مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ

(يَا أَيُّها) (خَلَقْناكُم)

(٥) ـ لَمّا ذَكَرَ اللهُ تَعالَى حالَ المُنْكِرِ للبَعْثِ وَالمَعادِ، ذكر هُنا الدَّليلَ عَلَى قُدْرَتِهِ بِما يُشاهَدُ مِنْ بدْئِهِ الخَلْقَ، فَقالَ: إِنْ كُنْتُمْ يا أَيُّها النَّاسُ تَشُكُّونَ فِي قُدْرَتِنا عَلى بَعْثِ الأَمْواتِ يَوْمَ القِيامَةِ، وَخَلْقِهِمْ خَلْقاً جَديداً، فَانْظُرُوا إِلى مَبْدَإِ خَلْقِكُمْ لِيَزُولَ شَكُّكُمْ، وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ القادِرَ عَلى خَلْقِكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ عَدَمٍ، هُوَ أَقْدَرُ عَلى إِعادَةِ خَلْقِكُمْ ثانِيَةً، لأَنَّ الإِعادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الابْتِداءِ، فَقَدْ خَلَقْنا أَباكُمْ آدَمَ مِنْ تُرابٍ، ثُمَّ جَعَلْنا نَسْلَهُ يُخْلَقُ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ ـ أَيْ مِنْ نُطْفَةٍ ـ ثُمَّ تُصْبِحُ النُّطْفَةُ عَلَقَةً حَمراءَ، ثُمَّ تُصْبِحُ العَلَقَةُ مُضْغَةً، ثُمَّ تَبْدأُ المُضْغَةُ فِي الشَّكْلِ، وَتَبْدُو مَلامِحُ الرَّأسِ والأَطْرافِ. وَيَقُولُ تَعالَى إِنَّ المُضْغَةَ قَدْ تُسْقِطُها المَرْأَةُ قَبْلَ اكْتِمالِ مُدَّةِ الحَمْلِ ـ أَيْ قَبْلَ اكْتِمالِ خَلْقِها ـ وَقَدْ تَبْقَى هَذه المُضْغَةُ حَتَّى اكْتِمالِ خَلْقِها، فَتُخْرَجُ طِفْلاً ضَعِيفاً فِي بَدَنِهِ، وَفِي سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَحَواسِّهِ، ثُمَّ يُعْطِيهِ اللهُ القُوَّةَ شَيْئاً فَشيئاً، فَيَبْلُغُ أَشُدَّهُ وَيَتَكامَلُ فِي قُوَّتِهِ، ثُمَّ يَتَزايَدُ فَيَصِلُ إِلَى عُنْفُوانِ الشَّبابِ. وَمِنَ النَّاسِ مَن يُتَوفَّى فِي حالِ شَبابِهِ وَقُوَّتِهِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ والهَرَمِ والضَّعْفِ فِي القُوَّةِ والعَقْلِ والفَهْمِ، وَيُصِيبُهُ الخَرَفُ، وَضَعْفُ الذَّاكِرَةِ، فَإِذا هُوَ بَعْدَ القُوَّةِ والاكْتِمالِ يَرْتَدُّ طِفْلاً فِي وَعْيِهِ وَمَدارِكِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَيَنْسَى عِلْمَهُ فَلا يَعُودُ يَذْكُرُ مِنْهُ شَيئاً (لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً).

وَيَسُوقُ اللهُ تَعالَى دَلِيلاً آخرَ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلى إِحْياءِ المَوْتَى، وَهُوَ إِحْياءُ الأَرْضِ المَيِّتَةِ الهامِدَةِ التي لا نَبْتَ فِيها، فَإِذا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْها الماءَ مِنَ السَّماءِ تَحَرَّكَتْ بالنَّباتِ، وَحَيِيَتْ بَعْدَ مَوْتِها، وَرَبَتْ وارْتَفَعَ التُّرابُ الذي عَلَى سَطْحِها مِنْ حَرَكَةِ النَّباتِ تَحْتَهُ ثُمَّ أَنْبَتَت الأَرْضُ نَباتاً حَسَنَ المَنْظَرِ، طَيِّبَ الرَّائِحَةِ، يُبْهِجُ العُيونَ النَّاظِرَةَ إِلَيْهِ.

هامِدَةً ـ ساكِنَةً أَوْ مَيِّتَةً يابِسَةً.
بَهِيج ـ يُبْهِجُ النَّفْسَ بِمَرْآهُ.
عَلَقَةٌ ـ قِطْعَةَ دَم جامِدَةٍ.
مُضْغَةٌ ـ قِطْعَةَ لَحْم بقَدْرِ ما يُمْضَغُ.
مُخَلَّقَةٍ ـ مُسْتَبِينَةِ الخَلْقِ مُصَوَّرَةٍ.
رَبَتْ ـ ارْتَفَعَ فَوْقَها التُّرابُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٦

(يُحْيي)

(٦) - وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعالَى مَبْدَأَ خَلْقِ الإنْسَانِ مِنْ تُرابٍ، وَتَطوُّرَ الجَنِينِ فِي مَراحِلِ تَكَوُّنِهِ، وَتَطوُّرَ الطِفْلِ فِي مَراحِلِ حَيَاتِهِ، وَانْبِعَاثَ الحَيَاةِ فِي الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَهُمُودِهَا، لِيَدُلَّ النَّاسَ عَلَى أَنَّ الذي فَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللهُ الحَقُّ الذي لاَ شَكَّ فِيهِ، وأَنَّ مَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُونِهِ بَاطِلٌ، وَأَنَّهُ تَعالَى جَعَلَ ذَلِكَ مِنَ السُّنَنِ المُطَّرِدَةِ فَلاَ تَخْتَلِفُ وَلاَ تَتَخَلَّفُ. فَكَمَا أَحْيَا اللهُ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، بِإِنْزَالِ المَطَرِ عَلَيْهَا، وَأَنْبَتَ فِيهَا الزُّرُوعَ والنَّبَاتَ، كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ ٧

(آتِيَةٌ)

(٧) - وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ السَاعَةَ سَتَأْتِي فِي الوَقْتِ المُحَدَّدِ لَهَا، لاَ شَكَّ فِي ذَلِكَ وَلاَ رَيْبَ. وحِينَ يَحِيْنُ مَوْعِدُ قِيامِ السَّاعَةِ فَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُ المَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيُعِيدُ خَلْقَهُم مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ أَنْ صَارُوا رَمِيماً.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ ٨

(يُجَادِلُ) (كِتَابٍ)

(٨) - لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعالَى فِي آيَةٍ سَابِقَةٍ حَالَ الضَّالِينَ مِنَ الجَهَلَةِ المُقَلِّدِينَ لِمَنْ سِوَاهُم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾[1] ذَكَرَ هُنَا حَالَ الدَّاعِينَ إِلَى الضَّلاَلَةِ مِنْ رُؤوسِ الكُفْرِ والبِدَعِ فَقَالَ: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَبِدُونِ عَقْلٍ صَحِيحٍ، وَبِدُونِ نَقْلٍ صَرِيحٍ مِنْ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِنَّمَا يُجَادِلُ لِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالهَوَى والعِنَادِ.

﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ٩

(القِيَامَة)

(٩) - وَهُوَ يُجَادِلُ مُسْتَكْبِراً عَنِ الحَقِّ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ. وَقَدْ لَوى رَقَبَتَهُ (ثَانِي عِطْفِهِ) إِعْرَاضاً عَنِ الحَقِّ، وَغَايَتُهُ مِنْ ذَلِكَ إِضْلاَلُ النَّاسِ وَصَرْفُهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ المُسْتَقِيمِ. وَهَذا المُضِلُّ المُسْتَكْبِرُ المُتَجَبِّرُ، لَهُ فِي الدُّنْيَا ذُلٌّ وَمَهَانَةٌ (خِزْيٌ) مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، جَزَاءً لَهُ عَلَى اسْتِكْبَارِه، ويَجْزِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ بِإِخْضَاعِهِ إِلَى عَذَابٍ مُحْرِقٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

ثَانِي عِطْفِهِ - لاَوِياً رَقَبَتَهُ أَوْ جَانِبَهُ تَكَبُّراً وَتَجَبُّراً وإِبَاءً.
خِزْيٌ - ذُلٌّ وَهَوَانٌ.

(١) سورة الحج، الآية: ٣.

﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ

(بِظَلَّامٍ)

(١٠) - ويُقَالُ لَهُ وَهُوَ فِي نَارِ جَهنَّمَ تَقْرِيعاً وَتَوْبِيخاً: إنَّ مَا تَذُوقُهُ فِي نَارِ جَهنَّم، وَتُلَاقِيهِ مِنَ العَذَابِ والنَّكَالِ، إنَّما هُوَ جَزَاءٌ لَكَ عَلَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ فِي الدُّنْيَا مِنْ سَيِّىءِ الأَعْمَالِ، لأنَّ الله تَعَالَى عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ عَبِيدَهُ أَبَداً.

﴿١١﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ

(١١) - وَمِنَ النَّاسِ صِنْفٌ لَمْ يَتَمكَّنِ الإِيْمَانُ مِنْ قَلْبِهِ، بَلْ هُوَ مُتَزَعْزِعُ العَقِيدَةِ، تَتَحكَّمُ مَصَالِحُهُ فِي إِيْمَانِهِ، فَإِنْ أَصَابَهُ رَخَاءٌ وَسَعَةُ عَيْشٍ، رَضِيَ وَاطْمَأَنَّ وَاسْتَبْشَرَ بالدِّينِ فَعَبَدَ الله، وَإِنْ أَصَابَهُ شَرٌّ وَبَلَاءٌ، وَضِيقُ عَيْشٍ، ارْتَدَّ وَرَجَعَ إِلَى الكُفْرِ فَخَسِرَ فِي الدُّنْيَا رَاحَةَ الاطْمِئْنَانِ إِلَى قَضَاءِ اللهِ وَنَصْرِهِ، كَمَا خَسِرَ فِي الآخِرَةِ النَّعِيمَ.

(وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي بَعضِ الأَعْرَابِ الذينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيُسْلِمُونَ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَإِنْ وَجَدُوا عَامَ غَيْثٍ وَخِصْبٍ، وَعَامَ وِلَادٍ حَسَنٍ قَالُوا: إِنَّ دِينَنَا هَذَا لَصَالِحٌ فَتَمَسَّكُوا بِهِ. وَإِنْ وَجَدُوا عَامَ جَدْبٍ، وَعَامَ وِلَادِ سُوءٍ، قَالُوا: مَا فِي دِينِنَا هَذَا خَيْرٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ).

وَهَـذِهِ الآيَةُ تَنْطَبِقُ عَلَى المُنَافِقِ الـذي إِنْ صَلَحَتْ لَهُ دُنْيَاهُ أَقَامَ عَلَى العِبَادَةِ، وإِنْ فَسَدَتْ عَلَيْـهِ دُنْيَاهُ وَتَغَيَّرَت انْقَلَبَ كَافِراً فَلَا يُقِيمُ عَلَى العِبَادَةِ إِلَّا لِمَا صَلَحَ مِنْ دُنْيَاهُ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَوْ شِدَّةٌ أَوْ ضِيقٌ تَرَكَ دِيْنَهُ، وَرَجَعَ إِلَى الكُفْرِ، وَارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، فَلَا يَحْصُلُ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى شَيءٍ. وَأَمَّا الآخِرَةُ فَقَدْ كَفَرَ بالله العَظِيمِ، فَهو فِيهَا فِي غَايَةِ الشَّقَاءِ والإِهَانَةِ، وَلِهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ هُو الخُسْرَانُ المُبِينُ﴾ أي الخَسَارَةُ العظِيمَةُ والصَّفْقَةُ الخَاسِرَةُ.

عَلَى حَرْفٍ - عَلَى شَكٍّ وَقَلَقٍ وَتَزَلْزُلٍ فِي الدِّينِ.

﴿١٢﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ

(يَدْعُو) (الضَّلَالُ)

(١٢) - وَهَذَا المُرْتَدُّ إلى الكُفْرِ، الذي خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ، يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ الأَصنَامَ والأَنْدَادَ، وَيَسْتَغِيثُ بِها، وَيَسْتَنْصِرُهَا وَيَسْتَرْزِقُها، وَهِيَ لَا تَنْفَعُهُ وَلَا تَضُرُّهُ، وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ عَنِ الحَقِّ، والسَّيْرُ عَلَى غَيْرِ هُدًى.

(١٣) يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ

(يدْعو)

(١٣) - وَيَدْعُو هَذَا العابِدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ مَنْ ضَرُّهُ فِي الدُّنْيَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ؛ وأمَّا ضَرَرُهُ فِي الآخِرَةِ فَهُوَ مُحقَّقٌ مُؤكَّد، وبِئْسَ الوَثَنُ الذي دَعاهُ ذَلِكَ الضَّالُّ مولًى لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَاتَّخذَهُ وَلِيّاً وَناصِراً، وَبِئْسَ المُخَالِطُ والمُعَاشِرُ.

بِئْسَ المَوْلَى - بِئْسَ النَّاصِرُ

العَشِيرُ - المُصَاحِبُ المُعَاشِرُ.

(١٤) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ) (ٱلْأَنْهَارُ)

(١٤) - لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الشَّقَاءِ والضَّلالَةِ، عَطَفَ بِذِكْرِ الأَبْرارِ السُّعَداءِ الَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُم، وصَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِأَفْعَالِهِمْ فَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ جَمِيعِ أَنْواعِ القُرُبَاتِ، وتَرَكُوا المُنْكَرَاتِ، فَجَازَاهُم اللهُ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ وَإِخْلاصِهِم بأَنْ أَوْرَثَهُم الدَّرَجاتِ العُلْيَا فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ فِي الآخِرَةِ. وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَضَلَّ أُولَئِكَ، وَهَدَى هَؤُلاءِ، قَالَ إِنَّ الأَمْرَ يَعُودُ إِلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ ﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

(١٥) مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ

(الآخِرَة)

(١٥) - مَنْ كَانَ يَظُنُّ مِنَ الكُفَّارِ أَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ مُحَمَّداً، وَدِينَهُ، وَكِتَابَهُ، فَلْيَذْهَبْ فَلْيَقْتُلْ نَفْسَهُ بِرَبْطِ حَبْلٍ فِي سَقْفِ بَيْتِهِ، ثُمَّ لِيَخْنُقْ نَفْسَهُ بِهِ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ غَائِظَهُ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ لاَ مَحَالَةَ. فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي آيةٍ أُخْرَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: فَلْيَنْظُرْ هَذَا المَغِيظُ هَلْ يَشْفِي فِعْلُهُ هَذَا - أَيْ خَنْقُ نَفْسِهِ بِحَبْلٍ فِي سَقْفِ بَيْتِهِ - صَدْرَه مِنَ الغَيْظِ، وَهَلْ يُحَقِّقُ فِعْلُهُ هَذا رَغْبَةَ نَفْسِهِ فِي أَنْ لاَ يَنْصُرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ؟ كَلاَّ إِنَّ ذَلِكَ لَنْ يُوصِلَهُ إِلَى غَايَتِهِ.

يَنْصُرُهُ اللهُ - أَيْ يَنْصُرُ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّداً.

بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ - بِحَبْلٍ إِلَى سَقْفِ بَيْتِهِ.

ثُمَّ لِيَقْطَعْ - ثُمَّ لِيَخْنُقْ بِهِ نَفْسَهُ حَتَّى يَمُوتَ.

كَيْدُهُ - صَنِيعُهُ بِنَفْسِهِ.

(١٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ

(أَنْزَلْنَاهُ) (آيَاتٍ) (بَيِّنَاتٍ)

(١٦) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى القُرْآنَ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ (بَيِّنَاتٍ)، فِي لَفْظِهَا وَمَعْنَاهَا، لِتَكُونَ حُجَّةً مِنَ اللهِ عَلَى النَّاسِ، وَاللهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ،

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.

﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّٰبِـِٔينَ وَالنَّصَٰرَىٰ
وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ

﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي
السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ
حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ
اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ
يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩



﴿١٩﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا
فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ
لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن
فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ

وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ الحِكْمَةُ التَّامَّةُ، والحُجَّةُ القَاطِعَةُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

(آمَنُوا) (والصَّابِئِينَ) (والنَّصَارَى) (الْقِيَامَةِ)

(١٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَفْصِلُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ أَهْلِ الأَدْيَانِ المُخْتَلِفَةِ: مِنَ المُؤْمِنِينَ واليَهُودِ والنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ عَدَّدَهُمْ، وأَنَّهُ سَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بالعَدْلِ، فَيُدْخِلُ مَنْ آمَنَ مِنهم بِهِ الجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِهِ النَّارَ، وأَنَّهُ تَعَالَى شَهِيدٌ عَلَى أَفْعَالِهِمْ جَمِيعِهَا، حَفِيظٌ لِأَقْوَالِهِمْ، عَلِيمٌ بِسَرائِرِهِم وَضَمَائِرِهِمْ.

الصَّابِئِينَ - عَبَدَةَ الكَوَاكِبِ أَوْ عَبَدَةَ المَلائِكَةِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَحْدَهُ الذي يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ يَسْجُدُ لِعَظَمَتِهِ كُلُّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ المَوجُودَاتِ، وَمُدَبِّرُهَا، وَمُنْشِئُهَا، والمَلائِكَةُ والشَّمْسُ والقمرُ والمخْلُوقَاتُ كُلُّهَا مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ وَدوَابٍّ وَطُيُورٍ... تَسْجُدُ للهِ، وَيَسْجُدُ للهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ طَوْعاً واخْتِيَاراً وَتَعبُّداً بذَلِكَ السُّجُودِ، وَيَكُونُ سُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَهُ فالجِبَالُ والشَّجَرُ تَسْجُدُ بِظِلَالِها. وَكَثِيرٌ مِنَ البَشَرِ يَمْتَنِعُونَ عنِ السُّجودِ للهِ اسْتِكْبَاراً وَإِبَاءً، فَيَحِقُّ عَلَيْهِمْ عَذَابُ اللهِ. وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَيَكْتُبْ لَهُ الشَّقَاءَ لِسُوءِ اسْتِعْدَادِهِ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ. وَمَنْ حَقَّ عليهِ العَذَابُ فَقَدْ حَقَّ عَلَيهِ الهَوَانُ، وَلا كَرَامَةَ إلا بإِكْرَامِ اللهِ، وَلا عِزَّةَ إلا بعِزَّةِ اللهِ، وَاللهُ المُتَصَرِّفُ بِالكَوْنِ وَالخَلْقِ، يَفْعَل مَا يَشَاءُ، وَلا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَهُ الحِكْمَةُ فِيمَا يَفْعَلُ.

يَسْجُد لَهُ - يَخْضَعُ لَهُ وَيَنْقَادُ.

حَقَّ عليهِ - ثَبَتَ وَوَجَبَ عَلَيهِ.

(رُؤُوسِهِمُ)

(١٩) - تَجَادَلَ أَهْلُ الأَدْيَانِ فِي دِينِ اللهِ فَكُلُّ فَرِيقٍ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَا هُوَ عَلَيهِ هُوَ الحَقُّ، وأَنَّ مَا عليه خَصْمُهُ هُوَ البَاطِلُ، وَبَنَى عَلَى ذَلِكَ جَمِيعَ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ نوعاً مِنَ الخُصُومَةِ، واللهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يومَ القِيَامَةِ، وَيَجْزِيهِمْ عَلى إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بِما يَسْتَحِقُّونَ، وَلا يَظْلِمُ أَحَداً مِنْهُمْ شَيئاً، فَأَمَّا الكَافِرُونَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أُعِدَّتْ لَهُمْ نِيرانٌ تُحِيطُ بِهِمْ وَكَأَنَّها مُقَطَّعَاتٌ مِنَ الثِّيَابِ قُدَّتْ عَلَى قَدْرِ أَجْسَادِهِمْ، وَيُصَبُّ المَاءُ الشَّدِيدُ

﴿٢٠﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ

﴿٢١﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ

﴿٢٢﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ

﴿٢٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

﴿٢٤﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ

الحَرارَةِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ فَيَشْوِي وُجُوهَهُمْ وَأَجْسادَهُمْ، وَيُذِيبُ أَمْعَاءَهُمْ.

خَصْمَانِ ـ المُؤْمِنُونَ وَالكَافِرُونَ عَامَّةً.

الحَمِيمُ ـ المَاءُ الشَّدِيدُ الحَرَارَةِ وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّهُ النُّحَاسُ المُذَابُ.

(٢٠) ـ فَيَصْهَرُ هٰذا الحَمِيمُ الذِي يُصَبُّ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ما في بُطُونِهِمْ مِنْ أَحْشَاءَ، وَيُذِيبُ جُلُودَهُمْ.

يُصْهَرُ ـ يُذَابُ.

(مَقَامِعُ)

(٢١) ـ وَيُضْرَبُ هٰؤلاءِ الكَافِرُونَ بالسِّيَاطِ وَالمَطَارِقِ (مَقَامِعُ) مِنَ الحَدِيدِ المُحَمَّى فَتَتَنَاثَرُ أَعْضَاؤُهُمْ.

المَقَامِعُ ـ المَطَارِقُ أَوِ السِّيَاطُ.

(٢٢) ـ وَيَشْتَدُّ العَذَابُ بِالكُفَّارِ، وَيَتَجَاوَزُ بِهِم الطَّاقَةَ، **فَيَهُمُّونَ** بِالخُرُوجِ مِنْ هٰذا الغَمِّ، فَيُرَدُّونَ بِعُنْفٍ وَيَسْمَعُونَ التَّأْنِيبَ: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ)

(٢٣) ـ لَمَّا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا يُلاقُونَهُ مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالحَرِيقِ وَالأَغْلالِ، وَمَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ ثِيابٍ مِنْ نَارٍ، ذَكَرَ حَالَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ يُدْخِلُ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ في أَرْجَائِها، وَيُلْبِسُهُمْ رَبُّهُمْ فِيها حُلِيّاً: مِنْها أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِنْها لُؤْلُؤٌ (وَجَاءَ في الحَدِيثِ: تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ) (رَوَاهُ الإِمَامَانِ) وَيَكُونُ لِبَاسُهُمْ مِنَ الحَرِيرِ في الجَنَّةِ.

(وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ: لَا تَلْبَسوا الحَرِيرَ وَلا الدِّيبَاجَ فِي الدُّنيا فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ في الدُّنْيا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ).

(صِرَاطِ)

(٢٤) ـ وَيَهْدِيهِمْ رَبُّهم إلى القَوْلِ الطَّيِّبِ، مِثْلِ قَوْلِهِمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: ﴿الحَمْدُ للهِ الذي صَدَقنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[1]، وَيَهْدِيهِم رَبُّهم وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الحَمِيدِ الذِي يَجْعَلُ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، مَحْمُودَةً عِنْدَ مُعَاشِرِيهِمْ، فَيُسَبِّحُونَ اللهَ وَيُقَدِّسُونَهُ، وَيَشْكُرُونَهُ عَلى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ.

صِرَاطِ الحَمِيدِ ـ الإِسْلامِ الذِي ارْتَضَاهُ اللهُ دِيناً لِعِبَادِهِ.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

(٢٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

(جَعلْنَاهُ) (الْعَاكِفُ)

(٢٥) - إنَّ الذينَ كَفَرُوا باللهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَأَنْكَرُوا مَا جَاءَهُم بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ أَنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ اللهِ ﴿يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الوُصُولِ إلى المَسْجِدِ الحَرَامِ، الذِي جَعَلَهُ اللهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ كَافَّةً، سَوَاءً مِنْهُمُ المُقِيمُ فِيهِ، وَالبَعِيدُ الدَّارِ عَنْهُ، فَإِنَّ اللهَ يَتَوَعَّدُهُمْ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ فِي الآخِرَةِ، كَمَا يَتَهَدَّدُ اللهُ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَمِيلَ إلى الظُّلْمِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فَيَعْصِيَ اللهَ فيهِ، أَوْ يُخَالِفَ أَمْرَهُ، مُتَعَمِّداً غَيْرَ مُتَأَوِّلٍ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عِقَابَهُ الشَّدِيدَ بِأَهْلِ الضَّلاَلِ لَمَّا هَمُّوا بِتَخْرِيبِ البَيْتِ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِم الطَيرَ الأَبَابِيلَ فَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً وَنَكَالاً لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ بِبَيْتِ اللهِ سُوءاً.

المَسْجِدِ الحَرَامِ - الحَرَمُ أَيْ مَكَّةُ أَوْ هُوَ الكَعْبَةُ.

العَاكِفُ - المُقِيمُ فِيهِ، المُلاَزِمُ لَهُ.

البَادِ- الطَّارِئُ غَيْرُ المُقِيمِ.

إلحَادٍ بِظُلْمٍ- يَمِيلُ عَنِ الحَقِّ إلى البَاطِلِ.

(٢٦) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ

(لإِبْرَاهِيمَ) (لِلطَّائِفِينَ) (وَالْقَائِمِينَ)

(٢٦) وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ الذينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ البَيْتَ الحَرَامَ مَكَاناً لِأَصْنَامِهِمْ، قِصَّةَ بِنَاءِ المَسْجِدِ الحَرَامِ، إِذْ أَمَرَ اللهُ تَعَالى إِبْرَاهِيمَ عَلَيهِ السَّلامِ، بِبِنَاءِ البَيْتِ عَلَى اسْمِهِ تَعَالَى، وَأَرْشَدَهُ إلى المَكَانِ الَّذِي يَبْنِيهِ فِيهِ، وَأَمَرَهُ بِأَلاَّ يُشْرِكَ بِاللهِ شَيئاً فِي العِبَادَةِ، وَبِأَنْ يُطَهِّرَ بَيْتَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَرْجَاسِ وَالأَقْذَارِ لِيَكُونَ مُعَدّاً لِمَنْ يَطُوفُ بِهِ، وَيُقِيمُ بِجِوَارِهِ، وَيَتَعَبَّدُ فِيهِ رَبَّهُ، وَيُؤَدِّي صَلاَتَهُ.

بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ - وَطَّأْنَا وَبَيَّنَّا.

(٢٧) وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

(٢٧) - وَقُلْنَا لإِبْرَاهِيمَ: نَادِ النَّاسَ دَاعِياً إِيَّاهُم إلى الحَجِّ إلى هَذا البَيْتِ الذي أَمَرْنَاكَ بِبِنَائِهِ، يَأْتُوكَ مُشَاةً عَلَى أَرْجُلِهِمْ (رِجَالاً)، مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ، وَيَأْتُوكَ رَاكِبِينَ (رُكْبَاناً) عَلَى الخَيْلِ والجِمَالِ المُضَمَّرَةِ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ بَعِيدٍ.

(وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيفَ أُبَلِّغُ النَّاسَ وَصَوْتِي لاَ يَنْفُذُهُم؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: نَادِ وَعَلَيْنَا البَلاَغُ، فَقَامَ فَنَادَى، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُم اتَّخَذَ بَيْتاً فَحُجُّوهُ. وَلِهَذا يَرُدُّ مَنْ يَحُجُّ البَيْتَ عَلَى نِدَاءِ اللهِ قَائِلاً: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ)

أَذِّنْ فِي النَّاسِ - نَادِ فِيهِم وَأَعْلِمْهُم.

رِجَالاً - مُشَاةً عَلَى أَرْجُلِهِمْ.
ضَامِرٍ - بَعِيرٍ أَوْ فَرَسٍ مَهْزُولٍ مِنْ بُعْدِ الشُّقَّةِ.
فَجٍّ عَمِيقٍ - طَرِيقٍ بَعِيدٍ.

(٢٨) لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ

(مَنَافِع) (مَعْلُومَاتٍ) (الأَنْعَام) (الْبَائِسَ)

(٢٨) - وَيَأْتِي النَّاسُ مَكَّةَ لِلطَّوَافِ بِبَيْتِ اللهِ، وَلِيحصِّلُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، مِنْهَا المَنَافِعُ الدُّنْيَوِيَّةُ، مِنْ نَشَاطِ الأَبْدَانِ فِي السَّفَرِ، ومِنْ ذَبْحِ الذَّبَائِحِ والتِّجارَةِ... وَمِنْهَا المَنَافِعُ الأُخْرَوِيَّةُ وَهِيَ: رِضْوَانُ اللهِ. وَخِلاَلَ الحَجِّ يَذْكُرُ النَّاسُ اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ، وَيَشْكُرونَهُ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِنَ الأَنْعَامِ (الإِبْلِ والبَقَرِ والغَنَمِ والماعِزِ) وأَبَاحَ اللهُ لِمَنْ ضَحَّى أَنْ يَأْكُلَ مِنَ لَحْمِ أُضْحِيَتِهِ لأَنَّ المُشْرِكِينَ كَانُوا لاَ يَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِ أُضْحِيَاتِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ: (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ). والبَائِسُ هُوَ المُضْطَرُّ الذي يَظْهَرُ عَلَيْهِ البُؤْسُ، وَهُوَ الفَقِيرُ المُتَعَفِّفُ الذي لاَ يَمُدُّ يَدَهُ بالسُّؤالِ.

(والأَيَّامُ المَعْلُومَاتُ التي أَشارَتْ إِلَيها الآيَةُ الكرِيمَةُ هِيَ الأَيَّامُ العَشْرَةُ مِنْ ذي الحِجَّةِ، وَمِنْهَا يَوْمُ النَّحْرِ وَيَوْمُ عَرَفَةَ.

(وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الأَيَّامَ المَعْلُومَاتِ هِيَ يَوْمُ النَّحْرِ وثَلاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَهُ).

(وَقَالَ أبو حَنِيفَةَ إِنَّهَا يَوْمُ عَرفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ ويَوْمٌ بَعْدَهُ).

(٢٩) ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ

(٢٩) - ثُمَّ لِيُزِيلُوا مَا عَلِقَ بِهِمْ مِنَ الأَوْسَاخِ أَثْنَاءَ السَّفَرِ والإِحْرَامِ فَيَحْلِقُوا الشَّعْرَ، وَيُقَلِّمُوا الأَظَافِرَ، وَيُخَفِّفُوا شَعَرَ الوَجْهِ والرَّأْسِ (لِيَقْضُوا تَفَثَهُم)، وَلْيَتَحَلَّلُوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ وَلْيُوفُوا مَا نَذَرُوهُ مِنَ أَعْمَالِ البِرِّ، وَلْيَطوفُوا طَوافَ الوَدَاعِ بالبَيْتِ الحَرَامِ (البَيْتِ العَتِيقِ)، الذي هُوَ أَقْدَمُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْعِبَادَةِ.

ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ - ثُمَّ لْيُزِيلُوا بِالتَّحَلُّلِ مَا عَلِقَ بِهِمْ مِنْ أَوْسَاخٍ؛ أو ثُمَّ لِيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُمْ.

(٣٠) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ

(حُرُمَاتِ) (ٱلْأَنْعَامُ) (الأَوْثَانِ)

(٣٠) - وَهَذَا الذي أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنْ قَضَاءِ التَّفَثِ، والوَفَاءِ بالنُّذُورِ، والطَّوافِ بالبَيْتِ العَتِيقِ.. هُوَ الفَرْضُ الوَاجِبُ عَلَيْكُم، يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي حَجِّكُمْ، وَمَنْ يَجْتَنِبْ مَا أَمَرَ اللهُ بِاجْتِنَابِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ تَعْظِيماً مِنْهُ لِحُدُودِ اللهِ، فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي الآخِرَةِ.

وَأَحَلَّ اللهُ لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَأكُلُوا لُحُومَ الأَنْعَامِ إِذَا ذَكَّيْتُمُوهَا، فَإِنَّهُ

ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ

تعَالَى لَمْ يُحرِّمْ عَلَيْكم إلاَ مَا تلاَهُ عَلَيْكُمْ فِي القُرآنِ (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الخِنْزِير. .)(١) فابْتَعِدُوا عَن عِبادَةِ الأَوْثانِ، فَإِنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ، واتَّقُوا قَوْلَ الكَذِبِ والفِرْيَةِ عَلَى اللهِ بِأَنْ تَنْسُبُوا لَهُ وَلَداً. . أَوْ تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكاً فَإِنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ وَزُورٌ، وَاجْتَنِبُوا شَهادَةَ الزُّورِ التي يَشْهَدُ فِيهَا المَرْءُ بِغَيْرِ الحَقِّ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّهُ كَاذِبٌ.

الرِّجْسَ ـ القَذَرُ والنَّجَسُ وهو الأَوْثَانُ.

قَوْلَ الزُّورِ ـ قَوْلَ البَاطِلِ والكَذِبِ القَبِيحِ.

(٣١) حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ

(٣١) ـ وَتَمَسَّكُوا بِهَذِهِ الأُمُورِ عَلَى وَجْهِ الإِخْلاصِ والعِبَادَةِ للهِ، وحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ دُونَ شُرَكَاء، لأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ سِوَاهُ فَقَدْ أَهْلَكَ نَفْسَهُ، وَكَانَ حَالُهُ كَحَالِ مَنْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَخَطَّفَتْهُ الطَّيْرُ، فَفَرَّقَتْ أَجْزَاءَهُ فِي حَوَاصِلِهَا، أو كَمَنْ عَصَفَتْ بِهِ الرِّيحُ فَهَوَتْ بِهِ فِي المَهَاوِي العَمِيقَةِ. وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ البَرَاءِ: أَنَّ الكَافِرَ إِذَا تَوَفَّتْهُ مَلائِكَةُ المَوْتِ وَصَعِدُوا بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَلا تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ بَلْ تُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً مِنْ هُنَاكَ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ.

حُنَفَاءَ ـ مَائِلِينَ عَنِ البَاطِلِ إِلَى الدِّينِ الحَقِّ.

تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ ـ تُسْقِطُهُ وتَقْذِفُهُ.

مَكَانٍ سَحِيقٍ ـ مَوْضِعٍ بعيدٍ مُهلِكٍ.

(٣٢) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ

(شَعَائِرَ)

(٣٢) ـ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ تَعظِيمَ شَعَائِرِ اللهِ، واحْتِرَامَ أَوامِرِهِ، والالْتِزَامَ بِذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّقْوَى. وَمِنْ تعظِيمِ شَعَائِرِ اللهِ تعظِيمُ الهَدَايَا والبُدْنِ (الأَضَاحِي) واستِسْمَانُهَا واستِحْسَانُهَا. والتَّقْوى هِيَ الغايَةُ مِنْ مَناسِكِ الحجِّ وَشَعَائِرِهِ؛ وهَذِهِ المناسِكُ والشَّعَائِرُ ليسَتْ إِلاَّ رُموزاً تَعْبِيريةً عَنِ التوجُّهِ إِلَى ربِّ البيتِ وطاعَتِهِ.

شَعَائِرَ اللَّهِ ـ أوامِرَهُ أو البُدْنَ المُهدَاةَ إِلَى الحَرَمِ.

(٣٣) لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ

(مَنَافِعُ)

(٣٣) ـ والأَنْعَامُ التي يَتَّخِذُها الحُجَّاجُ هَدَايَا لِتُنْحَرَ فِي نِهَايَةِ أَيَّامِ الإِحْرَامِ، يَجُوزُ لِصَاحِبِها الانْتِفَاعُ بِهَا فَيَرْكَبُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ أَلْبَانِهَا وَيَسْتَفِيدُ مِنْ أَوْبَارِهَا وأَصْوافِها. حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ حِلِّهَا (مَحِلَّهَا) وَهُوَ

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

﴿٣٤﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ

﴿٣٥﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٣٦﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا

البَيْتُ الحَرَامُ، ثُمَّ تُنْحَرُ هُنَاكَ لِيَأْكُلَ مِنْهَا أَصْحَابُها؛ ولِيُطْعِمُوا البُؤسَاءَ والفُقَرَاءَ.

مَحِلُّهَا ـ وُجُوبُ نَحْرِها.

إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ ـ مُنْتَهِيَةً إِلَى أرضِ الحَرَمِ كُلِّهِ.

(واحِدٌ) (الأنْعام)

(٣٤) ـ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ أَهْلِ دِينٍ مِنَ الأَدْيَانِ السَّالِفَةِ ذَبْحاً يَذْبَحُونَهُ، وَدَماً يُرِيقُونَهُ (مَنسَكاً) عَلَى وَجْهِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ ذَلِكَ لَهُمْ لِكَيْ يَذْكُرُوا اللهَ حِينَ ذَبْحِها، وَيَشْكُرُوهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الخَيْرِ والصِّحَّةِ والأَنْعَامِ. ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ بِأَنَّهُ مُتَفَرِّدٌ بالأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مَعْبُودَكُمْ وَاحِدٌ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ العِبَادَاتُ بِحَسَبِ الأَزْمِنَةِ والأَمْكِنَةِ، وَنَسَخَ بَعْضُها بَعْضاً، فالمَقْصُودُ مِنْهَا جَمِيعاً عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَه الكَرِيمَ بِأَنْ يُبَشِّرَ عِبَادَه الخَاضِعِينَ المُسْتَكِينِينَ (المُخْبِتِين) لَهُ بِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي الآخِرَةِ.

المَنْسَكُ ـ العِبَادَةُ مُطْلقاً، ثُمَّ أُطْلِقَ اللَّفْظُ عَلَى شَعَائِرِ الحَجِّ وَيُرَادُ بِهَا هُنَا الذَّبْحُ وَإِرَاقَةُ الدَّمِ تَقَرُّباً إِلَى اللهِ.

المُخْبِتِينَ ـ المُطْمَئِنِّينَ، المُتَوَاضِعِينَ للهِ.

(والصَّابِرِينَ) (الصَّلاَةِ) (رَزَقْنَاهُمْ)

(٣٥) ـ وَيُعَرِّفُ اللهُ تَعَالَى المُخْبِتِينَ بِأَنَّهُمْ هُمُ الذين إذَا ذُكِرَ اللهُ خَشَعَتْ قُلُوبُهُمْ وَخَافَتْ (وَجِلَتْ)، والذين يَصْبِرُونَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ فِي الشَّدَائِدِ والمَصَائِبِ اسْتِسْلاماً لِقَضَائِهِ، والذين يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ، وَيُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا، والذِين يُنْفِقُونَ مِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ عَلَى أَهْلِهِم وأَقَارِبِهِم والمُحْتَاجِينَ، وَيُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِ اللهِ، مَعَ المُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِ اللهِ.

وَجِلَتْ قُلُوبُهم ـ خَافَتْ هَيْبَةً وَإِجْلالاً.

(جَعلْنَاهَا) (شعَائِر) (سَخَّرْنَاهَا)

(٣٦) ـ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى نَحْرَ الأَنْعَامِ فِي الحَجِّ شَعِيرَةً مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، يَتَقَرَّبُ النَّاسُ بِها إِلَى اللهِ، وَجُعِلَتْ فِيهَا الخَيْرَاتُ لِلنَّاسِ، وَهِيَ حَيَّةٌ تُرْكَبُ وَتُحْلَبُ، وَهِيَ ذَبِيحَةٌ تُهْدَى وَتُطْعَمُ. فَجَزاءُ مَا جَعَلَ اللهُ

ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

الأنْعَام خَيْراً للنَّاس ، فعَلَيْهِم أَنْ يَذْكُروا اسْمَ اللهِ عَلَيْها حِينَ ذَبْحِها، وأَنْ يَتَوجَّهُوا بِها إِلَيه وَهِيَ تُهَيَّأ لِلذَّبْح بَصَفٍّ قَوائِمِها، فَإذا نُحِرتْ وَماتَتْ، واطْمَأَنَّتْ جُنُوبُها عَلَى الأرْضِ (وَجَبَتْ) أَكَلَ مِنْهَا أَصْحابُها اسْتِحْسَاناً واسْتِحْباباً، وأَطْعَمُوا مِنْها الفَقِيرَ القَانِعَ الذي لا يَسْأَلُ، والفَقِيرَ المُعْتَرَّ الذي يَتَعَرَّضُ للسُّؤالِ . فَهَذه البُدْنُ سَخَّرَهَا اللهُ للنَّاسِ لِيَشْكُرُوهُ عَلَى مَا قَدَّرَ فِيهَا مِنَ الخَيْر، وهِي حَيَّةٌ وَهِيَ مَذْبُوحَةٌ .

شَعَائِرَ اللهِ - أَعْلامَ شَرِيعَتِه فِي الحَجِّ .

البُدْن - الإبْلُ المُهْداةَ إِلَى البَيْتِ لتُنْحَرَ عِنْدَهُ (وَقِيلَ إِنَّهَا تَشْمَلُ البَقَرَ أيْضاً) .

وَجبَتْ جُنُوبُها - سَقَطَتْ عَلَى الأرْضِ بَعْدَ النَّحْرِ واسْتَقَرَّتْ .

القَانِعُ - الفَقِيرُ الذي لا يَتَعرَّضُ للسُّؤالِ .

المُعْتَرُّ - الفَقِيرُ الذي يَتَعرَّضُ للسُّؤالِ .

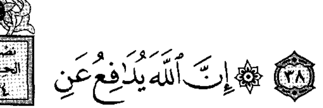
٣٧ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ
كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ
ٱلْمُحْسِنِينَ

(هَدَاكُمْ)

(٣٧) - إِنَّما شَرَعَ اللهُ لَكُمْ نَحرَ هَذِهِ الضَّحَايَا لِتَذْكُروا اسْمَ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِها، فَهُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ؛ وَهُوَ تَعالَى لاَ يَنالُه شيءٌ مِنْ لُحُومِها، ولا مِنْ دِمائِها، فَهُوَ الغَنِيُّ عَمَّنْ سِواهُ، يَتَقَبَّلُ الذَبِيحَةَ، ويَجْزِي عَلَيْها .

(وَكَانَ المُشْرِكُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا ذَبحُوا لآلِهَتِهِمْ، وَضَعُوا شَيْئاً مِنْ لُحُومِ قَرابِينِهِم ودِمائِها عَلَى أَصْنامِهِم) .

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَخَّرَ اللهُ لَكُمْ البُدْنَ لِتُعَظِّمُوهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ لِدِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَفِعْلِ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَنَهَاكُم عَنْ فِعْلِ المُنْكَرِ، وَعَنْ فِعْلِ مَا يَكْرَهُ. وَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ المُحْسِنِينَ فِي عَمَلِهِم ، القَائِمِينَ بِحُدُودِ اللهِ ، بِأَنَّ اللهَ سَيَجْزِيهِمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .



٣٨ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
خَوَّانٍ كَفُورٍ

(يُدَافِعُ) (آمَنُوا)

(٣٨) - والشَّعائِرُ والعِبادَاتُ لاَ بُدَّ لَهَا مِنْ حِمايَةٍ تَدْفَعُ عَنْها الذينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، وَتَمْنَعُهُمْ مِنَ الاعْتِداءِ عَلَى حُرِّيَةِ العَقِيدَةِ، وَحُرِّيَةِ العِبادَةِ ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَذِنَ اللهُ تَعالَى للمُسْلِمِينَ ، بَعْدَ الهِجْرَةِ، فِي قِتالِ المُشْرِكِينَ ، لِيَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَعَنْ عَقِيدَتِهِمْ ، اعْتِداءَ المُعْتَدِينَ ، وَلِيُحَقِّقُوا لأَنْفُسِهِمْ وَلِغَيْرِهِمْ حُرِّيَةَ العَقِيدَةِ، وحُرِّيَةَ العِبادَةِ ، وَوَعَدَهُم اللهُ النَّصْرَ وَالتَّمْكِينَ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَنْهَضُوا هُمْ بِتَكَالِيفِ عَقِيدَتِهِمْ التي بَيَّنَها لَهُمْ فِي الآيَاتِ التاليات .

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يُؤْذِنُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْهُم ، فَهُمْ

(٣٩) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ

(٤٠) ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ

فِي حِمَايَتِهِ، وَأَنَّهُ سَيَكفِيهِم شَرَّ الأَشْرَارِ وَكَيْدَ الفُجَّارِ، وَيَحْفَظُهُم وَيَكْلَؤُهُم. ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ من اتَّصَفَ بالخِيَانَةِ والغَدْرِ، وَعَدَمِ الوَفَاءِ بالعُهُودِ والمَوَاثِيقِ؛ وَكُفْرَانِ النِعْمَةِ وجُحُودِهَا، وَعَدمِ الاعْتِرَافِ بِهَا.

خَوَّانٌ كَفُورٌ - خَائِنٌ للأَمَانَاتِ، جَاحِدٌ لِلنِّعَمِ.

(يُقَاتَلُونَ)

(٣٩) - هَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الجِهَادِ، وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ خُروجِ النَّبِيِّ عليهِ السَّلاَمُ وَأَصْحَابِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ. يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ المُشْرِكِينَ قَدْ ظَلَمُوا المُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، وأَخْرَجُوهُم مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلاَ ذَنْبَ لَهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ آمَنُوا باللهِ، وَقَالُوا: رَبُّنَا اللهُ. وَلِذَلِكَ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالِ المُشْرِكِينَ، دَفْعاً لأَذَاهُم، وإِضْعَافاً لِشَوْكَتِهِم، وتَشْجِيعاً لِمَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي الإِسْلاَمِ عَلَى الالْتِحَاقِ بِالمُسْلِمِينَ لِيَكونُوا قُوَّةً تُدَافِعُ عَنْ نَفْسِها، وتُرْهِبُ أَعْدَاءَهَا الكفَّارَ، وإِنَّ اللهَ قَادِرٌ وَحْدَهُ عَلَى نَصْرِ المُسْلِمِينَ دُونَ عَوْنٍ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُرِيدُ مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْذُلُوا جُهْدَهُم فِي طَاعَةِ رَبِّهِم، وأَنْ يَقُومُوا بِوَاجِبِهِم فِي الدِّفَاعِ عَنْ أَنْفسِهِم وَدِينِهِم.

(دِيَارِهِمْ) (صَوَامِعُ) (وَصَلَوَاتٌ) (وَمَسَاجِدُ)

(٤٠) - وَهَؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ الذين ظُلِمُوا، هُمُ الذين أَخْرَجَهُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْ دِيَارِهِمْ لاَ لِذَنْبٍ ارْتَكَبُوهُ، وَلاَ لإِسَاءَةٍ صَدَرَتْ عَنْهُم، وَإِنَّمَا لأَنَّهُم قَالُوا كَلِمَةَ الحَقِّ: (رَبُّنَا اللهُ). وَهَؤُلاءِ المَظْلُومُونَ لاَ بُدَّ لَهُمْ مِنَ الدِّفَاعِ عَنْ أَنْفسِهِمْ، وَعَنْ عَقِيدَتِهِم بالقُوَّةِ. وَلَولا قِيَامُ المُؤْمِنِينَ بِدَفْعِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ عَن أَنْفسِهِم، وَعَنْ إِخْوَانِهِمْ، وعَنْ حُرِّيَّتِهِمْ فِي أَدَاءِ العِبَادَةِ لَسَادَ البَاطِلُ وَتَمادَى الطُّغَاةُ فِي طُغْيَانِهِم، وَلَهُدِّمَتِ البُيوتُ المُخَصَّصَةُ لِعِبَادَةِ اللهِ، مِنْ صَوَامِعِ رُهْبَانِ النَّصَارَى، وَبِيَعِهِمْ (كَنَائِسِهِمْ)، وَمَعَابِدِ اليَهُودِ (صَلَوَاتٌ)، وَمَسَاجِدِ المُسْلِمِينَ، وَلَما شَفَعَ لَهَا فِي نَظَرِ أَهْلِ الشِّرْكِ والكُفْرِ أَنَّهَا مُخَصَّصَةٌ لِلخَيْرِ، وَلِعِبَادَةِ اللهِ. والذي يَحْمِيهَا مِنَ الهَدْمِ والاعْتِدَاءِ هُوَ أَنْ يَقُومَ أَهْلُها بالدِّفَاعِ عَنْهَا، وَمَنْ يَنْصُرِ اللهَ يَنْصُرْهُ اللهُ، واللهُ قَوِيٌّ لاَ يُغْلَبُ، عَزِيزٌ لاَ يَحِلُّ بِهِ ضَيْمٌ.

صَوَامِعُ - مَعَابِدُ رُهْبَانِ النَّصَارَى.

بِيَعٌ - كَنَائِسُ النَّصَارَى

صَلَوَاتٌ - مَعَابِدُ اليَهُودِ

مَسَاجِدُ - مَسَاجِدُ المُسْلِمِينَ وجَوَامِعُهُمْ.

﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ

﴿٤٢﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ

﴿٤٣﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ

﴿٤٤﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

﴿٤٥﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ

(مَكَّنَّاهُمْ) (الصَّلاَةَ) (وآتَوْا) (الزَّكَاةَ) (عَاقِبَةُ)

(٤١) ـ وَيُتَابِعُ اللهُ تَعَالَى وَصْفَ المُؤْمِنِينَ المَظْلُومِينَ فَيَقُولُ: **إِنَّهُمُ** الذِينَ إِذَا مَكَّنَ اللهُ لَهُمْ فِي الأَرْضِ، وَحَقَّقَ لَهُمُ النَّصْرَ والغَلَبَةَ، وَجَعَلَ لَهُمُ العَاقِبَةَ، عَمِلُوا بِأَمْرِ اللهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَاهُم عَنْهُ، فَأَقَامُوا الصَّلاَةَ، وأَدَّوهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَدَفَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَأَمَرُوا بالمعْرُوفِ، وَحَثُّوا النَّاسَ عَلَى فِعْلِ الخَيْرِ وَمَا يُرْضِي اللهَ، وَنَهَوْا المُتَجَاوِزِينَ عَلَى حُدُودِ اللهِ عَنْ فِعْلِ المُنْكَرِ. وَعِنْدَ اللهِ حِسَابُ النَّاسِ جَمِيعاً فِي نِهَايَةِ المَطَافِ، وَلَهُ عَاقِبَةُ **الأُمُورِ**، فَيَجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى عَمَلِهِ.

(٤٢) ـ يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلاَقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ المُشْرِكِينَ لَهُ؛ فَيَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ قَوْمُكَ قَد كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ أَقْوَامُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمودَ أَنْبِيَاءَهُم.

(إِبْرَاهِيمَ)

(٤٣) ـ وَكَذَلِكَ كَذَّبَ إِبْرَاهِيمَ قَومُهُ، وَكَذَّبَ قَوْمُ لوطٍ **لُوطاً عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ**.

(أَصْحَابُ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٤٤) ـ وَكَذَّبَ أَهْلُ مَدْيَنَ نَبِيَّهُم شُعَيْباً، وَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ **مُوسَى**. وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْظَرَ هَؤلاءِ المُكَذِّبِينَ وأَخَّرَهُمْ (أَمْلَيْتُ لِلكَافِرِينَ)، **لَعَلَّهُم** يَثُوبُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الحَقِّ، وَلكنهم اغْتَرُّوا وَتَمَادَوْا فِي تَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ، **فَعَاقَبَهُم** اللهُ بِأَشَدِّ أَنواعِ العِقَابِ، فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارُهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَاقَبَتُهُ لَهُمْ عَلَى هَذِهِ الأَعْمَالِ؟

(وَفِي الحَدِيثِ ـ إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ).
فَأَمْلَيْتُ لِلكَافِرِينَ ـ أَمْهَلْتُهُمْ وأَخَّرْتُ عُقُوبَتَهُمْ.
كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ـ كَيفَ كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِم أَعْمَالَهُمْ إِذْ أَهْلَكْتُهم.

(أَهْلَكْنَاهَا)

(٤٥) ـ إِنَّ القُرَى التِي أَهْلَكَهَا اللهُ بِظُلْمِها وَكُفْرِها وَتَكْذِيبِها رُسُلَ اللهِ، هِيَ كَثِيرَةٌ (فَكَأَين) فَأَصْبَحَتْ **مُهَدَّمَةَ** البُنْيَانِ، قَدْ سَقَطَتْ **سُقُوفُهَا عَلَى** قِيعَانِهَا، وأَقْفَرَتِ الأَبْنِيَةُ مِنْ سَاكِنِيهَا، فَأَصْبَحَتْ **مُوحِشَةً** كَئِيبَةً، وَأَصْبَحَتِ الآبَارُ مُعَطَّلَةً مَهْجُورَةً لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَأْتِي إِلَيْهَا لِيَحْمِلَ مِنهَا المَاءَ، وأَصْبَحَتِ القُصُورُ، المَبْنِيَّةُ لِتَكُونَ حُصُوناً **وَمَعَاقِلَ** يَحْتَمِي أَصْحَابُهَا بِهَا، مَهْجُورَةً خَالِيَةً مِنْ سَاكِنِيهَا.

(٤٦) أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ

(آذانٌ) (الأَبْصارُ)

(٤٦) - يَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى فِي اسْتِنْكَارٍ عَنِ الأَثَرِ الذي تَرَكَهُ فِي نُفُوسِ المُشْرِكِينَ، وَهُمْ يَرَوْنَ مَا حَلَّ بالأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ هَلاكٍ وَدَمَارٍ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِم رُسُلَ رَبِّهِم إِلَيْهِم، وَمَا جَاؤُوهُم بِهِ مِنَ الآيَاتِ، مِنْ عِنْدِ رَبِّهِم، وَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلاءِ فِي الأَرْضِ فَيَرَوْا بِأَعْيُنِهِمْ مَا حَلَّ بِمَنْ سَبَقَهُم مِنَ مُكَذِّبِي الأُمَمِ الخَالِيَةِ مِنْ دَمَارٍ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَظُلْمِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَوَ لَمْ يَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ قَصَصَهُم وأَخْبَارَهُمْ؟ ثُمَّ أَلا يَعْقِلُونَ وَيَتَدَبَّرُونَ مَا يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا؟

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ يَرَوْنَ وَلَكِنَّهُم لا يَتَّعِظُونَ وَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ولا يَعْتَبِرُونَ، لأَنَّهُمْ عُمْيُ القُلُوبِ والبَصَائِرِ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ قُلُوبٌ مُبْصِرَةٌ لاتَّعَظَتْ وَتَفَكَّرَتْ فِيمَا تَرَاهُ العَيْنُ، لأَنَّ العَمَى لَيسَ هُوَ عَمَى العَيْنِ، وإِنَّمَا هُوَ عَمَى البَصِيرَةِ، أي القَلْبِ.

(٤٧) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ

(٤٧) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ الكُفَّارَ المُكَذِّبِينَ يَرَوْنَ آيَاتِ اللهِ، وَيرونَ ما حَلَّ بِمَنْ سَبَقَهم مِن المُكَذِّبِينَ، مِنْ دَمَارٍ وَهَلاَكٍ، وَلَكِنَّهُمْ لاَ يُدْرِكُونَ وَلاَ يَتَّعِظُونَ، وَيَسْخرونَ مِمَّنْ يَدْعُونَهم إِلَى اللهِ، وَمِمَّنْ يُحَذِّرُونَهُم عَقُوبَتَهُ وَعَذَابَهُ، وَهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَ العَذَابِ بِهِمْ، وَيَدْفَعُ بِهِمْ غُرُورُهُمْ إِلَى حَدِّ اسْتِعْجَالِ وَقوعِ العَذَابِ بِهِمْ، اسْتِبْعَاداً لَهُ وإِنْكَاراً، وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَه، وَلَنْ يُبَدِّلَ سُنَّتَهُ، فالعَذَابُ آتٍ فِي الوَقْتِ الذي حَدَّدَهُ اللهُ، وَقَدَّرَهُ وَفْقَ حِكْمَتِهِ، وَلاَ يُعَجِّلُه اسْتِعْجَالُ النَّاسِ. وَتَقْدِيرُ الزَمَنِ فِي حِسَابِ اللهِ غَيْرُهُ فِي حِسَابِ البَشَرِ وإِنَّ يَوْماً عِنْدَ اللهِ كَأَلفِ سَنَةٍ مِمَّا يَعُدُّهُ البَشَرُ مِن سِنِي أَرْضِهِمْ.

(٤٨) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ

(٤٨) - وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ ظَالِمَةٍ أَخَّرَ اللهُ إِهْلاَكَ أَهْلِهَا مَعَ اسْتِمْرَارِهِم عَلَى ظُلْمِهِمْ، فاغْتَرُّوا بِذَلِكَ التَّأخِيرِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بَأْسَهُ وعِقَابَهُ بِهِمْ، وَسَيلْقَوْنَ يومَ القِيَامَةِ حِسَاباً شَدِيداً عَسِيراً حِينَمَا يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى اللهِ. وَيَومُ القِيَامَةِ يَوْمٌ لاَ يَنْفَعُ النَّاسَ فِيهِ مَالٌ وَلا بَنُونَ. فَمَا بَالُ هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ يَسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِالوَعِيدِ؟.

(٤٩) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

(يا أَيُّها)

(٤٩) - وَحِينَمَا اسْتَعْجَلَ الكُفَّارُ وُقُوعَ العَذَابِ بِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنْ رَبِّي أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ نَذِيراً بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ حِسَابِكُمْ مِنْ شَيءٍ، وَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ

﴿٥٠﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

﴿٥١﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ

﴿٥٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

إِلَى الله إِنْ شَاءَ عَجَّلَ لَكُمُ العَذَابَ، وإِنْ شَاءَ أَخَّرَهُ عَنْكُم، وَإِنْ شَاءَ تَابَ عَلَى مَنْ يَتُوبُ إِلَيْه.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٥٠) - والذينَ آمَنَتْ قُلُوبُهم، وَصَدَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِم، فَإِنَّ الله تَعَالَى يَغْفِرُ لَهُمْ مَا سَلَفَ من سَيِّئَاتِهِمْ، وَتَقْصِيرِهِم، وَيُجَازِيهِم بالحُسْنَى عَلَى حَسَنَاتِهِمْ، وَيُدْخِلُهُم الجَنَّةَ، وَلَهُمْ فِيهَا رِزْقٌ كَرِيمٌ.

(آيَاتِنَا) (مُعَاجِزِينَ) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(٥١) - أَمَّا الذينَ بَذَلُوا جُهْدَهُم فِي رَدِّ دَعْوَةِ اللهِ، والتَكْذِيبِ بِها، وَسَعَوْا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ، وَسَعَوْا فِي تَعْطِيلِ آيَاتِ اللهِ، وَمَنْعِها مِنْ أَنْ تَفْعَلَ مَفْعُولَها فِي القُلُوبِ، فَأُولَئِكَ أَهْلُ الجَحِيمِ، وإِنْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَ الله وَيَفُوتُونَه هَرَباً.

(الشَّيْطَانُ) (آيَاتِه)

(٥٢)- أَوْرَدَتْ بَعْضُ كُتُبِ التَّفْسِيرِ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ قِصَّةً غَرِيبَةً تُعْرَفُ بِقِصَّةِ الغَرَانِيقِ. والغُرْنُوقُ طَائِرٌ أَبْيَضُ.. وَتَقُولُ القِصَّةُ إِنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَرَأَ فِي مَكَّةَ سُورَةَ النَّجْمِ فِي حُضُورِ جَمْعٍ مِنَ المُسْلِمِينَ والمُشْرِكِينَ فَلَمَّا بَلَغَ فِي قِراءَتِهِ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ والعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[1] أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ (تِلْكَ الغَرَانِيْقُ العُلَى وإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى) فَقَالَ المُشْرِكُونَ مَا ذَكَرَ آلِهَتَنا بخَيْرٍ قَبْلَ اليَوْمِ. فَلَمَّا خَتَمَ السُّورَةَ سَجَدَ وَسَجَدُوا. فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ الله (ﷺ) فَنَزَلَ تَسْلِيَةً لَهُ (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ.. الآيَةَ.)

وَلَكِنَّ عُلَمَاءَ المُسْلِمِينَ الثِّقَاتَ (مِثْلَ القَاضِي عِيَاضٍ والفَخْرِ الرَّازِيِّ والقَسْطَلَّانِي وابن إِسْحَاقٍ والامَامِ محمد عبده.. الخ يَقُولُونَ إِنَّه لَا يَجُوزُ عَلَى النَّبِيِّ تَعْظِيمُ الأَوْثَانِ. وَلَوْ جَوَّزْنَا ذَلِكَ لارْتَفَعَ الأَمَانُ عَن شَرْعِهِ، وَجَوَّزْنَا فِي كُلِّ واحِدٍ مِنَ الأَحْكَامِ والشَّرائِعِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ أي مَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ. وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ مِنْ وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ.

وأَفْرَدَ عَالِمُ حَلَبَ الجَلِيلُ الشَّيْخُ عَبْدُ الله سِرَاجُ الدِّين فَصْلاً مُطَوَّلاً فِي كِتَابِهِ (هَدْيِ القُرْآنِ الكريم الى الحجة والبرهان) لِنَفْيِ هَذِهِ القِصَّةِ، وَتَأْكِيدِ عَدَمِ جَوَازِ وُقُوعِها.

وَيَتَلَخَّصُ رَأْيُ القَائِلِين بِنَفْيِ القِصَّةِ فِي الآتي:

١)- يَمْتَنِعُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ

(١) سورة النجم، الآية: ٢٠.

٥٣ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ

٥٤ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

فِي مَدْحِ آلِهةٍ غَيرِ الله لأنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ. كَمَا يَمْتَنِعُ في حَقِّهِ أَنْ يَتَسَوَّدَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ، وَيُشَبِّهَ عَلَيْهِ القُرْآنَ حَتَّى يَجْعَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَيَعْتَقِد النَّبِيّ أَنّ مِنَ القُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ حَتَّى يُفْهِمَهُ جِبْرِيلُ ذَلِكَ.

٢)- يَمْتَنِعُ بِحَقِّ النَّبِيِّ(ﷺ) أَنْ يَقُول ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ عَمْداً أَو سَهْواً، فَالنَّبِيُّ مَعْصُومٌ مِنْ جَرَيَانِ الكُفْرِ عَلَى لِسَانِهِ أَوْقَلْبِهِ عَمْداً أَوسَهْواً، أَوْ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ مَا يُلْقِيهِ عَلَيْهِ المَلَكُ وَمَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ، أَوْ أَنْ يَكُونَ للشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ.

٣)- وَيَقُولُ العَالِمُ الهِنْدِيّ مُحَمَّد عَلي إن قِراءةَ الآيَاتِ مُتَسَلْسِلَةً تُظْهِرَ أنْ لَيْسَ مِنَ المَعْقُولِ أَنْ تُحْشَرَ بَيْنَهَا آيَاتٌ مُنَاقِضَةٌ لَهَا في أَصْلِ العَقِيدَةِ الاسْلاَمِيَّةِ. وَصُلْب دَعْوَة مُحَمَّد، دَعْوَة التَّوْحِيدِ.

٤)- وَيرى الامَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّد عَبْدُه أَنَّهُ يُمْكِنُ تَفْسِيرُ الآيَةِ بِمَا يَلِي:

لَمْ يُرْسِلِ الله رَسُولاً نَبِيّاً إلى قَوْمٍ إلاَّ وتَمنَّى أَنْ يَتَّبِعهُ قَوْمُهُ وأنْ يَسْتَجِيبُوا لِمَا يَدْعُوهُمْ إلَيْهِ. وَلَكِنْ مَا تَمَنَّى نَبِيّ وَلاَ رَسُولٌ هَذِهِ الأُمْنِيَةَ السَّامِيَةَ إلاَّ أَلْقَى الشَّيْطَانُ في سَبِيلِهِ العَوَائِقَ وأثَار الشُّكُوكَ وَوَسْوَسَ في صُدُورِ النَّاسِ، لِيَسْلِبَهُمْ القُدْرَةَ عَلَى الانْتِفَاعِ بِمَا وُهِبُوهُ مِنْ قُوَّةِ العَقْلِ، وسَلاَمَةِ الفِكْرِ، فَثَاروا في وَجْهِ النَّبِيِّ وصَدّوهُ عَنْ غَايَتِهِ. فإذَا ظَهرُوا في بَادِىءِ الأَمرِ ظَنّوا أَنَّهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَلَكِنَّ كَلِمَةَ الله سَتَكُون دَائِماً هِيَ العُلْيا، وَكَلِمَةُ الشَّيْطَانُ وأعوانِهِ هِيَ السُّفْلى دائماً.

(الشَّيْطَانُ) (الظَّالِمِينَ)

(٥٣) - فَأَمَّا الذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَشَكٌّ وَنِفاقٌ، أَوْ انْحِرافٌ (مِنَ المُنَافِقِينَ)، والقاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ مِنَ اليَهُود والكُفَّارِ والمعانِدِينَ فَيَجِدُونَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالِ مَادَّةً للجَدَلِ واللَّجَاجِ والشِّقَاقِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ.

(آمَنوا) (صِراطٍ)

(٥٤) - وَأَمَّا الذينَ أُوتُوا العِلْمَ والمَعْرِفَةَ فَتَطمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى بَيَانِ اللهِ، وَحُكْمِهِ الفَاصِلِ، لأَنَّهُمْ يُفَرِّقُونَ بالعِلْمِ الذي أُوتُوهُ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، فَيُؤْمِنُونَ بالحَقِّ وَيُصَدِّقُونَه، وَيَنْقَادُونَ إِلَيْهِ، وَتَخْضَعُ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَتَذِلُّ فَتُخْبِتُ، واللهُ يَهدي الذين آمنوا في الدُّنيا والآخِرَةِ إلى الطَّريقِ القَويمِ.
أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَيُرْشِدُهُم إِلَى الحَقِّ وإِلَى اتِّبَاعِهِ، وَيُوفِّقُهم إِلَى مُخَالَفَةِ البَاطِلِ وإِلَى اجْتِنَابِهِ، وفِي الآخِرَةِ يَهْدِيهِم إِلَى الطَّرِيقِ المُوْصِلِ إِلَى الجَنَّةِ، وَيُجَنِّبُهم نَارَ جَهَنَّمَ.

(٥٥) وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ

(٥٥) ـ أَمَّا الكُفَّارُ فَيَبْقَونَ فِي شَكٍّ وَتَرَدُّدٍ (مِرْيَةٍ)، مِنْ هَذَا القُرْآنِ (أو مِمَّا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ)، وَيَغْتَرُّونَ بِاللهِ، وَيَبْقَوْنَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَبْغَتَهُمْ عَذَابُ يَوم القِيَامَةِ، وَهُمْ فِي لَهْوِهِم واغْتِرَارِهِمْ.

يَوْمٌ عَقِيمٌ ـ هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ وسُمِّيَ عَقِيماً لأَنَّه نَهارٌ كُلُّهُ لا لَيْلَ لَهُ

مِرْيَةٍ ـ شَكٌّ وَقَلَقٍ مِنَ القُرْآنِ.

(٥٦) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ

(يَوْمَئِذٍ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتِ)

(٥٦) ـ وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَكُونُ السُّلْطَانُ القَاهِرُ، والتَّصَرُّفُ المُطْلَقُ للهِ فَيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِعَدْلِهِ، فَلا يَظْلِمُ أَحداً شَيْئاً، وَيَجْزِي الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَنَّاتٍ يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ دَائِمٌ.

(٥٧) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

(بِآيَاتِنَا) (فَأُوْلَئِكَ)

(٥٧) ـ أَمَّا الذينَ كَفَرُوا بالحَقِّ، وَجَحَدُوهُ، وكَذَّبُوا بِهِ، وَخَالَفُوا الرُّسُلَ، وَاسْتَكْبَروا عَنْ اتِّبَاعِهِمْ، فَيَجْزِيهِم اللهُ عَلَى اسْتِكْبَارِهِم وَجُحُودِهِمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مُخْزٍ فِي نَارِ جَهَنَّم يُذِلُّهُم وَيُخْزِيهِم.

(٥٨) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ

(الرَّازِقِينَ)

(٥٨) ـ والذينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَطَلَباً لِمَا عِنْدَهُ مِنْ أَجْرٍ وَثَوَابٍ، وَتركُوا الأَهْلَ والأَوْطَانَ، ثُمَّ قُتِلُوا وَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ مَاتُوا فِي مَهْجَرِهِم حَتْفَ أَنفِهِم، فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُمْ عَلَى اللهِ، وَسَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُم الجَزَاءَ الأَوْفَى، وَسَيُجْرِي عَلَيْهِم مِنْ فَضْلِهِ وَرِزْقِهِ فِي الجَنَّةِ لِتَقَرَّ عُيُونُهُمْ، واللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، فَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(٥٩) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ

(٥٩) ـ وَسَيُدْخِلُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ المُهَاجِرِينَ الذينَ عَمِلوا الصَّالِحَاتِ الجَنَّةَ (وهي المُدْخَلُ الذي يَرْضَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)، واللهُ عَلِيمٌ بِمَنْ هَاجَرَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الجَزَاءَ الحَسَنَ، وَهُوَ حَلِيمٌ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَيَصْفَحُ عَنِ السَّيِّئَاتِ.

مُدْخَلاً ـ الجَنَّةَ، أو دَرَجَاتٍ رَفِيعَةٍ فِيهَا.

(٦٠) ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

(٦٠) ـ وَكَمَا يَعِدُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ المُهَاجِرِينَ بِأَنْ يُدْخِلَهم مُدْخَلاً كَرِيماً، يَعِدُهم أَيْضاً بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، إِذَا هُمْ قَاتَلُوهُم وَبَغَوْا عَلَيْهِم. وأَخْرَجُوهُم مِنْ دِيَارِهِمْ.

فالذينَ يَقَعُ عَلَيْهِم العُدْوَانُ مِنَ البَشَرِ قَدْ لا يَحْلُمُونَ وَلا يَصْبِرُونَ فَيرُدُّونَ العُدْوَانَ، ويُعَاقِبُونَ بِمِثْلِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِم مِنَ الأذى، فَإِنْ لَمْ يَكُفَّ

٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ
فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي
ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ

٦٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ
وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ

٦٣ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ
مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ

المُعْتَدُونَ عَنْ عُدْوَانِهِم، وَعَادُوا إِلَى البَغْيِ عَلَى المَظْلُومِينَ، تَكَفَّلَ اللهُ عِنْدَئِذٍ بِنَصْرِ المَظْلُومِينَ على المُعْتَدِينَ. فَشَرْطُ هَـذَا النَّصْرِ أَنْ يَكُـونَ العِقَابُ قِصَاصاً عَلَى اعْتِدَاءٍ، لَا عُـدْوَاناً وَتَبَـطُّراً، وَأَلَّا يُجَاوِزَ العِقَـابُ العدوَانَ الواقِعَ دونَ مُغَالاةٍ. وَمَنْ قَامَ بِرَدِّ الاعْـتِـدَاءِ الوَاقِـعِ عَلَيهِ، وَلَمْ يَغْفِرْ فَإِنَّ اللهَ يَعْفُو عَنْهُ، وَيَغْفِرُ لَهُ لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ العَفُوُّ الغَفُورُ.

(نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقِيَتْ جَمَاعَةً مِنَ المُشْرِكِينَ فِي شَهْرٍ محرَّم، فَنَاشَدَهُمُ المُسْلِمون لِئَلَّا يُقَاتِلُوا في الشَّهْرِ الحَرَامِ فَأَبَى المُشْرِكُون إِلَّا قِتَـالَهُمْ، فَقَاتَلَهُمُ المُسْلِمُـونَ ونَصَرَهُمُ اللهُ عَلَيهم).

(اللَّيْلَ) (اللَّيْلِ)

(٦١) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى أَنَّهُ الخَـالِقُ المُتَصَرِّفُ في خَلْقِـهِ بِمَا يَشَاءُ، فَهُو القَادِرُ عَلَى نَصْرِ المَظْلُومِ الذِي بُغِيَ عَلَيْهِ، وَنَصْرُهُ هَيِّنٌ عَلَيهِ، كَمَـا أَنَّهُ قَـادِرٌ عَلَى جَعْلِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَارِ مُتَـدَاخِلَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ، يَتَنَـاوَبَانِ الطُّولَ وَالقِصَرَ، وَفِي ذٰلِكَ آيَةٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالى. وَلٰكِنَّ النَّـاسَ يَمُـرُّونَ عَلَى هٰذِهِ الآيَـاتِ غَافِلِينَ. وَاللهُ سَمِيـعٌ لِأَقْـوَالِ العِبَـادِ بَصِيـرٌ بِأَحْوَالِهِمْ.

يولج - يُدخِل.

(الْبَاطِلُ)

(٦٢) - وَذٰلِكَ الاتِّصَافُ بِكَمَالِ القُدْرَةِ، وَكَمَالِ العِلْمِ، إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الإِلهُ الحَقُّ الذِي لا تَنْبَغِي العِبَادَةُ إِلَّا لَهُ لِأَنَّهُ ذُو السُّلْطَانِ، فَمَـا شَاءَ كَـانَ. وَكُلُّ شَيءٍ فَقِيـرٌ إِليهِ ذَلِيـلٌ لَـدَيـهِ، وَإِنَّ الأَصْنَـامَ التِي يَدْعُونَها، والأَوْثَانَ التِي يَعْبُدُونها مِنْ دُونِ اللهِ هِيَ بَاطِلٌ لِأَنَّها لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَـرّاً وَلا نَفْعاً، واللهُ تَعَالَى هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، وَكُلُّ شَيءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا شَيءَ أَكْبَرُ مِنهُ وَلا شَيءَ أَعْلَى مِنْهُ.

(٦٣) - وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِـهِ تَعَالى، وَعَـظِيمِ شَأْنِـهِ أَنَّهُ يُنْزِلُ المَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْضَرُّ الأَرْضُ، وَتُنْبِتُ بِالنَّبَاتِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَيْتَةً. وَمِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى أَنْ تَتَحَرَّكَ النَّبَاتَاتُ في بَاطِنِ الأَرْضِ ثُمَّ تَشُقُّها وَتَخْرُجُ مِنْهَا. وَهُوَ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، لَا تَخْفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ، وَهُوَ تَعَالَى لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، خَبِيرٌ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ فَيُدَبِّرُها وَيَتَوَلَّاها بِعِنَايَتِهِ.

﴿٦٤﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ

(السَّماواتِ)

(٦٤) - وَجميعُ مَا فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ للهِ : خَلَقَهُ وَدَبَّرَهُ وَنَظَّمَهُ وَأَمَّنَ رِزْقَهُ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ جَميعِ مَخْلُوقَاتِهِ، مَحْمُودٌ في جَميعِ أَحْوالِهِ وأَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ .

﴿٦٥﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ

(لَرَؤُوفٌ)

(٦٥) - وَمِنْ إِحْسَانِهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ سَخَّرَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَيَوَانٍ وَجَمادٍ وَنَبَاتٍ لِيَنْتَفِعُوا بِهِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ المَرَاكِبَ التِي تَسيرُ في البَحْرِ، وَتَنْقُلُ النَّاسَ وَمَتَاعَهُمْ وَدَوابَّهُمْ مِنْ مَكَانٍ إِلى آخَرَ وَرفَعَ السَّماءَ بِقُدْرَتِهِ وأَمْسَكَهَا وَمَنَعَهَا بِلُطْفِهِ مِنْ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ، وَلَوْ شَاءَ لأَذِنَ لَهَا فَسَقَطَتْ عَلَى الأَرْضِ فَدَمَّرَتْها وَأَهْلَكَتْ مَنْ فِيها، وَلٰكِنَّ اللهَ رَؤُوفٌ بالنَّاسِ رَحِيمٌ، يَحْلُمُ عَلَيْهِمْ، وَيَرْأَفُ بِحَالِهِمْ، مَعَ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَٱسْتِكْبَارِهِمْ .

﴿٦٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ

(الإِنْسَانَ)

(٦٦) - فَكَيفَ تَجْعَلُونَ للهِ أَنْداداً، وَتَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ المُسْتَقِلُّ بِالخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّصَرُّفِ، وَقَدْ أَوْجَدَكُمْ وَمَنَحَكُمُ الحَيَاةَ، وَلَمْ تَكُونوا شَيئاً، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ مِيتَةَ الحَقِّ التِي فَرَضَها عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَكُمْ مِنْ جَدِيدٍ يَوْمَ القِيامَةِ لِيُجَازِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَلٰكِنَّ الإِنْسَانَ يَرَى كُلَّ ذٰلِكَ وَيُدْرِكُهُ، إِلاَّ أَنَّهُ يَكْفُرُ بِرَبِّهِ، وَيَجْحَدُ بِآلائِهِ لأَنَّهُ كَثِيرُ الكُفْرِ، شَدِيدُ الجُحُودِ.

﴿٦٧﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ

(فَلا يُنَازِعُنَّكَ)

(٦٧) - وَلَقَدْ جَعَلْنا لِكُلِّ أُمَّةٍ، مِنَ الأُمَمِ ذَاتِ الشَّرائِعِ السَّابِقَةِ، شَرْعاً وَمِنْهَاجاً (مَنْسَكاً)، يَسِيرونَ عَليه، وَيَعْمَلُونَ بِهِ وَيَعْبُدُونَ اللهَ وَفْقَهُ إِلى أَنْ يَنْسَخَهُ مَا يَأْتِي بَعْدَهُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ التَّوراةَ شَرِيعَةً لِلْيَهُودِ حَتَّى مَبْعَثِ عِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ، وَجَعَلَ الإِنْجِيلَ شِرْعَةً للنَّصَارَى حَتَّى مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ، وَجَعَلَ القُرآنَ شِرْعَةً لِلْمُسْلِمينَ لأَنه نَسَخَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الشَّرائِعِ، فَلا تَتْرُكْ يَا مُحمَّدُ هٰؤُلاءِ المُتَمَسِّكِينَ بِالشَّرائِعِ المَنْسُوخَةِ يَصْرِفُوكَ، بِمُنَازَعَتِهِمْ لَكَ، عَنِ الحَقِّ الذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَتَابِعْ طَرِيقَكَ، وَأَدِّ مَهَمَّتَكَ فِي إِبلاغِ الدَّعْوةِ للنَّاسِ فَإِنَّكَ عَلَى طَرِيقِ الهُدَى المُسْتَقِيمِ الوَاضِحِ .

مَنْسَكاً - شَرِيعَةً خَاصَّةً أَوْ نُسُكاً وَعِبَادَةً.

(٦٨) وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(جادلوك)

(٦٨) - فإذا جادلك هؤلاء الضالون فاختصر الجدل معهم، لأنهم لا يسعون إلى الاستيضاح والتعلم، وإنما يجادلونك تعنتاً، وقل لهم: الله أعلم بما تعملون، وبما ترمون إليه من جدلكم، وهو تعالى يحصي عليكم أعمالكم، ويحاسبكم عليها جميعاً.

(٦٩) ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

(القيامة)

(٦٩) - والله يجمع الناس جميعاً يوم القيامة، ويحكم بعدله بينهم وسيحكم بينك وبين هؤلاء الضالين فيما اختلفتم فيه من أمور الدين، فيتبين المحق من المبطل.

(٧٠) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ

(كتاب)

(٧٠) - يلفت الله تعالى نظر نبيه ﷺ، ونظر الناس، إلى أنه هو الذي خلق السماوات والأرض، وخلق جميع ما فيهما من مخلوقات، وهو عالم بحال كل مخلوق صغير أو كبير، وقد سطر كل ذلك في كتاب لديه (اللوح المحفوظ أو أم الكتاب) وليس ذلك صعباً على قدرته تعالى، وهي قدرة لا حدود لها.

(٧١) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ

(سلطاناً) (للظالمين)

(٧١) - ويعبد هؤلاء المشركون أصناماً وأوثاناً وأنداداً من دون الله، ليس لهم في عبادتها حجة ولا برهان، ولا علم لهم فيما اختلقوه، وفيما ادعوه، وإنما نقلوه عن أسلافهم، فساروا عليه بدون تمحيص، ولا إعمال عقل فيه. ويتوعدهم الله تعالى على كفرهم هذا بأن الظالمين لن يجدوا لهم من ينصرهم من الله فيما يحل بهم من العذاب والنكال يوم القيامة.

سلطاناً - حجة وبرهاناً.

(٧٢) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم

(آياتنا) (بينات)

(٧٢) - وإذا قرئت على هؤلاء المشركين، العابدين غير الله، آيات القرآن البينات، وذكروا بما فيها من حجج وبراهين، ودلائل على وجود الله ووحدانيته وعظمته، تتبدل ملامح وجوههم، وتثور نفوسهم، ويهمون بالبطش بالذين يقرؤون عليهم آيات الله، ويذكرونهم بها، ويكادون يبادرونهم بالضرب والشتم (يسطون بهم).

بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

فقُلْ يا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ: إنَّ النَّارَ التي أَعدَّها اللهُ للكافِرِينَ لِيُعَذِّبَهُمْ فِيهَا هِيَ أَشدُّ وَأَقْسَى وَأَعْظَمُ مِمَّا تُخَوِّفُونَ بِهِ أولياءَ اللهِ المُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا؛ وَبِئْسَ النَّارُ مَنْزِلاً وَمُقاماً وَمَصِيراً، يَوْمَ القِيَامَةِ، للذينَ كَفَرُوا.

المُنْكَر ـ الأَمْرُ المُسْتَقْبَحُ.

يَسْطُونَ ـ يَثِبُونَ وَيَبطِشُونَ غَيْظاً وَغَضَباً.

(يَا أَيُّهَا)

﴿٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟
ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن
يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا
لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ

(٧٣) ـ يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى تَفَاهَةِ الأَصْنَامِ، وَسَخَافَةِ عُقُولِ عَابِدِيهَا، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ جعَلَ المُشْرِكُونَ لِي أَشْبَاهاً وَأَنْدَاداً مِنَ الأَصْنَامِ والأَوْثَانِ التي يَعبُدُونَهَا مَعِي، فَأَنْصِتُوا وَتَفَهَّمُوا حَالَ هَؤُلَاءِ المَعْبُودِينَ: لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ مَنْ يَعْبُدُهُم البَشَرُ مِنْ دُونِ اللَّـهِ عَلَـى أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً لَمَا اسْتَطَاعُوا، وَلَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ، وَهُمْ عاجِزُونَ عَنْ مُقَاوَمَةِ الذُّبَابِ إِذَا سَلَبَهُمْ شَيْئاً مِمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ طِيبٍ وَغَيْرِهِ، وَلَوْ أَرادُوا اسْتِنْقَاذَهُ مِنْهُ لِمَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا عَجزَ هَؤُلَاءِ عَنْ خَلْقِ الذُّبَابِ، وَعَنْ مُقَاوَمَتِهِ، وَهُوَ من أَضْعَفِ مَا خَلَقَ اللهُ، فَهُمْ أَعْجَزُ عَنِ الإِتْيَانِ بِشَيءٍ آخَرَ، فَكَيْفَ يَعْبُدُهـم عَاقِلٌ؟ ضَعُفَ الصَّنَمُ الطَّالِبُ، وَضَعُفَ الذُّبَابُ المَطْلُوبُ.

﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ

(٧٤) ـ مَا عَرَفَ هَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ قَدْرَ اللهِ وَعَظَمَتَهُ حِينَ أَشْرَكُوا مَعَهُ فِي العِبَادَةِ سِوَاهُ مِنَ الأَصْنَامِ التِي لاَ تَسْتَطِيعُ مُقَاوَمَةَ الذُّبَابِ لِضَعْفِهَا وَعَجْزِها. واللهُ هُوَ القَادِرُ الذِي خَلَقَ الكَوْنَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، وَلاَ يُعْجِزُه خَلْقٌ وَلاَ مَخْلُوقٌ، وَهُوَ العَزِيزُ الذي لاَ يُضام وَلاَ يُرَامُ.

مَا قَدَرُوا اللهَ ـ مَا عَظَّمُوه، أَوْ مَا عَرَفُوه.

(المَلائِكَةِ)

﴿٧٥﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ

(٧٥) ـ اقْتَضَتْ مَشِيئَةُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَخْتَارَ رُسُلاً مِنَ مَلاَئِكَتِهِ الكِرَامِ، فِيمَا يَشَاءُ إِبْلاَغَهُ إِلَى رُسُلِهِ مِنَ البَشَرِ، وَأَنْ يَخْتَارَ رُسُلاً مَنَ البَشَرِ لإِبْلاَغِ رِسَالاَتِهِ إِلَى النَّاسِ، فَكَيْفَ تَقْتَرِحُونَ عَلَى مَنْ اخْتَارَهُ اللهُ رَسُولاً إِلَيْكُمْ؟ وَاللهُ سَمِيعٌ لأَقْوَالِ العِبَادِ، بَصِيرٌ بِأَحْوَالِهِمْ. عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُم أَنْ يَخْتَارَهُ اللهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ.

﴿٧٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ

(٧٦) ـ يَعْلَمُ اللهُ تَعَالَى مَا يَفْعَلُهُ رُسُلُه وَمَلاَئِكَتُهُ فِيمَا أَرْسَلَهُم بِهِ، فَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَهُوَ سُبْحَانَه رَقِيبٌ عَلَيْهِم، شَهِيدٌ عَلَى مَا يُقَالُ لَهُمْ، حَافِظٌ لَهُمْ وَنَاصِرٌ. وَإِلَيهِ تَعَالَى يَرْجِعُ أَمْـرُ الخَلْقِ كُلِّهِم يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُحَاسِبُهُم وَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ (٧٧) سجدة

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (٧٨)

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(٧٧) - يَأْمُر اللهُ المؤمِنِينَ بِعِبَادَتِهِ، وَبِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَبِالرُّكُوعِ والسُّجُودِ له، وَبِفِعْلِ الخَيْرِ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُوصِلُهُمْ إِلَى الخَيْرِ والفَلاحِ فِي الدُّنْيَا. والآخِرَةِ.

(وَجَاهِدُوا) (اجْتَبَاكُمْ) (إِبْرَاهِيمَ) (سَمَّاكُمُ) (الصَّلاَةَ) (وآتُوا) (الزَّكَاةَ) (مَوْلاَكُمْ)

(٧٨) - يَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِالجِهَادِ فِي اللهِ حَقَّ الجِهَادِ وأَخْلَصَهُ: بِالأَمْوالِ والأَنْفُسِ والأَلْسِنَةِ، فَقَدْ اصْطَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، واخْتَارَهُمْ عَلَى مَنْ سِواهُم، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مَا لاَ يُطِيقُونَ، وَلَمْ يُلْزِمْهُم بِشَيْءٍ يَشُقُّ عَلَيْهِم إِلاَّ جَعَلَ لَهُمْ مِنْهُ فَرَجاً وَمَخْرَجاً، وَلَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْهِم فِي شَيْءٍ مِنْ أُمورِ دِينِهِم، بَلْ وَسَّعَ عَلَيْهِم، كَمَا وَسَّعَ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ (وَنَصبَ (مِلَّةَ) عَلَى تَقْدِيرِ الزَمُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ)، وَقَد سَمَّاهُم اللهُ تَعَالَى بِالمُسْلِمين فِي شَرْعِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ، وَفِي هَذَا القُرْآنِ (مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا). وَقَدْ جَعَلَ اللهُ المُسْلِمِينَ أُمَّةً وَسَطاً عُدُولاً لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لأَنَّ النَّاسَ جَمِيعاً يَعْتَرِفُونَ بِفَضْلِ المُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ ، فَلِهَذَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ عَلَيْهِم ، فِي أَنَّ الرُّسُلَ أَبْلَغَتْهُم رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، والرَّسُولُ يَشْهَدُ عَلى هَذِهِ الأُمَّةِ أَنَّهُ أَبْلَغَهَا مَا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيهِ، فَلْيُقَابِلِ المُسْلِمُونَ هَذِهِ النِعْمَةَ العَظِيمَةَ بالقِيَامِ بِشُكْرِ اللهِ عَلَيهَا، وَأَداءِ حَقِّ اللهِ فِيمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِم، و مِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ إِقَامَةُ الصَّلاَةِ وأَداؤها حَقَّ أَدَائِها، وَدَفْعُ الزَّكَاةِ، والاعْتِصَامُ بِاللهِ، وَالاسْتِعَانَةُ بِهِ، والاتِّكَالُ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَوْلاَهُمْ وَحَافِظُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ، وَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّاصِرِ عَلَى الأَعْدَاءِ.

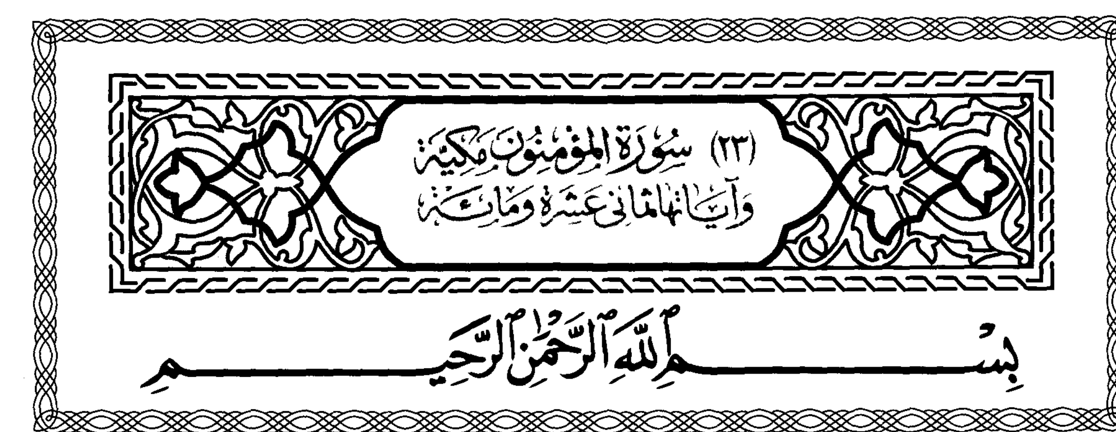
(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ - بُعِثْتُ بالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ). وَأَوْصَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى حِينَما بَعَثَهُمَا أَمِيرَيْنَ عَلَى اليَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا: بَشِّرا وَلاَ تُنَفِّرَا ، وَيَسِّرا وَلاَ تُعَسِّرا).

الجِهَادُ - بَذْلُ الجُهْدِ فِي مُدَافَعَةِ العَدُوِّ.

هو اجْتَبَاكُم - اخْتَارَكُم لِدِينِهِ وعِبَادَتِهِ ونُصْرَتِهِ.

حَرَجٌ - ضِيقٌ بِتَكْلِيفٍ يَشُقُّ وَيَعْسُرُ.

هُوَ مَوْلاَكُم - مَالِكُكُمْ وَنَاصِرُكُمْ ومُتَوَلِّي أَمْرِكُم.



الجزء ١٨ الحزب ٣٥

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾

(١) ـ لَقَدْ فَازَ المُؤْمِنُونَ المُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وسَعِدُوا وَأَفْلَحُوا.
الإِفْلاَحُ ـ الفَوْزُ بِالبُغْيَةِ بَعْدَ سَعْيٍ واجْتِهَادٍ.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾

(خَاشِعُونَ)

(٢) ـ الذينَ خَشَعَتْ قُلُوبُهم وَخَافَتْ مِنَ اللهِ، وَسَكَنَتْ. والخُشُوعُ فِي الصَّلاَةِ إِنَّمَا يَحْصلُ لِمَنْ فَرَغَ قَلْبُه لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا سِوَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِها، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ رَاحةً لَهُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ.
خَاشِعُونَ ـ مُتَذَلِّلُونَ خَائِفُونَ سَاكِنُون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

(٣) ـ والذينَ يَنْصَرِفُونَ إِلَى الجِدِّ، وَيُعْرِضُونَ عَمَّا لاَ فَائِدَةَ مِنْهُ مِنَ الأَفْعَالِ والأَقْوالِ (اللَّغْو). وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾[1]، أَيْ إِنَّهُمْ لاَ يَتوقَّفُونَ وَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ.
اللَّغْو ـ مَا لاَ يَجْمُل مِنَ القَوْلِ والفِعْلِ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ۝٤﴾

(لِلزَّكَاةِ) (فَاعِلُونَ)

(٤) ـ والذينَ يُطَهِّرُونَ أَنْفُسَهُم بِتَأْدِيَةِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ. وَهذِهِ الآيَةُ مَكِّيَّةٌ، وَزَكَاةُ المَالِ فُرِضَتْ فِي المَدِينَةِ، لِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ المَقْصُودَ بالزَّكَاةِ هُنَا زَكَاةُ النَّفْسِ مِنَ الشِّرْكِ والدَّنسِ. (وَيَرَى ابنُ كَثِيرٍ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ المَقْصُودُ بِهَا كِلاَ الأمرَيْنِ، زَكَاةَ النفسِ وطَهَارَتِهَا، وزكَاةَ الأَمْوَالِ لأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ زَكَاةِ النَّفْسِ).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥﴾

(حَافِظُونَ)

(٥) ـ والذينَ يَحْفَظُونَ فُرُوجَهُم فَلاَ يُقَارِفُونَ مُحَرَّماً، وَلاَ يَقَعُونَ فِيمَا نَهَاهُم اللهُ عَنْهُ مِنْ زِنىً وَغَيْرِهِ.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

﴿٦﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ

(أَزْوَاجِهِمْ) (أَيْمَانُهُمْ)

(٦) - وَلاَ يَقْرَبُونَ سِوَى مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهم مِنْ إمَاءٍ. وَمَنْ بَاشَرَ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ فَهُوَ غَيْرُ مَلُومٍ فِي ذَلِكَ.

﴿٧﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ

(فَأُولَئِكَ)

(٧) - فَمَنْ تَجَاوَزَ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الحَرَامِ، فَهُوَ مِنَ المُعْتَدِينَ، المُتَجَاوِزِينَ حُدُودَ مَا شَرَعَ اللهُ.

العادُونَ - المُعْتَدُونَ المُتَجاوِزُونَ الحَلاَلَ إِلَى الحَرَامِ.

﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ

(لأَمَانَاتِهِمْ) (رَاعُونَ)

(٨) - وَالذينَ إذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا أَمَانَاتِهِم، بَلْ يُؤَدُّونَها إِلَى أَهْلِهَا، وإِذَا عَاهَدُوا أو عَاقَدُوا أَوْفَوا بِذَلِكَ، وَلَمْ يَخُونُوا وَلَمْ يَغْدُرُوا، وبَقوا مُحَافِظِينَ عَلَى عُهُودِهِمْ وأَمَانَاتِهِمْ وعُقُودِهِمْ.

﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ

(صَلَوَاتِهِمْ)

(٩) - والذينَ يُداوِمُونَ عَلَى أَدَاءِ صَلَوَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ، يُؤَدُّونَهَا فِي مَوَاقِيتِهَا، ويُتِمُّونَها بِخُشُوعِها، وسُجُودِها، حَتَّى تُؤَدِّي المَقْصُودَ مِنْهَا، وَهُوَ خَشْيَةُ اللهِ، والانْتِهَاءُ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ.

﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ

(أُوْلَئِكَ) (الْوَارِثُونَ)

(١٠) - وبَعْدَ أَنْ عَدَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أوصَافَ المُؤْمِنِينَ الحَمِيدَةَ قَالَ إِنَّ الذينَ اتَّصَفُوا بهذِهِ الصِّفَاتِ الرَّفِيعَةِ يَرِثُونَ الجَنَّةَ، وَيَتَبَوَّءُونَ أَعْلَى مَرَاتِبِها، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا زَيَّنُوا بِهِ أَنْفُسَهُم مِنَ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ، والآدَابِ العَالِيَةِ، وَيَبْقَونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَ وَلَهُ مَنْزِلانِ: مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ. فَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الوارِثُونَ**﴾. (أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أبي هُرَيْرَة).

﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(خالِدُونَ)

(١١) - فَهَؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ هُمُ الذينَ يَرِثُونَ مَنَازِلَ الكُفَّارِ فِي الجَنَّةِ، وَيَبْقَونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبداً. وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ (إِذَا سَأَلْتُم اللهَ الجَنَّةَ

فَاسْأَلوهُ الفِرْدَوْسَ فَإِنَّه أَعْلَى الجَنَّةِ وأَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ).

(١٢) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ

(الإِنْسَانَ) (سُلاَلَةٍ)

(١٢) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ بَدْءِ خَلْقِ الإِنْسَانِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، أَيْ إِنَّ اللهَ تَعَالَى اسْتَلَّهُ مِنَ الطِّينِ، وفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى المُوجِبَةِ لِلإِيْمَانِ بِهِ.

السُّلاَلَةُ - مَا اسْتُلَّ مِنَ الشيءِ واسْتُخْرِجَ مِنْهُ أو خُلاَصَتُهُ.

(١٣) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ

(جَعَلْنَاهُ)

(١٣) - ثُمَّ جَعَلَ اللهُ نَسْلَ آدَمَ مُتَحَدِّراً مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ضَعِيفٍ (مَهِينَ)، فَتَخْرُجُ النُّطْفَةُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الأُنْثَى، وَتَكُونُ النُّطْفَةُ فِي حِرْزٍ حَصِينٍ فِي وَقْتِ الحَمْلِ، إِلَى حِينِ الوِلاَدَةِ. والرَّحِمُ مَحْفُوظٌ بِعِظَامِ الحَوْضِ.

قَرَارٍ مَكِينٍ - مُسْتَقِرٌّ مُتَمكِّنٍ وَهُوَ الرَّحِمُ.

(١٤) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ

(عِظاماً) (الْعِظَامَ) (أَنْشأْنَاهُ) (آخَرَ) (الخَالِقِينَ)

(١٤) - ثُمَّ صَيَّرَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً مِنْ دَمٍ. ثُمَّ صَيَّرَ العَلَقَةَ مُضْغَةً - أَيْ قِطْعَةً مِنْ لَحْمٍ بِقَدرِ مَا يُمْضَغُ - ثُمَّ أَعْطَى هَذِهِ المُضْغَةَ شَكْلَ المَخْلُوقِ، فَأَخَذَ فِي إِظْهَارِ الرأسِ واليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ وَمَلاَمِحِ الوَجْهِ. وَخَلَقَ العِظَامَ وَكَسَاهَا لَحْماً، ثُمَّ جَعَلَ هَذَا الجَنِينَ خَلْقاً آخر بَعْدَ وِلاَدَتِهِ. ذَا سَمْعٍ وَبَصرٍ وَصَوْتٍ وَحَرَكَةٍ وَإِدْرَاكٍ، مُغَايِراً لِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي بَدْءِ تَكْوِينِهِ، ثُمَّ يَتَطَوَّرُ فِي النُّمُوِّ. فَتَبَارَكَ اللهُ، وَتَنَزَّهَ عَلَى هَذِهِ القُدْرَةِ، وَعَلَى هَذَا الخَلْقِ.

عَلَقَةً - دَماً مُتَجَمِّداً.

مُضْغَةً - قِطْعَةَ لَحْمٍ قَدْرَ مَا يُمْضَغُ

خَلْقاً آخَرَ - مُبَايِناً للأَوَّلِ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ.

أَحْسَنُ الخَالِقِينَ - أَتْقَنُ الصَّانِعِينَ والمُصَوِّرِينَ.

(١٥) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ

(١٥) - وَبَعْدَ هَذِهِ النَّشْأَةِ الأُولَى مِنَ العَدَمِ، تَصِيرُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَى المَوْتِ لاَ مَحَالَةَ.

﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ

﴿١٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ

﴿١٨﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ

(الْقِيامَةِ)

(١٦) - ثُمَّ يُعِيدُ اللهُ إِنْشَاءَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَبْعَثُكُم مِنْ قُبُورِكُم، لِيُحَاسِبَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عَلَى عَمَلِهِ.

(طَرائِقَ) (غافِلِينَ)

(١٧) - وبَعْدَ أنْ أشارَ تعالَى إلى خَلْقِ الإنْسانِ وَمَوْتِهِ وَبَعْثِهِ، أَشارَ إِلَى قُدْرَتِهِ تَعالَى في خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ، وما أَبْدَعَ فِيهِنَّ. فَيَقُولُ تَعالَى. إنَّهُ خلَقَ سَبْعَ طَرائِقَ؛ وَهٰذِهِ الطَّرائِقُ تَعني السماواتِ السَبْعَ - وهٰذا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماوَاتُ السَبْعُ والأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[1] وَهٰذِهِ الطرائِقُ السَبْعُ كائِنَةٌ فَوْقَ الأَرْضِ، أوْ تُحِيطُ بالأَرْضِ، بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، أوْ خَلْفَ بَعْضٍ، وَقَدْ خَلَقَها اللهُ بِحِكْمَةٍ وَتَدْبيرٍ، وَحَفِظَها بِنامُوسٍ مَحْفُوظٍ فَهِيَ مُتَناسِقَةٌ فِي وَظائِفِهَا وَفِي اتِّجاهِهَا، وَحَكَمَها بِنامُوسٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّها تَتَعاوَنُ في أَداءِ وَظائِفِها، وَلَمْ يَكُن اللهُ تَعالَى غافِلاً عَمَّا خَلَقَ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ، ولَوْ أَهْمَلَ الخَلْقَ لاخْتَلَّ تَوازُنُهُ واضْطَرَبَ فِي سَيْرِهِ.

(فَأَسْكَنَّاهُ) (لَقادِرُونَ)

(١٨) - يَقُولُ تَعالَى: إنَّهُ أنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَطَراً (مَاءً)، بِحَسَبِ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، لا كَثِيراً فَيُفْسِدُ الأَرْضَ والعُمْرانَ، وَلا قَلِيلاً فَلا يَكْفِي الزُّرُوعَ والثِّمارَ (بِقَدَرٍ)، وَيَسْتَقِرُّ هٰذا الماءُ فِي الأَرْضِ.. وَجَعَلَ فِي الأَرْضِ اسْتِعْداداً للانْتِفاعِ بِهِ لإخْراجِ النَّباتِ والثِّمارِ والزُّرُوعِ. وَلَوْ شاءَ اللهُ أَنْ لا تُمْطِرَ السَّماءُ لَفَعَلَ، وَلَوْ شاءَ اللهُ صَرْفَ المَطَرِ عَنِ النَّاسِ إلى الأَراضِي السَّبِخَةِ التي لا تُنْبِتُ لَفَعَلَ، وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ مِلْحاً يَضُرُّ بالأَرْضِ والنَّباتِ ولا يُنْتَفَعُ بِهِ لَفَعَلَ. وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ يَغُورُ فِي الأَرْضِ فَلا يُوصَلُ إِلَيْهِ لَفَعَلَ ذٰلِكَ أيضاً. وَلٰكِنَّهُ تَعالَى بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمُ المَطَرَ عَذْباً فَيُسْكِنُهُ فِي الأَرْضِ وَيَسْلُكُهُ يَنابِيعَ فِيها فَيَفْتَحُ العُيُونَ والأَنْهارَ، وَتُسْقَى بِهِ الزُّرُوعُ والثِّمارُ، تَشْرَبُونَ مِنْهُ أَنْتُم وَدَوابُّكُم وأَنْعامُكُمْ وَتَسْتَعْمِلُونَه فِي طُهُورِكُم وَنَظافَتِكُم فَلِلَّهِ الحَمْدُ والمِنَّةُ.

بِقَدَرٍ - بِمِقْدارِ الحَاجَةِ والمَصْلَحَةِ.

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٤٤.

(١٩) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

(٢٠) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ

(٢١) وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

(٢٢) وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ

(٢٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ

(جَنَّاتٍ) (أَعْنَابٍ) (فَوَاكِهُ)

(١٩) - فَأَخْرَجَ اللهُ بِهَذَا الماءِ الذي أَنْزَلَهُ مِنَ السماءِ بَسَاتِينَ وحَدَائِقَ (جَنَّاتٍ)، فِيهَا النَّخِيلُ والأَعْنَابُ والزَّيْتُونُ وغَيْرُها مِنَ الفَوَاكِهِ الكَثِيرَةِ التي يَأْكُلُهَا النَّاسُ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا.

(لِلآكِلِينَ)

(٢٠) - وَيُخرِجُ اللهُ تَعَالَى بِهَذَا الماءِ أيضاً شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ، وَهِيَ شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي جَبَلِ طُورِ سينَاءَ، الذي كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ. وَشَجَرَةُ الزَّيْتُونِ المُبَارَكَةُ يُسْتَخْرَجُ مِنْ ثَمرِهَا الزَّيْتُ (تَنْبُتُ بالدُّهْنِ)، وَيَكُونُ زَيْتُها إِدْماً يُؤْتَدَمُ بِهِ فِي الطَّعَامِ (وَصِبغٍ لِلآكِلِينَ).
(وَفِي الحَدِيثِ: كُلوا الزَّيْتَ وادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ).
(أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ)

شَجَرَةً تَنْبُتُ بالدُّهْنِ -شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ التي يَلْتَبِسُ ثَمرُهَا بالزَّيْتِ.
صِبْغٍ لِلآكِلِينَ - إِدَامٍ لَهُمْ يُغْمَسُ فِيهِ الخُبْزُ.

(الأَنْعَامِ) (مَنَافِعُ)

(٢١) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى مَا جَعَلَ فِي الأَنْعَامِ -وَهِيَ الإِبلُ والبَقَرُ والغَنَمُ والمَاعِزُ- مِنْ مَنَافِعَ لِخَلْقِهِ، فَهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَيَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِهَا، وَيَلْبَسُونَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وأَشْعَارِهَا، وَيَرْكَبُونَ عَلَى الإِبْلِ وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ فِي خَلْقِ هَذِهِ الأَنْعَامِ عِبْرَةً لِلنَّاسِ، وَدَلالَةً عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، فَالدَّمُ الذي يَتَوَلَّدُ مِنَ الأَغْذِيَةِ يَتَحَوَّلُ فِي غُدَدِ الضرْعِ إِلَى لَبَنٍ طَيِّبِ المَذَاقِ، لَذِيذِ الطَّعْمِ، صَالِحٍ لِلتغْذِيَةِ.

الأَنْعَامُ - الإِبْلُ والبَقَرُ والغَنَمُ والمَاعِزُ.
لَعِبْرَةً - لَعِظَةً وَآيَةً عَلَى القُدْرَةِ والرَّحْمَةِ.

(٢٢) - وَيَرْكَبُ النَّاسُ عَلَى ظُهُورِ الأَنْعَامِ وَفِي السُّفُنِ والمَرَاكِبِ (الفُلْكِ)، وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ وَيَنْتَقِلُونَ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ.

(يا قَوْمِ)

(٢٣) - لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى نُوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى قَوْمِهِ لِيَدْعُوهُم إِلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَيُحَذِّرَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَبَأْسِهِ الشَّدِيدِ، وَانْتِقَامِهِ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ، وخَالَفَ أَمْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، أَفَلا تَخَافُونَ عِقَابَهُ فَتَحْذَرُوا أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ سِوَاهُ؟

(٢٤) فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ

(٢٥) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ

(٢٦) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ

(٢٧) فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ

(المَلأُ) (مَلائِكَةً) (آبائِنَا)

(٢٤) - فَقَالَ السَّادَةُ الكُبَراءُ مِنْ قَوْمِهِ (المَلأ): لَيْسَ نُوحٌ إِلاّ بَشَراً مِثْلَكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَرَفَّعَ عَلَيْكُمْ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ فَكَيْفَ أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِكُمْ وَهُوَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لاَ يَفْضُلُكُمْ بِشَيءٍ؟ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ نَبِيّاً لَبَعَثَ مَلَكاً مِنْ عِنْدِهِ لاَ بَشَراً، وَنَحْنُ لَمْ يَأتِنَا عَنْ أَسْلاَفِنَا وآبائِنَا الأَوَّلِينَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ رُسُلاً مِنَ البَشَرِ، ولاَ سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ نُوحٌ مِنْ عِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ

المَلأُ - وُجُوهُ القَوْمِ والسَّادَةُ.

يَتفضَّلَ عَلَيْكُمْ - يَتَرَأَّس وَيَشْرُف عَلَيْكُمْ

(٢٥) - وَهُوَ رَجُلٌ بِهِ جُنُونٌ (جِنَّةٌ)، فِيمَا يَزْعُمُهُ مِنْ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُم، وَاخْتَصَّهُ بِالوَحْيِ مِنْ بَيْنِكُمْ، فَانْتَظِرُوا حَتَّى يُوَافِيَهُ أَجَلُهُ، وَاصْبِروا عَلَيْهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ فَتَرْتَاحُوا مِنْهُ.

(وَقِيلَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: اصْبِروا عَلَيْهِ فَلَعَلَّهُ يَضِيقُ بِمَا هُوَ فِيهِ فَيَرْجِعُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَى دِينِ الآبَاءِ والأَجْدَادِ)

بِهِ جِنَّةٌ - بِهِ جُنُونٌ، أَوْ جِنٌّ يَخْبُلونَهُ.

فَتَرَبَّصُوا بِهِ - انْتَظِرُوا واصْبِرُوا عَلَيْهِ.

(٢٦) - وَبَعْدَ أَنْ دَعَاهُمْ نُوحٌ مُدَّةً طَوِيلَةً سِرّاً وَجَهْراً، لَيْلاً وَنَهَاراً، وَلَمْ يَرَ مِنهُمْ إِلاّ عِنَاداً وَإِصْرَاراً عَلَى الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ، أَدْرَكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ رَجَاءَ فِيهِمْ، فَدَعَا رَبَّهُ مُسْتَنصِراً بِهِ عَلَيْهِم ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[1]، وَهُنَا يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ نُوحاً دَعَا رَبَّهُ لِيَنْصُرَهُ عَلَى قَوْمِهِ المُكَذِّبِينَ.

(تُخَاطِبْنِي)

(٢٧) - فَأَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ حِينَ اسْتَنْصَرَنَا عَلَى قَوْمِهِ الكَفَرَةِ، أن اصْنَعِ السَّفِينَةَ بِأَعْيُنِنَا وَتَحْتَ حِفْظِنَا وَرِعَايَتِنَا لَكَ مِنَ التَّعَدِّي عَلَيْكَ، وَتَعْلِيمِنَا إِيَّاكَ طَرِيقَةَ صُنْعِهَا، فَإِذَا جَاءَ قَضَاؤُنَا بِإِهْلاَكِ قَوْمِكَ وَعَذَابِهِمْ، وَأَخَذَ المَاءُ يَنْبُعُ مِن وَجْهِ الأَرْضِ حَتَّى وَصَلَ فِي ارْتِفَاعِهِ إِلَى التَّنُّورِ - وَهُوَ مَوْضِعُ النَّارِ - فَفَارَ، فَأَدْخِلْ فِي السَّفِينَةِ أَهْلَكَ - أَوْلاَدَكَ وَنِسَاءَهم إِلاَّ مَنْ سَبَقَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اللهِ أَنَّهُ هَالِكٌ ضِمْنَ مَنْ سَيَهْلِكُ، فَلاَ تَحْمِلْهُ مَعَكَ -، وَأَدْخِلْ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ حَيَوانٍ زَوْجَيْنِ ذَكَراً وأُنْثَى لِتَبْقَى بُذُورُ الحَيَاةِ، بَعْدَ أَنْ تَهْلِكَ الخَلاَئِقُ بِالطُّوفَانِ. وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى نُوحاً بِأَلا

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٠

تَأْخذَهُ الرأْفَةُ فِيمَنْ كفَرَ مِنْ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ وقَضى اللهُ بإِهْلاَكِهِ. وَأَعْلَمَهُ تَعالَى بِأَنَّهُ قَضى بِأَنَّهُمْ مُغْرَقُون لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ والعُتُوِّ، فَعَلَيْهِ أَنْ لاَ يَرجُو مِنْ رَبِّهِ إِنْجَاءَهَم.

بِأَعْيُنِنا ـ بِرِعَايَتِنا وَحِفْظِنَا.

فَارَ التَّنُّورُ ـ نَبَعَ الماءُ مِنَ التَّنورِ المَعْرُوفِ.

فَاسْلُكْ فِيهَا ـ فَأَدْخِلْ فِي السَّفِينَةِ.

(٢٨) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

(نجّانا) (الظَّالِمِين)

(٢٨) ـ فَإِذَا رَكِبْتَ فِي السَّفِينَةِ، وَاطْمَأْنَنْتَ أَنْتَ وَمَنْ حَمَلْتَهُم مَعَكَ فِيهَا، فَقُلْ: الحَمْدُ للهِ الذِي نَجَّانَا مِنْ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ الظَّالِمِينَ.

(٢٩) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ

(٢٩) ـ وَقُلْ إِذَا سَلِمْتَ مِنَ الغَرَقِ، وَخَرَجْتَ مِنَ السَّفِينَةِ: رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَاركاً، تَطِيبُ الإِقَامَةُ فِيهِ عِنْدَ النُّزُولِ إِلَى الأَرْضِ، وَهَبْ لِي الأَمْنَ فِيهِ، وَأَنْتَ يَا رَبِّ خَيْرُ مَنْ أَنْزَلَ عِبَادَهُ المَنَازِلَ.

مُنْزَلاً ـ إِنْزَالاً أَوْ مَكَانَ إِنْزَالٍ.

(٣٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ

(لآيَاتٍ)

(٣٠) ـ وَإِنَّ فِيمَا فَعَلْنَاهُ بِقَوْمِ نُوحٍ، مِنْ إِهْلاَكِهِمْ إِذْ كَذَّبُوا رَسُولَنَا، وَجحَدُوا بِآيَاتِنَا، وَكَفَرُوا بِوحْدَانِيَّتِنا وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ، لَعِبْرَةً لِقَوْمِكَ المُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ، وَحُجَّةً لَنَا عَلَيْهِم يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى سُنَّتِنا فِي أَمْثَالِهِمْ. لَعَلَّهُم يَزْدَجِرُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ وَغَيِّهِم، وَيَكُفُّونَ عَنْ تَكْذِيبِهِم وَعِنَادِهِمْ. وَقَدْ كُنَّا مُخْتَبِرِيهِمْ بِالتَّذْكِيرِ بِهَذِهِ الآيَاتِ لَنَنْظُرَ مَاذَا يَفْعَلُونَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِم العُقُوبَةُ (وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلين).

لَمُبْتَلِينَ ـ لَمُخْتَبِرِينَ عِبَادَنَا بِهَذِه الآيَاتِ.

(٣١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ

(آخَرِينَ)

(٣١) ـ ثُمَّ أَوْجَدَ اللهُ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ أَقْوَاماً آخَرِينَ (قَرْناً)، يَخْلفُونَهم فِي الأَرْضِ ـ وَقِيلَ إِنَّهُم قَوْمُ عَادٍ لأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَخْلَفِينَ بَعْدَهُم ـ وَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ مَا قَالَهُ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلاَمِ لِقَوْمِهِ وَهُوَ يُحَذِّرُهم وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ ﴿واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[1].

قَرْناً آخَرِينَ ـ أُمَماً آخَرِينَ. أُمَماً أُخْرَى وَهُمْ عَادٌ الأُولى قَوْمُ هُودٍ.

(١) سورة الاعراف، الآية: ٦٩.

(٣٢) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ

(٣٢) - وإنه تعالى أرسل فيهم رسولاً منهم، هو هود عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقال لهم: يا قوم اعبدوا الله، وأطيعوه، دون الأوثان والأصنام، فإن العبادة لا تنبغي إلا لله وحده، أفلا تخافون عقابه أن يحل بكم إذا عبدتم الأصنام، وتركتم عبادته وحده بلا شريك.

(٣٣) وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ

(الآخِرَةِ) (وَأَتْرَفْنَاهُمْ) (الْحَيَاةِ)

(٣٣) - وقال الكبراء المترفون من قوم هذا النبي، وهم الذين كفروا بربهم، وكذبوا بيوم القيامة، لمن حولهم من المستضعفين من قومهم: إن هذا المدعي بأن الله أرسله إليكم رسولاً، إن هو إلا بشر يأكل ويشرب كما تفعلون أنتم، فكيف يمكن أن يكون بشر رسولاً من الله؟

أترفناهم - نعمناهم ووسعنا عليهم فبطروا.

(٣٤) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ

(وَلَئِنْ) (لَخَاسِرُونَ)

(٣٤) - وإنكم إذا آمنتم لبشر مثلكم، وصدقتم بما جاءكم به، وعبدتم الإله الذي يدعوكم لعبادته.. فإنكم تكونون من الخاسرين، لأنكم لن تنتفعوا بطاعته.

(٣٥) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ

(عِظَاماً)

(٣٥) - ثم قال الكبراء للمستضعفين ساخرين: أيعدكم هذا المدعي أنكم ستبعثون من قبوركم بعد أن تكون عظامكم وأجسادكم قد بليت وأصبحت تراباً، فكيف يمكن أن يكون ذلك؟

(٣٦) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ

ربع الحزب ٣٥

(٣٦) - إن ما يعدكم به من بعث وحشر ونشر، بعيد جداً ولا يمكن أن يكون.

هيهات - بَعُدَ وقوع ذلك الموعود.

(٣٧) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ

(٣٧) - فهي حياة نعيشها في هذه الدنيا، ثم نموت بعدها، وتأتي بعدنا أجيال أخرى للحياة، وهكذا دواليك وبالموت ينتهي كل شيء، فلا بعث مرة أخرى، ولا نشور ولا حساب.

(٣٨) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ

(٣٨) ـ وَقَالَ هَؤُلَاءِ المُكَذِّبُونَ عَنْ رَسُولِهِم: إِنَّهُ يَخْتَلِقُ الأَكَاذِيبَ عَلَى اللهِ، وَيَدَّعِي أَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْهِ، وَهَذَا كُلُّهُ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ، وَنَحْنُ لَا نُصَدِّقُ شَيْئاً مِمَّا يَقُولُ عَنْ رِسَالَتِهِ، وَعَنِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَالحَيَاةِ بَعْدَ المَوْتِ.. وَلَنْ نُؤْمِنَ لَهُ، وَلَنْ نَتَّبِعَهُ.

(٣٩) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ

(٣٩) ـ وَلَمَّا يَئِسَ الرَّسُولُ مِنْ إِيمَانِهِمْ بَعْدَ قَوْلِهِم (وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ)، دَعَا رَبَّهُ مُسْتَنْصِراً بِهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى هَؤُلَاءِ المُكَذِّبِينَ، وَأَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُم.

(٤٠) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ

(نَادِمِينَ)

(٤٠) ـ فَأَجَابَ اللهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ، وَقَالَ لَهُ، إِنَّ قَوْمَهُ سَيُصْبِحُونَ، خِلَالَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، نَادِمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِم رَسُولَ رَبِّهِم، حِيْنَمَا يَحِلُّ بِهِم العَذَابُ.

(٤١) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

(فَجَعَلْنَاهُمْ) (الظَّالِمِينَ)

(٤١) ـ فَأَخَذَتْهُم صَيْحَةُ العَذَابِ، وَقَدْ كَانُوا لِمِثْلِهَا مُسْتَحِقِّينَ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ (بالحَقِّ)، فَأَصْبَحُوا هَلْكَى لَا غَنَاءَ فِيهِمْ، وَلَا فَائِدَةَ تُرْجَى مِنْهُم، كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُم. وَفِي هَذَا مِنَ المَذَلَّةِ وَالمَهَانَةِ وَالاسْتِخْفَافِ بِهِمْ مَا لَا يَخْفَى، وَإِنَّ الذي يَنْزِلُ بِهِمْ فِي الآخِرَةِ مِنَ العِقَابِ وَالمَهَانَةِ لَأَعْظَمُ مِمَّا حَلَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِ عَظِيمُ العِبْرَةِ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ.

الغُثَاءُ ـ الشيءُ الحَقِيرُ الذي لَا يُنْتَفَعُ بِهِ الذي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مَعَهُ، أَيْ إِنَّ هَؤُلَاءِ الكُفَّارَ أَصْبَحُوا هَالِكِينَ لَا قِيمَةَ لَهُم.

الصَّيْحَةُ ـ العَذَابُ الشَّدِيدُ ـ أَوْ هِيَ صَوْتُ الزِّلْزَالِ.

فَبُعْداً ـ فَهَلَاكاً، أو بُعْداً مِنَ الرَّحْمَةِ.

(٤٢) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ

(آخَرِينَ)

(٤٢) ـ ثُمَّ أَنْشَأَ اللهُ أُمَماً وَأَجْيَالاً آخَرِينَ بَعْدَ إِهْلَاكِهِ عَاداً، مِنْهُم ثَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ، وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ قَوْمُ شُعَيْبٍ، وَقَوْمُ لُوطٍ.

قُرُوناً آخَرِين ـ أُمَماً أُخْرَى.

(٤٣) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ

(يَسْتَأْخِرُونَ)

(٤٣) ـ وَلَا تَتَقَدَّمُ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ المُهْلَكَةِ الوَقْتَ الذي قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَى لِهَلَاكِهَا، وَلَا تَسْتَأْخِرُ عَنْهُ، فَلِكُلِّ شَيءٍ مِيقَاتٌ يَتِمُّ فِيهِ، وَلَا يَتَعَدَّاهُ.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤)

(تَتْرَى) (وَجعلْنَاهُمْ) (كُلَّمَا)

(٤٤) - ثُمَّ أَوْجَدَ اللهُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ المُهْلَكِينَ أُمماً (قُروناً) أُخْرَى، وأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً يَدْعُوهُم إِلَى اللهِ، وَيُبَلِّغُهُمْ رِسَالَاتِهِ، وأَتْبَعَ اللهُ الرُّسُلَ بَعْضَهُمْ بَعْضاً (تَتْرَى)، وَكُلَّمَا جَاءَ رَسُولٌ إِلَى القَوْمِ الذينَ أُرْسِلَ إِلَيهِمْ، كَذَّبَهُ جُمْهُورُ الكُبَرَاءِ والقَادَةِ، فَأَهْلَكَهُم اللهُ، وأَلْحَقَهُمْ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ المُهْلَكِينَ، وَجعَلَهُمْ أَخْبَاراً وأَحَادِيثَ يَتَحَدَّثُ بِهَا النَّاسُ. فَأَبْعَدَ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ القَوْمَ الذينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ رُسُلَهُ.

تَتْرَى - مُتَتَابِعِينَ عَلَى فَتَرَاتٍ.

جَعَلْنَاهُم أَحادِيثَ - مُجَرَّدَ أَخْبَارٍ لِلتَّعَجُّبِ والتَّلَهِّي.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (٤٥)

(هَارُونَ) (بِآيَاتِنَا) (وَسُلْطَانٍ)

(٤٥) - ثُمَّ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى، بَعْدَ الرُّسُلِ الذينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، مُوسَى وَهَارُونَ بالآيَاتِ، والحُجَجِ الدَّامِغَاتِ، والبَرَاهِينِ القَاطِعَاتِ.

سُلْطَانٍ مُبِينٍ - بُرْهَانٍ مُبِينٍ مُظْهِرٍ لِلْحَقِّ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٤٦)

(وَمَلَئِهِ)

(٤٦) - أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ القَادَةِ والكُبَرَاءِ (مَلَئِهِ)، فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِهَا والإِيْمَانِ بِهَا، وَبِمَا جَاءَهُم بِهِ رَسُولا رَبِّهِمْ، من الإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ تَعْذِيبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (كَما جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)[1]، وَكَانُوا قَوْماً مُتَعَالِينَ، دَأْبُهُم العُتُوُّ وَالبَغْيُ عَلَى النَّاسِ.

قَوْماً عَالِينَ - مُتَكَبِّرِينَ، أو مُتَطَاوِلِينَ بالظُّلْمِ.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ (٤٧)

(عَابِدُونَ)

(٤٧) - وقَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ: كَيْفَ نُؤمِنُ لِرَجُلَيْنِ مِنَ البَشَرِ مِثْلِنَا، وَقَوْمُهُمَا، بَنُو إِسْرَائِيلَ المَوْجُودُونَ فِي مِصْرَ، مُسَخَّرُونَ مُسْتَذَلُّونَ، يَخْضَعُونَ لَنَا وَيَعْبُدُونَ فِرعَونَ؟

(وَهَذَا فِي رَأْيِ فِرْعَوْنَ أَدْعَى إِلَى الاسْتِهَانَةِ بِمُوسَى وَهَارُونَ، وإِلَى عَدَمِ التَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَا بِهِ).

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ (٤٨)

(٤٨) - فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، مُوسَى وَهَارُونَ، فَأَهْلَكَهُمْ اللهُ تَعَالَى أَجْمَعِينَ وَأَغْرَقَهُمْ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَخَذَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٧.

٤٩ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

(آتَيْنا) (الْكِتَاب)

(٤٩) ـ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى (الكِتَابَ)، وَفِيهَا أَحْكَامٌ، وَأَوَامِرُ، وَنَواهٍ مِنَ اللهِ، لِيَسْتَهْدِيَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِمَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الحَقِّ، وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرَائِعِ.

٥٠ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ

(آيَةً) (وَآوَيْنَاهُمَا)

(٥٠) ـ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ جَعَلَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمرانَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، آيَةً لِلنَّاسِ، وَبُرْهَاناً قَاطِعاً عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَشَاءُ، فَقَدْ أَوْجَدَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبٍ، خِلاَفاً لِمَا جَرَتْ بِهِ العَادَةُ، وَأَنْطَقَهُ وَهُوَ فِي المَهْدِ، وَأَبْرَأَ عَلَى يَدَيْهِ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، وَأَحْيَا المَوْتَى بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَجَعَلَهُ وأُمَّهُ يَنْزِلاَنِ فِي مَكَانٍ مِنَ الأَرْضِ (رَبْوَةٍ) تَطِيبُ فِيهِ الإِقَامَةُ وَيَحسنُ فِيهِ النَّبَاتُ، فِيهِ المَاءُ والخُضْرَةُ.

المَعِين ـ المَاءُ الجَارِي.

ذَاتِ قَرَارٍ ـ ذَاتِ خِصْبٍ.

آوَيْنَاهُما ـ صَيَّرْنَاهُمَا وَأَوْصَلْنَاهُمَا.

٥١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

(يَا أَيُّها) (الطَّيِّبَاتِ) (صَالِحاً)

(٥١) ـ يَأْمُرُ اللهُ عِبَادَهُ المُرْسَلِينَ بالأَكْلِ مِنَ الحَلاَلِ الطَّيِّبِ، والقِيَامِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ شُكْراً للهِ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الحَلاَلَ عَوْنٌ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ، والرُّسُلُ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ لَهُم اللهُ تَعَالَى: إِنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لاَ يَخفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ وَقَدْ قَامَ الرُّسُلُ عَلَيْهِم السَّلاَمُ بِأَمْرِ اللهِ أَتَمَّ قِيَامٍ، وَجَمَعُوا بَيْنَ كُلِّ خَيْرٍ قَوْلاً وَعَمَلاً وَدَلاَلَةً وَنُصْحاً.

٥٢ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ

(٥٢) ـ إِنَّ دِينَكُم، يَا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ، دِينٌ وَاحِدٌ، وَمِلَّتَكُمْ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَدِينُكُمْ هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُم اللهُ تَعَالَى إِنَّهُ رَبُّهُمْ فَعَلَيْهِم أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَيَتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ.

أُمَّتُكُم ـ مِلَّتُكُمْ وَشَرِيعَتُكُم.

٥٣ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

(٥٣) ـ لَقَدْ مَضَى الرُّسُلُ عَلَيْهِم السَّلاَمُ أُمَّةً وَاحِدَةً، أَصْحَابَ عِبَادَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِذَا بالنَّاسِ مِنْ بَعْدِهِمْ أَحْزَابٌ وَفِرَقٌ وَجَمَاعَاتٌ مُتَنَازِعَةٌ لاَ تَلْتَقِي عَلَى مَنْهَجٍ وَلاَ طَرِيقٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم يَحْسِبُ نَفْسَهُ مِنَ المُهْتَدِينَ فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ، وَيُعْجَبُ بِهِ.

(والمَعْنَى أَنَّهُمْ تَنَازَعُوا الأَمْرَ وتَجَاذَبُوهُ حَتَّى مَزَّقُوهُ بَيْنَهُمْ مِزَقاً، وَقَطَّعُوهُ فِي أَيْدِيهِمْ قِطَعاً، ثُمَّ مَضَى كُلُّ حِزْبٍ بِالمزْقَةِ التي خَرَجَتْ بِيَدِهِ فَرِحاً وَهُوَ لاَ يُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ آخَرَ).

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ - تفرّقُوا فِي أَمْرِ دِينِهِمْ

زُبُراً - قِطَعاً وَمِزَقاً وَأَحْزَاباً مُخْتَلِفَةً.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٥٤)

(٥٤) - وَبَعْدَ أَنْ أَدَّيْتَ يَا مُحَمَّدُ الرِّسَالَةَ، وَأَبْلَغْتَهَا إِلَى النَّاسِ، دَعِ الكَافِرِينَ فِي جَهَالَتِهِمْ وَضَلاَلِهِم (غَمْرَتِهِمْ)، فَرِحِينَ مَشْغُولِينَ، حَتى يَفْجَأَهُمْ المَصِيرُ حِينَ يَحِينُ مَوْعِدُهُ.

الغَمْرَةُ - أَصْلاً هِيَ المَاءُ الذي يَغْمُرُ القَامَةَ وَيَسْتُرُهَا وَيُرَادُ بِهَا هُنَا الجَهَالَةُ والضَّلاَلَةُ.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ (٥٥)

(٥٥) - أَيَظُنُّ هَؤُلاَءِ المَغْرُورُونَ أَنْ مَا نُعْطِيهِمْ مِنَ الأَمْوَالِ والأَوْلاَدِ هُوَ كَرَامَةٌ لَهُمْ عَلَيْنَا، وَإِجْلاَلٌ لأَقْدَارِهِمْ لَدَيْنَا، كَلاَّ. إِنَّ مَا نُعْطِيهِمْ هُوَ إِمْهَالٌ وَاسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ فِي المَعَاصِي لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَطُغْيَاناً.

مَا نُمِدُّهُم بِهِ - مَا نَجْعَلُهُ مَدَداً لَهُمْ.

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٦)

(الْخَيْرَاتِ)

(٥٦) - هَلْ يَظُنُّ هَؤُلاَءِ أَنَّنَا نُعْطِيهِمْ ذَلِكَ لِكَرَامَتِهِمْ عَلَيْنَا، وَلِمَنْزِلَتِهِم عِنْدَنَا، وَأَنَّ هَذَا الإِمْدَادَ بِالأَمْوَالِ والأَوْلاَدِ مَقْصُودٌ بِهِ المُسَارَعَةُ لَهُمْ بِالخَيْرَاتِ، وَإِيثَارُهُمْ بِالنعْمَةِ والعَطَاءِ؟

إِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَتَوَهَّمُونَ، إِنَّنَا فِي الحَقِيقَةِ نَبْتَلِيهِم وَنَفْتِنُهم، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بِمَا يَنْتَظِرُهُمْ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ سوءِ المَصِيرِ، وَمِنْ شَرٍّ مُسْتَطِيرٍ.

(وَفِي الحَدِيثِ: إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُم أَخْلاَقَكُم كَمَا قَسَمَ بَيْنَكم أَرْزَاقَكُمْ، وإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ، وَلاَ يُعْطِي الدِّينَ إِلاَّ لِمَنْ أَحَبَّهُ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلاَ يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ (٥٧)

(٥٧) - إِنَّ الذينَ هُمْ، مَعَ حَسَنَاتِهِمْ، وَإِيمَانِهِمْ، وَعَمَلِهِم الصَّالِحِ، مُشْفِقُونَ خَائِفُونَ مِنَ اللهِ، وَجِلُونَ مِنْ مَكْرِهِ بِهِمْ.

مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ حَذِرُونَ.

﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ

(بِآيَاتِ)

(٥٨) - وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ التِي نَصَبَها فِي الكَوْنِ، فِي الأَنْفُسِ وَالآفاقِ، وَبِآيَاتِهِ التِي نَزَّلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، وَيُوقِنُونَ بِهَا، لاَ يَعْتَرِيهِم شَكٌ فِيهَا، كَمَا يُوقِنُونَ بِأَنَّ مَا كَانَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدَرِ اللهِ وَقَضَائِهِ.

﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ

(٥٩) - وَهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ وَحْدَهُ، وَلاَ يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً، وَيُنَزِّهُونَه عَنِ الشِّرْكِ وَعَنِ الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ

﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ

(آتَوْا) (رَاجِعُونَ)

(٦٠) - وَهُمْ يَنْهَضُونَ بِالتَّكَالِيفِ والوَاجِبَاتِ المَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ، وَيُؤَدُّونَ الطَّاعَاتِ والنَّوَافِلَ، وَيَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مُقَصِّرُونَ فِي جَانِبِ اللهِ تَعَالَى. وَيَسْتَقِلُّونَ كُلَّ طَاعَةٍ إِلَى جَانِبِ آلاءِ اللهِ وَنِعَمِهِ، وَيَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ طَاعَاتُهُم لِخَوْفِهِمْ مِنَ أَنْ يَكُونُوا قَصَّرُوا فِي شُرُوطِ أَدَائِهَا، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُم رَاجِعُونَ إِلَى رَبِّهِم، وَسَيُحَاسِبُهُمْ وَسَيُحَاسِبُ جَمِيعَ الخَلْقِ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ.

يُؤْتُونَ ما آتَوْا - يُعْطُونَ مَا أَعْطَوْا مِنَ الصَّدَقَاتِ.
قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ - خَائِفَةٌ أَلَّا تُقْبَلَ أَعْمَالُهُمْ.

﴿٦١﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ

(أُولَئِكَ) (يُسَارِعُونَ) (الْخَيْرَاتِ) (سَابِقُونَ)

(٦١) - وَهَؤُلاَءِ الذينَ جَمَعُوا هَذِهِ المَحَاسِنَ، يَرْغَبُونَ فِي الطَّاعَاتِ أَشَدَّ الرَّغْبَةِ، فَيُبَادِرُونَهَا لِئَلاَّ تَفُوتَهم إِذَا هُمْ مَاتُوا، وَيَتَعَجَّلُونَ فِي الدُّنْيَا وُجُوهَ الخَيْرَاتِ العَاجِلَةِ التِي وُعِدُوا بِهَا عَلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَهُمْ يَرْغَبُونَ فِي الطَّاعَاتِ، وَهُمْ لِأَجْلِهَا سَابِقُونَ النَّاسَ إِلَى الثَّوَابِ.

﴿٦٢﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(كِتَابٌ)

(٦٢) - يَفْرِضُ الإِسْلاَمُ عَلَى قَلْبِ المُؤْمِنِ يَقْظَةً هِيَ فِي طَوْقِهِ واسْتِطَاعَتِهِ، وَلَيْسَتْ فَوْقَ طَاقَتِهِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا مَا هُوَ فِي مَقْدُورِهَا، وَأَنَّهُ تَعَالَى يُحَاسِبُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَعْمَالِهِم التِي سُجِّلَتْ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابٍ مَسْطُورٍ، لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَهُمْ لَا يُبْخَسُونَ شَيئاً مِنْ أَعْمَالِهِم الخَيِّرَةِ، وَلَا يُنْقَصُونَ مِنْهَا وَلَا يُزَادُ شَيءٌ فِي سَيِّئَاتِهِمْ.

وُسْعَهَا - قَدْرَ طَاقَتِهَا مِنَ الأَعْمَالِ.
لا يُظْلَمُونَ - لَا يُزَادُ شَيءٌ فِي سَيِّئَاتِهِمْ مِمَّا لَمْ يَفْعَلُوه.

(٦٣) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ

(أَعْمَالٌ) (عامِلُونَ)

(٦٣) - إنَّ قُلُوبَ المُشْرِكِينَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هُدَى القُرْآنِ، وَعَنْ الاسْتِرْشَادِ بِمَا جَاءَ فِيهِ، مِمَّا فِيهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَلَوْ أَنَّهُم قَرَؤُوا القُرْآنَ وَتَدَبَّرُوهُ لَرَأَوْا أَنَّهُ كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ والصِّدْقِ، وأَنَّهُ يَقْضِي بِأَنَّ أَعْمَالَ المَرْءِ، مَهْمَا دَقَّتْ، فَهُوَ مُحَاسَبٌ عَلَيْهَا، وَأَنَّ رَبَّكَ لاَ يَظْلِمُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ. وَلِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ أَعْمَالٌ سَيِّئَةٌ أُخْرَى، فَقَدْ أَغْرَقُوا فِي الشِّرْكِ والمَعَاصِي، واتَّخَذُوا القُرْآنَ هُزْواً، وَقَالُوا عَنْهُ إِنَّهُ سِحْرٌ مُفْتَرىً، وَكَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ، وقَالُوا إِنَّهُ مَجْنُونٌ، وإِنَّهُ قَدْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: فَوالذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا) (رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ)

غَمْرَةٍ - جَهَالَةٍ وَغَفْلَةٍ.

(٦٤) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ

(يَجْأَرُونَ)

(٦٤) - حَتَّى إِذَا جَاءَ المُتْرَفِينَ مِنْهُمْ، المُنَعَّمِينَ فِي الدُّنْيَا، عَذَابُ اللهِ وَبَأْسُهُ وَنِقْمَتُهُ، إِذَا هُمْ يَسْتَغِيثُونَ، وَيَصْرُخُونَ واغوثَاهُ (يَجْأَرُونَ)، لِشِدَّةِ مَا يُعَانُونَ مِنَ الكُرَبِ والآلاَمِ.

مُتْرَفِيهِم - مُنَعَّمِيهِم الذينَ أَبْطَرَتْهُمُ النِعْمَةُ.

يَجْأَرُونَ - يَصْرُخُونَ مُسْتَغِيثِينَ بِرَبِّهِم.

(٦٥) لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ

(تَجْأَرُوا)

(٦٥) - وَيُجِيبُهُم الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَائِلاً: لاَ تَسْتَغِيثُوا فَلَنْ يُجِيرَكُم، اليَوْمَ أَحَدٌ مِمَّا حَلَّ بِكُمْ مِنْ سُوءِ العَذَابِ، سَوَاءٌ اسْتَغَثْتُم وَصَرَخْتُمْ، أو سَكَتُّم، وَلَنْ يَنْصُرَكُم أَحَدٌ مِنْ اللهِ، فَقَدْ قُضِيَ الأَمْرُ، وَوَجَبَ العَذَابُ.

(٦٦) قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ

(آيَاتِي) (أَعْقَابِكُم)

(٦٦) - لَقَدْ كَانَتْ آيَاتُ اللهِ تُتْلَى عَلَيْكُم بالحَقِّ، فَكُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ عَنْ سَمَاعِهَا، وَتَسْخَرُونَ مِنْهَا، وَتُعْرِضُونَ عَنْهَا، وَتُدِيرُونَ ظُهُورَكُمْ إِلَيْهَا وَلِذَلِكَ فَلاَ عُذْرَ لَكُم اليَوْم.

تَنْكِصُونَ - تَرْجِعُونَ مُعْرِضِينَ عَنْ سَمَاعِهَا.

﴿٦٧﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ

(سَامِراً)

(٦٧) - وَقَدْ كُنْتُم تُعْرِضُونَ عَنِ الإِيْمَانِ وَأَنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ ، وَتَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللهِ ، وَخُدَّامُ بَيْتِهِ ، فَلا يُظْهِرُ عَلَيْنَا أَحداً ، وَلاَ نَخافُ أَحداً ، وَكُنْتُم تَسْمرُونَ حَوْلَ البَيْتِ ، وَتَتَناوَلُونَ القُرْآنَ بالهُجْرِ مِنَ القَوْلِ (سَامِراً تَهْجُرُونَ).

(وَقِيلَ بَلِ المَقْصُودُ بالهُجْرِ مِنَ القَوْلِ والتَّكْذِيبِ رَسُولُ اللهِ والأَوَّلُ أَظْهَرُ).

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ - مُسْتَعْظِمِينَ بالبَيْتِ الحَرَامِ .

سَامِراً - سُمَّاراً حَوْلَهُ بِاللَّيْلِ .

تَهْجُرُونَ - تَتَكَلَّمُونَ هُجْراً أي طَعْناً بالقُرآنِ أو بِمُحَمَّدٍ.

﴿٦٨﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ

(آباءَهُم)

(٦٨) - وَيُؤَنِّبُ اللهُ تَعَالَى المُشْرِكِينَ ، وَيُنْكِرُ عَلَيْهِم عَدَمَ تَفَهُّمِهِمْ ، وَعَدَمَ تَدَبُّرِهِمْ هَذَا القُرْآنَ العَظِيمَ ، وَمَا خُصَّ بِهِ مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلاغَةٍ ، وَقَدْ كَانَ لَدَيْهِمْ فُسْحَةٌ مِنَ الوَقْتِ تُمَكِّنُهُمْ مِنَ التَّدَبُّرِ فِيهِ ، وَمَعْرِفَةِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ مِنْ رَبِّهِم ، وَأَنَّهُ مُبَرَّأٌ مِنَ التَّنَاقُضِ ، وَأَنَّ فِيهِ الأَخْلاَقَ ، وَالتَّشْرِيعَ ، وَالحِكَمَ البَالِغَةَ . أَمِ اعْتَقَدُوا أَنَّ مَجِيءَ الرُّسُلِ أَمْرٌ لَمْ تَسْبِقْ بِهِ السُّنَنُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاسْتَبْعَدُوا وُقُوعَهُ؟ لَكِنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الرُّسُلَ كَانَتْ تَتَتَابَعُ ، وَتَظْهَرُ عَلَى أَيْدِيهِم المُعْجِزَاتُ ، فَهَلاَّ كَانَ ذَلِكَ دَاعِياً لَهُمْ إِلَى التَّصْدِيقِ بِهَذَا الرَّسُولِ الكَرِيمِ الذِي جَاءَهُم بِقُرْآنٍ لاَ رَيبَ فِي أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟

﴿٦٩﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ

(٦٩) - أَمْ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ مُحَمَّداً قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِم ، وَلَمْ يَعْرِفُوا أَخْلاَقَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فَتَشَكَّكُوا فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ؟ وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ عَرَفُوه قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ، واشْتَهَرَ بَيْنَهم بالأَمِينِ ، وَشَهِد له أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَهُوَ مُشْرِكٌ ، بالصِّدْقِ والأَمَانَةِ عِنْدَ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ ، فَكَيْفَ يُنْكِرُونَ رِسَالَتَه؟

﴿٧٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ

(كَارِهُونَ)

(٧٠) - أَمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّداً رَجُلٌ بِهِ مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ فَلاَ يَدْرِي مَا يَقُولُ؟ مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَكْثَرُهُمْ رَزَانَةً ، وَأَثْقَبُهُمْ ذِهْناً ، وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَمَا تَقَوَّلُوا وَافْتَرَوا ، فالذِي جَاءَهُم بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِ ، فِيهِ دَعْوَةٌ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ ، وَبَيَانٌ لِمَا شَرَعَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ ، مِمَّا فِيهِ سَعَادَةُ البَشَرِ ، لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جُبِلُوا عَلَى الزَّيْغِ والانْحِرَافِ عَنِ الحَقِّ لِمَا رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشَّكِّ والشِّرْكِ ،

﴿٧١﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ

والإسْـرافِ فِي المَعَاصِي، وَلِـذَلِكَ فَـإِنَّهُم لاَ يَفْقَهُـونَ الحَقَّ، وَلاَ يَسْتَسِيغُونَهُ فَهُمْ لَهُ كَارِهُون.
بِهِجِنَّةٌ- بِهِ جُنُونٌ.

(السَّماوَاتُ) (أَتَيْناهُمْ)

(٧١) - وَلَوْ سَلَكَ القُرْآنُ طَرِيقَهُمْ بِأَنْ جَاءَ مُؤَيِّداً الشِّرْكَ باللهِ، واتِّخاذَ الوَلَدِ، وَتَزْيينَ الآثامِ، وَالحَثَّ عَلَى اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ.. لاخْتَلَّ نِظَامُ الكَوْنِ، ولَفَسَدَتِ السَّماوَاتُ والأَرْضُ، وَمَنْ فِيهِـنَّ لِفَسادِ أَهْوَائِهِمْ:
- فَلَوْ أَنَّهُ أَبَاحَ الظُّلْمَ، وَتَرْكَ العَدْلِ لَفَسَدَ أَمْرُ الجَماعَاتِ.
- وَلَـوْ أَبَاحَ لِلْقَـوِيِّ الاعْتِدَاءَ عَلَى الضَّعِيفِ لَمَا اسْتَتَبَّ الأَمْنُ وَلاَ سَادَ النِّظَامُ.
- وَلَوْ أَبَاحَ الزِّنى لَفَسَدَتِ الأَنْسَابُ، وَلَمَا عَرَفَ وَلَدٌ وَالِدَهُ فَيَكُونُ الأَوْلاَدُ فِي الطُّرُقَاتِ كَالبَهَائِمِ السَّارِحَةِ وَلاَ يَقُومُ عَلَى أُمُورِهِمْ أَحَدٌ.
ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ جَاءَهُمْ بالقُرْآنِ الذي فِيهِ فَخْرُهُمْ وَشَرَفُهُمْ فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَكَذَّبُوا بِهِ وَجَعَلُوهُ هُزْواً.
بِـذِكْرِهِمْ- بِفَخْرِهِمْ وَشَرفِهِمْ - وَهُوَ القُرْآنُ.

﴿٧٢﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ

(تَسْأَلُهُمْ) (الرَّازِقِينَ)

(٧٢) - أَمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ طَلَبْتَ مِنْهُمْ أَجْراً عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَلأَجْلِ ذَلِكَ لاَ يُؤْمِنُونَ. وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّكَ لَمْ تَسْأَلْهُمْ أَجْراً، وَلاَ خَرْجاً، فَإِنَّ مَا رَزَقَكَ اللهُ فِي الدُّنْيا، وَمَا وَعَدَكَ بِهِ مِنْ حُسْنِ العَاقِبَةِ فِي الآخِـرَةِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، وَلأَنَّكَ تَحْتَسِبُ أَجْرَ مَا تَقُومُ بِهِ، مِنْ إِبْلاَغِ الرِّسَالَةِ، عِنْدَ اللهِ لاَ عِنْدَهُمْ.
خَرْجـاً- جُعْلاً أَوْ أَجْراً مِنَ المَالِ.

﴿٧٣﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

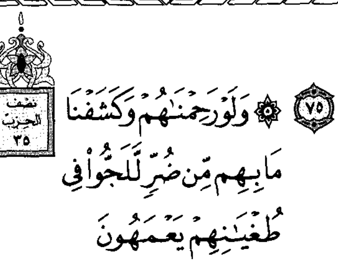
(صِراطٍ)

(٧٣) - وَإِنَّـكَ يَا مُحَمَّـدُ إِنَّمَا تَـدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ الخَيْـرِ والهُدَى، وَإِلَى السَّبِيلِ القَوِيمِ المُسْتَقِيمِ، الذي يُوصِلُهُمْ إِلَى جَنَّةِ رَبِّهِمْ.

﴿٧٤﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ

(بِالآخِرَةِ) (الصِّراطِ) (لَناكِبُونَ)

(٧٤) - أَمَّا الذينَ كَفَرُوا باللهِ، وَكَفَرُوا بِالآخِـرَةِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَـوْتِ، فَهُمْ مُتَنَكِّبُونَ وَتَارِكُـونَ عَمْداً الطَّرِيقَ القَوِيمَ المُوصِـلَ إِلَى جَنَّـةِ اللهِ تَعَالَى.
لَناكِبُونَ - لَعَادِلُونَ عَنِ الحَقِّ زَائِغُونَ.



نصف الحزب ٣٥

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ٧٥

(رَحِمْنَاهُمْ) (طُغْيَانِهِمْ)

(٧٥) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ غِلْظَةِ المُشْرِكِينَ فِي كُفْرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ فِيهِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَوْ أَزَاحَ عَنْهُم الضُّرَّ، وَأَفْهَمَهُم القُرْآنَ لمَا انْقَادُوا لَهُ، وَلاسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[1].

(وَقِيلَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: وَلَوْ أَنَّهُمْ رُدُّوا في الآخِرَةِ إِلى الدُّنيا لَعَادُوا لِمَا نُهوا عنهُ).

وقال ابنُ عَبَاسٍ (إِنَّ كُلِّ ما فيهِ (لَوْ) مِمَّا لا يكونُ أبداً).

لَلَجُّوا في طغيانِهِمْ - لَتَمَادَوا في ضَلالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ.

يَعْمَهُونَ - يَعْمونَ عَنِ الرّشدِ، أو يتحيَّرونَ.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ٧٦

(أَخذْنَاهُمْ)

(٧٦) - ويَقُولُ تعالى إنَّه ابْتلاهُم بالمَصَائِب والشَّدائِدِ، (كَقَتْلِ سَرَاتِهم يَوْمَ بَدْرٍ. والشَّدائِد الأُخْرَى التي حَلَّتْ بِهِم) فَمَا ردَّهُم ذلك عَمَّا هُمْ فيهِ مِنَ الكُفْرِ والعُتُوِّ بَلِ اسْتَمَرُّوا على غَيِّهِم وضَلالِهِم، ولَمْ يَخْشَعُوا للهِ (مَا اسْتَكَانُوا)، ولم يَتَضَرَّعُوا إليهِ داعِينَ مُسْتَجِيرينَ لِيَكْشِفَ عَنْهُم ذلك البلاءَ.

وقد جَاءَ في الصحيحينِ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا على قُرَيْشٍ حينَ اسْتَعْصَوْا عليهِ فَقَال (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِم بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ) أيْ بِسَبْعِ سِنِينَ شِدَادٍ. وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ إنَّ أَبَا سُفْيَانَ جَاءَ إلى النَّبِيِّ ﷺ حينما اشْتَدَ الأمرُ فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ فَقَدْ أَكَلْنَا العِلْهِزَ (أي الوَبَرَ والدَّمَ). فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى هذهِ الآيَة.

فما اسْتَكَانُوا - فَمَا خَضَعُوا وأَظْهَروا المَسْكَنَةَ.

ومَا يَتَضَرَّعُونَ - ولا يَتَذَلَّلُونَ إليه تَعَالى بالدُّعاءِ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ ٧٧

(٧٧) - حتى إذا جَاءَهُم أَمْرُ اللهِ تَعالى، وجَاءَتْهُم السَّاعَةُ بَغْتَةً، فَأَخَذَهُم مِنْ عَذَابِ اللهِ مَا لَمْ يكُونُوا يَحْتَسِبُونَ، يَئِسُوا (أَبْلَسُوا) مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وانْقَطَعَتْ آمَالُهُم، وخَابَ رَجَاؤُهُم.

مُبْلِسونَ - يَائِسونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أو مُتَحَيِّرُونَ.

﴿ وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ٧٨

(الأَبْصَارَ)

(٧٨) - واللهُ تَعالى هُوَ الذي خَلَقَ لَكُمُ السَّمْعَ، لِتَسْمَعُوا بِهِ الأَصْوَاتَ، والأَبْصَارَ، لِتُبْصِرُوا بها الأَشْيَاءَ والمَحْسُوسَاتِ، والعُقُولَ، لِتَفْقَهُوا بِها وتُدْرِكُوا آياتِ اللهِ وحُجَجَهُ في الأَنْفُسِ والآفاقِ، الدَّالَّةَ على وَحْدانِيَتِهِ وقُدْرَتِهِ.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٣.

﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿٨٠﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴿٨١﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ

﴿٨٢﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

﴿٨٣﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

وبَعْدَ أنْ عَدَّدَ اللهُ سُبْحانَه وتعالى هذِهِ النِّعَمَ التي أنْعم بِها على البَشَرِ، أشارَ إلى كُفْرانِهم إيَّاها فقالَ: ما أقَلَّ شُكْرَكُم للهِ على هذهِ النِّعَمِ الوَفيرَةِ (قليلاً ما تَشْكُرُونَ).

(٧٩) - واللهُ تعالى هُو الذي خَلَقَ النَّاسَ في الأرْضِ، وبَثَّهُم فِيها (ذَرأَهُم)، واسْتَخْلَفَهُم فِيها، ثُمَّ يَحْشُرُهُم جَمِيعاً لِميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ لِيُحاسِبَهُم على جَميعِ ما عَمِلُوه في الدنيا مِنْ أعْمالٍ.

ذَرأَكُمْ - خلقَكُم وبَثَّكُمْ بالتَّناسُلِ.

(اخْتِلافُ) (اللَّيْلِ) (يُحْيِي)

(٨٠) - وهو الذي وَهَبَ الخَلْقَ الحَياةَ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِم، ثُمَّ يُمِيتُهُم بَعْدَ أنْ كانَ أحْياهُم، ثم يُعِيدُ خَلْقَهُم مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ البَعْثِ والنُّشُورِ، وَيجْمَعُهم إليهِ لِلحِسابِ، كمَا سَبَقَ أنْ بَدَأَ خَلْقَهُم. وهو الذي سَخَّرَ اللَّيْلَ والنَّهارَ وجَعَلَهُما مُتعاقِبَيْنِ لا يَفْتَرِقَانِ، وكأنَّما يَطْلُبُ الواحِدُ مِنْهُما الآخرَ وجَعَلَهُما مُخْتَلِفَيْنِ طُولاً وقِصراً، يَقْصُرُ هذا تارَةً ويَطُولُ الآخَرُ، ثم يَطُولُ فَيَقْصُرُ الآخَرُ.

وأنْتُم يا أيُّها النَّاسُ تَرَونَ كُلَّ ذلِكَ في كُلِّ حِينٍ، أفَلَيْسَتْ لَكُم عُقُولٌ لِتَتَفَكَّرُوا بِها أنَّ ذلكَ كُلَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثاً ولا مُصادَفَةً؟ وإنَّما خَلَقَهُ اللهُ بِقُدْرَتِه، وقَدَّرَهُ وضَبَطَهُ، وجَعَلَه خاضِعاً لَهُ، لِيَسْتَدِلَّ بِهِ النَّاسُ على وُجُودِ خالِقِهِ القَدِيرِ الواحِدِ الأحَدِ، الذي لا شَرِيكَ لَهُ؟

(٨١) - ولكِنَّ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ مِنَ العَرَبِ لم يَعْتَبِرُوا بآياتِ اللهِ، ولَمْ يَتَدَبَّرُوا حُجَجَهُ الدَّالَّةَ على قُدْرَتِه على فِعْلِ كُلِّ ما يُرِيدُ: كإعادَةِ خَلْقِ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ، وبَعْثِهِم مِنْ قُبُورِهِم، وجَمْعِهِم يَوْمَ القِيامَةِ لِلحِسابِ. بَلْ قالُوا مِثْلَمَا قالَهُ أسْلافُهُم مِنْ مُكَذِّبِي الأُمَمِ الأُخْرَى الذينَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللهِ، وجَحَدُوا بآياتِهِ.

(أئِذا) (وَعِظاماً) (أئِنَّا)

(٨٢) - وقد كانَ مُكَذِّبُو الأُمَمِ السَّابِقَةِ يَقُولُون مُنْكِرِينَ: هَلْ سَنُبْعَثُ مِنْ قُبُورِنا، ونَعُودُ أحياءً كَما كُنَّا، بَعْدَ أنْ نَمُوتَ وتَبْلى عِظَامُنا؟

(آباؤُنا) (أساطِيرُ)

(٨٣) - وَقالُوا إنَّ آباءَهم وُعِدُوا بِمِثْلِ هذا البَعْثِ والنُّشُورِ يَوْمَ القِيامَةِ، وهُمْ يُوعَدُون بِهِ أيضاً، ولكنَّهُ لم يَقَعْ بَعْدُ. ثُمَّ قالُوا: إنَّ هَذا مِنْ قَبِيلِ القَصَصِ الخَيالِيَّةِ، والأساطِيرِ التي تُرْوى عَنِ الأوَّلينَ.

أساطِيرُ الأوَّلين - أكاذِيبُهُم وقَصَصُهُم الخُرافِيَّةُ المَسْطُورَةُ في كُتُبِهِم.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٨٦

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٨٧

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ ٨٩

(٨٤) - كانَ مُشْرِكو العَرَبِ مُضْطَرِبِي العَقِيدَة، لا يُنكِرُون وُجودَ اللهِ، ولا يُنْكِرُون أنَّه مَالِكُ السَّماواتِ والأَرْضِ ومُدَبِّرُهما، ولكِنَّهم كانوا مَعَ ذلكَ يُشْرِكُونَ مَعَهُ في العِبادَةِ آلِهَةً أُخْرَى، ويَقُولُونَ: إنَّهم إنَّما يَعْبُدونَ هذهِ الآلِهَة لِيُقَرِّبُوهم إلى اللهِ زُلْفَى. ويَجْعَلُون المَلائِكَةَ بَنَاتِ اللهِ، وهُنا يَأْخُذُ اللهُ سُبْحَانَه بالمُسَلَّماتِ التِي يُقِرُّونَ بِها، فَيَقُولُ لِنَبيِّه الكَريم: اسْأَلْهُم لِمَنِ الأَرْضُ ومَنْ فيها إنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟

(٨٥) - إنَّهُمْ سَيَقُولُون إنَّ مَالِكَها، وخَالِقَها، ومُدَبِّرَها هو اللهُ تَعالى، ولكِنَّهم مَعَ ذُلِكَ لا يَذْكُرُون هذهِ الحَقِيقَةَ حينما يَتَوَجَّهُونَ بالعِبَادَةِ لِغَيْرِه.

(السَّماوَاتِ)

(٨٦) - وقُلْ لَهم: مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ السَّبْعَ ومَنْ فِيهِنَّ، ومَنْ هو رَبُّ العَرْشِ العَظِيم؟ وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: العَرْشُ لا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ أَحَدٌ إلَّا اللهُ تَعالى.

(٨٧) - إنَّهُم سَيَقُولُون: إنَّ كُلَّ شيءٍ في الوُجُودِ هو للهِ، وهو رَبُّهُ، ولَيْسَ لَهُم جَوابٌ غير هذا. فَقُلْ لَهُم: إذا كُنْتُم تَعْتَرِفُون بأنَّه رَبُّ السَّماواتِ، وَربُّ العَرْشِ العَظِيم، أفَلا تَخافُون عِقابَه، وتَحْذَرُونَ عَذابَه في عِبادَتِكُم مَعَهُ غَيْرَه، وإشْرَاكِكُم بِه، وإنْكارِكُم قُدْرَته على إعادَةِ خَلْقِكُمْ ونَشْرِكُم، وحِسَابِكُم، في الآخِرَةِ؟

(٨٨) - قُلْ لَهم: مَنْ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ في الوُجُودِ ومَنْ هو المُسَيْطِرُ المُسْتَعْلي عَلَيْهِ، ومَنْ هو الذي يَسْتَطِيعُ بِقُوَّتِه، وسُلْطَانِه أنْ يَبْسُطَ حِمَايَتَهُ (يُجِير) على مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِه، فلا يَصِلُ إليهِ أَحَدٌ بِسُوءٍ، ولا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ أنْ يُجِيرَ عَلَيْه، وأنْ يَمْنَعَ أَمْرَ اللهِ مِنْ أنْ يَصِلَ إلى مَنْ يَشَاءُ اللهُ وصولَ أَمْرِهِ إليهِ، فإنْ كَانَ لَكُمْ عِلْمٌ بِذَلِكَ فَأَجِيبُونِي؟

أَجَارَهُ - جَعَلَه في جِوَارِه، وشَمَلَهُ بِحِمَايَتِهِ.

المَلَكُوتُ - المُلْكُ الوَاسِعُ العَظِيمُ.

هُوَ يُجِيرُ - يُغِيثُ ويَحْمِي مَنْ يَشَاءُ ويَمْنَعُهُ.

لا يُجَارُ عَلَيْه - لا يُغَاثُ أَحَدٌ مِنْهُ ولا يُمْنَعُ.

(٨٩) - فَسَيَعْتَرِفُونَ أنَّ السَّيِّدَ العَظِيمَ، الذي يُجِيرُ ولَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُجِيرَ عَلَيْهِ، هو اللهُ وَحْدَه، لا شَرِيكَ لَهُ في ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُم: كَيْفَ تَذْهَبُ عُقُولُكُم، وتُخْدَعُون وتُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ إلى البَاطِلِ، فَتَعْبُدُونَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، مَعَ اعْتِرَافِكُم أنَّه لا رَبَّ سِواهُ فَتَكُونُون كَمَنْ سُحِرَتْ عُقُولُهم، وَغَابَتْ عَنْ رُشْدِها؟

فأنَّى تُسْحَرُون - فَكَيْفَ تُخْدَعُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ.

﴿٩٠﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ

(أَتيناهُمْ) (لَكاذِبُونَ)

(٩٠) - لَيْسَ الأَمْرُ كمايَقُولُ هٰؤلاءِ المُشْرِكُونَ (بَلْ)، ولا كما يَزْعُمونَ مِنْ أنَّ ما جاءَهُم بِهِ رَسُولهُم هو مِنْ قَصَصِ الأوَّلين وأحَادِيثِهِم، ولَيْسَ مُنَزَّلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ، والحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ مُحَمَّداً صادِقٌ وأَنَّ اللهَ هُوَ الذي أَمَرَهُ بإبْلاَغِهِ إلى النَّاسِ، ودَعْوتِهِمْ إلى الأخْذِ بِهِ، وإنَّهُم لَكاذِبُونَ فيما يَقُولُونَه وَيَزْعُمُونَهُ، وفيما يَعْبُدونَهُ مِنْ أَصْنامٍ وأوْثَانٍ.

﴿٩١﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ

(سُبْحَانَ)

(٩١) - يُنَزِّهُ اللهُ تعالى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عَنْ أَنْ يكونَ لَهُ وَلَدٌ أو شَرِيكٌ في المُلْكِ والتَّصَرُّفِ والعِبادَةِ، ويَقُولُ: إنَّه لَوْ كَانَ هناكَ أَكْثَرُ مِنْ إِلَهٍ لَطَلَبَ كُلٌّ مِنْهُم قَهْرَ الآخَرِينَ، وَخِلاَفَهُم، ولَحَاوَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم أَنْ يُثْبِتَ سُلْطَانَهُ، والاسْتِعْلاءَ على غيرِهِ، فَتَعالى اللهُ عُلُوّاً كَبِيراً، وتَنَزَّهَ عَمَّا يَقُولُه الظَّالِمُونَ المُعْتَدونَ في دَعْوَاهُم الوَلَدَ، والشَّرِيكَ لَهُ.

﴿٩٢﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(عَالِم) (والشَّهادَةِ) (فَتعالَى)

(٩٢) - وإنَّهُ يَعْلَمُ ما يَغِيبُ عَنِ المَخْلُوقاتِ، وما يُشَاهِدُونَه، فَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ وتَعالى عَمَّا يَقُولُه الظَّالِمُون الجَاحِدُون، وعَمَّا يَنْسبُونَه إليهِ مِنْ وُجُودِ الشَّرِيكِ والنِّدِّ والوَلَدِ.

﴿٩٣﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ

(٩٣) - يَأْمُرُ اللهُ تعالى رَسُولَه الكريمَ بأنْ يَدْعُوَ بهذا الدُّعاءِ عِنْدَ حُلُولِ النِّقَمِ: فإذا عَاقَبْتَهُم يا رَبِّ وأنا شَاهِدٌ ذَلِكَ.

﴿٩٤﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

(الظَّالِمينَ)

(٩٤) - فإنِّي أَتَوَسَّلُ إليكَ يا رَبِّ أنْ لا تَجْعَلَنِي فِيهِم، وأنْ لا تُهْلِكَنِي بِمَا تُهْلِكُهُم بِهِ.

(وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو فَيَقُول: وإذا أَرَدْتَ بِقَومٍ فِتنَةً فَتَوفَّني غيرَ مَفْتُونٍ). (أخرجَهُ أحمدُ والتِّرمذي).

﴿٩٥﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ

(لَقادِرُونَ)

(٩٥) - وَلَوْ شِئْنَا لأرَيْنَاكَ ما نُنْزِلُ بِهِم مِنَ العَذَابِ والبَلاَءِ، فإنَّنا قَادِرُونَ على ذَلِكَ، ولكِنَّنا نُؤخِّرُه حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ.

(وقد أرَى اللهُ تعالى رَسُولَه الكَرِيمَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ في مَعْرَكَةِ بَدْرٍ).

﴿٩٦﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ

(٩٦) - ادْفَعِ الأذَى عَنْكَ بالطَّرِيقَةِ والخَصْلَةِ التي هيَ أَحْسَنُ: بالإغْضاءِ والصَّفْحِ عَنْ جَهْلِهِم، والصَّبْرِ على أذَاهُم وتَكْذِيبِهِم بِمَا

٩٧ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ

٩٨ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ

٩٩ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ

١٠٠ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

جِئْتَهُم بِهِ مِنْ رَبِّهِم، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَنَا بِـه، ويَنْحِلُونَنَا إِيَّـاهُ مِنَ الاخْتِلاقِ والأَكَاذِيبِ، وبِمَا يَقُولُونَ فِيكَ، وسَنَجْزِيهِم على مَا يَقُولُونَ فلا يَحْزُنْكَ ذَلِكَ.

(هَمَزَاتِ) (الشَّيَاطِينِ)

(٩٧) ـ وَٱسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، ومِنْ هَمَزَاتِهِم، ودَفَعَاتِهِم، ونَفْثِهِم، ونَفْخِهِم، لأَنَّهُمْ لَا تَنْفَـعُ مَعَهُم الحِيَـلُ، ولا يَنْقَـادُونَ بـالمَعْـرُوف، والنَّبِيُّ ﷺ مَعْصُومٌ مِنْها، ولكنَّ ذلك زِيَادَةٌ في التَّوَقِّي، وتَعْلِيمٌ لأُمَّتِه أَنْ يَتَحَصَّنُوا باللهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ في كُلِّ حِينٍ.

أَعُوذُ بِكَ ـ أَعْتَصِمُ وأَمْتَنِعُ.

(٩٨) ـ وقُلْ أَعوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ تَحْضُرَنِي الشَّياطِينُ في شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَمْزَاتِهِم ونَخْسَاتِهِم. ويُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الاسْتِعَاذَةُ هُنَا مِنْ حُضُورِهِم إِيَّاه سَاعَةَ الوَفَاةِ. وكَانَ الرَّسُولُ يَسْتَعِيذُ بِـاللهِ مِنْ أَنْ تَحْضُرَهُ الشَّيَاطِينُ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، ولا سِيَّما حِينَ الصَّلاةِ، وقِرَاءَةِ القُرْآنِ، وحُلُولِ الأَجَلِ.

(٩٩) ـ ولا يَزَالُ الكَافِرُ يَجْتَرِحُ السَّيِّئَاتِ، ولا يُبَالِي بِمَا يَأْتِي وما يَذَرُ مِنَ الآثَامِ والأَوْزَارِ. حَتَّى إذا جَاءَهُ المَوْتُ، وعَايَنَ مـا هو مُقْـدِمٌ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ نَدِمَ على مَا فَاتَ، وأَسِفَ على مَا فَرَّطَ في جَنْبِ اللهِ، وقَالَ: رَبِّ ارجِعُونِ لأَعْمَلَ صَالِحاً فِيمَا قَصَّرْتُ مِنْ عِبَادَتِك، وحُقُوقِ عِبَادِكَ.

(صَالِحاً) (قَائِلُهَا) (ورَائِهِمْ)

(١٠٠) ـ إِنَّ الكَافِرَ يَسْأَلُ رَبَّهُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيا لِيَعْمَلَ صَالِحاً، وَيَتَدَارَكَ مَا فَرَّطَ مِنْهُ، وَلِيُصْلِحَ فِيمَا تَرَكَ مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعَـالَى عَلَيْهِ رَادِعاً وَزَاجِراً: إِنَّهُ لَا يُجِيبُهُ إِلَى طَلَبِهِ هَذَا (كَلَّا). فَهِيَ كَلِمَةٌ مَقُـولَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا، يَقُولُهَا كُلُّ ظَالِمٍ وَقْتَ الضِّيقِ والشِّدَّةِ، وَلَـوْ رُدَّ لَعَادَ إِلَى مَـا كَانَ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ فِي الحَيَاةِ، وجَاءَتْهُ الآيَاتُ فَلَمْ يَتَّعِظْ بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلْ صَالِحاً، وَيَقُومُ وَرَاءَهم حَاجِزٌ (بَرْزَخٌ)، يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرُّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا، وَيَبْقَوْنَ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ وَيُنْشَرُونَ.

(وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ إِنَّ البَرْزَخَ المَقْصُودَ هُنَا هُوَ الفَتْـرَةُ التي يَقْضِيها الأَمْوَاتُ فِي قُبُورِهِمْ، مِنْ يَوْمِ مَمَاتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الحَشْرِ).

مِنْ وَرائِهِمْ ـ أَمَامَهُمْ

بَرْزَخٌ ـ حَاجِز دونَ الرَّجْعَةِ.

(١٠١) فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ

(١٠٢) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

(١٠٣) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ

(١٠٤) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ

(١٠٥) أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ

(١٠٦) قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ

(يَوْمَئِذٍ)

(١٠١) ـ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةُ النُّشُورِ، قَامَ النَّاسُ مِنَ القُبُورِ، فَلاَ تَنْفَعُ الإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ قَرَابَةٌ، وَلاَ يَسْأَلُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، فَلِكُلِّ امْرِىءٍ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ.

الصُّورُ ـ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ فَيُحْدِثُ صَوْتاً.

(مَوَازِينُهُ) (فَأُوْلَئِكَ)

(١٠٢) ـ والعَمَلُ هُوَ مِيزَانُ التَّقْدِيرِ عِنْدَ اللهِ، فَمَنْ رَجحتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ كَانَ مِنَ المُفْلِحِينَ الذين فَازُوا بِمَا سَعوا إِلَيْهِ، فَنَجَوْا مِنَ النَّارِ، وأُدْخِلُوا الجَنَّةَ.

(مَوَازِينُهُ) (فَأُوْلَئِكَ) (خَالِدُونَ)

(١٠٣) ـ وَمَنْ ثَقُلَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَأُوْلَئِكَ الذين خَابُوا وَهَلَكُوا، وَبَاؤُوا بالصَّفْقَةِ الخَاسِرَةِ، وَخَلَدُوا فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(كَالِحُونَ)

(١٠٤) ـ تَلْفَحُ النَّارُ وُجُوهَهُم فَتَشْوِيهَا، وَتَتَقَلَّصُ شِفَاهُهُمْ، وَتَتَغَيَّرُ مَلاَمِحُهُمْ.

كَالِحُونَ ـ عَابِسُونَ، أو مُتَقَلِّصُو الشِّفَاهِ عَنِ الأَسْنَانِ مِنْ أَثَرِ اللَّفْحِ.

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ ـ تُحْرِقُ.

(آيَاتِي)

(١٠٥) ـ وَيُقَالُ لأَهْلِ النَّارِ تَوْبِيخاً وَتَقْرِيعاً لَهُمْ عَلَى مَا ارْتَكَبُوا مِنْ كُفْرٍ وَآثَامٍ فِي الدُّنْيَا فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ: لَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلْتُ إِلَيْكُمُ الكُتُبَ، وَأَزَلْتُ شُبَهَكُمْ، فَلَمْ تَبْقَ لَكُمْ حُجَّةٌ، وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِآيَاتِي.

(١٠٦) ـ وَيَرُدُّونَ قَائِلِينَ: يَا رَبِّ لَقَد كَثُرَتْ مَعَاصِينَا التي أَوْرَثَتْنَا الشَّقَاءَ وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْنَا الحُجَّةُ وَلكِنَّنا كُنَّا أَشْقَى مِنْ أَنْ نَنْقَادَ لَهَا، وَكُنَّا بِذَلِكَ ضَالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الثَّوَابِ.

غَلَبَتْ عَلَيْنَا ـ اسْتَوْلَتْ عَلَيْنَا وَمَلَكَتْنَا.

شِقْوَتُنَا ـ شَقَاوَتُنَا، أو لَذَّتُنَا وَشَهَوَاتُنَا.

﴿١٠٧﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ

(ظَالِمُونَ)

(١٠٧) - ثُمَّ يَقُولُونَ لِرَبِّهِمْ: رَبَّنَا أَخْرِجنَا مِنَ النَّارِ، وَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا، فَإِنْ عُدْنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ وارْتِكَابِ الآثَامِ، فَنَحْنُ ظَالِمُونَ لأَنْفُسِنَا مُسْتَحِقُّونَ لِلْعُقُوبَةِ.

﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ

(١٠٨) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى الكُفَّارِ إِذَا سَأَلُوا الخُرُوجَ مِنَ النَّارِ، والرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا، وَيَقُولُ لَهُمْ: امْكُثُوا فِيهَا صَاغِرِينَ مُهَانِينَ أَذِلاَّءَ واسْكُتُوا (اخْسَؤُوا) وَلاَ تَعُودُوا إِلَى سُؤَالِكُمْ هَذَا، فَإِنَّهُ لاَ رَجْعَةَ لَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا.

اخْسَؤُوا فِيهَا - اسْكُتُوا سُكُوتَ ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ كَالْكِلاَبِ.

﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ

(آمَنَّا) (الرَّاحِمِينَ)

(١٠٩) - ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى مُذَكِّراً لِهَؤُلاَءِ بِذُنُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَبِاسْتِهْزَائِهِمْ بِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ وَأَوْلِيَائِهِ: إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي آمَنُوا بِي وَبِرُسُلِي، وَكَانُوا يَقُولُونَ: رَبَّنَا آمَنَّا بِكَ، وَبِرُسُلِكَ، فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

﴿١١٠﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ

(١١٠) - فَتَشَاغَلْتُم بِهِمْ سَاخِرِينَ مِنْهُمْ، وَدَأَبْتُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَسِيتُم ذِكْرِي، وَلَمْ تَخَافُوا عِقَابِي، وَكُنْتُم تَضْحَكُونَ مِنْهُم اسْتِهْزَاءً بِهِمْ.

سِخْرِيّاً - مَوْضِعاً لِلْهُزْءِ والسُّخْرِيَةِ

﴿١١١﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ

(الْفَائِزُونَ)

(١١١) - وَإِنِّي جَزَيْتُهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَكَافَأْتُهم عَلَى صَبْرِهِمْ عَلَى أَذَاكُمْ لَهُمْ، وَاسْتِهْزَائِكُم بِهِمْ، وَجَعَلْتُهُم الفَائِزِينَ بِالسَّعَادَةِ والسَّلاَمَةِ والجَنَّةِ والنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

﴿١١٢﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ

(قَالَ)

(١١٢) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى مَا أَضَاعُوهُ، فِي عُمْرِهِم القَصِيرِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلَوْ صَبَرُوا مُدَّةَ حَيَاتِهِم الدُّنْيَا القَصِيرَةِ لَفَازُوا كَمَا فَازَ أَوْلِيَاءُ اللهِ المُتَّقُونَ.

وَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: كَمْ كَانَتْ مُدَّةُ لَبْثِكُمْ وإِقَامَتِكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ السِّنِينَ؟

﴿١١٣﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ

(فَاسْأَلِ)

(١١٣) - فَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لَبِثُوا فِي الأَرْضِ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ يَا رَبَّنَا الحَفَظَةَ العَارِفِينَ بِأَعْمَالِ العِبَادِ، المُحْصِينَ لَهَا (العَادِّينَ).

﴿١١٤﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(قال)

(١١٤) - ويقول لهم تعالى: إنكم لبثتم مدة يسيرة على كل تقدير، ولو أنكم كنتم تدركون لما آثرتم الزائل الفاني، على الدائم الباقي، ولما تصرفتم هذا التصرف السيء الذي استوجب سخط الله عليكم في تلك المدة اليسيرة، ولو أنكم صبرتم على عبادته وطاعته، كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا.

﴿١١٥﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ

(خلقناكم)

(١١٥) - هل ظننتم أيها الأشقياء أننا خلقناكم لعباً وباطلاً (عبثاً)، وأننا لا حكمة لنا في خلقكم؟ إننا لم نخلقكم عبثاً ولا باطلاً للعب والتسلية، وإنما خلقناكم لتعبدوا الله، وتقيموا أوامره، فهل حسبتم أنكم لا ترجعون إلينا في الآخرة لنحاسبكم على أعمالكم؟

(وقيل بل معنى الآية هو: هل تظنون أنكم خلقتم لتعبثوا وتلعبوا كما خلقت البهائم، لا ثواب ولا عقاب؟)

﴿١١٦﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ

(فتعالى)

(١١٦) - فتعالى الله وتقدس وتنزه عن أن يخلق شيئاً عبثاً، فإنه الملك الحق المنزه عن كل ذلك، لا إله إلا هو رب كل شيء، ورب العرش، (والعرش هو سقف جميع المخلوقات) فهو تعالى المهيمن المسيطر على جميع ما في الوجود، وهو الكريم.

(وقيل إن الكريم هنا صفة للعرش، وتعني أنه البديع الحسن البهي المنظر).

فتعالى الله - ارتفع بعظمته، وتنزه عن العبث.

﴿١١٧﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ

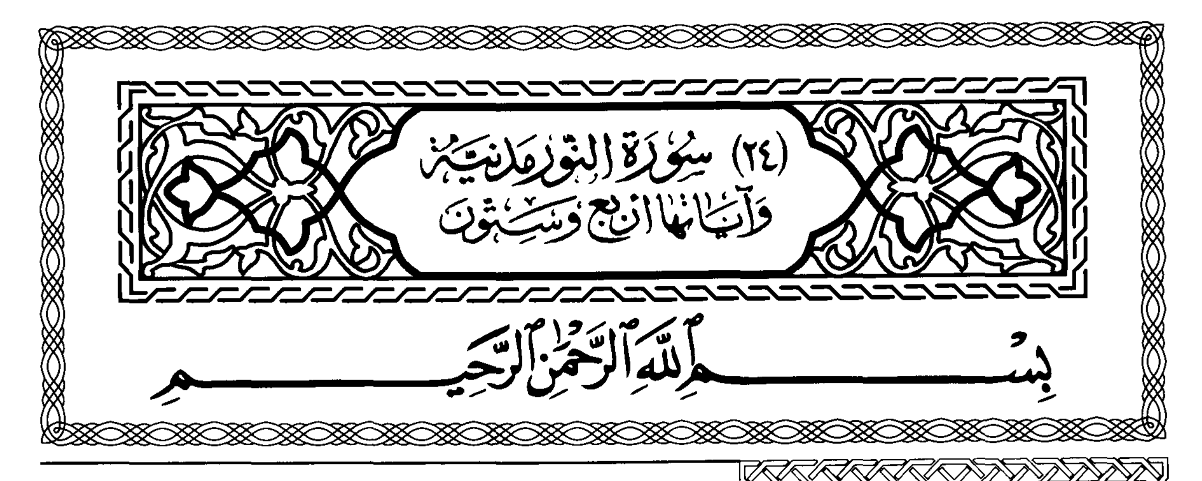
(آخر) (برهان) (الكافرون)

(١١٧) - يتوعد الله تعالى من أشرك بعبادته أحداً سواه فيقول: إن من أشرك بالله سواه، وعبد معه غيره، ولا برهان له على صحة ذلك، ولا دليل فإن الله يحاسبه على ذلك ويوفيه ما يستحقه من جزاء، ولا يفلح الكفار، ولا ينجون من العقاب.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾

(الرَّاحِمِينَ)

(١١٨) - ثُمَّ أَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ والمُؤْمِنِينَ إِلَى هَذَا الدُّعَاءِ. فَقُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: يَا رَبِّ اغْفِرْ (أَي امْحُ ذَنْبِي واسْتُرْهُ عَنِ النَّاسِ)، وارْحَمْ (أي سَدِّدْ خُطَايَ وَوَفِّقْنِي فِي الأَقْوالِ والأَفْعَالِ)، وَأَنْتَ يَا رَبِّ خَيْرُ مَنْ رَحِمَ ذا ذَنْبٍ، فَقَبِلَ تَوْبَتَهُ، وَتَجَاوَزَ عَنْ عِقَابِهِ.



ثلاثة أرباع الحزب ٣٥

(١) سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا
وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ

(٢) ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ
مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا
رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا
طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(أَنْزَلْنَاهَا) (فَرَضْنَاهَا) (آيَاتٍ) (بَيِّنَاتٍ)

(١) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَه إِلَى الاعْتِنَاءِ بِهَـذِهِ السُّورَةِ التي أَنْـزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ الكَرِيم ، وَقَدَّرَ فِيهَا الحُدُودَ والأَحْكَامَ عَلَى أَتَمِّ وَجْهٍ، وَبَيَّنَ فِيهَا أَدِلَّةَ التَّوْحِيدِ وَبَيِّنَاتِـهِ الوَاضِحَـةَ لِيُعِدَّهُم بِـذَلِكَ إِلَى الهُـدَى والاتِّعَاظِ، والعَمَـلِ بِمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ أَوَامِـرَ ، والانْتِهَاءِ عَمَّـا جَـاءَ فِيهَـا مِنْ نَـوَاهٍ وَزَوَاجِرَ، لِتَتَحَقَّقَ لَهُم السَّعَادَةُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ .

فَرَضْنَاها - أَوْجَبْنَا أَحْكَامَهَا عَلَيْكُم ، أَوْ قَدَّرْنَاهَا .

(وَاحِدٍ) (الآخِرِ) (طَائِفَةٌ)

(٢) - فَهَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ فِيهَا حُكْمُ الزَّانِي فِي الحَدِّ فَالـزَّانِي إِذَا كَانَ بِكْراً - ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنْثَى - وَهُوَ حُرٌّ بَالِغٌ عَاقِـلٌ فَحَدُّهُ مِئَةُ جَلْدَةٍ كَمَا فِي الآيَةِ . وَيَرَى جُمْهُورُ الفُقَهَاءِ أَنْ يُغَرَّبَ سَنَةً عَنْ مَـوْطِنِهِ، إِنْ شَـاءَ الإِمَامُ تَغْرِيبَهُ (أي نَفْيَهُ مِنْ مَوْطِنِهِ) . أَمَّا إِذَا كانَ الزَّانِي مُحْصَناً، وَهُوَ الذي سَبَقَ لَهُ الوَطْءُ فِي نِكَاحٍ صَحِيحٍ ، فَإِنَّهُ يُرْجَمُ بالحِجَارَةِ حَتَّى المَوْتِ .

وَحُكْمُ الزَانِي المُحْصَنِ مَأْخُوذٌ مِنَ السُّنَّةِ، فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرَجْمِ امْرَأَةٍ مُحْصَنَةٍ زَنَتْ

وَيَثْبُتُ الزِّنَى بِالإِقْرَارِ، أَوْ بِحَبَلِ المَرْأَةِ بِلاَ زَوْجٍ مَعْرُوفٍ لَهَا، أو بِشَهَادَةِ أَرْبَعَةٍ مِنَ الشُّهُودِ العُدُولِ يَرَوْنَها فِي حَالَةِ الفِعْلِ .

(وَقَالَ بَعْضُ الأَئِمَّةِ : إِنَّهُ يَجِبُ الجَلْدُ مَعَ الرَّجْمِ عَمَلاً بـالنَّصِّ . وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الأَئِمَّةِ مُتَّفِقُـونَ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الجَلْدِ مَعَ الـرَّجْمِ لأَنَّ عُقُوبَـةَ الرَّجْمِ أَشَدُّ مِنْ عُقُوبَةِ الجَلْدِ) .

وَيُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِم أَلَّا تَأْخُذَهُمْ رَأْفَةٌ بِالزُّنَاةِ فِي تَطْبِيقِ حُكْمِ اللهِ وَشَرْعِهِ، لِأَنَّ مِنْ مُقْتَضَى الإِيْمَانِ إِيثَارَ مَرْضَاةِ اللهِ عَلَى مَرْضَاةِ النَّاسِ ، فَإِذَا رُفِعَتِ الحُدُودُ إِلَى السُّلْطَانِ فَتُقَامُ وَلاَ تُعَطَّلُ.
(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: تَعَافُوا الحُدُودَ بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَد وَجَبَ).

فَإِذَا كُنْتُم تُؤْمِنُونَ بِاللهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، فَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ اللهُ مِنْ إِقَامَةِ الحَدِّ عَلَى الزُّنَاةِ، وشَدِّدُوا عَلَيْهِم الضَّرْبَ عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ الضَّرْبُ مُبرِحاً، لِيَرْتَدِعَ مَنْ يَصْنَعُ مِثْلَهُمْ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ يَكُونَ تَنْفِيذُ الحُدُودِ عَلاَنِيَةً، وَأَنْ يَشْهَدَهُ طَائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ لأَنَّهُ يَكُونُ أَبْلَغَ فِي زَجْرِ النَّاسِ ، وَأَنْجَعَ فِي رَدْعِهِمْ، وَيَكُونُ تَقْرِيعاً وَتَوْبِيخاً وَفَضِيحَةً إِذَا كَانَ النَّاسُ حُضُوراً.
الطائِفَةُ - تَشْمَلُ الوَاحِدَ فَمَا فوقَ، وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ إِنَّهَا تَشْمَلُ الأَرْبَعَةَ فَصَاعِداً.

﴿٣﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ

(٣) - الزَّانِي لا يَطَأُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَلاَ يُطَاوِعُهُ فِي فِعْلِ الزِّنَى إِلاَّ زَانِيَةٌ عَاصِيَةٌ، أَوْ مُشْرِكَةٌ لاَ تَعْتَقِدُ حُرْمَةَ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ الزَّانِيَةُ لاَ يَطَؤُهَا وَلاَ يَنْكِحُهَا إِلاَّ عَاصٍ بِزِنَاهُ، أَوْ مُشْرِكٌ لا يَعْتَقِدُ بِتَحْرِيمِ الزِّنَى.
(وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : لَيْسَ هَذَا بِالنِّكَاحِ إِنَّمَا هُوَ الجِمَاعُ ، لاَ يَزْنِي بِهَا إِلاَّ زَانٍ أو مُشْرِكٌ). وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ تَعَاطِي الزِّنَى، والتَّزَوُّجَ بِالبَغَايَا، أَوْ تَزْوِيجَ العَفَائِفِ مِنَ النِّسَاءِ بِالفُجَّارِ الزُّنَاةِ مِنَ الرِّجَالِ ، إِلاَّ إِذَا حَدَثَتْ تَوْبَةٌ . فَإِنَّهُ يُسْمَحُ لِلتَّائِبِ مِنَ الزِّنَى بِالزَّوَاجِ مِنَ الحَرَائِرِ العَفِيفَاتِ.

﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ

(الْمُحْصنَاتِ) (ثَمانِينَ) (شَهادَةً) (وَأُولَئِكَ) (الْفاسِقُونَ)

(٤) - فِي هَذِهِ الآيَةِ يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى حُكْمَ الذينَ يَتَّهِمُونَ المُحْصَنَاتِ العَفِيفَاتِ بالزِّنَا (وَهُنَّ الحَرَائِرُ البَالِغَاتُ العَفِيفَاتُ). وإِذَا كَانَ المَقْذُوفُ رَجُلاً يُجْلَدُ قَاذِفُه أيضاً. فَإِذَا أَقَامَ القَاذِفُ البَيِّنَةَ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ، دَرَأَ ذَلِكَ الحَدَّ عَنْهُ. فَإِذَا لَمْ يَأْتِ القَاذِفُ بِأَرْبَعَةِ رِجَالٍ يَشْهَدُونَ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ، وَيُثْبِتُونَ صِحَّةَ دَعْوَاهُ، فَإِنَّهُ يُحْكَمُ عَلَيهِ بِثَلاثِ عُقُوبَاتٍ:

- يُجْلَدُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً.
- تُرَدُّ شَهَادَتُهُ.
- يُعَدُّ فَاسِقاً لَيْسَ بِعَدْلٍ لاَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدَ النَّاسِ.

يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ - يَقْذِفُونَ العَفِيفَاتِ بِالزِّنَى.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

(٥) - واسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى مِنَ العُقُوبَتَيْنِ الأَخِيرَتَيْنِ الذين تَابُوا، وَرَجَعُوا عَمَّا قَالُوا، وَنَدِمُوا عَلَى مَا تَكَلَّمُوا بِهِ، وَأَصْلَحُوا أَحْوَالَهُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَتَّارٌ لِذُنُوبِهِمْ، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَيُزِيلُ عَنْهُمْ ذَلِكَ العَارَ الذي لَحِقَ بِهِمْ بِعَدَمِ قَبُولِ شَهَادَتِهِمْ، وَوَسْمِهِمْ بِمِيْسَمِ الفُسُوقِ.

وَاخْتَلَفَ الأَئِمَّةُ حَوْلَ مَدَى أَثرِ التَّوْبَةِ: هَلْ تَشْمَلُ الفِسْقَ وَرَدَّ الشَّهَادَةِ معاً، أم الفِسْقَ فقط؟

- فَقَالَ الأَئِمَّةُ: مَالِكٌ وَأَحْمدُ والشَّافِعِيُّ: إِنَّ القَاذِفَ إِذَا تَابَ ارْتَفَعَ عَنْهُ حُكْمُ الفِسْقِ، وَقُبِلَتْ شَهَادَتُهُ.

- وَقَالَ أبو حَنِيفَةَ: إِنَّ الاسْتِثْنَاءَ الوَارِدَ فِي الآيَةِ يَعُودُ لِلجُمْلَةِ الأَخِيرَةِ فَقَطْ، فَيَرْتَفِعُ الفِسْقُ بالتَّوْبَةِ وَيَبْقَى مَرْدُودَ الشَّهَادَةِ.

- وَقَالَ الشَّعْبِيُّ والضَّحَّاكُ: لاَ تُقْبَلُ شَهَادَتُه وإِنْ تَابَ إِلَّا أَنْ يَعْتَرِفَ عَلَى نَفْسِه أَنَّهُ قَدْ قَالَ البُهْتَانَ فَحِينَئِذٍ تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾

(أَزْوَاجَهُمْ) (فَشَهَادَةُ) (شَهَادَاتٍ) (الصَّادِقِينَ)

(٦) - هَذِهِ الآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا تَتَعَلَّقُ بِاللِّعَانِ، وَفِيهَا مَخْرَجٌ لِلأَزْوَاجِ إِذَا اتَّهَمُوا زَوْجَاتِهِم بالزِّنَى، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِقَامَةَ البَيِّنَةِ عَلَى زِنَاهُنَّ كَمَا أَمَرَ اللهُ، فَيُحْضِرُ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ إِلَى الإِمَامِ، فَيَدَّعِي عَلَيْهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ، فَيُحَلِّفُهُ الحَاكِمُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزِّنَى. وَهَذِهِ الشَّهَادَاتُ الأَرْبَعُ تُقَابِلُ شَهَادَةَ الشُّهَداءِ الأَرْبَعَةِ الذينَ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى شَهَادَتَهم كَافِيَةً لإِثْبَاتِ الزِّنى.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾

(وَالْخَامِسَةُ) (لَعْنَةَ) (الْكَاذِبِينَ)

(٧) - وَيُحَلِّفُهُ فِي المَرَّةِ الخَامِسَةِ: أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ. فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ بَانَتْ مِنْهُ زَوْجَتُهُ، وَحَرُمَتْ عَلَيْهِ أَبداً. وَيُعْطِيها مَهْرَها، وَيَتَوَجَّبُ عَلَيْهَا حَدُّ الزِّنى إِنْ سَكَتَتْ عَلَى مَا رَمَاهَا بِهِ زَوْجُها.

﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ﴿٨﴾

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿٩﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾

(وَيَدْرَأُ) (شَهَادَاتٍ) (الْكَاذِبِينَ)

(٨) - وَلاَ يَدْرَأُ عَنْهَا إِقَامَةَ حَدِّ الزِّنى عَلَيْهَا (وَهُوَ الرَّجْمُ) إِلاَّ أَنْ تُلاَعِنَ، فَتَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ عَلَى أَنَّ زَوْجَها مِنَ الكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِن الزِّنَى.

يَدْرأُ عَنْهَا العَذَابَ - يَدْفَعُ عَنْهَا عُقُوبَةَ الرَّجْمِ.

(وَالْخَامِسَةَ) (الصَّادِقِينَ)

(٩) - وَتَحْلِفُ فِي المَرَّةِ الخَامِسَةِ أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ زَوْجُها مِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزِّنى. والمَغْضُوبُ عَلَيْهِ هُوَ الذي يَعْلَمُ الحَقَّ ثُمَّ يَحِيدُ عَنْهُ لِذَلِكَ خَصَّهَا اللهُ تَعَالى بالغَضَبِ لأَنَّ الغَالِبَ أَنَّ الرَّجُلَ لاَ يَتَجَشَّمُ فَضِيحَةَ أَهْلِهِ وَرَمْيَها بالزِّنَى إلاَّ وَهُوَ صَادِقٌ مَعْذُورٌ، وَهِيَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ.

(١٠) - وَلَوْلاَ تَفَضُّلُ اللهِ تَعَالَى، وَلَوْلاَ رَحْمَتُهُ بِكُمْ يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ فِي قَبُولِ تَوْبَتِكُم فِي كُلِّ آنٍ، وَأَنَّهُ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ، وَفِعْلِهِ، وَحُكْمِهِ، وَمِنْهَا مَا شَرَعَهُ لَكُمْ مِنَ اللِّعَانِ، لَفَضَحَكُمْ، وَلَعَاجَلَكُمْ بالعُقُوبَةِ. وَلَكِنَّهُ سَتَرَ عَلَيْكُمْ، وَدَفَعَ عَنْكُم الحَدَّ باللِّعَانِ، إِذْ لَوْ لَمْ يَشْرَعْ ذَلِكَ لَوَجَبَ عَلَى الزَّوْجِ حَدُّ القَذْفِ، مَعَ أَنَّ قَرَائِنَ الأَحْوَالِ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ، لأَنَّهُ لاَ يَفْتَرِي عَلَى زَوْجَتِهِ، لأَنَّهُمَا مُشْتَرِكَانِ فِي الفَضِيحَةِ.

وَلَوْ جَعَلَ شَهَادَةَ الرَّجُلِ مُوجِبَةً لِحَدِّ الزِّنى وَحْدَهَا، لَكَثُرَ افْتِرَاءُ الأَزْوَاجِ عَلَى زَوْجَاتِهِمْ لِضَغِينَةٍ قَدْ تَكُونُ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ ثَمَّ جَعَلَ شَهَادَاتِ كُلٍّ مِنْ الزَّوْجَيْنِ مَعَ الجَزْمِ بِكَذِبِ الآخَرِ تَدْرَأُ عَنْهُ العُقُوبَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ.

(وَرُوِي أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ آيَةِ اللِّعَانِ، هُوَ أَنَّهُ لَمَا نَزَلَتْ آيَةُ القَذْفِ (والذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ). جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يَقُولُ لَهُ إِنَّهُ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ فَوَجَدَ رَجُلاً عِنْدَ امْرَأَتِهِ، فَسَمِعَ بِأُذْنِهِ، وَرَأَى بِعَيْنِهِ، فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ، وَجَاءَ إِلَى الرَّسُولِ فَأَعْلَمَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ، فَاعْتَبَرَ الرَّسُولُ ذَلِكَ القَوْلَ قَذْفاً مِنْهُ بِحَقِّ زَوْجَتِهِ، وَطَالَبَهُ بِإِقَامَةِ البَيِّنَةِ أو أَنَّ الرَّسُولَ سَيَأْمُرُ بِحَدِّهِ حَدَّ القَذْفِ. فَقَالَ الرَّجُلُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا رَأَى أحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَقُولُ لَهُ: البَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ إِنِي لَصَادِقٌ، وَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ مَا يُبْرِيءُ ظَهْرِي مِنَ الحَدِّ. فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِهَذِهِ الآيَاتِ. فَأَرْسَلَ الرَّسُول إِلَى الرَّجُلِ وَزَوْجِهِ فَشَهِدَ الرَّجُلُ، والنَّبِيُّ يَقُولُ

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١١

لَهُ: إنْ اللهَ لَيَعْلَمُ أنَّ أَحدَكُما لَكَاذِبٌ، ثُمَّ قَامتِ المَرْأةُ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتِ الخَامِسَةُ وَقَفُوهَا، وَقَالُوا لَهَا: إنَّهَا مُوجِبَةٌ، تُوجِبُ العَذَابَ عَلَيْكِ، فَتَلَكَّأَتْ، حَتَّى ظُنَّ أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ اليومِ، فَمضَتْ وَحَلَفَتْ).

(جَاؤُوا) (امْرِيءٍ).

(١١) ـ هَـذِهِ الآيَـةُ أشَـارَتْ إلَى حَـدِيثِ الإفْـكِ الـذي أطْلَقَـهُ بَعْضُ المُنافِقِينَ بِحَقِّ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَـا. وَتَتَلَّخصُ هَذِهِ القِصَّةُ فِي الآتي:

(كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا غَزَا أَجْرَى القُرْعَةَ بَينَ نِسَائِهِ فَمَنْ خَرجَ سَهْمُهَا مِنْهُنَّ صَحِبَهـا فِي غَزْوَتِـهِ. وَفِي إحْدَى الغَـزَوَاتِ خَـرجَ سَهْمُ عَـائِشَـةَ رِضْـوَانُ اللهِ عليها، وَذَلِـكَ بَعْـدَمـا أُنْـزِلَتْ آيَـةُ الحِجَـابِ. فَلَمَّـا فَـرَغَ الرَّسُولُ مِنَ الغَـزْوَةِ قَفَلَ عَـائِداً بِـالجَيْشِ، وَلَمَّا دَنَوْا مِنَ المَدِينَـةِ آذَنَ النَّاسَ لَيْلَةً بالـرَّحِيلِ، فَلَمـا آذَنَهُمْ بالـرَّحِيلِ خَـرجَتْ عَائِشَـةُ لِقَضَاءِ بَعْضِ حَاجَتِهَا، حَتَّى جَاوَزَتِ الجيشَ. ثُمَّ عَادَتْ فالتمَسَتْ عِقْداً لَهَـا فَوَجَدَتْهُ قَدِ انْفرطَ، فَرَجَعَتْ تَلْتَمِسُهُ، فَتَأَخَّـرَتْ فِي البَحْثِ عَنْهُ. وَجَـاءَ الرِّجَالُ الذينَ كَانُوا يَحْمِلُونَهَا، فَاحْتَملُوا هَوْدَجَهَـا فَرَحَّلُوهُ عَلَى بَعِيـرِهَا الذي كَانَتْ تركَبُهُ، وَهُمْ يحسَبُونَ أَنَّها فيهِ (وَكَانَ النِّسَاءُ في ذَلِكَ الحِينِ خِفَافاً لَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ كَمَـا قَالَتْ عَـائِشَةُ) فَلَمْ يَسْتَنْكِـرِ الرِّجَـالُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَما رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ عَلَى البَعِيرِ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ إذْ ذَاكَ صَغِيرَةَ السِّنِّ، خَفِيفَةَ الوَزْنِ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا.

أَمَّا عَائِشَةُ فَإنَّهَا وَجدَتْ عِقْدَهَا بَعْدَ أَنْ سَارَ الجَيْشُ، فَلَمَّا جَاءَتْ مَنَازِلَ الجَيْشِ وَجَدَتْهُ قَدْ ارْتَحلَ، فَاتَّجهَتْ إلَى المَكَانِ. الـذي كَانَتْ تَنْـزِلُ فِيهِ، وَفِي ظَنِّهَا أَنَّ القَـوْمَ سَيفْتَقِدُونَهـا فَيَرْجِعُـونَ للبحْثِ عَنْهَا. وَبَيْنَمَـا كَانَتْ جَالِسَةً غَلَبَتْهَا عَيْنَاها فَنَامَتْ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بنُ مُعَطَّلٍ السَلمي ـ وَهُوَ مِنْ جُنْـدِ المُسْلِمِينَ ـ قَدْ عَـرَّسَ غَازِياً مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ فَأَدْلَجَ (سَـارَ لَيْلًا) فَـأَصْبَحَ عِنْـدَ المَنْزِلِ الـذي كَانَتْ عَائِشَةُ فِيهِ، فَرَأَى سَوَادَ إنْسَانٍ فَاقْتَرَبَ فَعرفَ عَـائِشَةَ حِينَ رآهَـا، وَكَانَ قَدْ رَآهَا قَبْلَ الحِجَابِ، فاسْتَرْجَعَ حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ عَائِشَـةُ، فَأَنَـاخَ رَاحِلَتَهُ فَرَكِبَتْ، وَقَادَ الرَّاحِلَةَ وَسَارَ بِهَا حَتَّى أَتَى الجَيْشَ بَعْـدَ مَا نَـزَلُوا عِنْدَ الظَّهِيرَةِ.

وَتَقُولُ عَائِشَةُ: واللهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَاحِدَةً.

فَانْطَلَقَ المُنَافِقُونَ ـ وَعَلَى رَأْسِهِمْ رَأْسُ الكُفْرِ والنِّفَاقِ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ

سَلُول ـ يَتَقَوَّلُونَ وَيُلَمِّحُونَ بِمَا يُثِيرُ الشُّبُهَاتِ فِي نُفُوسِ ضِعَافِ الإِيْمَانِ وَالذِّمَمِ ، فَخَاضَ فِيهِ مَنْ خَاضَ. وَهَلَكَ فِيهِ مَنْ هَلَكَ.

ثُمَّ مَرِضَتْ عَائِشَةُ بَعْدَ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، وَهِيَ لاَ تَعْلَمُ شَيْئاً مِمَّا يَتَقَوَّلُهُ المُنَافِقُونَ، وَقَدْ رَابَهَا مَا لاَحَظَتْهُ مِنْ أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُظْهِرْ لَهَا مِنَ اللُّطْفِ فِي المُعَامَلَةِ مِثْلَمَا كَانَتْ تَرَاهُ مِنْهُ حِينَ تَشْتَكِي عِلَّةً. وَحِينَمَا بَدَأَتْ تَسْتَرِدُّ صِحَّتَهَا، خَرَجَتْ مَعَهَا أُمُّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي المُطَّلِبِ اسْمُهُ مِسْطَحٌ، وَهُوَ ابنُ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُنْفِقُ عَلَيْهِ لأَنَّهُ كَانَ مُقِلاًّ مِنَ المَالِ. فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ بِمُرْطِهَا فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: بِئْسَمَا قُلْتِ تَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدْراً! فَأَدْرَكَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ أَنَّ عَائِشَةَ لاَ تَدْرِي مِمَّا يُقَالُ عَنْهَا شَيْئاً، فَأَخْبَرَتْهَا بِحَدِيثِ الإِفْكِ فَازْدَادَ مَرَضُهَا. وَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَنْ تَمْرَضَ فِي بَيْتِ أَبَوَيْهَا، فَأَذِنَ لَهَا. وَأَخَذَتْ تَبْكِي لَيْلَ نَهَارَ، وَلاَ تَجِدُ أُمُّهَا مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْهَا. وَأَرْسَلَ الرَّسُولُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِلَى أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي أَمْرِ عَائِشَةَ. أَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ بِالَّذِي يَعْلَمُهُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَهْلُكَ، وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْراً، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرَاتٌ. وَسَأَلَ النَّبِيُّ جَارِيَتَهَا بَرِيرَةَ إِنْ كَانَتْ رَأَتْ مِنْ عَائِشَةَ مَا يُرِيبُهَا، فَقَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْراً قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّوَاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

فَقَامَ الرَّسُولُ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ، فَقَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ: (يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْراً، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي).

فَقَامَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الأَوْسِ فَقَالَ: أَنَا أَعْذُرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

فَقَامَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحاً، وَلَكِنَّ الحَمِيَّةَ قَدِ احْتَمَلَتْهُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لا تَقْتُلُهُ ولا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابنُ عَمِّ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِ.

فَثَارَ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا بِالاقْتِتَالِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلِ الرَّسُولُ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ. ثُمَّ

ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بيتِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ وَزَوْجَتُهُ وَعَائِشَةُ فِيهِ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. وَقَدْ لَبِثَ شَهْراً لاَ يَجْلِسُ عِنْدَهُمَا، وَلاَ يُوحَى إِلَيْهِ شَيءٌ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ. وَبَعْدَ أَنْ جَلَسَ تَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ، وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِأَبِيهَا أَجِبْ رَسُولَ اللهِ عَنِّي ،فَقَالَ واللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ. فَقَالَتْ لِأُمِّهَا أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ: واللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُم بِهَذَا الحَدِيثِ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفِسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، واللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونَنِي، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ بِأَمْرٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي، فَوَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[(١)]. وَتَحَوَّلَتْ عَنْهُمْ إِلَى فِرَاشِها فَاضْطَجَعَتْ. فَبَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ أَنْزَلَ اللهُ هَـذِهِ الآيَاتِ المَبَرِّئَةَ لِعَائِشَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَا، فَسُرِّيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَضَحِكَ، وَقَالَ لَهَا: (أَبْشِري يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ).

وَبَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَاتِ أَقْسَمَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لاَ يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحٍ أبداً، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أولُو الفَضْلِ مِنْكُم والسَّعَةِ أن يُؤتُوا أُولِي القُرْبَى﴾[(٢)] إلى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾[(٢)]. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ.

وَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَاتِ أَقامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدَّ القَذْفِ عَلَى رَجُلَيْنِ هُمَا حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ، وَمِسْطَحٍ ،وَعَلَى امْرأةٍ هِيَ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ أُخْتُ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنتِ جَحْشٍ، فَضَرَبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُم ثَمَانِينَ جَلْدَةً).

وَمَعْنَى الآيَةِ: إِنَّ الذينَ جَاؤُوا بِحَدِيثِ الإِفْكِ، وَهُوَ الكَذِبُ والبُهْتَانُ وَالافْتِرَاءُ، هُمْ جَمَاعَةٌ مِنْكُم (عُصْبَةٌ) فَلاَ تَحْسَبوا أَنَّ فِي ذَلِكَ شَرّاً لَكُمْ وَفِتْنَةً، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَهُوَ لِسَانُ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا، وَرِفْعَةُ مَنَازِلَ فِي الآخِرَةِ، وَإِظْهَارُ شَرَفٍ لَكُمْ بِاعْتِنَاءِ اللهِ تَعَالَى بِعَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، إِذْ أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَهَا فِي القُرْآنِ. وَلِكُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذَا الأَمْرِ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.

وَخاضَ فِيهِ، ورَمَى أُمَّ المُؤْمِنِينَ بشَيءٍ مِنَ الفَاحِشَةِ، جَزاءُ مَا اجْتَرَحَ مِنَ الإِثْمِ، بِقَدَرِ مَا خاضَ فِيهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ تَكَلَّمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَمِعَ وَضَحِكَ سُروراً بِمَا سَمِعَ، وَمِنْهُم مَنْ كَانَ ذَنْبُهُ أَقَلَّ، وبَعْضُهم مَنْ كَانَ ذَنْبُهُ أَكْبَرَ.

والذِي تَوَلَّى مُعْظَمَ الإِثْمِ مِنْهُمْ (كِبْرَهُ) - وهُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، إِذْ كَانَ يَجْمَعُهُ ويُذِيعُهُ ويُشِيعُهُ... - لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ عَلَى ذَلِكَ.

الإِفْكُ - أَقْبَحُ الكَذِبِ وأَفْحَشُهُ.

عُصْبَةٌ مِنْكُم - جَماعَةٌ مِنكم.

تَوَلَّى كِبْرَهُ - تَوَلَّى مُعْظَمَهُ.

﴿١٢﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ

(المُؤْمِناتُ)

(١٢) - يُؤَدِّبُ اللهُ تَعالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ المُؤْمِنِينَ فِي قِصَّةِ عَائِشَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَا، حِينَ أَفَاضَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ الإِفْكِ، فَقَالَ تَعالَى: هَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ هَذَا القَوْلَ الذي رُمِيَتْ بِهِ أُمُّ المُؤْمِنِينَ، فَقِسْتُم ذَلِكَ الكَلامَ عَلَى أَنْفُسِكُم، فَإِذَا كَانَ لَا يَلِيقُ بِكُمْ، فَأُمُّ المُؤْمِنِينَ أَوْلَى بالبَراءَةِ مِنْهُ، بالأَحْرَى وَالأَوْلَى.

وَقَالَ تَعالَى: هَلَّا ظَنَّ المُؤْمِنُونَ الخَيْرَ، فَأُمُّ المُؤْمِنِينَ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ. وَهَلَّا قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ هَذَا كَذِبٌ ظَاهِرٌ عَلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الذي وَقَعَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يُرِيبُ، وَذَلِكَ أَنَّ عَائِشَةَ جَاءَتْ رَاكِبَةً جَهْرَةً عَلَى رَاحِلَةِ صَفْوَانِ بنِ المُعَطِّلِ السلمِي، فِي وَقْتِ الظَهِيرَةِ، والجَيْشُ بِكَامِلِهِ يُشاهِدُ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللهِ مَعَهُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْفِي كُلَّ شُبْهَةٍ وَشَكٍّ، وَلَوْ كَانَ فِي الأَمْرِ مَا يُرْتَابُ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا جَهْرَةً.

(وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا أَيُّوب الأَنْصَارِيَّ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبٍ: يَا أَبَا أَيُّوبَ أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قال: نَعَمْ وَذَلِكَ الكَذِبُ. أَكُنْتِ فَاعِلَةً ذَلِكَ يَا أُمَّ أَيُّوبٍ؟ قَالَتْ: لَا وَاللهِ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَهُ، فَقَالَ: فَعَائِشَةُ واللهِ خَيْرٌ مِنْكِ).

(وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبي أَيُّوبٍ حِينَ قَالَ مَا قَالَ لِزَوْجَتِهِ أُمِّ أَيُّوبٍ).

﴿١٣﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ

(جاؤُوا) (فَأُوْلَئِكَ) (الْكَاذِبُونَ)

(١٣) - هَلَّا جَاءَ الخَائِضُونَ فِي الإِفْكِ بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ عَلَى ثُبُوتِ مَا قَالُوا، وَمَا رَمَوْها بِهِ، فَإِذَا لَمْ يَأْتِ هَؤُلَاءِ المُفْسِدُونَ بالشُّهَدَاءِ لإِثْبَاتِ مَا قَالُوا فَهُمْ كَاذِبُونَ فِي حُكْمِ اللهِ تَعَالَى وَشَرْعِهِ.

﴿١٤﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(الآخِرَةِ)

(١٤) - وَلَوْلاَ تَفَضُّلُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْكُم بِبَيَانِ الأَحْكَامِ، وَلَوْلاَ رَحْمَتُهُ بِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِعَدَمِ التَّعْجِيلِ بِالعُقُوبَةِ، وَفِي الآخِرَةِ بِالمَغْفِرَةِ، لَنَزَلَ بِكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ بِسَبَبِ الخَوْضِ فِي هَذِهِ التُّهْمَةِ.

أَفَضْتُمْ فِيهِ - خُضْتُمْ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الإِفْكِ.

﴿١٥﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ

(١٥) - فَقَدْ تَنَاقَلْتُمْ الخَبَرَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَشَعْتُمُوهُ بَيْنَكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ بِصِحَّتِهِ، وَتَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا العَمَلَ هَيِّنٌ، لاَ يُعَاقِبُ اللهُ عَلَيْهِ، أَوْ أَنَّ عِقَابَهُ يَسِيرٌ، مَعَ أَنَّهُ خَطِيرٌ يُعَاقِبُ اللهُ عَلَيْهِ عِقَاباً شَدِيداً.

(وَفِي الحَدِيثِ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يَدْرِي مَا تَبْلُغُ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ)، (رواهُ مسلمٌ والبخاري)

تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً - تَظُنُّونَهُ سَهْلاً لاَ تَبِعَةَ فِيهِ.

﴿١٦﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ

(سُبْحَانَكَ) (بُهْتَانٌ)

(١٦) - وَكَانَ يَنْبَغِي عَلَيْكُمْ عِنْدَ سَماعِ مَا أَشَاعَهُ المُنَافِقُونَ مِنْ حَدِيثِ الإِفْكِ والكَذِبِ والافْتِرَاءِ عَلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ الطَّاهِرَةِ، أَنْ تَنْصَحُوا بِعَدَمِ الخَوْضِ فِيهِ لأَنَّهُ غَيْرُ لاَئِقٍ بِكُمْ، وَأَنْ تَتَعَجَّبُوا مِنْ اخْتِرَاعِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الكَذِبِ والبُهْتَانِ، وأَنْ تَقُولُوا: لاَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَفَوَّهَ بِهَذَا الكَلاَمِ، وَلاَ أَنْ نَذْكُرَهُ لأَحدٍ تَنَزَّهَ اللهُ رَبُّنَا أَنْ يُقَالَ هَذَا الكَلاَمُ، عَلَى ابنةِ الصِّدِّيقِ زَوْجَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا هُوَ إِلاَّ كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ، وَإِنَّنا لَنَبْرَأُ إِلَى اللهِ رَبِّنَا مِنْهُ، وَمِنْ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُه أَنْ يَكُونَ الوَسِيلَةَ فِي انْتِشَارِ هَذَا القَوْلِ الكَاذِبِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ.

سُبْحَانَكَ - تَعَجُّبٌ مِن شَنَاعَةِ هَذَا الإِفْكِ.

بُهْتَانٌ - كَذِبٌ يُحَيِّرُ سَامِعَهُ لِفَظَاعَتِهِ.

﴿١٧﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(١٧) - وَيَنْهَاكُمُ اللهُ تَعَالَى، وَيَعِظُكُم بِهَذِهِ المَوَاعِظِ التي تَعْرِفُونَ بِهَا عِظَمَ الذَّنْبِ، كَيْلا يَقَعَ مِثْلُ هَذَا مِنْكُمْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ الزَّمَانِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَشَرْعِهِ، وَمِمَّنْ يُعَظِّمُونَ رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ صِفَةَ الإِيْمَانِ تَتَنَافَى مَعَ مِثْلِ هَذِهِ المَعْصِيَةِ.

﴿١٨﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(الآيَاتِ)

(١٨) - وَيُنَزِّلُ اللهُ تَعَالَى لَكُمُ الآيَاتِ الدَّالَةَ عَلَى الأَحْكَامِ وَاضِحَةً جَلِيَّةً، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَه، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

(١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ
ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(الْفَاحِشَةُ) (آمَنُوا) (الآخِرَةِ)

(١٩) - إِنَّ الذينَ يَرْمُونَ المُحْصنَاتِ، وبِخَاصَّةٍ أُولئِكَ الذينَ يَتَجَرَّؤُونَ عَلَى رَمِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ الكَرِيمِ، إِنَّمَا يَعْمَلُونَ عَلَى زَعْزَعَةِ ثِقَةِ الجَمَاعَةِ المُسْلِمَةِ بالخَيْرِ والعِفَّةِ، وَعَلَى إِزَالَةِ التَّحَرُّجِ مِنْ ارْتِكَابِ الفَاحِشَةِ، وَذلِكَ عَنْ طَرِيقِ الإِيحَاءِ بِأَنَّ الفَاحِشَةَ شَائِعَةٌ فِيهَا، وَبِذلِكَ تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي النُّفُوسِ، ثُمَّ تَشِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الوَاقِعِ، فَهَؤُلاءِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ عَنْدَ اللهِ: فِي الدُّنْيَا بِإِقَامَةِ الحَدِّ عَلَيْهِم، واللَّعْنِ والذَّمِّ مِنَ النَّاسِ، وَفِي الآخِرَةِ بِعَذَابِ النَّارِ. وَمَنْ ذا الذي يَرى الظَّاهِرَ والبَاطِنَ، وَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى العَلِيمِ الخَبِيرِ؟ فَرُدُّوا الأُمُورَ إِلَى اللهِ تَرْشُدُوا، وَلاَ تَرْوُوا مَا لاَ عِلْمَ لَكُمْ بِهِ.

(٢٠) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(٢٠) - فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم، وَلَوْلاَ رَحْمَتُهُ بِكُمْ بَعْدَ الذي قِيلَ، لأَهْلَكَكُم، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى رَؤُوفٌ بِعِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَتَابَ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيهِ مِنْ هَذِهِ القَضِيَّةِ، وَطَهَّرَ مِنْهُم مَنْ طَهَّرَ بِالحَدِّ الذِي أُقِيمَ عَلَيْهِ.

الحزب ٣٦

(٢١) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (خُطُوَاتِ) (الشَّيْطَانِ)

(٢١) - يَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِأَلاَّ يَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَسَالِكِهِ، وَمَا يَأْمُرُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، والشَّيْطَانُ إِنَّمَا يَأْمُرُ أَوْلِيَاءَهُ بِفِعْلِ الفَاحِشَةِ وإِشَاعَتِهَا، وارْتِكَابِ المُنْكَرَاتِ، فَمَنْ اتَّبَعَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ جَرَّهُ إِلَى إِرْتِكَابِ هَذِهِ المُوبِقَاتِ. وَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْزِقُ مَنْ يَشَاءُ التَّوْبَةَ، والرُّجُوعَ إِلَيْهِ، وَيُزَكِّي بِهَا النُّفُوسَ وَيُطَهِّرُهَا مِنْ شِرْكِهَا وَفُجُورِهَا وَدَنسِهَا، لَمَا تَطَهَّرَ مِنْكُم أَحَدٌ مِنْ ذَنْبِهِ، وَلَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ النَّكَالَ والوَبَالَ، وَلَعَاجَلَكُم بالعُقُوبَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ سَمِيعٌ لأَقْوَالِ العِبَادِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُم الهِدَايَةَ فَيَهْدِيهِ.

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ - طُرُقَهُ وَمَذَاهِبُهُ وَآثَارُهُ
الفَحْشَاءُ - مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ
المُنْكَرُ - مَا يُنْكِرُهُ الشَّرْعُ
مَا زَكَى - مَا تَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ.

(٢٢) وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى

(أُولُو) (المَسَاكِينَ) (المُهَاجِرِينَ)

(٢٢) - وَلاَ يَحْلِفِ القَادِرُونَ مِنْكُم عَلَى الإِنْفَاقِ والإِحْسَانِ (أُولُو الفَضْلِ)، والذينَ يَجِدُونَ سَعَةً فِي الرِّزْقِ، عَلَى أَنْ لاَ يَصِلُوا أَقْرِبَاءَهُمْ

سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ

المَسَاكِينَ والمُهَاجِرِينَ، وَلْيَصْفَحُوا عَنْهُم، وَلْيَعْفُوا عَمَّا تَقَدَّمَ مِنْهُمْ مِنَ الإِسَاءَةِ والأَذَى، فَاللهُ تَعَالَى يَجْزِيهِمْ بِصَفْحِهِمْ عَنْ أَذَى ذَوِي قُرْبَاهُمْ المَسَاكِينِ، وَعَلَى إِحْسَانِهِمْ إِلَيْهِمْ، بالعَفْوِ والمَغْفِرَةِ. فَإِذَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ يَعْفُوَ رَبُّكُم عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ، فَافْعَلُوا مَعَ المُسِيءِ إِلَيْكُم مِثْلَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ رَبُّكُم، وَتَأَدَّبُوا بِأَدَبِهِ تَعَالَى، فَهُوَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ.

(نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ حِينَمَا أَقْسَمَ عَلَى أَنْ لاَ يُنْفِقَ عَلَى ابنِ خَالَتِهِ مِسْطَحِ بنِ أُثَاثَةَ، وَهُوَ مِنْ فُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ لِمَا خَاضَ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الإِفْكِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: (بَلَى وَاللهِ إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبِّ). ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِنْفَاقِ عَلَى مِسْطَحٍ).

أُوْلُو الفَضْلِ - أَصْحَابُ الزِّيَادَةِ فِي الدِّينِ.

السعَةِ - الغِنَى.

(٢٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ

(الْمُحْصَنَاتِ) (الْغَافِلاَتِ) (الْمُؤْمِنَاتِ) (وَالآخِرَةِ)

(٢٣) - يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى الذينَ يَتَّهِمُونَ بِالفَاحِشَةِ النِّسَاءَ العَفِيفَاتِ (المُحْصَنَاتِ) الغَافِلاَتِ عَنْهَا، المُؤْمِنَاتِ (وَمِنْ بَابِ أَوْلَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ)، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً عَظِيماً يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا لَمْ يَتُوبُوا، فَإِذَا تَابُوا قُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ.

المُحْصَنَاتُ - العَفِيفَاتُ.

(٢٤) يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

(٢٤) - وَيُنْزِلُ اللهُ تَعَالَى بِالفَاسِقِينَ، الذينَ يَقْذِفُونَ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ، العَذَابَ الأَلِيمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لاَ سَبِيلَ فِيهِ لِلإِنْكَارِ، لأَنَّهُمْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ بِمَا نَطَقَتْ، كَمَا تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِجَمِيعِ ما ارْتَكَبُوهُ مِنْ آثَامٍ إِذْ يُنْطِقُهَا اللهُ تَعَالَى الذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: إِنَّ المُشْرِكِينَ حِينَ يَرَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ أَهْلُ الإِيْمَانِ والصَّلاَةِ، يَقُولُونَ: تَعَالَوا نَجْحَدْ، وَنُنْكِرْ مَا كَانَ مِنَّا، فَيَجْحَدُونَ، فَيَخْتِمُ اللهُ عَلَى أَفْوَاهِهِم وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِم وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً.

﴿٢٥﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٥) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يُوَفِّيهِمُ اللهُ تَعَالَى جَزَاءَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بالتَّمامِ والكَمَالِ (دِينَهُمُ الحَقَّ)، وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَوَعِيدَهُ حَقٌّ، وَحِسابَه هُوَ العَدْلُ الذي لاَ جَوْرَ فِيهِ، وَيَزُولُ عَنْهُمْ كُلُّ شَكٍّ وَرَيْبٍ أَلَمَّ بِهِمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيا.

دِينَهُمُ الحَقَّ - جَزاءَهُمُ الثَّابِتَ لَهُمْ بالعَدْلِ.

﴿٢٦﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

(الْخَبِيثَاتُ) (وَالطَّيِّبَاتُ) (أُوْلَئِكَ)

(٢٦) - النِّسَاءُ الخَبِيثَاتُ يَكُنَّ للرِّجَالِ الخَبِيثِينَ، والخَبِيثُونَ مِنَ الرِّجَالِ يَكُونُونَ لِلخَبِيثَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، والطَّيِّبُونَ مِنَ الرِّجَالِ يَكُونُونَ للطَّيِّبَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، والطَّيِّبَاتُ مِنَ النِّسَاءِ يَكُنَّ للطَّيِّبِينَ مِنَ الرِّجَالِ، لأَنَّ المُجَانَسَةَ مِنْ دَوَاعِي الألْفَةِ، فَمَا كَانَ اللهُ تَعالَى لِيَجْعَلَ عَائِشَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَا، إلاَّ وَهِيَ طَيِّبَةٌ، لأَنَّهُ ﷺ أَطْيَبُ خَلْقِ اللهِ، وَلَوْ كَانَتْ خَبِيثَةً لما صَلَحَتْ لَهُ شَرْعاً وَلاَ قَدَراً.

والطَّيِّبُونَ والطَّيِّبَاتُ بَعِيدُونَ عَمَّا يَقُولُه أَهْلُ الإِفْكِ، مُبَرَّؤُونَ مِنَ التُّهَمِ التي يَصِفُهُمْ بِهَا الخَبِيثُونَ، وَلَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ بِسَبَبِ مَا قِيلَ فِيهِمْ مِنَ الكَذِبِ، وَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ، والرِّزْقُ الكَرِيمُ.

(وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إنَّ الخَبِيثَاتِ مِنَ الكَلِمَاتِ والأَقْوَالِ لائِقَاتٌ بالخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ الذينَ يَتَفَوَّهُونَ بِهَا).

﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٧) - يُؤَدِّبُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ فَيَأْمُرُهُم بِأَلاَّ يَدْخُلُوا بُيوتاً غَيرَ بُيوتِهِمْ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا قَبْلَ الدُّخولِ (يَسْتَأْنِسُوا)، وَيُسَلِّمُوا بَعْدَ الاسْتِئْذَانِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَأْذِنُوا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُمْ دَخَلُوا وَإِلاَّ انْصَرَفُوا، فَالاسْتِئْذَانُ خَيْرٌ لِلمُسْتَأْذِنِ وَلأَهْلِ البَيْتِ، فالبَيْتُ سَكَنٌ يَفِيءُ إِلَيْهِ النَّاسُ فَتَسْكُنُ أَرْوَاحُهُمْ، وَيَطْمَئِنُّونَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ وَحُرُمَاتِهِمْ، وَيُلْقُونَ عَنْهُمْ أَعْبَاءَ الحِرْصِ والحَذَرِ المُرْهِقَةِ للنُّفُوسِ والأَعْصَابِ، والبُيُوتُ لاَ تَكُونُ كَذَلِكَ إِلاَّ حِينَ تَكُونُ حَرَماً آمِناً لاَ يَسْتَبِيحُهُ أَحَدٌ إِلاَّ بِعِلمِ أَهْلِهِ وَإِذْنِهِمْ فِي الوَقْتِ الذي يُرِيدُونَ هُمْ.

(وَكَانُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ يَدْخُلُونَ بِدُونِ اسْتِئْذَانٍ ثُمَّ يَقُولُونَ لَقَدْ دَخَلْنَا).

(٢٨) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

(٢٨) - فإذا لَمْ يجدُوا فِي هَذِهِ البُيُوتِ أحداً يَأْذَنُ لَهُمْ بالدُّخولِ إِلَيْهَا، كَانَ عَلَيْهِمْ ألاَّ يَدْخُلُوهَا، وَإذا كَانَ أَهْلُ البَيْتِ فِيهِ، وَلَمْ يَأْذَنُوا بالدُّخولِ، كَانَ عَلَى الزَّائِرِ الانْصِرافُ، وَلَيْسَ لَهُ الدُّخولُ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ، أو يَسْتَشْعِرَ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ الإِسَاءَةَ إِلَيْهِ، أو النُّفْرَةَ مِنْهُ، فَلِلنَّاسِ أَسْرارُهم وأَعْذارُهُمْ وَيَجِبُ أَنْ يُتْرَكَ لَهُمْ وَحْدَهُمْ حَقُّ تَقْدِيرِ ظُرُوفِهِمْ. وَاللهُ هُوَ المُطَّلِعُ عَلَى خَفَايَا القُلُوبِ، وهُوَ العَلِيمُ بالدَّوافِعِ.

أزْكَى لَكُمْ - أَطْهَرُ لَكُم مِنْ دَنَسِ الرِّيبَةِ والدَّنَاءَةِ.

(٢٩) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

(مَتَاعٌ)

(٢٩) - ولاَ بَأسَ عَلَيْكُم أيُّهَا المُؤْمِنُونَ فِي أَنْ تَدْخُلوا بُيوتاً غَيْرَ مُعَدَّةٍ لِسُكْنَى قَوْمٍ مُعَيَّنِينَ، ولَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ، كالحَمَّامَاتِ، والفَنَادِقِ والخَانَاتِ المُعَدَّةِ لاسْتِقْبَالِ العَامَّةِ، فَإِذَا أُذِنَ لِلزَّائِرِ أَوَّلَ مَرَّةٍ كَفَى، والأَمْرُ مُتَعلِّقٌ باطِّلاعِ اللهِ عَلَى ظَاهِرِكُم وَبَاطِنِكُم، وَرَقَابَتُهُ عَلَى سَرائِرِكُم وعَلانِيَتِكم، وَفِي هَذِهِ الرَّقَابَةِ ضَمَانَةٌ لِطَاعَةِ القُلُوبِ وامْتِثَالِهَا للأَدَبِ الذي يُؤَدِّبُهَا بِهِ اللهُ.

جُنَاحٌ - جُرْمٌ أَوْ إِثْمٌ أو حَرَجٌ.

مَتَاعٌ لَكُم - مَنْفَعَةٌ لَكُمْ ومَصْلَحَةٌ.

(٣٠) قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

(أَبْصَارِهِمْ)

(٣٠) - يَأْمُرُ اللهُ عِبادَه المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِم، فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ وَقَعَ البَصَرُ عَلَى مُحَرَّمٍ عَلَيْهِمْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَعَلَى المُؤْمِنِ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ بَصَرَهُ سَرِيعاً، كَمَا يَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِحِفْظِ فُرُوجِهم عَنِ الزِّنَى، وبِحِفْظِها مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَزْكَى لِدِينِهم.

(وَفِي الحَدِيثِ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ).
(أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ)

يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ - يَكُفُّوا نَظَرَهُمْ عَنِ المُحَرَّمَاتِ.

(٣١) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

(لِلْمُؤْمِنَاتِ) (أَبْصَارِهِنَّ) (آبَائِهِنَّ) (آبَاءِ) (أَبْنَائِهِنَّ) (أَخَوَاتِهِنَّ) (إِخْوَانِهِنَّ) (نِسَائِهِنَّ) (أَيْمَانُهُنَّ) (التَّابِعِينَ) (عَوْرَاتِ) (أَيُّهَا)

(٣١) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لاَ يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْ عَوْرَاتِ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، وأَنْ

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

يَغْضُضْنَ بَصَرَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الرِّجَالِ الأَجَانِبِ عَنْهُنَّ، لِأَنَّهُ أَوْلَى بِهِنَّ وَأَلْيَقُ، وَأَنْ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنْ الفَوَاحِشِ ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ، وَعَنْ أَنْ يَرَاهُنَّ أَحَدٌ، وَأَنْ لَا يُظْهِرْنَ شَيْئاً مِنَ الزِّينَةِ لِلأَجَانِبِ إِلَّا مَا لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهُ كَالرِّدَاءِ وَالثِّيَابِ وَالخَلْخَالِ (وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : الوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ وَالخَاتَمِ)، وَأَنْ يُلْقِينَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى فَتَحَاتِ ثِيَابِهِنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ (جُيُوبِهِنَّ) لِيَسْتُرْنَ بِذَلِكَ شُعُورَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ حَتَّى لَا يُرى مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنْ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ (كَالسِّوَارِ وَالخَاتَمِ وَالكُحْلِ وَالخِضَابِ . .) إِلَّا لِلأَزْوَاجِ وَآبَاءِ الأَزْوَاجِ وَالإِخْوَةِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَأَبْنَاءِ الأَخَوَاتِ، وَأَبْنَاءِ الأَزْوَاجِ ، وَبَقِيَّةِ المَحَارِمِ الذينَ عَدَّدَهُمْ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ، أو لِلنِّسَاءِ المُسْلِمَاتِ (نِسَائِهِنَّ - وَقِيلَ إِنَّ نِسَاءَهُنَّ تَعْنِي النِّسَاءَ المَخْتَصَّاتِ بِصُحْبَتِهِنَّ وَخِدْمَتِهِنَّ)، أو لِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنْ عَبِيدٍ مُسْلِمِينَ (وَقِيلَ حَتَّى لِغَيْرِ المُسْلِمِينَ)، أو الأَتْبَاعِ المُغَفَّلِينَ وَفِي عُقُولِهِمْ وَلَهٌ، وَلَا يَشْتَهُونَ النِّسَاءَ (وَهُمْ التَّابِعُونَ غَيْرُ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ)، أو لِلأَطْفَالِ الصِّغَارِ الذينَ لَا يَفْهَمُونَ أَحْوَالَ النِّسَاءِ وَعَوْرَاتِهِنَّ، أَمَّا اذا كَانَ الطِّفْلُ مُرَاهِقاً أَوْ قَرِيباً مِنْهُ، يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيَدْرِيهِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّوْهَاءِ وَالحَسْنَاءِ فَلَا يُسْمَحُ لَهُ بالدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ).

كَمَا أَمَرَهُنَّ اللهُ بِأَنْ لَا يَمْشِينَ فِي الطُّرُقَاتِ وَفِي أَرْجُلِهِنَّ الخَلَاخِيلُ فَيَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ الأَرْضَ لِيُسْمَعَ صَوْتُ مِشْيَتِهِنَّ، وَلِتَلْتَفِتَ الأَنْظَارُ إِلَيْهِنَّ، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ نِسَاءُ الجَاهِلِيَّةِ.

(وَفِي الحَدِيثِ الرَّافِلَةُ فِي الزِّينَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا كَمِثْلِ ظُلْمَةِ يَوْمِ القِيَامَةِ). (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي)

وَارْجِعُوا تَائِبِينَ إِلَى طَاعَةِ اللهِ يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، وَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُم بِهِ رَبُّكُم مِنَ التَّخَلُّقِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الجَمِيلَةِ وَالأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ، وَاتْرُكُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، فَإِنَّ الفَلَاحَ فِي فِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَيَا عَنْهُ.

زِينَتَهُنَّ - مَوَاضِعَ زِينَتِهِنَّ مِنَ الجَسَدِ

ظَهَرَ مِنْهَا - الوَجْهُ وَالكَفَّانِ وَالقَدَمَانِ.

وَلْيَضْرِبْنَ - وَلْيُلْقِينَ وَيُسْدِلْنَ

بِخُمُرِهِنَّ - أَغْطِيَةِ رُؤُوسِهِنَّ وَالمَقَانِعِ.

جُيُوبِهِنَّ - فَتَحاتِ ثِيابِهِنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ.

نِسَائِهِنَّ - المُخْتَصَّاتِ بِخِدْمَتِهِنَّ وَصُحْبَتِهِنَّ.

أُولِي الإِرْبَةِ - أَصْحَابِ الحَاجَةِ إِلَى النِّسَاءِ.

لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ - لَمْ يَبْلُغوا حَدَّ الشَّهْوَةِ.

(٣٢) وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

(الأَيَامَى) (الصَّالِحِينَ) (إِمَائِكُمْ) (وَاسِعٌ)

(٣٢) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِمَدِّ يَدِ المُسَاعَدَةِ، بِكُلِّ الوَسَائِلِ، لِمَنْ أَرادَ التَزَوُّجَ، وَلاَ زَوْجَ لَهُ مِنَ الأَحْرارِ والحَرائِرِ (الأَيامَى مِنْكُم - والأَيِّمُ هُوَ مَنْ لاَ زَوْجَ لَهُ ذَكَراً أَوْ أُنْثى) القادِرِ عَلَى النِّكاحِ، والقِيَامِ بِحُقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ، مِنَ الصِّحَّةِ والمَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: رَغَّبَهُم اللهُ فِي التَّزَوُّجِ وأَمَرَ بِهِ الأَحْرارَ والعَبِيدَ، وَوَعَدَهُم عَلَيْهِ الغِنَى (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِم اللهُ) واللهُ واسِعُ الفَضْلِ، عَلِيمٌ بِمَصَالِحِ العِبَادِ.

أَنْكِحُوا الأَيَامَى - زَوِّجُوا مَنْ لاَ زَوْجَ لَهَا، وَمَنْ لاَ زَوْجَةَ لَهُ.

(٣٣) وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(الْكِتَابَ) (أَيْمَانُكُمْ) (وآتُوهُمْ) (آتَاكُمْ) (فَتَيَاتِكُمْ) (الْحَيَاةِ) (إِكْراهِهِنَّ)

(٣٣) - وَمَنْ لَمْ يَجِدْ سَبِيلاً إِلَى التَّزَوُّجِ، فَإِنَّ اللهَ يَأْمُرُهُ بالتَّعَفُّفِ عَنِ الحَرامِ، إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِمَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الزَّواجِ. وإِذَا طَلَبَ العَبْدُ مِنْ سَيِّدِهِ أَنْ يُكَاتِبَهُ عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ مِنْ كَسْبِهِ مُقَسَّطاً وَمُنَجَّماً، فَإِنَّ اللهَ يَأْمُرُ سَيِّدَهُ بِأَنْ يُكَاتِبَهُ. إِذَا قَدَّرَ أَنَّ لِلْعَبْدِ حِيلَةً، وَقُدْرَةً عَلَى الكَسْبِ، وأَمَانَةً وَصِدقاً.

(وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الأَمْرَ أَمْرُ إِرْشَادٍ واسْتِحْبَابٍ لاَ أَمْرَ إِيْجابٍ، فَإِنْ شَاءَ كَاتَبَهُ، وإِنْ شَاءَ لَمْ يُكَاتِبْهُ).

وَاخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الذِي آتَاكُم). والأَكْثَرُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: اطْرَحُوا لَهُمْ مِنَ الكِتَابَةِ بَعْضَها.

وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ المَقْصُودُ هُوَ النَّصِيبُ الذي فَرَضَ اللهُ لَهُمْ مِنْ مَالِ الزَّكَاةِ. وَعَلَى كُلٍّ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ حَثَّ جمِيعَ المُؤْمِنِينَ عَلَى عِتْقِ الرِّقَابِ، والإِعَانَةِ فِي تَحْرِيرِهَا.

﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ
وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

ربع الحزب ٣٦

﴿٣٥﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ
مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: ثَلاَثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: المُكَاتَبُ الذي يُرِيدُ الأَدَاءَ، والنَّاكِحُ يُرِيدُ العَفَافَ، والمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ). (رَوَاهُ أَحْمَد والتِّرمذِيُّ).

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ إِذَا كَانَ لأَحدِهِمْ أَمَةٌ أَرْسَلَهَا تَـزْنِي، وَجَعَلَ عَلَيْهَا ضَرِيبَةً يَأْخُذُهَا مِنْهَا كُلَّ وَقْت، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ نَهى اللهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ ذَلِكَ.

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بْن سَلُولٍ لَهُ إِمَاءُ يُكْرِهُهُنَّ عَلَى البِغَاءِ طَلَباً لِخَرَاجِهِنَّ، وَرَغْبَةً في أَوْلاَدِهِنَّ، وَكَانَ بَعْضُ هَؤُلاَءِ الإِمَاءِ يَأْبَيْنَ ذَلِكَ، وَشَكَوْنَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ فِيهِ. فَهُنَّ يُرِدْنَ التَّعَفُّفَ، وَهُوَ يُرِيدُ إِكْرَاهَهُنَّ لِيُحَصِّلَ خَرَاجَهُنَّ وَمُهُورَهُنَّ وَأَوْلاَدَهُنَّ.

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِذَا أَكْرَهَهُنَّ سَادَتُهُنَّ عَلَى البِغَاءِ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ لَهُنَّ إِثْمَهُنَّ، وَيَكُونُ الإِثْمُ عَلَى مَنْ أَكْرَهَهُنَّ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: لاَ تُكْرِهُوا إِمَاءَكُمْ عَلَى البِغَاءِ التِمَاساً لِعَرَضِ الدُّنْيَا، فَالزِّنَى عَمَلٌ قَبِيحٌ شَنِيعٌ، فَإِنَّ ذَا المُرُوءَةِ لاَ يَرْضَى بِفُجُورِ مَنْ يَحْوِيهِ بَيْتُهُ، فَكَيْفَ يَرْضَى شَهْمٌ عَاقِلٌ أَنْ يُكْرِهَ أَمَتَهُ عَلَى الزِّنَى وَهِيَ تُرِيدُ التَّعَفُّفَ والتَّحَصُّنَ؟

يَبْتَغُونَ الكِتَابَ - يَطْلُبُونَ عَقْدَ المُكَاتَبَةِ المَعْرُوفَ.

فَتَيَاتِكُم - إِمَاءَكُمْ.

البِغَاءُ - الزِّنَى.

تَحَصُّناً - تَعَفُّفاً وَتَصَوُّناً عَنِ الزِّنَى.

(آيَاتٍ) (مُبَيِّنَاتٍ)

(٣٤) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ القُرْآنَ وَفِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَاتٌ لِمَا أَنْتُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ مِنَ الأَحْكَامِ والشَّرْعِ، كَمَا أَنْزَلَ فِيهِ قَصَصاً تَحْوِي أَخْبَارَ الأُمَمِ الغَابِرَةِ، وَفِيهِ عِظَةٌ لِمَنِ اتَّقَى اللهَ وَخَافَهُ.

(السَّمَاوَاتِ) (كَمِشْكَاةٍ) (مُبَارَكَةٍ) (الأَمْثَالَ)

(٣٥) - اللهُ تَعَالَى هَادٍ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ بِمَا نَصَبَ مِنَ الأَدِلَّةِ فِي الأَنْفُسِ والآفَاقِ، وَبِمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ مِنَ البَيِّنَاتِ، فَهُمْ يَهْتَدُونَ إِلَى الحَقِّ بِنُورِهِ، وَبِهِ يَنْجُونَ مِنْ حيرَةِ الشَّكِّ والضَّلاَلِ. وَمَثَلُ الأَدِلَّةِ التي بَثَّهَا اللهُ فِي الآفَاقِ، والتي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، فَهَدَى مَنْ شَاءَ مِنْ

لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

خلْقِه، كَمَثَلِ النُّورِ الثَّاقِبِ المُنْبَعِثِ مِنْ سِرَاجٍ ضَخْمٍ (مِصْبَاح) مَوْضُوعٍ فِي كُوَّةٍ غَيْرِ نَافِذَةٍ مِنْ جِدَارٍ (مِشْكَاةٍ)، والمِصْبَاحُ يَقُومُ فِي قِنْدِيلٍ مِنْ زُجَاجٍ أَزْهَرَ صَافٍ (زُجَاجَةٍ)، وَهَذِهِ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ضَخْمٌ مُضِيءٌ مِنْ دَرَارِي النُّجُومِ ذَاتِ اللَّمَعَانِ الشَّدِيدِ، وَقَدْ رُوِيَتْ فَتِيلَةُ هَذَا المِصْبَاحِ بِزَيْتٍ صَافٍ جداً يُسْتَخْرَجُ مِنَ ثَمَرِ شَجَرَةِ زَيْتُونٍ كَثِيرَةِ الخَيْرِ والمَنَافِعِ (مُبَارَكَةٍ)، زُرِعَتْ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ، أَوْ فِي صَحْرَاءَ وَاسِعَةٍ، فَهِيَ مُعَرَّضَةٌ للشَّمْسِ، لَا يُظِلُّهَا جَبَلٌ، وَلَا يَحْجُبُ نُورَ الشَّمْسِ عَنْهَا شَيءٌ، مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى غُرُوبِهَا (وَمِثْلُ هَذِهِ الزَّيْتُونَة يَكُونُ زَيْتُهَا أَشَدَّ مَا يَكُونُ الزَّيْت صَفَاءً).

(وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ، إِنهَا لَا شَرْقِيَّةٌ فَحَسْبُ، فَتَقَعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ مِنْ جِهَتِهَا الشَّرْقِيَةِ فَحَسْبُ، وَلَا تُصِيبُهَا مِنْ طَرَفِهَا الغَرْبِيِّ، كَذَلِكَ لَيْسَتْ هِيَ غَرْبِيَّةً فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا تُصِيبُهَا الشَّمْسُ طُولَ النَّهَارِ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى مَغِيبِهَا، وَمِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا).

وَهَذَا الزَّيْتُ يَكَادُ يُضِيءُ بِنَفْسِهِ لِشِدَّةِ صَفَائِهِ، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، فَإِذَا أُشْعِلَ اجْتَمَعَ نُورُ الزَّيْتِ، وَنُورُ النَّارِ فِيهِ وَأَضَاءَا مَعاً (نُورٌ عَلَى نُورٍ).

وَكَذَلِكَ قَلْبُ المُؤْمِنِ يَعْمَلُ بالهُدَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ العِلْمُ، فَإِذَا جَاءَهُ العِلْمُ ازْدَادَ نُوراً عَلَى نُور، وَهُدى عَلَى هُدًى، وَاللهُ يُرْشِدُ مَنْ يَشَاءُ إِلَى الصَّوَابِ بِالنَّظَرِ وَالتَّدَبُّرِ، وَلِيدرِكُوا بِهَا مَعَانِيَ مَا أَرَادَ اللهُ. واللهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ فَيَهْدِيهِ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ فَيُضِلُّهُ.

اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ - مُنَوِّرُهُمَا أَوْ هَادِي أَهْلِهِمَا.

المِشْكَاةُ - الكُوَّةُ غَيْرُ النَّافِذَةِ فِي الجِدَارِ.

مِصْبَاحٌ - سِرَاجٌ ضَخْمٌ ثَاقِبٌ.

زُجَاجَةٌ - قِنْدِيلٌ مِنَ الزُّجَاجِ صَافٍ أَزْهَرُ

كَوْكَبٌ دُرِّيٌ - مُتَلأْلِئٌ صَافٍ.

(٣٦) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ

(٣٦) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مَثَلَ نُورِهِ لِعِبَادِهِ، وَهِدَايَتَهُ إِيَّاهُمْ، أَرَادَ هُنَا بَيَانَ حَالِ مَنْ اهْتَدَوا بِذَلِكَ النُّورِ، وَصِفَاتِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّ حَالَ هَؤُلَاءِ المُهْتَدِينَ فِي الطَّهَارَةِ مِنَ النَّجَاسَاتِ الحِسِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ (كَاللَّغْوِ والرَّفَثِ فِي الحَدِيثِ) كَمَثَلِ القِنْدِيلِ فِي المِصْبَاحِ المُضِيءِ، الدُّرِي المُقَامِ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ التِي أُقِيمَتْ لِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى فِيهَا، وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مُنَزَّهَةٌ، يَقُومُ فِيهَا بِعِبَادَتِهِ تَعَالَى رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ يُنَزِّهُونَ اللهَ تَعَالَى فِيهَا وَيُقَدِّسُونَه فِي أَوَائِلِ النَّهَارِ (الغُدُوِّ) وَفِي آخِرِهِ (الآصَالِ).

﴿٣٧﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ

﴿٣٨﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

﴿٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

فِي بُيُوتٍ - المَسَاجِدِ كُلِّها.
أَنْ تُرْفَعَ - أَنْ تُعظَّمَ وَتُطَهَّر أو تُشادَ
بالغُدُوِّ والآصَالِ - أولِ النَّهارِ وآخِرِهِ.

(تِجَارَةٌ) (الصَّلاَةِ) (الزَّكَاةِ) (الأَبْصَارُ)

(٣٧) - وَهؤُلاءِ الرِّجَالُ، الذينَ يَعْمُرُونَ بُيُوتَ اللهِ، هُمْ رِجَالٌ أَصْحَابُ هِمَمٍ وَعَزَائِمَ لاَ يُلْهِيهِمْ شَيْءٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وإقَامِ الصَّلاَةِ: لاَ تِجَارَةٌ، وَلاَ بَيْعٌ، وَلاَ تَشْغَلُهُم الدُّنْيا وَزُخْرُفُهَا، وَزِينَتُها، وَمَلاَذُهَا، وَلاَ بَيْعُها، وَلاَ رِبْحُها. . عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الذي عَنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُمْ وأَنْفَعُ مِمَا بِأَيْدِيهِمْ، وَهُمْ يُقَدِّمُونَ طَاعَةَ رَبِّهِمْ وَمَحَبَّتَه عَلَى مُرادِهِم وَمَحَبَّتِهِمْ، فَلاَ شَيءَ يُلْهِيهِم عَنْ أَنْ يُؤَدُّوا الصَّلاَةَ فِي وَقْتِهَا، لأَنَّهُمْ يَخَافُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ الذي تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ والأَبْصَارُ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ وَعِظَمِ الهَوْلِ.

(٣٨) - وَهؤُلاءِ هُمُ الذينَ يَتَقَبَّلُ اللهُ تَعَالَى حَسَنَاتِهِمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيُضَاعِفُ لَهُمُ الحَسَنَاتِ (وَيَزِيدُهُم مِنْ فَضْلِهِ)، وَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَبِدُونِ تَحْدِيدٍ فَهُوَ الكَرِيمُ الجَوَادُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ - بَلاَ نِهَايَةٍ لِمَا يُعْطِي، أَوْ بِتَوَسُّعٍ.

(أَعْمَالُهُمْ) (الظَّمْآنُ) (فَوَفَّاهُ)

(٣٩) - وَيَضْرِبُ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ التِي يَعْمَلُها الذينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَه، وَجَحَدُوا كُتُبَه، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ أَعْمَالَهم تَنْفَعُهم يَوْمَ القِيَامَةِ، وَتُنْجِيهِم مِنْ عَذَابِ اللهِ، ثُمَّ تَخِيبُ فِي النَّتِيجَةِ آمَالُهِمْ، وَيَجِدونَ خِلاَفَ مَا قَدَّرُوا. فَيُشَبِّهُ اللهُ تَعَالَى تِلْكَ الأَعْمَالَ بالسَّرَابِ الذي يَرَاهُ الظَّمْآنُ فِي القِيعَانِ مِنَ الأَرْضِ وَكَأَنَّهُ بَحْرٌ طَامٍ، مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، فَإِذَا رَأَى السَّرَابَ مَنْ هُوَ مُحْتَاجٍ إلى المَاءِ حَسِبَهُ مَاءً فَقَصَدَهُ لِيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً. فَكَذَلِكَ الكَافِرُ يَحْسَبُ أَنَّهُ قَدْ عَمِلَ عَمَلاً يَنْفَعُهُ، وأَنَّهُ قَدْ حَصَّلَ شَيئاً فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَعَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. فَإِذَا جَاءَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَحَاسَبَهُ رَبُّهُ، وَنَاقَشَهُ فِي أَعْمَالِهِ لَمْ يَجِدْ لَهُ شَيْئاً مِنَ العَمَلِ مَقْبُولاً يَنْتَفِعُ بِهِ عِنْدَ اللهِ فَيُوفِّيهِ اللهُ حِسَابَه، وَهُوَ العِقَابُ الذي تَوَعَّدَ اللهُ بِهِ الكَافِرِينَ. واللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ لاَ يُبْطِي وَلاَ يُخْطِيءُ.

السَّرَابُ - شُعَاعٌ يُرَى ظُهْراً فِي البَرِّ عَنْدَ اشْتِدَادِ الحَرِّ كَالمَاءِ السَّارِبِ.
القِيعَةِ - الأَرْضِ المُنْبَسِطَةِ وَفِيهَا يَظْهَرُ السَّرَابُ.

٤٠ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ

(كَظُلُماتٍ) (يَغْشَاهُ) (ظُلُماتٌ) (يراها)

(٤٠) - وَيَضْرِبُ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً آخَرَ يُشَبِّهُ بِهِ أَعْمَالَ الكَافِرِينَ الصَّالِحَةَ، فَيَقُولُ إِنَّهَا تُشْبِهُ ظُلُمَاتِ البَحْرِ العَمِيقِ الوَاسِعِ، الذي تَتَلاطَمُ أَمْوَاجُهُ عِنْدَ هِيَاجِهِ، وَيَعْلُو بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، وَيُغَطِّيهَا سَحَابٌ كَثِيفٌ قَاتِمٌ يَحْجُبُ النُّورَ عَنْهَا، فَهذِهِ ظُلُمَاتٌ مُتَرَاكِمَةٌ لاَ يَسْتَطِيعُ رَاكِبُ البَحْرِ مَعَهَا أَنْ يَرَى يَدَهُ إِذَا أَخْرَجَها لِشِدَّةِ الظُّلْمَةِ. وَهُوَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الحَيْرَةِ مِنْ غَيْرِ نُورٍ يَهْدِيهِ فِي مَسِيرَتِهِ.

كَذَلِكَ الكَافِرُونَ لاَ يُفِيدُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلاَ يَخْرُجُونَ مِنْ عَمَايَتِهِمْ وَضَلاَلِهِمْ، إِلاَّ بِنُورِ الإِيْمَانِ، وَمَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللهُ إِلَى الإِيْمَانِ، وَإِلَى الخَيْرِ، فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَلَيْسَ لَهُ مِنْ نُورٍ.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ المَقْصُودَ هُنَا بِالظُّلُمَاتِ أَعْمَالُ الكَافِرِينَ، وَبِالبَحْرِ اللُّجِّيِّ قُلُوبُهم التي غَمَرَهَا الجَهْلُ، وَتَغَشَّتْها الحَيْرَةُ والضَّلاَلَةُ، فَهِي لاَ تَعْقِلُ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ آيَاتٍ وَحُجَجٍ وَعِظَاتٍ فَتِلْكَ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ).

بَحْرٌ لُجِّيٌّ - عَمِيقٌ كَثِيرُ المَاءِ.

يَغْشَاهُ - يَعْلُوه وَيُغَطِّيهِ.

سَحَابٌ - غَيْمٌ يَحْجُبُ نُورَ السَّمَاءِ.

٤١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ

(السَّمَاوَاتِ) (صَافَّاتٍ)

(٤١) - أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ (وَهُمُ المَلاَئِكَةُ)، وَمَنْ فِي الأَرْضِ مِنَ البَشَرِ والدَّوابِّ والجَمَادِ والنَّبَاتِ، وَتُسَبِّحُ لَهُ الطَّيْرُ فِي حَالِ طَيَرَانِهَا فِي أَجْوَاءِ الفَضَاءِ (صَافَّاتٍ)، وَتَعْبُدُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُهُ، وَقَدْ أَرْشَدَ اللهُ كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى طَرِيقَتِهِ وَمَسْلَكِهِ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللهُ عَالِمٌ بِكُلِّ ذَلِكَ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، فَكَيْفَ يَكْفُرُ بِهِ هَؤُلاَءِ الجَاحِدُونَ؟

صَافَّاتٍ - بَاسِطَاتٍ أَجْنِحَتَها فِي الهَوَاءِ.

٤٢ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ

(السَّمَاوَاتِ)

(٤٢) - واللهُ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، فَهُوَ الحَاكِمُ وَالإِلهُ المَعْبُودُ، الذي لاَ تَنْبَغِي العِبَادَةُ إِلاَّ لَهُ، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَإِلَيْهِ يَصِيرُ النَّاسُ جَمِيعاً يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهم عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَيَجْزِيَهُمْ عَلَيْهَا.

(٤٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ

(خِلاَلِهِ) (بِالأَبْصارِ)

(٤٣) ـ أَلَمْ تَرَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كَيفَ يَسُوقُ اللهُ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ السَّحَابَ بِالرِّيحِ أَوَّلَ مَا يُنْشِئُهُ (وَهُوَ الإِزْجَاءُ)، ثُمَّ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّ بَعْضَه إِلَى بَعْضٍ بَعْدَ تَفَرُّقِهِ (وَهُوَ التَّأليفُ)، ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُتَراكِماً يَرْكَبُ بَعْضُه بَعْضاً، فإِذَا أَثْقَلَ خَرَجَ المَطَرُ (الوَدْقُ) مِنْ خِلاَلِهِ، وَيَكُونُ السَّحَابُ فِي هَيْئَةِ الجِبَالِ الضَّخْمَةِ الكَثِيفَةِ فِيهَا قِطَعُ البَرَدِ والثَّلجِ الصَّغِيرَةِ، ثُمَّ وَفْقَ نِظَامٍ قَدَّرَه اللهُ تَعَالَى، يُوَجِّهُ اللهُ السَّحَابَ إِلَى الأَمَاكِنِ التِي يُرِيدُ لِيُفْرِغَ مَا فِيهِ مِنْ مَاءٍ وَبَرَدٍ وَثَلجٍ ، فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِ السَّحَابِ البَرْقُ الذِي تَكَادُ قُوَّةُ بَرِيقِهِ تَخْطَفُ الأَبْصَارَ، وَتَذْهَبُ بِهَا. وَهَذِهِ الظَّوَاهِرُ دَلاَلَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ المُوجِبَةِ لِلإِيمَانِ بِهِ.

الوَدْقُ ـ مَاءُ المَطَرِ.

يُزْجِي سَحَاباً ـ يَسُوقُه بِرِفْقٍ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ.

يَجْعَلُهُ رُكاماً ـ مُجْتَمِعاً يَرْكَبُ بَعْضُه بَعْضاً.

سَنَا بَرْقِهِ ـ ضَوْءُ بَرْقِهِ وَلَمَعَانُهُ.

(٤٤) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ

(اللَّيْلَ) (الأَبْصارِ)

(٤٤) ـ وَاللهُ تَعَالَى يَتَصَرَّفُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَيَأخُذُ مِنْ طُولِ هَذَا لِيُضِيفَ فِي قِصَرِ هَذَا حَتَّى يَعْتَدِلاَ، ثُمَّ يَتَتَابَعُ هَذَا التَّنَاوُبُ؛ فَهُوَ تَعَالَى المُتَصَرِّفُ بِذَلِكَ بِأَمْرِهِ وَقَهْرِهِ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ تَجْعَلُ ذَوِي الأَبْصَارِ وَالعُقُولِ المُدْرِكَة يُؤمِنُونَ بِاللهِ تَعَالَى.

(٤٥) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(٤٥) ـ يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِقُدْرَتِهِ التَّامَّة، وَسُلْطَانِهِ العَظِيمِ فِي خَلْقِهِ المَخْلُوقَاتِ، عَلَى اخْتِلاَفِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، مِنْ مَاءٍ جَعَلَهُ أَسَاساً فِي تَرْكِيبِ أَجْسَامِ المَخْلُوقَاتِ ثُمَّ خَالَفَ بَيْنَها فِي الأَشْكَالِ وَالأَلْوَانِ وَالاسْتِعْدَادَاتِ فَمِنْ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ، مَنْ يَمْشِي زَحْفاً عَلَى بَطْنِهِ كَالحَيَّاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ كَالإِنْسَانِ وَالطُّيُورِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ كَالأَنْعَامِ. وَاللهُ تَعَالَى يَخْلُقُ بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ، لِيَكُونَ خَلْقُهُ دَلِيلاً عَلَى قُدْرَتِهِ. وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَلاَ يُعْجِزُهُ شَيءٌ أَبداً.

(٤٦) لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(آياتٍ) (مُبيِّناتٍ) (صِراطٍ)

(٤٦) - وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آياتٍ وَاضِحاتٍ لِلدَّلالَةِ عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ والرَّشادِ، وَلَكِنْ لاَ يَتَوَصَّلُ إِلَى فَهْمِهَا إِلاَّ مَنْ أُوتِيَ فَهْماً سَلِيماً وَبَصِيرَةً نَيِّرَةً، وَاللهُ يُرْشِدُ مَنْ يَشاءُ إِلَى الطَّرِيقِ القَوِيمِ الذي لاَ عِوَجَ فِيهِ، طَرِيقِ الهُدَى والرَّشادِ.

(٤٧) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ

(آمَنَّا) (أُولَئِكَ)

(٤٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ المُنَافِقِينَ الذينَ يُظْهِرُونَ خِلاَفَ مَا يُبْطِنُونَ، فَيَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ: آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ، وَأَطَعْنَا أَمْرَهُمَا، ثُمَّ تُخَالِفُ أَعْمَالُهُمْ أَقْوَالَهُمْ فَيَفْعَلُونَ خِلاَفَ مَا يَقُولُونَ، لِذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى عَنْهُمْ: إِنَّ أُولَئِكَ لَيْسُوا بِالمُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ الثَّابِتِينَ عَلَى الإِيمَانِ الصَّحِيحِ.

(٤٨) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ

(٤٨) - وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، بِمُقْتَضَى مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ شَرْعٍ، ظَهَرَ نِفَاقُهم، وَأَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِ الحَقِّ، واسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ، فَإِذَا كَانَتِ الحُكُومَةُ عَلَيْهِمْ أَعْرَضُوا وَدَعَوا إِلَى غَيرِ الحَقِّ، وأَحَبُّوا أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ لِيَرُوجَ بَاطِلُهُمْ، لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ لاَ يَحْكُمُ إِلاَّ بالحَقِّ.

(٤٩) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ

(٤٩) - وَإِذَا كَانَتِ الحُكُومَةُ لَهُمْ، لاَ عَلَيْهِمْ، جَاؤوا سَامِعِينَ مُطِيعِينَ (مُذْعِنِينَ)، وَلَكِنَّ إِذْعَانَهُمْ هَذَا لَمْ يَكُنْ عَنِ اعْتِقَادٍ مِنْهُمْ أَنَّ حُكْمَهُ هُوَ الحَقُّ بَلْ لأَنَّهُ مُوَافِقٌ لأَهْوَائِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ إِذَا خَالَفَ الحَقّ قَصْدَهُمْ عَدَلُوا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

مُذْعِنِينَ - مُنْقَادِينَ مُطِيعِينَ.

(٥٠) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

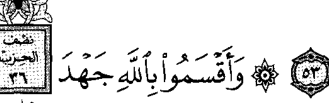
(أُولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٥٠) - وَلاَ يَخْرُجُ سَبَبُ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الاحْتِكَامِ إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَإِلَى رَسُولِ اللهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاحِداً مِنْ ثَلاَثَةٍ.

- إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضُ الكُفْرِ والنِّفَاقِ.
- وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أَنَّهُم ارْتَابُوا أَوْ شَكُّوا فِي نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ السلامُ.

﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟
إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

﴿٥٢﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ
ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَآئِزُونَ



﴿٥٣﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

- وإمَّا أنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أنَّهُمْ خافُوا أنْ يَجُورَ عَلَيهم اللهُ وَرَسُولُهُ فِي الحُكْمِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعالَى: وَلَكِنَّ الحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْدِلُوا عَنْ الاحْتِكَامِ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا لأَنَّهُمْ مَرْضَى القُلُوبِ بِالْكُفْرِ والنِّفَاقِ، وَلأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ لأَنْفُسِهِمْ بِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِم الذي يَقْضِي عَلَى المُؤْمِنِينَ بالرِّضَا بِحُكْمِ اللهِ، وَحُكْمِ رَسُولِهِ فِيمَا أَحَبُّوا، وَفِيمَا كَرِهُوا، والتَّسْلِيمِ لِقَضَائِهِ ﴿فلاوربك لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(١).

أَنْ يَحِيفَ - أَنْ يَجُورَ.

(أُوْلَئِكَ)

(٥١) - أَمَّا المُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ فَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: سَمْعاً وَطَاعَةً للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَهَؤُلَاءِ الذينَ يَقُولُونَ هَذَا القَوْلَ، هُمُ المُفْلِحُونَ، لأَنَّهُمْ يَنَالُونَ مَا يَطْلُبُونَ، وَيَسْلَمُونَ مِمَّا يَرْهَبُونَ.

(فَأُوْلَئِكَ) (الْفَائِزُونَ)

(٥٢) - وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا بِهِ، وَيَنْتَهِ عَمَّا نَهَيَا عَنْهُ، وَمَنْ يَخْشَ اللهَ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَيَتَّقِهِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ والأَعْمَالِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الفَائِزُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَالآمِنُونَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ.

(أَيْمَانِهِمْ) (لَئِنْ)

(٥٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، الذينَ كَانُوا يَحْلِفُونَ للرَّسُولِ ﷺ عَلَى أَنَّهُ إِذَا أَمَرَهُمْ بالخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى الغَزَاةِ لَيَخْرُجُنَّ مَعَهُ مُطِيعِينَ مُمْتَثِلِينَ. وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ قُلْ لَهُمْ: لَا تُقْسِمُوا، وَلَا تَحْلِفُوا فَطَاعَتُكُمْ مَعْرُوفَةٌ، فَهِيَ قَوْلٌ لَا فِعْلٌ، وَكُلَّمَا حَلَفْتُمْ كَذَبْتُم، وَاللهُ خَبِيرٌ بِكُمْ، وَبِمَنْ يُطِيعُ، وَبِمَنْ يَعْصِي، فالحَلْفُ وإِظْهَارُ الطَّاعَةِ إِذَا رَاجَا عَلَى المَخْلُوقِ، فَلَا يَرُوجَانِ عَلَى الخَالِقِ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الضَّمَائِرِ، وَإِنْ أَظْهَرَ العِبَادُ خِلَافَ مَا يُضْمِرُونَ.

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ - مُجْتَهِدِينَ فِي الحَلْفِ بِأَغْلَظِ الأَيْمَانِ.
طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ - طَاعَتُكُمْ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ باللِّسَانِ.

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥٤) قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ

(الْبَلاغُ)

(٥٤) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أطِيعُوا اللهَ، وأَطِيعُوا الرَّسُولَ طَاعَةً صَادِقَةً، واتَّبِعُوا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ، فَفِي اتِّبَاعِهِمَا الهِدَايَةُ والرَّشَادُ، أَمَّا إِذَا تَوَلَّيْتُم وأَعْرَضْتُم وَتَرَكْتُم مَا جَاءَكُم بِهِ رَسُولُ اللهِ، فَعَلَى الرَّسُولِ إِبْلاغُ الرِّسَالَةِ، وأَدَاءُ الأَمَانَةِ (عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ)، فَهِيَ مَا حَمَّلَهُ اللهُ، أَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ حُمِّلْتُمْ قَبُولَ ذَلِكَ، والإِيْمَانَ بِهِ وتَعْظِيمَهُ، والقِيَامَ بِمُقْتَضَاهُ. وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَبْلُغُوا الهِدَايَةَ لأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى صِرَاطِ اللهِ المُسْتَقِيمِ، والرَّسُولُ مُكَلَّفٌ بِدَعْوَتِكُمْ وَإِبْلاغِكُمْ.

مَا حُمِّلَ - مَا أُمِرَ بِهِ مِنَ التَّبْلِيغِ.

مَا حُمِّلْتُمْ - مَا أُمِرْتُم بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ والانْقِيَادِ.

(٥٥) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (فَأُوْلَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٥٥) - هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ مِنْ أُمَّتِهِ خُلَفَاءَ فِي الأَرْضِ، وَأَئِمَّةً لِلنَّاسِ، وَأَنَّهُ سَيُبَدِّلُهُمْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَمْناً وَحُكْماً فِيهِمْ. وَقَدْ أَمْضَى المُسْلِمُونَ عَشْرَ سِنِينَ فِي مَكَّةَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ سِرّاً، وَهُمْ خَائِفُونَ لاَ يُؤْمَرُونَ بِالقِتَالِ، حَتَّى أُمِرُوا بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَأُمِرُوا بِالقِتَالِ، فَكَانُوا خَائِفِينَ يُمْسُونَ بالسِّلاَحِ، وَيُصْبِحُونَ بالسِّلاحِ، فَصَبَرُوا عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ. ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبَدَ الدَّهْرِ نَحْنُ خَائِفُونَ هَكَذَا؟ مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمٌ نَأْمَنُ فِيهِ، وَنَضَعُ السِّلاَحَ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: لَنْ تَصْبِروا إِلاَّ يَسِيراً حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُم فِي المَلأ العَظِيمِ مُحْتَبِياً لَيْسَتْ فِيهِ حَدِيدَةٌ). وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ سَيَسْتَخْلِفُ المُؤْمِنِينَ فِي الأَرْضِ، كَمَا اسْتَخْلَفَ المُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَسَيَكُونُ لَهُم الأَمْرُ. وَحَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَمَنْ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَجَحَدَ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ وَكَفَى بِذَلِكَ ذَنْباً عَظِيماً.

(٥٦) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ

(الصَّلاَةَ) (الزَّكَاةَ)

(٥٦) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَه المُؤْمِنِينَ بِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَإِتْمَامِهَا بِخُشُوعٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ، وَبِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ (وَهِيَ الإِحْسَانُ إِلَى الضُّعَفَاءِ والفُقَرَاءِ) كَمَا يَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يُطِيعُوا فِي ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ فِيمَا أَمَرَهُم بِهِ، وَأَنْ يَتْرُكُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُهُمْ بِذَلِكَ.

﴿٥٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

(مَأْوَاهُمْ)

(٥٧) ـ وَلَا تَظُنَّ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ الذينَ كَفَرُوا، وَخَالَفُوكَ، وَكَذَّبُوكَ، أَنَّهُمْ سَيُعْجِزُونَ اللهَ عَنِ الوُصُولِ إِلَيْهِمْ فِي الأَرْضِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، وَسَيُعَذِّبُهُم عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ العَذَابِ، وَسَيَجْعَلُ جَهَنَّمَ مَأْوَاهُمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، وَسَاءَتِ النَّارُ مُسْتَقَرّاً وَمَصِيراً.

مُعْجِزِينَ ـ فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِنَا بِالهَرَبِ.

﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (لِيَسْتَأْذِنْكُمْ) (أَيْمَانُكُمْ) (ثَلَاثَ) (مَرَّاتٍ) (صَلَاةِ) (ثَلَاثُ) (عَوْرَاتٍ) (طَوَّافُونَ) (الآيَاتِ)

(٥٨) ـ هَذِهِ الآيَةُ تَشْمَلُ آدَابَ الاسْتِئْذَانِ بَيْنَ الأَقَارِبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ والمُؤْمِنِينَ، بِأَنْ يَسْتَأْذِنَهُم خَدَمُهُمْ (الذين مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) وَأَطْفَالُهُم الذينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ.

ـ قَبْلَ صَلَاةِ الفَجْرِ إِذْ يَكُونُ النَّاسُ نِيَاماً فِي فُرُشِهِمْ.

ـ وَوَقْتَ القَيْلُولَةِ بَعْدَ الظَّهِيرَةِ، لِأَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَضَعُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ فِي تِلْكَ الحَالِ مَعَ أَهْلِهِ.

ـ وَوَقْتَ النَّوْمِ (بَعْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ).

فَيُؤْمَرُ الخَدَمُ والأَطْفَالُ بِأَلَّا يَهْجُمُوا عَلَى أَهْلِ البَيْتِ فِي هَذِهِ الأَحْوَالِ. وَقَالَ تَعَالَى إِنَّ هَذِهِ الأَوْقَاتِ هِيَ عَوْرَاتٌ لِلنَّاسِ. أَمَّا فِي غَيْرِ هَذِهِ الأَوْقَاتِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ إِذَا دَخَلُوا لِأَنَّهُمْ فِي خِدْمَةِ البَيْتِ يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ آيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا فِيهِ المَصْلَحَةُ، حَكِيمٌ فِيمَا يَشْرَعُ.

جُنَاحٌ ـ حَرَجٌ فِي الدُّخُولِ بِلَا آسْتِئْذَانٍ.

﴿٥٩﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(الأَطْفَالُ) (فَلْيَسْتَأْذِنُوا) (اسْتَأْذَنَ) (آيَاتِهِ)

(٥٩) ـ فَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ الذينَ كَانُوا يَسْتَأْذِنُونَ فِي العَوْرَاتِ الثَّلَاثِ مَبْلَغَ الرِّجَالِ (الحُلُمَ)، وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ كَمَا يَسْتَأْذِنُ مَنْ سَبَقُوهُم فِي البُلُوغِ، مِنْ وَلَدِ الرَّجُلِ وَأَقَارِبِهِ. وَكَمَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى لَكُمْ مَا ذَكَرَ غَايَةَ البَيَانِ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا فِيهِ سَعَادَتُكُم فِي دُنْيَاكُم وَآخِرَتِكُم، وَاللهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَقَدَرِهِ.

﴿٦٠﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(الْقَوَاعِدُ) (اللاَّتِي) (مُتَبرِّجَاتٍ)

(٦٠) - والنِّساءُ الطَّاعِنَاتُ فِي السِنِّ اللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الوَلَدِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُنَّ تَطَلُّعٌ إِلَى التَزَوُّجِ، فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ مَا عَلَى غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ فِي الحَجْرِ والتَّسَتُّرِ، وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِنَّ فِي أَنْ يَخْلَعْنَ ثِيَابَهُنَّ الخَارِجِيَّةَ عَلَى أَنْ لاَ تَنْكَشِفَ عَوْرَاتُهُنَّ، وَلاَ يَنْكَشِفْنَ عَنْ زِينَةٍ، وَخَيْرٌ لَهُنَّ أَنْ يَبْقَيْنَ كَاسِياتٍ بِثِيَابِهِنَّ الخَارِجِيَّةِ الفَضْفَاضَةِ. وَسَمَّى تَعَالَى مِنْهُنَّ ذَلِكَ اسْتِعْفَافاً، أَيْ يَفْعَلْنَهُ طَلَباً لِلعِفَّةِ، وإِيثاراً لَهَا لِمَا بَيْنَ التَّبَرُّجِ والفِتْنَةِ مِنْ صِلَةٍ، وَبَيْنَ التَّحَجُّبِ والتَّسَتُّرِ والعِفَّةِ مِنْ صِلَةٍ، وَخَيْرُ سَبِيلٍ إِلَى العِفَّةِ تَقْلِيلُ فُرَصِ الغَوَايَةِ، والحَيْلُولَةِ بَيْنَ أَسْبَابِ الإِثَارَةِ وَبَيْنَ النُّفُوسِ. واللهُ تَعَالَى يَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ اللِّسَانُ، وَيَطَّلِعُ عَلَى مَا يُوَسْوِسُ فِي الجَنَانِ وَيُجَازِي عَلَى ذَلِكَ. والأَمْرُ كُلُّهُ أَمْرُ نِيَّةٍ وَحَسَاسِيَّةٍ فِي الضَّمِيرِ.

القَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ - العَجَائِزُ اللَّوَاتِي قَعَدْنَ عَنِ الحَيْضِ
مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ - مُظْهِرَاتٍ لِلزِّينَةِ الخَفِيَّةِ.

﴿٦١﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم

(آبَائِكُمْ) (أُمَّهَاتِكُمْ) (إِخْوانِكُمْ) (أَخَوَاتِكُمْ) (أَعْمَامِكُمْ) (عَمَّاتِكُمْ) (أَخْوالِكُمْ) (خَالاَتِكُمْ) (مُبَارَكَةً) (الآيَاتِ)

(٦١) - اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ مَوْضُوعِ الحَرَجِ الذي رُفِعَ فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ عَنْ الأَعْمَى والأَعْرَجِ والمَرِيضِ :

- فَقِيلَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الجِهَادِ، وَإِنَّهُ لاَ حَرَجَ عَلَى هَؤُلاَءِ فِي تَرْكِهِ لِضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ.

- وَقِيلَ أَيضاً: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ مِنَ الأَكْلِ مَعَ الأَعْمَى لأَنَّهُ لاَ يَرَى الطَّعَامَ، وَمَا فِيهِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، فَرُبَّمَا سَبَقَه غَيْرُهُ إِلَى ذَلِكَ، كَمَا كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ مَعَ الأَعْرَجِ لأَنَّهُ لاَ يَتَمَكَّنُ مِنَ الجُلُوسِ فَيَفْتَاتُ عَلَيْهِ جَلِيسُهُ. كَمَا قِيلَ إِنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بالمَرِيضِ لأَنَّه لاَ يَسْتَوفِي مِنَ الطَّعَامِ كَغَيْرِهِ، فَكَرِهُوا أَنْ يُؤَاكِلُوهُمْ لِئَلاَّ يَظْلِمُوهُمْ.

- وَقِيلَ أَيْضاً: إِنَّ النَّاسَ كانُوا قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ يَتَحَرَّجُونَ مِنَ الأَكْلِ مَعَ هَؤُلاَءِ تَقَذُّراً وَتَعَزُّزاً، لِئَلاَّ يَتَفَضَّلُوا عَلَيْهِمْ.

- وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَدْخُلُ بَيتَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ فَتُتْحِفُهُ المرأةُ بِشَيءٍ مِنَ الطَّعَامِ فَلا يَأْكُلُ لأَنَّ رَبَّ البَيْتِ غَيْرُ حَاضِرٍ.

وَلَمْ يَذْكُرِ اللهُ تَعَالَى الأَبْنَاءَ لأَنَّ بَيْتَ الابْنِ بِمَنْزِلَةِ بَيْتِ الأَبِ نَفْسِهِ وَمَالُ الابْنِ فِي مَنْزِلَةِ مَالِ الأَبِ.

بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً
طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

ـ وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ البيوتِ دُونَ استئذانٍ، وَيَسْتَصْحِبُونَ العُمْيَ وَالعُرْجَ والمَرْضَى مِنَ الفُقَرَاءِ لِيُطْعِمُوهُمْ، وبَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[1] تَحرَّجَ النَّاسُ أَنْ يَطْعَمُوا، وَتَحرَّجَ العُمْيُ والمَرْضَى أَنْ يَصْحَبُوهُم دُونَ دَعْوَةٍ مِنْ أَصْحَابِ البُيوتِ أو إِذْنٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ لِيَرْفَعَ الحَرَجَ عَنِ الأَعْمَى والأَعْرَجِ والقريبِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ بيتِ قَرِيبِهِ، وَأَنْ يَصْحَبَ هَؤُلاَءِ المُحْتَاجِينَ تَأْسِيساً عَلَى أَنَّ صَاحِبَ البيتِ لاَ يَكْرَهُ هَذَا، وَلاَ يَتضرَّرُ بِهِ.

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ بَعْضِ العَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْلا يَأْكُلَ الطَّعَامَ عَلَى انْفِرَادٍ، فَكَانَ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَنْ يُؤَاكِلُهُ عَافَ الطَّعَامَ، فَرَفَعَ اللهُ هَذَا الحَرَجَ المُتَكَلَّفَ وَرَدَّ الأَمْرَ إِلَى بَسَاطَتِهِ، دُونَ تَعْقِيدٍ. وَقَالَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا أَفْرَاداً أو جَمَاعَاتٍ (جَمِيعاً أو أَشْتَاتاً).

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى آدَابَ دُخُولِ البُيُوتِ التي يُؤْكَلُ فِيهَا، فَيُسَلِّمُ الإِنْسَانُ عَلَى قَرِيبِهِ أو صَدِيقِهِ، وَهُوَ كَأَنَّمَا يُسَلِّمُ عَلَى نَفْسِهِ، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، والتَّحِيَّةُ التي يُلْقِيهَا عَلَيْهِمْ هِيَ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ للنَّاسِ آيَاتِهِ وحِكَمَهُ لَعَلَّهُمْ يُدْرِكُونَ المَنْهَجَ الإِلَهِيَّ، وَلَعَلَّهُم يَعْقِلُونَ مَا فِي هَذِهِ الآيَاتِ والحُجَجِ.

(٦٢) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ
أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ
يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن
شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(آمَنُوا) (يَسْتَأْذِنُوهُ) (يَسْتَأْذِنُونَكَ) (أُوْلَئِكَ) (آسْتَأْذَنُوكَ)

(٦٢) ـ وَهُنَا يُؤَدِّبُ اللهُ النَّاسَ، فَكَمَا أَمَرَهُمْ بالاسْتِئْذَانِ عِنْدَ الدُّخُولِ، كَذَلِكَ أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَلاَّ يَتفرَّقُوا عَنِ النَّبِيِّ إلاَّ بعدَ اسْتِئْذَانِهِ ومُشَاوَرَتِهِ، وللرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَأْذَنَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ.

وَرَوَى ابنُ إِسْحَاقَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: لَمَّا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَالأَحْزَابُ عَلَى حَرْبِ المُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ، أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِحَفْرِ خَنْدَقِ المَدِينَةِ، وَأَخَذَ يَعْمَلُ بِنَفْسِهِ تَرْغِيباً لِلمُسْلِمِينَ فِي الأَجْرِ، فَعَمِلَ المُسْلِمُونَ، وَأَبْطَأَ رِجَالٌ مِنَ المُنَافِقِينَ، وَأَخَذُوا يَقُومُونَ بالضَّعِيفِ مِنَ العَمَلِ وَيَتَسَلَّلُونَ بغَيْرِ إِذْنِ الرَّسُولِ ﷺ. وَكَانَ المُسْلِمُونَ يَسْتَأْذِنُونَ الرَّسُولَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِم، فَإِذا قَضَى أَحَدُهُمْ حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ، رَغْبَةً فِي الخَيْرِ والأَجْرِ، واحْتِسَاباً لَهُ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ هَؤُلاَءِ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً.

أَمْرٍ جَامِعٍ ـ أَمْرٍ مُهِمٍّ يَجِبُ اجْتِمَاعُهُمْ لَهُ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

(٦٣) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

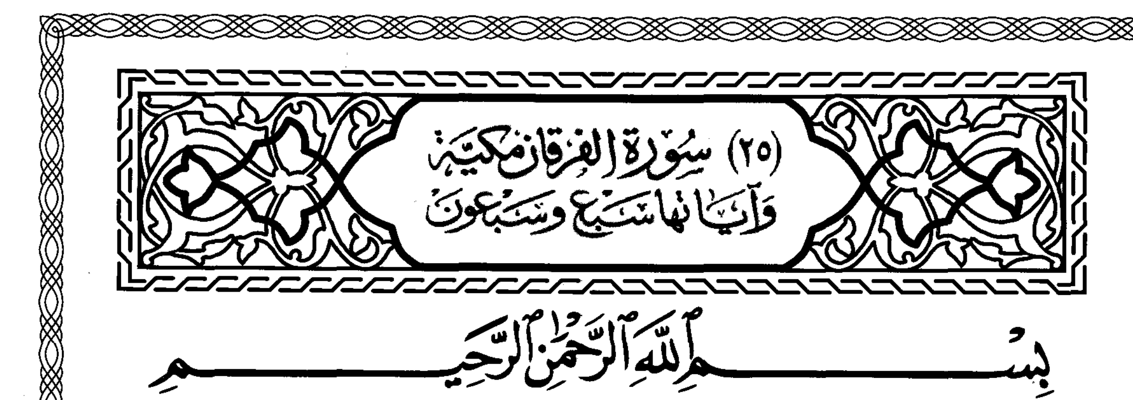
(٦٣) ـ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُنَادِي رَسُولَ اللهِ ﷺ بِيَا مُحَمَّدُ، أو بِيَا أَبَا القَاسِمِ . . . فَنَهَاهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ تَعْظِيماً لِقَدْرِ الرَّسُولِ وَتَبْجِيلاً، فَقَالَ قُولُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَيَا رَسُولَ اللهِ. وَيُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى المُنَافِقِينَ الذين يَتَسَلَّلُونَ وَيَذْهَبُونَ بِدُونِ إِذْنٍ. يَلُوذُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَيَتَدَارَى بَعْضُهم بِبَعْضٍ لِكَيْلَا يَرَاهُم الرَّسُولُ، فَعَيْنُ اللهِ تَرَاهُمْ وَإِنْ لَمْ تَرهُمْ عَيْنُ الرَّسُولِ. وَيُصَوِّرُ اللهُ تَعَالَى حَالَ هَؤُلَاءِ وَهُمْ يَتَسَلَّلُونَ بِحَذَرٍ مِنْ مَجْلِسِ الرَّسُولِ، مِمَّا يُمَثِّلُ جُبْنَهُمْ عَنِ المُوَاجَهَةِ وَطَلَبِ الإِذْنِ. وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَيَتَّبِعُونَ نَهجاً غَيْرَ نَهْجِهِ، وَيَتَسَلَّلُونَ مِن الصَّفِّ ابْتِغَاءَ مَنْفَعَةٍ، أَو اتِّقَاءَ ضَرَرٍ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ تَخْتَلُّ فِيهَا المَوَازِينُ، وَيَضطَرِبُ فِيهَا النِّظَامُ، فَيَخْتَلِطُ الحَقُّ بالبَاطِلِ، وَتَفْسُدُ أُمُورُ الجَمَاعَةِ وَحَيَاتُها، أو يُصِيبُهم عَذَابٌ أليمٌ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

دُعَاءَالرَّسُولِ ـ دَعْوَته لَكُمْ لِلاجْتِمَاعِ، أو نِدَاءَكُم لَهُ.
يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُم ـ يَخْرُجُونَ مِنهُ تَدْرِيجاً فِي خِفْيَةٍ.
لِوَاذاً ـ يَسْتَتِرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي الخُرُوجِ.
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ـ يُعْرِضُونَ أَوْ يَصُدُّونَ عَنْهُ.
فِتْنَةٌ ـ بَلاءٌ وَمِحْنَةٌ فِي الدُّنْيَا.

(٦٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(السَّمَاوَات)

(٦٤) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وأَنَّهُ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، وأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُهُ العِبَادُ، فِي سِرِّهِمْ وَجَهْرِهِمْ، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَمُشَاهِدٌ لَهُ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الأَرْضِ، وَيَوْمَ يَرْجِعُ الخَلْقُ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُخْبِرُهُم بِجَمِيعِ مَا فَعَلُوهُ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا.



(١) تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

((لِلْعالَمِينَ)

(١) - يَحْمَدُ اللهُ تَعالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ، وَيُبارِكُها عَلى إِنْزالِهِ القُرْآنَ عَلى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ نَزَّلَ القُرآنَ فُرْقاناً، يَفْرِقُ بَين الحَقِّ والباطِلِ، وَأَنْزَلَهُ تَعالَى مُنَجَّماً شَيْئاً فَشَيْئاً، حَسَبَ مُقْتَضَياتِ الحاجَةِ والضرورَاتِ لِيَكُونَ نَذِيراً لِلإِنْسِ والجِنِّ (العالَمِينَ) مِنْ عَذابٍ أَليمٍ إِذا استَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَطُغْيانِهِمْ.

تَبارَكَ - تَعالَى وَتَمجَّدَ، أو تَكاثَرَ خَيْرُهُ.

الفُرْقَانَ - القرآنَ الفاصلَ بين الحَقِّ والباطلِ.

(٢) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا

(السَّماوَاتِ)

(٢) - واللهُ تَعالَى الذِي أَنْزَلَ الكِتابَ عَلى عَبْدِهِ محمَّدٍ، لِيَكُونَ نَذِيراً لِلعالَمِينَ، لَهُ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّماوَاتِ والأَرْضِ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ لَهُ صاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، تَعالَى وَتَنَزَّهَ سُبْحانَهُ عَمّا يَقُولُه المُشْرِكُونَ، وَهُوَ خالِقُ كُلِّ شَيء فِي الوُجُودِ وَبارِئُهُ، وَهُوَ مَلِكُهُ وَإِلَهُهُ، وَكُلُّ شَيء فِي الوُجُودِ تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَقَدْ أَوْجَدَ كُلَّ شَيْءٍ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ إِرادَتُهُ المَبْنِيَّةُ عَلَى الحِكَمِ البالِغَةِ، وَهَيَّأَهُ لِما أرادَهُ لَهُ مِنَ الخَصائِصِ والأَفْعالِ اللائِقَةِ بِهِ.

(٣) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا

(آلِهَةً) (حَياةً)

(٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى عَنْ جَهْلِ المُشْرِكِينَ فِي اتِّخاذِ آلِهَةٍ عبدوها مِنْ دُونِ اللهِ الخالِقِ لِكُلِّ شيءٍ، المَالِكِ لأَزِمَّةِ الأمورِ، الذي ما شاءَ كانَ، وَما لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ المُشْرِكِينَ عَبَدُوا مَعَهُ أصناماً لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَخْلُقَ بَعُوضَةً، وَلاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِها نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً، فَكَيْفَ تَمْلِكُ مِثْلَ ذَلِكَ لِمَنْ يَعْبُدُونَها؟ وَلاَ تَمْلِكُ هَذِهِ الأَصْنامُ مَوْتاً وَلاَ حَياةً، وَلاَ تَمْلِكُ

﴿٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا

﴿٥﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

﴿٦﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

نُشوراً. والذي يَمْلِكُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ، هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِىءُ، الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيَبْعَثُ الخَلاَئِقَ وَيَنْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ. وَمَنْ مَلَكَ ذَلِكَ كَانَ هُوَ الأَحَقَّ بالعِبَادَةِ.

نُشوراً - بَعْثاً بعدَ الموتِ فِي الآخِرَةِ.

(افْتَرَاهُ) (آخَرُونَ) (جَاؤُوا)

(٤) - وَيَقُولُ الكافِرُونَ الجَهَلَةُ اسْتِكْبَاراً وعِنَاداً، إِنَّ هَذَا القُرْآنَ الذي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، إِنْ هُوَ إِلاَّ كَذِبٌ تَقَوَّلَهُ مُحَمَّدٌ وَنَسَبَه إِلَى رَبِّهِ (إِفْكٌ افْتَرَاهُ)، واسْتَعانَ عَلَى جَمْعِهِ وَوَضْعِهِ بِآخَرِينَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ (والذي قَالَ هَذَا القولَ هُوَ أَبو جَهْلٍ)، وَهَؤُلاَءِ الكُفَّارُ الذينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا القَوْلِ هُمُ الذينَ يَفْتَرُونَ الكَذِبَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا يَقُولُونَهُ بَاطِلٌ، وَيَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا زَعَمُوهُ.

إِفْكٌ - كَذِبٌ.

الافْتِرَاءُ - الاخْتِلاَقُ والاخْتِرَاعُ.

الزُورُ - الكَذِبُ العَظِيمُ الذي لاَ تُبلغُ غَايَتُهُ.

(أَسَاطِيرُ)

(٥) - وَقَالَ هَؤُلاَءِ الكُفَّارُ أيضاً: إِنَّ القُرْآنَ الذي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، إِنْ هُوَ إِلاَّ قِصَصُ الأَوَّلِينَ (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) وَكُتُبُهُمْ اسْتَنْسَخَهَا مُحَمَّدٌ (اكْتَتَبَهَا)، فَهِيَ تُقْرَأُ عَلَيْهِ صَبَاحاً وَمَسَاءً (تُمْلَى عَلَيْهِ) خفيَةً، لِيَحْفَظَهَا غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، فَلاَ يَقِفُ النَّاسُ عَلَى حَقِيقَةِ الحَالِ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى سُخْفِ عُقُولِهِمْ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّداً لاَ يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ، وَكَانَ بينَهُمْ طَوَالَ حَيَاتِهِ حَتَّى بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، فَمَا كَانَ لِيَكْذِبَ عَلَى اللهِ وَيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ - كَمَا قَالَ هِرَقْلُ لأَبِي سُفْيَانَ بن حَرْبٍ -.

أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ - قِصَصُ الأَوَّلِينَ المَسْطُورَةُ فِي كُتُبِهِمْ

بُكْرَةً وأَصِيلاً - أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ - أَيْ دَائِماً.

(السَّمَاوَاتِ)

(٦) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الذِي نَزَّلَ القرآنَ هُوَ اللهُ، الذي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَيَعْلَمُ السَّرَائِرَ، كما يَعْلَمُ الظَوَاهِرَ، وَهُوَ غَفُورٌ لِمَنِ اسْتَغْفَرَهُ وَتَابَ إِلَيْهِ، وَهُوَ تَعَالَى يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ والإِقْلاَعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَيَعِدُهُمْ بالمَغْفِرَةِ إِنْ تَابُوا وأَخْلَصُوا فِي تَوْبَتِهِمْ.

يَعْلَمُ السِّرَّ - يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَغِيبُ وَيَخْفَى.

﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا

(مَا لِهَٰذَا)

(٧) ـ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الكُفَّارُ، إِمْعَاناً فِي عِنَادِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ: إِنَّ هَذَا الرَّسُولَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ مِثْلَمَا نَأْكُلُ، وَيَشْرَبُ كَمَا نَشْرَبُ، وَيَتَجَوَّلُ فِي الأَسْوَاقِ طَلَباً لِلتَّكَسُّبِ والتِجَارَةِ، فَكَيْفَ يُرِيدُنَا أَنْ نُصَدِّقَهُ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ وَهَلَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً مِنْ عِنْدِهِ، فَيَكُونَ شَاهِداً لَهُ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا يَدَّعِيهِ؟

﴿٨﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا

(الظَّالِمُونَ)

(٨) ـ وَهَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ عِلْمٌ عَنْ مَكَانِ كَنْزٍ يُنْفِقُ مِنْهُ، أو يَكُونُ لَهُ بُسْتَانٌ (جَنَّةٌ) يَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهِ، وَقَالَ الكَافِرُونَ، الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ: إِنَّ مُحَمَّداً رَجُلٌ مَسْحُورٌ قَدْ أَثَّرَ فِيهِ السِّحْرُ فَهُوَ يَهْذِي وَيَخْلِطُ.

وَاللهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحَقِّقَ لِرَسُولِهِ جَمِيعَ مَا سَأَلُوهُ، وَقَالُوا لَهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ، لَهُ الحِكْمَةُ فِي تَرْكِ ذَلِكَ، وَلَهُ الحُجَّةُ البالِغَةُ، لأَنَّهُ إِنْ أَجَابَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا ثُمَّ استمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ، دَمَّرَهُمُ اللهُ كَمَا دَمَّرَ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ.

جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ـ بُسْتَانٌ مُثْمِرٌ يَتَعَيَّشُ مِنْهُ.

رَجُلاً مَسْحُوراً ـ رَجُلاً غَلَبَ السِّحْرُ عَلَى عَقْلِهِ.

﴿٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا

(الأَمْثَالَ)

(٩) ـ فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيفَ تَقَوَّلُوا عَلَيْكَ، وَكَيْفَ جَاؤُوا بِمَا يَقْذِفُونَكَ بِهِ، وَيَكْذِبُونَ بِهِ عَلَيْكَ، فَاخْتَرَعُوا لَكَ صِفَاتٍ وَأَحْوَالاً بَعِيدَةً كُلَّ البُعْدِ عَنْ صِفَاتِكَ التي أنتَ عليها (وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ ساحِرٌ وَمَجْنُونٌ وَشَاعِرٌ وَمُفْتَرٍ...) وَكُلُّهَا بَاطِلَةٌ، فَضَلُّوا عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ والهُدَى، وَصَارُوا حَائِرِينَ مُتَرَدِّدِينَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَلَا يَدرُونَ ما يَقُولُونَ فِيكَ.

﴿١٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا

(جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ)

(١٠) ـ يُبَارِكُ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ، وَيُنَزِّهُهَا عَنْ شِرْكِهِمْ، وَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّهُ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ فِي الدُّنْيَا خيراً مِمَّا يَسْأَلُونَ: جَنَاتٍ تَجْرِي فِي جَنَبَاتِهَا الأَنْهَارُ، وَقُصُوراً (وَكُلُّ بَيْتٍ مَبْنِي بِالحِجَارَةِ تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ قَصْراً)، وَلَكِنَّه تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ، لأَنَّهُ أَرَادَ إِعْطَاءَكَ ذَلِكَ فِي الدارِ الآخِرَةِ.

(وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ نُعْطِيَكَ خَزَائِنَ الأَرْضِ، وَمَفَاتِيحَهَا مَا لَمْ نُعْطِ نَبِيّاً قَبْلَكَ، وَلاَ نُعْطِي أَحَداً بَعْدَكَ، وَلاَ يُنْقِصُ ذٰلِكَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ اجْمَعُوهَا لِي فِي الآخِرَةِ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ).

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١١)

(١١) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَمْ يُنْكِرُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِن الحَقِّ، وَلَمْ يَتَقَوَّلُوا عَلَيْكَ إِلاَّ لأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ والحِسَابِ، وَلاَ يُصَدِّقُونَ بِأَمْرِ الثوابِ والعِقَابِ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ يَتَعَلَّلُونَ بِهٰذِهِ المَطَالِبِ لِيَصْرِفُوا النَّاسَ عَنِ الهُدَى والحَقِّ، وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِمَنْ يُكَذِّبُ بالسَّاعَةِ، والقِيَامَةِ، والحَشْرِ، والحِسَابِ، والثَّوَابِ، ناراً أَليمةً شديدَةَ الاشْتِعَالِ.

السعيرُ - النَّارُ العظِيمَةُ الشديدةُ الاشْتِعَالِ.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (١٢)

(١٢) - وإِذَا أَصْبَحَتْ جَهَنَّمُ مِنْهُمْ عَلَى مَرَأَى النَّظَرِ، وَهُمْ فِي المحشَرِ، بَعِيدُونَ عَنْهَا، سَمِعُوا لَهَا صَوْتاً يُشْبِهُ صَوْتَ المَغِيظِ المُحْنَقِ، لِشِدَّةِ تَوَقُّدِهَا، وَيُشْبِهُ صَوْتَ الزَّفِيرِ الذي يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الحزينِ المَكْرُوبِ المُتَحَسِّرِ.

تَغَيُّظاً - صَوْتَ غليانٍ كصوتِ المُتَغَيِّظِ.

زَفِيراً - صَوتاً شَدِيداً كَصَوْتِ الزَّافِرِ.

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣)

(١٣) - وَإِذَا أُلْقُوا فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مِنْهَا، وَأَيْدِيهِم مَجْمُوعَةٌ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بالقُيُودِ والأَغْلاَلِ، نَادَوْا هُنَالِكَ طَالِبِينَ تَعْجِيلَ هَلاَكِهِمْ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ هَوْلِ العَذَابِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِ هٰذِهِ الآيَةِ: إِنَّ المُجْرِمِينَ لَيُسْتَكْرَهُونَ فِي النَّارِ كَمَا يُسْتَكْرَهُ الوَتَدُ فِي الحَائِطِ).

مقرَّنِينَ - مَقْرُونَةً أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِالأَغْلاَلِ.

ثُبُوراً - وَيْلاً وَهَلاَكاً فَقَالُوا واثُبُوراهُ.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (١٤)

(١٤) - فَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخاً وَتَقْرِيعاً: لاَ تَطْلُبُوا اليومَ هَلاَكاً وَاحِداً بَلِ اطْلُبُوهُ مِرَاراً، فَلَنْ تَجِدُوا لَكُمْ خَلاَصاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَّلُ مَنْ يُكسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ هُوَ إِبْلِيسُ، فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبِهِ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ؛ وَذُرِّيَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُوَ يُنَادِي واثُبُوراه. وَيَقُولُونَ يَاثُبُورَهُمْ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لا تَدْعُوا اليومَ ثُبُوراً وَاحِداً وادعُوا ثُبُوراً كثيراً). (رواهُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ).

﴿١٥﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا

(١٥) - قُلْ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ المُكَذِّبِينَ: أَهَذَا الَّذِي وَصَفْنَاهُ لَكَ مِنْ حَالِ الأَشْقِيَاءِ، الَّذِينَ يُحْشَرونَ عَلَى وُجُوهِهِم إِلى جَهَنَّم، فَتَتَلَقَّاهُمْ بِوجهٍ عَبُوسٍ وَتَغَيُّظٍ وَزَفِير، وَيُلْقَونَ في أَمَاكِنَ ضَيِّقَةٍ مِنْهَا مُقَرَّنِين، لا يَسْتَطِيعُونَ حَرَاكاً وَلَا اسْتنصاراً مِمَّا هُم فِيهِ... أَذَلِكَ خيرٌ أمْ جنَّة الخُلدِ الَّتِي وَعَدَ اللهُ بِها عِبَادَه المُتَّقِين، وَأَعَدَّها لَهُم لِتكُونَ لَهُم جَزاءً وَمصِيراً عَلى مَا أَطَاعُوا رَبَّهم فِي الدُّنيا؟

﴿١٦﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا

(خَالِدِينَ) (يَشَاؤُونَ) (مَسْؤُولا)

(١٦) - وَلَهُم فِي الجَنَّةِ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ المآكِلِ، وَالْمَشَارِبِ، وَالمَلَابِسِ، وَالمَسَاكِنِ، وَالمَنَاظِرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذنٌ سَمِعَتْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ خَالِدُون أَبَداً سَرمَداً، وَلَا يَبْغُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ تَحَوُّلاً وَلَا زَوَالاً، وَهَذَا كُلُّه مِن فَضْلِ الله، تَفَضَّل بِهِ عَلَيْهِم، وَأَحْسَن بِهِ إِلَيْهِمْ، وَهُو وَعْدٌ مِنْ اللهِ وَاجِبُ الوُقُوعِ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَع.

وَعْداً مَسؤُولاً - وَعْداً حَقِيقاً بِأَنْ يُسأَلَ وَيُطْلَب.

﴿١٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ

(أَأَنْتُمْ)

(١٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَومَ القِيَامَةِ مِنْ تَقْرِيعٍ لِلكُفَّارِ عَلى عِبادَتِهِم الأَصْنَامَ، وَالأَوْثَانَ، وَالمَلَائِكَةَ، وَعِيسَى، وَعُزَيْراً، وَغيرهم، فَيَحْشُرُ اللهُ العَابِدِينَ والمَعْبُودِين إِلَيهِ، وَيَسْأَلُ المَعْبُودِين فيقُولُ لَهُم: أَأَنْتم دَعَوْتُم هَؤُلاءِ إِلى عِبَادَتِكم مِن دُونِي، أَمْ هُم الَّذِين ضَلُّوا سَبِيلَ الهُدَى باخْتِيَارِهم، فَعَبَدُوكم مِن تِلْقَاء أَنْفُسِهِمْ مِن غَيرِ دَعوةٍ مِنْكُم لَهُم؟

﴿١٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا

(سُبْحَانَكَ) (آبَاءَهُمْ)

(١٨) - فَيُجيب المعْبُودُون قَائِلين: سُبْحَانَك وَتنزَّه اسْمُكَ يَا رَبَّنا، لَيس لِلخَلائِق جَمِيعاً أَنْ يعبُدوا أَحَداً سِوَاك، لا نَحنُ وَلا هُم، وَنَحنُ لَم نَدْعُهمْ إِلى ذَلك، بَلْ هُم فَعَلُوهُ مِنْ تِلقَاءِ أَنْفُسِهمْ مِنْ غَيرِ أَمرنا وَلا رِضَانَا، وَنحنُ بَراءٌ مِنْهُم، وَمِنْ عِبادتِهِمْ، وَلكِنَّ السَّبَبَ فِي كُفْرِهِم هُو أَنَّك يَا رَبَّنا أكثرتَ عَليهِم وَعَلى آبائِهم نِعمكَ، لِيَعرفُوا حَقَّها وَيَشْكُروكَ عَلَيها، فَاسْتَغرقُوا فِي الشَّهَواتِ، وَانهمكُوا فِي المَلَذَّاتِ، وَغَفلُوا عَنْ ذِكْرِكَ فَكَانُوا مِن الهَالِكِينَ.

قَوْماً بُوراً - هالِكِينَ بائِرِينَ.

نَسُوا الذِّكرَ - غَفَلُوا عن دَلَائِلِ الوَحْدَانِيَّة.

(١٩) فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا

(١٩) فَيُقَال لِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِين الَّذِين عَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ حِينَئِذٍ: لَقَدْ رَأَيْتُم أَنّ الَّذِين عَبَدْتُموهُم مِن دُونِ الله، وَزَعَمْتُم أَنّهم أَوْلياؤُكُم يُقَرِّبُونَكم إلى اللهِ زُلْفَى يَوْمَ القِيَامَةِ، قَدْ كَذَّبُوكُمْ فِيما تَقُولُونَ، وَها أَنْتُمْ فُرادَى ضِعَافٌ أَمَامَ الخَالِقِ القَوِيِّ الدَّيَّانِ، لاَ تَسْتَطِيعُونَ صَرْفَ العَذَابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلا الانْتِصَارَ لَها، وَلا تَجِدُونَ نَصْراً مِنْ أَحدٍ يَصْرِفُ العَذابَ عَنْكُمْ، فَأَنْتُمْ مُعَذَّبُونَ لا مَحالَةَ. وَلْيَعْلَمِ العِبادُ جَمِيعاً أَنَّ مَنْ يَظْلِمْ نفسَهُ بِالكُفْرِ وَالطُّغْيانِ كَما فَعَل أُولئِكَ، فَإِنَّنا سَنُعَذِّبُه عَذاباً أَلِيماً.
صَرْفاً - دَفْعاً لِلْعَذابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ.

(٢٠) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا

(٢٠) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعالى عَلى هٰؤُلاءِ، وَهُوَ يُخاطِبُ رَسُولَه ﷺ قَائِلاً: إِنَّهُ تَعالَى لَمْ يُرْسِلِ الرُّسُلَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ إِلاَّ مِنَ البَشَرِ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَتَزَوَّجُونَ، وَيَتَكَسَّبُونَ بِالعَمَلِ، وَلَيسَ فِي ذٰلِكَ غَرابَةٌ، وَلاَ مُنَافَاةَ لِحَالِ النُّبُوَّةِ. وَجَعَلَ اللهُ لِلأَنْبِيَاءِ مِنْ حُسْنِ القَوْلِ، وَمِمَّا أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الآيَاتِ، دَلاَئِلَ وَحُجَجاً عَلَى صِحَّةِ دَعْوَتِهِمْ، وَصِدْقِ ما جَاؤُوا بِهِ أَقْوامَهُم، وَجَعَلَ اللهُ بَعْضَ النَّاسِ ابْتِلاءً لِبَعْضٍ، وَالمُفْسِدُونَ يُحَاوِلُونَ سَدَّ الطَّرِيقِ إِلى الهِدَايَةِ وَالحَقِّ، بِشَتَّى الأَسَالِيبِ، فَهَلْ تَصْبِرُونَ يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُون عَلَى هٰذا الابْتِلاءِ، وَتَتَمَسَّكُونَ بِدِينِكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِنَصْرِهِ؟ فَإِنَّ اللهَ تَعالَى بَصِيرٌ مُطَّلِعٌ عَلى أَحْوالِ العِبادِ، وَسَيُجازِي كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى عَمَلِهِ.
فِتْنَةً - ٱبْتِلاءً وَمِحْنَةً

(٢١) ۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا

الجزء ١٩ الحزب ٣٧

(ٱلْمَلاَئِكَةُ) (وعَتَوْا)

(٢١) - وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا وَأَنْكَرُوا البَعْثَ، وَالنُّشُورَ، وَالجَزاءَ، وَكَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ فِيما جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِم: هلاَّ أُنْزِلَ عَلَينا المَلائِكَةُ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَنَراهُمْ عِياناً لِيُخْبِرُونا أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ حَقاً، فَإِنَّا فِي شَكٍّ وَمِرْيَةٍ مِنْ أَمْرِهِ. وَإِذا لَمْ يَكُنْ هٰذا فَلْنَرَ رَبَّنا فَيُخْبِرَنا أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلينا رَسُولاً، وَيَدْعُونا إِلى طَاعَتِه وَتَصْدِيقِهِ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعالى عَلى اقْتِراحَاتِ هٰؤُلاءِ المُقْتَرِحِينَ قَائِلاً: لَقَدِ ٱسْتَكْبَرَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ فِي شَأْنِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا الحَدَّ فِي العُتُوِّ وَالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ.
لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنا - لاَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ سَيُلاَقُونَ رَبَّهُمْ فِي الآخِرَةِ.
عُتُوّاً - تَجاوُزَ الحَدِّ فِي الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ وَالتَّكَبُّرِ.

(٢٢) يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا

(ٱلْمَلائِكَة) (يَوْمَئِذٍ)

(٢٢) - وَيقُولُ اللهُ تَعالَى لِهؤلاءِ المُكَذِّبينَ: إنَّهُمْ حِينَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ في سَاعَةِ آحْتِضَارِهِمْ، وَدُنُوِّ أَجلِهم فَتُبَشِّرُهُم المَلائِكَةُ بِعَذابٍ أَليمٍ مِنَ اللهِ وَيَضْرِبونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ لإِخْراجِ أَرْوَاحِهِمْ، فَيَكُونُ ذلِكَ اليَوْمُ يَوْماً عَسِيراً عَلَى الكَافِرِينَ، لاَ يَومَ بِشَارَةٍ لَهُمْ بالكَرَامَةِ وَالجَنَّةِ وَالمَغْفِرَةِ. وَتَقُولُ المَلائِكَةُ لِهَؤُلاَءِ المُجْرِمِينَ: حَرامٌ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُم الفَلاحُ اليَومَ، وَحرامٌ عَلَيْكُمْ البُشْرَى - أَيْ جَعَلَ اللهُ البُشْرَى والجَنَّةَ عَلَيْكُمْ حَراماً مُحَرَّماً.

(وَقِيلَ إنَّ هَذَا يَكُونُ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ عِنْدَ الموتِ، وَلاَ مُنَافَاةَ بَينَ القَولَيْنِ، فَيَوْمَ المَمَاتِ وَيومَ الحشرِ تَظْهَرُ المَلاَئِكَةُ للخَلاَئِقِ فَيُبَشِّرُونَ المُؤْمِنِينَ بِالخَيرِ والرَّحْمَةِ، وَيُبَشِّرُونَ الظَّالمينَ بالوَيْلِ والثُّبورِ).

حِجْراً مَحْجُوراً - حَراماً مُحَرَّماً.

(٢٣) وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا

(فَجعَلْنَاه)

(٢٣) - وَهَؤُلاَءِ المُجْرِمُونَ عَمِلُوا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا أَعْمَالاً ظَنُّوهَا حَسَنَةً مُفِيدَةً: كَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَإِغَاثَةِ المَلْهُوفِ، والمَنِّ عَلَى الأَسِيرِ.. مِمَّا لَوْ كَانُوا عَمِلُوهُ مَعَ الإِيْمَانِ لَنَالُوا ثَوابَهُ، فَعَمَدَ اللهُ تَعَالَى إِلَى مَحَاسِنِ أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ فَجَعَلَهَا كَالهَبَاءِ المَنْثُورِ الذي لاَ يُفِيدُ ولا يُجْمَعُ.

(وَقَدْ مَثَّلَ اللهُ حَالَهُمْ بِحَالِ قَوْمٍ خَالَفُوا سُلْطَانَهُمْ، واسْتَعْصَوا عَلَيْهِ، فَقَصَدَ إِلَى مَا بينَ أيديهِمْ فأفْسَدَهُ وَبَعْثَرَهُ وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ أَثَراً).

الهَبَاءُ - الرَّمَادُ أو ما تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ.

المَنْثُورُ - المُفَرَّقُ المُبَعْثَرُ.

(٢٤) أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا

(أَصْحَابُ) (يَوْمَئِذٍ)

(٢٤) - وَيَوْمَ القيامَةِ يَصِيرُ المُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ فِي الجَنَّاتِ العَالِيَاتِ، والغُرَفِ الآمِنَاتِ، فَهُمْ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ حَسَنِ المَنْظَرِ، طَيِّبِ المُقَامِ، والكُفَّارُ يَكُونُونَ فِي دَرَكَاتِ النارِ السَّافِلاَتِ، فَأَصْحَابُ الجَنَةِ خَيْرٌ مَنْزِلاً وَمُسْتقراً مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الذينَ كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ومَنَازِلِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

مَقِيلاً - مَكَانَ اسْتِرْوَاحٍ وَتَمَتُّعٍ وَقْتَ الظَّهِيرَةِ.

(٢٥) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا

(بِالْغَمَامِ) (الْمَلائِكَةُ)

(٢٥) - وَاذْكُرْ أَيُّها الرَّسُولُ لِقَوْمِكَ أهوالَ يومِ القِيَامَةِ، وَمَا يَقَعُ فيهِ مِنَ الأُمُورِ العِظَامِ، إِذْ تَتَفَتَّتُ الشُّمُوسُ والكَوَاكِبُ، وَتَنْتَشِرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ

كَالغَمَامِ المُتَشَقِّقِ، وَتَنْزِلُ المَلائِكَةُ نُزُولاً مُؤَكَّداً بِصَحَائِفِ أعمَالِ العِبَادِ، لِتُقَدَّمَ لدى العَرْضِ والحِسَابِ، وَتَكُونَ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ لدَى الفَصْلِ والقَضَاءِ، وتُحِيطُ بالخَلائِقِ فِي مَقَامِ المَحْشَرِ.

نُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنْزِيلاً ـ نُزِّلَتِ المَلائِكَةُ نُزُولاً مُؤَكَّداً.

تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بالغَمَامِ ـ تَتَفَتَّحُ السَّمَاوَاتُ بالسَّحَابِ الأَبْيَضِ الرَّقِيقِ.

(٢٦) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا

(يَوْمَئِذٍ) (الْكَافِرِينَ)

(٢٦) ـ وَيكُونُ المالِكُ الحقُّ فِي ذَلِكَ اليومِ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ولاَ مَلِكَ غَيْرُهُ. وَهُوَ يَوْمٌ صَعْبٌ شَدِيدُ الهَوْلِ عَلَى الكَافِرِينَ، لأَنَّهُ يَوْمُ عدلٍ، وَقَضَاءٍ، وَفَصْلٍ، وَيَعْلَمُونَ فِي ذَلِكَ اليومِ مَا قَدَّمُوا مِنْ سَيِّئِ العَمَلِ، وَمَا أَسْلَفُوا مِنْ كُفْرٍ بِرَبِّ العِبَادِ، وَتَكْذِيبٍ لأَنْبِيائِهِ، وَمِنْ عَمَلٍ أثِيمٍ.

(٢٧) وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا

(يَا لَيْتَنِي)

(٢٧) ـ وَيَنْدَمُ فِي ذَلِكَ اليومِ الظَّالِمُونَ الكَافِرُونَ، الذين تَرَكُوا طَرِيقَ الرَّسُولِ، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الحَقِّ المُبِينِ، وَيَعَضُّونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ نَدَماً عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا اتَّبَعْنَا طَرِيقَ الرَّسُولِ المُوصِلِ إِلَى الجَنَّةِ، وَلَكِنَّ النَّدَمَ لا يَنْفَعُهُمْ حِينَئِذٍ.

(وَيُرْوَى أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ، إِذْ كَانَ يَزْجُرُ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ لِحُضُورِهِ مَجْلِسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

سَبِيلاً ـ طَرِيقاً إِلَى الهُدَى.

(٢٨) يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا

(يَا وَيْلَتَى)

(٢٨) ـ وَيَقُولُ الظالِمُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مُتَحَسِّراً: يَا خَسَارَهُ وَيَا هَلاَكَهُ، وَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً وَصَدِيقاً (وَيَذْكُرُ اسمَ من أَضَلَّهُ وَصَرَفَهُ عَنِ الحَقِّ والهُدَى)، وَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ.

(٢٩) لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا

(الشَّيْطَانُ) (لِلإِنْسَانِ)

(٢٩) ـ لَقَدْ أَضَلَّنِي هَذا الصَّدِيقُ عَنِ الإِيْمَانِ بالقُرْآنِ بَعْدَ بُلُوغِهِ إِلَيَّ، وَمَنَّانِي بالنَّصْرِ والفَلاحِ، وَمِنْ عَادَةِ الشَّيْطَانِ أَنْ يُمَنِّي وَيَعِدَ، وَيُمَنِّي كَذِباً وَغُرُوراً، وَأَنْ يَخْذُلَ الإِنْسَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَتْرُكَهُ لِمَصِيرِهِ، وَيَقُولَ لأَوْلِيَائِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[1].

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ المَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْذُلُ الإِنْسَانَ عَنِ الحَقِّ، وَيَصْرِفُهُ عَنْهُ، وَيَسْتَعْمِلُهُ فِي البَاطِلِ وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ).

خَذُولاً - كَثِيرَ الخِذْلَانِ لِمَنْ يُوَالِيهِ.

﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا

(يَا رَبِّ) (الْقُرْآنَ)

(٣٠) - وَقَالَ الرَّسُولُ مُشْتَكِياً إِلَى رَبِّهِ: يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً، أَيْ أَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ بَعَثْتَنِي إِلَيْهِمْ لأَدْعُوَهُمْ إِلَى تَوْحِيدِكَ، وَأَمَرْتَنِي بِإِبْلَاغِ القُرْآنِ إِلَيْهِم، قَدْ هَجَرُوا كِتَابَكَ، وَتَرَكُوا الإِيمانَ بِكَ، وَلَمْ يَأْبَهُوا بِوَعِيدِكَ، بل أعْرَضُوا عنِ استماعِهِ واتِّبَاعِهِ.

مَهْجُوراً - مَتْرُوكاً مُهْمَلاً.

﴿٣١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا

(٣١) - وكَمَا جَعَلْنَا لَكَ أعْدَاءً من المُشْرِكِينَ يَتَقَوَّلُونَ عليكَ التُرَّهَاتِ والأَبَاطِيلَ، كذلكَ جعَلْنَا لكلِّ نبيٍّ من الأنبياءِ السَّابقِينَ أعداءً لهُمْ من شَياطينِ الإنسِ والجنِّ، يُقاوِمُون دعْوَتَهم، ويُزْعِجُونَهم، ويُكَذِّبُونَهُمْ، فلا تَحْزَنْ يا مُحَمَّدُ عليهِمْ، فَهَذا دَأْبُ الأنبياءِ قَبْلَكَ، فاصبِرْ كما صَبَرُوا. وحَسْبُكَ برَبِّكَ هادياً لَكَ إلى مَصالِحِ الدينِ والدُّنْيا، وسينصُرُكَ على أعدائِكَ، ويُبَلِّغُكَ غايةَ ما تَطْلُبُ، ولا يَهُولَنَّكَ كَثْرَةُ عَدَدِهِم فإنَّه تعالى جَاعِلٌ كلِمَتَه هي العُلْيا لا مَحَالَةَ.

﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا

(ٱلْقُرْآنُ) (وَاحِدَةً) (وَرَتَّلْنَاهُ)

(٣٢) - وقالَ اليَهُودُ: هَلاَّ أُنْزِلَ القرآنُ على مُحمدٍ دُفْعَةً واحِدةً كما أُنْزِلتِ الكُتُبُ السابقةُ على الأَنبيَاءِ. ويَرُدُّ اللهُ تعالى عَلى قَوْلِهِمْ هذا، قائلاً: إنهُ إنما أُنزِلَ القُرآنُ مُنَجَّماً في ثَلاثٍ وعِشرينَ سَنةً بحَسَبِ الوَقائعِ، وما يُحْتَاجُ إليه مِنَ الأحكَامِ لِيُثَبِّتَ قُلوبَ المُؤمنينَ بهِ، ويُثَبِّتَ قَلْبَ الرَّسولِ ﷺ، وقد أنزَلَهُ اللهُ على مَهْلٍ هكَذا على رَسُولِه، وقَرَأَهُ عليهِ، بلِسانِ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ، شَيئاً فَشَيئاً لِيتمكَّنَ مِنْ حِفْظِهِ واسْتِيعابِه.

رتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً - فَرَّقْنَاه آيةً بعدَ آيةٍ، أو بَيَّنَّاهُ.

﴿٣٣﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا

(جِئْنَاكَ)

(٣٣) - ويَقُولُ اللهُ تعالى لنبيهِ: إنَّ هؤلاءِ الكُفَّارَ لا يَأْتُونَ بحُجَّةٍ وشُبْهَةٍ (مَثَلٍ)، ولا يقُولُونَ قَوْلاً يُعارِضُونَ بهِ الحَقَّ، إلا آتى اللهُ نبيَّهُ من الحَقِّ ما يَدْحَضُ بهِ شُبَهَهُمْ، ويدْفَعُ بِهِ حُجَجَهُمْ وتَعَنُّتَهُمْ، ويكُونُ ذلكَ أوْضَحَ وأفْصَحَ مِنْ مَقَالَتِهِمْ.

﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا

﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا

﴿٣٦﴾ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا

﴿٣٧﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا

﴿٣٨﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا

(وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ : ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ يَلْتَمِسُون بِهِ عَيْبَ القُرآنِ والرَّسُولِ إلاَّ أنْزَلَ جِبْرِيلَ بِجَوَابِهِمْ).
أَحْسَنَ تَفْسيراً ـ أصدقَ بَياناً وتَفْصِيلاً.

(أُوْلَئِكَ)

(٣٤) ـ وإنِّي لا أقولُ لَكُمْ كما تَقُولونَ، ولا أَصِفُكُمْ بمِثْلِ ما تَصِفُونَنِي بِهِ، بَلْ أَقُولُ لَكُمْ: إنَّ الذينَ يُسْحَبُون إلى جهنَّمَ، ويُجَرُّونَ فيها بالسَّلاسِلِ والأغْلالِ على وُجُوهِهِمْ، هُمْ شَرٌّ مَكَاناً، وأضَلُّ سَبيلاً. ففَكِّرُوا وقُولوا قَوْلَ مُنْصِفٍ: مَنْ هُوَ الأَوْلَى مِنَّا ومِنْكُم بهذهِ الأَوصَافِ.

(آتَيْنا) (الْكِتَابَ) (هَارُونَ)

(٣٥) ـ ولقَدْ أنْزَلنا التوراةَ على مُوسَى، كما أنزلْنا عليكَ القرآنَ يا مُحمدُ، وجعلنَا مَعَهُ أخاهُ هارونَ وزيراً وظَهِيراً ومُعِيناً.

(بِآيَاتِنَا) (فَدَمَّرْنَاهُمْ)

(٣٦) ـ وأرْسَلَهُما اللهُ تعالى إلى فِرعَونَ وقَوْمِهِ، فَكَذَّبُوا بآياتِ اللهِ، فَدَمَّرَهُمُ اللهُ تَدْمِيراً، وأغْرَقَهُمْ في صَبيحةٍ واحدةٍ.
التَّدْمِيرُ ـ كَسْرُ الشَّيءِ كَسْراً لا جَبْرَ لَهُ.

(أَغْرَقْنَاهُمْ) (وَجعَلْنَاهُمْ) (آيَةً) (لِلظَّالِمِينَ)

(٣٧) ـ وَاذْكُرْ قَوْمَ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ نُوحاً عليهِ السَّلامُ، وقَدْ لَبِثَ فِيهِمْ أَمَداً طَويلاً يَدْعُوهُم إلى اللهِ، ويُحَذِّرُهُمْ نِقَمَهُ، فلَم يُؤْمِنْ لَهُ إلا قليلٌ منهمْ (كما جاءَ في آيةٍ أُخرى)، فأغْرَقَهُمُ اللهُ جَمِيعاً بالطُّوفان، ولَمْ يُبْقِ مِنْهُم إلا مَنْ كَانَ في السَّفِينةِ مَعَ نُوحٍ، وجَعَلَهُمُ اللهُ عِبْرَةً للنَّاسِ، وقَدْ أعَدَّ اللهُ للكافرينَ الظَّالمينَ عَذاباً أليماً في الدُّنيا والآخِرَةِ.
(وفي هذا تَحْذيرٌ لِقُرَيشٍ بأَنَّهُمْ سَيَحِلُّ بهِمْ ما حَلَّ بالأُمَمِ السَّالِفَةِ).

(ثَمُودَ) (أَصْحَابَ)

(٣٨) ـ وقَدْ كَذَّبَ قومُ عادٍ رَسُولَهُمْ هُوداً عليهِ السَّلامُ، وكَذَّبَ قومُ ثَمُودَ نَبِيَّهُمْ صَالِحاً، وكَذَّبَ أصحابُ الرَّسِّ رسولَهُم، وقد كَذَّبَتْ جميعُ هذه الأقوامِ رُسُلَهَا فأَهْلَكَها اللهُ، كما أَهْلَكَ أُمَماً وأقواماً آخرينَ (قُروناً) غيرَ هؤلاءِ لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ.
الرَّسُّ ـ البِئْرُ غيرُ المَطْوِيَّةِ أي غَيْرُ المَبْنِيَّةِ.
وقِيلَ الرَّسُّ وادٍ ـ مِنْ قَوْلِهِمْ «فَهُنَّ ووادي الرَّسِ كاليَدِ للْفَمِ».
وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : الرَّسُّ قَرْيَةٌ مِنْ قُرى ثَمودَ.

(٣٩) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا

(٤٠) وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا

(٤١) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا

(٤٢) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا

(الأَمْثَال)

(٣٩) - وقد بَيَّنَ اللهُ تعالى لهؤلاءِ الأقوامِ جميعاً الآياتِ والحُجَجَ والبراهينَ الدَّالةَ على صِدْقِ ما جاءَتْهُم بهِ النُّبواتُ، فلَمْ يتَّعِظُوا ولم يُؤمنوا، فأهْلَكَهُمُ اللهُ إهْلاكاً عجيباً.

التَّتْبِيرُ - التفْتيتُ والتَّكْسيرُ والإِهْلاكُ

(٤٠) - ويقولُ اللهُ تعالى لرَسُولِه الكريم: إنَّ قَوْمَكَ يا مُحمدُ مَرُّوا بقُرى قومِ لوطٍ، ورأَوْا كيفَ أهْلَكَها اللهُ ودَمَّرَها، وأمْطَرَ عليها حِجارةً من سِجِّيلٍ (قِرْمِيدٍ مَشْوِيٍّ) بسَبَبِ ظُلمِ أهْلِها، وكُفْرِهِمْ، وفَسَادِهِمْ، فهَلّا اعتبَرُوا بما حَلَّ بهؤلاءِ منَ العَذابِ والنَّكالِ؟ إنَّ الذين مَرُّوا بها رأَوْا بأعْيُنِهِمْ ما حَلَّ بها ولكنَّهُمْ لم يَعْتَبِرُوا لأنَّهُمْ لا يُؤمِنُون بالآخِرَةِ والمَعادِ يومَ القيامةِ، ولا يَعتقِدُون أنهُمْ سيُنْشَرُون، وأنَّ اللهَ تعالى سَيُعيدُ خَلْقَهُم ليحاسِبَهُم على أعمالِهِمْ في الحياةِ الدُّنيا، ولذلِكَ فإنَّهُمْ لا يُوقِنون بأنهُ سَيكونُ هناكَ ثوابٌ وعقابٌ وحسابٌ فَيَرْدَعُهُمْ عن كفْرِهِمْ ومعاصِيهِمْ.

مَطَرَ السَّوْءِ - حجارةً مُهْلِكَةً من السَّماءِ

لا يَرْجُونَ نُشوراً - يُنْكِرُون البَعْثَ ولا يتوقَّعُونَهُ

(٤١) - وإذا رآكَ هَؤلاءِ المُشْرِكُونَ الذينَ قَصَصْتُ عليكَ قِصَّتَهُمْ اتَّخَذُوكَ مَوْضِعَ هُزْءٍ وَسُخْرِيَةٍ، وقالوا مستهزئين: أهذا الذي بعثَهُ اللهُ إلينا رسُولاً لِنَتَّبِعَهُ ونُؤمِنَ برسالَتِهِ؟

هُزُواً - مَهْزوءاً بِه.

(آلِهَتِنَا)

(٤٢) - ويَقُولُ بعضُهُم لِبَعضٍ: إنَّ هٰذا الرَّسولَ كادَ أن يُثْنِيَهُمْ عن عبادةِ أصْنامِهِم، بقوَّةِ حُجَّتِهِ، وحُسْنِ بَيانِهِ، لَولا أنَّهُمْ صَبَرُوا وتَجَلَّدُوا واستَمَرُّوا على عبادَتِها.

ويردُّ اللهُ تعالى على قولِهِمْ هذا مُتَوَعِّداً: إنَّهُم يُكَذِّبُون الآنَ بما جاءَهُمْ بهِ الرَّسُولُ من دَعْوَةٍ إلى الإيمانِ باللهِ وكُتُبهِ ورُسُلِهِ، ولكنَّهُم حِين يَرَوْنَ العَذابَ الأليمَ في نارِ جهنمَ، يُدْرِكون أنَّ الرسولَ صَدَقَهُمُ القَولَ، والدَّعوةَ والتَّحذيرَ، وأنهُ كانَ على هُدًى وحَقٍّ، وأنَّهم كانُوا على ضَلالٍ بِرَفْضِهِمُ الاستجَابةَ إليهِ، واتباعَ رسَالَتِه.

(٤٣) أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا

(٤٤) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

(٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا

(أَرَأَيْت) (هَوَاهُ)

(٤٣) - انْظُرْ إلى حَالِ هذا الذي جَعَلَ هَوَاهُ إلَهَهُ، بأنْ أطَاعَهُ وبَنى عليهِ أمرَ دِينِهِ، وأعْرَضَ عن آستماعِ الحَقِّ، والحُجَجِ، والبَراهِينِ الواضِحَةِ الدَّالَّةِ على وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وعظيمِ قُدْرَتِه، وآعْجَبْ مِنْهُ، ولا تَعْبَأْ بِهِ فإنَّكَ لستَ حَفيظاً عليهِ، وليسَ عَلَيْكَ هُدَاهُ، وإنّما عَليكَ إبلاغُهُ الرِّسَالَةَ، ثُمّ إنْ شَاءَ اللهُ هَدَاه، وإنْ شَاءَ أضَلَّهُ.

(وقالَ ابنُ عَباسٍ: كانَ الرجلُ في الجَاهليةِ يَعْبُدُ الحَجَرَ الأبْيَضَ، فإذَا مَا رَأى أحْسَنَ منهُ عبدَ الثانيَ، وتَرَكَ الأوَّلَ، فأنزَلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيةَ).

وَكِيلاً - حفيظاً تَمْنَعُهُ مِنْ عِبَادَةِ ما يَهْوَاهُ.

أرَأَيْت - أخْبِرْني.

(كَالأَنْعَامِ)

(٤٤) - هَلْ تظُنُّ يا محمدُ أنَّ هؤلاءِ المُشْركينَ يَسمَعُونَ أو يَعْقِلونَ؟ إنهم في الحَقيقَةِ لا يَسْمَعُونَ حقَّ السَّماعِ، ولا يُدْرِكُون حقَّ الإدْرَاكِ ولا يفْهَمُون فَهْماً صَحِيحاً ما تَتْلُوهُ عليْهِمْ مِنَ الآياتِ والمواعظِ الداعِيَةِ إلى الإيمانِ وإلى الخَيْرِ، حَتَّى تَجْتَهِدَ في دَعْوَتِهِمْ، وتَحْفِلَ بإرْشَادِهِمْ، وتذكيرِهِمْ، وتَطْمَعَ في إيمَانِهِمْ، فَهُمْ أسْوأُ من الأنْعَامِ السَّارِحَةِ، وأضَلُّ سَبيلاً، لأنَّ الأنْعَامَ السَّارِحَةَ تنقَادُ لصَاحِبِها الذي يَتعَهَّدُهَا، وتعرفُ مَنْ يُحْسِنُ إليها ومن يُسيءُ، وتطلبُ ما يَنفعُها، وتَجتنبُ ما يَضرُّها، وتَهتدِي لمَرْعَاها ومَشْرَبِها.

أما هؤلاءِ المُشركونَ فإنهمْ لا يَنْقادُونَ لخَالِقِهِمْ وبارِئِهم، ولا يَعْرِفُونَ إحْسَانَهُ إليهم، ولا يعْرِفُون إساءَةَ الشيطانِ وعَدَاوتَهُ لَهُم، وهوَ الذي يزيِّنُ لهمُ الكُفْرَ واتِّباعَ الشَّهَواتِ.

(٤٥) - يبينُ اللهُ تعالى الأدلةَ على وجُودِه، وعلى قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ على خَلْقِ الأشياءِ المُتَضَادَّةِ فقالَ: ألا تَرى يا أيُّها الرسُولُ كيفَ جعَلَ ربُّكَ لِكلِّ شيءٍ مُظِلٍّ ظِلاً مُنْذُ طُلوعِ الشَّمسِ حتَّى مَغيبها، فاستَخْدَمَهُ الإنسانُ للوقايَةِ من لَفْحِ الشَّمسِ وَحرِّهَا، ولو شَاءَ اللهُ لجعلَهُ ثابِتاً على حَالٍ واحدةٍ، ولكنَّهُ جعَلَهُ مُتغيِّراً في ساعاتِ النهارِ المخْتَلِفَةِ، لذلكَ اتُّخِذَ دليلاً على قياسِ الزَّمان. ثمَّ جَعَلَ طلوعَ الشَّمسِ دليلاً على ظُهورِ الظِّلِّ ومُشَاهَدَتِهِ بالحِسِّ والمُعَايَنَةِ، فلولا الشَّمسُ لما عُرِفَ الظِّلُّ.

(وقالَ ابنُ عباسٍ ومُجَاهِدٌ: الظِّلُّ ما بينَ طلوعِ الفجرِ إلى طُلوعِ الشَّمسِ) وهَذا هُو الشَّفَقُ.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ ٤٦

(قَبَضْنَاهُ)

(٤٦) - ثمَّ يَقْبِضُ اللهُ تعالى الظِّلَّ قَبْضاً سَهْلاً خَفِيفاً، ويجعَلُهُ مُنْكَمِشاً بِحَسَبِ سَيْرِ الشَّمْسِ، حَتَّى لا يَبْقَى في الأرضِ ظِلٌّ إلا تَحْتَ سَقْفٍ أو شجرةٍ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ ٤٧

(اللَّيْلَ)

(٤٧) - ومِنْ آثارِ قُدرتِه تَعالى، ورَوائعِ رَحْمَتِه الفائِضَةِ على خَلْقِه، أنه جَعَلَ الليلَ يلْبَسُ الوجودَ ويَغْشَاهُ، ويسْتُرُهُ بظَلامِه، كما يَسْتُرُ اللبَاسُ جَسَدَ الإِنْسَانِ، وجَعَلَ النَّوْمَ كالموتِ قَاطِعاً للحَرَكَةِ لِتَرْتَاحَ الأَبْدَانُ (سُبَاتاً)، فإن الأَجْسَادَ تَكِلُّ مِنْ كَثْرَةِ الحَرَكَةِ، فإذا جاءَ الليلُ سَكَنَتْ الحَرَكَاتُ فاسْتَراحَت الأَجْسَادُ ونَامَتْ، وفي النَّومِ راحةٌ. وهو الذي جعَلَ الناسَ يَنْبَعِثُونَ في النَّهارِ، ويَنْتَشِرُون لكَسْبِ مَعَايِشِهِمْ، وتَأمِينِ رِزْقِهِمْ ولِبَاسِهِمْ.

الليلَ لِباساً - ساتِراً لكُمْ بظَلامِهِ كاللِّباسِ.

السُّبَاتُ - قَطْعُ الحَرَكَةِ لتَرْتَاحَ الأبْدانُ.

نُشُوراً - انْبعاثاً مِنَ النَّومِ للسَعيِ والعَمَلِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ ٤٨

(الرِّيَاحَ)

(٤٨) - ومِنْ دلائلِ قُدرتِه تَعالى أَنَّهُ يُرسِلُ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ بمَجيءِ السَّحابِ بَعدَها (بين يديْ رحمتِهِ)، ومن الرياحِ ما يُثير السَّحابَ، ومنها ما يَحْمِلُه، ومنها ما يَسُوقُه، ومنها ما يَلْقَحُ السَّحابَ ليُمْطِرَ، ويُنزلُ اللهُ تعالى مَطراً من السَّماءِ يَتَطَهَّرُ بِهِ الناسُ.

بُشْراً - مُبَشِّرات بالرَّحمةِ وهيَ المَطرُ.

طَهُوراً - طَاهِراً بنفسِهِ مُطَهِّراً لِغَيرِهِ.

﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ ٤٩

(أَنْعاماً)

(٤٩) - فيُحْيي اللهُ بالمَطرِ أَرضاً طَالَ انتِظارُها لِلغَيثِ، فهيَ هَامِدَةٌ لا نَباتَ فيها (مَيْتاً)، فلما جَاءَها المَطرُ عاشَتْ، وأنْبَتَتْ، واكْتَسَتْ رُبَاهَا بالخُضرةِ والأزاهيرِ. ويشْرَبُ، من هذا الماءِ المُنْزَلِ من السماءِ، الحيوانُ، من أَنعامٍ وبَشَرٍ مُحْتَاجينَ إليهِ لشُرْبِهِمْ، ولِرَيِّ أرْضِهِم وزُرُوعِهِمْ.

(٥٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

(صرَّفْنَاهُ)

(٥٠) - ولَقَد صَرَّفْنَا المَطر بينَ النَّاسِ على أوضاعٍ شتَّى، فَخَصَّصْنَا بهِ أرْضاً دُونَ غيرِها، وسُقْنَا السَّحابَ فيمرُّ فوقَ الأرضِ ويتعدَّاها ويَتَجاوزُها إلى الأرضِ الأُخرى فيُمْطِرُها اللهُ، ويَكْفِيها، ويجعلُها غَدَقاً، والتي وَرَاءَها لم يَنزلْ فيها قَطْرةُ مطرٍ واحدةٍ. ولقد أرادَ اللهُ تعالى ذلكَ لعلَّ الناسَ يَتَذكَّرون، وهُمْ يَرَوْنَ إحْياءَ الأرضِ المَيْتَةِ، أنَّ اللهَ قادرٌ على إحياءِ الأمواتِ والعِظَامِ والرُّفاتِ، وَلِيَذْكُر مَنْ مَنَعَهُ اللهُ المطَرَ أنَّ ما أصابَهُ إنَّما كانَ بِذَنْبِهِ، فَيُقْلِعَ عمَّا هوَ فيهِ. وحينَ تُمطِرُ السَّماءُ يقولُ المؤمنونَ: أُمْطِرْنا بفضلِ اللهِ ورَحْمَتِهِ. ويقولُ الكافرون: أُمطِرْنا بِنَوْءِ كَذا. وذلكَ مَعنى قولِهِ تَعالى (فأبى أكثرُ الناسِ إلا كُفُوراً).
(وقيل إنَّ المَقْصُودَ بقولِه تَعالى (صَرَّفْنَاهُ) هُنا هُو القُرآنُ، أيْ إنَّ اللهَ بيَّنَ آياتِهِ ووضَّحَها للناسِ، والأولُ أظهرُ لأنه يَتَّفِقُ مع السِّيَاقِ).

(٥١) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا

(٥١) - ولو شاءَ اللهُ لَبَعَثَ في كلِّ قَرْيَةٍ رَسُولاً، يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ تعالى، ولكنَّهُ خَصَّ رَسولَهُ مُحمداً بِالْبَعْثَةِ إلى جميعِ أهْلِ الأرضِ، وأمرَهُ بأنْ يُبَلِّغَهُمْ هذا القُرآنَ.

(٥٢) فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا

(الْكَافِرِينَ) (جَاهِدْهُم)

(٥٢) - ثم يدعُو اللهُ تَعالى رَسُولَه ﷺ إلى مُجاهَدةِ الكَافرينَ بالقُرآنِ دُونَ هَوادَةٍ، وإلى عَدمِ إطَاعَتِهم فيما يَدْعُونه إليهِ مِنْ مُوافَقَتِهم على مَذاهِبِهم وَآرَائِهِمْ.

ربع الحزب ٣٧

(٥٣) ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا

(٥٣) - واللهُ تَعالى هو الذي خَلَقَ المِياهَ في الأنْهارِ، والينَابيعِ، والعُيونِ، والآبارِ، لِيَشْرَبَ منها الإنسانُ والحَيوانُ والنَّباتُ، وتنتفعَ بها المَخلُوقاتُ، وهوَ الذي خَلقَ المِياهَ المَلِحةَ في البِحارِ، ومَنَعَها منْ أنْ يَخْتَلِطَ بعضُها ببعضٍ، وجَعَلَ بينها حَواجزَ من الأرضِ اليَابِسةِ، ومَانعاً أنْ يَصِلَ ماءُ أحدِهما إلى الآخرِ.
مَرَجَ البحرين - مَنَعَهُما من الاخْتِلاطِ - أو أرْسَلَهُما في مَجارِيهِما
عَذْبٌ فُرَاتٌ - عَذْبٌ شَديدُ العُذُوبَةِ.
مِلْحٌ أُجَاجٌ - شَديدُ المُلُوحَةِ.
حِجْراً مَحْجُوراً - حَرامٌ ومُحَرَّمٌ تَغييرُ صِفَاتِهِما أو اخْتِلاطُهُما.

(٥٤) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا

(٥٤) - واللهُ تعالى خلقَ الإنسانَ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعيفةٍ (ماءٍ مَهينٍ) فَسَوَّاهُ وَعدَّلَهُ، وَجعَلَهُ كَامِلَ الخِلْقَةِ، ذَكَراً وأُنثى كَما يشاءُ، فالذُّكور هُم ذَوُو النَّسَبِ، والنِّساءُ هنَّ ذواتُ الصِّهْرِ يُصاهَرُ بِهِنَّ، وكُلُّ ذلكَ مِنْ ماءٍ مَهينٍ، واللهُ قادرٌ على كُلِّ شيءٍ.

(وقَالَ مُفسِّرونَ: إن المَعْنى هوَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ الماءَ جُزْءاً منَ المَادَّةِ المُكَوِّنة لِجسْمِ الإنسانِ).

نَسَباً - ذَوي نَسَبٍ - أي ذُكوراً يُنْتَسَبُ إليهِمْ

صِهْراً - ذَواتِ أَصْهارٍ - أَيْ إناثاً يصاهَرُ بِهِنَّ.

(٥٥) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا

(٥٥) - لقَدْ قدَّمَ اللهُ تعالى الأدِلَّة عَلى وُجودِه، ووحْدانِيَّته، وقُدْرَتِهِ على خَلْقِ العبادِ، واستحْقَاقِه وَحدَهُ العِبادةَ منَ الخَلْقِ ومعَ ذلكَ فإنَّ هؤلاءِ المُشْرِكينَ يعبُدُونَ أَصْناماً لا تَضُرُّ ولا تنفَعُ، ولَيسَ لَهُمْ على عِبادَتِها دليلٌ ولا حُجَّةٌ، وإنَّما عَبَدُوها بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ والهَوَى، فَهُمْ يُوالُون الأصنامَ ويقاتِلونَ في سبيلِها، ويُعَادُونَ اللهَ ورسولَهُ والمُؤمنينَ فيها، وكَانَ الكافرُ عَوْناً للشَّيطانِ، ومُظَاهِراً له في مَعْصِيَةِ الخَالِقِ تعالى وتبارَكَ.

على رَبِّهِ ظَهيراً - مُعِيناً للشيطانِ على رَبِّه بالشِّرْكِ

(٥٦) وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٥٦) - وكَيفَ يَطْلُبونَ العَوْنَ عَلى اللهِ ورسُولِهِ، واللهُ قَدْ أَرْسَلَ رسُولَهُ لِنَفْعِهِمْ، إذْ قَدْ بعثَهُ لِيُبَشِّرَهُم ويَحُثَّهُم على فِعلِ الطَّاعَاتِ، ويُنذِرَهُم ويُحَذِّرَهُم مِن ارْتِكاب المَعاصِيْ التي تستَوْجِبُ عقابَ فاعِليها.

(٥٧) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا

(أَسْأَلُكُمْ)

(٥٧) - وقُلْ يا مُحمدُ لِمَنْ أُرسِلْتَ إليهِم: أنَا لا أَسْأَلُكم أجراً على مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عندِ رَبِّي، لتقُولوا إنَّما يَدْعُونا لأَخْذِ أموالِنا، ومِنْ ثَمَّ لا نَتْبَعُهُ حَتَّى لا يكونَ لَهُ في أمْوالِنا مَطْمَعٌ. ولكنْ مَنْ شاءَ أنْ يَتقربَ إلى اللهِ تَعالى بالإنْفاقِ في وُجوهِ الخيرِ والبِرِّ، ويَتَّخِذَ ذلكَ سَبيلاً إلى رحمةِ اللهِ، ونَيْلِ ثَوَابهِ فَلْيَفْعَلْ.

(٥٨) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا

(٥٨) - وَتَوكَّلْ على ربِّكَ الدائِمِ البَاقي، رَبِّ كلِّ شيءٍ ومَليكِهِ واجعَلْهُ مَلْجَأَكَ وذُخْرَكَ، وفَوِّضْ إليهِ أَمْرَكَ، واسْتَسْلِمْ إليهِ، واصْبِرْ على ما أصابَكَ، فإنَّهُ كافِيكَ وناصِرُكَ ومُبَلِّغُكَ ما تُريد، وَنَزِّهْهُ عَمَّا يَقُولُ المشركونَ من الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ، وحَسْبُكَ ناصِراً وسَنَداً باللهِ الحَيِّ

﴿٥٩﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا

﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ سجدة

﴿٦١﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا

البَاقِي، الذيْ لا يَمُوتُ، وحَسْبُكَ بِهِ خَبيراً بذنُوبِ خَلْقِه، فهوَ مُحْصِيْها عَلَيْهِم، ولا يَخْفَى عليهِ من أفْعَالِهِمْ شَيءٌ، وسَيُحاسِبُهم عليها جميعاً يومَ القيامةِ، ويَجْزِيهِمْ بما يَستَحِقُّونَ.

سبِّحْ - نَزِّهِ اللهَ تَعالى عنْ جَميعِ النَّقائِصِ.

بِحَمْدِه - مُثْنِياً عليهِ بأوصَافِ الكَمالِ.

(السَّماوَاتِ) (فَاسْأَلْ)

(٥٩) - واللهُ تَعالى خَالقُ كلِّ شيءٍ، وربُّهُ ومَليكُهُ، وقدْ خلَقَ، بقُدْرتِه وسُلطانِه، السَّماواتِ في ارتفاعِهَا واتِّساعِها، والأرضَ، خلالَ ستةِ أيامٍ ثم استوَى عَلَى العَرشِ يُدَبِّرُ الأمْرَ، ويقْضِي بالحقِّ، وهوَ خيرُ الحَاكمين. وهوَ تَعالى عَظيمُ الرَّحمةِ بِكُمْ فلا تَعْبُدوا إلا إيَّاه، فاسْتَعْلِمْ عنهُ سُبحانه وتعالى مِمَّنْ له خِبْرَةٌ وعِلْمٌ به، واقْتَدِ بهِ واتَّبِعْهُ.

(ومحمدٌ ﷺ، بمَا أعْطَاهُ اللهُ مِن عِلْمٍ، هوَ أكثرُ النَّاسِ عِلْماً ومَعرفةً باللهِ تَعالى).

(٦٠) - يُنكرُ اللهُ تَعالى على المشركينَ الذينَ يَسْجُدُونَ لغيرِ اللهِ مِنَ الأصْنامِ والأنْدَادِ، فيقولُ تَعالى: إنَّ هَؤلاءِ المشركينَ إذا قِيلَ لَهُم اسْجُدُوا للهِ الرَّحمَن، واخْضَعُوا له قَالُوا: وَمَا الرَّحمنُ؟ إنَّنا لا نَعرفُهُ لِنسْجُدَ لَهُ.

(وكَانُوا يُنْكِرون أن يُسَمَّى اللهُ باسْمِ الرَّحْمنِ، كَما أنْكَروا ذلكَ يومَ الحُدَيبيَة)، ثُمَّ يقولُونَ أنَسْجُدُ لِمُجَرَّدِ قولِكَ؟ وَزادَهُم هذا الأمرُ نفُوراً مِنَ السُّجُودِ، وبُعْداً عنِ اللهِ تَعالى.

ويَرُدُّ اللهُ تعالى عليهم في آيةٍ أخرى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾[1].

زادَهُم نُفوراً - تَباعُداً عنِ الإيمانِ.

أنَسْجُدُ لما تأمُرنا - أنَسجُدُ بمُجرَّدِ أمرِكَ.

(سِراجاً)

(٦١) - يُباركُ اللهُ تعالى نفسَهُ الكَريمةَ ويُمَجِّدُها على بَديعِ ما خَلَقَ في السَّماواتِ مِنَ البُروجِ (والبُروجُ منازلُ الكواكِبِ)، وعلى ما جعلَ فيها مِنْ شَمسٍ مُنيرةٍ هي كالسِّراجِ في الوُجودِ، كَما جعَلَ فيها قَمراً مُشرقاً مُضيئاً.

تباركَ - تَعالى وتمجدَ وتكاثرَ خيرُهُ.

بُروجاً - مَنازِلَ الكَواكِبِ.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

(ٱللَّيْلَ)

(٦٢) ـ والرَّحمنُ جعلَ الليلَ والنَّهارَ مُتعاقِبَيْنِ يَخْلُفُ أحدُهُما الآخرَ، وقد دبَّر ذلك لِيتذكَّرَ مَنْ شاءَ هذا التَّدبيرَ المُحْكَمَ فيتَّعِظَ، ويَعرفَ حِكْمَةَ اللهِ وقُدْرَتَه، فيشكُرَهُ عَلَى هذه النِّعَمِ الجليلةِ.

خِلْفَةً ـ يَخْلُفُ أحدُهما الآخرَ ويتعاقَبانِ.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾

(ٱلْجَاهِلُونَ) (سَلاَماً)

(٦٣) ويَصِفُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المؤمنينَ المُتَّقينَ بأنهُمْ مُتَواضِعُون، يَسيرُون على الأرضِ بسَكِينةٍ ووَقارٍ ورِفْقٍ (هَوْناً) مِنْ غيرِ تَجبُّرٍ ولا اسْتِكْبارٍ، وإذا سَفِهَ عليهِمُ الجاهلونَ بالقولِ لم يُقابِلُوهم عليهِ إلا حِلْماً وقَوْلاً مَعْروفاً، ويَرُدُّون عليهِمْ قائلينَ: سَلامٌ عليكُم لا نَبْتَغِي الْجَاهِلينَ.

هَوْناً ـ بِسَكِينةٍ ووَقَارٍ وتَواضُعٍ.

قالُوا سَلاماً ـ قَوْلاً سَدِيداً يَسْلَمُون بِهِ من الأذَى.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

(قِياماً)

(٦٤) ـ وهُمْ يَبيتُونَ قِياماً في طَاعَةِ اللهِ تَعالى وعبادَتِهِ ويذكُرونَه ذِكْراً كثيراً في رُكُوعِهِمْ وسُجُودِهِمْ.

(وقالَ تَعالى في صِفَةِ عِبادِ الرَّحمٰنِ في سُورةٍ أُخرى: ﴿كَانوا قَليلاً مِنَ الليلِ ما يَهْجعونَ، وبالأسْحارِ هُم يَسْتغفرِونَ﴾[1]).

يَبيتُونَ ـ أيْ يُدْرِكُهُمُ الليلُ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾

(٦٥) ـ وهُمُ الذينَ يَغْلِبُ عليهِمُ الخوفُ مِنَ اللهِ فيدْعُونهُ، ويسألُونَهُ أنْ يَصرِفَ عنهمْ عَذابَ جهَنَّمَ، فإنَّ عذَابَها مؤلِمٌ ملازمٌ للإنسانِ، لا يَزولُ عنهُ، ولا يَحُولُ، ولا يُفارِقُهُ.

غَراماً ـ لازِماً أو مُمْتَدّاً كَلُزُومِ الغَريمِ

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

(٦٦) ـ وإنَّ جَهنَّمَ بئسَ المنزلُ، وبِئْسَ المَقِيلُ والمقَامُ.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

(٦٧) ـ ومِنْ صِفاتِ عِبادِ الرَّحمٰنِ أيضاً الاعتدالُ في الإنفاقِ على أنْفُسِهِمْ وأهليهِمْ، فهُمْ لَيْسُوا بِمُبَذِّرينَ في إنفاقِهِمْ فيَصْرِفُون فوقَ الحَاجَةِ، ولا بُخَلاءَ على أهليهِمْ فَيُقَصِّرُون في حقِّهِمْ، فلا يَكْفُونَهُمْ، بلْ هُمْ مُعْتَدِلُونَ في أمورِهِمْ.

لَمْ يَقْتُرُوا ـ لم يُضيِّقُوا تَضْيِيقَ الأشِحَّاءِ.

قَواماً ـ عَدْلاً وَسَطاً بينَ الطَّرَفينِ.

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧ ـ ١٨.

(٦٨) وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا

(آخر)

(٦٨) - وهمْ مُخْلِصُون في عِبادَتِهم للهِ تَعالى وحدَهُ، لا يُشْرِكُون بهِ شَيئاً، ولا يَدْعُونَ معهُ أحداً، ولا يَعْبُدُونَ سِواهُ ولا يقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَها إلا بِحَقِّها، وَفْقاً لما شَرَعَهُ اللهُ تعالى، ولا يَرْتَكِبُون الزِّنى، ولا يَأْتُونَ ما حَرَّمَ اللهُ من الفُروجِ. ومَنْ يَرْتَكِبْ هَذِهِ الكبائرَ فإنَّهُ يَلْقَى عَذاباً أَلِيماً يومَ القيامةِ، جَزاءً لَهُ على ما ارْتَكَبَ.

يَلْقَ أثاماً - يُلاقِي عِقاباً في الآخرةِ.

(٦٩) يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا

(يضاعف) (ٱلْقِيامَةِ)

(٦٩) - وَيُزادُ في عذابِه يومَ القيامةِ، ويُغْلَظُ لهُ فيهِ، ويَخْلُدُ في جهنمَ مُهاناً ذَليلاً حَقِيراً، جَزاءً لهُ على ما ارْتَكَبَ من الأعمالِ المُنْكَرَةِ.

(٧٠) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

(آمن) (صَالِحاً) (فَأُوْلَئِكَ) (حَسَنَاتٍ)

(٧٠) - إلا مَنْ تَابَ في الدُّنْيا، وأَخْلَصَ التوبةَ وهوَ مُؤمنٌ، وقدْ عَمِلَ الصالحاتِ، ورجَعَ إلى رَبِّهِ مُسْتَغْفِراً مُنِيباً، فإنَّ اللهَ تعالى يتوبُ عليه، ويُحْسِنُ عاقِبَتَهُ (وفي ذلك دَلالةٌ على صِحَّةِ توبةِ القَاتِلِ)، وهؤلاءِ هُمُ المُؤمنونَ، كانُوا قبلَ إيمانِهِمْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ، فَحَوَّلَهُمُ اللهُ تعالى إلى الحَسَنَاتِ، وأبْدَلَهُمْ مَكانَ السَّيِّئاتِ الحَسَنَاتِ، واللهُ غفورٌ لِذُنُوبِ عِبادِهِ، رَحيمٌ بِهِمْ.

(وقيلَ بلْ مَعْنَاهُ: إنَّ السَّيِّئاتِ السَّابِقَةَ تَنْقلبُ بِنَفْسِ التَّوبَةِ إلى حَسَناتٍ).

(٧١) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا

(صَالِحاً)

(٧١) - ويَعِدُ اللهُ التَّائبينَ إليهِ وَعْداً جَمِيلاً، فيقولُ تَعالى: إنَّهُ مَنْ تَابَ عَنِ المَعَاصِي التي عَمِلَها ونَدِمَ على ما فَرَطَ منهُ، وأَكْمَلَ نفسَهُ بصَالِحِ الأعْمالِ، فإنَّهُ يتوبُ إلى اللهِ تَوبةً نَصُوحاً مَقْبُولَةً لَدَيْهِ، ماحِيةً للعِقابِ، مُحَصِّلَةً لِجَزيلِ الثوابِ.

(٧٢) وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا

(٧٢) - ومِنْ صفاتِ عبادِ الرحمنِ أنهمْ لا يَشْهَدونَ الزُّورَ، ولا يَحْضرُونَ مَجَالِسَ الفِسْقِ واللَّغْوِ والبَاطِلِ، ومَجالِسَ السُّوءِ، وإذا مَرُّوا بمَنْ يَلْغُونَ ويَهْذُرُونَ ويَفْسُقُونَ لم يتوقَّفوا عليهِمْ واسْتَمَرُّوا في سَيْرِهِمْ مُسْرِعِين.

(وقيلَ إنَّ المَقْصُودَ بالزُّورِ هُنا شَهادةُ الزُّورِ وهِيَ الكَذِبُ عَمْداً في الشَّهادَةِ).

مَرُّوا باللَّغوِ ـ بما يَنْبَغِي أنْ يُلْغَى ويُطْرَحَ مِنَ الكَلامِ.
مَرُّوا كِراماً ـ مُسْرِعِينَ أو مُكَرِّمِينَ أنفسَهُمْ عن المشاركَةِ والخَوْضِ فيما يَخوضُونَ.

﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا

(بآياتِ)

(٧٣) ـ ومنْ صِفاتِ المؤمنينَ أنهمْ إذا ذَكَرُوا اللهَ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وإذا تُلِيَتْ عليهِمْ آياتُهُ زادَتْهُم إيماناً ويَقِيناً بِصِدْقِ ما جاءَتْهُمْ بِهِ النُّبُوّاتُ، ولم يكُونُوا كالكُفَّارِ الذين لا يَتأثَّرون بما يَسْمعُون ويُبْصِرُونَ من آياتِ اللهِ ومُعْجِزاتِه، ويَسْتَمِرُّونَ وكأنهمْ صُمٌّ لا يَسْمعونَ، وعُمْيٌ لا يُبْصِرونَ.
لَمْ يَخِرُّوا ـ لَمْ يَقَعُوا ولَمْ يَسْقُطوا.

﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا

(أزْواجِنَا) (ذُرِّيَّاتِنَا)

(٧٤) ـ ومن صِفَاتِ المُؤمنينَ أيضاً أنهمْ يَسْألُونَ اللهَ تعالى أنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلابِهِمْ وذُرِّياتِهِمْ مَنْ يُطيعُ اللهَ ويعبُدُهُ وحْدَه لا شريكَ له، لِتَقَرَّ بِهِ أعيُنُهُمْ في الدنيا والآخرةِ، وأنْ يجعلَ لهمْ مِنْ أزواجِهِمْ منْ يطيعُ اللهَ تعالى، ويَهْتَدي بِهُداه، ويسألونَ ربَّهُمْ أن يجْعَلَهم أئِمَّةً يُقْتدى بِهِم في الخَيرِ.
قُرَّةَ أعْيُنٍ ـ مَسَرَّةً وفَرحاً.
إماماً ـ قُدْوَةً وحُجَّةً أو أئِمَّةً.

﴿٧٥﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا

(أولَئِكَ) (سَلاماً)

(٧٥) ـ وهؤُلاءِ المؤمِنُونَ المُتَّصِفُون بالصِّفَاتِ السَّابِقَةِ، يُجْزَوْنَ، يومَ القِيامةِ، بالدَّرجاتِ العَاليةِ، والمَنَازِلِ الرَّفيعةِ، في الجَنَّةِ، لصَبْرِهِمْ على القِيَامِ بِمَا أمَرَ اللهُ، وتتلقاهُمُ المَلائِكَةُ في الجَنَّةِ بالتَّحِيةِ والسَّلامِ، فلهُمُ السَّلامُ، وعليهِمُ السَّلامُ.
الغُرْفَةَ ـ أمَاكِنُ عاليةٌ في الجَنَّةِ.

﴿٧٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا

(خالِدِينَ)

(٧٦) ـ ويَبْقَوْنَ في الجَنَّةِ خَالدينَ في مُقَامِهِمْ، لا يَحُولُونَ عنها ولا يَزولُونَ ولا يَرْتَحِلُونَ، ونِعْمَتِ الجَنَّةُ مُسْتَقراً ومُقاماً.

قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

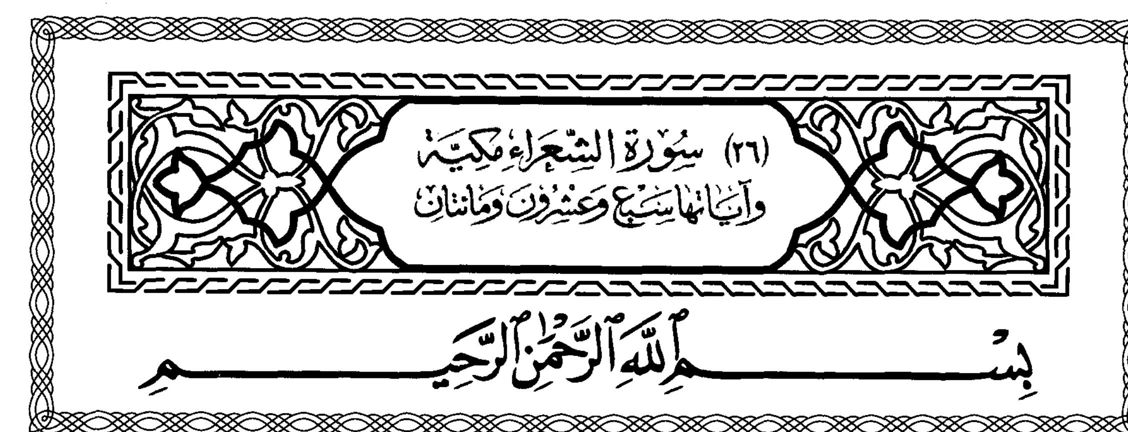
(يَعْبَأْ)

(٧٧) - قُلْ يا محمدُ لهؤلاءِ الذينَ أُرسِلْتَ إليهم: إنَّ الفائزينَ بِنِعَمِ اللهِ الجَليلةِ، التي يَتَنافَسُ فيها المُتنافِسُونَ إنما نَالُوها بما ذُكِرَ من الصِّفاتِ الحميدةِ التي اتَّصَفُوا بها، وَلَوْلاها لم يَهْتَمَّ بهم ربُّهم، ولم يَعْتَدَّ. ولذلكَ فإنَّهُ لا يَعْبَأُ بِكُمْ إذا لم تَعْبُدُوه، فما خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ إلا لِيَعْبُدُوا رَبَّهُمْ ويُطِيعُوه وحْدَه لا شريكَ له، وما دُمْتُمْ قد خالَفْتُم أمرَ ربِّكم، وَعَصَيْتُمْ حُكْمَهُ، وكَذَّبْتُم رَسُولَهُ، فَسَوْفَ يَلْزَمُكُمْ أَثر تَكْذِيبِكُمْ، وهو العقابُ الذي لا مَنَاصَ منهُ، فاسْتَعِدُّوا له، وهَيِّئُوا أنفسَكُمْ لذلكَ اليومِ العصيبِ، وهو آتٍ قَرِيبٌ.

ما يَعْبَأُ بكم - ما يَكْتَرِثُ وما يُبَالي.

دعاؤُكم - عِبادَتُكُم.

يكونُ لِزَاماً - يكونُ جزاءُ تكذِيبِكُم عذاباً دائِماً مُلازِماً لكُمْ.





طسم ﴿١﴾

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾

لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾

(طَا) (سِينْ) (مِيم)

(١) - وهيَ تُقْرَأُ مُقَطَّعةً، كلُّ حرفٍ على حِدَة - اللهُ أعلمُ بِمُرادِهِ.

(آياتُ)

(٢) - هذه الآياتُ هيَ آياتُ القُرآنِ الجَليِّ البيِّنِ الواضِحِ الذي يُفرِّقُ بينَ الحقِّ والباطِلِ.

المُبين - المُوَضِّحُ - الجَليُّ.

(باخِعٌ)

(٣) - لا تُهْلِكْ يا محمدُ نفسَكَ أسىً وحُزْناً وحَسْرةً على قومِكَ إذا لَمْ يُؤْمِنُوا بما جِئتَهُم بِهِ من عندِ ربكَ.

(وفي هذا الخِطابِ تَسليةٌ للرَّسولِ ﷺ عَمّا يُلاقِيهِ من قَوْمِهِ من عِنادٍ وكُفْرٍ وتكذيبٍ برسالةِ ربهِمْ وتَكذيبِ لرَسُولِهِ).

باخِعٌ - مُهْلِكٌ نَفْسَكَ حَسْرَةً وحُزْناً.

(آيَةً) (أَعْناقُهُمْ) (خاضِعِينَ)

(٤) - ولو نَشاءُ أن نُنَزِّلَ عليهِمْ من السَّماءِ آيةً تَضْطَرُّهُمْ إلى الإيمانِ اضْطِراراً وقَهْراً لَفعَلْنا، كَما نَتَقْنا الجَبَلَ فوقَ بني إسرائيلَ، ولكنَّنا لا نفعلُ ذلكَ، لأنَّنا لا نُريدُ أنْ يؤمِنَ أحدُ إلا طائِعاً مُختاراً، مُقْتَنِعاً بصدقِ ما جاءَ بِهِ الرُّسُلُ. وقد أنزلْنا الكُتُبَ، وأرسَلْنا الرُّسُلَ، لِتقومَ الحُجَّةُ البالِغَةُ على الخَلْقِ.

وقيلَ إنَّ أعْناقَهُمْ تَعْني قادَتهم وزُعَماءَهُم.

(٥) - وما يأتي هؤلاءِ المُشركينَ، الذين يُكَذِّبونَكَ، شيءٌ من عندِ اللهِ يُذَكِّرهُم بالدِّينِ الحَقِّ، إلاّ أعْرَضُوا عنِ اسْتِماعِهِ وتَركُوا إعْمالَ الفِكْرِ فيهِ، ولَمْ يُوَجِّهُوا هَمَّهُمْ إلى تَدَبُّرِهِ.

(٦) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

(أَنْبَاءُ) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٦) ـ لَقَدْ كَذَّبَ هؤلاءِ المشركونَ بما جاءَهُم من ربهِمْ من الحَقِّ، ثم انْتقلُوا منَ التَّكْذيبِ إلى الاسْتِهْزَاءِ فاصْبِرْ عليْهِمْ فَسَوْفَ يرَوْنَ ـ بَعْدَ حينٍ ـ عَوَاقِبَ هذا التَّكذيبِ والاستِهزاءِ، وَسَيَحِلُّ بهم العِقَابُ على ذلِكَ.

(وقدْ يكُونُ ذلكَ في الحَياةِ الدُّنْيا، وقدْ يَكُونُ ذلكَ يومَ القِيامَةِ).

(٧) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ

(٧) كَيفَ يُصِرُّونَ على الكُفْرِ باللهِ، وعَلى تَكْذِيبِ رَسُولِه ومَا جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، واللهُ تعالى هو الذي خَلَقَ الأرْضَ، وأنْبَتَ فيها الزروعَ والثِّمارَ في أصنَافٍ وطُعُومٍ مُخْتَلِفَةٍ تَبْهَرُ النَّاظرين، وتَسْتَرْعِي أنْظارَ الغَافِلين، أفَلَمْ يَرَ هؤلاءِ ذلِكَ؟ إنَّهُمْ لو نَظَرُوا مُتَأَمِّلِين لاهْتَدَوْا إلى الإيمانِ باللهِ وَحْدَه لا شَرِيكَ لهُ.

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ـ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ حَسَنٍ كَرِيمٍ كَثيرِ النَّفْعِ.

(٨) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ

(لآيَةً)

(٨) ـ وفي إخراجِ النَّباتِ مِنَ الأرضِ على هذهِ الأشْكَالِ البديعةِ، لدلالاتٌ، لأولي الألْبَابِ والعُقُولِ، على قُدْرَةِ الخَالِقِ على البَعْثِ والنُّشورِ، فإنَّ مَنْ أحْيَا الأرضَ بعدَ مَوْتِها، وأخرجَ النَّباتَ والأشْجارَ والزُّروعَ والفَوَاكِهَ مِنْها لن يُعْجِزَهُ نَشْرُ الخَلائِقِ من قُبُورِهِمْ يومَ القِيَامَةِ ولكنَّ أكثرَ الناسِ غفَلُوا عنْ هَذِهِ الآياتِ فجَحَدُوا بها، وكَفَرُوا باللهِ، وكذَّبُوا رُسُلَهُ.

(٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

(٩) ـ ورَبُّكَ أيُّها الرَّسُولُ هو العزيزُ الذي لا يُنالُ، وقَد غَلَبَ كلَّ شيءٍ، وهوَ الرَّؤوفُ الرحيمُ بِخَلْقِهِ، فلا يُعَجِّلُ بالعُقُوبةِ على مَنْ عَصَاهُ، بل يُؤَجِّلُهُ ويُنْظِرُهُ، ثمَّ يَأْخُذُهُ أخذَ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ، وسَيَنْتَقِمُ منْ هؤلاءِ المُكذِّبينَ.

(١٠) وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

(الظَّالِمِينَ)

(١٠) ـ واذْكُرْ أيُّها الرسولُ لِقَوْمِكَ، قِصَّةَ مُوسى عليهِ السلامُ، حينَما ناداهُ ربُّهُ من جَانِبِ الطُّورِ الأيمنِ، وكَلَّمَهُ وناجَاهُ، وأمَرَهُ بالذَّهابِ إلى القومِ الظالمينَ، الذين ظَلَمُوا أنفُسَهُم بِكُفْرِهِمْ، والظَّالِمينَ لِبَني إسْرائيلَ باسْتِعْبَادِهِمْ، وذَبْحِ الذُّكُورِ مِنْ أبْنَائِهِمْ.

(١١) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ

(١١) - ثُم بَيَّنَ اللهُ تَعالى القَومَ الظَّالمينَ الذينَ أَرْسَلَ إليهم نبيَّهُ مُوسى عليه السلامْ، فقالَ: إِنَّهُـمْ فرعونُ ومَلَؤُهُ (أي مَنْ حَوْلَهُ مِنْ كِبَارِ رجالِ دَوْلَتِـهِ). وقـالَ اللهُ تعـالى لمُوسى ألا يَتَّقي هؤلاءِ الـظَّالمـونَ رَبَّهُمْ ويَحْذَرُونَ عِقابَهُ، ويَخافونَ عَاقِبَةَ بَغْيِهِمْ وكُفْرِهِمْ بِهِ؟

(١٢) قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ

(١٢) - فقالَ موسى لِـرَبِّهِ: إنَّـهُ يخافُ أن يُكَـذِّبَهُ فِـرْعَوْنُ ومَلَؤُهُ، فيمـا يَأْتيهِمْ بِه، كِبْراً وبَطَراً وعِناداً.

(١٣) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ

(هَارُونَ)

(١٣) - وإنَّهُ يخافُ إذا كَذَّبوهُ أن يَضِيق صَدْرُهُ، تَأَثُّراً، ويَتَلَجْلَجَ لسانُهُ، وهو يُجَادِلُهُمْ ويُناقِشُهُمْ ويَدْعُوهُمْ إلى اللهِ، ثم رَجا رَبَّهُ أنْ يُرْسِـلَ مَعَهُ أخاه هارونَ، ويجعلَهُ نَبِيّاً معهُ يُؤازِرُهُ ويَشُدُّ بِهِ عَضُدَهُ.

(١٤) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ

(١٤) - ثُمَّ عادَ يَعْتَذِرُ إلى رَبِّهِ بأنهُ كانَ قَتَلَ رَجُلاً مِنَ القِبْطِ وهَـرَبَ مِنَ العقابِ إلى مَدْيَنَ، ولذلكَ فإنَّهُ يَخافُ أن يقْتُلوهُ قِصَاصاً بتلكَ الجريمةِ، إذا جاءَهُمْ وَحْدَهُ.

(١٥) قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ

(بِآيَاتِنَا)

(١٥) - فَرَدَّ اللهُ تَعالى عَلى مُوسى قَائِلاً: لا تَخَفْ شَيئاً مِنْ ذلـك. إنَّنَا سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخِيكَ هَارونَ، فاذْهَبْ أَنْتَ وإيَّاهُ إلى فِرْعَـوْنَ بالآيـاتِ التي آتَيْتُكُمْ، ومِنْهـا العَصا واليَـدُ، وسأكـونُ مَعَكُما حَـاضِـراً مُسْتَمِعـاً ومُبْصِراً ما سَيَجْري، وأنتُما بِحِفْظِي ورِعَايَتي، وأنتُما الغَالِبَانِ.

(١٦) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(الْعَالَمِينَ)

(١٦) - فاذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ وقُولا لَهُ: إنَّ كُلًّا منكما مُرْسَلٌ إليـكَ وإلى قَوْمِكَ مِنْ رَبِّ العَالَمين.

(وكَلِمةُ رَسُولٍ تُسْتَعْمَلُ لِلفَرْدِ والجَمْعِ).

(١٧) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(إِسْرائِيلَ)

(١٧) - وهوَ يَأْمُرُكَ بأنْ تُطْلِقَ بني إسرائيلَ مِنْ قَبْضَتِكَ وإسَـارِكَ وقَهْرِكَ وتَكُفَّ عَنْ تَعْذِيبِهِمْ، فإنَّهُمْ عبـادُ اللهِ المُؤْمِنون، وأنْ تَتْـرُكَهُمْ يَذْهَبُـون مَعَنَا إلى الأرضِ المُقَدَّسَةِ.

(١٨) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ

(١٨) - فَرَدَّ فرعَونُ على مُوسى بازْدِراءٍ، وعَدَمِ اكْتِراثٍ، وقَالَ لَهُ: أَمَا أَنْتَ الذي رَبَّيْنَاهُ في بَيْتِنـا، وَهُوَ طِفْـلٌ صغيرٌ، وأنْعَمْنـا عليهِ عَـدَداً مِنَ السنينَ؟

﴿١٩﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ

(الْكَافِرِينَ)

(١٩) - ثم قابَلْتَ ذلكَ الإحسانَ بقَتْلِ رجُلٍ مِنَّا، وجَحَدْتَ نِعْمَتنا عليكَ وكَفَرْتَ بها.

الكَافِرينَ - الجَاحِدينَ للنِّعْمَةِ.

﴿٢٠﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ

(٢٠) - فقَالَ موسى مُجيباً: قَدْ فَعَلْتُ تِلْكَ الفَعْلَةَ - وهيَ قَتْلُ القِبْطِيِّ - وأنا إذْ ذاكَ منَ الجَاهلينَ أنَّ وَكْزَتِي سَتَقْضِي عليهِ.

(وقيل إنَّ المَعْنى هُو: لقدْ فعلْتُها وأنا في تِلكَ الحَالِ (إذاً) قَبْلَ أنْ يُوحِيَ اللهُ إليَّ بالرِّسَالَةِ، والنُّبُوَّةِ وكُنْتُ جاهِلاً).

الضَّالِّين - المُخْطِئِينَ غيرِ المُتعَمِّدِينَ.

﴿٢١﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ

(٢١) - فَهَرَبْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُ أن تَبْطِشُوا بِي، فاخْتَارَنِي اللهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِه، ووَهَبَنِي عِلْماً بالأشْيَاءِ على وجْهِ الصَّوَابِ، وجَعَلَنِي رَسُولاً لِهِدَايَةِ العِبَادِ، وأمَرَنِي بأنْ آتِيَكَ لأدْعُوكَ إليهِ، فإنْ أطَعْتَهُ سَلِمْتَ، وإن خَالَفْتَهُ هَلَكْتَ.

﴿٢٢﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(إِسْرائِيلَ)

(٢٢) - وإنَّكَ تَمُنُّ عَلَيَّ بأنَّكَ أحْسَنْتَ إليَّ، وَرَبَّيْتَنِي في بَيْتِكَ، ولكنَّكَ اسْتَعْبَدْتَ بَنِي إسرائيلَ، وجَعَلْتَهُمْ عَبِيداً لكَ وخَدَماً تُصَرِّفُهُمْ في أعْمَالِكَ الشَّاقَّةِ، وتَذْبَحُ أبْنَاءَهُمْ، ولولا خَوفُ أُمِّي عليَّ مِنَ الذَّبْحِ لَمَا قَذَفَتْنِي في التَّابُوتِ في الماءِ، ولما صِرْتُ إلى قَصْرِكَ، ولَكَانَ أبَوَايَ رَبَّيَانِي، ولَمَا كُنتُ بحَاجَةٍ إلى تَرْبِيَتِكَ لِي. فَلَيْسَتْ نِعْمَتُكَ عَلَيَّ، وتَرْبِيَتُكَ إيَّايَ بِشَيْءٍ يُقَاسُ بالنِّسْبَةِ الى ما فَعَلْتَهُ أنْتَ بِبَنِي إسرائيلَ.

عَبَّدْتَ بَني إسرائيلَ - اتَّخَذْتَهُمْ عَبيداً لَكَ مُسْتَذَلِّينَ

﴿٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(الْعَالَمِينَ)

(٢٣) - وكانَ فِرْعَوْنُ يَحْمِلُ قَوْمَهُ على عِبادَةِ شَخْصِهِ هُوَ، ويَقُولُ لَهُمْ: (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِي)(١)، فَلَمَّا دَعاه مُوسى إلى عبادةِ اللهِ، وقالَ لهُ إني رسولُ رَبِّ العَالَمين، قالَ لهُ فِرعونُ مُسْتَخِفّاً جاحِداً: ومَنْ رَبُّ العَالَمِين هذا الذي تَدَّعِي أنَّهُ أرْسَلَكَ إلَيَّ؟ وما هِيَ حَقِيقَتُهُ؟

---

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.

﴿٢٤﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ

(السَّماوَاتِ)

(٢٤) ـ فَقَالَ لَهُ مُوسى: إنَّه خَالِقُ السَّمَاواتِ والأَرْضِ وما بينَهُما، ومالِكُ كلِّ شيءٍ وإلَهُهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ولَوْ كَانَتْ لَكُمْ قُلُوبٌ مُوقِنَةٌ، وأَبْصَارٌ نَافِذَةٌ لانْتَفَعْتُمْ بِهَذا الجَوابِ، ولاهْتَديتُم، وَلَعرفْتُم أنَّ مُلْكَ فِرعَونَ لا يُقَاسُ بِمُلْكِ اللهِ العظيم.

﴿٢٥﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ

(٢٥) ـ فالتفتَ فرعونُ إلى مَنْ حَوْلَهُ من مَلَئِهِ، وكِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ، قائِلاً لَهُمْ على سَبيلِ التَّهَكُّمِ والاسْتِهْزَاءِ والسُّخْرِيَةِ والتَّكْذِيبِ لمُوسَى: ألاَ تَسْتمعونَ إلى ما يقُولُه هذا في زعْمِه أنَّ لكمْ إلَهاً غَيْري.

﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ

(آبَائِكُمُ)

(٢٦) ـ فتابَعَ مُوسى عليهِ السلامُ وصْفَ عَظَمَةِ اللهِ تَعالى، قائِلاً: إنهُ ربُّكُم وخالِقُكُمْ، وخَالِقُ آبائِكُم الأولينَ مِنْ قَبْلِكم.

﴿٢٧﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ

(٢٧) ـ فَقَالَ فرعونُ لمَلَئِه: إنَّ هذا الذي يَدَّعِي أَنَّهُ رسُولٌ إليكُمْ مِنْ رَبِّ العَالمينَ هو رجُلٌ مَجْنُونٌ لا عَقلَ له، إذْ يَدَّعِي أنَّ ثَمَّةَ إلَهاً غيرَهُ هو (أي غَيْرَ فرعَونَ).

﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ

(٢٨) ـ فقالَ لهُ موسَى: إنَّ اللهَ رَبَّهُ هو ربُّكُمُ الذي جَعَلَ المَشْرِقَ مَشْرِقاً، والمغْرِبَ مَغْرِباً، فَتَطْلُعُ الكَواكِبُ من المَشْرِقِ، وتَغْرُبُ في المَغْرِبِ، هذا إنْ كانَتْ لَكُمْ عُقُولٌ تَفْقَهُونَ بها ما تَرَوْنَ، وما يُقَالُ لَكُمْ. فإذا لَمْ تُؤْمِنُوا باللهِ فَأَنْتُمْ الذينَ تَسْتَحِقُّونَ أن تُوصَفُوا بالجُنُون.

﴿٢٩﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ

(لَئِن)

(٢٩) ـ فلما شعرَ فرعونُ أنهُ غُلِبَ وانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ، عَدَلَ إِلَى اسْتِعْمَال جاهِهِ وقوةِ سُلْطَانِهِ، واعْتَقَدَ أنَّ ذَلِكَ نافِعُهُ، ونافِذٌ في مُوسى وأخِيه فقالَ لمُوسى: إذا عَبَدْتَ إلَهاً غَيْري فَسأَسْجُنُكَ، وأنتَ تَعْرِفُ سُوْءَ حَالِ مَنْ يَدْخُلُ في سِجْنِي.

﴿٣٠﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ

(٣٠) ـ فقالَ مُوسى لفِرعَونَ مُتَلَطِّفاً طَمَعاً في إيمانِهِ: وهَلْ تَسْجُنُني حتى ولو جِئْتُكَ بِبُرْهَانٍ قَاطعٍ واضِحٍ على صِدقِ ما أقولُ منْ أنِّي مُرْسَلٌ إليكَ مِنَ الإلَهِ القادِرِ وأنَّ هذِهِ المُعْجِزةَ تَدُلُّ على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِه وحِكْمَتِه؟

(٣١) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

(الصَّادِقِينَ)

(٣١) - فقالَ لهُ فرعونُ هاتِ ما عِنْدَكَ مِنْ بُرْهَانٍ، إنْ كُنْتَ صَادِقاً في دَعْوَاكَ أنَّ لَدَيْكَ آيةً ومُعجزة.

(٣٢) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ

(٣٢) - فألقَى موسى العَصَا التي كَانَتْ بيدِهِ، فانْقَلبتْ إلى ثعبانٍ حَقِيقيٍّ ظَاهِرٍ في غَايَةِ الوُضُوحِ والجَلاءِ.

(٣٣) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ

(لِلنَّاظِرِينَ)

(٣٣) - وَنَزَعَ يَدَهُ مِنْ جَيْبِ قَمِيصِهِ فإذا بِها تَتَلألأُ كَفِلْقَةِ القَمرِ من غيرِ سُوءٍ ولا مَرَضٍ.

نَزَعَ يَدَهُ - أخْرجَها مِنْ جَيْبِهِ (والجَيْبُ فَتْحَةُ الثَّوْبِ عندَ الصَّدْرِ).

(٣٤) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ

(لَسَاحِرٌ)

(٣٤) - فبادَرَ فرعونُ إلى التَّكْذيبِ والعِنَادِ، فقالَ لِمَنْ حَوْلَهُ من بِطَانَتِهِ: إنَّ مُوسَى سَاحِرٌ بارِعٌ في السِّحْرِ (عَليمٌ) فأدْخَلَ في رُوْعِهِمْ أنَّ ما جَاءَ بِهِ موسَى هوَ مِنْ قبيلِ السِّحْرِ، لا مِنْ قَبِيلِ المُعْجِزَةِ الخَارِقَةِ، ثم حَرَّضَهُمْ على مُخالَفتِه، والكُفْرِ بهِ.

المَلأُ - وُجُوهُ القَوْمِ وكُبَرَاءُ الدولةِ.

(٣٥) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ

(٣٥) - فقال لهُمْ إنَّهُ يُريدُ بسِحْرِهِ هذا أن يَذْهَبَ بقُلُوبِ النَّاسِ، فيُكَثِّرَ أعْوانَهُ وأتْبَاعَهُ، ويَغْلِبَكُم بعدَ ذلكَ على دَوْلَتِكُمْ، فيَأْخُذَ البِلادَ مِنْكُمْ، ويُخْرِجَكُمْ مِنها، فَأَشِيرُوا عليَّ بالذي تَرَوْنَ في أمْرِهِ؟

(٣٦) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ

(الْمَدَائِنِ)(حَاشِرِينَ)

(٣٦) - فَقالَ المَلأُ لفرعَونَ: أَجِّلِ الفَصْلَ في أمْرِهِ وأمْرِ أخِيهِ، وأرْسِلْ مِنْ قِبلِكَ رُسُلاً (حاشِرِينَ) يَطُوفُون أرْجاءَ مَمْلَكتِكَ بَحْثاً عنِ السَّحرَةِ.

أرْجِهْ - أخِّرْ أمْرَهُما ولا تُعجِّلْ لهُما بالعُقُوبَةِ.

حَاشِرِين - أُناساً يَجْمَعُون لكَ السَّحَرَةَ.

(٣٧) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ

(٣٧) ليأتوكَ بكلِّ مَنْ لَهُ عِلْمٌ كَافٍ بالسِّحْرِ، وفُنُونِه، لِيُقَابِلُوا مُوسى وأخَاه بنَظِيرِ ما جَاءَ بِه مُوسى فَتَغْلِبَهُ أنْتَ، وتكونَ لكَ النُّصْرَةُ والغَلَبَةُ عليهِ، وعَلى أخِيهِ. فأجابَهُمْ فرعَونُ إلى ذلكَ وكَانَ هذا مِنْ تَسْخِيرِ اللهِ تَعالى لِيَجْتَمِعَ السَّحَرَةُ والنَّاسُ في صَعِيدٍ واحِدٍ، وتَظْهَرَ آياتُ اللهِ وحُجَجُهُ في النَّهارِ جَهْرَةً أمامَ الخَلائِقِ.

(٣٨) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ

(٣٩) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ

(٤٠) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ

(٤١) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ

(٤٢) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ

(٤٣) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ

(٤٤) فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ

(لِميقَاتِ)

(٣٨) ـ فَضُـرِبَ للسَّحرةِ مَـوْعِدٌ يَجْتَمِعُـونَ فيهِ في مَكـانٍ مُعَيَّنٍ ووقتٍ مُحَدَّدٍ.

(٣٩) ودُعيَ الناسُ إلى الاجْتماعِ لِمُشَاهَدَةِ المُبارَزَةِ بينَ السَّحرةِ وبينَ مُـوسى وهَارونَ، فَـأَخذَ النـاسُ يَحُثُّ بعضُهُم بَعْضـاً على الاجْتِمَـاعِ في اليومِ المَعْلُومِ لحُضُورِ الحَفْلِ المَشْهُودِ.

هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ ـ حَثٌّ على الاجْتِمَاعِ واسْتِعْجَالٌ لَهُ.

(الْغَالِبِينَ)

(٤٠) ـ وقالَ قائلُهمْ: لعلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إنْ غَلَبُوا مُـوسَى وأخَاه. (ولم يَقولُوا لَعلَّـنا نتبعُ الحقَّ سَـواءٌ كانَ منَ السَّحـرةِ أو مِن موسَى، ولكنهُمْ كانُوا على دِينِ مَلِكِهِمْ فرعونَ).

(أَئِنَّ)(الْغَالِبِينَ)

(٤١) ـ وَجَـاءَ السَّحَرةُ إلى مَجْلِسِ فـرعونَ، وَقَـدْ جَلَسَ على كُرْسِيِّـهِ وحولَهُ كِبَارُ رِجَالِ دَوْلَتِهِ، وخَدَمُهُ وحَشَمُهُ وجُنْدُهُ، فَقَامَ السَّحرةُ بينَ يديْ فرعونَ يَطْلُبون منهُ الإِحْسَانَ إليهِمْ إنْ غَلَبُوا مُوسى وهَارونَ، وقالُوا لَهُ: وهَلْ لَنا مِنْ أجرٍ إذا انْتَصَرْنَا عليهِما؟

(٤٢) ـ فقالَ لهمْ فرعونُ: نَعَمْ إنَّ لَكُمْ لأجراً، وإنَّ لَكُمْ عِنْدِي أكثرَ مِنْ ذَلِكَ، فإنَّكُمْ سَتَكُونُونَ مِنْ جُلَسَائِي، ومِنَ المُقَرَّبِين عِنْدِي.

(٤٣) ـ ولَمَّـا اجْتَمَعُوا، في اليـومِ المَعْلُومِ، أمَامَ فـرعـونَ والنـاسِ المُحْتَشِدينَ، سأَلَ السَّحَرَةُ مُوسى إنْ كَانَ يُريدُ أن يَبْدَأَ هو بإلقاءِ ما عِنْدَهُ مِنْ فُنُونِ السِّحْرِ، أَوْ يكونُونَ هُمُ البَادِئِينَ؟ فقالَ لهمْ: بَلْ أَلْقُوا أنْتُمْ مَا لَدَيْكُم من فُنُونِ السِّحْرِ.

(الْغَالِبُونَ)

(٤٤) ـ فَـأَلْقَوْا حِبَـالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ فَسَحَرُوا أَعْيُنَ النـاسِ واسْتَـرْهَبُـوهم وجَاؤُوا بسحرٍ عَظيمٍ ـ كَما جَاءَ في آيةٍ أُخْرَى[1] ـ ونَظَرُوا إلى مَا أَتَوْا مِنَ السِّحْرِ فظَنُّوهُ عَظيماً، وداخَلَهُم الزَّهْوُ، وأيْقَنُوا بالنَّصْرِ، فـأقْسَمُوا بِعِـزَّةِ فرعَوْنَ، وَقُوَّتِهِ، ويُمْنِهِ، أنهُمْ سَيكونُون الغالبينَ.

بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ـ بِعَظَمَةِ فِرْعَوْنَ ويُمْنِهِ.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

(٤٥) - فألقى موسى عصاهُ فانقلبَتْ ثُعْباناً عظيماً أخذ يُطارِدُ حِبالَ السَّحرةِ، وعِصيَّهُمْ، ويبتلعُها، حتى أتى عليْها جميعاً، وقدْ حدثَ كلُّ ذلكَ أمامَ فرعونَ ومَلِئِه وجُندِهِ وأهلِ مَمْلكَتِه.

ما يأفِكُون - ما يَكْذِبُون، ويُمَوِّهُونَ بِهِ على النَّاسِ

تَلْقَفُ - تَبْتلِعُ بسرعةٍ

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿٤٦﴾

(سَاجِدِينَ)

(٤٦) - وعَلِمَ السَّحَرَةُ أنَّ مَا أتى بهِ مُوسَى لَيسَ سِحْراً، لأنَّهُ لوَ كانَ سِحْراً لَما غَلبَهُمْ، وهُمْ جُمُوعٌ من السَّحرةِ، لهمْ بالسحْرِ علمٌ ومَعْرفَةٌ، وأيْقنُوا أنَّ مَا أتى بهِ مُوسى هوَ الحَقُّ من عندِ اللهِ تعالى، فَخرُّوا على وُجُوهِهِمْ سَاجِدينَ للهِ ربِّ العالَمينَ، تَائِبينَ مُسْتغفرينَ ربَّهُمْ على مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ سِحرٍ وكُفْرٍ، ورَغْبَةٍ في مُعارَضَةِ الحَقِّ مِنْ عندِ اللهِ بِسِحْرِهِمْ.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾

(آمَنَّا) (الْعَالَمِينَ)

(٤٧) - وقالُوا: آمَنَّا بربِّ العالِمين الذيْ دَعا موسَى فِرعَونَ إلى عبادَتِهِ حينَما جاءَهُ. وأعْلَنُوا إيْمانَهُمْ أمامَ فرعونَ ومَلئِهِ.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

(هَارُونَ)

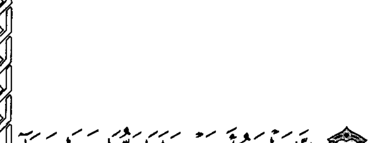
(٤٨) - ثمَّ بَيَّنُوا أنَّ ربَّ العالمينَ الذيْ آمنُوا بهِ هوَ ربُّ مُوسَى وهَارُونَ، ومؤيِّدُهُما بنصْرِهِ.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٩﴾

(آمَنْتُمْ) (آذَنَ) (خِلافٍ)

(٤٩) - فشعَرَ فرعَونُ أنه غُلِبَ عَلَى أمْرِه غَلْباً كَبيراً أمامَ شَعْبِهِ ومَلَئِهِ وسَحرَتِهِ، فَعَدَلَ إلى المُكابَرَة والعِنَادِ، ودَعْوَى الباطِلِ، فشرَعَ يَتَهَدَّدُ السحرةَ وَيَتَوعَّدُهُمْ، ويقولُ لَهُمْ: إنَّ موسى هو كبيرُهُم، وهو الذي عَلَّمَهُمُ السِّحْرَ، وإنهُمْ تَوَاطَؤُوا معهُ ليظْهَرَ عليهِمْ أمامَ النَّاسِ فيتَّبِعُوه. وقالَ لَهُمْ فرعونُ: كيفَ تؤمنونَ لهُ قبلَ أن تَسْتَأذِنُوني في ذلكَ؟ وقبلَ أنْ أسْمحَ لكُمْ بهِ؟ ثمَّ تَوعَّدَهمْ بقطعِ أيدِيهمْ وأرجُلهمْ بصُورةٍ مُتَخالِفةٍ، فإذا قَطَعَ اليدَ اليُمنى قطعَ الرجلَ اليسرى، وبأنَّهُ سَيَصْلِبُهُمْ جميعاً على جُذوعِ النَّخلِ.

﴿٥٠﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ



(٥٠) ـ فقالُوا لهُ: لا حَرَجَ علينا ولا بأسَ في ذلك، وهوَ لا يَضُـرُّنا ولا نُبالي بِهِ، فإنَّنا راجِعُون إلى ربِّنا، وهوَ تَعالى لا يُضيعُ أجرَ المُحْسنين، ولا يَخْفَى عليهِ ما سَتَفْعَلُه بنا، وسَنَجِدُ عندَهُ خيرَ الجَزاء.

لا ضَيْرَ علينا ـ لا ضَرَرَ علينا فيما يُصِيبُنا.

﴿٥١﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(خطَايَانَا)

(٥١) ـ وإنَّنا نَطمعُ في أنْ يَغفِرَ لنا رَبُّنا ذنُوبَنَا ومـا اقْتَرفْنَـاه في حياتِنَـا المـاضيةِ من الخـطَايا، ومـا أكْرَهْتَنَـا عليه من السِّحـرِ، إذْ كُنَّا أولَ من آمنَ من قومِك بمُـوسى ورسالَتِه انْقِياداً للحقِّ، وإعْـراضاً عن زُخْـرُفِ الدُّنْيا وزينَتِها.



ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

﴿٥٢﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ

(٥٢) ـ ولَمَّا طالَ مُقَامُ موسى في مصرَ، وأقامَ بها حُجَجَ اللهِ وبـراهينَهُ على فـرعونَ ومَلَئِهِ، وهُمْ في ذلكَ يُكَـابِرُون ويُعَـانِدُون، لَمْ يَبْقَ إلا العذابُ والنَّكالُ، فأمرَ اللهُ تعالى مُوسى بأنْ يخرجَ ببني إسرائيلَ ليلاً من مِصْرَ، وأعْلَمَهُ أنَّ فرعونَ سيتْبَعُهُم، وأمَرَهُ بأنْ يتوجَّهَ حيثُ يُؤْمَرُ، فَفَعَلَ موسى ما أمَرَهُ بِهِ ربُّهُ.

مُتَّبعُون ـ يَتْبَعُكُمْ فرعونُ وجنودُهُ.

السُّرَى ـ السَّيْرُ ليلاً.

﴿٥٣﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ

(الْمَدَائِنِ) (حَاشِرِينَ)

(٥٣) ـ ولَمَّا عَلِمَ فِرعَونُ بارتحالِ بني إسْرائيلَ مَعَ مُوسى ليخرُجُوا من أرْضِ مصرَ اغْتاظَ وأرسلَ رسُلاً (حاشرينَ) يَجْمَعونَ له الجنودَ من أطـرافِ مملكتِـهِ، لِيَتْبَعَهُمْ ويَـردَّهمْ إلى أرضِ مصـرَ، ويمنَعَهم من الخروجِ منها.

حَاشرينَ ـ أُنَاساً يَجْمعُون لهُ الجُندَ

﴿٥٤﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ

(٥٤) ـ وَنَادَى فِرعَوْنُ في قومِهِ: إنَّ بني إسرائيلَ (هؤلاءِ) طَائفةٌ خَسِيسةٌ في شأنِها، قليلةٌ في عَدَدِها (لشِرْذِمةٌ)، ومنَ السَّهْلِ قهرُهُم والسَّيطَرةُ على مُقاوَمَتِهِمْ في وقتٍ قصيرٍ.

شِرْذمة ـ طائفة قليلة الأهميَّة.

﴿٥٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ

(لَغائِظُونَ)

(٥٥) ـ وقد أقْدَمُوا على عَمَلٍ ما يُثِيرُ غَيْظَنَا بمُخَالَفَةِ أمْرِنا، ومُحَاوَلَةِ الخروجِ من أرضِ مصرَ بغيرِ إذْنِنا، وبذهابِهِم بالحُلِيِّ التي استعَارُوهـا من القِبْطِ.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾

(حاذِرُونَ)

(٥٦) ـ وَإنَّ علينا أن نحذرهم قبلَ أن يستفْحِلَ شرُّهُمْ. ونحنُ قومٌ من عادَتِنا الحَذَرُ والتَّيَقُّظُ، واسْتِعْمَالُ الحَزْمِ فِي الأمور.
حاذِرُون ـ محْترِزُون أو مُتأَهِّبُون بالسلاحِ.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾

(فَأَخْرَجْناهُم) (جَنَّاتٍ)

(٥٧) ـ فَأَخْرَجَ اللهُ تَعالى فرعونَ وقومَهُ وجنودَه من نعيمِ الحَياة التي كانوا يَعيشُونها، فتركُوا المَنازِلَ العَالِيةَ، والبَساتينَ النَّضِرَةَ والمِيَاهَ الوَفِيرةَ، لِيُهْلِكَهُمُ اللهُ جَمِيعاً في البَحْرِ غَرَقاً.

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾

(٥٨) ـ وتَرَكُوا الكُنوزَ والأَمْوالَ والأَرْزَاقَ والجَاهَ الوافِرَ في الدُّنيا.

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾

(أَوْرَثْناهَا) (إِسْرَائِيلَ)

(٥٩) ـ وهكَذا أَخرَجَ اللهُ تعالى فرعَونَ وقومَهُ وجنُودَهُ من أَرْضِهِم، التي كانُوا مُقيمينَ فيها، لِيُهْلِكَهُم في البَحْرِ غَرَقاً، وجَعَلَ بني إسرائيلَ يَرِثُون الأرضَ المُقَدَّسَةَ، وفيها جَنَّاتٌ وعُيونٌ ونَعِيمٌ يُماثِلُ ما تَرَكَهُ فِرْعَونُ وقومُه في مصرَ فتحَوَّلَ حالُ بني إسرائيلَ من الرِّقِّ والعُبوديَّةِ والذُّلِّ، إلى الحُرِّيَّةِ والترَفِ والنعيم.

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

(٦٠) ـ فَاتَّبَعَ فِرْعَونُ وقومُه بني إسْرائيلَ، وأدركُوهُمْ عِندَ شُروقِ الشَّمسِ.
مُشرِقين ـ دَاخِلين في وقْتِ الشُّروقِ.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾

(تَراءَى) (أَصْحَابُ)

(٦١) ـ فلمَّا رأى كُلُّ فريقٍ الفَريقَ الآخَرَ، قالَ أصْحَابُ موسى: إنَّ فرعونَ وقَوْمَهُ قَدْ أدركُوهُمْ وَإِنَّهُمْ سيقتُلُونَهُمْ، وذلكَ لأنهمْ وَصَلُوا إلى سَاحِلِ البحرِ، ولمْ يَعُدْ بإِمكانِهِمْ مُتَابَعَةُ السَّيرِ للتَّخلُّصِ مِنْ مُطارَدَةِ فرعَونَ وجُنودِهِ.
تَراءى الجَمْعَانِ ـ رَأى كلٌّ منهُما الآخَرَ.

﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾

(٦٢) ـ فقالَ مُوسى لقَوْمِه: كَلاَّ. إنَّ فرعونَ وقومَهُ لَنْ يَصِلُوا إليكُمْ، فإنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الذي أمَرَني بأنْ أَسيرَ بكُمْ إلى هُنا، وهُو تَعالى لا يُخْلِفُ المِيعَادَ، وإنهُ سيهديني سواءَ السَّبيلِ، إلى ما يَجبُ أن أفعلَهُ لنَنْجُوَ.

﴿٦٣﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ

(٦٣) - فأمرَ اللهُ تَعالى مُوسى بأنْ يَضربَ البحرَ بِعَصاهُ فَضرَبَهُ فانْفلَقَ البحرُ بإذنِ اللهِ تعالى، فكانَ كلُّ جَانِبٍ مِنَ الماءِ كالجَبَلِ العَظِيمِ.

(وقال ابنُ عَبَّاسٍ: أصْبَحتِ الفَتْحَةُ التي انشَقَّ عنها الماءُ كالفَجِّ العَظِيم بينَ جبلَيْنِ).

فانْفَلَقَ - انْشَقَّ اثْنَيْ عَشَرَ فِرْقاً.

فِرقٍ - قِطْعَةٍ منَ البَحرِ مُرْتَفِعَةٍ.

كَالطَّودِ العَظيم - كَالجَبلِ المرتفعِ في السَّماءِ.

﴿٦٤﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ

(ٱلآخَرِينَ)

(٦٤) - وَقَرَّبَ اللهُ فرعونَ وجُنودَهُ من البحرِ، وأدْناهُمْ منهُ.

أَزْلَفْنا - قرَّبْناهُمْ مِنَ البَحرِ (أي جَماعةَ فرعَونَ).

﴿٦٥﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ

(٦٥) - فَسَارَ موسى وَقومُهُ في المَكَانِ الذِي انْفَتَحَ في البَحرِ وأصْبَحَ يابِساً، وبَلَغُوا الطرفَ الآخَرَ من البحرِ، فَنَجَوْا جَمِيعاً.

﴿٦٦﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ

(ٱلآخَرِينَ)

(٦٦) - وتَبِعَهُمْ فِرعونُ وجنودُهُ في المَكا ن الذي انْفَتَحَ في البَحْرِ، فلَمَّا أصْبَحُوا جَمِيعاً بينَ فِرْقَتَي الماءِ، أطْبَقَ عليهِمُ البحرُ فأغْرَقَهُمْ أجْمَعين.

﴿٦٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ

(لآيَةً)

(٦٧) - وفي هذه القصَّةِ، وما فيها منَ العَجائبِ، والنَّصْرِ، والتَّأْييدِ لِعِبادِ اللهِ المؤمنينَ، لدَلالَةٌ واضحةٌ وحُجَّةٌ قاطعةٌ على قُدرةِ اللهِ تَعالى، وعلى صِدْقِ مُوسى، ولكنَّ أكْثَرَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا مَعَ أنهُمْ رَأَوْا بأعْيُنِهِمْ هذه الآياتِ العِظامَ الباهرةَ.

﴿٦٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(٦٨) - وإنَّ خالقَكَ وَمُرَبِّيكَ، يا مُحَمَّدُ، لهوَ القويُّ القادرُ على الانتِقامِ مِنَ المُكَذِّبينَ، المُنعِمُ بالرَّحمَةِ على المُؤمنينَ.

﴿٦٩﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ

(إِبْرَاهِيمَ)

(٦٩) - واتْلُ يا مُحَمَّدُ عَلى قَوْمِكَ أخْبَارَ أبيهِمْ إبراهيمَ عَليهِ السَّلامُ، لَعَلَّهُمْ يَقْتَدُونَ بهِ في الإخلاصِ والتَّوَكُّلِ علي اللهِ تَعالى، وَعِبادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لهُ، والتَّبَرُّؤ منَ الشِّرْكِ وأهلِهِ فقدْ أوتِيَ رُشْدَهُ من صِغَرِهِ، فَهوَ حينَ نَشَأَ وَتَرَعْرَعَ أنكَرَ على أبيهِ وقومِهِ عبادةَ الأصْنامِ.

﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ

(٧٠) - فقالَ لأبيه وقومِهِ: مَاذا تَعْبدُونَ؟ وما هٰذهِ التَّماثيلُ التي أنْتُمْ على عِبادَتِها عَاكِفُونَ؟ مَعَ أنَّها لا تَستحِقُّ العبادَةَ.

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾

(عَاكِفِينَ)

(٧١) - فقالُوا لَهُ مُباهين: إنهُمْ يَعْبُدونَ أصْناماً يظَلُّون مُقيمينَ على عِبادَتِها ودُعائِها تَعْظِيماً لها وتَمْجِيداً.

عَكَفَ - انْكَبَّ وأقَامَ

﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢﴾

(٧٢) - فَسَأَلَهُمْ إبراهيمُ مُسْتَغْرِباً، ومُسْتَهْزِئاً، ومُنْكِراً تصرُّفَهُمْ هذا: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ حِينَما تَدْعُونَهُمْ وهُمْ حِجارَةٌ، وهَلْ يُجِيبُونَكُمْ إذا دَعَوْتُمُوهُمْ؟

﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾

(٧٣) - وَهَلْ يَسْتَطِيعُونَ نَفْعَكُمْ إذا أطَعْتُمُوهُمْ، أوْ ضَرَّكُمْ إنْ عَصَيْتُمُوهُمْ؟

﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾

(آباءَنَا)

(٧٤) - فَاعْتَرَفُوا بأنَّهُمْ لا يَعْرِفُون أنَّها تَنْفَعُ وتَضُرُّ، وإنَّما وَجَدُوا آباءَهُمْ يَعْبُدُونَها، ويَسجُدُونَ لهَا، ويَنْحَرُونَ لها القَرابينَ، فاقْتَدَوْا بِهِمْ، وفَعلُوا فِعلَهُمْ.

﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥﴾

(أَفرَأَيْتُم)

(٧٥) - قالَ إبراهيمُ لقومِه: هلْ تَرَوْنَ هذهِ الأصنامَ التي تَعْبُدُونها أنتم؟

أفرأيتُمْ - أتَأَمَّلْتُمْ فَعَلِمْتُمْ.

﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦﴾

(آبَاؤُكُم)

(٧٦) - والتي عَبَدَهَا آباؤُكم الأقْدَمُون من قَبْلِكُمْ؟

﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾

(الْعَالَمِينَ)

(٧٧) - إنَّنِي بَرَاءٌ منها جَميعاً، وأنَا لا أعترِفُ برُبوبيَّةِ شَيءٍ منْها، وإنَّني لا أعْبُدُ إلاَّ اللهَ وَحْدَهُ سُبحانَهُ، فَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ، ولا رَبَّ سِوَاهُ.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨﴾

(٧٨) - وهُوَ تَعالَى الذيْ خلقَنِي، وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ، وهُوَ الذِي هَدَى الخَلائِقَ إلَيْهِ، فَكُلٌّ يجري عَلى ما قُدِّرَ لَهُ، وهُو الذيْ يَهْدِينِي إلى كلِّ ما يُوصِلُني إلى السَّعادَةِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ.

﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩﴾

(٧٩) - وهُو خَالِقِي ورَازِقِي بِمَا سَخَّرَ ويَسَّرَ مِنَ الأَسْبَابِ.

﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾

(٨٠) - وإذَا ألَمَّ بِي مَرَضٌ فَرَبِّي هوَ الذي يَشْفِينِي مِنَ المَرضِ، ولا يَقْدِرُ عَلى شِفَائي غيرُهُ، بما يُقدِّرُهُ من الأَسْبَابِ المُوصِلَةِ إليهِ.

﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١﴾

(٨١) - وهُوَ الذيْ خَلَقَنِي ثُمَّ يُمِيتُنِي حينَمَا يَحِينُ أَجَلِي، ثُمَّ يَبْعَثُنِي حَيّاً مَرَّةً أُخْرى يومَ القِيامةِ، ولا يَقْدِرُ أحَدٌ سواهُ على شَيءٍ مِنْ ذلكَ.

٨٢ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ

(٨٢) ـ وإنِّي أطْمَعُ في أنْ يغفِرَ تعالى خطَايَايَ وذُنُوبِي وهفَوَاتِي يومَ القِيامَةِ (يومَ الدِّين)، ولا يَقْدِرُ على مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غيرُهُ، في الدُّنيا والآخِرَةِ، وهو الفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ.

يومَ الدِّين ـ يومَ القِيامَةِ.

٨٣ رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ

(بِالصَّالِحِينَ)

(٨٣) ـ ثُمَّ دَعَا إبراهيمُ ربَّهُ أنْ يُؤتِيَهُ عِلْماً ورَأْياً سَدِيداً (حُكْماً ـ وقِيلَ بلِ المرادُ بِالحُكْمِ هُنا النُّبوةُ) وأن يُوَفِّقَهُ إلى العَمَلِ في طَاعَةِ ربِّهِ لِيَكُونَ منْ زُمْرَةِ المُقَرَّبينَ إليهِ، المُطِيعِينَ لَهُ، المُؤَهَّلِينَ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ.

٨٤ وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٖ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ

(الآخِرِينَ)

(٨٤) ـ وأَن يَجْعَلَ لهُ ذِكْراً جَميلاً، يَذْكُرُه بِهِ مَنْ يأتي بعدَهُ، وأَنْ يَكُونَ قُدْوَةً يُقْتَدَى بِهِ بِمَا يُوفِّقُهُ إليهِ ربُّهُ مِنْ عَمَلِ الخَيْرِ.

لِسَانَ صِدْقٍ ـ ثَنَاءً جَمِيلاً، وذِكْراً حَسَناً.

٨٥ وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ

(٨٥) ـ وأن يُنْعِمَ عليه ربُّهُ في الدُّنْيا بِبَقَاءِ الذِّكْرِ الجَمِيلِ بَعْدَهُ، وأن يُنْعِمَ عَلَيهِ في الآخِرَة بأنْ يَجْعَلَهُ مِمَّنْ يرِثُونَ جنةَ النَّعِيم.

٨٦ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ

(٨٦) ـ ودَعَا إبراهيمُ رَبَّهُ لِيَغْفِرَ لأَبِيه (لأَنَّهُ كانَ مُشْرِكاً باللهِ، ضَالاًّ عَنْ طريقِ الهُدَى).

(ولكنَّ إبْرَاهِيمَ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ فيما بَعْدُ حينَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ، ورَجَعَ في دُعَائِه هَذا كَما جاءَ في آيَةٍ أُخْرَى)(١).

٨٧ وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ

(٨٧) ـ ودَعَا رَبَّهُ أنْ يُجِيرَهُ من الخِزْيِ والهَوَانِ يومَ القِيامَةِ، يومَ يَبْعَثُ اللهُ الخَلائقَ، ويحشُرُهُمْ جَميعاً للحِسَابِ.

لا تُخْزِنِي ـ لا تَفْضَحْنِي ولا تُذِلَّنِي بِعِقَابِكَ.

٨٨ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ

(٨٨) ـ وفي يَومِ القِيامةِ، يومَ يُبْعَثُ الخَلائقُ، لا يَقِي المَرءَ مِنْ عذابِ اللهِ مالُهُ، ولو افْتَدَى بِمِلْءِ الأرْضِ ذَهباً، ولا يَنْفَعُهُ بنُوهُ، ولا أحَـدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ.

٨٩ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ

(٨٩) ـ ولا يَنْفَعُهُ في ذَلكَ اليوم إلاَّ إيمَانُه، وَعَمَلُهُ الصَّالِحُ، وأَنْ يأْتِيَ اللهَ ربَّهُ بقَلْبٍ سليم، مُبَرَّأٍ من الشِّرْكِ والدَّنسِ والخَطَايا، وقَدْ أَخْلَصَ الإيمانَ للهِ، وأَخْلَصَ العَقِيدَةَ لَهُ، وآمَنَ إيمَاناً صادقاً أنه لا إلَـهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأنَّ السَّاعَةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فِيها، وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القُبُورِ.

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ـ بَرِيءٍ من مَرَضِ النِّفَاقِ والكُفْرِ.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٩٠) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ

(٩٠) ـ وأُدْنِيَتِ الجنَّةُ وقُرِّبَتْ من السُّعَداءِ المُتَّقِين، حتى أصْبَحَتْ مِنْهُمْ بِمَرْأى البصَرِ وهيَ مُزَيَّنَةٌ مُزَخْرَفَةٌ لِيَفْرَحُوا بِرُؤْيَتِها، وهؤلاءِ المُتقونَ هُمُ الذينَ رَغِبُوا فيها، وعَمِلُوا لَها، واعْتَقَدُوا أنَّهُمْ سَيُحْشَرُون إليْها.

أُزْلِفَتِ الجَنَّةُ ـ قُرِّبَتْ لِتُصْبِحَ بِمَرأى العَيْنِ.

(٩١) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ

(٩١) ـ وأُبْرِزَتْ جهنَّمُ، وأُظْهِرَتْ لأهْلِها الكَفرةِ الطُّغاةِ الغاوِينَ، لتكونَ بِمَرْأى العينِ مِنْهُمْ، وفي ذلكَ تَعجِيلٌ لِحَسْرَتِهِمْ، وغَمِّهِمْ.

بُرِّزَتِ الجَحِيمُ ـ أُظْهِرَتْ وأُبرِزَتْ بِحَيْث تُرى أهْوَالُها.

لِلغَاوِينَ ـ الضَّالينَ عَنْ طريقِ الحَقِّ.

(٩٢) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ

(٩٢) ـ وقِيلَ لأهْلِ النَّار تَقْرِيعاً وتَوْبِيخاً: أينَ الآلهةُ الذينَ كُنتمْ تَعْبُدُونَهُمْ منْ دونِ اللهِ مِنْ أصْنامٍ وأنْدادٍ؟

(٩٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ

(٩٣) ـ لقَدْ كُنْتُمْ أنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ في الدُّنْيا من دونِ اللهِ تَعالى، وتَعْتَقِدُونَ أنَّهُمْ سَيَشْفَعُون لَكُمْ عندَ اللهِ، فَهَلْ يَسْتَطِيعونَ اليومَ نَصْرَكُمْ أو نَصْرَ أنْفُسِهِمْ؟ وهَلْ يستطيعونَ أن يَدْفَعُوا عَذابَ اللهِ عنكُمْ أو عَنْ أنفسِهِمْ؟ إنَّكُمْ وإيَّاهُمْ صَائِرونَ إلى جَهَنَّمَ وساءَتْ مَصِيراً ومُسْتَقَرّاً.

(٩٤) فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ

(الْغَاوُونَ)

(٩٤) ـ فأُلْقُوا في جَهنَّمَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، بعْضُهُم فوقَ بَعضٍ (كُبْكِبُوا)، هُمْ وقادَتُهُمْ وكُبراؤُهُمْ، الذينَ دَعَوْهُمْ إلَى الشِّرْكِ.

كُبْكِبُوا ـ أُلْقُوا بعضُهُمْ فوقَ بَعْضٍ على وُجُوهِهِمْ.

الغَاوُونَ ـ الضَّالُّونَ المُضِلُّون، وهُمْ هُنا الكُبَراءُ.

(٩٥) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ

(٩٥) ـ وقُذِفَ في النَّارِ مَعَهُمْ جنودُ إبْلِيسَ الذينَ كانُوا يُزَيِّنُون لَهُمُ الشِّرْكَ وَالمَعَاصِيَ، فَصَارُوا جَميعاً في النَّارِ.

(٩٦) قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ

(٩٦) ـ فيَقُولُونَ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَئِهِمْ، وهُمْ يَتَخاصَمُونَ في النَّارِ مَعَ مَنْ أضَلُّوهُمْ مِنْ مَعْبُودَاتِهِم.

(٩٧) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ

(ضَلالٍ)

(٩٧) ـ واللهِ لَقَدْ كُنَّا ضَالِّينَ بِصُورَةٍ جَلِيَّةٍ واضِحَةٍ.

(٩٨) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(الْعَالَمِينَ)

(٩٨) ـ إذِ اسْتَجَبْنَا لَكُمْ أيُّها المَعْبُودُونَ، وعَظَّمْنَاكُمْ تَعْظِيمَ المَعْبُودِ الحَقِّ، وسَوَّيْنَاكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ في اسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ.

نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ ـ نَجْعَلُكُمْ وإيَّاهُ سَواءً في اسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ.

﴿٩٩﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ

(٩٩) - وما دَعَانا إلى ذَلِكَ، ولا حَمَلَنَا عَلَيْهِ إلاّ المُجْرِمُون من السَّادَةِ والكُبَراءِ، الذينَ أَضَلُّونَا السَّبِيلَ.

﴿١٠٠﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ

(شَافِعِينَ)

(١٠٠) - فلَيْسَ لَنَا اليومَ منْ يَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ اللهِ، ويُنْقِذُنا مِمَّا نَحْنُ فيهِ مِنْ ضِيقٍ وَعَذاب.

﴿١٠١﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ

(١٠١) - وَلَيْسَ لَنَا اليوم صَديقٌ مُخْلِصُ الصَّدَاقَةِ وثيقُها (حَمِيم) يُؤازِرُ في الشَّفاعَةِ لَنَا عِنْدَ اللهِ، أو يَتوجَّعُ لنا وَيَرْثِي لِحَالِنَا.
حَمِيمٍ - قَريبٍ مُشْفِقٍ يَهْتَمُّ بأمْرِنا

﴿١٠٢﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١٠٢) - وَيَتَمنَّونَ فِي ذلِكَ الوَقْتِ لَوْ أَنَّهُمْ يُرَدُّونَ إلى الدَّارِ الدُّنْيا لِيَعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللهِ فِيمَا يَزْعُمُون. واللهُ تَعالى يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، ولَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.
كَرَّةً - رَجْعَةً إلى الدُّنْيا

﴿١٠٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ

(لآيَةً)

(١٠٣) - وإنَّ فِي محَاجَّةِ إبراهيمَ لِقَوْمِهِ، وإقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ في وُجُوبِ التَّوْحِيدِ لآيَةً، وبُرهاناً جَلِيّاً على أنّه لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ. ومَعَ وُضُوحِ ذلكَ وجَلائِه لأَعْيُنِهِمْ فإنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ أكثرُهُمْ بِهِ.
(وقدْ يَكُونُ المَعْنَى: وَمَا كَانَ أكثرُ قَوْمِكَ الذينَ تَتْلُو عليْهِمْ هذا النَّبأَ مُذْعِنِينَ لِدَعْوَتِكَ).

﴿١٠٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

(١٠٤) - وربُّكَ، يا مُحَمَّدُ، هُوَ العَزيزُ الجَانِبِ، الذيْ لا يُقَاوَمُ ولا يُغالَبُ، وهو القادِرُ على الانْتِقَامِ من المُكَذِّبِينَ، وهُوَ الرَّحِيمُ، إذْ لَمْ يُهْلِكِ العِبَادَ بِكُفْرِهِمْ وذُنُوبِهِمْ، بل أخَّرَ ذلكَ، وأرْسَلَ إليهم الرُّسُلَ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ ويرجِعُونَ إلى رَبِّهِمْ.

﴿١٠٥﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ

(١٠٥) - يُخبِرُ اللهُ تَعَالى عَنْ نوحٍ عَلَيهِ السَّلامُ، وَهُوَ أولُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ تعالى إلى أهلِ الأرضِ، بَعدَمَا عَبَدَ النَّاسُ الأَصْنَامَ والأَنْدَادَ، فَبَعَثَهُ اللهُ إلى قومِهِ نَاهِياً لَهُمْ عَنْ ذَلك، وَمُحَذِّراً إيَّاهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ تَعالَى، فكَذَّبَهُ قَوْمُهُ، واستَمَرُّوا مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ والأَوْثَانِ والشِّرْكِ باللهِ. (وَمَنْ كَذَّبَ رسُولاً فكأنَّه كَذَّبَ جميعَ المُرْسَلين لاتِّحادِ دَعْوَةِ جميعِ الرُّسُلِ في أُصولِها وغَايَاتِها، وَلِذَلِكَ قَالَ: (كَذَّبَتْ قومُ نوحٍ المُرْسَلِينَ).

﴿١٠٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ

(١٠٦) - إذْ قالَ لَهُمْ نوحٌ - وسَمَّاهُ أخاهُمْ لأَنَّهُ مِنْهُمْ نَسَباً - : ألا تَخافُونَ اللهَ في عِبَادَتِكُم غَيْرَهُ؟ وهلاَّ اتَّقَيْتُمْ عِقَابَهُ؟

(١٠٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

(١٠٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

(١٠٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١١٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

الحزب ٣٨

(١١١) ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ

(١١٢) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(١١٣) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ

(١١٤) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ

(١١٥) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ

(١١٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ

(١٠٧) - إنِّي رَسُولُ اللهِ إليكُم، أمينٌ فِيمَا بَعَثَني بِهِ إِلَيْكُمْ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي، ولا أَزِيدُ فِيهَا ولا أَنْقِصُ مِنْهَا.

(١٠٨) - فَأَطِيعُونِي فيما دَعَوْتُكُمْ إليهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، واتَّقوهُ وأَخْلِصُوا العِبَادَةَ لَهُ، وأَقْلِعُوا عَنِ ارْتِكَابِ المُنْكَرَاتِ والمَعَاصِي.

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٠٩) - وإنِّي لا أَطْلُبُ منكُمْ أجراً، ولا جَزاءً، عَلَى نُصْحِي في إبْلاغِ رِسَالَةِ رَبِّكُمْ إلَيْكُمْ، وإنَّما أَبْتَغِي الأجْرَ والثَّوابَ على ذلك عندَ اللهِ ربِّ العَالَمِينَ.

(١١٠) - فَخافُوا اللهَ واتَّقُوهُ وأَطِيعُونِي واسْتَجِيبُوا لِنُصْحِي، فَقَدْ وَضَحَ لَكُمُ الأمْرُ، وبانَ لَكُمْ نُصْحِي وأَمَانَتِي في أداءِ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ إليكُمْ.

(١١١) - قَالُوا: كيفَ نُؤمِنُ لَكَ، وكَيْفَ نَتَّبِعُكَ وَنَتَأَسَّى في ذَلك بِهَؤلاءِ الأرْذَلِينَ الذينَ اتَّبَعُوكَ وصَدَّقُوكَ؟

اتَّبعَكَ الأَرْذَلُونَ - السِّفْلَةُ الأدْنِياءُ مِنَ النَّاسِ.

(١١٢) - قالَ لَهُمْ نُوحٌ: إنَّنِي دَعَوْتُ هَؤلاءِ فَصَدَّقُونِي واسْتَجَابُوا لِي، وَعَلَيَّ أَنْ أَقْبَلَ منهُمْ ذَلك، وأَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولَيْسَ لِي أَنْ أُنَقِّبَ عنْ ضَمَائِرِهِمْ، ولا أَنْ أُدَقِّقَ في أَعْمَالِهِمُ السَّابِقَةِ.

(١١٣) - والَّذي يُحَاسِبُهُمْ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ، وَعَلَى أَعْمَالِهِم السابِقَةِ واللاحِقَةِ، إنَّمَا هُوَ اللهُ ربُّ العالَمِينَ، فهوَ المُطَّلِعُ عَلَيْهِم، لَوْ كنتمْ من ذَوِي الشُّعُورِ والعَقْلِ.

(١١٤) - وحينما سَأَلُوهُ أنْ يَطْرُدَ هَؤلاءِ المُؤْمِنِينَ، وَيُبْعِدَهُمْ عنهُ، أجابَهُمْ: إنَّه لا يَفْعَلُ ذَلك.

(١١٥) - وَقَالَ لَهُمْ إنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَهُ نَذِيراً للنَّاسِ، فَمنْ أَطاعَهُ وصَدَّقَهُ كَانَ مِنْهُ، وَلا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ، وَلا بَيْنَ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ.

(لَئِن) (يا نُوحُ)

(١١٦) - طَالَ مُقَامُ نُوحٍ عَلَيه السَّلامُ بَينَ ظَهْرَانَيْ قَومِهِ يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ لَيلاً ونَهاراً، وسِرّاً وجِهَاراً، وكُلَّما كَرَّرَ عليهِمُ الدَّعوةَ ازْدَادوا كُفْراً واسْتِكْبَاراً.

ولَمَّا كَرَّرَ لَهُمْ نوحٌ الدعوةَ تَضايَقُوا مِنْهُ ومِمَّنْ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ

قومِهِ: لَئِنْ لمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ عَن دَعْوَتِكَ إِيَّانَا إلى دِينِكَ لَنَرْجُمَنَّكَ بِالحِجَارَةِ وَلَنقْتُلَنَّكَ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴾ ١١٧

(١١٧) - فدَعَا نُوحٌ عليهِ السلامُ عَلَيْهِمْ، واسْتَنْصَرَ رَبَّهُ عَلَيْهِمْ، وقالَ لِرَبِّهِ: رَبِّ إنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِي.

﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١١٨

(١١٨) - ثم رجَا ربَّهُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُ وبينَ قَوْمِهِ، وأَنْ يَحْكُمَ بينَهُمْ بالحَقِّ، وأنْ يُنَجِّيَهُ والذينَ آمَنُوا معَهُ منَ العَذَابِ الذِي سيُنْزِلُهُ اللهُ بهؤلاءِ الكافرينَ المُكَذِّبينَ.

افْتَحْ - اقْضِ واحْكُمْ، أو افْرُقْ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ ١١٩

(فَأَنْجَيْنَاهُ)

(١١٩) - فأنْجَى اللهُ نُوحاً والمُؤْمِنينَ معَهُ في السَّفينةِ التي أَمَرَهُ اللهُ بِصُنْعِهَا، وبأَنْ يَحمِلَ فيها المُؤمنينَ، ومِنْ كُلِّ زوجَيْنِ اثْنَيْنِ من الحَيَوانات والنباتَاتِ. ولذلكَ قالَ المَشْحُون إشارةً إلى امْتِلاءِ السفينةِ بالحُمولَةِ.

الفُلْكِ - السَّفينةِ والمَرْكَبِ.

المَشْحُون - المُمْتَلِىء بالحُمولةِ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ ١٢٠

(١٢٠) - ثمَّ إنَّ اللهَ تَعالى أَغرَقَ البَاقِينَ جَمِيعاً، بعْدَ أنْ أنْجَى نُوحاً وَالذينَ آمَنُوا مَعَهُ في السَّفِينةِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ١٢١

(لآيَةً)

(١٢١) - وَفي ذلكَ لآيةً عَلَى عِنَايَةِ اللهِ تَعالَى بِعبادِهِ المُؤْمنينَ، وعَلى قُدْرَتِهِ تَعالى عَلى إهْلاكِ المُجْرِمينَ المُكذِّبينَ. وَمَعَ أنَّ نُوحاً حَذَّرَ قَومَهُ مِنْ عَذابِ اللهِ وَنَكَالِهِ ودعَاهُمْ إلى عِبَادَةِ اللهِ تعالى لَيلاً ونهاراً، وسِرّاً وَجِهَاراً فإنَّهُ لَمْ يؤمنْ بِهِ كثيرٌ منهُمْ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ١٢٢

(١٢٢) - وإنَّ ربَّكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ العَزِيزُ الجَانبِ الذي لا يُقَاوَمُ ولا يُغَالَبُ وهُوَ الحَكيمُ في شَرْعِهِ وتدْبيرِهِ، الرَّحِيمُ بعبادِهِ إذْ لَمْ يُعَاجِلِ المُكَذِّبينَ بالعُقُوبةِ، وأَرْسَلَ إليهِم الرُّسُلَ، وأَخَّرَ عُقُوبَتَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٢٣

(١٢٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى أَنَّهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ هُوداً إلى قَوْمِ عَادٍ - وكَانُوا يَسْكُنُونَ الأَحْقَافَ وهِيَ تِلالٌ رَمْلِيَّةٌ قُرْبَ حَضْرَمَوْتَ - وكَانُوا بعدَ قومِ نُوحٍ - فَدَعَاهُمْ هُودٌ إلى عِبادَةِ اللهِ تَعالى وَحْدَه لا شَرِيكَ لَهُ، والإقلاعِ عَنْ عبادةِ الأَصْنَامِ والأَوْثَانِ فكَذَّبُوهُ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾

(١٢٤) - فَقَالَ لَهُمْ هُودٌ عليهِ السَّلامُ: أَلَا تَخافُونَ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَ اللهِ آلهةً أُخرى هيَ أصنامٌ لا تضرُّ ولا تَنْفَعُ؟

(١٢٥) - إنِّي مُرْسَلٌ إليكُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى، وَإِنِّي صَادِقٌ فِيما أُبَلِّغُكُمْ إِيَّاهُ مِنْ رَبِّكُمْ.

(١٢٦) - فَأَطِيعُوني، واتَّبِعُوا قَوْلِي، واسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِي واتَّقُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، واعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٢٧) - وَأَنَا لا أَسْأَلُكُمْ جَزاءً وأجراً عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ دَعْوَتِي إِيَّاكُمْ، وَإِنَّما أَنْتَظِرُ الأَجْرَ والثَّوابَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ اللهِ رَبِّ العَالَمينَ الذِي بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ.

(آيَةً)

(١٢٨) - كانَ قومُ عادٍ جَبَّارينَ في غَايَةِ القُـوةِ وشِدَّةِ البَـطْشِ، وَكَانَتْ لَهُمْ وَفْرَةٌ فِي الأَموالِ والزُّرُوعِ والمِيَاهِ والأَبْنَاءِ، وَمَعَ ذلكَ كَانُوا يَعْبُدُونَ غيرَ اللهِ مَعَهُ، فَبَعَثَ اللهُ إليهِمْ هُـوداً، وهُو رَجُـلٌ منهُم، رَسُولاً ونَـذِيراً فَدَعَاهُمْ إلى اللهِ، وَحَذَّرَهُمْ نِقَمَهُ وَعَـذَابَهُ، فَقَـالَ لَهُمْ: أَتَبْنُونَ في كُـلِّ مُرْتَفعٍ مِنَ الأَرضِ (رِيْعٍ) بِناءً ضَخْماً مُحْكَماً للعَبَثِ والتَّفاخُرِ والدَّلالَةِ على الغِنَى والقُوَّةِ؟ لِذلِكَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّهُم الاشْتِغَالَ فيما لا يُجْدِي في الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

رِيْعٍ - مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ - أَوْ طَرِيقٍ.
آيَةً - بِناءً شَامِخاً كَالعَلَمِ فِي الارْتِفاعِ.
تَعْبَثُونَ - بِبِنَائِها أَوْ بِمَنْ يَمُرُّ بِهَا.

(١٢٩) - وَتَبْنُونَ قصُوراً مُشَيَّدَةً، وَحِياضاً ضَخْمَةً لِجَمْعِ المِيَاهِ، وتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ خَالِدُونَ في هٰذِه الحَياةِ الدُّنْيا، وَهذا لَيْسَ بِحَاصِلٍ لَكُمْ، بَلْ هُوَ زَائِلٌ عنكُمْ كَمَا زَالَ عَمَّنْ قَبْلَكُمْ.

المَصانِعُ - الأَحْواضُ الضَّخْمَةُ لِجَمْعِ المَاءِ - أَوِ القُصُورُ.

(١٣٠) - ويَصِفُهُمْ نَبِيُّهُم بِالقَسْوَةِ، والغِلْظَةِ، وَالجَبَرُوتِ، فَيَقُولُ لهمْ: إِنَّهُمْ حِينَما يَنْتَقِمُونَ وَيضرِبُون، فإِنَّهُم يفْعلونَ ذَلِكَ بقَسْوَةٍ بَالِغَـةٍ، كَما يَفْعَلُ الجبَّارُونَ الأَقْوِياءُ الذينَ لا يَخافُونَ اللهَ تَعالى.

(١٣١) - فَأَطِيعُوني فِيمَا دعوتُكُم إليهِ، وتَجنَّبُوا ما حَذَّرْتُكُمْ مِنْهُ، واتَّقُوا اللهَ، وَخَافُوا نِقَمَهُ في الدُّنْيا والآخرةِ.

﴿١٣٢﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ

(١٣٢) ـ واتَّقُوا اللهَ الذي آتاكُم الأمْوالَ والبَنِينَ والقُوَّة.
أمَدَّكُمْ ـ أنْعَمَ عَلَيْكُمْ ورزَقَكُمْ.

﴿١٣٣﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ

(بأنْعام)

(١٣٣) ـ الذِي أمَدَّكُمْ بأنْعَام تَنْتَفِعُونَ بأوْبَارِهَا وأصْوافِها ولُحُومِها وألْبَانِها، وأمَدَّكُم بِبَنِينَ يَزِيدُونَ في قُوَّتِكُمْ.

﴿١٣٤﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ

(جَنَّاتٍ)

(١٣٤) ـ وأمَدَّكُم ببساتِينَ ومَزَارِعَ وعيونِ ماءٍ تَجْري في أرْضِكُمْ.

﴿١٣٥﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ

(١٣٥) ـ فإنْ كذَّبْتُم وتوَلَّيْتُم ورفَضْتُم اتِّبَاعِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إليهِ مِنْ عِبادةِ اللهِ تَعَالى، فإنِّي أخافُ أن تَحِلَّ بِكُمْ نِقَمُ اللهِ وعذابُهُ في يومِ القيامةِ، وهُوَ يومٌ شديدُ الهَوْلِ.

﴿١٣٦﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ

(الْوَاعِظِينَ)

(١٣٦) ـ فَرَدَّ القومُ عَلَى هُودٍ قائِلينَ: إنَّهُمْ لا يُبَالُون بنُصْحِهِ، ووَعْظِهِ، وَدَعْوَتِهِ، وإنَّهُمْ لنْ يَرْجِعُوا عمَّا هُمْ عليهِ من الضَّلالِ، ولنْ يَتْرُكُوا آلِهَتَهُمْ كَمَا جاءَ في آيةٍ أُخْرى.

﴿١٣٧﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ

(١٣٧) ـ وإنَّ مَا هُمْ عَلَيهِ منَ الدِّينِ هُوَ دِينُ آبائِهِمُ الأولينَ (خُلُقُ الأوَّلِينَ)، وإنَّهمْ يتَّبِعُونَ ما وَجَدُوا آباءَهُمْ عَلَيْهِ، فَيَعِيشُونَ كما عاشُوا، ويَمُوتُونَ كمَا مَاتُوا.
خُلُقُ الأوَّلِين ـ عَادَتُهُم في اعْتِقادِهِمْ أنَّهُ لا بَعْثَ ولا نُشُورَ.

﴿١٣٨﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ

(١٣٨) ـ وإنَّهمْ لا يَعْتَقِدُونَ أنَّهُ سَيكُونُ هُناكَ بَعْثٌ، أوْ نُشورٌ، أوْ حِسَابٌ، أوْ قِيامةٌ، أوْ جَنَّةٌ، أوْ نَارٌ، وأنَّهُمْ لَنْ يُعَذَّبُوا عَلَى مَا يأتونَهُ مِنَ الأعْمالِ.

﴿١٣٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ

(فأهْلَكْنَاهُمْ) (لآيَةً)

(١٣٩) ـ واسْتَمَرُّوا في تَكْذِيبِهِمْ نبيَّهُمْ هُوداً عَلَيهِ السَّلامُ، وفي مُخَالَفَتِهِ ومُعَانَدَتِهِ فأهْلَكَهُمُ اللهُ بأنْ أرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً شَدِيدَةَ البُرودَةِ، بالغةَ العُنْفِ والقَسْوَةِ (عَاتِيَةً)، لَقَدْ كَانُوا عُتَاةً فأهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى بِمَا هُوَ أعْتَى مِنْهُمْ، وفي ذَلك آيَةٌ وعِظَةٌ، وَعِبْرَةٌ لمَنْ جاءَ بَعْدَهُمْ، إلا أنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ.

(١) سورة هود، الآية: ٥٣.

﴿١٤٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

(١٤٠) - واللهُ رَبُّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ الذِي لاَ يُقْهَرُ، وَلاَ يُغَالَبُ، وَهـوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ يُرِيدُ أَنْ يُؤمِنُوا ويَتُوبُوا إليهِ لِيَغْفِـرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، ويَتَجـاوَزَ عَنْ سَيئَاتِهِمْ.

﴿١٤١﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ

(١٤١) - يُخبِرُ اللهُ تَعالى أَنَّهُ أرْسَلَ عَبْدَهُ صَالِحاً رَسُولاً إلى قَوْمِهِ ثَمودَ، وَكَانُوا عَرَباً يَسْكُنُونَ الحِجْرَ، بينَ وَادِي القُرى وبِلادِ الشَّامِ، وَمَسَاكِنُهُمْ مَعْرُوفَةٌ بـاَسْمِ مَدَائِنِ صَالِحٍ، وَكَـانُوا بَعْـدَ عادٍ، وَقَبْـلَ إبراهيمَ عليـهِ السلامُ، فدَعَاهُمْ نبيُّهُمْ صَالِحٌ إلى عِبادةِ اللهِ تعالَى وَحْدَه لا شَريكَ لَـهُ فَكَذَّبُوهُ، وبِـذَلك يكُـونُون قَـدْ كَذَّبُـوا جَميعَ الـرُّسُلِ لاتِّحـادِ رِسَالاتِ الرُّسُلِ في أصُولِها وغَايَاتِها.

﴿١٤٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ
أَلَا تَتَّقُونَ

(صَالِحٌ)

(١٤٢) - وَقَالَ لَهُمْ نبيُّهُمْ صَالِحٌ: أَلا تَخافُونَ أَنْ تُشْرِكُـوا مَعَ اللهِ آلهـةً أُخْرى في العِبَادَةِ؟ (وَصَالِحٌ مِنْ ثمودَ لِذلكَ قَالَ تَعالى عَنهُ إنهُ أَخُوهُمْ).

﴿١٤٣﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

(١٤٣) - فَأَنَا مُرسلٌ إليكمْ مِنَ اللهِ تَعالى، وَإنِّي أَمينٌ في نُصْحِي لكُمْ، وفِـي إبْلاغِكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي.

﴿١٤٤﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ

(١٤٤) - فـأَطِيعُونِي فِيمـا دَعَوْتُكُمْ إِليـهِ من عِبَادَةِ اللهِ تَعـالى وَحـدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، وفي الإِقْلاعِ عَنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ والأَنْدَادِ.

﴿١٤٥﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٤٥) - وإنِّي لا أَبْتَغِي مِنْكُمْ أَجْـراً عَلَى مَـا أَقـومُ بـهِ من إبْـلاَغِكُمْ رِسَالَةَرَبِّي، وإنَّمَا أَطْلُبُ الأَجْرَ والثَّوَابَ عليهِ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ.

﴿١٤٦﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ

(هَا هُنَا) (آمِنِينَ)

(١٤٦) - وذَكَّـرَهُمْ بِمَـا أَنْعَمَ اللهُ بِـهِ عليهِمْ من الأَرْزَاقِ والجَنَّـاتِ، والزُّرُوعِ، والثمارِ، ثُمَّ قالَ لهمْ: هلْ تَظُنُّونَ أنْ تُتْرَكُوا طَـوِيلاً في هَـذا النَّعيمِ والرَّفَاهِ والأَمْنِ، وأَنتُمْ كَـافِرُون، جَـاحِدُون نِعَمَ اللهِ، مُخَـالِفُونَ أَوامِرَهُ؟

﴿١٤٧﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ

(جَنَّاتٍ)

(١٤٧) - في هذهِ الجَنَّاتِ والعُيُونِ والخَيْراتِ الحِسَانِ.

﴿١٤٨﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ

(١٤٨) ـ وفي هـذِهِ الزُّرُوعِ وَالنَّخِيلِ، وَقَدْ أَيْنَعَ ثمرُهَا، وبَلَغَ، فأصْبَحَ نَاضِجاً هَضِيماً.

الطَّلْعُ ـ الثَّمرُ الذي يؤُولُ إليهِ الطَّلْعُ.

هضِيمٌ ـ ناضِجٌ يَانِعٌ.

﴿١٤٩﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ

(فَارِهِينَ)

(١٤٩) ـ وتَنْحِتُون بُيُوتاً في الجِبَالِ أَشَراً وبَطَراً وعَبَثاً (فارِهِينَ)، منْ غَيْرِ حَاجَةٍ إلى سُكْنَاهَا.

(كَانَ قومُ ثمودَ مَهرةً حَاذِقِينَ في نَحتِ البيُوتِ في الجِبَال ونَقْشِها).

فارِهِينَ ـ بَطِرِينَ مُتْرَفِينَ ـ أو حَاذِقِينَ في نَحْتِها.

﴿١٥٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

(١٥٠) ـ فأطِيعُوني فيمَا دَعَوْتُكم إليهِ منْ عِبَادَةِ اللهِ وحدَهُ، والإقْلاعِ عَنِ الكُفْرِ والضَّلالِ والطُّغيَانِ وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَأَقبِلُوا عَلَى مَا يَعُودُ عليكُمْ نَفْعُهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ وَرزَقَكُمْ، وتسبيحِهِ بُكْرَةً وأَصِيْلاً.

﴿١٥١﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ

(١٥١) ـ وَلاَ تُطِيعُوا أمْرَ الرُّؤسَاءِ والكُبَراءِ، الدُّعَاةِ إلى الشِّرْكِ والكُفْرِ ومُخَالَفَةِ الحَقِّ (المُسْرِفِينَ).

المُسْرِفِين ـ المُتَجَاوِزِينَ الحُدُودَ.

﴿١٥٢﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ

(١٥٢) ـ وَهَؤُلاءِ الكُبراءُ يُفْسِدُونَ في الأَرْضِ، وَيَدْعُونَ إلى الضَّلالِ، وَيَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنِ الحقِّ، وَلا يَدْعُونَ إلى الهُدى وَالإصْلاحِ.

(وقِيلَ إنَّ المَقصُودَ بِهَؤُلاءِ الكُبَراءِ هُمُ الرَّهْطُ التِّسْعَةُ الذينَ تآمَرُوا على قَتْلِ صَالحٍ وعَقْرِ نَاقتِهِ).

﴿١٥٣﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ

(١٥٣) ـ فأجَابُوه: إنَّكَ رَجُلٌ غَلَبَ السِّحرُ عَلَى عَقْلِهِ، فَلا يُقْبَلُ لَهُ قَوْلٌ، وَلا يُسْمَعُ لَهُ نُصْحٌ.

المُسَحَّرِينَ ـ المَغْلوبِ عَلَى عُقُولِهِمْ بالسِّحْرِ.

﴿١٥٤﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

(بِآيَةٍ) (الصَّادِقِينَ)

(١٥٤) ـ فَلَسْتَ إلا بَشَراً مِثْلَنَا فكَيْفَ أَوْحَى اللهُ إليكَ مِنْ دُونِنا؟ ثُمَّ اقْتَرَحُوا عَليهِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بمُعْجِزةٍ خَارِقَةٍ لِلعَادَةِ (آيةٍ)، لِيَعْلَمُوا أنهُ صادِقٌ فِيما جاءَهُمْ بِهِ من ربِّهِمْ.

(١٥٥) قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ

(١٥٦) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(١٥٧) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ

(١٥٨) فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ

(١٥٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

(١٦٠) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ

(١٥٥) - ولمَّا سَألَهُمْ صَالحٌ عليهِ السَّلامُ عنِ الآيةِ التي يُريدونَ أنْ يَأْتِيهُمْ بِهَا، اجتمَعَ مَلؤُهُم وطلَبُوا مِنهُ أنْ يُخرِجَ لهمْ من صَخْرةٍ عَيَّنُوها له ناقةً عُشَراءَ مِنْ صِفَتِها كذا وكذا. وحِينئذٍ أخَذَ عليهِمْ صالحٌ العَهْدَ والمِيثاقَ لئِنْ أجَابَهُم إلى ما سَألوا لَيُؤْمِنُنَّ باللهِ، وبِمَا جاءَهُمْ بهِ مِنْ عندِ اللهِ. ثم دَعَا اللهَ ربَّهُ أن يُجِيبَهُمْ إلى سُؤالِهِمْ، فانْفَطرتِ الصَّخْرَةُ التي أشَارُوا إليها عَنْ ناقةٍ عُشَرَاءَ، لَها الصِّفَاتُ التي طَلَبُوها. فآمَنَ بعضُهُمْ، وكفَرَ أكثرُهُمْ، فقالَ لهمْ صالحٌ هَذهِ النَّاقَةُ التي سَألْتُمُوهَا، وإنَّها سَتَرِدُ المَاءَ يَوْماً، لا يُشارِكُونَها فيهِ، ويَرِدُونَهُ هُمْ يوماً لا تُشارِكُهُمْ هيَ فيهِ.

لها شِرْبٌ - نَصِيبٌ مَشْرُوبٌ من المَاءِ.

(١٥٦) - وحَذَّرَهُمْ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ أنْ تَحِلَّ بِهِمْ إنْ هُمْ مَسُّوا النَاقَةَ بسُوءٍ. فَمكَثَتِ النَّاقَةُ بينَ أظهُرِهِمْ حيناً منَ الدَّهرِ تَرِدُ المَاءَ، وتَرْعَى في أرْضِ اللهِ، وينْتَفِعُون بلِبَنِها، يَحْلبُونَ منْها ما يكْفِيهِمْ شُرْباً وَرِيّاً. فلَمَّا طالَ عَلَيهِمُ الأمَدُ وحَضَرَ أشْقاهُمْ تَمالؤوا على قَتْلِها وعَقْرِها.

(نَادِمِينَ)

(١٥٧) - فقَتَلُوا النَاقَةَ. فَقالَ لَهُمْ نبيُّهُمْ صالحٌ: تَمتَّعُوا في دِيارِكُمْ ثَلاثةَ أيامٍ، وَبعْدَ ذَلك يَحِلُّ بِكُمُ العَذابُ، فنَدِمُوا عَلى مَا فَعَلَهُ أشقياؤُهُمْ.

(لآيَةً)

(١٥٨) - وفي المَوْعِدِ الذي حَدَّدَهُ لَهُمْ صالحٌ، حَلَّ بهِمْ عذابُ اللهِ، فَزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزَالاً شَديداً، وجاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ اقْتَلَعَتِ القُلوبَ مِنْ مَحَالِّها، وأتَاهُمْ منَ الأمرِ ما لَمْ يَكونوا يَحْتَسِبُون، وأصْبَحُوا في دِيارِهم هَلْكَى جاثِمِين، ولَمْ يكنْ أكثرُهُمْ مُؤْمنينَ بِمَا جاءَهُمْ بهِ صَالِحٌ، وفي ذَلكَ لآيةٌ وعبرةٌ وعظةٌ للعاقِلين.

(١٥٩) - وإنَّ رَبَّكَ، يَا مُحَمَّدُ، هُوَ العَزيزُ الذِي لا يُقَاوَمُ ولا يُغَالَبُ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعبادِهِ.

(١٦٠) - وأرْسَلَ اللهُ تَعالى لُوطاً علَيهِ السَّلامُ - وهُوَ ابنُ أخي إبراهِيمَ - إلى قَومٍ عُرِفُوا فيما بعْدُ بقومِ لوطٍ، وكَانُوا يَسْكُنُونَ مَدينةَ سَدُومٍ جَنُوبيَّ البَحْرِ المَيِّتِ في الأُرْدُنِّ فَدعَاهُمْ إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنْ يُطِيعُوا رَسُولَهُ الذِي بَعَثَهُ اللهُ إلَيْهِمْ، ونَهاهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعالى، وعنِ ارْتِكَابِ الفَواحِشِ التي لَمْ يَسْبِقْهُمْ أحدٌ منَ العَالَمِينَ إلى ارْتِكَابِها، فكذَّبُوهُ.

١٦١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ

(١٦١) ـ فَقَالَ لَهُمْ لُوطٌ: أَلا تَتَّقُونَ اللهَ، وتَخافُونَ عِقابَهُ، وأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ آلهةً أصْناماً لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، وتَرْتَكِبُونَ الفَواحِشَ؟

١٦٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

(١٦٢) ـ فإنّي رَسُولُ اللهِ إليكُم، وَإِنّي أَمينٌ في إبْلاغِكُم مَا أَتَلَقَّاهُ مِنْ رَبِّي.

١٦٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

(١٦٣) ـ فَأَطِيعُونِي وَآسْمَعُوا قَوْلي، وَآتَّقُوا اللهَ وأَخْلِصُوا العِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

١٦٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٦٤) ـ وَأَنَا لا أَسْأَلُكُمْ جَزاءً، وَلاَ أَجْراً عَلى نُصْحِي لَكُمْ، ودَعْوَتِي إِيَّاكُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ تَعالى، وَإِنَّما أَبْغِي الأَجْرَ وَالثَّوابَ عَلى ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ربِّ العَالَمِين.

١٦٥ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ

(الْعَالَمِينَ)

(١٦٥) ـ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، وَهٰذَا أمرٌ مُنْكَرٌ لَمْ يَسْبِقْكُمْ إليهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ.

١٦٦ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ

(أَزْوَاجِكُم)

(١٦٦) ـ وتَذَرُونَ نِساءَكُم، وَمَا خَلَقَ اللهُ لَكُم مِنْهُنَّ، فَأَنْتُم بِذَلِكَ قَوْمٌ مُعْتَدُون، مُتَجاوِزُونَ حُدودَ اللهِ، وشَرائِعَهُ.

عَادُون ـ مُتَجاوِزُونَ الحَدَّ فِي ٱلْمَعَاصِي.

١٦٧ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ

(لَئِن) (يَا لُوطُ)

(١٦٧) ـ فَقَالُوا لَهُ: لئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ عَمَّا جِئْتَنَا بِهِ مِنْ دَعْوَتِنا إلى التَّطَهُّر، وتَرْكِ ما وَجَدْنا عليهِ آباءَنا، لَنُخْرِجَنَّكَ مِنْ بينِ أظْهُرِنا، ولَنَنْفِيَنَّكَ مِنْ بَلْدَتِنا أنْتَ وأَهْلَكَ، فإِنَّكُمْ أُناسٌ تَتَطَهَّرُون.

١٦٨ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ

(١٦٨) ـ فَقَالَ لَهُمْ لُوطٌ إِنَّهُ كَارِهٌ لِمَا يفْعَلونَهُ، وَلا يَرْضَى بِهِ، وإِنَّه بَراءٌ مِنهُمْ.

القَالِينَ ـ المُبْغِضِينَ أَشَدَّ البُغْض.

١٦٩ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ

(١٦٩) ـ وَدَعَا لُوطٌ رَبَّهُ قَائِلاً: رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُ هؤلاءِ مِنَ المُنْكَرَاتِ، وأَنْقِذْنا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ حينما تُنْزِلُ بالضَّالِّينَ عَذابَكَ الأليمَ.

١٧٠ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ

(فَنَجَّيْنَاهُ)

(١٧٠) ـ فأَنْجاهُ اللهُ تَعالى وأهلَهُ جَمِيعاً.

(١٧١) إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ

(١٧٢) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ

(١٧٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ

(١٧٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ

(١٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

(١٧٦) كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ

(١٧٧) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ

(الْغَابِرِينَ)

(١٧١) - إِلَّا ٱمرأَتَهُ، وَكَانَتْ عَجُوزَ سَوْءٍ، بَقِيَتْ مَعَ قَوْمِها ٱلهَالِكِينَ حِينَ أَمَرَهُ اللهُ بأَنْ يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ، فَهَلَكَتْ مَعَ قَوْمِها.

فِي الغَابِرِينَ - فِي البَاقِينَ فِي العَذابِ كَأَمْثَالِها - أَوْ في ٱلهَالِكِينَ.

(الآخَرِينَ)

(١٧٢) - وأَمَرَ اللهُ تَعالَى لوطاً بأَن يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ مُضِيِّ جَانِبٍ مِنَ اللَّيلِ، - بِقِطْعٍ مِنْهُ - وأَنْ لا يَلتفِتَ منهُمْ أحدٌ إلى الوراءِ حِينَما يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ تُدَمِّرُ القومَ الظَّالِمِينَ، وَقَرِيَتَهُمْ. ولَمَّا خَرَجَ لُوطٌ وأَهلُهُ، وابْتَعَدُوا صَبَّ اللهُ عَذَابَهُ عَلَى القَرِيَةِ. وأَمْطَرَها حِجارةً من سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، ولَمْ يُبْقِ أَحَداً مِنْ أهْلِها عَلَى قَيدِ الحَياةِ.

دَمَّرْنَا الآخَرِينَ - أَهْلَكْنَاهُمْ إِهْلاكاً شَدِيداً.

(١٧٣) - وأَمْطَرَ اللهُ تعالى عَلَى القَرْيَةِ مَطَراً مُهْلِكاً، وكَانَ بِئْسَ المَطَرُ يَنْزِلُ بالقَوْمِ الذِينَ أَنْذَرَهُمُ اللهُ بالهَلاكِ والدَّمَارِ.

مَطَراً - حِجَارَةً مِنَ سِجِّيلٍ مُهْلِكَةٍ.

(لآيَةً)

(١٧٤) - وفِي ذَلِكَ لبُرْهَانٌ ودَليلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالى، وفِيهِ عِظَةٌ للعَاقِلِينَ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ مُؤمِنِينَ بما جَاءَهُمْ بِهِ لُوطٌ عليهِ السَّلامُ.

(١٧٥) - وَربُّكَ يا مُحَمَّدُ، هُوَ العَزيزُ الذي لَا يُقَاوَمُ ولا يُغَالَبُ، وهو الرَّحِيمُ بعبادِهِ، يُرِيْدُهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لِيَغْفِرَ لَهُمْ.

(أَصْحَابُ) (الأَيْكَةِ)

(١٧٦) - أَهْلُ الأَيْكَةِ هُمْ أَصْحَابُ مَدْيَنَ، والأَيْكَةُ هِيَ الشَّجَرُ المُلْتَفُّ كَالغَيْضَةِ، كَانُوا يَعْبُدونَها. وَمَدْيَنُ تَقَعُ جَنُوبِيَّ الأُرْدُنِّ قَرِيباً مِنَ العَقَبَةِ. وَنبِيُّهُمْ شُعيبٌ عليهِ السلامُ، وَهُوَ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ اللهُ إليهِمْ لِيَدْعُوَهُمْ إِلى عِبَادَةِ اللهِ، وَتَرْكِ مَا هُمْ عليهِ مِنَ الفَسَادِ والضَّلالِ فَكَذَّبُوهُ.

الأَيْكَةِ - الغَيْضَةِ المُلْتَفَّةِ الأَشْجَارِ.

(١٧٧) - فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ شُعَيْبٌ: ألا تَعْبُدونَ اللهَ وتُطِيعُونَ أَمْرَهُ، وتُقْلِعُونَ عَنْ عِبَادَةِ ما سِواهُ مِنَ الأَصْنَامِ والأَنْدَادِ؟ وتَكُفُّونَ عَنْ تَطْفِيفِ المِكْيَالِ والمِيزانِ؟ إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذلِكَ فإِنَّ اللهَ سَيُعَاقِبُكُمْ عِقاباً شَدِيداً.

﴿١٧٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

(١٧٨) ـ وإنّي رَسـولٌ إليْكُمْ منَ اللهِ، أمينٌ في إبْلاَغِكُم مَـا أَتَلَقَّاهُ مِنْ رَبِّي.

﴿١٧٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

(١٧٩) ـ فَأطِيعُوني وَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَاتَّقُوا الله رَبَّ العَالَمِينَ، وَأَخْلِصُوا لَهُ العِبَادَةَ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

﴿١٨٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٨٠) ـ وَأَنَا لاَ أَسْأَلُكُم جَزَاءً أو أَجْراً عَلَى نُصْحي لكُمْ، وَدَعْوَتِي إِيَّاكُمْ إلى عِبادةِ اللهِ تَعالى وَحْدَه لا شَريكَ لهُ، وإنَّما أَبْغِي الأَجْرَ وَالثَّوابَ على ذَلِكَ مِنَ اللهِ الكَريمِ وَهُوَ رَبُّ العَالَمينَ.

ربع الحزب ٣٨

﴿١٨١﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ

(١٨١) ـ ثمَّ أمرَهُمْ بإيفاءِ المِكْيَالِ والمِيـزانِ، وَنَهَاهُمْ عن التَّطْفِيفِ، وقالَ لهمْ: إذا دَفَعْتُمْ للنَّاسِ فأوْفُوا الكَيلَ والمِيزانَ حقَّهُمَا، ولا تَبْخَسُوا الكَيْلَ فَتُعْطُوهُ نـاقِصاً، وَتـأْخُذُوهُ وَافِيـاً إذا كَانَ لَكُمْ، وَلَكِنْ خُـذُوا كَما تُعْطُونَ، وأَعْطُوا كَمَا تَأخُذُونَ.

المُخْسِرِين ـ المُنْقِصِينَ لِلحُقُوقِ بالتَّطْفِيفِ.

﴿١٨٢﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ

(١٨٢) ـ وزِنُوا بالمِيزانِ العَادِلِ المَضْبُوطِ (القِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ).

القِسْطَاسِ ـ العَادِلِ ـ أو المَضْبُوطِ.

﴿١٨٣﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

(١٨٣) ـ ولا تُنْقِصُوا النَّاسَ شَيْئاً مِنْ حُقُوقِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ، وَلاَ تَعِيثُوا في الأَرضِ فَسَـاداً، وَلاَ تَقْطَعُـوا الطَّرِيقَ عَلَى النَّـاسِ، كَمَا جَـاءَ في آيةٍ أُخرى ﴿**ولا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ**﴾[1].

لا تَبْخَسُوا ـ لا تُنْقِصُوا.

لا تَعْثَوْا ـ لا تُفْسِدُوا أشَدَّ الإفْسَادِ.

﴿١٨٤﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ

(١٨٤) ـ وَحَذَّرَهُمْ شُعَيْبٌ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ وَبأْسِهِ، وَهُوَ الذي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ آباءَهُمُ الأَوَّلِينَ مِنَ العَدَمِ لِيَكُونُوا مُصْلِحِينَ في الأرضِ.

الجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ ـ الخَلْقَ الأَوَّلِينَ. وَجَاءَ في آيةٍ أُخْرَى ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُم جِبِلاًّ كَثِيراً﴾[2] أي خَلْقاً كَثِيراً.

﴿١٨٥﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ

(١٨٥) ـ فقالُوا لهُ: إنَّما أنتَ رجلٌ مَسْحُورٌ فَاقِدُ العَقْلِ.

المُسَحَّرِينَ ـ المَغْلوبَةِ عُقولُهُم بكَثْرَةِ السِّحْرِ.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

(٢) سورة يس، الآية: ٦٢.

﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٨٦)
﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧)
﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨٨)
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩)
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٩٠)
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٩١)
﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٢)

(الْكَاذِبِينَ)
(١٨٦) - فَلَسْتَ إلا بَشَراً مِثلَنا فَكيفَ أُوحِيَ إليكَ مِنْ دُونِنا؟ وَمَا نَظُنُّكَ إلَّا كَاذِباً فِيمَا تَقُولُهُ مِنْ أنَّ اللهَ أرْسَلَكَ نبياً إلَيْنَا.

(الصَّادِقِينَ)
(١٨٧) - فأَسْقِطْ عَلَيْنَا السَّمَاءَ قِطَعاً فِيها العَذابُ لَنا، هَذا إنْ كُنْتَ صَادِقاً فِيمَا زَعَمْتَ مِنْ أنَّكَ رسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالى، وأنَّ اللهَ حَفِيٌّ بِكَ.

(وَهذا مِثْلُ ما قَالَتْهُ قُرَيشٌ للرَّسُولِ ﷺ: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾[1].

كِسَفاً - قِطَعاً
(١٨٨) - قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: اللهُ أعْلَمُ بِأعْمَالِكُمْ، فإنْ كُنْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ العَذابَ جازَاكُم اللهُ بِهِ، وهُوَ غيرُ ظَالِمٍ لَكُمْ (أوْ إنْ شَاءَ عَجَّلَ لكُمُ العَذَابَ، وَإنْ شَاء أخَّرَهُ إلى أجَلٍ مَعْلُومٍ).

(١٨٩) - فَأَصَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ شُعَيْباً، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ على ذَلكَ التَّكْذِيبِ، وعلى جُحُودِهِمْ بآيَاتِ اللهِ رَبِّهِمْ، بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ حَرّاً شَديداً مُدَةَ سَبْعَةِ أيَّامٍ مُتَوالِيَاتٍ، لا يَقِيهِمْ منهُ شيءٌ، ثم أقْبَلَتْ إليهِمْ سحَابةٌ أظَلَّتْهُمْ فَجعَلُوا يَنْطَلِقُونَ إليها يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّهَا مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ تحتَها، أرسَلَ اللهُ عليْهِمْ مِنْهَا شَرَراً مِنْ نَارٍ، ولَهَباً ووَهْجاً عَظِيماً، وَرَجَفَتْ بِهِم الأرضُ، وَجاءَتْهُمْ صيحةٌ عظيمةٌ أزْهَقَتْ أرواحَهُمْ في يومٍ شَدِيدِ الهَوْلِ.

الظُّلَّةُ - سَحَابَةٌ أظَلَّتْهُمْ ثُمَّ أمْطَرَتْهُمْ ناراً.

(لآيَةً)
(١٩٠) - وفِيمَا نَزَلَ بأصْحَابِ الأيْكَةِ مِنَ العُقُوبَةِ دَلِيلٌ، وَبُرْهَانٌ على كَمَالِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى، وَعِظَةٌ للعَاقِلِينَ ولَمْ يَكُنْ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بِمَا جاءَهُمْ بِهِ شُعَيْبٌ عليهِ السلامُ.

(١٩١) - وَرَبُّكَ هُوَ العَزِيزُ في انْتِقامِهِ، وَهُوَ لا يُغَالَبُ ولا يُقَاوَمُ، وهُوَ الرَّحِيمُ بِعبَادِهِ المُؤْمِنينَ.

(الْعَالَمِينَ)
(١٩٢) - وإنَّ القرآنَ الذِيْ تَقَدَّمَ التَّنْويهُ بِهِ في أوَّلِ السُّورَةِ ﴿وما يَأتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ...﴾[2] أنْزَلَهُ اللهُ ربُّ العالَمِين عليكَ يا مُحَمَّدُ، وأوْحَاهُ إليكَ، وَهُوَ ربُّ العَالَمِين، فَخَبَرُهُ صَادِقٌ، وحُكْمُهُ نَافِذٌ.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٢.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٤.

﴿١٩٣﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ

(١٩٣) - وهَذا القُرآنُ أنْزَلَهُ اللهُ تعالى عَلَيكَ يا مُحَمَّدُ، وجَاءَكَ بِهِ جِبْريلُ عَليهِ السَّلامُ (الرُّوحُ الأمِينُ).

﴿١٩٤﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ

(١٩٤) - وهَذا القُرآنُ أنْزَلَهُ اللهُ عليكَ يا مُحَمَّدُ، وتَلاهُ عليكَ الرُّوحُ الأمينُ حَتَّى وَعَيْتَهُ بِقَلْبِكَ لِتُنْذِرَ بِهِ قَوْمَكَ.

﴿١٩٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ

(١٩٥) - وقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعالى هَذا القرآنَ عليكَ بِلِسَانٍ عَربيٍّ فَصيحٍ واضِحٍ لِيكونَ بَيِّناً واضِحاً في دَلالَتِهِ، قَاطِعاً لِلْعُذْرِ.

﴿١٩٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ

(١٩٦) - وقدْ وردَ ذِكْرُ هذا القُرآنِ والتَّنويهُ بِهِ في كُتُبِ الأَوَّلِينَ المَأْثُورَةِ عن أَنبيَائِهِم الَّذِينَ بَشَّرُوا بِهِ في سَالِفِ الأيامِ، كَمَا أخَذَ اللهُ الميثَاقَ علَيْهِمْ بأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ.

(الزُّبُرُ - الكُتُبُ ومثْلُه قولُهُ تعالى ﴿وكُلُّ شيءٍ فَعَلُوهُ في الزُّبُرِ﴾[1] أيْ إِنَّهُ مُسَجَّلٌ في صُحُفِ المَلائِكَةِ).

زُبُرِ الأولينَ - كُتُبِ الأَنْبِيَاءِ السَّابِقينَ.

﴿١٩٧﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(آيَةً) (عُلَمَاءُ) (إِسْرَائِيلَ)

(١٩٧) - أَوَلَيْسَ يَكْفِيهِمْ شَاهداً على صِدْقِ هَذا القرآنِ أنَّ علماءَ بني إسرائيلَ يَجِدُونَ ذِكْرَهُ في كُتُبِهِمُ التي يَدْرُسُونها، كَمَا أَخبرَ بذلِكَ مَنْ آمَنَ منهُمْ - مثلُ عبدِ اللهِ بنِ سَلَّامٍ.

﴿١٩٨﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ

(نَزَّلْنَاهُ)

(١٩٨) - يُخبِرُ اللهُ تَعالى عَنْ عِنادِ المُشْرِكِينَ وَشِدَّةِ كُفْرِهِمْ فَقَالَ تَعالَى: إِنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ هذا القرآنَ على رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ لا يَعْرِفُ العَرَبِيةَ، ولا يَستَطيعُ التَّكَلُّمَ بِها.

﴿١٩٩﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ

(١٩٩) - وَكَانَ هذا الأعجميُّ لا يَعرِفُ اللُّغَةَ العَربيَّةَ، وكُفَّارُ قُريشٍ يَعرفُونَ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ قَرأَ عَلَيهِمْ هَذا الأعجميُّ هذا القُرآنَ قِراءةً صَحيحةً واضِحةً، وهُمْ مُتَأَكِّدُونَ مِنْ أَنَّهُ لا يستطيعُ أَنْ يأْتِيَ بِمِثْلِهِ بَيَاناً وفَصَاحَةً، لَمَا آمَنُوا بِهِ، ولاسْتَمَرُّوا عَلى كُفْرِهِمْ وعِنَادِهِمْ، ولَوَجَدُوا عُذْراً لَهُمْ على اسْتِمْرَارِهِمْ في كُفْرِهِمْ وعِنَادِهِمْ.

﴿٢٠٠﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ

(سَلَكْنَاهُ)

(٢٠٠) - وقَدْ أَدْخَلْنَا الكُفْرَ والتَّكذِيبَ والجُحُودَ في قُلُوبِ الكَفَرَةِ المُكَابِرِينَ المُجْرِمينَ، وَقَرَّرْنَاهُ فِيها، مِثْلَما قَرَّرْنَاهُ في قُلوبِ مَنْ هُمْ على صِفَتِهِمْ.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٢.

﴿٢٠١﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ

(٢٠١) ـ لِذَلِكَ فإنَّهمْ لا يُؤمنونَ بالحَقِّ، ولا يتأثَّرونَ بالأمورِ الدَّاعيةِ إلى الإيمانِ، وسَيَظلُّونَ مُقِيمينَ على كُفرِهِمْ وعِنادِهِمْ، حَتَّى يَروا العَذابَ الأليمَ الذي وُعِدُوا بهِ، وحِينَئِذٍ يُؤمِنُونَ ولكنَّ إيْمانَهُمْ في ذلكَ الحِينِ لا يَنفَعُهُمْ شَيئاً.

﴿٢٠٢﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(٢٠٢) ـ فَيَنْزِلُ بِهِمُ العذابُ فَجْأةً عَلَى غَيْرِ تَوَقُّعٍ مِنْهُمْ ولا انْتِظارٍ، وَهُمْ لا يَشْعُرونَ أنهُ آتيهِمْ.

بغْتَةً ـ فَجْأةً.

﴿٢٠٣﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ

(٢٠٣) ـ وحينَ ينزِلُ بهم العذابُ يَتمنَّوْنَ أنْ لَوْ أُنْظِرُوا قليلاً ليعْمَلُوا بطاعَةِ اللهِ، وكلُّ كافرٍ ظالمٍ يشعُرُ بالنَّدَمِ حينَ يَرى عُقُوبةَ اللهِ.

هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ـ هَلْ نَحنُ مُمْهَلُونَ لِنُؤمِنَ.

﴿٢٠٤﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ

(٢٠٤) ـ وَيَردُّ اللهُ تَعالى عَلى هٰؤلاءِ المُجْرمين، مُنْكِراً ومُتَهدِّداً لَهُمْ على قَوْلِهِمْ للرَّسُولِ الكَريمِ اسْتِبْعاداً وتَكْذيباً: ﴿ائْتِنا بعَذابِ اللهِ إنْ كنتَ مِنَ الصادِقِينَ﴾[1]. فيَقُولُ لَهُمْ تعالى: أيَسْتَعْجِلُ هٰؤلاءِ بِعَذابِنا، ويَسْتَخِفُّونَ بِهِ؟

﴿٢٠٥﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ

(أفرأيْت) (متَّعْناهُمْ)

(٢٠٥) ـ فلَوْ أنَّنا أخَّرْناهُمْ وأنْظَرْناهُمْ حِيناً من الدَّهْرِ، يتمتَّعُونَ خِلالَهُ بما هُمْ فيهِ من النَّعيمِ.

﴿٢٠٦﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ

(٢٠٦) ـ وإنْ طالَتْ مُدَّةُ تَمَتُّعِهِمْ، ثُمَّ جاءَهُمْ أمْرُ اللهِ، ونَزَلَ بِهِمِ العَذابُ الأليمُ الذي كانُوا يُوعَدُونَ بهِ.

﴿٢٠٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ

(٢٠٧) ـ فأيُّ شيءٍ يُغْني عنهُمْ تَمتُّعُهُمْ بِطُولِ العُمُرِ، وطِيبِ العَيْشِ؟ وهَلْ يُخَفِّفُ عنهُمْ ما كَانُوا فيهِ مِنَ النَّعيمِ شَيئاً مِنَ العَذابِ، أو يصْرِفُهُ عنْهُمْ؟ فعَذابُ اللهِ واقعٌ بهِمْ، عاجِلاً أو آجِلاً، ولا خَيْرَ في نَعيمٍ يعقُبُهُ عذابٌ سَرْمَدِيٌّ.

ما أغْنَى عنهُمْ ـ أيُّ شيءٍ يُغْني عنهُمْ وينْفَعُهُمْ.

﴿٢٠٨﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ

(٢٠٨) ـ يُخْبِرُ اللهُ تعالى عَنْ عَدْلِهِ في خَلْقِهِ فيقولُ: إنَّهُ لَمْ يُهْلِكْ أُمةً مِنَ الأُمَمِ الخاليةِ إلاَّ بَعْدَ أنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ إليها يُنْذِرُونَهُمْ بأسَ اللهِ وعِقابَهُ الأليمَ، إذا اسْتَمرُّوا عَلَى كُفرِهِمْ وفِسْقِهِمْ وطُغْيانِهِمْ، ويَدْعُونَهُمْ إلى اللهِ، ويُعَرِّفُونَهُمْ ما فيهِ النَّجاةُ من العَذابِ، لِتقُومَ عليْهِم الحُجَّةُ.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٩.

(٢٠٩) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ

(ظَالِمِينَ)

(٢٠٩) واللهُ تعالى يُرْسِلُ الرُّسُلَ إليهِمْ لِيُنْذِرُوهُمْ، ويُذَكِّرُوهُم، ويَدْعُوهُمْ إلى اللهِ، وَاللهُ تَعالى لا يَظْلِمُ أَحَداً من خَلْقِهِ.

(٢١٠) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ

(الشَّيَاطِينُ)

(٢١٠) - ثُمَّ يَرُدُّ اللهُ تعالى عَلَى قَولِ مَنْ قَالَ من المُشْرِكِينَ إنَّ مُحَمَّداً كَاهِنٌ، وإنَّ ما يَأْتِيهِ هُوَ مِنْ نَوْعِ ما تَأْتِي بهِ الشَّياطِينُ إلى الكَهَنَةِ.. فَيَقُولُ لَهُمْ تَعالى: إنَّ القرآنَ لم تَتَنَزَّلْ بهِ الشياطينُ ليكونَ كَهانَةً وسِحْراً.

(٢١١) وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ

(٢١١) - وما يَنْبَغِي لِلشَّياطِينِ أَنْ يَتَنَزَّلُوا به، لأنَّ من سَجِيَّةِ الشَّياطِينِ الفَسَادَ، وَإِضْلالَ العِبادِ، والقُرآنُ هُدًى، ونُورٌ، وَبُرهَانٌ عظيمٌ لِلعبادِ على وُجُودِ اللهِ، وَعَلى الخَيْرِ، والحَقِّ، فَبَيْنَهُ وبينَ الشَّياطِينِ مُنافاةٌ عظيمةٌ.

ثمَّ يقولُ تعَالى إنَّهمْ لا يَسْتَطِيعُونَ حَمْلَهُ ولا تَأْدِيَتَهُ، لأنَّ حَمْلَ القُرآنِ لَيْسَ بالأمرِ السَّهْلِ. ثُمَّ إنَّهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَعْزِلٍ عنِ اسْتِمَاعِ القرآنِ حالَ نُزُولِهِ، كَمَا جَاءَ في الآيةِ التَّالِيَةِ.

(٢١٢) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ

(٢١٢) - والشَّياطِينُ مَعْزُولونَ عنِ اسْتِمَاعِ حَرْفٍ واحِدٍ من القُرآنِ لِئَلَّا يَشْتَبِهَ الأَمْرُ. وهَذا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ ومِنْ حِفْظِهِ لِشَرْعِهِ، وَتَأْيِيدِهِ لِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ.

(٢١٣) فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ

(آخَرَ)

(٢١٣) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالى عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ بعبادَتِهِ وحْدَه لا شريكَ لهُ، ويُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ مَنْ أَشرَكَ باللهِ عَذَّبَهُ. وجَاءَ الخِطَابُ للرَّسُولِ ﷺ والمَقْصُودُ بِهِ أُمَّتُهُ لأنَّ الرَّسُولَ معصومٌ من ذَلِكَ.

(٢١٤) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ

(٢١٤) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الأَدْنَيْنَ لَهُ، وأَنْ يُعْلِمَهُمْ أَنَّهُ لا يَنْفَعُ أَحَداً منهُمْ يَوْمَ القِيامةِ إلا إيمانُهُ بربِّهِ، وعَمَلُه الصَّالحُ.

(٢١٥) وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(٢١٥) - ويَأْمُرُ اللهُ تَعالى رسُولَه محمداً ﷺ، بأنْ يُلِينَ جَانِبَهُ لِمَنْ اتَّبعَه مِنْ عِبادِ اللهِ المُؤْمنينَ، وأَنْ يَترَفَّقَ بِهِمْ، فَذَلِكَ أَدْعَى لإخْلاصِهِمْ للرَّسُولِ، ولِزِيَادَةِ مَحَبَّتِهِ.

اخْفِضْ جَنَاحَكَ - أَلِنْ جَانِبَكَ وتَواضَعْ.

﴿٢١٦﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ

(٢١٦) - فإنْ عَصَاكَ مَنْ أَنْذَرْتَهُمْ مِنْ عشيرَتِكَ الأَدْنينَ فلا ضَيْرَ عَلَيْكَ، فَقَدْ أَدَّيْتَ أَنتَ مَا أُمِرْتَ بِهِ، وقُلْ لَهُمْ إنّي بَرِيءٌ منكُمْ، ومِمَّا تَدْعُونَ مِنْ دونِ اللهِ.

(وفي الحَديثِ: والذِي نَفْسي بيدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أحدٌ من هذِه الأُمةِ يَهودِيٌّ ولا نصرانيٌّ ولا يؤمنُ بي إلا دَخَلَ النارَ). (رواه مسلم).

﴿٢١٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ

(٢١٧) - وتوكَّلْ على اللهِ القويِّ العزيزِ، في جميعِ أُمُورِك، فإنَّهُ مُؤَيِّدُكَ وحَافِظُكَ وناصِرُكَ، ومُظْفِرُكَ ومُعْلِي كَلِمَتِكَ بِعِزَّتِهِ ورَحْمَتِهِ.

(يَرَاكَ)

﴿٢١٨﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ

(٢١٨) - الذِي يَرَاكَ في تَقَلُّبِكَ وفي جميعِ حَالاَتِكَ.

(السَّاجِدِينَ)

﴿٢١٩﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ

(٢١٩) - ويَرَاكَ وأنتَ تَتَقَلَّبُ في صَلاتِكَ وتَؤُمُّ المُصَلِّين.

(وقالَ ابْنُ عَباسٍ إنَّ المَعْنى هُوَ: تُقَلُّبُهُ عَلَيهِ السَّلامُ مِنْ صُلْبِ نبيٍّ إلى صُلْبِ نبيٍّ، حَتَّى أَخْرَجَهُ اللهُ تعالى نَبِياً).

﴿٢٢٠﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(٢٢٠) - وهُوَ تعَالى السَّميعُ لأقوالِ العِبَادِ، العَليمُ بحركَاتِهِمْ، وسكَناتِهِمْ، ونيَّاتِهِمْ.

(الشَّيَاطِينُ)

﴿٢٢١﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ

(٢٢١) - زَعَمَ بعضُ المُشركينَ أنَّ ما جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ليسَ بِحَقٍّ، وأنَّهُ شيءٌ افْتَعَلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، وأتَاهُ بِهِ رئِيٌّ مِنَ الجَانِّ.

وَيَرُدُّ اللهُ تعالى عَلَى هَؤلاءِ المُفْتَرِينَ مُنَزِّهاً رَسُولَهُ الكَريمَ عَنْ قولِهِمْ وافْتِرَائِهِمْ، ومُنَبِّهاً إلى أنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ إنَّما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ولَيْسَ مِنْ قِبَلِ الشَّيَاطينِ، لأنَّ الشَّياطِينَ إنَّمَا تَتَنَزَّلُ على مَنْ يُشَاكِلُهُمْ ويُشَابِهُهُمْ مِنَ الكهَّانِ الكَذَبَةِ الفَسَقَةِ.

﴿٢٢٢﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ

(٢٢٢) - إنَّهُمْ يَتَنَزَّلُونَ عَلَى كُلِّ كَاذِبٍ (أَفَاكٍ) فَاجِرٍ كَثيرِ الإِثْمِ مِنَ الكَهَنَه.

أَفَّاكٍ أثيمٍ - كَثِيرِ الكَذِبِ والإِثْمِ.

(كَاذِبُونَ)

﴿٢٢٣﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ

(٢٢٣) - ويَسْتَرِقُ الشَّياطينُ السَّمْعَ مِنَ السَّماءِ فَيَسْمَعُونَ الكَلِمَةَ من عِلْمِ الغَيْبِ، فَيَزِيدُونَ فِيها الكَذِبَ مِنْ أنْفُسِهِمْ، ويُلْقُونَهُ إلى أوْلِيَائِهِمْ

مِنَ الإنْسِ ، فَيُحَدِّثُونَ بِهِ، ويَزِيدُونَ فيهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، فَيُصَدِّقُهُمْ النَّاسُ في كُلِّ ما قَالُوا بِسَبَبِ صِدْقِهِمْ في تِلْكَ الكلمَةِ التي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ. ومُحَمَّدٌ رَجُلٌ صادِقٌ لا يَكْذِبُ، فلا سَبِيلَ إلى مُقارَنَتِهِ بالكَهَنَةِ الكَذَّابِيْنَ.

﴿٢٢٤﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ

(الْغَاوُون)

(٢٢٤) - قَالَ المُشْرِكُونَ: إنَّ مُحَمَّداً لَشاعِرٌ، وقالوا: إن القرآنَ شِعْرٌ، فأنزَلَ اللهُ تَعالى هذهِ الآيَةَ الكريمةَ يَرُدُّ بها على افْتِرائِهِمْ هَـذا، ويقولُ لهمْ إنَّ القرآنَ فيما حَواه من حِكَمٍ وأحْكامٍ ، وفي أُسْلُوبِه يَتَناقَضُ مع الشِّعْرِ. وإنَّ حَالَ مُحَمَّدٍ يَتَنافَى مَعَ حَالِ الشُّعَراءِ، فهوَ لا يَنْطِقُ إلا بالحَقِّ والحِكْمَةِ والصِّدْقِ، ويَتْبَعُهُ الصَّادِقُونَ المُخْلِصُونَ. والشُّعراءُ يقولونَ الباطِلَ والزُّورَ، ولا يَتْبَعُهُمْ إلا الضَّالُّونَ.

﴿٢٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ

(٢٢٥) - والشُّعَرَاءُ يَخُوضُونَ في كُلِّ لغْوٍ، ويَهِيمُونَ على وجُوهِهِمْ في كلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الكَلامِ ، فَهُمْ يَخُوضُونَ مرةً فِي شَتيمةِ فلانٍ، ومَرةً في مَديحِ فُلانٍ، فلا يَهْتَدُونَ إلى الحقِّ.

يَهِيمُونَ - يَخُوضُونَ ويَذْهَبُونَ كُلَّ مَذْهَبٍ.

﴿٢٢٦﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ

(٢٢٦) - والشُّعَرَاءُ يقولُونَ ما لا يَلْتَزِمُونَ بِهِ في عَمَلِهِمْ، ويَتَبَجَّحُونَ بأقْوالٍ وأَفْعَالٍ لمْ تَصْدُرْ عَنْهُمْ ولا مِنْهُمْ، فيَتَكَثَّرُونَ بِمَا ليسَ لَهُمْ، والرَّسُولُ الذي أُنْزِلَ عليهِ القُرآنُ ليسَ بِكَاهِنٍ ولا شَاعِرٍ لأنَّ حالَهُ مُنافٍ لِحَالِ الشُّعَراءِ مِنْ وُجُوهٍ ظاهِرَةٍ.

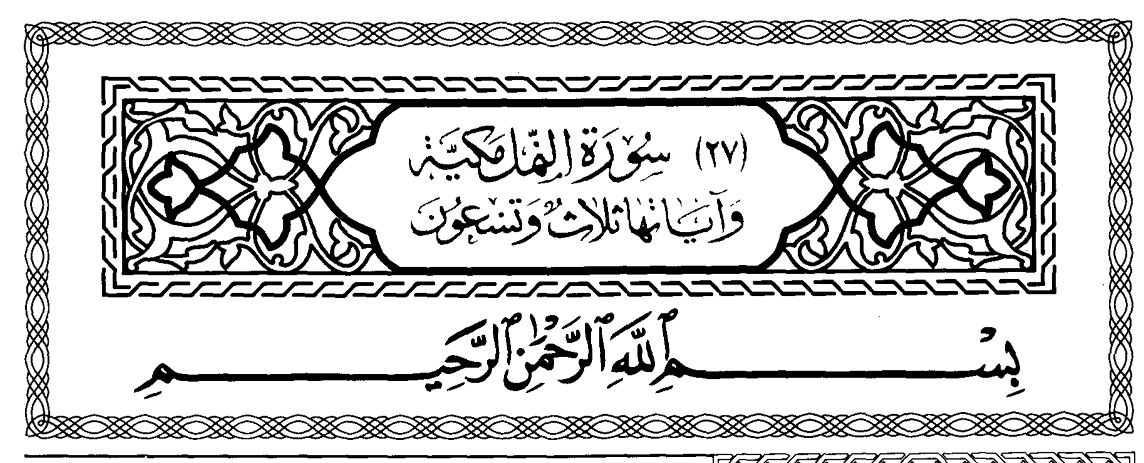
﴿٢٢٧﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٢٧) - واسْتَثْنَى اللهُ تَعالى مِنَ الصِّفَاتِ المُتَقَدِّمَةِ الشُّعراءَ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللهَ كثيراً،وتَوَلَّوا الرَّدَّ على الكُفَّارِ الذِينَ كانُوا يَهْجُونَ المُؤْمِنِينَ.

(وفي الحَديثِ: إنَّ المُؤمنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ ولِسَانِه، والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّ ما ترمُونَ بِهِ نَضحُ النَّبْلِ). (أخرَجهُ الإمامُ أحمدُ).

وسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالشِّرْكِ، وهِجَاءِ الرَّسُولِ، كَيفَ يَكُونُ مُنْقَلَبُهُمْ يومَ القِيَامَةِ، وفي ذَلكَ اليومِ لا يَنْفَعُ الظَّالِمينَ معذِرَتُهُمْ.



(١) طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ

نصف الحزب ٣٨

(٢) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

(٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

(٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ

(٥) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ

(آياتُ) (الْقُرْآنِ)

(١) - طَاسِينْ وتُقرأ مُقطَّعَةً كُلّ حرفٍ عَلَى حِدَةٍ، واللهُ أَعْلَمُ بِمُرادِه.

هَذِهِ الآياتُ التي أنْزَلَهَا عليكَ رَبُّكَ يا مُحَمَّدُ، هيَ آياتُ القُرآنِ الجَلِيِّ الواضِحِ (المُبِينِ).

(٢) - وهَذَا القرآنُ فيهِ الهُدَى لِمَنْ يُؤْمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ، وبكتُبِهِ ورُسُلِهِ، وفيهِ البُشْرَى لَهُمْ بِرَحْمَةِ اللهِ.

هدًى - هَادٍ مِنَ الضَّلالَةِ

(الصَّلاةَ) (الزَّكَاةَ) (بِالآخِرَةِ)

(٣) - والمُؤْمِنُونَ حَقَّ الإيمانِ هُمُ الذينَ يُقِيمونَ الصَّلاةَ، ويُؤدُّونها حَقَّ أدائِها، وَيُؤْدُونَ زَكَاةَ أَمْوالِهِمْ، وَيُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ، وبأنَّ اللهَ تعالى سَيَبْعَثُ النَّاسَ مِنْ قُبورِهِمْ، لِيُجازِيَهُمْ على أعْمالِهِمْ في الحَياةِ الدُّنْيا، ولِذَلِكَ فإنَّهُمْ يَبْذُلُونَ جُهْدَهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ، وفي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ.

(بِالآخِرَةِ) (أَعْمَالَهُمْ)

(٤) - أَمَّا الذينَ يُكَذِّبُونَ بالآخِرَةِ ويَسْتَبْعِدُونَ قِيامَ السَّاعةِ، فقدْ حَسَّنَ اللهُ لهُمْ في أعيُنِهِمْ أعمالَهُمْ، ومَدَّ لَهُمْ في غَيِّهِمْ، فَهُمْ يَتِيهُونَ في ضَلالِهِمْ حَيَارَى (يَعْمَهُونَ)، ويَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً.

يَعْمَهُونَ - يَتَحَيَّرُونَ وَيَتَرَدَّدُونَ فـي الضَّلالَةِ.

(أُولَئِكَ) (الآخِرَةِ)

(٥) - وهؤلاءِ الكُفَّارُ أعدَّ اللهُ لَهُمْ أَسْوأَ العَذَابِ في الدُّنْيا، بِقَتْلِهِمْ وأَسْرِهِمْ وفَرْضِ الجِزْيَةِ عَلَيهِمْ...، وسَيَكُونُونَ في الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرِين وحْدَهُمْ.

(٦) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ

(الْقُرْآنَ)

(٦) ـ وإِنَّكَ يا مُحَمَّدُ تَتَلَقَّى القُرآنَ مِنْ عندِ اللهِ الحَكيمِ في أَمْرِهِ ونَهْيِهِ، العَليمِ بالأمورِ جَميعِها، جَليلِها وحَقيرِها، فَخَبَرُهُ هُوَ الصِّدْقُ المَحْضُ، وحُكْمُهُ هُوَ العَدْلُ التَّامُّ.

(٧) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

(آنَسْتُ) (سَآتِيكُم) (آتِيكُم)

(٧) ـ واذْكُرْ يا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ خبرَ مُوسَى عليهِ السَّلامُ حِينَ سَارَ بأهلهِ مِنْ مَدْيَنَ مُتَّجِهاً إلى مِصْرَ، فَضَلَّ الطريقَ في ليلةٍ ظَلْماءَ، فَرَأى مِنْ جَانِبِ وَادي الطُّورِ نَاراً تَتَأَجَّجُ، فَقَالَ لأَهْلِهِ إِنَّه رَأى ناراً، وإنهُ سَيَسْأَلُ مَنْ عَلى النارِ مِنَ النَّاسِ عَنِ الطريقِ أو إِنَّهُ سَيأْتِيهِمْ ـ أيْ سَيأْتِي أَهْلَهُ ـ بِقِطْعَةٍ مِنْ نارٍ يُوقِدُونَ بِهَا ناراً لَهُمْ يَسْتَدْفِئُونَ عَلَيْهَا مِنْ بَرْدِ تِلْكَ الليلةِ.

آنَسْتُ ناراً ـ أبْصَرْتُ إبْصاراً بَيِّناً.

بِشِهَابٍ قَبَسٍ ـ بِشُعْلَةِ نَارٍ سَاطِعَةٍ مَقْبُوسَةٍ مِنْ أَصْلِها.

تَصْطَلُونَ ـ تَسْتَدْفِئُونَ بِهَا.

(٨) فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(سُبحَانَ) (العَالَمِينَ)

(٨) ـ فلمَّا أَتَى مُوسَى النَّارَ لَمْ يَجِدْ عِندَهَا أَحداً، وَوَجَدَهَا تَشْتَعِلُ في شَجَرةٍ خضراءَ، وَالنَّارُ لا تَزْدَادُ إلا اضْطِرَاماً، والشَّجرةُ لا تَزْدادُ إلا اخْضِرَاراً، فتعجَّبَ مُوسَى مِنْ ذَلك، فَرفَعَ رأسَهُ فوجَدَ نُوراً مُتَّصِلاً بِعَنانِ السَّماءِ، فوقَفَ مُوسى مُتعجِّباً ممَّا يَرى، فَنَادَاه صَوْتٌ قَائِلاً: تَقَدَّسَ مَنْ في مَكَانِ النَّارِ، وَمَنْ حَوْلَ مَكَانِهَا (وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إنَّ المَعْنَى هُوَ تَقَدَّسَ مَنْ حَوْلَ النارِ مِنَ المَلائِكَة)، وَتَنَزَّهَ اسمُ اللهِ تَعالى وتقدَّسَ، وهُوَ الفَعَّالُ لِما يَشاءُ، وهُوَ الأحدُ الصَّمَدُ المُنَزَّهُ عَنْ مُماثَلَةِ المحْدَثَاتِ، وهُوَ رَبُّ العَالَمينَ.

بُورِكَ ـ قُدِّسَ وطُهِّرَ وَزِيدَ خَيْرُهُ.

مَنْ في النَّارِ ومَنْ حَوْلَها ـ الذينَ في ذَلك الوادِي الذِي بَدَا فيهِ النُّورُ.

(٩) يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(يَا مُوسَى)

(٩) ـ ثُمَّ أَعْلَمَ اللهُ تَعالَى مُوسَى بَعْدَ ذلِكَ أَنَّ الذيْ يُكَلِّمُهُ، ويُنَاجيهِ هُوَ اللهُ، رَبُّهُ وهُوَ العَزيزُ الذي عَزَّ كُلَّ شيءٍ، وقَهَرَهُ وغَلَبَهُ، وهُوَ الحَكيمُ في أَقْوالِهِ وشَرْعِهِ وأفْعالِهِ.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾

(رآها) (يا موسى)

(١٠) - ثُمَّ أمَرَ اللهُ تعالى مُوسَى بأَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ لِيُظْهِرَ لَهُ دَلِيلاً واضِحاً على أنهُ الفاعلُ المختارُ القادرُ على كلِّ شيءٍ. فلما أَلْقَى العَصا من يدِهِ انقلَبَتْ في الحَالِ إلى حَيَّةٍ سَريعةِ الحَرَكَةِ كأنَّها جانٌّ (أيْ ضربٌ من الحَيَّاتِ سريعُ الحَرَكَةِ) فلما رَأى موسى ذلك هَرَبَ مُسْرِعاً ولَمْ يَلْتَفِتْ خَلْفَهُ (ولم يُعقِّبْ)، مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ واضْطِرابِهِ، فقالَ لهُ اللهُ تعالى: يَا مُوسى لا تَخَفْ مما تَرَى، فإنِّي أريدُ أن أصْطَفِيكَ رَسُولاً، وأجْعَلَكَ نَبياً وَجِيهاً، وإنِّي لا يَخافُ عندِي رُسُلي وأنْبيائي.

تَهْتَزُّ - تتحرَّكُ.

كأنَّها جانٌّ - كأنَّها حيةٌ خفيفةُ الحَرَكَةِ.

لَمْ يُعَقِّبْ - لم يَرْجِعْ على عَقِبَيْهِ أو لَمْ يَلْتَفِتْ.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١﴾

(١١) - ولكنْ منْ ظلَمَ نفسَهُ بعَملِ مَا نُهِيَ عَنْهُ، فإنهُ يَخافُ عِقَابِي، إلا إذا تابَ، وعملَ عَملاً صَالحاً، فإنِّي أغْفِرُ لَهُ، وأمْحُو ذُنوبَهُ. وفي هذا بِشَارَةٌ عَظيمةٌ للبَشَرِ بأنَّ مَنْ عَمِلَ منْهُمْ سُوءاً ثمَّ تابَ وأقْلَعَ عمَّا كان فيهِ، فإنَّ اللهَ يتوبُ عليهِ، ويَغفِرُ لَهُ ذُنوبَهُ، ويُدْخِلُهُ في رحْمتِهِ.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ ﴿١٢﴾

(آياتٍ) (فَاسِقِينَ)

(١٢) - ثمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى مُوسى بأنْ يُدْخِلَ يدَهُ في فَتْحَةِ الصَّدْرِ مِنْ ثَوْبِهِ (جَيْبِهِ)، فأدْخَلَها وأخْرَجَها فإذا هِيَ بيضاءُ تتَلألأُ منْ غَيْرِ سُوءٍ ولا مَرَضٍ. وهَاتَانِ آيتانِ مِنْ تِسْعِ آياتٍ أيَّدَ اللهُ بِهَا مُوسَى، وجَعَلَها بُرْهَاناً لهُ في دَعْوَتِهِ فِرعَونَ وقومَهُ إلى عِبادَةِ اللهِ، فقَدْ كَانُوا خَارجينَ عن طَاعةِ اللهِ (فاسقينَ) إذِ ادَّعى فرعَونُ الألُوهيَّةَ، وصَدَّقهُ قومُهُ في هذِه الدَّعْوى.

جَيْبِكَ - فَتْحَةِ القَميصِ عِندَ الصَّدْرِ.

مِنْ غيرِ سُوءٍ - مِنْ غيرِ مَرضٍ ولا بَأْسٍ.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٣﴾

(آياتُنا)

(١٣) - فَلَمَّا جَاءَتْ فرعونَ وقومَهُ هذهِ الآياتُ الواضِحاتُ الظاهِراتُ (مُبْصِرَةً)، جَحَدُوا بِها، وعَانَدُوها، وَقَالُوا عَنْها: هَذا سِحْرٌ واضِحٌ بَيِّنٌ.

مُبْصِرَةً - واضِحَةً بَيِّنَةً هادِيَةً.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ١٤

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٥

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ١٦

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ١٧

(عَاقِبَةُ)

(١٤) - وَجَحدُوا بالآياتِ التي جاءَتْهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ على يَدَيْ مُوسى، وكانَ جُحودُهُم بها ظُلْماً منْ عندِ أنفُسِهِمْ، واسْتِكْباراً عن اتِّباعِ الحَقِّ (عُلوّاً)، وهمْ يَعلَمُونَ أنها حقٌّ وصِدْقٌ، وأنَّ مَنْ جاءَ بها هُوَ رَسُولُ اللهِ حَقّاً وصِدْقاً، وإنْ قالُوا عنهُ: ساحِرٌ. فأهْلَكَهُمُ اللهُ جميعاً في صَبيحةٍ واحدةٍ. فانظُرْ يا محمَّدُ كيفَ كانَتْ عاقِبةُ أمْرِ هؤلاءِ المكذِّبينَ المُفْسِدينَ في الأرضِ، فاحْذَرُوا يا مَنْ تُكَذِّبونَ مَحمَّداً رَسُولَ اللهِ أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أصابَهُمْ.

عُلُوّاً - تَرَفُّعاً وآسْتِكْباراً عنِ الإيمانِ بها.

(آتَيْنا) (دَاوُدَ) (سُلَيْمانَ)

(١٥) يُخبِرُ اللهُ تعالى عَمَّا أنْعَمَ بهِ على عَبْدَيْهِ داودَ وسُليمانَ عَلَيهِما السَّلامُ، مِنَ النِّعمِ والمواهِبِ الجَليلةِ، وَمَا جَمَعَ لَهُما من سَعادةِ الدُّنْيا والآخِرَةِ، والمُلْكِ والنُّبوَّةِ، فحَمِدَا اللهَ تعالى على فَضْلِهِ، وَأثْنَيا عليهِ بما هُوَ أهْلُهُ، لِمَا تَفَضَّلَ بهِ عليهِما من تَفْضيلِهِ إياهُما على كثيرٍ من عبادِهِ بالعِلْمِ والشريعَةِ ودِراسَةِ الأحْكَامِ والنُّبُوَّةِ. فقد عَلَّمَ اللهُ داودَ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ، وعَلَّمَ سُليمانَ مَنْطِقَ الطَّيرِ، وَالحيواناتِ، وَتَسبِيحَ الجِبَالِ، وَسَخَّرَ لَهُ الجِنَّ والشَّياطِينَ.

(سُلَيْمانُ) (دَاوُدَ) (يا أيُّها)

(١٦) - وَوَرِثَ سُليمانُ أبَاهُ دَاودَ في المُلْكِ والنُّبُوَّةِ (وَلَيْسَ المُرادُ بالوِراثةِ هُنا وِراثَةَ المالِ لأنَّ الأنبياءَ لا يُوَرِّثُونَ أمْوالَهُمْ). وَأخبرَ سُليمانُ مَنْ حَوْلَهُ بما أنْعَمَ اللهُ عَليهِ، وبِمَا وَهَبَهُ مِنَ المُلْكِ العَظِيمِ، حَتَّى إنَّهُ سَخَّرَ لهُ الإنْسَ والجِنَّ والطَّيرَ، وكانَ يعرِفُ لُغَةَ الطَّيرِ والحَيَوانَاتِ، وَأُعْطِيَ كُلَّ مَا يَحتَاجُ إليهِ المُلْكُ، وَهَذا مِنْ فَضْلِ اللهِ الظاهِرِ البَيِّنِ عليْهِ.

مَنْطِقَ الطيرِ - فَهْمَ أغْرَاضِهِ كُلِّها مِنْ أصْوَاتِهِ.

(لِسُلَيْمانَ)

(١٧) - وَجُمِعَ لِسُلَيمانَ جُنودُهُ مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيرِ في صَعيدٍ واحِدٍ، فَرَكِبَ فيهِمْ في أُبَّهةٍ عظيمةٍ لِيُحَارِبَ بهِمْ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ في طَاعَةِ اللهِ، وَكانَ يَتَولَّى أمرَ كُلِّ فِئَةٍ وازِعُونَ مِنْهُمْ يُلْزِمُونَ كلَّ واحدٍ مَكانَهُ، لكيْلا يَتقدَّمَ عنْهُ في المَوْكِبِ، أثْناءَ السَّيْرِ.

يُوزَعُونَ - يُحْبَسُ أوَّلُهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ حَتَّى يَكْتَمِلَ جَمْعُهُمْ وَيَبْقَوْنَ كُتْلَةً وَاحِدَةً.

(١٨) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ
نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ
مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ
سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ

(وَادِي) (يَا أَيُّهَا) (مَسَاكِنَكُمْ) (سُلَيْمَانُ)

(١٨) - حَتَّى إذا مَرَّ سُلَيمانُ بمنْ مَعَهُ مِنَ الجُنْدَ على وَادٍ للنَّمْلِ قَالَتْ نملةٌ لِصَحْبِهَا: ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ، فإنَّ سُليمانَ وَجُنُودَهُ قَدْ يَحْطِمُونَكُمْ وهُمْ لا يَشْعُرونَ بِوُجُودِكُمْ، وَلا بِما يَفْعَلُونَ من تَحْطِيمِكُمْ.

يَحْطِمَنَّكُمْ - يُدُوسُكُمْ ويُهْلِكُكُمْ.

(١٩) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ
رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ
وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ
وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
ٱلصَّٰلِحِينَ

(وَالِدَيَّ) (صَالِحاً) (تَرْضَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

(١٩) - فَفَهِمَ سُليمانُ مَا قَالَتْهُ النَّملةُ لجمَاعَةِ النَّمْلِ، فَتبَسَّمَ مُتَعَجِّباً مِنْ حَذَرِهَا، وَمِنْ تَحْذِيرِها جَماعَتَهَا، وَسُرَّ بما خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ فَهْمِ قَوْلِها، وَسَأَلَ رَبَّهُ أن يُلْهِمَهُ شُكْرَهُ على مَا أنْعَمَ به عليهِ وَعلى والِدَيْهِ، وأنْ يُيَسِّرَهُ لِلعَمَلِ الصَّالِحِ الذي يَرْضَاهُ اللهُ لَهُ. وَسَأَلَ رَبَّهُ أنْ يَجْعَلَهُ في عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وأنْ يُدخِلَهُ في رَحمَتِهِ.

أَوْزِعْني - أَلْهِمْني واحْمِلْني.

(٢٠) وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ
أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ
ٱلۡغَآئِبِينَ

(الْغَائِبِينَ)

(٢٠) - قالَ ابنُ عباسٍ: كَانَ الهُدْهُدُ يَدُلُّ سُلَيْمَانَ عَلَى مَواقِعِ الماءِ في بَاطِنِ الأَرضِ فَيَأمُرُ سُليمانُ الجِنَّ بالحَفْرِ لِيُسْتَنبطَ الماءُ. وفي يومٍ نَزَلَ سليمانُ في أرضِ فلاةٍ فَتفقَّدَ الطَّيرَ لِيَرى الهُدْهُدَ، فَلَمْ يَرَهُ فَسَأَلَ عَنْهُ، وقالَ: مَا لِيَ لا أرى الهُدْهُدَ، هَلْ أخْطَأَهُ بَصَرِي مِنَ الطَّيْرِ، أَمْ إنَّهُ غابَ فَلَمْ يَحْضُرْ؟ وَلَمْ أَشْعُرْ بغَيْبَتِهِ.؟

(٢١) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ
لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي
بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ

(لأَذْبَحَنَّهُ) (بِسُلْطَانٍ)

(٢١) - فَقَالَ سُليمانُ إنهُ سَيُعَذِّبُ الهُدْهُدَ عَذاباً شَدِيداً بِنَتْفِ رِيشِهِ وَتَرْكِهِ لِيَأْكُلَهُ الذَّرُّ والنَّمْلُ، أَوْ إنَّهُ سَيقْتُلُهُ إذا لَمْ يَأْتِ بِعُذْرٍ مُقْنِعٍ مَقْبُولٍ (مبينٍ)، يُبَرِّرُ بِهِ غَيْبَتَهُ.

بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ - بِحُجَّةٍ وَمعْذِرَةٍ تُبَرِّرُ غَيْبَتَهُ.

(٢٢) فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ
وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ

(سَبَإٍ) (بِنَبَإٍ)

(٢٢) - فَغَابَ الهُدْهُدُ زَمَناً يَسيراً (فَمَكَثَ غيرَ بعيدٍ) بَعْدَ أنْ سَأَلَ سُليمانُ عنْهُ، ثُمَّ جاءَ فَقالَ لِسُليمانَ: لَقَدِ اطَّلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ تَطَّلِعْ عَليهِ أنْتَ وَجُنودُكَ، وَجِئتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ صَادِقٍ حَقٍّ (يقينٍ).

بِنَبَإٍ - بِخَبَرٍ.

سَبَإٍ - مدينةٌ في اليَمَنِ.

(٢٣) إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ

(٢٤) وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ

(٢٥) أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ

سَجدة

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨

(٢٦) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩

(٢٧) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ

(٢٨) ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ

(٢٣) ـ لقدْ وَجدْتُ آمْرأةً تملِكُهُمْ، وأُوْتِيَتْ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا كُلَّ ما يَحتاجُ إليهِ المَلِكُ المُتمكِّنُ، ولها سَريرُ مُلْكٍ عَظيمٌ تَجْلِسُ عليهِ (عَرشٌ)، وهوَ موجودٌ في بِناءٍ ضَخْمٍ تَدْخُلُهُ الشَّمْسُ مِنْ طاقَةٍ، وتَغْرُبُ مِنهُ مِنْ طاقَةٍ أُخْرى فَيَسْجُدونَ لِلشَّمْسِ صَباحاً وَمَساءً.

(الشَّيْطَانُ) (أَعْمَالَهُمْ)

(٢٤) ـ لقدْ وَجدْتُها وقَومَها يَعبُدُونَ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَيسْجُدُونَ لَها، وقَدْ أَضَلَّهُمُ الشَّيطَانُ عنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ إلى الحَقِّ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٥) ـ وقدْ صَدَّهُمُ الشَّيطَانُ عنِ السَّبيلِ السَّوِيِّ حَتَّى لا يَسْجُدُوا للهِ الذي يُخرِجُ المَخْبُوءَ في السَّماواتِ والأَرضِ، وَما جَعَلَ فيها من الأَرْزاقِ: المَطرِ، والماءِ مِنَ السَّماءِ، والنَّباتِ مِنَ الأَرضِ، وَيَعْلَمُ ما يُخفِيهِ العِبادُ، ومَا يُعْلِنُونَهُ مِنَ الأَقْوالِ والأَفعالِ.

الخَبْءَ ـ المَخْبُوءَ، المَسْتُورَ أَياً كانَ.

(٢٦) ـ فهوَ اللهُ الذي لا إِلَه إلاَّ هُوَ، وَلا تَصْلُحُ العِبادَةُ إلاَّ لَهُ، وَهُوَ ربُّ العَرشِ العظيمِ، وَكُلُّ عَرْشٍ وَإِنْ عَظُمَ فَهو دُونَهُ، فَأَفرِدُوهُ بالطَّاعَةِ، ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً.

(ويُرْوَى أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عَنْ قَتْلِ الهُدْهُدِ لأَنَّهُ دَاعِيَةٌ إلى الخَيرِ، وَإِلى عِبادَةِ اللهِ تَعالى). (رَواهُ أحمدُ وآبنُ ماجه وأبو داوُدَ).

(الْكَاذِبِينَ)

(٢٧) ـ فَقالَ سُلَيمانُ للهدهُدِ: سَنَنْظُرُ فيما قُلْتَهُ أَصَدَقْتَ فبما أَخْبَرْتَ بِهِ، أَمْ كَذَبْتَ للتَّخلُّصِ مِنَ العِقابِ الذي أَوْعَدْتُكَ بِهِ؟

(بكِتَابِي)

(٢٨) ـ فَكَتَبَ سُليمانُ كِتاباً إلى بلْقِيسَ مَلِكَةِ سَبَأٍ، وأَمَرَ الهُدْهُدَ بحَمْلِهِ إليها، وبإِلْقائِه بينَ يَدَيْها، ثُمَّ أَمَرَهُ بالتَّنحي عنهُمْ جانِباً لِيُلاحِظَ ما ستفْعَلُهُ بالكتابِ، وماذا يكونُ رَدُّها عليهِ. فحمَلَ الهُدْهُدُ الكِتَابَ إليْها، وأَلقاهُ بينَ يدَيْها. ولما فَتحتْهُ وقرأَتْهُ، استَدْعَتْ كِبارَ رِجالِ دَوْلَتِها، لتُشاوِرَهُمْ في الأَمْرِ.

تَوَلَّ عنهم ـ تَنحَّ عنهُمْ قَليلاً.

(٢٩) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ

(٣٠) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(٣١) أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ

(٣٢) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ

(٣٣) قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ

(٣٤) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ

(٣٥) وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ

(يَا أَيُّهَا) (الْمَلأُ) (كِتَابٌ)

(٢٩) ـ فَقَصَّتْ على رِجَالِ دَوْلَتِها خبرَ الكتابِ الذي أُلْقِيَ إليْها، وَوَصَفَت الكتَابَ بأنَّهُ كَريمٌ، لأَنَّها رَأتْ طائِراً يَحْمِلُهُ إليها، ويُلْقِيهِ بين يديْها، ثم يَقِفُ جانِباً مُتأدِّباً، وهذا شيءٌ لا يَفْعَلُهُ البَشَرُ عادَةً.

(سُلَيْمَانَ)

(٣٠) ـ وقدْ جَاءَ في الكِتَابِ إنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ سُليمانَ نبيِّ اللهِ، ومُبْتَدأٌ باسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ.

(٣١) ـ ثم طَلَبَ إليها سُليمانُ في الرِّسَالَةِ ألاَّ تتكَبَّرَ هِيَ وقَوْمُها عَلَيْهِ، وأنْ يَأتوهُ طَائِعينَ مُسْتَسْلِمِينَ.

ألا تَعْلُوا عَلَيَّ ـ لا تتكبَّروا عليَّ.

مُسْلِمينَ ـ مُؤْمِنِينَ مُنْقَادِينَ مُسْتَسْلِمِينَ.

(يَا أَيُّها) (الْمَلأُ)

(٣٢) ـ ولما قَرَأَتْ عليهِمْ كِتَابَ سُلَيمانَ واسْتَشَارَتْهُمْ في أَمْرِهَا، وكَيْفَ تَفْعَلُ، قَالَتْ لَهُمْ إنَّهَا لا تَقْطَعُ بأمْرٍ مِنْ أُمورِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يَجْتَمِعُوا إليْها، ويُشِيرُوا عَلَيها فِيهِ.

تَشْهَدُونَ ـ تَحْضُرُونَ، أو تُشِيرُون عليَّ.

(أُولُو)

(٣٣) ـ فَذَكَّرُوها بأنَّهُمْ قومٌ ذَوُو عَدَدٍ وَعُدَّةٍ وقُوَّةٍ، فإذَا شَاءَتْ أَنْ تَقْصِدَ سليمانَ لِتُحَارِبَهُ فَهُمْ مَعَها، وَتَحْتَ أَمْرِهَا، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلكَ لأَنَّهُمْ ذَوُو عَدَدٍ وَعُدَّةٍ وَمَعْرِفَةٍ بالحَرْبِ، ثُمَّ فَوَّضُوا الأمْرَ إليْهَا لِتَتَصَرَّفَ حَسْبَما تَرى فِيهِ المصلحَةَ.

أولُو بأْسٍ ـ أَصْحَابُ قوةٍ وَبلاءٍ ونَجْدَةٍ في الحُروبِ.

(٣٤) ـ وأَدْرَكَتْ بِلقيسُ أَنها لا طَاقَةَ لَها، ولا لِقَوْمِها، بحَرْبِ سليمانَ، وقدْ لاحظَتْ ما سَخَّرَهُ اللهُ لَهُ، فقالَتْ لَهُمْ إنَّهَا تَخْشَى أن يَمْتَنِعُوا عليهِ، ويبادِرُوهُ بالعداءِ، فيَقصِدهُمْ، ويُهْلِكهُمْ بمنْ مَعَهُ، فَيحِل في بَلَدِهِمْ الخرابُ والدَّمارُ، فإن الملوكَ إذا دَخَلُوا بَلَداً عَنْوَةً خَرَّبُوهُ وأفْسَدُوه، وجَعَلُوا كِرَامَ أهلِهِ مِنْ قَادَةٍ وكُبَراءَ وأُمَراءَ وشُرَفَاءَ. . أذلةً بالقَتْلِ والأَسْرِ، وهَذا ما يَفْعَلُونَهُ عَادَةً.

(٣٥) ـ ثمَّ قَالَتْ لَهُمْ: الرَّأْيُ أَنْ يَمِيلُوا إلى المُصَالَحَةِ، والمُسَالَمَةِ، وإنَّها سَتُرْسِلُ إلى سُليمانَ بِهَدِيَّةٍ تَليقُ بِمِثْلِهِ، وسَيَنْظُرونَ حينئذٍ مَاذا سيكونُ عليهِ جوابُهُ، فَلَعَلَّهُ يَقْبَلُ ذلِكَ، ويَكُفُّ أذاهُ عَنْهُمْ. (وقَالَ ابنُ

(٣٦) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ
بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ

(٣٧) ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ
لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ
أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ

(٣٨) قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى
بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ

(٣٩) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ
قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى
عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ

عبَّاس : إنَّها قَالَتْ لَهُمْ إنْ قَبِلَ سُليمانُ الهَدِيَّةَ فهو مَلِكٌ فَقَاتِلُوهُ، وإنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌ فاتّبِعُوهُ، لأنَّ النبيَّ لا يَقْبَلُ مِنْهُم إلَّا اتِّباعَ دِينِهِ).

(سُلَيْمَانَ) (آتَانِي) (آتاكُم)

(٣٦) ـ وأَرْسَلَتْ إلى سُلَيْمَانَ بالهَدِيَّةِ فَلَمْ يهتَمَّ بِهَا، وَقَالَ لِمَنْ حَمَلَ إليهِ الهَدِيَّةَ: إنَّكُمْ تُرِيدُونَ بهذِهِ الهَدِيَّةِ مُصَانَعَتِي عَلَى مَالٍ لأَتْرُكَكُمْ، فما أَعْطَانِي اللهُ، مِنَ المالِ والمُلْكِ وَالجُنُودِ، خَيْرٌ ممَّا آتَاكُمْ وممَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وأنتُم الذينَ تَهْتَمُّونَ بالهَدايا والتُّحَفِ، وتَنْقَادُونَ إلَيْهَا، وَتَفْرَحُونَ بِهَا، أمَّا أنا فلا أَقْبَلُ مِنْكُمْ إلّا الإسلامَ أو السَّيفَ.

(صَاغِرُونَ)

(٣٧) ـ ثُمَّ أَمَرَ سليمانُ الرَّسُولَ بأنْ يرجِعَ إلى بلْقِيسَ وقَوْمِها بالهدِيَّةِ التِي أرْسَلُوها إليهِ، وَبأنْ يقولَ لَهُمْ إنهُ سَيَسِيرُ إليهِمْ بجُيوشٍ لا طاقَةَ لَهُمْ بقِتَالِها، وإنَّهُ سَيُخْرِجُهُمْ منْ بَلْدَتِهِمْ وأرْضِهِمْ أَذِلَّةً، وهُمْ مُهانُون مَدْحُورونَ.

فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إلى بِلْقِيسَ، مَعَ جَوابِ سُليمانَ، سَمِعتْ وَأَطَاعَتْ هيَ وقومُهَا، وَسَارَتْ إليهِ بِجَيْشِهَا وجنودِهَا خاضِعَةً لأمرِ سُلَيمانَ، وَرَاغِبَةً في مُتَابَعَتِهِ على دِينِهِ، وأَرسَلَتْ تُخبِرُ سُلَيمانَ بقُدُومِها عَلَيهِ.

لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ـ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بمقاوَمَتِها.

صَاغِرُون ـ ذَلِيلُونَ مَقْهُورُونَ.

(يَا أَيُّها) (المَلأُ)

(٣٨) ـ ولما تَحقَّقَ سُليمانُ مِنْ قُدُومِهِمْ عَلَيهِ طَائِعِينَ مُسْتَسلِمِينَ فَرِحَ، وَكَانَ الهُدْهُدُ قَدْ وَصَفَ لَهُ كُرْسِيَّ المُلْكِ الذي تَجلِسُ بلقيسُ عَليهِ، وَمَا هُوَ عَليهِ مِنَ الرَّوْعَةِ والبَهاءِ، فأعجَبَهُ، وَخَافَ أَنَّهُمْ إنْ أَتَوهُ مُسْلِمِينَ أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أخْذَهُ بَعدَ ذَلكَ، فَجَمَعَ مَنْ تَحْتَ يدِهِ مِنَ الإنْسِ والجِنِّ وسَأَلَهُمْ مَنْ مِنْهُمْ يَستطِيعُ أنْ يحمِلَ إليهِ عَرْشَها قَبْلَ أَنْ يَأْتُوه مُسْلِمِينَ؟ لِيُرِيَهَا بَعْضَ مَا أنْعَمَ اللهُ بِهِ عليه مِنَ القُدْرَةِ والعَجَائِبِ، لِتعرِفَ صِدْقَ نُبوَّتِه.

(آتِيكَ)

(٣) ـ فَقَالَ لَهُ مَارِدٌ مِنَ الجِنِّ إنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يأْتِيَهُ بالعَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ هَذا، وَإنَّهُ قويٌّ عَلى حَمْلِهِ، أَمِينٌ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الجَواهِرِ.

﴿٤٠﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ

(الْكِتَاب) (آتِيكَ) (رَآهُ) (أَأَشْكُرُ)

(٤٠) - فَقَالَ سُليمانُ لجماعَتِهِ إنهُ يريدُ أَنْ يأتُوهُ بِهِ بأَسْرَعَ مِنْ ذلِكَ، فقالَ لهُ رَجُلٌ يعرفُ آسمَ اللهِ الأعْظَمِ (عندَهُ عِلمٌ منَ الكِتابِ) إنهُ مُسْتعِدٌّ أنْ يأتِيَهُ بِهِ قَبْلَ أن تَطْرِفَ عينُهُ وَدَعَا الرَّجلُ بآسْمِ اللهِ الأعْظَمِ، فمَثَلَ العَرْشُ بينَ يَديْ سُليمانَ فَلَمَّا رَآهُ سُليمانُ ومَنْ حَوْلَهُ مُسْتَقِراً بينَ أيديهِمْ قالَ سليمانُ: هذا مِنْ نِعَمِ اللهِ عليَّ لِيَخْتَبِرَني رَبِّي أَأَشْكُرُهُ على نِعَمِهِ أمْ أكفرُ بها؟ ومَنْ شَكَرَ وَعَمِلَ صَالحاً فلنفْسِهِ، ومَنْ كَفَرَ فَعَلَيهِ كُفرُهُ، وَاللهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عنِ العِبادِ، وعَنْ عبادَتِهِمْ.

(وقِيلَ بَلِ المعْنى هُوَ: أَنَّ سُلَيمانَ قَالَ لِلجِنِّيِّ أنا أُحْضِرُهُ في لَمْحِ البَصَرِ، وَكَانَ كَما قالَ، فلما رآهُ أَمَامَهُ شَكَرَ ربَّهُ، والأَوَّلُ أظهرُ).

الذي عندَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ - رَجُلٌ أَوْ مَلَكٌ يَعْلَمُ آسْمَ اللهِ الأعظَمَ.

يرتَدُّ إليكَ طَرْفُكَ - قَبْلَ أَنْ تُغْمِضَ عَينَكَ ثُمَّ تفتحَها.

ليبلوني - ليَخْتَبِرَني ويَمْتَحِنَني.

﴿٤١﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ

(٤١) - فأمَرَ سُلَيمانُ بأَنْ يُجْرُوا بَعْضَ التَّغْيِيرِ في هَيئَةِ عَرْشِ بلْقِيسَ ليخْتَبِرَ مَعْرِفَتَهَا، وَثَباتَها، عِنْدَ رُؤيَتِهِ، وَهَلْ تَستطيعُ أَنْ تعرفَ عَرْشَهَا إذا بُدِّلَ فِيهِ وَنُكِّرَ، أمْ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ.

نَكِّرُوا - غَيِّرُوا فيهِ وبَدِّلُوا.

﴿٤٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ

(٤٢) - فَلَما وصلتْ بلقيسُ إلى سُلَيمانَ، عَرَضَ عليها عَرْشَهَا وَقد غُيِّرَ فيهِ، ونُكِّرَ، وزِيْدَ فيهِ،فَسَألها أهكَذا عرشُكِ؟ ولكنَّها اسْتَبْعَدَتْ أن يُحمَلَ عرشُهَا مِنْ تلكَ المَسافاتِ البَعيدةِ، فقالتْ كأَنَّهُ هُوَ، فهُوَ يُشْبِهُهُ ويُقَارِبُه. وقيل إنَّ جَوابَها هَذا دَليلٌ على رَجاحَةِ عَقْلِهَا، وفِطْنَتِها وَدَهائِها، وثباتِ قَلْبِهَا.

وَقَالَ سليمانُ إِنَّهُ أُوتِيَ العِلمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَهُ بِلْقِيسُ، وإِنَّهُ كَانَ مِنَ المسلِمينَ أيضاً.

(وقيلَ إنَّ معْنَى قولِهِ تعَالَى ﴿وَأُوتِينَا العلمَ من قَبْلِهَا﴾ هُوَ أَنَّ سُليمانَ أرادَ بِذَلِكَ اخْتِبَارَ رَجاحَةِ عقْلِهَا، وإظهارَ المُعْجِزَةِ لَها، فقالَتْ: لَقَدْ أُوتِينا العلمَ بكمَالِ قُدْرَةِ اللهِ، وصِدْقِ نُبُوَّتِكَ، مِنْ قَبلِ هذه المُعْجِزَةِ، بما شَاهَدْنَاه من أمرِ الهُدْهُدِ، وبما سَمِعْنَاهُ من رُسُلِنَا إليكَ من الآياتِ الدَّالَةِ على ذلِكَ، وكنَّا مُنْقَادِينَ لَكَ مُنْذُ ذَلكَ الحِينِ، فلا حَاجَةَ بِنَا إلى إظْهَارِ مَزِيدٍ من المُعْجِزَاتِ الأُخْرَى).

﴿٤٣﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ

(كَافِرِينَ)
(٤٣) - أمَّا هيَ فَقَدْ صَدَّها عنِ الإيمانِ باللهِ، وعَنِ الإسْلامِ إليهِ، ما كَانَتْ هِيَ وقومُها يَعْبُدونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَكَانوا كَافرين.

﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(سُلَيْمَانَ) (الْعَالَمِينَ)
(٤٤) - كانَ سليمانُ عليهِ السلامُ قد أمَرَ الشَّياطينَ فَبَنَوْا لَها قَصْراً (صَرْحاً) عَظيماً من زُجاجٍ، أُجرِيَ الماءُ من تحتِهِ، فمَنْ لا يَعْرِفُ أمْرَهُ يَظُنُّ أنَّهُ ماءٌ، ولكنَّ الزُّجاجَ يَحُولُ بينَ الماءِ وبينَ الماشِي. ثُمَّ قالَ لها سليمانُ: ادْخُلِي الصَّرْحَ لِيُرِيَها مُلْكاً أعَزَّ من مُلْكِها، وسُلْطاناً أعْظَمَ من سُلْطَانِها، فلَمّا رأتِ الماءَ تَحْتَ الزُّجاجِ ظَنَّتْ أنَّها سَتَخُوضُ فيهِ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْها لِتَخُوضَ فقالَ لَها سُليمانُ إنَّهُ زُجاجٌ، وليسَ ماءً، فلَمَّا وقفَتْ عَلَى سليمانَ عَاتَبَها على عِبَادَةِ الشَّمسِ مِنْ دُونِ اللهِ، وَدَعَاهَا إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، فأسْلَمَتْ وحَسُنَ إسلامُها، واتَّبعَتْ دينَ سُليمانَ، وَقالَتْ: رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِعِبادَةِ الشَّمسِ، وبِاغْتِرَارِي بِمُلْكِي، وأسْلَمْتُ مَعَ سُليمانَ للهِ ربِّ العالمينَ، وخالقِ كلِّ شيءٍ.

الصَّرْحُ - القَصْرُ أوِ البِنَاءُ المُرْتَفِعُ.

مُمَرَّدٌ - مُمَلَّسٌ مُسَوًّى.

لُجَّةً - مَاءً غَزيراً أو عَمِيقاً.

مِن قَوارِيرَ - من زجاجٍ شَفَّافٍ.

﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ

(صَالِحاً)
(٤٥) - يُخْبِرُ اللهُ تعالى عَنْ قَوْمِ ثَمودَ وما كانَ من أمرِهِمْ مَعَ نبيِّهِمْ صَالحٍ عليهِ السلامُ. حينَ بَعَثَهُ اللهُ إليهم فدعاهُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، فآمنَ بِهِ، بعضُهُمْ، وكَفَرَ بِهِ بعضُهُمْ، وأصْبَحُوا فَريقينِ يَخْتَصِمَانِ ويَتَجَادَلَانِ في اللهِ، وفي رسالةِ صالحٍ.

﴿٤٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

(يا قَوْمِ)
(٤٦) - فقالَ لَهُمْ صالحٌ: لماذا تطلبونَ أنْ يُنْزِلَ اللهُ بكُم عقابَهُ وعذابَهُ، ولا تَطْلُبُونَ منَ اللهِ الرَّحمةَ؟ فَهَلَّا تُبْتُمْ مِنْ كُفْرِكُمْ إليهِ تَعالى، واستَغْفَرْتُمُوهُ وسَألْتُمُوهُ العَفْوَ لَعَلَّهُ يَغْفِرُ لكُمْ ويَرحَمُكُمْ؟

﴿٤٧﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ

(طَائِرُكُمْ)
(٤٧) - فَقَالُوا لَهُ: إنَّهم تَشاءَمُوا مِنْ وُجُودِهِ بينَهُمْ، ومِنْ وُجودِ مَنْ آمَنَ مِنْ قومِهِ (أيْ تَطَيَّرُوا بِهِمْ). فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ عليهِ السَّلامُ: إنَّ مَا

يُصِيبُكُمْ من خَيْرٍ أو شَرّ مَكْتُوبٌ عندَ اللهِ، وهُوَ بقَضَائِهِ وقَدَرِهِ، وليسَ شيءٌ منهُ بِيَدِ غيرِهِ تَعالى، فَهُوَ إنْ شَاءَ رَزَقَكُمْ وإن شَاءَ حَرَمَكُمْ. ولكنَّكُمْ قومٌ يختَبِرُكُمْ ربُّكُمْ حينَ أرْسَلَني إليكُمْ لِيَرَى: أتُطِيعُونَهُ فَتَعْمَلُوا بما أمَرَكُمْ بهِ، فتَنَالُوا ثَوَابَهُ، أمْ تَعْصُونَهُ فتَعْمَلُوا ما نَهَاكُمْ عنهُ، فَيَحِلَّ بِكُمْ عِقَابُهُ.

اطَّيَّرْنَا - تَطَيَّرْنَا وَتَشَاءَمْنَا إذْ أُصِبْنَا بالشَّدَائِدِ.

طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ - شُؤْمُكُمْ عمَلُكُم المكتوبُ عليكُمْ عندَ اللهِ.

قومٌ تُفْتَنُونَ - قَوْمٌ يفتِنُكُم الشَّيطَانُ بِوَسْوَسَتِهِ.

﴿٤٨﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ

(٤٨) - وَكَانَ في مَدِينَةِ الحِجْرِ (وهِيَ مَدِينَةُ ثمودَ) تِسعةُ أفرادٍ (رَهْطٍ) مُجْرِمينَ طُغَاةٍ، وكانُوا هُمْ دُعَاةَ قَوْمِهِمْ إلى الكُفْرِ والضَّلَالِ، وكانَ من عادَتِهِمُ الإفسادُ في الأرضِ، والأَمرُ بالفَسَادِ والضَّلَالِ، ولَمْ يَكُونوا منَ المُصلِحِينَ، وقَدْ غَلَبُوا على قَومِهِمْ لأنهمْ منْ رُؤسائِهِم وكُبرائِهِم، وهُم الذينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ، وَهَمُّوا بقَتْلِ صَالحٍ غِيْلَةً.

تِسْعَةُ رَهْطٍ - تِسْعَةُ أشْخاصٍ مِنَ الرُّؤسَاءِ معاً كَأَنَّهُمْ رَهْطٌ.

(لصَادِقُونَ)

﴿٤٩﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

(٤٩) - فقالَ أولئِكَ المُفسِدُونَ بعضُهُمْ لبعضٍ: تَعَالَوا نَتحالَفْ، وَنَتَقَاسَمْ فِيمَا بينَنا على أنْ نقتُلَ صَالِحاً ليلاً غِيْلَةً. فَبعدَ أنْ قَتَلوا النَّاقَةَ أنذرَهُمْ صَالحٌ بأنهمْ سيهْلِكُون بعدَ ثلاثةِ أيام، فقالَ بعضُهُم لبعضٍ: هَلُمَّ فلْنَقْتلْ صَالِحاً وأهلَهُ، ثُمَّ لنقولَنَّ إنَّنا لا نَعلمُ شيئاً عَنْ مَصْرَعِهِمْ. فإذا كانَ صادِقاً فِيمَا يقولُ عَجَّلْنَا بِهِ قَبْلَنَا، وإن كانَ كاذباً ألحقْنَاه بناقَتِهِ، وكانَ ذلكَ مكْراً مِنهمْ. فأتَوْهُ ليلاً لِيُبَيِّتُوه فِي أهْلِهِ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى بالحِجَارَةِ، ولَمَّا أبْطَؤُوا على أصْحَابِهِمْ أتى هَؤُلَاءِ إلى مَنْزِلِ صَالِحٍ فَوَجَدُوهُمْ قَدْ رُضِخُوا بالحِجارةِ، فَقَالَ أهلُهُمْ لصَالحٍ أنْتَ قَتَلْتَهُمْ.

تَقَاسَمُوا - حَلَفُوا باللهِ.

لَنُبَيِّتَنَّهُ - لَنَقْتُلَنَّهُ، غِيْلَةً.

مَهْلِكَ أهْلِهِ - هَلاكَهُمْ.

﴿٥٠﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(٥٠) - وَيَقُولُ اللهُ تعالى إنَّهُمْ دَبَّرُوا أمْراً لإهلاكِ نَبِيِّ اللهِ صَالحٍ، فَدَبَّرَ اللهُ تَدْبِيراً خَفِيّاً مُحكَماً أبْطَلَ مَكْرَهُمْ وَتَدْبيرَهُمْ، وأهْلَكَهُمْ قَبْلَ أن يَصِلُوا

إلى صَالِحٍ وأَهلِهِ بأَذًى، وهُم لا يَشْعُرون بأَنَّ عينَ اللهِ سَاهِرةٌ تَرْعَى نَبِيَّهُ صَالحاً والمؤمنينَ، وتعرفُ ما يُدَبِّرُهُ هؤلاءِ المُفْسِدُون.

مَكَرَ ـ دَبَّرَ تَدْبيراً خفِيّاً.

٥١ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ

(عَاقِبَةُ) (دمَّرْنَاهُمْ)

(٥١) ـ وكَانَتْ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنْ دَمَّرَ اللهُ المُجرِمِينَ وَأَهْلَكَهُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ أَجْمَعِينَ، فَلَمْ يُبقِ مِنَ الكُفَّارِ أَحداً في دِيارِهِمْ.

دمَّرنَاهُمْ ـ أَهْلَكْنَاهُمْ.

٥٢ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(لآيَةً)

(٥٢) ـ وَهٰذِهِ بُيُوتُهم أَصبحَتْ خَاوِيةً خَاليةً لا يَسْكُنُهَا أَحدٌ، وذٰلِكَ عِقابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لَهُم بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ. وفيمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَذابٍ وَهَلاكٍ لَعِبْرَةٌ وَعِظةٌ لِمَنْ يَنظُرُ ويَتفَكَّرُ في قُدرَةِ اللهِ وَتَدبيرِهِ فَيَتَّعِظُ.

خَاوِيَةً ـ خَالِيَةً خَرِبَةً ـ أَوْ سَاقِطَةً مُتَهَدِّمَةً.

٥٣ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ

(آمَنُوا)

(٥٣) ـ أَمَّا الذينَ آمَنوا بِمَا جاءَهُم بِهِ صَالِحٌ، واتَّقوا رَبَّهُمْ وخَافُوهُ، فَقَدْ أَنْجاهُم اللهُ تَعَالَى مَعَ صَالِحٍ وأَهلِهِ.

٥٤ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ

(الْفَاحِشَةَ)

(٥٤) ـ واذْكُرْ يا مُحَمَّدُ لِقَومِكَ حَديثَ لُوطٍ مَعَ قَومِهِ إِذْ أَنذَرَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ نِقَمَ اللهِ أَنْ تَحلَّ بِهِمْ إِذَا استَمرُّوا عَلَى فِعْلِهِم الفَاحِشَةَ التي لَمْ يَسبِقْهُمْ إِليها أَحدٌ مِنَ البَشَرِ، فَقَدْ كَانُوا يَـأْتُونَ الـرِّجالَ شَهـوةً مِنْ دُونِ النِّساءِ، ويأْتونَ الفَاحِشَةَ في نَادِيهِمْ في حُضُورِ الآخرِينَ، وأَمَامَ أَعيُنِهِمْ (وَأَنْتُمْ تُبصِرُونَ).

(وقيلَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَيعلَمُونَ أَنَّها فَاحِشَةٌ، واقْتِرافُ القَبيحِ مِمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا يَفعَلُهُ هُوَ قَبيحٌ، هُوَ أَقْبَحُ وأَشْنَعُ).

وأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ـ لاَ تُبالُونَ بِإِظْهارِهَا مَجَانَةً.

٥٥ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ

(أَئِنَّكُمْ)

(٥٥) ـ فإِنَّكُمْ تَأْتُونَ الذُّكُورَ، وتَذَرُونَ النِّسَاءَ، وهٰذا فَسَادٌ ومُنْكَرٌ، فَأَنْتُمْ مُعتَدُونَ جاهِلُونَ، لا تُميِّزُونَ بَيْنَ الخَبيثِ والطَّيِّبِ، مُتَجاوِزُونَ حُدُودَ مَا شَرَعَ اللهُ لَكُمْ.

﴿٥٦﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ

﴿٥٧﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ

﴿٥٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ

﴿٥٩﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ

الجزء ٢٠ الحزب ٣٩

(آلَ)

(٥٦) - فَلَمْ يَجِدْ هؤلاءِ المُفْسِدُونَ مَا يَرُدُّونَ بِهِ عَلَى دَعوةِ لُوطٍ لَهُمْ، وآستِنْكَارِهِ، لأعمالِهِم وفَسَادِهِم، إلا أَنْ قَالُوا: إِنَّ لُوطاً وأهلَهُ أناسٌ يَتَطَهَّرُون، ويَتَورَّعُونَ عَنْ مُجَارَاتِكم في فِعْلِ المُنْكَرِ، فأَخْرِجُوهُمْ من قَرِيَتِكُم، لأَنَّهُمْ لا يَصْلُحُونَ لمُجَاوَرتِكُمْ.

يَتطهَّرُونَ - يزعُمُونَ التَّنزُّهَ عَمَّا نَفْعَلُ.

(فَأَنجَيْنَاهُ) (قَدَّرْنَاهَا) (الْغَابِرِينَ)

(٥٧) - وَعَزَمُوا عَلَى إِخراجِ لُوطٍ وَأَهْلِهِ مِنْ قَريَتِهِمْ، فَعَاجَلَهُمُ اللهُ بالعُقُوبَةِ، فَدَمَّر عَلَيهِمْ، ولِلكَافِرينَ أَمثَالُهَا. وَأَنجَى اللهُ لُوطاً وأَهلَهُ والمُؤمنينَ مَعَهُ، إلاّ آمرأتَهُ فَقَدْ قَضَى اللهُ بهلاكِهَا، لأَنَّها كَانَتْ رَاضِيَةً بأفعالِ قَومِهَا القَبِيحَةِ فَكَانَتْ تَدُلُّ قَومَها عَلَى أَضْيَافِ زَوْجِهَا لُوطٍ لِيَأْتُوا إِليهِمْ لِفعلِ المُنكرِ مَعَهُمْ.

قدَّرنَاهَا - حَكَمْنَا عَلَيهَا.

مِنَ الغَابِرِينَ - بِجعلِهَا مِنَ البَاقِينَ فِي العَذَابِ أَوِ الهَالِكِينَ.

(٥٨) - فَأَمطَر اللهُ على قَريةِ قَوْمِ لُوطٍ (وهيَ سَدُومُ عَلَى قَولٍ) حِجَارَةً، وَخَسفَ بِهِم الأرضَ فَدَمَّرَهُمْ تَدميراً، ولَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنهُمْ مِنَ العُقُوبَةِ، بعدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تعالَى لُوطاً وأَهلَهُ ومَنْ آمَنَ مَعَهُ، بالخُرُوجِ مِنْهَا والاتِّجاهِ إلى حَيثُ أَمرَهُمُ اللهُ، فَبِئْسَ ذلِكَ المَطَرُ مَطَرُ الذينَ أَنذَرَهُمُ اللهُ بالعِقَابِ الأليمِ.

مَطراً - حِجَارَةً مُهلِكَةً، تنزِلُ عَليهِمْ مِنَ السَّماءِ كَأَنَّها المَطَرُ.

(سَلاَمٌ) (آللهُ)

(٥٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَحْمَدَ رَبَّهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلائِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وهيَ نِعَمٌ لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، وَعَلَى مَا آتَّصَفَ بِهِ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ، والأسماءِ الحُسنَى، وَأَنْ يُسَلِّمَ عَلَى عِبَادِ اللهِ الذينَ آصْطَفَاهُمْ رَبُّهُم، وآختَارَهُمْ لِحملِ رِسَالاَتِهِ (وَهُمُ الرُّسُلُ الكِرَامُ والأنبياءُ عَلَيهِمِ السَّلامُ، وَمَنِ آصْطَفَاهُمُ اللهُ لنُصْرةِ الرُّسُلِ).

ويُنكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُشرِكِينَ عِبَادَتَهم آلِهَةً مَعَ اللهِ. ثُمَّ يَسأَلُهُم، مُستَنْكِراً، مَنْ هُوَ خيرٌ وأَفْضَلُ: أَهوَ اللهُ الحَقُّ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وَمُدَبِّرُ الكَوْنِ، وَمَنْ فِيهِ، ورازِقُ المَخلُوقَاتِ، أَمِ الأصنَامُ التي لاَ تَملِكُ لِنفسِهَا وَلا لِغَيرِهَا نَفعاً وَلا ضَرّاً وَلا مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً؟

(٦٠) أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ

(أَمْ مَنْ) (السَّماوَاتِ) (حَدائِقَ) (أَإِلَهٌ)

(٦٠) ـ وآسأَلْهُمْ هَلْ عِبادَةُ ما تعبُدُونَ يَا أَيُّها المُشرِكُونَ مِنْ أَوثَانٍ وأَصنامٍ، لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، خيرٌ أَمْ عِبادَةُ اللهِ الذي خَلَقَ السَّماواتِ في آرتِفاعِهَا وعَظَمَتِها، وَمَا جَعَلَ فِيها مِنَ الكَواكِبِ والنُّجُومِ والأَفْلاكِ الدَّائِرَةِ، وَخَلَقَ الأَرضَ وَمَا فِيها مِنْ بِحَارٍ وَجِبالٍ وأَنهارٍ وأَشْجارٍ ومخلُوقاتٍ.. وأَنزَلَ لَكُمُ المَطَرَ مِنَ السَّماءِ، فروَّى بِهِ الأَرضَ فَأَنْبَتَتِ الزُّرُوعَ والأَشْجارَ والثِّمارَ، وَلَمْ يَكُنِ الإِنسَانُ قَادِراً عَلَى أَنْ يُنْبِتَ مِنْهَا شَيْئاً؟

إِنَّكَ إِنْ سَأَلتَهُمْ هَذَا السُّؤَالَ فَسيقُولُونَ إِنَّ الذِي فَعَلَ ذَلِكَ هُوَ اللهُ، وَسيقُولُونَ إِنَّهُ ليسَ هُنَاكَ أَحَدٌ مَعَ اللهِ قَامَ بِعَمَلِ شَيءٍ مِنَ الخَلْقِ والتَّدبيرِ، وَإِنَّهُ المُتَفَرِّدُ بِكُلِّ ذَلِكَ. فَقُلْ لَهُمْ: كَيفَ تَعبُدُونَ مَعَهُ غَيرَهُ إِذاً، وَهُوَ المُستَقِلُّ المُتَفَرِّدُ بِالخَلْقِ والتَّدبِيرِ، وَهؤُلاءِ الذينَ تَعْبُدُونَهُمْ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيءٍ مِنْ ذَلك كُلِّهِ؟

حَدائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ـ بَساتِينَ ذَاتَ حُسْنٍ وَرَوْنَقٍ.

قَومٌ يعدِلُونَ ـ يَنْحَرِفُونَ عَنِ الحَقِّ إِلى البَاطِلِ.

(٦١) أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(أَمْ مَنْ) (خِلاَلَها) (أَنْهاراً) (رَواسِيَ) (أَإِلَهٌ)

(٦١) ـ وآسأَلْهُمْ: هَلْ عِبادَةُ ما تَعبُدُونَ مِنَ الأَوثانِ والأَصْنامِ، التي لا تَضُرُّ وَلاَ تنفَعُ خيرٌ أَمْ عِبادَةُ اللهِ الذي جَعَلَ الأَرضَ مُسْتَقَرّاً للبَشَرِ وَالمَخْلُوقاتِ، وَجَعَلَ فِيها أنهاراً يَنْتَفِعُونَ بِها في شُربِهِمْ وَسَقْيِ أنعَامِهِم وريِّ زُرُوعِهِمْ؟ وَجَعَلَ فِيها جبالاً رَاسِيَاتٍ تُرسِي الأَرْضَ وَتُثَبِّتُهَا لِكيلا تَمِيدَ وَتَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيها، وَجَعَلَ بينَ المِيَاهِ العَذْبَةِ والمَلِحَةِ حَاجِزاً يَمنَعُها مِنَ الاختِلاطِ لِكَيلا يَفْسُدَ المَاءُ العَذْبُ، فَيمتَنِعَ عَلى الإِنسانِ والحَيوانِ والنَّبَاتِ الانتِفاعُ بِهِ، وَجَعَلَ البِحارَ مَلِحَةً لأَنها سَاكِنَةٌ، وَلولا مُلُوحَتُها لَفَسَدَتْ.

إِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ إِنَّ الذي فَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ، ولا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ. فَقُلْ لَهُمْ كَيفَ تَعبُدُونَ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى لاَ تَسْتَطِيعُ فِعْلَ شيءٍ مِنْ ذَلكَ كُلِّه؟ وَلَكِنَّ أَكثَرَهُمْ جَاهِلُونَ عَظَمَةَ اللهِ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ (لاَ يَعْلَمُونَ).

﴿٦٢﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

﴿٦٣﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿٦٤﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

الأرض قَرَاراً ـ مُسْتَقراً بالدَّحْوِ والتَّسْوِيَةِ.

رَواسِيَ ـ جِبالاً ثَوابِتَ لكيلا تَضْطرِبَ بِمَنْ عَليها.

حَاجِزاً ـ فَاصِلاً يَمْنَعُ آختِلاطَهُما.

(أَمْ مَنْ) (أَإِلَهٌ)

(٦٢) ـ واسألْهُم هَلِ الذينَ تُشرِكُونَهُم في العِبادَةِ مَعَ اللهِ خَيرٌ، وَهُمْ لا يَضُرُّونَ وَلا يَنفعُونَ، أَمْ مَنْ يُجيبُ دَعوَةَ المُضْطرِّ عِنْدَ الشِّدَّةِ إذا دَعَاهُ لِيَكشِفَ عَنْهُ ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَمَنْ يَجْعَلُ أُمما في الأَرْضِ قَرْناً بَعْدَ قَرنٍ، وَجيلاً بَعْدَ جِيل، وَلو شَاءَ لخَلَقَهُمْ أَجمَعِين، ولَمْ يَجْعَلْ بعضَهُم مِنْ ذُرِّيَّةِ بعضٍ، ولو فَعَلَ ذَلِكَ لضَاقَتِ الأرضُ بالبَشَرِ، ولضَاقَتْ عَليهِم مَعَايِشُهُمْ وَأَرزَاقُهُمْ، ولكِنَّ حِكمَتَهُ اقتضَتْ أن يَخْلُقَهُمْ مِنْ نَفسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَن يَجعَلَهُمْ أُمماً يَخْلُفُ بَعْضُهُم بَعْضاً، حَتَّى يَنْقَضِيَ الأَجَلُ وَيَعُودَ النَّاسُ إِلى اللهِ تَعَالى يَومَ القِيامَةِ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلى فِعْلِ ذَلِكَ غيرُ اللهِ تَعالى؟ فَهَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ مَعَ اللهِ، وَهَلْ تَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً غَيرَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ اللهُ؟ فَمَا أَقَلَّ تَذَكُّرَكُمْ أَنْعُمَ اللهِ عَلَيكُم التِي يُرشِدُكُم بها إلى الحَقِّ، وَيَهدِيكُمْ بِها إلى الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ؟

(أَمْ مَنْ) (ظُلُمَاتِ) (الرِّيَاحَ) (أَإِلَهٌ) (تَعَالَى)

(٦٣) ـ وَمَنْ تُشرِكُونَهم فِي العِبادَةِ مَعَ اللهِ خَيرٌ أَمِ اللهُ الذي يُرشِدُكُم في ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ إذا أَظلَمَتْ عَلَيكُمُ السُّبُلُ، فَضَلَلْتُمُ الطَّرِيقَ، بِمَا خَلَقَ اللهُ مِنَ الدَّلائِلِ السَّماوِيَّةِ، والعَلامَاتِ الأرضِيَّةِ؟ وَمَنْ يُرسِلُ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ بالسَّحَابِ المُثْقَلِ بِالمَطَرِ الذي يُغِيثُ بِهِ العِبَادَ المُجدِبينَ القَانِطِينَ؟ فَهَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ آخَرُ غيرُ اللهِ يَستَطِيعُ فِعلَ ذَلِكَ؟.

إِنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ القَادِرُ عَلى ذَلِكَ كُلِّهِ وَلا يَقْدِرُ عَلَيهِ غَيرُهُ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ آلِهَةً لا تَضُرُّ وَلا تَنفَعُ وَلا تَقْدِرُ عَلى شَيءٍ؟ فَتَعَالَى اللهُ وَتَنَزَّهَ عَنْ شِرْكِ المُشرِكِينَ وَكَذِبِهِمْ.

رَحْمَتِهِ ـ المَطَرِ الذي تَحْيَا بِهِ الأَرضُ.

(أَمْ مَنْ) (يَبْدَأُ) (أَإِلَهٌ) (بُرْهَانَكُمْ) (صَادِقِينَ)

(٦٤) ـ وَاسْأَلْهُمْ هَلِ الذينَ تُشْرِكُونَهُمْ بالعِبادَةِ مَعَ اللهِ خيرٌ أَمِ اللهُ الذي يَبْدَأُ الخَلْقَ، بِقُدْرَتِهِ وَسُلطَانِهِ، وَيَبتَدِعُهُ عَلى غيرِ مِثَالٍ سَبَقَ، ثُمَّ يُفْنِيهِ إذا شَاءَ مَرَّةً أُخرَى، وَهُوَ الذي يَرزُقُكُم بإنزالِ المَطرِ مِنَ السَّماءِ فَيُخرِجُ

لكُم منَ الأَرضِ زُرُوعاً وثِماراً ونبَاتَاتٍ، تَنْتَفِعُ بها الأَنْعَامُ والمَخلُوقَاتُ والبَشَرُ، فهلْ هُناكَ إِلَهٌ آخرُ مَعَ اللهِ فَعَلَ هٰذا؟ أَمْ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ؟ فإذا ادَّعيْتُمْ أَنَّ هُناكَ آلِهَةً أُخْرى فهاتُوا بُرْهَانَكُم عَلَى صِحَّةِ مَا تَقُولُونَ مِنْ وُجُودِ هٰذِهِ الآلِهَةِ الأُخْرَى التِي تَستَطيعُ أَنْ تَخلُقَ وَتَرْزُقَ؟

٦٥ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ

(السَّماوَاتِ)

(٦٥) - يَأْمُرُ اللهُ تعالى رَسُولَه ﷺ بأَنْ يُعْلِمَ الخَلاَئِقَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ أَحدٌ مِنْ أَهلِ السَّماواتِ والأَرضِ الغَيبَ، وإنَّما يعلَمُهُ اللهُ وَحْدَهُ، وَعِنْدَهُ وَحْدَهُ مَفَاتِيحُ الغيبِ، لاَ يعلَمُها إلاَّ هُو، وَلا يَشْعُرُ الخَلاَئِقُ المَوْجُودُونَ في السَّماواتِ والأَرْضِ مَتى تقومُ السَّاعَةُ ومَتَى يَبْعَثُ اللهُ الأَمواتَ مِنْ قُبُورِهِمْ.

٦٦ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ

(ادَّارَكَ)

(٦٦) وَقَدْ قَصُرَ عِلْمُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ وَقْتِ قِيامِ السَّاعَةِ، وَعَجَزُوا عَنْ ذَلكَ وَغَابَ عَنْهُمْ، وَإِنَّ أكثرَ النَاسِ مِنَ الكَافِرينَ في شَكٍّ مِنْ حُدُوثِها وَوُقُوعِها، بَلْ هُم في عَمَايَةٍ وَجَهْلٍ كَبيرينِ مِنْ أمرِها وشأنِها.

ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ - تَكَامَلَ وَاسْتَحْكَمَ عِلْمُهُمْ بأحوالِها. وَيقْصِدُ تَعالَى بِقَولِهِ هٰذَا التَّهَكُّمَ عَلَيهِمْ.

عَمُونَ - عُمْيُ البَصَائِرِ.

٦٧ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ

(أَئِذَا) (تُرَاباً) (آبَاؤُنَا) (أَئِنَّا)

(٦٧) - وَقَالَ الكافِرُونَ باللهِ، وَالمُكَذِّبُونَ لِرُسُلِهِ، المُنْكِرُونَ لِلْبَعْثِ والنُّشُورِ: هَلْ سَنخْرُجُ مِنْ قُبورِنا أَحياءً كَهَيئَتِنا مِنْ بعدِ مَماتِنا، وَبَعْدَ أَنْ نَكُونَ قَد بَلِينَا، وَأَصْبَحَتْ عِظَامُنا تُراباً؟

٦٨ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

(آبَاؤُنَا) (أَسَاطِيرُ)

(٦٨) - وَمَا زِلْنَا نَسْمَعُ بِهٰذا نَحنُ وَآباؤُنَا، وَلاَ نَرَى حَقِيقَةً لَهُ، وَلاَ وُقُوعاً، وَمَا هٰذا الوَعدُ بِإِعادَةِ نَشْرِ الأَجسادِ مِنَ القُبورِ بعدَ أَنْ تَصيرَ رُفَاتاً وتُراباً إلا قَصَصٌ مِنْ قَصَصِ الأَوَّلِينَ، تَتَنَاقَلُها الأَلسُنُ، جيلاً بعدَ جيلٍ، ولا سَنَدَ لها مِنَ الحَقيقةِ ولا ظِلَّ، لأَنَّهُ لَوْ كَانَ البَعثُ حَقاً لحَصَلَ.

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ - قَصَصُهُمْ وأَكاذِيبُهُم المَسْطُورَةُ في كُتُبِهِمْ.

٦٩ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ

(عَاقِبَةُ)

(٦٩) - فَقُلْ يا مُحَمَّد لهؤلاءِ المُكَذِّبينَ لِلرُّسُلِ وَالمَعَادِ: سِيرُوا في الأَرضِ فانظُروا كَيفَ كَانَتْ نِهَايَةُ الذين كَذَّبوا الرُّسُلَ مِنْ قَبلِكُمْ،

وكَفَروا بربِّهِمْ، وأَفسَدُوا في الأَرضِ ؟ لَقَد دَمَّرَ اللهُ عَلَيهِمْ، وأَهْلَكَهُمْ، وَنَجَّى رُسُلَهُ والمُؤمِنينَ، فـاْحذَرُوا أَنْ يُصيبَكُم مِثْلُمَا أَصَابَهُم، ولسْتُمْ بأَكْرَمَ على اللهِ مِنْهُمْ.

﴿٧٠﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ

(٧٠) - وَلاَ تَحْزَنْ يا مُحَمَّدُ عَلَى تولِّي هٰؤُلاءِ المُكَذِّبينَ عَمّا جِئْتَهُم بهِ، ولا تأْسَفْ على ألا يكُونوا مُؤمِنينَ، ولا تُذْهِبْ نَفْسَكَ عليهم حَسَراتٍ، ولا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ بمَكْرِهِمْ وكَيدِهِمْ وتَكْذِيبِهِمْ لَـكَ، فإِنَّ اللهَ مُؤَيِّـدُكَ وَناصِرُكَ ومُظْهِرُ دِينِكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ وَعَانَدَكَ.

ضَيْقٍ - حَرَجٍ وضِيقِ صَدْرٍ.

﴿٧١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ

(صَادِقِينَ)

(٧١) - ويَقُولُ المُشْرِكُـونَ مُتَسَائِلين: مَتى يَكُـون يومُ القِيامةِ (أو مَتى يكونُ هٰذا العَذاب) الذي تَعِدونَنا بِهِ، إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ في أَنَّهُ كَائِنٌ لا مَحالَةَ؟

﴿٧٢﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ

(٧٢) - فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: عَسَى أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ الذي تَسْتَعجِلُونَ بـهِ قَريباً.

(أَوْ عَسَى أَنْ يَلْحَقَكُم وَيَصِـلَ إِلَيكُمْ بَعْضُ مَـا تَستعجِلُونَ حُلولَـهُ مِنَ العَذابِ - أَيْ مَاحَلَّ بِهِمْ يَومَ بدرٍ).

رَدِفَ لَكُمْ - عُجِّلَ لَكُمْ، أَوْ وَصَلَ إِلَيكُمْ، أَوْ لَحِقَ بِكُمْ.

﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

(٧٣) - وَإِنَّ رَبَّـكَ لَهُوَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّـلُ عَلَى النَّـاسِ جَمِيعـاً لِتَـركِـهِ المُعَاجَلَةَ بِالعُقُوبَةِ عَلى المَعْصِيَةِ والكُفرِ، وَلٰكِنَّ أَكثرَهُمْ لا يعرِفُونَ حَقَّ فَضلِهِ عَلَيهِم، فَلا يَشكُرُهُ إِلَّا قَليلُونَ مِنهُمْ.

﴿٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ

(٧٤) - واللهُ تَعَالى يَعْلَمُ مَا تُسِرُّ صُدُورُهُمْ، وَمَا تُخفِي ضَمَائِرُهُمْ، كَمَا يَعْلَمُ الظَّواهِرَ، وَيَعلَمُ مَا يُعلِنُونَ.

مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ - مَا تُخفِي وَتَسْتُرُ مِنَ الأَسرارِ.

﴿٧٥﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ

(غَائِبَةٍ) (كِتَابٍ)

(٧٥) - وَمَا مِن أَمرٍ مَكتُومٍ، وَسِرٍّ خَفِيٍّ، يَغِيب عَنِ النَّاظِرِينَ (غَائِبَةٍ)، في السَّماءِ ولا في الأَرضِ، إِلَّا ويَعلَمُ اللهُ تَعالى بهِ، وَقَدْ أَثبَتَهُ في أُمِّ الكِتابِ، الذي لا يُغادِرُ صَغيرةً ولا كَبيرةً إِلَّا أَحْصَاهَـا، وَقَدْ أَثبَتَ فيـهِ تَعالى كُلَّ مَا هُوَ كائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ من آبتداءِ الخَلْقِ حَتَّى قِيامِ السَّاعَةِ.

غَائِبَةٍ - مَا غَابَ عَنِ النَّاظِرينَ ، وَخَفِيَ عَنْهُم.

(٧٦) إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

(الْقُرْآنَ) (إِسْرائِيلَ)

(٧٦) - يُخبِرُ اللهُ تَعالى أَنَّ هٰذا القُرآنَ قَدْ تَضَمَّنَ كَثيراً مِنَ الأُمورِ التي اخْتَلَفَ حَولَها بَنُو إسرائيلَ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ، ومِنْ وِلادَةِ عِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ، وَرِسَالَتِهِ، وَمَا افتَرَوْهُ عَلى أُمِّهِ مَريَمَ عليها السَّلام مِنَ الإِفْكِ والبُهْتَانِ، فَجَاءَ القُرآن بالقولِ الفَصْلِ فِيمَا آختَلَفُوا فِيهِ، وَكَانَ عَلَيهِمْ لَوْ أَنْصَفُوا أَنْ يَتَّبِعُوهُ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْقِلُوا، وَلَمْ يَفْعَلُوا ذٰلِكَ، عُتُوّاً وَآسْتِكْبَاراً عَنِ الحَقِّ.

(٧٧) وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

(٧٧) - وَفي هٰذا القُرآنِ هُدًى لِقُلُوبِ المُؤْمِنينَ إلى سَبيلِ الرَّشادِ، وَرحمةٌ لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ، وَعَمِلَ بما فِيهِ.

(٧٨) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ

(٧٨) - وَيومَ القِيامَةِ يَقْضِي اللهُ تَعالى بَينَ النَّاسِ فِيمَا آختَلَفُوا فيهِ (أَوْ بَينَ بَني إسرائيلَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ فِي أَمْرِ عِيسَى)، وَقَضَاؤُهُ تَعالى هُوَ الفَصلُ، ثُمَّ يُجَازِي كُلَّ واحِدٍ بِمَا يَستَحِقُّهُ مِنَ الجَزاءِ، وَهُوَ العَزيزُ في آنتِقامِهِ، العَليمُ بأفعالِ العِبادِ وأقوالِهِمْ.

(٧٩) فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ

(٧٩) - فَتَوَكَّلْ يَا مُحَمَّدُ عَلى اللهِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، وَبَلِّغْ رِسَالَةَ رَبِّكَ لِقَوْمِكَ، فَإِنَّكَ عَلَى الحَقِّ الوَاضِحِ الجَلِيِّ (المُبين)، وإِنْ خَالَفَكَ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ كُتِبَتْ عَلَيهِم الشَّقَاوَةُ، وَحَقَّتْ عَلَيهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَلو جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيةٍ.

(٨٠) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ

(٨٠) - وَكَمَا أَنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتى، كَذٰلِكَ فَإِنَّكَ لا تُسمِعُ هٰؤلاءِ المُشركينَ المُعانِدينَ مَا يَنفَعُهُمْ، فَقَدْ رَانَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ غِشَاوَةٌ، وَجَعَلَ اللهُ في آذانِهِم وَقْراً، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَعْقِلُونَ وَلاَ يُؤْمِنُونَ.

الصُّمُّ - الذِينَ فَقَدُوا حَاسَّة السَّمعِ.

الدُّعَاءَ - النِّدَاءَ.

(٨١) وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ

(بِهَادِي) (ضَلالَتِهِمْ) (بِآيَاتِنا)

(٨١) - وَإِنَّكَ لاَ تَستَطِيعُ أَنْ تَهدِيَ مَنْ أَعْمَاهُمُ اللهُ عَنِ الهُدَى والرَّشَادِ فَجَعَلَ عَلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً تَمْنَعُهُمْ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا جِئْتَ بِهِ نَظَراً يُوصِلُهُمْ إِلى مَعرِفَةِ الحَقِّ، وَسُلُوكِ سَبِيلِهِ، وَإِنَّمَا يَستَجِيبُ لَكَ مَنْ هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَنْتَفِعُ بِسمعِهِ وَبَصَرِهِ، وَقَدْ خَضَعَ وَخَشَعَ للهِ، وَوَعَى مَا جَاءَ مِنْ عِندِهِ عَلَى أَلسِنَةِ الرُّسُلِ، عَلَيهِم السَّلامُ، فَهؤُلاءِ هُمْ مُسلِمُونَ لأَمرِ رَبِّهِمْ.

(٨٢) ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ

ربع الحزب ٣٩

(بآياتنا)

(٨٢) - وفي آخِرِ الزَّمانِ، حِينما يَفْسُدُ النَّاسُ، ويَتْرُكُونَ أَوامِرَ اللهِ، ويَتبدَّلُونَ الكُفرَ بالدِّينِ الحَقِّ والإِيمانِ، وتَحِقُّ عَليهِمْ كَلِمَةُ العَذابِ، فإِنَّ اللهَ تَعالى يُخْرِجُ لَهُمْ مِنَ الأَرضِ دابَّةً تُخاطِبُ النَّاسَ وتُكَلِّمُهُمْ وتَقولُ لَهُم: (انَّ النَّاسَ كانُوا بآياتِنا لا يُوقِنُونَ). أَيْ إِنَّهُمْ لا يُوقِنُونَ بآياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على قُرْبِ قيامِ السَّاعةِ، وظُهورِ مُقدِّماتِها.

وَقَعَ القولُ - دَنَتِ السَّاعَةُ وَأَهْوالُها الموْعُودَةُ.

دابَّةً - خُرُوجُها مِنْ أَشْراطِ قِيامِ السَّاعَةِ.

(٨٣) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ

(بآياتنا)

(٨٣) - يُخبِرُ اللهُ تَعالى عَنْ يَومِ القِيامَةِ، وَعَنْ حَشرِهِ الظَّالِمينَ المُكذِّبينَ رُسُلَ اللهِ وَآياتِهِ، لِيَسْأَلَهُمْ عَمَّا فَعَلُوهُ في الدَّارِ الدُّنْيا، تَقْرِيعاً لَهُمْ، وَتَصْغِيراً وَتَحقِيراً لِشأْنِهِمْ، فَفي ذلِكَ اليومِ يَحْشُرُ اللهُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ وَأُمَّةٍ جَماعَةً مِمَّنْ كانُوا يُكذِّبُونَ بآياتِ رَبِّهِمْ، وَيُؤْمَرُونَ بِالتِزامِ أَماكِنِهِمْ (يُوزَعُونَ) لِيَجتَمِعُوا في مَوقِفِ التَّوبِيخِ والإِهانَةِ.

يُوزَعُونَ - يُوقَفُ أَوائِلُهُمْ لِيَلْحَقَهُمْ أَواخِرُهُمْ ثُمَّ يُسْأَلُونَ.

فَوْجاً - جَماعَةً وَزُمْرَةً.

(٨٤) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(جاؤُوا) (بِآياتِي) (أَمْ ماذا)

(٨٤) - حَتَّى إِذا جاؤُوا وَوَقَفُوا بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعالَى في مَقامِ المُساءَلَةِ، وَمُناقَشَةِ الحِسابِ، قالَ لَهُمُ الرَّبُّ الكَرِيمُ، مُؤَنِّباً وَمُوَبِّخاً عَلَى ما كانَ مِنْهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ: أَكَذَّبْتُم بِآياتِي النَّاطِقَةِ بِلِقاءِ يَومِكُمْ هٰذا دُونَ تَدَبُّرٍ وَلا فَهْمٍ، غَيرَ ناظِرِينَ فِيها نَظَراً يُوصِلُكُمْ إِلى العِلْمِ بِحَقِيقَتِها، أَمْ ماذا كُنتُم تَعمَلُون فِيها مِنْ تَصدِيقٍ وَتَكذِيبٍ؟.

(٨٥) وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ

(٨٥) - وَحَلَّ بأُولئِكَ المُكَذِّبينَ السَّخطُ، وَالغضبُ، وَالعَذابُ، بِسَبَبِ تَكذِيبِهِم بآياتِ اللهِ، فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ يَدْفَعُونَ بِها عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَظِيمَ ما حَلَّ بِهِمْ مِنَ العَذابِ.

(٨٦) أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(اللَّيْلَ) (لآياتٍ)

(٨٦) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعالَى هٰؤلاءِ المُكَذِّبينَ بِسُلطانِهِ العَظِيمِ، وشَأْنِهِ الرَّفيعِ فَيقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ جَعَلَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنَ حَرَكاتُهُمْ فِيهِ، وتَهدَأَ أَنفُسُهُم، وَيَستَرِيحُوا مِنَ العَناءِ والتَّعَبِ في نَهارِهِمْ. وَجَعَلَ النَّهارَ مُبْصِراً مُشْرِقاً

بالنُّورِ والضِّياءِ لِيَعْمَلُوا فِيهِ، وَيَتَصرَّفُوا في مَعَايِشِهِمْ وَمكَاسِبِهِمْ وأَسْفَارِهِمْ وَتجَاراتِهِمْ وَمَا يَحتَاجُونَ إليه مِنْ شُؤُونِهِم. وَفي ذلكَ دَلالاتٌ عَلَى وُجُودِ اللهِ وقُدْرَتِهِ عَلَى البَعْثِ والنُّشُورِ، وعَلى عِنَايَتِهِ ولُطْفِهِ بِعِبَادِهِ.

﴿٨٧﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ

(السَّماوَات) (دَاخِرِينَ)

(٨٧) - وَآذكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ هَوْلَ يومِ القِيامَةِ، حِينَ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى إسرافِيلَ، عَلَيهِ السَّلامُ، فَيَنفُخُ في الصُّورِ، وحِينَما يَسْمَعُ الأحياءُ مِنَ المَخْلُوقَاتِ ذلِكَ الصَّوتَ يُصِيبُهُمُ الفَزَعُ، إلا مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الأَبرارِ المُخْلِصِينَ فَإِنَّهم لا يُصِيبُهُمُ الفَزَعُ. ثُمَّ يَنفُخُ إسْرافِيلُ نَفْخَةً أُخْرَى هِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، فَيُصْعَقُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهَا مِنَ المَخْلُوقَاتِ. ثُمَّ يَنْفُخُ الثَّالِثَةَ آلمُؤْذِنَةَ بِالبَعْثِ والنُّشُورِ، فَتَقُومُ الأجسَادُ لِرَبِّ العِبَادِ، وَيأْتُونَ رَبَّهم جَمِيعاً صَاغِرِينَ مُطِيعِينَ لاَ يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَنْ أمرِ رَبِّهِ.

فَزِعَ - خافَ خَوْفاً يَسْتَتْبِعُ المُوتَ.

دَاخِرِينَ - صَاغِرِينَ ذَلِيلِينَ.

﴿٨٨﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ

(٨٨) - وَفي ذَلكَ اليوم يَرى النَّاسُ الجِبَالَ ويَحْسَبُونَها ثَابِتَةً في أَمَاكِنِها، ولَكنَّها تَزُولُ عَنْ أَمَاكِنِها وتَتحرَّكُ كَما يَتحرَّكُ السَّحابُ، وهٰذا مِنْ فِعلِ اللهِ ذِي القُدْرَةِ العَظِيمَةِ الذي أَتْقَنَ صُنْعَ كُلِّ شَيءٍ خَلَقَهُ، وأَودَعَ فيهِ الحِكْمَةَ، وَهُوَ خَبيرٌ بِمَا يَفْعَلُهُ عِبَادُهُ مِنْ خيرٍ وَشرٍّ، وَسَيُجازِيهِمْ عَلَيهِ الجَزَاءَ الأَوْفَى.

﴿٨٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ

(يَوْمَئِذٍ) (آمِنُونَ)

(٨٩) - وَمَنْ جَاءَ في ذَلِكَ اليَومِ رَبَّهُ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ في الدُّنيا، فَإنَّ اللهَ تَعالى يُدْخِلُهُ الجَنَّةَ، وَيُجَنِّبُهُ الفَزَعَ الأَكبرَ الذي يُصِيبُ المُجرمِينَ الأَشقِياءَ في ذَلكَ اليومِ.

﴿٩٠﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٩٠) - وَمَنْ جَاءَ رَبَّهُ في ذَلِكَ اليَومِ قَدْ أَشْرَكَ به وَعَصَاهُ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَهؤُلاءِ يَكُبُّهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى وُجُوهِهِمْ في نَارِ جَهَنَّمَ، واللهُ يَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيُنزِلُ بِهِمْ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الجَزاءِ عَلَى أَعْمَالِهِم السَّيِّئَةِ.

(أَوْ يُقَالُ لَهُمْ: هَلْ تُجْزَونَ إلا بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ في الدُّنيا مِمَّا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ؟).

كُبَّتْ وُجُوهُهُمْ - أُلْقُوا مَنْكُوسِينَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ.

(٩١) إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ

(٩٢) وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ

(٩٣) وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ

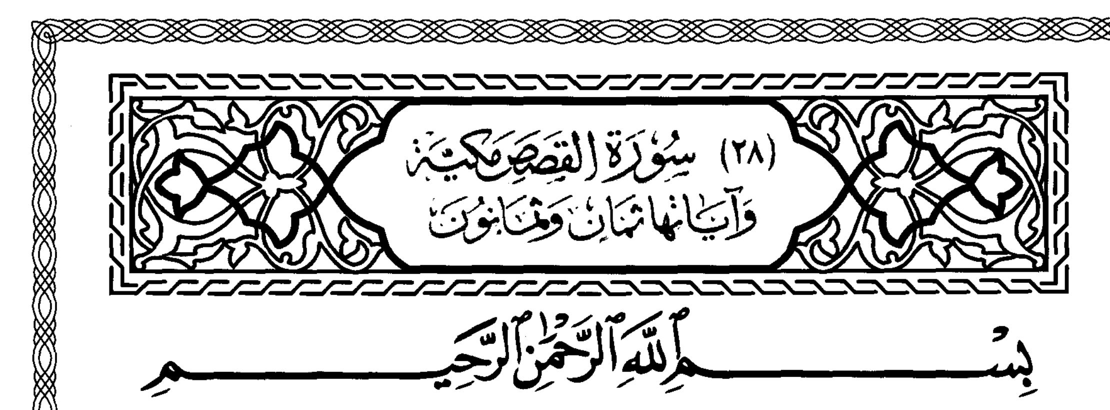
(٩١) - يَأْمُرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لِهٰؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ: إِنَّهُ أُمِرَ بِعِبَادَةِ رَبِّ مَكَّةَ ٱلتي جَعَلَهَا بَلَداً حَراماً، لاَ يُسْتَبَاحُ فِيها دَمٌ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكُهُ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ رَسُولَهُ بِأَنْ يَكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ لَهُ، المُوَحِّدِينَ المُخْلِصِينَ لِجَلاَلِهِ.

(أَتْلُو) (الْقُرْآنَ)

(٩٢) - وَقُلْ لَقَدْ أَمَرَني رَبي بِأَنْ أَتلُوَ القُرآنَ عَلَى النَّاسِ، وَأُبَلِّغَهُمْ إِياهُ، وَلِي أُسْوَةٌ بِمَنْ تَقَدَّمَني مِنَ الرُّسُلِ، الذينَ أَنْذَرُوا أَقوامَهُمْ، وَقَامُوا بتأْدِيَةِ الرِّسَالةِ، وَمَنِ ٱهْتَدَى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَيَنْتَفِعُ بِهُدَاهُ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضُرُّ نَفْسَهُ وَلاَ يَضُرُّ اللهَ شَيْئاً.

(آيَاتِه) (بِغَافِلٍ)

(٩٣) - وَقُلْ لَهُمْ: ٱلحَمْدُ للهِ ٱلذِي لاَ يُعَذِّبُ أَحداً إِلاَّ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيه، والإِعذارِ إِليهِ، وإِنَّهُ تَعَالى سَيُظْهِرُ للنَّاسِ آيَاتِهِ العِظَامَ لِيَعْرِفَهَا النَّاسُ، ويَتَّعِظُوا بِها، وَيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى وُجُودِهِ وَعَظَمَتِهِ، واللهُ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ جَمِيعاً لا يَفُوتُهُ شَيءٌ مِنْ أَعمَالِهِمْ، وَلا يَغْفلُ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ.



(١) طسٓمٓ

(٢) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ

(٣) نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(٤) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ

(١) - طَاسِينْ مِيمْ - .
وَتُقْرَأُ مُقَطَّعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ، اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(آيَاتُ) (الْكِتَاب)
(٢) - هٰذِهِ الآيَاتُ هِيَ آيَاتُ القُرآنِ الوَاضِحِ الجَلِيِّ. الذِي يَكْشِفُ عَنْ أُمورِ الدِّينِ، وأَخْبَارِ الأَوَّلِينَ، لَمْ تَتَقَوَّلْهُ أَنتَ يَا مُحَمَّدُ، وَلَمْ تَتَخَرَّصْهُ كَمَا زَعَمَ المُشْرِكُونَ.

(نَتْلُو) (نَبَأ)
(٣) - إِنَّنَا نَذْكُرُ لَكَ مَا كَانَ مِنْ أَمرِ مُوسَى وفِرْعَونَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، كَأَنَّكَ شَاهِدٌ حَاضِرٌ، وَلاَ يَعتَبِرُ بِآيَاتِ اللهِ إِلاَّ مَنْ كَانَ مُؤمِناً، وَلَهُ قَلْبٌ وَاعٍ .

(طَائِفَةً) (وَيَسْتَحْيِي)
(٤) - لَقَدْ تَكَبَّرَ فِرعَونُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَتَجَبَّرَ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا فِرَقاً وأَصْنَافاً وأَحزَاباً مُتَعَدِّدَةً (شِيَعاً)، وأَغرَى بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ، لِكَيلاَ يَتَّفِقُوا عَلَى أَمرٍ، وَلاَ يُجْمِعُوا عَلَى رَأْيٍ ، وَيَسْتَغِلُّ بَعْضَهُمْ لِلْكَيدِ لِبَعْضٍ ، فَلاَ يَصْعُبُ عَلَيهِ خُضُوعُهُم وَاسْتِسْلامُهُمْ، وَاسْتَضْعَفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (طَائِفَةً مِنهُم)، وَكَانُوا أَهلَ الإِيمانِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ، وَاسْتَذَلَّهُم ، فَأَخَذَ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي أَحطِّ الأَعمَالِ وأَشَقِّهَا، وَيَقتُلُ الذُّكُورَ مِنْ أَوْلاَدِهِمْ حِينَ يُولَدُونَ، لأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَسْتَولُوا عَلَى المَرافِقِ العَامَّةِ، وأَنْ يَغْلِبُوا الأَقْبَاطَ إِذا تَكَاثَرُوا وَتَنَاسَلُوا، وَقَدْ كَانَ فِرعَونُ مِنَ الضَّالِينَ المُفْسِدِينَ.

(وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَقتُلُهُمْ خَوفاً مِنْ أَنْ يُولَدَ غُلاَمٌ مِنْهُمْ يَكُونُ سَبَباً فِي هَلاَكِهِ، وَزَوَالِ مُلْكِهِ، كَمَا فَسَّرَ لَهُ بَعْضُ الكَهَنَةِ حُلْماً رَآهُ).

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾

علاَ في الأرض - تَجبَّرَ وَطَغَى فِي أَرْضِ مِصْرَ.

شِيَعاً - أَصْنافاً فِي الخِدْمَةِ والتَّسْخِيرِ والإِذْلاَلِ.

يَسْتَحيِي نِساءَهُمْ - يَسْتبقِي النِّسَاءَ لِلْخِدْمَةِ.

(أَئِمَّةً) (الْوارِثِينَ)

(٥) - ولٰكِنَّ قَضاءَ اللهِ لاَ مَهْرَبَ مِنْهُ، وَلاَ يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، فَوُلِدَ مُوسَى وَتَرَبَّى عَلَى فِراشِ فِرْعَونَ، فَنَجا مِنَ القَتْلِ، وهٰكَذا مَنَّ اللهُ تَعالى عَلَى بَني إسرائيلَ الذينَ كَانَ يَسْتَضْعِفُهُم فِرعَوْنُ في أَرْضِ مِصْرَ، فَجعَلَهُمْ أَئِمَّةً، وقُدْوَةً للنَّاسِ في زَمَانِهِمْ، وَأَوْرَثَهُمُ الأَرضَ المُقَدَّسَةَ التي وَعَدَهُمُ اللهُ بالسُّكْنَى فِيها عَلى لِسَانِ إبراهِيمَ وَيعقُوبَ.

(هامَانَ)

(٦) - وَمَكَّنَ اللهُ لِبَني إِسرائيلَ فِي الأَرضِ المُقَدَّسَةِ وأَنقَذَهُمْ من عَسَفِ فِرعَوْنَ وطُغيَانِهِ، فَخَرَجَ فِرْعَونُ وَهامَانُ وجُنودُهُما، يَتبعُونَ آثارَ بَنِي إِسرَائيلَ، لِيَضْطَرُّوهُمْ إِلى العَوْدَةِ إلى أَرضِ مِصْرَ، فَأَغْرَقَهُمُ اللهُ تَعالى وَأَذاقَهُمْ مَا كَانُوا يَحذَرُونَ مِنَ الهَلاكِ، وضَياعِ المُلْكِ عَلى يَدِ وَلَدٍ يُولَدُ مِنْ بَنِي إِسرَائيلَ.

يَحْذَرُونَ - يَخافُونَ مِنْ ذَهَابِ مُلْكِهِمْ.

(٧) - لَمَّا أَكْثَرَ فِرعَونَ القَتْلَ في بَني إسرائيلَ خَافَ الأَقباطُ أَن يَفْنَى بَنو إسرائيلَ، فَيُضْطَرُّ القِبطُ إلى القِيامِ بِمَا يَقُومُ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ مِنَ الأَعمالِ الشَّاقةِ، فَقَالُوا لِفرعَوْنَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الوِلْدَانِ عَاماً، وَتَركِهِمْ عاماً، فَوُلِدَ هارُونُ في السَّنةِ التي يَتْرُكُونَ فِيها الذُّكُورَ، وَوُلِدَ مُوسَى في السَّنةِ التي يَقْتُلُونَ فِيها الذُّكُور فَخَافَتْ أُمُّهُ عَلَيهِ، وضَاقَتْ بِهِ ذَرْعاً، وَقَدْ أَحَبَّتْهُ حُبّاً شَديداً (فَقَدْ أَلقى اللهُ تَعالَى مَحَبَّتَهُ في قَلْبِ كُلِّ مَنْ رَآهُ كَمَا جَاءَ في آيةٍ أُخرى)[1] فَأَلْهَمَها اللهُ أَنْ تَضَعَهُ فِي تَابُوتٍ، وَتَقْذِفَهُ فِي المَاءِ حِينَمَا يَدْخلُ عَلَيها أَحدٌ تَخافُهُ. وَربَطَتِ التَّابُوتَ بِحَبْلٍ فإِذا ذَهَبَ مَا تَحْذَرُهُ جَذَبَتِ الحَبلَ وأَخرَجَتْ مُوسَى مِنَ التَّابُوتِ. وذَاتَ يومٍ دَخَلَ عَلَيها مَنْ تَحْذَرُهُ، فَوَضَعَتْ مُوسَى في المَهْدِ، وَنَسِيَتْ رَبطَ الحَبْلِ، فَذَهَبَ بِهِ المَاءُ، وَاحتَمَلَهُ حَتَّى مَرَّ بِهِ أَمامَ دارِ فِرعَونَ. وَقَدْ وَعَدَ اللهُ أُمَّ مُوسَى بِمَا يُسلِّيها، ويُطَمْئِنُ قَلبَهـا، وَهُوَ أَنَّـهُ سَيحفَظُهُ لَهـا، وَسَيَرُدُّهُ إِليهـا لِتَكُونَ مُرضِعَتَهُ، وأَنَّهُ سَيجعَلُهُ مُرْسَلاً إلى فِرْعَوْنَ الطَّاغِيَةِ، وَسَيَجْعَلُ على يَدَيهِ هَلاَكَ فِرعَونَ، ونَجَاةَ بَني إِسْرائيلَ مِمَّا هُمْ فِيهِ.

(١) الآية ٣٩ من سورة طه.

﴿٨﴾ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ

(آلُ) (هَامَانَ) (خَاطِئِينَ)

(٨) - فالتَقَطَتْهُ الجَوارِي، وَحَمَلْنَهُ إلى آمْرَأةِ فِرْعَوْنَ، وَكَأنَّهُ لُقطَةٌ، فَأوْقَعَ اللهُ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِها، وقَدْ قَدَّرَ اللهُ تَعالَى أنْ يَتربَّى مُوسَى في دارِ فِرْعَوْنَ، وَعَلَى فِراشِهِ، لِيَكُونَ عَدُوّاً لفرعَونَ وقومِهِ، ولِتحِلَّ بِهِم المُصِيبةُ على يديهِ، فَقد كَانَ فِرعَونُ، وَوَزيرُهُ هَامَانُ، وجُنُودُهما الذينَ لاحَقُوا بني إسْرائيلَ، والذِينَ كَانُوا أداةَ الظُّلْمِ والإِرْهَابِ في يَدِ فِرْعَونَ، جَميعاً مِنْ مُرتَكِبي الخَطَايا.

خَاطِئينَ - مُذنِبينَ، آثِمينَ.

﴿٩﴾ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ

(آمْرَأةُ) (قُرَّةُ)

(٩) - فلَمّا رَآهُ فِرعَونُ هَمَّ بِقَتلِهِ خَوْفاً مِنْ أنْ يَكُونَ مِنْ بَني إسْرائيلَ، فَأخذَتِ آمرأتُهُ تَسْتَعْطِفُهُ، فَقالَتْ لَهُ: لاَ تَقْتُلْهُ عَسَى أنْ يَكُونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لي وَلَكَ، وَقَدْ يَنْفَعُنا أو نَتَّخِذُهُ وَلَداً وَنَتَبَنَّاهُ، لأنَّها لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ. فَقالَ فِرعَونُ إنَّهُ قُرَّةُ عَيْنٍ لَكِ لاَ لِي. فَكَانَ كَذلِكَ، وَلَمْ يَكُونُوا يَدْرُونَ ما أرادَهُ اللهُ مِن آلتِقَاطِهِمْ إيَّاهُ مِنَ الحِكْمَةِ العَظِيمَةِ البَالِغَةِ الدَّالةِ على قُدْرَتِهِ تَعالَى، وَلُطْفِهِ فِي تَهْيئَةِ الأسْبَابِ لِمَا يُرِيدُ (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ).

قُرَّةُ عَيْنٍ - مَسَرَّةٌ وَفَرَحٌ.

﴿١٠﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(فَارِغاً)

(١٠) - يُخبِرُ اللهُ تَعالَى أنَّ أمَّ مُوسَى لَمَّا ذَهَبَ وَلَدُها مَعَ المَاءِ أصْبَحَ قَلْبُها خالياً مِنْ كُلِّ أمرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنيا إلّا مِنَ التَّفْكِيرِ فِيهِ، وَكَادَتْ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِها وَحُزْنِها أنْ تُعْلِنَ أنَّ وَلَدَها ذَهَبَ مَعَ المَاءِ وأن تُخبِرَ بِحَالِها، لولا أنَّ اللهَ تعالى ثَبَّتَها، وَصَبَّرَها، وَرَبَطَ عَلَى قَلْبِهَا، لِتَكُونَ مِنَ المُوقِنينَ المُصَدِّقِينَ بِأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأنَّهُ سَيَرُدُّهُ عَلَيها.

فارِغاً - خَالِياً مِنْ كُلِّ مَا سِوَى مُوسَى.

لَتُبْدِي بِهِ - لَتُصَرِّح بِأنَّ آبنَها ذَهَبَ مَعَ المَاءِ لِشِدَّةِ وَجْدِها عَلَيه.

رَبَطْنَا - بِالعِصْمَةِ والصَّبْرِ والتَّثْبِيتِ.

﴿١١﴾ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ

(١١) - فَقَالَتْ لابْنَتِها: قُصِّي أثَر أخِيكِ، وَتَتَبَّعِي خَبَرَهُ، فَخَرَجَتْ لِذَلِكَ، فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ بُعدٍ بينَ يَدي جَوارِي آلِ فِرْعَون، وَهي تَتَجَنَّبُ ظُهُورَ أمرِها، وَكَانَتْ تَنْظُرُ إليهِ وَكَأنَّها لاَ تُرِيدُ ذَلِكَ (عَنْ جُنُبٍ)، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بِأنَّها أخْتُهُ، وَأنَّها كانَتْ تَقُصُّهُ، وَتَتَعَرَّفُ حالَهُ.

١٢ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ

نصف الحزب ٣٩

١٣ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

١٤ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

١٥ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ

قُصِّيهِ - اتْبَعِي أثَرَهُ وتَعَرَّفي خَبَرَهُ.

عَنْ جُنُبٍ - مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ - أوْ مِنْ مَكَانٍ بعيد.

(نَاصِحُونَ)

(١٢) - وَلَمَّا آستَقَرَّ مُوسَى في دَارِ آلِ فِرْعَونَ، عَرَضُوا عليهِ المَرَاضِعَ فَلَمْ يَقْبَلْ أن يَرْضَعَ مِنْ ثَدْيِ امرأةٍ مِنْهُنَّ، فَخَرجُوا بِهِ إلى السُّوقِ لَعَلَّهُم يَجِدُونَ آمرَأةً تَصْلُحُ لإرضاعِهِ، فَلَمَّا رأتهُ أختُهُ في أيدِيهِمْ عَرَفَتْهُ ولم تُظْهِرْ ذَلِكَ، ولَم يَشْعُرُوا بها، فَقالَتْ لَهُمْ: هَلْ تُرِيدُونَ أنْ أدُلَّكُمْ عَلَى أهلِ بَيتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُم وَهُمْ لَهُ حافِظُونَ؟ فَذَهَبُوا مَعَهَا إلى أُمِّهَا، فَأعْطَتْهُ ثَدْيَهَا فالتقمَهُ، فَفَرِحُوا بذلك، وَبَشَّرُوا آمْرَأةَ فِرْعَونَ. فَاسْتَدعَتْ أمَّ مُوسَى، وأحْسَنَتْ إليها، وَهِيَ لاَ تَعرِفُ أنَّها أُمُّهُ، ثُمَّ سَألَتها أنْ تُقِيمَ عِندَهَا لِتُرضِعَهُ فَأبَتْ عليها، وَقَالَتْ لها إنَّ لَهَا زَوْجاً وأولاداً، فَسَمَحَتْ لَها آمرَأةُ فِرعَونَ بأنْ تأخُذَهُ إلى بيتِها لِتُرضِعَهُ، وَأَجْزَلَتْ لَهَا العَطَاءَ.

(فَرَدَدْنَاهُ)

(١٣) - فَرَجَعَتْ أمُّ مُوسَى بِوَلَدِهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، قَدْ أبدَلَهَا اللهُ بِخَوْفِها عَلَيهِ أمْناً، وَأقَرَّ عَيْنَها فَلا تَحْزَنُ لِفِرَاقِهِ، ولِتَزْدَادَ عِلْماً بأنَّ مَا وَعَدَهَا بِهِ رَبُّها، مِنْ رَدِّ وَلَدِهَا إليها، هُوَ وَعْدُ حَقٍّ، وَاللهُ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَلكِنَّ أكثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ حِكْمَةَ اللهِ في أفْعَالِهِ، وعَوَاقِبَها المَحْمُودَةَ، فَرُبَّمَا وَقَعَ الأمرُ كَرِيهاً إلى النُّفُوسِ، وَعَاقِبَتُهُ حَمِيدَةٌ.

(آتَيْنَاهُ)

(١٤) - وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى رُشْدَهُ، وَبَلَغَ حَدَّ الرُّجُولَةِ، واَسْتَكْمَلَ قُوتَهُ البَدَنِيَّةَ، آتَاهُ اللهُ العِلْمَ والحِكْمَةَ، وَهذا جَزاءُ المُحْسِنِينَ عِنْدَ رَبِّهِم، الذِينَ يُطِيعُونَ أمْرَهُ.

بَلَغَ أشُدَّهُ - بَلَغَ مَبْلَغَ الرُّجولَةِ.

اسْتَوَى - آعتَدَلَ عَقْلُهُ وكَمُلَ.

(فَاسْتَغَاثَهُ) (الشَّيْطَانِ)

(١٥) - وَدَخلَ مُوسَى مَدِينَةَ مِصْرَ في وَقتٍ كَانَتْ خَالِيَةً فِيهِ مِنْ أهْلِهَا (وقِيلَ إنَّهُ دَخَلَ في مُنْتَصَفِ النَّهارِ وَقْتَ القَيلُولَةِ، وقيل أيضاً إنَّهُ دَخلَ بَعْدَ الغُرُوبِ بَعدَ أنِ انْصَرَفَ النَّاسُ مِنْ أعمَالِهِمْ إلى بُيُوتِهِم)، فَوَجَدَ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ وَيَتَضَارَبَانِ أحَدُهُما إسْرائِيلِيٌّ (مِنْ شِيعَتِهِ) والآخَرُ قِبْطِيٌّ (مِنْ عَدوِّهِ) فَاسْتَغَاثَ الإسْرَائِيلِيُّ بِمُوسَى، فَضَرَبَ مُوسَى القِبْطِيَّ

فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ

بُجْمع يَدِهِ، أوْ بِعَصاً كانَتْ في يَدِهِ (فَوكَزَهُ) فقضى عليهِ. فَقالَ مُوسَى: هٰذا الذي حَدثَ هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ وتَزْيِينِه، وَهُوَ العَدُوُّ المُبِينُ للإنسَانِ، فَينبَغي الحَذَرُ مِنْهُ.

وَكَزَهُ ـ ضَرَبَهُ بِجمْعِ يَدِهِ فِي صَدْرِهِ.

١٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

(١٦) ـ فَاسْتَغفرَ مُوسَى رَبَّهُ، وَقَالَ إِنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِقَتْلِهِ الرَّجُلَ، فَغفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ، وَعفَا عَنْهُ. واللهُ هُوَ الغَفُورُ لِذُنوبِ عِبادِهِ، الرَّحيمُ بِهِمْ.

١٧ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ

(١٧) ـ ثُمَّ قَالَ مُوسَى: رَبِّ بِما جَعلْتَ لِي مِنَ الجَاهِ وَالعِزِّ، وَبِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِعفْوِكَ عَنْ قَتْلِ هٰذِهِ النَّفْسِ، لأَمْتَنِعَنَّ عَنْ مِثْلِ هٰذا الفِعْلِ، وَلَنْ أَكُونَ عَوْناً لِلمُجْرِمينَ آلكَافِرِينَ بِكَ، المُخَالِفينَ لأمْرِك، وَلَنْ أُظَاهِرَهُمْ عَلَى الإِثمِ وَالعُدْوَانِ.

ظَهيراً لِلمُجْرِمينَ ـ مُعِيناً لَهُمْ.

١٨ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ

(خائفاً)

(١٨) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى لَمَّا قَتَل القِبْطِيَّ أَصبَحَ خَائفاً مِنْ مَعرَّةِ مَا فَعَلَ، يَتلَفَّتُ وَيتوقَّعُ مَا يَكُونُ مِنْ هٰذا الأَمرِ (يَترقَّبُ)، وَصَارَ يَتحَسَّسُ الأخبارَ، وَيسْأَلُ عَمَّا يَتحدَّثُ بِهِ النَّاسُ فِي مَوْضُوعِ قَتلِ القِبْطِيِّ، فَمَرَّ فِي بَعضِ الطُّرُقِ، فإذا بالرَّجُلِ الإِسْرائيليِّ الذي آسْتَنْصَرَهُ بالأمسِ عَلَى ذَلِكَ القُبطيِّ، يُقَاتِلُ رَجُلاً قِبطياً آخرَ وَيُخاصِمُه، فلمَّا مَرَّ بِهِ مُوسَى آسْتَصْرَخَهُ الإِسْرائيليُّ طَالِباً عَوْنَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّكَ لَرجلٌ ظَاهِرُ الغِوَايةِ، كثيرُ الشَّرِّ.

يَترَقَّبُ ـ يَتوقَّعُ المَكْرُوهَ.

يَسْتَصرِخُهُ ـ يَسْتَغيثُ بِهِ مِنْ بُعْدٍ.

إنَّكَ لَغَوِيٌّ ـ ضَالٌ عَنِ الرُّشْدِ.

١٩ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي

(يَا مُوسَى)

(١٩) ـ ثُمَّ عَزَمَ مُوسَى عَلَى البَطْشِ بِذَلِكَ القِبْطِيِّ، فَظَنَّ الإسرائيليُّ لِجُبنِهِ، أَنَّ مُوسَى إِنَّما يُريدُ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ هُوَ، وَذَلِكَ بَعدَما سَمِعَهُ مِنهُ مِنَ التَّقريعِ، فَقَالَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ: يَا مُوسَى أَتريدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ ذَلكَ القِبْطِيَّ يومَ أَمسِ؟

ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ

فَلَمَّا سَمِعَ القِبْطِيُّ هذا القولَ ذَهَبَ بهِ إلى فِرعَونَ يَشْكُو مُوسَى، فَٱشْتَدَّ حَنَقُ فِرعَونَ عَلَى مُوسى، وأرسَلَ الذَّبَاحِينَ إليهِ لِيقتُلُوهُ.

يَبْطِش - يَأْخُذ بقُوَّةٍ وَعُنْفٍ.

(٢٠) وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ

(أَقْصَى) (يَا مُوسَى) (النَّاصِحِينَ)

(٢٠) - وَجاءَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَونَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ، يَعْرِفُ مُوسَى، وَقَدْ سَمِعَ مَا دَارَ مِنْ حديثٍ بينَ كُبَراءِ الدَّولَةِ (المَلأ)، فِي حضْرةِ فِرعَونَ، وأَنَّ فرعَونَ أرْسَلَ إلى مُوسَى مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ، فَخالَفَ الرَّجُلُ الطَّرِيقَ الذي ذَهَبَ فِيهِ رُسُلُ فِرعَونَ، وأَسْرَعَ مِنْ طريقٍ آخرَ أَقْرَبَ، فالتَقى بمُوسَى، فقالَ لهُ إنَّ فِرعَونَ وكُبَراءَ رِجَالِ دَوْلَتِهِ يَتحَدَّثُونَ عَنْ قَتلِكَ، جَزاءَ مَا قَتَلْتَ ذلِكَ القِبْطِيَّ، فَٱخْرُجْ مِنَ البَلَدِ، وٱنْجُ بِنَفْسِكَ فَأَنَا نَاصِحٌ لَكَ، مُخْلِصٌ في نَصِيحَتِي.

يَسْعَى - يُسرِعُ فِي المَشْيِ.

يَأْتَمِرُونَ بِكَ - يَتَشَاوَرُونَ فِي شأْنِكَ.

(٢١) فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

(خائفاً) (الظَّالِمِينَ)

(٢١) - فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ مَدِينَةِ فِرْعَونَ وَحْدَهُ، يَتَلَفَّتُ خَوفَ أَنْ يُدْرِكُوهُ، وَهُوَ لَمْ يَأْلَفْ مِثْلَ تِلْكَ المَشَاقِّ، فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجَماعَتِهِ (القومِ الظَّالِمِينَ)، فَلا مَلْجأَ لِلمُضْطَرِّ إلاَّ إليهِ تعَالَى.

(٢٢) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ

(٢٢) - ولَمَّا سَلَكَ الطَّرِيقَ المُوصِلَ إلى مَدْيَنَ (وهيَ بَلْدَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ العَقَبةِ) فَرِحَ بذَلِكَ، وَقَالَ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي إلى الطَّرِيقِ الأَقوَمِ، فَفَعلَ اللهُ ذَلِكَ وَهَدَاهُ.

تِلْقَاءَ مَدْيَنَ - نَحْوَ مَدْيَنَ، وَجِهتَهَا.

سَواءَ السَّبِيل - الطَّرِيقَ الوَسَطَ الذي فيهِ النَّجَاةُ.

(٢٣) وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ

(٢٣) - فَلَمَّا وَصَلَ مُوسَى إلى مَدْيَنَ وَرَدَ مَاءَهَا، وَكَانَ لَهَا بِئْرٌ يَرِدُهَا رُعَاةُ المَاشِيَةِ، فَوَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ أَنْعَامَهُمْ وَوَجَدَ ٱمْرأَتَينِ تُكَفْكِفَانِ غَنَمَهُمَا أَنْ تَرِدَ مَعَ أُولئِكَ الرِّعَاةِ (أَيْ تَذُودانِ غَنَمَهُمَا عَنِ الوُرُودِ) لئَلاّ يُؤْذِيَهُمَا أحدٌ، فَرَقَّ لَهُمَا قَلْبُ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ، وَسَأَلَهُمَا لِمَاذا لا تَرِدَانِ مَعَ النَّاسِ؟ فَقَالَتَا: إِنَّهُمَا لاَ تَسْتَطِيعَانِ مُزَاحَمَةَ الرُّعَاةِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمَا تَنْتَظِرانِ حَتَّى يَخِفَّ الزِّحَامُ عَلَى البِئْرِ، وَيَذْهَبَ الرُّعَاةُ بِمواشِيهِمْ (يُصْدِرَ الرِّعَاءُ)، وَحِينَئِذٍ تَسْتَطِيعَانِ سَقْيَ أَغْنامِهِمَا، وَهُمَا لَيْسَ

لَهُمَا قَرِيبٌ ذَكَرٌ يَسْتَطِيعُ القِيَامَ بِمهمَّةِ السَّقْيِ ،وأَبُوهُمَا شَيخٌ كَبيرٌ لا يَحْتَمِلُ مِثْلَ هذهِ المَشَقَّةِ، لِذلِكَ تقُومَانِ هُمَا بِهَا.

تَذُودَانِ ـ تَمْنَعَانِ أَغْنَامَهُمَا عَنْ وُرُودِ المَاءِ.

مَا خَطْبُكُمَا ـ مَا شَأْنُكُمَا وَمَا مَطْلُوبُكُمَا.

يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ـ يَنْصَرِفَ الرُّعَاةُ بِمَوَاشِيهِمْ عَنِ المَاءِ.

﴿٢٤﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

(٢٤) ـ فَتولَّى مُوسَى السَّقْيَ لَهُمَا، ثُمَّ جَلَسَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ هُنَاكَ يَسْتَرِيحُ، وَقَالَ: رَبِّ إِنِّي لَمُحْتَاجٌ إِلى شَيءٍ تُنْزِلُهُ إِلَيَّ مِنْ خَزَائِنِ جُودِكَ وكَرَمِكَ.

(وَقَالَ ٱبنُ عَبَّاسٍ : إنَّ مُوسَى ٱفْتَقَرَ إِلى شِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَصِقَ بَطْنُهُ بِظَهْرِهِ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ ، فَجَاءَهُ الفَرَجُ مِنَ اللهِ تَعَالى).

﴿٢٥﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

(إِحْدَاهُمَا) (الظَّالِمِينَ)

(٢٥) ـ وَلَمَّا رَجَعَتِ المَرأَتَانِ إِلى أَبِيهِمَا بِالغَنَمِ سَرِيعاً عَلَى غَيرِ عَادَتِهِما، سَأَلَهُما عَنْ خَبرِهِما، فَقَصَّتَا عَليهِ مَا فَعَلَهُ مُوسَى عَليه السَّلامُ، فَبَعَثَ إِحدَاهُما لِتَدْعُوَه إِليه. فَجَاءَتْهُ تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحياءٍ (أَيْ وَهِي مُسْتَحْيِيَةٌ مُتَسَتِّرَةٌ) فَقَالَتْ لَهُ مُتَأَدِّبَةً فِي حَدِيثِهَا، لِكَيلا يَظُنَّ فِيها السُّوءَ: إِنَّ أَبَاهَا يَدْعُوهُ لِيُكَافِئَهُ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ لابنَتَيهِ فِي سَقْيِ الغَنَمِ، فَسَارَ أَمَامَها، وَهِيَ تَسِيرُ خَلْفَهُ، حَتَّى أَتيا إِلى أَبيها.

وَلَمَّا قَصَّ عَليهِ مُوسَى قِصَّةَ هَرَبِهِ مِنْ فِرعَونَ، قَالَ الرَّجُلُ (وَقِيلَ إِنَّهُ شُعَيْبٌ عَليهِ السَّلامُ): لَا تَخَفْ فَقَدْ نَجَوتَ مِن فِرْعَونَ وَقَومِهِ الظَّالِمينَ، لأَنَّ فِرعَونَ لَا سُلْطَانَ لَهُ فِي هٰذِهِ الأَرضِ.

﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ

(إِحْدَاهُمَا) (يَا أَبَتِ) (اسْتَأْجِرْهُ) (اسْتَأْجَرْتَ)

(٢٦) ـ فَقَالَتْ إِحدَى ٱبنَتَيِ الرَّجُلِ لأَبِيهَا: يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ لِرَعيِ الغَنَمِ، فَهُوَ خَيرُ مَنْ يُسْتَأْجَرُ لِمِثْلِ هٰذِهِ المهمَّةِ فَهوَ قَوِيٌّ أَمِينٌ.

(وَقِيلَ إِنَّ أَبَاهَا سَأَلَها: وَكَيفَ عَرَفْتِ أَنَّهُ قَوِيٌّ أَمِينٌ؟ فَقَالَتْ أَمَّا إِنَّهُ قَوِيٌّ فَقَدْ رَفَعَ صَخْرَةً تُغَطِّي فُوَّهَةَ البِئْرِ وَحْدَهُ، وَهِيَ لا يُطِيقُ رَفْعَهَا عَشَرَةُ رِجَالٍ. وأَمَّا إِنَّهُ أَمِينٌ فَقَدْ طَلَبَ مِني أَنْ يَتَقَدَّمَني فإذا ٱختَلَفَتِ الطَّرِيقُ حَذَفْتُ لَهُ بِحَصَاةٍ يَعْلَمُ بِها كَيفَ الطَّرِيقُ وَذٰلِكَ لِكَيلا يَسِيرَ وَرَاءَهَا، وَيَنْظُرَ إِلى جِسْمِهَا).

(٢٧) قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(٢٨) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ

ثلاثة أرباع الحزب ٣٩

(٢٩) ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

(٣٠) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن

(هَاتَيْنِ) (ثَمَانِي) (الصَّالِحِينَ)

(٢٧) - فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُوسَى: إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُزَوِّجَهُ إِحْدَى ٱبنَتَيهِ عَلى أَنْ يَكُونَ مَهْرُهَا أَن يَعْمَلَ مُوسَى لَديهِ، فِي رَعْيِ الغَنَمِ، مُدَّةَ ثَمانِي سَنواتٍ، فَإِنْ تَبرَّعَ مُوسَى بالعَمَلِ سَنَتينِ أُخْرَيَيْنِ فَذَلِكَ إِحسَانٌ مِنْهُ، وإلاّ فَفِي الثَّماني كِفَايَةٌ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِنَّهُ لا يُريدُ أَنْ يَشُقَّ عليهِ بِفَرْضِ أَطْوَلِ الأَجلَينِ، وَلا أن يُؤذِيَهُ، وَلاَ أَنْ يُمارِيَهُ، وإِنَّهُ سَيَجِدُهُ مِنَ الصَّالِحِين الذينَ يَتَقيَّدُونَ بِشُروطِهِمْ وَعُهُودِهِمْ إِنْ شَاءَ اللهُ.

تَأْجُرنِي - تَكُونَ لِي أَجِيراً فِي رَعْيِ الأَغْنَامِ.

حِجَجٍ - سِنينَ.

(عُدْوَانَ)

(٢٨) - فَقَالَ مُوسَى لِصِهْرِهِ: الأَمرُ كَما قُلْتَ مِنْ أَنَّكَ اسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى ثَمانِي سِنِينَ، فَإِنْ أَتْمَمْتُ عَشْراً مِنَ العَمَلِ فَذَلِكَ تَطوُّعٌ مِني، وأَنا مَتى عَمِلْتُ أَقَلَّ الأَجلَينِ بَرِئَتْ ذِمَّتِي مِنَ العَهْدِ، وَحقَّقْتُ الشَّرْطَ، وَلاَ حَرَجَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ (فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ)، ثُمَّ تَوكَّلا عَلَى اللهِ، تَأْكِيداً للعَقْدِ.

(وَيَقُولُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ مُوسَى قَضَى عَشْرَ سِنِينَ عِنْدَ الرَّجُلِ لأَنَّ رَسُولَ اللهِ إِذا قَالَ فَعَلَ).

(آنَسَ) (آنَسْتُ) (آتِيكُم)

(٢٩) - فَلَمَّا أَوْفَى مُوسَى الأَجَلَ المُتَّفَقَ عَلَيهِ، سَارَ بِأَهْلِهِ مِنْ مَدْيَنَ بِٱتِّجاهِ مِصْرَ، لِزِيَارَةِ أَهلِهِ خِفْيَةً مِنْ فِرْعَوْنَ، فَسَلَكَ بِهِم فِي لَيلَةٍ مَطِيرَةٍ حَالِكَةِ الظَّلامِ، شَدِيدَةِ البَرْدِ، فَنزَلَ مَنْزِلاً، فَجعَلَ كُلَّما أَوْرَى زَنْدَهُ، لا يَظْهَرُ مِنْهُ شَرَرٌ، فَتعجَّبَ. فَبينَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ رَأَى نَاراً تُضِيءُ عَنْ بُعدٍ مِنْ جَانِبِ جَبَلِ الطُّورِ، فَقالَ لأَهلِهِ: ٱبقَوا حَيْثُ أَنْتُم (ٱمْكُثُوا)، حَتَّى أَذْهَبَ إِلى النَّارِ لَعَلِّي أَسْأَلُ مَنْ عَلَيها مِنَ النَّاسِ عَنِ الطَّرِيقِ، أَوْ آتِيكُمْ بِقَبَسٍ مِنَ النَّارِ (جَذْوَةٍ أَو قِطْعَةٍ) أُوقِدُ لَكُمْ بِهِ نَاراً تَسْتَدْفِئُونَ بِهَا.

آنَسَ - أَبْصَرَ بِوُضُوحٍ.

جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ - عُودٍ فيهِ نَارٌ، بِلا لَهَبٍ.

تَصْطَلُونَ - تَسْتَدْفِئُونَ بِهَا مِنَ البَرْدِ.

(أَتَاهَا) (شَاطِىءِ) (الْوَادِي) (الْمُبَارَكَةِ) (يَا مُوسَى) (الْعَالَمِينَ)

(٣٠) - فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى النَّارَ ٱلَّتِي أَبْصَرَهَا عَنْ بُعْدٍ نُودِيَ مِنْ جَانِبِ الوَادِي، (مِمَّا يَلِي الجَبَلَ عَنْ يَمِينِهِ، مِنْ نَاحِيَةِ الغَرْبِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ

يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ

أخرى) ـ فَلَمَّا اقترَبَ مُوسَى وَجدَ النَّارَ تَشْتَعِلُ في شَجرَةٍ خَضْراءَ في لِحْفِ جبلٍ، مِمَّا يَلِي الوَادِي، فَوَقَفَ مُوسَى بَاهِتاً مُتَحَيِّراً في أمرِها، فَنادَاهُ رَبُّهُ: إِنَّ الذِي يُكَلِّمُكَ هُوَ اللهُ رَبُّكَ وَرَبُّ العَالَمِينَ، الفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ.

(٣١) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ

(رآهَا) (يَا مُوسَى) (الآمِنِينَ)

(٣١) ـ ثُمَّ أمرَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى قَائِلاً: أَلْقِ عَصَاكَ التِي هِيَ فِي يَدِكَ اليُمْنَى، فَأَلْقَاهَا فإذا هِيَ تَهْتَزُّ بِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ كَأَنَّها جَانٌّ مِنَ الحَيَّاتِ، فَخَافَ مُوسَى وَوَلَّى مُدْبِراً، وَلَمْ يَلْتَفِتْ (وَلَمْ يُعَقِّبْ)، فَقَالَ لَهُ اللهُ تَعَالَى: ارجِعْ إلى المَكَانِ الذِي كُنْتَ تَقِفُ فِيه أولاً، وَلاَ تَخَفْ فَلَنْ يُصِيبَكَ أذىً مِنها فهيَ عَصَاكَ، أردْنا أنْ نُرِيَكَ فِيها آيَةً كُبرَى، لِتَكُونَ عَوْناً لَكَ حِينَما تَذهَبُ إلى فِرعَونَ، وَتَدعُوهُ إلى عِبادَةِ اللهِ.

فَرجَعَ مُوسَى وَوَقَفَ حَيْثُ كَانَ يَقِفُ.

تَهتَزُّ ـ تَتَحرَّكُ بِشِدَّةٍ واضْطِرابٍ.

كَأَنَّها جَانٌّ ـ حَيَّةٌ خَفِيفَةٌ في سُرْعَتِهَا وَحَرَكَتِها.

لَم يُعَقِّبْ ـ لَمْ يَرْجِعْ عَلَى عَقِبَيهِ أوْ لَمْ يَلْتَفِتْ.

(٣٢) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ

(فَذَانِكَ) (بُرْهَانَانِ) (مَلَئِهِ) (فَاسِقِينَ)

(٣٢) ـ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِمُوسَى: أَدْخِلْ يَدَكَ في فَتْحَةِ ثَوبِكَ عِنْدَ الصَّدرِ (جَيْبِكَ) فَإِنَّها سَتَخْرُجُ بَيْضَاءَ تَتَلألأُ مِنْ غَيرِ سُوءٍ وَلا مَرَضٍ، فَفَعَلَ فَخَرجَتْ بَيْضَاءَ، ثُمَّ عَادَ فَأَدْخَلَهَا، فَعادَتْ إلى خِلْقَتِهَا الأولى. ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالى بِأنْ يَضُمَّ إلِيهِ جَنَاحَهُ (عَضُدَهُ ـ أو يَدَهُ) إذا شَعَرَ بِخَوْفٍ فَيَزُولَ الخوفُ عَنْهُ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِمُوسَى إِنَّهُ جَعَلَ العَصَا حَيَّةً تَسْعَى، وَجَعَلَ يَدَهُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيرِ سُوءٍ إذا أَدْخَلَهَا فِي جَيبِهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ آيَةً وبُرهَاناً لَهُ مِنْ رَبِّه، عَلى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَلى صِحَّةِ نُبُوَّةِ مَنْ جرَتْ هَاتَانِ الخَارِقَتَانِ عَلى يَدَيهِ.

ثُمَّ أَمَرهُ اللهُ تَعَالى بِأَنْ يَتَوجَّهَ بِهاتَينِ الآيَتَيْنِ إلى فِرْعَوْنَ وَقَومِهِ لِيَدْعُوَهُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ تَعَالى، وإلى الإيمانِ بِهِ، لأَنَّهُمْ قَومٌ ظَالِمُونَ، فَاسِقُونَ، خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

(٣٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ

(٣٣) ـ فَقَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ: إِنَّهُ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَهُوَ يَخَافُ إِنْ ذَهَبَ إِليهِمْ أَنْ يَقْتُلُوهُ بِذَلِكَ الرَّجُلِ.

(٣٤) وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ

(هَارُونُ)

(٣٤) - وَكانَ في لِسَانِ مُوسَى لُثغَةٌ يَجِدُ مَعَها صُعُوبةً في التَّعبير، فَقالَ لِرَبِّهِ إنَّ أَخاهُ هارُونَ أَفْصَحُ مِنْهُ لِساناً، ورجا رَبَّهُ أَنْ يُرسِلَهُ مَعَهُ لِيتَولّى التَّعبيرَ عنهُ، نَظراً لفَصاحَتِهِ، ولِيُصَدِّقَهُ ويُؤَيِّدَهُ إذا كَذَّبهُ فِرعَونُ وَقَوْمُهُ.

رِدْءًا - عَوْناً ومُؤَيِّداً.

(٣٥) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ

(سُلْطَاناً) (بِآيَاتِنَا) (الْغَالِبُونَ)

(٣٥) - فَأَجابَهُ اللهُ تَعالى إنَّهُ سَيُقَوِّي أَمْرَهُ وَيُعِزُّ جانِبَهُ بِأَخِيهِ هارُونَ، فَيَجْعَلُه نَبِيّاً كَما سَأَلَ، وَسَيَجْعَلُ لَهُما قُوةً وحُجَّةً قَاهِرَةً (سُلْطَاناً) فَلا يَستَطيعُ فِرعَونُ وَمَلَؤُهُ الاعتِداءَ عَلَيهِمَا حِينما يُبَلِّغانِهِمْ آياتِ رَبِّهِمْ. وَطَمْأَنَهُ تَعالى إلى أَنَّهُ وأَخاهُ وَمَنْ آمَنَ لَهُمَا سَتَكُونُ الغَلَبَةُ لَهُمْ عَلَى فِرْعَونَ وَقَوْمِهِ.

سَنَشُدُّ عَضُدَكَ - سَنُقَوِّيكَ ونُعِينُكَ.

سُلْطَاناً - حُجَّةً أَوْ تَسَلُّطاً وَغَلَبَةً.

(٣٦) فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ

(بِآيَاتِنَا) (بَيِّنَاتٍ) (آبَائِنَا)

(٣٦) - فَلَمَّا جاءَ مُوسَى وَهارُونُ إلى فِرْعَونَ وَمَلَئِهِ، وَعَرَضَا عَلَيهِمْ ما آتاهُما اللهُ مِنَ المُعْجِزاتِ البَاهِرَاتِ، والدَّلالاتِ القَاهِراتِ على صِدْقِهِما، لَمْ يَجِدْ فِرْعَونُ وَمَنْ مَعَهُ مَا يَدْحَضُونَ بِهِ بَراهِينَ اللهِ وَحُجَجَهُ، فَعَدَلُوا إلى العِنادِ والمُباهَتَةِ اسْتِكْباراً مِنْهُم عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ، فَقالُوا: مَا هٰذا الذي جاءَ بِهِ هٰذا إلَّا سِحْرٌ مُفْتَعَلٌ وَمَصْنُوعٌ (مُفْتَرًى)؛ وَقَالُوا إنهُم لَمْ يَسْمَعُوا فيما تَناقَلُوهُ عَنْ آبائِهِمِ الأَوَّلِينَ أَنَّ أَحداً عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بهِ شَيْئاً.

مُفْتَرىً - يَنْسُبُهُ إلى اللهِ كَذِباً.

(٣٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ

(عَاقِبَةُ) (الظَّالِمُونَ)

(٣٧) - فَأَجابَهُمْ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ بقَولِهِ: إنَّ رَبي يَعْلَمُ أَنّي جِئْتُ بِالحَقِّ والهُدَى مِنْ عِنْدِهِ تَعالَى، فَهُوَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ العَاقِبةَ الحَمِيدَةَ سَتكُونُ لأَولِيَائِهِ وأَنْبِيائِهِ والمُؤمنينَ بِهِ، وأَنَّ الذينَ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ لا يُفْلِحُونَ أَبداً، وَلاَ يُدرِكُونَ طُلْبَتَهُمْ وَبُغْيَتَهُمْ.

(٣٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ

(يَا أَيُّها) (يَا هَامَانُ) (الْكَاذِبِينَ)

(٣٨) ـ كَانَ فِرعَوْنُ يَدَّعِي الأُلُوهِيَّةَ، وَقَدْ حَمَلَ قَومَهُ عَلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى وَهَارُونُ يَدْعُوانِهِ إلى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَيُحَذِّرانِهِ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ إنِ آستَمَرَّ في كُفْرِهِ وطُغيانِهِ، أخَذَ في المُكَابَرَةِ والمُعَانَدَةِ، وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ دَولتِهِ: إنَّهُ لاَ يَعرفُ لقومِهِ إلٰهاً غيرَهُ هُوَ. وَقَالَ لِمُوسَى فِي آيةٍ أُخْرى: ﴿لئِن آتَّخَذْتَ إلٰهاً غيري لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ﴾[1]. ثُمَّ أمرَ وَزِيرَهُ هَامَانَ بأنْ يُوقِدَ النَّارَ لِيَشْوِيَ الطِّينَ، وَيَجْعَلَ مِنْهُ آجُرّاً لإِشَادَةِ قَصْرٍ شَامِخٍ لَهُ (صَرْحاً)، يَصْعَدُ إليهِ فِرْعَونُ لِيَرى إلٰهَ مُوسَى. ثُمَّ قَالَ إنَّهُ يَعْتَقِدُ أنَّ موسَى مِنَ الكَاذِبينَ فِيما يدَّعِيهِ مِنْ أنَّ لهُ إلٰهاً فِي السَّمَاءِ يَنْصُرُهُ ويُؤَيِّدُهُ، وَهُوَ الذي أَرْسَلَهُ إليهِ. وَكَانَ فِرْعَونُ يَرْمِي مِنْ هٰذا القَوْلِ إلى تَخفِيفِ أَثَرِ الآيَاتِ التي جَاءَ بِهَا مُوسَى وَهَارُونُ، في نُفُوسِ رَعِيَّتِهِ.

صَرْحاً ـ قَصْراً أَوْ بِنَاءً عَالِياً مكشوفاً.

(٣٩) وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ

(٣٩) ـ وَطَغَى فِرْعَونُ وَمَلَؤُهُ وَجُنُودُهُ في أرْضِ مِصْرَ، وَتَجَبَّروا، وَأَكْثَروا فِيها الفَسَادَ، وآعتَقَدُوا أنَّهُ لا قِيَامَةَ وَلاَ حَشْرَ وَلاَ مَعَادَ، وَلاَ رَجْعَةَ إلى اللهِ، وَلا حِسَابَ لَهُمْ على عَمَلِهِم السَّيِىءِ، وآعتِقَادِهِم الفَاسِدِ.

(٤٠) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ

(فَأَخَذْنَاهُ) (فَنَبَذْنَاهُمْ) (عَاقِبَةُ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٠) ـ فَجمَعَ اللهُ تَعَالَى فِرْعَونَ وَجُنُودَهُ، وأَغْرَقَهُمْ في البَحْرِ في صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحداً. فَانظُرْ أَيُّها المُعْتَبِرُ بالآيَاتِ، كَيفَ كَانَ أَمرُ هٰؤلاءِ الذينَ كَفَرُوا بِربِّهِمْ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَهٰذِهِ هِيَ عَاقِبَةُ الكُفرِ والبَغْيِ والظُّلْمِ.

فَنبذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ ـ أَلقَيْنَاهُمْ وأَغْرَقْنَاهُمْ في البَحْرِ.

(٤١) وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ

(جَعَلْنَاهُمْ) (أَئِمَّةً) (الْقِيَامَةِ)

(٤١) ـ وَجَعَلَ اللهُ فِرْعَونَ وَقَوْمَهُ أَئِمَّةً، يَقْتَدِي بِهِمْ أهلُ العُتُوِّ والكُفرِ والضَّلاَلِ، فَهُمْ يَبْحَثُونَ عَنِ الشُّرُورِ والمَعَاصِي، التي تُلقِي بِصَاحِبِها في النَّارِ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى مَصِيرَ مَنْ يَتْبَعُهُمْ، ويَقْتَدِي بِهِمْ في الكُفرِ، وتَكْذِيبِ الرُّسُلِ مِثْلَ مَصيرِهِمْ في نَارِ جَهَنَّمَ، وَلاَ يَجِدُونَ أَحَداً يَنْصُرُهُمْ يومَ القِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيهِمْ خِزْيُ الدُّنيا، مُتَّصِلاً بِذُلِّ الآخِرَةِ.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٩.

﴿٤٢﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ

(٤٢) - وألْزَمَ اللهُ تَعالَى فِرْعَونَ وقَومَهُ في هٰذِهِ الدُّنيا خِزْياً وَطَرداً مِنْ رَحْمَتِهِ (لَعْنَةً)، ثُمَّ قَضَى عَلَيْهِمْ بِالبَوارِ والهَلاكِ، وسُوءِ الأُحْدُوثَةِ، وسَيُتْبِعُهُمْ لعنَةً أُخرى يومَ القِيامَةِ، ويُذِلُّهُم ويُخْزِيهِمْ خِزياً دائماً مُسْتمِرّاً لا فَكاكَ لَهُمْ مِنْهُ.

لَعْنَةً - طَرْداً أَوْ إبْعاداً مِنَ الرَّحْمَةِ.

مِنَ المَقْبُوحِينَ - المُبْعَدِينَ أَوِ المُشَوَّهِينَ في الخِلْقَةِ.

﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (بَصَائِرَ)

(٤٣) - وَلَقَدْ أَنزَلَ اللهُ تَعالَى التَّوراةَ عَلَى مُوسَى بعدَ أَنْ أَهْلَكَ المُكَذِّبِينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، لتكونَ نُوراً للقُلُوبِ المُظْلِمَةِ، بَعْدَ أَنْ دَرَسَتْ مَعالِمُ الشَّريعَةِ التي جاءَهُمْ بها الأنبياءُ السَّابِقُونَ، وَسَادَ الفَسَادُ في العَالَمِ، وَفَشَا الشَّرُّ بَيْنَ النَّاسِ، فَاحْتَاجَ النَّاسُ إلى تَشريعٍ جَدِيدٍ يُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ عَقَائِدِهِمْ، وأَفْعَالِهِمْ، بِتَقرِيرِ أُصُولٍ في ذٰلِكَ التَّشرِيعِ، تَبْقَى أَبَدَ الدَّهْرِ، وتَرتِيبِ فُروعٍ تَتَبَدَّلُ بِتَبَدُّلِ العُصُورِ، واخْتِلافِ أَحوالِ النَّاسِ. وَفي التَّوراةِ تَذكِيرٌ بأَحوالِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ عِبرةً لِلنَّاسِ، لَعَلَّهُمْ يَتَّعِظُونَ بِما نَزَلَ بِهٰؤُلاءِ، فَيُقْلِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ والتَّكذِيبِ.

القُرُونَ الأُولى - الأُمَمَ المَاضِيَةَ المُكَذِّبَةَ.

بَصائِرَ لِلنَّاسِ - أَنْواراً لِقُلُوبِهِمْ تُبْصِرُ بِهَا.

﴿٤٤﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ

(الشَّاهِدِينَ)

(٤٤) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعالَى النَّاسَ إلى البُرهَانِ عَلَى نُبُوَّةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إذْ أَخْبَرَ عَنْ أُمورٍ حَدَثَتْ في سَالِفِ الأَزْمَانِ لَمْ يَكُنِ العَرَبُ يَعْرِفُونَها، وقَصَّها الرَّسُولُ الكَرِيمُ بِتَفَاصِيلِهَا وَهُوَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لا يَقْرَأُ وَلا يَكْتُبُ؛ وأَشَارَ اللهُ تعالى إلى هٰذا الأَمرِ بَعدَ عَدَدٍ مِنَ القَصَصِ المُتَعَلِّقَةِ بالأَولِينَ مَعَ أَنبِيائِهِمْ، وَرَدَتْ في القُرآنِ: مِثْلِ قِصَّةِ نُوحٍ، ومَريَمَ، ويُوسُفَ. وهنا يَقُولُ تَعالى لِنَبِيِّهِ: إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لم تَكُنْ في الجَانِبِ الغَربِيِّ مِنَ الوَادِي حِينَمَا كَلَّمَ اللهُ تَعالى مُوسَى مِنَ الشَّجَرةِ عَلَى شَاطِىءِ الوَادِي، وَلَمْ تَكُنْ مُشَاهِداً لِشَيءٍ مِمَّا وَقَعَ، لٰكِنَّ اللهَ أَوْحَاهُ إليكَ، وأَخْبَرَكَ بِهِ لِيَكُونَ ذٰلِكَ حُجَّةً وبُرهَاناً على صِدْقِ نُبُوَّتِكَ.

قَضَيْنا - عَهِدْنَا.

﴿٤٥﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ

(تَتْلو) (آيَاتِنَا)

(٤٥) - وَلٰكِنَّ الله تَعالى خَلَقَ أجيالاً كَثيرةً طَالَ عَليها الزَّمَنُ فَنَسُوا ما أَخَذَهُ اللهُ عَلَيهم مِنَ العُهُودِ والمَواثِيقِ، وَدَرَسَتِ العُلُومُ، وتَشَوَّهَتِ الشَّرائِعُ فَوَجَبَ إرسَالُ مُحَمَّدٍ إلى النَّاسِ لِيُخرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، بِإذْنِ رَبِّهِمْ. وَقَدْ أَوْحَى اللهُ إليهِ بقَصَصِ الأنْبِياءِ، وبأخبَارِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ التي دَمَّرَها اللهُ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ دَلاَلَةً لَهُ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، فَهُوَ رَجُلٌ أُمِيٌّ لا يَقْرأُ وَلا يَكْتُبُ، وقَومُهُ أُمِّيُّونَ لا يَعرِفُونَ شَيئاً مِنْ هٰذِهِ القَصَصِ فَإخْبَارُهُ بِها عَلَى الشَّكلِ الذِي وَقَعَتْ فيهِ، دَليلٌ على أنَّه أُوحِيَ إليهِ بِها مِنَ اللهِ تَعالى.

ثُمَّ يَقُولُ اللهِ لِنَبيِّهِ ﷺ : إنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُقِيماً بَيْنَ أهلِ مَدْيَنَ (ثَاوِياً) يَتَتَبَّعُ أَخْبَارَهُمْ، وَيَتعرَّفُ مِنْهُم عَلَى أخْبَارِ شُعَيبٍ عليهِ السَّلامُ، وقَومِهِ، لِيَرويَها بالشَّكْلِ الصَّحِيحِ الذِي وَقَعَتْ عَلَيهِ.

ثَاوِياً - مُقِيماً.

﴿٤٦﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ

(أَتاهُمْ)

(٤٦) - وَلَم تَكُنْ أَنتَ يا مُحَمَّدُ بِجانِبِ الطُّورِ لَيلَةَ المُنَاجَاةِ، إذْ نَادَينا مُوسى، وَلَم تَشْهَد شَيئاً مِمَّا حَدَثَ لتَستَطِيعَ رِوَايَتَهُ للنَّاسِ رِوايَةَ الخَبِيرِ العَالِمِ، ولٰكِنَّ اللهَ أَوْحَاهُ إليكَ، وأَخبرَكَ بِهِ رَحمَةً مِنْهُ بِكَ وبِالعِبَادِ، إذ أَرسَلَكَ إلى قَومٍ - هُمُ العَرَبُ - لَمْ يَسْبِقْ أَنْ أَتاهُمْ قَبلَكَ نَذِيرٌ، لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ).

﴿٤٧﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(آيَاتِكَ)

(٤٧) - وَلَم نَشَأْ أنْ نُنْزِلَ عَذاباً بِقَومِكَ هٰؤلاءِ، قَبلَ أنْ نُرسِلَ إليهِمْ رَسُولاً يَدْعُوهُم إلى اللهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ شَرْعَ اللهِ وَأوامِرِهِ، لِكَيلا يَحتَجُّوا بأنَّهُم لم يَأْتِهِمْ رَسُولٌ ولاَ مُنْذِرٌ. وَلكَيلا يَقُولُوا رَبَّنا لَوْ أَرْسَلْتَ إلينَا رَسُولاً يُبَيِّنُ لنا لاتَّبَعْنَاهُ، ولآمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَا رَسُولَكَ.

﴿٤٨﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ

(تَظاهَرَا) (كَافِرُونَ)

(٤٨) - فَلَمَّا أرسَلَ اللهُ تَعَالى إليهم مُحَمَّداً ﷺ رَسُولاً، قَالَ هٰؤلاءِ الكُفَّارُ عَلى وجهِ التَّعنُّتِ، والعِنَادِ، والكُفرِ، والإلحَادِ: هَلاَّ جَاءَ بِمُعْجِزَةٍ مِثلَمَا جَاءَ عَلى يَدي مُوسَى (كَالعَصَا واليَدِ...)، وقَدْ جَاءَ مُوسى بِكُلِّ هذِهِ الآياتِ العَظِيمَةِ إلى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ، فَلَم يُؤْمِنُوا، وكَفَروا وَآسْتَكْبَرُوا كَمَا كَفَرَ كَثِيرٌ مِنَ البَشَرِ بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ تِلْكَ الآياتِ، وَقَالُوا لِمُوسَى

وهارُونَ: إنَّهُما ساحِرانِ تعاونا وتناصرا، وصدَّقَ كُلٌّ مِنْهُما الآخَرَ، وأعلَنوا كُفرَهُمْ بِما جاءَهُمْ بِهِ مُوسَى وَهارُونُ.

(وقيلَ بَلِ المَقْصُودُ بِقولِهِمْ سِحْرانِ تَظاهَرا وَتَعاوَنا التَّوراةُ والقُرآنُ، وقيلَ بَلْ مُوسَى وَمُحَمَّدٌ).

٤٩ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

(بِكِتابٍ) (صادِقِينَ)

(٤٩) - كَثيراً ما يَقْرِنُ اللهُ تَعالى ذِكْرَ التَّوراةِ بِذِكْرِ القُرآنِ، وهُنا يَقُولُ مُخاطِباً نَبِيَّهُ ﷺ، قُلْ يا مُحَمَّدُ لِهٰؤلاءِ المُكَذِّبينَ: آئْتُونا بِكِتابٍ مُنَزَّلٍ مِنْ عِندِ اللهِ يَكُونُ أَكْثَرَ هِدايَةً مِنَ التَّوراةِ والقُرآنِ، لأتْرُكَهُما وأتَّبِعَهُ، هٰذا إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فيما تَقُولُونَ مِنْ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ خَيْراً مِنْهُما، وأكْثَرَ وضُوحاً وتَفْصِيلاً.

٥٠ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

(هَواهُ) (الظّالِمِينَ)

(٥٠) - فَإنْ لَمْ يَفْعَلُوا ما طَلَبْتَهُ مِنْهُمْ مِنَ الإتيانِ بِكِتابٍ أَهْدَى مِنَ التَّوراةِ والقُرآنِ، ولَمْ يَتَّبِعُوا الحَقَّ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ إنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ ويَتَكَلَّمُونَ بِغَيْرِ حُجَّةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ كِتابِ اللهِ، واللهُ تَعالى لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ، وَلا يُوَفِّقُهُمْ إلى اتِّباعِ سَبِيلِ الحَقِّ والرَّشادِ.

٥١ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

الحزب ٤٠

(٥١) - وَلَقَدْ فَصَّلَ اللهُ تَعالى لَهُمُ الآياتِ، وأنزلَ إلَيهِمِ القُرآنَ مُتَواصِلاً بَعْضَهُ إثْرَ بَعْضٍ، حَسْبَما تَقْتَضِيهِ الحاجَةُ (وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ) وأَخْبَرَهُمْ بِما صَنَعَ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ المُكَذِّبينَ، وبِما سَيَصْنَعُهُ بِهِمْ إنِ اسْتَمَرُّوا عَلى كُفْرِهِمْ وَتَعَنُّتِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَيرتَدِعُوا، وَيَعُودُوا إلى الحَقِّ.

وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ - أنزَلْنا عَلَيهِمِ القُرآنَ مُتَواصِلاً مُتَتابِعاً.

٥٢ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ

(آتَيْناهُمُ) (الْكِتابَ)

(٥٢) - والـذِينَ آمَنُوا بِالتَّوراةِ والإنْجِيلِ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ ثُمَّ أَدرَكُوا مُحَمَّداً، يُؤْمِنُونَ بالقُرآنِ لأنَّهُم يَجِدُونَ في كُتُبِهِم البُشْرى بِهِ، وانطِباقَ الأَوصافِ عليهِ، وإذا تُلِيَ عَلَيهِمْ هٰذا القُرآنُ قَالُوا: صَدَّقْنا بِأَنَّهُ أُنزِلَ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا حَقّاً وَصِدْقاً.

(وَقالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ في سَبعِينَ مِنَ القِسِّيسِينَ بَعَثَهُمُ النَّجاشِيُّ فَلَما قَدِمُوا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، قَرأَ عَلَيهِمْ سُورَةَ (يس) فَبَكَوْا وأَسْلَمُوا).

﴿٥٣﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ

(آمَنَّا)

(٥٣) - وإذا تُلِي عَلَيهِم القُرآنُ قَالُوا: آمَنَّا بأَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنا وَقَدْ أَسْلَمْنا إلى رَبِّنا، وَكُنَّا مُوَحِّدِينَ مُخْلِصِينَ للهِ، مُسْتَجِيبِينَ لَهُ، قَبلَ أَنْ نَسْمَعَ هٰذا القُرآنَ، لأَنَّنا وَجَدْنا في كُتُبِنا نَعتَ مَحَمَّدٍ، وَنَعْتَ كِتَابِهِ، لِذَلِكَ آمنَّا بِهِ قَبلَ نُزُولِهِ.

﴿٥٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

(أُولَئِكَ) (رَزَقْنَاهُمْ) (يَدْرَؤُونَ)

(٥٤) - وَالذينَ آمنُوا بالكِتَابِ الأَوَّلِ، ثُمَّ آمنُوا بالقُرآنِ، سَيُؤْتِيهِم اللهُ أجْرَهُمْ مَرَّتَينِ، جَزاءً لهُم عَلَى صَبْرِهِمْ عَلى اتِّبَاعِ الحَقِّ، وَعَلَى الإِيمَانِ بِكِتَابِهِمْ أَوَّلاً، ثُمَّ عَلى إيمَانِهِمْ بِالقُرآنِ، لأنَّ اتِّبَاعَ الحَقِّ فيهِ مَشَقَّةٌ على النُّفوسِ. وَيَتَّصِفُ هٰؤلاءِ الذينَ آمنُوا بِكِتَابِهِمْ، ثُمَّ آمنُوا بالقُرآنِ بأَنَّهمْ لا يُقَابِلُونَ السَّيِّئَةَ بِمِثْلِها، وإنَّما يَعفُونَ وَيَصْفَحُونَ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ مِنَ الرِّزْقِ الحَلالِ، عَلَى خَلْقِ اللهِ، وعَلَى ذَوِي قُرْبَاهُم وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ.

يَدْرَؤُونَ - يَدْفَعُونَ.

﴿٥٥﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ

(أَعْمَالُنَا) (أَعْمَالُكُمْ) (سَلَامٌ) (الْجَاهِلِينَ)

(٥٥) وَهُمْ لاَ يُخَالِطُونَ أَهلَ اللَّغْوِ واللَّهوِ، والخَوْضِ فِيما لاَ يَنْفَعُ في دِينٍ ولا دُنْيَا، ولا يُعَاشِرُونَهُمْ بَلْ يُعرِضُونَ عَنهُم، وَيَتَجَنَّبُونَ مُجَالَسَتَهُمْ، وإذا سَفِهَ عَلَيهِمْ أَحَدٌ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا لاَ يَلِيقُ، أَعْرَضُوا عَنْهُ، ولَمْ يُقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ مِنَ الكَلاَمِ القَبيحِ، وَلاَ يَصدُرُ عَنْهُمْ إلا كَلامٌ طَيِّبٌ. وَيَقُولُونَ لِمَنْ سَفِهَ عَلَيهِمْ: سَلاَمٌ عَلَيكُم سَلاَم مُتَارَكَةٍ وَتَوْدِيعٍ، إِنَّنَا لاَ نُرِيدُ اتِّبَاعَ طَرِيقِ الجَاهِلِينَ السُّفَهَاءِ، وَلاَ نُحِبُّهَا.

(وهٰذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ في وَفْدٍ مِنْ نَصَارَى الحَبَشَةِ الذِين أَسْلَمُوا فَاعتَرَضَهُم كُفَّارُ قُرَيشٍ، وَشَتَمُوهُم واتَّهَمُوهُمْ بِالحُمْقِ، فَرَدُّوا عَلَيهِمْ قَائِلِينَ: سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نُجَاهِلُكُمْ، لَنا مَا نَحْنُ عَلَيهِ، وَلَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيهِ).

(وَقِيلَ أيضاً إنَّها نَزَلَتْ فِي وَفْدٍ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ في اليَمَنِ).

﴿٥٦﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ

(٥٦) - يَقُولُ اللهُ تَعالى لِرَسُولِهِ ﷺ: إنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ هِدَايَةَ مَنْ أَحْبَبْتَ أنتَ هِدَايَتَهُ، وَلَيسَ ذَلكَ إليك، وَإِنَّما أَنْتَ رَسُولٌ عَلَيكَ البَلاغُ، واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، واللهُ أَعْلَمُ بِمَنِ اهتَدَى، وَبِمَنْ ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ.

(وقيلَ إنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ في أَبي طَالِبٍ، فَحِينَما حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ أَتَاهُ الرَّسُولُ وَقَالَ لَهُ: يَا عَمَّاهُ قُلْ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِها عِنْدَ اللهِ يومَ القِيامَةِ، فَقَالَ لَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيشٌ: يَقُولُونَ مَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ إلا جَزَعُهُ مِنَ المَوتِ، لأَقْرَرْتُ بِها عَيْنَكَ).

(٥٧) وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ

(آمِناً) (ثَمرَاتُ)

(٥٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا اعتذَرَ بِهِ بَعْضُ المُشْرِكِينَ إلى النَّبيِّ ﷺ عَنْ سَببِ عَدَمِ إيمانِهِمْ بِرِسَالَتِهِ، وَكَانَ مِنْ هٰؤلاءِ المُعتَذِرِينَ الحَارِثُ بْنُ عُثْمانَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِمُنَافٍ فَقَدْ جاءَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَقَالَ لَهُ: نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى الحقِّ، ولٰكِنَّنا نَخافُ إِنِ اتَّبَعْنَاكَ، وَخَالَفْنا العَرَبَ، أنْ يُخرِجُونا مِنْ أرضِنا، ويَغْلِبُونا عَلَى سُلْطَانِنا ونَحْنُ قِلَّةٌ. وَيَرُدُّ اللهُ تعالى عَلَى هٰؤلاءِ بقولِهِ: إنّ الذِي اعْتَذَرُوا بِهِ بَاطِلٌ، لأنَّ اللهَ جَعَلَهُمْ فِي بَلَدٍ آمِنٍ، وَحَرمٍ مُعَظَّمٍ آمِنٍ مُنْذُ وُضِعَ. فَكَيفَ يَكُونُ هٰذا الحَرَمُ آمِناً لَهُمْ وَهُمْ كُفَّارٌ، مُشْرِكُونَ، وَلَا يَكُونُ آمناً لهُمْ إذا أَسْلَمُوا واتَّبَعُوا الحَقَّ؟ ثُمَّ يَقُولُ تَعَالى: إنَّهُ يَسَّرَ وُصُولَ الثَّمَرَاتِ والأَمتِعَةِ والأَرْزَاقِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ إلى أهلِ الحَرَمِ، وهٰذا كُلُّهُ بِفَضْلِ اللهِ، وَمِنْ عِنَايَتِهِ، ولٰكِنَّ أكثَرَ هٰؤلاءِ جَهلَةٌ لاَ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِ خَيرُهُم وَسَعَادَتُهُمْ، وَلِذَلِكَ قَالُوا مَا قَالُوا.

نُتَخطَّفُ - نُنْتَزَعُ بِسُرْعَةٍ.

يُجْبى إليهِ - يُجْلَبُ إليهِ وَيُحْمَلُ إليهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.

(٥٨) وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ

(مَسَاكِنُهُمْ) (الْوَارِثِينَ)

(٥٨) - يُعَرِّضُ اللهُ تَعَالى بأهلِ مَكَّةَ، وَيُنَبِّهُهُمْ إلى أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ أَهلَكَ كَثيراً مِنَ المُدُنِ والقُرى،التي طَغَتْ وأَشِرَتْ وكَفَرَت بِنِعْمَةِ اللهِ،فِيما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيها، فَدَمَّرَهَا تدميراً، وَلَم يَتْرُكْ أَحَداً مِنْ أهلِها حياً، وَلَم يَعُدْ يُرى فِيها إلاّ المَسَاكِنُ الخَرابُ المَهْجُورَةُ، لَمْ يَسْكُنها أَحدٌ بَعدَهُمْ، إلاَّ عَابِرُو السَّبِيلِ لفَترَاتٍ قَصِيرةٍ، وَهُمْ مَارُّونَ مُجْتَازُونَ بِها، وآلَتْ وِرَاثَتُها إلى اللهِ، لأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أهلِهَا أَحَدٌ يُمكِنُ أَنْ يَدَّعِيَ وِرَاثَتَها.

كَمْ أَهْلَكْنا - كَثيراً مَا أَهْلَكْنا.

بَطِرَتْ مَعِيشَتَها - طَغَتْ وَتَمَرَّدَتْ فِي أَيَّامِ حَيَاتِها.

(٥٩) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ

(يَتْلُو) (آيَاتِنَا) (ظَالِمُونَ)

(٥٩) - وَيُخبِرُ اللهُ تَعَالى عَنْ عَدْلِهِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ لاَ يُهْلِكُ أَحداً وَهُوَ ظَالِمٌ لَهُ، وَإِنَّما يُهلِكُهُ بعدَ أَنْ تَقُومَ عَليهِ الحُجَّةُ. وإِنَّهُ لاَ يُهلِكُ القُرى حَوْلَ مَكَّةَ بِكُفْرِهِم وَظُلْمِهِم إلاّ بَعْدَ أَن يَبْعَثَ فِي أُمِّ القُرَى (مَكَّةَ) رَسُولاً يدْعُوهُم إلى اللهِ، وَيُبَيِّنُ لهُم سَبيلَ الهِدايَةِ والرَّشادِ، ويَتلُو عَلَيهِمْ آياتِ اللهِ، وإنَّهُ لا يُهلِكُ هذهِ القُرى إلاّ وَأَهْلُها ظَالِمُونَ، قَدْ كَذَّبُوا النَّبِيَّ، وَرَفَضُوا اتِّبَاعَهُ، وقَبُولَ دَعْوَتِهِ.

﴿٦٠﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ

﴿٦١﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ

﴿٦٢﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ

﴿٦٣﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ

(وَفُهِمَ مِنْ هٰذِهِ الآيَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بُعِثَ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَيسَ لأهلِ مَكَّةَ خَاصَّةً).

(فَمَتَاعُ) (الْحَيَاةِ)

(٦٠) - كُلُّ مَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا مِنْ زِينَةٍ زَائِفَةٍ، وَزَهرةٍ فَانِيَةٍ، وأَموَالٍ وأَوْلاَدٍ هُوَ مَتَاعٌ مَحْدُودٌ مُؤَقَّتٌ تافِهٌ بالنِّسْبَةِ إلى مَا أَعَدَّهُ اللهُ في الحَيَاةِ الآخِرَةِ مِنْ نَعيمٍ مُقيمٍ دائِمٍ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنينَ المُخلِصِينَ، فَلا تَصْرِفَنَّكُمْ، أَيُّها العِبَادُ، العُرُوضُ الفَانِيَةُ في الحَيَاةِ الدُّنيا، عَنِ النَّعيمِ الخَالِدِ في الحَيَاةِ الآخِرَةِ، وَحَكِّمُوا عُقُولَكُمْ في أُمُورِكُم بَدَلَ أَهْوائِكُم تَفُوزُوا.

(وفي الحَدِيثِ: مَا الحَيَاةُ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إلاَّ كَمَا يَغْمِسُ أَحدُكُمْ إِصْبَعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُ). (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

(وَعَدْنَاهُ) (لاَقِيهِ) (مَتَّعْنَاهُ) (مَتَاعَ) (الْحَيَاةِ) (الْقِيَامَةِ)

(٦١) - لاَ يَسْتَوِي مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ، مُصَدِّقٌ بِمَا وَعَدَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ، مِنْ عَظِيمِ الأجرِ والثَّوابِ، عَلَى الإِيمَانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاستَحَقَّ وَعْدَ اللهِ الحَسَنَ بالجَنَّةِ، وَحُسْنَ الثَّوابِ، مَعَ مَنْ كَفَرَ وَكَذَّبَ بِلِقَاءِ اللهِ، وَوَعْدِهِ وَ وَعِيدِهِ، وجَنَّتِهِ وَنَارِهِ، فَهُوَ يَتَمَتَّعُ بِالحَيَاةِ الدُّنيا وَزُخْرُفِهَا أَيَّاماً قَلِيلَةً ثُمَّ يَكُونُ يومَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ لِلْحِسَابِ، المُلاقِينَ لِلْعِقَابِ.

(شُرَكَائِيَ)

(٦٢) - وَاذْكُرْ أَيُّها الرَّسُولُ حِينَ يُوَبِّخُ اللهُ تَعالى المُشْرِكِينَ المُضِلِّينَ يومَ القِيَامَةِ، فَيَسْأَلُهُم قَائِلاً: أَيْنَ الآلِهَةُ التِي كُنْتُمْ تَعبُدُونَها فِي الدَّارِ الدُّنيا مِنَ الأَصْنَامِ والأَنْدادِ والجِنِّ. . هَلْ يَدْفَعُونَ عَنْكُمُ اليَومَ، أَوْ يَشْفَعُونَ فِيكُمْ؟

(أَغْوَيْنَاهُم)

(٦٣) - ويَقُولُ رُؤَسَاءُ الضَّلاَلَةِ، والدُّعَاةُ إلى الكُفرِ، الذِينَ حَقَّ عَلَيهِمْ غَضَبُ اللهِ: رَبَّنا إِنَّ هٰؤُلاءِ الأَتبَاعَ الذِينَ أَضْلَلْنَاهُمْ كَمَا ضَلَلْنَا، هُمُ الذِينَ غَوَوْا بِطَوْعِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَّا لَهُمْ إلاَّ الوَسْوَسَةُ والتَّسْوِيلُ، ولَمْ نُكرِهْهُمْ على فِعلِ شيءٍ لا يُرِيدُونَه، فَهُم كَانُوا مُخْتَارِينَ حِينَمَا تَقَبَّلُوا تلكَ العَقَائِدَ، وأقدَمُوا على هٰذِهِ الأَعمالِ. وإِنَّنا نَبرأُ إليكَ مِنْهُمُ اليَومَ، ومِمَّا اختارُوهُ فِي الدُّنيا مِنَ الكُفرِ، وهُمْ لَمْ يَعْبُدونَا نَحنُ، بَلْ عَبَدُوا أَهواءَهُمْ، وأَطَاعُوا شَهَوَاتِهِمْ.

أَغْوَيْنَا - دَعَوناهُمْ إلى الغَيِّ فَاتَّبَعُونَا.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ (٦٤)

(٦٤) - وَيُقَالُ في ذٰلكَ اليَوم - يوم القِيَامةِ - لِهٰؤلاءِ المُشـركِينَ الذِينَ كَفَرُوا باللهِ في الدُّنيا، وَعَبدُوا مَعَهُ غَيْـرَه: آدْعُوا آلِهَتَكُمْ الـذِين زَعَمْتُم أَنَّهم كَانُوا شُرَكَاءَ للهِ، لِيُخَلِّصُوكم مِمّا أَنْتُمْ فيهِ، كَمَا كُنتُم تَرْجُونَ مِنْهُمْ ذٰلِكَ في الدَّارِ الدُّنيا. فدَعْوْهُم فَلَم يَرُدُّوا عَلَيهم لِعَجْزِهِمْ عَنِ الإِجابَةِ، وأيقنَ الدَّاعُونَ والمَدعُوُّونَ أَنَّهم صَائِرُونَ إلى النَّار لا مَحَالةَ، فَتَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُم كَانُوا مِنَ المُهتَدِينَ في الدَّارِ الـدُّنيا، لِكيـلا يَصِيرُوا إلى العَـذَابِ الأليم.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦٥)

(٦٥) - ثُمَّ يُنَادي اللهُ تَعَالى المُشركِينَ وَيَسْأَلُهم عَمَّا أَجَابُوا بِهِ عَلى دَعْوَةِ المُرسَلِينَ إِليهِمْ، وكَيفَ كَانَ حَالُهُم مَعَهُم حِينَما أبلَغُوهُم دَعْوَةَ رَبِّهِمْ؟

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٦٦)

(يَوْمَئِذٍ)

(٦٦) - فَلاَ يَجدُونَ مَا يرُدُّون بهِ عَلَى السُّؤالِ فيسكُتُونَ. وَتَخْفَى عَليهِم الحُجَجُ وكُلُّ طُرُقِ العِلْمِ التِي كَانَتْ تُجدِيهِمْ نَفْعاً في الحَيَاة الدُّنيا، فَلا يَسْأَلُ بَعْضُهُم بَعْضاً، لِتَساوِيهم جَمِيعاً في عَمَى الأنباء عَليهِمْ، والعَجزِ عنِ الجوَابِ.

فَعَمِيتْ عَليهِمُ الأَنْبَاءُ - خَفِيَتْ وآشْتَبَهَتْ عَلَيهِم الحُجَجُ.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (٦٧)

(آمَنَ) (صَالِحاً)

(٦٧) - وأما الذي تَابَ، مِنَ المُشرِكينَ، عَمَّا اقترَفَهُ مِنَ الشِّرْك والذُّنوبِ والمآثِمِ والمَحَارِمِ، وآمَنَ بِرَبِّهِ إيماناً مُخْلِصاً، وصدَّقَ رَسُولَهُ، وعَمِلَ في الدُّنيا عَمَلاً صالحاً، فإنَّهُ يَرجُو أَنْ يكُونَ في الآخِـرَةِ مِنَ المُفْلِحينَ الفَائِزينَ بِرِضوانِ اللهِ.

(وَعَسَى مِنَ اللهِ تَعَالى مُوجِبَـةٌ أَيْ إنَّ ذٰلكَ وَاقِـعٌ بِفَضْلِ اللهِ وَمِنَّتِـهِ لاَ مَحَالَةَ).

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨)

(سُبْحَانَ) (وَتعَالَى)

(٦٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالى أنه المُتَفرِّدُ بالخَلْقِ والاختيارِ، وأَنَّهُ لاَ يُنَازِعُهُ في ذٰلِكَ مُنَازِعٌ، ولا مُعقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يشأْ لَمْ يكُنْ فالأمورُ كُلُّها، خيرُهَا وشرُّها، بيدِهِ فيَختَارُ قوماً لأداءِ رِسَالتِـهِ، وهِدايـةِ خَلقِـهِ، ويُمَيِّزُ بعضَ الخَلْقِ على بَعْضٍ، ويُفضِّلُه بمَـا شـاء، وليسَ للخَلْقِ أن يَخْتَاروا عَلى اللهِ شيئاً، ولهُ الخِيرَةُ عَليهم، وليسَ للخَلْقِ إلا آتِّبَـاعُ ما آصْـطَفَاهُ اللهُ، فَتَنـزَّهَ اللهُ تعالى عَن شِـرْكِهِمْ، وَتَبـارَكَ آسمُـهُ وتَقدَّس.

الخِيَرَةُ - الاختِيَارُ.

﴿٦٩﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ

(٦٩) - واللهُ رَبُّكَ يا مُحمَّدُ هُوَ الذي يَعْلَمُ ما تُكِنُّهُ الضَّمائِرُ، وَمَا تَنْطوي عليهِ السَّرائِرُ، كَمَا يَعْلَمُ ما تُبديهِ الظَّواهِرُ، واختِيارُهُ تَعالى لِمَنِ اختارَهُمْ للإيمانِ مَبنِيٌّ عَلَى عِلْمٍ منهُ بسَرائِرِ أُمورِهِم وبَواديها، فَيَختارُ للخَيْرِ أهلَهُ وَيُوَفِّقُهُمْ لهُ، وَيُولِّي الشَّرَّ أهلَهُ، وَيُخَلِّيهِمْ وإيَّاهُ.

(وَقَدْ يكُونُ المَعْنى: وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ عَليمٌ بمَا تُخفِيهِ صُدُورُ المُشرِكينَ مِنْ عَداوَةٍ لَكَ، وَمَا يُعْلِنُونَهُ بألسِنَتِهِمْ مِنَ الاعتِراضِ علَى آختيارِكَ للرِّسَالةِ).

مَا تُكِنُّ صُدُورُهُم - مَا تُضْمِرُهُ مِنَ الباطِلِ والعَدَاوَةِ.

﴿٧٠﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ

(الآخِرَةِ)

(٧٠) - وَرَبُّكَ أيُّها الرَّسُولُ هُوَ اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ، وهُوَ المُتَفَرِّدُ بالأُلُوهِيَّةِ، فَلاَ مَعبودَ سِواهُ، ولا رَبَّ غَيرُهُ، لَهُ الحَمْدُ فِي جَميعِ ما يفعَلُهُ (في الأولى والآخِرَةِ)، فَهُوَ العَادِلُ، ولهُ الحُكْمُ، ولا مُعَقِّبَ لَهُ، لِقَهرِهِ، وغَلَبَتِهِ، وحِكمَتِهِ، ورَحْمَتِهِ، وإليه يَرجِعُ الخَلْقُ جميعاً يَوْمَ القِيامَةِ، فيَجْزِي كُلَّ عامِلٍ بِعَمَلِهِ، مِنْ خيرٍ أَوْ شَرٍّ، وَلاَ يَخْفَى عليهِ مِنْهُمْ خافِيَةٌ.

﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ

(أَرَأَيْتُمْ) (اللَّيْلَ) (القِيامَةِ)

(٧١) - يَمْتَنُّ اللهُ تعالى عَلَى خَلْقِهِ بِمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ اللَّيلِ والنَّهارِ، لِيَكْسِبوا مَعايِشَهُم في النَّهارِ، وليَسْكُنُوا في اللَّيلِ، ويَرتاحُوا. ولَوْ أَنَّهُ تَعالى جَعَلَ اللَّيلَ دَائِماً عَلَيهِمْ مُتَتابِعاً (سَرْمَداً) إلى يَومِ القِيامَةِ، لأضَرَّ ذَلِكَ بِهِمْ، ولَسَئِمَتْهُ النُّفُوسُ، وَلاَ يَستَطيعُ أَحَدٌ مِنَ الأنْدادِ والأَصْنامِ، الذين يَدْعُوهم المُشرِكُونَ، أنْ يأتِيَهُم بضياءٍ يُبصِرُونَ فيهِ، وَيَستأنِسُونَ بمَا يَرَوْنَهُ، أفلا يَسمَعُونَ هٰذا الذي يُقالُ لَهُمْ وَيَتَدَبَّرُونَهُ؟

أرأيْتُم - أخْبِرُوني.

سَرْمَداً - دائِماً مُطَّرِداً.

﴿٧٢﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ

(أَرأَيْتُم) (القِيامَةِ)

(٧٢) - وإذا أرادَ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّهارَ عَلَى النَّاسِ دائماً سَرْمَداً إلى يومِ القِيامَةِ، لأضَرَّ ذٰلكَ بِهِمْ، ولَتَعِبَتِ الأبدانُ وَكَلَّتْ مِنْ كَثْرَةِ الحَرَكَةِ والأَشْغالِ، ولا يَستَطيعُ أحدٌ مِنْ هٰؤلاءِ الأنْدادِ والأَصْنامِ أنْ يأتيَ بليلٍ يَرْتاحُ فيهِ النَّاسُ ويَسكُنُونَ. أفلا يُبصِرُ هٰؤلاءِ بأعيُنِهِمْ تَدبيرَ اللهِ وخَلْقَهُ؟

(٧٣) وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(اللَّيْلَ)

(٧٣) - ومِنْ رَحْمَتِه بِكُم أَنَّهُ خلَق اللَّيلَ مُظْلماً لِتسكُنُوا فيهِ، وترتَاحُوا وَخلَقَ النَّهارَ مُضِيئاً، لتعمَلُوا فيهِ، ولتكسبُوا مَعايِشَكُم بالعَمَلِ والأَسْفَارِ (لتبتغُوا مِنْ فضْلِهِ)، وهُوَ تَعالَى يُذَكِّرُكُمْ بِنعمَتِهِ وآلائِهِ عليكُم لَعَلَّكُمْ تقُومُونَ بِشُكْرِهِ عَليها بأداءِ العِبَادَاتِ لهُ في اللّيْلِ والنَّهارِ، وتُخْلِصُونَ الحَمدَ لَهُ.

(٧٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ

(شُرَكَائِي)

(٧٤) - وَيومَ القِيامَةِ يُنادِي الرَّبُّ تَعالى المُشركينَ عَلى رُؤوسِ الأَشْهَادِ مُوبِّخاً ومُقرِّعاً، فَيَقُولُ لهم: أَينَ الذِين كُنتُم تَزْعُمُونَ في الدَّارِ الدُّنيا أَنَّهُمْ شُرَكَائي، هَلاَّ دَعَوْتُمُوهُمْ لِيُخَلِّصُوكُمْ مِمّا أَنْتُمْ فيهِ اليَوْمَ؟

(٧٥) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ

(بُرْهَانَكُمْ)

(٧٥) - وَيومَ القِيامَةِ يَنْزِعُ اللهُ تَعالى مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَاهِداً عَليها، هُوَ نبيُّها، فَيشْهَدُ عَليها بما أَجابَتْهُ بِهِ أُمَّتُهُ حينَ دَعَاهـا إلى اللهِ، وأَبلَغها رِسَالاتِ رَبِّهِ، ويَقُولُ اللهُ تَعالى لِلمُخَالِفينَ مِنْهُم: هَاتُوا مَا عِندَكُمْ مِنْ حُجَّةٍ وبُرهَانٍ على صِحَّةِ ما ادَّعيتُمُوهُ مِنْ أَنَّ للهِ شُرَكَاءَ. وَحِينئذٍ يَعلَمُونَ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ، وَلا حَقَّ غَيرُهُ، فَلا يَنطِقُونَ، ولا يُجِيبُونَ بِشَيءٍ عَنْ سُؤالِ الرَّبِّ العَظيمِ، وَيتلاشَى بَاطِلُهُمْ، وَمَا كَانُوا يَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ.

(٧٦) ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ

ربع الحزب ٤٠

(قَارُونَ) (وآتَيْنَاهُ) (لَتَنُوءُ)

(٧٦) - ويَلْفِتُ اللهُ تَعالى نَظَرَ كُبَراءِ قُريشٍ، الذين اغتَرُّوا بأَموالِهِمْ، واسْتَطَالُوا بهَا عَلى الرَّسُولِ ﷺ، وَعَلى المُؤمنينَ، إلى أَنَّ المَالَ عَرَضٌ زَائِلٌ، وَأَنَّ المَالَ لا قِيمَةَ لهُ في مِيزَانِ اللهِ تَعالى، يَوْمَ الحِسَابِ في الآخِرَةِ، وأَنَّ أَمْوالَ هؤلاءِ الكُفَّارِ مِنْ قُرَيشٍ لا تُعَدُّ شيئاً مذكُوراً بالنِّسبةِ لِلمَالِ الذي آتَاهُ اللهُ قَارُونَ، ثُمَّ خَسَفَ اللهُ بِهِ وبدَارِهِ الأَرْضَ لأَنَّهُ بَطِرَ وأَشِرَ، واسْتَكْبَرَ ولم يَبْتَغِ بهذا المَالِ ثَوابَ اللهِ، وجَزَاءَهُ في الدَّارِ الآخِرَةِ.

وَيقُولُ تَعالى إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ بَني إسرائيلَ (وَقَالَ بعضُ المُفَسِّرينَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَقرباءِ مُوسَى عَليهِ السَّلامُ)، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ كثيراً مِنَ المَالِ، حَتَّى إِنَّ مَفَاتِيحَ خَزائِنِ أَمْوالِهِ لَيَصْعُبُ عَلَى الجَماعَةِ حَمْلُها لِكَثْرَتِها، وثِقَلِ وَزْنِها، فَطَغَى وَبَغَى، وَبَطِرَ، وَتَكَبَّرَ، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ ناصِحِينَ: لا تَبْطَرْ،

(٧٧) وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ

(٧٨) قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ

(٧٩) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ

ولا تَفْـرَحْ بِمَا أَنتَ فيـهِ مِنَ النِّعمَـةِ والمَـالِ ، لِأَنَّ اللهَ تَعَـالى لاَ يُحِبُّ البَطِرِينَ الأَشِرِينَ، الذين لا يَشكُرونَ اللهَ عَلى نِعَمِـهِ وآلائِهِ، وَتُنْسِيهِمُ الدُّنيا الآخِرَةَ.

فَبَغى عَلَيهِمْ ـ ظَلَمَهُمْ وَتَكَبَّرَ عَلَيهِمْ.

لَتَنُوء بِالعُصْبَةِ ـ لَتُثْقِلُ الجَماعَةَ الكَثيرَةَ وتَمِيلُ بِهِمْ.

لَا تفرحْ ـ لَا تَبْطَرْ ولاَ تَأْشَر بِكَثْرَةِ المَالِ.

(آتاكَ) (الآخِرَةَ)

(٧٧) ـ وَٱسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللهُ مِنَ المَالِ الجَزيلِ ، والنِّعمَـةِ الطَّائِلَةِ، في طَاعَةِ رَبِّكَ، والتَّقَرُّبِ إليهِ، ولا تَنْسَ حَظَّكَ (نَصِيبَكَ) مِنَ الدُّنيـا، مِمَّا أَبَاحَهُ اللهُ فيها لِعِبادِهِ، مِنَ المَآكِلِ والمَشَارِبِ والمَلاَبسِ وغَيرِها.. فَـإِنَّ لِرَبِّـكَ عَلَيكَ حَقـاً، وَلِنَفسِكَ عَلَيـكَ حَقّاً،.. فَـآتِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ. وأحْسِنْ إلى خَلْقِ اللهِ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ولا يَكُنْ هَمُّكَ الإفسَادَ في الأَرضِ ، والإِساءَةَ إلى خَلْقِ اللهِ، إنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ.

(لَا يُسْأَلُ)

(٧٨) ـ فَأَجَابَ قَارُونُ نَاصِحِيهِ مِنْ قَومِهِ: إِنَّهُ لَا يَفْتَقِرُ إلى مَا يَقُـولُونَ، فإِنَّ اللهَ إِنَّما أعطَاهُ هٰذا المَالَ لِعلمِهِ بِأَنَّهُ يَستَحِقُّهُ، وَلأَنَّهُ يُحِبُّهُ. ويَرُدَّ اللهُ تَعَالى عَليهِ قائِلاً: إِنَّهُ كَانَ قَبلَ قَارُونَ أُناسٌ كثيرونَ أكثرُ منهُ مالاً، إلَّا أَنهُ سُبحانَهُ لَمْ يُعْطِهِمْ هٰذا المَالَ عَنْ مَحَبَّةٍ منهُ لَهُمْ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمْ بِكُفرِهِمْ، وَعدمِ شُكرِهِمْ، وفي الآخِرَةِ لا يَسْأَلُ اللهُ تَعَالى المُجرمينَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، ومِقْدارِهَا وَكُنْهِها... وَلاَ يُعَاتِبُهُم عَلَيهـا، وإنَّما يُلْقِيهِمْ فِي جَهَنَّم دُونَ سُؤالٍ.

مِنَ القُرُونِ ـ مِنَ الأُمَمِ.

لا يُسْأَلُ ـ سُؤال ٱستِعلامٍ بَلْ سُؤَالَ توبيخٍ.

(الْحياةَ) (يا لَيْتَ) (قَارُونُ)

(٧٩) ـ وَخَـرَجَ قَارُونُ ذَاتَ يـومٍ عَلَى قَومِـهِ، وَهُوَ في زِينَـةٍ عَظِيمَـةٍ، وَتَجمُّلٍ بَاهِـرٍ، فلما رَآه مَنْ يُـرِيدُ الحَيَـاةَ الدُّنيـا، وَيَميلُ إلى زُخْـرفِها وزينَتِها مِنْ قَومِهِ، تَمَنَّوا أَنْ لَوْ كَانُـوا يُعطَوْنَ مِثْـلَ ما أُعْـطِيَ قَارُونُ مِنَ المَالِ، فهوَ ذُو حَظٍّ عظيمٍ وافرٍ في الدُّنيا.

في زِينتِه ـ في مَظَاهِرِ غِنَاهُ وَتَرَفِهِ.

(٨٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ

(آمَنَ) (صَالِحاً) (يُلَقَّاهَا) (الصَّابِرُونَ)

(٨٠) ـ فَلَمَّا سَمِعَ أهلُ العِلْمِ النَّافع مَقالَةَ مَنْ تَمَنّوا أنْ يكُونَ لَهُمْ مِثْلُ ما أوتِيَ قارُونُ من المَالِ، قالُوا لَهُمْ: الوَيلُ والهَلاكُ لَكُمْ عَلى ما تَمَنَّيتُمْ، فما يدَّخِرُهُ اللهُ مِنْ جَزاءٍ وثَوابٍ لِعبادِهِ الصَّالِحينَ في الدَّارِ الآخِرَةِ خيرٌ ممَّا تَرَوْنَهُ، ولا يَفُوزُ بالجَنَّةِ ونَعِيمِها فِي الدَّارِ الآخِرَةِ إلا الصَّابِرُونَ على مَحَبَّتِهِ، الرّاغِبونَ في الدَّار الآخِرَةِ.

وَيْلَكُم ـ زَجْرٌ لَهُم عَلى هٰذا التَّمنّي ـ والوَيلُ لُغَةً الهَلاكُ.

لا يُلَقَّاها ـ لا يُوفَّقُ لِلْعَمَلِ لِلْمَثُوبَةِ.

(٨١) فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ

(٨١) ـ وبينما كانَ قارُونُ يَخْتالُ بَطِراً مُتَفاخِراً عَلى قَومِهِ، وَهُوَ في حِلْيَتِهِ وزينَتِهِ، إذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ وَبِدارِهِ الأَرضَ، فَأَصبَحَ هُوَ ودارُهُ وأموالُهُ وخَزائِنُهُ لا أثَرَ لَهُمْ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَطْشِ اللهِ وَعَذابِهِ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ ولا جَمْعُهُ وَلا خَدَمُهُ، وَلَمْ يَدْفَعْ كُلُّ ذٰلِكَ عَنْهُ نَقْمَةَ اللهِ وَعَذابَهُ.

(٨٢) وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ

(وَيْ كَأَنَّ) (وَيْ كَأَنَّهُ) (الْكَافِرُونَ)

(٨٢) ـ وَلَمَّا رَأى الذينَ تَمَنَّوْا مَالَ قارُونَ وكُنُوزَهُ، ما حَلَّ بِهِ وبِمَالِهِ، قالُوا: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ؟ ولولا لُطْفُ اللهِ بِنا لأعطانَا ما سَأَلنا، ثُمَّ فعَلَ بنا كَما فَعَلَ بقارُونَ، فَخَسَفَ بِنا الأَرضَ، لَقَدْ كانَ قارُونُ كافِراً بِرَبِّهِ، وَلا يُفْلِحُ الكافِرُونَ في النَّجاةِ مِنْ عَذابِ اللهِ تَعالى.

يَقْدِرُ ـ يُضَيِّقُ عَلى مَنْ يَشاءُ، لِحِكْمَةٍ.

(٨٣) تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

(الآخِرَةُ) (الْعَاقِبَةُ)

(٨٣) ـ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ ـ الجَنَّةُ التي عَلِمْتَ مِمَّا تَقدَّمَ وَصْفَها ـ قَدْ جَعَلَها اللهُ خالِصَةً لِعِبادِهِ المُؤمِنينَ المُتَواضِعينَ، الذينَ لا يُريدُونَ آسْتِكْباراً على خَلْقِ اللهِ، وَلا تَعاظُماً عَلَيهِمْ، وَلا تَجَبُّراً، وَلا فَساداً في الأَرضِ. وَالعَاقِبَةُ المَحْمُودَةُ، وهِيَ الجَنَّةُ، جَعلَها اللهُ لِمَنْ مَلأَتْ خَشْيَةُ اللهِ قَلبَهُ، وآتَّقى عَذابَه بِفعلِ الطَّاعاتِ، وَتَرْكِ المُحَرَّماتِ.

(٨٤) مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ

(٨٤) ـ مَنْ جاءَ يومَ القِيامَةِ وَلَهُ حَسَناتٌ آكْتَسَبَها في الدُّنيا، ضَاعَفَ اللهُ ثَوابَهُ، فَضْلاً منهُ وكَرماً، وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجزى إلاَّ مِثْلَها، عَدلاً مِنَ اللهِ وَرَحْمَةً.

٨٥ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(القُرْآنَ) (ضَلالٍ)

(٨٥) - يُخَاطِبُ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ الكَرِيمَ فَيَقُولُ: إنَّ الذي أَوْجَبَ عَلَيكَ العَمَلَ بأحْكَامِ القُرآنِ وفَرائِضِهِ لَرادُّكَ إلى مَكَّةَ ظَافِراً مُنْتَصِراً، كَمَا أَخْرَجَكَ مِنْها - وَتَمَّ ذلكَ بَعْدَ الفَتْحِ - .

(وقِيلَ بلْ إنَّ المَعْنَى هُوَ: إنَّ الذِي أنزلَ عَلَيكَ القُرآنَ لَرادُّكَ إلى مَوْعِدٍ - وهُو يومُ القِيامةِ - لِيَفْصِلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُكَذِّبِيكَ). وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لَمَّا خَرَجَ مُهاجراً مِنْ مكَّةَ إلى المَدِينةِ، نَزَلَ بالجُحْفَةِ، فَعَرَفَ طَرِيقَ مَكَّةَ، واشْتَاقَ إليها حِينما تَذَكَّر مَولِدَهُ ومَوْلِدَ وَالِدِهِ فيها. فَنَزَلَ عَليهِ جِبْريلُ عَلَيهِ السَّلامُ وقال لَهُ: أتَشْتَاقُ إلى بلدِكَ ومَولِدِكَ؟ فَقالَ الرَّسُولُ ﷺ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ جِبْريلُ إنّ اللهَ تَعالى يَقُولُ لَكَ ﴿إنَّ الذِي فَرَضَ عَليكَ القُرآنَ...﴾ الآية.

مَعادٍ - مَكَّةَ ظاهراً عليها.

٨٦ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ

(تَرْجُو) (ٱلْكِتَابُ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٨٦) - ومَا كُنْتَ يا مُحَمَّدُ تَظُنُّ - قبلَ إنزالِ الوَحيِ عَلَيكَ - أنَّهُ سَيَنزِلُ عَليكَ، فَتَعْلَمُ أخبارَ المَاضِينَ منْ قَبلِكَ، وَمَا سَيَحدُثُ مِنْ بعدِكَ، وما فيهِ تَشْرِيعٌ وسَعادَةٌ للبَشَرِ في مَعَاشِهِم ومَعَادِهِمْ، ثُمَّ تَتلُو ذلكَ على قومِكَ، وأن اللهَ أنْزَلَهُ عَليكَ رَحمةً منهُ بِكَ وبالعِبَادِ، فإذا حَبَاكَ اللهُ بهذهِ النِّعمَةِ العَظِيمةِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُعِيناً لِلْكَافِرِينَ، وَلْكِنْ فَارِقْهُمْ وخالِفْهُمْ.

ظَهِيراً - مُعِيناً.

٨٧ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

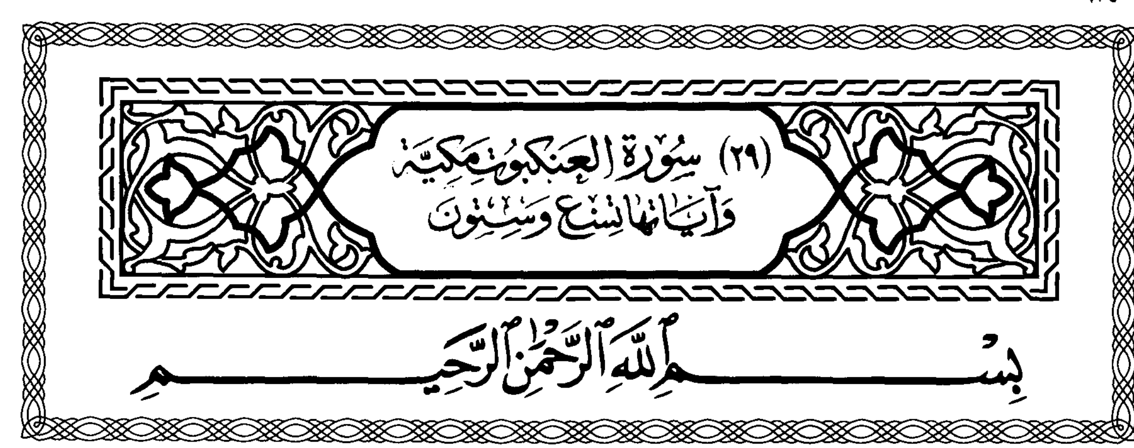
(آيَاتِ)

(٨٧) - وَلَا يَصْرِفَنَّكَ الكُفَّارُ عَنِ القِيَامِ بِإبلاغِ آياتِ اللهِ التي أَنزَلَهَا عَلَيكَ إلى قَومِكَ، وَلَا تَتْرُكْ دَعْوةَ المُشْرِكينَ إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ لأنَّكَ إن تَرَكْتَ دَعْوَتَهُم كُنتَ مِمَّنْ يَفْعَلُ فِعلَ المُشرِكِينَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، وَمُخَالَفَةِ أمرِهِ.

٨٨ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(آخَرَ)

(٨٨) - إنَّ العِبَادَةَ لا تنبغي إلاّ للهِ وَحْدَه لا شَريكَ لَهُ، فاعْبُدْهُ مُخْلِصاً له الدِّينَ، ولا تَعبُدْ مَعَ اللهِ أحداً غيرَهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ البَاقِي الدَّائِمُ، وَكُلُّ شيءٍ في الوُجُودِ، غيرَ اللهِ، هالكٌ وَفَانٍ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَهُ الحُكْمُ والمُلْكُ والتَّصَرُّفُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، ولا مُعَقِّبَ عَلى حُكْمِهِ وإليهِ يَرجِعُ النَّاسُ يومَ القِيَامَةِ، فَيَجْزِيهِمْ بأعْمَالِهِمْ خيرِها وَشَرِّها.



نصف الحزب ٤٠

(١) الٓمٓ

(٢) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

(٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ

(٤) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ

(١) ـ أَلِفْ لَامْ. مِيمْ. وتُقْرأُ مُقَطَّعَةً ـ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(آمَنَّا)

(٢) ـ هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أَنْ نَتْرُكَهُمْ وشَأْنَهُمْ بِمُجَرَّدِ نُطْقِهِمْ بِالشَّهادَتَيْنِ، وَقَوْلِهِمْ آمنَّا باللهِ وَرَسُولِهِ، دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُم اللهُ، ويَخْتَبِرَ صِدْقَ إيمَانِهِمْ: بالهِجْرَةِ، والتَّكاليفِ الدِّينِيَّةِ الأُخرى، والجِهادِ، والمَصَائِبِ؟ كَلَّا، فإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبادَهُ المُؤْمنِينَ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ إيمانٍ.

(وَجَاءَ في الصَّحيحِ: أَشَد النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِياءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَ الأَمْثَلُ فَالأَمثَلُ، يُبتَلى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِه، فإِنْ كَانَ في دِينِهِ قُوَّةٌ زِيدَ لَهُ في البَلاءِ).

لا يُفْتَنُون ـ لَا يُمْتَحَنُونَ بِالمَشَاقِّ لِيَتَمَيَّزَ المُخْلِصُ مِنَ المُنافِقِ.

(الْكَاذِبِينَ)

(٣) ـ وَلَقَد آمتَحَنَ اللهُ المُؤمنينَ السَّالِفينَ، وَعَرَّضَهُمْ للفِتْنَةِ والاخْتِبارِ، وغَايَتُهُ سُبحانَهُ وَتَعالى مِنْ هذا الابتِلاءِ والاخْتِبارِ هيَ أَن يُمَحِّصَهُم فَيَعْلَمَ الذينَ صَدَقُوا في دَعوى الإيمانِ، مِمَّنْ هُمْ كاذبون في دَعواهُم، وليُجازِيَ كُلًّا بما يَسْتَحِقُّهُ.

(٤) ـ أَمْ هَلْ يَظُنُّ الذينَ يَرْتَكِبُونَ الفَواحِشَ وَالآثامَ، أَنْ يَفُوتُوا رَبَّهُمْ، وَيَسْبِقُوهُ، فَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ عِقابَهُ العَادِلَ، وَلا أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِظُلْمِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، كَما هِيَ سُنَّتُهُ في الظَّالمين؟ إِنَّهم إِنْ ظَنُّوا أَنَّ فِي آسْتِطاعَتِهِمْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ سَاءَ مَا يَظُنُّونَ، وَما يَحْكُمُونَ.

أَنْ يَسْبِقُونا ـ أَنْ يُعْجِزُونا وَيَفُوتُونا.

﴿٥﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(يَرْجُو) (لَآتٍ)

(٥) - مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالبَعْثِ، وَيَطْمَعُ فِي ثَوابِ اللهِ يَومَ لِقَائِهِ فِي الآخِرَةِ، فَلْيُبَادِرْ إِلى فِعْلِ مَا يَنْفَعُهُ، وَعَمَلِ مَا يُوصِلُهُ إِلى مَرْضَاةِ رَبِّه، وَلْيَجْتَنِبْ ما يُسْخِطُ رَبَّه عَلَيهِ، فإِنَّ أَجَلَ اللهِ الذي حَدَّدَهُ لِبَعْثِ خَلْقِهِ لِلحِسَابِ والجَزاءِ لآتٍ لاَ مَحَالَةَ، وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ لأَقْوالِ العِبَادِ، العَلِيمُ بِعَقَائِدهُمْ وأَعْمَالِهِمْ.

أجلَ اللهِ - المَوْعِدَ الذي حَدَّدَهُ لِلْبَعْثِ وَالجزَاءِ.

﴿٦﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ

(جاهَدَ) (يُجاهِدُ) (الْعَالَمِينَ)

(٦) - وَمَنْ بَذَلَ جُهْدَهُ في جِهَادِ عَدُوٍّ لِدِينِهِ وَوَطَنِهِ وَقَوْمِهِ، وَفِي مُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ، وكَفِّها عَنِ التَّفْكِيرِ في المُنْكَرِ والسُّوءِ، فإِنَّهُ إِنَّما يَفْعَلُ ذَلِكَ ٱبْتِغَاءَ نَفْعِ نَفْسِهِ، بِالفَوْزِ بِثَوابِ اللهِ عَلى جِهادِهِ، وبِالنَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ، وَلَيْسَ اللهُ بِحَاجَةٍ إِلى جِهَادِ أَحَدٍ، فَهُوَ تَعَالى غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَزِيزٌ لا يُنَالُ وَلاَ يُضَامُ.

﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٧) - وَالذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَصَحَّ إِيمَانُهُمْ حِينَ ٱبْتِلائِهِمْ وآختِبَارِهِمْ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَإِنَّ اللهَ تَعالى سَيَجْزِيهِمْ أَحْسَنَ الجَزَاءِ فِي الآخِرَةِ، فَيُكَفِّرُ عَنهُمْ سَيِّئَاتِهِم التي فَرَطَتْ مِنْهُم فِي شِرْكِهِمْ، أَوْ صَدَرَتْ مِنْهُم لِمَاماً في حَالِ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ نَدِمُوا عَلى مَا اجْتَرَحُوهُ منها، وَيُثِيبُهُم عَلَى حَسَنَاتِهِمْ، فَيَتَقَبَّلُ القَلِيلَ مِنَ الحَسَنَاتِ، وَيُثِيبُ عَلَيهَا الوَاحِدَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِها، وَيَجْزِي عَلى السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا أَوْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.

﴿٨﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(آلإِنْسَانَ) (بِوَالِدَيْهِ) (جَاهَدَاكَ)

(٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنِينَ بالإِحسانِ إِلى الوَالِدينِ، لأَنَّهُما سَبَبُ وُجُودِ الإِنْسَانِ، وَلَهُمَا عَلَيهِ الفَضْلُ الكَبِيرُ. وَلكِنْ إِذا كَانَ الوَالِدَانِ مُشْرِكَين وأَمَرا وَلَدَهُما المُؤْمِنَ بِمَا فِيهِ كُفْرٌ وَمَعْصِيَةٌ للهِ تَعالى، أَوْ أَمَرَاهُ بِأَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ مَا لا عِلمَ لَهُ بِأُلُوهِيَّتِهِ، (مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)، فَعَلَيهِ أَنْ لاَ يُطِيعَهُما، لأَنّ حَقَّ اللهِ أَعظَمُ مِنْ حَقِّ الوَالِدينِ إِذْ (لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في مَعصِيَةِ الخَالِقِ) كَمَا جاءَ في الحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

ثُمَّ يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالى عِبَاده المُؤْمِنينَ إِلى أَنَّهُمْ سَيرجِعُونَ إِليهِ يومَ القِيامةِ

فَيَجْزِيهِمْ بِإِحْسَانِهِمْ إلى وَالدَيهِمْ، وَبِصَبْرِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَيَحْشُرُهُمْ مَعَ الصَّالِحِينَ.
وَوَصَّينَا الإِنْسَانَ - أَمَرْنَاهُ.
حُسْناً - بِرّاً بِوَالِدَيهِ وَعَطْفاً عَلَيْهِمَا

(٩) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الصَّالِحِينَ)
(٩) - واللهُ تَعَالى سَيُدخِلُ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الأَعمَالَ الصَّالِحَةَ في رَحْمتِهِ، وَيَحْشُرُهُمْ مَعَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ.
(وقِيلَ إنَّ هٰذهِ الآيَةَ والتي قَبلَهَا نَزَلَتَا في سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وأُمِّهِ، فَقَدْ قَالَتْ لهُ يوماً: أَلَيسَ اللهُ أَمَرَكَ بالبِرِّ؟ واللهِ لا أَطْعَمُ طَعَاماً ولا أَشْرَبُ شَراباً حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ. فَكَانُوا إذا أرادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا فَتَحُوا فَمَهَا بِعُودٍ، فَنَزَلَتْ هَاتَانِ الآيتَانِ).

(١٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ

(آمَنَّا) (لَئِن) (الْعَالَمِينَ)
(١٠) - وَهُنَاكَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ يَدَّعُونَ الإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَإِذا آذاهُ المُشْرِكُونَ لإِيمَانِهِ بِاللهِ، جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ في الدُّنيا كَعَذَابِ اللهِ في الآخِرَةِ، فَارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ، وَرَجَعَ عَن إيمَانِهِ إلى الكُفْرِ، مَعَ أَنَّهُ لو صَبَرَ لَكَانَ خيراً لهُ، لأنَّ عَذابَ النَّاسِ لهُ دافعٌ يدفعُه عنهُ، ولهُ نِهايَةٌ، ويُثَابُ المُؤمِنُ عَليهِ. وعَذَابُ اللهِ ليسَ لهُ مَنْ يَدْفَعُهُ عنْهُ، ولا نِهَايَةَ لهُ، وَيترتَّبُ عليهِ العِقابُ الأَلِيمُ.
أَمَّا إذا جَاءَ نَصْرٌ مِنَ اللهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ، وَفَتْحٌ وَمَغَانِمُ فَيَقُولُ هؤلاءِ المُتَظَاهِرُونَ بالإِيمان: إِنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ والمؤمنينَ يَنْصُرونَهُم، وإِنَّهُمْ إِخْوانُهُم في الدِّينِ، وطَالَبُوا بِنَصِيبِهِمْ مِنَ المَغْنَمِ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالى: إِنَّهُمْ لا يُمْكِنُ أَن يَخدَعُوا اللهَ بِهٰذِهِ الدَّعوى فَهُوَ عَالِمٌ بما في قُلُوبِهِمْ مِنْ نِفاقٍ، وَبما تُكِنُّهُ ضَمَائِرُهُمْ، وإِن أَظْهَرُوا الإِيمَانَ لِلمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ تعالى لا تَخْفَى عَليهِ خَافِيَةٌ.
فِتنَةَ النَّاسِ - مَا يصِيبهُ مِنْ أَذاهُمْ وَعَذابِهِمْ.

(١١) وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

(آمَنُوا) (الْمُنَافِقِين)
(١١) - وَلَيَخْتَبِرَنَّ اللهُ تَعَالى عِبَادَهُ بِالسَّراءِ والضَّرَّاءِ، لِيُمَيِّزَ المُؤْمِنَ الصَّادِقَ في إيمَانِهِ، مِنَ المُنَافِقِ المُتَشَكِّكِ، وَلِيُظْهِرَ مَنْ يُطيعُ اللهَ فَيَصْبِرُ على الأذى إنْ مَسَّهُ في سَبيلِ اللهِ، وَمَنْ يَعصِيهِ، ويَنْكِصُ على عَقِبَيهِ إنْ مَسَّهُ ضَرٌ ﴿إِنْ أَصَابَهُ خَيرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِ وإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾[1].

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ
خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ
مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ
لَكَٰذِبُونَ

(آمَنُوا) (خَطَايَاكُمْ) (بحَامِلِينَ) (خطَايَاهُم) (لَكَاذِبُونَ)

(١٢) وَقَالَ كُفَّارُ قُرَيش لِمَنْ آمنَ مِنْهُمْ، واَتَّبعُوا الرَّسُولَ ﷺ: ٱرجعُوا إلى دِينِكُمُ الأَوَّلِ، وَعُـودُوا فِيهِ، وإذا كَـانَ هُنَاكَ بَعْثٌ وَحِسَـابٌ فإنَّهُمْ سَيَحْمِلُون عَنْهُمْ تَبِعَةَ آثامِهِمْ، وهيَ في رِقَابِهِمْ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالى عَلَيهِمْ مُكَذِّباً: إِنَّهُ لا يَحْمِلُ أَحَدٌ وِزْرَ أحَدٍ، فَكُلُّ آمْرِىءٍ بِمَا آكْتَسَبَ رَهِينٌ.

خَطَايَاهُمْ - أَوْزَارُهُـمْ وَذُنُوبُهُمْ.

﴿١٣﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا
مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ

(لَيُسْأَلُنَّ) (الْقِيامَةِ)

(١٣) - وَسَيَحْمِـلُ الدُّعَـاةُ إلى الكُفْرِ والضَّـلالَةِ، يَـومَ القِيَـامَـةِ، أَوْزَارَ أَنْفُسِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَمِثْـلَ أَوْزَارِمَنْ أَضَلُّوهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَصَرَفُوهُمْ عَنِ الهُدَى مِنْ غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِ أولئِكَ شَيْءٌ، وَسَيُحَاسَبُ هؤلاءِ المُضِلُّونَ يومَ القِيامَةِ عَلى مَا يَخْتَلِقُونَهُ مِنَ البُهْتَانِ، وَيُعَذَّبُونَ بِهِ.

أثقالَهُمْ - أَوْزَارَهُم الفَادِحَة.

يفْتَرُونَ - يَخْتَلِقُونَ مِنَ الأَبَاطِيلِ.

﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا
خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ
ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ

(ظَالِمُونَ)

(١٤) - يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بمَا يَقُصُّهُ عَلَيهِ مِنْ قَصَصِ الأَنبياءِ الكِرام، وَمَا لَقُـوْهُ مِنَ المُكَذِّبين مِنْ أَقْـوامِهِمْ، فَمَا وَهَنُـوا وَلا ضَعُفُوا، وَقَامُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ على الوَجْهِ الأَكْمَلِ. وَهُنـا يُخْبِرُ اللهُ تَعَـالى رَسُولَه أَنَّ نُوحاً مَكَثَ في قَوْمِـهِ مدَّةَ تِسْعِمِئةٍ وَخَمْسِينَ عَاماً يَدْعُوهُم إلى اللهِ لَيلاً ونَهاراً، وسِراً وَجِهاراً فلمْ يزِدْهُمْ ذٰلِكَ إلا فِـراراً، ولَمْ يُؤْمِنْ لَهُ مِنْ قومِهِ إلا القَلِيلُونَ، كَمَا جَاءَ في آياتٍ أُخَر، وَهَمُّوا بِإِخراجِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أرضِهِمْ فَنَصَرُه اللهُ على أعدائِهِ الكَفَرةِ المُكَذِّبينَ، وأَهْلَكَهُمْ جَمِيعاً بالطُّوفَـانِ، وَهُمْ ظَالِمُـونَ لأَنْفُسِهِمْ، واللهُ يَهدِي مَنْ يَشَـاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَبِيَدِهِ الأَمْرُ كُلُّهُ.

﴿١٥﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ
وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ

(فَأَنْجيناهُ) (أَصْحَابَ) (جَعَلْنَاهَا) (آيَةً) (لِلْعَالَمِينَ)

(١٥) - فَأَنْجَى اللهُ تَعالى نُوحاً وَمَنْ آمنَ مَعَهُ بالسَّفِينَـةِ، وَجعَل قِصَّتَهُم (أَوْ جَعَلَ السَّفِينَةَ) آيةً وَدَلالَةً عَلى قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَعَلى حِكْمَتِهِ، وأَغْرَقَ الآخَرِينَ بالطُّوفَانِ.

﴿١٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ

(إبْرَاهِيمَ)

(١٦) - واَذْكُـرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَومِكَ قِصَّةَ أَبِيهِمْ إبراهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ إِذْ آتَاهُ اللهُ رُشْدَهُ مُنْذُ صِغْرِهِ، فَكَمُلَ عَقْلُهُ، وأَخَذَ في دَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلى عِبَادَةِ اللهِ

﴿١٧﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿١٨﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ

﴿١٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ

﴿٢٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَإِلى الإِخْلاصِ فِي تَقوَى اللهِ في السِّرِّ والعَلَنِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ الإيمَانَ خَيْرٌ لهُم مِنَ الكُفْرِ إِنْ كَانُوا مِنْ ذَوِي العِلمِ والفَهْمِ، وإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَازُوا بالخَيرِ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

(أَوْثَاناً)

(١٧) - إِنَّكُمْ لَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِلا تَمَاثِيلَ مِنْ حِجَارَةٍ تَنْحِتُونَهَا أَنْتُم، وتَخْتَلِقُونَ الكَذِبَ فَتُسَمُّونَها آلِهَةً، وهٰذِهِ التَّماثِيلُ لا تَمْلِكُ لَكُم ولا لأَنْفُسِها ضَرّاً وَلا نَفْعاً، وَلا تَسْتَطِيعُ رِزْقَكُمْ ولا رِزْقَ أَنْفُسِها، والرَّازِقُ هُوَ اللهُ، فَاطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنَ اللهِ، وكُلوا مِنْ رِزْقِ اللهِ واعبُدُوهُ، واشْكُرُوا لهُ عَلى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيكُم، واعْلَمُوا أَنَّكُمْ سَتَرجِعُونَ إِلَيهِ يَومَ القِيامةِ فَيُحَاسِبُكُمْ عَلى أَعْمَالِكُمْ، وَيَجْزِيكُمْ بِهَا.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ مَعْنَى (تَخْلُقُونَ إِفْكاً) هُوَ تَنْحِتُونَ أَصْناماً)

(الْبَلاغُ)

(١٨) - وَقَالَ إبراهِيمُ، عَلَيهِ السَّلامُ، مُتَابِعاً نُصْحَ قَوْمِهِ: إِنَّكُمْ إِنْ كَذَّبْتُمْ رَسُولَكُمْ فَقَدْ كَذَّبَتْ أُمَمٌ أُخْرَى قَبْلَكُمْ رُسُلَهَا، وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الهَلاكِ والدَّمَارِ، وَكَيفَ أَخَذَهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ. وَمَهَمَّةُ الرَّسُولِ هِيَ إِبْلاغُ النَّاسِ مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ بِإِبلاغِهِ إِلَيهِمْ فَاحْرِصُوا عَلَى أَنْ تَكُونُوا مِنَ السُّعَدَاءِ المُسْتَجِيبِينَ لأَمرِ اللهِ.

(١٩) - ثُمَّ لَفَتَ إبراهِيمُ عَليهِ السَّلامُ، نَظَرَ قَومِهِ إلى الأَدِلَّةِ عَلى وُقُوعِ البَعْثِ بَعدَ المَوتِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ في أَنْفُسِهِمْ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئاً مَذْكُوراً، ثُمَّ أَوجَدَهُم وجَعَلهم أُناساً ذَوِي سَمْعٍ وَبَصَرٍ، فالذي يَبْدَأُ هٰذا قَادِرٌ على إِعادَتِهِ، لأَنَّ الإِعادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الابتِدَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿وَهُوَ الَّذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1].

(الآخِرَةَ)

(٢٠) - وَأَمَرَ اللهُ تَعَالى إبراهِيمَ بإرْشَادِ المُكَذِّبينَ مِنْ قَومِهِ إِلى الاعْتِبَارِ بِمَا فِي الكَونِ مِنَ الآياتِ المُشَاهَدَةِ مِنْ خَلْقِ اللهِ الأَشياءَ والسَّماواتِ والأَرْضَ والجِبَالَ والنَّبَاتَاتِ... وفي كُلِّ ذَلِكَ دَلالَةٌ عَلى أَنَّ خَالِقَها هُوَ اللهُ، وَهُوَ الذِي يَقُولُ للشَّيءِ كُنْ فَيَكُونُ. فَهُوَ قَادِرٌ عَلى إِعادَةِ خَلقِ هٰذِهِ الأَشياءِ مَرَّةً أُخْرى.

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٢١) يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ

(٢١) - وَيُعَذِّبُ اللهُ مَنْ يَشَاءُ - وَهُمُ المُنْكِرُونَ لِلْبَعْثِ، الجَاحِدُونَ بآياتِ اللهِ - في الدُّنيا وَالآخِرَة بعَدْلِهِ في حُكْمِهِ فِي الخَلْقِ، ويَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ بفَضْلِهِ ورَحْمَتِهِ - وَهُمُ المُؤْمِنُونَ - فَهُوَ الحَاكِمُ المُتَصَرِّفُ الذي يَفْعَلُ مَا يَشاءُ، ويَحْكُمُ بِما يُريدُ، ولاَ مُعقِّبَ لِحُكْمِهِ، ولاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَإِليهِ يُرَدُّ الخَلْقُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ - تُرَدُّونَ وَتُرْجَعُونَ إِليهِ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ.

(٢٢) وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ

(٢٢) - وَلا يُعجِزُ اللهَ تَعَالَى أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ أَهلِ السَّماوَاتِ وَلاَ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَهُوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ، فَكُلُّ شَيءٍ فَقِيرٌ إِليهِ، وَليسَ لِلنَّاسِ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ يلي أُمُورَهُمْ، وَيَحْرُسُهُم مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ بلاءٌ، وَليسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَأسِ اللهِ وَعَذابِهِ.

بِمُعْجِزِينَ - فَائِتِينَ بِالهَرَبِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

(بِآيَاتِ) (لِقَائِهِ) (أُولَئِكَ) (يَئِسُوا)

(٢٣) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ

(٢٣) - وَالذِين كَفَرُوا بِالدَّلائِلِ التي نَصَبَها اللهُ تَعالى فِي الكَوْنِ، لِلدَّلاَلَةِ عَلَى وجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالدَّلائِلِ التي أَنزَلَها عَلَى رُسُلِهِ لِلإِرْشَادِ، ولِهِدَايَةِ الخَلْقِ إلى سَبيلِ اللهِ، وَجَحَدُوا بِلِقَاءِ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ، فَأَنْكَرُوا البَعْثَ والحِسَابَ، أُولئِكَ لا مَطْمَعَ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَخافُوا عِقَابَهُ، وَلَمْ يَرجُوا ثَوابَهُ، وَلَهُمْ عَذابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

(فَأَنْجَاهُ) (لآيَاتٍ)

(٢٤) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ

(٢٤) - فَلَمْ يَكُنْ لِقَومِ إبراهيمَ مِنْ جَوابٍ يَرُدُّونَ بِهِ عَلَى الحُجَجِ الدَّامِغَةِ التي جَاءَهُمْ بها إِبراهِيمُ عَلَى فَسَادِ مُعْتَقَداتِهِمْ، وَعِبَادَتِهِم الأَصْنَامَ، إلا قَوْلُ بَعضِهِمْ لِبَعْضٍ: آقتُلوا إبراهيمَ أوِ آحْرُقُوهُ في النَّارِ، ثُمَّ آسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ على أَنْ يَحْرُقُوهُ، وَجَمَعُوا لَهُ حَطَباً كَثِيراً، وَأَشْعَلُوا النَّارَ فِيهِ، وَقَذَفُوا إبراهيمَ في النَّارِ، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنهَا بأَنْ أَمَرَ النَّارَ بأَنْ تَكُونَ بَرْداً وَسَلاَماً عليهِ. وَفِي إنجاءِ إبراهيمَ مِمَّا أَرَادَهُ بِهِ قَوْمُهُ، لآيَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ، وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ، لِقَومٍ يَعْقِلُونَ، وَيَتَفَكَّرُونَ، وَيُؤْمِنُونَ.

(أَوْثَاناً) (الْحَيَاةِ) (الْقِيَامَةِ) (مَأْوَاكُمُ) (نَاصِرِينَ)

(٢٥) وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ

(٢٥) - وَقَالَ لَهُمْ إبراهِيمُ عليهِ السَّلامُ، مُقَرِّعاً ومُوَبِّخاً عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ في عِبادَتِهِم الأَوثَانَ: إِنَّكُمْ إِنَّما آجْتَمَعْتُمْ عَلى عِبادَتِها فِي الدُّنيا لِلصَّداقةِ، والإلهَةِ التي تَقُومُ بَينَكُمْ، لا لِقيامِ دَليلٍ عِنْدَكُمْ عَلَى

ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ

صِحَّةِ عِبادَتِها، وَلَمْ يُنكِرْ بعضُكُمْ عَلى بَعْضٍ عِبادَةَ هذهِ الأصنامِ مُراعاةً لِهٰذِهِ المَوَدَّةِ. ثُمَّ تَنْعَكِسُ الحالُ في الآخِرَةِ فَتُصْبِحُ هٰذِهِ المَوَدَّةُ والصَّداقَةُ بُغْضاً وَشَنآناً، وَيَجْحَدُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ، وَيَلْعَنُ الأَتْباعُ مِنْكُم المَتْبوعِينَ، وَيَلْعَنُ المَتْبُوعُونَ الأَتْباعَ، وَسَيكُونُ مَأْواكُمْ جميعاً النَّارَ، وَلَيْسَ لَكُمْ مَنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ تَعالى.

مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ - لِلتَّوادِّ والتَّواصُلِ بَيْنَكُمْ لاجْتِماعِكُمْ عَلى عِبادَتِها.

مَأْواكُمُ النَّارُ - مَنْزِلُكُمُ الذي تَأْوُونَ إليهِ النَّارُ.

٢٦ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

ثلاثة أرباع الحزب ٤٠

(فَآمَنَ)

(٢٦) - فَآمَنَ لُوطٌ بدَعْوَةِ إبراهِيمَ، عَلَيهِمَا السَّلامُ، وَقَالَ إبراهِيم: إني مُهاجِرٌ إلى الجِهَةِ التي أَمرني اللهُ بالهِجْرَةِ إليها، لدَعوَةِ النَّاسِ إلى اللهِ فيها، وَهُوَ تَعالى العَزيزُ الجَانِبِ، الذي يَمْنَعُني مِمَّا يُريدُهُ بِي أَعدائي، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وتَدْبِيرِهِ.

(وقولُه تَعالى: ﴿إني مُهاجِرٌ إلى رَبِّي﴾ يَحْتَمِلُ عَودَهُ إلى لُوطٍ عَلَى أَنَّهُ أقربُ المَذْكُورِينَ، كَمَا يَحْتَمِلُ عَودَهُ عَلَى إبراهيمَ وَهُوَ المَحْكِيُّ عَنْهُ، وَهُوَ الأَقربُ لأَنَّ الحَديثَ عَنْهُ).

٢٧ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ

(إِسْحَاقَ) (ٱلْكِتَابَ) (آتَيْنَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

(٢٧) - وَلَمَّا فَارَقَ إبراهيمُ قَومَهُ أَقَرَّ اللهُ عَينَهُ بِولادَةِ ابْنِهِ إسْحاقَ، وَجَعَلَهُ اللهُ نَبِياً، ثُمَّ وُلِدَ لإسْحاقَ يَعْقُوبُ في حَياةِ إبراهِيمَ، وَجَعَلَهُ اللهُ نَبِيّاً، أيضاً. وجَعَلَ الأنبياءَ مِنْ ذُرِّيتِهِ، فَكانَ أنبياءُ بَني إسْرائيلَ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ، وآخِرُهُم عِيسَى، عليه السلام. وَكانَ آخرُ الأنبياءِ مُحَمَّدٌ، عليه السَّلام، مِنْ ذُرِّيَّةِ إسْمَاعِيلَ، عليه السلام. وَجَمَعَ اللهُ لإبراهِيمَ سَعادَةَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ، فَكانَ لَهُ في الدُّنيا الرِزْقُ الواسِعُ، والمَنْزِلُ الرَحْبُ، والمَوْرِدُ العَذْبُ، والزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، والثَّناءُ الجَميلُ، والذِّكْرُ الحَسَنُ، والذُّرِّيَّةُ الصَّالِحَةُ الوَفِيرةُ العَدَدِ، وَجَعَلَهُ اللهُ قائماً بِطاعَةِ رَبِّهِ وَعِبادَتِهِ، وَجَعَلَهُ اللهُ تَعالى في الآخِرَةِ مِنْ ذَوِي الدَّرَجاتِ العَلِيَّةِ.

٢٨ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(الْفَاحِشَةَ) (الْعَالَمِينَ)

(٢٨) - وَاذْكُرْ لِقَومِكَ قِصَّةَ لُوطٍ حِينَ أَرْسَلْنَاهُ إلى أَهْلِ سَدُومَ الذينَ سَكَنَ بينَهُمْ، وَصاهَرَهُمْ فَصارُوا قومَهُ، فَدَعاهُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنكَرَ عَلَيهِمْ سُوءَ صَنيعِهِمْ، وَقَبيحَ فِعالِهِم، التي لَمْ يَسْبِقْهُم إليهَا أَحدٌ مِنَ العَالَمِينَ لفَظاعَتِها، وَنُفْرَةِ الطِّباعِ السَّلِيمَةِ مِنْهَا.

(٢٩) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

(أَئِنَّكُمْ) (الصَّادِقِينَ)

(٢٩) ـ ثُمَّ أخذ فِي بَيَانِ المُنْكَرَاتِ التِي كَانُوا يَأْتُونَهَا وَهِي :

ـ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، وَهُوَ مُنكَرٌ لَمْ يَسْبِقْهُمْ إليهِ أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ.

ـ أَنهُمْ كَانُوا يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ عَلَى المَارَّةِ فيقْتُلُونَهُم، وَيَعْتَدُونَ عَلَيهِم ويأخذُونَ أموالَهُم.

ـ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ المُنْكَرَ قَوْلاً وفِعْلاً في نَوادِيهِمْ، وَمُجْتَمَعَاتِهِم، جَهْرَةً ودُونَ تَحرُّجٍ ، وَلاَ يَسْتحي أَحَدٌ منهُمْ مِنْ فِعْلٍ ، وَلا يُنكِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلى أحدٍ فِعْلَ مُنْكَرٍ أَتاهُ.

فَلَمْ يَكُنْ لَهُم جَوابٌ عَلَى دَعوتِهِ إِيَّاهُمْ إلى عِبَادَةِ الله، وَعَلى مَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبيحِ الأَعْمَالِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا لَهُ: إِئْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ الذِي تَعِدُنا بِهِ، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِيما تَقُولُ مِنْ أَنَّ عَذَابَ اللهِ سَيَنزِلُ بنا.

يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ـ يَتَعَرَّضُونَ لِلْمارَّةِ بالقَتْلِ والسَّلْبِ والاعْتِدَاءِ.

نَادِيكُم ـ مَجْلِسِكُمْ وَمُنْتَدَاكُمُ الذِي تَجْتَمِعُونَ فِيهِ.

(٣٠) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ

(٣٠) ـ فَاسْتَنْصَرَ لُوطٌ رَبَّهُ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى هٰؤلاءِ المُفْسِدِينَ مِنْ قَومِهِ، الذينَ يَسْخَرُونَ مِنهُ، وَمِنْ إنذارِهِ لَهُمْ بِعَذابِ اللهِ، إِنِ ٱسْتَمرُّوا عَلى غَيِّهِمْ وَضَلالِهِمْ.

(٣١) وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ

(إِبْرَاهِيمَ) (مُهْلِكُو) (ظَالِمِينَ)

(٣١) ـ وَلَمَّا جَاءَ رُسُلُ اللهِ إبراهيمَ يُبَشِّرُونَهُ بِولاَدَةِ ٱبْنِهِ إِسْحَاقَ، ومِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، قَالُوا لإبراهيمَ: إِنَّنا سَنُهْلِكُ أَهْلَ القَريةِ التي يُوجَدُ فِيهَا لُوطٌ لأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِين لأَنْفُسِهِمْ، بِتَمَادِيهِمْ فِي الفَسَادِ والمَعَاصِي، وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللهِ.

(٣٢) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ

(الْغَابِرِينَ)

(٣٢) ـ فَقَالَ إبراهيمُ عَلَيهِ السَّلامُ، لِمَلاَئِكَةِ اللهِ الكِرامِ : إِنَّ في القَريةِ التي يُرِيدُونَ إِهْلاَكَ أَهْلِها لُوطاً وَهُوَ لَيْسَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَهُوَ مِنْ رُسُلِ اللهِ. فَقَالَ الرُّسُلُ: إِنَّهُم أعلَمُ مِنْهُ بِمَنْ في القَريةِ مِنَ الكَافِرِينَ ومِنَ المُؤْمِنينَ، وَإِنَّهُم سَيُنَجُّونَ لُوطاً وَأَهْلَهُ ومَنْ آمَنَ لَهُ، مِنَ الهَلاَكِ. إلا ٱمْرأَتَهُ فَإِنَّها سَتبقَى في القَريةِ مَعَ قَومِها، وَسَتَكُونُ مِنَ الهَالِكِينَ (الغَابِرينَ) لِمُمَالأَتِهَا قَوْمَها عَلى فِعْلِ الخَبائِثِ، وَالكُفْرِ وَالبَغْيِ.

الغَابِرِينَ ـ البَاقِينَ فِي القَرْيَةِ، أَوِ الهَالِكِينَ.

(٣٣) وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ

(الْغَابِرِينَ)

(٣٣) - وَجاءَ رُسُلُ اللهِ إلى بَيتِ لُوطٍ في صُورَةِ شُبَّانٍ حِسانِ الوُجُوهِ، فَخافَ عَلَيْهِمْ لُوطٌ مِنْ قَومِهِ، وَآغْتَمَّ لمَجيئِهِمْ إليهِ، خَوفاً مِنْ أَنْ يَقصِدَهُمْ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ بسُوءٍ، لِما يَعْلَمُهُ مِنْ فَسادِ قَومِهِ، ولِما يَعْلَمُهُ مِنْ عَجْزِهِ عَنْ حِمايَتِهِمْ، وَدَفْعِ الأذى عَنْهُمْ. ولَمّا رَأَوْا مِنْهُ هٰذِهِ الحالَ مِنَ الهَمِّ وَالقَلَقِ قَالُوا لَهُ: هَوِّنْ عَليكَ، وَلاَ تَخفْ عَلَينا مِنْ قَومِكَ، فَإِنَّنا رُسُلُ رَبِّكَ، وَقَدْ جِئْنا لِنُهْلِكَ قَوْمَكَ لأَنَّهُمْ بَلَغُوا في فِعْلِ الخَبائِثِ مَبْلَغاً لاَ مَطْمَعَ في رُجُوعِهِم عَنْهُ، وإنا سَنُنَجِّيكَ وَأَهْلَكَ وَمَنِ آتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ فَلاَ يُصِيبُكُمْ مَكْرُوهٌ. إلا أَنَّ آمرَأَتَكَ سَتَكُونُ مِنَ البَاقِينَ في القَرْيَةِ، وَسَتَهْلِكُ مَعَ قَوْمِها لِفَسَادِهَا، وَمُشارَكَتِها قَوْمَها في فَسادِهِمْ.

(وَقِيلَ إِنَّها كَانَتْ تَدُلُّ قَوْمَها عَلى أَضْيافِ لُوطٍ لِيَقْصِدُوهُمْ طَلَباً لِفِعْلِ الفَاحِشَةِ).

مِنَ الغَابِرِينَ - مِنَ البَاقِينَ فِي القَريةِ - أَوْ مِنَ الهَالِكِينَ.
سِيءَ بِهِمْ - آعْتَراهُ الغَمُّ لِمَجيئِهِمْ إِليهِ خَوْفاً عَلَيْهِمْ.
ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً - ضَعُفَتْ طَاقَتُهُ عَنْ تَدبيرِ خَلاصِهِمْ.

(٣٤) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ

(٣٤) - وَقَالَ المَلائِكَةُ لِلُوطٍ: إِنَّا سَنُنْزِلُ عَلى أَهْلِ هٰذِهِ القَرْيَةِ عَذاباً مِنَ السَّماءِ تَنْخَلِعُ لَهُ قُلُوبُهُم (رِجْزاً)، جَزاءً لَهُمْ عَلى فِسْقِهِمْ وَفَسَادِهِمْ. فَتزَلْزَلَتِ الأَرضُ بِهِمْ، وَغَارَتِ القَريَةُ في بَاطِنِ الأَرضِ، وَتَسَاقَطَتْ عَلَيهِم الحِجارَةُ، فَأَصْبَحَ عَالِيها سافِلَها وَلَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِها، وَقَامَتْ مَكانَها بُحَيْرَةٌ خَبيثَةٌ مُنْتِنَةٌ هي بُحَيْرَةُ لُوطٍ، وَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً لِغيرِهِمْ.

(٣٥) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(آيَةً)

(٣٥) - وَلَقَدْ أَهْلَكْنا هٰذِهِ القَريَةَ، وَتَركْنا مِنْها آثاراً ظَاهِرَةً لِيَكُونَ ما فَعَلْناهُ عِبْرَةً بَيِّنَةً، وَعِظَةً زَاجِرَةً لِقَومٍ يُبْصِرُونَ فَيُدْرِكُونَ، وَيَنْتَفِعُونَ بِعُقُولِهِمْ (يَعْقِلُونَ).

(٣٦) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

(يَا قَوْمِ) (الآخِرَ)

(٣٦) - وَأَرْسَلْنا رَسُولَنا شُعَيْباً إلى مَدْيَنَ فَقالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ آعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وأَخلِصُوا العِبادَةَ لَهُ، وَآرْجُوا بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ اليَومَ الآخِرَ وثَوابَهُ، وَلا تُفْسِدُوا في الأَرْضِ، وَلاَ تَبْغُوا عَلى أَهْلِهَا، فَتُنْقِصُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ، وَتَقْطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى المَارَّةِ - كَما جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى -.
العَيْثُ - الفَسَادُ والبَغْيُ.

(٣٧) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ

(جاثِمِينَ)

(٣٧) - فَكَذَّبُوهُ فِيمَا جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِندِ اللهِ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِزَلْزَلَةٍ عَظِيمَةٍ ٱرْتَجَّتْ لَها الأَرضُ، وٱرْتَجَفَتْ لَهَا القُلُوبُ، وهَلَكُوا جَمِيعاً، فَأَصْبَحُوا في دِيَارِهِمْ مَوْتَى ، لاَ حَرَاكَ بِهِمْ.

أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ - الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ، بِسَبَبِ الصَّيْحَةِ.

جَاثِمِينَ - هَامِدِينَ، مَيِّتِينَ، لاَ حَرَاكَ بِهِـمْ.

(٣٨) وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ

(ثَمُودَ) (مَسَاكِنِهِمْ) (الشَّيْطَانُ) (أَعْمَالَهُمْ)

(٣٨) - يُخبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ، وَكَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وٱنْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَنْواعٍ مِنَ العَذَابِ، فَعَادٌ، قَومُ هُودٍ (وَكَانُوا يَسْكُنُونَ في الأَحْقَافِ، في مِنْطَقَةِ حَضْرَمَوتَ)، أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيهِمْ سَبْعَ لَيالٍ مُتَواصِلَةٍ فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ.

وثَمُودُ قَومُ صَالِحٍ (وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الحِجْرَ قُربَ وَادي القُرَى) أَهْلَكَهُمُ اللهُ جَمِيعاً بالصَّيْحَةِ، وبِزَلْـزَلَةِ الأَرْضِ بِهِمْ، لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ التي أَخْرَجَها اللهُ لَهُم، بِنَاءً عَلَى طَلَبِهِمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ.

وَكَانَتِ العَرَبُ تَعرِفُ مَسَاكِنَ قَومِ عَادٍ، وَقَومِ ثَمُودَ، وَتَمُرُّ بِهَا في تَرْحَالِها، وَتَرى آثَارَ الدَّمَارِ والهَلاَكِ الذي نَزَلَ بِهَا وَبِأَهلِها. وَكَانَ سَبَبُ إِهْلاكِهِمْ هُوَ مَا زَيَّنَهُ لَهُم الشَّيْطَانُ مِنْ أعمالٍ سَيِّئَةٍ، وَعِبَادَةِ غيرِ اللهِ تَعالى، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلى الإِدراكِ والاستِبْصَارِ، والتَّمييزِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَلِذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُذْرٌ في الغَفْلَةِ، وَعَدَمِ التَّبَصُّرِ في العَوَاقِبِ.

مُسْتَبْصِرِينَ - عُقَلاَءَ مُتَمَكِّنِينَ مِنَ التَّدَبُّرِ.

(٣٩) وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ

(قَارُونَ) (هَامَانَ) (بالْبَيِّنَاتِ) (سَابِقِينَ)

(٣٩) - وٱذْكُر لِهؤلاءِ المُغْتَرِّينَ بِأَمْوالِهِمْ مِنْ قُريشٍ كَيفَ أَهْلَكَ اللهُ قَارُونَ صَاحِبَ الأَموالِ الكَثِيرةِ، إِذْ خَسَفَ بِهِ وبِدَارِهِ وكُنُوزِهِ الأَرْضَ، كَمَا أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ وَوَزِيرَهُ هَامَانَ، فَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالحُجَجِ وَالبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلى صِدْقِ رِسَالتِهِ، فَٱسْتَكْبَرُوا في الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، وأَبَوا أَنْ يُصَدِّقُوهُ وأَنْ يُؤْمِنُوا لَهُ، وَلَمْ يَكُونُوا فَائِتِينَ اللهَ، وَلا نَاجِينَ مِنْ عِقَابِهِ، فَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَليهِمْ في كُلِّ حِينٍ، وَهُوَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.

سَابِقِينَ - فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

(٤٠) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(٤٠) - وَقَدْ أَرسَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ فِئَةٍ لوناً مِنْ ألوانِ العَذَابِ يَتَناسَبُ مَعَ عُتوِّهِمْ وَجرائِمِهِمْ:

- فقومُ عادٍ كانُوا يقولُونَ: (مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً)، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيهِمْ رِيحاً شَدِيدَةَ البُرُودَةِ (صَرْصَراً)، بَالِغَةَ العُنفِ والعُتُوِّ (عَاتِيَةً)، تَحْمِلُ الحَصْبَاءَ، وَترمِيهِمْ بها، فَأَهْلَكَتْهُمْ جَمِيعاً.

- وقومُ ثمودَ كَذَّبُوا رَسُولَهُم صَالِحاً، وَتَهَدَّدُوهُ وَعَقَرُوا النَّاقَةَ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيهِمْ صَيْحَةً أَخْمَدَتْ أَنفَاسَهُمْ، وَلَمْ تَتْرُكْ مِنْهُمْ أَحداً.

- وَقَارُونُ طَغَى وَبَغَى وَعَصَى اللهَ، وَمَشَى فِي الأَرْضِ مَرحاً فَخَسَفَ اللهُ بِهِ وبِدَارِهِ الأَرضَ، وأَهلَكَهُ وكُنُوزَهُ.

- وَفِرْعَوْنُ وهَامَانُ وقَومُهُمَا مِنَ القِبطِ أَغرَقَهُمُ اللهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَتْ هذهِ العُقُوبَةُ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا اجتَرَحُوهُ مِنَ الإِجْرَامِ، ولَمْ يَظْلِمْهُمُ اللهُ فيما فَعَلَ بِهِمْ، وَلٰكِنَّهُمْ هُمُ الذينَ كَانُوا يَظْلِمُونَ أَنفُسَهُمْ بالكُفْرِ، والبَطَرِ والعُتُوِّ والطُّغيَانِ، فَأَوْصَلُوها إِلى العَذَابِ والبَلاءِ الذي حَلَّ بِها.

حَاصِباً - رِيحاً عَاصِفاً تَرمِيهِم بالحَصْبَاءِ.

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ - صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ مُهْلِكٌ مُرْجِفٌ.

(٤١) مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ

(٤٢) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(٤١) - ثُمَّ ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً لِلْمُشرِكِينَ الذينَ اتَخَذُوا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، يَرْجُونَ نَفْعَهُمْ وَنَصْرَهُمْ ورِزْقَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ مَثَلَ عَمَلِ هٰؤُلاءِ المُشرِكِينَ، مَثَلُ العَنْكَبُوتِ التِي اتَّخَذَتْ بَيْتاً تَحْتَمِي بِهِ، مَعَ أَنَّ بيتَها هُوَ أَوْهَى البُيُوتِ، وأَضْعَفُها، وأَبْعَدُها عَنِ الصَّلاحِ لِتَأمِينِ الحِمَايَةِ. وَلَوْ عَلِمَ المُشْرِكُونَ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ لَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ لا يُغْنُونَ عنهُمْ شَيئاً، لٰكِنَّ الجَهْلَ بَلَغَ مِنْ هٰؤُلاءِ حَداً لا يَسْتَطِيعُونَ مَعَهُ التَّمييزَ بينَ الخَيرِ والشَّرِّ.

(٤٢) - واللهُ تَعَالَى يَعْلَمُ حَالَ مَا يَعْبُدُهُ هٰؤُلاءِ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ والأَوثَانِ والأَندَادِ، وَيَعلَمُ أَنَّ عِبَادَتَها لا تَنْفَعُهُمْ شَيئاً وَلا تَضُرُّهُمْ إِنْ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ نَفْعاً أَوْ ضَرّاً، وَمَثَلُها فِي قِلَّةِ نَفْعِها كَمَثَلِ بَيْتِ العَنْكَبُوتِ فِي ضَعْفِهِ، وَقِلَّةِ نَفْعِهِ. واللهُ تَعالى هُوَ العَزِيزُ في انتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ، وَهُوَ الحَكِيمُ في شَرعِهِ، وَتَدبِيرِهِ أُمُورَ خَلْقِهِ.

﴿٤٣﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ

(الْأَمْثَالُ) (الْعَالِمُونَ)

(٤٣) - وَهٰذا المَثَلُ، وَمَا مَاثَلَهُ مِنَ الأَمثَالِ التِي اشْتَمَلَ عَلَيهَا القُرآنُ الكَرِيمُ، إِنَّما ضَرَبَها اللهُ تَعَالى لِلنَّاسِ لِيُقَرِّبَ مِنْ أَفهَامِهِمْ مَا بَعُدَ عَنْها، وَلِيُوَضِّحَ لَهُم مَا أَشْكَلَ عَلَيهِمْ أَمْرُهُ، وَاسْتَعصَى عَليهِمْ فَهْمُهُ، وهٰذه الأَمْثَالُ التي يَضْرِبُها اللهُ للناسِ لا يَفْهَمُها، ويُدْرِكُ مَعنَاهَا ومَغْزَاهَا، إلا الرَّاسِخُونَ في العِلمِ، المُتَدَبِّرُونَ في عَوَاقِبِ الأُمورِ.

﴿٤٤﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ

(السَّمَاوَاتِ) (لَآيَةً)

(٤٤) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّهُ خَلَقَ السَّماوَاتِ والأَرضَ بالحَقِّ، وَهُوَ إِنَّما خَلقَها لِحِكْمَةٍ وفَوائِدَ يُقَدِّرُها هُوَ سُبحَانَهُ، وَلَمْ يَخْلُقْها لِلْعَبَثِ، وَلا لِلَّعِبِ والتَّسلِيَةِ، وَلَا يَفْهَمُ هذهِ الأَسْرَارَ إلا الذينَ آمَنُوا باللهِ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، لأَنَّهُم هُمُ الذِينَ يستَدِلُّونَ بالآثارِ عَلَى مُؤَثِّراتِها، وبِالخَلقِ عَلى خَالِقِهِ.

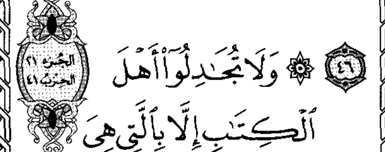
﴿٤٥﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

(الْكِتَابِ) (الصَّلَاةَ)

(٤٥) - يَأْمُرُ اللهُ تعالى المُؤمنينَ، وَهُوَ يُوَجِّهُ خِطَابَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، بِتِلاوَةِ القُرآنِ، وإِقَامَةِ الصَّلاةِ، فَقَالَ تَعَالى: وَأَدِمْ تِلاوَةَ القُرآنِ تَقَرُّباً إِلى اللهِ تَعَالى بِتِلاوتِهِ، وَتَذكُّراً لمَا فيهِ مِنَ الأَسْرَارِ والفَوائِدِ، واعْمَلْ بِمَا فِيهِ مِنَ الأَوامرِ والآدابِ وَمَحاسِنِ الأَخْلاقِ، وأَقِمِ الصَّلاةَ، وأَدِّهَا عَلى الوَجهِ الأكمَلِ بخُشُوعِها وَرُكُوعِها وسُجُودِهَا، لأَنَّ الصَّلاةَ إِنْ تَمَّتْ عَلى الوَجهِ الأَكْمَلِ كَانَتْ لَها فَائِدَتَانِ:

- أَنها تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ وَتَحمِلُ المُؤْمِنَ عَلى مُجَانَبَتِها، وَتَركِها لِمُنَافَاةِ الصَّلاةِ لِفِعْلِ الفَاحِشَةِ والمُنكرِ والبَغْيِ.

- وفِيها فَائِدَةٌ أَعْظَمُ، أَلا وهي ذِكرُ اللهِ لِعِبَادِهِ الذينَ يذكُرُونَهُ، ويُؤَدُّونَ الصَّلاةَ بشُرُوطِها، ويُسَبِّحُونه ويَحْمَدُونَهُ، واللهُ تَعالى يَعلَمُ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خيرٍ وشَرٍ، وهوَ مُجَازِيكُمْ بِهِ.



﴿٤٦﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ

(تُجَادِلُوا) (الْكِتَابِ) (آمَنَّا) (وَاحِدٌ)

(٤٦) - قَالَ غَيرُ وَاحِدٍ إِنَّ هذهِ الآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بآيةِ السَّيفِ. وقالَ آخرون إنها بَاقِيةٌ مُحكَمَةٌ.

وفي هذهِ الآيةِ يَأمرُ اللهُ المؤمنينَ بمُجَادَلةِ اليَهودِ والنَّصارَى (أَهْلِ الكِتَابِ) الذينَ يُريدُونَ المَعرفَةَ والاستِبصَارَ في الدِّينِ، باللِينِ والرِّفقِ، أَما الذينَ ظَلَمُوا، وعَانَدُوا، وأَرادُوا بمُجَادَلَتِهِم الإِسَاءَةَ إلى الإِسْلامِ، وإِيذاءَ المُسلِمِينَ فَهؤُلاءِ يُجَادَلُونَ بالسَّيفِ.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

(وقَالَ سَعيدُ بْنُ جُبَير: المَقْصُودُ بالذِينَ ظَلَمُوا هُنا: الذين عَادوا الرَّسُولَ، وقَاتَلُوهُ، وآذَوْهُ، فَيُحَارِبُونَ بالسَّيفِ حَتَّى يُسْلِمُوا، أَوْ يُعطُوا الجزْيَةَ).

ثمّ يقولُ اللهُ تَعالَى لِلمُؤمنينَ: إذا جَادَلَكُمْ أَحَدُ مِنْ أَهْلِ الكِتَاب بِمَا في دِينِهِمْ وكِتَابِهِمْ، وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ صِدْقَ ما يَقُولُ فقولُوا لَهُ: آمَنَّا بِمَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِنا، وَمَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رُسُلِ اللهِ إليكم، وَإِنَّ إِلٰهَنا وَإِلٰهَكُمْ وَاحِدٌ، وقَدْ أَسْلَمْنَا إليهِ وُجُوهَنا، وَخَضَعْنَا لهُ خُضُوعاً تاماً.

(وَقَالَ أَبو هُرَيْرَة: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوراةَ بالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَها بالعَرَبيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلاَم، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ تُصَدِّقُوا أَهلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِالذِي أُنزِلَ إلَينا. . . (الآية).

(الْكِتَابَ) (آتَيْنَاهُمُ) (بِآيَاتِنَا) (الْكَافِرُونَ)

(٤٧) - كَما أَنْزَلْنَا الكُتُبَ السَّابِقَةَ عَلَى مَنْ جَاءَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، كَذَلك أَنزلنَا عَلَيكَ القُرآنَ يَا مُحَمَّدُ، فَالذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنَ اليَهُودِ والنَّصَارَى، يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ القُرآنَ مُنَزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِن كُتُبِهِمْ أَنَّ اللهَ سَيُنزِلُ قُرآناً عَرَبياً عَلَى رَسُولِهِ. وَمِنْ كُفَّارِ قُرَيشٍ، وَمِنْ غَيرِهِمْ، مَنْ يؤمن بِهِ، وَلا يُكَذِّبُ بآيَاتِ اللهِ إلاَّ مَنْ يَجْحَدُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَليهِ، وَيكفُرُ باللهِ، ويُنْكِرُ وحدَانِيَّتَهُ عِناداً وَاسْتِكْبَاراً.

(تَتْلُو) (كِتَاب)

(٤٨) - لَقَدْ لَبِثْتَ فِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ عُمْراً طَويلاً قَبلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيكَ القُرآنُ، وأَنْتَ لاَ تَقرأُ كِتاباً، وَلاَ تَعرفُ كِتابَةً، وكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ قَوْمِكَ يعرفُ أَنَّكَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ - وَكَذلِكَ كَانَتْ صِفَةُ الرَّسُولِ، عليهِ السَّلامُ، في الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ - لَمْ تَعْرِفِ القِراءَةَ وَلا الكِتَابَةَ. ولَوْ أَنَّكَ كُنْتَ تَعرِفُ القِرَاءَةَ والكِتَابَةَ لارْتَابَ أَهلُ البَاطِلِ مِنْ جَهَلَةِ النَّاسِ، وَلَقَالُوا: إِنهُ رُبَّما اقْتَبَسَ ما يَقُولُ مِنْ كُتُبِ الأنبياءِ السَّابِقينَ. وَلكِنْ لَمّا كُنتَ أُمِّياً فإنَّهُ لَمْ يَعُدْ لارتِيابِهِمْ وَجْهٌ مَقْبُولٌ.

(آيَاتٌ) (بَيِّنَاتٌ) (بِآيَاتِنَا) (الظَّالِمُونَ)

(٤٩) - وَهٰذا القُرآنُ آياتٌ بَيِّناتٌ، وَاضِحَاتُ الدَّلاَلَةِ عَلى الحَقِّ، يَحفَظُهُ العُلَماءُ، وَقَدْ يَسَّرَهُ اللهُ حِفْظاً وَتِلاوَةً، وَمَا يُكَذِّبُ بآيَاتِ اللهِ وَيَرْفُضُها، وَيَبْخَسُها حقَّها إلا المُعْتَدُونَ الظَّالِمُونَ، الذِينَ يَعْلَمُونَ الحَقَّ وَيَحيدُونَ عَنْهُ.

﴿٥٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

(آياتُ) (الآياتُ)

(٥٠) - وقالَ كفَّارُ قُريشٍ تَعَنُّتاً: هَلاَّ أُنزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ آيَةٌ منَ الآياتِ التي أُنزِلَ مِثْلُها عَلى رُسُلِ اللهِ السَّابِقينَ، كَنَاقَةِ صَالِحٍ، وَعَصَا مُوسَى. فَيكُونُ ذلِكَ حُجَّةً وبُرْهَاناً على صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ. وقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالى رَسُولَه ﷺ بأَنْ يُجيبَهُمْ: إنَّ أَمْرَ حُدُوثِ المُعْجِزَاتِ (الآياتِ) يَرْجِعُ إلى اللهِ تَعالى، ولَوْ أَنَّهُ عَلِمَ أَنَّكُمْ سَأَلْتُمْ آسْتِبْصَاراً وتَعَلُّماً، وَطَلَباً لِزِيَادَةِ اليَقينِ، لأَجَابَكُم إلى مَا سَأَلتُمْ، لأَنَّ ذلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيهِ، ولكِنَّهُ تَعالَى يَعْلَمُ أَنَّكُمْ إنَّما قَصَدْتُم بِذلِكَ التَّعَنُّتَ والتَّعْجِيزَ، وَلِذلِكَ فإِنَّهُ لاَ يُجيبُكُم إلى مَا سَأَلْتُمْ. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ بأَنْ يَقُولَ لِكُفَّارِ قُرَيشٍ: إنَّهُ رَسُولٌ مَهَمَّتُهُ إبلاغُ رِسَالَةِ رَبِّهِ إلى مَنْ أُرسِلَ إليهِمْ، وأَنْ يُنذِرَهُمْ عَذَابَ اللهِ وَبَأْسَهُ، إنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفرِهِمْ وعِنَادِهِمْ، وليسَ مِنْ مَهَمَّتِهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلى الإيمَانِ حَمْلاً.

﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(الْكِتَابَ)

(٥١) - أَمَا كَفَاهُمْ آيَةً ودَليلاً عَلَى صِدْقِكَ أَنَّا أَنزَلْنا عَليكَ القُرآنَ العَظِيمَ، وفيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَهُمْ، وفيهِ أَخْبَارُ مَا في الكُتُبِ السَّابِقَةِ على الوَجهِ الصَّحِيحِ كَمَا أَنزَلَهَا اللهُ تَعالَى، وفيهِ بَيَانٌ لما آخْتَلَفُوا فيهِ مِنْها، وأنتَ رَجُلٌ أُميٌّ لا تَقْرأُ ولاَ تكْتُبُ، ولَمْ تُخَالِطْ أهلَ الكِتَابِ. وَقَدْ جَاءَ القُرآنُ لرحمةِ النَّاسِ، ولِبَيانِ الحَقِّ، وإزْهَاقِ البَاطِلِ، وَجَاءَ فيهِ تَذْكِرَةٌ بِعِقَابِ اللهِ الذي حَلَّ بِالمُكَذِّبينَ قَبْلَهُم، وَبِمَا سَيَحِلُّ بِالكُفَّارِ المُعَانِدِينَ الظَّالِمِينَ.

﴿٥٢﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

(السَّماوَاتِ) (آمَنُوا) (بِالْبَاطِلِ) (أُولَئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(٥٢) - وقُلْ لَهُم حَسْبِي وَحَسْبُكُمْ أَنْ يكُونَ اللهُ تَعالى عَالِماً بِمَا صَدَرَ مِني مِنْ تَبليغِ رِسَالاَتِهِ، وَنُذُرِهِ إليكُمْ، وبِمَا صَدَرَ مِنكُمْ مِنْ مُقَابَلَةِ ذلكَ بالتَّكذيبِ والجُحُودِ، وهُوَ يَجزي كُلاًّ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ. وإني لَوْ كُنتُ كَاذِباً لانتَقَمَ مِني. ولكِنِّي صَادِقٌ فيمَا أَقُولُهُ عَن رَبِّي، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤَيِّدُني بالمُعْجِزَاتِ والدَّلاَئِلِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِي، وَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا في السَّمَاوَاتِ والأَرضِ، وَيَعْلَمُ مَا تَنْسُبُونَهُ إِلَيَّ مِنَ التَّقَوُّلِ عليهِ. والذينَ يَعبُدُونَ الأَوثَانَ والأَصْنَامَ، وَيَكْفُرُونَ باللهِ، مَعَ تَظَاهُرِ الأَدلَّةِ عَلى وُجُوبِ الإيمانِ بِهِ، وَيَكْفُرُونَ بِرَسُولِهِ مَعَ تَعَاضُدِ البَراهينِ عَلَى صِدْقِهِ، فَهَؤُلاءِ هُمُ الأَخْسَرُونَ أَعْمَالاً، وَسَيلْقَوْنَ جَزَاءَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(٥٣) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(٥٣) - وَيَتَحدَّاكَ كُفَّار قُرَيْش أَنْ تُعَجِّلَ لَهُمْ بِنُزُولِ العَذَابِ بِهِمْ. وَقَدْ قَالُوا مَرَّةً: ﴿مَتى هٰذا الوَعْدُ﴾(١)، وَقَالُوا مَرَّةً أُخرى: ﴿اللّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلينا حِجَارَةً مِنَ السَّماءِ أَوْ آئْتِنا بِعَذابٍ أليم..﴾(٢).

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ قائلاً: إِنَّ حِكْمَتَهُ تَعالى قَدِ آقْتَضَتْ أَنْ يُحَدِّدَ لَهُمْ أَجَلاً مُعَيّناً لِعَذابِهِم، وَلَوْلاَ ذلِكَ لأَنزَلَ بِهِم العَذَابَ حِينَ آسْتِعْجَالِهِمْ بِهِ، وَسَيَأْتِيهِم العَذَابُ، دُونَ شَكٍّ، بِصُورةٍ مُفَاجِئَةٍ لَهُمْ، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهِ.

أَجَلٍ مُسَمى - هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ.

بَغْتَةً - فَجْأَةً.

(٥٤) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ

(بِالْكَافِرِينَ)

(٥٤) - يَسْتَعجِلُونَكَ بإنزَالِ العَذَابِ بِهِم، وَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ، لاَ مَحَالَةَ، ولو عَلِمُوا مَا هُم صَائِرونَ إليه لَمَا تَمَنَّوا آسْتِعْجَالَ العَذابِ، وَلَعَمِلُوا جُهْدَهُمْ لِلخَلاَصِ مِنْهُ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ سَتُحِيطُ يَوْمَ القِيامَةِ بِالكافِرينَ المُسْتَعْجِلِينَ بالعَذَابِ

(٥٥) يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(يَغْشَاهُمُ)

(٥٥) - وفي يَومِ القِيَامَةِ يَغْشَاهُمُ العَذَابُ، وَيُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: مِنْ فَوْقِهِمْ، وَمِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِمْ، وَعَنْ مَيَامِنِهِمْ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، وَيقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبيلِ التَّقْرِيعِ: ذُوقُوا العَذَابَ الذي أَوْصَلَكُمْ إِليهِ سُوءُ عَمَلِكُمْ.

يَغْشَاهُمُ العَذَابُ - يُجَلِّلُهُمْ وَيُحِيطُ بِهِمْ.

(٥٦) يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ

((يَا عِبَادِيَ) (آمَنُوا) (وَاسِعَةٌ) (فَإِيَّايَ)

(٥٦) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤمنينَ بالهِجْرَةِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ لا يَقْدِرُونَ فيهِ عَلَى إِقَامَةِ الشَّعائِرِ الدِّينِيَّةِ إلى مَكَانٍ آخَرَ مِنْ أَرْضِ اللهِ الوَاسِعَةِ، يَسْتَطِيعُونَ فِيهِ إقامَةَ شعائِرِ دِينِهِمْ كَما أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: البِلاَدُ بِلاَدُ اللهِ، وَالعِبَادُ عِبَادُ اللهِ، حَيْثُمَا أَصَبْتَ خَيْراً فَأَقِمْ). (أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ).

---

(١) سورة يس، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

﴿٥٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ

(ذَائِقَةُ)
(٥٧) ـ وَأَيْنَما كُنْتُمْ يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ، فَكُونُوا فِي طَاعَةِ اللهِ، وَحَيْثُ أَمَرَكُمْ اللهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، فالمَوْتُ آتٍ لا مَحَالَةَ، وَلا مَفَرَّ مِنْهُ وَلاَ مَهْرَبَ، ثُمَّ تُرْجَعُونَ إلى اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ وَعِنْدَهُ الحِسَابُ والجَزاءُ.

﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ) (الْعَامِلِينَ)
(٥٨) ـ وَالذينَ آمَنُوا بـاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ، وَصَدَّقُوا رَسُولَـهُ فِيمَا جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ فَأَطَاعُوهُ فِيهِ، وَانْتَهوا عَمَّا نَهاهُمْ عَنْهُ، فإِنَّهُ تَعالى يَعِدُهُمْ وَعْداً حَقّاً أَنَّهُ سَيُنْزِلُهُمْ فى الجَنَّةِ قُصُوراً، وأَماكِنَ مُرتَفِعَةً (غُرفاً) تَجْرِي في أَرْضِهَا الأَنْهارُ وَسَيَبْقَونَ فِيها خَالِدِين أَبداً، جَزاءً لَهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا.
وَمَا حَصلُوا عَلَيهِ مِنْ جَزاءٍ كَرِيمٍ هُوَ نِعْمَ الأَجْرُ لِمَـنْ عَمِلَ صَالِحاً.
لَنُبوئَنَّهُمْ ـ لَنُنْزِلَنَّهُمْ عَلَى وَجْهِ الإِقَامَةِ.
غُرَفاً ـ مَنَازِلَ رَفِيعَةً عَالِيَةً.

﴿٥٩﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

(٥٩) ـ وَهٰؤُلاءِ العَامِلُون، الذينَ فَازُوا بِغُرفاتِ الجَنَّةِ، هُمُ الذينَ صَبَرُوا عَلَى أَذى المُشْرِكِينَ، وَعَلَى شَدَائِدِ الهِجْرَةِ، وَعَلى الجِهَادِ في سَبِيل اللهِ، وَتوَكَّلُوا عَلَى رَبِّهِمْ في جَمِيعِ أَعْمَالِهِم.

﴿٦٠﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(وَكَأَيٍّ)
(٦٠) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعالى أَنَّ الرِزْقَ لا يَخْتَصُّ بِبُقْعَةٍ دُونَ غَيرِهَا، وأَنَّ رِزْقَ اللهِ لِخَلْقِهِ يَصِلُ إِليهم حَيثُما كانوا، فَكَمْ مِنْ دَابَّةٍ فِي حَاجَةٍ إِلى الغِذَاءِ وَالمَطْعَمِ، وَهِيَ لا تَسْتَطِيعُ جَمْعَ قُوتِها، وَلاَ حَمْلَهُ ولا ادِّخارَهُ إِلى غَدِها، اللهُ يرزُقُها وَإِيَّاكُم يَوْماً بِيومٍ، وَهُوَ السَّمِيعُ لأَقوالِ العِبادِ، العَلِيمُ بَحرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ.

(رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِلْمُؤْمِنينَ بِمَكَّةَ حِينَ آذاهُمُ المُشْرِكُونَ: اخْرُجُوا إِلى المَدِينَةِ وَهاجِرُوا وَلا تُجاوِرُوا الظَّلَمَةَ. قَالُوا: لَيْسَ لَنا بِهَا دَارٌ وَلاَ عَقَارٌ، وَلاَ مَنْ يُطْعِمُنا، وَلاَ مَنْ يَسْقِينا، فَأَنْزَلَ اللهُ هذهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ).

﴿٦١﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ

(لَئِن) (السَّماوَاتِ)
(٦١) وَلَئِنْ سَأَلتَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ بِاللهِ: مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ والأَرضَ فَسَوَّاهُنَّ، وَسَخَّرَ الشمسَ والقَمرَ يَجْرِيَانِ دَائِبَيْنِ لِمَصَالِحِ خَلْقِهِ؟ لَيَقُولُنَّ: الذِي خَلَقَ ذَلكَ كُلَّهُ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى، وَلاَ يَذكُرُونَ أحداً سِواهُ. وإِذا كَانُوا قَدِ اعْتَرَفُوا بأَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ، فَكَيفَ يُصْرَفُونَ عَنِ

(٦٢) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(٦٣) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

(٦٤) وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

(٦٥) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ

الهُدى والحَقِّ، وَعِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ؟

فَأنَّى يُؤْفَكُون - فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَن تَوْحِيدِهِ.

(٦٢) - إنَّ اللهَ يُوسِّعُ الرِّزْقَ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَقْتُرُهُ عَلى مَنْ يَشاءُ (يَقْدِرُ)، حَسْبَما يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ بالمَصالِحِ، فَالأَرْزاقُ وقِسْمَتُها بِيَدِ اللهِ، لا بِيَدِ أَحَدٍ سِواهُ، فَلا يُؤَخِّرَنَّكُمْ عَنِ الهِجْرَةِ وَجِهادِ أَعداءِ اللهِ **خَوْفُ** الفَقْرِ والفاقَةِ، فَمَنْ خَلَقَ الكائِناتِ لا يَعْجَزُ عَنْ أَرْزاقِها، وَهُوَ تَعالى العَليمُ بِمَصالِحِ العِبادِ، فَيَعْلَمُ مَنْ يُصْلِحُهُ بَسْطُ الرِّزْقِ، وَمَنْ يُفْسِدُهُ.

يَقْدِرُ لَهُ - يُضَيِّقُهُ عَلى مَنْ يَشاءُ.

(لَئِن)

(٦٣) - وَإِذا سَأَلْتَ هؤُلاءِ المُشْرِكِينَ: مَنْ يُنْزِلُ مِنَ السَّحابِ المَطَرَ، فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ المَواتَ، فَتُصْبِحُ خَضْراءَ بالنَّبْتِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فيها شَيءٌ مِنَ النَّباتِ، لَيَقُولُنَّ: اللهُ هُوَ المُوجِدُ لِسائِرِ المَخْلُوقاتِ، وَلكِنَّهم، مَعَ اعْتِرافِهِم بِهذا، يُشْرِكُونَ باللهِ بعضَ مَخْلُوقاتِه، التي لا تَقْدِرُ عَلى شَيءٍ مِنَ الخَلْقِ.

فَقُلْ لَهُمْ: الحَمْدُ للهِ عَلى إِظْهارِ الحُجَّةِ، وَعَلى اعْتِرافِهِمْ بأنَّ النِّعَمَ كُلَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلكِنَّ أكثَرَ المُشْرِكِينَ لا يَعْقِلُونَ ما يَقَعُون فيهِ مِنْ تَناقُضٍ، وأَنَّ الأَصْنامَ التي يَعْبُدُونها لا تَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً، وَلا تَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدَها البَشَرُ.

(الْحَياةُ) (الآخِرَة)

(٦٤) - يُخبِرُ تَعالى الخَلْقَ عَنْ حَقارَةِ الدُّنيا وَزَوالِها، فَيَقُولُ: إِنَّ الحَياةَ الدُّنيا شَيءٌ مُنْقَضٍ زائِلٌ عَمّا قَرِيبٍ، وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ هِيَ دارُ الحَياةِ الدَّائِمَةِ، التِي لا زَوالَ لَها، وَلا انْقِطاعَ، ولو كانُوا يَعْلَمُونَ هذِهِ الحَقيقَةَ لَما آثَرُوا الحَياةَ الفانِيَةَ عَلى الحَياةِ الدّائِمَةِ.

لَهْوٌ وَلَعِبٌ - لَذائِذُ مُتصَرِّمَةٌ، وَعَبَثٌ باطِلٌ.

لَهِيَ الحَيَوانُ - لَهِيَ دارُ الحَياةِ الدَّائِمَةِ الخالِدَةِ.

(نَجّاهُم)

(٦٥) - وَالمُشْرِكُون يُؤْثِرُونَ حَياةَ العَبَثِ وَاللَّهْوِ في الرَّخاءِ، وَلكِنَّهُمْ حِينَ ابْتِلائِهِمْ بالشَّدائِدِ: كَرُكُوبِهِمُ البَحْرَ، وخَوْفِهِمْ مِنَ الغَرَقِ فيه، فإنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إلى اللهِ، وَيُعْلِنونَ أنَّهُ لا إِلَه إلا هُوَ، وَلا قادِرَ عَلى حِفْظِهِمْ وإِنْجائِهِمْ مِنَ المَهالِكِ غَيرُهُ، فَيَدْعُونَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَكِنَّهُمْ إذا خَرَجُوا مِنَ البَحرِ عَادُوا إِلى مَا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالعَبَثِ والبَاطِلِ.

الدِّينَ - العِبادَةَ والطَّاعَةَ.

﴿٦٦﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ

(آتَيْنَاهُمْ)

(٦٦) - وَلْيَكْفُرْ هٰؤلاءِ بِمَا أَفاءَ اللهُ عَلَيهِمْ مِنَ النِّعَمِ، وَلْيَجْحَدُوا فَضْلَ اللهِ عَلَيهِمْ بِإِنْجائِهِمْ مِنَ الغَرَقِ، وَلْيَتَمَتَّعُوا بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَتَوادِّهِمْ عَلَيْهَا، فَسَيَعلَمُونَ عَاقِبَةَ ذٰلِكَ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ العَذَابُ والعِقَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ.

﴿٦٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ

(آمِناً) (أَفَبِالْبَاطِلِ)

(٦٧) - أَوَ لَمْ يَرَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيشٍ مَا خَصَصْنَاهُمْ بِهِ مِنَ النِّعَمِ، فَأَسْكَنَّاهُمْ بَلَداً حَرَّمْنَا عَلى النَّاسِ أَنْ يَدْخُلُوه لِغَارَةٍ أَوْ لِحَربٍ، وَجَعَلْنَا مَنْ سَكَنَهُ آمِناً عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، والنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ خَائِفُونَ، يُقْتَلُونَ ويُسْبَوْنَ، وتُسْلَبُ أَمْوالُهُمْ، فَكَيفَ لاَ يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ عَلَى هٰذِهِ النِّعْمَةِ الكُبْرَى بالإِيمان والطَّاعَةِ، والإِقلاعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ البَاطِلِ وَالشِّرْكِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ والأَصْنَامِ مِنْ دُونِ اللهِ؟.

يُتَخَطَّفُ النّاسُ - يُسْتَلَبُونَ قتلاً وأسراً.

﴿٦٨﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡكَٰفِرِينَ

(لِلْكَافِرِينَ)

(٦٨) - وَلاَ أَحَدَ أَكْثَر ظُلْماً مِمَّنْ كَذَبَ عَلى اللهِ، فَقَالَ إِنَّهُ أُوحِيَ إِليهِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُوحَ إِليهِ شيءٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَوْ زَعَمَ أَنَّ للهِ شَرِيكاً، أَوْ قَالَ - إِذا فَعَلَ فَاحِشَةً - إِنَّ اللهَ أَمَرَهُ بِهَا، أَوْ كَذَّبَ بِكِتَابِ اللهِ الذِي أَنْزَلَهُ عَلى رَسُولِهِ ﷺ دُونَ أَنْ يَتَمَعَّنَ فِيهِ، وَدُونَ أَنْ يُحَاوِلَ فَهْمَ مَقَاصِدِهِ وَمَعَانِيهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِالعِقَابِ وَالعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مِنْ هٰؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ المُفْتَرِينَ.

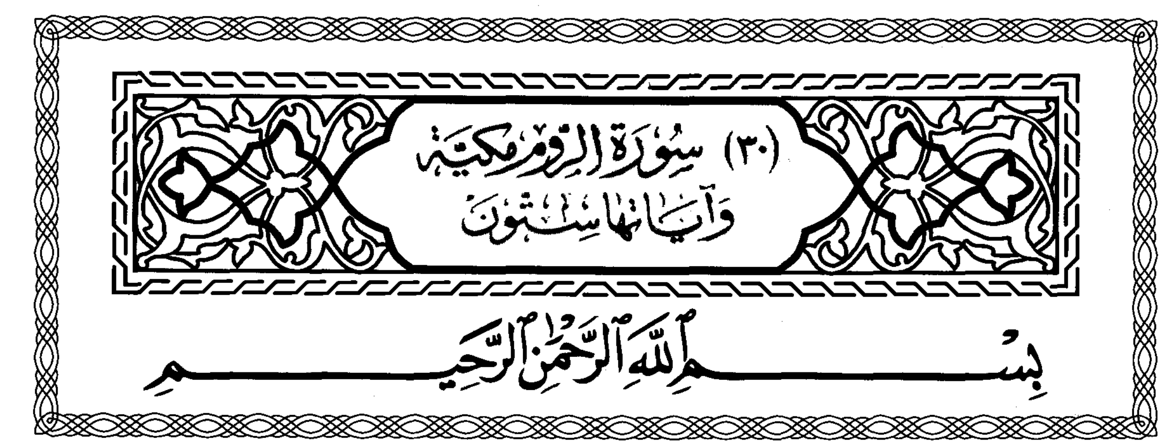
مَثْوى لِلْكَافِرِينَ - مَكَانٌ يَثْوُونَ فِيهِ وَيُقِيمُونَ.

﴿٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

(جَاهَدُوا)

(٦٩) - أَمَّا الذِينَ قَاتَلُوا في سَبِيلِ اللهِ، وَجَاهَدُوا الكُفَّارَ، وَبَذَلُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ في سَبيلِ نُصْرَةِ دِينِ اللهِ، فإِنَّ اللهَ يَعِدُهُم بأَنْ يَزِيدَهُمْ هِدَايَةً إلى سَبِيلِ الخَيْرِ، وَتَوفِيقاً لسُلُوكِها. واللهُ تَعَالى مَعَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ، يُعِينُه وَيَنْصُرُهُ.

فهرس الجزء الثاني





الٓمٓ ﴿١﴾

غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾

فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾

فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾

(ألِف. لَامْ. مِيمْ)

(١) - وَتُقْرأُ مُقَطَّعَةً. كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ. اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٢) - فِي أَوَّلِ عَهْدِ الإِسْلَامِ، وَقَبْلَ الهِجْرَةِ، جَرَتْ حَرْبٌ بَيْنَ الفُرْسِ والرُّومِ فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ، انْتَصَرَ فِيها الفُرْسُ انْتِصاراً سَاحِقاً، وَتَابَعُوا مُطَارَدَةَ الرُّومِ حَتَّى حَاصَرُوا القِسْطَنْطِينِيَّةَ، وَقَدْ حَزِنَ المُسْلِمُونَ لانْكِسَارِ الرُّومِ لأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَفَرِحَ المُشْرِكُونَ وأَظْهَرُوا الشَّمَاتَةَ بالمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُم أَهْلُ كِتَابٍ والرُّومُ أَهْلُ كِتَابٍ، وَنَحْنُ أُمِّيونَ، وَقَدْ ظَهَرَ إِخْوانُنا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَإِنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمونا لَنَظْهَرَنَّ عَلَيكُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ هذِهِ الآيَاتِ.

(٣) - لَقَدْ غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومَ فِي أَقْرَبِ أَرْضِ الرُّومِ مِنْ بِلَادِ العَرَبِ (أَدْنى الأَرْضِ - وَكَانَتِ المَعْرَكَةُ بَينَ الأُرْدُنِّ وفِلَسْطِين) وَلَكِنَّ الرُّومَ سَيَغْلِبُونَ الفُرسَ، خِلَالَ بِضْعِ سِنِينَ (وَالبِضْعُ تَسْتَعْمِلُهَا العَرَبُ لِمَا بَيْنَ الثَّلاثِ وَالتِّسْعِ)، وَكَانَتْ غَلَبَةُ الرُّومِ لِلفُرْسِ خِلَالَ تِسْعِ سَنَواتٍ كَمَا جَاءَ فِي القُرآنِ. وَقَدْ تَرَاهَن أَبُو بَكْرٍ مَعَ أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ (وَهُوَ مِنَ المُشرِكِينَ) عَلَى تَحَقُّقِ غَلَبِ الرُّومِ خِلَالَ تِسْعِ سَنَواتٍ، كَمَا جَاءَ فِي القُرآنِ، عَلَى مِئَةِ نَاقَةٍ، فَرَبِحَ أَبُو بَكْرٍ الرِّهَانَ، وَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ.

أَدْنَى الأَرْضِ - أَقْرَبِ أَرْضِ الرُّومِ إِلَى بِلَادِ العَرَبِ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٤) - وَللهِ الأَمرُ مِن قَبْلِ غَلَبِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ، وَمِنْ بَعْدِهِ، فَمَنْ غَلَبَ فَإِنَّهُ يَغْلِبُ بِأَمرِ اللهِ تَعَالى وَقَضَائِهِ، وَيومَ تَغْلِبُ الرُّومُ الفُرسَ يَفْرَحُ المُؤمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ مَنْ لَهُ كِتَابٌ عَلَى أَهلِ الشِّرْكِ، وَسَيَكُونُ ذَلِكَ فَألاً حَسَناً لِغَلَبَةِ المُسْلِمِينَ عَلَى الكَافِرِينَ.

٥ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

(٥) - ويومَ تَنْتَصِرُ الرُّومُ عَلَى الفُرس يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ إِخْوانَهُمْ أَهْلَ الكِتَابِ عَلَى المُشْرِكِينَ المَجُوسِ، واللهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبادِهِ فَلا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ والانْتِقامِ، وَإِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ عَيَّنَهُ وَحَدَّدَهُ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُون إِليهِ، وَيرجِعُونَ عَمَّا كَانُوا يَجْتَرِحُونَهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ.

٦ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(٦) - وَهٰذا الذي أَخْبَرَكَ بِهِ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَنَّهُ سَيَنْصُرُ الرُّومَ عَلى الفُرسِ، هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللهِ تَعَالى، واللهُ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبداً، لأَنَّ سُنَّتَهُ قَدْ جَرَتْ بِأَنْ يَنْصُرَ أَقْرَبَ الطَّائِفَتَينِ إِلى الحَقِّ، وَيَجْعَلَ لَهَا العَاقِبَةَ. ولٰكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ لِجَهْلِهِمْ، وَعَدَمِ تَفَكُّرِهِمْ في النَّوامِيسِ التي وَضَعَها اللهُ في الكَوْنِ.

٧ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ

(ظَاهِراً) (الْحياة) (غَافِلُونَ)

(٧) - وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ إِلَّا بِالأُمُورِ الدُّنْيا: كَتَدْبِيرِ مَعَايِشِهِمْ، وَتَنْمِيَةِ مَتَاجِرِهِمْ، وَآسْتِثْمَارِ مَزَارِعِهِمْ. . وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ أُمورِ الدِّينِ، وما يَنْفَعُهُمْ في الآخِرَةِ، كَأَنَّ أَحدَهُمْ مُغَفَّلٌ لا عَقْلَ لَهُ.

٨ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ

(السَّماوَاتِ) (بِلِقَاءِ) (لَكَافِرُونَ)

(٨) - أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرْ هٰؤلاءِ المُكَذِّبونَ بالبَعْثِ، مِنْ قَوْمِكَ، فِي خَلْقِ اللهِ لَهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا شَيْئاً، وَتَعَهُّدِهِ لَهُم، حَتَّى صَارُوا كَامِلِي الخَلْقِ وَالعَقْلِ. إِنَّ الذي فَعَلَ ذٰلِكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ خَلْقاً جَدِيداً، ثُمَّ يَبْعَثُهُم لِيُجَازِيَ كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، واللهُ تَعَالى لَا يَظْلِمُ أَحداً، فَلا يُعَاقِبُ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ ذَنْباً، وَهُوَ تعالى لَمْ يَخْلُقِ السَّماوَاتِ والأَرْضَ إلَا بِالعَدْلِ، وَإِقَامَةِ العَدْلِ وَالحَقِّ، إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى. فَإِذا جَاءَ الأَجَلُ أَفْنَى اللهُ ذٰلِكَ الخَلْقَ كُلَّهُ، وَبَدَّلَهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ غَيرَ الأَرْضِ، وَحَشَرَ النَّاسَ لِلحِسَابِ، وَلكِنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ غَفَلُوا عَنِ الآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ، لأَنَّهم لَمْ يَتَفكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم، وَلَوْ تَفَكَّرُوا فِيها، وَدَرَسُوا عَجَائِبَها لأَيقَنُوا بِلِقَاءِ اللهِ.

أَجَلٍ مُسَمًّى - وَقْتٍ مُقَدَّرٍ لِبَقائِهَا.

٩ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ

(عَاقِبَةُ) (بِالْبَيِّنَاتِ)

(٩) - أَوَ لَمْ يَسِرْ هٰؤلاءِ المُكَذِّبُونَ بِوُجُودِ اللهِ وَوحْدَانِيَّتِهِ، وَبِرِسَالَةِ الرُّسُلِ، الغَافِلُونَ عَنِ الآخِرَةِ، في البِلَادِ التي يَقْصِدُونَهَا للتِّجارَةِ،

أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

فَينظُروا إلى آثارِ عِقابِ اللهِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ: كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِهِمْ وَكُفرِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْ قومِكَ قُوَّةً، وَحَرَثُوا الأَرْضَ وَعَمَّرُوهَا أَكثرَ مِمَّا عَمَّرَها كُفَّارُ قُرَيشٍ، ثُمَّ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَمَا كَانَ اللهُ بِظَالِمٍ لَهُمْ، وَلكِنَّهُمْ هُمُ الذينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ.

أَثَارُوا الأَرْضَ - حَرَثُوهَا وَقَلَبُوهَا لِلزِّرَاعَةِ.

(١٠) ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ

(عَاقِبَةَ) (أَسَاؤُوا) (بِآيَاتِ) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(١٠) - وَكَانَتْ عَاقِبَةُ هٰؤلاءِ المُسِيئِينَ المُكَذِّبِينَ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ، سَيِّئَةً فِي الدُّنيا والآخِرَةِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَٱسْتِهْزَائِهِمْ بِرُسُلِهِمْ عُتُوّاً وَٱسْتِكْبَاراً.

السُّوأى - العُقُوبَةَ المُتَنَاهِيَةَ فِي السُّوءِ - وَهِيَ النَّارُ.

(١١) ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(يَبْدَأُ)

(١١) - لَقَدْ أَنْشَأَ اللهُ تَعَالى الخَلْقَ وأَوْجَدَهُ بِقُدْرَتِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيئاً قَبْلَ ذٰلِكَ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِيهِ، وَلاَ مُعِينَ لَهُ فِي ذٰلِكَ، ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَهُ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ فَنَائِهِ وَإِعْدَامِهِ. ثُمَّ يَحْشُرُ اللهُ الخَلْقَ وَيُرجِعُهُمْ إليهِ لِيُحَاسِبَهُمْ على أَعْمَالِهِمْ، وليَجْزِيَ كُلّاً بِعَمَلِهِ.

(١٢) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ

(١٢) - وَيومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ المُجْرِمُونَ إلى اللهِ تَعَالى، وَيَقِفُونَ بين يَدَيهِ سَاكِتِينَ، وَهُمْ يَشْعُرُونَ بِاليَأْسِ والخِزْيِ، لأَنَّهُمْ لاَ يَجِدُونَ مَا يَقُولونَ دِفَاعاً عَنْ أَنْفُسِهِمْ.

أَبْلَسَ - سَكَتَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ - أَوْ يَئِسَ، كَمَا قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ.

(١٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ

(شُرَكَائِهِمْ) (شُفَعَاءُ) (كَافِرِينَ)

(١٣) - وَلَمْ يَجِدُوا أَحداً مِنَ الآلِهَةِ التي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، وَيُشْرِكُونَها بالعِبَادَةِ مَعَ اللهِ، يَتَقَدَّمُ لِيَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، وَيُنْقِذَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَحِينَئِذٍ يَكْفُرُ المُجْرِمُونَ بالشُّرَكَاءِ، وَيَتَبَرؤُونَ مِنْهُمْ.

(أَوْ أَنَّ المَعْبُودِينَ يَكْفُرونَ بِعِبَادَةِ المُجْرِمِينَ إِيَّاهُمْ).

(١٤) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ

(يَوْمَئِذٍ)

(١٤) - وَحِينَمَا تَقُومُ السَّاعَةُ، وَيَتِمُّ الحِسَابُ، يُوَجَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ إلى ما يَسْتَحِقُّهُ مِنْ نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ، فَيَفْتَرِقُ أَهْلُ الإِيمَانِ عَنْ أَهلِ الكُفْرِ، فَلا لِقَاءَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ أَبداً.

(١٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(١٥) - فَأَمَّا الذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ في الدُّنيا، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رِيَاضِ الجَنَّاتِ يَنْعَمُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ.

يُحْبَرُونَ - يَنْعَمُونَ أو يَتَمَتَّعُونَ.

(١٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ

(بِآيَاتِنَا) (لِقَاءِ) (الآخِرَةِ) (فَأُوْلَئِكَ)

(١٦) - وَأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَآيَاتِهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَأَنْكَرُوا البَعْثَ والنُّشُورَ والحِسَابَ في الآخِرَةِ، فَيَكُونُونَ حَاضِرِينَ في العَذَابِ لا يَغِيبُونَ عَنْهُ أبداً.

مُحْضَرُونَ - تُحْضِرُهُمُ المَلائِكَةُ إلى العَذَابِ وَلاَ يَغِيبُونَ عَنْهُ أَبداً

(١٧) فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ

(فَسُبْحَانَ)

(١٧) - هُنَا يُوَجِّهُ اللهُ تَعَالى أَنْظَارَ العِبَادِ إلى تَسْبِيحِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ.

(١٨) وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨) - وَهُوَ الحَقِيقُ بالحَمْدِ، والشُّكْرِ، والثَّنَاءِ، مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، أَهْلِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، فاحْمَدُوهُ وَنَزِّهُوهُ وَقتَ اشْتِدَادِ الظَّلاَمِ في اللَّيلِ (عَشِيّاً)، وَوَقْتَ الظَّهِيرَةِ حِينَ اشْتِدَادِ الضِّيَاءِ.

(١٩) يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ

(يُحْيِي)

(١٩) - فَهُوَ تَعَالى القَادِرُ عَلى خَلْقِ الأَشْيَاءِ وأَضْدَادِها، لِيَدلَّ بذلِكَ عَلى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وقُوَّتِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ إخْرَاجُهُ النَّبَاتَ الحَيَّ مِنَ الحَبِّ المَيِّتِ، وَإِخْرَاجُهُ الحَبَّ المَيِّتَ مِنَ النَّبَاتِ الحَيِّ، وَيُحْيِي الأَرْضَ المَوَاتَ بِمَاءِ المَطَرِ الذي يُنْزِلُهُ مِنَ السَّحَابِ، فَتُخْرِجُ الأَرضُ النَّبَاتَ الرَّطْبَ الغَضَّ بَعدَ أَنْ كَانَتْ صَعِيداً جُرُزاً. وَكَما أَحْيَا اللهُ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها، وَأَخْرَجَ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، كَذلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى، وَيَبْعَثُهُم مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلحِسَابِ والجَزَاءِ.

(٢٠) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ

(آيَاتِه)

(٢٠) - وَمِنْ حُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلى أَنَّهُ الخَالِقُ القَادِرُ عَلى مَا يَشَاءُ مِنْ إِفْنَاءٍ وَإِيجَادٍ، أَنَّهُ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدمَ مِنْ تُرابٍ لا حَيَاةَ فِيهِ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ يُخْلَقُونَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ضَعِيفٍ، ثُمَّ يُقَلِّبُهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ فِي أَطْوارٍ شَتَّى إِلَى أَنْ يَخْرُجُوا أَطْفَالاً، ثُمَّ يَتَطَوَّرُونَ في نُمُوِّهِمْ، ثُمَّ يَنْتَشِرُونَ فِي الأَرْضِ لِلْعَمَلِ فِيها كَسْباً لِمَعَاشِهِمْ، وإِعْمَاراً لها.

تَنْتَشِرُونَ - تَتَصرَّفُونَ فِي شُؤُونِ حَيَاتِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ.

﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ
أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً
وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(آياته) (أَزْواجاً) (لآياتٍ)

(٢١) - وَمِنْ آياتِهِ الدَّالَّةِ عَلى قُدْرَتِهِ تَعالَى عَلى البَعْثِ والإِعادَةِ، أَنَّهُ خَلَقَ لِلبَشَرِ أَزْواجاً مِنْ جِنْسِهِمْ، لِيأْنَسُوا بِهِنَّ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبينَ أَزْواجِهِمْ مَحَبَّةً ورَأْفَةً (مَودَّةً ورَحْمَةً)، لِتَدُومَ الحَياةُ المَنْزِلِيَّةُ.

وَفيما تَقَدَّمَ مِنْ خَلْقٍ مِنْ تُرابٍ، وَخَلْقٍ لِلأَزْواجِ مِنَ الأَنْفُسِ.. وَجَعْلِ المَوَدَّةِ والرَّحْمَةِ تَسُودُ عَلاقَاتِ الأَزْواجِ بعضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ... لَعِبْرَةً لِمَنْ تَأَمَّلَ في ذلك مِنْ ذَوي العُقُولِ والأَفْهامِ.

لتَسْكُنوا إليها - لِتَميلُوا إليهَا وَتَأْلَفُوهَا.

﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّلْعَٰلِمِينَ

(آياتِهِ)(السَّماوَاتِ) (آخْتِلافُ) (أَلْوانِكُمْ) (لآياتٍ) (لِلْعَالِمِينَ)

(٢٢) - ومِنْ آياتِهِ الدَّالَّةِ عَلى قُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ، أَنَّهُ تَعالى خَلَقَ السَّماوَاتِ في آرْتِفَاعِهَا وآتِّسَاعِها، وَخَلَقَ فِيها النُّجُومَ والكَواكِبَ، وَخلَقَ الأَرضَ وَمَا فِيها مِنْ بِحارٍ وَمياهٍ ومخلُوقاتٍ وَنَباتَاتٍ وجِبالٍ، وجَعَلَ أَلسِنَةَ البَشَرِ مُخْتَلِفَةً مُتَمايِزَةً، كَما جَعَلَ أَلوانَ البَشَرِ مُخْتَلِفَةً، وإِن تَشابَهُوا جَميعاً في الخُطُوطِ الكُبرى مِنْ مَلامِحِهِم، وَفي ذَلكَ آياتٌ تَدُلُّ عَلى عَظَمَةِ الخَالِقِ لِأُولِي العِلْمِ الذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا خَلَقَ اللهُ.

﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

(آياتِهِ)(بِاللَّيْلِ) (لآياتٍ)

(٢٣) - ومِنْ عَلامَاتِ قُدْرَتِهِ عَلى الخَلقِ أَنَّكُم تَنامُون في اللَّيْلِ، وتَهْدَؤُونَ، لِتَرتاحَ أَبدانُكُم مِنْ عَناءِ العَمَلِ فِي النَّهارِ، وأَنَّكُم تَنْبَعِثُونَ في النَّهارِ لِلعَمَلِ وطَلَبِ الرِّزْقِ، وفي ذلِكَ عِبَرٌ وأَدِلَّةٌ لِمَنْ يَسْمَعُونَ المَوْعِظَةَ وَيَتَّعِظُونَ بِها.

﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(آياتِهِ) (فَيُحْيي) (لآياتٍ)

(٢٤) - وَمِنْ آياتِهِ الدَّالَّةِ عَلى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، أَنَّهُ يُريكُمُ البَرْقَ فَتَخافُونَ مِنْ صَواعِقِهِ، وَتَرْجُونَ أَن يَأْتِيَكُمْ بَعدَهُ المَطَرُ، لِيُحْيِيَ الأَرْضَ، فَتَغْزُرَ المِياهُ، وَتَنْبُتَ الأَرضُ بالكَلأِ والنَّباتِ، وفي ذلِكَ دَلالاتٌ، وَعِبَرٌ وَاضِحَةٌ لِمَنْ يَتَبَصَّرونَ وَيَعْقِلُونَ، على قُدْرَةِ اللهِ تَعالى عَلى بَعْثِ الخَلائِقِ في الآخِرَةِ، وَنَشْرِهِمْ لِلْحِسابِ والجَزاءِ.

﴿٢٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ
وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ

(آياته)

(٢٥) - ومِنَ الحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ تَعالَى عَلَى مَا يَشاءُ، قِيامُ السَّماءِ والأَرضِ بِلا عَمَدٍ تَحْمِلُها، وَلا أَرْبِطَةٍ تَشُدُّها، وإِنَّما تَقُومانِ بِأَمرِهِ وَتدبيرِهِ، بِمُوْجِبِ نِظامٍ قَدَّرَهُ وَأَقامَهُ فِي الوُجُودِ، وَلا يَزالُ الأَمرُ كَذلِكَ

﴿٢٦﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ

﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

﴿٢٨﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

حتَّى يَنْتهيَ أجلُ العالمِ في المَوعِدِ الذي حَدَّدَهُ اللهُ لانتِهائِهِ، فَتُبدَّلُ الأَرْضُ غيْرَ الأَرْضِ، وتُدَكُّ الجِبالُ، وَحِينَئِذٍ يَأْمُرُ اللهُ فَيُنْفَخُ في الصُّورِ، فَيَخْرُجُ البَشَرُ مِنَ الأَجْداثِ سِراعاً إِلى رَبِّهِمْ مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِ تَعالى.

(السَّماوَاتِ) (قَانِتُونَ)

(٢٦) ـ وَجَميعُ مَنْ خَلَقَهُمُ اللهُ فِي السَّماوَاتِ والأَرْضِ يَخْشَعُونَ لِرَبِّهِمْ، وَيَخْضَعُونَ لَهُ، طَوْعاً أَوْ كَرْهاً.

قَانِتُونَ ـ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ لإِرَادَتِهِ.

(يَبْدَأُ) (السَّماوَاتِ)

(٢٧) ـ وَهُوَ تَعالى الذي بَدَأَ خَلْقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ عَلى غَيرِ مِثَالٍ سَبَقَ، ثُمَّ يقضِي بِفَنَائِها وزَوالِها، ثُمَّ يُعيدُ خَلْقَها، وَكُلُّ ذَلِكَ هَيِّنٌ عليهِ. ثُمَّ لَفَتَ اللهُ تَعَالى نَظَرَ البَشَرِ إلى أَنَّ إعادَةَ الخَلْقِ والصُّنْعِ أَهوَنُ عَلَيهِ مِن ٱبتِدائِهِ، فإِذا كَانَ اللهُ هُوَ الذي بَدَأَ الخَلْقَ بعدَ أنْ لَمْ يَكُنْ شَيئاً، فَمِنَ المَفْرُوضِ في البَشَرِ أَنْ يُدْرِكُوا أَنَّ إِعَادَةَ خَلْقِ الكَائِنَاتِ أَهوَنُ مِنْ خَلْقِهَا ابْتِدَاءً، وَأَنَّ ذَلكَ لَنْ يُعْجِزَ اللهَ تَعالى، فَبَعْثُ البَشَرِ يومَ القِيامَةِ أَسْهَلُ عَلى اللهِ مِنْ خَلْقِهِمْ، وللهِ الوَصْفُ البَدِيعُ في السَّماوَاتِ والأَرْضِ، وَهُوَ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وهُوَ العَزِيزُ الذي لا يُغَالَبُ ولا يُضامُ، وهُوَ الحَكِيمُ في خَلْقِهِ وَتدبيرِهِ، فَلا يَخْلُقُ شَيئاً عَبَثاً لا فَائِدَةَ مِنْهُ.

لَهُ المَثَلُ الأعلَى ـ لَهُ الوَصْفُ الأَعلَى في الجَلالِ والكَمالِ.

(مِمَّا) (أَيْمَانُكُمْ) (فِيمَا) (رَزَقْنَاكُمْ) (الآيَاتِ).

(٢٨) ـ وَهَذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكين الذينَ يَجْعَلُونَ للهِ شُرَكَاءَ، فَيَعْبُدُونَ مَعَ اللهِ آلهةً غَيْرَهُ، وَهُمْ مَعَ ذلكَ مُعْتَرِفُونَ أَنَّ شُرَكاءَهُمْ مِنَ الأَصْنَامِ عبيدٌ للهِ، وَمُلْكٌ لَهُ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ في طَوَافِهِمْ حَوْلَ الكَعْبَةِ: (لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ إلا شَرِيكاً هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ)، فَقَالَ تَعَالى لَهُمْ: إِنَّ اللهَ يَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلاً مُنْتَزَعاً مِنْ أَحوالِ أَنْفُسِكُمْ وَأَوْطَارِها، وَهِيَ أقربُ الأَشياءِ إِليكُم، وَبِهِ يَسْتَبِينُ مِقْدَارُ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ بِعِبَادَتِكُمُ الأَصْنَامَ والأَوثَانَ. وَهَذا المَثَلُ هُوَ: هَلْ يَرْضَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ شَرِيكاً لَهُ فِي مَالِهِ فَيَكُونَ مَعَهُ عَلَى السَّواءِ في التَّصَرُّفِ في المَالِ، فَيَحْسبُ حِسَابَهُ مَعَهُ، فَلا يَتَصَرَّفُ في شَيءٍ مِمَّا يَملِكُ مِنْ دُونِ إِذْنِهِ، كَمَا يَحْسبُ حِسَابَ الشَّرِيكِ الحُرِّ المُمَاثِلِ، وَيَخْشَى أَنْ يَجُورَ عليهِ شَرِيكُهُ، كَمَا يَتَحرَّجُ هُوَ مِنَ الجَوْرِ عَلَى شَرِيكِهِ لأَنَّهُ كُفْءٌ لَهُ وَنِدٌّ (تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ)، فَهلْ يَقَعُ شَيءٌ مِنْ

ذَلكَ فِي مُحِيطِكُمُ القَرِيبِ وشَأْنِكُمُ الخَاصِّ؟ فَإذا كَانَ شَيءٌ مِنْ ذَلكَ لاَ يَقَعُ، فَكَيفَ تَرْضَونَهُ في حَقِّ اللهِ تَعَالى ولَهُ المَثَلُ الأعلَى؟

ثُمَّ قَالَ تَعَالى إنَّـهُ يُفَصِّلُ الآيـاتِ مثلَ هـذا التَّفْصِيلِ البَـدِيعِ بِضَربِ الأمثَالِ الكَاشِفَةِ للمَعَاني، لِيُقَرِّبَها مِنْ أفهَامِ مَنْ يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ في تَدَبُّرِ الأمثالِ، وآستِخراجِ المَعَاني لِلوُصُولِ إلى الأغْراضِ التي تَرْمي إليها.

﴿٢٩﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ

(نَاصِرِينَ)

(٢٩) ـ وَلَكِنَّ الذينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ باللهِ، قَـدِ آتَّبَعُوا أَهْـوَاءَهُمْ جَهْلاً مِنهُمْ بحَقِّ اللهِ عَليهِمْ، وَعَظَمَتِهِ، فَأَشْرَكُوا الأَصْنَامَ والأَوْثَانَ مَعَهُ في العِبَادَةِ، وَلا حُجَّةَ وَلا دَليلَ لَهُم في عِبَادَتِها، فَمَنْ ذَا الذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدِيَ بَشَراً قَدْ خَلَقَ اللهُ فيهِ الاسْتِعْدَادَ لِلضَّلاَلَةِ؟ وَهؤلاءِ الظَّالِمُـونَ لأنفُسِهِمْ لَيسَ لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ قَضَاءِ اللهِ وقَـدَرِهِ، وَلا مَنْ يُجِيرُهُمْ مِنْ بَأْسِهِ وَعِقَابِهِ.

﴿٣٠﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(فِطْرَةَ)

(٣٠) ـ فَوَجِّهْ وَجْهَكَ إلى الدِّينِ الذي شَرَعَهُ اللهُ لَكَ، وَهُوَ الحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إبراهِيمَ التي هَدَاكَ اللهُ إليها، وَفَطَرَكَ عَليهـا، كَمَا فَـطَرَ الخَلْقَ عَلَيهَا، وبهذهِ الفِطرَةِ السَّليمةِ يَهتَدِي البَشَـرُ إلى مَعرِفَـةِ رَبِّهِمْ وخَالِقِهِمْ تَعَـالى وَتَقدَّسَ، وأنَّهُ وَاحِدٌ لا شَريكَ لهُ.

وَقَدْ سَاوَى اللهُ تَعالى بينَ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ في الفِطْرَةِ، لا تَفَاوُتَ بينَ النَّاسِ في ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ في مَعْنَى (لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ): إن ذَلكَ يَعني لاَ تَبدِيلَ لِدِينِ اللهِ.

وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَينِ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِـطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَـوَاهُ هُمَا اللذانِ يُهَوِّدَانِـهِ أَوْ يُنَصِّرَانِـهِ أَوْ يُمَجِّسَانِـهِ كَمَا تُنتِجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَـةً جَمْعَـاءَ. هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ) (البُخَارِي وَمُسْلِمٌ).

ثُمَّ قَالَ تَعالى: إنَّ التَّمَسُّكَ بالشَّرِيعَةِ، وبـالفِطْرَةِ السَّليمَـةِ، هُوَ الـدِّينُ القَيِّمُ المُستَقِيمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعرِفُونَ ذَلِكَ فَهُمْ عَنْهُ نَاكِبُونَ.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ ـ قَوِّمْهُ وَعَدِّلْهُ.

لِلدِّينِ ـ دِينِ التَّوحِيدِ.

حَنِيفاً ـ مَائِلاً إليهِ مُسْتَقِيماً عَلَيهِ.

فِطْرَةَ اللهِ ـ الزَمُوهَا وَهِيَ دِينُ الإسْلاَمِ.

﴿٣١﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

نصف الحزب ٤١

﴿٣٢﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

﴿٣٣﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ

﴿٣٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

﴿٣٥﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ

فطَرَ النَّاسَ عَلَيها - جبَلَهُمْ وطَبَعَهُمْ عليها.
لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ - لدِينِهِ الذي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهِ.
الدِّينُ القَيِّمُ - المُسْتَقِيمُ الذي لاَ عِوَجَ فِيهِ.

(الصَّلاةَ)

(٣١) - فَأَقِمْ وَجْهَكَ أَيُّها الرَّسُولُ أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ لِلدِّينِ الصَّحِيحِ، حُنَفَاءَ مُنِيبِينَ إلى اللهِ تَعالَى، وَخَافُوهُ، وحَاذِرُوا أن تُفَرِّطُوا في طَاعَتِهِ، وتَرْتَكِبُوا مَعْصِيَتَهُ، وداوِمُوا على إِقَامَةِ الصَّلاةِ في أوقَاتِها، وأَتِمُّوهَا بِخُشُوعِها وسُجُودِهَا ورُكُوعِهَا وبِحُضُورِ القَلْبِ، فَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ، وهِيَ تُذَكِّرُ المُؤمِنَ بِرَبِّهِ في كُلِّ حِينٍ، وتَحُولُ بينَهُ وبينَ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ، وأَخْلِصُوا العِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ، ولاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ.
مُنِيبِينَ - رَاجِعِينَ إليهِ بالتَّوبَةِ والإِخْلاَصِ.

(٣٢) - ولاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ الذِينَ بَدَّلُوا دِينَهُم، وغَيَّرُوا فيهِ، وآمَنُوا بِبَعضٍ، وكَفَرُوا بِبَعْضٍ، فَأَصْبَحُوا فِرَقاً وشِيَعاً، وظَنَّ كُلُّ فريقٍ مِنْهُمْ أنهُ على شَيءٍ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ، والهُدَى، فَفَرِحَ بِذَلِكَ.
كانُوا شِيَعاً - فِرَقاً مُخْتَلِفَةَ الأَهْوَاءِ والمَشَارِبِ.

(٣٣) - وإذا مَسَّ هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ ضُرٌّ كَقَحْطٍ وبَلاءٍ وَمَرضٍ وَشِدَّةٍ... دَعَوا اللهَ مُخلِصِينَ لهُ الدِّينَ والعِبَادَةَ وأَفْرَدُوهُ بالتَّضَرُّعِ والاسْتِغَاثَةِ، وَرَجَوْهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُم مَانَزَلَ بِهِمْ مِنْ شِدَّةٍ، ولٰكِنَّهُم حِينَما يَكْشِفُ اللهُ عَنْهُمْ ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وبَلاءٍ يَعودُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ إلى مَا كَانُوا عَليهِ مِنَ الشِّرْكِ باللهِ.

(آتيناهُمْ)

(٣٤) - فَلْيَكْفُرُوا بِنِعَمِ اللهِ وبِمَا آتَاهُمْ مِن فَضْلِهِ، ولْيَجْحَدُوا بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيهِمْ مِنْ كَشْفِ الضُّرِّ والبَلاءِ، ولْيَتَمتَّعُوا بمَا آتاهُمْ مِنَ الرَّخَاءِ والنِّعَمِ، فَإِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ كَيفَ يأخُذُ اللهُ المشركينَ المُفْسِدِينَ، وكيفَ يُعَاقِبُهُمْ على كُفْرِهِمْ وإِفْسَادِهِمْ في الأَرْضِ.

(سُلْطَاناً)

(٣٥) - وَيَسْأَلُ اللهُ تَعَالى هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ مُسْتَنكِراً شِرْكَهُمْ وعِبَادَتَهُمْ غيرَ اللهِ ويُقولُ: هَلْ أنزَلْنا عَلَيهِمْ كِتاباً فيهِ تصديقٌ لِمَا يَقُولُونَ، وإرْشَادٌ إلى مَا يعتَقِدونَ؟ فاللهُ تَعالى لَمْ يُنَزِّلْ كِتَاباً بِهذا، ولَمْ يُرْسِلْ رَسُولاً يقولُ بِهِ، وإِنَّما هُوَ شَيءٌ ابْتَدَعُوهُ هُمْ، وافْتَعَلُوه اتِّباعاً لأَهْوَائِهِمْ.
سُلْطَاناً - كِتَاباً أوْ حُجَّةً.

٣٦ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ
بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ
أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ

(٣٦) - لَقَدْ رُكِّبَ فِي طَبْعِ الإنسانِ الفَرحُ والبَطَرُ، وسُرعَةُ القُنُوطِ واليَأسِ، فإذا كانَ الإنسانُ في نِعمةٍ ورَخاءٍ وأَمنٍ فَرِحَ وبَطِرَ، وتَجاوَزَ الحُدُودَ، وإذا نَزَلَتْ بهِ الشَّدائِدُ والمَصَائِبُ وأَلَحَّتْ عليهِ الجائِحاتُ، بِسَببِ فَسادِ رأيِهِ، وسُوءِ أعمالِهِ، قَنِطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَيئِسَ مِنَ الخَلاصِ مِمَّا هُوَ فيهِ.

فرِحُوا بِهَا - بَطِرُوا وأَشِرُوا.

يَقْنَطُونَ - يَيْئَسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

٣٧ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ

(لآياتٍ)

(٣٧) - أَوَ لا يَعْلَمُ هؤلاءِ أَنَّ المُتَصرِّفَ فِي الحالَينِ: حَالِ الرَّخاءِ وَحالِ الشِّدَّةِ، هُوَ اللهُ تَعالى، وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلكَ بِعَدْلِهِ وحِكْمَتِهِ، فَما لَهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا رَبَّهُمْ في الرَّخاءِ والنِّعْمَةِ، وَلَمْ يَحْتَسِبُوا وَيَصْبِرُوا في الضَّرَّاءِ والشِّدَّةِ؟ كَمَا يَفْعَلُ المُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ؟.

إِنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا أَنَّ حَالَيِ الرَّخاءِ والشِّدَّةِ مِنَ اللهِ لَمَا ضَجُّوا وقَنِطُوا، وَلَمَا فَرِحُوا وَبَطِرُوا، وَلَشَكَرُوا اللهَ في الحالينِ، فَاللهُ تَعالى يُؤَدِّبُ عِبادَهُ، بالرَّحمة والنِّعْمَةِ، كَمَا يُربِّيهِمْ بالشِّدَّةِ والبَلاءِ.

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ لِحِكْمَةٍ.

٣٨ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ
وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُفۡلِحُونَ

(فَآتِ) (أُولئِكَ)

(٣٨) - وإذا كَانَ اللهُ تَعالى هُوَ الذي يَبْسُطُ الرِّزْقَ، وَيَقْدِرُهُ، فَأَعطِ يا أَيُّها النَّبِيُّ أَنتَ والمُؤْمِنُونَ، مَا تَستَطِيعُونَ إعطاءَهُ مِنَ المالِ لِلفُقَراءِ والمُحْتَاجِينَ مِنَ الأَقارِبِ والمَساكِينِ الذينَ لا مالَ لهُمْ، ولِلْمُسافِرينَ أبناءِ السَّبيلِ الذينَ انْقَطَعَتْ نَفَقَتُهُمْ، وَهُمْ بَعيدُونَ عَنْ أَهْلِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ لِيَتمكَّنُوا مِنَ العَوْدَةِ إلى بَلَدِهِمْ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعالى: إنَّ الإعطَاءَ لهؤلاءِ المُحتاجِينَ فيهِ خيرٌ لِلمُعْطِينَ عندَ اللهِ، وهوَ الذي يَتَقَبَّلُ العَملَ الصَّالِحَ، ويَجزِي بهِ فَاعِلَهُ الثَّوابَ الجَزِيلَ، وَقَد رَبِحَ هؤلاءِ المُعْطُونَ في صَفْقَتِهِمْ لأَنَّهُمْ أَعْطَوا مَا يَفْنَى، وَحَصَلُوا على مَا يَبْقَى (وَقِيلَ إنَّ مَعْنَى: ﴿ذَلِكَ خَيرٌ لِمَنْ يُرِيدُ وَجْهَ اللهِ﴾ هُوَ: ذَلِكَ خيرٌ لِلذِينَ يُرِيدُونَ النَّظَرَ إلى وجهِ اللهِ يومَ القِيامَةِ).

٣٩ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ
أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ
وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ

(آتَيْتُم) (لِيَرْبُوَ) (أَمْوالِ) (يَرْبُو) (زَكاةٍ) (فَأُولَئِكَ)

(٣٩) - قَالَ ابْنُ عَبّاس: الرِّبا رِبَوانِ: رِباً لا يَصِحُّ وَهُوَ رِبَا البَيْعِ، وَرِباً لا بَأْسَ بِهِ وَهُوَ هَدِيَّةُ الرَّجُلِ يُرِيدُ فَضْلَهَا وإِضْعافَهَا، وَتَلا هذِهِ الآيَةَ. وَكَذَلِكَ قَالَ عِكْرِمَةُ. فَمَنْ أَعطَى عَطِيَّةً، أو أَهْدَى هَدِيَّةً وهو يريدُ أَنْ يُرَدَّ

وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ

عليهِ النَّاسُ بأكثرَ مِنها، فَلا ثَوابَ لهُ عليهِ عندَ اللهِ وَلٰكِنَّ هٰذا الصَّنيعَ لا إثمَ فيهِ، وَإن كانَ قَدْ نَهى اللهُ رَسُولَه عنهُ حِينَما قالَ: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾[1].

أَمَّا مَنْ أَعطى الصَّدَقَةَ يَبْتَغِي بِها وَجْهَ اللهِ تَعالى خالِصاً، فَأُولئِكَ الذِينَ يُضاعِفُ اللهُ لَهُمُ الثَّوابَ والجَزاءَ (المُضْعِفُونَ).

(وَجاءَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: وَمَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِعَدلِ تَمرةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلَّا أَخذَهَا الرَّحْمٰنُ بِيَمِينِه فَيُرَبِّيها لِصاحِبِها كَما يُرَبِّي أَحدُكُم فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى تَصيرَ التَّمرةُ أعظمَ مِنْ أُحُدٍ).

الرِّبا - هُوَ المُحَرَّمُ المَعْرُوفُ.

لِيَرْبُوَ - لِيَزِيدَ ذَلكَ الرِّبَا.

فَلاَ يَرْبُو - فَلاَ يَزْكُوْ وَلاَ يُبارَكُ فِيهِ.

المُضْعِفُونَ - ذَوُو الأَضْعافِ مِنَ الحَسَناتِ.

٤٠ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ

(شُرَكائِكُم) (سُبْحانَهُ) (تَعالَى)

(٤٠) - اللهُ تَعالى هُوَ الذي خَلَقَكُمْ ولَمْ تَكُونوا شَيئاً، يُخْرِجُ الإنسانَ من بَطْنِ أُمِّهِ عُرْياناً، ثُمَّ يَرْزُقُهُ السَّمْعَ والبَصَرَ، والقُوَّةَ واللِّباسَ، والعِلْمَ والمالَ، ومَا تَقُومُ بهِ الحَياةُ، ثمَّ بعدَ هٰذه الحياةِ يُمِيتُكُم، ثُمَّ يَعودُ فَيُحْيِيكُمْ يومَ القِيامَةِ، لِيُحاسِبَكُمْ عَلى أَعْمالِكُم كُلِّها.

ثُمَّ يَسأَلُ اللهُ تَعالى المُشْرِكِينَ مُسْتَنْكِراً وَمُقَرِّعاً: هَلْ أَحَدٌ مِنَ الآلِهةِ التي يَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أصنامٍ وأوثانٍ وغيرِها. . . مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يفعلَ ذَلكَ؟

وَبِما أَنَّ هذهِ الأصنامَ والأَوثانَ والآلهةَ المَزْعُومَةَ لا تَسْتَطِيعُ لأحدٍ ولا لِنَفْسِها نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً، وَكُفّارُ قُرَيشٍ يَعْرِفُونَ ذَلكَ وَيَعْتَرِفُونَ بِهِ، لِذَلِكَ قَالَ تَعالَى: تَنَزَّهَ اللهُ وَتَعاظَمَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَريكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ وَلَدٌ.

٤١ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ

(٤١) - ظَهَرَ الفَسادُ فِي العَالَمِ بالفِتَنِ والحُروبِ والاضْطِرابَاتِ. . وذَلكَ بِسَبَبِ مَا اقْتَرَفَهُ النَّاسُ مِنَ الظُّلمِ، وانْتِهاكِ الحُرُماتِ، والتَّنَكُّرِ لِلدِّينِ، وَنِسيانِ يومِ الحِسابِ فانطَلَقَت النُّفُوسُ مِنْ عِقالِها، وَعاثَتْ فِي الأرضِ فَساداً بِلاَ وازِعٍ وَلاَ رَقيبٍ مِنْ ضَميرٍ أَوْ وُجدانٍ أو حَياءٍ أَوْ حِسابٍ لِدِينٍ، فَأَذَاقَهُم اللهُ جزاءَ بعضِ ما عَمِلُوا مِنَ المَعاصِي والآثامِ، لَعَلَّهُمْ يَرجِعُونَ إلى الحَقِّ، وَيَكُفُّونَ عَنِ الضَّلالِ والغِوايةِ، وَيتَذَكَّرُونَ يومَ الحِسابِ.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٦.

﴿٤٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ

(عَاقِبَةُ)

(٤٢) - وَلَمَّا كَانَ ظُهورُ الفَسادِ مِنْ نَتيجَةِ أَعْمالِ العِبادِ وَتَقْصيرِهِمْ فِي حَقِّ أَنْفُسِهِم، وَفِي حَقِّ خالِقِهِمْ، وَمُخالَفَتِهِمْ شَرْعَ اللهِ، فَقَدْ لَفَتَ اللهُ تَعالى أَنْظارَ العِبادِ إِلى مَا حَلَّ بالأُمَمِ المُفْسِدَةِ السَّالِفَةِ، وَكَيفَ دَمَّرَهُمُ اللهُ وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُم أَحداً، فَقَالَ تَعالى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لهؤلاءِ المُشرِكينَ مِنْ قَومِكَ: سِيرُوا فِي أرضِ اللهِ الواسِعَةِ، فَانظُرُوا إلى مَساكِنِ الذينَ كَفَرُوا باللهِ، وَكَذَّبوا رُسُلَهُ، كَيفَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً لأَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ باللهِ.

﴿٤٣﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ

(يَوْمَئِذٍ)

(٤٣) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ بالمُبادَرةِ إلى الاسْتِقامَةِ في طَاعَتِهِ، واتِّباعِ نَهْجِهِ القَويمِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجيءَ يومُ القِيامَةِ، وَهُوَ يومٌ لا رَادَّ لَهُ، وَسَيَقَعُ حَتماً لا مَحالَةَ. وفي ذلكَ اليومِ يَتَفَرَّقُ النَّاسُ بِحَسَبِ أَعْمالِهِمْ، فَريقٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَيَنْعَمُ فِيها بالحَياةِ السَّعيدَةِ، وفَريقٌ يَدْخُلُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً.

الدِّينِ القَيِّمِ - المُسْتَقيمِ. دِينِ الفِطْرَةِ.

لا مَرَدَّ لَهُ - لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلى رَدِّهِ.

يَصَّدَّعُونَ - يَتفَرَّقُونَ إلى الجَنَّةِ أَوْ إِلى النَّارِ.

﴿٤٤﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ

(صَالِحاً)

(٤٤) - مَنْ كَفَرَ باللهِ تَعالى، وَعَمِلَ السَّيِّئَاتِ فَعَليهِ وَحْدَهُ وِزْرُ كُفْرِهِ، وآثامُ جُحُودِهِ بِنِعَمِ اللهِ. وَمَنْ آمَنَ باللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً، وَأَطاعَ اللهَ فِيما أَمَرَ، وابْتَعَدَ عَمَّا نَهى عَنْهُ وَزَجَرَ فَيكُونُ كَمَنْ مَهَّدَ لِنَفْسِهِ الفِرَاشَ وَوَطَّأَهُ، حَتَّى لا يُقَضَّ مَضْجَعُهُ، وَيَكُونُ في الآخِرَةِ مِنَ الفَائِزِينَ (أَوْ يَكُونُ كَمَنْ مَهَّدَ لِنَفْسِهِ طَرِيقَ الجَنَّةِ).

يَمْهَدُونَ - يُوطِئُونَ الفِرَاشَ - أَوْ طَرِيقَ الجَنَّةِ.

﴿٤٥﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الْكَافِرِينَ)

(٤٥) - وَيَجْمَعُ اللهُ تَعالى الخَلائِقَ يَومَ القِيامَةِ لِيُحاسِبَهُمْ عَلى أَعْمالِهِمْ، ثُمَّ يُفَرِّقُهُمْ بِحَسَبِ هذهِ الأعمالِ، فأَمَّا الذينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيَجزِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَيُضاعِفُ لهُمْ رَبُّهُمُ الحَسَنَاتِ، وأَمَّا الكَافِرونَ فإِنَّهُمْ يَلْقَونَ جَزاءَهُمُ العادِلَ، بِلا جَوْرٍ وَلا ظُلْمٍ، مَعَ أَنَّهُ تَعالى لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ، ولكِنَّهُ لا يَجْزِيهِمْ إلا بالعَدْلِ التَّامِّ.

(٤٦) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(آياتِه) (مُبَشِّراتٍ)

(٤٦) - وَمِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنَّهُ تَعَالَى يُرسِلُ الرِّيَاحَ لِتُبَشِّرَ النَّاسَ بـالمَطَرِ الـذِي يَأْتِي فِي إِثْرِ الرِّيَـاحِ ، فَيَـرْوِي المَـطَرُ الأَرضَ، فَتُنْبِتُ بالزُّرُوعِ والنَّبَاتِ، وتُخْرِجُ الثِّمَارَ والحُبُوبَ فيَأْكُلُ مِنْهَا النَّاسُ والأَنْعَـامُ (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) وَتَجرِي السُّفُنُ بِفِعْلِ الرِّيَاحِ فِي البِحَارِ والأَنهَارِ تَحْمِلُ النَّاسَ والأَقواتَ وأنواعَ البَضَائِعِ ، مِنْ قُـطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، فَيَسْتَفِيـدُ الخَلْقُ مِنَ الاتِّجَارِ بِها. وَيُريدُ اللهُ أَنْ يَذْكُرَ الخَلقُ آلاءَهُ ونعمَهُ فَيَشْكُرُوهُ عَلَيها.

(٤٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٤٧) - وَلَقَدْ أَرسَلْنَا، يَـا مُحَمَّدُ، قَبْلَكَ رُسُـلاً إِلى أَقْوامِهِمْ بـالدَّلائـلِ الوَاضِحاتِ عَلَى أَنَّهُمْ رُسُـلُ اللهِ، وأَنَّهُمْ مُرْسَلُونَ إِليهِمْ لـدَعْوتِهِمْ إِلى عبـادةِ اللهِ وحدَهُ لا شَـريكَ لـهُ، فَكَذَّبَتِ الأَقْـوامُ رُسُلَها، فـانْتَقَمْنا مِنَ الكَافِرِينَ الذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ، وَنَجَّينا الذينَ آمَنُوا باللهِ، واسْتَجَابُوا لدَعْوةِ رُسُلِهِ وقَدْ أَوْجَبنا عَلَى أَنْفُسِنا نَصرَ المُؤْمنينَ، وَكَذَلِكَ نَفْعَلُ، فَلا تَبْتَئِسْ يَا مُحَمَّدُ لما تَرَاهُ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِـكَ لَكَ، وَمِنْ إِيـذَائِهِمْ إِيَّاكَ، فَسَنَنْصُرُكَ عليهِمْ.

(٤٨) ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

(الرِّيَاحَ) (خِلالِهِ)

(٤٨) - يُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى الرِّيَاحَ فَتُنْشِىءُ سَحَاباً فَيَنْشُرُهُ فِي السَّمَـاءِ أَوْ يَجْمَعُهُ، أَوْ يَجْعَلُهُ قِطَعاً (كِسفاً)، فَترى قَطَراتِ المَاءِ (الوَدْق) تَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِ السَّحَابِ، فإذا أَصَابَ المَطَرُ مَنْ أَرادَهُمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ فَرِحُوا بِهِ، واستَبْشَرُوا بالخَيرِ والخِصْبِ.

فَتُثِيرُ سَحاباً - فَتُنْشِئُهُ وَتُحرِّكُهُ وَتَنْشُرُهُ.

يَجْعَلُهُ كِسَفاً - قِطَعاً مُتَفرِّقَةً.

الوَدْقَ - المَطَرَ.

مِنْ خِلاَلِهِ - مِنْ فُرَجِهِ وَوَسَطِهِ.

(٤٩) وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ

(٤٩) - وَقَدْ كَانُوا قَبلَ أَنْ يَنزِلَ عَلَيهِمُ المَطَرُ قَانِطِينَ يَائِسِينَ (مُبْلِسِينَ)، فَلَمَّا جاءَهُمُ المَطرُ اسْتَبْشَرُوا، وانتَعَشَتْ آمالُهُمْ.

مُبْلِسِينَ - يَائِسِين مِنْ نُزُولِ المَطَرِ.

(٥٠) فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ

(آثَارِ) (رَحْمَةِ) (يُحْيِي) (لَمُحْيِي)

(٥٠) - فَانْظُر يَا مُحَمَّدُ إِلى الآثَارِ التِي يُحْدِثُها نُزُولُ المَـطَرِ، فَتَحيَا بـهِ الأَرضُ، وتُنْبِتُ الـزُّرُوعَ، والنَّبَاتَ والخُضْـرَةَ والثِّمَارَ، بَعْـدَ أَنْ كَـانَتْ مَوَاتاً.

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَالذي قَدرَ عَلى إحْيَاءِ الأرْضِ المَوَاتِ لَقَادِرٌ عَلى إحْيَاءِ المَوتَى مِن قُبورِهِمْ يومَ الحَشْرِ، وَهُوَ قادِرٌ عَلى كُلِّ شَيءٍ، فَقَدْ أَوْجَدَ اللهُ الكَوْنَ وَمَا فِيهِ وَمَنْ فِيهِ مِنْ عَدَمٍ.

(٥١) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ

(لَئِن)

(٥١) - وَإذا أَرْسَلَ اللهُ رِيحاً بَارِدَةً، أَوْ رِيحاً حَارَّةً لَفَحَتْ زُرُوعَهُمْ وَثِمارَهُمْ، فأَتْلَفَتْها فاصْفرَّتْ مِنْ بَعْدِ خُضْرةٍ، وذَوَتْ مِنْ بعدِ نُضْرةٍ، لَتبدَّلَتْ فَرْحَتُهُمْ حُزناً، ولانْقلَبَ رَجاؤُهُم قُنوطاً وَكُفْراً وَجُحُوداً بأَنْعُمِ اللهِ السَّالِفَةِ لاضْطِرابِ عَقِيدَتِهِمْ وَتَشكُّكِهِمْ، فالمؤْمِنُ مِنْ وَاجِبِهِ أَنْ يَتوَكَّلَ عَلى اللهِ في كُلِّ حِينٍ، وَفي كُلِّ حَالٍ، وأَنْ يَشْكُرَهُ أَبداً وَدائِماً.

فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً - فرَأَوا النَّباتَ مُصْفَرّاً بعدَ الخُضْرَةِ.

(٥٢) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ

(٥٢) - وَكما أَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْمِعَ الأمواتَ في أَجْداثِها، وَلا أَنْ تُسْمِعَ الذينَ فَقَدُوا حَاسَّةَ السَّمْعِ (الصُّمّ)، وَلا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَ مَنْ تَصامُّوا عَنْ فَهْمِ آياتِ اللهِ فَتَجْعَلَهُم يَسْمَعُونَها، وَيَفْهَمُونَها، فَكَذلِكَ إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهدِيَ مَنْ أَضلَّهُ اللهُ فَتَرُدَّهُ عَنْ ضَلالِهِ، فَاللهُ وَحْدَهُ القَادِرُ على فِعلِ ذَلِكَ، فَهُوَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَلا تَحْزَنْ أَنْتَ عَلَيهِمْ، وَلا تَبْتَئِسْ مِنْ عِنادِهِمْ وَإِصْرارِهِمْ عَلَى البَقاءِ في الضَّلاَلَةِ.

(٥٣) وَمَا أَنتَ بِهَٰدِ الْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ

(بِهَادِي) (ضَلاَلَتِهِمْ) (بآيَاتِنا)

(٥٣) - وهؤلاءِ الكُفَّارُ المُعانِدُونَ هُمْ كَالعُمْيِ لانْغِلاقِ قُلُوبِهِمْ عَنِ الهُدَى، وإِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ هِدَايَتَهُمْ، وَلا صَرْفَهُمْ عَنْ كُفْرِهِمْ إلى الإيمانِ، فَأَنْتَ لا تستطيعُ أَنْ تُسْمِعَ أَحداً سَماعاً يَنْتَفِعُ بِهِ إلاَّ إذا كَانَ قلبُهُ قَدْ تَهيَّأَ لِلإيمانِ بآياتِ اللهِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الذي إذا سَمِعَ كِتابَ اللهِ تَدَبَّرَهُ، وَفَهِمَهُ، وعمِلَ بِمَا فيهِ بِخُشُوعٍ وانْقيادٍ لأَمرِ اللهِ تَعَالى.

(٥٤) ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

(٥٤) - يَرُدُّ اللهُ تَعالى عَلى المُشْرِكِينَ الذينَ يُنْكِرُونَ البَعْثَ والنُّشورَ قائِلاً: إنَّهُ تَعالى خلَقَ الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ جَعلَهُ يَمُرُّ في أَطْوارٍ مُتَعَدِّدَةٍ حتَّى يَخرُجَ طِفْلاً ضَعِيفاً عَارِياً، ثُمَّ يَنمو ويَكْبَرُ فَيُصبحُ قَوياً، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْقِدُ قُوَّتَهُ شَيئاً فَشَيئاً، حَتَّى يَعُودَ ضَعيفاً ويَعْلُوهُ الشَّيْبُ. واللهُ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ مِنْ ضَعْفٍ وقُوَّةٍ وشَبابٍ ومَشِيبٍ، وَهُوَ العَلِيمُ بِحالِ خَلْقِهِ، وَهُوَ القَادِرُ على كُلِّ شيءٍ، وَلا يَمْتَنِعُ عليهِ شَيءٌ.

فَمَنْ فَعَلَ كُلَّ هذا لا يَصْعُبُ عَلَيهِ أَنْ يُعِيدَ نَشْرَ الخَلْقِ، وَبَعْثَهُمْ مِنْ قُبورِهِمْ يومَ القِيَامَةِ.

شَيْبَةً - حَالَ الشَّيْخُوخَةِ وَالهَرَم.

٥٥ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ

(٥٥) - وحِينَما تَقومُ السّاعَةُ، ويَبْعَثُ اللهُ مَنْ في القُبورِ، يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ الذِينَ كَفَرُوا باللهِ، وعَمِلُوا السَّيِّئاتِ في الحَياةِ الدُّنيا، أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ حياتُهُمْ في الدُّنيا إلاّ ساعَةً واحِدَةً (أَوْ أَنَّهُمْ ما لَبِثُوا في قُبورِهِمْ إلا ساعَةً واحِدَةً)، لِذلِكَ لَمْ تَكُنْ كافيةً لهُمْ لِيَعْرِفُوا خالِقَهُم، ولِيُدْرِكُوا ما جاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ. وَهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ لِيَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِم الحُجَّةَ القائِمَةَ عَلَيهِمْ. وَكَما كانُوا في الدُّنيا يَعرِفُونَ الحَقَّ وَيُصْرَفُونَ عَنْهُ إلى الباطِلِ، وَيَكْذِبُونَ وَيحلِفُونَ عَلى الكَذِبِ، كَذلِكَ يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ في الآخِرَةِ ويَكْذِبُونَ في قَوْلِهِمْ أَنَّهُمْ ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ، وَيَحْلِفُونَ عَلى الكَذِبِ.

يُؤْفَكُونَ - يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ وَالصِّدْقِ.

٥٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(الإيمَانَ) (كِتَابِ)

(٥٦) - فَيَرُدُّ الذينَ أُوتُوا العِلْمَ بِكِتَابِ اللهِ، وبِالإِيمَانِ باللهِ مِنَ الأَنبياءِ والمَلائِكَةِ والمُؤْمنينَ عَلى هٰؤلاءِ المُنكِرينَ في الدُّنيا، الذينَ يَحْلِفُونَ على أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا في الدُّنيا (أَوْ في قُبورِهم) إلا ساعَةً واحِدَةً قائلين: إِنَّهُم لَبِثُوا في قُبُورِهِم مِنْ يومِ مَماتِهِمْ إلى يَوْمِ البَعْثِ، فَهَذا هُوَ يومُ البَعْثِ الذي أَنكَرُوهُ في الدُّنيا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ هُناكَ مِثْلُ هٰذا اليوم بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ، وَغَفْلَتِهِمْ وقِصَرِ نَظَرِهِمْ.

٥٧ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ

(فَيَوْمَئِذٍ)

(٥٧) - وفي يَومِ القِيامَةِ لا يَنْفَعُ الذينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم بِكُفْرِهِم، وإِنْكارِهِمُ البَعْثَ، ما يُقَدِّمُونَهُ مِنْ أَعذارٍ يُبَرِّرُونَ بِها كُفْرَهُمْ وَظُلْمَهُم (كَقَوْلِهِم: ما عَلِمنا أَنَّ هٰذا اليومَ كائِنٌ..) وَلا هُمْ يَرْجِعُونَ إِلى الدُّنيا لِيَتُوبُوا وَلِيَعْمَلُوا صالِحاً، فَلا الرَّجعَةُ مُمْكِنَةٌ، وَلا التَّوبَةُ مَقْبُولَةٌ لأَنَّ أَوانَها قَدْ فاتَ، وَلا يَطْلُبُ إِليهِمْ أَحَدٌ أَنْ يَفْعَلُوا ما يُرضِي اللهَ تَعالى وَيُزِيلُ عَتَبَهُ عَلَيْهِمْ لِهَوانِهِمْ عَلَيهِ.

لا يُسْتَعْتَبُونَ - لا يُطْلَبُ مِنْهُمْ إِزالَةُ عَتَبِ رَبِّهِمْ عَلَيهِمْ بالتَّوبَةِ.

٥٨ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ

(القُرآنِ) (لَئِن) (بِآيَةٍ)

(٥٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى: أَنَّهُ ضَرَبَ الأَمثالَ لِلنّاسِ لِلدَّلالَةِ عَلى وُجودِهِ وَوَحدانِيَّتِهِ تَعالى، وَعَلى قُدْرَتِهِ، وَعَلى خَلْقِهِ الكَوْنَ بِما فِيهِ، لِيَتَبَيَّنُوا الحَقَّ ولِيَتَّبِعُوهُ، ولكِنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ ٱسْتِكْباراً وَعِناداً. وَيَقُولُ تَعالى لِرَسُولِهِ: إِنَّكَ لَوْ جِئْتَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ عَلَى صِدْقِ ما تَقُولُ فَإِنَّهُمْ لَنْ

(٥٩) كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

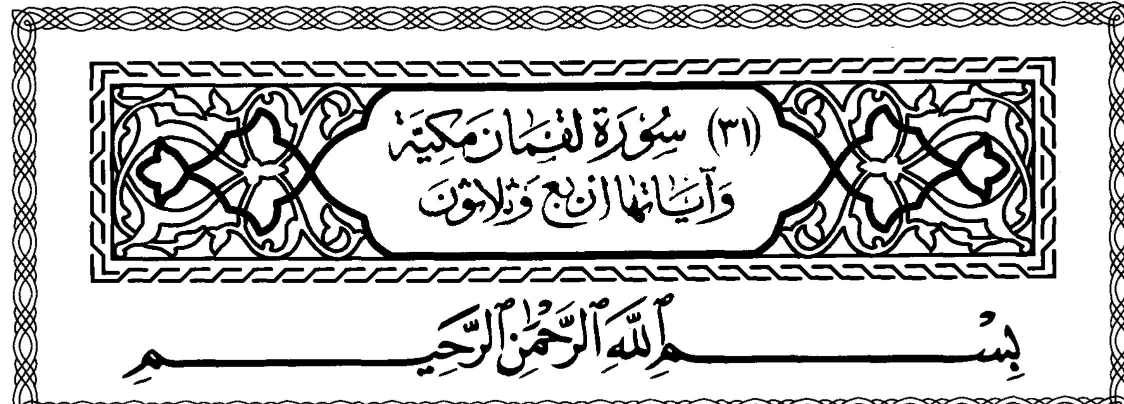
(٦٠) فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

يُؤْمِنُوا لَكَ، وَسَيَقُولُونَ إِنَّهُ سِحْرٌ، أَوْ إِنَّهُ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، وإِنّ مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ بَاطِلٌ.

(٥٩) ـ وَيَخْتِمُ اللهُ مِثْلَ هَذَا الخَتْمِ عَلَى قُلوبِ الذين لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الآياتِ والحُجج فَلا يَسْتَطِيعونَ فَهْمَ مَا يُتْلَى عَلَيهِمْ مِنَ القُرآن، وَلا إدراكَ حَقِيقَةِ الإيمانِ.

(٦٠) ـ فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَذَى هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ، وَلا تَلْتَفِتْ إلى تَكذِيبِهِم وَمُكَابَرَتِهِمْ، وبَلِّغْهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، فَإِنَّهُ وَعَدَكَ النَّصرَ والظَّفَرَ، وسَيُنْجِزُ لَكَ وَعْدَهُ، وَلا يَحْمِلَنَّكَ الذِين لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ (لَايُوقِنُونَ) عَلَى الخِفَّةِ والانْفِعَالِ، فَيَصْرِفُوكَ بذلِكَ عَمَّا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ إبْلاغِ رِسَالاَتِهِ إلى النَّاسِ.

لَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ـ لَا يَحْمِلَنَّكَ عَلَى الخِفَّةِ والقَلَقِ.



(١) الٓمٓ

(أَلِف) (لَام) (مِيم)

(١) - وتُقرأُ مُقَطَّعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ، اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٢) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ

(آيَاتُ) (الْكِتَاب)

(٢) - هَٰذِهِ هِيَ آيَاتُ القُرآنِ الحَكِيمِ بَيَاناً وَتَفْصِيلاً.

(٣) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ

(٣) - وَهِيَ تَهدِي مِنَ الزَّيغِ الذينَ أَحْسَنُوا العَمَلَ واتَّبَعُوا الشَّرِيعَةَ، وتَشْفِيهِمْ من الشَّكِّ والضَّلاَلَةِ.

(٤) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

(الصَّلاَةَ) (الزَّكَاةَ) (بالآخِرَةِ)

(٤) - ثُمَّ يُعَرِّفُ اللهُ تَعالَى هَؤُلاءِ الذينَ يُحْسِنُونَ العَمَلَ، وَيَهْتَدُونَ بالقُرآنِ، فَيَقُولُ: إنَّهم الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ عَلَى وَجْهِهَا الأَكْمَلِ، ويُتِمُّونَها بِخُشُوعِها وَرُكُوعِها وَسُجُودِها، وَيُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ عَلى أَموالِهِم، وَيُؤْمِنُونَ إِيماناً ثَابِتاً رَاسِخاً بِأَنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ الخَلاَئِقَ في الآخِرَةِ، وأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وأَنَّهُ سَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

(٥) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

(أُوْلَئِكَ)

(٥) - وَهَؤُلاءِ الذينَ اتَّصَفُوا بالصِّفَاتِ المُتَقَدِّمَةِ، هُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ وَنُورٍ مِنْ رَبِّهِمْ، وَهَؤُلاءِ هُمُ الفَائِزُونَ بِمَا أَمَّلُوا مِنْ ثَوابِ اللهِ يومَ القِيَامَةِ، فَرَبِحَتْ صَفْقَتُهُمْ.

(٦) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا

(أُوْلَئِك)

(٦) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالَى حَالَ السُّعَداءِ، الذِينَ يَهْتَدُون بكِتَابِ اللهِ وآياتِهِ، وَيَنْتَفِعُونَ بسَمَاعِها، ثَنَّى بِذِكْرِ حَالِ الأَشقِياءِ الذينَ أَعْرَضُوا عَنِ الانْتِفَاعِ بِكَلامِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى مَا لاَ فَائِدَةَ مِنْهُ يَتَلَهَّوْنَ بِهِ مِنْ

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ

لَغو الحَديثِ، لِيُضِلُّوا النَّاسَ عَنِ السَّبيلِ الذِي يُوصِلُ إلى اللهِ. وهٰؤلاءِ يُجازِيهِمُ اللهُ، يَومَ القِيامَةِ، بالعذابِ المُخزي المُهِينِ.
(هٰذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الحَارِثِ فقَدِ اشْتَرى جارِيَةً مُغَنِّيَةً (قَيْنَةً) وَكَانَ إذا سَمِعَ بأَحَدٍ يُرِيدُ الإِسْلامَ انطَلَقَ بهِ إلى قَيْنَتِهِ، فَيَقُولُ لَها أَطْعِمِيهِ واسْقِيهِ وَغَنِّيهِ، هٰذا خَيرٌ مِمَّا يدعُو إليهِ مُحَمَّدٌ).
لَهو الحَديثِ - الحَديثُ الباطِلُ المُلْهِي عَنِ الخَيْرِ.
هُزُواً - سُخْرِيَةً - مَهْزوءاً بِها.

وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

(آيَاتُنَا)
(٧) - وَإذا قُرِئَتْ آيَاتُ القُرآنِ عَلَى هٰذَا الذي يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبيلِ اللهِ، فإنهُ يُعرِضُ عَنْها، وَيُولِّي مُسْتَكبِراً غيرَ مُهْتَمٍّ بها، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْها لِصَمَمٍ في أُذُنَيهِ، فَبَشِّر هٰذا المُعرِضَ المُسْتَكْبِرَ، بأَنَّهُ سَيلْقَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَاباً مؤلماً مُهيناً.
وَلَّى مُسْتَكْبِراً - أَعْرَضَ مُتَكَبِّراً عَنْ تَدَبُّرِهَا.
وَقْراً - مَانِعاً عَنِ السَّماعِ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتُ)
(٨) - أَمَّا المُؤْمِنُونَ الأَبْرارُ الصَّالِحُونَ فإنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْزِيهِمْ بإِدْخالِهِمْ، يَوْمَ القِيامَةِ، فِي جَنَّاتٍ يَنْعَمُونَ فِيها.

خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾

(خالِدِينَ)
(٩) - وَيَبْقَونَ في هٰذِهِ الجَنَّاتِ خَالِدِينَ أَبداً، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، وَلا يَنْقَضِي نَعِيمُهُم وَلا يَنْقُصُ، وهٰذا الذِي وَعَدَهُمْ بِهِ اللهُ، هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ لأَنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أبداً، وَهُوَ تَعالى العَزِيزُ الذِي قَهَرَ كُلَّ شيءٍ، وَخضَعَ لَهُ كُلُّ شَيءٍ، وَهُوَ الحَكِيمُ في أَقْوالِهِ وأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾

(السَّماوَاتِ) (رَوَاسِي)
(١٠) - وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى البَعْثِ والنُّشُورِ، أَنَّهُ خَلَقَ السَّماوَاتِ لا تَسْتَنِدُ إلى أَعْمِدَةٍ تَحْمِلُها، كَما يَرَى النَّاسُ ذَلك، وَإِنَّما تَقُومُ بقُدْرَتِهِ تَعالى وَإِرادَتِهِ، وَجَعَل في الأرضِ جِبالاً تُرسِيهَا وَتُثَبِّتُها لِكَيْلا تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْها، وَتَمِيدَ بِهِمْ، وَخلَقَ فِي الأَرضِ حَيَوانَاتٍ مِنْ مُخْتَلِفِ الأَشْكَالِ والأَنْواعِ والأَلْوانِ، وَبَثَّهَا فِيها، ثُمَّ أَنْزَلَ تَعَالى مَطَراً مِنَ السَّماءِ فَسَقَى بِهِ الأَرضَ وَرَوَّاها، فَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ كَرِيمٍ فِي النَّبَاتِ، فِيهِ المَنْفَعَةُ العَمِيمَةُ للمَخْلُوقَاتِ.

بِغَيْرِ عَمَدٍ - بغير دَعائم وَأَساطِين تُقِيمُها.
رَواسِيَ - جِبالاً ثَوابِت.
أَنْ تَمِيدَ - أَنْ تَضْطَرِبَ بِكُمْ.
زَوْجٍ كَرِيمٍ - صِنْفٍ حَسَنٍ كَثِيرِ المَنْفَعَةِ.
بَثَّ فيها - نَشَرَ وَفَرَّقَ وَأَظْهَرَ فِيها.

﴿١١﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(الظَّالِمُونَ) (ضَلَالٍ)

(١١) - وَرَفْعُ السَّماءِ بغيرِ عَمَدٍ، وخَلْقُ الأَرْضِ وَمَا فِيها مِنْ جِبالٍ تُرسِيها، وَخَلْقُ كُلِّ نَباتٍ، وَكُلِّ صِنْفٍ كَرِيمٍ بَهِيجٍ في الأَرْضِ... كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَتَقْدِيرِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ في ذٰلِكَ، فَأَرُونِي يا أَيُّها المُشْرِكُونَ مَاذَا خَلَقَ الذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَصْنامٍ وَأَوْثانٍ.. حَتَّى آسْتَحَقُّوا مِنْكُمْ مِثْلَ هٰذِهِ العِبادَةِ؟ وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ المُشْرِكِينَ باللهِ، والعَابِدِينَ سِواهُ، هُمْ فِي جهلٍ وَعَمايَةٍ، وَضَلَالٍ وَاضِحٍ ظَاهِرٍ لَا خَفاءَ فِيهِ.

﴿١٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

(آتَيْنَا) (لُقْمَانَ)

(١٢) - أَكْثَرُ المُفَسِّرِينَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ لُقْمانَ كَانَ رَجُلاً صَالِحاً وَلَيسَ نبياً، وَهُوَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ يَعْمَلُ نَجّاراً. وَقَدْ أَعْطاهُ اللهُ تَعالى الفَهْمَ والعِلْمَ الصَّحِيحَ والرَّأْيَ الصَّائِبَ. وأَمَرَهُ تَعالى بِشُكْرِهِ سُبْحانَهُ عَلى ما آتاهُ اللهُ، وَعَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ العِلْمِ والفَضْلِ عَلَى أَهْلِ زَمانِهِ، وَمَنْ شَكَرَ اللهَ عَلَى نِعَمِهِ، فَإِنَّهُ إِنَّما يَفْعَلُ ذٰلِكَ لِخَيرِ نَفْسِهِ وَمَنْفَعَتِها، أَمَّا مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العِبادِ، لَا يَتَضَرَّرُ بِذٰلِكَ، وَلَوْ كَفَرَ أَهْلُ الأَرْضِ جَمِيعاً، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْحَمْدِ والثَّناءِ، وَإِنْ لَمْ يَحْمَدْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

الحِكْمَةَ - العَقْلَ والفَهْمَ والفِطْنَةَ وَإِصابَةَ القَوْلِ.

﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

(لُقْمَانُ) (يَا بُنَيَّ)

(١٣) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ قِصَّةَ لُقْمانَ حِينَ قَالَ لابْنِهِ، وَهُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ وَيَنْصَحُهُ: يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِعِبادَةِ اللهِ شَيئاً، لِأَنَّ الشِّرْكَ أَعظَمُ الظُّلْمِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالى خَلَقَ النَّاسَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَنْعَمَ عَلَيهِمْ بِنِعَمٍ لا تُحْصَى، فَإِذا عَبَدَ الإِنْسانُ بَعْدَ ذٰلِكَ غَيْرَ اللهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ ظَالِماً نَاكِراً لِلْجَمِيلِ.

﴿١٤﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ
حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ
وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ
لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ

(الإِنْسَانَ) (بِوَالِدَيْهِ) (فِصَالُهُ) (لِوَالِدَيْكَ)

(١٤) ـ وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالى مَا وَصَّى بِهِ لُقْمَانُ ٱبْنَهُ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالى وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لأَنَّهُ المُنْعِمُ المُوجِدُ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِمَا أَوْصَى بِهِ الوَلَدَ بِالوَالِدَيْنِ، لِكَوْنِهِمَا السَّبَبَ فِي وُجُودِهِ، فَقَالَ تَعَالى إِنَّهُ أَمَرَ (وَصَّينَا) الإِنسانَ بِبِرِّ وَالدَيهِ وطَاعَتِهِمَا، وَبِالقِيَامِ بِمَا يَتَوجَّبُ عَلَيهِ نَحْوَهُمَا، وذَكَّرَ اللهُ تَعَالى الإِنسانَ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ بِمَا تَحَمَّلَتْهُ أُمُّهُ مِنَ العَنَاءِ وَالجَهْدِ والمَشَقَّةِ في حَمْلِهِ وَوِلاَدَتِهِ، وإِرْضَاعِهِ وتَربِيَتِه، فَقَدْ حَمَلَتْهُ في جَهْدٍ (وَهْنٍ) يَتَزَايَدُ بِتَزَايُدِ ثِقَلِ الحَمْلِ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ في عَامَينِ كَامِلَينِ، وهيَ تُقَاسِي مِنْ ذَلِكَ ما تُقَاسِي مِنَ المَشَاقِّ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالى الإِنْسَانَ بِشُكْرِهِ تَعَالى عَلَى نِعَمِهِ عَلَيهِ، وبِشُكْرِ وَالِدَيهِ لأَنَّهُمَا كَانَا سَبَبَ وُجُودِهِ، ثُمَّ نَبَّهَ اللهُ الإِنسانَ إِلَى أَنَّهُ سَيَرجِعُ إِلى اللهِ فَيُجَازِيهِ عَلَى عَمَلِهِ إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً..

وَصَّينا ـ أَمَرْنَا وَأَلْزَمْنا.

وَهْناً ـ ضَعْفاً.

فِصَالُهُ ـ فِطَامُهُ عنِ الرَّضَاعِ.

﴿١٥﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ
وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ
وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ
إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ

(جَاهَدَاكَ)

(١٥) ـ وَإِذَا أَلَحَّ عَلَيكَ وَالِدَاكَ لِيَحْمِلاَكَ عَلَى أَنْ تَكْفُرَ بِاللهِ رَبِّكَ، وَعلى أَنْ تُشْرِكَ مَعَهُ بِالعِبَادَةِ غَيْرَهُ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَنْدَادٍ، وَأَنْتَ لا تَعْلَمُ لِهٰؤُلاءِ الأَصْنَامِ وَالأَنْدادِ شِرْكَةً مَعَ اللهِ في الخَلْقِ وَالأُلُوهِيَّةِ، فَلاَ تُطِعْهُما فِيما أَمَراكَ بِهِ، وَلٰكِنَّ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ لا يَمْنَعَكَ مِنَ الإِحسَانِ إِليهِمَا، وَمُصَاحَبَتِهِما بِالمَعْرُوفِ خِلاَلَ أَيامِ هذهِ الدُّنيا القَلِيلَةِ الفَانِيَةِ كَإِطْعَامِهِمَا وكِسوَتِهِمَا، والعِنَايَةِ بِهِما إِذا مَرِضَا... وَاتَّبِعْ في أُمُورِ الدِّينِ سَبِيلَ الذينَ أَخْلَصُوا العِبَادَةَ للهِ مِنَ المُؤْمِنينَ، وأَنَابُوا إِليهِ بدونِ وَهَنٍ وَلاَ تَرَدُّدٍ، فَإِنَّكُمْ رَاجِعُونَ إِليهِ تَعَالى جَمِيعاً يومَ القِيَامَةِ، فَيُخبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُم تَعمَلُونَ مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ وَيُجَازِيكُمْ بِهِ.

(هٰذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ) فَقَدْ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ لَمَّا أَسْلَمَ: (إِمَّا أَنْ تَكْفُرَ بالدِّينِ الذِي آمَنْتَ بِهِ، وَتَعُودَ إِلى دِينِ آبائِكَ، وَإِمَّا أَنْ أَمتنِعَ عَنْ تَنَاوُلِ شَيءٍ مِنَ الطَّعَامِ والشَّرابِ حَتَّى أَموتَ). وآمتَنَعَتْ عَنْ تَنَاوُلِ شيءٍ. فَقَالَ لَهَا سَعْدٌ: واللهِ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِئَةُ نَفْسٍ، وَخَرَجَتْ نَفْساً نَفْساً مَا تَرَكْتُ دِينِي هٰذا لِشَيءٍ، فَإِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ لا تَأْكُلِي فَأَكَلَتْ).

أَنَابَ إِليَّ ـ رَجَعَ بِالإِخلاَصِ وَالطَّاعَةِ إلى رَبِّهِ.

﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ

(السَّماوَاتِ) (يا بُنَيَّ)

(١٦) - وَتَابَعَ لُقمانُ وَعْظَهُ لابْنِهِ فَقَالَ لَهُ: إنَّ خَطِيئَةَ الإنسانِ وَفعْلَتَهُ وَلَوْ كَانَتْ وَزْنَ (مِثْقَالَ) حَبَّةِ الخَرْدَلِ الصَّغِيرَةِ، مُخَبَّأةً في صَخْرَةٍ، أو فِي السَّماوَاتِ، أَوْ في الأرضِ يُحْضِرُها اللهُ يومَ القِيامة، لِيَضَعَها فِي مِيزَانِ أَعمالِ الإِنسانِ، لِيُحَاسِبَهُ عَلَيها، وَكَذلِكَ الحَالُ بالنِّسْبَةِ لِحَسَناتِ الإِنسانِ، فإِنَّ اللهَ تَعالَى يأتِي بهَا يومَ القِيَامَةِ ويُحَاسِبُهُ عليهَا. واللهُ لَطِيفٌ يَصِلُ عِلمُهُ إلى كُلِّ خَفِيٍّ، وَهُوَ تَعالى خَبِيرٌ يَعْلَمُ ظَواهِرَ الأُمُورِ وَخوافِيهَا.

مِثْقَالَ حَبَّةٍ - وَزْنَ حَبَّةِ الخَرْدلِ، أيْ أَصْغَرَ شَيءٍ.

﴿١٧﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ

(يا بُنيَّ) (الصَّلاَة)

(١٧) - ثُمَّ قَالَ لُقمانُ لابنِهِ، يا بُنَيَّ أَدِّ الصَّلاَة في أَوْقَاتِها، وَأَتْمِمْهَا بِرُكُوعِها وَسُجُودِها وَخشُوعِها، لأَنَّ الصَّلاةَ تُذَكِّرُ العَبْدَ بِرَبِّهِ، وَتَحمِلُهُ عَلَى فِعْلِ المَعْرُوفِ، والانْتِهَاءِ عَنْ فِعْلِ المُنْكَرِ، وإذا فَعَلَ الإِنسَانُ ذلِكَ تَصفُو نَفْسُهُ وَتَسْمُو، وَيَسْهُلُ عَلَيها احْتِمَالُ الصِّعَابِ في اللهِ، ثمَّ حَثَّ لُقْمَانُ ابْنَهُ عَلَى احتِمَالِ أَذى النَّاسِ إذا قَابَلُوهُ بالسُّوءِ والأَذى عَلَى حَثِّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى فِعْلِ الخَيرِ، والانْتِهَاءِ عَنْ فِعْلِ المُنْكَرِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: إنَّ هٰذا الذِي أَوْصَاهُ بِهِ هُوَ مِنَ الأمُورِ التي يَنْبَغِي الحِرْصُ عليها، والتَّمسُّكُ بِهَا (مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ).

﴿١٨﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ
فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

(١٨) - وَلاَ تُعْرِضْ بوجهِكَ عَنِ النَّاسِ كِبْراً واسْتِعْلاءً، ولكِنْ أَقبِلْ عَليهِمْ بِوَجْهِكَ كُلِّهِ إذا كَلَّمْتَهُم، مُسْتَبْشِراً مُتهَلِّلاً مِنْ غيرِ كِبْرٍ وَلاَ عُتُوٍّ، وَلا تَمْشِ فِي الأرضِ مُتَبَخْتِراً، مُعْجَباً بنفْسِكَ كَالجَبَّارِينَ الطُّغَاةِ المُتَكَبِّرِينَ (مَرَحاً)، بَلِ امْشِ هَوْناً مِشْيَةَ المُتَواضِعِينَ للهِ، فَيُحِبَّكَ اللهُ، وَيُحِبَّكَ خَلْقُهُ، واللهُ تعَالى لا يُحِبُّ المُعْجَبَ بِنَفْسِهِ (المُخْتَالَ) الفَخُورَ عَلى غَيْرِهِ.

(وفي الحَدِيثِ: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ فِي خُيلاءٍ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليهِ يَوْمَ القِيَامَةِ).

لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ - لاَ تَمِلْ بِوَجْهِكَ عَنْهُمْ كِبْراً وَتَعَاظُماً.

مَرَحاً - فَرَحاً وَبطَراً وَخُيلاءَ.

مُخْتَالٍ فَخُورٍ - متكَبِّرٍ مُتَطَاوِلٍ بِمَنَاقِبِهِ.

(١٩) وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ

(الأَصْوَاتِ)

(١٩) - وَآمشِ مُقْتَصِداً فِي مَشْيِكَ، عَدْلاً وَسَطاً بَيْنَ البَطِيءِ المُتَثَبِّطِ، والسَّرِيعِ المُفْرِطِ، وَلاَ تُبَالِغْ فِي الكَلاَمِ، وَلاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَحِينما لاَ تَكُونُ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلى رَفْعِ الصَّوتِ، فَذَلِكَ يَكُونُ أَوْقَرَ لِلْمُتَكَلِّمِ، وأَبْسطَ لِنَفْسِ السَّامِعِ. ثُمَّ قَالَ لُقْمَانُ لابنِـهِ مُنَفِّراً إِيَّـاهُ مِنْ رَفْعِ صَوْتِهِ حِينَما لاَ يَكُونُ هُنَاكَ حَاجَةٌ لِذلِكَ: إِنَّ الحِمَارَ يَرْفَعُ صَوْتَـهُ عِنـدَ النَّهِيقِ، ولٰكِنَّ الصَّوْتَ الـذِي يَصْدُرُ عَنْـهُ قَبِيحٌ مُنْكَـرٌ، فَـلاَ يَلِيقُ بالإِنسَانِ العَاقِلِ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلَ الحِمَارِ.

آقْصِدْ فِي مَشْيِكَ - تَوَسَّطْ فِي المَشْيِ بَينَ الإِسراعِ والإِبطَاءِ.

اغْضُضْ - اخفِضْ وَانْقِصْ.

(٢٠) أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ

(السَّمَاوَاتِ) (ظَاهِرَةً) (يُجَادِلُ) (كِتَابٍ)

(٢٠) - أَلَمْ تَرَوْا يَا أَيُّها النَّاسُ أَنَّ اللهَ تَعَالى سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ، وَكَوَاكِبَ تَسْتَضِيئُونَ بِهَا لَيلاً وَنَهَاراً، وتَهْتَدُونَ بها فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ، ومِنْ سَحَابٍ ينزلُ منهُ المَطَرُ لِتَنبُتَ الأَرْضُ بالخُضْرَةِ وَالثِّمَارِ، ولِيَشْرَبَ منهُ الإِنسانُ والأَنعَـامُ والمَخْلُوقَاتُ، وسَخَّـرَ لَكُمْ ما فِي الأَرضِ مِنْ نَبَـاتٍ وَحَيوانٍ وجَمَـادٍ ومَعَادِنَ، لِتَنتَفِعُـوا بـهِ، وأَسْبَغَ عليكُمْ نِعَمَه، مَا ظَهَر مِنها لَكُم عِيَاناً، وما بَطَن مِنها، مِمَّا يستُرُهُ اللهُ عَلى عبدِهِ من سَيِّىءِ عَمَلِهِ، ومِمَّا يَسْتَشْعِرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ حُسْنِ الإِيمَانِ وَحُسْنِ اليَقِينِ. وَمَـعَ أَنَّ هٰذِهِ النِّعَمَ تَـدُلُّ بِوُضُـوحٍ عَلى وُجُودِ الخَـالِقِ ووحْـدَانِيَّتِـهِ، فَـإِنَّ هُنـاكَ أنـاساً يُجَادِلُـونَ فِي وُجُـودِ اللهِ وَوَحـدَانِيَّتِـهِ (كَالنَّضْرِ بْنِ الحَارِثِ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ. .) بِدُونِ عِلْمٍ، وَلاَ مَعْـرِفَةٍ فِيمَـا يَقُولُونَ، وَبِدُونِ أَنْ يَسْتَنِدوا إِلى كِتَابٍ مَأْثُورٍ، أَوْ حُجَّةٍ صَحِيحةٍ.

سَخَّرَ لَكُمْ - لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ.

أَسْبَغَ - أَتَمَّ وَأَوْسَعَ وَأَكْمَلَ.

(٢١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ

(آبَاءَنَا) (الشَّيْطَانُ)

(٢١) - وهٰؤلاءِ الذينَ يُجادِلُونَ في اللهِ بغَيرِ عِلْمٍ، وَلاَ كِتَابٍ، لا مَطْمَعَ فِي هِدَايَتِهِم، فَإِنَّهُمْ إِذا دُعُوا إِلى آتِّبَاعِ مَا أَنزَلَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ شَرْعٍ وهُدى قَالُوا: إِنَّهم يُفَضِّلُونَ آتِّبَاعَ مَا وَجَدُوا عَليهِ آباءَهُم مِنْ دِينٍ، لأَنَّ آبَاءَهُمْ، وَأَسْلافَهُمْ لاَ يَقَعُونَ جَمِيعاً فِي الخَطَإِ.

ويَـرُدُّ اللهُ تَعَـالى عليهم قَـائِـلاً: أَيَتَّبِعُـونَ آبَـاءَهُـمْ وأَسْـلافَهُـمْ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا عَلَى خَطَإٍ وضَلاَلٍ فيما يَعْبُدُونَ؟ وَحَتَّى وَلَوْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ

٢٢ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ

الحزب ٤٢

٢٣ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

٢٤ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ

٢٥ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

٢٦ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ

مـا زَيَّنَتْ لَهُمُ الشَّياطِينُ؟ وَمَنِ اتَّبَعَ الشَّيطَانَ أَوْصَلَهُ إلى نـارِ جَهَنَّمَ وَسَعِيرِهَا.

(عَاقِبَةُ)

(٢٢) - وَمَنْ يُخْلِصِ العَمَلَ للهِ، وَيَخْضَعْ لأَمْرِهِ، وَيَتَّبِعْ شَرْعَهُ، وَهُوَ مُحْسِنٌ في عَمَلِهِ باتِّبَاعِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهى عَنْهُ، فَقَدْ تَعَلَّقَ بأَوْثَقِ الأَسْبَابِ التي تُوصِلُ إلى رِضْوَانِ اللهِ، وَحُسْنِ جزائِهِ، والنَّاسُ رَاجِعُونَ جَميعاً إلى اللهِ، وأَعْمَالُهُم وأُمُورُهُمْ صَائِرَةٌ إليهِ فيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ.

يُسْلِمْ وَجْهَهُ للهِ - يُفَوِّضْ أَمْرَهُ كُلَّهُ للهِ.

اسْتَمْسَكَ - تَمَسَّكَ واعْتَصَمَ وَتَعَلَّقَ.

العُرْوَةِ الوُثْقَى - بِالعَهْدِ الأَوْثَقِ الذِي لاَ نَقْضَ لَهُ.

(٢٣) - وَيُسَلِّي اللهُ تَعَالى رَسُولَهُ ﷺ فَيَقُولُ لَهُ: أَمَّا مَنْ كَفَرَ بِمَا جِئْتَهُ بِهِ، فَلاَ تحزَنْ عَلَيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ بِقَدَرِ اللهِ، وَسَيَرْجِعُ النَّاسُ إلى اللهِ يومَ القِيَامَةِ فَيَعْرِضُ اللهُ تَعَالى عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَيجْزِيهِمْ بِهَا، وَلا تَخْفَى عليهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ خَافِيَةٌ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يُكِنُّونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ نوايا.

(٢٤) - واللهُ تَعَالى يُمْهِلُهُمْ في الدُّنيا زَمَناً قليلاً يَتَمَتَّعُونَ فِيهِ، وَيَنْعَمُونَ بِزَخَارِفِ الحَيَاةِ الدُّنيا الفَانِيةِ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ عَلى كُرْهٍ مِنْهُمْ (نَضْطَرُّهُمْ) لِيَذُوقُوا فِيها العَذابَ الأَليمَ الكَبيرَ الشَّاقَّ عَلى نُفُوسِهِم.

العَذابُ الغَلِيظُ - الشَّدِيدُ الثَّقِيلُ.

(لَئِن) (السَّمَاوَاتِ)

(٢٥) - وإذا سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ، هَؤلاءِ المُشْرِكينَ مِنْ قَوْمِكَ: مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ والأَرْضَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ. لأَنَّهُمْ لا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَإِذِ اتَّضَحَ صِدْقُكَ فِيما جِئْتَهُمْ بِهِ، واسْتَبَانَ الحَقُّ، فَقُلِ الحَمْدُ للهِ الذِي أَلجأَهُمْ إلى الاعْتِرافِ بالحَقِّ، ولَكِنَّ أكثَرَ المُشْرِكينَ لا يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ المُسْتَوجِبُ الحَمْدَ وَحْدَهُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٦) - وَللهِ جَميعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الأَرْضِ، مُلْكاً وَخَلْقاً وَتَصَرُّفاً، وَليسَ لأَحدٍ سِواهُ شيءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَلا يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ فيهِما غَيْرُهُ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَةِ الخَلْقِ لَهُ، وَعَنْ عَوْنِهِمْ، وَكُلُّ شيءٍ فَقِيرٌ إليهِ، وَلَهُ الحَمْدُ في جَميعِ الأُمُورِ.

﴿٢٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(أَنَّ مَا) (أَقْلامٌ) (كَلِمَاتُ)

(٢٧) ـ وَلَوْ أَنَّ جَميعَ أَغْصَانِ الشَّجَرِ المَوْجُودَةِ في الأَرْضِ جُعِلَتْ أَقْلاماً لِتُكْتَبَ بِهَا كَلِمَاتُ اللهِ، وَلَوْ أَنَّ مَاءَ البَحْرِ جُعِلَ حِبْراً (مِدَاداً)، ثُمَّ أَمَدَّتْهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّ جَمِيعَ الأَقْلامِ تتحطَّمُ، وَجَمِيعَ البِحَارِ تَجفُّ مِيَاهُها قَبلَ أَنْ تَنْتَهِيَ كِتَابَةُ كَلِمَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلى عَظَمَتِهِ، والمُعَبِّرَةِ عَمَّا خَلَقَ، وَعَنْ خَصَائِصِ مَا خَلَقَ. فَاللهُ تَعالى عَزِيزٌ لا يُضَامُ، حَكِيمٌ في خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

مَا نَفِدَتْ ـ مَا فَرَغَتْ وَمَا فَنِيَتْ.

يَمُدُّهُ ـ يَزِيدُهُ وَيَنْصَبُّ فِيهِ.

﴿٢٨﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ

(وَاحِدَةٍ)

(٢٨) ـ وَلَيسَ خَلْقُ النَّاسِ جَمِيعِهِمْ، وَلا بَعْثُهُمْ يومَ القِيَامَةِ بِالنِّسبَةِ إِلى قُدْرَةِ اللهِ إِلاَّ كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَالجَمِيعُ هَيِّنٌ عَلَيهِ (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ)[1]، واللهُ سَمِيعٌ لأَقوالِ العِبَادِ، بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ.

﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(اللَّيْلَ)

(٢٩) ـ أَلَمْ تَنْظُرْ يَا أَيُّها الإنسَانُ نَظَرَ اعْتِبَارٍ وَتَأَمُّلٍ، أَنَّ اللهَ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ مُتَدَاخِلَينِ، يَتْلُو أَحَدُهُمَا الآخَرَ، يَتَنَاوَبَانِ الطُّولَ والقِصَرَ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ لِمَصْلَحَةِ خَلْقِهِ، وَمَنْفَعَتِهِمْ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَجري بِأَمْرِ رَبِّهِ إلى وَقْتٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مُعَيَّنٍ إِذا بَلَغَهُ انْتَهى أَمْرُهُ؟ واللهُ خَبيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ العِبَادُ مِنْ خَيرٍ وَشَرٍ.

يُولِجُ ـ يُدْخِلُ.

﴿٣٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ

(الْبَاطِلُ)

(٣٠) ـ وَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالى الكَائِنَاتِ، وَقَدَّرَهَا، وَسَخَّرَهَا، وَجَعَلَ لَهَا أَجَلاً مُعَيَّناً. لأَنَّهُ الإِلَهُ الحَقُّ، وَلاَ حَقَّ سِوَاهُ، وَلاَ يَسْتَوجِبُ العِبَادَةَ غَيرُهُ، وَلَمْ يَخْلُقِ الخَلْقَ لِلعَبَثِ واللَّهْوِ والتَّسْلِيَةِ، وَإِنَّما خَلَقَهُمْ لِحِكْمَةٍ يُقَدِّرُهَا هُوَ، وَهَوَ تَعَالى يُظْهِرُ لِلْخَلْقِ آيَاتِهِ لِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلى أَنَّهُ الإِلَهُ الحَقُّ، وَأَنَّ كُلَّ ما سِوَاهُ بَاطِلٌ. وَلِيَسْتَدِلُّوا عَلى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الكَبِيرُ المُتَعَالِي الذِي لاَ أَكبرَ مِنْهُ، وَلا أَعْلَى، وَأَنَّ الكُلَّ خَاضِعٌ إِليهِ وَهُوَ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٣١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

(بنعمَةِ)(آياتِهِ) (لآياتٍ)
(٣١) - أَلَمْ تُشاهِدْ يا أَيُّها الإنسانُ السُّفُنَ وَهِي تَمْخُرُ عُبابَ البَحْرِ، وَهِي تَحْمِلُ البَشَرَ والمَتاعَ والأَنعامَ والمُؤَنَ، مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا النَّاسُ فِي أَقْطارِ الأَرْضِ، وهٰذِهِ السُّفُنُ تسيرُ بقُوَّةِ الرِّياحِ التي يُسَخِّرُها اللهُ، واللهُ تَعَالى هُوَ الذي يَحفَظُها مِنَ الغَرَقِ، والضَّياعِ في البَحرِ، وكُلُّ ذٰلِكَ من نِعمَةِ اللهِ عَلى البَشَرِ، وفيهِ دَلالَةٌ على عَظَمَةِ اللهِ، وقدرَتِهِ، ولُطْفِهِ بِعِبَادِهِ، لِكُلِّ صَبَّارٍ عَلى الشَّدائِدِ والبَلاءِ، شَكُورٍ لِرَبِّهِ عَلَى النَّعْماءِ.

(٣٢) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ

(نَجّاهُمْ) (بِآياتِنا)
٣٢) - وَإِذَا أَحاطَتْ بِمَنْ يَرْكَبونَ البَحْرَ، أَمْواجٌ عالِيَةٌ كَالجِبالِ أَوِ لغَمامِ (كَالظُّلَلِ)، يَدْعُونَ اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ العِبادَةَ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لاَ قدِرُ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ عَلَى نَفْعِهِم وَإِنْقاذِهِمْ مِمَّا هُمْ فيهِ. فإذا آسْتَجابَ للهُ لِدُعائِهِمْ، وَأَنْقَذَهُمْ وأَوْصَلَهُمْ إلى البَرِّ سالِمينَ، كَانَ بَيْنَهُمْ أُناسٌ تَوَسَّطُونَ في أقوالِهِمْ وأَفْعَالِهِمْ بَينَ الخَوفِ والرَّجاءِ، مُعْتَدِلُونَ في عمالِهِمْ، مُوفُونَ بما عاهَدُوا اللهَ عَليهِ حينَما كانُوا في البَحرِ. وَكَانَ ينَهم أُناسٌ نَاكِثُونَ لِلعَهدِ، كُفَّارٌ بِأَنْعُمِ اللهِ. وَلاَ يَجْحَدُ بِأَنْعُمِ اللهِ يكْفُرُهَا إِلاَّ كُلُّ شَديدِ الغَدْرِ، كَافِرٍ بالنِّعَمِ.

لظُّلَلِ - الغمامِ الذي يُظَلِّلُ.
مُقْتَصِدٌ - سالِكٌ لِلطَّرِيقِ المُسْتَقيمِ.
لخَتَّارُ - الغَدَّارُ.

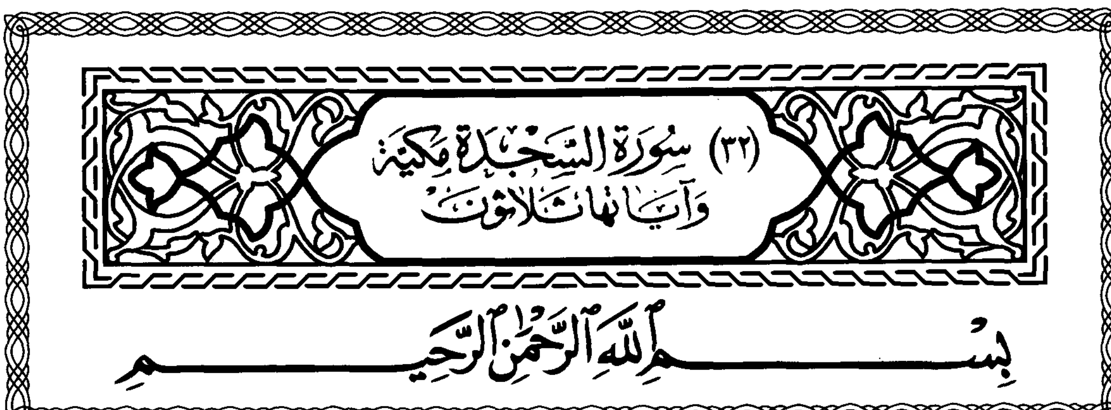
(٣٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ

(الْحَياةُ) (يا أَيُّها)
(٣٣) - يُحَذِّرُ اللهُ تَعالَى النَّاسَ مِنْ أَهوالِ يومِ القِيامَةِ، وَيَأْمُرُهُم بِتَقْواهُ لِيُنقِذُوا أَنفُسَهُمْ مِنْ أَهْوَالِهِ، فَهُوَ يومٌ لا يستَطِيعُ فِيهِ أحدٌ نَفْعَ أحدٍ، فَلا الوَالِدُ يستَطيعُ أَنْ يَفْدِيَ آبنَهُ، ولا المَولُودُ يَستَطِيعُ أَنْ يَفْدِيَ وَالِدَهُ، أَوْ أَنْ يَنْفَعَهُ بشيءٍ، أَوْ أَنْ يَحْمِلَ مِنْ ذُنوبِهِ شَيْئاً، وَلا يَنْفَعُ الإنسانَ فِي ذٰلِكَ اليومِ إلا إيمَانُهُ بربِّهِ، وإخلاصُهُ العِبادَةَ لَهُ، وعَمَلُهُ الصَّالِحُ.
ثُمَّ يأمرُ اللهُ تَعالى العِبادَ بِأَلاَّ تُلْهِيَهُمُ الحَياةُ الدُّنيا بِزُخْرُفِها، وَزينَتِها، وَمَتاعِها، عَنِ العَمَلِ النَّافِعِ لِيومِ القِيامَةِ؛ وَيومُ القِيامَةِ هو وعدٌ حَقٌّ مِنَ اللهِ، واللهُ لا يُخلِفُ وَعْدَهُ أَبداً. كَما يَأْمُرُهُم بألاَّ يَغُرَّهُمُ الشَّيْطانُ فَيَحمِلَهُم على المَعاصي بِتَزْيِينِها لَهُمْ.

(٣٤) إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ

يَوْماً لا يَجْزِي ـ لَا يَقْضِي فِيهِ شَيْئاً.
فَلاَتغُرَّنَّكُمْ ـ فَلاَ تَخْدَعَنَّكُمْ وَتُلْهِيَنَّكُم بِلَذَّاتِها.
الغَرُورُ ـ الشَّيطَانُ وَكُلُّ مَا يَغُرُّ وَيَخْدَعُ.

(٣٤) ـ يَذْكُرُ اللهُ تَعَالى خَمسَةَ أشياءٍ آخْتَصَّ نَفْسَهُ الكَريمَةَ بِعِلْمِهَا، فَلا يَعْلَمُها أَحَدٌ سِواهُ وهيَ:
ـ علمُ السَّاعةِ ـ فَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ موعِدَ قِيامِ السَّاعَةِ.
ـ إِنْزالُ الغَيْثِ ـ فَهُوَ تَعالى يُنَزِلُ الغَيْثَ في وَقْتِهِ المُقدَّرِ، وَمَكانِهِ المُعَيَّنِ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ شَيئاً مِنْ ذَلِكَ.
ـ عِلْمُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَمِنْ جَنينٍ تَامِّ الخَلْقِ أَوْ نَاقِصِهِ... وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ذَلِكَ، فِي بَدْءِ تَخَلُّقِ الجَنينِ.
ـ مَا تَكسِبُهُ النَّفْسُ فِي غَدِهَا مِنْ خيرٍ وَشَرٍّ، فَلا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غيرُ اللهِ.
ـ مَكَانُ الوَفَاةِ وَزَمَانُها ـ فَلَيسَ لأَحدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَنْ يَعْلَمَ أَيْنَ يَموتُ وَمَتَى يَمُوتُ.
والذِي يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ العَلِيمُ الخَبِيرُ.



(١) الٓمٓ

(٢) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(٣) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

(٤) ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

أَلِف. لَامْ. مِيمْ.
(١) اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(الْكِتَاب) (الْعَالَمِين)
(٢) - إِنَّ هٰذا القُرآنَ، الذِي أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ العَالمينَ، وَمَا هُوَ بِشِعْرٍ وَلا سِحْرٍ وَلَا هُوَ مُفْتَرًى عَلَى اللهِ.

(آفْتَرَاهُ) (أَتَاهُم)
(٣) - إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّداً آفْتَرى القُرآنَ عَلَى رَبِّهِ، وَهٰذا كَذِبٌ مِنْهُمْ وَتَخَرُّصٌ، فَهُوَ الحَقُّ والصِّدْقُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، أَنزَلَهُ إليكَ لِتُنْذِرَ بِهِ قَوْمَكَ، وَتُخَوِّفَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَعَذابِهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ، عِقَاباً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ.
وَقَوْمُكَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ مِنْ قَبْلِكَ يُبَيِّنُ لَهُمْ سَبيلَ الرَّشَادِ فَأَرْسَلَكَ اللهُ إِلَيْهِمْ لِتُنْذِرَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَيَرْشُدُونَ.
افْتَرَاهُ - آخْتَلَقَ القُرآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ وَنَسَبَهُ إِلى اللهِ.

(السَّمَاوَات)
(٤) - لَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالى السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا في سِتَّةِ أَيامٍ (وَهٰذِهِ الأيامُ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ كُنْهَهَا، وهيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَتْ مِنْ أيامِ الدُّنيا، لأنها كَانَتْ قبلَ أَنْ تُخْلَقَ الدُّنيا، وَقبلَ أَنْ يُخْلَقَ الليلُ وَالنَّهارُ) ثُمَّ آسْتَوى عَلَى العَرْشِ، واللهُ تَعالى هُوَ المَالِكُ لأَزِمَّةِ الأُمُورِ، وَهُوَ المُدَبِّرُ لِشُؤُونِ خَلْقِهِ، وَلَيسَ لِلنَّاسِ مِنْ دُونِهِ مَنْ يَلِي أُمورَهُمْ أَوْ يَنْصُرُهُمْ مِنْهُ إِنْ أَرادَ بِهِمْ ضَرّاً، وَليس لَهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَهُ إِنْ أَرادَ عِقَابَهُمْ عَلَى مَعَاصِيهِم. أَفَلَا يُدْرِكُ الذِينَ يَعْبُدُونَ غَيرَ اللهِ هذهِ الحَقِيقَةَ فَيَعْتَبِرُ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ عَقْلٌ يُدْرِكُ بِهِ؟

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾

(٥) - وَمِنْ دَلائِلِ عَظَمَتِهِ تَعالى أَنَّهُ يُدَبِّرُ أَمْرَ الأَرض مِنَ السَّماءِ، وَتُرفَعُ إليهِ نَتائِجُ تَنْفِيذِ أَوامِرِهِ، وَهُوَ تَعالى فِي عُلاهُ، فِي يَومٍ مُقَدَّرٍ بألفِ سَنةٍ مِنْ سِنِيِّ الدُّنيا التي تعدُّونها.

يَعْرُجُ إليهِ - يَصْعَدُ الأَمرُ، يَرْتَفِعُ إليهِ.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

(عَالِمُ) (الشَّهادَةِ)

(٦) - ذلِكَ المَوْصُوفُ بالخَلْقِ والتَّدْبِيرِ لهذِهِ الأُمُورِ، هُوَ العَالِمُ بِمَا يَغِيبُ عَنْ أَبصارِكُمْ، مِمَّا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ، وتُخْفِيهِ النُّفُوسُ، وَهُوَ العَالِمُ بِمَا تُشاهِدُهُ الأَبْصارُ وَتُعايِنُهُ، وَهُوَ العَزِيزُ الذِي قَهَرَ كُلَّ شيءٍ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِمَنْ تَابَ مِنْ ضَلالِهِ وَرَجَعَ إلى الإيمانِ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾

(الإنْسانِ)

(٧) - وَهُوَ الذِي أَحْسَنَ خَلْقَ الأَشياءِ وَأَتْقَنَها، وَأَحْكَمَها، وَقَدْ خَلَقَ آدمَ أَبا البَشَرِ مِنْ طِينٍ.

أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ - أَحْكَمَهُ وَأَتْقَنَهُ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾

(سُلالَةٍ)

(٨) - ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَ آدمَ يَتَناسَلُونَ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ، تَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ، وَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الأُنْثى.

سُلالَةٍ - خُلاصَةٍ.

مَهِينٍ - ضَعِيفٍ، وقليل.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾

(سَوَّاهُ) (الأَبْصارَ)

(٩) - ثُمَّ عدَلَهُ وَأَكْمَلَ خَلْقَهُ في الرَّحِمِ، وَصَوَّرَهُ عَلى أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ فَظَهَرتْ فِيه آثارُ الحَياةِ، وَأَنْعَمَ عَلَى البَشَرِ بِمَنْحِهِم السَّمْعَ والأَبْصارَ، والأَفْئِدَةَ التي يُمَيِّزُونَ بِهَا بَيْنَ الخيرِ والشَّرِّ، وَبَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ؛ وَمَعَ كُلِّ هذِهِ النِّعَمِ الجَلِيلَةِ فإنَّ البَشَرَ قَلِيلُو الشُّكْرِ للهِ تَعالى على نِعَمِهِ التِي لا تُحْصَى.

سَوَّاهُ - قَوَّمَهُ بِتَصْويرِ أَعْضائِهِ وَتَكْمِيلِهَا.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾

(أئِذَا) (أئِنَّا) (كافِرُونَ)

(١٠) - وَقالَ المُشْرِكُونَ باللهِ، المُكَذِّبُونَ بالبَعْثِ والنُّشُورِ: هَلْ إذا صارَتْ لُحومُنا وَعِظامُنا تُراباً، وَتَفرَّقَتْ في الأرضِ، وَاخْتَلَطَتْ بِتُرابِها فلم تَعُدْ تَتَمَيَّزُ عَنْهُ، سَنُبْعَثُ مَرَّةً أُخرى، ونُخْلَقُ خَلْقاً جَديداً؟ وَهؤلاءِ

(١١) قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ

ربع الحزب ٤٢

(١٢) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ

(١٣) وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ

(١٤) فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

المُشْرِكُونَ يُنْكِرُونَ قُدرَةَ اللهِ عَلى الخَلْقِ، وَيَكْفُرُونَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ في الآخِرةِ.

ضَلَلْنا في الأَرضِ - ضِعْنا فِيها وَصِرْنا تُراباً.

(يتوفَّاكُم)

(١١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ: إنَّ مَلَكَ المَوْتِ، الذِي وُكِّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ، يَقُومُ بِمَا كُلِّفَ بِهِ، وَيَقْبِضُ الأَرْوَاحَ حِينما تَسْتَنْفِدُ الخَلائِقُ آجالَها، ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى رَبِّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُجازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ.

(نَاكِسُو) (صالِحاً) (رُؤُوسِهِمْ)

(١٢) - وَإِنَّكَ لَتَرى عَجَباً يَا مُحَمَّدُ لَوْ أُتِيحَ لَكَ أَنْ تَرَى هٰؤلاءِ المُجْرِمينَ القَائِلِينَ: (أَئِذَا مِتْنَا وَتَفَرَّقَتْ أَجْسَامُنا فِي الأَرضِ سَنُخْلَقُ خَلْقاً جَديداً)، وَهُمْ وَاقِفونَ بَيْنَ يدي اللهِ، وَهُمْ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ حَياءً وَخَجَلاً مِنْهُ، لِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ مَعَاصٍ فِي الدُّنيا، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا الحَشْرَ، وَسَمِعْنا قولَ الرَّسُولِ، وَصَدَّقْنَا بِهِ، فَارْجِعْنا إلى الدُّنيا نَعْمَلْ صَالِحاً، فَإِنَّنا أَيْقَنَّا الآنَ مَا كُنَّا نَجْهَلُهُ فِي الدُّنيا مِنْ وَحدَانِيَّتِكَ، وَأَنَّهُ لاَ يَصْلُحُ لِلْعِبَادَةِ سِوَاكَ. ولٰكِنَّ اللهَ تَعالى يَعْلَمُ أنهُ لَوْ أَعادَهُمْ إلى الدُّنيا لَعادُوا إلى مَا كَانُوا فيهِ مِنَ الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ بآياتِ اللهِ.

نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ - **مُطْرِقُوهَا** خِزْياً وَنَدَماً.

(لآتَيْنَا) (هُدَاهَا)

(١٣) - وَلَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يُلْهِمَ كُلَّ نَفْسٍ مَا تَهْتَدِي بِهِ، إلى الإيمانِ، والعَمَلِ الصَّالِحِ، لَفَعَلَ، وَلٰكِنَّ تَدْبيرَهُ تَعالى لِلْخلقِ، وَحِكْمَتَهُ، قَضَيَا بِأَنْ تُوضَعَ كُلُّ نَفْسٍ في المَرْتَبَةِ التِي هِيَ أَهْلٌ لَها، بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِها. وَقَدْ سَبَقَ الوَعِيدُ مِنَ اللهِ تَعالى بِأَنَّهُ سَيَمْلأُ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ لِعِلْمِهِ تَعالى أَنَّ أَكْثَرَهُمْ سَيَخْتَارُونَ الضَّلالَةَ عَلى الهُدَى.

حَقَّ القَوْلُ - ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ وَنَفَذَ قَضاءُ اللهِ.

الجِنَّةِ - الجِنِّ.

(نَسِيناكُمْ)

(١٤) - وَيُقَالُ لأَهْلِ النَّارِ، عَلَى سَبيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوبِيخِ: ذُوقُوا هٰذا العَذابَ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ بِهٰذا اليَومِ، وَاسْتِبْعَادِكُمْ وُقُوعَهُ. وَسَيُعَامِلُكُم رَبُّكُمْ مُعَامَلَةَ مَنْ نَسِيَكُمْ لأَنَّكُمْ نَسِيتُمْ رَبَّكُمْ، وَنَسِيتُمْ لِقَاءَهُ فَذُوقُوا عَذاباً تَخْلُدُونَ فِيهِ أَبداً، وَذٰلِكَ جَزاءٌ لَكُمْ عَلى كُفْرِكُمْ وَمَعَاصِيكُمْ.

١٥ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ سجدة

(بآيَاتِنَا)

(١٥) - إِنَّمَا يُصَدِّقُ بآياتِ اللهِ الذِينَ إذا وُعِظُوا بها آستَمَعوا إليها خاشعين، وأَطَاعُوها مُمْتَثِلينَ، وَخَرُّوا سُجَّداً للهِ خُضُوعاً وَخَشْيَةً، وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ عن آتِّبَاعِها، وَآلانقِيَادِ إِلَيها.

١٦ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

(رزَقْنَاهُمْ)

(١٦) - وَهُمْ يَهْجُرونَ مَضاجِعَهُمْ لِيَقُومُوا في آللّيلِ إلى آلصَّلاةِ والنَّاسُ نِيامٌ، وَلِيَدْعُوا رَبَّهُمْ تَضَرُّعاً إليه، وَخَوْفاً مِنْ سَخطِهِ، وَطَمعاً في عَفْوِهِ عَنْهُمْ، وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ مِنْ مَالٍ.

(وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ تَتَجَافَى جنوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ هِيَ قِيامُ العَبْدِ أَوَّلَ اللَّيلِ)

تَتَجافى - تَرْتَفِعُ وَتَتَنَحَّى لِلعِبَادَةِ.

المَضَاجِعِ - الفُرُشِ التي يُضْطَجَعُ عَلَيها

١٧ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(١٧) - وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ عَظَمَةَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالى لِهَؤلاءِ الكِرامِ البَرَرَةِ وَأَخْفَاهُ فِي الجَنَّاتِ مِنَ النَّعيمِ المُقيمِ، واللذائِذِ آلتِي لَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ عَلى مِثْلِها، جَزاءً وِفاقاً بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ، لَقَدْ أَخْفَوا أَعْمَالَهُمْ فَأَخْفَى اللهُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلى قَلبِ بَشَرٍ.

مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ - مِنْ مُوجبَاتِ المَسَرَّةِ وَالفَرَحِ.

١٨ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ

(يَسْتَوُونَ)

(١٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى أَنَّهُ لا يَسْتَوِي فِي حُكْمِهِ يومَ القِيَامَةِ مَنْ كَانَ مُؤْمِناً باللهِ مُتَّبِعاً رَسُولَهُ، مَعَ مَنْ كَانَ خَارِجاً عَنْ طَاعَةِ اللهِ (فَاسِقاً)، مُكَذِّباً رُسُلَهُ.

١٩ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتُ)

(١٩) - أَمَّا الذينَ آمَنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللهُ، وَآنْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ.. فَهؤلاءِ لَهُمُ الجَنَّاتُ آلتِي فِيها المَسَاكِنُ، والدُّورُ، وَالغُرَفُ العَالِيَاتُ (جَنَّاتُ المَأْوَى) يَحُلُّونَ فِيها نُزُلاً فِي ضِيَافَةٍ وَكَرَامَةٍ، جَزاءً لَهُمْ مِنَ اللهِ تَعَالى عَلَى إِيمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ.

نُزُلاً - ضِيَافَةً وَعَطَاءً وَتَكْرُمَةً.

(٢٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ

(٢١) وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(٢٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ

(٢٣) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(٢٤) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ

(فمأْواهُم)

(٢٠) - وَأَمَّا الذينَ خَرجُوا عَنْ طاعَةِ رَبِّهِمْ (فسقُوا) وكَفرُوا بهِ وبِرُسُلِهِ، واجْترَحُوا السَّيِّئَاتِ. فإنَّ مأْوَاهُمْ سَيكُونُ فِي نَارِ جهَنَّمَ، وكُلَّما حاوَلوا الخُروجَ مِنَ النَّارِ يُرَدُّون إليها، ويُقالُ لَهُمْ تَوْبيخاً وتَقْريعاً: ذُوقُوا عذَابَ النَّارِ، بِمَا كُنْتم تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الحَياةِ الدُّنيا، ولا تَعْتَقِدُونَ أَنَّكُمْ صائِرُونَ إليهِ.

(٢١) - وَسَيبْتَلِيهِمُ اللهُ تَعالَى بالمَصائِبِ في الحَياةِ الدُّنيا، مِنَ القَتْلِ، والأَسْرِ والثُّكْلِ، وفَقْدِ المَالِ، والمَرَضِ والمَصائِبِ الأُخرَى، لَعَلَّهُمْ يَتوبُونَ إلى اللهِ، ويَثُوبُونَ إلى رُشْدِهِمْ، ويُقْلِعُونَ عَنِ الكُفْرِ والمَعاصِي، وهٰذا العَذَابُ الأَدْنى يَحِلُّ بِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إلى العَذَابِ الأَكْبَرِ في نارِ جهَنَّمَ.

(بآيَات)

(٢٢) - ولا أَحَدَ أكْثَرُ ظُلْماً مِنْ إنسانٍ ذَكَّرَهُ اللهُ تَعالى بآياتِهِ، وبَيَّنَها لَهُ ووَضَّحها، ثُمَّ جحَدَها وأعْرَضَ عَنْها وتَناسَاها كأنَّهُ لَمْ يَسْمَعْها، ولَمْ يَعْرِفْها. ويَقُولُ اللهُ تَعالى إنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِنَ المُجْرِمينَ الذينَ كَفرُوا واجْترَحُوا السَّيِّئَاتِ أشَدَّ الانْتِقَامِ.

(وجَاءَ فِي الحَديثِ: ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ أَجْرَمَ: مَنْ عَقَدَ لِواءً فِي غَيْرِ حَق، أَوْ عَقَّ وَالِدَيهِ، أَوْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ يَنْصُرُهُ. يَقُولُ اللهُ تَعالَى: إنَّا مِنَ المُجْرِمينَ مُنْتَقِمُونَ).

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (لِقَائِهِ) (جعَلْنَاهُ) (إِسْرائِيلَ)

(٢٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى رَسُولَه ﷺ أَنَّهُ آتى مُوسَى التَّوْرَاةَ (الكِتَابَ)، لِتَكُونَ هُدًى وعِظَةً لِبني إسْرائيلَ، كَمَا آتى عَبْدَهُ مُحَمَّداً القرآنَ، وأَمَرَهُ بألَّا يكُونَ في شَكٍّ وريبَةٍ مِنْ صِحَّةِ مَا آتاهُ اللهُ مِنَ الكِتابِ، فَمُحَمَّدٌ لَيْسَ بِدْعاً فِي الرُّسُلِ، فَقَدْ آتى اللهُ غَيْرَهُ مِنَ الأنبياءِ كُتُباً.

فِي مِرْيَةٍ - فِي شَكٍّ.

مِنْ لِقَائِهِ - مِنْ تَلَقِّيهِ إِيَّاهُ بِالرِّضَا وَالقَبُولِ.

(أئِمَّةً) (بآيَاتِنَا)

(٢٤) - وَجَعَلَ اللهُ مِنْ بَني إسْرائيلَ أَئِمَّةً فِي الدُّنيا، يَهْدُونَ أَتْبَاعَهُمْ إلى الخَيْرِ بإذْنِ رَبِّهِمْ، لأنَّهُم صَبَروا عَلى طَاعَتِهِ، وعَزَفَتْ نُفُوسُهُمْ عَنْ لَذَّاتِ الدُّنيا وشَهواتِها، وكَانُوا مُؤْمِنينَ بآياتِ اللهِ وحُجَجِهِ، وبِما آسْتَبانَ لَهُمْ مِنَ الحَقِّ.

٢٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

٢٦ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ

٢٧ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ

٢٨ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

٢٩ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ

(الْقِيَامَةِ)

(٢٥) ـ واللهُ تَعَالى يَقْضِي بَينَ خَلْقِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ في الدُّنيا مِنْ أُمورِ الدِّينِ والثَّوابِ والعِقَابِ. . وَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بما يَسْتَحِقُّ.

(مَسَاكِنِهِمْ) (لآيَاتٍ)

(٢٦) ـ أَوَ لَمْ يَتَبَيَّنْ لِهؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ باللهِ وَرُسُلِهِ، طَرِيقُ الحَقِّ مِنْ كَثْرَةِ مَا أَهْلَكَ اللهُ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ آلتي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَخَالَفَتْهُمْ فِيما جَاؤُوهُمْ بِهِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ. وهؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ يَرَوْنَ بِأُمِّ أَعْيُنِهِمْ ذَلِكَ، وَهُمْ يَمْشُونَ فِي أَرضِ البَائِدِينَ، وَيَرَوْنَ مَسَاكِنَهُمْ خَاوِيَةً خَالِيَةً، أَفَلاَ يَسْمَعُونَ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لِيَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا؟

أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ـ أَغَفَلُوا وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ مَآلُهُمْ؟

القُرُونِ ـ الأُمَمِ الخَالِيَةِ.

(أَنْعَامُهُمْ)

(٢٧) ـ أَوَ لَمْ يُشَاهِدْ هؤُلاَءِ المُكَذِّبُونَ بِالبَعْثِ والنُّشُورِ، كَيْفَ يُوَجِّهُ اللهُ تَعَالى بِقُدْرَتِهِ (يَسُوقُ) المَطَرَ إِلَى الأَرْضِ القَاحِلَةِ المُجْدِبَةِ آلتي لاَ نَبَاتَ فِيها (آلجُرُزِ) فَتَرتَوِي وَتُنْبِتُ الزُّرُوعَ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا الإِنْسَانُ وَالحَيَوانُ، أَفَلا يُبْصِرُونَ ذَلِكَ بِأُمِّ أَعْيُنِهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ القَادِرَ عَلَى إِحْياءِ الأَرْضِ بَعْدَ مَوَاتِها، لَقَادِرٌ عَلَى إِحياءِ الأمواتِ، وَنَشْرِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ؟

الأَرْضِ الجُرُزِ ـ اليَابِسَةِ الجَرْدَاءِ.

(صَادِقِينَ)

(٢٨) ـ وَيَقُولُ هؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ آسْتِبْعَاداً لِحُلُولِ غَضَبِ اللهِ بِهِمْ، وَنِقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَكْذِيباً لِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِمْ: مَتَى يَكُونُ هَذا النَّصْرُ (الفَتْحُ) الذِي تَقُولُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكَ بِهِ عَلَينا، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِيما تَقُولُ مِنْ أَنَّنا مُعَاقَبُونَ عَلَى تَكْذِيبِنا الرَّسُولَ، وأَنَّ اللهَ سَيَنْصُرُ دِينَه، وَيُظْهِرُ المُؤْمِنِينَ عَلَى المُشْرِكِينَ؟

هذَا الفَتْحُ ـ النَّصْرُ عَلَينا ـ الفَصْلُ فِي الخُصُومَةِ.

(إِيمَانُهُم)

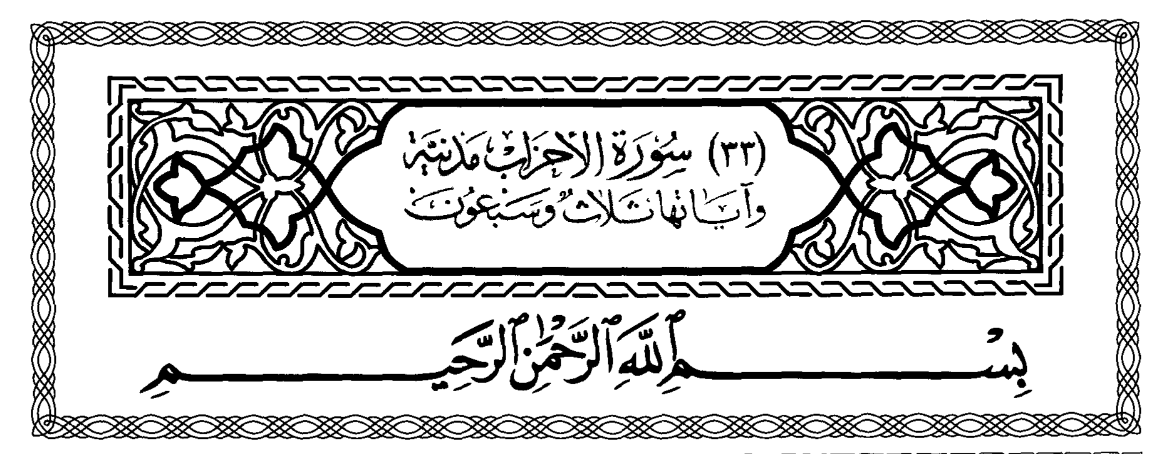
(٢٩) ـ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إذا حَلَّ يَوْمُ الفَتْحِ الذِي سَيَنْصُرُ اللهُ فيهِ رَسُولَهُ والمُؤْمِنينَ، وَيحِلُّ فيهِ عَذَابَهُ وَنِقْمَتَهُ بِالمُشْرِكِينَ، فلا يَنْفَعُ المُشْرِكِينَ حِينَئِذٍ إِيمَانٌ يُحْدِثُونَهُ فيهِ، وَلاَ يُؤَخَّرُونَ لِيَتُوبُوا مِنْ شِرْكِهِمْ

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾

وَكُفرِهِمْ، وَلِيَعْمَلُوا صَالِحاً غيرَ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ في الدُّنيا مِنْ أَعْمَالٍ وَلاَ يُمْهَلُونَ لَحْظَةً عَنِ العَذابِ الذِي يَسْتَحِقُّونَهُ.

يُنْظَرُونَ - يُمْهَلُون لِيُؤْمِنُوا.

(٣٠) - فَأَعْرِضْ يَا مُحَمَّدُ عَنْ هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ المُسْتَهْزِئِينَ، وَبَلِّغْ رِسَالَتَكَ كَمَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَلاَ تُبَالِ بِهِمْ، وَٱنْتَظِرْ مَا سَيَفْعَلُه اللهُ بِهِمْ، فإِنَّ اللهَ سَيَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ وَعَانَدَكَ، واللهُ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبداً.



نصف الحزب ٤٢

﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

(يَا أَيُّها) (الْكافِرِينَ) (الْمُنافِقِينَ)

(١) - يَا أَيُّها النبيُّ اسْتَمِرَّ على ما أَنْتَ عليهِ مِن تَقْوى اللهِ، وَالعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، رَجاءَ ثَوابِهِ، وَاجْتَنِبْ مَعْصِيَتَهُ مَخافَةَ عِقابِهِ وعذابِهِ، ولا تُطِعِ الكَافِرِينَ والمُنافِقِينَ فيمَا يَطْلُبُونَهُ مِنْكَ، وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُمْ، ولا تَسْتَشِرْهُمْ، واللهُ تَعالى عَليمٌ بمَا تُضْمِرُهُ نُفوسُهُمْ، وما تَنْطَوي عليهِ جَوانِحُهُمْ - وَهُمْ يُظْهِرُون لَكَ النُّصْحَ - من الحِقْدِ والعَدَاوَةِ.

واللهُ تَعَالى حَكِيمٌ في شَرْعِهِ وتَدْبيرِه.

(وَرُوِيَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِه الآيةِ أَنَّ بعضَ سَرَاةِ قريشٍ عَرَضُوا على النبيِّ ﷺ أَنْ يُعْطُوه نِصْفَ أموالِهِمْ على أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دَعْوَتِهِ، وَهَدَّدَهُ اليهودُ والمُنافقونَ بالقَتْلِ إِنْ لَمْ يَكُفَّ عَنْ هَذِهِ الدَّعوةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى هَذِه الآيَةَ).

اتَّقِ اللهَ - دُمْ على تَقْوَاهُ أو ٱزْدَدْ مِنْها.

﴿٢﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

(٢) - واعْمَلْ بِمَا يُوحِيهِ إِليكَ رَبُّكَ، ولا تَلْتَفِتْ إِلى أَقْوالِ الكَافِرِينَ والمُنافِقين وتَهْدِيداتِهِمْ، فاللهُ خبيرٌ بما تَعْمَلُهُ أنتَ وأَصْحَابُكَ، وبِما يَعْمَلُهُ الكُفَّارُ والمُنافِقُون، ولا يَخْفَى عليهِ شيءٌ منْهُ، ثُمَّ يَجْزِيكُم على أَعْمالِكُمْ يومَ القِيامَةِ، إِنْ خَيْراً فَخَيْراً وإِنْ شراً فَشَرّاً.

﴿٣﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا

(٣) - واتَّكِلْ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَاعْتَمِدْ عَلَيهِ في جَمِيعِ أُمُورِكَ وَأَحْوالِكَ، وَكَفَى باللهِ حَافِظاً لِمَنْ يُوكِلُ إليهِ شُؤُونَهُ.

وَكِيلًا - حَافِظاً مُفَوَّضاً إِليهِ كُلُّ أَمْرٍ.

﴿٤﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ

(أَزْوَاجَكُمُ) (اللَّائِي) (تُظَاهِرُونَ) (أُمَّهَاتِكُمْ) (بِأَفْوَاهِكُمْ)

(٤) - وكَما أنَّ اللهَ تَعالى لَمْ يَجْعَلْ لإنْسَانٍ قَلْبَينِ فِي صَدْرِه، وكَما أنَّ زَوْجَةَ الرجُلِ لا تَصيرُ أُمَّهُ بمُجرَّدِ مُظاهَرَتِه منها، وقولِهِ لَها: (أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي)، كَذلِكَ لا يَصِيرُ الدَّعِيُّ ابناً لمَنْ تَبَنَّاهُ، بِمُجَرَّدِ ادِّعَاءِ الرجلِ المُتبنِّي أنَّ الوَلَدَ المُتَبنَّى (الدَّعِيَّ) ابنُهُ بالتَّبَنِّي. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِزَوْجَتِه: أنتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، ودعوةُ الرجلِ الولدَ المُتَبَنَّى أنَّهُ ابنُهُ، إنَّما هوَ قولُ هؤلاءِ القَائِلين بأفوَاهِهِمْ، ولا حَقِيقَةَ لَهُ في الوَاقِعِ ولا حُكْمَ، فَلا تَصِيرُ الزوجةُ أمّاً لِزَوْجِها، ولا يَثْبُتُ بِدَعْوى البُنُوَّةِ نَسَبُ الوَلَدِ المُتَبنَّى لِمَنْ تَبَنَّاهُ. واللهُ يقولُ الحقَّ والصِّدْقَ، ويَهْدِي عِبَادَهُ إلى سبيلِ الرَّشَادِ، فَدَعُوا ما تَقُولونَ أَنْتُمْ وما تَدَّعُونَ، وخُذُوا بقولِهِ تَعالى.

تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ - تُحَرِّمُونَهُنَّ كَحُرْمَةِ أُمَّهاتِكُمْ.

أَدْعِيَائِكُمْ - مَنْ تَتَبَنَّوْنَهُمْ من أَبْنَاءِ غَيْرِكُمْ.

﴿٥﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

(لآبَائِهِمْ) (آبَاءَهُمْ) (فَإِخْوَانُكُمْ) (مَوَالِيكُمْ)

(٥) - يَنْسَخُ اللهُ تعالى في هذهِ الآيةِ حُكم التَّبَنِّي الذِيْ كَانَ مَعْمُولاً بِهِ في الجاهليةِ، فقدْ كانَ التَّبَنِّي جَائِزاً وظَلَّ حُكْمُ التَّبَنِّي سَارِياً في ابْتِدَاءِ أَمْرِ الإِسْلامِ، فكانَ الرَّجُلُ يتبنَّى وَلَدَ غيرِهِ، فَيُصْبِحُ حُكْمُهُ حُكْمَ الوَلَدِ مِنَ الصُّلْبِ،، في أمورِ النَّسَبِ والمِيراثِ... ولكنَّ اللهَ تَعَالى نَسَخَ حُكْمَ التَّبَنِّي في هـذِه الآيةِ. وأمَرَ المؤمنينَ بِرَدِّ نِسْبَةِ الأَدْعِيَاءِ (الأولادِ بالتَّبَنِّي) إلى آبائِهِمْ الحَقِيقِيِّينَ، لأنَّ هذا هُوَ العَدْلُ والقِسْطُ والبِرُّ.

(فَعَلَيْهِمْ أن يَقُولُوا زَيْدُ بنُ حَارِثَة لا زَيْدُ بنُ محمدٍ)، أَمَّا إذا كَانَ الولدُ المُتَبَنَّى لا يُعرَفُ أَبُوه لِيُنْسَبَ إليهِ، فَعَلى المؤمنينَ أنْ يَعُدُّوا هؤلاءِ الأَدْعياءَ إِخْوَاناً لَهُمْ في الدِّينِ - إنْ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا في الإِسْلامِ - وأنْ يَعُدُّوهُمْ مواليَهُمْ إن كانُوا مُحَرَّرِينَ (فَيُقَالُ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ).

وَلاَ حَرَجَ على المُؤْمِنِين فيما اخْطَؤُوا فيهِ من نِسْبَةِ بَعْضِ هؤلاءِ الأَدْعِيَاءِ إلى غَيْرِ آبَائِهِمْ، بَعْدَ اسْتِفْرَاغِ الجهْدِ في البَحْثِ والاسْتِقْصَاءِ، أو فِيما يَسْبِقُهُمْ بِهِ لِسَانُهُمْ، ولكنَّ الحرَجَ والإِثمَ والمُؤاخَذَةَ تَقَعُ على مَنْ يفْعَلُونَهُ مُتَعَمِّدِينَ بِهِ الباطِلَ. واللهُ غفورٌ لذَنْبِ مَنْ تَاب أو أخْطأَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وهو رحيمٌ بهِ فَلا يُعاقِبُهُ مِنْ بَعْدِ التَّوْبَةِ.

أَقْسَطُ - أَعْدَلُ.

مَوالِيكُمْ - أولياؤُكُمْ في الدِّينِ.

٦ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾

(أَزْوَاجُهُ) (أُمَّهَاتُهُمْ)(أُوْلُو) (كِتَاب) (الْمُهَاجِرِينَ) (أَوْلِيَائِكُم)

(٦) - جَعَلَ اللهُ الرَّسُولَ ﷺ أَوْلى بِالمُؤْمِنِينِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَوِلاَيَتَهُ مُقَدَّمَةً عَلَى وِلاَيَتِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، لأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لاَ يَأْمُرُهُمْ إِلاَّ بِمَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصَلاَحُهُمْ، أَمَّا النَّفْسُ فَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ، وَقَدْ تَجْهَلُ بَعْضَ المَصَالِحِ. وَجَعَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ فِي مَقَامِ الأُمَّهَاتِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الحُرْمَةِ والاحتِرَامِ. وَكَانَ التَّوَارُثُ فِي بَدْءِ الإِسْلامِ بِالحِلْفِ وَالمُؤَاخَاةِ بَينَ المُسلِمِينَ، فَكَانَ المُتَآخِيَانِ يَتَوارَثَانِ (وَإِنْ كَانَا مُخْتَلِفَينِ نَسباً) دُونَ سَائِرِ الأَقْرِبَاءِ، فَأَبْطَلَ اللهُ تَعَالى هٰذا التَّعامُلَ فِي هذهِ الآيةِ، وَرَدَّ المِيرَاثَ إلى أَقْرِبَاءِ النَّسَبِ، فَجَعَلَ أُولِي الأَرْحَام بِحَقِّ القَرَابَةِ، أَولى بالمِيراثِ مِنَ المُؤْمِنينَ بِحَقِّ الدِّينِ، والمُهَاجِرِينَ بِحَقِّ الهِجْرَةِ. وَاسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى مِنْ هٰذا الحُكْمِ الوَصِيَّةَ (المَعْرُوفَ)، التي يُرِيدُ أَحَدُهُمْ أَنْ يُوصِيَ بِها إلى أَحَدِ المُهَاجِرِينَ والمُؤْمِنينَ (أَوْلِيَائِكُمْ) فَإِنَّهُ فِي هٰذِهِ الحَالِ يَسْتَحِقُّها دُونَ ذَوِي الحُقُوقِ فِي المِيراثِ مِنْ أَقْرِبَاءِ النَّسَبِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالى: إِنَّ جَعْلَ ذَوِي الأَرْحَامِ بَعْضَهُم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي المِيراثِ هُوَ حُكْمٌ قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَى، وَأَثْبَتَهُ فِي كِتَابِهِ الذِي لاَ يُبَدَّلُ وَلاَ يُغَيَّرُ.

أَوْلى بِالمُؤْمِنِينَ - أَرْأَفُ بِهِمْ، وَأَنْفَعُ لَهُمْ.

أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ - مِثْلُهُنَّ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِنَّ وَتَعْظِيمِ حُرْمَتِهِنَّ.

أُولُو الأَرْحَامِ - ذَوُو القَرَابَاتِ.

٧ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾

(النَّبِيِّينَ) (مِيثَاقَهُمْ) (إِبْرَاهِيمَ) (مِيثَاقاً)

(٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنَّ أولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ هُمْ خَمْسَةٌ: نُوحٌ وَإِبراهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ وَأَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ العَهْدَ والمِيثَاقَ عَلَى هٰؤلاءِ الرُّسُلِ، وَعَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، فِي إبلاغِ رِسَالَةِ اللهِ لِلنَّاسِ، وَإِقَامَةِ دِينِ اللهِ، وفِي التَّعاوُنِ والتَّنَاصُرِ ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(١). وَأَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى الرُّسُلَ والأنبياءَ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا فَعَلُوهُ فِي إبلاغِ الرِّسَالةِ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِينَ﴾(٢)، فَاعْتَبَرَ ذٰلِكَ مِيثَاقاً غَلِيظاً، عَظِيمَ الشَّأْنِ.

مِيثَاقَهُمْ - العَهْدَ عَلَى الوَفَاءِ بِمَا حَمَلُوا.

مِيثَاقاً غَلِيظاً - عَهْداً وَثِيقاً قَوِياً عَلَى الوَفَاءِ.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦.

﴿٨﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا

(لِيَسْأَلَ) (الصَّادِقِينَ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٨) ـ وَقَدْ أَخَذَ اللهُ تَعالَى المِيثاقَ عَلَى الأنبياءِ لِيَسْأَلَهُمْ عَمَّا أَجابَتْهُمْ بِهِ الأُمَمُ التي أُرسِلُوا إليها، وعَمَّا فَعَلَتْهُ الأُمَمُ فِيما بَلَّغَهُ المُرْسَلُونَ إليها مِنْ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ، وَلِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ، لِيُكَافِئَهُمْ عَلَيهِ، وَلِيَسْأَلَ الكَاذِبِينَ عَنْ كَذِبِهِمْ، لِيُعَاقِبَهُمْ عَلَيهِ، وَقَدْ أَعدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٩) ـ وبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبادَهُ بِتَقْوَاهُ، وَبِعَدَمِ الخَوْفِ مِنْ سِوَاهُ، ذَكَّرَ عِبادَهُ المُؤْمِنِينَ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمٍ، وَمِنْ تَحْقِيقِ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ نَصْرٍ، وَذلِكَ حِينَمَا جَاءَتْهُمْ جُنُودُ الأَحْزَابِ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيهِمْ رِيحاً كَفَأَتْ قُدُورَهُمْ، واقْتَلَعَتْ خِيامَهُمْ، وأَرْسَلَ إليهِمْ مَلائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ ـ وَهُمْ جُنودُهُ، وَلَمْ يَرَهُمْ المُسْلِمُونَ ـ يُوقِعُونَ الخَوْفَ والرُّعْبَ والخِذْلاَنَ في نُفُوسِ المُشْرِكِينَ، فَارْتَحَلُوا فِي لَيلةٍ شَاتِيَةٍ شَدِيدَةِ البَرْدِ، وَكَانَ اللهُ بَصِيراً بِأَعْمَالِ المُؤْمِنِينَ، وَصِدْقِ نِيَّاتِهِمْ، فَتَوَلَّى الدِّفاعَ عَنْهُمْ.

وَقِصَّةُ الأَحْزابِ كَمَا رَوَتْها كُتُبُ السِّيرَةِ كَانَتْ كَمَا يَلِي: إِنَّ نَفَراً مِنْ يَهُودِ المَدِينَةِ جَاؤُوا إِلى قُرَيشٍ في مَكَّةَ، فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ لِلْهِجْرَةِ يُحَرِّضُونَ المُشْرِكِينَ عَلى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَاؤُوا إِلى قَبَائِلِ غَطَفَانَ وَقَيْسِ عَيْلاَنَ وَأَسَدٍ وَحَالَفُوهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ عَلى الرَّسُولِ والمُسلِمينَ يَداً واحِدةً، فَخَرجَتْ هذِهِ القَبَائِلُ إلى المَدِينَةِ. وَلَمَّا عَلِمَ الرَّسُولُ بِمَسِيرِهِمْ إِليهِ، اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ، فَأَشَارَ عَليهِ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ المَدِينَةِ يُسَاعِدُ المُسْلِمِينَ فِي مَنْعِ تَقَدُّمِ المُشرِكِينَ إلى دَاخِلِها، فَقَامَ المُسْلِمُونَ بِذَلِكَ. وَلَمَّا وَصَلَتِ القَبَائِلُ المُتَحالِفَةُ إلى المَدِينةِ وَجَدُوا الخَنْدَقَ، فَحَاصَرُوا المَدِينَة، وَنَشِبَتْ مُنَاوَشَاتٌ بينَ المُسْلِمِينَ والمُشْرِكينَ. وَفي أَثناءِ الحِصَارِ نَقَضَ بَنُو قُرَيْظَةَ عَهْدَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، بِمَسْعَى مِن حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ سَيِّدِ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ الذِينَ أَجْلاَهُمُ الرَّسُولُ إِلى خَيبَرَ، فَشَقَّ ذلكَ عَلَى المُسْلِمِينَ.
ثُمَّ جَاءَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَهُوَ مِنْ غَطْفَانَ، إِلَى رَسُولِ اللهِ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَأَنَّ قَوْمَهُ لاَ يَعْلَمُونَ بِإِسْلاَمِهِ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِمَا يَرَى فِيهِ المَصْلَحَةَ لِلمُسْلِمِينَ. فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ إِنَّما أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، والحَرْبُ خُدْعَةٌ فَخَذِّلْ عَنَّا مَنِ اسْتَطَعْتَ، فَذَهَبَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةٍ ـ وَكَانَ يُخَالِطُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ ـ فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ قُرِيشاً وَمَنْ مَعَها مِنَ القَبَائِلِ لَيسَ لَهُمْ مُقَامٌ فِي المَدِينَةِ، وأَنَّهُمْ إذا مَا عَضَّتْهُمُ الحَرْبُ

انْسَحَبُوا إلى بِلادِهِمْ، وَتَبْقَوْنَ أَنْتُم وَحْدَكُمْ مَعَ مُحَمَّدٍ، وَأَنْتُمْ لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهِ وَحْدَكُمْ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَطْلُبُوا رَهَائِنَ مِنْ هٰذِهِ القَبَائِلِ التِي تُحَاصِرُ المَدِينَةَ لِكَيْلاَ يَنْسَحِبُوا وَيَتَرَاجَعُوا عَنْ قِتالِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ القَضَاءِ عَلَيْهِمْ، فَفَعَلُوا.

وَذَهَبَ إلى قُرَيش وَغَطْفَانَ وَالقَبَائِلِ الأُخْرَى يَقُولُ لَهُمْ إِنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ نَدِمُوا عَلَى نَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّهُمْ وَعَدُوهُ بِأَنْ يُسَلِّمُوهُ وُجُوهَ القَبَائِلِ لِيَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، عَلَى أَنْ يَعُودَ العَهْدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ إلى مَا كَانَ عَلَيهِ مِنْ قَبْلُ. فَدَبَّ الخِلافُ وَالخِذْلانُ، وَسَادَ التَّشَكُّكُ بَيْنَ القَبَائِلِ وَبَيْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَٱسْتَشْعَرَ كُلُّ فَرِيقٍ الحَذَرَ مِنَ الآخَرِ.

وفِي لَيلَةٍ شَاتِيَةٍ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ أَخَذَتْ تَكْفَأُ القُدُورَ، وَتَقْتَلِعُ الخِيَامَ، فَنَادَى أَبُو سُفْيَانَ بِالرَّحِيلِ فِي النَّاسِ فَٱرْتَحَلُوا.

جاءَتْكُمْ جُنُودٌ - الأَحْزَابُ يَومَ الخَنْدَقِ.

(الأَبْصارُ) (جَاؤُوكُمْ)

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ ١٠

(١٠) - حِينَ جَاءَتْكُمُ الأَحْزَابُ مِنْ أَعْلَى الوَادِي (مِنْ جِهَةِ المَشْرِقِ)، وَمِنْ أَسْفَلِهِ (مِنْ جِهَةِ المَغْرِبِ)، وَحِينَ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَٱضْطَرَبَتِ الرُّؤْيَةُ مِنَ الخَوْفِ والفَزَعِ الذي ٱعْتَرى المُسْلِمينَ، وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ (وَهُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ الضِيقِ وشِدَّةِ الخَوْفِ وَالفَزَعِ واليَأْسِ الذي ٱعْتَرَى المُسْلِمِينَ) وَنَشَطَ المُنَافِقُونَ يُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ، وَيُثِيرُونَ الشُّكُوكَ بِالإِشَاعَاتِ الكَاذِبَةِ المُثَبِّطَةِ التِي كَانُوا يَنْشُرُونَهَا لإِضْعَافِ ثِقَةِ المُؤْمِنينَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَبِقُدْرَتِهِمْ عَلى القِتَالِ، حَتَّى ظَنَّ بَعْضُ ضِعَافِ النُّفُوسِ والإِيمَانِ أَنَّ الأَحزَابَ سَيَسْتَأْصِلُونَ شَأْفَةَ المُسْلِمينَ. وَقَالَ مُعَتِبُ بْنُ قُشَيْرٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحدُنا لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَذْهَبَ إِلى الغَائِطِ.

أَمَّا المُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ فَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقٌّ، وَأَنَّ اللهَ سَيَنْصُرُ المُسْلِمِين، وَسَيَنْصُرُ دِينَهُ وَيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

زَاغَتِ الأَبْصارُ - مَالَتْ عَنْ سَمْتِهَا حِيرَةً وَدَهْشَةً.

بَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ - تَمْثِيلٌ لِشِدَّةِ الخَوْفِ.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ١١

(١١) - وَفِي ذَلِكَ الحِينِ ٱمْتَحَنَ اللهُ المُؤْمِنينَ وَمَحَّصَهُمْ أَشَدَّ التَّمْحِيصِ، فَظَهَرَ المُخْلِصُ الرَّاسِخُ الإِيمَانِ، مِنَ المُنَافِقِ المُتَزَلْزِلِ، وٱضْطَرَبُوا ٱضْطِراباً شَدِيداً مِنَ الخَوْفِ الذِي أَصَابَهُمْ.

ٱبْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ - ٱخْتُبِرُوا بالشَّدَائِدِ وَمُحِّصُوا.

زُلْزِلُوا - ٱضْطَرَبُوا كَثِيراً مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ.

(١٢) وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا

(١٣) وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا

(١٤) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا

(١٥) وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ

(المُنَافِقُونَ)

(١٢) ـ أَمَّا المُنَافِقُونَ فَظَهَرَ نِفَاقُهُمْ، فَقَالَ مُعْتِبُ بْنُ قُشَيْرٍ مَا قَالَ، وَقَالَ ضِعَافُ الإِيمَانِ وَالذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ رِيبَةٌ وَشَكٌّ، لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالإِسْلامِ ـ (الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ): (مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً)، أَيْ لَمْ يَكُنْ مَا وَعَدَنا بِهِ اللهُ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالعَدُوِّ إِلا وَعْداً يَغُرُّنَا بِهِ وَيَخْدَعُنَا.

غُرُوراً ـ خِدَاعاً وَبَاطِلاً.

(طَائِفَةٌ) (يَا أَهْلَ) (يَسْتَأْذِنُ)

(١٣) ـ وَآذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ حِينَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ المُنَافِقِينَ (كَعَبدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ آبْنِ سَلُولٍ وَأَصْحَابِهِ): يَا أَهْلَ المَدِينَةِ (يَثْرِبَ) لَيْسَ هٰذا المُقَامُ، الذي تُقِيمُونَهُ مُرابِطِينَ مَعَ النَّبِيِّ، بِمُقَامٍ صَالِحٍ لَكُمْ، فَارْجِعُوا إِلى مَنَازِلِكُمْ لِتَحْمُوهَا، وَلِتُدَافِعُوا عَنْها وعَنْ عِيَالِكُمْ. وَآسْتَأْذَنَ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ ﷺ طَالِبِينَ السَّمَاحَ لَهُمْ بِالعَوْدَةِ إِلى مَنَازِلِهِمْ (وَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ)، وَقَالُوا إِنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى بُيُوتِهِمِ السُّرَّاقَ، وأَنَّ بُيُوتَهُمْ لَيسَ لَهَا مَنْ يَحْمِيهَا (عَوْرَةٌ). وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالى عَلَى هٰؤُلاءِ قَائِلاً: إِنَّ بُيُوتَهم لَيْسَتْ عَوْرَةً، وَلاَ مُهَدَّدَةً مِنْ أَحَدٍ كَمَا يَزْعُمُونَ، وَإِنَّما يُرِيدُونَ الفِرَارَ وَالهَرَبَ مِنَ القِتَالِ، وَعَدَمِ إِعَانَةِ المُسْلِمِينَ فِي حَرْبِهِمْ أَعْدَاءَ اللهِ.

يَثْرِبَ ـ آسْمُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ قَدِيماً.

لاَ مُقَامَ لَكُمْ ـ لاَ إِقَامَةَ لَكُمْ هٰهُنَا.

بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ـ قَاصِيَةٌ، يُخْشَى عَلَيها العَدُوُّ.

فِرَاراً ـ هَرَباً مِنَ القِتَالِ مَعَ المُؤْمِنِينَ.

(سُئِلُوا)

(١٤) ـ وَلَوْ دَخَلَ عَلَيهِمُ الأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوانِبِ المَدِينَةِ، وَكُلِّ قُطْرٍ مِنْ أَقْطَارِهَا (وَقِيلَ بَلِ المَقْصُودُ بُيُوتُهُمْ) وَطَلَبُوا إِليهِم آلارْتِدَادَ عَنِ الإِسْلامِ، والعَوْدَةَ إِلى الشِّرْكِ، (لَو سُئِلُوا الفِتْنَةَ) لَفَعَلُوا ذٰلِكَ سَرِيعاً دُونَ تَرَدُّدٍ مِنْ شِدَّةِ الهَلَعِ وَالجَزَعِ، وَهٰذا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِمْ.

مِنْ أَقْطَارِهَا ـ مِنْ نَوَاحِيهَا وَجَوَانِبِهَا.

سُئِلُوا الفِتْنَةَ ـ طُلِبَ مِنْهُمْ مُقَاتَلَةُ المُسْلِمِينَ أَوِ آلارْتِدَادُ عَنِ الإِسْلامِ.

مَا تَلَبَّثُوا بِهَا ـ مَا تَأَخَّرُوا عَنِ القِيَامِ بِمَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ.

(عَاهَدُوا) (الأَدْبَارَ)

(١٥) ـ وَكَانَ هٰؤُلاءِ المُسْتَأْذِنُونَ ـ وَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ ـ قَدْ هَرَبُوا مِنَ القِتَالِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَفَرُّوا مِنْ لِقَاءِ العَدُوِّ، ثُمَّ تَابُوا وَعَاهَدُوا اللهَ عَلَى أَلاَّ يَعُودُوا

عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا

(١٦) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا

(١٧) قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

(١٨) ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

(١٩) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ

إلى مِثْلِها، وَلاَ يَنْكُصُوا عَلى أَعْقابِهِمْ، وَمَنْ عاهَدَ اللهَ فإنَّ اللهَ سَيَسْأَلُهُ عَنْ عَهْدِهِ يَوْمَ القِيامَةِ، وَيَجزيهِ به.

(١٦) - فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهؤلاءِ المُسْتَأْذِنِينَ الهَارِبينَ مِنْ قِتَالِ العَدُوِّ وَلِقائِهِ: إنَّ الفِرارَ مِنَ القِتالِ لَنْ يَنْفَعَكُمْ وَلَنْ يَدْفَعَ عَنْكُمْ مَا قَضَاهُ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ مَوْتٍ أَوْ قَتْلٍ، وَإِذَا نَفَعَكُمُ الفِرارُ فَلَمْ تُقْتَلُوا فِي سَاحَةِ الحَرْبِ، فإنَّ بَقاءَكُمْ فِي الدُّنيا مَحْدُودُ الأَجَلِ، وَمَتاعَكُمْ فِيها مَتاعٌ قليلٌ، وَسَيَأْتي المَوْتُ في الموعِدِ المُحدَّدِ لا يَتأخَّرُ وَلاَ يَتقدَّمُ.

(١٧) - وَقُلْ لَهُمْ: لَيْسَ فِي الأَرْضِ أَحَدٌ يَسْتَطيعُ أَنْ يَمْنَعَ قَضاءَ اللهِ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِليكُمْ، فَإِنْ أَرادَ اللهُ بِكُمْ شَراً فَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ عَنْكُمْ، وَلاَ أَنْ يَحُولَ دُونَ وُقُوعِهِ بِكُمْ. وَإِنْ أَرادَ بِكُمْ خَيْراً وَرَحْمَةً، فَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ دُونَ وُصُولِ ذلكَ إِلَيْكُمْ، فَالأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشاءُ. وَلَنْ يَجِدَ هٰؤلاءِ المُنَافِقُونَ وَلِيّاً لَهُمْ غَيرَ اللهِ، وَلاَ نَاصِراً يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا قَضاهُ اللهُ، وَمَا قَدَّرَهُ عَلَيهِمْ مِنْ سُوءٍ وَبَلاَءٍ.

يَعْصِمُكُمْ - يَمْنَعُكُمْ مِنْ قَدَرِ اللهِ.

(الْقَائِلِينَ) (لإِخْوانِهِمْ)

(١٨) - إنَّ اللهَ يَعْلَمُ حَقَّ العِلْمِ الذينَ يَقُومُونَ بِتَثْبِيطِ هِمَمِ النَّاسِ عَنِ القِتالِ والثَّباتِ مَعَ رَسُولِ اللهِ، وَيَصْرِفُونَهُمْ عَنْ شُهُودِ الحَرْبِ مَعَهُ، وَيَعْلَمُ الذينَ يَقُولُونَ لأَصْحَابِهِمْ وَعُشَرائِهِمْ: أَسْرِعُوا إِلينا، وأقبِلُوا عَلَى مَا نَحْنُ فيهِ مِنْ طِيبِ المُقَامِ فِي الظِّلالِ والثِّمارِ (هَلُمَّ إِلينا)، وَهُمْ لاَ يَحْضُرُون إلى مُعَسْكَرِ المُسْلِمينَ إلا وَقْتاً قَصِيراً يُثْبِتُون فيهِ وُجُودَهُم أَمامَ النَّاسِ، ثُمَّ يَخْتَفُونَ مُتَسَلِّلِينَ إذا غَفَلَ النَّاسُ عَنْهُمْ.

المُعَوِّقِينَ - المُثَبِّطِينَ مِنْكُمْ عَنِ الرَّسُولِ.

هَلُمَّ إِلينا - أَقْبِلُوا أَوْ قَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ إِلينا.

البَأْسَ - الحَرْبَ والقِتالَ.

(أُوْلَئِكَ) (أَعْمَالَهُمْ)

(١٩) - وَهُمْ بُخَلاءُ شَحِيحُونَ، لَا يَمُدُّونَ المُؤْمِنِينَ بالنَّفَقَةِ وَالمَالِ، وَلا يُقَدِّمُونَ لَهُمُ العَوْنَ والنُّصرَةَ بالنَّفْسِ. فَإِذَا بَدَأَتِ الحَرْبُ، والتَحَمَ المُقَاتِلُونَ رَأَيْتَهُمْ وَقَدِ اعْتَراهُم الخَوْفُ والهَلَعُ يَنْظُرُون إليكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَعْيُنُهُمْ تَدُورُ خَوْفاً وَفَرَقاً، كَدَوَرانِ عَيْنِ الذي غَشِيَهُ المَوْتُ، وَقَرُبَ مِنْهُ، فَتَجمُدُ عَيْنُهُ وَلا تَطْرِفُ.

سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا

أَمَّا إذَا ذَهَبَ الخَوْفُ وَأَسْبَابُهُ، وَعَادَ الأَمْنُ إلى النُّفُوسِ ، فَإِنَّهُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ، وَيَتَكَلَّمُونَ عَنِ النَّجْدَةِ والشَّهَامَةِ، والبُطُولاتِ التي أَظْهَرُوها في مَيدَانِ المَعْرَكَةِ، وَهُمْ في هٰذا كَاذِبُونَ. وَإِذا ظَهَرَ المُؤْمِنُونَ في الحَرْبِ فَهُمْ بُخَلاءُ حَرِيصُونَ عَلَى أَلَّا يَفُوتَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ المَغَانِمِ ، فَهُمْ حِينَ البَأْسِ جُبَنَاءُ، وَحِينَ الغَنِيمَةِ أَشِحَّاءُ (وَقِيلَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: فَإذا ذَهَبَ الخَوْفُ بَالَغُوا فِي شَتْمِكُمْ وَذَمِّكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ مَشْحُوذَةٍ قَاطِعَةٍ).

وَهٰؤُلاءِ، الذِينَ بَسَطَ اللهُ تَعَالَى أَوْصَافَهُمْ، لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ إِيمَاناً صَادِقاً، وَلَمْ يُخْلِصُوا العَمَلَ لأَنَّهُمْ أَهْلُ نِفَاقٍ فَأَهْلَكَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ، وَأَبْطَلَهَا ، وَأَذْهَبَ ثَوَابَهَا وَأُجُورَهَا، وَجَعَلَهَا هَبَاءً مَنْثُوراً، وَكَانَ إِحْبَاطُ أَعْمَالِهِمْ أمراً يَسِيراً عَلَى اللهِ.

يُغْشَى عَلَيهِ مِنَ المَوْتِ - تُصِيبُهُ غَشْيَةٌ مِنْ سَكَرَاتِ المَوْتِ.

سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ - آسْتَقْبَلُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ.

أَشِحَّةً على الخَيْرِ - لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ، جَمَعُوا الجُبْنَ وَالكَذِبَ وَالحِرْصَ وَقِلَّةَ الخَيْرِ.

٢٠ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا

(يَسْأَلُونَ) (أَنْبَائِكُمْ) (قَاتَلُوا)

(٢٠) - وَهُمْ مِنْ شِدَّةِ دَهْشَتِهِمْ، وَضَعْفِ إِيمَانِهِمْ لاَ يَزَالُونَ يَظُنُّونَ أَنَّ الأحزابَ مِنْ قُرَيشٍ وَغَطَفَانَ. . لَمْ يَرْحَلُوا عنِ المَدِينةِ، وَقَدْ هَزَمَهُمُ اللهُ وَرَحَلُوا. وإذا عَادَ الأَحْزَابُ مَرَّةً أُخْرى لِقِتَالِ المُسْلِمِينَ فِي المَدِينَةِ وَحِصَارِها، تَمَنَّوا لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُقِيمِينَ فِي البَادِيَةِ بينَ الأعرابِ بَعِيداً عنِ المَدِينةِ، حَتَّى لاَ يَلْحَقَ بِهِمْ مَكْرُوهٌ، وَيَكْتَفُونَ بِالسُّؤالِ عَنْ أَخْبَارِكُمْ كُلَّ قَادِمٍ إِلَيهِمْ مِنْ جِهَةِ المَدِينَةِ. وَلَوْ أَنَّ هٰؤُلاءِ المُنَافِقِينَ كَانُوا بَيْنَكُمْ أَثْنَاءَ القِتَالِ لَمَا قَاتَلُوا مَعَكُمْ إِلاَّ قِتَالاً يَسِيراً رِيَاءً وَخَوْفاً مِنَ المَعْرَكَةِ، لا قِتَالاً يَرْجُونَ بِهِ ثَوَابَ اللهِ في الآخِرَةِ.

بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ - كَانُوا مَعَ الأَعْرَابِ فِي البَادِيَةِ.

٢١ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا

(يَرْجُو)

(٢١) - يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمنِينَ عَلَى الاقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ والتَّأَسِّي بِهِ فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ وَمُرَابَطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَظْهَرُوا الضَّجَرَ وَتَزَلْزَلُوا وَآضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الأَحْزَابِ: هَلاَّ آقْتَدَيْتُمْ بِرَسُولِ اللهِ، وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ فَلَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ إِنْ كُنْتُمْ تَبْتَغُونَ ثَوَابَ اللهِ، وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَتَذْكُرونَ اللهَ ذِكْراً كَثيراً، فَذِكْرُ اللهِ يُؤَدِّي إِلى طَاعَتِهِ، وَيَدْفَعُ إِلى آتِّبَاعِ مَسْلَكِ رَسُولِهِ وَالاقْتِدَاءِ بِهِ.

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ - قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ.

(٢٢) وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا

(رأى) (إيماناً)

(٢٢) - وَلَمَّا رَأى المُؤْمِنونَ الصَّادِقُونَ فِي إيمَانِهِم الأحزابَ، يُحْدِقُونَ بالمَدِينةِ، قَالُوا: هَذا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الابتلاءِ والاخْتِبارِ والامتِحَانِ بالشَّدَائِدِ، الذِي يَعْقُبُهُ النَّصْرُ القَرِيبُ. وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ في النَّصْرِ والثَّوابِ، كَمَا صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ في الابتِلاءِ والاخْتِبَارِ، وَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إلا صَبْراً عَلَى البَلاءِ، وَتَصْدِيقاً بِتَحْقِيقِ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَتَسليماً لِلقَضاءِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنُونَ قَوْلَهُ تَعَالى فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: **مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ وزلزلوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**)[1].

(٢٣) مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا

(عَاهَدُوا)

(٢٣) - لَمَّا ذَكَر اللهُ تَعَالى أَنَّ المُنَافِقِينَ نَقَضُوا العَهْدَ، وَصَفَ المُؤمنينَ بِأَنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا عَلَى المُحَافَظَةِ عَلَى العَهْدِ وَالمِيثَاقِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ رِجَالاً أَوْفَوْا بِمَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيهِ مِنَ الصَّبْرِ في الشِّدَّةِ وَالبَأْسَاءِ، فَاسْتُشْهِدَ بَعْضُهُمْ في بَدْرٍ، وَبَعْضُهُمْ اسْتُشْهِدَ فِي أُحُدٍ، وَبَعْضُهُمْ لَقِيَ وَجْهَ رَبِّهِ فِي غَيرِ هٰذينِ المَوْقِفَينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ قَضَاءَ اللهِ، وَالفراغَ مِنْ أَجَلِهِ، كَمَا قَضَى مِنْهُمْ مَنْ مَضَى عَلَى الوَفَاءِ للهِ بِالعَهْدِ، وَمَا غَيَّرُوا وَمَا بَدَّلُوا.

(رُوِيَ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ الذِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ غَابَ عَنْ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، فَقَالَ: لَئِنْ أَرَانِي اللهُ تَعَالَى مَشْهَداً مَعَ رَسُولِ اللهِ، فِيمَا بَعدُ، لَيَرَيَنَّ اللهُ تَعَالى مَا أَصْنَعُ). وَقِيلَ إِنَّها نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحابَةِ مِنْهُمْ عُثْمانُ بْنُ عَفَّان وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيرٍ وَغَيْرُهُمْ نَذَرُوا أَنَّهُمْ إذا لَقُوا حَرْباً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَبَتُوا وَقَاتَلُوا حَتى يُسْتَشْهَدُوا).

قَضَى نَحْبَهُ - وَفَى نَذْرَهُ أَوْ مَاتَ شَهِيداً.

(٢٤) لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

(الصَّادِقِينَ) (الْمُنَافِقِينَ)

(٢٤) - وَاللهُ تَعَالَى يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِالخَوْفِ وَالزَّلْزَلَةِ لِيَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيُظْهِرَ أَمْرَ كُلٍّ مِنْهُما جَلِيّاً وَاضِحاً، فَيَجْزِي أَهْلَ الصِّدْقِ بِصِدْقِهِمْ بما عَاهَدُوا اللهَ عَلَيهِ، وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ النَّاقِضِينَ لِلْعَهْدِ، المُخَالِفِينَ لأَوَامِرِ رَبِّهِمْ، إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى نِفَاقِهِمْ، حَتَّى يَلْقَوْهُ. أَمَّا إذا تَابُوا وَعَمِلُوا صَالِحاً فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ سَيِّئَاتٍ وَآثَامٍ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَرَحْمَتُهُ لِعِبَادِهِ هِيَ الغَالِبَةُ لِغَضَبِهِ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٢٥) وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا

(٢٥) - وَرَدَّ اللهُ المُشْرِكينَ، مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطفانَ وأَسدٍ وَسُلَيم، بِغَيْظِهِمْ لِفَوْتِ مَا أَمَّلُوهُ مِنَ الظَّفَرِ بِمُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ، وَالفَوْزِ بِالغنائِمِ، وَلَمْ يَحْتَجِ المُؤْمِنُونَ إلى مُنَازَلَتِهِمْ لإِجْبَارِهِمْ عَلَى الانْسِحَابِ، وَإِنَّما سَلَّطَ اللهُ عَلَيهِمْ رِيحاً، وَأَرْسَلَ عَلَيهِمْ مَلائِكَتَهُ يُلْقُونَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَانْسَحَبُوا مَخْذُولِينَ مَفْلُولِينَ فَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ شَرَّ القِتَالِ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ. وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً، لاَ يُغْلَبُ وَلاَ يُضَامُ.

(٢٦) وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا

(ظَاهَرُوهُم) (الْكِتَاب)

(٢٦) - لَمَّا قَدِمَتِ الأَحْزَابُ إلى المَدِينةِ كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَيْنَ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ عَهْدٌ وَمُوادَعَةٌ، فَجَاءَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَب - زَعِيمُ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ - وَكَانَ مَعَ قَوْمِهِ مَعَ الأَحْزَابِ، - إلى بَنِي قُرَيْظَةَ يَسْتَحِثُّهُمْ عَلَى نَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُشَارَكَةِ الأَحْزَابِ فِي مُحَارَبَةِ المُسْلِمينَ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمينَ. وَلَمَّا هَزَمَ اللهُ الأَحْزَابَ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ الكَريمَ بِأَنْ يَسيرَ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيُعَاقِبَهُمْ عَلَى غَدْرِهِمْ، وَنَقْضِهِمُ العَهْدَ. وَبَعْدَ حَرْبٍ دَامَتْ خَمْسَةً وعِشْرِينَ يَوْماً اضْطُرُّوا إلى النُّزُولِ على حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ حَليفاً لَهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَاسْتَدْعَاهُ رَسُولُ اللهِ - وَكَانَ فِي المَدِينَةِ يَشْتَكِي مِنْ جُرْحٍ أَصَابَهُ - فَحَكَمَ سَعْدٌ بِأَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالأَمْوالُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالى: إِنَّهُ قَذَفَ فِي قُلُوبِ بَنِي قُرَيْظَةَ الرُّعْبَ (الذِينَ ظَاهَرُوا الأَحْزَابَ مِنْ أَهلِ الكِتَابِ)، وَأَنْزَلَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ (صَيَاصِيهِمْ) عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، فَقَتَلَ المُسْلِمُونَ فَرِيقاً، وَأَسَرُوا فَرِيقاً.

الذينَ ظَاهَرُوهُمْ - الذِينَ أَعَانُوا الأَحْزَابَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ.

صَيَاصِيهِمْ - حُصُونِهِمْ وَمَعَاقِلِهِمْ.

الرُّعبَ - الخَوْفُ الشَّدِيدُ.

(٢٧) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا

(دِيَارَهُمْ) (أَمْوَالَهُمْ)

(٢٧) - وَأَوْرَثَ اللهُ المُؤْمِنينَ أَرْضَ بَني قُرَيْظَةَ، وَنَخِيلَهُمْ، وَمَزَارِعَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَمَوَاشِيَهُمْ، وَأَوْرَثَ اللهُ المُؤْمِنينَ الأَرَاضِيَ الَّتي فَتَحُوهَا فِيما بَعْدُ، مِنْ أَراضي اليَهودِ والمُشْرِكِينَ وَغيرِهم، فِي الجَزيرةِ العَرَبيَّةِ وَخَارِجِها. وَهِيَ أَراضٍ لَمْ يَسْبِقْ لِلمُؤْمنينَ أَنْ وَطِئَتْها أَقْدَامُهُمْ مِنْ قَبلُ، واللهُ تَعَالى قَادِرٌ على ذَلِكَ، فَلاَ يَتَعَذَّرُ عَلَيهِ شيءٌ.

﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا

(يا أيُّها) (لأَزْواجِكَ) (الْحَياةَ)

(٢٨) ـ بَعْدَ أَنْ نَصرَ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ ﷺ عَلى الأَحْزابِ، وَعَلى بَني قُرَيْظَةَ، ظَنَّ أَزْواجُهُ أَنَّهُ ٱخْتصَّ بنَفائِسِ اليَهُودِ، وَذَخائِرِهِمْ، فَجِئْنَهُ يُطالِبْنَهُ بالتَّوْسِعَةِ عَلَيهِنَّ، وبِمُعامَلَتِهِنَّ مُعامَلَةَ نِساءِ المُلُوكِ، فَآلَمْنَ قَلْبَهُ الشَّريفَ بِمَطالِبِهِنَّ، فأَمرَهُ اللهُ تَعالى بِأَنْ يَتْلُوَ عَلَيْهِنَّ ما أُنْزِلَ عليهِ بِشأْنِهِنَّ.

وَجاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَسْتَأْذِنانِ عليهِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُما، ثُمَّ أَذِنَ لَهُما، فَدَخَلا فَوَجَدا الرَّسُولَ جالِساً وَحولَهُ نِساؤُهُ وَهُمْ سُكُوتٌ. فَتَكَلَّمَ عُمَرُ فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ لَوْ رَأَيت ٱبْنَةَ زَيدٍ (يَعني زَوْجَةَ عُمَر) سأَلَتني النَّفَقَةَ فَوَجَأْتُ عُنُقَها (أَيْ قَطَعْتُهُ)، فَضحِكَ الرَّسُولُ. وَقالَ: هُنَّ حَولي يَسْأَلْنَني النَّفَقَةَ. فَقامَ أَبُو بَكْرٍ إلى عائِشَةَ لِيَضْرِبَها، وَقامَ عُمَرُ إلى ٱبنَتِهِ حَفْصَةَ لِيَضْرِبَها، وَكُلٌ مِنْهُما يقولُ: تَسْأَلانِ رَسُولَ اللهِ ﷺ ما لَيْسَ عِنْدَه! فَنهاهُما الرَّسُولُ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؛ فَقالَتا: وَاللهِ لا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ هٰذا المَجْلِسِ ما لَيسَ عِنْدَهُ.

وَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى الخِيارَ، فَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ بِعائِشَةَ، رِضْوانُ اللهِ عَلَيها، فَقالَ لَها: إنِّي أَذْكُرُ لَكِ أَمْراً ما أُحِبُ أَنْ تَعْجَلِي فيهِ حَتَّى تَسْتأْمِرِي أَبَوَيْكِ. قالَتْ وَما هُوَ؟ فَتَلا عَلَيها الآيَةَ: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْواجِكَ...**﴾ قالَتْ عائِشَةُ: أَفِيكَ أَسْتأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتارُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وأَسْأَلُكَ أَلاَّ تَذْكُرَ لامْرَأَةٍ مِنْ نِسائِكَ ما ٱخْتَرْتُ. فَقالَ لَها الرَّسُولُ: إن اللهَ لَمْ يَبْعَثْني مُعَنِّفاً، وَلٰكِنْ بَعَثَني مُعَلِّماً وَمُيَسِّراً، لا تَسْأَلُني ٱمْرَأَةٌ مِنْهُنَّ عَمَّا ٱخْتَرْتِهِ إلاَّ أَخْبَرتُها.

ثُمَّ وَعَظَهُنَّ اللهُ بَعْدَ أَنِ ٱخْتَرْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَخَصَّهُنَّ بِأَحْكامٍ.

وَمَعنى الآيَةِ الكَريمةِ: يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْواجِكَ ٱخْتَرْنَ لأَنْفُسِكُنَّ إحْدَى خَلَّتَيْنِ:

ـ الأُولى: إنْ كُنْتُنَّ تُحبِبْنَ الحَياةَ الدُّنيا، وَزِينَتِها، وَزُخْرُفَها، فَلَيْسَ لَكُنَّ مُقامٌ عِنْدِي، إذْ لَيسَ عِنْدِي شَيءٌ مِنها، فَأَقْبِلْنَ إلَيَّ أُعطِكُنَّ ما أَوْجَبَ اللهُ عَلَى الرِّجالِ لِلنِّساءِ مِنَ ٱلْمُتْعَةِ عِنْدَ مُفارَقَتِهِمْ إيَّاهُنَّ بِالطَّلاقِ.

ـ أَمَّا الثَّانِيَةُ فَقَدْ جاءَتْ فِي الآيةِ التَّالِيَةِ.

أُمَتِّعْكُنَّ ـ أُعْطِكُنَّ مُتْعَةَ الطَّلاقِ.

أُسَرِّحْكُنَّ ـ أُطَلِّقْكُنَّ.

سَراحاً جميلاً ـ طَلاقاً حَسَناً لا ضِرارَ فيهِ.

(٢٩) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا

(٣٠) يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا

(٣١) ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا

الجزء ٢٢ الحزب ٤٣

(٣٢) يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا

(٣٣) وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

(ٱلآخِرَةَ) (لِلْمُحْسِنَاتِ)

(٢٩) - أَمَّا الخُطَّةُ الثَّانِيَةُ التِي أَمر اللهُ تَعالى رَسُولَهُ ﷺ بِعَرْضِها عَلَى أَزْواجِهِ فَهِيَ: إنْ كُنَّ يُرِدْنَ رِضاءَ اللهِ، وَرِضاءَ رَسُولِهِ، وَثَوابَ الدَّارِ الآخِرَةِ، وَيَرْضَيْنَ بِما هُنَّ عَليهِ مِنْ عَيْشٍ خَشِنٍ، فَعَلَيهِنَّ أَنْ يُطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ، لأَنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلمُحْسِنَاتِ مِنْهُنَّ فِي الأَفْعَالِ والأَقوالِ ثَواباً عَظِيماً تُسْتَحقَرُ الدُّنيا وَزِينَتُها وَزخْرُفُها بِالمُقارَنَةِ بِهِ.

(يَا نِسَاءَ) (بِفَاحِشَةٍ) (يُضَاعَفْ)

(٣٠) - ثُمَّ وَعَظَ اللهُ تَعالى نِساءَ النَّبِيِّ اللاَّتِي ٱخْتَرْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَة، فَقالَ لَهُنَّ: إنَّ مَنْ تَرْتَكِبْ مِنْهُنَّ خَطأً كَنُشُوزٍ أَوْ سُوءِ خُلُقٍ (فاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) فَإِنَّ عِقابَها عَلى خَطئِها سَيكُونُ مُضاعَفاً عَنْ عِقابِ سِواها مِنَ النِساءِ، نَظَراً لِمَنزِلَتِها الرَّفِيعَةِ، وَذلِكَ سَهْلٌ عَلَى اللهِ تَعالى.

فَاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ - بِمَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ ظاهِرَةِ القُبْحِ.

(صَالِحاً)

(٣١) - أَمَّا التِي تُطِيعُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَتَسْتَجِيبُ لَهُما فَإِنَّ اللهَ يُضاعِفُ أَجْرَها مَرَّتينِ، وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ لَها فِي الجَنَّةِ رِزْقاً كَرِيماً، لأَنَّها تَكُونُ فِي الجَنَّةِ فِي مَنازِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

يَقْنُتْ مِنْكُنَّ - تُطِعْ أَوْ تَخْضَعْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ.

(يَا نِسَاءَ)

(٣٢) - يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لاَ يُشْبِهُكُنَّ أَحَدٌ مِنَ النِّسَاءِ، وَلاَ تَلْحَقُ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ بِكُنَّ فِي الفَضِيلَةِ وَالمَنْزِلَةِ، فَإِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ اللهَ كَمَا أَمَرَكُنَّ فَلا تُخاطِبْنَ الرِّجَالَ بِرِقَّةٍ تُطْمِعُ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَفَسادٌ، وَرِيبَةٌ وَفِسْقٌ، وَقُلْنَ قَوْلاً بَعِيداً عَنِ الرِّيبَةِ، لاَ يَتْرُكُ لأَحدٍ مَطْمَعاً فِيكُنَّ.

فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ - لاَ تُلِنَّ القَوْلَ وَلاَ تُرَقِّقْنَهُ لِلرِّجالِ.

(الْجَاهِلِيَّةِ) (الصَّلاَةَ) (آتِينَ) (الزَّكَاةَ)

(٣٣) - وَٱلزَمْنَ بُيُوتَكُنَّ فَلاَ تَخْرُجْنَ لِغَيرِ حَاجَةٍ.

(وَفِي الحَدِيثِ: إن المَرأَةَ عَوْرَةٌ، فَإذا خَرجَت ٱسْتَشْرَفَها الشَّيْطانُ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّها وهيَ فِي قَعْرِ بَيْتِها). (أَخْرَجَهُ التِرْمِذِيُّ وَالبَزَّارُ).

وَلاَ تُبدِينَّ زِينَتَكُنَّ وَمَحاسِنَكُنَّ لِلرِّجالِ، كَما كَانَتْ تَفْعَلُ نِساءُ الجاهِلِيَّةِ، وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ عَلَى الوَجهِ الأَكْمَلِ، وأَدِّينَ الزَّكاةَ عَنْ أَموالِكُنَّ كَما أَمَرَ

الله، فالله تعالى يريدُ أنْ يُطهِّرَ أهلَ بيْتِ رَسُولِهِ تطهيراً لا تُخالِطُهُ شُبْهَةٌ مِنْ دَنسِ الفِسْقِ والفُجُورِ، وَأَنْ يُذْهِبَ عَنْهُم السُّوءَ والفَحْشَاءَ.

قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ـ الزمْنَ بُيُوتَكُنَّ.

لا تَبرَّجْنَ ـ لا تُبْدِينَ الزِّينَةَ الوَاجِبَ سَتْرُها.

الجَاهِلِيةِ الأُولَى ـ مَا قبلَ الإسْلامِ.

الرِّجْسَ ـ الذَّنْبَ أوِ الإثْمَ.

﴿٣٤﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا

(آيات)

(٣٤) ـ وَاذكُرنَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُنَّ بأنْ جَعَل بُيُوتَكُنَّ تُتلَى فِيهَا آيَاتُ اللهِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ أحكامِ الدِّينِ، وَآشْكُرْنَ رَبَّكُنَّ عَلَى جميلِ فَضْلِهِ عَلَيْكُنَّ، فَإنَّهُ كَانَ ذَا لُطفٍ بِكُنَّ إذْ جَعلَكُنَّ فِي البُيُوتِ آلتِي تُتْلَى فِيها آياتُ الله وَيُعْمَلُ فِيها بِسُنَّةِ رَسُولِهِ. وَكَان اللهُ خَبيراً بِكُنَّ إذ آخْتارَكُنَّ أزْوَاجاً لِرَسُولِهِ ﷺ.

الحِكْمَةِ ـ هَدْيِ النُّبُوَّةِ ـ أوِ السُّنَّةِ أوْ أحكامِ القُرآنِ.

﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

(المُسْلِمَاتِ) (المُؤْمِنَاتِ) (القَانِتِينَ) (القَانِتَاتِ) (الصَّادِقِينَ) (الصَّادِقَاتِ) (الصَّابِرِينَ) (الصَّابِرَاتِ) (الخَاشِعِينَ) (الخَاشِعَاتِ) (المُتَصَدِّقِين) (المُتَصَدِّقَاتِ) (الصَّائِمِينَ) (الصَّائِمَاتِ) (الحَافِظِينَ) (الحَافِظَاتِ) (الذَّاكِرِينَ) (الذَّاكِرَاتِ)

(٣٥) ـ قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا لَهُ يَذْكُرُ المُؤْمِنينَ وَلا يَذْكُرُ المُؤْمِنَاتِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى هٰذِهِ الآيَةَ.

وَقَدْ مَيَّزَ اللهُ تَعَالى بينَ الإسلامِ وَالإيمَانِ وَجعَلَ الإيمَانَ أخصَّ مِنَ الإسْلامِ. وَقَالَ تَعَالى: (قَالتِ الأعرابُ آمَنَّا. قُلْ: لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِيْ قُلُوبِكُمْ)[١].

وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَين: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ) فَالزَّانِي حِينَ يَزْنِي تُنْتَزَعُ عَنْهُ صِفَةُ الإيمَانِ، وَلٰكِنَّهُ لا يُعْتَبَرُ كافِراً، وَلا تُنْتَزَعُ عَنْهُ صِفَةُ الإِسلامِ بِإجْمَاعِ المُسْلِمينَ.

وَفِي هٰذِهِ الآيةِ يَذْكُرُ اللهُ تَعَالى الصِّفَاتِ التِي يَسْتَحِقُّ بها عِبادُهُ أنْ يَغْفِرَ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ
ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا

اللهُ لَهُمْ، وَأَنْ يَمْحُوَ عَنْهُمْ زَلَّاتِهِمْ، وَيُثِيبَهُمْ بِالنَّعِيمِ المُقِيمِ، وَهَذِهِ الأَوْصَافُ هِيَ:

- إِسْلَامُ الظَّاهِرِ بالانْقِيَادِ لأَحْكَامِ الدِّينِ بِالقَوْلِ وَالعَمَلِ.
- إِسْلَامُ البَاطِنِ (الإِيمَانُ) بِالتَّصْدِيقِ التَّامِ والإِذْعَانِ لِمَا فَرَضَ الدِّينُ مِنْ أَحْكَامٍ.
- القُنُوتُ وَهُوَ دَوَامُ العَمَلِ فِي هُدُوءٍ وَطُمَأْنِينَةٍ.
- الصِّدْقُ فِي الأَقْوَالِ والأَعْمَالِ وَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَى الإِيمانِ كَمَا أَنَّ الكَذِبَ عَلَامَةٌ عَلَى النِّفَاقِ.
- الصَّبْرُ عَلَى المَكَارِهِ وَتَحَمُّلِ المَشَاقِّ في أَدَاءِ العِبَادَاتِ وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ.
- الخُشُوعُ والتَّواضُعُ للهِ تَعَالى بِالقَلْبِ والجَوَارِحِ، ٱبْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَخَوْفَ عِقَابِهِ.
- التَّصَدُّقُ بِالمَالِ والإِحْسَانُ إِلى المُحْتَاجِينَ الذِينَ لَا كَسْبَ لَهُمْ.
- الصَّوْمُ فإِنَّهُ مُعِينٌ عَلَى كَسْرِ حِدَّةِ الشَّهْوَةِ.

(وَفِي الحَدِيثِ: الصَّوْمُ زَكَاةُ الدِّينِ) (رَوَاهُ ٱبْنُ مَاجه).

(ضَلَالاً)

(٣٦) - رَوَى ٱبْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ ٱبْنَةَ عَمَّتِهِ (زَيْنَب بِنْتَ جَحْش) لِمَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَأَبَتْ، وَقَالَتْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ حَسَباً، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالى هٰذِهِ الآيَةَ. فَقَبِلَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ مِنْهُ، وَقَالَتْ سَمْعاً وَطَاعَةً.
(وَفِي الحَدِيثِ: وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ).
وَكَانَ زَوَاجُ زَيْنَبَ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ لِحِكْمَةٍ إِذْ تَبِعَهُ رَدُّ الأُمُورِ إِلى نِصَابِهَا فِي أَمْرِ التَّبَنِّي. فَقَدْ كَانَتِ العَرَبُ تُعْطِي الوَلَدَ المُتَبَنَّى (الدَّعِيَّ) حُقُوقَ الابْنِ مِنَ النَّسَبِ، حَتَّى المِيرَاثَ، وَحُرْمَةَ النَّسَبِ. فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى مَحْوَ ذَلِكَ بِالإِسْلَامِ، حَتَّى لَا يُعْرَفَ إِلا النَّسَبُ الصَّرِيحُ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: **﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾**(١) وَمَعْنَى الآيَةِ: لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ قَضَاءً، أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنْ أَمْرِهِمْ غَيرَ مَا قَضَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ لَهُمْ، وَلَا أَنْ يُخَالِفُوا أَمْرَ اللهِ وَأَمرَ رَسُولِهِ وَقَضَاءَهُما. وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا بِهِ، وَنَهَيَا عَنْهُ، فَقَدْ جَارَ عَنِ السَّبِيلِ القَوِيمِ، وَسَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الهُدَى وَالرَّشَادِ.
الخِيَرَةُ - الاخْتِيَارُ.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

٣٧ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا

(تَخْشَاهُ) (زَوَّجْنَاكَهَا) (أَزْوَاجِ) (أَدْعِيَائِهِمْ)

(٣٧) ـ كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ٱمْرَأَةً، فِي طَبْعِهَا حِدَّةٌ، وَلَمَّا نَزَلَتِ الآيَةُ قَبِلَتْ بِأَنْ تَتَزَوَّجَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ. وَلٰكِنَّ زَيْنَبَ لَمْ تُحْسِنْ عِشْرَتَهُ، فَكَانَتْ تَتَعَالَى عَلَيهِ، وَكَانَ هُوَ دَائِمَ الشَّكْوى مِنْها إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ يَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ اللهَ. وَكَانَ الرَّسُولُ قَدْ أَلهَمَهُ اللهُ أَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ زَينَبَ بَعدَ طَلاقِها مِنْ زيدٍ لإِبْطَالِ آثَارِ التَّبَنِّي التِي كَانَتْ سَائِدَةً بَيْنَ العَرَبِ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ زَيداً، وَكَانَ زَيْدٌ يُقَالُ لَهُ (الحِبُّ ـ أو حِبُّ رَسُولِ اللهِ).

وَلَمَّا تَكَرَّرَتْ شَكْوى زَيدٍ مِنْ سُوءِ مُعَامَلَةِ زَيْنَبَ لَهُ أَنْزَلَ اللهُ هٰذِهِ الآيَةَ الكَرِيمةَ، وَفِيها يَقُولُ اللهُ تَعالى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: ٱذْكُر يَا مُحَمَّدُ حِينَ قَوْلِكَ لِمَوْلاَكَ زَيدٍ الذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ بالإِيمَانِ، وَبِمُتَابَعَةِ رَسُولِ اللهِ، وَبِجَعْلِهِ رَبِيباً لِرَسُولِ اللهِ، وَأَنْعَمْتَ أَنْتَ عَلَيهِ بِالعِتْقِ، وَبِحُسْنِ التَّربِيةِ: أَمْسِكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ زَيْنَبَ، وَٱتَّقِ اللهَ فِي أَمرِها، وَلاَ تُطَلِّقْهَا ضِرَاراً وَتَعَلُّلاً بِتَكَبُّرِها وَشُمُوخِها بِأَنْفِها عَلَيكَ، لأَنَّ الطَّلاقَ يَشِينُهَا. وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الطَّلاَقَ سَيَقَعُ، وَأَنَّكَ سَتَتَزَوَّجُها لِتَكُونَ قُدْوَةً وأُسْوَةً للمؤمنينَ، وإنما غَلَبَكَ مِنْ ذَلِكَ الحَيَاءُ وَأَن يُقَالَ تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ مُطَلَّقَةَ مُتَبنَّاهُ. فَأَنْتَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ مِنَ الحُكْمِ الذِي أَلْهَمَكَ، وَتَخَافُ مِنْ تَقَوُّلِ النَّاسِ وَٱعْتِرَاضِهِمْ، واللهُ الذِي أَمَرَكَ بِهٰذا أَحَقُّ بِأَنْ تَخْشَاهُ، فَكَانَ عَلَيكَ أَنْ تَمْضِيَ فِي الأَمرِ قُدُماً لِتُقَرِّرَ شَرْعَ اللهِ.

فَلَمَّا خَالَطَهَا زَيدٌ، وَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْها، وَمَلَّهَا ثُمَّ طَلَّقَها، جَعَلْنَاهَا زَوْجَةً لَكَ لِيَرْتَفِعَ الحَرَجُ عَنِ المُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يَتَزَوَّجُوا نِسَاءً كُنَّ مِنْ قَبْلُ، أَزْواجاً لِأَدْعِيائِهِم. وَكَانَ مَا قَضَى اللهُ مِنْ قَضاءٍ كَائِناً لا مَحالَةَ، فَقَدْ قَدَّرَ اللهُ أَنْ تَكُونَ زَيْنَبُ زَوْجَةً لَكَ، وَسَيَنْفُذُ ذٰلِكَ.

وَطَراً ـ حَاجَتَهُ المُهِمَّةَ ـ كِنَايَةً عَنِ الطَّلاقِ بَعْدَ التَّماسِ.

حَرَجٌ ـ ضِيقٌ أَوْ إِثْمٌ.

أَدْعِيَائِهِمْ ـ الأَوْلادِ المُتَبَنِّينَ.

٣٨ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا

(٣٨) ـ لَيْسَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ أَوْ غَضَاضَةٍ فِيما أَحَلَّ اللهُ لَهُ، وَأَمَرَهُ بِهِ (فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ)، مِنْ زَوَاجِ زَيْنَبَ مُطَلَّقَةِ مُتَبَنَّاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَهٰذا حُكْمُ اللهِ في الأَنبياءِ قبْلَهُ فَقَدْ أَبَاحَ لَهُمْ الزَّوْجَاتِ والسَّرَارِي، وَكَانَ لِسُليمانَ وَدَاوُدَ وغَيرِهِما مِنَ الأَنبياءِ كَثِيراتٌ مِنْهُنَّ.

وَمَا يُقَدِّرُهُ اللهُ تَعالَى فَإِنَّهُ سَيَقَعُ لا مَحالَةَ، وَلاَ رَادَّ لَهُ.

وَفِي هٰذِهِ الآيةِ رَدٌّ عَلَى اليَهُودِ الذِينَ عَابُوا عَلَى الرَّسُول ﷺ كَثْرَةَ أزْوَاجِه.
خلوْا مِنْ قَبْلُ - مَضَوْا مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الأنبياءِ.
قَدَراً مَقْدُوراً - مُراداً أزَلاً - أوْ قَضاءً مَقْضِيّاً لاَ رَادَّ لَهُ.

٣٩ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا

(رِسالاتِ)

(٣٩) - يَصِفُ اللهُ تَعالى الأنبياءَ الكِرام الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبلِ مُحمَّدٍ، بِأنَّهم كَانُوا يَقُومُون بِإبلاغِ رِسالاتِ رَبِّهِمْ إلى مَنْ أرْسَلَهُمُ اللهُ إليهِمْ، وَلا يَتَرَدَّدُونَ فِي ذَلِك مَهْمَا كَانَ الحُكْمُ الذِي يُرِيدُونَ تَبلِيغَه ثَقِيلاً عَلَى نُفُوسِهِمْ. وَيَخافُونَ اللهَ فِي تَرْكِهِمْ تَبليغَ الرِّسَالاتِ، وَلا يَخافُونَ أحَداً سِوَاهُ، وَكَفى بِاللهِ مُعِيناً وَنَاصِراً وَحَافِظاً لأعْمَالِ العِبَادِ، وَمُحَاسِباً عَلَيها.
حَسِيباً - مُحَاسِباً عَلَى الأعْمَالِ.

٤٠ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

(النَّبِيِّينَ)

(٤٠) - وَلَمَّا قَالَ المُشْرِكُونَ واليَهُودُ: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ مِن امْرَأةِ ابْنِه، أنْزَلَ اللهُ تَعالى هٰذِهِ الآيةَ الكَرِيمَةَ، وَفِيها يَقُولُ تَعالى: إنَّ مُحَمّداً لَمْ يَكُنْ أبَا أحَدٍ مِنَ النَّاسِ لِيحَرَّمَ عَلَيهِ التَّزَوُّجُ بِمُطَلَّقَةِ ابْنِه، وَلكِنَّهُ رَسُولُ اللهِ يُبَلِّغُ رِسَالَتَهُ إلى خَلْقِ اللهِ. وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَآخِرُهُمْ وَلاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ. (فَقَدْ مَاتَ أبناءُ الرَّسُولِ ﷺ الذُّكُورُ كُلُّهُمْ قَبْلَهُ).

٤١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا

(يَا أيُّها) (آمَنُوا)

(٤١) - يَأمُرُ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ مِنْ عِبادِهِ بِكَثْرَةِ ذِكْرِه، فَهُوَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ عَلَيهِمْ، لِمَا لَهُمْ فِي ذِكْرِ اللهِ مِنْ عَظِيمِ الثَّوابِ.

٤٢ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

(٤٢) - وَيَأمُرُهُمْ تَعالى أيضاً بِتَنْزِيهِهِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بَيْنَ طَرَفَي النَّهارِ: فِي البُكُورِ عِنْدَ القِيامِ مِنَ النَّومِ، وَوَقْتِ الأصِيلِ، وَقْتِ الانْتِهاءِ مِنَ العَمَلِ اليَومِيِّ، فَيَكُونُ الذِّكْرُ فِي الصَّباحِ شُكْراً للهِ عَلى بَعْثِ الإنسَانِ مِنْ رُقادِهِ، وَفِي المَسَاءِ شُكْراً لَهُ عَلى تَوفِيقِه لأداءِ العَمَلِ، والقِيامِ بالسَّعْيِ لِلْحُصُولِ عَلَى الرِّزْقِ.
بُكْرَةً وأصِيلاً - أوَّلَ النَّهارِ وَآخِرَهُ.

٤٣ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا

(مَلائِكَتُهُ) (الظُّلُمَاتِ)

(٤٣) - يَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنينَ عَلَى ذِكْرِ رَبِّهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ إنَّهُ تَعَالى يَذْكُرُهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ وَيُثْنِي عَلَيْهِمْ فِي المَلأ الأعْلَى مِنْ عِبادِهِ، وَتَسْتَغْفِرُ

لَهُم المَلائِكَةُ الكِرامُ، وَإنَّهُ بِرَحْمَتِهِ تَعَالى، وَهِدَايَتِهِ، وَدُعَاءِ المَلائِكَةِ لَهُمْ، أَخرَجَهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الكُفْرِ إِلى نُورِ الإِيمَانِ، وَهُو تَعَالى رَحِيمٌ بِالعِبَادِ المُؤْمِنينَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ. أَمَّا رَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي الدُّنيا فإنَّهُ هَدَاهُم إلى الحَقِّ، وَبَصَّرَهُمْ بِالطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ. وَأَمَّا رَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ فإنَّهُ آمَنَهُمْ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ بِأَنْ يَتَلَقَّوْهُمْ بِالبِشَارَةِ بِالْفَوْزِ بِالجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

﴿٤٤﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا

(سَلامٌ)

(٤٤) ـ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُحَيَّوْنَ بِالسَّلامِ، وَهُنَاكَ ثَلاثَةُ أَقْوالٍ حَوْلَ مَنِ الذِي يُحَيِّيهِمْ بالسَّلامِ:

ـ يَقُولُ أَحَدُ هٰذِهِ الأَقْوَالِ: إِنَّ اللهَ تَعَالى هُوَ الذِي يُحَيِّيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ بالسَّلامِ، لِقَوْلِهِ تَعَالى فِي آيةٍ أُخْرَى: **﴿سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾**[1].

ـ وَيَقُولُ الآخَرُ: إِنَّ المَلائِكَةَ الكِرَامَ هُمُ الذِينَ يُحَيُّونَهُمْ بالسَّلامِ، إذا دَخلُوا الجَنَّةَ كَمَا قَالَ تَعَالى: **﴿والمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيكُمْ بِمَا صَبَرتُم﴾**[2].

ـ وَالقَولُ الآخَرُ يَقُولُ: إِنَّهُمْ هُمُ الذِينَ يُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بالسَّلامِ، يَوْمَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالى: **﴿دَعْوَاهُم فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلامٌ﴾**[3].

وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعَالى لَهُمْ فِي الجَنَّة ثَوَاباً عَظِيماً عَلَى إِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا.

﴿٤٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

(يَا أَيُّها) (أَرْسَلْنَاكَ) (شَاهِداً)

(٤٥) ـ يَا أَيُّها الرَّسُولُ إن اللهَ تَعَالى بَعَثَكَ شَاهِداً عَلَى مَنْ أُرْسِلْتَ إِليهِم، تُرَاقِبُ أَحْوالَهُم، وَتَرَى أَعْمالَهُمْ، وَتَشْهَدُ عَلَيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَرْسَلَكَ مُبَشِّراً لَهُمْ بِالجَنَّةِ إِنْ صَدَّقُوكَ، وَعَمِلُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمُنْذِراً لَهُمْ بِعَذَابِ النَّارِ إِنْ هُمْ كَذَّبُوكَ وَخَالَفُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ، وَنَهَيْتَهُم عَنْهُ.

(١) سورة يس، الآية: ٥٨.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٤.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.

﴿٤٦﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا

(٤٦) - وإِنَّهُ تعالَى بَعَثَكَ دَاعِياً الخَلْقَ إِلى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَمُراقَبَتِهِ فِي السِّرِّ والعَلَنِ، وَجَعَلَ أَمْرَكَ ظَاهِراً كالشَّمْسِ فِي إِشْراقِها وإِضاءَتِها لاَ يَجْحَدُها إِلاَّ مُكابِرٌ.

(أَوْ إِن المَعْنَى هُوَ: وَجعَلْنَاكَ سِرَاجاً مُنيراً لِيَسْتَضِيءَ بِكَ الضَّالُّونَ، ويَقْتَبِسَ مِنْ نُورِكَ المُهْتَدُونَ).

﴿٤٧﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا

(٤٧) - وَبَشِّرِ المُؤْمِنينَ بِأَنَّ لَهُمْ فَضْلاً كَبِيراً مِنَ اللهِ عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ، وَسَيُلْقِي اللهُ عَلَى عَاتِقِهِمْ مَهَمَّةَ نَشْرِ الإِيمَانِ فِي الأرضِ، وَإِخْراجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ.

﴿٤٨﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا

(الْكافِرينَ) (الْمُنافِقِينَ) (أَذاهُمْ)

(٤٨) - وَلاَ تُطِعْ قَوْلَ كَافِرٍ، وَلاَ قَوْلَ مُنَافِقٍ فِي أَمْرِ الدِّينِ والدَّعْوةِ، وَتَجاوَزْ وَاصْفَحْ عَنْ أَذاهُمْ، وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَنالُكَ مِنْهُمْ، وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلى اللهِ وَثِقْ بِهِ فَإِنَّهُ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ وَحَافِظُكَ.

﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (الْمُؤْمِناتِ)

(٤٩) - النِّكاحُ هُنا هُوَ العَقْدُ. وَيَقُولُ تَعالَى يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ إِذا عَقَدْتُمْ عُقْدَةَ النِّكاحِ عَلَى النِّساءِ المُؤْمِنَاتِ، ثُمَّ طَلَّقْتُموهُنَّ قَبلَ الدُّخولِ بِهِنَّ، فلا عِدَّةَ لَكُمْ عَلَيهِنَّ (وَهٰذا مُجمَعٌ عَلَيهِ بَيْنَ الأَئِمَّةِ)، وَلٰكِنْ عَلَى الزَّوجِ أَنْ يُمَتِّعَ المَرْأَةَ مَتاعاً حَسَناً بِحَسَبِ حَالِهِ (عَلَى المُعْسِرِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُوسِرِ قَدَرُهُ) وَأَنْ يُخرِجَها مِنْ بَيتِهِ إِخراجاً كَرِيماً لائِقاً (سَراحاً جَمِيلاً) فَيُهَيِّئُ لَها المَركَبَ، والزَّادَ، وَيُحسِنُ مُعامَلَتَها لِتَقَرَّ عَيْنُها، وَيُسَرَّ بِذلِكَ أَهْلُها، وَلِيَكُونَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ السُّلوَى عَمَّا لَحِقَ بِها مِنْ أَذى بِالطَّلاقِ.

﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا

(يـا أَيُّها) (أَزْواجَـكَ) (اللاَّتِي) (آتَيْتَ) (عَمَّـاتِكَ) (خَـالاَتِكَ) (اللاَّتِي) (أَزْواجِهِمْ) (أَيْمانُهُمْ)

(٥٠) - يَقُولُ اللهُ تَعالَى لِلرَّسُولِ ﷺ: إِنَّهُ أَحَلَّ لَهُ مِنَ النِّساءِ أَزْواجَهُ اللاتِي أَعْطَاهُنَّ مُهُورَهُنَّ (وَهِيَ المُعَبَّرُ عَنْها بِالأُجُورِ هُنَا)، وَأَباحَ لَهُ التَّسَرِّي بِالنِّساءِ اللاتِي يَأْخُذُهُنَّ مِنَ المَغانِمِ (وَقَدْ مَلَكَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَجُوَيْرِيَةَ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ فَأَعْتَقَهُما وَتَزَوَّجَهُما)، وَأَبَاحَ لَهُ الزَّواجَ من بَناتِ عَمِّهِ، وَبَناتِ عَمَّاتِهِ، وَبَنَاتِ خَالِهِ، وَبَناتِ خَالاَتِهِ،

لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

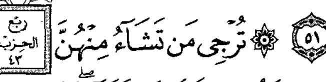
وبِذَلِكَ جاءَ الشَّرْعُ الإسْلاميُّ مُعْتَدِلاً بَيْنَ إفراطِ النَّصارَى فِي التَّشَدُّدِ، وَتَفْرِيطِ اليَهُودِ فِي التَّساهُلِ، فَقَدْ كَانَ النَّصارى لَا يَتَزَوَّجُونَ المَرْأَةَ إلَّا إذا كَانَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَها سَبْعَةُ أَجْدادٍ فَصاعِداً. وَكَانَ اليَهُودُ يَتَزَوَّجُونَ بَناتِ الأَخِ وَبَناتِ الأُخْتِ. وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعالى مِنْ بَيْنِ بَناتِ الأَعْمامِ وَالعَمَّاتِ وَبَناتِ الأَخْوالِ والخَالاتِ، اللَّواتِي أَباحَ لِلرَّسُولِ الزَّواجَ مِنْهُنَّ، اللاتِي هاجَرْنَ مَعَهُ، فاسْتَثْنَى بِذَلِكَ اللواتِي لَمْ يُهاجِرْنَ.

كَما أَحَلَّ اللهُ لِرَسُولِهِ التَمَتُّعَ بِالمَرأةِ المُؤْمِنَةِ التِي تَهَبُ نَفْسَها لَهُ، فَلَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَها بِلا مَهْرٍ إنْ أرادَ ذلِكَ (وَفِي هٰذهِ الآيةِ إباحَةٌ خاصَّةٌ بالرَّسُولِ مِنْ دُونِ المُؤمِنينَ، فَلَوْ وَهَبَتِ آمْرأةٌ نَفْسَها لِرَجُلٍ لَوَجَبَ عَلَيهِ مَهْرُ مِثْلِها).

وَلٰكِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَتَزَوَّجْ وَاحِدَةً مِمَّنْ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لَهُ. وَقد أَحَلَّ اللهُ ذَلِكَ لِرَسُولِهِ لِكَيلَا يَكُونَ عَلَيهِ حَرَجٌ، وَتَضْييقٌ، فِي نِكاحِ مَنْ نَكَحَ مِنَ الأَصْنافِ السَّالِفَةِ. وَقَدْ كَانَ اللهُ غَفُوراً لِرَسُولِهِ وَلأَهْلِ الإيمانِ بِهِ، وَرَحِيماً بِهِمْ.

آتيت أُجُورَهُنَّ - أَعْطَيْتَهُنَّ مُهُورَهُنَّ.

أفاءَ اللهُ عَلَيكَ - رَجَّعَهُ اللهُ إليكَ مِنَ الغَنائِمِ.



(٥١) ۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ربع الحزب ٤٣
وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا

(آتَيْتَهُنَّ) (تُؤْوِي)

(٥١) - وَلاَ جُناحَ عَليكَ، وَلاَ حَرَجَ، فِي أَنْ تَتْرُكَ القَسْمَ لَهُنَّ، فَتُقَدِّمَ مَنْ شِئْتَ، وَتُؤَخِّرَ مَنْ شِئْتَ، وَتُضاجِعَ مَنْ شِئْتَ، وَتَتْرُكَ مَنْ شِئْتَ، وَإذا عَلِمْنَ أَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ عَنْ نَبِيِّهِ الحَرَجَ فِي القَسْمِ، إن شَاءَ قَسَمَ، وَإنْ شاءَ لَمْ يَقْسِمْ، ثُمَّ التزَمَ هُوَ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ بِالقَسْمِ بَيْنَهُنَّ، فَإنَّهُنَّ يَفْرَحْنَ بِذَلِكَ وَيَسْتَبْشِرْنَ بِهِ. وَيَعْتَرِفْنَ بِمِنَّتِهِ عَلَيْهِنَّ فِي قِسْمَتِهِ وإنْصافِهِ لهُنَّ، وَعَدْلِهِ فِيهِنَّ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي القُلوبِ مِنَ المَيلِ إلى بَعْضِهِنَّ دُونَ بَعْضٍ، مِمَّا لاَ يُمْكِنُ دَفْعُهُ، وَاللهُ عَلِيمٌ بالضَّمائِرِ والسَّرائِرِ، يَحْلُمُ وَيَعْفُو وَيَغْفِرُ.

(وَمَعَ ٱلجَوازِ الذِي مُنِحَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي عَدَمِ القَسْمِ بَيْنَ نِسائِهِ فَإِنَّهُ كانَ يَقْسِمُ لأَزْواجِهِ).

تُرْجِي مَنْ تَشاءُ - تُؤَخِّرُ وَلا تُضاجِعُ.

تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ - تَضُمُّ إليكَ وَتُضاجِعُ.

عَزَلْتَ - آجْتَنَبْتَ بالإرْجاءِ.

ابْتغيتَ - طَلَبْتَ.

أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهنَّ - التَّفويضُ إلى مَشيئَتِهِ أَقْرَبُ إلى سُرُورِهِنَّ لِعلمِهِنَّ أَنهُ بِحُكمِ اللهِ.

٥٢ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا

(أَزْوَاجٍ)

(٥٢) - هذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ مُكَافَأَةً لِنِساءِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِنَّ في اخْتِيارِهِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ والدَّارَ الآخِرَةَ حِينَما خَيَّرَهُنَّ الرَّسُولُ. فَلَمَّا اخْتَرْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ كَانَ جَزَاؤُهُنَّ أَنَّ اللهَ تَعَالى قَصَرَهُ عَلَيْهِنَّ، وَحَرَّمَ عَلَيهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِغَيْرِهِنَّ، أَوْ أَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِنَّ أَزْوَاجاً غَيْرَهُنَّ بِأَنْ يُطَلِّقَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ وَيَتَزَوَّجَ غَيرَها، إلاَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ. وَقَدْ مَلَكَتْ يَمِينُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَارِيَةَ القِبطِيَّةَ فَتَسَرَّاهَا وَأَولَدَها إِبراهِيمَ وَمَاتَ رَضِيعاً. وَكَانَ اللهُ حَافِظاً، وَمُطَّلِعاً عَلَى كُلِّ شَيءٍ، عَلِيماً بالسِّرِّ والنَّجْوى، فَاحْذَرُوا تَجاوُزَ حُدُودِهِ، وَتَخطِّي حَلاَلِهِ إلى حَرَامِهِ.

(وَقِيلَ إنَّ مَعْنَى - لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) هُوَ مِنْ بَعدِ مَا ذَكَرْنا مِنْ صِفَةِ النِّسَاءِ اللاَتِي أَحْلَلْنا لَكَ مِنْ نِسَائِكَ اللاتي آتيتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَبناتِ الأَعْمَامِ والعَمَّاتِ وَبَنَاتِ الأَخْوالِ والخَالاَتِ، والوَاهِبَاتِ أَنْفُسَهُنَّ. أَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَصْنافِ النِّسَاءِ فَلاَ يَحِلُّ لَكَ).

رَقِيباً - حَفِيظاً وَمُطَّلِعاً.

٥٣ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (نَاظِرِينَ) (إِنَاهُ) (مُسْتَأْنِسِينَ) (مَتَاعاً) (فَاسْأَلُوهُنَّ) (أَزْوَاجَهُ)

(٥٣) - يَا أَيُّها المُؤمِنُونَ لاَ تَدْخُلوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ أَنْ تُدْعَوا إلى طعام تَطْعَمُونَهُ غَيرَ مُنْتَظِرِينَ إِدْرَاكَ نُضْجِهِ، (أَي إذا دُعِيتُم إلى طَعَامٍ في بَيْتِ رَسُولِ اللهِ فَلاَ تَدْخُلُوا إلا إذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الطَّعَامَ قَدْ تَمَّ نُضْجُهُ وَإِعْدَادُهُ) وَلَكِنْ إذا دَعَاكُمُ النَّبِيُّ إلى الدُّخُولِ فَادخُلُوا، فَإِذَا أَكَلْتُمُ الطَّعَامَ فَانصَرِفُوا، وَلاَ تَمْكُثُوا فِيهِ لِتَبَادُلِ الحَدِيثِ، فَذَلِكَ اللُّبْثُ، بَعْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ ، كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ، وَيُثْقِلُ عليهِ وَعَلى أَهْلِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَسْتَحْيِي مِنْ أَنْ يَقُولَ لَكُمْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَدْعُوكُمْ إلى الانْصِرَافِ، وَاللهُ الذِي يُرِيدُ أَنْ يُحْسِنَ تَربيتَكم وَتَأْدِيبَكُمْ، يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَكُمُ الحَقَّ لتعمَلُوا بِهِ، فَإذا طَعِمْتُم فِي بَيتِ النَّبِيِّ ﷺ فَاخْرُجُوا، وَلاَ تَقْعُدُوا لِلْحَدِيثِ. وَإِذا طَلَبْتُم مِنْ أَزواجِ النَّبِيِّ وَنِسَاءِ المُؤمِنِينَ شَيئاً تَتَمَتَّعُونَ بِهِ، مِنْ مَاعُونٍ، وَغيرِهِ، فَاطْلُبُوهُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ. وَذَلِكَ الدُّخُولُ بَعْدَ الاسْتِئْذَانِ، وَعَدَمُ البَقَاءِ بَعْدَ الطَّعَامِ لِلاسْتِئْنَاسِ بِالحَدِيثِ، وَسُؤَالُ نِسَاءِ النَّبِيِّ المَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. كُلُّ ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِ الرِّجَالِ وَقُلُوبِ النِّسَاءِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الرِّيبِ

بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا

والشُّكُوكِ، ولَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنينَ أَنْ يفْعَلُوا فِعْلاً فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ يُؤْذِيهِ وَيُزْعِجُهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُؤْذُوهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِالتَّزَوُّجِ بِنِسَائِهِ. فَإِيذَاءُ النَّبِيِّ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى.

(وَقَدْ سُمِّيت هٰذِهِ الآيَةُ بِآيَةِ الثُّقَلاءِ).

غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ - غَيْرَ مُنْتَظِرِينَ نُضْجَهُ.

فَانْتَشِرُوا - فَتَفَرَّقُوا وَلَا تَمْكُثُوا عِنْدَهُ.

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً - حَاجَةً يُنْتَفَعُ بِهَا.

﴿٥٤﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا

(٥٤) - إِنْ تُظْهِرُوا شَيْئاً مِمَّا يُؤْذِي النَّبِيَّ، أَوْ تُخْفُوهُ فِي صُدُورِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً بِكُلِّ شَيءٍ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ الضَّمَائِرُ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيهِ السَّرائِرُ، وَلَا تَخْفَى عَلَيهِ مِنَ النَّاسِ خَافِيَةٌ، ثُمَّ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى حَسْبِ فِعْلِهِ وَنَوَايَاهُ.

(وَرُوِيَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ قَالَ رَجُلٌ: أَنُنْهَى أَنْ نُكَلِّمَ بَنَاتِ أَعْمَامِنَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ؟ لَئِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ لَنَتَزَوَّجَنَّ نِسَاءَهُ).

﴿٥٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا

(آبَائِهِنَّ) (أَبْنَائِهِنَّ) (إِخْوَانِهِنَّ) (أَخَوَاتِهِنَّ) (نِسَائِهِنَّ) (أَيْمَانُهُنَّ)

(٥٥) - اسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى فِي هٰذِهِ الآيَةِ مَنْ يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يُكَلِّمُوا نِسَاءَ النَّبِيِّ (وَالنِّسَاءَ عَامَّةً)، مِنْ دُونِ حِجَابٍ، وَهُمُ الآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ وَالإِخْوَةُ وَأَبْنَاءُ الإِخْوَةِ وَأَبْنَاءُ الأَخَوَاتِ، وَالنِّسَاءُ المُسْلِمَاتُ، وَالعَبِيدُ الذِينَ يَمْلِكْنَ رِقَابَهُمْ لأَنَّ فِي الاحْتِجَابِ عَنْهُمْ حَرَجاً وَمَشَقَّةً، لأَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِالخِدْمَةِ عَلَيْهِنَّ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ نِسَاءَ النَّبِيِّ بِأَنْ يَخْشَيْنَ اللهَ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، فَإِنَّهُ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَلَا تَخْفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ.

﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا

(مَلَائِكَتَهُ) (يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٥٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي المَلإِ الأَعْلَى، وَأَنَّ المَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ لِيَجْتَمِعَ لَهُ الثَّنَاءُ عَلَيهِ مِنْ أَهْلِ العَالَمَيْنِ: العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ جِبْرِيلَ، عَلَيهِ السَّلَامُ، أَتَانِي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيكَ صَلَّيْتُ عَلَيهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ). (رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ).

﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا

(الآخِرَة)

(٥٧) - إنَّ الذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ فَيَرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي، (وَمِنْهُمُ اليَهُودُ الذِينَ قَالُوا: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، والنَّصَارَى الذِينَ قَالُوا: المَسِيحُ آبْنُ اللهِ، والمُشْرِكُونَ الذِينَ قَالُوا: المَلاَئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ. .) وَالذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ (كَالذِينَ قَالُوا شَاعِرٌ وَكَاهِنٌ وَالذين آذَوْهُ بِغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأقوالِ وَالأَفْعَالِ . .) فإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِهَؤُلاءِ وَهؤُلاءِ عَذَاباً مُهِيناً، يَومَ القِيَامَةِ، بِجَعْلِهِمْ فِي مُقَامِ الـزِّرَايَةِ والاحْتِقَارِ وَالخِزْيِ.

﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا

(الْمُؤْمِنَاتِ) (بُهْتَاناً)

(٥٨) - والذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، بِأَنْ يَنْسبُوا إِليهِمْ أَعْمَالاً لَمْ يَعْمَلُوهَا عَلى سَبيلِ العَيْبِ وَالتَّنَقُّصِ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدِ آجْتَرحُوا كَذِباً فَظِيعاً، وَذَنباً عَظِيماً وَاضِحاً، فَالذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ، وَالذِينَ يُؤْذُونَ الرَّسُولَ يُؤْذُونَ اللهَ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَرْبَى الرِّبَا عِنْدَ اللهِ اسْتِحْلاَلُ عِرْضِ آمرِىءٍ مُسْلِمٍ، ثُمَّ قرأَ هٰذِهِ الآيَةَ). (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

بُهْتَاناً - فِعْلاً شَنِيعاً - أو كَذِباً فَظِيعاً.

﴿٥٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

(يَا أَيُّهَا) (لِأَزْوَاجِكَ) (جَلاَبِيبِهِنَّ)

(٥٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْمُرَ نِسَاءَهُ وَبَنَاتِهِ والنِّسَاءَ المُؤْمِنَاتِ، بِأَنْ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ، وَأَن يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ، وَأَنْ يُغَطِّينَ ثُغْرَةَ نُحُورِهِنَّ بِالجَلابِيبِ التِي يُدْنِينَهَا عَلَيهِنَّ. وَالغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ التَّسَتُّرُ، وَأَن يُعْرَفْنَ بِأَنَّهُنَّ حَرَائِرُ فَلا يُؤْذِيهِنَّ أَحَدٌ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بِأَذًى وَلا رِيبَةٍ. وَرَبُّكُمْ غَفَّارٌ لِمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ صَدَرَ مِنَ الإخْلاَلِ بِالسِّتْرِ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِمَنِ آمْتَثَلَ أَمْرَهُ، وَآسْتَغْفَرَ رَبَّهُ عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَّرَ فِي مُرَاقَبَتِهِ فِي أُمُورِ التَّسَتُّرِ.

يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ - يُرْخِينَ وَيُسْدِلْنَ عَلَيْهِنَّ.

جَلاَبِيبِهِنَّ - مَا يَسْتَتِرْنَ بِهِ كَالمِلاَءَةِ.

نصف الحزب ٤٣

﴿٦٠﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ

(لَئِن) (الْمُنَافِقُونَ)

(٦٠) - لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ الذِينَ يُظْهِرُونَ الإِيمَانَ، وَيُبْطِنُونَ الكُفْرَ، وَأَهْلُ الرِّيَبِ والشُّكُوكِ والفُسُوقِ (الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) الذِينَ يُؤْذُونَ المُؤمِنِينَ بِآتِّبَاعِ نِسَائِهِمْ، والإِسَاءَةِ إِلَيهِنَّ، وَلَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُرْجِفُونَ الـذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَالمُؤْمِنينَ بِنَشْرِ الشَّائِعَاتِ الكَاذِبَةِ المُثَبِّطَةِ لِهِمَمِ

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا

الْمُؤْمِنِينَ وَعَزائِمِهِمْ (كَقَوْلِهِمْ مُحَمَّدٌ غُلِبَ، وَجاءَتْ جُيُوشٌ مُشْرِكَةٌ لِحَرْبِ المُسلمينَ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها. . .) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ هٰؤلاءِ جَمِيعاً، فَإِنَّ اللهَ سَيُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَيهِمْ، وَيُغْرِيهِ بِقِتالِهِمْ وَإِجلائِهِمْ عَنِ المَدينةِ فَلا يَسْكُنُونَ مَعَهُ فِيها، وَلا يَمْضِي وَقْتٌ قَصيرٌ حَتَّى تَخْلُوَ المَدِينَةُ مِنْهُمْ.

المُرجِفُونَ - المُشِيعُونَ لِلأَخْبارِ الكَاذِبَةِ.

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ - لَنُسَلِّطَنَّكَ عَلَيهِمْ.

(٦١) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا

(٦١) - وَسَيكُونُونَ خِلالَ هٰذا الوَقْتِ القَصيرِ الذِي يَبْقونَ فِيهِ فِي المَدينةِ مَلْعُونِينَ، مَطْرُودِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَإِذا خَرَجُوا تَبْقَى الذِّلَّةُ مُلازِمَةً لَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ مَلْجأً يَعْصِمُهُمْ مِنْ بَأْسِ المُؤْمِنِينَ، فَأَيْنَما وُجِدُوا كَانُوا فِي ذِلَّةٍ مُعَرَّضِينَ لِلأَخْذِ وَالقَتْلِ فِي كُلِّ حِينٍ.

ثُقِفُوا - وُجِدُوا وأُدْرِكُوا.

(٦٢) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا

(٦٢) - وَهٰذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ، وَهٰذا هُوَ شَرْعُهُ فِي المُنَافِقِينَ، وَفِي أَمْثَالِهِمْ فِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ، إِذَا ٱسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَلَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ غَيٍّ وَضَلالٍ، فَإِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ عَليهِمْ أَهْلَ الإِيمَانِ، وَسُنَّةُ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ تَبدِيلَهَا وَلَا تَغْيِيرَهَا.

(٦٣) يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا

(يَسْأَلُكَ)

(٦٣) - يُكْثِرُ النَّاسُ مِنْ سُؤالِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، وَمَتَى يَكُونُ مَوْعِدُ قِيامِها. فالمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ عَنْ ذٰلِكَ ٱسْتِعْجالاً لَها، لأَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَها، وَاليَهُودُ يَسْأَلُونَ عَنها ٱخْتِباراً لِلرَّسُولِ، وَهَلْ سَيَرُدُّ أَمْرَهَا إِلى اللهِ كَمَا جاءَ فِي التَّوراةِ، أَمْ أَنَّهُ سَيَقُولُ غَيْرَ ذٰلِكَ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يُجِيبَ هٰؤلاءِ جَميعاً: إِنَّ عِلْمَ السَّاعةِ عِنْدَ اللهِ، وَلَمْ يُطْلِعْ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالى لِلرَّسُولِ ﷺ : وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَقَدْ يَكُونُ مَوْعِدُ قِيامِها قَرِيباً جِدّاً.

(٦٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا

(الكَافِرِينَ)

(٦٤) - إِنَّ اللهَ تَعَالى لَعَنَ الكَافِرِينَ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ كُلِّ خيرٍ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَعدَّ لَهُم فِي الآخِرَةِ نَاراً تَتَّقِدُ وَتَتَسَعَّرُ.

(٦٥) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

(خَالِدِينَ)

(٦٥) - وَيَبْقَوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ أَبَداً، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ نَاصِراً مِنْ بَأْسِ اللهِ وَعَذَابِهِ.

﴿٦٦﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠

(يَا لَيْتَنَا) (الرَّسُولَ)

(٦٦) - وَهُمْ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً يَنْصُرُهُم، وَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، حِين تُقَلَّبُ وُجُوهُهُم فِي النَّارِ مِنْ جَانِبٍ إلى جَانِبٍ آخَرَ، كَمَا يُقَلَّبُ اللَّحْمُ فَوْقَ النَّارِ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُون مُتَحَسِّرِينَ: يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا جاءَنا بِهِ فِي حَيَاتنا الدُّنْيا، مِنْ دَعْوةٍ إلى اللهِ، وَتَحْذِيرٍ مِنْ عَذَابِه، وَلَوْ أَنّنا أَطَعْنا اللهَ وَرَسُولَهُ لَما كُنّا اليَوْمَ نَتَقَلَّبُ في نَارِ جَهَنَّمَ، وَلا نَجِدُ لَنا مَنْ يُنْقِذُنا مِنْ بَأْسِ اللهِ، وَلاَ مَنْ يُجِيرُنا مِنْ عَذَابِهِ.

﴿٦٧﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠

(السَّبِيلَ)

(٦٧) - وَقَالَ الكَافِرُونَ، وَهُمْ يُقَاسُونَ شِدَّةَ العَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ: رَبَّنا إننا أَطَعْنا أَئِمَّتَنا في الضَّلاَلةِ، وَكُبراءَنا، وأَشْرافَ قَوْمِنا، فَجَعَلُونا نَضِلُّ طَرِيقَ الهُدَى وَالحَقِّ الذِي يُؤَدِّي إلى الإِيمَانِ بِكَ وَإِلَى الإِقْرَارِ بِوحْدَانِيَّتِكَ.

﴿٦٨﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا

(آتِهِمْ)

(٦٨) - رَبَّنا وَأَضْعِفْ لَهُمُ العَذابَ مَرَّتَين: مَرَّةً لِكُفْرِهِمْ بِكَ، وَمَرَّةً لإِضْلالِهِمْ إِيَّانا، اللَّهُمَّ واخْزِهِمْ وَاطْرُدْهُمْ مِن رَحْمَتِكَ.

ضِعْفَينِ - مِثْلَيْنِ.

﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (آذَوْا)

(٦٩) - يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا لاَ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقَولٍ يَكْرَهُهُ، وَلاَ بِفِعْلٍ لاَ يُحِبُّه، وَلاَ تَكُونُوا أَمْثَالَ الذينَ آذَوْا مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ، نَبيَّ اللهِ، فَزَعَمُوا كَذِباً وَبَاطِلاً أَنَّ فِيهِ عَيْباً في جِسْمِهِ، فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمّا قَالُوا فيهِ، بِمَا أَظْهَرَهُ مِنَ الأَدِلَّةِ عَلى كَذِبِهِمْ، وَافْتِرَائِهِمْ، وَكَانَ مُوسَى ذَا وَجَاهَةٍ وَكَرَامَةٍ عِنْدَ اللهِ.

وَجِيهاً - ذَا جَاهٍ وَقَدْرٍ - مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ.

﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا)

(٧٠) - يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلاَ تَعْصُوهُ، وَقُولُوا فِي المُؤْمِنينَ قَوْلاً حَقّاً لاَ بَاطِلَ فيهِ، وَلاَ جَوْرَ عَنِ الصَّوَابِ.

قَوْلاً سَدِيداً - صَوَاباً وَصِدْقاً أَوْ قَاصِداً إلى الحَقِّ.

﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

(أَعْمالَكُمْ)

(٧١) - وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ وَيَتَّقِهِ، وَيَقُلِ القَوْلَ المُنْصِفَ السَّدِيدَ، فَإِنَّ اللهَ تَعالى يُوَفِّقُهُ إلى صَالِحِ الأَعْمَالِ، وَيُسَدِّدُ خُطَاهُ فِي مَسِيرَتِهِ، وَيَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبَهُ. وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَيَعْمَلْ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَيَنْتَهِ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، فَقَدْ ظَفِرَ بِالمَثُوبَةِ والكَرَامَةِ يومَ الحِسَابِ (فَازَ فَوْزاً عَظِيماً).

﴿٧٢﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

(السَّماوَاتِ) (الإِنْسَانُ)

(٧٢) - قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: الأَمَانَةُ هُنَا تَعْنِي الطَّاعَةَ، وَقَالَ أَيْضاً: إِنَّها الفَرَائِضُ.

يَقُولُ تَعَالى: إِنَّهُ عَرَضَ التَّكَاليفَ عَلَى السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَالجِبَالِ، فَلَمْ يُطِقْنَ حَمْلَها، وَأَشْفَقْنَ مِنْها مَخَافَةَ التَّقْصِيرِ فِي أَمرِ أَرَادَهُ اللهُ، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَى آدَمَ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ عَرَضْتُ الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبالِ فَلَم يُطِقْنَهَا، فَهَلْ أَنْتَ آخذٌ بِمَا فِيها؟

قَال: يَا ربِّ وَمَا فِيها؟ قَالَ: إِنْ أَحْسَنْتَ جُزِيْتَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عُوقِبْتَ. فَقَبِلَ آدمُ حَمْلَها بِمَا فِيها. وَهٰكَذَا حَمَلَ الإِنْسَانُ الأَمَانَةَ عَلَى ضَعْفِهِ، وَكَانَ جَاهِلاً بِثِقْلِها، ظَلُوماً نَفْسَهُ بِحَمْلِها، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ.

عَرَضْنَا الأَمَانَة - التَّكاليفَ مِنْ أَوَامِرَ وَنَواهٍ.

فَأَبَيْنَ - ٱمْتَنَعْنَ.

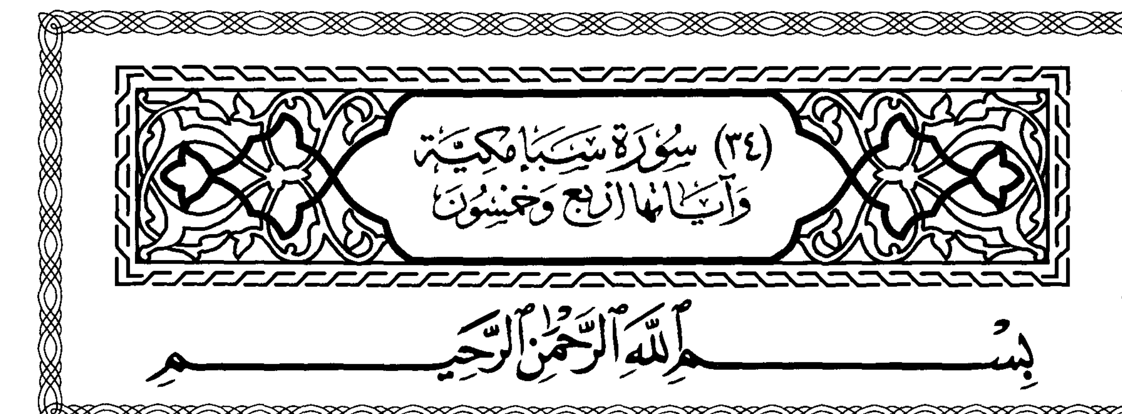
أَشْفَقْنَ - خِفْنَ مِنَ الخِيَانَةِ فِيها.

﴿٧٣﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

(الْمُنافِقِينَ) (الْمُنافِقَاتِ) (الْمُشْرِكَاتِ) (الْمُؤْمِنَاتِ)

(٧٣) - وَقَدْ حَمَّلَ اللهُ الإِنسَانَ الأَمَانَةَ (وَهِيَ التَّكَالِيفُ) لِتَكُونَ نَتيجَةُ ذٰلِكَ أَنْ يُعَذِّبَ مَنْ خَانَها، وَقَصَّرَ فِي حَمْلِها وَأَدَائِهَا، مِنْ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ الذِينَ يُبْطِنُونَ الكُفْرَ والشِّرْكَ، وَيُظْهِرُونَ الإِيمَانَ خَوْفاً وَتَحَسُّباً، ومِنَ الكَافِرِينَ الجَاحِدِينَ بِوُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلِيَقْبَلَ تَوْبَةَ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِذا رَجَعُوا إِليهِ تَائِبِينَ مُنِيبِينَ، لِتَلافِيهِمْ مَا فَرطَ مِنْهُمْ عَنْ جَهْلٍ وَعَدَمِ تَبَصُّرٍ، وَتَدَارُكِهِمْ ذٰلِكَ بالتَّوْبَةِ.

واللهُ تَعَالى غَفَّارٌ لِلذُّنُوبِ، سَتَّارٌ لِلْعُيوبِ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِلْعِبَادِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ.



(١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ

(السَّماوَاتِ) (الآخِرَةِ)

(١) - يُمَجِّدُ اللهُ تَعالى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ، وَيُخْبِرُ عِبادَهُ بِأَنَّهُ هُوَ المُسْتَوْجِبُ الثَّناءَ المُطْلَقَ (الحَمْدُ) فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَفي السَّماوَاتِ والأَرضِ، لِأَنَّهُ الخَالِقُ الرَّازِقُ، المُتَفضِّلُ عَلى الخَلائِقِ، فِي الدُّنيا وَفي الآخِرَةِ، وَهُوَ المَالِكُ لِلْوُجُودِ جَميعِه بِمَنْ فِيهِ وَمَا فِيهِ، وَهُوَ الحَاكِمُ المُتَصَرِّفُ فِيهِ، وَالجَميعُ تَحْتَ قَهرِهِ وَحُكْمِهِ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَهُوَ الخَبِيرُ الذِي لَا تَخْفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَحْوالِ الخَلْقِ.

(٢) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ

(٢) - يَعْلَمُ مَا يَدْخُلُ فِي الأَرْضِ (يَلِجُ) مِنْ مَطَرٍ وَبَذْرٍ وَمَعادِنَ وَأَمْوَاتٍ وَدَفَائِنَ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْها مِنْ حَيَوانٍ وَنَباتٍ وَغَازَاتٍ وَماءٍ وَمَعادِنَ وَمُخَلَّفَاتٍ تَرَكَتْها الأُمَمُ السَّالِفَةُ، وَيَعْلَمُ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ مَلائِكَةٍ وَكُتُبٍ وَشُهُبٍ وَمَطرٍ وَصَواعِقَ، وَمَا يَصْعَدُ (يَعْرُجُ) فِيها مِنْ مَلائِكَةٍ وَأَعْمَالِ عِبَادٍ، وَغيرِ ذَلكَ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبادِهِ فَلَا يُعَاجِلُ العُصَاةَ بِالعُقُوبَةِ، وَهُوَ الغَفُورُ لِذُنُوبِ التَّائِبينَ إِليهِ، المُنِيبِينَ لَهُ.

مَا يَلِجُ - مَا يَدْخُلُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَطَرٍ وَغيرِهِ.

مَا يَعْرُجُ - مَا يَصْعَدُ مِنَ المَلائِكَةِ وَالأَعْمالِ.

(٣) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ

(عَالِمِ) (السَّماوَاتِ) (كِتَابٍ)

(٣) - بَعْدَ أَنْ أَبانَ اللهُ تَعالى أَنَّهُ صَاحِبُ الحَمْدِ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، وَفِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ عَلَى مَا أَسْدَى إِلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَولِهِ إِنَّ كَثيراً مِنْ خَلْقِهِ يُنْكِرُ الآخِرَةَ، وَيَسْتَهزِئُ بِمَنْ يَعْتَقِدُ

وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ

بِوُقُوعِها، وَيَسْتَعجِلُ بِالعَذابِ الذِي يَتَهَدَّدُ اللهُ بِهِ المُجْرِمينَ الكَافِرِينَ، فَيقُولُ تَعالى: وَقَال الذِينَ كَفَروا بِاللهِ وَنِعَمِهِ عَلَيهِمْ، وَجَحَدُوا بِما تَهْدِي إليهِ العُقُولُ السَّليمَةُ: إنَّهُ لَا رَجْعَةَ إلى الحَياةِ بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ البَشَرُ، وَلَا بَعْثَ وَلَا حِسَابَ وَلَا عِقابَ، وَمَا يُهْلِكُهُمْ، إلَّا الدَّهْرُ. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيهِمْ مُقْسِماً بِرَبِّهِ العَظِيمِ عَلَى أَنَّ المَعَادَ سَيَقَعُ، لَا مَحَالَةَ، وَلَا شَكَّ فِي ذلِكَ، وَلكِنَّ وَقْتَ مَجيءِ السَّاعَةِ التِي تَقُومُ فِيهَا القِيَامَةُ، وَيَبْعَثُ فِيهَا اللهُ الخَلائِقَ، لَا يَعْلَمُهُ إلّا اللهُ عَلّامُ الغُيوبِ، الذِي لا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ دَخَلَ فِي الأَرْضِ، أَوْ صَعِدَ فِي السَّمَاءِ، فَهُوَ تَعَالى يَعْلَمُ مَا يَتَفَرَّقُ مِنْ ذَرّاتِ أَجْسَادِ الأَمواتِ وأَيْنَ تَسْتَقِرُّ فَيَجْمَعُها يومَ القِيامَةِ بِأَمرٍ مِنْهُ فَيُعِيدُها خَلْقاً جَدِيداً كَمَا كَانَتْ، وَقَدْ أَوْدَعَ اللهُ تَعَالى كُلَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ وَلا يَنْسَى.

وَهٰذِهِ الآيَةُ إحْدَى ثَلاثِ آياتٍ فِي القُرآنِ، أَمرَ اللهُ فِيها الرَّسُولَ الأَكرَمَ بِأَنْ يُقْسِمَ بِرَبِّهِ العَظِيمِ عَلَى أَنَّ السَّاعَةَ سَتَقُومُ، وَأَنَّ الأَمواتَ سَيُبْعَثُونَ لِلْحِسَابِ.

الآيَةُ الأولَى جَاءَت فِي سُورَةِ يُونُس: ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾(١).

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ جَاءَتْ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ: ﴿**زَعَمَ الذِينَ كَفَروا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ، وَذٰلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ**﴾(٢).

والثَّالِثَةُ هٰذِهِ الآيَةُ.

لا يَعْزُبُ - لَا يَغِيبُ عَنْهُ وَلَا يَخْفَى عَلَيهِ.

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِقْدَارُ أَصْغَرِ مَا يُوزَنُ.

٤ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أُوْلَئِكَ)

(٤) - وَالحِكْمَةُ فِي قِيامِ السَّاعَةِ، وَحَشْرِ الخَلَائِقِ هِيَ لِحِسَابِهِمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيا، فَيَجزِي اللهُ المُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، الذِينَ عَمِلُوا العَمَلَ الصَّالِحَ بِالحُسْنَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمْ فِي جَنَّتِهِ، وَيُؤْتِيهِمْ رِزْقاً كَرِيماً وَاسِعاً.

(١) سورة يونس، الآية: ٥٣.
(٢) سورة التغابن، الآية: ٧.

٥ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ

(سَعَوْا) (آيَاتِنَا) (مُعَاجِزِين) (أُوْلَئِكَ)

(٥) - أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَسَعَوْا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ آتِّبَاعِ مَا دَعَتْهُمْ إِلَيهِ الرُّسُلُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَسُبُلِ الهُدَى، وَأَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي مُحَارَبَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَقُرآنِهِ... فَإِنَّ اللهَ سَيُعَذِّبُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَذَاباً أَلِيماً.

مُعَاجِزِينَ - مُسَابِقِينَ ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَفُوتُونَ اللهَ هَرَباً.

الرِّجْزُ - العَذَابُ الشَّدِيدُ المُؤْلِمُ.

٦ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ

(صِرَاطِ)

(٦) - وَالمُؤْمِنُونَ الذِينَ صَدَّقُوا الرُّسُلَ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ وَآعتَقَدُوا بِأَنَّ اللهَ سَيَحْشُرُ العِبَادَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهُمْ حِينَما يَرَوْنَ قِيَامَ السَّاعَةِ يَقُولُونَ: مَا أَنْزَلَهُ اللهُ إِليكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ الحَقُّ الذِي لاَ شَكَّ فِيهِ وَلا مِرْيَةَ، وَهُوَ يُرْشِدُ مَنِ آتَّبَعَهُ إِلى سَبيلِ اللهِ الذِي لاَ يُغَالَبُ ولا يُمَانَعُ (العَزِيزُ)، وَهُوَ المَحْمُودُ فِي جميعِ مَا قَالَ وَشَرَعَ وَقَدَّرَ.

٧ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ

(٧) - وَقَالَ بَعْضُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ لِبَعْضِ المُتَهَكِّمينَ وَالمُسْتَهزِئِينَ بِالرَّسُولِ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ نَدُلَّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُخْبِرُكُم أَنَّكُمْ سَتُبْعَثُونَ أَحياءً، بَعدَ أنْ تَمُوتوا، وَتَتفرَّقَ أَجْسَادُكُمْ، وَتَتَبَعْثَرَ فِي تُرابِ الأَرضِ، وَأَنَّكُمْ سَتُحَاسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ التِي عَمِلْتُمُوهَا فِي الدُّنيا، إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً؟ وَيَقْصِدُونَ بِالرَّجُلِ مُحَمَّداً (ﷺ).

٨ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ

(بالآخِرَةِ) (وَالضَّلاَلِ)

(٨) - وَهٰذا قَوْلٌ لاَ يَقُولُهُ إِلا رَجُلٌ تَعمَّدَ الافْتِراءَ عَلَى اللهِ، وَالزَّعْمَ بِأَنَّ اللهَ أَوْحَى إِليهِ ذَلِكَ، أَوْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مَعْتُوهٌ، قَدِ آخْتَلَّ عَقْلُهُ، فَصَارَ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَتَخَيَّلُهُ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هٰؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ قَائِلاً: إِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَمَا زَعَمُوا وَتوهَّمُوا، وَقَدَّرُوا، فَمُحَمَّدٌ ليسَ مُفْتَرِياً، وَلا مَجْنُوناً، وَإِنَّما هُوَ البَرُّ الرَّشِيدُ، الذِي جَاءَ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَإِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ الجُهَلاَءُ، المُوغِلُونَ فِي الكُفْرِ والضَّلاَلَةِ، وَهٰذا مَا سَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلى عَذَابِ اللهِ فِي الآخِرَةِ.

بِهِ جِنَّةٌ - بِهِ جُنُونٌ يُوهِمُهُ مَا يَقُولُ.

﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ

﴿١٠﴾ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ

ثلاثة أرباع الحزب ٤٣

﴿١١﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(لآيَةً)

(٩) - ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ تَعالى بِمَا يَرَوْنَهُ بِأَعْيُنِهِمْ فِي هٰذا الوُجُودِ حَوْلَهم، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعالى عَلَى فِعْلِ مَا يَشاءُ، فَقالَ: أَفَلَمْ يَنْظُرْ هٰؤلاءِ المُكَذِّبُونَ بِالمَعَادِ إِلى الأَرْضِ التِي يَقِفُونَ عَلَيها، وَالسَّماءِ التِي تُظِلُّهُمْ وَتُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ مُحِيطَةٌ بِهِمْ، وَأَنَّهُ قادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْمُرَ الأَرْضَ فَتَنْخَسِفَ بِهِمْ، وَأَنْ يَأْمُرَ السَّماءَ فَتَسْقُطَ عَلَيهِمْ قِطَعاً (كِسفاً)، وَتُدَمِّرَهُمْ، فَاللهُ تعالى قادِرٌ على ذٰلِكَ، وَلٰكِنَّهُ يُؤَخِّرُ وُقُوعَهُ إِلى أَجَلٍ حَدَّدَهُ هُوَ، وَعَيَّنَ مِيقَاتَهُ. وفي النَّظَرِ إلى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ دَلَالَةٌ كَافِيَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعالى عَلى بَعْثِ الأَجْسَادِ مِنَ الأَجْدَاثِ لِكُلِّ عَبْدٍ فَطِنٍ، مُنِيبٍ إِلى رَبِّهِ.

نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ - نُغَيِّبْ بِهِمُ الأَرْضَ.

كِسَفاً مِنَ السَّماءِ - قِطَعاً مِنْها.

مُنِيبٍ - رَاجِعٍ إِلى رَبِّهِ بِالتَّوبَةِ وَالطَّاعَةِ.

(آتَيْنَا) (دَاوُدَ) (يَا جِبَالُ)

(١٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ دَاوُدَ، عَليهِ السَّلامُ، مِنَ الفَضْلِ المُبِينِ، إِذْ جَمَعَ لَهُ المُلْكَ المُتَمَكِّنَ، والنُّبُوَّةَ، والصَّوْتَ الرَّخِيمَ، فَكانَ إِذا سَبَّحَ رَافِعاً صَوْتَهُ كَانَتِ الجِبَالُ تُرَجِّعُ تَسْبِيحَهُ، وَتَقِفُ لهُ الطُّيُورُ، وَتُجَاوِبُهُ مُسَبِّحَةً بِأَصْوَاتِها. ثُمَّ قَالَ تَعالَى: إِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى دَاوُدَ أَيْضاً بِأَنْ أَلانَ لَهُ الحَدِيدَ، وَعَلَّمَهُ صُنْعَ الدُّرُوعِ، وَجَعَلَهَا حَلَقاً مُتَدَاخِلاً لِوِقَايَةِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مِنْ بَأْسِ الأَعْداءِ، أَثْناءَ القِتَالِ، وَكَانَتِ الدُّرُوعُ تُصْنَعُ قَبْلًا صَفَائِحَ تَعُوقُ حَرَكَةَ لَابِسِيها، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ حَلَقاً مُتَدَاخِلاً أَصْبَحَتْ حَرَكَةُ لَابِسِيهَا أَكْثَرَ سُهُولَةً.

أَوِّبِي - رَجِّعِي وَرَدِّدِي مَعَهُ التَّسْبِيحَ.

أَلَانَ - جَعَلَهُ لَيِّناً طَرِيّاً.

(سَابِغَاتٍ) (صَالِحاً)

(١١) - وَأَلْهَمَهُ اللهُ تَعالى أَنْ يَصْنَعَ مِنَ الحَدِيدِ الذِي أَلانَهُ لَهُ الدُّرُوعَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، وَأَحْكَمِ نِظَامٍ (سَابِغَاتٍ) فَكَانَ يَسْتَعْمِلُ مِسْمَاراً وَسَطاً لا رَفِيعاً وَلَا غَلِيظاً، فَتَجِيءُ الحَلَقَاتُ عَلى قَدَرِ الحَاجَةِ (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ).

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالى دَاوُدَ بِشُكْرِهِ تعالى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَليهِ، وَذلِكَ بِأَنْ يَعْمَلَ هُوَ وَأَهْلُهُ أَعْمَالاً صَالِحَةً تُرْضِي اللهَ، وَقَالَ لَهُ تَعَالى إِنَّهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، لا يَخْفى عَلَيهِ مِنْها شَيْءٌ.

سَابِغَاتٍ - دُرُوعاً كَامِلَةً وَاسِعَةً.
السَّرْدِ - حَلَقِ الحَدِيدِ - وَقِيلَ إِنَّهُ النَّسْجُ أيِ الصُّنْعُ وَرَبْطُ الحَلَقَاتِ بَعْضِها بِبَعْضٍ.
قَدِّرْ فِي السَّرْدِ - أيِ اقْتَصِدْ وَاجْعَلِ الحَلَقَاتِ مُتَجانِسَةً مُتَقارِبَةً.

﴿١٢﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ

((لِسُلَيْمانَ))

(١٢) - وَيَقُولُ تَعالى إِنَّهُ أَنْعَمَ عَلى عَبْدِهِ سُلَيمانَ بْنِ دَاوُدَ، عَلَيْهِما السَّلامُ، بِأَنْ سَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ، يَنْتَفِعُ بِها فِي أُمُورٍ يَعْرِفُها هُوَ، وَكَانَتِ الرِّيحُ حِينَ تَسِيرُ تَقْطَعُ خِلالَ فَتْرَةِ الغَدَاةِ (أَيْ مِنَ الصُّبْحِ حَتَّى الزَّوالِ) مَسافَةً يَقْطَعُها الرَّاكِبُ المُجِدُّ خِلالَ شَهرٍ كامِلٍ. وَكَانَتْ تَقْطَعُ فِي فَتْرَةِ الرَّواحِ (أيْ مِنَ الزَّوالِ حَتَّى مَغِيبِ الشَّمْسِ) مَسافَةً يَقْطَعُها الرَّاكِبُ المُجِدُّ خِلالَ شَهْرٍ.
ثُمَّ قَالَ تَعَالى إِنَّهُ أَذَابَ النُّحاسَ (القِطْرَ) لِسُلَيْمانَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ إِلى نَارٍ، فَكانَ النُّحاسُ يَخْرُجُ مِنْ عينٍ فِي الأرضِ سَائِلاً ذَائِباً، وَكَأَنَّهُ يَنْبُوعُ مَاءٍ (وَلِذَلِكَ قَالَ عَيْنَ القِطْرِ)، وَسَخَّرَ تَعالى لِسُلَيمانَ الجِنَّ يَعْمَلُونَ بِإِذْنِهِ تَعالى مَا يَأْمُرُهُمْ سُلَيمانُ بِهِ مِنَ الأَعْمالِ - وَقَدْ جَاءَ تَفْصِيلُها فِي الآيَةِ التَّالِيَةِ - وَمَنْ شَذَّ عَنْ طَاعَةِ سُلَيْمانَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللهَ يُذِيقُهُ عَذاباً أَلِيماً.
(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى: وَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ فِيما أَمَرَهُ مِنَ العَمَلِ بِأمْرِ سُلَيْمانَ فَإِنَّ اللهَ يُعَذِّبُهُ وَيُذِيقُهُ عَذاباً أَلِيماً).
زَاغَ عَنِ الأَمْرِ - خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ وَعَدَلَ عَنْهَا.
غُدُوُّهَا شَهْرٌ - جَرْيُها بِالغَدَاةِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ.
رَوَاحُهَا شَهْرٌ - جَرْيُها بِالعَشِيِّ كَذلِكَ.
عَيْنَ القِطْرِ - عَيْنَ النُّحاسِ يَنْبُعُ ذَائِباً كَالمَاءِ.

﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ

(مَحَارِيبَ) (تَمَاثِيلَ) (رَاسِيَاتٍ) (آلَ دَاوُدَ)

(١٣) - وَكَانَتِ الجِنُّ تَعْمَلُ لِسُلَيْمانَ مَا يَشَاءُ: مِنْ قُصُورٍ شَامِخَاتٍ (مَحَارِيبَ)، وَصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ (تَمَاثِيلَ)، وَقِصَاعٍ لِلطَّعَامِ ضَخْمَةٍ (جِفَانٍ) كَأَنَّها أَحْوَاضُ المَاءِ (كَالجَوَابِ) وَقُدُورٍ ثَوَابِتَ لاَ تُنْقَلُ مِنْ مَكَانِها لِضَخَامَتِها (رَاسِيَاتٍ).
وَقَالَ اللهُ تَعَالى لآلِ دَاوُدَ: اعْمَلُوا بِطَاعَةِ رَبِّكُم شُكْراً لَهُ عَلى أَنْعُمِهِ التِي لا تُحْصَى عَلَيكم، وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِ اللهِ مَنْ يُطِيعُهُ شُكْراً لَهُ عَلى أَنْعُمِهِ.
(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: ثَلاثٌ مَنْ أُوتِيهنَّ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَمَا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ:

العَدْلُ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَالقَصْدُ فِي الفَقْرِ والغِنَى، وَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ). (رَوَاهُ التِّرمِذِي).
تَمَاثِيلَ - صُوَرٍ مُجَسَّمَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَغَيْرِهِ.
جِفَانٍ كَالجَوَابِ - قِصَاعٍ كِبَارٍ كَحِيَاضِ المِيَاهِ العِظَامِ.
قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ - ثَابِتَاتٍ عَلَى المَوَاقِدِ لِعِظَمِهَا.
المَحَارِيبُ - القُصُورُ الشَّامِخَاتُ (أَوِ المَسَاجِدُ لِلْعِبَادَةِ).

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ﴿١٤﴾

(١٤) - وَلَمَّا قَضَى اللهُ تَعَالى عَلَيهِ المَوتَ، اتَّكَأَ عَلَى عَصَاهُ وَهُوَ وَاقِفٌ، وَلَبِثَ فَتْرَةً وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، وَالجِنُّ يَعْمَلُونَ بَيْنَ يَدَيهِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ حَيٌّ يَنْظُرُ إِليهِمْ فَلا يَتوقفُونَ عَنِ العَمَلِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ. ثُمَّ سَخَّرَ اللهُ حَشَرَةً صَغِيرَةً أَخَذَتْ تَنْخُرُ عَصَاهُ حَتَّى ضَعُفَتْ فَانْكَسَرتْ وَسَقَطَ سُلَيْمَانُ عَلَى الأَرضِ، فَعَلِمَتِ الجِنُّ أَنَّهُ مَاتَ مُنْذُ زَمَنٍ وَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ لِلنَّاسِ وَلِلْجِنِّ أَنَّ الجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ لَعَلِمُوا بِمَوْتِ سُلَيْمَانَ سَاعَةَ حُدُوثِهِ، وَلَمْ يَنْتَظِرُوا حَتَّى تَأْكُلَ دَابَّةُ الأَرْضِ عَصَاهُ التِي كَانَ يَتَوَكَّأُ عَلَيهَا فَيَسْقُطَ عَلى الأَرضِ، وَلَمْ يَسْتَمِرُّوا فِي الأَعمَالِ الشَّاقَةِ التِي كَلَّفَهُم بِهَا سُلَيمَانُ (العَذَابِ المُهِينِ).
المِنْسَأَةُ - العَصَا.
خَرَّ - سَقَطَ.
دَابَّةُ الأَرضِ - حَشَرةُ الأَرْضِ الَّتِي تَأْكُلُ الخَشَبَ.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ ﴿١٥﴾

(آيَةٌ)

(١٥) - كَانَتْ قَبِيلَةُ سَبَإٍ تَسْكُنُ اليَمَنَ، وَقِيلَ إِنَّ (سَبَأ) جَدُّهُم هُوَ يَشْجُبُ بْنُ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ.
وَيَقُولُ اللهُ تَعَالى: إِنَّ هٰذِهِ القَبِيلَةَ كَانَتْ فِي نِعْمَةٍ وَفِي غِبْطَةٍ فِي بِلادِهِمْ وَعَيْشِهِمْ، وَاتِّسَاعِ أَرْزَاقِهِمْ. وَكَانَتْ لَهُمْ حَدَائِقُ غَنَّاءُ، وَبَسَاتِينُ فَيْحَاءُ، عَنْ يَمِينِ الوَادِي الذِي أَقَامُوا فِيهِ السَّدَّ فِي مَأْرِب، وَعَنْ شِمَالِهِ. ثُمَّ بَعَثَ اللهُ إِليهِمُ الرُّسُلَ تَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَبِأَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الرِّزْقِ الذي يَسَّرَهُ لَهُمُ اللهُ، وَبِأَنْ يَشْكُرُوه عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيهِمْ رَبُّهُمْ مِنَ البَلَدِ الطَّيِّبِ، والرِّزْقِ الوَفِيرِ، فَأَطَاعُوا، وَعَبَدُوا اللهَ وَشَكَرُوهُ إِلى حِينٍ.
سَبَأٌ - قَبِيلَةٌ فِي اليَمَنِ - وَبَلْدَةٌ أَيْضاً.
آيَةٌ - بُرْهَانٌ وَدَلاَلَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ.
جَنَّتَانِ - بُسْتَانَانِ أَوْ جَمَاعَتَانِ مِنَ البَسَاتِينِ.
بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ - زَكِيَّةٌ مُسْتَلَذَّةٌ.

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ ١٦

(وبَدَّلْناهُم)

(١٦) - ثُمَّ أَعْرَضُوا عَمَّا أُمِرُوا بِهِ مِنْ عِبادَةِ اللهِ وَشُكْرِهِ على أَنْعُمِهِ، وكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَنِعَمِهِ، فَعاقَبَهُمُ اللهُ تَعالى عَلى ذَلِكَ بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ سَيْلاً ضَخْماً كَسَرَ السَّدَّ وَخَرَّبَهُ، وَاقْتَلَعَ حِجارَتَهُ المُرْكُومَ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ لِحَجْزِ الماءِ، فَتَدَفَّقَ الماءُ مِنَ السَّدِّ، وَذَهَبَ بِالجِنانِ وَالبَساتِينِ والخُضْرَةِ والنُّضْرَةِ، وَأَهْلَكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ، فَتَفَرَّقَ القَوْمُ فِي البِلادِ، وَأَبْدَلَهُمُ اللهُ بِتِلْكَ الجِنانِ الفَيْحاءِ، والثِّمارِ الوَفِيرَةِ، وَالنِّعَمِ الكَثِيرَةِ، بَساتِينَ لَيْسَ فِيها إلا بَعْضُ الأَشْجارِ ذاتِ الثَّمَرِ المُرِّ المَذاقِ (أُكُلٍ خَمْطٍ)، وبَعْضُ أَشْجارٍ مِنَ الطَّرْفاءِ (أَثْلٍ) وَأَشْجارٍ قَلِيلَةٍ مِنَ النَّبْقِ (السِّدْرِ).

فَأَعْرَضُوا - أَيْ عَنِ الشُّكْرِ وَتَوَلَّوا عَنْ دَعْوَةِ أَنْبِيائِهِمْ.

سَيْلَ العَرِمِ - سَيْلَ السَّدِّ أَوِ المَطَرِ الشَّدِيدِ.

أُكُلٍ خَمْطٍ - ثَمَرٍ مُرٍّ حامِضٍ بَشِعٍ.

أَثْلٍ - ضَرْبٍ مِنَ الطَّرْفاءِ (وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ).

سِدْرٍ - الضَّالِ أَوْ شَجَرَةِ النَّبْقِ.

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ١٧

(جَزَيْناهُم) (نُجازِي)

(١٧) - وَقَدْ عاقَبْناهُمْ ذَلِكَ العِقابَ الأَليمَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِنِعَمِهِ، وَعُدُولِهِمْ عَنِ الحَقِّ إلى الباطِلِ، وَاللهُ لا يُجازِي مِثْلَ هٰذا الجَزاءِ الشَّدِيدِ المُسْتَأْصِلِ إلا الجَحُودَ الكَثِيرَ الكُفْرِ بِاللهِ وَنِعَمِهِ (الكَفُورَ).

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ١٨

(بارَكْنا) (ظاهِرَةً) (آمِنِينَ)

(١٨) - وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالَى ما كانَ لِسَبَإٍ مِنْ نَعِيمٍ وَسَعادَةٍ، وَوَفْرَةِ رِزْقٍ فِي مَساكِنِهِمْ فِي اليَمَنِ، ذَكَرَ تَعالى هُنا ما كانَ قَدْ مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي مَسالِكِهِمْ وَأَسْفارِهِمْ، فَكانُوا يَمُرُّونَ فِي أَراضٍ عامِرَةٍ آمِنَةٍ، فِيها قُرًى ظاهِرَةٌ عَلى مَسافاتٍ مُتَقارِبَةٍ (قَدَّرْنا فِيها السَّيْرَ)، يَجِدُونَ فِيها الماءَ والزَّادَ وَالعَلَفَ، فَلا يَحْتاجُونَ إلى حَمْلِ زادٍ وَلا مُؤُونَةٍ، فَيَخْرُجُونَ صَباحاً من قَرْيَةٍ، وَيَبِيتُونَ مَساءً فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، إلى أَنْ يَصِلُوا إلى قُرَى الشَّامِ (التي بارَكْنا فِيها).

ثُمَّ يَقُولُ تَعالى إنَّهُ قَالَ لَهُمْ: سِيرُوا فِي هٰذِهِ القُرَى التِي تَقَعُ بَيْنَ اليَمنِ، وَبَيْنَ بِلادِ الشَّامِ، لَيَالِيَ وَأَيَّاماً لاَ تَخْشَوْنَ شَيْئاً مِنَ الجُوعِ أَوِ العَطَشِ أَوْ بَطْشِ الأَعْدَاءِ.

قُرىً ظَاهِرَةً - مُتَواصِلَةً مُتقارِبَةً.

قَدَّرْنَا فِيهَا السَّيرَ - جَعَلْنَاهُ عَلَى مَرَاحِلَ مُتَقَارِبَةٍ.

آمِنِينَ - مِنْ بَطْشِ الأَعْدَاءِ وَمِنَ الجُوعِ والعَطَشِ.

﴿١٩﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

(بَاعِدْ) (فَجَعَلْنَاهُمْ) (مَزَّقْنَاهُمْ) (لآياتٍ)

(١٩) - فَبطِرُوا وَمَلُّوا تِلْكَ النِّعْمَةَ، وآثَروا الذِي هُوَ أَدْنَى عَلَى الذِي هُوَ خَيْرٌ فَطَلَبُوا أَنْ يَفْصِلَ اللهُ بَينَ القُرى بِمفَاوِزَ وَقِفَارٍ، لِيُظْهِرَ القَادِرُونَ مِنْهُمْ مَا لَدَيهِمْ مِنْ زَادٍ وَفيرٍ، وَرَوَاحِلَ، تَكَبُّراً وَفَخْراً عَلى العَاجِزِينَ الفُقَراءِ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ الظُّلْمِ لِلأَنْفُسِ بُكُفْرانِ نِعْمَةِ اللهِ، وَالبَطَرِ، فَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ لِلنَّاسِ، يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُمْ فِي مَجَالِسِ سَمَرِهِمْ، وَمَزَّقَ شَمْلَهُمْ وَبَدَّدَهُ، فَتَفَرَّقُوا فِي البِلادِ.

وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَا حَلَّ بِهٰؤُلاءِ آيَةً وَعِبرَةً لِكُلِّ عَبْدٍ صَبُورٍ عَلَى الابْتِلاءِ، شَكُورٍ عَلَى النَّعْمَاءِ.

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ - أَخْبَاراً يُتَلَهَّى بِهَا.

مَزَّقْنَاهُمْ - فَرَّقْنَاهُمْ فِي البِلادِ.

﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ

(٢٠) - وَلَقَدْ ظَنَّ إِبلِيسُ أَنَّ هٰؤُلاءِ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِمْ قَدْ يَتْبَعُونَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ يَسْتَطِيعُ غَوايَتَهُمْ وإِضْلالَهُمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الكُفْرِ وَالبَطَرِ، فَأَطَاعُوهُ وَعَصَوْا رَبَّهُمْ فَدَمَّرَهُمْ، فَصَدَقَ ظَنُّ إِبليسَ فِيهِمْ. وَلَمْ يَشُذَّ مِنْهُمْ عَنْ إِطَاعَةِ إِبلِيسَ إِلاَّ فِئَةٌ قَلِيلَةٌ مُؤْمِنَةٌ ثَبَتَتْ عَلَى الإِيمَانِ.

صَدَّقَ عَلَيهِمْ - حَقَّقَ عَلَيهِمْ.

﴿٢١﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ

(سُلْطَانٍ) (بِالآخِرَةِ)

(٢١) - وَلَمْ يَكُنْ لإِبلِيسَ عَلَيهِمْ مِنْ سُلْطَةٍ يَحْمِلُهُمْ بِهَا كَرْهاً عَلَى الكُفْرِ، والبَطَرِ، والعِصْيَانِ، وَإِنمَا دَعَاهُمْ فَأَطَاعُوهُ وَقَدْ سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيهِمْ، لَيَخْتَبِرَهُمْ، لِيُظْهِرَ حَالَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ، وَيُصَدِّقُ بِالثَّوابِ والعِقَابِ، مِمَّنْ هُوَ فِي شَكٍّ مِنْها، فَلا يُؤْمِنُ بِمعَادٍ وَلا حَشْرٍ وَلاَ ثَوابَ وَلا عِقَابَ. وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ حَفِيظٌ عَلَى أَعمَالِ العِبَادِ، لاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ، وَهُوَ يُحْصِيهَا عَلَيهِمْ ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِها فِي الآخِرَةِ إِنْ خَيْراً فَخَيْراً وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً.

سُلْطَانٍ - تَسَلُّطٍ وَاسْتِيلاءٍ بِالوَسْوَسَةِ والإِغْوَاءِ.

٢٢ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ

(السَّماوَاتِ)

(٢٢) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهؤُلاءِ المُشْرِكِينَ، مِنْ قَوْمِكَ، مُوَبِّخاً وَمُقَرِّعاً، وَمُبَيِّناً لَهُمْ سُوءَ صَنِيعِهِمْ بِالشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الأَصْنَامِ: ٱدْعُوا هٰذِهِ الأَصْنَامَ، التي تَزْعُمُونَ أَنَّ لَهَا شَرِكَةً مَعَ اللهِ فِي العِبَادَةِ، فِي أُمُورِكُمُ الهَامَّةِ لِتَدفعَ عنكم الضُّرَّ وَالبَلاءَ، أو لِتَجْلُبَ لَكُمُ النَّفْعَ إِنِ ٱسْتَطَاعَتْ، لِتَرَوْا أَنَّها لا تَمْلِكُ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيرٍ أَوْ شَرٍّ فِي السَّمَاوَاتِ، وَلا فِي الأَرْضِ، كَمَا لَا تَمْلِكُ ذَرَّةً فِيهِمَا عَلَى سَبيلِ الشَّرِكَةِ لِلْخَالِقِ العَظِيمِ.
وَلَيسَ للهِ مِنْ هٰذِهِ الآلِهَةِ المَزْعُومَةِ مَنْ يُعِينُهُ، وَيُظَاهِرُهُ عَلَى خَلْقِ شَيءٍ، أَوْ فِعْلِ شَيءٍ، فَكَيفَ تَعْبُدُونَ هٰذِهِ الأَصْنَامَ العَاجِزَةَ يَا أَيُّها المُشْرِكُونَ؟
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ - وَزْنَ أَصْغَرِ مَا يُوزَنُ مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ.
ظَهِيرٍ - مُعِينٍ عَلَى الخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ.

٢٣ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ

(الشَّفاعَةُ)

(٢٣) - وَلِعَظَمَةِ اللهِ وَجَلالِهِ لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ فِي شَيءٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ، وَهُوَ تَعَالَى لَا يَأْذَنُ لِأَحدٍ أَنْ يَشْفَعَ لِهؤُلاءِ الكَافِرِينَ، لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ لَا تَكُونُ أَبَداً.
يَقِفُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجِلِينَ فَزِعِينَ مُنْتَظِرِينَ الإِذْنَ بِالشَّفَاعَةِ، حَتَّى إذا أُذِنَ لِلشَّافِعِينَ، وَهَدَأَتْ نُفُوسُ المُنْتَظِرِينَ، وَزَايلَها الخَوْفُ (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ)، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فِي الإِذْنِ والشَّفَاعَةِ؟ قَالُوا: قَالَ رَبُّنا الحَقَّ، وَهُوَ الإِذْنُ بالشَّفَاعَةِ لِمَنْ ٱرْتَضى. والآيَاتُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ المَشْفُوعَ لَهُمْ هُمُ المُؤْمِنُونَ. أَمَّا الكَافِرُونَ فهُم بِمَعْزِلٍ عَنْ مَوْقِفِ الشَّفَاعَةِ. وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ المُتَفَرِّدُ بالعُلُوِّ والكِبْرِيَاءِ، لا يُشَارِكُهُ فِي ذٰلِكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ.

فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ - أُزِيلَ عَنْها الفَزَعُ وَالخَوْفُ.
الحَقَّ - قَالَ القَوْلَ الحَقَّ - وَهُوَ الإِذْنُ بِالشَّفَاعَةِ.

الحزب ٤٤

٢٤ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ

(السَّماوَاتِ) (ضَلَالٍ)

(٢٤) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهؤُلاءِ المُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ بِإِنْزَالِ الغَيْثِ عَلَيكُمْ فَتَرْتَوِي الأَرْضُ وَالأَنْعَامُ وَالبَشَرُ، وَمَنْ يُخْرِجُ الأَقْوَاتَ مِنَ الأَرْضِ رِزْقاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُم؟ فَإِذا سَكَتُوا عَنِ الجَوابِ فَقُلْ لَهُمْ: هُوَ اللهُ. وَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الفَرِيقَينِ أَنَا أَوْ أَنْتُم، عَلَى

﴿٢٥﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ

﴿٢٦﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ

﴿٢٧﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

﴿٢٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

هُدًى، وَيكُونُ الآخرُ على ضَلالٍ، وَبِما أَنَّنِي أَقَمْتُ البُرهَانَ عَلى صِحَّةِ التَّوحِيدِ، وَعَلى صَوَابِ مَا نَحْنُ عَليهِ مِنَ الهُدَى، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلى بُطْلانِ مَا أَنْتُمْ عَليهِ يَا أَيُّها المُشْرِكُونَ مِنَ الشِّرْكِ، وَعِبادَةِ غيرِ اللهِ.

(تُسْأَلُونَ) (نسْأَل)

(٢٥) - وَقُلْ لِهؤُلاءِ المُشْرِكينَ: إِنَّكُمْ لاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا نَكْتَسِبُهُ نَحْنُ مِنْ آثامٍ، وَنَجْتَرِحُهُ مِنْ ذُنُوبٍ، وَنَحْنُ لاَ نُسْأَلُ عَنْ عَمَلٍ تَعْمَلُونَهُ أَنْتُمْ، خَيْراً كَانَ أَوْ شَرّاً.

أَجْرَمْنا - آكْتَسَبْنَا مِنَ الخطَايَا.

(٢٦) - وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ رَبَّنا سَيَجْمَعُنَا وَإِيَّاكُمْ، يومَ القِيامَةِ، حينَ يُحْشَرُ النَّاسُ إليهِ، ثُمَّ يَقْضِي (يَفْتَحُ) بَيْنَنَا بِالعَدْلِ (بِالحَقِّ)، وَهُوَ الحَاكِمُ العَادِلُ، العَالِمُ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ، وَيَجْزِي كُلَّ عامِلٍ بِعَمَلِهِ. وَسَتَعْلَمُونَ حِينَئِذٍ لِمَنْ تَكُونُ العِزَّةُ والنُّصْرَةُ والسَّعادَةُ الأَبَدِيَّةُ.

يَفْتَحُ بَيْنَنا - يَقْضِي، وَيَحْكُمُ بَيْنَنا.

هُوَ الفَتَّاحُ - القَاضِي وَالحَاكِمُ.

(٢٧) - وَقُلْ لَهُمْ: أَرُونِي هؤلاءِ الآلهَةَ الذِينَ عَبَدْتُمُوهُمْ مَعَ اللهِ، وَجَعَلْتُموهُمْ لَهُ شُرَكَاءَ وَأَنْداداً. كَلاَّ، ليسَ الأمرُ كَما زَعَمْتُم وَوَصَفْتُمْ، فَاللهُ تَعَالَى لاَ نَظيرَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ وَلاَ شَرِيكَ. إِنَّهُ اللهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ، ذُو العِزَّةِ الذي قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ، وَغَلَبَ كُلَّ مَنْ سِوَاهُ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ.

كَلاَّ - آرْتَدِعُوا عَنْ دَعْوَى الشَّرِكَةِ.

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٢٨) - وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ إلى قَوْمِكَ خَاصَّةً، وَإِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ إلى الخَلْقِ جَمِيعاً، مُبَشِّراً مَنْ أَطَاعَ اللهَ بِالثَّوابِ الجَزِيلِ، والجَنَّاتِ العَالِيَاتِ، وَمُنْذِراً مَنْ عَصَاهُ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ. وَلكِنَّ أكثرَ الناسِ لاَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَحْمِلُهُم جَهْلُهُمْ عَلَى الإِصْرَارِ عَلَى مَا هُمْ عَليهِ مِنَ الغَيِّ وَالضَّلاَلِ.

كَافَّةً لِلنَّاسِ - إلى النَّاسِ جَمِيعاً.

(صَادِقِينَ)

(٢٩) - وَيقُولُ هؤلاءِ المُشْرِكُونَ آسْتِهْزَاءً وَتَعَنُّتاً: مَتَى يَكُونُ هذَا اليَوْمُ الذِي تَعِدُونَنَا فِيهِ بالثَّوابِ، وَالعِقَابِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيما تَقُولُونَ؟

٣٠ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ
عَنۡهُ سَاعَةً وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ

٣١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن
نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ
ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ
بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ
لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ

٣٢ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ
عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ
كُنتُم مُّجۡرِمِينَ

٣٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ
ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ
وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ
بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ
وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ
إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

(تَسْتَأْخِرُونَ)

(٣٠) - فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَكُمْ مِيعَادٌ مُؤَجَّلٌ، فإذا حَانَ مَوْعِدُهُ فَلَا يُؤَخَّرُ سَاعَةً وَلَا يُقَدَّمُ.

(الْقُرآنِ) (الظَّالِمُونَ)

(٣١) - وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ مُشْرِكِي العَرَبِ: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرْآنِ، وَلَا بِالكُتُبِ التِي تَقَدَّمَتْهُ، وَلَا بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ مِنْ أُمورِ الغَيْبِ، وَالبَعْثِ، وَالنُّشُورِ، وَالحِسَابِ، وَالجَزَاءِ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالى عَلَيهِم، قَائِلاً لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: لَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ حَالَ أُولئِكَ الكُفَّارِ، يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُمْ وُقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ، لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ، وَقَدْ عَلَتْهُمُ الذِّلَّةُ وَالمَهَانَةُ.. إذاً لَرَأَيْتَ أَمراً عَجَباً، إِذْ يَقُولُ الأَتْبَاعُ المُسْتَضْعَفُونَ لِلسَّادَةِ المُسْتَكْبِرِينَ الذِينَ حَمَلُوهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِ الغَيِّ وَالضَّلَالَةِ: لَوْلَا أَنَّكُم صَدَدْتُمُونَا عَنِ الهُدَى، وَحَمَلْتُمُونَا عَلَى اتِّبَاعِكُمْ حَمْلاً لَكُنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ.

مَوْقُوفُونَ - مَحْبُوسُونَ فِي مَوْقِفِ الحِسَابِ.

يَرْجِعُ - يَرُدُّ.

(صَدَدْنَاكُمْ)

(٣٢) - فَيَرُدُّ السَّادَةُ المُسْتَكْبِرُونَ عَلَى المُسْتَضْعَفِينَ قَائِلِينَ: هَلْ نَحْنُ الذِينَ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ الذِي جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ؟ لَيْسَ هَذا حَقّاً، إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الذِينَ مَنَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ حَظَّهَا مِنِ اتِّبَاعِ الهُدَى، لإِجْرَامِكُمْ وَإِيثَارِكُمُ الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ.

(اللَّيْلِ) (الأَغْلَالَ)

(٣٣) - فَقَالَ الأَتبَاعُ المُسْتَضْعَفُونَ لِلسَّادَةِ: بَلْ أَنْتُمُ الذِينَ كُنْتُمْ تُوَسْوِسُونَ لَنَا بِالكُفْرِ لَيلاً وَنَهاراً، وَتُغْرُونَنَا بِالثَّبَاتِ عَلَى الكُفْرِ، وَالإِقَامَةِ عَلَيهِ، وَتُخْبِرُونَنَا أَنَّنَا عَلَى هُدىً فِيمَا نَعْبُدُهُ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ وَأَنْدَادٍ.

وَيَتَوَقَّفُ الحِوَارُ بَيْنَ الأَتْبَاعِ المُسْتَضْعَفِينَ وَبَينَ السَّادَةِ المَتْبُوعِينَ، وَيُسِرُّ كُلُّ فَرِيقٍ فِي نَفْسِهِ مَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ حَسْرَةٍ وَنَدَمٍ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللهِ، وَمَا قَصَّرَ فِي طَاعَتِهِ، حِينَ يَرَى العَذَابَ الذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلْكَفَرَةِ المُجْرِمِينَ. ثُمَّ تُوضَعُ الأَغْلَالُ وَسَلَاسِلُ الحَدِيدِ فِي أَعْنَاقِ هؤلاءِ، وَهُمْ فِي النَّارِ.

وَالعَذَابُ الذِي يَلْقَوْنَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِنَّما هُوَ الجَزَاءُ الذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى مَا اجْتَرَحُوا مِنَ الكُفْرِ وَالآثَامِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي الدُّنيا.

مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ - صَدُّنا مَكرُكُمْ بِنَا فِيهِمَا.

أَنْدَاداً ـ أَمْثالاً مِنْ مَخْلُوقَاتٍ نَعْبُدُهَا.
أَسَرُّوا النَّدَامَةَ ـ أَخْفَوا النَّدَمَ أَوْ أَظْهَرُوهُ.
الأَغْلاَلَ ـ القُيُودَ التِي تَجْمَعُ الأَيدِي إلى الأَعْنَاقِ.

(٣٤) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ

(كَافِرُونَ)

(٣٤) ـ ثُمَّ يَقُولُ تَعَالى لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّهُ لَيْسَ أَوَّلَ رَسُولٍ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ، فَكُلُّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى الأَقوامِ كَذَّبَهُ أُولُو النِّعْمَةِ وَالمَالِ وَالجَاهِ فِيها (مُتْرَفُوهَا)، وَأَعْلَنُوا لَهُ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ دَعْوَةٍ إِلى تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالى، وَالبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَالأَوْثَانِ وَالأَنْدَادِ.
مُتْرَفُوهَا ـ مُنَعَّمُوهَا وَقَادَةُ الشَّرِّ فِيها.

(٣٥) وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ

(أَمْوَالاً) (أَوْلاَداً)

(٣٥) ـ وَقَالَ المُتْرَفُونَ مُتَفَاخِرِينَ: إِنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً، ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللهِ لَهُمْ وَعِنَايَتِهِ بِهِمْ، إِذْ لَوْ كَانُوا عَلَى خَطإٍ وَضَلاَلٍ لَمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مَا أَعْطَاهُمْ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالى لَنْ يُعَذِّبَهُمْ.

(٣٦) قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ

(٣٦) ـ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ رَبِّي يُعْطِي المَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ، وَإِنَّهُ تَعَالى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ لاَ لِمَحَبَّةٍ فِيهِ، وَلاَ لِزُلْفَى اسْتَحَقَّ بِهَا ذَلِكَ عِنْدَهُ، وَهُوَ يُضَيِّقُ الرِّزْقَ (يَقْدِرُ) عَلَى مَنْ يَشَاءُ لاَ لِبُغْضٍ مِنْهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيهِ رِزْقَهُ، وَلاَ لِمَقْتٍ، وَإِنَّما يَفْعَلُ ذَلِكَ لِحِكَمٍ لاَ يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ هٰذِهِ الحَقِيقَةَ.
يَقْدِرُ ـ يُضَيِّقُ الرِّزْقَ عَلى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ.

(٣٧) وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ

(أَمْوَالُكُمْ) (أَوْلاَدُكُمْ) (آمَنَ) (صَالِحاً) (فَأُولَئِكَ) (آمِنُونَ) (الغُرُفَاتِ)

(٣٧) ـ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ أَمْوَالَكُمُ التِي تُفَاخِرُونَ النَّاسَ بِهَا، وَأَوْلاَدَكُم الذِينَ تَسْتَكْبِرُونَ بِهِمْ عَلَى النَّاسِ، لا تُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللهِ، وَلَيسَتْ دَلِيلاً عَلَى عِنَايَتِهِ بِكُمْ، وَمَحَبَّتِهِ إِيَّاكُمْ، وَإِنَّما الذِي يُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللهِ هُوَ الإِيمَانُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً جَزَاءَ عَمَلِهِ فَيَجْزِيهِ بِالحَسَنَةِ عَشَرَةَ أَمْثَالِها إِلى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ، وَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ، وَيَجْعَلُ مَسْكَنَهُ فِي غُرُفَاتِها العَالِيَةِ، وَهُوَ آمِنٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَشَرٍّ وَهَوْلٍ.
زُلْفَى ـ تَقْرِيباً.

(٣٨) وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ

لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ - لَهُمُ الثَّوابُ المُضاعَفُ.
فِي الغُرُفَاتِ - المَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ العَالِيَةِ في الجَنَّةِ.

(آيَاتِنَا) (مُعَاجِزِينَ) (أُوْلَئِكَ)

(٣٨) - أمَّا الذينَ يَسْعَوْنَ فِي مُعَارَضَةِ آيَاتِ اللهِ، وَتَعْجِيزِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ الكِرَامِ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ سَبيلِ اللهِ،واتِّبَاعِ ما جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ الكَرِيمُ، وَعَنِ الإيمانِ بآيَاتِ اللهِ والتَّصْدِيقِ بِها. . فَأُولئِكَ تُحْضِرُهُمْ مَلائِكَةُ العَذَابِ إلى جَهَنَّمَ لِيَدْخُلُوها، وَيَذُوقُوا العَذَابَ فِيها، جَزاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَسَعْيِهِمْ فِي مَنْعِ النَّاسِ عَنِ الإيمانِ باللهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ.

مُعَاجِزِينَ - مُسَابِقِينَ ظَنّاً مِنْهُم أَنَّهُمْ يَفُوتُونَنا.
مُحْضَرُونَ - تُحْضِرُهُمُ الزَّبَانِيَةُ إلى جَهَنَّمَ.

(٣٩) قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ

(الرَّازِقِينَ)

(٣٩) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: إنَّ اللهَ تَعَالى هُوَ الذِي يُقَسِّمُ الرِّزْقَ بَيْنَ النَّاسِ، فَيُوسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ حِيناً، وَيُضَيِّقُ عَلَيهِ حِيناً آخَرَ لِحِكْمَةٍ يَراها، فَلا تَخْشَوا الفَقْرَ، وأَنفِقُوا فِي سَبيلِ اللهِ، وَتَقَرَّبُوا إليهِ بِأَمْوالِكُمْ لِتَنالُوا رِضاهُ. وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقةٍ في وَجْهٍ، أَمَرَكُمُ اللهُ بِالإِنْفَاقِ فيهِ، أَوْ أَبَاحَهُ لَكُمْ، فَهُوَ يُعَوِّضُها عَلَيكُمْ بَدَلاً مِنْهَا مَالاً فِي الدنيا، وثَوَاباً فِي الآخِرَةِ، وَاللهُ تَعَالى خَيْرُ الرَّازِقِينَ، فَيرزُقُكُمْ مِنْ حَيثُ لا تَحْتَسِبُونَ.

(٤٠) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ

(لِلْمَلاَئِكَةِ)

(٤٠) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ ذَلِكَ اليومَ الذِي يَحْشُرُ اللهُ فِيهِ المُسْتَكْبِرِينَ مِنْهُمْ والمُسْتَضْعَفِينَ مَعَ المَلائِكَةِ، الذينَ كَانَ المُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ طَمَعاً فِي شَفَاعَتِهِمْ، وَلِيُقَرِّبُوهُمْ إلى اللهِ زُلْفَى، ثُمَّ يَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى المَلائِكَةَ قَائِلاً: هَلْ أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هؤلاءِ بِعِبَادَتِكُمْ؟

(٤١) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ

(سُبْحَانَكَ)

(٤١) - فَتَرُدُّ المَلائِكَةُ عَلَى سُؤالِ الرَّبِّ العَظِيمِ قَائِلِينَ: تَعَالَيتَ رَبَّنا، وَتَقَدَّسْتَ، وَتَنَزَّهَتْ أَسْمَاؤُكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلهٌ، نَحْنُ نَعْبُدُكَ، وَنَبْرأُ إِلَيكَ مِنْ هؤُلاءِ، وَأَنْتَ الذِي نُوَالِيهِ مِنْ دُونِهِمْ، فَلا مُوالاَةَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُم، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَنا، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ لأَنَّهُمْ هُمُ الذينَ زَيَّنُوا لَهُمُ الشِّرْكَ، وَعِبَادَةَ الأَصْنَامِ، وأَضَلُّوهُمْ فَأَطَاعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَأَكْثَرُهُمْ بِهِمْ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ.

أَنْتَ وَلِيُّنا - أَنْتَ الذِي نُوَالِيهِ.

(٤٢) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ

(٤٣) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ

(٤٤) وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ

(٤٥) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

(٤٢) - فَيَقُولُ لَهُمُ اللهُ تَعَالَى: اليَوْمَ لاَ يَنْتَفِعُ أَحَدٌ مِنْكُم بِشَيءٍ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ التي عَبَدْتُمُوهَا وَأَشْرَكْتُمُوهَا بالعبادة مع الله، طمعاً في نَفْعِهَا وَاتِّقَاءً لِضَرِّهَا. ثُمَّ يقولُ لَهُمْ تَعَالى مُقَرِّعاً وَمُوَبِّخاً: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ التِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهَا فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنيا، فَهَا أَنْتُمْ قَدْ عَايَنْتُمُوهَا، وَأَدْرَكْتُمْ أَنَّهُ لا مَحِيصَ لَكُمْ عَنْهَا، فَلُومُوا أَنفُسَكُمْ عَلَى مَا قَدَّمَتْ أَيدِيكُمْ.

(آيَاتُنَا) (بَيِّنَاتٍ) (آبَاؤُكُمْ)

(٤٣) - وَقَدِ اسْتَحَقَّ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لأَنَّهُمْ كَانُوا إذا تُلِيَتْ عَلَيهِم آيَاتُ كِتَابِ اللهِ، الدَّالَّةُ عَلَى التَوحِيدِ، وَبُطلاَنِ الشِّرْكِ يَقُولُونَ: إِنَّ هٰذا الرَّجلَ يريدُ أَنْ يَصْرِفَكُمْ عَنِ الدِّينِ الحَقِّ، دِينِ الآباءِ والأجدادِ لِيجْعَلَكُم مِنْ أتباعِهِ، دُونَ أَنْ يكُونَ لهُ حُجَّةٌ وبُرْهَانٌ عَلى صِحَّةِ مَا يَقُولُ. وَقَالُوا: إِنَّ القُرآنَ الذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَقَالَ إِنَّهُ نَزَلَ عَلَيهِ مِنَ السَّمَاءِ، إنْ هُوَ إلاَّ كَذِبٌ افْتَرَاهُ وَصَنَعَهُ وَنَسَبَهُ إلى اللهِ، تَرْوِيجاً لِدَعْوَتِهِ. وَقَالَ المُشْرِكُونَ عَنِ الذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ مُشْتَمِلاً عَلَى الشَّرائِعِ وَالهُدَى: إنْ هٰذا إلاَّ سِحْرٌ بَيِّنٌ لاَ خَفَاءَ فِيهِ. وَقَدْ أَثَّرَ هٰذا السِّحْرُ عَلى عُقُولنا وقُلُوبِنَا.

إفْكٌ مُفْتَرىً - كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ وَمَنْسُوبٌ إلى اللهِ.

(آتَيْنَاهُمْ)

(٤٤) - وَرَدَّ اللهُ تَعَالى عَلَى هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ القَائِلِينَ: إِنَّ دِينَهُمْ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ، فَقَالَ: إنَّ الدِّينَ الصَّحِيحَ لاَ يَكُونَ إلا بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وبِكِتَابٍ يَنْزِلُ عَلَى الرَّسُولِ لِيُبَلِّغَهُ لِلنَّاسِ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ فِيهِ الشَّرائِعَ وَالأَحْكَامَ. وهٰؤلاءِ المُشْرِكُونَ مِنْ أُمَّةٍ لَمْ يَأْتِها كِتَابٌ قَبْلَ القُرآنِ، وَلَمْ يُرْسِلِ اللهُ إليهِمْ رَسُولاً قَبْلَ مُحَمَّدٍ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَهُمْ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيهِ مِنْ شِرْكٍ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ؟

(آتَيْنَاهُمْ)

(٤٥ - وَكَانَ لَهُمْ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ فِيمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، التي بَلَغَتْ مِنَ القُوَّةِ والبَأْسِ والغِنَى أَضْعَافاً كثيرةً مِمَّا بَلَغَهُ مُشْرِكُو قُرَيشٍ، فَدَمَّرَهُمُ اللهُ، وَأَبَادَهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَ اللهِ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ شَيئاً، وَهُمْ يَرَوْنَ آثَارَ هٰذِهِ الأُمَمِ وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ، فَكَيفَ وَجَدُوا عِقَابَ اللهِ وَعَذَابَهُ وَنَكَالَهُ بِمَنْ كَفَرَ وَاسْتَكْبَرَ، وَكَذَّبَ رُسُلَ اللهِ؟ (فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ).

مِعْشَارَ مَا آتيناهُم - عُشْرَ مَا أَعْطَيناهُمْ مِنَ النِّعَمِ.

(٤٦) ۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ

ربع الحزب ٤٤

(٤٧) قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

(٤٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

(٤٩) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ

(٥٠) قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ

(بِواحِدَةٍ) (فُرادَى)

(٤٦) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ، الزَّاعِمِينَ أَنَّكَ مَجْنُونٌ: إِنَّنِي أَنْصَحُ لَكُمْ أَلاَّ تُبادِرُوا إِلى التَّكْذِيبِ عِناداً وَٱسْتِكْباراً، بَلِ اتَّئِدُوا، وَتفكَّروا مَلِيّاً فيما دَعَوْتُكُم إِليه، وَٱبحثوا عَنِ الحَقِّ وَالحقيقةِ، إِمّا واحِداً واحِداً، وإِما ٱثْنَينِ ٱثْنَينِ (لأَنَّ الازْدِحَامَ يَكُونُ سَبَباً لِتَخْلِيطِ الكَلامِ، وقِلَّةِ الإِنْصافِ) فإِنَّهُمْ إِنْ فعَلُوا ذلِكَ، وَتروَّوْا فِي أَمْرِهِمْ، وَصَلُوا إِلَى أَنَّ مُحَمَّداً ليسَ مَجْنُوناً، لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً، وَأَصْدَقُهُمْ قَوْلاً، وَأَجْمَعُهُمْ لِلْكَمالِ النَّفْسِيِّ وَالعَقْلِيِّ، وَهٰذا يُوجِبُ عَلَيهِمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِهِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوهُ فِيما يَدْعُوهُم إِلَيهِ، وَأَنَّهُ ليسَ إِلا نَذِيراً لِهٰؤُلاءِ بينَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ، يَحِلُّ بِهِمْ يومَ القِيامَةِ، إِنْ قَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَإِشْرَاكِهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ، وَلَمْ يُحْدِثُوا تَوْبَةً.

مِنْ جِنَّةٍ - مِنْ جُنُونٍ.

(٤٧) وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أُرِيدُ مِنْكُمْ جُعْلاً وَلاَ أَجْراً، وَلاَ عَطاءً عَلَى أَدَاءِ الرِّسالةِ التي أَمرني اللهُ بِإِبْلاغِها إِليكُمْ، وَإِنَّما أَطْلُبُ ثَوابَ ذٰلِكَ مِنَ اللهِ، وَهُوَ العَلِيمُ بِجَمِيعِ الأُمُورِ، المُشَاهِدُ لَها، فَيَعلَمُ صِدْقِي وإِخْلاصِي فِيما دَعَوْتُكُمْ إِليهِ.

(عَلاَّمُ)

(٤٨) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِن رَبِّي يَقْذِفُ البَاطِلَ بِالحَقِّ، وَيَرْمِيهِ بِهِ حَتَّى يُبْطِلَهُ، وَيُزِيلَ آثارَهُ، وَيُشِيعَ الحَقَّ فِي الآفَاقِ، واللهُ تَعالى هُوَ عَلاَّمُ الغُيوبِ فلَا تَخفَى عَليهِ خَافِيَةٌ فِي الأَرْضِ وَلا في السَّماءِ.

يَقْذِفُ بالحَقِّ - يَرْمي بِهِ البَاطِلَ فَيَدْمَغُهُ.

(الْباطِلُ)

(٤٩) - وَقُلْ: جَاءَ الحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرْعُ العَظِيمُ (أَي الإِسْلامُ)، وَرُفِعَتْ رايَتُهُ، وَعَلا ذِكْرُهُ، وَذَهَبَ البَاطِلُ وَٱضْمَحَلَّ، فَلَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ تَفْعَلُ أَمراً ٱبْتِداءً (يُبدِىءُ) وَلاَ تَفعَلُ فِعْلَهُ ثانِيةً (يُعِيدُ).

(٥٠) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: إِنْ ضَلَلْتُ عَنِ الهُدَى، وَسَلَكْتُ غيرَ طَرِيقِ الحَقِّ، فَإِنَّما ضَرَرُ ذٰلِكَ يَعُودُ عَلَيَّ أَنَا وَحْدِي، وَإِنِ ٱسْتَقَمْتُ عَلَى الحَقِّ فَبِوَحْيٍ مِنَ اللهِ إِليَّ، وَبِتَوفِيقٍ مِنْهُ لِي، لِلاسْتِقامَةِ عَلَى مَحَجَّةِ الحَقِّ، وطَرِيقِ الهُدَى، إِنهُ سَمِيعٌ لأَقوالِ العِبادِ، قَرِيبٌ يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذا دَعاهُ.

(٥١) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ

(٥١) - ولَوْ رأَيتَ يَا مُحَمَّدُ هؤلاءِ المُكَذِّبينَ، حِينَ يَعْتَرِيهِمُ الفَزَعُ مِنْ رُؤيةِ العذابِ المَهُولِ يومَ القِيامةِ، إذاً لَرَأَيْتَ شَيْئاً يَعْجِزُ القَوْلُ عَنْ وَصْفِهِ، فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الهَرَبَ والنَّجاةَ، وَلا مَهْرَبَ لَهُمْ وَلاَ مَلْجأَ (فَوْتَ)، بَلْ يُؤْخَذُونَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ (رَأْساً) مِنَ المَوْقِفِ إلى النَّارِ.

فزِعُوا - خافُوا عِنْدَ الموتِ أَوْ عِنْدَ البَعْثِ.

فَلاَ فَوْتَ - فَلاَ مَهْرَبَ، وَلاَ نَجاةَ مِنَ العَذَابِ.

مَكَانٍ قَرِيبٍ - مَوْقِفِ الحِسَابِ.

(٥٢) وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ

(آمَنَّا)

(٥٢) - وَحِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِالحَقِّ (بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالبَعْثِ) وَلٰكِنْ أَنَّى لَهُمْ ذٰلِكَ، وَكَيفَ لَهُمُ الإيمَانُ بِسُهُولَةٍ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ - وَهُوَ الدُّنْيا - الَّتِي انْقَضَى وَقْتُها، وَأَصْبَحَتْ بَعِيدَةً عَنْهُمْ، لِأَنَّ الإيمَانَ والعَمَلَ يَجِبُ أَنْ يكُونا فِي الدَّارِ الدُّنيا، أَمَّا الآخِرَةُ فَلَيْسَتْ داراً لِقَبُولِ التَّكَالِيفِ، وَإِنَّما هِيَ دَارُ الجَزَاءِ.

التَّنَاوُشُ - التَّنَاوُلُ السَّهْلُ لِشيءٍ قَرِيبٍ - وَهُوَ هُنَا تَنَاوُلُ الإيمَانِ وَالتَّوْبَةِ.

مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ - مِنَ الآخِرَةِ.

(٥٣) وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ

(٥٣) - وَكَيْفَ يَحْصُلُ لَهُم الإيمانُ فِي الآخِرَةِ، وَقَدْ كَفَرُوا بِالحَقِّ حِينَما كَانُوا فِي الدُّنيا، وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ، وكَانُوا يَرْجُمُونَ بِالظُّنُونِ (يَقْذِفُونَ بِالغَيْبِ) التِي لاَ عِلْمَ لَهُمْ بِها فَيُخْطِئُونَ الهَدَفَ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَيَتَكَلَّمُونَ فِي الرَّسُولِ كَلاماً لا مُسْتَنَدَ لَهُمْ فِيهِ، فَيَقُولُونَ: سَاحِرٌ وَكَاهِنٌ وَمَجنُونٌ.. وَيُكَذِّبُونَ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

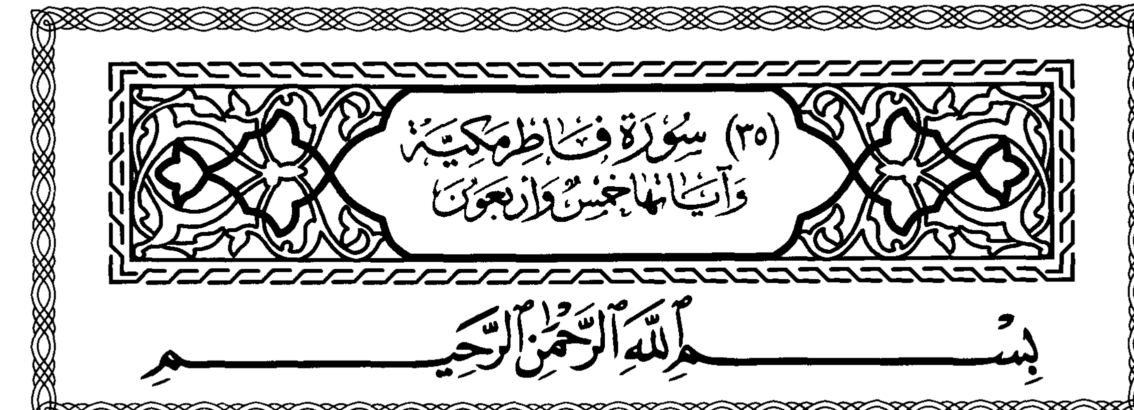
يَقْذِفُونَ بِالغَيبِ - يَرْجُمُونَ بِالظُّنُونِ.

(٥٤) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ

(٥٤) - وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرُّجُوعِ إلى الدُّنيا لِيُؤْمِنُوا، وَلِيَعْمَلُوا صَالِحاً وَهٰذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي أَمْثَالِهِمْ مِنَ الكَفَرةِ الذينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ قَبْلَهُم فَتَمَنَّوْا، حِينَ رَأَوا العَذَابَ، أَنْ لَوْ كَانُوا آمنُوا. وَلٰكِنْ لاَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ ذٰلِكَ لأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنيا مُتَشَكِّكِينَ مُرْتَابِينَ فِيمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ البَعْثِ وَالحِسَابِ وَالجزَاءِ.

بِأَشْيَاعِهِمْ - بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ.

مُرِيبٍ - مُوقِعٍ فِي الرِّيبَةِ وَالقَلَقِ.



﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(السَّمَاوَاتِ) (الْمَلائِكَةِ) (ثُلاثَ) (رُبَاعَ)

(١) - يَحْمَدُ اللهُ تَعالى نَفْسَهُ الكَرِيمةَ عَلَى ٱبْتِدَائِهِ خَلْقَ السَّمَاواتِ والأَرْضِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ (فَاطِرٍ)، فَأَبْدَعَ الخَلْقَ، وَأَحْكَمَ نَظْمَهُ وَتَدْبِيرَهُ، وَهُوَ تَعَالى الذِي جَعَلَ المَلائِكَةَ وُسَطَاءَ وَرُسُلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيائِهِ، يُبَلِّغُونَهُمْ رِسَالاتِ رَبِّهِمْ. وَقَدْ جَعَلَ مِنَ المَلائِكَةِ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ، وَمَنْ لَهُ ثَلاثَةُ أَجْنِحَةٍ، وَمَن لَهُ أَرْبَعَةٌ، وَمَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذلِكَ، وَيَزِيدُ تَعَالى فِي خَلْقِ الأَجْنِحَةِ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ تَعَالى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَلاَ يُعْجِزُهُ شَيءٌ.

فَاطِرِ - مُبْدِعِ وَمُخْتَرِعِ.

﴿٢﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(٢) مَفَاتِيحُ الخَيْرِ وَمَغَالِيقُهُ بِيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَمَا يُعْطِ مِنْ خيرٍ لاَ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مَنْعَهُ وَلا إِمْسَاكَهُ، وَمَا يُمْسِكْهُ مِنْ خَيرٍ لاَ يَبْسُطْهُ وَلاَ يَفْتَحْهُ للنَّاسِ فَاتِحٌ. وَهُوَ الغَالِبُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مِنَ الأُمُورِ التِي مِنْهَا الفَتْحُ وَالإِمْسَاكُ، وَهُوَ الحَكِيمُ الذِي يَتَصَرَّفُ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ الحِكْمَةُ وَالمَصْلَحَةُ.

مَا يَفْتَحِ - يُرْسِلْ أَوْ مَا يُعْطِ.

﴿٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ

(يَا أَيُّها) (نِعْمَةَ) (خالِقٍ)

(٣) - يَا أَيُّها النَّاسُ اذكُروا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ عَلَيكُم، وَٱحْفَظُوهَا بِمَعْرِفَةِ حَقِّهَا، وَالاعْتِرافِ بِهَا، والشُّكْرِ عَليها، وَخُصُوهُ تَعالى بِالعِبَادَةِ والطَّاعَةِ، فَهُوَ الذِي يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ، بِمَا يُنْزِلُهُ مِنَ المَطَرِ، وَمِنَ الأَرْضِ، بِمَا يُخْرِجُهُ مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ، فَكَيفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ الخَالِقِ الرَّازِقِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَتَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ وَالأَوْثَانَ؟.

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ - فَكَيفَ تُصْرَفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ.

٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

(٤) - وَإِنْ يُكَذِّبْكَ هٰؤلاءِ المُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ، وَيُخَالِفُوكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ التَّوحِيدِ، فَاصْبِرْ عَلَيهِمْ، فَلَكَ أُسْوَةٌ فِيمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَقَدْ جَاؤُوا أَقْوَامَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ وَالحُجَجِ وَالبَراهِينِ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِمْ، وَدَعَوْهُمْ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ، فَكَذَّبُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ فَصَبَرَ الرُّسُلُ عَلَى مَا أُوذُوا حَتَّى جَاءَهُمْ نَصْرُ اللهِ، وَسَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذٰلِكَ الجَزَاءَ الأَوْفَى.

٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ

(يَا أَيُّها) (الحَيَاةُ)

(٥) - يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالحِسَابِ وَالجَزَاءِ... هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ لاَ شَكَّ فِيهِ وَلاَ مِرْيَةَ، فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنيا، وَلاَ تُلْهِيَنَّكُمْ بِزُخْرُفِها وزينتِها، عَنْ طَلَبِ مَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ حُلُولِ مَوْعِدِ الحَشْرِ، وَبَعْثِ الخَلائِقِ، وَلاَ تَدَعُوا الشَّيطَانَ يَغُرُّكُمْ، وَيَفْتِنُكُمْ، وَيَصرِفُكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ رُسُلِ اللهِ، وَتَصْدِيقِ كَلِمَاتِهِ، فَإِنَّهُ غَرَّارٌ كَذَّابٌ.

فَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ - فَلاَ تَخْدَعَنَّكُمْ وَلاَ تُلْهِيَنَّكُمْ.

الغَرُورُ - الذِي يَغُرُّ النَّاسَ وَيَغُشُّهُمْ وَهُوَ هُنَا الشَّيطَانُ.

٦ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

(الشَّيْطَانَ) (يَدْعُو) (أَصْحَاب)

(٦) - إِن الشَّيطَانَ عَدُوٌّ لَكُمْ يَا أَيُّها النَّاسُ، وَهُوَ يُوَسْوِسُ لَكُمْ لِيُضِلَّكُمْ، وَيَدْفَعَ بِكُمْ إِلى هَاوِيَةِ الجَحِيمِ، فَاحْذَرُوا مِنْهُ وَكُونُوا أَنْتُمْ أَعْدَاءَهُ، وَخَالِفُوهُ وَكَذِّبُوهُ فِيما يَغُرُّكُمْ بِهِ، وَهُوَ يَدْعُو حِزْبَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَشِيعَتَهُ، إِلى اتِّبَاعِ الهَوى، والرُّكُونِ إِلى اللذَّاتِ، وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ، لِيُضِلَّهُمْ وَيُلْقِيَهُمْ فِي العَذَابِ الدَّائِمِ، فِي سَعِيرِ جَهَنَّمَ.

٧ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٧) - والذينَ كَفَرُوا باللهِ وَرُسُلِهِ وَأَطَاعُوا الشَّيطَانَ، وَعَصَوْا الرَّحْمٰنَ لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ يومَ القِيَامَةِ، أَمَّا الذينَ آمنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ التِي تُرْضِي اللهَ، فَإِنَّ اللهَ يَعِدُهُمْ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيُثِيبَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ الثَّوابَ العَظِيمَ.

٨ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ

(فَرَآهُ) (حَسَرَاتٍ)

(٨) - أَفَمَنْ حَسَّنَ لَهُ الشَّيطَانُ عَمَلَهُ السَّيِّءَ، مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَالكُفْرِ بِهِ، وَالإِشْرَاكِ فِي عِبَادَتِهِ مَنْ هُمْ دُونَهُ. فَرَأى ذٰلِكَ حَسَناً، وَظَنَّ قَبِيحَهُ جَمِيلاً، هَلْ لَكَ يَا مُحَمَّدُ فِيهِ حِيلَةٌ؟ وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْتَ أَنْ تَهْدِيَهُ إِلى

نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ

الحَقِّ وَالصَّوابِ؟ وَهَلْ يَسْتَوِي هٰذا الضالُّ مَعَ مَنْ هَداهُ اللهُ، وَوَفَّقَهُ إلى الإيمانِ فَرَأى الحَسَنَ حَسَناً فَفَعَلَهُ، وَالقَبِيحَ قَبِيحاً فَاجْتَنَبَهُ؟ إنَّ ذٰلِكَ إنَّما يَتِمُّ بِقَدَرٍ مِنَ اللهِ، فَهُوَ تَعالَى الذِي يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ، وَلاَ رادَّ لأَمْرِهِ وَقَدَرِهِ، فَلا تَأْسَفْ أَنْتَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِدَعْوَتِكَ، وَعَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ، فَإنَّ اللهَ حَكِيمٌ فِي قَدَرِهِ، وَهُوَ تَعالَى عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ، وَسَيَجْزِيهِم بِهِ.

فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيهِمْ حَسَراتٍ ـ فَلاَ تُهْلِكْ نَفْسَكَ عَلَيهِمْ هَمّاً وَحُزْناً.

٩ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ

(الرِّياح) (فَسُقْناهُ)

(٩) ـ يَلْفِتُ اللهُ تَعالَى نَظَرَ المُشْرِكِينَ، المُنْكِرِينَ لِلبَعْثِ وَالحِسابِ وَالعِقابِ، إلى أَنَّهُ يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ السَّحابَ، وَتَجْعَلُهُ يَتَكَوَّنُ فِي جَوِّ السَّماءِ، ثُمَّ تَسُوقُهُ الرِّياحُ إلى الأَرْضِ المَواتِ، التِي لاَ نَباتَ فِيها، فَيُفْرِغُ السَّحابُ مَا فِيهِ مِنْ ماءٍ فَوْقَ هٰذِهِ الأَرْضِ المَيِّتَةِ، فَتَحْيا الأَرْضُ بِالماءِ، وَتَهْتَزُّ وَتَرْبُو، وَيَخْرُجُ مِنْها النَّباتُ. وَكَما أَحيا اللهُ تَعالَى الأَرْضَ المَيِّتَةَ، وَأَخْرَجَ مِنْها النَّباتَ النَّضِيرَ، كَذٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الأَمْواتَ مِنَ البَشَرِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ لِيُحاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمالِهِمْ.

تُثِيرُ سَحاباً ـ تُحَرِّكُهُ وَتُهَيِّجُهُ.

النُّشُورُ ـ بَعْثُ المَوْتَى مِنَ القُبُورِ.

١٠ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ

(الصَّالِحُ) (أُولٰئِكَ)

(١٠) ـ مَنْ كانَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَزِيزاً فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، فَلْيَلْزَمْ طاعَةَ اللهِ، فَإنَّهُ يُدْرِكُ بِذَلِكَ مَا يُرِيدُ، لأَنَّ اللهَ مالِكُ الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَلَهُ العِزَّةُ جَمِيعاً. واللهُ تَعالَى يَقْبَلُ طَيِّبَ الكَلامِ (كَالتَّوحِيدِ وَالذِّكْرِ وَقِراءَةِ القُرآنِ). وَالعَمَلُ الصَّالِحُ الذِي أَخْلَصَ العَبْدُ فِيهِ النِّيَّةَ يَرْفَعُ الكَلِمَ الطَّيِّبَ إلى اللهِ، لِيُثِيبَ العَبْدَ عَلَيهِ (أَوْ وَاللهُ يَرْفَعُ العَمَلَ الصَّالِحَ فَيَقْبَلُهُ). أَمَّا العَمَلُ الذِي لا إخلاصَ فِيهِ فَلا ثَوابَ عَلَيهِ. والذِينَ يَمْكُرُونَ المَكْرَ السَّيِّءَ بِالمُسْلِمِينَ، وَيَعْمَلُونَ مَا يُسِيءُ إلَيْهِمْ، وَمَا يُضْعِفُ أَمْرَهُمْ وَيُشَتِّتُ جَمْعَهُمْ وَيُفَرِّقُ كَلِمَتَهُمْ، فَإنَّ اللهَ يُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً، وَمَكْرُهُمْ يَذْهَبُ وَيَضْمَحِلُّ، وَلا يُحَقِّقُ غَرَضاً، لأَنَّهُ سَيَنْكَشِفُ عَمَّا قَرِيبٍ.

الكَلِمُ الطَّيِّبُ ـ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَعِباداتُ اللِّسانِ.

العَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ـ يَرْفَعُ اللهُ العَمَلَ الصَّالِحَ وَيَقْبَلُهُ.

يَبُورُ ـ يَفْسُدُ وَيَبْطُلُ.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿١١﴾

(أَزْوَاجاً) (كِتَابٍ)

(١١) - وَاللهُ تَعَالى خَلَقَ آدَمَ أَبَا البَشَرِ مِنْ تُرابٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ يَتَناسَلُونَ عَنْ طَرِيقِ التَّزاوُجِ فَيُخْلَقُونَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ يُصَبُّ فِي الأَرْحَامِ، ثُمَّ جَعَلَ البَشَرَ أصنافاً (أَزْوَاجاً) ذُكُوراً وَإِنَاثاً، وَجَعَلَ لِلأَنْفُسِ أَزْوَاجاً مِنْ جِنْسِهَا لِيَسْكُنَ بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَيَطْمَئِنَّ، وَجَعَلَ عَدَدَ الإِنَاثِ مُقارِباً عَدَدَ الذُّكُورِ لِحفْظِ النَّوعِ، وَلاَ تَكُونُ المُقَارَبَةُ فِي العَدَدِ إلاّ بِعِلْمٍ وَتَقْدِيرٍ وَتَدْبيرٍ. وَلا تَحْمِلُ الإِنَاثُ وَلاَ تَضَعُ، إِلَّا بِعِلْمِ اللهِ وَتَقْدِيرِهِ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شيءٌ مِنْ ذٰلِكَ. وَلاَ يَقْضِي عَلَى أَحَدٍ بِطُولِ العُمُرِ إلاّ بَلَغَ مَا قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ، لاَ يَزِيدُ عَلَيهِ وَلاَ يَنْقُصُ، وَلاَ يَقْضي عَلى أَحَدٍ بِقِصَرِ العُمْرِ إلاَّ آسْتَوفَى مَا قُدِّرَ لَهُ بِدُونِ زِيَادَةٍ وَلا نُقْصَانٍ. وَكُلُّ ذٰلِكَ مَكْتُوبٌ فِي أُمِّ الكِتَابِ عِنْدَ اللهِ.

وَضَبطُ هٰذا النِّظامِ البَدِيعِ القَائِمِ فِي الكَوْنِ هُوَ أَمْرٌ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، لأَنَّهُ تَعَالى عَالِمٌ بِكُلِّ شَيءٍ، وَقَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

أَزْوَاجاً - ذُكُوراً وَإِنَاثاً.

مُعَمَّرٍ - طَوِيلِ العُمْرِ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾

(سَائِغٌ)

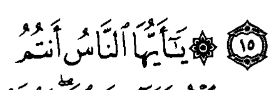
(١٢) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالى العِبَادَ إلى قُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ عَلى خَلْقِ الأَشْيَاءِ المُخْتَلِفَةِ: فَخَلَقَ المِيَاهَ: مِنْهَا مَا هُوَ عَذْبٌ صَافٍ شَدِيدُ العُذُوبَةِ، تَقْبَلُ النَّفْسُ تَنَاوُلَهُ بِسُهُولَةٍ (سَائِغٌ شَرَابُهُ)، وَهِيَ المِيَاهُ التِي تَحْوِيها الأَنْهَارُ وَأَكْثَرُ البُحَيراتِ وَالآبَارِ. فَيَشْرَبُها الإِنْسَانُ وَالحَيوَانُ، وَتُسْقَى مِنْهَا النَّبَاتَاتُ. وَمِنْهَا مَا هُوَ مِلْحٌ شَدِيدُ المُلُوحَةِ (أُجَاجٌ)، كَمِياهِ البِحَارِ وَبَعْضِ البُحَيراتِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالى إنَّ البَشَرَ يَسْتَخْرِجُونَ مِنْ كِلاَ المَاءَيْنِ: العَذْبِ وَالمِلْحِ، لَحْماً طَرِيّاً يَتَغَذَّوْنَ بِهِ هُوَ لَحْمُ الأَسْمَاكِ والحَيَوانَاتِ المائِيَّةِ. وَيَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً (لآلِىءَ وَمَرْجَاناً وَغَيرَها) يَلْبَسُهَا النَّاسُ. وَتَجْري السُّفُنُ فِي كِلا المَاءَيْنِ (تَمْخُرُ) وَهِيَ تَحْمِلُ النَّاسَ وَالأَنْعَامَ وَالأَقْوَاتَ والبَضَائِعَ مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا النَّاسُ، وَيَتَكَسَّبُوا بِالاتِّجارِ بِها. وَلاَ يَسْتَوِي فِي عِلْمِ اللهِ البَحْرَانِ المِلْحُ وَالعَذْبُ، وَإِنِ اشْتَرَكَا فِي بَعْضِ خَصَائِصِهِمَا وَمَنَافِعِهِمَا، وَقَدْ سَخَّرَ اللهُ تَعَالى كُلَّ ذٰلِكَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ وَيَعْتَبِرُونَ، وَيَشْكُرُونَ اللهَ عَلَى أَنْعُمِهِ وَآلائِهِ.

عَذْبٌ فُرَاتٌ - حُلْوٌ شَدِيدُ العُذُوبَةِ.

﴿١٣﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ
مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ
لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ
مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ

﴿١٤﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ
وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ
بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ
خَبِيرٖ



نصف الحزب ٤٤

﴿١٥﴾ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ
ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ
ٱلۡحَمِيدُ

سَائِغٌ شَرَابُهُ - مَرِيءٌ سَهْلٌ ٱبْتِلاعُهُ.
مِلْحٌ أُجَاجٌ - مِلْحٌ شَدِيدُ المُلُوحَةِ.
مَوَاخِرَ - تَشُقُّ عُبَابَ المَاءِ بِحَيَازِيمِهَا.

(اللَّيْل)

(١٣) - وَمِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ تَعَالى: أَنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهار يَتَنَاوَبَانِ الطُّولَ والقِصَرَ، فَيأخُذُ مِنْ طُولِ أَحدِهِمَا لِيُضِيفَهُ إلى الآخرِ، ثُمَّ يَعْتَدِلانِ، ثُمَّ يَطُولُ الذي كَانَ مِنْهُمَا قَصِيراً، وَيَقْصُرُ الآخرُ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ لِلْخَلقِ فِي جَرَيَانِهما، لِمَعْرِفَةِ عَدَدِ السِّنِينَ وَالحِسَابِ، وَلِمَدِّ الأَرْضِ بِالحَرَارةِ والنُّورِ والدِّفْءِ المُعْتَدِلِ، لِتَبْقَى الحَيَاةُ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ، ولا تَزَالُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ يَجْرِيَانِ هٰكَذَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ الأَجَلُ المُسَمَّى لَهُمَا. وَالذِي فَعَلَ هٰذَا كُلَّهُ هُوَ اللهُ تَعَالى رَبُّ الخَلْقِ كُلِّهِ، الذي لا تَصِحُّ العِبَادَةُ إِلاَّ لَهُ، فَهُوَ صَاحِبُ الخَلْقِ، وَصَاحِبُ المُلْكِ. أَمَّا مَنْ يَدْعُوهُمُ المُشْرِكُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِهِ، مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ فَإِنَّهُمْ لاَ يَمْلكونَ شَيْئاً، حَتَّى الحَقِيرَ مِنَ الأَشْيَاءِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَسْتَحِقُّونَ العِبَادَةَ.

يُولِجُ - يُدْخِلُ.
لأَجلٍ مُسَمى - لأَجلٍ مُقَدَّرٍ لِفَنَائِهِمَا، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ.
قِطْمِيرٍ - غِلاَلَةٍ رَقِيقَةٍ تَلُفُّ نَوَاةَ التَّمْرِ.

(القِيَامَة)

(١٤) - أَمَّا الذينَ يَدْعُوهُمُ المُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ، وَلاَ لِمَنْ يَعْبُدُونَهُمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً. وَإِذا دَعَاهُمْ عَابِدُوهُم لَمْ يَسْمَعُوا دُعَاءَهُمْ، وَإِذا سَمِعُوا الدُّعاءَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الاسْتِجَابَةَ إِلى شَيءٍ مِمَّا يَطْلُبُونَ. وَيَومَ القِيَامَةِ يَتَبَرَّأُ المَعْبُودُونَ مِنْ شِرْكِ العَابِدِينَ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ، بَلْ كُنْتُم تَعْبُدُونَ أَهْوَاءَكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ، وَلاَ يُخْبِرُكَ عَنْ حَقِيقَةِ أَمرِ هٰذِهِ الآلِهَةِ، وَأَمرِ مَنْ عَبَدُوها يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلا ذُو خِبْرَةٍ وَمَعْرِفَةٍ بالذِي سَيَقَعُ هُنَاكَ، وَهُوَ اللهُ تَعَالى وَحْدَهُ.

(يَا أَيُّهَا)

(١٥) - يَا أَيُّها النَّاسُ أَنْتُم مُحْتَاجُونَ إِلى اللهِ تَعَالى فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنْكُم، وَعَنْ عِبَادَتِكُمْ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ بِكُمْ فَهِيَ مِنْهُ، فَلَهُ الحَمْدُ والشُّكرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

(١٦) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ

(١٦) - وَلَوْ شاءَ أَنْ يَذْهَبَ بِكُمْ، يا أَيُّها النَّاسُ، وَأَنْ يَأْتِيَ بِخَلْقٍ آخَرَ غَيْرِكُمْ يُطِيعُونَهُ، وَلاَ يَعْصُونَهُ فِيما يَأْمُرُهُمْ، لَفَعَلَ.

(١٧) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ

(١٧) - وَهُوَ تَعالى قَادِرٌ عَلَى ذٰلِكَ، وَلاَ يَصْعُبُ عَلَيهِ شَيْءٌ، وَلاَ يَمْتَنِعُ عَلَيهِ شَيءٌ.

(١٨) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ

(الصَّلاَةَ)

(١٨) - وَيَوْمَ القِيامَةِ لاَ تَحْمِلُ نَفْسٌ مُذْنِبَةٌ ذَنْبَ نَفْسٍ أُخْرَى، بَلْ تَحْمِلُ كُلُّ نَفْسٍ وِزْرَهَا فَحَسْبُ، وَإِنْ تَسْأَلْ نَفْسٌ تُثْقِلُهَا الذُّنُوبُ نَفْساً أُخْرى، لِتَحْمِلَ عَنْهَا شَيْئاً مِنْ ذُنُوبِهـا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُجِيبُهـا إلى مَا تَـطْلُبُ، وَلَوْ كَانَ المَدْعُوُّ الى الحَمْلِ قَرِيباً مِنَ النَّفْسِ السَّائِلَةِ: كَأَبٍ أَوْ أَخٍ ، لأنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مَشْغُولٌ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ بِمَا فِيهِ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1]، وَلا يَحْزُنْكَ أَيُّها النَّبِيُّ عِنادُ قَوْمِـكَ، فَإِنَّما يَنْفَعُ النُّصْحُ مَعَ الذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، وَيَخافُونَ شَدِيدَ عِقابِهِ يَومَ القِيامَةِ، إيماناً وَتَصدِيقاً بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يُعايِنُوه بِأَنْفُسِهِم (يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيبِ)، وَهُـمْ يُؤَدُّونَ الصَّـلاَةَ بِخُشُوعٍ تَـامٍّ، وَيُتِمُّونَهـا بِرُكُـوعِها وَسُجُـودِها (أَقـامُـوا الصَّلاة). وَمَنْ تَطَهَّرَ مِنْ أَرْجَاسِ الشِّرْكِ، وَجَانَبَ المَعَاصِي فَإِنَّما يَعُودُ نَفْعُ ذٰلِكَ عَلَيهِ. وَيَصِيرُ الخَلْقُ جَمِيعاً إلى اللهِ تَعالى يَوْمَ القِيامَةِ، لِيَجْزِيَ كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنيا.

لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ - لاَ تَحْمِلُ نَفْسٌ آثِمَةٌ.
مُثْقَلَةٌ - نَفْسٌ أَثْقَلَتْها الذُّنُوبُ.
تزكّى - تَطَهَّرَ مِنَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي.

(١٩) وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ

(١٩) - وَمَـا يَسْتَوِي الأَعْمَى عَنِ الحَقِّ، وَعَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَـةِ مَا جَـاءَ بِهِ الرَّسُولُ، مَعَ البَصِيرِ الذِي آهْتَدَى بِهَدْيِ الرَّسُولِ، فَـآمَنَ بِاللهِ، وَآتَّبَـعَ رَسُولَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالاَتُ.

(٢٠) وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ

(الظُّلُماتُ)

(٢٠) - وَلاَ تَسْتَوِي ظُلْمَةُ الكُفْرِ، ولا نُورُ الإِيمَانِ.

(٢١) وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ

(٢١) - وَلا يَسْتَوِي الظِّلُّ البَارِدُ (وَهُوَ الجَـزاءُ عَلَى الإِيمَانِ)، مَـعَ الحَرِّ اللافِحِ (وَهُوَ الجَزاءُ عَلَى الكُفْرِ وَالمَعَاصِي).
الحَرُورُ - شِدَّةُ الحَرِّ لَيلًا كالسَّمُومِ.

---

(١) سورة عبس، الآية: ٣٧.

(٢٢) وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ

(الأَمْوَاتُ)

(٢٢) ـ وَلاَ يَسْتَوِي أَحْيَاءُ القُلُوبِ بِالإِيمَانِ، مَعَ أَمْوَاتِ القُلُوبِ بِغَلَبَةِ الكُفْرِ عَلَيْهَا، حَتَّى صَارَتْ لاَ تَعِي، وَلاَ تَعْقِلُ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَمَاعِ الحُجَّةِ سَمَاعَ قَبُولٍ. وَكَمَا أَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لاَ تَسْتَطِيعُ إِسْمَاعَ الأَمْوَاتِ فِي قُبُورِهِمْ، كَذَلِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ إِسْمَاعَ المُعَانِدِينَ الذِينَ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ بِالكُفْرِ وَالعِنَادِ.

(٢٣) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ

(٢٣) ـ وَمَا أَنْتَ أَيُّها الرَّسُولُ إِلا نَذِيرٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِعِقَابِ اللهِ، وَلَسْتَ مُكَلَّفاً بِهِدَايَتِهِم، وَحَمْلِهِمْ عَلى الإِيمَانِ، فَاللهُ تَعَالى هُوَ الذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

(٢٤) إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٢٤) ـ وَقَدْ أَرْسَلَكَ اللهُ تَعَالى بِالحَقِّ وَالصِّدْقِ، لِتُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ، وَتُنْذِرَ الكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عذاباً أَليماً مِنَ اللهِ. وَلَيسَ فِي الأُمَمِ السَّالِفَةِ البَائِدَةِ أُمةٌ إِلا وَجَاءَها مُنْذِرٌ مِنَ اللهِ يَدْعُوهَا إِلى عِبَادَةِ رَبِّها وَتَوْحِيدِهِ، وَيُنْذِرُها بِعذَابٍ أَلِيمٍ إِنِ آسْتَمَرَّتْ مُقِيمَةً عَلَى مَا هِيَ عَليهِ مِنْ كُفْرٍ وَطُغْيانٍ وَضَلالٍ، لِكَيلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.

(٢٥) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ

(بِالْبَيِّنَاتِ) (بِالْكِتَابِ)

(٢٥) ـ وَيُسَلِّي اللهُ تَعَالى رَسُولَهُ ﷺ لِمَا يُلاَقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ، وَمِنْ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الكُفْرِ وَالعِنَادِ، فَيَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ قَوْمُكَ قَدْ كَذَّبُوكَ، فَلا تَحْزَنْ لِذَلِكَ، فَقَدْ كَذَّبَتِ الأُمَمُ السَّالِفَةُ رُسُلَهَا لَمَّا جَاؤوهُمْ بِالبَيِّنَاتِ، وَالمُعْجِزَاتِ، وَالدَّلاَلاَتِ، وَالكُتُبِ الوَاضِحَةِ التِي أَنْزَلَها اللهُ عَلَى رُسُلِهِ (كَالتَّوراةِ والإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصُحُفِ إِبرَاهِيمَ) التِي تَدُلُّ كُلُّها عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالى، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلى صِحَّة مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ النُّبُوَّاتُ.

الزُّبر ـ الكُتُبُ المَكْتُوبَةُ كَصُحُفِ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى.

الكِتَابِ المُنِيرِ ـ الكِتَاب الوَاضِح.

(٢٦) ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

(٢٦) ـ وَلَمَّا اسْتَمَرَّ الكَافِرُونَ المُكَذِّبُونَ مِنْ تِلْكَ الأُمَمِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى التَّكْذِيبِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ، أَخَذَهُمْ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ، وَدَمَّرَهُمْ تَدْمِيراً. فَانْظُرْ كَيفَ كَانَ عِقَابُهُ تَعَالى لِهؤلاءِ شَدِيداً وأَليماً، وَكَيفَ كَانَ إِنكَارُهُ عَليهِمْ كُفْرَهُمْ وَتَكْذِيبَهُمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ وَعَمَلَهُمُ القَبِيحَ؟

كَانَ نَكِيرِ ـ إِنكَارِي عَلَيْهِمْ بِالتَّدْمِيرِ.

٢٧ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ
وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ

(ثَمراتٍ) (أَلْوانُها)

(٢٧) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعالَى العِبادَ إلى قُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ عَلى خَلْقِ الأشياءِ المُخْتَلِفَةِ، المُتَنَوِّعَةِ المَظاهِرِ والأشْكالِ، مِنَ الشَّيءِ الواحِدِ، فَيقُولُ تَعالى إنَّهُ أنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَطَراً فَأَرْوَى بِهِ الأرْضَ، فَأَخْرَجَتْ ثِماراً مُخْتَلِفَةَ الألوانِ والطُّعُومِ والرَّوائِحِ، وإنَّه خَلَقَ الجِبالَ كَذلِكَ مُخْتَلِفَةَ الألْوانِ، فَمِنْهَا الأَبْيَضُ وَمِنْهَا الأَحْمَرُ وَمِنْهَا الأَسْوَدُ الغِرْبِيبُ.

جُدَدٌ - ذاتُ طُرُقٍ وَخُطُوطٍ مُخْتَلِفَةِ الألْوانِ.

غربيب أسود - شَدِيدُ السَّوادِ كالأغْرِبَةِ.

٢٨ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ
وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ
إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ

(الأنْعامِ) (أَلْوانُهُ) (الْعُلَماءُ)

(٢٨) - وَجَعَلَ اللهُ تَعالى النَّاسَ والدَّوابَّ والأنْعامَ مُخْتَلِفِي الألْوانِ والأَشْكالِ في الجِنْسِ الواحِدِ، فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ، ولٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْرِفُونَ ذٰلِكَ حَقَّ المَعْرِفَةِ، والذي يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ هُم العالِمُونَ بأسْرارِ الكَوْنِ، العارِفُونَ بِعَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى، فَهٰؤُلاءِ هُمُ الذينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، وَيتَّقُونَ عِقابَهُ، فَيَعْمَلُونَ بِطاعَتِهِ. واللهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ، غَفُورٌ لِذُنُوبِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطاعَهُ.

٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ

(كِتابَ) (الصَّلاةَ) (رَزَقْناهُمْ) (تِجارَةً)

(٢٩) - إنَّ عِبادَ اللهِ المُؤْمِنينَ الذينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِما فِيهِ مِنْ أَوامِرَ: مِنْ إقامَةِ الصَّلاةِ وَأدائِها بِخُشُوعِها، وإتْمامِها بِرُكُوعِها وَسُجُودِها، وَمِنَ الإنْفاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ سِراً وَعَلانِيَةً فِي سَبِيلِ اللهِ عَلى الفُقَراءِ والمُحْتاجِينَ، وفِيمَا فِيهِ خَيرُ الجَماعَةِ المُسْلِمَةِ، إنَّ هٰؤُلاءِ العِبادَ المُؤْمِنِينَ، الذِينَ يَقُومُونَ بِذلِكَ، يَرْجُونَ الثَّوابَ عَلى أَفْعالِهِمْ، عِنْدَ اللهِ، وَسَتَكُونُ تِجارَتُهُمْ رابِحَةً عِندَ اللهِ، وَلَنْ تَكْسُدَ.

لَنْ تَبُورَ - لَنْ تَكْسُدَ، أَوْ لَنْ تَفْسُدَ وَتَهْلِكَ.

٣٠ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ

(٣٠) - وَيَرْجُونَ أَنْ يَجْزِيَهُمُ اللهُ الجَزاءَ الأوْفَى عَلى أَعْمالِهِم الصَّالِحَةِ، وأَنْ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَيَتَجاوَزَ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ وَهَفَواتِهِمْ، وَيُضاعِفَ ثَوابَ أَعْمالِهِمْ حَتَّى سَبعمِئَةِ ضِعْفٍ، وَاللهُ تَعالى غَفُورٌ لِلذُّنُوبِ، شَكُورٌ لِلْقَلِيلِ مِنَ الأعمالِ الصَّالِحَةِ.

﴿٣١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ

(الْكِتَابِ)

(٣١) - وَهٰذَا القُرآنُ الذِي أَوْحَاهُ اللهُ إليك، يَا مُحَمَّدُ، هُوَ الحَقُّ، وَهُوَ يُصَدِّقُ الكُتُبَ السَّابِقَةَ فِيما جاءَتْ بِهِ، وَهِيَ بَشَّرَتْ بِهِ، وَنَوَّهَتْ بِذِكْرِهِ، فَعَلى المُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا جَاءَ فِي القُرآنِ لِيَفُوزُوا وَيَنْجُوا مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِأَحْوالِ العِبَادِ، بَصِيرٌ بِمَا يَصْلُحُ لَهُمْ مِنْ شَرْعٍ وَأَحْكَامٍ.

﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ
ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ
ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ
ٱلْكَبِيرُ

(الْكِتَابَ) (بِالْخَيْرَاتِ)

(٣٢) - ثُمَّ جَعَلَ اللهُ تَعَالى القَائِمِينَ بِالقُرآنِ العَظِيمِ، هُمُ الذِينَ اصْطَفَاهُمْ مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَأَوْرَثَهُمُ الكِتَابَ. وَقَالَ تَعَالى فِي مَكَانٍ آخرَ: ﴿كُنْتُمْ خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١)، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الذينَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِلقِيَامِ بِالقُرآنِ هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَجعَلَهُمْ أقساماً ثَلاثَةً:

- مِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُفَرِّطٌ فِي فِعْلِ بَعْضِ الوَاجِبَاتِ، مُرْتَكِبٌ بَعْضَ المُحَرَّمَاتِ.
- وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَهُوَ القَائِمُ بالوَاجِبَاتِ، التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ يُقَصِّرُ فِي فِعْلِ بَعْضِ المُسْتَحَبَّاتِ، وَيَفْعَلُ بَعْضَ المَكْرُوهَاتِ.
- وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ - وَهُوَ الفَاعِلُ لِلْوَاجِبَاتِ، وَالمُسْتَحَبَّاتِ، التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ وَالمَكْرُوهَاتِ.

وَذَلِكَ المِيرَاثُ، وَذَلِكَ الاصْطِفَاءُ، فَضْلٌ عَظِيمٌ مِنَ اللهِ لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ.

﴿٣٣﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

(جَنَّاتُ)

(٣٣) - وهٰؤلاءِ الكِرَامُ الذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ من عباده، الذين أُورِثُوا القُرآنَ، والكُتُبَ السَّابِقَةَ، سَتَكُونُ جَنَّاتُ الإقامَةِ (جَنَّاتُ عَدْنٍ) هِيَ مَأْوَاهُمْ، يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَلْبَسُونَ فِيها حُلِيّاً مِنْ ذَهَبٍ، وَلُؤْلُؤٍ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا ثِيَاباً مِنْ حَرِيرٍ. وَهٰذِهِ الجَنَّاتُ هِيَ الفَضْلُ الكَبِيرُ الذِي مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ
عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ

(٣٤) - وَيَقُولُونَ حِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَيَلْبَسُونَ الحَرِيرَ، وَيَتَحَلَّوْنَ بالذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤِ: الْحَمْدُ للهِ الذِي أَذْهَبَ عَنَّا الخَوْفَ (الحَزَنَ) مِمَّا كُنَّا نَحْذَرُ وَنَتَخَوَّفُ. إِنَّ رَبَّنا سُبْحَانَهُ وَتَعالى غَفُورٌ لِذُنُوبِ المُذْنِبِينَ، شَكُورٌ لِأَفعَالِ المُطِيعِينَ.

الحَزَنَ - مَا يُغِمُّ وَيُحْزِنُ وَيُخِيفُ.

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠.

﴿٣٥﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ

(٣٥) ـ واللهُ تَعَالى هُوَ الذي أَعْطانا هٰذِهِ المَنزِلَةَ وهٰذا المُقَامَ الكَرِيم مِنْ فَضْلِهِ وَمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَمْ تَكُنْ أَعْمـالُنا لِتَبْلُغَ ذٰلِـكَ، لاَ يَمَسُّنا فِي هٰـذِهِ الدَّارِ عَناءٌ وَلاَ تَعَبٌ وَلاَ إِعْيَاءٌ.

دَارَ المُقَامَةِ ـ دَارَ الإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ (الجَنَّةَ)

النَّصَبُ واللُّغوبُ ـ التَّعَبُ والإِعْيَاءُ.

﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ

(٣٦) ـ أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا باللهِ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَعِقَابُهُمْ سَيَكُـونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لاَ يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ فِيهـا بِمَـوتٍ فَيَسْتَـرِيحُـوا مِنَ العَذابِ وَالآلاَمِ، وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذابُ وَلاَ يُفَتَّرُ. وَكُلَّما خَبَتْ نَـارُ جَهَنَّمَ زَادَهَا اللهُ سَعِيراً، لِيَسْتَمِرَّ عَذَابُهُم شَدِيداً أَليماً. وَمِثْلُ هٰذا الجَزاءِ يَجْزِي اللهُ بِهِ كُلَّ كَافِرٍ باللهِ، جَاحِدٍ بِأَنْعُمِـهِ، مُكَذِّبٍ لِرُسُلِهِ.

﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ

(صَالِحاً) (لِلظَّالِمِينَ)

(٣٧) ـ وَفِي النَّارِ يَذُوقُ الكَافِرُونَ المُجْرِمُونَ حَرَّ النَّارِ وَلَهِيبَها، فَيَأْخُذُونَ فِي الاسْتِغَاثَةِ والاصْطِراخِ والضَّجِيجِ وَيَقُولونَ: رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنَ النَّارِ، وَأَعِدْنا إلى الدُّنيا، لِنَعْمَلَ صَالِحاً، وَنَتَّبِعَ الرُّسُلَ، وَنُقْلِعَ عَمَّا كُنَّا فِيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي وَالإِجْرَامِ. وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالى يَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنْ عَـادُوا إِلى الدُّنيا عَادُوا إِلى ما كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي، وَلِذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيهِمْ قَائِلاً وَمُقَرِّعاً (أَوْ تَـرُدُّ عَلَيهِمُ المَلاَئِكَـةُ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى): أَلَمْ نَجْعَلْكُمْ تَعِيشُونَ فِي الدُّنيا أَعْماراً؟ وَلَوْ كُنْتُم مِمَّنْ يَنْتَفِعُونَ بالحَقِّ لاَنْتَفَعْتُمْ بِهِ مُدَّةَ عُمْرِكُمْ في الدُّنيا. وَجَاءَكُمُ الـرَّسُولُ وَمَعَـهُ كِتَابٌ يُنْـذِرُكُمْ بِالعِقَـابِ إِنْ خَالَفْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَتَرَكْتُمْ طَاعَتَهُ، فَلَمْ تَعْتَبِرُوا، وَلَمْ تَتَّعِـظُوا، وَلِذٰلِـكَ فَلا سَبِيلَ لَكُمْ إلى الخُرُوجِ مِمَّا أَنْتُم فِيهِ مِنَ العَذابِ، فَـذُوقُوا عَـذَابَ النَّارِ عِقاباً لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَمُخَالَفَتِكُمُ الأَنْبِياءَ، وَلَنْ تَجِدُوا لَكُمْ نَاصِراً يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَأسِ اللهِ، وَلاَ مُنْقِذاً يُنْقِذُكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ العَذابِ.

يَصْطَرِخُونَ ـ يَسْتَغِيثُونَ وَيَضِجُّونَ وَيَصِيحُونَ بِشِدَّةٍ.

﴿٣٨﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

(عَالِمُ) (السَّمَاوَاتِ)

(٣٨) ـ واللهُ عَالِمٌ بِما انْطَوَتْ عَلَيهِ ضَمَـائِرُ المُجْـرِمينَ الظَّالِمينَ، مِنْ تَصْمِيمٍ عَلَى الكُفْـرِ وَالضَّـلاَلِ، فَمَهْمَـا طَـالَتْ أَعْمَـارُهُمْ فَلَنْ تَتَغَيَّـرَ حَالُهم، وَلَوْ أَعَادَهُمْ إِلَى الدُّنيا لَعَادُوا إِلى فِعْلِ مَا نُهُوا عَنْهُ، لأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، وَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ السَّرَائِـرُ، وَمَا تَنْـطَوي عَلَيهِ الضَّمَائِرُ، وَسَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ عَلَى عَمَلِهِ.

(٣٩) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا

(٤٠) قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا



(٤١) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

(خلائِف) (الْكَافِرِينَ)

(٣٩) ـ وَهُوَ تَعَالى الذِي جَعَلَكُمْ فِي الأَرْضِ خُلَفَاءَ، يَخْلُفُ جِيلٌ مِنْكُمْ جِيلاً آخَرَ، وَيَنْتَفِعُ فِي الأَرْضِ، وَيَتَصَرَّفُ بِما فِيها، لِتَشْكُرُوهُ بالطَّاعَةِ والتَّوحِيدِ والعِبَادَةِ، فَمَنْ عَصَى أَمْرَ رَبِّهِ، وَجَحد بِآيَاتِهِ، وَكَفر بِخَالِقِهِ، وَبِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيهِ، فَإِنَّما يَعُودُ وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيهِ، لأَنَّهُ هُوَ الذِي سَيَلْقَى العِقَابَ عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَآسْتِمْرَارُ هؤُلاءِ فِي الكُفْرِ يَزِيدُ فِي كُرْهِ اللهِ، وَبُغْضِهِ لَهُمْ، وَكُلَّما آطْمَأَنُّوا إلى كُفْرِهِمْ زَادَتْ خَسَارَتُهُمْ لأَنْفُسِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَحَقَّ عَلَيهِمْ سُوءُ العَذَابِ.

جَعَلَكُمْ خلاَئِفَ ـ خُلَفَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.
مَقْتاً ـ أَشَدَّ البُغْضِ وَالغَضَبِ والاحْتِقَارِ.
خَساراً ـ هَلاَكاً وخُسْرَاناً.

(أَرَأَيْتُم) (السَّماوَاتِ) (آتَيْنَاهُمْ) (كِتَاباً) (بَيِّنَةٍ) (الظَّالِمُونَ)

(٤٠) ـ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهؤلاَءِ المُشْرِكينَ: أَخْبِرُونِي، أَيُّها المُشْرِكُونَ بِاللهِ، عَنْ شُرَكَائِكُمُ الذِينَ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، مِنَ الأَصْنَامِ والأَوْثَانِ: أَيَّ شيءٍ خَلَقُوهُ مِنَ السَّماوَاتِ وَمِنَ الأَرْضِ، أَوْ مِنَ البَشَرِ وَالمَخْلُوقَاتِ حَتَّى اسْتَحَقُّوا أَنْ يَكُونُوا آلِهَةً تَعْبُدُونَهُمْ؟ أَمْ هَلْ لَهُمْ شَرِكَةٌ مَعَ اللهِ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ حَتَّى آسْتَحَقُّوا مَا زَعَمْتُمْ؟

أَمْ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ عَلَيهِمْ كِتَاباً يَقُولُ لَهُمْ فِيهِ إِنَّ اللهَ تَعَالى آتَّخَذَ هـذِهِ المَعْبُودَاتِ شُرَكَاءَ لَهُ فِي الأُلوهِيَّةِ، فَكَانَ ذَلِكَ الكِتَابُ حُجَّةً لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى أَنَّ مَعْبُودَاتِهِمْ لَهَا شَرِكَةٌ مَعَ اللهِ؟ وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ إِنَّما آتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ أَهْوَاءَهُمْ، وَأَمَانِيَّهُم التِي تَمَنَّوهَا لأَنْفُسِهِمْ، وَهِيَ غُرُورٌ وَبَاطِلٌ وَزُورٌ.

أَرَأَيْتُم شُرَكَاءَكُمْ ـ أَخْبِرُونِي عَنْ شُرَكَائِكُمْ.
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ ـ بَلْ أَلَهُمْ شَرِكَةٌ مَعَ اللهِ فِي الخَلْقِ.
غُرُوراً ـ خِدَاعاً وَبَاطِلاً.

(السَّماوَاتِ) (لَئِن)

(٤١) ـ إِنَّ اللهَ تَعَالى بِقُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ جَعَلَ السَّماوَاتِ والأَرْضَ مُسْتَقِرَّةً، تَسِيرُ فِي أَفْلاَكِها بِآنْتِظَامٍ وَهُدوءٍ، وَقُدْرَتُهُ تَعَالى هِيَ التِي تَمنَعُها مِنَ الاضْطِرَابِ وَالخُرُوجِ عَنْ مَسَارَاتِها، والانفلاتِ في الفَضَاءِ عَلَى غَيرِ

(٤٢) وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا

(٤٣) ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا

(٤٤) أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي

هُدًى. وَإِذا أَشْرَفَتْ عَلَى الزَّوَالِ، مَا آسْتَطَاعَ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ أَنْ يُمْسِكَها، وَهُوَ تَعالَى مَعَ عَظيمِ قُدْرَتِهِ، وَوَاسِعِ سُلْطانِهِ، حَليمٌ غَفورٌ، يَرى عِبادَهُ يَعْصُونَهُ، وَيَكْفُرُونَ بِهِ، فَيَحْلُمُ عَلَيهِمْ، وَيُؤَخِّرُ عِقابَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَيهِ فَيَغْفِرَ لَهُمْ، وَيَتَجاوَزَ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ.

(أَيْمَانِهِمْ) (لَئِن)

(٤٢) - وَأَقْسَمَ مُشْرِكُو قُرَيشٍ، قَبْلَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيهِمْ، أَيْماناً مُغَلَّظَةً (جَهْدَ أَيْمانِهِم) أَنَّهُم إِذا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ جميعِ الأُمَمِ التِي أَرْسَلَ اللهُ فِيها رُسُلاً مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلٰكِنَّهُمْ حِينَ جاءَهُمْ مُحَمَّدٌ رَسُولاً مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَعَهُ القُرآنُ العَظِيمُ، لَمْ يَزِدْهُمْ ذٰلِكَ إِلا كُفْراً وَعُتُوّاً وَبُعْداً عَنِ الإِيمَانِ (نُفُوراً).

جَهْدَ أيمانِهِمْ - مُجْتَهِدِينَ فِي الحَلْفِ بِأَغْلَظِ الأَيْمَانِ.

نُفوراً - تَباعُداً عَنِ الحَقِّ وَفِراراً مِنْهُ.

(سُنَّةَ) (لِسُنَّةِ)

(٤٣) - وَلَمْ يَزِدْهُمْ مَجيءُ الرَّسُولِ إِلّا آسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ عَنِ آتِّبَاعِ آياتِ اللهِ، وَمَكَرُوا بِالنَّاسِ مَكْراً سَيِّئاً فَصَدُّوهُمْ عَنْ سَبيلِ اللهِ، وَالمَكْرُ السَّيِّءُ لا تَعُودُ نَتائِجُهُ وَعَوَاقِبُهُ إِلَّا عَلَى أَصْحَابِهِ أَنْفُسِهِمْ.

فَهَلْ يَنْتَظِرُ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ إِلَّا أَنْ يُنْزِلَ اللهُ بِهِمْ نِقْمَتَهُ وَعَذَابَهُ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ، كَما أَنْزَلَ نِقْمَتَهُ وَعَذابَهُ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ المكذِّبينَ؟ وتِلْكَ سُنَّةُ اللهِ في كُلِّ كافِرٍ مُسْتَكْبِرٍ مُكَذِّبٍ، ولا تبديلَ لِسُنَّةِ اللهِ، وَلا تَحويلَ لها، فَلَنْ يَجْعَلَ الرَّحْمَةَ موضعَ العذابِ، ولَنْ يُحوِّلَ العَذابَ مِنْ شَخْصٍ إلى آخرَ.

وَمَكْرُ السَّيِّءِ - والمَكْرُ السَّيِّءُ - وهوَ هنا الكيدُ للرَّسُولِ ﷺ.

لا يَحِيقُ - لَا يُحيطُ أو لا يَنْزِلُ.

فَهَلْ يَنْظُرُونَ - فما يَنْتَظِرُونَ.

سُنَّةُ الأولينَ - سُنَّةُ اللهِ فِيهِمْ بِتَعْذِيبِهِمْ لِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ.

(عاقِبَةُ) (السَّماوَاتِ)

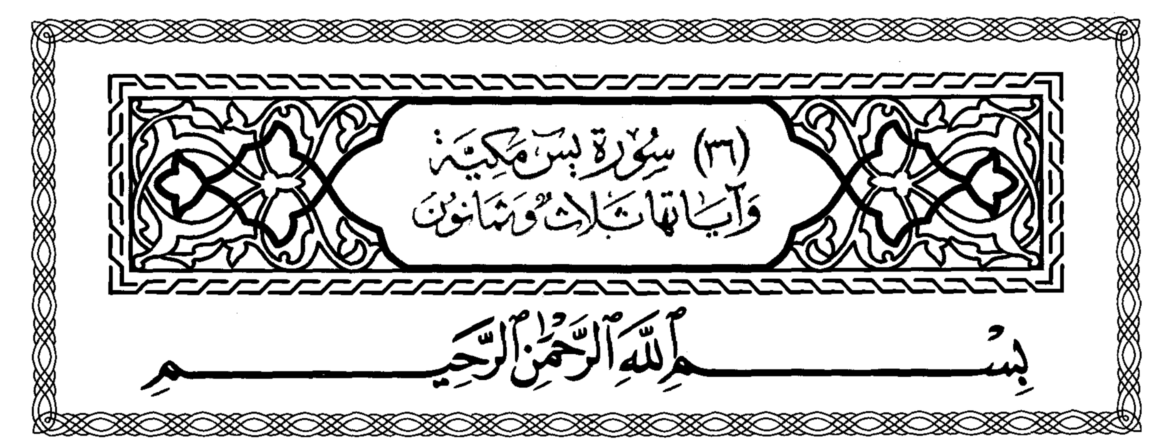
(٤٤) - أَوَ لَمْ يَسِرْ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ المُكَذِّبُونَ مِنْ قَوْمِكَ يا مُحَمَّدُ في الأَرْضِ التِي أَهْلَكْنا أَهْلَها بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وتَكْذِيبِهِم رُسُلَ رَبِّهِم، أثناءَ رِحْلاتِهِم في تِجاراتِهِم، فينظروا كَيْفَ أَهْلَكْنا المُكَذِّبينَ السَّالِفِينَ، وَدَمَّرْنا عليهم تَدْميراً، وَلَمْ نَتْرُكْ لَهُمْ مِنْ بَاقِيةٍ؟ وَكَانَ أُولٰئِكَ السَّالِفُونَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا

أَكْثَرَ قُوَّةً مِنْ مُشْرِكِي قومِكَ فكانَ حَرِيّاً بِمُشْرِكِي قُرَيشٍ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَا رَأَوْه، وأَنْ يَزْدَجِرُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ والطُّغْيَانِ والتَّكْذِيب. واللهُ تَعالى لا يُعجزُه إدراكُ شيءٍ في السَّمَاواتِ أَوْ في الأَرْضِ، لذَلِكَ فَإِنَّ هٰؤلاءِ لا يُمْكِنُ أَنْ يَفُوتُوا اللهَ، ولا أَنْ يُفْلِتُوا منْ عِقَابِهِ، إنْ أَرَادَ إهْلاَكَهُم وَعِقَابَهم. وَهُوَ يَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ أن تُعَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةُ، فَيُعَجِّلُهَا لَهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهِ ٱسْتِعْدادٌ للتَّوْبَةِ، فَيُؤَخِّرُهُ لِيَتُوبَ، وَهُوَ قَادِرٌ على الانْتِقَامِ مِمَّنْ شَاءَ، وَعَلَى هِدَايَةِ مَنْ شَاءَ إلى الإيمانِ.

﴿٤٥﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا

(٤٥) - وَلَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالى عَاقَبَ النَّاسَ عَلَى جَميعِ ذُنُوبِهِمْ في الدُّنيا لأَهْلَكَ جَمِيعَ أَهْلِ الأَرْضِ، وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَرْزَاقٍ وَدَوابَّ، وَلَكِنَّهُ تَعَالى يَدَّخِرُ مُؤَاخَذَتَهُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى، هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، فَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بعمله. وَهُوَ تَعَالى بَصِيرٌ بأَعْمَالِ العِبَادِ وَبما ٱكْتَسَبُوا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيءٌ.



﴿١﴾ يسٓ

(يَاسِين)

(١) ـ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ
وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ يَاسِينَ تعني يَا إِنْسَانُ.

﴿٢﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ

(الْقُرآنِ)

(٢) ـ أُقْسِمُ بِالقُرآنِ المُحْكَمِ المُشْتَمِلِ عَلَى الحِكْمَةِ والعِلْمِ النَّافِعِ، الذي لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ.

﴿٣﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ

(٣) ـ إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ المُرْسَلِينَ مِنَ اللهِ إِلَى النَّاسِ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ.

﴿٤﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(صِرَاطٍ)

(٤) ـ الذِينَ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ دِيناً قَيِّماً، وَشَرْعاً مُسْتَقِيماً هُوَ الإِسْلاَمُ للهِ تَعَالَى.

﴿٥﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ

(٥) ـ إِنَّ هَذَا الدِّينَ الذي جِئْتَ بِهِ هُوَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ القَوِيِّ الغَالِبِ لِكُلِّ شَيءٍ (العَزِيزِ)، الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ إِذْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً يَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى.
(وَتَنْزِيلَ مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ أَيْ نُزِّلَ تَنْزِيلاً).

﴿٦﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ

(آبَاؤُهُم) (غَافِلُونَ)

(٦) ـ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ لِتُنْذِرَ قَوْمَكَ العَرَبَ، الذينَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ قَبْلَكَ، فَهُمْ سَاهُونَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ مَعْرِفَةِ الأَدْيَانِ والشَّرَائِعِ.

﴿٧﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(٧) - لَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِنَا الأَزَلِيِّ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَخْتَارُونَ الإِيْمَانَ، وَلاَ يُصَدِّقُونَ بِرُسُولِهِمْ، فَوَافَقَ وَاقِعُهُمْ ما عَلِمْنَاهُ عَنْهُمْ، فَلَنْ يُؤْمِنُوا.

لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ - لَقَدْ ثَبَتَ وَوَجَبَ العِقَابُ.

﴿٨﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ

(أَعْنَاقِهِمْ) (أَغْلاَلاً)

(٨) - إِنَّا جَعَلْنَا هَـؤُلاَءِ الذِينَ قَدَّرْنَا أَنَّهُمْ مِنَ الأَشْقِيَاءِ لاَ يُؤْمِنُونَ، كَمَنْ جُعِلَ فِي عُنُقِهِ قَيْدٌ (غِلٌّ)، فَجُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، فَصَارَ مُقْمَحاً لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطَاطِىءَ رَأْسَهُ، وَهَكَذَا فَإِنَّ هَؤُلاَءِ مَغْلُولُونَ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ نَافِعٍ.

المُقمَحُ - الرَّافِعُ رَأْسَهُ إِلَى الأَعْلَى وَهُوَ غَاضُّ البَصَرِ.

الأَغْلاَلُ - قُيُودٌ تُشَدُّ بِهَا الأَيْدِي إِلَى الأَعْنَاقِ.

﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

(فَأَغْشَيْنَاهُمْ)

(٩) - وَزَيَّنَّا لَهُمْ سُوءَ عَمَلِهِمْ، فَأُعْجِبُوا بِهِ، وَرَفَضُوا الخُضُوعَ لِمَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ، فَمَثَلُهُمْ مَثَلُ مَنْ أَحَاطَ بِهِ سَدَّانِ، مِنْ أَمَامِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، فَحَجَبَا عَنْهُ الرُّؤْيَةَ، فَهُوَ لاَ يُبْصِرُ شَيئاً مِمَّا حَوْلَهُ.

سَدّاً - حَاجِزاً مَانِعاً.

فَأَغْشَيْنَاهُمْ - فَأَلْبَسْنَا أَبْصَارَهُمْ غِشَاوَةً تَحْجُبُ عَنْهُمُ الرُّؤْيَةَ الوَاضِحَة.

﴿١٠﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(أَأَنْذَرْتَهُمْ)

(١٠) - وَهَؤُلاَءِ الذينَ حَقَّ عَلَيْهِم القَوْلُ إِنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ، سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرتَهُم وَخَوَّفْتَهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ تَعَالَى وَعَذَابِهِ، أَوْ تَرَكْتَهُمْ دُونَ إِنْذَارٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ، لأَنَّ نُفُوسَهُمْ قَدْ خَبُثَتْ، وَاسْتِعْدَادَهُمْ لِلهِدَايَةِ قَدْ سَاءَ.

﴿١١﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ

(١١) - إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِإِنْذَارِكَ الذِينَ يَتَّبِعُونَ القُرْآنَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، حِينَ لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، اعْتِقَاداً مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرَاهُمْ، وَيُرَاقِبُ أَعْمَالَهُمْ (بِالغَيْبِ)، فَبَشِّرْ هَؤُلاَءِ المُتَّبِعِينَ أَحْكَامَ الدِّينِ، الخَائِفِينَ مِنْ عِقَابِ اللهِ، بِمَغْفِرَةٍ وَعَفْوٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ لِذُنُوبِهِمْ، وَأَجْرٍ وَاسِعٍ كَرِيمٍ مِنَ اللهِ.

﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ

(آثَارَهُمْ) (أَحْصَيْنَاهُ) (نُحْيِي)

(١٢) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحْيِي المَوْتَى جَمِيعاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَكْتُبُ مَا عَمِلُوا فِي حَيَاتِهِم الدُّنْيَا مِنَ الأَعْمَالِ، لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيُسَجِّلَ عَلَيْهِمْ مَا تَرَكُوا مِنْ أَثَرٍ حَسَنٍ أَوْ سَيِّءٍ خَلَّفُوهُ فِي الدُّنْيَا. (فَمَثَلُ الأَثَرِ الحَسَنِ: عِلمٌ عَلَّمُوهُ، أَوْ مُسْتَشْفًى بَنَوْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ خَلْقُ اللهِ، أَوْ مَدْرَسَةٌ أَنْشَؤُوهَا لِيَتَعَلَّمَ فِيهَا أَبنَاءُ الأُمَّةِ. وَمَثَلُ الأَثَرِ السَّيِّءِ: أَحْقَادٌ زَرَعُوهَا فِي المُجْتَمَعِ، وَفِتَنٌ وَضَلالاتٌ ابْتَدَعُوهَا فَأَخَذَ بِهَا النَّاسُ).

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ. وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ. ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ). (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وَقِيلَ أَيضاً إِنَّ المُرَادَ بِآثَارِهِمْ هُوَ آثَارُ خُطَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ والمَعْصِيَةِ. وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْقُلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: يَا بَنِي سَلَمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُم تُكْتَبُ آثَارُكُم. فَلَمْ يَنْتَقِلُوا. (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالتِّرْمذِيُّ).

وَجَمِيعُ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ أَشْيَاءَ وَمَخْلُوقَاتٍ، وَجَمِيعُ مَا يَعْمَلُهُ البَشَرُ مَسْطُورٌ فِي كِتَابِ اللهِ، وَهُوَ أُمُّ الكِتَابِ.

﴿١٣﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

(١٣) - وَاضْرِبْ يَا مُحَمَّدُ مَثَلاً لِقَوْمِكَ قِصَّةَ أَهْلِ القَرْيَةِ الكَافِرِينَ، الذين جَاءَهُم رُسُلُ اللهِ، فَإِنَّهَا كَقِصَّتِهِمْ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهَا قَرْيَةُ أَنْطَاكِيَةَ، وَإِنَّ الرُّسُلَ هُم رُسُلُ اللهِ إِلَى أَهْلِهَا، تَأْيِيداً لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ مِنْ شَرِيعَةٍ. وَلَكِنْ هُنَاكَ مَنْ ضَعَّفَ هَذَا القَوْلَ، وَقَالَ إِنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْ بَعْدَ إِنْزَالِ التَّوْرَاةِ قَرْيَةً لِكُفْرِهَا).

﴿١٤﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ

(١٤) - حِينَ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ رَسُولَيْنِ مِنْ عِنْدِهِ، فَكَذَّبُوهُمَا، وَأَنْكَرُوا رِسَالَتَهُمَا إِلَيْهِمْ، فَأَيَّدَهُمَا اللهُ بِرَسُولٍ ثَالِثٍ، فَقَالَ الرُّسُلُ الثَّلاَثَةُ لأَهْلِ القَرْيَةِ: إِنَّهُمْ مُرسَلُونَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِم اللهِ الذِي خَلَقَهُمْ،

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ١٥ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ١٧ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ١٩﴾

لإبْلاَغِهِمْ رِسَالَتَهُ، وَلِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى عِبَادَتِهِ، وَإِلَى العَمَلِ الصَّالِحِ الذي يَرْتَضِيهِ.

فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ - فَقَوَّيْنَاهُمَا وَشَددنَاهُمَا بِرَسُولٍ ثَالِثٍ.

(١٥) - فَقَالَ أَهْلُ القَرْيَةِ لِلرُّسُلِ: إِنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ القَرْيَةِ، وَلاَ مِيزَةَ لَهُمْ تَجْعَلُ اللهَ تَعَالَى يَخْتَصُّهُمْ بِرِسَالاَتِهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ، وَإِنَّ الرَّحْمَن لَمْ يُنْزِلْ إِلَيْهِمْ رِسَالَةً وَلاَ كِتَاباً، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ بِإِبْلاَغِ أَحَدٍ شيئاً، فَمَا هُمْ إِلاَّ كَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ.

(١٦) - فَأَجَابَهُم الرُّسُلُ قائلين: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُم رُسُلُهُ إِلَى أَهْلِ القَرْيَةِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَى اللهِ، فِيمَا يَدَّعُونَه، لانْتَقَمَ مِنْهُمْ.

(الْبَلاَغُ)

(١٧) - وَقَالَ الرُّسُلُ: إِنَّ مَهَمَّتَهُمْ تَنْحَصِرُ فِي إِبْلاَغِ رِسَالَةِ اللهِ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ القَرْيَةِ، فَإِنْ أَطَاعُوا فَازُوا بِرِضَا اللهِ وَجَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَإِنْ تَوَلَّوْا وأَعْرَضُوا وأَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ فَإِنَّ اللهَ سَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ الجَزَاءَ الأَوْفَى.

(لَئِن)

(١٨) - فَقَالَ أَهْلُ القَرْيَةِ لِلرُّسُلِ: إِنَّهُمْ تَشَاءَمُوا (تَطَيَّرُوا) مِنْ وُجُودِهِمْ فِي القَرْيَةِ، لِمَا أَحْدَثُوهُ فِيهَا مِنْ الانْقِسَامِ والشِّقَاقِ والاخْتِلاَفِ حَوْلَ الدَّعْوَةِ، إذ اتَّبَعَهُمْ أُنَاسٌ مِنْهُمْ، وَتَفَرَّقَتْ الكَلِمَةُ. ثُمَّ هَدَّدُوهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَكُفُّوا عَنْ بَثِّ الدَّعْوَةِ بَيْنَهُمْ قَتَلُوهُمْ رَجماً بِالحِجَارَةِ، أو أَلْحَقُوا بِهِم الأَذَى والعَذَابَ الأَلِيمَ.

تَطَيَّرْنا بِكُمْ - تَشَاءَمْنَا مِنْكُمْ.

(طَائِرُكُم) (أَئِن)

(١٩) - فَقَالَ الرُّسُلُ لأَهْلِ القَرْيَةِ الذِينَ يُجَادِلُونَهُمْ: إِنَّ كُفْرَكُم وَأَفْعَالَكُم القَبِيحَةَ هِيَ سَبَبُ شُؤْمِكُم، أَمَّا نَحْنُ فَلاَ شُؤْمَ مِن قِبَلِنَا، فَنَحْنُ لَمْ نَفْعَلْ غَيْرَ الدَّعْوَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَتَوْحِيدِهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ.

أَتُقَابِلُونَنَا بِمِثْلِ هَذَا الوَعِيدِ والتَّهْدِيدِ، لأَنَّنا وَعَظْنَاكُمْ وَدَعَوْنَاكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ؟ إِنَّكُمْ بِلاَ شَكٍّ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ مُتَجَاوِزُونَ الحَدَّ فِي الضَّلاَلَةِ والطُّغْيَانِ.

طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ - شُؤْمُكُمْ هُوَ كُفْرُكُمُ المُصَاحِبُ لَكُمْ.
أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ - تَطَيَّرتُمْ بِسَبَبِ مَا وُعِظْتُمْ بِهِ.

٢٠ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ

(أَقْصَى) (يَا قَوْمِ)

(٢٠) - وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَطْرَافِ المَدِينَةِ يَسْعَى مُسْرِعاً إِلَى حَيْثُ كَانَ يَجْتَمِعُ النَّاسُ وَهُمْ يُحَاوِرُونَ الرُّسُلَ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا رُسُلَ اللهِ إِلَيْكُمْ.
يَسْعَى - يُسْرِعُ المَشْيَ.

٢١ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ

(يَسْأَلُكُمْ)

(٢١) - اتَّبِعُوا الذِينَ لاَ يَطْلُبُونَ أَجْراً عَلَى تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَلاَ يَطْلُبُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً، وَهُمْ مُهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ اللهِ القَوِيمِ، فَإِذَا اتَّبَعْتُمُوهُم اهْتَدَيْتُم بِهُدَاهُمْ.

٢٢ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(٢٢) - وَيَبْدُو أَنَّ أَهْلَ المَدِينَةِ اتَّهَمُوا مُوَاطِنَهم، الذي جَاءَ يَسْعَى مُسْرِعاً لِيُدَافِعَ عَنِ الرُّسُلِ، وَلِيَنْصَحَ قَوْمَهُ، بِأَنَّهُ مُوَالٍ لِلرُّسُلِ، وَمُؤْمِنٌ بِمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، فَأَجَابَهم قَائِلاً: وَلِمَاذَا لاَ يَعْبُدُ اللهَ، وَلاَ يُخْلِصُ العِبَادَةَ لَهُ، فَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذي خَلَقَهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الخَلْقُ جَمِيعاً يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.
فَطَرَنِي - خَلَقَنِي وَأَبْدَعَنِي.

٢٣ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ

(آلِهَةً) (شَفَاعَتُهُمْ) (أَأَتَّخِذُ)

(٢٣) - وَهَلْ تُرِيدُونَنِي أَنْ أَعْبُدَ آلِهَةً غَيْرَ اللهِ تَعَالَى لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ الرَّحْمَنُ أَنْ يُنْزِلَ بِي ضَرّاً لَمْ تَنْفَعْنِي تِلْكَ الآلِهَةُ شَيْئاً، وَلَمْ تَشْفَعْ لِي عِنْدَهُ، وَلَمْ تُنْقِذْنِي مِنْ عَذَابِهِ.
لا تُغْنِ - لاَ تَدْفَعِ عَنِّي وَهُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ.

٢٤ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(ضَلاَلٍ)

(٢٤) - إِنِّي إِنِ اتَّخَذْتُ تِلْكَ الأَصْنَامَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، كُنْتُ فِي ضَلاَلٍ بَيِّنٍ، وَاضِحٍ.

٢٥ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ

(آمَنْتُ)

(٢٥) - ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ المُؤْمِنُ لِلرُّسُلِ الكِرَامِ: إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُم الذي أَرْسَلَكُمْ، وَاتَّبَعْتُكُمْ، فَاشْهَدُوا لِي بِذَلِكَ، عِنْدَ رَبِّكُم الكَرِيمِ.

(٢٦) قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ

(٢٧) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ

(٢٨) ۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ

الجزء ٢٣ الحزب ٤٥

(٢٩) إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ

(٣٠) يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ

(وهُنَاكَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ إِنَّمَا خَاطَبَ قَوْمَهُ، قَائِلاً إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ الذِي كَفَرْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ).

(يَا لَيْتَ)

(٢٦) - وَيُرْوَى أَنَّ القَوْمَ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُدَافِعُ عَنْهُ بَيْنَهُمْ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ تَعَالَى الجَنَّةَ، وَأَكْرَمَهُ عَلَى حُسْنِ إِيْمَانِهِ وَثِقَتِهِ بِرَبِّهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ جَزَاءً لَكَ عَلَى مَا قَدَّمْتَ مِنْ إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَمَا أَسْلَفْتَ مِنْ إِحْسَانٍ. فَلَمَّا دَخَلَهَا، وَعَايَنَ مَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِ وَصَبْرِهِ، قَالَ: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا أَنَا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، والخَيْرِ العَمِيمِ، بِسَبَبِ إِيْمَانِي بِرَبِّي، وَتَصْدِيقِي بِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلُه الكِرَامُ.

(٢٧) - وَقَدْ تَمَنَّى أَنْ يَعْلَم قَوْمُهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَحُسْنِ المَثُوبَةِ، لِيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَ، لَعَلَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَيُكْرِمُهُمْ كَمَا أَكْرَمَهُ، فَقَدْ كَانَ حَرِيصاً عَلَى هِدَايَةِ قَوْمِهِ، حَيّاً وَمَيْتاً.

(٢٨) - وَقَدِ انْتَقَمَ اللهُ تَعَالَى مِنَ القَوْمِ، بَعْدَ أَنْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ،وقَتَلُوا وَلِيَّهُ، وَلَمْ يَحْتَجِ الأَمْرُ إِلَى أَنْ يُنْزِلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنَ السَّمَاءِ لإِهْلاكِهِمْ، بَلْ كَانَ الأَمْرُ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ.

(وَاحِدَةً) (خَامِدُونَ)

(٢٩) - فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً أَهْلَكَتْهُمْ جميعاً، وَأَخْمَدَتْ أَنْفَاسَهُمْ، وَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَداً عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ.

صَيْحَةً - صَوْتاً مُهْلِكاً مِنَ السَّمَاءِ. (خَبَرُ كَانَ وَاسْمُها مُضْمَرٌ، تَقْدِيرُهُ إِنْ كَانَتِ الصَّيْحَةُ إِلَّا صَيْحَةً).

خَامِدُونَ - مَيِّتُونَ كَمَا تَخْمُدُ النَّارُ.

(يَا حَسْرَةً) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٣٠) - يَا حَسْرَةَ مُكَذِّبِي الرُّسُلِ، وَيَا نَدَامَتَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَمَا يُعَايِنُونَ العَذَابَ الذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلْكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ، فَإِنَّهُمْ مَا جَاءَهُمْ مِنْ رَسُولٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى العَمَلِ الصَّالِحِ إِلَّا اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَكَذَّبُوا،وَجَحَدُوا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الحَقِّ.

يَا حَسْرَةً - يَا وَيْلَتَا وَيَا نَدَامَتَا وَيَا خَسَارَتَا.

(٣١) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ

(٣١) ـ أَلَمْ يَتَّعِظْ هَؤُلاَءِ المُكَذِّبُونَ الكَافِرُونَ بِمَا حَلَّ بِمَنْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى قَبْلَهُمْ مِنَ المُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ، وَيَعْتَبِرُوا بِمَا نَزَلَ بِهِمْ، وَيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ لاَ رَجْعَةَ لَهُمْ إِلَى الحَيَاةِ الدُّنْيَا؟

كَمْ أَهْلَكْنَا ـ كَثِيراً مَا أَهْلَكْنَا.

القُرُونِ ـ الأُمَمِ.

(٣٢) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ

(٣٢) ـ وَإِنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ والآتِيَةِ سَتَحضُرُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلحِسَابِ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعَالَى، فَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، إِنْ خَيْراً فَخيراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً.

لَمَّا جَمِيعٌ ـ إِلاَّ مَجْمُوعُونَ.

مُحْضَرُونَ ـ نُحْضِرُهُمْ لِلْحِسَابِ والجَزَاءِ.

(٣٣) وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

(وَآيَةٌ)

(٣٣) ـ وَمِنَ الدَّلاَئِلِ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ التَّامَّةِ عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى، أَنَّ الأَرْضَ تَكُونُ مَيْتَةً هَامِدَةً لاَ نَبَاتَ فِيهَا وَلاَ حَيَاةَ، فَيُنْزِلُ اللهُ المَطَرَ عَلَيْهَا فَتَرْتَوي، وَتَهْتَزُّ تُرْبَتُهَا، وَتَعْلُو بِمَا يَتَحَرَّكُ فِي بَاطِنِهَا مِنْ بُذُورِ النَّبَاتَاتِ الآخِذَةِ فِي النَّبْتِ والنُّمُوِّ، ثُمَّ يُخْرِجُ اللهُ مِنْ هَذَا النَّبَاتِ حَبّاً يَأْكُلُهُ النَّاسُ والأَنْعَامُ.

(٣٤) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ

(جَنَّاتٍ) (أَعْنَابٍ)

(٣٤) ـ وَأَنْشَأَ اللهُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ التي أَحْيَاهَا بِالمَطَرِ بَسَاتِينَ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، وَفَجَّرَ العُيُونَ فِيهَا فَأَخَذَتِ المِيَاهُ تَنْسَابُ فِي جَنَبَاتِهَا.

فَجَّرْنَا فِيهَا ـ شَقَقْنَا وَأَجْرَيْنَا فِي الأَرْضِ.

(٣٥) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ

(٣٥) ـ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثِمَارِ هَذِهِ البَسَاتِينِ، وَلاَ فَضْلَ لَهُمْ فِي إِنْبَاتِهَا وَإِخْرَاجِهَا مِنَ الأَرْضِ، أَفَلاَ يَشْكُرُونَ خَالِقَ هَذِهِ النِّعَمِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ؟

(٣٦) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ

(سُبْحَانَ) (الأَزْوَاجَ)

(٣٦) ـ تَنَزَّهَ اسْمُ اللهِ الذي خَلَقَ هَذِهِ الأَصْنَافَ وَالأَنْوَاعَ كُلَّهَا عَلَى سُنَّةِ الذُّكُورَةِ والأُنُوثَةِ: مِنَ النَّبَاتِ وَمِنَ الأَنْفُسِ، وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُهُ النَّاسُ.

الأَزْوَاجُ ـ الأَنْوَاعُ والأَصْنَافُ.

﴿٣٧﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ

(آيَةٌ) (اللَّيْلُ)

(٣٧) - وَمِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى وَعَلَى قُدْرَتِهِ: خَلْقُ اللَّيْلِ والنَّهارِ، هَذا بِظَلامِهِ، وَذَاكَ بِضِيَائِهِ، وَجَعْلُهُمَا يَتَعَاقَبَانِ، وَيَتَنَاوَبَانِ الطُّولَ والقِصَرَ، فَيَنزِعُ النَّهارَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَأْتِي الظُّلْمَةُ، وَتَلُفُّ الكَوْنَ، فَيَهْدَأُ الخلْقُ وَيَنامُونَ.

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ - ننزعُ مِنْ مَكانِهِ الضَّوْءَ.

﴿٣٨﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ

(٣٨) - والشمسُ تَجْرِي فِي المَدَارِ الذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهَا مُسْتَقَرّاً، وَذَلِكَ مِنْ تَقْدِيرِ اللهِ العَزِيزِ الغَالِبِ، المُحِيطِ عِلْماً بِكُلِّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ.

﴿٣٩﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ

(قَدَّرْنَاهُ)

(٣٩) - وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى لِسَيرِ القَمَرِ مَنَازِلَ يَنْزِلُ فِيهَا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ أَيامِ دَوَرانِهِ حَوْلَ الأَرْضِ، وَبِمُوجِبِ حَرَكَتِهِ هَذِهِ فَإِنَّ صَفحَاتِهِ تَتَبدَّلُ فَيَكُونُ بَدْراً، ثُمَّ يَتَنَاقَصُ حَتَّى يُصْبِحَ دَقِيقاً كَعُودِ عِذْقِ النَّخْلِ القَدِيمِ اليَابِسِ (العُرْجُونِ).

قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ - قَدَّرْنَا سَيْرَهُ فِي مَنَازِلَ، وَمَسَافَاتٍ.

العُرْجُونِ القَدِيمِ - عُودِ عِذْقِ النَّخْلَةِ القَدِيمِ اليَابِسِ.

﴿٤٠﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

(اللَّيْلُ)

(٤٠) - لَا يَتَأَتَّى لِلشَّمْسِ، وَلَا يَسْهُلُ عَلَيْهَا (لَا يَنْبَغِي لَهَا) أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ فِي مَسِيرَتِهِ، لأَنَّ لِكُلٍّ مِنْهُمَا مَسَاراً مُسْتَقِلا، وَهُمَا مَسَارَانِ مُتَبَاعِدَانِ لَا مَجَالَ لالتِقَائِهِمَا، وَلِذَلِكَ فَلَا مَجَالَ لِلْقَوْلِ إن الليلَ سَابِقٌ لِلنَّهارِ، أَوْ إِنَّ النَّهارَ سَابِقٌ لِليلِ؛ وَكُلٌّ مِنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ وَغَيرِهِمَا يَسْبَحُ فِي الفَضَاءِ فِي فَلَكٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ أبداً.

يَسْبَحُونَ - يَسِيرُونَ أَوْ يَدُورُونَ.

﴿٤١﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ

(وَآيَةٌ)

(٤١) - وَمِنْ آيَاتِهِ تَعَالَى الدَّالَّةِ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ جَعَلَ البَشَرَ يَرْكَبُونَ السُّفُنَ المُحَمَّلَةَ بالبَضَائِعِ، التي يَنْقُلُونَهَا مِن قُطْرٍ إِلَى قُطرٍ آخَرَ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا خَلْقُ اللهِ فِي الأَقْطَارِ التي لَا تُنْتِجُ فِيهَا هَذِهِ المُنْتجَاتُ، وَلِيَسْتَفِيدُوا مِنْهَا بِالتِّجارَةِ والمُبَادَلَةِ.

ذُرِّيتَهُمْ - أَوْلَادَهُمْ وَضُعَفَاءَهُمْ.

المَشْحُونِ - المَمْلُوءِ بِالبَضَائِعِ.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾

(٤٢) ـ وَخلَقَ اللهُ تَعَالَى لِلْعِبَادِ وَسَائِلَ نَقْلٍ أُخْرَى تُمَاثِلُ السُّفُنَ التي تَمْخُرُ عُبَابَ البِحَارِ. مِنْهَا الإبل، وَحيَوَانَاتُ الجرِّ والنَّقْلِ.. كَالْخَيْلِ والبِغَالِ والحَمِيرِ والفِيَلَةِ وغَيْرِهَا، وَمِنْهَا الوَسَائِلُ الحَدِيثَةُ مِنْ سُفُنٍ وَقُطُرٍ وَمَرْكَبَاتٍ.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾

(٤٣) ـ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُغْرِقَ الذِينَ يَرْكَبُونَ السُّفُنَ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ إغْرَاقَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مُغِيثاً مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَلَا يَجِدُونَ مُنْقِذاً يُنْقِذُهُمْ مِنَ الغرَقِ.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

(وَمَتَاعاً)

(٤٤) ـ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُسَيِّرُ العِبَادَ فِي البَحْرِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَيَحْفَظُهُمْ مِنَ الغَرَقِ، وَيُمَتِّعُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِلَى أَنْ تَحِينَ آجَالُهُم المُحَدَّدَةُ لَهُمْ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾

(٤٥) ـ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ، المُكَذِّبِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ٱحْذَرُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُكَذِّبِي الأُمَمِ الخَالِيَةِ، مِنْ دَمَارٍ وَهَلَاكٍ، وٱخْشَوا عَذَابَ اللهِ الذِي يَسْتَقْبِلُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَآمِنُوا بِاللهِ، وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ، وَٱعْمَلُوا صَالِحاً لَعَلَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْكُمْ وَيَرْحَمُكُمْ.. أَعْرَضُوا مُسْتَكْبِرِينَ، وَظَلُّوا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ سَادِرِينَ.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾

(آيَةٍ) (آيَاتِ)

(٤٦) ـ فَكَانُوا كُلَّمَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ، بَادَرُوا إِلَى تَكْذِيبِهَا، وَالإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَلَمْ يُكَلِّفُوا أَنْفُسَهُمْ عَنَاءَ النَّظَرِ والتَّعَمُّقِ فِيهَا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

(آمَنُوا) (ضَلَالٍ)

(٤٧) ـ وَإِذَا أُمِرُوا بِالإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُم اللهُ عَلَى الفُقَرَاءِ والمُحْتَاجِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ، قَالُوا لِمَنْ أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ.

أَتَأمُروننا بِأَنْ نُنْفِقَ أَمْوَالَنَا عَلَى أُنَاسٍ لَوْ شَاءَ اللهُ لَأَغْنَاهُمْ، وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ رِزْقِهِ، فَنَحْنُ فِي عَدَمِ الإِنْفَاقِ إِنَّمَا نُوَافِقُ مَشِيئَةَ اللهِ التي اقْتَضَتْ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ فُقَرَاءَ، وَأَنْتُمْ بِأَمْرِكُم إِيَّانَا بالإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ فِي ضَلَالٍ وَجَهَالَةٍ وَاضِحَيْنِ لِأَنَّكُمْ تَأْمُرُونَنَا بِمُعَانَدَةِ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى. وَقَدْ تَذَرَّعَ هَؤُلَاءِ بِهَذِهِ الحُجَجِ الوَاهِيَةِ مِنَ الشبه لِيَسْتُرُوا بُخْلَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ أَنْ يُنْفِقُوهَا فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ اللهُ، وَفِي مُوَاسَاةِ عِبَادِ اللهِ، واللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرْزُقَ جَمِيعَ خَلْقِهِ. وَلَكِنَّهُ يَبْتَلِي الخَلْقَ بِالأَوَامِرِ والزَّوَاجِرِ لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُ أَمرَهُ،

وَيَمْتَثِلُ لِمَشِيئَتِهِ، وَمَنْ يُعْرِضُ عَنْ ذَلِكَ.

(٤٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(صَادِقِينَ)

(٤٨) - وَيَقُولُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ، ٱسْتِهْزَاءً وَإِنْكَاراً لِقِيَامِ السَّاعَةِ والحِسَابِ وَالجَزَاءِ: مَتَى يَقَعُ البَعْثُ الذِي تُخَوِّفُونَنَا بِهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ؟

(٤٩) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ

(وَاحِدَةً)

(٤٩) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى سُؤَالِ هَؤُلَاءِ المُكَذِّبِينَ المُسْتَهْزِئِينَ بِالرُّسُلِ: إِنَّهُمْ لَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا نَفْخَةً وَاحِدَةً فِي الصُّورِ فَتَأْخُذُ جَمِيعَ من فِي الأَرْضِ مِنَ الخَلَائِقِ بَغْتَةً، وَهُمْ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ، يَتَجَادَلُونَ وَيَتَخَاصَمُونَ فِي شُؤُونِ الدُّنْيَا، فَتَصْعَقُ الخَلَائِقُ جَمِيعاً.

صَيْحَةً وَاحِدَةً - نَفْخَةَ المَلَكِ فِي الصُّورِ التي تَصْعَقُ أَهْلَ الأَرْضِ.

يَخِصِّمُونَ - يَتَخَاصَمُونَ فِي أُمُورِهِمْ وَهُمْ غَافِلُونَ.

(٥٠) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ

(٥٠) - فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعْهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ إِلَى أَحَدٍ لِيَرْعَاهَا لَهُمْ (تَوْصِيَةً)، إِذ لَا يُمْهَلُونَ لِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَنْ كَانَ بَعِيداً عَنْ دَارِهِ وَأَهْلِهِ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ، إِذْ تَبْغتُ الصَّيْحَةُ الخَلَائِقَ فَيَمُوتُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَيْثُ هُوَ قَائِمٌ.

(٥١) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ

(٥١) - ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ أُخْرَى (هِيَ نَفْخَةُ النُّشُورِ)، فَتَخْرُجُ الأَمْوَاتُ مِنَ القُبُورِ أَحْيَاءً، وَيُسْرِعُونَ فِي الخُرُوجِ والمَشْيِ إِلَى المَحْشَرِ لِيَقِفُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعَالَى.

الأَجْدَاثِ - القُبُورِ.

يَنْسِلُونَ - يُسْرِعُونَ فِي الخُرُوجِ والمَشْيِ.

(٥٢) قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ

سكتة لطيفة على الألف

(يَا وَيْلَنَا)

(٥٢) - فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ بَعَثَنَا مِنْ قُبُورِنَا التي كُنَّا نَرْقُدُ فِيهَا بَعْدَ حَيَاتِنَا الدُّنْيَا (فَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَانُوا لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِذَلِكَ يَسْتَغْرِبُونَ بَعْثَهُمْ هَذَا).

وَيَرُدُّ عَلَيْهِم المُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ: هَذَا البَعْثُ الذِي تَرَوْنَهُ هُوَ الذِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ بِهِ عِبَادَهُ، وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ فِي إِخْبَارِهِمْ عَنْهُ.

(أَوْ أَنَّ هَذَا القَوْلَ يَقُولُهُ المُتَسَائِلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ).

﴿٥٣﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ

(وَاحِدَةً)

(٥٣) - وَلَمْ يَحْتَجِ الأَمْرُ فِي بَعْثِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى الحَيَاةِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ صَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَنَفْخَةٍ فِي الصُّورِ، فَإِذَا جَمِيعُ الخَلاَئِقِ قَدْ أُحْضِرُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى لِلْحِسَابِ والجَزَاءِ.

مُحْضَرُونَ - نُحْضِرُهُمْ لِلْحِسَابِ والجَزَاءِ.

﴿٥٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٥٤) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ تُنْقَصُ نَفْسٌ أَجْرَ شَيْءٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ، وَلاَ يُزَادُ لَهَا شَيْءٌ فِي سَيِّئَاتِهَا وَذُنُوبِهَا، وَلاَ تُجْزَى نَفْسٌ إِلَّا بِمَا عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا.

﴿٥٥﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ

(أَصْحَابَ) (فَاكِهُونَ)

(٥٥) - وَيَكُونُ أَصْحَابُ الجَنَّةِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ فَرِحِينَ سُعَدَاءَ يَتَمَتَّعُونَ بِلَذَّاتِهَا، وَيَكُونُونَ فِي شُغُلٍ بِذَلِكَ النَّعِيمِ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الشَّوَاغِلِ.

الفَاكِهُ - الفَرِحُ المُسْتَبْشِرُ، الضَّحُوكُ، الهَادِئُ النَّفْسِ.

﴿٥٦﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ

(وَأَزْوَاجُهُمْ) (ظِلاَلٍ) (الْأَرَائِكِ)

(٥٦) - وَيَكُونُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ وَارِفَةٍ لاَ يُصِيبُهُم فِيهَا لَفْحُ الشَّمْسِ، وَهُمْ جَالِسُونَ عَلَى الأَرَائِكِ، وَمُتَّكِئُونَ عَلَيْهَا فِي وَضْعِ المُنعَّمِ المُرْتَاحِ فِي جِلْسَتِهِ.

الأَرَائِكُ - السُّرُرُ.

﴿٥٧﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ

(فَاكِهَةٌ)

(٥٧) - وَلَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ، وَكُلُّ مَا يَتَمَنَّوْنَهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ.

يَدَّعُونَ - يَتَمَنَّوْنَ أَوْ يَطْلُبُونَ.

﴿٥٨﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ

(سَلاَمٌ)

(٥٨) - وَيُقَالُ لَهُم: سَلاَمٌ قَوْلاً صَادِراً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: بَينَا يَكُونُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ عَلَيْهِمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ). قَالَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُم، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ وَفِي دِيَارِهِمْ) (أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ).

وَقَوْلاً - مَصْدَرٌ - أَيْ يَقُولُ اللهُ ذَلِكَ قَوْلاً.

٥٩ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ

(وامتازوا)

(٥٩) - وَيُؤْمَرُ المُجرِمُونَ بِالامْتِيَازِ عَنِ المُؤْمِنِينَ فِي مَوْقِفِهِمْ، وَبِاعْتِزَالِهِمْ وَبِدُخولِ النَّارِ.

امتازوا - تميّزوا وانفردوا عَنِ المُؤْمِنِينَ.

٦٠ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ

ربع الحزب ٤٥

(يَا بَنِي) (آدَم) (الشَّيْطَانَ)

(٦٠) - أَلَمْ أُوصِكُم يَا بَنِي آدَمَ أَنْ تَتْرُكُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِيمَا يُوَسْوِسُ لَكُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، لأَنَّهُ عَدُوٌّ لَكُمْ ظَاهِرُ العَدَاوَةِ، وَكَانَ عَدُواً لأَبِيكُم آدَمَ مِنْ قَبْلُ. فَقَدْ خَلَقْتُ لَكُمُ العُقُولَ لِتُدْرِكُوا بِهَا الأَشْيَاءَ، وَتُفَرِّقُوا بَيْنَ الخَيْرِ والشَّرِّ، والحَسَنِ والقَبِيحِ، وَنَصَبْتُ لَكُم الأَدِلَّةَ فِي الأَنْفُسِ والآفَاقِ عَلَى وُجُودِ خَالِقِكُم، وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَرْسَلْتُ لَكُم الأَنْبِيَاءَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ الكُتُبَ وَفِيهَا الشَّرَائِعُ وَأُمُورُ الدِّينِ، لِيَعِظُوكُمْ بِهَا، وَلِيَدْعُوكُم إِلَى مَا فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ.

أَلَمْ أَعْهَدْ - أَلَمْ أُوصِكُمْ وَأُكَلِّفْكُمْ.

٦١ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ

(صِرَاطٌ)

(٦١) - وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِعِبَادَتِي وَحْدِي، وَبِإِطَاعَةِ أَمْرِي، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ. وَهَذَا الذِي أَمَرْتُكُم بِهِ مِنْ عِبَادَتِي، والذِي نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنْ إِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ، هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ المُوصِلُ إِلَيَّ، وَلَكِنَّكُمْ سَلَكْتُم غَيْرَه، وَاتَّبَعْتُمْ سَبِيلَ الشَّيْطَانِ فَضَلَلْتُم، وَكَانَتْ عَاقِبَتُكُمْ سَيِّئَةً.

٦٢ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ

(٦٢) - وَلَقَدْ أَضَلَّ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ خَلْقاً كَثِيراً (جِبلاً) عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُم، أَفَلَمْ تَكُنْ لَكُم عُقُولٌ تُدْرِكُونَ بِهَا أَنَّكُم الخَاسِرُونَ فِي مُخَالَفَةِ أَمْرِ رَبِّكُمْ، وَفِي إِطَاعَةِ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ.

جِبِلّاً - خَلْقاً أَوْ جَمَاعَةً عَظِيمَةً.

٦٣ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ

(٦٣) - وَيُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ هِيَ جَهَنَّمُ التي كَانَتِ الرُّسُلُ تُحَذِّرُكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ لَهِيبِهَا وَسَعِيرِهَا، إِذَا أَقَمْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ بِاللهِ، وَضَلالِكُمْ وَإِطَاعَتِكُم أمرَ الشَّيْطَانِ.

٦٤ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ

(٦٤) - فَادْخُلُوا النَّارَ، وَذُوقُوا سَعِيرَهَا اليَوْمَ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِكُم رُسُلَهُ، وَإِنْكَارِكُمُ الحَشْرَ والحِسَابَ والنَّارَ.

اصْلَوْهَا - ادْخُلُوهَا وَقَاسُوا حَرَّهَا

٦٥ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ

(أفواههم)

(٦٥) - وفي يوم القيامة يُنكِرُ الكُفَّارُ والمُجْرِمُونَ ما ٱجْتَرَحُوا في الدُّنْيا مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ وَآثامٍ ، وَيَحْلِفُونَ باللهِ رَبِّهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا مُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُمْ ما فَعَلُوا ما وَجَدُوهُ في صُحُفِ أَعْمالِهِمْ. . . فَيَخْتِمُ اللهُ تَعالَى عَلَى أَفْواهِهِمْ كَيْلا تَنْطِقَ، وَيَسْأَلُ جَوارِحَهُمْ (أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَأَعْيُنَهُمْ) عَمّا ٱرْتَكَبُوهُ مِنَ الفُسُوقِ والمَعاصِي . . فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ.

٦٦ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ

(الصِّراطَ)

(٦٦) - وَلَوْ يَشاءُ اللهُ تَعالَى لَعاقَبَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ فَطَمَسَ أَعْيُنَهُمْ فَجَعَلَهُمْ عُمْياً لا يُبْصِرُونَ طَرِيقاً، وَلا يَهْتَدُونَ إِلى سَبِيلٍ ، فَيَأْخُذُونَ في التَّدافُعِ ، مُتَزاحِمِينَ عَلَى الصِّراطِ لِيَعْبُرُوهُ، فَيَتَساقَطُونَ عَنْهُ في النّارِ.

(وَقالَ ٱبْنُ عَبّاسٍ في تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: وَلَوْ نَشاءُ لأَضْلَلْناهُمْ عَنِ الهُدَى فَكَيْفَ يَهْتَدُونَ؟).

لَطَمَسْنا عَلَى أَعْيُنِهِمْ - لَصَيَّرْناها مَمْسُوخَةً لا يُرَى لَها فَتْحَةٌ

فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ - ٱبْتَدَرُوا الطَّرِيقَ لِيَجُوزُوهُ.

فَأَنَّى يُبْصِرُونَ - فَكَيْفَ يُبْصِرُونَ الطَّرِيقَ وَقَدْ طُمِسَت أَعْيُنُهُمْ.

٦٧ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ

(لَمَسَخْناهُمْ) (اسْتَطاعُوا)

(٦٧) - وَلَوْ نَشاءُ تَغْيِيرَ صُوَرِهِمْ لَغَيَّرنا خَلْقَهُمْ، مِنْ حالِهِمْ تِلْكَ، إِلى حالٍ أَسْوأَ وَأَقْبَحَ ، فَجَعَلْناهُمْ قِرَدَةً وَخَنازِيرَ أَوْ حِجارَةً فَيَلْزَمُونَ حالاً واحِدَةً، لا يَتَقَدَّمُونَ عَنْها، وَلا يَتَأَخَّرُونَ.

(أَوْ فَيَلْزَمُونَ أَماكِنَهُمُ التي هُمْ فِيها لا يَتَقَدَّمُونَ إلى الأَمامِ ، ولا يَتَأَخَّرونَ إلى الوَراءِ).

٦٨ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ

(٦٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى أَنَّهُ يَرُدُّ الذِينَ يَطُولُ عُمْرُهُمْ إِلى الضَّعْفِ والعَجْزِ، بَعْدَ القُوَّةِ والنَّشاطِ ، أَفَلا يَعْقِلُ هؤُلاءِ وَيَتَفَكَّرُونَ فِيما كانُوا عَلَيْهِ في ٱبْتِداءِ خَلْقِهِمْ، ثُمَّ ما صارُوا إِلَيْهِ في شَيْخُوخَتِهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الدّارَ الدُّنْيا زائِلَةٌ، وَأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِدارٍ أُخْرَى غَيرِها دائِمَةٍ؟

نُعَمِّرْهُ - نُطِيلُ عُمْرَهُ.

نُنَكِّسْهُ في الخَلْقِ - نَرُدُّهُ إِلى أَرْذَلِ العُمْرِ.

٦٩ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ

(عَلَّمْناهُ) (قُرآنٌ)

(٦٩) - وَما عَلَّمْنا رَسُولَنا الشِّعْرَ، وَما يَصِحُّ لَهُ، وَلا يَلِيقُ بِهِ، بِسَبَبِ مَكانَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ، أَنْ يَكُونَ شاعِراً، وَإِنَّ الشِّعْرَ لا يَصْلُحُ لَهُ، لأَنَّ الشِّعْرَ

﴿٧٠﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ

﴿٧١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ

﴿٧٢﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ

﴿٧٣﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ

﴿٧٤﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ

﴿٧٥﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ

تُثِيرُهُ فِي النَّفْسِ أَهْوَاءٌ وَضَغَائِنُ، والشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ، وَالدِّيَانَاتُ، تَتَنَزَّهُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الذِي يَجْرِي عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحمدٍ ﷺ هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ وَاضِحٌ، مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ.

(الْكَافِرِينَ)

(٧٠) - لِيَنْتَفِعَ بِذِكْرِهِ وَإِنْذَارِهِ مَنْ كَانَ حَيَّ القَلْبِ، مُسْتَنِيرَ البَصِيرَةِ، فَيَرْشُدَ بِهَدْيِهِ. أَمَّا الكَافِرُونَ الذينَ هُمْ فِي حُكْمِ الأَمْوَاتِ فَإِنَّ كَلِمَةَ العَذَابِ تَحِقُّ عَلَيْهِمْ لِقِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَالقُرْآنُ رَحْمَةٌ لِلمُؤْمِنِينَ، وَحُجَّةٌ عَلَى الكَافِرِينَ.

(أَنْعَاماً) (مَالِكُونَ)

(٧١) - أَوَ لَمْ يُشَاهِدْ هَؤُلاَءِ المُكَذِّبُونَ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ بِأَيْدِينَا أَنْعَاماً: مِنَ الإِبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ، يُصَرِّفُونَهَا كَيْفَ شَاؤُوا.

(ذَلَّلْنَاهَا)

(٧٢) - وَأَخْضَعْنَاهَا لَهُمْ، فَجعَلنَاهَا مُنقَادَةً يَرْكَبُونَها، وَيَحْمِلُونَ عَلَيْهَا، وَيَنْحَرُونَها، وَيَأْكُلُونَ مِن لُحُومِها.

ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ - صَيَّرْنَاهَا مُسَخَّرَةً مُنْقَادَةً لَهُمْ.

(مَنَافِعُ)

(٧٣) - وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ أُخْرَى غَيْرُ الرُّكُوبِ والنَّحْرِ، فَهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ جُلُودِها وَأَصْوَافِها وَأَلْبَانِهَا، وَيَسْتَخْدِمُونَهَا فِي أَعْمَالِ الرَّيِّ والحِرَاثَةِ وَغَيْرِهَا، أَفَلاَ يَشْكُرُ هَؤُلاَءِ الكَافِرُونَ نِعْمَةَ رَبِّهِمْ بِالقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؟

(آلِهَةً)

(٧٤) - واتَّخَذَ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، طَمَعاً فِي أَنْ تَنْصُرَهُمْ، وَتَدْفَعَ عَنْهُم العَذَابَ، وَأَنْ تُقَرِّبَهم إِلَى اللهِ زُلْفَى.

(٧٥) - وَلَكِنَّ هَذِهِ الآلِهَةَ التي اتَّخَذُوهَا وعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ، لاَ تَسْتَطِيعُ نَصْرَهُمْ وَلاَ رِزْقَهُمْ وَلاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقَرِّبَهم إِلَى اللهِ، وَهَذِهِ الأَصْنَامُ والمَعْبُودَاتُ سَتُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهِيَ ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ، وَسَتَحْضُرُ مَعَ عَابِدِيهَا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ يَزِيدُ اللهُ حُزْنَ عَابِدِيهَا وَأَلَمَهُمْ، إِذْ إِنَّهُمْ عَبَدُوا مَالاَ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ الوَاحِدِ القَهَّارِ.

وَقَدْ كَانَ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ كَالجُنْدِ حَوْلَ هَذِهِ الآلِهَةِ يَذُبُّونَ عَنْهَا، وَيَدْفعُونَ عَنْهَا مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِهَا شَرّاً، وَهِيَ فِي الآخِرَةِ لاَ تَنْفعُهُمْ وَلاَ تَنْصُرُهُمْ.

جُنْدٌ مُحْضَرُونَ - الأَصْنَامُ جُنْدٌ مُعَدُّونَ لِلْكُفَّارِ، وَنُحْضِرُهُمْ مَعَهُمْ فِي النَّارِ.

﴿٧٦﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

(٧٦) - فَلاَ يَحْزُنْكَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلاَءِ المُكَذِّبُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ عَنْكَ: سَاحِرٌ وَشَاعِرٌ وَمَجْنُونٌ. وَلاَ تَحْزَنْ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا يَقُولُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَمَا يُسِرُّونَهُ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَمَا يُخْفُونَهُ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ جَمِيعاً الجَزَاءَ الأَوْفَى.

﴿٧٧﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ

(الإِنْسَانُ) (خَلَقْنَاهُ)

(٧٧) - جَاءَ أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ عَظْمٌ رَمِيمٌ، أَخَذَ يَفُتُّه وَيَذْرُوه بِيَدِيهِ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ:

أَتَزْعمُ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

نَعَمْ يُمِيتُكَ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ يَبْعَثُكَ، ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَى النَّارِ.

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ والتي تَلِيهَا.

وَالآيَةُ عَامَّةٌ فِيهَا رَدٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ والنُّشُورَ. وَفِيهَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَوَ لَمْ يَسْتَدِلَّ كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ بِالبَدْءِ عَلَى الإِعَادَةِ؟ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ حَقِيرَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا شَيْئاً يُذْكَرُ، ثُمَّ جَعَلَهُ بَشَراً سَوِيّاً، فَأَخَذَ يُخَاصِمُ رَبَّهُ، وَيُنْكِرُ قُدْرَتَهُ عَلَى إِحْيَاءِ العِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ بَالِيَةٌ؟

﴿٧٨﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ

(الْعِظَامَ) (يُحْيِي)

(٧٨) - وَذَكَرَ أَمْراً عَجِيباً يَنْفِي بِهِ قُدْرَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ الخَلْقِ، بَعْدَ أَنْ يَمُوتُوا، وَتَبْلَى عِظَامُهُمْ، وَتُصْبحَ رَمِيماً، فَقَالَ: مَنْ يُحْيِي العِظَامَ حِينَما تُصْبِحُ رَمِيماً؟

وَنَسِيَ هَذَا الإِنْسَانُ الخَصِيمُ خَلْقَ اللهِ لَهُ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ مَهِينَةٍ، ثُمَّ جَعْلَهُ بَشَراً سَوِيّاً. وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لاَ يُعْجِزُهُ أَنْ يُعِيدَ الأَمْوَاتَ إِلَى الحَيَاةِ.

﴿٧٩﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

(٧٩) - فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ مُذَكِّراً بِمَا نَسُوهُ مِنْ خَلْقِهِمْ مِنْ عَدَمٍ: يُحْيِي العِظَامَ الذِي أَنْشَأَهَا وَخَلَقَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ عَدَمٍ، وَهُوَ العَلِيمُ بِالعِظَامِ، وَأَيْنَ تَفرَّقَتْ فِي الأَرْضِ، وَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ خَلْقِهِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ رَجُلاً حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ وَآيَس مِنَ الحَيَاةِ، فَأَمَرَ بَنِيهِ أَنْ يَحْرِقُوهُ، ثُمَّ يَسْحَقُوهُ، ثُمَّ يَذرُوا نِصْفَه فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ فِي يَومٍ رَائِحٍ (شَدِيدِ الرِّيحِ)، فَفَعَلُوا ذَلِكَ. فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ؛ وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ. فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَمَا تَلاَهُ أَنْ غَفَرَ لَهُ). (رواه الإمام أحمد).

٨٠ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ

(٨٠) - وَهُوَ تَعَالَى الذِي بَدَأَ خَلْقَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ مِنْ مَاءٍ حَتَّى صَارَ خَضِراً نَضِراً، ثُمَّ أَعَادَه حَطَباً يَابِساً تُوقَدُ بِهِ النَّارُ، وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَ بَعْثَ الشَّجَرِ اليَابِسِ أَخْضَرَ نَضِراً، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى فِعْلِ مَا يُرِيدُ، لاَ يَمْنَعُهُ شَيءٌ. وَقِيلَ إِنَّ المُرَادَ بِذَلِكَ شَجَرُ المَرخِ والعَفَارِ، الذِي يَنْبُتُ فِي أَرْضِ الحِجَازِ فَيَأْتِي مَنْ أَرَادَ قَدْحَ نَارٍ وَلَيْسَ مَعَهُ زِنَادٌ فَيَأْخُذُ مِنْهُ عُودَيْنِ أَخْضَرَينَ وَيَقْدَحُ أَحَدَهُمَا بِالآخرِ فَتَتَوَلَّدُ النَّارُ بَيْنَهُما كَالزِّنَادِ سَوَاءً.

٨١ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ

(السَّمَاوَاتِ) (بِقَادِرٍ) (الْخَلاَّقُ)

(٨١) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى الكَافِرِينَ المُنْكِرِينَ قُدْرَتَهُ عَلَى بَعْثِ العِظَامِ بَعْدَ أَنْ تُصْبِحَ رَمِيماً، إِلَى أَنَّ خَلْقَ مِثْلِ هَذِهِ العِظَامِ الرَّمِيمِ لَيس بِأَعْظَم مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ بِمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبَ وَمَخْلُوقَاتٍ وَكَوَاكِبَ..

وَإِذَا كَانَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَهُوَ الأَعْظَمُ، لَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعْجِزْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ إِعَادَةَ بَعْثِ الإِنْسَانِ، وَهُوَ الأَسْهَلُ، لَنْ يَتَعَذَّر عَلَيْهِ.

بَلَى إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِمْ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَدُّهُ هُوَ الخَلاَّقُ، الذِي خَلَقَ كُلَّ مَا فِي الوُجُودِ، العَلِيمُ بِخَلْقِهِ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَا يَتَفَتَّتُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، وَيَتَبَعْثَرُ فِي التُّرَابِ، وَلاَ يَفُوتُهُ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ.

بَلَى - إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ مِثْلِهِمْ.

٨٢ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

(٨٢) - وَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى خَلْقَ شَيءٍ، فَإِنَّهُ يَقُولُ لِلشَّيءِ: كُنْ فَيَكُونُ وَيَحْدُثُ فَوْراً دُونَ إِبْطَاءٍ. وَأَمْرُهُ تَعَالَى لاَ يَتَكَرَّرُ، كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى **﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ﴾**[1].

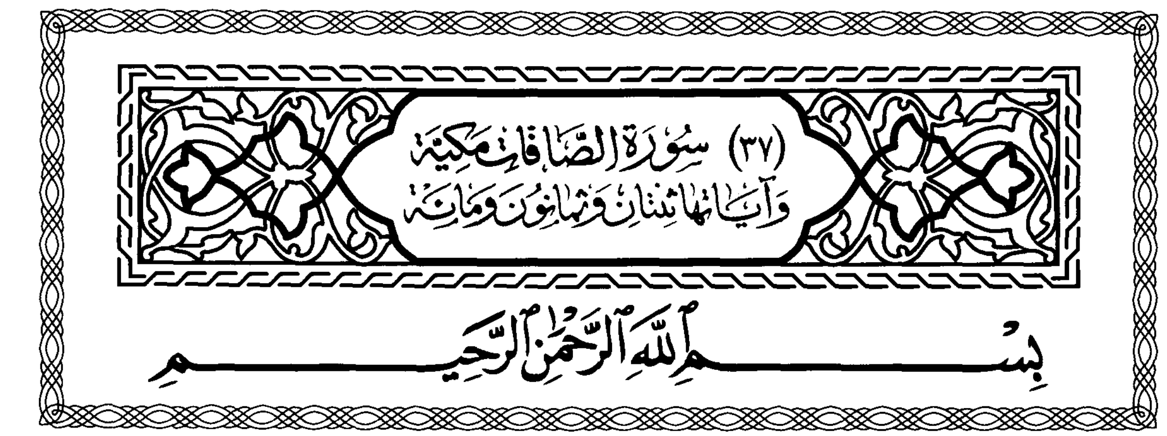
(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

﴿٨٣﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ

(فَسُبْحَانَ)

(٨٣) ـ تنَزَّهَ اللهُ رَبُّنَا الذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ الأُمُورِ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ عَنْ كُلِّ سُوءٍ. وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، إِنْ خَيْراً فَخَيْراً وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً.

مَلَكُوتُ ـ المُلْكُ التَّامُّ العَظِيمُ.



(١) وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا

(٢) فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا

(٣) فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا

(٤) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ

(٥) رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ

(الصَّافَّاتِ)

(١) - قَسَماً بِالمَلاَئِكَةِ الذِينَ يُتِمُّونَ صُفُوفَهُمْ، وَيَتَرَاصُّونَ فِيهَا وَهُمْ وُقُوفٌ فِي مَقَامِ العُبُودِيَّةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ فَقَالَ المُسْلِمُونَ: وَكَيْفَ تَصُفُّ المَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ المُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ). (رَوَاهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ).

(فَالزَّاجِرَاتِ)

(٢) - وَقَسَماً بِالمَلاَئِكَةِ الذِينَ يَرْدَعُونَ النَّاسَ عَنْ الشَّرِّ وَالمَعَاصِي بِالإِلْهَامِ، وَيَزْجُرُونَهُمْ زَجْراً شَدِيداً.

الزَّجْرُ - السَّوْقُ أَوِ الحَثُّ، أَوْ هُوَ المَنْعُ وَالنَّهْيُ.

(فَالتَّالِيَاتِ)

(٣) - وَقَسَماً بِالمَلاَئِكَةِ الذِينَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ.

(لَوَاحِدٌ)

(٤) - لَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالمَلاَئِكَةِ الذِينَ يُتِمُّونَ صُفُوفَهُمْ، وَيَزْجُرُونَ الأَشْرَارَ عَنِ المَعَاصِي وَالشُّرُورِ، وَيَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ عَلَى رُسُلِهِ، عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ مَعْبُودَ سِوَاهُ (وَهَذَا هُوَ جَوَابُ القَسَمِ).

(الْمَشَارِقِ) (السَّمَاوَاتِ)

(٥) - لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَخَالِقُهُمَا، وَخَالِقُ مَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ بِالكَوْنِ بِتَسْخِيرِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ كَوَاكِبَ تَطْلُعُ مِنَ المَشْرِقِ، وَتَغْرُبُ فِي المَغْرِبِ. وَقَدِ اكْتَفَى بِذِكْرِ المَشَارِقِ عَنِ المَغَارِبِ لِدَلاَلَةِ النَّصِّ عَلَيْهِ. وَبِمَا أَنَّ لِكُلِّ كَوْكَبٍ مَشَارِقَ مُتَعَدِّدَةً لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: رَبُّ المَشَارِقِ، وَلَمْ يَقُلْ رَبُّ المَشْرِقِ.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾

(٦) - وَقَدْ جعَلَ اللهُ تَعَالَى الكَوَاكِبَ زِينَةً فِي السَّمَاءِ القَرِيبَةِ مِنَ الأَرْضِ (الدُّنْيا)، وَجعَلَهَا لأَهْلِ الأَرْضِ ضِيَاءً وَزِينَةً.

(شَيْطَانٍ)

(٧) - وَحَفِظَ اللهُ السَّمَاءَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُتَمَرِّدٍ عَاتٍ فَإِذَا تَجَاوَزَ هَذَا الشَّيْطَانُ حُدُودَهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَرِقَ السَّمْعَ أَتَاهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ.

مَارِدٌ - مُتَمَرِّدٌ خَارِجٌ عَنِ الطَّاعَةِ.

(٨) - وَيُمْنَعُ عُتَاةُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الاسْتِمَاعِ إِلَى مَا يَجْرِي فِي المَلأَ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِيهَا مِنَ المَلائِكَةِ، وَإِذَا حَاوَلُوا الوُصُولَ إِلَى ذَلِكَ المَقَامِ لِيَسْتَمِعُوا إِلَى مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ المَلائِكَةُ، فَإِنَّهُم يُرْمَوْنَ بِالشُّهُبِ، وَيُرَدُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ يُرِيدُونَ بُلُوغَ السَّمَاءِ مِنْهُ.

يُقْذَفُونَ - يُرْجَمُونَ.

(٩) - وَيُدْحَرُونَ دُحُوراً، وَيُزْجَرُونَ بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ، وَيُمْنَعُونَ مِنَ الوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ وَيُرْجَمُونَ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ دَائِمٌ مُوجِعٌ مُسْتَمِرٌّ.

دُحُوراً - يُبْعَدُونَ إِبْعَاداً وَيُطْرَدُونَ طَرْداً.

وَاصِبٌ - دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ.

(١٠) - إِلَّا مَن اخْتَطَفَ مِنَ الشَّيَاطِينِ الكَلِمَةَ التِي يَسْمَعُهَا مِنَ المَلأَ الأَعْلَى (الخَطْفَةَ)، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَيُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى الذِي تَحْتَهُ فَرُبمَا أَدْرَكَه شِهَابٌ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيهَا، وَقَدْ يُلْقِيهَا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ الشِّهَابُ، فَيَنْقُلُهَا الآخَرُ إِلَى الكَاهِنِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ.

خَطِفَ الخَطْفَةَ - آخْتَلَسَ الكَلِمَةَ مُسَارَقَةً.

شِهَابٌ - مَا يُرى كَالكَوَاكِبِ مُنْقَضّاً مِنَ السَّمَاءِ.

ثَاقِبٌ - شَدِيدُ الضَّوْءِ أَوْ مُحْرِقٌ.

(خلَقْنَاهُمْ)

(١١) - فَسَلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلاءِ المُنْكِرِينَ لِلبَعْثِ والنُّشُورِ: أَيُّ شَيْءٍ أَصْعَبُ خَلْقاً وَإِيْجَاداً (أَشَدُّ خَلْقاً)؟ هُمْ أَمِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَوَالِمَ وَمَخْلُوقَاتٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى؟ وَبِمَا أَنَّهُمْ يُقِرُّونَ أَنَّ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ أَصْعَبُ خَلْقاً مِنْهُمْ، وَلِهَذَا فَإِنَّ الأَمْرَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَلِمَاذَا يُنْكِرُونَ البَعْثَ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا أَنْكَرُوا؟

مَعَ أَنَّهُمْ هُمْ قَدْ خُلِقُوا مِنْ شَيءٍ ضَعِيفٍ مَهِينٍ، إِنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ طِينٍ لَزِجٍ يُمْكِنُ أَنْ يَلْتَصِقَ بِاليَدِ (طِينٍ لاَزِبٍ)، فَلِمَاذَا يَسْتَبْعِدُونَ إِعَادَةَ خَلْقِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى؟

طِينٍ لاَزِبٍ - لَزِجٍ مُلْتَصِقٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ أَوْ بِاليَدِ.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ١٢﴾

(١٢) - إِنَّكَ تَعجبُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ إِنْكَارِ هَؤُلاَءِ الكَفَرَةِ المُعَانِدِينَ لِلبَعْثِ، مَعَ تَضَافُرِ الأَدِلَّةِ وَالبَرَاهِينِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى صِدْقِ رِسَالَتِكَ، وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْ تَعَجُّبِكَ مِنْهُمْ، وَمِنْ تَأْكِيدِكَ صِحَّةَ قَوْلِكَ عَنْ حُدُوثِ البَعْثِ لاَ مَحَالَةَ.

يَسْخَرُونَ - يَهْزَؤُونَ بِتَعَجُّبٍ.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ١٣﴾

(١٣) - وَهُمْ لِقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ إِذَا وُعِظُوا لاَ تَنْفَعُهُم المَوْعِظَةُ، لأَنَّهُمْ قَدْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الذُّنُوبِ والخَطَايَا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ١٤﴾

(آيَةً)

(١٤) - وَإِذَا أُقِيمَتْ لَهُمُ الأَدِلَّةُ والمُعْجِزَاتُ التي تُرْشِدُ إِلَى صِدْقِ مَنْ يَعِظُهُمْ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِاللهِ وَآيَاتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الخَلْقِ، نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً مُتَضَاحِكِينَ مُسْتَهْزِئِينَ.

يَسْتَسْخِرُونَ - يُبَالِغُونَ فِي سُخْرِيَّتِهِمْ.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١٥﴾

(١٥) - وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا الذِي جِئْتَ بِهِ إِنْ هُوَ إِلاَّ سِحْرٌ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ لِلعِيَانِ.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ١٦﴾

(أَئِذا) (عِظاماً) (أَئِنَّا)

(١٦) - وَهَلْ سَنُبْعَثُ مِنْ قُبُورِنَا أَحْيَاءً بَعْدَمَا نَمُوتُ، وَبَعْدَ أَنْ تَبْلَى عِظَامُنَا وَأَجْسَادُنَا، وَتُصْبِحَ رَمِيماً؟

﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ١٧﴾

(آبَاؤُنَا)

(١٧) - وَهَلْ سَيُبْعَثُ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ أَيْضاً، وَقَدْ مَضَى عَلَى مَوْتِهِمْ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ، فَأَصْبَحَ بَعْثُهُمْ أَشَدَّ صُعُوبَةً وَغَرَابَةً، وَأَكْثَرَ اسْتِبْعَاداً؟

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ١٨﴾

(دَاخِرُونَ)

(١٨) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّكُمْ سَتُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بَعْدَ مَا تَصِيرُونَ تُرَاباً وَعِظَاماً رَمِيماً، وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ أَذِلاَّءُ (دَاخِرُونَ)، أَمَامَ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى البَالِغَةِ، التِي لاَ حُدُودَ لَهَا.

دَاخِرُونَ - صَاغِرُونَ أَذِلاَّءُ.

﴿١٩﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ

﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ

﴿٢١﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ

نصف الحزب ٤٥

﴿٢٢﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ

﴿٢٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ

﴿٢٤﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ

(وَاحِدَةٌ)

(١٩) ـ وَسَيَكُونُ أَمْرُ إِعَادَةِ بَعْثِكُمْ سَهْلاً يَسِيراً عَلَى اللهِ إِذْ يَأْمُرُ اللهُ بِأَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّوْرِ نَفْخَةً وَاحِدَةً فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاء يَنْظُرُونَ إِلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ بِهِ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ.

(يَا وَيْلَنَا)

(٢٠) ـ وَحِينَئِذٍ يَرْجِعُ الكَافِرُونَ المُنْكِرُونَ لِلبَعْثِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالمَلاَمَةِ قَائِلِينَ: يَا خَسَارَنَا وَيَا هَلاَكَنَا (يَا وَيْلَنَا) هَذَا هُوَ يَوْمُ الجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ (يَوْمُ الدِّينِ) الذي أَنْذَرَنَا بِهِ الرَّسُولُ، فَكَذَّبْنَاهُ، وَسَخِرْنَا مِنْهُ.

يَا وَيْلَنَا ـ يَا خَسَارَنَا وَيَا هَلاَكَنَا.

يَوْمُ الدِّينِ ـ يَوْمُ الحِسَابِ والجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ.

(٢١) ـ فَيُقَالُ لَهُمْ: (تقولُهُ المَلاَئِكَةُ، أَوْ يَقُولُهُ المُؤْمِنُونَ، أَوْ يَقُولُهُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَهُمْ يَتَنَاجَوْنَ): هَذَا هُوَ يَومُ الفَصْلِ، الذي يُفَرَّقُ فِيهِ بَيْنَ المُحْسِنِ والمُسِيءِ، وَيَمْتَازُ فِيهِ كُلٌّ مِنْهُمَا عَنِ الآخَرِ، ولَقَدْ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ وأَنْتُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(أَزْوَاجَهُمْ)

(٢٢) ـ وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المَلاَئِكَةَ بِأَنْ يُمَيِّزُوا الكُفَّارَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي المَوْقِفِ، وَبِأَنْ يَحْشُرُوا الظَّالِمِينَ مَعَ قُرَنَائِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ (أَزْوَاجِهِمْ). فَيُحْشَرُ أَصْحَابُ الزِّنَى مَعَ أَصْحَابِ الزِّنَى، وَأَصْحَابُ الرِّبَا مَعَ أَصْحَابِ الرِّبَا، وَعَابِدُو الأَوْثَانِ والأَصْنَامِ مَعَ الأَصْنَامِ التي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ.

أَزْوَاجَهُمْ ـ أَشْبَاهَهُمْ وَقُرَنَاءَهُمْ.

(صِرَاطِ)

(٢٣) ـ ثُمَّ يَأْمُرُ تَعَالَى المَلاَئِكَةَ الكِرَامَ قَائِلاً: أَرْشِدُوا هَؤُلاَءِ المُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ إِلَى طَرِيقِ جَهَنَّمَ، وَدُلُّوهُمْ عَلَيْهَا.

(مَسْؤُولُونَ)

(٢٤) ـ واحْبِسُوهُمْ فِي المَوْقِفِ (قِفُوهُمْ) حَتَّى يُسْأَلُوا عَمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَعَمَّا اجْتَرَحُوهُ مِنَ الآثَامِ والمَعَاصِي.

قِفُوهُمْ ـ احْبِسُوهُمْ فِي مَوْقِفِ الحِسَابِ.

(٢٥) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ

(٢٥) - ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ والتَّقْرِيعِ: مَا لَكُمْ لاَ يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً اليومَ، وَقَدْ كُنْتُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا تَتَنَاصَرُونَ؟
تَنَاصَرُونَ - يَنْصُرُ بَعْضُكُم بَعْضاً.

(٢٦) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ

(٢٦) - فَهُمُ اليَوْمَ لاَ يُنَازِعُونَ فِي الوُقُوفِ، وَلاَ يَتَمَرَّدُون، وَإِنَّمَا هُمْ مُنْقَادُونَ ذَلِيلُونَ مُسْتَسْلِمُونَ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى لاَ يُخَالِفُونَه، وَلاَ يَحِيدُونَ عَنْهُ.

(٢٧) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ

(٢٧) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى حَالَ الكُفَّارِ فِي ذَلِكَ المَوْقِفِ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُمْ يَتَلاَوَمُونَ فِي عَرَصَاتِ المَحْشَرِ، وَيَتَخَاصَمُونَ فِي دَرَكَاتِ النَّارِ، فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ التَّابِعُونَ، لِلرُّؤَسَاءِ المُضِلِّينَ لَهُمْ: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً، وَأَنْتُمُ الذِينَ كُنْتُم تُوَسْوِسُونَ لَنَا لِنَكْفُرَ.

(٢٨) قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ

(٢٨) - وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَمْنَعُونَنَا عَنِ الإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَتَأْتُونَنَا مِنَ النَّاحِيَةِ التي كُنَّا نَظُنُّ فِيهَا الخَيْرَ واليُمْنَ، وَتُرَغِّبُونَنَا فِيمَا كُنْتُمْ تَدِينُونَ بِهِ وَتَعْتَقِدُونَ، وَمِنْ ثَمَّ أَوْرَدْتُمُونَا مَوَارِدَ الهَلاَكِ.

(٢٩) قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ

(٢٩) - وَيَرُدُّ الرُّؤَسَاءُ المَتْبُوعُونَ عَلَى المُسْتَضْعَفِينَ مُنْكِرِينَ إِضْلاَلَهُمْ إِيَّاهُمْ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: لَيْسَ الأَمْرُ كَما تَزْعُمُونَ بَلْ كَانَتْ قُلُوبُكُم مُنْكِرَةً لِلإِيمَانِ، مُسْتَعِدَّةً لِلكُفْرِ والعِصْيَانِ.

(٣٠) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ

(سُلْطَانٍ) (طَاغِين)

(٣٠) - وَنَحْنُ لَمْ يَكُنْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَسِيلَةٍ نُكْرِهُكُمْ بِهَا عَلَى الكُفْرِ والغَوَايَةِ (أو لَمْ يَكُنْ لَنَا سَبَبٌ نَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ نُؤَكِّدَ لَكُمْ أَنَّنَا كُنَّا عَلَى صَوابٍ فِيمَا دَعَوْنَاكُم إِلَيْهِ)، وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُم أَنْتُمْ قَوْماً تَمِيلُونَ إِلَى الطُّغْيَانِ وَمُجَاوَزَةِ الحَقِّ، فَلِهَذَا اسْتَجَبْتُم لِدَعْوَتِنَا، وَتَرَكْتُم الحَقَّ الذِي جَاءَكُمْ بِهِ رُسُلُ رَبِّكُمْ.

قَوْماً طَاغِينَ - مُجَاوِزِينَ الحَدَّ فِي العِصْيَانِ والفَسَادِ.

(٣١) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ

(لَذَائِقُونَ)

(٣١) - وَيَقُولُ الكُبَرَاءُ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ: إِنَّهُمْ بِسَبَبِ آسْتِعْدَادِ نُفُوسِهِمْ لِلكُفْرِ والطُّغْيَانِ، وَتَجَاوُزِ الحَقِّ، وَالإِعْرَاضِ عَنِ الهُدَى، حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ أَنَّهُمْ مِنَ الأَشْقِيَاءِ الذَّائِقِينَ للعَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

فَحَقَّ عَلَيْنَا - ثَبَتَ وَوَجَبَ.

﴿٣٢﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ

(أَغْوَيْنَاكُمْ) (غَاوِينَ)

(٣٢) ـ وَإِنَّهُمْ دَعَوا المُسْتَضْعَفِينَ إِلَى مَا كَانُوا هُمْ فِيهِ مِنَ الغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ، فَاسْتَجَابَ المُسْتَضْعَفُونَ لَهُمْ، فَأَصْبَحُوا جَمِيعاً مِنَ الضَّالِينَ الغَاوِينَ، فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِمْ فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ.

أَغْوَيْنَاكُمْ ـ دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الغَيِّ فَاسْتَجَبْتُمْ.

﴿٣٣﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٣) ـ وَكَمَا اشْتَرَكَ الفَرِيقَانِ ـ الكُبَرَاءُ وَالمُسْتَضْعَفُونَ ـ فِي الضَّلَالَةِ، كَذَلِكَ يَشْتَرِكُونَ فِي العَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كُلٌّ مِنْهُمْ بِحَسَبِ عَمَلِهِ، وَمَرْتَبَتِهِ فِي الضَّلَالَةِ وَالغَوَايَةِ.

﴿٣٤﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ

(٣٤) ـ وَمِثْلُ هَذَا الجَزَاءِ العَظِيمِ يُوقِعُهُ اللهُ تَعَالَى بِالمُشْرِكِينَ وَفْقاً لِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَيُوجِبُهُ عَدْلُهُ بَيْنَ العِبَادِ.

﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ

(٣٥) ـ وَكَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا إِذَا دُعُوا إِلَى الإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، وَلُقِّنُوا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، نَفَرُوا مِنْهَا، وَأَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِهَا مُسْتَكْبِرِينَ.

﴿٣٦﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ

(أَئِنَّا) (لَتَارِكُو) (آلِهَتِنَا)

(٣٦) ـ وَيَقُولُونَ: هَلْ نَتْرُكُ آلِهَتَنَا الَّتِي وَرِثْنَا عِبَادَتَهَا عَنْ أَسْلَافِنَا الأَوَّلِينَ، اتِّبَاعاً لِقَوْلِ شَاعِرٍ مَجْنُونٍ يَهْذِي وَيَخْلِطُ فِي كَلَامِهِ؟

﴿٣٧﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ

(٣٧) ـ وَيُكَذِّبُهُم اللهُ تَعَالَى فِيمَا قَالُوا، وَيَذْكُرُ لَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ مُحَمَّداً جَاءَ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَهُوَ دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ، وَوَافَقَتْ دَعْوَتُهُ دَعْوَةَ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ، وَصَدَّقَتْ كُلُّ دَعْوَةٍ مِنْهُمَا الأُخْرَى، فَدَعْوَتُهُ صَدَّقَتِ الدَّعَوَاتِ السَّابِقَةِ، فَهُوَ لَيْسَ بِدْعاً فِي الرُّسُلِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ هَذَا حَالُهُ شَاعِراً مَجْنُوناً؟

﴿٣٨﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ

(لَذَائِقُو)

(٣٨) ـ إِنَّكُم أَيُّهَا الكُفَّارُ المُجْرِمُونَ سَتَذُوقُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ، وَسَتَخْلُدُونَ فِيهِ.

﴿٣٩﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٣٩) ـ وَلَا يَنَالُكُمْ مِنَ العَذَابِ إِلَّا مَا تَسْتَحِقُّونَهُ جَزَاءً لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُم مِنْ سَيِّءِ العَمَلِ فِي الدُّنْيَا.

﴿٤٠﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ

(٤٠) ـ أَمَّا عِبَادُ اللهِ المُخْلَصُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَذُوقُونَ العَذَابَ وَلَا يُنَاقَشُونَ فِي الحِسَابِ، بَلْ يَتَجَاوَزُ الرَّبُّ الكَرِيمُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيُثِيبُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً.

المُخْلَصِينَ ـ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمُ اللهُ لِطَاعَتِهِ.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾

(أولَئِكَ)

(٤١) - وَيُثِيبُهُم رَبُّهُم الكَرِيمُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِإِدْخَالِهِمُ الجَنَّةَ، وَيَتَمَتَّعُونَ فِيهَا بِكُلِّ مَا لَذَّ وَطَابَ، وَلَهُمْ فِيهَا رِزْقٌ كَرِيمٌ مَعْلُومٌ.

﴿فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾

(فَوَاكِهُ)

(٤٢) - وَتَأْتِيهِمُ الفَوَاكِهُ التي يَشْتَهُونَها، وَهُمْ مُكَرَّمُون مَخْدُومُون مُرَفَّهُونَ.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾

(جَنَّاتِ)

(٤٣) - وَيَأْتِيهِمْ رِزْقُهُم الكَرِيمُ وَهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾

(مُتَقَابِلِينَ)

(٤٤) - وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى أَسِرَّةٍ يُقَابِلُ بَعْضُها بَعْضاً، يَتَمَتَّعُونَ بِالإِينَاسِ، وَطِيبِ الحَدِيثِ، شَأْنَ المُتَحَابِّينَ.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾

(٤٥) - وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي جَلْسَتِهِمْ تِلْكَ، بِكُؤُوسٍ مِنْ خَمْرٍ مِنْ مَنَابِعَ جَارِيَةٍ لاَ تَنْقَطِعُ.

بِكَأْسٍ - بِخَمْرٍ أَوْ بِقَدَحٍ فِيهِ خَمْرٌ.

﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾

(لِلشَّارِبِينَ)

(٤٦) - لَوْنُها أَبْيَضُ صَافٍ مُشْرِقٌ، وَطَعْمُها لَذِيذُ المَذَاقِ، تَلَذُّ شَارِبِيهَا.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾

(٤٧) - وَهَذِهِ الخَمْرُ لاَ تُؤَثِّرُ فِي الأَجْسَامِ، وَلاَ تَغْتَالُ العُقُولَ، وَلاَ تُحدِثُ صُدَاعاً وَلاَ خُمَاراً، كَمَا هِيَ الحَالُ فِي خَمْرِ الدُّنْيَا، وَلاَ تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِي سَاعَةِ صَفْوِهِمْ وَأُنْسِهِمْ (يُنزَفُونَ) (وَقِيلَ بَلْ إِنَّ مَعْنَى يُنْزَفُونَ هُوَ أَنَّهَا لاَ تُذْهِبُ عُقُولَهُمْ، وَلاَ تَنْزِفُهَا بالسُّكْرِ، كَمَا يُنْزِفُ الرَّجُلُ مَاءَ البِئْرِ).

لاَ فِيهَا غَوْلٌ - لَيسَ فِيهَا ضَرَرٌ وَلاَ تَغْتَالُ العُقُولَ.

﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾

(قَاصِرَاتُ)

(٤٨) - وَلَدَيْهِمْ نِسَاءٌ عَفِيفَاتٌ، لاَ يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَهُنَّ نُجلُ العُيونِ، فِي جَمالٍ وَحُسْنٍ.

قَاصِراتُ الطَّرفِ - لاَ يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ.

عِينٌ - وَاسِعَاتُ العُيُونِ مَعَ جَمَالٍ.

﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ

(٤٩) - وَكَأَنَّهُنَّ فِي بَيَاضِهِنَّ، وَصَوْنِهِنَّ عَنِ اللَّمْسِ وَالابْتِذالِ، بَيْضٌ مَصُونٌ لَمْ تَمَسَّهُ الأَيْدِي ؛ وَلَمْ تَعْبَثْ بِهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ لَوْنَهُنَّ أَبْيَضُ ضَارِبٌ إِلَى صُفْرَةٍ كَلَوْنِ بَيْضِ النعَامِ وَهُوَ اللَّوْنُ الذِي يَرْغَبُ فِيهِ العَرَبُ فِي النِّسَاءِ).

مَكْنُونٌ - مَصُونٌ مَسْتُورٌ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلغُبَارِ.

﴿٥٠﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ

(٥٠) - وَيَأْخُذُ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَهُمْ فِي جِلْسَتِهِمْ تِلْكَ، فِي تَجَاذُبِ أَطْرَافِ الحَدِيثِ، وَيَتَنَاوَلُونَ فِي أَحادِيثِهِمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿٥١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ

(قَائِلٌ)

(٥١) - قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ الذِينَ يَتَحادَثُونَ: إِنَّهُ كَانَ لِي صَاحِبٌ (قَرِينٌ) مُشْرِكٌ فِي الدُّنْيَا يَلُومُ المُؤْمِنِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِالحَشْرِ والحِسَابِ، وَيَسْخَرُ مِنْهُمْ.

﴿٥٢﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ

(أَئِنَّكَ)

(٥٢) - وَيَقُولُ لِصَدِيقِهِ المُؤْمِنِ: هَلْ أَنْتَ مُصَدِّقٌ بِالبَعْثِ والنُّشُورِ والجَزَاءِ؟

﴿٥٣﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ

(أَئِذَا) (عِظَاماً) (أَئِنَّا)

(٥٣) - وَيَقُولُ مُتَعَجِّباً: هَلْ إِذَا أَصْبَحْنَا تُرَاباً وَعِظَاماً نَخِرَةً، سَنُبْعَثُ لِنُحَاسَبَ عَلَى أَعْمَالِنَا وَنُجْزَى بِهَا؟ إِنَّ ذَلِكَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أبداً.

لَمَدِينُونَ - لَمَجْزِيُّونَ وَمُحَاسَبُونَ.

﴿٥٤﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ

(٥٤) - وَيَقُولُ المُؤْمِنُ لأَصْحَابِهِ الجَالِسِينَ مَعَهُ فِي رِحَابِ الجَنَّةِ: هَلْ تَوَدُّونَ أَنْ تَطَّلِعُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي الجَحِيمِ، لِتَرَوْا عَاقِبَةَ أَمْرِ هَذَا القَرِينِ الكَافِرِ؟

﴿٥٥﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ

(فَرَآهُ)

(٥٥) - فَاطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ النَّارِ، فَرَأَى قَرِينَهُ وَسَطَ الجَحِيمِ، يَتَلَظَّى بِلَهِيبِهَا.

سَوَاءِ الجَحِيمِ - وَسَطِ الجَحِيمِ.

﴿٥٦﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ

(٥٦) - فَقَالَ المُؤْمِنُ لِقَرِينِهِ المُشْرِكِ مُوَبِّخاً وَمُقَرِّعاً: لَقَدْ كِدْتَ أَنْ تُهْلِكَنِي لَوْ أَنَّنِي أَطَعْتُكَ فِي كُفْرِكَ وَعِصْيَانِكَ.

إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ - إِنَّكَ قَارَبْتَ لَتُهْلِكُنِي بِالإِغْوَاءِ.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٥٧)

(٥٧) - وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيَّ، لَكُنْتُ مِثْلَكَ مُحْضراً فِي العَذَابِ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ، وَلَكِنَّ رَحْمَتَهُ تَعَالَى أَنْقَذَتْنِي مِنْ سُوءِ العَاقِبَةِ، إِذْ هَدَانِي اللهُ إِلَى الإِيْمَانِ.

المُحْضَرِينَ - المَسُوقِينَ لِلْعَذَابِ مِثْلَكَ.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (٥٨)

(٥٨) - ثُمَّ التَفَتَ المُؤْمِنُ إِلَى جُلَسَائِهِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَقَالَ لَهُمْ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الكَافِرِ، لِيَزِيدَ فِي أَلَمِهِ وَحَسْرَتِهِ وَعَذَابِهِ: هَلْ نَحْنُ مُخَلَّدُونَ فِي الجَنَّةِ، مُنَعَّمُونَ فِيهَا، لَا نَمُوتُ، وَلَا تَزُولُ نِعَمُهَا عَنَّا؟

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٥٩)

(٥٩) - وَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الأُوْلَى، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ؟ فَقِيلَ لَهُ: لَا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٠)

(٦٠) - فَقَالَ المُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ: إِنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، مَعَ مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنَ المَآكِلِ والمَشَارِبِ والمَلَذَّاتِ، هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ، وَالنَّجَاةُ مِمَّا كُنَّا نَحْذَرُهُ مِنْ عِقَابِ اللهِ تَعَالَى.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١)

(العَامِلُونَ)

(٦١) - وَلِمِثْلِ هَذَا النَّعِيمِ، الذِي فَازَ بِهِ المُؤْمِنُونَ البَرَرَةُ فِي الآخِرَةِ، فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ فِي الدُّنْيَا لِيُدْرِكُوا مَا أَدْرَكُوا.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٢)

(٦٢) - أَذَلِكَ الرِّزْقُ الكَرِيمُ الوَفِيرُ الذِي مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ، وَهَذَا المَنْزِلُ الطَّيِّبُ الذِي أَنْزَلَهُم اللهُ فِيهِ فِي رِحَابِ الجَنَّةِ خَيْرٌ، أَمْ مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الأَكْلِ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ، ذَاتِ الثَّمَرِ الكَرِيهِ المَذَاقِ؟

خَيْرٌ نُزُلًا - خَيْرٌ ضِيَافَةً وَتَكْرِمَةً.

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ - شَجَرٌ خَبِيثٌ يَخْرُجُ فِي تِهَامَةَ، وَيَكُونُ فِي الجَحِيمِ لِيَأْكُلَ مِنْهُ أَهْلُ النَّارِ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣)

(جَعَلْنَاهَا) (لِلظَّالِمِينَ)

(٦٣) - وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ عَنْ وُجُودِ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ابْتِلَاءً مِنْهُ وَاخْتِبَاراً لِيَرَى مَنْ يُصَدِّقُ بِهَا، مِمَّنْ يُكَذِّبُ، وَجَعَلَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ الكَافِرِينَ.

فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ - ابْتِلَاءً وَمِحْنَةً، أَوْ عَذَاباً فِي الآخِرَةِ.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤)

(٦٤) - حِينَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ وَسَطِ نَارِ جَهَنَّمَ، قَالَ الكَافِرُونَ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا والنَّارُ تَحْرُقُ الشَّجَرَ؟

أَصْلِ الجَحِيمِ - فِي قَعْرِ الجَحِيمِ.

٦٥ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ

(الشَّيَاطِينِ) (رُؤُوسُ)

(٦٥) - كَأَنَّ ثَمرَهَا (طَلْعها)، فِي قُبْحِ مَنْظَرِهِ، رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ:
(وَالعَرَبُ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَبِيحَةُ المَنْظَرِ، فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى تَقْبِيحَ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ، وَتَكْرِيهَ السَّامِعِينَ بِهَا).

٦٦ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ

(٦٦) - وَإِنَّ هَؤُلاَءِ الكُفَّارَ الظَّالِمِينَ، لاَ يَجِدُونَ فِي النَّارِ طَعَاماً غَيْرَ الزَّقُّومِ الكَرِيهِ الطَّعْمِ، وَالمَنْظَرِ، والرِّيحِ، فَيُضْطَرُّونَ إِلَى الأَكْلِ مِنْهُ لِيَمْلَؤوا بُطُونَهُم الجَائِعَةَ.

٦٧ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ

(٦٧) - وَإِنَّهُمْ لاَ يَجِدُونَ مَا يَشْرَبُونَ إِلاَّ المَاءَ الشَّدِيدَ الحَرَارَةِ، المَمْزُوجَ بِالصَّدِيدِ والغَسَّاقِ.

شَوْباً - مَزْجاً.

حَمِيمٍ - مَاءٍ بَالِغِ الغَايَةِ فِي الحَرَارَةِ.

٦٨ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ

(٦٨) - ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ بَعْدَ هَذَا المأكَلِ والمَشْرَبِ إِلَى نَارٍ تَتَأَجَّجُ، وَجَحِيمٍ تَتَوَقَّدُ، فَهُمْ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ.

٦٩ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ

(آباءَهُمْ)

(٦٩) - إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى الضَّلاَلَةِ فَتَابَعُوهُمْ.

٧٠ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ

(آثَارِهِمْ)

(٧٠) - فَأَسْرَعُوا فِي تَقْلِيدِهِمْ، وَاتِّبَاعِهِمْ بِلاَ تَدَبُّرٍ وَلاَ تَروٍّ.

يُهْرَعُونَ - يُسْرِعُونَ المَشْيَ.

٧١ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ

(٧١) - وَلَقَدْ ضَلَّ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، قَبْلَ قُرَيشٍ، أَكْثَرُ الأُمَمِ السَّابِقَة، فَعَبَدُوا مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى.

٧٢ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ

(٧٢) - فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ رُسُلاً يُنْذِرُونَهُمْ، وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ عَوَاقِبِ كُفْرِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَغَيْرِ اللهِ مِنَ المَعْبُودَاتِ.

٧٣ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ

(عَاقِبَةُ)

(٧٣) - وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَصَرُّوا عَلَى الإِقَامَةِ عَلَى شِرْكِهِمْ فَدَمَّرَهُمُ اللهُ وَأَهْلَكَهُمْ، وَعَفَّى آثَارَهُمْ، فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ هَؤُلاَءِ الأَقْوَامِ الذينَ أَنْذَرَهُمْ رُسُلُهُمْ بِعَذَابِ اللهِ وَبَأْسِهِ، فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يَتَّعِظُوا، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٧٤﴾

(٧٤) ـ وَنَجَّى اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ مِنَ الدَّمَارِ الذي أَنْزَلَهُ بِالمُكَذِّبِينَ، وَجَعَلَ النَّصرَ والعَاقِبَةَ للرُّسُلِ والمُؤْمِنينَ.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ٧٥﴾

(نَادَانَا)

(٧٥) ـ لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الأَوَّلِينَ الذينَ ضَلُّوا أَخذَ يُبَيِّنُ ذَلِكَ تَفْصِيلاً، فَذَكَرَ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ، وَمَا لَقِيَ مِنَ المُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ لَهُ إِلَّا القَلِيلُونَ، فَاسْتَنْصَرَ نُوحٌ بِرَبِهِ عَلَى كُفَّارِ قَوْمِهِ ﴿**فَدَعَا رَبَّه أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ**﴾[١]، وَكَانَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَ المُجِيبُ والنَّاصِرُ لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، فَنَجَّاه وَأَهْلَهُ والمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، وَأَهْلَكَ الكَافِرِينَ.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ٧٦﴾

(نَجَّيْنَاهُ)

(٧٦) ـ فَأَنْجَاهُ اللهُ تَعَالَى وَأَهْلَهُ مِنَ الغَمِّ الشَّدِيدِ مِنْ أَذَى قَوْمِهِ، وَمِنَ الغَرَقِ بالطُّوفَانِ، وَمِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ٧٧﴾

(٧٧) ـ وَأَهْلَكَ اللهُ تَعَالَى مَنْ كَفَرَ بِهِ آسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلامُ، إِذْ قَالَ: ﴿**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾[٢] وَجَعَلَ النَّاسَ البَاقِينَ فِي الأَرْضِ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، لأَنَّهُ أَهْلَكَ الآخرِينَ بالطُّوفَانِ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ٧٨﴾

(الآخِرِينَ)

(٧٨) ـ وَأَبْقَى اللهُ تَعَالَى لَهُ ثَنَاءً جَمِيلاً، وَذِكْراً حَسَناً فِيمَنْ جاءَ بَعْدَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ والأُمَمِ، إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٩﴾

(سَلَامٌ) (العَالَمِينَ)

(٧٩) ـ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: السَّلامُ عَلَيْكَ فِي المَلائِكَةِ والإِنْسِ والجِنِّ (العَالَمِينَ).

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ٨٠﴾

(٨٠) ـ وَقَدْ أَحسَنَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ هَذَا الإِحْسَانَ العَظِيمَ جَزَاءً لَه، لأَنَّهُ كَانَ مِنَ المُحْسِنِينَ الذِينَ جَاهَدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَصَبَرَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ٨١﴾

(٨١) ـ وَكَانَ سَبَب إِحْسَانِهِ، وَتَحمُّلِهِ أَذَى قَوْمِهِ، أَنَّهُ كَانَ مِنْ عِبَادِ اللهِ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ فِي عُبُودِيَّتِهِمْ للهِ تَعَالَى، الذِينَ وَفَوْا بِعَهْدِهِ.

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٦.


﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ (٨٢)

(الآخرين)

(٨٢) - ثُمَّ أغْرَقَ اللهُ تَعَالَى الكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَداً.



﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ (٨٣)

(لإبْراهِيم)

(٨٣) - وَكَانَ مِمَّنْ سَارَ عَلَى نَهْجِ نُوحٍ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُ وَسُنَّتَهُ، إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ.

مِنْ شِيعَتِهِ - مِمَّنْ شَايَعَهُ عَلَى مِلَّتِهِ وَمِنْهَاجِهِ.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٤)

(٨٤) - إِذْ أَخْلَصَ الإِيْمَانَ لِرَبِّهِ، فَكَانَ يُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ وَهِيَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥)

(٨٥) - وَقَدْ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ حِينَمَا أَنْكَرَ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ، وَتَرْكَ عِبَادَةِ اللهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، وَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الأَصْنَامُ التِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ؟

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦)

(أئِفكاً) (آلِهَةً)

(٨٦) - أَتَتَّخِذُونَ أَصْنَاماً تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَتَزْعُمُونَ إِفْكاً وَكَذِباً أَنَّهَا آلِهَةٌ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ حُجَّةٌ أَوْ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ؟ إِنَّ هَذَا لَخَطَأٌ جَسِيمٌ.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٨٧)

(العَالَمِينَ)

(٨٧) - أَعَلِمْتُمْ أَيَّ شيءٍ هُوَ رَبُّ العَالَمِينَ حَتَّى جَعَلْتُمُ الأَصْنَامَ وَالأَنْدَادَ لَهُ شُرَكَاءَ فِي العِبَادَةِ؟

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ (٨٨)

(٨٨) - فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ، وَأَطَالَ الفِكْرَ فِيمَا هُوَ فِيهِ مَعَ قَوْمِهِ عَبَدَةِ الأَصْنَامِ.

(وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ العَرَبَ تَقُولُ لِمَنْ تَفَكَّرَ وَأَطَالَ التَّفْكِيرَ نَظَرَ فِي النُّجُومِ).

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩)

(٨٩) - فَقَالَ لِمَنْ حولَهُ مِنْ قومِهِ، وَبَعْدَ أَنْ فَكَّرَ مَلِيّاً: إِنَّهُ منحرفُ الصِّحَّةِ. وَكَانَت غَايَتُهُ مِنْ هذا القولِ أَنْ يَبْقَى فِي البَلَدِ بَعْدَ أَنْ يَذْهَبَ قَوْمُهُ إِلَى الاحْتِفَالِ بِالأَعْيَادِ خَارِجَ البَلَدِ، وَذَلِكَ لِيُحَطِّمَ أَصْنَامَهُمْ (أَوْ أَنَّهُ سَقِيمُ القَلْبِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ).

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩٠)

(٩٠) - فَتَرَكَهُ قَوْمُهُ وَشَأْنَهُ وَخَرَجُوا إِلَى احْتِفَالاتِهِمْ.

(٩١) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

(آلِهَتِهِمْ)

(٩١) - فَذَهَبَ إِلَى آلِهَةِ قَوْمِهِ بِسُرْعَةٍ مُسْتَخْفِياً، وَقَالَ لَهَا مُسْتَهْزِئاً بِهَا أَلَا تَأْكُلُونَ الطَّعَامَ الذِي قُدِّمَ إِلَيْكُمْ؟

(وَكَانَ قَوْمُهُ يَضَعُونَ الطَّعَامَ أَمَامَ الآلِهَةِ فِي الأَعْيَادِ لِتُبَارِكَهُ).

رَاغَ - أَسْرَعَ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ

(٩٢) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ

(٩٢) - مَا لَكُمْ قَدْ عَجَزْتُمْ عَنِ الرَّدِّ عَلَى سُؤَالِي؟ وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ آسْتِهْزَاءً وآحْتِقَاراً.

(٩٣) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ

(٩٣) - فَمَالَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِفَأْسٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ اليُمْنَى (والضَّرْبُ بِاليَدِ اليُمْنَى أَشَدُّ أَثَراً، وَأَكْثَرُ إِيْذَاءً مِنَ الضَّرْبِ بِاليَدِ اليُسْرَى). وَقَدْ تَرَكَ الأَصْنَامَ جُذَاذاً إِلَّا الصَّنَمَ الأَكْبَرَ، فَلَمْ يُحَطِّمْهُ، وَعَلَّقَ الفَأْسَ فِي رَقَبَتِهِ لِيَقُولَ لِقَوْمِهِ إِذَا سُئِلَ إِنَّهُ هُوَ الذِي حَطَّمَ الآلِهَةَ غَيْرَةً مِنْهَا، وَضِيقاً بِعِبَادَةِ قَوْمِهِ لَهَا.

(٩٤) فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ

(٩٤) - وَلَمَّا عَلِمَ قَوْمُهُ بِمَا حَدَثَ مِنْ تَحْطِيمِ الأَصْنَامِ، أَدْرَكُوا أَنَّ الذِي فَعَلَ هَذَا بِهَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ لِمُجَادَلَتِهِ إِيَّاهُمْ حَوْلَ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، فَجَاؤُوا إِلَيْهِ يُسْرِعُونَ فِي مَشْيِهِمْ (يَزِفُّونَ). لِيُحَاسِبُوهُ عَلَى مَا فَعَلَ بِآلِهَتِهِمْ.

(٩٥) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ

(٩٥) - وَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ مُوَبِّخاً وَمُقَرِّعاً: أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَصْنَاماً تَنْحِتُونَهَا أَنْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، وَتَقُولُونَ عَنْهَا إِنهَا آلِهَةٌ، فَأَيْنَ ذَهَبَتْ عُقُولُكُمْ؟.

(٩٦) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

(٩٦) - وَتَتْرُكُونَ عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الذِي خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ تِلْكَ الأَصْنَامَ التِي تَعْمَلُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ. وَالخَالِقُ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

(٩٧) قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ

(بُنْيَاناً)

(٩٧) - وَلَمَّا أَبْطَلَ حُجَّتَهُمْ، وَأَقَامَ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، مَالُوا إِلَى أَخْذِهِ بِالقَهْرِ والبَطْشِ سَتْراً لِعَجْزِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً، وَضَعُوا فِيهِ حَطَباً أَوْقِدُوهُ، ثُمَّ اقْذِفُوهُ فِي هَذِهِ النَّارِ فَفَعَلُوا.

(٩٨) فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ

(فَجعَلْنَاهُمُ)

(٩٨) - فَأَرَادُوا إِحْرَاقَهُ فِي النَّارِ، فَأَنْجَيْنَاهُ مِنْهَا، وَجَعَلْنَاهَا بَرْداً وَسَلَاماً عَلَيْهِ، وَجَعَلْنَا كَيْدَ الظَّالِمِينَ المُكَذِّبِينَ فِي نُحُورِهِمْ، وَكَتَبْنَا لَهُ الغَلَبَةَ والنَّصْرَ عَلَيْهِمْ.

﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ

(٩٩) ـ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا يَئِسَ مِنْ إِيمَانِهِمْ: إِنِّي مُفَارِقٌ هٰذِهِ الدِّيَارَ، وَمُهَاجِرٌ إِلَى أَرْضٍ أَتَفَرَّغُ فِيهَا لِعِبَادَةِ رَبِّي، وَإِنَّهُ تَعَالَى سَيَهْدِينِي إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِي وَدُنْيَايَ، وَهَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ.

﴿١٠٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(الصَّالِحِينَ)

(١٠٠) ـ وَلَمَّا هَاجَرَ مِنْ أَرْضِهِ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ ذُرِّيَّةً مِنَ الصَّالِحِينَ المُطِيعِينَ الذِينَ يُعِينُونَهُ عَلَى القِيَامِ بِأَمْرِ الدَّعْوَةِ وَيَتَوَلَّونَهَا بَعْدَهُ.

﴿١٠١﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ

(فَبَشَّرناهُ) (بِغُلَامٍ)

(١٠١) ـ فَبَشَّرَهُ اللهُ تَعَالَى بِمَولُودٍ لَهُ يَبْلُغُ الحُلْمَ، وَيَكُونُ حَلِيماً ـ وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى أَصَحِّ الأَقْوَالِ.

﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ

(يَا بُنَيَّ) (يَا أَبَتِ) (الصَّابِرِينَ)

(١٠٢) ـ فَلَمَّا كَبُرَ وَتَرَعْرَعَ، وَصَارَ يَذْهَبُ مَعَ أَبِيهِ، وَيَسْعَى فِي أَشْغَالِهِ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَمَا رَأْيُكَ؟ وَقَدْ قَصَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِ لِيَعْلَمَ صَبْرَهُ، وَمَا يَرَاهُ فِيمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الابْتِلَاءِ، وَلِيوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى الذَّبْحِ اكْتِسَاباً لِلْمَثُوبَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

فَرَدَّ إِسْمَاعِيلُ عَلَى أَبِيهِ قَائِلاً: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَسَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الابْتِلَاءِ، وَعَلَى قَضَاءِ اللهِ.

بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ـ دَرَجَ فِي العَمَلِ مَعَهُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ.

﴿١٠٣﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ

(١٠٣) ـ فَلَمَّا اسْتَسْلَمَا وَانْقَادَا لِأَمْرِ اللهِ، وَفَوَّضَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ الأَمْرَ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَكَبَّ إِبْرَاهِيمُ ابنَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ (تَلَّهُ لِلْجَبِينِ)، حَتَّى لَا يَرَى وَجْهَهُ فَيُشْفِقَ عَلَيْهِ، وَيَضْعُفَ عَنْ إِنْفَاذِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى.

(وَقِيلَ إِنَّ الذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِذٰلِكَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)

أَسْلَمَا ـ اسْتَسْلَمَا وَانْقَادَا لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى.

تَلَّهُ لِلْجَبِينِ ـ أَضْجَعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ عَلَى الأَرْضِ.

﴿١٠٤﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ

(نَادَيْنَاهُ) (يَا إِبْرَاهِيمُ)

(١٠٤) ـ وَعَلِمَ اللهُ تَعَالَى صِدْقَ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ فِي الاخْتِبَارِ، فَنَادَى اللهُ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ ذٰلِكَ.

(١٠٥) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

(الرُّؤْيَا)

(١٠٥) - وَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ لَقَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا بِعَزْمِكَ عَلَى ذَبْحِ ٱبْنِكَ إِطَاعَةً لِأَمْرِ رَبِّكَ، فَحَصَلَ المَقْصُودُ.

وَهكَذَا يَجْزِي اللهُ المُحْسِنِينَ المُطِيعِينَ، فَيَصْرِفُ عَنْهُمُ المَكَائِدَ وَالشَّدَائِدَ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرَجاً وَمَخْرَجاً.

(١٠٦) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ

(الْبَلاَءُ)

(١٠٦) - وَهَذَا الابْتِلاءُ الذِي ٱبْتَلَيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَٱبْنَهُ لَهُوَ الابْتِلاءُ الذِي أَبَانَ جَوْهَرَ إِيْمَانِهِمَا وَيَقِينِهِمَا بِرَبِّ العَالَمِينَ، إِذْ أَمَرَهُ رَبُّهُ بِذَبْحِ ٱبْنِهِ فَسَارَعَ هُوَ وَٱبْنُهُ إِلَى ذَلِكَ مُسْتَسْلِمَيْنِ، خَاضِعَيْنِ مُنْقَادَيْنِ لِأَمْرِ رَبِّهِمَا.

البَلاَءُ المُبِينُ - الاخْتِبَارُ البَيِّنُ الوَاضِحُ.

(١٠٧) وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ

(فَدَيْنَاهُ)

(١٠٧) - وَفَدَى اللهُ تَعَالَى إِسْمَاعِيلَ بِكَبْشٍ سَمِينٍ ضَخْمٍ قَامَ إِبْرَاهِيمُ بِذَبْحِهِ بَدَلاً مِنْ ذَبْحِ ٱبْنِهِ.

بِذِبْحٍ عَظِيمٍ - بِكَبْشٍ يُذْبَحُ.

(١٠٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ

(الآخِرِينَ)

(١٠٨) - وَتَرَكَ اللهُ تَعَالَى لَهُ ذِكْراً حَسَناً عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَجَعَلَهُ مُحَبَّباً لِلنَّاسِ جَمِيعاً.

(١٠٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

(سَلاَمٌ) (إِبْرَاهِيمَ)

(١٠٩) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ فِي المَلاَئِكَةِ وَالإِنْسِ وَالجِنِّ.

(١١٠) كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

(١١٠) - وَيَجْزِي اللهُ تَعَالَى المُحْسِنِينَ الصَّابِرِينَ مِنْ عِبَادِهِ مِثْلَ هَذَا الجَزَاءِ الحَسَنِ.

(١١١) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١١١) - لَقَدْ كَانَ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ المُخْلِصِينَ.

(١١٢) وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(وَبَشَّرْنَاهُ) (إِسْحَاقَ) (الصَّالِحِينَ)

(١١٢) - وَبَشَّرَ اللهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِأَنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ ٱبْنُهُ إِسْحَاقُ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ كَانَ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ بَعْدَ حَادِثَةِ الذَّبْحِ وُلِدَ إِسْحَاقُ.

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾

(بَارَكْنَا) (إِسْحَاقَ)

(١١٣) - وَأَفَاضَ اللهُ تَعَالَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ بَرَكَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَكَثَّرَ نَسْلَهُمَا، وَجَعَلَ مِنْهُمَا أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً وَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أُنَاساً مُحْسِنِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ، مُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ ظَالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ والفُسُوقِ والعِصْيَانِ.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤﴾

(هَارُونَ)

(١١٤) - وَأَنْعَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ بِالنُّبُوَّةِ والنَّصْرِ والخَيْرِ الكَثِيرِ.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ١١٥﴾

(نَجَّيْنَاهُمَا)

(١١٥) - وَنَجَّاهُمَا اللهُ تَعَالَى، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا، مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ الذِي كَانُوا فِيهِ تَحْتَ حُكْمِ فِرْعَوْنَ، الذِي كَانَ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي أَخَسِّ الأَعْمَالِ وأَشَقِّهَا، وَكَانَ يَقْتُلُ الذُّكُورَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ، وَيَسْتَحْيِي النِّسَاءَ.

﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦﴾

(نَصَرْنَاهُمْ) (الْغَالِبِينَ)

(١١٦) - وَنَصَرَهُمَا اللهُ تَعَالَى عَلَى أَعْدَائِهِمَا فَغَلَبَاهُمْ.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧﴾

(الْكِتَابَ) (آتَيْنَاهُمَا)

(١١٧) - وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ الكِتَابَ الجَلِيَّ الوَاضِحَ، الجَامِعَ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ البَشَرُ فِي مَصَالِحِ الدِّينِ والدُّنْيَا، وَهُوَ التَّوْرَاةُ.

﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١١٨﴾

(هَدَيْنَاهُمَا) (الصِّرَاطَ)

(١١٨) - وَأَرْشَدَهُمَا اللهُ تَعَالَى إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ والهُدَى.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩﴾

(الآخِرِينَ)

(١١٩) - وَأَبْقَى اللهُ لَهُمَا الذِّكْرَ الحَسَنَ، والثَّنَاءَ الجَمِيلَ فِيمَنْ أَتَوْا بَعْدَهُمَا.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾

(سَلاَمٌ) (هَارُونَ)

(١٢٠) - وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى المَلاَئِكَةَ والإِنْسَ والجِنَّ يُسَلِّمُونَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدَ الدَّهْرِ.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١﴾

(١٢١) - وَمِثْلُ هَذَا الجَزَاءِ الذِي جَازَى اللهُ بِهِ مُوسَى وَهَارُونَ، يَجْزِي بِهِ اللهُ تَعَالَى المُحْسِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٢

(١٢٢) - لأَنَّهُمَا مِنْ عِبَادِ اللهِ المُؤمِنِينَ، المُنْقَادِينَ لأَمْرِهِ، وَالْعَامِلِينَ فِي طَاعَتِهِ.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٢٣

(١٢٣) - يُقَالُ إِنَّ إِلْيَاسَ هُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ نَبِيٌّ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ عَبَدُوا الصَّنَمَ (بَعْلاً)، فَدَعَاهُمْ نَبِيُّهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٢٤

(١٢٤) - فَحَذَّرَ قَوْمَهُ بَأْسَ اللهِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَلاَ تَخَافُونَ اللهَ فَتَمْتَثِلُوا لأَوَامِرِهِ، وَتَتْرُكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ؟

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ ١٢٥

(الخَالِقِينَ)

(١٢٥) - أَتَعْبُدُونَ الصَّنَمَ (بَعْلاً)، وَتَتْرُكُونَ عِبَادَةَ مَنْ خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ، وَهُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ.

أَتدعُونَ بَعْلاً - أَتعبُدُونَ الصَّنَمَ بَعْلاً.

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٢٦

(آبائِكُمُ)

(١٢٦) - وَاللهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ الآبَاءِ السَّالِفِينَ فَهُوَ الحَقِيقُ بِالعِبَادَةِ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ١٢٧

(١٢٧) - فَكَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ ضَرُورَةِ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَسَيَكُونُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ فِي العَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

لَمُحْضَرُونَ - تُحْضِرُهُم الزَّبَانِيَةُ فِي النَّارِ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ١٢٨

(١٢٨) - إِلاَّ الذينَ عَبَدُوا اللهَ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَأَخْلَصُوا العِبَادَةَ لَهُ، فَهؤُلاَءِ لاَ يُعَذِّبُهُم اللهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ١٢٩

(الآخِرِينَ)

(١٢٩) - وَجَعَلَ اللهُ لَهُ ذِكْراً حَسَناً بَيْنَ النَّاسِ تَتَنَاقَلُهُ الأَجْيَالُ، وَجَعَلَهُ مُحَبَّباً إِلَى النَّاسِ جَمِيعاً.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ ١٣٠

(سَلامٌ)

(١٣٠) - سَلاَمٌ مِنَ اللهِ عَلَى إِلْيَاسَ (وَإِلْ يَاسِينَ لُغَةٌ فِي إِلْيَاسَ).

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٣١

(١٣١) - وَمِثْلُ هَذَا الجَزَاءِ الحَسَنِ الذِي جَازَى اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ إِلْيَاسَ، يُجَازِي عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ المُحْسِنِينَ.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٣٢

(١٣٢) - وَإِنَّ إِلْيَاسَ مِنْ عِبَادِ اللهِ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ١٣٣

(١٣٣) - وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَرْسَلَ لُوطاً إِلَى أَهْلِ سَدُومَ وَكَانُوا قَدْ أَتَوْا مِنَ المُنْكَرَاتِ مَا لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ العَالَمِينَ فَنَصَحَهُمْ، وَطَالَبَهُمْ بِالكَفِّ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الفَسَادِ، وَالكُفْرِ، والبَغْيِ، فَلَمْ يَنْتَصِحُوا فَأَهْلَكَهُم اللهُ جَمِيعاً.

﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ ١٣٤

(نَجَّيْنَاهُ)

(١٣٤) - وَنَجَّى اللهُ لُوطاً وَأَهْلَهُ مِمَّا أَنْزَلَهُ بِقَوْمِهِ مِنَ العَذَابِ والدَّمَارِ.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ١٣٥

(الْغَابِرِينَ)

(١٣٥) - وَلَمْ يَسْتَثْنِ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَهْلِ لُوطٍ الذِينَ أَنْجَاهُمْ مِنَ الدَّمَارِ الذِي أَنْزَلَهُ بِقَوْمِ لُوطٍ إِلَّا امْرَأَتَهُ التِي بَقِيَتْ مَعَ قَوْمِهَا، فَهَلَكَتْ مَعَهُمْ.

فِي الغَابِرِينَ - فِي البَاقِينَ أَوْ فِي الهَالِكِينَ.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ ١٣٦

(الآخَرِينَ)

(١٣٦) - ثُمَّ أَهْلَكَ اللهُ القَوْمَ جَمِيعاً، فَخَسَفَ بِهِم الأَرْضَ، وَجَعَلَ عَالِيَ قَرْيَتِهِمْ سَافِلَهَا، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ ١٣٧

(١٣٧) - وَإِنَّكُمْ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَتَمُرُّونَ بِقُرَى قَوْمِ لُوطٍ مُصْبِحِينَ، وَأَنْتُمْ فِي طَرِيقِكُمْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ ذَاهِبِينَ آيِبِينَ.

مُصْبِحِينَ - دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ.

﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٣٨

(بِاللَّيْلِ)

(١٣٨) - كَمَا تَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيْلِ أَيْضاً، وَتَرَوْنَ آثَارَهُمْ، وَكَيْفَ أَصْبَحَتْ دِيَارُهُمْ خَرَاباً يَبَاباً، والْمَفْرُوضُ فِيكُمْ أَنْ تَعْتَبِرُوا، وَتَتَّعِظُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ عُقُولٌ تَعِي وَتُدْرِكُ، فَتُقْلِعُوا عَنِ الكُفْرِ والفَسَادِ والعُتُوِّ والعِصْيَانِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللهِ.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ١٣٩

(١٣٩) - وَإِنَّ يُونُسَ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِ اللهِ تَعَالَى، (وَقَدْ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ نِينَوَى، وَكَانَتْ عَاصِمَةَ الآشُورِيِّينَ فِي وَقْتٍ مَا، وَهِيَ قُرْبَ المُوصِلِ).

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ ١٤٠

(١٤٠) - إِذْ خَرَجَ مُغَاضِباً قَوْمَهُ بَعْدَ أَنْ أَنْذَرَهُمْ بِحُلُولِ عَذَابِ اللهِ بِهِمْ، وَهَرَبَ بِغَيْرِ إِذْنِ رَبِّهِ، وَرَكِبَ فِي سَفِينَةٍ مُحَمَّلَةٍ بِالبَضَائِعِ والرُّكَّابِ.

أَبَقَ العَبْدُ - هَرَبَ مِنْ سَيِّدِهِ.

المَشْحُونِ - المَمْلُوءِ بِالحُمُولَةِ.

(١٤١) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ

(١٤١) ـ وَعَرَضَ لِلسَّفِينَةِ عَارِضٌ اقْتَضَى أَنْ يُتَخَفَّفَ مِنْ حُمُولَتِهَا، فَاقْتَرَعَ الرُّكَّابُ عَلَى مَنْ يَكُونُ هُوَ الذِي يُلْقَى فِي المَاءِ تَخْفِيفاً عَنِ السَّفِينَةِ، فَخَرَجَ سَهْمُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَكَانَ مِنَ المَغْلُوبِينَ فِي القُرْعَةِ فَأُلْقِيَ فِي البَحْرِ.

فَسَاهَمَ ـ فَقَارَعَ مَنْ فِي الفُلْكِ.

المُدْحَضِينَ ـ المَغْلُوبِينَ بِالقُرْعَةِ.

(١٤٢) فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ

(١٤٢) ـ فَابْتَلَعَهُ الحُوتُ، وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْمَلاَمَةِ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ خُرُوجِهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ قَوْمِهِ بِغَيْرِ إِذْنِ رَبِّهِ، وَتَخَلِّيهِ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ، والدَّعْوَةُ تَسْتَدْعِي الصَّبْرَ والثَّبَاتَ.

فالتقَمَهُ ـ فابْتَلَعَهُ.

مُليمٌ ـ آتٍ بِمَا يُلاَمُ عَلَيْهِ.

(١٤٣) فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ

(١٤٣) ـ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الذَّاكِرِينَ رَبَّهُمْ كَثِيراً، والمُسَبِّحِينَ بِحَمْدِهِ.

(١٤٤) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(١٤٤) ـ لَلَبِثَ مَيِّتاً فِي بَطْنِ الحُوتِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، يَوْمِ البَعْثِ والنُّشُورِ، وَلَكَانَ طَعَاماً يَتَغَذَّى بِهِ الحُوتُ.

الحِزْبُ ٤٦

(١٤٥) ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ

(فَنَبَذْنَاهُ)

(١٤٥) ـ فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى الحُوتَ بِأَنْ يُلْقِيَهِ فِي مَكَانٍ خَالٍ لاَ شَجَرَ فِيهِ وَلاَ نَبَاتَ، وَهُوَ عَلِيلُ الجِسْمِ، سَقِيمُ النَّفْسِ.

فَنَبَذْنَاهُ ـ فَطَرَحْنَاهُ فِي الأَرْضِ الفَضَاءِ.

(١٤٦) وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ

(١٤٦) ـ فَأَنْبَتَ اللهُ بِجَانِبِهِ شَجَرَةَ يَقْطِينٍ تُظَلِّلُهُ بِأَوْرَاقِهَا، وَتَقِيهِ لَفْحَ الشَّمْسِ، وَيَأْكُلُ ثَمَرَهَا.

اليَقْطِينُ ـ القَرْعُ المَعْرُوفُ (وَقِيلَ بَلْ هُوَ شَجَرُ المَوْزِ).

(١٤٧) وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ

(أَرْسَلْنَاهُ)

(١٤٧) ـ ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ أَنْ شُفِيَ، وَرَضِيَ عَلَيْهِ رَبُّهُ، بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى رَسُولاً إِلَى قَوْمِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَكَانَ عَدَدُهُمْ كَثِيراً قَدْ يَتَجَاوَزُ مِئَةَ أَلْفٍ، فَاسْتَقَامَتْ حَالُهُمْ مَعَهُ، لأَنَّهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنْهُمْ، خَافُوا عَذَابَ اللهِ، وَمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ يُونُسُ، فَخَرَجُوا خَارِجَ البَلَدِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ، وَجَأَرُوا إِلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ، وَأَعْلَنُوا التَّوْبَةَ لِرَبِّهِمْ، فَأَنْجَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ الهَلاَكِ، وَلَمَا عَادَ إِلَيْهِمْ يُونُسُ التَفُّوا حَوْلَهُ.

﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ ١٤٨

(فآمنوا) (فمتعناهم)

(١٤٨) - فآمنوا باللهِ، وبِمَا دعاهُمْ إليْهِ نبيُّهُمْ يونُس، فمتَّعهُم اللهُ في هَذِهِ الحياةِ الدُّنيا، حتَّى حانَتْ آجالُهُمْ، فهلَكُوا فِيمَنْ هلَكَ.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ ١٤٩

(١٤٩) - فسَلْ يا مُحمَّدُ قومَكَ مُوبِّخاً ومُقرِّعاً إيَّاهُمْ على ضَعْفِ عُقولِهِمْ، وسُخْفِ مُعتقداتِهِمْ: أيجعلُونَ الملائِكَةَ إناثاً، ويزعُمونَ أنَّهُنَّ بناتُ اللهِ، ويجعلُونَ الذُّكورَ لأنفسِهِمْ، وهُمْ يكرهُونَ البناتِ أشدَّ الكُرْهِ، ويأبَوْنَ أنْ تُنسبَ إليهِمُ البناتُ، فمِنْ أيْنَ جاؤُوا بهذِهِ القِسْمَةِ الجائِرَةِ؟

﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾ ١٥٠

(الْمَلاَئِكَةَ) (إِنَاثاً) (شَاهِدُونَ)

(١٥٠) - وهَلْ كانُوا شُهوداً حِينَ خلَقَ اللهُ الملائِكَةَ فرأَوْا أنَّهُ خلَقَهُمْ إناثاً؟ وبِما أنَّهُمْ لمْ يشْهَدُوا خلْقَ اللهِ للملائِكَةِ، لِذلِكَ فإنَّهُمْ يقُولُونَ ما لا يعْرِفُونَ حقِيقَتَهُ، ولَيْسَ لَهُمْ علَيْهِ دلِيلٌ ولا حُجَّةٌ.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ﴾ ١٥١

(١٥١) - وما جرَّأهُمْ على هَذا القوْلِ الباطِلِ إلاَّ اعتِقادُهُمْ كذِباً وافْتِراءً على اللهِ:

إفْكِهِمْ - كذِبِهِمْ على اللهِ.

﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ ١٥٢

(لَكَاذِبُونَ)

(١٥٢) - وقوْلُهُم إنَّ للهِ ولَداً. وهُوَ افْتِراءٌ قبِيحٌ، وإفْكٌ صرِيحٌ لا مُستَنَدَ لَهُمْ فِيهِ، ولا دلِيلَ لهُمْ على صِحَّتِهِ، وهُمْ كاذِبُونَ فِيما يقُولُونَ.

﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ ١٥٣

(١٥٣) - وأيُّ شيءٍ يحْمِلُهُ على أنْ يخْتارَ لِنفْسِهِ البناتِ ويترُكَ لهُمُ البنِينَ؟ وكُفَّارُ قُريشٍ يُفضِّلُونَ البنينَ على البناتِ ويختارُونَ لأنفسِهِم البنِينَ فِيما لوْ كانَ لهُمْ خِيارٌ.

أصْطفَى - أختارَ - استِفْهامُ توْبيخٍ.

﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ ١٥٤

(١٥٤) - أمَا لكُمْ عُقولٌ تتدبَّرُونَ بها ما تقُولُونَ، وتتفكَّرُونَ في صِحَّةِ ما تقُولُونَ؟ فالعقْلُ يقْضِي ببُطْلانِ ذلِكَ.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ١٥٥

(١٥٥) - أفَلا تتذكَّرُونَ ذلِكَ، وتعْقِلُونَهُ لِتعْرِفُوا خطأَ ما تعْتَقِدُونَ ولِترْجِعُوا عمَّا تقُولُونَ؟

﴿١٥٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ

(سُلْطَانٌ)

(١٥٦) ـ أَمْ لَكُمْ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ وَاضِحَانِ عَلَى صِحَّةِ مَا تَقُولُونَ وَتَعْتَقِدُونَ، نَزَلَ بِهِمَا وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَيْكُم؟

سُلْطَانٌ ـ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ.

﴿١٥٧﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

(بِكِتَابِكُمْ) (صَادِقِينَ)

(١٥٧) ـ وَإِذَا كَانَ قَدْ نَزَلَ عَلَيْكُم بِذَلِكَ وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، فَأَرُونِي هَذَا الكِتَابَ الذِي نَزَلَ عَلَيْكُم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ.

﴿١٥٨﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ

(١٥٨) ـ وَقَالَ المُشْرِكُونَ: المَلاَئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ تَعَالَى. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَمَنْ أُمَّهَاتُهُنَّ؟ قَالُوا: بَنَاتُ سَرَوَاتِ الجِنِّ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ يَرُدُّ بِهَا عَلَى مَقَالَتِهِمْ.

وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الجِنَّ لَتَعْلَمُ أَنَّ المُشْرِكِينَ الذِينَ يَقُولُونَ هَذَا القَوْلَ المُفْتَرَى، لَمُحْضَرُونَ فِي العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لِكَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللهِ.

الجِنَّةُ ـ الشَّيَاطِينُ ـ (وَهُنَاكَ مَنْ قَالَ بَلْ هُمُ المَلاَئِكَةُ).

إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ـ إِنَّ الكُفَّارَ لَمُحْضَرُونَ فِي النَّارِ لِلْعَذَابِ.

﴿١٥٩﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ

(سُبْحَانَ)

(١٥٩) ـ تَعَالَى اللهُ وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَعَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَسِيبٌ، وَعَمَّا يَصِفُهُ الظَّالِمُونَ، وَتَعَالَى عُلُوّاً كَبِيراً.

﴿١٦٠﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ

(١٦٠) ـ وَلَكِنَّ عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِينَ، المُتَّبِعِينَ لِلْحَقِّ المُنَزَّلِ عَلَى الرُّسُلِ، نَاجُونَ فَلاَ يُحْضَرُونَ إِلَى النَّارِ، وَلاَ يُعَذَّبُونَ فِيهَا.

﴿١٦١﴾ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ

(١٦١) ـ فَإِنَّكُم أَيُّهَا الضَّالُّونَ المُشْرِكُونَ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ.

﴿١٦٢﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ

(بِفَاتِنِينَ)

(١٦٢) ـ لاَ يَتَيَسَّرُ لَكُم فِتْنَةُ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَلاَ إِضْلاَلُ أَحَدٍ، وَصَرْفُهُ عَنِ الهُدَى.

عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ـ بِمُضِلِّينَ أَوْ مُفْسِدِينَ عَلَى اللهِ أَحَداً.

﴿١٦٣﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ

(١٦٣) ـ إِلاَّ مَنْ قَدَّرَ اللهُ ضَلاَلَتَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

صَالِ الجَحِيمِ ـ دَاخِلُهَا أَوْ مُقَاسٍ حَرَّهَا.

﴿١٦٤﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ

(١٦٤) - وَإِنَّ لِكُلٍّ مِنَّا مَرْتَبَةً لاَ يَتَجَاوَزُهَا فِي العِبَادَةِ والانْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِ اللهِ، خُضُوعاً لِعَظَمَتِهِ، وَخُشُوعاً لِهَيْبَتِهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرَادَ تَنْزِيهَ المَلاَئِكَةِ مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِمُ الكُفَّارُ كَذِباً وَآفْتِرَاءً مِنْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللهِ).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعٌ إِلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَا مِنَّا إِلاَّ وَلَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ. (رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ وَآبْنُ جَرِيرٍ).

﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ

(١٦٥) - وَإِنَّا لَنَقِفُ صُفُوفاً فِي أَدَاءِ الطَّاعَاتِ وَمَنَازِلِ الكَرَامَاتِ، لِكُلٍّ مِنَّا مَنْزِلَةٌ لاَ يَتَعَدَّاهَا، وَمَرْتَبَةٌ لاَ يَتَخَطَّاهَا.

(وَقَالَ آبْنُ جُرَيجٍ: كَانُوا لاَ يَصفُّونَ فِي الصَّلاَةِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فَصَفُّوا).

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: فَضَّلَنَا اللهُ عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلْنَا صُفُوفاً كَصُفُوفِ المَلاَئِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ مَسْجِداً، وَتُرْبَتُهَا طَهُوراً). (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

الصَّافُّونَ - أَنْفُسَنَا فِي مَقَامِ العِبَادَةِ.

﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ

(١٦٦) - وَإِنَّنَا لَنَقِفُ صُفُوفاً فِي الصَّلاَةِ فَنُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَنُمَجِّدُهُ، وَنُنَزِّهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ، فَنَحْنُ عَبِيدٌ لَهُ، فُقَرَاءُ إِلَيْهِ، خَاضِعُونَ لأَمْرِهِ.

المُسَبِّحُونَ - المُنَزِّهُونَ اللهَ تَعَالَى عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ.

﴿١٦٧﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ

(١٦٧) - وَقَدْ كَانُوا يَتَمَنَّونَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ رَسُولاً يَا مُحَمَّدُ:

﴿١٦٨﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ

(١٦٨) - أَنْ لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَنْ يُذَكِّرُهُمْ بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ، وَأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنُ شَرَائِعَهُ، وَأَخْبَارَ القُرُونِ المَاضِيَةِ.

﴿١٦٩﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ

(١٦٩) - لَكَانُوا أَخْلَصُوا العِبَادَةَ للهِ، وَلَكَانُوا أَهْدَى سَبِيلاً مِمَّنْ سَبَقَهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ السَّابِقِينَ مِنَ اليَهُودِ والنَّصَارَى.

﴿١٧٠﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

(١٧٠) - وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَتَمَنَّوْنَ، لأَنَّهُمْ حِينَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يُبَلِّغُهُمْ رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ، وَيَنْصَحُ لَهُمْ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُرآنٍ، كَذَّبُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَعَصَوا اللهَ، وَأَصَرُّوا عَلَى شِرْكِهِمْ. وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَسَيَرَوْنَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَنِقَمِهِ.

(١٧١) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ

(١٧١) ـ وَلَقَدْ سبَقَ وَعْدُ اللهِ فِي الكِتَابِ الأَوَّلِ أَنَّ العَاقِبَةَ لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِم المُخْلِصِينَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

(١٧٢) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ

(١٧٢) ـ وَأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُمْ وَيُؤَزِّرُهُمْ وَيُذِلُّ أَعْدَاءَهُمْ وَأَعْدَاءَ اللهِ.

(١٧٣) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ

(الْغَالِبُونَ)

(١٧٣) ـ وَإِنَّ جُنْدَ اللهِ الذِينَ يُقَاتِلُونَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، سَتَكُونُ لَهُمُ الغَلَبَةُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فِي الحَرْبِ.

(١٧٤) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ

(١٧٤) ـ وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَاصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَانْتَظِرْ مُدَّةً قَلِيلَةً، فَإِنَّ اللهَ سَيَجْعَلُ لَكَ العَاقِبَةَ، والنَّصْرَ والغَلَبَةَ.

(١٧٥) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ

(١٧٥) ـ وَانْظُرْ وَارْتَقِبْ فَسَيَرَوْنَ مَا سَيحِلُّ بِهِمْ مِنَ العَذَابِ والعُقُوبَةِ.

(١٧٦) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ

(١٧٦) ـ إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَسْتَعْجِلُونَ وُقُوعَ العَذَابِ لأَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ لِمَا تَقُولُ، وَمُنْكِرُونَ لِلبَعْثِ والنُّشُورِ والحِسَابِ والجَزَاءِ، وَمُسْتَبْعِدُونَ حُلُولَ العَذَابِ بِهِمْ، كَمَا تُوعِدُهُمْ، وَاللهُ سَيُنْزِلُ عَذَابَهُ بِهِمْ لاَ مَحَالَةَ.

(١٧٧) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ

(١٧٧) ـ فَإِذَا نَزَلَ العَذَابُ بِهِمْ وَبِمَحَلَّتِهِمْ (بِسَاحَتِهِمْ)، فَبِئْسَ الصَّبَاحُ صَبَاحُهُمْ، وَبِئْسَ اليَوْمُ يَوْمُهُمْ لِهَلاَكِهِمْ وَدَمَارِهِمْ، فَقَدْ أَنْذَرَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بالعَذَابِ فَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ، وَاسْتَعْجَلُوا عَذَابَ اللهِ.

بِسَاحَتِهِمْ ـ بِفِنَائِهِمْ أَيْ نَزَلَ بِهِمْ.

(١٧٨) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ

(١٧٨) ـ وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَاصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَانْتَظِرْ مُدَّةً قَلِيلَةً فَإِنَّ اللهَ سَيَجْعَلُ لَكَ العَاقِبَةَ، والنَّصْرَ، والغَلَبَةَ.

(١٧٩) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ

(١٧٩) ـ وَانْظُرْ وَارْتَقِبْ فَسَوْفَ يَرَوْنَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ العَذَابِ والعُقُوبَةِ.

(١٨٠) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

(سُبْحَانَ)

(١٨٠) ـ يُقَدِّسُ اللهُ تَعَالَى نَفْسَه الكَرِيمَةَ، وَيُنَزِّهُهَا عَمَّا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ المُفْتَرُونَ، فَهُوَ رَبُّ العِزَّةِ التِي لاَ تُرَامُ وَلاَ تُغَالَبُ.

رَبُّ العِزَّةِ ـ رَبُّ القُدْرَةِ وَالغَلَبَةِ والبَطْشِ.

(١٨١) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

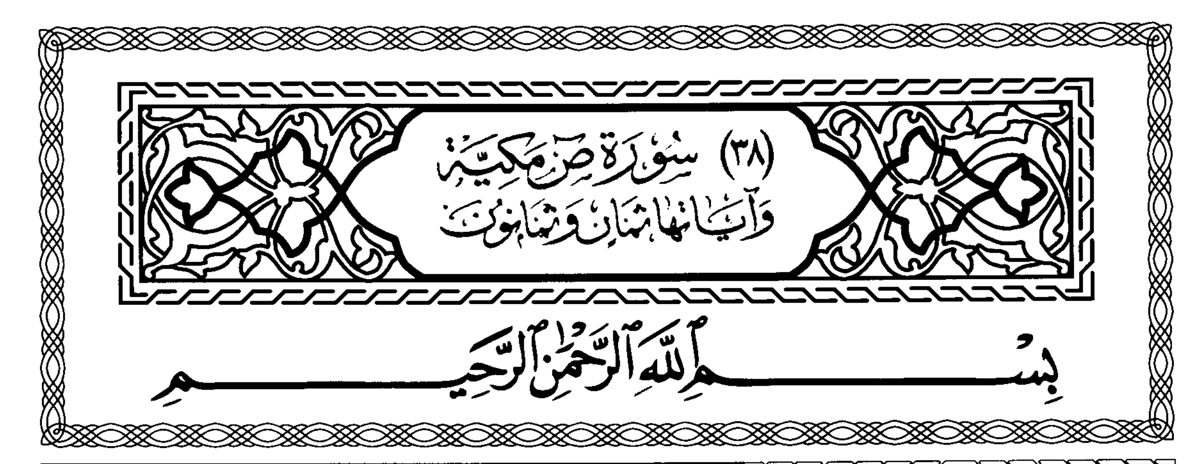
(سَلاَمٌ)

(١٨١) ـ وَيُسَلِّمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ المُرْسَلِينَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(الْعَالَمِينَ)

(١٨٢) ـ وَيَحْمَدُ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ فِي آخِرِ السُّورَةِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ المُخْلَصِينَ المُصْطَفِينَ الأَخْيَارِ، وَعَلَى خَلْقِهِ مِنْ أَنْعُمٍ وَأَفْضَالٍ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ والفَضْلُ والمِنَّةُ.



(١) صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ

(٢) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ

(٣) كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟
وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ

(والقُرْآنِ)

(١) ـ صَادْ ـ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالقُرْآنِ ذِي الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ، المُشْتَمِلِ عَلَى مَا فِيهِ ذِكْرٌ لِلعِبَادِ، وَنَفْعٌ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ وَمَعَادِهِمْ.

(وَجوابُ القَسَمِ هُوَ مَا جَاءَ فِي هَـذِهِ السُّورَةِ مِمَّـا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً).

وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ جَوَابَ القَسَمِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ التَّالِيَةِ: ﴿بَلِ الذينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾.

ذِي الذِّكْرِ ـ ذِي الشَّرَفِ والرِّفْعَةِ، أَوْ ذِي البَيَانِ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الخَلْقُ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ.

(٢) ـ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالقُرْآنِ لَمْ يَكْفُرُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِـدُوا فِيهِ عِبْـرَةً وَعِظَةً وَذِكْرَى، وَإِنَّمَا كَفَرُوا بِهِ ٱسْتِكْبَاراً وَحَمِيَّةً (عِزَّةٍ)، وَمُخَالَفَةً وَمُشَاقَّةً لِلرَّسُولِ.

عِزَّةٍ ـ حَمِيَّةٍ وَتَكَبُّرٍ عَنِ الانْصِيَاعِ لِلْحَقِّ.

شِقَاقٍ ـ مُشَاقَّةً وَمُخَالَفَةً للهِ وَلِلرَّسُولِ.

(٣) ـ يُنَبِّـهُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاَءِ الكَـافِرِينَ المُعَـانِدِينَ المُشَـاقِّينَ لِلرَّسُـولِ الكَرِيمِ إِلَى أَنَّهُ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَثِيراً مِنَ الأُمَمِ (مِنْ قَرْنٍ) المُكَذِّبَةِ، فَنادَوْا حِينَ جَاءَهُمُ العَذَابُ، وَاسْتَغَاثُوا وَجَأَرُوا إِلَى اللهِ بِـالدُّعَـاءِ، فَلَمْ يَنفَعْهُمْ ذَلِكَ شَيْئاً، لِأَنَّ أَوَانَ العَمَلِ وَالتَّوْبَـةِ قَدْ فَـاتَ، وَجَاءَ البَـأْسُ، فَلَيْسَ الوَقْتُ وَقْتَ فِرَارٍ وَهَرَبٍ مِنَ العِقَابِ.

كَمْ أَهْلَكْنَا ـ كَثِيراً مَا أَهْلَكْنَا.

قَرْنٍ ـ أُمَّةٍ.

فَنادَوْا ـ فَٱسْتَغَاثُوا حِينَ عَايَنُوا العَذَابَ.

﴿٤﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ

﴿٥﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ

﴿٦﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ

وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ - لَيْسَ الوَقْتُ وَقْتَ فِرارٍ وَخَلاَصٍ.

(الْكافِرُونَ) (سَاحِرٌ)

(٤) - وَتَعَجَّبُوا مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ مِنَ اللهِ لِيَدْعُوَهُمْ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَا يُمَيِّزُهُ عَنْهُمْ لِيَخْتَصَّهُ اللهُ بِحَمْلِ رِسَالَتِهِ مِنْ دُونِهِمْ، وَقَالَ الكَافِرُونَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَا هُوَ إِلاَّ خَدَّاعٌ كَذَّابٌ فِيمَا يَنْسُبُهُ إِلَى اللهِ مِنْ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ رَسُولاً لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ.

(وَاحِداً)

(٥) - أَيَزْعُمُ أَنَّ المَعْبُودَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ؟ ثُمَّ تَعَجَّبُوا مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الإِقْلاَعِ عَنِ الشِّرْكِ الذِي أُشْرِبَتْهُ نُفُوسُهُمْ، وَتَلَقَّوْهُ عَنْ أَسْلاَفِهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ يُثِيرُ العَجَبَ الشَّدِيدَ.

(وَرَوَى ٱبْنُ عَبَّاسٍ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ والتي تَليها، أَنَّهُ لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ ٱبْنَ أَخِيكَ يَشْتُمُ آلِهَتَنا، فَلَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَنَهَيْتَهُ. فَبَعَثَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَجَاءَهُ وَعِنْدَهُ القَوْمُ. فَقَالَ لَهُ: أَيِ ٱبْنَ أَخِي مَا لِقَوْمِكَ يَشْكُونَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ، وَتَقُولُ وَتَقُولُ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَها تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي لَهُمْ بِهَا العَجَمُ الجِزْيَةَ، فَفَرِحُوا لِكَلِمَتِهِ، فَقَالَ القَوْمُ: وَمَا هِيَ وَأَبِيكَ لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشْراً. قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: (لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، فَقَامُوا فَزِعِينَ يَنْفُضُونَ أَثْوَابَهُمْ وَيَقُولُونَ: أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً؟ إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَابٌ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَاتِ).

عُجَابٌ - بَالِغُ الغَايَةِ فِي العَجَبِ - أَوْ مُثِيرٌ لِلْعَجَبِ.

(آلِهَتِكُمْ)

((٦) - وَٱنْطَلَقَ قَادَةُ قُرَيْشٍ (المَلأ) مِنْ مَجْلِسِ أَبِي طَالِبٍ يَائِسِينَ لِمَا رَأَوْهُ مِنْ تَصَلُّبِ مُحَمَّدٍ فِي دِينِهِ، يَتَحَاوَرُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ مَا جَرَى، وَيُقَلِّبُونَ أَوْجُهَ الرَّأْيِ فِيمَا يَفْعَلُونَ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اثْبُتُوا عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِكُمْ، وَٱحْتَمِلُوا القَدْحَ فِيهَا، وَالغَضَّ مِنْ شَأْنِهَا، وَلاَ تَسْتَجِيبُوا لِمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنَ التَّوْحِيدِ، فَهَذَا الذِي يَدْعُوكُم إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ بِهِ الشَّرَفَ، وَالرِّفْعَةَ، والاسْتِعْلاَءَ عَلَيْكُمْ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْكُم أَتْبَاعٌ، وَلَسْنَا بِمُسْتَجِيبِينَ لَهُ، (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرادُ).

المَلأ مِنْهُمْ - كُبَراءُ المُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ.

آمْشُوا - سِيرُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ وَدِينِكُمْ.

﴿٧﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ

(الآخِرَةِ) (اخْتِلاقٌ)

(٧) - مَا سَمِعْنَا بِهَذَا الذِي يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ فِي مِلَّةِ النَّصارَى (المِلَّةِ الآخِرَةِ)، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بالتَّثْلِيثِ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ الدِّينُ الذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ: ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّداً لَوْ كَانَ نَبِيّاً حَقّاً لأَخْبَرَتْهُمْ بِهِ النَّصارَى، وَبِمَا أَنَّهُمْ لَمْ يُخْبِرُوهُمْ بِهِ فَإِنَّ الدِّينَ الذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مَا هُوَ إِلاَّ كَذِبٌ واخْتِلاَقٌ وَتَخَرُّصٌ.

المِلَّةِ الآخِرَةِ - مِلَّةِ النَّصارَى.

اخْتِلاَقٌ - افْتِرَاءٌ وَكَذِبٌ.

﴿٨﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ

(أَأُنْزِلَ)

(٨) - إِنَّهُ مِنَ البَعِيدِ أَنْ يَخْتَصَّ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّداً مِنْ بَيْنِهِمْ بِإِنْزَالِ القُرْآنِ عَلَيْهِ، وَبِجَعْلِهِ رَسُولاً مَعَ أَنَّ بَيْنَهُمْ ذَوِي الجَاهِ والنُّفُوذِ والثَّرَاءِ العَرِيضِ. وَيُقَرِّعُهُم اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا القَوْلِ، وَهَذَا التَّشَكُّكِ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ تِلْكَ الدَّلائِلِ التِي لَوْ أَنَّهُمْ تَابَعُوهَا لَزَالَ مَا يَسْتَشْعِرُونَهُ مِنَ الشَّكِّ، لأَنَّهَا دَالَّةٌ بِنَفْسِهَا عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ. وَلَكِنَّهُمْ حِينَ تَرَكُوا النَّظَرَ والاسْتِدْلاَلَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى الحَقِّ، وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ لأَنَّهُمْ لَمْ يَذُوقُوا عَذَابَ اللهِ وَنَقْمَتَه، وَلَوْ أَنَّهُمْ ذَاقُوا عَذَابَ اللهِ لَزَايَلَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّكِّ والحَسَدِ، وَلَمَا كَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ مُحَمَّداً ﷺ.

﴿٩﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ

(خَزَائِنُ)

(٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ بِأَنَّهُ هُوَ المُتَصَرِّفُ فِي الكَوْنِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لأَنَّهُ خَلْقُهُ وَمُلْكُهُ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، وَهُوَ الذِي يُنَزِّلُ الرُّوحَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَنَّ العِبَادَ لاَ يَمْلِكُونَ مِنَ الأَمْرِ شَيئاً، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَيَمْلِكُونَ هُمْ خَزَائِنَ رَحْمَةِ اللهِ القَهَّارِ لِخَلْقِهِ حَتَّى يَتَصَرَّفُوا هُمْ فِيهَا حَسْبَ مَا يُرِيدُونَ، وَيَمْنَحُوهَا مَنْ يَشَاؤُونَ، وَيَصرِفُوهَا عَمَّنْ لاَ يُحِبُّونَ؟

﴿١٠﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ

(السَّمَاوَاتِ) (الأَسْبَابِ)

(١٠) - أَمْ يَمْلِكُونَ شَيئاً فِي السَّمَاءِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا حَتَّى يَعْتَرِضُوا عَلَى التَّصَرُّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ؟ فَإِنْ كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ فَلْيَصْعَدُوا فِي طُرُقِ السَّمَاوَاتِ، وَلِيَصِلُوا إِلَى السَّمَاوَاتِ العُلاَ، وَلِيُدَبِّرُوا شُؤُونَهُمَا حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِي دَعْوَاهُمْ، لأَنَّهُ لاَ سَبِيلَ إِلَى التَّصَرُّفِ بِهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿١١﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ

(١١) - إنَّ أَعْدَاءَ اللهِ الذِينَ يَقُولُونَ هَذَا القَوْلَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ اللهِ حَسْبَ أَهْوَائِهِم وآرَائِهِم الفَاسِدَةِ، لاَ يَزِيدُونَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا جُنْداً مَهْزُوماً هَيِّناً، لاَ يَمْلِكُ شَيْئاً مِنْ تَصْرِيفِ مُلْكِ اللهِ، وَلاَ تَدْبِيرِ خَزَائِنِه، وَلاَ شَأنَ لَهُمْ فِيمَا يَجْرِي بِهِ قَضَاءُ اللهِ، وَلاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى تَغْيِيرِ شَيءٍ مِمَّا قَضَاهُ اللهُ. وَهُوَ جُنْدٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ جَمَاعَاتٍ وَأَحْزَابٍ مُخْتَلِفَةِ الأَهْوَاءِ والآرَاءِ والمَشَارِبِ، وَسَيُهْزَمُ الأَحْزَابُ الذِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، كَمَا هُزِمَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الأَحْزَابِ الذِينَ تَأَلَّبُوا عَلَى رُسُلِ اللهِ السَّابِقِينَ، وَكَذَّبُوهُمْ.

جُنْدٌ مَا - جَمَاعَةٌ حَقِيرَةٌ هَيِّنَةٌ.

هُنَالِكَ - فِي مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، أَوْ يَوْمَ بَدْرٍ.

﴿١٢﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ

(١٢) - وَيُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، بِأَقْوَامٍ كَانَتْ قَبْلَهُمْ، وَكَانَتْ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَأْساً وَبَطْشاً وَقُوَّةً، فَطَغَوْا وَبَغَوْا، فَجَاءَهُمْ رُسُلُ اللهِ تَعَالَى، فَكَذَّبُوهُمْ، فَدَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُبْقِ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ بَاقِيةً.

وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الأَقْوَامِ المُكَذِّبَةِ: قَوْمَ نُوحٍ الذِينَ أَغْرَقَهُمْ بِالطُّوفَانِ، وَقَوْمَ عَادٍ الذِينَ أَهْلَكَهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، وفِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ وَجُنْدَهُ، وَقَدْ أَغْرَقَهُمُ اللهُ فِي البَحْرِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَشَارَ تَعَالَى إِلَى ثَبَاتِ مُلْكِ فِرْعَوْنَ وَآسْتِقْرَارِهِ فَشَبَّهَهُ بِبَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ ثُبِّتَتْ أَوْتَادُهُ فِي الأَرْضِ.

(وَقِيلَ إنَّ مَعْنَى - ذُو الأَوْتَادِ - هُوَ أَنَّهُ صَاحِبُ الأَهْرَامَاتِ والأَبْنِيَةِ الفَخْمَةِ المُتَرَسِّخَةِ فِي الأَرْضِ كَالأَوْتَادِ).

(وَقِيلَ أَيْضاً إنَّ مَعْنَاهَا هُوَ أَنَّ فِرْعَونَ سُمِّيَ بِذِي الأَوْتَادِ لأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ قَتْلَ خُصُومِهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ لَهُمْ فِي الأَرْضِ أَوْتَاداً يَشُدُّ إِلَيْهَا أَطْرَافَهُمْ، ثُمَّ يَقْتُلُهُمْ بِالنِّبَالِ).

﴿١٣﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ

(أَصْحَابُ) (الأَيْكَةِ) (أُولَئِكَ)

(١٣) - ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى ثَمُودَ قَوْمَ صَالِحٍ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِالصَّيْحَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمَ لُوطٍ وَقَدْ دَمَّرَ اللهُ قُرَاهُمْ، وَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، فَلَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَصْحَابَ الأَيْكَةِ، وَهُمْ قَوْمُ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَكَانَتْ بِلاَدُهُمْ جَنُوبِيَّ الأَرْدُنِّ - قُرْبَ العَقَبَةِ - وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ، وَهُؤلاَءِ جَمِيعاً تَحَزَّبُوا عَلَى رُسُلِهِمْ، وَهُمْ كَالأَحْزَابِ الذِينَ اجْتَمعُوا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ.

أَصْحَابُ الأَيْكَةِ - أَهْلُ الغَيْضَةِ الكَثِيفَةِ المُلْتَفَّةِ الشَّجَرِ، قَوْمُ شُعَيْبٍ.

﴿١٤﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ

(١٤) - وَكُلُّ هؤُلاَءِ الأَقْوَامِ قَدْ كَذَّبُوا رُسُلَ اللهِ، وَكَانُوا ذَوِي قُوَّةٍ وَبَأْسٍ وَبَطْشٍ، وَعَدَدٍ وَبُنْيَانٍ رَاسِخٍ فِي الأَرْضِ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَلَمْ يُبَالِ بِهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ المكَذِّبِينَ الضُّعَفَاءِ مِنْ قَوْمِكَ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ مَا لاَ قِبلَ لَهُمْ بِهِ مِنَ العَذَابِ؟

﴿١٥﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ

(وَاحِدَةً)

(١٥) - وَهَلْ يَنْتَظِرُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ (هؤُلاَءِ) إِلَّا نَفْخَةً وَاحِدَةً فِي الصُّورِ حَتَّى يُصْعَقُوا، وَيَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَهُمْ، وَلاَ يَحْتَاجُ الأَمْرُ إِلَى صَيْحَةٍ ثَانِيَةٍ غَيْرِهَا لإِهْلاَكِهِمْ، وَإِذَا حَلَّ الأَجَلُ المَضْرُوبُ لِعَذَابِهِمْ فَإِنَّهُمْ لاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ وَلَوْ مُدَّةً قَلِيلَةً.

الفَوَاقُ - الزَّمَنُ الفَاصِلُ بَيْنَ حَلْبَتَيْنِ لِلنَّاقَةِ، أَيْ إِنَّ العَذَابَ يَأْتِيهِمْ فَوْراً وَلاَ يَتَأَخَّرُ لَحْظَةً وَاحِدَةً.

﴿١٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ

(١٦) - وَحِينَمَا سَمِعَ الكَافِرُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَخَّرَ عَذَابَهُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، قَالُوا سَاخِرِينَ مُسْتَهْزِئِينَ: رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا نَصِيبَنَا مِنَ العَذَابِ (قِطَّنَا) الذِي تُوعِدُنَا بِهِ، وَلاَ تُؤَخِّرْهُ إِلَى يَوْمِ الحِسَابِ، الذِي يَبْدَأُ بِالصَّيْحَةِ المُهْلِكَةِ لِلبَشَرِ.

(وَالذِي قَالَ هَذَا القَوْلَ مِنَ المُشْرِكِينَ هُوَ النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ أَوْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ).

القِطُّ - النَّصِيبُ أَوِ الحَظُّ أَوْ كِتَابُ الأَعْمَالِ.

﴿١٧﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ

(دَاوُدَ)

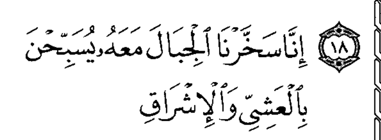
(١٧) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كَذَّبَتْهُمْ أَقْوَامُهُمْ، وَاسْتَهْزَأَتْ بِهِمْ، وَلكِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنجزَ لَهُمْ وَعْدَهُ بِأَنَّ النَّصْرَ وَالغَلَبَةَ سَتَكُونُ لَهُمْ، وَأَنَّ الكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ سَيَكُونُونَ هُمُ المَخْذُولِينَ الخَاسِرِينَ.

وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّداً بالصَّبْرِ عَلَى مَا يَقُولُهُ الكَفَرَةُ الطُّغَاةُ مِنْ قَوْمِهِ الذِينَ قَالُوا عَنْهُ مَرَّةً سَاحِرٌ، وَمَرَّةً مَجْنُونٌ، وَمَرَّةً كَذابٌ . . وَقَالُوا عَنْهُ سَاخِرِينَ: أَأُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ دُونِنَا.

وَيُذَكِّرُ اللهُ رَسُولَهُ بِقِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، الذِي حَبَاهُ اللهُ بالقُوَّةِ والسُّلْطَانِ (ذَا الأَيْدِ)، وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُ أَوَّاباً كَثِيرَ الرُّجُوعِ إِلَى رَبِّهِ، طَائِعاً تَائِباً ذَاكِراً، وَكَانَ دَاوُدُ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً، وَكَانَ يَقُومُ ثُلُثَ اللَّيلِ مُتَعَبِّداً رَبَّهُ.

ذَا الأَيْدِ - ذَا القُوَّةِ فِي الدِّينِ والعِبَادَةِ.

أَوَّابٌ - رَجَّاعٌ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ والتَّوْبَةِ.



(١٨) - وَقَدْ سَخَّرَ اللهُ تَعَالَى الجِبَالَ تُسَبِّحُ مَعَ دَاوُدَ، وَهِيَ تَسْمَعُ تَرَانِيمَهُ عِنْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا. وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِفَضْلِ العِبَادَةِ فِي هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ.

وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٩

(١٩) - وَكَانَتِ الطَّيْرُ تَتَجَمَّعُ عِنْدَمَا تَسْمَعُ نَغَمَاتِ تَرَانِيمِهِ فِي تَمْجِيدِ اللهِ، وَتَقْدِيسِهِ، لِتُشَارِكَهُ تَسْبِيحَهُ لِخَالِقِهِ، وَتَمْجِيدَهُ لَهُ، وَهِيَ مُطِيعَةٌ رَاجِعَةٌ إِلَى أَمْرِهِ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ٢٠

(آتَيْنَاهُ)

(٢٠) - وَقَوَّى اللهُ مُلْكَ دَاوُدَ بِكَثْرَةِ الجُنْدِ، وَبَسْطَةِ الثَّرَاءِ، وَعِظَمِ الهَيْبَةِ، وَنُفُوذِ الكَلِمَةِ، والنَّصْرِ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَأَعْطَاهُ العَقْلَ والفَهْمَ والفِطْنَةَ (وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ)، فَكَانَ يَسُوسُ مُلْكَهُ بِالْحِكْمَةِ والحَزْمِ مَعاً، وَحُسْنِ الفَصْلِ فِي الخُصُومَاتِ.

شَدَدْنَا مُلْكَهُ - مَدَدْنَاهُ بِأَسْبَابِ القُوَّةِ كُلِّهَا.

آتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ - النُّبُوَّةَ وَكَمَالَ العِلْمِ وَإِتقانَ العَمَلِ.

فَصْلَ الخِطَابِ - عِلْمَ الفَصْلِ فِي الخُصُومَاتِ.



۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ٢١

(أَتَاكَ) (نَبَأُ)

(٢١) - وَهَلْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرُ ذَلِكَ النَّبَإِ العَجِيبِ، نَبَأُ الخُصُومِ الذِينَ تَسَلَّقُوا سُورَ الغُرْفَةِ التِي كَانَ دَاوُدُ يَتَعَبَّدُ رَبَّهُ فِيهَا (المِحْرَابَ)، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ مِنَ السُّورِ، لاَ مِنَ البَابِ، وَهُوَ مُنْشَغِلٌ بِالعِبَادَةِ؟.

تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ - تَسَلَّقُوا سُورَ غُرْفَةِ مُصَلاَّهُ وَنَزَلُوا إِلَيْهِ.

(٢٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ

(دَاوُدَ) (الصِّرَاطِ)

(٢٢) - وَقَدْ دَخَلَ الخصْمَانِ عَلَى دَاوُدَ وَهُوَ مُنْشَغِلٌ بِالعِبَادَةِ فِي غَيْرِ وَقْتِ جُلُوسِهِ لِلْحُكْمِ ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى يَخْرُجَ هُوَ إِلَى النَّاسِ ، فَخَافَ هُوَ مِنَ الدَّاخِلَيْنِ عَلَيْهِ بِالتَّسَوُّرِ لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ بِالتَّسَوُّرِ إِلَّا مَنْ أَرَادَ شَرّاً، فَطَمْأَنَهُ الخصْمَانِ، وَقَالَا لَهُ إِنَّهُمَا خَصْمَانِ تَجَاوَزَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ، وَقَدْ جَاءَا إِلَيْهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا بِالحَقِّ والعَدْلِ، وَطَلَبَا إِلَيْهِ أَنْ لَا يَجُورَ فِي حُكْمِهِ، وَأَنْ يَهْدِيَهُمَا إِلَى الحُكْمِ السَّوِيِّ العَادِلِ .

بَغَى بَعْضُنَا - تَعَدَّى وَظَلَمَ وَجَارَ.

لَا تُشْطِطْ - لَا تَجُرْ فِي حُكْمِكَ .

سَوَاءِ الصِّرَاطِ - وَسَطَ الطَّرِيقِ، وَهُوَ عَيْنُ الحَقِّ.

(٢٣) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ

(وَاحِدَةٌ)

(٢٣) - وَقَالَ أَحَدُ الخَصْمَيْنِ لِدَاوُدَ: إِنَّهُ يَمْلِكُ شَاةً وَاحِدَةً وَإِنَّ صَاحِبَهُ يَمْلِكُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ شَاةً (نَعْجَةً)، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ مَالِكُ النِّعَاجِ الكَثِيرَةِ: أَعْطِنِي نَعْجَتَكَ لِأَضُمَّهَا إِلَى نِعَاجِي، وَأَكْفُلَهَا لَكَ، وَغَلَبَنِي فِي المُحَاجَّةِ، لِأَنَّهُ جَاءَ بِحُجَجٍ ، لَمْ أَسْتَطِعْ لَهَا دَفْعاً.

عَزَّنِي فِي الخِطَابِ - غَلَبَنِي فِي المُحَاجَّةِ، وَقِيلَ إِنَّهَا تَعْنِي شَدَّدَ عَلَيَّ فِي القَوْلِ وَأَغْلَظَ.

(٢٤) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩

سجدة

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (دَاوُدُ) (فَتَنَّاهُ)

(٢٤) - فَقَالَ دَاوُدُ لِلْمُتَكَلِّمِ مِنَ الخَصْمَيْنِ: إِنَّ صَاحِبَكَ قَدْ ظَلَمَكَ وَجَارَ عَلَيْكَ إِذْ طَلَبَ مِنْكَ نَعْجَتَكَ الوَحِيدَةَ لِيَضُمَّهَا إِلَى نِعَاجِهِ. وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ الذِينَ يَتَعَامَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَجُورُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَثْنَاءَ التَّعَامُلِ ، إِلَّا المُتَّقِينَ الصَّالِحِينَ، فَهُؤُلَاءِ يُرَاقِبُونَ اللهَ وَيَخْشَوْنَهُ، وَيَمْتَنِعُونَ عَنِ الظُّلْمِ والجَورِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ قَلِيلُونَ.

وَيَبْدُو أَنَّ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَصْدَرَ حُكْمَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ حُجَّةَ الخَصْمِ الآخَرِ، إِذْ أَنَّهُ لَوْ سَمِعَهَا فَقَدْ يَتَغَيَّرُ حُكْمُهُ فِي النِّزَاعِ ، مَعَ أَنَّ الحَكَمَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُسْتَثَارَ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ بِظَاهِرِ القَوْلِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَمْنَحَ الخَصْمَ الآخَرَ فُرْصَةً لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُمَحِّصَ وَيُدَقِّقَ فِيمَا يَعْرِضُهُ الخُصُومُ عَلَيْهِ لِكَيْلَا يَصْدُرَ حُكْمُهُ عَنْ هَوىً وَانْفِعَالٍ .

وَلَمَّا تَوَارَى الخَصْمَانِ - وَيَبْدُو أَنَّهُمَا كَانَا مَلَكَيْنِ مُرْسَلَيْنِ إِلَيْهِ مِنَ اللهِ

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾

تَعالَى - أَدْرَكَ داوُدُ أَنَّ اللهَ أَرادَ آخْتِبارَهُ وَفِتْنَتَهُ، فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ سَاجِداً تَائِباً.

(وَقَدْ وَرَدَتْ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ لَيْسَ لَهَا سَنَدٌ صَحِيحٌ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ سُنَّةٍ فَيَحْسُنُ إِهْمَالُهَا).

الخُلَطَاءِ - الشُّرَكَاءِ.

فَتَنَّاهُ - امْتَحَنَّاهُ وَآخْتَبَرْنَاهُ.

أَنَابَ - رَجَعَ إِلَى اللهِ بِالتَّوْبَةِ.

(مَآبٍ)

(٢٥) - فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، وَغَفَرَ لَهُ تَسَرُّعَهُ فِي الحُكْمِ، وَسَتَكُونُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ قُرْبَةٌ يُقَرِّبُهُ اللهُ بِهَا، وَسَيَكُونُ لَهُ حُسْنُ مَرْجِعٍ، لِتَوْبَتِهِ، وَعَدْلِهِ التَّامِ فِي مُلْكِهِ.

لَزُلْفَى - لَقُرْبَةً وَمَكَانَةً.

حُسْنَ مَآبٍ - حُسْنَ مَرْجِعٍ فِي الآخِرَةِ.

(يَا دَاوُدُ) (جَعَلْنَاكَ)

(٢٦) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ: إِنَّهُ جَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ، نَافِذَ الكَلِمَةِ والحُكْمِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ، وَأَنْ لاَ يَتَّبِعَ الهَوَى لأَنَّ آتِّبَاعَ الهَوَى يَكُونُ سَبَباً لِلضَّلاَلَةِ وَالجَوْرِ عَنِ الطَّرِيقِ القَوِيمِ الذِي شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَى.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَهُدَاهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ (يَوْمَ الحِسَابِ) عَذَابٌ شَدِيدٌ لِنِسْيَانِهِمْ ذَلِكَ اليَوْمَ، وَإِنَّ اللهَ سَيُحَاسِبُ العِبَادَ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعاً، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا.

(بَاطِلاً)

(٢٧) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ والتَّسْلِيَةِ، وَإِنَّمَا خَلَقَهَا بِالحَقِّ وَقَائِمَةً عَلَى الحَقِّ، لِلْعَمَلِ فِيهَا بِأَمْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى اللهُ عِبَادَهُ عَنْهُ، وَإِنَّهُ تَعَالَى لَنْ يَتْرُكَ الخَلْقَ سُدىً، بَلْ إِنَّهُ سَيَبْعَثُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَرَّةً أُخْرَى لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَلْقَى كُلُّ وَاحِدٍ جَزَاءَهُ حَسْبَ عَمَلِهِ.

والذِينَ كَفَرُوا ظَنُّوا أَنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ عَبَثاً وَبَاطِلاً، وَلَمْ يُدْرِكُوا الحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ الخَلْقَ إِنَّمَا وُجِدَ لِيَكُونَ دَلِيلاً عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى الذِي خَلَقَهُ، وَبُرْهَاناً عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فَالوَيْلُ والهَلاَكُ لِلكَافِرِينَ مِنَ النَّارِ، التِي سَيُعَذِّبُهُم اللهُ فِيهَا، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ.

بَاطِلاً - عَبَثاً وَلَهْواً وَلَعِباً.

فَوَيلٌ - فَهَلاَكٌ وَخِزيٌ.

٢٨ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٨) - إنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يُسَوِّي بَينَ الأَخْيَارِ، الذِينَ آمَنُوا بَرَبِّهِمْ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، وَبينَ الفُجَّارِ، الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَاجْتَرحُوا السَّيِّئَاتِ والفَسَادَ فِي الأَرْضِ، وَلاَ يَجْعَلُ الذينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ كالفُجَّارِ والمُفْسِدِينَ، وَإِنَّهُ سَيَجْمَعُ الجَميعَ يومَ القِيَامَةِ لِيَجْزِيَ كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ، وَهَذا دَلِيلٌ عَلَى عَدْلِ اللهِ تَعَالَى التَّام.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إنَّ المَقْصُودَ بالذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي هَذِهِ الآيَةِ هُمْ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَعَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ وَعُبَيْدَةُ بنُ الحَارِثِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ، الذِينَ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ بَرزَ إِلَى مَيْدَانِ الحَرْبِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَتَلُوا ثَلاثَةً مِنْ رُؤُوسِ الشِّرْكِ: هُمْ عُتبَةُ بْنُ رَبيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ، وَابْنُهُ رَبِيعَةُ. وعُتْبَةُ وأخُوهُ وَابْنُهُ هُمُ الذِينَ عَنَتْهُمُ الآيَةُ الكَرِيمَةُ بالمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ).

٢٩ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

(كِتَابٌ) (أَنْزَلْنَاهُ) (مُبَارَكٌ) (آيَاتِهِ) (أُولُو) (الأَلْبَابِ)

(٢٩) - وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْكَ، يَا مُحَمَّدُ، هَذَا القُرآنَ، وَفِيهِ خَيرٌ وبَركَةٌ، وَنَفْعٌ وَهُدىً لِلنَّاسِ، لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ، وَلِيَتَدَبَّرَهُ أُولُو الأَفهَامِ والعُقُولِ والأَلْبَابِ. وَتَدَبُّرُ القُرْآنِ لاَ يَكُونُ بِحُسْنِ تِلاَوَتِهِ، وَإِنَّمَا يَكُون بالعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ أَوامِرَ، والانْتِهَاءِ عَمَّا نَهى عَنْهُ.

٣٠ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ

(لِدَاوُدَ) (سُلَيْمَانَ)

(٣٠) - وَأَنْعَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى دَاوُدَ بِأَنْ وَهَبَهُ وَلَدَهُ سُلَيْمَانَ، وَكَانَ عَبداً مُحْسِناً مُطِيعاً للهِ، حَسَنَ الاعْتِقَادِ والإِيْمَانِ، كَثِيرَ الإِنَابَةِ والرُّجُوعِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

٣١ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ

(الصَّافِنَاتُ)

(٣١) - وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الخُيُولُ الجِيَادُ الصَّافِنَاتُ، مِن العَصْرِ حَتَّى نِهَايَةِ النَّهَارِ، لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا، وَيَتَعَرَّفَ أَحْوَالَهَا، وَمَبْلَغَ صَلاَحِهَا لِخَوْضِ الحُرُوبِ فِي سَبيلِ اللهِ.

الصَّافِنَاتُ - صِفَةٌ لِلْخُيُولِ الكَرِيمَةِ التِي تَقِفُ عَلَى ثَلاثٍ مِنْ قَوائِمِها وَتَرْفَعُ طَرَفَ حَافِرِ الرَّابِعَةِ.

٣٢ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ

(٣٢) ـ فَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ أَحبَّ الخَيْلَ، وَإِنَّ تِلْكَ المَحبَّةَ إِنَّما كَانَتْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَأَمْرِهِ، لَا عَنِ الشَّهْوَةِ والهَوى. وَظَلَّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَهِيَ تَنْهَبُ الأَرْضَ بِفُرْسَانِهَا، حَتَّى حَجَبَهَا الغُبَارُ عَنْ نَاظِرَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ مِنْهَا حُسْنُ جَرْيِهَا.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّهُ ظَلَّ يَنْظُرُ إِلَى الخَيْلِ وَهِيَ تَجْرِي، فَأَلْهَتْهُ عَنِ الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَنْتَبِهْ إِلَى أَنَّ الشَّمْسَ تَمِيلُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَوَارَتِ الشَّمْسُ وَرَاءَ الأُفُقِ، فَأَضَاعَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَالَ إِنَّ حُبَّهُ لِلْخَيْلِ قَدْ أَنْسَاهُ الصَّلَاةَ).

٣٣ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ

(٣٣) ـ فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِمَنْ حَوْلَهُ: رُدُّوا هَذِهِ الخَيْلَ فَكَفَى مَا قَامَتْ بِهِ مِنْ جَرْيٍ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَلَما رُدَّتْ إِلَيْهِ أَخَذَ يَمْسَحُ سُوقَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِيَدَيْهِ تَكْرِيماً لَهَا.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ المَعْنَى هُوَ أَنَّهُ طَلَبَ أَنْ تُرَدَّ الخَيْلُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا تَشْغَلِينَنِي عَنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُها، وَعَرَاقِيبُها بالسُّيُوفِ. وَهَذَا قَوْلٌ ضَعِيفٌ).

(سُلَيْمَانُ)

٣٤ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ

(٣٤) ـ وَلَقَدِ آمْتَحَنَ اللهُ تَعَالَى سُلَيْمَانَ حَتَّى لَا يَغْتَرَّ بِأُبَّهَةِ المُلْكِ، فَابْتَلَاهُ بِمَرَضٍ عُضَالٍ، فَأَصْبَحَ مُلْقًى وَكَأَنَّهُ الجَسَدُ الذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ، وَأَعَادَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ سُلَيْمَانَ سَلَبَهُ اللهُ مُلْكَهُ وَسُلْطَانَهُ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ شَيْطَاناً جَلَسَ عَلَى كُرسِيِّ مُلْكِهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيهِ مُلْكَهُ وَهَيْبَتَهُ).

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ اللهَ وَهَبَهُ شِقَّ إِنْسَانٍ وُلِدَ لَهُ).

آبْتَلَيْنَاهُ ـ آمْتَحَنَّاهُ وَعَاقَبْنَاهُ.

٣٥ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ

(٣٥) ـ فَسَأَلَ سُلَيْمَانُ رَبَّهُ المَغْفِرَةَ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْنَحَهُ مُلْكاً عَظِيماً لَا يَتَسَنَّى لِأَحَدٍ بَعْدَهُ أَنْ يَمْلِكَهُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الوَهَّابُ الوَاسِعُ العَطَاءِ.

٣٦ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ

(٣٦) ـ فَآسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لِدَعْوَتِهِ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيَاحَ، وَجَعَلَهَا مُذَلَّلَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ لَيِّنَةً طَيِّعَةً، حَيْثُ أَرَادَ تَوْجِيهَهَا، لَا تَمْتَنِعُ عَنْ ذَلِكَ.

حَيْثُ أَصَابَ ـ حَيْثُ أَرَادَ مِنَ البِلَادِ

رُخَاءً ـ لَيِّنَةً أَوْ مُنْقَادَةً.

٣٧ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ

(الشَّياطِينَ)

(٣٧) - وَسَخَّرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ الشَّياطِينَ البَنَّائِينَ وَالغَوَّاصِينَ يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ مَا يُكَلِّفُهُمُ القِيَامَ بِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، مِنْ غَوْصٍ فِي البِحَارِ لاسْتِخْرَاجِ اللآلِىءِ والنَّفائِسِ، وَمِنْ بِنَاءِ مَا يُرِيدُ بِنَاءَهُ مِنْ قُصُورٍ وَبُيُوتٍ وَمَعَابِدَ

غَوَّاصٍ - يَغُوصُ فِي البَحْرِ لاسْتِخْرَاجِ النَّفَائِسِ.

٣٨ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ

(آخرِينَ)

(٣٨) - وَأَخْضَعَ اللهُ تَعَالَى الشَّياطِينَ، المُشَاكِسِينَ المُتَمَرِّدِينَ، لِأَمْرِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَوَضَعَهُمْ سُلَيمَانُ فِي القُيُودِ والأَصْفَادِ لِيَتَّقِيَ شَرَّهُمْ، وَيَكُفَّ فَسَادَهُمْ عَنِ العِبَادِ

الأَصْفَادِ - الأَغْلاَلِ تُجْمَعُ بِهَا الأَيْدِي إِلَى الأَعْنَاقِ.

٣٩ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ

(٣٩) - وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِسُلَيْمَانَ: هَذَا الذِي مَنَحَكَ اللهُ إِيَّاهُ، هُوَ عَطَاءٌ خَاصٌّ مِنَ اللهِ بِكَ، فَأَعْطِ مَا شِئْتَ لِمَنْ شِئْتَ، وَٱمْنَعْ مَنْ شِئْتَ غَيْرَ مُحَاسَبٍ عَلَى شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْتَ حُرٌّ مُطْلَقُ التَّصَرُّفِ.

بِغَيْرِ حِسَابٍ - غَيْرَ مُحَاسَبٍ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الأَمْرَينِ.

٤٠ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ

(مآبٍ)

(٤٠) - وَإِنَّ لِسُلَيْمَانَ فِي الآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ لَقُرْبَةً وَكَرَامَةً وَحظاً عَظِيماً.

لَزُلْفَى - لَقُرْبَةً وَكَرَامَةً.

٤١ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ

(الشَّيْطَانُ)

(٤١) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ قِصَّةَ نَبِيِّ اللهِ وَعَبْدِهِ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، إِذ ٱبْتَلاَهُ اللهُ بِجَسَدِهِ حَتَّى أَرْهَقَهُ المَرَضُ، وَٱبْتَلاَهُ بِأَوْلاَدِهِ فَمَاتَ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ، وَتَفَرَّقَ مَنْ تَفَرَّقَ، وَٱبْتَلاَهُ بِهَلاَكِ مَالِهِ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ عِنْدَهُ مَا يَكْفِي لِعَيْشِهِ، فَصَبَرَ صَبْراً جَمِيلاً. وَلَمَّا طَالَ بِهِ البَلاَءُ دَعَا رَبَّهُ مُتَضَرِّعاً: ﴿أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1]. وَهُنَا قَالَ: لَقَدْ مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، إِذْ أَنَّ أَيُوبَ لَمَّا طَالَ بَلاَؤُهُ تَخَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ وَأَصْدِقَاؤُهُ إِلاَّ زَوْجَتَهُ، وَقِلَّةً قَلِيلَةً مِنَ الأَصْحَابِ.

فَأَخَذَ الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ لِهَؤُلاَءِ المُقِيمِينَ عَلَى الإِخْلاَصِ لأَيُّوبَ لِيُنَفِّرَهُمْ مِنْهُ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: لَوْ أَنَّ اللهَ كَانَ يُحِبُّ أَيُّوبَ مَا ٱبْتَلاَهُ.

(١) سورة الأنبياء الآية ٨٣.

فَٱسْتَجابَ اللهُ تَعالَى لِدُعَاءِ أَيُّوبَ لَمَّا رَأَى إِخْلاصَهُ لِرَبِّهِ، وَنُفُورَهُ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ.

بِنُصْبٍ - بِتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ.

وَعَذابٍ - أَلَمٍ وَضُرٍّ.

﴿٤٢﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ

(٤٢) - فَأَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَ بِرِجْلِهِ الأَرْضَ فَيَتَفَجَّرَ مِنْهَا المَاءُ، وَفِي هَذَا الماءِ المُتَفَجِّرِ شِفَاؤُهُ فَفَعَلَ، فَتَفَجَّرَ الماءُ فَشَرِبَ وٱغْتَسَلَ فَبَرِيءَ، وَعادَ إِلَى أَحْسَنِ ما كَانَ عَلَيْهِ.

ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ - اضْرِبْ بِهَا الأَرْضَ.

مُغْتَسَلٌ - مَاءٌ تَغْتَسِلُ بِهِ وَفِيهِ شِفَاؤُكَ.

﴿٤٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ

(الأَلْبَاب)

(٤٣) - فَلَمَّا عَادَتْ إِلَيْهِ صِحَّتُهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَهْلَهُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ والتَّشَتُّتِ، وَأَكْثَرَ نَسْلَهُمْ حَتَّى صَارُوا ضِعْفَي مَا كَانُوا عَلَيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنَ اللهِ بِأَيُّوبَ، وَجَزَاءً لَهُ عَلَى صَبْرِهِ وَثَبَاتِهِ وَإِنَابَتِهِ إِلَى اللهِ، وَتَذْكِرَةً لِذَوِي العُقُولِ والأَلْبَابِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ الفَرَجُ، وَعَاقِبَةَ التَّقْوَى وَالإِخْلاصِ والثِّقَةِ بِاللهِ أَن اللهَ لا يَتَخَلَّى عَنْ عِبَادِهِ المُخْلِصِينَ، بَلْ يَرْعَاهُمْ وَيُعِزُّهُمْ وَيُقَوِّيهِمْ.

﴿٤٤﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ

(وَجَدْنَاهُ)

(٤٤) - وَكَانَ أَيُّوبُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، قَدْ غَضِبَ عَلَى زَوْجَتِهِ فِي شَيءٍ فَعَلَتْهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَأَقْسَمَ إِنْ شَفَاهُ اللهُ تَعَالَى لَيَضْرِبَنَّها مِئَةَ جَلْدَةٍ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ قَدْ أَخْلَصَتْ لَهُ، وَٱحْتَمَلَتْ بَلاءَهُ بِصَبْرٍ كَبِيرٍ فَكَانَ ضَرْبُها مَعَ كُلِّ مَا ٱحْتَمَلَتْهُ جَزاءً سَيِّئاً، فَأَفْتَاهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَأْخُذَ بِيَدِهِ حُزْمَةً مِنَ العِيدَانِ فِيهَا مِئَةُ عُودٍ، وَيَضْرِبَها بِهَا ضَرْبَةً وَاحِدَةً، فَيَتَحَلَّلَ مِنْ يَمِينِهِ، وَلاَ يَحْنَثَ، فَرَحِمَهُ اللهُ بِهَذِهِ الفَتْوَى، وَرَحِمَ زَوْجَتَهُ الصَّابِرَةَ، فَقَدْ كَانَ أَيُّوبُ عَبْداً مُخْلِصاً للهِ، كَثِيرَ الإِنَابَةِ إِلَيْهِ.

ضِغْثاً - طَاقَةً أَوْ حُزْمَةً صَغِيرَةً أَوْ قَبْضَةً.

﴿٤٥﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ

(عِبَادَنَا) (إِبْرَاهِيمَ) (وَإِسْحَاقَ) (الأَبْصَارِ)

(٤٥) - وَٱذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ أَيْضاً صَبْرَ عِبَادِ اللهِ: إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، الذِينَ شَرَّفَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ، وَقَوَّاهُمْ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ الذِي

يَرْضَى اللهُ عَنْهُ، وَآتَاهُمُ البَصِيرَةَ فِي الدِّينِ والفِقْهِ فِي أَسْرَارِهِ، والعَمَلِ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ، فَجَعَلَهُمْ مِمَّنْ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ بِعُقُولِهِمْ.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ فِي مَعْنَى أُولِي الأَيْدِي: إِنَّهُمْ ذَوُو قُوَّةٍ، وَقَالَ فِي مَعْنَى (وَالأَبْصَارِ)، إِنَّهُ الفِقْهُ فِي الدِّينِ).

(٤٦) إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ

(أَخْلَصْنَاهُمْ)

(٤٦) - وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْلَصَهُمْ وَمَيَّزَهُمْ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ، هِيَ ذِكْرُهُمُ الدَّارَ الآخِرَةَ لِيَعْمَلُوا لَهَا، فَهَذِهِ مِيزَتُهُمْ وَرِفْعَتُهُمْ.

أَخْلَصْنَاهُمْ - بِخَصْلَةٍ لاَ شَائِبَةَ فِيهَا.

(٤٧) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ

(٤٧) - وَهَذِهِ السِّيرَةُ جَعَلَتْهُمْ عِنْدَ اللهِ مجتبَيْنَ أَخْيَاراً، وَمُصْطَفَيْنَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ.

(٤٨) وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ

(إِسْمَاعِيلَ)

(٤٨) - وَاذْكُرْ أَنْبِيَاءَ اللهِ إِسْمَاعِيلَ واليَسَعَ وذَا الكِفْلِ الذِينَ شَرَّفَهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَجَعَلَهُمْ مِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ وَتَأَمَّلْ صَبْرَهُمْ، وَرَحْمَةَ اللهِ بِهِمْ.

(٤٩) هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ

(مَآبٍ)

(٤٩) - وَهَذَا الذِي تَقَدَّمَ سَرْدُهُ، مِنْ أَخْبَارِ الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ، فِيهِ ذِكْرٌ لَهُمْ، وَشَرَفٌ، وَإِشَادَةٌ بِمَحَاسِنِهِمْ، وَفِيهِ تَذْكِيرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ. والمُؤْمِنُونَ السُّعَدَاءُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ المُنْقَلَبُ الحَسَنُ، وَالمآبُ الكَرِيمُ.

هَذَا ذِكْرٌ - المَذْكُورُ مِنْ مَحَاسِنِهِم شَرَفٌ لَهُمْ.

(٥٠) جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ

(جنَّاتِ) (الأَبْوَابُ)

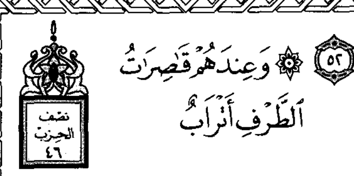
(٥٠) - وَهَذَا المآبُ الحَسَنُ هُوَ جَنَّاتُ آسْتِقْرَارٍ وَإِقَامَةٍ مُفَتَّحَةً أَبْوَابُهَا إِكْرَاماً لَهُمْ لِيَدْخُلُوهَا آمِنِينَ.

(٥١) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ

(بِفَاكِهَةٍ)

(٥١) - وَيَجْلِسُونَ فِي الجَنَّةِ مُتَّكِئِينَ عَلَى الأَرَائِكِ فِي وَضْعِ المُطْمَئِنِّ المُرْتَاحِ فِي جِلْسَتِهِ، وَيَطْلُبُونَ مَا يَشَاؤُونَ مِنْ أَنْوَاعِ الفَوَاكِهِ والشَّرَابِ بِلاَ تَحْدِيدٍ، وَهَذَا هُوَ مُنْتَهَى النَّعِيمِ.

يَدْعُونَ - يَطْلُبُونَ.



﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ (٥٢)

(قاصِراتُ)

(٥٢) ـ وَعِنْدَهُمْ نِساءٌ لا يَمْدُدْنَ أَبْصارَهُنَّ إِلَى غَيْرِ أَزْواجِهِنَّ حَياءً وَخَفَراً، وَهُنَّ مُتَساوِياتٌ فِي السِّنِّ مَعَهُمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الوِفاقِ بَيْنَهُمْ.

قاصِراتُ الطَّرْفِ ـ لاَ يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ.

أَتْرَابٌ ـ مُسْتَوِيَاتٌ فِي السِّنِّ.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ (٥٣)

(٥٣) ـ وَهَذَا النَّعِيمُ فِي الجَنَّاتِ التِي وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى، فِيمَا تَقَدَّمَ، هُوَ مَا وَعَدَ اللهُ عِبَادَهُ المُتَّقِينَ بِأَنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ بِهِ فِي يَوْمِ الحِسَابِ فِي الآخِرَةِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ (٥٤)

(٥٤) ـ وَهَذَا النَّعِيمُ، وَتِلْكَ الكَرَامَةُ، عَطَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، لاَ يَنْفَدُ، وَلاَ يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

نَفَادٌ ـ انْقِطَاعٌ وَفَنَاءٌ.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ (٥٥)

(لِلطَّاغِينَ) (مَآبٍ)

(٥٥) ـ هَذَا الذِي تَقَدَّمَ هُوَ جَزَاءُ المُؤْمِنِينَ الأَخْيَارِ، عَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَطَاعَةٍ لِرَبِّهِمْ. أَمَّا الكَافِرُونَ الخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَالمُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ الكِرَامَ، فَلَهُمْ سُوءُ المُنْقَلَبِ، وَشَرُّ العَاقِبَةِ.

لَشَرَّ مَآبٍ ـ لأَسْوَأَ مُنْقَلَبٍ وَمَصِيرٍ.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (٥٦)

(٥٦) ـ إِذْ تَكُونُ عَاقِبَتُهُم العَذَابَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُقَاسُونَ حَرَّهَا الشَّدِيدَ، وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَهْداً وَفِراشاً.

يَصْلَوْنَهَا ـ يَدْخُلُونَهَا أَوْ يُقَاسُونَ حَرَّهَا.

المِهَادُ ـ الفِرَاشُ.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ (٥٧)

(٥٧) ـ وَهَذَا العَذَابُ هُوَ جَزَاؤُهُمْ فِي الآخِرَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ. فَلْيَذُوقُوهُ فَهُوَ مَاءٌ حَارٌّ، مُتَنَاهٍ فِي شِدَّةِ حَرَارَتِهِ، وَقَدْ مُزِجَ بِالصَّدِيدِ الذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِهِم المُحْتَرِقَةِ فِي النَّارِ (غَسَّاق).

حَمِيمٌ ـ مَاءٌ بَلَغَ النِّهَايَةَ فِي الحَرَارَةِ.

غَسَّاقٌ ـ الصَّدِيدُ الذِي يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ المُحْتَرِقَةِ. وَقِيلَ إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ العَذَابِ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى.

(٥٨) وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ

(آخَرُ) (أَزْوَاجٌ)

(٥٨) - وَلَهُمْ صُنُوفٌ أُخرَى مِنَ العَذَابِ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا العَذَابِ يُعَذَّبُونَ بِهَا، كَالزَّمْهَرِيرِ، وَالسَّمُومِ، وَشُرْبِ الحَمِيمِ والغَسَّاقِ، وَأَكْلِ الزَّقومِ.

وَآخَرُ - وَعَذَابٌ آخَرُ.

أَزْوَاجٌ - أَصْنَافٌ.

(٥٩) هَٰذَا فَوۡجٌ مُّقۡتَحِمٌ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا
بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ

(صَالُو)

(٥٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ، وَكَيْفَ يَتَنكَّرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَكَيْفَ يَتَشَاتَمُونَ وَيَتَلاعَنُونَ، وَيُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَحِينَمَا يَرَى جَمَاعَةُ الكُبَرَاءِ، الذِينَ دَخَلُوا النَّارَ، فَوْجاً يَدْخُلُهَا مِنَ الأَتْبَاعِ الذِينَ يَعْرِفُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَذَا فَوْجٌ مِنَ الكَفَرَةِ الضَّالِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ مَعَكُمْ، فَلا مَرْحَباً بِهِمْ، إِنَّهُمْ سَيَذُوقُونَ عَذَابَ النَّارِ، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرَهَا.

فَوْجٌ - جَمْعٌ كَثِيفٌ.

مُقْتَحِمٌ - دَاخِلُ النَّارِ قَهْراً عَنْهُ.

(٦٠) قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ
قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ

(٦٠) - فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الأَتْبَاعُ الدَّاخِلُونَ قَائِلِينَ لَهُمْ، وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَهُمْ: بَلْ أَنْتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ فَأَنْتُمْ الذِينَ أَضْلَلْتُمُونَا وَدَعَوْتُمُونَا إِلَى مَا أَفْضَى بِنَا إِلَى هَذَا المَصِيرِ، فَبِئْسَ المَنْزِلُ وَالمُسْتَقَرُّ وَالمَصِيرُ.

فَبِئْسَ القَرَارُ - بِئْسَ المُسْتَقَرُّ لِلْجَمِيعِ جَهَنَّمُ.

(٦١) قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ
عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ

(٦١) - فَيَقُولُ الأتباعُ دَاعِينَ عَلَى رُؤُوسِ الضَّلالَةِ: رَبَّنَا عَذِّبْ مَنْ كَانَ السَّبَبَ فِي وُصُولِنَا إِلَى هَذَا العَذَابِ وأذِقْهُ عَذَاباً مُضَاعَفاً فِي النَّارِ: عَذَاباً لِضَلالِهِ، وَعَذَاباً آخَرَ لإِضْلالِهِ غَيْرَهُ.

(٦٢) وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا
نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ

(٦٢) - ثُمَّ يَلْتَفِتُ أَهْلُ النَّارِ لِيَبْحَثُوا بِأَنْظَارِهِمْ فِي النَّارِ عَنْ فُقَرَاءِ المُؤْمِنِينَ، وَضُعَفَائِهِمْ، الذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَعُدُّونَهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ، فَلا يَرَوْنَهُمْ فِي النَّارِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِمَاذَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ أَشْرَاراً فِي الدُّنْيَا، وَكُنَّا نَسْخَرُ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِيَّانَا إِلَى الإِيمَانِ؟ (وَهُمْ يَقْصِدُونَ فُقَرَاءَ المُؤْمِنِينَ).

﴿٦٣﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ

(أَتَّخَذْنَاهُمْ) (الْأَبْصَارُ)

(٦٣) - ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلِ آتَّخَذْنَاهُمْ مَوْضُوعاً لِلْهُزْءِ والسُّخْرِيَةِ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلاً لِذَلِكَ، فَكَانُوا عَلَى حَقٍّ، وَكُنَّا عَلَى بَاطِلٍ، فَفَازُوا بِدُخُولِ الجَنَّةِ، وَلَمْ يَدْخُلُوا النَّارَ مَعَنَا، أَمْ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ مَعَنَا وَلَكِنَّ أَبْصَارَنَا زَاغَتْ عَنْهُمْ، فَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِمْ؟

أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِياً - هَلْ جَعَلْنَاهُمْ مَوْضِعَ سُخْرِيَتِنَا.

زَاغَتِ الأَبْصَارُ - مَالَتْ فَلَمْ تَعْلَمْ مَكَانَهُمْ.

﴿٦٤﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ

(٦٤) - وَهَذَا الذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَحَادِيثِ أَهْلِ النَّارِ وَتَخَاصُمِهِمْ وَتَلاَعُنِهِمْ، لَحَقٌّ وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَع.

﴿٦٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ

(الْوَاحِدُ)

(٦٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ: إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ إِلَيْكُمْ لِأُحَذِّرَكُمْ مُخَالَفَةَ أَوَامِرِهِ حَتَّى لاَ يَحِلَّ بِكُمُ العَذَابُ مِثْلَمَا حَلَّ بِالأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ قَبْلِكُمْ كَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ.. وَلَسْتُ بِالسَّاحِرِ وَلاَ بِالكَذَّابِ، حِينَمَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الوَاحِدُ الذِي لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ مُعِينَ وَلاَ صَاحِبَةَ وَلاَ وَلَدَ، وَقَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ وَغَلَبَهُ بِعِزَّتِهِ وَجَبَرُوتِهِ.

﴿٦٦﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ

(السَّمَاوَاتِ) (الْغَفَّارُ)

(٦٦) - وَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّهُمَا وَمَالِكُهُمَا، وَهُوَ العَزِيزُ الذِي لاَ يُغَالَبُ، الغَفُورُ الذِي يَتَجَاوَزُ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، إِذَا تَابَ إِلَيْهِ وَأَصْلَحَ وَأَنَابَ.

﴿٦٧﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ

(نَبَأٌ)

(٦٧) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ مَا جِئْتُهُمْ بِهِ، وَمَا يُعْرِضُونَ عَنْهُ هُوَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَإِنَّ وَرَاءَهُ مَا وَرَاءَهُ.

﴿٦٨﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ

(٦٨) - وَلَكِنَّكُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ، لاَ تُفَكِّرُونَ فِيهِ، فَتَمَادَيْتُمْ فِي الغَفْلَةِ، وَالضَّلاَلَةِ والجَهَالَةِ.

﴿٦٩﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ

(٦٩) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّهُ لَوْلاَ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ، مَا كَانَ لِي أَنْ أَعْلَمَ شَيئاً مِنْ هَذَا الذِي ذَكَرْتُ مِنْ شَأْنِ المَلأِ الأَعْلَى: مِنْ أَمْرِ اللهِ لِلْمَلاَئِكَةِ بالسُّجُودِ لآدَمَ، وَآمْتِنَاعِ إِبْلِيسَ عَنِ السُّجُودِ، وَأَمْرِ اللهِ لآدَمَ وَزَوْجِهِ وَإِبْلِيسَ بِالهُبُوطِ إِلَى الأَرْضِ.

الْمَلأ الأَعْلى ـ الْمَلائِكَة.
يَخْتَصِمُونَ ـ يَتَجادَلُونَ فِي آدَمَ وَخَلْقِهِ.

٧٠ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

(٧٠) ـ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّني رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي بِأَبْيَنِ عِبارَةٍ وَأَوْضَحِ قَوْلٍ.

٧١ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ

(لِلْمَلائِكَةِ) (خالِقٌ)

(٧١) ـ وَآذْكُر لَهُمْ حِينَ أَعْلَمَ رَبُّكَ المَلائِكَةَ ـ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ ـ بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمإٍ مَسْنُونٍ.

٧٢ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ

(سَاجِدِينَ)

(٧٢) ـ وَأَمَرَهُم اللهُ تَعَالَى بالسُّجودِ لِهَذا البَشَرِ، مَتى أَتَمَّ اللهُ تَعالَى خَلْقَهُ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، تَعْظِيماً لَهُ وَتَكْرِيماً.
سَوَّيْتُهُ ـ أَتْمَمْتُ خَلْقَهُ بالصُّورَةِ الإِنْسَانِيَّةِ.
سَاجِدِينَ ـ تَحِيَّةً لَهُ وَتَكْرِيماً.

٧٣ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

(الْمَلائِكَةُ)

(٧٣) ـ فَامْتَثَلَتِ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ لأَمْرِ رَبِّهِمْ فَسَجَدُوا لآدَمَ تَعْظِيماً وَتَكْرِيماً.

٧٤ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ

(الْكافِرِينَ)

(٧٤) ـ وَلَمْ يَرْفُضِ الامْتِثَالَ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى لِلمَلائِكَةِ بالسُّجودِ لآدَمَ إِلاَّ إِبْلِيس، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ جِنْسِ المَلائِكَةِ، وَإِنَّما كَانَ مِنَ الجِنِّ، كَما جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1]، فَاسْتَنْكَفَ عَنِ السُّجودِ تَكَبُّراً فَكَفَرَ بِهَذا التَّكبرِ وَالبَغْضاءِ.

٧٥ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ

(يا إِبْلِيسُ)

(٧٥) ـ وَقالَ الرَّبُّ الكَرِيمُ لإِبْلِيسَ: مَا الذِي مَنَعَكَ مِنَ السُّجُودِ لآدَمَ الذِي خَلَقْتُهُ بِيَدي، هَلِ آسْتَكْبَرْتَ عَنْ إِطاعَةِ أَمْري؟ أَمْ كُنْتَ مِنَ المُتَعالِينَ الذِينَ لاَ يَخْضَعُونَ لأَمْري؟
العَالِينَ ـ المُسْتَحِقِّينَ لِلْعُلُوِّ والرِّفْعَةِ.

٧٦ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ

(٧٦) ـ وَأَجابَ إِبْلِيسُ رَبَّهُ الكَرِيمَ: إِنَّهُ لَم يَسْجُدْ لآدَمَ لأَنَّ اللهَ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ، بَيْنَما خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ، وَفي ظَنِّ إِبْلِيسَ أَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ، وَلِذلِكَ فَإِنَّ الأَعْلَى لاَ يَسْجُدُ لِلأَدْنَى.

---
(١) سورة الكهف الآية ٥٠.

﴿٧٧﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ

(٧٧) - فَأَصْدَرَ اللهُ تَعَالَى أَمْرَهُ إِلَى إِبْلِيس بِأَنْ يَخْرُجَ مِنَ الجَنَّـةِ (أَوْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)، مَلْعُوناً مَطْرُوداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

رَجِيمٌ - مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى.

﴿٧٨﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ

(٧٨) - وَإِنَّ لَعْنَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ سَتُلازِمُهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمِ البَعْثِ والنُّشُورِ، وَفِي ذَلِكَ اليَومِ يَجْزِي اللهُ إِبْلِيس بِكُفْرِهِ وَتَعَالِيهِ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ.

﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ

(٧٩) - وَسَأَلَ إِبْلِيسُ رَبَّهُ أَنْ يُنْظِرَهُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، وَأَنْ لاَ يُمِيتَـهُ قَبْلَ ذَلِكَ لِيَنْتَقِمَ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَتِهِ، وَلِيُحَاوِلَ إِضْلالَهُمْ، كَمَا كَانَ آدَمُ سَبَبَ مَا لَحِقَ بِهِ مِنْ طَرْدٍ، وَلَعْنَةٍ وَغَضَبٍ مِنَ اللهِ.

فَأَنْظِرْنِي - أَمْهِلْنِي وَلاَ تُمِتْنِي.

﴿٨٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ

(٨٠) - وَٱقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتُهُ أَنْ يُجِيبَ إِبْلِيسَ إِلَى مَا سَأَلَهُ مِنَ النَّظِرَةِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ المُنْظَرِينَ المُمْهَلِينَ.

﴿٨١﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ

(٨١) - إِلَى اليَومِ الذِي حَدَّدَهُ اللهُ مَوْعِداً لِمَوْتِ الخَلاَئِقِ ثُمَّ لِبَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ.

يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ - يَوْمِ القِيَامَةِ.

﴿٨٢﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ

(٨٢) - وَبَعْدَ أَنِ ٱسْتَوْثَقَ إِبْلِيسُ مِنْ وَعْدِ اللهِ تَعَالَى لَهُ بِالنَّظِرَةِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، كَشَفَ عَمَّا كَانَ يَسْتَهْدِفُهُ مِنْ سُؤَالِهِ رَبَّهُ النَّظِرَةَ والإِمْهَالَ، فَأَقْسَمَ بِعِزَّةِ اللهِ تَعَالَى وَجَلاَلِهِ عَلَى أَنَّـهُ سَيُضِلُّ جَمِيـعَ ذُرِّيَةِ آدَمَ عَلَيْـهِ السَّلاَمُ وَيُغْوِيهِمْ.

فَبِعِزَّتِكَ - أُقْسِمُ بِسُلْطَانِكَ وَجَبَرُوتِكَ.

لأُغْوِيَنَّهُمْ - لأُضِلَّنَّهُمْ بِتَزْيِينِ المَعَاصِي لَهُمْ.

﴿٨٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ

(٨٣) - وَلاَ يَسْتَثْنِي إِبْلِيسُ مِنَ الذِينَ سَيُحَاوِلُ إِغْوَاءَهُمْ إِلاَّ عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِينَ المُتَّقِينَ، لأَنَّهُ لاَ سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿٨٤﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ

(٨٤) - فَأَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ يَقُولُ الحَق دَائماً.

﴿٨٥﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ

(٨٥) - لَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ سَيَمْلأُ جَهَنَّمَ مِنْ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَتِهِ، وَمِمَّنْ يَتَّبِعُ غَوَايَةَ الشَّيْطَانِ وَحَبَائِلَهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، فَيُضِلُّهُ الشَّيْطَانُ عَنْ طَرِيقِ اللهِ القَوِيمِ.

٨٦ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ

(أَسْأَلُكُمْ)

(٨٦) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ : إِنَّنِي لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْراً عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ إِبْلَاغِكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ، وَإِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّنِي لَا أَتَكَلَّفُ مَا لَيْسَ عِنْدِي حَتَّى أَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ، وَلَا أَتَقَوَّلُ القُرْآنَ.

المُتَكَلِّفُ - الذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. وَالمُتَصَنِّعُ المُتَقَوِّلُ عَلَى اللهِ.

٨٧ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ

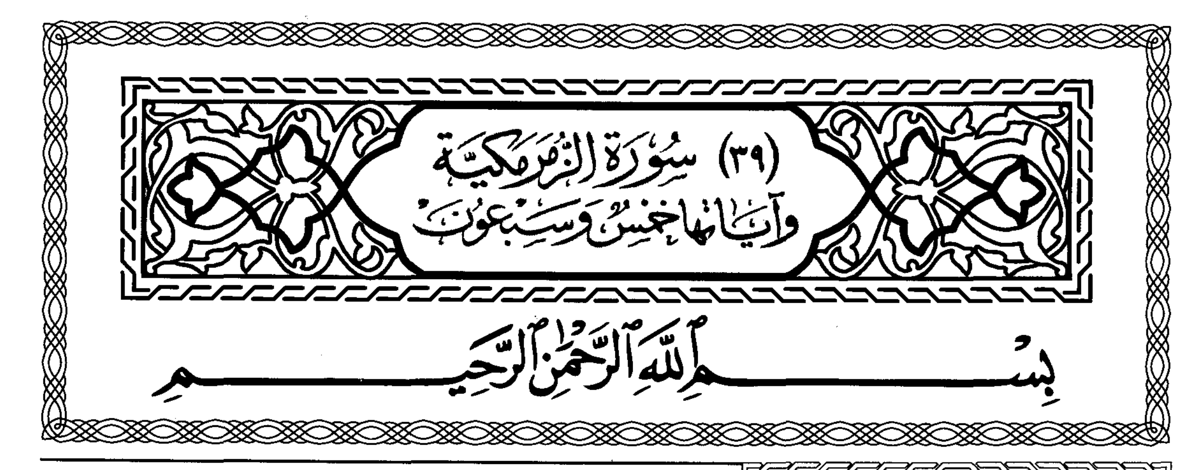
(لِلْعَالَمِينَ)

(٨٧) - وَمَا هَذَا القُرْآنُ إِلَّا عِظَةً لِلْعَالَمِينَ كَافَّةً مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ.

٨٨ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ

(٨٨) - وَإِذَا أَصْرَرْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ العِنَادِ والجَهْلِ ، وَأَبَيْتُمْ إِلَّا الإِقَامَةَ عَلَى الكُفْرِ والشِّرْكِ والضَّلَالَةِ، وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيهِ آبَاءَكُمْ، فَسَتَعْلَمُونَ حِينَمَا يَنْزِلُ بِكُم المَوتُ، إِنْ كُنْتُمْ عَلَى حَقٍّ فِي إِعْرَاضِكُمْ وَضَلَالِكُمْ، أَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ مُخْطِئِينَ.

نَبَأَهُ - صِدْقَ أَخْبَارِهِ.



﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ

﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ

﴿٣﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ

(الْكِتَاب)

(١) - هَـذَا الكِتَابُ العَـظِيمُ (أَيْ القُرْآنُ) مُنَـزَّلٌ مِنْ عِنْـدِ اللهِ، المَنِيـعِ الجَانِبِ (العَزِيزِ)، الحَكِيمِ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَأَفْعَالِهِ. فَهُوَ الحَقُّ الذِي لاَ شَكَّ فِيهِ وَلاَ مِرْيَةَ.

(الْكِتَابَ)

(٢) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ القُرْآنَ (الكِتَابَ) آمِراً بِالحَقِّ وَالعَدْلِ الوَاجِبِ اتِّبَاعُهُمَا، والعَمَلُ بِهِمَا، فَاعْبُدْهُ يَا مُحَمَّدُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ والعِبَادَةَ، وَادْعُ الخَلْقَ إِلَى ذَلِكَ.

مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ - مُمَحِّضاً لَهُ الطَّاعَةَ والعِبَادَةَ.

(كَاذِبٌ)

(٣) - أَلاَ للهِ وَحْدَهُ العِبَادَةُ والطَّاعَةُ، وَلاَ شَرِكَةَ لأَحَدٍ مَعَهُ فِيهِمَا، لأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ هُوَ مُلْكٌ لَهُ، وَعَلَى المَمْلُوكِ طَاعَةُ مَالِكِهِ، وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يُخْلِصَ العِبَادَةَ للهِ، والذِينَ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ مِنَ المُشْرِكِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا هُوَ أَنَّهُمْ مَثَّلُوا بِهَـذِهِ الأَصْنَامِ المَلاَئِكَةَ، فَعَبَدُوا تِلْكَ الصُّوَرَ تَنْزِيلاً لَهَا مَنْزِلَةَ المَلاَئِكَةِ، لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ فِي حَاجَاتِهِمْ.

وَكَانَ المُشْرِكُونَ يُبَرِّرُونَ عِبَادَتَهُمْ لِمَنْ هُمْ دُونَ اللهِ بِأَنَّ الإِلَهَ الأَعْظَمَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَعْبُدَهُ البَشَرُ مُبَاشَرَةً، فَهُمْ يَعْبُدُونَ هَذِهِ الآلِهَةَ، وَهِيَ تَعْبُدُ الإِلَهَ الأَعْظَمَ. واللهُ تَعَالَى يَحْكُمُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ مُتَّبِعِي الحَقِّ وَسُبُلِ الهُدَى، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ، وَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ.

﴿٤﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ

﴿٥﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ

﴿٦﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ

وَاللهُ تَعَالَى لَا يُرْشِدُ إلى الحَقِّ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ عَلَيْهِ، فَيَزْعُمُ أَنَّ لَهُ وَلَداً أَوْ صَاحِبَةً. تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

زُلْفَى - تَقَرُّباً.

(سُبْحَانَهُ) (الْوَاحِدُ)

(٤) - لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَكَانَ الأَمْرُ عَلَى خِلافِ مَا يَزْعُمُونَ، وَلَمَا رَضِيَ إلَّا بِأَكْمَلِ الأَبْنَاءِ، فَكَيْفَ نَسَبَ هَؤُلاءِ الجَهَلَةُ المُشْرِكُونَ إِلَيْهِ البَنَاتِ؟ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوّاً كَبِيراً عَمَّا يَقُولُونَ وَيَأْفِكُونَ، وَعَمَّا يَنْسُبُونَ إِلَيهِ فَهُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ، الذِي قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ، فَدَانَتْ لَهُ الخَلاَئِقُ وَذَلَّتْ.

سُبْحَانَهُ - تَنْزِيهاً لَهُ عَنِ اتِّخَاذِ وَلَدٍ.

(السَّمَاوَاتِ) (اللَّيْلَ) (الغفَّارُ)

(٥) - خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، وَأَبْدَعِ نِظَامٍ، وَجَعَلَهَا قَائِمَةً عَلَى الحَقِّ والصَّوَابِ، وَالحِكَمِ وَالمَصَالِحِ، يُتْبعُ اللَّيْلَ النَّهَارَ، وَيُتْبِعُ النَّهَارَ اللَّيْلَ، فَهُمَا مُتَعَاقِبَانِ مُتَلاَزِمَانِ لا يَفْتَرِقَانِ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ والقَمَرَ يَجْرِيَانِ فِي مَدَارَيْهِمَا بِنِظَامٍ لا يَخْرُجَانِ عَنْهُ، وَجَعَلَهُمَا مُسَخَّرَينِ مُذَلَّلَيْنِ لإِرَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَيَسْتَمِرَّانِ فِي دَوَرَانِهِمَا إِلَى أَجَلٍ عَيَّنَهُ اللهُ لَهُمَا، هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَنْتَهِي أَمْرُهُمَا. وَاللهُ هُوَ العَزِيزُ القَادِرُ عَلَى الانْتِقَامِ مِمَّنْ عَادَاهُ، وَهُوَ الغَفَّارُ الكَثِيرُ الغُفْرَانِ الذِي يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ إِلَيهِ، وَرَجَعَ إِلَيهِ مُنِيباً مُسْتَغْفِراً.

يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ - يَلُفُّهُ عَلَى النَّهَارِ لَفَّ اللِّبَاسِ عَلَى اللاَّبِسِ فَيَسْتُرُهُ فَتَظْهَرُ الظُّلْمَةُ.

(وَاحِدَةٍ) (الأَنْعَامِ) (ثَمَانِيَةَ) (أَزْوَاجٍ) (أُمَّهَاتِكُمْ) (ظُلُمَاتٍ) (ثَلاثٍ)

(٦) - وَقَدْ خَلَقَكُم اللهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَى اخْتِلافِ أَلْوَانِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ، مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ آدَمُ، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ آدمَ حَوَّاءَ، ثُمَّ بَثَّ مِنْهُمَا فِي الأَرْضِ رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً، وَخَلَقَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ هِيَ التي ذَكَرَهَا فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَينِ، وَمِنَ البَقَرِ اثنينِ، وَمِنَ الإِبلِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ)(١)، أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ذَكَراً وَأُنْثَى، وَقَدَّرَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ، فَيَكُونُ المَخْلُوقُ أَوَّلاً نُطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً، ثُمَّ يَخْلُقُ

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٣.

٧ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ
عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ
وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا
تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
٨ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ
ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ
ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ
مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ
لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ
تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

لَهُ لَحماً وَعِظَاماً وَأَعْصَاباً وَأَوْعِيَةً، وَيَنْفُخُ فِيهِ الرُوحَ، فَيَصِيرُ خَلْقاً آخَرَ، فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ.

وَتَكُونُ الأَجِنَّةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهَا مُحَاطَةً بِأَغْشِيَةٍ ثَلاثَةٍ سَمَّاهَا اللهُ تَعَالَى، ظُلُمَاتٍ، وَهَذِهِ الأَغْشِيَةُ يَعْرِفُهَا الطِّبُّ، وَلاَ تَظْهَرُ إِلاَّ بِالتَّشْرِيحِ الدَّقِيقِ، وَإِنْ بَدَتْ لِلْعَينِ وَكَأَنَّهَا غِشَاءٌ وَاحِدٌ (كَمَا يَقُولُ الدُّكْتُورُ عَبْدُ العَزِيزِ إِسْمَاعِيلُ)، (وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الثَّلاثَ هِيَ ظُلْمَةُ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةُ المُشَيْمَةِ، وَظُلْمَةُ البَطْنِ)، وَذَلِكَ الخَالِقُ القَادِرُ عَلَى خَلْقِ الكَوْنِ وَتَدْبِيرِهِ، كَما بَيَّنَهُ لَكُمْ هُوَ اللهُ رَبُّكُمْ، لَهُ المُلْكُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَلاَ تَنْبَغِي العِبَادَةُ إِلاَّ لَهُ، وَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ تَعَالَى، مَعَ تَوَفُّرِ مُوجِبَاتِهَا وَدَوَاعِيهَا، إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ مِمَّا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ؟

أَنْزَلَ لَكُمْ - أَنْشَأَ وَأَحْدَثَ لأَجْلِكُمْ.

ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ - ظُلُمَاتِ المُشَيْمَةِ ذَاتِ الأَغْلِفَةِ الثَّلاثَةِ، أَوْ هِيَ ظُلُمَاتُ الرَّحِمِ، والبَطْنِ، وَالمُشَيْمَةِ.

فَأَنَّى تُصْرَفُونَ - فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى مَا سِوَاهُ.

(٧) - وَإِنْ تَكْفُرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ بَيَانٍ يُوجِبُ عَلَيْكُمُ الإِيْمَانَ والشُّكْرَ فَإِنَّ كُفْرَكُمْ لَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً، فَهُوَ الغَنِيُّ عَنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لاَ يُحِبُّ الكُفْرَ لِعِبَادِهِ، وَلاَ يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا يُحِبُّ لِعِبَادِهِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ عَلَيْهِمْ. وَكُلُّ نَفْسٍ تُحَاسَبُ عَمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلاَ تُسْأَلُ نَفْسٌ عَمَّا فَعَلَتْهُ نَفْسٌ أُخْرَى؛ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَرْجِعُ الخَلْقُ إِلَى اللهِ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَبِمَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمَا أَعْلَنُوهُ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ - لاَ تَحْمِلُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً أَوْ إِثْماً.

(الإِنْسَانَ) (يَدْعُو) (أَصْحَابِ)

(٨) - وَالإِنْسَانُ الكَافِرُ لاَ يَتَذَكَّرُ رَبَّهُ إِلاَّ عِنْدَ الحَاجَةِ، فَإِذَا أَصَابَهُ البَلاَءُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ فِي مَعِيشَتِهِ، أَوْ نَزَلَ بِهِ خَوْفٌ عَلَى حَيَاتِهِ آسْتَغَاثَ بِرَبِّهِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ، وَدَعَاهُ مُخْلِصاً مُنِيباً لِيَكْشِفَ عَنْهُ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلاءٍ وَشِدَّةٍ، فَإِذَا صَرَفَ اللهُ عَنْهُ مَا نَزَلَ بِهِ، وَأَغْدَقَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ، نَسِيَ اللهَ، وَتَرَكَ التَّضَرُّعَ إِلَيهِ، وَجَعَلَ للهِ شُرَكَاءَ، وَأَضَلَّ النَّاسَ، وَمَنَعَهُمْ مِنَ الإِيْمَانِ بِاللهِ.

وَيَتَوَعَّدُ اللهُ هَذَا الكَافِرَ وَأَمْثَالَهُ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ قُلْ لَهُ: تَمَتَّعْ

أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ

بِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ زُخْرُفٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٍ ، وَلَـذَّةٍ عَابِـرَةٍ، فَمَا هِيَ إِلاَّ مُـدَّةٌ يَسِيرَةٌ فَيَنْتَهِي أَجَلُكَ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى النَّارِ، فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِهَا، وَتَخْلُدُ فِيهَا أبداً.

مُنِيباً إِلَيهِ - رَاجِعاً إِلَيهِ وَمُسْتَغِيثاً بِهِ.

خَوَّلَهُ نِعْمَةً - أَعْطَاهُ نِعْمَةً عَظِيمَةً تَفَضُّلاً وَإِحْسَاناً.

أَنْدَاداً - أَمْثَالاً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿٩﴾ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ

(أَمْ مَنْ) (قَانِتٌ) (آنَاء) (اللَّيْلِ) (قائماً) (يَرْجُو) (أُولُو)(الأَلْبَابِ)

(٩) - وَهَلْ يَسْتَوِي حَالُ هَذَا المُشْرِكِ الذِي يَكْفُرُ بِنِعَمِ اللهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ الأَصْنَامَ وَالأَنْدَادَ، وَلاَ يَذْكُرُ اللهَ إِلاَّ عِنْدَ الشِّدَّةِ والبَلاَءِ، مَعَ حَالِ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ قَائِمٌ بِأَدَاءِ الطَّاعَاتِ، وَدَائِبٌ عَلَى العِبَادَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ حِينَمَا يَكُونُ النَّاسُ نِيَاماً، لاَ يَرْجُو مِنْ أَدَائِهَا غَيْرَ رِضْوَانِ اللهِ وَثَوَابِهِ وَرَحْمَتِـهِ، إِنَّهُمَا بِلاَ شَكٍّ لاَ يَسْتَوِيَانِ.

ثُمَّ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى عَـدَمَ التَّسَـاوِي بَيْنَ المُؤْمِنِ المُـطِيـعِ والكَـافِرِ الجَاحِدِ، فَقَالَ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ: هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُـونَ مَا لَهُمْ فِي طَـاعَةِ رَبِّهِمْ مِنْ ثَـوَابٍ، وَمَا لَهُمْ فِي مَعْصِيَتِـهِ مِنْ عِقَابٍ، وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنَّمَا يَعْتَبِرُ بِحُجَجِ اللهِ، وَيَتَّعِظُ بِهَا، وَيَتَدَبَّرُهَا أَهْلُ العُقُولِ والأَفْهَامِ ، لاَ أَهْلُ الجَهْلِ والغَفْلَةِ.

هُوَ قَانِتٌ - مُطِيعٌ خَاضِعٌ لِلرَّبِّ.

آنَاءَ اللَّيْلِ - سَاعَاتِهِ.

﴿١٠﴾ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ

(يَا عِبَادِ) (آمَنُوا) (وَاسِعَةٌ) (الصَّابِرُونَ)

(١٠) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يَعِظَ المُؤْمِنِينَ، وَبِأَنْ يَـأْمُرَهُمْ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى، وَالثَّبَاتِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَبِأَنْ يَذْكُرَ لَهُمْ أَنَّـهُ مَنْ أَحْسَنَ مِنْهُمُ العَمَلَ فَلَهُ الجَزَاءُ الحَسَنُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَأَنْ يَقُولَ لِلْمُؤْمِنِينَ مُرَغِّباً إِيَّاهُمْ فِي الهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ: إِنَّ أَرْضَ اللهِ وَاسِعَةٌ فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا القِيَامَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ فِي البَلَدِ الذِي هُمْ فِيهِ، فَعَلَيهِم الهِجْرَةُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ تَتَوَفَّرُ فِيهِ حُرِّيَـةُ العِبَادَةِ، وَإِنَّ اللهَ يُـوَفِّي الصَّابِـرِينَ عَلَى الابْتِلاَءِ، ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

التَّقْوَى - اتِّخَاذُ شَيءٍ يُتَّقَى بِهِ المَكْرُوهُ.

بِغَيْرِ حِسَابٍ - بِلاَ نِهَايَةٍ لِمَا يُعْطِي أَوْ بِتَوْسِعَةٍ.

١١ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ

١٢ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ

١٣ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

١٤ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى

١٥ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ

١٦ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ

١٧ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ

(١١) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَنْ أَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ أُخْلِصَ لَهُ العِبَادَةَ.

(١٢) - وَأَمَرَنِي رَبِي بِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَٱنْقَادَ، وَأَخْلَصَ العِبَادَةَ وَالتَّوْحِيدَ للهِ.

(١٣) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي أَخَافُ - وَأَنَا رَسُولُ اللهِ - عَذَابَ يَوْمِ القِيَامَةِ الكَثِيرِ الأَهْوَالِ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي، وَتَرَكْتُ الإِخْلاَصَ لَهُ وَإِفْرَادَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ.

(١٤) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّنِي أَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأُخْلِصُ لَهُ عِبَادَتِي.

(الْخَاسِرِينَ) (الْقِيَامَةِ)

(١٥) - فَاعْبُدُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا المُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ مَا شِئْتُمْ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ، وَسَتَعْلَمُونَ سُوءَ مُنْقَلَبِكُمْ حِينَمَا تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الخُسْرَانَ الذِي لاَ خُسْرَانَ بَعْدَهُ، هُوَ خُسْرَانُ النَّفْسِ وَإِضَاعَتُهَا بِالضَّلاَلِ، وَخُسْرَانُ الأَهْلِ، وَعَدَمُ الالْتِقَاءِ بِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، سَوَاءٌ ذَهَبَ الخَاسِرُ إِلَى النَّارِ وَأَهْلُهُ إِلَى الجَنَّةِ، أَوْ ذَهَبُوا جَمِيعاً إِلَى النَّارِ، وَذَلِكَ الخُسْرَانُ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ الظَّاهِرُ لِفَظَاعَتِهِ وَهَوْلِهِ.

(يَا عِبَادِ)

(١٦) - يَصِفُ اللهُ تَعَالَى حَالَ هَؤُلاَءِ الخَاسِرِينَ وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِيهَا، وَمِنْ فَوْقِهِمْ طَبَقَاتٌ مُتَرَاكِمَةٌ مِنَ النَّارِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَكَأَنَّهَا الظُّلَلُ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ طَبَقَاتٌ مِثْلُهَا، فَتَغْمُرُهُمُ النَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُصُّ عَلَى النَّاسِ مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ الكُفَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُخَوِّفَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ اليومِ، فَيَزْدَجِرَ العُقَلاَءُ عَنِ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي، وَيَعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللهِ، فَيَا عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا رَبَّكُمْ تَعَالَى، وَبَالِغُوا فِي الخَوْفِ والحَذَرِ، وَلاَ تَرْتَكِبُوا مَا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ.

ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ - أَطْبَاقٌ مِنْهَا مُتَرَاكِمَةٌ.

(الطَّاغُوتَ)

(١٧) - والذينَ ٱجْتَنَبُوا عِبَادَةَ الأَصْنَامِ، وَٱتِّبَاعَ الشَّيَاطِينِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ مُعْرِضِينَ عَمَّا سِوَاهُ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ بِالثَّوَابِ العَظِيمِ حِينَ المَوْتِ، وَحِينَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الحِسَابِ.

الطَّاغوتَ ـ الشَّيطانَ وَيُطْلَقُ عَلَى الواحِدِ والجَمْعِ وَسُمِّيَتْ عِبادَةُ الأَوْثَانِ عِبَادَةً لِلشَّيْطَانِ. أَوْ هُوَ الأَوْثَانُ وَالمَعْبُوداتُ البَاطِلَةُ.

أَنَابُوا إِلَى اللهِ ـ رَجَعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ.

﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

(أُولَئِكَ) (هَدَاهُمُ) (أُولُو) (الأَلْبَاب)

(١٨) ـ وَهَؤُلاءِ الذِينَ آجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ، وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَسَمِعُوا القَوْلَ فَاتَّبَعُوا أَحْسَنَهُ وَأَوْلَاهُ بالقَبُولِ.. هَؤُلاءِ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بالنَّعِيمِ المُقِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأولَئِكَ هُمُ الذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِلرَّشَادِ وَالصَّوَابِ، وَأولَئِكَ هُمْ أَصْحَابُ العُقُولِ والأَفْهَامِ السَّلِيمَةِ.

﴿١٩﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ

(١٩) ـ أَفَمَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ، هَلْ تَقْدِرُ أَنْتَ أَنْ تُنْقِذَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّلالَةِ والهَلَكَةِ؟ إِنَّهُ لا يَمْلِكُ أَحَدٌ هِدَايَةَ الخَلْقِ إِلَّا اللهُ تَعَالَى، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لا تَمْلِكُ القُدْرَةَ عَلَى إِنْقَاذِ أحدٍ مِنَ النَّارِ، بَعْدَ أَنْ وَجَبَتْ لَهُ العُقُوبَةُ.

حَقَّ عَلَيْهِ ـ وَجَبَ وَثَبَتَ عَلَيهِ.

﴿٢٠﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ

(الأَنْهار)

(٢٠) ـ أَمَّا المُتَّقُونَ مِنْ عِبادِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يَجْزِيهِمْ عَلَى إِيْمانِهِمْ وَعَمَلِهِم الصَّالِحِ بِإِدْخَالِهِم الجَنَّةَ، وبِأَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ فِيهَا دُوْراً شَاهِقَةً (غُرَفٌ) مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مُحْكَمَةُ البُنْيَانِ، وَتَجْرِي الأَنْهَارُ خِلالَ أَشْجَارِهَا، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ حَقٌّ لِلمُتَّقِينَ، وَاللهُ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبداً.

لَهُمْ غُرَفٌ ـ مَنَازِلُ رَفِيعَةٌ عَالِيَةٌ فِي الجَنَّةِ.

﴿٢١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ

(يَنَابِيعَ) (أَلْوانُهُ) (فَتَرَاهُ) (حُطاماً) (الأَلْبَاب)

(٢١) ـ يُشَبِّهُ اللهُ تَعالَى حالَ الدُّنْيا فِي نَضْرَتِهَا وَسُرْعَةِ آنْقِضَائِها بِحَالِ المَاءِ الذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَجْرِي عُيوناً فِي الأَرْضِ فَتُسْقَى بِهَذَا المَاءِ الأَرضُ فَتنبتُ الزَّرعَ والنَّبَاتَ والخُضْرَةَ من كُلِّ لونٍ، وَتُصْبِحُ الأَرضُ خَضِرَةً نَضِرَةً، ثُمَّ لا يَلْبَثُ هذا النَّبَاتُ أَنْ يَنْضجَ وَيَجِفَّ وَيَصْفَرَّ، ثُمَّ يُصْبِحَ يَابساً يَتَكَسَّرُ. وفي كُلِّ ذلِكَ عِظَةٌ وعِبْرَةٌ لِذَوِي العُقُولِ السَّلِيمَةِ تُنَبِّهُهُمْ إِلَى عَدَمِ الاغترارِ بالدُّنيا وزُخْرُفِهَا ونَعِيمِهَا الزَّائِلِ.

سَلَكَهُ يَنَابِيعَ ـ أَدْخَلَهُ فِي عُيونٍ وَمَجَارٍ.

يَهِيجُ ـ يَنْضجُ وَيَجِفُّ.

يَجْعَلُهُ حُطَاماً ـ يُصَيِّرُهُ هَشِيماً مُحطَّماً مُفَتَّتاً.

﴿٢٢﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(لِلإِسْلَام) (لِلْقَاسِيَةِ) (أُولَئِكَ) (ضَلَال)

(٢٢) - هَلْ يَسْتَوِي مَنْ دَخَلَ نورُ الإِيْمَانِ إِلَى قَلْبِهِ، وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ لَهُ، لِمَا رَأَى فِيهِ مِنَ الخَيرِ والصَّوَابِ والهِدَايَةِ، مَعَ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللهِ، وَهُوَ قَاسِي القَلْبِ بَعِيدٌ عَنِ الهُدَى والحَقِّ؟ إِنَّهُمَا لاَ يَسْتَوِيَانِ أَبَداً. فالوَيلُ وَالهَلاَكُ لِمَنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، فَأَصْبَحَتْ لاَ تَلينُ لِذِكْرِ اللهِ، فَهَؤُلاءِ القُسَاةُ القُلُوبِ هُمْ فِي غَوَايَةٍ ظَاهِرَةٍ (فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ، وَعَلاَمَةُ ذَلِكَ: الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ، والتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، والتَّأَهُّبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ).

فَوَيلٌ - فَهَلاَكٌ أَوْ حَسْرَةٌ أَوْ شِدَّةُ عَذَابٍ.

﴿٢٣﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ

(كِتَاباً) (مُتَشَابِهاً)

(٢٣) - اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ قُرْآناً يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً (مَثَانِيَ)، وَيَتَرَدَّدُ فِيهِ القَوْلُ، مَعَ المَوَاعِظِ والأَحْكَامِ لِيَفْهَمَ النَّاسُ مَا أَرَادَ رَبُّهُمْ تَعَالَى، وَإِذَا تُلِيَتْ مَعَهُ آيَاتُ العَذَابِ والعِقَابِ اقْشَعَرَّتْ لَهَا جُلودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَوَجِلَتْ لَهَا قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ آيَاتُ الرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ والثَّوَابِ تَلِينُ قُلُوبُهُمْ، وَتَطْمَئِنُّ نُفُوسُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ. وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَقَدْ هَدَاهُ اللهُ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ سَيُعْرِضُ عَنِ الحَقِّ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ مِنْ دُونِ اللهِ.

أَحْسَنَ الحَدِيثِ - أَبْلَغَهُ وَأَصْدَقَهُ وَأَوْفَاهُ وَهُوَ القُرْآنُ.

كِتَاباً مُتَشَابِهاً - يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً فِي إِعْجَازِهِ وَهِدَايَتِهِ.

مَثَانِي - مُكَرَّراً فِيهِ الأَحْكَامُ والمَوَاعِظُ.

تَقْشَعِرُّ مِنْهُ - تَرْتَعِدُ وَتَنْقَبِضُ مِنْ قَوَارِعِهِ.

تَلِينُ جُلُودُهُمْ - تَسْكُنُ وَتَطْمَئِنُّ، وَتُصْبِحُ لَيِّنَةً غَيْرَ مُنْقَبِضَةٍ.

﴿٢٤﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ

(الْقِيَامَةِ) (لِلظَّالِمِينَ)

(٢٤) - لاَ يَسْتَوِي المُجْرِمُونَ وَالمُتَّقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَالمُجْرِمُونَ الكَافِرُونَ يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَيْدِيهِمْ مَغْلُولَةٌ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْفَعُوا بِهَا سُوءَ العَذَابِ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُضْطَرُّونَ إِلَى تَلَقِّي العَذَابِ بِوُجُوهِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ تَبْكِيتاً وَتَقْرِيعاً: ذُوقُوا العَذَابَ الأَلِيمَ جَزَاءً لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَإِجْرَامِكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أَمَّا المُؤْمِنُونَ المُتَّقُونَ فَيَأْتُونَ يَومَ القِيَامَةِ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى اتِّقَاءِ مَحْظُورٍ مَخُوفٍ.

(٢٥) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

(٢٦) فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ

(٢٧) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(٢٨) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

(٢٩) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(فَأَتَاهُمْ)

(٢٥) - كَذَّبَتِ الأُمَمُ السَّابِقَةُ رُسُلَهَا فَصَبَّ اللهُ العَذَابَ عَلَى الذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَأَخَذَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ.

(الْحَيَاةِ)

(٢٦) - فَأَخْزَاهُمُ اللهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا بِمَا أَنْزَلَهُ بِهِمْ مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَإِنَّ عَذَابَ الآخِرَةِ أَكْبَرُ وأَشَدُّ نَكَالاً مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، لَوْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والنَّظَرِ والتَّقْدِيرِ.

الخِزْيُ - الذُّلُّ والهَوَانُ.

(الْقُرْآنِ)

(٢٧) - وَلَقَدْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُقَرِّبَ المَعَانِيَ مِنْ أَفْهَامِ النَّاسِ فَضَرَبَ لَهُمُ الأَمْثَالَ فِي القُرْآنِ، وَنَوَّعَ الأَمْثَالَ فِيهِ زِيَادَةً فِي تَقْرِيبِ المَعَانِي وَإِيضَاحِهَا، لَعَلَّ النَّاسَ يَفْهَمُونَ وَيُدْرِكُونَ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى، وَلَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ بِمَا قَصَّهُ عَلَيْهِمْ.

(قُرْآناً)

(٢٨) - وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى القُرْآنَ عَرَبِياً وَاضِحاً لاَ لَبْسَ فِيهِ وَلاَ غُمُوضَ، وَلاَ عِوَجَ وَلاَ انْحِرَافَ لِيَفْهَمَ العَرَبُ مَعَانِيَهُ. وَيَعُوا مَرَامِيَهُ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اللهَ، وَيَحْذَرُونَ نِقَمَهُ.

عِوَجٍ - اخْتِلاَفٍ وَاضْطِرَابٍ وَاعْوِجَاجٍ.

(مُتَشَاكِسُونَ)

(٢٩) - يَضْرِبُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ مَثَلاً لِلْمُشْرِكِ الذِي يَعْبُدُ آلِهَةً مَعَ اللهِ، وَلِلْمُؤْمِنِ الذِي يُخْلِصُ العِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ، وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ مَثَلَ هَذِينِ الرَّجُلَينِ كَمَثَلِ عَبْدَينِ أَحَدِهِمَا يَمْلِكُهُ شُرَكَاءُ مُخْتَلِفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَهُمْ يَتَجَاذَبُونَهُ فِي أُمُورِهِمْ، وَهُوَ حَائِرٌ فِي أَمْرِهِ، إِذَا هُوَ أَرْضَى أَحَدَهُمْ أَغْضَبَ الآخَرِينَ، وَإِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرٍ مُهِمٍّ طَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الآخَرِينَ، فَهُوَ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ وَنَصَبٍ. أَمَّا العَبْدُ الآخَرُ فَيَمْلِكُهُ رَجُلٌ سَوِيٌّ وَاحِدٌ، يَقُومُ العَبْدُ عَلَى خِدْمَتِهِ بِرَاحَةٍ وَإِخْلاَصٍ، فَأَيُّ العَبْدَينِ أَحْسَنُ حَالاً؟ فَكَمَا أَنَّهُ لاَ يَشُكُّ عَاقِلٌ فِي أَنَّ العَبْدَ الذِي يَخْدُمُ سَيِّداً وَاحِداً أَحْسَنُ حَالاً، كَذَلِكَ لاَ شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ أَحْسَنُ حَالاً مِنَ المُشْرِكِ.

وَإِذْ أَقَامَ اللهُ تَعَالَى الحُجَّةَ عَلَى المُشْرِكِينَ حَمِدَ نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عَلَى

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ٣٢ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٣٥﴾

الجزء ٢٤ الحزب ٤٧

هـذا البَيانِ والإيْضَـاحِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّـاسِ لاَ يَعْلَمُونَ هَـذِهِ الحَقِيقَةَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهمْ يُشْرِكُونَ بِاللهِ .

شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ - مُتَنَازِعُونَ شَرِسُو الطِّبَاعِ .

سَلَماً لِرَجُلٍ - خَالِصاً لَهُ مِنَ الشَّرِكَةِ والمُنَازَعَةِ.

(٣٠) - سَتَمُوتُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، وَسَيَمُوتُونَ هُمْ أَيْضاً.

(الْقِيَامَةِ)

(٣١) - ثُمَّ يَبْعَثُكُمُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ قُبُورِكُمْ، وَيَحْشُرُكُمْ إِلَيْهِ فَتَخْتَصِمُونَ عِنْدَهُ. فَتَحْتَجُّ أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ أَبْلَغْتَهُمْ مَا أَرْسَلَكَ بِهِ رَبُّكَ إِلَيْهِمْ فَكَذَّبُوكَ، وَيَأْتُونَ هُمْ بِأَعْذَارٍ وَاهِيَةٍ لاَ تُفِيدُهُمْ، وَلاَ تَدْفَعُ عَنْهُمْ سُوءَ العَذَابِ.

(لِلْكَافِرِينَ)

(٣٢) - لاَ أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِنْ شَخْصٍ قَالَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ فَجَعَلَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى، وَادَّعَى أَنَّ المَلاَئِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، أَوْ جَعَلَ للهِ وَلَداً، ثُمَّ كَذَّبَ بِالحَقِّ (بِالصِّدْقِ) لَمَّا جَاءَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِ اللهِ، وَهُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ والإِيْمَانِ بِهِ، وَالإِيْمَانِ بِالبَعْثِ والنُّشُورِ. وَاللهُ تَعَالَى سَيَجْزِي مَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ، وَكَذَّبَ بِالحَقِ بِإِدْخَالِهِ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَفَلاَ تَكْفِي نَارُ جَهَنَّمَ الكَافِرِينَ جَزَاءً لَهُمْ، وَمَثْوىً وَمَنْزِلاً عَلَى أَعْمَالِهِم القَبِيحَةِ؟

مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ - مَأْوًى وَمَقَامٌ لَهُمْ.

(أُولَئِكَ)

(٣٣) - والذِي جَاءَ بِالحَقِّ والصِّدْقِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَالذِي صَدَّقَ بِالحَقِّ الذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ (وَهُمُ المُؤْمِنُونَ)، هُمُ الذِينَ اتَّقَوا اللهَ فَوَحَّدُوهُ، وَتَبَرَّؤوا مِنَ الشِّرْكِ وَمِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ وَالأَنْدَادِ، وَأَدَّوا الطَّاعَاتِ للهِ رَجَاءَ ثَوَابِهِ.

(يَشَاؤُونَ)

(٣٤) - وَهؤُلاَءِ المُتَّقُونَ لَهُمُ الكَرَامَةُ عِنْدَ رَبِّهِم فَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهُ، وَلَهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ، وَتَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ.

(٣٥) - وَيَجْزِيهِمُ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ الجَزَاءِ الحَسَنِ لِيُحَقِّقَ مَا أَرَادَهُ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَكَرَامَةٍ، وَمِنْ فَضْلٍ يَزِيدُ عَلَى العَدْلِ يُعَامِلُهُمْ بِهِ. فَالعَدْلُ أَنْ تُحْسَبَ الحَسَنَاتُ وَتُحْسَبَ السَّيِّئَاتُ ثُمَّ يَكُونَ الجَزَاءُ. أَمَّا الفَضْلُ فَهُوَ أَنْ يُعَامِلَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى، وَهُوَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ أَسْوَأَ أَعْمَالِهِم فَلاَ يَبْقَى

(٣٦) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ

(٣٧) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ

(٣٨) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ

(٣٩) قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

لَها حِسَابٌ في مِيزَانِهِم، وَأَنْ يَجزيَهُم أَجْرَهُمْ بِحِسَابِ الأَحْسَنِ فِيما كَانُوا يَفْعَلُونَه، فَتزيدُ الحَسَنَاتُ وَتَرجَحُ عَلى السَّيئاتِ فِي المِيزَانِ.

(٣٦) - واللهُ تَعَالى يَكْفِي الذِي يَعْبُدُهُ وَيَتوكَّلُ عَلَيهِ فَيُؤَمِّنُ الرِّزْقَ لَهُ، وَيصْرِفُ عَنْهُ البَلاَءَ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى الأَعْدَاءِ. وَيُخَوِّفُكَ المُشْرِكُونَ بِغيرِ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْدادِ التِي يَعْبُدونها جَهْلاً وَضَلالاً، فَهَذِهِ الأَصْنَامُ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، وَكُلُّ نَفْعٍ وَضُرٍّ لا يَصِلُ إلا بِإِرَادَةِ اللهِ تَعَالى.

وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ فَلا هَادِيَ لَهُ يَهدِيهِ إلى الرَّشَادِ، وَيُنْقِذُهُ مِنَ الضَّلالَةِ.

(٣٧) - وَمَنْ يُوَفِّقْهُ اللهُ إِلَى الخَيْرِ والهُدَى والسَّعَادَةِ فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُضِلَّهُ، وَلاَ أَنْ يَصُدَّهُ عَنْ مَقْصَدِهِ إِذْ لاَ رَادَّ لأَمرِ اللهِ. وَاللهُ عَزِيزٌ لاَ يُغَالَبُ، وَهُوَ تَعَالَى ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَمَنْ لَجَأَ إِلَى بَابِهِ الكَرِيمِ فَلاَ يُضَامُ.

(لَئِن) (السَّمَاوَاتِ) (أَفرَأَيْتُم) (كَاشِفَاتُ) (مُمْسِكَاتُ)

(٣٨) - وَإِذَا سَأَلْتَ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، فَإِنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ اللهُ العَالِمُ الحَكِيمُ. وَإِذَا كَانُوا يُقِرُّونَ بِوُجُودِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الخَلْقِ، فَكَيْفَ سَاغَ لَهُمْ عِبَادَةُ غَيْرِهِ، أَوْ إِشْرَاكُ غَيْرِهِ مَعَهُ فِي العِبَادَةِ؟

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرُونِي عَنْ آلِهَتِكُمْ هَذِهِ هَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَكْشِفَ عَنِّي ضُراً أَرَادَ اللهُ أَنْ يُنْزِلَهُ بِي، أَوْ تَمْنَعَ وُصُول خَيرٍ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيَّ؟ وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّهُمْ سَيُقِرُّونَ بِأَنَّهَا غَيرُ قَادِرَةٍ عَلَى شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الأَصْنَامُ لاَ تَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ فَلاَ يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَعْبُدَهَا وَيُخَاصِمَ فِي سَبِيلِهَا. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَسْبِي وَكَافِيَّ. وَأَنَا أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِي، وَعَلَيْهِ يَجِبُ أَنْ يَتَوَكَّلَ مَنْ أَرَادَ التَّوَكُّلَ وَالاعْتِمَادَ.

(وَفِي الحَدِيثِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ). (أَخْرَجَهُ آبْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ آبْنِ عَبَّاسٍ).

أَفرَأَيْتُم - أَخْبِرُونِي.

حَسْبِي اللهُ - اللهُ كَافِيَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِي.

(يَا قَوْمِ) (عَامِلٌ)

(٣٩) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ: آعْمَلُوا أَنْتُمْ عَلَى طَرِيقَتِكُمْ مَا تَرَوْنَهُ حَسَناً، وَإِنِي أَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِي وَمَنْهَجِي مَا يُوَفِّقُنِي اللهُ إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ إِبْلاَغِ دَعْوَةِ اللهِ إِلَى النَّاسِ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ مَنْ سَيَكُونُ الرابِحُ الفَائِزُ أَنَا أَوْ أَنْتُم؟

﴿٤٠﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

مَكَانَتِكُمْ - حَالَتِكُمْ المَتمَكِّنِينَ مِنْهَا، أَوْ مَنْهَجِكُمْ، وَطَرِيقَتِكُمْ.

(٤٠) - وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ المُبْطِلُ الذِي يَنْزِلُ بِهِ عَذَابُ اللهِ المُخْزِي المُهِينُ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ يَكُونُ العَذَابُ عَاقِبَتَهُ فِي الآخِرَةِ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاناً.

يُخْزِيهِ - يُذِلُّهُ.

يَحِلُّ عَلَيْهِ - يَجِبُ عَلَيْهِ.

﴿٤١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ

(الْكِتَابَ)

(٤١) - إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ يَا مُحَمَّدُ، مُشْتَمِلاً عَلَى الحَقِّ الثَّابِتِ لِتُبَلِّغَهُ إِلَى جَمِيعِ الخَلْقِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، وَلِتَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلِتُنْذِرَهُمْ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ، فَمَنِ اهْتَدَى وَآمَنَ بِمَا جِئْتَهُ بِهِ فَإِنَّ فَائِدَةَ ذَلِكَ تَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ وَضَلَّ، فَإِنَّهُ لاَ يُضِلُّ إِلاَّ نَفْسَهُ، وَلاَ يَضُرُّ إِلاَّ نَفْسَهُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَسْتَ رَقِيباً تُرَاقِبُ مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مُبَلِّغٌ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ وَعَلَى اللهِ الحِسَابُ.

﴿٤٢﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(لآيَاتٍ)

(٤٢) - اللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يَقْبِضُ الأَنْفُسَ حِينَ انْتِهَاءِ الآجَالِ بِالمَوْتِ، وَيَتَوفَّى الأَنْفُسَ النَّائِمَةَ التِي لَمْ يَحِنْ أَجَلُهَا، فَيَقْبِضُهَا عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الأَجْسَادِ، مَعَ بَقَاءِ الأَرْوَاحِ مُتَّصِلَةً بِهَا، فَيُمْسِكُ اللهُ الأَنْفُسَ، التِي قَضَى عَلَيْهَا بالمَوْتِ، فَلاَ يَرُدُّهَا إِلَى الأَجْسَادِ، وَيَرُدُّ الأَنْفُسَ النَّائِمَةَ إِلَى الأَجْسَادِ حِينَ اليَقَظَةِ إِلى أَجَلٍ مُسمى، وَهُوَ وَقْتُ المَوْتِ المُقَرَّرِ. وَفِيمَا ذُكِرَ آيَاتٌ عَظِيمَةٌ، وَدَلاَلاَتٌ كَبِيرَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ، لِمَنْ يَتَفَكَّرُونَ فِي عَجَائِبِ صُنْعِ اللهِ

يَتوفَّى الأَنْفُسَ - يَقْبِضُهَا عَنِ الأَبْدَانِ.

﴿٤٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ

(٤٣) - أَمْ أَنَّ المُشْرِكِينَ اتَّخَذُوا الآلِهَةَ التِي يَعْبُدُونَهَا شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ؟ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَتتخِذُونَ هَذِهِ الأَصْنَامَ شُفَعَاءَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ كَمَا تَزْعُمُونَ؟ حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ لاَ تَمْلِكُ لَكُمْ نَفْعاً وَلاَ ضَراً، وَلاَ تَعْقِلُ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَهَا؟

﴿٤٤﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(السَّمَاوَاتِ) (الشَّفَاعَةُ)

(٤٤) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الشَّفَاعَةَ للهِ وَحْدَهُ، فَلَيْسَ لأَحَدٍ شَيءٌ مِنْهَا، إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ، وَلِمَنِ ارْتَضَاهُ وَأَذِنَ لَهُ، فَمَرْجِعُهَا كُلُّهَا إِلَيهِ، فَهُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَالمُتَصَرِّفُ فِيهَا، وَلاَ شَرِكَةَ لأَحَدٍ فِيهَا، وَإِلَيهِ

يَرجعُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيحكُمُ بَيْنَهُمْ بعَدْلِهِ، وَيَجْزِي كُلا بِعَمَلِهِ.

لِلّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً - لَا يَشْفَعُ عِندَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

(٤٥) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

(٤٥) - وَإِذَا قِيلَ أَمَامَ المُشْرِكِينَ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَشْمَئِزُّ قُلُوبُهُمْ، وَتَنْقَبِضُ قَسَمَاتُ وُجُوهِهِمْ غَيْظاً وَأَلَماً، وَإِذَا ذُكِرَتِ الآلِهَةُ التِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، ٱسْتَبْشَرُوا وَفَرِحُوا.

اشْمَأَزَّتْ - نَفَرتْ وَٱنْقَبَضَتْ عَنِ التَّوْحِيدِ.

(٤٦) قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

(السَّمَاوَاتِ) (عَالِم) (الشَّهَادَةِ)

(٤٦) - فَادْعُ يَا مُحَمَّدُ اللهَ وَحْدَهُ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَمُبْدِعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، عَالِمَ السِّرِّ والعَلاَنِيَةِ، وَقُلِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ، فَتَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بالحَقِّ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، فَاحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ.

فَاطِرَ - مُبْدِعَ وَمُخْتَرِعَ وَخَالِقَ.

(٤٧) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ

(الْقِيَامَةِ)

(٤٧) - وَلَوْ أَنَّ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ مَلَكُوا جَمِيعَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ، وَمَلَكُوا مِثْلَهُ مَعَهُ، وَرَأوا سُوءَ العَذَابِ الذِي يَنْتَظِرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَتَمَنَّوْا أَنْ يُقَدِّمُوا جَمِيعَ ذَلِكَ فِدَاءً لَهُمْ مِنَ العَذَابِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ اليَوم يَأْتُونَ رَبَّهُمْ فُرادَى لاَ يَمْلِكُونَ شَيئاً، وَلَوْ مَلَكُوا شَيئاً لَمَا قُبِلَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ فِدَاءٌ.

وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ يَظْهَرُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِ اللهِ الذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِمْ، وَمَا لَمْ يُحَدِّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِهِ.

يَحْتَسِبُونَ - يَظُنُّونَهُ وَيَتَوقَّعُونَهُ وَيُدْخِلُونَهُ فِي حِسَابِهِمْ.

(٤٨) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٤٨) - وَتَظْهَرُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ صَحَائِفُ أَعْمَالِهِمْ وَفِيهَا جَمِيعُ مَا ٱجْتَرَحُوهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَٱرْتَكَبُوهُ مِنَ الآثَامِ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيُجَازَوْنَ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ، عَظِيمِهَا وَحَقِيرِهَا، وَيُحِيطُ بِهِم العَذَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَيُوقِنُونَ بِأَنَّهُمْ لاَ نَجَاةَ لَهُمْ مِنْهُ، لِكُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِمَا كَانَ يُنْذِرهُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مِنَ العَذَابِ.

حَاقَ بِهِمْ - نَزَلَ بِهِمْ أَوْ أَحَاطَ بِهِمْ.

﴿٤٩﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(الإِنْسَانَ) (خَوَّلْنَاهُ)

(٤٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الإِنْسَانِ، وَهُوَ هُنَا يَقْصدُ المُشْرِكِينَ، فَهُوَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الضُّرُّ وَالبَلاءُ تَضَرَّعَ إِلَى اللهِ، وَأَنَابَ وَأَخْلَصَ إِلَيهِ الدُّعَاءَ، وَإِذَا كَشَفَ عَنْهُ الضُّرَّ، وَآتَاهُ النِّعْمَةَ، طَغَى وَبَغَى وَكَفَرَ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ آتَاهُ النِّعْمَةَ والمَالَ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، وَلَوْلاَ كَرَامَتُهُ عَلَى اللهِ لِمَا أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ، وَلكِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ هَذَا الإِنْسَانُ، فَإِنَّ اللهَ أَنْعَمَ عَلَيهِ بِهذِهِ النِّعْمَةِ لِيَخْتَبِرَهُ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيهِ لِيَرَى أَيطِيعُ وَيَشْكُرُ، أَمْ يَطْغَى وَيَكْفُرُ؟ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ، وَيَدَّعُونَ مَا يَدَّعُونَ.

خَوَّلْنَاه نِعْمَةً - أَعْطَيْنَاهُ إِيَّاهَا تَفَضُّلاً وَإِحْساناً.

هِيَ فِتْنَةٌ - تِلْكَ النِّعْمَةُ آمْتِحَانٌ وَآبْتِلاَءٌ.

﴿٥٠﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ

(٥٠) - وَقَدْ قَالَ هذِهِ المَقَالَةَ، وَادَّعَى هذا الادِّعَاءَ كَثِيرٌ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئاً مَا يَكْسِبُونَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنيا، ولا مَا يَجْمعُونَ مِنْ حُطَامِها حينَ أَنْزَلَ اللهُ بِهِمْ عُقُوبَتَهُ، بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ، وَآسْتِهزائِهِمْ بِرُسُلِ رَبِّهِمْ إِليهِمْ.

﴿٥١﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ

(٥١) - فَحَلَّ بِأُولَئِكَ المُكَذِّبِينَ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ جَزَاءُ السَّيِّئَاتِ التِي آكْتَسَبُوهَا، فَعُوجِلُوا بِالخِزْيِ فِي الدُّنْيا، وَسَيُصِيبُهُم العَذَابُ الأَلِيمُ الدَّائِمُ فِي الآخِرَةِ.

وَالذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ قُرَيشٍ (مِنْ هَؤُلاَءِ) سَيَنْزِلُ بِهِمْ عِقَابُ السَّيِّئَاتِ التِي آكْتَسَبُوهَا، كَمَا نَزَلَ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَسَيَرْجِعُونَ إِلَى اللهِ فَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَنْ يُعْجِزُوا اللهَ طَلَباً.

بِمُعْجِزِينَ - بِفَائِتِينَ مِنَ العَذَابِ بِالهَرَبِ.

﴿٥٢﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(لآيَاتٍ)

(٥٢) - أَلاَ يَعْلَمُ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى قَومٍ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى قَوْمٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ جَهْلاً مِنَ المُقِلِّ بِمعْرِفَةِ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَلاَ عِلْماً بِالمُوَسَّعِ عَلَيهِ فِي طَلَبِهِ وَسَعْيِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ العَاقِلُ القَادِرُ ضَيِّقَ الرِّزْقِ، والجَاهِلُ الأَحْمَقُ ذَا بَسْطَةٍ فِي المَالِ، وَإِنَّمَا هُوَ اللهُ تَعَالَى يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، لِحِكَمٍ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ، وَفِي ذَلِكَ دَلاَلاَتٌ وَعِبَرٌ وَعِظَاتٌ لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَيُوقِنُونَ أَنَّ الذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ هُوَ اللهُ.

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ.

٥٣ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

ربع الحزب ٤٧

(يَا عِبَادِي)

(٥٣) - يَدْعُو اللهُ تَعَالَى العُصَاةَ والكَفَرَةَ والمُسْرِفِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِتجَاوُزِ حُدُودِ مَا شَرَعَ اللهُ، إِلَى التَّوْبَةِ والإِنَابَةِ إِلَيهِ تَعَالَى، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ والعِصْيَانِ والإِسْرَافِ فِي الأَمْرِ، إِلَى الإِيْمَانِ والطَّاعَةِ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الغَفُورُ وَهُوَ الرَّحِيمُ. (وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ: كَفَّارَةُ الذُّنُوبِ النَّدَامَةُ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ تَعَالَى بِقَومٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجه)

أَسْرَفُوا - تَجَاوَزُوا الحَدَّ فِي المَعَاصِي.
لاَ تَقْنَطُوا - لاَ تَيْأَسُوا.
الذُّنُوبَ جَمِيعاً - إِلاَّ الشِّرْكَ.

٥٤ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ

(٥٤) - وَيَسْتَحِثُّ اللهُ تَعَالَى الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِلَى المُسَارَعَةِ إِلَى التَّوْبَةِ، وَيَقُولُ لَهُم: ارْجِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ بِالتَّوْبَةِ، والعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ بِكُمْ نِقَمُهُ، وَقَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ العَذَابُ، وَحِينَئِذٍ لاَ تَجِدُونَ مَنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ. وَلاَ مَنْ يَدْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَهُ

أَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ - ارْجِعُوا إِلَيهِ بِالتَّوْبَةِ والطَّاعَةِ.
أَسْلِمُوا إِليهِ - أَخْلِصُوا لَهُ عِبَادَتَكُمْ.

٥٥ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

(٥٥) - ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِاتِّبَاعِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ (وَهُوَ أَحْسَنُ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ)، وَبِاجْتِنَابِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، مِنْ قَبلِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمِ العَذَابُ فَجْأَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ، وَلاَ يَنْتَظِرُونَ وُقُوعَهُ حِينَ يَغْشَاهُمْ.

بَغْتَةً - فَجْأَةً.

(يَا حَسْرَتَا) (السَّاخِرِينَ)

٥٦ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ

(٥٦) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالإِيْمَانِ وبِالرُّجُوعِ إِلَيهِ تَعَالَى لِكَيلاَ يَأْتِي يَومُ القِيَامَةِ، فَتَقُولَ بَعْضُ الأَنْفُسِ حِينَ تَرَى صِدْقَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ: يَا حَسْرَتِي عَلَى تَقْصِيرِي فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى سُخْرِيَتِي وَاسْتِهْزَائِي بِرَسُولِ اللهِ، وَبِمَا جَاءَنِي بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

يَا حَسْرَتَا - يَا نَدَامَتِي وَيَا حُزْنِي
فَرَّطْتُ - قَصَّرْتُ.
فِي جَنْبِ اللهِ - فِي حَقِّهِ وَفِي طَاعَتِهِ.
السَّاخِرِينَ - المُسْتَهْزِئِينَ.

﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ

(هَدَانِي)

(٥٧) - أَوْ تَقُولَ بَعْضُ الأَنْفُسِ المُذْنِبَةِ حِينَ تَرَى العَذَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي وَأَرْشَدَنِي إِلَى دِينِهِ وَطَاعَتِهِ، لَكُنْتُ فِي الدُّنْيَا مِمَّن ٱتَّقَى اللهَ، وَتَرَكَ الشِّرْكَ، وَأَقْلَعَ عَنِ ٱرْتِكَابِ المَعَاصِي.

﴿٥٨﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ

(٥٨) - أَوْ تَقُولَ بَعْضُ الأَنْفُسِ المُذْنِبَةِ حِينَ تَرَى العَذَابَ يَومَ القِيَامَةِ: لَيتَ لِي رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا فَاتَّبِعَ الرُّسُلَ، وَأَكُونَ مِنَ المُهْتَدِينَ المُحْسِنِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ.

كَرَّةً - رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا.

﴿٥٩﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ

(آيَاتِي) (الْكَافِرِينَ)

(٥٩) - وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِهَؤُلاَءِ المُتَبَاطِئِينَ فِي التَّوْبَةِ. إِنَّ رَدَّهُ تَعَالَى عَلَى تِلْكَ الأَنْفُسِ الَّتِي تَتَمَنَّى المُنَى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَتَتَحَسَّرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا مِنْ قُصُورٍ، هُوَ أَنَّهُ لاَ فَائِدَةَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ اليومَ، فَقَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فِي الدُّنْيَا عَلَى لِسَانِ رُسُلِي تُذَكِّرُكَ وَتَدْعُوكَ وَتُنذِرُكَ فَكَذَّبْتَ بِهَا، وَٱسْتَكْبَرْتَ عَنْ قَبُولِهَا، وَكُنْتَ مِنَ الثَّابِتِينَ عَلَى الكُفْرِ.

﴿٦٠﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ

(الْقِيَامَةِ)

(٦٠) - وَتَرَى يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ القِيَامَةِ، الذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ، فَزَعَمُوا أَن لَهُ وَلَداً أَوْ صَاحِبَةً أَوْ شَرِيكاً، أَوْ عَبَدُوا مَعَ اللهِ شُرَكَاءَ.. الخ قَدْ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ مِنَ الخِزْيِ والحُزْنِ والكَآبَةِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ النَّارَ لِيَلْقَوا فِيهَا العَذَابَ الذِي يَسْتَحِقُّونَهُ. أَوَ لَيْسَتْ جَهَنَّمُ كَافِيَةً سِجْناً وَمَوْئِلاً لِلْمُتَكَبِّرِينَ فَيَرَوْا فِيهَا الخِزْيَ والهَوَانَ بِسَبَبِ تَكَبُّرِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ. وَٱسْتِعْلاَئِهِمْ عَنِ الانْقِيَادِ لِلحَقِّ.

مَثْوًى - مَأْوًى ومقَامٌ.

﴿٦١﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(٦١) - وَيُنَجِّي اللهُ تَعَالَى مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ الذِينَ ٱتَّقَوا الشِّرْكَ والمَعَاصِيَ بِمَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِ اللهِ مِنَ السَّعَادَةِ والفَوْزِ (بِمَفَازَتِهِم)، وَيُنِيلُهُمْ مَا يَبْتَغُونَهُ، وَيُعْطِيهِمْ فَوْقَ مَا كَانُوا يُؤَمِّلُونَ، وَلاَ يَمَسُّهُمْ أَذَى جَهَنَّمَ، وَلاَ يَحْزُنُهُم الفَزَعُ الأَكْبَرُ، بَلْ هُمْ آمِنُونَ مِنْ كُلِّ فَزَعٍ.

المَفَازَةُ - الظَّفَرُ بِالبُغْيَةِ.

﴿٦٢﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ

(خَالِقٌ)

(٦٢) - اللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الخَالِقُ لِجَمِيعِ مَا فِي الوُجُودِ، وَهُوَ القَائِمُ عَلَى

كُلِّ نَفْسٍ يَتَوَلَّى الوُجُودَ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ، فَالأَشْيَاءُ جَمِيعُهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَى اللهِ فِي وُجُودِهَا وَفِي بَقَائِهَا.

﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

(السَّماوَاتِ) (بِآيَاتِ) (أُولئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(٦٣) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الحَافِظُ لِخَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَمُدَبِّرُهَا وَمَالِكُهَا وَمَالِكُ مفاتِيحِهَا (مَقَالِيدِهَا) فَهُوَ المُتَصَرِّفُ بِكُلِّ شَيءٍ مَخْزُونٍ فِيهَا.

(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى: وَللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ تَصَارِيفُ أُمُورِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، فَلا يَتَصَرَّفُ فِيهِنَّ سِوَاهُ).

والذِينَ كَفَرُوا باللهِ وَبِآيَاتِ اللهِ وَحُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، أولئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ، الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهمْ وَأَهْلِيهِمْ.

المَقَالِيدُ - المَفَاتِيحُ والخَزَائِن، وَقِيلَ إِنَّهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ.

﴿٦٤﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ

(الْجَاهِلُونَ)

(٦٤) - دَعَا كُفَّارُ قُرَيشٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَعْبُدَ مَعَهُمْ أَصْنَامَهُمْ عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا هُمْ مَعَهُ اللهَ، مَعَ اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، وَفِيهَا يُوَبِّخُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاءِ الجَاهِلِينَ، وَيَأْمرُ رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يَرِدَّ عَلَيهِمْ بِقَوْلِهِ: أَفَتَأْمُرُونَنِي أَيُّهَا الجَاهِلُونَ بِأَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِي بِاللهِ، وَمُشَاهَدَتِي الأَدِلَّةَ والآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَتَفَرُّدِهِ بِالأُلُوهِيَّةِ والخَلْقِ؟ إِنَّ هَذَا لَنْ يَكُونَ أَبداً.

﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

(لَئِنْ) (الْخَاسِرِينَ)

(٦٥) - يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ مِنَ الشِّرْكِ عَلَى لِسَانِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: لَقَدْ أَوْحَى اللهُ إِلَيكَ أَنَّهُ إِذَا حَصَلَ مِنْكَ إِشْرَاكٌ بِهِ بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ أَوِ الأَوْثَانِ لَيَبْطُلَنَّ عَمَلُكَ جَمِيعُهُ، وَكُلُّ مَا فَعَلْتَهُ مِنْ أَفْعَالِ الخَيْرِ والبِرِّ (كَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَبِرِّ الفُقَرَاءِ.. الخ)، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَهَذَا مَا أَوْحَاهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ.

لَيَحْبَطَنَّ - لَيَهْلِكَنَّ وَلَيَبْطُلَنَّ.

﴿٦٦﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ

(الشَّاكِرِينَ)

(٦٦) - لاَ تُطِعْ قَوْمَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، التِي يَدْعُونَكَ إِلَى عِبَادَتِهَا، وَاعْبُدِ اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيكَ مِنَ الخَيرِ بِهِدَايَتِكَ إِلَى طَرِيقِهِ المُسْتَقِيمِ.

﴿٦٧﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(الْقِيامَةِ) (السَّماوَاتُ) (مَطْوِيَّاتٌ) (سُبْحانَهُ) (تَعالَى)

(٦٧) - مَا عَظَّمَ هَؤُلاءِ المُشْرِكُونَ اللهَ حَقَّ التَّعْظِيمِ الذِي يَسْتَحِقُّهُ جَنابُهُ، إذ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ العَظِيمُ القادِرُ، المَالِكُ لِكُلِّ شَيءٍ، وَالأَرْضُ كُلُّهَا تَكُونُ فِي قَبْضَتِهِ تَعالَى، وَطَوْعَ أَمْرِهِ وَتَحْتَ قُدْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، والسَّماوَاتُ تُطْوَى يَوْمَ القِيامَةِ بِيَمِينِهِ تَعالَى طَيَّ السِّجِلِ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الكِتَابَةِ، لاَ يَسْتَعْصِي عَلَيهِ شَيءٌ، تَعالَى اللهُ وَتَنَزَّهَ عَمَّا يَقُولُهُ المُشْرِكُونَ، وَعَمَّا يَجْعَلُونَ لَهُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالأَنْدَادِ، والصَّاحِبَةِ والوَلَدِ.

﴿٦٨﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ

(السَّماوَاتِ)

(٦٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ هَوْلِ يومِ القِيَامَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الأَهْوَالِ العَظِيمَةِ، والآيَاتِ والزَّلازِلِ، وَيَقُولُ تَعالَى إنَّ الصُّورَ (وَهُوَ قَرْنٌ إذَا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً) يُنْفَخُ فِيهِ نَفْخَتانِ: نَفْخَةٌ يَمُوتُ فِيهَا الخَلْقُ وَمَنْ فِي السَّماوَاتِ والأَرْضِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَيُصْعَقُونَ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْتَثْنِيَهُ مِنَ الصَعَقِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ فَيَقُومُ الخَلْقُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً يَنْظُرُونَ حَوْلَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا عِظاماً وَرُفَاتاً.

الصُّورُ - قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ فَيُحْدِثُ صَوْتاً.

صَعِقَ - هَلَكَ وَمَاتَ.

﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(الكِتَابُ) (جِيءَ) (بِالنَّبِيِّينَ)

(٦٩) - وَتُضِيءُ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا حِينَ يَتَجَلَّى تَعَالَى عَلَى الخَلائِقِ المَحْشُورَةِ إِلَيهِ، وَيُوضَعُ الكِتَابُ الذِي يَحْوِي أَعْمَالَ الخَلائِقِ جَمِيعاً وَيُحْصِيها عَلَيهِمْ (وَقِيلَ بَلْ إنَّ كِتَابَ أَعْمَالِ كُلِّ وَاحِدٍ يُوضَعُ فِي يَدِهِ).

وَيُؤتَى بِالنَّبِيِّينَ لِيَشْهَدُوا عَلَى الأُمَمِ بِأَنَّهُمْ أَبْلَغُوهُمْ رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ إلَيهِمْ، وَيُؤْتَى بالشُّهَدَاءِ - وَهُمُ المَلائِكَةُ الحَفَظَةُ المُوَكَّلُونَ بِالعِبَادِ لِيُحْصُوا أَعْمَالَهُمْ - لِيَشْهَدُوا أَيضاً عَلَى الخَلائِقِ. ثُمَّ يَقْضِي اللهُ تَعالَى بَينَ العِبَادِ بِالحَقِّ والعَدْلِ فَلاَ يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابٍ، وَلاَ يَزِيدُ فِي عِقَابٍ (وَلاَ يُظْلَمُونَ).

وُضِعَ الكِتَابُ - أُعْطِيتْ صُحُفُ الأَعْمَالِ لأَصْحَابِهَا أَوْ يُوضَعُ الكِتَابُ الحَاوِي أَعْمَالَ الخَلائِقِ لِيُحَاسِبَهُمُ اللهُ عَلَى أَسَاسِهِ.

﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ

(٧٠) - وَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ الجَزَاءَ العَادِلَ الذِي تَسْتَحِقُّهُ عَلَى أَعْمَالِهَا، إنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً. وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الأَعْلَمُ بِمَا كَانَ يَفْعَلُهُ العِبَادُ فِي الدُّنْيَا، فَلاَ يَفُوتُهُ مِنْهُ شَيءٌ.

٧١ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ
جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ
خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ
يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ
وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ
كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ

(جاؤُوها) (أَبْوابُها) (آيات) (الْكافِرِين)

(٧١) - وَيُساقُ الذينَ كَفَرُوا إلَى جهنَّم جماعاتٍ (زُمَراً) سَوْقاً عَنِيفاً بزَجْرٍ وَتَهْدِيدٍ، وَحِينَما يَصِلُونَ إليها، تُفْتَحُ لَهُمْ جَهَنَّمُ أبْوابَها، وَيقُولُ لَهُمْ حُراسُ جهنَّم (خزَنَتُها): أَلَمْ يَأْتِكُم في الدُّنْيا رُسُلٌ مِن جِنْسِكُمْ يُحذِّرُونَكُمْ مِنَ هَوْلِ هَذا اليَوْم ؟ فَيُجيبُونَ مُعْتَرِفِينَ، وَيقُولُونَ: نَعَمْ لَقَدْ جاءَهُمْ رُسُلٌ مِنْ رَبِّهِمْ، وَدَعَوْهُم إلَى الإِيْمانِ بِاللهِ والإِقْلاعِ عَنِ الكُفْرِ. وَلكِنَّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَخالَفُوهُمْ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ لِما سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ والضَّلالَةِ، فَعَدَلُوا بِسُوءِ اخْتِيارِهِمْ عَنِ الحَقِّ إلَى البَاطِلِ فاسْتَحَقُّوا هَذا المَصِيرَ.

زُمَراً - جَماعاتٍ مُتفرِّقَةً مُتَتابِعَةً
حقَّتْ - وَجَبَتْ وَثَبَتَتْ.

٧٢ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى
ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ

(أَبْواب) (خالِدِينَ)

(٧٢) - وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خزَنَةُ جَهَنَّم: ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّم لِتَبْقَوْا فِيهَا خَالِدِينَ أبداً، وبِئْسَتْ جَهَنَّمُ مَصِيراً وَمَقِيلاً لِمَنْ كَانُوا يَتَكَبَّرُونَ فِي الدُّنْيا بِغَيرِ حَقٍّ، وَيَرْفُضُونَ اتِّبَاعَ الحَقِّ، فَبِئْسَ الحالُ، وَبِئْسَ المَآلُ.

٧٣ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى
ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ
طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ

(جاؤُوها) (أَبْوابُها) (سَلامٌ) (خالِدِينَ)

(٧٣) - وَيُوجَّهُ المُتَّقُونَ إِلَى الجَنَّةِ جَماعَاتٍ إِثْرَ جَماعَاتٍ: المُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الأَبْرارُ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ. فإِذَا وَصَلُوا الجَنَّةَ تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوابُهَا لاسْتِقْبالِهِمْ، وَيَسْتَقْبِلُهُمْ حُرَّاسُها (خَزَنَتُها) بالتَّحِيةِ والسَّلامِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَأَقْوالُكُمْ، وَطَابَ سَعْيُكُمْ وَجَزاؤُكُمْ، فَادْخُلُوا الجَنَّةَ لِتَمْكُثُوا فِيهَا خالِدِينَ أَبداً.

طِبْتُم - طَهُرْتُمْ مِنْ دَنَسِ الكُفْرِ والمَعَاصِي.

٧٤ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي
صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ
نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ

(الْعامِلِينَ)

(٧٤) - وَيقُولُ المُؤْمِنُونَ حِينَ يُعَايِنُونَ فِي الجَنَّةِ الجَزاءَ الوافِرَ الذِي أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ، وَالنَّعِيمَ المُقِيمَ: الحَمْدُ للهِ الذِي كَانَ وَعَدَنا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ الكِرَامِ بِالثَّوابِ الكَرِيمِ فِي الآخِرَةِ فَصَدَقْنَا ما وَعَدَنا بِه، وَأَكْرَمَنَا بِأَنْ جعَلَنَا نَتَصَرَّفُ فِي أَرْضِ الجَنَّةِ تَصَرُّفَ الوارِثِ فِيما يَرِثُ، فَنَتَّخِذُ مِنْها مَباءَةً وَمَسْكَناً حَيْثُ نَشاءُ، فَنِعْمَ الأَجْرُ أَجْرُنا عَلَى عَمَلِنا، وَنِعْمَ الثَّوابُ ثَوابُنَا الذِي أكْرَمَنَا بِهِ اللهُ تَعالَى.

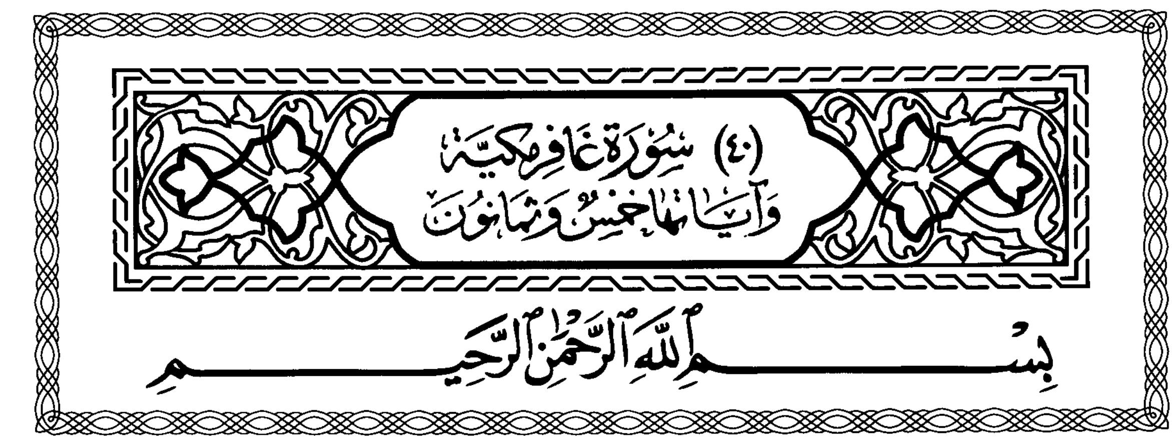
صَدَقَنا وَعْدَهُ - أَنْجزَنَا مَا وَعَدَنا مِنَ النَّعِيمِ.
نَتَبوأُ - نَنْزِلُ.

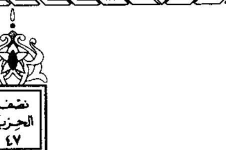
﴿٧٥﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ
حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(الْمَلائِكَةَ) (الْعَالَمِينَ)

(٧٥) - وَتُحْدِقُ المَلائِكَةُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مِنْ حَوْلِ عَرْشِ رَبِّهِم الرَّحْمَنِ يُمَجِّدُونَهُ وَيُعَظِّمُونَهُ وَيُنَزِّهُونَهُ عَنِ الجَوْرِ وَعَنِ النَّقَائِصِ، وَقَدْ قُضِيَ الأَمْرُ، وَحَكَمَ الرَّبُّ بَيْنَ الخَلائِقِ بِعَدْلِهِ التَّامِّ، وَنَطَقَ الكَوْنُ أَجْمَعُهُ بِحَمْدِ اللهِ وَشُكْرِهِ عَلَى حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ فِي حُكْمِهِ.

حَافِّينَ - مُحِيطِينَ وَمُحْدِقِينَ.





(١) حمٓ

(٢) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ

(٣) غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ

(٤) مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ

(حا. مِيمْ)

(١) ـ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(الْكِتَاب)

(٢) ـ هَذَا القُرْآنُ (الكِتَاب) مُنَزَّلٌ مِنَ اللهِ ذِي العِزَّةِ الذِي لاَ يُرامُ جَنَابُهُ، وَذِي العِلْمِ الذِي لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ.

(٣) ـ وَاللهُ تَعَالَى مُنَزِّلُ القُرْآنِ هُوَ الذِي يَغْفِرُ مَا سَلَفَ مِنَ الذَّنْبِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِمَّنْ تَابَ إِلَيهِ وَأَنَابَ، وَأَخْلَصَ فِي التَّوْبَةِ والعَمَلِ، وَهُوَ شَدِيدُ العِقَابِ لِمَنْ تَمَرَّدَ وَطَغَى، وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَهُوَ المُتَفَضِّلُ عَلَى عِبَادِهِ، وَهُوَ ذُو المَنِّ والطَّوْلِ والخَيْرِ الكَثِيرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَلاَ مَعْبُودَ سِوَاهُ، وَإِلَيهِ تَعَالَى المَرْجِعُ والمَصِيرُ والمُنْقَلَبُ.

غَافِرِ الذَّنْبِ ـ سَاتِرِ الذَّنْبِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

قَابِلِ التَّوْبِ ـ الذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنَ المُذْنِبِينَ.

ذِي الطَّوْلِ ـ ذِي الفَضْلِ والإِنْعَامِ.

(يُجادِلُ) (آيَات) (الْبِلادِ)

(٤) ـ لاَ يُخَاصِمُ فِي القُرْآنِ بِالطَّعْنِ فِيهِ، وَتَكْذِيبِهِ، وَلاَ يَدْفَعُ الحَقَّ بِالبَاطِلِ بَعْدَ البَيَانِ، وَظُهُورِ البُرْهَانِ، إِلاَّ الجَاحِدُونَ لآيَاتِ اللهِ وَحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ، المُعْرِضُونَ عَنِ الحَقِّ مَعَ ظُهُورِهِ وَوُضُوحِهِ. فَلاَ يَغْرُرْكَ انْتِقَالُهُمْ فِي البِلاَدِ، وَأَسْفَارُهُمْ فِيهَا لِلتِّجَارَةِ والتَّكَسُّبِ، ثُمَّ عَوْدَتُهُمْ سَالِمِينَ، بَعْدَ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُم الهَلاَكُ.

فَلاَ يَغْرُرْكَ ـ فَلاَ يَخْدَعْكَ.

تَقَلُّبُهُمْ ـ تَنَقُّلُهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ فَهُوَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ.

(٥) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ

(وَجادَلُوا) (بِالبَاطِلِ)

(٥) - يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلاَقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ المُكَذِّبِينَ، وَإِعْرَاضِ المُعْرِضِينَ، فَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ الأُمَمَ السَّابِقَةَ كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَلَمْ يُؤْمِن لَهُمْ إِلاَّ القَلِيلُ، فَلِمُحَمَّدٍ فِي الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ. فَقَدْ كَذَّبَ قَوْمُ نُوحٍ، نَبِيَّهُم نُوحاً عَلَيهِ السَّلاَمُ، وَتَحَزَّبَ مِنْ كُلِّ أُمةٍ جَمَاعَةٌ عَلَى رَسُولِهِمْ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ، وَحَرَصَتْ كُلُّ أُمَّةٍ عَلَى الإِسَاءَةِ إِلَى رَسُولِهِمْ وَإِيذَائِهِ، وَخَاصَمُوا رَسُولَهُمْ بِالبَاطِلِ، بِإِيرَادِ حُجَجٍ وَشُبَهٍ لاَ حَقِيقَةَ لَهَا، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَٱسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ، فَكَانَ عِقَاباً أَلِيماً لَهُمْ. وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِثْلَ ذَلِكَ.

لِيُدْحِضُوا - لِيُبْطِلُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ.

(٦) وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ

(كَلِمَةُ) (أَصْحَابُ)

(٦) - وَكَمَا حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِينَ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى المُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فِي الآخِرَةِ لأَنَّ الأَسْبَابَ التِي تُوجِبُ عِقَابَ الفَرِيقَيْنِ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الكُفْرُ بِاللهِ، وَتَكْذِيبُ الرُّسُلِ، وَمُعَانَدَةُ الحَقِّ

حَقَّتْ - وَجَبَتْ وَثَبَتَتْ بِالإِهْلاَكِ.

(٧) ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ

(آمَنُوا)

(٧) - إِنَّ المَلاَئِكَةَ الذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ، وَالمَلاَئِكَةَ الذِينَ هُمْ مِنْ حَوْلِهِ يُنَزِّهُونَ اللهَ تَعَالَى، وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلاَئِهِ، وَلاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُسِيئِينَ الذِينَ تَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَٱتَّبَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ فِعْلِ الخَيرِ، وَتَرْكِ المُنْكَرِ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَ (يَقِي) هَؤُلاَءِ التَّائِبِينَ الْمُنِيبِينَ عَذَابَ النَّارِ.

سَبِيلَكَ - طَرِيقَ الهُدَى - الدِينَ القَوِيمَ.

قِهِمْ - ٱحْفَظْهُمْ وَجَنِّبْهُمْ.

(٨) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ

(جنَّاتِ) (آبَائِهِمْ) (أَزْوَاجِهِمْ) (ذُرِّيَاتِهِمْ)

(٨) - وَتُتَابِعُ المَلاَئِكَةُ الأَطْهَارُ دُعَاءَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ، فَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُمُ الجَنَّاتِ التِي وَعَدَهُمْ تَعَالَى بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَأَنْ يُدْخِلَ مَعَهُم الجَنَّاتِ الصَّالِحِينَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ لِتَقَرَّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ، فَإِنَ الاجْتِمَاعَ بِالأَهْلِ وَالعَشِيرَةِ فِي مَوَاضِعِ السُّرُورِ يَكُون

وَذُرِّيَّـٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ

أَكْمَلَ لِلْبَهْجَةِ والأُنْسِ ، فَأَنْتَ يَا رَبِّ الغَالِبُ الذِي لاَ يُقَاوَمُ، الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَفِعْلِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

٩ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ

(يَوْمَئِذٍ)

(٩) - وَاصْرِفْ عَنْهُمْ عَاقِبَةَ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ فِعْلِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ (أَوِ اصْرِفْ عَنْهُمْ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ)، وَمَنْ تَصْرِفْ عَنْهُ عَاقِبَةَ مَا ارْتَكَبَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَإِنَّكَ تَكُونُ قَدْ رَحِمْتَهُ، وَنَجَّيْتَهُ مِنْ عَذَابِكَ، وَهَذَا هُوَ الفَوْزُ الأَكْبَرُ الذِي لاَ يَعْدِلُهُ فَوْزٌ.

قِهِمُ السَّيِّئَاتِ - احْفَظْهُمْ مِنَ الوُقُوعِ فِي المَعَاصِي، أَوِ اصْرِفْ عَنْهُمْ عَاقِبَةَ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْهَا.

١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ

(الإِيْمَانِ)

(١٠) - وَحِينَمَا يُلْقَى الكَافِرُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لِيَذُوقُوا العَذَابَ الأَلِيمَ، يَمْقُتُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَكْرَهُونَهَا أَشَدَّ الكُرْهِ، بِسَبَبِ مَا أَسْلَفُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ سَيِّءٍ أَوْصَلَهُمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، فَتُنَادِيهِم المَلاَئِكَةُ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّ مَقْتَ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حِينَ كَانَ الإِيْمَانُ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ فَيَكْفُرُونَ، كَانَ أَشَدَّ مِنْ مَقْتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتَلَظَّوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

المَقْتُ - الكُرْهُ الشَّدِيدُ والغَضَبُ.

١١ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ

(١١) - فَيَقُولُ الكَافِرُونَ: رَبَّنَا خَلَقْتَنَا مِنْ عَدَمٍ وَلَمْ تَكُنْ لَنَا حَيَاةٌ، وَأَمَتَّنَا حِينَ انْقَضَتْ آجَالُنَا، وَأَحْيَيْتَنَا أَوَّلاً بِنَفْخِ الأَرْوَاحِ فِينَا وَنَحْنُ فِي الأَرْحَامِ، وَأَحْيَيْتَنَا بِإِعَادَةِ أَرْوَاحِنَا إِلَى أَبْدَانِنَا يَوْمَ البَعْثِ والنُّشُورِ، فَاعْتَرَفْنَا بِأَنَّنَا كُنَّا أَنْكَرْنَا البَعْثَ فَكَفَرْنَا، وَاجْتَرَحْنَا السَّيِّئَاتِ، فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِخْرَاجِنَا مِنَ النَّارِ، وَإِعَادَتِنَا إِلَى الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَعْمَلَ غَيرَ الذِي كُنَّا نَعْمَلُ؟ فَأَنْتَ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

١٢ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ

(١٢) - فَيُجَابُونَ عَلَى سُؤَالِهِمْ هَذَا أَنْ لاَ سَبِيلَ إِلَى الرَّجْعَةِ إِلَى الدُّنْيَا، وَلاَ إِلَى الخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ إِذَا ذُكِرَ اللهُ العَلِيُّ القَدِيرُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَأَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ الأُلُوهِيَّةُ خَالِصَةً للهِ وَحدَهُ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِهِ مُشْرِكٌ صَدَّقْتُمُوهُ وَآمَنْتُمْ بِهِ. وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لِفَسَادِ طِبَاعِكُمْ، وَرَفْضِهَا لِلْحَقِّ، فَإِذَا عُدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا عُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ فَسَادٍ وَكُفْرٍ وَإِفْسَادٍ فِي الأَرْضِ، فَالحُكْمُ اليَوْمَ للهِ، وَهُوَ لاَ يَحْكُمُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وَهُوَ ذُو الكِبْرِيَاءِ والعَظَمَةِ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ، وَقَدِ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ خُلُودَ الكَافِرِينَ فِي النَّارِ فَلاَ سَبِيلَ إِلَى الخُرُوجِ مِنْهَا.

تُؤْمِنُوا - تُذْعِنُوا وَتُقِرُّوا بِالشِّرْكِ.

﴿١٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ

﴿١٤﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ

﴿١٥﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ

﴿١٦﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ

﴿١٧﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

(آيَاتِهِ)

(١٣) ـ وَاللهُ تَعَالَى يُظْهِر قُدْرَتَهُ لِخَلْقِهِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ فِي العَالَمَيْن العُلْوِيِّ والسُّفْلِيِّ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ خَلْقِهَا، وَقُدْرَةِ مُبْدِعِهَا، وَتَفَرُّدِهِ بالألوهِيةِ، فَيُنَزِّلُ المَطرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيُخرِجُ بِهِ الزَّرْعَ والنَّبَاتَ والثِّمَارَ بِأَلْوَانٍ وَطُعُومٍ وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَبِقُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ فَاوتَ بَيْنَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ التِي تُسْقَى كُلُّهَا مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ، وَمَا يَعْتَبِرُ بِهَذِهِ الآيَاتِ، وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا إِلاَّ مَنْ هُوَ بَصِيرٌ مُنِيبٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

مَنْ يُنِيبُ ـ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى التَّفكُّرِ فِي الآيَاتِ.

((الْكَافِرُونَ)

(١٤) ـ فَأَخْلِصُوا العِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ، وَخَالِفُوا المُشْرِكِينَ فِي مَسْلَكِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ، وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى كَرَاهِيَتِهِمْ لِذَلِكَ.

(الدَّرَجَاتِ)

(١٥) ـ فَاللهُ تَعَالَى أَرْفَعُ المَوْجُودَاتِ، وَأَعْظَمُهَا شَأْناً، لأَنَّ كُلَّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَهُوَ تَعَالَى ذُو العَرْشِ المُسْتَوِي عَلَيْهِ، فَهُوَ مُسْتَوْلٍ عَلَى الأَجْسَامِ والأَرْوَاحِ وَيُلْقِي الوَحْيَ بِقَضَائِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَصْطَفِيهِمْ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ، وَلِيُنْذِرَ بِالعَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي تَلْتَقِي فِيهِ الخَلاَئِقُ جَمِيعُهَا.

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ـ أَيْ العَلِيُّ الأَعْلَى الَّذِي اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ واخْتَصَّ بِهِ وَارْتَفَعَتْ دَرَجَاتُهُ تَعَالَى ارْتِفَاعاً بَايَنَ بِهِ مَخْلُوقَاتِهِ وارْتَفَعَ بِهِ قَدْرُهُ، وَجَلَّتْ أَوْصَافُهُ وَتَعَالَتْ ذَاتُهُ أَنْ يُتَقَرَّبَ إِلَيْهِ إِلاَّ بِالعَمَلِ الزَّكِيِّ الطَّاهِرِ المُطَهَّرِ وَهُوَ الإِخْلاَصُ الذِي يَرْفَعُ دَرَجَاتِ أَصْحَابِهِ، وَيُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ، وَيَجْعَلُهُمْ فَوْقَ خَلْقِهِ.

(بَارِزُونَ) (الْوَاحِدِ)

(١٦) ـ وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ تَبْرُزُ الخَلاَئِقُ لِلْوَاحِدِ القَهَّارِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَى وَتَبَارَكَ مُنَادِياً الخَلاَئِقَ فِي المَحْشَرِ: لِمَنِ المُلْكُ اليَوم؟ فَلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ فَيَقُولُ: للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ الذِي قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

(١٧) ـ وَاليَومَ تَلْقَى كُلُّ نَفْسٍ جَزَاءَ عَمَلِهَا، فَلاَ تُبْخَسُ نَفْسٌ مَا آسْتَوْجَبَتْهُ مِنْ أَجْرٍ عَلَى عَمَلٍ عَمِلَتهُ فِي الدُّنْيَا، (فَلا يُنْقصُ مِنْهُ) إِنْ كَانَ صَالِحاً، وَلاَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا إِثْمُ ذَنْبٍ لَمْ تَعْمَلْهُ. وَاللهُ تَعَالَى سَرِيعُ الحِسَابِ، يُحَاسِبُ الخَلاَئِقَ كُلَّهُمْ كَمَا يُحَاسِبُ نَفْساً وَاحِدَةً.

﴿١٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ
مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا
شَفِيعٍ يُطَاعُ

(الآزِفَةِ) (كَاظِمِينَ) (لِلظَّالِمِينَ)

(١٨) - وَأَنْذِرْ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَهُوَ يومٌ يَعْظُمُ فِيهِ الخَوْفُ، حَتَّى لَيَشْعُرُ كُلُّ امْرِىءٍ أَنَّ قَلْبَهُ تعلَّقَ بِحلقِهِ، فَيُرِيدُ إِرْجَاعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ فَلاَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى رَدِّهِ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الصَّدْرِ، وَلاَ القَلْبُ بِخَارِجٍ فَيُقْضَى عَلَى المَرْءِ بِالْمَوْتِ.

وَفِي ذَلِكَ اليوم لاَ يَكُونُ لِلذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ والشِّرْكِ قَرِيبٌ يَنْفَعُهُمْ، وَلاَ شَفِيعٌ تُقْبَلُ شَفاعَتُهُ لَهُمْ.

الآزِفَةُ - اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَسُمِّيت بِذَلِكَ لاقْتِرَابِ مَوْعِدِهَا.

كَاظِمِينَ - بَاكِينَ أَوْ مُمْسِكِينَ عَلَى الغَمِّ الذِي يَمْلأُ صُدُورَهُمْ.

حَمِيمٍ - قَرِيبٍ مُشْفِقٍ.

﴿١٩﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى
ٱلصُّدُورُ

(خَائِنَةَ)

(١٩) - وَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ كُلَّ شَيءٍ حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْلَمُ العَيْنَ الخَائِنَةَ التِي تَنْظُرُ خِلْسَةً إِلَى مَا لاَ يَحِلُّ لَهَا. وَيَعْلَمُ خَبَايَا الصُّدُورِ مِنَ الضَّمَائِرِ والسَّرَائِرِ، وَمَا تُوَسْوِسُ بِهِ النَّفْسُ.

خَائِنَةَ الأَعْيُنِ - النَّظْرَةَ الخَائِنَةَ إِلَى مَا لاَ يَحِلُّ.

﴿٢٠﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ

(٢٠) - واللهُ تَعَالَى يَحْكُمُ بِالعَدْلِ بَينَ الخَلاَئِقِ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، وَيَجْزِيهِمْ عَلَيهَا. وَالآلِهَةُ التي يَعْبُدُهَا المُشْرِكُونَ لاَ تَمْلِكُ التَّصَرُّفَ بِشَيءٍ، وَلاَ تَعْلَمُ شَيئاً. وَاللهُ تَعَالَى هُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُهُ العِبَادُ، البَصِيرُ بِمَا يَفْعَلُونَهُ.

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

﴿٢١﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ
لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ

(عَاقِبَةُ) (آثَاراً)

(٢١) - أَوَ لَمْ يَسِرْ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ بِاللهِ، المُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ، الجَاحِدُونَ بِآيَاتِهِ، فِي البِلاَدِ، لِيَرَوا عَاقِبَةَ مَنْ كَانُوا قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ فِي الكُفْرِ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْ هَؤُلاَءِ بَطْشاً، وَأَبْقَى فِي الأَرْضِ أَثَراً، فَلَمْ تَنْفَعْهُم قُوَّتُهُمْ، وَلاَ عَظِيمُ مَا خَلَّفُوهُ فِي الأَرْضِ مِنْ آثَارٍ حِينَمَا جَاءَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَأَخَذَهُمْ جَمِيعاً فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُمْ أَحَداً بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَقِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلاَ مَنْ يَمْنَعُ عَنْهُمْ بَأْسَهُ وَبَطْشَهُ.

وَاقٍ - دَافِعٍ عَنْهُمُ العَذَابَ.

٢٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٢٢) - وَقَدْ أَخَذَهُم اللهُ تَعَالَى وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاقٍ وَلاَ نَاصِرٍ، لأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُ رَبِّهِمْ بِالبَرَاهِينِ والحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، فَكَفَرُوا بِهَا، فَأَهْلَكَهُم اللهُ وَأَبَادَهُمْ، وَلَمْ يُتْرِكْ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، وَاللهُ تَعَالَى قَوِيٌّ عَزِيزٌ، ذُو بَطْشٍ شَدِيدٍ.

٢٣ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ

(بِآيَاتِنَا) (سُلْطَانٍ)

(٢٣) - يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ عَمَّا يُلاَقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ المُكَذِّبِينَ، فَيَذْكُرُ لَهُ قَصَصَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ، وَمَا لاَقوهُ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، فَكَانَتِ العَاقِبَةُ لَهُمْ، والدَّمَارُ لأَعْدَائِهِمْ وَمُكَذِّبِيهِمْ.

وَبَدأَ اللهُ تَعَالَى بِسَرْدِ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: إِنَّهُ أَرْسَلَهُ بِالآيَاتِ البَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ الدَامِغَاتِ.

٢٤ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ

(هَامَانَ) (قَارُونَ) (سَاحِرٌ)

(٢٤) - إِلَى فِرْعَونَ مَلِكِ مِصْرَ، وَهَامَانَ وَزِيرِهِ، وَقَارُونَ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَغْنَى أَهْلِ زَمَانِهِ (وَجَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى)[١] فَكَذَّبُوا مُوسَى، وَقَالُوا جَمِيعُهُمْ إِنَّهُ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، لأَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ مُقَارَعَةِ الآيَاتِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ.

٢٥ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ

(آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ) (ضَلاَلٍ)

(٢٥) - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالآيَاتِ البَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الذِي أَرْسَلَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمَنْ حَوْلَهُ: اقْتُلوا الذُّكُورَ مِنْ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى وَرِسَالَتِهِ، وَاسْتَبْقُوا نِسَاءَهُمْ، زِيَادَةً فِي الإِذْلاَلِ وَالنَّكَالِ، وَذَلِكَ لِيَتَشَاءَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ المَوْجُودُونَ فِي مِصْرَ مِنْ مُوسَى، إِذْ تَكُونُ المَصَائِبُ قَدْ حَلَّتْ بِهِمْ مِنْ جَرَّاءِ تَصْدِيقِهِمْ لِمُوسَى بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ. وَكَانَ هَدَفُ فِرْعَونَ وَمَلَئِهِ، مِنْ قَتْلِ الذُّكُورِ أَنْ يَنْقُصَ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِئلا يَغْلِبُوا عَلَى القِبْطِ؛ وَلَكِنَّ مَكْرَهُمْ هَذَا أَفْسَدَهُ اللهُ تَعَالَى، وَأَنْفَذَ اللهُ قَدَرَهُ، فَأَنْجى مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ.

اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ - اسْتَبْقُوا بَنَاتِهِمْ أَحْيَاءً لِلْخِدْمَةِ.

ضَلاَلٍ - ضَيَاعٍ وَبَاطِلٍ.

(١) سوره القصص الآية ٧٦.

(٢٦) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ

(٢٧) وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ

(٢٨) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ

(٢٩) يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ

(٢٦) - وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمَلَئِهِ: دَعُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلِيَسْتَنْجِدْ مُوسَى بِرَبِّهِ لِيَنْقِذَهُ إِنْ كَانَ صَادِقاً فِي قَوْلِهِ إِنَّ لَهُ رَبّاً أَرْسَلَهُ، وَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى حِمَايَتِهِ، لِأَنَّ فِرْعَوْنَ يَخَافُ - عَلَى مَا قَالَهُ لِمَلَئِهِ - أَنْ يُفْسِدَ مُوسَى مُعْتَقَدَاتِ القِبْطِ، أَوْ أَنْ يَخْلقَ بِدَعْوَتِهِ الاضْطِرابَاتِ والقَلاقِلَ فَتَتَعَطَّلَ الأَعْمَالُ فِي المَزَارِعِ والمَتَاجِرِ.

(٢٧) - وَرَدَّ مُوسَى عَلَى تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ إِيَّاهُ بِالقَتْلِ والإِيذَاءِ، بِأَنِ ٱسْتَجَارَ بِاللهِ، وَٱسْتَعَانَ بِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ مُسْتَكْبِرٍ لَا يُذْعِنُ لِلْحَقِّ، وَلَا يُؤْمِنُ بِبَعْثٍ وَلَا حَشْرٍ وَلَا نَشْرٍ.

عُذْتُ - ٱعْتَصَمتُ وَٱسْتَجَرْتُ.

(آلِ) (إِيمَانَهُ) (بِالبَيِّنَاتِ) (كَاذِباً)

(٢٨) - وَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْ مُوسَى، لِصَرْفِ فِرْعَونَ عَمَّا اعْتَزَمَهُ مِنْ قَتلِهِ، رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ بَيْتِ فِرْعَوْنَ، كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ خَوْفاً مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، فَقَالَ لِفِرْعَوْنَ: أَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا رَجُلاً لَمْ يَرْتَكِبْ ذَنْباً سِوَى أَنَّهُ قَالَ: رَبِّيَ اللهُ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِدَلَالاتٍ وَبَرَاهِينَ عَلَى صِدْقِهِ، وَمِثْلُ هَذَا القَوْلِ لَا يَسْتَدْعِي قَتْلاً. فَإِذَا كَانَ مُوسَى كَاذِباً فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَأْمُرَكُمْ بِعِبَادَتِهِ تَعَالَى، وَتَرْكِ دِينِكُمُ الذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِثْمُ كَذِبِهِ يَعُودُ عَلَيْهِ هُوَ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْ إِثْمِهِ شَيءٌ. وَإِنْ كَانَ صَادِقاً فِيمَا يَقُولُ فَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُ لِأَنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمُوهُ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ لِكُفْرِكُمْ، وَلِقَتْلِكُمْ رَسُولَهُ، وَٱسْتَوْجَبْتُمْ عِقَابَهُ الذِي أَنْذَرَكُمْ بِهِ مُوسَى، وَلَوْ كَانَ كَاذِباً كَمَا تَزْعُمُونَ لَكَانَ أَمْرُهُ ٱفْتَضَحَ، وَلَمَا هَدَاهُ اللهُ، وَلَمَا أَيَّدَهُ بِمُعْجِزَاتِهِ وَآيَاتِهِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَهْدِي إِلَى الحَقِّ والصَّوابِ مَنْ كَانَ كَذَّاباً مُسْرِفاً فِي كَذِبِهِ.

(يَا قَوْمِ) (ظَاهِرِينَ)

(٢٩) - وَتَابَعَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَعْظَهُ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ لِيُثَبِّطَهُمْ وَيَصْرِفَهُمْ عَنْ قَتْلِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ بِهَذَا المُلْكِ، وَبِالظُّهُورِ فِي الأَرْضِ بِالكَلِمَةِ النَّافِذَةِ، والجَاهِ العَرِيضِ، فَرَاعُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ، وَلَا تُفْسِدُوا أَمْرَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تُعَرِّضُوا أَنْفُسَكُمْ لِبَأْسِ اللهِ وَعَذَابِهِ بِقَتْلِهِ، فَإِنَّهُ لَا قِبَلَ لَكُمْ بِذَلِكَ، وَإِذَا جَاءَكُمْ بَأْسُ اللهِ لَمْ يَمْنَعْكُمْ مِنْهُ أَحَدٌ

وَلَمَّا سَمِعَ فِرْعَوْنُ قَوْلَ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: إِنَّهُ لَا يَقُولُ لَهُمْ، وَلَا يُشِيرُ عَلَيْهِم إِلَّا بِمَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَدْعُوهُمْ إِلَّا إِلَى

طَرِيقِ الحَقِّ والصِّدْقِ والرُّشْدِ.

(أَيْ إِنَّهُ لاَ يُشِيرُ عَلَيْهِمْ بِرَأيٍ سِوى قَتْلِ مُوسَى حَسْماً لِلْفِتْنَةِ، وَإِنَّهُ يَرى هَذَا هُوَ سَبِيلَ الرَّشَادِ)

ظَاهِرِينَ - عَالِينَ غَالِبينَ.

بَأْس الله - عَذَابِهِ وَنِقْمَتِهِ.

مَا أُرِيكُمْ - مَا أُشِيرُ عَلَيْكُمْ.

(آمَنَ) (يَا قَوْمِ)

(٣٠) وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ

(٣٠) - وَقَالَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ نَاصِحاً فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ. يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُمْ إِنْ كَذَّبتُم مُوسَى، وَتَعَرَّضْتُمْ لَهُ بِسُوءٍ، أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِثْلَمَا حَلَّ بِمَنْ تَحَزَّبُوا وَٱجْتَمَعُوا عَلَى تَكْذِيبِ أَنْبِيَائِهِمْ مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ.

الأَحْزَابِ - الأُمَمِ المُتحَزِّبَةِ عَلَى رُسُلِهَا.

(٣١) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ

(٣١) - مِثْلُ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَقَدْ نَزَلَ بِهِمْ بَأْسُ اللهِ وَعَذَابُهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَمْ يُهْلِكِ اللهُ هَذِهِ الأُمَمَ المُكَذِّبَةَ ظُلْماً، وَإِنَّمَا أَهْلَكَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَمَا ٱجْتَرَحُوهُ مِنْ آثَامٍ.

دَأْبِ - عَادَةٍ فِي الإِقَامَةِ عَلَى الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ.

(يَا قَوْمِ)

(٣٢) وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ

(٣٢) - ثُمَّ خَوَّفَهُمْ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنْ عَذَابِ اللهِ فِي الآخِرَةِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهِمْ عَذَابَ يَوْمِ القِيَامَةِ.

يَوْمَ التَّنَادِ - هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ إِذْ يَهْلَعُ النَّاس فَيَنْطَلِقُونَ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

(٣٣) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ

(٣٣) - إِذْ تَهْرُبُونَ مُدبرِينَ مِنْ زَفِيرِ النَّارِ وَشَهِيقِهَا، فَلاَ يُجْدِيكُمْ ذَلِكَ شَيئاً، وَلاَ تَجِدُونَ مَنْ يَعْصِمُكُمْ مِنَ العَذَابِ، وَتُرَدُّونَ إِلَيهِ، وَيَنَالُكُمْ مِنْهُ مَا قُدِّرَ لَكُمْ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ اللهُ لاَ يَجِد لَهُ هَادِياً مِنَ الخَلْقِ.

عَاصِمٍ - مَانِعٍ وَدَافِعٍ.

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٣٤) وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ

(٣٤) - وَلَقَدْ جَاءَ يُوسُفُ أَسْلاَفَكُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ بِالآيَاتِ الوَاضِحَاتِ، وَالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَاتِ فَٱرْتَابُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَشَكُّوا فِي صِدْقِهِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، حَتَّى إِذَا مَاتَ قَالُوا: لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ نِقَمِهِ وَبَأْسِهِ. وَاللهُ تَعَالَى يُضِلُّ مِثْلَ هَذَا الضَّلاَلِ البَيِّنِ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ فِي مَعَاصِيهِ شَاكٌّ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللهِ.

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ

مُرْتَابٌ - شَاكٌّ فِي دِينِ اللهِ وَوحدَانِيَّتِه.

(٣٥) ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ

(يُجَادِلُونَ) (آيَاتِ) (سُلْطَانٍ) (أَتَاهُمْ) (آمَنُوا).

(٣٥) - وَهَؤُلَاءِ المُسْرِفُونَ المُرْتَابُونَ هُمُ الذِينَ يُجَادِلُونَ فِي حُجَجِ اللهِ التِي أَتَتْهُمْ بِهَا رُسُلُهُ لِيَدْحَضُوهَا بِالبَاطِلِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ وَلَا بُرْهَانٌ عَلَى صِحَّةِ مَا يَقُولُونَ. وَيَسْتَتْبِعُ ذَلِكَ الجَدَلُ المَقْتَ الكَبِيرَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَعِنْدَ المُؤْمِنِينَ. وَكَمَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِ المُسْرِفِينَ الذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ، كَذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى يَطْبَعُ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ يَسْتَكْبِرُ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَعَنْ تَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَيَتَجَبَّرُ فِي الأَرْضِ بِالقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

بِغَيْرِ سُلْطَانٍ - بِغَيْرِ بُرْهَانٍ أَوْ حُجَّةٍ.

كَبُرَ مَقْتاً - عَظُمَ جِدَالُهُمْ بِغَيْرِ حُجَّةٍ بُغْضاً.

(٣٦) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ

(يَا هَامَانُ) (الأَسْبَابَ)

(٣٦) - وَلَمَّا سَمِعَ فِرْعَوْنُ عِظَةَ المُؤْمِنِ مِنْ أَهْلِهِ الذِي كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ، قَالَ لِوَزِيرِهِ هَامَانَ مُسْتَهزِئاً: يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِي قَصْراً مُنِيفاً عَالِياً، لَعَلِّي أَصْعَدُ فَأَبْلُغَ طُرُقَ السَّمَاوَاتِ وَأَبْوَابَهَا.

صَرْحاً - قَصْراً مُنِيفاً عَالِياً.

(٣٧) أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ

(أَسْبَابَ) (السَّمَاوَاتِ) (كَاذِباً).

(٣٧) - فَإِذَا وَصَلْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ رَأَيْتُ إِلَهَ مُوسَى، وَإِنِّي لأَظُنُّ مُوسَى كَاذِباً فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّ لَهُ إِلهاً فِي السَّمَاءِ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا نَبِيّاً. وَهَكَذَا زَيَّنَ الشَّيْطَانُ لِفِرْعَوْنَ عَمَلَهُ السَّيِّءَ هَذَا، فَأَوْغَلَ فِي كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ، وَصَدِّهِ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، بِمِثْلِ هَذِهِ الشُّبَهِ وَالتَّمْوِيهَاتِ، وَلَنْ يَكُونَ كَيْدُ فِرْعَوْنَ وَٱحْتِيَالُهُ فِي بِنَاءِ الصَّرْحِ لِيَصْعَدَ إِلَيهِ، فَيَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى.. إِلَّا خَسَاراً وَبَاطِلاً يَلْحَقُهُ.

كَيْدُ - ٱحْتِيَالٌ وَتَدْبِيرٌ.

تَبَابٍ - خَسَارٍ وَهَلَاكٍ.

(٣٨) وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ

(آمَنَ) (يَا قَوْمِ)

(٣٨) - وَقَالَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ المُؤْمِنُ: يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُونِي تَرْشُدُوا، وَتَهْتَدُوا إِلَى دِينِ اللهِ الذِي أَرْسَلَ إِلَيكُمْ مُوسَى رَسُولاً.

﴿٣٩﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ

(يَا قَوْمِ) (الْحَيَاةُ) (مَتَاعٌ)

(٣٩) ـ وَيَا قَوْمِ إِنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ وَتَرَفٍ إِنْ هِيَ إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ لَا يَدُومُ، تَتَمَتَّعُونَ بِهِ ثُمَّ تَبْلُغُونَ أَجَلَكُمْ فَيَنْزِلُ بِكُم المَوْتُ، أَمَّا الدَّارُ الآخِرَةُ فَهِيَ دَارُ الاسْتِقْرَارِ والبَقَاءِ التِي لَا زَوَالَ لَهَا، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً، وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً، دَخَلَ الجَنَّةَ، وَبَقِيَ فِيهَا خَالِداً أَبَداً.

﴿٤٠﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ

(صَالِحاً) (فَأُولَئِكَ)

(٤٠) ـ فَمَنْ عَمِلَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا عَمَلاً سَيِّئاً، أَوِ اجْتَرَحَ إِثْماً فَإِنَّهُ لَا يُعَاقَبُ إِلَّا بِمِقْدَارِ عَمَلِهِ، دُونَ مُضَاعَفَةٍ لِلْعِقَابِ. وَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً، ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، دَخَلَ الجَنَّةَ، وَتَمَتَّعَ بِمَا فِيهَا مِنْ رِزْقٍ كَرِيمٍ، وَنَعِيمٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا تَحْدِيدٍ.

بِغَيْرِ حِسَابٍ ـ بِلَا تَحْدِيدٍ وَلَا نِهَايَةٍ فِي الرِّزْقِ.

﴿٤١﴾ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ

الحزب ٤٨

(يَا قَوْمِ) (النَّجَاةِ)

(٤١) ـ ثُمَّ كَشَفَ هَذَا المُؤْمِنُ عَنْ إِيمَانِهِ، فَأَعْلَنَهُ لِقَوْمِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي لِمَاذَا أَدْعُوكُمْ أَنَا إِلَى النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ، بِالإِيمَانِ بِاللهِ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَتَدْعُونَنِي أَنْتُمْ لِأَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ بِالبَقَاءِ عَلَى الكُفْرِ، والعَمَلِ السَّيِّءِ.

﴿٤٢﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ

(الْغَفَّارِ)

(٤٢) ـ فَأَنْتُمْ تَدْعُونَنِي إِلَى الكُفْرِ بِاللهِ والإِشْرَاكِ بِهِ مَنْ دُونَهُ، بِغَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيهِ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ خَالِقِ كُلِّ شَيءٍ، وَقَاهِرِ كُلِّ شَيءٍ، وَهُوَ الغَفَّارُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا اسْتَغْفَرُوهُ وَأَنَابُوا إِلَيهِ.

﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ

(أَنَّ مَا) (أَصْحَابُ)

(٤٣) ـ لَا شَكَّ فِي أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي أَنْتُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ مِنَ الأَصْنَامِ والأَوْثَانِ لَا يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ، فَهُوَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ. وإِنَّ مَرَدَّنَا جَمِيعاً فِي الآخِرَةِ سَيَكُونُ إِلَى اللهِ تَعَالَى الوَاحِدِ الأَحَدِ، وَإِنَّ المُسْرِفِينَ المُتَجَاوِزِينَ الحَدَّ بِالكُفْرِ والشِّرْكِ سَيَكُونُونَ هُمُ الذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ وَيُعَذَّبُونَ فِيهَا.

لَا جَرَمَ ـ لَا مَحَالَةَ أَوْ حَقاً أَوْ لَا شَكَّ.

لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ ـ مُسْتَجَابَةٌ.

(٤٤) فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ

(٤٥) فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ

(٤٦) ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ

(٤٧) وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ

(٤٨) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ

(٤٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ

(٤٤) ـ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ صِدْقَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَتَتَذَكَّرُونَ وَتَنْدَمُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ، وَأَسْتَعِينُ بِهِ، وَأُقَاطِعُكُمْ، وَأَبْتَعِدُ عَنْكُمْ، وَاللهُ تَعَالَى بَصِيرٌ بِعِبَادِهِ، خَبِيرٌ بِأَحْوَالِهِمْ، يَهْدِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ، وَيُضِلُّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ.

(فوقَاهُ) (بآلِ)

(٤٥) ـ فَحَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى مِمَّا أَرَادُوا بِهِ مِنَ المَكْرِ السَّيىءِ، إِذْ أَنْجَاهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا، وَجَعَلَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الفَائِزِينَ، وَأَحَاطَ بِفِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ وَمَلَئِهِ سُوءُ العَذَابِ، فَأَغْرَقَهُمْ فِي اليَمِّ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ إِلَّا العَذَابُ الأَلِيمُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

حَاقَ بِهِمْ ـ أَحَاطَ أَوْ نَزَلَ بِهِمْ.

(آلَ)

(٤٦) ـ وَتُعْرَضُ أَرْوَاحُهُمْ عَلَى النَّارِ صَبَاحاً وَمَسَاءً مِنْ حِينِ مَوْتِهِمْ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَيُقَالُ لَهُمْ يَا آلَ فِرْعَوْنَ هذِهِ مَنَازِلُكُمْ. وَحِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَيَحْشُرُ اللهُ الخَلَائِقَ، يُقَالُ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ أَلَماً، وَأَعْظَمَهُ نَكَالاً.

(الضُّعَفَاءُ)

(٤٧) ـ وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يَأْخُذُ أَهْلُ النَّارِ فِي الحِجَاجِ وَالخِصَامِ، فَيَقُولُ الأَتْبَاعُ لِلْقَادَةِ: إِنَّا أَطَعْنَاكُمْ فِيمَا دَعَوْتُمُونَا إِلَيهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الكُفْرِ وَالضَّلَالِ، فَهَلْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا عَنَّا قِسْطاً مِنَ العَذَابِ فَتُخَفِّفُوهُ عَنَّا؟ فَقَدْ كُنَّا لَكُمْ أَتْبَاعاً، وَإِنَّمَا دَخَلْنَا النَّارَ بِسَبَبِ إِطَاعَتِنَا لَكُمْ.

مُغْنُونَ عَنَّا ـ دَافِعُونَ أَوْ حَامِلُونَ عَنَّا.

(٤٨) ـ وَيَقُولُ الكُبَرَاءُ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ: إِنَّهُمْ جَمِيعاً فِي النَّارِ يَذُوقُونَ العَذَابَ، وَقَدْ فَصَلَ اللهُ بِقَضَائِهِ بَيْنَ العِبَادِ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ، فَلَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يُعَذَّبُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِذَنْبِهِ، وَإِنَّهُمْ جَمِيعاً كَافِرُونَ وَقَدِ اسْتَحَقُّوا العَذَابَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

(٤٩) ـ وَلَمَّا يَئِسَ المُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ السَّادَةُ الذِينَ كَانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ، وَإِدْخَالِهِمْ فِي النَّارِ، شَيْئاً مِنَ العَذَابِ عَنْهُمْ، اتَّجَهُوا إِلَى خَزَنَةِ جَهَنَّمَ يَسْأَلُونَهُم الاتِّجَاهَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ شَيْئاً مِنَ العَذَابِ فِي النَّارِ.

(٥٠) قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ
رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ
بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ
ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ

(بالبَيِّنَاتِ) (دُعَاءُ) (الْكَافِرِينَ) (ضَلاَلٍ)

(٥٠) - وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ يُقَرِّعُونَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُ رَبِّكُمْ بِالحُجَجِ وَالبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيهِ؟ وَيَقُولُ المُسْتَضْعَفُونَ: نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُ اللهِ بِالحُجَجِ والبَيِّنَاتِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: إِذاً فَادْعُوا أَنْتُمْ وَحْدَكُمْ. وَلَكِنَّ دُعَاءَ الكَافِرِينَ لاَ يُفِيدُ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُ، وَيَذْهَبُ سُدًى.

(٥١) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ
يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ

(آمَنُوا) (الْحَيَاةِ) (الأَشْهَادُ)

(٥١) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى، إِنَّهُ سَيَجْعَلُ رُسلَهُ هُمُ الغَالِبِينَ لأَعْدَائِهِمْ وَمُعَانِدِيهِمْ، وَإِنَّهُ سَيَنْصُرُ مَعَهُمُ المُؤْمِنِينَ بِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ يَكُونُ بِالطُّرُقِ التَّالِيَةِ:

- إِمَّا بِجَعْلِهِمْ غَالِبِينَ عَلَى مَنْ كَذَّبَهم، كَمَا فَعَلَ بِدَاوُدَ وَسُلَيمَانَ وَمُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.
- وإِمَّا بِالانْتِقَامِ مِمَّنْ عَادَاهُمْ وَآذَاهُمْ، وَإِهْلاَكِهِ إِيَّاهُمْ، وَإِنْجَائِهِ الرُّسُلَ والمُؤْمِنِينَ، كَمَا فَعَلَ بِنُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَمُوسَى وَلُوطٍ.
- وَإِمَّا بِالانْتِقَامِ مِمَّنْ آذَى الرُّسُلَ بَعْدَ وَفَاةِ الأَنْبِيَاء والرُّسُلِ، بِتَسْلِيطِ بَعْضِ خَلْقِ اللهِ عَلَى المُكَذِّبِينَ المُجْرِمِينَ لِيَنْتَقِمُوا مِنْهُمْ، كَمَا فَعَلَ مَعَ زَكَرِيا وَيَحْيَى، عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ.

وَكَمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْصُرُ رُسُلَهُ والمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَتِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَذَلِكَ يَنْصُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليومُ الذِي يَقُومُ فِيهِ الأَشْهَادُ مِنَ المَلاَئِكَةِ والأَنْبِيَاءِ والمُؤْمِنِينَ، بالشَّهَادَةِ عَلَى الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ بِأَنَّ الرُّسُلَ قَدْ أَبْلَغُوهُمْ رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ.

يَقُومُ الأَشْهَادُ - المَلاَئِكَةُ والرُّسُلُ والمُؤْمِنُونَ.

(٥٢) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ
ٱلدَّارِ

(الظَّالِمِينَ)

(٥٢) - وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العِبَادِ يُؤَدُّونَ شَهَادَاتِهِمْ، فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لاَ يَنْفَعُ أَهْلَ الشِّرْكِ اعْتِذَارُهُمْ لأَنَّ أَعْذَارَهُمْ بَاطِلَةٌ، مَرْدُودَةٌ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ اللَّعْنَةُ والطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَهُمْ سُوءُ العَاقِبَةِ والقَرَارِ فِي جَهَنَّمَ، وَبِئْسَ المُسْتَقَرُّ وَالمَأْوَى.

مَعْذِرَتُهُمْ - اعْتِذَارُهُمْ حِينَ يَعْتَذِرُونَ.

(٥٣) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ

(٥٤) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ

(٥٥) فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ

(٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

(٥٧) لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(آتَيْنَا) (إِسْرَائِيلَ) (الْكِتَابَ)

(٥٣) - وَلَقَدْ أَعْطَينا مُوسَى الشَّرائِعَ والمُعْجِزاتِ التِي يَهْتَدِي بِهَا النَّاسُ، وَأَنْزَلْنا عَلَيهِ التَّوْراةَ وَفِيها مَا يَهْدِي بِهِ قَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَوارَثُوهُ خَلَفاً مِنْ سَلَفٍ.

(الأَلْبَابِ)

(٥٤) - وَجَعَلْنَا التَّوْراةَ هُدًى يَهْتَدِي بَنُو إِسْرائِيلَ بِأَحْكَامِهَا، وَتَذْكِرَةً لأُولِي العُقُولِ السَّلِيمَةِ والأَفْهامِ المُسْتَقِيمَةِ (لأُولِي الأَلْبَابِ).

(الإِبْكَارِ)

(٥٥) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ لأَمْرِ رَبِّكَ، وَبَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ، وَأَيْقِنْ بِأَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ لَكَ، وَنَاصِرُكَ وَمُؤَيِّدُكَ عَلَى مَنْ عَادَاكَ وَعَانَدَكَ، وَكَفَرَ بِرِسَالَتِكَ، وَسَلْ رَبَّكَ المَغْفِرَةَ لِذَنْبِكَ، والصَّفْحَ عَنْكَ، وَصَلِّ فِي طَرَفَيِ النَّهارِ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً فِي الصَّبَاحِ والمَسَاءِ.

(يُجَادِلُونَ) (آيَاتِ) (سُلْطَانٍ) (أَتَاهُمْ) (بِبَالِغِيهِ)

(٥٦) - إِنَّ الذِينَ يُجَادِلُونَكَ لِدَفْعِ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَيُحَاوِلُونَ رَدَّ الحُجَجِ الصَّحِيحَةِ بِالشُّبَهِ الفَاسِدَةِ، بِلاَ بُرْهَانٍ وَلاَ دَلِيلٍ لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَى صِحَّةِ مَا يَقُولُونَ، إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِمَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اسْتِكْبَارٍ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ، وَاحْتِقَارٍ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ، وَلَنْ يَبْلُغُوا مَا يَرُومُونَ وَمَا يُرِيدُونَ وَيُؤَمِّلُونَ بِهِ مِنْ إِخْمَادِ الحَقِّ، وَإِعْلاَءِ البَاطِلِ، وَسَيَبْقَى الحَقُّ هُوَ الغَالِبَ دَائِماً، فَالْتَجِئْ إِلَى اللهِ مُسْتَعِيذاً بِهِ فِي دَفْعِ كَيْدِ هَؤُلاَءِ المُسْتَكْبِرِينَ المُجَادِلِينَ بِالبَاطِلِ، فَهُوَ السَّمِيعُ لِدُعَائِكَ وَاسْتِعَاذَتِكَ، وَلِمَا يَقُولُونَ وَيَأْفِكُونَ، وَهُوَ البَصِيرُ بِحَالِكَ وَحَالِهِمْ.

بِغَيْرِ سُلْطَانٍ - بِغَيْرِ حُجَّةٍ أَوْ بُرْهَانٍ.

مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ - مُقْتَضَى الكِبْرِ والتَّعَاظُمِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٥٧) - إِنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ابْتِدَاءً، مِنْ غَيْرِ مَادَّةٍ سَابِقٍ وُجُودُهَا، أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، لِعِظَمِ الأَجْرَامِ وَالأَفْلاَكِ وَالنُّجُومِ والكَوَاكِبِ السَّابِحَةِ فِي السَّمَاوَاتِ، وَالتِي لاَ يُمْسِكُهَا وَيَضْبِطُهَا إِلاَّ أَمْرُ اللهِ وَإِرَادَتُهُ، وَكَذَلِكَ الحَالُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَبِحَارٍ وَأَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ، وَمَخْلُوقَاتٍ، لاَ يُحْصِي عَدَدَهَا إِلاَّ اللهُ تَعَالَى، وَمَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ العَظِيمِ لاَ يُعْجِزُهُ الحَقِيرُ، وَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَنْ فِيهِمَا ابْتِدَاءً لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَ بَعْثَ النَّاسِ،

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَتَدَبَّرُونَ الحُجَجَ وَالأَدِلَّةَ القَائِمَةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَةِ الخَالِقِ، وَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

(٥٨) وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٥٨) - وَكَمَا أَنَّهُ لاَ يَسْتَوِي الأَعْمَى الذِي لاَ يُبْصِرُ شَيْئاً، مَعَ البَصِيرِ الذِي يَرَى مَا انْتَهَى إِلَيهِ بَصَرُهُ، بَلْ هُنَاكَ بَيْنَهُمَا فَارِقٌ كَبِيرٌ، كَذَلِكَ لاَ يَسْتَوِي المُؤْمِنُونَ الأَبْرَارُ الذِينَ يُطِيعُونَ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، مَعَ الفُجَّارِ الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ، وَعَصَوْا رَبَّهُمْ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِهِ، فَمَا أَقَلَّ تَذَكُّرَكُمْ حُجَجَ اللهِ، وَمَا أَقَلَّ اعْتِبَارَكُمْ وَاتِّعَاظَكُمْ بِهَا، وَلَوْ تَذَكَّرْتُمْ وَاعْتَبَرْتُمْ لَعَرَفْتُمْ خَطَأَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ.

(٥٩) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

(٥٩) - إِنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ الذِي يُحيي اللهُ فِيهِ المَوْتَى لِيُحَاسِبَهُمْ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، لآتٍ لاَ شَكَّ فِيهِ، وَسَتُبْعَثُونَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَسَتُحَاسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَسَتُجَازَوْنَ عَلَيْهَا إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلاَ يُصَدِّقُونَ أَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ آتٍ قَرِيبٌ لاَ مَحَالَةَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَنْهَمِكُونَ فِي الكُفْرِ وَالعِصْيَانِ، وَاجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ.

(٦٠) وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

(٦٠) - يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالإِجَابَةِ عَلَى دُعَائِهِمْ؛ وَدُعَاءُ العَبْدِ رَبَّهُ دَلِيلٌ عَلَى إِيْمَانِهِ بِرَبِّهِ، وَخَوْفِهِ مِنْهُ، وَطَمَعِهِ فِي ثَوَابِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْتَمُّ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِ لأَنَّهُ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الخَلاَئِقِ، وَتَصْرِيفِ شُؤُونِهِمْ، وَإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ، وَإِعَادَةِ بَعْثِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَجْزِيَهُمْ بِهَا.

وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ فَإِنَّهُ سَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُمْ أَذِلاَّءُ صَاغِرُونَ.

دَاخِرِينَ - صَاغِرِينَ أَذِلاَّءَ.

(٦١) ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

(اللَّيْلَ)

(٦١) - وَاللهُ الخَالِقُ البَارِئُ الذِي لاَ تَصِحُّ العِبَادَةُ إِلاَّ لَهُ، هُوَ الذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِلسُّكُونِ وَالرَّاحَةِ مِنَ الحَرَكَةِ، وَهُوَ الذِي جَعَلَ النَّهَارَ مُضِيئاً لِيَسْتَطِيعَ النَّاسُ فِيهِ الإِبْصَارَ لِيَتَصَرَّفُوا فِيهِ فِي طَلَبِ مَعَاشِهِمْ، وَمُزَاوَلَةِ أَعْمَالِهِمْ، فَهُوَ المُتَفَضِّلُ عَلَى النَّاسِ بِالنِّعَمِ التِي لاَ تُحْصَى، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَجْحَدُونَ بِهَذِهِ النِّعَمِ، وَلاَ يَعْتَرِفُونَ بِهَا، وَلاَ يَشْكُرُونَ الخَالِقَ عَلَيْهَا.

مُبْصِراً - مُضِيئاً لِيَسْتَطِيعَ النَّاسُ العَمَلَ فِيهِ.

(٦٢) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ
كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ

(٦٣) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ

(٦٤) ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ

(٦٥) هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ



(٦٦) ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ
أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ
أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(خَالِقُ)

(٦٢) ـ وَالذِي فَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَغْدَقَ عَلَيْكُم النِّعَمَ التِي لاَ تُحْصَى، هُوَ اللهُ، وَهُوَ رَبُّكُم الوَاحِدُ الأَحَدُ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ فَتَتْرُكُونَ عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَى، وَتَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ـ فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ.

(بِآيَاتِ)

(٦٣) ـ كَذَلِكَ يُصْرَفُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، كَمَا صُرِفَ الذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ عَنِ الحَقِّ، فَعَبَدُوا غَيْرَ اللهِ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، بِلاَ دَلِيلٍ وَلاَ بُرْهَانٍ عَلَى صِحَّةِ مَا يَفْعَلُونَ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ بِمُجَرَّدِ الهَوَى والجَهْلِ والتَّقْلِيدِ.

يُؤْفَكُ ـ يُصْرَفُ عَنِ التَّوْحِيدِ والإِيْمَانِ.

(الطَّيِّبَاتِ) (الْعَالَمِينَ)

(٦٤) ـ وَاللهُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ والذِي لاَ تَنْبَغِي العِبَادَةُ لِغَيْرِهِ، هُوَ الذِي جَعَلَ الأَرْضَ لِلنَّاسِ قَرَاراً يَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا، وَيَعِيشُونَ مِنْ خَيْرَاتِهَا، وَيَتَصَرَّفُونَ بِهَا، وَجَعَلَ لَهُم السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً (بِنَاءً)، وَخَلَقَ النَّاسَ فَأَحْسَنَ خَلْقَهُمْ، وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ تَصْوِيرَهُمْ، فَتَبَارَكَ اللهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، فَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ.

الأَرْضَ قَرَاراً ـ مُسْتَقَرّاً يَعِيشُونَ فِيهَا.

السَّمَاءَ بِنَاءً ـ سَقْفاً مَرْفُوعاً مَحْفُوظاً.

(الْعَالَمِينَ)

(٦٥) ـ وَاللهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّ العَالَمِينَ أَوَّلاً وَأَبَداً، وَهُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ، والظَّاهِرُ والبَاطِنُ، لاَ نَظِيرَ لَهُ وَلاَ عَدِيلَ، فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الطَّاعَةَ، مُوَحِّدِينَ، مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَقُولُوا: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنُسَبِّحُهُ، فَهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ

(الْبَيِّنَاتِ) (الْعَالَمِينَ)

(٦٦) ـ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى نَهَانِي، وَنَهَى خَلْقَهُ جَمِيعاً، فِي القُرْآنِ الذِي أَنْزَلَهُ عَلَيَّ، أَنْ نَعْبُدَ مِنْ دُونِهِ مَا تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ، وَأَمَرَنِي بِأَنْ أَنْقَادَ إِلَيهِ، وَأَنْ أُخْلِصَ لَهُ دِينِي، لأَنَّهُ تَعَالَى رَبُّ العَالَمِينَ جَمِيعاً.

أَنْ أُسْلِمَ ـ أَنْ أَنْقَادَ وَأُخْلِصَ دِينِي.

(٦٧) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(٦٨) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

(٦٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ

(٧٠) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

(٧١) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ

(٦٧) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي بَدأَ خَلْقَ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ يَتَوَالَدُونَ مِنْ نُطْفَةٍ تَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الأُنْثَى، فَتَتَلقَّحُ البُوَيْضَةُ، وَيَتَطَوَّرُ الحَيَوانُ المَنَوِيُّ إِلَى عَلَقَةٍ، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ مُتَقَلِّباً فِي أَطْوَارٍ شَتَّى حَتَّى يَخْرُجَ طِفْلاً فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ؛ وَيَبْدَأُ الإِنْسَانُ حَيَاتَهُ ضَعِيفاً، ثُمَّ يَتَدرَّجُ فِي التَقَدُّمِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَمُنْتَهَى قُوَّتِهِ، ثُمَّ يَبْدَأُ فِي التَّرَاجُعِ، وَيَنْحَدِرُ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ والهَرَمِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُتوفَّى قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الشَّيْخُوخَةَ بِأَمْرِ اللهِ؛ وَيَفْعَلُ اللهُ ذَلِكَ لِيَبْلُغَ النَّاسُ الأَجَلَ المُسَمَّى، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، وَلِيُدْرِكُوا العِبَرَ مِنْ هَـذَا التَّنَقُّلِ فِي أَطْوَارِ التَّكْوِينِ والحَيَاةِ.

لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ - كَمَالَ عَقْلِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ.

(٦٨) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ هُوَ الذِي يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَيُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الأَحْيَاءِ، وَإِذَا أَرَادَ كَوْنَ شَيءٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ لِفَوْرِهِ. وَأَمْرُهُ تَعَالَى لاَ يُعَانَدُ وَلاَ يُمَانَعُ وَلاَ يَتَكَرَّرُ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ﴾[1].

قَضَى أَمْراً - أَرَادَ إِيجَادَ شَيءٍ.

(يُجادِلُونَ) (آيَاتِ)

(٦٩) - أَلاَ تَعْجَبُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ هَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ، والَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الحَقِّ بِالبَاطِلِ، كَيْفَ تُصْرَفُ عُقُولُهُمْ عَنْ الهُدَى إِلَى الضَّلاَلَةِ؟

أَنَّى يُصْرَفُونَ - كَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الآيَاتِ مَعَ وُضُوحِهَا.

(بِالْكِتَابِ)

(٧٠) - وَهَؤُلاَءِ المُبْطِلُونَ الذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الحَقِّ بِالبَاطِلِ هُمُ الذِينَ كَذَّبُوا بِالقُرْآنِ، وَبِجَمِيعِ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا مِنْ إِخْلاَصِ العِبَادَةِ للهِ، وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ مَصِيرُهُمْ فِي الآخِرَةِ.

(الأَغْلاَلُ) (أَعْنَاقِهِمْ) (السَّلاَسِلُ)

(٧١) - إِذ تُجْعَلُ الأَغْلاَلُ وَالسَّلاَسِلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَيُسْحَبُونَ بِهَا.

يُسْحَبُونَ - يُجَرُّونَ.

الأَغْلاَلُ - القُيُودُ.

---

(١) سورة القمر الآية ٥٠.

﴿فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝٧٥ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٧٧﴾

(٧٢) - وَيُسْحَبُونَ بالسَّلاسِلِ فِي النَّارِ، والأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، ثُمَّ تُمْلأُ بِهِم النَّارُ لِيَكُونُوا وَقُوداً لَهَا.

سُجِرَ التَّنورُ - أُضْرِمَ فِيهِ النَّارُ.

(٧٣) - ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ والتَّوْبِيخِ: أَيْنَ الأَصْنَامُ التِي كُنْتُمْ تُشْرِكُونَهَا فِي العِبَادَةِ مَعَ اللهِ؟

(نَدْعُو) (الْكَافِرِينَ)

(٧٤) - وَأَيْنَ المَعْبُودَاتُ التِي كُنْتُم تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ فَادْعُوهُمْ لِيُنْقِذُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ البَلاءِ والعَذَابِ؟ فَيَرُدُّونَ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ غَابُوا عَنْهُمْ، ولاَ يَعْرِفُونَ لَهُم مَكَاناً، ولاَ يَرْجُونَ مِنْهُمْ نَفْعاً، ثُمَّ يَجْحَدُونَ عِبَادَتَهُم الأَصْنَامَ، وَيقولُونَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَكُونُوا يَدْعُونَ آلِهَةً أُخْرَى غَيْرَ اللهِ. وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ: ﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا واللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾[1].

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونوا يَدعُونَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا شَيئاً يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الأَرْبَابِ) وَهَكَذَا يُضِلُّ اللهُ الكَافِرِينَ، فَلاَ يَنْتَفِعُونَ بِشَيءٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

(٧٥) - وَيُقَالُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الذِي أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ والنَّكَالِ، هُوَ جَزَاءٌ لَكُمْ عَلَى فَرَحِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ الحَقِّ، وَمَرَحِكُمْ وَإِشْرَاكِكُمْ فِيهَا، وَتَمَتُّعِكُمْ بِاللَّذَّاتِ.

تفرحُونَ - تَبْطَرُونَ.

تَمْرَحُونَ - تَخْتَالُونَ كِبراً وَبَطَراً.

(أَبْوَابَ) (خَالِدِينَ)

(٧٦) - فَادْخُلُوا الآنَ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لِتقِيمُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً، وَبِئْسَ جَهَنَّمُ مَنْزِلاً وَمُقَاماً لِلْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى اللهِ فِي الدُّنْيَا

مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ - مَأْوَاهُمْ وَمَقَامُهُمْ.

(٧٧) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَ مِنْ قَوْمِهِ، فَإِنَّ اللهَ سَيُنْجِزُ وَعْدَهُ، وَسَيُظْفِرُهُ بِأَعْدَائِهِ، وَسَيُنْزِلُ العِقَابَ بِالمُكَذِّبِينَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: إِمَّا أَنْ يُرِيَهُ فِي حَيَاتِهِ بَعْضَ الذِي يَعِدُهُمْ مِنَ العَذَابِ والنِّقْمَةِ، كَالقَتْلِ والأَسْرِ فِي بَدْرٍ، فَذَلِكَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللهُ قَبْلَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ عُقُوبَتَهُ وَعَذَابَهُ فَإِنَّهُ سَيُعَاقِبُهُمْ فِي الآخِرَةِ عِقَاباً شَدِيداً حِينَمَا يُرْجَعُونَ إِلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٣.

(٧٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ

(بِآيَةٍ)

(٧٨) - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ قَبْلَهُ رُسُلاً إِلَى أَقْوَامِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللهُ لَهُ أَخْبَارَهُمْ فِي القُرْآنِ وَهُمْ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَقْصُصِ اللهُ أَخْبَارَهُمْ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

(وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ كَمْ عَدَدُ الأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلاثُمِئَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمّاً غَفِيراً). (رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ).

وَلَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِمُعْجِزَةٍ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللهُ بِذَلِكَ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ. فَإِذَا نَزَلَ عَذَابُ اللهِ وَنَكَالُهُ بِالمُكَذِّبِينَ قُضِيَ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ. فَيُنَجِّي اللهُ رُسُلَهُ وَالمُؤْمِنِينَ مَعَهُمْ، وَيُهْلِكُ الكَافِرِينَ الذِينَ افْتَرَوْا عَلَى اللهِ كَذِباً.

(٧٩) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

(الأَنْعَام)

(٧٩) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا خَلَقَ لَهُمْ مِنَ الأَنْعَامِ، وَهِيَ الإِبْلُ والبَقَرُ والغَنَمُ والمَاعِزُ، فَيَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِهَا، وَيَرْكَبُونَ عَلَى الإِبِلِ مِنْهَا وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ.

(٨٠) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ

(مَنَافِعُ)

(٨٠) - وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ أُخْرَى فَيَسْتَفِيدُونَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا فِي صُنْعِ مَلابِسِهِمْ وَأَثَاثِهِمْ وَفُرُشِهِمْ وَخِيَامِهِمْ. وَيَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْ جُلُودِهَا، وَيَتَبَاهَوْنَ بِهَا وَيَتَفَاخَرُونَ، وَيُسَرُّونَ مِنْ مَنْظَرِهَا حِينَ تَذْهَبُ إِلَى المَرَاعِي صَبَاحاً، وَحِينَ تَرْجِعُ مَسَاءً شَبْعَى رَيَّاً كَقَوْلِهِ تَعَالَى. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[1] وَيَنْتَقِلُونَ هُمْ وَأَحْمَالُهُمْ وَأَثْقَالُهُمْ عَلَى الإِبِلِ، إِلَى الأَمَاكِنِ البَعِيدَةِ انْتِجَاعاً لِلْكَلأِ، أَوْ سَعْياً وَرَاءَ العَمَلِ وَالتِّجَارَةِ.

حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ - أَمْراً ذَا بَالٍ تَهْتَمُّونَ بِهِ.

(٨١) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ

(آيَاتِهِ) (آيَاتِ)

(٨١) - وَيُرِيكُمُ اللهُ آيَاتِهِ وَحُجَجَهُ الدَّالَّةَ عَلَى وُجُودِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، فَأَيّاً مِنْهَا تُنْكِرُونَ، وَبِأَيِّهَا تَعْتَرِفُونَ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ بَادِيَةٌ لِلْعَيَانِ، لاَ سَبِيلَ إِلَى جُحُودِهَا.

---

(١) سورة النحل الآية ٦.

(٨٢) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(عَاقِبَةُ) (آثاراً)

(٨٢) - أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ المُكَذِّبُونَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فِي الأَرْضِ فَيَرَوْا فِي البِلَادِ التِي مَرُّوا بِهَا مَا حَلَّ بِالذِينَ كَذَّبُوا قَبْلَهُمْ رُسُلَ اللهِ مِنَ الأُمَمِ البَائِدَةِ: عَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ وَأَصْحَابِ الأَيْكَةِ. . وَكَيْفَ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَأَبَادَ خَضْرَاءَهُمْ، فَلَمْ يُبْقِ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ السَّالِفُونَ أَكْثَرَ قُوَّةً مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَبْقَى أَثَراً فِي الأَرْضِ، وَأَكْثَرَ عَدَداً. . فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ كُلُّ ذَلِكَ وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئاً مِنْ بَأْسِ اللهِ حِينَمَا جَاءَهُمْ، فَهَلَّا اعْتَبَرَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ بِذَلِكَ؟

فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ - فَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ.

(٨٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

(بِالبيِّنَاتِ) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٨٣) - فَلَمَّا جَاءَ رُسُلُ اللهِ أَقْوَامَهُمْ بِالأَدِلَّةِ الوَاضِحَةِ والحُجَجِ الدَّامِغَةِ، والبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ، لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى الرُّسُلِ، وَلَمْ يَأْخُذُوا بِمَا أَتَوْهُمْ بِهِ، وَاسْتَغْنَوْا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العَقَائِدِ الزَّائِفَةِ، وَالشُّبَهِ الدَّاحِضَةِ، وَهُمْ يَظُنُّونَهَا عِلْماً نَافِعاً، فَفَرِحُوا بِهَا، فَنَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ، وَأَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَهَذَا العَذَابُ هُوَ مَا كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.

مِنَ العِلْمِ - مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مِنَ العَقَائِدِ الزَّائِفَةِ.

حَاقَ بِهِمْ - أَحَاطَ بِهِمْ أَوْ نَزَلَ بِهِمْ.

(٨٤) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ

(آمَنَّا)

(٨٤) - فَلَمَّا عَايَنُوا عَذَابَ اللهِ النَازِلَ بِهِمْ قَالُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكَفَرْنَا بِتِلْكَ المَعْبُودَاتِ البَاطِلَةِ التِي لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِعَابِدِيهَا نَفْعاً وَلَا ضَرّاً.

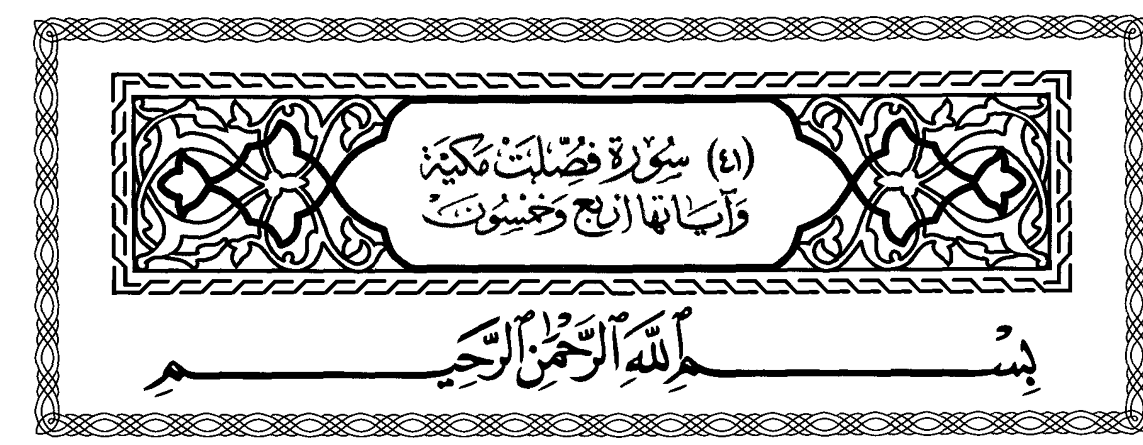
رَأَوْا بَأْسَنَا - عَايَنُوا شِدَّةَ عَذَابِنَا.

(٨٥) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ

(إِيْمَانُهُمْ) (سُنَّةَ) (الْكَافِرُونَ)

(٨٥) - فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ إِيمَانُهُمْ حِينَمَا عَايَنُوا العَذَابَ، وَمَضَى فِيهِمْ حُكْمُ اللهِ؛ وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي الذِينَ سَلَفُوا مِنْ قَبْلِهِمْ، إِنَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ العِبَادِ التَّوْبَةَ حِينَمَا يَرَوْنَ عَذَابَ اللهِ وَعِقَابَهُ؛ وَأَمْضَى فِيهِمْ حُكْمَهُ العَادِلَ بِإِبَادَتِهِمْ، وَخَسِرَ الكَافِرُونَ المُبْطِلُونَ خُسْرَاناً مُبِيناً.

خَلَتْ - مَضَتْ.



﴿حمٓ ١﴾

(حَا. مِيم)

(١) - اللهُ أَعْلَمُ بِمُرادِهِ.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾

(٢) - هَذا القُرْآنُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾

(كِتَابٌ) (آيَاتُهُ) (قُرْآناً)

(٣) - وَهُوَ كِتَابٌ بُيِّنَتْ مَعَانِيهِ، وَأُحْكِمَتْ أَحْكَامُهُ، وَأَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لِيَسْهُلَ عَلَى أَهْلِ العُقُولِ والأَلْبَابِ مِنَ العَرَبِ قِرَاءَتُهُ وَفَهْمُ مَعَانِيهِ (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ).

فُصِّلَتْ - مُيِّزَتْ أَوْ بُيِّنَتْ أَوْ أُحْكِمَتْ.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤﴾

(٤) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى القُرْآنَ لِيَكُونَ مُبَشِّراً لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، بِالجَنَّةِ والنَّعِيمِ المُقِيمِ، وَمُنْذِراً الكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ، والخِزْيِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَاسْتَكْبَرَ أَكْثَرُ المُشْرِكِينَ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَيهِ، وَأَعْرَضُوا عَنِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ والهُدَى.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾

(آذَانِنَا) (عَامِلُونَ)

(٥) - لَقَدْ أَعْرَضَ المُشْرِكُونَ وَبَيَّنُوا ثَلاَثَةَ أَسْبَابٍ لإِعْرَاضِهِمْ:

فَقَالُوا: إِنَّ قُلُوبَنَا تَلُفُّهَا أَغْطِيَةٌ مُتَكَاثِفَةٌ فَلاَ يَبْلُغُهَا مَا تَدْعُونَا إِلَيهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَلاَ نَفْقَهُ مَا تَقُولُهُ أَنْتَ.

وَقَالُوا: إِنَّ فِي آذَانِنَا صَمَماً يَمْنَعُهَا مِنْ سَمَاعِ مَا تَقُولُ.

وَقَالُوا: هُنَاكَ سِتْرٌ (حِجَابٌ) يَمْنَعُ وُصُولَ شَيءٍ مِمَّا تَقُولُ إِلَيْنَا.

فَاعْمَلْ يَا مُحَمَّدُ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ عَمَلَهُ عَلَى طَرِيقَتِكَ، وَنَحْنُ نَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِنَا فَلاَ نُتَابِعُكَ فِي دَعْوَتِكَ.

٦ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ

٧ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ

٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

٩ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ

نصف الحزب ٤٨

(وَقِيلَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ آسْتَغْشَى عَلَى رَأْسِهِ ثَوْباً، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ، آسْتِهْزَاءً مِنْهُ بِالرَّسُولِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ).

أَكِنَّةٌ - أَغْطِيَةٌ تَمْنَعُ الفَهْمَ.

وَقْرٌ - صَمَمٌ وَثِقَلٌ يَمْنَعُ السَّمْعَ.

حِجَابٌ - سِتْرٌ غَلِيظٌ يَمْنَعُ التَّوَاصُلَ.

(وَاحِدٌ)

(٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِكَ: إِنَّنِي لَسْتُ إِلاَّ بَشَراً مِنْ جِنْسِكُمْ، وَلَسْتُ مَلَكاً، وَقَدْ آخْتَارَنِي اللهُ تَعَالَى لِيُوحِيَ إِلَيَّ رِسَالَتَهُ إِلَيْكُمْ وَهُوَ يُوحِي إِلَيَّ أَنَما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لا إِله إِلاَّ هُوَ، وَهُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ الأَصْنَامَ والأَوْثَانَ والحِجَارَةَ التِي تَعْبُدُونَهَا لاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلاَ لِعَابِدِيهَا ضَراً وَلاَ نَفْعاً. فَآمِنُوا بِاللهِ وَآسْتَغْفِرُوهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَمَعَاصٍ، وَأَخْلِصُوا لَهُ العِبَادَةَ كَمَا أَمَرَكُمْ. والوَيْلُ وَالهَلاَكُ والخَسَارُ لِمَنْ أَشْرَكَ مَعَ رَبِّهِ فِي العِبَادَةِ سِوَاهُ.

فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ - تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ والعِبَادَةِ.

(الزَّكَاةَ) (كَافِرُونَ)

(٧) - وَالوَيْلُ والخَسَارُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِرَبِّهِ، وَلَمْ يَدْفَعْ زَكَاةَ مَالِهِ لِمُوَاسَاةِ الفَقِيرِ وَالمُحْتَاجِ واليَتِيمِ، وَكَفَرَ بِالبَعْثِ والمَعَادِ والحِسَابِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ مَنْعَ أَدَاءِ الزَّكَاةِ مَقْرُوناً بِالشِّرْكِ، لأَنَّ بَذْلَ المَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِقَامَةِ الإِنْسَانِ، وَصِدْقِهِ فِي إِيْمَانِهِ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٨) - إِنَّ الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَكُتُبِهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ فَإِنَّ اللهَ يَعِدُهُمْ بِأَنْ يَجْزِيَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصَّالِحِ جَزَاءً كَرِيماً غَيْرَ مَقْطُوعٍ وَلاَ مَمْنُوعٍ.

غَيْرُ مَمْنُونٍ - غَيْرُ مَقْطُوعٍ عَنْهُمْ.

(أَئِنَّكُمْ) (العَالَمِينَ)

(٩) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ مُوَبِّخاً وَمُقَرِّعاً: إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِاللهِ الذِي خَلَقَ الأَرْضَ التِي تَقِفُونَ عَلَيْهَا فِي يَوْمَينِ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَمْثَالاً تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ، وَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ، خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ، وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، فَعِبَادَتُكُمْ غَيْرَهُ مَعَهُ، ظُلْمٌ كَبِيرٌ.

(وفَسَّر بعْضُهُمْ: فِي يَوْمَيْنِ، فِي طَوْرِينِ أَوْ عَلَى دُفْعَتَيْنِ أَوْ نَوْبَتَيْنِ: نَوْبَةٍ جَعَلَهَا جَامِدَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كُرَةً غَازِيَّةً، وَمَرَّةٍ جَعَلَهَا سِتاً وَعِشْرِينَ طَبَقَةً فِي سِتَّةِ أَطْوَارٍ).

أَنْدَاداً - أَمْثَالاً وَأَشْبَاهاً مِنَ المَخْلُوقَاتِ.

(١٠) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ

(رَوَاسِيَ) (بَارَكَ) (أَقْوَاتَهَا) (لِلسَّائِلِينَ)

(١٠) - وَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ الذِي جَعَلَ فِي الأَرْضِ جِبَالاً ثَوَابِتَ، رَاسِيَاتٍ، تُرْسِي الأَرْضَ وَتُثَبِّتُهَا لِكَيْلا تَمِيدَ وَتَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ المَخْلُوقَاتِ. وَهُوَ الذِي بَارَكَ فِي الأَرْضِ، وَجَعَلَهَا كَثِيرَةَ الخَيْرِ وَالمَنْفَعَةِ، وَقَدَّرَ لأَهْلِهَا الأَقْوَاتَ وَالأَرْزَاقَ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَ كُلٍّ مِنْهُم، فَأَتَمَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ: فَقَدْ خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا الرَّوَاسِيَ فِي يَوْمَيْنِ، وَأَكْثَرَ الخَيْرَاتِ وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فِي يَوْمَينِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ، وَفْقَ مُرَادِ طَالِبِ القُوتِ (سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ)، وَهُوَ مَنْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيْهِ مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ.

رَوَاسِيَ - جِبَالاً ثَوَابِتَ تَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِمَنْ عَلَيْهَا.

بَارَكَ فِيهَا - كَثَّرَ خَيْرَهَا وَمَنَافِعَهَا.

سَوَاءً - وَفْقَ المُرَادِ، أَوْ ٱسْتَوَتْ وَتَمَّتْ.

(١١) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ

(طَائِعِينَ)

(١١) - ثُمَّ ٱقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ فَوَجَّهَ إِرَادَتَهُ إِلَى خَلْقِهَا، وَهِيَ مَادَّةٌ غَازِيَّةٌ أَشْبَهُ بِالدُّخَانِ أَوْ بِالسَّدِيمِ، وَقَالَ لِلسَّمَاءِ وَالأَرْضِ: اسْتَجِيبَا لأَمْرِي كَيْفَ شِئْتُمَا: طَوْعاً أَوْ كَرْهاً. قَالَتَا: أَتَيْنَا طَائِعِينَ.

ٱئْتِيَا - ٱفْعَلا مَا أَمَرْتُكُمَا بِهِ.

(١٢) فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ

(فَقَضَاهُنَّ) (سَمَاوَاتٍ) (بِمَصَابِيحَ)

(١٢) - فَأَتَمَّ خَلْقَهُنَّ وَجَعَلَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَينِ آخَرِينِ، فَأَصْبَحَ خَلْقُ الكَوْنِ كُلِّهِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. وَجَعَلَ فِي كُلٍّ مِنْهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيهِ، وَمَا هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ. وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِكَوَاكِبَ مَضِيئَةٍ مُتَلأْلِئَةٍ كَالمَصَابِيحِ، وَحَفِظَهَا مِنَ الاضْطِرَابِ فِي سَيْرِهَا (وَحِفْظاً)، وَجَعَلَهَا تَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ مَا دَامَ هَذَا النِّظَامُ بَاقِياً حَتَّى يَأْتِي اليَوْمُ المَوْعُودُ. وَذَلِكَ الذِي تَقَدَّمَ هُوَ تَقْدِيرُ اللهِ الذِي عَزَّ كُلَّ شَيءٍ وَقَهَرَهُ، العَلِيمِ بِحَرَكَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِم.

﴿١٣﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ
صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ

﴿١٤﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ
أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا
تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ
رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ
أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿١٥﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ
أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ
وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
﴿١٦﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ
أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ
ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ
ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ

فقضاهُنَّ - أتمَّ خلْقَهنَّ وأحكمَهُ وأبْدعَهُ.

أَوْحَى - كوَّنَ أوْ دبَّرُ.

حِفْظاً - حفِظْناها حِفظاً مِنَ الخلَلِ والاضْطِراب.

(صَاعِقَةً) (صَاعِقَةِ)

(١٣) - فإنْ أعْرضَ مُشْركو قُرَيشٍ فقُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ: إنْ أعْرَضْتُمْ عمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فإنِّي أُنْذِرُكُم بِحُلولِ نَقْمَتِهِ تَعالى بِكُمْ كَما نَزَلَتْ بالأُمَمِ الماضِيَةِ التي كَذَّبَتْ رُسُلَها كَعادٍ وثَمودَ ومَنْ شاكَلَهُما.

أَنْذَرْتُكُمْ - خوَّفْتُكُمْ مِنْ حُلولِ العَذابِ بِكُمْ.

(مَلَائِكَةً) (كَافِرُونَ)

(١٤) - فَقَدْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ، وأمَرُوهُمْ بِعِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، فَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّباعِ دَعْوَتِهِمْ، مُتَعَلِّلِينَ بأنَّ اللهَ لَوْ شاءَ أنْ يُرْسِلَ رُسُلاً لأَرْسَلَهُمْ مِنَ المَلائِكَةِ، وَلَمْ يُرْسِلْهُمْ مِنَ البَشَرِ، وبِما أنَّ رُسُلَهُمْ كانُوا مِنَ البَشَرِ لِذلِكَ أعْلَنُوا هُمْ بأنَّهُمْ لَنْ يَتْبَعُوهُمْ، وأنَّهُمْ كافِرُونَ بِما أُرْسِلُوا بِهِ إلَيْهِمْ.

(بِآيَاتِنَا)

(١٥) - أمَّا عادٌ فإنَّهُمْ بَغَوْا وعَصَوْا رَبَّهُمْ، واغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ فَقالُوا: مَنْ أشَدُّ مِنّا قُوَّةً حَتَّى يَسْتَطيعَ قَهْرَنا وإذْلالَنا؟ وَرَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ مُوَبِّخاً: ألا يَتفكَّرُونَ فِيمَنْ يُبارِزُونَ بالعَداوَةِ؟ إنَّهُ العَظِيمُ الذي خَلَقَ الأشْياءَ، ورَكَّبَ فِيها القُوَّةَ الحامِلَةَ لَها، وإنَّ بَطْشَهُ شَديدٌ، وإنَّهُ قادِرٌ عَلى أنْ يُنْزِلَ فِيهِمْ بَأْسَهُ وعَذابَهُ. وكانُوا يَعْرِفُونَ أنَّ آياتِ اللهِ التي أنْزَلَها عَلى رُسُلِهِ حَقٌّ لا شَكَّ فِيها، ولكِنَّهُمْ جَحَدُوها، وعَصَوا رُسُلَ رَبِّهِمْ.

(الْحَيَاةِ)

(١٦) - فأرْسَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ رِيحاً شَديدَةَ الهُبُوبِ، أوْ شَديدَةَ البُرُودَةِ (صَرْصَراً) تُهْلِكُ بِشِدَّتِها أوْ بِشِدَّةِ بُرُودَتِها، وإذا هَبَّتْ سُمِعَ لَها صَوْتٌ قَوِيٌّ لِتَكُونَ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلى اغْتِرارِهِمْ بِقُوَّتِهِمْ، وَقَدْ أرْسَلَها اللهُ عَلَيْهِمْ فِي أيَّامٍ شُؤْمٍ مُتَتابِعَةٍ (نَحِساتٍ)، لِيُذيقَهُمْ عَذابَ الذُّلِّ والهَوانِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا بِسَبَبِ ذلِكَ الاسْتِكْبارِ. ولَعَذابُ الآخِرَةِ أشَدُّ خِزْياً وإهانَةً مِنْ عَذابِ الدُّنْيا، ولا يَجِدُونَ فِي يَوْمِ القِيامَةِ نَصِيراً ولا مُعِيناً.

الصَّرْصَرُ - الرِّيحُ الشَّديدَةُ البُرُودَةِ أوِ الشَّديدَةُ الهُبُوبِ.

أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ - أيَّامٍ شُؤْمٍ مُتَتابِعاتٍ.

أَخْزَى - أكْثَرُ إذْلالاً وإهانَةً.

﴿١٧﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(فَهَدَيْنَاهُمْ) (صاعِقَةُ)

(١٧) ـ أَمَّا ثَمُودُ فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى لَهُمُ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِمْ صَالِح ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَكَذَّبُوهُ وَاسْتَحَبّوا العَمَى عَلَى الهُدَى، وَالكُفْرَ عَلَى الإِيْمَانِ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَرَجْفَةً وَذُلاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الكُفْرِ والآثَامِ ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ .

فَهَدَيْنَاهُمْ ـ فَبَيَّنَا لَهُمْ طَرِيقَيْ الهُدَى والضَّلاَلِ .

العَذَابِ الهُونِ ـ العَذَابِ المُهِينِ.

﴿١٨﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ

(آمَنُوا)

(١٨) ـ وَنَجَّى اللهُ تَعَالَى صَالِحاً وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ العَذَابِ، فَلَمْ يُوقِعْهُ بِهِمْ بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ، وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَاتِ.

﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ

(١٩) ـ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ حَالَ الكُفَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ وَيَرْتَدِعُونَ عَنْ غِوَايَاتِهِمْ، فَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يُسَاقُ الكَفَرَةُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ، فَتَحْبِسُ الزَّبَانِيَةُ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ (أَيْ تَقِفُهُمُ المَلاَئِكَةُ حَتَّى يَتَلاَحَقُوا، وَيَتَكَامَلَ جَمْعُهُمْ).

يُوزَعُونَ ـ يُحْبَسُونَ وَيُوقَفُونَ لِيَلْحَقَ بِهِمْ مَنْ بَعْدَهُمْ.

﴿٢٠﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(أَبْصارُهُمْ) (جَاؤُوهَا)

(٢٠) ـ حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى النَّارِ وَوَقَفُوا عَلَيْهَا، شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جَوارِحُهُمْ (سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) بِمَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ المَعَاصِي، وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ أَعْمَالٍ، لاَ يَكْتُمُونَ مِنْهَا شَيْئاً.

﴿٢١﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(٢١) ـ فَيَقُولُ المُجْرِمُونَ لِجُلُودِهِمْ،وَهُمْ يَلُومُونَهَا عَلَى شَهَادَتِهَا عَلَيْهِمْ: لِمَاذَا شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ فَتَرُدُّ الجُلُودُ قَائِلَةً: إِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الذِي أَنْطَقَهَا، وَهُوَ تَعَالَى الذِي خَلَقَهَا وَخَلَقَهُمْ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، فَهُوَ تَعَالَى لاَ يُخَالَفُ وَلاَ يُمَانَعُ.

(وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلُهُ: عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ العَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ: أَيْ رَبِّي أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي لاَ تَظْلِمُنِي؟ قَالَ: بَلَى. فَيَقُولُ إِنِّي لاَ أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِداً إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَوَ لَيْسَ كَفَى بِي شَهِيداً، وَبِالمَلاَئِكَةِ الكِرَامِ الكَاتِبِينَ؟ قَالَ فَيُرَدِّدُ هَذَا الكَلاَمَ. فَيَخْتِمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى فِيهِ، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ. فَيَقُولُ بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجَادِلُ). (رَوَاهُ مُسْلِمٌ والبَزَّارُ).

(٢٢) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ
عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ
ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ

(أَبْصارُكُمْ)

(٢٢) - وَتَقُولُ لَهُمْ جَوارِحُهُمْ وَجُلُودُهُمْ: وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَخْفُونَ مِنَّا حِينَما كُنْتُمْ تَرْتَكِبُونَ الفَواحِشَ حَذَراً مِنْ أَنْ نَشْهَدَ عَلَيْكُمْ، بَلْ كُنْتُمْ تُجاهِرُونَ اللهَ تَعالَى بِالكُفْرِ والمَعاصِي، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَفْعالِكُمْ.

تَسْتَتِرُونَ - تَسْتَخْفُونَ عِنْدَ آرْتِكابِ الفَواحِشِ.

أَنْ يَشْهَدَ - مَخافَةَ أَنْ يَشْهَدَ

ظَنَنْتُمْ - آعْتَقَدْتُمْ عِنْدَ آسْتِتارِكُمْ مِنَ النَّاسِ.

(٢٣) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم
بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

(أَرْداكُمْ) (الْخاسِرِينَ)

(٢٣) - وَهَذا الظَّنُّ الفاسِدُ بِأَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ هُوَ الذِي أَرْداكُمْ وَأَوْصَلَكُمْ إِلَى الهَلَكَةِ، فَصِرْتُمْ اليَوْمَ مِنَ الهالِكِينَ الخاسِرِينَ.

(وَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ، فَإِنَّ قَوْماً أَرْداهُمْ سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ، فَقالَ تَعالَى: وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ..) (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو داوُدَ وَآبْنُ ماجه عَنْ جابِرٍ)

أَرْداكُمْ - أَهْلَكَكُمْ.

(٢٤) فَإِن يَصْبِرُوا فَٱلنَّارُ مَثْوًى
لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ
ٱلْمُعْتَبِينَ

(٢٤) - وَسَواءٌ عَلَيْهِمْ أَصَبَرُوا أَمْ لَمْ يَصْبِرُوا فَإِنَّهُمْ فِي النَّارِ لا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْها، وَلا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْها، وَإِنْ طَلَبُوا أَنْ يَسْتَعْتِبُوا وَيُبْدُوا مَعاذِيرَهُمْ فَلَنْ يُقْبَلَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ، وَلا تُقالُ عَثَراتُهُمْ.

يَسْتَعْتِبُونَ - يَطْلُبُونَ العُتْبَى والرِّضا مِنَ اللهِ، وَيُقالُ آسْتَعْتَبْتُهُ فَأَعْتَبَنِي، أَيْ آسْتَرْضَيْتُهُ فَأَرْضانِي.

مِنَ المُعْتَبِينَ - المُجابِينَ إِلَى ما طَلَبُوا مِنَ العُتْبَى.

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

(٢٥) ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ
فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ
كَانُوا خَٰسِرِينَ

(خاسِرِينَ)

(٢٥) - وَيَسَّرَ اللهُ تَعالَى لِهَؤُلاءِ الكافِرِينَ أَخْداناً وَأَقْراناً مِنْ شَياطِينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا مِنَ الضَّلالَةِ وَالكُفْرِ واتِّباعِ الشَّهَواتِ، وَما خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَلَمْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا مُحْسِنِينَ، وَأَوْحَوْا إِلَيْهِمْ أَنَّهُ لا جَنَّةَ وَلا نارَ وَلا حِسابَ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ العَذابِ ما وَجَبَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا مِنْ

قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلُوا مِثْلَ أَفْعَالِهِمْ، فَكَانُوا جَمِيعاً فِي الخَسَارِ والدَّمَارِ، وَآسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ والخِزْيَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ.

قَيَّضْنَا - يَسَّرْنَا وَهَيَّأْنَا.

حَقَّ - وَجَبَ وَثَبَتَ.

٢٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ

(القُرْآنِ)

(٢٦) - وَتَوَاصَى الذِينَ كَفَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِأَلَّا يُؤْمِنُوا بِالقُرْآنِ، وَأَلَّا يَنْقَادُوا إِلَيهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِذَا تُلِيَ القُرْآنُ لَا تُنْصِتُوا لَهُ، وَعَارِضُوهُ بِاللَّغْوِ والبَاطِلِ بِرَفْعِ الصَّوْتِ بِالشِّعْرِ، أَوِ الكَلَامِ أَوِ الصَّفِيرِ. لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ أَنْتُمُ الغَالِبِينَ.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِذَا قَرَأَ مُحَمَّدٌ القُرْآنَ فَصِيحُوا فِي وَجْهِهِ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ).

الغَوْا فِيهِ - عَارِضُوهُ بِاللَّغْوِ مِنَ الكَلَامِ والبَاطِلِ.

٢٧ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ

(٢٧) - وَيَتَهَدَّدُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الكَافِرِينَ بِأَنَّهُ سَيُذِيقُهُمْ عَذَاباً لَا تُمْكِنُ الإِحَاطَةُ بِوَصْفِهِ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ فِي الدُّنْيَا أَحْبَطَهَا الشِّرْكُ وَأَهْلَكَهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلَّا القَبِيحُ السَّيِّىءُ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يُجَازَوْنَ إِلَّا عَلَى السَّيِّئَاتِ.

٢٨ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ

(بِآيَاتِنَا)

(٢٨) - وَذَلِكَ الجَزَاءُ الشَّدِيدُ، الذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِأَعْدَائِهِ، هُوَ النَّارُ يُعَذَّبُونَ فِيهَا، وَيَبْقَوْنَ فِي العَذَابِ خَالِدِينَ أَبَداً، وَهِيَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ، وَآسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ سَمَاعِهَا.

٢٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ

(اللَّذَيْنِ)

(٢٩) - وَيَسْأَلُ الكَافِرُونَ اللهَ، وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، أَنْ يُرِيَهُمُ الذِينَ أَضَلُّوهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الأَنْسِ والجِنِ لِيَدُوسُوهُمْ بِأَقْدَامِهِمْ آنْتِقَاماً مِنْهُمْ، وَإِهَانَةً لَهُمْ (أَوْ لِيَجْعَلُوهُمْ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ العَذَابِ لِيَكُونَ عَذَابُهُمْ أَشَدَّ).

(وَقَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: هُمَا ابنُ آدَمَ الذِي قَتَلَ أَخَاهُ، وَإِبْلِيسُ لِأَنَّهُمَا هُمَا اللَّذَانِ سَنَّا المَعْصِيَةَ).

الأَسْفَلِينَ - فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

(٣٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ
ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا
تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى
كُنتُمْ تُوعَدُونَ

(استقامُوا) (الْملائِكَةُ)

(٣٠) - إنَّ الذينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَأَخْلَصُوا لَهُ العِبادَةَ، وَثَبَتُوا عَلَى الإِيمَانِ (اسْتَقَامُوا) تَتَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى بِالبُشْرَى التي يُرِيدُونَها، وَبِأَنَّهُمْ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ، وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ فِي الدُّنْيا مِنْ مَالٍ وَزَوْجٍ وَوَلَدٍ، وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ التي وَعَدَهُمْ اللهُ بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ البُشْرَى تَكُونُ فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ : عِنْدَ المَوْتِ، وَفِي القَبْرِ، وَحِينَ البَعْثِ والنُّشُورِ).

اسْتَقَامُوا - عَلَى الحَقِّ اعْتِقاداً وَعَمَلاً وَإِخْلاصاً.

(٣١) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ

(الْحَياة)

(٣١) - وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ يُبَشِّرُونَهُمْ : نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءَكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا نُسَدِّدُ خُطَاكُمْ، وَنُلْهِمُكُمُ الحَقَّ، وَنُرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ الخَيْرُ وَرِضا اللهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الآخِرَةِ، نُؤَمِّنُكُمْ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ وَحْشَةِ القَبْرِ، وَعِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ، وَيَوْمَ البَعْثِ والنُّشُورِ، وَنُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ الخُلْدِ، وَإِنَّكُمْ وَاجِدُونَ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ مِنَ المَلَذَّاتِ والنَّعِيمِ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَتَمَنَّونَ وَتَطْلُبُونَ.

تَدَّعُونَ - تَتَمَنَّونَ وَتَطْلُبُونَ.

(٣٢) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ

(٣٢) - وَالذِي أَنْزَلَكُمْ دَارَ الكَرَامَةِ هَذِهِ هُوَ اللهُ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

النُّزُلُ - مَا يُهَيَّأُ لِلضَّيْفِ حِينَ نُزُولِهِ لِيَأْكُلَهُ.

(٣٣) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى
ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ

(صَالِحاً)

(٣٣) - وَلاَ أَحَدَ أَحْسَنُ قَوْلاً. مِمَّنْ جَمَعَ بَيْنَ ثَلاَثِ خِصَالٍ :

- دَعَا إِلَى اللهِ، وَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الإِيمَانِ بِاللهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالعَمَلِ بِطَاعَتِهِ.
- وَعَمِلَ صَالِحاً، وَاجْتَنَبَ المُحَرَّمَاتِ.
- وَأَنْ يَتَّخِذَ دِينَ الإِسْلاَمِ دِيناً لَهُ وَيُخْلِصَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ.

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ - أَيْ جَعَلَ الإِسْلاَمَ دِينَهُ وَمُعْتَقَدَهُ.

(٣٤) وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى

(عَدَاوَةٌ)

(٣٤) - وَلاَ تَتَسَاوَى الحَسَنَةُ التي يَرْضَى اللهُ بِهَا، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا، مَعَ السَّيِّئَةِ التي يَكْرَهُهَا اللهُ وَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا، فَادْفَعْ سَفَاهَةَ السُّفَهَاءِ، وَجَهَالَةَ

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ

الجُهلاَءِ بِالطَّرِيقَةِ الحُسْنَى، فَقَابِلْ إِسَاءَتَهُمْ بِالإِحْسَانِ إِلَيهِمْ، وَقَابِلِ الذَّنْبَ بِالعَفْوِ، فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى سُوءِ أَخْلاَقِهِمْ، وَقَابَلْتَ سَفَاهَتَهُمْ بِرَحَابَةِ صَدْرٍ اسْتَحْيَوْا مِنْ ذَمِيمِ أَخْلاَقِهِمْ، وَتَرَكُوا قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ. وَٱنْقَلَبُوا مِنَ العَدَاوَةِ إِلَى المَحَبَّةِ.

وَلِيٌّ حَمِيمٌ - صَدِيقٌ قَرِيبٌ.

ٱدْفَعْ - رُدَّ وَٱصْرِفْ.

وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾

(يُلَقَّاهَا)

(٣٥) - وَلاَ يَقْبَلُ هَذِهِ الوَصِيَّةَ وَيَعْمَلُ بِهَا إِلاَّ مَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، لأَنَّ الصَّبْرَ يَشُقُّ عَلَى النُّفُوسِ، وَيَصْعبُ احْتِمَالُهُ فِي مَجْرَى العَادَةِ، وَلاَ يَتَقَبَّلُهَا إِلاَّ ذُو نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٞ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

(الشَّيْطَانِ)

(٣٦) - وَإِذَا وَسْوَسَ لَكَ الشَّيْطَانُ لَيَحْمِلَكَ عَلَى مُجَازَاةِ المَسِيءِ، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ كَيدِهِ وَشَرِّهِ، وَٱسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ خَطَرَاتِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ السَّمِيعُ لاسْتِعَاذَتِكَ، العَلِيمُ بِمَا أُلْقِيَ فِي رَوْعِكَ مِنْ نَزَغَاتِهِ وَوَسَاوِسِهِ.

نَزْغٌ - وَسْوَسَ. وَأَصْلُ النَّزْغِ هُوَ النَّخْسُ.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

(آيَاتِهِ) (اللَّيْلُ)

(٣٧) - وَمِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الخَلْقِ: اللَّيْلُ والنَّهَارُ وَتَعَاقُبُهُمَا، والشَّمْسُ والقَمَرُ وَتَقْدِيرُ مَنَازِلِهِمَا، وَٱخْتِلاَفُ سَيرِهِمَا فِي السَّمَاءِ لِيَعْرِفَ النَّاسُ عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَابَ، وَهُمَا مَخْلُوقَانِ للهِ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَلاَ يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوهُمَا، وَلاَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُمَا، وَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ خَالِقَهُمَا، الذِي لاَ تَنْبَغِي العِبَادَةُ إِلاَّ لَهُ وَحْدَهُ وَلاَ شَرِيكَ لَهُ.

فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

سجدة

(بِاللَّيْلِ) (يَسْأَمُونَ)

(٣٨) - فَإِنِ ٱسْتَكْبَرَ المُشْرِكُونَ الذِينَ يَعْبُدُونَ هَذِهِ الكَوَاكِبَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَأَبَوْا إِلاَّ أَنْ يَسْجدُوا لَهَا وَحْدَهَا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَعْبَأ بِهِمْ، فَالمَلاَئِكَةُ الذِينَ فِي حَضْرَتِهِ، وَهُمْ خَيرٌ مِنْهُمْ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّهِمْ، بَلْ يُسَبِّحُونَ لَهُ لَيلاً وَنَهَاراً، وَهُمْ لاَ يَفْتُرُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَلاَ يَمَلُّونَ.

سَئِمَ - مَلَّ وَضَجِرَ.

٣٩ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(آيَاتِه) (خَاشِعَةً) (لَمُحْيِي)

(٣٩) - وَمِنَ الدَّلاَئِلِ الدَّالَّةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى البَعْثِ والنُّشُورِ، وَإِخْرَاجِ الأَمْوَاتِ مِنَ القُبُورِ، أَحْيَاءً يَنْظُرُونَ. أَنَّكَ تَرى الأَرْضَ يَابِسَةً غَبْرَاءَ لاَ نَبَاتَ فِيهَا، فَإِذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا المَطَرَ، تَبْدأُ النَّبَاتَاتُ بِالتَّحَرُّكِ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ وَتَعْلُو التُّرْبَةُ (تَرْبُو)، وَتَخْرُجُ سُوقُ النَّبَاتَاتِ، فَتُزَيِّنُ الأَرْضَ وَتُجمِّلُهَا. وَالَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الأَرْضَ اليَابِسَةَ، وَأَخْرَجَ النَّبَاتَاتِ مِنْهَا، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى، وَعَلَى أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَهُوَ القَدِيرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

رَبَتْ - ارْتَفَعَتْ وَعَلَتْ.

خَاشِعَةً - يَابِسَةً مُتَطَامِنَةً.

اهْتَزَّتْ - تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ فِي دَاخِلِهَا.

٤٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(آيَاتِنَا) (آمِناً) (الْقِيَامَةِ)

(٤٠) - الذِينَ يُعَانِدُونَ فِي آيَاتِ اللهِ وَحُجَجِهِ، وَيَمِيلُونَ بِهَا عَنِ الحَقِّ جُحُوداً وَتَكْذِيباً، اللهُ عَالِمٌ بِهِمْ، وَهُمْ لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ. وَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِ وَتَكْذِيبِهِ، مَعَ مَنْ يَأْتِي رَبَّهُ مُؤْمِناً مُطْمَئِناً لاَ يَخْشَى مِنْ عَمَلِهِ شَيئاً. ثُمَّ يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاَءِ الكَفَرَةَ المُعَانِدِينَ فَيَقُولُ لَهُمْ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ أَعْمَالٍ فَإِنَّكُمْ سَتُجْزَوْنَ عَلَيْهَا، وَاللهُ تَعَالَى مُحْصٍ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ جَمِيعاً، وَهُوَ خَبِيرٌ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمْ مَا شِئْتُمْ بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ مَصِيرَ كُلٍّ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُكَذِّبِينَ.

أَلْحَدَ بِالقَوْلِ - مَالَ بِهِ عَنْ مَعْنَاهُ المُتَعَارَفِ عَلَيهِ وَوَضَعَهُ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهِ.

الإِلْحَادُ - الكُفْرُ وَالمُغَالَطَةُ.

٤١ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ

(لَكِتَابٌ)

(٤١) - وَالذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ القُرْآنِيَةِ، والقُرْآنُ كِتَابٌ عَزِيزٌ قَوِيٌّ مَنِيعُ الجَانِبِ، سَيُلاَقُونَ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُمْ لاَ يَخْفَوْنَ عَلَى اللهِ.

الذِّكْرُ - القُرْآنُ.

٤٢ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

(البَاطِلُ)

(٤٢) - وَالقُرْآنُ الكِتَابُ العَزِيزُ، لَيْسَ لِلْبَاطِلِ إِلَيهِ سَبِيلٌ لأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَمَا كَانَ مُنَزَّلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ فَلاَ تَصِلُ إِلَيهِ أَيْدِي

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

علامة الهمزة المسهلة

المُبْطِلِينَ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] واللهُ تَعالَى حَكِيمٌ فِي قَوْلِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَفِعْلِهِ، مَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ مَا يَأْمُرُ بِهِ، وَمَا يَنْهَى عَنْهُ.

حَمِيدٍ - مَحْمُودٍ.

(٤٣) - هَذِهِ الآيَةُ فُسِّرَتْ عَلَى وَجْهَينِ:

١ - مَا يُقَالُ لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ إِلَّا كَمَا قَدْ قِيلَ لِمَنْ جَاءَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَكَمَا كُذِّبْتَ أَنتَ، كُذِّبُوا هُمْ، وَكَمَا صَبَرُوا عَلَى أَذى أَقْوامِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ فَاصْبِرْ أَنْتَ عَلَى أَذَى قَوْمِكَ وَتَكْذِيبِهِمْ لَكَ.

٢ - إِنَّ رِسَالَةَ اللهِ لِرُسُلِهِ وَاحِدَةٌ، وَمَبادِىءَ الدَّعْوَةِ التِي جَاءَ بِهَا الرُّسُلُ جَمِيعاً مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ وَاحِدَةٌ، وَالعَقِيدَةَ وَاحِدَةٌ، وَتَكْذِيبَ المُكَذِّبِينَ وَاعْتِرَاضَاتِهِمْ عَلَى مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاحِدَةٌ. وَمِمَّا قِيلَ لِلرُّسُلِ، وَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً: إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ، لِتَسْتَقِيمَ نُفُوسُ المُؤْمِنِينَ فَيَطْمَعُوا فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَيَحْذَرُوا عِقَابَهُ، وَيَخْشَوْا بَأْسَهُ، فَلَا يَغْفُلُوا عَنْ ذِكْرِهِ أَبداً.

(جعلْنَاهُ) (قُرْآناً) (آيَاتُهُ) (أَأَعْجَمِيٌّ) (آمَنُوا) (آذَانِهِمْ) (أُولئِكَ)

(٤٤) - يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى المُشْرِكِينَ العَرَبَ بِمَا أَنْعَمَهُ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ القُرْآنَ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لِيَفْهَمُوهُ، وَيَتَدَبَّرُوا أَحْكَامَهُ. ثُمَّ يُشِيرُ تَعَالَى إِلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي العِنَادِ، وَالمُكَابَرَةِ، وَيَسْتَنْكِرُهَا عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِم القُرْآنَ بِلُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ لَاعْتَرَضُوا عَلَيْهِ، وَلَقَالُوا: لَوْلَا جَاءَ عَرَبِيّاً فَصِيحاً مُفَصَّلاً دَقِيقاً.

وَلَوْ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ بَعْضَهُ عَرَبِياً وَبَعْضَهُ أَعْجَمِيّاً لَاعْتَرَضُوا كَذَلِكَ وَلَقَالُوا: أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ؟؟

وَحِينَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ القُرْآنُ عَرَبِياً مُبِيناً قَالُوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ والغَوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ. فَهُمْ لَا يُرِيدُونَ إِلَّا الجَدَلَ والمُكَابَرَةَ وَالمُعَانَدَةَ، وَهَذَا القُرْآنُ هُوَ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ يَهْتَدُونَ بِأَحْكَامِهِ وَبِمَا جَاءَ فِيهِ، وَهُوَ شِفَاءٌ لِنُفُوسِهِمْ. أَمَّا الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ فَقُلُوبُهُمْ مَطْمُوسَةٌ لَا تَفْقَهُ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَصَمَمٌ، فَلَا تَسْمَعُ، وَفِي قُلُوبِهِمْ عَمًى فَلَا تَتَبَيَّنُ مِنْهُ شَيئاً. فَكَأَنَّ حَالَهُمْ حَالُ مَنْ يُنَادِيهِ أَحدٌ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ مَا يَقُولُهُ لَهُ.

(أَوْ أَنَّ هَذَا القُرْآنَ بَعِيدٌ جِداً مِنْ قُلُوبِهِمْ).

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.

قُرْآناً أَعْجَمِياً - بِلُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ.
لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ - هَلاَّ بُيِّنَتْ آيَاتُهُ بِلِسَانٍ نَعْرِفُهُ.
أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ - أَقُرآنٌ أَعْجَمِيٌّ بَعْضُهُ، وبَعْضُهُ عَرَبِيٌّ، أَوْ أَقُرآنٌ أَعْجَمِيٌّ، ورَسُولٌ عَرَبِيٌّ.
فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ - صَمَمٌ وَثِقلٌ يَمْنَعُهُمْ مِنَ السَّمْعِ.
هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى - ظُلْمَةٌ وَشُبْهَةٌ مُسْتَوليَةٌ عَلَيْهِمْ.

﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ)

(٤٥) - وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى التَّوْرَاةَ (الكِتَابَ) عَلَى مُوسَى، فَاخْتَلَفَ قَوْمُهُ فِيهِ، وَقَدْ أَجَّلَ اللهُ تَعَالَى حُكْمَهُ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُهُ أَنْ يَكُونَ الفَصْلُ فِي هَذِهِ الاخْتِلاَفَاتِ كُلِّهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. وَلَوْلاَ سَبْقُ وَعْدِهِ بِهَذَا لَفَصَلَ بَيْنَهُمْ، وَلَعَجَّلَ العِقَابَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّونَهُ. وَلَمْ يَكُنْ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَ مِنْ قَوْمِهِ بِالكِتَابِ عَنْ بَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَهَلَةً يُكَذِّبُونَ بِلاَ عِلْمٍ، وَهُمْ مُتَشَكِّكُونَ فِيمَا يَقُولُونَ.

مُرِيبٍ - مُثِيرٍ لِلشَّكِّ أَوْمُوقِعٍ فِي الرِّيبَةِ.

﴿٤٦﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ

(صَالِحاً) (بِظَلاَّمٍ)

(٤٦) - وَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَةُ اللهِ تَعَالَى بِأَنْ يَتْرُكَ النَّاسَ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ، فَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّ نَفْعَ عَمَلِهِ يَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَإِنَّمَا يَرْجِعُ وَبَالُ عَمَلِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ، فَلاَ يُعَاقِبُ أَحَداً مِنْهُمْ إِلاَّ بِذَنْبِهِ، وَلاَ يُعَذِّبُهُ إِلاَّ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ.

﴿٤٧﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ

الجزء ٢٥ الحزب ٤٩

(ثَمَرَاتٍ) (شُرَكَائِي) (آذَنَّاكَ)

(٤٧) - مَوْعِدُ قِيَامِ السَّاعَةِ (القِيَامَةِ) لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ، وَقَدْ سَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، عَنْ مَوْعِدِ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَقَالَ لَهُ: (مَا المَسْؤُولُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)، فَإِلَى اللهِ تَعَالَى يُرَدُّ عِلْمُهَا حِينَمَا يَسْأَلُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَنْهَا. وَاللهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا تُخْرِجُهُ الأَشْجَارُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِ الأَزْهَارِ التِي تَحْمِلُهَا، وَهُوَ الذِي يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُهُ إِنَاثُ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ وَمَا تَضَعُهُ.

وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يُنَادِي اللهُ تَعَالَى المُشْرِكِينَ وَيَسْأَلُهُمْ عَنِ الآلِهَةِ التِي عَبَدُوهَا، وَزَعَمُوا أَنَّها شُرَكَاءُ للهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: (أَيْنَ شُرَكَائِي؟)، فَيَرُدُّونَ

عَلَيْهِ قائِلِينَ : لَقَدْ أَعْلَمْنَاكَ اليَومَ أَنَّهُ لَيسَ مِنَّا مَنْ يَشْهَدُ عَلَى وُجُودِ شَرِيكٍ لَكَ .

آذنَاكَ ـ أَعْلَمْنَاكَ أَوْ أَشْعَرْنَاكَ .

(٤٨) وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ

(٤٨) ـ وَغابَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ اليَومِ الذِينَ كَانُوا يَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ فِي الحَياةِ الدُّنْيَا، وَأَدْرَكُوا أَنَّهُمْ لاَ مَخْرَجَ لَهُمْ مِمّا هُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ وَلاَ مَهْرَبَ.

وَظَنُّوا ـ وَأَيْقَنُوا.

مَحِيصٍ ـ مَهْرَبٍ أَوْ مَلْجَأٍ.

(يَسْأَمُ) (الإِنْسَانُ) (فَيؤُوسٌ)

(٤٩) لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ

(٤٩) ـ لاَ يَمَلُّ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَائِهِ رَبَّهُ وَسُؤَالِهِ إِيَّاهُ الخَيْرَ لِنَفْسِهِ مِنْ مَالٍ، وَصِحَّةٍ وَعِزٍّ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ وَالضُّرُّ فَقَدَ الأَمَلَ والرَّجَاءَ، وَظَنَّ أَنْ لاَ مَخْرَجَ لَهُ مِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ البَلاَءِ وَلاَ فَرَجَ، لِضَعْفِ ثِقَتِهِ بِرَبِّهِ.

القُنُوطُ ـ ظُهُورُ أَثَرِ اليَأْسِ عَلَى الإِنْسَانِ.

اليَأْسُ ـ انْقِطَاعُ الرَّجَاءِ.

لاَ يَسْأَمُ ـ لاَ يَمَلُّ وَلاَ يَفْتُرُ.

(لَئِن) (أَذَقْنَاهُ) (قَائِمَةً)

(٥٠) وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ

(٥٠) ـ وَإِذَا أَصابَ الإِنْسَانَ ضُرٌّ مِنْ مَرَضٍ أَوْ ضِيقِ عَيْشٍ.. أَظْهَرَ الحُزْنَ وَاليَأْسَ والقُنُوطَ، ثُمَّ إِذا كَشَفَ اللهُ عَنْهُ ضُرَّهُ، فَعَافَاهُ مِنْ بَعْدِ سَقَمٍ، وَرَزَقَهُ مِنْ بَعْدِ فَاقَةٍ.. فَإِنَّهُ سَيَقُولُ إِنَّ هَذَا الذِي وَصَلَ إِلَيْهِ هُوَ حَقٌّ لَهُ، لأَنَّهُ اسْتَحَقَّهُ بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الفَضَائِلِ، وَأَعْمَالِ البِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَيْسَ تَفَضُّلاً عَلَيْهِ مِنَ اللهِ، ثُمَّ يَبْطَرُ هَذَا العَبْدُ فَيَكْفُرُ بالبَعْثِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ لاَ يَظُنُّ أَنَّ القِيَامَةَ سَتَقُومُ، وَأَنْ النَّاسَ سَيُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، لأَنَّ هَذَا أَمْرٌ بَعِيدُ الاحْتِمَالِ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ قِيَامَةٌ حَقّاً، وَقَامَتْ هَذِهِ القِيَامَةُ، وَرَجَعَ هُوَ إِلَى اللهِ فَإِنَّهُ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ سَيَجِدُ فِي الآخِرَةِ إِكْرَاماً حَسَناً لأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الكَرَامَةَ، إِذْ أَنَّهُ لَوْلاَ كَرَامَتُهُ عَلَى اللهِ فِي الدُّنْيَا لَمَا أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ.

ثُمَّ يَتَهَدَّدُ اللهُ تَعَالَى هَذَا الإِنْسَانَ الكَافِرَ بِرَبِّهِ وَبِالمَعَادِ وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ حِينَمَا يَأْتِي رَبَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَإِنَّهُ سَيَجِدُ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ غَيْرَ مَا يَتَوَقَّعُ، وَسَيَجْزِيهِ الجَزَاءَ المُذِلَّ المُهِينَ الشَّدِيدَ، جَزَاءً لَهُ عَلَى كُفْرِهِ وَاجْتِرَاحِهِ السَّيِّئَاتِ.

عَذَاب غَلِيظٍ ـ عَذَاب كَبِير.
الحُسْنَى ـ الكَرَامَةُ.
هَذَا لِي ـ هَذَا مَا أَسْتَحِقُّهُ بِسَبَبِ عَمَلِي وَفَضْلِي.

٥١ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ

(الإِنْسَانِ) (وَنَأَى)

(٥١) ـ وَإِذَا أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الإِنْسَانِ الجَحُودِ الكَفُورِ فَرَزَقَهُ وَكَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُ، أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ الانْقِيَادِ لأَمْرِهِ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ وَكَرْبٌ جَأَرَ إِلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ والتَّضَرُّعِ فَأَطَالَهُمَا.

نَأَى بِجَانِبِهِ ـ تَبَاعَدَ عَنِ الشُّكْرِ بِكُلِّيَتِهِ تَكَبُّراً.

دُعَاءٍ عَرِيضٍ ـ دُعَاءٍ مُسْتَمِرٍّ كَثِيرٍ.

٥٢ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ

(أَرَأَيْتُمْ)

(٥٢) ـ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ بِالقُرْآنِ الذِي جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ: أَخْبِرُونِي كَيْفَ يَكُونُ حَالُكُمْ إِنْ كَانَ هَذَا القُرْآنُ الذِي تُكَذِّبُونَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ثُمَّ كَفَرْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ؟ أَفَلاَ تَكُونُونَ مُفَارِقِينَ لِلْحَقِّ، بَعِيدِينَ عَنِ الصَّوَابِ، وَمُسْتَحِقِّينَ لِلْعِقَابِ؟

٥٣ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

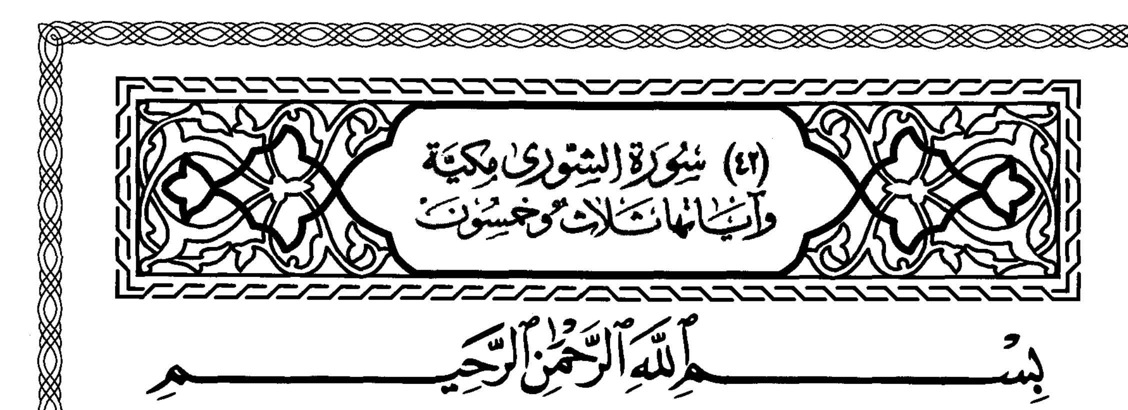
(آيَاتِنَا)

(٥٣) ـ إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُرِي هَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ آيَاتِهِ وَحُجَجَهُ الدَّالَّةَ عَلَى أَنَّ هَذَا القُرْآنَ حَقٌّ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، بِدَلاَئِلَ خَارِجِيَّةٍ مِمَّا حَوْلَهُمْ مِنَ الكَوْنِ العَظِيمِ، تُعَبِّرُ عَنْ عَظَمَةِ الخَالِقِ وَمُدَبِّرِ الكَوْنِ وَمُسَيِّرِهِ، وَبِدَلاَئِلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَتَرْكِيبِهِمِ الجِسْمَانِي، وَكَيْفَ تَعْمَلُ الأَجْهِزَةُ وَالخَلاَيَا التِي لاَ تُحْصَى وَلاَ تُعَدُّ بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ وَتَنَاسُقٍ عَجِيبٍ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ وَأَقْوَالِهِمْ، وَاللهُ تَعَالَى يَشْهَدُ بِأَنَّ مُحَمَّداً صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ.

الآفَاقُ ـ أَقْطَارُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ.

٥٤ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ

(٥٤) ـ إِنَّهُمْ فِي شَكٍّ وَرِيبَةٍ، (مِرْيَةٍ)، مِنَ القِيَامَةِ والبَعْثِ والنُّشُورِ، والرَّجْعَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي الآخِرَةِ لِلْحِسَابِ والجَزَاءِ، لأَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ أَنْ تُجْمَعَ ذَرَّاتُ أَجْسَادِهِمْ وَأَجْسَادِ الخَلاَئِقِ المُتَفَرِّقَةِ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَلَكِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ لاَ حَدَّ لَهَا، وَأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَيْنَ تُوجَدُ ذَرَّاتُ كُلِّ جِسْمٍ، فَيَجْمَعُهَا فِي ذَلِكَ اليَوْمِ وَيُعِيدُهَا إِلَى الحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى.



حمٓ ﴿١﴾

عٓسٓقٓ ﴿٢﴾

كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾

لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

(حَا. مِيم)

(١) - اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(عَيْنَ. سِينْ. قَافْ)

(٢) - (وَتُقْرأ هَذِهِ الحُرُوفُ، مُقَطَّعَةً كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ) اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٣) - يُوحِي إِلَيكَ اللهُ تَعَالَى، العَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ، القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، الحَكِيمُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، بِمِثْلِ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَإِلَى الإِيْمَانِ بِالكُتُبِ والرُّسُلِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَإِلَى العَمَلِ الصَّالِحِ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، كَمَا أَوْحَى اللهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٤) - اللهُ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَجَمِيعُ مَنْ فِيهِنَّ عَبِيدٌ لَهُ، وَهُمْ تَحتَ قَهْرِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَهُوَ المُتَعَالِي فَوْقَ كُلِّ مَا فِي الوُجُودِ، العَظِيمُ الذِي لاَ يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ.

(السَّمَاوَاتُ) (المَلاَئِكَةُ)

(٥) - تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَشَقَّقْنَ (يَتَفَطَّرْنَ) مِنْ هَيْبَةِ اللهِ الذِي هُوَ فَوْقَهُنَّ بِالأُلُوهِيَّةِ والخَلْقِ والعَظَمَةِ، وَالمَلاَئِكَةُ يُنَزِّهُونَ رَبَّهُمْ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ (يُسَبِّحُونَ)، وَيَصِفُونَهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ والجَلاَلِ، وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ. وَأَفْضَالِهِ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمُ المَغْفِرَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الأَرْضِ. وَهُوَ تَعَالَى كَثِيرُ الغُفْرَانِ لِعِبَادِهِ المُذْنِبِينَ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.

يَتَفَطَّرْنَ - يَتَشَقَّقْنَ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ.

(٦) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ

(٦) - وَالْمُشْرِكُونَ الذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَصْنَاماً آلِهَةً، يَتَوَلَّوْنَهَا وَيَعْبُدُونَهَا، اللهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِأَعْمَالِهِمْ، وَشَاهِدٌ عَلَيْهَا يُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ، وَيَعُدُّهَا عَدّاً، وَسَيَجْزِيهِم الجَزَاءَ الأَوْفَى عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَسْتَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ مَسْؤُولاً عَنْهُمْ، وَلاَ وَكِيلاً عَلَيْهِمْ، فَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ. وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

أَوْلِيَاءَ - مَعْبُودَاتٍ يَزْعُمُونَ نُصْرَتَهَا لَهُمْ.

حَفِيظٌ - رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَكِيلٌ - مَوْكُولٌ إِلَيهِ أَمْرُهُمْ.

(٧) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ

(قُرْآناً)

(٧) - وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَأَرْسَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى قَوْمِهِ لِيَسْتَطِيعَ دَعْوَتَهُمْ إِلَى اللهِ بِلُغَتِهِمْ وَلِسَانِهِمْ، وَلِيَفْهَمُوا مِنْهُ مَعَانِي مَا يُرِيدُ إِبْلاَغَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً وَاضِحاً جَلِيّاً مُنَزَّلاً بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، لُغَةِ قَوْمِكَ لِتُنْذِرَ أَهْلَ مَكَّةَ (أُمِّ القُرَى)، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَتُحَذِّرَهُمْ عِقَابَ اللهِ، يَوْمَ القِيَامَةِ، يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الخَلاَئِقَ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ يَوْمٌ وَاقِعٌ لاَ شَكَّ فِيهِ وَلاَ رَيْبَ، فَيَجْزِي الكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ بِمَا اجْتَرَحُوا مِنَ الإِثْمِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيُقْذَفُونَ فِيهَا قَذْفاً، وَيَجْزِي المُحْسِنِينَ بِالجَنَّةِ.

يَوْمَ الجَمْعِ - يَوْمَ القِيَامَةِ وَسُمِّيَ كَذَلِكَ لأَنَّ اللهَ يَجْمَعُ فِيهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِلْحِسَابِ.

أُمَّ القُرَى - مَكَّةَ.

(٨) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

(وَاحِدَةً) (الظَّالِمُونَ)

(٨) - وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَ النَّاسَ جَمِيعاً أُمَّةً وَاحِدَةً، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ، وَلَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى أَوْ عَلَى الضَّلاَلَةِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى فَاوَتَ بَيْنَهُمْ. فَهَدَى مَنْ يَشَاءُ إِلَى الحَقِّ، وَأَضَلَّ مَنْ شَاءَ عَنْهُ، وَلَهُ الحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ. فَقَدْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ الإِيمَانُ مَبْنِياً عَلَى التَّكْلِيفِ وَالاخْتِيَارِ، يَدْخُلُ فِيهِ المَرْءُ بِطَوْعِهِ وَاخْتِيَارِهِ، وَنَتِيجَةَ تَأَمُّلِهِ فِي الأَدِلَّةِ المُوصِلَةِ إِلَى الهُدَى، وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِلْكَافِرِينَ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، عَذَاباً أَلِيماً، وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ، أَوْ يُجِيرُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ، فَلاَ تُهْلِكْ نَفْسَكَ يَا مُحَمَّدُ أَسًى وَحُزْناً عَلَى أَنْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.

(٩) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(٩) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُشْرِكِينَ ٱتِّخَاذَهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِهِ سُبْحَانَهُ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: إِنَّ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ ٱتَّخَذُوا لَهُمْ أَصْنَاماً آلِهَةً يَسْتَنْصِرُونَ بِهَا، وَيَسْتَعِزُّونَ وَيَتَوَلَّوْنَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الأَصْنَام لاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا، وَلاَ لِعَابِدِيهَا، نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً، فَإِذَا كَانُوا يرِيدُونَ وَلِيّاً يَنْفَعُهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عِنْدَ الخُطُوبِ وَالشَّدَائِدِ، فَاللهُ تَعَالَى هُوَ الوَلِيُّ الحَقُّ الذِي لاَ تَنْبَغِي العِبَادَةُ إِلاَّ لَهُ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ القَادِرُ عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

الوَلِيُّ - النَّاصِرُ.

(١٠) وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

(١٠) - وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ وَٱخْتَلَفْتُمْ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ فَرُدُّوا حُكْمَهُ إِلَى اللهِ، فَهُوَ الحَاكِمُ العَادِلُ الذِي يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ. وَذَلِكَ الحَاكِمُ العَادِلُ فِي كُلِّ شَيءٍ هُوَ اللهُ الذِي أَعْبُدُهُ، وَأَتَّخِذُهُ لِي رَبّاً، وَلاَ أَعْبُدُ غَيْرَهُ، وَلاَ أَدْعُو سِوَاهُ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فِي دَفْعِ كَيْدِ الأَعْدَاءِ، وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ فِي جَمِيعِ أُمُورِي.

أَنَابَ - رَجَعَ.

(١١) فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

(السَّمَاوَاتِ) (أَزْوَاجاً) (الأَنْعَامِ)

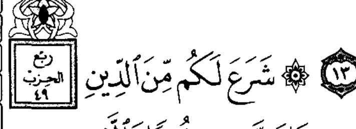
(١١) - فَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمُبْدِعُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَقَدْ تَفَضَّلَ عَلَى العِبَادِ بِأَنْ جَعَلَ لِلنَّاسِ أَزْوَاجاً مِنْ جِنْسِهِمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ تَنَاسُلٌ وَتَوَالُدٌ وَبَقَاءٌ لِلنَّسْلِ إِلَى الأَجَلِ الذِي حَدَّدَهُ اللهُ. وَجَعَلَ لِلأَنْعَامِ أَزْوَاجاً أَيْضاً لِتَنْظِيمِ شُؤُونِ الحَيَاةِ، وَجَعَلَ البَشَرَ وَالمَخْلُوقَاتِ تَتَوَالَدُ وَتَتَكَاثَرُ عَنْ طَرِيقِ التَّزَاوُجِ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ)، وَلَيْسَ كَخَالِقِ الأَزْوَاجِ شَيءٌ يُمَاثِلُهُ، فَهُوَ تَعَالَى فَرْدٌ صَمَدٌ لاَ نَظِيرَ لَهُ وَلاَ مَثِيلَ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَنْطِقُ بِهِ الخَلْقُ، البَصِيرُ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ.

الفَاطِرُ - الخَالِقُ المُوجِدُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً - زَوْجَات وَحَلاَئِل مِنْ جِنْسِكُمْ.
مِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً - أَصْنَافاً ذَكَراً وَأُنْثَى.
يَذْرَؤُكُمْ - يَبُثُّكُمْ وَيُكَثِّرُكُمْ بِالتَّزَاوُجِ.

(١٢) لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ

(السَّمَاوَاتِ)

(١٢) - لَهُ تَعَالَى مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهُوَ الحَاكِمُ المُتَصَرِّفُ فِي الخَلْقِ كَيْفَ يَشَاءُ، فَمَا فَتَحَ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا، يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى



١٣ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ

ربع الحزب ٤٩

١٤ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ

مَنْ يُرِيدُ، وَلَهُ الحُكْمُ والتَّدْبِيرُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا يَفْعَلُهُ العِبَادُ، وَبِمَنْ يُصْلِحُهُ بَسْطُ الرِّزْقِ وَمَنْ يفْسِدُهُ، وَمَنْ يُصْلِحُهُ التَّضْيِيقُ وَمَنْ يُفْسِدُهُ، فَيُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ بِحَسْبِهِ.

المَقَالِيدُ - المَفَاتِيحُ (وَقِيلَ إِنَّهُ أَعْجَمِيٌّ مُعَرَّبٌ).

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(١٣) - شَرَعَ اللهُ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا شَرَعَ لِنُوحٍ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَرْبَابِ الشَّرَائِعِ وَأُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَأَمَرَهُمْ أَمْراً مُؤَكَّداً مِمَّا هُوَ أَصْلُ الإِيْمَانِ، وَأَصْلُ الشَّرَائِعِ، مِمَّا لاَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلاَفِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ: كَالإِيْمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالإِيْمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ، وَالإِيْمَانِ بِالمَلاَئِكَةِ وَالكُتُبِ والرُّسُلِ. وَقَدْ أَوْصَاهُمْ تَعَالَى جَمِيعاً بِإِقَامَةِ دِينِ التَّوْحِيدِ والتَّمَسُّكِ بِهِ، وَبِحِفْظِهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِيهِ زَيغٌ أَوِ اضْطِرَابٌ، وَبِأَلاَّ يَتَفَرَّقُوا فِي أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَمَبَادِئِهَا.

(أَمَّا فِي التَّفَاصِيلِ فَقَدْ جَاءَ كُلُّ مُرْسَلٍ بِمَا يُنَاسِبُ قَوْمَهُ وَزَمَانَهُ (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً).

وَقَدْ شَقَّ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَمَا أَلِفُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ، وَاللهُ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُقَرِّبُهُمْ إِلَيهِ، وَيُوَفِّقُهُمْ لِلعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ.

اجْتَبى - اصْطَفَى وَاخْتَارَ وَقَرَّبَ

أَنَابَ - رَجَعَ.

كَبُرَ - عَظُمَ وَشَقَّ.

شَرَعَ - بَيَّنَ لَكُمْ طَرِيقاً وَاضِحاً.

(الْكِتَابَ)

(١٤) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى الأَسْبَابَ التِي حَمَلَتِ النَّاسَ عَلَى التَّفَرُّقِ والاخْتِلاَفِ فِي الدِّينِ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُمْ جَمِيعاً بِأَمْرٍ وَاحِدٍ، وَطَلَبَ مِنهُم الأَخْذَ بِهِ، وَعَدَمَ التَّفَرُّقِ فِيهِ. فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ عَلِمُوا أَنَّ الفُرْقَةَ ضَلاَلَةٌ، وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ بَغْياً وَطَلَباً لِلرِّئَاسَةِ وَلِلحَمِيَّةِ وَالعَصَبِيَّةِ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَذْهَبُ مَذْهَباً وَتَدْعُو إِلَيهِ، وَتُقَبِّحُ مَا سِوَاهُ لِلظُّهُورِ وَالتَّفَاخُرِ، وَلَوْلاَ الكَلِمَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِأَنْ يُؤَخِّرَ حِسَابَهُمْ، وَالفَصْلَ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لَعَجَّلَ لَهُمُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا. وَالذِينَ وَرِثُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ عَنْ أَسْلاَفِهِم السَّابِقِينَ، هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ كِتَابِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ حَقَّ الإِيْمَانِ.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ١٥

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ ١٦

وَهُمْ يُقَلِّدُونَ أَسْلافَهُمْ بِلاَ حُجَّةٍ وَلاَ دَلِيلٍ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ فِي شَكٍّ وَحيرَةٍ مُقْلِقَيْنِ.

البَغْيُ - الظُّلْمُ والتَجاوُزُ.

تفرَّقُوا فِيه - آخْتَلَفُوا فأَتَوْا بَعْضاً وَتَرَكُوا بَعْضاً.

مُرِيبٍ - مُثِيرٍ لِلشَّكِّ وَالرِّيبَةِ.

(آمَنْتُ) (كِتابٍ) (أَعْمالُنَا) (أَعْمالُكُمْ)

(١٥) - فَادْعُ النَّاسَ إِلَى إِقامَةِ الدِّينِ القَويمِ، الذِي أَوْحَى بِهِ اللهُ إِلَى جَميعِ المُرْسَلِينَ أَصْحابِ الشَّرائِعِ، الذِينَ جاؤُوا قَبْلَكَ يا مُحمَّدُ، وبِذلِكَ تَكُونُ قَدْ دَعَوْتَ إِلَى تَحْقِيقِ وَحْدَةِ الدِّينِ كَما أَنْزَلَها اللهُ، واثْبُتْ أَنْتَ وَمَنِ آتَّبَعَكَ عَلَى عِبادَةِ اللهِ، وَعَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دِينٍ وَشَرْعٍ كَما أَمَرَكُمْ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْواءَ المُشْرِكِينَ، الذِينَ شَكُّوا فِي الحَقِّ بِمَا آبْتَدَعُوهُ وَافْتَرَوْهُ مِنْ عِبادَةِ الأَصْنامِ والأَوْثانِ، وَقُلْ: إِنَّنِي صَدَّقْتُ بِجَمِيعِ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلَى الأَنْبِياءِ السَّابِقِينَ مِنَ التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ وَصُحُفِ إِبْراهِيمَ، لاَ أُكَذِّبُ بِشَيءٍ مِنْهَا، وَإِنَّ رَبِّي قَدْ أَمَرَنِي بِالعَدْلِ فِي الحُكْمِ والقَضاءِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلاَ أَحِيفُ وَلاَ أَجُورُ، وَأَمَرَنِي رَبِّي بِأَنْ أَقُولَ لِهَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ: إِنَّ اللهَ هُوَ المَعْبُودُ لاَ إِلهَ غَيْرُهُ، وَهُوَ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ، وَنَحْنُ نُقِرُّ بِهِ طَوْعاً وَآخْتِياراً، وَأَنْتُمْ تُنْكِرُونَ رُبُوبِيَّتَهُ، وَلكِنَّ ذَلِكَ لاَ يضِيرُهُ بِشَيءٍ فَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، وَنَحْنُ بَراءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ، فَنَحْنُ نُجْزَى بِأَعْمالِنا، وَأَنْتُمْ تُجْزَونَ بِأَعْمالِكُمْ وَلاَ يَحْمِلُ أَحَدٌ وِزْرَ أَحَدٍ يَوْمَ القِيامَةِ؛ وَلاَ خُصُومَةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ وَلاَ آحْتِجاجَ، فَإِنَّ الحَقَّ قَدْ وَضَحَ وَلَيْسَ لِلمحاجَّةِ مَجالٌ، وَاللهُ تَعالَى سَيَجْمَعُ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيَقْضِي بَيْنَنا وَبيْنَكُمْ بِالحَقِّ فِيما كُنَّا نَخْتَلِفُ فِيهِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا، وَإِلَيهِ المَرْجِعُ والمآبُ فَيُجازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَراً.

(١٦) - والذِينَ يُجادِلُونَ المُؤْمِنِينَ، الذِينَ آسْتَجابُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ، حُجَّتُهُمْ زائِفَةٌ باطِلَةٌ (داحِضَةٌ) لاَ تُقْبَلُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ لأَنَّهُمْ مارَوْا فِي الحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ، وَلَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ القِيامَةِ.

(وَقالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: لَقَدْ جادَلُوا المُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا آسْتَجابُوا للهِ وَلِلرسُولِ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الهُدَى، وَطَمِعُوا فِي أَنْ تَعُودَ الجاهِلِيَّةُ).

يُحاجُّونَ - يُجادِلُونَ وَيُخاصِمُونَ.

حُجتُهُمْ داحِضَةٌ - حُجَّتُهُمْ باطِلَةٌ وَزائِفَةٌ.

(١٧) ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ

(الْكِتَاب)

(١٧) - اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ كُتُبَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ مُتَضَمِّنَةً الحَقَّ الذِي لاَ شُبْهَةَ فِيهِ، وَأَنْزَلَ العَدْلَ (المِيزَانَ) لِيَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِالإِنْصَافِ دُونَ حَيْفٍ وَلاَ جَوْرٍ. والسَّاعَةُ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَلاَ شَكَّ، وَسَيَبْعَثُ اللهُ الخَلْقَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ مَوْعِدُ السَّاعَةِ قَرِيباً وَأَنْتَ لاَ تَدْرِي، فَعَلَى العَاقِلِ أَنْ لاَ يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَأَنْ يُشَمِّرَ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ لِلعَمَلِ لآخِرَتِهِ لَعَلَّهُ يَكُونُ مِنَ الفَائِزِينَ.

مَا يُدْرِيكَ - مَا يُعْلِمُكَ وَيُعَرِّفُكَ.

(١٨) يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ

(آمَنُوا) (ضَلاَلٍ)

(١٨) - رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ السَّاعَةَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَقَالُوا لَهُ آسْتِهْزَاءً وَتَكْذِيباً: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ والتِي قَبْلَهَا.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَلاَ بِالسَّاعَةِ يَسْتَعْجِلُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ آسْتِهْزَاءً بِهَا وَتَكْذِيباً. أَمَّا المُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُم يَعْلَمُونَ أَنَّهَا سَتَكُونُ بَالِغَةَ الهَوْلِ والشِّدَّةِ عَلَى الكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ. لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم، وَيُؤْمِنُونَ بِهَا، وَيُصَدِّقُونَ بِحُدُوثِهَا، وَيَسْتَشْعِرُونَ الخَشْيَةَ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ يَكُونُوا قَصَّرُوا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ فَيُصِيبُهُمْ شَيءٌ مِنْ أَهْوَالِ السَّاعَةِ، والذِينَ يَشُكُّونَ فِي حُدُوثِ السَّاعَةِ، وَيُجَادِلُونَ فِي وُقُوعِهَا لَفِي جَوْرٍ بَيِّنٍ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى، وَفِي بُعْدٍ عَنِ الصَّوَابِ.

مَارَى - جَادَلَ وَشَكَّ.

مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ.

(١٩) ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ

(١٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ سَوَاءٌ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ البَرُّ والفَاجِرُ، فَهُوَ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيَدْفَعُ عَمَّنْ يُرِيدُ البَلاَءَ، وَهُوَ القَوِيُّ الذِي لاَ يُغَالَبُ، العَزِيزُ الذِي لاَ يُقْهَرُ.

لَطِيفٌ - بَرٌّ، رَفِيقٌ.

(٢٠) مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ

(٢٠) - مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِأَعْمَالِهِ ثَوَابَ الآخِرَةِ، وَرِضْوَانَ رَبِّهِ، فَإِنَّ اللهَ يُوَفِّقُهُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيَجْزِيهِ بِالحَسَنَةِ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ بِأَعْمَالِهِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا وَزِينَتَهَا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُؤْتِيهِ مَا قَسَمَهُ لَهُ فِيهَا، وَلاَ يَكُونُ لَهُ حَظٌّ (نَصِيبٌ) فِي ثَوَابِ الآخِرَةِ، فَالأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ آمْرِىءٍ مَا نَوَى.

﴿٢١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٢٢﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ

﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

(وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ثُمَّ قَالَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: آبْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ). (أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ والبَيْهَقِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ).

حَرْثَ الآخِرَةِ ـ ثَوَابَهَا المَوْعُودَ أَوِ العَمَلَ لَهَا.

(شُرَكَاءُ) (الظَّالِمِينَ)

(٢١) ـ إِنَّهُمْ لاَ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ اللهُ مِنَ الدِّينِ القَوِيمِ بَلْ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ لَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ مِنْ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ مِنَ البَحَائِرِ والوَصَائِلِ والسَّوائِبِ، وَتَحْلِيلِ أَكْلِ المِيتَةِ والدَّمِ، وَالمَيْسِرِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ والنُّشُورِ والحِسَابِ. وَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَضَى بِأَنْ يُؤَخِّرَ عِقَابَهُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَعَاجَلَهُمْ بِالعُقُوبَةِ والعَذَابِ. والذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِشَرْعِ مَا لَمْ يَأْذَنِ اللهُ لَهُمْ بِهِ، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ.

كَلِمَةُ الفَصْلِ ـ الحُكْمُ بِتَأْخِيرِ العَذَابِ إِلَى الآخِرَةِ.

(الظَّالِمِينَ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٢) ـ وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الظَّالِمِينَ خَائِفِينَ فَزِعِينَ مِنَ العِقَابِ العَادِلِ الذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَمَّا آجْتَرَحُوهُ مِنَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَهَذَا العِقَابُ وَاقِعٌ بِهِمْ لاَ مَحَالَةَ. أَمَّا الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَأَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ مِنَ الخَوْفِ والفَزَعِ، يَتَمَتَّعُونَ بِمَحَاسِنِهَا، وَيَأْتِيهِمْ مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ، وَيَنَالُونَ مَا يَشَاؤُونَ مِنْ ضُرُوبِ اللَّذَاتِ والمُتَعِ، وَذَلِكَ الذِي أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ هَذَا النَّعِيمِ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ الذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ الآمَالُ.

رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ ـ أَطْيَبِ بِقَاعِهَا أَوْ مَحَاسِنِهَا.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أَسْأَلُكُمْ)

(٢٣) ـ وَهَذَا الذِي أَخْبَرَكُمُ اللهُ بِأَنَّهُ أَعَدَّهُ فِي الآخِرَةِ جَزَاءً لِلذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحَ الأَعْمَالِ، هُوَ البُشْرَى التِي يُرِيدُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُبَشِّرَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا لِيَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهَا كَائِنَةٌ لاَ مَحَالَةَ. وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ: إِنَّنِي لاَ أَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَجَزَاءً عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي، وَمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دِينِ حَقٍّ، وَخَيْرٍ وَبُشْرَى فِي الآخِرَةِ، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَتْرُكُونِي أُبَلِّغُ رِسَالاَتِ رَبِّي فَلاَ تُؤْذُونِي بِحَقِّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ القَرَابَةِ.

(٢٤) أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

(٢٥) وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ

(٢٦) وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ

(وَقَالَ ٱبْنُ عَبَاسٍ إنَّ المَعْنَى هُوَ: أَلَّا تُؤْذُونِي فِي نَفْسِي لِقَرَابَتِي مِنْكُمْ، وَتَحْفَظُوا القَرَابَةَ التِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ).

وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلاً فِيهِ طَاعَةٌ للهِ وَلِلرَّسُولِ نَزِدْ لَهُ فِيهِ أَجْراً وَثَوَاباً، فَنَجْعَلُ لَهُ مَكَانَ الحَسَنَةِ عَشرَةَ أَضْعَافِهَا، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ، فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرَحْمَةً، وَاللهُ تَعَالَى يَغْفِرُ الكَثِيرَ مِنَ السَّيئَاتِ، وَيُكَثِّرُ القَلِيلَ مِنَ الحَسَنَاتِ فَيَسْتُرُ وَيَغْفِرُ وَيُضَاعِفُ وَيَشْكُرُ.

يَقْتَرِف حَسَنَةً - يَكْتَسِب طَاعَةً.

(يَشَأ) (الْبَاطِلَ) (بِكَلِمَاتِهِ)

(٢٤) - أَيَقُولُ هَؤُلاءِ المُشْرِكُونَ إنَّ مُحَمَّداً ٱفْتَرَى القُرْآنَ وَنَسَبَهُ إِلَى رَبِّهِ كَذِباً، وَقَالَ إنَّ اللهَ أَوْحَاهُ إِلَيهِ، مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُوحِ إِلَيهِ شَيئاً؟ وَلَكِنَّ هَذَا قَوْلٌ مَرْدُودٌ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَدَعَ أَحَداً يَدَّعِي أَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيهِ وَهُوَ لَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيئاً، وَاللهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْتِمَ عَلَى قَلْبِهِ فَلاَ يَنْطِق بِقُرْآنٍ كَهَذَا، وَأَنْ يَكْشِفَ البَاطِلَ الذِي جَاءَ بِهِ وَيَمْحُوَهُ، وَأَنْ يُظْهِرَ الحَقَّ مِنْ وَرَائِهِ وَيُثْبِتَهُ، وَمَا كَانَ لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَدُورُ فِي خَلَدِ مُحَمَّدٍ لأَنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ.

خَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ - طَبَعَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَهُ.

يُحِقُّ الحَقَّ - يُثَبِّتُهُ.

كَلِمَاتُ اللهِ - حُجَجُهُ وَآيَاتُهُ.

(يَعْفُو)

(٢٥) - وَيَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِأَنَّهُ مِنْ كَرَمِهِ وَحِلْمِهِ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ فِي المُسْتَقْبَلِ، إِذَا تَابُوا وَرَجَعُوا إِلَيْهِ، وَيَعْفُو عَمَّا فَعَلُوا، مِنَ السَّيئَاتِ فِيمَا سَلَفَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا يَفْعَلُونَ وَمَا يَقُولُونَ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الْكَافِرُونَ)

(٢٦) - وَيَسْتَجِيبُ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لِدَعْوَةِ رَبِّهِمْ، وَهُوَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَطْلُوبِهِمْ إِذَا مَا دَعَوْهُ، أَمَّا الكَافِرُونَ فَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللهُ تَعَالَى لاَ يَسْتَجِيبُ لِدُعَائِهِمْ **﴿وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾**(١).

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى **﴿وَيَسْتَجِيبُ الذِينَ آمَنُوا﴾** هُوَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ لِدُعَاءِ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِذَا دَعَوْهُ).

(١) سورة الرعد الآية ١٤.

(٢٧) ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾

نصف الحزب ٤٩

(٢٧) - وَلَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَى عِبَادَهُ مِنَ الرِّزْقِ فَوْقَ حَاجَتِهِمْ لَحَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى البَغْيِ والطُّغْيَانِ، وَلَتَجَاوَزَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَشَراً وَبَطَراً، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْطِيهِمْ مَا فِيهِ صَلاَحُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِهِمْ، فَيُغْنِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الغنى، وَيُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الفَقْرَ، بِحَسَبِ مَا يُقَدِّرُهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ المَصْلَحَةِ فِي ذَلِكَ.

بَسطَ الرِّزْقَ - وَسَّعَهُ وزَادَ فِيهِ.

البَغْيُ - الظُّلْمُ والاعْتِدَاءُ وَتَجَاوزُ الحَدِّ.

بِقَدَرٍ - بِتَقْدِيرٍ مُحْكَمٍ.

(٢٨) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾

(٢٨) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يُنَزِّلُ المَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيُغِيثُ النَّاسَ مِنْ بَعْدِ يَأْسِهِمْ مِنْ نُزُولِهِ مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَهُوَ الذِي يَنْشُرُ وَيُعَمِّمُ بَرَكَاتِ المَطَرِ وَمَنَافِعَهُ، وَهُوَ الذِي يَتَوَلَّى عِبَادَهُ بِإِحْسَانِهِ، وَهُوَ المَحْمُودُ عَلَى مَا يُوصِلُهُ إِلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.

الغَيْثَ - المَطَرَ.

قَنطَ - يَئِسَ.

نَشَرَ الرَّحْمَةَ - عَمَّمَ مَنَافِعَ المَطَرِ.

(٢٩) ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾

(آيَاتِهِ) (السَّمَاوَاتِ)

(٢٩) - وَمِنْ دَلاَئِلِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَمَا نَشَرَ فِيهِمَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ تَدِبُّ وَتَتَحَرَّكُ، وَيَجْمَعُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ جَمِيعاً فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لِيُحَاسِبَهُمْ، وَيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالعَدْلِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى جَمْعِهِمْ وَحِسَابِهِمْ.

(٣٠) ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾

(أَصَابَكُمْ) (يَعْفُو)

(٣٠) - مَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا تُصَابُونَ بِهِ عُقُوبَةً لَكُمْ عَلَى مَا اجْتَرَحْتُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ والذُّنُوبِ والآثَامِ، وَمَا عَفَا اللهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ آخَذَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لاَ يُعَاقِبُ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى اتَّصَفَ بِالرَّحْمَةِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الظُّلْمِ.

(٣١) ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

(٣١) - وَإِنَّكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تُعْجِزُونَ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ بِهَرَبِكُمْ مِنْهُ فِي الأَرْضِ النَّجَاةَ مِنْ بَطْشِهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَخْذِكُمْ وَعِقَابِكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ يَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْكُمْ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَراً أَوْ عُقُوبَةً، وَلَيْسَ لَكُمْ نَصِيرٌ يَنْصُرُكُمْ إِذَا هُوَ عَاقَبَكُمْ.

﴿٣٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ

(آياته) (كَالأَعْلَامِ)

(٣٢) - وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى تَسْخِيْرُهُ البَحْرَ لِتَجْرِيَ فِيهِ السُّفُنُ (الجَوَارِي) بِأَمْرِهِ كَالجِبَالِ الشَّاهِقَاتِ.

الجَوَارِي - السُّفُنُ والمَرَاكِبُ أوِ الفُلْكُ.

الأَعْلَامُ - الجِبَالُ الشَّاهِقَاتُ.

﴿٣٣﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

(لآيَاتٍ)

(٣٣) - وَلَوْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُسْكِنَ هُبُوبَ الرِّيحِ التِي تُسَيِّرُ السُّفُنَ فِي البَحْرِ لأَسْكَنَهَا فَتَتَوقَّفُ السُّفُنُ عَنِ الجَرْيِ، وَتَثْبُتُ فِي أَمَاكِنِهَا عَلَى سَطْحِ المَاءِ.

وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ جَرْيِ السُّفُنِ فِي البَحْرِ بِقُوَّةِ الرِّيَاحِ، التِي يُسَخِّرُهَا اللهُ لَهَا، وَفِي تَوقُّفِهَا حِينَ تَسْكُنُ الرِّيحُ، لآيَاتٌ لِكُلِّ صَبَّارٍ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، كَثِيرِ الشُّكْرِ لأَنْعمِهِ.

أَسْكَنَ الرِّيحَ وَسَكَّنَهَا - أَوْقَفَ هُبُوبَهَا.

رَوَاكِدَ - سَوَاكِنَ.

﴿٣٤﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ

(٣٤) - وَلَوْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى لَجَعَلَ الرِّيَاحَ قَوِيَّةً عَاصِفَةً فَتُغْرِقُ السُّفُنَ، أو تَصْرِفُهَا عَنْ خُطُوطِ سَيْرِهَا، فَتَسِيرُ فِي البَحْرِ عَلى غَيْرِ هُدًى، وَكَأَنَّهَا هَارِبَةٌ آبِقَةٌ، وَذَلِكَ عِقَابٌ لِمَنْ فِيهَا بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَمَآثِمَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِنْ ذُنُوبِ العِبَادِ، وَلَوْ أَنَّهُ أَخَذَهُمْ بِجَمِيعِ مَا يَجْتَرِحُونَ لأَهْلَكَ كُلَّ مَنْ رَكِبَ البَحْرَ.

يُوبِقْهُنَّ - يَجْعَلُهُنَّ يَسِرْنَ عَلَى غَيْرِ هُدًى وَكَأَنَّهُنَّ آبِقَاتٌ.

﴿٣٥﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ

(يُجَادِلُونَ) (آيَاتِنَا)

(٣٥) - وَلْيَعْلَمِ الذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ تَعَالَى وَيُكَذِّبُونَهَا أَنَّهُمْ تَحْتَ قَهْرِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلاَ مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْ بَأْسِهِ وَنَقْمَتِهِ.

مَحِيصٍ - مَهْرَبٍ وَمَحِيدٍ.

﴿٣٦﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

(فَمَتَاعُ) (الْحَيَاةِ) (آمَنُوا)

(٣٦) - وَكُلُّ مَا حَصَلْتُمْ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَأَثَاثٍ وَرِيَاشٍ وَنَعْمَةٍ... فَهُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ تَافِهٌ تَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ، وَمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ مَتَاعِ هَذِهِ الدُّنْيَا، لأَنَّهُ بَاقٍ دَائِمٌ لاَ يَزُولُ وَلاَ يَنْضُبُ، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ تَعَالَى الذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَهُمْ يَتَوكَّلُونَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ... بِأَنَّهُ سَيُعِينُهُمْ عَلَى الصَّبْرِ فِي أَدَاءِ الوَاجِبَاتِ.

مَتاعُ - مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ أَثَاثٍ وَرِيَاشٍ وَنِعْمَةٍ.
يَتوكَّلُونَ - يُفَوِّضُونَ أَمْرَهُمْ إِلَيهِ.

(٣٧) وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ

(كَبَائِرَ) (الْفَوَاحِشَ)

(٣٧) - وَيَصِفُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الذِينَ أَعَدَّ لَهُم الثَّوَابَ والجَنَّةَ فِي الآيَاتِ التَّالِياتِ. فَهُم الذِينَ يَبْتَعِدُونَ عَنِ ٱرْتِكَابِ كَبَائِرِ الإِثْمِ كَالقَتْلِ وَالزِّنَى والسَّرِقَةِ، وَيَبْتَعِدُونَ عَنِ الفَوَاحِشِ مِنْ قَوْلٍ أو فِعْلٍ، وَإِذا مَا غَضِبُوا كَظَمُوا غَيْظَهُمْ وَصَفَحُوا وَعَفَوا عَمَنْ أَغْضَبَهُمْ.
الفَوَاحِشَ - مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

(٣٨) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

(الصَّلاَةَ) (رَزَقْنَاهُمْ)

(٣٨) - وَهَؤُلاَءِ المُؤْمِنُونَ، الذِينَ أَعَدَّ لَهُم اللهُ تَعَالَى الثَّوَابَ والجَنَّةَ فِي الآيَاتِ السَّابِقَاتِ، هُمُ الذِينَ أَجَابُوا رَبَّهُم الكَرِيمَ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيهِ مِنَ الإِيْمَانِ بِهِ، وَتَوْحِيدِهِ وَإِطَاعَةِ أَوَامِرِهِ، وَٱجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ، وَأَدَّوهَا حَقَّ أَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَأَتَمُّوهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِهَا، وَلاَ يُبْرِمُونَ أَمْراً حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ، وَيُدْلِي كُلٌّ بِرَأْيِهِ لِيَتَبَيَّنَ لَهُم الهُدَى والصَّوَابُ فِيهِ. وَلِتَتَبَيَّنَ جَمِيعُ جَوَانِبِ المَوْضُوعِ، فَلاَ يَنْتَكِسُ أَمْرُ المُسْلِمِينَ بِٱسْتِبْدَادِ فَرْدٍ أَوْ جَمَاعَةٍ فِي الرَّأْيِ. وَيُنْفِقُونَ مِمَّا آتَاهُمْ رَبُّهُم فِي سَبِيلِ الخَيْرِ والبِرِّ، فِيمَا فِيهِ نَفْعُ الجَمَاعَةِ.
أَمْرُهُمْ شُورَى - يَتَشَاوَرُونَ وَيَتَرَاجَعُونَ فِيهِ.

(٣٩) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ

(٣٩) - وَهُمُ الذِينَ إِذَا ٱعْتَدَى عَلَيْهِمْ مُعْتَدٍ بَاغٍ يَنْتَصِرُونَ مِنْهُ، وَيَنْتَصِفُونَ لأَنْفُسِهِمْ، وَلاَ يَسْتَكِينُونَ وَلاَ يَخْضَعُونَ. فَهُمْ كِرَامٌ أَعِزَّةٌ أُبَاةٌ، وَلَيْسُوا بِأَذِلاَّءَ وَلاَ ضُعَفَاءَ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى رَدِّ الظُّلْمِ والعُدْوَانِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا قَدَرُوا صَفَحُوا وَعَفَوْا.
أَصَابَهُم البَغْيُ - نَالَهُمُ الظُّلْمُ والعُدْوَانُ.
يَنْتَصِرُونَ - يَنْتَقِمُونَ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَلاَ يَعْتَدُونَ عَلَى النَّاسِ.

(٤٠) وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ

(جَزاءُ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٠) - وَجَزَاءُ مَا يَفْعَلُهُ المُسِيءُ مِنَ السُّوءِ هُوَ أَنْ يُعَاقَبَ وَفْقَ مَا شَرَعَهُ اللهُ مِنْ عُقُوبَةٍ لِجُرْمِهِ، وَقَدْ سمى اللهُ تَعَالَى العُقُوبَةَ سَيِّئَةً لأَنَّها تَسُوءُ مَنْ تَنْزِلُ بِهِ. فَمَنْ عَفَا عَنْ مُسِيءٍ، وَأَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ عَادَاهُ بِالعَفْوِ عَنْهُ، وَبِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللهَ يَجْزِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَعْظَمَ الجَزَاءِ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، المُتَجَاوِزِينَ لِلحُدُودِ، المُعْتَدِينَ عَلَى العِبَادِ.
السَّيِّئَةُ - الفِعْلُ الذِي يَسُوءُ.

﴿٤١﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ

(فَأُوْلَئِكَ)

(٤١) - وَالذِينَ نَزَلَ بِهِمْ ظُلْمٌ فَانْتَصَرُوا مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ، فَلَيْسَ لِلظَّالِمِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَظْلِمُوهُ، وَإِنَّمَا انْتَصَرُوا بِحَقٍّ مِنْ ظُلْمِهِ، وَمَنْ أَخَذَ حَقَّهُ مِمَّنْ وَجَبَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَعَدَّهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَظْلِمْ، فَلاَ سَبِيلَ لأَحَدٍ عَلَيْهِ.

انْتَصَرَ - سَعَى فِي نَصْرِ نَفْسِهِ بِجُهْدِهِ.

مِنْ سَبِيلٍ - مِنْ عِتَابٍ أَوْ لَوْمٍ أَوْ عِقَابٍ.

﴿٤٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(أُوْلَئِكَ)

(٤٢) - إِنَّمَا الحَرَجُ واللَّوْمُ والإِثْمُ عَلَى الذِينَ يَبْدَؤُونَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ، وَيَزِيدُونَ فِي الانْتِقَامِ، وَيَتَجَاوَزُونَ حَقَّهُمْ، وَيَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ، وَيُفْسِدُونَ فِيهَا، وَهَؤُلاءِ لَهُمْ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ عِقَاباً لَهُمْ عَلَى بَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ.

يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ - يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَيَتَكَبَّرُونَ فِيهَا.

﴿٤٣﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ

(٤٣) - وَبَعْدَ أَنْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَى الظُّلْمَ وَأَهْلَهُ، وَشَرَعَ القِصَاصَ وَالانْتِصَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ، نَدَبَ النَّاسَ إِلَى العَفْوِ والمَغْفِرَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا تَمْكِينٌ لِلْفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الأَذَى وَمَغْفِرَةَ السَّيِّئَةِ وَسَتْرَهَا مِنَ الأُمُورِ المَشْكُورَةِ، وَالأَفْعَالِ الحَمِيدَةِ التِي يُجْزِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا الثَّوَابَ لِفَاعِلِيهَا، وَمِنَ الأُمُورِ التِي يَنْبَغِي عَلَى العَاقِلِ أَنْ يُوجِبَهَا عَلَى نَفْسِهِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا إِلاَّ أَعَزَّهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا وَنَصَرَهُ. وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلاَّ زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً. وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ).

مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ - مِنَ الأُمُورِ الحَمِيدَةِ المَشْكُورَةِ أَوْ مِنَ الأُمُورِ التِي يُوجِبُهَا الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ.

﴿٤٤﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ

(الظَّالِمِينَ)

(٤٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ أَنَّهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَلاَ رَادَّ لأَمْرِهِ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ مِنْ دُونِهِ. ثُمَّ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى الكَافِرِينَ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، أَنَّهُمْ حِينَمَا يَرونَ العَذَابَ يَومَ القِيَامَةِ، يَتَمَنَّوْنَ الرَّجْعَةَ إِلَى الدنْيَا لِيَعْمَلُوا صَالِحاً غَيْرَ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَلِيُؤْمِنُوا وَيُطِيعُوا الرَّسُولَ، وَيَقُولُونَ: هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الرَّجْعَةِ إِلَى الدُّنْيَا لِنَعْمَلَ صَالِحاً غَيرَ الذِي كُنَّا نَعْمَلُ؟

﴿٤٥﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ

(تراهُمْ) (خَاشِعِينَ) (آمَنُوا) (الْخَاسِرِينَ) (الْقِيَامَةِ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٥) ـ ويُعْرَضُ هَؤُلاَءِ الكَفَرَةُ المُشْرِكُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى النَّارِ وَهُمْ خَاشِعُونَ مِنَ الذُّلِّ الذِي آعْتَرَاهُمْ لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ عِظَمِ ذُنُوبِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَنْظُرُونَ إِلَى النَّارِ مِنْ طَرفٍ خَفِيٍّ وَهُمْ يُدْرِكُونَ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَيهَا لاَ مَحَالَةَ. وَيَقُولُ المُؤْمِنُونَ فِي ذَلِكَ اليَومِ العَصِيبِ: إِنَّ الخَاسِرِينَ أَعْظَمَ الخَسَارَةِ هُمُ الذِينَ يَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ فَيُنْسِيهِمُ العَذَابُ فِيهَا لَذَائِذَ الحَيَاةِ الدُّنيا، وَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ فَيَخْسَرُونَهُمْ. أَلاَ إِنَّ الكَافِرِينَ لَفِي عَذَابٍ دَائِمٍ لاَ يَفْتُرُ وَلاَ يَتَوَقَّفُ وَلاَ يَنْقَطِعُ.

خَاشِعِينَ ـ خَاضِعِينَ مُتَضَائِلِينَ.

مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ـ يُسَارِقُونَ النَّظَرَ إِلَيهَا مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ.

﴿٤٦﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ
يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ

(٤٦) ـ وَلاَ يَجِدُ هَؤُلاَءِ الكَافِرُونَ، الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهِمْ، مَنْ يَنْصُرُهُمْ وَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ الذِي نَزَلَ بِهِمْ. وَمَنْ يُضْلِلْهُ اللهُ فَلاَ سَبِيلَ لَهُ إِلَى الوُصُولِ إِلَى الحَقِّ والهُدَى فِي الدُّنْيَا، وَلاَ فِي الوُصُولِ إِلَى الجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ.

﴿٤٧﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ
وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ

(مَلْجَإٍ) (يَوْمَئِذٍ)

(٤٧) ـ وَبَعْدَ أَنْ ذَكَّرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِمَا يَكُونُ فِي يَومِ القِيَامَةِ مِنَ الأَهْوَالِ والعَظَائِمِ، حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الاسْتِعْدَادِ لَهُ فَقَالَ لَهُمْ: أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَآمنُوا بِهِ، وَاتَّبِعُوهُ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمُ القِيَامَةِ، وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ، وَهُوَ يَوْمٌ آتٍ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ مَجِيئَهُ إِذَا جَاءَ بِهِ اللهُ. وَلَيْسَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ اليَومِ مِنْ مَكَانٍ تَلْتَجِئُونَ إِليهِ لِتَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِنْكَارِ مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ جَرَائِمَ وَسَيِّئَاتٍ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، لأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مَسْطُورٌ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِكُمْ، وَإِذَا جَحَدْتُمُوهُ أَشْهَدَ اللهُ عَلَيكُمْ جُلُودَكُمْ وَأَسْمَاعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ.

(وَقِيلَ أَيضاً إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ الظَّالِمِينَ لَنْ يَجِدُوا لَهُمْ نَاصِراً يُنْكِرُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ.

وَقِيلَ أَيضاً إِنَّ المَعْنَى هُوَ: لَيْسَ لَكُمْ مِنْ مَكَانٍ يَسْتُرُكُمْ وَتَتَنَكَّرُونَ فِيهِ فَتَغِيبُوا عَنْ بَصَرِ اللهِ تَعَالَى).

نَكِيرٍ ـ إِنْكَارٍ لِذُنُوبِكُمْ ـ أَوْ مُنْكِرٍ لِعَذَابِكُمْ.

٤٨ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ
حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ
وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا
رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ
سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ
فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ

٤٩ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ
لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن
يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ
٥٠ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ
وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ
عَلِيمٞ قَدِيرٞ

ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

٥١ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن
يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن
وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا
فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ
عَلِيٌّ حَكِيمٞ

(أَرْسَلْنَاكَ) (الْبَلاَغُ) (الإِنْسَانَ)

(٤٨) - فَإِنْ أَعْرَضَ المُشْرِكُونَ عَمَّا أَتيتَهُمْ بِهِ مِنَ الحَقِّ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ، فَدَعْهُمْ وَشَأْنَهُمْ، فَإِنَّنَا أَرْسَلْنَاكَ لِتُبَلِّغَهُمْ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيكَ مِنَ الدينِ والقُرآنِ، وَلَمْ نُرْسِلْكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً تُحْصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَتَحْفَظُهَا.

وَإِنَّا إِذَا أَصَبْنَا الإِنْسَانَ بِنِعْمَةٍ مِنَّا وَرَحْمَةٍ وَرِزْقٍ فَرِحَ بِذَلِكَ وَسُرَّ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ أَوْ مَرَضٌ (سَيِّئَةٌ) بِسَبَبِ مَا عَمِلَ مِنَ المَعَاصِي، جَحَدَ نِعْمَتَنَا، وَآيَسَ مِنَ الخَيرِ؛ وَالإِنْسَانُ مِنْ طَبْعِهِ الجُحُودُ وَكُفْرَانُ النِّعْمَةِ.

فَرِحَ بِهَا - بَطِرَ لأَجْلِهَا.

(السَّمَاوَاتِ) (إِنَاثاً)

(٤٩) - اللهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَالِكُهَا، وَالمُتَصَرِّفُ فِيهَا، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَمْنَعُ عَمَّنْ يَشَاءُ، وَلاَ رادَّ لِحُكْمِهِ وَقَضَائِهِ، فَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ذُرِّيَّةً إِنَاثاً، وَيَهَبُ مَنْ يَشَاءُ ذُرِّيَّةً ذُكُوراً.

(إِنَاثاً)

(٥٠) - أَوْ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ ذُرِّيَّةً مِنَ الزَّوْجِينِ الذُّكُورِ والإِنَاثِ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً بِلاَ نَسْلٍ، وَإِنَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الأَنْوَاعِ، قَدِيرٌ عَلَى خَلْقِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَ، فَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ.

(وَرَاءِ)

(٥١) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ الطُّرُقَ التِي يُوحِي بِهَا أَوامِرَهُ إِلَى مَنْ يَخْتَارُهُمْ مِنْ عِبَادِهِ:

أ - أَنْ يُحِسَّ الرَّسُولُ بِمَعَانٍ تُلْقَى فِي قَلْبِهِ فَلاَ يَتَمَارَى فِي أَنَّهَا مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجمِلُوا فِي الطَّلَبِ). (صَحِيحُ ابْنِ حبَّانَ).

ب - أَوْ يَرَى فِي نَوْمِهِ مَنَاماً لاَ يَشُكُّ فِي أَنَّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَرُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَنَّهُ يَذْبَحُ ابْنَهُ.

جـ - أَنْ يَسْمَعَ كَلاماً مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، كَمَا سَمِعَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فِي وَادِي الطُّورِ دُونَ أَنْ يُبْصِرَ مَنْ يُكَلِّمُهُ.

٥٢ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

٥٣ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ

د ـ أَنْ يُرْسِلَ اللهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ مَلَكاً فَيُوحِي ذَلِكَ المَلَكُ مَا يَشَاءُ إِلَى النَّبِيِّ.

والله تَعَالَى قَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ، حَكِيمٌ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ.

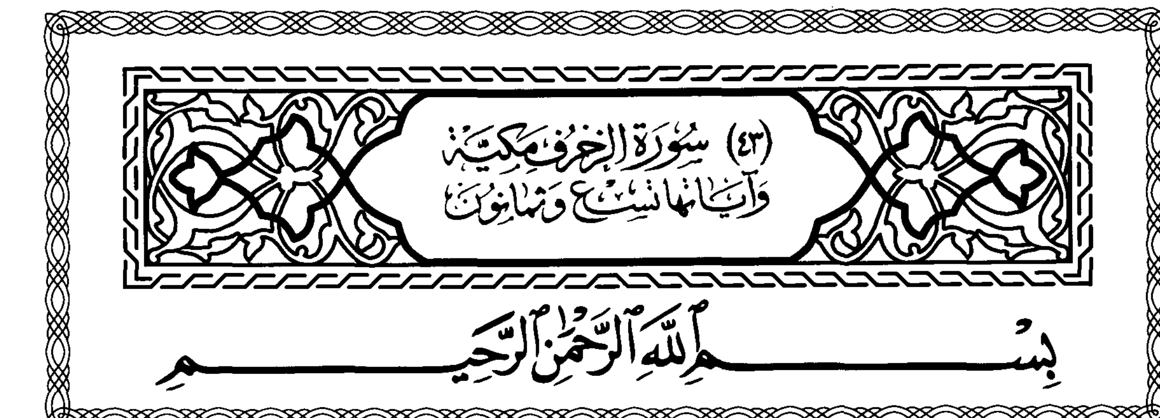
(الْكِتَابُ) (الإِيْمَانُ) (جَعَلْنَاهُ) (صِرَاطٍ)

(٥٢) ـ وَكَمَا أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ، كَذَلِكَ أَوْحَى إِلَيكَ القُرْآنَ، وَلَمْ تَكُنْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْكَ وَحْيَهُ، تَعْلَمُ مَا القُرْآنُ، وَمَا الشَّرَائِعُ، التِي بِهَا هِدَايَةُ البَشَرِ، وَلَكِنَّ الله تَعَالَى هُوَ الذِي أَوْحَى إِلَيكَ القُرْآنَ، وَجَعَلَهُ نُوراً يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ هِدَايَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ. وَإِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَتَهْدِي بِذَلِكَ النُّورِ المُنَزَّلِ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، مَنْ أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ.

رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ـ قُرآناً، أَوْ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَوْ نُبُوَّةً.

(صِرَاطِ) (السَّمَاوَاتِ)

(٥٣) ـ وَهَذَا القُرْآنُ هُوَ الطَرِيقُ القَوِيمُ الذِي يَهْدِي اللهُ إِلَيهِ عِبَادَهُ وَهُوَ الطَّرِيقُ الذِي شَرَعَهُ اللهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ. والمُتَصَرِّفُ بِهِمَا، والحَاكِمُ الذِي لاَ مُعقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ، أَلاَ إِنَّ أُمُورَ الخَلاَئِقِ كُلَّهَا تَصِيرُ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَفْصِلُ فِيهَا بِعَدْلِهِ التَّام، وَحِكْمَتِهِ.



(١) حمٓ

(٢) وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ

(٣) إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(٤) وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ

(٥) أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ

(حا. مِيم)

(١) - وتُقْرأُ مُقَطَّعةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلى حِدَةٍ. اللهُ أَعْلَمُ بِمُرادِهِ.

(والْكِتَابِ)

(٢) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِالقُرْآنِ (الكِتَابِ) الجَلِيِّ الوَاضِحِ (المُبِينِ).

(جعَلْنَاهُ) (قُرْآناً)

(٣) - إِنَّ القَصْدَ مِنْ جَعْلِ اللهِ تَعَالَى القُرْآنَ عَرَبِياً جَلِيّاً وَاضِحاً، هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَرادَ أَنْ يَجْعَلَ العَرَبَ يَعْقِلُونَهُ وَيَتَدَبَّرُونَ أَحْكَامَهُ وَمَعَانِيَهُ وَإِعْجَازَهُ لأَنَّهُ مُنَزَّلٌ بِلِسَانِهِمْ.

(الْكِتَابِ)

(٤) - وَإِنَّ هَذَا الكِتَابَ، فِي عِلْمِ اللهِ الأَزَلِيِّ، وَتَقْدِيرِهِ البَاقِي، ذُو رِفْعَةٍ وَمَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ وَشَرَفٍ، وَهُوَ مُحْكَمُ النَّظْمِ، مُنَزَّهٌ عَنِ اللَّبْسِ والزَّيْغِ.

أُمِّ الكِتَابِ - عِلْمِ اللهِ الأَزَلِي - أَوِ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ.

(٥) - فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ قَوْلاَنِ:

الأَوَّلُ - أَتَحْسَبُونَ أَنْ نَصْفَحَ عَنْكُمْ فَلاَ نُعَذِّبَكُمْ مَعَ أَنَّكُم لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ - وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الثَّانِي - أَنَّ اللهَ تَعَالَى مِنْ لُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ لاَ يَتْرُكُ دُعَاءَهُمْ إِلَى الخَيرِ، وَإِلَى الذِّكْرِ الحَكِيمِ (القُرْآنِ)، وَإِنْ كَانُوا مُسْرِفِينَ مُعْرِضِينَ عَنْهُ، لِيَهْتَدِيَ مَنْ قَدَّرَ اللهُ هِدَايَتَهُ، وَلِتَقُومَ الحُجَّةُ عَلَى مَنْ قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ الشَّقَاوَةَ.

أَفَنضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ - أَفَنَتْرُكُ تَذْكِيرَكُمْ وَإِلْزَامَكُم الحُجَّةَ.

صَفْحاً - إِعْرَاضاً أَوْ مُعْرِضِينَ عَنْكُمْ

مُسْرِفِينَ - مُتَجَاوِزِينَ الحَدَّ

﴿٦﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ

(٦) - وَيُسَلِّي اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَسُولَهُ ﷺ لِمَا يَنَالُهُ مِنَ الهَمِّ والحُزْنِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ، فَيَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلاً كَثِيرِين قَبْلَهُ إِلَى الأُمَمِ السَّالِفَةِ.

فِي الأَوَّلِينَ - فِي الأُمَمِ السَّابِقَةِ.

﴿٧﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٧) - فَكَانَتْ تِلْكَ الأَقْوَامُ تُكَذِّبُ كُلَّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ إِلَيها، وَتَسْتَهْزِىءُ بِهِ، وَتَسْخَرُ مِنْهُ.

﴿٨﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ

(٨) - فَأَهْلَكَ اللهُ تَعَالَى الأَقْوَامَ التِي كَذَّبَتِ الرُّسُلَ، وَكَانَتْ تِلْكَ الأَقْوَامُ التِي كَذَّبَتِ الرُّسُلَ أَكْثَرَ قُوَّةً وَبَطْشاً مِنْ قَوْمِكَ العَرَبِ الذِينَ يُكَذِّبُونَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَعَلَ إِهْلاَكَ المُكَذِّبِينَ سُنَّةً وَمَثَلاً وَعِبْرَةً يَعْتَبِرُ بِهَا العَاقِلُونَ الذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَهُمْ، خَوْفاً مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِهَؤُلاَءِ.

بَطْشاً - قُوَّةً.

مَثَلُ الأَوَّلِينَ - صِفَتُهُمْ أَوْ قِصَّتُهُمْ.

﴿٩﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ

(لَئِن) (السَّمَاوَاتِ)

(٩) - وَإِذَا سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ؟ اعْتَرَفُوا بِأَنَّ خَالِقَهُنَّ هُوَ اللهُ العَزِيزُ فِي سُلْطَانِهِ وَانْتِقَامِهِ، العَلِيمُ بِهِنَّ وَبِمَا فَوْقَهُنَّ.

﴿١٠﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(١٠) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي جَعَلَ الأَرْضَ لِلنَّاسِ مُوَطَّأَةَ الجَوَانِبِ كَالفِرَاشِ، يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَنَامُونَ، وَجَعَلَ فِيهَا طُرُقاً (سُبُلاً) لِيَهْتَدِي النَّاسُ إِلَى الجِهَاتِ التِي يَقْصِدُونَهَا أَثْنَاءَ أَسْفَارِهِمْ مِنْ صُقْعٍ إِلَى صُقْعٍ.

سُبُلاً - طُرُقاً تَسْلُكُونَهَا أَوْ مَعَايِشَ.

﴿١١﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ

(١١) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرِ الحَاجَةِ، فَلاَ يَجْعَلُهُ كَثِيراً فَيُتْلِفُ الزَّرْعَ، وَيُهْلِكُ البَشَرَ، وَلاَ قَلِيلاً لاَ يَكْفِي لإِنْبَاتِ الأَعْشَابِ والزُّرُوعِ فَيَهْلِكُ النَّاسُ والحَيَوَانُ جُوعاً وَعَطَشاً.

وَكَمَا أَحْيَا اللهُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا بِالمَاءِ، كَذَلِكَ يُحْيِي البَشَرَ بِنَشْرِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.

فَأَنْشَرْنَاكُمْ - فَأَحْيَيْنَاكُمْ بِالمَاءِ.

﴿١٢﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ
وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ

(الأَزْوَاجَ) (الأَنْعَام)

(١٢) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي خَلَقَ مَا أَنْبَتَتْهُ الأَرْضُ مِنَ الأَصْنَافِ المُخْتَلِفَةِ، وَمِنَ الحَيَوَانِ عَلَى آخْتِلاَفِ أَجْنَاسِهِ وَأَلْوَانِهِ وَأَحْجَامِهِ، وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ السُّفُنِ مَا تَرْكَبُونَهُ فِي البَحْرِ وَالنَّهْرِ فِي أَسْفَارِكُمْ، وَنَقْلِ أَمْتِعَتِكُمْ وَأَرْزَاقِكُمْ، وَجَعَلَ لَكُمْ مَا تَرْكَبُونَهُ فِي البَرِّ وَتَحْمِلُونَ عَلَيْهِ أَثْقَالَكُمْ كَالحَمِيرِ وَالبِغَالِ وَالجِمَالِ.

خَلَقَ الأَزْوَاجَ - أَوْجَدَ الأَصْنَافَ مِنَ المَخْلُوقَاتِ.

﴿١٣﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا
نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ
لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ

(لِتَسْتَوُوا) (سُبْحَانَ)

(١٣) - لِتَسْتَقِرّوا فَوْقَ ظُهُورِ مَا تَرْكَبُونَهُ، مِنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ، ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمُ الذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فَتُعَظِّمُوهُ وَتُمَجِّدُوهُ، وَتَقُولُوا تَنْزِيهاً لَهُ وَتَعْظِيماً: سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ وَذَلَّلَ لَنَا هَذَا الذِي رَكِبْنَاهُ وَمَا كُنَّا، لَوْلاَ فَضْلُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ، لِنَسْتَطِيعَ تَسْخِيرَهُ، وَتَذْلِيلَهُ، وَالانْتِفَاعَ بِهِ.

لِتَسْتَوُوا - لِتَسْتَقِرُّوا وَتَسْتَعْمِلُوا.

سَخَّرَ - ذَلَّلَ.

﴿١٤﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ

(١٤) - وَلِتُكْمِلُوا تَعْبِيرَكُمْ عَنْ شُكْرِكُمْ لِرَبِّكُمْ عَلَى نِعَمِهِ فَتَقُولُوا: وَإِنَّا لَصَائِرُونَ إِلَى رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ مَمَاتِنَا فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَمَلِهِ، فَاسْتَعِدّوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ لِذَلِكَ اليَوْمِ، وَلاَ تَغْفُلُوا عَنْ ذِكْرِهِ فِي حِلِّكُمْ وَتَرْحَالِكُمْ.

﴿١٥﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا
إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ

(الإِنْسَانَ)

(١٥) - وَجَعَلَ المُشْرِكُونَ للهِ تَعَالَى وَلَداً (جُزْءاً) (عَلَى آعْتِبَارِ أَنَّ الوَلَدَ جُزْءٌ مِنَ الوَالِدِ)، إِذْ قَالَ المُشْرِكُونَ مِنَ العَرَبِ: إِنَّ المَلاَئِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، فَخَصُّوا أَنْفُسَهُمْ بِالذُّكُورِ مِنَ الأَبْنَاءِ، وَجَعَلُوا للهِ البَنَاتِ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ البَنَاتِ لأَنْفُسِهِمْ، فَجَعَلُوا للهِ أَدْنَى النَّصِيبَيْنِ.

وَالإِنْسَانُ جَحُودٌ بِنِعَمِ اللهِ رَبِّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ شَدِيدُ الكُفْرَانِ لَهَا، وَجُحُودُهُ بِالنِّعَمِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ لِمَنْ تَأَمَّلَ فِي ذَلِكَ وَتَدَبَّرَ.

﴿١٦﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ
وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ

(وَأَصْفَاكُمْ)

(١٦) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُشْرِكِينَ قِسْمَتَهُم هَذِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ: هَلِ آتَّخَذَ رَبُّكُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَفْسِهِ أَدْنَى الصِّنْفَيْنِ مِنْ خَلْقِهِ (البَنَاتِ)، وَآخْتَارَ لَكُمْ أَفْضَلَهُمَا (الذُّكُورَ)؟

أَصْفَاكُمْ - خَصَّكُمْ وَآثَرَكُمْ.

(١٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ

(١٧) - وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ بِوِلاَدَةِ بِنْتٍ لَهُ أَنِفَ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَتْهُ الكَآبَةُ والحُزْنُ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ. وَتَوارَى مِنْ قَوْمِهِ خَجَلاً، فَكَيْفَ يَأْنَفُ المُشْرِكُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ بَنَاتٌ ثُمَّ يَنْسبُونَ البَنَاتِ للهِ تَعالَى؟ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

مَثَلاً - شَبَهاً وَمُمَاثِلاً.

كَظِيمٌ - مَمْلُوءُ القَلْبِ غَيْظاً وَغَماً.

(١٨) أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ

(يُنَشَّأُ)

(١٨) - وَقَدْ جَعَلُوا الأُنْثَى للهِ، وَهِيَ نَاقِصَةٌ تَتَدَارَكُ نَقْصَهَا بِلِبْسِ الحُلِيِّ والزِّينَةِ مُنْذُ أَنْ تَكُونَ طِفْلَةً، وَإِذَا خَاصَمَتْ فَهِيَ عَاجِزَةٌ عَيِيَّةٌ قَاصِرَةٌ عَنِ البَيَانِ. أَفَمَنْ يَكُونُ هَذَا حَالُهُ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى اللهِ العَظِيمِ؟

يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ - يُرَبَّى فِي الزِّينَةِ والنِّعْمَةِ (البَنَاتِ).

الخِصَامِ - فِي الجَدَلِ والمُخَاصَمَةِ.

(١٩) وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ

(عِبَادُ) (إِنَاثاً) (الْمَلاَئِكَةَ) (شَهَادَتُهُمْ) (يُسْأَلُونَ)

(١٩) - وَاعْتَقَدَ المُشْرِكُونَ أَنَّ المَلاَئِكَةَ - وَهُمْ عَبِيدُ للهِ، وَخَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ - هُمْ مِنْ جِنْسِ الإِنَاثِ وَسَمُّوهُمْ بِذَلِكَ، وَحَكَمُوا عَلَيهِمْ، فَهَلْ كَانُوا حَاضِرِينَ حِينَمَا خَلَقَهُمُ اللهُ فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ إِنَاثٌ؟ إِنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا شَيئاً. ثُمَّ تَهَدَّدَهُم اللهُ تَعَالَى فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ سَيَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ هَذِهِ، وَسَيَسْأَلُهُمْ عَنْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا.

فَالْمُشْرِكُونَ كَفَرُوا فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ المَلاَئِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، وَإِنَّهُمْ إِنَاثٌ مِنْ ثَلاَثَةِ وُجُوهٍ:

- إِنَّهُمْ نَسَبُوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا الوَلَدَ للهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ ذَلِكَ.
- ثُمَّ أَعْطَوْا مَا يَعْتَقِدُونَهُ أَخَسَّ النَّصِيبِينَ للهِ (البَنَاتِ).
- ثُمَّ اسْتَخَفُّوا بِالمَلاَئِكَةِ فَجَعَلُوهُمْ مِنْ جِنْسِ الإِنَاثِ.

(٢٠) وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

(عَبَدْنَاهُمْ)

(٢٠) - وَقَالَ المُشْرِكُونَ: لَوْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنْ لاَ يَعْبُدُوا هَذِهِ الأَصْنَامَ التِي صَوَّرُوهَا عَلَى جِنْسِ المَلاَئِكَةِ وَقَالُوا عَنْهَا إِنَّهَا بَنَاتُ اللهِ، لَحَالَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَهُوَ تَعَالَى عَالِمٌ بِعِبَادَتِهِمْ لَهَا، وَهُوَ يُقِرُّهُمْ عَلَيْهَا. وَفِي الحَقِيقَةِ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ لاَ دَلِيلَ لَهُمْ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ هَذَا، وَلاَ بُرْهَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَمَا هُمْ فِي دَعْوَاهُمْ هَذِهِ إِلاَّ كَاذِبُونَ، مُتَقَوِّلُونَ عَلَى اللهِ، نَاسِبُونَ إِلَيهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ (مُتَخَرِّصُونَ).

يَخْرُصُونَ - يَكْذِبُونَ فِيمَا قَالُوا.

(٢١) أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ

(آتَيْنَاهُمْ) (كِتَاباً)

(٢١) - أَمْ يَعْتَمِد هَؤُلاَءِ فِي شِرْكِهِمْ وَعِبَادَتِهِم الأَصْنَامَ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ كِتَاباً قَبْلَ هَذَا القُرْآنِ (أَوْ قَبْلَ شِرْكِهِمْ هَذَا) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيهِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ فَهُمْ يَسْتَنِدُونَ إِلَيهِ؟

إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُؤْتِهِمْ شَيئاً مِنْ ذَلِكَ، فَلاَ حُجَّةَ لَهُمْ عَلَى مَا قَالُوا، وَلاَ بُرْهَانَ وَلاَ دَلِيلَ.

(٢٢) بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ

(آبَاءَنَا) (آثَارِهِمْ)

(٢٢) - وَإِذْ فَقَدَ المُشْرِكُونَ كُلَّ حُجَّةٍ وَدَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيهِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، قَالُوا: إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ يَعْبُدُونَهَا فَعَبَدُوهَا، وَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ مُقْتَدِينَ بِهِمْ، لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ آبَاءَهُمْ أَرْجَحُ مِنْهُمْ عُقُولاً، وَأَصَحُّ أَفْهَاماً، فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُوا فِي عِبَادَةِ الأَصْنَامِ عَلَى ضَلاَلٍ.

عَلَى أُمَّةٍ - عَلَى دِينٍ وَعَلَى طَرِيقَةٍ.

(٢٣) وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ

(آبَاءَنَا) (آثَارِهِمْ)

(٢٣) - وَلَيْسَتْ مَقَالَةُ مُشْرِكِي قُرَيشٍ هَذِهِ شَيئاً مُبْتَدَعاً مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُرْسِلْ رَسُولاً إِلَى قَرْيَةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ إِلاَّ قَالَ أَهْلُ الجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ فِيهَا: إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى دِينٍ وَمِلَّةٍ (أُمَّةٍ) وَإِنَّهُمْ يَتْبَعُونَ طَرِيقَهُمْ، وَيَسِيرُونَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَيَقْتَدُونَ بِهِمْ فِيمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

مُتْرَفُوهَا - مُنَعَّمُوهَا المُنْغَمِسُونَ فِي شَهَوَاتِهِمْ.

الحزب ٥٠

(٢٤) ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ

(قَالَ) (آبَاءَكُمْ) (كَافِرُونَ)

(٢٤) - فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُهُمْ: وَهَلْ سَتَسْتَمِرُّونَ فِي السَّيْرِ عَلَى نَهْجِ آبَائِكُمْ وَأَسْلاَفِكُمْ حَتَّى وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ هِدَايَةً إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ؟ فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ إِنَّهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ وَلَوْ جَاءَهُمْ بِمَا هُوَ أَفْضَلُ وَأَهْدَى، وَإِنَّهُمْ كَافِرُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَلاَ فَائِدَةَ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى تَرْكِ دِينِ آبَائِهِمْ.

(٢٥) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ

(عَاقِبَةُ)

(٢٥) - فَأَنْزَلَ اللهُ بَأْسَهُ وَنَقِمَتَهُ عَلَى هَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِمْ مِنَ الأُمَمِ الخَالِيَةِ، فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى دَمَّرَ عَلَيْهِمِ دِيَارَهُمْ فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ بَاقِيَةً، كَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

(إِبْرَاهِيمُ)

(٢٦) - وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ خَبَرَ جَدِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أَعْلَنَ لأَبِيهِ آزَرَ وَقَوْمِهِ بِأَنَّهُ مُتَبَرِّىءٌ مِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ والأَوْثَانِ.

بَرَاءٌ - بَرِيءٌ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾

(٢٧) - وَأَنَّهُ لَنْ يَعْبُدَ إِلَّا اللهَ الذِي خَلَقَهُ مِنْ عَدَمٍ والذِي سَيَهْدِيهِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَيُوَفِّقُهُ إِلَى اتِّبَاعِ الحَقِّ.

فَطَرَنِي - خَلَقَنِي وَأَبْدَعَنِي.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

(٢٨) - وَجَعَلَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ (وَهِيَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ) كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي ذُرِّيَتِهِ يَتَوَارَثُونَهَا، وَيَقْتَدِي بِهِ فِيهَا مَنْ هَدَاهُ اللهُ مِنْ ذُرِّيَتِهِ، لَعَلَّ ذُرِّيَتَهُ يَذْكُرُونَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُمْ إِبْرَاهِيمُ، فَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ، وَيُخْلِصُوا العَمَلَ والإِيْمَانَ لَهُ.

كَلِمَةً بَاقِيَةً - كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ - أَوِ البَرَاءَةَ مِنَ الشِّرْكِ.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾

(آبَاءَهُمْ)

(٢٩) - وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى مَتَّعَ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ، وَمَتَّعَ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَمَدَّ فِي أَعْمَارِهِمْ، وَأَكْثَرَ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ، فَشَغَلَهُم النَّعِيمُ، وَحبُّ الشَّهَوَاتِ فَأَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، وَنَسُوا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، فَأَرْسَلَ اللهُ فِي بَنِي إِبْرَاهِيمَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، وَإِلَى العَوْدَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُ القُرْآنَ لِتَكُونَ رِسَالَتُهُ بَيِّنَةً وَاضِحَةً.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

(كَافِرُونَ)

(٣٠) - فَلَمَّا جَاءَهُمُ القُرْآنُ والرَّسُولُ قَالُوا: إِنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ إِنْ هُوَ إِلَّا سِحْرٌ، وَمَا هُوَ بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ بِهِ وَيَكْفُرُونَ، بَغْياً وَحَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

(الْقُرْآنُ)

(٣١) - وَقَالُوا كَالمُعْتَرِضِينَ عَلَى اخْتِيَارِ اللهِ رَسُولَهُ الكَرِيمَ: إِنَّ مَنْصِبَ الرِّسَالَةِ مَنْصِبٌ شَرِيفٌ، فَلاَ يَلِيقُ إِلَّا بِرَجُلٍ شَرِيفٍ عَظِيمِ الجَاهِ كَثِيرِ الثَّرَاءِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَوْ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ (القَرْيَتَيْنِ) لأَنَّ مُحَمَّداً لَيْسَ بِذَلِكَ الغَنِيِّ العَظِيمِ الجَاهِ.

(وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَقْصِدُونَ بِقَوْلِهِمْ هَذَا الوَلِيدَ بنَ المُغِيرَةِ مِنْ مَكَّةَ أَوِ الوَلِيدَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ مِنَ الطَّائِفِ).

مِنَ القَرْيَتَين - مَكَّةَ والطَّائِفِ.

(٣٢) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

(رَحْمَةَ) (الْحَيَاةِ) (درجاتٍ).

(٣٢) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُشْرِكِينَ مَا قَالُوهُ فَقَالَ رَدّاً عَلَى آعْتِرَاضِهِمْ هَذَا: إِنَّ أَمْرَ آخْتِيَارِ الأَنْبِيَاءِ لَيْسَ مَرْدُوداً إِلَيْهِم حَتَّى يَقْتَرِحُوا عَلَى اللهِ مَنْ يَخْتَارُونَهُ هُمْ، وَلَكِنَّ الأَمْرَ للهِ، وَحْدَهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه، فَهُوَ لاَ يُنَزِّلُهَا إِلاَّ عَلَى أَزْكَى الخَلْقِ قَلْباً وَنفساً، وَأَشْرَفِهِمْ بَيْتاً، وَأَطْهَرِهِمْ أَصْلاً.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَ العِبَادِ عَلَى بَعْضٍ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا: فِي القُوَّةِ والغِنَى وَالشُّهْرَةِ والنَّشَاطِ، لأَنَّهُ لَوْ سَوَّى بَيْنَهُمْ جَمِيعاً فِي شُرُوطِ الحَيَاةِ لَمْ يَخْدُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَلَمْ يَسْتَخْدِمْ أَحَدُ مِنْهُمْ أَحداً، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ فَسَادُ نِظَامِ الحَيَاةِ.

وَرَحْمَةُ اللهِ بِخَلْقِهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الأَمْوَالِ وَالمَتَاعِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

سُخْرِيّاً - مُسَخَّراً فِي العَمَلِ، مُسْتَخْدَماً فِيهِ.

(٣٣) وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ

(وَاحِدَةً)

(٣٣) - وَلَوْلاَ أَنْ يَعْتَقِدَ كَثِيرٌ مِنَ الجَهَلَةِ أَنَّ عَطَاءَ اللهِ المَالَ لِلنَّاسِ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِهِ تَعَالَى لِمَنْ يُعْطِيهِ فَيَجْتَمِعُوا جَمِيعاً عَلَى الكُفْرِ لأَجْلِ المَالِ، وَيَرْغَبُوا فِيهِ إِذَا رَأَوْا سَعَةَ الرِّزْقِ، لَجَعَلَ اللهُ لِبُيُوتِ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ سُقُوفاً مِنْ فِضَّةٍ، وَسَلاَلِمَ مِنْ فِضَّةٍ يَصْعَدُونَ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ لِهَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ.

مَعَارِجَ - مَصَاعِدَ وَسَلاَلِمَ وَدَرَجَاتٍ.

يَظْهَرُونَ - يَصْعَدُونَ وَيَرْتَقُونَ.

(٣٤) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ

(أَبْوَاباً)

(٣٤) - وَلَجَعَلَ لِبُيوتِهِمْ أَبْوَاباً مِنْ فِضَّةٍ وَسُرُراً مِنْ فِضَّةٍ، يَتَّكِئُونَ عَلَيْهَا.

(٣٥) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ

(مَتَاعُ) (الْحَيَاةِ)

(٣٥) - وَلَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى لِبُيوتِهِمْ زَخَارِفَ وَزِينَةً فِي كُلِّ مَا يُرْتَفَقُ بِهِ مِنْ شُؤُونِ الحَيَاةِ، وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلاَّ مَتَاعٌ قَصِيرٌ زَائِلٌ، وَالآخِرَةُ بِمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ لاَ يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ هِيَ خَالِصَةٌ لِلْمُتَّقِينَ الذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُم لاَ يُشَارِكُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ غَيْرُهُمْ.

زُخْرُفاً - زِينَةً أَوْ ذَهَباً عَلَى قَوْلٍ.

لَمَّا - إِلاَّ مَتَاعٌ.

﴿٣٦﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ

(شَيْطاناً)

(٣٦) - وَمَنْ يَتَغافَلْ وَيَتعَامَ عَنِ القُرْآنِ، وَعَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالَى، وَيَنْهمِك فِي المَعَاصِي، وَلَذَّاتِ الدُّنْيا وَشَهَواتِها. فَإِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ فَيَكُونُونَ لَهُ قُرَنَاءَ، يُزَيِّنُونَ لَهُ ٱرْتِكَابَ المَعَاصِي، وَالاشْتِغَالَ بِاللَّذَّاتِ، فَيَسْتَرْسِلُ فِيهَا فَيَحِقُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ وَعِقَابُهُ.

مَنْ يَعْشُ - مَنْ يَتَعامَ وَيُعْرِضْ وَيَغْفل

نُقَيِّضْ - نَمْنَحْ لَهُ وَنُيَسِّرْ لَهُ.

﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ

(٣٧) - وَهَؤُلاءِ القُرنَاءُ مِن شَيَاطِينِ الإِنْسِ والجِنِّ، الذِينَ يُقَيِّضُهُم اللهُ لِكُلِّ مَنْ يَعْشُو عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ، يُحَاوِلُونَ صَرْفَهُ عَنِ الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ، وَيُوَسْوِسُونَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى جَادَّةِ الهُدَى والحَقِّ والصَّوابِ، وَأَنَّ غَيْرَهُ عَلَى البَاطِلِ، وَيُكَرِّهُونَ إِلَيهِ الإِيْمانَ فَيُطِيعُهُمْ.

﴿٣٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ

(يا لَيْتَ)

(٣٨) - وَحِينَ يُوَافِي هَذَا الغَافِلُ، الذِي تَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ، رَبَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَتَبَرَّمُ بالشَّيْطَانِ الذِي وُكِّلَ بِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَك بُعْدَ مَا بَينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، فَبِئْسَ القَرِينُ أَنْتَ، لأَنَّكَ أَضْلَلْتَنِي، وَأَوْصَلْتَنِي إِلَى مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الخِزْيِ والعَذَابِ المُهِينِ.

المَشْرِقَينِ - المَشْرِقِ والمَغْرِبِ.

﴿٣٩﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

(٣٩) - وَيُقَالُ لِهَذَا الغَافِلِ الجَاهِلِ وَأَمْثَالِهِ، وَشَيَاطِينِهِمْ تَقْرِيعاً وَتَوْبِيخاً: لَنْ يَنْفَعَكُمْ، وَلَنْ يُغْنِيَ عَنْكُم ٱجْتِمَاعُكُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ وَقرنَاؤُكُمْ، وَلاَ اشْتِرَاكُكُمْ فِي العَذَابِ الأَلِيمِ، لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُعَانِي مِنَ العَذَابِ مَا يَكْفِيهِ.

﴿٤٠﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(ضَلالٍ)

(٤٠) - إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْمِعَ الصُّمَّ الذِينَ سَلَبَهُم اللهُ تَعَالَى القُدْرَةَ عَلَى السَّمْعِ، وَلاَ أَنْ تَهْدِيَ العُمْيَ الذِينَ أَعْمَى اللهُ قُلُوبَهُم وَعُيُونَهُمْ عَنِ الإِبْصَارِ، كَمَا لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْدِيَ الذِينَ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِم الشَّيَاطِينُ فَزَيَّنَتْ لَهُمْ طَرِيقَ الهَلاكِ. فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَيْكَ أَنْ تُبَلِّغَ مَا أَوْحَاهُ إِلَيكَ رَبُّكَ، والذِي يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، وَهُوَ الذِي يُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعاً.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ (٤١)

(٤١) - فإذَا مَا أَخرَجَكَ اللهُ مِنْ بينِ أَظْهرِهِمْ بالمَوْتِ أَوْ بالهِجْرَةِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، كَمَا فَعَلَ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ لِرُسُلِهِمْ.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ (٤٢)

(وَعدْنَاهُمْ)

(٤٢) - أَوْ إِنَّهُ تَعَالَى سَيُرِي رَسُولَهُ الكَرِيمَ مَا وَعَدَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الظَّفرِ بأَعْدَائِهِ المُشْرِكِينَ، وَإِظْهَارِهِ عَلَيْهِمْ، لِيَخْتَبِرَهُم اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ مَا حَذَّرَهُمْ نُزُولَهُ بِهِمْ إِنِ آسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٤٣)

(صِراطٍ)

(٤٣) - وَإِذَا كَانَ أَحدُ هَذَينِ الاحْتِمَالَينِ وَاقِعاً فَاسْتَمْسِكْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بالقُرْآنِ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيكَ فَهُوَ الحَقُّ الذِي يُفْضِي بِمَنْ أَخَذَ بِهِ إِلَى صِرَاطِ اللهِ المُسْتَقِيمِ الذِي يُوصِلُ مَنْ سَلَكَهُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي الآخِرَةِ.

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (٤٤)

(تُسْأَلُونَ)

(٤٤) - وَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ العَظِيمَ لَشَرَفٌ عَظِيمٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ، لِأَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الأَخْذِ بِهِ، والعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ، وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ عَنِ القِيَامِ بِحَقِّ هَذَا القُرْآنِ، وَعَنِ العَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرِيعَةٍ وَأَحْكَامٍ.
(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: إِنَّهُ لَتَذكِيرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ).
لَذِكْرٌ - لَشَرَفٌ عَظِيمٌ أَوْ لَتَذْكِيرٌ.

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٤٥)

(وَاسْأَلْ) (آلِهَةً)

(٤٥) - إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَسْتَ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ فَمَا دَعَوْتَ إِلَيهِ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمِنَ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ، وَعَنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ والأَوْثَانِ. دَعَتْ إِلَيهِ جَمِيعُ الرُّسُلِ الذِينَ سَبَقُوكَ الأُمَمَ التِي أُرْسِلُوا إِلَيهَا، وَلَمْ يَدْعُ أَحدٌ مِنَ الرُّسُلِ والأَنْبِيَاءِ إِلَى عِبَادَةِ غَيرِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِأَنَّهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَا مَعْبُودَ غَيْرُهُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦)

(بِآيَاتِنَا) (وَمَلَئِهِ) (العَالَمِينَ)

(٤٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ عَبْدَهُ مُوسَى رَسُولاً إِلَى فِرْعَونَ وَقَوْمِهِ، وَأَيَّدَهُ بِآيَاتٍ وَمُعْجِزَاتٍ تَأْيِيداً لَهُ فِي دَعْوَتِهِ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّهُ رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ إِلَيهِمْ، كَمَا قُلْتَ أَنْتَ لِقَوْمِكَ إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ.

﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ

(بآياتنا)

(٤٧) ـ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالمُعْجِزَاتِ التِي أَيَّدَهُ اللهُ بِهَا كَالْيَدِ والعَصَا. فَإِذَا بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ يَضْحَكُونَ مِنْ تِلْكَ المُعْجِزَاتِ، وَيَسْخَرُونَ مِنْ مُوسَى دُونَ أَنْ يَتَأَمَّلُوا فِيهَا، كَمَا يَسْخَرُ اليوم قَوْمُكَ مِمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ.

﴿٤٨﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(آيةٍ) (وأَخذْناهُمْ)

(٤٨) ـ وَمَا أَرينا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ حُجَّةً وَمُعْجِزَةً مِنْ حُجَجِنَا، وَمُعْجِزَاتِنَا الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ مُوسَى فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، إِلَّا كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْ سَابِقَاتِهَا، وَأَكْثَرَ دَلَالَةً عَلَى صِحَّةِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَلَمَّا أَصَرُّوا عَلَى الكُفْرِ والطُّغْيَانِ أَنْزَلنا عَلَيْهِمْ أَلْوَاناً مِنَ العَذَابِ كَنَقْصِ الثَّمَرَاتِ والجَرَادِ والقُمَّلِ والضَّفَادِعِ لَعَلَّ ذَلِكَ يَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّفْكِيرِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى، فَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ، وَيقْلِعُوا عَنِ الكُفْرِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.

﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ

(يا أَيُّها)

(٤٩) ـ وَكَانُوا كُلَّمَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ يَضْرَعُونَ إِلَى مُوسَى، وَيَتَلَطَّفُونَ إِلَيْهِ، وَيَقُولُونَ: يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ (أَيِ العَالِمُ)، لَقَدْ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ رَبَّكَ عَهِدَ إِلَيكَ أَنَّنَا إِذَا آمَنَّا بِهِ وَبِرِسَالَتِكَ إِلَينَا، فَإِنَّهُ يَكْشِفُ عَنَّا العَذَابَ الذِي أَنْزَلَهُ بِنَا، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا هَذَا العَذَابَ، وَإِنَّنَا نُعَاهِدُكَ بِأَنَّنَا سَنُؤْمِنُ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِنْ حَدَثَ ذَلِكَ.

بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ـ مِنْ كَشْفِ العَذَابِ عَمَّنِ اهْتَدَى.

﴿٥٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ

(٥٠) ـ فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ فَكَشَفَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمُ العَذَابَ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا لَهُ، وَنَكَثُوا بِمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ.

يَنْكُثُونَ ـ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ بِالاهْتِدَاءِ.

﴿٥١﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

(يا قَوْمِ) (الأَنْهارُ)

(٥١) ـ فَجمَعَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَنَادَى فِيهِمْ مُتَبَجِّحاً مُتَفَاخِراً بِمُلْكِ مِصْرَ، وَتَصَرُّفِهِ فِيهَا، وَفِي أَنْهَارِهَا الجَارِيَةِ فِي أَرْضِهَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَفَلا تَرَوْنَ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ القُوَّةِ وَعِظَمِ المَكَانَةِ؟

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَقْصِدُ بِهَذَا النِّدَاءِ تَثْبِيتَهُمْ فِي طَاعَتِهِ، وَصَرْفَهُم عَنِ التَّأَثُّرِ بِمُوسَى وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الآيَاتِ.

﴿٥٢﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ

(٥٢) - وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِقَوْمِهِ، بَلْ إِنَّهُ (أم) خَيْرٌ مِنْ مُوسَى الذِي هُوَ ضَعِيفٌ ذَلِيلٌ (مَهِينٌ)، وَهُوَ عَيِيُّ اللِّسَانِ يَكَادُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّعْبِيرَ وَالإِفْصَاحَ عَمَّا يُرِيدُ قَوْلَهُ.

مَهِينٌ - ذَلِيلٌ حَقِيرٌ.

يُبِينُ - يُفْصِح الكَلَامَ لِلثُّغَةٍ فِي لِسَانِهِ.

﴿٥٣﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ

(المَلَائِكَةُ)

(٥٣) - فَهَلَّا أُلْقَى إِلَيْهِ رَبُّهُ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ يَتَحَلَّى بِهَا إِنْ كَانَ صَادِقاً فِيمَا يَدَّعِيهِ، وَهَلَّا جَاءَ مَعَهُ المَلَائِكَةُ مُتَتَابِعِينَ مُتَقَارِنِينَ (مُقْتَرِنِينَ). يُعِينُونَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَيَمْشُونَ مَعَهُ.

مُقْتَرِنِينَ - مَقْرُونِينَ بِهِ، يُصَدِّقُونَهُ فِيمَا يَقُولُ.

﴿٥٤﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ

(فَاسِقِينَ)

(٥٤) - فَاسْتَخَفَّ فِرْعَوْنُ عُقُولَ قَوْمِهِ بِهَذِهِ الحُجَجِ الوَاهِيَةِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ طَائِعِينَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً غَاوِينَ ضَالِّينَ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ - وَجَدَهُمْ خِفَافَ العُقُولِ.

﴿٥٥﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ

(آسَفُونَا) (فَأَغْرَقْنَاهُمْ)

(٥٥) - فَلَمَّا أَغْضَبُونَا بِعِنَادِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ وَبَغْيِهِمْ فِي الأَرْضِ انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَعَجَّلْنَا لَهُم العُقُوبَةَ، وَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ.

آسَفُونَا - أَغْضَبُونَا أَشَدَّ الغَضَبِ.

﴿٥٦﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ

(فَجَعَلْنَاهُمْ)

(٥٦) - فَجَعَلْنَاهُمْ قُدْوَةً لِمَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَعِبْرَةً وَمَوْعِظَةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ الكَافِرِينَ.

سَلَفاً - قُدْوَةً فِي اسْتِحْقَاقِ العَذَابِ.

ربع الحزب ٥٠

﴿٥٧﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ

(٥٧) - رُوِيَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ يَوْماً مَعَ الوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيِّ فِي المَسْجِدِ فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ حَتَّى جَلَسَ مَعَهُم، وَفِي المَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾(١). ثُمَّ قَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ثُمَّ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى فَقِيلَ لَهُ إِنَّ مُحَمَّداً خَصَمَ النَّضْرَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ آلِهَةٍ حَصَبُ جَهَنَّمَ. فَقَالَ آبْنُ الزِّبَعْرَى: وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ. سَلُوا مُحَمَّداً أَكل مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ المَلاَئِكَةَ، وَاليَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْراً، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ المَسِيحَ. فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ(فَقَالَ: كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيْطَانَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ).

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الآيَةَ الكَرِيمَةَ: **﴿إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مبْعَدُونَ﴾**(٢).

وَهَؤُلاَءِ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الحُسْنَى مِنَ اللهِ تَعَالَى، هُمُ الذِينَ مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلاَلَةِ أَرْبَاباً مِنْ دُونِهِ.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: لَمَّا ضَرَبَ آبْنُ الزِّبَعْرَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَثَلاً، وَجَادَلَ رَسُولَ اللهِ فِي عِبَادَةِ النَّصَارَى لَهُ إِذَا قَوْمُكَ يَرْتَفِعُ لَهُمْ ضَجِيجٌ وَجَلَبَةٌ مِنْ فَرَحِهِمْ بِهَذَا المَثَلِ الذِي ظَنُّوا أَنَّهُ أَفْحَمَ بِهِ النَّبِيَّ الكَرِيمَ.

مِنْهُ يَصِدُّونَ - يَضِجُّونَ وَيَصِيحُونَ وَيُصَفِّقُونَ فَرَحاً مِنْ أَجْلِهِ.

(أَآلِهَتُنَا)

(٥٨) - وَقَالَ الكَافِرُونَ إِنَّ آلِهَتَهُمْ لَيْسَتْ خَيْراً مِنْ عِيسَى، فَإِذَا كَانَ عِيسَى مِنْ حَصَبِ جَهَنَّمَ، كَانَ أَمْرُ آلِهَتِهِمْ أَيْسَرَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ لَمْ يَضْرِبُوا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَثَلاً إِلاَّ جَدَلاً لاَ لإِظْهَارِ الحَقِّ لأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾** (١). يَنْطَبِق عَلَى الأَوْثَانِ وَالأَصْنَامِ، وَلاَ يَنْطَبِقُ عَلَى عِيسَى وَالمَلاَئِكَةِ، لأَنَّ (مَا) تُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ العَاقِلِ، وَلَكِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ يُحِبُّونَ الجَدَلَ وَالحِجَاجَ.

قَوْمٌ خَصِمُونَ - لُدٌّ شِدَادُ الخُصُومَةِ بِالبَاطِلِ.

(جَعَلْنَاهُ) (إِسْرَائِيل)

(٥٩) - وَلَيْسَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ،

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٨.
(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠١.

وَجَعَلْنَاهُ آيَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِخَلْقِنَا إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، لِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللهِ العَظِيمِ ، وَلَيْسَتْ مُخَالَفَةُ العَادَةِ فِي خَلْقِهِ بِمُسْتَوْجِبَةٍ لِعِبَادَتِهِ.

مَثَلاً - آيَةً وَعِبْرَةً كَالمَثَلِ السَّائِرِ.

٦٠ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ

(مَلائِكَةً)

(٦٠) - وَلَوْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى لَجَعَلَ ذُرِّيَّتَكُمْ مَلائِكَةً يَخْلُفُونَكُمْ فِي الأَرْضِ . كَمَا يَخْلُفُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وَبِذَلِكَ تَعْرِفُونَ أَنَّ المَلائِكَةَ خَاضِعُونَ لِمَشِيئَةِ اللهِ وَإِرَادَتِهِ، فَهُمْ لاَ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَكُونُوا آلِهَةً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ - بَدَلاً مِنْكُمْ، أَوْ لَوَلَّدْنَا مِنْكُمْ.

٦١ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ

(صِرَاطٌ)

(٦١) - وَإِنَّ خَلْقَ اللهِ تَعَالَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، ثُمَّ بَعْثَهُ نَبِيّاً، كُلُّ ذَلِكَ أَمَارَةٌ وَدَلِيلٌ عَلَى قُرْبِ حُلُولِ السَّاعَةِ.

(وَقَدْ تَوَاتَرَت الأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مخبِرَةً بِنُزُولِ عِيسَى قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ، إِمَاماً عَادِلاً ،وَحَكَماً مُقْسِطاً).

فَلاَ تَشُكُّوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَنَّ السَّاعَةَ وَاقِعَةٌ لاَ رَيْبَ فِي ذَلِكَ وَلاَ شَكَّ، وَأَنَّهَا كَائِنَةٌ لاَ مَحَالَةَ، فَاتَّبِعُوا هُدَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، المُوصِلُ إِلَى الجَنَّةِ.

إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ - يُعْلَمُ قُرْبُهَا بِنُزُولِهِ.

فَلاَ تَمْتَرُنَّ - فَلاَ تَشُكُّنَّ فِي قِيَامِهَا.

٦٢ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

(الشَّيْطَانُ)

(٦٢) - وَلاَ تَغْتَرُّوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَشُبَهِهِ الَّتِي يُوقِعُهَا فِي قُلُوبِكُمْ لِيَمْنَعَكُمْ مِن اتِّبَاعِ الدِّينِ الحَقِّ الذِي دَعَاكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لآدَمَ وَبَنِيهِ، بَيِّنُ العَدَاوَةِ.

٦٣ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٦٣) - وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْمُعْجِزَاتِ الوَاضِحَةِ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ جَاءَهُمْ بِالشَّرَائِعِ الَّتِي فِيهَا صَلاحُ البَشَرِ (الحِكْمَةِ)، وَإِنَّهُ جَاءَ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ بَعْضَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ. ثُمَّ طَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَأَنْ يُطِيعُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، وَمَا يُبَلِّغُهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالتَّكَالِيفِ.

﴿٦٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ

﴿٦٥﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ

﴿٦٦﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

﴿٦٧﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ

﴿٦٨﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ

﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ

(صِرَاطٌ)

(٦٤) - ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ وَإِيَّاهُمْ عَبِيدٌ للهِ، فَهُوَ تعالَى المُتَفَرِّدُ بِالألوهيةِ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَوْجِبُ لِلْعِبَادَةِ والطَّاعَةِ، وَإِنَّ الذي أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ، هُوَ الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمُ وَكُلُّ الدِّيَانَاتِ جَاءَتْ بِمِثْلِهِ.

(٦٥) - وَلَكِنَّ الذينَ آمَنُوا بِرِسَالَةِ عِيسَى آخْتَلَفُوا فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ آبْنُ اللهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ اللهُ. وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى المُخْتَلِفِينَ الذِينَ غَالَوْا فِي عِيسَى فَقَالُوا فِيهِ مَا جَعَلَهُمْ يَكْفُرُونَ، وَيَخْرُجُونَ مِنْ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُم: الوَيْلُ والهَلاَكُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ الشَّدِيد الإِيلاَمِ.

فَوَيْلٌ - فَهَلاَكٌ أَوْ حَسْرَةٌ.

(٦٦) - فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلاَءِ المُغَالُونَ فِي شَأْنِ عِيسَى، القَائِلُونَ فِيهِ البَاطِلَ، إِلاَّ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فَجْأَةً وَهُمْ فِي غَفْلَتِهِمْ لاَ يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهَا، وَحِينَئِذٍ يَنْدَمُونَ وَلاَتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ، إِذْ لاَ يَنْفَعُهُم النَّدَمُ.

هَلْ يَنْظُرُونَ - هَلْ يَنْتَظِرُونَ.

بَغْتَةً - فَجْأَةً.

(يَوْمَئِذٍ)

(٦٧) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ صَدَاقَةٍ وَصُحْبَةٍ فِي الدُّنْيَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَى عَدَاوَةٍ إِلاَّ مَا كَانَ مِنْهَا فِي اللهِ، أَوْ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهَا تَبْقَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ دَائِمَةً بِدَوَامِ اللهِ تَعَالَى.

الأَخِلاَّءُ - الأَحِبَّاءُ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللهِ.

(يَا عِبَادِي)

(٦٨) - وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا عِبَادِي لاَ تَخَافُوا مِنْ عِقَابِي، فَقَدْ آمَنْتُكُمْ مِنْهُ، وَرَضِيتُ عَنْكُمْ، وَلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلَّفْتُمْ فِي الدُّنْيَا. فَالذِي آدَّخَرْتُهُ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْهُ.

(آمَنُوا) (بِآيَاتِنَا)

(٦٩) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ صِفَةَ الذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الأَمْنَ مِنَ اللهِ، وَالرِّضَا، فَلاَ يَخَافُونَ العَذَابَ، وَلاَ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ إِنَّ هَؤُلاَءِ هُمُ الذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَفَتْ نُفُوسُهُمْ، وَآنْقَادَتْ لِشَرْعِ اللهِ بَوَاطِنُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ.

﴿٧٠﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ

(أَزْوَاجُكُمْ)

(٧٠) - وَقَالَ لَهُمْ: ٱدْخُلُوا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ وَنُظَرَاؤُكُم الجَنَّةَ تَنْعَمُونَ فِيهَا وَتَسْعَدُونَ (تُحْبَرُونَ) بِمَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ وَلَا مَقْطُوعٍ.

تُحْبَرُونَ - تُسَرُّونَ سُرُوراً وَتَسْعَدُونَ.

﴿٧١﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(خَالِدُونَ)

(٧١) - وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرُّوا فِي الجَنَّةِ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَوَانٍ مِنْ ذَهَبٍ عَلَيْهَا أَنْوَاعُ الطَّعَامِ، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَكْوَابٍ لِلشَّرَابِ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِي كُلٍّ مِنَ الأَوَانِي وَالأَكْوَابِ مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ، وَتَتَلَذَّذُ بِهِ الأَعْيُنُ، فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنْعَمُونَ وَيَتَلَذَّذُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ إِكْمَالاً لِسُرُورِهِمْ: إِنَّهُمْ بَاقُونَ فِي هَذَا النَّعِيمِ فِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَداً.

أَكْوَابٍ - أَقْدَاحٍ لَا عُرَى لَهَا.

﴿٧٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ

(٧٢) - ثُمَّ يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الرَّاتِعِينَ فِي هَذَا النَّعِيمِ الدَّائِمِ: إِنَّ هَذِهِ هِيَ الجَنَّةُ، وَقَدْ جَعَلَهَا اللهُ بَاقِيَةً لَكُمْ كَالمِيرَاثِ الذِي يَبْقَى عَنِ المُوَرِّثِ، جَزَاءً لَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُم الصَّالِحَةِ، وَإِيمَانِكُمْ بِرَبِّكُمْ.

﴿٧٣﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ

(فَاكِهَةٌ)

(٧٣) - وَلَكُمْ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الفَوَاكِهِ مَا لَا حَصْرَ لَهُ تَأْكُلُونَ مِنْهَا مَا تَتَخَيَّرُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ لِتَتِمَّ لَكُم النِّعْمَةُ وَالغِبْطَةُ وَالحُبُورُ.

﴿٧٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ

(خَالِدُونَ)

(٧٤) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى حَالَ المُؤْمِنِينَ السُّعَدَاءِ فِي الجَنَّةِ، وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَفَاكِهَةٍ، وَنَعِيمٍ لَا يَبْلَى، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ حَالِ الكَفَرَةِ المُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ، فَقَالَ إِنَّ الكَفَرَةَ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً.

﴿٧٥﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ

(٧٥) - لَا يُخَفَّفُ العَذَابُ عَنْهُمْ لَحْظَةً، وَهُمْ سَاكِتُونَ يَائِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَفَرَجٍ.

يُفَتَّرُ عَنْهُمْ - يُخَفَّفُ عَنْهُمْ.

مُبْلِسُونَ - يَائِسُونَ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (٧٦)

(ظَلَمْنَاهُمْ) (الظَّالِمِينَ)

(٧٦) - وَمَا ظَلَمَ اللهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ المُجْرِمِينَ بِمَا أَنْزَلَهُ بِهِمْ مِنْ عِقَابٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَإِجْرَامِهِمْ وَهُمُ الذِينَ أَسَاؤُوا إِلَيْهَا، فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ إِلَى هَذَا المَصِيرِ السَّيِّءِ .

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ (٧٧)

(يَا مَالِكُ) (مَاكِثُونَ)

(٧٧) - وَحِينَمَا يَشْتَدُّ العَذَابُ بِالمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ يَضِجُّونَ فِي النَّارِ، وَيُنَادُونَ: يَا مَالِكُ (وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا لِيُرِيحَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ . فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَالِكٌ قَائِلاً لَهُمْ: إِنَّهُمْ مَاكِثُونَ فِي النَّارِ أَبَداً، وَلاَ مَجَالَ وَلاَ سَبِيلَ إِلَى خُرُوجِهِمْ مِنْهَا.

لِيَقْضِ - لِيُمِتْنَا حَتَّى نَرْتَاحَ.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٧٨)

(جِئْنَاكُمْ) (كَارِهُونَ)

(٧٨) - وَيُذَكِّرُهُم اللهُ تَعَالَى - أَوْ يُذَكِّرُهُمْ مَالِكٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ الكَرِيمِ - بِسَبَبِ شَقَائِهِمْ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى كَانَ أَرْسَلَ إِلَيهِم الرُّسُلَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الحَقِّ والهُدَى فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَأَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ (٧٩)

(٧٩) - لَقَدْ جَاءَهُم الحَق فَأَخَذُوا يَعْمَلُونَ عَلَى رَدِّهِ بِالبَاطِلِ ، وَيَكِيدُونَ وَيَمْكُرُونَ، وَيُدَبِّرُونَ قَتْلَ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَأَبْطَلَ اللهُ تَعَالَى كَيْدَهُمْ، وَرَدَّهُ إِلَى نُحُورِهِمْ إِذْ أَدْخَلَهُم النَّارَ يُعَذَّبُونَ فِيهَا، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً.

أَمْ أَبْرَمُوا - بَلْ أَحْكَمُوا كَيْداً لِلنَّبِيِّ.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠)

(نَجْوَاهُمْ)

(٨٠) - أَيَظُنُّ هَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ أَنَّنَا لاَ نَسْمَعُ مَا يُبَيِّتُونَ فِي سِرِّهِمْ، وَمَا يَجُولُ فِي خَوَاطِرِهِمْ، وَمَا يُدَبِّرُونَ وَمَا يَكِيدُونَ. إِنَّهُمْ مُخْطِئُونَ فِي هَذَا الظَّنِّ فَإِنَّنَا نَعْلَمُ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَالمَلاَئِكَةُ المُكَلَّفُونَ بِهِمْ يَكْتُبُونَ أَيْضاً أَعْمَالَهُمْ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (٨١)

(الْعَابِدِينَ)

(٨١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ الذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّ للهِ وَلَداً: إِنْ ثَبَتَ بِبُرْهَانٍ صَحِيحٍ وَحُجَّةٍ تُدْلُونَ بِهَا أَنَّ لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً، لَكُنْتُ أَنَا أَسْبَقَ مِنْكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَالانْقِيَادِ لَهُ، كَمَا يُعَظِّمُ الرَّجُلُ ابْنَ المَلِكِ إِكْرَاماً وَتَعْظِيماً لأَبِيهِ..

(٨٢) سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

(٨٣) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ

(٨٤) وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ

(٨٥) وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(٨٦) وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

(٨٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ

(سُبْحَانَ) (السَّمَاوَاتِ)

(٨٢) - يُنَزِّهُ اللهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِمَا مِنَ الخَلْقِ، وَرَبُّ العَرْشِ المُحِيطِ بِذَلِكَ، نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ المُشْرِكُونَ كَذِباً، وَمَا يَنْسُبُونَ إِلَيهِ مِنَ الوَلَدِ

(يُلاقُوا)

(٨٣) - فَاتْرُكْ، أَيُّهَا الرَّسُولُ، هَؤُلَاءِ المُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ، يَخُوضُوا فِي بَاطِلِهِمْ، وَيَلْعَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمُ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الذِي لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهُ، وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، وَيُلَاقُونَ جَزَاءَ مَا ٱفْتَرَوْهُ عَلَى اللهِ مِنَ الكَذِبِ.

يَخُوضُوا - يَدْخُلُوا مَدَاخِلَ البَاطِلِ.

(٨٤) - وَهُوَ اللهُ الذِي يَعْبُدُهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ، وَلَا تَصْلُحُ العِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، العَلِيمُ بِأَحْوَالِ العِبَادِ

فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ - مَعْبُودٌ فِي السَّمَاءِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٨٥) - وَتَقَدَّسَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ عَوَالِمَ وَمَخْلُوقَاتٍ، المُتَصَرِّفُ فِيهِمَا بِلَا مُدَافَعَةٍ، وَلَا مُمَانَعَةٍ مِنْ أَحَدٍ، وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ، وَعِنْدَهُ العِلْمُ بِمَوْعِدِ السَّاعَةِ لَا يَخُصُّ بِعِلْمِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ، وَإِلَيهِ يَرْجِعُ الخَلَائِقُ فَيُجَازِي كُلّاً عَلَى عَمَلِهِ.

تَبَارَكَ - تَعَالَى وَتَكَاثَرَ خَيْرُهُ.

(الشَّفَاعَةَ)

(٨٦) - وَالأَصْنَامُ والأَوْثَانُ التِي يَعْبُدُونَهَا لِتَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، وَلِتُقَرِّبَهُمْ إِلَيْهِ زُلْفَى، لَا تَسْتَطِيعُ يَوْمَ القِيَامَةِ القِيَامَ بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ، لَكِنَّ الذِي نَطَقَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ (شَهِدَ بِالحَقِّ)، وَكَانَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ مِنْ رَبِّهِ (كَالمَلَائِكَةِ وَعِيسَى) فَإِنَّ شَفَاعَتَهُمْ تَنْفَعُ عِنْدَ اللهِ بِإِذْنِهِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: لَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ وَآمَنَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ).

(وَلَئِنْ)

(٨٧) - وَلَئِنْ سَأَلْتَ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ بِاللهِ، العَابِدِينَ غَيْرَهُ، مَنْ خَلَقَهُمْ، وَخَلَقَ الخَلْقَ جَمِيعاً، لَيَعْتَرِفُنَّ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ،

(٨٨) وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ

(٨٩) فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

وَخَالِقُ كُلِّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ. وَلَكِنَّهُمْ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ هَذَا فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِمَّنْ لاَ يَمْلِكُ شَيْئاً، وَلاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ، فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ إِلَى طَرِيقِ الضَّلاَلَةِ لَوْ لَمْ يَكُونُوا فِي غَايَةِ الجَهْلِ، وَسَفَاهَةِ الرَّأْيِ؟

فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ - فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ.

(يَا رَبِّ)

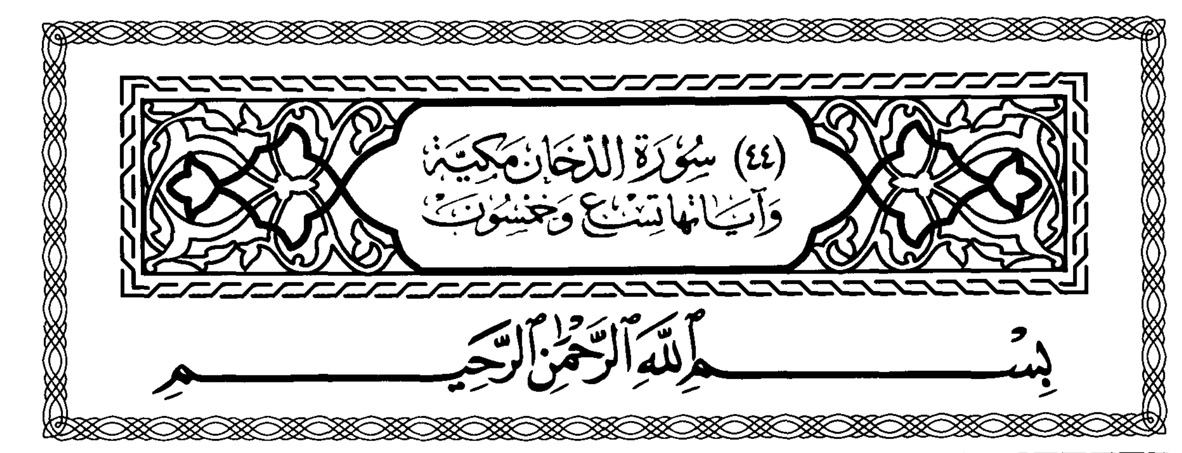
(٨٨) - وَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَشْكُو قَوْمَهُ: يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَ يُنْتَظَرُ إِيمَانُهُمْ.

قِيلِهِ - قَوْلِهِ.

(سَلاَمٌ)

(٨٩) - فَأَعْرِضْ عَنْ هَؤُلاَءِ المُعَانِدِينَ بَعْدَ أَنْ أَبْلَغْتَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ، وَلاَ تُجِبْهُمْ بِمِثْلِ مَا يُخَاطِبُونَكَ بِهِ مِنَ الكَلاَمِ السَّيِّءِ وَلَكِنْ تَأَلَّفْهُمْ، وَاصْفَحْ عَنْهُمْ قَوْلاً وَفِعْلاً، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أَنَّ عَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ هِيَ الخُسْرَانُ المُبِينُ.

سَلاَمٌ - أَمْرِي تَسَلُّمٌ وَمُتَارَكَةٌ لَكُمْ.



حمٓ ﴿١﴾

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾

(حَا. مِيمْ)

(١) - وَتُقْرأُ مُقَطَّعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ، اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(الْكِتَاب)

(٢) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، بِكِتَابِهِ المَجِيدِ، المُبَيِّنِ للنَّاسِ مَا يُصْلِحُ حَالَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ.

(أَنْزَلْنَاهُ) (مُبَارَكَةٍ)

(٣) - أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالقُرْآنِ المُبِينِ عَلَى أَنَّهُ بَدَأَ إِنْزَالَ القُرْآنِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، هِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1] - لِيَعْلَمَ النَّاسُ مَا يَنْفَعُهُمْ فَيَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا يَضُرُّهُمْ لِيَجْتَنِبُوهُ، وَلِتَقُومَ عَلَيْهِمْ حُجَّةُ اللهِ.

(٤) - وَفِي لَيْلَةِ القَدْرِ بَدَأَ سُبْحَانَهُ يُبَيِّنُ لِعِبَادِهِ مَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ أُمُورٍ مُحْكَمَةٍ لاَ تَغْيِيرَ فِيهَا وَلاَ تَبْدِيلَ.

(٥) - وَبَدَأَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِإِنْزَالِ ذَلِكَ التَّشْرِيعِ الكَامِلِ، الذِي فِيهِ صَلاَحُ البَشَرِ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، وَمِنْ شَأْنِهِ تَعَالَى أَنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ بِالكُتُبِ لإِبْلاَغِ العِبَادِ مَا يُرِيدُ.

(٦) - وَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ إِلَى العِبَادِ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ وَمَا يَنْفَعُهُمْ، وَحَتَّى لاَ تَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَهُوَ تَعَالَى السَّمِيعُ لأَقْوَالِ العِبَادِ، العَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ.

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥.

﴿٧﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ

﴿٨﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ

﴿٩﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ

﴿١٠﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ

﴿١١﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿١٢﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ

﴿١٣﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ

﴿١٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ

(السَّماوَاتِ)

(٧) - وَالـذِي أَنْـزَلَ الكُتُبَ عَلَى رُسُلِهِ، هُـوَ رَبُّ السَّمـاوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَخَالِقُهُما، وَمالِكُهُما وَمَا فِيهِما، هٰذَا إِنْ كُنتُم تطلُبُونَ مَعْرِفَةَ ذٰلِكَ مَعْرِفَةَ يقينٍ لا شَكَّ فِيها.

(آبائِكُمْ) (يُحْيِي)

(٨) - وهو الإِلٰهُ الذِي لا تَصلُحُ العِبادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ الذِي يُحيي مَا يَشاءُ مِمَّا يقبلُ الحَيَاةَ، ويُميتُ ما يَشَاءُ عندَ انتِهاءِ أَجلِهِ، وهُوَ خَالِقُكُمْ وخَالِقُ آبائِكم الأَوَّلِينَ فَاعبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا بِه شَيئاً.

(٩) - بَـلْ هٰؤلاءِ المُشْرِكُـونَ في شَكٍّ مِنَ التَّـوحيـدِ وَمَن البَعْثِ، وِمِنَ الاعْتِرافِ بِوحْدَانيةِ اللهِ، وقُـدْرَتِهِ عَلى الخَلْقِ، وَقـدْ قَابَلُوا دَعْـوَةَ الحقّ التِي جَاءَ بِها الرَّسُولُ، بِالهزْءِ والسُّخْرِيَةِ، فِعْلَ اللاعِبِ العَابِثِ.

(١٠) - قَـالَ آبْنُ مَسْعُـودٍ: إِنَّ قُـرَيشـاً لَمَّـا أَبْطَأَتْ عَنِ الإِسْـلامِ، وَآستَعْصَتْ عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ، دَعا اللهَ أَنْ يُنـزِلَ بِهِمْ سِنين كَسِنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ جُوعٌ، وَجهْدٌ عَظِيمَانِ، حَتَّى أَكَلُوا العِظَامَ والميتـةَ، وَجَعلُوا يَـرْفَعُونَ رُؤوسَهُمْ إِلى السَّماءِ فَلا يَـرَوْنَ إِلَّا الـدُّخَـانَ. فَـأَتى بَعْضُهُمْ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ آسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ فَإِنَّها قدْ هَلَكَتْ، فَآسْتَسْقَى لَهُم فَسُقوا، فَلَمَّا كَشَفَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمُ العَذَابَ عَادُوا إِلى حَالِهِم الأَوَّلِ.

(١١) - وَحِينَما تأتي السَّماءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ فَإِنَّه يَلُفُّ النَّاسَ، وَيُحيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانبٍ فَيَقُولُون: هٰذا عَذابٌ شَدِيدُ الإِيلامِ.

(١٢) - وَقَدْ أَبَانَ اللهُ تَعَالى في هٰذِه الآيَةِ الكَرِيمـةِ أَنَّ مُشْركي قُـرَيشٍ وَعَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بأَن يُؤمِنوا إِذا كَشَفَ عَنْهُمُ العَـذابَ، فَقالُـوا رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّنا آمَنَّا بِكَ.

(١٣) - وَكَيفَ يَتذكَّرُ هٰؤلاءِ، ويُوفُون بما وَعَدُوا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، مِنَ الإِيمانِ إِذا دَعَا لَهُم فَكَشَفَ عَنْهُمُ العَـذابَ، وَقَدْ جَـاءَهُمْ رَسُولٌ، بَيِّنُ الرِّسالةِ، مُؤَيَّدٌ بِالمُعجِزاتِ فَلَمْ يُؤمِنُوا لَه، وَكَذَّبُوهُ.

(١٤) - ثُمَّ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا: إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مَخْبولُ العَقْلِ، يُعَلِّمُهُ بَعْضُ الأَعَاجِمِ مَا يقُولُ، فَيدَّعِي بِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ عَليهِ مِنْ عِندِ اللهِ تَعَالى.

(١٥) إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ

(١٦) يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ

(١٧) ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ

نصف الحزب ٥٠

(١٨) أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

(١٩) وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ

(٢٠) وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ

(٢١) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ

(٢٢) فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ

(كَاشِفُو) (عَائِدُونَ)

(١٥) - إِنَّنا سَنَرْفَعُ عَنْهُم الضُّرَّ النَّازِلَ بِهِمْ لِبَعْضِ الوَقْتِ، فَنُنَزِّلُ عَلَيهِم المَطَرَ لِتنبتَ الأَرْضُ، وَإِنَّنا لَنَعْلَمُ أَنَّهمْ عَائِدُونَ إلى مَا كَانُوا عَليهِ مِنَ الكفرِ والتَّكذِيبِ.

(١٦) - وَيومَ القِيَامةِ يَبْطِشُ اللهُ تَعَالى بِهِم البَطْشَةَ الكُبْرى، وَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ أَشَدَّ الانْتِقامِ، وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ يَنْصُرهُمْ أو يَشْفَعُ لَهُمْ، فَيَنْدَمُونَ على مَا فَرَّطُوا في جَنبِ اللهِ، وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ.

(١٧) وَلَقَدْ آخْتَبَرَ اللهُ تَعَالى، قَبْلَ مُشْرِكي قَومِكَ يَا مُحمَّدُ، القِبْطَ مِنْ قومِ فِرْعَونَ، إذْ أَرْسَلَ اللهُ تَعالى إليهِمْ مُوسَى عَليهِ السَّلامُ، وَهُوَ رَسُولٌ كَريمٌ، فَكَفَروا بِما جاءَهُمْ بِهِ، وَسَخِروا مِنهُ عِناداً وآستِكْباراً.

(١٨) - فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَونَ وَقَومِهِ: أَدُّوا إِليَّ يَا عِبادَ اللهِ مَا هُوَ وَاجبٌ عَليكم، وآستَجِيبُوا لِدَعْوَةِ اللهِ تَعالى، فَإِنِي رَسُولُ اللهِ إِليكُم، وَإِنِي أَمينٌ فِيما أُبَلِّغكُمْ عَنْ رَبي.

(أَوِ آسْمَحُوا لِبَني إِسْرائيلَ أَنْ يَخرُجُوا مَعِي).

(آتِيكُمْ) (بِسُلْطَانٍ)

(١٩) - ولا تَسْتَكْبِرُوا عنِ آتِّبَاعِ آيَاتِ اللهِ تَعالى والانْقِيادِ إلى حُجَجِهِ، فإِني آتيكُم بِمُعْجِزاتٍ بَاهِرَةٍ، وأدلةٍ قَاطِعةٍ، عَلى صِدْقِ ما جِئْتُكُمْ بِهِ.

لا تَعْلُوا - لَا تَتَكَبَّرُوا ولا تَغْتَرُّوا.

بِسُلْطَانٍ - بِحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتي.

(٢٠) - وَإِنِّي أَلْتَجِىءُ إِلى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ أَنْ تَقْتُلُوني رَجْماً بِالحِجارَةِ.

إِنِّي عُذْتُ - إِنِّي آستَجَرْتُ وَآلتَجَأْتُ.

أَنْ تَرْجُمُونِ - أَنْ تَقْتُلُوني رَجْماً بِالحِجارَةِ.

(٢١) - وَإِذا لَمْ تُصَدِّقُوا ما جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا سَبِيلي وَدَعُوا الأَمْرَ مُسَالمةً بَيْني وَبَيْنَكُمْ إلى أَنْ يَقْضِيَ اللهُ تَعالى بَيْنَنا بِالحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ.

(٢٢) - وَلَمَّا طَالَ مُقَامُ مُوسَى بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، وَأَقَامَ الحُجَّةَ عَليهِمْ، وَلَمْ يَزِدْهُمْ ذٰلِكَ إِلَّا كُفْراً وَعِناداً وآسْتِكْباراً عَنِ الحَقِّ، وَرَفَضُوا أَنْ يُرسِلُوا مَعَهُ بَني إِسْرائِيلَ دَعا رَبَّهُ مُسْتَنْصِراً بِهِ عَلَيهِمْ، وَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ هٰؤُلاءِ

قَوْمٌ مُشْرِكُونَ بِكَ، مُكَذِّبونَ رَسُولَكَ، فَأَنزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ وَعَذَابَكَ المَوْعُودَ.

(٢٣) فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ

(٢٣) - وَحِينَئِذٍ أمرَه اللهُ تَعَالَى بِأَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرائيلَ لَيْلاً (يُسْرِي) مِنْ غَيرِ إذنِ فِرْعَوْنَ وَلاَ رَأْيِهِ، وَأَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى بِأَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَه سَيَتْبَعُونَ آثارَهُمْ.

فَأَسْرِ - سِرْ ببني إسْرائيلَ لَيْلاً.

مُتَّبعُونَ - يَتْبعُكُمْ فِرْعَونُ وَجُنْدُهُ.

(٢٤) وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ

(٢٤) - بَعْدَ أَنْ وَصَلَ مُوسى وَبَنُو إسْرائيلَ إلى البَحْرِ أَمَرَ اللهُ تَعَالى مُوسى بِأَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ البَحْرَ، فَانْفَلَقَ، ثُمَّ أَوْحى اللهُ إلى مُوسَى أَنْ يُجَاوِزَ بِبَنِي إسرائيلَ البَحْرَ من خِلالِ الفِرقِ الذِي حَدَثَ في المَاءِ مِنْ أَثَرِ ضَرْبَةِ مُوسَى، وَبَعْدَ أَنْ جَاوَزَ بَنُو إسرائيلَ البَحْرَ إلى الجَانِبِ الآخرِ، أرادَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ البَحْرَ بِعَصَاهُ لِيُعيدَهُ إلى مَا كَانَ عَلَيهِ لِكَيْلا يَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ مِنَ الفُروقِ الحَادِثَةِ في الماءِ، فَأَمرَ اللهُ تَعَالى مُوسَى بِتَركِ البَحْرِ كما هُوَ حِينَ مَرَّ بِهِ سَاكِناً يَابِساً (رَهْواً)، لأَنَّ اللهَ تَعَالى قدَّر بِأَنَّهُ سَيُغْرِقُ فِرْعَونَ وَقومَه فِيهِ، وَبشَّرَ مُوسى بِذلِكَ فَقَالَ لَهُ (إِنَّهُم جُنْدٌ مُغْرَقُونَ).

آتْرِكِ البَحرَ رَهْواً - هَادِئاً سَاكِناً أو مُنْفَرِجاً مَفْتُوحاً.

جُنْدٌ - جَماعَةٌ.

(٢٥) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ

(جنَّاتٍ)

(٢٥) - كَم تَركَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ قَبْلَ مَهلِكِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَسَاتينَ نَضِرَةٍ، وَحَدَائِقَ غَنَّاءَ، وَعُيُونِ ماءٍ جَارِيةٍ وَأَنْهارٍ.

(٢٦) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ

(٢٦) - وَكَمْ تركُوا مِنْ زُرُوعٍ نَاضِرَةٍ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ.

(٢٧) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ

(فاكِهِين)

(٢٧) - وَعَيْشٍ رَغِيدٍ كَانُوا يَتفَكَّهُونَ فِيهِ فَيَأْكُلُونَ مَا شَاؤُوا، وَيَلْبَسُونَ مَا أَحَبُّوا.

نَعْمَةٍ - تَنَعُّمٍ وَنَضَارَةِ عَيْشٍ.

فاكِهِينَ - نَاعِمِينَ مُتفَكِّهِينَ.

﴿٢٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ

(وَأَوْرَثْنَاهَا) (آخَرِينَ)

(٢٨) - فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالى فِي صَيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهٰكَذا يَفْعَلُ اللهُ بِالذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ، وَيُخَالِفُونَ عَنْ أمرِهِ فإِنَّهُ يُبِيدُهُمْ وَيُورِثُ أَرْضَهُمْ قَوْماً آخرينَ لَيْسُوا مِنْهُمْ فِي شيءٍ قَرابةً ولا دِيناً.

﴿٢٩﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ

(٢٩) - وَقَدْ كَانَ هٰؤلاءِ الطُّغاةُ العُتَاةُ هَيِّنِينَ عَلَى اللهِ، وَعَلى عِبادِ اللهِ، إِذْ لَم يَكُنْ لَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ يُرفَعُ إِلى السَّماء، وَلاَ عَمَلُ خيرٍ مَعَ عِبادِ اللهِ فِي الأرضِ يُذكرُ لهم، فَلم تبكِ لفَقْدِهم الأرضُ ولا السَّماءُ، وَلم يُمْهَلُوا لِتَوْبةٍ، وَإِنَّما عَجَّلَ اللهُ لَهُمُ العَذابَ دُونَ إِبْطَاءٍ. وَسَأَلَ رَجُلٌ علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هَلْ تَبكي السَّماءُ والأَرضُ عَلى أَحَدٍ؟ فَقالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلا لَهُ مُصَلّىً فِي الأَرْضِ، وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّماءِ، وَإِنَّ آلَ فِرْعَوْنَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ عَمَلٌ يَصْعَدُ فِي السَّماءِ، ثُمَّ قَرَأَ الآيةَ الكَرِيمَةَ.

﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ

(إِسْرائِيل)

(٣٠) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالى عَلَى بَني إِسْرائِيلَ إِذْ أَنقذهم من أسرِ فِرْعَوْنَ وَمِنْ عَذابِهِ المُهِينِ الذي أَخْضَعَهُمْ لَهُ، إِذْ كَانَ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي أَشَقِّ الأَعْمَالِ وَأَخَسِّها، وَكَانَ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحيي نِساءَهُمْ، زِيادَةً في النَّكالِ وَالإِذْلالِ.

﴿٣١﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ

(٣١) - وَكَانَ فِرْعَوْنُ جَبَّاراً عنيداً مُسْتَكْبِراً عَلَى قَومِهِ، مُسْرِفاً في الشَّرِّ وَالطُّغيانِ.

عالِياً - مُتَكَبِّراً جبَّاراً.

﴿٣٢﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

(اخْتَرْنَاهُمْ) (الْعَالَمِين)

(٣٢) - وَلَقدِ اصْطَفى اللهُ بَني إِسرائيلَ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ، بِما أَنزَلَ عَليهِمْ مِنَ الكُتُبِ، وَمَا أَرسَلَ إِليهِم مِنَ الرُّسُلِ وَالأَنبياءِ، وقدِ اصطَفَاهُمُ اللهُ وَهُوَ عَالمٌ بِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ حَمَلَةَ الإِيمانِ فِي زَمانِهِمْ.

عَلَى العَالَمِينَ - عَلَى العَالَمِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ.

﴿٣٣﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ

(آتَيْنَاهُمْ) (الآيَاتِ) (بَلاء)

(٣٣) - وَأَعْطاهُمُ اللهُ تَعَالى عَلَى يَدِ مُوسَى مِنَ الكَرامَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى كَرامَتِهِمْ عَلَى اللهِ تَعالى، فَأَنْجاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَظَلَّلَ عَليهِمُ الغَمامَ في صَحْراءِ سِيناءَ الشَّدِيدَةِ الحَرِّ، وَأَنزَلَ عَليهم المَنَّ والسَّلْوى لِيأْكُلُوا مِنْهُما، وَفَجَّرَ لَهُمُ المَاءَ مِنَ الحَجَرِ، وَنَصرَهُمْ عَلى أَعْدائِهِمْ.

بَلاءٌ مُبينٌ - اخْتِبَارٌ ظَاهِرٌ.

(٣٤) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ

(٣٤) ـ إنَّ مُشرِكي مَكَّةَ المُكَذِّبينَ بِالبَعْثِ وَالنُّشورِ يَقُولُونَ:

(٣٥) إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ

(٣٥) ـ لَيْسَ ثَمَّ إلاَّ هٰذِهِ الحَيَاةُ الدُّنيا، وَلاَ بَعْثَ بَعْدَ المَوتِ، وَلاَ حَشْرَ وَلاَ حِسابَ.

بِمُنْشَرِينَ ـ بِمَبْعُوثِينَ بَعْدَ مَوْتِنا.

(٣٦) فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(بآبائنا) (صادِقِينَ)

(٣٦) ـ فَإذا كَانَ حَقّاً مَا تَقُولُونَ مِنْ أَنَّ اللهَ تَعالى سَيَبْعَثُ الخَلاَئِقَ يَوْمَ القِيامَةِ لِيُحاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمالِهِمْ فَعَجِّلُوا لَنَا بِإِحياء آبائِنا المَاضِينَ لِنَعْلَمَ صِدْقَكُمْ فِيما تَقُولُونَ.

(٣٧) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ

(أَهْلَكْناهُم)

(٣٧) ـ وَلَقَدْ كَانَ قَوْمُ تُبَّعٍ أَكْثَرَ مِنْ مُشْرِكي مَكَّةَ قُوَّةً، وَأَكْثَر غِنىً، وَأَعَزَّ نَفَراً، وَكانَ قَبْلَ قَوْمِ تُبَّعٍ أَقْوامٌ أُخْرَى ذَوُو غِنىً وَقُوَّةٍ أَهْلَكَهُمْ اللهُ جَميعاً، وَخَرَّبَ دِيارَهُمْ لما عَتَوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ لأَنَّهُمْ كَانُوا مُجرِمِينَ، وَهذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ في المُجرِمِينِ المكَذِّبينَ، أَنْ يُهْلِكَهُمُ اللهُ، وَلاَ يُبْقِي لَهُمْ في أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيةٍ، فَلْيَعْتَبِرْ كُفَّارُ قُرَيشٍ بِمَا حَلَّ بِغَيرِهِمْ.

قَوْمُ تُبَّعٍ ـ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ اليَمَنِ مِنْ حِمْيَر.

(٣٨) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ

(السَّماوَاتِ) (لاَعِبِينَ)

(٣٨) ـ يُنَزِّهُ اللهُ تَعالَى نَفْسَهُ الكَريمَةَ عَنِ اللَّعِبِ وَالعَبَثِ وَالبَاطِلِ، فَيَقُولُ إنَّهُ لم يَخْلُقِ الخَلْقَ عَبَثاً وَدُونَ حِكْمَةٍ، كَأَنْ يُوجِدَهُمْ ثُمَّ يُفْنِيهِمْ دُونَ امتِحَانٍ وَابتِلاءٍ، وَدُونَ مُجازاةٍ عَلَى العَمَلِ، إنْ خَيْراً فَخيراً وَإنْ شَرّاً فَشَرّاً.

(٣٩) مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(خلقناهُما)

(٣٩) ـ إنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَخلقِ الخَلْقَ إلاَّ لِحكْمَةٍ مَقْصُودَةٍ، وَذٰلِكَ لِيَدُلَّ النَّاسَ بِخَلْقِهِمْ عَلَى وُجُودِ الخَالِقِ وَوَاحدَانِيَّتِهِ، وَوُجُوبِ الإِطَاعَةِ وَالإِنابَةِ إِلَيهِ، وَلكِنَّ أَكْثَرَ المُشْرِكينَ لاَ يَعْلَمُونَ، وَلِذلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَخَافُونَ مِنْ سُخْطِهِ عَلَيهِم لما يَجْتَرِحُونَهُ مِنَ السَّيِّئاتِ، وَهُم لاَ يَرْجُونَ ثَوابَهُ عَلَى مَا يَفْعلُونَه مِنْ خَيرٍ.

﴿٤٠﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ

(مِيقَاتُهُمْ)

(٤٠) - إنَّ يومَ القِيَامَةِ الذِي يَفْصِلُ اللهُ تَعالى فِيهِ بَينَ الخَلاَئِقِ، فَيُحِقُّ الحَقَّ ويُبطِلُ البَاطِلَ، هُوَ آتٍ لاَ مَحالَةَ، وَهُوَ مَوعِدُ حِسَابِهِمْ وَجَزائِهِمْ عَلَى مَا عَمِلُوا في الدُّنيا مِنْ خَيرٍ وَمِنْ شَرٍّ.

يَوْمَ الفَصْلِ - يَوْمَ القِيَامَةِ والحِسَابِ.

﴿٤١﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

(٤١) - وَفي ذَلِكَ اليومِ تَتَقطَّعُ الأسبابُ بينَ النَّاسِ، فَلا يَسْأَلُ فيهِ قَريبٌ عَنْ قَريبٍ، وَلاَ يَنْفَعُ النَّاسَ إلاَّ عَمَلُهُمْ، وَلاَ يَدْفَعُ أَحدٌ عَنْ أَحدٍ شَيئاً مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلاَ يَنْصُرُ القَرِيبُ قَرِيبَهُ، وَلا يَنْصُرُه أَحَدٌ مِنْ بأسِ اللهِ.

لاَ يُغْنِي مَولىً - لاَ يَدفَعُ صَدِيقٌ أو قَرِيبٌ.

﴿٤٢﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(٤٢) - وَلاَ يَنْفَعُ النَّاسَ في ذَلكَ اليَومِ إلاَّ رَحْمَةُ اللهِ، فَمَنْ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى مِنْهُمْ، فإِنَّهُ لاَ يَحتَاجُ إلى قَرِيبٍ يَدْفَعُ عَنْهُ، وَلا إلى نَاصِرٍ يَنْصُرهُ، واللهُ تَعالَى هُوَ العَزِيزُ في انتِقامِهِ مِنْ أعدائِه، الرَّحيمُ بأَوليائِهِ وأَهلِ طَاعتِه.

﴿٤٣﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ

(شَجَرَةَ)

(٤٣) - الزَّقُّومُ ثَمرُ شَجَرةٍ خَبيثَةٍ تَخرُجُ في أَصْلِ النَّارِ وَثَمرُهَا كَريهٌ، وَلكِنَّ أَهْلَ النَّارِ لاَ يَجِدُونَ مَا يَأكُلُونَ غَيرَه لِذلِكَ فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَ إلى أَكْلِهِ وَهُمْ كَارِهُونَ.

شَجَرَةَ الزَّقُّومِ - شَجَرٌ يَنْبُتُ فِي النَّارِ.

﴿٤٤﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ

(٤٤) - وَيَقُولُ اللهُ تَعَالى إنَّ مَصِيرَ الكَافِرِ الكَثِيرِ الذُّنُوبِ والآثَامِ (الأثيم) يَكُونُ إلى نَارِ جَهنَّم، وَإِنَّ طَعَامَه سَيَكُونُ مِنْ شَجَرةِ الزَّقُّومِ.

﴿٤٥﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ

(٤٥) - وَيَقُولُ اللهُ تَعالى إنَّ ثَمرَ الزَّقُّومِ يَكُونُ كَعَكَرِ الزَّيتِ الأَسْوَدِ، وَهُوَ يَغْلِي فِي بُطُونِ آكِليهِ بِفِعلِ حَرارةِ الجَحِيمِ.

المُهْلِ - دُرْدِيُّ الزَّيتِ - عَكَرِهِ - ذَوْبِ المَعَادِنِ.

﴿٤٦﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ

(٤٦) - كَمَا يَغْلِي المَاءُ الشَّدِيدُ الحَرارةِ الذِي بَلَغَ النِّهايَةَ في الغَلَيانِ.

الحَمِيمِ - الماءِ الذِي بَلَغَ النِّهَايَةَ فِي الحَرَارةِ.

﴿٤٧﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ

(٤٧) - وَيُقَالُ للزَّبَانِيةِ مِنْ حَرسِ جَهنَّم: خُذُوا هَذا المُجْرِمَ الأَثِيمَ فَادْفعُوهُ دَفْعاً بِغِلْظَةٍ وَعُنْفٍ إلى وَسَطِ نَارِ جَهنَّم لِيَنَالَ جَزاءَهُ عَلَى كُفْرِهِ وَآثامِهِ.

اعتِلُوهُ - ادفعُوهُ أَوْ جُرُّوهُ بغلْظَةٍ وَعُنْفٍ.

سَوَاءِ الجَحِيمِ - وَسَطِهَا.

(٤٨) ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ

(٤٨) - وَيُقَالُ لِحَرَسِ جَهَنَّمَ مِنَ المَلاَئِكَةِ: بَعْدَ أَنْ تُدْخِلُوهُ وَسَطَ الجَحِيمِ، صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنَ الماءِ الشَّديدِ الحَرَارَةِ زِيَادَةً في العَذَابِ.

الحَمِيمِ - المَاءِ الذي بَلَغَ النِّهايَةَ فِي الحَرَارةِ.

(٤٩) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ

(٤٩) - وَبَعْدَ إدخالِهِ إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ، وَصَبِّ الحَمِيمِ فَوْقَ رَأْسِهِ، يُقَالُ لَهُ عَلَى سَبيلِ التَّقريعِ والاسْتِهزاءِ بِهِ: ذُقْ هٰذا العَذَابَ المُذِلَّ المُهِينَ اليَومَ، فإِنَّكَ كُنْتَ فِي الدُّنيا تَزْعُمُ أَنَّكَ العَزِيزُ في قَومِكَ، الكَرِيمُ في حَسَبِكَ.

(٥٠) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ

(٥٠) - وهٰذا العَذَابُ المُذِلُّ المُهِينُ، الذِي تَتَذَوَّقُونَ طَعْمَهُ اليَوْمَ، هُوَ العَذَابُ الذِي كُنتُم تَتَشَكَّكُونَ فيهِ يَوْمَ كُنتُم في الدُّنيا، ولا تَعْتَقِدُونَ أَنَّ المُكَذِّبِينَ سَيُلاَقُونَ شيئاً مِنْهُ، فَهَا أَنتُمْ قَدْ لَقِيتُمُوهُ اليَوْمَ فَذُوقُوهُ.

بِهِ تمترُونَ - تُجَادِلُونَ فِيهِ وتُمَارُون.

(٥١) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ

(٥١) - وَبعدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الأَشْقِياءَ وَحَالَهم يَوْمَ القِيَامةِ، وَمَا يُلاَقُونَهُ مِنْ أهوالٍ وعَذابٍ، أَتبَعَ ذٰلِكَ بِبَيَانِ حَالِ المؤمنينَ الصَّالِحِينَ في ذٰلِكَ اليَومِ الشَّديدِ الهَوْلِ، فَقَالَ تَعالَى: إنَّ الذِينَ اتَّقَوا اللهَ في الدُّنيا سَيكُونُونَ في مَكَانٍ يُقِيمُونَ فيهِ، ويَأْمَنُونَ فيهِ المَوْتَ وَالهَمَّ والحُزْنَ والعَذَابَ.

(٥٢) فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ

(جَنَّاتٍ)

(٥٢) - وَسَيكُونُونَ في حَدَائِقَ وَارِفَةِ الظِّلاَلِ، كَثِيرَةِ الفَواكِهِ، كَثِيرةِ المِياهِ، وَالأنهارُ تَسْرَحُ في أَرْجَائِها، وَسَيكُونُ لَهُمْ حَقُّ التَّمتُّعِ بِجَمِيعِ ما فِيها مِنَ النَّعِيمِ بِدُونِ حِسَابٍ ولا تحدِيدٍ.

(٥٣) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ

(مُتَقَابِلِينَ)

(٥٣) - ويَلْبَسُونَ، وَهُم في هٰذا النَّعِيمِ، ثِيَاباً مِنَ الحَريرِ الرَّفِيعِ (سُنْدُسٍ)، وَثِيَاباً مِنْ قماشٍ مُزَيَّنٍ بأَشْياءَ ذَاتِ بَريقٍ وَلَمَعَانٍ (إستَبْرَقٍ)، وَيَجْلِسُونَ في الجَنَّةِ عَلَى سُرُرٍ وَهُمْ مُتَقابِلُون شَأْنَ المُتَحَابِّينَ الذِينَ يُقْبِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ في الحَدِيثِ، وَذٰلِكَ زِيَادَةً فِي الإِينَاسِ.

السُّنْدُسُ - رَقِيقُ الدِّيبَاجِ.

الإِسْتَبْرَقُ - الثِّيابُ ذَاتُ اللمَعَانِ وَالبَريقِ، وقيلَ إِنَّهُ غَلِيظُ الدِّيبَاجِ.

٥٤ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ

٥٥ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ

٥٦ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ

٥٧ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

٥٨ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

٥٩ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ

(زَوَّجْناهُم)

(٥٤) ـ وَفَوْقَ هٰذا العَطاءِ الكَريمِ فإنَّ اللهَ تَعالى مَنَحَهُمْ زَوْجاتٍ حِسَاناً واسِعاتِ العُيُون (عِينٍ).

زَوَّجْناهُمْ ـ قَرَنَّاهُمْ.

(فاكِهةٍ) (آمِنِينَ)

(٥٥) ـ وَيَطْلُبُونَ ما يَشْتَهُونَ مِنْ أنواعِ الفاكِهَةِ وَهُمْ آمِنُونَ مِنْ أنْ تَنْقَطِعَ عَنْهُم، وَمِنْ أنْ يُصِيبَهُمْ مِنْها أذًى.

يَدْعُونَ ـ يَطْلُبُون وَيَتمَنَّوْنَ.

(وَوَقَاهُمْ)

(٥٦) ـ وَلَا يَخْشَوْنَ في الجَنَّةِ مَوْتاً أبَداً، بَعْدَ أنْ ذاقُوا، طَعْمَ المَوْتَةِ الأولى حِينَ انْقِضاءِ آجالِهِمْ فِي الحَياةِ الدُّنيا، وَقَدْ وَقَاهُمُ اللهُ وَنَجَّاهُمْ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ الأَلِيمِ.

(٥٧) ـ وَقَدْ أنْجاهُمُ اللهُ تَعالى مِنْ عَذابِ الجَحِيمِ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفِ المَوْتِ تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيهِمْ، وَإحسَاناً مِنْهُ إليهِمْ، وهٰذا الذي فازَ بِهِ هٰؤلاءِ الكِرامُ البَرَرَةُ، مِنْ عَطاءِ رَبِّهِمْ، وَفَضْلِهِ، وَكَرمِهِ، هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ.

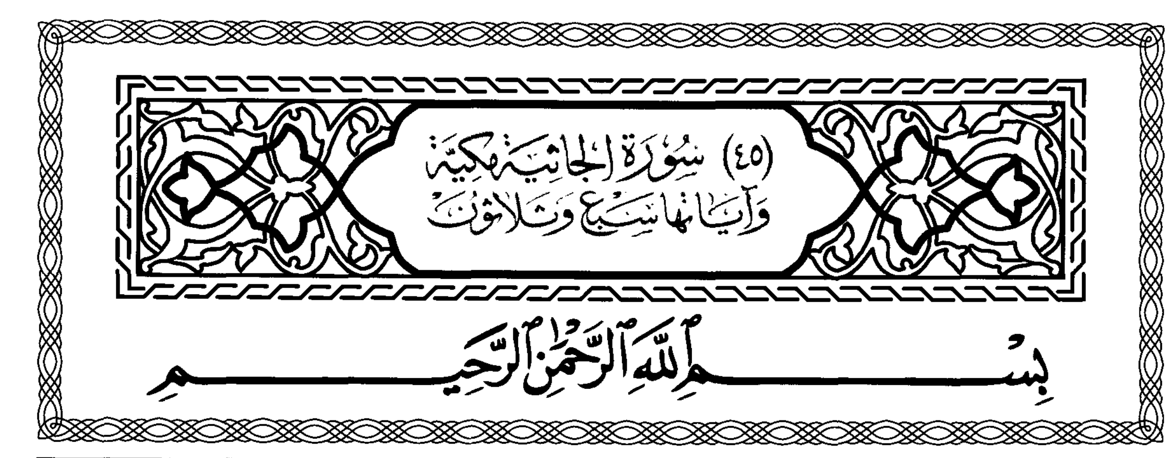
(يَسَّرْناهُ)

(٥٨) ـ وَقَدْ جَعَلْنا هٰذا القُرآنَ سَهْلاً وَاضِحاً جَلِيّاً، وَأنْزَلْناهُ بِلِسانِكَ وَلِسَانِهِمْ لَعَلَّهم يَفْهَمُونَ مَعانِيَهُ، وَيُدْرِكُونَ مَرَامِيَهُ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، وَيُذْعِنوا لِلْحَقِّ.

(٥٩) ـ فَانْتَظِرْ مَا يَحِلُّ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ مَا يَحِلُّ بِكَ، وَسَيَعْلَمُونَ لِمَنْ يَكُونَ النَّصْرُ والغَلَبَةُ والظَّفَرُ، وَعُلُوُّ الكَلِمَةِ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

فَارتَقِبْ ـ فَانتَظِرْ مَا يَحِلُّ بِهِمُ.

إنَّهُمْ مُرتَقِبُونَ ـ إنَّهم مُنْتَظِرُونَ مَا يَحِلُّ بِكَ.



﴿حمٓ ١﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ٢﴾

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣﴾

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤﴾

(حا. مِيمْ)

(١) ـ اللهُ أعْلَمُ بِمُرادِهِ.

(الْكِتَاب)

(٢) ـ إنَّ هٰذا القُرآنَ الكَريمَ أنزَلَهُ اللهُ تَعالَى وَهُوَ العَزِيزُ القَاهِرُ لِكُلِّ شَيءٍ، الحَكِيمُ في خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَتَدْبيرِهِ.

(السَّماوَاتِ) (لآيَاتٍ)

(٣) ـ وَقَدْ خَلَقَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ السَّماواتِ والأَرضَ وَمَا فِيهنَّ مِنْ أشياءَ باهرةٍ، وَنِظامٍ بَديعٍ دَقِيقٍ، وَأَوْجبَ عَلَى خَلْقِهِ أن يَتمعَّنُوا في هٰذا الخَلقِ العَظِيمِ البَدِيعِ، لِيَسْتَدِلُّوا بِهِ عَلَى وُجُودِ الخَالِقِ وَعَظَمتِهِ وَحِكْمَتِهِ وقُدْرَتِهِ، وَعَلَى أنَّ هٰذا الخَلْقَ لم يُخْلَقْ عَبَثاً، وَإنَّما خُلِقَ بِالحَقِّ، لِحِكْمَةٍ يَعْرِفُها وَيُقَدِّرُهَا اللهُ تَعالَى وَحْدَهُ. والمُؤمِنُونَ هُمْ وَحْدَهُمْ الذِينَ يُفَكِّرُونَ في هٰذا الخَلْقِ، وَيَتَوصَّلُون بِفِكْرِهِمْ إلى الإيمانِ بِخَالِقِه.

(آيَاتٌ)

(٤) ـ وَإنَّ في خَلْقِ اللهِ النَّاسَ عَلَى أطْوارٍ مُخْتَلِفَةٍ، وفي أحسَنِ صُورةٍ وَتَقويمٍ، وفي خَلْقِ الحَيوانَاتِ والدَّوابِ. . . لأَدِلَّةً وَبَراهِينَ عَلَى وُجُودِ الخَالِقِ، وَوَحْدانِيَّتِهِ، لِقَومٍ يَتفكَّرُونَ في هٰذا الخَلْقِ فَيُؤْمِنُونَ بِوُجودِ خَالِقِهِ إيماناً يَقِينياً.

يَبُثُّ ـ يَنْشُرُ وَيُفَرِّقُ.

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ ٥

(اخْتِلاَفِ) (اللَّيْلِ) (الرِّيَاحِ) (آيَاتٌ)

(٥) - وَإِنَّ فِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى الخَلْقِ، وَتَقَارُضِهِمَا الطُّولَ والقِصَرَ، وَفِيمَا أنزَلَ اللهُ تَعَالَى مِنْ مَطَرٍ مِنَ السَّماءِ تَحيَا بِهِ الأَرضُ بَعْدَ مَوْتِهَا، ويَخْرُجُ بِهِ فِيهَا مِنَ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُجدِبَةً يَابِسَةً، وَفِي تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَتَوْجِيهِهَا إلى الجِهَاتِ المُخْتَلِفَةِ... إنَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لأَدِلَّةً وَحُجَجاً للهِ عَلَى خَلْقِهِ، بِأَنَّهُ لم يَخْلُقْهُمْ عَبَثاً وَبَاطِلاً، وَإِنَّما خَلَقَهُم لِيَعْبُدُوهُ.

تَصرِيفِ الرِّيَاحِ - تَقْلِيبِها فِي مَهَابِّها وَأَحْوالِها.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ ٦

(آيَاتُ) (وآيَاتِهِ)

(٦) - هٰذِه آيَاتُ القُرآنِ، بِمَا فِيهَا مِنَ الحُجَجِ وَالبَيِّنَاتِ، نَتلُوهَا عَلَيكَ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةُ الحَقِّ، فإذا كَانُوا لا يُؤْمِنُون بِها، وَلاَ يَنْقَادُونَ إليها، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ، وَبِأَيَّةِ آيةٍ وَحُجَّةٍ يُؤْمِنُ هٰؤُلاءِ وَيُصَدِّقُونَ، بَعْدَ حَدِيثِ اللهِ، وَبَعْدَ حُجَجِهِ وَبَراهِينِهِ وَآيَاتِهِ؟

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ ٧

(٧) - فَالوَيْلُ وَالهَلاكُ لِكُلِّ كَذَّابٍ فِي قَوْلِهِ، أَثِيمٍ فِي فِعْلِهِ وَقَلْبِهِ، كَافِرٍ بآيَاتِ اللهِ تَعَالى.

وَيْلٌ - هَلاَكٌ وَحَسْرَةٌ وَشِدَّةُ عَذَابٍ.

أَفَّاكٍ أثيمٍ - كَذَّابٍ كَثِيرِ الإثْمِ.

﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ ٨

(آيَاتِ)

(٨) - يَسْمَعُ آياتِ اللهِ تُقرأُ عَلَيهِ ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى كُفرِهِ، وَجُحُودِهِ، عِنَاداً وَاسْتِكْباراً، كَأَنَّهُ لَم يَسْمَعْهَا. فَأَخْبِرْهُ يَا أَيُّها الرَّسُولُ، بِأَنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ، يَومَ القِيَامَةِ عَذَاباً مُوجِعاً أَليماً.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ ٩

(آيَاتِنَا) (أُولَئِكَ)

(٩) - وَإذا وَصَلَ إلى هٰذا الجَاحِدِ العَنِيدِ المُسْتَكْبِرِ، خَبَرُ شَيءٍ من آيَاتِنا، جَعَلَها هُزواً وَسُخْرِيةً. وهٰؤلاءِ الأَفَّاكُونَ الآثِمُونَ المُتَّصِفُونَ بالصِّفَاتِ التي وَرَدَتْ في الآيتينِ السَّابِقَتينِ لَهُمْ عَذَابٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مُذِلٍ مهِينٌ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهم وَاسْتِهزائِهِمْ بِالْقُرآنِ، وَاسْتِكبَارِهِمْ فِي الأَرضِ.

(هذهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، فَحِينَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالى قَوْلَهُ الكَرِيمَ ﴿إِنَّ

شَجرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأثيمِ ﴾(١) دَعَا أبو جَهْلٍ بِتَمْرٍ وزبدٍ، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ: تزَقَّمُوا مِنْ هٰذا، مَا يَعِدُكُمْ مُحَمَّدٌ إلاَّ شَهْداً. وَحِينَ سَمِعَ قَوله تَعَالى ﴿عَلَيها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(٢) أيْ عَلَى النَّارِ، قَالَ: (إنْ كَانُوا تِسْعَةَ عَشَر فَأنَا القَاهُمْ وَحْدي).

١٠ مِن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(وَرائِهِمْ)

(١٠) - وَسَيَصِيرُون فِي الآخِرةِ إلى نَارِ جَهَنَّمَ التي تَنْتَظِرُهُمْ، وَلَنْ تُغني عَنْهُمْ أوْلاَدُهُم وَلاَ أمْوالُهُمْ التي كَسبُوها في الحَياةِ الدُّنيا، ولَنْ تُفِيدَهُم الآلِهةُ التِي عَبَدُوها، مِنْ دُونِ اللهِ شيئاً، وَسَيُعَذَّبُون عَذاباً أليماً لا يُقدَّرُ قَدرُهُ.

لا يُغْنِي عَنْهُمْ - لاَ يَدفَعُ عَنْهُمْ.

١١ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ

(بآيَاتِ)

(١١) - هٰذا القُرآنُ، الذِي أنزلَهُ اللهُ تَعَالى عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُوَ هُدًى يَهدِي إلى الحَقِّ، وإلى صِراطِ اللهِ المُستَقِيمِ. والذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ، التِي أنزَلَها عَلَى رُسُلِه، لَهُم في الآخِرةِ العَذَابُ الأليمُ المُوجعُ.

رِجْزٍ - أشَدُّ العَذَابِ.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٠

١٢ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(١٢) - يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالى عَلَى عِبَادِهِ بِما سَخَّرَ لَهمْ مِنَ البَحْرِ لِتَسيرَ فيهِ السُّفُنُ وَالمَرَاكِبُ بِأمْرِهِ تَعَالى، تَحمِلُهم مِنْ جِهَةٍ إلى جِهَةٍ هُمْ وَبَضَائِعَهم وأمتِعَتَهُم. لِيتجِرُوا بِها، وَيؤمِّنُوا رِزْقَهم وَمَعَاشَهُمْ، وَما يَحْتَاجُونَ إليهِ مِنَ الأقواتِ، وَلِيسْتَخرِجُوا من البَحرِ اللُّؤلُؤَ والمرجَانَ والأسْماكَ، وغَيْرَ ذٰلِكَ. وَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالى بِذٰلِكَ كُلِّهِ عَلَى عِبادِهِ لَعَلَّهُم يَشْكُرُونَه عَلَى هٰذهِ النِّعَمِ الوَفِيرةِ، فَيعبُدُوهُ وَيُطِيعُوا أمْرَهُ.

١٣ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(السَّماوَات) (لآيَاتٍ)

(١٣) - وسَخَّرَ اللهُ تَعَالَى لِعِبادِهِ ما في السَّماواتِ مِنْ نُجومٍ وَكَواكِبَ، وَمَا في الأرضِ مِنْ بِحَارٍ وَأنهارٍ وَدوابَّ وَأشْجارٍ، وَنَباتَاتٍ، وَرِيَاحٍ، وَأمْطَارٍ.. لِتَقُومَ بِهِ مَعَايِشُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ، وَفي كُلِّ ذٰلِكَ آياتٌ تدلُّ أصْحابَ العُقولِ السَّليمةِ عَلَى أنَّ الخَالِقَ الرَّازِقَ، المُسَخِّرَ لِكُلِّ ذٰلِكَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

---

(١) سورة الدخان الآيتان ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة المدثر الآية ٣٠.

﴿١٤﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ

(آمَنُوا)

(١٤) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ - وَكَانَ ذٰلِكَ في بَدْءِ أَمرِ الإِسْلامِ - بِأَنْ يَصْبِرُوا عَلَى أَذى المُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ، الذِينَ لَا يَخافُونَ عَذابَ اللهِ وَنِقَمَهُ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ تأَلُّفاً لِقُلُوبِهِمْ، فَإِذَا صَفَحُوا عَنْهُمْ فِي الدُّنيا، فَإِنَّ اللهَ يُجازِيهِمْ بِأَعْمالِهِمُ السَّيِّئَةِ يَوْمَ القِيامَةِ.

ثُمَّ لمَّا اسْتَمَرَّ هٰؤلاءِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنادِهِمْ وَإِيذائِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، شَرَعَ اللهُ تَعالى الجِهادَ لِلْمُؤمِنين، وَدَفْعَ الأَذى عَنْ دِينِهِمْ وَعَنْ أَنفُسِهِمْ.

(وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ هُوَ أَنَّ يَهُودِياً اسْمُهُ فِنْحاصُ سَمِعَ قَولَ اللهِ تَعالى ﴿مَنْ ذَا الذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[1]. فَقالَ اليَهُودِيُّ: أَحتاجَ رَبُّ مُحمَّدٍ؟ فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ذٰلِكَ اسْتَلَّ سَيْفَهُ، وَخَرَج في طَلَبِ اليَهُودِيِّ، فَجاءَ جِبْريلُ، عَلَيهِ السَّلامُ، بِهذِهِ الآيَةِ إلى رَسُولِ اللهِ، فَأَرسَلَ الرَّسُولُ يَطْلُبُ عُمَرَ، فَلَمَّا جاءَهُ أَمَرَهُ بِوَضْعِ سَيْفِهِ).

لَا يَرجُونَ أَيَّامَ اللهِ - لَا يَتَوقَّعُونَ وَقَائِعَهُ بِأَعْدائِهِ.

﴿١٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ

(صَالِحاً)

(١٥) - مَنْ عَمِلَ مِنْ عِبادِ اللهِ عَمَلاً صَالِحاً يُرضِي اللهَ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ عَمِلَ لِنَفْسِهِ، لأَنَّ عَلَيها وَحْدَها تَعُودُ عَاقِبَةُ عَمَلِه، وَاللهُ تَعَالى غَنِيٌّ عَنْ عَمَلِ العِبادِ. وَمَنْ أَساءَ العَمَلَ في الدُّنيا، وَعَصَى رَبَّه، وَاسْتَرسَلَ في كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، فَإِنَّ مَضَرَّةَ ذٰلكَ تَعُودُ عليهِ، ثُمَّ يَصيرُ الخَلْقُ جميعاً إلى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُحَاسِبُ كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْراً فَخيراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً.

﴿١٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

(آتَيْنَا) (إِسرَائِيلَ) (الْكِتَابَ) (وَرَزَقْنَاهُمْ) (الطَّيِّبَاتِ) (فَضَّلْنَاهُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٦) - يَذْكُرُ اللهُ تَعَالى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ إِنزالِ الكُتُبِ عَلَيهِم، وَإِرسَالِ الرُّسُلِ إِليهِم، وَمِنْ جَعْلِهِ المُلْكَ فِيهِمْ، وَمِنْ رِزْقِهِ إِيَّاهُمْ طَيِّباتِ المآكِلِ وَالمَشارِبِ، وَمِنْ تَفْضِيلِهِمْ عَلى أَهْلِ زَمانِهِمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ في أُمَّةٍ مِنَ الأَنبياءِ مِثْلَما كَانَ فِيهِمْ.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٥.

(١٧) وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

(وآتَيْناهُم) (بيِّنَاتٍ) (الْقِيامَة)

(١٧) - وَقَدْ آتاهُمُ اللهُ تَعالَى أَحْكاماً وَمَواعِظَ مُؤَيَّدَةً بِالمُعْجِزاتِ، وَهٰذا يَسْتَدعِي أُلْفَتَهُمْ واجتِماعَهُم، وَلٰكِنَّهُم لَمّا جاءَهُمُ العِلْمُ اخْتَلَفُوا. وَكانَ سَبَبَ اختِلافِهِمْ الحَسَدُ، والاعتِداءُ، وَالتَنافُسُ على الرِّئاسَةِ. وربُّكَ يا محمَّدُ يَقْضِي يومَ القِيامَةِ بينَ هٰؤلاءِ المختَلِفينَ مِنْ بَني إسرائيلَ فِيما كانُوا يَختَلِفونَ فيهِ في الدُّنيا.

(وفي هٰذا تحذيرٌ للمُسلِمينَ مِن أنْ يَختَلِفُوا كَما اختَلَفَ بَنُو إسرائيل).

بَغْياً بينَهُمْ - حَسَداً وَعَداوةً.

(١٨) ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

(جَعلْنَاكَ)

(١٨) - لَقَدْ بَعَثَكَ اللهُ يا مُحمَّدُ، بَعْدَ اختِلافِ أهلِ الكِتابِ، عَلَى مِنهاجٍ واضِحٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ شَرَعَهُ لَكَ، ولمنْ قبلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَاتَّبِعْ ما أُوْحى إليكَ رَبُّكَ، وَلا تَتَّبِعْ ما دَعاكَ المُشرِكونَ الجاهِلُون إليهِ مِن عِبادةِ آلهتِهم، فَهٰؤلاءِ لا يَعلَمُونَ طَريقَ الحقِّ.

شَريعةٍ مِنَ الأمرِ - طَريقَةٍ وَمِنهاجٍ مِنْ أمرِ الدِّينِ.

(١٩) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ

(الظَّالِمينَ)

(١٩) - وهٰؤلاءِ الجاهِلُونَ لا يَدْفَعُونَ عَنْكَ شَيئاً مِمّا أَرادَهُ اللهُ بِكَ إنِ اتَّبعْتَ أَهْواءَهُمْ، وَتَرَكْتَ شَرْعَ رَبِّكَ. والكافِرونَ يَتَولَّى بَعْضُهُمْ بَعْضاً في الدُّنيا، وَيُظاهِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، أمَّا في الآخِرةِ فلا يُغني أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شيئاً. أمَّا المُتَّقون المهتَدُون فإنَّ اللهَ وَلِيُّهم يَنْصُرُهُم وَيُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ.

لَن يُغْنُوا - لَنْ يَدْفَعُوا عَنْكَ.

(٢٠) هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

(بَصائِرُ)

(٢٠) - إنَّ هٰذا القُرآنَ هُدى ودَلائِلُ للنَّاسِ فِيمَا يحتَاجُونَ إليهِ في أمرِ دِينِهم، وَهُوَ بَيِّناتٌ تُبصِّرُهُم، وَتُعرِّفُهُم بواجِباتِهِمْ نَحْوَ رَبِّهِم، وَهُوَ هُدًى يَهدِيهم إلى مَا فيهِ خَيرُهُمْ وَصَلاحُ أمرِهِم، وَفيهِ الرَّحمةُ لِقومٍ يُوقِنُونَ بأنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِندِ اللهِ رَبِّ العالمينَ.

بَصائِرُ للنّاسِ - بَيِّناتٌ تُبصِّرُهُمْ سَبيلَ الفَلاحِ.

(٢١) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (مَحْيَاهُم)

(٢١) - أَيَظُنُّ الذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ، وَاكْتَسَبُوا الآثَامَ وَالمَعَاصِيَ فِي الدُّنيا، فَكَفَرُوا بِاللهِ، وكَذَّبوا رسُلَهُ، وخَالَفُوا أوامِرَه.. أَن يُسَاوِيَهُمُ اللهُ بالذِينَ آمنُوا بِهِ، وَصَدَّقوا رُسُلَه، وَعَمِلُوا الأعمالَ الصَّالحةَ في الدُّنيا؟ إن اللهَ تَعَالى لا يُسَاوِي بَينَ هٰؤُلاءِ وَهٰؤُلاءِ في الدُّنيا، وَفِي رَحمةِ اللهِ ورِضْوانِهِ في الآخِرةِ. وَجعَلَ اللهُ الكَفَرَةَ الفَجَرةَ فِي ذُلِّ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي فِي الدُّنيا، وفِي لَعْنَةِ اللهِ وَعَذَابِهِ الخَالِدِ فِي نَارِ جَهنَّمَ فِي الآخِرَةِ. فَشَتَّانَ مَا بينَ هٰؤُلاءِ وَهٰؤلاءِ، وَسَاءَ مَا ظَنُّهُ، وَمَا قَدَّرَهُ هٰؤُلاءِ المُجرِمُونَ، تَعَالى اللهُ مِنْ أَنْ يُسَاوِيَهُمْ بِالمُؤْمِنينَ الأَطْهَارِ.

اجترَحُوا السَّيِّئَاتِ - اكتَسَبُوا الكُفْرَ والمَعَاصِي.

(٢٢) وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٢) - لَقَد خَلَقَ اللهُ تَعالى السَّماواتِ والأرضَ بِالحقِّ والعَدْلِ، وَلَم يَخْلُقْهُما لِلْعَبثِ واللهْوِ، وَمِنَ العَدْلِ أَنْ لاَ يُسَوِّيَ في المُعَامَلَةِ بَينَ الكفَرَةِ المُجْرِمِينَ، وَبَينَ المُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَاللهُ تَعَالَى يَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِأَعْمالِهَا، وَلاَ يَظْلِمُ أَحداً شَيئاً، فَلا يَحْمِلُ عَلَى نَفْسٍ مَا لم تَعْمَلْهُ مِنْ سُوءٍ، وَلاَ يُنْقِصُهَا أجرَ عَمَلٍ عَمِلَتْهُ.

(٢٣) أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

(أَفرأَيتَ) (هَوَاهُ) (غِشَاوَةً)

(٢٣) - أَفَلا تَرَى إلى حَالِ هٰذا الذِي اتَّبعَ هَواهُ، وَأَتبعَ نَفْسَهُ هَوَاها، فَلا يَهوَى شَيْئاً إلا فعلَه، لا يَخافُ ربّاً، وَلا يَخشى عِقَاباً، وَأَضَلَّهُ اللهُ فَلَمْ يَجْعَلْهُ يَسْلُكُ سَبيلَ الرَّشَادِ، لأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّه لا يَهْتَدِي وَلَو جَاءَتْهُ كُلُّ آيةٍ.

وَختَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى سَمْعِهِ فَأَصْبَحَ لاَ يَتَأَثَّر بما يُتلى عَلَيهِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَختَم عَلَى قَلبِهِ فَلَم يَعُدْ يَعِي مَا هُوَ الحَقُّ، وَمَا هُوَ الصَّوابُ، وَجَعَلَ اللهُ عَلَى بَصرِهِ غِشَاوَةً فلم يَعُدْ يُبصِرُ حُجَجَ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلَمْ يَعُدْ يَنْتَفِعُ بِهَا. فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أن يُوَفِّقَ مِثْلَ هٰذَا الضَّالِّ، الخَاضِعِ لِهَوَاهُ، إلى الهُدَى، وَإِصَابَةِ الحَقِّ إِنْ لم يَهدِهِ اللهُ، أَفَلا تَتَفكَّرُونَ وَتَذْكُرُونَ؟

أَفرأَيتَ - أَخْبِرْنِي.

غِشَاوَةً - غطَاءً حَتَّى لاَ يُبْصِرَ.

﴿٢٤﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ

(٢٤) - وَقَالَ المُشْرِكُونَ مُنْكِرِينَ البَعْثَ والنُّشُورَ في الآخِرَةِ: لَا حَياةَ أُخْرَى بَعْدَ هٰذِهِ الحَياةِ، فَنحنُ نَعِيشُ في هٰذِه الحَياةِ ثُمَّ نَمُوتُ، وَيحيا أَبناؤنَا مِنْ بعدِنا، وَلا مَعادَ، وَلا يُفني العِبادَ غيرُ كَرِّ اللَّيالي، وَمَرِّ الأَيَّامِ (الدَّهْرُ). وَلَيسَ لِهٰؤُلاءِ القَائِلينَ هٰذا القَوْلَ دَليلٌ عَلَى صِحَّةِ قَولِهِم أَنْ لَا حَيَاةَ أُخْرى، وَلا يُهلِكُ العِبادَ إِلَّا كَرُّ الأيامِ، وَمَرُّ الدُّهُورِ، وإِنَّهم إِنَّما يَقُولُونَ ذٰلِكَ عَلَى سَبيلِ الظَّنِّ والتَّخْمِينِ وَالتَّوَهُّمِ. وَالظَّنُّ لا يُغْنِي عَنِ الحَقِّ شَيئاً.

(وَجَاءَ في الحَديثِ: يَقُولُ تَعَالى يُؤْذِيني ٱبنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأَنا الدَّهْرُ، بِيَدي الأَمرُ أُقلِّبُ لَيلَهُ وَنهارَهُ).

(وَفي رِوايَةٍ: لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الدَّهرُ). (أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

﴿٢٥﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

(آيَاتُنَا) (بَيِّنَاتٍ) (بِآبَائِنا) (صَادِقِينَ)

(٢٥) - وَإِذا قُرِئَتْ عَلَى هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ آياتُ القُرآنِ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ البَعْثَ حَقٌّ، وأَنَّ اللهَ سَيُعِيدُ خَلْقَ العِبادِ يَوْمَ القِيامَةِ لِيُحَاسِبَهُم عَلَى أَعْمالِهِمْ، وَأَنَّهُ تَعالى قَادِرٌ عَلَى إِعادَةِ الأَبدانِ بَعْدَ فَنائِها إِلى مَا كَانَتْ عَلَيهِ، فإِنَّ هٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ لَا يَجِدُونَ حُجَّةً يَدْحَضُونَ بِها ذٰلِكَ إِلَّا قَوْلَهُمْ: إذا كَانَ مَا تَقُولُونَهُ حَقّاً، فَابعَثُوا لَنا آباءَنا الأَوَّلِينَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَأَعِيدُوهُمْ إِلى الحَياةِ حَتَّى نُصَدِّقَ مَا تَقُولُونَ.

﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(الْقِيامَة)

(٢٦) - فَقُلْ يَا أَيُّها الرَّسُولُ لِهٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ، المُنْكِرِينَ لِوُقُوعِ البَعْثِ وَالمَعادِ، والحِسَابِ والجَزاءِ، عَلَى الأَعْمالِ... إِنَّ اللهَ هُوَ الذي أَحْياكُمْ وأَخْرَجَكُمْ إِلى الوُجودِ مِنَ العَدَمِ، وَسَتَعِيشُونَ مَا قُدِّرَ لَكُمْ مِنْ حَياةٍ، ثُمَّ إِذا ٱنقضَتْ آجالُكُمْ أَماتَكُمْ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُحْيِيكُمْ وَيحشُرُكُمْ إِليه جَميعاً يومَ القِيامةِ. وَيومُ القِيامَةِ آتٍ لَا شَكَّ فيهِ وَلا رَيبَ، وَلا شَكَّ وَلا رَيبَ في نَشْرِكُمْ وَحَشْرِكُم إِلى رَبِّكُم لِيُحَاسِبَكُمْ عَلَى أَعمالِكُم، وَلٰكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ قُدْرةَ اللهِ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُم يُنْكِرُونَ البَعْثَ، وَيَسْتَبعِدُونَ عَوْدَةَ الأَجْسادِ إِلى الحَياةِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ تُراباً.

﴿٢٧﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ

(السَّماوَاتِ) (يَوْمَئِذٍ)

(٢٧) - وَاللهُ تَعَالى هُوَ مَالِكُ السَّماواتِ والأَرضِ، وَهُوَ الحَاكِمُ فيهما في الدُّنيا والآخِرةِ، وَلا تَملِكُ الأَصْنَامُ وَالأَوثَانُ والأَندادُ شيئاً. وَيومَ

(٢٨) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٢٩) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٣٠) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ

(٣١) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

(٣٢) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ

تقومُ السَّاعةُ يَبْعَثُ اللهُ الخلائقَ مِنَ القُبورِ، ويحشُرُهُمْ إليهِ، وحينئذٍ يُدركُ الكافِرُونَ، المُنكِرُونَ لِلْبَعْثِ، أنَّهم قدْ خسِروا خُسراناً مُبيناً بِكُفرِهِمْ باللهِ، وتَكْذِيبِهِمْ كُتُبَهُ ورُسُلَهُ.

(كِتابِها)

(٢٨) - وفي اليومِ الذي تَقومُ فيهِ السَّاعةُ، تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثيةً على رُكَبِها، مِنْ شِدَّةِ الهَوْلِ في ذٰلِكَ اليومِ، وتُدْعَى كُلُّ أُمَّةٍ إلى كِتابِ أعمالِها الذي أودعَ فيهِ الملائكةُ الكاتِبونَ أعمالَ الخلائقِ، ويُقالُ لَهُمْ: هٰذهِ هيَ أعمالُهُم في الحَياةِ الدُّنيا، وَسَيُجْزَونَ بِها.

جاثِيَةً - بارِكَةً عَلَى الرُّكَبِ، لِشِدَّةِ الهَوْلِ.

كِتابِها - صَحائِفِ أعمالِها.

(كِتابُنا)

(٢٩) - ويُقالُ لَهُمْ: هٰذا هُوَ كِتابُنَا الذي سَجَّلْنا فيهِ جَميعَ أعْمالِكُم في الحَياةِ الدُّنيا، مِنْ غَيرِ زِيادةٍ ولا نُقْصانٍ، وَقَدْ أمَرْنا الملائكةَ الحافِظِينَ بِنَسْخِ أعْمالِكُمْ وإثباتِها في صَحائِفِكُمْ، فَهُوَ وفْقَ ما عمِلْتُم بالضَّبْطِ.

نَسْتَنْسِخُ - نأْمُرُ المَلائِكَةَ بنسخٍ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٣٠) - فَأمَّا الذينَ آمَنَتْ قُلوبُهُمْ، وعَمِلَتْ جَوارِحُهُم الأعْمالَ الصَّالحةَ، فإنَّ اللهَ يُكافِئُهُمْ عَلَى إيمانِهِمْ بأنْ يُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ؛ والظَّفَرُ بِدُخولِ الجَنَّةِ فَوْزٌ عَظِيمٌ لا يَعْدِلُهُ فَوْزٌ.

(آياتي)

(٣١) - وأمَّا الذين كفَروا باللهِ، وَكَذَّبوا رُسُلَهُ، وأنكَروا كُتُبَه وَشَرْعَهُ، فَيُقالُ لَهُم، عَلَى سَبيلِ التَّقريعِ والتوبيخِ: ألم تَكُنْ رُسُلُ رَبِّكُم يَتلُونَ عَلَيكم آياتِهِ فَكُنْتُم تَستكبِرُونَ عَنِ الإيمانِ بها، وَكُنتُم قَوْماً مُجرِمينَ في أفعالِكُمْ.

(٣٢) - وكُنْتُم إذا قالَ لَكُمُ الرَّسُولُ والمؤمِنُونَ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وإنَّ اللهَ سَيَبْعَثُكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ قُبورِكم لِيُحاسِبَكُمْ عَلَى أعمالِكُمْ، وإنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيبَ في ذٰلِكَ ولا شَكَّ، فاتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بهِ، وَصَدِّقُوا رُسُلَهُ، فَكُنْتُم تَقُولُونَ عُتُوّاً وَاستِكْباراً: ما هيَ هٰذهِ السَّاعَةُ التي تَتَحدَّثُونَ عَنْها؟ إنَّنا لا نَعرِفُها ولا عِلمَ لَنا بِها، ونَحْنُ نَظُنُّ وُقُوعَها ظَناً، وَمَا نَحْنُ بِموقنِينَ أنَّها آتِيَةٌ.

﴿٣٣﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

(يستهْزئُونَ)

(٣٣) - وَظَهرَتْ لَهُم في ذلِكَ المَوقِفِ قَبائِحُ أعْمَالِهِمْ، وَأحاطَ بِهِم العَذَابُ الذِي كَانُوا يَسْخَرونَ مِنهُ، وَيَسْتَهزِئُونَ به، وَيَسْتَبعِدُونَ وُقوعَهُ.

حاقَ بِهِمْ - نَزَلَ بِهِمْ وَأَحَاطَ بِهِمْ.

﴿٣٤﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ

(نَنْسَاكُمْ) (وَمَأْواكُم) (ناصِرينَ)

(٣٤) - ويُقالُ لَهُم: إنَّكُمْ نَسِيتُم لِقاءَ هذا اليَومِ فَلَمْ تَعْمَلُوا لَهُ عَمَلاً يَنْفعُكُم، وَلِذَلِكَ فَإنَّ اللهَ سُبحانَهُ وَتَعالى سَيُدْخِلُكُمُ النَّارَ لِيُجازِيَكُمْ عَلى أعمالِكُمُ السَّيِّئَةِ، وَسَيَنْسَاكُم فِيها لِتَخلُدُوا في العَذَابِ، كَمَا نَسِيتُمْ أَنَّكُمْ سَتُحْشَرُونَ إلى اللهِ، وَأنَّكُمْ سَتُلاقُونَهُ في هذا اليَومِ الشَّدِيدِ الهَولِ، وَلَنْ تَجِدُوا مَنْ يُنْقِذُكُمْ مِنْ هذا العَذَابِ.

نَنْسَاكُمْ - نَتْرُكُكُم في العَذَابِ.

مَأْوَاكُمُ النَّارُ - مَنْزِلُكُم وَمَقَرُّكُمْ.

﴿٣٥﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ

(آيَاتِ) (الْحَيَاةُ)

(٣٥) - ويُقالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقرِيعِ والتَّوبِيخِ: إنَّ الذِي حَلَّ بِكُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ إنَّما سَبَبُهُ أَنَّكُم اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللهِ مَوْضُوعاً لِلْهُزْءِ والسُّخرِيَةِ، وَخَدَعَتْكُمُ الحَيَاةُ الدُّنيا فَاطْمَأْنَنْتُمْ إليها، فَأَصْبَحْتُم مِنَ الخَاسِرينَ، فاليَومَ لا تُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ، ولا تُرَدُّونَ إلى الدُّنيا لِتَتُوبُوا وَتَعْمَلُوا صَالِحاً. وَلا يُطلَبُ مِنْهُمْ في ذَلِكَ اليَومِ أنْ يَسْتَرْضُوا رَبَّهم الكَرِيمَ بالاعْتِذارِ إليهِ لِيُزيلُوا عَتَبَهُ عَلَيهِمْ، لِفَواتِ أوانِ ذَلِكَ.

غَرَّتْكُمْ - خَدَعَتْكُم بِبَهْرَجِها.

يُستَعْتَبُونَ - يُطْلَبُ مِنهُم الرُّجُوعُ إلى مَا يُرْضِي اللهَ.

﴿٣٦﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(السَّماوَاتِ) (الْعَالَمِينَ)

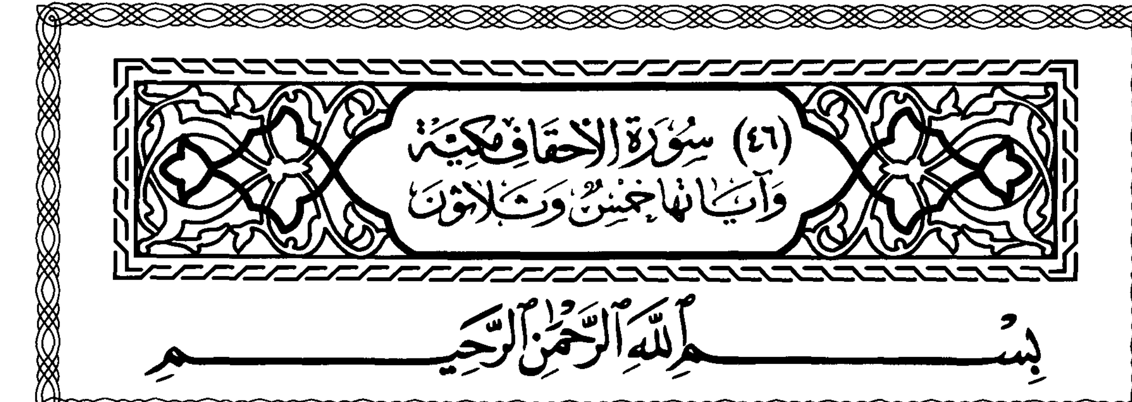
(٣٦) - فَلِلَّهِ الحَمْدُ والثَّناءُ عَلَى أَنْعُمِهِ وَأَفْضالِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ رَبُّ السَّمَاواتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَخَالِقُهُما وَمَالِكُهُما، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ في هذا الوُجودِ.

﴿٣٧﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(السَّماوَاتِ)

(٣٧) - وَلِلَّهِ العَظِيمِ وَحْدَهُ الجَلالُ والسُّلْطَانُ، فِي السَّمَاواتِ والأرضِ، وَكُلُّ شَيءٍ خَاضِعٌ لَهُ، فَقيرٌ إليهِ، وَهُوَ العَزِيزُ الذِي لا يُمانَعُ ولا يُغَالَبُ، وَهُوَ الحَكِيمُ في أَفْعَالِهِ وَأَقْوالِهِ.

لَهُ الكِبْرِيَاءُ - لَهُ العَظَمَةُ وَالمُلْكُ وَالجَلالُ.





حمٓ ﴿١﴾

(حا. ميم)

(١) - وتُقرأُ مُقَطَّعةً كُلُّ حَرْفٍ عَلى حِدَةٍ (حا - مِيمْ) اللهُ أَعْلَمُ بِمُرادِهِ.

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾

(الْكِتاب)

(٢) - إنَّ هٰذا الكِتابَ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى، العَزِيزُ الذِي لا يُغالَبُ، الحَكِيمُ في شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ، عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ لِيَكُونَ نَذِيراً لِلنَّاسِ بَيْنَ يَدَي عَذابٍ أَلِيمٍ.

مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

(السَّماوَاتِ)

(٣) - لَم يَخْلُقِ اللهُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ إلَّا بِالحَقِّ والعَدْلِ وَالحِكمةِ التي اقْتَضَتْها مَشِيئَتُهُ تَعالى، لا لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ والتَّسلِيَةِ. وَقَدَّرَ لِهٰذهِ الكَائِنَاتِ أَجَلاً مُعَيَّناً لِبَقائِها، لا يَزِيدُ ولا يَنقُصُ، فإذا حَانَ ذٰلِكَ الأَجَلُ قَامَتِ القِيامَةُ، وَبُعِثَ النَّاسُ، وَحُوسِبَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ على عَمَلِهِ في الحَياةِ الدُّنيا، وَجُزِيَ بِعَمَلِهِ.

وَمَعَ أَنَّ اللهَ تَعالى قَدْ نَصَبَ الأَدِلَّةَ لِلْعِبادِ في الأَنفُسِ وفي الآفاقِ عَلَى وُجُودِهِ، وَوحْدانِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلى الخَلْقِ، ثُمَّ أَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلى النَّاسِ بالكُتُبِ مُحذِّرِينَ وَمنذِرِينَ، فَإِنَّ الذِينَ كَفَرُوا استَمَرُّوا في كُفرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَإعراضِهِمْ عَنْ نُذُرِ اللهِ.

أَجَلٍ مُسمىً - هُوَ يَوْمُ القِيامَةِ.

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴿٤﴾

(أَرأَيْتُم) (السَّماوَاتِ) (بِكِتَابٍ) (أَثَارَةٍ) (صَادِقِينَ)

(٤) - قُلْ - يَا مُحَمَّدُ - لِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ: تَأَمَّلُوا في خَلْقِ هٰذا الكَوْنِ،

أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

وَمَا فِيهِ مِنْ كَائِنَاتٍ، ثُمَّ أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِ الآلِهَةِ التِي تَدْعُونَها مِنْ دُونِ اللهِ، هَلْ خَلَقُوا شَيئاً مِنَ الكَائِنَاتِ المَوْجُودَةِ في الأَرْضِ لِيَسْتَحِقُّوا العِبَادَةَ مِنْ أَجْلِ خَلْقِهِ؟ وَلَوْ أَنَّهم كَانُوا خَلَقُوا شَيئاً لَظَهَرَ التَّفَاوُتُ في الخَلْقِ بينَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَمَا خَلَقُوهُ هُمْ.

وَلٰكِنَّ خَلْقَ الكَونِ مُتَنَاسِقٌ بَدِيعٌ، وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ نِظَامٍ وَٱتِّسَاقٍ وَجَمالٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خَالِقَهُ وَاحِدٌ. وَإِذ ظَهَرَ أَنَّهُمْ لَم يَخْلُقُوا شَيْئاً في الأَرْضِ، فَإِنَّهُمْ لاَ شَرِكَةَ لَهُمْ فِي خَلْقِ شَيءٍ في السَّماواتِ لِيَسْتَحِقُّوا العِبَادَةَ مِنْ أجلِ خَلْقِهِ، أو الاشتِراكِ في خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

إِنَّ المُلْكَ كُلَّهُ للهِ، وَلَهُ وَحْدَهُ التَّصَرُّفُ في الوُجُودِ، فَكَيفَ تَعبُدُونَ مَعَهُ غَيرَهُ؟ وَكَيفَ تُشرِكُونَ الأَصْنَامَ مَعَهُ في العِبَادَةِ؟ وَمَنْ أَرْشَدَكُم إِلى هٰذا؟ آللهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَكُمْ بهذا؟ أَمْ هُوَ شَيءٌ ٱقْتَرَحْتُمُوهُ أَنْتُمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُم؟ فَإذا كَانَ مَا تَقُولُونَهُ عَنْ عِبادَتِكُمْ لهذِهِ الآلهةِ والأَصْنَامِ والأَوثَانِ حَقّاً، فَهَاتوا كِتَاباً مِنْ كُتُبِ اللهِ المُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِهِ يَأْمُرُكُمْ فِيهِ بِعِبَادَتِها، أَوْ هَاتُوا شَيئاً تَبَقَّى لَكُمْ مِنْ عِلْمِ الأَوَّلِينَ المُفَكِّرِينَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ يُرشِدُ إلى ٱسْتِحْقَاقِ الأَصْنَامِ لِلْعِبَادَةِ؟

لَهُم شِرْكٌ - شَرِكَةٌ وَنَصِيبٌ مَعَ اللهِ.

أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ - بَقِيَّةٍ مِنْ عِلْمٍ عِنْدَكُمْ.

(٥) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ

(يَدْعُو) (الْقِيامَة) (دُعَائِهِمْ) (غَافِلُونَ)

(٥) - وَيُقَرِّعُ اللهُ تَعالى المُشْرِكِينَ، الذِينَ يَتْرُكُونَ عِبَادَةَ اللهِ القَادِرِ القَاهِرِ المُبْدِعِ، وَيَعْبُدُونَ أَصْناماً وَأَوْثَاناً لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، فَيقُولُ تَعالى: لاَ أَحَدَ أَكْثَرُ ضَلاَلاً مِمَّنْ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً هِيَ أَصْنَامٌ وَأَوثَانٌ، لاَ تَسْمَعُ دَعْوَتَهُم إذا دَعَوْهَا، وَلاَ تَسْتَجِيبُ لِدُعَائِهِمْ أَبَدَ الدَّهْرِ (إلى يومِ القِيامَةِ) إذا دَعَوْهَا، إِذْ إِنَّ هٰذهِ الآلِهَةَ في غَفْلَةٍ عَنْ دُعَاءِ مَنْ يَدْعُوها لأَنَّها حِجَارَةٌ صَمَّاءُ لاَ حَياةَ فِيهَا، لاَ تَسْمَعُ ولا تُبْصِرُ، وَلاَ تَتَكَلَّمُ.

(٦) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ

(كَافِرِينَ)

(٦) - وَالمَعْبُودَاتُ التِي يَعْبُدُهَا الكَفَرَةُ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ تَنْفَعُ عَابِدِيها شَيْئاً فِي الدُّنيا وَكَذٰلِكَ فَإِنها لاَ تَنفَعُهُم فِي الآخِرَةِ، وَسَتَكُونُ عَلَيْهِمْ ضِدّاً فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ، إِذْ أَنَّها سَتَكْفُرُ بِعِبادَتِهِمْ إِيَّاهَا، وَسَتَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ وَهُمْ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهَا.

﴿٧﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ
هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ

﴿٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ
فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ
بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

﴿٩﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ

﴿١٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ
وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ

(آياتُنا) (بيِّناتٍ)

(٧) - وإذا تُليَتْ عَلى هٰؤلاءِ الكافِرينَ آياتُ اللهِ، وَهِيَ بَيِّنَةٌ جَلِيَّةٌ واضِحَةٌ، قالُوا: هٰذا سِحْرٌ واضِحٌ يُؤثِّرُ في النُّفوسِ، كَما يُؤثِّرُ السِّحْرُ فِيمَنْ شاهَدَهُ.

(افْتَراهُ)

(٨) - أم إنَّهُم يَقُولُونَ: إنَّ مُحمَّداً افْترى القُرآنَ، وَوَضَعهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَنَسَبَهُ إلى اللهِ تَعالى. وَيأمرُ اللهُ تَعالى رَسُولَه الكَريمَ ﷺ بأنْ يَرُدَّ عَلى فِرْيَةِ هٰؤلاءِ المُفتَرِينَ، وأنْ يَقولَ لَهُمْ: لَوْ أنَّني كَذَبْتُ عَلى اللهِ، وَزَعَمْتُ أنَّهُ بَعَثَني إليكُم رَسُولاً، وَهُوَ لَم يَبْعَثْني رَسُولاً، لَعاقَبَني عِقاباً شَديداً، وَلَمْ يَقْدِرْ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الأرضِ أن يُجيرَني مِنْهُ، فَكَيفَ أجْرُؤُ عَلَى الإقْدامِ عَلَى هٰذِهِ الفِرْيَةِ، وأُعرِّضُ نَفْسِي لِعِقابِ اللهِ؟ وَاللهُ أعْلَمُ مِنْ كُلِّ واحِدٍ بِما تَخُوضُونَ فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالقُرآنِ، والطَّعْنِ في آياتِهِ، والقَولِ إنَّها سِحْرٌ.

وَكَفى بِاللهِ شَهيداً لِي بِالصِّدْقِ فِيما أُبَلِّغُكُمْ عَنْهُ، وَيَشْهَدُ عَلَيكُمْ بِالكُفْرِ والتَّكْذِيبِ، وَهُوَ الغَفُورُ إن تُبْتُمْ، وَأَقْلَعْتُمْ عَمَّا أنْتُم عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبادِهِ يَرْحَمُ التَّائِبينَ المُسْتَغْفِرِينَ.

تُفيضُونَ فِيهِ - تَنْدَفِعُونَ فِيهِ طَعْناً وَتَكْذِيباً.

(٩) - وَقُلْ لَهُمْ يا مُحمَّدُ: إنَّني لَسْتُ بِأوَّلِ رَسُولٍ جاءَ إلى الخَلْقِ في الأرْضِ وبلَّغَ رِسالَةً عَنْ رَبِّهِ، فَقَدْ جاءَتْ رُسُلٌ قَبْلي، وَأبْلَغُوا أقْوامَهُمْ رِسالاتِ رَبِّهِمْ، وَتَلَوا عَلَيهِمْ آياتِهِ وَكُتُبَهُ المُنَزَّلَةَ عَلَيهِمْ.

وَأنا بَشَرٌ لا أسْتَطِيعُ أنْ آتي بِشَيءٍ مِنْ عِنْدِي، والذي يُرسِلُ المُعجِزاتِ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، يُرسِلُها حِينَما يَشاءُ، وأنا لا أعْلَمُ ما يُفعَلُ بي في الدُّنيا أأُخْرَجُ مِنْ بَلَدِي أمْ أُقتَلُ؛ وأنا لا أتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحى إليَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى مِنَ القُرآنِ، لا أبْتَدِعُ شَيْئاً مِنْ عِندِي، وَما أنا إلاَّ نَذيرٌ أُنذِرُكُمْ عِقابَ اللهِ، وَأُخَوِّفُكُمْ مِنْ عَذابِهِ، وَآتِيكُمْ بِالشَّواهِدِ الواضِحَةِ عَلى صِدْقِ ما جِئْتُكُمْ بِهِ.

(أَرأَيْتُم) (إسْرائِيلَ) (فَآمَنَ) (الظَّالِمِينَ)

(١٠) - قُلْ يَا مُحمَّدُ لِهٰؤلاءِ المُشْرِكِينَ الكَافِرِينَ بالقُرآنِ: أخْبِرُوني عَنْ حالِكُمْ إنْ ثَبَتَ أنَّ هٰذا القُرآنَ مُنزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى، وأنَّهُ لَيْسَ بِسِحْرٍ وَلا مُفْتَرًى عَلَى اللهِ كَما تَزعُمُونَ، ثُمَّ كَذَّبْتُم أنْتُم بِهِ، وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ

وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

عُلماءِ بَني إِسْرائِيلَ عَلَى أَنَّ هٰذا القُرآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَآمَنَ هُوَ بِهِ، وآسْتَكْبَرتُمْ أَنْتُمْ عَنِ الإيمانِ بِهِ، أَفَلا تَكُونُونَ أَضَلَّ النَّاسِ وأَظْلَمَهُمْ؟ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمينَ.

(وَقِيلَ إِنَّ هٰذا الشَّاهِدَ مِنْ بَني إِسْرائِيلَ هُوَ عبدُ اللهِ بنُ سَلَّامٍ، وَكَانَ حَبراً مِنْ أَحْبارِ اليَهُودِ ثُمَّ أَسْلَمَ).

(١١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ

(آمَنُوا)

(١١) - وَقَالَ مُشْرِكُو مَكَّةَ آسْتِهْزاءً بِالمُؤْمِنينَ، وآسْتِعْلاءً عَلَيهِمْ: لَوْ كَانَ مَا أَتَى بِهِ مُحمَّدٌ حَقّاً، مَا سَبَقَنا إِلَيهِ فُقَراءُ المُؤْمِنينَ، وَضُعَفاؤُهُمْ، وَعَبِيدُهُمْ (مِثْلُ بِلَالٍ وَصُهَيبٍ وَعَمَّارٍ وَآبْنِ مَسْعُودٍ..) لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ أَعالِيَ الأُمورِ لَا يَنالُها إِلَّا أَصْحَابُ الجاهِ والسُّلْطانِ، وَأَصْحابُ مُحمَّدٍ أَكثَرُهُمْ فُقَراءُ وَعَبيدٌ، لِذلِكَ آستَبْعَدَ رُؤُوسُ الشِّرْكِ أَنْ يَسْبِقَهُمْ غَيرُهُم إِلَى الخَيْرِ، وَإِلى الحَقِّ. وبِمَا أَنَّهم لم يَهْتَدُوا، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِرِسالَةِ مُحمَّدٍ وَقُرآنِهِ، فَسَيقُولُونَ: هٰذا كَذِبٌ قَديمٌ مِنَ أَساطِيرِ الأَوَّلِينَ.

إِفْكٌ قَدِيمٌ - كَذِبٌ مُتَقَادِمٌ.

(١٢) وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ

(كِتَابُ)

(١٢) - وَقَبْلَ هٰذا القُرآنِ، الذي يُكَذِّبُ بِهِ المَلأُ مِنْ قُرَيشٍ، أَنْزَلَ اللهُ التَّوراةَ عَلَى عَبْدِهِ مُوسَى، وَجَعَلَهَا إِماماً وقُدْوَةً لِبَني إِسْرائِيلَ وَرَحْمَةً لَهُمْ. وَقَدْ أَشارَتِ التَّوراةُ إِلى مَبْعَثِ مُحمَّدٍ، وَرِسالَتِهِ، وَصِفاتِهِ. وَبِما أَنَّ المُشْرِكِينَ لَا يُمارُونَ فِي أَنَّ التَّوراةَ مُنَزَّلَةٌ مِنْ عِندِ اللهِ، وَبِما أَنَّ التَّوراةَ بَشَّرَتْ بِمُحَمَّدٍ وَكِتَابِهِ، فَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُحمَّدٌ صَادِقاً في رِسالَتِهِ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هٰذا القُرآنُ مُنَزَّلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى.

وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللهُ بِلِسانٍ عَرَبيٍّ لِيُنْذِرَ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشِّرْكِ، وَلِيبشِّرَ المُؤمِنينَ المُحْسِنينَ بِأَنَّ لَهُمُ الثَّوابَ الجَزِيلَ عِنْدَ اللهِ تَعالى.

وَقَدْ جاءَ القُرآنُ مُوافِقاً لما جاءَ في التَّوراةِ، وَمُصَدِّقاً لَها فِيما جاءَتْ بِهِ، مَعَ أَنَّها نَزَلَتْ بِالعِبْرانِيَّةِ، والقُرآنُ جَاءَ بالعَرَبِيَّةِ، فَتَوافُقُهُما في الأَغْراضِ وَالأَفكارِ والمَبادِىءِ الأَساسِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى وَحدَةِ المَصْدَرِ وَهُوَ اللهُ تَعالَى.

(١٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(اسْتَقَامُوا)

(١٣) - إِنَّ الذينَ قَالُوا: رَبُّنا اللهُ لا إِلَهَ غَيرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ سِواهُ، ثُمَّ ثَبَتُوا عَلَى تَصْدِيقِهِم بِذلِكَ، وَلَمْ يَخلِطُوا إِيمانَهم بِشِرْكٍ أَوْ ظُلْمٍ، وَلَمْ يُخالِفُوا أَمْرَ اللهِ، أُولئِكَ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ فِيما يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ يَومَ

﴿١٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

﴿١٥﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ

﴿١٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ

القِيامَةِ، وَلا يَحزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ وَرَاءَهُم في الدُّنيا.

(أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدِينَ)

(١٤) - وَهَؤُلاءِ الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَٱستَقَامُوا عَلَى الإِيمَانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، هُمْ أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَخلُدُونَ فِيها أَبداً، ثَواباً لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَجَزاءً لَهُمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمالٍ صَالِحَاتٍ فِي الدُّنيا.

(الإِنْسَانَ) (بِوالِدَيْهِ) (إِحْسَاناً) (فِصَالُهُ) (ثَلاثُونَ) (وَالِدَيَّ) (صَالِحاً) (تَرْضَاهُ)

(١٥) - بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تَعَالى عِبَادَهُ بِالإِيمانِ بِهِ وَبِتَصْدِيقِ رَسُولِهِ، وبما جاءَ بِهِ مِنْ كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، والاستِقَامَةِ عَلَى الإِيمَانِ، حَثَّ النَّاسَ عَلَى الإِحسَانِ إِلى الوَالِدَينِ فَأَخبَرَ تَعَالَى: أَنَّهُ أَمَرَ الإِنسَانَ بالإِحسَانِ إِلى والدَيْهِ، وَبِالحُنُوِّ عَلَيهِما، وَجَعَلَ بِرَّهُما مِنْ أَفْضَلِ القُرُبَاتِ إِلى اللهِ، وَجَعَلَ عُقُوقَهُما مِنَ كَبَائِرِ الذُّنوبِ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالى سَبَبَ تَوصِيَتِهِ الإِنسَانَ بِبِرِّ وَالِدَيهِ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ قَاسَتْ في حَمْلِهِ مَشَقَّةً وَتَعَباً، وَقَاسَتْ في وَضعِهِ مَشقَّةً وأَلماً، وَكُلُّ ذَلِكَ يَسْتَدعي مِنَ الإِنسانِ الشكرَ، وَٱستِحقاقَ التَّكريمِ، وَجميلَ الصُّحْبَةِ. وَمُدَّةُ حَمْلِ الطِّفْلِ، وفِطَامِهِ، ثلاثُونَ شَهْراً تَتَحمَّلُ فِيها الأُمُ أَعْظَمَ المَشَاقِّ. حَتَّى إِذا بَلَغَ الطِّفْلُ كَمالَ قُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ، وَبَلَغَ أَربَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ قَالَ: رَبِّ أَلْهِمْنِي وَوَفِّقْنِي إِلى شُكْرِ نِعْمَتِكَ التي أَنْعَمْتَ بها عَلَيَّ، وَعَلَى وَالِدَيَّ، مِنْ صِحَّةِ جِسْمٍ، وَسَعَةِ عَيْشٍ، وَٱجْعَلْنِي أَعْمَل عَمَلاً صَالِحاً يُرضِيكَ عَنِّي لأَنالَ مَثُوبَتَهُ عِندَكَ، وَٱجعَلِ اللَّهُمَّ الصَّلاحَ سَارِياً في ذُرِّيَّتِي، إِنِي تُبتُ إِليكَ مِنْ ذُنُوبِي الَّتِي صَدَرت عَنِّي فِيما سَلَفَ مِنْ أَيَّامِي، وَإِنِّي مِنَ المُستَسلِمِينَ لأَمرِكَ وَقَضَائِكَ.

وَصَّينا - أَمَرْنا وَأَلزَمْنا.

كُرْهاً - ذَاتَ كُرهٍ وَمَشَقَّةٍ.

حَمْلُهُ وفِصَالُهُ - مُدَّةُ حَملِهِ وَفِطَامِهِ.

بَلَغَ أَشُدَّهُ - بَلَغَ كَمالَ قُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ.

رَبِّ أَوْزِعْني - يا رَبِّ أَلْهِمْنِي وَوَفِّقْنِي.

(أُولَئِكَ) (أَصْحَابِ)

(١٦) - وَهؤلاءِ المُتَّصِفُونَ بِالصِّفَاتِ السَّابِقَةِ (التَّائِبُونَ إِلى اللهِ، المُنِيبُونَ إِليهِ، المُسْتَدْرِكُونَ مَا فَاتَ بِالتَّوبَةِ والاسْتِغْفَارِ..) هُمُ الذِينَ يَتَقَبَّلُ اللهُ

﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾

تَعالى مِنْهُمْ أحسنَ ما عَمِلُوهُ في الدُّنيا، وَيَصْفَحُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فَيَغْفِرُ لَهُمُ الكَثيرَ مِنَ الزَّلَلِ الذي صَدَرَ مِنْهُم في حَياتِهِم الدُّنيا، ولَمْ يَترسَّخْ فِعْلُهُ في نُفُوسِهِم، ويَقْبَلُ القَليلَ مِنَ العَمَلِ. وَهُمْ في عِدادِ أهْلِ الجَنَّةِ تَحقيقاً للوَعْدِ الصِّدْقِ الذي وَعَدَهُمْ بِهِ رَبُّهم في الدُّنيا، وَلا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ أبداً.

(وَرُوِيَ أنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ في سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ.

وَرُوِيَ أيضاً أنَّها نَزَلَتْ في أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. والآيَةُ تَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ فَهُوَ مُوصىً بِوالِدَيهِ، مَأْمُورٌ بِشُكْرِ أنْعُمِ اللهِ عَلَيهِ وَعليهِما، وَبِأَنْ يَعْمَلَ صَالِحاً، وَأَنْ يَسْعَى في إصْلاحِ ذُرِّيَّتِهِ، وَأَنْ يَدْعُوَ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَهُ إلى عَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ).

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ١٧

(لِوَالِدَيْهِ) (آمِنْ) (أَسَاطِيرُ)

(١٧) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَعالى حَالَ البَرَرَةِ الصَّالحينَ، وَما أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّعيمِ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ، جَاءَ عَلَى ذِكْرِ الأَشْقِياءِ أهْلِ العُقُوقِ لِلْوالِدَينِ، المُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَأَخْبَرَ تَعالى: أَنَّ الذي أَجابَ وَالديهِ حِينَما دَعَواهُ إلى الإيمانِ باللهِ والإقْرارِ بالبَعْثِ وَالحِسابِ: أُفٍّ لَكُما، أَتَقُولانِ إنَّني سأُبْعَثُ مِنْ قَبْري حَيّاً بَعْدَ مَوتي، وَبَعْدَ أَنْ أَصِيرَ تُراباً وَرَميماً؟ إنَّ هٰذا لأَمْرٌ لا يُصدَّقُ، فَهٰذِهِ أَجْيالٌ مِنَ البَشَرِ مَضَتْ، وَأُمَمٌ قَدْ خَلَتْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا أَحَدٌ، وَلَوْ كُنْتُ مَبْعُوثاً بَعْدَ مَوتي لَكانَ بُعِثَ مَنْ مَضَى مِنَ الأُمَمِ الغَابِرَةِ. وَقَدِ اسْتَغاثَ وَالِدَاهُ بِاللهِ اسْتِعْظَاماً لِجُرمِهِ، وَقَالاَ لَهُ، وَهُما يَحُثَّانِهِ عَلَى الإيمَانِ بِاللهِ: هَلَكْتَ إنْ لَمْ تُؤْمِنْ بِما وَعَدَ اللهُ مِنَ المَعَادِ مِنْ بَعْدِ المَوتِ، ثُمَّ بِالحِسابِ وبِالجَزاءِ عَلى الأعْمالِ، فَوَعْدُ اللهِ حَقٌّ لا شَكَّ فيهِ، واللهُ تَعالى لا يُخْلِفُ وَعْدَه أبداً. وَيَرُدُّ الوَلَدُ عَلَى نَصِيحَةِ وَالِدَيهِ قَائِلاً: إنَّ مَا يَقُولاَنِهُ لَهُ إنْ هُوَ إلاَّ شَيءٌ مِمَّا سَطَرَهُ الأَوَّلُونَ مِنْ أَبَاطِيلِهِمْ، وَلا ظِلَّ لَهُ مِنَ الحَقِيقَةِ.

أُفٍّ لَكُما - أُفٍّ كَلِمَةُ تَضَجُّرٍ وَتَبَرُّمٍ بِما يَقُولاَنِ. وَهِيَ اسْمُ فِعْلٍ مُضَارِعٍ.

أَنْ أُخْرَجَ - أَن أُبْعَثَ مِنْ قَبْري بَعْدَ أَنْ تَصِيرَ عِظامي رَميماً.

خَلَتِ القُرُونُ - مَضَتِ الأُمَمُ وَلَمْ تُبْعَثْ.

وَيْلَكَ - هَلَكْتَ، وَهِيَ هُنَا تَعني حَثَّهُ عَلَى الإيمَانِ.

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ - قَصَصُ الأَوَّلِينَ وَخُرافَاتُهُمُ المَسْطُورَةُ في كُتُبِهِمْ.

١٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ

(أولَئِكَ) (خاسِرِينَ)

(١٨) - وَهٰؤُلاءِ الـذِينَ اتَّصَفُوا بِصِفَـاتِ أَهْـلِ الكُفْـرِ بـاللهِ، والعُقُـوقِ لِلوالدَينِ، يُصَنَّفُونَ في زُمْرَةِ أَمْثالِهِم مِنَ الكـافِرينَ مِنْ أُمَمٍ قـدْ مَضتْ قَبْلَهُمْ مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ، فَحقَّتْ عَلَيهِم عُقُوبَةُ اللهِ وَعَذابُهُ، لأَنَّهُمْ كَانُوا خاسِرينَ إِذِ اشتَرَوا الضَّلالَةَ بِالهُدَى.

حَقَّ عَلَيهِم القَوْلُ - وَجبَ عَلَيهِمْ وَعِيدُ اللهِ.

قَدْ خَلَتْ - مَضَتْ وَتَقَدَّمَتْ.

١٩ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ

(دَرجَاتٌ) (أَعْمالَهُمْ)

(١٩) - وَلِكُلٍّ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنَازِلُ تُنَاسِبُ أَعْمالَهُم فِي الدُّنيا مِنْ خَيرٍ وَشرٍ، لِيَظْهَرَ عَدْلُ اللهِ فِيهِمْ، وَلِيُوَفِّيَهُمْ رَبُّهُمْ أُجُورَ أَعْمالِهِم، وَلا يَـظْلِمُهم اللهُ شَيئاً: فَـلا يَزيـدُ فِي سَيِّئَـاتِهم، وَلا يَنقصُهُم شَيئاً مِنْ حَسَناتِهِم.

٢٠ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ

(طَيِّباتِكُمْ)

(٢٠) ويَـومَ القِيامَـةِ يُوقَفُ الـذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّـارِ، وَيُقَـالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّأْنِيبِ: إِنَّ كُلَّ ما قُدِّرَ لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ والنَّعِيمِ قَـدِ استَمْتَعْتُمْ بِهِ، واستَوفَيْتُموهُ في حَيَاتِكُمُ الدُّنيا واستَهْلَكْتُموهُ فِيها، ولم يَبْقَ لَكُم شَيءٌ مِنَ المُتَـعِ واللَّذَّاتِ. وَهٰكَذَا لَم يَبْقَ لَكُمْ شَيءٌ في الآخِـرَةِ تَنَالُونَهُ غيرُ الخِـزْيِ وَالإِهَانَـةِ، جَزَاءً لَكُمْ عَلى آستِكْبـارِكُمْ عَنِ آتِّبَاعِ الحَقِّ، وَعَلَى فِسْقِكُم وَخُرُوجِكُم عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ.

الفِسْقُ - الخُروجُ عَنِ الطَّاعَةِ.

٢١ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ

ربع الحزب ٥١

(٢١) - وَيُسلِّي اللهُ تَعالى رَسُولَه الكَريمَ عَمَّا يُلاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ، وَآسْتِهْزَائِهِمْ بِهِ، وَيُذَكِّرُهُ بِقَصَصِ الأَنبِيَاءِ الذِينَ قَبْلَهُ، فَكَذَّبَهُمْ أَقْوامُهُم، وَآسْتَهْزَؤوا بِهِمْ فَجـاءَ نَصْـرُ اللهِ فَنَجَّى الـرُّسُـلَ وَالـذِينَ آمَنُـوا، وأَهْلَكَ المُجْرِمينَ.

وَهُنَا يَبْدَأُ تَعالى بِسَرْدِ قِصَّةِ هُودٍ، عَلَيهِ السَّلامُ، مَعَ قَومِهِ عادٍ، وَقَدْ كَانُوا يَسْكُنُونَ الأَحْقَافَ في مِنْطَقَةِ حَضرَمَوْت، جَنُوبيّ الجَزيرَةِ العَرَبِيَّةِ، فَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ إِليهِمْ فَدَعَاهُم إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَذَكَّرَهُمْ بأَنْعُمِ اللهِ عَلَيهِم ، وَبِما مَنَّ عَلَيهِمْ بِهِ من قُوَّةٍ وَغِنىً، وَكَثْرَةِ عَـدَدٍ، وَأَنْذَرَهُمْ بَأسَ اللهِ الشَّدِيدَ وَعِقَابَهُ إِن أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِم وَظُلْمِهِمْ. وَقَدْ أَرسَلَ اللهُ

قَبلَ هُودٍ رُسُلاً آخَرينَ دَعَوا أَقْوَامَهُم إلى الإيمانِ باللهِ، وَأَنْذَرُوهُمْ عَذَابَ اللهِ إنْ أَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَحَثُّوهُمْ عَلَى الإقْلاعِ عَنِ الشِّرْكِ باللهِ، وَعَلى إفرادِهِ تَعَالى بالأُلُوهِيَّةِ وَحْدَهُ. وَقَالَ هُودٌ لِقَوْمِهِ نَاصِحاً: إنِّي أَخَافُ عَلَيكُم عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمِ الهَوْلِ، هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ إذا أَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ.

الأَحْقَافُ - فِي جَنُوبيِّ الجَزيرَةِ العَرَبيَّةِ - حَضْرَ مَوْتُ.

الحقْفُ - هُوَ كَثِيبُ الرَّمْلِ.

﴿٢٢﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

(آلِهَتِنَا) (الصَّادِقِينَ)

(٢٢) - فَرَدُّوا عليه قَائِلِينَ: أَجِئْتَنَا لِتَصْرِفَنَا عَنْ عِبَادَةِ آلهتِنا إلى عِبَادَةِ رَبِّكَ الذي تَدْعُونا إليهِ، فَعَجِّلْ لَنَا بإنزالِ العَذَابِ عَلَينا، إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في وَعِيدِكَ لَنا (وَهُوَ أَنَّ رَبَّكَ سَيُنْزِلُ عَلينَا عَذاباً مُدَمِّراً مُهْلِكاً يُبِيدُنا به إذا ما بقينا مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِنا).

لِتَأْفِكَنا - لِتَصْرِفَنا.

﴿٢٣﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ

(أَرَاكُمْ)

(٢٣) - فَقَالَ لَهُم هُودٌ عَلَيهِ السَّلامُ: إنَّ اللهَ هُوَ الذي يَعْلَمُ إنْ كُنْتُم تَسْتَحِقُّونَ العَذَابَ، وَهُوَ القَادِرُ على إنزالِهِ بِكُم، وَهُوَ العَالِمُ بالوَقْتِ الذي يُنزِلُهُ بِكُم إنْ شَاءَ، أَمَّا أَنَا فَمَهَمَّتِي هِيَ إِبْلاغُكُمْ ما أَرْسَلَنِي بِهِ إليكُم، وأَنا لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَجِّلَ العَذَابَ الذي تَطْلُبُونَهُ، وَلاَ أَقْدِرُ عَلَيهِ، وإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكُم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ مَهَمَّةَ الرَّسُولِ، ولِذَلِكَ طَلَبْتُمْ مِنِّي أَنْ أُعَجِّلَ لَكُمُ العَذَابَ، كَمَا أَنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ عَظَمَةَ اللهِ وَقُدْرَتَهُ وَشِدَّةَ بَأْسِهِ، لِذَلِكَ طَلبتُمْ تَعْجِيلَ إِنْزالِ العَذَابِ بِكُمْ، والعَذَابُ لاَ يَطْلُبُ عَاقِلٌ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ.

﴿٢٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ

(٢٤) - وَكَانَ اللهُ تَعَالى قَدْ حَبَسَ المَطَرَ عَنْ عَادٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمنِ، حَتَّى اشْتَدَّ بِهِم العَطَشُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إليهِمْ غُيُوماً كَثِيفَةً اتَّجَهَتْ إلى أَودِيَتِهِمْ فَفَرِحَ بها قَوْمُ عَادٍ، واسْتَبْشَرُوا ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّها سَحَائِبُ تَحمِلُ المَطَرَ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هٰذا سَحَابٌ سَيُمْطِرُنا.

وَقَالَ لَهُمُ اللهُ تَعَالى (أَوْ قَالَه لَهُمْ هُودٌ عليهِ السَّلامُ):

بَل هُوَ العَذَابُ الذِي اسْتَعْجَلْتُم بإنْزَالِهِ بِكُم، حِينَ قُلْتُمْ لِرَسُولِكُم ﴿فَأْتِنا

٢٥ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ

٢٦ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

بِمَا تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(١) إِنَّهُ رِيحٌ تحمِلُ إليكُمْ عذاباً مُهْلِكاً شَدِيدَ الإيلام.

عارِضاً - سحاباً يَعْرِضُ فِي الأُفُقِ.

(مَساكِنُهُمْ)

(٢٥) - وهذهِ الرِّيحُ التي أرسَلَها اللهُ عَلى قَوْمِ عَادٍ تُهلِكُ وَتُخَرِّبُ كُلَّ شيءٍ مَرَّتْ بِهِ بإذنِ ربِّها. ووَصَفَها تَعالى في آيةٍ أخرى بأنَّها ﴿ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَليهِ إلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾(٢).

وَسَلَّطَ اللهُ تَعَالى هٰذهِ الرِّيحَ العَاتِيَةَ على قَومِ عَادٍ، فَهَبَّتْ عَلَيهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثمانِيَةَ أَيَّامٍ كَامِلاتٍ مُتَتَالِيَاتٍ، فَأَهْلَكَتْهُمْ جميعاً، ولم تَتْرُكْ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيةٍ، وَلَم يَعُدْ يُرى في دِيَارِهم إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ خَالِيَةً لا سَاكِنَ فِيها.

وَيُخبِرُ تَعالى أَنَّهُ يُعَاقِبُ بِمِثْلِ هذهِ العُقُوبَةِ كُلَّ مَنْ كَذَّبَ رُسُلَهُ، وَخَالَفَ أَوامِرَهُ.

تُدَمِّرُ - تُهْلِكُ وَتُخَرِّبُ.

(مَكَّنَّاهُمْ) (مَكَّنَّاكُمْ) (أَبْصَاراً) (أَبْصَارُهُمْ) (بِآيَاتِ) (يَستَهْزِئُونَ)

(٢٦) - وَقَدْ مَكَّنَّا لِقَومِ عَادٍ فِي الدُّنيا فِيمَا لَمْ نُمَكِّنْكُمْ فيهِ، وَأَعْطَيناهُمْ مَا لَمْ نُعْطِكُم مِثْلَهُ، وَلاَ قَرِيباً مِنْهُ، مِنَ الأَموالِ الكَثِيرَةِ، وَالأولادِ، وَبَسْطَةِ الأَجْسَامِ، وَقُوَّةِ الأَبدَانِ، وَجَعَلْنا لَهُمْ أَسْماعاً وَأَبْصَاراً، فَلَم يَسْتَعْمِلُوا شَيئاً مِنْ أَسْماعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ فِيما خُلِقَتْ لَهُ، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِها في الاهتِداءِ إلى وُجودِ الخالِقِ وَوحْدانِيتِهِ، وَقُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ عَلَى الخَلْقِ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يُكَذِّبُونَ رُسُلَ اللهِ، وَيُنْكِرُونَ آياتِهِ فَأَنزَلَ اللهُ تَعالى بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ عَلَيهِم، وَأَحاطَ بِهِم العَذابُ الذِي كَانُوا يَسْتَهزِئُونَ بِهِ، وَيَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَهُ بِهِمْ، فَاستَعْجَلُوهُ. فَلْيَحْذَرْ مُشْرِكُو مَكَّةَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِقَوْمِ عَادٍ، إذا اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذيبِهِمْ.

مَكَّنَّاهُمْ - أَقْدَرْنَاهُمْ وَبَسَطْنا لَهُمْ.

فَما أَغْنَى عَنْهُمْ - فَما دَفَعَ عَنْهُمْ.

حَاقَ بِهِمْ - أَحَاطَ وَنَزَلَ بِهِمْ.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ٢٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٤٢.

﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

﴿٢٨﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

﴿٢٩﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ

﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ

(الآيَاتِ)

(٢٧) ـ وَلَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ تَعَالى القُرَى مِنْ حَوْلِ مَكَّةَ (مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَمَدْيَنَ وَقَوْمِ لُوطٍ)، وَأَهْلُ مَكَّةَ يَعْرِفُونَ مَنَازِلَ تِلْكَ الأَقْوامِ، وَكَانُوا يَمُرُّونَ بِها وَهُمْ غَادُونَ رَائِحُونَ في أَسْفَارِهِمْ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ أَهْلَ هذهِ القُرى بَعْدَ أَنْ أَنْذَرَهُمْ، وَحَذَّرَهُمْ، وَضَرَبَ لَهُمُ الأَمْثَالَ، وَبَيَّنَ لَهُمْ دَلاَئِلَ قُدْرَتِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ غَيِّهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، فَلَم يَرْجِعُوا، وَلَمْ يَتَّعِظُوا، فَأَخَذَهُمُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

(آلِهَةً)

(٢٨) ـ فَهَلاَّ نَصَرَهُمُ الأَرْبابُ الذِينَ اتَّخذُوا عِبادَتَهُمْ قُرْبَةً يَتَقَرَّبُونَ بِها إلى اللهِ فِيما زَعَمُوا، حِينَما نَزَلَ بِهِمْ بَأسُ اللهِ وَأَمْرُهُ فَأَنْقَذُوهُمْ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ؟ لكِنَّ هؤُلاءِ الأَرْبَابَ أَصْنَامٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَقَدْ غَابُوا عَنْهُم، وَهُمْ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِليهِمْ. وَعَجْزُ هؤُلاءِ الأَرْبَابِ عَنْ نُصْرَتِهِمْ أَثْبَتَ لَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ في اتِّخَاذِهِمْ آلهَةً، وَأَنَّهُم يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ في زَعْمِهِمْ أَنَّهُم يُقَرِّبُونَهُم إلى اللهِ زُلْفَى، وَيَشْفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالى.

قُرْبَاناً آلهةً ـ مُتَقَرَّباً بِهِمْ إلى اللهِ.

إفْكُهُمْ ـ أَثَرُ كَذِبِهِمْ في اتِخَاذِها آلهةً.

يَفْتَرُونَ ـ يَخْتَلِقُونَ في قَوْلِهِم إِنَّها آلهةٌ.

(القُرآنَ)

(٢٩) ـ يَقُصُّ اللهُ تَعَالى عَلَى رَسُولِهِ الكَرِيمِ قِصَّةَ نَفَرٍ مِنَ الجِنِّ وَجَّهَهُمُ اللهُ تَعَالى إلى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ القُرآنَ، فَاسْتَمَعُوا إِليهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنصِتُوا واسْتَمِعُوا لهذا القُرآنِ.

فَلَمَّا فَرَغَ الرَّسُولُ مِنْ تِلاوَتِهِ انْصَرَفُوا إلى جَمَاعَتِهِم يُخْبِرونَهم بما سَمِعُوا، وَيُحَذِّرُونَهم مِنَ الكُفْرِ، وَيَدْعُونَهم إلى الإيمانِ باللهِ، وَبِما أَنْزَلَ عَلَى رُسُلِهِ.

صَرَفْنا إليكَ ـ وَجَّهْنَا نَحوَكَ.

أَنصِتُوا ـ اسْتَمِعُوا وَاسْكُتُوا.

قُضِيَ ـ أُتِمَّ وَفُرِغَ مِنْ قِراءَتِهِ.

(يا قَومَنا) (كِتاباً)

(٣٠) ـ وَقَالَ النَّفَرُ مِنَ الجِنِّ، الذِينَ اسْتَمَعُوا إلى تِلاوَةِ الرَّسُولِ ﷺ

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ

﴿٣١﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

﴿٣٢﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

﴿٣٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

القرآنَ لِقومِهِمْ: يا قومَنا إنَّنا سَمِعْنا كِتاباً أنزلَهُ اللهُ بَعْدَ التَّوراةِ، الذِي أنزلَه على موسى، يُصَدِّقُ ما أنزلَه اللهُ قبلَه مِنَ الكُتُبِ على رُسُلِه، ويُرْشِدُ إلى سَبيلِ الحَقِّ والهُدى، وإلى الطَّريقِ القَويمِ الذِي يُوصِلُ إلى رِضْوانِ اللهِ وجَنَّتِه.

(وقَدْ خصَّ اللهُ التَّوْراةَ بالذِّكْرِ لأنَّهُ الكِتابُ الإمامُ لِبَنِي إسْرائيلَ، ولأنَّ الإنْجيلَ مُتَمِّمٌ لِشَرِيعَةِ التَّوراةِ).

(يا قَوْمَنَا) (وآمِنُوا)

(٣١) - وتَابَعَ النَّفَرُ مِنَ الجِنِّ نُصْحَهُمْ لِقَومِهِمْ فَقالُوا: يا قَوْمَنا أجِيبُوا رَسُولَ اللهِ مُحَمَّداً الذِي يَدْعُوكُم إلى الإيمانِ بِرَبِّكُمْ، والإخْلاصِ في طَاعَتِه، وصَدِّقُوه فِيما جاءَ بِهِ مِنْ أمْرٍ ونَهْيٍ، يَغْفِرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ ما سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ويَقِكُمْ مِنْ عَذابِهِ الألِيمِ.

(أولَئِكَ) (ضَلاَلٍ)

(٣٢) - ومَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ إلى ما يَدْعُو إليهِ رَسُولُ اللهِ مِنَ الإيمانِ باللهِ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَهُ، والإخلاصِ في العَمَلِ، فإنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ الإفلاتَ مِنْ عِقابِ رَبِّهِ إذا أرادَ عُقُوبَتَهُ، ولاَ يَجدُ لهُ مَنْ يَنْصُرُهُ مِن بَأسِ اللهِ، ولاَ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ سُوءَ العَذابِ.

والذِينَ لا يَسْتَجِيبُونَ للهِ وللرَّسُولِ يَكُونُونَ في ضَلالٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ، ويَسْتَحِقُّونَ العِقابَ الشَّديدَ مِنَ اللهِ تَعالى.

فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ - فَلَيْسَ بِفَائِتٍ مِنْهُ بِالهَرَبِ.

(السَّماوَاتِ) (بِقَادِرٍ) (يُحْيِيَ).

(٣٣) - أوَ لَمْ يَعْلَمْ هؤلاءِ المُنْكِرُونَ لِلبَعْثِ، المُسْتَبْعِدُونَ إحْياءَ الأمْواتِ يَوْمَ القِيامةِ، وإخْراجَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، أنَّ اللهَ هُوَ الذِي خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وما فِيهِما خَلْقاً مُبْتَدأً، ولَم يُعْجِزْهُ خَلْقُهُما، ولَم يَضِقْ بِهِ، لِيَعْلَمُوا أنَّ الذِي خلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ لا يُعجِزُهُ أنْ يُعِيدَ بَعْثَ الأمْواتِ مِنَ القُبُورِ بَعْدَ أنْ صَارَتْ أجسادُهُم وعِظامُهُم رَمِيماً بالياً. فاللهُ تَعالى إذا أرادَ شَيئاً فإنَّما يَقولُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ الشَّيءُ لِساعَتِهِ.

بَلى إنَّ الذِي خَلَقَ الأكْوانَ لَذُو قُدْرَةٍ عَلى كُلِّ شَيءٍ، ولاَ يُعْجِزُهُ إعادَةُ بَعْثِ الأمْواتِ مِنَ القُبُورِ يَوْمَ القِيامَةِ.

لَم يَعْيَ - لَم يَتْعَبْ، أوْ لَمْ يُعْجِزْهُ.

بَلى - إنَّهُ قادِرٌ عَلى إحياءِ المَوتَى.

﴿٣٤﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ

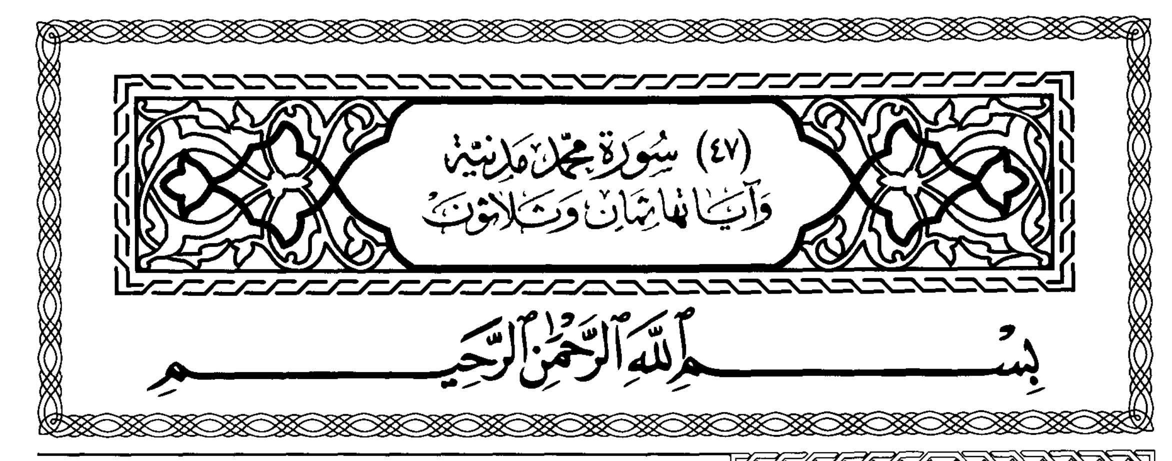
(٣٤) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يُوقَفُ هُؤُلاءِ الكَافِرُونَ المُكَذِّبُونَ بِالبَعْثِ والنُّشُورِ عَلَى نَارِ جَهَنَّم، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ والتَّأْنِيبِ: أَلَيْسَ هٰذا الذِي تَرَوْنَهُ، مِنْ بَعْثٍ وَحَشْرٍ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ عَلَى الأَعْمَالِ، وَنَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ. . . حَقّاً؟ وَكُنْتُم تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا؟ فَيَقُولُونَ: بَلَى وَرَبِّنَا إِنَّهُ لَحَقٌّ. فَيُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا الآنَ العَذَابَ فِي نَارِ جَهَنَّم، جَزَاءً لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَتَكْذِيبِكُمْ بِالحَقِّ.

﴿٣٥﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ

(أولو) (بَلاغٌ) (الْفَاسِقُونَ)

(٣٥) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تُلاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَومِكَ لَكَ، كَمَا صَبَرَ أَصْحَابُ القُوَّةِ والثَّبَاتِ، مِنَ الرُّسُلِ الذِينَ سَبَقُوكَ، عَلَى تَكْذِيبِ أَقْوامِهِمْ لَهُمْ حِينَما أَبْلَغُوهُمْ دَعْوَةَ اللهِ إِلى الإِيمَانِ بِهِ. وَلا تَسْتَعْجِلْ بِسُؤَالِ رَبِّكَ أَنْ يُنزِلَ بِهِم العَذَابَ، فَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ لا مَحَالَةَ. وَإِنَّهُمْ حِينَما يَنْزِلُ بِهِم العَذَابُ يَومَ القِيَامَةِ يَرَوْنَ أَنَّ مُدَّةَ لَبثِهِمْ فِي الدُّنيا (أَوْ فِي قُبُورِهِمْ) كَانَتْ قَصِيرَةً، حَتَّى لَيَحْسَبُوها سَاعَةً مِنْ نَهارٍ.

وَهٰذا الذِي وُعِظْتُم بِهِ لَكَافٍ فِي المَوعِظَةِ، وَلاَ يَهلِكُ بِالعَذابِ إِلا الكَافِرُونَ الخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَأَمْرِهِ، لأَنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ إِلا مَنْ يَسْتَحِقُّ العَذَابَ.



(١) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ

(أعْمالَهُمْ)

(١) - الذِينَ كَفَرُوا باللهِ، وبِآيَاتِهِ، وبِكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ في دِينِ الإِسْلامِ، أَبْطَلَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ، وَأَهْلَكَهَا وَجَعَلَها تَسِيرُ عَلَى غَيْرِ هُدًى.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إنَّ هذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ في المُطْعِمِينَ مِنْ قُرَيشٍ بِبَدرٍ وهُم اثْنا عَشَرَ رَجُلاً).

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ - أَبْطَلَها وَأَحْبَطَها.

(٢) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢) - والذِينَ آمَنُوا باللهِ، وَبِكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ ربِّهِم، وَصَدَّقُوا بالقُرآنِ الذي أَنْزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ، وَهوَ الحَقُّ مِنَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالى كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم، وَغَفَرَ لَهُم ذُنُوبَهُمْ، وَأَصْلَحَ حَالَهُم في الدُّنيا، بتوفيقِهم إلى طَريقِ الخيرِ والسَّعادَةِ والفَلاحِ. وَيُصْلِحُ حَالَهُم في الآخِرةِ بأَنْ يُورِثَهُمُ الجَنَّةَ لِيَبْقَوْا فِيها خَالِدِينَ أبداً.

كَفَّرَ عَنْهُم - أزالَ وَمَحا عَنْهُمْ.

أَصْلَحَ بَالَهُمْ - أَصْلَحَ حَالَهُمْ وَشَأْنَهُمْ.

(٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ

(البَاطِلَ) (آمَنُوا) (أمْثالَهُمْ)

(٣) - وَقَدْ أَبْطَلَ اللهُ تَعالى أعْمَالَ الكُفَّارِ، وَتَجاوزَ عَنْ سَيِّئَاتِ المُؤْمنينَ الأبرارِ، وأَصْلَحَ لَهمْ حَالَهُمْ، لأنَّ الذِينَ كَفَرُوا اخْتَارُوا اتِّبَاعَ البَاطِلِ عَلى اتِّباعِ الحَقِّ، ولأنَّ المُؤمِنِينَ اتَّبَعُوا الحَقَّ الذِي جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِم فَهَداهُم ربُّهم إلى سَبيلِ الرَّشَادِ.

وَكما بيَّنَ اللهُ تَعالى أفْعالَ الكُفَّار والفُجَّارِ، وَحالَ المُؤْمِنينَ الأَبْرارِ، وَما سَيَفْعَلُهُ بِكُلِّ فَريقٍ، فَإِنَّهُ يَضْرِبُ الأمْثالَ للنّاسِ، وَيُشبِّهُ لهُمُ الأشْياءَ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مآلَ أعْمالِهِم وَما يَصِيرُون إليهِ لِيَتفكَّرُوا ويَتَّعِظُوا.

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾

(لِيَبْلُوَ) (أعْمالَهُمْ)

(٤) - يُرشِدُ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ إلى وُجوبِ قِتالِ المُشْرِكينَ الذِينَ يَكْفُرون باللهِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبيلهِ حَتَّى يَنْخذِلَ الشِّرْكُ وَأَهْلُهُ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الأسْلُوبَ الذي يَعْتَمِدُونَهُ في قِتالِهِمْ فَيَقُولُ تَعالى: إذا لَقِيتُمُ المُشْرِكين في سَاحَةِ الحَرب فاحْصُدُوهُم حَصْداً بالسُّيُوفِ، حَتَّى إذا تَمَّتْ لَكُمُ الغَلَبَةُ عَلَيهِم، وقَهَرْتُم مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ حَيّاً، وَصَارُوا أَسْرى في أيديكم، شُدُّوا وِثَاقَهُمْ لِكَيلا يَعْمَدُوا إلى الهَرَبِ، أوِ العَوْدَةِ إلى القِتالِ، وَبَعْدَ انتِهاءِ الحَرْبِ فَأَنْتُم بالخِيارِ بَيْنَ المَنِّ عَلَيهِم وإطْلاقِ سَراحِهِمْ بِدُونِ فِداء، وَبَيْنَ مُفادَاتِهِمْ. وَقَدْ تَكُونُ المُفَادَاةُ بِمالٍ يُؤْخَذُ مِنْهُم لإِضْعافِ شَوْكَتِهِم، وَقَدْ تَكُونُ بِأَسْرى مِنَ المُسْلِمينَ. وهذِهِ هيَ السُّنَّةُ في قِتالِ المُشْرِكينَ والكُفَّارِ حَتى تَنْتَهِيَ الحَرْبُ وَتَضعَ أوْزارَها. وَلَوْ شاءَ اللهُ أنْ يَنْتَقِمَ منهُمْ بِعُقُوبةٍ عاجِلَةٍ لَفَعَلَ، وَلَكَفَاكُمْ أمْرَهُمْ، وَلكِنَّهُ شَرَعَ الجِهادَ، وَقِتَالَ الأعداءِ، لِيَخْتَبِرَ المُؤْمِنينَ وَصَبْرَهُمْ عَلى القِتالِ، وَيخْتَبِرَ المُشرِكينَ، فَيُعَاقِبَ مَنْ شَاءَ مِنْهُم بأيدِي المُؤْمِنينَ، وَيَتَّعِظَ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ وَيَرْجِعَ إلى الحَقِّ. واللهُ يَجْزي الشُّهَداءَ الذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِهِ تَعالى، وَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيُثَمِّرُ لَهُمْ أعْمالَهُمْ وَيُنَمِّيها لَهُمْ.

فَضَرْبَ الرِّقَابِ - فَاضرِبُوا الرِّقابَ ضَرْباً.
أثْخَنْتُمُوهُمْ - أوْسَعْتُمُوهُمْ قَتْلاً وَجَرْحاً وَأسْراً.
شُدُّوا الوَثَاقَ - أَحْكِمُوا وَثَاقَ الأسْرَى.
حَتَّى تَضَعَ الحَربُ أَوْزارَها - حَتَّى تَنْتَهِيَ الحَرْبُ.
مَنّاً - إطلاقَ سَراحِ الأسْرى بِغَيْرِ فِداءٍ.
فِدَاءً - أوْ إطلاقَ سَراحِهِمْ مَعَ المُفَاداةِ بِمَالٍ أوْ بِأسْرى مِنَ المُسْلِمينَ.

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾

(٥) - وسَيَهْدِي اللهُ الشُّهَدَاءَ في سَبيلِهِ إلى طَريقِ الجَنَّةِ، وَيُصْلِحُ حالَهم في الآخِرَةِ.

وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾

(٦) - وَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهم الجَنَّةَ، فَيَجِدُ كُلُّ واحِدٍ فيها مَقَرَّهُ لا يَضِلُّ في طَلَبِه، وَكَأنَّهُ يَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ.

(وَجَاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ: لَأحَدُكُمْ بِمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ أعْرَفُ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ في الدُّنيا). (رَواهُ البُخارِيُّ).

٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ
يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ

(يا أيُّها) (آمَنوا)

(٧) - يَحُثُّ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ عَلى الجِهادِ، وَيُعْلِمُهُمْ بأنَّه يَنصُرُهُمْ إذا أخْلَصُوا النيَّةَ في قِتَالِ أعدائِهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إنَّهُمْ إذا نَصَرُوا دِينَ اللهِ نَصَرَهُمُ اللهُ عَلى أعْدائِهِمْ، وثَبَّتَ أقْدامَهُمْ في الحَرْبِ وَفي الدِّينِ.

٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ
أَعْمَـٰلَهُمْ

(أعْمالَهُم)

(٨) - وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ فَخِزْياً لَهُمْ وَشَقَاءً، وَأبْطَلَ اللهُ أعْمالَهُمْ، وَجَعَلَهَا عَلى غَيرِ هُدىً وآستِقامةٍ لأنَّها عُمِلَتْ لِلشَّيْطَانِ.
فَتَعْساً لَهُمْ - فعِثاراً أوْ شَقاءً لَهُمْ.

٩ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ

(أعْمالَهم)

(٩) - وَقَدْ أتْعَسَ اللهُ الكَافِرِينَ وَأخْزاهُمْ وَاضَلَّ أعْمالَهُمْ، لأنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أنزَلَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ قُرآنٍ وَأحْكَامٍ وَشَرْعٍ وَتَكالِيفَ.
أحْبَطَ أعْمالَهم - أبْطلَها.

نصف الحزب ٥١

١٠ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ
أَمْثَـٰلُهَا

(عَاقِبَةُ) (لِلْكَافِرِينَ) (أمْثالُها)

(١٠) - أفَلَم يَسِرْ هَؤُلاءِ المُكَذِّبونَ في الأرْضِ لِيَرَوا كَيْفَ عَاقَبَ اللهُ المُكَذِّبينَ مِنَ الأمَمِ السَّالِفَةِ، لَقَدْ دَمَّرَ اللهُ قُراهُمْ وبُيُوتَهُمْ، وأهْلَكَ أولادَهُمْ وَأمْوالَهُمْ، أفَلا يَعْتَبِرُ هَؤُلاءِ بِما نَزَلَ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ المُكَذِّبِينَ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالغَيِّ والضَّلالَةِ؟

وَكما أهْلَكَ اللهُ المُكَذِّبينَ السَّابِقِينَ، وَنَجَّى المُؤْمِنينَ مِنْ بَيْنِ أظْهُرِهِمْ، كَذلِكَ يَفْعَلُ اللهُ بالكَافِرِينَ، السَّائِرِينَ سِيرَتَهُمْ.
دَمَّرَ عَليهِمْ - أطْبَقَ الهَلاكَ عَلَيهِمْ.

١١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ

(آمَنوا) (الْكَافِرِينَ)

(١١) - وَقَدْ دَمَّرَ اللهُ عَلى الكَافِرِينَ، وَنَجَّى المُؤْمِنينَ وَأظْهَرَهُمْ عَلى الكَافِرِينَ، لأنَّ اللهَ مَوْلى الذِينَ آمَنُوا وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ وأطَاعُوهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُمْ وَحَافِظُهُمْ، وَلأنَّ الكَافِرِينَ لاَ نَاصِرَ لَهُمْ فَيَدْفَعُ عَنْهُمُ العُقُوبَةَ وَالعَذَابَ.

١٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَـٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ
وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ

(آمَنوا) (الصَّالِحاتِ) (جَنَّاتٍ) (الأنْهارُ) (الأنْعامُ)

(١٢) - وَفي يَوْمِ القِيامَةِ يُدخِلُ اللهُ تَعالى الذِينَ آمَنوا بِهِ، وبِكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الأعْمالَ الصَّالِحاتِ، جَنَّاتٍ تَجري في أرْضِها الأنهارُ جَزاءً لَهُم عَلى إيمَانِهِمْ. أمَّا الكَافِرُونَ الذِين كَفَرُوا باللهِ وبِكُتُبِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَإنَّهم يَتَمَتَّعُونَ بما في هذهِ الدُّنيا مِنْ مَتَاعٍ زَائِلٍ، وَيَأكُلونَ فِيها

مَثۡوٗى لَّهُمۡ

كالأنعام ، غيرَ مُفكِّرينَ في عواقِب أُمورِهِمْ ، ولا مُعْتَبِرينَ بِما أقامَهُ اللهُ لِلْعِبادِ مِنَ الأدِلَّةِ على وُجُودِهِ ووَحْدانِيَّتِهِ تَعالى ، وسَيَصِيرُونَ في الآخِرَةِ إلى جَهَنَّم فتَكُونُ مَسْكَنَهُمْ ومَأواهُمْ.

مَثْوىً - مَوضِعُ ثَواءٍ وإقامَةٍ لَهُمْ.

(١٣) وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ

(وكَأيِّ) (أهْلَكْناهُمْ)

(١٣) - وكَثيرٌ مِنَ البلادِ السَّالِفَةِ كانَ أهْلُها أشَدَّ بَأساً مِنْ أهْلِ مَكَّةَ الذينَ أخْرَجُوكَ مِنْ بَيْنِ أظْهُرِهِم ، وأكْثَرَ قُوَّةً ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ ، ودمَّرَ قُراهُم ، فَلَمْ يَجِدوا لَهُمْ ناصِراً يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ ، ولا مُعِيناً يَدْفَعُ عَنْهمَ بأسَهُ وعَذابَه ، فاصْبِرْ يا مُحَمَّدُ كَما صَبَر أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ، فَإنَّ العاقِبَةَ سَتَكُونُ لَكَ ولِلْمُؤْمنينَ.

كَأيٍّ مِنْ قَريَةٍ - كَثيرٌ مِنَ القُرَى.

(١٤) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم

(١٤) - أفمَنْ كانَ عَلَى بَصِيرَةٍ بِرَبِّهِ وخالِقِهِ ، وبِما أنْزَلَهُ في كِتابِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ ، فَهُوَ يُدْرِكُ أنَّ لَهُ رَبّاً خَلَقَهُ ورَعاهُ ، وأنَّهُ سَيُجازِيهِ على أعْمالِهِ في الآخِرَةِ بإدخالِهِ الجَنَّةَ ، كَمَنْ حَسَّنَ لَهُ الشَّيطانُ عَمَلَهُ القَبيحَ ، وأراهُ إيَّاهُ جَميلاً فأقامَ عَلَيهِ ، واتَّبَعَ هَواهُ وشَهَواتِهِ فانْغَمَسَ في المَعاصِي غَيْرَ مُفكِّرٍ في بَعْثٍ ولا حِسابٍ ، ولا في جَزاءٍ عَلَى الأعمالِ ، إنَّهُ بِلا شَكٍّ لا يَتَساوَى المُؤْمِنُ الصَّالِحُ ، مَعَ الكافِرِ الفاجِرِ ، في الجَزاءِ عِندَ اللهِ في الآخِرَةِ.

(١٥) مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ

(أنْهارٌ) (آسِنٍ) (لِلشَّارِبينَ) (الثَّمَراتِ) (خالِدٌ)

(١٥) - يَصِفُ اللهُ تَعالى الجَنَّةَ التي وَعَدَ المُتَّقِينَ بإدخالِهِم إليها ، فيَقُولُ تَعالى : إنَّها جَنَّةٌ تَجري فيها أنْهارٌ مِنْ مِياهٍ غَيرِ مُتَغَيِّرةِ الطَعْمِ واللَّونِ والرَّائِحَةِ ، لِطُولِ مُكْثِها ورُكُودِها ، وفيها أنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لم يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ولَمْ يَفْسُدْ ، وفيها أنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذيذَةِ الطَّعْمِ والمَذاقِ لِشارِبيها ، لا تَغْتالُ العُقُولَ ، ولا يُنْكِرُها الشَّارِبُون ، وفيها أنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ قَدْ صُفِّيَ مِنَ الشَّمْعِ والفَضَلاتِ. ولِلْمُتَّقِينَ في الجَنَّةِ مِنْ جَميعِ الفَواكِهِ المُخْتَلِفَةِ الأنْواعِ والطُّعُومِ والمَذاقِ والرَّائِحَةِ. ولَهُمْ فَوقَ ذلكَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى ، فَهُو يَتَقَبَّلُ ما قَدَّمُوه مِنْ عَمَلٍ ، ويَتَجاوَزُ عَنْ هَفَواتِهِم التي اقْتَرَفُوها في الدُّنيا.

فَهَلْ يَتَساوى هَؤُلاءِ المُتَّقُونَ النَّاعِمُونَ في رِضْوانِ اللهِ ، وجَنَّاتِهِ ، مَعَ الأشقياءِ الذِينَ أدْخَلَهُمُ اللهُ النَّارَ لِيَبْقَوا فِيها خالِدِينَ أبَداً ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِم وتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِم ، وأعْمالِهِم السَّيِّئَةِ؟ إنَّهُمْ لا يَتَساوَوْنَ

﴿١٦﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ

﴿١٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ

﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ

أبداً. وإذا طَلَبَ هَؤُلاءِ الأشْقِياءُ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ في نَارِ جَهَنَّمَ، الماءَ لِيُطْفِئُوا ظَمَأَهُم فإنَّهم يُسْقَوْنَ مَاءً شَدِيدَ الحَرارةِ إذا شَرِبُوهُ قَطَّعَ أمْعَاءَهُمْ.

مَثَلُ الجَنَّةِ - وَصْفُها.

غيرِ آسِنٍ - غَيْرِ مُنْتِنٍ ولا مُتَغَيِّرِ الطَّعْمِ.

مَاءً حَميماً - بَالِغاً الغَايَةَ في الحَرَارَةِ.

(آنِفاً) (أولَئِكَ)

(١٦) - وَمِنَ النَّاسِ مُنَافِقُونَ يَسْتَمِعُونَ إلى الرَّسُولِ فَلا يَعُونَ مَا يَقُولُ، وَلا يَفْهَمُونَ مَا يَتْلُو عَلَيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَإِذا خَرَجُوا من عِنْدِهِ قَالُوا لِمَنْ حَضَرَ المَجْلِسَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِكِتَابِ اللهِ: مَاذَا قَالَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ أَنْ نُغَادِرَ المَجْلِسَ؟ وَهُمْ بِذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ، وَيَسْتَخِفُّونَ بِما يَقُولُهُ رَسُولُ اللهِ، وَكَأَنَّ ما يَقُولُهُ لَيْسَ مِمَّا يُؤْبَهُ بِهِ، وَهَؤُلاءِ هُمُ الذينَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَلا يَهتَدُونَ إلى الحَقِّ الذي جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ، واتَّبَعُوا شَهَواتِهِمْ وَأهْوَاءَهُمْ، فَلا يَرْجِعُونَ إلى حُجَّةٍ وَلا بُرْهَانٍ.

آنِفاً - الآنَ أو السَّاعةَ أوْ مُنْذُ قَليلٍ.

(آتَاهُمْ) (تَقْوَاهُمْ)

(١٧) - وَالذينَ قَصَدُوا الاهْتِداءَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَالانْتِفَاعَ بِمَا جَاءَ في القُرآنِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالى يُوَفِّقُهم إلى ذلِكَ، وَيُثَبِّتُهُمْ عليه، وَيَشْرَحُ صُدُورَهُم لَهُ، وَيُلْهِمُهُمْ رُشْدَهُمْ، وَيُعِينُهُمْ عَلَى تَقْواهُ.

(ذِكْرَاهُمْ)

(١٨) - وَبَعْدَ أنْ قَامَتِ الدَّلائِلُ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعالى، وَوحْدَانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ نُبُوَّةِ رَسُولِهِ، وأنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ العِبَادَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُم عَلَى أعْمَالِهِم، فَماذا يَنْتَظِرُ هَؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ لِيَعْتَبِرُوا وَيُؤْمِنُوا؟ وَهَلْ سَيَظَلُّونَ عَلَى كُفْرِهِم وَتَرَدُّدِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَتَفجَاهُمْ، وَهُمْ لاهُونَ، لِيَتَأَكَّدُوا أنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ من عِنْدِ رَبِّهِم حَقٌّ، وَحِينَئِذٍ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ، وَقَدْ ظَهَرتْ عَلامَاتُ قِيامِ السَّاعَةِ، وأمَاراتُ اقْتِرابِها. وَحِينَما تَقُومُ السَّاعَةُ فَمِنْ أيْنَ لِلْكَافِرِين التَّذَكُّرُ، وَقَدْ فَاتَ أوَانُهُ، وَهُمْ لاَ يَنْتَفِعُونَ بِهِ، ولا تُقبَلُ مِنْهُمُ التَّوْبَةُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الدُّنيا.

جَاءَ أشْراطُهَا - عَلامَاتُ حُلُولِها وَوُقُوعِها.

فَأنى لَهُمُ - فَكَيفَ لَهُمْ وَمِنْ أينَ لَهُم.

ذِكْراهُمْ - تَذَكُّرُهُمْ مَا فَرَّطُوا في جَنْبِ اللهِ.

١٩ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ

(الْمُؤْمِنَاتِ (مَثْوَاكُمْ)

(١٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺ بالثَّباتِ عَلى مَا هُوَ عَلَيهِ مِنَ الإيمَانِ بأَنَّهُ لَا إلهَ إلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمن دَوام الاسْتِغْفَارِ لِنفسِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، واللهُ يَعْلَمُ تَصَرُّفَ العِبَادِ في نَهَارِهِمْ، وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهُمْ في لَيلِهِمْ، فَعَلَيهِمْ أَنْ يَتَّقُوهُ وَيَسْتَغْفِرُوهُ.

(والأحادِيثُ كَثِيرةٌ في فَضْلِ الاسْتِغْفارِ).

يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ - مُتَصَرَّفَكُمْ في حَيَاتِكُمْ.

وَمثْواكُم - مُقَامكُم وَمَكَانَ ثَوائِكُمْ.

٢٠ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ

(آمنوا)

(٢٠) - كَانَ المُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ يَشْتَاقُونَ إلى الوَحْيِ، وَيَتَمَنَّوْنَ أنْ تَنْزِلَ آيَاتٌ تَحُثُّ المُؤْمنينَ عَلَى الجِهَادِ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا نَزَلَتْ سُورَةٌ تَأْمُرُنَا بِهِ. فَإذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ وَاضِحَةُ الدَّلالةِ في الحَثِّ عَلَى الجِهَادِ، وهيَ لا تَحْتَمِلُ تَأويلاً آخرَ غَيْرَ وُجُوبِهِ، فَرِحَ بها المُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُنافِقِينَ الذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَشَخَصَتْ أبْصارُهُمْ مِنْ فَزَعِهِم وَجَزَعِهِمْ مِنْ لِقاءِ الأعداءِ، وَنَظَرُوا نَظْرَةَ الشَّاخِصِ بِبَصَرِهِ عِنْدَ المَوتِ خَوْفاً مِنَ الموتِ، وكُرْهاً لَهُ، وَكَانَ الأوْلَى بِهؤُلاءِ المُنَافِقِينَ مِنْ هذا الهَلَعِ وَالجَزَعِ أَنْ يَسْتَمِعُوا وَيُطِيعُوا.

مُحْكَمَةٌ - وَاضِحَةٌ وَلَا تَحْتَمِلُ تَأْوِيلاً آخَرَ.

المَغْشِيِّ عَلَيهِ - مَنْ أَصابَتْهُ الغَشْيَةُ والسَّكْرَةُ.

فَأَوْلَى لَهُمْ - فَالعِقَابُ وَالهَلاكُ أَحَقُّ بِهِمْ وَأَوْلَى لَهُمْ.

٢١ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ

(٢١) - وَطَاعَةٌ لله، وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ، خَيْرٌ لَهُم وَأَحْسَنُ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الهَلَعِ والجَزَعِ، فَإذا جَدَّ الجِدُّ، وَحَضَرَ القِتَالُ، فَلَو صَدَقُوا اللهَ في القِتَالِ، وَأَخْلَصُوا لَهُ النِّيَةَ، وَبَذَلُوا جَهْدَهُم لَكَانَ ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم، لأَنَّهُم يَنَالُونَ بِهِ الثَّوابَ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

طَاعةٌ - لَوْ أطَاعُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ.

عَزَمَ الأمرُ - جَدَّ الجِدُّ وَحَضَرَ الجِهَادُ.

٢٢ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ

(٢٢) - فَلَعَلَّكُمْ يَا أَيُّها المُنَافِقُونَ إنَ تَوَلَّيْتُمْ عَنِ الجِهَادِ خَوْفاً وَفَزَعاً مِن أَهْوَالِ الحَرْبِ، تَخْرُجُونَ مِنَ الإسْلامِ الذي دَخَلْتُمُوهُ في الظَّاهِرِ، وَتَعُودُونَ إلى مَا كُنْتُم عَلَيهِ في الجَاهِلِيَّةِ تُفسِدُونَ في الأَرْضِ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُم.

(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنى: فَلَعَلَّكُم إنْ تَوَلَّيْتُمُ الحُكْمَ وأُمورَ الأمَّةِ تَعْمَدُونَ إلى الإفسَادِ في الأرْضِ وَتَقْطِيعِ الأرْحَامِ).

فَهَلْ عَسَيْتُمْ - فَهَلْ يُتوقَّعُ مِنْكُم أوْ لَعَلَّكُمْ.

تَوَلَّيْتُمْ - إذا تَرَكْتُمُ الجِهَادَ - أوْ تَوَلَّيْتُمُ الحُكْمَ.

﴿٢٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ

(أولئك) (أَبْصارَهُمْ)

(٢٣) - وَالذينَ يَبْلُغُ بِهِم الأمْرُ حَدَّ التَّوَلِّي عَنِ الجِهَادِ، وَعَنِ الإيمانِ، وَحَدَّ الإقْدَامِ عَلَى الإفسَادِ في الأرْضِ وَقَطْعِ الأرْحَامِ، هُمُ الذينَ طَرَدَهُمُ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَأصَمَّهُمْ عَنِ الانْتِفَاعِ بِمَا يَسْمَعُونَ، وَأعْمَى أبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ مَا نَصَبَ اللهُ في الكَوْنِ مِنْ آياتٍ، وَعَنِ الاعْتِبَارِ بِها.

﴿٢٤﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ

(القُرْآن)

(٢٤) - أفَلَا يَتَدبَّرُ هَؤُلاءِ المُنَافِقُونَ مَا في القُرآنِ مِنْ مَوَاعِظَ وَعِبرٍ لِيَعْلَمُوا خَطأَ مَا هُمْ مُقِيمُونَ عَلَيهِ، أمْ أنَّ قُلُوبَهم وَضَعَ اللهُ عَليهَا أقفالاً فَهِيَ تَحُولُ بَيْنَهم وَبينَ فَهْمِ القُرآنِ وَتَدَبُّرِ عِظَاتِهِ؟

أَقْفَالُهَا - مَغَالِيقُها.

﴿٢٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ

(أَدْبارِهِمْ) (الشَّيْطانُ)

(٢٥) - إنَّ الذينَ ارْتَدُّوا عَنِ الإيمانِ، وَرَجَعُوا إلى مَا كَانُوا عليهِ من الكُفْرِ، مِنْ بَعْدِ ما تَبيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ، والهُدَى، والإيمانُ، الشَّيطَانُ هو الذي زيَّن لَهُم ذَلِكَ، وَحَسَّنَه في أعْيُنِهم، وَمَدَّ لَهُمْ في الآمَالِ الكَاذِبَةِ، وَوَسْوَسَ لَهُم أنَّ الحَيَاةَ لَذِيذَةٌ حُلْوَةٌ يَسْتَطِيعُونَ التَّمَتُّعَ بِها، ثُم يَتُوبُونَ وَيَعُودُونَ إلى التَّقْوى وَالإخلاصِ في الإيمانِ.

سَوَّلَ لَهُمْ - زَيَّنَ لَهُم وَحَسَّنَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ.

أَمْلَى لَهُمْ - مَدَّ لَهُمْ في الأَمَانِي البَاطِلَةِ.

﴿٢٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ

(٢٦) - وَكَانَ السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَ لِلشَّيْطَانِ سُلْطَاناً عليهم فَأدّى ذَلِكَ بِهِمْ إلى الارْتِدَادِ عَنِ الإسْلَامِ، بَعْدَ أنْ عَرَفُوا حَلاوَةَ الإيمانِ، هُو أنَّهُمْ مَالَؤُوا يَهُودَ المدِينَةِ، وَنَاصَحُوهُمْ سِرّاً عَلَى المُؤْمِنِينَ، وَاللهُ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنُونَ وَلا يَخْفَى عَلَيهِ مِنْ أمُورِهِمْ خَافِيَةٌ. وَاليَهُودُ كَرِهُوا أنْ يَبْعَثَ اللهُ رَسُولاً مِنَ العَرَبِ، فَكَادُوا للرَّسُولِ وَالإسلامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَحَارَبُوهُم حَرْباً لا هَوَادة فِيها، مَعَ أنَّهم كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِم أنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ رَسُولاً مِنْ بَني إسْمَاعِيلَ (أيْ مِنَ العَرَبِ)، وَكَانُوا هُمْ قَبلَ مَبْعَثِ الرَّسُولِ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ عَلَى عَرَبِ المَدِينَةِ، وَيَقُولُونَ لَهُم: إنَّهُمْ

سيُحَارِبُونَ العَرَبَ تَحتَ لِوائِهِ، وَسَيَنْتَصِرُونَ عَليهِم، فَلَمَا بُعثَ الرَّسُولُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ وَبِرِسَالتِهِ.

يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ - إِخْفَاءَهُمْ مَا يُسِرُّونَ في أَنْفُسِهِمْ.

(٢٧) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ

(المَلائِكَةُ) (أَدْبَارَهُمْ)

(٢٧) - فَكيفَ يَكُونُ حَالُهُم غَداً حِينَما تَأتي مَلائِكَةُ الرَّحْمَنِ لِقَبْضِ أَرْواحِهِمْ، وَهُمْ عَلَى فِراشِ المَوْتِ، وَتَضْرِبُ وُجُوهَهُمْ وأَدْبَارَهُمْ لاسْتِخْرَاجِ أَرْواحِهِم، وَلاَ يَجِدُونَ، وَهُمْ في تِلْكَ الحَالِ لاَ حَوْلَ لَهُمْ فِيهَا وَلا قوةَ، مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَاسِ اللهِ، وَلاَ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ وَالكَرْبِ وَالعَذَابِ.

(٢٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ

(رِضْوَانَهُ) (أَعْمَالَهُمْ)

(٢٨) - وَقَدْ صَارُوا إلى هَذا المَصِيرِ السَّيِّىءِ لأَنَّهُم عَمَدُوا إلى مَا يُسْخِطُ اللهَ مِنْ نِفَاقٍ وَمَعْصِيَةٍ وَتَآمرٍ مَعَ اليَهُودِ أعداءِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَأعْداءِ الإِسْلامِ، فَاتَّبَعُوهُ. وَهُمُ الذِينَ كَرِهُوا رِضوَانَ اللهِ، فَلَم يَعْمَلُوا لَهُ، بَلْ عَمِلُوا مَا يُسْخِطُ اللهَ وَيُغْضِبُهُ، فَأَبْطَلَ مَا عَمِلُوا مِنْ أَعْمالِ البِرِّ وَالخيرِ، التي كَانُوا يُعْجَبُونَ بِها، وَيَتَفاخَرُونَ بِعَمَلِها، لِيَنَالُوا بِها حُسْنَ السُّمْعَةِ عِنْدَ النَّاسِ.
أَحْبَط - أَبْطَلَ وَأَهْلَكَ.

(٢٩) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ

(أَضْغَانَهُم)

(٢٩) - أَيَحْسَبُ هَؤُلاءِ المُنَافِقُونَ، الذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَشَكٌّ وَرِيبَةٌ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ وَالإِسْلامِ، أَنَّ اللهَ لَنْ يَكْشِفَ للرَّسُولِ وَالمُؤْمِنينَ مَا في أَنْفُسِهِمْ مِنْ حِقْدٍ عَظِيمٍ كَامِنٍ، وَلَنْ يَفْضَحَهُمْ وَيَهْتِكَ أَسْتَارَهُمْ؟
أَضْغَانَهُمْ - أَحْقَادَهُمُ الكَامِنَةَ.

(٣٠) وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ

(لأَرَيْنَاكَهُمْ) (بسيماهُمْ) (أَعْمَالَكُمْ)

(٣٠) - وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالى بِكَشْفِ أَمْرِ هَؤُلاءِ المُنَافِقِينَ لِلرَّسُولِ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ ﷺ: إِنَّهُ لَوْ شَاءَ تَعَالَى لَكَشَفَ لَهُ عَنْ أَشْخَاصِهِم، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرى أَحَدَهُم فَيَعْرِفُهُ مِنْ مَلامِحِهِ (سِيماهُمْ)، وإِنَّ لَهْجَتَهُمْ وَنَبَرَاتِ أَصْواتِهِمْ، وَإِمَالَتَهُمْ في لَفْظِ الكَلِماتِ، وَانحِرَافَ مَنْطِقِهِم في خِطَابِ الرَّسُولِ، سَيَدُلُّه كُلُّ ذَلِكَ عَلَى نِفَاقِهِمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَعمالَ العِبَادِ، وَسَوفَ يُجَازِيهِمْ بِها.

بِسِيماهُمْ - بِعَلامَاتٍ يَسِمُهُمْ بِها.
فِي لَحْنِ القَوْلِ - بِطَرِيقَةِ كَلامِهِم المُلْتَوِيَةِ.

(٣١) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ

(الْمُجاهِدِينَ) (الصَّابِرِينَ) (نَبْلُوَ)

(٣١) - أمَرَ اللهُ تَعالى العِبَادَ بالإيمانِ وَبالجِهادِ، وَبالأخْذِ بِمَا أمَرَهُمْ بِهِ، وَبالانْتِهاءِ عَمَّا نَهاهُمْ عَنْهُ، لِيَخْتَبِرَهُمْ وَيَكْشِفَ حَقِيقَتَهُم، فَيَظْهَرَ المُجَاهِدُون الصَّابِرُونَ، وَالمُؤْمِنُونَ المُخْلِصُون، والمُسْتَسْلِمُونَ للهِ وَأَمْرِهِ وَقَدَرِهِ، وَيَظْهَرَ المُتَشَكِّكُونَ النَّاكِلُونَ عَنِ الجِهَادِ، وَعَنِ القِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.
لَنَبْلُوَنكُمْ - لَنَخْتَبِرَنَّكُمْ بالتَّكالِيفِ الشَّاقَّةِ.
نَبْلُو أخْبارَكُمْ - نُظْهِرُهَا وَنَكْشِفُها.

(٣٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ

(أعمالَهُمْ)

(٣٢) - إنَّ الذينَ كَفَرُوا باللهِ، وَآرتَدُّوا عَنِ الإسْلاَم وَخَالَفُوا الرَّسُولَ، وَوَقَفُوا في وَجْهِ الحَقِّ أنْ يَبْلغَ النَّاسَ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ في الإِسْلامِ بالقُوَّةِ وبالمَالِ وَبالخِدَاعِ، وَشَاقُّوا الرَّسُولَ بِمُحَارَبَتِهِ في حَيَاتِهِ، وَبِمُحَارَبَةِ دِينِهِ أوْ شَرِيعَتِهِ بَعْدَ مَماتِهِ.

إنَّ الذينَ يُقْدِمُونَ عَلَى شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَعْدَ أنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُ هُوَ الحَقُّ، فَإنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً، لأنَّ اللهَ بَالِغُ أمْرِهِ، وَنَاصِرُ رَسُولِهِ وَمُظْهِرُ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّه، وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ، وَسَيُحْبِطُ اللهُ أعْمالَهُم، فَتَنْتَهِي إلى الخَيْبَةِ وَالدَّمَارِ.



(٣٣) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ

(يَا أيُّها) (آمَنُوا) (أعْمالَكُمْ)

(٣٣) - يَأمُرُ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ بإطَاعَةِ اللهِ، وَإطَاعَةِ رَسُولِهِ فِيما يَأمُرانِهِمْ بِهِ، وَفيما يَنْهيانِهِمْ عَنْهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ إبْطَالِ أعْمَالِهِم الحَسَنةِ، بارتِكَابِ المَعَاصِي، وَفِعْلِ الكَبَائِرِ والنِّفَاقِ،وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأعْمالِ التي تُبطِلُ الحَسناتِ وَتُذْهِبُها.

(٣٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ

(٣٤) - إن الذِينَ كَفَرُوا باللهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَصَدُّوا النَّاسَ عن الدُّخُولِ في الإسْلامِ، ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ، فإنَّ اللهَ لَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، وَلَنْ يَعْفُوَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، لأنَّ بَابَ التَّوبَةِ يَظَلُّ مَفْتوحاً لِلكَافِرِ وَالعَاصِي حَتَّى تَبْلُغَ رُوحُهُ الحُلْقُومَ، فإذا بَلَغَتْهُ فَلا تَوْبَةَ وَلاَ مَغْفِرَةَ.

(٣٥) فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ

(أعْمالَكُمْ)

(٣٥) - فَلا تَضْعُفُوا يَا أيُّها المُؤْمِنُونَ عَنِ الجِهَادِ، وَقِتَالِ الكُفَّارِ

أَعْمَٰلَكُمْ

وَالْمُشْرِكِينَ، وَلا تَدْعُوا إلى المُهَادَنَةِ وَالمُسَالَمةِ وَوَضْعِ القِتَالِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ الغَالِبُونَ بِقُوَّةِ الإِيمَانِ، وَاللهُ مَعَكُمْ يَنْصُرُكُمْ عَلَيهِم، وَلَا يَظْلِمُكُمْ شَيْئاً مِنْ ثَوابِ أَعْمَالِكُمْ.

فَلَا تهِنُوا - فَلَا تضْعُفُوا عَنْ مُقَاتَلَةِ الكُفَّارِ.

السَّلْمِ - الصُّلْحِ وَالمُوادَعَةِ وَتَرْكِ القِتَالِ.

يَتِرَكُم أَعْمَالَكُم - يُنْقِصَكُمْ أُجُورَهَا.

٣٦ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ

(الْحَياةُ)(يَسْأَلْكُمْ) (أَمْوالَكُم)

(٣٦) - يَحُضُّ اللهُ المُؤْمِنِينَ عَلَى الجِهَادِ، وَعَلَى بَذْلِ الأَرْوَاحِ وَالأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفِي سَبِيلِ نَصْرِ دِينِهِ. وَيُصَغِّرُ لَهُمْ شَأْنَ الدُّنيا، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الحَيَاةَ الدُّنيا لهوٌ ولعبٌ لا يَلْبَثُ أَنْ يَضْمَحِلَّ حِينَ لا يَكُونُ وَرَاءَها غايَةٌ أَكْرَمُ وأبقى، فَلَا يَنْبَغي لِعَاقِلٍ أَنْ تَصْرِفَهُ لَذَائِذُ هذِهِ الحَيَاةِ الفَانِيةِ عَنِ العَمَلِ فيما يُرْضِي اللهَ تعالى، وَيُوصِلُهُ إلى الفوزِ بنعيمِ الآخِرةِ. وإنْ تُؤْمِنُوا باللهِ وبكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتَتَّقُوهُ حقَّ تُقَاتِهِ فَتَقُومُوا بما أَمَرَكُم بِهِ، وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُ يُثِيبُكُمْ عَلَى أَعمالِكُم، وَلا يبخسُكمْ مِنْها شيئاً.

وإذا كَانَ اللهُ تَعَالى قَدْ أَمَرَكُم بإِخراجِ الزَّكَاةِ، وبالإنفاقِ في وُجُوهِ الطَّاعَاتِ فَما ذَلِكَ إلّا لِمُواسَاةِ إخوانِكم الفُقَرَاءِ، وَهُوَ تعالى غنيٌّ عَنْكم وعَنْ أَمْوالِكم، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَأْمُرُكُم بإنفاقِ أموالِكم جَميعِها، وإنما يأمُرُكم بإِخراجِ القَليلِ منها، وَهُو تَعالى لا يُريدُ أن يشُقَّ عَلَى العِبادِ في فَرَائِضِهِ وَتَكاليفِهِ لأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فُطِرَت عَليهِ النُّفوسُ مِنْ شُحٍ وَحِرْصٍ.

٣٧ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ

(يَسْأَلْكُمُوهَا) (أَضْغانَكُمْ)

(٣٧) - فَإِنَّهُ تَعالى إذا أمرَ المُؤْمِنينَ بإخراجِ أَمْوالِهِم كُلِّها، وَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ فِي طَلَبِ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ يُحْرِجُهُمْ بِذَلِكَ، وَيُظْهِرُ شُحَّ نُفُوسِهِمْ، وَتَعَلُّقَهُمُ الشَّديدَ بالمالِ، فَتَخْرُجُ أَحْقَادُهُمْ.

يُحْفِكُمْ - يُجْهِدْكُمْ في طَلَبِها.

وَيُقَالُ أَحفَاهُ بالمَسْأَلَةِ إذا أَكْثَرَ الإِلْحاحَ فيها.

أَضْغَانَكُمْ - أَحْقَادَكُمْ عَلى الإِسْلامِ.

٣٨ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ

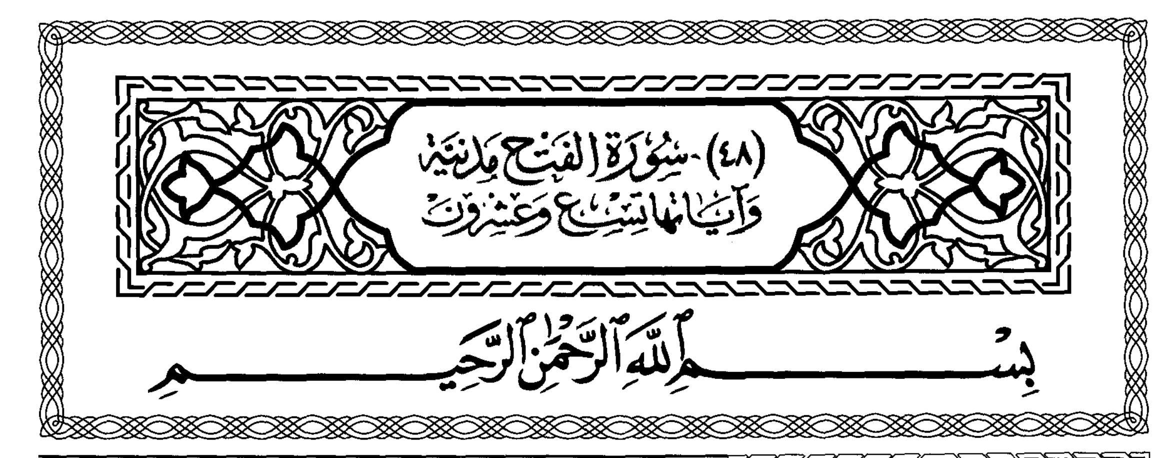
(هَا أَنْتُمْ) (أَمْثَالَكُمْ)

(٣٨) - إِنَّكُمْ يَا أَيُّها المُسْلِمُونَ تُدعونَ إلى الإِنْفَاقِ في سَبِيلِ اللهِ، وَفِي سَبيلِ مُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ، وَفِي سَبيلِ نَصْرِ دِينِهِ. وَمَنَ المُؤمنينَ مَنْ يَبْخلُ بالإِنْفَاقِ فِي هذا السَّبِيلِ، وَمَنْ يَبْخلْ فَإِنَّما يضُرُّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، لأَنَّهُ

وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ
وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم

يَحرمُها ثوابَ اللهِ، وَيَحْرِمُها مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، وَاللهُ غَنِيٌّ عَنِ العِبَادِ، وَعَنْ أمْوالِهِم وَعَنْ جِهَادِهِمْ، وَهُمُ الفُقَرَاءُ إلى فَضْلِهِ وإحْسَانِهِ، وَإنما حَثَّهُمْ عَلَى الجِهادِ وَالبَذْلِ لِيَنَالوا الأجْرَ وَالمثُوبَةَ.

ثُمَّ يَقولُ تَعَالى لَهُم: إنَّهُم إنْ كانُوا يَتَوَلَّوْنَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَعَنِ آتِّبَاعِ شَرْعِهِ فإنه قادِرٌ عَلى إهْلاَكِهِمْ، وَعَلى الإتْيَانِ بقَومٍ آخَرينَ يُؤْمِنُون باللهِ وَيَسْتَجِيبُون لأوامِرِهِ، وَيَعْمَلُونَ بشَرائِعِهِ، وَلاَ يَكُونُونَ أمْثَالَ مَنْ أهْلَكَهُمْ في البُخْلِ وَالتَّبَاطُؤِ عَنِ الجِهَادِ.



إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾

(١) - نَزَلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ في طَرِيقِهِ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ إلى المَدِينَةِ، بَعْدَ أَنْ أَبْرَمَ مَعَ قُرَيشٍ وَثِيقَةَ الصُّلحِ المَعْرُوفِ بِصُلْحِ الحُدَيْبِيةِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (إِنَّكُم تَعُدُّون الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ صُلْحَ الحُدَيْبِيَةِ).

وَفِي هٰذِهِ السُّورَةِ يَقُولُ اللهُ تَعالى لِرَسُولِهِ ﷺ ، إِنَّهُ فَتح لَهُ فَتْحاً ظَاهِراً مُبِيناً بِعَقْدِ الصُّلحِ في الحُدَيْبِيَةِ مَعَ قُرَيشٍ ، إِذْ أَمِنَ النَّاسُ، وَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ، وَتَكَلَّمَ المُؤْمِنُ مَعَ الكَافِرِ، وَتَسَابَقَ العَرَبُ إِلى الدُّخُولِ في دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً، حَتَّى إذا كَانَ بَعْدَ عَامَينِ سَارَ رَسُولُ اللهِ لِفَتْحِ مَكَّةَ في عَشَرَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ، أَكْثَرُهُمْ دَخَلَ الإِسْلامَ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.

لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾

(صِراطاً)

(٢) - لِيَغْفِرَ اللهُ لَكَ جَمِيعَ ما صَدَر عَنْكَ مِنَ الذُّنوبِ وَالهَفَواتِ، قَبْلَ الرِّسالةِ وبَعْدَها، وَيُتِمَّ رَبُّكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بِإِعْلاءِ شَأْنِكَ وَشَأْنِ الإِسْلامِ ، وانتِشارِهِ في البُلْدانِ، وَرَفْعِ ذِكْرِكَ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وَيُرْشِدَكَ رَبُّكَ طَرِيقاً مِنَ الدِّينِ لا اعْوِجَاجَ فِيهِ، بِما يَشْرَعُهُ لَكَ مِنَ الشَّرْعِ ، وَالدِّينِ القَوِيمِ.

وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

(٣) - وَيَنْصُرَكَ اللهُ عَلَى مَنْ عَادَاكَ نَصْراً ذا عِزَّةٍ.

هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

(إِيمَاناً) (إِيمَانِهِمْ) (السَّماوَاتِ)

(٤) - كَانَ مِنْ شُرُوطِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ شَرْطَانِ تَرَكَا أَثَراً فِي نُفُوسِ المُؤْمِنِينَ:

١ - أَنْ لا يَدْخُلَ المُسْلِمُونَ مَكَّةَ عَامَهُمْ ذَاكَ، وَأَنْ يَأْتُوا مُعْتَمِرِينَ فِي العَامِ الذي يَلِيهِ.

٥ لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا

٦ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا

٢ ـ أنْ يَرُدَّ المُسْلِمُونَ مَنْ جاءَهُمْ مِنْ قُرَيشٍ مُسْلِماً إلى قَوْمِهِم، وَأنْ لَا تَرُدَّ قُرَيشٌ مَنْ جاءَها مِنَ المُسْلِمِينَ مُرْتَداً عَنِ الإسْلامِ.

وَظَنَّ بَعْضُ المُسْلِمِين أنَّ في هٰذينِ الشَّرْطَينِ غبْناً لِلمُسْلِمِينَ، حَتّى إن رَسُولَ اللهِ لَمَّا أمرَ المُسْلِمِينَ بِنَحْرِ الهَدْيِ، وَبِحَلْقِ شُعُورِهِمْ، لَمْ يَمْتَثِلوا لأمْرِه في بَادىءِ الأمرِ، فَقَدْ ثَارَتْ في نُفُوسِهِم الحَمِيَّةُ للإسْلامِ فَأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهم، وَلِيَزْدَادُوا يَقِينا في دِينِهِمْ بِطَاعَةِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَاللهُ تَعَالى هُوَ الذِي يُدَبِّرُ أمرَ الكَوْنِ، فَيَجْعَلُ جَماعَةً مِنْ جُنْدِهِ يُقَاتِلُون لإعْلاَءِ كَلِمَةِ الحَقِّ، وَيَجْعَلُ غَيْرَهم يُقَاتِلُونَ في سَبيلِ الشَّيْطَانِ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأرْسَلَ عَلَيْهِم جُنْداً مِنَ السَّماء يَقْضُونَ عَلَيهم، لٰكِنَّهُ سُبْحَانَه وَتَعَالى شَرَعَ الجِهَادَ وَالقِتَالَ لما في ذٰلِكَ مِنَ المَصْلَحَةِ التِي لاَ يَعْلَمُها إلاَّ هُوَ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِالأمُورِ، حَكِيمٌ في شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِه.

السَّكِينَة ـ السُّكُونَ وَالطُّمَأْنِينَة.

(الْمُؤمِنَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الأنْهارُ) (خَالِدِينَ)

(٥) ـ وَإنما قَدَّرَ اللهُ تَعَالى ذٰلِكَ لِيَعْرِفَ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ نِعْمَةَ اللهِ، وَيَشْكُرُوهَا فَيَدْخُلُوا الجَنَّةَ لِيَبْقَوْا فِيها خَالِدِينَ أبداً، وَلِيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِأعْمَالِهِم الصَّالِحةِ، وفي ذٰلِكَ ظَفَرٌ لَهُم بما يَرْجُونَ، وَمَا يَسْعَوْنَ إليهِ. وَهٰذا الظَّفَرُ بِالبُغْيةِ، وَدُخُولُ الجَنَّةِ، هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ.

((الْمُنَافِقِينَ) (الْمُنَافِقَاتِ) (الْمُشْرِكَاتِ) (دَائِرَةُ)

(٦) ـ وَلِيُعَذِّبَ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ، وَالمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِم وَالمُشْرِكَاتِ، في الدُّنيا بالقَهْرِ والغَلَبةِ، وَبِتَسْلِيطِ النَّبِيِّ وَالمُسْلِمِينَ عَلَيهِمْ، وفي الآخِرَةِ بِالعَذَابِ الأليمِ في نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَدْ كَانَ هٰؤلاءِ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ يَظُنُّونَ أنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ الرَّسُولَ وَالمُؤْمِنينَ عَلَى الكَافِرِينَ، وَكَانُوا يَتَرَبَّصُونَ بِهِم الدَّوائِرَ وَقَدْ دَعَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هٰؤلاءِ بِأنْ تَدُورَ عَلَيهِمْ أحْدَاثُ الزَّمَنِ بِالسَّوْءِ، وأنْ تَنْزِلَ بِهِم النَّكَبَاتُ وَالمَصَائِبُ، ثُمَّ لَعَنَهم اللهُ وَغَضِبَ عَلَيهِمْ، وَأنْذَرَهُم بِأنَّهُ أعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أليماً في نَارِ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَصِيراً يَصِيرُ إليهِ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ.

ظَنَّ السَّوْءِ ـ ظَنَّ الأمْرِ الفَاسِدِ المَذْمُوم.

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ـ دُعَاءٌ عَلَيهِمْ بِالهَلاكِ وَالدَّمَارِ.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٧)

(السَّماوَاتِ)

(٧) - يُؤكِّدُ اللهُ تَعالى قُدْرَتَهُ عَلَى الانْتِقامِ مِنْ أَعْدائِهِ، وَأَعْداءِ رَسُولِهِ، المُنافِقِينَ وَالمُشْرِكِينَ، فَقالَ تَعالى: إِنَّهُ يَمْلِكُ جُنودَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ مِنَ المَلائِكَةِ وَالإِنْسِ، وَالجِنِّ، والصَّيْحَةِ، وَالرَّجْفَةِ، والزَّلازِلِ والفَيَضَانَاتِ، وَالرِّيحِ العَقِيمِ .. فإذا شَاءَ أَنْ يُهلِكَ أَعْداءَهُ سَلَّطَ بَعْضَ هؤلاءِ الجُنُودِ عَلَيهِم فَأَهْلَكَهُمْ، وَاللهُ غَالِبٌ لا يُرَدُّ بَأْسُهُ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨)

(أَرْسَلْنَاكَ) (شَاهِداً)

(٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحمَّدُ شَاهِداً عَلَى الخَلْقِ فِيما أَجابُوكَ بِهِ عَلَى دَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ للإِيمَانِ باللهِ، فَتُبَشِّر المُؤْمِنِينَ الذِينَ آستَجَابُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ فِي الآخِرَةِ، والثَّوابَ الحَسَنَ، وَتُنْذِرَ المُكَذِّبِينَ المُعْرِضِينَ عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِليهِ، بِعَذابٍ أليمٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩)

(٩) - فَآمِنُوا يَا أَيُّها النَّاسُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَانْصُرُوا دِينَه وَعَظِّمُوهُ، وَنَزِّهُوهُ عَمَّا لا يَلِيقُ بِجَلالِهِ فِي الغُدُوِّ والعَشِيِّ.

عَزِّرُوهُ - آنْصُرُوهُ بِتَفانٍ.

وَقِّرُوهُ - عَظِّمُوهُ وَبَجِّلُوهُ.

بُكْرَةً وَأَصِيلاً - فِي الغُدُوِّ وَالأَصائِلِ أَيْ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِ اليَوْمِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٠)

(عاهَدَ)

(١٠) - حِينما وَصَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى الحُدَيْبِيَةِ مُعْتَمِراً (وَالحُدَيْبِيَةُ قَرْيَةٌ عَلَى مَسِيرَةِ مَرْحَلةٍ مِنْ مَكَّةَ)، مَعَ ألفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ، دَعَا خُراشَ بْنَ أُمَيَّةَ الخزاعِي فَبَعَثَهُ إلى قُرَيشٍ بِمَكَّةَ لِيُبَلِّغَ أَشْرافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لأَجْلِهِ، فَعَقَرَتْ قُرَيشٌ الجَمَلَ، وَأَرادُوا قَتْلَ خُراشٍ فَمَنَعَتْهُ الأَحَابِيشُ، فَخَلُّوا سَبِيلَه، فَعَادَ إلى رَسُولِ اللهِ، وَأَخْبَرَه بِمَا جَرى. وَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُرْسِلَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، فاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَقارِبُ فِي مَكَّةَ يَمْنَعُونَهُ، وَدَلَّه عَلَى عُثْمانَ بْنِ عَفَّانَ، فَاسْتَدْعَاهُ إِليهِ وَأَرْسَلَهُ إِلى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرافِ قُرَيشٍ، يُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَإِنما جَاءَ زَائِراً لِلْبَيتِ، مُعْتَمِراً، فَلَقِيَهُ أَبانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، حِينَ دَخَلَ عُثْمانُ مَكَّةَ، فَجَعَلَهُ فِي جِوارِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ إِبلاغِ رِسَالَتِهِ، ثُمَّ إِنَّ قُرَيشاً آحْتَبَسَتْ عُثْمانَ بْنَ عَفَّانَ عِنْدَهُمْ فَشَاعَ بَينَ المُسْلِمينَ أَنَّ عُثْمانَ قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ الرَّسُولُ: لاَ نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ.

سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾

وَدعَا النَّاسَ إلى البَيْعَةِ فَكَانت بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ شَجرةٍ كَانَتْ هُنَاكَ. وَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلى ألَّا يَفِرُّوا أبداً. وَلَم يَتخلَّفْ عَنِ البَيْعَةِ إلا الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَهُوَ مُنَافِقٌ مِنَ الأنْصَارِ. وَعَلِمَتْ قُرَيْشٌ بالبَيْعَةِ فَخَافَتْ وَأرْسَلَتِ الرُّسُلَ إلى النَّبِيِّ يَسْألُونَهُ الصُّلْحَ وَالمُوادَعَةَ، فَتَمَّ الصُّلْحُ عَلى أنْ يَرْجِعَ الرَّسُولُ وَالمُسْلِمُونَ هٰذا العَامَ، وَلاَ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، وَأنْ يَحُجَّ في العَامِ القَادِمِ، وَعَلى أنْ يَقُومَ صُلْحٌ بَينَ الرَّسُولِ وَقُرِيشٍ مُدَّتُهُ عَشْرُ سَنَواتٍ.

وَفِي هٰذهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ يَتحدَّثُ اللهُ تَعالى عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوانِ التي تَمَّتْ تَحْتَ الشَّجرةِ، فَيقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ: إنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ في الحُديبيَةِ مِنْ أصْحابكَ عَلى ألَّا يَفرُّوا مِنَ المَعْرَكَةِ، وَلا يُوَلُّوا الأدْبَارَ، إنَّما يُبَايِعُونَ اللهَ بِبَيْعَتِهِمْ إيَّاكَ، واللهُ حَاضِرٌ مَعَهُم، وَهُمْ يَضَعُونَ أيديَهم في يَدِكَ مُبَايِعِينَ، يَسْمَعُ أقْوالَهُم، وَيَرى مَكانَهُمْ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ، فَهُوَ تَعَالى المُبَايِعُ بِوَاسِطَةِ رَسُولِهِ، وَيَدُهُ فَوْقَ أيْدِيهِمْ.

وفي الحديث: (مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ بَايَعَ).

فَمَنْ نَقَضَ البَيْعَةَ التِي عَقَدَهَا مَعَ النَّبِيِّ فإنَّ ضَرَرَ ذٰلِكَ إنَّما يَعُودُ عَلَيهِ، وَلاَ يَضرُّ بالنَّكْثِ وَالإخْلاَفِ إلا نَفْسَهُ.

أمَّا مَنْ أوفى بِعَهدِ البَيْعَةِ فإنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ الأجْرَ والمَثُوبَةَ في الآخِرَةِ، وَيُدْخِلُه الجَنَّةَ لِيبْقَى فِيها خَالِداً.

نَكَثَ - نَقَضَ العَهْدَ أوِ البَيْعَةَ.

(أمْوالُنَا)

(١١) - لَمَا اتَّجَهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى مَكَّةَ مُعْتَمِراً عَامَ الحُدَيْبِيَةِ اسْتَنْفَرَ القَبَائِلَ المُسْلِمَةَ التِي تُقِيمُ حَوْلَ المَدِينةِ، فَنَفر أُنَاسٌ وَتَبَاطأَ أُنَاسٌ وَكَانَ مِمَّنْ تَبَاطأَ وَاعْتَذَرَ عَنِ الخُرُوجِ مَعَهُ: قَبَائِلُ جُهَينَةَ وَمُزَيْنَةَ وَغِفَارٍ وَأشْجَعَ وَأسْلَمَ، وَقَالُوا للرَّسُولِ مُعْتَذِرينَ:

إنَّ أمْوَالَهم وَأهْلِيهِمْ قَدْ شَغَلَتْهُمْ عَنِ الخُرُوجِ مَعَهُ، وَلٰكِنَّهُمْ في الحَقِيقَةِ كَانُوا ضِعَافَ الإيمَانِ، خَائِفِينَ مِنْ مُوَاجَهَةِ قُرِيشٍ وَثَقِيفٍ وَكِنَانَةَ وَالقَبَائِلِ المُحَالِفَةِ لِقريشٍ حَوْلَ مَكَّةَ. وَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ:

كَيفَ نَذْهَبُ إلى قَوْمٍ غَزَوْهُ في عُقْرِ دَارِهِ بالمَدِينَةِ فَنُقَاتِلُهُم؟ وَقَالُوا: لَنْ يَرْجِعَ مُحمَّدٌ وَأصْحَابُهُ مِنْ هٰذِهِ السَّفْرَةِ، فَأنْزَلَ اللهُ تَعالى هٰذِهِ الآيَةَ يَفْضَحُهُم فِيها.

وَمَعْنَى الآيَةِ: سَيَقُولُ لَكَ الذِينَ تَخلَّفُوا مِنَ الأعْرَابِ عَنْ صُحْبَتِكَ إلى

مَكَّةَ لِلْعُمْرَةِ: لَقَدْ شَغَلَتْنا عَنِ الخُرُوجِ مَعَكَ رِعَايَةُ أَمْوالنا وَأَهْلِينا، فَاسْتَغْفِرْ لَنَا اللهَ رَبَّكَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ تَخَلُّفُنا عَنْ مُخَالَفَةٍ لِأَمْرِكَ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالى عَلَيهم مُكَذِّباً فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهم لَيْسُوا بِصَادِقِينَ في قَوْلِهِمْ إِنَّ سَبَبَ آمْتِنَاعِهِمْ عَنِ الخُرُوجِ هُوَ رِعَايَةُ مُصَالِحِ أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَإِنَّهُم إِنَّما تَخَلَّفُوا لاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ وَالمُؤْمِنِينَ سَيُغْلَبُونَ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَرْجِعُوا مِنْ سَفَرِهِمْ هٰذا أَبَداً.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الرَّسُولَ الكَرِيمَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ قَعَدْتُمْ ظَنّاً مِنْكُمْ أَنَّ في القُعُودِ السَّلامَةَ، ولٰكِنْ إِذا أَرَادَ اللهُ بِكُمْ شَرّاً وَسُوءاً فَلَنْ يَنْفَعَكُمُ القُعُودُ شَيئاً، وَإِذا أَرَادَ بِكُم خَيراً فَلا رَادَّ لِقَضَائِهِ. وَاللهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّهُ العِبَادُ، وَمَا يُعْلِنُونَهُ، وَلاَ يَخْفَى عَلَيهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيءٌ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هٰؤُلاءِ المُعْتَذِرِينَ مِنَ الأعرابِ كَاذِبُونَ فِيما قَالُوا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُم إِنَّما تَخَلَّفُوا شكاً وَنفَاقاً وَضَعْفَ إِيمانٍ.

المُخَلَّفُون - المُتَخَلِّفُونَ عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ إِلى الحُدَيْبِيَةِ.

(١٢) بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا

(١٢) - فَقَدْ كَانَ سَبَبَ قُعُودِكُمْ هُوَ آعْتِقَادُكُم أَنَّ الرَّسُولَ والمُؤْمِنينَ سيُقْتَلُونَ، وَسَتُستَأْصَلُ شَأْفَتُهُمْ، وَلَنْ يَعُودَ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الغَزْوَةِ إِلى أَهْلِيهِم، وَزَيَّنَ لَكُمُ الشَّيْطَانُ ذٰلِكَ الظَّنَّ السَّيِّءَ. فَقَعَدْتُمْ عَنْ صُحْبَتِهِ، وَظَنَنْتُم أَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ عَلَى أَعْدائِهِمْ فَصِرْتُمْ بِهٰذِه المَقَالَةِ قَوْماً هَالِكِينَ، مُسْتَوجِبِينَ سُخْطَ اللهِ وَعَذَابَهُ.

لَنْ يَنْقَلِبَ - لَنْ يَرْجِعَ إِلى المَدِينَةِ.

بُوراً - هَالِكِينَ.

(١٣) وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا

(لِلْكَافِرِينَ)

(١٣) - وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَيُخْلِصِ العَمَلَ للهِ في الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ، فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لَهُ نَاراً مُلْتَهِبَةً يُعَذَّبُ فِيها يَوْمَ القِيَامَةِ، جَزاءً لَهُ عَلَى كُفْرِهِ.

السَّعِيرُ - النَّارُ ذَاتُ اللَّهَبِ.

(١٤) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

(السَّمَاوَاتِ)

(١٤) - وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَلاَ رَادَّ لِحُكْمِهِ وَهُوَ صَاحِبُ السُّلْطَانِ المُطْلَقِ في السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ فَيَغْفِرُ لمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ذُنُوبَهُ، وَيُدْخِلهُ الجَنَّةَ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُدْخِلُهُ النَّارَ، وَاللهُ كَثِيرُ المَغْفِرَةِ والرَّحْمةِ.

(١٥) سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا

(كَلَامَ)

(١٥) - بَعْدَ أَنْ أَمِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَرَّ قُرَيْشٍ بِعَهْدِ الحُدَيْبِيَةِ، اتَّجَهَ إلى اليَهُودِ في خَيْبَرَ لِيَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُمْ، وَيَقضِيَ عَلى شَرِّهِمْ؛ إذْ لاَقَى الرَّسُولُ وَالمُسْلِمُونَ مِنَ اليَهُودِ، وَكَيْدِهِم الشَّيءَ الكَثِيرَ. وَلما أَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ الخُرُوجَ إلى خَيْبَرَ تَقَدَّمَ الأَعْرَابُ، الذِينَ تَخلَّفُوا عَنِ السَّيرِ مَعَ الرَّسُولِ إلى الحُدَيْبِيَةِ، يَطْلُبُونَ الإِذْنَ لَهُمْ بِالخُرُوجِ مَعَهُ إلى خَيْبَرَ، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَه ﷺ بِألاَّ يَأْذَنَ لَهُمْ بِالخُرُوجِ مَعَهُ، لأَنَّهُمْ قَعَدُوا حِينَما كَانَتْ هُنَاكَ مَخَاطِرُ حَرْبٍ شَدِيدةٍ، وَهُمْ يُرِيدُونَ الخُرُوجَ الآنَ لِيَحُوزُوا المَغَانِمَ السَّهْلَةَ، فَقَالَ هؤلاءِ المُخَلَّفُونَ إنَّ سَبَبَ مَنْعِهِمْ مِنَ الخُرُوجِ إلى خَيْبَر هُوَ حَسَدُ المُؤْمِنِينَ لَهُمْ أَنْ يُشَارِكُوهُمْ في المَغْنَمِ.

وَمَعْنَى الآيَةِ: يَقُولُ الذِينَ تَخلَّفُوا عَنْ صُحْبَتِكَ في عُمْرَةِ الحُدَيْبِيَةِ، مُعْتَذِرِينَ بِرِعَايَةِ مَصَالِحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، دَعُونا نَسِرْ مَعَكُمْ إلى خَيْبَرَ، وَهُمْ بِذلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ الرَّسُولَ وأَصْحَابَهُ، الذِينَ سَارُوا مَعَهُ إلى الحُدَيْبِيَةِ، بِأَنَّ يَكُونَ لَهُمْ مَغْنَمُ خَيْبَرَ خَالِصاً لاَ يُشَارِكُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ. فإذا سَمَحَ الرَّسُولُ لَهُمْ بِالخُرُوجِ مَعَهُ إلى خَيْبَرَ كَانَ لَهُمْ حَقٌّ بِالمُشَارَكَةِ فِي المَغْنَمِ. وَفِي ذلِكَ تَبْدِيلٌ لِكَلماتِ اللهِ وَوَعْدِهِ. وَأَمَرَ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ بِأَنْ يَقُولَ لِهؤلاءِ الأَعرابِ: لَنْ تَتْبَعُونا كَذلك قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ، إذْ إنَّ اللهَ جَعَلَ مَغْنَمَ خَيْبَرَ خَالِصاً لِمَنْ كَانُوا مَعَ الرَّسُولِ فِي الحُدَيْبِيَةِ، فَادَّعَى هؤُلاءِ الاعْرَابُ أَنَّ اللهَ مَا قَالَ ذلكَ مِنْ قَبْلُ، بَلْ إنَّ المُسْلِمينَ يَحْسُدُونَهُمْ وَلا يُرِيدُونَ أَنْ يُشَارِكَهُمْ أَحَدٌ في المَغْنَمِ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعالى قَائِلاً لِهؤلاءِ: إنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَما قَالَ هؤُلاءِ المُنَافِقُونَ مِنْ أَنَّكُمْ تَمْنَعُونَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِكُمْ حَسَداً مِنْكُمْ لَهُمْ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ القَوْلَ لأَنَّهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ أَمْرَ الدِّينِ إلاَّ قَلِيلاً وَلَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ لما اتَّهَمُوا الرَّسُولَ وَالمؤْمنِينَ بالحَسَدِ، وَلما نَفَوا أنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ وَعَدَ أَصْحَابَ الحُدَيْبِيَةِ بِحَوْزِ مَغْنَمِ خَيْبَرَ وَحْدَهُمْ.

ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ - دَعُونَا نَخْرُجْ مَعَكُمْ إلى خَيْبَرَ.

كَلاَمَ اللهِ - حُكْمَهُ بِاخْتِصَاصِ أَهْلِ الحُدَيْبِيَةِ بِالمَغْنَمِ.

(١٦) قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ

(تُقَاتِلُونَهُمْ)

(١٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهؤُلاءِ الأَعْرابِ، الذِينَ تَخلَّفُوا عَنْ صُحْبَتِكَ إلى الحُدَيْبِيَةِ: إِنَّكُمْ سَتُدعَوْنَ إلى قِتَالِ قَوْمٍ أُولي قُوَّةٍ وَنَجدَةٍ وَبَأْسٍ، وَإِنَّ

فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

عَلَيْكُمْ أَنْ تخَيِّروهُـمْ بَيْنَ أَمْرَين: إمَّا السَّيفُ وَإمَّا الإسْلاَمُ - وهٰذا حكْمٌ عَـامٌ في مُشْركي العَـرَبِ وَالمُرْتَـدِّين - فَإذا أَطَعْتُمْ أَمْـرَ اللهِ وَرَسُـولـهِ، وَخرَجْتُمْ إلى مُجاهَدَةِ هٰؤلاءِ، فإنَّ اللهَ سَيُثِيبُكُمْ عَلَى ذٰلكَ ثَوَابـاً جَزِيـلاً فَتَنالُونَ المَغْنَمَ في الدُّنيا، وَالجَنَّةَ في الآخِرَةِ. أَمَّـا إذا رَفَضْتُمُ الخُرُوجَ إليهم، وَالمُبادَرَةَ إلى مُجاهَدَتِهِمْ، وَعَصَيْتُمْ أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا فَعَلْتُمْ مِنْ قَبْـلُ،حِينَ قَعَدْتُمْ عَنِ الخُـرُوجِ إلى الحُدَيْبِيَـةِ، فَإِنَّ اللهَ سَيُعَـذِّبُكُمْ عَذاباً أليماً في الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

أولِي بَأْسٍ - أَصْحَابُ شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ في الحَرْبِ.

١٧ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا

(جَنَّاتٍ) (الأنهارُ)

(١٧) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَـالى في هٰـذِهِ الآيَـةِ الأَعْـذَارَ المُبيحَـةَ للقُعُـودِ عَنِ الجِهَادِ، فَيَقُولُ: إنَّهُ لا إثْمَ وَلاَ مَلاَمةَ عَلَى الذِينَ يَتَخلَّفُونَ عنِ الخُرُوجِ إلى الجِهَادِ مَعَ المُؤْمِنِينَ بِسَبَبِ ما بِهِمْ مِنْ عِلَلٍ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الخُرُوجِ، وَمِنَ القِتَالِ: كَالعَمَى وَالعَرَجِ وَالمَرضِ. ثُمَّ حثَّ اللهُ تَعَالى المُؤْمِنِينَ عَلى الجِهَـادِ، وَرَغَّبَهُم فِيهِ، وَبَيَّنَ لَهُم مَـا أَعَدَّهُ لِلْمُجَـاهِدِينَ مِنْ أجرٍ وَثَوابٍ في الآخِرَةِ. فَقالَ تَعَالى: وَمَنْ يُطِع اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُجِبِ الدَّعْوةَ إلى مُجَاهَدَةِ الكُفَّارِ والمُشْرِكِين دِفَاعاً عَنْ دِينِهِ، وَإعلاءً لِكَلِمَةِ رَبِّهِ، فَإنَّ اللهَ سَيُدْخِلُهُ يومَ القِيامَةِ جَنَّاتٍ تَجري الأَنْهارُ مِنْ تَحْتِها، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَرْفُضِ الخُرُوجَ إلى الجِهادِ فإنَّ اللهَ سَيُعَذِّبُـه عَذاباً أَليماً.

١٨ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

الحزب ٥٢

(أَثابَهُمْ)

(١٨) - يُخْبِـرُ اللهُ تَعالى رَسُـولَهُ الكَـرِيمَ ﷺ عَنْ رِضَـاهُ عَلَى المُؤْمِنينَ الذينَ بَايَعُوا الرَّسُولَ تحتَ الشَّجرَةِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَكَانُوا أَلفاً وأَرْبَعمئـةِ رَجُلٍ، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ ما في قُلُوبِهِمْ مِنَ الصِّدقِ، وَالسَّمْعِ، والطَّاعَـةِ، فَأَنْزَلَ عليهِم الطُّمَأْنِينَةَ، وَهُدُوءَ النَّفْسِ، وَأَعْطَاهُمْ جَزاءَ مَـا وُهِبُوهُ مِنَ الطَّاعَةِ فَتْحَ خَيْبَرَ عَقِبَ انْصِرافِهِمْ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، ثُمَّ تَلا ذٰلِكَ فَتْحُ مَكَّةَ.

يُبَايِعُونَكَ - بَيْعَةَ الرِّضْوانِ بِالحُدَيبِيَةِ.

فَتْحاً قَرِيباً - هُوَ فَتْحُ خَيْبَرَ.

١٩ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

(١٩) - وَعَوَّضَهُمْ عَنِ المَغَانِمِ، التِي فَـاتَتْهُمْ بِسَبَبِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَـةِ، بِمَغانِمَ كَثِيرَةٍ يأْخُذُونَها مِنْ خَيبَرَ، وَخصَّهُمْ بها دُونَ غَيرِهِمْ، وَاللهُ عَزِيزٌ لاَ يُغَالَبُ، حَكِيمٌ في شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِه.

(٢٠) وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا

(٢١) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا

(٢٢) وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

(٢٣) سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا

(٢٤) وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا

(آيَةً) (صِرَاطاً)

(٢٠) ـ وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنِين بِأَنَّهُمْ سَيَحْصُلُونَ عَلَى مَغَانِمَ كَثِيرةٍ في الأَيَّامِ القَادِمَةِ، مَا دَامَ فِي الدُّنيا مُسْلِمُونَ يُجَاهِدُونَ في سَبيلِ اللهِ، وَعَجَّلَ لَهُم بِمغْنَمِ خَيْبَر، وَكَفَّ أَيْدِيَ الكُفَّارِ وَالمشْرِكينَ عَنِ المدِينةِ، وَعَنْ حرَمِ المُؤْمِنينَ وَعِيالِهِم، وَأَصْحَابِ الأَعْذَارِ الذِينَ بَقُوا فِيها، في غِيَابِ الجَيْشِ الإسلامِيّ في الحُدَيبيةِ وَخَيبَر، لِيَكُونَ ذٰلِكَ دليلاً لِلْمُؤْمِنينَ عَلَى أَنَّ اللهَ حَافِظُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَلِيَهْدِيَهُمْ رَبُّهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً بِاتِّباعِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِه، وَالانْقِيَادِ لَهُمَا.

(٢١) ـ وَوَعَدَكُمُ اللهُ فَتْحَ بِلادٍ أُخرى لَمْ تَكُونُوا تَقْدِرُونَ عَلَيها من قَبْلُ، وَلٰكِنَّ اللهَ أَقْدَرَكُم عَلَيها بِعِزِّ الإِسْلامِ، وَيَسَّرَ لَكُم فَتْحَهَا، وَاحْتِيَازَ مَغَانِمِها، وَكَانَ اللهُ قَدِيراً عَلى كُلِّ شَيءٍ، لَا يَسْتَعْصِي عَلَيهِ أَمْرٌ.

أَحَاطَ اللهُ بِهَا ـ أَعَدَّها اللهُ لَكُمْ أَوْ حَفِظَها لَكُمْ.

(قَاتَلَكُم) (الأَدْبَار)

(٢٢) ـ يُبَشِّرُ اللهُ تَعالى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُم إذا قَاتَلَهُمُ المُشْرِكُونَ لَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ عَلَيهِمْ، وَلَانهَزَمَ جَيْشُ الكُفْرِ فَارّاً مُوَلِّياً الأَدْبَارَ، وَلَا يَجِدُ وَلِيّاً يَتَوَلّى رِعَايَتَهُ وَيَحْرُسُهُ، وَلا نَاصِراً يَنْصُرُهُ وَيُسَاعِدُهُ، لأَنَّهُ يُحَارِبُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

(٢٣) ـ وَهٰذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِه: مَا تَقَابَلَ الكُفْرُ وَالإِيمانُ في مَيْدَانٍ إِلاَّ نَصَرَ اللهُ الإِيمانَ، وَهَزَمَ الكُفْرَ، وَسُنَّةُ اللهِ لاَ تبديلَ لَها. فَقَدْ نَصَرَ اللهُ النَّبِيَّ وَالمُسْلِمِينَ في بَدْرٍ وَهُمْ قِلَّةٌ قَليلةٌ، وَنَصَرَهُمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ أُخرى.

(٢٤) ـ يَمُنُّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ كَفَّ أَيْدِيَ المُشْرِكِينَ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ (يومَ الحُدَيبِيَةِ) فَلَمْ يَصِلْ لِلْمُؤْمِنِينَ ضَرَرٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَكَفَّ أَيدِيَ المُؤْمنينَ عَنِ المُشْرِكِينَ فَلَم يُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَأَوْجَدَ بَيْنَهُمَا صُلْحاً فِيهِ خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَنَصْرٌ. وَقَدْ أَشَارَتْ هٰذِه الآيَةُ إِلى ثُلَّةٍ مِنَ الجُنْدِ أَرْسَلَتْهُم قُرَيشٌ لِيَطُوفوا بِالمُعَسْكَرِ الإِسْلامِيِّ يَلْتَمِسُونَ غِرَّةً لِيُصِيبُوا مِنْهُم، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً فَأَسَرَتْهُمْ جَميعاً، وَجَاءَتْ بِهِمْ إِلى النَّبِي، فَعَفَا رَسُولُ اللهِ عَنْهُم، فَكَانَ أَسْرُهُمْ ظَفَراً لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ اللهُ بَصِيراً بِأَعْمالِكُم وَأَعْمالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيهِ مِنْها شَيءٌ.

بِبَطْنِ مَكَّةَ ـ بِالحُدَيْبِيَةِ قُرْبَ مَكَّةَ.

أَظْفَرَكُمْ عَلَيهِمْ ـ نَصَرَكُمْ عَلَيهِمْ وَأَظْهَرَكُمْ.

(٢٥) هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(مُؤْمِنَاتٌ)

(٢٥) - وهؤلاءِ الذينَ كفَّ اللهُ أيديَ المُسْلِمينَ عَنْهُمْ، وكفَّ أيديهُمْ عَنِ المُسْلِمينَ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرامِ بِبَطْنِ مَكَّةَ، هُمُ المُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيشٍ وَمَنْ وَالاهُمْ، وَاجْتَمَعَ لِنُصْرَتِهِمْ مِنَ الأَحابِيشِ وَثَقِيفٍ وغيرِهِمْ، وَهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ، وَصَدُّوا المُسلِمينَ عَنْ دُخُولِ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَنَعُوا الهَدْيَ الذي ساقَه النَّبيُّ ﷺ والمُسْلِمُونَ أَنْ يَصِلَ إلى المَسْجِدِ الحَرَامِ لِيُذْبحَ عِنْدَهُ، بَعْدَ أَداءِ مَناسِكِ الحَجِّ والعُمْرَةِ (وكَانَ النَّبيُّ ساقَ مَعَهُ سَبعِين بَدَنَةً لِيَنْحَرَها عِنْدَ الحَرَمِ).

لَقَدْ كَانَ فِي مَكَّةَ رِجالٌ وَنِساءٌ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ يَكْتُمونَ إيمانَهُمْ خِيفَةً مِنْ إيذاءِ قُرَيشٍ، وَكانَ دُخُولُ المُسْلِمينَ مَكَّةَ حَرْباً سَيُؤدِّي إلى أَنْ يَقْتُلَ المُسْلِمُونَ الدَّاخِلُونَ مَكَّةَ عَنْوَةً بَعْضَ هؤُلاءِ المُسْلِمِينَ دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلامِهِمْ، وَلَولا ذلِكَ لَسَلَّطَ اللهُ النَّبيَّ والمُسْلِمينَ عَلَى الكُفَّارِ وَلَقَتلوهُمْ وَأَبادُوهُمْ، وَلَدَخلُوا مَكَّةَ عَنْوةً، ولكنَّه تَعالى لم يَشَأْ أَنْ يَقتلَ المُسْلِمُونَ إِخوانَهُمُ المُسْلِمِينَ المَوْجُودِينَ في مَكَّةَ، وَهُمْ لاَ يَعْرِفُونَهُم، فَيَلْحَقَهُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ إِثْمٌ وَغَرَامَةٌ (أَيْ كَفَّارَةُ القَتْلِ الخَطَإِ). وَقَدْ حَالَ اللهُ تَعالى دُونَ وُقوعِ القِتَالِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالكُفَّارِ لِدُخُولِ مَكَّةَ لِيُتِيحَ لِلْمُسْلِمِينَ المَوْجُودِينَ فِي مَكَّةَ الخُرُوجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ الكُفَّارِ، وَالنجاةَ والسَّلامَةَ مِنَ الأذى، وَلِيُتِيحَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِين الدُّخُولَ في الإسْلامِ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ المُسْلِمُونَ في مَكَّةَ. وَلَوْ كَانَ الكُفَّارُ مُتَمَيِّزِينَ عَنِ المُسْلِمِينَ المَوْجُودِينَ فِي مَكَّةَ في شيءٍ، فَيَعْرِفُ المُسْلِمُونَ، الدَّاخِلُونَ مَكَّةَ، هؤلاءِ وَهؤُلاءِ، لَسَلَّطَ اللهُ المُسْلِمِينَ عَلَى الكَافِرِينَ فَقَتَلُوهُمْ قَتْلاً ذَرِيعاً.

الوَطْءُ - الدَّوْسُ.

المَعَرَّةُ - الإِثْمُ أَوِ الغَرَامَةُ أَوِ الكَفَّارَةُ.

تَزَيَّلُوا - تَمَيَّزُوا.

عَكَفَهُ - حَبَسَهُ وَمَنَعَهُ مِنَ الوُصُولِ إلى غَايَتِهِ.

الهَدْيُ - البُدْنُ التِي تُسَاقُ لِتُنْحَرَ عِنْدَ الحَرَمِ.

مَحِلُّهُ - المَكَانُ الذِي يَحِلُّ فِيهِ نَحْرُهُ.

(٢٦) إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ

(الْجَاهِلِيَّةِ)

(٢٦) - وَلَولا وُجودُ الرِّجالِ المُسْلِمِين، وَالنِّساءِ المُسْلِماتِ، فِي مَكَّةَ لَعَذَّبَ اللهُ الكُفَّارَ، وَلَسَلَّطَ عَلَيهِم المُؤْمِنِينَ يَقْتُلُونَهُمْ حِينَما جَعَلُوا في

فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا

قُلُوبِهِم حَمِيَّةَ الجَاهِلِيةِ، وَعُنْجُهِيَّتَها، إذ أبى مُمَثِّلُهُمْ في مُفَاوَضَاتِ الصُّلْحِ (سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو) أَنْ يَكْتُبَ فِي وَثِيقَةِ الصُّلْحِ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، كَما أبى أَنْ يَكْتُبَ فيها (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)، وَحِينَما أَخَذَتْهُمُ العِزَّةُ بالإِثْمِ فَأَصَرُّوا عَلى مَنْعِ الرَّسُولِ وَالمُسْلِمِينَ مِنْ دُخولِ مَكَّةَ في عَامِهِمْ ذَاكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ الهُدُوءَ والطُّمَأْنِينَةَ عَلى رَسُولِهِ، وَعَلى المُؤْمِنِينَ، فَهَدَأَتْ نُفُوسُهُمْ، وَقَبِلُوا بِشُرُوطِ الصُّلْحِ، وَحَماهُمُ اللهُ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيطَانِ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلمةَ التَّقْوى والتَّوحيدِ (لَا إلهَ إلاَّ اللهُ) وَكَانُوا هُمْ أَهْلَها، وَأَحَقَّ بِها مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكَانَ اللهُ عَالِماً بِكُلِّ شَيءٍ مِنْ أَحْوالِ المُؤْمِنِينَ وَالكَافِرينَ، وَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الخَلْقِ بِعَمَلِهِ.

الحَمِيَّةَ - الأَنَفَةَ وَالغَضَبَ وَالعُنْجُهِيَّةَ.

السَّكِينَةُ - الهُدُوءُ وَالوَقَارُ.

كَلِمَةَ التَّقوى - لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ.

٢٧ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا

(الرُّؤْيا) (آمِنِينَ) (رُؤُوسَكُمْ)

(٢٧) - قَبْلَ أَنْ يَخرُجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ المَدِينةِ إلى الحُدَيْبِيَةِ رَأى في مَنامِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ المَسْجِدَ الحَرامَ هُوَ وَأَصْحابُهُ آمِنين، مِنْهُم مَنْ يَحْلِقُ شَعْرَ رَأسِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَصِّرُ شَعْرَهُ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَه فَفَرِحُوا، وَظَنُّوا أَنَّهم يَدْخُلُونَ مَكَّةَ عَامَهُم ذَاكَ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا عَائِدِينَ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، عَقِبَ تَوقِيعِ الصُّلْحِ مَعَ قُرَيشٍ بِدُونِ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، شَقَّ ذلِكَ عَلى بَعْضِ المُسْلِمِينَ، حَتّى إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ جَاءَ أبا بَكْرٍ وَعَدَداً مِنَ الصَّحابةِ يَسْأَلُ عَنْ أَسْبَابِ الرِّضَا بِهذا الصُّلْحِ الذي ظَنَّهُ يَحْوي شُرُوطاً لَيْسَتْ في صَالِحِ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِين، فَقالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ إِنَّكَ سَتَدْخُلُ مَكَّةَ هذا العَامَ؟ قَالَ لا، قالَ: فَإِنَّكَ سَتَأتِيهِ وَسَتَطُوفُ بِهِ.

وَيَذْكُرُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّهُ أَرَى رَسُولَهُ في مَنَامِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ المَسْجِدَ الحَرامَ مَعَ المُؤْمِنِينَ، وَهُم آمِنُون مُطْمَئِنُّون، لَا يَخافُونَ المُشْرِكين، وَقَدْ أَدَّوا مَناسِكَهُمْ، فَحَلَقَ بَعْضُهُم شَعْرَ رَأْسِه، وَسَيَجْعَلُ مَا أَرَاهُ رَسُولَهُ حَقّاً. لَكِنَّهُ تَعَالى عَلِمَ أَنَّ في مَكَّةَ رِجَالاً وَنساءً مِنَ المُسْلِمِين لا يَعْرِفُهُمُ النَّبِيُّ وَأَصْحابُهُ، وَلَوْ دَخلوا مَكَّةَ عَنْوَةً لَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَلأَصابُوا بَعْضَهُمْ، فَرَدَّ اللهُ المُسْلِمِينَ فِي ذلِكَ العَامِ لِيَمْنَعَ إيذاءَ المُسْلِمِينَ المُقِيمِينَ فِيها، وَجَعَلَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ وَالمسلِمِينَ مَكَّةَ فَتْحاً قَرِيباً، يُحَقِّقُهُ اللهُ

﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا

﴿٢٩﴾ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا

لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ وَفَتْحُ خَيْبَرَ، ثُمَّ حَقَّقَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَامَينِ فَتْحَ مَكَّةَ وَانْهِيَارَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

فَتْحاً قَرِيباً ـ صُلْحَ الحُدَيْبِيَةِ أَوْ فَتْحَ خَيْبَرَ.

(٢٨) ـ وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الإِسْلاَمِ، لِيَجْعَلَ الإِسْلاَمَ ـ وَهُوَ دِينُ الحَقِّ ـ ظَاهِراً عَلَى جَمِيعِ الأَدْيَانِ فِي الأَرْضِ، وَقَدْ وَعَدَ رَسُولَهُ بِدُخُولِ المَسْجِدِ الحَرَامِ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَهُمْ آمِنُونَ، فَحَقَّقَ اللهُ ذَلِكَ الوَعْدَ، وَسَيُحَقِّقُ وَعْدَهُ لِرَسُولِهِ بِأَنَّهُ تَعَالَى سَيُظْهِرُ الإِسْلاَمَ عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ، وَهُوَ تَعَالَى شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ أَبداً.

لِيُظْهِرَهُ ـ لِيُعْلِيَهُ وَيُقَوِّيَهُ.

(تَرَاهُمْ) (رِضْوَاناً) (التَّوْرَاةِ) (شَطْأَهُ) (فَآزَرَهُ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٩) ـ إِن مُحمداً ﷺ رَسُولُ اللهِ حَقاً وَصِدْقاً، بِلاَ شَكٍّ وَلاَ رَيبٍ، وَإِنَّ أَصْحَابَهُ يَتَّصِفُونَ بِالصِّفَاتِ الجَمِيلَةِ الحَسَنَةِ، فَهُمْ أَشِدَّاءُ غِلاَظُ القُلُوبِ عَلَى الكُفَّارِ، وَهُمْ رُحَمَاءُ مُتَوَادُّونَ فِيمَا بَيْنَهُم يَرَاهُم النَّاظِرُ إِليهِمْ دَائِبِينَ عَلَى أَدَاءِ الصَّلاَةِ، مُخْلِصِينَ فِيهَا للهِ، مُحْتَسِبِينَ أَجْرَهَا عِنْدَ اللهِ، يَبْتَغُونَ بِصَلاَتِهِمْ رِضَا اللهِ وَرِضْوَانَهُ، تَتْرُكُ نُفُوسُهُمُ المُطْمَئِنَّةُ أَثَراً عَلَى وُجُوهِهِمْ، فَهِيَ هَادِئَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَهَذِهِ هِيَ صِفَاتُ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ فِي التَوراةِ. وَجَاءَ وَصْفُهُمْ فِي الإِنجِيلِ أَنَّ أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ سَيكُونُونَ قَلِيلِينَ ثُم يَزْدَادُونَ وَيَكْثُرُونَ وَيَسْتَغْلِظُونَ كَزَرْعٍ أَخرَجَ فُرُوعَهُ (شَطْأَهُ) التِي تَتَفَرَّعُ مِنْهُ عَلَى جَوَانِبِهِ، فَيَقْوَى وَيَتَحَوَّلُ مِن الدِّقَّةِ إِلى الغِلْظَةِ، وَيَسْتَقِيمُ عَلَى أُصُولِهِ فَيُعْجَبُ بِهِ الزَّارِعُ لِخِصْبِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَحُسْنِ مَظْهَرِهِ، وَقَدْ نَمَّاهُمُ اللهُ وَأَكْثَرَ عَدَدَهُم لِيَغِيظَ بِهِمِ الكُفَّارَ، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، العَامِلِينَ لِلصَّالِحَاتِ، بِأَن يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَأَنْ يُجْزِلَ لَهُمُ الأَجْرَ وَالعَطَاءَ، وَبِأَنْ يُدْخِلَهُمْ جَنَّاتِهِ، وَاللهُ لاَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبداً.

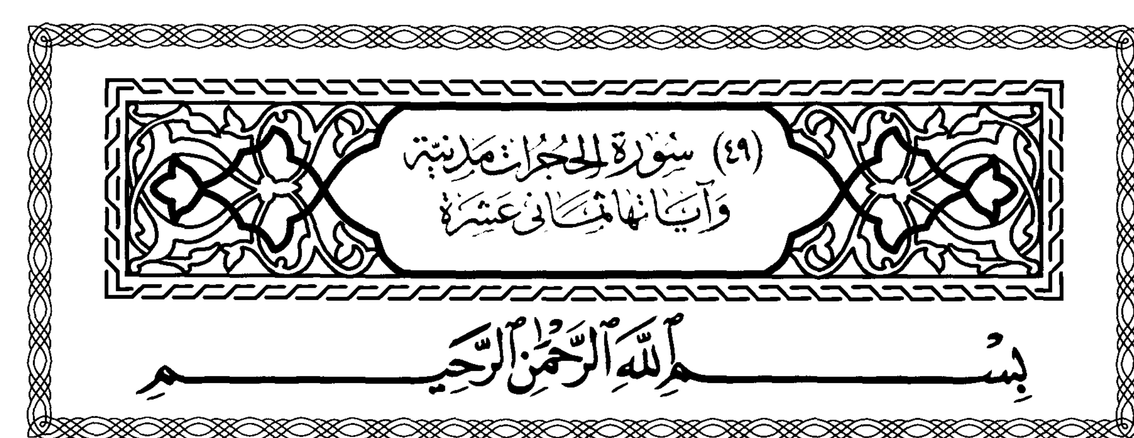
مَثَلُهُمْ ـ صِفَتُهُمْ.

آزَرَهُ ـ قَوَّاهُ وَأَعَانَهُ.

الشَّطْءُ ـ فُرُوخُ الزَّرْعِ وَهُوَ مَا خَرَجَ مِنْ حَوَالَيْهِ وَتَفَرَّعَ.

استَوَى عَلَى سُوقِهِ ـ اسْتَقَامَ عَلَى أُصُولِهِ.

سِيمَاهُمْ ـ عَلاَمَتُهُمْ.



(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

ربع الحزب ٥٢

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(١) - يُؤدِّبُ اللهُ تَعالى في هذِهِ الآيَةِ عِبادَهُ المُؤْمِنينَ، وَيُعَلِّمُهُمْ أُصُولَ مُخَاطَبَةِ الرَّسُولِ ﷺ والتَّعامُلِ مَعَهُ، وَتَوْفِيَتِهِ حَقَّهُ مِنَ التَّوقِيرِ والاحْتِرامِ. فَيَقُولُ تَعالى لِلْمُؤمنين: لا تُسْرِعُوا في القَضاءِ في أَمْرٍ قَبْلَ أن يَقْضِيَ لَكُم فِيهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، وكُونُوا تَبَعاً لِقَضائِهِما وَأَمْرِهِما، وَلاَ تتكَلَّمُوا في أمْرٍ قَبْلَ أنْ يَأْتِيَ الرَّسولُ عَلَى الكَلامِ فِيهِ، وَلا تَفْعَلُوا فِعْلاً قَبْلَ أنْ يَفْعَلَهُ الرَّسُولُ، واتَّقُوا اللهَ يا أيُّها المُؤْمِنُونَ، فَإِنَّهُ سَمِيعٌ لما تَقُولُونَ، عَلِيمٌ بِمَا تَفْعَلُونَ.

وَرُوِيَ أَنَّ هذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ رَداً على أَنَاسٍ مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لَوْ أُنزِلَ فِي كَذا وَكَذا).

لا تُقَدِّمُوا - لاَ تَقْتَرِحوا - أو لا تَقْطَعُوا أمْراً.

(٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

(يا أيُّها) (آمَنُوا) (أَصْواتَكُمْ) (أعْمالُكُمْ)

(٢) - وإذا نَطَقْتُمْ وَأنْتُمْ في حَضْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَلا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوتِهِ، وَلاَ تَبلُغُوا بها الحَدَّ الذي يَبْلُغُهُ صَوْتُهُ، لأنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الاحْتِرامِ. وَإذا كَلَّمْتُمُوهُ وَهُوَ صَامِتٌ فَلا تَبْلُغُوا بِهِ الجَهْرَ الذي يَدُورُ بَيْنَكُم، وإذا كَلَّمْتُمُوهُ فَلا تَقُولُوا لَهُ: يا محمَّدُ، بَلْ خاطِبُوهُ بالنُّبُوَّةِ (كَيا نَبيَّ اللهِ، وَيا رَسُولَ اللهِ) مَخافَةَ أنْ يُؤَدِّيَ، ذَلِكَ التَّهاوُنُ فِي تَوْفِيَةِ الرَّسُولِ حَقَّهُ مِنَ الاحتِرامِ، إلى الكُفْرِ وَبُطْلانِ الأعْمالِ، وأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرونَ بِذلِكَ.

(رُوِي أَنَّ هذهِ الآيةَ نَزَلَتْ في أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَدْ جاءَ وَفْدٌ مِنْ تَميمٍ فَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّبيِّ بأنْ يُؤَمِّرَ عَليهِم القَعْقاعَ بْنَ مَعْبَدٍ، وَأَشارَ عُمَرُ بأنْ يُؤَمِّرَ عَلَيهِم الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، فَتَمارَيا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ، وَارْتَفَعَتْ

أصْواتُهما فلَمَّا نَزلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ كَانَ أَبُو بَكرٍ لاَ يُكَلِّمُ الرَّسُولَ إلا هَمْساً، وَكَانَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَلا يَسْمَعُهُ الرَّسُولُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ).
أنْ تَحْبَطَ ـ مَخَافَةَ أوْ كَرَاهِيَةَ أنْ تَبْطُلَ أعْمَالُكُمْ.

﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

(أصْواتَهُمْ) (أولَئِكَ)

(٣) ـ والذِينَ يَخْفِضُونَ اصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ في حَضْرَتِهِ إجْلالاً وَاحتِراماً، هُمُ الذِين ٱبْتَلى اللهُ قُلُوبَهم بالمِحَنِ والتَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ، حَتَّى تَطَهَّرَتْ وَصَفَتْ بِما كَابَدَتْهُ مِنَ الصَّبْرِ عَلى المَشَاقِّ، وَهؤُلاءِ لَهُم مَغْفِرةٌ مِنْ رَبِّهِمْ لِذُنُوبِهِمْ، وَلَهُم ثَوابٌ عَظِيمٌ عَلى غَضِّهِم أصْواتَهم عِنْدَ النَّبِيِّ آحتِراماً مِنْهُمْ لَهُ، وَتَعْظِيماً لِقَدْرِهِ.
يَغُضُّون ـ يَخْفِضُونَ.
آمْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ـ أخْلَصَها وَصَفَّاها.

﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

(الْحُجُراتِ)

(٤) ـ اجْتَمعَ أناسٌ مِنَ العَرَبِ فَقَالُوا: آنْطَلِقُوا بنا إلى هَذا الرَّجلِ، فإنْ كَانَ نَبِيّاً فَنَحْنُ أسْعَدُ النَّاسِ بِهِ، وَإنْ يَكُنْ مَلِكاً نَعِشْ بِجَنَاحِهِ، فَجَاؤُوا إلى حُجْرةِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلُوا يُنَادُونَهُ وَهُو في حُجْرتِهِ: يَا مُحَمَّدُ. فَأنْزَلَ اللهُ تَعالى هَذِهِ الآيةَ الكَرِيمةَ تأدِيباً لِهؤُلاءِ وأمْثَالِهِمْ، الذِينَ يَأتُونَ إلى النَّبِيِّ، وَهُوَ في بَيْتِهِ مَعَ نِسائِهِ، فَيُنادُونَهُ بِأصْواتٍ مُرْتَفِعةٍ لِيَخْرُجَ إليهِمْ.

وَيقُولُ تَعالى: إنَّ الذِينَ يَفْعَلُون ذَلِكَ أكْثَرُهُم جُهَّالٌ بِمَا يَجِبُ لِلرَّسُولِ مِنَ التَّعظِيمِ وَالاحتِرامِ.
الحُجُراتُ ـ بَيْتُ الإنسَانِ وَأماكِنُ خَلْوَتِهِ مَعَ أهْلِهِ.

﴿٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(٥) ـ وَلَوْ أنَّ هؤلاءِ الذِينَ جَاؤُوكَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ بِأصْواتٍ مُرْتَفِعةٍ، صَبَرُوا وَلَمْ يُنادُوكَ حَتَّى تَخْرُجَ أنتَ إليهِمْ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْراً لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، لأنَّهُمْ يَكُونُونَ بِذلِكَ قَدْ بَرْهَنُوا على مَا يُكِنُّونَهُ لَكَ مِنَ الاحتِرامِ وَالتَّوقِيرِ.

﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ

(يَا أيُّهَا) (آمَنُوا) (بِنَبَأٍ) (بِجَهالَةٍ) (نَادمِينَ)

(٦) ـ هَذِهِ الآيَةُ نَزلَتْ في الوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أبي مُعيطٍ، فَقَدْ أرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَني المُصْطَلَقِ لِيَجْمَعَ صَدَقَاتِهِمْ، وَكَانَ رَئِيسُهُم الحَارِثُ بنُ ضِرارٍ الخزاعِي قَدْ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأسْلَمَ، وَسَألَ الرَّسُولَ أنْ يَرْجِعَ إلى قَوْمِهِ فَيَدْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ فَمَنِ آسْتَجابَ مِنْهُم

لَهُ جمعَ الزَّكَاةَ مِنْهُ، عَلَى أنْ يُرْسِلَ الرَّسُولُ مَبْعُوثاً مِنْ قِبلِهِ، في وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، لِيَقْبِضَ مَا جَمَعَهُ الحَارِثُ مِنْ صَدَقَاتِ بَني المُصْطَلِقِ. فَقَامَ الحَارِثُ بِمَا أمَرَه بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ولما مَضَى المَوْعِدُ المُحَدَّدُ ولَم يَحْضُرْ إليهِ أحَدٌ مِنْ قِبلِ الرَّسُولِ، خَافَ أنْ يَكُونَ الرَّسُولُ قَدْ غضبَ عَلَيهِ لأمْرٍ مَا، فَجمَعَ وُجُوهَ قَوْمِهِ وَسَارَ بِهِمْ إلى الرَّسُولِ في المَدِينَةِ.

وَكَانَ الوَلِيدُ بْنُ عُقْبَة قَدْ توجَّهَ إلى بَني المُصْطَلقِ مَبْعُوثاً من رَسُولِ اللهِ، فَلَما كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ تَخوَّفَ مِنْ أنْ يَقْتُلَهُ بَنُو المُصْطَلقِ فَعادَ وأخْبَرَ الرَّسُولَ بأنَّ بَني المُصْطَلقِ مَنَعُوهُ الزَّكاةَ، و كادُوا يَقْتُلُونَهُ.

(وَقِيلَ إنَّ بَني المُصْطَلقِ عَلِمُوا بِمَقْدَمِ الوليدِ فَفرِحُوا بِهِ وَخَرَجُوا للقائِهِ فَخَافَ مِنْهُم وعَادَ).

فلما سَألَ الرَّسُولُ ﷺ الحَارِثَ عَنْ سَبَبِ مَنْعِهِم الزَّكَاةَ، وَمُحَاوَلَتِهِمْ قَتْلَ رَسُولِهِ، قَالُوا لَهُ: لاَ والذِي بَعَثَك بِالحَقِّ مَا جَاءَنَا أحَدٌ. فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالى هَذِهِ الآية.

وفي هَذِهِ الآيةِ يَأمُرُ اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ بأنْ لاَ يَتعجَّلُوا في حَسْمِ الأمُورِ وَتَصْدِيقِ الأخْبَارِ التي يَأتِيهِمْ بها أناسٌ فَسَقَةٌ، غَيْرُ مأمُونينَ في خُلُقِهِمْ وَدِينِهِمْ وروايَتِهِمْ، لأنَّ مَنْ لا يُبَالي بالفِسْقِ فَهُوَ أجْدَرُ بأنْ لا يُبَالي بالكَذِبِ، ولا يَتحَاماهُ، وَقَدْ يُؤَدّي التَّعْجِيلُ في تَصْدِيقِ الأنباءِ التِي يَنْقُلُها الفُسَّاقُ إلى إصَابَةِ أنَاسٍ أبْرِياءَ بأذَى، وَالمُؤْمِنُونَ يَجْهَلُونَ حَالَهم، فيَكُونُ ذَلِكَ الإيذاءُ سَبَباً لِندَامَتِهِمْ عَلَى مَا فَرطَ مِنْهُمْ.

٧ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ

(الإيمَانَ) (أولَئِكَ) (الرَّاشِدُونَ)

(٧) - واَعلَمُوا يا أيُّها المُؤْمِنُون أنَّ رَسُولَ اللهِ بَيْنَ أظْهُرِكُمْ فَعَظِّمُوهُ وَوَقِّرُوهُ وَاصْدُقُوهُ، وَتَأدَّبوا مَعَهُ، وَهُوَ أشْفَقُ عَلَيكُمْ مِنْ أنفسِكُم، وَلَوْ أنَّهُ تَعجَّلَ في عَمَلِ مَا أرَدْتُم قَبْلَ وُضُوحِ الأمرِ، وَقَامَ بِمَا أشَرْتُمْ عَلَيهِ مِنَ الآراءِ لَوقَعْتُم في الإثْمِ وَالمَشقَّةِ والحَرجِ (لَعَنِتُّمْ)، وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إليكُم الإيمَانَ وَالأمُورَ الصَّالِحَةَ، وَجَعَلَكُمْ تَكْرَهُونَ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ والعِصْيَانَ.

وَهؤلاءِ المُتَّصِفُونَ بالصِّفاتِ السَّابِقَةِ هُمْ الرَّاشِدُونَ المُهْتَدُونَ، الذِينَ آتَاهُمُ اللهُ رُشْدَهُمْ.

لَعَنِتُّمْ - لأثِمْتُمْ وَهلكْتُمْ.

٨ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(٨) - وهَذا العَطاءُ، الذِي مَنَحكُمُ اللهُ إيَّاهُ، هُوَ فَضْلٌ منهُ عَليكُمْ، وإنعَامٌ عَلَيكُمْ مِنْ لَدُنْهُ، وَاللهُ عَليمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الغَوَايَةَ، وَهُوَ حَكِيمٌ في شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

٩ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

(طَائِفَتَانِ) (إحْدَاهُمَا) (فقَاتِلُوا)

(٩) - وإذَا اقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمنينَ فَأصْلِحُوا - يَا أيُّها المُؤْمِنُونَ - بَينَهما بالعَدْلِ ، وذَلِكَ بالدَّعْوةِ إلى حُكْمِ اللهِ ، والرِّضَا بِمَا فيهِ ، فإذا أبَتْ إحْدَى هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ الإجَابَةَ إلى حُكْمِ اللهِ ، وتَجاوزَتْ حُدُودَ العَدْلِ ، وأجابتِ الأخرى ، فقَاتِلُوا التي تَعْتَدِي وتَأبى الإجَابَةَ إلى حُكْمِ اللهِ ، حَتَّى تَرْجِعَ إليهِ وتَخْضَعَ لَهُ ، فإنْ رَجَعَت الطَّائِفَةُ البَاغِيَةُ إلى الرِّضَا بِحُكْمِ اللهِ ، فَأصْلِحُوا بَينَهما بالعَدْلِ ، واعْدِلُوا في حَكْمِكُم فإنَّ اللهَ يُحبُّ العَادِلينَ ، ويَجزِيهِم أحْسَنَ الجَزاءِ .

بَغَتْ - اعتَدَتْ .

تَفيءُ - تَرْجِعُ .

أقسِطُوا - اعدِلُوا في كُلِّ أمُورِكُمْ .

المُقْسِطِينَ - العَادِلينَ .

١٠ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

(١٠) - المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ في الدِّينِ ، (وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ) .

فَأصْلِحُوا بَيْنَ الأخَوينِ المُتَقَاتِلَينِ ، أو الطَّائِفَتَينِ المُتَقَاتِلتَينِ كَمَا تُصْلِحُونَ بين الأخَوينِ مِنَ النَّسَبِ ، واتَّقُوا اللهَ في جَميعِ أمُورِكُم لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُكُم ويَصْفَحُ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُم مِنْ ذُنُوبٍ وهَفَواتٍ .

١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

(يَا أيُّها) (آمَنُوا) (بالألْقَابِ) (الإيْمَانِ) (فَأولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(١١) - يَنْهَى اللهُ تَعَالى المُؤْمنينَ عنِ السُّخريةِ مِنْ إخْوانِهم المُؤْمِنينَ ، والاستِهزاءِ بهِمْ ، واستِصْغَارِ شَأنِهم ، فَقَدْ يَكُونُ المُستَهزأ بِهِ أكْرَمَ عِنْدَ اللهِ مِنَ السَّاخِرِ مِنهُ ، والمُحتقِرِ لهُ ، فَيَظْلِمُ نَفْسَه بِتَحْقيرِ مَنْ وَقَّرَهُ اللهُ . كَمَا نَهى تَعَالى النِّسَاءَ المُؤْمِنَاتِ عَنْ أنْ يَسْخَرْنَ مِنْ أخَوَاتِهِنَّ المُؤْمِنَاتِ ، فَقَدْ تَكُونُ المُسْتَهزأ بها أكرَمَ عِنْدَ اللهِ مِنَ السَّاخِرةِ مِنْها . كَما أمَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ بألاَّ يَغْتَابَ بَعْضُهُم بَعْضاً ، وبأنْ لا يَعِيبَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وبأنْ لا يَطْعَنَ بَعْضُهُمْ في بَعْضٍ . واعْتَبَرَ تَعَالى لَمْزَ الإنْسَانِ أخَاهُ كَلَمْزِهِ نَفْسَهُ ، وَطعنَهُ أخاه كَطَعْنِهِ في نَفْسِهِ ، لأنَّ المُسْلِمينَ جَسَدٌ وَاحِدٌ إنِ اشتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهرِ والحمى . كَما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

وأمَرَ اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ بأنْ لا يَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِلَقَبٍ يَسُوؤُهُ أو يَكْرَهُهُ ، كَأنْ يَقُولَ مُسْلِمٌ لأخِيهِ المُسْلِمِ : يَا فَاجِرُ ، أوْ يَاغَادِرُ أو يَا عَدُوَّ اللهِ أو يَا مُنَافِقُ . . .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا
مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم
بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٢

(وَقَالَ ابنُ عَبّاس: إنَّ التَّنابُزَ بالألْقَابِ أنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَمِلَ السَّيِّئاتِ ثُمَّ تَابَ، وَرَجَعَ إلى الحَقِّ، فَنهى اللهُ تَعَالى أنْ يُعَيَّر بما سَلَفَ مِنْ عَمَلِهِ).

وَبِئْسَتِ الصِّفَةُ، وَبِئْسَ الاسْمُ لِلْمُؤْمِنينَ أنْ يُذكَرُوا بالفُسُوقِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ في الإيمَانِ. وَمَن لم يَتُبْ مِنْ نَبْزِهِ أخَاهُ المُؤمِنَ بِلَقَبٍ يَكْرَهُهُ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ لَمْزِهِ إخْوَتَهُ، وَمِنْ سُخْرِيَتِهِ مِنْهُم.. فَأولئِكَ هُمُ الظَّالِمونَ الذينَ ظَلَمُوا أنفُسَهم فَأكْسَبُوها عِقَابَ اللهِ بِعِصْيَانِهِمْ إيَّاهُ.

لاَ تَنابَزُوا بِالألْقَابِ - لاَ يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِلَقَبٍ يَكْرَهُهُ.

لاَ يَسْخَرْ - لا يَهْزأ.

لاَ تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ - لاَ يَعِبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَلاَ يَطْعَنْ فِيهِ.

(يا أيُّها) (آمَنُوا)

(١٢) - يَنْهى اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ عَنِ الظَّنِّ السَّيِّءِ بإخوانِهِمْ المُؤْمِنينَ، لأنَّ ظَنَّ المُؤْمِنِ السُّوءَ إثمٌ، لأنَّ اللهَ نَهَى عَنْ فِعْلِهِ، فَإذا فَعَلَهُ فَهُوَ آثمٌ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَدِيثِ. لاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحاسَدُوا، وَلاَ تَباغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْواناً). (البُخارِيُّ وَمُسْلمٌ).

ثُمَّ نَهَى اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ عَنْ أن يَتَجسَّسَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَمَا نَهَاهُمْ عَنْ أنْ يَتَتَبَّعَ بَعْضُهُم عَوراتِ بَعْضٍ، وَعَنْ أنْ يَبْحثَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ سَرائِرِ أخِيهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي بِذلِكَ فَضْحَهُ، وَكَشْفَ عُيُوبِهِ.

ثُمَّ نَهَاهم عَنْ أنْ يَغْتَابَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَعَنْ أنْ يَذْكُرَ أحَدُهُمْ أخَاهُ بما يَكْرَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَخَلْقِهِ وَخُلُقِهِ وَأهلِهِ وَمَالِهِ وَزَوْجِهِ وَوَلَدِهِ.. (كَما عَرَّفَ رَسُولُ اللهِ الاغْتِيَابَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَم يَدْخُلِ الإيمانُ قَلْبَهُ: لاَ تَغْتَابُوا المُسْلِمينَ، وَلاَ تَتَبَّعُوا عَوْراتِهِمْ فإنَّ مَن تَتَبَّعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَتَبَّعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ في عُقْرِ بَيْتِهِ).

وَشَبَّه تَعَالى اغْتِيَابَ المُؤْمِنِ لأخِيهِ المؤمنِ بأكْلِهِ لَحمَهُ بَعْدَ مَوتِهِ، وَقَالَ لِلْمُؤْمِنينَ إنَّهم إذا كَانَ أحَدُهُمْ يَكْرَهُ أكْلَ لَحْمِ أخِيهِ بَعْدَ مَوتِهِ، وَإذا كَانَتْ نَفْسُهُ تَعَافُ ذَلِكَ فَعلَيهِمْ أنْ يَكْرَهُوا أنْ يَغْتَابُوهُ في حَيَاتِهِ.

وَلِلْغِيبَةِ ثَلاثَةُ وُجُوهٍ:

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ



﴿١٤﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

الغِيبَةُ ـ وَهِيَ أنْ يَقُولَ الإنسَانُ في أخيهِ مَا هُوَ فيهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ.
الإفْكُ ـ أنْ يَقُولَ فِيهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ.
البُهْتَانُ ـ أنْ يَقُولَ فيهِ مَا لَيسَ فيهِ ممَّا يَكْرَهُهُ.

ثُم حَثَّ اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ عَلى تَقْوى اللهِ، وَعَلَى تَرْكِ الغِيبَةِ، وَمُراقَبتِهِ تَعَالى في السِّرِّ والعَلنِ، فإذا تَابُوا وآنتَهوا وآستَغفَروا رَبَّهم عَمَّا فَرطَ مِنْهُم، آسْتَجابَ لَهُم رَبُّهُمْ، فَتَابَ عَلَيهِمْ، لأنَّه تَعالى كَثيرُ التَّوْبِ عَلى عِبَادِهِ، كَثِيرُ الرَّحمةِ بِهِمْ.
كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إثْمٌ ـ هُوَ ظَنُّ السُّوْءِ بأهْلِ الخَيْرِ.
لاَ تَجَسَّسُوا ـ لاَ تَتَتَبَّعُوا عَوْرَاتِ المُسْلِمينَ.
فَكَرِهْتُمُوهُ ـ فَقَدْ كَرِهْتُمُوهُ فَلاَ تَفْعَلُوهُ.

(يَا أيُّها) (خَلَقْنَاكُمْ) (جَعَلْنَاكُمْ) (قَبَائِلَ) (أَتْقَاكُمْ)

(١٣) ـ يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالى في هٰذِهِ الآيَةِ أنَّ النَّاسَ جَميعاً إخوةٌ لأمٍّ وأبٍ، وَلِذَلِكَ فَلَيسَ لأحَدٍ مِنْهُمْ أنْ يَسْتَعْلِيَ عَلَى أحَدٍ مِنْ إخْوَتِهِ، وَلا أنْ يُسيءَ إليهِ، وَلا أنْ يَنْتَقِصَهُ، وَلا أنْ يَغْتَابَهُ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعالَى البَشَرَ بالتَّكاثُرِ شُعُوباً وَقَبَائِلَ مُخْتَلِفَةً لِيَتَمكَّنَ بَعْضُهُم مِنْ مَعْرِفَةِ بَعْضٍ، كَأنْ يُقَالَ هٰذا فُلانُ بنُ فُلانٍ مِنْ قَبيلَةِ كَذَا مِنْ بَطْنِ كَذَا. وَلاَ فَضْلَ لأحدٍ عَلَى أحَدٍ إلا بالتَّقْوى، وَالأتْقَى هُوَ الأكْرمُ عِنْدَ اللهِ، وَالأرْفَعُ مَنْزِلَةً، وَلاَ قِيمَةَ في مِيزَانِ اللهِ لِلأمْوالِ وَالأحْسابِ وَالأولادِ، وَإنَّما القِيمَةُ للتُقى وَالصَّلاحِ، وَطَهَارَةِ القَلْبِ، وَالخَوفِ مِنَ اللهِ، وَالإخْلاَصِ في مَحبَّةِ النَّاسِ، وَالنُّصح لَهُمْ. وَاللهُ عَليمٌ بِما تَنْطَوي عَلَيهِ الصُّدُورُ، خَبيرٌ بِأُمورِ العِبَادِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: (يَا أَيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَ أذْهَبَ عَنْكُمْ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَتعظُّمَها بِآبائِها، فَالنَّاسُ رَجُلانِ: رَجُلٌ بَرٌّ نَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، وَرَجُلٌ فَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ تَعَالى). ثُمَّ تَلا هٰذِهِ الآيَةَ.

(آمَنَّا) (الإيمَانُ) (أعْمَالِكُمْ)

(١٤) ـ قَالَتِ الأعْرابُ: آمَنَّا باللهِ، وَصَدَّقْنَا رسُولَهُ. فَرَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيهم مُؤَدِّباً وَمُعَلِّماً، وأمرَ رَسُولَهُ الكَرِيمَ بأنْ يَقُولَ لَهُمْ: إنَّ الإيمَانَ هوَ التَّصْدِيقُ مَعَ طُمَأنِينَةِ القَلْبِ، وَالوُثُوقُ الكَامِلُ بِاللهِ، وَآتِفَاقُ القَلْبِ واللِّسَانِ والعَمَلِ، وَهٰذِهِ مَرْتَبَةٌ لم تَصِلوا إليها بعْدُ. وَلَكِنْ قُولُوا: أسْلَمْنَا وَآنْقَدْنا إليكَ طَائِعِينَ مُسْتَسْلِمينَ، فإنْ أطعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأخْلَصْتُمُ العَمَلَ فَإنَّ اللهَ لاَ يَنْقُصُكُمْ مِنْ ثَوابِ أعْمَالِكُمْ شَيئاً، وَاللهُ غَفُورٌ يَغْفِرُ

١٥ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟
وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ
١٦ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
١٧ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا
تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
١٨ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

الهَفَواتِ والزَّلَّاتِ، إذَا تَابَ العبدُ مِنْهَا، وَٱسْتَشْعَرَ قَلْبُهُ النَّدمَ، وَهُوَ تَعالى رَحِيمٌ لا يُعَذِّبُ العَبْدَ عَلَى ذَنْبٍ سَبَقَ أنْ غَفَرَه اللهُ لَهُ بَعد التَّوبَةِ.

آمَنَّا - صَدَّقْنا بِقُلُوبنا وَأَلْسِنَتِنَا.

أَسْلَمْنَا - اسْتَسْلَمْنَا خَوْفاً وَطَمَعاً.

لا يَلِتْكُمْ - لا يَنقُصكُمْ وَلا يَظْلِمكُمْ.

(آمَنُوا) (جَاهَدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ) (أُولَئِكَ) (الصَّادِقُون)

(١٥) - وَيُعَرِّفُ اللهُ تَعالى لِلنَّاسِ الإيمانَ في هَذِهِ الآيَةِ فَيُقَرِّرُ: إنَّ المُؤْمِنينَ إيماناً حَقّاً هُمُ الذين صَدَّقوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَم يَشُكُّوا، وَلَم يَتَزَلْزَلُوا، وَلَم يَتَرَدَّدوا، وَبَذَلُوا أنْفُسَهُم وَأمْوالَهُمْ لِلْجِهادِ في سَبيلِ اللهِ، وَرِفْعَةِ شَأْنِ الإسْلامِ، وَهؤلاءِ هُمُ المُؤْمِنُونَ الصَّادِقُون في إيمَانِهِمْ.

(السَّماوَاتِ)

(١٦) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاءِ الأعْرابِ الذِينَ يَدَّعُونَ الإيمانَ، وَيَقُولُونَ إنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ حَقّاً: إنَّ اللهَ أعْلَمُ مِنْكُمْ بِما في أنْفُسِكُمْ وَضَمائِرِكُمْ، وَهُوَ تَعالى قَدْ أحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا في السَّماوَاتِ والأرْضِ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبيرٍ، لا يَفُوتُه شَيءٌ مِنْهُ، فَلا تَظُنُّوا أنَّهُ يَخْفَى عَلَى اللهِ شَيءٌ مِن أُمُورِكُمْ وَدِينِكُمْ، واحذَرُوا أنْ تَقُولُوا خِلافَ مَا في ضَمائِرِكُمْ، لأنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ، وَيُحَاسِبُكُمْ عَلَيه.

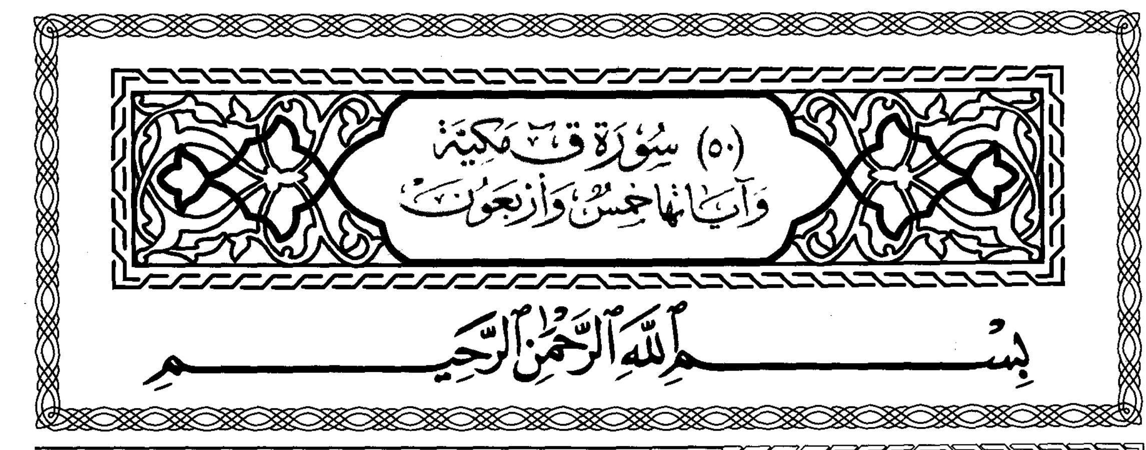
أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ - أتُخْبِرُونَهُ بِقَولِكُم آمَنَّا.

(إسْلامَكُمْ)(هَدَاكُمْ) (لِلإيمَانِ) (صَادِقِينَ)

(١٧) - جَاءَتْ بَنُو أسَدٍ إلى النَّبيِّ ﷺ مُسْلِمِينَ وَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ أسْلَمْنا وَقَاتَلَتْكَ العَرَبُ وَلَم نُقَاتِلْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: (إنَّ فِقهَهُمْ قَليلٌ، وَإنَّ الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَى ألْسِنَتِهِم). وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ. وَفيها يَقُولُ اللهُ تَعَالى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: إنَّ هَؤُلاءِ الأعْرَابَ جَاؤُوكَ وَهُمْ يَعُدُّونَ إسْلامَهم وَمُتَابَعَتَهُم لَكَ مِنَّةً عَلَيْكَ، يَطْلُبُونَ عَلَيهَا أجْراً، فَقُلْ لَهُم: لا تَعُدُّوا إسْلامَكُمْ مِنَّةً عَلَيَّ، بَل اللهُ هُوَ الذِي يَمُنُّ عَلَيكُم إذْ وَفَّقَكُمْ إلى الاهْتِدَاءِ إلى الإيمانِ، هَذا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في إيمانِكُمْ.

(السَّماوَاتِ)

(١٨) - وَإنَّ اللهَ تَعالى يَعْلَمُ مَا غَابَ في السَّماوَاتِ وَالأرْضِ، وَلاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ، وَلِذَلِكَ فإنَّهُ يَعْلَمُ مَا في صُدورِ هَؤلاءِ الأعرابِ وَمَا يُكِنُّونَهُ في ضَمائِرِهِمْ.



﴿ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ (١)

(قَاف) (وَالْقُرْآنِ)

(١) - قَاف - اللهُ أَعْلَمُ بِمُرادِهِ.

يُقسِمُ تَعَالى بالقُرآنِ المَجِيدِ، الكَثِيرِ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، عَلَى أَنَّ مُحَمَّداً هُوَ مِنَ المُرسَلِينَ.

(وَقَدْ حُذِفَ المُقسَمُ عَلَيهِ لِوُضُوحِ الدَّلاَلَةِ عَلَيه، وَلِوُرُودِهِ في غَيْرِ مَكَانٍ مِنَ القُرآنِ، فَقَدْ جَاء في سُورة يٓس:

﴿يس وَالقُرآنِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾(١) وَقَوْلُهُ تَعَالى ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ)(٢).

﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٢)

(الْكَافِرُونَ)

(٢) - لَقَدْ تَعَجَّبَ المُشْرِكُونَ مِنْ إِرْسَالِ رَسُولٍ إِليهِم مِنَ البَشَرِ، وَعَدُّوا ذَلِكَ مِنْ عَجَائِبِ الأمُورِ التي تَسْتَحِقُّ الدَّهْشَةَ والتَّأَمُّلَ. وَقَالَ المُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيشٍ: إِنَّهُ لَشَيءٌ عَجِيبٌ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِرِسَالَةٍ مِنَ اللهِ إِليهِمْ.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (٣)

(أَئِذَا)

(٣) - أَبَعْدَ أَنْ نَمُوتَ وَتَبْلَى عِظَامُنَا، وَتُصبحَ تُراباً نَرجِعُ إِلى الحَيَاةِ، وَتَرجِعُ اجسَامُنَا كَمَا كَانَتْ عَلَيهِ مِن بُنْيَةٍ وَتَركِيبٍ؟ إِنَّ ذَلِكَ الرُّجوعَ بَعد المَوتِ امرٌ بَعِيدُ الوُقُوعِ، وَلا يُصَدِّقُه العَقْلُ.

رَجْعٌ بَعِيدٌ - رُجُوعٌ إِلى الحَيَاةِ غيرُ مُمكِنٍ.

---

(١) سورة يٓس، الآيتان ١ - ٢.

(٢) سورة التغابن، الآية ٧.

﴿٤﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ

(كِتَابٌ)

(٤) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعالى عَلَى هؤُلاءِ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ مُخبِراً أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَأكُلُ الأَرْضُ مِنْ أَجْسَادِ مَوْتَاهُمْ، وَعِظَامِهِمْ، وَلَا يَخفى عَليهِ أينَ تفرَّقَتْ ذرَّاتُ أجْسَادِهِمْ، وأنَّ لَدَيهِ تَعالى كِتَاباً يَحْفَظُ كُلَّ شَيءٍ، وَيَضْبُطُ مَا يَعْلَمُ أتمَّ الضَّبْطِ.

﴿٥﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ

(٥) - لَقَدْ كَذَّبُوا بالنُّبُوَّةِ الثَّابِتَةِ بالأدِلَّةِ وَالآياتِ مِنْ فَوْرِهِم، دُونَ تَفَكُّرٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، وَمَنْ كَذَّبَ بِالنُّبُوَّةِ فَقَدْ كَذَّبَ بِمَا أَنْبَأَ بِهِ النَّبيُّ مِنَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَهُم في قَلَقٍ وأمْرٍ مُضْطَرِبٍ، فَتَارَةً يَنْفُونَ الرِّسَالَةَ عَنِ البَشَرِ، وَأخْرى يَقُولُون إنَّها سِحْرٌ وَكِهَانَةٌ.

مَرِيجٍ - قَلِقٍ مُضْطَرِبٍ.

﴿٦﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ

(بَنَيْنَاهَا) (زَيَّنَّاهَا)

(٦) - وَيَلْفِتُ اللهُ تَعالى نَظَرَ هؤُلاءِ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ بِوُقُوعِ البَعْثِ إلى خَلْقِ السَّماوَاتِ وَمَا فِيها مِنْ كَواكِبَ تُزَيِّنُها وَمَا في خَلْقِها مِن إتْقَانٍ وَإبْداعٍ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أفَلَمْ يَنْظُرُوا إلى السَّماءِ فَوْقَهُم كيفَ رَفَعَها اللهُ بلا عَمَدٍ، وزَيَّنَها بالكَواكِبِ لِيُدْرِكُوا أنَّ مَنْ أحْسَنَ خَلْقَها لَقَادِرٌ على إحْياءِ المَوْتى بَعْدَ فَنَاءِ أجْسَادِهِمْ، لأنَّ خَلْقَ السَّماواتِ أكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، كَمَا جَاءَ في آيَةٍ أُخْرَى.[1]

فُرُوجٍ - شُقُوقٍ وَفُتُوقٍ.

﴿٧﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ

(مَدَدْنَاهَا) (رَوَاسِيَ)

(٧) - ثُمَّ لَفَتَ اللهُ تَعَالى نَظَرَ هؤُلاءِ المُشْرِكين إلى خَلْقِ الأَرْضِ وَمَا فِيها مِنْ بِحَارٍ وَجِبالٍ وأنهارٍ وَنَبَاتَاتٍ، فَقَالَ: أفَلَم يَنْظُرْ هؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ بالبَعْثِ، إلى الأرضِ، كيفَ مَدَّهَا اللهُ، وَبَسَطَها أمَامَ الأعيُنِ، وَجَعَلَ فِيها جِبالاً ثَوابِتَ لِئلاَّ تَمِيدَ بِمَنْ عَلَيها مِنَ الخَلْقِ، ولِكَيْلا تَضْطَرِبَ بِهِمْ، وَكَيفَ أنْبَتَ فِيها مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أصْنَافِ النَّباتَاتِ، بَهِيجٍ حَسَنِ المَنْظَرِ.

زَوْجٍ - صِنْفٍ.

بَهِيجٍ - حَسَنِ المَنْظَرِ يُبْهِجُ النُّفُوسَ.

مَدَدْنَاهَا - بَسَطْنَاهَا.

رَوَاسِيَ - جِبالاً ثَوَابِتَ.

---

(١) سورة غافر الآية ٤٠.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (٨)

(٨) ـ وَقَدْ خلَقَ اللهُ تَعالى جَمِيعَ ذَلِكَ لِيَتَبَصَّرَ، بِهَذا الخَلْقِ البَدِيعِ، العَبْدُ المُنِيبُ للهِ وَيَعْتَبِرَ.

عَبْدٍ مُنِيبٍ ـ مُذْعِنٍ لِرَبِّهِ أَوْ رَاجِعٍ إليهِ.

تَبْصِرَةً ـ وَسِيلَةً لِلتَّبَصُّرِ ـ عِظَةً وَعِبْرَةً.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (٩)

(مُبارَكاً) (جَنَّاتٍ)

(٩) ـ وَأنْزَلَ اللهُ تَعالى مِنَ السَّماءِ مَاءً كَثِيرَ النَّفْعِ والخَيرِ (مُبارَكاً)، فَأنبَتَ بِهِ البَساتِينَ، وَالحَدائِقَ، وَالنَّبَاتَاتِ التي تُزرَعُ لِتُحْصَدَ ويُجمَعَ حَبُّها كَالحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالذُّرَةِ. . .

حَبَّ الحَصِيدِ ـ حَبَّ الزَّرْعِ الذي يُحْصَدُ.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ (١٠)

(بَاسِقاتٍ)

(١٠) ـ وَأنْبَتَ اللهُ تَعالى بِهَذا المَاءِ الذِي أنْزَلَهُ مِنَ السَّماءِ أيْضاً أشْجارَ النَّخِيلِ البَاسِقَةَ العَالِيَةَ التي لَها طَلْعٌ مَنْضُودٌ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضاً.

النَّخْلَ بَاسِقاتٍ ـ طِوَالاً أوْ حَوامِلَ.

طَلْعٌ ـ ثَمَرٌ في وِعَائِهِ.

نَضِيدٌ ـ مُنَضَّدٌ وَمُتَراكِمٌ، بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١)

(١١) ـ وَقَدْ أخْرَجَ اللهُ تَعالى، بهذا المَاءِ، الحَبَّ والنَّخِيلَ وَالبَساتِينَ، لِيَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ رِزْقاً لِلْعِبادِ يأكُلُونَ مِنْهُ هُمْ وَأنْعامُهُم، وأحْيا اللهُ بِهذا المَاءِ المُنَزَّلِ مِنَ السَّماءِ الأرْضَ المَواتَ المُجْدِبَةَ التي لا نَباتَ فِيها، فَأنْبَتَتْ وَآخْضَرَّتْ فَانْتَفَعَ بِها النَّاسُ وَالأنْعامُ.

وَكَما أخْرَجَ اللهُ النَّبَاتَاتِ وَالأشْجارَ مِنَ الأرْضِ المَواتِ بِإنزالِ المَطَرِ عَلَيها، كَذَلِكَ يُخْرِجُ اللهُ الأمواتَ مِنْ قُبورِهِمْ، وَيُحيِيهِمْ، وَيُعيدُ خَلْقَ أجْسادِهِمْ، وَلا شَيءَ يَسْتَعْصِي عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعالى.

كَذَلِكَ الخُرُوجُ ـ كَذَلِكَ يُخْرِجُ الأمواتَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ (١٢)

(أصْحَابُ)

(١٢) ـ بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى تَكْذِيبَ الأمَمِ الخَالِيَةِ، أشَارَ هُنا إلى مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عِقَابٍ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِم، وَتَمادِيهِمْ في الضَّلالَةِ والتَّكْذِيبِ لِرُسُلِ اللهِ، وآسْتِهْزائِهِم بِمَا أنْذَرَهُم بِهِ رُسُلُهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُهَدِّدُ مُشْرِكي قُرَيشٍ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بالمُكَذِّبينَ مِنَ الأمَمِ الخَالِيَةِ.

وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾

وَأخبرَ تَعالى: أنّ قومَ نُوح كَذَّبُوا رَسُولَهُم نُوحاً فأغرَقَهُم الله بالطُّوفان. وَكَذَّبَ أصْحَابُ الرَّسِّ رَسُولَهُمْ فأهْلَكَهُمُ الله. وَكَذَّبَتْ ثَمُودُ رَسُولَهُمْ صَالِحاً فَأهْلَكَهُمُ الله بالصَّيْحَةِ.

أصْحَابُ الرَّسِّ - أصْحَاب البِئْرِ.

(إخْوَانُ)

(١٣) - وَكَذَّبَتْ عَادٌ رسُولَهُم هُوداً فأهْلَكَهُم الله، بالرِّيحِ العَقِيمِ، وَكَذَّبَ فِرْعَونُ مُوسَى وَهارُون فَأغْرقَه الله وَقَوْمَهُ في البَحْرِ. وَأهْلَكَ الله تَعالى قَوْمَ لُوطٍ بَعْدَ أنْ أصَرُّوا عَلى الكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَإتيَانِ الفَاحِشَةِ، فَجعلَ الله عَاليَ بِلادِهِمْ سَافِلَهَا.

(أصْحَابُ)

(١٤) - وَكَذَّبَ أصْحَابُ الأيْكَةِ (وَهُمْ قَوْمُ شُعَيْب)، رَسُولَهم شُعَيْباً فأهْلَكَهُمُ الله بالرَّجْفَةِ، وَعَذابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ. وَكَذَلِكَ أهْلَكَ الله تَعالى قَوْمَ تُبَّعٍ لِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ، وإقَامَتِهِمْ عَلى الكُفْرِ وَالضَّلالِ.

وَكُلُّ هَؤلاءِ الأقوامِ كَذَّبوا رُسُلَ اللهِ فيما جَاؤُوهُمْ بِهِ، فَحَقَّ عَلَيهِمْ أنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مَا أوْعَدَهُمْ بِهِ الله مِنْ عَذابٍ أليمٍ.

أصْحَابُ الأيْكَةِ - أصْحَابُ الغَيْضَةِ الكَثِيفَةِ المُلْتَفَّةِ الأشْجَارِ وَهُم قَوْمُ شُعَيبٍ.

(١٥) - وَيَسْألُ الله تَعالى المُكَذِّبينَ مِنْ قُرَيشٍ مُسْتَنكِراً ظَنَّهُمُ استِحالَةَ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ: هَلْ أعْجَزَ الله خَلْقُ النَّاسِ ابْتِداءً، حَتَّى يَشُكَّ هَؤلاءِ في قُدْرَتِهِ عَلى إعَادَةِ الخَلْقِ مِنْ جَديدٍ؟ وَمَا دَامَ أنَّهُ تَعالى لَمْ يَصْعُبْ عَلَيهِ خَلْقُ البَشَرِ ابْتِداءً، لِذَلِكَ فَإنَّهُ لا يَصْعُبُ عَلَيهِ إعَادَةُ بَعْثِهِم، لأنَّ الإعَادَةَ أسْهَلُ مِنَ الابْتِداءِ.

(وَجَاءَ في الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: يَقُولُ اللهُ تَعالى: يُؤذِيني ابْنُ آدَم يَقُولُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَاني، وَلَيسَ أوَّلُ الخَلْقِ بأهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إعَادَتِهِ).

أفَعَيِينَا - أفَعجَزْنَا عَنْهُ؟ كَلاَّ.

في لَبْسٍ - في شَكٍّ وَشُبْهَةٍ.

(الإنْسَانَ)

(١٦) - يُؤَكِّدُ اللهُ تَعالى قُدْرَتَهُ عَلى بَعْثِ الأمْواتِ مِنَ القُبُورِ يَوْمَ القِيامَةِ، بأنَّهُ هُوَ الذِي خَلَقَ الإنْسَانَ، وأنْشَأهُ مِنْ عَدَمٍ، وَأنَّهُ عَالِم بِجَمِيعِ أحْوالِهِ

وَأعْمَالِهِ وَأمُورِهِ، حَتَّى إنَّه لَيَعْلَمُ مَا يَتَرَدَّدُ في نَفْسِهِ مِنْ فِكْرٍ، وَمَا تُحَدِّثُهُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ عَمَلٍ، خَيْراً كَانَ أوْ شَرّاً.

(وَقَدْ جَاءَ في الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لأمَّتي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أنْفُسَها مَا لَم تَقُلْ أوْ تَفْعَلْ).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالى: إنَّ الإنسَانَ تَحْتَ سُلْطَانِ اللهِ وَقَهْرِهِ، وَإنَّ مَلائِكَةَ الرَّحْمَنِ المُكَلَّفِينَ بِحِفْظِ الإنسَانِ وإحْصَاءِ أعْمَالِهِ هُمْ مُلازِمُونَ لَهُ دَائِماً، حَتَّى إنَّهم بالنِّسْبَةِ إليهِ أقْرَبُ إليهِ مِنَ الوَرِيدِ الذِي يَمْتَدُّ في عُنُقِهِ.
حَبْلِ الوَرِيدِ - عِرْقٍ كَبِيرٍ في العُنُقِ.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧)

(١٧) - إنَّ اللهَ تَعَالى عَالِمٌ بِجَمِيعِ أحْوالِ الإنْسَانِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإنَّهُ وَكَّلَ بِهِ مَلَكَينِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ يَرْقُبَانِهِ وَيَتَرَصَّدَانِهِ، وَيُحْصِيَانِ عَلَيهِ كُلَّ قَوْلٍ أوْ عَمَلٍ وَيَكْتُبَانِهِ. مَلكٌ عَنِ اليَمِينِ يَكْتُبُ الحَسَنَاتِ، وَمَلكٌ عَنِ الشِّمالِ يَكْتُبُ السَّيِّئاتِ.
قَعِيدٌ - قَاعِدٌ.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨)

(١٨) - وَلاَ يَصْدُرُ عَنِ الإنسَانِ لَفظ أوْ كَلِمَةٌ إلاَّ وَلَديهِ مَلكٌ حَاضِرٌ مَعَهُ، مُرَاقِبٌ لأعْمالِهِ يُثْبِتُها في صَحِيفَتِهِ.
عَتِيدٌ - جَاهِزٌ وَمُهَيَّأٌ لِلْكِتَابَةِ.
رَقِيبٌ - مُرَاقِبٌ.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (١٩)

(١٩) - وَإنَّ الكُفَّارَ المُكَذِّبينَ بالبَعْثِ لَيَعْلَمُونَ صِدْقَ ذَلِكَ حِينَ المَوْتِ، وَحِينَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإذا جَاءَتْ سَكْرَةُ المَوتِ كَشَفَتْ للإنسَانِ عَنِ اليَقِينِ الذي كَانَ يَمْتَري فِيهِ، وَعَلِمَ أنَّ البَعْثَ حَقٌّ لا شَكَّ فِيهِ. وَسَكْرَةُ المَوْتِ وَمَا تَكْشِفُهُ لِلإنْسَانِ مِنْ يَقِينٍ، وَحَقَائِقَ، هِيَ الحَقُّ الذي كُنْتَ يَا أيُّها الإنْسَانُ تَفِرُّ مِنْهُ وَتَتَجَنَّبُهُ (تَحِيدُ)، وَهَاقَدْ جَاءَكَ، فَلاَ مَحِيدَ لَكَ عَنْهُ، وَلا مَهْرَبَ وَلاَ مَنَاصَ.
سَكْرَةُ المَوْتِ - شِدَّتُهُ وَغَمْرَتُهُ.
تَحِيدُ - تَفِرُّ مِنْهُ وَتَهْرُبُ.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ (٢٠)

(٢٠) - وَنُفِخَ في الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ، فَذَلِكَ هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ قَدْ جَاءَكَ بِأهْوالِهِ، وَهُوَ اليَوْمُ الذِي أوْعَدَ اللهُ الكَافِرينَ بِأنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ فِيهِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِالعَذَابِ الألِيمِ.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٢١)

(سَائِقٌ)

(٢١) - وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ في ذَلِكَ اليَوْمِ رَبَّها وَمَعَهَا سَائِقٌ يَسُوقُها إليهِ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيها بِمَا عَمِلَتْ في الدُّنيا مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ.

(٢٢) لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ

(٢٢) - وَيُقالُ للإنسانِ في ذَلِكَ اليَوْمِ : إنَّكَ كُنْتَ في غَفْلَةٍ عَنْ هَذا اليَوم ، وَمَا فيهِ مِنْ أهْوالٍ وشَدَائدَ وقَدِ انْجلَى لَكَ ذَلِكَ ، وَظَهَرَ لَكَ ، حتّى رَأيتَهُ عِياناً فَزَالَتْ عَنْكَ هَذِهِ الغَفْلَةُ .

حَدِيدُ البَصَرِ - قَوِيُّ البَصرِ وَنَافِذُهُ .

الغِطاءُ - الحِجَابُ - وَهُوَ حِجَابُ الغَفْلَةِ عَنِ الآخِرَةِ .

(٢٣) وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ

(٢٣) - وَيُقَدِّمُ المَلَكُ المُكَلَّفُ بِمُراقَبةِ الإنسانِ صَحِيفَةَ أعْمالِهِ إلى الرَّبِّ العَظِيمِ ، وَيقُولُ: هٰذا الذِي وَكَّلْتني بِهِ يَا رَبِّ قَدْ أحْضَرْتُهُ وَأحْضَرْتُ صَحِيفَةَ أعْمالِهِ في حَياتِهِ الدُّنيا ، فَهُوَ مُهَيّأٌ لا يَحْتَاجُ إلى تَهْيئةٍ وَإعْدادٍ .

(وَقِيلَ إنَّ المُرادَ بالقَرِينِ هُنَا الشَّيطَانُ الذِي كَانَ مُقَيَّضاً لهُ في الحَياةِ الدُّنيا . وَهُوَ مَا تَدُلُّ عليهِ الآيةُ ٢٧ التَّالِيَةُ) .

عَتِيدٌ - مُعَدٌّ - حَاضِرٌ وَمُهَيَّأٌ لِلْعَرْضِ .

(٢٤) أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ

(٢٤) - وَبَعْدَ أنْ يَقْضِيَ اللهُ تَعَالى بَيْنَ الخَلائِقِ بِعَدْلِهِ التَّامِّ ، يَأمرُ تَعالى السَّائِقَ وَالشَّهيدَ بأنْ يُلْقِيَا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ شَدِيدِ الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ ، مُعانِدٍ لِلحَقِّ ، مُعَارِضٍ لَهُ بِالبَاطِلِ .

عَنِيدٍ - شَدِيدِ العِنَادِ وَالمُجَافَاةِ لِلْحَقِّ .

(٢٥) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ

(٢٥) - كَانَ لا يُؤدِّي مَا عَليهِ مِنَ الحُقُوقِ ، وَلاَ يُنفِقُ في سَبِيلِ البِرِّ ، والصَّدَقةِ ، وَصِلةِ الرَّحِمِ ، وَكَانَ مُعْتَدياً عَلَى خَلْقِ اللهِ يُؤْذِيهِم بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ ظُلْماً وَعُدْواناً ، وَهُوَ يُثِيرُ الرِّيبَةَ والشَّكَّ لمنْ نَظَرَ إليهِ .

مُعْتَدٍ - ظَالِمٍ مُتَجَاوِزِ الحَدِّ .

مُرِيبٍ - شَاكٍّ في اللهِ وَدِينِهِ - أوْ مُثِيرٍ للشَّكِّ والرِّيبَةِ .

(٢٦) ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ

(آخَرَ)

(٢٦) - وَقَدْ أشْرَكَ باللهِ فَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ . ثُمَّ يُكَرِّرُ تَعالَى الأمْرَ لِلْمَلَكَيْنِ ، السَّائِقِ والشَّهِيدِ ، بأنْ يَقْذِفا هَذا المُسْتَحِقَّ لِلعَذابِ في نارِ جَهَنَّمَ لِيَذُوقَ العَذَابَ الشَّدِيدَ المُؤْلِمَ .



(٢٧) ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ

(ضَلالٍ)

(٢٧) - وَيُحَاوِلُ الكَافِرُ أنْ يَعْتَذِرَ للرَّبِّ العَظِيمِ عَنْ كُفْرِهِ وَمُعَانَدَتِهِ وَطُغْيَانِهِ ، فَيَقُولُ للرَّبِّ : إنَّ قَرِينَهُ الشَّيْطَانَ أطغَاهُ ، وَزَيَّنَ لَهُ الكُفْرَ وَالمَعَاصِيَ ، فَيَرُدُّ عَليهِ قَرِينُه قَائِلاً للرَّبِ الكَرِيمِ : إنَّه لم يَحْمِلْهُ عَلى الضَّلالِ وَالطُّغْيَانِ ، وَإنَّما كَانَ هُوَ نَفْسُهُ مُغْرِقاً في الضَّلالَةِ وَمُعَانَدَةِ الحَقِّ ، فَسَارَ في الطَّرِيقِ الذِي يَتَّفِقُ مَعَ هَوَى نَفْسِهِ .

أطْغَيْتُهُ - حَمَلْتُهُ عَلَى الطُّغْيَانِ .

(٢٨) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ

(٢٨) - وَيَقُولُ اللهُ تَعَالى لِلكَافِرِ المُعَانِدِ مِنَ الإِنسِ، ولِقَرِينِهِ مِنَ الجِنِّ: لا تَتَخَاصَما عِنْدِي وَلَا تَتَجادلا، فَقَدْ أَرْسَلْتُ الرُّسُلَ إليكم مُحَذِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ أَهْوَالَ هذا اليَوْمِ، وَأَنْزَلْتُ الكُتُبَ تُبَيِّنُ لَكُمْ أَنَّكُمْ سَتَرجِعُونَ جَميعاً إليَّ في هذا اليَومِ، وَأَنَّكُمْ سَتُحَاسَبُونَ عَلى أَعْمَالِكُمْ جميعاً، فَلا عُذْرَ لَكُمُ اليَوْمَ، وَقَدْ قَامَتْ عَلَيكُمُ الحُجَّةُ.

(٢٩) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ

(بِظَلَّامٍ)

(٢٩) - لا يُبَدَّلُ القَضَاءُ الذي قَضَيْتُهُ بَيْنَ العِبادِ، وَأَنَا لَا أَظْلِمُ أَحداً من عِبَادِي، فَلا أُعَذِّبُ أَحداً بِذَنْبِ غَيْرِهِ، وَلا أُحَمِّلُ نَفساً ذَنباً ارْتَكَبَهُ غَيْرُها، وَلَا أعذِّبُ أحداً إلاَّ بِذَنْبِهِ، وَبَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيهِ.

(٣٠) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ

(٣٠) - وَيَحْدُثُ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ في يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الذي يَسْأَلُ فِيهِ الرَّبُّ تَعَالى جَهَنَّمَ وَيَقُولُ لَها: هَلِ امْتَلأت بِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَفْوَاجِ الكُفَّارِ والمُجْرِمِينَ وَالعُصَاةِ؟ وَتَرُدُّ جَهَنَّمُ قَائِلَةً: وَهَلْ بَقِيَ شَيءٌ تَزِيدُونَنِي بِهِ مِنْ هَؤُلاءِ الظَّالِمِينَ؟.

(٣١) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ

(٣١) - وَأُدنِيَتِ الجَنَّةُ مِنَ المُتَّقِين، الذين آمَنُوا بِرَبِّهِم وَخَافُوهُ، وَاجْتَنَبُوا مَعَاصِيَه، حَتَّى أَصْبَحَتْ على مَرأى العَينِ مِنْهُم، وَذَلِكَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهم، وَهُمْ يَرَوْنَ فيها مَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ نَعِيمٍ لا نَفَادَ لَهُ.

أُزْلِفَتْ - قُرِّبَتْ وَأُدنِيَتْ.

(٣٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ

(٣٢) - وَيُقَالُ لِلْمُتَّقِينَ - يَقُولُهُ الرَّبُّ تَعَالى أَوْ يَقُولُه المَلائِكَةُ الأَطْهَارُ - هَذا هُوَ النَّعِيمُ الذِي وَعَدَكُم بِهِ رَبُّكُمْ على أَلسنةِ رُسُلِهِ الكِرَامِ، وَجَاءَتْ بِهِ كُتُبُهُ، وَقَدْ أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالى لِكُلِّ رَجَّاعٍ تَوَّابٍ إلى رَبِّهِ، مُقْلِعٍ عَنْ مَعَاصِيهِ، يَحْفَظُ العَهْدَ ولا يَنْقُضُهُ.

أَوَّابٍ - رَجَّاعٍ إلى اللهِ بالتَّوبَةِ.

(٣٣) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ

(٣٣) - مَنْ خَافَ اللهَ في سِرِّهِ في الوَقْتِ الذي لَمْ يَكُنْ أَحدٌ يَرَاهُ غَيرَ اللهِ، وَجَاء اللهَ يَومَ القِيَامةِ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ خَاضِعٍ لَهُ.

مُنِيبٍ - مُخْلِصٍ مُقْبِلٍ على طَاعَةِ اللهِ.

(٣٤) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ

(بِسَلامٍ)

(٣٤) - وَيُقَالُ لهؤلاءِ الأبرارِ المُكَرَّمِينَ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ سَالِمِينَ مِنَ العَذَابِ وَالهُمُومِ وَالخَوفِ، وَاطْمَئِنُّوا وَقَرُّوا عَيناً فَهَذا يَوْمُ الخُلُودِ في هذا النَّعِيمِ، فَهُو دَائِمٌ عَلَيكُم لا تَحُولُونَ عَنْهُ وَلَا تَزُولُونَ، وَلَا أَنْتُم مِنْهُ تُخْرَجُونَ.

٣٥ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ

(يشاؤون)

(٣٥) - وَلَهُم فيها ما يَطْلُبُونَ وَمَا يَشْتَهُونَ، ثُمَّ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ فَوْقَ ما سألوا مِمَّا لَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ عَلَى بَالٍ.

٣٦ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ
هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ

(البلادِ)

(٣٦) - وَكَثيراً مِنَ الأممِ الخَالِيَةِ أهْلَكَها اللهُ تَعالَى، وَكَانُوا أشَدَّ مِنْ كُفَّارِ قُرَيشٍ بَطْشاً، وأكثرَ مِنْهُم قُوَّةً، وَسَلَكُوا في الأرض كُلَّ مَسْلَكٍ، وَسَارُوا في كلِّ طَرِيقٍ يَطُوفُونَ في البِلَادِ طَلباً للرِّزقِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَهْرَبٌ مِنْ قَضَاءِ اللهِ وأمْرِهِ حِينَما جاءَهُمْ، فَلْيَحْذَرْ كُفَّارُ قُرَيشٍ أنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مِثْلُمَا نَزَلَ بِتْلِكَ الأُمَمِ الخَالِيَةِ مِنَ العَذَابِ وَالدَّمَارِ.

كَمْ أهْلَكْنا - كَثِيراً ما أهْلَكْنا.
قَرْنٍ - أُمَّةٍ.
بَطْشاً - قُوَّةً أوْ أخذاً شَدِيداً.
نَقَّبُوا - طَوَّفُوا.
مَحِيصٍ - مَهْرَبٍ.

٣٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ
شَهِيدٌ

(٣٧) - وفيما تَقَدَّمَ مِنَ الأخْبارِ وَالدَّعْوةِ إلى الاعْتِبَارِ والاتِّعَاظِ لَتَذْكِرَةً لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعِي به، وَأُذُنٌ يَسْمَعُ بها، وَهُوَ حَاضِرُ القَلْبِ.

شَهِيدٌ - حَاضِرُ القَلْبِ.

٣٨ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ

(السَّماوَاتِ)

(٣٨) - يُؤكِّدُ اللهُ تَعالى لِهؤُلاءِ المُكَذِّبينَ بالبَعْثِ أنَّهُ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ أنْ يَصِيرُوا عِظَاماً نَخِرَةً بَالِيَةً، فَهُوَالذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ، وَلَم يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ، وَلم يُعْجِزْهُ خَلْقُ شَيءٍ فِيهِنَّ، وَلَمْ يَمَسَّهُ تَعَالى إعياءٌ وَلاَ تَعَبٌ.

(وَفي هذا تَكْذِيبٌ لِمَا يَعْتَقِدُهُ اليَهُودُ مِنْ أنَّهُ تَعالى خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأرضَ في سِتَّةِ أيامٍ، وَاسْتَرَاحَ في اليَومِ السَّابعِ).

لُغُوبٍ - تَعَبٍ وَإعْيَاءٍ.

٣٩ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ الْغُرُوبِ

(٣٩) - فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُهُ المُكَذِّبُونَ مَنْ قومِكَ، وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً، وَنَزِّهْ ربَّكَ عَمَّا لا يَلِيقُ بِجَلالِهِ، وَاحْمَدْهُ عَلى مَا أنْعَمَهُ عَلَيكَ، وَقْتَ الفَجْرِ، وَوَقْتَ العَصْرِ، لِعِظَمِ العِبَادَةِ في هذينِ الوَقْتَينِ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ ﴿٤٠﴾

(اللَّيْلِ) (أدْبارَ)

(٤٠) - وَسَبِّحْ رَبَّكَ وَنَزِّهْهُ وَاحْمَدْهُ في آنَاءِ اللَّيلِ، وَبَعْدَ أداءِ الصَّلَواتِ.
أدْبارَ السُّجودِ - أعْقابَ الصَّلَوَاتِ.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ ﴿٤١﴾

(٤١) - واسْتَمِعْ يَا مُحمَّدُ إلى مَا أُخْبِرُكَ بِهِ ممَّا يَجْرِي يَوْمَ القِيامَةِ، فَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَقُومُ مُنادِي اللهِ في مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَيُنَادِي فَيَصِلُ نِدَاؤُهُ إلى جَميعِ الخَلائِقِ، وَيَقُولُ: هَذا يَوْمُ الحِسابِ فَأسْرِعُوا في الخُروجِ.

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ ﴿٤٢﴾

(٤٢) - وَيَوْمَ يَسْمَعُ الأمْوَاتُ صَوْتَ المُنَادِي (وَقيلَ إنَّهُمْ يَسْمَعُونَ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ التي تُنفَخُ في الصُّورِ) يَخْرُجُونَ مُسْرِعينَ مِنَ الأرْضِ كَأَنَّهُم جَرادٌ مُنْتَشِرٌ، فَيُقَالُ لَهُم هَذا هُوَ يَوْمُ البَعْثِ وَالخُرُوجِ مِنَ القُبُورِ.
الصَّيْحَةَ - النِّداءَ أوْ صَيْحَةَ البَعْثِ أوِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ في الصُّورِ.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ ﴿٤٣﴾

(٤٣) - يُعْلِمُ اللهُ تَعَالى العِبادَ بأنَّهُ هُوَ الذي خَلَقَ الخَلْقَ وأحياهُم، وَأنَّهُ هُو الذي يُمِيتُهُمْ حِينَ تَنْقَضِي آجَالُهُمْ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إليهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُم عَلَى أعْمَالِهِمْ.

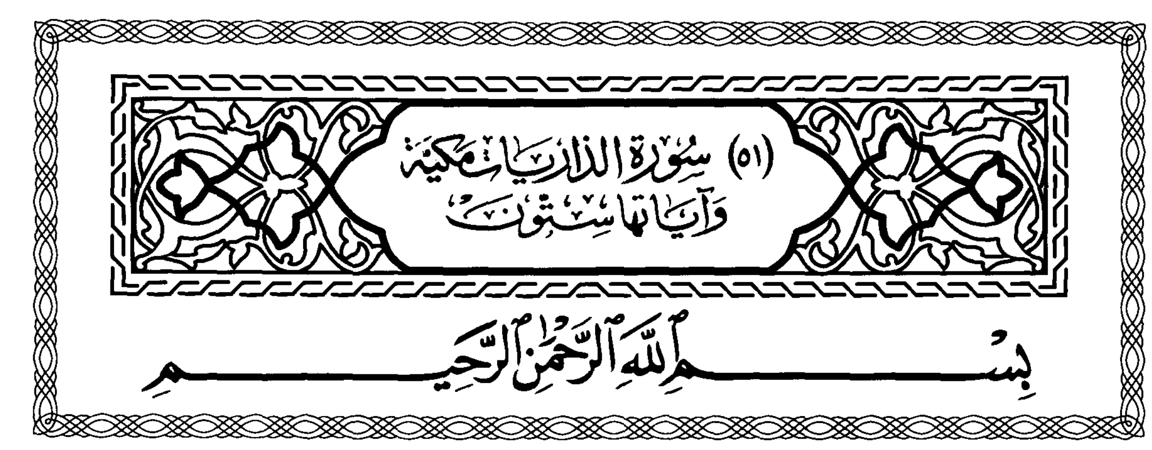
﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ ﴿٤٤﴾

(٤٤) - وَفي يَوْمِ القِيَامَةِ تَتشَقَّقُ الأرْضُ فيَخْرُجُ الموتى مُسْرِعِينَ، وَيكُونُ ذَلِكَ الحَشْرُ لِلْعِبادِ هَيِّناً يَسيراً عَلَى اللهِ تَعَالى، لا عُسْرَ فِيهِ، وَلاَ مَشَقَّةَ.
تَشقَّقُ - تَتَصَدَّعُ.
سِراعاً - مُسْرِعينَ إلى الدَّاعِي.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ﴿٤٥﴾

(بالْقُرْآنِ)

(٤٥) - يُسلِّي اللهُ تَعالى رَسُولَهُ الكَرِيمَ عَمَّا يُلاقيهِ مِنْ تَكْذِيبِ المُكَذِّبينَ، وَمُعَانَدَةِ المُعَانِدِينَ، فَيَقُولُ لَهُ: إنَّ عِلْمَهُ مُحيطٌ بِمَا يَقُولُهُ المُشْرِكُونَ مِن افْتِراءٍ، وَتَكْذِيبٍ، واسْتِهْزاءٍ، وَمِنْ إنكَارٍ لِلْبَعْثِ، وَمَا أنتَ إلا رَسُولٌ مُكَلَّفٌ بإبلاغِهِم مَا أمرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَمَا أنتَ بِمُسَلَّطٍ عَلَيهِم لِتُجْبِرَهُم عَلَى الإيمانِ، فَذَكِّر بالقُرآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ اللهِ، الذِي أنْذَرَ بِهِ العُصَاةَ، فَهُو الذِي يَتَذَكَّرُ وَيَنْتَفِعُ بالتَّذَكُّرِ.
جَبَّارٍ - مَنْ يَسْتَطِيعُ إجْبَارَ غَيْرِهِ عَلَى فِعْلِ مَا يُرِيدُ.



وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾

(الذَّارِيَاتِ)

(١) - يُقسِمُ اللهُ تَعالى بِالرِّياحِ التي تَذْرُو التُّرابَ ذَرْواً.

الذَّرْوُ - التَّفْرِيقُ وَالبَعْثَرَةُ.

فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾

(فَالْحَامِلاَتِ)

(٢) - ويُقْسِمُ تَعالى بِالسَّحابِ المُثْقَلِ بِالمَاءِ.

الوِقْرُ - حِمْلُ البَعِيرِ.

فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾

(فَالْجَارِيَاتِ)

(٣) - وَيُقْسِم اللهُ تَعَالَى بِالسُّفُنِ التي تَجْرِي عَلَى سَطْحِ المَاءِ جَرْياً سَهْلاً مُيَسَّراً.

اليُسْرُ - السُّهُولَةُ.

فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾

(فَالْمُقَسِّمَاتِ)

(٤) - ويُقْسِمُ تَعالى بِالمَلائِكَةِ تَنْزِلُ بأوامرِ اللهِ الشَّرعِيةِ والكَونيةِ، وَتُوزِّعُها وَفْقَ مَشِيئَتِهِ، فَتَفْصِلُ في الشُّؤُونِ المُخْتَصَّةِ بها، وتُقَسِّمُ الأُمُورَ في الكَوْنِ بِحَسبِها.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾

(إنَّ ما)

(٥) لَقَدْ أقْسَمَ تَعَالى بِجَميعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ عَلَى أنَّ مَا يُوعَدُ بِهِ النَّاسُ مِنْ مَوْتٍ ثُمَّ بَعْثٍ ثُمَّ حَشْرٍ ثُمَّ جزاءٍ لَخَبَرٌ صَادِقٌ وَحَقٌّ وَسَيَتَحَقَّقُ وُقُوعُهُ.

وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾

(لَوَاقِعٌ)

(٦) - وَإِنَّ يَوْمَ الحِسَابِ الذِي يُوعَدُونَ بِهِ وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ.

الدِّينَ - الجَزَاءَ وَالحِسَابَ.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾

(٧) - وَيُقسِمُ تَعالى بالسَّماءِ ذَاتِ الاتِّساقِ وَالتَّرْكِيبِ المُحْكَمِ ، كَاتِّسَاقِ الزَّرَدِ المُتَشابِكِ المُتَداخِلِ الحلقَاتِ.
ذَاتِ الحُبُكِ - ذَاتِ الجَمالِ وَحُسْنِ التَّركيبِ.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨﴾

(٨) - لَقَدْ أقسَمَ تَعالى عَلَى أَنَّكُمْ يَا أَيُّها المُشْرِكُونَ المُكَذِّبُونَ للرُّسُلِ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ مُضْطَرِبٍ، لا يَلْتَئِمُ وَلاَ يَجْتَمِعُ، وَلاَ يَثْبُتُ ولا يَسْتَقِرُّ، وَلا يَرُوجُ إلا عَلَى ضَالٍّ لأَنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾

(٩) - وَإِنَّ هذا القَوْلَ المُخْتَلِفَ، يُصْرَفُ عَنْهُ مَنْ صُرِفَ، وَيَبقَى مَنْ بَقِيَ، فَلا آستقرارَ عَليهِ، وَلاَ تَوافُقَ، وَلا ثَباتَ.
أُفِكَ - صُرِفَ.

(الْخَرَّاصُونَ)

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾

(١٠) - لُعِنَ المُرْتَابُونَ الذِينَ يَظُنُّونَ ظَنّاً، وَيَقُولُونَ قَوْلاً لاَ يَسْتَنِدُونَ فِيهِ إلى دَليلٍ وَلا حُجَّةٍ.
الخَرَّاصُ - الكَذَّابُ - أوِ الذِي يَظُنُّ وَيُقَدِّرُ جُزَافاً.
قُتِلَ - لُعِنَ وقُبِّحَ فِعْلُه.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾

(١١) - الذينَ هُمْ في جَهْلٍ عَميقٍ، وَغَفْلَةٍ عَظِيمةٍ عمَّا أُمِرُوا بِهِ، وَهُمْ مَغْمُورُونَ بِالأَباطِيلِ وَالأَضَالِيلِ والأَوْهَامِ لا يُفِيقُونَ ولا يَسْتَيقِظُونَ.

غَمْرَةٍ - جَهالَةٍ غَامِرَةٍ.
سَاهُونَ - غَافِلُونَ عَمَّا أُمِرُوا بِهِ.

(يَسْأَلُونَ)

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢﴾

(١٢) - الذينَ يَقُولُونَ تَكْذِيباً وَشَكّاً وآسْتِبْعَاداً، لاَ طَلَباً لِلْعِلمِ وَالمعرِفَةِ: مَتى يكُونُ يَوْمُ الحِسَابِ هذا الذِي تَعِدُونَنا بِهِ؟
أَيَّانَ - مَتى.
يَوْمُ الدِّينِ - يَوْمُ الحسَابِ والجَزَاءِ.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾

(١٣) - وَيَوْمُ الجَزاءِ الذِي يَسْأَلُونَ عَنْهُ مُكَذِّبِينَ بِهِ، مُسْتَبْعِدِينَ لِوُقُوعِهِ، هُوَ اليومُ الذِي يُعذِّبُ اللهُ فِيهِ الكُفَّارَ في نَارِ جَهَنَّمَ.
يُفتَنُونَ - يُحْرَقُونَ وَيُعَذَّبُونَ.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾

(١٤) - وَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جهَنَّم مُوَبِّخِينَ مُقَرِّعِينَ: ذُوقُوا هذا العَذَابَ الذِي كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِوُقُوعِهِ آسْتِهْزاءً، وَتَظُنُّونَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ ١٥

(جَنَّاتٍ)

(١٥) - أمَّا الذينَ آمَنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ، وَاتقَوا رَبَّهُمْ وَأطَاعُوهُ، وَاجْتَنَبُوا مَعَاصِيَهِ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ في ذَلكَ اليَومِ في بَسَاتِينَ وَجَنَّاتٍ تَجْري فيها الأنهارُ.

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ ١٦

(آخِذِينَ) (آتَاهُمْ)

(١٦) - قَريرَةً أعينُهُم بِمَا آتاهُم رَبُّهمْ مِنْ نَعيمٍ يَفُوقُ مَا كَانُوا يُؤَمِّلُونَ، لأنهم كَانُوا في الحَيَاةِ الدُّنيا يَعْمَلُونَ الأعمالَ الصَّالِحَةَ، طَلَباً لمَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، فَنَالُوا هذا الجَزَاءَ العَظِيمَ.

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ١٧

(اللَّيْلِ)

(١٧) - كَانُوا يَنَامُونَ القَليلَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيلِ، وَيَقُومُونَ لِلصلاةِ وَالعِبَادةِ في مُعْظَمِهِ.

يَهْجَعُون - يَرقُدون وَيَنَامُونَ.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ١٨

(١٨) - وَكَانُوا يُحيُون اللَّيلَ مُتهَجِّدِينَ، فَإذا جَاءَ وَقْتُ السَّحرِ أخذُوا في الاسْتِغْفَارِ كَأنَّهمْ أسْلَفُوا في ليلتِهم الذُّنُوبَ.

الأسْحَار - أوَاخِرِ اللَّيْلِ.

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ ١٩

(أمْوَالِهِمْ) (لِلسَّائِلِ)

(١٩) - وَجَعَلُوا في أمْوالِهِمْ جُزْءاً مُعَيَّناً خَصَّصُوهُ للسَّائِلِ المُحْتَاجِ، وَلِلْمُتَعفِّفِ الذِي لا يَجدُ ما يُغْنِيهِ، وَلاَ يَسْألُ النَّاسَ، وَلا يَفْطَنُ إليهِ أحَدٌ لِيَتَصَدَّق عَليه.

المَحْرُومُ - الذِي حُرِمَ الصَّدَقَةَ لِتَعفُّفِهِ عَنِ السُّؤالِ مَعَ حَاجَتِهِ.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ ٢٠

(آيَاتٌ)

(٢٠) - وَفي الأرْضِ آيَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى عَظَمَةِ الخَالِقِ وَقُدْرتِهِ البَاهِرَةِ، تَسْتَبِينُ لِمَنْ فَكَّر فيها، وَتَدَبَّرَ مَعْنَى هَذِهِ الآيَاتِ فَآمَنَ وَزَادَ يَقِيناً.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢١

(٢١) - وفي خَلْقِ الإنْسَانِ، وَتَطَوُّرِ نُمُوِّهِ، وَإدْراكِهِ وَظَائِفَ خَلاَيا جِسْمِهِ، وَتَوَالُدِهِ، وَاختِلافِ الوانِ البَشَرِ وأشْكَالِهِم وَلُغَاتِهِمْ... الخ في كُلِّ ذَلِكَ آيَاتٌ تَدْعُو، مَنْ عَمَرَ قَلْبَهُ اليَقِينُ، إلى التَّفكِيرِ وَالتَّأمُّلِ في عَظَمَةِ هذا الخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ وَإبْداعِهِ.

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ٢٢

(٢٢) - وَفي السَّماء أسْبَابُ رِزْقِكُم، مِنْ مَطَرٍ يَخرُجُ بِهِ الزَّرْعُ وَالنَّبَاتُ، وَيَرْوِي العِطَاشَ مِنَ المخْلُوقَاتِ، وَمِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ، تُؤَثِّرُ في

جَوِّ الأرْضِ، وَتُثِيرُ الرِّيَاحَ، فَتَكُونُ الفُصُولُ الأرْبعةُ، وتَكُونُ الرِّيَاحُ وَسِيلةً لسَوْقِ الغُيُومِ المُثقَلَةِ بالماءِ مِنْ مَكَانٍ إلى مَكَانٍ، وَتَنْقُلُ الرِّيَاحُ لَقَاحَ النَّبَاتَاتِ وَالأشْجَارِ مِنْ مَكَانٍ إلى مَكَانٍ فَتَتَلَقَّح وتُعطِي أُكُلَهَا، وَتَسْتكْمِلُ وَظِيفَتَها، وَكُل ذَلِكَ يَتِمُّ بِتَقْدِيرِ اللهِ وَتَيسِيرِهِ، وَيَحْصُلُ كلُّ وَاحِدٍ مِنَ الخَلْقِ عَلى مَا قسَمَهُ اللهُ مِنْ رِزْقٍ. وَفي السَّمَاءِ أيضاً مَا تُوعَدُونَ مِنْ جَزاءٍ عَلَى أعمالِكُم إنْ خَيْراً فَخيراً، وَإن شَرّاً فشَرّاً.

٢٣ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ

(٢٣) - يُقسِمُ تَعالى بذاتِهِ الكَرِيمَةِ عَلَى أنَّ مَا وَعَدَ بِهِ العِبَادَ مِنْ أمرِ القِيامَةِ، وَالبَعْثِ والجَزاءِ كَائِنٌ لاَ مَحَالَةَ وَحَقٌّ لاَ مِرْيَةَ فِيهِ، فَلاَ تَشُكُّوا فِيهِ كَما أنَّكُمْ لاَ تَشُكُّونَ فِي نُطْقِكُم حِينَ تَنطِقُون.

٢٤ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ

(أتاكَ) (إبْرَاهيمَ)

(٢٤) - وَيَعُودُ تَعَالى لِيُذَكِّرَ رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺ بِقَصَصِ الأنبياءِ الكِرَامِ مَعَ أقوامِهِم، وَمَا لَقوهُ من تَكْذِيبٍ وَإيذاءٍ فَثَبَتُوا عَلى ما أصَابَهُمْ، وَتَابَعُوا أدَاءَ مَهمَّتِهِم التي كَلَّفَهُمْ بها رَبُّهُمْ، بِعَزْمٍ وَصَبْرٍ فَنَصَرَهُمُ اللهُ وَدمَّرَ أقْوَامَهُمْ.

وَفي هَذِهِ القَصَصِ تَثْبِيتٌ لِقَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَسْلِيَةٌ لَهُ، وَتَحْذِيرٌ للكافِرِينَ مِنْ عَذابِ اللهِ وَعِقَابِهِ، وَلفتٌ لأنظارِهِمْ إلى أنَّ سُنَّةَ اللهِ قَدْ مَضَتْ فِي نَصْرِ الرُّسُلِ، وَتَدْمِيرِ الكُفْرِ وَأهْلِهِ، وَلَيسَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلٌ، وَلا تَحْوِيلٌ.

وَيَبْدَأ اللهُ تَعَالى بِقِصَّةِ إبراهِيمَ، عليهِ السَّلامُ، حِينَما جَاءَهُ ضُيُوفٌ مُكَرَّمونَ مِنَ الملائكةِ الأطْهَارِ.

ضَيْفُ إبراهيمَ - أضْيَافُهُ مِنَ المَلاَئِكَةِ.

٢٥ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ

(سَلاماً) (سَلاَمٌ)

(٢٥) - وَقَدْ دَخَلَ هَؤُلاءِ الأضْيَافُ عَلَى إبراهِيمَ، عَلَيهِ السَّلامُ، فَحَيَّوْهُ بالسَّلامِ، فَرَدَّ تَحِيَّتَهُمْ بأحْسَنَ مِنْها. وَقَدْ جَاءَهُ الرُّسُلُ في هَيْئَةِ شُبَّانٍ صِباحِ الوُجُوهِ، عَلَيهِم المَهَابَةُ، فَأنْكَرَ وُجودَ مِثْلِهِمْ في المِنْطَقَةِ.

٢٦ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ

(٢٦) - فَانْسَلَّ مِنْ بَيْنِ ضُيُوفِهِ مُسْرِعاً، وَذَهَبَ خفيَةً عَنْهُمْ إلى أهْلِهِ، فَجَاءَ ضُيُوفَه بِعِجْلٍ سَمِينٍ مَشْوِيٍّ.

رَاغَ - ذَهَبَ بِسُرْعَةٍ، أوْ ذَهَبَ خفْيَةً بِانْسِلاَلٍ.

٢٧ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

(٢٧) - وَوَضَعَ الطَّعَامَ بَيْنَ أيْدِي ضُيُوفِهِ، وَسَألَهُمْ مُتَلَطِّفاً إنْ كَانُوا يُرِيدُونَ الأكْلَ مِنْهُ.

(٢٨) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ

(بغُلام)

(٢٨) - فَلَمْ يَمُدَّ الأضيافُ أيدِيَهُمْ إلى الطَّعامِ ، ولَم يأكُلوا مِنْهُ، فَاسْتَشْعَرَ إبراهيمُ، عَلَيهِ السَّلامُ، في نفسِه الخَوفَ مِنْهُمْ ظَنّاً مِنْهُ أنهُمْ يُريدُونَ بِهِ شَرّاً فَطمْأنوهُ وقَالُوا لَهُ: لا تَخفْ مِنّا فإنّنا رُسُلُ اللهِ تَعالى جِئْنا لإهْلاكِ قَوْمِ لُوطٍ، وبَشَّرُوهُ بأنهُ سَيُرْزَقُ وَلَداً ذَكَراً يَمْتازُ بالعِلْمِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ قُرَّةً لِعُيونِ وَالِدَيهِ.

أوْجَسَ - أحَسَّ في نَفْسِهِ.

(٢٩) فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ

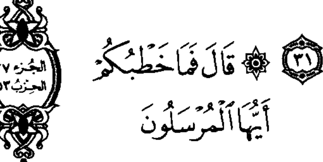
(٢٩) ولَمّا سَمِعَتْ زَوْجَةُ إبْراهيمَ، عَلَيهِ السَّلامُ، بِشارَةَ المَلائِكَةِ لَها وَلِزَوْجِها بِوِلادَةِ وَلَدٍ لَها ٱسْتَغْرَبَتْ ذَلِكَ، وَدَخَلَتْ عَلى الضُّيوفِ، وَلَطَمَتْ وَجْهَهَا وَهِيَ تَقُولُ مُسْتَغْرِبَةً: كَيْفَ ألِدُ وأنا عَجُوزٌ، وَلَيْسَ مِنْ طَبْعِ العَجُوزِ أنْ تَلِدَ، وكُنْتُ عَقِيماً وأنا شَابَّةٌ لَمْ أرْزَقْ بِوَلَدٍ؟

(وَجَاءَ في آيةٍ أخرَى أنَّها قَالَتْ: **﴿قَالَتْ يَوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأنَا عَجُوزٌ وَهَـٰذا بَعْلِي شَيْخاً﴾**[1] .

صَرَّةٍ - صَيْحَةٍ وَضَجَّةٍ.
صَكَّتْ وَجْهَهَا - لَطَمَتْهُ بِيَدِها تَعَجُّباً مِمَّا سَمِعَتْ.

(٣٠) قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ

(٣٠) - فَقَالَ لها رُسُلُ اللهِ : أخْبَرْنَاكِ بما قَالَهُ ربُّكِ، فَنَحْنُ نُخْبِرُكِ عَنِ اللهِ تَعالى ، واللهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شيءٍ، وَلاَ يُعْجِزُه شَيءٌ، وَهُوَ الحَكيمُ في أفعَالِهِ، العَليمُ بما تَسْتَحِقُّونَ مِنَ الكَرامَةِ.



(٣١) ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ

الجزء ٢٧ الحزب ٥٣

(٣١) - فَقَالَ إبراهيمُ، عَليهِ السَّلامُ، لِرُسُلِ اللهِ تَعالى: مَا شَأنُكُمْ؟ وَلأيِّ أمْرٍ خَطِيرٍ أتَيتُم يَا أيُّها المُرْسَلُونَ؟
الخَطْبُ - الأمرُ الخَطِيرُ.



(٣٢) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ

(٣٢) - فَقَالُوا لَهُ: إنَّهم مُرْسَلُون لإهْلاكِ قَوْمِ لُوطٍ، لإجْرامِهِمْ، وفِسْقِهِمْ، وَفَسَادِهِمْ.

(٣٣) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ

(٣٣) - وَقَالُوا لَهُ: إنَّهُمْ سَيُلْقُونَ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ حِجارَةً مِنْ طِينٍ هِيَ في صَلابَتِهَا كَالحِجَارَةِ.

(٣٤) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ

(٣٤) - وَعَلَيها عَلاَمَاتٌ أُعِدَّتْ لِهَلاَكِ المُسْرِفِينَ، المُتَجاوِزِينَ الحُدُودَ في كُفْرِهِمْ وَفَسَادِهِمْ.

---

(١) سورة هود الآية ٧٢.

(وَقِيلَ إِنَّ التَّسويمَ، هُنَا يَعْنِي أَنَّ الحِجارَة مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ وَاحِدةٍ مِنْها آسْمُ الشَّخْصِ الذِي أعِدَّتْ لِهلَاكِهِ).

مُسَوَّمَةً ـ ذَاتَ عَلامَاتٍ.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٣٥﴾

(٣٥) ـ وَقَبْلَ أَنْ يُدَمِّرَ رُسُلُ اللهِ قُرى قَوْمِ لُوطٍ أخرَجَ اللهُ مَنْ كَانَ في هَذِهِ القُرَى مِنَ المُؤْمِنينَ باللهِ، آسْتِجابَةً لِدَعْوةِ لَوطٍ، عَلَيهِ السَّلامُ، وَلِكَيْلا يَهْلِكُوا مَعَ الهَالِكِينَ.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٦﴾

(٣٦) ـ وَلَمْ يجدْ رُسُلُ اللهِ في هذِه القُرَى غَيْرَ بَيْتٍ وَاحِدٍ أَسْلَمَ أَهْلُهُ، وَهُمْ لُوطٌ وَأَهْلُهُ إِلاَّ آمْرأتَهُ.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٣٧﴾

(آيَةً)

(٣٧) ـ وبَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ اللهُ تَعَالى لُوطاً وَأَهْلَهُ مِنَ القَرْيَةِ دمَّرَها رُسُلُهُ عَلَى أَهْلِها عِنْدَ الصَّباحِ، وَجَعلُوا عَالِيَهَا سَافِلَها فَلَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنْ أَهلِها الفَاسِقينَ، فَجَعَلَها اللهُ عِبْرةً لِلْمُعْتَبِرينَ بِمَا أَنْزَلَهُ بِها مِنَ العَذَابِ والنَّكالِ، وَخَسَفَتِ الأَرْضُ بالقَرِيةِ، فَكَانَتْ تِلْكَ عَلامَةً أرادَها اللهُ عَلى هَلاكِ المُكَذِّبِينَ الفَاجِرِينَ مِنْ أَهْلِها.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٣٨﴾

(أَرْسَلْنَاهُ) (بِسُلْطانٍ)

(٣٨) ـ وَجَعَلْنا في قِصَّةِ مُوسى عِظَةً لِقَومٍ يَعْقِلُونَ، إِذْ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلى فِرْعَونَ بِحُجَجٍ ظَاهِرَةٍ، ومُعْجِزاتٍ وَاضِحَةٍ.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ٣٩﴾

(سَاحِرٌ)

(٣٩) ـ وَأَعْرضَ فِرْعَونُ عَمَّا جَاءَهُ بِهِ مُوسَى مِنَ الحقِّ المُبينِ، مُسْتَكْبِراً مُسْتَعِزاً بِقومِهِ وَجُنُودِهِ ومُلْكِهِ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ أمرَكَ فيما جِئْتَني بهِ لا يَعدُو أَنْ يَكُونَ وَاحِداً مِن آثْنينِ: فإما أَنْ تَكُونَ سَاحِراً، وَإِما أَنْ تَكُونَ مجنوناً.

تَوَلَّى بِرُكْنِهِ ـ أَعْرَضَ فِرْعَوْنُ بِقوَّتِهِ، وَآسْتَعَزَّ بِسُلْطَانِهِ عَنِ آلإِيمَانِ.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠﴾

(فَأَخَذْنَاهُ) (فَنَبَذْنَاهُمْ)

(٤٠) ـ فَعَاقَبَهُ اللهُ تَعَالى عَلَى كُفْرِهِ وَتَكْذيبِهِ رَسُولَهُ مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، بِأَنْ أَلْقَاهُ اللهُ وَجُنُودَهُ في البَحْرِ، فَأَغْرقَهُم جميعاً، وَقَدْ أتى فِرعَوْنُ مَا يُلامُ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالطُّغيانِ، وَتكذِيبِ رَسُولِ اللهِ.

مُليمٌ ـ فَعَلَ مَا يَستَوجِبُ اللَّوْمَ عَليهِ.

نَبَذَهُ ـ قَذَفَهُ كما تُقْذَفُ النَّواةُ.

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾

(٤١) - وَجعَلْنا في قِصَّةِ عادٍ آيَةً لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ، إِذْ أَرْسَلَ اللهُ تَعالى عَلَيهِم رِيحاً صَرْصَراً عاتِيَةً فَأَهْلَكَهُم جميعاً، وَلم يُبْقِ مِنْهُم أحداً.

العَقِيمَ - المُهْلِكَةَ القَاطِعَةَ لِنَسْلِهِمْ أَوْ هِيَ الرِّيحُ التي لاَ تَسُوقُ مَطراً.

مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾

(٤٢) - وَلَم تَتْرُكْ هذهِ الرِّيحُ العقِيمُ شَيْئاً أتَتْ عَلَيهِ إلاَّ جعَلَتْهُ كالعَظْمِ البَالِي، (وَسُمِّيَتْ هذِهِ الرِّيحُ عَقِيماً لأنها تُفْسِدُ وَلا تُنْتِجُ شَيْئاً).

الرَّمِيم - العَظْمِ البَالي المُفَتَّتِ.

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾

(٤٣) - وَجعَلْنا في قِصَّةِ ثَمُودَ عِظَةً وَعِبْرةً لمنْ تَفكَّر وَتَدبَّرَ آيَاتِ اللهِ، إذْ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ: تَمَتَّعُوا في دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أيَامٍ، ثُمَّ يأتِيكُمْ عَذابُ رَبِّكُم لِعَقْرِكُمْ نَاقةَ اللهِ، هَذا وَعْدٌ مِنَ اللهِ غَيْرُ مَكْذُوبٍ.

فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾

(الصَّاعِقَةُ)

(٤٤) - فَكَذَّبَتْ ثَمُودُ صَالحاً عليه السَّلامُ،وَٱسْتَكْبَرُوا، وَعتَوا عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ، فـأرْسَلَ اللهُ تَعـالى عَلَيْهِمْ صَـاعِقَـةً مِنَ السَّمـاءِ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ فهلَكُوا جميعاً، وَهُمْ يَنْظُرُون إلى وُقُوعِها بِهِمْ.

فَعتَوْا - فَاسْتَكْبَرُوا وَتَمرَّدُوا.

أخذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ - أهْلَكَتْهُمْ صَيْحَةٌ أوْ نَارٌ مِنَ السَّماءِ.

فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾

(اسْتطاعُوا)

(٤٥) - فَلَمْ يَجِدُوا مَهْرباً وَلاَ مَفراً مِنَ العَذابِ الذِي نَزَلَ بِهِمْ وَلَمْ يَجِدُوا نَاصِراً لَهُمْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ بَأسَ اللهِ وَعَذَابَهُ.

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

(فَاسِقِينَ)

(٤٦) - وَقدْ أهْلَكَ اللهُ تَعالى قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ هَؤلاءِ بِالطُّوفَانِ، بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾

(بَنَيْناهَا) (بأَيْدٍ)

(٤٧) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى أنَّهُ بَنى السَّماءَ بِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَبَدِيعِ صَنْعَتِهِ، وَأنهُ لَقَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، لاَ يَمسُّهُ تَعَبٌ وَلاَ نَصَبٌ.

بأيْدٍ - بِقُوّةٍ وَقُدْرَةٍ.

مُوسِعُونَ - قَدْ تَكونُ بِمَعْنَى أنَّهُ وَسَّع أرْجَاءَها.

وَقدْ تَكونُ بِمَعْنى قَادِرُونَ أيْ إنَّ خَلْقَها في طَاقَتِهِ تَعالى وَقُدْرَتِهِ، وَإنَّ في طَاقَتِهِ وَقُدْرَتِهِ أنْ يَخْلقَ غَيْرَها إذا شَاءَ.

﴿٤٨﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ

(فَرَشْناهَا) (الماهِدُونَ)

(٤٨) - وَجَعَلَ اللهُ تَعالى الأرضَ فِراشاً لِلْمَخْلُوقاتِ، وَمَهَّدَها وَجَعَلَها صَالِحَةً لاسْتِقْرارِ المَخْلُوقاتِ عَليها، مِنْ حَيوانٍ وَنَباتٍ.

مَهَّدَ الفِرَاشَ - بَسَطَهُ وَوَطَّأَهُ لِيَسْهُلَ الجُلُوسُ عَلَيهِ.

الماهِدُونَ - المُصْلِحُونَ المُسَوُّونَ.

﴿٤٩﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(٤٩) - وَقَدْ خلَقَ اللهُ تَعالى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ ثَانِياً لَهُ مُخَالِفاً لَهُ في مَبْناهُ، فَأصْبح كُلُّ وَاحِدٍ منهما زَوْجاً للآخر، فَخَلَقَ السَّماءَ وَالأَرْضَ، وَخَلَقَ البَرَّ والبَحْرَ، وَخَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهارَ. وَذَلِكَ لِيَتَذَكَّرَ الخَلْقُ وَيَعْتَبِرُوا، وَيَعْلَمُوا أنَّ الخَالِقَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ.

زَوْجَين - صِنْفَينِ وَنَوعَينِ مُخْتَلِفَينِ.

﴿٥٠﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

(٥٠) - فَالجَؤوا إلى اللهِ يَا أَيُّها النَّاسُ، وَأسْرِعُوا إلى طَاعَتِهِ، وَاعتَمِدُوا عَلَيه في جَميعِ أُمُورِكُمْ، فَإني لَكُم مِنْهُ نَذيرٌ، أنذِرُكُم عِقَابَه، وَأخَوِّفُكُمْ مِنْ عَذابِهِ الذِي أَنزَلَهُ بالأُمَمِ الخَاليةِ التي كَذَّبَتْ رُسُلَها، وَكَفرتْ بِربِّها، وَإني مُبَيِّنٌ لَكُم مَا يَجِبُ عَلَيكُمْ أنْ تَحْذَرُوهُ.

فِرُّوا - اهْرُبُوا مِنْ عِقَابِ اللهِ إلى ثَوَابِهِ.

﴿٥١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

(آخَر)

(٥١) - وَلاَ تَجْعَلُوا لَكُم مَعْبُوداً آخَرَ تَعْبُدُونَهُ مَعَ اللهِ، فَإنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ، وَهُوَ وَحْدَه الرَّبُّ الذِي تَجبُ العِبادَةُ لهُ، وَإني نَذيرٌ أنْذِرُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ عَلَى إشْراكِكُم مَعَهُ غَيْرَهُ في العِبادَةِ.

﴿٥٢﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ

(٥٢) - يُسَلِّي اللهُ تَعالى رَسُولَهُ الكَريمَ ﷺ وَيُعْلِمُهُ أنَّ مَا قالَه هؤُلاءِ المُشْركُون المُكَذِّبُونَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ سَاحِرٌ.. أوْ مَجْنونٌ، سَبَقَ أنْ قَالَهُ المُكَذِّبُونَ مِنَ الأُمَمِ الأُخْرى الخَالِيَةِ لِرُسُلِهِمْ، فَصَبَرُوا عَلَى إيذاءِ أقوامِهِمْ، حَتَّى جَاءَ نَصْرُ اللهِ.

﴿٥٣﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ

(٥٣) - أأوْصَى بَعْضُهم بَعْضاً بِهذا القَوْلِ، فَتَنَاقَلَهُ الخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ، حَتَّى قَالَهُ المُكَذِّبُونَ مِنْ قَومِكَ؟ وَلكِنَّهُمْ قَوْمٌ طُغَاةٌ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَلاقَتْ في الطَّعْنِ عَلَى الرُّسُلِ، فَقَال مُتَأخِّرُهُمْ كَمَا قَالَ مُتَقَدِّمُهُمْ.

طَاغُونَ - مُتَجَاوِزُونَ الحَدَّ في الكُفْرِ.

﴿٥٤﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ

(٥٤) - فَأعْرِضْ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَلاَ تَأسَفْ عَلَى إصْرارِهِمْ عَلَى الكُفْرِ وَالتَّكْذيبِ فَأنْتَ غَيْرُ مَلُومٍ عَلَى ذَلِكَ، لأنَّكَ رَسُولٌ وَقَدْ قُمْتَ بمَا أمرَكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ إبلاغِ الرِّسَالةِ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ.

وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾

(٥٥) - وَثابِرْ عَلى دَعْوةِ النَّاسِ إلى اللهِ، وَذَكِّرْهُمْ بِهذا القُرآنِ، فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ القُلُوبَ المُوقِنَةَ التي فِيها ٱسْتِعْدادٌ لِلهِدايةِ.

وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(٥٦) - وَاللهُ تَعالى لَمْ يَخْلُقِ الإِنْسَ وَالجِنَّ إلاَّ لِيَعْرِفُوهُ، وَيَقُومُوا بِعِبادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَحَمْدِهِ عَلى أَنْعُمِهِ التي لا تُحصَى.

لِيَعْبُدونِ - لِيَعْرِفُوني أوْ لِيَخْضَعُوا لِي وَيَتَذَلَّلُوا.

مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾

(٥٧) - وَاللهُ تَعالى لا يُرِيدُ أنْ يَسْتَعِينَ بِالخَلْقِ لِجَلْبِ مَنْفَعةٍ لَهُ، وَلا لِدَفْعِ ضَرَرٍ عَنْهُ، وَلا يُصَرِّفُهُمْ في تَحْصِيلِ الأَرْزاقِ وَالمَطاعِمِ، كما يَفْعَلُ المَوالي مَعَ عَبِيدِهِمْ.

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾

(٥٨) - وَاللهُ تَعالى غَيْرُ مُحتَاجٍ إليهم فَهُوَ خَالِقُهُم وَرازِقُهُمْ، وَهُمْ مُحتاجُونَ إليهِ، وَهُوَ الغَنِيُّ عَنْهُم، وَعَمَّنْ سِواهُمْ، وَهُوَ تَعالى ذُو القُوَّةِ الشَّدِيدُ الذِي لا يُعْجِزُه شيءٌ.

وَجَاءَ في الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: يَا ٱبْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبادَتي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنىً، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإلا تَفْعَلْ مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ.

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾

(أصحَابِهِمْ)

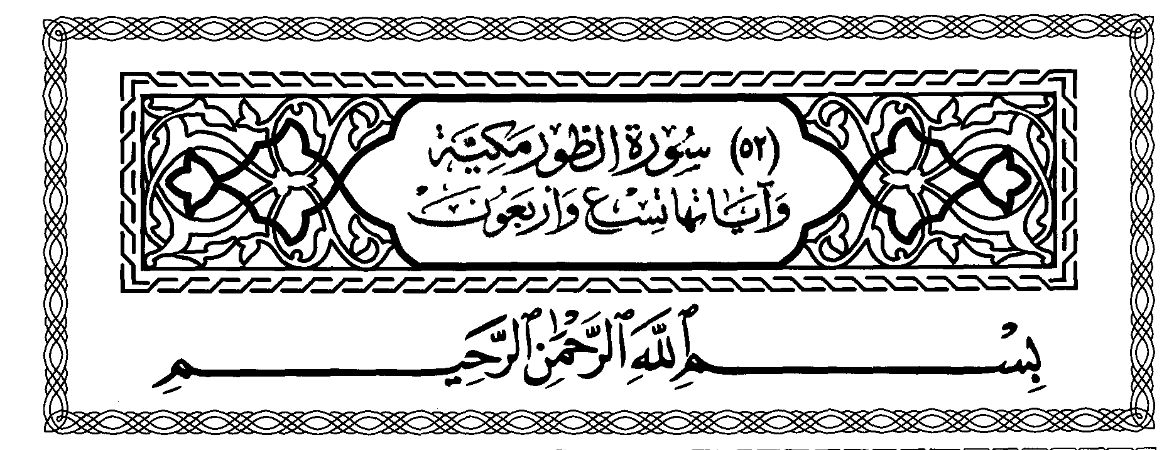
(٥٩) - فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم بالاشْتِغالِ في غَيْرِ ما خُلِقُوا لَهُ مِنْ عِبادَةِ اللهِ، وَظَلَمُوها بالكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، نَصيباً مِنَ العَذابِ، مِثْلَ نَصِيبِ أَصْحَابِهِم الكَفَرَةِ المُكَذِّبِينَ مِنَ الأممِ الخَالِيةِ، فَلا تَسْتَعْجِلُوني بإنزالِ العَذابِ بِهِمْ، قَبلَ حُلُولِ موعِدِهِ المُقَرَّرِ.

ذَنُوباً - نَصِيباً مِنَ العَذابِ.

فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

(٦٠) - فَهلاكٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ اليَوْمِ الذِي وُعِدُوا بِهِ، لأَنَّهُ إذا جَاءَ نَزَلَ بِهِم العَذابُ الشَّدِيدُ.

فَوَيْلٌ - فَهلاكٌ وَحَسْرَةٌ، أوْ شِدَّةُ عَذابٍ.



وَالطُّورِ ﴿١﴾

(١) - يُقسِمُ اللهُ تَعالى بِجَبَلِ الطُّورِ فِي سِينَاءَ، وَهُوَ الجَبَلُ الذِي كَلَّمَ اللهُ فَوْقَهُ مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، وَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ عَلَيهِ التَّوراةَ.

الطُّورِ - جَبَلٍ في طُورِ سِينَاءَ. وَقِيلَ إِنَّهُ الجَبَلُ المَكْسُوُّ بالشَّجَرِ. وَقِيلَ إِنَّهُ الجَبَلُ عَامَّةً فِي السُّرِيَانِيَّةِ.

وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾

(كِتَابٍ)

(٢) - وَيُقسِمُ اللهُ تَعَالى بالكِتَابِ المَسْطُورِ الذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُوسَى، عَلَيهِ السَّلامُ، في جَبَلِ الطُّورِ - وَهُوَ التَّوراةُ.

وَقِيلَ أيضاً إِنَّهُ اللَّوْحُ المَحْفُوظُ.

فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾

(٣) - وَقَدْ سُطِّرَ هٰذا الكِتَابُ المُنَزَّلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالى عَلَى عَبْدِهِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ، في جِلْدٍ رَقِيقٍ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَيهِ الأَوَّلُونَ كُتُبَهُمْ، وَقَدْ نَشَرَ اللهُ الرَّقَّ لِتَسْهُلَ قِراءَةُ ما فِيهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ مَا فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ.

رَقٌّ - مَا يُكْتَبُ فِيهِ مِنْ جِلْدٍ أَوْ غَيْرِهِ.

مَنْشُورٍ - مَبْسُوطٍ غيرِ مَطْوِيٍّ.

وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾

(٤) - وَالبَيْتُ المَعْمُورُ هُوَ كَعْبَةُ أَهْلِ السَّماءِ، وَفِي كُلِّ سَماءٍ بَيْتٌ مَعْمُورٌ يَتَعَبَّدُ فِيهِ أَهْلُها، وَيُصَلُّونَ إِلَيهِ.

وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾

(٥) - وَيُقْسِمُ تَعالى بالسَّماءِ، وَهِيَ السَّقْفُ المَرْفُوعُ مِنْ غيرِ عَمَدٍ. وَقَالَ تَعالى ﴿وَجَعَلْنا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[1].

وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾

(٦) - وَيُقسِم اللهُ تَعالى بالبَحْرِ المَحْصُورِ مِنْ أَنْ يَفيضَ فَيُغْرِقَ مَا حَوْلَهُ مِنَ الأَرْضِ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَسْجُورَ تَعْنِي هُنَا المُشْتَعِلَ بِالنِّيرانِ الكَائِنَةِ دَاخِلَ الأَرْضِ. وَمِنْها سَجَرَ التَّنُّورَ إذا مَلأَهُ حَطَباً وَأَوْقَدَهُ).

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾

(لَوَاقِعٌ)

(٧) - لَقَدْ أَقْسَمَ تَعالى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ عَلَى أَنَّ عَذابَهُ الذِي أَنْذَرَ الرُّسُلُ بِهِ الخَلائِقَ لَوَاقِعٌ بِالكَافِرِينَ، وَمُحِيطٌ بِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. (وَهٰذا جوابُ القَسَمِ).

مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾

(٨) - وَإِذَا وَقَعَ بِهِم العَذابُ فَلا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ دَافِعٌ وَلا يَجِدُونَ عَنْهُ مَحِيصاً وَلاَ مَهْرَباً، جَزاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ وَآياتِهِ.

يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾

(٩) - وَيَقَعُ عَذابُ اللهِ تَعالى بالكَافِرينَ، وَلاَ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ دَافِعٌ، في يَوْمِ القِيامَةِ الذِي تَتَحَرَّكُ فِيهِ السَّماءُ، وَتَدُورُ دَوَرانا وَهِي في مَكانِها كما تَدُورُ الرَّحَى.

تَمُورُ مَوْراً - تَتَحَرَّكُ وَتَدُورُ وَهِيَ في مَكَانِها.

وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾

(١٠) - وَفِيهِ تَزُولُ الجِبَالُ مِنْ أَمَاكِنِها، وَتَسِيرُ عَنْ مَواضِعِها كَسَيرِ السَّحابِ. وَتَصِيرُ كَالعِهْنِ المَنْفُوشِ الذِي تَلْعَبُ بِهِ الرِّياحُ.

فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

(يَوْمَئِذٍ)

(١١) - فالوَيلُ والهَلاكُ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾

(١٢) - الذِينَ يَخُوضُونَ في البَاطِلِ، وَهُمْ لاَهُونَ لاَ يُفَكِّرُونَ في آخِرَةٍ وَلا في حِسَابٍ.

خَوْضٍ - اندِفَاعٍ في الأَبَاطِيلِ والأَكَاذِيبِ.

يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾

(١٣) - وفي ذٰلِكَ اليَوْمِ يُدفَعُ هٰؤلاءِ المُكَذِّبُونَ، الخَائِضُونَ في البَاطِلِ، إلى جَهَنَّمَ دَفْعاً عَنِيفاً، وَيُساقُونَ إليها سَوْقاً.

يُدَعُّونَ - يُدْفَعُونَ بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٢.

﴿١٤﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ

(١٤) - وَيقُولُ لَهُم خزنَةُ جهَنَّم مُوبِّخِين وَمُقرِّعِينَ: هٰذِهِ هِيَ النَّارُ التِي كُنْتُم تُكَذِّبُونَ بِوُجُودِها حِينما كُنْتُم في الحَياةِ الدنيا، كَما كُنْتم تُكَذِّبون بأَنَّ الكُفَّارَ والمكَذِّبينَ سَيَصِيرُونَ إليها لِيُعَذَّبُوا فيها.

﴿١٥﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ

(١٥) - لَقَدْ كُنْتُم تَدَّعُونَ، وَأَنْتُم في الحَياةِ الدُّنيا، أَنَّ مُحَمَّداً يَسْحَرُ عُقُولَكُم، فَيَتْبَعُه النَّاسُ. وَيُتَابِعُ المَلائِكَةُ تَوْبِيخَهم لهٰؤلاءِ المُكَذِّبِينَ فَيَقُولُونَ لَهُم: هَلِ الذِي تَرَوْنَهُ الآن بِأُمِّ أَعْيُنِكُمْ مِنْ نَارٍ تَتَلَظَّى، وَمُجْرمِينَ يُلقَوْنَ فِيها جَزاءً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِم.. هُوَ سِحْرٌ أيضاً؟ أَمْ هَلْ غُطِّيَت أَبْصَارُكُم فَهِي لا تَرى شَيئاً؟ كَلَّا إِنَّ مَا تَرونَهُ لَحَقٌّ، وَلَيسَ بِسِحْرٍ وَلا خِدَاعِ بَصَرٍ.

﴿١٦﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(١٦) - فَادْخُلُوا الآنَ نَارَ جَهَنَّمَ لِتَصْطَلُوا بِنَارِهَا التِي تَغْمُرُكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَسواءٌ عَليكُم أَصَبَرْتُمْ عَلَى عَذَابِهَا وَنَكَالِها، أَمْ لَمْ تَصْبِروا فَلَا مَحِيدَ لَكُم عَنْها، وَلا خَلاصَ لَكُم مِنْها، وَهٰذا الذِي نَزَلَ بِكُمْ مِنَ العَذابِ هُوَ مَا تَسْتَحِقُّونَه جَزاءً لَكُم عَلَى أَعْمالِكُمْ في الحَياةِ الدُّنيا.

اَصْلوها - ادْخُلُوها، أو قَاسُوا حَرَّها.

(جَنَّاتٍ)

﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ

(١٧) - بَعْدَ أَنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى حَالَ الكَفَرةِ الأَشْقِياءِ في الآخِرةِ ثَنَّى بِبَيَانِ حَالِ المُؤْمِنينَ السُّعَداءِ فَأَخْبرَ أَنَّ المُتَّقِينَ الذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَخَافُوهُ، وَأَخْلَصُوا العِبَادَةَ لَهُ، يَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ، عَلَى إِيمَانِهِمْ وَأَعْمالِهِم الصَّالحةِ، بِإِدْخَالِهِمْ جَنَّاتٍ يَنْعَمُون فِيها، لَا يَحُولُونَ عَنْها ولا يَزُولُونَ.

(فَاكِهِينَ) (آتَاهُمْ) (وَوَقَاهُم)

﴿١٨﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ

(١٨) - وَيَكُونُونَ في الجَنَّةِ طَيِّبِي النُّفوسِ، قَرِيري الأَعْيُنِ، يَتَنَعَّمُونَ بِما آتَاهُمْ رَبُّهم فِيهَا مِنَ المآكِلِ وَالمَشَارِبِ وَالمَلابِسِ، وَلَا يَشْغَلُ بالَهُمْ شَاغِلٌ، وَقَدْ أَنْجَاهُمْ رَبُّهم مِنَ العَذابِ في نَارِ جَهنَمَ، وَذٰلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ.

فاكِهِينَ - مُتَلَذِّذِينَ نَاعِمِينَ مَسْرُورِينَ.

﴿١٩﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(١٩) - وَيُقَالُ لَهُمْ وَهُمْ في الجَنَّةِ: كُلُوا وَاشْرَبُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنَ الطَّيِّباتِ، هَنِيئاً مَرِيئاً لَا تَخافُونَ أَذًى وَلَا غَائِلَةً، وَذٰلِكَ جَزَاء لَكُم مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى إِيمَانِكُمْ باللهِ، وَعَلَى الأَعْمالِ الصَّالحةِ التِي فَعَلْتُمُوها فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا.

(٢٠) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ

(٢١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ

(٢٢) وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ

(٢٣) يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ

(وزَوَّجْناهُمْ)

(٢٠) - وَيَجْلِسُونَ في رِياضِ الجَنَّةِ عَلَى سُرِرٍ صُفَّ بَعْضُها إلى جَانِبِ بَعْضٍ، وَهُمْ مُتَّكِئُونَ في جِلْسَةِ المُطْمَئِنِّ المُرتَاحِ، الذِي لا كُلْفَةَ عَلَيهِ. وَجَعَلَ لَهُمْ رَبُّهُمْ زَوْجَاتٍ صِبَاحَ الوُجُوهِ، وَاسِعَاتِ العُيُونِ.

سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ - مَوْصُولٍ بَعْضُها بِبَعْضٍ بِاسْتِواءٍ.

عِينٍ - وَاسِعَاتِ العُيُونِ.

زَوَّجْنَاهُمْ - قَرَنَّاهُمْ.

(آمَنُوا) (بإيمانٍ) (أَلَتْناهُم)

(٢١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالى العِبَادَ عَمَّا يَتَفَضَّلُ بهِ عَلَى المُؤْمِنينَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالى يُلحِقُ بِهِمْ مَنْ آمَنَ مِنْ ذُرِّيتِهِم، في المَنْزِلَةِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عُيونُهُمْ فِي الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ عَمَلُ هَؤُلاءِ لا يُبَلِّغُهُمْ هَذِهِ المَنْزِلَةَ، فَيَتَفَضَّلُ اللهُ تَعالى بِرَفْعِ نَاقِصِي العَمَلِ إلى مَرْتَبَةِ الكَامِلِي العَمَلِ، تكرُّماً مِنْهُ، وَتَفَضُّلاً عَلَى هَؤُلاءِ الكِرامِ البَرَرَةِ، وَلاَ يُنْقِصُ اللهُ تَعَالى دَرجَاتِ الآباءِ بِسَبَبِ ذُنُوبِ أَبْنَائِهِمْ بَلْ يَرْفَعُ مَنْزِلةَ الأَبْنَاءِ.

ثُمَّ يُخْبِرُ تَعَالى بِأَنَّ العَدْلَ يَقْضِي بِأَلاَّ يُؤَاخَذَ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مُرْتَهِنٌ بِعَمَلِهِ، وَلاَ يُحمَلُ عَليهِ ذَنْبُ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.

مَا أَلَتْنَاهُمْ - مَا نَقَصْنا الآباءَ بِهذا الإِلْحَاقِ.

(أَمْدَدْناهُم) (بِفَاكِهَةٍ)

(٢٢) - وَيأْمُرُ اللهُ بِأَنْ تُوَجَّهَ إِليهِم الفَوَاكِهُ واللحومُ التي تَشْتَهِيهَا أَنْفُسُهُم، دُونَ أَنْ يَطْلُبُوا هُمْ ذَلِكَ، وَدُونَ أَنْ يَقْتَرِحُوهُ.

(يَتَنَازَعُونَ)

(٢٣) - وَيتعَاطَى هَؤُلاءِ الكِرَامُ البَرَرَةُ في الجَنَّةِ كَأْساً مِنَ الخَمْرِ لا يَهْذُون فِيها، وَلا يَتَكلَّمُون كَلاماً لَغْواً وَباطِلاً، وَلا يَقُولُون قَولاً فاحِشاً فِيهِ إِثْمٌ، كَمَا يَفْعَلُ شَارِبُو الخَمْرِ في الدُّنيا.

يَتَنازَعُونَ - يَتَعاطَوْنَ أَوْ يَتَجاذَبُونَ.

كَأْساً - خَمْراً أو إِناءً فيهِ خَمْرٌ.

لا لَغْوٌ - لاَ كَلامٌ مُبْتَذَلٌ سَاقِطٌ.

تَأْثِيمٌ - فِعْلٌ يُوجِبُ الإِثْمَ.

﴿٢٤﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ

ربع الحزب ٥٣

(٢٤) - وَيَطُوفُ عَلَيهِمْ بِكُؤُوسِ الخَمْرِ هٰذِهِ غِلْمانٌ مُعَدُّونَ لِخِدْمَتِهِمْ، يَعْمَلُون بِأَمْرِهِم، وَيَنْتَهُون بِنَهيِهِمْ، وَهُمْ فِي حُسْنِهِم وَبَهائِهِم كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤ نَاصِعُ البَيَاضِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ أَصْدافِهِ، وَلَم يَتَعَرَّضْ لِلنُّورِ وَلَفْحِ الشَّمْسِ وَالرِّيَاحِ.

مَكْنُونٌ - مَصُونٌ في أَصْدَافِهِ.

﴿٢٥﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ

(٢٥) - وَأَقْبَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَنْ أَحْوالِهِمْ وَمَا كَانُوا فيهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، وَعَنْ سَبَبِ مَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ نَعِيمٍ.

﴿٢٦﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ

(٢٦) - فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّا كُنَّا في الدُّنيا، وَنَحْنُ بَيْنَ أَهْلِنَا، خَائِفينَ مِنْ رَبِّنا، مُشْفِقِينَ مِنْ عَذَابِهِ.

مُشْفِقِينَ - خَائِفِينَ مِنَ العَاقِبَةِ.

﴿٢٧﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ

(وَوَقَانَا)

(٢٧) - فَتَفَضَّلَ عَلَينَا رَبُّنا وَأَجَارَنَا مِمَّا كُنَّا نَخافُ مِنْهُ وَأَنْقَذَنا مِنْ أَنْ نَتعرَّضَ لِعذابِ السَّمُومِ.

السَّمُومِ - النَّارِ ذَاتِ الحَرَارةِ التي تَنْفُذُ مِنَ المَسَامِّ.

﴿٢٨﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ

(٢٨) - وَلَقَدْ كُنَّا في الدُّنيا نَسْأَلُ اللهَ تَعَالى أَنْ يَمُنَّ عَلَينا بالرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ فَاسْتَجابَ لِدُعَائِنَا وَأَعْطَانا سُؤْلَنَا، لأَنَّهُ هُوَ المُحْسِنُ المُتَفَضِّلُ، ذُو الرَّحمةِ الوَاسِعَةِ، وَالفَضْلِ العَظِيمِ.

البَرُّ - المُحْسِنُ العَطُوفُ.

الرَّحِيمُ - العَظِيمُ الرَّحْمَةِ.

﴿٢٩﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ

(بِنِعْمَةِ)

(٢٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺ بِأَنْ يُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ إِلى النَّاسِ، وبِأَنْ يُذَكِّرَهُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ عَليهِ وَيَقُولُ لَهُ تَعَالى: إِنَّكَ لَسْتَ، بِحَمْدِ اللهِ وَنِعْمَتِهِ عَلَيْكَ، بِكَاهِنٍ مِنَ الكُهَّانِ، الذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُم يتَّصِلُونَ بِالجِنِّ، وَيَأْتُون بِأَسْرارِ الغَيْبِ مِنْهُم، وَلَسْتَ بِمَجْنُونٍ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسِّ.

(كَانَ مُشْرِكُو قُرَيشٍ لا يَجِدُونَ مَا يَرُدُّونَ بِهِ الحَقَّ الذِي جَاءَهُم بِهِ رَسُولُ اللهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ إِلاَّ القَوْلَ تَارةً إِنَّهُ كَاهِنٌ، وَتَارةً إِنَّهُ مَجْنُونٌ يَهْذِي بِكَلامٍ لا مَعْنَى لَهُ، وَقَدْ رَدَّ اللهُ تَعَالى عَلَيهِم قَوْلَهم هٰذا نافياً ما يَتَّهِمُونَ بِهِ الرَّسُولَ).

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ (٣٠)

(٣٠) - بَلْ هُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ شاعِرٌ نَنْتَظِرُ أَنْ تَنزِلَ بِهِ قَوارِعُ الدَّهْرِ فيَموت وَنَسْتَرِيحَ مِنْهُ.

المَنُونِ - الدَّهْرِ.

الرَّيبُ - الأَحْدَاثُ والقَوارِعُ المُهْلِكَةُ.

﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾ (٣١)

(٣١) - فَقُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ: انتَظِروا أَنْ يَنزِلَ رَيْبُ المَنُونِ فَإِنِّي مُتَرَبِّصٌ مَعَكُم، مُنْتَظِرٌ قَضاءَ اللهِ فيَّ وَفيكُمْ، وَسَتَعْلَمُونَ لمنْ تَكُونُ العَاقِبَةُ الحَسَنَةُ والظَّفَرُ، في الدُّنيا وَالآخِرةِ.

﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ (٣٢)

(أَحْلامُهُمْ)

(٣٢) - بَلْ تَأْمُرُهُمْ عُقُولُهُمْ بهذا الذِي يَقُولُونَ في الرَّسُولِ مِنَ الأَقاوِيلِ الباطِلةِ التي يَعْلَمُونَ في أَنْفُسِهِمْ أَنَّها كَذِبٌ، وَأَنَّها مُتَناقِضَةٌ فِيما بَيْنَها، فالشَّاعرُ غَيْرُ الكاهِنِ وَغَيْرُ المَجْنُونِ، وَلكِنَّهُمْ قومٌ طاغُونَ، ضالُّونَ، مُعانِدُونَ.

طَاغُونَ - مُتَجاوِزُونَ الحَدَّ في العِنادِ.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ (٣٣)

(٣٣) - أَيقُولُونَ شاعِرٌ، أَمْ يَقُولُونَ كاهِنٌ، أَمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ اخْتَلَقَ القُرآنَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَنَسَبه إلى اللهِ كَذِباً وَافْتِراءً عَلَى اللهِ.. وَالحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ كُفْرَهُمْ هُوَ الذي يَحمِلُهُمْ عَلَى قَوْلِ ما يَقُولُونَ.

تَقَوَّلَهُ - اخْتَلَقَ القُرآنَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ (٣٤)

(صَادِقِينَ)

(٣٤) - فَإِنْ كَانُوا صادِقِينَ في قَوْلِهِمْ إِنَّ مُحمَّداً تَقَوَّلَ القُرآنَ وافْتَراهُ عَلى اللهِ فَلْيَأْتُوا هُمْ بِمِثْلِ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ هذا القُرآنِ، إِنَّهُمْ عَنْ ذلكَ عَاجِزُونَ، مَعَ أَنَّ القُرآن جاءَ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَكَانُوا هُمْ أَساطِينَ البَلاغَةِ في عَصْرِهِمْ.

﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ (٣٥)

(الْخالِقُونَ)

(٣٥) - بَعْدَ أَنْ أَثْبَتَ اللهُ تَعالى أَنَّ رِسالَةَ مُحَمَّدٍ حَقٌّ، وأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِليهم مِن رَبِّهِ، شَرَعَ هُنا في إِثْباتِ وُجودِهِ تَعالى، وَإِثْباتِ وَحْدانِيَّتِهِ، وَقُدْرتِهِ البالِغةِ، فَقالَ هُنا: أَوُجِدُوا هُمْ مِنْ غيرِ مُوجِدٍ؟ أَمْ أَنَّهُمْ هُمُ الذين أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ؟ وبِمَا أَنَّهُ لا يُوجَدُ شيءٌ مِنْ غيرِ مُوجِدٍ، وبِمَا أَنَّهم غَيْرُ قَادِرِينَ هُمْ عَلَى خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ، وَلا عَلى خَلْقِ شيءٍ، فَيَكُونُ اللهُ تَعالى هُوَ الذي خَلَقَهُمْ وَأَوْجَدَهم بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونوا شَيْئاً.

(٣٦) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ

(السَّماوَاتِ)

(٣٦) - وَهَلْ هُمُ الذينَ خَلَقُوا السَّماواتِ وَالأَرْضَ؟ إنَّهم يَعْلَمُون أنَّهُمْ لَمْ يَخْلُقوا شَيْئاً، وَأَنَّ السَّماوَاتِ وَالأَرض قَدْ خَلَقَها اللهُ تَعالى وَحْدَه، لاَ إِلهَ إلاَّ هُوَ ولاَ شَريكَ لَهُ، وَأَنَّهُمْ لا يُوقِنُون بِمَا يَقُولُون.

(٣٧) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ

(خزائِنُ)

(٣٧) - أَمْ يَتَصَرَّفُونَ في المُلْكِ، وَبِيَدِهِمْ مَفَاتِيحُ خَزائِنِ اللهِ فَيُعْطُونَ النُّبوَّةَ لمنْ يَشَاؤُونَ، وَيَصْطَفُونَ لَها مِنَ الخَلْقِ مَنْ يَخْتَارُونَ هُمْ؟ أَمْ هُمُ الأَرْبَابُ الغَالِبُونَ المُسَيْطِرُونَ عَلَى أَمْرِ العَالَمِ فَيُصَرِّفون الأُمُور وَفْقَ إرادَتِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمْ؟ كَلاَّ إنَّهُمْ لاَ يَتَصَرَّفُون بشَيءٍ، وَلا يُسَيْطِرُونَ عَلَى شَيءٍ، فَاللهُ تَعالى هُوَ وَحْدَهُ المُتَصَرِّفُ المُسَيْطِرُ.

(٣٨) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ

(بِسُلْطَانٍ)

(٣٨) - أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَرْتَقُونَ عَلَيهِ إلى السَّماءِ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ مَا يَدُورُ مِنْ أَحَادِيثَ في المَلإِ الأعْلَى، وَمَا يُوحَى إلى المَلائِكَةِ مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ. فَإنْ كَانُوا يَدَّعُونَ ذلِكَ فَلْيأتِ مَنْ يَسْتَمِعُ لَهُمْ بحجَّةٍ ظَاهِرَةٍ تُصَدِّقُ دَعْواهُم بأنَّهم عَلَى حَقٍّ فِيما يَقُولُونَ، وفِيما يَفْعَلُونَ.

سُلَّم - مَرْقًى إلى السَّماء يَصْعَدُون إليهَا بِهِ.

(٣٩) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ

(الْبنَاتُ)

(٣٩) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالى عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنَ المُشْرِكينَ إنَّ المَلائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ، فَيَقُولُ مُنْكِراً عَلَيهِمْ مَا نَسَبُوهُ إليهِ مِنَ الوَلَدِ، وَمِنْ جَعْلِ أَوْلادِ اللهِ مِنَ الإنَاثِ، بَيْنَما يَخْتَارُونَ هُمْ لأَنفُسِهِمْ الذُّكُورَ لأَنَّهُمْ يُحِبُّونَهُمْ وَيُفَضِّلونَهُمْ عَلَى الإنَاثِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَلِرَبِّكُم البَنَاتُ وَلَكُمْ الذُّكُورُ، تِلْكَ إذا قِسْمَةٌ جَائِرَةٌ لاَ يَقُولُها عَاقِلٌ.

(٤٠) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ

(تَسْأَلُهُمْ)

(٤٠) - أَمْ إنَّكَ تَسْأَلُهُم أَجْراً تَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوالِهِم عَلَى مَا تَقُومُ بِهِ مِنْ إبْلاغِ الرِّسَالَةِ إليهِم فَهُمْ يَسْتَثْقِلُونَ هذا المَغْرَمَ، وَيَتَبَرَّمُونَ بِهِ؟ وَيَتَضَايَقُونَ مِنْهُ؟ إنَّكَ لاَ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً وَإنَّما أَجْرُكَ عَلَى اللهِ.

مَغرَم - الْتِزام غُرْمٍ. مُثْقَلُونَ - مُتْعَبُونَ مِنْ حَمْلِهِ.

(٤١) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ

(٤١) - أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبونَ ذلِكَ للنَّاسِ، وَيُنَبِّئُونَهُمْ بِمَا يُرِيدُونَ؟ إنَّ الأَمرَ لَيْسَ كذلِكَ، لأَنَّ الغَيْبَ لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ اللهُ تَعَالى.

٤٢ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ

(٤٢) - أَمْ يُـرِيدُ هٰؤُلاءِ بِقَـولِهِمْ هٰذا أَنْ يُغَـرِّرُوا بالنَّـاسِ ، وَأَنْ يَكِيدُوا لِلرَّسُولِ وَالمؤمنينَ، وأن يَمْكُرُوا بهم، فَإِنْ كَانَ هٰـذا ما يُـرِيدُون فـإن كَيْدَهُم مَرْدُودٌ عَلَيهِمْ، وَإِنَّ وَبَـالَهُ وَاقـعٌ عَلَيهِمْ لأَنَّ اللهَ سَيُعلي كَلِمَتَهُ، وَسَيَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَسَيُبْطِلُ كَيْدَ الكَافِرِينَ.

المَكِيدُونَ - المَجْزِيُّونَ بِكَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ.

٤٣ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(سُبْحَانَ)

(٤٣) - أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَعَذابِهِ؟ إِنَّ الأَصْنَامَ وَالأَنْدادَ وَالأَوْثَانَ وَمَا يَدْعُون مِنْ دُونِ اللهِ، لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَهُمْ إذا أَرادَ اللهُ أن يُنزِلَ بِهِمْ عَذَابَه فتنزَّه اللهُ تَعالى عَنْ شِرْكِهِمْ وَإِفْكِهِمْ.

(وَفِي هٰذهِ الآيَةِ إِنْكَارٌ شَدِيدٌ عَلَى المُشْرِكِينَ فِيما يَعْبُدُونَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ).

٤٤ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ

(٤٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى في هٰـذِهِ الآيَةِ الكَـرِيمَةِ عَنْ عِنَادِ المُشْـرِكِينَ وَمُكابَرَتِهِمْ لِلْمَحْسُوسِ ، فَيَقُولُ تَعالى : إِنَّهم لَوْ رَأَوا بَعْضَ مَا سَأَلُوا مِنَ الآيَاتِ فَعَايَنُوا السَّماءَ تَسْقُطُ قِطَعاً عَلَيهِمْ، كَمَا طَلَبُوا، لَكَـذَّبُوا ذٰلِـكَ، وَلَقَالُوا إِنَّهُ سَحَابٌ تَرَاكَمَ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

كِسْفاً - قِطَعاً عَظِيمَةً.

مَرْكُومٌ - مُتَراكِمٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَأَنَّهُ سَيُمْطِرُهُمْ.

٤٥ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ

(يُلاقُوا)

(٤٥) - فَدَعْهُمْ يا مُحَمَّدُ وَشَأْنَهُمْ، وَلَا تَهْتَمَّ بِـأَمْرِهِمْ، فَـإِنَّهُمْ سَيَظَلُّونَ سَـادِرِينَ في غَيِّهِمْ وَضَلالِهِمْ حَتَّى يجيءَ اليَـوْمُ الـذِي يَهْـلِكُـونَ فِيـهِ (يُصْعَقُونَ)، وَحِينَئِذٍ يُلاقُونَ مَا وَعَدَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ العَذابِ وَالنَّكَالِ.

(وَقِيلَ إِنَّ هٰذا اليَوْمَ هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ، وَقِيلَ بَلْ إِنَّهُ يَوْمُ القِيَامَةِ).

٤٦ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

(٤٦) - وفي ذٰلِكَ اليَوْمِ لَا يَنْفَعُهُم كَيْـدُهُمْ وَمَكْرُهُم وَلَا أَسَـالِيبُهم فِي الاحْتِيالِ وَالخِداعِ وَالإِيـذاءِ التي آستَعْمَلُوها في الحَيـاةِ الدُّنيـا لإِيذاءِ الـرَّسُولِ وَالمُؤْمِنينَ، وَالـوُقُوفِ في وَجْـهِ الدَّعْـوةِ الإِسْـلامِيَّـةِ، وَمَنْـعِ آنتِشَارِها، وَلَا يَجِدُونَ لَهُم نَاصِراً يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ.

لا يُغْنِي عَنْهُمْ - لا يَدْفَعُ عَنْهُمْ.

٤٧ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(٤٧) - وَلِهٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ، الـذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِـالكُفْـرِ وَالشِّـرْكِ وَآرْتِكَابِ المَعَاصِي، عَذَابٌ يَنْزِلُ بِهِمْ في الدُّنيا، هُوَ دُونَ عَذابِ يَوْمِ

﴿٤٨﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ

﴿٤٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ

القِيَامةِ في الشِّدَّةِ والقَسْوَةِ، يُنزِلُهُ اللهُ بِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّعِظُونَ وَيَرْجِعُونَ إلى اللهِ، وَلٰكِنَّ أَكْثر هٰؤُلاءِ لاَ يَعْلَمُونَ ما أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ مِنْ عَذابٍ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ.

(وَقَدْ أَصَابَهُمُ اللهُ بِالقَحْطِ وَالجُوعِ وَالخَوفِ وَالإِصَابَةِ في الحُرُوبِ).

(٤٨) ـ فَاصْبِرْ عَلَى أَذَاهُم، وَلاَ تُبَالِ بِهِمْ فَإِنَّك بِمَرْأًى مِنَّا وَفي حِفْظِنا وَتَحْتَ كَلاءَتِنَا (بِـأَعْيُنِنا)، وَاللهُ يَعْصِمُـكَ مِنَ النَّاسِ، وَنَـزِّهِ آسْمَ رَبِّكَ العَلِيِّ العَظِيمِ عَمَّا لا يَلِيقُ بِجَلالِهِ، وَعَمَّا يَصِفُهُ بِـهِ المُشْرِكُـونَ، حِينَ تَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ تَجلِسُهُ.

(وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَارَ في آخِرِ حَيَاتِه لاَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلَّا قَالَ سُبْحَانَك اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتـوبُ إِلَيْكَ. وَلما سُئِلَ الرَّسُولُ عَنْ هٰذَا الدُّعَاء قال: إِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ في المَجْلِس).

بِأَعْيُنِنا ـ في حِفْظِنا وَرِعَايَتِنا.

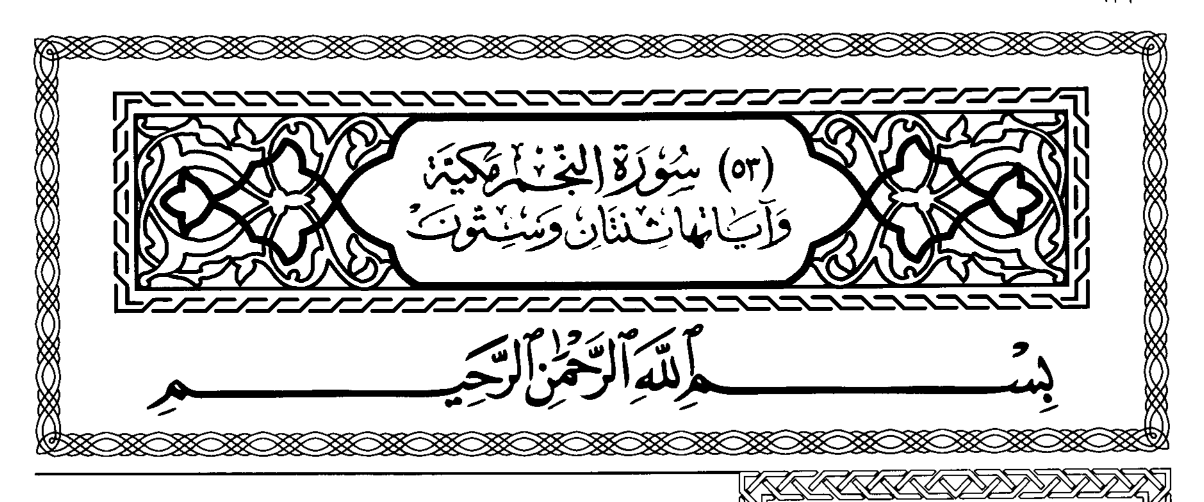
(اللَّيْلِ) (وَإِدْبَارَ)

(٤٩) ـ وَسَبِّحِ آسْمَ رَبِّكَ وَنَزِّهْهُ فِي صَلاَةِ الَّليلِ، وَحِينَما تُدْبِرُ النُّجُومُ وَتَميـلُ لِلْغُـرُوبِ فِي آخـرِ الْلَيـلِ، لأَنَّ العِبَـادَةَ في الْلَيـلِ أَشَقُّ عَلى النَّفْسِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ.

وَقِيلَ إِنَّ تَسْبِيحَ إِدْبارِ النُّجُومِ هُمَا رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ.

سَبِّحْهُ ـ نَزِّهِ اللهَ تَعَالى حَامِداً لَهُ.

إِدْبَارَ النُّجُومِ ـ وَقْتَ مَغِيبِها فِي الصَّباحِ.



وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾

(١) - يُقسِمُ اللهُ تَعَالى بِالنَّجْمِ حِينَما يَمِيلُ إِلى الغُرُوبِ.

هَوَى - مَالَ إِلى الغُرُوبِ.

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾

(٢) - إِنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ حَقّاً وَصِدْقاً، وَإِنَّهُ رَاشِدٌ مُرْشِدٌ إِلى الحَقِّ، وَلَيْسَ بِضَالٍّ وَلاَ غَاوٍ. (وَهٰذا جَوابُ القَسَمِ).

الغَاوِي - هُوَ مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ وَيَعْدِلُ عَنْهُ قَصْداً أَوْ هُوَ مَنْ يَعْتَقِدُ صِحَّةَ البَاطِلِ.

وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾

(٣) - وَلاَ يَصْدُرُ مَا يَنْطِقُ بِهِ مِنَ القُرآنِ عَنْ هَوًى فِي نَفْسِهِ.

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

(٤) - إِنَّما يَقُولُ مَا أَوْحَاهُ إِلَيهِ رَبُّهُ وَأَمَرَهُ بِأَنْ يُبَلِّغَه إِلَى النَّاسِ، فَيُبَلِّغُهُ بِنَصِّهِ دُونَ زِيَادَةٍ وَلا نَقْصٍ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ: لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقّاً.

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾

(٥) - وَإِنَّ الذِي عَلَّمَهُ القُرْآنَ هُوَ جِبْرِيلُ، عَلَيهِ السَّلامُ، وَهُوَ قَوِيٌّ، شَدِيدُ القُوَّةِ، مَوْثُوقٌ بِقَولِهِ.

شَدِيدُ القُوَى - أَمِينُ الوَحْيِ جِبْرِيلُ، عَلَيهِ السَّلاَمُ.

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾

(٦) - وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ، وَذُو حَصَافَةٍ وَعَقْلٍ رَاجِحٍ، وَقَد آستَوى فِي الأُفقِ فَرآه النَّبِيُّ ﷺ عَلى الصُّورةِ التِي خَلَقَهُ اللهُ فِيها.

آسْتَوى - آسْتَقَامَ عَلَى صُورَتِهِ الخِلْقِيَّةِ.

ذُو مِرَّةٍ - ذُو قُوَّةٍ أَوْ خَلْقٍ حَسَنٍ.

﴿٧﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ

(٧) ـ وَقَدِ ٱستَقَامَ جِبْرِيلُ، عَلَيهِ السَّلامُ، في الأُفُقِ الأَعْلَى وَهُوَ عَلَى صُورَتِهِ التي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيها، حِينَ أَحبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَراهُ كَذٰلِكَ، فَظَهَرَ في الأُفُقِ لَهُ.

﴿٨﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ

(٨) ـ ثُمَّ أَخَذَ جبرِيلُ يَقْتَرِبُ مِنَ الرَّسُولِ، وَيَنْحَدِرُ مِنَ الأُفُقِ.

تَدَلَّى ـ ٱنْحَدَرَ رُوَيداً رُوَيداً إِلى أَسْفَل.

﴿٩﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ

(٩) فَكَانَ عَلَى قَدَرِ قَوْسَينِ إذا مُدَّا، أَوْ أَقْرَبَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى حِسَابِ تَقْدِيرِكُمْ.

﴿١٠﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ

(١٠) ـ فَأَوْحَى جِبْرِيلُ إِلى عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، مَا أَمَرَهُ اللهُ بِأَنْ يُوحِيَه إِليهِ مِنْ شُؤُونِ الدِّينِ.

عَبْدِهِ ـ أَيْ عَبدِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

﴿١١﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ

(١١) ـ مَا كَذَّبَ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ مَا رَآهُ بِبَصَرِهِ مِنْ صُورَةِ جِبْرِيلَ، عَلَيهِ السَّلام.

﴿١٢﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ

(أَفتُمارُونَهُ)

(١٢) ـ أَفَتُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَتُجادِلُونَه فِيما رَآهُ بِعَينِهِ مِنْ صُورَةِ جِبْرِيلَ، عَلَيهِ السَّلامُ.

أَفتُمارُونَهُ ـ أَتُكَذِّبُونَهُ، وَتُجادِلُونَهُ.

﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ

(رَآهُ)

(١٣) ـ وَلَقَد رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ عَلَيهِما السَّلامُ في صُورَتِهِ التي خَلَقَه اللهُ عَلَيها مَرَّةً أُخْرى.

نَزْلَةً أُخرى ـ مَرَّةً أُخْرى.

﴿١٤﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ

(١٤) ـ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهى، حِينما عُرِجَ بالرَّسُولِ إِلى السَّماءِ. وَهٰذِهِ السِّدْرَةُ تَنْتَهِي إِليها عُلُومُ الخَلائِقِ.

﴿١٥﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ

(١٥) ـ وَسِدْرَةُ المُنْتَهى هٰذِهِ تَقَعُ عِنْدَ الجَنَّةِ التي يَأْوِي إِليها المُتَّقُونَ يومَ القِيامَةِ.

﴿١٦﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ

(١٦) ـ وَقَدْ رَآهُ حِينَما كَانَ يَغْشَى السِّدْرَةَ، ويُغَطِّيها، خَلائِقُ تَدُلُّ في حُسْنِها وَجَمالِها وَإِشْراقِها عَلَى عَظَمَةِ اللهِ وَجَلالِهِ.

﴿١٧﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ

(١٧) ـ مَا مَالَ بَصَرُ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ رُؤيَةِ هٰذهِ العَجائِبِ يميناً ولا شِمالاً، وَما جَاوَزَها إِلى رُؤْيَةِ غيرِها مِمَّا لَمْ يُؤمَرْ بِرُؤْيَتِهِ.

﴿١٨﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ

(آيَاتِ)

(١٨) - وَقَدْ رَأَى مُحمَّدٌ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ الكَثِيرَ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكَرِيمِ، وَعَجَائِبِ خَلْقِهِ.

﴿١٩﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ

(أَفرَأَيْتُم) (اللاَّتَ)

(١٩) - يُقَرِّعُ اللهُ تَعَالى المُشْرِكِينَ عَلَى عِبادَتِهِم الأَصْنَامَ والأَوْثَانَ، وَعلى آتِخَاذِهِمْ إِيَّاهَا أَرْبَاباً، وَعَلَى إِقَامَةِ بُيُوتِ العِبَادَةِ لَها وَيَقُولُ لَهُمْ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا قَصَّهُ اللهُ تعالى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلاَلِهِ، وَوَاسِعِ قُدْرَتِهِ فِيما خَلَقَ، أَفَبَعْدَ ذَلِكَ تَجْعَلُونَ هَٰذِهِ الأَصْنَامَ، التِي لاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلا لِغَيرِهَا نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً، شُرَكَاءَ للهِ فِي العِبَادَةِ؟

اللاَّتَ - صَخْرَةٌ بَيْضَاءَ مَنْقُوشَةٌ كَانَ عَلَيها بَيْتٌ بِالطَّائِفِ لَهُ أَسْتَارٌ وَسَدَنَةٌ يَفْتَخِرُونَ بِهِ عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ بَعْدَ قُرَيشٍ.

العُزَّى - شَجَرَةٌ عِنْدَهَا بِنَاءٌ وأَسْتَارٌ بِنَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَكَانَتْ قُرَيشٌ تَعَظِّمُهَا.

﴿٢٠﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ

(مَنَاةَ)

(٢٠) - كَانَتْ مَنَاةُ صَنماً فِي المُشَلَّلِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَكَانَتِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ يُعَظِّمُونَهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُهِلُّونَ مِنْها إِلَى الحَجِّ إِلى الكَعْبَةِ.

﴿٢١﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ

(٢١) - أَتَجْعَلُونَ للهِ وَلَداً، وَتَجْعَلُونَ هٰذا الوَلَدَ أُنثَى، وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الأُنثَى لأَنْفُسِكُمْ، وَتُفَضِّلُونَ الذَّكَرَ عَلَيها، لأَنَّكُمْ تَنْسُبُونَ إِلى الأُنثَى النَّقْصَ، وَإِلى الذُّكُورِ الكَمَالَ؟.

﴿٢٢﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ

(٢٢) - تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ جَائِرَةٌ لاَ عَدْلَ فِيهَا، لأَنَّكُمْ جَعَلْتُمْ لِرَبِّكُمْ مَا تَكْرَهُونَه لأَنفُسِكُمْ، وَآثَرتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِما تُحِبُّونَ لها.

ضِيزَى - جَائِرَةٌ لاَ عَدْلَ فِيها.

﴿٢٣﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ

(آباؤُكم) (سُلْطَانٍ)

(٢٣) - وهٰذِهِ الأَصْنَامُ التِي يَعْبُدُها هٰؤلاءِ المُشْرِكُونَ مَا هِيَ إِلاَّ أَسْماءٌ لا حَقِيقَةَ لَها، سَمَّوْهَا هُمْ وَآبَاؤُهم، وَجَعَلُوها آلِهَةً لَهُمْ، عَكَفُوا عَلَى عِبَادَتِها، وَلَيسَ لَهُمْ مِنْ دَليلٍ وَلاَ بُرْهَانٍ عَلَى صِحَّةِ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُلوهِيَّتِها، وَإِنما هُمْ يَتَّبِعُونَ فِي ذٰلِكَ الظَّنَّ والتَّخْمِينَ وَهَوى الأَنْفُسِ، وَتَقْلِيدَ الآبَاءِ، وَآعتِقَادَهُمْ أَنَّ الآباءَ لاَ يُمْكِنَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى ضَلالٍ، وَلَقَد آتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم، وَقَلَّدُوا آبَاءَهُمْ وَثَابَرُوا عَلَى عِبَادَةِ هذهِ الأَصْنَامِ،

(٢٤) أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ

(٢٥) فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ



(٢٦) ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ

(٢٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ

(٢٨) وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا

(٢٩) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

مَعَ أنَّ اللهَ أَرْسَلَ إليهم الرَّسُولَ بالهُدَى والحَقِّ، وَالدَّلِيلِ القَاطِعِ، عَلَى وُجُودِ اللهِ ووحْدَانِيَّتِه، وأنه لاَ إلَه إلا هُوَ، فَكَانَ عَلَيهم أنْ يَتَّعِظُوا بِمَا جاءَهُمْ، وأَنْ يُقْلِعُوا عَنِ الشِّرْكِ وَعَنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا رَسُولَ اللهِ حَقّاً وَصِدْقاً، وَلَكِنَّهُمْ أَعْرَضُوا وَتَوَلَّوا.

(لِلإِنْسَانِ)

(٢٤) - إِنَّهُمْ يَتَمَنَّون شَفَاعَةَ هٰذِهِ الأَصْنَامِ عِنْدَ اللهِ، وَلٰكِنْ لَيْسَ كُلُّ مَا يَتَمَنَّاهُ المَرْءُ يَحْصُلُ عَلَيهِ، وَلا كُلُّ مَنْ أَرَادَ شَيْئاً وَصَلَ إليهِ.

(٢٥) - إِنَّهُمْ لَنْ يَحْصُلُوا عَلَى مَا يَتَمَنَّونَ مِنْ شَفَاعَةِ هَذِهِ الأَصْنَامِ لَهُمْ، وَلَنْ تُجْدِيَهُم الأَصْنَامُ نَفْعاً، لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ مُلْكٌ للهِ تَعالى، وَلا تَمْلِكُ هَذهِ الأَصْنَامُ مِنْهُ شَيْئاً.

(السَّمَاوَاتِ) (شَفَاعَتُهُمْ)

(٢٦) - وَكَثِيرٌ مِنَ المَلائِكَةِ لا تُفيدُ شَفَاعَتُهُمْ شَيئاً إلاَّ إذا أَذِنَ لَهُمُ اللهُ تَعَالى بالشَّفَاعَةِ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى عَنْهُمْ. وَإِذا كَانَ هٰذا حَالَ المَلائِكَةِ المُقَرَّبينَ مِنَ اللهِ تَعَالى، فَكَيفَ يَرْجُو هٰؤُلاءِ الجَاهِلُون شَفَاعَةَ أَصْنَامٍ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، وَهِيَ حِجَارَةٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ؟

لاَ تُغْنِي - لاَ تَدْفَعُ وَلاَ تَنْفَعُ.

(المَلائِكَة)

(٢٧) - يُنكِرُ اللهُ تَعَالى عَلَى المُشْرِكِينَ جَعْلَ المَلائِكَةِ إناثاً، وَتَسْمِيَتَهُمْ بِأَسْماءِ الإِنَاثِ، تَعَالى اللهُ عَنْ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، وَتَنَزَّهَ تَعَالى عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ.

(٢٨) - وَهُمْ لاَ يَسْتَنِدُونَ فِيما يَقُولُونَ مِنْ أَنَّ المَلاَئِكَةَ إِنَاثٌ، وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ اللهِ، إلى عِلْمٍ صَحِيحٍ يُرْكَنُ إليهِ، وَإِنَّما يَظُنُّونَ ظَنّاً، وَيَتَوَهَّمُونَ تَوَهُّماً، وَالظَّنُّ وَالتَّوهُّم لا يَقُومَانِ مَقَامَ الحَقِّ واليَقِينِ، وَلا يُغْنِيَانِ عَنْهُما شَيْئاً.

(وَجَاءَ في الصَّحِيحِ: إِيَّاكُمْ والظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ).

(الحَيَاة)

(٢٩) - فَأَعْرِضْ عَنْ مِثْلِ هٰؤُلاءِ الذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ القُرآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الحَقِّ والهُدَى، وَجَعَلُوا هَمَّهُمُ الدُّنيا وَمَا فِيهَا مِنْ مُتَعٍ وَمَلَذَّاتٍ، وَاهْجُرْهُمْ وَلاَ تَهْتَمَّ بِمَصِيرِهِمْ.

(٣٠) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ

(٣٠) - وَذٰلِكَ الذي يَتْبَعُونَه في عَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ هُوَ مُنْتَهى مَا وَصَلُوا إليهِ مِنَ العِلْمِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُفَكِّرُونَ في شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الآخِرَةِ، وَإِنَّما جَعَلُوا الدُّنيا أَكْبَرَ هَمِّهِمْ، وَاللهُ تَعالى هُوَ الخَالِقُ لِلْخَلْقِ، وَهُوَ العَلِيمُ بِأَحْوالِهِم وَأَفْعَالِهِم وَمَصَالِحِهم، وَهُوَ الذِي يَهدي مَنْ يَشاءُ، وَهُوَ العليمُ بِمَنْ جَعَلَ العَمَلَ لِلآخِرَةِ هَمَّهُ، وَسَعى لَها سَعْيَها، وَمَنْ جَعَلَ الدُّنيا هَمَّهُ، وَسَعَى في طَلَبِها مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَسَيَجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الجَزاءِ.

(٣١) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى

(السَّماوَاتِ) (أَسَاؤُوا)

(٣١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالى عِبَادَه بِأَنَّه خَالِقُ السَّماواتِ وَالأَرض وَمَا فِيهما، وَأَنَّ جميعَ مَا فِي الوُجُودِ مُلْكُهُ وَتَحتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِه، وَهُوَ يَعْلَمُ بِما في النُّفُوسِ وَالصُّدُورِ، وَقَدْ خَلَقَ الخَلْقَ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ، وَأَمَرَ الخلقَ بِعبادَتِهِ وَالإِخلاصِ فِيها، وَنَهاهُم عَنِ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي، وَهُوَ لَنْ يُهمِلَ أَمْرَ الخَلقِ، وَسَيُجَازي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ: السَّيِّىءَ عَلى إِسَاءَتِهِ وَالمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ.

(٣٢) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ

(كَبَائِرَ) (الفَواحِشَ) (وَاسِعُ) (أُمَّهَاتِكُمْ)

(٣٢) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالى في هٰذِهِ الآيَةِ الكَرِيمةِ أَوْصَافَ المُحْسِنينَ الذينَ يَجْزِيهِمْ في الآخِرَةِ بالحُسْنى فَيَقُولُ: مِنْ صِفَاتِ هٰؤُلاءِ المُحْسِنينَ أَنَّهم يَبْتعِدُونَ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ، وَعَنِ الفَوَاحِشِ، وَلا يَجْتَرِحُونَ السَّيِّئاتِ، وَلاَ يَرْتَكِبُونَ المُحرَّماتِ وَالكَبَائِرَ (كَالقَتْلِ وَالزِّنا وَأَكْلِ الرِّبا وَأَكلِ مَالِ اليَتيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفِ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ).

وَإذا وَقَعَتْ مِنْهُمْ بَعْضُ صَغائِرِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالى وَاسِعُ المَغْفِرَةِ يَغفِرُها لَهُم لِقَولِهِ تَعالى ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾(١). وَاللهُ تَعَالى بَصِيرٌ بِأَحْوالِ العِبَادِ، عَلِيمٌ بِأَقْوالِهِمْ وَأَفْعَالِهِم. وَحِينَ ابْتَدأَ اللهُ تَعَالى خَلْقَهُمْ وَهُمْ أَجِنَّةٌ في بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ عَلمَ مَا سَيَكُونُ عَلَيهِ حَالُهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنيا، وَمَنْ سَيَكُونُ مِنْهُمْ مُحْسِناً صَالِحاً، وَمَنْ سَيَكُونُ مُسِيئاً.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ العِبَادَ بِأَلاَّ يُزَكُّوا، أَنْفُسَهُم، وَلا يُثْنُوا عَلَيها، وَلاَ يَمْدَحُوها، لأَنَّ اللهَ تَعَالى وَحْدَهُ العَالِمُ مَنْ هُوَ البَرُّ التَّقِيُّ الصَّالِحُ، وَمَنْ هُوَ الفَاجِرُ الشَّقِيُّ السَّيِّىءُ.

---

(١) سورة النساء الآية ٣١.

(وَقَدْ نَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَمْدَحَ أَحَدٌ صَاحِبَهُ أَمامَ آخَرِينَ ، وَأَنْ يَكْتَفِيَ بِالقَوْلِ : أَحْسَبُ أَنَّ فُلاناً واللهُ حَسِيبُهُ ، وَلا أُزكّي أَحداً عَلى اللهِ ، أَحْسَبُه كَذا وَكَذا إنْ كَانَ يَعْلَمُ ذٰلِكَ) .

الفَواحِشَ - مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الكَبَائِرِ .

اللَّمَمَ - صَغَائِرَ الذُّنُوبِ .

فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ - فَلا تَمْدَحُوها بِحُسْنِ الأَعْمَالِ .

٣٣ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ

(أفرأيت)

(٣٣) - أَرَأَيْتَ حَالَ هٰذا الذِي تَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعالى ، وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ؟ .

٣٤ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ

(٣٤) - أَطَاعَ اللهَ قَليلاً في أَدَاءِ العِبَادَاتِ ، وَفِي الإِنْفاقِ في سَبِيلِ الخَيْرِ وَالبِرِّ وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنْ كُلِّ ذٰلِكَ ، وَامْتَنَعَ عَنِ القِيامِ بِما كَانَ يَقُومُ بِهِ .

أَكْدَى - تَوَقَّفَ عَنِ السَّيرِ كَلَلاً أو قَطَعَ عَطِيَّتَهُ بُخْلاً .

٣٥ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ

(٣٥) - هَلْ عِنْدَ هٰذا الذِي تَوَقَّفَ عَنِ الإِنْفَاقِ ، وَقَطَعَ إِحْسَانَه ، عِلْمُ الغَيْبِ بِأَنَّ المَالَ الذِي في يَدِهِ سَيَنْفَدُ وَهُوَ يَرى ذٰلِكَ عِياناً ، وَلِذٰلِكَ أَمْسَكَ عَنْ مُتَابَعَةِ الإِنْفاقِ؟ إِنَّ الأَمرَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّما يُمسِكُ عَنِ البِرِّ والصَّدَقَةِ بُخْلاً وَشُحّاً .

٣٦ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ

(٣٦) - أَوَ لَمْ يُخْبِرْهُ أَحَدٌ بِمَا جَاءَ فِي التَّوراةِ التِي أَنزَلَها اللهُ تَعالى عَلَى نَبِيِّهِ مُوسَى ، عَلَيهِ السَّلامُ؟ .

٣٧ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ

(إبْراهِيمَ)

(٣٧) - وَبِما فِي صُحُفِ إِبْراهِيمَ الذِي وَفَّى بِمَا عَاهَدَ اللهَ عَلَيهِ ، وَقَامَ بِجَمِيعِ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ؟ .

٣٨ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ

(٣٨) - فَقَدْ جَاءَ فِي صُحُفِ إِبراهِيمَ وَمُوسى أَنَّهُ لَا يَحمِلُ أَحدٌ ذَنْبَ أَحدٍ ، وَإِنَّما تَحْمِلُ كُلُّ نَفسٍ ذَنبَها ، لَا يَحمِلُه عَنْها غَيْرُها .

لَا تَزِرُ - لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ آثِمَةٌ إِثْمَ نَفْسٍ أُخْرى .

٣٩ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ

(لِلإِنْسَانِ)

(٣٩) - وَلا تُحاسَبُ نَفْسٌ إلاَّ عَلَى مَا عَمِلَتْهُ .

٤٠ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ

(٤٠) - وَجَاءَ في هٰذِهِ الصُّحُفِ أيضاً : أَنَّ سَعْيَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُعْرَضُ

يَـوْمَ القِيَامَـةِ أَمَامَ اللهِ وَالأَنْبِيَـاءِ وَالمُؤْمِنِينَ، فَيُشَادُ بِفَضْـلِ المُحْسِنِينَ، وَيُوَبَّخُ المُسِيئُونَ.

ﮋ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﮊ ﴿٤١﴾

(يُجْزاهُ)

(٤١) - ثُمَّ يُجزَى الإِنْسَانُ بِعَمَلِهِ أَوْفَى الجَزاءِ وَأَوْفَرَهُ.

ﮋ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﮊ ﴿٤٢﴾

(٤٢) - وَأَنَّ مَرْجِعَ الأُمُورِ يَوْمَ المَعَادِ إِلى اللهِ، فَيُحَاسِبُ الخَلْقَ عَلَى مَا اكْتَسَبُوا مِنْ أَعْمَالٍ فَيُثِيبُهُم عَلَيها في الجَنَّةِ، أَوْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيها بِالعَذَابِ في نَارِ جَهَنَّمَ.

المُنْتَهى - المَصِيرُ وَالنِّهَايَةُ في الآخِرَةِ لِلْجَزاءِ.

ﮋ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﮊ ﴿٤٣﴾

(٤٣) - وَأَنَّهُ تَعَالى خَلَقَ في عِبَـادِهِ الضَّحِكَ، كَمَـا خَلَقَ فِيهِم البُكَاءَ، وَخَلَقَ فِيهِمْ أَسْبَـابَهُمـا، أَيْ أَنَّـهُ تَعَـالى خَلَقَ مَـا يَسُـرُّ مِنَ الأَعْمَـالِ الصَّالِحَةِ، وَمَا يُحْزِنُ مِنَ الأَعْمالِ السَّيِّئَةِ.

ﮋ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﮊ ﴿٤٤﴾

(٤٤) - وَأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الذِي سَلَبَ الحَيَاةَ، وَهُوَ الذِي وَهَبَهَا.

ﮋ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﮊ ﴿٤٥﴾

(٤٥) - وَأَنَّ اللهَ تَعَالى خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى مِنَ الإِنسَانِ وَالحَيَوانِ لِتَسْتَمِرَّ الحَيَاةُ بِالتَّزَاوُجِ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ.

ﮋ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﮊ ﴿٤٦﴾

(٤٦) - وَقَدْ خَلَقَ الذَّكَـرَ والأُنْثى مِنْ نُطْفَـةٍ مِنَ المَنِيِّ تَخرُجُ مِنْ صُلْبِ الذَّكَرِ وَتَسْتَقِرُّ في رَحِمِ الأُنْثى.

تُمْنَى - تَتَدفَّقُ في الرَّحِمِ.

ﮋ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﮊ ﴿٤٧﴾

(٤٧) - وَأَنَّ عَلَيهِ أَنْ يُعِيدَ خَلْقَ المَخْلُوقاتِ مَرَّةً أُخرى يَوْمَ القِيامَةِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ مَنْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الأَحْيَاءِ قَدْ هَلَكُوا.

النَّشْأَةَ الأُخْرى - الإِحْيَاءَ بَعْدَ الإِمَاتَةِ.

ﮋ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﮊ ﴿٤٨﴾

(٤٨) - وَأَنَّهُ تَعالى هُوَ الذِي يَمْنَحُ الغِنَى لِمنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الذي يُفْقِرُ مَنْ يَشاءُ، بِحَسَبِ مَـا يَرَاهُ في ذَلِـكَ مِنَ المَصْلَحَةِ، التِي لاَ يَعْلَمُ سِرَّها إِلاَّ اللهُ تَعَالى.

أَقْنَى - أَفْقَرَ أَوْ أَرْضَى بِمَا أَعْطَى.

ﮋ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﮊ ﴿٤٩﴾

(٤٩) - وَأَنَّهُ تَعَالى هُوَ رَبُّ كَوكَبِ الشِّعْرَى الذِي يَظْهَرُ في السَّماءِ خَلْفَ الجَوْزَاءِ، وَهُوَ خَالِقُهُ.

وَقَدْ خصَّ اللهُ تَعَالى كَوْكَبَ الشِّعْرى بالذِّكْرِ لأَنَّ أُناساً من العَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَه في الجَاهِلِيَّةِ.

الشِّعْرى - كَوْكَبٌ مَعْرُوفٌ كَانَ بَعْضُ العَرَبِ يَعْبُدُهُ.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾

(٥٠) ـ وأَنَّهُ تَعالى هُوَ الذي أَهْلَكَ عاداً الأُولى قَوْمَ هُودٍ عَلَيهِ السَّلامُ، وَكانوا مِنْ أَكْثَرِ الخَلْقِ قُوَّةً وَعُتوّاً، وَآسْتِكْبَاراً في الأَرْضِ.

عَاداً الأُولى ـ قَوْمَ هُودٍ.

(ثَمُودَ)

(٥١) ـ وَأَهْلَكَ ثَمُودَ، قَوْمَ صالِحٍ، بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ عاداً، فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحداً.

ثَمُودُ ـ قَوْمُ صالِحٍ.

(٥٢) ـ وَأَهْلَكَ اللهُ قَبْلَ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ قومَ نُوحٍ، وَكَانُوا أَكْثَرَ ظُلْماً وَطُغْياناً مِمَّنْ جاءَ بَعْدَهُمْ.

(٥٣) ـ وَأَهْلَكَ مَدائِنَ قَوْمِ لُوطٍ (المُؤْتَفِكَةَ)، فَدَمَّرَهَا عَلَيهِمْ، وَجعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا.

أَهْوَى ـ أَسْقَطَهَا إلى الأَرْضِ بَعْدَ رَفْعِها.

المُؤْتَفِكَةَ ـ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ التي جَعَلَ عَالِيَها سافِلَهَا.

(فَغشّاها)

(٥٤) ـ وَبَعْدَ أَنْ قَلَبَ اللهُ تَعالى قُرَى قَوْمِ لُوطٍ، وَجعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَها، أَمْطَرَها بِحجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ فَغَشِيَها مِنَ الحِجارَةِ (أَوْ مِنَ العَذَابِ النَّازِلِ بِها) الشَّيءُ الكَثِيرُ الذي لا يُوصَفُ (مَا غَشَّى).

غَشَّاهَا ـ أَلْبَسَها وَغَطَّاها بِأَنْواعٍ مِنَ العَذَابِ.

(آلاء)

(٥٥) ـ فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكَ عَلَيكَ تَرْتَابُ وَتَتَشَكَّكُ يا أَيُّها الإِنْسَانُ؟

تَتَمارَى ـ تَرْتَابُ وَتَتَشَكَّكُ.

(٥٦) ـ إِنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ أَرْسَلَهُ اللهُ لِيُنْذِرَ مَنْ حَادَ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى، وَسَلَكَ طَرِيقَ الغَوَايَةِ والضَّلالِ، بِالعِقَابِ الأَلِيمِ، وَهُوَ رَسُولٌ مِثْلُ غَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ الذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إلى أَقْوامِهِمْ مُحَذِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى الآيَةِ هُوَ: أَنَّ هذا القُرآنَ نَذِيرٌ مِنْ جِنْسِ الكُتُبِ التي جَاءَتْ تُنْذِرُ الأُمَمَ الخَالِيَةَ).

(٥٧) ـ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وَجاءَ وَقْتُ الحِسابِ، وَسَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فَاحْذَروا يَا أَيُّها الغَافِلُونَ أَنْ تَكُونوا مِنَ الهَالِكِينَ.

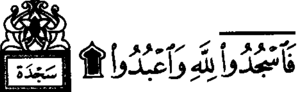
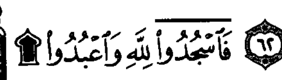
﴿٥٨﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ

﴿٥٩﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ

﴿٦٠﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ

﴿٦١﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ

﴿٦٢﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩

أزِفَتْ ـ آقْتَرَبَتْ ودَنَتْ.

الآزِفَةُ ـ السَّاعَةُ.

(٥٨) ـ وَلاَ يَدْفَعُها إذا جاءَتْ أحَدٌ غَيْرُ اللهِ، وَلاَ يَكْشِفُ عَنْ مَوْعِدِ حُلُولِها غَيْرُهُ تَعالى.

كَاشِفَةٌ ـ نَفْسٌ تَكْشِفُ أهْوالَها وَشَدائِدَها.

(٥٩) ـ يُنْكِرُ اللهُ تَعالى عَلَى الكُفَّارِ إعْرَاضَهُم عَنِ القُرآنِ بَعْدَ آسْتِماعِهِم إليهِ فَيقُولُ: أفَيَنْبَغي لَكُم بَعْدَ ذٰلِكَ أنْ تَعْجَبُوا مِنْ هٰذا القُرآنِ الذي جاءَ يَهْدِيكُم إلى سَواءِ السَّبِيلِ؟.

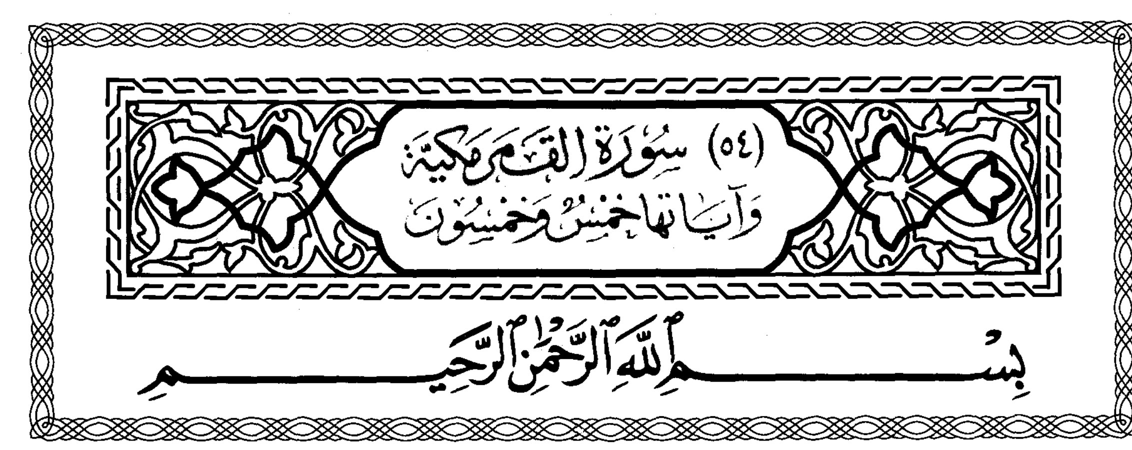
(٦٠) ـ وَتَضْحَكُونَ مِنْهُ آسْتِهْزاءً وَسُخْرِيَةً، وَلاَ تَبْكُونَ خَوْفاً مِنَ الحِسَابِ الذي يَنْتَظِرُكُم يَوْمَ القِيامَةِ كَما يَفْعَلُ المُوقِنُونَ؟.

(سَامِدُونَ)

(٦١) ـ وَكَيفَ تَتَلَقَّوْنَ مَواعِظَ القُرآنِ وَعِبَرَهُ وَحُجَجَهُ، وَأنْتُم لاَهُونَ مُعْرِضُونَ غافِلُونَ؟.

سَامِدُونَ ـ لاَهُونَ مُعْرِضُونَ غافِلُونَ.

(٦٢) ـ فَاخْضَعُوا للهِ الذي أنْزَلَ هٰذا القُرآنَ، وَآعْبُدُوهُ، وَوَحِّدُوهُ، وَاسْجُدُوا لَهُ، وَأخْلِصُوا العَمَلَ لَهُ سُبْحَانَهُ.



﴿١﴾ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ

(١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ آقْتِرابِ السَّاعَةِ التِي تَقُومُ فيها القِيامَةُ، وَيَنْتَهِي أَمْرُ الدُّنيا فِيها، وأَنَّ مِنْ عَلامَاتِ آقْتِرابِ السَّاعَةِ آنْشِقَاقَ القَمَرِ، وآضْطِرابَ أَمْرِ الكَوْنِ.

وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ مُسْتَنِدِينَ إلى إحاديثَ صَحِيحةٍ: إنَّ حَادِثَ آنْشِقَاقِ القَمَرِ قَدْ وَقَعَ فِعلاً قبلَ هِجرَةِ الرَّسولِ ﷺ بحوالي خَمْسِ سنينَ، فقدْ رَوى أَنسٌ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فأَراهُمُ القَمَرَ شِقَّينِ حَتَّى رَأَوْا حِراءَ (جَبَلَ مَكَّةَ) بَيْنَهما. وفي رِوايَةٍ لابنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: انشَقَّ القَمرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتينِ فرقةٌ على الجبلِ وفرقةٌ دُونَهُ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اشْهَدُوا. وَلكنَّ مُفَسِّرِينَ آخرينَ يَرَوْنَ أَنَّ القمرَ لم يَنْشَقَّ فِعْلاً. وأَنَّ الإنشقاقَ سَيحدثُ حينما يَقْتَرِبُ قِيامُ السَّاعَةِ. وَيَقُولُونَ: إنَّ اللهَ تعالى اسْتَعْمَلَ صِيغَةَ المَاضِي فِي التَّعبيرِ عَنِ آقْتِرابِ السَّاعَةِ وَآنْشِقاقِ القَمرِ تَأْكِيداً إِلَى أَنَّ الحَدَثَينِ وَشِيكا الوُقُوعِ.

﴿٢﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ

(آيَةً)
(٢) - وَإِذَا رَأَى هٰؤُلاءِ المُكَذِّبونُ حُجَّةً وَدَلِيلاً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِكَ، أَعْرَضُوا عَنْها مُكَذِّبِينَ بِها، وَقالُوا: هٰذا الذِي رَأَيْنَاهُ هُوَ سِحرٌ سَحَرنَا بِهِ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ السِّحرَ عَلَى مَرِّ الأَيَّامِ.

مُسْتَمِرٌّ - دَائِمٌ أَوْ مُحْكَمٌ.

﴿٣﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ

(٣) - وَكَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ، وَآتَّبَعُوا مَا أَمَرَتْهُم بِهِ أَهْوَاؤُهُمْ لجَهْلِهِمْ، وَسَخَافَةِ عُقُولِهِمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَنْتَهِي إلى غَايَةٍ تُناسِبُهُ، وَتَتَماثَلُ مَعَهُ فَيَسْتَقِرُّ عَلَيها. وَأَمرُ هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ سَيَنْتَهِي إلى الفَشَلِ وَالخِذْلانِ

في الدُّنيا، وَإلى العَذابِ الأَبَدِيِّ في الآخِرَةِ. وَأَمْرُكَ سَيَنْتَهِي إلى النَّصْرِ وَالعلوِّ يا مُحَمَّدُ.

مُسْتَقِرٌ - مُنْتَهٍ إلى غَايَةٍ يَسْتَقِرُّ عَلَيهَا.

﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ

(٤) - وَلَقَدْ جاءَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ مِنَ أَخْبارِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ التي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَمَا حَلَّ بِها،وَكَيفَ دَمَّرَهُمُ اللهُ تَعَالى تَدْمِيراً، مَا فِيهِ واعِظٌ وَزاجِرٌ عَنِ الشِّرْكِ وَعَنِ التَّمادي فِي التَّكْذِيبِ.

مُزْدَجر - ازْدِجارٌ وآنْتِهارٌ وَرَدْعٌ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ.

﴿٥﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ

(بَالِغَةٌ)

(٥) وإنَّ الذِي جَاءَهُم مِنَ الأَنْباءِ عَنْ مَصِيرِ الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ لَهُوَ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ في الهِدَايَةِ والإرْشَادِ إلى طَرِيقِ الحقِّ لِمَنْ فَكَّرَ وَتَدَبَّرَ، وَلٰكِنْ مَا الذِي تُغْنِيهِ النُّذُرُ، وَمَا الذي يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْها مَنْ كُتِبَتْ عَلَيهِ الشَّقَاوَةُ، وَخَتَمَ اللهُ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَبَصَرِهِ؟ وَمَنْ ذا الذِي يَهْدِيه مِنْ بَعْدِ اللهِ؟

النُّذُرُ - الرُّسُلُ، أَوِ الأُمورُ المُخَوِّفَةُ لَهُمْ.

﴿٦﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ

(٦) فَأَعْرِضْ يَا مُحَمَّدُ عَنْ هٰؤُلاءِ المُشْرِكينَ، وَلاَ تُجادِلْهم لأَنَّ ذٰلِكَ لَنْ يُجْدِيَ شَيْئاً، لأَنَّهُمْ بَلَغُوا في العُتُوِّ والعِنادِ حَدّاً لا يَقْتَنِعُونَ مَعَهُ بِحُجَّةٍ وَلاَ بِبُرْهَانٍ، وآنْتَظِرْ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِمْ في يَوْمِ الحِسَابِ وَالعِقَابِ، يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَومُ الذِي يَدْعُو فِيهِ الدَّاعِي إلى شَيءٍ مُنْكَرٍ فَظِيعٍ شَدِيدِ الهَوْلِ.

شَيءٍ نُكُرٍ - مُنْكَرٍ فَظِيعٍ - وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ.

﴿٧﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ

(أَبْصارُهُمْ)

(٧) - وَحِينَ يَدْعُو الدَّاعي، يَخْرُجُ الكَافِرُونَ في ذٰلِكَ اليَوْمِ مِنَ القُبُورِ، وَأَبْصارُهُم خَاشِعَةٌ ذليلةٌ، وَهُمْ يَسِيرُونَ وَكَأَنَّهُم في آنْتِشارِهِمْ، وَسُرْعَةِ سَيرِهِمْ، جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ في الآفَاقِ.

الأَجْداثِ - القُبورِ.

﴿٨﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ

(الكَافِرُونَ)

(٨) - وَيَتْبَعُونَ الدَّاعي، وَهُمْ مُسْرِعُونَ في سَيْرِهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ وَلاَ يَتَأَخَّرونَ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ (أَوْ يَقُولُونَ في أنفُسِهِمْ): إنَّ هٰذا اليَوْمَ لَيَوْمٌ عَسِيرٌ، شَدِيدُ الهَوْلِ.

مُهْطِعِينَ ـ مُسْرِعِينَ في مَشْيِهِمْ، وَهُمْ يَمُدُّونَ أَعْنَاقَهُمْ . .

يَوْمٌ عَسِرٌ ـ صَعْبٌ، شَدِيدٌ، لِعِظَمِ أَهْوَالِهِ .

(٩) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٣

(٩) ـ كَذَّبَتْ قَبْلَ هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ يا مُحَمَّدُ، قَوْمُ نُوحٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَبْدُنَا نُوحٌ كَذَّبُوهُ، وَرَمَوْهُ بِالجُنُونِ، وَزَجَرُوهُ، وَانْتَهَرُوهُ، وَتَوَعَّدُوهُ، وَقَالُوا لَهُ : لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ ـ كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ـ .

وَازْدُجِرَ ـ انْتُهِرَ وَزُجِرَ عَنْ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ بِالسَّبِّ والإِيذَاءِ .

(١٠) ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾

(١٠) فَدَعَا نُوحٌ رَبَّهُ قَائِلاً : يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي غَلَبُونِي، وَإِنَّنِي ضَعِيفٌ لاَ أَسْتَطِيعُ مُقَاوَمَتَهُمْ فَانْتَصِرْ أَنْتَ مِنْهُمْ لِدِينِكَ، بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِكَ، عَلَى كُفْرِهِمْ بِكَ، وَعَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَكَ .

مَغْلُوبٌ ـ مَقْهُورٌ .

فَانْتَصِرْ ـ فَانْتَقِمْ أَنْتَ يَا رَبِّ مِنْهُمْ .

(١١) ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ السَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾

(أَبْوَاب)

(١١) فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَطَراً غَزِيراً يَنْهَمِرُ انْهِمَاراً .

أَبْوَابَ السَّمَاءِ ـ السَّحَابَ .

مُنْهَمِرٍ ـ يَنْصَبُّ بِشِدَّةٍ وَغَزَارَةٍ .

(١٢) ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾

(١٢) ـ وَأَمَرْنَا الأَرْضَ بِأَنْ تَتَفَجَّرَ عُيُوناً وَيَنَابِيعَ، فَالْتَقَى مَاءُ السَّمَاءِ مَعَ مَاءِ الأَرْضِ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ، وَهُوَ إِحْدَاثُ طُوفَانٍ يُهْلِكُ هٰؤُلاءِ الكَفَرَةَ الفَجَرَةَ .

فَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ـ شَقَقْنَاهَا .

أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ـ أَمْرٍ قَدَّرْنَاهُ مِنَ الأَزَلِ ـ أَيْ هَلاَكِهِمْ بِالطُّوفَانِ .

(١٣) ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾

(حَمَلْنَاهُ) (أَلْواحٍ)

(١٣) ـ وَأَنْقَذْنَا نُوحاً وَأَهْلَهُ، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ في سَفِينَةٍ ذَاتِ أَلْوَاحٍ ضَخْمَةٍ مِنَ الخَشَبِ مُثْبَتَةٍ بِمَسَامِيرَ .

دُسُرٍ ـ مَسَامِيرَ ضَخْمَةٍ تَشُدُّ الأَلْوَاحَ .

(١٤) ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾

(١٤) ـ وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تَجْرِي عَلَى وَجْهِ المَاءِ بِمَنْ فِيهَا، وَهِيَ بِمَرْأَى مِنَّا وَتَحْتَ حِفْظِنَا وَكَلاءَتِنَا، وَكَانَ ذٰلِكَ مِنَّا جَزَاءً عَادِلاً لِنُوحٍ الذِي كَذَّبَهُ قَوْمُهُ .

تَجري بأعْيُننا ـ بِحِفْظِنا وَرِعَايتِنا أوْ بِأمْرِنا.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ﴿١٥﴾

(تركْنَاها) (آيَةً)

(١٥) ـ وَلَقَدْ تَرَكْنا حَادِثَةَ إغْراقِ قَوْمِ نُوحٍ، وَإنْجَاءَ الرَّسُولِ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ في السَّفِينَةِ عِبرَةً وَعِظَةً للأُمَمِ التَّالِيَةِ لِيَرَوا مَا فَعَلَ اللهُ بالمُكَذِّبينَ، فَلا يَفْعَلُوا مِثْلَ فِعْلِهِمْ.

(وَقِيلَ أيْضاً إنَّ المَعْنى هُوَ: أنَّ اللهَ تَعَالى تَرَكَ السَّفِينَةَ مُلْقَاةً في الأرْضِ أمَداً طَوِيلاً لِيَراهَا النَّاسُ وَيَتَّعِظُوا بِها)، وَلَكِنْ هَلْ مِنْ مُعْتَبِرٍ بِتِلكَ المُعْجِزَةِ العَظِيمَةِ، الحَرِيَّةِ بالتَّفكِيرِ والتَّدَبُّرِ؟.

تركْنَاها آيةً ـ أبْقَيْنَاهَا عِظَةً وَعِبْرَةً.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ ﴿١٦﴾

(١٦) ـ وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالى الكَفَرَةَ المُعَانِدِينَ فَيَقُولُ لَهُمْ: كَيْفَ وَجَدْتُمْ عَذابيَ لِمَنْ كَفَرَ بي، وَكَذَّبَ رُسُلي، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ نُذُري؟ وَكَيفَ انْتَصَرْتُ لِرُسُلي، وَأهْلَكْتُ الكَافِرِينَ المُعَانِدِينَ؟ لَقَدْ كَانَ أخْذِي شَدِيداً وَعَذابِي ألِيماً.

نُذُرِ ـ إنْذارِي.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ﴿١٧﴾

(القُرْآنَ)

(١٧) ـ وَلَقَدْ جَعَلْنا القُرآنَ سَهْلَ المَعْنى، يَسِيرَ اللَّفْظِ، لِيَقْرأَهُ النَّاسُ وَيَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ، وَيَتَّعِظُوا بِما جَاءَ فِيهِ، وَلَكِنْ هَلْ مَنْ مُتَّعِظٍ بِهِ، مُزْدَجِرٍ بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ؟.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ ﴿١٨﴾

(١٨) ـ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ عَادٌ نَبِيَّهُمْ هُوداً فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، كَمَا فَعَلَ قَوْمُ نُوحٍ، فَكَيْفَ كَانَ عَذابي لمنْ كَفَرَ بِي، وَكَذَّبَ رُسُلي، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِما جَاءَتْ بِهِ نُذُرِي؟.

وَكَيفَ انْتَصَرْتُ لِرُسُلِي، وَأهْلَكْتُ الكَافِرِينَ المُعَانِدِينَ؟ لَقَدْ كَانَ أخْذِي شَدِيداً، وَعَذابِي ألِيماً.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ ﴿١٩﴾

(١٩) ـ فَأرْسَلْنا عَلَى عَادٍ، حِينَما تَمَادَوْا في الكُفْرِ والطُّغْيَانِ، رِيحاً شَدِيدةً في عَصْفِهَا، وَفي بُرُودتِهَا، في أيَّامِ شُؤْمٍ وَنَحْسٍ عَلَيهِمْ، اسْتَمَرَّتْ في هُبُوبها عليهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ بِصُورَةٍ مُتَتَالِيَةٍ حَتَّى أهْلَكَتْهُمْ جَميعاً.

رِيحاً صَرْصَراً ـ شَدِيدَةَ البُرُودَةِ وَالهُبُوبِ.

يَوْمِ نَحْسٍ ـ يَوْمِ شُؤْمٍ.

مُسْتَمِرٍّ ـ دَائِمٍ نَحْسُهُ، أوْ مُحْكَمٍ.

٢٠ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ

(٢٠) ـ تَقْتَلِعُ النَّاسَ وَتُلْقِيهِمْ هَلْكَى وَكَأَنَّهُمْ جُذُوعُ نَخلٍ قَدِ ٱنْقَلَعَتْ مِنْ مَغارِسِها، وَأُلقِيَتْ فِي الأَرْضِ.

تَنْزِعُ ـ تَقْتَلِعُ مِنَ المَغارِسِ وَتَرْمِي إلى الأرْضِ.

أَعْجازُ نَخْلٍ ـ أُصُولُهُ.

مُنْقَعِرٍ ـ مُنْقَلِعٍ مِنْ مَغْرِسِهِ.

٢١ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ

(٢١) ـ ثُمَّ يُهدِّدُ اللهُ تَعالى الكَفَرَةَ المُعانِدينَ فَيَقُولُ: كَيفَ كَانَ عَذابِي لمنْ كَفَرَ بي، وَكَذَّبَ رُسُلي، وَلَم يَتَّعِظ بِمَا جاءَتْ بِهِ نُذُرِي، وَكَيفَ ٱنتصَرْتُ لِرُسلي، وَأَهْلَكْتُ الكُفَّارَ المُعانِدينَ؟ لَقَدْ كَانَ أَخْذِي شَدِيداً، وَعذابي أليماً.

٢٢ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ

(القُرْآنَ)

(٢٢) ـ وَلَقَدْ جعَلْنَا القُرآنَ سَهْلَ المَعْنى، يَسِيرَ اللَّفْظِ، لِيَقرأَهُ النَّاسُ وَيَتَدبَّروا مَعانيَه، وَيَتَّعِظوا بِمَا جاءَ فِيه. وَلَكِنْ هَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ بِهِ، مُزْدَجِرٍ بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ؟.

٢٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ

(٢٣) ـ كَذَّبَتْ ثَمودُ رَسُولَهُمْ صَالحاً الذِي جاءَهُمْ يُنْذِرُهُمْ عَذابَ اللهِ وَبَأسَهُ إنْ أَصَرُّوا عَلَى الكُفْرِ والطُّغْيانِ، وَمَنْ كَذَّبَ رَسُولاً فَقَدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ جَميعاً.

٢٤ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ

(وَاحِداً) (ضَلالٍ)

(٢٤) ـ إنَّنا إذا ٱتَّبَعْنا رَجُلاً وَاحِداً مِنّا، وَأَسْلَمْنا إليهِ قِيادَنا، وَآمَنَّا بِما يَدْعُونا إليهِ، فَإنَّنا إذاً لَضالُّونَ عَنِ الصِّراطِ السَّوِيِّ، فاقِدُو العُقُولِ.

سُعُرٍ ـ جُنُونٍ أَوْ شِدَّةِ العَذابِ أو شِدَّةِ حَرِّ النَّارِ.

٢٥ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ

(أأُلْقِي)

(٢٥) ـ أأُنزِلَ عَلَيه وَحْيُ اللهِ مِنْ بَيْنِنا، وَٱخْتارَهُ اللهُ لِيَكُونَ نَبِيَّهُ مِنْ دُونِنا، وَما هُوَ إلاَّ بَشَرٌ مِنَّا وَلَيْسَ مَلَكاً؟ فَكَيفَ يَكُونُ ذٰلِكَ؟ إنَّهُ بِلا شَكٍّ كَذَّابٌ مُتَجاوِزٌ الحَدِّ في كَذِبِهِ، يُرِيدُ بِادِّعائِهِ النُّبُوَّةَ، وَإِنزَالَ الوَحْي عَلَيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سُلْطَانٌ وَمُلْكٌ عَلَينا.

الأَشِرُ ـ البَطِرُ والبَطَرُ هُوَ دَهَشٌ يَعْتَرِي الإِنْسَانَ مِنْ سُوءِ ٱحْتِمالِ النِّعْمَةِ، وَقِلَّةِ القِيامِ بِحَقِّهَا.

٢٦ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ

(٢٦) ـ وَيَرُدُّ اللهُ تَعالَى عَلَى هٰؤلاءِ المُكَذِّبينَ مُهَدِّداً وَمُتَوعِّداً فَيَقُولُ: إنَّهم سَيَعْلَمُونَ حِينَ يَنْزِلُ بِهِم العَذابُ غَداً مَنْ هُوَ الكَذَّابُ البَطِرُ، أَهُوَ

صَالحُ رَسُولُ اللهِ ، الذِي جاءَ يَدْعُوهُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لاَ يُرِيدُ عَلَى ذٰلِكَ أَجْراً وَلاَ مالاً ، أَمْ هُمْ ، وَهُمُ الكَفَرَةُ المُتَعَنِّتُونَ ، المُتَكَبِّرُونَ عَنِ الحَقِّ ؟ .

(مُرْسِلُو)

﴿٢٧﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ

(٢٧) - إِنَّا سَنُخْرِجُ لَهُمُ النَّاقَةَ مِنَ الصَّخْرَةِ كَما طَلَبُوا مِنْ نَبِيِّهِمْ صَالِحٍ ، لِتَكُونَ آيةً لَهُمْ ، وَحُجَّةً عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِمْ ، وَلِتَكُونَ فِتْنَةً وَآخْتِبَاراً لَهُمْ ، أَيُؤْمِنُونَ باللهِ ، وَيَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللهِ ، وَيُقْلِعُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ والطُّغْيَانِ والفَسَادِ في الأَرْضِ ؟ أَمْ إِنَّهُم يَتَوَلَّوْنَ وَيُعْرِضُونَ ؟ وَآصْبِرْ عَلَى أَذاهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ فَيُهْلِكَهُمْ جميعاً ، وَيُنْجِيكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ .

فِتْنَةً لَهُمْ - آمْتِحَاناً وآبتِلاءً لَهُمْ .

﴿٢٨﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ

(٢٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى أَنَّه أَمَرَ رَسُولَهُ صَالِحاً بأَنْ يُعْلِمَ قَوْمَه أَنَّ مَاءَ بِئْرِ القَرْيَةِ مَقْسُومٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاقَةِ ، يَوْمٌ للنَّاقَةِ وَيَوْمٌ لِلْقَومِ . وَكُلُّ حِصَّةٍ مِنْهُ يَحْضُرُ صَاحِبُها لِيَأْخُذَها في اليَوْمِ المُخَصَّصِ لَهُ ، فَتَحْضُرُ النَّاقَةُ يَوْماً ، وَيأْتُونَ هُمْ يَوْماً آخَرَ .

(وَقِيلَ إِنَّ حَيَوانَاتِ القَرْيَةِ كَانَتْ تَنْفِرُ مِنَ النَّاقَةِ فَلاَ تَرِدُ المَاءَ إذا كَانَتِ النَّاقَةُ عَليهِ ، فَصَعُبَ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ) .

قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ - مَقْسُومٌ بَيْنَهُمْ ، هُمْ وَالنَّاقَةُ .

مُحْتَضَرٌ - يَحْضُرُ صَاحِبُهُ لأَخْذِهِ .

الشِّرْبُ - النَّصِيبُ أَوِ الحِصَّةُ مِنَ المَاءِ .

﴿٢٩﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ

(٢٩) - فَمَلَّتْ ثَمُودُ هٰذِهِ القِسْمَةَ ، وَآسْتَثْقَلَتْهَا ، وَأَرادَتِ الخَلاَصَ مِنْها ، فَنَادَوْا أَشْقَاهُمْ ، وَحَثُّوهُ عَلَى قَتْلِ النَّاقَةِ ، فَقَامَ بذٰلِكَ الأَمرِ المُنْكَرِ ، وَقَتَلَ نَاقَةَ اللهِ ، بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ قَوائِمَهَا ، وَأَلْقَاهَا أَرْضاً ثُمَّ ذَبَحَها .

تَعَاطَى - آجْتَرأَ عَلَى مُبَاشَرَةِ الأَمْرِ العَظِيمِ .

عَقَرَ النَّاقَةَ - ضَرَبَ قَوائِمَها وأَلْقَاهَا أَرْضاً ثُمَّ ذَبَحَهَا .

﴿٣٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ

(٣٠) - فَكَيْفَ كَانَ عَذابي لِمَنْ كَفَرَ بي ، وَكَذَّبَ رُسُلي ، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِمَا جاءَتْ بِهِ نُذُري ، وَكَيْفَ آنتَصَرْتُ لِرُسُلِي وَأَهْلَكْتُ الكَافِرِينَ المُعَانِدِينَ ، لَقَدْ كَانَ أَخْذِي شَدِيداً وَعَذابي أَلِيماً .

٣١ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ

(وَاحِدَةً)

(٣١) ـ لَقَدْ أَرْسَلْنا عَلَيهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَهَلَكُوا جَميعاً، وَأَصْبَحُوا مُلقَيْنَ عَلَى وَجْهِ الأَرضِ كَالعُشْبِ البالي، الذي يَجْمَعُهُ صَاحِبُ الحَظيرةِ لماشِيتِهِ.

الهَشِيمُ ـ العُشْبُ اليَابِسُ المُتَفَتِّتُ.

المُحْتَظِرِ ـ صَاحِبِ الحَظِيرَةِ.

٣٢ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ

(القُرْآنَ)

(٣٢) ـ وَلَقَدْ جَعَلْنَا القُرآنَ سَهْلَ المَعْنى، يَسِيرَ اللَّفْظِ لِيَقْرأَهُ النَّاسُ، وَيَتَدَبَّروا مَعَانيَه، وَيَتَّعِظُوا بِمَا جَاءَ فِيهِ، وَلٰكِنْ هَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ بِهِ، مُزْدَجِرٍ بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ؟.

٣٣ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ

(٣٣) ـ كَذَّبَ قَوْمُ لُوطٍ نَبِيَّهُم لُوطاً فِيما جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِم مِنْ آياتٍ، وَفيما أَنْذَرَهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابٍ.

٣٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ

(آلَ) (نَجَّيْنَاهُم)

(٣٤) ـ إِنَّا عَاقَبنَاهُمْ بِإِرْسَالِ رِيحٍ تَحْمِلُ الحَصْبَاءَ، وَتَقْذِفُهُمْ بها حَتَّى أَهْلَكَتْهُمْ جميعاً، إلا آلَ لُوطٍ فَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالى بِالخُرُوجِ مِنَ القَرْيةِ وَقْتَ السَّحَرِ، فَخَرَجُوا آخرَ اللَّيلِ، فَكَانَ في ذٰلِكَ نَجاتُهُمْ مِنَ الهَلاكِ.

حَاصِباً ـ رِيحاً تَرْمِيهِمْ بِالحَصْبَاءِ.

بِسَحَرٍ ـ وَقْتَ السَّحَرِ أَيْ آخرَ اللَّيْلِ.

٣٥ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ

(٣٥) ـ وَكَانَ إِنْجاؤنا آلَ لُوطٍ مِنَ الهَلاكِ الذِي حَلَّ بالقَوْمِ نِعْمَةً مِنَّا عَلَيهِم، وَهٰكذا نَجْزِي مَنْ شَكَرَ نِعْمَتَنا عَلَيهِ بِالطَّاعَةِ.

٣٦ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ

(٣٦) ـ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ لُوطٌ، عَلَيهِ السَّلامُ بِأَنَّ اللهَ سَيُنْزِلُ بِهِمْ بَأْسَهُ وَعَذابَه إذا آسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَفَسَادِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ بما جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُم، فَلَمْ يَهْتَمُّوا بِما قَالَهُ لَهُمْ، وَشَكُّوا فيهِ، وَتَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.

بَطْشَتَنا ـ أَخْذَتَنا الشَّدِيدَةَ بِالعَذَابِ.

تَمَارَوْا ـ شَكُّوا.

٣٧ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ

(رَاوَدُوهُ)

(٣٧) ـ وَجَاءَ قَومُ لُوطٍ إِلى لُوطٍ حِينَمَا عَلِمُوا أَنَّ لَدَيهِ ضُيُوفاً صِباحَ الوُجُوهِ، يَطلبونَ إليهِ أن يُسَلِّمَهُمْ ضُيُوفَه لِيفْعَلُوا الفَاحِشَةَ فِيهِمْ (مِن إتيانِ الرِّجالِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ). ولمَّا أَلَحُّوا في طَلَبِهِم مِنْ لُوطٍ طَمَسَ

اللهُ أَعْيُنَهُمْ فَلَمْ يَعُودُوا يَرَوْنَ شيئاً، فَٱنصَرَفُوا إلى مَنَازِلهم، وَهُمْ لاَ يَرونَ طَرِيقَهم. وَقُلنا لَهُمْ ذُوقوا عَذابي الذِي أَنْذَرْتُكُمْ عَلَى لِسانِ رَسُولي، فَشَكَكْتُم فِيما قَالَه لَكُم وَلم تَتَّعِظُوا.

رَاوَدُوه عَنْ ضَيفِه ـ طَلَبُوا مِنهُ أَنْ يُمكِّنَهمْ مِنْ فِعْلِ الفَاحِشَةِ بِضُيُوفِه.

فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ ـ أَعْمَينا أَعيُنَهُمْ أَوْ أَزَلْنا أَثرَها بِمَسْحِها.

٣٨ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ

(٣٨) ـ وَلَقَدْ نَزَلَ بِهِم العَذابُ فِي وَقْتِ البُكُورِ، وَمَا زَالَ مُلِحاً عَلَيهِمْ مُسْتَمِراً حَتَّى أَهْلَكَهُم جَميعاً، وَلم يُبقِ لَهُم في أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ.

مُسْتَقِرٌّ ـ دائِمٌ مُسْتَمِرٌ.

البُكْرَة ـ وَقْتُ البكُورِ مِنَ اليَوْمِ، مِنَ الفَجْرِ حَتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ.

٣٩ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ

(٣٩) ـ فَذُوقُوا جَزاءَ أَفْعَالِكُمْ مِنْ عَذَابٍ عَاجِلٍ، وَمَا لَزِمَ مِنْ إِنْذارِكُمْ مِنْ عَذابٍ آجِلٍ.

٤٠ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ

(القُرآن)

(٤٠) ـ وَلَقَدْ جَعَلْنَا القُرآنَ سَهْلَ المَعْنى، يَسِيرَ اللَّفْظِ لِيَقْرَأَهُ النَّاسُ، وَيَتدبَّروا مَعَانيَه، وَيَتَّعِظُوا بِمَا جَاءَ فِيهِ، وَلٰكِنْ هَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ بِهِ، مُزْدَجِرٍ بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ؟.

٤١ وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ

(آل)

(٤١) ـ وَلَقَدْ جَاءَ مُوسَى وَهَارُونُ إلى فِرْعَوْنَ وَقَومِهِ بِآياتٍ بَيِّنَاتٍ، وَمُعْجِزاتٍ بَاهِراتٍ (وَهِيَ تِسْعُ آيَاتٍ: اليَدُ والعَصَا والطُّوفَانُ وَالجَرادُ.. الخ) وفِيها إِنْذَارٌ وَتَحْذِيرٌ إذا ٱسْتَمَرُّوا مُقِيمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَطُغْيانِهِمْ وَفَسادِهِمْ في الأرْضِ.

٤٢ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ

(بآيَاتِنَا) (فَأَخَذْنَاهُمْ)

(٤٢) ـ فَكَذَّبُوا بِهذِهِ الآياتِ كُلِّها، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَطُغْيانِهِمْ عِقَابَ العَزيزِ الذِي لا يُغَالَبُ وَلَا يُقَاوَمُ، المُقْتَدِرِ غَيْرِ الضَّعِيفِ وَغيرِ العَاجِزِ.

٤٣ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ

(أُولَئِكُم)

(٤٣) ـ أَكُفَّارُكُم، أَيُّها المُشْرِكُونَ مِنْ قُريش، خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ كُفَّارِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ الذِينَ أَبادَهُمُ اللهُ (أُولئِكُمْ)، أَمْ إنَّكُمْ تَمْلِكُونَ بَراءَةً مِنَ اللهِ عَلى أَنَّهُ لَنْ يُوقِعَ بِكُمْ عَذَابَه وَنَكَالَهُ، فَأَنْتُمْ تَعْتَمِدُونَ عَلَى هٰذِهِ البَرَاءَةِ، وَتَطْمَئِنُّونَ إليها؟.

الزُّبُرِ ـ الصُّحُفِ أَوِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّة.

﴿٤٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ

(٤٤) - أَمْ يَقُولُ هٰؤُلاءِ المُشْرِكُونَ: نَحْنُ وَاثِقُونَ بِقُوَّتِنا وَاجْتِماعِ كَلِمَتِنا، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ يَدٌ أَنْ تَمْتَدَّ إلينا بِسُوءٍ؟.

نَحْنُ جميعٌ - نَحْنُ جَماعَةٌ مُجْتَمِعٌ أَمْرُنا.

مُنْتَصِرٌ - مُمْتَنِعٌ لا يُغْلَبُ.

﴿٤٥﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ

(٤٥) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعالى عَلَى مَقالَةِ هٰؤُلاءِ المُشْرِكِينَ وَعَلَى حُجَجِهِم السَّالِفَةِ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ وَسَيُغْلَبُونَ وَيُوَلُّونَ الأَدْبارَ حِينَ يَلْتَقِي جَمْعُهُم بِالمُؤْمِنِينَ جُنْدِ اللهِ، وَقَدْ هُزِمُوا شَرَّ هَزِيمَةٍ في مَعْرَكَةِ بَدْرٍ.

يُوَلُّونَ الدُّبُرَ - يَنْهَزِمُونَ في المَعْرَكَةِ مُوَلِّين أَدْبارَهُمْ لِعَدُوِّهِمْ.

﴿٤٦﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ

(٤٦) - وَقِيامُ السَّاعَةِ هُوَ الوَعْدُ الذي وُعِدُوا بِأَنْ يُلاقُوا العَذابَ فِيهِ؛ وَالعَذابُ الذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَشَدُّ هَوْلاً، وَأَكْثَرُ قَسْوَةً، مِنَ العَذابِ الذِي يُلاقُونَه في الدُّنيا.

السَّاعةُ - يَوْمُ القِيامَةِ.

أَدْهَى وَأَمَرُّ - أَعْظَمُ داهِيَةً وَأَفْظَعُ مَرارَةً مِنْ عَذابِ الدُّنْيا.

﴿٤٧﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ

(ضَلال)

(٤٧) - إِنَّ المُشْرِكِينَ لَفي ضَلالٍ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، وَلَفِي عَمايَةٍ عَنِ الهُدى في الدُّنيا، وَسَيَكُونُ مَصِيرَهُمُ العَذابُ في نَارِ جَهَنَّمَ المُسْتَعِرَةِ يَوْمَ القِيامَةِ.

سُعُرٍ - جَمْعِ سَعِيرٍ وَهُوَ النَّارُ المُتَلَظِّيَةُ - أَوْ هُوَ الجُنُونُ.

﴿٤٨﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ

(٤٨) - وَيَوْمَ القِيامَةِ يُعَذَّبُونَ في النَّارِ، وَيُجَرُّونَ فِيها عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَيُقالُ لَهُمْ تَقْرِيعاً وَتَوْبِيخاً: ذُوقوا حَرَّ نارِ جَهَنَّمَ وَآلامَها جَزاءً لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَ رَبِّكُمْ وَجَحْدِكُمْ بآياتِه.

سَقَرُ - اسْمٌ مِنْ أَسْماءِ جَهَنَّمَ.

المَسُّ - المُلامَسَةُ وَتَعْنِي هُنا الحَرَّ.

﴿٤٩﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ

(خلَقْناهُ)

(٤٩) - يُخبِرُ اللهُ تَعالى عَنْ نُفُوذِ قُدْرَتِهِ في خَلْقِهِ فَيَقُولُ: لَقَدْ خَلَقْنا الخَلائِقَ جَميعاً بِتَقْدِيرِنا، وَكَوَّنَّاها عَلَى مُقْتَضَى الحِكْمَةِ البالِغَةِ، وَبِحَسَبِ السُّنَنِ التِي وَضَعْناها في الخَلِيقَةِ.

﴿٥٠﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ

﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ

﴿٥٢﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ

﴿٥٣﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ

﴿٥٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ

وهذا مِثْلُ قولِهِ تَعَالَى ﴿وَخلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[1] وَجاءَ في الصَّحِيحِ (آسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجزْ فإِنْ أَصابَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَلا تَقُلْ لَوْ أَنِي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ).

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ - بِتَقْدِيرٍ سَابِقٍ، أَوْ مُقَدَّراً مُحْكَماً.

(واحِدَةٌ)

(٥٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى عَنْ نُفُوذِ مشيئَتِهِ في خَلْقِهِ فيقولُ: إِذَا أَرَدْنا أَمْراً قُلْنَا لَهُ: كُنْ. فَإِذا هُوَ كَائِنٌ، في مِثْلِ لَمْحِ البَصَرِ دُونَ إِبْطاءٍ وَلاَ تَأخِيرٍ، وَلاَ يَحْتَاجُ أَمْرُنا إلى تَأكِيدِهِ مَرَّةً أُخْرَى.
إلاّ وَاحِدَةٌ - كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ (كُنْ).

(٥١) - وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا، يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، أمثالَكُم وَأَشْبَاهَكُمْ مِنَ المُكَذِّبينَ مِنَ الأُمَمِ الخَالِيَةِ، وَآسْتَأصَلنا شَأفَتَهُم فَهَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ مِنْكُم بِمَا أَنْزَلْنَاهُ بِهؤلاءِ مِنَ العَذَابِ والدَّمَارِ، وَمَا قدَّرنَاهُ عَلَيهِمْ مِنَ الخِزْيِ، فَيُنِيبَ إلى رَبِّه، وَيُسْلِمَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ العَذَابُ؟
أَشْيَاعَكُمْ - أَمْثَالَكُمْ وأَشْبَاهَكُمْ في الكُفْرِ.

(٥٢) - وَكُلُّ شَيءٍ يَفْعَلُونَهُ فَهُوَ مَسْطُورٌ في الصُّحُفِ التي في أَيْدِي المَلاَئِكَةِ الكِرامِ البَرَرةِ المُوَكَّلِينَ بِهِمْ، وَهُو مُحْصى عَلَيهِم، وَسَيَجِدُونَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَاضِراً لِيُحَاسَبُوا عليه.
في الزُّبُرِ - مَسْطُورٌ في صُحُفِ المَلاَئِكَةِ.

(٥٣) - وَلاَ يَنْسَى المَلاَئِكَةُ الكِرَامُ أَنْ يُثْبِتُوا في هذِهِ الصُّحُفِ جَمِيعَ أَعْمالِهِمْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وَحِينَما يَرَوْنَ، يَوْمَ القِيَامَةِ، صَحِيفَةَ أَعْمالِهِم يَقُولُ الكَافِرُونَ: يَا وَيْلَتَنا مَا لِهَذا الكِتَابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَوْجَتِهِ عَائِشَةَ، رِضْوانُ اللهِ عَلَيها: يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِباً. (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنِّسَائِي).
مُسْتَطَرٌ - مَسْطُورٌ وَمَكْتُوبٌ في اللوْحِ المَحْفُوظِ.

(جَنَّاتٍ)

(٥٤) - وَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الأَشْقِيَاءِ، في الآيَاتِ

(١) سورة الفرقان الآية ٢

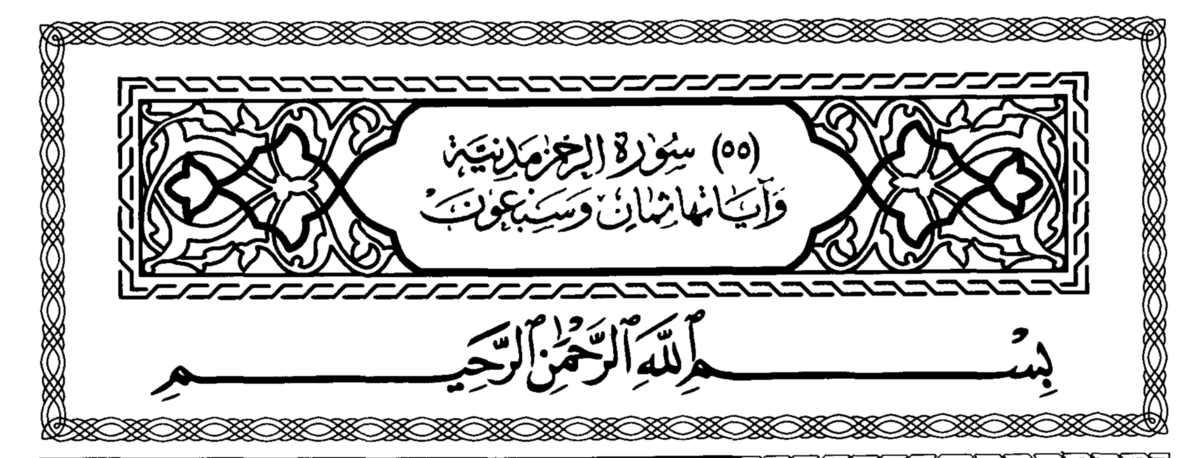
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ٥٥

السَّابِقَاتِ، وَمَا يُلاَقُونَه مِنَ العَذابِ وَالسَّحْبِ عَلَى الوُجُوهِ في النَّارِ، ذَكَر هُنا حَالَ السُّعَداءِ، فَقَالَ: إنَّ المؤْمِنينَ المتَّقِينَ يكُونُونَ في الجَنَّاتِ نَاعِمينَ في الظِّلالِ الوَارِفةِ، وَالمآكلِ الشَّهِيَّةِ، وَالمَشَارِبِ اللذِيذَةِ، مُتَمَتِّعِينَ بِمَنَاظِرِ المِيَاهِ المُتَدَفِّقَةِ، وَالأَنْهارِ الجَارِيَةِ في أَرْضِ الجَنَّةِ.

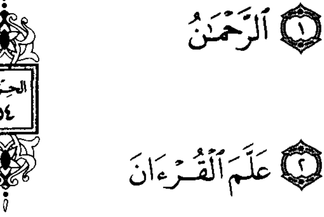
نَهرٍ - أنْهَارٍ.

(٥٥) - في دَارِ كَرَامَةِ اللهِ تَعَالى وَرِضْوَانِهِ وَفَضْلِهِ وَآمتِنَانِهِ وجُودِهِ وَإحْسَانِهِ، عِنْدَ المَلِيكِ العَظِيمِ الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَأحْسَنَ خَلقَهُ وَتَقْدِيرَهُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلا يُعْجِزُهُ شَيءٌ.

مَقْعَدِ صِدْقٍ - مَكَانٍ مُرْضٍ.







(١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى عَنْ رَحْمَتِهِ بِعِبادِهِ، وَفَضْلِهِ عَلَيهِمْ.

(القُرْآن)

(٢) - فَمِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ أنَّهُ أنْزَلَ القُرآنَ، وَيَسَّرَ عَلى مَنْ رَحِمَهُ مِنْ عِبادِهِ حِفْظَهُ وَفَهْمَهُ والنُّطْقَ بِهِ.

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣

(الإِنْسانَ)

(٣) - وَقَدْ خَلَقَ اللهُ البَشَرَ.

عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤

(٤) - وَعَلَّمَهُمُ التَّعْبِيرَ عَمَّا يَجُولُ في خَواطِرِهِم، وَبَيانَ ما يُرِيدُونَ قَوْلَهُ.

ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥

(٥) - الشَّمْسُ وَالقَمَرُ يَجْرِيَانِ في مَدارَيْهِما بِحِسابٍ مُقَدَّرٍ مَعْلُومٍ، لاَ يَخْتَلِفُ وَلا يَضْطَرِبُ، وبهذا الحِسابِ المُقَدَّرِ انْتَفَعَ بِهِما خَلْقُ اللهِ في أُمُورِ حَياتِهِمْ، كَمَعْرِفَةِ فُصُولِ العَمَلِ في الأَرْضِ، وَبَذْرِهَا، وحَصادِها، وإِنتَاجِها، وَعَرَفُوا السِّنينَ وَالأَشْهُرَ وَالحِسابَ.

بِحُسْبَانٍ - يَجْرِيَانِ بِحِسابٍ مُقَدَّرٍ في بُرُوجِهِما.

وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦

(٦) - وَالنَّبْتُ المُنْبَسِطُ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ كَالزَّرْعِ وَالكَلأ، وَالشَّجَرُ العالي، كُلُّها تَسْجُدُ للهِ تَعَالى وتَنْقَادُ له، وَتَخْضَعُ لِقُدرتِهِ وَمَشِيئَتِهِ في إِخراجِ الحَبِّ والثَّمرِ، في الوَقْتِ المَعْلُومِ.

النَّجْمُ - النَّباتُ المُنْبَسِطُ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ بِدُونِ سَاقٍ (وَقِيلَ إِنَّ النَّجْمَ هُنا يَعْني نُجُومَ السَّماءِ).

يَسْجُدَانِ - يَنْقَادَانِ للهِ فِيما خُلِقَا لَهُ.

٧ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ

(٧) ـ وَقَدْ رَفَعَ اللهُ تَعالى السَّماءَ وَأَقامَ العالَمَ عَلَى العَدْلِ، وَفَرَضَ العَدْلَ عَلَى عِبادِهِ، لِكَي تَنْتَظِمَ شُؤونُ الحَياةِ.

وَضَعَ المِيزانَ ـ شَرَعَ العَدْلَ وَأَمرَ بِهِ الخَلْقَ.

٨ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ

(٨) ـ وَقَدْ أَقامَ اللهُ الخَلْقَ عَلى العَدْلِ، وَفَرَضَ العَدْلَ عَلَى العِبادِ لِكَيلا يَعْتَدُوا وَيَتجاوزُوا حُدُودَ مَا يَنْبَغِي مِنَ العَدْلِ والإِنْصافِ.

أن لا تَطْغَوا ـ لِئَلَّا تَتَجاوَزُوا العَدْلَ وَالحَقَّ.

٩ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ

(٩) ـ وَقَوِّمُوا وَزْنَكُم بِالعَدْلِ، وَلاَ تُنْقِصُوهُ شَيْئاً، وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ.

بالقِسْطِ ـ بِالعَدْلِ.

لا تُخْسِرُوا ـ لا تُنْقِصُوا مَوْزُونَ المِيزانِ.

١٠ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ

(١٠) ـ وَالأَرْضَ بَسَطَهَا اللهُ وَأَرْسَاهَا لِتَسْتَقِرَّ بِمَنْ عَلَيها مِنَ المَخْلُوقاتِ، لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الانْتِفاعِ بِها انْتِفاعاً كامِلاً.

الأَنَامُ ـ الخَلْقُ مِنْ إِنْسانٍ وَحَيَوانٍ.

وَضَعَهَا ـ خَلَقَهَا مَخْفُوضَةً عَنِ السَّماءِ.

١١ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ

(فاكِهَةٌ)

(١١) ـ وفي الأَرْضِ فاكِهَةٌ مُخْتَلِفَةُ الأَلوانِ والطَّعْمِ والرَّائِحَةِ، وَفيها النَّخْلُ الذِي يُخْرِجُ ثَمَرَهُ حِينَ ظُهُورِهِ في أَوْعِيَةِ الطَّلْعِ.

الأَكْمامِ ـ أَوْعِيَةِ الطَّلْعِ الذِي يَطْلُعُ فيهِ القنو ثُمَّ يَنْشَقُّ عَنِ العُنْقُودِ.

١٢ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ

(١٢) ـ وفيها الحَبُّ الذِي تُخرِجُهُ النَّباتاتُ المُخْتَلِفَةُ، كَالحِنْطَةِ والذُّرَةِ وَالشَّعِيرِ. وَيَكُونُ لِهذا الحَبِّ عَصْفٌ مِنَ الوَرَقِ عَلَى سَنابِلِهِ، وَلَهُ وَرَقٌ عَلى سُوقِهِ.

العَصْفِ ـ الوَرَقِ الصَّغِيرِ الذِي يَلُفُّ السَّنابِلَ أَوْ هُوَ التِّبْنُ.

الرَّيحانُ ـ هُوَ وَرَقُ سُوقِ الزَّرْعِ الكَبِيرِ أَوْ هُوَ النَّباتُ المَشْمُومُ الطَّيِّبُ الرَّائِحَةِ.

١٣ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(١٣) ـ فَبِأَيِّ مِنَ النِّعَمِ المُتَقَدِّمَةِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟، إِنَّكُم لا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُنْكِرُوا مِنْهَا شَيْئاً فَإِنَّها ظاهِرَةٌ عَلَيكُم، وَأَنْتُمْ مَغْمُورُونَ بِها.

آلاء - نِعَمِ اللهِ.

تُكَذِّبَانِ - تَكْفُرانِ يَا أيُّها الثَّقلانِ.

(الإِنْسَانَ) (صَلْصَالٍ)

﴿١٤﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ

(١٤) - لَقَدْ خَلَقَ اللهُ آدمَ أبَا البَشَرِ مِنْ طِينٍ يابِسٍ لَـهُ صَلْصَلةٌ إذا نُقِرَ باليَدِ.

صَلْصَالٍ - طِينٍ يَابِسٍ يُسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ

﴿١٥﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ

(١٥) - وَخَلَقَ الجِنَّ مِنْ خَالِصِ النَّارِ، وَمِنْ لَهَبِهَا المُخْتَلِطِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، الذِي لاَ دُخَانَ فيهِ.

المارِجُ - لَهَبُ النَّارِ الخَالِصُ الذِي لا دُخَانَ فيهِ.

(آلاء)

﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(١٦) - فَبِأيِّ النِّعَمِ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ (الثَّقلانِ)؟ إنَّكُم لاَ تَسْتَطِيعُونَ أنْ تُنْكِرُوا مِنْها شَيئاً، فَهِيَ ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُم وَأنْتُم مَغْمُورُونَ بِهَا.

﴿١٧﴾ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ

(١٧) - رَبُّ مَشْرِقَي الشَّمْسِ اللَّذَينِ تَبْزُغُ مِنْهُمـا في الصَّيْفِ والشِّتَاءِ، وَرَبُّ مَغْرِبَيْهَا اللَّذَيْنِ تَغْـرُبُ فِيهِمَا في الصَّيْفِ والشِّتَـاءِ. وَيَتَرَتَّبُ على تَحوُّلِ الشَّمْسِ بَيْنَ هذِينِ المَشْرِقَيْنِ وهذَينِ المَغْـرِبَيْنِ تَقَلُّبُ الفُصُولِ الأرْبَعَةِ، وَمَا يَكُونُ لِذَلِكَ مِنْ أثَرٍ عَلَى مُنَاخِ الأرْضِ.

(آلاء)

﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(١٨) - فَبأيِّ النِّعَمِ المُتَقَدِّمِ ذِكْـرُهَا تُكَـذِّبونَ يَـا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إنَّكُمْ لاَ تَسْتَـطِيعُونَ أنْ تُنْكِـرُوا مِنْها شَيْئـاً، فَهِي ظَـاهِـرَةٌ عليكُم وَأنْتُم مَغْمُورُونَ بِها.

﴿١٩﴾ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ

(١٩) - وَأرْسَلَ البَحْرَ المِلْحَ وَالبَحْرَ الحُلْوَ مُتَجاوِرَيْنِ مُتَلاقِيَيْنِ.

مَرَجَ - أرْسَلَ العَذْبَ وَالمِلْحَ في مَجَارِيهما.

يَلْتَقِيانِ - يَتجَاوَرانِ أوْ يَلْتَقِي طَرَفاهُمَا.

﴿٢٠﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ

(٢٠) - وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعالى بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ البَحْرَينِ العَذْبِ وَالمِلْحِ حَاجِزاً (بَرْزَخاً) فَـلا يَبْغِي أحَدُهُمـا عَلَى الآخرِ، وَلا يَـطغى عَليه، فَـلا البَحْرُ المِلْحُ يَجْعلُ الماءَ العَذْبَ مِلْحاً، وَلا العَذْبُ يَجْعَلُ البَحْرَ المِلْحَ عَذْباً.

بَيْنَهُما بَرْزَخٌ - حَاجِزٌ أرْضِيٌّ أوْ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالى.

﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلآء)

(٢١) - فَبِأيِّ نِعَمِ اللهِ المُتَقدِّمِ ذِكْرُها تُكذِّبُونَ يا مَعْشَرَ الجنِّ وَالإنس؟ إنَّكم لاَ تَسْتَطِيعُونَ أنْ تُنكِرُوا شَيْئاً مِنها فَهِيَ ظَاهِرةٌ عَليكم، وأَنْتُم مَغْمُورُونَ بِها.

﴿٢٢﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ

(٢٢) - ويَخْرُجُ مِنْ كِلاَ البَحْرِينِ، العَذْبِ وَالمِلْحِ، اللُّؤْلُؤُ وَالمرجَانُ وَإنْ كَانَا يَخْرُجَانِ في الأغْلَبِ مِنَ البَحْرِ المِلْحِ.

﴿٢٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلآء)

(٢٣) - فَبِأيِّ أنْعُمِ اللهِ المُتَقدِّمِ ذِكْرُها تُكَذِّبُونَ يا مَعْشَرَ الجنِّ وَالإنْسِ؟ إنَّكم لاَ تَسْتَطِيعُون إنكَارَ شَيءٍ مِنْها فَهِيَ ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُم وَأنْتُم مَغْمُورُون بِها.

﴿٢٤﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ

(المُنْشآتُ) (كَالأعْلاَمِ)

(٢٤) - وَلَهُ السُّفُنُ العِظَامُ التِي نَشَرَتْ قُلُوعَها في البَحْرِ وَكَأنَّها الجِبَالُ الشَّاهِقَاتُ، لِتَسِيرَ في البَحْرِ، تَنْقُلُ النَّاسَ والمتَاعَ والتِّجَارات وَالأنعَامَ مِنْ إقْلِيمٍ إلى إقْليمٍ، وَمِنْ أرْضٍ إلى أرْضٍ لِتَبَادُلِ السِّلَعِ والحَاجَاتِ.

الجَوَارِي - السُّفُن الجَارِيةُ.

المُنشَآتُ - المَرْفُوعَةُ القُلُوعِ أوِ الأشْرِعَة.

كَالأعْلاَمِ - كَالجِبَالِ الشَّاهِقَاتِ أوِ القُصُورِ.

﴿٢٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلآء)

(٢٥) - فَبِأيِّ أنعُمِ اللهِ المُتَقدِّمِ ذِكْرُها تُكَذِّبُونَ يا مَعْشَرَ الجنِّ وَالإنْسِ؟ إنَّكُمْ لا تَسْتَطِيعُونَ إنكَارَ شَيءٍ مِنْها فَهِيَ ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُم وَأنْتُمْ مَغْمُورُونَ بِها.

﴿٢٦﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ

(٢٦) - جَمِيعُ مَنْ عَلَى ظَهْرِ الأرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ سَيَمُوتُونَ، وَكَذلِكَ سَيَمُوتُ أهْلُ السَّمَاوَاتِ إلاّ مَنْ شَاءَ اللهُ.

فَانٍ - هَالِكٌ.

﴿٢٧﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ

(الجَلاَلِ)

(٢٧) - وَلاَ يَبْقَى حَيّاً إلا وَجْهُ اللهِ العَليِّ العَظِيمِ الكَرِيمِ، فَإنَّهُ باقٍ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، فَهُوَ أهْلٌ لأنْ يُجلَّ فَلاَ يُعصَى، وَأنْ يُطَاعَ فَلاَ يُخالَفَ.

(وَجاءَ في الدُّعاء المَأثورِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا بَديعَ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ، يَاذَا الجَلالِ والإكْرامِ، لَا إلَهَ إلَّا أنْتَ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغيثُ، أصْلِحْ لَنا شَأنَنا كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنا لأنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلا إلى أحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ).

ذُو الجَلالِ - ذُو العَظَمَةِ وَالاسْتِغْنَاءِ المُطْلَقِ.

الإكْرَامِ - الفَضْلِ التَّامِّ.

٢٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٢٨) - فَبِأيِّ نِعَمِ اللهِ السَّالِفَةِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنْسِ؟

٢٩ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ

(يَسْألُهُ) (السَّماوَاتِ)

(٢٩) - يُخْبِرُ اللهُ تَعالى عَنْ غِناهُ عَمَّنْ سِواهُ مِنَ الخَلْقِ، وَعَنْ حَاجَةِ الخَلْقِ إليهِ، وَافتِقَارِهِم إلى مَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وَأنَّهُم يَسْألُونَه بلسَانِ الحَالِ، وَبالألْسِنَةِ، وَأنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأنٍ. وَمِنْ شَأنِهِ تَعَالى أنْ يُجِيبَ دَاعِياً أوْ يُعْطِيَ سَائِلاً، أوْ يَفُكَّ عَانِياً، أو يَشْفِيَ سَقِيماً، وأنْ يَغفِرَ ذَنْباً وأنْ يَرْفَعَ قَوْماً وَيَضَعَ آخَرينَ - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

في شَأنٍ - يَأتِي بِأحْوالٍ وَيَذْهَبُ بِأحْوالٍ بالحِكْمَةِ.

٣٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٣٠) - فَبِأيِّ نِعَمِ اللهِ السَّالِفَةِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ؟.

٣١ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ

(أيُّها)

(٣١) - وَيَتوعَّدُ اللهُ العِبَادَ، وَيُحَذِّرُهُمْ من نفسهِ الكريمةِ، ويقول لهم إنَّ اللهَ سَيَتجرَّدُ لِحِسَابِهِمْ وَجَزائِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَسَيَنْتَقِمُ مِنَ المُكَذِّبينَ الظَّالِمِينَ أنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ - سَنَقْصدُ لِمُحَاسَبَتِكُمْ بَعْدَ الإمْهَالِ.

٣٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٣٢) - فَبِأيِّ نِعَمِ اللهِ السَّالِفَةِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنْسِ؟.

٣٣ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ

(يَا مَعْشَرَ) (السَّماوَاتِ) (بِسُلْطَانٍ)

(٣٣) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالى الإنسَ والجنَّ إلى أنَّهُمْ لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأنَّهُمْ لا يُعجِزُونَهُ طَلَباً، وَيَقُولُ لَهُمْ: إذا قَدرْتُمْ أنْ تَخْرُجُوا مِنْ جَوانِبِ السَّماوَاتِ وَالأرْضِ هَرَباً مِنْ عِقَابِ اللهِ، فَافعَلُوا. إنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ لأنَّهُ مُحِيطٌ بِكُمْ وَلَا خَلاصَ لَكُمْ مِنْهُ، وَإنَّكُم لَا

تَسْتَطيعُونَ الهَرَبَ إلا بالقُوَّةِ والسُّلْطَانِ، وَلَكِنْ أنّى لَكُمْ ذَلِكَ في ذَلِكَ اليَوْمِ، فَأَنْتُمْ لا حَوْلَ لَكُمْ وَلاَ طَوْلَ في ذلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ؟

تَنفُذُوا - تَخْرُجُوا هَرَباً مِنْ قَضَائِي.

إلَّا بِسُلْطَانٍ - بِقُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَهَيْهَاتَ.

﴿٣٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٣٤) - فَبِأيِّ نِعَمِ اللهِ تَعَالى السَّالِفِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟.

﴿٣٥﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ

(٣٥) - ويُصَبُّ عَلَيكُم يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ في ذَلِكَ اليومِ ألوانٌ مِنَ النِّيرانِ، فَمِنْ لَهَبٍ خالِصٍ يُضِيءُ كَالسِّراجِ (شُوَاظٌ) إلى نَارٍ مُخْتَلِطةٍ بالدُّخَانِ (نُحاسٍ)، فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ الهَرَبَ مِنْهـا، وَلاَ تجِدُونَ لَكُمْ مَنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

النُّحَاسُ - دُخَانُ النَّـارِ وَقَدْ يَكُونُ المَقْصُودُ بِهِ هُنَا مَعْدِنُ النُّحَاسِ المَصْهُورُ.

الشُّوَاظُ - لَهَبُ النَّارِ الخَالِصُ المُضِيءُ الذِي لاَ دُخَانَ فيه.

﴿٣٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٣٦) - فَبِأيِّ أنْعُمِ اللهِ تَعَالى السَّالِفِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟.

﴿٣٧﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ

(٣٧) - فَإذا جَاءَ يَوْمُ القِيَامَةِ تَتَصَدَّعُ السَّماءُ، وَيَحْمَرُّ لوْنُها، وَتَذُوبُ حتَّى لَتَصِيرُ وَكَأَنَّها الزَّيتُ المُحْتَرِقُ، وَنَحْوُهُ مِمّا يُدْهَنُ بِهِ.

وَرْدَةً - حَمْراءَ كَالوَرْدَةِ.

كَالدِّهَانِ - مَا يُدْهَنُ بِهِ.

﴿٣٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٣٨) - فَبِأيِّ أنْعُمِ اللهِ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟.

﴿٣٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ

(فيومَئِذٍ) (يُسْأَلُ)

(٣٩) - وَفي ذَلِكَ اليَوْمِ تَظْهَرُ أعْمَالُ الخَلاَئِقِ في صَحَائفِ أعْمَالِهِم التي سطَّرهَا المَلاَئِكَةُ الكِرامُ الكَاتِبُونَ، فَيَسْكُتُ المُجْرِمُونَ.﴿هذا يَـوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾(١).

(١) سورة المرسلات الآية ٣٥.

(وَقَالَ ابنُ عَبَّاس: إنَّ الكفَـرَةَ المُجْرِمينَ لاَ يُسْـأَلُونَ هَـلْ عَمِلْتُمْ كَذَا، وَلكِنْ يُسْأَلُونَ لِمَ عَمِلْتُمْ كَذا)؟.

(٤٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلَاء)

(٤٠) - فَبِأَيِّ أَنْعُمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تِكَذِّبُونَ يَامَعْشَر الجِنِّ والإِنْسِ ؟.

(٤١) يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ

(بِسيماهُمْ) (بالنَّواصِي)

(٤١) - وَتَعْرِفُ المَلائِكَةُ الأَبْرارُ المُجْرِمينَ بِمَلامِحِهِمْ، وَبِعَلاَمَاتٍ تَظْهَرُ عَلَيهِمْ (قيل هيَ القَتَرةُ وآسْوِدَادُ الوَجْـهِ)، فَيُؤْخَذُ بِنَـواصِيهِمْ وَأَقْدامِهِمْ ويُقذَفُ بِهِمْ في النَّارِ قَذْفاً، دُونَ حَاجَةٍ إلى سُؤَالِهِم عَمَّا أَذْنَبُوا، أيْ إِنَّهُمْ تُجْمَعُ رُؤُوسُهُمْ إلى أرْجُلِهِمْ ويُقذَفُ بِهِمْ في جَهَنَّمَ قَذْفاً.

النَّاصِيَةُ - شَعْرُ مُقَدَّمِ الرَّأسِ.

بِسيمَاهُمْ - بِمَلامِحِهِمْ - أيْ بِسَوَادِ الوُجُوهِ وَالقَتَرَةِ.

(٤٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلَاء)

(٤٢) - فَبِـأَيِّ أَنْعُمِ اللهِ السَّـالِفِ ذِكْرُهَـا تُكَـذِّبُـونَ يَـا مَعْشَـرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ؟.

(٤٣) هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ

(٤٣) - وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ : هـذِهِ هِيَ النَّارُ التي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِها في الحَياةِ الدُّنيا فَهَا هِيَ حَاضِرَةٌ أَمَامَكُمْ، وَأنتُمْ تَرَوْنَهَا بِأمِّ أعْيُنِكُمْ.

(٤٤) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ

(آنٍ)

(٤٤) - وَيُنَوَّعُ لَهُمُ العَذَابُ، فَبَعْدَ أنْ يُعَذَّبوا في نَارِ جَهَنَّمَ، يَسْعَونَ بَيْنَ الحَمِيمِ (وَهُوَ شَرَابٌ شَدِيدُ الحَرَارةِ، كَرِيـهُ الطَّعْمِ، إذا شَـرِبُوهُ قَطَّعَ أمْعَاءَهُم) وَبَيْنَ النَّارِ، فَهُمْ بَيْنَ نَارٍ وَحَمِيمٍ.

حَمِيمٍ آنٍ - مَاءٍ تَنَاهى في الحَرَارَةِ.

(٤٥) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلَاء)

(٤٥) - فَبِـأَيِّ أنْعُمِ اللهِ السَّـالِفِ ذِكْـرُهـا تُكَـذِّبُـونَ يَـا مَعْشَـرَ الجِنِّ وَالإِنسِ ؟.

(٤٦) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ

(٤٦) - وَمَنْ خَشِيَ ربَّـهُ، وَرَاقَبَهُ في أعْمَـالِهِ، وَآعْتَقَـدَ أنَّهُ قَـائِمٌ عَلَيهِ، مُشْرِفٌ عَلَى أعْمالِهِ، عَارِفٌ بِمَا يُكِنُّهُ صَدْرُهُ، فَإنَّ اللهَ سَيَجْـزِيهِ بِجنَّتَيْنِ في الآخِرَةِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾

(آلاء)

(٤٧) - فَبأيِّ أنْعُمِ اللهِ السَّالِفَةِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ ؟ .

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾

(٤٨) - وَهَاتَانِ الجَنَّتَانِ اللَّتَانِ يَجْزِي اللهُ بِهِما عِبَادَهُ المُتَّقِينَ هُمَا ذَوَاتَا أنْواعٍ وَألوانٍ مِنَ الأشْجَارِ وَمِنَ الثِّمارِ.

أفْنَانٍ - أغْصَانٍ - أوْ أنْواعٍ مِنَ الثِّمَارِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾

(آلاء)

(٤٩) - فَبأيِّ أنْعُمِ اللهِ السَّالِفِ ذِكْرُها تُكَذِّبونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنْسِ ؟ .

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾

(٥٠) - وَفي هاتَينِ الجَنَّتَينِ تُوجَدُ عَيْنَا مَاءٍ تَجْرِيَانِ فِيهِمَا .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾

(آلاء)

(٥١) - فَبأيِّ أنْعُمِ اللهِ السَّالِفَةِ عَلَيكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنْس؟ .

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾

(فَاكِهَةٍ)

(٥٢) - وَفيهِما مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أنْواعِ الفَوَاكِهِ صِنْفَانِ: صِنْفٌ رَطْبٌ وَصِنْفٌ يَابِسٌ. (أوْ مَعْرُوفٌ وَغَرِيبٌ).

زَوْجَانِ - صِنْفَانِ مَعْرُوفٌ وَغَرِيبٌ أوْ رَطْبٌ وَيَابِسٌ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾

(آلاء)

(٥٣) - فَبأيِّ أنْعُمِ اللهِ عَلَيكُمْ وَأفْضَالِهِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنْسِ ؟ .

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾

(بَطائِنُها)

(٥٤) - وَيَضْطَجِعُ هَؤُلاءِ الأبْرَارُ السُّعَداءُ، الذِينَ أكْرَمَهُم اللهُ تَعَالى بِالجَنَّتينِ ، عَلَى فُرُشٍ، بَطَائِنُها مِنْ غَلِيظِ الدِّيبَاجِ (إسْتَبْرَق) (وَلَم يَذْكُرِ اللهُ تَعَالى الظَّهَائِرَ لأنَّ البَطَائِنَ إذا كَانَتْ مِنَ الدِّيبَاجِ فإنَّ الظَّهَائِرَ سَتَكُونُ أهَمَّ وَأحْسَنَ)، وَتَكُونُ ثِمَارُ الجَنَّتَيْنِ دَانِيَةً مِنْهُمْ يَسْتَطِيعُونَ قِطَافَها وَهُمْ جُلُوسٌ حِينَما يُرِيدُونَ.

الإسْتَبْرَقُ - غَلِيظُ الدِّيبَاجِ .

جَنَى الجَنَّتَيْنِ - مَا يُجْنَى مِنْ ثِمَارِهِما .
دَانٍ - قَرِيبٌ مِنْ يَدِ المُتَنَاوِلِ .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥﴾

(آلاء)

(٥٥) - فَبِأيِّ نِعَمِ اللهِ الكَثِيرةِ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ ؟ .

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ٥٦﴾

(قاصِراتُ)

(٥٦) - وَفي هَذِهِ الجَنَّاتِ نِساءُ غَضِيضَاتُ البَصَرِ فَلا يَنْظُرْنَ إلى غَيْرِ أزْواجِهِنَّ، فَلا يرَيْنَ فِيها شَيْئاً أحْسَنَ مِنْهُم، وَهُنَّ أبْكارٌ لَمْ يَمْسَسْهُنَّ قَبْلَ أزْواجِهِنَّ أحَدٌ لا مِنَ الإِنْسِ وَلاَ مِنَ الجِنِّ .

قاصِراتُ الطَّرْفِ - قَصَرْنَ أبْصارَهُنَّ عَلى أزْواجِهِنَّ .

لَمْ يَطمِثْهُنَّ - لَمْ يَفْتَضِضْهُنَّ .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧﴾

(آلاء)

(٥٧) - فَبِأيِّ أنْعُمِ اللهِ الكَثِيرةِ عَلَيكُم تُكَذِّبُونَ يا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ ؟ .

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ٥٨﴾

(٥٨) - وَهؤُلاءِ النِّسْوَةُ الغَضِيضَاتُ الطَّرْفِ كَأنَّهُنَّ في جَمالِهِنَّ، وَبهائِهِنَّ، وَصَفاءِ ألوانِهِنَّ: اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩﴾

(آلاء)

(٥٩) - فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ يا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ؟ .

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ٦٠﴾

(الإِحْسَانِ) (الإِحْسَانُ)

(٦٠) - لَيْسَ لِمَنْ أحْسَنَ العَمَلَ في الدُّنيا إلا الجَزاءُ الحَسَنُ عِنْدَ اللهِ في الآخِرَةِ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1] .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١﴾

(آلاء)

(٦١) - فَبِأيِّ أنْعُمِ اللهِ الكَثِيرَةِ عَلَيكُمْ تُكَذِّبُونَ يا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ ؟ .

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢﴾

(٦٢) - وَمِنْ وَراءِ هَاتَيْنِ الجَنَّتَينِ، السَّالِفِ وَصْفُهُما، جَنَّتانِ أُخْرَيَانِ أقَلُّ مِنْهُما فَضْلاً وَصِفَةً، أعَدَّهُما اللهُ تَعالى لِلْمُتَّقِينَ مِنْ عِبادِهِ مِمَّنْ لاَ يَرْتَفِعُونَ بِأعْمالِهِمْ إلى مَرْتَبَةِ المُقَرَّبينَ .

وَمِن دُونِهِما - وَمِنْ وَرائِهِما أوْ مِنْ أدْنَى مِنْهُما .

---

(١) سورة يونس الآية ٢٦ .

٦٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

٦٤ مُدْهَآمَّتَانِ

٦٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

٦٦ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ

٦٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

٦٨ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ

٦٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

٧٠ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ

٧١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٦٣) - فَبِأَيِّ نِعَمِ اللهِ الوَفِيرةِ عليكُمْ تُكَذِّبونَ يا مَعْشَرَ الجنِّ وَالإِنْسِ؟.

(٦٤) - وَتَنْبُتُ في هَاتَينِ الجَنَّتَيْنِ النَّبَاتَاتُ وَالرَّيَاحِينُ الخُضْرُ، التِي يَضْرِبُ لَوْنُها إلى السَّوادِ، مِنْ شِدَّةِ خُضْرَتِها.

مُدْهَامَّتَانِ - خَضْرَاوَانِ شَدِيدَتَا الخُضْرَةِ.

(آلاء)

(٦٥) - فَبِأَيِّ أنْعُمِ اللهِ السَّالِفَةِ عَلَيكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

(٦٦) - فيهما عَيْنَانِ تَفُورانِ بالمَاءِ وَلاَ تَنْقَطِعَانِ.

نَضَّاخَتَانِ - فَوَّارَتَانِ بِالماءِ لا تَنْقَطِعَانِ.

(آلاء)

(٦٧) - فَبِأَيِّ أَنْعُمِ اللهِ الوَفِيرَةِ عَلَيكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟.

(فَاكِهَةٌ)

(٦٨) - وَفي هَاتَيْنِ الجَنَّتَيْنِ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالى النَّخْلَ وَالرُّمَّانَ مِنْ بَيْنِ الفَوَاكِهِ بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِما، وَلأَنَّهما يُؤْكَلانِ فَاكِهَةً وَأُدماً.

(آلاء)

(٦٩) - فَبِأَيِّ أَنْعُمِ اللهِ الوَفِيرةِ السَّالِفَةِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ؟.

(خَيْرَاتٌ)

(٧٠) - وَفي هذِهِ الجَنَّاتِ خَيْراتٌ حِسَانٌ كَثِيرةٌ.

(وَهُنَاكَ مَنْ قَرأ(خَيِّرَاتٌ) بِتَشْدِيدِ اليَاءِ، وَيَكُونُ المَعْنَى إنَّ في الجَنَّةِ نِسَاءً كَثِيراتِ الخَيْرِ، حِسَانَ الخُلُقِ وَالخِلْقَةِ، كَثِيراتِ الإِحسَانِ).

(آلاء)

(٧١) - فَبِأَيِّ أَنْعُمِ اللهِ السَّالِفَةِ عَلَيكُم تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟.

﴿٧٢﴾ حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ

(مَقْصُورَاتٌ)

(٧٢) - وفي الجَنَّةِ نِسَاءٌ حِسَانُ الوُجُوهِ، حُورُ العُيُونِ، قَدْ قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إلى غَيرِ أَزْواجِهِنَّ، وَقَدْ لازَمْنَ بُيُوتَهُنَّ، فَلَسْنَ بِطَوَّافاتٍ في الطُّرُقَاتِ.

حُورٌ - نِسَاء بِيضٌ حِسَانٌ.

مَقْصُورَاتٌ - مُخَدَّرَاتٌ في البُيُوتِ.

﴿٧٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٧٣) - فَبِأَيِّ أَنْعُمِ اللهِ الوَفِيرَةِ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟.

﴿٧٤﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ

(٧٤) - وَهُنَّ أَبْكَارٌ لَمْ يَمْسَسْهُنَّ قَبْلَ أَزْواجِهِنَّ أَحَدٌ مِنَ الإِنْسِ أَوْ مِنَ الجِنِّ.

﴿٧٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٧٥) - فَبِأَيِّ أَنْعُمِ اللهِ الوَفِيرَةِ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟.

﴿٧٦﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ

(٧٦) - وَهُمْ يَتَّكِئُونَ في قَعْدَتِهِمْ عَلَى ثِيَابٍ نَاعِمَةٍ وَفُرُشٍ رَقِيقَةِ النَّسْجِ مِنَ الدِّيبَاجِ، وَوَسَائِدَ عَظِيمَةٍ، وَبُسُطٍ لها أطرافٌ فَاخِرَةٌ، غَايَةٌ في جَمَالِ الصَّنْعَةِ، وَحُسْنِ المَنْظَرِ.

رَفْرَفٍ - وَسَائِدَ أَوْ فُرُشٍ مُرْتَفِعَةٍ.

عَبْقَرِيٍّ - بُسُطٍ ذَوَاتِ خملٍ رَقِيقٍ.

﴿٧٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(آلاء)

(٧٧) - فَبِأَيِّ أَنْعُمِ اللهِ الكَثِيرةِ عَلَيكُم تُكَذِّبُونَ؟

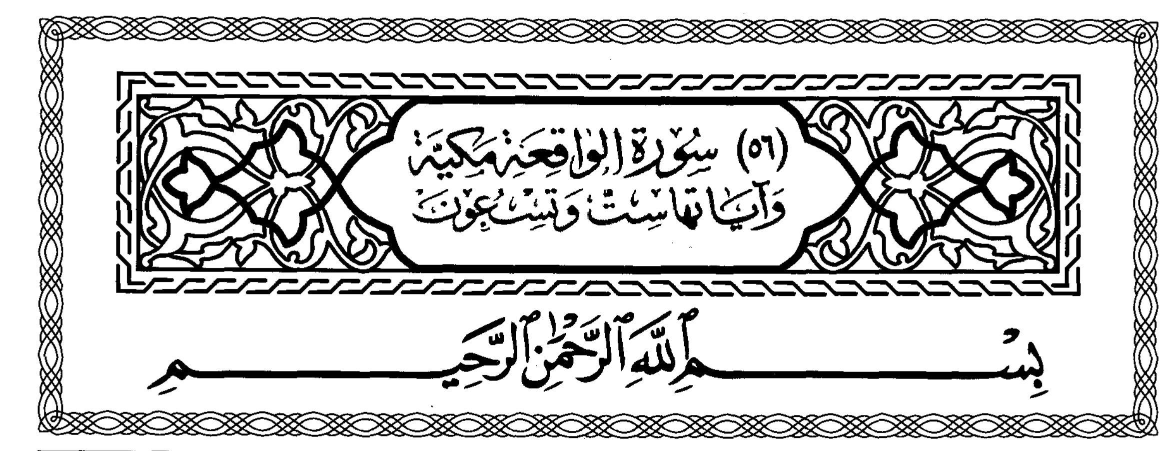
﴿٧٨﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ

(تبارَكَ) (الجَلاَلِ)

(٧٨) - تَعَالى رَبُّكَ فَهُوَ أَهْلٌ لأنْ يُجَلَّ فلا يُعصَى، وَأَنْ يُكَرَّمَ فَيُعْبَدَ، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلايُكفَرَ، وَأَنْ يُذْكَرَ فلا يُنْسَى، فَهُوَ تَعَالى ذُو العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ.

تَبَارَكَ - تَعَالَى أَوْ كَثُرَ خَيْرُهُ.

ذِي الجَلاَلِ - ذِي العَظَمَةِ وَالاسْتِغْنَاءِ المُطْلَقِ.



ربع الحزب ٥٤

١ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ

(١) ـ إِذَا قَامَتِ القِيَامَةُ. وَسُمِّيَتِ القِيَامَةُ الوَاقِعَةَ لِتَحَقُّقِ حُدُوثِهَا.

٢ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ

(٢) ـ فَلَيْسَ لِوُقُوعِهَا ـ إِذَا أَرَادَ اللهُ كَوْنَهَا ـ مَنْ يَصْرِفُهُ أَوْ يَدْفَعُهُ (أَوْ فَلا تَبْقَى نَفْسٌ مُكَذِّبَةٌ بِوُقُوعِهَا).

كَاذِبَةٌ ـ نَفْسٌ كَاذِبَةٌ تُنْكِرُ وُقُوعَهَا.

٣ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ

(٣) ـ فَتَخْفِضُ أَقْوَاماً إِلَى الجَحِيمِ، وَتَرْفَعُ أَقْوَاماً إِلَى عِلِّيِّينَ.

خَافِضَةٌ ـ تَخْفِضُ الأَشْقِيَاءَ.

رَافِعَةٌ ـ تَرْفَعُ المُتَّقِينَ السُّعَدَاءَ.

٤ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا

(٤) ـ إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ تَتَزَلْزَلُ الأَرْضُ زِلْزَالاً شَدِيداً، وَتَتَحَرَّكُ تَحَرُّكاً عَنِيفاً، وَتَضْطَرِبُ بِطُولِهَا وَعَرْضِهَا، فَتَنْدَكُّ الحُصُونُ وَالقِلاَعُ وَالأَبْنِيَةُ وَالجِبَالُ.

(وَقَالَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ﴾[1].

الرَّجُّ ـ التَّحَرُّكُ وَالاضْطِرَابُ بِشِدَّةٍ كَمَا يُرَجُّ الغِرْبَالُ.

٥ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا

(٥) ـ وَإِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ تَتَفَتَّتُ الجِبَالُ تَفَتُّتاً، وَتُصْبِحُ مِثْلَ كَثِيبِ الرَّمْلِ لاَ تَمَاسُكَ بَيْنَ أَجْزَائِهَا.

البَسُّ ـ التَّفْتِيتُ.

٦ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا

(٦) ـ وَتَصِيرُ الجِبَالُ ذَرَّاتٍ مُتَطَايِرَةً كَالهَبَاءِ الذِي يَتَطَايَرُ مِنْ شَرَرِ النَّارِ إِذَا اشْتَعَلَتْ، فَإِذَا وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً.

الهَبَاءُ ـ الذَّرَّاتُ المُتَطَايِرَةُ مِنَ النَّارِ، أَوِ الرِّمَالُ أَوِ الرَّمَادُ

مُنْبَثاً ـ مُتَفَرِّقاً وَمُنْتَشِراً.

---

(١) سورة الحج الآية ١.

٧ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً

(أَزْوَاجاً) (ثَلاثَةً)

(٧) ـ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُصْبِحُ النَّاسُ أَصْنَافاً ثَلاثَةً.
الأَزْوَاجُ ـ الأَصْنَافُ ـ أَوِ الأَقْسَامُ.

٨ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ

(فَأَصْحَابُ) (أَصْحَابُ)

(٨) ـ فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ الذِينَ يَأْخُذُونَ كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا يَكُونُ عَلَيْهِ حَالُهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ، وَالفَرْحَةِ، وَالنَّضْرَةِ، وَالنِّعْمَةِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ.
المَيْمَنَةِ ـ اليَمِينِ، أَوْ مِنَ اليُمْنِ وَالبَرَكَةِ.

٩ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ

(أَصْحَابُ) (الْمَشْأَمَةِ)

(٩) ـ وَأَصْحَابُ المَشْأَمَةِ الذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ، وَيُوقَفُونَ إِلَى شَمَالِ الجَمْعِ لِيُسَاقُوا إِلَى النَّارِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ حَالُهُمْ مِنَ المَذَلَّةِ وَالمَسَاءَةِ، وَالخِزْيِ وَالخُشُوعِ.
المَشْأَمَةُ ـ الشُّؤْمُ، أَوْ نَاحِيَةُ الشِّمَالِ.

١٠ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ

(السَّابِقُونَ)

(١٠) ـ أَمَّا الصِّنْفُ الثَّالِثُ فَهُم السَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى الإِيْمَانِ، وَفِعْلِ الخَيْرَاتِ، وَأَدَاءِ الطَّاعَاتِ، وَهَؤُلاَءِ يَكُونُونَ سَابِقِينَ إِلَى الفَوْزِ بِرَحْمَةِ اللهِ، وَبِدُخُولِ الجَنَّةِ.
وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَتَدْرُونَ مَنِ السَّابِقُونَ إِلَى ظِلِّ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟. قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: الذِينَ إِذَا أُعْطُوا الحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ) (رَوَاهُ أَحْمَدُ).

١١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ

(أُولَئِكَ)

(١١) ـ وَهَؤُلاَءِ السَّابِقُونَ هُم الذِينَ نَالُوا الحُظْوَةَ عِنْدَ اللهِ فِي الجَنَّةِ.

١٢ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ

(جَنَّاتِ)

(١٢) ـ وَيَتَمَتَّعُونَ فِي الجَنَّةِ بِمَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ

١٣ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ

(١٣) ـ وَهَؤُلاَءِ السَّابِقُونَ هُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ.
الثُّلَّةُ ـ الجَمَاعَةُ ـ قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾ (١٤)

(الآخِرِينَ)

(١٤) - وَقِلَّةٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (الآخِرِينَ).

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ (١٥)

(١٥) - وَيَجْلِسُ هَؤُلاَءِ المُقَرَّبُونَ الأَبْرَارُ فِي الجَنَّاتِ عَلَى أَسِرَّةٍ مَنْسُوجَةٍ وَمُطَعَّمَةٍ بِالذَّهَبِ.

مَوْضُونَةٍ - مَنْسُوجَةٍ أَوْ مُطَعَّمَةٍ بِالذَّهَبِ بِإِحْكَامٍ.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ (١٦)

(مُتَقَابِلِينَ)

(١٦) - وَيَجْلِسُ هَؤُلاَءِ السُّعَدَاءُ عَلَى هَذِهِ الأَسِرَّةِ المُطَعَّمَةِ بِالذَّهَبِ، وَهُمْ مُتَقَابِلُونَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي وَجْهِ بَعْضٍ شَأْنَ المُتَحَابِّينَ المُتَصَافِينَ.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (١٧)

(وِلْدَانٌ)

(١٧) - وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ يَخْدِمُونَهُمْ، لاَ يَشِيبُونَ وَلاَ يَهْرَمُونَ، وَلاَ تَتَغَيَّرُ مَلاَمِحُهُمْ بِفِعْلِ الزَّمَنِ.

مُخَلَّدُونَ - بَاقُونَ عَلَى هَيْئَةِ الوِلْدَانِ فِي البَهَاءِ.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ (١٨)

(١٨) - وَيَطُوفُ هَؤُلاَءِ الغِلْمَانُ المُخَلَّدُونَ عَلَى السَّابِقِينَ الجَالِسِينَ فِي الجَنَّةِ عَلَى الأَسِرَّةِ المَنْسُوجَةِ بِالذَّهَبِ، بِأَدَوَاتِ الشَّرَابِ الكَامِلَةِ، بِمَا فِيهَا مِنْ أَبَارِيقَ وَأَكْوَابٍ وَكُؤُوسٍ.. وَكُلُّهَا مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَمْرٍ عَيْنٍ جَارِيَةٍ.

الأَكْوَابُ - آنِيَةٌ لاَ خَرَاطِيمَ لَهَا وَلاَ عُرَى.

الإِبْرِيقُ - إِنَاءٌ لَهُ عُرْوَةٌ أَوْ خُرْطُومٌ.

كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ - كَأْسٍ مِنْ خَمْرٍ عَيْنٍ جَارِيَةٍ.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (١٩)

(١٩) - وَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْهَا مَا يُرِيدُونَ، وَهِيَ لاَ تُصَدِّعُ رُؤُوسَهُمْ، وَلاَ تَسْتَنْزِفُ عُقُولَهُمْ كَمَا هِيَ الحَالُ فِي خَمْرِ الدُّنْيَا، وَلاَ تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ سَاعَةَ صَفْوِهِمْ.

لاَ يُصَدَّعُونَ - لاَ يُصِيبُهُمْ صُدَاعٌ بِشُرْبِهَا.

وَلاَ يُنْزِفُونَ - وَلاَ تَذْهَبُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ وَلاَ تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ.

﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (٢٠)

(فَاكِهَةٍ)

(٢٠) - وَيَطُوفُ الوِلْدَانُ المُخَلَّدُونَ عَلَى هَؤُلاَءِ الأَبْرَارِ مِنَ السَّابِقِينَ بِأَلْوَانٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الفَاكِهَةِ، فَيَخْتَارُونَ مِنْهَا مَا تَمِيلُ إِلَيهِ نُفُوسُهُمْ.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢١)

(٢١) - وَيَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بِأَصْنَافٍ مِنْ لُحُومِ الطَّيْرِ، فَيَأْخُذُونَ مِنْهَا مَا يَشْتَهُونَ.

(٢٢) وَحُورٌ عِينٌ

(٢٢) - وَلَهُمْ فِي الجَنَّةِ زَوْجَاتٌ حِسَانٌ، بِيضُ الوُجُوهِ، وَاسِعَاتُ العُيُونِ.
حُورٌ - نِسَاءٌ بِيضٌ حِسَانُ الوُجُوهِ.
عِينٌ - وَاسِعَاتُ العُيُونِ بِجَمَالٍ.

(٢٣) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ

(كَأَمْثَالِ)

(٢٣) - كَأَنَّهُنَّ فِي بَهَائِهِنَّ وَإِشْرَاقِهِنَّ وَبَيَاضِ بَشَرَتِهِنَّ، وَصَوْنِهِنَّ عَنِ اللَّمْسِ والابْتِذَالِ، لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ فِي أَصْدَافِهِ.
لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ - لُؤْلُؤٌ مَا زَالَ مَصُوناً فِي أَصْدَافِهِ.

(٢٤) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(٢٤) - وَهَذَا الذي فَازُوا بِهِ هُوَ عَطَاءٌ مِنَ اللهِ تَكَرَّمَ بِهِ عَلَيْهِمْ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(٢٥) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا

(٢٥) - لاَ يَسْمَعُونَ فِي الجَنَّةِ لَغْوَ الحَدِيثِ، وَبَاطِلَهُ، وَلاَ هُجْرَ القَوْلِ، وَلاَ مَا لاَ خَيْرَ فِيهِ مِمَّا تَتَقَزَّزُ مِنْهُ النُّفُوسُ الكَرِيمَةُ.
اللَّغْوُ - الكَلاَمُ الذِي لاَ خَيْرَ فِيهِ - أَوِ البَاطِلُ.
وَلاَ تَأْثِيماً - وَلاَ يُوجِبُ الإِثْمَ.

(٢٦) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا

(سَلاَماً) (سَلاَماً)

(٢٦) - وَلَكِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ أَطْيَبَ السَّلاَمِ، وَأَعْذَبَ الكَلاَمِ.

(٢٧) وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ

(أَصْحَابُ)

(٢٧) - أَمَّا الأَبْرَارُ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ - وَهُمْ أَدْنَى مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ مِنَ المُقَرَّبِينَ - فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي حَالٍ رَفِيعَةٍ مِنْ عُلُوِّ الشَّأْنِ.

(٢٨) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ

(٢٨) - فَهُمْ يَتَمَتَّعُونَ فِي الجَنَّةِ بِشَجَرِ السِّدْرِ، وَقَدْ كَثُرَ ثَمَرُهُ، وَخُضِدَ شَوْكُهُ، بِخِلاَفِ سِدْرِ الدُّنْيَا القَلِيلِ الثَّمَرِ، الكَثِيرِ الشَّوْكِ.
مَخْضُودٌ - مَقْطُوعُ الشَّوْكِ.
السِّدْرُ - شَجَرُ النَّبِقِ.

(٢٩) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ

(٢٩) - وَيَتَمَتَّعُونَ بِشَجَرِ الطَّلْحِ الذِي تَتَرَاكَمُ ثِمَارُهُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.
الطَّلْحُ - شَجَرٌ مِنْ أَشْجَارِ الحِجَازِ حُلْوُ الثَّمَرَةِ. (وَقِيلَ إِنَّهُ شَجَرُ المَوْزِ كَمَا يُسَمِّيهِ أَهْلُ اليَمَنِ).

(٣٠) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ

(٣٠) - وَيَتَمَتَّعُونَ بِظِلٍّ ظَلِيلٍ مَمْدُودٍ، لاَ يَنْحَسِرُ وَلاَ يَنْكَمِشُ.
مَمْدُودٍ - دَائِمٍ لا يَتَقَلَّصُ.

(٣١) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ

(٣١) - وَيَتَمَتَّعُونَ بِمَاءٍ يَنْصَبُّ انْصِبَاباً، فَلا يَحْتَاجُ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلى جُهْدٍ وَتَعَبٍ لِلْحُصُولِ عَلَيهِ.
مَسْكُوبٍ - مَصْبُوبٍ يَجْرِي مِنْ غَيْرِ أَخَادِيدَ.

وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾
لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾
وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾
إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾
فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾
عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾
لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾
ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾
وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾
وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾
فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾
وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾

(فَاكِهَةٍ)

(٣٢) ـ وَيَتَمَتَّعُونَ فِي الجَنَّةِ بِأَلْوَانٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الفَاكِهَةِ.

(٣٣) ـ لاَ تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ أَبداً، فَهُمْ يَجِدُونَهَا فِي كُلِّ حِينٍ.

(٣٤) ـ وَيَجْلِسُونَ فِي الجَنَّةِ عَلَى فُرُشٍ وَثِيرَةٍ عَالِيَةٍ.
فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ـ مَرْفُوعَةٍ عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ مُنَضَّدَةٍ وَمُرْتَفِعَةٍ.

(أَنْشَأْنَاهُنَّ)

(٣٥) ـ وَقَدْ هَيَّأَ اللهُ لَهُمْ فِي هَـذِهِ الجَنَّاتِ نِسَاءً أَعَـدَّهُنَّ لَهُمْ إِعْـدَاداً خَاصّاً.

(فَجَعَلْنَاهُنَّ)

(٣٦) ـ وَقَدْ جَعَلَهُنَّ اللهُ أَبْكَاراً.

(٣٧) ـ وَقَدْ جَعَلَهُنَّ اللهُ جَمِيعاً مُحَبَّباتٍ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَهُنَّ جَمِيعاً فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ.
عُرُباً ـ مُحَبَّبَاتٍ إِلَى أَزْوَاجِهِنَ.
أَتْرَابا ـ فِي سِنٍّ مُتَقَارِبَةٍ زِيَادَةً فِي الإِينَاسِ.

(لأَصْحَابِ)

(٣٨) ـ وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ هَؤُلاَءِ النِّسَاءَ الحِسَانَ لأَصْحَابِ اليَمِينِ زِيَادَةً فِي نَعِيمِهِمْ.

(٣٩) ـ وَأَصْحَابُ اليَمِينِ هَؤُلاَءِ هُم جَمَاعَةٌ مِنْ مُؤْمِنِي الأُمَمِ السَّالِفَةِ.

(٤٠) ـ وَجَمَاعَةٌ مِنْ مُؤْمِنِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ.

(أَصْحَابُ)

(٤١) ـ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ الذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ، وَيَقِفُونَ فِي المَحْشَرِ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَمَا يُدْرِيكَ مَا يَكُونُ عَلَيهِ حَالُهُمْ؟.

(٤٢) ـ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ يَنْفذُ مِنَ المَسَامِّ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ مَاءٍ مُتَنَاهٍ فِي الحَرَارَةِ.
السَّمُومُ ـ الحَرُّ الذِي يَنْفُذُ مِنَ المَسَامِّ ـ أَوْ هُوَ رِيحٌ شَدِيدَةُ الحَرَارَةِ.
الحَمِيمُ ـ المَاءُ الذِي تَنَاهَتْ حَرَارَتُهُ فِي الشِّدَّةِ.

(٤٣) ـ وَيَكُونُ الظِّلُّ الذِي يَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ دُخَانٍ حَارٍّ أَسْوَد.
اليَحْمُومُ ـ الدُّخَانُ الحَارُّ الأَسْوَدُ.

لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾

(٤٤) - وَهَذَا الدُّخَانُ الأَسْوَدُ لَيس بِطَيِّبِ الهَوَاءِ، وَلاَ بِبَارِدِهِ، وَلاَ بِحَسَنِهِ وَلاَ كَرِيمِهِ.

وَلاَ كَرِيمٍ - أيْ لاَ يَنْفَعُ مِنْ أَذَى الحَرِّ.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾

(٤٥) - إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُنَعَّمِينَ مُتْرَفِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِالمَآكِلِ الطَّيِّبَةِ، وَالأَشْرِبَةِ اللَّذِيذَةِ، وَالمَسَاكِنِ الهَنِيئَةِ، وَالثِّيَابِ النَّاعِمَةِ، فَأَلْهَاهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، فَعُوقِبُوا بِحِرْمَانِهِمْ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَبِنَقَائِضِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ.

مُتْرَفِينَ - مُنَعَّمِينَ مُتَّبِعِينَ أَهْوَاءَهُمْ.

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

(٤٦) - وَكَانُوا مُقِيمِينَ عَلَى الكُفْرِ بِاللهِ، وَالكُفْرُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وَقَدْ أَقْسَمُوا جَهْدَ أَيمَانِهِمْ أَنَّ اللهَ لَنْ يَبْعَثَ مَنْ يَمُوتُ.

الحِنْثُ - الشِّرْكُ - الذَّنْبُ العَظِيمُ.

يُصِرُّونَ - يُقِيمُونَ بِإِصْرَارٍ، وَلاَ يَنْوُونَ التَّوْبَةَ.

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾

(أئِذَا) (عِظَاماً) (أَئِنَّا)

(٤٧) - وَكَانَ هَؤُلاَءِ المُتْرَفُونَ يُنْكِرُونَ، وَهُمْ فِي الدُّنْيَا، البَعْثَ وَالنُّشُورَ وَالقِيَامَةَ، وَيَقُولُونَ: أَنُبْعَثُ أَحْيَاءً بَعْدَ أَنْ تُصْبِحَ عِظَامُنَا تُرَاباً وَرَمِيماً؟.

أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾

(أَبَاؤُنَا)

(٤٨) - وَيُبْعَثُ مَعَنَا آبَاؤُنَا أَيْضاً، وَيُرَدُّونَ إِلَى الحَيَاةِ؟.

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾

(الآخِرِينَ)

(٤٩) - فَقُلْ، يَا مُحَمَّدُ، لِهَؤُلاَءِ الكَافِرِينَ الذِينَ يُنْكِرُونَ البَعْثَ، وَيَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَهُ، إِنَّ الأَوَّلِينَ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَالآخِرِينَ مِنَ الأُمَمِ المُتَأَخِّرَةِ.

لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

(مِيقَاتِ)

(٥٠) - سَيُبْعَثُونَ وَسَيُحْشَرُونَ جَمِيعاً فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فِي ذَلِكَ اليَوْمِ المَعْلُومِ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ.

المِيقَاتُ - مَا وُقِّتَ بِهِ الشَّيْءُ وَهُوَ هُنَا يَوْمُ القِيَامَةِ.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾

(٥١) - ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى، وَالصَّوَابِ، المُكَذِّبُونَ بِكُتُبِ اللهِ وَرُسُلِهِ وَآيَاتِهِ، وَبِالبَعْثِ وَالحِسَابِ.

٥٢ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ

(لآكِلُونَ)

(٥٢) - سَتَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرِ الزَّقُّومِ الذِي يَنْبُتُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ، وَكَأَنَّ طَلْعَهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ.
(وَأَهْلُ النَّارِ يَأْكُلُونَ الزَّقُّومَ عَلَى كَرَاهِيَةِ مَذَاقِهِ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ غَيْرَهُ وَغَيْرَ الضَّرِيعِ شَيْئاً يَأْكُلُونَهُ).
الزَّقُّومِ - شَجَرٌ كَرِيهٌ جِداً فِي النَّارِ.

٥٣ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ

(٥٣) - وَإِنَّكُمْ سَتَأْكُلُونَ مِنْهُ حَتَّى تَمْتَلِىءَ بُطُونُكُمْ.

٥٤ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ

(فَشَارِبُونَ)

(٥٤) - وَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْ شَجَرِ الزَّقُّومِ، وَمَلأْتُمْ بُطُونَكُمْ مِنْهُ، فَسَتَشْعُرُونَ بِالعَطَشِ فَلَا تَجِدُونَ غَيْرَ المَاءِ الشَّدِيدِ الحَرَارَةِ (الحَمِيمِ). فَتَشْرَبُونَ مِنْهُ لإِطْفَاءِ ظَمَئِكُمْ.

٥٥ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ

(فَشَارِبُونَ)

(٥٥) - وَإِنَّكُمْ سَتَشْرَبُونَ شُرْباً لَا يَرْوِي غُلَّةً، وَكَأَنَّكُم الإِبِلُ التِي أَصَابَهَا دَاءُ الهُيَامِ فَلَا يَرْوِي المَاءُ لَهَا غَلِيلاً، وَلَا يُطْفِىءُ لَهَا ظَمَأً.
الهِيمِ - المُصَابَةِ بِدَاءِ الهُيَامِ الذِي لَا تَرْتَوِي مَعَهُ الإِبِلُ مِنْ عَطَشِهَا مَهْمَا شَرِبَتْ.

٥٦ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ

(٥٦) - وَهَذَا الذِي تَقَدَّمَ وَصْفُهُ مِنَ العَذَابِ بِالنَّارِ، وَأَكْلِ الزَّقُّومِ، وَشُرْبِ الحَمِيمِ، هوَ مَا يَلْقَاهُ هَؤُلَاءِ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ، المُكَذِّبُونَ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنَ الضِّيَافَةِ يَوْمَ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ.
نُزُلُهُمْ - مَا يَلْقَوْنَهُ مِنَ الضِّيَافَةِ.
يَوْمَ الدِّينِ - يَوْمَ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ.

٥٧ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ

(خَلَقْنَاكُمْ)

(٥٧) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُكَذِّبِينَ بِالبَعْثِ وَبِعَوْدَةِ الأَجْسَادِ التِي أَصْبَحَتْ رَمِيماً إِلَى الحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، فَيَقُولُ لَهُمْ: نَحْنُ الذِينَ ٱبْتَدَأْنَا خَلْقَكُمْ وَأَنْشَأْنَاكُمْ مِنَ العَدَمِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئاً، أَفَلَيْسَ القَادِرُ عَلَى الخَلْقِ ٱبْتِدَاءً بِقَادِرٍ عَلَى الإِعَادَةِ، فَكَيْفَ لَا تُصَدِّقُونَ بِالبَعْثِ؟

٥٨ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ

(أَفَرَأَيْتُمْ)

(٥٨) - أَلَا تَرَوْنَ يَا أَيُّهَا المُكَذِّبُونَ إِلَى المَنِيِّ الذِي تَقْذِفُونَهُ فِي الأَرْحَامِ؟

(٥٩) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ

(أأنْتُم) (الخَالِقُونَ)

(٥٩) - هَلْ أَنْتُمُ الذِينَ تَجْعَلُونَ مِنْهُ بَشَراً سَوِيّاً تَامَّ الخَلْقِ، أَمْ هُوَ اللهُ الذِي يُقَدِّرُ خَلْقَهُ؟.

(٦٠) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ

(٦٠) - ثُمَّ يُقَرِّرُ لَهُم اللهُ تَعَالَى: أَنَّهُ هُوَ الذِي قَسَمَ المَوْتَ بَيْنَهُمْ، وَوَقَّتَ مَوْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِيقَاتٍ مُعَيَّنٍ، لاَ يَتَقَدَّمُ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ يَتَأَخَّرُ، وَاللهُ لاَ يُعْجِزُهُ شَيءٌ.

بِمَسْبُوقِينَ - بِعَاجِزِينَ أَوْ بِمَغْلُوبِينَ.

(أَمْثَالَكُمْ)

(٦١) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ

(٦١) - وَأَنَّهُ تَعَالَى لاَ يُعْجِزُهُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِمْ وَبِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الخَلاَئِقِ، وَأَنْ يُنْشِئَهُمْ فِيمَا لاَ يَعْلَمُونَ مِنَ الأَطْوَارِ وَالأَحْوَالِ التِي لاَ يَعْهَدُونَهَا وَلاَ يَعْرِفُونَهَا.

(٦٢) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ

(٦٢) - وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ أَنْشَأَكُمْ مِنْ عَدَمٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئاً، فَخَلَقَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ، فَهَلاَّ تَتَذَكَّرُونَ، وَتَعْرِفُونَ أَنَّ الذِي قَدَرَ عَلَى إِنْشَاءِ النَّشْأَةِ الأُولَى قَادِرٌ عَلَى النَّشْأَةِ الأُخْرَى، وَهِيَ البَعْثُ وَالإِعَادَةُ، وَالإِعَادَةُ أَسْهَلُ مِنَ الابْتِدَاءِ.

(٦٣) أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ

(أَفَرَأَيْتُمْ)

(٦٣) - وَهَذَا الحَرْثُ الذِي تَقُومُونَ بِهِ مِنْ شَقِّ التُّرْبَةِ وَإِثَارَتِهَا وَوَضْعِ البِذَارِ فِي الأَرْضِ.

(٦٤) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ

(أأنْتُم) (الزَّارِعُونَ)

(٦٤) - هَلْ أَنْتُم الذِينَ تُنْبِتُونَهُ مِنَ الأَرْضِ وَتُصَيِّرُونَهُ زَرْعاً؟ أَمْ نَحْنُ الذِينَ نَفْعَلُ ذَلِكَ؟.

(٦٥) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ

(لَجَعَلْنَاهُ) (حُطَاماً)

(٦٥) - بَلْ نَحْنُ الذِينَ أَنْبَتْنَاهُ بِلُطْفِنَا، وَأَلْقَيْنَاهُ إِلَيْكُمْ رَحْمَةً مِنَّا بِكُمْ، وَلَوْ شِئْنَا لأَيْبَسْنَاهُ قَبْلَ اسْتِوَائِهِ وَاسْتِحْصَارِهِ (لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً)، فَصِرْتُمْ تَتَفَكَّهُونَ فِي المَقَالَةِ، وَتُنَوِّعُونَ كَلاَمَكُمْ فِيمَا جَرَى عَلَيْكُمْ، وَتَتَعَجَّبُونَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ وَمَصِيرِهِ.

تَفَكَّهُونَ - تَتَعَجَّبُونَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ وَمَصِيرِهِ - أَوْ تُنَوِّعُونَ المَقَالَةَ.

(٦٦) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ

(٦٦) - فَتَارَةً تَقُولُونَ إِنَّنَا لَمُعَذَّبُونَ.

مُغْرَمُونَ - مُعَذَّبُونَ أَوْ مُهْلَكُونَ بِهَلاَكِ رِزْقِنَا.

(٦٧) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ

(٦٧) ـ وَتَقُولُونَ تَارَةً أُخْرَى: بَلْ نَحْنُ سَيِّئُو الحَظِّ، مَحْرُومُونَ لاَ يَثْبُتُ لَنَا مَالٌ، وَلاَ يَنْتُجُ لَنَا رِبحٌ.
مَحْرُومُونَ ـ مَمْنُوعُونَ مِنَ الرِّزْقِ بِالكُلِّيَّةِ.

(٦٨) أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ

(أفرأيْتُمُ)

(٦٨) ـ أَرَأَيْتُمْ هَذَا الماءَ الذِي تَشْرَبُونَهُ عَذْباً زُلاَلاً.

(٦٩) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ

(أأنْتُمْ)

(٦٩) ـ هَلْ أَنْتُمُ الذِينَ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّحَابِ أَمْ نَحْنُ الذِينَ أَنْزَلْنَاهُ؟ إِنَّنَا نَحْنُ المُنْزِلُونَ.
المُزْنُ ـ السَّحَابُ المُثْقَلُ بِالمَاءِ.

(٧٠) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ

(جعلْنَاهُ)

(٧٠) ـ وَلَوْ شِئْنَا لَجَعَلْنَا هَذَا المَاءَ المُنَزَّلَ مِنَ السَّحَابِ مِلْحاً شَدِيدَ المُلُوحَةِ، لاَ تَسْتَطِيعُونَ شُرْبَهُ، وَلاَ تَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي رَيِّ أَرَاضِيكُمْ، وَسَقْيِ أَنْعَامِكُمْ، فَهلاَّ شَكَرْتُمُ اللهَ رَبَّكُمْ عَلَى نِعْمَةِ إِنْزَالِ المَطَرِ عَلَيْكُمْ عَذْباً؟.
أُجاجاً ـ مِلْحاً أَوْ مُرّاً لاَ يُمْكِنُ شُرْبُهُ.

(٧١) أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ

(أفرأيْتُمُ)

(٧١) ـ أَرَأَيْتُمُ النَّارَ التِي تَقْدَحُونَهَا مِنَ الزِّنَادِ، أَوِ التِي تُشْعِلُونَهَا بِحَكِّ بَعْضِ عِيدَانِ المَرخِ بِعِيدَانِ العفَارِ؟.
تُورُونَ ـ تَقْدَحُونَ الزِّنَادَ لاسْتِخْرَاجِ النَّارِ.

(٧٢) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِـُٔونَ

(أأنْتُمْ)

(٧٢) ـ هَلْ أَنْتم الذِينَ أَنْشَأْتُمْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ التِي تَشْتَعِلُ بِهَا النَّارُ أَمْ نَحْنُ؟ إِنَّنَا لَنَحْنُ الذِينَ أَنْشَأْنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ.

(٧٣) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ

(جعلْنَاهَا) (مَتَاعاً)

(٧٣) ـ إِنَّنَا نَحْنُ الذِينَ أَنْشَأْنَا الشَّجَرَةَ التِي تُوقَدُ بِهَا النَّارُ، لِنَجْعَلَ هَذِهِ النَّارَ تَبْصِرَةً لِلْعِبَادِ فِي أَمْرِ البَعْثِ وَالمَعَادِ، لأَنَّ مَنْ أَخْرَجَ النَّارَ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الأَجْسَادِ البَالِيَةِ.
(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى: إِنَّنَا جَعَلْنَا النَّاسَ يَتَذَكَّرُونَ، بِحَرِّ نَارِ الدُّنْيَا، حَرَّ نَارِ جَهَنَّمَ فَيَحْسِبُونَ لِذَلِكَ حِسَاباً).

وَنَحْنُ جعَلْنَا النَّارَ مَنْفعَةً لِلْمُسَافِرِينَ الذِينَ يَنـزِلُونَ المفَـاوِزَ وَالقَوَاءَ مِنَ الأَرْضِ ، لِيَسْتَدْفِئُوا بِهَا، وَلِيَطْبُخوا طَعَامَهُمْ عَلَيْهَا .
المُقْوِينَ ـ المُسَافِرِينَ الذِينَ يَنْزِلُونَ بِالأَرْضِ القَوَاءِ .
القَوَاءُ ـ القَفْرُ.
تَذْكِرَةً ـ تَذْكِيرً بِنَارِ جهَنَّم، أَوْ تَبْصِرَةً لِلْعِبَادِ
مَتَاعاً ـ مَنْفَعَةً لِلْمُسَافِرِينَ أَوِ المُحْتَاجِينَ إِلَيهَا .

٧٤ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ

(٧٤) ـ فَنَزِّهْ رَبَّكَ وَمَجِّدْهُ فَهُوَ الذِي خلَقَ بِقُدْرَتِهِ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الخَلْقُ، فَيَشْكُرُوا رَبَّهُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الوَفِيرَةِ .

نصف الحزب ٥٤

٧٥ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ

(بِمَوَاقِعِ)

(٧٥) ـ يُقْسِمُ اللهُ تَعَـالَى بِمَغَارِبِ النُّجُـومِ ، عَلَى أَنَّ الأَمْـرَ لَيْسَ كَمَـا يَزْعُمُهُ المُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ القُرْآنَ سِحْرٌ وَكَهَانَةٌ وَشِعْرٌ.
لاَ أُقْسِمُ ـ **أُقْسِمُ** .
مَوَاقِعِ النُّجُومِ ـ مَسَاقِطِهَا فِي الغَرْبِ أَوْ مَنَازِلِهَا.

٧٦ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ

(٧٦) ـ وَيُؤَكِّدُ تَعَالَى أَنَّ القَسَمَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ هُوَ قَسَمٌ عَظِيمٌ، لِمَا فِيهِ مِنْ دَلاَلَةٍ عَلَى عَظِيمِ القُدْرَةِ، وَكَمَالِ الحِكْمَةِ.

٧٧ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ

(لَقُرْآنٌ)

(٧٧) ـ أَقْسَمَ تَعَالَى بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ عَلَى أَنَّ القُـرْآنَ الذِي أَنْـزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ جَمُّ المَنَافِـعِ ، عَظِيمُ الفَـوَائِدِ، لِمَا آشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ حِكَمٍ وَعِبَرٍ وَخَيْرٍ لِلْعِبَادِ.
كَرِيمٌ ـ كَثِيرُ المَنْفَعَةِ أَوْ رَفِيعُ القَدْرِ.

٧٨ فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ

(كِتَابٍ)

(٧٨) ـ وَقَدْ أُودِعَ هَذَا القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ مَصُونٍ.
مَكْنُونٍ ـ مَسْتُورٍ مَصُونٍ، عِنْدَ اللهِ، فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ.

٧٩ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ

(٧٩) ـ وَلاَ يَمَسُّ هَذَا الكِتَابَ المَكْنُونَ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ، المُنَزَّهُـونَ عَنِ الدَّنَسِ وَالرِّجْسِ وَالذُّنُوبِ، وَلاَ يَنْزِلُ بِهِ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ مِنَ المَلاَئِكَةِ.

٨٠ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(العَالَمِينَ)

(٨٠) ـ وَهُوَ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ، وَهُوَ لَيْسَ بِسِحْـرٍ وَلاَ كَهَانَـةٍ، وَلاَ مُخْتَلَقٍ وَلاَ مُفْتَرًى عَلَى اللهِ .

﴿٨١﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ

(٨١) ـ أفبهذا القرآن أنتم تكذّبون، وتتهاونون في أمره، وتريدون أن تمالئوهم في شأنه؟.

مُدْهِنُونَ ـ مكذّبون ـ ممالئون أو متهاونون.

﴿٨٢﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ

(٨٢) ـ وتجعلون شكركم لأنعم الله وأفضاله عليكم أنّكم تكذّبون بدلاً من الشكران، فتقولون: مُطِرْنا بنوء كذا. أو بنجم كذا وكذا.. وكان الأجدر بكم أن تقولوا: هو من عند الله أو هو من رزق الله.

تجعلون رزقكم ـ شكركم على الإنعام به.

﴿٨٣﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ

(٨٣) ـ فإذا كنتم تدّعون أنّه لا خالق في الوجود، وأنكم الخالقون، فهلّا أرجعتم الأنفس المحتضرة، التي بلغت الحلاقيم، وأعدتموها إلى مكانها من الأجساد؟

بلغت الحلقوم ـ كناية عن اقتراب الموت.

﴿٨٤﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ

(٨٤) ـ وأنتم جالسون أمام المحتضر تنظرون إليه، ونفسه قد بلغت الحلقوم في خروجها من الجسد.

﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ

(٨٥) ـ ورسلنا الذين جاؤوا لقبض روح المحتضر أقرب إليه منكم ولكنّكم لا تبصرونهم.

﴿٨٦﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ

(٨٦) ـ فإذا كنتم تعتقدون أنّكم غير مبعوثين، وغير محاسبين على أعمالكم.

غير مدينين ـ غير محاسبين أو غير مجزيّين بها.

﴿٨٧﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(صادقين)

(٨٧) ـ فهلّا أرجعتم الأنفس المحتضرة إلى مكانها من الجسد إن كنتم صادقين فيما تعتقدون من أنّكم لا تبعثون، ولا تحاسبون.

﴿٨٨﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ

(٨٨) ـ فإذا كان المحتضر من المقرّبين الذين آمنوا بربّهم، وفعلوا الطاعات، واجتنبوا ما حرّم الله تعالى.

﴿٨٩﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ

(جنّة)

(٨٩) ـ فيكون له راحة وفرح، وتبشّره الملائكة عند الموت بجنّة النعيم.

فروح ـ فله استراحة أو رحمة.

الريحان ـ الرزق الحسن.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠﴾

(أَصْحَاب)

(٩٠) - وَأَمَّا إِنْ كَانَ المُحْتَضَرُ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ.

﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾

(فَسلامٌ) (أَصْحَاب)

(٩١) - فَتَقُولُ لَهُ المَلائِكَةُ: لاَ بَأْس عَلَيْكَ وَأَنْتَ سَالِمٌ، أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢﴾

(٩٢) - وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الكَفَرَةِ المُكَذِّبِينَ بِاللهِ، وَبِالكُتُبِ وَالرُّسُلِ، وَبِالبَعْثِ وَالحِسَابِ..

﴿فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣﴾

(٩٣) - فَيَكُونُ قِراهُ، وَزَادُ الضِّيَافَةِ الذِي يَنْتَظِرُهُ، مَاءٌ شَدِيدَ الحَرَارَةِ.

فَنُزُلٌ - فَلَهُ قِرىً وَضِيَافَةٌ.
الحَمِيمُ - المَاءُ الذِي تَنَاهَتْ حَرَارَتُهُ فِي الشِّدَّةِ.

﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤﴾

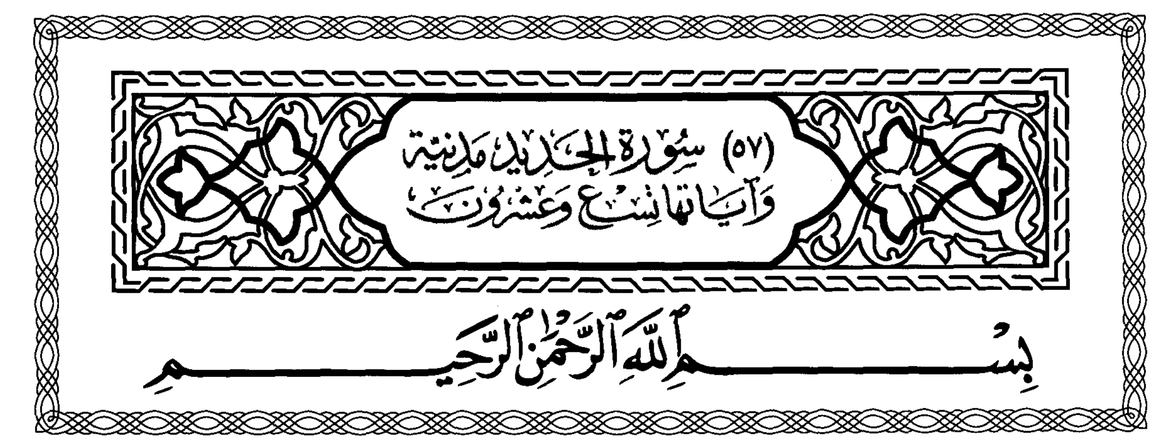
(٩٤) - وَيَدْخُلُ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَصْلاَهَا فَتَغْمُرُهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ.
تَصْلِيَةُ - مُقَاسَاةٌ لِحَرِّ النَّارِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥﴾

(٩٥) - وَهَذَا هُوَ الخَبَرُ اليَقِينُ الحَقُّ الذِي لاَ شَكَّ فِيهِ.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾

(٩٦) - وَبَعْدَ أَنِ آسْتَبَانَ الحَقُّ، وَظَهَرَ اليَقِينُ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ، وَنَزِّهْهُ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَنَابِهِ الكَرِيمِ.



(١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(السَّماوَاتِ)

(١) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعالَى عِبادَهُ بأنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّماوَاتِ، وَمَا فِي الأَرْضِ تَعْظِيماً لَهُ، وَإقْراراً بِربُوبِيَّتِهِ، وَخُضُوعاً لِجَلاَلِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ، وَيُنَزِّهُهُ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ وَالعَجْزِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لاَ يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ـ كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1] ـ وَهُوَ تَعَالَى العَزِيزُ الذِي لاَ يُغالَبُ، الحَكِيمُ في شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

سَبَّحَ للهِ ـ نَزَّهَهُ وَمَجَّدَهُ وَدَلَّ عَلَيهِ.

(٢) لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(السَّماوَاتِ)

(٢) ـ وَهُوَ تَعَالَى المَالِكُ المُتَصَرِّفُ فِي الوُجُودِ كُلِّهِ تَصَرُّفاً مُطْلَقاً، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

(٣) هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(الآخِرُ) (الظَّاهِرُ)

(٣) ـ وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ بِغَيْرِ حَدٍّ، وَهُوَ الآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيءٍ بِغَيْرِ نِهَايَةٍ، وَهُوَ العَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيءٍ، فَلاَ شَيءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَهُوَ البَاطِنُ فَلاَ شَيءَ أَدْنَى مِنْهُ، وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيءٍ مِنَ الوُجُودِ. فَلاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ.

الآخِرُ ـ البَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا.

الظَّاهِرُ ـ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ.

البَاطِنُ ـ الَّذِي لَيْسَ دُونَه شَيْءٌ.

(٤) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

(السَّماوَاتِ) (أَيْنَما)

(٤) ـ وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ خَلْقاً مُبْتَدأً

(١) سورة الاسراء الآية ٤٤

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

وَدَبَّـرهُنَّ، وَخلَقَ مَا فِيهِنَّ فِي سِتَّةِ أَيَّام (وَهَـذِهِ الأَيَّامُ لاَ يَعْـرِفُ كُنْهَهَا أَحَدٌ، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَتْ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيا)، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَدْخُلُ فِي الأَرْضِ مِنْ خلْقٍ، وَمَا يَنْـزِل فِيهَـا مِنْ حَبَّـاتِ المَـطَرِ، وَالحَبِّ وَالنَّـوْرِ. . . وَيَعْلَمُ مَا يَخْـرُجُ مِـنَ الأَرْضِ مِنْ زَرْعٍ وَنَبَـاتٍ وَثِمَـارٍ وَمَعَادِنَ وَمَاءٍ. . . وَيَعْلَمُ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَطَرٍ وَغَيْـرِهِ، وَيَعْلَمُ مَا يَصْعَـدُ إِلَى السَّمَاءِ مِنَ الأَرْضِ (يَعْـرُجُ فِيها) كَـالأَبْخِـرَةِ المُتَصَـاعِـدَةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. . وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِ العِبَادِ، وَنِيَّاتِهِمْ، أَيْنَمَا كَانُوا، وَيَعْلَمُ مُتَقَلَّبَهُمْ وَمَثْوَاهُمْ .

اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ - اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

٥ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

(السَّماوَاتِ)

(٥) - وَهُـوَ تَعَالَى المَـالِكُ المُتَصَـرِّفُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ تَصَـرُّفاً مُطْلَقاً، وَهُوَ المُدَبِّرُ لأُمُورِهِمَا وَالنَّافِذُ الكَلِمَةِ فِيهِمَا، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ التَّامِّ.

٦ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

(اللَّيْلَ) (اللَّيْلِ)

(٦) - وَهُـوَ المُتَصَـرِّفُ فِي الخَلْقِ، يُقَلِّبُ اللَّيْـلَ والنَّهَـارَ، وَيُقدِّرُهُمـا بِحِكْمَتِهِ كما يَشَاءُ، فَتَارَةً يَطُولُ اللَّيْلُ وَيَقْصُرُ النَّهار، وَتَارَةً يَقْصُرُ اللَّيْـلُ وَيَـطُولُ النَّهارُ، وَهُـوَ الـذِي يُقَلِّبُ الفُصُـولَ، وَهُـوَ العَلِيمُ بِمَـا تُخْفِيـهِ الصُّدُورُ.

يُولِجُ - يُدْخِلُ.

٧ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ

(آمِنُوا) (آمَنُوا)

(٧) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِـالإِيمَانِ بِـهِ، وَبِرَسُـولِهِ مُحَمَّـدٍ ﷺ، عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ، وَيحثُّهُمْ عَلَى الإِنْفَاقِ فِي أَوْجُهِ الطَّاعَـاتِ، مِنَ المَالِ الذي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ، وَجَعَلَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ عَلَى سَبِيلِ الأَمَانَةِ أَوِ الإِعَارَةِ، لأَنَّ هَذَا المَالَ كَانَ مِنْ قَبْلُ، فِي أَيدِي أُنَاسٍ آخَرِينَ، فَصَارَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ يَمُوتُونَ هُمْ وَيَتْرُكُونَهُ فَيَخْلُفُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ.

وَيُرَغِّبُ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ فِي الإِنْفَاقِ فِي أَوْجُهِ الطَّاعَاتِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَأَنْفَقُوا فِي أَوْجُهِ الخَيْرِ وَالبِرِّ سَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ جَزَاءً حَسَناً، وَسَيُؤْتِيهِمْ أَجْراً كَبِيراً.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَقُولُ آبْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ). (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

﴿٨﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(مِيثاقَكُمْ)

(٨) - وَأَيُّ شَيءٍ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الإِيْمَانِ بِاللهِ، وَالرَّسُولُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يَدْعُوكُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَيُبَيِّنُ لَكُم الحُجَجَ والبَرَاهِينَ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَقَدْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْكُمُ المِيثَاقَ، بِمَا نَصَبَ لَكُمْ مِنَ الأَدِلَّةِ فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ، عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى دَلِيلٍ لِتُؤْمِنُوا (أَوْ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالدَّلِيلِ إِذَا جَاءَكُمْ).

﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(آياتٍ) (بَيِّناتٍ) (الظُّلُماتِ) (لَرَؤُوفٌ)

(٩) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يُنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ، لِيُخْرِجَكُمْ بِهَا مِنْ ظُلُمَاتِ الكُفْرِ، إِلَى نُورِ الإِيْمَانِ، وَمِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الهُدَى، وَمِنْ رَأْفَتِهِ بِكُمْ جَعَلَ لَكُمْ عُقُولاً وَأَفْهَاماً لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْكُم الرُّسُلَ بِالكُتُبِ مِنْهُ تَعَالَى لِتَهْتَدُوا بِهَا إِلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ، وَإِلَى عَمَلِ الخَيْرِ، وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، لِيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ وَيُجَنِّبَكُمْ عَذَابَ النَّارِ، وَاللهُ عَظِيمُ الرَّأْفَةِ بِالعِبَادِ، وَاسِعُ الرَّحْمَةِ لَهُمْ.

﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(مِيراثُ) (السَّماوَاتِ) (قَاتَلَ) (أُولَئِكَ) (قَاتَلُوا)

(١٠) - وَمَا لَكُم يَا أَيُّها النَّاسُ لَا تُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوالِكم فِي سَبِيلِ اللهِ؟ أَتَخْشَوْنَ الفَقْرَ إِنْ أَنْفَقْتُمْ؟ أَنْفِقُوا وَلَا تَخْشَوْا شَيْئاً، فَإِنَّ الذِي أَنْفَقْتُمْ أَمْوالَكُمْ فِي سَبِيلِهِ هُوَ مَالِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ بِرِزْقِكُمْ، وَبِالإِخْلَافِ عَلَيْكُم ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[1]. ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى تَفَاوُتَ دَرَجَاتِ المُنْفِقِينَ، بِحَسَبِ تَفَاوُتِ أَحْوَالِهِم، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَوِي مَنْ آمَنَ، وَهَاجَرَ، وَأَنْفَقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ (أَوْ قَبْلَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ عَلَى قَوْلٍ)، مَعَ مَنْ آمَنَ، وَأَنْفَقَ بَعْدَ الفَتْحِ، فَالأَوَّلُونَ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ المُؤْمِنِينَ قَبْلَ الفَتْحِ كَانُوا قَلِيلِي العَدَدِ، وَوَاجِبَاتُهُمْ كَثِيرَةٌ وَثَقِيلَةٌ، أَمَّا بَعْدَ الفَتْحِ فَقَدِ انْتَشَرَ الإِسْلَامُ، وَأَمِنَ النَّاسُ. وَاللهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ العِبَادُ.

(وَجَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ قَوْلُهُ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

(١) سورة سبأ الآية ٣٩.

لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ).
(رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).
قَبْلَ الفَتْحِ - فَتْحِ مَكَّةَ أَوْ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.
الحُسْنَى - المَثُوبَةُ الحَسَنَةُ.

﴿١١﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ

(فَيُضَاعِفَهُ)

(١١) - مَنْ هَذَا الذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَطَمعاً فِي مَثُوبَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، مُحْتَسِباً أَجْرَهُ عِنْدَ اللهِ، فَيَعُدُّ اللهُ لَهُ ذَلِكَ قَرْضاً للهِ تَعَالَى، فَيُضَاعِفُ لَهُ ذَلِكَ القَرْضَ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، وَيُثِيبُهُ مَثُوبَةً كَرِيمَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ يَوْمَ القِيَامَةِ؟
قَرْضاً حَسَناً - طَيِّبَةً نَفْسُهُ بِهِ أَوْ مُحْتَسِباً بِهِ.

﴿١٢﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(الْمُؤْمِنَاتِ) (وَبِأَيْمَانِهِمْ) (بُشْرَاكُمُ) (جَنَّاتٌ) (الأَنْهَارُ)(خَالِدِينَ)

(١٢) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ تَرَى المُتَصَدِّقِينَ، مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، وَتَكُونُ كُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَتَقُولُ لَهُمُ المَلاَئِكَةُ الكِرَامُ: أَبْشِرُوا بِجَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا جَزَاءً لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى إِيمَانِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ، وَهَذَا الذِي فُزْتُمْ بِهِ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ.

﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ

(الْمُنَافِقُونَ) (الْمُنَافِقَاتُ) (آمَنُوا) (ظَاهِرُهُ)

(١٣) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ لِلْمُؤْمِنِينَ الذِينَ سَعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَاتَّبَعُوهُ وَنَجَوْا: انْتَظِرُونَا لِنَلْحَقَ بِكُمْ، وَنَقْتَبِسَ مِنْ نُورِكُمْ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الظُّلْمَةِ التِي نَحْنُ فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُمْ: ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُمْ، وَاطْلُبُوا لأَنْفُسِكُمْ نُوراً، فَلاَ سَبِيلَ لأَحَدٍ أَنْ يَقْتَبِسَ مِنْ نُورِ أَحَدٍ، فِي هَذَا اليَوْمِ، فَيَرْجِعُ المُنَافِقُونَ إِلَى حَيْثُ كَانُوا فَلاَ يَجِدُونَ شَيْئاً فَإِذَا أَرَادُوا العَوْدَةَ لِلَّحَاقِ بِالمُؤْمِنِينَ، ضُرِبَ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُنَافِقِينَ بِسُورٍ يَفْصِلُ بَيْنَ الجَنَّةِ، التِي دَخَلَهَا المُؤْمِنُونَ، لِيَنْعَمُوا فِيهَا، وَبَيْنَ العَذَابِ الذِي أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لِلْكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ لِيَذُوقُوهُ.
انْظُرُونَا - انْتَظِرُونَا.
نَقْتَبِسْ - نُصِبْ وَنَأْخُذْ وَنَسْتَضِيءْ.
بِسُورٍ - بِحَاجِزٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ (الأَعْرَافِ)

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾

(١٤) - وَيُنَادِي المُنَافِقُونَ المُؤْمِنِينَ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّنا كُنَّا مَعَكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، نُصَلِّي مَعَكُمْ الجُمَعَ وَالجَمَاعَاتِ، وَنَشْهَدُ مَعَكُمْ الغَزَوَاتِ، وَنَقِفُ مَعَكُمْ فِي عَرَفَاتٍ.. فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ: نَعَمْ لَقَدْ كُنْتُمْ مَعَنَا لَكِنَّكُمْ أَهْلَكْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي النِّفَاقِ، وَٱنْتَظَرْتُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الحَوَادِثَ المُهْلِكَةَ، وَشَكَكْتُمْ فِي أُمُورِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَخَدَعَتْكُمُ الأَمَانِيُّ وَالآمَالُ، وَقُلْتُمْ سَيَغْفِرُ اللهُ لَنَا، وَأَخَّرْتُمُ التَّوْبَةَ إِلَى اللهِ، وَمَا زِلْتُمْ كَذَلِكَ حَتَّى حَضَرَكُمْ المَوْتُ، وَخَدَعَكُمُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَكُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا يُعَذِّبُكُمْ.

الغَرُورُ - الشَّيْطَانُ المُخَادِعُ.

غَرَّتْكُمُ الأَمَانِي - خَدَعَتْكُمُ الأَبَاطِيلُ.

تَرَبَّصْتُمْ - ٱنْتَظَرْتُمْ أَنْ تَحِلَّ بِالمُؤْمِنِينَ صُرُوفُ الدَّهْرِ

فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ - أَهْلَكْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالمَعَاصِي وَالنِّفَاقِ.

فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

(مَأْوَاكُم) (مَوْلَاكُمْ)

(١٥) - فَالْيَوْمَ لَا مَهْرَبَ لَكُمْ، وَلَا لِلْكَافِرِينَ، مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الافْتِدَاءِ مِنْهُ وَلَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ بِمِثْلِ الأَرْضِ ذَهَباً، وَسَتَصِيرُونَ جَمِيعاً إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَسَتَكُونُ هِيَ مَأْوَاكُمْ وَمَثْوَاكُمْ وَمُتَقَلَّبَكُمْ، وَهِيَ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ آخَرَ، وَسَاءَتْ مَصِيراً.

مَوْلَاكُمْ - النَّارُ أَوْلَى بِكُمْ.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾

(آمَنُوا) (الْكِتَابَ) (فَاسِقُونَ)

(١٦) - أَلَمْ يَحِنِ الوَقْتُ الذِي تَرِقُّ فِيهِ قُلُوبُ المُؤْمِنِينَ، وَتَخْضَعُ حِينَ سَمَاعِهِمْ القُرْآنَ وَالمَوَاعِظَ، فَتَأْخُذُ بِمَا أَمَرَ اللهُ، وَتَنْتَهِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ؟ فَلَا يُشَابِهُ المُؤْمِنُونَ أَهْلَ الكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى الذِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَأَمَرَهُمْ بِالالْتِزَامِ بِمَا جَاءَ فِيهِمَا، وَلَمَّا بَعُدَ العَهْدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِمْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ تَعُدْ تُؤَثِّرُ فِيهَا المَوَاعِظُ التِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ اللهِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِمْ، وَتَفَرَّقُوا شِيَعاً وَٱخْتَلَفُوا، وَحَرَّفُوا الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَخَرَجَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ عَنِ الحُدُودِ التِي شَرَعَهَا اللهُ لَهُمْ.

أَلَمْ يَأْنِ - أَلَمْ يَحِنِ الوَقْتُ.

الأَمَدُ - الأَجَلُ أَوِ الزَّمَانُ.

(١٧) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(١٨) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ

(١٩) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

(٢٠) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا

(الآيَاتِ)

(١٧) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ أَنَّهُ يُلَيِّنُ القُلُوبَ بَعْدَ قَسْوَتِهَا، وَيَهْدِي القُلُوبَ الحَائِرَةَ بَعْدَ ضَلاَلِهَا، وَيُفَرِّجُ الكُرَبَ بَعْدَ شِدَّتِهَا. وَكَمَا أَنَّهُ تَعَالَى يُحْيِي الأَرْضَ المُجْدِبَةَ اليَابِسَةَ بِالمَطَرِ، كَذَلِكَ يُحْيِي القُلُوبَ القَاسِيَةَ بِالقُرْآنِ، وَمَوَاعِظِهِ، وَحُجَجِهِ وَدَلاَئِلِهِ، وَيُدْخِلُ إِلَيها النُّورَ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُحْكَمَةَ الإِغْلاَقِ، لاَ يَصِلُ إِلَيهَا شيءٌ.

(المُصَّدِّقَاتِ) (يُضاعَفُ)

(١٨) - إِنَّ المُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ بِأَمْوَالِهِمْ عَلَى المُحْتَاجِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَهُمْ لاَ يَبْتَغُونَ مِنْ وَرَاءِ عَمَلِهِمْ هَذَا إِلاَّ رِضْوَانَ اللهِ وَثَوَابَهُ وَجَنَّتَهُ، يُضَاعِفُ اللهُ لَهُمُ الحَسَنَاتِ، وَيَتَجَاوَزُ لَهُمْ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَيُجْزِلُ لَهُمُ الأَجْرَ يَوْمَ الحِسَابِ فِي الآخِرَةِ.
المُصَّدِّقِينَ - المُتَصَدِّقِينَ.

(آمَنُوا) (أُولَئِكَ) (بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(١٩) - وَالذِينَ آمَنُوا بِوُجُودِ اللهِ تَعَالَى، وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَآمَنُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَهُؤُلاَءِ عِنْدَ اللهِ فِي مَنْزِلَةِ الصِّدِّيقِينَ الذِينَ أَلِفُوا الصِّدْقَ حَتَّى صَارَ لَهُمْ خُلُقاً وَسَجِيَّةً، وَالذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفِي سَبِيلِ نَصْرِ دِينِهِ، لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَهُمْ نُورٌ عَظِيمٌ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيَسِيرُوا عَلَى هُدَاهُ، وَهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِي مَرَاتِبِهِمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.
أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، وَحُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ، فَهُؤُلاَءِ يَكُونُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً لاَ يَحُولُونَ عَنْهَا وَلاَ يَزُولُونَ.

(الْحَيَاةُ) (الأَمْوَالِ) (وَالأَوْلاَدِ) (فَتَرَاهُ) (حُطاماً) (رِضْوَانٌ) (الْحَيَاةُ) (مَتَاعُ)

(٢٠) - وَاعْلَمُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيسَتْ إِلاَّ مَتَاعاً لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَالزِّينَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالمُبَاهَاةِ بِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ، وَمَا مَثَلُهَا فِي نَضْرَتِهَا، وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا، وَانْقِضَائِهَا إِلاَّ مَثَلُ أَرْضٍ أَصَابَهَا مَطَرٌ غَزِيرٌ فَأَخْرَجَتْ مِنَ النَّبَاتَاتِ مَا أَعْجَبَ الزُّرَّاعَ وَسَرَّهُمْ، وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالِ إِذْ بِهَذَا النَّبَاتِ قَدْ صَوَّحَ وَاصْفَرَّ وَأَخَذَ فِي اليَبَسِ وَالجَفَافِ، ثُمَّ

ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغۡفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٌۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ

يَصِيرُ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ. وَفِي الآخِرَةِ يَجِدُ النَّاسُ أَمَامَهُمْ إِمَّا عَذَاباً أَلِيماً جَزَاءً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، إِنْ كَانُوا قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا، وَعَمِلُوا لَهَا، وَانْهَمَكُوا فِي مَلَذَّاتِهَا، وَإِمَّا ثَوَاباً كَرِيماً، وَرِضْوَاناً مِنَ اللهِ، إِنْ كَانُوا قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الدُّنْيَا، وَعَمِلُوا فِي دُنْيَاهُمْ لآخِرَتِهِمْ، وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ زَائِلٌ خَادِعٌ يَغُرُّ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا دَارَ سِوَى هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا.

تَكَاثُرٌ - مُبَاهَاةٌ وَتَطَاوُلٌ بِالعَدَدِ وَالعُدَدِ.

أَعْجَبَ - رَاقَ.

يَهِيجُ - يَيْبَسُ.

يَكُونُ حُطَاماً - يُصْبِحُ فُتَاتاً مُتَنَاثِراً مُتَكَسِّراً.

٢١ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ

(آمنوا)

(٢١) - سَابِقُوا يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ أَقْرَانَكُمْ فِي مِضْمَارِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَقُومُوا بِمَا كَلَّفَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنَ الوَاجِبَاتِ، يُدْخِلْكُمْ رَبُّكُمْ جَنَّةً وَاسِعَةً عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَقَدْ أَعَدَّهَا اللهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ. وَهَذَا الذِي أَهَّلَهُمُ اللهُ لَهُ هُوَ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ كَثِيرُ العَطَاءِ، فَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا شَاءَ كَرَماً وَتَفَضُّلاً.

سَابِقُوا - سَارِعُوا مُسَابِقِينَ غَيْرَكُمْ.

٢٢ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ

(كتاب)

(٢٢) - مَا أَصَابَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مَصَائِبَ فِي آفَاقِ الأَرْضِ كَقَحْطٍ وَجَدْبٍ وَقِلَّةِ رِزْقٍ... وَمَا أَصَابَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَسْقَامٍ وَنَكَبَاتٍ.. إِلَّا وَهُوَ مَسْطُورٌ فِي أُمِّ الكِتَابِ عِنْدَ اللهِ، قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ اللهُ هَذِهِ الخَلِيقَةَ (أَوْ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ اللهُ هَذِهِ النُّفُوسَ)، وَعِلْمُ اللهِ السَّابِقُ بِمَا سَيَقَعُ مِنْ أَحْدَاثٍ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ، وَإِثْبَاتُهُ فِي كِتَابٍ، هُوَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ.

نَبْرَأَهَا - نَخْلُقَ هَذِهِ الكَائِنَاتِ أَوِ النُّفُوسَ.

٢٣ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ

(آتاكم)

(٢٣) - وَقَدْ أَعْلَمَكُمُ اللهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقَدُّمِ عِلْمِهِ لِمَا سَيَقَعُ مِنَ الأَحْدَاثِ، وَبِسَبْقِ كِتَابَتِهِ كُلَّ مَا سَيَقَعُ قَبْلَ حُدُوثِهِ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكُمْ، فَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَتَحَسَّرُوا، وَلِكَيْلَا تَقُولُوا: لَوْ فَعَلْنَا كَذَا لَكَانَ كَذَا، وَلَوْ لَمْ نَفْعَلْ كَذَا لَمَا كَانَ كَذَا.

وَلِكَيْلا تَفْخَرُوا عَلَى النَّاسِ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَعْيِكُمْ، وَلاَ بِكَدِّكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدَرِ اللهِ وَرِزْقِهِ، فَلاَ تَتَّخِذُوا نِعْمَةَ اللهِ أَشَراً وَبَطَراً، وَتَفْخَرُوا بِهَا عَلَى النَّاسِ.

المُخْتَالُ - المُتَكَبِّرُ بِسَبَبِ فَضْلَةٍ يَرَاهَا فِي نَفْسِهِ.

الفَخُورُ - المُبَاهِي بِالأَشْيَاءِ العَارِضَةِ كَالمَالِ وَالجَمَالِ.

لِكَيْلا تَأْسَوْا - لِكَيْلا تَحْزَنُوا حُزْنَ قُنُوطٍ.

(٢٤) ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ

(٢٤) - الذِينَ يُمْسِكُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِعَدَمِ الإِنْفَاقِ، فَإِنَّهُم لاَ يَضُرُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ، وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ فِعْلِ الخَيْرِ، وَعَنِ الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ النَّاسِ جَمِيعاً، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ، وَصَدَقَاتِهِمْ، وَإِنْفَاقِهِمْ، وَهُوَ المَحْمُودُ عِنْدَ خَلْقِهِ لِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

(٢٥) لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ

(بِالْبَيِّنَاتِ) (الْكِتَابَ) (مَنَافِعُ)

(٢٥) - وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى الرُّسُلَ بِالمُعْجِزَاتِ وَالحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى خَلْقِهِ الكَوْنَ وَمَا فِيهِ مِنْ كَائِنَاتٍ، وَعَلَى إِرْسَالِ الرُّسُلِ مِنَ اللهِ إِلَى أَقْوَامِهِمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الكُتُبَ وَالشَّرَائِعَ، فِيهَا الهِدَايَةُ لِلنَّاسِ، وَفِيهَا صَلاَحُ أُمُورِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَتَعَامَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالعَدْلِ، وَبِأَلاَّ يَظْلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَداً. وَلَمَّا كَانَ لاَ بُدَّ لإِقَامَةِ العَدْلِ مِنْ سُلْطَةٍ وَقُوَّةٍ وَسِلاَحٍ، لِذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الحَدِيدَ تُصْنَعُ مِنْهُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ وَالدُّرُوعُ وَعُدَدُ الحُرُوبِ، التِي تَرْدَعُ مَنْ يَتَجَاوَزُ الحُدُودَ، وَيَأْبَى إِقَامَةَ العَدْلِ، بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ. كَمَا جَعَلَ اللهُ فِي الحَدِيدِ مَنَافِعَ لِلنَّاسِ، يَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ، وَمَعَايِشِهِمْ، كَأَدَوَاتِ العَمَلِ وَالحَرْثِ... وَالسِّلاَحِ وَالسُّفُنِ... وَإِنَّمَا فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ مَنْ يَنْوِي آسْتِعْمَالَ السِّلاَحِ فِي نَصْرِ دِينِ اللهِ، وَمَنْ يَنْوِي آسْتِعْمَالَهُ فِي الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، وَاللهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ يَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ آحْتِيَاجٍ مِنْهُ إِلَى الخَلْقِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ الجِهَادَ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ.

المِيزَانَ - العَدْلَ وَأَمَرَ بِهِ - أَوْ هُوَ المِيزَانُ المُسْتَعْمَلُ فِي الوَزْنِ.

أَنْزَلْنَا الحَدِيدَ - خَلَقْنَاهُ أَوْ هَيَّأْنَاهُ لِلنَّاسِ.

بَأْسٌ شَدِيدٌ - قُوَّةٌ شَدِيدَةٌ.

(٢٦) وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ

(إِبْرَاهِيمَ) (الْكِتَابَ) (فَاسِقُونَ)

(٢٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مُنْذُ أَنْ أَرْسَلَ نُوحاً نَبِيّاً إِلَى قَوْمِهِ، لَمْ يُرْسِلْ بَعْدَهُ رَسُولاً، وَلاَ نَبِيّاً إِلاَّ مِنْ ذُرِّيَتِهِ، ثُمَّ بَعَثَ اللهُ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ

وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ

السَّلَامُ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَقَدِ افْتَرَقَتْ ذُرِّيَّةُ نُوحٍ وَذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعْدِهِمَا فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ مُهْتَدِيَةٌ إِلَى الحَقِّ مُسْتَبْصِرَةٌ بِهِ، وَفِرْقَةٌ ضَالَّةٌ مُتَّبِعَةٌ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ.

(٢٧) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا
وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا
كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ

(آثَارِهِمْ) (آتَيْنَاهُ) (كَتَبْنَاهَا) (رِضْوَانِ) (فَآتَيْنَا) (آمَنُوا) (فَاسِقُونَ)

(٢٧) - وَبَعْدَ إِبْرَاهِيمَ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى رُسُلاً كَثِيرِينَ، وَكَانَ آخِرَهُمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الإِنْجِيلَ، وَفِيهِ شَرْعُ اللهِ وَوَصَايَاهُ، وَقَدْ جَاءَ عِيسَى مُكَمِّلاً لِلتَّوْرَاةِ، وَمُخَفِّفاً بَعْضَ أَحْكَامِهَا التِي شُرِعَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، بِسَبَبِ نَقْضِهِمْ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، وَجَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِ النَّصَارَى أَتْبَاعِ عِيسَى، الذِينَ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِ، رَأْفَةً وَرَحْمَةً فِي التَّعَامُلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَابْتَدَعُوا رَهْبَانِيَّةً لَمْ يَفْرِضْهَا اللهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا فَرَضُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَلَباً لِرِضْوَانِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ، فَانْقَطَعُوا عَنِ الدُّنْيَا وَمَلَذَّاتِهَا، وَلَكِنَّ الكَثِيرِينَ مِنْهُمْ لَمْ يُحَافِظُوا عَلَى هَذِهِ الرَّهْبَانِيَّةِ المُبْتَدَعَةِ، وَلَمْ يَقُومُوا بِهَا، فَأَعْطَى اللهُ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ مِنْهُمْ أَجْراً عَظِيماً، ثَوَاباً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَكِنَّ الكَثِيرِينَ مِنْهُمْ فَسَقُوا وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ، وَارْتَكَبُوا المُنْكَرَاتِ، وَسَيُعَاقِبُهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَتِهِ.

قَفَّينَا عَلَى آثَارِهِمْ - أَتْبَعْنَاهُمْ وَبَعَثْنَاهُمْ.

الذِينَ اتَّبَعُوهُ - مَوَدَّةً وَلِيناً وَشَفَقَةً.

رَهْبَانِيَّةً - مُغَالاَةً فِي التَّعَبُّدِ وَالتَّقَشُّفِ.

مَا كَتَبْنَاهَا - لَمْ نَفْرِضْهَا عَلَيْهِمْ.

(٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ
مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (آمِنُوا)

(٢٨) - يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، عَلَى تَقْوَى اللهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالإِيْمَانِ بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَعِدُهُمْ إِنْ هُمْ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ، وَاتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا العَمَلَ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ ضِعْفَيْنِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِنَبِيِّهِمْ، وَبِالأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ قَبْلَهُ، وَأَجْراً آخَرَ لإِيْمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ، وَأَنَّهُ سَيَجْعَلُ لَهُمْ هُدًى وَنُوراً يَمْشُونَ بِهِ فَيُجَنِّبُهُمْ العَمَى وَالضَّلاَلَةَ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيُعْلِمُهُمْ بِأَنَّ اللهَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ لِمَنْ شَاءَ، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ، يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ إِنْ أَحْسَنُوا التَّوْبَةَ إِلَيهِ.

﴿٢٩﴾ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ

(وَرُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ حِينَمَا فَخَرَ مُؤْمِنُو أَهْلِ الكِتَابِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتِ الآيَةُ ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَـوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَينِ﴾[1] فَجَعَلَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ أَجْرَينِ وَزَادَهُمْ نُوراً).

وَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ:

- رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ.
- وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوالِيهِ فَلَهُ أَجْرَانِ.
- وَرَجُلٌ أَدَّبَ أَمَتَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ).

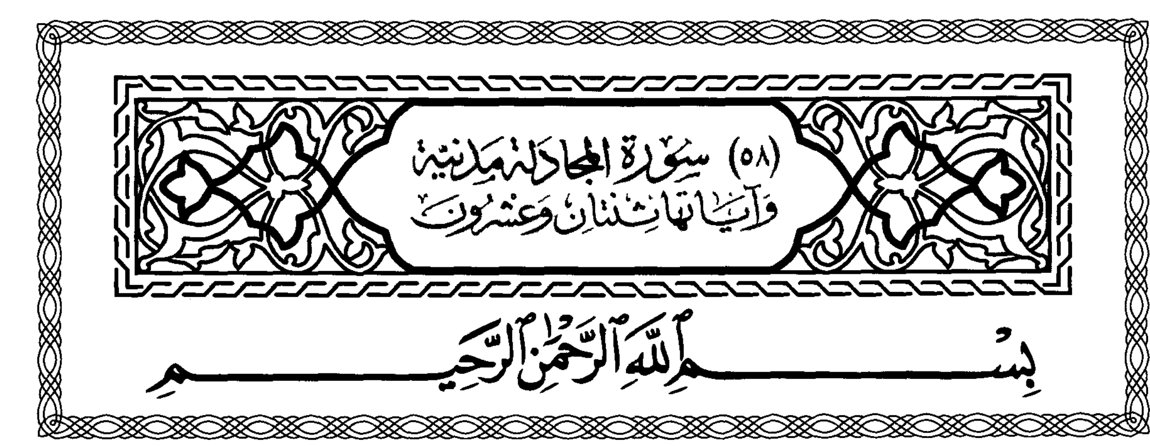
(رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

(الْكِتَاب)

(٢٩) - وَقَدْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنَّهُمْ لا يَنَالُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ مِنَ الأَجْرَينِ شَيئاً، وَلاَ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ نَيْلِهِ مَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ؛ وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ، كَثِيرُ العَطَاءِ، يَمْنَحُ فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلاَ يَخُصُّ قَوماً دُونَ قَوْمٍ.

لِئَلاَّ يَعْلَمَ - لِيَعْلَمَ.

(١) سورة القصص الآية ٥٤.





(١) قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

(تُجادِلُك)

(١) - هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَزَوْجِها أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ أَوْسٌ قَدْ كَبِرَ، وَسَاءَ خُلُقُهُ، فَدَخَلَ عَلَى زَوْجِهِ يَوْماً فَراجَعَتْهُ فِي شَيءٍ فَغَضِبَ، وَقَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلِيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. وَكَانَ الرَّجُلُ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا قَالَ هَذَا القَوْلَ حَرُمَتْ عَلَيْهِ زَوْجُهُ أَبداً.

ثُمَّ أَرَادَ أَوْسٌ مُراجَعَةَ زَوْجَتِهِ فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: وَاللهِ لاَ تَمسُّني حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَقصُّ عَلَيهِ قِصَّتَهَا، وَتَشْتَكِي إِليهِ أَنَّهَا إِذَا فَارَقَتْهُ، وَضَمَّتْ أَوْلاَدَهَا إِليهَا جَاعُوا، لأَنَّهَا لاَ مَالَ لَهَا، وَإِنْ تَرَكَتْهُمْ لأَبِيهِمْ ضَاعُوا. ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَأَخَذَتْ تَبُثُّ شَكْوَاهَا إِلَى اللهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَاتِ. (وَتُعْرَفُ بِآيَاتِ الظِّهَارِ).

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ سَمِعَ شَكْوَى المَرْأَةِ التِي جَاءَتْ تُرَاجِعُ النَّبِيَّ ﷺ فِي شَأْنِ زَوْجِهَا، وَتَبُثُّ شَكْوَاهَا إِلَى رَبِّهَا، وَهُوَ تَعَالَى يَسْمَعُ كُلَّ مَا تَتَرَاجَعَانِ بِهِ مِنَ الكَلاَمِ، وَهُوَ مُحِيطٌ سَمْعُهُ بِكُلِّ مَا يُسْمَعُ، وَمُحِيطٌ بَصَرُهُ بِكُلِّ مَا يُبْصَرُ.

تُجادِلُك - تُحاوِرُكَ وَتُراجِعُكَ الكَلاَمَ.

تحاوُرَكُما - مُراجَعَتَكُما القَوْلَ.

(٢) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي

(يُظَاهِرُونَ) (نِسَائِهِمْ) (أُمَّهَاتُهُم) (اللاَّئِي)

(٢) - الذِينَ يَقَعُ مِنْهُم الظِّهَارُ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَيَقُولُ أَحَدُهُم لامْرَأَتِهِ: (أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي)، وَهُوَ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَحْرِيمَهَا عَلَى نَفْسِهِ، كَمَا تَحْرُمُ الأُمُّ عَلَى ابْنِهَا، هُمْ مُخْطِئُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ، فَزَوْجَةُ المَرءِ لَيْسَتْ أُمَّهُ، لأَنَّ

وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ

أُمَّهُ هِيَ التِي وَلَدَتْهُ دُونَ غيرِهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبِّهَ المَرْءُ أُمَّهُ بِغيرِهَا مِنَ النِّسَاءِ. وَهَؤُلاَءِ الذِينَ يَقُولُونَ هَـذَا القَوْلَ، وَيُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ، يَقُولُونَ قَوْلاً نُكراً لاَ يُجِيزُهُ الشَّرْعُ وَيَقُولُونَ كَذِباً وَزُوراً وَبَاطِلاً، لأَنَّ رَابِطَةَ الزَّوْجَةِ بِزَوْجِهَا هِيَ رَابِطَةٌ وَاسِعَةٌ خَاصَّةٌ، لَيْسَ مِثْلَهَا رَابِطَةُ الأُمِّ بِابْنِهَا، لأَنَّهَا رَابطَةٌ تَقُومُ عَلَى الاحْتِرَامِ وَالإِجْلاَلِ.

وَاللهُ كَثِيرُ العَفْوِ وَالغُفْرَانِ لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ إِلَيهِ مِمَا قَالَ، وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ تَائِباً مُنِيباً.

يُظَاهِرُونَ - يُحَرِّمُونَ نِسَاءَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَمَا تَحْرُمُ الأُمُّ عَلَى الوَلَدِ.

مُنْكَراً مِنَ القَوْلِ - قَوْلاً مُنْكَراً يُنْكِرُهُ الشَّرْعُ وَالعَقْلُ.

زُوراً - كَذِباً وَبَاطِلاً مُنْحَرِفاً عَنِ الحَقِّ.

٣ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(يُظَاهِرُونَ) (نِسائِهِمْ)

(٣) - والذِينَ يَقُولُونَ هَذَا القَوْلَ المُنْكَرَ ثُمَّ يَرْجِعُونَ عَمَّا قَالُوا، وَيُرِيدُونَ مُوَاقَعَةَ نِسَائِهِمْ، فَعَلَيْهِمْ إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ قَبْلَ التَّمَاسِّ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ الإِعْتَاقُ فِي طَوْقِهِمْ وَقُدْرتِهِمْ. وَقَدْ شَرَعَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الكَفَّارَةَ لِيَكُونَ ذَلِكَ عِظَةً لِلْمُتَسَرِّعِينَ، وَرَادِعاً لَهُمْ عَنْ أَنْ يَقَعُوا فِيهِ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِ العِبَادِ، لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

يَتَماسَّا - يَسْتَمْتِعَا بِالوِقَاعِ أَوْ دَوَاعِيهِ.

٤ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(لِلْكَافِرِينَ)

(٤) - فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقَبَةً يُعْتِقُهَا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِهِ أَنْ يَشْتَرِيَ رَقَبَةً يُعْتِقُهَا، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ شَهْرَينِ مُتَتَابِعَينِ، قَبْلَ التَّمَاسِّ، فَإِنْ أَفطَرَ يَوْماً وَاحِداً مِنَ الشَّهْرَينِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الإِفْطَارُ لِعُذْرٍ أَوْ سَفَرٍ، لِزَمَهُ أَنْ يَسْتَأْنِفَ الصِّيَامَ مِنْ جَدِيدٍ لِزَوَالِ التَّتَابُعِ.

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ هَذَا الصَّوْمَ، لِكِبَرِ سِنِّهِ، أَوْ لِمَرَضٍ أَصَابَهُ، فَعَلَيْـهِ أَنْ يُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِيناً، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نِصْفُ صَاعٍ مِنَ الحِنْطَةِ، أَوْ صَاعٌ مِنَ الشَّعِيرِ، قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ التَّمَاسُّ بَيْنَهُمَا؛ وَقَدْ فَرَضَ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُؤْمِنِينَ هَـذِهِ الكَفَّارَةَ لِيُقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، وَيُصَدِّقُوا بِرَسُولِهِ، وَيَتَقَيَّدُوا بِحُدُودِ مَا فَرَضَ اللهُ، وَلاَ يَتَجَاوَزُوهَا. وَلِلْكَافِرِينَ بِفَرَائِضِ اللهِ وَحُدُودِهِ، عَذَابٌ أَلِيمٌ.

﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ
كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ
أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ

(آيَاتٍ) (بَيِّنَاتٍ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٥) - إِنَّ الذِينَ يُعَانِدُونَ اللهَ، وَيَخْتَارُونَ لأَنْفُسِهِمْ حُدُوداً غَيْرَ الحُدُودِ التِي شَرَعَهَا اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ، سَيَلْحَقُهُمْ الخِزْيُ وَالنَّكَالُ، وَالخِذلاَنُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا لَحِقَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الكُفَّارِ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ. وَكَيْفَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ تُبَيِّنُ قَوَاعِدَ الشَّرْعِ، وَتحدُّ حُدُودَهُ، وَتُفَصِّلُ أَحْكَامَهُ، فَلاَ عُذْرَ لَهُمْ فِي مُخَالَفَتِهَا، وَالانْحِرَافِ عَنْهَا، وَلِلجَاحِدِينَ بِتِلْكَ الآيَاتِ عَذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ القِيَامَةِ.

يُحَادُّونَ - يُعَادُونَ وَيُشَاقُّونَ وَيُخَالِفُونَ.

كُبِتُوا - نَزَلَ بِهِمْ الهَوَانُ وَالخِزْيُ.

﴿٦﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

(أَحْصَاهُ)

(٦) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يَبْعَثُ اللهُ الخَلْقَ جَمِيعاً وَيَجْمَعُهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ، وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَى فِي سِجلِ أَعْمَالِهِمْ وَهُمْ قَدْ نَسُوهُ، وَاللهُ شَاهِدٌ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ، لاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ، وَلاَ يَنْسَى شَيئاً.

أَحْصَاهُ اللهُ - أَحَاطَ بِهِ عِلْماً وَسَجَّلَهُ المَلاَئِكَةُ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ.

﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ
وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا
هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ

(السَّمَاوَاتِ) (ثَلاَثَةٍ) (الْقِيَامَةِ) (أَيْنَمَا)

(٧) - وَكَيْفَ لاَ يَعْلَمُ اللهُ مَا عَمِلَ هَؤُلاَءِ، وَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَالِكُهُمَا، وَالمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، وَيَعْلَمُ مَا فِيهِمَا، فَلاَ يَتَنَاجَى ثَلاَثَةٌ إِلاَّ كَانَ مَعَهُمْ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، وَيَعْلَمُ مَا يُدَبِّرُونَ، وَلاَ يَجْتَمِعُ خَمْسَةٌ إِلاَّ وَيَكُونُ اللهُ تَعَالَى سَادِسَهُمْ، وَلاَ يَجْتَمِعُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ العَدَدِ وَلاَ أَقَلُّ، وَلاَ يَتَنَاجَوْنَ إِلاَّ كَانَ مَعَهُمْ يَسْمَعُ وَيَرى، وَيُثْبِتُ ذَلِكَ عِنْدَهُ، ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يُنَبِّئُهُمْ بِنَجْوَاهُمْ وَأَسْرَارِهِمْ، وَاللهُ تَعَالَى عَالِمٌ وَلاَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ تَصَرُّفَاتِ خَلْقِهِ.

نَجْوَى ثَلاَثَةٍ - تَنَاجِيهِمْ وَمُسَارَّتُهُمْ.

هُوَ رَابِعُهُمْ - يَعْلَمُهُ لأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى حَدِيثِهِمْ وَمُسَارَّتِهِمْ.

﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ
يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ
بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ
ٱلرَّسُولِ

(وَيَتَنَاجَوْنَ) (الْعُدْوَانِ) (مَعْصِيَةِ) (جَاؤُوكَ)

(٨) - كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ يَهُودِ المَدِينَةِ مُوَادَعَةٌ، وَكَانَ اليَهُودُ إِذَا مَرَّ أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، حَتَّى لَيَظُنَّ المُؤْمِنُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَنَاجَوْنَ بِقَتْلِهِ، أَوْ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِذَا رَأَى المُؤْمِنُ ذَلِكَ خَشِيَهُمْ فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ النَّجْوَى فَلَمْ يَنْتَهُوا، وَعَادُوا

وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

إلى النَّجْوى، فأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى هَذِهِ الآيَةَ يُبَيِّنُ لِرَسُولِهِ ما يَتَناجَوْنَ بِهِ، فَقالَ لَهُ إِنَّهُمْ يَتَناجَوْنَ بِما هُوَ إِثْمٌ فِي نَفْسِهِ، وبِما هُوَ وَبالٌ عَلَيْهِمْ، وبِما هُوَ تَعد عَلَى المُؤْمنينَ، وَتَواصٍ بِمُخالَفَةِ النَّبِيِّ.

وَدخَلَ نَفَرٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يا أَبا القاسِمِ، فَقالَ النَّبِيُّ: (وَعَلَيْكُمْ). وَكانَ هَذا النَّفَرُ مِنَ اليَهُودِ يَقْصدُ بِقَوْلِهِ هَذا الإِساءَةَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، والدُّعاءَ عَلَيْهِ، فَفَضَحَهُمْ اللهُ، وَكَشَفَ أَسْتارَهُمْ. ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ، أَنَّهُمْ كانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَيُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّ مُحَمَّداً لَوْ كانَ نَبِيّاً حَقّاً لَعَذَّبَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا بِما يَقُولُونَ، لأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ.

وَردَّ اللهُ تَعالَى عَلَيْهِمْ: قائِلاً إِنَّ جَهَنَّمَ كافِيَةٌ لِعِقابِهِمْ وعَذابِهِمْ، وَهِيَ بِئْسَ المَقَرُّ وَالمَصِيرُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ.

لَوْلاَ يُعَذِّبُنا ـ هَلاَّ يُعَذِّبُنا.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ـ كافِيهِمْ جَهَنَّمُ عَذاباً.

يَصْلَوْنَهَا ـ يَدْخُلُونَها أَوْ يُقاسُونَ حَرَّها.

٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(آمَنُوا) (تَناجَيْتُمْ) (تَتَناجَوْا) (الْعُدْوانِ) (مَعْصِية) (تَناجَوْا)

(٩) ـ وَيُؤَدِّبُ اللهُ تَعالَى عِبادَهُ المُؤْمِنِينَ لِئَلاَّ يَكُونُوا كالكَفَرَةِ وَالمُنافِقِينَ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِذا تَناجَيْتُمْ فِي أَنْدِيَتِكُمْ وَخَلَواتِكُمْ، فَلا تَفْعَلُوا كَما يَفْعَلُ أُولَئِكَ الكُفَّارُ، مِنْ أَهْلِ الكِتابِ، وَمَنْ والاهُمْ عَلَى ضَلالِهِمْ مِنَ المُنافِقِينَ، وَتَناجَوا بِما هُوَ خَيْرٌ، وَاتَّقُوا اللهَ فِيما تَفْعَلُونَ وَفِيما تَذَرُونَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ يَوْمَ القِيامَةِ، وَأَنَّهُ سَيُحاسِبُكُمْ عَلَى أَعْمالِكُمْ.

١٠ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(الشَّيْطانِ) (آمَنُوا)

(١٠) ـ إِنَّما التَّناجِي بِالإِثْمِ وَالعُدْوانِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ وَتَزْيِينِهِ، وَالشَّيْطانُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيَحْزُنَ الذِينَ آمَنُوا بِإِيهامِهِمْ أَنَّ هذِهِ النَّجْوى تَضُرُّهُمْ، وَلَكِنَّ الشَّيْطانَ لا يَضُرُّ المُؤْمِنِينَ شَيْئاً، إِلاَّ بِإِرادَةِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَعَلَى المُؤْمِنِينَ أَلاَّ يَهْتَمُّوا بِنَجْوى الكُفَّارِ وَالمُنافِقِينَ، وَلْيَتَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ.

(وَجاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِذا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَناجَ اثْنانِ دُونَ الثَّالِثِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزُنُهُ). (البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

إِنَّما النَّجْوَى ـ المَنْهِيُّ عَنْها.

لِيَحْزُنَ ـ لِيُوقِعَ الهَمَّ الشَّدِيدَ.

(١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْمَجَالِسِ) (دَرَجَاتٍ)

(١١) - رُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا رَأَوا أَحَدَهُمْ مُقْبِلاً ضَنُّوا بِمَجَالِسِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِأَنْ يُفْسِحَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الصُّفَّةِ، وَفِي المَكَانِ ضِيقٌ. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُكْرِمُ أَهْلَ بَدْرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَجَاءَ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَقَدْ سَبَقَهُمْ غَيْرُهُمْ إِلَى المَجْلِسِ، فَقَامُوا حِيَالَ رَسُولِ اللهِ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِم النَّبِيُّ. ثُمَّ سَلَّمُوا عَلَى القَوْمِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَامُوا حِيَالَ الرَّسُولِ، فَلَمْ يُفْسَحْ لَهُمْ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَدْرٍ: قُمْ يَا فُلاَنُ وَأَنْتَ يَا فُلاَنُ... فَلَمْ يَزَلْ يُقِيمُهُمْ بِعِدَّةِ النَّفَرِ الذِينَ هُمْ قِيَامٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أُقِيمَ مِنْ مَجْلِسِهِ. وَعَرَفَ النَّبِيُّ الكَرَاهَةَ فِي وُجُوهِهِمْ. وَأَرْجَفَ المُنَافِقُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: رَحِمَ اللهُ رَجُلاً يُفْسِحُ لأَخِيهِ، فَجَعَلُوا يَقُومُونَ بَعْدَ ذَلِكَ سِرَاعاً فَيُفْسِحُ القَوْمُ لإِخْوَانِهِمْ.

وَيُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَوَسَّعُوا فِي المَجَالِسِ: مَجَالِسِ رَسُولِ اللهِ، أَوْ فِي مَجَالِسِ القِتَالِ، فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ فِي مَنَازِلِكُمْ فِي الجَنَّةِ، وَإِذَا دُعِيتُمْ إِلَى القِيَامِ مِنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللهِ فَقُومُوا (انْشُزُوا)، لأَنَّ الرَّسُولَ كَانَ يُؤْثِرُ الانْفِرَادَ لِتَدْبِيرِ شُؤُونِ المُؤْمِنِينَ. (وَلاَ يَنْبَغِي لِقَادِمٍ أَنْ يُقِيمَ أَحَداً مِنْ مَجْلِسِهِ لِيَجْلِسَ مَكَانَهُ).

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لاَ يُقِمِ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا. (البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

فَإِذَا انْفَسَحَ المُؤْمِنُونَ وَنَشَزُوا، امْتِثَالاً لأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّ اللهَ يَرْفَعُهُمْ، وَيَرْفَعُ العَالِمِينَ مِنْهُمْ خَاصَّةً، دَرَجَاتٍ كَثِيرَةً فِي الثَّوَابِ وَالمَنْزِلَةِ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِ العِبَادِ، لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ - تَوَسَّعُوا فِيهَا وَلاَ تَضَامُّوا.

انْشُزُوا - انْهَضُوا لِلتَّوْسِعَةِ أَوْ لِعِبَادَةٍ أَوْ خَيْرٍ.

(١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (نَاجَيْتُمْ) (نَجْوَاكُمْ)

(١٢) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ الذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَدِّثُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، (أَيْ مُسَارَّةً)، أَنْ يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ، وَتُؤَهِّلُهُمْ لِبُلُوغِ هَذَا المُقَامِ، وَفِي تَقْدِيمِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ثَوَابٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ، وَتَزْكِيَةٌ لِلنُّفُوسِ، فَإِذَا

﴿١٣﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿١٤﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

ربع الحزب ٥٥

لَمْ يَكُنْ، مَنْ يُرِيدُ مُنَاجَاةَ الرَّسُولِ ، مِمَّنْ يَمْلِكُونَ شَيْئاً يَسْتَطِيعُونَ التَّصَدُّقَ بِهِ فَلاَ حَرَجَ عَلَيهِ إِذَا لَمْ يَتَصَدَّقْ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ لِلتَّخْفِيفِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السُّؤَالِ فَقَدْ سَأَلَهُ قَوْمٌ حَتَّى شَقُّوا عَلَيهِ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ .

(أَأَشْفَقْتُمْ) (نَجْوَاكُمْ) (صَدَقَاتٍ) (الصَّلاَةَ) (آتُوْا الزَّكَاةَ)

(١٣) - أَبَخِلْتُمْ بِالمَالِ أَنْ تُنفِقُوهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَخِفْتُم الفَقْرَ إِنْ قَدَّمْتُمُ الصَّدَقَاتِ، وَوَسْوَسَ إِلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّ هَذَا الإِنْفَاقَ فِيهِ ضَيَاعٌ لِلْمَالِ ؟ فَمَا دُمْتُمْ لَمْ تُنْفِقُوا المَالَ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَقَدْ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ، وَرَخَّصَ لَكُمْ بِالمُنَاجَاةِ مِنْ غَيرِ تَقْدِمَةِ صَدَقَاتٍ، فَتَدَارَكُوا ذَلِكَ بِالمُثَابَرَةِ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلاَةِ عَلَى وَجْهِهَا الأَكْمَلِ ، وَعَلَى دَفْعِ الزَّكَاةِ عَنْ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللهَ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ هُوَ وَرَسُولُهُ، وَانْتَهُوا عَمَّا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ العِبَادُ، وَسَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ .

أَأَشْفَقْتُمْ - أَخِفْتُم الفَقْرَ وَالعَيلَةَ .

تَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ - خَفَّفَ عَنْكُمْ بِنَسْخِ حُكْمِهَا .

(١٤) - يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُنَافِقِينَ مُوَالاَتَهُمْ لِلْيَهُودِ، وَمُنَاصَحَتَهُمْ إِيَّاهُمْ، وَنَقْلَهُمْ أَسْرَارَ المُؤْمِنِينَ إِلَيهِم . فَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ مَا مَعْنَاهُ: أَلاَ تَرَى إِلَى حَالِ هَؤُلاَءِ المُنَافِقِينَ، الذِينَ يَتَوَلَّوْنَ اليَهُودَ، الذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، لِكُفْرِهِمْ، وَلِكِتْمَانِهِمْ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ، وَهِيَ الحَقُّ الذِي يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، إِنَّهَا لَحَالٌ تُثِيرُ العَجَبَ. فَهُمْ يُنَاصِحُونَ اليَهُودَ، وَيُبَلِّغُونَهُمْ جَمِيعَ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ دَخَائِلِ المُسْلِمِينَ، اكْتِسَاباً لِوِدِّهِمْ وَصَدَاقَتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ المُؤْمِنِينَ، يَتَظَاهَرُونَ بِالإِيمَانِ، وَبِالإِخْلاَصِ لِلإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ. ثُمَّ يُخْبِرُ تَعَالَى : أَنَّ هَؤُلاَءِ المُنَافِقِينَ لَيْسُوا فِي الحَقِيقَةِ وَالوَاقِعِ مِنَ المُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَطَبَعَ الإِيْمَانُ أَعْمَالَهُمْ. وَلَمَا وَالَوا اليَهُودَ أَعْدَاءَ اللهِ، وَهُمْ فِي نَفْسِ الوَقْتِ لَيْسُوا مِنَ اليَهُودِ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ فِي دِينِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْتَفِظُوا بِمَوَدَّتِهِمْ، فَقَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَيهَا، إِذَا دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى المُؤْمِنِينَ. وَيُؤَكِّدُ هَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ إِيمَانَهُمْ وَإِخْلاَصَهُمْ، أَمَامَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَمَامَ المُؤْمِنِينَ، بِحَلْفِ الأَيْمَانِ الكَاذِبَةِ عَلَى أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مُخْلِصُونَ فِيمَا يَقُولُونَ، وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْتَقِدُونَ هُمْ أَنْفُسُهُمْ صِدْقَهُ .

تَوَلَّوْا قَوْماً - اتَّخَذُوا اليَهُودَ أَوْلِيَاءَ .

غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ - هُمُ اليَهُودُ .

(١٥) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

(١٥) ـ وَقَدْ هَيأَ اللهُ تَعالَى لَهُمْ عَذاباً شَديداً يَصْلَوْنَهُ يَوْمَ القِيامَةِ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى مُعاداةِ الرَّسُولِ وَالمُؤْمِنينَ وَغِشِّهِمْ، وَعَلَى مُوالاتِهِم الكُفَّارَ وَمُناصَحَتِهِمْ، وَساءَ عَمَلُهُمْ هَذا.

(١٦) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

(أَيْمانَهُمْ)

(١٦) ـ أَظْهَرُوا الإِيْمانَ، وَأَبْطَنُوا الكُفْرَ، وَتَسَتَّرُوا بِالإِيْمانِ الكاذِبِ، فَظَنَّ مَنْ لاَ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ حالِهِمْ أَنَّهُمْ صادِقُونَ، فاغْتَرَّ بِهِمْ، وَتَمَكَّنُوا بِذَلِكَ مِنْ صَدِّ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ، فَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَذابٌ مُهِينٌ مُذِلٌّ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَعَلَى حَلْفِهِمْ بِاسْمِ اللهِ العَظِيمِ كَذِباً وَرِياءً

جُنَّةً ـ وِقايَةً لأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ.

(١٧) لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ

(أَمْوالُهُمْ) (أَوْلاَدُهُمْ) (أُولَئِكَ) (أَصْحابُ) (خالِدُونَ)

(١٧) ـ وَلَنْ يَنْفَعَ هَؤُلاَءِ المُنافِقِينَ عِنْدَ اللهِ شَيءٌ مِما ظَنُّوهُ نافِعاً لَهُمْ مِنْ مالٍ وَمِنْ وَلَدٍ، وَلَنْ يَدْفَعَ شَيءٌ عَنْهُمْ عَذابَ اللهِ وَنَقْمَتَهُ، فَلاَ المالُ مَقْبُولٌ مِنْهُمْ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنَ العَذابِ، وَلاَ الأَوْلاَدُ قادِرُونَ عَلَى نَصْرِهِمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ، وَسَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ نارِ جَهَنَّمَ وَمِنْ أَصْحابِها، وَيَبْقَونَ فِيها خالِدِينَ أَبداً.

لَنْ تُغْنِيَ ـ لَنْ تَنْفَعَ وَلَنْ تَدْفَعَ.

(١٨) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ

(الْكاذِبُونَ)

(١٨) ـ وَاذْكُرْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ حالَهُمْ، يَوْمَ القِيامَةِ، حِينَما يَبْعَثُهُم اللهُ جَمِيعاً مِنْ قُبُورِهِمْ، فَلاَ يُغادِرُ مِنْهُمْ أَحداً، فَيَحْلِفُونَ لَهُ عَلَى أَنَّهُمْ كانُوا عَلَى الهُدَى، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُشْرِكُوا بِعِبادَتِهِ شَيئاً، فَيَقُولُونَ ﴿وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(١)، كَما يَحْلِفُونَ لَكُمُ اليَوْمَ فِي هَذِهِ الدُّنْيا، عَلَى أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ حَلْفَهُمْ أَمامَ اللهِ نافِعُهُمْ عِنْدَهُ، كَما كانَ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ العِبادِ حَلْفُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعالَى عَلَى هَؤُلاَءِ المُنافِقِينَ مُنْكِراً تَصَرُّفَهُمْ هَذا، فَيَقُولُ: أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ فِيما يَحْلِفُونَ عَلَيْهِ، وَفِيما يَظُنُّونَهُ مِنْ أَنَّ أَيْمانَهُمُ الكاذِبَةَ تَرُوجُ عِنْدَ اللهِ، وَتُنْقِذُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَعَذابِهِ.

(١٩) ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ

(الشَّيْطانُ) (فَأَنْساهُمْ) (أُولَئِكَ) (الشَّيْطانِ) (الْخاسِرُونَ)

(١٩) ـ اسْتَوْلَى الشَّيْطانُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَسَيْطَرَ عَلَيْها بِوَسْوَسَتِهِ، حَتَّى

(١) سورة الأنعام الآية ٢٣.

(٢٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ

(٢١) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

(٢٢) لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

أَنْسَاهُمْ أَنْ يَذْكُرُوا آسْمَ اللهِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا أَوَامِرَهُ، وَأَنْ يَجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، بِمَا زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ جُنُودُ الشَّيْطَانِ وَحِزْبُهُ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ لِأَنَّهُمْ فَوَّتُوا عَلَى أَنْفُسِهِم النَّعِيمَ، وَأَوْصَلُوهَا إِلَى الجَحِيمِ وَعَذَابِهِ.

آسْتَحْوَذَ - اسْتَوْلَى وَغَلَبَ عَلَى عُقُولِهِمْ.

(أُولَئِكَ)

(٢٠) - إِنَّ الذِينَ يُخَالِفُونَ أَوَامِرَ اللهِ، وَيُعَادُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَمْتَنِعُونَ عَنِ القِيَامِ بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ، هُمْ فِي جُمْلَةِ أَهْلِ الذِّلَّةِ، لِأَنَّ الغَلَبَةَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَسَيُلَاقُونَ الذِّلَّةَ فِي الدُّنْيَا بِالقَتْلِ وَالأَسْرِ وَالإِخْرَاجِ، وَفِي الآخِرَةِ بِالخِزْيِ وَالنَّكَالِ وَالعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

يُحَادُّونَ - يُعَادُونَ وَيُشَاقُّونَ وَيُخَالِفُونَ.

الأَذَلِّينَ - الزَّائِدِينَ فِي الذِّلَّةِ وَالهَوَانِ.

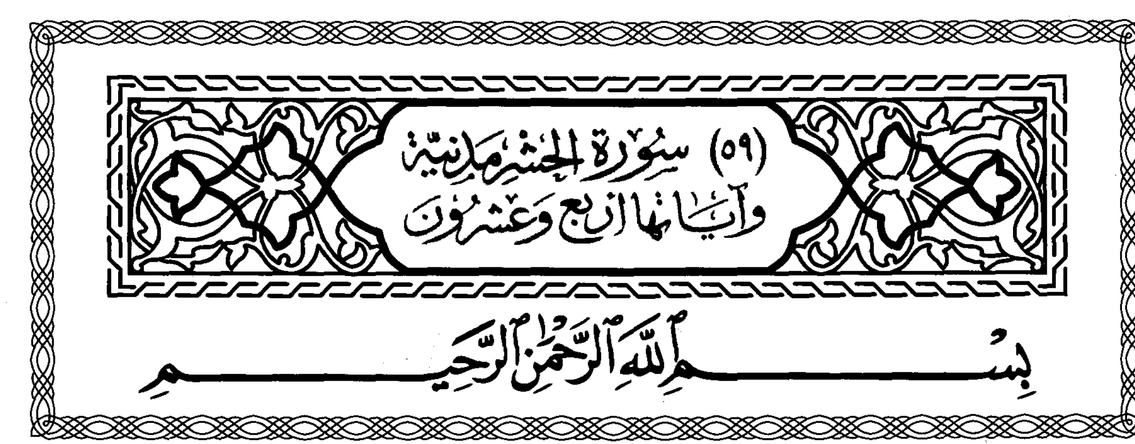
(٢١) - وَقَدْ قَضَى اللهُ تَعَالَى، وَحَكَمَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، بِأَنَّ النَّصْرَ وَالغَلَبَةَ سَتَكُونُ لَهُ تَعَالَى، وَلِرَسُولِهِ وَلِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَقَضَاءُ اللهِ نَافِذٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَا رَادَّ لَهُ، وَاللهُ قَوِيٌّ لَا يُقْهَرُ، عَزِيزٌ لَا يُغَالَبُ.

عَزِيزٌ - غَالِبٌ عَلَى أَعْدَائِهِ غَيْرُ مَغْلُوبٍ.

(الآخِرِ) (آبَاءَهُمْ) (إِخْوَانَهُمْ) (أُولَئِكَ) (الإِيمَانَ) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(٢٢) - لَا تَجِدُ قَوْماً يَجْمَعُونَ بَيْنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبَيْنَ مُوَادَّةِ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ، لِأَنَّ المُؤْمِنِينَ حَقّاً لَا يُوَالُونَ الكَافِرِينَ، وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الكَافِرُونَ هُمْ أَهْلَهُمْ، وَأَقْرِبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ، الذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيهِمْ، وَالمُؤْمِنُونَ الذِينَ يَمْتَنِعُونَ عَنْ مُوَادَّةِ الكَافِرِينَ، وَلَوْ كَانُوا أَقْرِبَاءَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ، هُمُ الذِينَ ثَبَّتَ اللهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى، وَقَوَّاهُمْ بِطُمَأْنِينَةِ القَلْبِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، وَسَيُدْخِلُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَأَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، فَأَدْخَلَهُمُ الجَنَّاتِ، وَرَضُوا بِمَا آتَاهُم اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَبِمَا عَوَّضَهُمْ بِهِ لِإِسْخَاطِهِم الأَقَارِبَ وَالأَبْنَاءَ. وَهَؤُلَاءِ هُم أَنْصَارُ اللهِ، وَجُنْدُهُ، وَحِزْبُهُ، وَأَهْلُ كَرَامَتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

بِرُوحٍ مِنْهُ - بِنُورٍ يَقْذِفُهُ فِي قُلُوبِهِمْ أَوْ بِالقُرْآنِ.



١ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ

(السَّمَاوَاتِ)

(١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ تُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَتُمَجِّدُهُ، وَتُنَزِّهُهُ عَنِ العَجْزِ وَالنَّقْصِ. وَيَكُونُ تَسْبِيحُ المَخْلُوقَاتِ لِرَبِّهَا إِمَّا بِاللِّسَانِ أَوْ بِالقَلْبِ أَوْ بِدَلاَلَةِ الحَالِ. وَاللهُ تَعَالَى هُوَ العَزِيزُ الذِي لاَ يُقْهَرُ، الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَضَائِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

(الْكِتَاب) (دِيَارِهِمْ) (فَأَتَاهُمُ) (يَا أُولِي) (الأَبْصَارِ)

(٢) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ صَالَحَ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ فِي المَدِينَةِ عَلَى أَنْ لاَ يَكُونُوا عَلَيهِ وَلاَ لَهُ. فَلَمَّا أُصِيبَ المُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، أَخَذَ اليَهُودُ فِي الدَّسِّ وَالوَقِيعَةِ، وَالتَّأْلِيبِ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَذَهَبَ زَعِيمُهُمْ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ إِلَى مَكَّةَ فَحَالَفَ قُرَيْشاً وَاسْتَحَثَّهَا عَلَى حَرْبِ الرَّسُولِ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ، وَاسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهِمْ، وَحَاوَلَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ قَتْلَ الرَّسُولِ بِطَرْحِ حَجَرٍ عَلَيْهِ مِنْ سَطْحِ أَحَدِ المَنَازِلِ، بَيْنَمَا كَانَ الرَّسُولُ يَجْلِسُ فِي ظِلِّهِ. فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنْ كَيْدِهِمْ، فَأَمَرَ الرَّسُولُ بِقَتْلِ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ - هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ - غِيْلَةً. وَتَأَهَّبَ المُسْلِمُونَ وَسَارُوا لِقِتَالِ بَنِي النَّضِيرِ. فَتَحَصَّنَ بَنُو النَّضِيرِ فِي مَوَاقِعِهِمْ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ. وَدَسَّ المُنَافِقُونَ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ - إِلَى بَنِي النَّضِيرِ - وَكَانَ حَلِيفاً لَهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ - أَنْ لاَ يَخْرُجُوا مِنْ حُصُونِهِمْ، فَإِنْ قَاتَلَهُم المُسْلِمُونَ فَإِنَّ المُنَافِقِينَ سَيَنْضَمُّونَ إِلَيهِمْ فِي قِتَالِ المُسْلِمِينَ، وَإِنْ أَخْرَجَهُم المُسْلِمُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ سَيَخْرُجُونَ مَعَهُمْ. وَجَاءَ المُسْلِمُونَ فَحَاصَرُوا بَنِي النَّضِيرِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَقَذَفَ اللهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَئِسُوا مِنْ نَصْرِ المُنَافِقِينَ، فَطَلَبُوا الصُّلْحَ، فَأَبَى الرَّسُولُ إِلاَّ جَلاَءَهُمْ عَنِ المَدِينَةِ، عَلَى أَنْ يَحْمِلَ كُلُّ ثَلاَثَةِ أَبْيَاتٍ عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ مَا شَاؤُوا مِنْ مَتَاعِهِمْ فَجَلاَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى

الشَّامِ وَالحِيرَةِ. وَعَمَدَ اليَهُودُ إِلَى بُيُوتِهِمْ فَخَرَّبُوهَا لِكَيْلا يَنْتَفِعَ المُسْلِمُونَ بِهَا، وَعَمَدُوا إِلَى مَا لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَقْلَهُ مِنْ أَثَاثِهِمْ فَدَمَّرُوهُ. وَكَانَ نَخْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خاصَّةً أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ وَخَصَّهُ بِهِ.

وَيَقُصُّ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ قِصَّةَ بَنِي النَّضِيرِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ هُوَ الذِي أَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ عَنْ دِيَارِهِمْ، بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ حُشِرُوا فِيهَا وَأُخْرِجُوا مِنَ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، لَمْ يُصِبْهُمُ الذُّلُّ قَبْلَهَا، وَكَانَ آخِرُ حَشْرٍ لَهُمْ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ حِينَ أَجْلاَهُمْ مِنْ خَيْبَرَ إِلَى الشَّامِ. وَكَانَ المُسْلِمُونَ لاَ يَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلاَءِ اليَهُودَ يُمْكِنُ أَنْ يُجْلَوا عَنِ المَدِينَةِ لِقُوَّتِهِمْ، وَشِدَّةِ بَأْسِهِمْ وَمَنَعَةِ حُصُونِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَكَانُوا هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ حُصُونَهُمْ سَتَمْنَعُهُمْ وَسَتَحْمِيهِمْ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ سُوءٌ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، فَاطْمَأَنُّوا إِلَى تِلْكَ القُوَّةِ، وَشَرَعُوا فِي الدَّسِّ وَالكَيْدِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَهُمْ بَأْسُ اللهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَتَوَقَّعُوا، وَلَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ عَلَى بَالٍ. وَبَأْسُ اللهِ لاَ يُدْفَعُ وَلاَ يُرَدُّ إِذَا جَاءَ. وَقَدْ قَذَفَ اللهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا الخَوْفُ وَالهَلَعُ حِينَ جَاءَ الرَّسُولُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا المُقَاوَمَةَ بَعْدَ قَتْلِ رَئِيسِهِمْ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، وَبَعْدَ أَنْ نَكَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُنَافِقِينَ عَنْ إِنْجَادِهِمْ، وَمَدِّ يَدِ العَوْنِ إِلَيْهِمْ، كَمَا وَعَدَهُمْ، وَأَخَذُوا، مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ هَلَعٍ وَرُعْبٍ، يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ، وَيُدَمِّرُونَ أَثَاثَهُمْ، لِكَيْلاَ يَنْتَفِعَ بِهِ المُسْلِمُونَ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ يُدَمِّرُونَ بُيُوتَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ خَارِجِهَا لِيَدْخُلُوهَا عَلَيْهِمْ، فَيَصِلُوا إِلَيْهِمْ، وَيَتَمَكَّنُوا مِنْ قِتَالِهِمْ، فَاتَّعِظُوا يَا أُولِي الأَلْبَابِ وَالبَصَائِرِ بِمَا جَرَى عَلَى هَؤُلاَءِ، وَالعَاقِلُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ.

الحَشْرُ - إِخْرَاجُ جَمْعٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ.

قَذَفَ - أَلْقَى وَأَنْزَلَ إِنْزَالاً شَدِيداً.

الذِينَ كَفَرُوا - هُمْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ.

لِأَوَّلِ الحَشْرِ - فِي أَوَّلِ إِخْرَاجٍ مِنَ الأَرْضِ.

(٣) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ

(٣) - وَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدَّرَ جَلاَءَهُمْ مِنَ المَدِينَةِ، وَخُرُوجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ عَلَى هَذَا الوَجْهِ المُهِينِ، لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا هُوَ أَفْظَعُ مِنْهُ كَالقَتْلِ وَالأَسْرِ وَالسَّبْيِ، لأَنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سَيُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ مِنَ العَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

الجَلاَءُ - الخُرُوجُ مِنَ الدِّيَارِ بِالأَهْلِ وَالوَلَدِ.

(٤) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(٤) - وَقَدْ كَتَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِم الجَلاءَ فِي الدُّنْيا، وَالعَذَابَ فِي الآخِرَةِ، لأَنَّهُمْ عَادَوا رَسُولَ اللهِ، وَكَادُوا لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَأَلَّبوا عَلَيْهِم المُشْرِكِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَقٌّ. وَمَنْ يُعَادِ اللهَ وَيُحَارِبْهُ فَإِنَّ اللهَ يُعَاقِبُهُ أَشَدَّ العِقَابِ، وَيُنْزِلُ بِهِ الخِزْيَ وَالذِّلَّةَ وَالهَوَانَ فِي الدُّنْيا، وَيُنْزِلُ بِهِ العَذَابَ الأَلِيمَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الآخِرَةِ.

شَاقُّوا - عَادَوا وَعَصَوا وَخَالَفُوا.

(٥) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ

(قَائِمَةً) (الفَاسِقِينَ)

(٥) - لَمَّا حَاصَرَ الرَّسُولُ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ فِي حُصُونِهِمْ أَمَرَ بِقَطْعِ نَخْلِهِمْ إِرْعَاباً لَهُمْ، فَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ يَقُولُونَ: إِنَّكَ تَنْهَى عَنِ الفَسَادِ، فَمَا بَالُكَ تَأْمُرُ بِقَطْعِ الأَشْجَارِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ وَفِيهَا يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنينَ: إِنَّ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ أَشْجَارِ النَّخِيلِ، وَمَا تَرَكْتُمُوهُ دُونَ قَطْعٍ فَالجَمِيعُ بِإِذْنِ اللهِ وَقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ، وَلاَ بَأْسَ عَلَيْكُمْ فِيهِ وَلاَ حَرَجَ، وَفِيهِ نِكَايَةٌ وَخِزْيٌ وَنَكَالٌ لِلفَاسِقِينَ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

لِينَةٍ - نَخْلَةٍ.

عَلَى أُصُولِهَا - عَلَى سُوقِهَا بِدُونِ قَطْعٍ.

(٦) وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(٦) - نَزَلَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى حُكْمِ النَّبِيِّ ﷺ فَفَرَضَ عَلَيْهِم الجَلاءَ، وَتَرْكَ أَمْوَالِهِمْ، إِلاَّ مَا اسْتَطَاعُوا حَمْلَهُ، فَجَعَلَ اللهُ أَمْوَالَهُمْ فَيْئاً لِرَسُولِ اللهِ، وَمَغْنَماً خَالِصاً لَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى عِيَالِهِ، ثُمَّ يُنْفِقُ البَاقِي فِي الوُجُوهِ المُقَرَّرَةِ فِي الآيَةِ التَّالِيَةِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لِلمَالِ الذِي يَغْنَمُهُ المُسْلِمُونَ مِنْ غَيرِ قِتَالٍ، وَلاَ مُصَاوَلَةٍ، وَلاَ إِيجَافِ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ، نِظَاماً خَاصّاً، وَلاَ يُقْسَمُ فِي الجَيْشِ كَمَا تُقْسَمُ الغَنَائِمُ، وَفْقاً لِمَا جَاءَ فِي سُورَةِ الأَنْفَالِ.

وَمَعْنَى الآيَةِ: إِنَّ اللهَ أَفَاءَ أَمْوَالَ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى رَسُولِهِ دُونَ قِتَالٍ إِذْ قَذَفَ اللهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ النَّبِيِّ فَقَضَى بِجَلاَئِهِمْ عَنْ أَرْضِهِمْ.

وَاللهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَيَسْتَسْلِمُونَ لَهُمْ بِدُونِ قِتَالٍ، وَاللهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، لاَ يُعْجِزُهُ شَيءٌ.

الفَيءُ - مَا أُخِذَ مِنْ أَمْوَالِ الكُفَّارِ بِغَيْرِ قِتَالٍ.

أَوْجَفَ - حَمَلَ الفَارِسُ أَوْ رَاكِبُ البَعِيرِ رَاحِلَتَهُ عَلَى الإِسْرَاعِ.

الرِّكَابُ - مَا يُرْكَبُ مِنَ الإِبِلِ - رَاحِلَةٌ.

٧ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ
ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ
كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ
مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

(اليَتَامَى) (المَسَاكِين) (آتَاكُم) (نَهَاكُمْ)

(٧) - مَا جَعلَهُ اللهُ فَيئاً لِرَسُولِهِ مِنْ أَمْوالِ الكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ القُرَى - كَبَنِي النَّضِيرِ وَخَيْبَرَ وَقُرَيْظَةَ - فَإِنَّهُ يُصْرَفُ فِي وُجُوهِ البِرِّ، وَلاَ يُقْسَمُ فِي الجَيْشِ كَالمَغْنَمِ، فَيُعْطَى لِلرَّسُولِ لِيُعْطِيَ مِنْهُ ذَوِي قُرْبَاهُ (وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي مِنْهُ بَنِي المُطَّلِبِ وَبَنِي هَاشِمٍ). وَلِلْيَتَامَى وَالفُقَرَاءِ وَلِلْمَسَاكِينِ مِنْ ذَوِي الحَاجَاتِ، وَلاِبْنِ السَّبِيلِ (وَهُوَ المُسَافِرُ الذِي نَفِدَتْ نَفقَتُـهُ)، وَقَدْ قَضَى اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ لِكَيْلاَ يَأْخُذَهُ الأَغْنِيَاءُ، وَيَتَدَاوَلُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَتَكَاثَرُوا بِهِ، فَلاَ يَصِلُ شَيءٌ مِنْهُ إِلَى الفُقَرَاءِ.

وَمَا جَاءَكُم بِهِ الرَّسُولُ مِنْ أَحْكَامٍ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَمَا أَعْطَاكُمْ الرَّسُولُ مِنَ الفَيءِ فَخُذُوهُ، فَهُوَ حَلاَلٌ لَكُمْ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَلاَ تَقْرَبُـوهُ، وَاتَّقُوا اللهَ فَامْتَثِلُوا لأَمْرِهِ، وَاتْرُكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى شَدِيدُ العِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَـأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَا أُمِرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ).

دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ - مُلْكاً مُتَدَاوَلاً بَيْنَهُمْ خَاصَّةً.

٨ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ

(المُهَاجِرِينَ) (دِيَارِهِمْ) (أَمْوَالِهِمْ) (رِضْوَاناً) (أُولَئِكَ)(الصَّادِقُونَ)

(٨) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى حَالَةَ الفُقَرَاءِ المُسْتَحِقِّينَ لِمَالِ الفَيْءِ فَيَذْكُرُ أَنَّهُم الذِينَ اضْطَرَّهُم كُفَّارُ مَكَّةَ إِلَى الخُـرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَتَـرْكِ أَمْوَالِهِمْ، وَقَـدْ فَعَلُوا ذَلِكَ طَلَبـاً لِمَرْضَـاةِ اللهِ تَعَالَى، وَابْتِغَـاءَ ثَوابِـهِ، وَنُصْـرَةَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَهَؤُلاَءِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيمَـانِهِمْ، الذِينَ وَفَّقـوا قَوْلَهُمْ مَـعَ فِعْلِهِمْ، وَهَؤُلاَءِ هُمُ المُهَاجِرُونَ.

٩ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ
مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

(تَبَوَّؤُوا) (الإِيْمَانَ) (فَأُولَئِكَ)

(٩) - ثُمَّ أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الأَنْصَارِ مُبَيِّناً فَضْلَهُمْ وَشَرَفَهُمْ وَكَـرَمَهُمْ، حِينَ جَعَلَ اللهُ الفَيءَ لإِخْوَانِهِم المُهَاجِرِينَ دُونَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: والذِينَ سَكَنُوا دَارَ الهِجْرَةِ قَبْلَ المُهَاجِرِينَ، وَآمَنُوا قَبْـلَ كَثِيرٍ مِنَ المُهَـاجِرِينَ، يُحِبُّونَ المُهَاجِرِينَ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَهُمُ الخَيْرَ، كَمَا يَتَمَنَّوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ، وَقَـدْ أَسْكَنُـوا المُهَاجِـرِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَشْرَكُـوهُمْ فِي أَمْـوَالِهِمْ حَتَّى نَـزَلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضِ نِسَائِهِ لِلْمُهَاجِرِينَ. وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَنُفُوسُهُمْ طَيِّبَةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ قَرِيرَةٌ بِمَا يَفْعَلُونَ، لاَ يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَداً لِلْمُهَاجِرِينَ.

﴿١٠﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ

﴿١١﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ

نصف الحزب ٥٥

وَلاَ ضِيقاً بِهِمْ لِمَا فَضَّلَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ المَنْزِلَةِ والشَّرَفِ وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ والرُّتْبَةِ، وَلِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ مَغْنَمِ بَنِي النَّضِيرِ دُونَهُمْ.

(رُوِيَ أَنَّ المُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ حُسْنَ مُوَاسَاةٍ فِي قَلِيلٍ، وَلاَ حُسْنَ بَذْلٍ فِي كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا المَؤُونَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي المَهْنَأ، حَتَّى لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ. قَالَ: لاَ. مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمْ لَهُمُ اللهَ).

وَهُمْ يُقَدِّمُونَ أَهْلَ الحَاجَةِ مِنَ المُهَاجِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَبْدَؤُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي حَالِ ٱحْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ المُقِلِّ). (البُخَارِيُّ).

وَمَنْ سَلِمَ مِنْ آفَةِ الحِرْصِ عَلَى المَالِ وَالبُخْلِ، فَقَدْ فَازَ وَأَفْلَحَ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَٱتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ قَدْ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَٱسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ).

التَّبَوُّؤُ - النُّزُولُ فِي المَكَانِ - أَيْ الذِينَ نَزَلُوا المَدِينَةَ.

يُؤْثِرُونَ - يُقَدِّمُونَ وَيُفَضِّلُونَ.

حَاجَةً - حَسَداً أَوْ شُعُوراً بِالضِّيقِ.

خَصَاصَةٌ - فَقْرٌ أَوْ حَاجَةٌ.

الشُّحُّ - حِرْصُ النَّفْسِ عَلَى المَنْعِ.

أُوتُوا - أَيْ مَا أُعْطِيَ المُهَاجِرُونَ مِنْ دُونِهِمْ.

(جَاؤُوا) (لإِخْوَانِنَا) (بِالإِيْمَانِ) (آمَنُوا) (رؤوفٌ)

(١٠) - وَهَؤُلاَءِ القِسْمُ الثَّالِثُ الذِينَ يَسْتَحِقُّ فُقَرَاؤُهُمْ مِنْ مَالِ الفَيْءِ، بَعْدَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَهُمُ المُتَّبِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَٱغْفِرْ لإِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ الذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ، وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا حَسَداً لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعاً، وَلاَ حِقْداً عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ يَا رَبِّ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الغِلُّ - الحِقْدُ والحَسَدُ.

(لإِخْوَانِهِم) (الكِتَاب) (لَئِن) (لَكَاذِبُونَ)

(١١) - أَرْسَلَ رَئِيسُ المُنَافِقِينَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ وَعَدَدٌ مِنَ المُنَافِقِينَ مَعَهُ إِلَى يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ يَعِدُونَهُمُ النُّصْرَةَ إِنْ قَاتَلَهُمُ المُسْلِمُونَ، والخُرُوجَ مَعَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ إِنْ أُخْرِجُوا، وَعَدَّ اللهُ المُنَافِقِينَ كَفَرَةً، وَإِخْوَاناً لِلْكَافِرِينَ مِنَ اليَهُودِ.. ثُمَّ يُؤَكِّدُ تَعَالَى أَنَّ هَؤُلاَءِ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ فِيمَا يَعِدُونَ بِهِ اليَهُودَ.

لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ
فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ
لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ

﴿١٢﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ
وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن
نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ
ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ

﴿١٣﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي
صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ

﴿١٤﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا
فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ
تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ

﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا
ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ

المُنَافِقُ ـ هُوَ الذِي يُظْهِرُ غَيْرَ مَا يُبْطِنُ، وَالذِي يُبَالِغُ فِي إِخْفَاءِ مُعْتَقَدِهِ.

(لَئِن) (الأَدْبَار)

(١٢) ـ وَهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ، وَفِيمَا يَعِدُونَ بِهِ اليَهُودَ مِنَ النُّصْرَةِ. وَالخُرُوجِ مَعَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَ اليَهُودِ إِذَا أَرَادَ المُسْلِمُونَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَلَا يُقَاتِلُونَ مَعَهُمْ، إِنْ قَاتَلَهُمُ المُسْلِمُونَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا قَاتَلُوا مَعَ اليَهُودِ سَيَنْهَزِمُونَ مُتَخَلِّينَ عَنْ بَنِي النَّضِيرِ، ثُمَّ لَا يَنْصُرُ اللهُ بَنِي النَّضِيرِ.

(١٣) ـ وَيُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى السَّبَبَ فِي عَدَمِ جُرْأَةِ المُنَافِقِينَ عَلَى الانْضِمَامِ إِلَى اليَهُودِ، فِي قِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَيُخْبِرُ تَعَالَى: أَنَّ المُسْلِمِينَ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ مِنَ اللهِ، فَهُمْ يَخَافُونَ بَأْسَ المُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُونَ اللهَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ مِقْدَارَ عَظَمَةِ اللهِ، فَهُمْ لِذَلِكَ يَسْتَخِفُّونَ بِمَعَاصِيهِ، وَلَا يَرْهَبُونَ عِقَابَهُ، قَدْرَ رَهْبَتِهِم المُسْلِمِينَ وَسَطْوَتِهِمْ.

(يُقَاتِلُونَكُمْ)

(١٤) ـ وَيُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى جُبْنَ اليَهُودِ وَالمُنَافِقِينَ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَلَا يُوَاجِهُونَ المُسْلِمِينَ بِقِتَالٍ مُجْتَمِعِينَ، بَلْ يُقَاتِلُونَهُمْ فِي قُرًى حَصِينَةٍ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدْرَانٍ وَهُمْ مُحَاصَرُونَ، وَعَدَاوَتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ شَدِيدَةٌ. وَإِذَا رَآهُمُ الرَّائِي حَسِبَهُمْ مُتَّفِقِينَ، وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ مُخْتَلِفُونَ إِلَى أَبْعَدِ حُدُودِ الاخْتِلَافِ لِمَا بَيْنَهُم مِنْ أَحْقَادٍ وَعَدَاوَاتٍ، فَهُمْ لَا يَتَعَاضَدُونَ، وَلَا يَتَسَانَدُونَ، وَلَا يُخْلِصُونَ فِي القِتَالِ، وَقَدْ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الوَحْدَةَ وَالتَّسَانُدَ المُخْلِصَ هُمَا سِرُّ النَّصْرِ وَالنَّجَاحِ.

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ ـ قِتَالُهُمْ بَيْنَهُمْ.

قُلُوبُهُمْ شَتَّى ـ مُتَفَرِّقَةٌ لِتَعَادِيهِمْ.

(١٥) ـ وَمَثَلُ بَنِي النَّضِيرِ، مَثَلُ يَهُودِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، الذِينَ كَانُوا حَوْلَ المَدِينَةِ، فَغَزَاهُمْ رَسُولُ اللهِ، وَأَجْلَاهُمْ إِلَى أَذْرِعَاتِ الشَّامِ، فَذَاقُوا سُوءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.

(وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَنِي النَّضِيرِ التِي كَانَتْ فِي العَامِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ، بَيْنَمَا كَانَتْ وَقْعَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ فِي الشَّهْرِ العِشْرِينَ مِنَ الهِجْرَةِ).

وَبَالَ أَمْرِهِمْ ـ سُوءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ.

(١٦) كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(الشَّيْطَانِ) (لِلإِنْسَانِ) (العَالَمِينَ)

(١٦) - وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ الذِينَ وَعَدُوا اليَهُودَ بِالنُّصْرَةِ إِنْ قُوتِلُوا وَبِالخُرُوجِ مَعَهُمْ إِنْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ الذِي غَرَّ الإِنْسَانَ، وَوَعَدَهُ بِالنَّصْرِ عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيهِ، إِذَا أَطَاعَهُ وَكَفَرَ بِاللهِ، فَلَمَّا احْتَاجَ الإِنْسَانُ إِلَيهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ النُّصْرَةَ، تَبَرَّأَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ، وَخَذَلَهُ وَتَرَكَهُ لِمَصِيرِهِ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ إِنْ نَصَرْتُكَ أَنْ يُشْرِكَنِي رَبُّ العَالَمِينَ مَعَكَ فِي العَذَابِ.

(١٧) فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ

(عَاقِبَتُهُمَا) (خَالِدَيْن) (جَزَاءُ) (الظَّالِمِينَ)

(١٧) - فَكَانَ عَاقِبَةَ الأَمْرِ بِالكُفْرِ أَنْ صَارَ الشَّيْطَانُ وَمَنْ أَغْرَاهُ بِالكُفْرِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، لِيَبْقَيَا فِيهَا خَالِدَيْنِ أَبَداً، وَذَلِكَ العَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، هُوَ جَزَاءُ كُلِّ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِالكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ.

(١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(١٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَفْعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَأَنْ يَتْرُكُوا مَا نَهَاهُم عَنْهُ، وَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ يَوْمَ الحِسَابِ، ثُمَّ يُؤَكِّدُ تَعَالَى الأَمْرَ بِتَقْوَاهُ، مُبَيِّناً أَنَّهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ العِبَادِ، جَمِيعِهَا، وَسَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا.

(١٩) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ

(فَأَنْسَاهُمْ) (أُولَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(١٩) - وَلَا يَكُنْ حَالُكُمْ كَحَالِ قَوْمٍ نَسُوا ذِكْرَ اللهِ فَأَنْسَاهُمُ اللهُ العَمَلَ الصَّالِحَ الذِي يَنْفَعُهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ، وَيُنْقِذُ أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ الحِسَابِ مِنَ العَذَابِ. وَهَؤُلَاءِ الذِينَ نَسُوا اللهَ وَذِكْرَهُ، وَفِعْلَ الخَيْرِ، هُمُ الفَاسِقُونَ الخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

نَسُوا اللهَ - لَمْ يُرَاعُوا أَوَامِرَ اللهِ وَنَوَاهِيَه

فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ - فَلَمْ يُقَدِّمُوا لَهَا مَا يَنْفَعُهَا.

(٢٠) لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ

(أَصْحَابُ) (الفَائِزُونَ)

(٢٠) - وَلَا يَسْتَوِي فِي حُكْمِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَهْلُ النَّارِ وَأَهْلُ الجَنَّةِ، وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَجَنَّتِهِ.

﴿٢١﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

(القُرْآن) (خَاشِعاً) (الأَمْثَال)

(٢١) ـ إنَّ الجبَلَ لَوْ فهِم هَذا القُرْآنَ، وتَدبَّرَهُ، لَخشَعَ وتَصدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فكَيْفَ يَليقُ بالبَشرِ أنْ لا تَلينَ قُلوبُهُمْ، ولا تَخْشعَ وتَتصدَّعَ مِنْ خَشيَةِ اللهِ وقَدْ فَهِموا مَعانِيَهُ وتَدبَّروا ما فِيهِ؟.

ويَضْرِبُ اللهُ تَعالَى الأَمْثالَ لِلنَّاسِ لِيُقرِّبَ مَعانِيَ القُرآنِ إلى أفْهامِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَتفكَّرُونَ فِيها ويَعْتبِرُونَ.

خَاشِعاً ـ ذَليلاً مُسْتَكِيناً خَاضِعاً.

مُتَصَدِّعاً ـ مُتَشقِّقاً.

﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ

(عَالِم) (الشَّهَادَة)

(٢٢) ـ يُخبِرُ اللهُ تَعالَى عَنْ نَفْسِهِ الكَريمَةِ أنَّهُ هُوَ اللهُ الذي لا إِلهَ إلاَّ هُوَ، فَلا رَبَّ غيرُهُ في الوُجُودِ، ولا مَعْبُودَ سِواهُ، وأنَّهُ عالِمٌ بِجَميعِ الكائِنَاتِ المُشاهَدَاتِ لَنا، والغَائِبَاتِ عنَّا، فَلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ، وأنَّهُ ذُو الرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ الشَّامِلَةِ لِجَميعِ خَلْقِهِ فهُوَ رَحْمَنُ الدُّنْيا والآخِرَةِ ورَحِيمُهُمَا.

الغَيْبُ ـ مَا غَابَ عَنِ الحِسِّ.

الشَّهادَة ـ مَا حَضرَ مِنَ الأَشْياءِ المُشَاهَدَةِ.

﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(السَّلام) (سُبْحَانَ)

(٢٣) ـ هُوَ اللهُ المَالِكُ لِجَميعِ مَا فِي الوُجُودِ، المُتَصرِّفُ فِيهِ تَصرُّفاً مُطْلَقاً، والمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ عَيبٍ ونَقْصٍ، الذِي أَمَّنَ خَلْقَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ، وهُوَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِم الذِي قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ، وغَلَبَهُ لِعَظَمَتِهِ وجَبَرُوتِهِ، فَلا تَلِيقُ الكِبْرِيَاءُ إلاَّ لَهُ، تَنَزَّهَ اسْمُهُ عَمَّا يَقُولُهُ المُشْرِكُونَ مِنَ الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ والشَّرِيكِ فَهُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ.

المَلِكُ ـ المَالِكُ لِكُلِّ شَيءٍ.

القُدُّوسُ ـ المُنَزَّهُ عَنِ النُّقْصَانِ.

المُؤْمِنُ ـ الوَاهِبُ الأَمْنَ ـ أوِ المُصَدِّقُ لِرُسُلِهِ بِالمُعْجِزَاتِ.

المُتَكَبِّرُ ـ البَلِيغُ الكِبْرِيَاءِ والعَظَمَةِ.

المُهَيْمِنُ ـ الرَّقِيبُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

العَزِيزُ ـ القَوِيُّ الغَالِبُ.

الجَبَّارُ ـ القَهَّارُ أوِ العَظِيمُ.

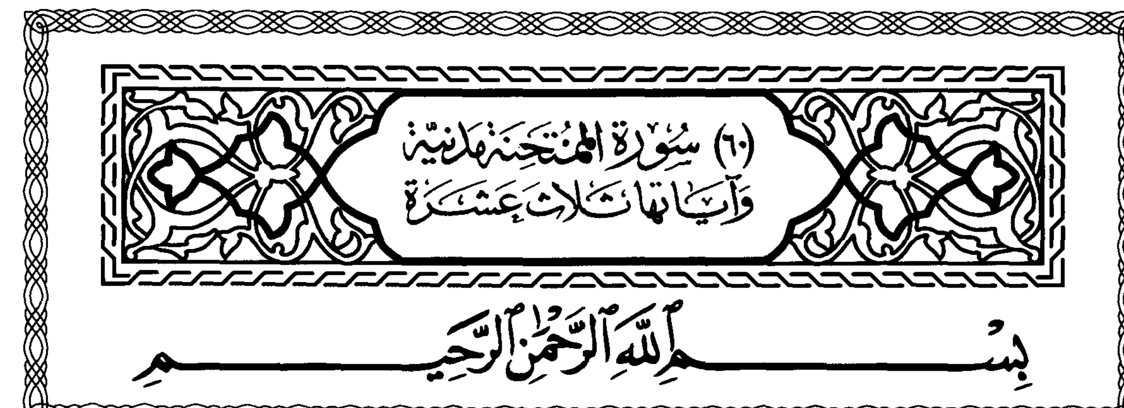
﴿٢٤﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(الخَالِقُ) (السَّمَاوَاتِ)

(٢٤) ـ وَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ جَمِيعِ مَا فِي الوُجُودِ، وَمُصَوِّرُهَا، وَمُبرزُهَا فِي الصُّورَةِ التِي هِيَ عَلَيْهَا، وَلَهُ الصِّفَاتُ الحُسْنَى التِي وَصفَ بهَا نَفْسَهُ لاَ يَشْرَكُهُ فِيهَا أَحَدٌ سِوَاهُ؛ وَيُنَزِّهُ آسْمَ اللهِ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَهُوَ العَزِيزُ الذِي لاَ يُقْهَرُ وَقَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ وَغَلَبَهُ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَضَائِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ـ الدَّالَّةُ عَلَى مَحَاسِنِ المَعَانِي

المُصَوِّرُ ـ خَالِقُ الصُّوَرِ.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (جِهَادا)

(١) - هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَكَانَ حَاطِبٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ، وَتَرَكَ فِيهَا مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ قُرَيشٍ. فَلَمَّا أَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ فَتحَ مَكَّةَ دَعَا رَبَّهُ اللهَ أَنْ يُعْمِيَ الأَخْبَارَ عَنْ قُرَيشٍ، حَتَّى يَأْخُذَهُمْ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ، فَكَتَبَ حَاطِبٌ كِتَاباً إِلَى قُرَيشٍ يُعَرِّفُهُمْ بِعَزْمِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى غَزْوِهِمْ، وَأَرْسَلَهُ مَعَ آمْرَأَةٍ لِيَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً. وَأَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِالكِتَابِ، فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ عَلِيّاً وَالزُّبَيْرَ، وَأَمَرَهُمَا بِالذَّهَابِ إِلَى رَوْضَةِ خَاخٍ لِيَأْتِيَاهُ بِالكِتَابِ مِنَ المَرْأَةِ، فَلَمَّا جَاءَاهَا طَلَبَا مِنْهَا الكِتَابَ فَأَنْكَرَتْهُ، فَهَدَّدَاهَا بِتَجْرِيدِهَا مِنْ ثِيَابِهَا لِتَفْتِيشِهَا، فَأَخْرَجَتِ الكِتَابَ مِنْ ضَفَائِرِ شَعْرِهَا.

وَسَأَلَ الرَّسُولُ حَاطِباً عَنِ الكِتَابِ فَاعْتَرَفَ بِهِ وَقَالَ لِلرَّسُولِ إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ كُفْراً، وَلَا آرْتِدَاداً عَنِ الإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا لِيَتَّخِذَ بِهِ يَداً عِنْدَ قُرَيشٍ يَحْمِي بِهَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَمَالَهُ. فَقَالَ الرَّسُولُ لِلصَّحَابَةِ إِنَّهُ صَدَقَكُمْ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ. فَقَالَ الرَّسُولُ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ آطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: آعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ.

وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الآيَةِ بِأَنْ لَا يَتَّخِذُوا الكُفَّارَ أَعْوَاناً وَأَنْصَاراً لَهُمْ يُبَلِّغُونَهُمْ أَخْبَارَ الرَّسُولِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي لِأَعْدَائِهِ أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَيْهَا، وَقَدْ كَفَرَ هَؤُلَاءِ الكُفَّارُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ، فَكَيْفَ بِكُمْ بَعْدَ هَذَا تَتَّخِذُونَهُمْ أَنْصَاراً تُسِرُّونَ إِلَيهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَضُرُّ الرَّسُولَ وَالمُسْلِمِينَ، وَقَدْ أَخْرَجُوا الرَّسُولَ وَأَصْحَابَهُ مِنْ بَينِ أَظْهُرِهِمْ كُرْهاً بِالتَّوْحِيدِ، وَإِخْلَاصِ العِبَادَةِ للهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَنْبٌ يُؤَاخَذُونَ عَلَيهِ غَيْرُ ذَلِكَ.

فَإِنْ كُنْتُمْ، يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، قَدْ خَرَجْتُمْ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِي، وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، فَلَا تُوَالُوا أَعْدَائِي، وَمَنْ يَفْعَلْ هَذِهِ المُوَالَاةَ، وَيُفْشِ سِرَّ الرَّسُولِ لِأَعْدَائِهِ، فَقَدْ حَادَ عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ المُوصِلَةِ إِلَى الجَنَّةِ.

أَوْلِيَاءَ - أَعْوَاناً تَوَادُّونَهُمْ وَتُنَاصِحُونَهُمْ.

أَنْ تُؤْمِنُوا - لِإِيمَانِكُمْ أَوْ كَرَاهَةَ لِإِيمَانِكُمْ.

(٢) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ

(٢) - إِنْ ظَفِرَ بِكُمْ هَؤُلَاءِ الكَافِرُونَ، الذِينَ تُلْقُونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ، يُظْهِرُوا لَكُمْ عَدَاوَتَهُمْ، وَيَمُدُّوا إِلَيكُمْ أَيدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِمَا يَسُوؤُكُمْ: يُقَاتِلُونَكُمْ وَيَشْتُمُونَكُمْ وَيَتَمَنَّونَ لَوْ تَكْفُرُونَ بِرَبِّكُمْ فَتَكُونُوا عَلَى مِثْلِ دِينِهِمْ، فَكَيْفَ تُسِرُّونَ إِلَى هَؤُلَاءِ بِالمَوَدَّةِ وَهَذِهِ هِيَ حَالُهُمْ؟..

يَثْقَفُوكُمْ - يَظْفَرُوا بِكُمْ - أَوْ يُصَادِفُوكُمْ.

يَبْسُطُوا إِلَيكُمْ - يَمُدُّوا إِلَيكُمْ أَيْدِيهُمْ بِالضَّرْبِ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالشَّتْمِ وَالإِيْذَاءِ.

(٣) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(أَوْلَادُكُمْ) (القِيَامَةِ)

(٣) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الذِي ٱعْتَذَرَ بِرَغْبَتِهِ فِي المُحَافَظَةِ عَلَى أَوْلَادِهِ وَأَمْوَالِهِ فِي مَكَّةَ، بِأَنَّ الأَقَارِبَ وَالأَوْلَادَ، الذِينَ تُوَالُونَ الكُفَّارَ مِنْ أَجْلِهِمْ، لَنْ يَنْفَعُوكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَنْ يَدْفَعُوا عَنْكُمْ شَيئاً مِنْ عَذَابِ اللهِ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ سَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَقَارِبِهِمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ. وَيَذْهَلُ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ العِبَادُ.

(٤) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ

(إِبْرَاهِيم) (بُرَآء) (العَدَاوَةُ)

(٤) - أَفَلَا تَأَسَّى هَؤُلَاءِ الذِينَ يُوَادُّونَ الكَافِرِينَ بِأَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَأَصْحَابِهِ المُؤْمِنِينَ، حِينَ قَالُوا لِقَوْمِهِم الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ: إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الآلِهَةِ وَالأَنْدَادِ، وَجَحَدْنَا مَا أَنْتُمْ عَلَيهِ مِنَ الكُفْرِ، وَأَنْكَرْنَا عِبَادَتَكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ حِجَارَةٍ وَأَوْثَانٍ وَأَصْنَامٍ، وَقَدْ أَعْلَنَّا الحَرْبَ عَلَيْكُمْ، فَلَا هَوَادَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَسَنَبْقَى عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَتُوَحِّدُوهُ، وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا وَلَدَ، وَتَتَخَلَّصُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ.

وَلَكُمْ فِي أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ تَتَأَسَّوْنَ بِهَا، وَتَعْتَبِرُونَ بِهَا فِي مَسْلَكِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَثْنُوا مِنْ تَصَرُّفَاتِ إِبْرَاهِيمَ التِي تَقْتَدُونَ بِهَا

مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ

إلاَّ آستِغفارَهُ لأبيهِ الذي بَقِيَ مُقيماً على الكُفْرِ، فقَدْ قالَ إبْراهيمُ لأبيهِ: إنَّهُ سَيَسْتَغْفِرُ لَهُ الله، وإنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يَنْفَعَهُ بأكْثَرَ مِنْ ذلِكَ، فالأمْرُ مَرْدودٌ إلى مَشيئَةِ اللهِ، إنْ شاءَ غَفَرَ وإنْ شاءَ عَذَّبَ. ولَكِنَّ هذا القَوْلَ صَدَرَ عَنْ إبْراهيمَ حينَما وَعَدَهُ أبوهُ بأنَّهُ سَيُؤْمِنُ باللهِ، ويَتْبَعُهُ فيما يَعْبُدُ. فلَمَّا تَبَيَّنَ إبْراهيمُ أنَّ أباهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ.

وحِينَما فارَقَ إبْراهيمُ والمُؤْمِنونَ مَعَهُ قَوْمَهُمْ لَجَؤُوا إلى اللهِ مُتَضَرِّعِينَ قائِلِينَ: رَبَّنا إنَّنا آعْتَمَدْنا عَلَيْكَ في جَميعِ أُمورِنا (تَوَكَّلْنا)، ورَجَعْنا إلَيْكَ بالتَّوْبَةِ مِنْ ذُنوبِنا، وإلَيْكَ مَصيرُنا حِينَ تَبْعَثُنا مِنْ قُبورِنا لِلْعَرْضِ والحِسابِ. فآقْتَدوا بِهِمْ يا أَيُّها المُؤْمِنونَ، وقُولوا مِثْلَ قَوْلِهِمْ.

أسْوَةٌ حَسَنَةٌ - قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ في التَّبَرُّؤِ مِنَ الضَّالِّينَ.

بُرَآءُ مِنْكُمْ - أبْرِياءُ مِنْكُمْ.

إلَيْكَ أَنَبْنَا - إلَيْكَ رَجَعْنا تائِبِينَ.

٥ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(٥) - رَبَّنا ولا تُسَلِّطْ قَوْمَنا الكافِرِينَ عَلَيْنا، ولا تَجْعَلْهُمْ يَظْهَرونَ عَلَيْنا، فيَعْمَلوا على فِتْنَتِنا عَنْ دِينِنا بالعَذابِ والنَّكالِ. وهُمْ يَظُنُّونَ أنَّهُمْ إنَّما ظَهَروا عَلَيْنا لأنَّهُمْ على حَقٍّ فيما يَقولونَ، وفيما يَعْبُدونَ، رَبَّنا وآسْتُرْ ذُنوبَنا عَنْ غَيْرِكَ، وآعْفُ عَنَّا فيما بَيْنَنا وبَيْنَكَ، إنَّكَ يا رَبِّ أنْتَ القَوِيُّ العَزيزُ الذي لا يُضامُ، الحَكيمُ فيما تَشْرَعُ، وفيما تَقْضِي.

لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً - مَفْتُونِينَ بِهِمْ، مُعَذَّبِينَ بأيْدِيهِمْ.

٦ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ

(يرْجُو)

(٦) - لَقَدْ كانَ لَكُمْ في إبْراهيمَ والذينَ آمَنوا مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ، وأُسْوَةٌ تَتَأَسَّوْنَ بِها، لِمَنْ كانَ مِنْكُمْ يَرْجُو لِقاءَ اللهِ في يَوْمِ القِيامَةِ، ويَطْمَعُ في الأجْرِ والثَّوابِ مِنَ اللهِ، والنَّجاةِ مِنَ العَذابِ والنَّكالِ. ومَنْ يُعْرِضْ عَمَّا دَعاهُ اللهُ إلَيهِ مِنَ الإيمانِ بِهِ وبِمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ، ويَسْتَكْبِرْ ويُوالِ أعْداءَ اللهِ فإنَّهُ لا يَضُرُّ بذلِكَ إلاَّ نَفْسَهُ، فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْهُ وعَنْ إيمانِهِ وعَنْ طاعَتِهِ، مَحْمودٌ بأنْعُمِهِ وأفْضالِهِ على خَلْقِهِ.

٧ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

(٧) - ثُمَّ قالَ اللهُ تَعالَى لِلْمُؤْمِنينَ تَطْيِيباً لِقُلوبِهِمْ، إنَّهُ قَدْ يَغْرِسُ في قُلوبِ الكافِرِينَ مِنْ أهْلِهِمْ ومِنْ أقْرِبائِهِمْ مَحَبَّةَ الإسْلامِ، فيَتِمُّ التَّوادُّ، ويَتِمُّ التَّصافِي بَيْنَهُمْ وبَيْنَ هؤلاءِ الذينَ كانوا يُعادُونَهُمْ، ويُقاطِعُونَهُمْ في الدِّينِ، واللهُ قَديرٌ على ما يَشاءُ، غَفورٌ لِخَطيئَةِ الَّذينَ ألْقَوْا إلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ إذا تابُوا مِنْها، رَحِيمٌ بِهِمْ، فلا يُعَذِّبُهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَنْبِهِمْ.

٨ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

(يَنْهاكُمُ) (يُقاتِلُوكُمْ) (دِيارِكُمْ)

(٨) - إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَنْهَاكُمْ عَنِ الإِحْسَانِ إِلَى الكُفَّارِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، وَلَمْ يُعَاوِنُوا فِي إِخْرَاجِكُمْ مِنْهَا، وَلاَ يَمْنَعُكُمْ مِنْ إِكْرَامِهِمْ، وَمَنْحِهِمْ صِلَتَكُمْ، لِأَنَّ اللهَ يُحِبُّ أَهْلَ البِرِّ وَالتَّوَاصُلِ.

(وَرُوِيَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: أَنَّ قُتَيْلَةَ أُمَّ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَدِمَتْ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ بِهَدَايَا فَرَفَضَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَقْبَلَ الهَدَايَا مِنْهَا، وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا، فَجَاءَتْ إِلَى أُخْتِهَا عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ تَسْأَلُهَا فِي ذَلِكَ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، فَأَمَرَهَا الرَّسُولُ بِإِدْخَالِهَا بَيْتَهَا، وَبِأَنْ تَقْبَلَ مِنْهَا هَدِيتَهَا.

تَبَرُّوهُمْ - تُحْسِنُوا إِليهِمْ وَتُكْرِمُوهُمْ.

وَتُقْسِطُوا إِليهِمْ - تَقْضُوا إِليهِمْ بِالقِسْطِ وَالعَدْلِ.

٩ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

(يَنْهاكُمُ) (قاتَلُوكُمْ) (دِيارِكُمْ) (ظاهَرُوا) (فَأُولئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٩) - إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنْ مُوَالاَةِ الكُفَّارِ الَّذِينَ نَاصَبُوكُمُ العِدَاءَ فِي الدِّينِ فَقَاتَلُوكُمْ، وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ وَدِيَارِكُمْ، وَأَعَانُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ، فَهُؤُلاَءِ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنْ مُوَالاَتِهِمْ، وَعَنِ اتِّخَاذِهِمْ أَنْصَاراً، وَيَأْمُرُكُمْ بِمُعَادَاتِهِمْ.

وَيُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى الوَعِيدَ عَلَى مُوَالاَتِهِمْ فَيُبَيِّنُ: أَنَّ الذِينَ يَتَوَلَّوْنَ هَؤُلاَءِ الكُفَّارَ المُؤْذِينَ هُمُ الظَّالِمُونَ لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ فَوَالَوْا أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاءَهُمْ.

ظَاهَرُوا - عَاوَنُوا.

أَنْ تَوَلَّوْهُمْ - أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ.

١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

(يا أَيُّها) (آمَنُوا) (المُؤْمِناتُ) (مُهاجِراتٍ) (بِإِيمانِهِنَّ) (مُؤْمِناتٍ) (وَآتُوهُمْ) (آتَيْتُمُوهُنَّ) (وَاسأَلُوا) (وَلْيَسْأَلُوا)

(١٠) - كَانَ مِنْ شُرُوطِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَقُرَيشٍ أَنَّ الرَّسُولَ لاَ يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلاَّ رَدَّهُ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِماً عَلَى دِينِ الإِسْلاَمِ. وَخِلاَلَ فَتْرَةِ الصُّلْحِ جَاءَتِ الرَّسُولَ فِي المَدِينَةِ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيطٍ مُسْلِمَةً فَجَاءَ أَخَوَاهَا إِلَى الرَّسُولِ يَسْأَلاَنِهِ رَدَّهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، يَنْقُضُ بِهَا عَهْدَ الحُدَيْبِيَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ

أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

بِالنِّسَاءِ خَاصَّةً، فَمَنَعَ اللهُ المُؤْمِنينَ مِنْ أَنْ يَرُدُّوا المُؤْمِنَاتِ المُهَاجِرَاتِ إِلَى المُشْرِكِينَ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آيَةَ الامْتِحَانِ.

وَيُبَيِّنُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنينَ أَنَّهُ إِذَا جَاءَكُم، يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، النِّسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ مُهَاجِرَاتٍ مِنْ بَيْنِ الكُفَّارِ، فَاخْتَبِرُوا حَالَهُنَّ، لِتَعْلَمُوا صِدْقَ إِيمَانِهِنَّ، لأَنَّ الكُفَّارَ لاَ يَحِلُّونَ لِلْمُؤْمِنَاتِ، وَالمُؤْمِنَاتُ لاَ يَحْلِلْنَ لِلكُفَّارِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِلْمُهَاجِرَاتِ:

(بِاللهِ الذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا خَرَجْتُ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ، بِاللهِ مَا خَرَجْتُ رَغْبَةً بِأَرْضٍ عَنْ أَرْضٍ، بِاللهِ مَا خَرَجْتُ التِمَاساً لِدُنْيَا، بِاللهِ مَا خَرَجْتُ إِلاَّ حُبّاً بِاللهِ وَرَسُولِهِ).

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِ المُهَاجِرَاتِ مِنْكُمْ يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ. ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى الحُكْمَ فِي هَذِهِ الحَالَةِ:

فَقَالَ: أَعطُوا أَزْوَاجَ المُؤْمِنَاتِ المُهَاجِرَاتِ مِنَ الكُفَّارِ مِثْلَ مَا دَفَعُوا مِنَ المُهُورِ، وَلاَ إِثْمَ عَلَى الرِّجَالِ المُؤْمِنِينَ فِي أَنْ يَنْكِحُوا هَؤُلاَءِ المُهَاجِرَاتِ، بِشَرْطِ أَنْ يَتَعَهَّدُوا بِأَنْ يُؤَدُّوا إِليهِنَّ مُهُورَهُنَّ، وَلاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمنِينَ أَنْ يَتَزَوَّجُوا المُشْرِكَاتِ، وَلاَ أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِعَقْدِ زَوْجِيَّةِ الكَافِرَاتِ البَاقِيَاتِ فِي دَارِ الشِّرْكِ، وَإِذَا لَحِقَتْ آمْرَأَةٌ كَافِرَةٌ هِيَ زَوْجَةٌ لِمُسْلِمٍ بِالكُفَّارِ - بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ - فَلِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْأَلُوا الكُفَّارَ مَهْرَهَا الذِي دَفَعَهُ زَوْجُهَا المُسْلِمُ، وَلْيَسْأَلْكُمُ الكُفَّارُ دَفْعَ مُهُورِ نِسَائِهِمْ المُؤْمِنَاتِ المُهَاجِرَاتِ.

وَذَلِكَ الذِي ذُكِرَ هُوَ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَاتَّبِعُوهُ، وَاللهُ عَلِيمٌ فَلاَ يَشْرَعُ إِلاَّ مَا فِيهِ الحِكْمَةُ.

فَامْتَحِنُوهُنَّ - فَاخْتَبِرُوهُنَّ - وَكَانَ النَّبِيُّ يَخْتَبِرُهُنَّ بِالتَّحْلِيفِ.

أُجُورَهُنَّ - مُهُورَهُنَّ.

بِعِصَمِ الكَوَافِرِ - بِعُقُودِ نِكَاحِ المُشْرِكَاتِ.

١١ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ

(أَزْوَاجِكُمْ) (فَآتُوا) (أَزْوَاجُهُمْ)

(١١) - وَإِذَا ذَهَبَتْ زَوْجَاتُكُمْ الكَافِرَاتُ إِلَى المُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَدْفَعُوا إِليكُمْ المهُورَ التِي سَبَقَ أَنْ دَفَعْتُمُوهَا لَهُنَّ، ثُمَّ ظَفِرْتُم بِالمُشْرِكِينَ، وَآنْتَصَرْتُم عَلَيهِمْ، فَأَعْطُوا الذِينَ ذَهَبَتْ زَوْجَاتُهُمْ المُشْرِكَاتُ مِنَ الغَنِيمَةِ مِثْلَ مَا دَفَعُوا إِليهِنَّ مِنْ صِدَاقٍ، وَخَافُوا اللهَ الذِي تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَأَدُّوا فَرَائِضَهُ، وَالتَزِمُوا بِأَوَامِرِهِ.

(وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدُ: إِذَا فَرَّتْ مُشْرِكَةٌ هِيَ زَوْجَةٌ لِمُسْلِمٍ إِلَى الكُفَّارِ الذِينَ لَيسَ لَهُمْ عَهْدٌ، وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَى زَوْجِهَا شَيئاً، فَإِذَا جَاءَتْ مِنْهُمْ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

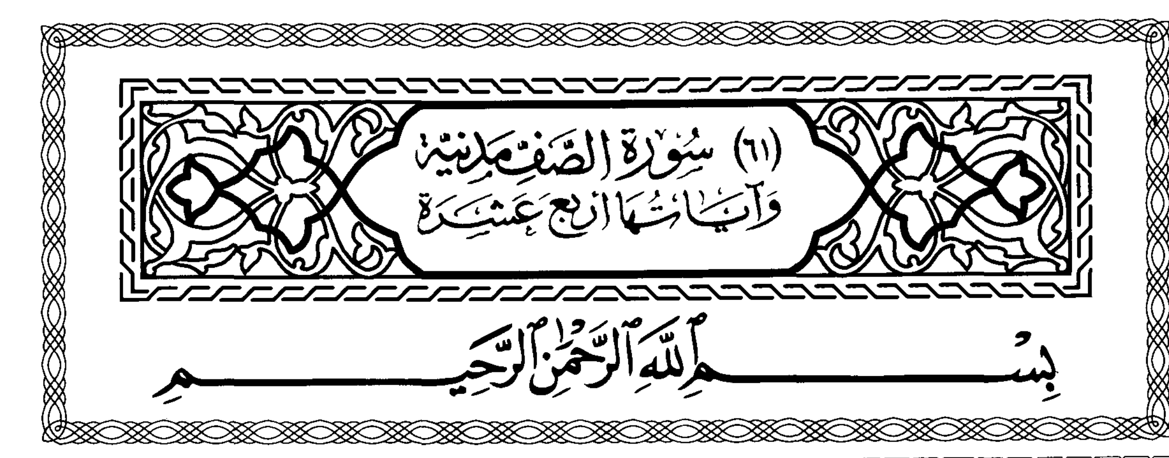
آمْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ فَلَا يُدْفَعُ إِلَى زَوْجِهَا شَيْءٌ حَتَّى يَدْفَعُوا إِلَى الْمُسْلِمِ زَوْجِ الذَّاهِبَةِ إِلَيْهِمْ مِثْلَمَا أَنْفَقَ عَلَيْهَا.
وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ : يُؤَدَّى إِلَيْهِمْ مِنَ الغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُخَمَّسَ).

(يَا أَيُّهَا) (الْمُؤْمِنَاتُ) (أَوْلَادَهُنَّ) (بِبُهْتَانٍ)

(١٢) - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيئاً، مِنْ صَنَمٍ أَوْ حَجَرٍ، وَلَا يَسْرِقْنَ مِنْ مَالِ النَّاسِ شَيئاً، وَلَا يَزْنِينَ، وَلَا يَئِدْنَ بَنَاتِهِنَّ، كَمَا كُنَّ يَفْعَلْنَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَلَا يُلْصِقْنَ أولادَ الأجانب بأزواجهنّ (بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَه) ويدَّعِينَ بأنَّهُنَّ حَمَلْنَ بهمْ في بُطونهنّ (بين أيديهن) وولدنهم من أرحامهن (بين أرجُلِهِنَّ)ولَا يُخالِفْنَكَ فِيما أمرتَهنَّ به ، أو فِيمَا تَنْهاهُنَّ عَنْهُ مِنْ مَعْرُوفٍ، كَالامْتِنَاعِ عَنِ النَّوحِ وَشَقِّ الجُيُوبِ، وَعَلَى أَلَّا تَخْلُو المَرأةُ بِغَيْرِ ذِي رَحِمٍ مُحْرَمٍ، فَبَايِعْهُنَّ عَلَى ذلِكَ، وَالتزِم لَهُنَّ بِالوَفَاءِ بِالثَّوَابِ إِنْ هُنَّ وَفَيْنَ فِيمَا بَايَعْنَكَ عَلَيهِ، وَآسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ عَمَّا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِنَّ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.
بِبُهْتَانٍ - بِإِلْصَاقِ اللُّقَطَاءِ بِالأَزْوَاجِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (يَئِسُوا) (أَصْحَابِ) (يَئِسَ)

(١٣) - وَبَعْدَ أَنْ نَهَى اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَادَّةِ المُشْرِكِينَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، عَادَ تَعَالَى فَكَرَّرَ هَذَا النَّهْيَ فِي آخِرِهَا فَقَالَ: يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَا تُوَالُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالمُشْرِكِينَ مِمَّنْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَآسْتَحَقُّوا الطَّرْدَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا تَتَّخِذُوهُمْ أَصْدِقَاءَ لَكُمْ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِمَا يَضُرُّ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ، وَهَؤُلَاءِ الكُفَّارُ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الخَيْرِ وَالنَّجَاةِ فِي الآخِرَةِ لِعِنَادِهِمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الكُفْرِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ اللهِ.. كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ بَعْثِ مَوْتَاهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ بِبَعْثٍ وَلَا حَشْرٍ وَلَا حِسَابٍ.
لَا تَتَوَلَّوْا - لَا تَتَّخِذُوا أَوْلِيَاءَ
قَوْماً - هُمُ اليَهُودُ أَوِ الكُفَّارُ عَامَّةً.



﴿١﴾ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(السَّماوَاتِ)

(١) ـ نَزَّهَ اللهَ تَعَالَى عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِ، وَشَهِدَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالوَحْدَانِيَّةِ وَالقُدْرَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ، جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ تَعَالَى القَوِيُّ الذِي لاَ يُغَالَبُ، الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَخَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

سَبَّحَ ـ نَزَّهَ وَمَجَّدَ وَدَلَّ عليهِ تَعَالَى.

﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢) ـ يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَعِدُ وَعْداً، أَوْ يَقُولُ قَوْلاً لاَ يَفِي بِهِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: لأَيِّ شَيءٍ تَقُولُونَ لَوَدِدْنَا أَنْ نَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَفْعَالِ الخَيْرِ، حَتَّى إِذَا طُلِبَ مِنْكُمْ فِعْلُ ذَلِكَ كَرِهْتُمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَفْعَلُوهُ؟..

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ٱئْتمنَ خَانَ).

(وَرُوِيَ أَنَّ هَـذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ حِينَمَا تَمَنَّى ٱلْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيهِم الجِهَادُ، فَلَمَّا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَكَلَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ).

﴿٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ

(٣) ـ وَأَكَّدَ اللهُ تَعَالَى إِنْكَارَهُ هَذَا عَلَى هَؤُلاَءِ القَائِلِينَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ يَكْرَهُ كُرْهاً شَدِيداً أَنْ تَقُولُوا شَيئاً لاَ تَفْعَلُونَهُ لأَنَّ الوَفَاءَ بِالعَهْدِ وَالوَعْدِ يُنَمِّي الثِّقَةَ بينَ أَفْرَادِ الجَمَاعَةِ، كَمَا أَنَّ فُشُوَّ الخُلْفِ بِالوَعْدِ يُضْعِفُهَا.

كَبُرَ مَقْتاً ـ عَظُمَ بُغْضاً بَالِغَ الغَايَةِ.

﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ

(يُقاتِلُونَ) (بُنْيَانٌ)

(٤) ـ قَالَ المُؤْمِنُونَ لَوْ نَعْلَمُ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ لَعَمِلْنَاهُ، فَدَلَّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ إِلَى أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِليهِ، فَبَيَّنَ لَهُمْ: أَنَّهُ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ إِعْلاَءِ كَلِمَتِهِ أَنْ يَقِفُوا أَثْنَاءَ القِتَالِ صَفّاً، لاَ فُرْجَةَ بَيْنَهُمْ، وَكَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَشْدُودٌ مَرْصُوصٌ، مُتَلاَحِمُ الأَجْزَاءِ، لأَنَّ هَذَا التَّرَاصَّ أَثْنَاءَ القِتَالِ يُقَوِّي مَعْنَوِيَّاتِ الجُنْدِ، وَلاَ يَتْرُكُ لِلْعَدُوِّ فُرْجَةً بينَ صُفُوفِهِمْ يَنْفُذُ مِنْهَا.

صَفّاً ـ صَافِّينَ أَنْفُسَهُمْ أَوْ مَصْفُوفِينَ.

بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ـ مُتَلاَحِمٌ مُحْكَمٌ لاَ فُرْجَةَ فِيه

﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ

(يَا قَوْمِ) (الفَاسِقِينَ)

(٥) ـ وَيُسَلِّي اللهُ تَعَالَى عَبْدَهُ مُحَمَّداً عَمَّا يُلاَقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ وَإِيذَائِهِمْ، فَذَكَّرَهُ رَبُّهُ بِمَا لاَقَاهُ مُوسَى، عَلَيهِ السَّلاَمُ، مِنْ قَوْمِهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُؤْذُونَنِي وَتُخَالِفُونَ أَمْرِي، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ صِدْقِي، فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّي، فَلَمَّا عَدَلُوا عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَأَصَرُّوا عَلَى ذَلِكَ، صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الهُدَى، وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

زَاغُوا ـ تَنَكَّبُوا طَرِيقَ الحَقِّ عَمْداً.

أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ـ صَرَفَهُمْ عَنِ التَّوْفِيقِ لاتِّبَاعِ الحَقِّ.

﴿٦﴾ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ

(يَا بَنِي) (إِسْرَائِيلَ) (التَّوْرَاةِ) (بِالبَيِّنَاتِ)

(٦) ـ وَاذْكُرْ لِقَوْمِكَ إِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ مُصَدِّقٌ بِالتَّوْرَاةِ وَبِكُتُبِ اللهِ وَأَنْبِيَائِهِ جَمِيعاً، وَإِنَّهُ جَاءَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي بَعْدَهُ اسْمُهُ أَحْمَدُ، وَدَاعِياً إِلَى التَّصْدِيقِ بِهَذَا الرَّسُولِ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَحْمَدُ المُبَشَّرُ بِهِ بِالأَدِلَّةِ الوَاضِحَةِ، وَالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ كَذَّبُوهُ، وَقَالُوا عَمَّا جَاءَهُمْ: إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ وَاضِحٌ بَيِّنٌ.

(وَقَدْ جَاءَ فِي الفَصْلِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنَ السِّفْرِ الخَامِسِ مِنَ التَّوْرَاةِ البِشَارَةُ بِمُحَمَّدٍ عَلَيهِ السَّلاَمُ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

(يَا مُوسَى إِنِّي سَأُقِيمُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيّاً مِنَ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ أَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ مَا آمُرُهُ بِهِ، وَالذِي لاَ يَقْبَلُ ذَلِكَ النَّبِيَّ الذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِي، أَنَا أَنْتَقِمُ مِنْهُ وَمِنْ سِبْطِهِ).

وَجَاءَ فِي الإِصْحَاحِ ٢١ مِنْ سِفْرِ أَشْعِيا بِشَارَةٌ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

«وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلَادِ العَرَب: فِي الوَعْرِ مِنْ بِلَادِ العَرَبِ تَبيتينَ يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ. هَاتُوا مَاءً لِمُلَاقَاةِ العَطْشَانِ يَا سُكَّانَ أَرْضِ تِيمَاءَ وَافُوا الهَارِبَ بِخُبْزِهِ. فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا، مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ المَسْلُولِ وَمِنْ أَمَامِ القَوْسِ المَشْدُودَةِ وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الحَرْبِ. فَإِنَّهُ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارٍ وَبَقِيَّةُ عَدَدِ قِسِيِّ أَبْطَالِ بَنِي قِيدَارٍ تَقِلُّ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ».

«وَهَذِهِ النُّبوءَةُ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى هِجْرَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى يَثْرِبَ، بَعْدَ أَنْ تَزَايَدَ إِيذَاءُ قُرَيْشٍ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ إِنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى نَصْرِ رَسُولِ اللهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ عَلَى قُرَيْشٍ أَحْفَادِ عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ (وَعَدْنَانُ هُوَ قِيدَارُ) وَتَحْطِيمِ جَبَرُوتِ قُرَيْشٍ وَسُلْطَانِهَا بِقَتْلِ كُبَرَائِهَا، وَأَسْرِ أَعْدَادٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ جَرَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ بَعْدَ عَامٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ إِلَى يَثْرِبَ».

وَجَاءَتِ البِشَارَةُ بِمُحَمَّدٍ فِي الإِنْجِيلِ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

(قَالَ يَسُوعُ: إِنَّ الفَارْقَلِيطَ رُوحَ الحَقِّ الذِي يُرْسِلُهُ أَبِي يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ) (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا - الفَصْلُ ١٥ - وَالفَارْقَلِيطُ لَفْظٌ يَعْنِي الحَمْدَ، وَقَدْ فَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِالحَامِدِ وَالحَمَّادِ).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٧

(الإِسْلَامِ) (الظَّالِمِينَ)

(٧) - لَا أَحَدَ أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ يَفْتَرِي عَلَى اللهِ الكَذِبَ، وَيَجْعَلُ لَهُ أَنْدَاداً وَشُرَكَاءَ، أَوْ أَبْنَاءَ وَصَاحِبَةً. وَهُوَ يُدْعَى إِلَى التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ، وَالإِسْلَامِ للهِ، وَاللهُ لَا يُرْشِدُ القَوْمَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ، لِأَنَّهُمْ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ، وَارْتَكَبُوا المُوبِقَاتِ، فَخَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً، فَلَمْ يَعُودُوا يَعْرِفُونَ سَبِيلَ الهُدَى.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ٨

(بِأَفْوَاهِهِمْ) (الكَافِرُونَ)

(٨) - وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ فِي مُقَاوَمَتِهِمْ لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَسَعْيِهِمْ فِي إِخْمَادِ نُورِ الدِّينِ، مَثَلُ مَنْ يَنْفُخُ بِفِيهِ لِيُطْفِئَ نُورَ الشَّمْسِ، وَيُزِيلَ ضِيَاءَهَا، وَأَنَّى لَهُ ذَلِكَ، وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَأَمْرِهِ، وَمُظْهِرُ دِينِهِ، وَنَاصِرُ رَسُولِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الكُفَّارُ ذَلِكَ.

نُورُ اللهِ - الحَقُّ الذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ.

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾

(٩) - اللهُ تَعالَى هُوَ الذِي أَرْسَلَ مُحَمَّداً بِالقُرْآنِ وَفيهِ هُدَى لِلنَّاسِ، وَبالإِسْلاَمِ دِينِ الحَقِّ لِيُعْلِيَهُ وَيُظْهِرَهُ عَلَى الأَدْيَانِ جَمِيعاً، وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ذَلِكَ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (تِجارَةٍ)

(١٠) - يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَالمُصَدِّقُونَ بِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَآيَاتِهِ، أَلاَ تُرِيدُونَ أَنْ أَدُلَّكُمْ عَلَى صَفقَةٍ رَابِحَةٍ، وَتِجَارَةٍ نَافِعَةٍ، تَفُوزُونَ فِيهَا بِالرِّبْحِ العَظِيمِ، وَتُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ الأَلِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟.

تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾

(تُجاهِدُونَ) (بِأَمْوالِكُمْ)

(١١) - وَهَذِهِ الصَّفقَةُ هِيَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَتَصَدِّقُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ القُرْآنِ، وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ رَفْعِ كَلِمَةِ اللهِ، وَعِزَّةِ دِينِهِ، بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، كَانَ ذَلِكَ خَيْراً لَكُمْ مِنْ كُلِّ شَيءٍ فِي الدُّنْيَا: مِنَ النَّفْسِ وَالمَالِ وَالزَّوْجِ وَالوَلَدِ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ المُجَاهِدِينَ فِي الآخِرَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾

(جَنَّاتٍ) (الأَنْهارُ) (وَمَساكِنَ) (جَنَّاتِ)

(١٢) - وَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ سَتَرَ اللهُ ذُنُوبَكُمْ وَمَحَاهَا، وَأَدْخَلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا، وَأَسْكَنَكُمْ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً تَقَرُّ بِهَا العُيُونُ، وَهَذَا هُوَ مُنْتَهَى مَا تَصْبُو إِلَيهِ النُّفُوسُ، وَهُوَ الفَوْزُ الذِي لاَ فَوْزَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾

(١٣) - وَلَكُمْ يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ المُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، مَعَ الفَوْزِ فِي الآخِرَةِ، الذِي وَعَدَكُمْ اللهُ بِهِ، نِعْمَةٌ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا، وَهِيَ نَصْرٌ مِنَ اللهِ، وَفَتْحٌ قَرِيبٌ، تَجْنُونَ مَغَانِمَهُ، وَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ المُؤْمِنِينَ بِهَذَا الجَزَاءِ.

وَأُخْرَى - وَلَكُمْ مِنَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ أُخْرَى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴿١٤﴾

(يَا أَيُّها) (آمَنُوا) (لِلْحَوارِيِّينَ) (فَآمَنَتْ) (طَائِفَةٌ) (إِسْرائِيلَ) (آمَنُوا) (ظَاهِرِينَ)

(١٤) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَكُونُوا أَنْصَاراً للهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ: بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَجِيبُوا للهِ

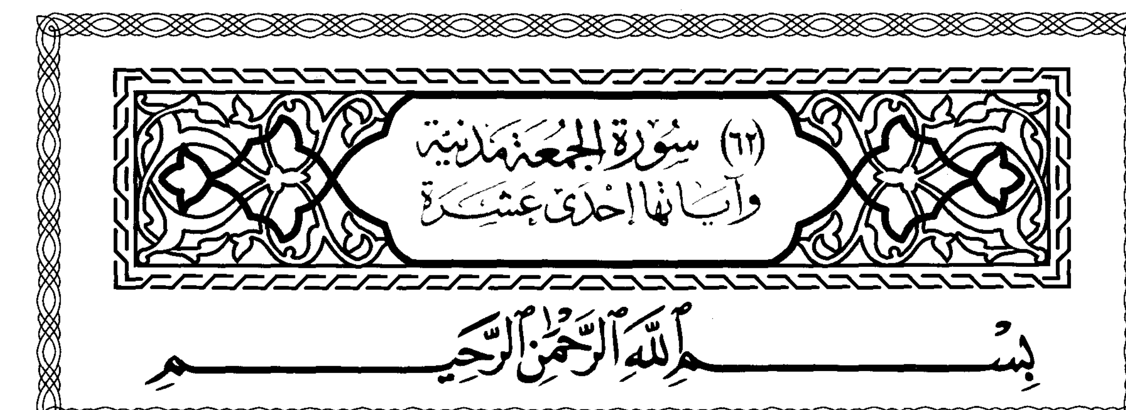
فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ

وللرَّسُولِ، كَمَا آسْتَجَابَ الحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى حِينَمَا سَأَلَهُمْ: مَنْ يُعِينُنِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ لَهُ الحَوَارِيُّونَ: إِنَّهُمْ أَنْصَارُ اللهِ، وَإِنَّهُمْ سَيُعِينُونَهُ وَسَيُؤَازِرُونَهُ فِيمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ إِبْلاَغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ، فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرِسَالَةِ عِيسَى، وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَجَحَدَتْ نُبُوَّتَهُ، وَرَمَتْهُ وَأُمَّهُ بِالبُهْتَانِ، وَغَلَتْ فِرَقٌ مِنْهُمْ فِي عِيسَى، فَقَالُوا: إِنَّهُ اللهُ، أَوْ إِنَّهُ آبْنُ اللهِ، أَوْ إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ، وَرَفَعُوهُ فَوْقَ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ. فَأَيَّدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ بِرِسَالَةِ عِيسَى بِنَصْرِهِ، وَأَظْهَرَهُمْ عَلَى مَنْ عَادَاهُمْ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ.

الحَوَارِيُّونَ - أَصْفِيَاءُ عِيسَى وَخَوَاصُّهُ.

فَأَيَّدْنَا - فَقَوَّيْنَا المُخْلِصِينَ بِالإِيْمَانِ.

ظَاهِرِينَ - غَالِبِينَ بِالحُجَجِ وَالبَيِّنَاتِ.



(١) يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ

الحزب ٥٦

(٢) هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(السَّمَاوَاتِ)

(١) - يُخبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَهُوَ تَعَالَى المَالِكُ المُتَصَرِّفُ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ، بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهُوَ المُنَزَّهُ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ التِي لاَ تَلِيقُ بِجَلاَلِهِ، وَهُوَ العَزِيزُ الذِي لاَ يُغَالَبُ، الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

سَبَّحَ - نَزَّهَ وَمَجَّدَ.

المَلِكِ - مَالِكِ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

القُدُّوسِ - المُنَزَّهِ عَنِ النَّقَائِصِ .

العَزِيزِ - القَادِرِ الذِي لاَ يُغَالَبُ.

(الأُمِّيِّينَ) (يَتْلُو) (آيَاتِهِ) (الكِتَابَ) (ضَلاَلٍ)

(٢) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولاً فِي العَرَبِ الأُمِّيِّينَ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ أُمِّيٌّ مِنْهُمْ. لاَ يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ القُرْآنِ التِي أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى، لِيُطَهِّرَهُمْ مِنْ خَبَائِثِ العَقَائِدِ وَالأَعْمَالِ، وَلِيُعَلِّمَهُم الشَّرَائِعَ وَالأَحْكَامَ، وَحِكْمَتَهَا وَأَسْرَارَهَا، وَقَدْ كَانَ هَؤُلاَءِ الأُمِّيُونَ، قَبْلَ إِرْسَالِ النَّبِيِّ إِليهِمْ، فِي ضَلاَلٍ بَيِّنٍ عَنْ جَادَّةِ الهُدَى، إِذْ إِنَّ العَرَبَ كَانُوا قَبْلاً عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ ابْتَعَدُوا عَنِ التَّوْحِيدِ، وَتَسَرَّبَتِ الضَّلاَلاَتُ إِلَى عَقِيدَتِهِمْ، فَأَصْبَحُوا مُشْرِكِينَ.

الأُمِّيِّينَ - العَرَبِ - وَالأُمِّيُّ هُوَ مَنْ لاَ يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ.

يُزَكِّيهِمْ - يُطَهِّرُهُمْ مِنْ أَدْنَاسِ الجَاهِلِيَّةِ.

٣ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(آخرِينَ)

(٣) - وَبعَثَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّداً إِلَى أُمَمٍ أُخْرَى غَيْرِ العَرَبِ لَمْ يَجِيئُوا بَعْدُ، وَسَيَجِيئُونَ، وَاللهُ تَعَالَى هُوَ العَزِيزُ ذُو السُّلْطَانِ، القَادِرُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أُمَّةِ العَرَبِ التِي كَانَتْ مُسْتَضْعَفَةً أُمَّةً قَوِيَّةً قَادِرَةً عَلَى نَشْرِ دِينِ اللهِ فِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

لَمَّا يَلْحقُوا بِهِمْ - لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ بَعْدُ، وَلٰكِنْ سَيَلْحَقُونَ.

آخرِينَ مِنْهُمْ - مِنَ العَرَبِ.

٤ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ

(٤) - وَإِنَّ إِرْسَالَ الرَّسُولِ إِلَى البَشَرِ لِيُطَهِّرَهُمْ وَيُزَكِّيَهُمْ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى الخَيْرِ، هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ، وَإِحْسَانٌ مِنْهُ إِلَى عِبَادِهِ، يَمُنُّ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ يَصْطَفِيهِمْ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ تَعَالَى عَظِيمُ الفَضْلِ عَلَيهِمْ.

٥ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

(التَّوْرَاةَ) (بِآيَاتِ) (الظَّالِمِينَ)

(٥) - لَمَّا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّداً، عَلَيْهِ السَّلامُ، رَسُولاً قَالَ اليَهُودُ: إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُبْعَثْ إِليهِمْ، فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ مُبَيِّناً: لَوْ أَنَّهُمْ فَهِمُوا التَّوْرَاةَ حَقَّ الفَهْمِ ، وَعَمِلُوا بِمَا فِيهَا، لَرَأَوْا فِيهَا نَعْتَ مُحَمَّدٍ وَالبِشَارَةَ بِهِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُهُ، وَمَا مَثَلُهُمْ فِي حَمْلِهِمْ التَّوْرَاةَ، وَتَرْكِهِمْ العَمَلَ بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامٍ ، إِلَّا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ الكُتُبَ وَهُوَ لاَ يَدْرِي مَا فِيهَا. وَكَذَلِكَ حَالُ اليَهُودِ فِي حَمْلِهِمْ التَّوْرَاةَ، فَقَدْ حَفِظُوهَا لَفْظاً، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَفَهَّمُوهَا، فَهُمْ أَسْوَأُ حَالاً مِنَ الحِمَارِ. وَمَا أَقْبَحَ هٰذَا المَثَلَ مَثَلاً لَهُمْ لِتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ التِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، لَوْ كَانُوا يَتَفَكَّرُونَ وَيَتَدَبَّرُونَ. وَاللهُ لاَ يُوَفِّقُ إِلَى الهُدَى القَوْمَ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ.

حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ - كُلِّفُوا العَمَلَ بِمَا فِيهَا.

يَحْمِلُ أَسْفَاراً - يَحْمِلُ كُتُباً عِظَاماً وَلاَ يَنْتَفِعُ بِهَا.

٦ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(يَا أَيُّهَا) (صَادِقِينَ)

(٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهٰؤُلاءِ اليَهُودِ: إِنَّكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُم عَلَى حَقٍّ وَهُدًى، وَأَنَّ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ عَلَى ضَلالَةٍ، فَادْعُوا بِالمَوْتِ عَلَى الضَّالِ مِنَ الفِئَتَيْنِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ.

هَادُوا - دَانُوا بِاليَهُودِيَّةِ.

(٧) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ

(٨) قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(١٠) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(بِالظَّالِمِينَ)

(٧) - وَلَا يَتَمَنَّى هَؤُلَاءِ اليَهُودُ المَوْتَ أبداً لِعِلْمِهِمْ بِسُوءِ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالفُجُورِ، وَلأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَنَّوا المَوْتَ لَمَاتُوا لِسَاعَتِهِمْ. وَلأَنْزَلَ اللهُ بِهِمْ عَذَابَهُ الشَّدِيدَ - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَسُوءِ العَمَلِ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً.

(مُلاَقِيكُمْ) (عَالِمِ) (الشَّهَادَةِ)

(٨) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الفِرَارَ مِنَ المَوْتِ لاَ يُجْدِيهِمْ نَفْعاً، وَإِنَّهُ سَيُلاَقِيهِمْ حِينَمَا يَحِينُ أَجَلُهُمْ، لاَ يَصْرِفُهُ عَنْهُمْ صَارِفٌ، وَأَيَّامُ الحَيَاةِ مَعْدُودَةٌ، وَهِيَ سَتَنْقَضِي مَهْمَا طَالَ أَمَدُهَا، ثُمَّ تَرْجِعُونَ بَعْدَ المَوْتِ إِلَى عَالِمِ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَعَالِمِ مَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِيهَا، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (لِلصَّلاَةِ)

(٩) - يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى تَرْكِ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَعَلَى السَّعْيِ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ إِلَى المَسَاجِدِ، حِينَمَا يُؤَذِّنُ المُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، لِلاسْتِمَاعِ إِلَى مَوَاعِظِ الخُطَبَاءِ، وَلأَدَاءِ الصَّلاَةِ مَعَ الجَمَاعَةِ. وَذَلِكَ السَّعْيُ إِلَى الصَّلاَةِ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَبْقَى مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ، هَذَا إِنْ كَانَ المُخَاطَبُونَ مِنْ ذَوِي العِلْمِ الصَّحِيحِ بِمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ.
(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ (أَيْ تُسْرِعُونَ) وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ وَعَلَيكُمُ السَّكِينَةُ وَالوَقَارُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا). (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ).

(وَالسَّعْيُ هُنَا مَعْنَاهُ الاهْتِمَامُ بِالصَّلاَةِ وَلَيْسَ السُّرْعَةَ).

ذَرُوا - اتْرُكُوا البَيْعَ وَتَفَرَّغُوا لِلْعِبَادَةِ.

(الصَّلاَةُ)

(١٠) - فَإِذَا أَدَّيْتُمُ الصَّلاَةَ فَتَفَرَّقُوا لِمُبَاشَرَةِ مَصَالِحِكُمْ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَاسْأَلُوا اللهَ الرِّزْقَ الحَلاَلَ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً أَثْنَاءَ بَيْعِكُمْ وَشِرَائِكُمْ، وَلاَ تَتْرُكُوا الدُّنْيَا تَشْغَلُكُمْ عَمَّا يَنْفَعُكُمْ فِي الآخِرَةِ، لَعَلَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تُفْلِحُونَ، وَتَفُوزُونَ بِرِضَا اللهِ، وَحُسْنِ ثَوَابِهِ.

انْتَشِرُوا - تَفَرَّقُوا طَلَباً لِحَوَائِجِكُمْ.

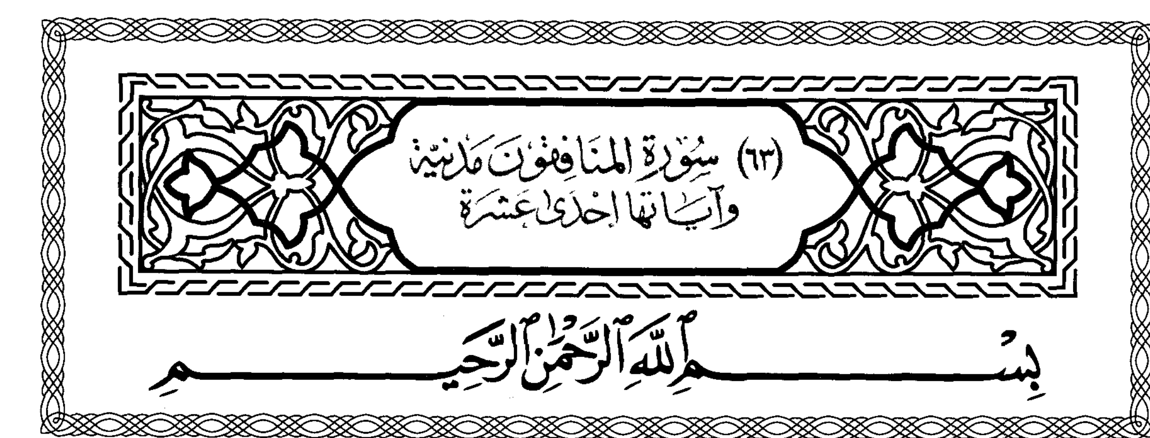
﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

(تِجارَةً) (قَائِماً) (التِّجارَةِ) (الرَّازِقِينَ)

(١١) ـ قَدِمَتْ عِيرٌ بِتِجَارَةٍ إِلَى المَدِينَةِ فِي إِحْدَى المَرَّاتِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمْعَةِ، فَخَرَجَ النَّاسُ، وَبَقِيَ آثْنا عَشَرَ رَجُلاً، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ يُعَاتِبُ فِيهَا عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ عَلَى آنْصِرافِهِمْ عَنِ الخُطْبَةِ يَوْمَ الجُمْعَةِ إِلَى التِّجَارَةِ.

وَمَعْنَى الآيَةِ انَّ بَعْضَ المُؤْمِنِينَ إِذَا رَأَوْا عِيرَ تِجَارَةٍ، أَوْ لَهْواً أَسْرَعُوا إِليهِ، وَتَرَكُوا الرَّسُولَ قَائماً يَخْطُبُ فِي النَّاسِ. فَقُلْ لَهُمْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الخَيْرِ وَالثَّوابِ، خَيْرٌ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، فَاسْعَوا إِليهِ، وَآطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنْهُ، فَلَنْ يَفُوتَكُمْ رِزْقٌ إِذَا تَأَخَّرْتُمْ لِسَمَاعِ الخُطْبَةِ.

آنفضُوا إليهَا ـ تَفَرَّقُوا عَنْكَ قَاصِدِينَ إِليهَا.



(١) إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ
إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ

(٢) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا
عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ

(٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ

(الْمُنَافِقُونَ) (الْمُنَافِقِينَ) (لَكَاذِبُونَ)

(١) - إِذَا جَاءَ الْمُنَافِقُونَ إِلَى مَجْلِسِكَ يَا مُحَمَّدُ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقّاً وَصِدْقاً، وَقَدْ أَرْسَلَكَ اللهُ تَعَالَى إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ وَحْيَهُ وَقُرْآنَهُ، وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ لِتُبَلِّغَهُمْ مَا أَوْحَاهُ إِلِيكَ رَبُّكَ، وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ الذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا لَكَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْتَقِدُونَ صِدْقَ مَا يَقُولُونَ.

المُنَافِقُ - هُوَ الذِي يُظْهِرُ الإِيمَانَ وَيُبْطِنُ الكُفْرَ وَهُوَ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ مَا يَعْتَقِدُ.

(أَيْمَانَهُمْ)

(٢) - جَعَلَ هَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ أَيْمَانَهُم الكَاذِبَةَ وِقَايَةً لَهُمْ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ، وَحِفْظِ أَمْوَالِهِمْ فَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ، وَيَقُولُونَ نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لِيَغْتَرَّ بِهِمْ مَنْ لاَ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ، وَيَعْتَقِدَ بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ فَيَطْمَئِنَّ إِلَيهِمْ، وَلِيَسْتَغِلُّوا هَذَا الاطْمِئْنَانَ إِليهِمْ لِيَنْصَرِفُوا إِلَى العَمَلِ عَلَى صَرْفِ النَّاسِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ، فَسَاءَ عَمَلُهُمْ وَقَبُحَ إِذْ آثَرُوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ، وَأَظْهَرُوا خِلاَفَ مَا يَعْتَقِدُونَ، وَسَيَلْقَوْنَ عِقَابَ ذَلِكَ العَمَلِ السَّيِّءِ فِي الآخِرَةِ.

جُنَّةً - وِقَايَةً لأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

(آمَنُوا)

(٣) - وَذَلِكَ الذِي فَعَلُوهُ إِنَّمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ لِسُوءِ سَرِيرَتِهِمْ، وَقُبْحِ طَوِيَّتِهِمْ، فَاسْتَهَانُوا بِمَا يَفْعَلُونَ، وَكُلُّ هَمِّهِم المُحَافَظَةُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، لِذَلِكَ أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ الإِيمَانَ وَأَبْطَنُوا الكُفْرَ، وَقَدْ خَتَمَ اللهُ

(٤) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ

ربع الحزب ٥٦

(٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إليهَا الإيْمَانُ الحَقُّ، فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَفْقَهُونَ.

آمَنُوا - بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ.

فَطُبِعَ - فَخَتَمَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ

لاَ يَفْقَهُونَ - لاَ يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الإيْمَانِ.

(قَاتَلَهُمُ)

(٤) - وَإِذَا رَأَيْتَ هَؤُلاَءِ المُنَافِقِينَ تُعْجِبُكَ صُوَرُهُمْ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا تُعْجِبُكَ أَقْوَالُهُمْ لأَنَّهُمْ ذَوُو صُوَرٍ مُتَنَاسِقَةٍ، وَذَوُو لَسَنٍ وَفَصَاحَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الحَقِيقَةِ أَشْبَاحٌ بِلاَ أَرْوَاحٍ، وَقُلُوبُهُمْ فَارِغَةٌ مِنَ الإيْمَانِ فَكَأَنَّهُمْ خُشُبٌ جَوْفَاءُ قَدْ نَخَرَ السُّوسُ دَاخِلَهَا، وَهُمْ فِي غَايَةِ الهَلَعِ وَالجَزَعِ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَوْتٍ يَقَعُ أَنَّ البَلاَءَ قَدْ جَاءَهُمْ، وَأَنَّ أَمْرَهُمْ قَدِ افْتَضَحَ، وَأَنَّهُمْ هَالِكُونَ لاَ مَحَالَةَ.

وهَؤُلاَءِ هُمُ الأَعْدَاءُ الحَقِيقِيُّونَ لِلإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ فَلاَ تَأْمَنْهُمْ عَلَى سِرٍّ، لأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُتَحَرِّقَةٌ حَسَداً وَبُغْضاً، لَعَنَهُمُ اللهُ وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَمَا أَقْبَحَ حَالَهُمْ، وَمَا أَشَدَّ غَفْلَتَهُمْ، فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ، وَعَنِ الإِيْمَانِ إِلَى الكُفْرِ؟.

خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ - أَخْشَابٌ مُسَنَّدَةٌ إِلَى الحَائِطِ.

هُمُ العَدُوُّ - هُمُ الرَّاسِخُونَ فِي العَدَاوَةِ.

أَنَّى يُؤْفَكُونَ - كَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ.

(٥) - وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلاَءِ المُنَافِقِينَ تَعَالَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ لِيَسْتَغْفِرَ لَكُمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَآثَامٍ وَنِفَاقٍ أَمَالُوا رُؤُوسَهُمْ، وَأَعْرَضُوا اسْتِكْبَاراً وَأَنَفَةً أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ.

(رُوِيَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ وَاللَّوَاتِي تَلِيهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَزَا بَنِي المُصْطَلِقِ، فَازْدَحَمَ عَلَى المَاءِ أَجِيرٌ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَرَجُلٌ مِنْ حُلَفَاءِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، وَاقْتَتَلاَ فَنَادَى أَجِيرُ عُمَرَ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ. وَصَاحَ الآخَرُ: يَا لِلأَنْصَارِ. فَتَصَايَحَ القَوْمُ، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ لِمَنْ حَوْلَهُ: مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ المُهَاجِرِينَ إِلاَّ كَمَا قَالَ القَائِلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ، إِنَّا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. وَقَالَ لأَصْحَابِهِ هَذَا مَا صَنَعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أَحْلَلْتُمُوهُ بِلاَدَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَّا وَاللهِ لَوْ كَفَفْتُمْ عَنْهُمْ لَتَحَوَّلُوا عَنْكُمْ مِنْ بِلاَدِكُمْ إِلَى غَيْرِهَا.

وَنَقَل الحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ غُلامٌ ٱسْمُهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَم، فَٱقْتَرَحَ عَمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَى الرَّسُولِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِضَرْبِ عُنُقِ ٱبْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ ، فَرَفَضَ الرَّسُولُ ذَلِكَ الاقْتِرَاحَ. وَٱسْتَدْعَى الرَّسُولُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ وَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَ، فَأَنْكَرَ وَحَلَفَ إِنَّ الغُلاَمَ لَكَاذِبٌ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَاتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ لِزَيْدِ بْنِ أَرْقَم : يَا غُلاَمُ صَدَّقَكَ اللهُ، وَكَذَّبَ المُنَافِقِينَ.

وَلَمَّا بَانَ كَذِبُ ٱبْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ ،قِيلَ لَهُ نَزَلَتْ فِيكَ آيٌ شِدَادٌ فَٱذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللهِ يَسْتَغْفِرْ لَكَ، فَلَوَى رَأْسَهُ وَقَالَ: أَمَرْتُمُونِي أَنْ أُؤْمِنَ فَآمَنْتُ، وَأَمَرْتُمُونِي أَنْ أُزَكِّي فَزَكَّيْتُ، وَمَا بَقِيَ إِلاَّ أَنْ أَسْجُدَ لِمُحَمَّدٍ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ٱشْتَكَى هَذَا المُنَافِقُ مَرَضاً وَمَاتَ).

لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ - عَطَفُوهَا إِعْرَاضاً وَٱسْتِهْزَاءً.

﴿٦﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ

(الْفَاسِقِينَ)

(٦) - وَسَوَاءٌ ٱسْتَغْفَرْتَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلاَءِ المُنَافِقِينَ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَآثَامَهُمْ، لأَنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمِ الشَّقَاءَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الفِسْقِ، وَمَا رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ.

﴿٧﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ

(خَزَائِنُ) (السَّمَاوَاتِ) (الْمُنَافِقِينَ)

(٧) - وَهَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ هُمُ الذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ المُهَاجِرِينَ فَيَتَحَوَّلُوا عَنْكُمْ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، وَيَنْفَضَّ عَنْ مُحَمَّدٍ مَنْ حَوْلَهُ إِذَا عَضَّهُمُ الجُوعُ. وَهَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ جَاهِلُونَ لاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ أَرْزَاقِ العِبَادِ فَلاَ يَصِلُ شَيْءٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَلِذَلِكَ قَالُوا هَذَا القَوْلَ.

حَتَّى يَنْفَضُّوا - حَتَّى يَتَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ.

﴿٨﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

(لَئِن) (الْمُنَافِقِينَ)

(٨) - وَيَقُولُ هَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ: إِذَا رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ فَإِنَّنَا سَنُخْرِجُ المُؤْمِنِينَ مِنْهَا، لأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنْفُسَهُمْ هُم الأَقْوِيَاءَ الأَعِزَّاءَ فِيهَا لِكَثْرَةِ جَمْعِهِمْ، وَوَفْرَةِ مَالِهِمْ، وَأَنَّ المُؤْمِنِينَ ضِعَافٌ قَلِيلُو العَدَدِ.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلاَءِ المُنَافِقِينَ قَائِلاً: إِنَّ العِزَّةَ للهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ ذُو الجَلاَلِ وَالعِزَّةِ ، ثُمَّ تَكُونُ العِزَّةُ مِنْ بَعْدِهِ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ ﷺ، ثُمَّ

لِلْمُؤْمِنِينَ الذِينَ يَسْتَعِزُّونَ بِعِزِّ اللهِ، وَبِنَصْرِهِ، فَهُمْ أَعِزَّةٌ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَظُنُّونَ أَنَّ العِزَّةَ بِوَفْرَةِ المَالِ وَكَثْرَةِ النَّاصِرِ.
(وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ - وَكَانَ مُؤْمِناً مُخْلِصاً فِي إِيْمَانِهِ - لَمَّا سَمِعَ مَقَالَةَ أَبِيهِ هَذِهِ آسْتَلَّ سَيْفَهُ وَوَقَفَ بِبَابِ المَدِينَةِ، وَلَمْ يَسْمَحْ لأَبِيهِ أَنْ يَدْخُلَ حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ بِالدُّخُولِ، ثُمَّ قَالَ لأَبِيهِ: عَلَيَّ للهِ أَلاَّ أُغْمِدَ سَيْفِي حَتَّى تَقُولَ: مُحَمَّدٌ الأَعَزُّ، وَأَنَا الأَذَلُّ. فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى قَالَ: ثُمَّ أَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ بِالدُّخُولِ إِلَى المَدِينَةِ فَدَخَلَ).
رَجَعْنَا - عُدْنَا مِنْ غَزْوَتِنَا.
لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ - الأَشَدُّ قُوَّةً وَغَلَبَةً - يَعْنُونَ أَنْفُسَهُمْ.
الأَذَلَّ - الأَضْعَفَ وَالأَهْوَنَ - وَيَعْنُونَ بِذَلِكَ المُسْلِمِينَ المُهَاجِرِينَ.

﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَمْوَالُكُمْ) (أَوْلاَدُكُمْ) (فَأُولَئِكَ) (الخَاسِرُونَ)

(٩) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ وَبِأَلاَّ يَشْغَلَهُمْ مَا لَهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ مَنِ التَهَى عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَطَاعَتِهِ بِمَتَاعِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَإِنَّهُ مِنَ الخَاسِرِينَ الذِينَ يَخْسَرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ.
لاَ تُلْهِكُمْ - لاَ تَشْغَلْكُمْ وَتَصْرِفْكُمْ.
ذِكْرِ اللهِ - عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ.

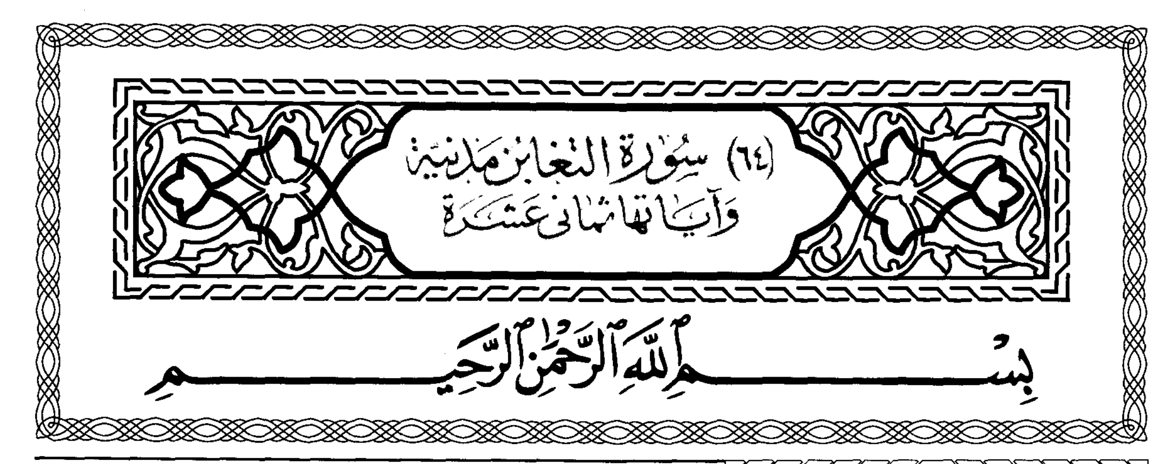
﴿١٠﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ

(رَزَقْنَاكُمْ) (الصَّالِحِينَ)

(١٠) - يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلإِنْفَاقِ فِي طَاعَتِهِ مِنَ المَالِ الذِي جَعَلَهُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَحِينَ أَجَلُهُمْ فَيَقُولُ هَؤُلاَءِ الذِينَ قَصَّرُوا فِي الطَّاعَةِ، وَفِي الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ: يَا رَبِّ لَوْ أَنَّكَ أَخَّرْتَنِي مُدَّةً يَسِيرَةً، فَأُنْفِقَ فِي طَاعَتِكَ، وَأَسْتَجِيبَ لأَمْرِكَ، وَأَكُونَ مِنْ عِبَادِكَ المُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ، الذِينَ تَرْضَى عَنْهُمْ.
لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي - هَلاَّ أَمْهَلْتَنِي وَأَخَّرْتَنِي.

﴿١١﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١١) - وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِهَؤُلاَءِ: إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا الطَّاعَاتِ، وَيُنْفِقُوا فِي أَوْجُهِ الخَيْرِ وَالبِرِّ قَبْلَ أَنْ يَحِينَ أَجَلُهُمْ، لأَنَّهُمْ إِذَا حَانَ أَجَلُهُمْ فَلاَ مَجَالَ لِلتَّأْخِيرِ وَالإِمْهَالِ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُهُ العِبَادُ.



١ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(السَّماوَاتِ)

(١) - جَميعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقاتٍ تُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللهِ، وَتُنَزِّهُهُ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ التي لاَ تَليقُ بِجلاَلِهِ وكَمالِهِ، فَهُوَ تَعالَى المالِكُ المُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ مَا فِي الوُجُودِ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الجَميلُ عَلى جَميعِ مَا يَخْلُقُهُ وَيُقَدِّرُهُ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنْ، وَلاَ رَادَّ لأَمْرِهِ وَلاَ مَانِعَ.

لَهُ المُلْكُ - لَهُ التَّصرُّفُ المُطْلَقُ فِي كُلِّ شَيءٍ.

٢ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(٢) - هُوَ الذي خَلقَكُمْ، يَا أَيُّها النَّاسُ، وَأَوْجَدَكُمْ مِنْ عَدَمٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَبَعْضُكُمْ يَخْتارُ الكُفْرَ، وَيَعْمَلُ لَهُ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَفكَّرُ وَيُمْعِنُ النَّظَرَ فِي الأَدِلَّةِ التِي أَقامَها اللهُ تَعَالَى فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ، فَيُؤْمِنُ بِاللهِ، وَيَعْمَلُ صَالِحاً، وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلاَلَةَ، وَهُوَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ العِبَادُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ، وَسَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ.

٣ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ

(السَّماوَاتِ)

(٣) - وَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالعَدْلِ وَالحِكْمَةِ البَالِغَةِ، المُتَضَمِّنَةِ لِمَنافِعِ الدِّينِ والدُّنْيا، وَلَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثاً وَبَاطِلاً، وَصَوَّرَكُمْ يَا أَيُّها النَّاسُ، حِينَ خَلَقَكُمْ، فَجَعَلَكُمْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَكْمَلِ مَظْهَرٍ، وَإِلَيهِ تَصِيرُونَ بَعْدَ المَوْتِ لِيُحَاسِبَكُمْ عَلى أَعْمالِكُمْ، وَيُجَازِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ، وَلاَ مُعقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ.

بِالحَقِّ - بِالحِكْمَةِ البَالِغَةِ.

أَحْسَنَ صُوَرَكُمْ - أَتْقَنَها وَأَحْكَمَها.

﴿٤﴾ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

(السَّماوَاتِ)

(٤) - وَاللهُ تَعَالَى يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ كَائِنَاتٍ وَمَخْلُوقَاتٍ، فَلا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمورِهَا خَافِيَةٌ، وَهُوَ يُدَبِّرُهَا وَيُدِيرُهَا، وَيَعْلَمُ مَا يُعْلِنُهُ النَّاسُ وَيَقولُونَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَهُ وَيُبْطِنُونَهُ، وَمَا تُوَسْوِسُ بِهِ نُفُوسُهُمْ، وَيَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَ فِي صُدُورِهِمْ وَمَا يُبَيِّتُونَ فِي سَرَائِرِهِمْ فَلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿٥﴾ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ
فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(نَبَأُ)

(٥) - يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى المُشْرِكِينَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ مِنْ مَغَبَّةِ تَمَادِيهِمْ فِي الكُفْرِ وَالضَّلالَةِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللهِ، وَيَلْفِتُ أَنْظَارَهُمْ إِلَى مَا أَنْزَلَهُ مِنْ عِقَابٍ بِالكُفَّارِ المُكَذِّبِينَ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ تَأْتِكُمْ أَخْبَارُ الكَافِرِينَ السَّالِفِينَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رُسُلُ رَبِّهِمْ، كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ بِهِمْ عِقَابَهُ الأَلِيمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقَهُ بِالطُّوفَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَهْلَكَتْهُ الرِّيحُ العَقِيمُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ صَيْحَةُ العَذَابِ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ عِقَاباً أَلِيماً لَهُمْ، فِي الدُّنْيَا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ، وَسَيَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ فِي الآخِرَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَبَالَ أَمْرِهِمْ - سُوءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا
فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ
غَنِيٌّ حَمِيدٞ

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٦) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ بِهِمْ مَا أَنْزَلَهُ مِنَ العَذَابِ وَالدَّمَارِ لأَنَّهُمْ كَانَتْ رُسُلُهُمْ تَأْتِيهِمْ بِالحُجَجِ وَالدَّلالاتِ الوَاضِحَةِ المُبَيِّنَةِ، وَبِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ، فَكَانُوا يَعْجَبُونَ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رِسَالَتَهُ إِلَى النَّاسِ فِي أُنَاسٍ مِنَ البَشَرِ، لا مِيزَةَ لَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ وَلاَ فَضْلَ. وَقَدْ حَمَلَهُمْ هَذَا الاعْتِقَادُ عَلَى الكُفْرِ بِاللهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَعْرَضُوا عَنْ دَعْوَةِ الحَقِّ وَتَوَلَّوْا عَنْ طَرِيقِ الهُدَى فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ جَمِيعاً، وَقَطَعَ دَابِرَهُمْ، وَاسْتَغْنَى عَنْ إِيْمَانِهِمْ، وَهُوَ الغَنِيُّ عَنِ المَخْلُوقَاتِ جَمِيعاً، وَهُوَ الحَقِيقُ بِالحَمْدِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الوَفِيرَةِ التِي لاَ تُحْصَى.

تَوَلَّوا - أَعْرَضُوا عَنِ الإِيْمَانِ بِالرُّسُلِ.

﴿٧﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ

(٧) - ادَّعَى المُشْرِكُونَ وَالكُفَّارُ أَنَّهُ لاَ بَعْثَ وَلاَ حَشْرَ وَلاَ حِسَابَ، وَلاَ جَزَاءَ فِي الآخِرَةِ، وَاسْتَبْعَدُوا وُقُوعَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَتَفَرَّقَ الأَجْسَادُ فِي

وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ

الأَرْضِ، وَتُصْبِحَ رَمِيماً مُتَنَاثِراً. فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ مُقْسِماً بِرَبِّكَ الكَرِيمِ عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُ: إِنَّ البَعْثَ لَكَائِنٌ لاَ مَحَالَةَ، وَإِنَّكُمْ سَتُحَاسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ جَمِيعِهَا. وَبَعْثُ البَشَرِ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَإِطْلاَعُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِم التِي عَمِلُوهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وَحِسَابُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ فِي غَايَةِ اليُسْرِ والسُّهُولَةِ، فَهُوَ تَعَالَى القَادِرُ القَاهِرُ.

٨ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(فَآمِنُوا)

(٨) - فَآمِنُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبالكِتَابِ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ لِيَهْدِيَكُمْ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلِيُنْقِذَكُمْ مِنَ الضَّلاَلَةِ وَالشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَسَيُحَاسِبُكُمْ عَلَيْهَا فَاتَّعِظُوا وَآمِنُوا، وَأَقْلِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ وَالعِنَادِ.

النُّورِ - القُرْآنِ.

٩ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(صَالِحاً) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(٩) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يَبْعَثُكُم اللهُ مِنْ قُبُورِكُمْ، وَيَحْشُرُكُمْ إِلَيهِ لِلحِسَابِ وَالجَزَاءِ، وَذَلِكَ اليَوْمُ هُوَ يَوْمُ التَّغَابُنِ، إِذْ يَكُونُ النَّاسُ فَرِيقَينَ: كَافِرِينَ اشْتَرَوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ، فَخَسِرَتْ صَفقَتُهُمْ، وَصَارُوا إِلَى عَذَابِ النَّارِ، وَمُؤْمِنِينَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالجَنَّةِ، فَرَبِحَتْ صَفقَتُهُمْ، وَصَارُوا إِلَى نَعِيمِ الجَنَّةِ، فَلاَ غَبْنَ أَعْظَم مِنَ الغَبْنِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، حِينَمَا يَجِدُ الكَافِرُونَ المُقَصِّرُونَ أَنَّهُمْ بَاعُوا النَّعِيمَ الخَالِدَ الدَّائِمَ، بِلَذَّةٍ قَلِيلَةٍ زَائِلَةٍ. وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ. يُكَفِّرِ اللهُ عَنْهُ سَيئَاتِهِ، وَيَغْفِرْ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَيُدْخِلْهُ جَنَّةً تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا، وَيَبْقَى خَالِداً فِي نَعِيمِهَا أَبَداً، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ الَّذِي لاَ فَوْزَ بَعْدَهُ.

يَوْمُ التَّغَابُنِ - يَظْهَرُ فِيهِ غَبْنُ الكَافِرِ بِتَرْكِهِ الإِيْمَانَ.

١٠ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

(بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدِينَ)

(١٠) - أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَجَحَدُوا بِوحْدَانِيَّتِهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَالكِتَابَ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيهِ، فَهَؤُلاَءِ يُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَبْقَوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً، وَبِئْسَ النَّارُ مَنْزِلاً وَمَصِيراً.

(١١) مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ

(١١) - مَا أَصَابَ أَحداً شيءٌ مِنْ رزَايَا الدُّنْيَا ومَصَائِبِهَا، إلاَّ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَالمَرْءُ يَعْمَلُ وَيَتَّخِذُ مِنَ الأَسْبَابِ مَا هُوَ في طَوقِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ، لَجَلْبِ الخَيْرِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ، وَلَكِنَّ النَّتَائِجَ بِيَدِ اللهِ وَوفْقَ قَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَإِذَا مَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلَيْهِ أَلاَّ يَغْتَمَّ وَلاَ يَحْزَنَ، وَعَلَيهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّما كَانَ ذَلِكَ بِإِرَادَةِ اللهِ وَعِلْمِهِ. وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ وَآمَنَ أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ بِقَضَاءِ اللهِ، وَقَدَرِهِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، عَوَّضَهُ اللهُ عَنْ إِصَابَتِهِ فِي الدُّنْيَا، هُدًى فِي قَلْبِهِ، وَيَقِيناً صَادِقاً بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِالأَشْيَاءِ كُلِّهَا. فَالمُؤْمِنُ عَلَيهِ وَاجِبَانِ:

- السَّعْيُ وَبَذْلُ الجُهْدِ وَاتِّخَاذُ الأَسْبَابِ لِجَلْبِ الخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً.
- ثُمَّ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ اليَقِينِ بِأَنَّ كُلَّ مَا يَحْدُثُ هُوَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ فَلاَ يَغْتَمُّ وَلاَ يَحْزَنُ لِمَا يَقَعُ.

بِإِذْنِ اللهِ - بِإِرَادَتِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

يَهْدِ قَلْبَهُ - يُوَفِّقْهُ لِلْيَقِينِ وَالصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ.

(١٢) وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ

(البَلاَغُ)

(١٢) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ تَعَالَى فِيمَا شَرَعَ، وَبِطَاعَةِ رَسُولِهِ الكَرِيمِ فِيمَا بَلَّغَ، وَبِأَنْ يَفْعَلُوا مَا أُمِرُوا بِهِ، وَبِتَرْكِ مَا نُهُوا عَنْهُ، فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ مَهَمَّتُهُ أَدَاءُ الرِّسَالَةِ، وَقَدْ فَعَلَ، وَلاَ يُسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ شَيءٍ مِنْ أَعْمَالِ العِبَادِ.

(١٣) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(١٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ هُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ، وَأَنَّ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، وَيَتَوَكَّلُوا عَلَيهِ، وَيُخْلِصُوا العَمَلَ لَهُ، وَيَتقُوا بِهِ فِي أُمُورِهِمْ حَتَّى يَنْصُرَهُمُ اللهُ عَلَى مَنْ عَادَاهُمْ.

(١٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَزْوَاجِكُمْ) (أَوْلاَدِكُمْ)

(١٤) - يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ فَقَدْ يَكُونُ مِنَ بَينِ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ أَعْدَاءٌ لِلإِنْسَانِ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِعْلِ الطَّاعَاتِ التي تُقَرِّبُ إِلَى اللهِ، وَرُبَما حَمَلُوهُمْ عَلَى السَّعْيِ فِي اكْتِسَابِ الحَرَامِ، وَاجْتِرَاحِ الآثَامِ، لِمَنْفَعَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ يُؤَدِّي البُغْضُ إِلَى ارْتِكَابِ الجَرَائِمِ بِحَقِّ الأَزْوَاجِ وَالآبَاءِ، فَتَكُونُ عَدَاوَةٌ حَقِيقِيَّةٌ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي يَكُونُ فِيهِ هَلاَكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، يُعَيِّرَانِهِ بِالفَقْرِ فَيَرْتَكِبُ مَرَاكِبَ السُّوءِ فَيَهْلِكُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَحْمِلُهُ حُبُّهُ لَهُمْ، وَشَفَقَتُهُ عَلَيْهِمْ، وَحِرْصُهُ عَلَى أَنْ يَكُونُوا فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ فِي حَيَاتِهِ، وَبَعْدَ مَمَاتِهِ فَيَرْتَكِبُ المَحْظُورَاتِ لِتَحْصِيلِ مَا يَكُونُ سَبَباً لِذَلِكَ فَيَهْلِكُ.

ثُمَّ يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى العَفْوِ والصَّفْحِ فَقَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الخَيْرُ لِلإِنْسَانِ، فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بِهِمْ وَبِهِ، وَيُعَامِلُهُ بِمِثْلِ مَا عَامَلَهُمْ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ تَكَرُّماً مِنْهُ.

١٥ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ

(أَمْوَالُكُمْ) (أَوْلاَدُكُمْ)

(١٥) - الأَمْوَالُ وَالأَوْلاَدُ ٱخْتِبَارٌ مِنَ اللهِ وَٱبْتِلاَءٌ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، إِذْ كَثِيراً مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ ٱرْتِكَابُ المَحْظُورَاتِ، وَٱجْتِرَاحُ الآثَامِ، وَقَدْ قَدَّمَ اللهُ الأَمْوَالَ عَلَى الأَوْلاَدِ لأَنَّهَا أَعْظَمُ فِتْنَةً.

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي المَالُ).

ثُمَّ يُنَبِّهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى مَا أَعَدَّهُ مِنْ عَظِيمِ الأَجْرِ فِي الآخِرَةِ لِمَنْ آثَرَ مَحَبَّةَ اللهِ وَطَاعَتَهُ، عَلَى مَحَبَّةِ الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ.

فِتْنَة - بَلاَءٌ وَٱخْتِبَارٌ.

١٦ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

(فَأُولَئِكَ)

(١٦) - فَابْذُلُوا فِي تَقْوَى اللهِ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنَ الجَهْدِ وَالطَّاقَةِ.

(وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَٱجْتَنِبُوهُ). (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَٱعْمَلُوا بِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ عَلَى الأَقَارِبِ وَالفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ، وَأَحْسِنُوا إِلَى عِبَادِ اللهِ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيكُمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَيْراً لأَنْفُسِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ يَبْتَعِدْ عَنِ البُخْلِ وَالحِرْصِ عَلَى المَالِ، يَكُنْ مِنَ الفَائِزِينَ.

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ - يُكْفَى بُخْلَهَا الشَّدِيدَ مَعَ حِرْصِهَا.

١٧ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ

(يُضَاعِفْهُ)

(١٧) - مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ مَالٍ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَتَقَرُّباً إِلَيهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعُدُّ ذَلِكَ الإِنْفَاقَ مُقَدَّماً إِلَيهِ تَعَالَى، وَهُوَ يُخْلِفُهُ وَيَرُدُّهُ إِلَى المُنْفِقِينَ. أَضْعَافاً كَثِيرَةً - الحَسَنَةُ بِعَشَرَةِ أَمْثَالِهَا إِلى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ - وَيَمْحُو عَنْكُمْ بِهَا سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ. وَاللهُ شَكُورٌ يَجْزِي عَلَى القَلِيلِ

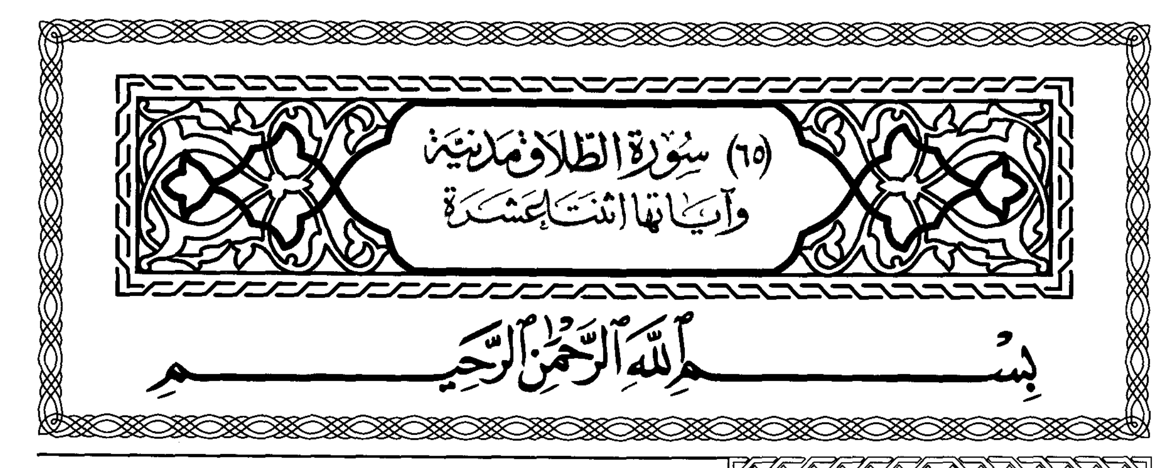
﴿١٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ

بِالكَثِيرِ، وَهُوَ كَثِيرُ الحِلْمِ وَالمَغْفِرَةِ، يَغْفِرُ وَيَسْتُرُ، ولَا يُعَاجِلُ بِالعُقُوبَةِ عِبَادَهُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالأَخْطَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ مُسْتَغْفِرِينَ.

قَرْضاً حَسَناً - آحْتِسَاباً طَيِّبَةً بِهِ النَّفْسُ.

(عَالِمُ) (الشَّهَادَةِ)

(١٨) - وَهُوَ تَعَالَى العَلِيمُ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيءٌ مِمَّا غَابَ عَنْهُمْ وَمِمَّا شَاهَدُوهُ، فَكُلُّهُ فِي عِلْمِ اللهِ وَحِفْظِهِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيءٌ، وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَسَيُثِيبُ العِبَادَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَيهَا إِنْ خَيْراً فَخَيْراً وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً، فَأَنْفِقُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي وُجُوهِ الخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، وَلَا تَخْشَوا أَنْ يَضِيعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَهُوَ مَحْفُوظٌ مَعْرُوفٌ فِي عِلْمِ اللهِ، وَاللهُ هُوَ النَّافِذُ الإِرَادَةِ الذِي عَزَّ كُلَّ شَيءٍ وَقَهَرَهُ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.



(١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا



(بِفَاحِشَةٍ) (يَا أَيُّهَا)

(١) (طَلَّقَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ آمْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَغَيَّظَ الرَّسُولُ، وَقَالَ لَهُ: لِيُراجِعْهَا ثُمَّ يُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهرَ، ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهرُ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا، فَتِلْكَ هِيَ العِدَّةُ التِي أَمَرَ تَعَالَى أَنْ يُطَلَّقَ النِّسَاءُ لَهَا).
وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: لاَ يُطَلِّقُهَا وَهِيَ حَائِضٌ، وَلاَ فِي طُهْرٍ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلَكِنْ يَتْرُكُهَا حَتَّى إِذَا حَاضَتْ وَطَهُرَتْ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً.
وَهَذَا الطَّلاَقُ يَتَعَلَّقُ بِالنِّسَاءِ المَدْخُولِ بِهِنَّ، ذَوَاتِ الحَيْضِ، أَمَّا غَيْرُ المَدْخُولِ بِهِنَّ فَلاَ عِدَّةَ عَلَيْهِنَّ. وَالنِّسَاءُ المَدْخُولُ بِهِنَّ مِنْ غَيْرِ ذَوَاتِ الحَيْضِ كَالآيِسَاتِ، وَغَيْرِ البَالِغَاتِ فَلَهُنَّ حُكْمٌ خَاصٌّ.
ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِإِحْصَاءِ العِدَّةِ، وَمَعْرِفَةِ آبْتِدَائِهَا وَآنْتِهَائِهَا لِئَلاَّ تَطُولَ عَلَى المَرْأَةِ، كَمَا أَمَرَهُمْ بِحِفْظِ الأَحْكَامِ وَالحُقُوقِ التِي تَجِبُ فِيهَا.
وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالنِّدَاءِ لأَنَّهُ إِمَامُ أُمَّتِهِ وَقُدْوَتُهَا. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِخَشْيَةِ اللهِ وَخَوْفِهِ وَتَقْوَاهُ، وَأَمَرَهُمْ بِأَلاَّ يَعْصُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ مِنْ طَلاَقِ النِّسَاءِ لِعِدَّتِهِنَّ، وَفِي القِيَامِ بِحُقُوقِ المُعْتَدَّاتِ، وَأَنْ لاَ يُخرِجُوا النِّسَاءَ المُعْتَدَّاتِ مِنَ المَسَاكِنِ، التِي كَانَ الأَزْوَاجُ يُسَاكِنُونَهُنَّ فِيهَا قَبْلَ الطَّلاَقِ، فَهَذِهِ السُّكْنَى حَقٌّ وَاجِبٌ أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلزَّوْجَاتِ، فَلاَ يَجُوزُ تَعَدِّي هَذَا الحَقِّ إِلاَّ لِضَرُورَةٍ كَانْهِدَامِ المَنْزِلِ أَوِ الحَرِيقِ.
وَلاَ تَخْرُجُ المُعْتَدَّاتُ إِلاَّ لِضَرُورَةٍ، أَوِ بِسَبَبِ الإِتْيَانِ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ تُوجِبُ حَدّاً مِنْ زِنىً أَوْ سَرِقَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ لِبَذَاءَةِ لِسَانٍ، أَوْ لِسُوءِ خُلُقٍ.
وَهَذِهِ الأَحْكَامُ التِي يُبَيِّنُهَا اللهُ تَعَالَى مِنَ الطَّلاَقِ لِلعِدَّةِ، وَمِنْ إِحْصَاءِ

﴿٢﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا

﴿٣﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا

العِدَّةِ، وَالأَمْرِ بِاتِّقَاءِ اللهِ، وَعَدَمِ إِخْرَاجِ المُطَلَّقَةِ مِنْ بَيْتِهَا إِلَّا لِسَبَبٍ وَجِيهٍ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِ اللهِ التِي حَدَّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَيْهِمْ أَلَّا يَتَعَدَّوْهَا؛ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَأَضَرَّ بِهَا، وَلَا يَعْلَمُ الزَّوْجُ فَقَدْ يُحَوِّلُ اللهُ قَلْبَهُ مِنَ البُغْضِ لِلْمُطَلَّقَةِ، إِلَى المَحَبَّةِ فَيَنْدَمُ عَلَى فِرَاقِهَا، إِذَا كَانَ قَدْ أَخْرَجَهَا، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ مُرَاجَعَتَهَا.

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ - مُسْتَقْبِلَاتٍ لِعِدَّتِهِنَّ - الطُّهْرِ.

أَحْصُوا العِدَّةَ - اضْبِطُوهَا وَاسْتَكْمِلُوا ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ.

بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ - بِمَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ ظَاهِرَةٍ.

(الشَّهَادَةَ)

(٢) - فَإِذَا بَلَغَتِ المُعْتَدَّاتُ أَجَلَهُنَّ وَشَارَفَتْ عِدَّتُهُنَّ عَلَى الانْقِضَاءِ (وَلَكِنْ لَمْ تَنْتَهِ العِدَّةُ تَمَاماً)، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ عَلَى الزَّوْجِ أَنْ يَعْزِمَ إِمَّا عَلَى إِمْسَاكِهَا، وَإِعَادَتِهَا إِلَى عِصْمَتِهِ، وَمُعَامَلَتِهَا بِالمَعْرُوفِ، أَيْ مُحْسِناً صُحْبَتَهَا، وَإِمَّا أَنْ يَعْزِمَ عَلَى مُفَارَقَتِهَا بِمَعْرُوفٍ، دُونَ مُشَاتَمَةٍ وَلَا تَعْنِيفٍ، بَلْ يُطَلِّقُهَا عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ، وَيُؤَدِّي إِلَيهَا حُقُوقَهَا كَامِلَةً مِنْ مَهْرٍ وَنَفَقَةٍ وَمُتْعَةٍ حَسَنَةٍ، وَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِإِشْهَادِ رَجُلَينِ مِنْ ذَوِي العَدْلِ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي حَالَتِي الطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ، حَسْماً لِلنِّزَاعِ، فَقَدْ يَمُوتُ الزَّوْجُ فَيَدَّعِي الوَرَثَةُ أَنَّهُ لَمْ يُرَاجِعْهَا، فَيَحْرِمُوهَا مِيرَاثَهَا، وَمَخَافَةَ أَنْ تُنْكِرَ المَرْأَةُ عِدَّتَهَا فَتَقْضِي عِدَّتَهَا وَتَنْكِحَ زَوْجاً آخَرَ. وَيَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِالشَّهَادَةِ عَلَى الحَقِّ إِذَا اسْتُشْهِدُوا، وَبِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ إِذَا دُعُوا لِأَدَائِهَا.

وَهَذَا الذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ هُوَ عِظَةٌ لِمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ لِيَعْمَلَ بِهَا، وَيَسِيرَ عَلَى نَهْجِهَا.

وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ أَنَّهُ مَنِ اتَّقَى مِنْهُمُ اللهَ بِمُرَاعَاةِ مَا فُرِضَ عَلَيهِ فِي أَمْرِ المُطَلَّقَاتِ وَالمُعْتَدَّاتِ، جَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ مِنَ الغَمِّ، وَيُفَرِّجُ عَنْهُ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الهَمِّ وَالكَرْبِ.

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ - قَارَبَتْ عِدَّتُهُنَّ عَلَى الانْقِضَاءِ.

مَخْرَجاً - مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ وَضِيقٍ.

(بَالِغُ)

(٣) - وَمَنِ اتَّقَى اللهَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجاً وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَلَا يَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ، وَمَنْ يَكِلْ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ، وَيُفَوِّضْهُ إِلَيهِ كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ وَأَغَمَّهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَاللهُ مُنْفِذُ أَمْرِهِ وَأَحْكَامِهِ فِي خَلْقِهِ وَقَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِقْدَاراً وَوَقْتاً، فَلَا تَحْزَنْ يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُ إِذَا

﴿٤﴾ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا

﴿٥﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا

﴿٦﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ

فاتَكَ شَيءٌ مِمّا كُنْتَ تَرْجُو وتُؤمِّلُ، فالأُمورُ مُقَدَّرَةٌ بِمَقادِيرَ خاصَّةٍ، ﴿وَكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[1].

فَهُوَ حَسْبُهُ - فَهُوَ كافِيهِ ما أَهَمَّهُ وأَغَمَّهُ.

قَدْراً - أَجَلاً يَنْتَهِي إليهِ، أَوْ تَقْدِيراً أَزَلاً.

لا يَحْتَسِبُ - لا يَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ وَلا فِي حِسَابٍ.

(اللائي) (يَئِسْنَ) (نِسائِكُمْ) (ثَلاثَةُ) (أُولاتُ)

(٤) - يُبَيِّنُ اللهُ تَعالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ عِدَّةَ الآيِسَةِ التِي ٱنْقَطَعَ حَيْضُهَا لِكِبَرِ سِنِّهَا، وَالصَّغِيرَةِ التِي لَمْ تَحِضْ بَعْدُ، فَقَالَ إِنَّهَا ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ، إِنْ شَكَكْتُمْ، وَجَهِلْتُمْ كَيْفَ تَكُونُ عِدَّتُهُنَّ، ومِقْدارُهَا؛ وَعِدَّةُ الحَوامِلِ هِيَ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، طَالَتِ المُدَّةُ أَوْ قَصُرَتْ، سَواءٌ كُنَّ مُطَلَّقَاتٍ أَوْ مُتَوفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ.

وَمَنْ يَخَفِ اللهَ، وَيَرْهَبْهُ، يُسَهِّلِ اللهُ عَلَيهِ أُمورَهُ، وَيَجْعَلْ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ فَرَجاً، وَيَجْعَلْ فِي قَلْبِهِ نُوراً يَهْدِيهِ لِحَلِّ عُوَيْصَاتِ الأُمُورِ وَمُشْكِلاتِهَا.

يَئِسْنَ - ٱنْقَطَعَ رَجاؤُهُنَّ لِكِبَرِ سِنِهِنَّ.

اللائي لَمْ يَحِضْنَ - لِصِغَرِ سِنِّهِنَّ.

يُسْراً - تَيْسِيراً وَفَرَجاً.

(٥) - وَهَذَا هُوَ حُكْمُ اللهِ وَشَرْعُهُ، أَنْزَلَهُ إِلَيكُمْ بِواسِطَةِ رَسُولِهِ لِتَأْخُذُوا بِهِ، وَتَعْمَلُوا وفقَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ وَيَلْتَزِمْ بِمَا أَمَرَ، وَيَتْرُكْ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، يَغْفِرْ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَيَمْحُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُجْزِلْ لَهُ ثَوابَ أَعْمالِهِ.

(أُولاتِ) (فَآتُوهُنَّ)

(٦) - وَأَسْكِنُوا النِّسَاءَ المُطَلَّقَاتِ فِي المَوْضِعِ الذِي تَسْكُنُونَ فِيهِ، عَلَى مِقْدارِ حَالِكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا إِلاَّ حُجْرَةً بِجَانِبِ حُجرَتِكُمْ فَأَسْكِنُوهُنَّ فِيهَا. (لأَنَّ السُّكْنَى نَوْعٌ مِنَ النَّفَقَةِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الأَزْواجِ). وَلا تُضَاجِرُوهُنَّ، وَلاَ تُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ فِي السُّكْنَى، بِشَغْلِ المَكَانِ، أَوْ بِإِسْكَانِ غَيرِهِنَّ مَعَهُنَّ مِمَّنْ لا يُحْبِبْنَ السُّكْنَى مَعَهُ، لِتُلْجِئُوهُنَّ إِلى الخُرُوجِ مِنْ مَسَاكِنِهِنَّ. وَإِذَا كَانَتِ المُطَلَّقَةُ ذَاتَ حَمْلٍ فَعَلَى الزَّوْجِ، أَوْ وَلِيِّهِ. أَنْ يُنْفِقَ عَلَيهَا حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا

وإِذَا أَرْضَعَتِ المُطَلَّقَةُ وَلدهَا الذِي وضَعَتْهُ، وَهِيَ طَالِقٌ، قَدْ بَانَتْ بِٱنْقِضَاءِ عِدَّتِهَا، فَلَهَا أَنْ تُرْضِعَ الوَلَدَ وَيَكُونُ لَها عَلَى الزَّوْجِ أَجْرٌ

(١) سورة الرَّعد، الآية (٨).

﴿٧﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن
قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ
ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ
سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا

﴿٨﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا
وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا
وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا

﴿٩﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ
أَمْرِهَا خُسْرًا

إرْضَاعِهِ (أَجْرُ مِثْلِهَا). وَتَتَّفِقُ المُطَلَّقَةُ مَعَ وَالِدِ الطِّفْلِ أَوْ وَلِيِّهِ عَلَى مِقْدَارِهِ. وَلَهَا أَنْ لاَ تُرْضِعَهُ فَيَقُومُ الوَالِدُ بِتَكْلِيفِ أُخْرَى بِإرْضَاعِهِ. وَيَحُثُّ اللهُ تَعَالَى الآبَاءَ وَالأُمَّهَاتِ عَلَى التَّشَاوُرِ والتَّفَاهُمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِشُؤُونِ الأَوْلاَدِ، وَفِيمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُمْ. كَمَا يَحُثُّهُمْ عَلَى أَلاَّ يَجْعَلُوا المَالَ عَقَبَةً فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ مَا هُوَ أَنْفَعُ لِلوَلَدِ، فَلاَ يَكُونُ مِنَ الأَزْوَاجِ مُمَاكَسَةٌ، وَلاَ يَكُونُ مِنَ الأُمَّهَاتِ مُعَاسَرَةٌ وَإِحْرَاجٌ لِلآبَاءِ.
أَمَّا إِذَا ضَيَّقَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّ لِلأَبِ أَنْ يَسْتَرْضِعَ امْرَأَةً أُخْرَى، فَإِنْ رَضِيتِ الأُمُّ بِمِثْلِ مَا اسْتُؤْجِرَتْ بِهِ الأَجْنَبِيَّةُ كَانَتْ أَحَقَّ بِإرْضَاعِ طِفْلِهَا مِنَ الأَجْنَبِيَّةِ.

وُجْدِكُم - وُسْعِكُمْ وَطَاقَتِكُمْ.
ائْتَمِرُوا بَيْنَكُم - تَشَاوَرُوا فِي الأَمْرِ وَالإِرْضَاعِ وَالأُجْرَةِ.
تَعَاسَرْتُمْ - تَشَاحَنْتُمْ - وَضَيَّقَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ.

(آتَاهُ) (آتَاهَا)

(٧) - وَعَلَى الوَالِدِ أَنْ يُنْفِقَ عَلَى الأُمِّ المُرْضِعِ الَّتِي طَلَّقَهَا بِقَدْرِ سَعَتِهِ وَغِنَاهُ. وَمَنْ كَانَ رِزْقُهُ بِمِقْدَارِ القُوتِ فَحَسْبُ فَلْيُنْفِقْ عَلَى مِقْدَارِ ذَلِكَ، لاَ يُكَلِّفُ اللهُ أَحَداً، مِنَ النَّفَقَةِ عَلَى مَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُمْ، إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا آتَاهُ اللهُ مِنَ الرِّزْقِ. وَسَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ الشِّدَّةِ رَخَاءً، وَبَعْدَ الضِّيقِ فَرَجاً، فَالدُّنْيَا لاَ تَدُومُ عَلَى حَالٍ.

ذُو سَعَةٍ - ذُو غِنًى وَيَسَارٍ.
قُدِرَ عَلَيهِ رِزْقُهُ - ضُيِّقَ عَلَيهِ رِزْقُهُ.

(وَكَأَيٍّ) (فَحَاسَبْنَاهَا) (عَذَّبْنَاهَا)

(٨) - يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، وَسَلَكَ غَيرَ مَا شَرَعَهُ اللهُ، وَيُخْبِرُ عَمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ بِالأُمَمِ المُكَذِّبَةِ السَّالِفَةِ، فَيَقُولُ تَعَالَى. إِنَّ كَثِيراً مِنْ أَهْلِ القُرَى خَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، فَكَذَّبُوا الرُّسُلَ الذِينَ أُرْسِلُوا إِليهِمْ، وَتَمَادَوا فِي طُغْيَانِهِمْ، وَسَيُحَاسِبُهُم اللهُ حِسَاباً عَسِيراً عَلَى أَعْمَالِهِمْ كُلِّهَا، وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً مُنْكَراً فِي الآخِرَةِ.

وَكَأَيِّنْ - كَثِيرٌ مِنَ القُرَى.
عَتَتْ - تَجَبَّرَتْ وَتَكَبَّرَتْ وَأَعْرَضَتْ.
نُكْراً - مُنْكَراً شَنِيعاً.

(عَاقِبَةُ)

(٩) - فَجَنَتْ ثِمَارَ مَا غَرَسَتْ أَيْدِيهَا مِنْ أَعْمَالِ السُّوءِ فَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا الخُسْرَانَ وَالنَّكَالَ.

﴿١٠﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا

﴿١١﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا

﴿١٢﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا

وَبَالَ أَمْرِهَا - عَاقِبَةَ عُتُوِّهَا وَتَكَبُّرِهَا.
خُسْراً - خُسْراناً وَهَلاَكاً.

(يَا أُولِي) (الأَلْبَابِ) (آمَنُوا)

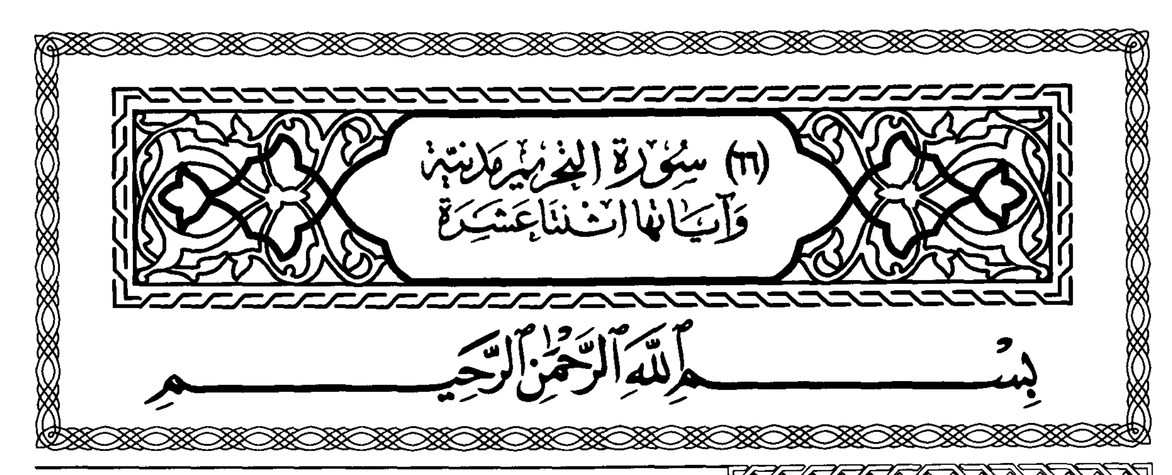
(١٠) - وَقَدْ هَيَّأَ اللهُ تَعَالَى لَهُمُ العَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الآخِرَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَمَادِيهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ سَبِيلِ الرُّسُلِ.
ثُمَّ أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ ذَوِي الأَلْبَابِ وَالأَفْهَامِ بِوُجُوبِ تَقْوَى رَبِّهِمْ، وَإِطَاعَةِ أَمْرِهِ، وَالخَشْيَةِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، لِكَيْلَا يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ الأُمَمَ المُكَذِّبَةَ السَّالِفَةَ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيهِمْ قرآناً يُذَكِّرُهُمْ بِرَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ لِيَعْمَلُوا بِمَا يُرْضِيهِ تَعَالَى.
ذِكْراً - قُرْآناً يُذَكِّرُهُمْ.

(يَتْلُو) (آيَاتٍ) (مُبَيِّنَاتٍ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الظُّلُمَاتِ) (صَالِحاً (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(١١) - وَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى إِليكُمْ، يَا ذَوِي الأَلْبَابِ وَالبَصَائِرِ مِنَ المُؤْمِنِينَ، رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ القُرْآنِ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَهِيَ آيَاتٌ وَاضِحَاتٌ لِمَنْ يَتَدَبَّرُهَا وَيَعْقِلُهَا، لِيُخْرِجَ مَنْ لَدَيهِ اسْتِعْدَادٌ لِلْهُدَى مِنْ ظُلُمَاتِ الكُفْرِ، إِلَى نُورِ الإِيْمَانِ، وَمَنْ يَهْتَدِ إِلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ فَإِنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا وَيَبْقَى خَالِداً فِيهَا، وَيُوَسِّعُ لَهُ فِيهَا فِي الرِّزْقِ الحَسَنِ مِنْ جَمِيعِ مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ.
رَسُولاً - وَأَرْسَلَ رَسُولاً.

(سَمَاوَاتٍ)

(١٢) - اللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَخَلَقَ مِثْلَهُنَّ فِي العَدَدِ مِنَ الأَرْضِ، وَيَجْرِي قَضَاءُ اللهِ وَقَدَرُهُ بَيْنَهُنَّ، وَيَنْفُذُ حُكْمُهُ فِيهِنَّ، فَهُوَ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فِيهِنَّ وَفْقَ عِلْمِهِ الوَاسِعِ وَحِكْمَتِهِ.
وَاللهُ تَعَالَى يُنْزِلُ قَضَاءَهُ وَأَمْرَهُ بَيْنَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْصِي عَلَى اللهِ شَيءٌ وَلاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ.
يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ - يَجْرِي قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ أَوْ تَدْبِيرُهُ.



يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١

ثلاثة أرباع الحزب ٥٦

(يا أيُّها) (مَرْضَاةَ) (أزْواجك)

(١) - هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ إثْرَ حادِثٍ بَسِيطٍ وَقَع، وكَانَ مِنْ نَتِيجَتِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَلَفَ عَلَى أنْ يُحَرِّمَ عَلَى نَفْسِهِ العَسَلَ (وَقِيلَ بَلْ حَلَفَ أنْ يُحَرِّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَمَتَهُ مارِيَةَ القِبْطِيَّةَ).

فَوَفْقاً لِلرِّوايَةِ الأولَى - كَما رَوَتْها أُمُّ المُؤْمِنِينَ عائِشَةُ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْها: كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُحِبُّ شُرْبَ العَسَلِ، وكانَ إذا انْصَرَفَ مِنَ العَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسائِهِ، وكَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَها عَسَلاً، فَتَواطَأَتْ عائِشَةُ وحَفْصَةُ عَلَى أن يَقُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إذا دَخَلَ عَلَيْهِنَّ: إنِّي أجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغافِيرَ. (والمَغافِيرُ نَوْعٌ مِنْ صِمْغِ بَعْضِ الشَّجَرِ) أَكَلْتَ مَغافِيرَ. وكَانَتْ حَفْصَةُ وعائِشَةُ مُتَصافِيَتَيْنِ، مُتَظاهِرَتَيْنِ عَلَى سائِرِ أزْواجِ النَّبِيِّ. فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ عَلَى حَفْصَةَ قالَتْ: أَكَلْتَ مَغافِيرَ. فَقالَ النَّبِيُّ لا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ. وَلَنْ أعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ فَلا تُخْبِري أحَداً بِذَلِكَ؛ وَلَكِنَّ حَفْصَةَ أَخْبَرَتْ عائِشَةَ بِما تَمَّ.

وَوَفْقاً لِلرِّوايَةِ الثّانِيَةِ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أصابَ جارِيَتَه مارِيَةَ (أُمَّ ابْنِهِ إبْراهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ) في بَيْتِ بَعْضِ نِسائِهِ، فَقالَتْ: أَيْ رَسُولَ اللهِ فِي بَيْتِي وَعَلَى فِراشِي؟ فَجَعَلَها النَّبِيُّ عَلَيهِ حَراماً.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى هَذِهِ الآيَةَ يُعاتِبُهُ فِيها عَلَى تَحْرِيمِ ما أَحَلَّ اللهُ لَهُ، وأَمَرَهُ بالتَّكْفِيرِ عَنْ يَمِينِهِ فَفَعَلَ.

وَمَعْنَى الآيَةِ الكَرِيمَةِ: يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ عَلَى نَفْسِكَ شَيْئاً أَحَلَّهُ اللهُ لَكَ، وأَنْتَ تُرِيدُ بِتَحْرِيمِهِ مَرْضاةَ أزْواجِكَ؟ واللهُ غَفُورٌ لِذُنُوبِ التّائِبِينَ مِنْ عِبادِهِ، وَقَدْ غَفَرَ لَكَ امْتِناعَكَ عَمّا أَحَلَّهُ اللهُ لَكَ، وَهُوَ رَحِيمٌ بِعِبادِهِ المُؤْمِنينَ لا يُعاقِبُهُمْ عَلَى ما سَبَقَ أنْ غَفَرَهُ لَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ.

٢ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ

(أَيْمانِكُمْ) (مَوْلاكُمْ)

(٢) - لَقَدْ شَرَعَ اللهُ تَعالَى لَكُم التَحلُّلَ مِنَ الأَيْمانِ التِي حَلَفْتُمُوهَا بالتَّكْفِيرِ عَنْهَا، فَعَلَيْكَ يا أَيُّها الرَّسُولُ أَنْ تُكفِّرَ عَنِ اليَمِينِ التِي حَلَفْتَها فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ، وَاللهُ هُوَ مُتولِّي أُمورِكُمْ يا أَيُّها المُؤْمِنُونَ، وَهُوَ العَلِيمُ بِمَا يُصْلِحُ أُمُورَكُمْ فَيَشْرَعُهُ لَكُمْ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

وَقَدْ كَفَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ بِإِعْتَاقِ رَقَبَةٍ.

تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ - تَحْلِيلَهَا بالكَفَّارَةِ.

اللهُ مَوْلاكُمْ - نَاصِرُكُمْ وَمُتَولِّي أُمورِكُمْ.

٣ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ

(أَزْواجِهِ)

(٣) - وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى زَوْجِهِ حَفْصَةَ حَدِيثاً فَقَالَ لَهَا: إِنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ العَسَلَ عِنْدَ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ، وَقَالَ لَنْ أَعُودَ إِلَى شُرْبِهِ وَقَدْ حَلَفْتُ، فَلاَ تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَداً. فَلَمَّا أَخْبَرَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ بِالحَدِيثِ الذِي آسْتَكْتَمَهَا النَّبِيُّ عَلَيهِ. وَأَطْلَعَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَا فَعَلَتْهُ حَفْصَةُ مِنْ إِفْشَائِهَا مَا آسْتَكْتَمَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ أَخْبَرَ حَفْصَةَ بِبَعْضِ الحَدِيثِ الذِي أَفْشَتْهُ (وَهُوَ قَوْلُهُ كُنْتُ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ)، وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ بَعْضِ الحَدِيثِ الذِي أَفْشَتْهُ (وَهُوَ قَوْلُهُ وَقَدْ حَلَفْتُ فَلاَ تُخْبِرِي أَحَداً)، فَلَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ تَكَرُّماً مِنْهُ لِكَيْلاَ يَزِيدَ فِي خَجَلِهَا مِنْهُ.

فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ حَفصَةَ بِمَا دَارَ بَيْنَهَا وَبينَ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟ وَهِيَ تَظُنُّ أَنَّ عَائِشَةَ قَدْ فَضَحَتْهَا وَنَقَلَتِ الحَدِيثَ إِلَى الرَّسُولِ. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ: أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي العَلِيمُ بِالسِّرِّ وَالنَّجْوَى، وَالخَبِيرُ بِكُلِّ مَا فِي الوُجُودِ

نَبَّأَتْ بِهِ - أَخْبَرَتْ بِهِ غَيْرَهَا.

أَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيهِ - أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَى إِفْشَائِهِ.

٤ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ

(تَظَاهَرَا) (مَوْلاَهُ) (صَالِحُ) (الْمَلائِكَةُ)

(٤) - وَجَّهَ اللهُ تَعالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ خِطَابَهُ الكَرِيمَ إِلَى زَوْجَتي النَّبِيِّ اللَّتينِ تَظَاهَرَتَا عَلَيهِ (وَهُمَا حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ) فَقَالَ لَهُمَا: إِنْ تَتُوبَا مِنْ ذَنْبِكُمَا، وَتُقْلِعَا عَنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ، تَكُنْ قُلُوبُكُمَا قَدْ مَالَتْ إِلَى الخَيْرِ، وَتَكُونَا قَدْ أَدَّيْتُمَا مَا يَجِبُ عَلَيْكُمَا نَحْوَ رَسُولِ اللهِ مِنْ إِجْلاَلٍ وَآحْتِرَامٍ، وَتَكْرِيمٍ لِمَقَامِهِ الكَرِيمِ.

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا - مَالَتْ إِلَى الخَيْرِ.
تَظَاهَرَا - تَتَعَاوَنَا عَلَيْهِ بِمَا يَسُوؤُهُ.
ظَهِيرٌ - مُعِينٌ وَمُظَاهِرٌ.
مَوْلَاهُ - نَاصِرُهُ وَوَلِيُّهُ.

﴿٥﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ
أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ
مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ
سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا

(أَزْوَاجاً) (مُسْلِمَاتٍ) (مُؤْمِنَاتٍ) (قَانِتَاتٍ) (تَائِبَاتٍ) (عَابِدَاتٍ) (سَائِحَاتٍ) (ثَيِّبَاتٍ).

(٥) - ثُمَّ حَذَّرَهُمَا اللهُ تَعَالَى مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقَهُنَّ فَإِنَّ اللهَ قَدْ يُبْدِلُهُ خَيْراً مِنْهُنَّ إِسْلَاماً وَإِيمَاناً وَمُوَاظَبَةً عَلَى العِبَادَةِ، وَإِقْلَاعاً عَنِ الذُّنُوبِ، وَسَمْعاً لِأَوَامِرِ الرَّسُولِ، بَعْضُهُنَّ ثَيِّبَاتٌ سَبَقَ لَهُنَّ الزَّوَاجُ، وَبَعْضُهُنَّ أَبْكَارٌ لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ الزَّوَاجُ مِنْهُنَّ.
قَانِتَاتٍ - مُطِيعَاتٍ خَاضِعَاتٍ لِلهِ.
سَائِحَاتٍ - صَائِمَاتٍ أَوْ مُهَاجِرَاتٍ.

﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ
وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ
شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (مَلَائِكَةٌ)

(٦) - يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ، وَأمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقْوَى، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيهِمْ، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ لِتُنقِذُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، التِي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الكَفَرَةِ، وَالحِجَارَةُ، وَتَقُومُ عَلَيهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، أَشِدَّاءُ عَلَيهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ أَمَرَهُمْ بِهِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ.
قُوا أَنْفُسَكُمْ - جَنِّبُوا أَنْفُسَكُم النَّارَ بِطَاعَةِ اللهِ.
غِلَاظٌ شِدَادٌ - قُسَاةٌ أَقْوِيَاءُ - وَهُمُ الزَّبَانِيَةُ.

﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟
ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(يَا أَيُّهَا)

(٧) - وَيُقَالُ لِلْكَافِرِينَ حِينَمَا يُقْذَفُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ: لَا تَعْتَذِرُوا عَنْ كُفْرِكُمْ، وَعَمَلِكُمْ السَّيِّءِ، فَقَدْ فَاتَ أَوَانُ الاعْتِذَارِ، وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ، إِنَّكُمْ إِنَّمَا تُلَاقُونَ الجَزَاءَ الأَوْفَى عَلَى أَعْمَالِكُم التِي عَمِلْتُمُوهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى
ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ

(يَا أَيُّهَا) (جَنَّاتٍ) (الأَنْهَارُ) (آمَنُوا) (بِأَيْمَانِهِمْ)

(٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَتُوبُوا تَوْبَةً صَادِقَةً جَازِمَةً تَمْحُو مَا سَبَقَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ.

وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ فَقَالَ: هُوَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ حِينَ يَفْرُطُ مِنْكَ، فَتَسْتَغْفِرُ اللهَ بِنَدَامَتِكَ مِنْهُ عِنْدَ الحَاضِرِ، ثُمَّ لَا تَعُودُ إِلَيهِ أَبداً). (أَخْرَجَهُ آبْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

ثُمَّ يُبَيِّنُ تَعالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا تَوْبَةً نَصُوحاً تابَ اللهُ عَلَيهِمْ، وَغفَرَ لَهُمْ، وَأَدْخَلَهُمْ بِـرَحْمَتِهِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَـا فِي يَـوْمِ القِيَـامَةِ. وَهُـوَ اليومُ الـذِي يَرْفَـعُ اللهُ فِيهِ قَـدْرَ رَسُولِـهِ الكَرِيمِ، وَقَـدْرَ المُؤْمِنِينَ مَعَهُ. وَيَجْعَلُ نُورَهُمْ فِي ذَلِكَ اليومِ يَسْعَى بينَ أَيْدِيهِمْ، حِينَ يَمْشُـونَ وَكُتُبُهُمْ بِأَيْمَـانِهِمْ، وَيَسْأَلُـونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُبْقِيَ لَهُمْ نُورَهُمْ، فَـلَا يَطْفِئُهُ حَتَّى يَجُوزُوا الصِّرَاطَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمِ السَّالِفَةِ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا العَظِيمِ إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُكَ شَيءٌ.

تَوْبَةً نَصُوحاً ـ تَوْبَةً خَالِصَةً صَادِقَةً ـ أَوْ مَقْبُولَةً.

لَا يُخْزِي اللهُ ـ لَا يُذِلُّ، بَلْ يُعِزُّ رَسُولَهُ وَيُكْرِمُهُ.

٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

(يَا أَيُّهَا) (جَاهِدِ) (الْمُنَافِقِينَ) (مَأْوَاهُمْ)

(٩) ـ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ الذِينَ يَقِفُونَ فِي طَرِيقِ آنْتِشَارِ الدَّعْـوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِالسِّلَاحِ، وَحَارِبْهُمْ حَرْباً لَا هَوَادَةَ فِيهَـا، وَجَاهِـدِ المُنَافِقِينَ الذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالإِسْلَامِ وَقُلُوبُهُمْ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى الكُفْرِ وَالشَّكِّ وَالرِّيبَةِ، وَيَقُومُونَ بِالدَّسِّ وَالوَقِيعَةِ وَالتَّثْبِيطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وَاغْلُظْ عَلَيهِمْ بِالقَوْلِ وَالإِنْذَارِ، وَآفْضَحْهُمْ، وَبَيِّنْ لَهُمْ سُوءَ مَصِيرِهِمْ وَمُنْقَلَبِهِمْ فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُمْ وَيَرْجِعْ إِلَى اللهِ مُسْتَغْفِراً مُنِيباً، فَإِنَّ مَصِيرَهُ سَيَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمَصِيراً.

أَغْلُظْ عَلَيْهِمْ ـ شَدِّدْ وَاقسُ عَلَيهِمْ.

١٠ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ

(امْرَأَةَ) (صَالِحِينَ) (الدَّاخِلِينَ)

(١٠) ـ يَضْرِبُ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً لِحَالِ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ الذِينَ يُخَالِطُونَ المُسْلِمِينَ، وَيُعَاشِرُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ المُؤْمِنُـونَ المُخْلِصُـونَ مِنَ العِظَاتِ وَالدَّلَائِلِ وَالبَـرَاهِيـنِ، بِحَـالِ آمْرَأَةِ نُوحٍ وَآمْرَأَةِ لُوطٍ، فَقَدْ كَانَتْ كُلٌّ مِنْهُمَا زَوْجَةً لِنَبِيٍّ صَالِحٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ تَنْتَفِعَا بِمَا كَانَا يَدْعُوَانِ إِلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ وَالهُدَى وَالإِيْمَانِ بِاللهِ تَعَالَى، وَعَمِلَتَا أَعْمَالاً تَدُلُّ على الخِيَانَةِ وَالكُفْرِ، فَاتَّهَمَتِ امْرَأَةُ نُوحٍ زَوجَهَا بِالجُنُونِ، وَكَانَتْ إِمْرَأَةُ لُوطٍ تُرْشِـدُ قَـوْمَهَا إِلَى ضُيُـوفِ زَوْجِهَا لِيَفْعَلُوا مَعَهُمُ الخَبَائِثَ، فَأَهْلَكَهُمَا اللهُ مَعَ قَوْمِهِمَا، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمَـا النَّـارَ فِي الآخِـرَةِ، وَلَنْ يَنْفَعَهُمَـا قُرْبُهُمَـا مِنْ نَبِيَّيْنِ مِنْ أَنْبِيَـاءِ اللهِ، وَلَا

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾

وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

انْتِسَابُهُمَا إليهِمَا، وَيُقَالُ لَهُمَا: ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ إليهَا.

فَخانَتَاهُمَا ـ بالنِّفَاقِ والنَّمِيمَةِ.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ـ فَلَمْ يَدْفَعَا عَنْهُمَا وَلَمْ يَمْنَعَا عَنْهُمَا.

(آمَنُوا) (امْرَأَةَ) (الظَّالِمِينَ)

(١١) ـ وَهَذَا مَثَلٌ آخَرُ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُمْ لاَ تَضُرُّهُمْ مُخالَطَةُ الكَافِرِينَ إذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إليهِمْ، فَقَدْ كَانَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ مُؤْمِنَةً مُخْلِصَةً للهِ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ طَاغِيَةً جَبَّاراً، فَمَا ضَرَّ امْرَأَتَهُ كُفْرُ زَوْجِهَا حِينَ أَطَاعَتْ رَبَّهَا لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللهَ حَكِيمٌ عَادِلٌ، لاَ يُؤَاخِذُ أَحَداً بِذَنْبِ غَيْرِهِ. وَقَدْ سَأَلَت امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ رَبَّهَا أَنْ يَجْعَلَهَا قَرِيبَةً مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَنْ يَبْنِيَ لَهَا عِنْدَهُ بَيتاً فِي الجَنَّةِ، وَأَنْ يُنْقِذَهَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَعْمَالِهِ الخَبِيثَةِ، وَأَنْ يُنَجِّيهَا مِنْ قَوْمِهِ الظَّالِمِينَ.

(ابْنَةَ) (عِمْرَانَ) (بِكَلِمَاتِ) (الْقَانِتِينَ)

(١٢) ـ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً آخَرَ لِلَّذِينَ آمَنُوا حَالَ مَرْيَمَ ابنةِ عِمْرَانَ، وَمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَرَامَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَاصْطَفَاهَا اللهُ رَبُّهَا، وَأَرْسَلَ إليهَا مَلَكاً كَرِيماً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ تَمَثَّلَ لَهَا فِي صُورَةِ بَشَرٍ دَخَلَ عَلَيهَا، وَهِيَ فِي خَلْوَتِهَا، فَاسْتَعَاذَتْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهِ، فَبَشَّرَهَا بِأَنَّهَا سَيَكُونُ لَهَا وَلَدٌ يُولَدُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ، وَيَكُونُ نَبِيّاً كَرِيماً.

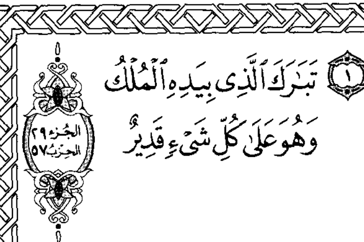
وَنَفَخَ فِيهَا المَلَكُ مِنْ رُوحِ اللهِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَصَدَّقَتْ مَرْيَمُ بِشَرَائِعِ اللهِ، وَبِكُتُبِهِ التِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَكَانَتْ فِي عِدَادِ القَانِتِينَ العَابِدِينَ المُطِيعِينَ للهِ تَعَالَى.

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ـ عَفَّتْ وَصَانَتْهُ مِنَ الرِّجَالِ.

مِنْ رُوحِنَا ـ رُوحاً مِنْ خَلْقِنَا بِلاَ تَوَسُّطٍ ـ أَيْ بِدُونِ أَبٍ.

مِنَ القَانِتِينَ ـ مِنَ القَوْمِ المُطِيعِينَ للهِ تَعَالَى.





(١) تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(تَبارَكَ)

(١) - يُمَجِّدُ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ، وَيُخْبِرُ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ المَالِكُ المُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ، لَا مُعَقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُوَ ذُو قُدْرَةٍ عَلَى فِعْلِ كُلِّ شَيءٍ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ.

تَبَارَكَ - تَعَالَى - وَتَمَجَّدَ، أَوْ تَكَاثَرَ خَيْرُهُ.

بِيَدِهِ المُلْكُ - بِيَدِهِ الأَمْرُ، وَهُوَ صَاحِبُ النَّهْيِ وَالسُّلْطَانِ.

(٢) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ

(الْحَيَاةَ)

(٢) - وَهُوَ الذِي أَوْجَدَ الخَلَائِقَ مِنَ العَدَمِ، ثُمَّ خَلَقَ المَوْتَ الذِي تَنْعَدِمُ بِهِ الحَيَاةُ، لِيَقْهَرَ عِبَادَهُ، وَجَعَلَ لِكُلٍّ مِنَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ مَوَاقِيتَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ. وَقَدْ خَلَقَ اللهُ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَخْتَبِرَكُمْ، وَلِيَعْلَمَ أَيُّكُمْ يَكُونُ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَأَكْثَرَ وَرَعاً عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَاللهُ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ الشَّدِيدُ الانْتِقَامِ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَهُوَ الغَفُورُ لِذُنُوبِ مَنْ أَنَابَ إِلَيهِ.

خَلَقَ المَوْتَ - أَوْجَدَهُ أَوْ قَدَّرَهُ أَزَلًا.

لِيَبْلُوَكُمْ - لِيَخْتَبِرَكُمْ فِيمَا بَيْنَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ.

أَحْسَنُ عَمَلًا - أَصْوَبُهُ أَوْ أَكْثَرُهُ إِخْلَاصاً.

(٣) ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا
مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن
فُطُورٍ

(سَمَاوَاتٍ) (تَفَاوُتٍ)

(٣) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ (طِبَاقاً)، تَقُومُ كُلُّهَا وَفْقَ نِظَامٍ بَدِيعٍ، فَلَا عَمَدَ، وَلَا أَرْبِطَةَ تَشُدُّهَا وَتَرْبِطُ بَيْنَهَا، وَلَا يَرَى النَّاظِرُ فِي خَلْقِ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ تَفَاوُتاً، وَلَا خَلَلاً.

وَإِذَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ لِيَرَى حَقِيقَةَ التَّنَاسُقِ وَالانْسِجَامِ القَائِمَيْنِ فِي خَلْقِهَا، فَإِنَّهُ لَنْ يَرَى فِيهَا خَلَلاً وَلاَ تَنَافُراً وَلاَ تَشَقُّقاً.

طِبَاقاً - كُلُّ سَمَاءٍ تَلُفُّ الأُخْرَى.

الفُطُورُ - الخَلَلُ أَوِ التَّشَقُّقُ.

التَّفَاوُتُ - الاخْتِلاَفُ وَعَدَمُ التَّنَاسُبِ.

٤ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ

(٤) - وَإِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا كَرَّرَ النَّظَرَ إِلَى هَذِهِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَهُ، وَهُوَ يَبْحَثُ فِيهَا عَنْ خَلَلٍ أَوْ تَشَقُّقٍ أَوْ عَدَمِ انْسِجَامٍ وَاتِّسَاقٍ، فَإِنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَيهِ بَصَرُهُ بِمَا يَبْحَثُ عَنْهُ مِنْ خَلَلٍ وَتَفَاوُتٍ، وَعَيْبٍ فِي خَلْقِهِنَّ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِليهِ بَصَرُهُ ذَلِيلاً صَاغِراً، عَنْ أَنْ يَرَى عَيْباً أَوْ خَلَلاً، كَلِيلاً قَدْ أَعْيَاهُ طُولُ البَحْثِ وَالمُرَاجَعَةِ.

كَرَّتَينِ - رَجْعَتَينِ الوَاحِدَةَ بَعْدَ الأُخْرَى.

الحَسِيرُ - الدَّابَّةُ التي تَتَوَقَّفُ كَلاًّ وَعَجْزاً عَنِ المَسِيرِ وَحَسُرَ البَصَرُ كلَّ فَهُوَ حَسِيرٌ.

الخَاسِئُ - الصَّاغِرُ الذَّلِيلُ.

٥ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ

(بِمَصَابِيحَ) (جَعَلْنَاهَا) (لِلشَّيَاطِينِ)

(٥) - وَلَقَدْ زَيَّنَ اللهُ تَعَالَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا القَرِيبَةَ مِنَ الأَرْضِ بِكَوَاكِبَ مُضِيئَةٍ وَكَأَنَّهَا المَصَابِيحُ فِي اللَّيْلِ، كَمَا يُزَيِّنُ النَّاسُ بُيُوتَهُمْ وَمَسَاجِدَهُمْ بِالمَصَابِيحِ، وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الكَوَاكِبَ مَصَادِرَ شُهُبٍ تُرْجَمُ بِهَا الشَّيَاطِينُ، وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ لِلشَّيَاطِينِ خِزْيَ الرَّجْمِ بِالشُّهُبِ فِي الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ فِي الآخِرَةِ.

المَصَابِيحُ - الكَوَاكِبُ العَظِيمَةُ المُضِيئَةُ.

السَّعِيرُ - النَّارُ المُلْتَهِبَةُ المُتَلَظِّيَةُ.

رُجُوماً - تَنْقَضُّ عَلَيْهِمْ قِطَعٌ مِنْهَا.

٦ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

(٦) - وَلَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأَشْرَكُوا بِعِبَادَتِهِ، عَذَاباً أَلِيماً فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَبِئْسَتْ نَارُ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ مُسْتَقَرّاً وَمَصِيراً.

٧ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ

(٧) - وَإِذَا أُلْقِيَ الكَفَرَةُ المُجْرِمُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَمِعُوا لَهَا صِيَاحاً وَصَوْتاً كَصَوْتِ المُتَغَيِّظِ مِنْ شِدَّةِ الغَضَبِ (شَهِيقاً)، وَهِيَ تَفُورُ بِمَا فِيهَا، وَتَغْلِي كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ بِمَا فِيهِ.

شهيقاً - صَوْتاً مُنْكراً.

تَفُورُ - تَغْلِي غَلَيَانَ القِدْرِ بِمَا فِيهَا.

٨ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

(٨) - وهِيَ تَكَادُ يَنْفَصِلُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مِنْ شِدَّةِ الغَضَبِ والغَيْظِ مِنْ هؤُلاءِ الكَفَرَةِ، وكُلَّمَا طُرِحَ فِيهَا فَوْجٌ مِنَ الكَفَرَةِ سَأَلَهُمْ حُرَّاسُ النَّارِ مُقَرِّعِينَ مُوَبِّخِينَ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبِيٌّ مِنْ رَبِّكُمْ يُنْذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذا؟

فَوْجٌ - جَمَاعَةٌ مِنَ الكُفَّارِ.

٩ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ

(ضَلَالٍ)

(٩) - ويَرُدُّ هؤُلاءِ المُجْرِمُونَ عَلَى خَزَنَةِ جَهَنَّمَ قَائِلِينَ: بَلَى لَقَدْ جَاءَنَا رَسُولٌ مِنْ رَبِّنَا يَدْعُونَا إِلَى اللهِ، ويُنْذِرُنَا مِنْ عَذَابِهِ، فَكَذَّبْنَاهُ وقُلْنَا لَهُ: إِنَّ اللهَ لَمْ يُنَزِّلْ شَيْئاً، ولَمْ يُرْسِلْ إِلينَا رَسُولاً، وَمَا أَنْتَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا، فَمَا أَنْتَ، فِيمَا تَدَّعِيهِ مِنَ الرِّسَالَةِ مِنَ اللهِ، إِلَّا مُجَانِبٌ لِلْحَقِّ، بَعِيدٌ عَنْ جَادَّةِ الصَّوَابِ.

١٠ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

(أَصْحَابِ)

(١٠) - وَقَالُوا مُبْدِينَ أَسَفَهُمْ وَنَدَمَهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، فِي وَقْتٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ النَّدَمُ: لَوْ كَانَتْ لَنَا آذَانٌ تَسْمَعُ، أَوْ عُقُولٌ تُدْرِكُ، وَنَعِي بِهَا مَا أَنْزَلَ اللهُ، لَمَا كُنَّا أَقَمْنَا عَلَى الكُفْرِ بِاللهِ، والاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا، وَلَمَا صِرْنَا إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ اليَوْمَ مِنَ الخِزْيِ والعَذَابِ الأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

١١ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

(لِأَصْحَابِ)

(١١) - فَاعْتَرَفُوا بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ لِلرُّسُلِ، وَمِنِ انْهِمَاكٍ فِي مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ هَذَا الاعْتِرَافَ لَنْ يُفِيدَهُمْ شَيْئاً فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، فَسُحْقاً وَبُعْداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ لِلَّذِينَ يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ نَارِ جَهَنَّمَ المُسْتَعِرَةِ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ).

وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: لَا يَدْخُلُ أَحَدُ النَّارَ إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ أَوْلَى بِهِ مِنَ الجَنَّةِ).

١٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

(١٢) - إِنَّ الذِينَ يَخَافُونَ مَقَامَ رَبِّهِمْ فَيَكُفُّونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ المَعَاصِي، وَيَقُومُونَ بِالطَّاعَاتِ وَهُمْ بَعِيدُونَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ إِذْ لَا تَرَاهُمْ عَيْنٌ غَيْرُ عَيْنِ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعِدُهُمْ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَبِأَنْ يُجْزِلَ لَهُمُ الثَّوَابَ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ، وَيُدْخِلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.

(١٣) وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

(١٣) - يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى أَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَعَلاَنِيَتَهُمْ، وَسَوَاءٌ أَأَضْمَرُوا شَيئاً فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَعْلَنُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ، فَعَلَيهِمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لاَ تَخْفَى مِنْهُمْ خَافِيَةٌ عَلَى رَبِّهِمْ.

(١٤) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ

(١٤) - وَكَيْفَ لاَ يَعْلَمُ اللهُ تَعَالَى السِّرَّ وَالجَهْرَ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ الذِي أَوْجَدَ، بِحِكْمَتِهِ وَوَاسِعِ عِلْمِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، جَمِيعَ الأَشْيَاءِ فِي هَذَا الوُجُودِ، وَهُوَ النَّافِذُ عِلْمُهُ إِلَى مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ؟.

(١٥) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ

(١٥) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي سَخَّرَ الأَرْضَ لِلْعِبَادِ، وَجَعَلَهَا مُذَلَّلَةً سَاكِنَةً، وَأَرْسَاهَا بِالجِبَالِ لِكَيْلاَ تَضْطَرِبَ وَتَمِيدَ بِمَنْ عَلَيهَا مِنَ الخَلاَئِقِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا المِيَاهَ، وَسَلَكَهَا فِي الأَرْضِ جَدَاوِلَ وَأَنْهَاراً، لِيَنْتَفِعَ بِهَا الخَلْقُ فِي الشُّرْبِ، وَفِي رَيِّ زُرُوعِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، وَجَعَلَ فِي الأَرْضِ سُبُلاً، فَسَافِرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَرْجَائِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَتَرَدَّدُوا فِي أَرْجَائِهَا وَأَقَالِيمِهَا طَلَباً لِلرِّزْقِ وَالتِّجَارَةِ، وَكُلُوا مِمَّا أَخْرَجَهُ لَكُمْ مِنْهَا مِنَ الرِّزْقِ، وَإِلَى اللهِ مَرْجِعُ الأَمْرِ، وَإِليهِ يَصِيرُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعاً.

وَالمَخْلُوقَاتُ تَسْعَى فِي الرِّزْقِ وَفْقَ الأَسْبَابِ اللاَزِمَةِ لَهُ وَلَكِنَّ سَعْيَهَا وَحْدَهُ لاَ يَكْفِي، وَلاَ يُجْدِي عَلَيْهَا نفعاً إِلاَّ أَنْ يُيَسِّرَهُ اللهُ لَهَا، فَالسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لاَ يُنَافِي التَّوَكُّلَ.

المَنَاكِبُ - الأَطْرَافُ وَالفِجَاجُ.

ذَلُولاً - مُذَلَّلَةً لَيِّنَةً، لِيَسْتَقِرَّ عَلَيْهَا النَّاسُ.

إِليهِ النُّشُورُ - تُبْعَثُونَ إِليهِ مِنَ القُبُورِ.

(أَأَمِنْتُمْ)

(١٦) ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ

(١٦) - أَأَمِنْتُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ يَخْسِفَ رَبُّكُمْ بِكُم الأَرْضَ، كَمَا خَسَفَهَا بِقَارُونَ، فَإِذَا هِيَ تَتَحَرَّكُ، وَتَضْطَرِبُ وَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ.

يَخْسِفَ بِكُمْ - يُغَوِّرُ بِكُمْ.

تَمُورُ - تَضْطَرِبُ وَتَتَحَرَّكُ حَرَكَةً دَائِرِيَّةً وَهِيَ فِي مَكَانِهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى.

(١٧) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ

(١٧) - أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ رِيحاً تَحْمِلُ الحَصْبَاءَ لِيُهْلِكَكُمْ بِهَا، كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ لُوطٍ، وَحِينَئِذٍ تَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ عِقَابُهُ الذِي أَنْذَرَكُمْ بِهِ، وَلَكِنَّ هَذَا العِلْمَ لَنْ يَنْفَعَكُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ.

حَاصِباً - رِيحاً فِيهَا حَصْبَاءُ.

كَيْفَ نَذِيرِ - كَيْفَ إِنْكَارِي وَقُدْرَتِي عَلَيْهِمْ بِالعِقَابِ.

﴿١٨﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

(١٨) - وَلَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمُ الأُمَمُ السَّالِفَةُ الرُّسُلَ الذِينَ بَعَثَهُمُ اللهُ إِلَيهَا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَاقَبَتُهُ لَهُمْ؟

كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ - كَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ.

﴿١٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ

(صَافَّاتٍ)

(١٩) - أَغفلَ هٰؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ عَنْ قُدْرَةِ اللهِ عَلَى الخَلْقِ وَالبَعْثِ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ تَطِيرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَهِيَ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا تَارَةً حِينَ طَيَرَانِهَا، وَتَارَةً قَابِضَتُهَا، وَمَا يُمْسِكُهنَّ عَنِ السُّقُوطِ عَلَى الأَرْضِ، فِي حَالَتَي القَبْضِ وَالبَسْطِ، إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُنَّ وَبَارِئُهُنَّ الذِي أَلْهَمَهُنَّ طَرِيقَةَ الطَّيَرَانِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى بَصِيرٌ بِمَا يُصْلِحُ حَالَ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَيُيَسِّرُهُ لِلقِيَامِ بِهِ.

صَافَّاتٍ - بَاسِطَاتٍ أَجْنِحَتَهَا عِنْدَ الطَّيَرَانِ.

وَيَقْبِضْنَ - وَيَضْمُمْنَهَا إِذَا ضَرَبْنَ بِهَا جُنُوبَهُنَّ.

﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ

(أَمْ مَنْ) (الْكَافِرُونَ)

(٢٠) - أَمْ مَنْ هَذَا الذِي يُعِينُكُمْ فِي دَفْعِ العَذَابِ وَالضُّرِّ عَنْكُمْ، إِنْ أَرَادَ اللهُ بِكُمْ سُوءاً؟.. إِنَّ الكَافِرِينَ الذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الأَصْنَامَ وَالأَوْثَانَ وَالأَنْدَادَ، التِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى حِفْظِهِمْ مِنَ المَصَائِبِ وَالنَّوَائِبِ، هُمْ ضَالُّونَ مَغْرُورُونَ، وَقَدْ أَغْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ وَغَرَّهُمْ بِالأَمَانِي البَاطِلَةِ، فَإِنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الذِي يَحْفَظُهُمْ وَيَكْلَؤُهُمْ بِعِنَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ لَمَا أَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ.

أَمْ مَنْ هَذَا - بَلْ مَنْ هَذَا.

جُنْدٌ لَكُمْ - أَعْوَانٌ لَكُم وَمَنَعَةٌ.

غُرُورٍ - خَدِيعَةٍ مِنَ الشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ.

﴿٢١﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ

(أَمْ مَنْ)

(٢١) - وَمَنْ هَذَا الذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْزُقَكُمْ إِنْ مَنَعَ اللهُ عَنْكُمْ أَسْبَابَ الرِّزْقِ: كَإِمْسَاكِ المَطَرِ، وَغَوْرِ العُيُونِ وَالجَدَاوِلِ وَالأَنْهَارِ.. إِنَّ الكَافِرِينَ يَعْلَمُونَ هَذِهِ الحَقِيقَةَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ رِزْقَ العِبَادِ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَلَيْسَ هَذَا إِلاَّ عُتُوّاً

مِنْهُمْ، وَعِنَاداً، وَنُفُوراً عَنْ قَبُولِ الحَقِّ، وَالإِذْعَانِ لَهُ.
لَجُّوا فِي عُتُوٍّ - تمَادَوْا فِي آسْتِكْبَارٍ وَعِنَادٍ.
نُفُورٍ - تَبَاعُدٍ عَنِ الحَقِّ وَشُرُودٍ.

(٢٢) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(صِرَاطٍ) (أَمْ مَنْ)

(٢٢) - وَهَذَا مَثَلٌ يَضْرِبُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ وَالكَافِرِ. فَالكَافِرُ مَثَلُهُ فِيمَا هُوَ فِيهِ كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي مُنْحَنِياً يَتَعَثَّرُ فِي طَرِيقِهِ، وَيَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ لِتَوَعُّرِ طَرِيقِهِ، لاَ يَعْرِفُ أَيْنَ يَسْلُكُ، وَلاَ كَيْفَ يَذْهَبُ. وَالمُؤْمِنُ مَثَلُهُ كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي مُنْتَصِبَ القَامَةِ، مُسْتَوِياً، فَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ مَسْلَكِهِ، وَعَلَى هُدًى مِنْ طَرِيقِهِ. فَكَمَا أَنَّهُ لاَ يَسْتَوِي الذِي يَسِيرُ مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ، مَعَ مَنْ يَسِيرُ مُنْتَصِبَ القَامَةِ، كَذَلِكَ لاَ يَسْتَوِي المُؤْمِنُ، الذِي يَكُونُ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ وَبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، مَعَ الكَافِرِ، الذِي ضَلَّ طَرِيقَ الهُدَى وَالرَّشَادِ.
مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ - سَاقِطاً عَلَى وَجْهِهِ لاَ يَأْمَنُ العُثُورَ.
يَمْشِي سَوِيّاً - يَمْشِي مُسْتَوِياً مُنْتَصِبَ القَامَةِ سَالماً مِنَ العُثُورِ.

(٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

(الأَبْصَارَ)

(٢٣) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الذِي أَوْجَدَكُمْ مِنْ عَدَمٍ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ لِتَسْتَمِعُوا بِهِ إِلَى المَوَاعِظِ، وَجَعَلَ لَكُم الأَبْصَارَ لِتَنْظُرُوا بِهَا بَدِيعَ صُنْعِ اللهِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الأَفْئِدَةَ لِتَتَفَكَّرُوا فِيمَا خَلَقَ رَبُّكُمْ فِي هَذَا الكَوْنِ، وَلَكِنَّكُمْ قَلَّمَا تَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ القُوَى فِيمَا خَلَقَهَا اللهُ لَهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ قَدْرَهَا، وَمَبْلَغَ نَفْعِهَا فَلَمْ تَشْكُرُوا اللهَ عَلَيْهَا حَقَّ الشُّكْرِ.

(٢٤) قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(٢٤) - وَقُلْ لَهُمْ مُنَبِّهاً إِلَى خَطَئِهِمْ: إِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الذِي أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ، وَبَثَّكُمْ فِي أَرْجَائِهَا، وَجَعَلَكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ، ثُمَّ إِذَا حَانَتْ آجَالُكُمْ أَمَاتَكُمْ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَحْشُرُكُمْ إِلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلحِسَابِ وَالجَزَاءِ.
ذَرَأَكُمْ - خَلَقَكُمْ وَبَثَّكُمْ وَفَرَّقَكُمْ.

(٢٥) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

(صَادِقِينَ)

(٢٥) - وَيَسْأَلُ هَؤُلاَءِ الكَفَرَةُ المُجْرِمُونَ مُسْتَهْزِئِينَ مُتَهَكِّمِينَ: مَتَى يَقَعُ مَا تَعِدُنَا بِهِ مِنَ الخَسْفِ وَالحَصْبِ، فِي الدُّنْيَا، وَالحَشْرِ وَالحِسَابِ وَالعَذَابِ فِي الآخِرَةِ، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِيمَا تَقُولُ؟.

٢٦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

(٢٦) ـ فَقُلْ لَهُمْ مُجيباً: إِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ وَقْتَ ذَلِكَ عَلَى التَّحْدِيدِ وَالتَّعْيِينِ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَلَكِنَّهُ أَمَرَنِي بِأَنْ أَقُولَ لَكُمْ: إِنَّهُ كَائِنٌ وَوَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ، فَاحْذَرُوهُ، وَأَنَا مَهمَّتِي هِيَ إِبْلاَغُكُمْ ذَلِكَ، وَإِنْذَارُكُمْ بِوُقُوعِهِ، وَقَدْ قُمْتُ بِمَا كُلِّفْتُ بِهِ.

٢٧ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ

(٢٧) ـ وَحِينَمَا تَقُومُ السَّاعَةُ، وَيَبْعَثُ اللهُ الخَلاَئِقَ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ، يُشَاهِدُ الكَفَرَةُ العَذَابَ، وَيَرَوْنَ أَنَّ أَجَلَهُ كَانَ قَرِيباً (زُلْفَةً)، لأَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ، فَيَسُوؤُهُمْ ذَلِكَ، وَتَعْلُو وُجُوهَهُم الكَآبَةُ وَالقَتَرَةُ، إِذْ جَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: هَذَا هُوَ العَذَابُ الذِي كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ وُقُوعَهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَا هُوَ قَدْ جَاءَكُمْ بِأَهْوَالِهِ.

رَأَوْهُ زُلْفَةً ـ رَأَوا العَذَابَ قَرِيباً مِنْهُمْ.

سِيئَتْ ـ كَئِبَتْ وَٱسْوَدَّتْ غَمّاً.

بِهِ تَدَّعُونَ ـ تَطْلُبُونَ أَنْ يُعَجِّلَ لَكُمْ ٱسْتِهْزَاءً.

٢٨ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

(أَرَأَيْتُمْ) (الْكَافِرِينَ)

(٢٨) ـ فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ بِاللهِ، الجَاحِدِينَ نِعَمَهُ وَآلاءَهُ: أَخْبِرُونِي عَنِ الفَائِدَةِ التِي تَجْنُونَهَا مِنْ مَوْتِي، سَوَاءٌ أَمَاتَنِي اللهُ أَنَا وَمَنْ مَعِي، أَوْ أَخَّرَ أَجَلَنَا، فَأَيُّ نَفْعٍ لَكُمْ فِي ذَلِكَ؟ وَمَنْ ذَا الذِي يُجِيرُكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَعَذَابِهِ إِذَا نَزَلَ بِكُمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ أَصْنَامَكُم، التِي اتَّخَذْتُمُوهَا آلِهَةً، هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى نَصْرِكُمْ، وَإِنْقَاذِكُمْ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ الأَلِيمِ؟ إِنَّ تِلْكَ الأَصْنَامَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ شَيْئاً، وَالقَادِرُ عَلَى إِنْجَائِكُمْ وَإِنْقَاذِكُمْ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَأَخْلِصُوا العِبَادَةَ لَهُ، وَآمِنُوا بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالبَعْثِ وَالحِسَابِ.

يُجِيرُ الكَافِرِينَ ـ يُنَجِّيهِمْ وَيَمْنَعُهُمْ.

٢٩ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(آمَنَّا) (ضَلاَلٍ)

(٢٩) ـ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّنِي وَمَنْ مَعِي آمَنَّا بِرَبِّنَا الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، وَسَيَتَبَيَّنُ لَكُمْ مَنْ سَيَكُونُ الضَّالَّ ـ مِنَّا وَمِنْكُمْ ـ وَمَنْ يَكُونُ المُهْتَدِيَ، وَسَتَعْلَمُونَ مَنْ يَكُونُ الهَالِكَ غَداً إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ، وَمَنْ يَكُونُ النَّاجِي.

(٣٠) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ

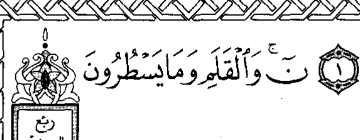
(أَرَأَيْتُمْ)

(٣٠) - وَقُلْ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي إِذَا ذَهَبَ مَاؤُكُمْ فِي الأَرْضِ، وَلَمْ تَعُودُوا تَسْتَطِيعُونَ الوُصُولَ إِليهِ، فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ جَارٍ عَذْبٍ تَشْرَبُونَ مِنْهُ؟ وَبِمَا أَنَّ أَحداً غَيْرَ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَعَلَيكُمُ الإِيمَانَ بِاللهِ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِإِخْلاَصِ العِبَادَةِ لَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ.

غَوْراً - غَائِراً ذَاهِباً فِي الأَرْضِ.

بِمَاءٍ مَعِينٍ - جَارٍ أَوْ ظَاهِرٍ سَهْلِ التَّنَاوُلِ.





ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)

(نُونْ)

(١) ـ يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِحَرْفِ النُّونِ، وَبِالقَلَمِ وَمَا يَكْتُبُ النَّاسُ.
(وَقِيلَ إِنَّ المَقْصُودَ بِـ (ن) هِيَ الدَّوَاةُ لأَنَّهَا عَلَى شَكْلِ حَرْفِ النُّونِ،
وَقِيلَ إِنَّ المَقْصُودَ بِالقَلَمِ القَلَمُ الذِي أَجْرَاهُ اللهُ بِالقَدَرِ).
(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ.
فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ.
قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ). (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ).
وَمَا يَسْطُرُونَ ـ وَالذِي يَكْتُبُونَ بِالقَلَمِ.

مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)

(٢) ـ لَسْتَ يَا مُحَمَّدُ، بِنِعْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ عَلَيكَ، بِمَجْنُونٍ، كَمَا يَقُولُ الجَهَلَةُ المُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، الذِينَ جِئْتَهُمْ بِالهُدَى فَاتَّهَمُوكَ بِالجُنُونِ.
و (مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ) ـ جَوَابُ القَسَمِ.

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)

(٣) ـ وَإِنَّ لَكَ مِنْ رَبِّكَ أَجْراً عَظِيماً، وَثَوَاباً جَزِيلاً لاَ يَنْقَطِعُ وَلاَ يَبِيدُ، عَلَى قِيَامِكَ بِإِبْلاَغِ رِسَالَةِ رَبِّكَ إِلَى الخَلْقِ، وَعَلَى صَبْرِكَ عَلَى أَذَاهُمْ.
غَيْرَ مَمْنُونٍ ـ غَيْرَ مَقْطُوعٍ أَوْ غَيْرَ مَجْذُوذٍ

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)

(٤) ـ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَلَعَلَى دِينٍ عَظِيمٍ؛ فَقَدْ كَانَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (خُلُقُهُ القُرْآنُ).

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥)

(٥) ـ فَسَتَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ، وَسَيَعْلَمُ مُخَالِفُوكَ وَمُكَذِّبُوكَ.

بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦)

(٦) ـ مَنْ هُوَ المَفْتُونُ الضَّالُّ عَنِ الهُدَى: أَنْتَ أَمْ هُمْ؟.
المَفْتُونُ ـ الضَّالُّ عَنِ الحَقِّ وَالهُدَى.

(٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

(٧) - إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ المُؤَدِّي إِلَى سَعَادَةِ الدَّارِينِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ آهْتَدَى إِلَى سَبِيلِهِ القَوِيمِ، وَطَرِيقِهِ المُسْتَقِيمِ.

(٨) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ

(٨) - وَكَمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِالخُلُقِ العَظِيمِ، وَالشَّرْعِ المُسْتَقِيمِ، فَأَقِمْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكَ، وَلَاتُطِعِ المُكَذِّبِينَ، وَلَا تُدَارِهِمْ، وَلَا تلايِنْهُمْ، طَمَعاً فِي أَنْ يَتَّبِعُوكَ.

(٩) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ

(٩) - وَدَّ المُشْرِكُونَ لَوْ تَتْرُكُ بَعْضَ مَا أَنْتَ عَلَيهِ مِمَّا لَا يَرْضَوْنَهُ مُصَانَعَةً لَهُمْ، فَتلِينُ لَهُمْ وَيلِينُونَ لَكَ.
(وَهَذَا شَيءٌ غَيرُ جَائِزٍ لِأَنَّ تَرْكَ بَعْضِ الدِّينِ كُفْرٌ).
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ - أَحَبُّوا لَوْ تُلايِنُهُمْ وَتُصَانِعُهُمْ.

(١٠) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ

(١٠) - وَلَا تُطِعِ المِكْثَارَ مِنَ الحَلْفِ بِاللهِ، الذِي يُكْثِرُ مِنَ الحَلْفِ فِي الحَقِّ وَفِي البَاطِلِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَهِينٌ وَمُحْتَقَرُ الرَّأْيِ.
حَلَّافٍ - كَثِيرِ الحَلْفِ فِي الحَقِّ وَالبَاطِلِ.
مَهِينٍ - حَقِيرٍ فِي الرَّأْيِ.

(١١) هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ

(١١) - كَثِيرُ الهَمْزِ وَالاغْتِيَابِ وَالطَّعْنِ فِي النَّاسِ، كَثِيرُ السَّعْيِ فِي النَّمِيمَةِ، وَنَقْلِ الأَحَادِيثِ المُؤْذِيَةِ، التِي تَقْطَعُ الأَوَاصِرَ، وَتُسِيءُ إِلَى العَلَائِقِ بَيْنَ النَّاسِ.
هَمَّازٍ - عَيَّابٍ للنَّاسِ أَوْ مُغْتَابٍ لَهُمْ.
مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ - يَمْشِي بِالسِّعَايَةِ وَالإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ.

(١٢) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ

(١٢) - كَثِيرُ البُخْلِ، مُفْرِطٌ فِي إِمْسَاكِ مَالِهِ عَنْ أَنْ يَجُودَ بِهِ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ، وَعَنْ أَنْ يَبْذُلَ فِي وُجُوهِ الخَيْرِ وَمَصَالِحِ الأُمَّةِ، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ مُتَجَاوِزٌ حُدُودَ مَا شَرَعَ اللهُ، كَثِيرُ الارْتِكَابِ لِلآثَامِ، لَا يُبَالِي بِمَا آرْتَكَبَ مِنْ سَيِّئَاتٍ، وَلَا بِمَا آجْتَرَحَ مِنْ إِجْرَامٍ.
الأَثِيمُ - الذِي مِنْ طَبْعِهِ أَنْ يَفْعَلَ الآثَامَ.

(١٣) عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ

(١٣) - وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ فَظٌّ غَلِيظُ القَلْبِ، مُتَمَيِّزٌ بِالشُّرُورِ وَالآثَامِ، فَلَا يَمُرُّ بِقَوْمٍ إِلَّا عَرَفُوا أَنَّهُ رَجُلُ سُوءٍ، (كَمَا قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ فِي تَعْرِيفِ زَنِيمٍ).

زَنِيمٍ - مَعْرُوفٍ بِالشُّرُورِ وَالآثَامِ - وَهُوَ المُلْتَصِقُ بِنَسَبِ غَيْرِهِ وَهُوَ أَيْضاً آبْنُ الزِّنَى.
عُتُلٍّ - فَاحِشٍ لَئِيمٍ - أَوْ غَلِيظٍ جَافٍ.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ١٦ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧﴾

(١٤) - وإذا أنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ بالكَثيرِ مِنَ المَالِ وَالبَنِين.

(آيَاتُنَا) (أَسَاطِيرُ)

(١٥) - فإنَّهُ لاَ يَشْكُرُ اللهَ عَلَى أنْعُمِهِ وَآلائِهِ، وَلَكِنَّهُ يَكْفُرُ وَيَعْتُو عَنْ أمْرِ رَبِّهِ، فَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيهِ آيَاتُ اللهِ فَإِنَّهُ يَقُولُ عَنْهَا: إنَّهَا مِنْ قَصصِ الأَقْدَمِينَ وأَساطِيرِهِمْ.

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ - أَبَاطِيلُهُم المَسْطُورَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

(١٦) - وَيَتَهَدَّدُ اللهُ تَعَالَى هَذا العتُلَّ الزَّنِيمَ الذِي لاَ يَشْكُرُ اللهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيهِ مِنْ أَمْوالٍ وَبَنِينَ، بِأَنَّهُ سَيُبَيِّنُ أَمْرَهُ لِلنَّاسِ حَتَّى يَعْرِفُوهُ، كَمَا يُعْرَفُ الفِيلُ بِالسِّمَةِ عَلَى الخُرْطُومِ.

(وَقِيلَ إنَّ السَّيْفَ حَطَّمَ أنْفَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَعرَفَ النَّاسُ مَنْ هُوَ هَذا العَبْدُ الكَافِرُ بِأنْعُمِ اللهِ، الذِي أرَادَ اللهُ تَعَالَى إذْلاَلَهُ وَتَحْقِيرَهُ، جَزاءً لَهُ عَلَى عُتُوِّهِ، وَتَكَبُّرِهِ عَلَى اللهِ، وَهُوَ الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ).

سَنَسِمُهُ - سَنُلْحِقُ بِهِ عَاراً لاَ يُمْحَى كَالوَسْمِ عَلَى الأَنْفِ.

(بَلَوْنَاهُمْ) (أَصْحَابَ)

(١٧) - رُوِي أنَّ أبَا جَهْلٍ طَلَبَ مِنْ قُرَيشٍ، حِينَ خُرُوجِهِمْ إلَى قِتَالِ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، أنْ يَأْخُذُوا مَعَهُمْ حِبالاً لِيَشُدُّوا بِهَا وَثَاقَ الأَسْرَى مِنَ المُسْلِمِينَ، الذِينَ سَيَقَعُونَ فِي أَسْرِهِمْ، لأَنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَشُكُّونَ فِي أنَّهُمْ هُمُ الغَالِبُونَ.

وَيُبَيِّنُ تَعَالَى أنَّهُ اخْتَبَرَ كُفَّارَ مَكَّةَ بِمَا أنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الوَاسِعَةِ، وَبِمَا رَحِمَهُمْ بِهِ مِنْ وَاسِعِ العَطَاءِ، لِيَنْظُرَ حَالَهُمْ أَيَشْكُرُونَ النِّعَمَ، وَيُؤَدُّونَ حَقَّهَا، وَيَتَّبِعُونَ دَاعِيَ اللهِ وَرَسُولِهِ، أمْ يَكْفُرُونَ بِاللهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ، فَيَصُبُّ اللهُ عَلَيهِم العَذَابَ مِنْ عِنْدِهِ، كَمَا اخْتَبَرَ أصْحَابَ البُسْتَانِ الذِينَ مَنَعُوا حَقَّ اللهِ فِيهِ، وَعَزَمُوا عَلَى ألاَّ يُؤَدُّوا زَكَاتَهُ لِلْبُؤَسَاءِ وَالفُقَرَاءِ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى فِعْلِهِمْ بِأنْ دَمَّرَ بُسْتَانَهُمْ شَرَّ تَدْمِيرٍ، فَقَدْ حَلَفَ أَصْحَابُ البُسْتَانِ لَيَقْطِفُنَّ ثِمَارَهُ فِي غُدْوَةِ اليَوْمِ التَّالِي، حَتَّى لاَ يَعْلَمَ بِهِمْ سَائِلٌ وَلاَ فَقِيرٌ.

بَلَوْنَاهُمْ - امْتَحَنَّاهُمْ.

الجَنَّة - البُسْتَانِ.

مُصْبِحِينَ - دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ.

الصَّرْمُ - قَطْفُ الثِّمَارِ.

(١٨) وَلَا يَسْتَثْنُونَ

(١٨) ـ وَلَمْ يَسْتَثْنُوا فِي حَلْفِهِمْ، وَلَمْ يَقُولُوا: إِنْ شَاءَ اللهُ (أَوْ إِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَثْنُوا حِصَّةَ المَسَاكِينِ كَمَا أَوْصَاهُمْ أَبُوهُمْ).

(١٩) فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ

(طَائِفٌ) (نَائِمُونَ)

(١٩) ـ فَأَحَاطَ أَمْرُ رَبِّكَ بِتِلْكَ الجَنَّةِ لَيْلاً، وَهُمْ نَائِمُونَ.

طَافَ ـ أَحَاطَ بِهَا نَازِلاً.

طَائِفٌ ـ بَلاَءٌ عَظِيمٌ أَوْ نَارٌ مُحْرِقَةٌ.

(٢٠) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ

(٢٠) ـ فَأَصْبَحَتْ تُشْبِهُ فِي سَوَادِهَا اللَّيْلَ البَهِيمَ المُظْلِمَ (أَوْ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ كَالبُسْتَانِ الذِي تَمَّ قِطَافُ ثِمَارِهِ.).

الصَّرِيمُ ـ اللَّيْلُ الشَّدِيدُ السَّوَادِ ـ أَوِ البُسْتَانُ المَقْطُوفُ ثَمَرُهُ.

(٢١) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ

(٢١) ـ وَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي الغَدَاةِ.

(٢٢) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ

(صَارِمِينَ)

(٢٢) ـ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اذْهَبُوا غُدْوَةً لِقَطْفِ ثِمَارِ بُسْتَانِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُصِرِّينَ عَلَى قَطْفِهَا.

(٢٣) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ

(يَتَخَافَتُونَ)

(٢٣) ـ فَانْطَلَقُوا إِلَى بُسْتَانِهِمْ، وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِصَوْتٍ خَافِتٍ، لِكَيْلاَ يَسْمَعَ الفُقَرَاءُ وَالبُؤَسَاءُ مَا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ.

يَتَخَافَتُونَ ـ يَتَكَلَّمُونَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ.

(٢٤) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ

(٢٤) ـ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لاَ تُمَكِّنُوا اليَوْمَ مِسْكِيناً مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بُسْتَانِكُمْ.

(٢٥) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ

(قَادِرِينَ)

(٢٥) ـ وَغَدَوْا إِلَى بُسْتَانِهِمْ، وَهُمْ مُصَمِّمُونَ عَلَى مَنْعِ المَسَاكِينِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى البُسْتَانِ، وَعَلَى حِرْمَانِهِمْ مِنْ حَقِّهِمْ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ.

عَلَى حَرْدٍ ـ عَلَى مَنْعٍ.

(٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ

(٢٦) ـ فَلَمَّا رَأَوْا بُسْتَانَهُمْ مُحْتَرِقاً، وَمَعَالِمَهُ مُتَغَيِّرَةً، وَلاَ أَثَرَ فِيهِ لِلْخُضْرَةِ وَالنُّضْرَةِ ظَنُّوا أَنَّهُمْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ إِلَيهِ، وَأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقاً آخَرَ.

إِنَّا لَضَالُّونَ ـ الطَّرِيقَ وَمَا هَذِهِ جَنَّتُنَا.

(٢٧) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ

(٢٧) ـ وَلَمَّا تَأَكَّدَ لَهُمْ أَنَّ البُسْتَانَ هُوَ بُسْتَانُهُمْ، وَقَدْ هَلَكَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ، قَالُوا إِنَّهُ بُسْتَانُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ أُنَاسٌ لاَ حَظَّ لَهُمْ وَلاَ نَصِيبَ (مَحْرُومُونَ).

﴿٢٨﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ

(٢٨) ـ فقالَ لهُمْ أعدلُهُمْ وأفضلُهُمْ (أوسطُهُمْ): ألَمْ يكنِ الأفضلُ لكُمْ أنْ تشكُروا اللهَ علَى أنعمِهِ عليكُمْ، فتُسبِّحُوهُ، وتُنزِّهُوهُ؟..

أوْسطُهُمْ ـ أرجحُهُمْ عقلاً وأحسنُهُمْ رأياً.

لوْلا تُسبِّحُونَ ـ هلَّا تستغفِرُونَ اللهَ.

﴿٢٩﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

(سُبْحانَ) (ظَالِمينَ)

(٢٩) ـ فندِمُوا علَى ما كانَ مِنهُمْ بعدَ فواتِ الأوانِ، وسبَّحُوا ربَّهُمْ، واعترفُوا بأنَّهُمْ كانُوا ظالِمينَ، حِينما أرادُوا منْعَ المساكِينِ حقَّهُمْ مِنْ ثمرِ البُسْتانِ.

﴿٣٠﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ

(يتلاوَمُونَ)

(٣٠) ـ فأخذَ بعضُهُمْ يلُومُ بعضاً علَى ما كانَ مِنهُمْ، وكُلُّ واحِدٍ مِنهُمْ يتَّهِمُ الآخرِينَ بأنَّهُم السَّببُ فِيما كانَ.

يتلاوَمُونَ ـ يلُومُ بعضُهُمْ بعضاً.

﴿٣١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ

(يا ويْلَنا) (طَاغِينَ)

(٣١) ـ وما كانَ مِنْ بعضِهِمْ إلَّا أنِ اعترفُوا بالخطِيئةِ والذَّنبِ، وقالُوا: إنَّا اعتديْنا وجاوزْنا الحدَّ حتَّى أصابَنا ما أصابَنا.

﴿٣٢﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ

(راغِبُونَ)

(٣٢) ـ لعلَّ اللهَ أنْ يُعطِينا خيراً مِنها بدلاً بتوْبتِنا واعترافِنا بذُنوبِنا وتكْفيرِنا عنْ سيِّئاتِنا، وإنَّنا راجُونَ عفْوَهُ، وطالِبُونَ الخيْرَ مِنْهُ.

راغِبُونَ ـ طالِبُونَ مِنْهُ الخيْرَ والعفْوَ.

﴿٣٣﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

(٣٣) ـ وهكَذا يكُونُ عذابُ الدُّنيا الذي يُنزِلُهُ اللهُ بمَنْ خالفَ أمْرَهُ، وبخِلَ بما آتاهُ اللهُ مِنْ فضْلِهِ، وأنْعمَ بِهِ عليهِ ومنعَ المساكِينَ حقَّهُمْ، وعذابُ الآخِرةِ أكبرُ وأشقُّ، لوْ كانُوا يعْلمُونَ شيئاً عنْ نارِ جهنَّمَ والعذابِ فيها.

﴿٣٤﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ

(جنَّاتِ)

(٣٤) ـ وللَّذِينَ يتَّقُونَ ربَّهُمْ، فيُؤدُّونَ ما أوْجبَهُ اللهُ عليْهِمْ مِنْ طاعاتٍ، ويجْتنِبُونَ ما نهاهُمْ عنْهُ، جنَّاتٌ ينْعمُونَ فيها بِما لا عيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمِعتْ ولا خطرَ علَى قلْبِ بشرٍ.

﴿٣٥﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ

(٣٥) - قَالَ كُفَّارُ مَكَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ سَاخِرِينَ: إِنَّ اللهَ فَضَّلَنَا عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يُفَضِّلَنَا عَلَيْكُمْ فِي الآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَحْصلِ التَّفْضِيلُ فَلا أَقَلَّ مِنَ المُسَاوَاةِ. فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: أَنُسَاوِي بَيْنَ المُؤْمِنِينَ المُطِيعِينَ رَبَّهُمْ وَبينَ المُجْرِمِينَ الذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَأَقَامُوا عَلَى المَعَاصِي وَالآثَامِ؟ كَلَّا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقَعَ هَذِهِ المُسَاوَاةُ.

﴿٣٦﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

(٣٦) - مَاذَا حَصَلَ لَكُمْ مِنْ فَسَادِ الرَّأْيِ حَتَّى ظَنَنْتُمْ هَذَا الظَّنَّ، وَحَكَمْتُمْ مِثْلَ هَذَا الحُكْمِ؟.

﴿٣٧﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ

(كِتَابٌ)

(٣٧) - أَمْ إِنَّكُمْ تَسْتَنِدُونَ فِي ظَنِّكُمْ هَذَا إِلَى كِتَابٍ نَزَلَ إِلَيكُمْ مِنَ السَّمَاءِ تَدْرُسُونَهُ وَتَتَدَاوَلُونَهُ؟..

﴿٣٨﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ

(٣٨) - وَهَذَا الكِتَابُ يَتَضَمَّنُ حُكْماً مُؤَكَّداً بِأَنَّ لَكُمْ مَا تَخْتَارُونَ وَمَا تَشْتَهُونَ، وَأَنَّ الأَمْرَ مُفَوَّضٌ إِليكُمْ لَا إِلَى غَيْرِكُمْ؟..

لَمَا تَخَيَّرُونَ - الذِي تَخْتَارُونَهُ وَتَشْتَهُونَهُ.

﴿٣٩﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ

(أَيْمَانٌ) (بَالِغَةٌ) (الْقِيَامَةِ)

(٣٩) - أَمْ مَعَكُمْ عُهُودٌ مُؤَكَّدَةٌ مِنَّا، لَا نَخْرُجُ مِنْ عُهْدَتِهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، أَنَّكُمْ سَتَصِلُونَ إِلَى كُلِّ مَا تَشْتَهُونَ وَتَطْلُبُونَ وَتَحْكُمُونَ.

﴿٤٠﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ

(٤٠) - سَلْهُمْ مَنِ الضَّامِنُ وَالكَفِيلُ بِتَنْفِيذِ هَذَا الوَعْدِ؟

زَعِيمٌ - كَفِيلٌ أَوْ ضَامِنٌ بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ ذَلِكَ.

﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ

(بِشُرَكَائِهِمْ) (صَادِقِينَ)

(٤١) - أَمْ لَهُمْ أُنَاسٌ يُشَارِكُونَهُمْ هَذَا الرَّأْيَ، وَيَقُولُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالمُجْرِمِينَ، فَإِنْ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَلْيَأْتُوا بِهَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَقُولُونَ؟.

﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

(٤٢) - فَلْيَأْتُوا بِهَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءِ لِيُعَاوِنُوهُمْ حِينَمَا يَشْتَدُّ الهَوْلُ، وَيَعْظُمُ الخَطْبُ، يَوْمَ القِيَامَةِ، وَحِينَئِذٍ يُدْعَى هَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ إِلَى السُّجُودِ، تَوْبِيخاً لَهُمْ عَلَى تَرْكِهِم الصَّلَاةَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ، فَتَزْدَادُ حَسْرَتُهُم وَنَدَامَتُهُمْ.

يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ - تَعْبِيرٌ يَعْنِي اشْتِدَادَ الأَمْرِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ

(خَاشِعَةً) (أَبْصارُهُمْ) (سالِمُونَ)

(٤٣) ـ وَحِينَ يُدْعَى هَؤُلاَءِ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، تَكُونُ أَبْصارُهُمْ خاشِعَةً ذَلِيلَةً، وَتَعْلُوهُمْ ذِلَّةٌ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَقَدْ كَانُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيَا مُتَكَبِّرِينَ مُتجَبِّرِينَ. وَلَمَّا دُعُوا إِلَى السُّجُودِ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ أَصِحَّاء سَالِمُونَ فِي أَبْدَانِهِمْ، وَآمْتَنَعُوا عَاقَبَهُم اللهُ بِأَن جَعَلَهُمْ غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى السُّجُودِ حِينَمَا يَتَجَلَّى الرَّبُّ سُبْحَانَهُ، وَيَسْجُدُ المُؤْمِنُونَ تَعْظِيماً لِجَلاَلِهِ الكَرِيمِ.

﴿٤٤﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ

(٤٤) ـ كِلْ يَا أَيُّها الرَّسُولُ إِلَيَّ أَمْرَ هَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ بِالقُرْآنِ، وَلاَ تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِشأْنِهِمْ فَأَنَا أَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ، وَسَأَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى العَذَابِ دَرَجَةً فَدَرَجَةً بِالإِمْهَالِ، وَبِإِدَامَةِ الصِّحةِ، وَزِيَادَةِ النِّعْمَةِ، مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ آسْتِدْرَاجٌ، فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ إِيثَارٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ، وَتَفْضِيلٌ لَهُمْ عَلَى المُؤْمِنِينَ.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ـ فَنُمِدُّهُمْ بِالأَمْوالِ والأَوْلاَدِ وَنُمِدُّهُمْ فِي الأَرْزَاقِ والأَعْمالِ لِيَغْتَرُّوا وَيَسْتَمِرُّوا عَلَى مَا يَضُرُّهُمْ وَهَذَا مِنْ كَيْدِ اللهِ لَهُمْ.

﴿٤٥﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ

(٤٥) ـ وَأُؤَخِّرُهُمْ، وَأُنْسِيءُ لَهُمْ فِي آجَالِهِمْ، لِيَزْدَادُوا عِصْيَاناً وَطُغْيَاناً، لِتَقُومَ عَلَيهِم الحُجَّةُ، وَإِنَّ كَيْدِي لأَهْلِ الكُفْرِ لَقَوِي شَدِيدٌ مُحْكَمٌ.

(وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ). (وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ).

أُمْلِي لَهُمْ ـ أُمْهِلُهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثماً.

إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ـ أَيْ عَظِيمٌ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَكَذَّبَ رُسُلِي، وَاجْتَرأَ عَلَى مَعْصِيَتِي.

﴿٤٦﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ

(تَسْأَلُهُمْ)

(٤٦) ـ إِنَّكَ لاَ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَدْعُوهُمْ إِليهِ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَإِلَى الطَّاعَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، لِيَرْفُضُوا نَصِيحَتَكَ، مَخافَةَ أَنْ يَلْحَقَهُمْ غُرْمٌ مِنْ دُخُولِهِمْ فِي الدِّينِ الذِي دَعَوْتَهُمْ إِليهِ.

﴿٤٧﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ

(٤٧) ـ أَمْ عِنْدَهُم اللَّوْحُ المَحْفُوظُ الذي فِيهِ أَنْبَاءُ الغَيْبِ، فَهُمْ يَكْتُبُونَ فِيهِ مَا يُرِيدُونَ مِنَ الحُجَجِ التِي تَدْعَمُ صِحَةَ قَوْلِهِمْ، وَيُخَاصِمُونَكَ فِيمَا يَكْتُبُونَ فِيهِ، وَيَسْتَغْنُونَ بِذَلِكَ عَنِ الاسْتِجَابَةِ لَكَ.

(٤٨) فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ

(٤٨) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَذَى قَوْمِكَ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، فَإِنَّ اللهَ سَيَحْكُمُ لَكَ، وَسَيَجْعَلُ العَاقِبَةَ لَكَ وَلأَتْبَاعِكَ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلاَ تَكُنْ كَنَبِيِّ اللهِ يُونُس، عَلَيهِ السَّلاَمُ (صَاحِبِ الحُوتِ) حِينَ ذَهَبَ مُغَاضِباً قَوْمَهُ فَرَكِبَ السَّفِينَةَ، ثُمَّ اقْتَرَعَ أَهْلُ السَّفِينَةِ فَأُلْقِيَ فِي البَحْرِ، فَالتَقَمَهُ الحُوتُ، وَطَافَ بِهِ الحُوتُ أَرْجَاءَ المُحِيطَاتِ فَحِينَئِذٍ نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ، وَهُوَ مُمْتَلِيءٌ غَيْظاً مِنْ قَوْمِهِ إِذْ لَمْ يُؤْمِنُوا لَهُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى الإِيمَانِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

صَاحِبِ الحُوتِ - يُونُس، عَلَيهِ السَّلاَمُ.

مَكْظُومٌ - مُمْتَلِيءُ القَلْبِ غَيْظاً عَلَى قَوْمِهِ.

(٤٩) لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ

(تَدَارَكَهُ)

(٤٩) - وَلَوْلاَ أَنْ تَدَارَكَتْهُ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَنِعْمَتُهُ، بِتَوْفِيقِهِ لِلتَّوْبَةِ، وَقَبُولِهَا مِنْهُ، لَطُرِحَ فِي الفَضَاءِ مِنْ بَطْنِ الحُوتِ، وَهُوَ مَلُومٌ مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالكَرَامَةِ.

لَنُبِذَ - لَطُرِحَ.

العَرَاءِ - الأَرْضِ الفَضَاءِ المُهْلِكَةِ.

مَذْمُومٌ - مَلُومٌ.

(٥٠) فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(فَاجْتَبَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

(٥٠) - وَلَكِنَّ نِعْمَةَ رَبِّهِ تَدَارَكَتْهُ، فَاصْطَفَاهُ رَبُّهُ، وَأَوْحَى إِلَيهِ، وَجَعَلَهُ مِنَ المُرْسَلِينَ العَامِلِينَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ.

اجْتَبَاهُ - اصْطَفَاهُ بِعَوْدَةِ الوَحْيِ إِليهِ.

(٥١) وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ

(بِأَبْصَارِهِمْ)

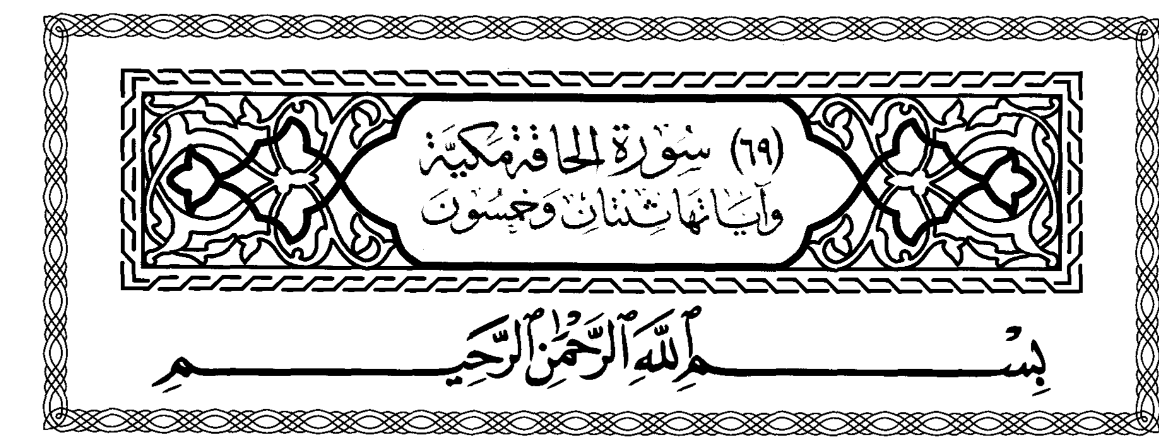
(٥١) - وَهَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ يَنْظُرُونَ إِليكَ شَذْراً مِنْ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ، وَكُرْهِهِمْ لَكَ، حَتَّى لَيَكَادُونَ أَنْ يُزْلِقُوا قَدَمَكَ حَسَداً وَبُغْضاً، حِينَ سَمِعُوكَ تَتْلُو القُرْآنَ. وَيَقُولُونَ لِحَيرَتِهِمْ فِي أَمْرِ هَذَا القُرْآنِ، وَجَهْلِهِمْ بِمَا فِيهِ: إِنَّ مُحَمَّداً لَمَجْنُونٌ.

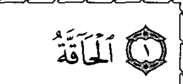
لَيُزْلِقُونَكَ - لَيُزِلُّونَ قَدَمَكَ.

(٥٢) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ

(لِلْعَالَمِينَ)

(٥٢) - وَالقُرْآنُ لَيسَ إِلاَّ عِظَةً وَتَذْكِرَةً لِلْعَالَمِينَ.





ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾

(١) - الحَاقَّةُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ القِيَامَةِ لأَنَّهُ يَتَحَقَّقُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الوَعْدُ وَالوَعِيدُ.

مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٢﴾

(٢) - وَمَا هِيَ الحَاقَّةُ، وَأَيُّ شَيْءٍ هِيَ فِي أَهْوَالِهَا؟ فَالمَقْصُودُ مِنَ الاسْتِفْهَامِ تَفْخِيمُ شَأْنِهَا وَتَعْظِيمُ قَدْرِهَا.

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٣﴾

(أَدْرَاكَ)

(٣) - وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ مَا هِيَ هَذِهِ الحَاقَّةُ؟ إِنَّهَا شَيْءٌ فَظِيعٌ لاَ يَسْتَطِيعُ البَشَرُ تَصَوُّرَهَا وَمَعْرِفَةَ مَا فِيهَا مِنَ الهَوْلِ.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾

(٤) - كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقِيَامَةِ الَّتِي تَقْرَعُ النَّاسَ بِالفَزَعِ وَالهَوْلِ.
القَارِعَةُ - القِيَامَةُ تَقْرَعُ القُلُوبَ بِإِفْزَاعِهَا.

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾

(٥) - أَمَّا ثَمُودُ فَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِصَيْحَةٍ بَالِغَةِ الحَدِّ فِي الشِّدَّةِ وَالقُوَّةِ.
الطَّاغِيَةِ - الصَّيْحَةُ المُجَاوِزَةُ الحَدَّ فِي الشِّدَّةِ.

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾

(٦) - وَأَمَّا عَادٌ فَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيحاً شَدِيدَةَ العُنْفِ وَالبُرُودَةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الرِّيحُ مُهْلِكَةً عَاتِيَةً، لاَ رَحْمَةَ فِيهَا وَلاَ شَفَقَةَ.
رِيحٍ صَرْصَرٍ - شَدِيدَةِ السَّمُومِ أَوِ البَرْدِ أَوِ الهُبُوبِ.
عَاتِيَةٍ - شَدِيدَةِ العَصْفِ وَالهُبُوبِ.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾

(ثَمَانِيَةَ)

(٧) - وَقَدْ سَلَّطَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الرِّيحَ عَلَى قَوْمِ عَادٍ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ كَامِلاَتٍ مُتَتَابِعَاتٍ، بِلاَ تَوَقُّفٍ، وَلاَ فُتُورٍ، فَأَهْلَكَتِ القَوْمَ وَصَرَعَتْهُمْ، وَأَلْقَتْهُمْ هَالِكِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَكَأَنَّهُمْ جُذُوعُ نَخْلٍ جَوْفَاءُ مُلْقَاةٌ عَلَى الأَرْضِ.

حُسُوماً - مُتَتَابِعَاتٍ أَوْمَشْؤُومَاتٍ.
أَعْجَازُ نَخْلٍ - جُذُوعُ نَخْلٍ بِلاَ رُؤُوسٍ.
خَاوِيَةٍ - سَاقِطَةٍ أَوْ فَارِغَةٍ أَوْ بَالِيَةٍ.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ٨﴾

(٨) - فَهَلْ تَرى مِنْهُمْ وَمِنْ أَنْسَالِهِمْ أَحداً بَاقياً عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ؟.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ٩﴾

(الْمُؤْتَفِكَاتُ)

(٩) - وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الأُمَمِ التي كَذَّبَتِ الرُّسُلَ، وَكَفَرَتْ بِاللهِ، كَعَادٍ وَثَمُودَ وَالقُرَى التِي دُمِّرَتْ بِأَهْلِهَا، وَقُلِبَتْ رَأْساً عَلَى عَقِبٍ (المُؤتَفِكَاتُ) بِالكُفْرِ، وَبِالأَفْعَالِ الخَاطِئَةِ، ذَاتِ الخَطأ الكَبِيرِ الفَاحِشِ.

المُؤْتَفِكَاتُ - القُرَى التِي قُلِبَ عَالِيهَا سَافِلَهَا وَهِيَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ.
الخَاطِئَةُ - الفِعْلاَتُ ذَاتُ الخَطَإِ الجَسِيمِ - الكُفْرُ -

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ١٠﴾

(١٠) - فَكَذَّبَ كُلُّ قَوْمٍ الرَّسُولَ الذِي أَرْسَلَهُ اللهُ إِليهِمْ، فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذَنْبِهِمْ أَخْذَةً عَظِيمَةً مُهْلِكَةً، وَعَاقَبَهُمْ مُعَاقَبَةً زَائِدَةَ الشِّدَّةِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى تَزَايُدِ قَبَائِحِهِمْ

رَابِيَةً - زَائِدَةَ الشِّدَّةِ.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ١١﴾

(طَغَى) (حَمَلْنَاكُمْ)

(١١) - إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ، وَتَزَايَدَ ارْتِفَاعُهُ، فِي عَهْدِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، حَمَلْنَا نُوحاً وَمَنْ مَعَهُ مِنْ آبَائِكُمُ المُؤْمِنِينَ الأَوَّلِينَ فِي السَّفِينَةِ، لِنُنَجِّيَهُمْ مِنَ الغَرَقِ الذِي قَضَيْنَا بِأَنْ يَكُونَ عِقَاباً لِلْمُكَذِّبِينَ الكَافِرِينَ.

الجَارِيَةِ - السَّفِينَةِ - أَيْ سَفِينَةِ نُوحٍ.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ١٢﴾

(وَاعِيَةٌ)

(١٢) - لِنَجْعَلَ إِغْرَاقَ الكَافِرِينَ، وَإِنْجَاءَ المُؤْمِنِينَ بِالسَّفِينَةِ، عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَعِظَةً لِكُلِّ مَنْ لَهُ أُذُنٌ تَسْمَعُ وَتَعِي مَا تَسْمَعُ.

تَذْكِرَةً - عِبْرَةً وَعِظَةً.
وَتَعِيَهَا - تَحْفَظَهَا.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ١٣﴾

(وَاحِدَةٌ)

(١٣) - فَإِذَا نَفَخَ إِسْرَافِيلُ، عَلَيهِ السَّلاَمُ، النَّفْخَةَ الأُولَى فِي الصُّورِ (وَهُوَ قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً) هَلَكَ العَالَمُ، وَلاَ يَحْتَاجُ الأَمْرُ إِلَى نَفْخَةٍ

أُخْرَى، لأَنَّ أَمْرَ اللهِ وَاحِدٌ لاَ يُخَالَفُ وَلاَ يُمَانَعُ وَلاَ يُكَرَّرُ.
الصُّور - قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً.

(١٤) وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً

(وَاحِدَةً)

(١٤) - وَتُحْمَلُ الأَرْضُ بِمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَتَنْدَكُّ، حَتَّى تَتَقَطَّعَ أَوْصَالُهَا، وَيَزُولَ تَمَاسُكُهَا، فَتُصْبِحَ وَكَأَنَّهَا الكَثِيبُ المَهِيلُ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كُتْلَةً صَلْبَةً قَوِيَّةً مُتَمَاسِكَةً

وَحُمِلَتِ الأَرْضُ - رُفِعَتْ مِنْ مَكَانِهَا بِأَمْرِ رَبِّهَا.
دُكَّتَا - دُقَّتَا وَكُسِرَتَا - أَوْ سُوِّيَتَا.

(١٥) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ

(فَيَوْمَئِذٍ)

(١٥) - فَإِذَا حَدَثَ ذَلِكَ فَحِينَئِذٍ تَقُومُ القِيَامَةُ.
الوَاقِعَةُ - اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ القِيَامَةِ.

(١٦) وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ

(يَوْمَئِذٍ)

(١٦) - وَتَتَصَدَّعُ السَّمَاءُ، وَتُصْبِحُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ ضَعِيفَةً وَاهِيَةً مُتَرَاخِيَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ شَدِيدَةَ الأَسْرِ، عَظِيمَةَ القُوَّةِ.
وَاهِيَةٌ - ضَعِيفَةٌ مُتَدَاعِيَةُ الرَّوَابِطِ.

(١٧) وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ

(أَرْجَائِهَا) (يَوْمَئِذٍ) (ثَمانِيَةٌ)

(١٧) - وَتَقُومُ المَلاَئِكَةُ عَلَى جَوَانِبِ السَّمَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ اللهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ المَهُولِ فَوْقَ رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ ثَمَانِيَةٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ (أَوْ ثَمَانِيَةُ صُفُوفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ عَلَى قَوْلٍ).
أَرْجَائِهَا - أَطْرَافِهَا وَجَوَانِبِهَا.

(١٨) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ

(يَوْمَئِذٍ)

(١٨) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ تُعْرَضُ الخَلاَئِقُ عَلَى رَبِّهِمْ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ، لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَإِنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِالضَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ وَالظَّوَاهِرِ.

(١٩) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ

(كِتَابَهُ) (كِتَابِيَهْ) (اقْرَؤُوا)

(١٩) - وَيُعْطَى النَّاسُ صُحُفَ أَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ تَنَاوَلَ صَحِيفَةَ عَمَلِهِ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ فَرِحاً مَسْرُوراً لِكُلِّ مَنْ يَلْقَاهُ: هَذِهِ هِيَ صَحِيفَةُ أَعْمَالِي، خُذُوهَا

فَاقْرَؤُوهَا، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا فِيهَا خَيرٌ وَحَسَنَاتٌ، لِأَنَّهُ مِمَّنْ بَدَّلَ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.

هَاؤُمُ - خذُوا أَوْ تَعَالَوا.

كِتَابِيَهْ - كِتَابِي وَالهَاءُ لِلسَّكْتِ.

٢٠ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ

(مُلاقٍ)

(٢٠) - إِنَّنِي كُنْتُ فِي الدُّنْيَا أَعْتَقِدُ يَقِيناً بِأَنَّنِي سَأُحَاسَبُ أَمَامَ اللهِ فِي هَذَا اليَوْمِ، فَعَمِلْتُ خَيْراً قَدْرَ مَا آسْتَطَعْتُ، وَكُنْتُ أُؤَمِّلُ أَنْ يُحَاسِبَنِي اللهُ عَلَى أَعْمَالِي حِسَاباً يَسِيراً، وَقَدْ صَدَقَ مَا آعْتَقَدْتُ وَمَا تَوَقَّعْتُ، فَكَانَ حِسَابِي يَسِيراً.

٢١ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ

(٢١) - فَهُوَ يَعِيشُ عِيشَةً رَاضِيَةً خَالِيَةً مِنَ الهُمُومِ وَالأَكْدَارِ.

رَاضِيَةٍ - مُرْضِيَةٍ لاَ مَكْرُوهَةٍ.

٢٢ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

(٢٢) - فِي جَنَّةٍ رَفِيعَةِ المَكَانِ والدَّرَجَاتِ، فِيهَا الخُضْرَةُ وَالمِيَاهُ وَالظِّلاَلُ الوَارِفَةُ.

٢٣ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ

(٢٣) - فِيهَا أَشْجَارٌ ثِمَارُهَا دَانِيَةٌ مِمَّنْ يُرِيدُونَ قَطْفَهَا، فَيَأْخُذُونَهَا بِدُونِ عَنَاءٍ.

دَانِيَةٌ - ثِمَارُهَا قَرِيبَةُ التَّنَاوُلِ.

٢٤ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ

(٢٤) - وَيُقَالُ لَهُمْ: كُلُوا يَا أَيُّهَا الأَبْرَارُ مِنْ ثِمَارِ هَذِهِ الجَنَّةِ هَنِيئاً، وَآشْرَبُوا مِنْ خَمْرِهَا وَمِيَاهِهَا مَرِيئاً، لاَ تَغَصُّونَ بِهِ، وَلاَ تَتَأَذَّوْنَ، وَذَلِكَ جَزَاءٌ مِنَ اللهِ لَكُمْ، وَثَوَابٌ عَلَى مَا عَمِلْتُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ، وَكَرِيمِ الطَّاعَاتِ الخَالِصَةِ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى.

هَنِيئاً - أَكْلاً غَيْرَ مُنَغَّصٍ وَلاَ مُكَدَّرٍ.

٢٥ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ

(كِتَابَهُ) (يَا لَيْتَنِي) (كِتَابِيَهْ)

(٢٥) - أَمَّا الأَشْرَارُ الأَشْقِيَاءُ فَإِنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِمْ فَيَتَنَاوَلُونَهَا بِشَمَائِلِهِمْ، وَحِينَئِذٍ يَرَونَ مَا فِيهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ فَيَنْدَمُونَ غَايَةَ النَّدَمِ عَلَى مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَمَنَّوْنَ أَنَّهُمْ قُذِفَ بِهِمْ فِي النَّارِ، وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَا فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ المَخَازِي وَالأَعْمَالِ المُخْجِلَةِ.

(٢٦) وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ

(٢٦) - وَيتمنَّونَ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا شَيْئاً عَنِ الحِسَابِ الذِي سَيُحَاسَبُونَ بِهِ.

(٢٧) يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ

(يا لَيْتَها)

(٢٧) - وَيَتَمَنَّى وَاحِدُهُمْ لَوْ أَنَّ المِيتَةَ الأُولَى التِي مَاتَهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ الفَاصِلَةَ، وَلَمْ يُبْعَثْ مَرَّةً أُخْرَى.

القَاضِيَةَ - المَوْتَةَ القَاطِعَةَ لأَمْرِي وَلَمْ أُبْعَثْ.

(٢٨) مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ

(٢٨) - لَمْ يُغْنِ عَنِّي مَالِي شَيْئاً، وَلَمْ يُنجِنِي مَا جَمَعْتُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَنُضَارٍ، مِنْ عَذَابِ اللهِ شَيْئاً، وَلاَ مِنْ بَأْسِهِ.

مَا أَغْنَى - مَا دَفَعَ.

(٢٩) هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ

سكتة لطيفة على هاء ماليه

(سُلْطَانِيَهْ)

(٢٩) - وَذَهَبَ سُلْطَانِي وَجَاهِي الذِي كُنْتُ أَفْرِضُهُ عَلَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَبَقِيتُ فَرْداً ذَلِيلاً حَقِيراً فَقِيراً.

(٣٠) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ

(٣٠) - وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلزَّبَانِيَةِ - مَلاَئِكَةِ العَذَابِ -: خُذُوهُ فَاجْمَعُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِالغُلِّ.

الغُلُّ - القَيْدُ الذِي تُقَيَّدُ بِهِ اليَدَانِ إِلَى العُنُقِ.

(٣١) ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ

(٣١) - ثُمَّ أَدْخِلُوهُ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَصْلَى حَرَّهَا وَعَذَابَهَا، جَزَاءً لَهُ عَلَى مَا اجْتَرَحَهُ مِنْ كُفْرٍ وَآثَامٍ.

صَلُّوهُ - أَذِيقُوهُ حَرَّ جَهَنَّمَ - أَوِ اغْمُرُوهُ بِنَارِهَا.

(٣٢) ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ

(٣٢) - ثُمَّ أَدْخِلُوهُ فِي سِلْسِلَةٍ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً تَلْتَفُّ حَوْلَ جَمِيعِ أَنْحَاءِ جِسْمِهِ حَتَّى لاَ يَسْتَطِيعَ حِرَاكاً وَلاَ فَكَاكاً.

فَاسْلُكُوهُ - فَأَدْخِلُوهُ.

(٣٣) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ

(٣٣) - وَافْعَلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ بِهِ لأَنَّهُ كَانَ يَكْفُرُ بِاللهِ العَظِيمِ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ يُشْرِكُ مَعَهُ فِي العِبَادَةِ غَيْرَهُ.

(٣٤) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ

(٣٤) - وَكَانَ لاَ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى إِطْعَامِ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَأَصْحَابِ الحَاجَاتِ.

لاَ يَحُضُّ - لاَ يَحُثُّ وَلاَ يُحَرِّضُ.

(٣٥) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ

(هَا هُنَا)

(٣٥) ـ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لاَ يَجِدُ الْيَوْمَ هُنَا فِي الآخِرَةِ قَرِيباً وَدُوداً، وَلاَ صَدِيقاً حَمِيماً مُخْلِصاً، يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى، فَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْشَغِلٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِنَفْسِهِ.

حَمِيمٌ ـ قَرِيبٌ شَفِيقٌ.

(٣٦) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ

(٣٦) ـ وَلاَ يَجِدُ لَهُ طَعَاماً فِي النَّارِ إِلاَّ مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الدَّمِ وَالصَّدِيدِ.

غِسْلِينٍ ـ صَدِيدِ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ.

(٣٧) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ

(الْخَاطِئُونَ)

(٣٧) ـ وَالصَّدِيدُ شَيْءٌ كَرِيهُ الْمَذَاقِ لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ أَهْلُ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الذِينَ مَرَنُوا عَلَى اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا.

الْخَاطِئُونَ ـ أَهْلُ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ ـ الْكَافِرُونَ.

(٣٨) فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ

(٣٨) ـ قَسَماً بِمَا تُشَاهِدُونَهُ فِي عَالَمِ الْمَرْئِيَّاتِ.

فَلاَ أُقْسِمُ ـ أُقْسِمُ قَسَماً مُؤَكَّداً.

(٣٩) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ

(٣٩) ـ وَقَسَماً بِمَا غَابَ عَنْكُمْ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ.

(وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى الآيَتَيْنِ: قَسَماً بِمَا تُبْصِرُونَهُ مِنْ آثَارِ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ وَبِمَا لاَ تُبْصِرُونَهُ مِنْ آثَارِهَا).

(٤٠) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

(٤٠) ـ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ كَلاَمُ اللهِ وَوَحْيُهُ أَنْزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ هُوَ قَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّهِ.

(٤١) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ

(٤١) ـ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ، لأَنَّ مُحَمَّداً لَيْسَ شَاعِراً، وَإِنَّكُمْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ تُؤْمِنُونَ إِلاَّ إِيمَاناً قَلِيلاً.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ فِي قُلُوبِهِمْ ثُمَّ يَتَرَاجَعُونَ عَنْ إِيمَانِهِمْ سَرِيعاً).

(٤٢) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ

(٤٢) ـ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ كَمَا تَزْعُمُونَ، لأَنَّهُ سَبَّ الشَّيَاطِينَ، فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَا يَقُولُهُ إِلْهَاماً مِنْهُمْ. وَلَكِنَّكُمْ لَمَّا لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَهْمَهُ قُلْتُمْ إِنَّهُ كَلاَمُ كُهَّانٍ، فَمَا أَقَلَّ تَذَكُّرَكُمْ وَتَدَبُّرَكُمْ.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ (٤٣)

(العَالَمِينَ)

(٤٣) ـ لَيْسَ القُرْآنُ قَوْلَ شَاعِرٍ، وَلاَ قَوْلَ كَاهِنٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ الرُّوحِ الأَمِينِ، عَلَيهِ السَّلاَمُ.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤)

(٤٤) ـ وَلَوْ أَنَّ مُحَمَّداً ٱفْتَرَى عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقْوَالِ البَاطِلَةِ، فَزَادَ فِي الرِّسَالَةِ أَوْ نَقَّصَ مِنْهَا، أَوْ قَالَ شَيْئاً مِنْ عِنْدِهِ فَنَسَبَهُ إِلينَا، لَعَاجَلْنَاهُ بِالعُقُوبَةِ.

تَقَوَّلَ ـ ٱخْتَلَقَ وٱفْتَرَى.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ (٤٥)

(٤٥) ـ لأَمْسَكْنَا بِيَمِينِهِ كَمَا يُفْعَلُ بِمَنْ تُضرَبُ أَعْنَاقُهُمْ.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ (٤٦)

(٤٦) ـ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ عِرْقَ العُنُقِ الأَكْبَرِ. وَمَتَى قُطِعَ الوَتِينُ كَانَ المَوْتُ المُحَقَّقُ.

الوَتِينُ ـ نِيَاطُ القَلْبِ ـ أَوْ عِرْقُ العُنُقِ الأَكْبَرُ.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٤٧)

(حَاجِزِينَ)

(٤٧) ـ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَحْجزَ عِقَابَنَا وَيَمْنَعَهُ مِنَ النُّزُولِ بِهِ.

حَاجِزِينَ ـ مَانِعِينَ الهَلاَكَ عَنْهُ.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)

(٤٨) ـ وَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ لَعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُتَّقِينَ، الذِينَ يَخْشَونَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ، فَيُطِيعُونَ أَوامِرَهُ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا زَجَرَهُمْ عَنْهُ.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ (٤٩)

(٤٩) ـ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ يُكَذِّبُونَ النَّبِيَّ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ (٥٠)

(الكَافِرِينَ)

(٥٠) ـ وَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ يُسَبِّبُ حَسْرَةً عَظِيمَةً لِلْكَافِرِينَ، حِينَمَا يَرَوْنَ فَوْزَ المُؤْمِنِينَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ سَبَبُ حَسْرَةٍ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ، حِينَمَا يَرَوْنَ فَوْزَهُمْ بِرِضْوَانِ اللهِ، وَإِكْرَامِهِ لَهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ.

لَحَسْرَةٌ ـ نَدَامَةٌ عَظِيمَةٌ.

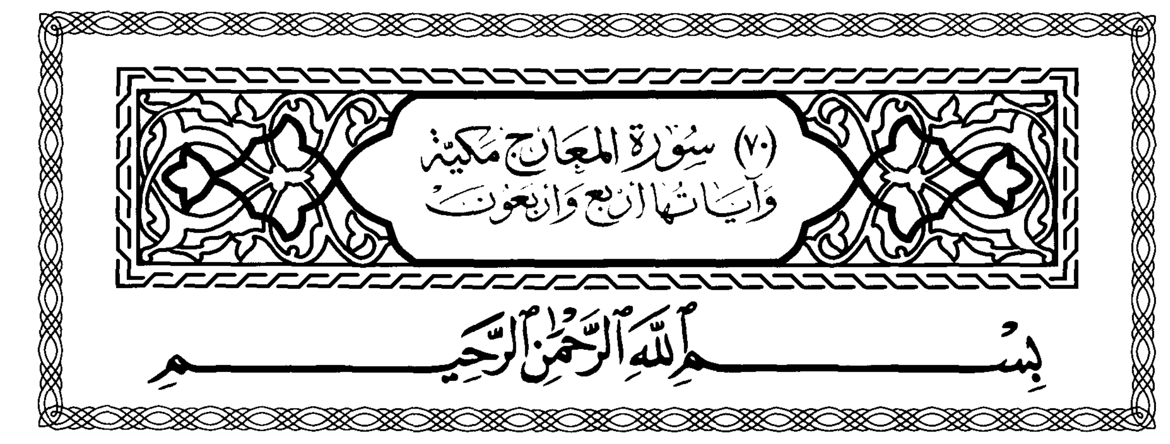
﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ (٥١)

(٥١) ـ وَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ لَهُوَ الحَقُّ الذِي لاَ شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٥٢)

(٥٢) ـ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ اللهِ تَعَالَى وَنَزِّهْهُ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ وَكَمَالِهِ، وَدُمْ عَلَى ذِكْرِ ٱسْمِ رَبِّكَ الكَرِيمِ.

سَبِّحْ ـ نَزِّهْ رَبَّكَ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِكَمَالِهِ.



سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾

(سَائِلٌ)

(١) - اَسْتَعْجَلَ سَائِلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ بِإِيقَاعِ العَذَابِ بِهِمْ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ فِي الآخِرَةِ لاَ مَحَالَةَ، فَلِمَاذَا يَطْلُبُونَهُ اَسْتِهْزَاءً؟

(وَقِيلَ إِنَّ هَذَا السَّائِلَ بِوُقُوعِ العَذَابِ هُوَ النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ).

لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾

(لِلْكَافِرِينَ)

(٢) - وَهَذَا العَذَابُ الذِي سَيَقَعُ هُوَ مُرْصَدٌ لِلْكَافِرِينَ، وَمُعَدٌّ لَهُمْ، وَلاَ دَافِعَ لَهُ إِذَا أَرَادَ اللهُ وُقُوعَهُ بِهِمْ.

مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾

(٣) - وَلَيْسَ لِهَذَا العَذَابِ الصَّادِرِ عَنِ اللهِ دَافِعٌ مِنْ جِهَتِهِ إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ، فَإِذَا اَقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ تَعَالَى وُقُوعَهُ اَمْتَنَعَ أَلَّا يَفْعَلَهُ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ صَاحِبُ النِّعَمِ وَالأَفْضَالِ التِي تَصِلُ إِلَى النَّاسِ عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ، وَمَرَاتِبَ مُخْتَلِفَةٍ.

المَعَارِجِ - المَرَاتِبِ وَالدَّرَجَاتِ وَالمَصَاعِدِ.

تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾

(المَلاَئِكَةُ)

(٤) - وَتَصْعَدُ المَلاَئِكَةُ وَجِبْرِيلُ فِي هَذِهِ المَعَارِجِ فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ، مَعَ أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا لَوْ أَرَادُوا الصُّعُودَ فِيهَا لاَقْتَضَاهُمْ ذَلِكَ زَمَناً طَوِيلاً (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - وَقِيلَ إِنَّ ذِكْرَ الخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لاَ يَعْنِي هُنَا زَمَناً مُحَدَّداً وَإِنَّمَا هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ طُولِ المُدَّةِ).

(وَقِيلَ إِنَّ المَقْصُودَ بِهَذَا اليَوْمِ هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ فَإِنَّهُ يَخِفُّ عَلَى المُؤْمِنِينَ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ مِنْ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ، يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنٌ، وَيَشُقُّ عَلَى الكَافِرِينَ - كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ -). (رَوَاهُ أَحْمَدُ).

تَعْرُجُ - تَصْعَدُ فِي تِلْكَ المَعَارِجِ .
الرُّوحُ - جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .
فِي يَوْمٍ - إِمَّا أَنْ يَكُونَ المَعْنَى مُدَّةَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَ القِيَامَةِ .

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾

(٥) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ، وَعَلَى آسْتِعْجَالِهِم العَذَابَ آسْتِبْعَاداً لِوُقُوعِهِ، وَآحْتَمِلْ أَذَاهُمْ لَكَ بِلاَ جَزَعٍ وَلاَ شَكْوَى، لأَنَّ وُقُوعَ العَذَابِ بِهِمْ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ.
صَبْراً جَمِيلاً - لاَ شَكْوَى فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى .

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦﴾

(٦) - إِنَّ الكَافِرِينَ يَرَوْنَ قِيَامَ السَّاعَةِ، وَوُقُوعَ العَذَابِ أَمْراً مُسْتَبْعَداً .

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧﴾

(نَرَاهُ)

(٧) - وَيَعْتَقِدُ المُؤْمِنُونَ أَنَّهُ حَاصِلٌ قَرِيبُ الوُقُوعِ ، وَإِنْ كَانَ مَوْعِدُ حُصُولِهِ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى ، لأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ فَهُوَ قَرِيبٌ .
(أَوْ إِنَّ المَعْنَى - وَنَرَاهُ هَيِّناً فِي قُدْرَتِنَا، غَيْرَ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْنَا) .

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨﴾

(٨) - وَتَقُومُ السَّاعَةُ، وَيَقَعُ العَذَابُ بِالكَافِرِينَ حِينَمَا تُصْبِحُ السَّمَاءُ كَعَكَرِ الزَّيْتِ.
المُهْلُ - عَكَرُ الزَّيْتِ، وَقِيلَ إِنَّهُ الفِضَّةُ الذَّائِبَةُ .

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩﴾

(٩) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ تُصْبِحُ الجِبَالُ هَشَّةً غَيْرَ مُتَمَاسِكَةٍ وَكَأَنَّهَا الصُّوفُ المَنْفُوشُ إِذَا لَعِبَتْ بِهِ الرِّيحُ .
العِهْنِ - الصُّوفِ المَنْفُوشِ أَوِ المَصْبُوغِ أَلْوَاناً .

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠﴾

(يَسْأَلُ)

(١٠) - وَلاَ يَسْأَلُ قَرِيبٌ مُشْفِقٌ قَرِيباً مُشْفِقاً عَنْ حَالِهِ، وَلاَ يُكَلِّمُهُ، لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الخَلْقِ مُنْشَغِلٌ بِمَا هُوَ فِيهِ .
الحَمِيمُ - القَرِيبُ المُشْفِقُ .

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١﴾

(يَوْمَئِذٍ)

(١١) - وَيُبْصِرُ الأَقَارِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فِي ذَلِكَ اليَوْمِ ، وَيَتَعَارَفُونَ، ثُمَّ يَفِرُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَيَتَمَنَّى الكَافِرُ لَوْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْدِيَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ ذَلِكَ اليَوْمِ بِأَبْنَائِهِ، وَهُمْ أَعَزُّ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَيَدْفَعُ بِهِمْ إِلَى العَذَابِ لِيَنْجُوَ هُوَ مِنْهُ .
يُبَصَّرُونَهُمْ - يَجْعَلُونَهُمْ يُبْصِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً .

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢﴾

(صَاحِبَتِهِ)

(١٢) - أَوْ أَنْ يُقَدِّمَ فِدَاءً عَنْهُ زَوْجَتَهُ أَوْ أَخَاهُ .

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ ⑬

(تُؤْوِيهِ)

(١٣) ـ أَوْ أَنْ يُقَدِّمَ جميعَ أَفْرادِ عَشِيرَتِهِ التِي تَضُمُّهُ إِلَيْهَا.

فَصِيلَتِهِ ـ عَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ⑭

(١٤) ـ أَوْ أَنْ يُقَدِّمَ جَمِيعَ أَهْلِ الأَرْضِ فِدَاءً لَهُ لِيَخْلُصَ هُوَ مِنْ ذَلِكَ العَذَابِ.

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ ⑮

(١٥) ـ كَلاَّ لاَ يُقْبَلُ فِدَاءٌ مِنَ الكَافِرِ، وَلَوْ أَنَّهُ ٱفْتَدَى بِجَمِيعِ أَهْلِ الأَرْضِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ وَمَالٍ، إِنَّهَا النَّارُ الشَّدِيدَةُ الحَرَارَةِ.

اللَّظَى ـ النَّارُ ذَاتُ اللَّهَبِ.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ ⑯

(١٦) ـ تَحْرُقُ كُلَّ شَيءٍ بَارِزٍ مِنْ جِسْمِ الإِنْسَانِ فَتُزِيلُهُ وَكَأَنَّهَا تَنْزِعُهُ ٱنْتِزَاعاً.

الشَّوَى ـ الأَطْرَافُ البَارِزَةُ كَاليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ والرَّأْسِ. وَقِيلَ إِنَّهَا جِلْدَةُ الرَّأْسِ.

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ⑰

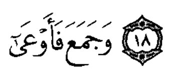
(تَدْعُو)

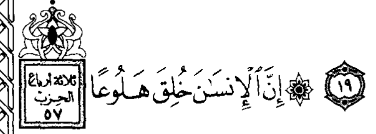
(١٧) ـ إِنَّهَا النَّارُ المُحْرِقَةُ تُنَادِي إِلَيهَا أَصْحَابَهَا مِنَ الكَفَرَةِ الذِينَ خَلَقَهُمُ اللهُ لَهَا، وَهُمُ الذِينَ تَوَلَّوْا حِينَمَا دَعَاهُمْ رُسُلُهُمْ إِلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ، وَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ ⑱

(١٨) ـ وَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الذِي جَمَعَ المَالَ وَأَوْدَعَهُ فِي الأَوْعِيَةِ كَانِزاً لَهُ، وَلَمْ يُنفِقْهُ فِي وُجُوهِ البِرِّ والطَّاعَاتِ والخَيْرِ.

أَوْعَى ـ أَوْدَعَ مَالَهُ فِي وِعَاءٍ حِرْصاً عَلَيْهِ.





﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ⑲

(الإِنْسَانَ)

(١٩) ـ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ سَرِيعَ الانْفِعَالِ والتَّأَثُّرِ، فَهُوَ شَدِيدُ الجَزَعِ، إِذَا مَسَّهُ مَكْرُوهٌ، كَثِيرُ المَنْعِ، إِذَا نَزَلَتْ بِهِ نِعْمَةٌ.

نَاقَةٌ هَلُوعٌ ـ سَرِيعَةُ السَّيْرِ.

وَالهَلُوعُ ـ الكَثِيرُ الجَزَعِ الشَّدِيدُ الحِرْصِ.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ⑳

(٢٠) ـ ثُمَّ فَسَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ والتِي بَعْدَهَا مَعْنَى قَوْلِهِ (هَلُوعاً)، فَقَالَ: إِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ والضُّرُّ ٱسْتَوْلَى عَلَيْهِ الحُزْنُ، وَٱنْخَلَعَ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ، وَيَئِسَ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيهِ خَيْرٌ بَعْدَهَا أَبَداً.

الجَزُوعُ ـ الكَثِيرُ الجَزَعِ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٢١)
﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ (٢٢)
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ (٢٣)
﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ (٢٤)
﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ (٢٥)
﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (٢٦)
﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ (٢٧)
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ (٢٨)
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ (٢٩)
﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٣٠)

(٢١) - وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ بَخِلَ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنَعَ حَقَّ اللهِ فِيهَا.

المَنُوعُ - الكَثِيرُ المَنْعِ وَالإِمْسَاكِ.

(٢٢) - وَلاَ يَسْتَثْنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الإِنْسَانِ الذَمِيمَةِ، الَّتِي تَتَمَثَّلُ بِالهَلَعِ وَالجَزَعِ وَالمَنْعِ، إِلَّا المُؤْمِنِينَ الذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ إِلَى الخَيْرِ، وَهُم المُصَلُّونَ.

(دَائِمُونَ)

(٢٣) - الذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، لاَ يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا شَاغِلٌ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَضْلِ المُدَاوَمَةِ عَلَى العِبَادَةِ.

(أَمْوَالِهِمْ)

(٢٤) - والذِينَ يَجْعَلُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيباً مُعَيَّناً يُنْفِقُونَهُ تَقَرُّباً مِنَ اللهِ، وَطَلَباً لِمَرْضَاتِهِ.

(لِلسَّائِلِ)

(٢٥) - يُنْفِقُونَهُ عَلَى ذَوِي الحَاجَاتِ والبَائِسِينَ الذِينَ يَسْأَلُونَهُمُ العَوْنَ.

المَحْرُومِ - مِنَ العَطَاءِ لِتَعَفُّفِهِ عَنِ السُّؤَالِ.

(٢٦) - وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ المَعَادِ وَالحِسَابِ فَيَعْمَلُونَ لَهُ وَتَظْهَرُ آثَارُ ذَلِكَ فِي أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ.

(٢٧) - وَالذِينَ هُمْ خَائِفُونَ وَجِلُونَ مِنْ تَرْكِهِم الفُرُوضَ وَالوَاجِبَاتِ، وَمِنِ ارْتِكَابِ المَحْظُورَاتِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَباً فِي حِرْصِهِمْ عَلَى أَدَاءِ المَزِيدِ مِنَ الطَّاعَاتِ.

مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ اسْتِعْظَاماً للهِ.

(٢٨) - وَلاَ يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَأْمَنَ عَذَابَ اللهِ، وَإِنْ زَادَ فِي الطَّاعَاتِ، وَلاَ يَأْمَنُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِأَمَانٍ مِنَ اللهِ.

(حَافِظُونَ)

(٢٩) - والذِينَ يَكُفُّونَ أَنْفُسَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى أَلَّا يُقَارِفُوا مُحَرَّماً لَمْ يُبِحْهُ اللهُ لَهُمْ.

(أَزْوَاجِهِمْ) (أَيْمَانُهُمْ)

(٣٠) - وَلاَ يَقْرَبُونَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ اللهُ مِنْ أَزْوَاجٍ، أَوْ مِنْ إِمَاءٍ يَمْلِكُونَهُنَّ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَأْثَمُونَ، وَلاَ يُلاَمُونَ إِذَا أَتَوا نِسَاءَهُمْ وَإِمَاءَهُمْ.

٣١ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ

(فَأُولئِكَ)

(٣١) ـ وَمَنْ سَعَى إِلَى مُواقَعَةِ غَيْرِ مَنْ أَحَلَّهُنَّ اللهُ لَهُ مِنَ الأَزْواجِ وَالإِمَاءِ، فَهُوَ مُعْتَدٍ عَلَى حُرُمَاتِ اللهِ، مُتَجَاوِزٌ حُدُودَهُ.
العَادُونَ ـ المُعْتَدُونَ المُتَجَاوِزُونَ الحَلاَلَ إِلَى الحَرَامِ.

٣٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ

(لِأَمَانَاتِهِمْ) (رَاعُونَ)

(٣٢) ـ وَالذِينَ إِذَا ٱئْتُمِنُوا عَلَى أَمَانَةٍ رَدُّوهَا إِلَى أَصْحَابِهَا، وَلَمْ يَخُونُوا، وَالذِينَ إِذَا عَاهَدُوا عَهْداً رَاعَوْهُ وَوَفَوْا بِهِ، وَلَمْ يَغْدِرُوا، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا.

٣٣ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ

(بِشَهَادَاتِهِمْ) (قَائِمُونَ)

(٣٣) ـ وَالذِينَ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ، إِذَا دُعُوا إِلَى أَدَائِهَا عِنْدَ الحُكَّامِ، وَلاَ يَكْتُمُونَهَا وَلاَ يُغَيِّرُونَهَا، وَالشَّهَادَةُ أَمَانَةٌ مِنَ الأَمَانَاتِ التِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَدَائِهَا عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ وَالصَّحِيحِ.

٣٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

(٣٤) ـ وَالذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى أَدَاءِ صَلَوَاتِهِمْ فِي أَوْقَاتِهَا، يُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَيُتِمُّونَهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِهَا، وَيَجْتَهِدُونَ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلاَةِ أَنْ يَسْتَبْعِدُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُلْهِيَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَفَهْمِ مَا يَقْرَؤُونَ مِنَ القُرْآنِ وَإِدْرَاكِ مَا يَفْعَلُونَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَمِنْ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ.

٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ

(أُولئِكَ) (جَنَّاتٍ)

(٣٥) ـ وَهؤُلاَءِ الذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِالصِّفَاتِ السَّالِفَةِ وَيَقُومُونَ بِالعِبَادَاتِ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى يُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي جَنَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُؤَمِّنُهُمْ مِنْ هَوْلِ الفَزَعِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَيُكْرِمُهُمْ بِفَيْضٍ مِنَ الكَرَامَاتِ التِي ٱخْتَصَّ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ المُخْلِصِينَ.

٣٦ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ

(فَمَا لِلَّذِينَ)

(٣٦) ـ فَمَا لِهَؤُلاَءِ الكَافِرِينَ الذِينَ عِنْدَكَ يَا مُحَمَّدُ يَنْطَلِقُونَ نَافِرِينَ مِنْكَ مُسْرِعِينَ؟.
قِبَلَكَ ـ الذِينَ فِي زَمَنِكَ، أَو الذِينَ عِنْدَكَ.
مُهْطِعِينَ ـ مُسْرِعِينَ وَهُمْ يَمُدُّونَ أَعْنَاقَهُمْ.

٣٧ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ

(٣٧) ـ يَمُرُّونَ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ، مُتَفَرِّقِينَ، مُعْرِضِينَ، وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِالرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ.
عِزِينَ ـ مُتَفَرِّقِينَ.

أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾

(امْرِىء)

(٣٨) - فَهَلْ يَطْمَعُ هَؤُلاَءِ، وَهُمْ نَافِرُونَ مِنَ الرَّسُولِ الكَرِيمِ، مُعْرِضُونَ عَنْ سَمَاعِ الحَقِّ، أَنْ يَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّهِمْ كَمَا يَدْخُلُهَا المُؤْمِنُونَ المُخْلِصُونَ؟ كَلاَّ لاَ مَطْمَعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَا دَامُوا مُقِيمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ.

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

(خلقْنَاهُمْ)

(٣٩) - كَلاَّ إِنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ، وَسَيَدْخُلُونَ النَّارَ وَسَتَكُونُ مَأْوَاهُمْ وَمُسْتَقَرَّهُمْ. فَإِذَا كَانُوا يَسْتَبْعِدُونَ البَعْثَ وَالمَعَادَ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُمُ اللهُ؟ إِنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بَعْدَ أَطْوَارٍ كَثِيرَةٍ بَشَراً يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ حِينَمَا تَحِينُ آجَالُهُمْ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَبْعَثُهُمْ مِنْ جَدِيدٍ، وَالإِعَادَةُ أَهْوَنُ مِنَ البَدْءِ.

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾

(الْمَشَارِقِ) (الْمَغَارِبِ) (لَقَادِرُونَ)

(٤٠) - يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ (وَهُوَ تَعَالَى رَبُّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ) عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَنْ هُمْ أَمْثَلُ مِنْهُمْ، وَأَكْثَرُ طَاعَةً.

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾

(٤١) - إِنَّهُ لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ هَذَا الخَلْقَ الأَمْثَلَ بِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ، وأَنْ يَجْعَلَهُمْ يَسْتَمِعُونَ دَعْوَةَ الرُّسُلِ وَنُصْحَهُمْ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لاَ يُعْجِزُهُ ذَلِكَ، وَلاَ يَفُوتُهُ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ هَرَباً فِي الأَرْضِ.

(أَيْ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ بِهَؤُلاَءِ الكَافِرِينَ، وَأَنْ يَأْتِيَ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْضَلَ وَأَمْثَلَ مِنْهُمْ لِيَخْلُفُوهُمْ فِي الأَرْضِ).

مَسْبُوقِينَ - مَغْلُوبِينَ أَوْ عَاجِزِينَ.

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾

(يُلاَقُوا)

(٤٢) - فَدَعْهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ، وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، وَسُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ، وَيَذُوقُونَ العَذَابَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ.

يَخُوضُوا - يَنْغَمِسُوا فِي أَبَاطِيلِهِمْ.

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾

(٤٣) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَخْرُجُونَ مِنَ القُبُورِ سِرَاعاً، حِينَ يَدْعُوهُم الدَّاعِي، يُسَابِقُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، كَمَا كَانُوا يُهَرْوِلُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى النُّصُبِ حِينَ يُعَايِنُونَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلِمَهُ قَبْلَ غَيْرِهِ تَبَرُّكاً بِهِ.

يُوفِضُونَ - يُسَارِعُونَ.

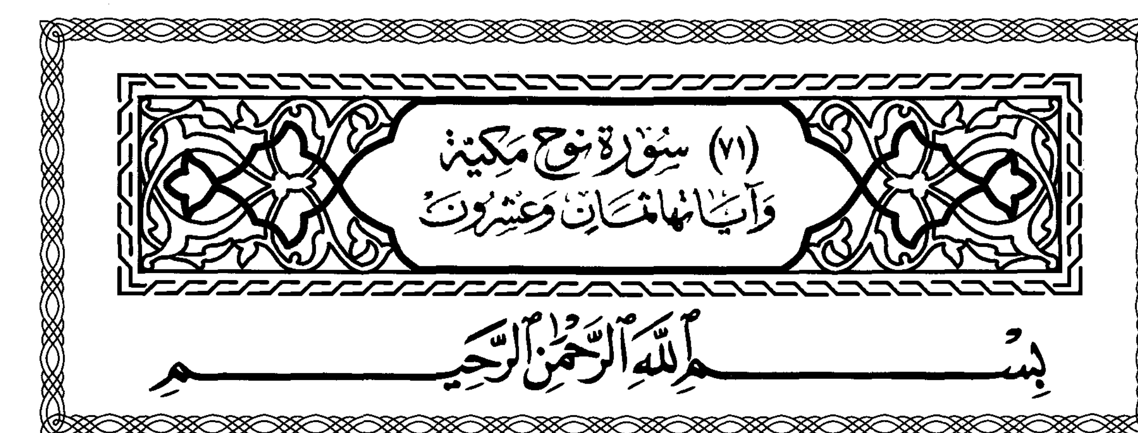
خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(خَاشِعَةً) (أَبْصَارُهُمْ)

(٤٤) - وَتَكُونُ أَبْصَارُهُمْ خَاشِعَةً ذَلِيلَةً مِنْ هَوْلِ مَا تَحَقَّقُوهُ مِنْ سُوءِ المُنْقَلَبِ والمَصِيرِ، فَذَلِكَ اليَوْمُ هُوَ اليومُ الذي كَانَ الرُّسُلُ يَعِدُونَهُمْ بِهِ فَلاَ يُصَدِّقُونَ، بَلْ كَانُوا يُكَذِّبُونَ، وَيَسْخَرُونَ مِنَ الرُّسُلِ، وَمِنْ هَذَا اليومِ، فَلْيَذُوقُوا اليومَ العَذَابَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَيَكْفُرُونَ.

خَاشِعَةً - ذَلِيلَةً مُنْكَسِرَةً.

تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ - تَغْشَاهُمْ مَهَانَةٌ شَدِيدَةٌ.



﴿١﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ
أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

﴿٣﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ

﴿٤﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا
جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا

(١) - إِنَّا أَرْسَلْنَا نوحاً إِلَى قَوْمِهِ وَقُلْنَا لَهُ: أَنْذِرْ قَوْمَكَ بَأْسَ اللهِ وَعذَابَهُ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ الأَلِيمُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ.

(يَا قَوْم)

(٢) - فَقَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِنِّي نَذِيرٌ جِئْتُ لِأُبَيِّنَ لَكُم رِسَالَةَ رَبِّكُمْ بِلُغَةٍ تَعْرِفُونَهَا، وَلِأُنْذِرَكُمْ عَذَابَ اللهِ، فَاحْذَرُوهُ أَنْ يُنْزِلَهُ بِكُم بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ بِهِ.

(٣) - وَقَدْ أَمَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ بِثَلاثَةِ أَشْيَاءٍ:
- بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
- وَبِتَقْوَى اللهِ، وَالخَوْفِ مِنْ عَذَابِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.
- وَبِإِطَاعَةِ نُوحٍ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَفِيمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ.

(٤) - وَوَعَدَهُمْ، إِنْ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، بِأَنَّ اللهَ سَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ سَيُسَامِحُهُمْ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ مِنْ زَلَّاتٍ، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَمُدُّ فِي أَعْمَارِهِمْ إِلَى أَجَلٍ مُعَيَّنٍ جَعَلَهُ غَايَةً لِطُولِ العُمْرِ.
ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ نُوحٌ أَنَّ أَجَلَ اللهِ، الذِي كَتَبَهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ، إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ مِيقَاتُهُ، وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا سَيَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الخِزْيِ وَالنَّدَامَةِ عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ لَسَارَعُوا إِلَى الإِيْمَانِ وَالطَّاعَةِ.
أَجَلَ اللهِ - وَقْتَ مَجِيءِ عَذَابِهِ - أَوِ الأَجَلَ الذِي حَدَّدَهُ لِأَعْمَارِ العِبَادِ.

(٥) - فَلَمَّا كَذَّبَ نُوحاً قَوْمُهُ، وَهَدَّدُوهُ بِالرَّجْمِ، إِنْ لَمْ يَكُفَّ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ، وَعَنْ أَمْرِهِمْ بِالخَيْرِ، اشْتَكَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ مِمَّا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ خِلَالَ مُدَّةِ لُبْثِهِ فِيهِمْ - وَهِيَ تِسْعَمِئَةٍ وَخَمْسُونَ عَاماً - فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّنِي دَعَوْتُ قَوْمِي إِلَى عِبَادَتِكَ، وَالإِيْمَانِ بِكَ، لَيْلاً وَنَهَاراً، وَلَمْ أَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ امْتِثَالاً لِأَمْرِكَ.

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾

وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾

ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾

ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾

وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾

مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

(دُعائي)

(٦) - وَكُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِيَقْتَرِبُوا مِنَ الحَقِّ، فَرُّوا مِنْهُ وَٱبْتَعَدُوا عَنْهُ.
فِراراً - تَبَاعُداً وَنِفاراً مِنَ الإِيْمانِ.

(أَصابِعَهُمْ) (آذانِهِمْ)

(٧) - وَإِنَّنِي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ إِلَى الإِقْرارِ بِوَحْدانِيَّتِكَ، وَإِلَى العَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ، لِتَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، سَدُّوا آذانَهُمْ بِأَصابِعِهِمْ لِكَيْلا يَسْمَعُوا مَا أَقُولُهُ لَهُمْ مِنْ دَعْوَةِ الحَقِّ، وَتَغَطَّوْا بِثِيابِهِمْ، لِكَيْلا يَنْظُرُوا إِلَيَّ كُرْهاً وَمَقْتاً، وَٱسْتَرْسَلُوا فِي الكُفْرِ وَالمَعاصِي، وَٱسْتَكْبَرُوا عَنِ الإِذْعانِ لِلْحَقِّ، وَقَبُولِ مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيهِ مِنَ النُّصْحِ.
ٱسْتَغْشَوا ثِيابَهُمْ - بالَغُوا فِي التَّغَطِّي بِهَا.
أَصَرُّوا - تَشَدَّدُوا وَٱنْهَمَكُوا فِي الكُفْرِ.

(٨) - وَقَدْ كُنْتُ أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِيْمانِ بِكَ يَا رَبِّ، جِهاراً وَعَلانِيَةً.

(٩) - ثُمَّ أَعْلَنْتُ الدَّعْوَةَ لَهُمْ فِي بَعْضِ الأَحْوالِ، ثُمَّ أَسْرَرْتُها لَهُمْ فِي أَحْوالٍ أُخْرَى، وَطَوْراً كُنْتُ أَجْمَعُ بَيْنَ الجَهْرِ وَالإِسْرارِ لَعَلَّ وَاحِداً مِنْ أَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ يَنْجَحُ فِي إِقْناعِهِمْ.

(١٠) - وَقُلْتُ لَهُمْ: ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَٱسْأَلُوهُ العَفْوَ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَمَا فَرَطَ مِنْكُمْ مِنَ السَّيِّئاتِ وَالآثامِ، فَرَبُّكُمْ غَفَّارٌ لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ مُخْلِصاً مُنِيباً.

(١١) - وَإِنَّكُمْ إِذا آمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ، وَٱسْتَغْفَرْتُمُوهُ، فَإِنَّهُ تَعالَى يُرْسِلُ المَطَرَ عَلَيْكُمْ مُتَتَابِعاً، لِتُنْبِتَ أَرْضُكُمْ بِالزُّرُوعِ وَالخَيْراتِ.
يُرْسِلِ السَّماءَ - تُمْطِرُكُمُ السَّماءُ.
مِدْراراً - غَزِيراً مُتَتابِعاً.

(بِأَمْوالٍ) (جَنَّاتٍ) (أَنْهاراً)

(١٢) - وَيُكَثِّرُ لَكُمُ الأَمْوالَ وَالخَيْراتِ، وَيُكَثِّرُ لَكُمُ الأَوْلادَ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ بَساتِينَ تُنْتِجُ الثِّمارَ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهاراً جَارِيَةً تَرْوِي الزُّرُوعَ وَالبَساتِينَ وَالأَشْجارَ وَالمَواشِيَ فَتَزْدادُ الخَيْراتُ.

(١٣) - مَا لَكُمْ لاَ تَخافُونَ عَظَمَةَ اللهِ تَعالَى، وَلاَ تُعَظِّمُونَهُ حَقَّ التَّعْظِيمِ الذِي يَسْتَحِقُّهُ؟.

﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا

(١٤) - وَقَدْ خَلَقَكُمْ رَبُّكُمْ عَلَى أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَمِنْ نُطْفَةٍ إِلَى عَلَقَةٍ إِلَى مُضْغَةٍ إِلَى طِفْلٍ.

(سَمَاوَاتٍ)

﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا

(١٥) - أَلَمْ تَـرَوا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ بَعْضَهَا فَـوْقَ بَعْضٍ (طِبَاقاً).

﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا

(١٦) - وَجَعَلَ لِلْقَمَرِ بُرُوجاً وَمَنَازِلَ، وَفَاوَتَ نُورَهُ فَجَعَلَهُ يَزْدَادُ وَيَتَنَاهَى فِي الزِّيَادَةِ، ثُمَّ يَبْدَأُ فِي النُّقْصَانِ حَتَّى لاَ يَكَادُ نُورُهُ يَبِينُ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ كَالسِّرَاجِ يُزِيلُ نُورُهَا الظُّلْمَةَ عَنِ الكَوْنِ.

نُوراً - مُنِيراً وَجْهَ الأَرْضِ.

سِرَاجاً - مِصْبَاحاً مُضِيئاً.

﴿١٧﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا

(١٧) - وَاللهُ تَعَالَى خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ؛ وَإِنَّكُمْ يَا بَنِي آدَمَ تَعِيشُونَ عَلَى مَا تُخْرِجُهُ الأَرْضُ لَكُمْ.

أَنْبَتَكُمْ - أَنْشَأَكُمْ مِنْ طِينِهَا.

﴿١٨﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا

(١٨) - ثُمَّ تَمُوتُونَ فَتُقْبَرُونَ فِي الأَرْضِ، وَتُصْبِحُونَ بَعْدَ طُولِ المَكْثِ تُرَاباً فِي الأَرْضِ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الأَرْضِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِخْرَاجاً مُحَقَّقاً فَإِذَا أَنْتُم بَشَرٌ تَنْظُرُونَ.

﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا

(١٩) - وَاللهُ بَسَطَ لَكُمُ الأَرْضَ، وَمَهَّدَهَا، وَثَبَّتَهَا بِالجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ.

بِسَاطاً - فِرَاشاً مَبْسُوطاً لِلاسْتِقْرَارِ عَلَيْهَا.

﴿٢٠﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا

(٢٠) - لِتَسْتَقِرُّوا عَلَيْهَا، وَلِتَسْلُكُوا فِيهَا طُرُقاً تَبْلُغُونَ مِنْهَا الأَمَاكِنَ الَّتِي تُرِيدُونَ الوُصُولَ إِلَيْهَا، فَلاَ تَضِلُّونَ فِي مَسِيرِكُمْ فِيهَا.

سُبُلاً فِجَاجاً - طُرُقاً وَاسِعَاتٍ.

﴿٢١﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا

(٢١) - وَقَالَ نُوحٌ وَهُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ: إِنَّ قَوْمَهُ عَصَوْهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنْكَرُوا مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَاتَّبَعَ الضُّعَفَاءُ مِنْهُمْ رَأْيَ رُؤَسَائِهِم الذِينَ بَطِرُوا مُغْتَرِّينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ خَسَارَةً لَهُمْ، وَخُرُوجاً عَنْ جَادَّةِ الهُدَى وَالصَّوَابِ، وَبُعْداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى.

خَسَاراً - ضَلاَلاً فِي الدُّنْيَا وَعِقَاباً فِي الآخِرَةِ.

﴿٢٢﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا

(٢٢) - وَمَكَرُوا مَكْراً كَبِيراً بَالِغَ النِّهَايَةِ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الدِّينِ بِحِيَلٍ وَأَسَالِيبَ شَتَّى.

كُبَّاراً - كَبِيراً عَظِيماً - أَوْ بَالِغَ الغَايَةِ فِي الكِبَرِ.

٢٣ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا

٢٤ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا

٢٥ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا

٢٦ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا

٢٧ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا

٢٨ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا

(آلِهَتَكُمْ)

(٢٣) - وَقَالَ المُسْتَكْبِرُونَ لِلضُّعَفَاءِ مِنْ قَوْمِهِمْ: لَا تَتْرُكُوا عِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ مِنَ الأَصْنَامِ: وَدٍّ وَسُوَاعٍ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ، وَلَا تَعْبُدُوا إِلَهَ نُوحٍ.

(الظَّالِمِينَ) (ضَلَالاً)

(٢٤) - وَقَدْ أَضَلَّتْ هَذِهِ الأَصْنَامُ كَثِيراً مِنَ البَشَرِ، فَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ (أَوْ فَأَضَلَّ هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءُ كَثِيراً مِنَ البَشَرِ). وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ إِلَّا ضَلَالاً، وَطَبْعاً عَلَى قُلُوبِهِمْ، حَتَّى لَا يَهْتَدُوا إِلَى حَقٍّ، وَلَا يَصِلُوا إِلَى رُشْدٍ.

(خَطِيئَاتِهِمْ)

(٢٥) - وَبِسَبَبِ كَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ، وَعُتُوِّهِمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الكُفْرِ، وَمُخَالَفَةِ رَسُولِهِمْ. أَغْرَقَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالطُّوفَانِ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَذُوقُوا العَذَابَ فِيهَا، وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ.

مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ - بِسَبَبِ كَثْرَةِ خَطِيئَاتِهِمْ.

(الْكَافِرِينَ)

(٢٦) - وَقَالَ نُوحٌ بَعْدَ أَنْ يَئِسَ مِنْ صَلَاحِ قَوْمِهِ: رَبِّ لَا تَدَعْ أَحَداً مِنَ الكَافِرِينَ حَيّاً عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، يُقِيمُ فِي دَارٍ فِيهَا.

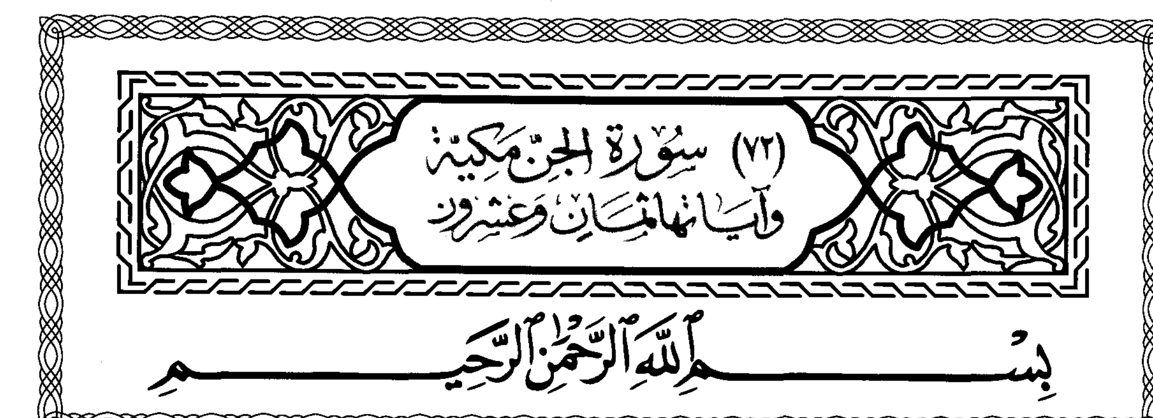
دَيَّاراً - سَاكِنَ دَارٍ.

(٢٧) - فَإِنَّكَ يَا رَبِّ إِنْ أَبْقَيْتَ أَحَداً مِنْهُمْ حَيّاً فَإِنَّهُمْ سَيَعْمَلُونَ عَلَى إِضْلَالِ عِبَادِكَ. وَصَرْفِهِمْ عَنِ الهُدَى وَالإِيمَانِ، وَلَا يَلِدُ هَؤُلَاءِ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ إِلَّا كَفَرَةً فَجَرَةً مِنْ أَمْثَالِهِمْ.

(وَلِوَالِدَيَّ) (الْمُؤْمِنَاتِ) (الظَّالِمِينَ)

(٢٨) - وَتَابَعَ نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، دُعَاءَهُ لِرَبِّهِ فَقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ ذُنُوبِي، وَاغْفِرْ لِوَالِدَيَّ، وَاغْفِرْ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِكَ، وَبِأَنَّكَ الوَاحِدُ الأَحَدُ، وَأَنَّنِي عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ إِلَى الخَلْقِ، وَاغْفِرْ يَا رَبِّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، الذِينَ آمَنُوا بِرِسَالَتِي، وَاتَّبَعُونِي فِيمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الإِيمَانِ بِكَ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ بِرَبِّهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، إِلَّا خَسَاراً وَبُعْداً عَنْ رَحْمَتِكَ.

تَبَاراً - هَلَاكاً وَدَمَاراً.



(١) قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا

الحزب ٥٨

(قُرْآناً)

(١) قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الجِنِّ اسْتَمَعُوا إِلَى القُرْآنِ فَآمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّنَا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً بَدِيعاً.

(أَكْثَرُ المُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلِمَ بِاسْتِمَاعِ الجِنِّ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، مِنَ الوَحْيِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِوُجُودِهِمْ قُرْبَهُ).

عَجَباً - بَدِيعاً فِي بَلاَغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ.

(٢) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا

(فَآمَنَّا)

(٢) - وَهَذَا القُرْآنُ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ، وَإِلَى طَرِيقِ الهُدَى والرَّشَادِ، فَصَدَّقْنَا بِهِ، وَلَنْ نَعُودَ إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الإِشْرَاكِ بِعِبَادَةِ رَبِّنَا أَحداً.

الرُّشْدِ - الحَقِّ أَوِ الإِيْمَانِ.

(٣) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا

(تَعَالَى) (صَاحِبَةً)

(٣) - وَنَزَّهُوا رَبَّهُمُ العَظِيمَ عَنِ الزَّوْجَةِ والصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ، لِأَنَّ الصَّاحِبَةَ تُتَّخَذُ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَلأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ الزَّوْجِ، وَالوَلَدُ يُتَّخَذُ لِلاسْتِئْنَاسِ بِهِ، وَلِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي الكِبَرِ وَفِي الشِّدَّةِ، وَلِبَقَاءِ الذِّكْرِ. وَاللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، فَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى نَصِيرٍ وَلاَ إِلَى مُعِينٍ، وَهُوَ بَاقٍ دَائِمٌ أَبداً.

جَدُّ رَبِّنَا - جَلاَلُهُ أَوْ سُلْطَانُهُ أَوْ غِنَاهُ.

(٤) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا

(٤) - وَأَنَّ الجُهَّالَ مِنَ الجِنِّ كَانُوا يَقُولُونَ قَوْلاً بَعِيداً عَنِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ، بِنِسْبَةِ الصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

سَفِيهُنَا - قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ إِنَّ الَّذِي عَنَاهُ الجِنُّ بِقَوْلِهِمْ (سَفِيهُنَا) هُوَ إِبْلِيسُ.

شَطَطاً - قَوْلاً مُتَجَاوِزاً الحَقَّ مُفْرِطاً فِي الكَذِبِ وَالضَّلاَلِ.

٥ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا

(٥) - وَأَنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَكْذِبَ أَحَدٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ فَيَنْسِبَ إِلَيْهِ تَعالَى الصَّاحِبَةَ وَالوَلَدَ، وَمِنْ ثَمَّ آعْتَقَدْنَا صِحَّةَ قَوْلِ السَّفِيهِ، فَلَمَّا سَمِعْنَا القُرْآنَ عَلِمْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ عَلَى اللهِ فِي ذَلِكَ.

٦ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا

(٦) - وَأَنَّ رِجَالاً مِنَ الإِنْسِ كَانُوا يَسْتَعِيذُونَ، وَهُمْ فِي القِفَارِ، بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ، فَزَادُوا الجِنَّ بِذَلِكَ طُغْيَاناً وَغَيّاً، بِأَنْ أَضَلُّوهُمْ حَتَّى آسْتَعَاذُوا بِهِمْ.

(كَانَ مِنْ عَادَةِ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَزَلُوا بِمَكَانٍ فِي القَفْرِ يَسْتَعِيذُونَ بِعَظِيمِ ذَلِكَ المَكَانِ مِنَ الجِنِّ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِمَا يَسُوؤُهُمْ، فَلَمَّا رَأَتِ الجِنُّ أَنَّ الإِنْسَ يَسْتَعِيذُونَ بِهِمْ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْهُمْ، آزْدَادَتِ الجِنُّ طُغْيَاناً وَسَفَهاً، وَأَصْبَحَتِ الجِنُّ أَكْثَرَ جُرْأَةً عَلَى الإِنْسِ).

يَعُوذُونَ - يَسْتَجِيرُونَ وَيَسْتَعِيذُونَ.

رَهَقاً - جُرْأَةً وَطُغْيَاناً.

٧ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا

(٧) - وَأَنَّ الجِنَّ ظَنُّوا، كَمَا ظَنَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الإِنْسِ، أَنَّ اللهَ لَنْ يَبْعَثَ رَسُولاً مِنَ البَشَرِ إِلَى خَلْقِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى الإِيْمَانِ بِالرُّسُلِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ.

(أَوْ أَنَّ اللهَ لَنْ يَبْعَثَ أَحَداً مِنْ قَبْرِهِ فِي الآخِرَةِ لِيُحَاسِبَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ).

٨ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا

(فَوَجَدْنَاهَا)

(٨) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ حِينَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ رَسُولاً، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ، حَفِظَ اللهُ القُرْآنَ مِنَ الجِنِّ إِذْ مُلِئَتِ السَّمَاءُ حَرَساً شَدِيداً، وَحُفِظَتْ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ مَقَاعِدِهَا لِئَلاَّ يَسْتَرِقُوا سَمْعَ شَيءٍ مِنَ القُرْآنِ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الجِنَّ قَالُوا: لَقَدْ طَلَبْنَا خَبَرَ السَّمَاءِ (لَمَسْنَا السَّمَاءَ) كَمَا جَرَتْ عَادَتُنَا بِذَلِكَ فَوَجَدْنَاهَا قَدْ مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً، وَشُهُباً تَحْرُسُهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَمْنَعُنَا مِنِ آسْتِرَاقِ السَّمْعِ.

لَمَسْنَا - طَلَبْنَا خَبَراً.

حَرَساً - حُرّاساً مِنَ المَلاَئِكَةِ.

٩ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا

(مَقَاعِدَ)

(٩) - وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهَا مَقَاعِدَ خَالِيَةً مِنَ الحَرَسِ وَالشُّهُبِ لِنَسْتَرِقَ السَّمْعَ، فَطُرِدْنَا مِنْهَا لِكَيْلاَ نَسْتَمِعَ إِلَى شَيءٍ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ عَنِ القُرْآنِ، لِنُلْقِيَهُ إِلَى الكُهَّانِ، فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَسْتَرِقَ الآنَ السَّمْعَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً مُرْصَداً يُهْلِكُهُ لِسَاعَتِهِ.

(وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ لِلشَّيَاطِينِ مَقَاعِدُ فِي السَّمَاءِ يَسْمَعُونَ فِيهَا الوَحْيَ ، فَإِذَا سَمِعُوا الكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعاً ، فَأَمَّا الكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقّاً ، أَمَّا مَا زِيدَ فِيهَا فَيَكُونُ بَاطِلاً ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ ، وَلَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فِي الأَرْضِ ؛ فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِماً يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ فِي مَكَّةَ ، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ هَذَا هُوَ الحَدَثُ الذِي حَدَثَ فِي الأَرْضِ) .

شِهَاباً ـ شُعْلَةً مُنْفَصِلَةً عَنْ نَارِ الكَوَاكِبِ .

رَصَداً ـ أُرْصِدَ لَهُ لِيَرْمِيَهُ .

(١٠) وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا

(١٠) ـ وَأَنَّا لَا نَدْرِي مَا هَذَا الأَمْرُ الذِي حَدَثَ فِي السَّمَاءِ ، أَهُوَ شَرٌّ أَرَادَ اللهُ إِنْزَالَهُ بِأَهْلِ الأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْراً وَرَشَداً .

(الصَّالِحُونَ) (طَرَائِقَ)

(١١) وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا

(١١) ـ وَأَنَّا مِنَّا الأَبْرَارُ المُتَّقُونَ ، العَامِلُونَ بِطَاعَةِ اللهِ ، وَمِنَّا قَوْمٌ دُونَ ذَلِكَ وَأَنَّا كُنَّا مَذَاهِبَ وَأَهْوَاءً مُخْتَلِفَةً ، وَفِرَقاً شَتَّى : فَمِنَّا المُؤْمِنُونَ وَمِنَّا الفَاسِقُونَ وَمِنَّا الكَافِرُونَ .

قِدَداً ـ جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةَ المَذَاهِبِ .

وَالقِدَّةُ ـ القِطْعَةُ .

(١٢) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا

(١٢) ـ وَأَنَّا لَنَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ حَاكِمَةٌ عَلَيْنَا ، وَأَنَّا لَنْ نُعْجِزَهُ تَعَالَى ، وَلَوْ أَمْعَنَّا فِي الهَرَبِ ، فَإِنَّهُ عَلَيْنَا قَادِرٌ ، وَلَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنَّا .

(آمَنَّا)

(١٣) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا

(١٣) ـ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا القُرْآنَ الذِي يَهْدِي إِلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ صَدَّقْنَا بِهِ ، وَأَقْرَرْنَا بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى . وَمَنْ يُصَدِّقْ بِاللهِ وَبِمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ فَلَا يَخَافُ نَقْصاً مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَلَا ذَنْباً يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِ غَيْرِهِ .

البَخْسُ ـ النَّقْصُ .

الرَّهَقُ ـ الظُّلْمُ وَالمَكْرُوهُ الذِي يَغْشَى المَظْلُومَ .

(القَاسِطُونَ) (فَأُولَئِكَ)

(١٤) وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا

(١٤) ـ وَأَنَّا مِنَّا المُؤْمِنُونَ ، الذِينَ أَطَاعُوا اللهَ وَأَخْبَتُوا إِلَيْهِ ، وَعَمِلُوا صَالِحاً يُرْضَاهُ ، وَمِنَّا الجَائِرُونَ عَنِ النَّهْجِ القَوِيمِ ، الخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ . وَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَأَطَاعَهُ ، فَقَدْ ٱجْتَهَدَ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ المُوصِلِ لِلسَّعَادَةِ .

القَاسِطُونَ - الجَائِرُونَ بِكُفْرِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى.
المُقسِطُ - العَادِلُ.
تَحَرَّوْا رَشَداً - قَصَدُوا خَيْراً وَصَلاحاً وَهُدًى.

﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا

(القَاسِطُونَ)

(١٥) - وَأَمَّا الجَائِرُونَ عَنْ سُنَنِ الإِسْلاَمِ فَإِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ حَطَباً لِجَهَنَّمَ، تُوقَدُ بِهِمْ كَمَا تُوقَدُ بِكَفَرَةِ الإِنْسِ.

﴿١٦﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا

(وَأَنْ لَوِ) (اسْتَقَامُوا) (لأَسْقَيْنَاهُمْ)

(١٦) - وَأَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَوِ ٱسْتَقَامُوا عَلَى طَرِيقَةِ الإِيْمَانِ بِاللهِ، والطَّاعَةِ لَهُ، لأَوْسَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلأَنْزَلَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً. (وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ حِينَمَا مُنِعُوا المَطَرَ سَبْعَ سِنِينَ).
عَلَى الطَّرِيقَةِ - عَلَى طَرِيقَةِ الهُدَى وَالإِيْمَانِ.

﴿١٧﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا

(١٧) - لِيَخْتَبِرَهُمْ بِإِغْدَاقِ الرِّزْقِ عَلَيْهِمْ، وَإِرْسَالِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ بِالمَطَرِ، لِيَرَى هَلْ يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ أَمْ يَكْفُرُونَ؟ فَإِنْ وَفَّوْا النِّعَمَ حَقَّهَا مِنَ الشُّكْرِ كَانَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ الجَزَاءُ الأَوْفَى، وَإِنْ كَفَرُوا ٱسْتَدْرَجَهُمْ وَأَمْهَلَهُمْ ثُمَّ أَخَذَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.
وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ القُرْآنِ وَعِظَاتِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُدْخِلُهُ فِي العَذَابِ الشَّاقِّ المُتَوَاصِلِ الذِي لاَ يُطِيقُهُ، وَلاَ يَجِدُ فِيهِ لَحْظَةَ رَاحَةٍ.
يَسْلُكْهُ - يُدْخِلْهُ.
عَذَاباً صَعَداً - شَاقّاً يَغْلِبُهُ وَيَعْلُوهُ فَلاَ يُطِيقُهُ.

﴿١٨﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا

(المَسَاجِدَ)

(١٨) - يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِإِخْلاَصِ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، إِذَا دَخَلُوا المَسَاجِدَ، وَبِأَلاَّ يَعْبُدُوا مَعَهُ أَحَداً غَيْرَهُ.

﴿١٩﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا

(١٩) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ الجِنَّ لَمَّا سَمِعُوا عَبْدَ اللهِ مُحَمَّداً يَتْلُو القُرْآنَ كَادُوا يَكُونُونَ حَوْلَهُ جَمَاعَاتٍ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً تَعَجُّباً، مِمَّا سَمِعُوا مِنْ تِلاَوَتِهِ.
لِبَداً - طَبَقَاتٍ مِثْلَ اللِّبَدِ

﴿٢٠﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا

(أَدْعُو)

(٢٠) - وَقُلْ: إِنَّنِي أَعْبُدُ اللهَ وَلاَ أُشْرِكُ مَعَهُ فِي العِبَادَةِ أَحَداً.

﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا

(٢١) ـ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ الذِينَ رَدُّوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ دفعاً لِضُرٍّ، وَلَا جَلْباً لِنَفْعٍ، وَإِنَّمَا الذِي يَمْلِكُ ذَلِكَ هُوَ اللهُ تَعَالَى، الذِي يَمْلِكُ كُلَّ شَيءٍ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَحْدَهُ.

﴿٢٢﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا

(٢٢) ـ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ أَحَداً مِنْ خَلْقِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِي سُوءاً، وَلَنْ يَنْصُرَنِي مِنْهُ نَاصِرٌ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مَلْجَأً وَلَا مُعِيناً.

مُلْتَحداً ـ مَلْجَأً أَلْجَأُ إِلَيْهِ.

﴿٢٣﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

(بَلَاغاً) (رِسَالَاتِهِ) (خَالِدِينَ)

(٢٣) ـ وَلَكِنَّنِي إِنْ بَلَّغْتُ رِسَالَةَ اللهِ، وَقُمْتُ بِمَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُجِيرُنِي، وَيَحْمِينِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ. وَمَنْ يَعْصِ اللهَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، وَيُكَذِّبْ رَسُولَهُ وَآيَاتِهِ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا، وَيَبْقَى فِيهَا خَالِداً أَبَداً، لَا مَخْرَجَ لَهُ مِنْهَا وَلَا مَهْرَبَ.

﴿٢٤﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا

(٢٤) ـ وَلَا يَزَالُونَ يَسْتَضْعِفُونَ المُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ مِنْ فُنُونِ العَذَابِ فَسَيَتَبَيَّنُ لَهُمْ حِينَئِذٍ مَنْ هُمُ المُسْتَضْعَفُونَ؟ أَهُمُ المُؤْمِنُونَ المُوَحِّدُونَ للهِ تَعَالَى، أَمْ هُمُ المُشْرِكُونَ الذِينَ لَا نَاصِرَ لَهُمْ وَلَا مُعِينَ؟.

﴿٢٥﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا

(٢٥) ـ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَلَكِنَّ وَقْتَهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَإِنَّهُ لَا يَدْرِي إِنْ كَانَ وَقْتُهَا قَرِيباً أَوْ بَعِيداً.

أَمَداً ـ زَمَاناً بَعِيداً.

﴿٢٦﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا

(عَالِمُ)

(٢٦) ـ وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِ خَلْقِهِ فَلَمْ يَرَوْهُ، وَلَا يُطْلِعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ.

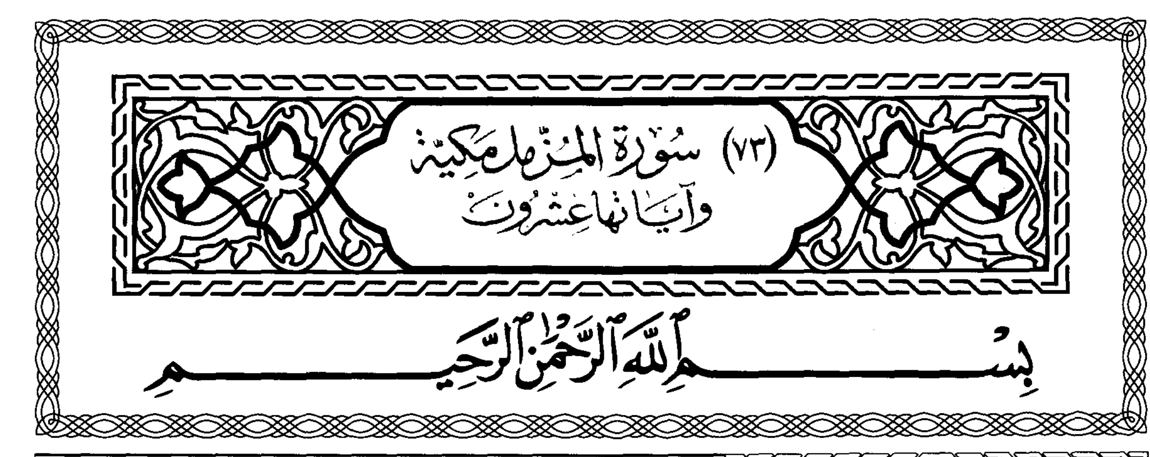
﴿٢٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا

(٢٧) ـ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى اللهُ تَعَالَى أَنْ يُطْلِعَهُ مِنَ الرُّسُلِ، عَلَى مَا شَاءَ مِنَ الغَيْبِ، فَإِنَّهُ يُطْلِعُهُ. وَاللهُ يَجْعَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رُسُلِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ، حَفَظَةً مِنَ المَلَائِكَةِ الأَبْرَارِ يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ، حَتَّى يُبَلِّغُوا مَا أَوْحَى اللهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا تَحْفَظُهُمُ المَلَائِكَةُ مِنْ أَذَى شَيَاطِينِ الإِنْسِ حَتَّى لَا يُؤْذُوهُمْ، وَلَا يَضُرُّوهُمْ.

لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

(رِسالاَتِ)

(٢٨) - واللهُ تَعالى يَحْفَظُ رُسُلَهُ لِيَتَمكَّنُوا مِنْ أَدَاءِ رِسالاَتِهِ، وَيحْفَظُوا ما يَنْزِلُ علَيْهِمْ مِنَ الوَحْيِ لِيَعْلَمَ إِنْ كَانُوا قَدْ بلَّغُوا هـذِهِ الرِّسالاَتِ؛ وَهُوَ تعَالى قَدْ أَحاطَ عِلْماً بِما عِنْدَ الرَّاصِدِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، وَأَحْصَى ما كَانَ وَما سَيكُونُ فَرْداً فَرْداً، فَهُوَ عالِمٌ بِجَمِيعِ الأَشْياءِ، لاَ يُشارِكُهُ فِي عِلْمِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لاَ المَلاَئِكَةُ ولاَ غَيْرُهُمْ.



يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾

(يا أيُّها)

(١) - حِينَما جاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى النَّبِيِّ ﷺ بالوَحْي لأوَّلِ مَرَّةٍ، وَهُوَ في غارِ حِراءَ، خافَ النَّبِيُّ ﷺ وَظَنَّ أنَّ بِهِ مَسّاً مِنَ الجِنِّ، فَرَجَعَ مِنَ الجَبَلِ، مُرْتَعِداً، وَقالَ: زَمِّلُوني زَمِّلُوني. فَبَيْنا هُوَ كَذَلِكَ إذْ جاءَهُ جِبْرِيلُ وَناداهُ (يا أيُّها المُزَّمِّلُ. . أيْ يا أيُّها المُتَلَفِّفُ بِثِيابِهِ). .

المُزَّمِّلُ - المُلْتَفُّ بِثِيابِهِ.

قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾

(اللَّيْل)

(٢) - قُمِ اللَّيْلَ مُصَلِّياً، كُلَّهُ، إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُ.

نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾

(٣) - قُمِ اللَّيْلَ مُصَلِّياً نِصْفَهُ، أوْ انْقُصْ مِنَ النِّصْفِ قَلِيلاً، حَتَّى تَبْلُغَ الثُّلُثَ.

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾

(الْقُرْآن)

(٤) - قُمْ نِصْفَ اللَّيْلِ أوْ زِدْ عَلى نِصْفِ اللَّيْلِ قَلِيلاً حَتَّى تَبْلُغَ الثُّلُثَيْنِ، وَاقْرَأ القُرْآنَ مُتَمَهِّلاً في قِراءَتِهِ، لأنَّ ذَلِكَ يُعِينُ عَلى فَهْمِ مَعانِيهِ وَتَدَبُّرِهِ، وَكَذَلِكَ كانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَقْرَأُ القُرْآنَ.

رَتِّلِ القُرْآنَ - اقْرَأْهُ بِتَمَهُّلٍ وَتَبَيَّنْ حُرُوفَهُ.

إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

(٥) - إنَّنا سَنُنَزِّلُ عَلَيْكَ القُرْآنَ وَفِيهِ أُمُورٌ شاقَّةٌ عَلَيْكَ، وَعَلى المُؤْمِنِينَ، فَلا تُبالِ بِهَذِهِ المَشَقَّةِ، وَامْرُنْ نَفْسَكَ عَلَيْها لِيَسْهُلَ عَلَيْكَ احْتِمالُ ما بَعْدَها.

قَوْلاً ثَقِيلاً - شاقّاً عَلى المُكَلَّفِينَ - القُرْآنُ.

﴿٦﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا

(اللّيْل)

(٦) - إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ أَشَدُّ مُواطَأَةً وَمُوافَقَةً بَيْنَ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَأَجْمَعُ لِلْخاطِرِ فِي أَدَاءِ القِرَاءَةِ وَتَفَهُّمِهَا، وَهَذَا أَفْرَغُ لِلْقَلْبِ مِنَ النَّهَارِ، لأَنَّ النَّهارَ يَكْثُرُ فِيهِ لَغْطُ النَّاسِ وَآنْتِشَارُهُمْ، وَبَحْثُهُمْ عَنْ مَعَاشِهِمْ.
نَاشِئَةَ اللَّيْلِ - العِبَادَةَ التِي تَنْشَأُ فِيهِ وَتَحْدُثُ، وَنَشَأَ - إِذا قَامَ مِنَ **اللَّيْل**.
أَشَدُّ وَطْئاً - ثَبَاتاً لِلقَدَمِ وَرُسُوخاً فِي العِبَادَةِ أَوْ مُواطَأَةً وَتَوافُقاً بَيْنَ القَلْبِ وَاللسَانِ.

أَقْوَمُ قِيلاً - أَثْبَتُ قِرَاءَةً لِحُضُورِ القَلْبِ فِيهَا.

﴿٧﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا

(٧) - إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ تَقَلُّباً طَوِيلاً، وَتَصَرُّفاً فِي مَهَامِّ حَيَاتِكَ، وَآشْتِغَالاً بِشَوَاغِلِكَ، فَلا تَسْتَطِيعُ فِيهِ التَّفَرُّغَ لِلْعِبَادَةِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّهَجُّدِ لَيْلاً فَإِنَّ مُنَاجَاةَ الرَّبِّ يُعْوِزُهَا التَّفَرُّغُ وَالهُدُوءُ.
سَبْحاً طَوِيلاً - تَقَلُّباً طَوِيلاً فِي أُمُورِ دُنْيَاكَ.

﴿٨﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا

(٨) - وَدُمْ عَلَى ذِكْرِ رَبِّكَ لَيْلاً وَنَهَاراً، بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَآنْقَطِعْ إِلَيهِ بِالعِبَادَةِ، وَجَرِّدْ نَفْسَكَ إِلَيهِ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ سِوَاهُ.
تَبَتَّلْ - آنْقَطِعْ إِلَى عِبَادَتِهِ أَوِ آسْتَغْرِقْ فِي مُرَاقَبَتِهِ.

﴿٩﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا

(٩) - وَاللهُ رَبُّكَ، هُوَ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، وَالمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَلاَ مَعْبُودَ سِوَاهُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَوكَّلَ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ.

﴿١٠﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا

(١٠) - وَآصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ مِنْ كُفْرٍ بِاللهِ، وَتَكْذِيبٍ لَكَ وَلِرِسَالَتِكَ، وَآهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً، لاَ عِتَابَ فِيهِ، وَلاَ تَفْكِيرَ فِي آنْتِقَامٍ.
هَجْراً جَمِيلاً - آعْتِزَالاً حَسَناً لاَ جَزَعَ فِيهِ.

﴿١١﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا

(١١) - وَدَعْنِي وَالمُكَذِّبِينَ المُتْرَفِينَ، أَصْحَابَ الأَمْوَالِ وَالنِّعْمَةِ، فَإِنِّي أَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ، وَأُجَازِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلٌ لَهُ، وَتَمَهَّلْ عَلَيْهِمْ قَلِيلاً حَتَّى يَحِينَ المَوْعِدُ المُحَدَّدُ لأَخْذِهِمْ.
ذَرْنِي - دَعْنِي وَإِيَّاهُمْ فَسَأَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ.
أُولِي النَّعْمَةِ - أَهْلُ التَّرَفِ وَالعَيْشِ المُتْرَفِ.

﴿١٢﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا

(١٢) - إِنَّ لَدَيْنَا لِهَؤُلاَءِ الكَفَرَةِ المُكَذِّبِينَ فِي الآخِرَةِ قُيُوداً ثَقِيلَةً تُوضَعُ فِي أَرْجُلِهِمْ كَمَا يُفْعَلُ بِالمُجْرِمِينَ، إِذْلاَلاً لَهُمْ، وَلَهُمْ نَارٌ مُسْتَعِرَةٌ يَصْلَوْنَهَا.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩﴾

الجَحِيمُ ـ النَّارُ الشَّدِيدَةُ الحَرَارَةِ.
الأَنْكَالُ ـ القُيُودُ الثِّقَالُ.

(١٣) ـ وَلِهَؤُلاَءِ الكَفَرَةِ المُكَذِّبِينَ عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ أَيْضاً طَعَامٌ لاَ يُسْتَسَاغُ كَالزَّقُّومِ وَالضَّرِيعِ.. وَلَهُمْ أَلْوَانٌ أُخْرَى مِنَ العَذَابِ المُؤْلِمِ.
ذَا غُصَّةٍ ـ إِذَا أَكَلَهُ الإِنْسَانُ غَصَّ بِهِ.

(١٤) ـ وَيَنْزِلُ بِهِمْ ذَلِكَ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الذِي تَضْطَرِبُ الأَرْضُ فِيهِ، وَتَتَزَلْزَلُ الجِبَالُ، وَتَتَفَرَّقُ أَجْزَاؤُهَا، وَتَصِيرُ كَالكَثِيبِ المَهِيلِ مِنَ الرَّمْلِ، الذِي لاَ تَمَاسُكَ بَيْنَ أَجْزَائِهِ، وَقَدْ كَانَتِ الجِبَالُ قَبْلَ ذَلِكَ صُلْبَةً شَدِيدَةَ الأَسْرِ وَالتَّمَاسُكِ.
تَرْجُفُ الأَرْضُ ـ تَضْطَرِبُ وَتَتَزَلْزَلُ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ.
مَهِيلاً ـ لاَ تَمَاسُكَ بَيْنَ أَجْزَائِهِ.

(شَاهِداً)

(١٥) ـ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ رَسُولاً يَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِمَا أَجَبْتُمُوهُ عَلَى دَعْوَتِهِ لَكُمْ، كَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلُ مُوسَى رَسُولاً إِلى فِرْعَوْنَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ.

(فَأَخَذْنَاهُ)

(١٦) ـ فَعَصَى فِرْعَوْنُ رَسُولَ رَبِّهِ، وَهُوَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَهُ اللهُ أَخْذاً شَدِيداً، وَأَغْرَقَهُ وَقَوْمَهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ.
أَخْذاً وَبِيلاً ـ أَخْذاً شَدِيداً وَخِيمَ العَاقِبَةِ.

(الْوِلْدَانَ)

(١٧) ـ فَكَيْفَ تَدْفَعُونَ عَنْكُمْ، إِنْ كَفَرْتُمْ بِرَبِّكُمْ وَكَذَّبْتُمْ رَسُولَهُ، عَذَابَ يَوْمٍ مَخُوفٍ يَجْعَلُ الشَّبَابَ شُيُوخاً، لِمَا فِيهِ مِنَ الفَزَعِ وَالأَهْوَالِ؟.

(١٨) ـ وَتَنْفَطِرُ السَّمَاءُ عَلَى قُوَّتِهَا وَعَظَمَتِهَا وَتَتَشَقَّقُ، بِسَبَبِ شَدَائِدِ هَذَا اليَوْمِ وَأَهْوَالِهِ، وَكَانَ وَعْدُ اللهِ وَاقِعاً لاَ مَحَالَةَ.
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ـ تَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ.

(١٩) ـ إِنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الآيَاتِ، وَمَا ذُكِرَ فِيهَا مِنَ الوَعِيدِ، وَأَهْوَالِ القِيَامَةِ، وَعَذَابِ الكُفَّارِ.. عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ وَادَّكَرَ، فَمَنْ شَاءَ اتَّعَظَ بِهَا، وَاتَّخَذَ سَبِيلاً إِلَى رَبِّهِ، فَآمَنَ بِهِ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ.

٢٠ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ
أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ
وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ
يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن
تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُواْ مَا
تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ
مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ
وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ
خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ
أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ

ربع الحزب ٥٨

(اللَّيْلِ) (طَائِفَةٌ) (الْقُرْآنِ) (آخَرُونَ) (يُقَاتِلُونَ) (الصَّلاَةَ) (آتُوا) (الزَّكَاةَ)

(٢٠) ـ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَقَلَّ مِنْ ثُلُثَي اللَّيْلِ ، وَأَكْثَرَ مِنْ نِصْفِهِ، وَتَقُومُ النِّصْفَ، وَتَقُومُ الثُّلُثَ، أَنْتَ وَطَائِفَةٌ مِنَ أَصْحَابِكَ الْمُؤْمِنِينَ، حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ قِيَامُ اللَّيْلِ . وَلاَ يَعْلَمُ مَقَادِيرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا اللهُ، وَأَنْتُمْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ ضَبْطَ المَوَاقِيتِ، وَإِحْصَاءَ السَّاعَاتِ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ بِأَنْ رَخَّصَ لَكُمْ تَرْكَ القِيَامِ المُقَدَّرِ، وَعَفَا عَنْكُمْ، وَرَفَعَ عَنْكُمْ هَذِهِ المَشَقَّةَ، فَصَلُّوا مَا تَيَسَّرَ لَكُمْ مِنَ الصَّلاَةِ فِي اللَّيْلِ ، وَٱقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ فِيهَا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكُمْ ذَوُو أَعْذَارٍ لاَ يَسْتَطِيعُونَ مَعَهَا القِيَامَ بِاللَّيْلِ ، كَالمَرَضِ وَالسَّفَرِ وَٱبْتِغَاءِ الرِّزْقِ (الضَّرْبِ فِي الأَرْضِ) وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهَؤُلاَءِ إِذَا لَمْ يَنَامُوا اللَّيْلَ تَعِبَتْ أَجْسَادُهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا القِيَامَ بِوَاجِبِهِمْ فَٱقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ فِي الصَّلاَةِ، وَصَلُّوا الصَّلاَةَ المَفْرُوضَةَ، وَقُومُوهَا فَلاَ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ غَافِلَةً، وَآتُوا الزَّكَاةَ الوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فِي أَوْجُهِ الطَّاعَاتِ، وَسَيَجْعَلُ رَبُّكُمْ هَذَا الإِنْفَاقَ بِمَثَابَةِ القَرْضِ لَهُ، وَسَيَجْزِيكُمْ فِي الآخِرَةِ أَحْسَنَ الجَزَاءِ، وَمَا تُقَدِّمُوا فِي الدُّنْيَا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ فِعْلِ خَيْرٍ فَإِنَّكُمْ وَاجِدُونَ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، وَٱسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

لَنْ تُحْصُوهُ ـ لَنْ تُطِيقُوا ضَبْطَ وَقْتِ قِيَامِهِ .

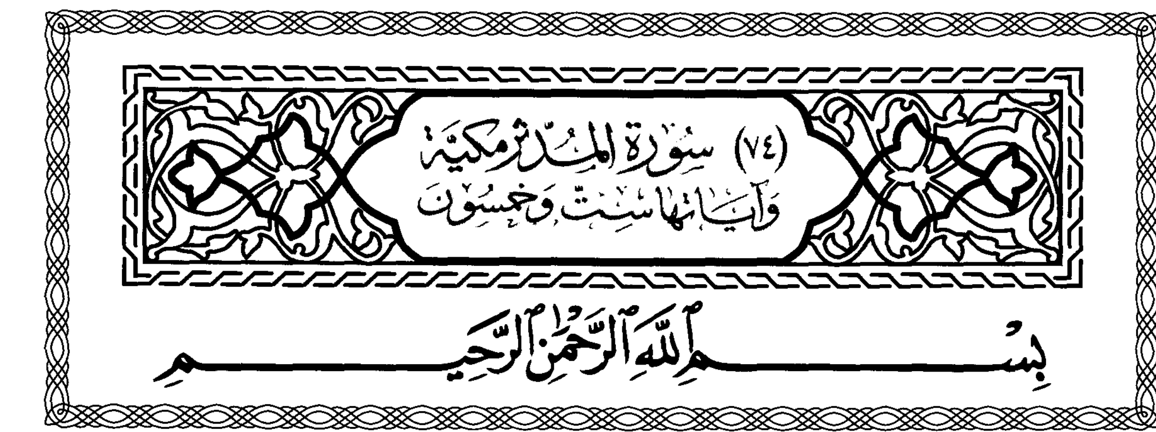
فَتَابَ عَلَيْكُمْ ـ بِالتَّرْخِيصِ فِي تَرْكِ القِيَامِ المُقَدَّرِ .

فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ ـ فَصَلُّوا مَا سَهُلَ عَلَيْكُمْ مِنْ صَلاَةٍ .

يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ ـ يُسَافِرُونَ لِلتِّجَارَةِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ .

أَقِيمُوا الصَّلاَةَ ـ المَفْرُوضَةَ .

قَرْضاً حَسَناً ـ ٱحْتِسَاباً بِطِيبَةِ خَاطِرٍ وَنَفْسٍ .



يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)

(يا أيُّها)

(١) - قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: جَاوَرْتُ بِغَارِ حِرَاءَ فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي، هَبَطْتُ فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئاً، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً. قَالَ فَدَثَّرُونِي، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً، قَالَ فَنَزَلَتْ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

وَمَعْنَى الآيَةِ: يَا أَيُّهَا المُتَدَثِّرُ بِثِيَابِكَ، رُعْباً وَفَرَقاً مِنْ رُؤْيَةِ المَلَكِ عِنْدَ نُزُولِ الوَحْيِ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

تَدَثَّرَ - تَغَطَّى بِثِيَابِهِ.

قُمْ فَأَنذِرْ (٢)

(٢) - قُمْ وَشَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ، وَأَنْذِرْ أَهْلَ مَكَّةَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)

(٣) - وَعَظِّمْ رَبَّكَ بِعِبَادَتِهِ، وَبِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، دُونَ غَيْرِهِ.

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)

(٤) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ: (وَلاَ تَلْبَسْ ثِيَابَكَ عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلاَ غَدْرَةٍ). أَيْ طَهِّرْ نَفْسَكَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَصْلِحْ عَمَلَكَ، وَطَهِّرْ ثِيَابَكَ بِالمَاءِ مِمَّا لَحِقَ بِهَا مِنَ النَّجَاسَةِ.

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)

(٥) - وَاتْرُكْ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ، وَأَقْلِعْ عَنِ المَعَاصِي الَّتِي تُوصِلُكَ إِلَى عَذَابِ النَّارِ فِي الآخِرَةِ.

الرُّجْزَ - المَعَاصِيَ - وَمِنْهَا عِبَادَةُ الأَصْنَامِ.

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦)

(٦) - وَلاَ تُعْطِ عَطِيَّةً وَأَنْتَ تَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِيَكَ أَكْثَرُ مِنْهَا.

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ المَعْنَى هُوَ: لاَ تَمْنُنْ بِعَمَلِكَ عَلَى رَبِّكَ تَسْتَكْثِرُهُ، إِنَّمَا عَمَلُكَ مِنَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ إِذْ جَعَلَ لَكَ سَبِيلاً إِلَى عِبَادَتِهِ).

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾

(٧) - وَٱصْبِرْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكَ، وَٱصْبِرْ عَلَى أَذَى المُشْرِكِينَ، وَٱجْعَلْ صَبْرَكَ عَلَى أَذَاهُمْ لِوَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾

(٨) - فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَذَلِكَ هُوَ مَوْعِدُ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَلاَكِ الخَلاَئِقِ جَمِيعاً.

النَّاقُور - الصُّورِ - وَهُوَ قَرْنٌ، إِذَا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً.

﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾

(يَوْمَئِذٍ)

(٩) - وَيَوْمُ القِيَامَةِ الذِي يُنْفَخُ فِيهِ فِي الصُّورِ هُوَ يَوْمٌ صَعْبٌ، شَدِيدُ الهَوْلِ.

﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾

(الكافِرِينَ)

(١٠) - وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدُ الهَوْلِ عَلَى الكَافِرِينَ، وَهُوَ يَوْم عَسِيرٌ، لاَ يُسْرَ فِيهِ وَلاَ سُهُولَةَ، لأَنَّهُ سَيَكُونُ مَبْدأَ شَقَائِهِم المُتَوَاصِلِ مِنَ الحِسَابِ إِلَى العَذَابِ الدَّائِمِ السَّرْمَدِيِّ.

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١﴾

(١١) - كَانَ الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ سَيِّداً مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، عَظِيمَ المَالِ والجَاهِ، وَلَهُ عَشَرَةُ أَبْنَاءٍ. سَمِعَ مَرَّةً رَسُولَ اللهِ(ﷺ) يَقْرَأُ القُرْآنَ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فَتَأَثَّرَ بِذَلِكَ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ: وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّداً آنِفاً يَقُولُ كَلاَماً مَا هُوَ مِنْ كَلاَمِ الإِنْسِ، وَلاَ مِنْ كَلاَمِ الجِنِّ، إِنَّ لَهُ لَحَلاَوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاَوَةً، وَإِنَّ أَعْلاَهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَمَا يُعْلَى عَلَيْهِ.

وَتَبِعَهُ أَبُو جَهْلٍ إِلَى مَنْزِلِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَدْخُلَ الإِسْلاَمُ قَلْبَهُ فَتُسْلِمَ قُرَيْشٌ كُلُّهَا، وَأَخَذَ يَسْتَثِيرُهُ حَتَّى جَاءَ قُرَيْشاً فِي نَادِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مُحَمَّداً لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، وَلاَ كَاهِنٍ، وَلاَ شَاعِرٍ، وَلاَ كَذَّابٍ، فَقَالُوا لَهُ: وَلَكِنْ مَا هُوَ؟

قَالَ: مَا هُوَ إِلاَّ سَاحِرٌ، أَمَا رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَوَالِيهِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَاتِ.

(وَكَانَ الوَلِيدُ يُسَمَّى الوَحِيدَ لأَنَّهُ وَحِيدٌ فِي قَوْمِهِ، لِكَثْرَةِ مَالِهِ، وَعَظِيمِ جَاهِهِ).

وَمَعْنَى الآيَةِ: خَلِّ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَخْرَجْتُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَحِيداً لاَ مَالَ لَهُ وَلاَ وَلَدَ.

ذَرْنِي - دَعْنِي وَخَلِّنِي، وَهِيَ هُنَا لِلتَّهْدِيدِ.

١٢ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا

(١٢) - ثُمَّ أَفَضْتُ عَلَيْهِ النِّعَمَ، وَأَعْطَيْتُهُ المَالَ الكَثِيرَ، فَكَانَ لَهُ مَالٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، مِنَ الإِبْلِ والخَيْلِ والغَنَمِ والبَسَاتِينِ الكَثِيرَةِ التِي لاَ تَنْقَطِعُ ثِمَارُهَا صَيْفاً وَلاَ شِتَاءً - عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.
مَالاً مَمْدُوداً - كَثِيراً دَائِماً غَيْرَ مُنْقَطِعٍ.

١٣ وَبَنِينَ شُهُودًا

(١٣) - وَجَعَلْتُ لَهُ بَنِينَ حَاضِرِينَ مَعَهُ فِي مَكَّةَ دَائِماً، لاَ يُفَارِقُونَهَا لِكَسْبِ عَيْشٍ، وَلاَ ابْتِغَاءَ رِزْقٍ، إِذْ كَانُوا فِي غِنًى عَنِ الضَّرْبِ فِي الأَرْضِ، لِمَا لَهُمْ مِنْ وَاسِعِ الثَّرَاءِ.
بَنِينَ شُهُوداً - حُضُوراً مَعَهُ، لاَ يُفَارِقُونَهُ لِكَسْبِ عَيْشٍ.

١٤ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا

(١٤) - وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، وَبَسَطْتُ لَهُ فِي المَالِ، فَكَانَ الأَخْلَقَ بِهِ أَنْ يَشْكُرَ رَبَّهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الوَفِيرَةِ.
مَهَّدْتُ لَهُ - بَسَطْتُ لَهُ النِّعْمَةَ والرِّيَاسَةَ.

١٥ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ

(١٥) - ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ يَطْمَعُ فِي أَنْ يَزِيدَ اللهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، فَهُوَ حَرِيصٌ عَلَى الاسْتِكْثَارِ مِنَ المَالِ والوَلَدِ.

١٦ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا

(لآيَاتِنَا)

(١٦) - كَلاَّ لَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ، لأَنَّهُ كَانَ مُعَانِداً لآيَاتِ اللهِ المُنْعِمِ المُتَفَضِّلِ عَلَيْهِ، وَهِيَ آيَاتُ القُرْآنِ التِي أَنْزَلَهَا اللهُ وَحْياً عَلَى رَسُولِهِ الكَرِيمِ، وَلِذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ.
وَمُعَانَدَةُ الحَقِّ جَدِيرَةٌ بِزَوَالِ النِّعَمِ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الوَلِيدَ أَخَذَتْ حَالُهُ تَسُوءُ وَتَتَرَاجَعُ مُنْذُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَاتِ وَبَقِيَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ.
كَلاَّ - كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ عَنِ الطَّمَعِ الفَارِغِ.
لآيَاتِنَا عَنِيداً - جَاحِداً وَمُعَانِداً.

١٧ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا

(١٧) - سَنُنْزِلُ بِهِ عَذَاباً شَاقّاً، يُرْهِقُهُ وَلاَ يُطِيقُهُ، فَيَكُونُ حَالُهُ حَالَ مَنْ يُكَلَّفُ صُعُودَ جَبَلٍ وَعْرٍ شَائِكٍ.
(وَقِيلَ إِنَّهُ سَيُكَلِّفُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صُعُودَ جَبَلٍ مِنْ نَارٍ فِي جَهَنَّمَ).
سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً - سَأُكَلِّفُهُ عَذَاباً شَاقّاً لاَ يُطَاقُ.

١٨ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ

(١٨) - وَإِنَّمَا فَعَلَ اللهُ تَعَالَى بِهِ ذَلِكَ العَذَابَ الشَّاقَّ لأَنَّهُ فَكَّرَ فِيمَا يَقُولُهُ فِي القُرْآنِ، حِينَ سُئِلَ عَنْهُ، وَفِيمَا يَخْتَلِقُهُ فِيهِ، ثُمَّ تَرَوَّى.
قَدَّرَ - تَرَوَّى وَهَيَّأَ فِي نَفْسِهِ القَوْلَ بِالطَّعْنِ فِي القُرْآنِ.

١٩ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

(١٩) - فَهَلاَكاً وَلَعْنَةً لَهُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ الذِي قَدَّرَهُ.
فَقُتِلَ - فَهَلَكَ وَلُعِنَ وَقُبِّحَ.

ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾

(٢٠) - ثُمَّ هلاكاً ولَعْناً لَهُ، عَلَى مَا قَدَّرَهُ وَأَعَدَّهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ طَعْنٍ فِي القُرْآنِ.

ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾

(٢١) - ثُمَّ نَظَرَ فِي أَمْرِ القُرْآنِ مَرَّةً أُخْرَى، لَعَلَّهُ يَتَوَصَّلُ إِلَى قَوْلٍ فِيهِ يُرْضِي قُرَيشاً عَنْهُ لِيَحْفَظَ مَرْكَزَهُ، وَزَعَامَتَهُ فِيهَا.

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾

(٢٢) - ثُمَّ قَطَّبَ وَجْهَهُ حِينَ ضَاقَتْ بِهِ الحِيَلُ، ثُمَّ تَجَهَّمَ وَجْهُهُ وَكَلَحَ.

عَبَسَ - قَطَّبَ بَيْنَ حَاجِبَيْهِ

بَسَرَ - كَلَحَ وَجْهُهُ وَعَبَسَ.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾

(٢٣) - ثُمَّ صَرَفَ وَجْهَهُ عَنِ الحَقِّ، وَرَجَعَ القَهْقَرَى مُسْتَكْبِراً عَنِ الاعْتِرَافِ بِهِ، وَالانْقِيَادِ لَهُ.

فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾

(٢٤) - ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ لَيْسَ إِلَّا سِحْراً يَنْقُلُهُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ السَّحَرَةِ الأَوَّلِينَ.

يُؤْثَرُ - يُرْوَى وَيُتَعَلَّمُ مِنَ السَّحَرَةِ.

إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾

(٢٥) - وَمَا هَذَا القُرْآنُ إِلَّا قَوْلُ البَشَرِ، أَخَذَهُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ بِكَلامِ رَبِّ العَالَمِينَ كَمَا يَدَّعِي مُحَمَّدٌ.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾

(٢٦) - سَأُدْخِلُهُ جَهَنَّمَ، وَأَغْمُرُهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

سَقَرَ - اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.

صَلاهُ النَّارَ - أَدْخَلَهُ فِيهَا حَتَّى تَغْمُرَهُ أَوْ أَذَاقَهُ حَرَّهَا.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾

(أَدْرَاكَ)

(٢٧) - وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارُ جَهَنَّمَ؟ إِنَّهَا بَلَغَتْ فِي الغَرَابَةِ حَدّاً لَا يُمْكِنُ إِحَاطَةُ الوَصْفِ بِهِ.

لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾

(٢٨) - لَا تُبْقِي لَحْماً، وَلَا تَذَرُ عَظْماً، وَإِنَّمَا تَأْتِي عَلَيْهِ جَمِيعاً.

لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾

(٢٩) - تُلَوِّحُ الجِلْدَ فَتَحْرِقُهُ وَتُغَيِّرُ لَوْنَهُ.

لَوَّحَتْهُ الشَّمْسُ - سَوَّدَتْ ظَاهِرَهُ.

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

(٣٠) - وَعَلَى النَّارِ خَزَنَةٌ مِنَ المَلائِكَةِ، عِدَّتُهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ مَلَكاً يَلُونَ أَمْرَهَا.

(وَرُوِيَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ نَفَراً مِنَ اليَهُودِ سَأَلُوا رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ).

(٣١) وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً
وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ
وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ
وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ

(٣٢) كَلَّا وَٱلْقَمَرِ

(٣٣) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ

(٣٤) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ

(٣٥) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ

(أَصْحَابَ) (مَلائِكَةً) (الْكِتَابَ) (آمَنُوا) (إِيْمَاناً) (الْكَافِرُونَ)

(٣١) ـ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ الكَرِيمَ (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)، قَالَ أَبُو جَهْلٍ مُسْتَهْزِئاً: أَيَعْجَزُ كُلُّ عَشَرَةٍ مِنْكُمْ أَنْ يَبْطُشُوا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ رَدّاً عَلَى هَؤُلاءِ السَّاخِرِينَ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ حَرَسَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً، وَمَنْ يُطِيقُ مُغَالَبَةَ مَلاَئِكَةِ اللهِ تَعَالَى؟ وَمَا جَعَلَ عَدَدَهُمْ (تِسْعَةَ عَشَرَ)، إِلاَّ لِيَقُولَ الكَافِرُونَ مَا قَالُوا، لِيَتَضَاعَفَ غَضَبُ اللهِ وَنِقْمَتُهُ عَلَيْهِمْ، فَقَدِ آسْتَقَلُّوا العَدَدَ، وَقَالُوا كَيْفَ يَتَوَلَّى مِثْلُ هَذَا العَدَدِ القَلِيلِ تَعْذِيبَ خَلْقِ اللهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟ وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى العَدَدَ لِرَسُولِهِ لِيَحْصُلَ اليَقِينُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَنَّ مُحَمَّداً صَادِقٌ فِي نُبُوَّتِهِ، وَأَنَّ القُرْآنَ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ مُوَافِقٌ لِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ، وَلِيَزْدَادَ المُؤْمِنُونَ إِيْمَاناً، حِينَمَا يَرَوْنَ تَسْلِيمَ أَهْلِ الكِتَابِ، وَتَصْدِيقَهُمْ لِمَا جَاءَ فِي القُرْآنِ، فَلاَ يَبْقَى فِي أَنْفُسِهِمْ شَكٌّ مِنْ أَنَّ القُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلِكَيْلاَ يَشُكَّ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَالمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فِي حَقِيقَةِ ذَلِكَ العَدَدِ، وَلِيَقُولَ الذِينَ يَشُكُّونَ فِي صِدْقِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ، مِنَ المُنَافِقِينَ، وَالكَافِرِينَ بِرِسَالَتِهِ: مَا الذِي أَرَادَهُ اللهُ بِذِكْرِ هَذَا العَدَدِ القَلِيلِ المُسْتَغْرَبِ، وَمَا الحِكْمَةُ فِيهِ؟.

وَكَمَا أَضَلَّ اللهُ تَعَالَى المُنَافِقِينَ وَالمُشْرِكِينَ بِذِكْرِ العَدَدِ، كَذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الحَقِّ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فَيُوَفِّقُهُ لِلْهُدَى، وَالخَيْرِ، وَالصَّوَابِ. وَمَا يَعْلَمُ عَدَدَ خَلْقِ اللهِ، وَمِقْدَارَ جُمُوعِهِ، التِي مِنْهَا المَلاَئِكَةُ، إِلاَّ اللهُ تَعَالَى، لِكَيْلاَ يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ فَقَطْ، وَمَا سَقَرُ وَلاَ صِفَتُهَا إِلاَّ تَذْكِرَةٌ لِمَنْ يَتَّعِظُ مِنَ البَشَرِ، وَتَخْوِيفٌ لَهُمْ.

(٣٢) ـ كَلاَّ لاَ سَبِيلَ إِلَى إِنْكَارِ النَّارِ، قَسَماً بِالقَمَرِ.

(اللَّيْلِ)

(٣٣) ـ وَقَسَماً بِاللَّيْلِ إِذَ وَلَّى وَذَهَبَ.

(٣٤) ـ وَقَسَماً بِالصُّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ بِنُورِهِ الوَضَّاحِ.

(٣٥) ـ إِنَّ جَهَنَّمَ لإِحْدَى الدَّوَاهِي العِظَامِ.
(وَهَذَا جَوَابُ القَسَمِ).
الكُبَرِ ـ الدَّوَاهِي العِظَامِ.

(٣٦) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ

(٣٦) - التي فِيهَا نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ.

(٣٧) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ

(٣٧) - لِمَنْ شاءَ أَنْ يَقْبَلَ النَّذارَةَ، أَوْ يَتولَّى عَنْهَا وَيرُدَّهَا.
(أَوْ أَنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّهَا إِنْذارٌ لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتقَدَّمَ إِلى الخيْرِ أَوْ يَتأَخَّرَ عَنْهُ).

(٣٨) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

(٣٨) - كُلُّ نَفْسٍ مُرْتَهَنَةٌ بِعَمَلِهَا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(٣٩) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ

(أَصْحَابَ)

(٣٩) - إِلَّا المُؤْمِنينَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ، الذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الحِسَابِ. فَيَتَنَاوَلُونَهَا بِأَيْمَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فَكُّوا رَهْنَ أَنْفُسِهِمْ بِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيا.

(٤٠) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ

(جنَّاتٍ)

(٤٠) - وَيَكُونُ أَصْحَابُ اليَمِينِ هَؤُلاءِ فِي الجَنَّاتِ يَتَساءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

(٤١) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ

(٤١) - وَيَسْأَلُونَ عَنِ المُجْرِمِينَ الذِينَ يَكُونُونَ فِي دَرَكَاتِ النَّارِ.

(٤٢) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ

(٤٢) - ثُمَّ يَسْأَلُونَ المُجْرِمِينَ وَهُمْ فِي النَّارِ: مَا الذِي أَدْخَلَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ؟.

(٤٣) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ

(٤٣) - وَيرُدُّ المُجْرِمُونَ عَلَى سُؤَالِ الأَبْرَارِ أَهْلِ الجَنَّاتِ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يُؤدُّونَ الصَّلَوَاتِ.

(٤٤) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ

(٤٤) - وَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِ اللهِ الفُقَرَاءِ، وَلَمْ يَكُونُوا يُطْعِمُونَ المَسَاكِينَ.

(٤٥) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ

(الخَائِضِينَ)

(٤٥) - وَإِنَّهُمْ كَانُوا يُشَارِكُونَ أَهْلَ البَاطِلِ فَيَخُوضُونَ مَعَهُمْ فِيمَا يَخُوضُونَ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ والاسْتِهْزَاءِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لاَ يَعْلَمُونَ.

(٤٦) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ

(٤٦) - وَإِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يُؤْمِنُونَ بِحَشْرٍ وَلاَ نَشْرٍ وَلاَ بَعْثٍ وَلاَ حِسَابٍ، وَلاَ عِقَابٍ فِي الآخِرَةِ.

(٤٧) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ

(أَتَانَا)

(٤٧) - حَتَّى جَاءَهُم المَوْتُ، وَرَجَعُوا إِلَى اللهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَلِمُوا أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

(شَفَاعَةُ) (الشَّافِعِينَ)

(٤٨) - وَمَنْ كَانَ مُتَّصِفاً بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ لاَ تَنْفَعُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شَفَاعَةُ شَافِعٍ فِيهِ، لِأَنَّ مَنْ مَاتَ كَافِراً فَجَزَاؤُهُ النَّارُ، وَيَبْقَى خَالِداً فِيهَا.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

(٤٩) - فَمَا لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ مُعْرِضِينَ عَنِ القُرْآنِ الذِي يُذَكِّرُهُم الرَّسُولُ بِهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ؟

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾

(٥٠) - كَأَنَّهُمْ، فِي نِفَارِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الحَقِّ، حُمُرُ وَحْشٍ تَفِرُّ نَافِرَةً.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾

(٥١) - تَفِرُّ مِنْ أَسَدٍ يُرِيدُ صَيْدَهَا.

قَسْوَرَةٌ - ٱسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الأَسَدِ.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾

(٥٢) - وَقَدْ بَلَغَ بِهِم العِنَادُ حَدّاً لاَ تَنْفَعُ مَعَهُ التَّذْكِرَةُ، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مَفْتُوحٌ مِنَ السَّمَاءِ، مُوَجَّهٌ إِلَيْهِ، يُخْبِرُهُ اللهُ فِيهِ أَنَّ مُحَمَّداً صَادِقٌ فِي رِسَالَتِهِ إِلَيْهِمْ.

(رُوِيَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَجَمَاعَةً مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْتِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ، عُنْوَانُهُ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ إِلَى فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ . . . وَنُؤْمَرُ فِيهِ بِاتِّبَاعِكَ).

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

(الآخِرَةَ)

(٥٣) - وَيُوَبِّخُهُم اللهُ تَعَالَى، وَيَزْجُرُهُمْ عَلَى ٱقْتِرَاحِهِمْ إِنْزَالَ صُحُفٍ مُنَشَّرَةٍ إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَنْ يُؤْتَوْا هَذِهِ الصُّحُفَ المُنَشَّرَةَ، وَإِنَّ الذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا الاقْتِرَاحِ هُوَ أَنَّهُمْ لاَ يُصَدِّقُونَ بِالآخِرَةِ، وَلاَ يَخَافُونَ أَهْوَالَهَا، وَمِنْ ثَمَّ أَعْرَضُوا عَنِ التَّأَمُّلِ فِي تِلْكَ المُعْجِزَاتِ.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾

(٥٤) - كَلاَّ إِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ أَنَّهُ سِحْرٌ، وَإِنَّمَا هُوَ تَذْكِرَةٌ وَعِظَةٌ مِنَ اللهِ الكَرِيمِ لِخَلْقِهِ.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾

(٥٥) - فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَذْكُرَهُ فَعَلَ، فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

(٥٦) - وَمَا يَذْكُرُونَ هَذَا القُرْآنَ، وَلاَ يَتَّعِظُونَ بِهِ، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ذَلِكَ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ فِعْلَ شَيْءٍ إِلاَّ إِذَا أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى القُدْرَةَ عَلَى فِعْلِهِ. وَاللهُ تَعَالَى حَقِيقٌ بِأَنْ يَخْشَاهُ عِبَادُهُ وَيَتَّقُوهُ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِذَا آمَنُوا بِهِ، وَأَطَاعُوهُ، فَعَمِلُوا بِأَوَامِرِهِ، وَٱجْتَنَبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.



لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)

نصف الحزب ٥٨

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣)

بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥)

(الْقِيَامَةِ)

(١) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِيَوْمِ القِيَامَةِ وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ أَحْدَاثٍ عِظَامٍ.

لَا أُقْسِمُ - أُقْسِمُ. وَ لا لِلتَّوكِيدِ. وَقِيلَ إِنَّهَا صِلَةٌ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ).

(٢) - وَيُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِالنَّفْسِ التِي تَتُوقُ إِلَى مَعَالِي الأُمُورِ، وَتَنْدَمُ عَلَى فِعْلِ السَّيِّئَاتِ، كَمَا تَنْدَمُ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَسْتَكْثِرْ مِنَ الخَيْرِ، فَهِيَ دَائِماً تَلُومُ ذَاتَهَا عَلَى مَا فَعَلَتْ وَمَا تَرَكَتْ.

اللَّوَّامَةِ - كَثِيرَةِ اللَّوْمِ والنَّدَمِ عَلَى مَا فَاتَ.

(الإِنْسَانُ)

(٣) - أَيَظُنُّ ابْنُ آدَمَ أَنَّ اللهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى بَعْثِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَجَمْعِ عِظَامِهِ بَعْدَ أَنْ تُصبِحَ عِظَامُهُ تُرَاباً، وَتَتَفَرَّقَ فِي جَنَبَاتِ الأَرْضِ؟.

(قَادِرِينَ)

(٤) - بَلَى إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُسَوِّيَ أَنَامِلَ أَصَابِعِ الإِنْسَانِ، وَيَجْعَلَهَا فِي أَمَاكِنِهَا مِنَ الجِسْمِ، كَمَا كَانَتْ قَبْلًا، وَأَنَامِلُ الأَصَابِعِ هِيَ أَدَقُّ مَا فِي جِسْمِ الإِنْسَانِ مِنْ عَظْمٍ. فَإِذَا كَانَ تَعَالَى قَادِراً عَلَى أَنْ يُسَوِّيَ البَنَانَ، وَيُعِيدَهُ إِلَى أَمَاكِنِهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ غَيْرِهِ مِنَ العِظَامِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

(الإِنْسَانُ)

(٥) - إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ، وَيُسَوِّيَ بَنَانَهُ، وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَمْضِيَ قُدُماً فِي المَعَاصِي، لَا يَثْنِيهِ شَيْءٌ عَنْ فُجُورِهِ، وَيَقُولُ: أَعْمَلُ ثُمَّ أَتُوبُ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ.

لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ - لِيَدُومَ عَلَى فُجُورِهِ مُدَّةَ عُمْرِهِ.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾

(يَسْأَلُ) (الْقِيَامَةِ)

(٦) - وَيَسْأَلُ آسْتِبْعَاداً وَإِنْكَاراً: مَتَى يَكُونُ يَوْمُ القِيَامَةِ؟ وَمَتَى أَنْكَرَ الإِنْسَانُ البَعْثَ والحِسَابَ فَإِنَّهُ لاَ يَرُدُّهُ شَيءٌ عَنِ المَعَاصِي.

(٧) - ذَكَرَ تَعَالَى ثَلاثَ عَلاَمَاتٍ لِيَوْمِ القِيَامَةِ: فَإِذَا تَحَيَّرَ البَصَرُ فَزَعاً، وَدُهِشَ فَلَمْ يَعُدْ يَطْرِفُ مِنْ شِدَّةِ الهَوْلِ والفَزَعِ مِمَّا يُشَاهِدُ.

بَرِقَ البَصَرُ - إِذَا نَظَرَ الإِنْسَانُ إِلَى البَرْقِ فَدُهِشَ بَصَرُهُ وَتَحَيَّرَ فَزَعاً مِمَّا رَأَى.

(٨) - وَالعَلاَمَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ: إِذَا خَسَفَ القَمَرُ وَذَهَبَ ضَوْؤُهُ.

(٩) - وَالعَلاَمَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ إِذَا آجْتَمَعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ فِي أُفُقٍ وَاحِدٍ، وَطَلَعَا مِنَ المَغْرِبِ أَسْوَدَيْنِ، لاَ نُورَ فِيهِمَا.

(الإِنْسَانُ) (يَوْمَئِذٍ).

(١٠) - فَإِذَا ظَهَرَتْ هَذِهِ العَلاَمَاتُ الثَّلاَثُ فَإِنَّ القِيَامَةَ تَكُونُ قَدْ قَامَتْ، وَيَقُولُ الإِنْسَانُ حِينَئِذٍ، أَيْنَ المَفَرُّ مِنْ جَهَنَّمَ؟ وَهَلْ مِنْهَا مَهْرَبٌ وَمَلْجَأٌ؟

(١١) - وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى تَسَاؤُلِ الإِنْسَانِ عَنِ المَهْرَبِ وَالمَلْجَأ مُجِيباً: كَلاَّ لاَ مَهْرَبَ وَلاَ مَلْجَأَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ، وَلاَ شَيءَ يَعْصِمُ الإِنْسَانَ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى.

لاَ وَزَرَ - لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَى لَهُ مِنَ اللهِ.

(يَوْمَئِذٍ)

(١٢) - وَإِلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ المَرْجِعُ وَالمَصِيرُ، فَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى نَارٍ.

(يُنَبَّأُ) (الإِنْسَانُ) (يَوْمَئِذٍ)

(١٣) - وَيُخَبَّرُ الإِنْسَانُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا.

(الإِنْسَانُ)

(١٤) - وَيَكُونُ الإِنْسَانُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ شَاهِداً عَلَى نَفْسِهِ، عَالِماً بِمَا فَعَلَ، وَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُنَبِّئَهُ غَيْرُهُ بِأَفْعَالِهِ، فَجَوَارِحُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ وَصَحِيفَةُ أَعْمَالِهِ قَدْ أُثْبِتَ فِيهَا كُلُّ شَيءٍ فَعَلَهُ.

بَصِيرَةٌ - حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ أَوْ عَيْنٌ بَصِيرَةٌ.

وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

(١٥) - وَسَيُحَاسَبُ عَلَى أَعْمَالِهِ جَمِيعِهَا وَلَوْ أَتَى بِالحُجَجِ. وَأَدْلَى بِالمَعَاذِيرِ، وَجَادَلَ عَنْ نَفْسِهِ.

لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ - وَلَوْ جَاءَ بِكُلِّ عُذْرٍ لَمْ يَنْفَعْهُ.

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾

(١٦) - كَانَ الرَّسُولُ ﷺ، حِينَمَا يَتَلَقَّى الوَحْيَ، حَرِيصاً عَلَى حِفْظِهِ، فَكَانَ يُسَابِقُ الوَحْيَ فِي قِرَاءَةِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ لِيَحْفَظَهُ، وَلاَ يُضَيِّعَ مِنْهُ شَيْئاً، فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ بِأَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى الوَحْيِ إِذَا جَاءَهُ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ ﷺ بِأَنْ يُيَسِّرَ لَهُ حِفْظَهُ وَأَدَاءَهُ، وَأَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُ وَيُفَسِّرَهُ.

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾

(قُرْآنَهُ)

(١٧) - إِنَّ اللهَ تَكَفَّلَ لَكَ بِجَمْعِ القُرْآنِ وَتَثْبِيتِهِ فِي صَدْرِكَ.

فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾

(قَرَأْنَاهُ) (قُرْآنَهُ)

(١٨) - فَإِذَا قَرَأَهُ عَلَيْكَ المَلَكُ فَاسْتَمِعْ لَهُ، وَتَابِعْهُ فِي قِرَاءَتِهِ، ثُمَّ اقْرَأْهُ أَنْتَ كَمَا قَرَأَهُ عَلَيْكَ.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

(١٩) - ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى تَكَفَّلَ لَكَ بِبَيَانِ القُرْآنِ، وَتَوْضِيحِهِ لَكَ.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾

(٢٠) - كَلاَّ لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ يَا أَيُّهَا المُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّكُمْ لاَ تُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ، وَلَكِنَّ الذِي دَعَاكُمْ إِلَى ذَلِكَ مَحَبَّتُكُمْ لِلدُّنْيَا العَاجِلَةِ، وَإِيثَارُكُمْ شَهَوَاتِكُمْ وَمَلاَذَّكُمْ فِيهَا.

وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾

(الآخِرَةَ)

(٢١) - وَأَنَّكُمْ تُفَضِّلُونَ عَاجِلَ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ، عَلَى الآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا الدَّائِمِ.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٢) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ تَكُون وُجُوه المُؤْمِنِينَ الأَبْرَارِ نَضِرَةً مُشْرِقَةً بِالنَّعِيمِ.

نَاضِرَةٌ - مُشْرِقَةٌ مُتَهَلِّلَةٌ.

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

(٢٣) - تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا.

(وَجَاءَ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ أَنَّ الأَبْرَارَ فِي الجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ عِيَاناً كَمَا يَرَى أَحَدُهُمْ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ). (رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٤) - أَمَّا وُجُوهُ الكُفَّارِ فَتَكُونُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ عَابِسَةً كَالِحَةً.

بَاسِرَةٌ - كَالِحَةٌ عَابِسَةٌ.

﴿٢٥﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ

سكتة لطيفة على النون

(٢٥) - مُسْتَيْقِنَةً مِنْ أَنَّهَا هَالِكَةٌ، أَوْ أَنَّهَا سَتَنْزِلُ بِهَا دَاهِيَةٌ تَقْصِمُ فَقَارَ ظَهْرِهَا.
فَاقِرَةٌ - دَاهِيَةٌ تَقْصِمُ فَقَارَ الظَّهْرِ.

﴿٢٦﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ

(٢٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالَةِ الاحْتِضَارِ، وَمَا تُعَانِيهِ النَّفْسُ مِنْ شَدَائِدَ حِينَ الإِشْرَافِ عَلَى المَوْتِ، فَيَقُولُ تَعَالَى لِلإِنْسَانِ: ارْتَدِعْ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا (كَلَّا) فَإِنَّ الرُّوحَ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَهِيَ خَارِجَةٌ، فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ لَا تُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَلَا بِقُدْرَةِ اللهِ عَلَى البَعْثِ وَالحَشْرِ وَالحِسَابِ.
التَّرَاقِي - جَمْعُ تَرْقُوةٍ مِنْ عِظَامِ أَعْلَى الصَّدْرِ.

﴿٢٧﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ

(٢٧) - وَقَالَ أَهْلُ المُحْتَضَرِ: مَنْ يَرْقِيهِ وَيَشْفِيهِ مِمَّا نَزَلَ بِهِ؟

﴿٢٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ

(٢٨) - وَأَيْقَنَ المُحْتَضَرُ أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِ نَذِيرٌ بِمُفَارَقَةِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ فِيهَا.

﴿٢٩﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ

(٢٩) - وَاشْتَدَّ الأَمْرُ بِالمَرِيضِ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ شِدَّةُ فِرَاقِ الدُّنْيَا، مَعَ شِدَّةِ الخَوْفِ مِنَ الآخِرَةِ، وَاخْتَلَطَا مَعاً.
(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ المُحْتَضَرَ تَلْتَفُّ سَاقَاهُ مِنْ ضَعْفِهِ فَلَا تَسْتَطِيعَانِ حَرَاكاً، فَالتِفَافُ السَّاقِ بِالسَّاقِ كِنَايَةٌ عَنْ دُنُوِّ الأَجَلِ).
التَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ - كِنَايَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ الأَمْرِ وَدُنُوِّ الأَجَلِ.

﴿٣٠﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٠) - فَإِلَى اللهِ المَرْجِعُ وَالمَآبُ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِذْ تَأْتِي فِي ذَلِكَ اليَوْمِ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، فَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى نَارٍ وَسَعِيرٍ.
المَسَاقُ - سَوْقُ العِبَادِ لِلْجَزَاءِ.

﴿٣١﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ

(٣١) - وَحِينَمَا يُسَاقُ المَرْءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، يَجِدُ عَمَلَهُ مُحْضَراً فِي صَحِيفَتِهِ، فَأَمَّا الكَافِرُ فَإِنَّهُ يَجِدُ فِيهَا أَنَّهُ لَا صَدَّقَ بِوُجُودِ اللهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلَا أَدَّى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ صَلَوَاتٍ.

﴿٣٢﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ

(٣٢) - بَلْ إِنَّهُ أَعْرَضَ عَنْ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَكَذَّبَهُمْ فِيمَا أُرْسِلُوا بِهِ، وَتَوَلَّى مُعْرِضاً عَنْهُم، وَعَنْ دَعْوَةِ الإِيمَانِ.

﴿٣٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ

(٣٣) - وَلَمْ يَكْتَفِ بِالكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِنَّمَا انْقَلَبَ إِلَى أَهْلِهِ مُتَبَخْتِراً مُخْتَالاً فَرِحاً بِتَكْذِيبِهِ وَتَوَلِّيهِ.
تَمَطَّى - مَدَّ جِسْمَهُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الاخْتِيَالِ فِي المِشْيَةِ.

أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾

(٣٤) ـ وَيَتَهدَّدُ اللهُ تَعَالَى هَذَا الكَافِرَ الذِي يَمْشِي مُتَبَخْتِراً، وَيقُولُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّهكُّمِ والسُّخْرِيَةِ مِنْهُ: يَحُقُّ لَكَ أَنْ تَمْشِيَ مُتَبَخْتِراً مُخْتالاً وَقَدْ كَفَرْتَ بِاللهِ رَبِّكَ.

أَوْلَى لَكَ ـ قَارَبَكَ مَا يُهْلِكُكَ.

ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾

(٣٥) ـ وَكَرَّرَ اللهُ تَعَالَى تَهْدِيدَهُ وَتَهكُّمَهُ عَلَى هَذَا المُجْرِمِ المُتَبَخْتِرِ المُتَكَبِّرِ.

(وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِ أَبِي جَهْلٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ وَالتِي قَبْلَهَا.

فَقَالَ لَهُ عَدُوُّ اللهِ: أَتُهَدِّدُنِي يَا مُحَمَّدُ؟ وَاللهِ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلاَ رَبُّكَ شَيْئاً وَإِنِّي لأَعَزُّ مَنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْهَا).

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾

(الإِنْسَانُ)

(٣٦) ـ أَيَظُنُّ الإِنْسَانُ المُنْكِرُ لِلْبَعْثِ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُ بِغَيْرِ غَايَةٍ، وَأَنَّهُ يَتْرُكُهُ وَشَأْنَهُ فِي الحَيَاةِ يَفْعَلُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، لاَ يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ، وَلاَ يُنْهَى عَنْ نَهْيٍ، وَلاَ يُبْعَثُ وَلاَ يُحَاسَبُ؟

كَلاَّ إِنَّهُ لَنْ يُتْرَكَ سُدًى، وَسَيُبْعَثُ وَسَيُحَاسَبُ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ.

يُتْرَكَ سُدًى ـ مُهْمَلاً فَلا يُكَلَّفُ وَلاَ يُجَازَى.

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾

(٣٧) ـ وَيُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ كَيفَ بَدَأَ اللهُ خَلْقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يَقْذِفُهُ الرَّجُلُ فِي رَحِمِ الأُنْثَى، فَالذِي بَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ، لأَنَّ الإِعَادَةَ أَهْوَنُ مِنَ البَدْءِ.

مَنِيٍّ يُمْنَى ـ يُصَبُّ فِي الأَرْحَامِ.

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾

(٣٨) ـ ثُمَّ جَعَلَ اللهُ النُّطْفَةَ عَلَقَةً، ثُمَّ تَدَرَّجَ فِي خَلْقِهِ حَتَّى سَوَّاهُ، وَأَخْرَجَهُ طِفْلاً كَامِلَ الخَلْقِ.

فَسَوَّى ـ فَعَدَلَهُ وَكَمَّلَهُ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ.

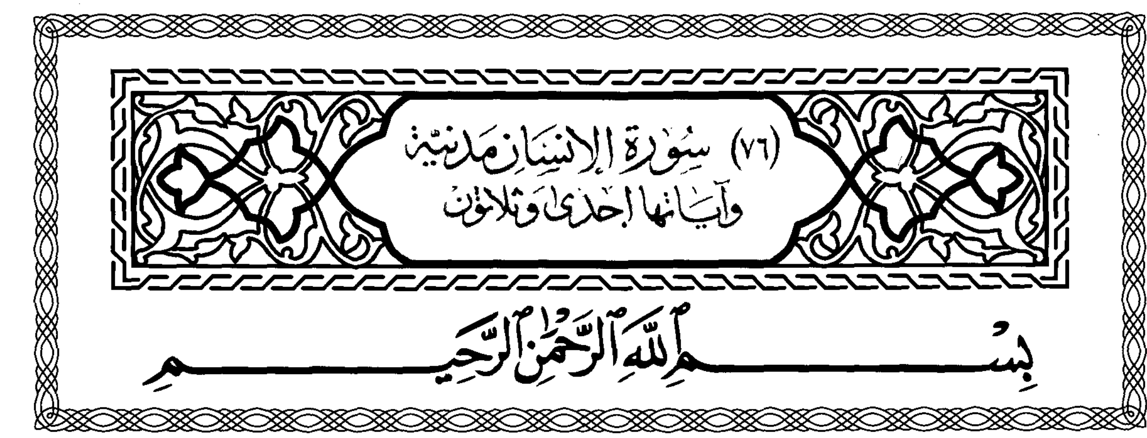
فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾

(٣٩) ـ وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى المَوَالِيدَ ذُكُوراً وَإِنَاثاً، لِتَسْتَمِرَّ الحَيَاةُ عَلَى الأَرْضِ عَنْ طَرِيقِ التَّزَاوُجِ بَيْنَ الذُّكُورِ والإِنَاثِ.

أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

(بِقَادِرٍ)

(٤٠) ـ أَلَيْسَ الذِي أَنْشَأَ هَذَا الخَلْقَ، مِنْ هَذِهِ النُّطْفَةِ الضَّعِيفَةِ، بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُعِيدَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى؟ مَعَ أَنَّ الإِعَادَةَ أَهْوَنُ مِنَ الابْتِدَاءِ؟.



١ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا

(الإِنْسَانِ)

(١) ـ يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ وَأَوْجَدَهُ مِنْ عَدَمٍ ، وَيَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ : أَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ مَضَى عَلَيْهِ حِينٌ مِنَ الزَّمَانِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ الرُّوحَ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذٰلِكَ شَيْئاً يُعْرَفُ فَيُذْكَرُ اسْمُهُ؟.

٢ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

(الإِنْسَانَ) (فَجَعَلْنَاهُ)

(٢) ـ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ذَاتِ عَنَاصِرَ شَتَّى ، اخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، لِنَخْتَبِرَهُ بِالتَّكْلِيفِ إِذَا شَبَّ وَبَلَغَ الحُلُمَ ، وَنَرَى هَلْ يَشْكُرُ رَبَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقٍ وَرِزْقٍ وَصِحَّةٍ ، أَمْ يَكْفُرُ؟ وَجَعَلْنَاهُ ذَا سَمْعٍ لِيَسْتَطِيعَ سَمَاعَ الآيَاتِ ، وَجَعَلْنَاهُ ذَا بَصَرٍ لِيَسْتَطِيعَ رُؤْيَةَ الدَّلَائِلِ ، فَيَتَفَكَّرَ وَيَتَدَبَّرَ.

أَمْشَاجٍ ـ أَخْلَاطٍ مَمْزُوجَةٍ مُتَبَايِنَةِ الصِّفَاتِ وَالمَصَادِرِ.

نَبْتَلِيهِ ـ نَخْتَبِرُهُ بِالتَّكَالِيفِ.

٣ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

(هَدَيْنَاهُ)

(٣) ـ وَأَعْطَيْنَاهُ العَقْلَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرَ لِيُدْرِكَ وَيَعْقِلَ ، وَبَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الهُدَى وَطَرِيقَ الضَّلَالِ لِيَخْتَارَ بِطَوْعِهِ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَبَيْنَ الهُدَى وَالمَعْصِيَةِ ، فَمَنْ آمَنَ بِرَبِّهِ شَكَرَ ، وَمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِ جَحَدَ وَكَفَرَ النِّعْمَةَ.

هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ـ بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الهِدَايَةِ وَالضَّلَالِ.

٤ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا

(لِلْكَافِرِينَ) (سَلَاسِلَ) (أَغْلَالاً)

(٤) ـ إِنَّا أَعْدَدْنَا وَهَيَّأْنَا لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَتِنَا ، وَخَالَفَ أَمْرَنَا ، سَلَاسِلَ يُقَادُ بِهَا إِلَى الجَحِيمِ ، وَأَغْلَالاً تُشَدُّ بِهَا أَيْدِيهِ إِلَى عُنُقِهِ ، وَنَاراً يُعَذَّبُ فِيهَا .

الأَغْلَالُ ـ جَمْعُ غُلٍّ ـ القَيْدُ الذي يَجْمَعُ اليَدَيْنِ إِلَى العُنُقِ.

السَّعِيرُ ـ النَّارُ المُلْتَهِبَةُ.

٥ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا

٦ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

٧ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا

٨ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

٩ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا

١٠ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

١١ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا

١٢ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا

(٥) - إِنَّ الكِرَامَ البَرَرَةَ الذِينَ أَطَاعُوا اللهَ، يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ كَانَ مَا يُمْزَجُ بِهَا مَاءَ الكَافُورِ.

مِنْ كَأْسٍ - مِنْ خَمْرٍ أَوْ مِنْ كَأْسٍ فِيهَا خَمْرٌ.

مِزَاجُهَا - مَا تُمْزَجُ بِهِ.

(٦) - وَهَـذَا المِزَاجُ مِنْ عَيْنٍ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ المُتَّقُونَ، وَهُمْ فِي الجَنَّاتِ يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاؤُوا، وَيُجْرُونَها حَيْثُ أَرَادُوا مِنْ دُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ.

التَّفْجِيرُ - إِجْرَاءُ المَاءِ إِلَى المَنَازِلِ.

(٧) - وَهَؤُلاَءِ الأَبْرَارُ يُوفُونَ بِمَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ نُذُورٍ، لأَنَّ مَنْ أَوْفَى بِمَا أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ أَكْثَرَ وَفَاءً بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَيَتْرُكُونَ المُحَرَّمَاتِ التِي نَهَاهُمْ رَبُّهُمْ عَنْهَا، خِيفَةَ سُوءِ الحِسَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ يَكُونُ ضَرَرُهُ مُنْتَشِراً فَاشِياً عَامّاً عَلَى النَّاسِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ.

مُسْتَطِيراً - فَاشِياً عَامّاً.

(٨) - وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ، مَعَ شَهْوَتِهِمْ لَهُ، وَرَغْبَتِهِمْ فِيهِ، لِلْفَقِيرِ العَاجِزِ عَنِ الكَسْبِ (المِسْكِينِ)، وَاليَتِيمِ الـذِي مَـاتَ أَبُـوهُ، وَهُـوَ دُونَ سِنِّ البُلُوغِ وَالأَسِيرِ العَانِي الذِي لاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ قُوتاً.

(٩) - وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُطْعِمُونَ الفُقَرَاءَ وَالمَسَاكِينَ وَالأَيْتَامَ وَالأَسْرَى، لأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ ثَوَابَ اللهِ وَرِضْوَانَهُ وَحْدَهُ، لاَ يَطْمَعُونَ فِي جَزَاءٍ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ عَلَى إِنْفَاقِهِمْ، وَلاَ فِي شُكْرٍ مِنَ المُنْفَقِ عَلَيْهِ.

(١٠) - وَإِنَّنَا إِنَّمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَرْحَمَنَا رَبُّنَا فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ طَوِيلٌ عَصِيبٌ، تَعْبَسُ فِيهِ الوُجُوهُ وَتَكْلَحُ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهِ.

العَبُوسُ - الذِي تَعْبَسُ فِيهِ الوُجُوهُ مِنَ الهَوْلِ.

قَمْطَرِيراً - الطَّوِيلَ، وَقِيلَ هُوَ الشَّدِيدُ العَصِيبُ.

(فَوَقَاهُمْ) (لَقَّاهُمْ)

(١١) - فَـآمَنَهُمُ اللهُ شَرَّ مَـا خَافُـوهُ، وَأَعْطَاهُمْ أَمْنـاً تَكُونُ لَـهُ وُجُـوهُهُمْ نَضِرَةً، وَسُرُوراً تُسَرُّ بِهِ قُلُوبُهُمْ؛ وَالقَلْبُ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ الوَجْهُ.

نَضْرَةً وَسُرُوراً - حُسْناً وَبَهْجَةً فِي الوُجُوهِ.

(جَزَاهُمْ)

(١٢) - وَجَزَاهُمُ اللهُ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الإِيْثَـارِ، وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْـهِ مِنَ الجُوعِ وَالعُرْيِ، جَنَّةً لَهُمْ فِيهَا مَنْزِلٌ رَحْبٌ، وَعَيْشٌ رَغْدٌ، وَلِبَاسٌ مِنْ حَرِيرٍ.

(١٣) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا

(١٤) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا

(١٥) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠

(١٦) قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا

(١٧) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا

(١٨) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا

(١٩) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

(الأَرائِكِ)

(١٣) - وَيَجْلِسُونَ فِي الجَنَّةِ عَلَى السَّرَائِرِ وَالأَرائِكِ، وَهُمْ مُتَّكِئُونَ فِي وَضع مَنْ هُوَ مُرْتَاحٌ مُنعَّمٌ، لاَ يُقَاسُونَ حَرّاً مُزْعِجاً، وَلاَ بَرْداً مُؤْلِماً.

الزَّمْهَرِيرُ - الشَّدِيدُ البُرُودَةِ.

(ظِلاَلُهَا)

(١٤) - وَتَدْنُو أَشْجَارُ الجَنَّةِ بِظِلاَلِهَا عَلَى هَؤُلاَءِ الأَبْرَارِ السُّعَدَاءِ، وَتُسَخَّرُ قُطُوفَهَا لأَمْرِهِمْ لِيَنَالُوا مِنْهَا مَا شَاؤُوا.

ذُلِّلَتْ - أُخْضِعَتْ وَسُخِّرَتْ وَقُرِّبَتْ مِنْ مُتَنَاوَلِهِمْ.

(بِآنِيَةٍ)

(١٥) - وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ خَدَمُ الجَنَّةِ بِأَوَانِي الطَّعَامِ، وَهِيَ مِنْ فِضَّةٍ خَالِصَةٍ، وَبِأَكْوَابِ الشَّرَابِ، وَهِيَ أَيْضاً مِنْ فِضَّةٍ، وَقَدْ جُعِلَتْ هَذِهِ الأَكْوَابُ جَامِعَةً بَيَاضَ الفِضَّةِ، وَصَفَاءَ الزُّجَاجِ وَشَفَافِيَّتَهُ.

أَكْوَابٍ - أَقْدَاحٍ بِلاَ عُرًى.

قَوَارِيرَ - كَالزُّجَاجَاتِ فِي الصَّفَاءِ.

(١٦) - وَهَذِهِ القَوَارِيرُ يَحْمِلُهَا إِلَيهِم السُّعَاةُ وَقَدْ قَدَّرُوا مَا صَبُّوهُ فِيهَا عَلَى قَدَرِ كِفَايَةِ الشَّارِبِينَ وَرِيِّهِمْ، لاَ تَزِيدُ وَلاَ تَنْقُصُ.

قَدَّرُوهَا - جَعَلُوا شَرَابَهَا عَلَى قَدَرِ الرِّيِّ.

(١٧) - وَيُسْقَى هَؤُلاَءِ الأَبْرَارُ فِي الجَنَّةِ كَأْساً مِنْ خَمْرِ الجَنَّةِ مُزِجَتْ بِالزَّنْجَبِيلِ (فَهُمْ يُمْزَجُ الشَّرَابُ لَهُمْ مَرَّةً بِالكَافُورِ وَمَرَّةً بِالزَّنْجَبِيلِ فَالكَافُورُ بَارِدٌ وَالزَّنْجَبِيلُ حَارٌّ).

(١٨) - وَيُسْقَوْنَ فِي الجَنَّةِ مِنْ عَيْنٍ غَايَةٍ فِي السَّلاَسَةِ وَالاسْتِسَاغَةِ.

سَلْسَبِيلاً - سَلِساً مُسْتَسَاغاً.

(وِلْدَانٌ)

(١٩) - وَيَطُوفُ عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ غِلْمَانٌ (وِلْدَانٌ) يَخْدِمُونَهُمْ، وَهُمْ شَبَابٌ، وُجُوهُهُمْ نَضِرَةٌ، كَأَنَّهُمْ لِحُسْنِ أَلْوَانِهِمْ، وَنَضْرَةِ وُجُوهِهِمْ، وَكَثْرَةِ انْتِشَارِهِمْ فِي قَضَاءِ الحَاجَاتِ، اللُّؤْلُؤُ المَنْثُورُ، وَهُمْ لاَ يَهْرَمُونَ وَلاَ يَشِيبُونَ، وَلاَ تَتَبَدَّلُ أَحْوَالُهُمْ.

مُخَلَّدُونَ - لاَ يَشِيبُونَ وَلاَ يَهْرَمُونَ.

وِلْدَانٌ - غِلْمَانٌ لِلْخِدْمَةِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ المُبَكِّرِ.

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

(٢٠) - وإذا نظرت إلى أهلِ الجنّةِ، وما هُمْ عليهِ منْ نعيمٍ في الجنّةِ، لرأيتَ نعيماً عظيماً، ومُلكاً كبيراً لا يُحيطُ بهِ وصفٌ.

عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

(عَالِيَهُمْ) (سَقَاهُمْ)

(٢١) - ويَلْبَسُ أهلُ الجنّةِ الرَّفيعَ منَ الحريرِ، ممّا يلي أبدانَهُمْ كالقُمْصانِ ونحوِها، ويَلْبَسونَ الثّيابَ التي لها لَمعانٌ وبريقٌ، ممّا يلي الخارجَ، ويتحلَّوْنَ بأساورَ منْ فضّةٍ، ويَسْقيهِمْ ربُّهُمْ شراباً طَهوراً يُطهِّرُ باطنَ شاربِهِ منَ الحَسَدِ، والحِقْدِ، والغِلِّ، ورَديءِ الأخلاقِ.

السُّنْدُسُ - الرَّفيعُ منْ نسجِ الحريرِ.

الإِسْتَبْرَقُ - الثّيابُ التي لها لمعانٌ وبريقٌ أوْ هيَ الدّيباجُ الغليظُ.

إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

(٢٢) - ويُقالُ لهُمْ تكريماً: إنَّ هذا الذي أُعطيتُموهُ منَ الكرامةِ إنّما كانَ ثواباً لكُمْ على أعمالِكُمُ الصّالحاتِ في الدُّنيا، وقدْ شكرَ اللهُ لكُمْ سعيَكُمْ فأثابَكُمْ عليهِ في الآخرةِ ثواباً حسناً.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾

(القُرْآنَ)

(٢٣) - إنّا أنزلْنا عليكَ - يا مُحمّدُ - القرآنَ مُنجَّماً بحسبِ الحوادثِ والوقائعِ، ليكونَ أسهلَ فهماً، وأكثرَ تثبيتاً للمؤمنينَ.

تنزيلاً - شيئاً فشيئاً.

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

(آثِماً)

(٢٤) - فاصبرْ على قضاءِ اللهِ وقدرِهِ، واعلمْ أنّهُ سيُدبِّرُكَ بحسنِ تدبيرِهِ، ولا تُطعِ الكافرينَ، ولا تُطعِ المنافقينَ، إنْ أرادوا صدَّكَ عمّا أُنزلَ إليكَ، بلْ قُمْ بإبلاغِ رسالةِ ربِّكَ، وتوكّلْ على اللهِ فإنّهُ عاصِمُكَ منَ النّاسِ.

الآثِمُ - الفاجرُ في أفعالِهِ الكثيرُ الإثمِ.

الكَفُورُ - الكافرُ قلبُهُ.

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

(٢٥) - ودُمْ على ذكرِ ربِّكَ وتسبيحِهِ في البُكورِ وفي الأصائلِ أيْ في جميعِ الأوقاتِ.

الأصِيلُ - وقتُ ميلِ الشّمسِ للغروبِ - العصرُ.

البُكْرَةُ - أوّلُ النّهارِ.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

(اللّيْلِ)

(٢٦) - وصلِّ بعضَ اللّيلِ، كصلاةِ المغربِ والعشاءِ، وتهجّدْ لربِّكَ طائفةً منَ اللّيلِ.

﴿٢٧﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا

(٢٧) - إنَّ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ يُحِبُّونَ الدُّنْيَا العَاجِلَةَ، وَتُعْجِبُهُمْ زِينَتُهَا وَفِتْنَتُهَا وَلَذَّاتُهَا، وَيَتْرُكُونَ وَرَاءَ ظُهُورِهِم العَمَلَ لِلْيَوْمِ الآخِرِ، وَهُوَ يَوْمٌ ثَقِيلٌ عَلَى الكَافِرِينَ.

يَوْماً ثَقِيلاً - هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ الشَّدِيدُ الأَهْوَالِ.

﴿٢٨﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا

(خَلَقْنَاهُمْ) (أَمْثَالَهُمْ)

(٢٨) - وَكَيْفَ يَغْفُلُ هَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ عَنْ رَبِّهِمْ، وَهُوَ الذِي خَلَقَهُمْ، وَأَحْكَمَ خَلْقَهُمْ، وَشَدَّ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِأَرْبِطَةٍ وَعَضَلَاتٍ وَأَعْصَابٍ.. وَإِذَا شَاءَ اللهُ أَهْلَكَهُمْ وَاسْتَبْدَلَ غَيْرَهُمْ مِنَ الخَلْقِ بِهِمْ.

شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ - أَحْكَمْنَا خَلْقَهُمْ.

﴿٢٩﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا

(٢٩) - إنَّ هَذِهِ السُّورَةَ بِمَا فِيهَا مِنْ تَرْتِيبٍ بَدِيعٍ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ، تَذْكِرَةٌ لِلْمُتَأَمِّلِينَ، وَتَبْصِرَةٌ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ، فَمَنْ شَاءَ الخَيْرَ لِنَفْسِهِ فَلْيَتَقَرَّبْ إِلَى رَبِّهِ بِالطَّاعَةِ، وَلْيَتَّبِعِ الهُدَى الذِي جَاءَ فِي القُرْآنِ.

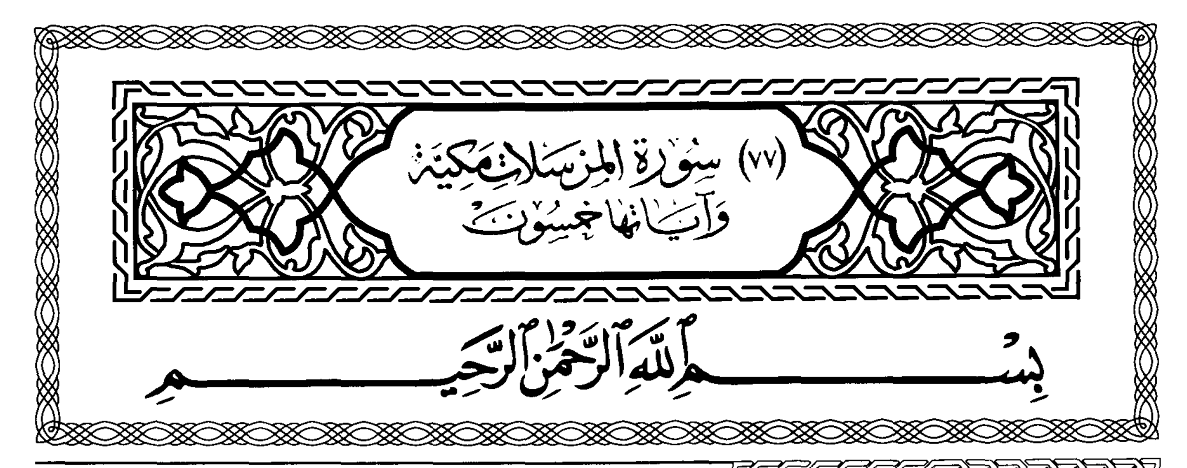
﴿٣٠﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

(٣٠) - إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ سُلُوكَ سَبِيلِ الخَيْرِ وَالنَّجَاةِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ تَوْفِيقَكُمْ لِذَلِكَ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ فَيُيَسِّرُهَا لَهُ، وَيُقَيِّضُ لَهُ أَسْبَابَهَا، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الغَوَايَةَ، فَيَصْرِفُهُ عَنِ الهُدَى، وَللهِ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ.

﴿٣١﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(الظَّالِمِينَ)

(٣١) - وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَمَنْ يَهْدِهِ اللهُ وَيُدْخِلْهُ فِي رَحْمَتِهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ؛ وَالذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَمَاتُوا عَلَى شِرْكِهِمْ، أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَاباً أَلِيماً مُوجِعاً.



وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾

(الْمُرْسَلاتِ)

(١) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِالرِّيَاحِ التِي تَهُبُّ شَيْئاً فَشَيئاً، وَكَأَنَّهَا عُرْفُ الفَرَسِ.

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ المُرْسَلاتِ هُم المَلائِكَةُ الذِينَ يُرْسِلُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالإِحْسَانِ وَالمَعْرُوفِ إِلَى خَلْقِهِ).

عُرْفُ الفَرَسِ - شَعْرُ رَقَبَتِهَا.

فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾

(فَالْعَاصِفَاتِ)

(٢) - وَهَذِهِ الرِّيَاحُ تَهُبُّ هُبُوباً عَاصِفاً يُحْدِثُ صَوْتاً.

وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾

(النَّاشِرَاتِ)

(٣) - وَهَذِهِ الرِّيَاحُ تَنْشُرُ السَّحَابَ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى.

فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾

(فَالْفَارِقَاتِ)

(٤) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِالمَلائِكَةِ التِي تَتَنَزَّلُ بِأَمْرِهِ تَعَالَى عَلَى الرُّسُلِ، لِتَفْرِقَ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وَالهُدَى والضَّلاَلِ.

فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾

(فَالْمُلْقِيَاتِ)

(٥) - وَهؤُلاَءِ المَلاَئِكَةُ يُلْقُونَ إِلَى الرُّسُلِ وَحْياً مِنَ اللهِ لِتَذْكِيرِ العِبَادِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ.

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾

(٦) - وَهَذَا الوَحْيُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِعْذَاراً إِلَى الخَلْقِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ إِنْذَاراً لَهُمْ بِعِقَابِ اللهِ، إِنْ هُمْ خَالَفُوا أَمْرَهُ.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾

فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾

وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾

وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾

لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾

لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾

(لواقِعٌ) (إنَّ مَا)

(٧) ـ أَقْسَمَ تَعالَى بِجميعِ مَا تَقَدَّمَ عَلَى أَنَّ مَا وَعَدَ بِـهِ الخَلْقَ مِنْ قِيَامِ السَّـاعَةِ، وَالبَعْثِ، وَالحَشْرِ، وَالحِسَـابِ، وَالعِقَـابِ.. كُلُّهُ كَـائِنٌ لاَ مَحالَةَ. (وهَذَا جَوابُ القَسَمِ).

(٨) ـ فإذَا ذَهَبَ ضَوْءُ النُّجُومِ.

طُمِسَتْ ـ ذَهَبَ ضَوْؤُهَا.

(٩) ـ وإذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَتَدَلَّتْ أَطْرَافُهَا وَوَهَتْ أَرْجَاؤُهَا.

فُرِجَتْ ـ تشقَّقَتْ وَتَدَلَّتْ أَطْرَافُهَا.

(١٠) ـ وَإِذَا سُيِّـرَتِ الجِبَالُ، وَفَرَّقَتْهَـا الرِّيَـاحُ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ.

سُيِّرَتْ ـ قُلِعَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا بِسُرْعَةٍ.

(١١) ـ وَإِذَا جُمِعَ الرُّسُلُ لِمِيقَاتِ يَومٍ مَعْلُومٍ، هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، لِلْفَصْلِ بيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ، وَلِلشَّهَادَةِ عَلَى أَقْـوامِهِمْ، وَمَا أَجَـابُوهُمْ بِـهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أُقِّتَتْ ـ جُعِلَ لَهُمْ مِيقَاتٌ.

(١٢) ـ وَلأَيِّ يَـومٍ أُجِّلَتِ الأُمُـورُ المُتَعَلِّقَـةُ بِـالفَصْـلِ بَيْنَ الـرُّسُـلِ وَخُصُومِهِمْ؟..

(١٣) ـ إِنَّهَا أُجِّلَتْ لِيَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الفَصْلِ الذِي يَفْصِلُ فِيهِ اللهُ بَيْنَ الخَلاَئِقِ، وَهُوَ اليَوْمُ الذِي أُجِّلَ اجْتِمَاعُ الرُّسُلِ إِلَيْهِ.

(أَدْرَاكَ)

(١٤) ـ وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ مَا هُوَ يَوْمُ الفَصْلِ هَذَا، فِي شِدَّتِـهِ، وَعِظَمِ أَهْوَالِهِ؟.

(يَوْمَئِذٍ)

(١٥) ـ الوَيْلُ وَالهَلاَكُ وَالخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَبِكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ إِلَيْهِمْ، وَأَخْبَرُوهُمْ بِهِ.

(١٦) ـ كَيْفَ تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَـا المُشْرِكُـونَ، وَكَيْفَ تُكَذِّبُـونَ بِالـرُّسُلِ، وَالآيَاتِ، وَبِيَوْمِ المَعَادِ؟ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّـا أَهْلَكْنَا المُكَـذِّبِينَ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ؟ وَأَنَّ سُنَّتَنَا جَرَتْ بِذَلِكَ؟.

(١٧) ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ

(١٨) كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ

(١٩) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ

(٢٠) أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ

(٢١) فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ

(٢٢) إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ

(٢٣) فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ

(٢٤) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ

(٢٥) أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا

(٢٦) أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا

(الآخِرِينَ)

(١٧) - ثُمَّ نَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الآخِرِينَ، وَنَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ، لِأَنَّهُمْ فَعَلُوا كَفِعْلِهِمْ.

(١٨) - وَهَذِهِ هِيَ سُنَّتُنَا وَاحِدَةٌ فِي جَمِيعِ المُجْرِمِينَ، فَكَمَا أَهْلَكْنَا المُتَقَدِّمِينَ لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالآخِرِينَ.

(يَوْمَئِذٍ)

(١٩) - الوَيْلُ وَالهَلاكُ والخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ.

(٢٠) - وَيَلْفِتُ اللهُ تَعَالَى أَنْظَارَ هَؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ إِلَى أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ مَاءٍ ضَعِيفٍ حَقِيرٍ (مَهِينٍ)، هُوَ المَنِيُّ الذِي يَقْذِفُهُ الرَّجُلُ فِي رَحِمِ الأُنْثَى.

(فَجَعَلْنَاهُ)

(٢١) - وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى هَذَا المَاءَ الضَّعِيفَ المَهِينَ فِي الرَّحِمِ فِي مَكَانٍ أَمِينٍ مِنْ جِسْمِ الأُنْثَى، لَا يَتَأَثَّرُ بِالصَّدَمَاتِ، لِيَتِمَّ خَلْقُهُ.

(٢٢) - وَيَبْقَى هَذَا المَاءُ مُودَعاً فِي الرَّحِمِ مُدَّةً مَعْلُومَةً حَتَّى يَتَكَامَلَ خَلْقُ الطِّفْلِ، وَيَخْرُجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ كَامِلَ الخَلْقِ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ.

(القَادِرُونَ)

(٢٣) - وَقَدْ قَدَّرْنَا خَلْقَكُمْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَنِعْمَ المُقَدِّرُونَ. أَفَلَا يَسْتَحِقُّ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الخَلْقِ الشُّكْرَ مِنْكُمْ عَلَى هَذِهِ النِعَمِ العَظِيمَةِ؟ وَكَيْفَ تُقَابِلُونَ نِعَمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ بِالكُفْرَانِ وَالجُحُودِ؟

فَقَدَرْنَا - فَقَدَّرْنَا ذَلِكَ تَقْدِيراً.

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٤) - الوَيْلُ وَالهَلاكُ والخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ، وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَنِعَمِهِ.

(٢٥) - أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً لَكُمْ فَتَكْفِتُكُمْ وَتَجْمَعُكُمْ؟

كَفَتَ الشَّيْءَ - ضَمَّهُ وَجَمَعَهُ.

كِفَاتاً - وِعَاءً يَكْفِتُ وَيَضُمُّ وَيَجْمَعُ.

(أَمْوَاتاً)

(٢٦) - فَتَجْمَعُكُمْ أَحْيَاءً عَلَى ظَهْرِهَا، وَتَجْمَعُكُمْ أَمْوَاتاً فِي بَاطِنِهَا.

(٢٧) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا

(٢٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

(٢٩) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ

(٣٠) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ

(٣١) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ

(٣٢) إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ

(٣٣) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ

(٣٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

(٣٥) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ

(٣٦) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ

(رَواسِيَ) (شَامِخَاتٍ) (أَسْقَيْنَاكُمْ)

(٢٧) - وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ جِبالاً ثَوابِتَ عَالِيَاتٍ، لِئَلاَّ تَمِيدَ بِكُمْ، وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً عَذْباً سَائِغاً.

فُراتاً - عَذْباً سَائِغاً حُلْواً.

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٨) - الوَيْلُ وَالهَلاَكُ وَالخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ، وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَنِعَمِهِ.

(٢٩) - وَيَقُولُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ لِهَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ: سِيرُوا إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ التِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِوُجُودِهَا، حِينَمَا كُنْتُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.

(ثَلاَثِ)

(٣٠) - انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ دُخَانِ نَارِ جَهَنَّمَ المُتَشَعِّبِ إِلَى ثَلاَثِ شُعَبٍ: شُعْبَةٍ عَنْ يَمِينِهِمْ، وَشُعْبَةٍ عَنْ شِمَالِهِمْ، وَشُعْبَةٍ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ.
(أَيْ إِنَّ الدُّخَانَ مُحِيطٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا).

(٣١) - وَهَذَا الظِّلُّ لَيْسَ بِظَلِيلٍ، أَيْ إِنَّهُ لاَ يُعْطِي ظِلاًّ يَقِي مِنْ حَرِّ ذَلِكَ اليَوْمِ، وَلاَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ حَرَّ لَهَبِ جَهَنَّمَ، الذِي هُمْ مُقِيمُونَ فِيهِ.

(٣٢) - وَنَارُ جَهَنَّمَ، التِي تُحْدِثُ هَذَا الظِّلَّ مِنَ الدُّخَانِ، يَتَطَايَرُ مِنْهَا شَرَرٌ مُتَفَرِّقٌ فِي جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَأَنَّهُ القَصْرُ عِظَماً وَارْتِفَاعاً.

الشَّرَرُ - مَا يَتَطَايَرُ مِنَ النَّارِ مُتَفَرِّقاً.

كَالقَصْرِ - كُلُّ شَرَارَةٍ مِنْهُ كَالبِنَاءِ المُشَيَّدِ فِي العِظَمِ وَالارْتِفَاعِ.

(جِمَالَةٌ)

(٣٣) - وَكَأَنَّهُ الجِمَالُ الصُّفْرُ لَوْناً وَكَثْرَةً.
(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ مَعْنَى (جِمَالَةٌ صُفْرٌ) هُوَ حِبَالُ السُّفُنِ الغَلِيظَةِ).

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٤) - الوَيْلُ وَالهَلاَكُ وَالخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَنِعَمِهِ.

(٣٥) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ لاَ يَتَكَلَّمُ هَؤُلاَءِ المُجْرِمُونَ مِنَ الخِزْيِ وَالرُّعْبِ وَالدَّهَشِ الذِي يُصِيبُهُمْ، وَلاَ يَقُولُونَ قَوْلاً يَنْفَعُهُمْ.

(٣٦) - وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ بِالاعْتِذَارِ، لِيَعْتَذِرُوا، لأَنَّهُمْ لاَ عُذْرَ لَهُمْ فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ، وَوَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا، فَهُمْ لاَ يَنْطِقُونَ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٧) - الوَيْلُ وَالهَلاَكُ وَالخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾

(جَمَعْنَاكُمْ)

(٣٨) - هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ وَالقَضَاءِ بَيْنَ الخَلاَئِقِ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ فِيهِ الخَلاَئِقَ أَجْمَعِينَ بِقُدْرَتِهِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾

(٣٩) - فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ، يَا أَيُّهَا المُكَذِّبُونَ، حِيلَةٌ لِدَفْعِ العَذَابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلإِنْقَاذِهَا مِنْ قَبْضَةِ اللهِ تَعَالَى، فَجَرِّبُوهَا؛ إِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ.
كَيْدٌ - حِيلَةٌ لاتِّقَاءِ العَذَابِ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾

(٤٠) - الوَيْلُ وَالهَلاَكُ وَالخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَنِعَمِهِ.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١﴾

(ظِلاَلٍ)

(٤١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ مُقَامِ المُتَّقِينَ الأَبْرَارِ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، فَيَذْكُرُ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي الجَنَّاتِ فِي ظِلاَلٍ كَرِيمَةٍ، وَعُيُونِ مَاءٍ جَارِيَةٍ، وَيَنْعَمُونَ بِمَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِم الصَّالِحَاتِ وَإِيْمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَى رُسُلِهِ.

﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾

(فَوَاكِهَ)

(٤٢) - وَيَتَخَيَّرُونَ مِنَ الفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾

(٤٣) - وَيُقَالُ لَهُمْ: كُلُوا مِنَ هَذِهِ الفَوَاكِهِ، وَاشْرَبُوا مِنْ هَذِهِ العُيُونِ، وَتَفَيَّؤُوا هَذِهِ الظِّلاَلَ وَاهْنَؤُوا بِمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، فَذَلِكَ جَزَاءٌ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَى أَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي قَدَّمْتُمُوهَا فِيهَا.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤﴾

(٤٤) - وَكَمَا جَزَى اللهُ تَعَالَى هَؤُلاَءِ المُتَّقِينَ بِالجَنَّاتِ وَالعُيُونِ وَالفَوَاكِهِ، فَإِنَّ اللهَ يَجْزِي بِمِثْلِ ذَلِكَ الجَزَاءِ، أَهْلَ الإِحْسَانِ لإِيْمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَطَاعَتِهِمْ، وَإِحْسَانِهِمْ إِلَى خَلْقِ اللهِ تَعَالَى.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥﴾

(٤٥) - الوَيْلُ وَالهَلاَكُ وَالخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَبِكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَنِعَمِهِ.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

(٤٦) - وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى المُكَذِّبِينَ فَيَقُولُ لَهُمْ، كُلُوا وَتَمَتَّعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ مُدَّةَ الآجَالِ البَاقِيَةِ لَكُم فِيهَا، وَهِيَ قَلِيلَة عَلَى كُلِّ حَالٍ، ثُمَّ تُسَاقُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ لِأَنَّكُمْ مُجْرِمُونَ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

(٤٧) - الوَيْلُ وَالهَلاَكُ وَالخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَنِعَمِهِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

(٤٨) - وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ الكَافِرِينَ بِاللهِ: آمِنُوا بِاللهِ وَاعْبُدُوهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ، وَاحْذَرُوا عَذَابَهُ فِي الآخِرَةِ، اسْتَكْبَرُوا، وَأَصَرُّوا عَلَى عِنَادِهِمْ، وَلَمْ يُؤَدُّوا الصَّلاَةَ.

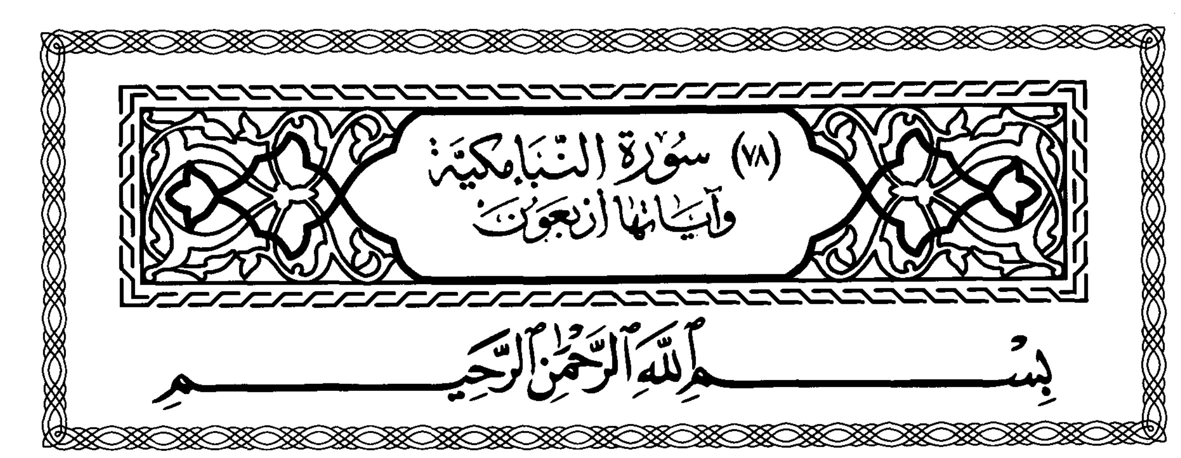
(أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَقِيفاً بِالصَّلاَةِ فَقَالُوا: لاَ نَحْبُو - أَيْ لاَ نَرْكَعُ - فَإِنَّهَا سُبَّةٌ عَلَيْنَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ وَلاَ سُجُودٌ).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾

(٤٩) - الوَيْلُ وَالهَلاَكُ وَالخِزْيُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَنِعَمِهِ.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

(٥٠) - وَإِذَا لَمْ يُؤْمِنْ هَؤُلاَءِ بِهَذِهِ الحُجَجِ وَالآيَاتِ وَالدَّلاَئِلِ عَلَى جَلاَئِهَا وَوُضُوحِهَا، فَبِأَيِّ كَلاَمٍ بَعْدَ هَذَا يُصَدِّقُونَ؟.



الجزء ٣٠
الحزب ٥٩

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾

(١) - كَانَ المُشْرِكُونَ كُلَّمَا اجْتَمَعُوا فِي نَادٍ مِنَ نَوَادِيهِمْ تَحَدَّثُوا فِي شَأْنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَفِيمَا جَاءَ بِهِ، وَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَسْأَلُونَ غَيْرَهُمْ فَيَقُولُونَ: أَسَاحِرٌ هُوَ أَمْ شَاعِرٌ؟ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ؟ وَيَتَحَدَّثُونَ فِي شَأْنِ القُرْآنِ فَيَقُولُونَ: أَهُوَ سِحْرٌ، أَمْ كِهَانَةٌ؟.

وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فِي شَأْنِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ البَعْثَ وَيَزْعُمُ أَنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا انْتَهَى أَمْرُهُمْ (وَمَا هِيَ إِلاَّ أَرْحَامٌ تَدْفَعُ وَأَرْضٌ تَبْلَعُ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ).

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقُولُ إِنَّ الأَرْوَاحَ هِيَ التِي تُبْعَثُ لاَ الأَجْسَادُ.

وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ رَدّاً عَلَى هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَتَكْذِيباً لَهُمْ، وَإِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُشْرِكِينَ تَسَاؤُلَهُمْ عَنْ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَوْعِدِ حُلُولِهِ، وَهُمْ يَسْأَلُونَ مُسْتَبْعِدِينَ حُدُوثَهُ، فَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: عَمَّ يَتَسَاءَلُ هَؤُلاَءِ الجَاحِدُونَ؟

عَمَّ - عَنْ أَيِّ شَيءٍ عَظِيمِ الشَّأْنِ يَسْأَلُونَ.

(النَّبَأ)

عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾

(٢) - إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنِ الخَبَرِ العَظِيمِ الهَائِلِ خَبَرِ البَعْثِ الذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ؟

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾

(٣) - الذِي اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِهِ، فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ مُسْتَحِيلُ الوُقُوعِ، وَمِنْ شَاكٍّ فِي أَمْرِهِ.

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

(٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَمَا زَعَمَ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّهُ لاَ بَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ، وَلاَ نُشُورَ (كَلاَّ)، فَهُنَاكَ بَعْثٌ، وَهُنَاكَ حِسَابٌ،

وَيَتَهَدَّدُ اللهُ تَعَالَى المُنْكِرِينَ المُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، حِينَمَا يُعَايِنُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَحِينَ يُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَمَّا اكْتَسَبَ مِنْ عَمَلٍ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

كَلَّا - رَدْعٌ وَزَجْرٌ عَنِ الاخْتِلَافِ فِيهِ.

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

(٥) - ثُمَّ كَرَّرَ اللهُ تَعَالَى تَهْدِيدَهُ لِهَؤُلَاءِ المُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ بِدُونِ شَكٍّ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، عِنْدَمَا يَحِلُّ بِهِم النَّكَالُ يَوْمَ القِيَامَةِ.

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾

(مِهاداً)

(٦) - يَقُولُ تَعَالَى: كَيْفَ يُنْكِرُ هَؤُلَاءِ حُدُوثَ البَعْثِ، وَيَشُكُّونَ فِيهِ، وَهُمْ يعَايِنُونَ مَا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ، وَبَاهِرِ حِكْمَتِهِ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَى الأَرْضِ كَيْفَ جَعَلَهَا اللهُ مُمَهَّدَةً مُوطَّأَةً لِلنَّاسِ يُقِيمُونَ عَلَيْهَا، وَيَنْتَفِعُونَ بِخَيْرَاتِهَا؟.

مِهاداً - فِرَاشاً مُوطَّأً لِلاسْتِقْرَارِ عَلَيْهَا.

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾

(٧) - وَكَيْفَ جَعَلَ اللهُ الجِبَالَ كَالأَوْتَادِ أَرْسَى بِهَا الأَرْضَ وَثَبَّتَهَا، لِكَيْلَا تَضْطَرِبَ وَتَمِيدَ بِالنَّاسِ وَالخَلَائِقِ عَلَيْهَا؟.

الوَتَدُ - قِطْعَةٌ مِنَ الخَشَبِ عَلَى شَكْلِ مِسْمَارٍ يُدَقُّ فِي الأَرْضِ لِتُشَدَّ إِلَيْهِ الخَيْمَةُ.

وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾

(خَلَقْنَاكُمْ) (أَزْوَاجاً)

(٨) - وَخَلَقَ اللهُ البَشَرَ ذَكَراً وَأُنْثَى لِيَأْنَسَ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ، وَلِيَتِمَّ بَيْنَهُمَا التَّعَاوُنُ عَلَى العَيْشِ وَحِفْظِ النَّسْلِ.

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾

(٩) - وَجَعَلَ نَوْمَكُمْ فِي اللَّيْلِ قَاطِعاً لِلْحَرَكَةِ، لِتَرْتَاحَ الأَبْدَانُ مِمَّا تُكَابِدُهُ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ فِي السَّعْيِ فِي أُمُورِ المَعَاشِ، وَلَوْلَا النَّوْمُ لَفَقَدَتِ الأَبْدَانُ نَشَاطَهَا، وَأُرْهِقَتْ، وَانْقَطَعَتْ عَنِ العَمَلِ.

السُّبَاتُ - قَطْعُ الحَرَكَةِ لِتَحْقِيقِ الرَّاحَةِ.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾

(اللَّيْل)

(١٠) - وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى اللَّيْلَ سَاتِراً لِلأَجْسَامِ عَنِ العُيُونِ بِظُلْمَتِهِ، وَمُغطياً لَهَا، وَكَأَنَّهُ اللِّبَاسُ الذِي يُغَطِّي الجِسْمَ وَيَسْتُرُهُ.

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

(١١) - وَجَعَلَ اللهُ النَّهَارَ مُشْرِقاً بِالضِّيَاءِ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ، وَالسَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالمَعَاشِ.

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾

(١٢) - وَخَلَقَ اللهُ فَوْقَ النَّاسِ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ قَوِيَّةِ الأَسْرِ، وَمُحْكَمَةِ النَّسْجِ وَالوَضْعِ، وَلَيْسَ فِيهَا تَصَدُّعٌ وَلَا فُطُورٌ.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٣﴾

(١٣) - وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً مُنيراً مُتَلأْلِئاً بالِغاً الغايَةَ فِي الضِّياءِ وَالحَرارَةِ، لِتَنْتَفِعَ بِهَا الكائِناتُ الحَيَّةُ التِي تَعِيشُ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ١٤﴾

(المُعْصِراتِ)

(١٤) - وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى مِنَ السَّحابِ المُثْقَلِ بِالماءِ مَطَراً كَثِيرَ الانْصِبابِ والسَّيَلانِ.

المُعْصِراتِ - السَّحائِبِ المُثْقَلَةِ بالماءِ.

مَاءً ثَجاجاً - مُنْصَبّاً بِكَثْرَةٍ مَعَ التَّتابُعِ.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥﴾

(١٥) - لِيُخْرِجَ اللهُ تَعَالَى بِهَذا الماءِ حَبّاً يَقْتَاتُ بِهِ النَّاسُ، وَيَدَّخِرُونَهُ، وَتَطْعَمُهُ أَنْعامُهُمْ، وَنَباتاً خَضِراً يُؤْكَلُ رَطْباً، وَبِذَلِكَ يَتَبَدَّلُ جَدْبُ الأَرْضِ إِلَى خِصْبٍ.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ١٦﴾

(جَنَّاتٍ)

(١٦) - وَيَخْرُجُ بِهَذا الماءِ المُنْزَلِ مِنَ السَّماءِ بَساتِينَ وَحَدائِقَ مُلْتَفَّةُ الأَشْجارِ وَالأَغْصانِ، تُخْرِجُ الثِّمارَ وَالفَواكِهَ ذاتَ الطُّعُومِ المُخْتَلِفَةِ، وَالرَّوائِحِ وَالأَلْوانِ.

أَلْفافاً - مُلْتَفَّةَ الأَشْجارِ.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ١٧﴾

(مِيقاتاً)

(١٧) - وَيَكُونُ يَوْمُ القِيامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الفَصْلِ، مَوْعِداً مُقَدَّراً لِلْبَعْثِ، يَجْمَعُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ الخَلائِقِ لِيَفْصِلَ بَيْنَهُمْ، وَيُحاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمالِهِمْ، وَيَجْزِيَ كُلّاً بِما يَسْتَحِقُّ.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨﴾

(١٨) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَقُومُ المَلَكُ المُكَلَّفُ بِالصُّورِ (وَهُوَ قَرْنٌ إِذا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً) بِالنَّفْخِ فِيهِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، فَيَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَأْتُونَ مُسْرِعِينَ إِلَى المَحْشَرِ جَماعاتٍ جَماعاتٍ، وَهُمْ يَتْبَعُونَ الدَّاعِيَ.

أَفْواجاً - جَماعاتٍ مُخْتَلِفَةَ الأَحْوالِ.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ١٩﴾

(أَبْواباً)

(١٩) - وَتَنْشَقُّ السَّماءُ وَتَتَصَدَّعُ، وَيَذْهَبُ التَّماسُكُ القَوِيُّ، وَالتَّناسُقُ البَدِيعُ فِي نِظامِ الكَوْنِ العُلْوِيِّ، فَتَبْدُو الصُّدُوعُ وَكَأَنَّها الأَبْوابُ.

(وَقالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ السَّماءَ تَنْشَقُّ وَتُصْبِحُ طُرُقاً وَمَسالِكَ لِنُزُولِ المَلائِكَةِ).

وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾

(٢٠) - وَيذْهَبُ ثَبَاتُ الجِبَالِ المَعْرُوفُ وَتَماسُكُها، وَتُصبحُ كَالسَّرابِ الذي يُرى مِنْ بُعْدٍ فيظنُّ شيْئاً، فَإِذَا ٱقْتَرَبَ الإِنْسَانُ مِنْهُ لَمْ يَجِدْهُ شيْئاً، وَكَذَلِكَ حَالُ الجِبَالِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ المَهُولِ، فَإِنَّ النَّاظِرَ إِلَيْهَا يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا شَيْءٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ بِشَيءٍ، لِتَفرُّقِ أَجْزَائِهَا، وَٱنْبِثَاثِ جَواهِرِهَا، ثُمَّ تُنْسَفُ وَتَحْمِلُهَا الرِّيَاحُ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى.

سَرَاباً - مَا يَرَاهُ الظَّمْآنُ فِي الصَّحْرَاءِ وَقْتَ القَيْظِ فَيَحْسَبُهُ مَاءً وَهُوَ لَيْس بِشَيءٍ.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾

(٢١) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيمِ تَكُونُ جَهَنَّمُ مُعَدَّةً وَمُرْصَدَةً لِلطَّاغِينَ، وَخزَنَتُها يَتَرَقَّبُونَ مَنْ يَسْتَحِقُّهَا بِسُوءِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا

مِرْصَاداً - مَوْضِعَ تَرَصُّدٍ لِلْكَافِرِينَ.

لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾

(لِلطَّاغِينَ) (مَآباً)

(٢٢) - وَتَكُونُ النَّارُ مُعَدَّةً وَمُرْصَدَةً لِلطُّغَاةِ العَاتِينَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَتَكُونُ مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ.

مَآباً - مَرْجِعاً وَمَأْوًى.

لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾

(لَابِثِينَ)

(٢٣) - وَسَيَمْكُثُونَ فِي النَّارِ دُهُوراً مُتَلاحِقَةً، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضاً.

الأَحْقَابُ - جَمْعُ حُقْبَةٍ - المُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ.

لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾

(٢٤) - وَلَا يَذُوقُ المُجْرِمُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْداً يُبَرِّدُ حَرَّ السَّعِيرِ، وَلَا شَرَاباً يَرْوِيهِمْ مِنَ العَطَشِ.

إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾

(٢٥) - وَلَا يَذُوقُونَ فِي النَّارِ إِلَّا الحَمِيمَ (وَهُوَ المَاءُ المُتَنَاهِي فِي الحَرَارَةِ)، والغَسَّاق (وَهُوَ القَيْحُ والصَّدِيدُ المُنْتِنُ والعَرَقُ الذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ).

جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾

(٢٦) - وَهَذَا الذِي صَارُوا إِلَيهِ مِنَ العُقُوبَةِ والعَذَابِ، هُوَ جَزَاءٌ مُوَافِقٌ لِأَعْمَالِهِم المُنْكَرَةِ، التِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، فَكَأَنَّمَا وَافَقَ العَذَابُ الذَّنْبَ.

وِفَاقاً - مُوَافِقاً لِأَعْمَالِهِمْ.

إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾

(٢٧) - وَقَدِ ٱرْتَكَبُوا المُنْكَرَاتِ، وَكَفَرُوا وَأَجْرَمُوا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَى اللهِ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(٢٨) وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا

(بِآيَاتِنَا)

(٢٨) - وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ تَكْذِيباً شَدِيداً بِجَمِيعِ البَرَاهِينِ، وَالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى صِدْقِ النُّبُواتِ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ فِي القُرْآنِ المُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى.

(٢٩) وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا

(أَحْصَيْنَاهُ) (كِتَاباً)

(٢٩) - وَقَدْ أَحْصَى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ وَأَثْبَتَهَا المَلاَئِكَةُ المُطَهَّرُونَ الحَفَظَةُ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِ هَؤُلاَءِ كِتَابَةً، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجْحَدُوا شَيْئاً مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً - حَفِظْنَاهُ وَضَبَطْنَاهُ مَكْتُوباً.

(٣٠) فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا

(٣٠) - وَيُقَالُ لأَهْلِ النَّارِ ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً مِنْ جِنْسِهِ.

(٣١) إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا

(٣١) - وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ السُّعَدَاءِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الكَرَامَةِ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ الذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ جَنَّاتٍ وَمُتَنَزَّهَاتٍ نَضِرَةً، وَفَوْزاً بِالنَّعِيمِ وَالثَّوَابِ، وَبِالنَّجَاةِ مِنَ العِقَابِ.

مَفَازاً - فَوْزاً وَظَفَراً بِكُلِّ مَحْبُوبٍ.

(٣٢) حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا

(حَدَائِقَ) (أَعْنَاباً)

(٣٢) - وَلَهُمْ بَسَاتِينُ مُسَوَّرَةٌ (حَدَائِقَ) فِيهَا أَشْجَارُ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ، وَكُلُّ الثَّمَرَاتِ.

(٣٣) وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا

(٣٣) - وَلَهُمْ فِيهَا حُورٌ حِسَانٌ صِبَاحُ الوُجُوهِ، قَدْ تَكَعَّبَتْ أَثْدَاؤُهُنَّ وَلَمْ تَتَرَهَّلْ، (وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِنَّ)، وَهُنَّ أَبْكَارٌ مُتَمَاثِلاَتٌ فِي الأَعْمَارِ.

الكَوَاعِبُ - الفَتَيَاتُ الصَّغِيرَاتُ اللَّوَاتِي تَكَعَّبَتْ أَثْدَاؤُهُنَّ.

أَتْرَاباً - مُسْتَوِيَاتٍ فِي السِّنِّ.

(٣٤) وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا

(٣٤) - وَلَهُمْ كَأْسٌ مِنَ الخَمْرِ مَلأَى، تُدَارُ عَلَى شَارِبِيهَا وَقَدْ وَصَفَهَا تَعَالَى فِي آيَاتٍ أُخْرَى بِأَنَّهَا خَمْرٌ لاَ تَغْتَالُ العُقُولَ، فَهِيَ لَيْسَتْ كَخَمْرِ الدُّنْيَا.

دِهَاقاً - مُتْرَعَةً مَلأَى.

٣٥ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا

(كِذَّاباً)

(٣٥) ـ وَلاَ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ حِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ لَغْوُ الكَلاَمِ ، وَلاَ يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، كَمَا يَجْرِي بَيْنَ الشَّارِبِينَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا .
لَغْواً ـ كَلاَماً لاَ خَيْرَ فِيهِ .
كِذَّاباً ـ تَكْذِيباً .

٣٦ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا

(٣٦) ـ وَهَـذَا الذِي أَعْطَاهُمُ اللهُ، هُوَ جَزَاءٌ مِنْهُ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَزَادَهُمْ عَلَيْهِ فَضْلاً مِنْهُ وَإِحْسَاناً، وَهُوَ عَطَاءٌ كَافٍ وَافٍ سَالِمٌ كَثِيرٌ .
حِسَاباً ـ كَافِياً (وَمِنْهُ حَسْبِي اللهُ أَي اللهُ كَافِيَّ) .

٣٧ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا

(السَّماوَاتِ)

(٣٧) ـ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلاَلِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَخَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا، وَالمُدَبِّرُ لِشُؤُونِهِمَا، لاَ يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِمَا ٱبْتِداءً وَمُبَاشَرَةً مُخَاطَبَتَهُ تَعَالَى إِلاَّ بِإِذْنِهِ .

٣٨ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا

(وَالمَلاَئِكَةُ)

(٣٨) ـ ٱخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ المُرَادِ بِالرُّوحِ هُنَا :
فَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهَا أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ .
وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .
وَقِيلَ بَلْ هُوَ مَلَكٌ عَظِيمٌ .
وَمَعْنَى الآيَةِ : إِنَّ المَلاَئِكَةَ عَلَى جَلاَلَةِ أَقْدَارِهِمْ وَرَفِيعِ دَرَجَاتِهِمْ، يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ صَفّاً لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِي هَذَا اليَوْمِ ، إِجْلاَلاً لِرَبِّهِم العَظِيمِ ، وَوُقُوفاً عِنْدَ مَنَازِلِهِمْ، إِلاَّ إِذَا أَذِنَ لَهُمْ رَبُّهُمْ، وَقَالُوا قَوْلاً صِدْقاً صَوَاباً .
الرُّوحُ ـ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .

٣٩ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا

(مَآباً)

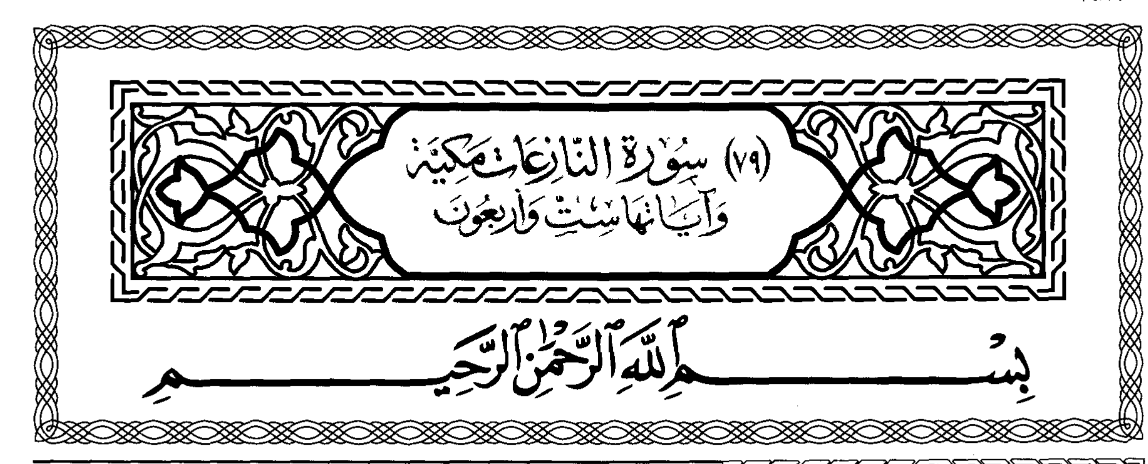
(٣٩) ـ وَذَلِكَ اليَوْمُ آتٍ مُتَحَقِّقٌ لاَ رَيْبَ فِيهِ، وَلاَ مَفَرَّ مِنْهُ، وَهُوَ يَوْمٌ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ وَتُخْتَبَرُ، وَتَتَكَشَّفُ فِيهِ الضَّمَائِرُ، فَمَنْ شَاءَ عَمِلَ صَالِحاً يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَيُدْنِيهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَثَوَابِهِ، وَيُبْعِدُهُ مِنْ عِقَابِهِ .
مَآباً ـ مَرْجِعاً بِالإِيْمَانِ وَالطَّاعَةِ .

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾

(أَنْذَرْنَاكُمْ) (يَا لَيْتَنِي) (تُرَاباً)

(٤٠) - إِنَّا نُحذِّرُكُمْ عذَابَ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ آتٍ قَرِيبٌ - لِأَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَنْظُرُ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيَرَاهَا جَمِيعاً، فَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ خَيْراً سُرَّ بِهِ وَآسْتَبْشَرَ، وَإِنْ كَانَ سَيِّئاً نَدِمَ وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ. وَيَتَمَنَّى الكَافِرُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا حَجَراً أَوْ تُرَاباً لَا يُجْرَى عَلَيْهِ التَّكْلِيفُ بِعِبَادَةٍ، حَتَّى لَا يُعَاقَبَ هَذَا العِقَابَ الأَلِيمَ فِي الآخِرَةِ.

١٤٨٩



وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾

(النَّازِعَاتِ)

(١) ـ بَدَأَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالقَسَمِ بِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ إِظْهَاراً لِعَظَمَةِ شَأْنِهَا، عَلَى أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَمْرِ البَعْثِ، وَعَرْضِ الخَلاَئِقِ عَلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.. هُوَ حَقٌّ لاَ رَيْبَ فِيهِ، وَسَيَكُونُ يَوْمُ القِيَامَةِ يَوْماً تَعْظُمُ فِيهِ الأَهْوَالُ، وَتَخْشَعُ فِيهِ الأَبْصَارُ. وَالنَّازِعَاتُ هِيَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِعُ أَرْوَاحَ البَشَرِ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَنْزِعُ المَلاَئِكَةُ رُوحَهُ وَتَأْخُذُهَا بِعُسْرٍ، فَتَغْرَقُ فِي نَزْعِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسُهُولَةٍ، وَكَأَنَّمَا حَلَّتْهُ مِنْ نِشَاطٍ.

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ النَّازِعَاتِ هِيَ الكَوَاكِبُ الجَارِيَةُ عَلَى نِظَامٍ مُعَيَّنٍ فِي سَيْرِهَا كَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ مَعْنَى النَّزْعِ هُنَا الجَرْيُ. وَيَكُونُ مَعْنَى (غَرْقاً) هُوَ مُجِدَّةً مُسْرِعَةً فِي جَرْيِهَا).

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾

(النَّاشِطَاتِ)

(٢) ـ وَمِنَ المَلاَئِكَةِ مَنْ تَنْشِطُ أَرْوَاحَ البَشَرِ وَتَأْخُذُهَا بِسُهُولَةٍ وَرِفْقٍ، وَكَأَنَّمَا تَحُلُّهَا مِنْ نِشَاطٍ.

(وَهُنَاكَ مَنْ قَالَ إِنَّ النَّازِعَاتِ هِيَ الكَوَاكِبُ، وَفَسَّرَ النَّاشِطَاتِ بِأَنَّهَا الكَوَاكِبُ الخَارِجَةُ مِنْ بُرْجٍ إِلَى بُرْجٍ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَشَطَ النُّورُ إِذَا خَرَجَ).

وَالنِّشَاطُ ـ هُوَ الرِّبَاطُ وَالوِثَاقُ.

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾

(السَّابِحَاتِ)

(٣) ـ اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي تَحْدِيدِ مَعْنَى السَّابِحَاتِ هُنَا:

ـ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا المَلاَئِكَةُ.

- ومِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّها النُّجُومُ السَّائِرَةُ فِي أَفْلَاكِهَا سَيْراً هَادِئاً كَالسَّبْحِ فِي المَاءِ.
- ومِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا السُّفُنُ السَّابِحَةُ فِي المَاءِ.

فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾

(فَالسَّابِقَاتِ)

(٤) - وَفِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهَا أَقْوَالٌ:
- فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا المَلَائِكَةُ سَبَقَتْ إِلَى الإِيمَانِ والتَّصْدِيقِ، أَوْ سَبَقَتْ بِالأَرْوَاحِ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا فِي الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا الخَيْلُ تَسْبِقُ فِي سَبِيلِ اللهِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا النُّجُومُ المُسْرِعَاتُ عَنْ غَيْرِهَا فِي سَبْحِهَا.

فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾

(فَالمُدَبِّرَاتِ)

(٥) - قِيلَ إِنَّ المُدَبِّرَاتِ هُنَا تَعْنِي المَلَائِكَةَ تُدَبِّرُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ بِأَمْرِ رَبِّهَا.
(وَقِيلَ إِنَّهَا الكَوَاكِبُ تُدَبِّرُ بَعْضَ أُمُورِ الكَوْنِ بِظُهُورِ بَعْضِ آثَارِهَا، فَسَيْرُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ يُعَلِّمُ البَشَرَ الحِسَابَ، وَالفُصُولَ، وَالشُّهُورَ، وَالمَوَاسِمَ.. وَٱخْتِلَافُ الفُصُولِ مِنْ أَسْبَابِ الحَيَاةِ..).

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾

(٦) - حِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَرْجُفُ الأَرْضُ رَجْفَةً شَدِيدَةً تَتَحَرَّكُ مِنْهَا الجِبَالُ، وَيُسْمَعُ لَهَا صَوْتٌ شَدِيدٌ (وَهَذَا جَوَابُ القَسَمِ).

تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾

(٧) - ثُمَّ تَتْبَعُ النَّفْخَةَ الأُولَى نَفْخَةٌ ثَانِيَةٌ هِيَ الرَّادِفَةُ، فَتُدَكُّ الأَرْضُ وَالجِبَالُ، وَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ، وَتَنْتَثِرُ الكَوَاكِبُ، وَيَبْعَثُ اللهُ الخَلَائِقَ.
الرَّادِفَةُ - التِي تَلِي الأُولَى وَتَرْدُفُهَا.

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾

(يَوْمَئِذٍ)

(٨) - فَتَهْلَعُ قُلُوبُ الكُفَّارِ حِينَ يَتَأَكَّدُونَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، وَأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا.
وَاجِفَةٌ - خَائِفَةٌ وَجِلَةٌ.

أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾

(أَبْصَارُهَا) (خَاشِعَةٌ)

(٩) - وَتَخْشَعُ أَبْصَارُهُمْ، وَيَظْهَرُ فِيهَا الخَوْفُ وَالذِّلَّةُ.
خَاشِعَةٌ - ذَلِيلَةٌ مُنْكَسِرَةٌ مِنَ الفَزَعِ.

﴿١٠﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ

(أئِنّا)

(١٠) ـ كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَبَعْدَ أَنْ يَصِيرَ النَّاسُ فِي القُبُورِ (الحَافِرَةِ).
(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ المَعْنَى هُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ إِلَى خَلْقِنَا الأَوَّلِ قَبْلَ المَمَاتِ فَرَاجِعُونَ أَحْيَاءً. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى (الحَافِرَةِ) عَوْدَةُ الإِنْسَانِ إِلَى الخِلْقَةِ الأُولَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا).

﴿١١﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً

(أئِذَا) (عِظَاماً)

(١١) ـ وَكَانُوا يَقُولُونَ: أَنُرَدُّ إِلَى الحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ نَصِيرَ عِظَاماً نَخِرَةً بَالِيَةً مُتَفَتِّتَةً؟.

﴿١٢﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ

(١٢) ـ وَقَالُوا: إِنَّهُ إِذَا صَحَّ مَا قِيلَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُمْ سَيُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَهُمْ خَاسِرُونَ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِوُقُوعِ البَعْثِ. (وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ آسْتِبْعَاداً لِوُقُوعِ البَعْثِ، وَآسْتِهْزَاءً بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ).

﴿١٣﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ

(وَاحِدَةٌ)

(١٣) ـ وَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: لاَ تَسْتَبْعِدُوا ذَلِكَ، وَلاَ تَظُنُّوهُ عَسِيراً عَلَى اللهِ، فَإِنَّمَا هِيَ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ تُطْلَقُ بِإِذْنِ اللهِ (وَقِيلَ إِنَّهَا النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ).
زَجْرَةٌ ـ صَيْحَةٌ.

﴿١٤﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ

(١٤) ـ فَإِذَا بِالنَّاسِ كُلِّهِم أَحْيَاءُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ (أَوْ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ).
السَّاهِرَةُ ـ وَجْهُ الأَرْضِ. وَقِيلَ إِنَّهَا الأَرْضُ البَيْضَاءُ الخَالِيَةُ مِنْ كُلِّ مَعْلَمٍ.

﴿١٥﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ

(أتَاكَ)

(١٥) ـ شَقَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَكْذِيبُ قُرَيْشٍ لَهُ، وَآسْتِهْزَاؤُهُمْ بِهِ، فَذَكَّرَهُ اللهُ تَعَالَى بِقِصَّةِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، مَعَ فِرْعَوْنَ، لِيُسَلِّيَهُ، وَيُثَبِّتَ قَلْبَهُ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ العَاقِبَةَ لِلرُّسُلِ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ المُكَذِّبِينَ.

﴿١٦﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى

(نَادَاهُ)

(١٦) ـ فَقَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ ﷺ: هَلِ آتَّصَلَ بِكَ خَبَرُ مُوسَى، حِينَمَا كَلَّمَهُ رَبُّهُ نِدَاءً، وَهُوَ فِي وَادِي طُوىً المُطَهَّرِ المُبَارَكِ؟.
(وَطُوىً آسْمُ وَادٍ فِي أَسْفَلِ جَبَلِ سَيْنَاءَ).

﴿١٧﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ

(١٧) - أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عَبْدَهُ مُوسَى بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ الطَّاغِيَةِ المُتَجَبِّرِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَإِلَى الكَفِّ عَنِ الطُّغْيَانِ وَالاسْتِعْلاءِ عَلَى النَّاسِ.

طغى - عَتَا وَتَجَبَّرَ.

﴿١٨﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ

(١٨) - فَقُلْ لَهُ: هَلْ تَرْغَبُ فِي أَنْ تُطَهِّرَ نَفْسَكَ مِنَ الآثَامِ الَّتِي انْغَمَسْتَ فِيهَا؟ وَتُزَكِّيهَا؟..

تزكّى - تَطَهَّرَ مِنَ الكُفْرِ والطُّغْيَانِ.

﴿١٩﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ

(١٩) - وَهَلْ تُرِيدُ أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ، فَيَخْضَعَ قَلْبُكَ لَهُ، وَيُصْبِحَ مُطِيعاً خَاشِعاً؟.

﴿٢٠﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ

(فَأَرَاهُ) (الآيَةَ)

(٢٠) - وَلَمَّا لَمْ يَقْنَعْ فِرْعَوْنُ بِدَعْوَةِ مُوسَى وَحُجَجِهِ العَقْلِيَّةِ، أَرَاهُ مُوسَى بُرْهَاناً قَوِيّاً، وَمُعْجِزَةً كُبْرَى، عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَصِحَّةِ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَهِيَ انْقِلاَبُ العَصَا حَيَّةً عَظِيمَةً، وَإِخْرَاجُ يَدِهِ مِنْ جَيْبِهِ بَيْضَاءَ تَتَلأْلأُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَلاَ مَرَضٍ.

﴿٢١﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ

(٢١) - فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ بِالحَقِّ، وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ.

﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ

(٢٢) - ثُمَّ تَوَلَّى، وَأَخَذَ فِي السَّعْيِ لِمُوَاجَهَةِ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، غَيْرَ مُتَدَبِّرٍ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ.

يَسْعَى - يَجِدُّ فِي الإِفْسَادِ وَمُعَارَضَةِ رَسُولِ اللهِ.

﴿٢٣﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ

(٢٣) - فَأَخَذَ يُنَادِي فِي قَوْمِهِ، وَيُرْسِلُ فِيهِم الحَاشِرِينَ لِيَجْمَعُوا لَهُ السَّحَرَةَ، وَيَحْشُرُوهُمْ إِلَيهِ، لِمُوَاجَهَةِ مُوسَى، وَالآيَاتِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.

حَشَرَ - جَمَعَ السَّحَرَةَ أَوِ الجُنْدَ.

﴿٢٤﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ

(٢٤) - وَقَامَ فِيهِمْ قَائِلاً: إِنَّهُ رَبُّهُمُ الأَعْلَى، فَلاَ سُلْطَانَ فِي أَرْضِ مِصْرَ يَعْلُو سُلْطَانَهُ.

﴿٢٥﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ

(الآخِرَة)

(٢٥) - فَانْتَقَمَ اللهُ مِنْهُ، وَجَعَلَهُ عِبْرَةً لأَمْثَالِهِ فِي الدُّنْيَا. وَيُعَذِّبُهُ اللهُ فِي الآخِرَةِ فِي جَهَنَّمَ، وَبِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَذَّبَهُ لِمَقَالَتِهِ الأَخِيرَةِ: إِنَّهُ رَبُّهُمُ الأَعْلَى، كَمَا عَذَّبَهُ لِمَقَالَتِهِ الأُوْلَى الَّتِي كَذَّبَ بِهَا مُوسَى).

نَكَالَ - عُقُوبَةً تَجْعَلُ مَنْ تَنْزِلُ بِهِ يَنكِلُ عَنْ فِعْلِهِ.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

(٢٦) ـ وفيما أنزلَهُ الله بفرعونَ من العقوبةِ والنَّكالِ في الدُّنيا والآخرةِ، لعظةٌ وعبرةٌ لِمَنْ لَهُ عقلٌ تؤثِّرُ فيهِ المَوْعِظَةُ.

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾

(أأنتم) (بناها)

(٢٧) ـ ويقولُ تعالى لِمَنْ يُناصِبُونَ النَّبيَّ العِداءَ، ويُنكِرُونَ البَعْثَ والنُّشورَ: إنَّكُمْ يا أيُّها النَّاسُ تعلَمونَ أنَّ خَلْقَ السَّماواتِ أعظمُ مِنْ خَلْقِكُمْ، وأنَّ إبْداعَها وإنشاءَها أصعبُ مِنْ إبداعِكُمْ وإنشائِكُمْ، ومعَ ذلِكَ فقدْ خلقْناها، ولَمْ يُعجِزْنا أمْرُ إبْداعِها.

رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾

(فسوَّاها)

(٢٨) ـ فقدْ خلقَ الله تعالى السَّماواتِ، وضمَّ أجزاءَها المُتفرِّقةَ، وجعلَها ذاهبةً في السَّماءِ صُعُداً، وعدلَها فجعلَ كُلَّ جُزْءٍ مِنْها في موْضِعِهِ المُناسِبِ لَهُ.

السَّمْكُ ـ قائِمُ كُلِّ شيءٍ.

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾

(ضُحاها)

(٢٩) ـ وجعَلَ ليْلَها مُظْلِماً حالِكَ السَّوادِ، وجعلَ نهارَها مُضيئاً مُشْرِقاً وضَّاحاً.

أغطشَ ليْلَها ـ جعلَهُ مُظلِماً.

وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾

(دحاها)

(٣٠) ـ ومهَّدَ بعْدَ ذلِكَ الأرْضَ، وبسطَها لسُكْنى المَخْلُوقاتِ.

دَحاها ـ بَسطَها ومدَّها.

أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾

(مرْعاها)

(٣١) ـ وفجَّرَ العُيونَ والأنهارَ والينابيعَ فيها ففاضتْ بالماءِ، وأنبتَتِ النَّباتاتِ ليأكُلَ مِنْها النَّاسُ والأنْعامُ.

وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾

(أرْساها)

(٣٢) ـ وثبَّتَ الجبالَ في أماكِنِها منَ الأرْضِ، وجعلَها كالأوْتادِ التي تُشدُّ بها الخيامُ لكيْلا تذْهبَ بها الرِّياحُ وذلِكَ لكيْلا تميدَ الأرْضُ بمَنْ عليْها مِنَ الخلائِقِ، وتضْطرِبَ بِهِمْ.

مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

(متاعاً) (لأنْعامِكُمْ)

(٣٣) ـ وقدْ جعَلَ الله تعالى كُلَّ ذلِكَ ليتمتَّعَ بِهِ النَّاسُ والأنْعامُ، وينْتفِعوا بِهِ في معاشِهِمْ وحياتِهِمْ. فالله تعالى يُقرِّرُ هذِهِ الحقائِقَ في أذْهانِ

النَّاسِ لِيَخْلُصَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى لَفْتِ أَنْظَارِهِمْ إِلَى أَنَّ الذِي خَلَقَ هَـذَا الخَلْقَ البَدِيعَ العَظِيمَ لاَ يَعْجَزُ عَنْ بَعْثِ العِبَادِ مِنَ القُبُورِ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ صَارُوا تُرَاباً وَرُفَاتاً، وَتَفَرَّقَتْ ذَرَّاتُ أَجْسَادِهِمْ فِي الأَرْضِ.

فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾

(٣٤) - فَإِذَا جَاءَتِ القِيَامَةُ بِأَهْوَالِهَا التِي تَشِيبُ لَهَا الوِلْدَانُ.
وَالطَّامَّةُ - هِيَ الدَّاهِيَةُ التِي تَطُمُّ عَلَى الدَّوَاهِي، وَتَعْلُو عَلَيْهَا.

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾

(الإِنْسَانُ)

(٣٥) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَرَى الإِنْسَانُ أَعْمَالَهُ جَمِيعَهَا، حَسَنَهَا وَقَبِيحَهَا، مُدَوَّنَةً فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ، فَيَتَذَكَّرُهَا، وَكَانَ هُوَ قَدْ نَسِيَهَا وَأَحْصَاهَا اللهُ وَأَثْبَتَهَا لَدَيْهِ.

وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾

(٣٦) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ تَظْهَرُ النَّارُ لِلنَّاظِرِينَ، فَيَرَاهَـا النَّاسُ جَمِيعـاً، وَيُعَايِنُونَ أَهْوَالَهَا.
بُرِّزَتْ - أُظْهِرَت إِظْهَاراً بَيِّناً.

فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾

(٣٧) - فَأَمَّا مَنْ تَكَبَّرَ وَتَجَاوَزَ الحَدَّ بِكُفْرِهِ وَعِصْيَانِهِ.

وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾

(آثَرَ)

(٣٨) - وَآثَرَ لَذَّاتِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ، وَشَهَوَاتِهَا، عَلَى ثَوَابِ الآخِـرَةِ البَاقِيَةِ الدَّائِمَةِ.

فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾

(٣٩) - فَإِنَّ النَّارَ المُتَأَجِّجَةَ سَتَكُونُ مَأْوَاهُ وَمُسْتَقَرُّهُ.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾

(٤٠) - وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّـهُ سَيُسْأَلُ عَنْ أَعْمَالِهِ، فَحَاذَرَ ذَلِكَ اليَوْمَ، وَحَسَبَ حِسَابَهُ، وَجَنَّبَ نَفْسَهُ الوُقُوعَ فِي المَحَارِمِ، وَالانْسِيَاقِ وَرَاءَ الهَوَى وَالشَّهَوَاتِ.

فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

(٤١) - فَتَكُونُ الجَنَّةُ جَزَاءَهُ، وَفِيهَا مَأْوَاهُ وَمَصِيرُهُ.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾

(يَسْأَلُونَكَ) (مُرْسَاهَا)

(٤٢) - كَـانَ المُشْـرِكُـونَ يَسْـأَلُـونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّـاعَـةِ... عِنَاداً وَاسْتِهْزَاءً، مَتَى تَكُونُ؟، وَيُلِحُّونَ عَلَيهِ فِي التَّعْجِيلِ بِقِيَامِهَا.
وَكَانَ النَّبِيُّ يَتَمَنَّى أَنْ يُجِيبَهُمْ عَمَّا يَسْأَلُونَ، حِرْصاً مِنْهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ. فَنَهَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ تَمَنِّي مَا لاَ يُرْجَى. لأَنَّ السَّاعَةَ عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ مَهَمَّتُـهُ الإِنْذَارُ، وَتَبْلِيـغُ رِسَالَـةِ رَبِّهِ، أَمَّـا المُعَانِـدُونَ فَلْيَذَرْهُمْ وَشَأْنَهُم.

وَمَعْنَى الآيَةِ أَنَّ المُشْرِكِينَ يَسْأَلُونَ مَتَى تَكُونُ السَّاعَةُ؟.
أَيَّانَ مُرْسَاهَا - مَتَى يُقِيمُهَا اللهُ وَيُثْبِتُهَا.

(٤٣) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ

(ذِكْرَاهَا)

(٤٣) - فَمَا هَذِهِ الذِّكْرَى الدَّائِمَةُ لَهَا، وَمَا هَذَا الاهْتِمَامُ الذِي جَعَلَكَ لاَ تَأْلُو جُهْداً فِي السُّؤَالِ عَنْهَا؟ وَلَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ حَتَّى تَذْكُرَهُ لَهُمْ.

(٤٤) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ

(مُنْتَهَاهَا)

(٤٤) - إِنَّ عِلْمَ السَّاعَةِ يَنْتَهِي إِلَى رَبِّكَ، فَلاَ يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِهَا غَيْرُهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلاَ لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ.

(٤٥) إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا

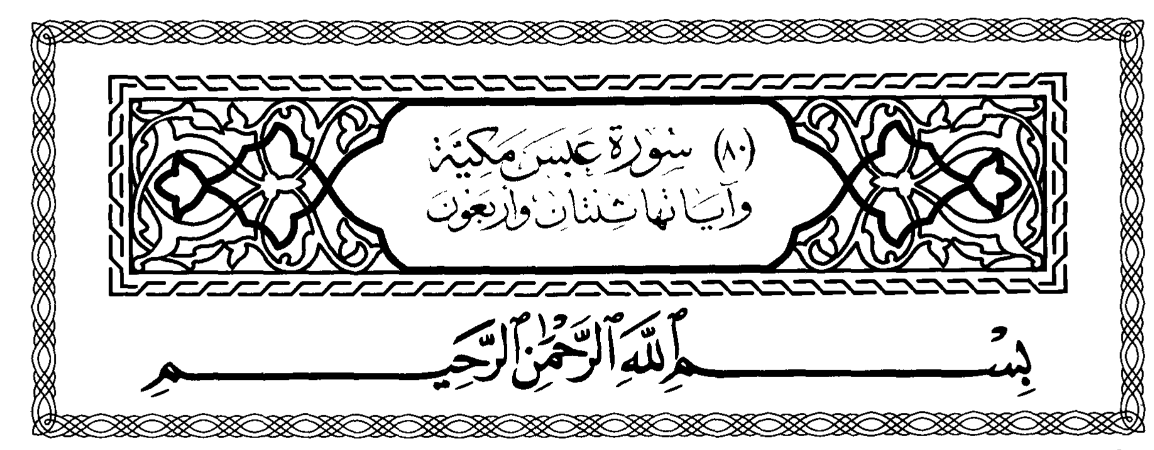
(يَخْشَاهَا)

(٤٥) - وَأَنْتَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ مَبْعُوثٌ لِلانْذَارِ وَالتَّخْوِيفِ، وَتَحْذِيرِ مَنْ يَخَافُ مِنَ النَّاسِ مِنْ هَوْلِ السَّاعَةِ، وَعُسْرِ الحِسَابِ فِي الآخِرَةِ.

(٤٦) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا

(ضُحَاهَا)

(٤٦) - وَحِينَمَا يَقُومُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالحَشْرِ، وَيَرَوْنَ السَّاعَةَ وَأَهْوَالَهَا، يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيَرَوْنَهَا كَأَنَّهَا عَشِيَّةٌ مِنْ يَوْمٍ، أَوْ ضُحًى مِنْ نَهَارٍ.
(أَوْ يَظُنُّونَ أَنَّ مُدَّةَ لُبْثِهِمْ فِي القُبُورِ كَانَتْ غَايَةً فِي القِصَرِ)
العَشِيَّةُ - مَا بَعْدَ الظُّهْرِ حَتَّى مَغِيبِ الشَّمْسِ.
الضُّحَى - مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ.



عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾

ربع الحزب ٥٩

(١) - كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً يُخاطِبُ أَحَدَ سَادَةِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ طَمِعَ فِي إِسْلامِهِ، فَبَيْنَمَا كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْمَى، وَكَانَ أَسْلَمَ، قَدِيماً، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَقَدْ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ لِيَسْأَلَهُ عَنْ شَيءٍ، وَأَلَحَّ عَلَى النَّبِيِّ فِي السُّؤَالِ. وَوَدَّ النَّبِيُّ أَنْ لَوْ كَفَّ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، سَاعَتَهُ تِلْكَ، لِيَتَمَكَّنَ مِنْ مُتَابَعَةِ حَدِيثِهِ مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، طَمَعاً فِي هِدَايَتِهِ. وَعَبَسَ فِي وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الآخرِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَـٰذِهِ الآيَاتِ مُعَاتِباً رَسُولَهُ الكَرِيمَ.

فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَهِشُّ لابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَيَلْقَاهُ بِالعِنَايَةِ وَالتَّكْرِيمِ وَيَقُولُ لَهُ: أَهْلاً بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي.

وَمَعْنَى الآيَةِ: أَنَّ الرَّسُولَ قَطَّبَ وَجْهَهُ كَارِهاً وَأَعْرَضَ.

أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾

(٢) - لأَنَّ الأَعْمَى قَدْ جَاءَهُ يَسْأَلُ عَنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ دِينِهِ، وَقَطَعَ حَدِيثَ الرَّسُولِ، مَعَ أَنَّهُ بِسَبَبِ عَمَاهُ يَسْتَحِقُّ مَزِيداً مِنَ الرِّفْقِ وَالرَّأْفَةِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَخُصَّهُ بِالجَفْوَةِ وَالإِعْرَاضِ؟

وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾

(٣) - وَمَا يُدْرِيكَ حَالَ هَـٰذَا الأَعْمَى؟ فَقَدْ يَتَطَهَّرُ بِمَا يَسْمَعُهُ مِنْكَ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ.

يَزَّكَّى - يَتَطَهَّرُ بِتَعْلِيمِكَ مِنْ دَنَسِ الجَهَالَةِ.

أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾

(٤) - أَوْ يَتَّعِظُ فَتَنفَعُهُ ذِكْرَاكَ وَعِظَتُكَ.

يَذَّكَّرُ - يَتَّعِظُ.

أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾

(٥) - أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى بِمَالِهِ وَقُوَّتِهِ عَنِ الإِيْمَانِ.

﴿٦﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ

(٦) ـ فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ، وَتَهْتَمُّ بِتَبْلِيغِهِ الدَّعْوَةَ، لَعَلَّهُ يَهْتَدِي.
تَصَدَّى ـ تَتَعَرَّضُ لَهُ بِالإِقْبَالِ عَلَيْهِ.

﴿٧﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ

(٧) ـ وَمَا يَضُرُّكَ أَنْ يَبْقَى عَلَى ضَلاَلِهِ، وَأَنْ لاَ يَتَطَهَّرَ مِنْ أَدْرَانِ الشِّرْكِ وَالجَهَالَةِ، فَأَنْتَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ وَقَدْ أَدَّيْتَ رِسَالَتَكَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ.

﴿٨﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ

(٨) ـ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى مُسْرِعاً فِي طَلَبِ العِلْمِ وَالهُدَى وَالتَّقَرُّبِ مِنْ رَبِّهِ.
جاءَكَ يَسْعَى ـ وَصَلَ إِلَيْكَ مُسْرِعاً.

﴿٩﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ

(٩) ـ وَهُوَ يَخْشَى رَبَّهُ، وَيَحْذَرُ الوُقُوعَ فِي الغَوَايَةِ.

﴿١٠﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ

(١٠) ـ فَأَنْتَ تَتَلَهَّى وَتَتَشَاغَلُ عَنْهُ، وَتُعْرِضُ عَنْ إِجَابَتِهِ، وَالرَّدِّ عَلَيْهِ.
تَلَهَّى ـ تَتَشَاغَلُ.

﴿١١﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ

(١١) ـ لَيْسَ الصَّوَابُ مَا تَفْعَلُهُ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بِأَنْ تَعْبِسَ فِي وَجْهِ الأَعْمَى الذِي جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، وَتُقْبِلَ عَلَى مَنِ ٱسْتَغْنَى، وَقَدْ جَاءَ فِي الكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ تَذْكِيرٌ وَوَعْظٌ وَتَنْبِيهٌ لِمَنْ غَفَلَ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكَرِيمِ.
(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى: إِنَّ مَهَمَّةَ الرِّسَالَةِ التَّنْبِيهُ وَالتَّذْكِيرُ).
كَلَّا ـ إِرْشَادٌ لِتَرْكِ المُعَاوَدَةِ.
إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ـ إِنَّ آيَاتِ القُرْآنِ مَوْعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ.

﴿١٢﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ

(١٢) ـ وَهَذِهِ التَّذْكِرَةُ بَيِّنَةٌ ظَاهِرَةٌ يَسْتَطِيعُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنْ يَعِيَهَا، وَيَتَدَبَّرَهَا إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ.

﴿١٣﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ

(١٣) ـ وَقَدْ أُودِعَتْ هَذِهِ التَّذْكِرَةُ فِي الكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ ذَاتِ الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ.

﴿١٤﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ

(١٤) ـ وَهَذِهِ الصُّحُفُ الإِلَهِيَّةُ (الصُّحُفُ المُكَرَّمَةُ) مُعَظَّمَةٌ مُوَقَّرَةٌ، عَالِيَةُ القَدْرِ، مُطَهَّرَةٌ مِنَ النَّقَائِصِ وَلاَ تَشُوبُهَا الضَّلاَلاَتُ.

﴿١٥﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ

(١٥) ـ وَتَتَنَزَّلُ هَذِهِ الصُّحُفُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ بِوَاسِطَةِ سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ هُمُ المَلاَئِكَةُ المُطَهَّرُونَ، لِيَقُومَ الأَنْبِيَاءُ بِإِبْلاَغِهَا إِلَى النَّاسِ.
سَفَرَةٍ ـ مَلاَئِكَةٍ مُرْسَلِينَ.

﴿١٦﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ

(١٦) ـ وَالمَلاَئِكَةُ السَّفَرَةُ هُمْ كِرَامٌ عَلَى اللهِ، وَأَبْرَارٌ وَأَطْهَارٌ لاَ يُقَارِفُونَ ذَنْباً، وَلاَ يَجْتَرِحُونَ إِثْماً، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.
بَرَرَةٍ ـ مُطِيعِينَ للهِ أَوْ صَادِقِينَ.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ ١٧

﴿مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ١٨

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ ١٩

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ ٢٠

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ ٢١

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ ٢٢

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ ٢٣

(الإِنْسَانُ)

(١٧) - يَذُمُّ اللهُ تَعَالَى مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ وَالنُّشُورَ فَيَقُولُ: أَخْزَى اللهُ الإِنْسَانَ الكَفُورَ، وَلَعَنَهُ مَا أَشَدَّ كُفْرَانَهُ لِلنِّعَمِ التِي يَتَقَلَّبُ فِيهَا، وَمَا أَكْثَرَ ذُهُولَهُ عَنْ مُسْدِيهَا إِلَيْهِ، وَمُنْعِمِهَا عَلَيْهِ.
قُتِلَ - لُعِنَ وَأُخْزِيَ وَعُذِّبَ.

(١٨) - أَخَذَ اللهُ تَعَالَى يُفَصِّلُ مَا أَجْمَلَهُ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ، وَيُبَيِّنُ مَا أَفَاءَهُ عَلَى الإِنْسَانِ مِنَ النِّعَمِ فِي مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ وَنَشْأَتِهِ. فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ اللهَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ شَيءٍ حَقِيرٍ فَلاَ يَنْبَغِي لَهُ التَّكَبُّرُ وَالتَّجَبُّرُ، أَلاَ يَعْلَمُ هَذَا الإِنْسَانُ مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ؟.

(١٩) - لَقَدْ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)(١) وَقَدَّرَهُ أَطْوَاراً وَأَحْوَالاً، وَأَتَمَّ خَلْقَهُ بِمَا يُلاَئِمُ حَاجَاتِهِ، وَأَوْدَعَ فِيهِ القُوَّةَ التِي تُمَكِّنُهُ مِنِ اسْتِعْمَالِ أَعْضَائِهِ وَحَوَاسِّهِ، وَتَصْرِيفِهَا فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ وَجَعَلَ كُلَّ ذَلِكَ بِمِقْدَارٍ مَحْدُودٍ.
فَقَدَّرَهُ - خَلَقَهُ أَطْوَاراً وَهَيَّأَهُ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ.

(٢٠) - ثُمَّ جَعَلَهُ مُتَمَكِّناً مِنِ اخْتِيَارِ السَّبِيلِ التِي يَسِيرُ فِيهَا - سَبِيلِ الخَيْرِ أَوْ سَبِيلِ الشَّرِّ - فَقَدْ آتَاهُ اللهُ القُدْرَةَ عَلَى العَمَلِ، وَوَهَبَهُ العَقْلَ الذِي يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَعَرَّفَهُ عَاقِبَةَ كُلِّ عَمَلٍ وَنَتِيجَتَهُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكُتُبَ المُشْتَمِلَةَ عَلَى العِظَاتِ وَالأَحْكَامِ.
يَسَّرَهُ - سَهَّلَ لَهُ طَرِيقَ الهُدَى وَالضَّلاَلِ.

(٢١) - ثُمَّ أَمَاتَهُ اللهُ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ مَطْرُوحاً فِي العَرَاءِ تَنْهَشُهُ الوُحُوشُ، بَلْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ فِي غَرِيزَةِ النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ أَنْ يُوَارِيَ أَمْوَاتَهُ فِي قُبُورٍ تَكْرِمَةً لَهُمْ.

(٢٢) - ثُمَّ إِذَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَبَعَثَهُ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ فِي الوَقْتِ الذِي قَدَّرَهُ اللهُ لِذَلِكَ.
أَنْشَرَهُ - أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

(٢٣) - حَقّاً إِنَّ حَالَ الإِنْسَانِ لَعَجِيبٌ، فَإِنَّهُ رَأَى فِي نَفْسِهِ مِنْ آيَاتِ اللهِ العَظِيمَةِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَجِّهَهُ إِلَى الصَّوَابِ وَالسَّدَادِ، وَالهُدَى وَالرَّشَادِ، وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ مِنَ التَّأَمُّلِ فِي

(١) سورة القيامة الآية: ٣٧

دَلائِلِ قُدْرَةِ رَبِّهِ، وَتَدَبُّرِ مَا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، مِمَّا يُوجِبُ عَلَيْهِ التَّوَجُّهَ إِلَى رَبِّهِ بِالعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ.
لَمَّا يَقْضِ - لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ.

٢٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ

(الإِنْسَانُ)

(٢٤) - فَلْيَتَدَبَّرِ الإِنْسَانُ شَأْنَ نَفْسِهِ، وَلْيُفَكِّرْ فِي أَمْرِ طَعَامِهِ، وَتَدْبِيرِهِ وَتَهْيِئَتِهِ حَتَّى يَكُونَ غِذَاءً صَالِحاً نَافِعاً تَقُومُ بِهِ بُنْيَتُهُ، وَيَتَمَكَّنَ مِنْ أَدَاءِ مَهَمَّتِهِ فِي الحَيَاةِ.

٢٥ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا

(٢٥) - لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ المَاءَ مِنَ السَّحَابِ إِنْزَالاً.

٢٦ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا

(٢٦) - وَحِينَمَا يَصِلُ المَاءُ إِلَى بُذُورِ النَّبَاتَاتِ المَوْجُودَةِ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ فَإِنَّهَا تَبْدَأُ بِالحَيَاةِ وَالتَّحَرُّكِ، وَتَشُقُّ الأَرْضَ لِتَخْرُجَ مِنْهَا سُوقُهَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ لِتَنْمُوَ وَتَتَنَفَّسَ.
شَقَقْنَا الأَرْضَ - بِالنَّبَاتِ أَوْ بِالحَرْثِ.

٢٧ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا

(٢٧) وَيُنْبِتُ اللهُ تَعَالَى الحَبَّ كَالحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يَقْتَاتُ بِهِ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ.

٢٨ وَعِنَبًا وَقَضْبًا

(٢٨) - وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ الأَرْضِ العِنَبَ وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِي تُؤْكَلُ طَرِيَّةً غَضَّةً. (قَضْباً).

٢٩ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا

(٢٩) - وَيُنْبِتُ الزَّيْتُونَ وَالنَّخْلَ، وَهُمَا ثَمَرَانِ مَعْرُوفَانِ نَبَاتاً وَثَمَراً.

٣٠ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا

(حَدَائِقَ)

(٣٠) - وَبَسَاتِينَ مُسَوَّرَةً، فِيهَا أَشْجَارٌ ضَخْمَةٌ مُثْمِرَةٌ.
الحَدَائِقُ - البَسَاتِينُ المُسَوَّرَةُ.
الغُلْبُ - المُتَكَاثِفَةُ الأَشْجَارِ.

٣١ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا

(فَاكِهَةً)

(٣١) - وَتُخْرِجُ الأَرْضُ فَوَاكِهَ يَتَمَتَّعُ بِهَا الإِنْسَانُ كَالتِّينِ وَالعِنَبِ وَالتُّفَّاحِ.. وَتُخْرِجُ النَّبَاتَ الَّذِي تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ كَالكَلأِ وَالتِّبْنِ وَغَيْرِهِ.
أَبّاً - كَلأً وَعُشْباً أَوْ هُوَ التِّبْنُ.

٣٢ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ

(لأَنْعَامِكُمْ) (مَتَاعاً)

(٣٢) - وَقَدْ أَنْبَتَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ النَّاسُ، وَيَنْتَفِعُوا بِهِ هُمْ وَأَنْعَامُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾

(٣٣) - فَإِذَا جاءَ يَوْمُ القِيامَةِ، (وَسُمِّيَتِ القِيامَةُ صاخَّةً لأَنَّهُ يَحْدُثُ فِيها صَوْتٌ هائِلٌ يَصُمُّ الآذانَ وَيَصُخُّ الأَسْماعَ).

الصَّاخَّةُ - الصَّيْحَةُ العَظِيمَةُ تَصُمُّ الآذانَ.

(٣٤) - وَهُوَ يَوْمٌ يَشْغَلُ كُلَّ آمْرِئٍ بِما يُصِيبُهُ وَيُعانِيهِ مِنَ الأَهْوالِ، فَيَفِرُّ مِمَّنْ كانَ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُمْ قَدْ يُعِينُونَهُ عَلَى ما هُوَ فِيهِ، فَيَفِرُّ مُتَوارِياً مِنْ أَخِيهِ.

(٣٥) - كَما يَفِرُّ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَهُما أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيهِ.

(صَاحِبَتِهِ)

(٣٦) - وَيَفِرُّ مِنْ زَوْجَتِهِ التِي هِيَ أَلْصَقُ النَّاسِ بِهِ، وَيَفِرُّ مِنْ بَنِيهِ الذِينَ هُمْ أَفْلاذُ كَبِدِهِ، وَقَدْ كانَ فِي الحَياةِ الدُّنْيا يَفْدِيهِمْ بِنَفْسِهِ وَمالِهِ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٧) - فَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ لاَ يَسْأَلُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلاَ يُفَكِّرُ فِيهِ لأَنَّ لِكُلِّ واحِدٍ هَمّاً يَمْلأُ صَدْرَهُ، حَتَّى لاَ يَبْقَى فِيهِ مُتَّسَعٌ لِهَمٍّ آخَرَ، وَلِكُلِّ إِنْسانٍ ما يُغْنِيهِ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي هُمُومِ الآخَرِينَ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٨) - وَيَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ فَرِيقَيْنِ: سُعَداءَ وَأَشْقِياءَ، فَالسُّعَداءُ تَكُونُ وُجُوهُهُمْ مُشْرِقَةً مُتَهَلِّلَةً.

(٣٩) - وَتَكُونُ ضاحِكَةً يَعْلُوها البِشْرُ والسَّعادَةُ بِما وَجَدَتْهُ عِنْدَ رَبِّها مِنْ كَرامَةٍ وَرِضاً.

(يَوْمَئِذٍ)

(٤٠) - أَمَّا الكَفَرَةُ الأَشْقِياءُ فَتَعْلُو وُجُوهَهُمْ غَبَرَةُ الذُّلِّ والهَوانِ.

غَبَرَةٌ - غُبارٌ وَكدورَةٌ.

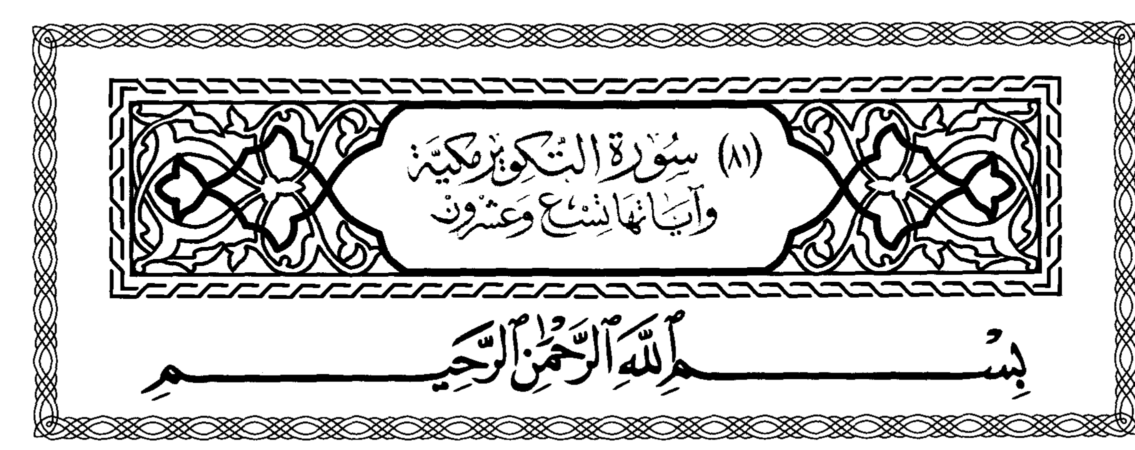
(٤١) - وَيَغْشَى وُجُوهَهُمْ سَوادُ الغَمِّ وَالحُزْنِ.

تَرْهَقُها - تَغْشاها.

قَتَرَةٌ - ظُلْمَةٌ وَسَوادٌ.

(أُولَئِكَ)

(٤٢) - وَهَؤُلاَءِ الذِينَ يَعْلُو وُجُوهَهُمْ غُبارُ الذُّلِ، وَسَوادُ الحُزْنِ، هُمُ الكَفَرَةُ الذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ، وَبِما جاءَ بِهِ الأَنْبِياءُ، وَخَرَجُوا عَنْ حُدُودِ شَرائِعِهِ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ وَالمَعاصِي.



إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾

(١) - إِذَا جُمِعَ بَعْضُ الشَّمْسِ إِلَى بَعْضٍ ، وَتَلَاشَى ضَوْؤُهَا.
كُوِّرَتْ - أُزِيلَ ضَوْؤُهَا ، أَوْ لُفَّتْ وَطُوِيَتْ فَأَصْبَحَتْ كَالكُرَةِ.

وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾

(٢) - وَإِذَا تَنَاثَرَتِ النُّجُومُ، وَذَهَبَ لَأْلَاؤُهَا وَٱنْطَمَسَ نُورُهَا.
ٱنْكَدَرَتْ - ذَهَبَ ضَوْؤُهَا أَوْ تَسَاقَطَتْ وَهَوَتْ.

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾

(٣) - وَإِذَا زَالَتِ الجِبَالُ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَنُسِفَتْ، فَتَرَكَتِ الأَرْضَ قَاعاً صَفْصَفاً.
سُيِّرَتْ - أُزِيلَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا.

وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

(٤) - وَإِذَا النُّوقُ العِشَارُ أُهْمِلَتْ وَسُيِّبَتْ، وَلَمْ يَعُدْ يَعْتَنِي بِهَا أَحَدٌ لاشْتِدَادِ الخَطْبِ عَلَى النَّاسِ.
العِشَارُ - جَمْعُ عُشَرَاءَ وَهِيَ النُّوقُ الحَوَامِلُ.
عُطِّلَتْ - أُهْمِلَتْ وَتُرِكَتْ بِلَا رَاعٍ.

وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾

(٥) - وَإِذَا جُمِعَتِ الوُحُوشُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، وَٱخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

(٦) - وَإِذَا البِحَارُ ٱنْدَلَعَتْ فِيهَا النِّيرَانُ فَصَارَتْ نَاراً تَضْطَرِمُ.
(وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِفِعْلِ زِلْزَالٍ وَتَشَقُّقٍ فِي قِيعَانِ البِحَارِ فَيَتَسَرَّبُ مَاءُ البَحْرِ وَمَعَهُ المَوَادُ القَابِلَةُ لِلاشْتِعَالِ المَوْجُودَةُ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ إِلَى حَيْثُ تُوجَدُ السَّوَائِلُ المُلْتَهِبَةُ دَاخِلَ الأَرْضِ ، فَتَشْتَعِلُ وَتَظْهَرُ النِّيرَانُ عَلَى سَطْحِ البِحَارِ).
البِحَارُ سُجِّرَتْ - أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَاراً تَضْطَرِمُ.

وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

(٧) - وَإِذَا عَادَتِ الأَرْوَاحُ إِلَى أَبْدَانِهَا عِنْدَ النَّشْأَةِ الأُخْرَى، بَعْدَ أَنْ فَارَقَتْهَا حِينَ المَوْتِ، وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى هَذِهِ العَوْدَةَ تَزْوِيجاً.

(وَعَدَّ بَعْضُهُمْ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلاً عَلَى أَنَّ الأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ مِنْ حِينِ المَوْتِ إِلَى وَقْتِ الحَشْرِ).
(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى زُوِّجَتْ هُوَ: جَمْعُ كُلِّ نَفْسٍ مَعَ أَمْثَالِهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿احْشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[1]).
زُوِّجَتْ - رُدَّتِ الأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِ المَوْتَى، أَوْ قُرِنَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِمَثِيلَتِهَا.

﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ

(الْمَوْءُودَةُ) (سُئِلَتْ)
(٨) - وَإِذَا سُئِلَتِ المَوْءُودَةُ أَمَامَ وَائِدِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ.
(وَكَانَ العَرَبُ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَدْفُنُونَ بَنَاتِهِمْ وَهُنَّ أَحْيَاءٌ وَيُسَمُّونَ ذَلِكَ وَأْداً).

﴿٩﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ

(٩) - وَإِذَا سُئِلَتِ المَوْءُودَةُ عَنِ الذَّنْبِ الذِي ارْتَكَبَتْهُ فَأَوْجَبَ قَتْلَهَا.
(وَسَتُجِيبُ بِأَنَّهَا قُتِلَتْ بِلاَ ذَنْبٍ جَنَتْهُ).

﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ

(١٠) - وَإِذَا نُشِرَتْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ أَمَامَ أَعْيُنِ أَصْحَابِهَا يَوْمَ الحِسَابِ.

﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ

(١١) - وَإِذَا كُشِطَتِ السَّمَاءُ، وَأُزِيلَتْ مِنْ مَكَانِهَا، فَلَمْ يَبْقَ غِطَاءٌ وَلاَ سَمَاءٌ.
كُشِطَتْ - قُلِعَتْ كَمَا يُقْلَعُ السَّقْفُ.

﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ

(١٢) - وَإِذَا أُوقِدَتْ نَارُ الجَحِيمِ، إِيقَاداً شَدِيداً، لِيَكُونَ حَرُّهَا أَكْثَرَ إِيلاَماً لِلْكَفَرَةِ الطُّغَاةِ.
سُعِّرَتْ - أُوقِدَتِ النَّارُ إِيقَاداً عَظِيماً.

﴿١٣﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ

(١٣) - وَإِذَا أُدْنِيَتِ الجَنَّةُ مِنْ أَهْلِهَا، وَقُرِّبَتْ مِنْهُمْ وَأُعِدَّتْ لِدُخُولِهِمْ إِلَيهَا.
أُزْلِفَتْ - قُرِّبَتْ وَأُدْنِيَتْ.

﴿١٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ

(١٤) - فَإِذَا حَصَلَ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَحْدَاثِ السَّالِفَةِ التِي تَدُلُّ عَلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَبُعِثَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَحُشِرُوا لِلحِسَابِ.. حِينَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ، وَمَا أُعِدَّ لَهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَتَعْلَمُ أَيَّ أَعْمَالِهَا قَدْ تَقَبَّلَهُ اللهُ، وَأَيَّ أَعْمَالِهَا رَدَّهُ عَلَيْهَا وَرَفَضَهُ.
أَحْضَرَتْ - عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

---

(١) سورة الصافات، الآية ٢٢.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾

(١٥) - أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالنُّجُومِ التِي تَغِيبُ عَنِ العُيُونِ فِي النَّهَارِ، وَتَخْتَفِي عَنِ الأَبْصَارِ، وَكَأَنَّهَا تَخْنُسُ فِي النَّهَارِ. [وَلاَ لِتَوْكِيدِ القَسَمِ، وَقِيلَ إِنَّهَا صِلَةٌ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ)]. (١)

(١٦) - وَهِيَ تَجْرِي فِي أَفْلاَكِهَا وَمَدَارَاتِهَا وَتَعُودُ لِتَظْهَرَ فِي اللَّيْلِ، وَكَأَنَّهَا عَادَتْ إِلَى مَوَاقِعِهَا كَمَا يَعُودُ الظَّبْيُ إِلَى كِنَاسِهِ (أَيْ بَيْتِهِ).
الكُنَّسِ - التِي تَسْتَتِرُ فِي مَغِيبِهَا.

(اللَّيْلِ)

(١٧) - وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَوَلَّى مُؤْذِناً بِزَوَالِ الظُّلْمَةِ.
عَسْعَسَ - أَدْبَرَ (وَقِيلَ إِنَّ عَسْعَسَ تَعْنِي إِقْبَالَ اللَّيْلِ لاَ إِدْبَارَهُ).

(١٨) - وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ وَظَهَرَ نُورُهُ، وَفِي ذَلِكَ بُشْرَى لِلأَنْفُسِ.
تَنَفَّسَ - أَقْبَلَ، وَأَشْرَقَ.

(١٩) - بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ قَالَ إِنَّ مَا أَخْبَرَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ لَيْسَ بِكِهَانَةٍ، وَلاَ افْتِرَاءٍ عَلَى اللهِ، وَإِنَّما هُوَ قَوْلٌ نَزَلَ عَلَيهِ وَحْياً مِنْ رَبِّهِ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلاَمُ. وَوَصَفَ تَعَالَى جِبْرِيلَ بِأَنَّهُ رَسُولٌ كَرِيمٌ، أَيْ عَزِيزٌ عَلَى رَبِّهِ.

(٢٠) - ثُمَّ يُتَابِعُ تَعَالَى وَصْفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُ: إِنَّهُ ذُو قُوَّةٍ فِي الحِفْظِ وَالبُعْدِ عَنِ النِّسْيَانِ وَالخَطَإِ وَهُوَ ذُو جَاهٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَ صَاحِبِ العَرْشِ أَيْ لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ.
مَكِينٍ - ذُو مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ وَشَرَفٍ.

(٢١) - تُطِيعُهُ المَلاَئِكَةُ وَيَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ، وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى إِبْلاَغِ وَحْيِ رَبِّهِ وَرِسَالاَتِهِ، وَقَدْ عَصَمَهُ اللهُ مِنَ الخِيَانَةِ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ رَبُّهُ، وَمِنَ الزَّلَلِ وَالخَطَإِ.

(٢٢) - وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ جِبْرِيلَ، وَصَفَ نَبِيَّهُ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ إِنَّ مُحَمَّداً ﷺ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، وَهُوَ صَاحِبُهُمْ وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ، لأَنَّهُ خَالَطَهُمْ وَعَاشَرَهُمْ وَعَرَفُوا صِفَاتِهِ.

(رَآهُ)

(٢٣) - وَإِنَّ مُحَمَّداً رَأَى جِبْرِيلَ عِيَاناً بِالأُفُقِ الأَعْلَى بِشَكْلٍ بَيِّنٍ وَاضِحٍ، وَقَدْ تَمَثَّلَ لَهُ فِي صُورَةٍ يَسْتَطِيعُ فِيهَا رُؤْيَتَهُ.

(١) سورة الحديد الآية ١٣

(٢٤) وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ

(٢٤) ـ وَلَيْسَ مُحَمَّدٌ بِالمُتَّهَمِ عَلَى القُرْآنِ، بَلْ إِنَّهُ ثِقَةٌ أَمِينٌ لاَ يُبَدِّلُ فِيهِ وَلاَ يُحرِّفُ، وَلاَ يَضِنُّ بِبَذْلِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ فَهُوَ غَيْرُ بَخِيلٍ بِهِ.

الغَيْبِ ـ الوَحْيِ وَخَبَرِ السَّمَاءِ.

ضَنِينٍ ـ بَخِيلٍ فَيُقَصِّرُ فِي تَبْلِيغِهِ.

(٢٥) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ

(شَيْطَانٍ)

(٢٥) ـ وَلَيْسَ هَذَا القُرْآنُ الذِي يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ (رَجِيمٍ)، وَلاَ يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ حَمْلَهُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ، (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى).[1]

(٢٦) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ

(٢٦) ـ فَأَيْنَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ، وَأَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهَذَا القُرْآنِ، وَقَدْ وَضَحَ لَكُمْ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ؟ وَأَيَّ سَبِيلٍ تَسْلُكُونَ لِلْهَرَبِ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْكُمُ المَسَالِكُ وَالسُّبُلُ، وَبَطَلَتْ مُفْتَرَيَاتُكُمْ، وَقَامَتْ عَلَيْكُمُ الحُجَّةُ؟.

(٢٧) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ

(لِلْعَالَمِين)

(٢٧) ـ وَلَيْسَ هَذَا القُرْآنُ إِلاَّ عِظَةً وَتَذْكِرَةً لِلنَّاسِ كَافَّةً.

(٢٨) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ

(٢٨) ـ وَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمُ الهِدَايَةَ وَالاسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ، فَعَلَيْهِ بِهَذَا القُرْآنِ فَلاَ هِدَايَةَ فِي غَيْرِهِ.

(٢٩) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(الْعَالَمِينَ)

(٢٩) ـ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[2]. قَالَ أَبُو جَهْلٍ: الأَمْرُ إِلَيْنَا إِنْ شِئْنَا آسْتَقَمْنَا وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَسْتَقِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ. وَالمَعْنَى أَنَّ المَشِيئَةَ مَرْدُودَةٌ إِلَى اللهِ وَلَيْسَتْ إِلَيْكُمْ، فَهُوَ الذِي يُودِعُ فِي النَّاسِ إِرَادَةَ فِعْلِ الخَيْرِ فَتَنْصَرِفُ هِمَّتُهُمْ إِلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ لَسَلَبَهُم إِيَّاهَا (أَيْ إِرَادَةَ فِعْلِ الخَيْرِ).

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٠.

(٢) سورة التكوير الآية ٢٨.



(١) إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ

(٢) وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ

(٣) وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ

(٤) وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ

(٥) عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ

(٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ

نصف الحزب ٥٩

(١) - إِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ وَتَغَيَّرَ نِظَامُهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَخَرَابِ العَالَمِ.

(٢) - وَإِذَا تَسَاقَطَتِ الكَوَاكِبُ مُتَبَعْثِرَةً.

(٣) - وَإِذَا تَشَقَّقَتِ البِحَارُ مِنْ جَوَانِبِهَا وَقِيعَانِهَا، فَاخْتَلَطَتْ مِيَاهُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ. (أَوْ غَارَتْ وَذَهَبَتْ مِيَاهُهَا).
فُجِّرَتْ - شُقِّقَتْ جَوَانِبُهَا أَوْ غَارَ مَاؤُهَا.

(٤) - وَإِذَا تَحَرَّكَتِ الأَرْضُ بِالقُبُورِ فَتَبَعْثَرَتْ، وَقُلِبَ تُرَابُهَا، وَخَرَجَ الأَمْوَاتُ مِنْهَا.

(٥) - إِذَا حَصَلَ كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ مَوْعِدُ قِيَامِ السَّاعَةِ قَدْ حَانَ، وَحَانَ البَعْثُ وَالحِسَابُ. وَحِينَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ وَلَمْ تُقَصِّرْ فِيهِ، وَمَا أَخَّرَتْ مِنْ عَمَلٍ وَتَكَاسَلَتْ عَنْ أَدَائِهِ.

(الإِنْسَانُ) (يَا أَيُّهَا)

(٦) - يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ عَلَى كُفْرِهِ وَعِصْيَانِهِ لِرَبِّهِ، مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ العَقْلَ وَالقُدْرَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ، وَأَظْهَرَ لَهُ الدَّلاَئِلَ وَالحُجَجَ عَلَى وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِلإِنْسَانِ: مَا الذِي غَرَّكَ وَجَرَّأَكَ وَحَمَلَكَ عَلَى عِصْيَانِ رَبِّكَ الكَرِيمِ العَظِيمِ، حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لاَ يَلِيقُ عَلَى فَضْلِهِ وَنِعَمِهِ عَلَيْكَ.
وَوَصَفَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالكَرِيمِ تَنْبِيهاً لِلإِنْسَانِ إِلَى أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَابِلَ الكَرِيمَ بِالأَفْعَالِ القَبِيحَةِ.
مَا غَرَّكَ - مَا خَدَعَكَ وَجَرَّأَكَ عَلَى عِصْيَانِ رَبِّكَ.

٧ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ

(فَسوَّاكَ)

(٧) - الذِي خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ جَعَلَكَ سَوِيّاً مُسْتَقِيماً مُعْتَدِلَ القَامَةِ، مُنْتَصِباً فِي أَحْسَنِ الهَيْئَاتِ وَالأَشْكَالِ.

٨ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ

(٨) - وَهُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يُرَكِّبَ الإِنْسَانَ وَيُخْرِجَهُ فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، لِذَلِكَ كَانَ خَلِيقاً بِهِ أَنْ يُقَدِّرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَ عَقْلَهُ وَحَوَاسَّهُ فِي الخَيْرِ، وَفِي فِعْلِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ.

٩ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ

(٩) - وَلَكِنَّكُمْ لاَ تَسْتَقِيمُونَ عَلَى مَا تُوجِبُهُ نِعَمُ اللهِ عَلَيْكُمْ فَتُقَابِلُونَ الحَسَنَةَ وَالفَضْلَ بِالكُفْرَانِ، بَلْ تَجْتَرِئُونَ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فَتُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الحَشْرِ وَالمَعَادِ، وَتُنْكِرُونَ بَعْثَكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ.

بِالدِّينِ - بِالحِسَابِ وَالجَزَاءِ.

١٠ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ

(لَحَافِظِينَ)

(١٠) - وَيُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى بَنِي الإِنْسَانِ إِلَى أَنَّ اللهَ جَعَلَ عَلَيْهِمْ مَلاَئِكَةً حَافِظِينَ يَحْفَظُونَهُمْ بِأَمْرِهِ تَعَالَى.

١١ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ

(كَاتِبِينَ)

(١١) - وَهُمْ كِرَامٌ عَلَى اللهِ، أُمَنَاءُ فِيمَا يَكْتُبُونَهُ مِنْ أَعْمَالِ العِبَادِ جَمِيعِهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

١٢ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ

(١٢) - وَهُمْ يُحْصُونَ جَمِيعَ مَا يَفْعَلُهُ العِبَادُ مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ، وَيُثْبِتُونَهُ فِي صَحَائِفِهِمْ.

١٣ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ

(١٣) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ الحِسَابِ فَيَذْكُرُ أَنَّ الأَبْرَارَ الذِينَ أَطَاعُوا اللهَ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ، يَصِيرُونَ إِلَى النَّعِيمِ فِي جَنَّاتٍ خَالِدِينَ.

الأَبْرَارَ - الذِينَ بَرُّوا وَصَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ.

١٤ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ

(١٤) - أَمَّا الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ الذِينَ عَصَوا اللهَ، وَغَرَّتْهُم الحَيَاةُ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا وَمَبَاهِجِها، فَنَسُوْا رَبَّهُمْ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ. فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ.

١٥ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ

(١٥) - وَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ لِيُقَاسُوا حَرَّهَا وَأَهْوَالَهَا يَوْمَ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ. **(يَوْمَ الدِّينِ)**.

يَصْلَوْنَهَا - يَدْخُلُونَهَا أَوْ يُقَاسُونَ حَرَّهَا.

﴿١٦﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ

﴿١٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ

﴿١٨﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ

﴿١٩﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ

(بِغَائِبِينَ)

(١٦) ـ وَلاَ يَغِيبُونَ عَنِ العَذَابِ فِي الجَحِيمِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلاَ يُجابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ المَوْتِ أَوِ الرَّحْمَةِ والرَّاحَةِ وَلَوْ لَحْظَةً مِنَ الزَّمَانِ.

(أَدْرَاكَ)

(١٧) ـ وَأَشَارَ اللهُ تَعَالَى إِلَى عَظَمَةِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَهَوْلِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَمْرَ النَّاسِ عَجِيبٌ فَهُمْ سَاهُونَ لاَهُونَ، وَكَانَ خَلِيقاً بِهِمْ أَنْ يَتَّعِظُوا، وَيَتَنَبَّهُوا وَيَتَدَبَّرُوا أَمْرَهُمْ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ، فَإِنَّهُمْ لاَ يُدْرِكُونَ هَوْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ (يَوْمُ الدِّينِ).

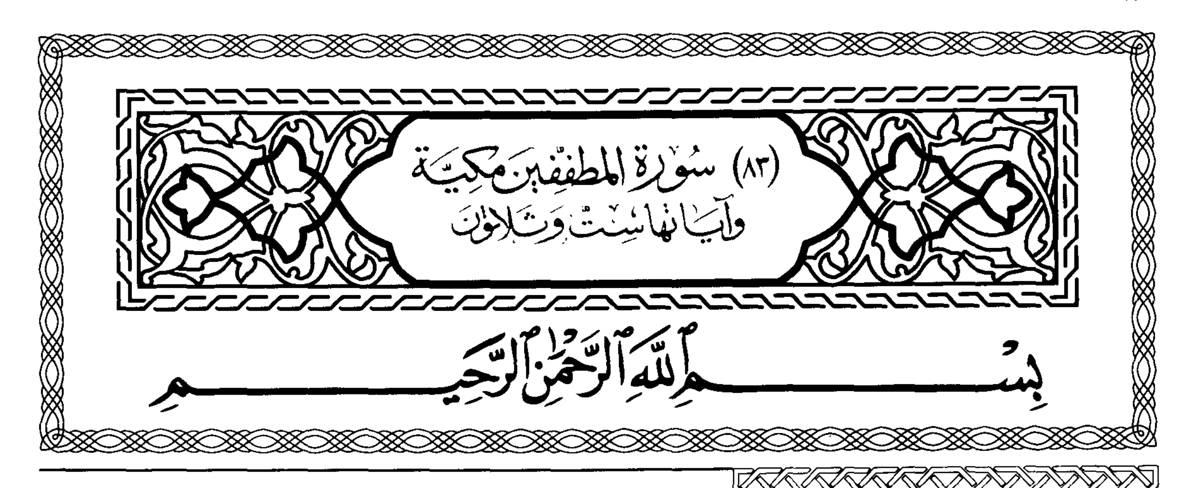
(أَدْرَاكَ)

(١٨) ـ ثُمَّ عَادَ تَعَالَى فَكَرَّرَ تَنْبِيهَهُ لِلنَّاسِ إِلَى هَوْلِ يَوْمِ القِيَامَةِ الذِي يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً[١].

(يَوْمَئِذٍ)

(١٩) ـ ثُمَّ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَنَّهُ يَوْمٌ لاَ تَسْتَطِيعُ فِيهِ نَفْسٌ أَنْ تَنْفَعَ نَفْساً، وَلاَ أَنْ تَدْفَعَ عَنْهَا، فَكُلُّ آمْرِىءٍ مَشْغُولٌ بِمَا هُوَ فِيهِ، وَقَدِ آسْتَأْثَرَ اللهُ بِالأَمْرِ كُلِّهِ، فَإِلَيْهِ تَصْرِيفُ الأُمُورِ فِيهِ، وَإِلَيهِ المَرْجِعُ وَالمَآبُ.

(١) سورة المزمل الآية ١٧.



﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿١﴾

(١) - المُطَفِّفُونَ هُم الذِينَ يَبْخسُونَ المِكْيَالَ وَالمِيزانَ، إمَّا بِالزِّيَادَةِ إذَا اقْتَضَوا مِنَ النَّاسِ، وَإمَّا بِالنُّقْصَانِ إذَا قَضَوْهُمْ. وَسُمِّي عَمَلُهُمْ تَطْفِيفاً لأنَّ مَا يَبْخسُونَهُ النَّاسَ شيءٌ حَقِيرٌ طَفِيفٌ.

وَيقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ المَدِينَةَ وَجَدَهُمْ أخْبَثَ النَّاسِ كَيْلاً، فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ فَحَسَّنُوا الكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ

وَيَتَهَدَّدُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ بِالهَلاَكِ وَالخِزْيِ مَنْ يُطَفِّفُ فِي المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ.

وَيْلٌ - هَلاَكٌ وَخِزْيٌ وَعَذَابٌ.

المُطَفِّفُونَ - الذِينَ يَبْخسُونَ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ بِالمِكْيَالِ وَالمِيزَانِ.

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ ﴿٢﴾

(٢) - وَفَسَّرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَـذِهِ الآيَةِ، وَالتِي تَلِيهَا، المَعْنَى المَقْصُودَ بِالمُطَفِّفِينَ فَقَالَ: هُمُ الذِينَ إذَا كَانَ المَالُ لِلنَّاسِ، وَأرَادُوا أنْ يَكِيلُوا مِنْهُ لأنْفُسِهِمْ زَادُوا فِي المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ، وَاسْتَوْفَوا أكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ.

اكْتَالُوا - اشْتَرَوا بِالكَيْلِ.

يَسْتَوْفُونَ - يَأْخُذُونَ أكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ﴿٣﴾

(٣) - وَإذَا كَانَ المَالُ لَهُمْ وَأرَادُواأنْ يَكِيلُوا مِنْـهُ لِلنَّاسِ أوْ يَـزِنُوا لَهُمْ، أنْقَصُوا مِنْهُ، وَأعْطَوْهُمْ أقَلَّ مِنْ حَقِّهِمْ.

كَالُوهُمْ - أعْطَوا غَيْرَهُمْ بِالكَيْلِ.

يُخْسِرُونَ - يُنْقِصُونَ المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ ﴿٤﴾

(أُولَئِكَ)

(٤) - أيَظُنُّ هَؤُلاَءِ أنَّهُمْ لَنْ يُبْعَثُوا يَـوْمَ القِيَامَـةِ لِيُحَاسَبُـوا أمَامَ اللهِ عَلَى أعْمَالِهِمْ؟ فَهَذِهِ الأفْعَالُ المُنْكَرَةُ لاَ تَصْدُرُ عَمَّنْ يَعْتَقِدُ بِـوُجُودِ اللهِ، وَأنَّ اللهَ سَيَجْمَعُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أعْمَالِهِمْ.

﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ٥﴾

(٥) ـ أيْ ألَا يَعْتَقِدُ هؤلَاءِ أنَّهُمْ سَيُبْعَثُونَ فِي يَوْمٍ عَظِيمِ الهَوْلِ ـ هُوَ يَوْمُ القِيامَةِ ـ لِيُحاسَبُوا عَلَى أعْمالِهِمْ؟..

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾

(العَالَمِينَ)

(٦) ـ وَفِي هَذا اليَوْمِ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهِمْ حُفَاةً عُرَاةً لِلْعَرْضِ وَالحِسابِ، وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدُ الهَوْلِ عَلَى الكَافِرِينَ لِمَا يَرَوْنَهُ وَيَنْتَظِرُونَهُ مِنْ عَذابٍ.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾

(كِتَاب)

(٧) ـ كُفُّوا أيُّها المُطَفِّفُونَ، وَازْدَجِرُوا عن التَّطْفِيفِ، فَإنَّ الفُجَّارَ المُطَفِّفِينَ سَيُحَاسَبُونَ عَلَى أعْمالِهِمْ، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي مَكانٍ ضَيِّقٍ سَحِيقِ السُّفُولِ (فِي سِجِّينٍ).
(وَقِيلَ إنَّ المَعْنَى هُوَ أنَّ كِتَابَ أعْمالِهِمْ سَيَكُونُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ دَلَالَةً عَلَى التَّحْقِيرِ وَالإذْلَالِ).
كِتَابَ الفُجَّارِ ـ مَصِيرَ الفُجَّارِ ـ أوْ كِتَابَ أعْمالِهِمْ.
سِجِّينٍ ـ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ بَعِيدِ السُّفُولِ، وَسِجِّينٌ مُشْتَقٌّ مِنَ السِّجْنِ وَالضِّيقِ وَالسُّفُولِ.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨﴾

(أدْرَاكَ)

(٨) ـ وَإنَّكَ لَا تَدْرِي مَا سِجِّينٌ هَذا؛، لِأنَّكَ لَا تَعْلَمُهُ أنْتَ وَلَا قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩﴾

(كِتَابٌ)

(٩) ـ وَمَصِيرُ هَؤُلَاءِ المُجْرِمِينَ فِي سِجِّينٍ مَكْتُوبٌ مَرْقُومٌ مَفْرُوغٌ مِنْهُ، لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠﴾

(يَوْمَئِذٍ)

(١٠) ـ الوَيْلُ وَالخِزْيُ وَشِدَّةُ العَذابِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِمَنْ كَانَ يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الجَزاءِ، وَلِمَنْ كَانَ لَا يُبَالِي بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ حِسَابٍ وَعِقَابٍ.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١﴾

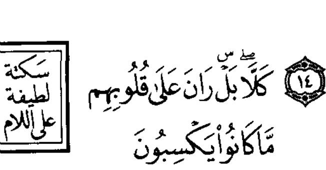
(١١) ـ الذينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ القِيامَةِ، يَوْمِ الحِسَابِ وَالجَزاءِ.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾

(١٢) ـ وَمَا يُكَذِّبُ بِهَذا اليَوْمِ إلَّا المُعْتَدِي فِي أفْعَالِهِ، الذِي يَتَجاوَزُ الحَلالَ إلَى الحَرامِ، الأثِيمُ فِي أقْوالِهِ فَهُوَ إنْ حَدَّثَ كَذَبَ وَإنْ وَعَدَ أخْلَفَ وَإنْ خَاصَمَ فَجَرَ.
مُعْتَدٍ ـ فَاجِرٍ مُتَجَاوِزِ الحَدِّ.

﴿١٣﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

﴿١٤﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ



﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ

﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ

﴿١٧﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ

﴿١٨﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ

أثيم - كَثِيرِ الإِثْمِ.

(آيَاتُنَا) (أَسَاطِير)

(١٣) - وَهَذَا المُعْتَدِي الأَثِيمُ هُوَ الذِي إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللهِ يُتْلَى عَلَيْهِ، كَذَّبَهُ وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مُنَزَّلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنَ أَخْبَارِ الأَوَّلِينَ وَقَصَصِهِمْ، أَخَذَهَا مُحَمَّدٌ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ السَّابِقِينَ.

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ - قَصَصُ الأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُهُمْ المُدَوَّنَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

(١٤) - وَلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا مِنْ أَنَّ هَذَا القُرْآنَ هُوَ مِنْ أَسَاطِيرِ الأَوَّلِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنَّ الذِي حَجَبَ عَنْ قُلُوبِهِم الإِيمَانَ هُوَ مَا عَلَا قُلُوبَهُمْ وَغَطَّاهَا مِنْ تَرَاكُمِ الذُّنُوبِ، وَتَوَالِي الإِقْدَامِ عَلَى مُنْكَرِ الأَعْمَالِ، حَتَّى اعْتَادُوهَا، وَصَارَتْ سَبَباً لَهُمْ لِحُصُولِ الرَّيْنِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَالتِبَاسِ الأُمُورِ عَلَيْهِمْ.

(أَيْ إِنَّ قُلُوبَهُمْ عَمِيَتْ مِنَ الذُّنُوبِ وَمَاتَ فِيهَا الإِحْسَاسُ)

كَلَّا - رَدْعٌ وَزَجْرٌ عَنْ قَوْلِهِم البَاطِلِ.

رَانَ - غَلَبَ وَغَطَّى، وَغَلَّفَ وَأَعْمَى.

(يَوْمَئِذٍ)

(١٥) - يَزْجُرُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ المُكَذِّبِينَ، الذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ القُرْآنَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، والذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ عِنْدَ اللهِ مِنَ المُقَرَّبِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، فَهُمْ سَيُطْرَدُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَسَيُحْجَبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

(١٦) - وَبَعْدَ أَنْ يُحْجَبُوا يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ، يُقْذَفُ بِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَصْلَوْنَ سَعِيرَهَا، وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا.

(١٧) - وَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا العَذَابَ الذِي أَنْتُم فِيهِ هُوَ جَزَاءٌ لَكُمْ عَلَى تَكْذِيبِكُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ.

(كِتَاب)

(١٨) - وَإِنَّ مَصِيرَ الأَبْرَارِ سَيَكُونُ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (عِلِّيِّينَ - أَيْ مَكَانٍ عَالٍ).

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ كِتَابَ أَعْمَالِ الأَبْرَارِ مُودَعٌ فِي أَعْلَى الأَمْكِنَةِ، بِحَيْثُ يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ مِنَ المَلَائِكَةِ تَشْرِيفاً لَهُمْ، وَتَعْظِيماً لِشَأْنِهِمْ).

(وَالرَّأْيَانِ يَتَّفِقَانِ عَلَى أَنَّ الأَبْرَارَ مُكَرَّمُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ).

كِتَابَ الأَبْرَارِ - مَصِيرَهُمْ أَوْ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِمْ.

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾

(أدْرَاكَ)

(١٩) ـ وَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى بَيَانَ عَظَمَةِ شَأْنِ عِلِّيينَ فَقَالَ: وَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا عِلِّيُونَ هَذا لأَنَّكَ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ.

كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾

(كِتَابٌ)

(٢٠) ـ وَمَصِيرُ هَؤُلاَءِ الأَبْرَارِ فِي عِلِّيينَ مَكْتُوبٌ مَرْقُومٌ.

يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

(٢١) ـ وَيَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا.

إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾

(٢٢) ـ وَيَكُونُ الأَبْرَارُ الذِينَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى رُسُلِهِ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ، وَجَنَّاتٍ فِيهَا فَضْلٌ عَظِيمٌ يَوْمَ القِيَامَةِ.

عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾

(الأَرائِكِ)

(٢٣) ـ وَهُمْ عَلَى الأَسِرَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الذِي لاَ يُوصَفُ (وَقِيلَ بَلْ إِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ).

الأَرائِكِ ـ الأَسِرَّةِ.

تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾

(٢٤) ـ وَإِذَا نَظَرَ الإِنْسَانُ إِلَى وُجُوهِهِمْ أَدْرَكَ أَنَّهُمْ أَهْلُ رِفْهٍ وَنَعِيمٍ لِمَا يَرَى فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ الاطْمِئْنَانِ وَالنَّضْرَةِ.

نَضْرَةَ النَّعِيمِ ـ بَهْجَتَهُ وَرَوْنَقَهُ.

يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾

(٢٥) ـ يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرِ الجَنَّةِ فِي أَوَانٍ مَخْتُومَةٍ، يَفُكُّ خَتْمَهَا الأَبْرَارُ.

الرَّحِيقُ ـ مِنْ أَسْمَاءِ الخَمْرِ الجَيِّدَةِ.

خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾

(خِتَامُهُ) (المُتَنَافِسُونَ)

(٢٦) ـ وَقَدْ خُتِمَتْ أَوَانِيهَا بِخِتَامٍ مِنْ مِسْكٍ تَكْرِيماً لِهَذِهِ الخَمْرِ، وَصَوْناً لَهَا عَنِ الابْتِذَالِ (وَأَهْلُ الأَرْضِ كَانُوا يَخْتُمُونَ أَوَانِيَ الخَمْرِ بِطِينٍ).

وَلِلْوُصُولِ إِلَى هَذَا النَّعِيمِ فَعَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَسَابَقُوا وَيَتَنَافَسُوا فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ، وَالفَوْزِ بِمَرْضَاتِهِ، وَالعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ.

وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾

(٢٧) ـ وَيُمْزَجُ هَذَا الرَّحِيقُ المَخْتُومُ بِالمِسْكِ لِهَؤُلاَءِ الكِرَامِ البَرَرَةِ بِمَاءٍ يَأْتِي مِنْ عَيْنِ تَسْنِيمٍ فِي أَعَالِي الجَنَّةِ.

(وَقِيلَ إِنَّ تَسْنِيمَ هُوَ شَرَابٌ مِنْ أَشْرَفِ شَرَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ).

عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

(٢٨) ـ وَوَصَفَ تَعَالَى تَسْنِيمَ هَذِهِ فَقَالَ: إِنَّهَا عَيْنٌ يَشْرَبُ مِنْهَا الأَبْرَارُ المُقَرَّبُونَ الرَّحِيقَ مَمْزُوجاً إِذَا شَاؤُوا.

(وَقَدْ نَصَبَ عَيْناً عَلَى المَدْحِ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ أَمْدَحُ عَيْناً).

٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ

٣٠ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ

٣١ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ

٣٢ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ

٣٣ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ

٣٤ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ

٣٥ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ

٣٦ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ

(آمَنُوا)

(٢٩) - إِنَّ المُجْرِمِينَ الذِينَ يُعَانُونَ سُوء العَذَابِ، فِي الآخِرَةِ، كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْخَرُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ الذِينَ أَكْرَمَهُم اللهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، حِينَمَا كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.

(٣٠) - وَكَانُوا إِذَا مَرُّوا بِالمُؤْمِنِينَ يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ وَيَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِمْ بِالعُيُونِ، آسْتِهْزَاءً بِهِمْ.

(٣١) - وَإِذَا رَجَعُوا إِلَى جَمَاعَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ، رَجَعُوا مُعْجَبِينَ بِأَنْفُسِهِمْ لِمَا فَعَلُوهُ بِالمُؤْمِنِينَ مِنَ السُّخْرِيَةِ وَالإِيْذَاءِ.
فَكِهِينَ - مُعْجَبِينَ، أَوْ مَسْرُورِينَ رَاضِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ.

(٣٢) - وَإِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ المُجْرِمُونَ المُؤْمِنِينَ قَالُوا: إِنَّهُمْ ضَالُّونَ إِذْ بَدَّلُوا دِينَهُمْ، وَتَرَكُوا مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ، وَآتَّبَعُوا مُحَمَّداً وَدِينَهُ.

(حَافِظِينَ)

(٣٣) - وَاللهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرْسِلِ الكُفَّارَ رُقَبَاءَ عَلَى المُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَعْهَدْ إِلَيْهِمْ بِمُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَلَا يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَعِيبُوا عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعْمَالَهُمْ.

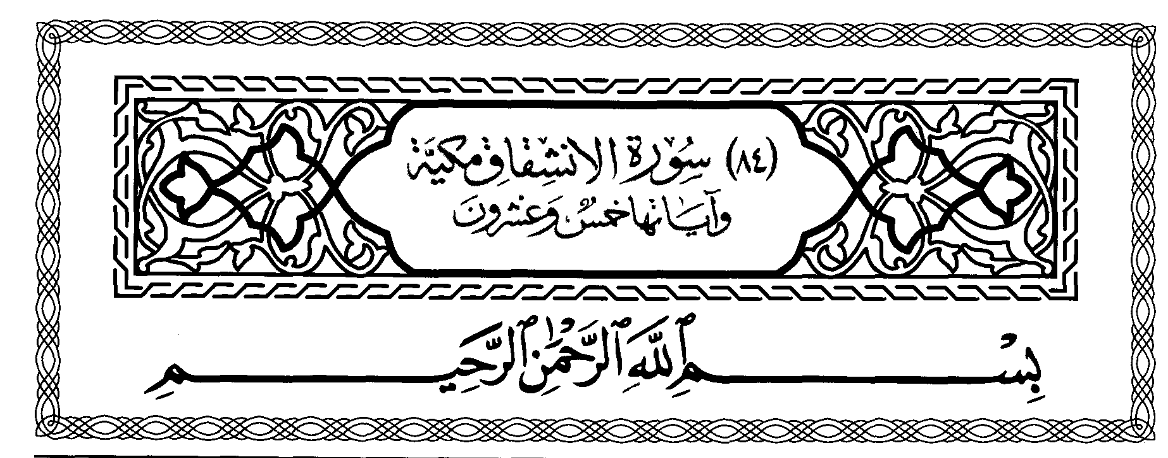
(آمَنُوا)

(٣٤) - وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ الذِي يُكَرِّمُ فِيهِ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ، وَيُخزِي الكَافِرِينَ المُجْرِمِينَ، فَإِنَّ المُؤْمِنِينَ هُمُ الذِينَ يَضْحَكُونَ مِنَ الكُفَّارِ، وَمَا صَارُوا إِلَيهِ مِنَ الخِزْيِ وَالذُّلِّ وَالعَذَابِ.

(الأَرَائِكِ)

(٣٥) - وَيَكُونُ المُؤْمِنُونَ المُكَرَّمُونَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ جَالِسِينَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ.

(٣٦) - لِيَرَوا إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الكُفَّارُ قَدْ لَقُوا الجَزَاءَ الأَوْفَى، الذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَأَعْمَالِهِم المُجْرِمَةِ، فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.
التَّثْوِيبُ وَالإِثَابَةُ - المُجَازَاةُ.



(١) إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩

(١) ـ حِينَمَا يَحِينُ قِيَامُ السَّاعَةِ تَحْدُثُ أَحْدَاثٌ عَجِيبَةٌ فِي الكَوْنِ، وَيَضْطَرِبُ نِظَامُهُ، وَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ، وَتَتَصَدَّعُ.

آنْشَقَّتْ ـ آنْصَدَعَتْ.

(٢) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ

(٢) ـ وَآسْتَمَعَتِ السَّمَاءُ لِأَمْرِ رَبِّهَا، وَأَطَاعَتْهُ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنَ الانْشِقَاقِ (أَذِنَتْ)، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أَمْرَ رَبِّهَا، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ عَظَمَتَهُ وَجَلاَلَهُ، وَتَعْلَمُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُمَانَعُ وَلاَ يُغَالَبُ.

أَذِنَتْ ـ آسْتَمَعَتْ وَآنْقَادَتْ.

حُقَّتْ ـ مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَيْهَا الانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ.

(٣) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ

(٣) ـ وَتَضْطَرِبُ الأَرْضُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ المَهُولِ، وَتَنْدَكُّ جِبَالُهَا، وَتَنْبَسِطُ فَتُصْبِحُ الأَرْضُ كَالفِرَاشِ، وَتَمْتَدُّ كَمَا يَمْتَدُّ الجِلْدُ المَدْبُوغُ (كَمَا قَالَهُ آبْنُ عَبَّاسٍ).

مُدَّتْ ـ بُسِطَتْ وَسُوِّيَتْ.

(٤) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ

(٤) ـ وَتَقْذِفُ الأَرْضُ مَا فِي جَوْفِهَا مِنْ أَمْوَاتٍ وَمَعَادِنَ وَسَائِلٍ مُنْصَهِرٍ، وَتَتَخَلَّى عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ.

أَلْقَتْ مَا فِيهَا ـ لَفَظَتْ مَا فِي جَوْفِهَا.

(٥) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ

(٥) ـ وَهِيَ إِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ آسْتِجَابَةً لِأَمْرِ رَبِّهَا العَظِيمِ، وَحَقِيقٌ عَلَيْهَا أَنْ تَسْتَجِيبَ لِأَمْرِهِ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ عَظَمَةَ جَلاَلِهِ، وَتُدْرِكُ أَنَّهَا فِي قَبْضَةِ القُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ.

(٦) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ

(الإِنْسَانُ) (فَمُلاَقِيهِ) (يَا أَيُّهَا)

(٦) ـ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ عَامِلٌ فِي حَيَاتِكَ، وَمُجِدٌّ فِي عَمَلِكَ، إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَيَاتُكَ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ فِي عَمَلِكَ هِيَ خُطْوَةٌ فِي أَجَلِكَ، وَالمَوْتُ

يَكْشِفُ غطاءَ الغفْلَةِ عَنِ الرُّوحِ ، وَيَجْلو لَها وَجْهَ الحَقِّ، فَتَعْرِفُ مِنَ اللهِ مَا كَانَتْ تُنْكِرُهُ، وَيَوْمَ الحَشْرِ يَجِدُ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَةَ عَمَلِهِ حَاضِرَةً، وَقَدْ حَوَتْ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَيُجَازِيهِ اللهُ وَفْقَهَا.

كَادِحٌ - جَاهِدٌ فِي عَمَلِكَ لِرَبِّكَ.

فَمُلاَقِيهِ - وَسَتُلاَقِي جَزَاءَ عَمَلِكَ.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾

(كِتَابَهُ)

(٧) - فَأَمَّا مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ سِجِلُّ عَمَلِهِ فَتَنَاوَلَهُ بِيَدِهِ اليُمْنَى.

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

(٨) - فَإِنَّهُ يُحَاسَبُ أَيْسَرَ حِسَابٍ، إِذْ يُثِيبُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ، وَيَتَجَاوَزُ الرَّحْمٰنُ عَمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ هَفَوَاتٍ.

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾

(٩) - وَمَنْ حُوسِبَ هَذَا الحِسَابَ اليَسِيرَ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ المُؤْمِنِينَ مَسْرُوراً مُبْتَهِجاً قَائِلاً: (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ)[1].

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾

(كِتَابَهُ)

(١٠) - وَأَمَّا الذِي ارْتَكَبَ المَعَاصِي، وَاجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ، فَيُؤْتَى كِتَابَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ تَحْقِيراً لَهُ، وَيَتَنَاوَلُهُ بِشِمَالِهِ.

فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾

(يَدْعُو)

(١١) - فَيُدْرِكُ أَنَّهُ هَالِكٌ فَيَدْعُو هَلاَكاً وَخَسَاراً وَيَقُولُ: وَاثُبُورَاهْ.

ثُبُوراً - هَلاَكاً وَخَسَاراً.

وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾

(١٢) - وَيُقْذَفُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيَصْلَى سَعِيرَهَا

يَصْلَى - يُقَاسِي حَرَّ جَهَنَّمَ أَوْ يَدْخُلُهَا.

إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾

(١٣) - فَقَدْ كَانَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا بَطِراً لاَ يُفَكِّرُ فِي أُمُورِ الآخِرَةِ، وَيُقْدِمُ عَلَى المَعَاصِي وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ لَذَّاتِهَا لَنْ تَعْقُبَهَا حَسْرَةٌ، وَلَنْ تُؤَدِّيَ بِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَلِذَلِكَ يُبَدِّلُهُ اللهُ تَعَالَى بِالنَّعِيمِ الزَّائِلِ الذِي كَانَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، بِالعَذَابِ الدَّائِمِ فِي الآخِرَةِ.

إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾

(١٤) - فَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللهِ، وَأَنَّ اللهَ لَنْ يَبْعَثَ الخَلاَئِقَ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

لَنْ يَحُورَ - لَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ.

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٩.

﴿١٥﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا

(١٥) - بَلَى إِنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَى اللهِ لِيُحَاسِبَهُ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ، إِنْ خَيْراً فَخَيْراً، وَإِنْ شَرّاً فَشَراً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى كَانَ مُطَّلِعاً عَلَى جَمِيعِ مَا عَمِلَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿١٦﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ

(١٦) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ لاَ يُرِيدُ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الأَشْيَاءِ التِي ذَكَرَهَا عَلَى إِثْبَاتِ مَا سَيَذْكُرُهُ، لأَنَّهُ أَمْرٌ ظَاهِرٌ لاَ يَحْتَاجُ ثُبُوتُهُ إِلَى حَلْفٍ.
(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ أُقْسِمُ قَسَماً مُؤَكَّداً بِحُمْرَةِ الأُفُقِ بَعْدَ الغُروبِ أَوْ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ). [وَلاَ لِتَوْكِيدِ القَسَمِ. وَقِيلَ إِنَّهَا صِلَةٌ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ)].
الشَّفَقُ - الحُمْرَةُ فِي السَّمَاءِ بَعْدَ الغُرُوبِ أَوْ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

﴿١٧﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ

(اللَّيْلِ)

(١٧) - ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لاَ يُرِيدُ أَنْ يُقْسِمَ بِاللَّيْلِ وَمَا جَمَعَ، وَمَا لَفَّ فِي ظُلْمَتِهِ مِنَ الخَلاَئِقِ، لِوُضُوحِ المَوْضُوعِ المُقْسَمِ عَلَيْهِ.
(وَقِيلَ وَمَا وَسَقَ تَعْنِي وَمَا سَاقَ مِنْ ظُلْمَةٍ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِالضِّيَاءِ وَالظَّلاَمِ).
وَسَقَ - ضَمَّ وَجَمَعَ - أَوْ مَا سَاقَ مِنْ ظُلْمَةٍ.

﴿١٨﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ

(١٨) - وَإِنَّهُ تَعَالَى لاَ يُرِيدُ أَنْ يُقْسِمَ بِالقَمَرِ إِذَا اجْتَمَعَ نُورُهُ، وَتَكَامَلَ وَأَصْبَحَ بَدْراً.

﴿١٩﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ

(١٩) - لَتُلاَقُنَّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ حَالاً بَعْدَ حَالٍ، وَأُمُوراً بَعْدَ أُمُورٍ، إِلَى أَنْ تَصِيرُوا إِلَى رَبِّكُمْ، وَهُنَاكَ الخُلُودُ فِي الجَنَّةِ أَوْ فِي النَّارِ (وَهَذَا جَوَابُ القَسَمِ).
(أَيْ لَتَنْتَقِلُنَّ مِنْ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِكُمْ إِلَى طَوْرٍ آخَرَ مُنْذُ أَنْ كُنْتُمْ نُطْفَةً حَتَّى يُدْرِكَكُمُ المَوْتُ).
لَتَرْكَبُنَّ - لَتُلاَقُنَّ.
طَبَقاً - أَحْوَالاً مُتَطَابِقَةً - أَوْ حَالاً بَعْدَ حَالٍ.

﴿٢٠﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(٢٠) - فَمَا الذِي يَمْنَعُهُمْ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؟ وَلِمَاذَا يَجْحَدُونَ بِقُدْرَةِ اللهِ، وَيُنْكِرُونَ صِحَّةَ البَعْثِ. وَكُلُّ شَيءٍ أَمَامَهُمْ يَدُلُّ عَلَى بَاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ؟.

﴿٢١﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ سجدة

(القُرْآنُ)

(٢١) - وَمَا لَهُمْ إِذَا قُرِىءَ القُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ إِعْظَاماً للهِ وَإِكْرَاماً؟.

﴿٢٢﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ

(٢٢) - إِنَّ كُلَّ الدَّلاَئِلِ تُوجِبُ عَلَيْهِم الإِيمَانَ بِاللهِ لَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مُعَانِدُونَ مُكَابِرُونَ، يُصِرُّونَ عَلَى الكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

﴿٢٣﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ

(٢٣) - وَاللهُ يَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الأَسْبَابِ التِي تَحْمِلُهُمْ عَلَى الإِصْرَارِ عَلَى الشِّرْكِ، وَالاسْتِمْرَارِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ.
يُوعُونَ - يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ، أَوْ يَجْمَعُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ.
وَأَوْعَى - جَمَعَ فِي وِعَاءٍ.

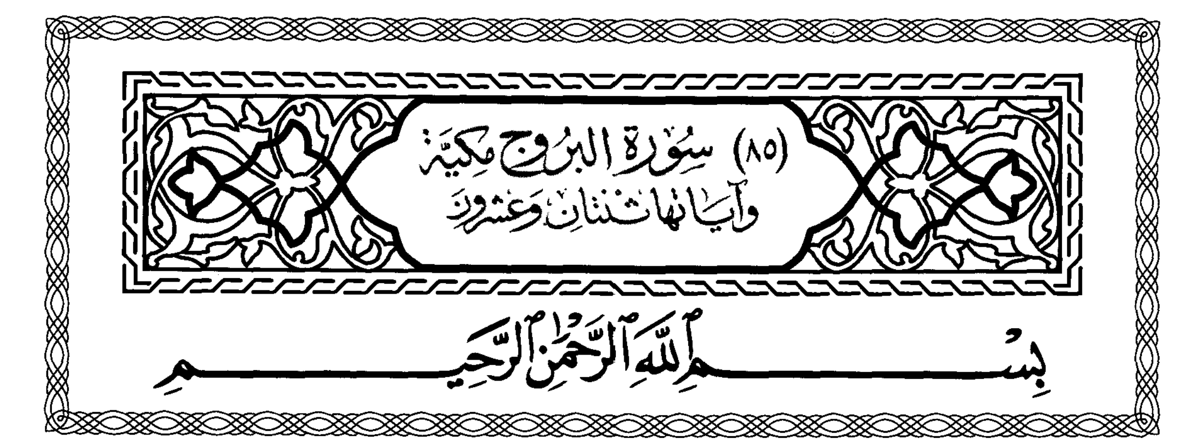
﴿٢٤﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

(٢٤) - وَجَزَاءُ الإِصْرَارِ عَلَى التَّكْذِيبِ وَالكُفْرِ وَالعِنَادِ العَذَابُ الأَلِيمُ فِي الآخِرَةِ، وَقَدْ بَشَّرَهُم اللهُ بِهِ آسْتِهْزَاءً بِهِمْ لأَنَّ البُشْرَى تَكُونُ فِي الأُمُورِ الحَسَنَةِ السَّارَّةِ عَادَةً.

﴿٢٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٥) - لَكِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُم عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءٌ حَسَنٌ، لاَ يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ، وَلاَ يَنْضُبُ مَعِينُهُ.
غَيْرُ مَمْنُونٍ - غَيْرُ مُنْقَطِعٍ عَنْهُمْ.



وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾

(١) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَبُرُوجِهَا.
(وَالبُرُوجُ هِيَ مَنَازِلُ الشَّمْسِ ، وَقِيلَ إِنَّ البُرُوجَ هِيَ النُّجُومُ العِظَامُ).

وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

(٢) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِيَوْمِ القِيَامَةِ وَهُوَ اليَوْمُ المَوْعُودُ لِلْفَصْلِ وَالجَزَاءِ.

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾

(٣) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي هَذَا الكَوْنِ مِمَّا يَشْهَدُهُ النَّاسُ وَيَرَوْنَه
(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنِيَّ بِالشَّاهِدِ هُوَ مَنْ يَشْهَدُ عَلَى غَيْرِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالمَشْهُودُ هُوَ مَنْ يَشْهَدُ غَيْرُهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ).

قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾

(أَصْحَابُ)

(٤) - لُعِنَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ، وَقَاتَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى (وَهَذَا جَوَابُ القَسَمِ).
(وَالأُخْدُودُ حُفْرَةٌ فِي الأَرْضِ. وَأَصْحَابُ الأُخْدُودِ هُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ يَهُودِ اليَمَنِ عَمَدُوا إِلَى مَنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ بِدِينِ المَسِيحِ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَأَكْرَهُوهُمْ عَلَى الارْتِدَادِ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَفَرُوا حُفْرَةً فِي الأَرْضِ (أُخْدُوداً) أَضْرَمُوا فِيهَا نَاراً عَظِيمَةً، وَوَقَفُوا بِالمُؤْمِنِينَ عَلَى النَّارِ، فَمَنْ قَبِلَ مِنَ المُؤْمِنِينَ الارْتِدَادَ عَنْ دِينِهِ أَطْلَقُوهُ، وَمَنْ رَفَضَ أَلْقَوْهُ فِي النَّارِ. فَلَعَنَ اللهُ مَنْ قَامُوا بِهَذَا العَمَلِ المُنْكَرِ).
قُتِلَ - لُعِنَ.
الأُخْدُودِ - الشَّقُّ العَظِيمُ فِي الأَرْضِ.

ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾

(٥) - وَأَصْحَابُ الأُخْدُودِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّتِي فِيهَا مِنَ الحَطَبِ الكَثِيرِ مَا يَشْتَدُّ بِهِ لَهِيبُهَا.

٦ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ

(٦) - وَكَانَ هَؤُلَاءِ المُجْرِمُونَ قَاعِدِينَ حَوْلَ النَّارِ، يُشْرِفُونَ عَلَى تَعْذِيبِ المُؤْمِنِينَ.

٧ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ

(٧) - وَكَانَ الطُّغَاةُ الذِينَ أَمَرُوا بِإِحْرَاقِ المُؤْمِنِينَ يُشَاهِدُونَ مَا يَفْعَلُهُ أَتْبَاعُهُمْ بِالمُؤْمِنِينَ.

٨ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

(٨) - وَلَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ المُؤْمِنِينَ مِنْ ذَنْبٍ يُسَبِّبُ نِقْمَةَ الطُّغَاةِ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ آمَنُوا بِرَبِّهِم العَزِيزِ، الذِي يُخْشَى عِقَابُهُ، المُنْعِمِ، الذِي يُرْجَى ثَوَابُهُ.

مَا نَقَمُوا - مَا أَنْكَرُوا، أَوْ مَا كَرِهُوا.

٩ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

(السَّمَاوَاتِ)

(٩) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِزَّةِ وَالحَمْدِ لِأَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فَلَا مَهْرَبَ لِهَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ مِنْهُ، وَهُوَ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ خَلْقِهِ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

١٠ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ

(المُؤْمِنَاتِ)

(١٠) - إِنَّ الذِينَ حَاوَلُوا فِتْنَةَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ عَنْ دِينِهِمْ، وَعَذَّبُوهُمْ لِيُجْبِرُوهُمْ عَلَى الارْتِدَادِ عَنِ الإِيمَانِ، وَأَصَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الكُفْرِ وَالعِنَادِ وَالطُّغْيَانِ، وَلَمْ يَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ حَتَّى أَدْرَكَهُمُ المَوْتُ، فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً فِي نَارِ جَهَنَّمَ جَزَاءً لَهُمْ.

فَتَنُوا - عَذَّبُوا المُؤْمِنِينَ لِيُجْبِرُوهُمْ عَلَى تَرْكِ دِينِهِمْ.

١١ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٌ) (الأَنْهَارُ)

(١١) - إِنَّ الذِينَ أَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَقَامُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ وَرِضْوَانِهِ، فَأُوْلَئِكَ يُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا، وَهَذَا هُوَ الفَوْزُ الكَبِيرُ.

١٢ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ

(١٢) - إِنَّ انْتِقَامَ اللهِ تَعَالَى مِنَ الجَبَابِرَةِ وَالطُّغَاةِ هُوَ فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ، وَفِي مُنْتَهَى الإِيلَامِ.

بَطْشَ رَبِّكَ - أَخْذَهُ الجَبَابِرَةَ بِالعَذَابِ.

١٣ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ

(١٣) - وَهُوَ يُبْدِىءُ الخَلْقَ (أَيْ يَخْلُقُهُم ابْتِدَاءً) ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، بَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا تُرَاباً.

يُبْدِىءُ - يَخْلُقُ خَلْقاً ابْتِدَاءً.

يُعِيدُ - يَبْعَثُ المَوْتَى بِقُدْرَتِهِ، وَيُعِيدُ خَلْقَهُمْ.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤﴾

(١٤) ـ وهُوَ الغفورُ لِمَنْ بَادَرُوا إِلَيهِ بِالتَّوْبَةِ فَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَهُوَ تَعَالَى كَثِيرُ الودِّ وَالمَحبَّةِ لِمَنْ خَلُصَتْ نَفْسُهُ لِرَبِّهِ بِالمَحَبَّةِ وَالطَّاعَةِ.

الوَدُودُ ـ المُتَوَدِّدُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ بِالكَرَامَةِ.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ١٥﴾

(١٥) ـ وَهُوَ ذُو العَرْشِ، أَيْ صَاحِبُ العَرْشِ العَظِيمِ العَالِي عَلَى جَمِيعِ الخَلاَئِقِ.

المَجِيدُ ـ العَظِيمُ الجَلاَلِ المُتَعَالِي.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾

(١٦) ـ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَقُولُ للشَّيءِ كُنْ فَيَكُونُ، فَإِذَا أَرَادَ هَلاَكَ الجَاحِدِينَ، وَنَصْرَ المُؤْمِنِينَ لَمْ يُعْجِزْهُ ذَلِكَ.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ١٧﴾

(أَتَاكَ)

(١٧) ـ هَلْ بَلَغَكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ الجُنُودِ مِنَ الأُمَمِ الطَّاغِيَةِ الخَالِيَةِ، الذِينَ تَمَادَوا فِي الكُفْرِ والضَّلاَلَةِ، وَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِمْ مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ؟.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨﴾

(١٨) ـ وَهَؤُلاَءِ الجُنُودُ هُمْ فِرْعَوْنُ، الذِي طَغَى وَادَّعَى الأُلُوهِيَّةَ، وَقَوْمُهُ، الذِينَ أَغْرَقَهُمُ اللهُ فِي البَحْرِ. وَثَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، الذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ التِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ آيَةً عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ نَبِيِّهِمْ، فَدَمَّرَ اللهُ بِلاَدَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ١٩﴾

(١٩) ـ بَلِ الكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِكَ أَشَدُّ فِي تَكْذِيبِهِمْ لَكَ مِنْ تَكْذِيبِ تِلْكَ الأَقْوَامِ لِرُسُلِهِمْ.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ٢٠﴾

(وَرَائِهِمْ)

(٢٠) ـ وَاللهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، لاَ مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهُ.

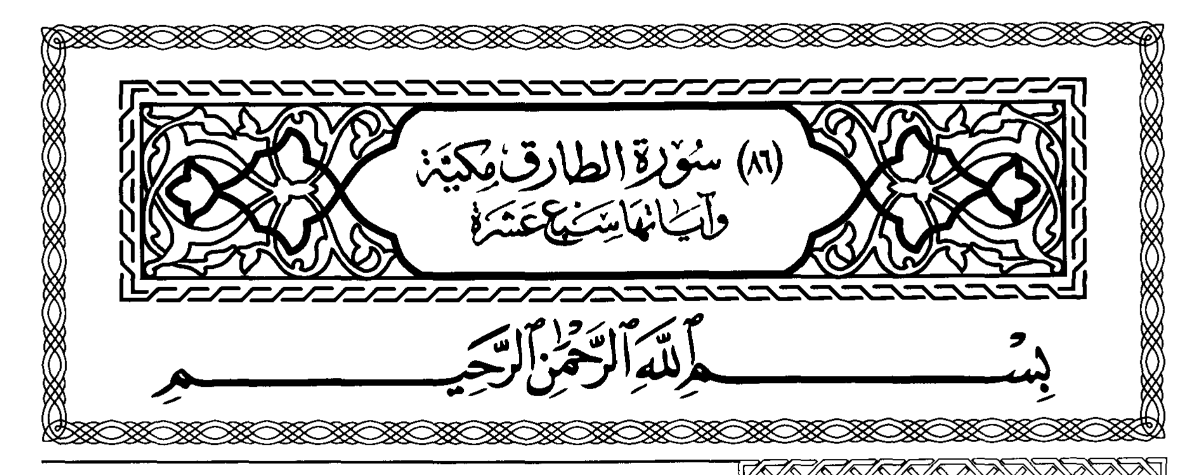
﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ٢١﴾

(قُرْآنٌ)

(٢١) ـ وَهَذَا القُرْآنُ الذِي جِئْتَهُمْ بِهِ، وَكَذَّبُوا بِهِ، هُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ مَجِيدٌ أَنْزَلَهُ اللهُ وَصَانَهُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ٢٢﴾

(٢٢) ـ وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى فِي المَلأِ الأَعْلَى مَحْفُوظاً مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، فَهُوَ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.



﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ①﴾

(١) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَنُجُومِهَا الثَّاقِبَةِ الضَّوْءِ، الَّتِي تَظْهَرُ لَيْلاً.
(الطَّارِقُ هُوَ الذي يَطْرُقُ البَابَ لَيْلاً، وَسُمِّي النَّجْمُ طَارِقاً لأَنَّهُ يَظْهَرُ فِي اللَّيْلِ).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ②﴾

(أَدْرَاكَ)

(٢) - وَأَيُّ شَيءٍ يُعْلِمُكَ حَقِيقَةَ هَذَا الطَّارِقِ، فَهُوَ لَيْسَ مِمَّا تُمْكِنُ الإِحَاطَةُ بِهِ.

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③﴾

(٣) - ثُمَّ فَسَّرَ اللهُ تَعَالَى مَعْنَى هَذَا الطَّارِقِ الذِي أَقْسَمَ بِهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ الذِي تَثْقُبُ شِدَّةُ ضَوْئِهِ وَلَمَعَانِهِ الظَّلاَمَ.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④﴾

(٤) - أَقْسَمَ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ، عَلَى أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظٌ مِنَ اللهِ، يُدَبِّرُ شُؤُونَهَا فِي جَمِيعِ أَطْوَارِ حَيَاتِهَا، وَهَذَا الحَافِظُ المُدَبِّرُ هُوَ رَبُّهَا، خَالِقُهَا وَمُصَرِّفُ أُمُورِهَا فِي مَعَاشِهَا وَحَيَاتِهَا وَمَعَادِهَا.
(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ المَقْصُودَ بِالحَافِظِ هُنَا المَلَكُ المُكَلَّفُ بِحِفْظِ الإِنْسَانِ وَمُرَاقَبَتِهِ كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَهُ مُعقبتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[١]).

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤﴾

(الإِنْسَانُ)

(٥) - يَلْفِتُ اللهُ تَعَالَى نَظَرَ الإِنْسَانِ إِلَى مَبْدَأ خَلْقِهِ لِيَتَّضِحَ لَهُ قُدْرَةُ خَالِقِهِ وَوَاهِبِهِ الحَيَاةَ وَالرِّزْقَ، لِيَعْرِفَ فَضْلَهُ وَمِنَّتَهُ عَلَيْهِ، فَلاَ يَكْفُرُ بِرَبِّهِ، وَلاَ يُنْكِرُ البَعْثَ وَالمَعَادَ، لأَنَّ مَنْ خَلَقَهُ مِنَ النُّطْفَةِ المَهِينَةِ، قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِ وَإِنْشَائِهِ، وَلِيَعْرِفَ الإِنْسَانُ ضَعْفَهُ وَتَفَاهَةَ أَصْلِهِ فَلاَ يَطْغَى وَلاَ يَتَجَبَّرُ.

(١) سورة الرعد الآية ١١.

﴿٦﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ

(٦) ـ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ مُتَدَفِّقٍ.
دَافِقٍ ـ مَصْبُوبٍ بِدَفْعٍ.

﴿٧﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ

(٧) ـ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَيَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الأُنْثَى.
(والصُّلْبُ أَسْفَلُ الظَّهْرِ، وَالتَّرَائِبُ هِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ).
(وَقَالَ الأُسْتَاذُ المَرَاغِي فِي تَفْسِيرِهِ: إِنَّ العِلْمَ الحَدِيثَ أَثْبَتَ أَنَّ الخِصْيَةَ وَالمَبِيضَ يَكُونَانِ فِي بَدْءِ تَكُوُّنِ الجَنِينِ مَا بَيْنَ مُنْتَصَفِ العَمُودِ الفِقَرِيِّ مُقَابِلَ الضُّلُوعِ فِي بَدْءِ أَيَّامِ الحَملِ).
الصُّلْبِ ـ أَسْفَلِ عِظَامِ الظَّهْرِ.
التَّرَائِبِ ـ عِظَامِ الرَّقَبَةِ وَالصَّدْرِ.

﴿٨﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ

(٨) ـ وَالذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ٱبْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِ وَرَدِّهِ حَيّاً بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ وَيَبْلَى.
رَجْعِهِ ـ إِعَادَةِ خَلْقِ الإِنْسَانِ بَعْدَ فَنَائِهِ.

﴿٩﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ

(السَّرَائِر)

(٩) ـ وَهُوَ تَعَالَى القَادِرُ عَلَى أَنْ يُعِيدَ الإِنْسَانَ حَيّاً فِي يَوْمِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ الذِي تَنْكَشِفُ فِيهِ السَّرَائِرُ، وَتَتَّضِحُ الضَّمَائِرُ، فَلاَ يَبْقَى فِي سَرِيرَةٍ سِرٌّ.
تُبْلَى السَّرَائِرُ ـ تُكْشَفُ مَكْنُونَاتُ القُلُوبِ.

﴿١٠﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ

(١٠) ـ وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ لاَ تَكُونُ لِلإِنْسَانِ قُوَّةٌ يُدَافِعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَلاَ يَجِدُ لَهُ نَاصِراً يَنْصُرُهُ مِنْ حِسَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ.

﴿١١﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ

(١١) ـ قَسَماً بِالسَّمَاءِ التِي تُنْزِلُ المَطَرَ.
(وَالرَّجْعُ هُوَ إِعَادَةُ الشَّيْءِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلاً، وَيُرَادُ بِهِ هُنَا المَطَرُ لأَنَّهُ يُعَادُ إِلَى الأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ).
(وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ المَطَرَ يَنْشَأُ مِمَّا يَتَصَاعَدُ مِنَ الأَرْضِ مِنْ بُخَارٍ).

﴿١٢﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ

(١٢) ـ وَقَسَماً بِالأَرْضِ التِي يَنْزِلُ عَلَيْهَا المَاءُ مِنَ السَّمَاءِ فَتَنْشَقُّ وَتَتَصَدَّعُ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا النَّبَاتُ.
الصَّدْعِ ـ النَّبَاتِ الذِي تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ.

﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ

(١٣) ـ بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَالأَرْضِ، قَالَ إِنَّ هَذَا القَوْلَ، الذِي جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ، هُوَ قَوْلٌ حَقٌّ فَاصِلٌ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَقَاطِعٌ لِلْجَدَلِ.
فَصْلٌ ـ فَاصِلٌ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤﴾

(١٤) - وَهُو قَوْلٌ جِدٌّ لاَ هَزلَ فِيهِ، فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ تَخْضَعَ لَهُ الرِّقَابُ، وَتذِلَّ جِبَاهُ العُتَاةِ.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥﴾

(١٥) - إِنَّ هَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ المُجْرِمِينَ يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ وَيَكِيدُونَ لَهُمْ بِدَعْوَتِهِمْ إِيَاهُمْ إِلَى مُخَالَفَةِ القُرْآنِ بِإِلْقَاءِ الشُّبُهَاتِ كَقَوْلِهِمْ: (إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ).

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦﴾

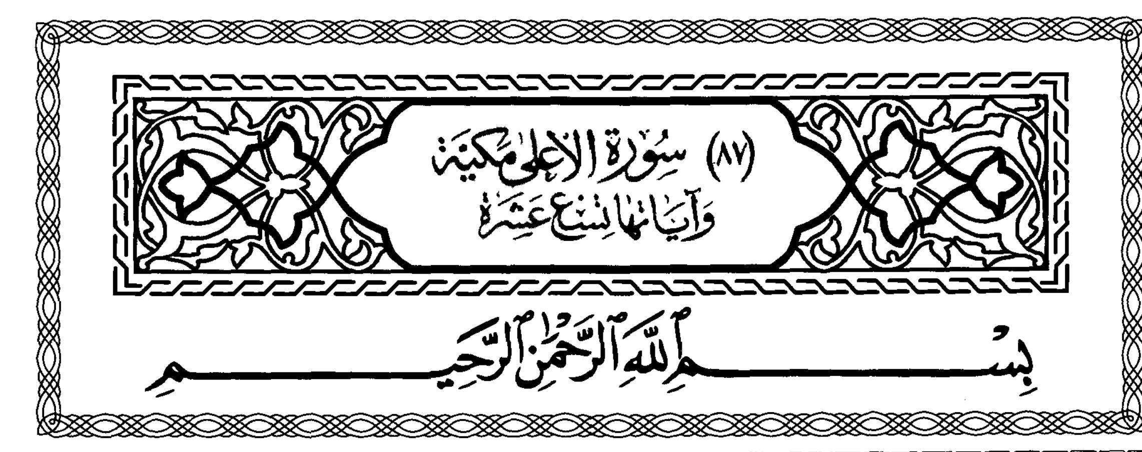
(١٦) - وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يُقَابِلُ كَيْدَهُمْ بِكَيْدٍ يُفْسِدُهُ وَيُبْطِلُهُ، لِيُظْهِرَ الحَقَّ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، وَلِيَدْفَعَ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ البَاطِلِ، وَلِيَعْلَمَ الخَلْقُ بِهَذا مَنْ يَكُونُ الغَالِبَ أَهُوَ اللهُ أَمِ العَبْدُ الكَافِرُ؟ إِنَّ اللهَ هُوَ الغَالِبُ لأَنَّ العَبْدَ أَضْعَفُ وَأَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُغَالِبَ اللهَ القَوِيَّ العَلِيمَ فِي كَيْدِهِ.

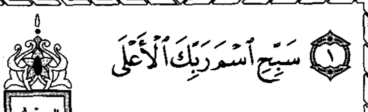
﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ١٧﴾

(الكَافِرِينَ)

(١٧) - ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الكَرِيمِ: سِرْ فِي دَعْوَتِكَ، وَلاَ تَسْتَعْجِلْ بِالعَذَابِ فَإِنَّنَا سَنُمْهِلُهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً حَتَّى إِذَا أَخَذْنَاهُمْ، أَخَذْنَاهُمْ بِحَقٍّ. وَعَادَ تَعَالَى فَأَكَّدَ طَلَبَهُ مِنْ رَسُولِهِ إِمْهَالَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّنَا سَنُمْهِلُهُمْ قَلِيلاً، وَسَتَرى مَا سَيَحِلُّ بِهِمْ مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ.

رُوَيداً - قَلِيلاً أَوْ قَرِيباً.





الحزب ٦٠

(١) سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى

(١) ـ نَزِّهِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى العَظِيمِ عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ، فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَلاَ تَذْكُرْهُ إِلاَّ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ لَهُ.

(٢) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ

(٢) ـ فَهُوَ الذِي خَلَقَ الكَائِنَاتِ جَمِيعَهَا وَأَوْجَدَهَا مِنْ عَدَمٍ، وَجَعَلَهَا مُنَسَّقَةً مُحْكَمَةَ الخَلْقِ، وَسَوَّى بَيْنَهَا فِي الإِحْكَامِ وَالإِتْقَانِ.

(٣) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ

(٣) ـ الذِي قَدَّرَ خَلْقَ كُلِّ شَيءٍ، وَأَعْطَاهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ وَمَا يُمَكِّنُهُ مِنْ أَدَاءِ مَهَمَّتِهِ التِي خُلِقَ لَهَا، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى ٱسْتِعْمَالِ مَا ٱخْتَصَّهُ اللهُ بِهِ لأَدَاءِ وَظِيفَتِهِ، وَالقِيَامِ بِمَا يُصْلِحُ حَالَهُ.
(كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿قَالَ رَبُّنَا الذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[1].
قَدَّرَ ـ جَعَلَ الشَّيْءَ عَلَى مَقَادِيرَ مَخْصُوصَةٍ.
فَهَدَى ـ فَوَجَّهَ كُلَّ وَاحِدٍ وَهَدَاهُ إِلَى مَا يَنْبَغِي لَهُ.

(٤) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ

(٤) ـ وَالذِي أَنْبَتَ النَّبَاتَ لِتَسْتَفِيدَ مِنْهُ المَخْلُوقَاتُ، فَمَا مِنْ نَبَاتٍ إِلاَّ وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَرْعىً لِنَوْعٍ مِنَ الحَيَوَانِ.

(٥) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ

(٥) ـ وَبَعْدَ أَنْ يَكُونَ النَّبَاتُ أَخْضَرَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى هَشِيماً يَابِساً، كَالغُثَاءِ الذِي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ لَوْنُهُ ضَارِبٌ إِلَى السُّمْرَةِ أَوِ السَّوَادِ.
أَحْوَى ـ أَسْمَرَ أَوْ أَسْوَدَ بَعْدَ الخُضْرَةِ.

(٦) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ

(٦) ـ سَنُنَزِّلُ عَلَيْكَ قُرْآناً تَقْرَؤُهُ وَلاَ تَنْسَى مِنْهُ شَيْئاً.
(وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ بِأَنَّهُ لَنْ يَنْسَى مِنَ القُرْآنِ شَيْئاً).

(٧) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ

(٧) ـ إِلاَّ إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُنْسِيَكَ مِنْهُ شَيْئاً فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ تَعَالَى مَالِكُ قَلْبِكَ وَعَقْلِكَ، وَعَالِمٌ بِسِرِّكَ وَجَهْرِكَ، فَلاَ يَفُوتُهُ شَيءٌ مِمَّا فِي نَفْسِكَ.

(١) سورة طه الآية ٥٠.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ ⑧

(٨) - وَيُوَفِّقُكَ رَبُّكَ إِلَى الطَّرِيقَةِ البَالِغَةِ اليُسْرِ، وَيَشْرَعُ لَكَ شَرْعاً سَمْحاً يَسْهُلُ عَلَى النُّفُوسِ قَبُولُهُ، وَعَلَى العُقُولِ فَهْمُهُ.

نُيَسِّرُكَ - نُوَفِّقُكَ.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ ⑨

(٩) - فَذَكِّرْ مَنْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُهُ، وَآدْعُ مَنْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُجِيبُكَ وَلَا يَجْبَهُكَ وَلَا يُؤْذِيكَ، فَمِنْ شَأْنِ الذِّكْرَى أَنْ تَنْفَعَ.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ ⑩

(١٠) - وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِتَذْكِيرِكَ مَنْ يَخْشَى اللهَ وَيَخَافُ عِقَابَهُ لِأَنَّهُ هُوَ الذِي يَتَأَمَّلُ فِيمَا تَقُولُهُ لَهُ، وَتُذَكِّرُهُ بِهِ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ ⑪

(١١) - وَيَبْتَعِدُ عَنْ هَذِهِ التَّذْكِرَةِ الرَّجُلُ الشَّقِيُّ المُعَانِدُ، المُصِرُّ عَلَى الجُحُودِ عِنَاداً وَآسْتِكْبَاراً.

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ ⑫

(١٢) - وَهُوَ الذِي يَدْخُلُ نَارَ جَهَنَّمَ، وَيَذُوقُ العَذَابَ فِيهَا.

يَصْلَى - يَدْخُلُ النَّارَ أَوْ يُقَاسِي حَرَّهَا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ⑬

(يَحْيَا)

(١٣) - وَهَذَا الشَّقِيُّ الذِي يُعَاقِبُهُ اللهُ عَلَى كُفْرِهِ وَضَلَالِهِ بِالعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ الكُبْرَى، يَبْقَى فِي العَذَابِ خَالِداً لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً فَيَسْعَدُ فِيهَا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ ⑭

(١٤) - وَقَدْ أَدْرَكَ الفَلَاحَ، وَظَفِرَ بِالبُغْيَةِ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ وَطَهَّرَهَا مِنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ وَالمَعَاصِي.

أَفْلَحَ - فَازَ.

تَزَكَّى - تَطَهَّرَ مِنَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ⑮

(١٥) - وَآسْتَذْكَرَ قَلْبُهُ دَائِماً صِفَاتِ رَبِّهِ مِنَ الجَلَالِ وَالكَمَالِ فَخَضَعَ لِجَبَرُوتِهِ، وَخَشَعَ قَلْبُهُ لَهُ وَصَلَّى.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ⑯

(الحَيَاةَ)

(١٦) - إِنَّ النَّاسَ يُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ، وَالعَقْلُ يُرْشِدُهُمْ إِلَى أَنَّ الآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، لِأَنَّ الآخِرَةَ دَائِمَةٌ بَاقِيَةٌ، وَالدُّنْيَا زَائِلَةٌ فَانِيَةٌ، وَالعَاقِلُ لَا يُؤْثِرُ الفَانِي عَلَى البَاقِي.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ⑰

(الآخِرَةُ)

(١٧) - وَالآخِرَةُ أَكْثَرُ دَوَاماً وَبَقَاءً مِنَ الدُّنْيَا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ ١٨

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ ١٩

(١٨) - إنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ، وَهَذَا الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَشَرْعٍ . . هُوَ بِعَيْنِهِ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَوَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(١٩) - وَمِنْ هَذِهِ الكُتُبِ السَّابِقَةِ التِي أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى رُسُلِهِ التِي حَوَتْ دِينَ اللهِ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، عَلَيْهِمَا السَّلامُ. فَإِذَا كَانَ المُخَاطَبُونَ قَدْ آمَنُوا بِإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ، لأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلاَّ بِمَا جَاءَ فِي صُحُفِهِمَا.



(١) هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ

(٢) وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ

(٣) عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ

(٤) تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ

(٥) تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ

(٦) لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ

(الْغَاشِيَةِ) (أتاكَ)

(١) - يقُولُ تَعَالَى لِنبيِّهِ الكَرِيمِ ﷺ: هَلْ بَلَغَكَ نَبأُ يَوْمِ القِيَامَةِ؟

الغَاشِيَةُ - آسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ القِيَامَةِ لأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ بِأَهْوَالِهَا وَتَعمُّهُمْ.

(خَاشِعَةٌ) (يَوْمَئِذٍ)

(٢) - فِي ذَلِكَ اليَوْمِ تَكُونُ وُجُوهُ الكَافِرِينَ المُجْرِمِينَ ذَلِيلَةً خَاشِعَةً، يَعْلُوهَا الخِزْيُ وَالذُّلُّ مِمَّا تَرى مِنَ الهَوْلِ.

خَاشِعَةٌ - ذَلِيلَةٌ خَاضِعَةٌ مِنَ الخِزْيِ.

(٣) - وَهَؤُلاَءِ الكُفَّارُ الذِينَ خَشَعَتْ وُجُوهُهُمْ، وَعلاَهَا الذُّلُّ وَالهَوَانُ، كَانُوا فِي حَيَاتِهِم الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ وَيجْتَهِدُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِأَعْمَالِهِمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ.

(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى: إِنَّهُمْ دَائِبُو العَمَلِ فِيمَا يُتْعِبُهُمْ وَيُشْقِيهِمْ، وَيُوصِلُهُمْ إِلَى النَّارِ).

نَاصِبَةٌ - مُتْعَبَةٌ فِي عَمَلِهَا.

(٤) - وَتُقَاسِي هَذِهِ الوُجُوهُ حَرَّ النَّارِ الحَامِيَةِ، وَتُعَذَّبُ فِيهَا.

(آنِيَةٍ)

(٥) - وَإِذَا عَطِشَ أَهْلُ النَّارِ، وَطَلَبُوا مَا يُطْفِيءُ ظَمَأَهُمْ، جِيءَ لَهُمْ بِمَاءٍ مِنْ عَيْنٍ مَاءٍ بَلَغَ مِنَ الحَرَارَةِ غَايَتَهَا، فَهُوَ لاَ يُطْفِيءُ ظَمَأَهُمْ.

آنِيَةٍ - بَلَغَتِ الغَايَةَ فِي الحَرَارَةِ.

(٦) - وَإِذَا طَلَبُوا الطَّعَامَ جِيءَ لَهُمْ بِالضَّرِيعِ، وَهُوَ نَبَاتٌ كَالشَّوْكِ مُرٌّ مُنْتِنٌ، لاَ يُشْبِعُ مِنْ جُوعٍ، وَلاَ يُسْمِنُ.

(٧) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ

(٧) ـ وعَرَّفَ اللهُ تعالَى هَذَا الضَّرِيعَ بِأَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِيهِ، وَلاَ فَائِدَةَ مِنْهُ، فَهُوَ لاَ يُسْمِنُ، وَلاَ يُغْنِي، وَلاَ يُشْبِعُ مِنْ جُوعٍ.
لاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ـ لاَيَدْفَعُ عَنْهُمْ جُوعاً.

(٨) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ

(٨) ـ وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ تَكُونُ وُجُوهُ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ المُتَّقِينَ ذَاتَ نَضْرَةٍ وَبَهْجَةٍ.
نَاعِمَةٌ ـ ذَاتُ بَهْجَةٍ وَحُسْنٍ وَنَضَارَةٍ.

(٩) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ

(٩) ـ رَاضِيَةٌ بِمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَدْ وَجَدَتْ جَزَاءَ سَعْيِهَا عِنْدَ رَبِّهَا الكَرِيمِ.

(١٠) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

(١٠) ـ وَقَدْ أَنْزَلَهُمْ رَبُّهُمْ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ.

(١١) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً

(لاَغِيَةً)

(١١) ـ وَلاَ يَسْمَعُ أَهْلُ الجَنَّةِ كَلِمَةَ لَغْوٍ لاَ خَيْرَ فِيهَا.

(١٢) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ

(١٢) ـ وَفِي الجَنَّةِ عُيُونُ مَاءٍ جَارِيَةٌ فِي جَنَبَاتِهَا.

(١٣) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ

(١٣) ـ وَفِيهَا أَسِرَّةٌ مُرْتَفِعَةٌ، إِذَا جَلَسَ عَلَيْهَا المُؤْمِنُ رَأَى جَمِيعَ مَا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ النَّعِيمِ.
مَرْفُوعَةٌ ـ مُرْتَفِعَةُ السَّمْكِ، أَوْ رَفِيعَةُ القَدْرِ.

(١٤) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ

(١٤) ـ وَفِيهَا أَكْوَابٌ لِلْمَاءِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى حَافَّاتِ عُيُونِ المَاءِ الجَارِيَةِ، فَكُلَّمَا أَرَادَ أَهْلُ الجَنَّةِ شُرْباً، وَجَدُوهَا حَاضِرَةً.
مَوْضُوعَةٌ ـ عَلَى حَافَّاتِ العُيُونِ، أَوْ مَوْضُوعَةٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

(١٥) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ

(١٥) ـ وَفِيهَا وَسَائِدُ مَصْفُوفٌ بَعْضُهَا إِلَى جَانِبِ بَعْضٍ، لِيَجْلِسُوا عَلَيْهَا، وَيَسْتَنِدُوا إِلَيْهَا.
نَمَارِقُ ـ وَسَائِدُ وَمَرَافِقُ يُتَّكَأُ عَلَيْهَا.
مَصْفُوفَةٌ ـ مَوْضُوعٌ بَعْضُهَا إِلَى جَانِبِ بَعْضٍ.

(١٦) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ

(١٦) ـ وَفِيهَا بُسُطٌ مَمْدُودَةٌ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ.
زَرَابِيُّ ـ بُسُطٌ فَاخِرَةٌ.
مَبْثُوثَةٌ ـ مُفَرَّقَةٌ فِي المَجَالِسِ.

(١٧) أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

(١٧) ـ أَيُنْكِرُ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ قُدْرَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَى بَعْثِ الخَلْقِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَأَمَامَهُمُ الإِبِلُ ـ الجِمَالُ ـ وَفِي خَلْقِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ؟ فَالإِبِلُ مِنْ أَضْخَمِ الحَيَوَانَاتِ، وَأَكْثَرِهَا قُوَّةً، وَأَكْبَرِهَا احْتِمَالاً، تَحْتَمِلُ العَطَشَ وَالجُوعَ، وَتَكْتَفِي بِاليَسِيرِ مِنَ المَرْعَى وَالمَاءِ

فَمَنْ خلقَهَا، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالجِبَالَ وَالأَرْضَ . . لقَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَبَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ.
أَفَلا يَنْظُرُونَ - أَفَلا يَتَأَمَّلُونَ فَيُدْرِكُونَ.

وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾

(١٨) - وَيُتَابِعُ اللهُ تَعَالَى لَفْتَ أَنْظَارِ هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ إِلَى عَظَمَتِهِ، وَعظَمَةِ مَا خَلَقَ، فَلَفَتَ نَظَرَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَٱرْتِفَاعِهَا وَمَا فِيهَا مِنْ نُجُومٍ وَكَوَاكِبَ.

وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾

(١٩) - ثُمَّ لَفَتَ نَظَرَهُمْ إِلَى الجِبَالِ وَعُلُوِّهَا الكَبِيرِ، وَٱنْتِصَابِهَا وَرُسُوخِهَا فِي الأَرْضِ.

وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾

(٢٠) - ثُمَّ لَفَتَ نَظَرَهُمْ إِلَى الأَرْضِ كَيْفَ مُهِّدَتْ وَبُسِطَتْ (سُطِحَتْ)، لِيَنْتَفِعَ بِهَا الخَلْقُ. فَالمُشْرِكُونَ يَرَوْنَ كُلَّ هَذَا الخَلْقِ العَظِيمِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، وَيَرَوْنَ بَدِيعَ صُنْعِهِ وَيُدْرِكُونَ عَظَمَتَهُ، وَإِبْدَاعَ خَلْقِهِ، فَكَيْفَ لاَ يَتَدَبَّرُونَ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي قُدْرَةِ الخَالِقِ وَعَظَمَتِهِ؟ وَكَيْفَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَلاَ يَخْشَوْنَ بَطْشَهُ وَعِقَابَهُ؟.

فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾

(٢١) - ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺ بِأَنْ يُذَكِّرَ النَّاسَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَبِأَنْ يَعِظَهُمْ بِحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ، وَيُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَهُ، وَيَقُولَ لَهُمْ إِنَّهُ إِنَّمَا بُعِثَ رَسُولاً مُبَلِّغاً وَمُذَكِّراً.

لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾

(بِمُسَيْطِرٍ)
(٢٢) - وَيَقُولُ لَهُ إِنَّهُ لَمْ يُرْسِلْهُ لِيَكُونَ مُتَسَلِّطاً مُسَيْطِراً عَلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ لاَ يُسْأَلُ عَنْهُمْ، فَعَلَيهِ أَنْ يَقُومَ بِوَعْظِهِمْ وَبِإِبْلاغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى الإِيمَانِ، وَحِسَابُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ.

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾

(٢٣) - فَمَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ وَكَفَرَ وَأَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرَى، وَأَصَرَّ عَلَى الكُفْرِ وَالجُحُودِ.

فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾

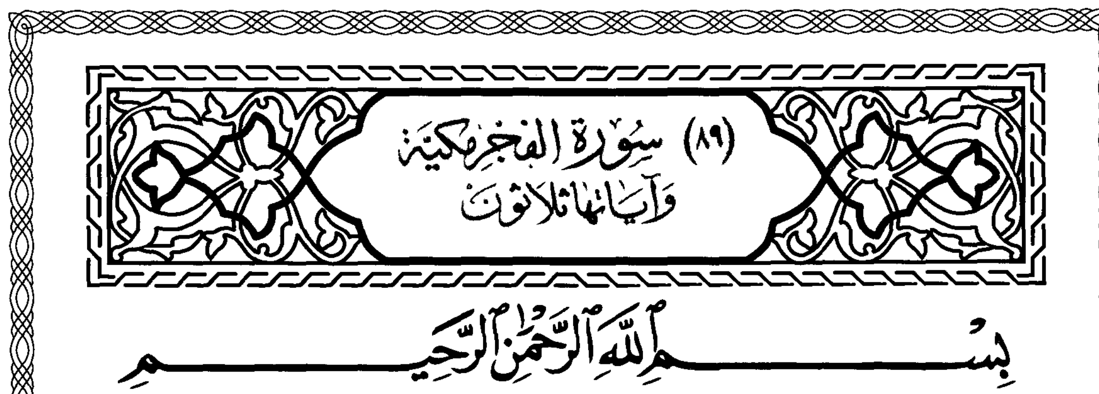
(٢٤) - فَإِنَّ اللهَ سَيُعَذِّبُهُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ العَذَابَ الأَكْبَرَ، الذِي لاَ عَذَابَ فَوْقَهُ.

إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾

(٢٥) - وَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَى اللهِ رَبِّهِمِ، يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِلَيهِ يَؤُوبُونَ حِينَمَا يُبْعَثُونَ.
إِيَابَهُمْ - رُجُوعَهُمْ إِلَى الحَيَاةِ، بَعْدَ المَوْتِ.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

(٢٦) - وَهُوَ تَعَالَى يَتَوَلَّى حِسَابَهُمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ.



﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾

(١) ـ يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِالفَجْرِ، وَهُوَ الوَقْتُ الذِي يَنْشَقُّ فِيهِ الضَّوْءُ وَيَنْفَجِرُ النُّورُ.
(وَقِيلَ بَلِ المَقْصُودُ بِهَذَا الفَجْرِ هُوَ فَجْرُ يَوْمِ النَّحْرِ لأَنَّهُ خَاتِمَةُ اللَّيَالِي العَشْرِ).

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾

(٢) ـ وَهِيَ اللَّيَالِي العَشْرُ الأُولَى مِنْ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ التِي يَخْتِمُهَا عِيدُ الأَضْحَى.
وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي فَضْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ:
(مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ).
(رَوَاهُ البُخَارِيُّ).

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾

(٣) ـ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ لِكَوْنِهِ اليَوْمَ التَّاسِعَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، وَالشَّفْعُ هُوَ يَوْمُ النَّحْرِ، لِكَوْنِهِ العَاشِرَ مِنْهُ.
(وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: إِنَّهَا الزَّوْجُ وَالفَرْدُ مِنَ اللَّيَالِي العَشْرِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ).

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾

(اللَّيْلِ)

(٤) ـ وَاللَيلِ إِذَا يَمْضِي وَيَذْهَبُ.
(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: وَاللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ).

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾

(٥) ـ مَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَلُبٍ (ذَا حِجْرٍ) يَفْطِنُ إِلَى أَنَّ القَسَمَ بِهَذِهِ المَخْلُوقَاتِ المُشْتَمِلَةِ عَلَى بَاهِرِ الحِكْمَةِ، وَعَجِيبِ الصَّنْعَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّةِ صَانِعِهَا.. فِيهِ مَقْنَعٌ وَكِفَايَةٌ لإِقْنَاعِكُمْ بِأَنَّ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ حَقٌ، وَأَنَّكُمْ سَتُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَسَتُحَاسَبُونَ، وَسَتُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ يَا أَيُّهَا الكُفَّارُ.

(وَقَدْ جَاءَ الكَلَامُ بِصِيغَةِ الاسْتِفْهَامِ لِتَأْكِيدِ المُقْسَمِ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ حَاجَّكَ: هَلْ فِيمَا ذَكَرْتُ لَكَ كِفَايَةٌ؟).
لِذِي حِجْرٍ - لِذِي عَقْلٍ وَلُبٍّ.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

(٦) - كَانَ قَوْمُ عَادٍ عُتَاةً أَشِدَّاءَ، عِظَامَ الخَلْقِ، وَكَانُوا خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، مُكَذِّبِينَ رُسُلَهُ، فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ لِيَتَّعِظَ مُشْرِكُو العَرَبِ، وَلَا يَغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ وَمَالِهِمْ وَعَدَدِهِمْ.

إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾

(٧) - وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى كَيْفَ دَمَّرَ مَدِينَتَهُمْ (إِرَم) ذَاتَ الأَعْمِدَةِ الضَّخْمَةِ.
(وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ المَقْصُودَ بِالعَمَدِ هُوَ عَمَدُ الخِيَامِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بَدْواً مِنْ سُكَّانِ الخِيَامِ، وَلَكِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنْ سُكَّانِ الخِيَامِ لَمَا كَانَتْ لَهُمْ مَدِينَةٌ ثَابِتَةٌ بَاقِيَةٌ يَذْكُرُهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ).

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾

(البِلَادِ)
(٨) - التِي لَمْ يُخْلَقْ فِي البِلَادِ كُلِّهَا نَظِيرٌ لَهَا.
(وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ تَمْتَازُ بِأَبْنِيَةٍ لَا مَثِيلَ لَهَا).

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾

(٩) - أَوَ لَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عِقَابَهُ بِثَمُودَ، قَوْمِ صَالِحٍ، فَأَهْلَكَهُم جَمِيعاً، وَثَمُودُ هَؤُلَاءِ هُمُ الذِينَ قَطَعُوا الصَّخْرَ وَنَحَتُوهُ فِي الوَادِي، وَبَنَوْا بِهِ القُصُورَ وَالأَبْنِيَةَ العَظِيمَةَ.
(وَثَمُودُ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ مِنْ سُكَّانِ وَادِي القُرَى، وَتُعْرَفُ مَدِينَتُهُم اليَوْمَ بِمَدَائِنِ صَالِحٍ).
جَابُوا - قَطَعُوا وَنَحَتُوا الصَّخْرَ.

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾

(١٠) - أَوَ لَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عِقَابَهُ بِفِرْعَوْنَ ذِي المَبَانِي العَظِيمَةِ التِي شَادَهَا هُوَ وَمَنْ قَبْلَهُ كَالأَهْرَامَاتِ وَالمِسَلَّاتِ.
(وَلَفَتَ الأُسْتَاذ المَرَاغِي فِي تَفْسِيرِهِ النَّظَرَ إِلَى أَنَّ شَكْلَ المِسَلَّاتِ التِي بَنَاهَا الفَرَاعِنَةُ فِي مِصْرَ يُشْبِهُ شَكْلَ الوَتَدِ المَقْلُوبِ الذِي تُشَدُّ بِهِ الخِيَامُ).
(وَقِيلَ إِنَّ فِرْعَوْنَ سُمِّيَ بِذِي الأَوْتَادِ لِأَنَّهُ ضَرَبَ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي الأَرْضِ وَشَدَّ إِلَيهَا أَطْرَافَ زَوْجَةٍ لَهُ حَتَّى هَلَكَتْ).

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾

(البِلَادِ)
(١١) - وَهَؤُلَاءِ الذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ.. قَدِ اسْتَعْمَلُوا سُلْطَانَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ فِي الطُّغْيَانِ، وَالتَّجَاوُزِ عَلَى حُقُوقِ العِبَادِ.

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾

(١٢) - فَانْتَشَرَ الفَسَادُ وَعَمَّ البِلاَدَ، وَضَجَّ النَّاسُ بِالشَّكْوَى مِنَ الظُّلْمِ.

(١٣) - فَصَبَّ اللهُ عَلَيْهِمْ أَلْوَاناً مُلْهِبَةً مِنَ العَذَابِ وَالبَلاَءِ عِقَاباً لَهُمْ عَلَى مَا أَجْرَمُوا.

السَّوْطَ - هُوَ المِقْرَعَةُ التِي تُسْتَعْمَلُ فِي الضَّرْبِ.

(١٤) - وَاللهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ الطُّغَاةُ، وَهُوَ يَرْصُدُ تَصَرُّفَاتِهِمْ وَيُرَاقِبُهَا، وَلاَ يَفُوتُهُ شَيءٌ مِنْهَا، فَأَخَذَ هَؤُلاَءِ العُتَاةَ الطُّغَاةَ الكَافِرِينَ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

(الإِنْسَانُ) (ابْتَلاَهُ)

(١٥) - فَإِذَا وَسَّعَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الإِنْسَانِ فِي الرِّزْقِ وَالمَالِ وَالجَاهِ وَالقُوَّةِ، لِيَخْتَبِرَهُ، اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِ اللهِ لَهُ، فَيَقُولُ: رَبِّ فَضَّلَنِي لاسْتِحْقَاقِي ذَلِكَ. وَالحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْتِلاَءٌ مِنَ اللهِ لِلْخَلْقِ.

(ابْتَلاَهُ) (أَهَانَنِي)

(١٦) وَإِذَا رَأَى الإِنْسَانُ أَنَّ رِزْقَهُ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ إِلاَّ بِقَدَرٍ ظَنَّ ذَلِكَ إِهَانَةً لَهُ مِنَ اللهِ، وَإِذْلاَلاً لِنَفْسِهِ فَيَقُولُ: رَبِّ أَهَانَنِي. وَالإِنْسَانُ فِي الحَالَيْنِ مُخْطِئٌ فِي ظَنِّهِ وَفِي قَوْلِهِ، فَإِسْبَاغُ النِّعْمَةِ فِي الدُّنْيَا عَلَى الإِنْسَانِ لاَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لَهَا، وَلَوْ دَلَّ عَلَى هَذَا لَمَا رَأَيْتَ عَاصِياً مُوَسَّعاً عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ.

ابْتَلاهُ - امْتَحَنَهُ وَاخْتَبَرَهُ.

قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ - قَتَرَهُ وَضَيَّقَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَبْسُطْهُ لَهُ.

(١٧) - وَيَرُدُّ تَعَالَى عَلَى هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ زَاجِراً وَرَادِعاً (كَلاَّ) قَائِلاً: إِنَّهُ لَمْ يَبْتَلِ الغَنِيَّ بِالغِنَى لِكَرَامَتِهِ عِنْدَهُ، وَلَمْ يَبْتَلِ الفَقِيرَ بِالفَقْرِ لِهَوَانِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يُوسِعُ عَلَى الغَنِيِّ لِيَخْتَبِرَهُ أَيَشْكُرُ أَمْ يَكْفُرُ؟ وَقَدْ يُضَيِّقُ عَلَى الفَقِيرِ لِيَخْتَبِرَهُ أَيَصْبِرُ أَمْ يَضْجَرُ، فَمَدَارُ الأَمْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى، لِهَؤُلاَءِ إِنَّ لَهُمْ أَعْمَالاً شَرٌّ مِنْ أَقْوَالِهِمْ تَدُلُّ عَلَى تَهَالُكِهِمْ عَلَى المَالِ، فَقَدْ يُكْرِمُهُمْ رَبُّهُمْ بِالمَالِ الكَثِيرِ فَلاَ يُؤَدُّونَ مَا يَجِبُ عَلَيهِمْ مِنْ إِكْرَامِ اليَتِيمِ وَالبِرِّ بِهِ.

(تَحَاضُّونَ)

(١٨) - وَلاَ يَحُثُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَى إِطْعَامِ المَسَاكِينِ، فَإِذَا لَمْ يُكْرِمُوا اليَتِيمَ، وَلَمْ يَتَحَاضُّوا عَلَى إِطْعَامِ المِسْكِينِ، فَقَدْ كَذَبَتْ مَزَاعِمُهُمْ فِي أَنَّهُمْ قَوْمٌ صَالِحُونَ.

تَحَاضُّونَ - يَحُضُّ وَيَحُثُّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ١٩﴾

(١٩) - وَإِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ المِيرَاثَ (التُّرَاثُ) الذي يَتْرُكُهُ مَنْ يُتَوَفَّى أَكْلاً شَدِيداً، أَيْ مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ حَصَلَ لَهُمْ، مِنْ حَلاَلٍ أَوْ حَرَامٍ، فَيَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنَ النِّسَاءِ وَالأَوْلاَدِ.

التُّرَاثَ - مِيرَاثَ النِّسَاءِ والصِّغَارِ.

أَكْلًا لَمّاً - جَمْعاً بَيْنَ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠﴾

(٢٠) - وَيَمِيلُونَ إِلَى جَمْعِ المَالِ مَيْلاً شَدِيداً يَدْفَعُهُمْ إِلَى الحِرْصِ عَلَى جَمْعِهِ وَالبُخْلِ بِإِنْفَاقِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ.

جَمّاً - كَثِيراً مَعَ حِرْصٍ وَشَرَهٍ.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١﴾

(٢١) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الأَهْوَالِ العَظِيمَةِ، وَيَقُولُ مُنْكِراً عَلَى هَؤُلاَءِ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ وَحِرْصَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا، وَكَأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَنْ تَكُونَ هُنَاكَ قِيَامَةٌ، وَلاَ حَشْرٌ، وَلاَ حِسَابٌ، مَعَ أَنَّ اليَوْمَ المَوْعُودَ سَيَأْتِي وَهُوَ اليَوْمُ الذِي تَنْدَكُّ فِيهِ الأَرْضُ دَكّاً مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَتُسَوَّى جِبَالُهَا بِأَرْضِهَا.

دُكَّتْ - دُقَّتْ وَكُسِرَتْ.

دَكّاً دَكّاً - دَكّاً مُتَتَابِعاً حَتَّى صَارَتْ هَبَاءً مُتَنَاثِراً.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾

(٢٢) - وَتَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ المَوْقِفِ العَظِيمِ عَظَمَةُ السَّطْوَةِ الإِلهِيَّةِ. وَيَأْتِي اللهُ تَعَالَى فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى[1] تَحُفُّ بِهِ المَلاَئِكَةُ الأَطْهَارُ، وَيَقِفُونَ صُفُوفاً بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِم الرَّحْمٰنِ.

المَلَكُ - مَلاَئِكَةُ السَّمَاءِ.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ٢٣﴾

(جِيءَ) (يَوْمَئِذٍ) (الإِنْسَانُ)

(٢٣) - وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ تَنْكَشِفُ جَهَنَّمُ لِلنَّاظِرِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ غَائِبَةً عَنْهُمْ، وَحِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا كَانَ فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللهِ، وَعَرَفَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ضَلاَلٍ وَبَاطِلٍ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ لِهَذِهِ الذِّكْرَى أَنْ تُفِيدَهُ أَوْ تَرْجِعَ عَلَيْهِ بِطَائِلٍ، فَقَدْ فَاتَ الأَوَانُ.

وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى - مِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ تَنْفَعَهُ هَذِهِ الذِّكْرَى.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾

(يَا لَيْتَنِي)

(٢٤) - وَيَنْدَمُ الإِنْسَانُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنَ المَعَاصِي وَالجَرَائِمِ وَيَوَدُّ لَوْ أَنَّهُ ازْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَلَوْ أَنَّهُ قَدَّمَ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لِتَنْفَعَهُ فِي حَيَاتِهِ الأُخْرَى.

(١) سورة البقرة الآية ٢١٠.

﴿٢٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٥) ـ وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَجِدُ العُصَاةُ أَنَّهُ لاَ أَحَدَ أَشَدُّ عَذَاباً مِنَ اللهِ لِمَنْ عَصَاهُ.

﴿٢٦﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ

(٢٦) ـ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ قَبْضاً وَأَخْذاً وَوَثْقاً مِنَ الزَّبَانِيَةِ مَلاَئِكَةِ العَذَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِ.

لاَ يُوثِق ـ لاَ يَشُدُّ بِالسَّلاَسِلِ وَالأَغْلاَلِ.

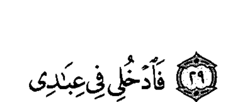
﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ

(يَا أَيَّتُهَا)

(٢٧) ـ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ التِي آسْتَيْقَنَتِ الحَقَّ فَلاَ يُخَالِجُهَا شَكٌّ، وَوَقَفَتْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ فَلاَ تُزَعْزِعُهَا الشَّهَوَاتُ، فَاطْمَأَنَّتْ وَهَدَأَتْ.

﴿٢٨﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً

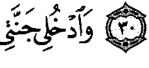
(٢٨) ـ آرْجِعِي إِلَى مَحَلِّ الكَرَامَةِ بِجِوَارِ رَبِّكِ رَاضِيَةً عَمَّا عَمِلْتِ فِي الدُّنْيَا، مَرْضِيّاً عَنْكِ إِذ لَمْ تَكُونِي سَاخِطَةً لاَ فِي الغِنَى وَلاَ فِي الفَقْرِ.



﴿٢٩﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى

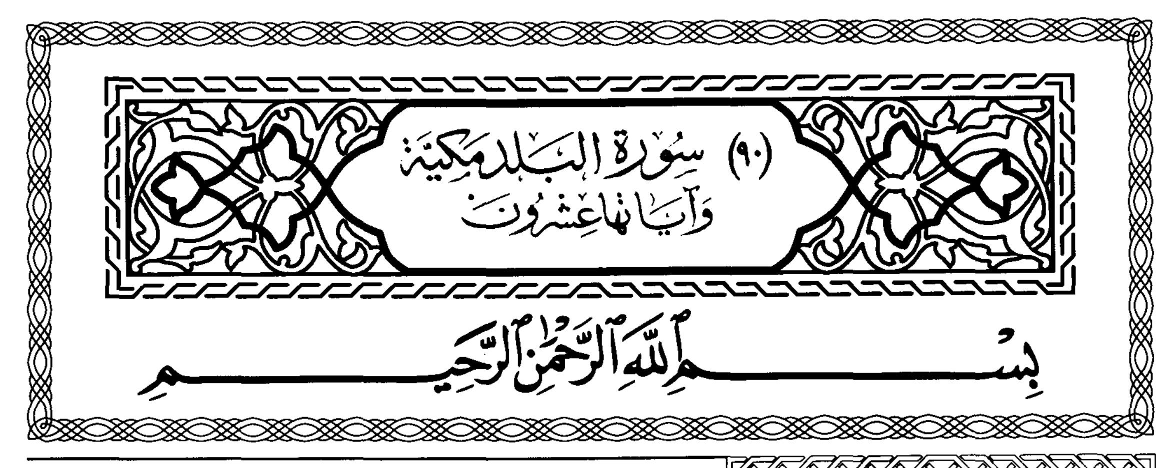
(عِبَادِي)

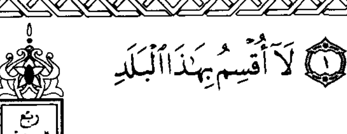
(٢٩) ـ فَادْخُلِي فِي زُمْرَةِ عِبَادِي المُكَرَّمِينَ، وَكُونِي فِي جُمْلَتِهِمْ.



﴿٣٠﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى

(٣٠) ـ وَآدْخُلِي جَنَّتِي، وَتَمَتَّعِي فِيهَا بِمَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.





لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾

(١) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى قَسَماً مُؤَكَّداً بِمَكَّةَ (هَذَا البَلَدِ)، التِي شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى فَجَعَلَهَا حَرَاماً، وَجَعَلَ فِيهَا حَرَماً آمِناً مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً.

وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾

(٢) - وَأَنْتَ مُقِيمٌ فِي هَـذَا البَلَدِ الجَلِيلِ القَـدْرِ فِي حَـالَتَيْ الحِـلِّ وَالإِحْرَامِ.
(وَكَأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ مِنْ أَسْبَابِ شَرَفِ مَكَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُقِيمٌ فِيهَا).

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾

(٣) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِكُلِّ وَالِدٍ وَكُلِّ مَوْلُودٍ.
(وَفِي القَسَمِ بِهَذَا لَفْتٌ لِأَنْظَارِ البَشَرِ إِلَى مَا فِي التَّوَالُدِ وَالتَّنَاسُلِ مِنْ بَالِغِ الحِكْمَةِ، وَإِتْقَانِ الصُّنْعِ، وَحِفْظِ النَّسْلِ. وَقِيلَ إِنَّ المَقْصُودَ بِوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ هُوَ آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ).

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾

(الإِنْسَانَ)

(٤) - لَقَـدْ جَعَـلَ اللهُ تَعَـالَى حَيَـاةَ الإِنْسَـانِ سِلْسِلَةً مِنَ المَتَـاعِبِ وَالمَصَاعِبِ، يُكَابِدُهَا فِي كُلِّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِهِ. فَمُنْذُ أَنْ بَدَأَ نُطْفَةً حَتَّى وُلِدَ وَكَبِرَ، وَهُوَ يُعَانِي المَتَاعِبَ فِي كَسْبِ عَيْشِهِ، وَتَنْشِئَةِ نَسْلِهِ. وَيَسْتَمِرُّ هَذَا الكَدُّ وَالتَّعَبُ حَتَّى يُوَافِيَهُ الأَجَلُ.

الكَبَدُ - التَّعَبُ وَالمَشَقَّةُ.

أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾

(٥) - أَيَحْسَبُ هَذَا الإِنْسَانُ المُغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ، وَالمَفْتُونُ بِمَالِهِ وَعَقْلِهِ، أَنَّهُ قَدْ يَبْلُغُ مَبْلَغاً لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ؟ فَمَا أَجْهَلَهُ إِنْ ظَنَّ هَذَا. إِنَّ الخَالِقَ الجَبَّارَ الذِي خَلَقَهُ وَأَنْشَأَهُ وَأَعْطَاهُ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ بِهِ وَبِمَالِهِ وَبِقُوَّتِهِ، وَبِمَا أَعْطَاهُ فِي كُلِّ حِينٍ.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ٦﴾

(٦) ـ وَإِذَا طُلِبَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ، الذِينَ أَعْطَاهُمُ اللهُ المَالَ، أَنْ يُنْفِقُوا مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفِي أَوْجُهِ البِرِّ وَالخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، قَالَ الأَغْنِيَاءُ البُخَلاَءُ المُرَاؤُونَ: إِنَّهُمْ يُنْفِقُونَ الكَثِيرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي وُجُوهِ الخَيْرِ وَالبِرِّ وَالمَكْرُمَاتِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ البِرَّ وَالمَكْرُمَةَ لاَ تُعَدَّانِ كَذَلِكَ إِلاَّ إِذَا كَانَتَا عِنْدَ اللهِ بِرّاً وَمَكْرُمَةً؟ فَلَيْسَ مِنْ أَعْمَالِ البِرِّ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى إِنْفَاقُ الأَمْوَالِ فِي مُشَاقَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمُحَاوَلَةِ فِتْنَةِ المُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ، وَصَدِّ النَّاسِ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى.

لُبَداً ـ كَثِيراً.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧﴾

(٧) ـ أَيَحْسَبُ هَؤُلاَءِ المُغْتَرُّونَ الذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الخَيْرِ وَالبِرِّ أَنَّ اللهَ غَيْرُ مُطَّلِعٍ عَلَى أَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ بِمَا دَعَاهُمْ إِلَى هَذَا الإِنْفَاقِ؟ فَاللهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِسَرَائِرِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ، وَبِجَهْرِهِمْ وَعَلاَنِيَتِهِمْ، لاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ؟.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ٨﴾

(٨) ـ ثُمَّ ذَكَّرَ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ نِعْمَةَ الإِبْصَارِ التِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الإِنْسَانُ هِيَ مِنْ صُنْعِ اللهِ لأَنَّهُ يُبْصِرُ بِالعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ خَلَقَهُمَا اللهُ لَهُ.

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩﴾

(٩) ـ وَإِذا تَكَلَّمَ الإِنسَانُ وَأَبَانَ عَمَّا في نَفْسِهِ فإِنَّما يَفْعَلُ ذلِك بِمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنْ لِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ، وَلَيْسَ فَضْلُ ذلك عائدٌ إلى الإنسانِ وَلا مِنْ صُنْعِهِ.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ١٠﴾

(هَدَيْنَاهُ)

(١٠) ـ وَقَدْ أَوْدَعَ اللهُ فِي الإِنْسَانِ فِطْرَةَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَجَعَلَ لَهُ عَقْلاً يُرْشِدُهُ إِلَى مَا فِي الخَيرِ مِنْ جَمَالٍ وَحُسْنٍ، وَإِلَى مَا فِي الشَّرِّ مِنْ قُبْحٍ وَسُوءٍ.

(وَقَدْ جَعَلَ اللهُ طَرِيقَي الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَأَنَّهُمَا مَكَانَانِ مُرْتَفِعَانِ وَاضِحَانِ يَرَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ أَيْنَمَا كَانَ).

النَّجْدُ ـ المَكَانُ المُرْتَفِعُ.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ١١﴾

(١١) ـ فَلاَ جَاهَدَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ لِلوُصُولِ إِلَى غَايَتِهِ فِي فِعْلِ الخَيْرَاتِ. وَقَدْ شَبَّهَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الجِهَادَ بِاقْتِحَامِ العَقَبَةِ.

العَقَبَةَ ـ الطَّرِيقَ الوَعْرَةَ فِي الجَبَلِ.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾

(أدْرَاك)

(١٢) ـ وَأَيُّ شَيءٍ يُدْرِيكَ مَا ٱقْتِحَامُ العَقَبَةِ؟ ثُمَّ أَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ إِلَى أَنَّ ٱقْتِحَامَ العَقَبَةِ يَكُونُ بِالقِيَامِ بِأَفْعَالِ الخَيْرِ، وَمِنْهَا مَا وَرَدَ فِي الآيَاتِ التَّالِيَةِ.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣﴾

(١٣) ـ وَأَوَّلُ أَفْعَالِ الخَيْرِ وَأَكْثَرُهَا قُرْباً مِنَ اللهِ، عِتْقُ رَقَبَةٍ وَتَحْرِيرُها مِنَ الرِّقِّ، وَالإِعَانَةُ عَلَى عِتْقِهَا.

(وَقَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالأَحَادِيثِ كَثِيرٌ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ التِي تُرَغِّبُ فِي إِعْتَاقِ الرِّقَابِ وَتَحُثُّ عَلَيْهِ. وَقَدْ عَدَّ اللهُ تَعَالَى الإِعْتَاقَ أَحَبَّ القُرُبَاتِ إِلَيهِ).

فَكُّ رَقَبَةٍ ـ عِتْقُهَا وَإِنْقَاذُهَا مِنَ العُبُودِيَّةِ.

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤﴾

(إِطْعَامٌ)

(١٤) ـ أَوْ إِطْعَامُ نَفْسٍ جَائِعَةٍ فِي أَيَّامِ الشِّدَّةِ وَالضِّيقِ.

المَسْغَبَةُ ـ المَجَاعَةُ.

﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾

(١٥) ـ أَيْ إِطْعَامُ شَخْصٍ يَتِيمٍ مِنَ الأَقَارِبِ، وَفِيهِ جَمْعٌ لِحَقَّينِ هُمَا: حَقُّ اليَتِيمِ، وَحَقُّ القَرَابَةِ.

المَقْرَبَةُ ـ قَرَابَةُ النَّسَبِ.

﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦﴾

(١٦) ـ أَوْ إِطْعَامُ مِسْكِينٍ فَقِيرٍ جِداً، لاَ وَسِيلَةَ لَهُ إِلَى كَسْبِ العَيْشِ.

وَالمَتْرَبَةُ ـ شِدَّةُ الفَقْرِ.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧﴾

(آمَنُوا)

(١٧) ـ ثُمَّ ٱشْتَرَطَ اللهُ تَعَالَى لإِثَابَةِ الإِنْسَانِ عَلَى ٱقْتِحَامِ العَقَبَةِ بِفِعْلِ الخَيْرَاتِ، التِي دَلَّ اللهُ العِبَادَ عَلَيْهَا، أَنْ يَجْمَعَ الفَاعِلُ ثَلاَثَ صِفَاتٍ:

ـ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً بِاللهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لأَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ مَعَ الكُفْرِ عَمَلُ خَيْرٍ.

ـ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الأَذَى وَالمَكَارِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

ـ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَرْحَمُونَ عِبَادَ اللهِ، وَيُوَاسُونَهُمْ، وَيُسَاعِدُونَهُمْ عِنْدَ الحَاجَةِ.

تَوَاصَوا ـ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

المَرْحَمَةِ ـ الرَّحْمَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

﴿١٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ

(أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(١٨) - وَهَؤُلَاءِ الذِينَ فَكُّوا الرَّقَبَةَ، وَأَطْعَمُوا المِسْكِينَ فِي الجُوعِ وَالشِّدَّةِ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ صَابِرِينَ رُحَمَاءَ.. هُمْ أَصْحَابُ اليَمِينِ الذِينَ يَفُوزُونَ بِحُسْنِ الجَزاءِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَيَدْخُلُونَ جَنَّتَهُ، وَهُمُ الذِينَ عَنَاهُمُ اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الوَاقِعَةِ:

﴿وأَصْحَابُ اليمين مَا أَصْحَابُ اليَمِين فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظلٍّ مَمدودٍ﴾[1].

﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ

(بِآيَاتِنَا) (أَصْحَابُ) (الْمَشْأَمَةِ)

(١٩) - أَمَّا الذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَهُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ الذِينَ يُؤْتَوْنَ كِتَابَ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِشِمَالِهِمْ، وَهُمُ الذِينَ عَنَاهُمْ تَعَالَى بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الوَاقِعَةِ:

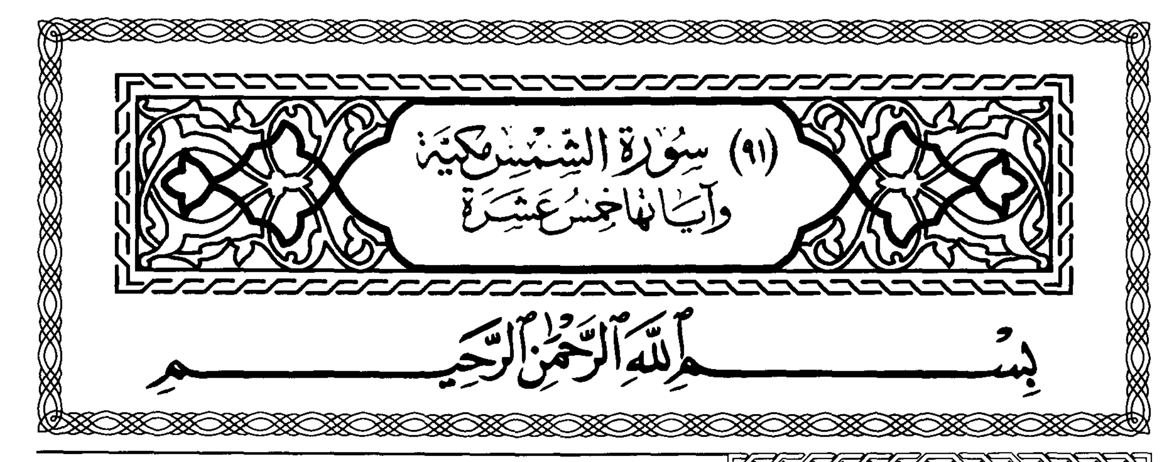
﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[2].

﴿٢٠﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ

(٢٠) - وَيَدْخُلُونَ النَّارَ فَتُوصَدُ أَبْوَابُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُطْبَقُ عَلَيْهِم العَذَابُ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْهُ فَكَاكاً.

مُؤْصَدَةٌ - مُطْبَقَةٌ مُغْلَقَةُ الأَبْوَابِ.

(١) سورة الواقعة الآية ٢٧.
(٢) سورة الواقعة الآية ٤١



وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾

(ضُحَاهَا)

(١) ـ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالشَّمْسِ وَضَوْئِهَا وَإِشْرَاقِهَا وَحَرَارَتِهَا.
وَضُحَاهَا ـ ضَوْئِهَا أَوْ دِفْئِهَا.

وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾

(تلاهَا)

(٢) ـ وَالقَمَرِ إِذَا تَلاَ الشَّمْسَ، وَحَلَّ مَحَلَّهَا فِي إِضَاءَةِ الأَرْضِ بَعْدَ غُرُوبِهَا.

وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾

(جلاَّهَا)

(٣) ـ وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّهَارِ إِذَا جلاَ الظُّلْمَةَ عَنِ الأَرْضِ.
(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى: قَسَماً بِالنَّهَارِ إِذَا جَلاَ الشَّمْسَ وَأَظْهَرَهَا وَأَتَمَّ وُضُوحَهَا، إِذْ كُلَّمَا كَانَ النَّهَارُ أَجْلَى كَانَتِ الشَّمْسُ أَكْمَلَ وُضُوحاً).
جلاَّهَا ـ أَظْهَرَهَا لِلرَّائِينَ.

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾

(اللَّيْل) (يَغْشَاهَا)

(٤) ـ وَبَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ تَعَالَى فِي الآيَاتِ الثَّلاَثِ السَّابِقَاتِ بِالضَّوْءِ تَعْظِيماً لأَمْرِهِ، أَقْسَمَ هُنَا بِاللَّيْلِ إِذْ يَغْشَى الشَّمْسَ، وَيُغَطِّي ضَوْءَهَا.
(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى الأَرْضَ، وَيَلُفُّهَا بِظَلاَمِهِ).
يَغْشَاهَا ـ يُغَطِّيهَا حِينَ تَغِيبُ.

وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾

(بَنَاهَا)

(٥) ـ والسَّمَاءِ وَبُنْيَانِهَا وَتَسْوِيَتِهَا وَإِبْدَاعِ صُنْعِهَا.
(وَقِيلَ أَيضاً إِنَّ المَعْنَى: قَسَماً بِالسَّمَاءِ وَمَنْ قَدَّرَهَا عَلَى هَذَا النَّحْوِ، وَتَكُونُ (مَا) آسْتُعْمِلَتْ هُنَا بِمَعْنَى (مَنْ).

وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾

(طَحَاهَا)

(٦) - وَالأَرْضِ وَبَسْطِهَا وَتَمْهِيدِهَا لِلسُّكْنَى لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهَا، وَبِمَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ

طَحَاهَا - بَسَطَهَا أَيْ دَحَاهَا وَوَطَّأَهَا.

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾

(سَوَّاهَا)

(٧) - ثُمَّ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالنَّفْسِ وَخَلْقِهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الفِطْرَةِ القَوِيمَةِ.

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾

(تقْوَاهَا)

(٨) - فَبَيَّنَ لِلنَّفْسِ الخَيْرَ وَالشَّرَ، وَأَعْطَاهَا القُدْرَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، والقُدْرَةَ عَلَى الاخْتِيَارِ.

فُجُورَهَا - مَعْصِيَتَهَا.

تَقْوَاهَا - طَاعَتَهَا.

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾

(زَكَّاهَا)

(٩) - وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَلْهَمَ النُّفُوسَ مَعْرِفَةَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، ذَكَرَ مَا تَلْقَاهُ النُّفُوسُ مِنَ الجَزَاءِ عَلَى فِعْلِ كُلٍّ مِنْهُمَا، فَقَالَ تَعَالَى: مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَنَمَّاهَا وَطَهَّرَهَا مِنَ الأَخْلاَقِ الدَّنِيئَةِ وَالرَّذَائِلِ، فَازَ وَأَفْلَحَ. (وَهٰذَا جَوَابُ القَسَمِ).

أَفْلَحَ - فَازَ بِالبُغْيَةِ.

زَكَّاهَا - طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنْ دَنَسِ الكُفْرِ وَالمَعْصِيَةِ.

وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾

(دَسَّاهَا)

(١٠) - أَمَّا مَنْ أَخْفَى فَضَائِلَ نَفْسِهِ، وَأَمَاتَ اسْتِعْدَادَهَا لِلْخَيْرِ، بِفِعْلِ المَعَاصِي، وَاجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ، وَمُجَانَبَةِ الخَيْرِ وَالبِرِّ وَالقُرُبَاتِ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ. وَقَدْ حَذَفَ اللهُ تَعَالَى المُقْسَمَ عَلَيْهِ لِلْعِلْمِ بِهِ مِنْ نَظَائِرِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا.. لَيُنْزِلَنَّ بِالمُكَذِّبِينَ مِنْكُمْ مَا نَزَلَ بِثَمُودَ.

خَابَ - خَسِرَ.

دَسَّاهَا - أَنْقَصَهَا وَأَخْفَاهَا وَأَخْمَلَهَا بِالفُجُورِ.

(١١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ

(١٢) إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا

(١٣) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ
وَسُقْيَٰهَا

(١٤) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا

(١٥) وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا

(بِطغْوَاهَا)

(١١) ـ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ** نَبِيَّهَا صَالِحاً بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا وَبغْيِهَا.
بِطَغْوَاهَا ـ بِسَببِ طُغْيَانِهَا.

(أَشْقَاهَا)

(١٢) ـ **إِذ ٱنْطَلَقَ** اكثرُ **ثَمُودَ شَقَاوَةً لِيَعْقِرَ نَاقَةَ اللهِ**.
(وَإِقْدَامُهُ عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ دَلِيلٌ عَلَى تَكْذِيبه نَبِيَّهُمْ صَالِحاً فِيمَا قَالَـهُ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ النَّـاقَةَ نَـاقَةُ اللهِ أَرْسَلَهَـا إِلَيْهِمْ آيَةً عَلَى صِـدْقِ نُبُوَّتِهِ).

(سُقْيَاهَا)

(١٣) ـ فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ٱحْذَرُوا أَنْ تَمَسُّوا نَاقَةَ اللهِ بِسُوءٍ، وَٱحْذَرُوا التَّعَدِّيَ عَلَى شُرْبِهَا الماءَ في اليوم الذي ٱخْتُصَّتْ بِهِ.
(وَكَانَ صَالِحٌ، عَلَيهِ السَّلاَمُ، اتَّفَقَ مَعَ قَوْمِهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ شُرْبُ المَاءِ يَوْماً، وَأَنْ يَكُونَ لِلنَّاقَةِ شُرْبُـهُ يَوْماً).

(فَسَوَّاهَا)

(١٤) ـ **فَكَذَّبَتْ ثَمُودَ صَالِحاً فِيمَا قَالَهُ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ النَّاقَةَ هِيَ نَاقَةُ اللهِ أَرْسَلَهَا آيَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، فَأَقْدَمُوا عَلَى قَتْلِهَا (عَقَرُوهَا)**، وَلَمْ يُبَالُوا بِمَـا أَنْذَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مِنَ العَذَابِ، فَـأَطْبَقَ عَلَيْهِمُ العَذَابُ، وَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعاً، وَسَوَّى القَبِيلَةَ كُلَّهَا فِي العُقُوبَةِ، فَلَمْ يُفلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.
(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى (سَوَّاهَا) قَدْ يَكُونُ إِنَّهُ تَعَالَى سَوَّى بَلَدَهُمْ بِالأَرْضِ بَعْدَ أَنْ دَكَّهَا دَكّاً، فَلَمْ يَتْرُكْ فِيهَا بِنَاءً قَائِماً أَيْ إِنَّهُ دَمَّرَهَا تَدْمِيراً كَامِلاً).
فَدَمْدَمَ ـ أَهْلَكَهُمْ وَأَطْبَقَ العَذَابَ عَلَيْهِمْ.
فَسوَّاهَا ـ فَأَنْزَلَ العِقَابَ بِهِمْ جَمِيعاً عَلَى سَوَاءٍ.

(عُقْبَاهَا)

(١٥) ـ وَاللهُ تَعَالَى لاَ يَخَافُ عَـاقِبَةَ فِعْلِهِ فِي هَـلاَكِهِمْ وَدَمَارِهِمْ، لأَنَّـهُ عَزِيزٌ لاَ يُغَالَبُ وَلاَ يُمَانَعُ.



وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾

وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾

وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾

إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾

فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾

وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾

فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾

وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾

(اللَّيْل)

(١) ـ يُقْسِمُ تَعَالَى بِاللَّيْلِ حِينَ يَلُفُّ الأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا بِظَلامِهِ، فَتَخْلُدُ المَخْلُوقَاتُ إِلَى النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ.

يَغْشَى ـ يُغَطِّي الكَوْنَ بِظُلْمَتِهِ.

(٢) ـ وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ لِتَتَحَرَّكَ المَخْلُوقَاتُ لِطَلَبِ مَعَاشِهَا وَأَرْزَاقِهَا.

تَجَلَّى ـ ظَهَرَ بِضَوْئِهِ.

(٣) ـ ثُمَّ أَقْسَمَ تعالَى بِذَاتِهِ الكَرِيمَةِ فَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى مِنْ مَاءٍ واحِدٍ.

(٤) ـ وَقَدْ أَقْسَمَ تَعَالَى بِمَا سَبَقَ عَلى أَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ مُتَخَالِفَةٌ، مُتَفَرِّقٌ بَعْضُهَا عَن بَعْضٍ ، بَعْضُهَا ضَلالٌ وعَمَايَةٌ، وبَعْضُهَا هُدًى وَنُورٌ.

لَشَتَّى ـ لَعَمَلُكُمْ مُخْتَلِفٌ فِي الجَزَاءِ.

(٥) ـ فَأَمَّا مَنْ بَذَلَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ وَاتَّقَاهُ، وَصَرَفَ نَفْسَهُ عَنِ الهَوَى وَالشَّهَوَاتِ.

(٦) ـ وَصَدَّقَ بِفِعْلِ الخَيْرِ وَفَضَّلَهُ عَلَى الشَّرِّ، وَفَضَّلَ الإِيْمَانَ عَلَى الكُفْرِ.

(٧) ـ فَإِنَّهُ تَعَالَى سَيُيَسِّرُهُ لأَيْسرِ الخُطَّتَينِ فِي فِطْرَةِ الإِنْسَانِ، وَهِيَ فِطْرَةُ فِعْلِ الخَيْرِ، الذي تَبْلُغُ بِهِ النَّفْسُ الإِنْسَانِيَّةُ أَوْجَ سَعَادَتِهَا.

(٨) ـ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ، وَأَمْسَكَ عَنْ إِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ الخَيْرِ، وَفِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنَ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ.

﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ

(٩) - وَكَذَّبَ بِأَنَّ الخَيْرَ أَفْضَلُ مِنَ الشَّرِّ، وَأَنَّ الإِيمَانَ خَيْرٌ مِنَ الكُفْرِ، وَأَنَّ مَرْضَاةَ اللهِ خَيْرٌ مِنْ غَضَبِهِ، وَأَنَّ الجَنَّةَ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ.

﴿١٠﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ

(١٠) - فَمَنْ مَرَنَتْ نَفْسُهُ عَلَى فِعْلِ الشَّرِّ، وَعَلَى الإِمْسَاكِ عَنْ فِعْلِ الخَيْرِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُيَسِّرُهُ إِلَى أَعْسَرِ الخُطَّتَيْنِ، وَهُوَ طَرِيقُ فِعْلِ الشَّرِّ وَالغَوَايَةِ.

﴿١١﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ

(١١) - وَإِذَا يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْعُسْرَى، فَأَيُّ شَيءٍ يُغْنِيهِ عَنْهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، هَذَا المَالُ الذِي بَخِلَ بِهِ عَلَى النَّاسِ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالخَيْرِ وَمَرْضَاةِ رَبِّهِ، فَكَانَ ذَلِكَ البُخْلُ سَبَباً لِتَرَدِّيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.
مَا يُغْنِي - مَا يَدْفَعُ وَيُفِيدُ.
تَرَدَّى - هَلَكَ وَهَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿١٢﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ

(١٢) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ، وَأَعْطَاهُ قُوَّةَ التَّمْيِيزِ بِينَ الخَيْرِ وَالشَّرِ، وَبَعَثَ إِلَيهِ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَوَضَعَ الشَّرَائِعَ التِي تَهْدِيهِ إِلَى سَبِيلِ الهُدَى وَالرَّشَادِ.
لَلْهُدَى - الدَّلاَلَةَ عَلَى الحَقِّ وَبَيَانِ طَرِيقِهِ.

﴿١٣﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ

(لَلآخِرَةَ)

(١٣) - وَإِنَّهُ تَعَالَى مَالِكُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَجَمِيعُ مَنْ فِي الوُجُودِ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ بِالكَوْنِ تَصَرُّفاً مُطْلَقاً.

﴿١٤﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ

(١٤) - وَإِنَّهُ تَعَالَى أَنْذَرَ الكُفَّارَ وَحَذَّرَهُمْ مِنَ العَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ المُلْتَهِبَةِ، وَذَلِكَ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ، وَقَطْعاً لِحُجَّتِهِمْ.
تَلَظَّى - تَتَلَهَّبُ وَتَتَوقَدُ.

﴿١٥﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى

(يَصْلاَهَا)

(١٥) - وَهَذِهِ النَّارُ المُلْتَهِبَةُ لاَ يُعَذَّبُ فِيهَا إِلاَّ الشَّقِيُّ.
لاَ يَصْلاَهَا - لاَ يَدْخُلُها وَيُقَاسِي حَرَّهَا.

﴿١٦﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ

(١٦) - الذِي كَفَرَ بِرَبِّهِ، وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ شَرْعِ اللهِ (تَوَلَّى).

﴿١٧﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى

(١٧) - وَهَذِهِ النَّارُ سَيَنْجُو مِنَ العَذَابِ فِيهَا الإِنْسَانُ المُؤْمِنُ التَّقِيُّ الصَّالِحُ، الذِي خَافَ رَبَّهُ، وَخَشَعَتْ نَفْسُهُ لَهُ.
سَيُجَنَّبُهَا - سَيُبْعَدُ عَنْهَا.

﴿١٨﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ

(١٨) - الذي يُنفِقُ مَالَهُ فِي وُجوهِ البرِّ وَالخَيْرِ طَالِباً بِذَلِكَ طَهَارَةَ نَفْسِهِ، وَالفَوْزَ بِرِضْوَانِ رَبِّهِ.

يُؤْتِي مَالَهُ - يَتَصَدَّقُ بِهِ وَيُعْطِيهِ الفُقَرَاءَ.

يتزكّى - يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿١٩﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ

(١٩) - وَهُوَ لاَ يَبْذُلُ مَالَهُ رَدّاً لِجَمِيلٍ أُسْلِفَ إِلَيهِ وَأُسْدِيَ.

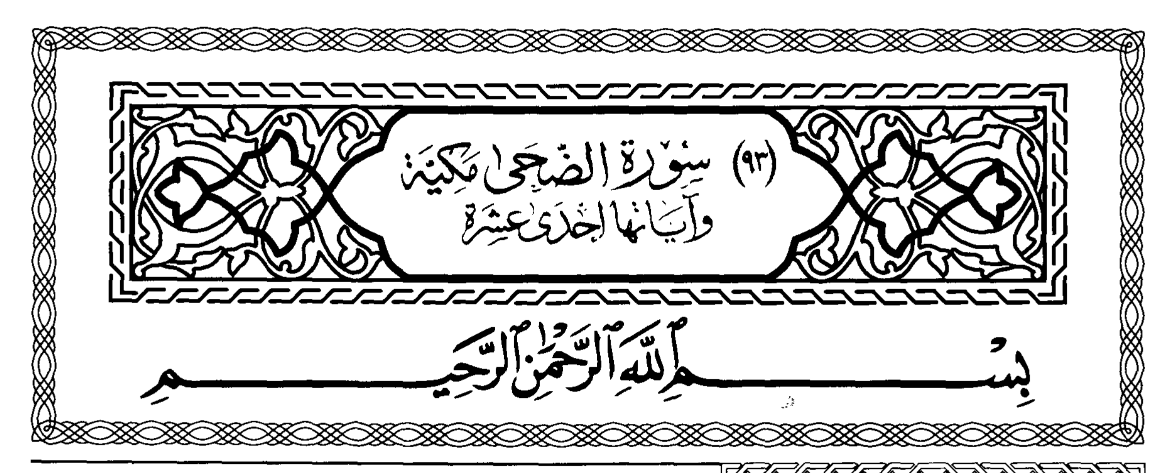
تُجْزَى - تُكَافَأُ.

﴿٢٠﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ

(٢٠) - وَإِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ إِنْفَاقِ المَالِ، آبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِ، وَطَلَباً لِمَثُوبَتِهِ وَحْدَهُ. (وَهَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

﴿٢١﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ

(٢١) - وَلَسَوْفَ يُرضِي اللهُ بِثَوَابِهِ العَظِيمِ مَنْ بَذَلَ مَالَهُ آبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِ.



﴿١﴾ وَٱلضُّحَىٰ

(١) ـ تَأَخَّرَ الوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، فَحَزِنَ رَسُولُ اللهِ حُزْناً شَدِيداً، خَوْفاً مِنْ أَنْ يَكُونَ رَبُّهُ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ، أَوْ كَرِهَهُ (قَلاهُ).
وَقِيلَ إِنَّهُ حِينَمَا تَأَخَّرَ الوَحْيُ عَنِ الرَّسُولِ قَالَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: وَدَّعَ مُحَمَّداً رَبُّهُ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ.
وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى فِي مَطْلَعِهَا بِالضُّحَى ـ وَهُوَ صَدْرُ النَّهَارِ ـ وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنْ ضِيَاءٍ.

﴿٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ

(اللَّيْلِ)
(٢) ـ وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ فَأَظْلَمَ.
سَجَى ـ سَكَنَ أَوِ اشْتَدَّ ظَلامُهُ.

﴿٣﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ

(٣) ـ مَا تَخَلَّى عَنْكَ رَبُّكَ وَمَا أَبْغَضَكَ.
قَلَى ـ أَبْغَضَ.

﴿٤﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ

(لَلآخِرَةُ)
(٤) ـ وَإِنَّ مُسْتَقْبَلَ حَيَاتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَاضِيهَا، وَإِنَّكَ تَزْدَادُ عِزّاً وَرِفْعَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَلَعَاقِبَةُ أَمْرِكَ خَيْرٌ مِنْ بِدَايَتِهِ.
(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى: هُوَ أَنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا).

﴿٥﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ

(٥) ـ وَإِنَّ رَبَّكَ سَوْفَ يُوَالِي عَلَيْكَ نِعَمَهُ حَتَّى تَرْضَى، وَمِنْ هَذِهِ النِّعَمِ تَوَارُدُ الوَحْيِ عَلَيْكَ بِمَا فِيهِ إِرْشَادُكَ وَإِرْشَادُ قَوْمِكَ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَسَيُظْهِرُ اللهُ دِينَكَ عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ.

٦ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ

(فآوى)

(٦) ـ أَلَمْ تَكُنْ يَتِيماً لاَ أَبَ لَكَ وَلاَ أُمَّ يَهْتَمَّانِ بِأَمْرِكَ، وَيَعْتَنِيَانِ بِشُؤُونِكَ، فَتعَهَّدَكَ رَبُّكَ وَمَا زَالَ يَحْمِيكَ وَيَتعَهَّدُكَ بِرِعَايَتِهِ حَتَّى بَلَغْتَ ذُرْوَةَ الكَمَالِ الإِنْسَانِي؟.

٧ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ

(٧) ـ وَوَجَدَكَ حَائِراً مُضْطَرِباً فِي أَمْرِكَ، إِذْ وَجَدْتَ قَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ فِي عِبَادَتِهِمْ وَمُعْتَقَدِهِمْ، فَهَدَاكَ إِلَى الحَقِّ، وَآخْتَصَّكَ بِرِسَالَتِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ وَحْيَهُ؟.

ضَالاً ـ حَائِراً أَوْ غَافِلاً عَنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ.

٨ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ

(عَائِلاً)

(٨) ـ وَكُنْتَ فَقِيراً لَمْ يَتْرُكْ لَكَ وَالِدَاكَ شَيئاً تَعِيشُ بِهِ فَأَنْجَاكَ اللهُ مِنَ الفَقْرِ وَأَغْنَاكَ.

عَائِلاً ـ فَقِيراً مُعْدِماً.

٩ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

(٩) ـ وَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيْكَ أَنْ لاَ تَقْهَرَ اليَتِيمَ وَتَسْتَذِلَّهُ، بَلِ آرْفَعْ مِنْ شَأْنِهِ بِالأَدَبِ، وَهَذِّبْ نَفْسَهُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ لِيَكُونَ عُضْواً نَافِعاً فِي جَمَاعَتِكَ، وَمَنْ ذَاقَ مَرَارَةَ اليُتْمِ وَالضِّيقِ فِي نَفْسِهِ، فَمَا أَجْدَرَهُ بِأَنْ يَسْتَشْعِرَهَا فِي غَيْرِهِ.

١٠ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ

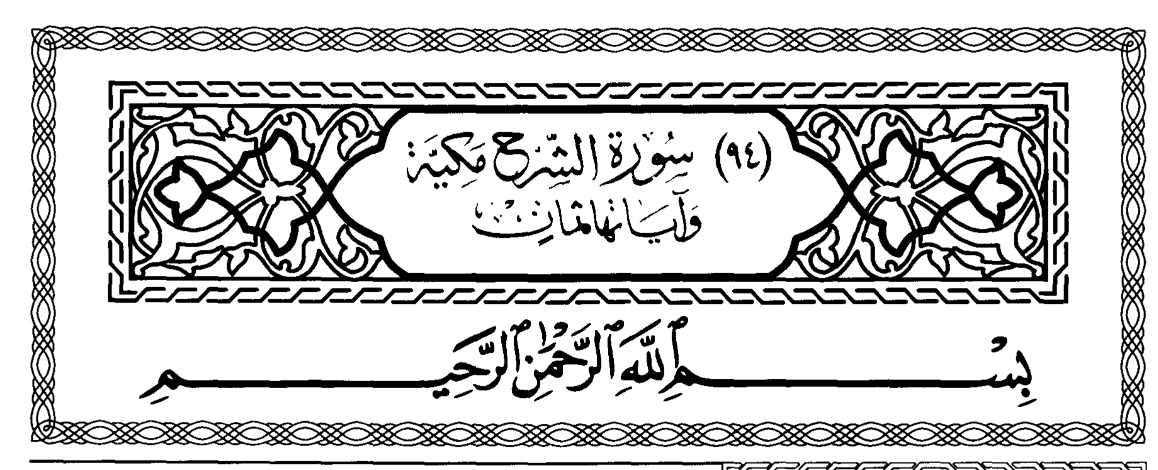
(السَّائِلَ)

(١٠) ـ وَلاَ تَزْجُرْ سَائِلاً مُسْتَجْدِياً يَطْلُبُ مِنْكَ إِحْسَاناً بَلْ تَفَضَّلْ عَلَيْهِ بِشَيءٍ، وَأَحْسِنْ مُخَاطَبَتَهُ.

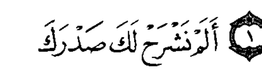
فَلاَ تَنْهَرْ ـ فَلاَ تَزْجُرْهُ وَارْفُقْ بِهِ.

١١ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

(١١) ـ وَأَوْسِعْ فِي البَذْلِ عَلَى الفُقَرَاءِ، وَأَفِضْ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى طَالِبِيهَا، وَآشْكُرِ اللهَ عَلَى نِعَمِهِ بِإِظْهَارِ نِعَمِهِ عَلَيْكَ، وَبِالحَدِيثِ عَنْهَا.







(١) - لَقَدْ شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ بِمَا أَوْدَعْنَاهُ فِيهِ مِنَ الهُدَى وَالإِيمَانِ، وَأَخْرَجْنَاكَ مِنَ الحَيْرَةِ التِي كُنْتَ تَضِيقُ بِهَا ذَرْعاً، بِمَا كُنْتَ تُلاَقِي مِنْ عِنَادِ قَوْمِكَ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ. وَكُنْتَ تَتَلَمَّسُ الوَسِيلَةَ التِي تُنْقِذُهُمْ بِهَا مِمَّا هُمْ فِيهِ، فَهُدِيتَ إِلَيْهَا.

أَلَمْ نَشْرَحْ - أَلَمْ نَفْسَحْ بِالحِكْمَةِ وَالنُّورِ وَالإِيمَانِ.

وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٢

(٢) - وَحَطَطْنَا عَنْكَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَكَ مِنْ مَتَاعِبِ الرِّسَالَةِ بِمُسَانَدَتِكَ وَتَيْسِيرِ أَمْرِكَ.

وَضَعْنَا - خَفَّفْنَا عَنْكَ.

وِزْرَكَ - حِمْلَكَ أَوْ عِبءَ الرِّسَالَةِ.

الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ٣

(٣) - وَكَانَ هَذَا العِبْءُ قَدْ أَتْعَبَ ظَهْرَكَ وَأَثْقَلَهُ فَجَعَلْنَا تَبْلِيغَ الرِّسَالَةِ لِلنَّاسِ سَهْلاً عَلَيْكَ، فَصِرْتَ تَقُومُ بِهِ وَنَفْسُكَ مُطْمَئِنَّةٌ رَاضِيَةٌ، وَلَوْ قَابَلَكَ النَّاسُ بِالإِسَاءَةِ.

أَنْقَضَ ظَهْرَكَ - أَثْقَلَهُ حَتَّى سُمِعَ لَهُ نَقِيضٌ (صَوْتٌ).

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٤

(٤) - وَجَعَلْنَاكَ عَالِيَ الشَّأْنِ، رَفِيعَ المَنْزِلَةِ، عَظِيمَ القَدْرِ، وَأَيُّ مَنْزِلَةٍ أَرْفَعُ مِنَ النُّبُوةِ التِي مَنَحَكَهَا اللهُ تَعَالَى؟ وَأَيُّ رِفْعَةٍ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ بَعْدَ ذِكْرِي فِي كُلِّ شَهَادَةٍ.

(أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ).

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٥

(٥) - إِنَّ مَعَ الضِّيقِ فَرَجاً، وَمَعَ الشِّدَّةِ مَخْرَجاً إِذَا تَدَرَّعَ الإِنْسَانُ بِالصَّبْرِ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ.

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٦

(٦) - ثُمَّ أَكَّدَ تَعَالَى عَلَى أَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً إِذَا قَابَلَهُ الإِنْسَانُ بِالصَّبْرِ، وَأَخَذَ بِالأَسْبَابِ لِتَفْرِيجِهِ.

﴿٧﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ

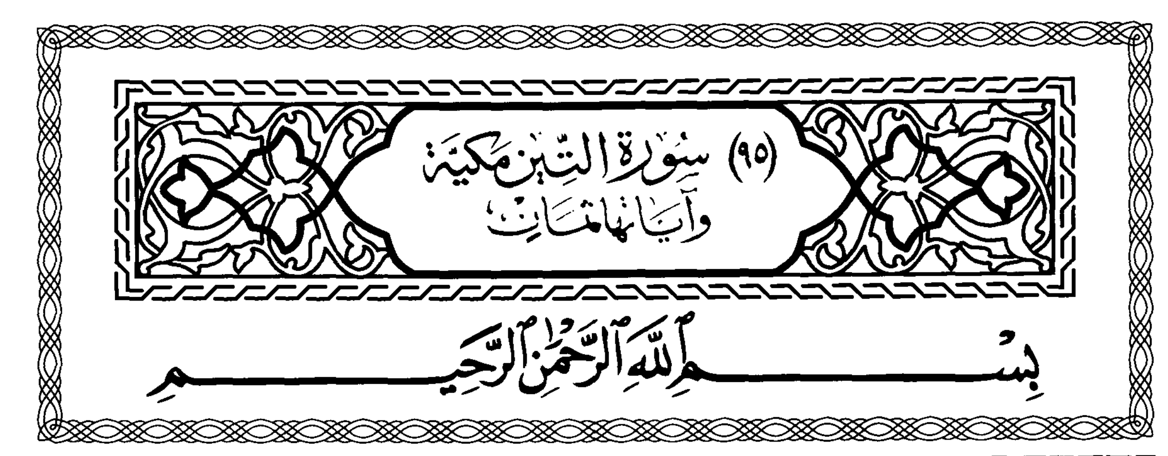
(٧) ـ فإذَا فرَغْتَ مِنْ أُمورِ الدُّنْيا ومَشَاغِلِها، فقُمْ إلى العِبَادَةِ نَشِيطاً، خَالِيَ البَالِ، وأَخْلِصْ لِرَبِّكَ النِّيَّةَ والرَّغْبَةَ، وأَتْعِبْ نَفْسَكَ في عِبادَتِهِ تَعالَى.

فَانْصَبْ ـ فَاجْتَهِدْ في العِبَادَة، وأَتْعِبْ نَفْسَكَ فِيهَا.

﴿٨﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب

(٨) ـ وَلَا تَرْغَبْ في ثَوابِ أَعْمالِكَ إلَّا إلى اللهِ وَحْدَهُ، فإنَّهُ الحَقِيقُ بالتَّوجُّهِ إلَيهِ بالدُّعاءِ والضَّراعَةِ.

فَارْغَبْ ـ فَارْغَبْ في ثَوابِ اللهِ.



وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾

(١) ـ آخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ المَقْصُودِ بِالتِّين وَالزَّيْتُونِ فِي هٰذِهِ الآيَةِ:
فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُمَا التِّينُ وَالزَّيْتُونُ الثَّمَرَانِ المَعْرُوفَانِ، فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ بَعْضَ الثِّمَارِ كَالعِنَبِ وَالنَّخْلِ وَالفَاكِهَةِ وَالطَّلْحِ وَالسِّدْرِ.
ـ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ التِّينَ إِشَارَةٌ إِلَى عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا كَانَ الإِنْسَانُ يَسْتُرُ نَفْسَهُ بِوَرَقِ التِّينِ (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ).
أَمَّا الزَّيْتُونُ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى عَهْدِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَعْدَ أَنِ آنْتَهَى الطُّوفَانُ أَرْسَلَ نُوحٌ طَيراً فَعَادَ إِلَيهِ يَحْمِلُ وَرَقَةَ زَيْتُونٍ، فَعَلِمَ أَنَّ الطُّوفَانَ قَدِ آنْتَهَى، وَأَنَّ الأَرْضَ عَادَتْ تُنْبِتُ.
ـ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ التِّينَ وَالزَّيْتُونَ إِشَارَةٌ إِلَى القُدْسِ وَهِيَ مَبْعَثُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذٰلِكَ أَشَارَ إِلَى طُورِ سِينَاءَ وَمَكَّةَ.
وَطُورُ سِينَاءَ هِيَ المَكَانُ الذِي كَلَّمَ اللهُ فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَهِدَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ مَكَّةَ مَبْعَثُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَكُونُ تَعَالَى قَدْ أَقْسَمَ بِثَلَاثَةِ مَوَاقِعَ مُشَرَّفَةٍ بِبَعْثِهِ فِيهَا ثَلَاثَةً مِنَ الرُّسُلِ الكِرَامِ أُولِي العَزْمِ. وَعَلَى هٰذَا يَكُونُ التِّينُ وَالزَّيْتُونُ إِشَارَةً إِلَى أَمَاكِنَ وَذِكْرَيَاتٍ ذَاتِ عِلَاقَةٍ بِالدِّينِ وَالإِيْمَانِ، أَوْ ذَاتِ عِلَاقَةٍ بِنَشْأَةِ الإِنْسَانِ.

وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾

(٢) ـ وَطُورُ سِنِينَ هُوَ جَبَلُ الطُّورِ الذِي يَقَعُ فِي سِينَاءِ وَعِنْدَهُ كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَادَاهُ.
طُورِ سِينِينَ ـ جَبَلِ الطُّورِ.

وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾

(٣) ـ وَهٰذَا البَلَدِ (يَعْنِي مَكَّةَ) الذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَ فِيهِ أَوَّلَ بَيْتٍ لِلْعِبَادَةِ وُضِعَ لِلنَّاسِ.
البَلَدِ الأَمِينِ ـ مَكَّةَ.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

(الإنْسَانَ)

(٤) - لَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى فِي الآيَاتِ الثَّلاثِ السَّابِقَةِ بِعُهُودٍ أَرْبَعَةٍ. أَرْسَلَ فِيهَا رُسُلاً كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَارِيخِ البَشَرِيةِ وَالإِيْمَانِ هُمْ: آدَمُ وَنُوحٌ وَمُوسَى وَمُحَمَّد، عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَكْمَلِ هَيْئَةٍ، مُنْتَصِبَ القَامَةِ، يَسْتَعْمِلُ أَطْرَافَهُ فِيمَا يُرِيدُ، وَلَهُ عَقْلٌ يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالصَّحِيحِ مِنَ الخَطَإِ فَمَيَّزَهُ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى المَخْلُوقَاتِ الأُخْرَى فِي الأَرْضِ.

أَحْسَنِ تَقْوِيم - أَكْمَلِ تَعْدِيلٍ وَأَحْسَنِ صُورَةٍ.

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

(رَدَدْنَاهُ) (سَافِلِينَ)

(٥) - وَلَكِنَّ هَذَا الإِنْسَانَ الذِي خُلِقَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَأَكْمَلِ عَقْلٍ، غَفَلَ عَمَّا مَيَّزَهُ اللهُ بِهِ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ عَقْلَهُ فِيمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ فِيهِ، فَانْحَطَّ بِنَفْسِهِ إِلَى مُسْتَوى الحَيَوَانَاتِ - أَسْفَلَ سَافِلِينَ -، وَأَصْبَحَ هَمُّهُ الإِقْبَالَ عَلَى الدُّنْيَا وَمَلَذَّاتِهَا، وَالاسْتِمْتَاعَ بِشَهَوَاتِهَا، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ.

رَدَدْنَاهُ - أَيْ الكَافِرَ أَوْ جِنْسَ الإِنْسَانِ.

أَسْفَلَ سَافِلِينَ - إِلَى أَرْذَلِ العُمْرِ إِلَى النَّارِ أَوْ إِلَى مُسْتَوى البَهَائِمِ فِي الأَعْمَالِ.

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٦) - وَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذَا الانْحِطَاطِ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ إِلاَّ الذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَرَفُوا أَنَّ لِهَذَا الكَوْنِ مُوجِداً وَمُدَبِّراً، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ بِالشَّرائِعِ لِهِدَايَةِ النَّاسِ، وَأَنَّ هُنَاكَ بَعْثاً ثُمَّ حِسَاباً وَجَزَاءً عَلَى الأَعْمَالِ، فَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَهُؤُلاءِ سَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ فِي الآخِرَةِ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَسَيُعْطِيهِمْ رَبُّهُمْ عَطَاءً جَزِيلاً لاَ يَنْقَطِعُ.

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾

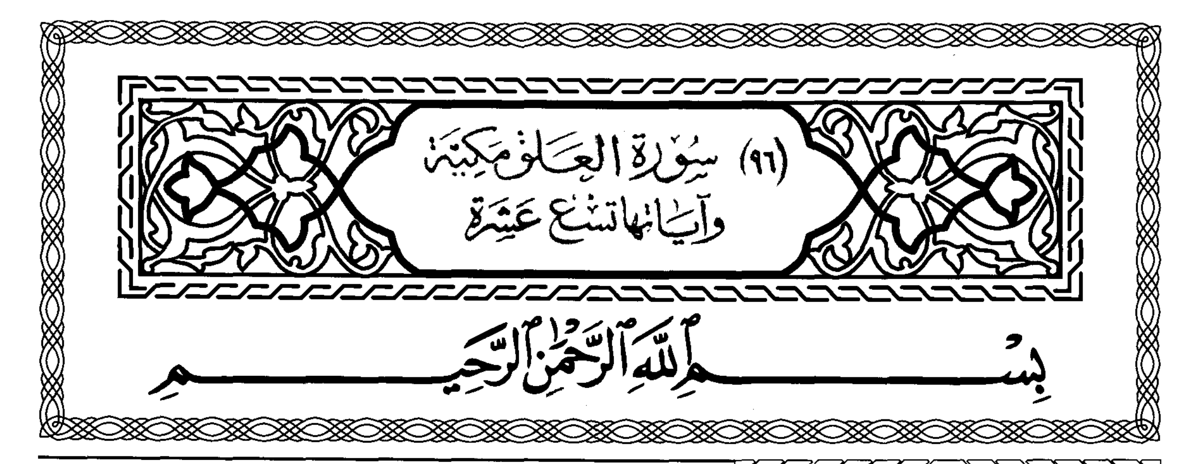
(٧) - فَمَا الذِي يَحْمِلُكَ يَا ابْنَ آدَمَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ فِي الآخِرَةِ (بِالدِّين)؟ فَإِنَّ اللهَ الذِي خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ سَوَّاكَ بَشَراً سَوِيّاً، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَكَ مِنْ قَبْرِكَ وَيُحَاسِبَكَ.

الدِّينُ - الحِسَابُ وَالجَزَاءُ.

﴿٨﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ

(الحَاكِمِينَ)

(٨) ـ أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْدَلِ العَادِلِينَ حِينَ يَحْكُمُ فِي الخَلْقِ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، بَعْدَ أَنْ أَقَامَ لَهُمُ الأَدِلَّةَ وَالبَـرَاهِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي الآفَاقِ عَلَى وُجُودِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَدْلِهِ، وَعَلَى عِنَايَتِهِ بِالإِنْسَانِ وَتَفْضِيلِهِ إِيَّاهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ.



(١) اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

(١) ـ الآيَاتُ الأُولَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ هِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ. فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدِ اعْتَادَ عَلَى أَنْ يَتَعَبَّدَ رَبَّهُ فِي غَارِ حِرَاءَ قُرْبَ مَكَّةَ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقَالَ النَّبِيُّ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ، فَأَخَذَهُ المَلَكُ فَضَغَطَهُ (غَطَّهُ) حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الجَهْدَ، ثُمَّ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَفِي المَرَّةِ الرَّابِعَةِ سَأَلَهُ النَّبِيُّ وَمَاذَا أَقْرَأُ؟ فَقَالَ المَلَكُ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ. وَلَمَّا فَارَقَ المَلَكُ النَّبِيَّ، عَادَ النَّبِيُّ إِلَى زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ يَرْتَجِفُ، وَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. وَلَمَّا هَدأَ رَوْعُهُ قَصَّ عَلَى خَدِيجَةَ مَا رَأَى، وَقَالَ لَهَا خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ كَلاَّ. أَبْشِرْ فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوائِبِ الزَّمَنِ.

وَمَعْنَى الآيَةِ: اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مُفْتَتِحاً قِرَاءَتَكَ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي لَهُ وَحْدَهُ القُدْرَةُ عَلَى الخَلْقِ.

(٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

(الإِنْسَانَ)

(٢) ـ وَرَبُّكَ هُوَ الذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ، السَّوِيَّ القَوِيَّ، مِنْ نُطْفَةٍ تَنْطَلِقُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ فَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الأُنْثَى، فَتَتَطَوَّرُ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَتُصْبِحُ عَلَقَةً (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ التَّطَوُّرُ فِي خَلْقِ الإِنْسَانِ حَتَّى يَتَكَامَلَ وَيُولَدَ طِفْلاً.

العَلَقُ ـ اسْتِحَالَةُ المَنِيِّ إِلَى دَمٍ جَامِدٍ

(٣) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

(٣) ـ وَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ مِنَ القِرَاءَةِ (اقْرَأْ)، وَرَبُّكَ الأَكْثَرُ كَرَماً وَجُوداً لِكُلِّ مَنْ يَرْتَجِي مِنْهُ الإِعْطَاءَ، فَهُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يُيَسِّرَ عَلَيْكَ نِعْمَةَ القِرَاءَةِ.

﴿٤﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ

(٤) - وَهُوَ تَعَالَى الذِي عَلَّم الإنْسَانَ أنْ يَكْتُبَ بِالقَلَمِ ، وَجَعَلَ الكِتَـابَةَ بِـالقَلَمِ وَسِيلَةً لإِدْرَاكِ الإِنْسَانِ العُلُومَ ، وَالمَعَـارِفَ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ ، وَبِفَضْـلِ القَلَمِ حُفِظَتِ العُلُومُ ، وَانْتَقَلَتْ فِي الأَرْضِ مِنْ صِقْـعٍ إِلَى صِقْعٍ .

﴿٥﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

(الإِنْسَانَ)

(٥) - وَقَدْ عَلَّمَ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ جَمِيعَ مَا هُوَ مُتَمَتِّعٌ بِهِ مِنَ العُلُومِ ، وَكَانَ فِي بَدءِ أَمْرِهِ لاَ يَعْلَمُ شَيئاً .

﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ

(الإِنْسَانَ)

(٦) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الإِنْسَانَ يَطْغَى ، وَيَخْرُجُ عَنِ الحَدِّ الذِي يَجِبُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ ، وَيَسْتَكْبِرُ عَنِ الخُشُـوعِ وَالخُضُوعِ للهِ ، وَيَتَـطَاوَلُ عَلَى عِبَادِ اللهِ بِالأَذَى .

كَلاَّ - حَقّاً .

﴿٧﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ

(رَآهُ)

(٧) - وَهَذَا الإِنْسَانُ يَتَطَاوَلُ وَيَتَجَبَّرُ إِذَا رَأَى نَفْسَهُ قَدِ ٱسْتَغْنَى وَكَثُرَ مَالُهُ .

﴿٨﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ

(٨) - ثُمَّ هَدَّدَ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ الطَّاغِيَةَ المُتَطَاوِلَ المُسْتَغْنِيَ بِمَالِهِ ، بِأَنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ لاَ مَحَالَةَ ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُ عَلَى جَمِيـعِ أَعْمَالِـهِ خَيْرِهَـا وَشَرِّهَا .

الرُّجْعَى - الرُّجُوعُ فِي الآخِرَةِ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ .

﴿٩﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ

(أَرَأَيْتَ)

(٩) - أَلاَ تَرَى إِلَى هَذَا الطَّاغِيَةِ الذِي نَسِيَ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الـذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالمَالِ ، وَهُوَ يَنْهَى عَبْداً مُؤْمِناً عَنْ أَدَاءِ الصَّلاَةِ لِرَبِّهِ .

﴿١٠﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ

(١٠) - وَقَـدْ نَزَلَتْ هَـذِهِ الآيَةُ وَالآيَـاتُ قَبْلَهَا فِي أَبِي جَهْـلٍ عَمْـرِو بْنِ هِشَامٍ ، فَقَدْ نَهَى النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ الكَعْبَةِ ، وَتَوَعَّدَهُ إِنْ عَادَ إِلَى الصَّلاَةِ هُنَاكَ فَوَعَظَهُ اللهُ بِهَذِهِ الآيَةِ .

﴿١١﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ

(أَرَأَيْتَ)

(١١) - فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الذِي تَنْهَاهُ مُهْتَدِياً إِلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ ، وَالإِيْمَانِ الصَّحِيحِ فِي فِعْلِهِ هَذَا .

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ ١٢﴾

(١٢) ـ أَوْ كَانَ يَأْمُرُ بالبِرِّ والتَّقْوى، وَأَنْت تَزْجُرُهُ وَتَتَوعَّدُهُ، وَتَنْهاهُ عَنِ الصَّلاةِ؟

(وهُنَاكَ مَنْ قَالَ إنَّ المَعْنَى هُوَ: مَاذَا لَوْ تَخلَّقَ هَذَا الطَّاغِيَةُ بِأَخْلاقِ المُصْلِحِينَ، وَدَعَا إِلَى البِرِّ، وَتَقْوَى اللهِ أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَيْراً لَهُ مِنَ الكُفْرِ بِرَبِّهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الطَّاعَةِ؟).

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣﴾

(أَرَأَيْتَ)

(١٣) ـ أَلاَ تَرَى إِلَى هَذَا الكَافِرِ الذِي يَكْفُرُ بِرَبِّهِ وَيُكَذِّبُ رَسُولَهُ وَيُهَدِّدُهُ إِنْ صَلَّى عِنْدَ البَيْتِ، وَيُعْرِضُ عَمَّا يَدْعُوهُ الرَّسُولُ إِلَيهِ مِنَ الخَيْرِ وَالإِيْمَانِ، أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الخَيْرِ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ وَيَهْتَدِيَ، مَخَافَةَ أَنْ تَحِلَّ بِهِ قَارِعَةٌ أَوْ يُصِيبَهُ عَذَابٌ مِنَ اللهِ لاَ طَاقَةَ لَهُ بِدَفْعِهِ؟.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾

(١٤) ـ أَمَا عَلِمَ هَذَا الطَّاغِيَةُ الذِي يَكْفُرُ بِاللهِ، وَيَنْهَى النَّاسَ عَنِ الإِيْمَانِ، وَيَنْهَى رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ الكَعْبَةِ، أَنَّ اللهَ يَرَاهُ، وَيَسْمَعُ كَلاَمَهُ، وَأَنَّهُ سَيَجْزِيهِ عَلَى أَفْعَالِهِ الجَزَاءَ الأَوْفَى؟.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥﴾

(لَئِن)

(١٥) ـ فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ هَذَا الطَّاغِيَةُ المُجْرِمُ عَمَّا يَفْعَلُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُقْسِمُ عَلَى أَنَّهُ سَيَجْذِبُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ جَذْباً شَدِيداً مِنْ شَعْرِ جَبْهَتِهِ، فَيَكُبُّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَلَى وَجْهِهِ، فَعَلَى هَذَا الطَّاغِيَةِ أَلاَّ يَغْتَرَّ بِالإِثْمِ، وَأَلاَّ يَسْتَمِرَّ فِي غُرُورِهِ.

(وَقِيلَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: سَنَجْعَلُ نَاصِيَةَ هَذَا المُجْرِمِ سَوْدَاءَ اللَّوْنِ؛ كَمَا يَسْتَحِيلُ لَوْنُ الأَثَافِيِّ التِي تُوضَعُ عَلَيْهَا القُدُورُ لِلطَّبْخِ إِلَى السَّوَادِ فَتُصْبِحُ سُفْعَ اللَّوْنِ).

لَنَسْفَعَنْ ـ لَنَجْذِبَنَّهُ وَنَسْحَبَنَّهُ إِلَى النَّارِ.

النَّاصِيَةُ ـ شَعْرُ الجَبْهَةِ.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦﴾

(كَاذِبَةٍ)

(١٦) ـ وَصَاحِبُ هَذِهِ النَّاصِيَةِ (وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ) كَاذِبٌ فِي اغْتِرَارِهِ بِقُوَّتِهِ، وَفِي زَعْمِهِ مَا لاَ حَقِيقَةَ لَهُ، وَإِنَّهُ لَمُخْطِىءٌ فِي طُغْيَانِهِ، وَتَجَاوُزِهِ حَدَّهُ، وَعُتُوِّهِ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ١٧﴾

(١٧) ـ وَبَعْدَ أَنْ حَذَّرَ أَبُو جَهْلٍ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الصَّلاَةِ عِنْدَ البَيْتِ وَهَدَّدَهُ، رَآهُ يَوْماً يُصَلِّي فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ أَنْهَكَ يَا مُحَمَّدُ عَنْ هذا وَتَوَعَّدَهُ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ

الرَّسُولُ وَأَغْلَظَ لَهُ وَانْتَهرَهُ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: بِأَيِّ شَيءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي أَكْثَرُ هَذَا الوَادِي نَادِياً.

نَادِيَه ـ أَهْلَ مَجْلِسِهِ.

سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾

(١٨) ـ وَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الطَّاغِيَةِ المُجْرِمِ، مُوَبِّخاً وَمُهَدِّداً، فَقَالَ لَهُ: لِيَدْعُ مَنْ أَرَادَ مِمَّنْ يَسْمُرُونَ فِي نَادِيهِ لِيَنْصُرُوهُ، وَيُسَاعِدُوهُ عَلَى مَنْعِ المُصَلِّيـنَ مِنَ الصَّلاةِ، وَعَلَى إِيذَاءِ الصَّالِحِينَ، فَإِنْ فَعَلَ فَإِنَّهُ سَيَتَعَرَّضُ لِسُخْطِ اللهِ، وَسَيَدْعُو اللهُ تَعَالَى جُنُودَهُ الذِينَ أَوْكَلَ إِلَيْهِمْ تَعْذِيبَ العُصَاةِ الطُّغَاةِ فِي النَّارِ (الزَّبَانِيَةَ) فَيُهْلِكُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَوَلَّوْنَ عَذَابَهُ فِي النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَسَيَعْلَمُ ذَلِكَ الطَّاغِيَةُ مَنْ يَغْلِبُ: حِزْبُ اللهِ أَمْ حِزْبُهُ هُوَ؟

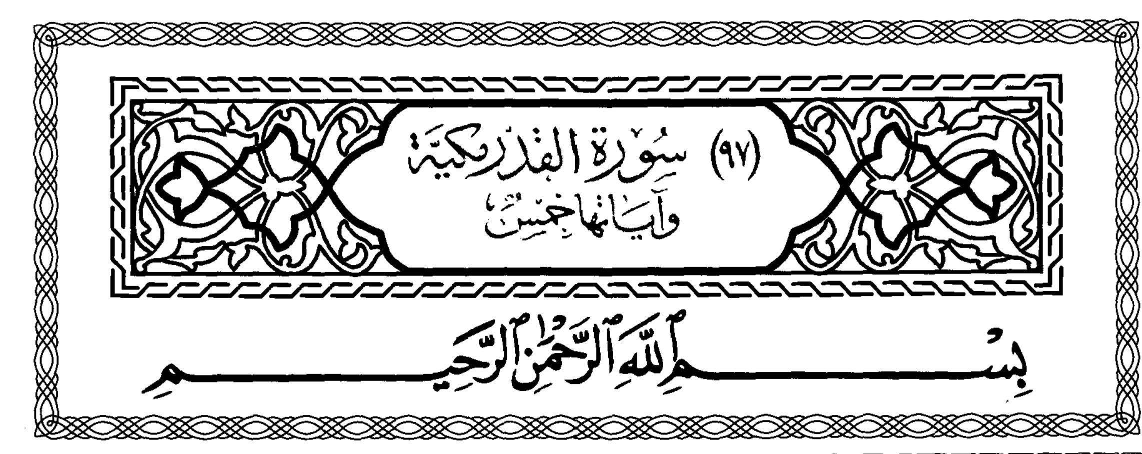
الزَّبَانِيَةَ ـ مَلائِكَةَ العَذَابِ فِي النَّارِ.





كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

(١٩) ـ لاَ تُطِعْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا المُشْرِكَ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ المُدَاوَمَةِ عَلَى العِبَادَةِ، وَصَلِّ حَيْثُ شِئْتَ، وَلاَ تُبَـالِ بِهِ، فَـإِنَّهُ أَضْعَفُ مِنْ أَنْ يَنَـالَكَ بِسُوءٍ، وَتَقَرَّبْ بِعِبَادَتِكَ إِلَى اللهِ، وَاللهُ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ، وَهُوَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.



﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ

(أَنْزَلْنَاهُ)

(١) ـ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ القُرْآنَ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ القُرْآنَ جُمْلَةً مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ العِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ مُفَصَّلاً بِحَسَبِ الوَقَائِعِ فِي ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ: إِنَّ اللهَ بَدَأَ تَنْزِيلَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، ثُمَّ أَنْزَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، بِحَسَبِ الحَوَادِثِ التِي كَانَتْ تَدْعُو إِلَى نُزُولِ شَيءٍ مِنْهُ، تَثْبِيتاً لِمَا أَشْكَلَ مِنَ الفَتْوَى فِيهَا، أَوْ عِبْرَةً بِمَا يَقُصُّ مِنْ قَصَصٍ وَزَوَاجِرَ).

لَيْلَةِ القَدْرِ ـ لَيْلَةِ الشَّرَفِ العَظِيمَةِ.

﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ

(أَدْرَاكَ)

(٢) ـ وَمَا الذِي تَعْلَمُهُ أَنْتَ عَنْ فَضْلِهَا، وَعُلُوِّ قَدْرِهَا، فَذَلِكَ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ.

﴿٣﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ

(٣) ـ فَلَيْلَةُ القَدْرِ مُبَارَكَةٌ بَدَأَ فِيهَا بِإِنْزَالِ القُرْآنِ الكَرِيمِ لِيَبْدَأَ عَهْدُ النُّبُوَّةِ وَالنُّورِ وَالهُدَى، وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ أَشْهُرِ الجَاهِلِيَّةِ، التِي كَانَ النَّاسُ يَتَخَبَّطُونَ فِيهَا فِي ظَلامِ الشِّرْكِ وَالوَثَنِيَّةِ.

﴿٤﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ

(المَلائِكَةُ)

(٤) ـ تَنَزَّلَتِ المَلاَئِكَةُ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَمَثَّلَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، مُبَلِّغاً لِلْوَحْيِ، وَكَانَ هَذَا التَّجَلِّي بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ المَلاَئِكَةَ يَكْثُرُ تَنَزُّلُهُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ لِعِظَمِ بَرَكَتِهَا).

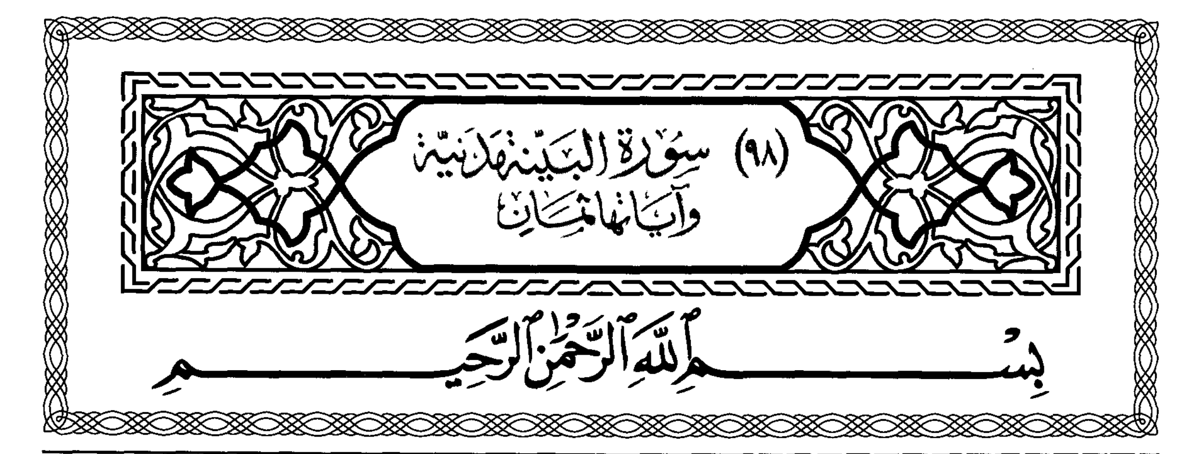
سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥

الرُّوحُ ـ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ـ بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ.

(سَلَامٌ)

(٥) ـ وَهِيَ لَيْلَةٌ كُلُّها سَلَامٌ وَأَمْنٌ وَخَيْرٌ عَلى أَوْلِيَاءِ اللهِ، وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، مِنْ مَبْدَئِهَا إِلَى نِهَايَتِهَا فِي مَطْلَعِ الفَجْرِ.



(١) لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ

(٢) رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ

(٣) فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ

(٤) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ

(الْكِتَابِ)

(١) - لَمْ يَكُنِ الذِينَ كَفَرُوا باللهِ، وَبِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْكَرُوا نُبُوَّتَهُ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصارَى - أَهْلِ الكِتَابِ - وَمِنَ المُشْرِكِينَ، بِمُفَارِقِينَ كُفْرَهُمْ، وَمَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ، ولاَ مُتَخَلِّينَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الغَفْلَةِ عَنِ الحَقِّ، حَتَّى تَأْتِيَهُمْ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

مُنْفَكِّينَ - مُزَايِلِينَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ.

البَيِّنَةُ - الحُجَّةُ الوَاضِحَةُ وَهِيَ الرَّسُولُ.

(يَتْلُو)

(٢) - وَهَذِهِ البَيِّنَةُ التي يَنْتَظِرُونَ إِرْسَالَهَا إِلَيْهِمْ مِنَ اللهِ، هِيَ بَعْثُ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ، يَأْتِيهِمْ بِقُرْآنٍ مُطَهَّرٍ مُنَزَّهٍ عَنِ التَّشْوِيهِ وَالتَّحْرِيفِ، وَيَتَضَمَّنُ كُتُبَ الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ التي تَنْطِقُ بِالحَقِّ، كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى.

(٣) - وَالبَيِّنَةُ التي يَنْتَظِرُونَ إِرْسَالَهَا إِلَيْهِمْ هِيَ صُحُفٌ مُطَهَّرَةٌ فِيهَا أَحْكَامٌ مُسْتَقِيمَةٌ نَاطِقَةٌ بِالحَقِّ وَالصَّوَابِ.

(وَقِيلَ إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ المَقْصُودُ بِالكُتُبِ الوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الآيَةِ سُوَرُ القُرْآنِ وَآيَاتُهُ، أَوِ الأَحْكَامُ وَالشَّرَائِعُ التي تَضَمَّنَتْهَا).

فِيهَا كُتُبٌ - آيَاتٌ وَأَحْكَامٌ مَكْتُوبَةٌ.

قَيِّمَةٌ - مُسْتَقِيمَةٌ مُحْكَمَةٌ.

(الْكِتَابَ)

(٤) - وَقَدِ آخْتَلَفَ أَهْلُ الكِتَابِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ وَمَذَاهِبَ، حَتَّى صَارَ أَهْلُ كُلِّ مَذْهَبٍ يُبْطِلُونَ مَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ بَغْياً وَعُدْوَاناً، قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ أَنْتَ بِبَيِّنَتِكَ، وَإِذَا كَانُوا قَدْ جَحَدُوا بَيِّنَتَكَ فَهُمْ قَدْ جَحَدُوا بَيِّنَةً مَنْ

قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَأَنْكَرُوا آيَاتَ اللهِ بَعْدَ أَنِ ٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ. وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ أَهْلِ الكِتَابِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْمُشْرِكِينَ الذِينَ هُمْ أَعْرَقُ فِي الكُفْرِ وَالجَهَالَةِ؟.

وَمَا تفرَّقَ - وَمَا ٱخْتَلَفُوا فِي الرَّسُولِ بَيْنَ مُؤْمِنٍ وَجَاحِدٍ.

(٥) وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ

(الصَّلَاةَ) (الزَّكَاةَ)

(٥) - وَقَدْ تَفَرَّقَ هَؤُلَاءِ وَٱخْتَلَفُوا بَغْياً وَعُدْوَاناً، وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِالتَّفَرُّقِ وَالاخْتِلَافِ، وَإِنَّمَا أُمِرُوا بِمَا يُصْلِحُ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَبِمَا يُحَقِّقُ لَهُمُ السَّعَادَةَ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ: مِنْ إِخْلَاصٍ للهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَتَطْهِيرِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ بِهِ، وَٱتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ المُنْحَرِفَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَأَدَائِهَا حَقَّ الأَدَاءِ، وَدَفْعِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ... وَهَذَا هُوَ الدِّينُ الحَقُّ الذِي جَاءَ فِي الكُتُبِ القَيِّمَةِ المُسْتَقِيمَةِ التِي لَا عِوَجَ فِيهَا.

(٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ

(الْكِتَابِ) (خَالِدِينَ) (أُولَئِكَ)

(٦) - وَهَؤُلَاءِ الكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ الذِينَ دَنَّسُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشِّرْكِ، وَٱجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ وَالمَعَاصِي وَالآثَامِ، وَإِنْكَارِ الحَقِّ الوَاضِحِ بَعْدَمَا عَرَفُوهُ، سَيُجَازِيهِمْ رَبُّهُمْ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَبِمَا أَعْرَضُوا عَنْ دَعْوَةِ الرَّسُولِ، وَهَؤُلَاءِ هُم شَرُّ المَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا لِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا الحَقَّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ.

البَرِيَّةِ - الخَلْقِ - البَشَرِ.

(٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ

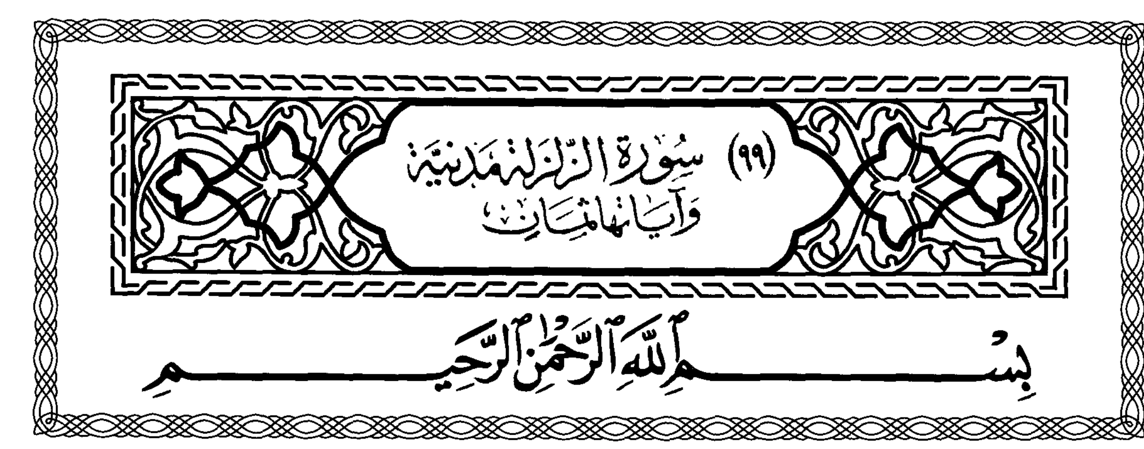
(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أُولَئِكَ)

(٧) - أَمَّا الذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَٱهْتَدَوا بِهُدَاهُ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَبَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الخَيْرِ والبِرِّ، وَأَحْسَنُوا مُعَامَلَةَ خَلْقِ اللهِ. فَأُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ أَدَّوا حَقَّ العَقْلِ الذِي شَرَّفَهُمُ اللهُ بِهِ، فَاتَّبَعُوا الهُدَى، وَحَفِظُوا الفَضِيلَةَ بِعَمَلِهِم الصَّالِحِ.

(٨) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ

(جَنَّاتُ) (الأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(٨) - وَيُجَازِي اللهُ فِي الآخِرَةِ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِإِدْخَالِهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي فِيهَا الأَنْهَارُ يُقِيمُونَ فِيهَا أَبداً، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ حَازُوا رِضَا اللهِ بِالتِزَامِ حُدُودِ شَرِيعَتِهِ، وَنَالُوا مَا يُرْضِيهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، وَهَذَا الجَزَاءُ الحَسَنُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ مَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ خَشْيَةُ اللهِ وَالخَوْفُ مِنْهُ.



(١) إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا

(١) - كَانَ الكُفَّارُ كَثِيراً مَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّاعَةِ وَالحِسَابِ، وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ، فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلاَمَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ.
إِذَا زُلْزِلَت الأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ، وَتَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا حَرَكَةً شَدِيدَةً.

(٢) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

(٢) - وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ مَا فِي جَوْفِهَا مِنْ أَمْوَاتٍ وَسَوَائِلَ مُنْصَهِرَةٍ وَمَعَادِنَ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[1].

(٣) وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا

(الإِنْسَانُ)

(٣) - وَيَقُولُ الأَحْيَاءُ الذِينَ يَشْهَدُونَ هَذِهِ الزَّلْزَلَةَ، وَهُمْ مَشْدُوهُونَ مِنْ هَوْلِ مَا يَرَوْن: مَا الذِي وَقَعَ لِهَذِهِ الأَرْضِ؟. فَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ سَاكِنَةً مُسْتَقِرَّةً، صَارَتْ مُتَحَرِّكَةً مُضْطَرِبَةً، لَقَدْ أَتَاهَا مِنْ أَمْرِ رَبِّهَا مَا أَتَاهَا.

(٤) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا

(يَوْمَئِذٍ)

(٤) - فَإِذَا وَقَعَتِ الزَّلْزَلَةُ، وَاضْطَرَبَتِ الأَرْضُ، وَتَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا حِينَئِذٍ تُحَدِّثُ الأَرْضُ بِمَا عَمِلَ العَامِلُونَ عَلَى ظَهْرِهَا.
وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ هَذِهِ الآيَةَ (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)، وَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَكُلِّ أَمَةٍ بِمَا عَمِلاَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا. فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا. (رَوَاهُ البُخَارِيُّ).

(٥) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا

(٥) - وَقَدْ حَدَثَ كُلُّ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَهَا بِأَنْ تَتَزَلْزَلَ وَتَنْشَقَّ وَتَتَحَدَّثَ بِمَا فَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى ظَهْرِهَا فَأَطَاعَتْ أَمْرَ رَبِّهَا.

---

(١) سورة الإنشقاق، الآية ٤.

﴿٦﴾ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ

(٦) ـ وَيَوْمَ تَتزَلْزَلُ الأَرْضُ، وَتَنْدَكُّ، وَيَبْعَثُ اللهُ تَعَالَى المَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَجْمَعُهُمْ لِلْحِسَابِ وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ المُطْلَق، فَيَرْجِعُ النَّاسُ عَنْ مَوْقِفِ الحِسَابِ (يَصْدُرُ النَّاسُ) أَصْنَافاً مُتَمَايِزِينَ، فَيَكُونُ المُحْسِنُونَ مَعاً، فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى دَار المَثُوبَةِ وَيكونُ الطُّغَاةُ المُجْرِمُون وَالمُسِيئُونَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى دَارِ العُقُوبَةِ لِيُلاَقُوا جَزَاءَ مَا عَمِلُوهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿٧﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ

(٧) ـ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلَ خَيْرٍ فَإِنَّهُ سَيَجِدُ ثَوَابَهُ مَهْمَا كَانَ حَقِيراً، حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِي وَزْنِ الذَّرَّةِ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً وَلو أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسقِي).

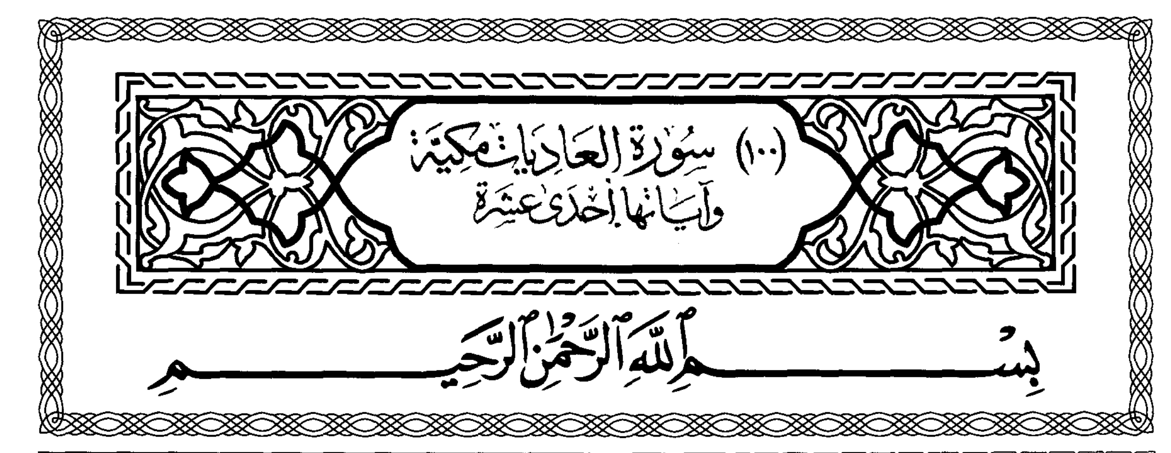
وَقَال أَيْضاً: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ).

(أَخْرَجَهُمَا البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ)

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ـ مِثْلَ وَزْنِ الذَّرَّةِ.

﴿٨﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ

(٨) ـ وَمَنْ عَمِلَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ سُوءٍ فَإِنَّهُ وَاجِدٌ جَزَاءَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ.



وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾

(العَادِيَاتِ)

(١) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِالخَيْلِ التِي تَجْرِي فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُسْمَعُ لَهَا زَفِيرٌ شَدِيدٌ لِشِدَّةِ عَدْوِهَا.

(وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِالخَيْلِ لِيُعْلِيَ مِنْ قَدْرِهَا فِي نُفُوسِ المُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ، لِيَعْتَزُّوا بِهَا، وَيُكَرِّمُوهَا، وَيَتَّخِذُوهَا لِلجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى).

العَادِيَاتُ - الخَيْلُ.

ضَبْحاً - زَفِيرَ الخَيْلِ الشَّدِيدَ حِينَمَا تَرْكُضُ.

فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾

(فَالمُورِيَاتِ)

(٢) - وَالخَيْلُ التِي تَعْدُو فِي سَبِيلِ اللهِ تَضْرِبُ بِحَوَافِرِهَا الأَرْضَ فَيَتَطَايَرُ الشَّرَرُ مِنْ آثَارِ ضَرْبِ الصُّخُورِ بِحَدِيدِ نِعَالِهَا.

المُورِيَاتُ - المُخْرِجَاتُ النَّارِ بِصَكِّ حَوَافِرِهَا بِالصَّخْرِ.

فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾

(فَالمُغِيرَاتِ)

(٣) - وَالخَيْلُ التِي تغيرُ عَلَى الأَعْدَاءِ فِي الصَّبَاحِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ لأَخْذِهِمْ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ مِنْهُمْ.

(وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ لِيُغِيرَ عَلَى مَنْ أَرَادَ الإِغَارَةَ عَلَيْهِ، فَإِذَا سَمِعَ فِي حَيِّهِم أَذَاناً كَفَّ عَنْهُمْ لأَنَّهُ يُدْرِكُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ مُتَمَسِّكُونَ بِالصَّلاَةِ وَإِلاَّ أَغَارَ عَلَيهِمْ).

المُغِيرَاتِ صُبْحاً - المُبَاغِتَاتِ لِلعَدُوِّ وَقْتَ الصَّبَاحِ.

فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾

(٤) - فَأَثَارَتِ الخَيْلُ الغُبَارَ أَثْنَاءَ رَكْضِهِنَّ لإِدْرَاكِ الأَعْدَاءِ، وَفِي جَرْيِهِنَّ فِي سَاحَةِ المَعْرَكَةِ.

أَثَرْنَ - أَخْرَجْنَ.

النَّقْعُ - الغُبَارُ.

٥ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا

(٥) ـ فَجَعَلْنَ الغُبَارَ يَتَوَسَّطُ جَمْعَ الأَعْدَاءِ حَتَّى يُصِيبَهُ الرُّعْبُ وَالفَزَعُ.
وَسَطْنَ ـ تَوَسَّطْنَ جَمْعَ الأَعْدَاءِ.

٦ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ

(الإِنْسَانُ)

(٦) ـ ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَّ الإِنْسَانَ لَشَدِيدُ الكُفْرَانِ وَالجُحُودِ لِأَنْعُمِ اللهِ.
كَنُودٌ ـ كَفُورٌ جَحُودٌ.
(وَعَرَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الكَنُودَ فَقَالَ: الكَنُودُ الذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ).

٧ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ

(٧) ـ وَإِنَّ الإِنْسَانَ نَفْسَهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَنُودٌ مُتَمَادٍ فِي الكُفْرَانِ وَالجُحُودِ لِأَنْعُمِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ رَبِّهِ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ. وَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ كَنُودٌ، وَهِيَ شَهَادَةٌ بِلِسَانِ الحَالِ.
(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الإِنْسَانَ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الآخِرَةِ بِذُنُوبِهِ).

٨ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ

(٨) ـ وَإِنَّ الإِنْسَانَ بِسَبَبِ حُبِّهِ الشَّدِيدِ لِلْمَالِ، وَشَغَفِهِ بِهِ وَتَعَلُّقِهِ بِجَمْعِهِ وَادِّخَارِهِ، لَبَخِيلٌ شَدِيدُ البُخْلِ، حَرِيصٌ مُتَنَاهٍ فِي حِرْصِهِ، وَمُمْسِكٌ مُتَنَاهٍ فِي إِمْسَاكِهِ.

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠

٩ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ

(٩) ـ أَفَلَا يَعْلَمُ هَذَا الإِنْسَانُ البَخِيلُ بِالمَالِ، الحَرِيصُ عَلَى جَمْعِهِ، أَنَّ اللهَ إِذَا بَعَثَ مَنْ فِي القُبُورِ مِنَ الأَمْوَاتِ.
بُعْثِرَ ـ أُثِيرَ وَأُخْرِجَ وَنُثِرَ.

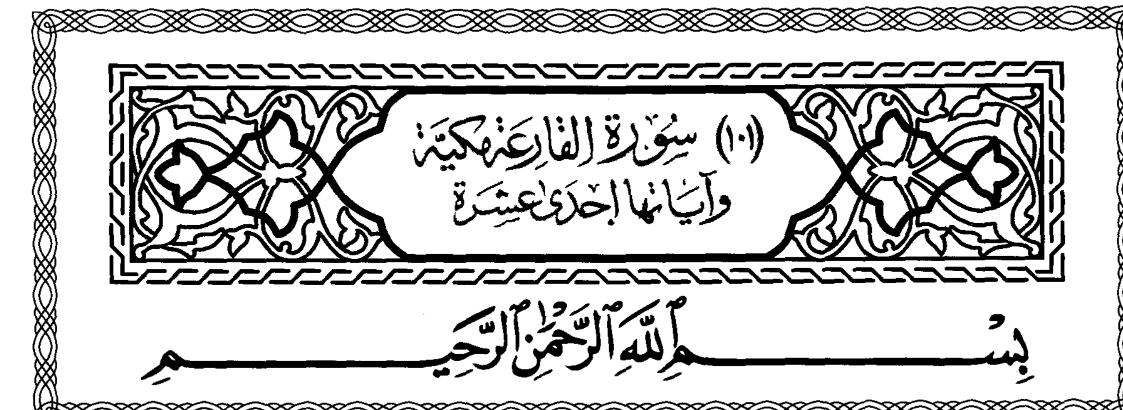
١٠ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ

(١٠) ـ وَظَهَرَ مَا كَانَ النَّاسُ يُسِرُّونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ.
حُصِّلَ ـ جُمِعَ وَأُظْهِرَ.

١١ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ

(يَوْمَئِذٍ)

(١١) ـ فَإِذَا بُعِثَ مَنْ فِي القُبُورِ، وَظَهَرَ مَا أَخْفَتْهُ الصُّدُورُ، فَحِينَئِذٍ يُدْرِكُ الإِنْسَانُ البَخِيلُ الكَنُودُ، الحَرِيصُ عَلَى جَمْعِ المَالِ، أَنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كَانَتْ تَنْطَوِي عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَأَنَّهُ مُجَازِيهِ عَلَى جُحُودِهِ وَكُفْرِهِ بِأَنْعُمِ رَبِّهِ عَلَيْهِ.



﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾

(١) - القَارِعَةُ آسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ القِيَامَةِ، وَسُمِيَّتْ بِذَلِكَ لأَنَّهَا تَقْرَعُ القُلُوبَ بِهَوْلِهَا.

(٢) - وَأَيُّ شَيءٍ هِيَ القَارِعَةُ؟ وَكَأَنَّهَا لِشِدَّتِهَا، وَلِعِظَمِ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ أَهْوَالٍ، يَصْعبُ تَصَوُّرُهَا.

(أَدْرَاكَ)

(٣) - وَأَيُّ شَيءٍ يُعَرِّفُكَ بِهَا؟ فَهِيَ شَيءٌ لاَ يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ وَيَتَخَيَّلَهُ.

(٤) - ثُمَّ فَسَّرَ اللهُ تَعَالَى القَارِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ حَيَارَى، هَائِمِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَلاَ يَدْرُونَ مَا يَفْعَلُونَ، وَكَأَنَّهُمُ الفَرَاشُ المُتَطَايِرُ المُنْتَشِرُ.

المَبْثُوثُ - المُنْتَشِرُ المُتَفَرِّقُ.

(٥) - وَتَكُونُ الجِبَالُ قَدْ تَفَتَّتَتْ وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهَا وَأَصْبَحَتْ مِثْلَ الصُّوفِ الذِي نُفِشَ فَتَفَرَّقَتْ شَعَرَاتُهُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ حَتَّى صَارَ يَطِيرُ مَعَ الرِّيحِ.

العِهْنُ - الصُّوفُ.

المَنْفُوشُ - المُتَفَرِّقُ أَوِ المَصْبُوغُ.

(مَوَازِينُهُ)

(٦) - فَأَمَّا الذِي رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، أَيْ ثَقُلَتْ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ، فَهَبَطَتْ كَفَّتُهَا، وَخَفَّتْ أَعْمَالُهُ السَّيِّئَةُ، فَشَالَتْ كَفَّتُهَا.

(٧) - فَجَزَاؤُهُ الجَنَّةُ، وَيَكُونُ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ تَقَرُّ بِهَا عَيْنُهُ، وَيُسَرُّ بِهَا قَلْبُهُ.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

(مَوَازِينُهُ)

(٨) ـ وَأَمَّا مَنْ رَجحتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، فَثقُلَتْ كَفَّةُ أَعْمَالِهِ السَّيئَةِ، وَخفَّتْ كَفَّةُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ.

(٩) ـ فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى مَهْوَاةٍ سَحِيقَةٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهَا كَمَا يَأْوِي الوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ.
(وَقِيلَ إِنَّ المَعْنَى إِنَّهُ يَهْوِي فِي جَهَنَّمَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ).

(أَدْرَاكَ)

(١٠) ـ وَأَيُّ شَيءٍ يُدْرِيكَ وَيُعَرِّفُكَ بِمَا هِيَ تِلْكَ الهَاوِيَةُ؟.

(١١) ـ إِنَّهَا نَارٌ مُلْتَهِبَةٌ شَدِيدَةُ الحَرِّ، يَهْوِي فِيهَا المُجْرِمُ الظَّالِمُ لِيَبْقَى فِيهَا خَالِداً، جَزَاءً لَهُ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ سَيِّئَاتٍ.



أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾

(أَلْهَاكُمْ)

(١) - شَغَلَكُمُ التَّفَاخُرُ بِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ وَالأَنْصَارِ وَالأَشْيَاعِ عَنْ طَلَبِ الآخِرَةِ، وَالعَمَلِ لَهَا.

أَلْهَاكُمْ - شَغَلَكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ.

التَّكَاثُرُ - التَّبَاهِي بِكَثْرَةِ المَالِ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾

(٢) - وَمَا زَالَ هَذَا حَالُكُمْ حَتَّى هَلَكْتُمْ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِ القُبُورِ.

زُرْتُمُ المَقَابِرَ - مُتُّمْ وَقُبِرْتُمْ.

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

(٣) - كُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَاهِي، وَالتَّفَاخُرِ، وَفِعْلِ المُنْكَرَاتِ، وَتَرْكِ طَاعَةِ اللهِ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

(٤) - ثُمَّ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى زَجْرَهُ لِهَؤُلَاءِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَهَدَّدَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾

(٥) - فَكُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَغْرِيرٍ بِالنَّفْسِ، فَإِنَّكُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ أَمْرِكُمْ، وَعَاقِبَتَهُ لَشَغَلَكُمْ ذَلِكَ عَنِ التَّكَاثُرِ بِالأَوْلَادِ وَالأَمْوَالِ، وَلَصَرَفَكُمْ إِلَى الاهْتِمَامِ بِصَالِحِ الأَعْمَالِ.

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾

(٦) - فَإِذَا ٱسْتَمَرَّ بِكُمُ الحَالُ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَتَكُونُنَّ فِي الآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَتَرَوْنَهَا بِأَعْيُنِكُمْ، فَٱسْتَحْضِرُوا صُورَةَ عَذَابِهَا فِي أَذْهَانِكُمْ لِتَعِظَكُمْ، وَتُنَبِّهَكُمْ إِلَى عَمَلِ مَا فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ.

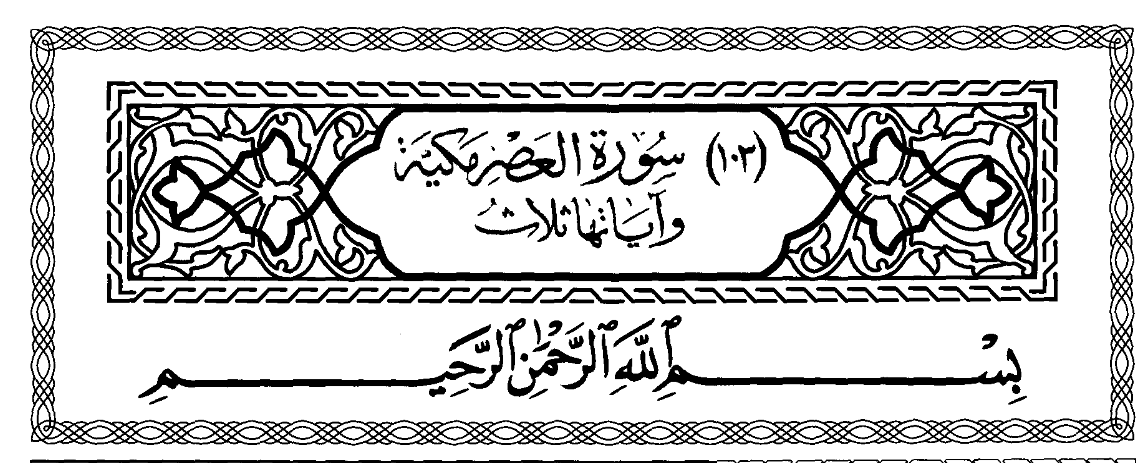
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

(٧) - وَلَتَرَوُنَّهَا رُؤْيَةً هِيَ اليَقِينُ بِعَيْنِهِ، لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا شُبْهَةَ وَلَا لَبْسَ.

﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾

(لَتُسْأَلُنَّ) (يَوْمَئِذٍ)

(٨) - وَهَـذَا النَّعِيمُ الذِي تَتَفَاخَرُونَ بِهِ، وَتَعُدُّونَهُ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ التَّبَاهِي، سَتُسْأَلُونَ عَنْهُ مَاذَا صَنَعْتُمْ بِهِ؟ وَهَلْ أَدَّيْتُمْ حَقَّ اللهِ فِيهِ؟ فَإِذَا كُنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ، كَانَ هَذَا النَّعِيمُ لَكُمْ غَايَةَ الشَّقَاءِ فِي الآخِرَةِ.



وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾

(١) - يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى بِالدَّهْرِ لِمَا فِيهِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَعِبَرٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾

(الإِنْسَانَ)

(٢) - إِنَّ الإِنْسَانَ لَخَاسِرٌ فِي أَعْمَالِهِ. وَأَعْمَالُهُ مَصْدَرُ شَقَائِهِ، وَهِيَ الَّتِي تُوقِعُهُ فِي الهَلَاكِ (وَهَذَا هُوَ جَوَابُ القَسَمِ).

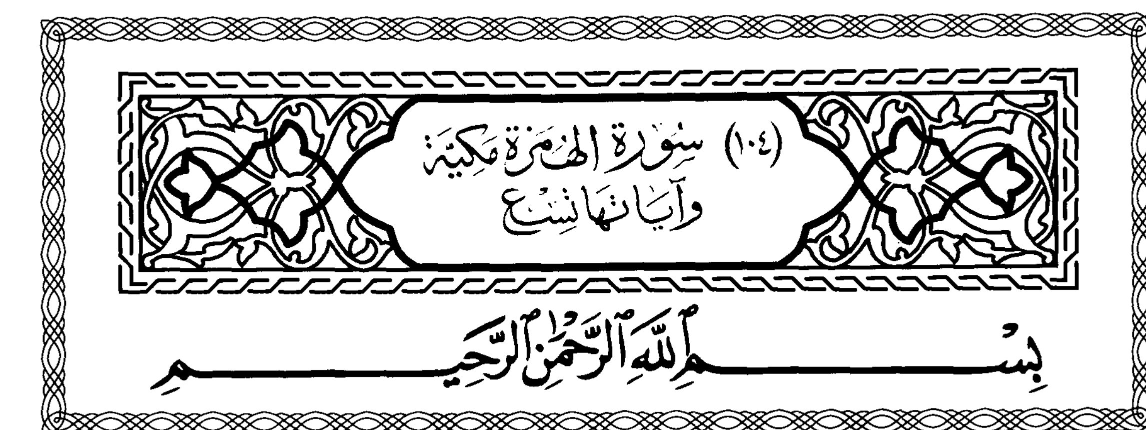
خُسْرٌ - نُقْصَانٌ وَخَسَارَةٌ وَهَلَكَةٌ.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٣) - قَالَ تَعَالَى: إِنَّ بَنِي الإِنْسَانِ خَاسِرُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ اعْتَقَدُوا اعْتِقَاداً صَحِيحاً بِوُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ مِنَ الكُتُبِ عَلَى رُسُلِهِ الكِرَامِ ثُمَّ عَمِلُوا أَعْمَالاً صَالِحَةً تُرْضِي اللهَ، وَاجْتَنَبُوا مَا حَرَّمَ اللهُ وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِالصَّبْرِ عَنِ المَعَاصِي الَّتِي تَشْتَاقُ إِلَيْهَا النُّفُوسُ الضَّعِيفَةُ، وَبِالصَّبْرِ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ الَّتِي يَشُقُّ عَلَى النُّفُوسِ القِيَامُ بِهَا. فَهَؤُلَاءِ المُسْتَثْنَوْنَ هُمُ الرَّابِحُونَ الفَائِزُونَ.

تَوَاصَوا - أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِفِعْلِ الخَيْرِ.



﴿١﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ

(١) - يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى بِالسَّخَطِ وَالعَذَابِ وَالوَيْلِ مَنْ كَانَ دَأْبُهُ الطَّعْنُ فِي النَّاسِ، يَعِيبُهُمْ، وَيَتَنَقَّصُهُمْ، وَيَأْكُلُ لُحُومَهُمْ بِالغِيبَةِ، بِالقَوْلِ، وَبِالإِشَارَةِ.

(وَيُرْوَى أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الأَخْنَسِ بْنِ شُرَيقٍ، وَقِيلَ: لاَ بَلْ بِالوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَدْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَطْعَنُ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَنَقَّصُهُ).

الهُمَزَةُ - الطَّعَّانُ المُغْتَابُ.

اللُّمَزَةُ - العَيَّابُ.

﴿٢﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ

(٢) - وَالذِي دَعَاهُ إِلَى الحَطِّ مِنْ أَقْدَارِ النَّاسِ، وَالزِّرَايَةِ بِهِمْ، هُوَ أَنَّهُ جَمَعَ مَالاً كَثِيراً، وَعَدَّدَهُ وَأَحْصَاهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَى عِزاً لأَحدٍ، وَلاَ شَرَفاً إِلاَّ بِالمَالِ.

عَدَّدَهُ - أَحْصَاهُ أَوْ أَعَدَّهُ لِلنَّوائِبِ.

﴿٣﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ

(٣) - وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ يَضْمَنُ لَهُ الخُلُودَ فِي الدُّنْيَا، وَيُعْطِيهِ الأَمَانَ مِنَ المَوْتِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ أَعْمَالَ مَنْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بَاقُونَ مُخَلَّدُونَ أَبَدَ الدَّهْرِ.

أَخْلَدَهُ - جَعَلَهُ خَالداً.

﴿٤﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ

(٤) - كَلاَّ إِنَّ مَالَهُ لَنْ يُخَلِّدَهُ، وَلَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَسَيُطْرَحُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ كَمَا تُطْرَحُ النَّوَاةُ.

(وَسُمِيتِ النَّارُ حُطَمَةً لأَنَّهَا تَحْطِمُ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيهَا وَلاَ تُبْقِي مِنْهُ عَلَى شَيءٍ).

يُنْبَذَنَّ - يُقْذَفَنَّ قَذْفاً كَمَا تُقْذَفُ النَّوَاةُ.

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥

(أدْرَاكَ)

(٥) - وَهَذِهِ الحُطَمَةُ لَيْسَتْ مِمَّا يُحِيطُ بِهِ عِلْمُكَ.

نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦

(٦) - إِنَّهَا نَارُ اللهِ المُشْتَعِلَةِ التِي أَعَدَّهَا اللهُ لِعَذَابِ الكَفَرَةِ العُصَاةِ.

ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧

(٧) - وَإِنَّهَا لَتبلُغُ فِي عَذَابِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فَتَنْهَشُهَا نَهْشاً، وَالقَلْبُ أَكْثَرُ الأَعْضَاءِ تَأَلماً، فَإِذَا نَهَشَتْهُ النَّارُ بَلَغَ العَذَابُ بِالإِنْسَانِ أَقْصَاهُ.

الأَفْئِدَةِ - القُلُوب.

إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ٨

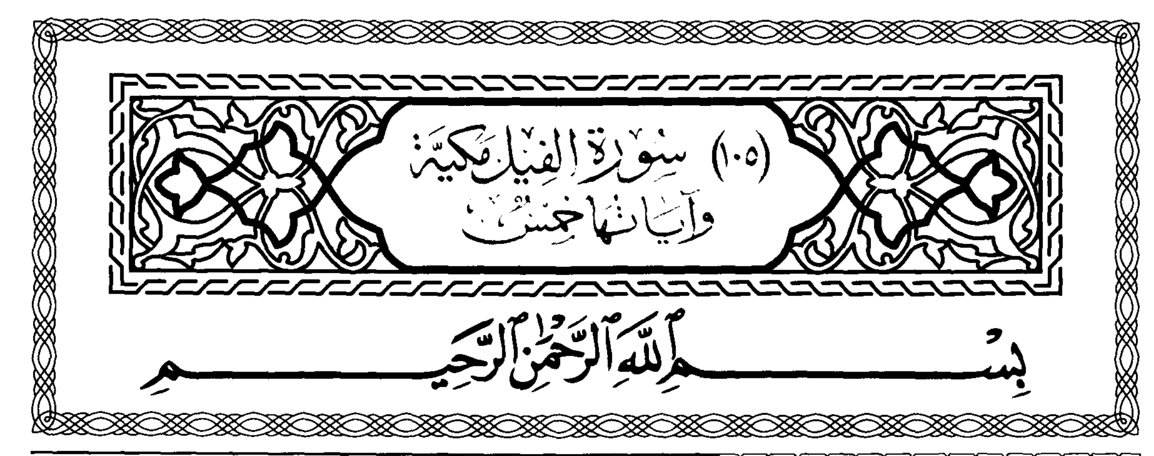
(٨) - وَتُطْبِقُ النَّارُ عَلَيْهِمْ إِطْبَاقاً شَدِيداً، وَتُغْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُهَا، فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ مِنْهَا خَلاَصاً.

مُؤْصَدَةٌ - مُغْلَقَةٌ.

فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩

(٩) - وَأَبْوَابُ النَّارِ تُطْبَقُ عَلَيْهِمْ، وَتُشَدُّ بِأَعْمِدَةٍ مُمَدَّدةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَلاَ يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ بَابٌ.

(أَوْ إِنَّهُمْ يَكُونُونَ مُوثَقِينَ فِي النَّارِ، وَمَشْدُودِينَ إِلَى أَعْمدةٍ مُمَدَّدَةٍ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ حَرَاكاً وَلاَ خَلاَصاً).



﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ

(بِأَصْحَاب)

(١) - قِصَّةُ الفِيلِ هِيَ أَنَّ الحَبَشَةَ احْتَلَّتِ اليَمَنَ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَكَانَ الحَبَشَةُ مِنَ النَّصَارَى، وَلَمَّا رَأَى حَاكِمُ اليَمَنِ الحَبَشِيُّ (وَاسْمُهُ أَبْرَهَةُ) تَعَلُّقَ العَرَبِ بِالكَعْبَةِ أَرَادَ أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنْهَا. فَبَنَى كَنِيسَةً عَظِيمَةً، وَدَعَا العَرَبَ إِلَى الحَجِّ إِلَيهَا وَزِيَارَتِهَا، بَدَلاً مِنْ زِيَارَةِ الكَعْبَةِ. فَكَرِهَ العَرَبُ ذَلِكَ، وَدَخَلَ بَعْضُهُمْ البِنَاءَ وَأَحْدَثَ فِيهِ. وَقِيلَ إِنَّ بَعْضَهُمْ حَاوَلَ إِحْرَاقَهُ. فَأَقْسَمَ أَبْرَهَةُ عَلَى أَنْ يَهْدِمَ الكَعْبَةَ رَداً عَلَى هَذِهِ الإِسَاءَةِ. وَسَارَ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ يَتَقَدَّمُهُ فِيلٌ عَظِيمٌ.

وَأَرَادَتْ بَعْضُ القَبَائِلِ العَرَبِيةِ أَنْ تَعْتَرِضَ سَبِيلَهُ، وَتَصُدَّهُ عَنِ الحَرَمِ فَقَاتَلُوهُ، وَلَكِنَّهُ تَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ. وَلَمَّا وَصَلَ الجَيْشُ إِلَى مَكَانٍ يُعْرَفُ (بِالمغمَّس) مِنْ أَطْرَافِ مَكَّةَ تَوَقَّفَ الفِيلُ عَنِ السَّيْرِ بِاتِّجَاهِ مَكَّةَ وَبَرَكَ. فَحَاوَلُوا سَوْقَهُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ. وَكَانُوا كُلَّمَا وَجَّهُوهُ وُجْهَةً غَيْرَ مَكَّةَ سَارَ إِلَيْهَا وَلَكِنَّهُمْ حِينَمَا كَانُوا يُوَجِّهُونَهُ إِلَى مَكَّةَ كَانَ يَبْرُكُ، وَيَرْفُضُ السَّيْرَ.

وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الأَحْبَاشِ مَجْمُوعَاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الطَّيْرِ، كَانَتْ تُهَاجِمُهُمْ عَلَى دُفعَاتٍ مُتَتَالِيَةٍ (أَبَابِيل)، وَتَقْذِفُهُم بِحِجَارَةٍ صَغِيرَةٍ كَانَتْ تَحْمِلُهَا، فَيَهْلِكُ مَنْ تُصِيبُهُ.

وَلَمَّا رَأَى أَبْرَهَةُ ذَلِكَ رَجَعَ بِمَنْ تَبَقَّى مَعَهُ مِنَ الجَيْشِ سَالِماً، بَعْدَ أَنْ وَقَعَتْ فِي الأَحْبَاشِ إِصَابَاتٌ جَسِيمَةٌ.

وَيُقَالُ إِنَّ أَبْرَهَةَ نَفْسَهُ هَلَكَ وَهُوَ فِي طَرِيقِ العَوْدَةِ إِلَى اليَمَنِ.

(وَيُرِيدُ بَعْضُ الأَئِمَّةِ المُفَسِّرِينَ صَرْفَ مَعْنَى الطَّيْرِ الأَبَابِيلِ إِلَى أَشْيَاءَ أُخْرَى كَالجُدَرِي وَالأَمْرَاضِ الأُخْرَى التِي سَلَّطَهَا اللهُ عَلَى جَيْشِ أَبْرَهَةَ، اسْتِبْعَاداً مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى قَدْ سَخَّرَ طَيْراً تَرْمِي جَيْشَ

الأَحْبَاشِ حَقِيقَةً وَفِعْلاً. وَلٰكِنْ حِينَمَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَـذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ كَانَ كَثِيرُونَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيشٍ، مِمَّنْ شَهِدُوا حَادِثَ الفِيلِ، أَحْيَاءً، وَقَدْ رَأَوا بِأَعْيُنِهِم الطَّيْرَ تَرُوحُ وَتَغْدُو فَوْقَ جَيْشِ أَبْرَهَةَ، وَلَوْ كَانَ مَا أَصَابَ جَيْشَ أَبْرَهَةَ لاَ يَعْدُو أَمْرَاضاً سَلَّطَهَا اللهُ عَلَى الأَحْبَاشِ، لَكَذَّبَ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ، وَلاتَّخَذُوا هَـذِهِ السُّورَةَ وَسِيلَةً لِلتَّكْذِيبِ وَالنَّيْلِ مِنَ الرَّسُولِ).

وَيَقُصُّ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ قِصَّةَ أَصْحَابِ الفِيلِ. فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ بِأَصْحَابِ الفِيلِ الذِينَ قَصَدُوا الاعْتِدَاءَ عَلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ؟.

أَصْحَابُ الفِيلِ - الأَحْبَاشُ مِنْ جَمَاعَةِ أَبْرَهَةَ الذِي أَرَادَ هَدمَ الكَعْبَةِ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾

(٢) - لَقَدْ أَفْسَدَ اللهُ تَعَالَى تَدْبِيرَهُمْ، وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ فِي إِخْرَابِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَعَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ أَنْ يُقَدِّرُوا فَضْلَ اللهِ هَذَا عَلَيْهِمْ وَمِنَّتَهُ، فَقَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ لأَجْلِهِمْ.

كَيْدَهُمْ - تَدْبِيرَهُمْ وَسَعْيَهُمْ.

تَضْلِيلٍ - إِبْطَالٍ وَإِخْسَارٍ.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾

(٣) - فَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَجْمُوعَاتٍ مِنَ الطَّيْرِ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً وَمُتَتَابِعَةً.

أَبَابِيلَ - جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً وَمُتَتَابِعَةً.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾

(٤) - وَتَقْذِفُهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ كَالآجُرِّ المُتَحَجِّرِ.

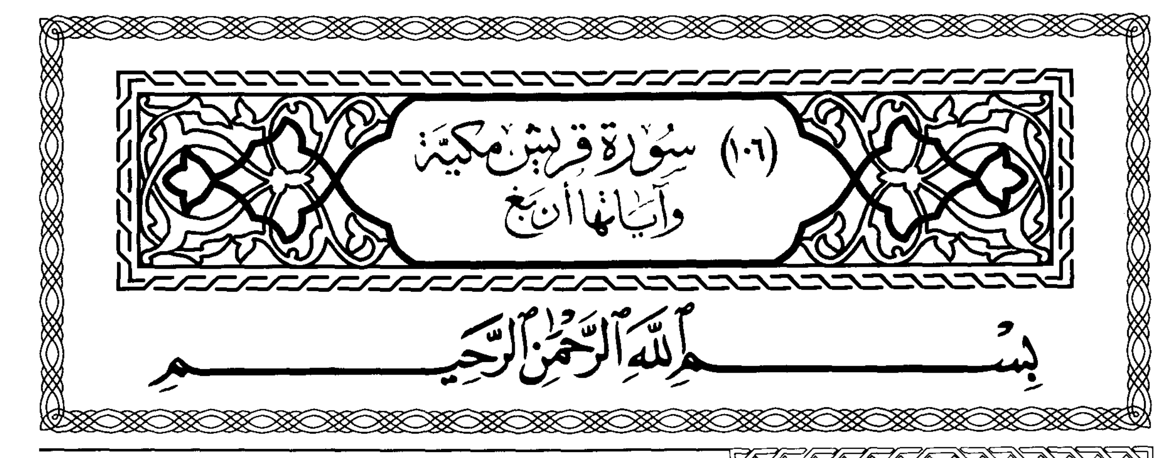
سِجِّيلٍ - آجُرٍّ أَوْ طِينٍ يَابِسٍ.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

(٥) - فَأَهْلَكَهُمْ، وَتَبَعْثَرَتْ جُثَثُهُمْ فِي الدُّرُوبِ وَالمَسَالِكِ، فَكَانُوا كَيَابِسِ الزَّرْعِ الذِي أَكَلَتِ البَهَائِمُ بَعْضَهُ، وَتَنَاثَرَ بَعْضُهُ الآخَرُ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهَا.

العَصْفُ - هُوَ التِّبْنُ النَّاعِمُ - هَشِيمُ الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ.

مَأْكُولٍ - أَكَلَتْهُ البَهَائِمُ فَتَنَاثَرَ.



(١) لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ

(٢) إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ

(٣) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ

(٤) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ

(لإِيلاَفِ)

(١) - لِتَشْكُرْ قُرَيْشٌ رَبَّهـا عَلى أَنَّهُ صَدَّ الفِيلَ وَأَصْحَابَهُ عَنْ حَرَمِهِمْ وَأَلْحَقَ بِهِم الخِذْلاَنَ والدَّمارَ. وَلْتَشْكُرْ قُرَيْشٌ رَبَّهَا أَيْضاً عَلى أَنْ جَعَلَهُمْ آمِنِينَ فِي بَلَدِهِمْ، وَعَلى أَنْ جَعَلَ النَّاسَ يَحْتَرِمُونَهُمْ إِكْراماً لِبَيْتِ اللهِ الحَرامِ، فَقَدْ كَانُوا يَسِيرُونَ فِي تِجارَتِهِمْ فِي رِحْلَتَيْ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ آمِنِينَ: فِي الشِّتَاءِ إِلَى اليَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، بَيْنَمَا كَانَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ يُتَخَطَّفُونَ.

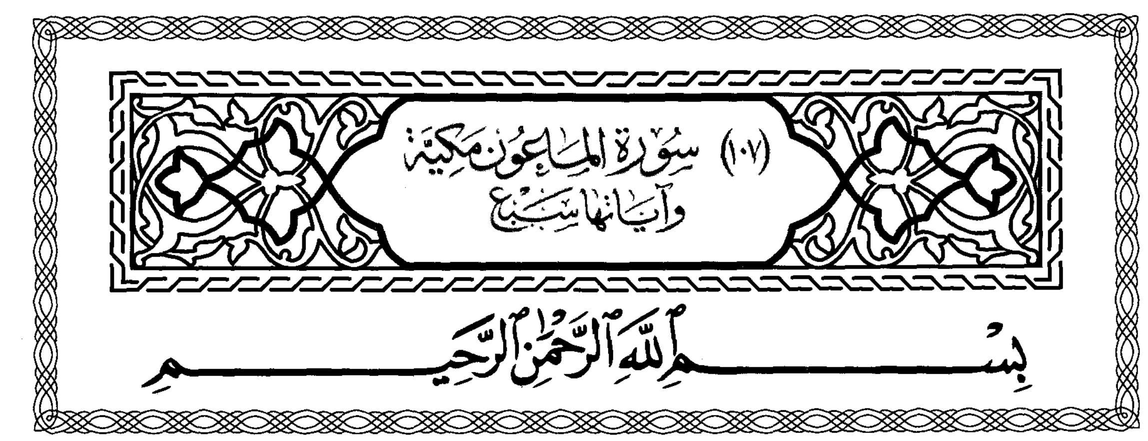
(إِيلاَفِهِمْ)

(٢) - إِذْ كَانُوا قَدْ أَلِفُوا القِيَامَ بِرِحْلَتَينْ فِي العَامِ : رِحْلَةَ الشِّتَاءِ إِلَى اليَمَنِ، لِنَقْلِ البَضَائِعِ التِي تَأْتِي مِنَ الهِنْدِ وَبِلاَدِ فَارِسَ، وَرِحْلَةِ الصَّيْفِ، لِنَقْلِ البَضَائِعِ إِلَى الشَّامِ وَمَمْلَكَةِ الرُّومِ، وَنَقْلِ البَضَائِعِ التِي تَأْتِي إِلَيْهِمَا إِلَى الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ هِنْدٍ وَفَارِسَ.

(٣) - فَلْيَعْبُدُوا اللهَ رَبَّ هَذَا البَيْتِ الذِي جَعَلَ لَهُمْ حَرَماً آمِناً، فَهُوَ الذِي مَنَّ عَلَيْهِمْ بِالأَمْنِ، فِي الحَلِ وَالتَّرْحَالِ، وَهُوَ الذِي جَعَلَهُمْ، بِسَبَبِ ذَلِكَ، فِي مَرْكَزٍ تِجارِيٍّ هَامٍّ، وَلْيَشْكُرُوهُ عَلى مَنِّهِ عَلَيْهِمْ، وَنِعَمِهِ التِي لاَ تُحْصَى.

(آمَنَهُمْ)

(٤) - فَقَدْ جَعَلَ اللهُ مَكَّةَ فِي وَادٍ غَيرِ ذِي زَرْعٍ لاَ تُنْبِتُ وَلاَ تُغِلُّ، وَلَكِنَّهُ تَعالَى يَسَّرَ تَدَفُّقَ النَّاسِ وَالتِّجَارَةِ إِلَيْهَا فَأَشْبَعَ أَهْلَهَا، وَآمَنَهُمْ مِمَّا يَخَافُهُ غَيْرُهُمْ.



(١) أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ

(٢) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ

(٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ

(٤) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ

(٥) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

(٦) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ

(٧) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ

(أَرَأَيْتَ)

(١) - هَلْ تُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ ٱلذِي يَكْفُرُ بِالقِيَامَةِ وَالبَعْثِ وَالنُّشُورِ؟.

(٢) - وَهُنَا يَصِفُ تَعَالَى ذَلِكَ الكَافِرَ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ هُوَ الذِي يَدْفَعُ اليَتِيمَ دَفْعاً، وَيَزْجُرُهُ زَجْراً عَنِيفاً إِنْ جَاءَهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيئاً أَوْ حَاجَةً، وَذَلِكَ ٱحْتِقَاراً لِشَأْنِهِ وَٱسْتِعْلاَءً عَلَيْهِ.

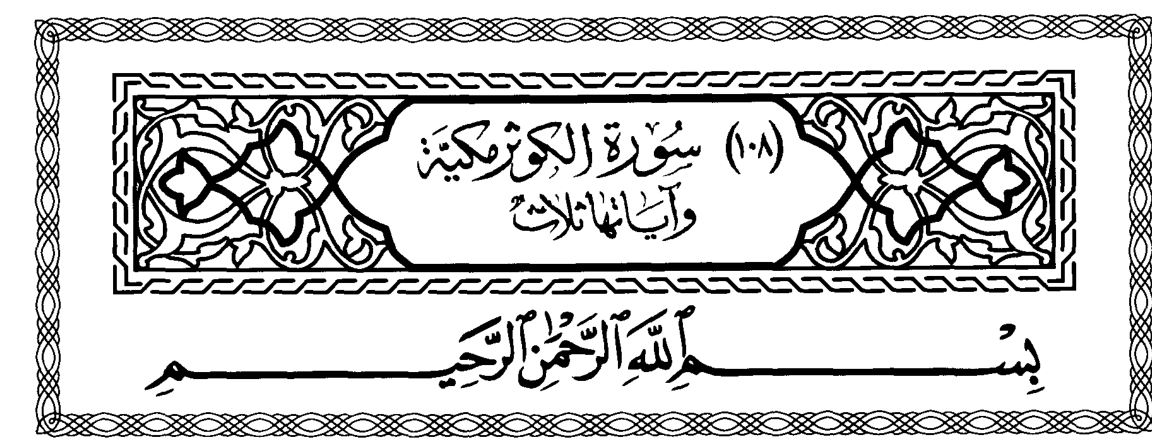
(٣) - فَهُوَ بَخِيلٌ لاَ يُطْعِمُ الفَقِيرَ المِسْكِينَ الذِي لاَ يَجِدُ مَا يَأْكُلُ، وَلاَ يَحُثُّ غَيْرَهُ عَلَى إِطْعَامِهِ.

(٤) فَالوَيْلُ والعَذَابُ لِمَنْ يُؤَخِّرُونَ أَدَاءَ الصَّلاَةِ عَنْ وَقْتِهَا، وَالوَيْلُ لِلَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلاَةَ بِأَجْسَامِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَقُلُوبُهُمْ غَائِبَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الخُشُوعِ، وَعَنْ تَدَبُّرِ مَعَانِي مَا يَقْرَؤُونَ.

(٥) فَيُؤَخِّرُونَ أَدَاءَ الصَّلاَةِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ يُصَلُّونَ وَقُلُوبُهُم بَعِيدَةٌ عَنِ الخُشُوعِ فَلاَ يَكُونُ لِلصَّلاَةِ أَثَرٌ فِي نُفُوسِهِم وَأَعْمَالِهِمْ.

(٦) - وَهُمْ إِلَى جَانِبِ البُخْلِ وَالقَسْوَةِ فِي مُعَامَلَةِ اليَتِيمِ وَالمِسْكِينِ، وَإِلَى جَانِبِ أَدَائِهِم الصَّلاَةَ، وَهُمْ سَاهُونَ، وَمِنْ غَيْرِ ٱسْتِحْضَارِ قُلُوبِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مُرَاؤُونَ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ طَلَباً لِحَمْدِ النَّاسِ، وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِمْ.

(٧) - وَهُمْ إِلَى جَانِبِ هَذَا كُلِّهُ لُؤَمَاء يَكْرَهُونَ الخَيْرَ لِلنَّاسِ، وَيَمْنَعُونَ مَعْرُوفَهُمْ عَنْهُمْ، فَيَمْتَنِعُونَ عَنْ إِعَارَةِ الفُقَرَاءِ مِنْ جِيرَانِهِمْ مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيهِ فِي مَعَاشِهِمْ كَالقِدْرِ لِلطَّبْخِ، وَالأَدَوَاتِ لِلعَمَلِ.



إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾

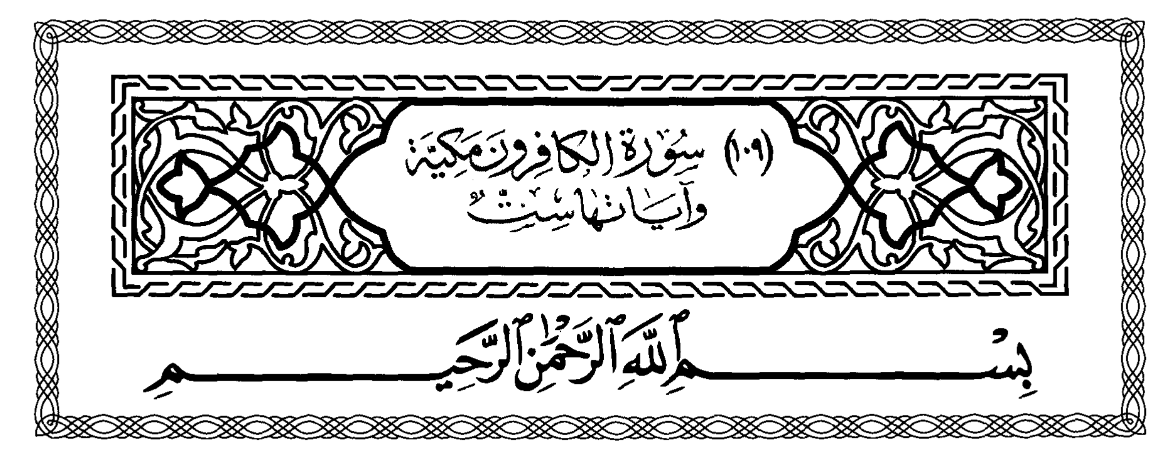
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

(أَعْطَيْنَاكَ)

(١) ـ إِنَّا أَعْطَيناكَ الخيْرَ الكَثِيرَ، وَمَنَحْنَاكَ مِنَ الفضَائِلِ مَا لاَ سَبِيلَ لِلْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَتِهِ، وَإِنِ ٱسْتَخَفَّ بِهَا أَعْدَاؤُكَ، وَٱسْتَقَلُّوهَا.
(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الكَوْثَرَ هُوَ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ.
(وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهُ أَيْضاً مِنَ الخَيْرِ الكَثِيرِ الذِي تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَى رَسُولِهِ الكَرِيمِ).
الكَوْثَرُ ـ الخَيْرُ الكَثِيرُ ـ أَوْ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ.

(٢) ـ فَاجْعَلْ عِبَادَتَكَ وَصَلاَتَكَ لِربِّكَ وَحْدَهُ، وَٱنْحَرْ ذَبِيحَتَكَ عَلَى ٱسْمِهِ، فَإِنَّهُ هُوَ الذِي تَعَهَّدَكَ وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَفَضْلَهُ دُونَ سِوَاهُ.
(وَقِيلَ بَلِ المَعْنَى هُوَ: أَنَّ النَّبِيَّ يُصَلِّي صَلاَةَ عِيدِ النَّحْرِ ثُمَّ يَذْبَحُ هَدْيَهُ).

(٣) ـ فَإِنَّ مَنْ أَبْغَضَكَ هُوَ الذِي سَيَنْقَطِعُ ذِكْرُهُ.
شَانِئَكَ ـ مُبْغِضَكَ.
الأَبْتَرُ ـ الدَّابَّةُ المَقْطُوعَةُ الذَّيْلِ، ثُمَّ ٱسْتُعْمِلَ للتَّعْبِيرِ عَنِ ٱنْقِطَاعِ الذِّكْرِ الحَسَنِ أَوِ الخَيْرِ.



(١) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ

(٢) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ

(٣) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ

(٤) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ

(٥) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ

(٦) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ

(يَا أَيُّهَا)

(١) ـ كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَدْ عَرَضُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَعْبُدَ مَعَهُمْ آلِهَتَهُمْ مِنَ الأَوْثَانِ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ رَبَّهُ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ الكَرِيمَةَ. وَفِيهَا يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ.

(٢) ـ إِنَّنِي لاَ أَعْبُدُ الأَصْنَامَ التِي تَعْبُدُونَهَا أَنْتُمْ لأَنَّهَا حِجَارَةٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً.

(عَابِدُونَ)

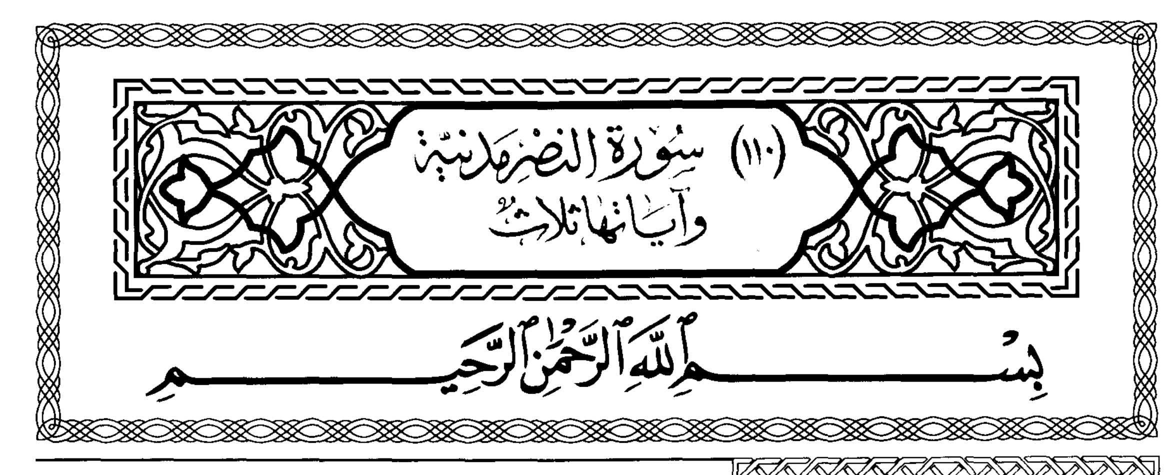
(٣) ـ وَلاَ أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ إِلهِي الذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَهُوَ الإِلهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُوجِدُهُ، وَمُدَبِّرُ الأَمْرِ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

(٤) ـ وَلاَ أَنَا أَعْبُدُ مِثْلَ عِبَادَتِكُمْ فَلاَ أَسْلُكُهَا، وَلاَ أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ عَلَى الوَجْهِ الذِي يُحِبُّهُ وَيَرْتَضِيهِ.

(عَابِدُونَ)

(٥) ـ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مِثْلَ عِبَادَتِي، فَعِبَادَتِي خَالِصَةٌ للهِ، وَعِبَادَتُكُمْ يَشُوبُهَا الشِّرْكُ.

(٦) ـ لَكُمْ دِينُكُم الذِي اعْتَقَدْتُمُوهُ، وَلَكُمْ جَزَاؤُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَلِي إِسْلاَمِي، وَلِي جَزَائِي عَلَى أَعْمَالِي.



(١) إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

(٢) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا

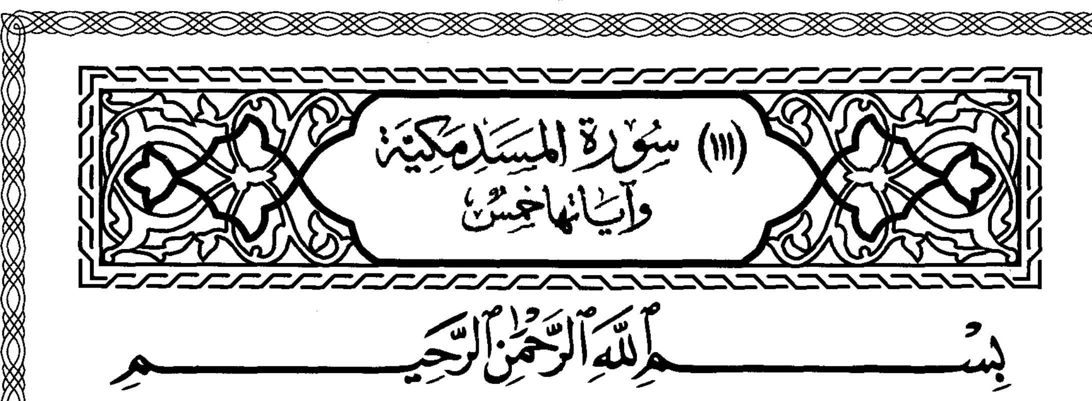
(٣) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

(١) - إِذَا رَأَيْتَ نَصْرَ اللهِ لِدِينِهِ الحَقِّ، وَٱنْهِزَامَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَخِذْلاَنَهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ الغَلَبَةَ قَدْ تَحَقَّقَتْ لَكَ عَلَى المُشْرِكِينَ، وَفَتَحَ اللهُ عَلَيْكَ.

(٢) - وَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ أَصْبَحُوا يَدْخُلُونَ فِي الإِسْلاَمِ جَمَاعَاتٍ وَأَفْوَاجاً، لاَ أَفْرَاداً مُتَفَرِّقِينَ كَمَا كَانَ يَحْدُثُ فِي السِّنِينَ الأُولَى لِلدَّعْوَةِ.

(٣) - فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الخَوْفَ مِنْ ٱسْتِطَالَةِ المُشْرِكِينَ عَلَى المُسْلِمِينَ قَدْ وَلَّى، فَعَلَيْكَ أَنْ تُسَبِّحَ رَبَّكَ وَتَشْكُرَهُ عَلَى نَصْرِهِ دِينَهُ، وَإِعْزَازِهِ جُنْدَهُ عَلَى الكُفْرِ وَالكَافِرِينَ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَهُ وَتَتُوبَ إِلَيهِ، فَهُوَ الكَثِيرُ القَبُولِ لِتَوْبَةِ عِبَادِهِ.

(وَقَالَ ٱبنُ عَبَّاسٍ: هَذِهِ السُّورَةُ عَلاَمَةٌ عَلَى أَجَلِ الرَّسُولِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ:
(نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَأَنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ).



(١) تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

(١) - خرج رسولُ الله ﷺ إلى البطحاءِ يوماً فصعِدَ الجبَلَ، ونادى واصباحاه. فاجتمعت قُريشٌ، فقالَ لهُم أرأيتُم إنْ حدَّثتُكم أنَّ العدُوَّ مُصبِّحُكُم أو مُمسِّيكُم أكنتُم تُصدِّقوني؟ قالوا نعَمْ. قالَ: فإنِّي نذيرٌ إليكُم بينَ يدَي عذابٍ شديدٍ. فقالَ لهُ أبو لهبٍ ألِهذا جمعتَنا؟ تبّاً لكَ. فأنزلَ الله تعالى هذهِ السُّورةَ.

ومعنى الآيةِ: الخُسرانُ والهلاكُ والتَّبابُ لأبي لهبٍ (وأبو لهبٍ عمُّ الرَّسولِ)، وقد نسبَ تعالى الخُسرانَ والتَّبابَ ليدَي أبي لهبٍ لأنَّهُما أداةُ العمَلِ والبطشِ، وقد تبَّ وهلكَ. (فالجملةُ الأولى دُعاءٌ، والجُملةُ الثَّانيةُ إخبارٌ بأنَّ هذا الدُّعاءَ قد تحقَّقَ، وأنَّ أبا لهبٍ خسِرَ الدُّنيا والآخرةَ).

تبَّتْ - هلكتْ أو خسِرتْ أو خابتْ.

(٢) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ

(٢) - وفي الآخرةِ لا يُغني عنهُ مالُهُ ولا عملُهُ الذي كانَ يقومُ بهِ في الدُّنيا مِن مُعاداةِ الرَّسولِ وإيذائِهِ.

(٣) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ

(٣) - وسيذوقُ في الآخرةِ حرَّ النَّارِ، وسيُعذَّبُ في لظاها.

(٤) وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ

(٤) - وستُعذَّبُ في هذهِ النَّارِ أيضاً زوجتُهُ لسعيِها في الفِتنةِ والنَّميمةِ لإطفاءِ نورِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ، وإيذاءِ الرَّسولِ ﷺ بالقولِ والفعلِ.
(وامرأةُ أبي لهبٍ اسمُها أروى بنتُ حربٍ وهيَ أختُ أبي سُفيانَ بنِ حربٍ وتُكنَّى بأمِّ جميلٍ).

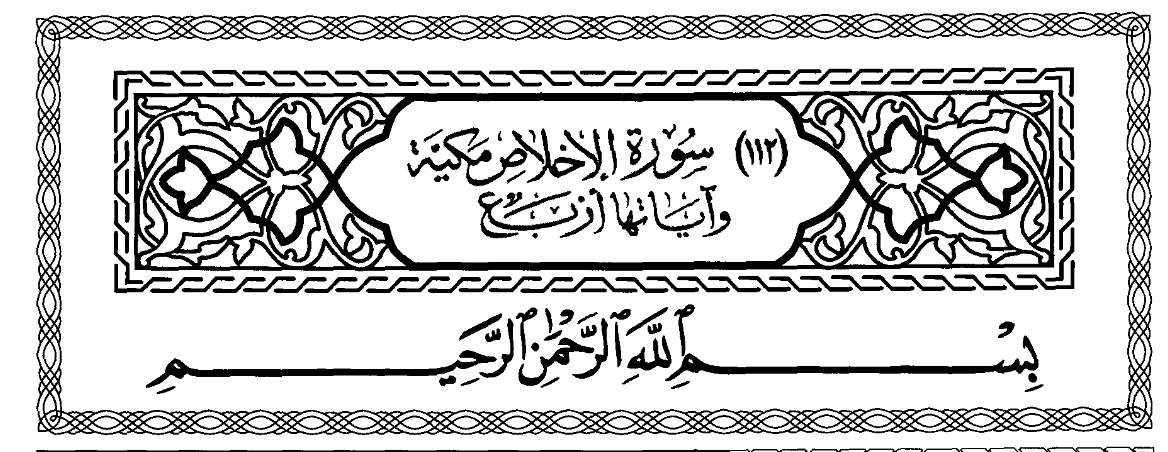
حمّالةَ الحطبِ - تسعى في الفتنةِ ونشرِ الأكاذيبِ.

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

(٥) - وَفِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مِنْ لِيفٍ غَلِيظٌ أُحْكِمَ فَتْلُهُ، وَهِيَ تَرْبُطُ بِهِ حُزْمَةَ حَطَبٍ إِلَى جِيدِهَا مِثْلَ الحَطَّابَاتِ المُمْتَهِنَاتِ.

وَقَدْ صَوَّرَهَا تَعَالَى بِهَذِهِ الصُّورَةِ المُزْرِيَةِ ٱحْتِقَاراً لَهَا وَلِزَوْجِهَا.

حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ - حَبْلٌ مِنْ لِيفٍ.



قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)

(١) ـ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ سَأَلَكَ مُسْتَهْزِئاً: صِفْ لَنَا رَبَّكَ: إِنَّ رَبِّي هُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ، المُنَزَّهُ عَنِ التَّعَدُّدِ، وَعَنِ الزَّوْجَةِ وَالصَّاحِبَةِ وَالوَالِدِ وَالوَلَدِ.

اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)

(٢) ـ وَهُوَ الذِي يَقْصِدُهُ العِبَادُ فِي الحَاجَاتِ، وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَيهِ بِالدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ فِيمَا أَهَمَّهُمْ وَأَغَمَّهُمْ.

الصَّمَدُ ـ المَقْصُودُ فِي الحَاجَاتِ.

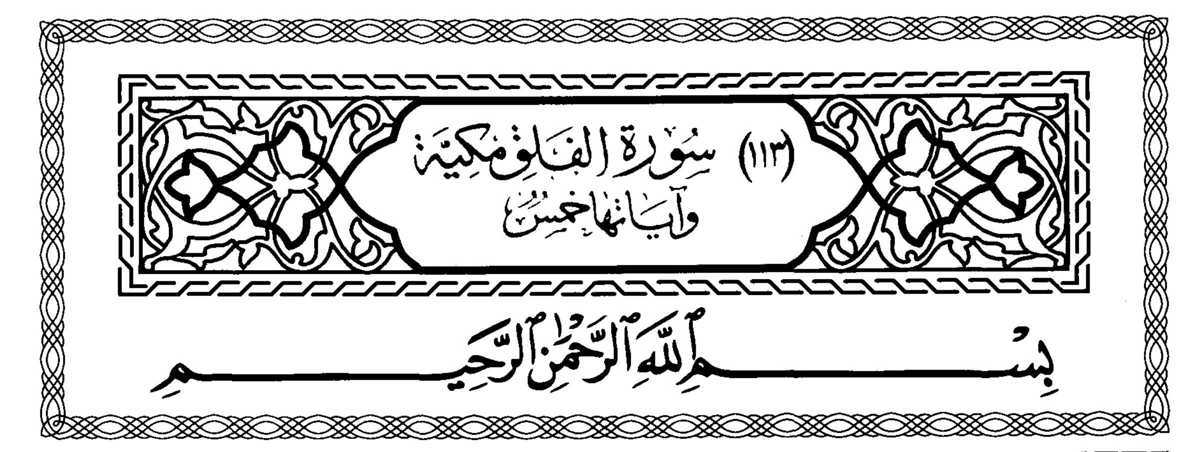
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)

(٣) ـ تَنَزَّهَ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ.
وَهَذَا رَدٌّ عَلَى مُشْرِكِي العَرَبِ الذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ المَلاَئِكَةَ بَنَاتُ اللهِ.
وَرَدٌّ عَلَى مَزَاعِمِ النَّصَارَى الذِينَ جَعَلُوا المَسِيحَ ٱبْنَ اللهِ، وَعَلَى اليَهُودِ الذِينَ قَالُوا: إِنَّ عُزَيْراً هُوَ ٱبْنُ اللهِ.
وَاللهُ تَعَالَى لَمْ يُولَدْ لأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي مَجَانَسَتَهُ لِسِوَاهُ، كَمَا يَقْتَضِي سَبْقَ العَدَمِ قَبْلَ الوُجُودِ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

(٤) ـ لَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلاَ مَثِيلٌ. وَفِي هَذَا نَفْيٌ لِمَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ المُبْطِلِينَ مِنْ أَنَّ للهِ نِدّاً فِي أَفْعَالِهِ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ مُشْرِكِي العَرَبِ الذِينَ جَعَلُوا المَلاَئِكَةَ شُرَكَاءَ للهِ.

كُفواً ـ مُكَافِئاً.



(١) قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ

(١) - قُلْ: أَعْتَصِمُ وَأَسْتَجِيرُ بِالرَّبِّ الذِي فَلَقَ الصُّبْحَ.

الفَلَقُ - الشَّقُّ وَمِنْهُ فَلَقَ الحَبَّ وَالنَّوى.

أَعُوذُ - أَعْتَصِمُ وَأَسْتَجِيرُ.

(٢) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ

(٢) - مِنْ كُلِّ أَذًى وَشَرٍّ يُصِيبُنِي مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ.

(٣) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

(٣) - وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا هَبَطَ وَغَمَرَ الكَوْنَ بِظَلَامِهِ، وَاللَّيْلُ إِذَا كَانَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ كَانَ مَخُوفاً بَاعِثاً عَلَى الرَّهْبَةِ فِي النُّفُوسِ.

غَاسِقٍ - اللَّيْلِ.

وَقَبَ - شَمِلَ ظَلَامُهُ الكَوْنَ.

(٤) وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ

(النَّفاثاتِ)

(٤) - وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ النَّمَّامِينَ الذِينَ يَقْطَعُونَ رَوَابِطَ الوِدِّ وَالمَحَبَّةِ، وَيُبَدِّدُونَ شَمْلَ الأُلْفَةِ.

(وَقَدْ شَبَّهَ تَعَالَى عَمَلَ النَّمامِينَ بِعَمَلِ السَّاحِرَاتِ اللَّوَاتِي يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الخَيْطِ حِينَ يَقُمْنَ بعَمَلِ السِّحْرِ).

(٥) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

(٥) - وَاسْتَعِذْ بِرَبِّكَ مِنْ شَرِّ الحَاسِدِ الذِي أَنْفَذَ حَسَدَهُ بِالسَّعْيِ وَالجِدِّ فِي إِزَالَةِ نِعْمَةِ مَنْ يَحْسُدُهُ، فَهُوَ يُعْمِلُ الحِيلَةَ، وَيَنْصُبُ الشِّبَاكَ لإِيقَاعِ المَحْسُودِ فِي الضَّرَرِ، فَهُوَ لَا يَرْضَى إِلَّا بِزَوَالِ النِّعْمَةِ.



﴿١﴾ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ

﴿٢﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ

﴿٣﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ

﴿٤﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ

﴿٥﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ

﴿٦﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ

(١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنِّي أَعُوذُ وَأَسْتَجِيرُ بِاللهِ وَأَلْجَأُ إِلَيْهِ وَهُوَ تَعَالَى رَبُّ النَّاسِ، وَهُوَ الذِي خَلَقَهُمْ مِنْ عَدَمٍ، وَرَبَّاهُمْ فِي نِعْمَتِهِ وَرِزْقِهِمْ.

(٢) - وَهُوَ تَعَالَى مَالِكُهُمْ، وَمُدَبِّرُ أُمورِهِمْ، وَوَاضِعُ الشَّرائِعِ وَالأَحْكَامِ التِي فِيهَا سَعَادَتُهُمْ.

(٣) - وَهُوَ تَعَالَى مَعْبُودُ النَّاسِ، وَالمُسْتَولِي عَلَى قُلُوبِهِمْ بِعَظَمَتِهِ وَجَلاَلِهِ، وَلاَ يُحِيطُونَ بِكُنْهِ سُلْطَانِهِ.

(٤) - إِنِّي أَلْجَأُ إِلَيْكَ يَا رَبَّ الخَلْقِ وَإِلَهَهُمْ أَنْ تُنَجِّينِي مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ المُوَسْوِسِ، الكَثِيرِ الاخْتِفَاءِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، الذِي يَذْهَبُ بالنَّفْسِ إِلَى أَسْوَإِ مَصِيرٍ إِذَا أَطَاعَتْ وَسْوَسَتَهُ، وَانْسَاقَتْ مَعَهُ.

الوَسْوَاسِ - المُوَسْوِسِ.

الخَنَّاسِ - المُتَوَارِي المُخْتَفِي.

(٥) - وَهَذَا الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَيُزَيِّنُ لَهُم الشَّرَّ وَالسُّوءَ لِيَصْرِفَهُمْ عَنْ سَبِيلِ الهُدَى وَالإِيْمَانِ.

(٦) - وَقَدْ يَكُونُ هَذَا المُوَسْوِسُ مِنَ الجِنِّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ البَشَرِ.

الجِنَّةِ - الجِنِّ.

فهرس الجزء الثالث

تعريف بالمؤلف

اسعد بن محمود حومد سلطان

والدته اسوم بنت اسماعيل نابلسي

متزوج من السيدة سهام بنت أحمد صبحي الكوراني

له ثلاث بنات:

- نهى وتحمل شهادة الدكتوراة في الأدب الانكليزي، وشهادة الدكتوراة في الأدب المقارن.
- ميادة وتحمل شهادة الماجستير في الأدب الانكليزي.
- غادة - مهندسة مدنية وتحمل شهادة الماجستير في برمجة الكومبيوتر.

ولد في حلب عام ١٩١٧

أتم دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية بحلب عام ١٩٣٧.

تخرج من معهد الحقوق العربي بدمشق عام ١٩٤٣

حصل على شهادة الدكتوراة في الحقوق من جامعة باريس عام ١٩٥١

عمل سفيراً للجمهورية المتحدة في البرتغال بين عامي ١٩٥٩ و ١٩٦١

عمل سفيراً لسوريا في الأرجنتين بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٤

يعمل محامياً في دمشق حالياً.

(تذكير ببعض قواعد النحو)

أَفْعَالُ المَدْحِ والذَّمِّ

هِيَ أَفْعَالٌ وُضِعَتْ لإنْشَاءِ مَدْحٍ أو ذَمٍّ عَلى سَبِيلِ المُبَالَغَةِ وَهِيَ أَرْبَعَةٌ: نِعْمَ وَحَبَّذَا وَبِئْسَ وَسَاءَ

وأفْعَالُ المَدْحِ والذَّمِّ كُلُّهَا جَامِدَةٌ لا يُسْتَعْمَلُ مِنْهَا إلاَّ المَاضِي. وَهِيَ تَجْرِي مَجْرَى الفِعْلِ مُطْلَقاً مَع فَاعِلِه الظَّاهِرِ، مَا عَدَا حَبَّذَا فَإِنَّهَا تَلْتَزِمُ لَفْظاً وَاحِداً مَعَ الجَمِيعِ. وَتَفْتَرِقُ أَفْعَالُ المَدْحِ والذَّمِّ عَنْ سَائِرِ الأَفْعَالِ بأنّها تَقْتَضِي مَا عَدَا فاعِلِهَا اسْماً مَخْصُوصاً بالمَدْحِ والذَّمِّ (نَحْوَ نِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ).

فالرَّجُلُ الفَاعِلُ، وَزَيْدٌ هُوَ المَخْصُوصُ بالمَدْحِ

- وَيَكُونُ فَاعِلُ نِعْمَ وبِئْسَ وسَاءَ ضَمِيراً مُسْتَتِراً وُجُوباً مَتَى كَانَ مُفَسَّراً بِنَكِرَةٍ مَنْصُوبَةٍ عَلَى التَّمْيِيزِ نَحْوَ (نِعْمَ ما زَيْدٌ).

- ويَكُونُ فَاعِلُ نِعْمَ وبِئْسَ وسَاءَ:
- إمَّا مُعَرَّفاً بأل الجِنْسِيَّةِ: نِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ
- أو مُضَافاً إلى ما فيه أل: بِئْسَ قَاضِي السُّوءِ زَيْدٌ
- أو مُضَافاً إلى المُضَافِ إلى مَصْحُوبِ (أل): سَاءَ قَاضِي أحكام الظُّلْمِ زَيْدٌ.

- (ما) التِّي تُضَافُ بَعْدَ نِعْمَ وبِئْسَ وَسَاءَ تَكُونُ مَوْصُولَةً إذَا تَلاَهَا فِعْلٌ نَحْوَ (نِعْمَ مَا صَنَعْتَهُ)، أي نِعْمَ الَّذي صَنَعْتَهُ هَذَا (أي الصَّنِيعِ). و (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) أي بِئْسَ الَّذِي، وَمَحَلُّهَا مِنَ الإعْرَابِ الرَّفْعُ عَلَى الفَاعِلِيَّةِ.

وَمَرْتَبَةُ المَخْصُوصِ أَنْ يَكُونَ مُؤخراً عَنِ الفَاعِلِ، وَلاَ يَصِحُّ تَقْدِيمُهُ عَلَيْهِ مُطْلَقاً فَلا يُقَالُ نِعْمَ أَخَوَاكَ الرَّجُلاَنِ. بَلْ (نِعْمَ الرَّجُلاَنِ أَخَوَاكَ).

- وَيَجوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى الفِعْلِ نَحْوَ: أَخَوَاكَ نِعْمَ الرَّجُلاَنِ.

- إذا تَقَدَّمَ في الكَلاَمِ ما يَدُلُّ عَلَى المَخْصُوصِ جَازَ حَذْفُهُ نَحْوَ: دَرَسْنَا النَحْوَ عَلَى أُسْتَاذٍ فَاضِلٍ وَنِعْمَ المُدَرِّسُ أيْ (ونِعْمَ المُدَرِّسُ الأُسْتَاذُ).

- يَجُوزُ حَذْفُ المَخْصُوصِ الوَاقِعِ بَعْدَ (مَا) نَحْوَ نِعِمَّا وبِئْسَمَا.

- حَبَّذَا مُؤَلَّفَةٌ مِنْ حَبَّ وذَا (اسْمُ الإشَارَةِ). وَهِيَ تُلاَزِمُ حَالَةً وَاحِدَةً هِيَ الإفْرَادُ والتَّذْكِيرُ أيّاً كَانَ المَخْصُوصُ.

- وَتَتحوَّلُ حَبَّذَا إِلَى الذَّمِّ إذا قُدِّمَتْ عَلَيْها (لا) النَّافِيَةُ مِثْل (لا حَبَّذَا المُتَكَبِّرُ).

- إذَا حُذِفَ اسْمُ الإشَارَةِ (ذا) جُعِلَ المَخْصُوصُ فَاعِلاً لِحَبَّ نَحْوَ: حَبَّ فَنُّ التَّارِيخِ. وَيُجوزُ أنْ يُجَرَّ بِالبَاءِ (حَبَّ بِفَنِّ التَّارِيخِ).

الاسْتِثْنَاءُ

هُوَ إِخْرَاجُ الاسْمِ الوَاقِعِ بَعْدَ (إلاَّ) أَوْ إحْدَى أَخَوَاتِهَا مِنْ حُكْمِ مَا قَبْلَهَا: (نَحْوُ جَاءَ التَّلامِذَةُ إلاَّ أخاكَ).

أدواتُ الاسْتِثْنَاءِ سِتٌّ:

إلاَّ، غَيْرُ، سِوَى، خَلاَ، عَدَا، حَاشَا، والحَقُوا بِهَا: لا سِيَّما وبَيْدَ ولَيْسَ وَلاَ يَكُونُ.

الاسْتِثْنَاءُ ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ:

١) - المُتَّصِلُ - وَهُوَ مَا كَانَ فِيهِ المُسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ المُسْتَثْنَى مِنْهُ.

جَاءَ التَّلامِذَةُ إلاَّ أَخَاكَ.

٢) - المُنْقَطِعُ - وَهُوَ مَا كَانَ فِيهِ المُسْتَثْنَى مِنْ غَيْرِ جِنْسِ المُسْتَثْنَى مِنْهُ: حَضَرَ القَوْمُ إلاَّ مَوَاشِيَهُمْ (وَهُوَ نَادِرٌ).

٣) ـ المُفَرَّغ ـ وَهُو ما حُذِفَ فِيهِ المُسْتَثْنى مِنْهُ نَحْو: ما جَاءَ إلاَّ أخوكَ، وَلاَ يَقَعُ في السُّوءِ إلاَّ فاعِلُهُ.

والكَلامُ قَبْلَ (إلاَّ) في الاسْتِثْنَاءِ المُفَرَّغِ ناقِصٌ لا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إلاَّ بما بَعْدَهُ وسُمِّيَ مُفَرَّغاً لأنَّ ما قَبْلَ (إلاَّ) تَفَرَّغَ لِطَلَبِ مَا بَعْدَهَا وَلَمْ يَشْتَغِلْ عَنْهُ بالعَمَلِ.

يُنْصَبُ المُسْتَثْنى بإلاَّ فِي ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ:

آ ـ إذا كَانَ الاستثناءُ مُتَّصِلاً مُوجِباً (أي غَيرَ مَسْبُوقٍ بِنَفْيٍ أو نَهْيٍ أَوِ اسْتِفْهامٍ إنْكَارِيٍّ) مِثْلَ: قَامَ القَوْمُ إلاَّ زَيْداً.

ب ـ إذَا كَانَ الاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعاً مُوجِباً أوْ غَيْرَ مُوجِبٍ: مِثْلَ عَادَ الغَائِبُونَ إلاَّ دَوَابَّهُمْ.

ما احْتَرَقَتِ الدَّارُ إلاَّ الثِّيَابَ

جـ ـ إذَا تَقَدَّمَ المُسْتَثْنى عَلَى المُسْتَثْنى مِنْهُ سَواءٌ كَانَ مُتَّصِلاً أو مُنْقَطِعاً نَحْو: مَالِي إلا مَذْهَبَ الحَقِّ مَذْهَبُ وَجَاءَ إلاَّ فَرَساً القَوْمُ

ـ يَتَرَجَّحُ جَعْلُ المُسْتَثْنى (بَدَلاً) مِنَ المُسْتَثْنى مِنْهُ إذَا كَانَ الاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلاً غَيْرَ مُوجِبٍ: ما قَامَ القَوْمُ إلاَّ زَيْدٌ، لا يُعَاقِبُ الله النَّاسَ إلاَّ الأشْرَارَ. فإنَّ ما بَعْدَ (إلاَّ) بَدَلُ بَعْضٍ مِنْ كُلٍّ.

ـ المُسْتَثْنى بِغَيرِ وَسِوَى مَجْرُورٌ بإضافَتِهِمَا إلَيْه: قَامَ القَوْمُ سِوى زَيْدٍ؛ مَا كَلَّمَني أحَدٌ غَيْرُ خَالِدٍ.

ـ أما غَيْرُ وسِوَى فَيَجْرِي عَلَيْهِمَا إعْرَابُ الاسْمِ الوَاقِعِ بَعْدَ (إلاَّ) فِي جَمِيعِ أحْكَامِهِ مُتَّصِلاً وَمُفَرَّغاً: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ غَيْرَ الحَمَاقَةِ.

ـ إذَا قَدَّرْتَ خلا وَعَدا وحَاشَا أفْعَالاً نَصَبْتَ مَا بَعْدَهَا عَلى المَفْعُولِيَّةِ

ـ وإنْ قَدَّرْتَها حُرُوفاً جَرَرْت بِها: فَصَلَ القُضَاةُ خلاَ أوْ عَدا أو حَاشا زَيْدٍ.

ـ إذَا سَبَقَتْ (عدا وخلا وحاشا) ما المصدريَّةُ، وَجَبَ نَصْبُ ما بَعْدَها على المفعوليَّةِ.

ـ إذَا كَانَ المُسْتَثْنى بـ (لاسِيَّما) مَعْرِفَةً جازَ لَكَ فِيهِ الجَرُّ والرَّفْعُ: أجَادَ الخُطَبَاءُ وَلا سِيَّما زَيْدٌ.

ـ وإذا كانَ المُسْتَثْنى بها نَكِرَةً جَازَ لَكَ فيه أوْجُهُ الإعْرَابِ الثَلاثَةُ: رُبَّ عِبْرَةٍ أصْلَحَتْ أُمَّةً لا سيَّما عِبْرَةٌ أو عِبْرَةً أو عِبْرَةٍ بالكُبَراءِ.

ـ فإذا رَفَعْتَ الاسْمَ بَعْدَ لا سيِّما فَعلى تَقْدِيرِ (ما) مَوْصُوفَةً أوْ نَكِرَةً تامةً ويكونُ الاسْمُ بَعْدَها خَبَراً لِمُضمرٍ مَحْذُوفٍ.

وإذَا نَصَبْتَهُ فَعلى تَقْدِيرِ أنَّها تَامَّةٌ أو زائِدَةٌ كَافَّةٌ عَن الإضافَةِ وأصْبَحَتْ عِبْرَةً تَمْيِيزاً.

وإذا جَرَرْتَ فَعلى تَقْدِيرِها زَائِدَةً غَيرَ كَافَّةٍ أو تَامَّةٍ، وَتُصبِحُ عِبْرَةٍ مُضَافاً إلَيْهِ.

كَانَ وأخَوَاتُها

كَانَ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ يَدْخُلُ عَلَى المُبْتَدأ فَتَرْفَعُهُ، وَعَلى الخَبَرِ فَتَنْصُبُهُ وَيُسَمَّى الأوَّلُ اسْمَها والثَّاني خَبَرَها مثل (كَانَ البَرْدُ قَارِساً).

أخَـوَاتُ كَانَ: أصْبَحَ وأضْحَى وظَلَّ وبَـاتَ وأمْسَى ومَا زَالَ ومَا بَرِحَ وَما انْفَكَّ ومَا فَتِيءَ ومَا دَامَ وصَارَ ولَيْسَ. ويُقَالُ لها الأفْعَالُ النَّاقِصَةُ.

والأفْعَالُ النَّاقِصَةُ ثَلاثَةُ أقْسَامٍ:

١) ـ قِسْمٍ يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفاً تَامّاً وَهُوَ: كَانَ وأمْسَى وأصْبَحَ وأضْحَى وظَلَّ وبَاتَ وصَارَ.

٢) ـ وَقِسْمٍ لاَ يَتَصَرَّفُ أصْلاً: لَيْسَ وَمَا دَامَ.

٣) ـ وَقِسْمٍ يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفاً نَاقِصاً: مَا زَالَ وَمَا فَتِيءَ وَمَا بَرِحَ، وَمَا انْفَكَّ فإنَّه لا يُشْتَقُّ مِنها غَيرُ مُضَارِعٍ فَقَط.

٥ ـ وَكُلُّ ما اشْتُقَّ مِنْ هَذِهِ الأفْعَالِ يَعْمَلُ عَمَلَ مَاضِيهَا فِي رَفْعِ الاسْمِ وَنَصْبِ الخَبَرِ. غَيْرَ أنَّ مَصْدَرَهَا يُضَافُ إلى اسْمِها فَيَكُونُ الاسْمُ مَجْـرُوراً لَفْظاً مَـرْفُوعـاً مَحَلاً: (عَجِبْتُ مِنْ كَوْنِ أخِيكَ مُتَقَلِّباً).

ـ وَجَمِيعُ هَذِهِ الأفْعَالِ تَعْمَلُ بِلاَ شَرْطٍ مَا عَدَا (زَالَ وَبَرِحَ وَفَتِيءَ وانْفَكَّ)، فإنَّها لا تَعْمَلُ عَمَلَ الأفْعَالِ النَّاقِصَةِ إلاَّ إذا تَقَدَّمَها نَفْيٌ أو نَهْيٌ أو اسْتِفْهامٌ إنْكَارِيٌّ أو دُعَـاءٌ.

تَخْتَصُّ لَيْسَ بِثَلاثَةِ أُمُورٍ:

- زِيَادَةِ البَاءِ في خَبَرِهَا جَوازاً (لَيْسَ اللهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ).

- حَذْفِ خَبَرِها (قَالَ الجَاهِلُ فِي قَلْبِه لَيْسَ إِلَهٌ). (أي لَيْسَ إِلَهٌ مَوْجُوداً).

- بُطْلانِ عَمَلِهَا عِنْدَ التَمِيمِيِّينَ إذا انْتَقَضَ خَبَرُهَا بِـ (إلَّا) نحو (لَيْسَ الطِّيبُ إلَّا المِسْكُ) (أما الحِجَازِيُّونَ فإنَّهُمْ يُعْمِلُونَها ويُوجِبُونَ نَصْبَ خَبَرِها).

الأَحْرُفُ المُشَبَّهَةُ بِلَيْسَ أرْبَعَةٌ

إنْ، مَا، لَا، لَاتَ (وَقَدْ أُلْحِقَتْ بِلَيْسَ لِمُشَابَهَتِها لَها فِي النَّفْيِ).

(ما) - يُشْتَرَطُ فِي عَمَلِها ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ، إذَا تَخَلَّفَ شَرْطٌ مِنْها بَطَلَ عَمَلُهَا:

آ - أنْ لا يَتَقَدَّمَ خَبَرُهَا ولا مَعْمُولُها على اسْمِهَا.

ب - أنْ لا تُزَادَ بَعْد (إنْ).

ج - أنْ لا يَنْتَقِضَ خَبَرُهَا بـ (إلَّا) (مَا الكَسْلَانُ مَحْمُوداً).

(إنْ) - يُشْتَرطُ فِي عَمَلِها شَرْطَانِ:

آ - حِفْظُ التَّرْتِيبِ.

ب - عَدَمُ انْتِقَاضِ خَبَرِها بـ (إلَّا): (إن أحدٌ خيْراً من أحَدٍ إلَّا بالعَقْلِ). وَيَغْلِبُ في اسْتِعْمَالِ (إن) اقْتِرَانُ خَبَرِها بـ (إلَّا) فَيَبْطُلُ عَمَلُهَا: نَحْوَ (مَا هَذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ).

(لا) - وَيُشْتَرَطُ فِي عَمَلِها ثَلاثَةُ شُرُوطٍ:

آ - حِفْظُ التَّرْتِيبِ.

ب - عَدَمُ انْتِقَاضِ خَبَرِها بـ (إلَّا).

ج - أنْ يَكُونَ مَعْمولاها نكرتين (لَا رَجُلٌ حَاضِراً).

(لَاتَ): يُشْتَرَطُ فِي عَمَلِها أنْ يَكُونَ اسْمُها وخَبَرُهَا من أسْمَاءِ الزَّمَانِ كالحِينِ والسَّاعَةِ والأوَانِ. ولَا بُدَّ مِنْ حَذْفِ اسْمِها:

(لَاتَ سَاعَةَ نَدَامَةٍ)، (أي لَاتَ السَّاعَةُ سَاعَةَ نَدَامَةٍ).

الحُرُوفُ النَّاصِبَةُ لِذَاتِها

هي أرْبَعَةٌ (أنْ، لَنْ، إذَنْ، كَيْ).

والحُرُوفُ النَّاصِبَةُ بِأنْ مُقَدَّرَةً بَعْدَهَا خَمْسَةٌ:

١ - حَتَّى التي لانْتهاءِ الغايَةِ (أُعَاقِبُ المُذْنِبَ حَتَّى يَتُوبَ)

٢ - اللَّامُ - آ - لِلتَّعْلِيل - (خُذِ الدَّوَاءَ لِتَبْرأ).

ب - لِلجُحُودِ - وَهِيَ المَسْبُوقَةُ بِكَانَ مَنفِيَّةٍ (لَمْ أكُنْ لأهْرُبَ).

٣ - (أوْ) - مِثْلُ لا أسْتَرِيحُ أو أقُولَ الحَقَّ (أي إلى أنْ أقُولَ الحَقَّ).

٤ - فَاءُ السَّبَبِيَّةِ، إذا وَقَعَتْ جواباً لِطَلَبٍ أوْ نَفْيٍ:

وَيكونُ الطَلَبُ إما:

آ - لِـلأَمْرِ - مِثل (تَاجِرْ فَتَرْبَحَ)

ب - لِلنَّهي - (لا تَدْنُ فَتَحْتَرِقَ)

ج - لِلاسْتِفْهَامِ - (هَلْ رَجَعَ صَدِيقُنَا فَأَزُورَهُ؟)

د - لِلتَرَجِّي - (لَعَلَّ الصَّدِيقَ يَزُورُنَا فَنَسْتَأْنِسَ بِهِ)

هـ - لِلتَّمَنِّي - (لَيْتَ لِي مَالاً فَأَجُودَ)

و - لِلْعَرْضِ - (ألَا تَدْنُو مِنَ النُّورِ فَتُبْصِرَ)

ز - لِلتَّحْضِيض - (هَلَّا تَدْرُسُ فَتَحْفَظَ)

وَمِثْلُ النَّفي - (لَا أعْرِفُ دَارَ الصَّدِيقِ فَأَزُورَهُ)

٥ - (وَاوُ المعية) - المَسْبُوقَةُ بِنَفْيٍ أوْ طَلَبٍ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي فَاءِ السَّبَبِيَّةِ (لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ).

(إنَّ) وأخَوَاتُها:

الأحْرُفُ المُشَبَّهَةُ بالفِعْلِ سِتَّةٌ: إنَّ أنَّ لَكِنَّ لَيْتَ لَعَلَّ كأنَّ. ويَلْحَقُ بِهَا (لا النَّافِيَةُ لِلجِنْسِ). وتَدْخُلُ على المُبْتَدأ والخَبَرِ فَتَنْصِبُ الأوَّلَ (اسْمَها) وَتَرْفَعُ الثَّاني (خَبَرَهَا): إنَّ اللَّهَ عَادِلٌ.

- الأصْلُ فِي خَبَرِ (إنَّ) وأخَواتِها أنْ يَكُونَ مُؤَخَّراً عَنْ اسْمِهَا مَا لَمْ يَكُنْ ظَرْفاً أو جَارّاً وَمَجْرُوراً.

- يُقَدَّمُ خَبَرُ (إنَّ) وأخَواتِها جَوازاً إذَا كَانَ ظَرْفاً أو مَجْرُوراً

بالحَرفِ، والاسْمُ مَعْرِفةٌ أو نَكِرةٌ يَسُوغُ الابْتداءُ بِهِ: (إنَّ عِنْدَ اللّهِ الثّوابَ).

- يُقدَّمُ خبرُ إنَّ وأخواتِها عَلى اسْمِها وُجُوباً إذا كانَ ظَرْفاً أو جارّاً وَمَجْروراً بالحَرْفِ والاسْمُ نَكِرَةٌ لاَ مُسَوِّغَ لَها، أوْ مُشْتَمِلاً عَلَى ضَمِيرٍ يَعُودُ عَلَى الخَبَرِ (إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً) و (إنَّ فِي الدّارِ صاحِبَها).

- يَجُوز دُخولُ لاَمِ الابْتداءِ عَلَى اسْمِ (إنَّ) مَتى كَانَ مُؤخراً (إنَّ في قَوْلِكَ لَعَجباً).

- يَجُوزُ دُخولُ لاَمِ الابْتِداءِ على خبَرِ (إنَّ) مَتى (كانَ):

- مُؤخراً مُثْبَتاً نَحْوَ (إنّنا لَمُقِيمُونَ عَلَى الوَفاءِ).

- أو مَاضِياً جامِداً نَحْوَ (إنَّ زَيْداً لَنِعْمَ الرَّجُلُ).

- أو مُتصَرِّفاً مَقْرُوناً (بِقَدْ) نَحْوَ (إنَّكَ لَقَدْ أصبْتَ).

- أو مُضارِعاً نَحْوَ (إنَّك لَتقولُ الحَقَّ).

إذَا خُفِّفَتْ (إنَّ) تَرَجّحَ إلْغاؤُها، وَبَطَلَ عَمَلُها لِزوالِ اخْتِصاصِهَا فَيُرْفَعُ الجُزْآنِ بَعْدَها؛ وَتَدْخُلُ لاَمُ الابْتِداء عَلى الخَبَرِ نَحْو (إنِ البَدْرُ لَطَالِعٌ)، وَتُسَمّى اللاّمَ الفارِقَةَ.

- إذَا خُفِّفَتْ (إنَّ) كانَ اسْمُها ضَمِيرَ الشّانِ مَحْذُوفاً، وَخبَرُهَا جُمْلَةً، وحِينَئِذٍ تَدْخُلُ عَلى الجُمَلِ الاسْمِيَّةِ، والفِعْلِ الجَامِدِ، والفِعْلِ المُتَصَرِّفِ:

عَلِمْتُ أنِ المَوْتُ قَرِيبٌ.
واعْلَمْ أنْ لَيْسَ للصّابِرِ إلاّ النَّصْرُ.

وَقَدْ أعْمَلَها بَعْضُ العَرَبِ عَلَى قِلَّةٍ فَقالُوا (إنْ خالِداً لَمُسافِرٌ).

(أنْ) لاَ تَنْصِبُ المُضارِعَ إذا وَقَعَتْ بَعْدَ فِعْلٍ يَدُلُّ عَلى اليَقِينِ، بَلْ تَكُونُ حِينَئِذٍ مُخَفّفَةً مِنَ أنَّ الثَّقِيلَةِ كَقَوْلِكَ (عَلِمتُ أنْ لاَ يَرْجِعُ أخُوكَ) أي (أنَّهُ لاَ يَرْجِعُ أخُوكَ)، فَخُفِّفَتْ أنْ وَحُذِفَ اسْمُها.

أمّا إذَا وَقَعَتْ بَعْدَ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأفْعالِ فَتَكُونُ نَاصِبَةً وَتُؤَوَّلُ مَعَ صِلَتِها بِمَصْدَرٍ يَكُونُ مَعْمُولاً لِلعامِلِ قَبْلَها مثل (أرِيدُ أنْ أتعَلَّمَ - أي أرِيدُ التَّعلُّمَ).

إذَا خُفِّفَتْ كَأنَّ جَرَتْ عَلى حُكْمِ (أنَّ) المُخَفَّفَةِ فَيَكُونُ اسْمُها ضَمِيرَ الشَّأنِ، وَخَبَرُهَا الجُمْلَةَ التِي بَعْدَهَا.

فإذا دَخَلَتْ عَلَى فِعْلٍ مُتَصَرِّفٍ فُصِلَتْ عَنْهُ فِي الإيجَابِ بـ (قَدْ)، وفِي النَّفْي بـ (لَمْ) كَأنْ قَدْ قامَ زَيْدٌ. كَأن لَمْ يَقُمْ عَمْرٌو.

إذا خُفِّفَتْ لَكِنَّ بَطَلَ عَمَلُها، لَكِنْ يُسْتَحْسَنُ اقْتِرانُها والحَالَةُ هِيَ هَذِه (بالوَاو) تَفْرِقَةً بَيْنَها وبَيْنَ وَاوِ العَطْفِ: نَجا المُسافِرُونَ (وَلَكِنْ) صَدِيقُكَ غَرِقَ.

تُفْتَحُ هَمْزَةُ (إنَّ) إذَا صَحَّ أنْ يَسُدَّ المَصْدَرُ مَسَدَّها.
وَتُكْسَر إذا لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ.
ويَجُوزُ الكَسْرُ والفَتْحُ إذا صَحَّ الاعْتِبَارَانِ.

إذَا لَحِقَتِ (مَا) الحَرْفِيَّةُ أواخِرَ هَذِهِ الأفْعالِ كَفَّتْهَا عَنِ العَمَلِ، ولِذَلِكَ تُسَمّى (ما) الكَافَّةَ (إنَّما اللّهُ واحِدٌ). (وكأنَّما أخُوكَ أسَدٌ).

أما (لَيتَ) فَيَجُوزُ إعْمالُها وإلغاؤُها إذَا اقْتَرَنَتْ بِمَا.

يَكُونُ بَعْدَ (ما) الكَافَّةِ مَرْفُوعاً عَلَى الابْتِداءِ والخَبرِيَّةِ وحِينَئِذٍ يَزُوْل اخْتِصَاصُها بـالأسْمَاءِ فَتَـدْخُلُ أيْضـاً عَلَى الأفْعَالِ نَحْوَ: (كأنّما يُسَاقُونَ إلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ).

- إذَا كانَتْ (ما) مَوْصُولَةً كَما فِي قَوْلِكَ: (إن مَا عِنْدَ اللّهِ باقٍ) (أي إنَّ الّذِي عِنْدَ اللّهِ باقٍ)،

- أو مَصْدَرِّية كَمَا فِي قَوْلِكَ (إنَّ مَا فَعَلْتَ جَمِيلٌ (أي إن فِعْلَكَ جَمِيلٌ)... فحِينَئِذٍ يَبْقَى عَمَلُها، وَتُكْتَبُ مَفْصُولَةً مِنْ إنَّ بِخِلافِ (ما) الكَافَّةِ.

لاَ النَّافِيَةُ لِلجِنْسِ

لاَ النَّافِيَةُ لِلجِنْسِ تَعْمَلُ عَمَلَ (إنَّ) أي إنّها تَنْصِبُ المُبْتَدأ وتَرْفَعُ الخَبَرَ. وَسُمِّيَتْ (لاَ) النَّافِيَةَ لِلجِنْسِ لأنَّها تَنْفِي بِدُخُولِها حَقِيقَةَ النَّكِرَةِ كُلِّها. فإذَا قُلْتَ (لاَ رَجُلَ فِي الدَّارِ) نَفَيْتَ جِنْسَ الرِّجَالِ فِي الدَّارِ.

تَعْمَلُ (لا) عَمَلَ (إنَّ) بِخَمْسَةِ شُرُوطٍ:

١ ـ أنْ تكُونَ نَافِيَةً لِلجِنْسِ نصّاً أي نَفياً عامّاً.

٢ ـ أنْ يكُونَ اسْمُهَا وَخبَرُهَا نكِرتَيْن.

٣ ـ أنْ يَكُونَ اسْمُهَا مُتَصِلاً بِهَا أيْ إنَّه لا يَجُوز أنْ يَتقدَّمَ خَبَرُهَا وَغَيْرُهُ عَلَى اسْمِهَا. وإذا انْفصَلَ اسْمُهَا عَنْهَا أُلْغِيَتْ، وَوَجَبَ تَكْرارُهَا عِنْدَ العَطْفِ عَلَيْهِ (لا فِي الدّارِ رَجلٌ ولاَ امْرَأةٌ).

٤ ـ أنْ لاَ يَتقدَّمَ خبَرُهَا عَلَيْهَا.

٥ ـ أنْ لا يَدْخلَ عَلَيْهَا حَرْفُ جَرٍّ (لَا كَوْكَبَ سَاطِعَ). وإذَا دَخلَ عَلَيْهَا حَرْفُ جَرٍّ بطَلَ عَملُهَا، وَيُعْرَبُ مَا بَعْدَهَا مَجْرُوراً (سِرْتُ بَلا زَادٍ).

ـ تُعْتَبَر (لا) مَعَ اسْمِهَا فِي مَحَلِّ رَفْعٍ على الابْتِدَاءِ.

واسْمُ (لَا) يَكُونُ مُفْرداً أوْ مُضَافاً أو شَبِيهاً بالمُضَافِ.

١ ـ فإذَا كَانَ اسْمُ (لا) مُفْرَداً فإنَّهُ يُبْنَى عَلَى مَا كَانَ يُنْصبُ بِهِ:

لَا رَجُلَ في الدّارِ. لَا رَجُلَيْنِ عِنْدَنا. لَا فَاضِلاتِ مَذْمُوماتٌ

٢ ـ إذَا كَانَ اسْمُ (لا) مُضافاً أو شَبِيهاً بالمُضَافِ وَجبَ نَصْبُهُ:

لَا خَادِمَ مَائِدَةٍ حَاضِرٌ.

لَا مُنْصِبَاً على العِلْمِ فِي المَكْتَبِ.

ـ يَكْثُرُ حَذْفُ خبَرِ (لا) إذَا كَانَ مَعْلُوماً (لَا بأسَ) أي لَا بأسَ عَلَيْكَ. وأكْثَرُ ما يَحذِفُونَه مع (إلّا) (لَا إلَهَ إلّا اللّهُ) أي لا إلَهَ مَوْجودٌ.

ـ إذَا نُعِتَ اسْمُ (لا) المُفْرَدُ بِمُفْرَدٍ مُتَّصِلٍ بِهِ جَازَ فِي النَّعْتِ البِنَاءُ عَلَى الفَتْحِ وَجَازَ النَّصْبُ والرَّفْعُ: لَا رَجُلَ ظَرِيفَ أو ظَرِيفاً أو ظَرِيفٌ عِنْدَنا.

ـ إذا فُصِلَ النَّعْتُ جَازَ نَصْبُهُ أو رَفْعُهُ فقط: (لَا رَجُلَ عِنْدَنَا ظَرِيفٌ أوْ ظَرِيفاً).

إذَا تَكرَّرتْ (لا)

إذَا كَانَ اسْمُها نَكِرَةً مُتَصِلاً بِهَا جَازَ إعْمَالُ المُكَررَّتَيْنِ (لَا حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلّا باللّهِ) وَجَازَ إلْغاؤُهُمَا جمِيعاً (لَا حَوْلٌ وَلاَ قُوَّةٌ إلّا باللّهِ).

ـ وَيَجُوزُ إعْمَالُ إحْداهُمَا وإلْغَاءُ الأُخْرَى (لَا رَجُلَ فِي الدّارِ ولا امْرَأةٌ).

ـ إذَا كَانَ المَعْطُوفُ على اسْمِ (لا) مَعْرِفَةً وَجبَ رَفْعُ المَعرِفَةِ سَواءٌ تَكرّرَتْ (لا) أو لَمْ تَتكَرَّرْ (لَا رَجُلَ وَلاَ زَيْدٌ فِي الدّارِ) وَ (لَا رَجُلَ وَزَيْدٌ فِي الدّارِ).

ضَمِيرُ الشَّأنِ

هُوَ الضَّمِيرُ الغَائِبُ المُفْرَدُ يُكَنَّى بِهِ عَنْ الشَّأنِ أي الأمْرِ الذِي يُرَادُ الحَدِيثُ عَنْهُ (هُوَ اللّهُ رَحِيمٌ).

ـ والغَايَةُ مِن ضَمِيرِ الشَّأْنِ تَعْظِيمُ الأمْرِ أوْ تَفْخِيمُهُ.

ـ لا يَكُونُ ضَمِيرُ الشَّأنِ إلّا بلَفْظِ الغَائِبِ المُفْرَدِ لِيُطَابِقَ مَا يُرادُ بِهِ مِنَ الشَّأنِ أو القِصَّةِ. وضَمِيرُ الشَّأنِ إما مُتَصِلٌ أو مُنْفَصِلٌ:

آ ـ وَيكُونُ ضَمِيرُ الشَّأنِ المُنْفَصِلُ مُبْتَدأ نَحْو (هُوَ الدِّينُ أسَاسُ التَّمدُّنِ)، (هِيَ الدُّنْيا تَمْكُر بأهْلِهَا).

وَيَكُونُ أيْضاً اسْماً لـ (ما) العَامِلَةِ عَمَلَ لَيْسَ (وَمَا هُوَ مَنْ يأسُو المَكْلُومَ)

ب ـ إذَا كَانَ ضَمِيرُ الشَّأنِ مُتَصِلاً بَارِزاً اخْتَصَّ بأن وأخَواتِها وبأفْعَالِ القُلُوبِ: إنَّهَا القَنَاعَةُ أغْنَى. أخْبَرْتُ أنّه يَقُومُ الأمِيرُ.

ج ـ يُشْتَرطُ فِي خَبَرِ ضَمِيرِ الشَّأنِ أنْ يَكُونَ جُمْلَةً اسْمِيَّةً خَبرِيَّةً مُتَأخِّرَةً عَنْهُ غَيْرَ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى ضَمِيرٍ يَعُود عَلَيْهِ.

ـ يَخْتَلِفُ ضَمِير الشَّأنِ عَنْ سَائِرِ الضَّمائِرِ بأمُورٍ مِنْها:

إنَّه يَعُودُ إلى مَا بَعْدَهُ عَلَى خِلافِ الأصْلِ.

إنَّهُ يُلازِمُ الإفْرَادَ فَلا يُثَنّى وَلاَ يُجْمَعُ

إنّه لَا يَكُونُ إلَّا غائِباً.

إنّه لَا يُقَدَّمُ خَبَرُهُ عليهِ.

إنّه لَا يَلْزَمُ أنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ مِنَ الخَبَرِ إلَيْهِ.

وإنّهُ يَكُونُ لِمُفَسِّرِه مَحَلٌّ مِنَ الإعْرَابِ بِخِلَافِ سائِرِ المُفَسِّرَاتِ.

لَمّا

١ - تَخْتَصُّ بِالمُضَارِعِ فَتجزِمُهُ وَتَقْلِبُهُ مَاضِياً وَلَكِنَّ نَفْيَهَا مُسْتَمِرٌّ إِلَى الحَالِ بِعَكْسِ (لَمْ): (لَمّا يَأْتِ).

٢ - تَخْتَصُّ بالمَاضِي. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا عُلَمَاءُ اللُّغَةِ:
- فقال جَمَاعَةٌ هِيَ ظَرْفٌ
- وقال جَمَاعَةٌ حَرْفٌ لِرَبْطِ جُمْلَتَيْنِ.

٣ - تَكُونُ حَرْفَ اسْتِثْنَاءٍ فَتَدْخُلُ عَلَى الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ نَحْو: (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حَافِظٌ).

المَفْعُولُ فِيهِ (الظَّرْفُ)

هُوَ اسْمٌ يُذْكَرُ لِبَيَانِ زَمَانِ الفِعْلِ أَوْ مَكَانِهِ. (حَضَرْتُ صَباحاً أَمَامَ المُعَلِّمِ). والمَفْعُولُ فِيهِ إمّا أنْ يَكُونَ ظَرْفَ زَمَانٍ أو ظَرْفَ مَكَانٍ.

- مِنْ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ مَا يُمْكِنُ اسْتِعْمَالُهُ ظَرْفاً أوْ غَيْرَ ظَرْفٍ فَيُسَمّى ظَرْفاً مُتَصَرِّفاً مِثْلِ (يَوْمٍ وَمَكَانٍ) فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُسْتَعْمَلُ ظَرْفاً (نَحْو سِرْتُ يَوْماً، وَجَلَسْتُ مَكَاناً). وَيُمْكِنُ أنْ يُسْتَعْمَلَا غَيْرَ ظَرْفٍ (يَوْمُ الجُمْعَةِ يَوْمٌ مُبَارَكٌ)، (مَكَانُكَ عَالٍ أَيُّهَا الصَّدِيقُ).

- وَمِنْهَا مَا يُلَازِمُ الظَّرْفِيَّةَ فَيُسَمّى ظَرْفاً غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ مَثَل (عِنْدَ، قَبْلَ، بَعْدَ، لَدُنْ).

- الظَّرْفُ يَحْتَاجُ دَائماً إلى مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الفِعْلِ أو شِبْهِ الفِعْلِ (المَصْدَرِ أو اسْمِ الفَاعِلِ أو اسْمِ المَفْعُولِ، أو الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ أو أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ).

جِئْتُ صَباحاً

- أَسْماءُ الزَّمَانِ المُتَصَرِّفَةُ تَكُونُ صَالِحَةً للنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ فَقَطْ فِي حَالَتَيْنِ:

آ - إذا تَعَلَّقَتْ بِفِعْلٍ أو شِبْهِهِ.

ب - وَتَضَمَّنَتْ مَعْنَى (في).

أي تَصْلُحُ لأنْ تَكُونَ جواباً لِمَنْ يَسْأَلُ (مَتَى، أيُّ مُدَّةٍ؟). سَافَرْتُ شَهْراً وَيَوْماً وسَاعةً (أي مُدَّةَ شَهْرٍ).

- أَسْمَاءُ المَكَانِ المُتَصَرِّفَةُ تَكُونُ صَالِحَةً للنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ فَقَطْ إذا تَعَلَّقَتْ بِفِعْلٍ أو شِبْهِهِ وَتَضَمَّنَتْ مَعنَى (فِي) أي إذا كانَتْ صَالِحَة لأنْ تَكُونَ جَواباً لِمَن يَسْأَلُ (أَيْنَ، كَمْ؟). (قِفْ يَمِينَكَ) (أيْ جِهَةَ اليَمِينِ).

أيّ

أيُّ اسْمٌ مَوْصُولٌ لِلْعَاقِلِ وَلِغَيْرِه وَيَنْفَرِدُ عَنْ سَائِرِ المَوْصُولَاتِ بِأَنَّهُ مُعْرَبٌ دَائِماً نَحْو: (يَسُرُّنِي أَيُّهُمْ هُوَ قَادِمٌ).

- وَيُبْنَى فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ حَالَةُ ما إذَا أُضِيفَ وَحُذِفَ صَدْرُ صِلَتِهِ وَحِينَئِذٍ يُبْنَى علي الضَّمِّ (يَسُرُّنِي أَيُّهُم قَادِمٌ). (وَرَأَيْت أَيُّهُمْ قَادِمٌ). (وَرَأَيْتُ أَيُّهُمْ مُتَضَلِّعٌ فِي العُلُومِ) (وَلَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً..)

- المُرَادُ بِصَدْرِ الصِّلَةِ لَفْظَةُ الضَّمِيرِ المَحْذُوفِ (هُوَ فِي المِثَالِ، لأنَّ التَّقْدِيرَ هُوَ: أَيُّهُمْ هُوَ قَائِمٌ. وأَيُّهُمْ هُوَ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً.

- ويُشْتَرَطُ فِي عَامِلِ (أيّ) أنْ يَكُونَ مُسْتَقْبلاً مُقَدَّماً عَلَيْهَا فَلا يُقَالُ: (أَعْجَبَنِي أَيُّهُمْ قَامَ بَلْ (يُعْجِبُنِي أيُّهُمْ قَامَ).

- الأَكْثَرُ فِي اسْتِعْمَالِ (أيّ) الإفْرَادُ والتَّذْكِيرُ مَعَ الجَمِيعِ وِمِنْهُمْ مَنْ يُؤَنِّثُها (تُدْهِشُنِي أَيَّتُهُمْ خَطَبَتْ).

الإعـراب

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

أَعُوذُ ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِالضَّمَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَفِعْلُ أَعُوذُ مُعْتَلٌّ أَجْوَفُ، وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيهِ وُجُوباً تَقْدِيرُهُ أَنا.

بِاللَّهِ ـ البَاءُ حَرْفُ جَرٍّ وَاللَّهِ اسْمُ الجَلَالَةِ مَجْرُورٌ بِالبَاءِ. وَالجَارُّ وَالمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِأَعُوذُ.

مِنَ الشَّيْطَانِ ـ مِنَ حَرْفُ جَرٍّ، وَالشَّيطَانِ اسْمٌ مَجْرُورٌ بِمِنْ وَالجَارُّ وَالمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِأَعُوذُ أَيْضاً. وَمِنْ لابْتِداءِ الغَايَةِ.

الرَّجِيمِ ـ نَعْتٌ حَقِيقِيٌّ لِلشَّيْطَانِ.

وَجُمْلَةُ الاسْتِعَاذَةِ ابْتِدائِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِاسْمِ ـ البَاءُ حَرْفُ جَرٍّ، وَاسْمِ مَجْرُورٌ بِالبَاءِ وَالجَارُّ وَالمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَبْتَدِئُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ.

وَالبَاءُ هُنَا لِلاسْتِعانَةِ أَوْ لِلالْصَاقِ

وَالجَارُّ وَالمَجْرُورُ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ

اللَّهِ ـ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ـ صِفَتَانِ لِلَّهِ تَعَالَى مَجْرُورَتَانِ

وَجُمْلَةُ البَسْمَلَةِ ابْتِدائِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ.

(سورة الفاتحة)

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ

الحَمْدُ ـ مُبْتَدأٌ مَرْفُوعٌ

لِلَّهِ ـ اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ، وَاللَّهِ اسْمٌ مَجْرُورٌ، وَالجَارُّ وَالمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرٍ تَقْدِيرُهُ (دَائِمٌ أَوْ قَائِمٌ).

رَبِّ ـ صفة لِلَّهِ مَجْرُورَةٌ، أَوْ بَدَلٌ مِنْه مَجْرُورٌ.

العَالَمِينَ ـ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ وَعَلَامَةُ جَرِّهِ اليَاءُ نِيَابَةً عَنِ الكَسْرَةِ لأَنَّهُ مُلْحَقٌ بِجَمْعِ المُذَكَّرِ السَّالِمِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ـ صِفَتَانِ لِلَّهِ تَعَالَى أَيْضاً مَجْرُورَتَانِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ:

مَالِكِ ـ صِفَةٌ رَابِعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى

يَوْمِ ـ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ

الدِّينِ ـ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إِيَّاكَ ـ ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ لِلاخْتِصَاصِ

نَعْبُدُ ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيهِ وُجُوباً تَقْدِيرُهُ نَحْنُ.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ـ

وَإِيَّاكَ ـ مَعْطُوفٌ عَلى إِيَّاكَ نَعْبُدُ

نَسْتَعِينُ ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَهُوَ فِعْلٌ مُعْتَلٌّ أَجْوَفُ.

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ

إِهْدِنَا ـ فِعْلُ أَمْرٍ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ العِلَّةِ، وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى الدُّعَاءِ. و(نا) ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَفْعُولٌ بِهِ. وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ وُجُوباً تَقْدِيرُهُ أَنْتَ.

الصِّرَاطَ ـ مَفْعُولٌ بِه مَنْصُوبٌ.

وَالأَصْلُ فِي هَدَى أَنْ لَا تَتَعَدَّى إِلَّا إِلى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ وَلَكِنْ غَلَبَ الاتِّسَاعُ فَعَدَّاهَا بَعْضُهُمْ إِلى مَفْعُولَيْنِ اثْنَيْنِ .

المُسْتَقِيمَ ـ صِفَةٌ لِلصِّرَاطِ مَنْصُوبٌ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

صِراط - بَدَلٌ مُطابِقٌ مِنَ الصِّراطَ
الَّذِينَ - اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إِلَيْهِ.
أَنْعَمْتَ - فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ على السُّكُونِ لاتِّصالِهِ بِضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَحَرِّكٍ. والتَّاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ وجُمْلَةُ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإعْرابِ صِلَةُ المَوْصُولِ

عَلَيْهِمْ - جَارٌّ وَمجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَنْعَمْتَ.
غَيْر - بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي عَلَيْهِمْ. أَوْ مِنَ الَّذِينَ. أو نَعْتٌ لِلَّذِينَ.

المَغْضُوبِ - مُضَافٌ إِلَيْهِ (وَهِيَ اسْمُ مَفْعُولٍ).
عَلَيْهِمْ - جَارٌّ ومَجْرُورٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ نَائِبُ فَاعِلٍ لِلْمَغْضُوبِ لأَنَّهُ اسْمُ مَفْعُولٍ.

ولا - الواوُ حَرفُ عَطْفٍ. وَلَا زَائِدةٌ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى النَّفْيِ وَهُوَ مَا في (غَيْرِ) مِنْ مَعْنَى النَّفْيِ.

الضَّالِّينَ - اسْمٌ مَعْطُوفٌ عَلَى المَغْضُوبِ عَلَيْهِم مَجْرُورٌ وعَلامَةُ جَرِّهِ الياءُ لأَنَّهُ جَمْعُ مُذَكَّرٍ سَالِمٌ.

أَلم - ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾
الآيتان (١) و (٢) (من سورة البقرة)

أَلم - كَلِمَةٌ أُرِيدَ لَفْظُهَا دُونَ مَعْنَاهَا فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرٌ لِمُبتدأ مَحْذُوفٍ أيْ (هَذِهِ أَلم).

ذَلِكَ - ذا: اسْمُ إشارَةٍ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدأً. واللَّامُ لِلْبُعْدِ. والكافُ للخطَابِ.

الكِتابُ - خَبَرُ ذا، لأَنَّهُ قُصِدَ بِهِ الإخْبارُ بِأَنَّهُ الكِتَابُ المُقَدَّسُ المُسْتَحِقُّ لِهَذا الاسْمِ تَدْعِيماً لِلتَّحدِّي. والجُمْلَةُ ابْتِدائِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لها.

لَا رَيْبَ فِيهِ:
لا - نافِيَةٌ لِلجِنْسِ
رَيْبَ - اسْمُها المَبْنِيُّ عَلَى الفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ اسْمُ لا.
فيه - جارٌّ وَمَجْرُورٌ وَهُمَا مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذوفٍ خَبَرُها والجُمْلَةُ خَبَرٌ ثَانٍ لـ ذا. أو حَالٌ مِنَ الكِتابِ.

هُدًى - خَبَرٌ ثالِثٌ لِـ ذا
لِلْمُتَّقِينَ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِهُدًى لأنَّهُ مَصْدَرٌ.

إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أم لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (الآية ٦ من سورة البقر)

إنَّ - حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالفِعْلِ يَنْصِبُ الاسْمَ وَيَرْفَعُ الخَبَرَ.
الذين - اسْمٌ مَوْصُولٌ مَبْنِيٌّ عَلى الفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ اسْمُ إنَّ.

كَفَرُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفاعِلٌ.

سَواءٌ - خَبَرٌ مُقَدَّمٌ
عَلَيْهِمْ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بسَواء
أَأَنْذَرْتَهُمْ - الهَمْزَةُ هي هَمْزَةُ التَّسْوِيَةِ. حرف مَصدَري، وَهيَ والفِعْلُ بَعْدَهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ مُبْتَدأً مُؤَخَّرٌ

أم - عَاطِفَةٌ مُفَصَّلَةٌ
لَمْ تُنْذِرهُمْ - لَمْ حَرْفُ جَزْمٍ، وَتُنْذِرْهُم فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ بِلَمْ والفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيهِ وُجُوباً تَقْدِيرُهُ أَنْتَ. والهَاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ في مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ. والجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ أَنْذَرْتَهُمْ.

لَا يُؤْمِنُونَ - لا نَافِيَةٌ
يُؤْمِنُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ وَعَلامَةُ رَفْعِهِ ثُبُوتُ النُّونِ والوَاوُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فاعِلٌ. وَجُمْلَةُ (لَا يُؤْمِنُونَ) خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ.

أَوْ هِيَ جُمْلَةٌ مُفَسِّرَةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإعْرَابِ.

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (الآية ٨ من سورة البقرة)

يُخَادِعُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ وَعَلامَةُ رَفْعِهِ ثُبُوتُ النُّونِ والوَاوُ فَاعِلٌ والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ مُسْتَأْنَفَةٌ. أَوْ هِيَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ المُسْتَكِنِّ فِي (يَقُولُ) في الآيَةِ السَّابِقَةِ.

اللَّهَ - مَفْعُولٌ بِهِ لِيُخَادِعُونَ.

والَّذِينَ ـ الوَاوُ حَرْفُ عَطْفٍ والَّذِينَ اسْمٌ مَوْصُولٌ في محلِّ نصبٍ مَعْطُوفٌ عَلَى (اللَّه).

آمَنُوا ـ فِعْلٌ ماضٍ وَفَاعِلُهُ الوَاوُ والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ لاَ مَحَلَّ لَهَا صِلَةُ المَوْصُولِ.

وَمَا يَخْدَعُونَ ـ الوَاوُ وَاوُ الحَالِ وَمَا نَافِيَةٌ
يَخْدَعُونَ ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ وَعَلاَمَةُ رَفْعِهِ ثُبُوتُ النُّونِ والوَاوُ فَاعِلُهُ

إلاَّ ـ أداةُ حَصْرٍ
أنفُسَهُمْ ـ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ. والهَاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالإِضَافَةِ.

وَمَا يَشْعُرُونَ ـ الوَاوُ عَاطِفَةٌ، وَمَا نَافِيَةٌ
يَشْعُرُونَ ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. والجُمْلَةُ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ (وَمَا يَخْدَعُونَ).

(يَا أيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الآية ٢١ من سورة البقرة)

يا ـ حَرْفُ نِدَاءٍ
أيُّ ـ مُنَادَى نَكِرَةٌ مَقْصُودَةٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ،
وها: للتنبيه
النَّاسُ ـ بَدَلٌ مِنْ أيُّ على اللَّفْظِ
اعْبُدُوا ـ فِعْلُ أمْرٍ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النُّونِ، لأنَّ مُضَارِعَهُ مِنَ الأفْعَالِ الخَمْسَةِ.

رَبَّكُمْ ـ مَفْعُول بِهِ. والكَافُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جرٍّ بالإضافةِ
الَّذِي ـ اسْمٌ مَوْصُولٌ نَعْتٌ لِرَبِّكُمْ
خَلَقَكُمْ ـ فِعْلٌ مَاضٍ والكَافُ مَفْعُولٌ بِهِ. والفَاعِلُ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.

والَّذِينَ ـ الوَاوُ حَرْفُ عَطْفٍ. والَّذِينَ اسْمٌ مَوْصُولٌ مَعْطُوفٌ عَلَى الكَافِ أي وخَلَقَ الَّذِينَ.

مِنْ قَبْلِكُمْ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بجملة الصلة المحذوفة.
لَعَلَّكُمْ ـ لَعَلَّ حَرْفُ تَرَجٍّ وَنَصْبٍ، والكَافُ اسْمُهُ.

تَتَّقُونَ ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. والوَاوُ فَاعِلٌ. والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ خَبَرُ لَعَلَّ. وَجُمْلَةُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لاَ مَحَلَّ لَها لأنها مِمَّا قَبْلَها مَوْقِعُ الجَزَاءِ مِنَ الشَّرْطِ. وَيَجُوزُ أنْ تُعْرَبَ حَالِيَّةً.

(وإنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ) (الآية ٢٣ من سورة البقرة)

وإنْ ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ وإنْ شَرْطِيَّةٌ تَجْزِمُ فِعْلَيْنِ.
كُنْتُمْ ـ فِعْلٌ ماضٍ ناقِصٌ والتَّاءُ اسْمُهَا. والفِعْلُ النَّاقِصُ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ.

فِي رَيْبٍ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرِ كُنْتُمْ.
مِمَّا ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ. (مِنْ مَا) مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ صِفَةٍ لِرَيْبٍ. وَمَا اسْمٌ مَوْصُولٌ.

نَزَّلْنَا ـ فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ على السُّكُونِ. (نا) ضَمِيرٌ فِي مَحَلِّ رَفْعِ فاعِلٍ. والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ لاَ مَحَلَّ لَهَا صِلَةُ المَوْصُول. والعَائِدُ مَحْذُوفٌ أي نَزَّلْنَاهُ.

عَلَى عَبْدِنَا ـ جارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِنَزَّلْنَا،
فَأْتُوا ـ الفَاءُ رَابِطَةٌ لِجَوابِ الشَّرْطِ لأنَّ جُمْلَةَ الجوابِ طَلَبِيَّةٌ
وأتُوا ـ فِعْلُ أمْرٍ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النُّونِ والوَاوُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ رَفْعِ فَاعِلٍ. والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَزْم جَوَابُ الشَّرْطِ.

بِسُورَةٍ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بـ (أتوا).
مِنْ مِثْلِهِ ـ جارٌّ ومجرورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ صِفَةٍ لـ (سُورَةٍ). والهاء: ضمير مضاف إليه.
وادْعُوا ـ الوَاوُ عَاطِفَةٌ وادْعُوا مَعْطُوفٌ عَلَى (فَأْتُوا). والوَاوُ فَاعِلٌ.

شُهَدَاءَكُمْ ـ مَفْعُولٌ بِهِ لـ (ادْعُوا). والكَافُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالإضافةِ.
إنْ كُنْتُمْ ـ إنْ شَرْطِيَّةٌ، وكُنْتُمْ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ والتَّاءُ اسْمُهُ.

صَادِقِينَ ـ خَبَرُهُ. وَجَوابُ الشَّرْطِ محذوفٌ تقديرُهُ: فافْعَلُوا ذَلِكَ.

(فإنْ لَمْ تَفعَلُوا وَلَنْ تَفعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ التَّي وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (الآية ٢٤ من سورة البقرة).

فإنْ ـ الفَاءُ اسْتِئْنافِيَّةٌ وإنْ شَرْطِيَّةٌ

لَمْ ـ حَرْفُ جَزْم

تَفْعَلُوا ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ بِلَمْ وَعَلامة جَزْمِهِ حَذْفُ النُّونِ والوَاوُ فَاعِلُهُ

وَلَنْ تَفْعَلُوا ـ الوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةٌ، وَلَنْ حَرْفُ نَفْيٍ وَنَصْب

تَفْعَلُوا ـ فِعْلٌ مُضارعٌ مَنْصُوبٌ بِلَنْ، وعَلامَةُ نَصْبِه حَذْفُ النُّونِ،والجُمْلَةُ لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإعْرابِ لأنَّها مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الشَّرْطِ وَجَوابِهِ.

فَاتَّقُوا ـ الفَاءُ رابِطَةٌ لِجَوابِ الشَّرْطِ

واتَّقُوا فِعْلُ أَمْرٍ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النُّونِ، والوَاوُ فَاعِلٌ

النَّارَ ـ مَفْعُولٌ به

الَّتي ـ اسْمٌ مَوْصُولٌ في مَحَلِّ نَصْبٍ صِفَةٌ لِلنَّارِ

وَقُودُهَا ـ مُبْتَدأٌ مَرْفُوعٌ. و (ها): ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالإضافَةِ

النَّاسُ ـ خَبَرٌ مَرْفُوعٌ

والحِجَارَةُ ـ الواوُ عاطِفَةٌ والحِجارَةُ اسمٌ معطوفٌ عَلَى (النَّاسُ) والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ لَا مَحَلَّ لَهَا صِلَةُ المَوْصُولِ

أُعِدَّتْ ـ فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ. ونائِبُ الفَاعِلِ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ جَوَازاً تَقْدِيرُهُ (هِيَ)

لِلْكافِرِينَ ـ اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ والكَافِرِينَ اسْمٌ مَجْرُورٌ باللَّامِ. والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِأُعِدَّتْ

والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ حَالٌ لازِمَةٌ مِنَ النَّارِ.

﴿وإذْ قالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾ (الآية ٣٠ من سورة البقرة)

الواو اسْتِئْنافِيَّةٌ

إذْ ـ ظَرْفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَنْ فِي مَحَلِّ نَصْب مَفْعُولٌ فيهِ متعَلِّقٌ بفعلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ اذْكُرْ. وَهَذَا هُوَ الإعْرَابُ الغَالِبُ عَلَى (إذْ) المَذْكُورَة فِي أوائِل السُّورِ والآياتِ.

قَالَ ـ فِعْلٌ ماضٍ. والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ فِي مَحلِّ جَرٍّ بإضَافَةِ الظَّرْفِ إلَيْهَا

رَبُّكَ ـ فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ، والكاف: مضافٌ إليهِ.

للمَلائِكَةِ ـ اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ والمَلائِكَةِ اسْمٌ مَجْرورٌ باللَّامِ والجَارُّ والمَجْرورُ مُتَعَلِّقَانِ بِقَالَ

إنِّي ـ إنَّ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بالفِعْلِ والياءُ اسمُهُ

جَاعِلٌ ـ خَبَرُهُ مَرْفُوعٌ

فِي الأَرْضِ ـ فِي حَرْفُ جَرٍّ، والأَرْضِ اسْم مَجْرورٌ بِفِي، وَعَلامَةُ جَرِّهِ الكَسْرَةُ وَجُمْلَةُ(إنِّيجَاعِلٌ) فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ.

خَلِيفَةً ـ مَفْعُولٌ بِهِ لـ (جَاعِلٌ) لأنَّهُ اسْمُ فَاعِلٍ.

﴿قَالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أنْتَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ (الآية ٣٢ من سورة البقرة)

قَالُوا ـ فِعْلٌ ماضٍ وَفاعِلٌ (فَاعِلُه الوَاوُ)

سُبْحانَكَ ـ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ. وَهُوَ مَصْدَرٌ لَا يَكادُ يُسْتَعْمَلُ إلَّا مُضافاً،مَنْصُوبٌ باضْمَارِ فِعْلِهِ كَمَعاذَ اللَّهِ.

لَا ـ نَافِيَةٌ لِلجِنْسِ مِنْ أخَواتِ (إنَّ) المُشَبَّهَة بالفِعْلِ

عِلْمَ ـ اسْمُ لَا النَّافِيَةِ لِلجِنْسِ مَبْنِيٌّ على الفَتْحِ

لنا ـ اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ. وَنَا ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ الجَرِّ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبرِ (لا)

إلَّا ـ أداةُ حَصْرٍ

مَا ـ مَصْدَرِيَّةٌ ـ أو اسْمٌ مَوْصُولٌ. وَهِيَ مَعَ مَدْخُولِهَا أو هِيَ وَحْدَهَا في مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى البَدَلِيَّةِ مِنْ مَحَلِّ لا واسْمِها نَحْوَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ

عَلَّمْتَنَا ـ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعولٌ بِهِ.والجُمْلَةُ لا مَحَلَّ لَهَا صِلَةُ المَوْصُولِ.

إنَّكَ ـ إنَّ واسْمُهَا

أنْتَ ـ ضَمِيرُ فَصْلٍ أو عِمَادٍ لا مَحَلَّ لَـهُ.

العَليمُ ـ خَبَرُ إنَّ الأولُ
الحَكيمُ ـ خَبَرُ إنَّ الثاني
ويَجُوزُ أنْ تُعْرَبَ (أنْتَ) مُبْتَدأ خَبَرَاهُ العَلِيمُ الحَكِيمُ والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرُ (إن)

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الآية ٧٤ من سورة البقرة)

وَمَا ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ وَمَا نَافِيَةٌ حِجازِيَّةٌ تَعْمَلُ عَمَلَ لَيْسَ
اللَّهُ ـ اسْمُ (ما) المرفُوعُ
بِغَافِلٍ ـ البَاءُ حَرْفُ جَرٍّ زائِدٌ. غَافِلٍ مَجْرُورٌ لَفْظاً مَنْصُوبٌ مَحَلًّا على أنَّهُ خَبَرُ (ما).
عَمَّا = عَنْ + ما:
عن: حرف جر. وما: اسم موصول في محلّ جر بعن. والجارُّ والمجرور متعلقان بـ (غَافِل).
تَعْمَلُونَ ـ فِعْلٌ وفاعِلٌ والجُمْلَةُ لا مَحَلَّ لها لأنَّها صِلَةُ المَوْصُولِ.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (البقرة الآية ٩٠)

بِئْسَما ـ بِئْسَ فِعْلٌ ماضٍ جامِدٌ لإنْشاءِ الذَّمِّ. وَما نَكِرَةٌ تَامَّةٌ بِمَعْنَى شيء في مَحَلِّ نَصْبٍ على التَّمييزِ وَهِيَ مُفَسِّرَةٌ لِفاعِلِ بِئْسَ بِمَعْنَى بِئْسَ شَيْئاً.
اشْتَرَوْا ـ فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ. والجُمْلَةُ صِفَةٌ لـ (مَا)
بِهِ ـ جارٌّ ومَجْرورٌ مُتَعلِّقَانِ باشْتَرَوْا
أَنْفُسَهُمْ: مفعول به والهاء: مضاف إليه.
أنْ يَكْفُرُوا ـ أن وَمَا فِي حَيِّزها فِي تأويلِ مَصْدَرٍ مُبْتَدأ لأنَّه مَخْصُوصٌ بِالذَّمِّ. وَجُمْلَةُ بِئْسَ هِيَ الخَبَرُ المُقدَّمُ.
بِمَا ـ البَاءُ حَرْفُ جَرٍّ. ومَا اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالبَاءِ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقَانِ بِيَكْفُرُوا.
أنْزَلَ اللَّهُ ـ فِعْلٌ ماضٍ وفَاعِلٌ. والجُمْلَةُ صِلَةُ المَوْصُولِ.
بَغْياً ـ مَفْعولٌ لأجلِهِ، وَهُوَ عِلَّةُ اشْتَرَوا، أوْ عِلَّةُ يَكْفُرُوا.
أنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ ـ أنْ حَرفٌ ناصِبٌ، يُنَزِّلَ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ وَأنْ وَمَا بَعْدَها فِي تَأوِيلِ مَصْدَرٍ مَنْصُوبٍ بِنَزْعِ الخَافِضِ
أي بَغَوْا لإنْزَالِ اللَّهِ.
مِنْ فَضْلِهِ ـ جارٌّ وَمَجْرورٌ مُتَعلِّقَانِ بـ (يُنَزِّلَ) أيْضاً.
عَلَى مَنْ يَشاءُ ـ جارٌّ ومَجْرورٌ مُتَعلِّقَانِ بـ(يُنَزِّلَ). وَيَشاءُ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَرْفُوعٌ. وفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى (مَنْ)
مِنْ عِبادِهِ ـ جارٌّ وَمَجْرورٌ مُتَعلِّقَانِ بِمَحذُوفِ حالٍ مُبَيِّنَةٍ لِمَن يَشاءُ
فَباؤُوا ـ الفاءُ عاطِفَةٌ، وباؤُوا فِعْلٌ ماضٍ وفاعِلٌ
بِغَضَبٍ ـ جارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ بـ (باؤوا).
على غَضَبٍ ـ جارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ صِفَةٍ لِغَضَبٍ أو مُتَرادِفٍ
وللكافرين ـ الوَاوُ اسْتِئنافِيَّةٌ. لِلْكَافِرِينَ جارٌّ وَمَجْرورٌ مُتَعلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرٍ مُقَدَّمٍ
عَذابٌ ـ مُبْتَدأ مُؤَخَّرٌ
مُهِينٌ ـ صِفَةٌ للعَذابِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ١٠٤ من سورة البقرة)

وَلَوْ ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ أو عَاطِفَةٌ. لَوْ شَرْطِيَّةٌ غَيْرُ جَازِمَةٍ.
أنَّهُمْ ـ حرفٌ مُشبَّهٌ بالفعل، واسمُهُ.
آمَنُوا ـ فِعْلٌ ماضٍ وفاعِلٌ (الواوُ فَاعِلٌ). والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ خَبَرُ أنَّ.
وأنَّ واسْمُها وَخَبرُها فِي تَأوِيلِ مَصْدرٍ مُبْتَدأ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ أي لو إيمانُهُم ثابِتٌ. وَقِيلَ في مَحَلِّ رَفْعٍ فاعِلٌ لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ لَوْ ثَبَتَ إيمانُهُمْ.
واتَّقَوْا ـ الوَاوُ حَرْفُ عَطْفٍ. واتَّقَوْا مَعْطُوفٌ عَلَى آمَنُوا.
لَمَثُوبَةٌ ـ اللاَّمُ للابْتِداءِ، وقِيلَ إنَّها وَاقِعَةٌ في جَوابِ لَوْ للدَّلالَةِ على الثُّبوتِ. وَمَثُوبَةٌ مُبْتَدأ، مَرْفُوعٌ. وساغَ الابْتِداءُ بالنَّكِرَةِ لأنَّها وُصِفَتْ.
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ـ مِنْ حَرْفُ جَرٍّ، وَعِنْدِ ظَرْفٌ مَجْرُورٌ بِمِنْ والجَارُّ والمَجْرُورُ صِفَةٌ لـ (مَثُوبَةٌ) واللَّهِ مُضَافٌ إلَيْهِ.
خَيْرٌ ـ خَبَرُ مَثُوبَةٌ مَرْفُوعٌ.
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ـ لَوْ حَرْفُ شَرْطٍ، كَانُوا فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ

والواوُ اسمُهُ، يَعْلَمُونَ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَرْفوعٌ بِثُبُوتِ النُّونِ. وَجوابُ لَوْ مَحْذوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ ما قَبْلَهُ (أي لأثيبوا).

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ (الآية ١٠٨ من سورة البقرة)

أَمْ - عاطِفَةٌ مُنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى (بَلْ).
تُريدُونَ - فِعْلٌ مُضارِعٌ مَرْفوعٌ بِثُبُوتِ النُّونِ والوَاوُ فاعِلٌ.
أن تَسْأَلُوا - أن حَرفُ نَصْبٍ، تَسأَلُوا فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصوبٌ بِأَنْ وعلامَةُ نَصْبِهِ حَذْفُ النُّونِ مِنْ آخِرِه.
وأَنْ وَمَا فِي حَيِّزِها فِي تَأويلِ مَصْدرٍ مَفْعُولُ تُرِيدُونَ.
رَسُولَكُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ لِتَسْأَلُوا.
كَمَا سُئِلَ مُوسَى - الكافُ حَرْفُ جَرٍّ، وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ مُؤوَّلَةٌ وَمَا بَعْدَهَا بِمَصْدرٍ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ أَوْ حَالٌ.
سُئِلَ - فِعْلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمَجْهولِ. وَمُوسَى نائِبُ فاعِلٍ لِسُئِلَ.
مِنْ قَبْلُ - مِنْ حَرْفُ جَرٍّ، وَقَبْلُ ظَرْفٌ مَقْطُوعٌ مَبنيٌّ في مَحلِّ جَرٍّ. والجارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقانَ بِسُئِلَ.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الآية ١١٢ من سورة البقرة)

بَلَى - حَرْفُ جوابٍ لإثْباتِ ما نَفوهُ مِنْ دُخولِ غَيْرِهِمُ الجَنَّةَ.
مَنْ - اسْمُ شَرْطٍ جازِمٌ مُبْتَدأٌ.
أَسْلَمَ - فِعْلُ الشَّرْطِ - فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ فِي مَحلِّ جَزْمٍ.
وَجْهَهُ - مَفْعُولٌ به.
لِلَّهِ - اللاَّمُ حَرْفُ جَرٍّ واللَّهِ اسْمٌ مَجْرُورٌ باللاَّمِ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقانِ بأَسْلَمَ.
وَهُوَ - الواوُ واوُ الحالِ. وَ (هُو) مُبْتَدأٌ ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحلِّ رَفْعٍ.
مُحْسِنٌ - خَبَرُهُ.
والجُمْلَةُ فِي مَحلِّ نَصْبٍ عَلَى الحَالِ.
فَلَهُ - الفَاءُ رَابِطَةٌ. واللاَّمُ حَرْفُ جَرٍّ والهَاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحلِّ جَرٍّ. والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقانِ بِخَبَرٍ مُقَدَّمٍ.
أَجرُهُ - مُبْتَدأٌ مُؤَخَّرٌ.
والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ فِي مَحلِّ جَزْمٍ جوابُ الشَّرْطِ.
عِنْدَ رَبِّهِ - عِنْدَ ظَرْفُ مَكانٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفِ حَالٍ، وَرَبِّهِ مُضَافٌ إِلَيْهِ، والهَاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إِلَيْهِ.
وَلاَ - الواوُ عَاطِفَةٌ وَلا نافِيَةٌ.
خَوْفٌ - مُبْتَدأٌ. وَقَدْ سَاغَ الابْتِداءُ بِهِ لِتَقَدُّمِ النَّفْيِ عَلَيْهِ.
عَلَيْهِمْ - عَلَى حَرْفُ جَرٍّ وَهُمْ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحلِّ جَرٍّ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقانِ بِخَبَرِ (خَوْفٌ).
وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ - جُمْلَةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَها (لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ (الآية ١١٤ من سورة البقرة)

وَمَنْ - الوَاوُ اسْتِئْنافِيَّةٌ. وَمَنْ اسْمُ اسْتِفْهامٍ فِي مَحلِّ رَفْعٍ مُبْتدأٌ وَمَعْناهُ النَّفيُ.
أَظْلَمُ - خَبَرُ مَنْ مَرْفُوعٌ.
مِمَّنْ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقانِ بـ (أَظْلَمُ).
مَنَعَ - فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ. وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى (مَنْ).
مَسَاجِدَ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ.
اللَّهِ - مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ.
والجُمْلَةُ لا مَحَلَّ لَها لأَنَّها صِلَةُ المَوْصُولِ.
أنْ يُذْكَرَ - أنْ حَرْفٌ نَاصِبٌ وَيُذْكَرَ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بأنْ وَعَلامَةُ نَصْبِهِ الفَتْحَةُ فِي آخِرِه.
وأنْ وما فِي حَيِّزِهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ مَفْعُولٌ ثانٍ، لَمَنَعَ وَيُمْكِنُ إِعْرابُ المَصْدَرِ مَفْعُولاً لأَجْلِهِ أي كَرَاهَةَ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ.

﴿وقالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَولاَ يُكَلِّمُنا اللَّهُ أوْ تَأْتِينا آيَةٌ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الآية ١١٨ من سورة البقرة).

وَقالَ ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ. وقَالَ فِعْلٌ مَاضٍ.
الَّذِينَ ـ فاعِلُ قالَ وهِيَ اسْمٌ مَوْصُولٌ.
وجُمْلَةُ لاَ يَعْلَمُونَ صِلَةُ المَوْصُولِ.
لَوْلاَ ـ حَرْفُ تَحْضِيضٍ بِمَعْنَى هَلاَّ.
يُكَلِّمُنا ـ فِعلٌ مُضارِعٌ مَرْفوعٌ، و (نا): ضميرٌ مفعولٌ به.
اللَّهُ ـ فَاعِلُ يُكَلِّمنا مَرْفوعٌ.
أوْ ـ حَرْفُ عَطْفٍ.
تَأْتِينا ـ فِعْلٌ مُضارِعٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ مَعْطُوفَانِ على يُكَلِّمُنا.
آيَةٌ ـ فَاعِلُ تَأْتِينا مَرْفُوعٌ.
كَذٰلِكَ ـ الكَافُ حَرْفُ جَرٍّ، وَذٰلِكَ اسْمُ إشارَةٍ مَجْرُورٌ بالكَافِ.
قَالَ ـ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ على الفَتْحِ.
الَّذِينَ ـ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ.
مِنْ قَبْلِهِمْ ـ مِنْ حَرْفُ جَرٍّ وَقَبْلِ ظَرْفُ زَمَانٍ مَجْرُورٌ وَهمْ مُضَافٌ إلَيْهِ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقَانِ بِصِلَةِ المَوْصُولِ المحذوفةِ.

﴿أم كُنْتُمْ شُهداءَ إذْ حَضرَ يَعْقُوبَ المَوتُ﴾ (الآية ١٣٣ من سورة البقرة)

أمْ ـ يَجُوزُ فِيهَا ثَلاثَةُ وُجُوه للإعْرابِ:
ـ أنْ تَكُونَ مُتَصِلَةً عَاطِفَةً عَلى مَحذوفٍ مُقَدَّرٍ، وَكَأنَّه قِيلَ: أتَدَّعُونَ عَلَى الأنْبِيَاءِ باليَهُودِيَّةِ، أمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ وَحضُوراً؟
ـ وَيَجوزُ أنْ تَكونَ مُنْقَطِعَةً بِمَعْنى: لَمْ تَكونُوا حَاضِرِينَ عِنْدَمَا حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ.
ـ وَيَجوزُ أنْ تَكُونَ لِمُجَرَّدِ الاسْتِفْهَامِ بِمَعْنَى الهَمْزَةِ.
كُنْتُمْ ـ فعلٌ ماضٍ ناقِصٌ واسمُهُ.
شهداءَ ـ خَبَرُ كَانَ مَنْصُوبٌ.
إذْ ـ ظَرْفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ مُتَعَلِّقٌ بِشُهداء.
حضَرَ ـ فِعْلٌ ماضٍ. والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بإضَافَةِ الظَّرْفِ إلَيْها.
يَعْقُوبَ ـ مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ مَنْصُوبٌ بالفَتْحَةِ.
المَوْتُ ـ فَاعِلٌ مُؤَخَّرٌ مَرْفُوعٌ بالضَّمَّةِ.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (الآية ١٣٨ من سورة البقرة)

صِبْغَةَ ـ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ، مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ.
اللَّهِ ـ مُضافٌ إلَيْهِ.
وَمَنْ ـ الوَاوُ عاطِفَةٌ. مَنْ اسْمُ اسْتِفْهَامٍ. وَقَدْ خَرجَ الاسْتِفْهَامُ هُنَا إلى مَعْنَى اليَقِينِ، فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدأ.
أحْسَنُ ـ خَبَرُ مَنْ مَرْفُوعٌ.
مِن اللَّهِ: جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقَان بأحْسَنَ.
صِبْغَةً ـ تَمييزٌ مَنْصُوبٌ.
وَنَحْنُ ـ واوُ الحَالِ نَحْنُ ضميرٌ مُنْفَصِلٌ مُبْتَدأٌ.
لَهُ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ (بِعَابِدون) الخَبَر.
عَابِدُونَ ـ خَبَرُ نَحْنُ مَرْفُوعٌ بالواو.
والجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.

﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الآية ١٤٣ من سورة البقرة).

وَكَذٰلِكَ ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ. والكَافُ حَرْفُ جَرٍّ. ذٰلِكَ اسْمُ إشَارَةٍ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالكَافِ. والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ صِفَةٍ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أيْ مِثْلُ ذٰلِكَ الجَعْلِ جَعَلْنَاكُمْ.
جَعَلْنَاكُمْ ـ فِعْلٌ وَفاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ أوَّلُ.
أمَّةً ـ مَفْعُولٌ ثانٍ لَجَعَلْنَا.
وَسَطاً ـ صِفَةٌ لـ (أمَّةً) مَنْصوبٌ.

﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ﴾ (الآية ١٤٤ من سورة البقرة).

قَدْ ـ هَنا للتَّكْثير بِقَرينَةِ ذِكْرِ التَّقلُّبِ.
نَرَى ـ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَرْفُوعٌ بالضَّمَّةِ المُقَدَّرَةِ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ نَحْنُ.

تَقلُّبَ ـ مَفْعُولٌ بِهِ.
وَجْهِكَ ـ مُضَافٌ إِلَيْهِ. والكَافُ مُضَافٌ إِلَيْه.
فِي السَّمَاءِ ـ جَارٌ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَقَلُّبَ لأنه مَصْدَرٌ.

﴿ومِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَام﴾ (الآية ١٤٩ من سورة البقرة).

وَمِنْ ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ وَمِنْ حَرْفُ جَرٍّ.
حَيْثُ ـ ظَرْفُ مَكَانٍ تَحْمِلُ مَعْنَى الشَّرْطِ (وَحَيْثُ لا تُضَافُ إلَّا إلى الجُمْلَةِ).
خَرَجْتَ ـ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ. والجملة: في محلِّ جرٍّ بالإضافة إلى الظرفِ حيثُ.
فَوَلِّ ـ الفَاءُ رَابِطَةٌ. وَلِّ فِعْلُ أمْرٍ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ العِلَّةِ.
وَجْهَكَ ـ مَفْعُولٌ بِهِ لـ (وَلِّ) والكَافُ مُضَافٌ إِلَيْهِ.
شَطْرَ المَسْجِدِ ـ شَطْرَ ظَرْفُ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِوَلِّ. والمَسْجِدِ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ.
الحَرَامِ ـ صِفَةٌ لِلمَسْجِدِ مَجْرُورٌ.

﴿وإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الآية ١٦٣ من سورة البقرة)

وإِلَهُكُمْ ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ. وَمَا بَعْدَهَا جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ
إِلَهُكُمْ ـ مُبْتدأ والكَافُ مُضَافٌ إِلَيْه.
إِلَهٌ ـ خَبَرٌ مَرْفُوعٌ.
وَاحِدٌ ـ صِفَةٌ لإِلَـهٌ.
لا إِلَهَ ـ لَا نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ. إِلَهَ اسْمُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.
إلَّا ـ أَدَاةُ حَصْرٍ.
هُوَ ـ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّ لَا واسْمِهَا لأنَّ مَحَلَّهَا الرَّفْعُ على الابْتِداءِ. أوْ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ المُسْتَكِنِّ فِي الخَبَرِ المَحْذُوفِ.
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ـ خَبَرانِ لِمُبتدأ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هُوَ.

﴿لَيْسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ والمَلائكَةِ والكِتَابِ والنَّبِيِّينَ وآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينَ وابنَ السَّبِيلِ والسَّائلينَ وَفِي الرِّقَابِ وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزكَاةَ والمُوفُونَ بِعَهْدِهِم إذا عَاهَدُوا، والصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ (الآية ١٧٧ من سورة البقرة)

لَقَدْ كَانَ السِّيَاقُ يَقْتَضِي أنْ تَكُونَ (الصَّابِرِين) مَرْفُوعَةً عَلَى نَسَقِ مَا تَقَدَّمَهَا وَلَكِنَّهُ قَطَعَهُ عَنِ العَطْفِ وَنَصَبَهُ عَلَى المَدْحِ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (أَمْدَحُ الصَّابِرِينَ) إِشْعاراً بِفَضْلِ الصَّبْرِ، وَتَنْوِيهاً بِذَلِكَ الفَضْلِ.
لَيْسَ ـ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ وَمَعْنَاهَا نَفْيُ الحَالِ وَسَلْبُ المَعْنَى والأَصْلُ فِي الأفْعَالِ أنْ تُوضَعَ لإيجاب المَعْنَى وَلَيْسَ لِسَلْبِهِ، فَنَزَلَتْ لَيْسَ مَنْزِلَةَ الحَرْفِ فَجَمَدَتْ وَلَمْ تَتصرَّفْ. وَدَلِيلٌ عَلَى أنَّها فِعْلٌ اتَّصَلَتْ بِهَا الضَّمَائِرُ.
البِرَّ ـ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ لِلَيْسَ مَنْصُوبٌ.
أنْ تُوَلُّوا ـ أن حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ نَاصِبٌ. وَتُوَلُّوا فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بـأنْ، والمَصْدَرُ مِنْ أنْ وَمَا فِي حَيِّزِهَا اسْمُ لَيْسَ المُؤَخَّرُ.
وُجُوهَكُمْ ـ مَفْعُولٌ بِهِ.
قِبَلَ ـ ظَرْفُ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بـ (تُوَلُّوا).
المَشْرِقِ ـ مُضَافٌ إِلَيْهِ.
والمَغْرِبِ ـ الواوُ حرفُ عَطْفٍ، المَغْرِبِ: اسم معطوف على المَشْرِقِ.
وَلَكِنَّ ـ الوَاوُ حَرْفُ عطفٍ. لَكِنَّ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بالفِعْلِ.
البِرَّ ـ اسْمُهَا مَنْصُوبٌ.
مَنْ آمَنَ ـ مَنْ اسْمٌ مَوْصُولٌ، خَبَرُ لَكِن. وآمَنَ فِعْلٌ مَاضٍ.
باللَّهِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِآمَنَ.
واليَوْمِ ـ الوَاوُ عَاطِفَةٌ اليومِ: اسمٌ معطوفٌ عَلَى اللَّهِ.
الآخِرِ ـ صِفَةٌ لِلْيَوْمِ.
والمَلائِكَة والكِتَابِ والنَّبِيِّينَ ـ عَطْفٌ عَلَى اللَّهِ أيْضاً.
وآتَى ـ فِعْلٌ مَاضٍ مَعْطُوفٌ عَلَى آمَنَ، دَاخِلٌ فِي حَيِّزِ

الصِّلَةِ، وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.

المَالَ ـ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ.

عَلَى حُبِّهِ ـ جَارٌ وَمَجْرُورٌ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الحَالِ. والمَصْدَرُ مُضَافٌ إلى مَفْعولِهِ

ذَوِي القُرْبَى ـ مَفْعُولٌ آتَى، وَعَلامَةُ نَصْبِهِ الياءُ لأنَّهُ ملحقٌ بجمع المذكر السالم. والقُرْبَى مُضَافٌ إِلَيْهِ.

واليَتَامَى والمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ـ كُلُّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى (ذَوِي).

وَفِي الرِّقَابِ ـ الجَارُّ والمَجْرُورُ مَعْطُوفٌ ايضاً، بِمَعْنَى وآتَى المَالَ فِي فَكِّهَا مِنَ الأَسْرِ وإِعْتَاقِهَا.

وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ ـ عَطْفٌ عَلَى وآتَى المَالَ.

والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ ـ عَطْفٌ عَلَى مَنْ آمَنَ. وَيُمْكِنُ إِعْرَابُهُ خَبَراً لِمُبْتَدأ مَحْذُوفٍ لِبُعْدِهِ أيْ هُمُ المُوفُونَ.

بِعَهْدِهِمْ ـ الجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِالمُوفُونَ لأنه جَمْعٌ حَرْفِيٌّ وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَوْفَى.

إِذَا عَاهَدُوا ـ إِذَا ظَرْفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ مُتَعَلِّقٌ بِالمُوفُونَ.

عاهَدوا ـ فِعْلٌ وَفاعِلٌ. والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالإِضافَةِ لِوُقُوعِهَا بَعْدَ الظَّرْفِ.

والصَّابِرِينَ ـ كانَ سِيَاقُ الكَلامِ أن يَكُونَ مَنْسُوقاً عَلَى مَا تَقَدَّمَهُ وَلَكِنَّهُ قَطَعَهُ عَنِ العَطْفِ وَنَصَبَهُ عَلَى المَدْحِ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَمْدَحُ الصَّابِرِينَ إِشْعَاراً بِفَضْلِ الصَّبْرِ.

فِي البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ ـ فِي حَرْفُ جَرٍّ والبَأْسَاءِ اسْمٌ مَجْرُورٌ بِفِي، والضَّرَّاءِ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ، والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بالصَّابِرِينَ، وَهُمَا مَصْدَرانِ جَاءَا عَلَى فَعْلاء وَلَيْسَ لَهُمَا أَفْعَلُ أَوْ هُمَا اسْمانِ لِلمَصْدَرِ بِمَعْنَى البُؤْسِ والضُّرِّ. وَيَقَعانِ عَلَى المُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ مِثْلُ (أَشْأَم).

﴿يـا أَيُّها الَّـذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَـامُ... أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مَرِيضاً أو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (الآية ١٨٣ من سورة البقرة)

يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ـ تَقَدَّمَ إِعْرَابُها.

كُتِبَ ـ فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلمَجْهُولِ، مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ أيْ فُرِضَ.

عَلَيْكُمْ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِكُتِبَ.

الصِّيامُ ـ نائِبُ فَاعِلٍ لِكُتِبَ.

أَيَّاماً ـ ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بالصِّيَامِ فِي الظَّاهِرِ فِيهِ فَصْلٌ بَيْنَ المَصْدَرِ وَصِلَتِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مَنَعَهُ النُّحَاةُ لِذَلِكَ يُرَجَّحُ نَصْبُهُ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ والتَّقْدِيرُ (صُومُوا أَيَّاماً).

مَعْدُوداتٍ ـ صِفَةٌ للأَيَّامِ مَنْصُوبٌ بالكَسْرَةِ لأنه جَمْعُ مُؤَنَّثٍ سَالِمٌ.

فَمَنْ ـ الفاء الفَصِيحَةُ. وَمَنْ اسْمُ شَرْطٍ جَازِمٌ مُبْتَدأ.

كانَ ـ فِعْلٌ ماضٍ نَاقِصٌ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ. واسْمُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.

مِنْكُمْ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ.

مَرِيضاً ـ خَبَرُ كَانَ.

أَوْ عَلَى سَفَرٍ ـ أَوْ حَرْفُ عَطْفٍ، عَلَى سَفَرٍ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذوفٍ مَعْطُوفٍ عَلَى (مَرِيضاً).

فَعِدَّةٌ ـ الفاءُ رابطَةٌ لجوابِ الشَّرْطِ. وَعِدَّةٌ مُبْتَدأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ أيْ فَعَلَيْهِ عِدَّةٌ. او خَبَرٌ لِمُبْتَدأ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ فالحُكم عِدَّةٌ. والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ المُقْتَرِنَةُ بالفَاءِ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ جوابُ الشرط.

مِنْ أَيَّامٍ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ بِمَحْذوفٍ صِفةٍ لـ (عِدَّةٌ).

أُخَرَ ـ صِفَةٌ لأَيَّامٍ مَجْرُورٌ وَعَلامَةُ جَرِّهِ الفَتْحَةُ لأنه مَمْنُوعٌ من الصَّرْفِ.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الآية ٢٢٤ من سورة البقرة).

ولَا ـ الوَاوُ اسْتِئْنافِيَّةٌ. ولَا ناهِيَةٌ جازِمَةٌ.
تَجْعَلُوا ـ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَجْزُومٌ بـ (لا)
اللَّهَ ـ مَفْعُولٌ بِهِ.
عُرْضَةً: مفعول به ثانٍ منصوب.
لأَيْمانِكُمْ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ بعُرْضَةً.
أنْ تَبَرُّوا ـ أنْ حَرْفُ نَصْبٍ. تَبَرُّوا فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بأنْ وأن وَمَا فِي حَيِّزِها مَصْدَرٌ مُؤَوَّلٌ مَفْعُولٌ لأجْلِهِ أو بَدَلٌ.
وَتَتَّقوا وتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ـ عَطْفٌ عَلَى (أنْ تَبَرُّوا).

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (الآية ٢٣٥ من سورة البقرة)

وَلَا ـ الوَاوُ حَرْفُ عَطْفٍ. وَ(لا) ناهِيَةٌ جازمة.
تَعْزِمُوا ـ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَجْزُومٌ بِلَا النَّاهِيَةِ.
عُقْدَةَ النِّكَاحِ ـ عُقْدَةَ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الخَافِضِ أيْ (عَلَى عُقْدَةِ النِّكاحِ)، فَلَمَّا حُذِفَ حَرْفُ الجَرِّ نُصِبَ مَا بَعْدَهُ، كَمَا تَقُولُ ضُرِبَ زَيْدٌ الظَّهْرَ والبَطْنَ أيْ عَلَى الظَّهْرِ والبَطْنِ. والنِّكاحِ مُضافٌ إلَيْه.
حَتَّى يَبْلُغَ ـ حَتَّى حَرْفُ غَايَةٍ وَجَرٍّ، وَيَبْلُغَ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بِأنْ مُضْمَرَةٍ بَعْدَ حَتَّى.
الكِتَابُ ـ فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ.
أَجَلَهُ ـ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ (الآية ٢٤٥ من سورة البقرة)

مَنْ ذَا الَّذِي ـ مَنْ اسْتِفْهَامِيَّةٌ، مُبْتَدأ. وَذَا اسْمُ إشارَةٍ خَبَرٌ. والَّذِي بَدَلٌ مِنْ اسْمِ الإشارَةِ أو نَعْتٌ لَهُ.

يُقْرِضُ اللَّهَ ـ يُقْرِضُ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَرْفُوعٌ. والفَاعِلُ يَعُودُ عَلَى الَّذِي. واللَّهَ مَفْعُولٌ بِهِ. والجُمْلَةُ لا مَحَلَّ لها لأنَّها صِلَةُ المَوْصُولِ.

قَرْضاً حَسَناً ـ قَرْضاً مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ. وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الشَّيءِ المُقْرَضِ فَيَكُونَ مَفْعُولاً بِهِ ثَانِياً وَحَسَناً صِفَةٌ لـ (قرضاً).
فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ـ الفَاءُ فَاءُ السَّبَبِيَّةِ، وَيُضاعِفَهُ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بأنْ مُضْمَرَةٍ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ الوَاقِعَةِ فِي جَوابِ الاسْتِفْهَامِ. (لَهُ) جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ بِيُضاعِفَهُ.
أَضْعافاً ـ حَالٌ مُبَيِّنَةٌ مِنَ الهَاءِ.
وإذا اعْتَبَرْنَاهُ اسْمَ مَصْدَرٍ فَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ مَفْعولاً مُطْلقاً.
كَثِيرَةً ـ صِفَةٌ لـ (أضْعافاً).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الآية ٢٥٤ من سورة البقرة).

يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ـ (يا) حَرْفُ نِداءٍ، أيُّ نَكِرَةٌ مَقْصُودَةٌ مَبْنِيَّةٌ على الضَّمِّ و(ها) للتَّنْبِيه. الَّذِينَ بَدَلٌ مِنْ أيُّها. آمَنُوا فِعْلٌ وَفاعِلٌ. وَجُمْلَةُ آمَنُوا صِلَةٌ.
أنْفِقوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ ـ فِعْلُ أمْرٍ. والوَاوُ فاعِلٌ. ومِمَّا جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ بأنْفِقوا. وَرَزَقْناكُمْ فِعْلٌ وَفاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ. والجُمْلَةُ لا مَحَلَّ لها صِلَةُ (مَا). والجُمْلَةُ كُلها اسْتِئْنافِيَّةٌ.
مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ ـ مِنْ حَرْف جَرٍّ، قَبْلِ ظَرْفُ زَمانٍ مَجْرُورٌ بِمَنْ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقَانِ بأنْفِقُوا أيضاً.
أنْ ـ مِنَ الحُروفِ النَّواصِبِ. يَأتِيَ، فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بأنْ. وَيَوْمٌ فَاعِلُ يَأتِيَ. وأنْ وَمَا بَعْدَها في تَأويلِ مَصْدَرٍ في مَحَلِّ جَرٍّ بالإضَافَةِ، أيْ مِنْ قَبْلِ إتْيانِ.
لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ـ لَا نَافِيَةٌ لِلجِنْسِ، أُهْمِلَتْ لِتَكَرُّرِها.
وَبَيْعٌ مُبْتَدأ، وَسَاغَ الابْتِداءُ بِهِ لِتَقَدُّمِ النَّفْيِ عَلَيْهِ. وَفِيهِ جارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرِهِ. وَلَا خُلَّةٌ عَطْفٌ عَلَى لَا بَيْعٌ. وَلَا شَفَاعَةٌ عَطْفٌ عَلَيْهِ أيْضاً.
والكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ـ الوَاوُ اسْتِئْنافِيَةٌ. والكافِرُون مُبْتَدأٌ. وَهُمْ مُبْتَدأٌ ثانٍ، والظَّالِمُون خَبَرٌ.

والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ خَبَرُ (الكافِرون). أو تَكُونُ هُمْ ضَمِيرُ فَصْلٍ أو عِمادٍ، والظَّالِمُونَ خَبَرُ الكَافِرُونَ.

﴿لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا، واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الآية ٢٥٦ البقرة).

لَا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ ـ لَا نَافِيَةٌ للجِنْسِ. وإِكْرَاهَ اسْمُهَا المَبْنِيُّ عَلَى الفَتْحِ. فِي الدِّينِ جَارٌّ ومَجْرورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرِها.

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ـ الجُمْلَةُ تَعْلِيلِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا. قَدْ ـ حَرْفُ تَحْقِيقٍ. وَتَبَيَّنَ فِعْلٌ ماضٍ، والرُّشْدُ فَاعِلُهُ، وَمِنَ الغَيِّ. جَارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَبَيَّنَ.

فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ـ الفَاءُ الفَصِيحَةُ، وَمَنْ اسْمُ شَرْطٍ جَازِمٌ مُبْتَدأ، وَيَكْفُرْ فِعْلُ الشَّرْطِ مَجْزومٌ.

وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى (مَنْ).

بالطَّاغُوتِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيَكْفُرْ.

وَيُؤْمِنْ باللَّهِ ـ الوَاوُ عَاطِفَةٌ، وَيُؤْمِنْ مَعْطُوفٌ عَلَى يَكْفُرْ. وباللَّهِ جَارٌّ وَمَجْرورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيُؤْمِنْ.

فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى ـ فَقَد ـ الفَاءُ رَابِطَةٌ لِجَوابِ الشَّرْطِ لأنَّهُ مُقْتَرِنٌ بِقَدْ. واسْتَمْسَكَ فِعْلٌ ماضٍ وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى (مَنْ). بالعُرْوَةِ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ باسْتَمْسَكَ. والوُثْقَى صِفَةٌ لِلعُرْوَةِ. وَفِعْلُ الشَّرْطِ وَجَوابُهُ خَبَرُ (مَنْ).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ ﴿نَزَّلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ،وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإنجيلَ من قبلُ هدًى للنَّاسِ﴾ (الآيتان ٢ و٣ من سورة آل عمران).

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ـ اللَّهُ مُبْتَدأٌ، وَلَا نَافِيَةٌ لِلجِنْسِ. وإِلَهَ اسْمُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.

إلا ـ أداةُ حَصْر. وَهُوَ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّ (لَا عَلَى الصَّحِيح، أوْ مِنَ الخَبَرِ المَحْذُوفِ أي لَا إِلَهَ مَوْجودٌ إِلَّا هُوَ. والجُمْلَةُ خَبَرُ (اللَّهُ).

الحَيُّ القَيُّومُ ـ خَبَرَانِ ثانٍ وثالث لـ (اللَّهُ). أوْخَبَرٌ لِمُبْتَدأ مَحْذُوفٍ أي (هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ)

نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بالحَقِّ ـ نَزَّلَ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ. وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى (اللَّهُ).

عَلَيْكَ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِنَزَّلَ. الكِتَابَ ـ مَفْعُولٌ بِهِ.

بـالحَقِّ ـ جَارٌّ وَمَجْـرُورٌ مُتَعَلِّقَـانِ بِمَحْـذُوفِ حَـالٍ مِن (الكِتَاب) أيْ مُتَلَبِّساً بِالحَقِّ.

مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ـ مُصَدِّقاً حَالٌ مُؤَكِّد. (لِمَا) اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ، وَمَا اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ الجَرِّ باللَّامِ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بـ (مُصَدِّقاً). وَبَيْنَ ظَـرْفُ مَكانٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفِ صِلَةِ المَوْصُولِ. وَيَدَيْهِ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ بالياءِ لأنَّه مُثَنًّى. والهَاءُ مُضَافٌ إِلَيْهِ.

وأَنْزَلَ التَّوْراةَ والإنْجِيلَ ـ عَطْفٌ عَلَى ما تَقَدَّمَ.

مِنْ قَبْلُ ـ مِنْ حَرْفُ جَرٍّ، وقَبلُ ظَرْفٌ مَجْرُورٌ. والجَارُّ والمَجْرُور مُتَعَلِّقَانِ بِنَزَّلَ.

هُدًى لِلنَّاسِ ـ هُدًى حَالٌ مِن التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ، وَلَمْ يُثَنَّ لأَنَّهُ مَصْدَرٌ أي هَادِيَيْن.

وَيَجُوزُ إعْرَابُ هُدًى مَفْعُولاً لأجْلِهِ، أي أَنْزَلَ هَذَيْنِ الكِتَابَيْنِ لِهِدايَةِ أو لأجْلِ هِدَايَةِ النَّاسِ.

لِلنَّاسِ ـ اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ. والنَّاسِ اسْمٌ مَجْرُورٌ باللامِ. والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِهُدًى.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والبَنِينَ والقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ والحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا واللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾ (الآية ١٤ من آل عمران).

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ـ زُيِّنَ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ.

لِلنَّاسِ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِزُيِّنَ. حُبُّ الشَّهَواتِ، حُبُّ نَائِبُ فَاعِلٍ لِزُيِّنَ مَرْفُوعٌ والشَّهَواتِ مُضَافٌ إلَيْه.

مِنَ النِّساءِ والبَنِينَ والقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَة ـ مِنَ النِّسـاءِ جَارٌّ وَمَجْرورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ حالٍ.

والبَنِينَ ـ الوَاو عَاطِفَةٌ، والبَنِينَ مَعْطُوفٌ عَلَى النِّسَاءِ مَجْرُورٌ وَعَلامَةُ جَرِّهِ اليَاءُ لأنَّهُ مُلْحَقٌ بِجَمْعِ المُذَكَّرِ السَّالِمِ. والقَنَاطِيرِ مَعْطُوفٌ عَلَى البَنِينَ.

المُقَنْطَرَة ـ صِفَةٌ لِلقَنَاطِيرِ.

مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ والحَرْث

مِنَ ـ بَيَانِيَّةٌ حَرْفُ جَرٍّ. والذَّهَبِ مَجْرورٌ بِمِنْ. والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ حَالٍ. وَمَا بَعْدَهُ عَطْفٌ عَلَيْهِ. والفِضَّةِ..

ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ ذَلِكَ ـ اسْمُ إشَارَةٍ مُبْتَدأٌ، وَمَتَاعُ خَبَرٌ، والحياةِ مُضَافٌ إلَيْهِ. والدُّنْيا صِفَةٌ.

واللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ، واللَّهُ مُبتدأٌ، وَعِنْـدَهُ ظَرْفٌ، والهَـاءُ مُضَافٌ إلَيْـهِ والـظَّرْفُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفِ خَبَرٍ مُقَدَّمٍ. وَحُسْنُ المَآبِ مُبْتَدأٌ مُؤَخَّـرٌ. والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ خَبَرُ (اللَّهُ).

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ والمَلائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِماً بالقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (الآية ١٨ من سورة آل عمران).

شَهِدَ اللَّهُ ـ فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ، واللَّهُ فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ.

أنه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ـ أنَّ وَمَا بَعْدَها مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الخَافِضِ أي (بِأنَّهُ)، والجَارُّ وَمَا بَعْدَهُ مُتَعَلِّقَانِ بِشَهِدَ.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ـ (لَا) نَافِيَةٌ لِلجِنْسِ، إِلَهَ اسْمُ (لَا) مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.

(إلا) أداةُ حَصْرٍ. هُوَ خَبَرُ (لا) النَّافِيَةِ للجِنْسِ في محلِّ رَفْعٍ.

والمَلائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِماً بالقِسْطِ ـ الوَاوُ حَرْفُ عَطْفٍ، والمَلائِكَةُ عَطْفٌ على اللَّهُ، وَأُولُو العِلْمِ عَطْفٌ أيْضاً.

قَائِماً بالقِسْطِ ـ حَالٌ لَازِمَةٌ مِنَ (اللَّهُ)، أو مِنَ الضمير المُنْفَصِلِ الوَاقِعِ بَعْدَ إلَّا، وَهُوَ الأَوْلَى.

وَجَازَ مَجِيءُ الحَالِ بَعْدَ مَعْطُوفَيْنِ لأمْنِ الالْتِبَاسِ، لأنَّ القِيَامَ بِالقِسْطِ مِن خَصائِصِ اللَّهِ تَعَالى.

لا إله إلَّا هُوَ ـ لَا نَافِيَةٌ لِلجِنْسِ. إِلَهَ اسْمُ لا مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ (إلَّا) أداةُ حَصْرٍ هُوَ ضَمِيرٌ مُنفصِلٌ خَبَرُ (لا) فِي مَحَلِّ رَفْعٍ.

العَزِيزُ الحَكِيمُ ـ خَبَرانِ لِمُبْتَدأ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (هُوَ). وَلَكَ أنْ تُعْرِبَهُما بَدَلَيْنِ مِن (هُوَ).

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران الآيةِ ٦٢).

إِنَّ هَذَا ـ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مَسُوقٌ لِتَقْرِيرِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

إِنَّ ـ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بالفِعْلِ وَهَذَا اسْمُ إشارَةٍ فِي مَحَلِّ نَصْبِ اسْـمُهُ.

لَهُوَ ـ اللَّامُ المُزَحْلَقَةُ، وَهُوَ ضَمِيرُ فَصْلٍ لَا مَحَلَّ لَهُ.

القَصَصُ ـ خَبَرُ إنَّ. أو هُوَ مُبْتَدأٌ، والقَصَصُ خَبَرُهُ والجُمْلَةُ خَبَرُ إنَّ.

الحَقُّ ـ صِفَةٌ لِلقَصَصِ.

وَمَا ـ الواوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ. وَمَا نَافِيَةٌ.

مِنْ ـ حَرْفُ جَرٍّ زَائِـدٌ.

إله ـ مَجْرُورٌ لَفظاً مُبْتَدأٌ. وَيجُوزُ أنْ يَكُونَ الخَبَرُ مَحْذُوفاً أيّ (لَنا).

إلَّا ـ أداةُ حَصْرٍ.

اللَّهُ ـ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّ إله وهُوَ الرَّفْعُ. وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ اللَّهُ خَبَرَ إله، والجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُونَ والنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الآية ٦٩ من سورة المائدة).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا ـ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مَسُوقٌ لِبَيانِ المُؤْمِنِينَ باللَّهِ والعَامِلِينَ عَمَلاً صَالِحاً.

إنَّ الَّذِينَ ـ إنَّ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بالفِعْلِ والَّذِينَ اسْمٌ مَوْصُول فِي مَحَلِّ نَصْبِ اسْمُ إنَّ.

آمَنُوا - فِعْلٌ ماضٍ وفاعِلٌ. وَجُمْلَةُ آمنُوا صِلَةُ المَوْصُولِ.

والَّذِينَ هَادُوا - مَعْطُوفٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا.

وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصارى - الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ والصَّابِئُونَ مرفُوعٌ عَلَى الابْتِداءِ، وخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ.

فَكَأَنَّهُ قال: إن الَّذِينَ آمَنُوا.. والَّذِينَ هَادُوا والنَّصارى حُكْمُهم كذا، وَالصَّابِئُونَ كَـذَلِكَ،وهَذَا مَا رَجَّحَهُ سِيبويهِ في مُخالَفَةِ الإعْرابِ.

وَالصَّابِئُونَ وَخَبَرُهُ المَحْذُوفُ جُمْلَةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلى جُمْلَةِ قَوْلِهِ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ وَلا مَحلَّ لَهَا مِنَ الإعْرابِ. وقَدَّمَ الصَّابِئُونَ لِلتَّنْبِيهِ إلى أنَّ هؤلاءِ أشَدُّ إيغالاً في الضَّلالَةِ.

فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم - الجُمْلَةُ خَبَرُ إنَّ. وَدَخلَتْ الفَاءُ لِمَا في المَوْصُولِ مِنْ رَائِحَةِ الشَّرْطِ.

وَخَوفٌ - مُبْتَدأٌ وَقَدْ سَاغَ الابْتِداءُ بِهِ لِتَقَدُّمِ النَّفْيِ.

وَعَلِيهِمْ - جارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرِهِ.

وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون - مَعْطُوفٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَهُ.

﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تبعَ دِينَكُمْ. قُلْ إنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُم، أو يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ. قُلْ إنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (الآية ٧٣ من سورة آل عمران).

وَلاَ - الوَاوُ عَاطِفَةٌ. وَلاَ نَاهِيَةٌ.

تُؤْمِنُوا - فِعْلٌ مُضارِعٌ مَجْزُومٌ بِلاَ النَّاهِيَةِ. والوَاوُ فَاعِلٌ.

إلاَّ - أَدَاةُ اسْتِثْنَاء.

لِمَنْ - اللاَّمُ حَرْفُ جَرٍّ وَمَنْ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِاللاَّمِ والجَارُّ والمَجْرُورُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الاسْتِثْنَاء مِنْ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَلاَ تُؤمِنُوا أي تَعْتَرِفُوا وَتُظْهِرُوا بأن يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ لأحَدٍ مِنَ النَّاسِ إلاَّ لأشْيَاعِكُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ.

تَبِعَ - فِعْلٌ مَـاضٍ. وَفَاعِلُهُ هُـوَ والجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ صِلَةُ المَوْصُولِ.

دِينَكُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ لِتَبِعَ.

قُلْ - فِعْلُ أمْرٍ.

إن الهُدَى - إنَّ واسْمُهَا.

والجُمْلَةُ مِنْ قُلْ وَمَقُولَتُها (وَهُوَ إنَّ واسْمُها وَخَبَرُهَا) جُمْلَةٌ اعْتِراضِيَّةٌ لاَ مَحلَّ لَهَا.

أنْ يُؤْتَى - أنْ وَمَا فِي حَيِّزِهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ مَجْرُورٍ بِنَزْعِ الخَافِضِ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِتُؤْمِنُوا.

أحَدٌ - نَائِبُ فَاعِلٍ لِيُؤْتَى

مِثْلَ - مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ

مَا - اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالإضافَةِ. وَجُمْلَةُ أُوتِيتُمْ صِلَةُ المَوْصُولِ

أَوْ يُحَاجُّوكُمْ - أوْ حَرْفُ عَطْفٍ. وَيُحَاجُّوكُمْ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَعْطُوفٌ عَلَى يُؤْتَى وَعَلاَمَةُ نَصْبِهِ حَذْفُ النُّونِ. والوَاوُ فَاعِلٌ. والكَافُ مَفْعُولٌ بِهِ.

عِنْدَ - ظَرْفُ مَكَانٍ مُتَعلِّقٌ بِمَحْذُوفِ حالٍ

رَبِّكُمْ - مُضَافٌ إليْهِ.

قُلْ - فِعْلُ أمْرٍ. وَفَاعِلُهُ أنْتَ

إنَّ الفَضْلَ - إن واسمُهَا

بِيَدِ اللَّهِ - جَارٌّ وَمَجْرُور. واللَّهِ مُضَافٌ إليْهِ. والجارُّ والمَجْرُور مُتَعلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرٍ.

وإنَّ وما فِي حَيِّزِهَا جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَقُولِ القَوْلِ

وَيُؤْتِيهِ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ وَفَاعِلُهُ (هُوَ) والهاءُ مَفْعُولٌ يُؤْتِي الأَوَّلُ

مَنْ يَشَاءُ - مَنْ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَفْعُولُ يُؤْتَى الثَّانِي. وَجُمْلَةُ يَشَاءُ صِلَةُ المَوْصُولِ.

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ - جُمْلَةُ يُؤْتِيهِ فِي مَحَلِّ نَصْبِ حالٍ.

واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ - الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ. واللَّهُ مُبْتَدأٌ مَرفُوعٌ وَاسِعٌ خَبَرٌ أوَّلٌ. وَعَلِيمٌ خَبَرٌ ثَانٍ.

﴿لَيس عَلَيْنَا في الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران الآية ٧٥)

مَعْنَى الآيَة (إنه لاَ حَرَجَ عَلَيْنَا فِي أكْلِ أَمْوالِ العَرَبِ الأُمِّيِّينَ (وهَذَا مَا قَالَهُ بَعْضُ اليَهُودِ).

لَيْسَ - فِعْلٌ ماضٍ جامِدٌ
عَلَيْنا - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتعلِّقانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرٍ مُقدَّمٍ لِلَيْسَ في مَحَلِّ نَصْبٍ.
فِي الأُمِّيِّينَ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ أيْضاً مُتعلِّقانِ بخبر ليسَ المُقدم.
سَبِيلٌ - اسْمُ لَيْسَ مؤخَّر، مَرْفُوعٌ بالضَّمَّةِ.

﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنتَ لهُمْ وَلَو كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانفضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (الآية ١٥٩ آل عمران)

فَبِمَا رَحْمَةٍ - كَلامٌ مُسْتأنَفٌ مَسُوقٌ لِتَقْرِيرِ مَا يَجِبُ سُلُوكه لِتَأليفِ النَّاسِ وَتَرْغِيبِهِمْ فِي الخَيْرِ.
الفَاءُ اسْتِئْنافِيَّةٌ.
بِمَا رَحْمَةٍ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتعلِّقانِ بِلِنْتَ وَمَا زَائِدَةٌ لِلتَوكِيدِ.
مِنَ اللّهِ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتعلِّقانِ بِمَحْذُوفِ صِفَةٍ لِرَحْمَةٍ.
لِنتَ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ. والتَّاءُ فَاعِلٌ
لَهُمْ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتعلِّقانِ بِلِنْتَ
وَلَوْ - الوَاوُ شَرْطِيَّةٌ عَاطِفَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ مُقدَّرٍ أي لِنتَ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لِيناً.
كُنْتَ - كانَ النَّاقِصَةُ واسمُهَا
فَظّاً - خَبرُهَا
لانْفَضُّوا - اللاّمُ واقِعَةٌ فِي جَوابِ لَوْ. وانْفَضُّوا فِعلٌ وفَاعِلٌ.
والجُمْلَةُ لا مَحلَّ لَهَا مِنَ الإعْرابِ لأنَّها جَوابُ شَرْطٍ غَيرُ جَازِمٍ.
مِنْ حَوْلِكَ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتعلِّقانِ بانفَضُّوا.

﴿أفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوانَ رَبِّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخطٍ مِنَ اللّهِ وَمَأوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ (الآية ١٦٢ من آل عمران)

أفَمَنْ - الهَمْزَةُ للاسْتِفْهامِ الإنْكارِيِّ. والفاءُ عَاطِفَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ والنِّيَّةُ التَّقدُّمُ عَلَى الهَمْزَةِ.
وإنَّ تَقْدِيرَ المحذُوفِ: اجْعَلْ لَكَ ما تُمَيِّزُ به بَيْنَ الضَّالِّ والمُهْتَدِي، فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللّهِ واهْتَدى لَيسَ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِهِ. والاسْتِفْهَامُ الانْكارِيُّ مَعْنَاهُ النَّفْيُ.

مَنْ - اسْمٌ مَوْصُولٌ مُبْتَدأٌ.
اتَّبَعَ - فِعْلٌ مَاضٍ. وَجُمْلَةُ اتَّبَعَ صِلَةُ المَوْصُولِ
رِضْوانَ رَبِّهِ - مَفْعُولٌ بِهِ لاتَّبَعَ. والجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى المَحْذُوفِ الَّذِي هُوَ مُسْتأنَفٌ.
كَمَنْ - الكَافُ حَرْفُ جَرٍّ.
وَمَنْ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالكَافِ.
والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوف خَبَرِ (مَنْ)
أوْ الكافُ اسْمٌ بِمَعْنَى مِثْل، خَبَرٌ، وَمَنْ مُضَافٌ إلَيْهِ
وَجُمْلَةُ بَاءَ صِلَةُ المَوْصُولِ.
بِسَخَطٍ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتعلِّقانِ بِبَاءَ
مِنَ اللّهِ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقانِ بِمَحْذُوفِ صِفَةٍ.
وَمَأوَاهُ - الوَاوُ حَرْفُ عَطْفٍ. وَمَأوَاهُ مُبْتَدأ
والجُمْلَةُ عَطْفٌ عَلَى الصِّلَةِ لا مَحلَّ لَهَا.
جَهَنَّمُ - خَبَرٌ مَرْفُوعٌ
وَبِئْسَ - الوَاوُ عَاطِفَةٌ، وَبِئْسَ فِعْلٌ مَاضٍ جَامِدٌ للذَّمِّ.
والمَصِيرُ - فَاعِلٌ. والمَخْصُوصُ بالذَّمِّ مَحْذُوفٌ أي جَهَنَّمُ.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ، وإنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (الآية ١٦٤ من آل عمران)

لَقَدْ - اللاّمُ جوابٌ لِقَسَمٍ مَحْذُوفٍ. وَقَدْ حَرْفُ تَحْقِيقٍ
مَنَّ اللّهُ - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ
عَلَى المُؤْمِنِينَ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقانِ بِمَنَّ. والكَلامُ مُسْتأنَفٌ مَسُوقٌ لِتَأكِيدِ نَزَاهَةِ الرَّسُولِ مِنَ الغُلُولِ.
إذْ - ظَرْفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمانِ مُتَعَلِّقٌ بِمَنَّ
بَعَثَ - فِعْلٌ مَاضٍ والفَاعِلُ يَعُودُ عَلَى اللّهِ
وَجُمْلَةُ بَعَثَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالاضافَةِ
فِيهِمْ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتعلِّقانِ بِبَعَثَ
رَسُولاً - مَفْعُولٌ بِهِ.
مِنْ أنْفُسِهِمْ - جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعلِّقانِ بِمَحْذوفِ صِفَةٍ لـ (رَسُولاً)

يَتلوُ- فِعْلٌ مُضارعٌ مَرْفوعٌ
عَلَيْهِمْ - جارٌّ وَمَجْرورٌ مُتَعَلِّقانِ بِيَتْلو
آياتِه - مَفْعُولٌ بِهِ. والجُمْلَةُ صِفَةٌ ثانِيةٌ لـ (رَسُولاً)
وَيُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ - الجُمْلَتانِ مَعْطوفَتانِ عَلى يَتْلو
الكِتابَ - مَفْعُولٌ بِهِ .والحِكْمَةَ مَعْطُوفٌ عَلى الكِتابِ مَنْصوبٌ
وإنْ كانُوا - الـوَاوُ حالِيَّةٌ. وإنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ (إنَّ) وهي مُهْمَلَةٌ لاَ عَمَلَ لَهَا.
وَكَانُوا كانَ واسْمُها الواو.
مِنْ قَبْلُ - جارٌّ وَمَجْرورٌ مُتَعَلِّقانِ بِمَحْذُوفِ حالٍ
قَبْلُ - ظَرْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِمِـنْ.
لَفِي - اللاَّمُ الفَارِقَةُ. وَفِي حَرْفُ جَرٍّ.
ضَـلاَلٍ - مَجْرُورٌ بِفِي. والجَـارُّ والمَجْـرورُ مُتَعَلِّقَـانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرِ كانُوا
مُبِينٍ - نَعْتٌ لِضَلاَلٍ.

﴿أَوَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذا؟﴾ (الآية ١٦٥ من سورة آل عمران)

أَوَ- الهَمْزَةُ للاسْتِفْهَامِ الإنْكارِيِّ والتَّقْريعِ.
الوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِن قِصَّةِ أُحُدٍ. والمَعْنَى لاَ يَنْبَغِي لَكُمْ أنْ تَتَعَجَّبُوا فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ السَّبَبَ.
لَمَّا - ظَرْفِيَّةٌ حِينِيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِقُلْتُمْ. أوْ رَابِطَةٌ فَهِيَ حَرْفُ جَرٍّ.
أصابَتْكُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ وَمَفْعُولٌ بِهِ.
مُصِيبَةٌ - فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ.
قَدْ - حَرْفُ تَحْقِيقٍ
أَصَبْتُمْ - فعل ماض وفاعل.
مِثْلَيْهَـا - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُـوبٌ. والجُمْلَةُ وَصْفٌ لـ (مُصِيبَةٌ)
قُلْتُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ
أنّى - اسْمُ اسْتِفْهَامٍ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ
هَذا - اسْمُ إشارَةٍ مُبْتَدأٌ مُؤَخَّرٌ
والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ فِي مَحَلِّ نَصْـبِ مَقُولَةُ القَوْلِ
والمَعْنَى - مِنْ أَيْنَ أَصابَتْنا مُصِيبَةُ الانْهِزامِ والقَتْلِ؟

﴿وابْتَلُوا اليَتَامَى حَتَّى إذَا بَلَغُوا النِّكاحَ فإنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أمْوالَهُمْ﴾ (الآية ٦ من سورة النساء)

وابْتَلُوا - الوَاوُ عَاطِفَةٌ. والكَلاَمُ مَعْطُوفٌ.
اليَتَامَى - مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْلِ ابْتَلُوا.
حَتّى - حَرْفُ غَايَةٍ وَجَرٌّ. فَقَدْ جَعَلَ البُلُوغَ وايتاءَ الرُّشْدِ غَايَةً للإتْيانِ
وَقِيلَ حَتَّى ابْتِدَائِيَّةٌ وَلكِنَّهـا تُفِيدُ الغَايَةَ،وَهِيَ حَتَّى التي تَقَعُ بَعْدَهَا الجُمَلُ

فَـمَـا زَالَـتِ الـقَـتْـلَى تَـمُـجُّ دِمَـاءَهَـا
بِـدَجْـلَـةَ حَـتَّـى مَـاءُ دَجْـلَـةَ أشْـكَـلُ

وإذَا - ظَرْفِيَّةٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمانِ مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى الشَّرْطِ
بَلَغُوا النِّكاحَ - فِعْلٌ وَفاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ
وَجُمْلَةُ بَلَغُوا النِّكاحَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالاضافَةِ
فإنْ آنَسْتُمْ - الفَاءُ رَابِطَةٌ. آنستُمْ فِعْلٌ مَاضٍ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ
وَجُمْلَةُ آنَسْتُمْ لاَ مَحَلَّ لَهَا لأنَّهَا جوابُ الشَّرْطِ
رُشْداً - مَفْعُولٌ بِهِ.
فَادْفَعُوا - الفَاءُ رَابِطَةٌ. وادْفَعُوا فِعْلُ أمْرٍ. والوَاوُ فَاعِلٌ
إلَيْهِمْ - جارٌ ومجرورٌ مُتَعَلِقَانِ بادْفَعوا.
والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ جَوابُ الشَّرْطِ.
أمْوالَهُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ، وَهُمْ مُضافٌ إلَيْهِ

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ (الآية ٩ من سورة النساء)

وَلْيَخْـشَ - الوَاوُ عَاطِفَةٌ. واللاَّمُ لاَمُ الأمْرِ، ويَخْشَ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَجْزُومٌ باللاّمِ
الَّذِينَ - اسْمٌ مَوْصُولٌ. فَاعِلٌ
لَوْ - شَرْطِيَّةٌ
تَرَكُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفاعِلٌ.
مِنْ خَلْفِهِمْ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَرَكُوا
ذُرِّيَّةً - مَفْعُولٌ بِهِ
ضِعافاً - صِفَةٌ لِذُرِّيَّةً.

خافوا - فِعْلٌ وفاعِلٌ والجُمْلَةُ لاَ مَحلَّ لَهَا جَوَابُ شَرْطٍ غيرِ جازِمٍ

عَلَيْهِمْ - جَارٌ ومَجْرُورٌ مُتعلِّقَانِ بِخَافُوا

وَمَفْعُولُ خافوا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ الضَّيَاعُ

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ - الفَاءُ تَعْلِيلِيَّةٌ لأنَّ التَّقوى مُسَبَّبَةٌ عَنِ الخَوْفِ الَّذِي هُوَ الخَشْيَةُ، واللاَّمُ لامُ الأمرِ. وَيتَّقوا فِعْلٌ مُضارِعٌ مَجْزُومٌ باللاَّمِ. والوَاوُ فَاعِلٌ.

اللَّهَ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ.

ولْيَقولُوا - الجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى فَلْيَتَّقوا

قَوْلاً - مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ

سَدِيداً - صِفَةٌ لِقَوْلاً.

لَوْ - اخْتُلِفَ فِي (لَوْ) اخْتِلاَفاً كَبِيراً، فَقَالَ صَاحِبُ المُغْنِي: (القِسْمُ الثَّانِي مِنْ أقْسَام (لَوْ)أنْ تَكُونَ حَرْفَ شَرْطٍ في المُسْتَقْبَلِ إلاَّ أنَّهَا لاَ تَجْزِمُ. وَقَالَ صَاحِبُ الكَشَّافِ: لاَ بُدَّ مِنْ حَمْلِ (تركوا) عَلَى المُشَارَفَةِ لِيَصِحَّ وُقُوعُ خَافُوا جَزَاءً، وَذَلِكَ لِكَوْنِ الخَوْفِ مُنْتَفِياً بَعْدَ المَوْتِ. والمَعْنَى: وَلْيَخْشَ الَّذِينَ صِفَتهُمْ وَحَالُهُمْ أنَّهُمْ لَو شَارَفُوا أنْ يَتْرُكُوا خَلْفَهُمْ ذُرِّيَّةً، وَذَلِكَ عِنْدَ احْتِضَارِهِم، خَافُوا عَلَيهِم الضَّيَاعَ بَعْدَهُمْ لِذهَابِ كَافِلِهِمْ وَكَاسِبِهِم).

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَو آمَنُوا باللَّهِ واليومِ الآخِرِ﴾ (الآية ٣٩ من سورة النساء)

وماذا - الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ

ماذا - ١ - إما أنْ تَكُونَ مَا اسْتِفْهَامِيَّةً فِي مَحَلِّ رَفْعِ مُبْتَدأً وذَا مَوْصُولِيَّةٌ هُنَا خاصَّةً خَبَرُ (مَا) وَعِنْدَئِذٍ يَكُونُ (عَلَيْهِمْ) جَارّاً وَمَجْرُوراً مُتَعلِّقَيْنِ بِمَحْذُوفٍ صِلَةِ المَوْصُولِ

٢ - وإمَّا أنْ تَكونَ ماذَا اسْماً اسْتِفْهَامِياً كُلُّها، مُبْتَدأ، وَعَلَيهِمْ جارّاً وَمَجْرُوراً مُتَعلِّقَيْنِ بِمَحْذُوفٍ خَبَرٍ.

والمُرادُ بالاسْتِفْهَامِ هُنَا التَوبِيخُ والذَّمُّ.

لَوْ - شَرْطِيَّةٌ. وَيَجوزُ أنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً، والمَصْدَرُ المُؤَوَّلُ من لَوْ والفِعْلِ منصوباً بِنَزْعِ الخَافِضِ أيْ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ فِي إيمانِهِمْ.

آمَنُوا - فِعْلُ الشَّرْطِ، والجَوابُ مَحْذُوفٌ والتَّقْدِيرُ: فَمَاذَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ؟

باللَّهِ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بآمَنُوا.

واليَوْمِ الآخِرِ - اليَوْمِ مَعْطُوفٌ عَلَى اللَّهِ. واليَوْمِ مُضَافٌ والآخَرِ مُضَافٌ إليْهِ.

﴿فَكَيْفَ إذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً. يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾.(الآيتان ٤١ و٤٢ من سورة النساء).

الفَاءُ - اسْتِئْنَافِيَّةٌ

كَيْفَ - اسْمُ اسْتِفْهَامٍ. وَهِيَ إمَّا خَبَرٌ لِمُبْتَدأ مَحْذُوفٍ أي كَيْفَ حالُهُمْ؟ وإمَّا أنْ تَكُونَ حَالاً مِنْ مَحْذُوفٍ أي كَيْفَ يَصْنَعُونَ؟

وإذَا - ظَرْفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ مُتَعَلِّقٌ بِهَذَا المَحْذُوفِ

جِئْنَا - فِعْلٌ مَاضٍ. وَجُمْلَةُ جِئْنَا فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالاضافَةِ

مِنْ كُلِّ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ لأنَّه كَانَ صِفَةً لِشَهِيدٍ فِي الأصْلِ وَتَقَدَّمَتْ عَلَيْهِ.

أُمَّةٍ - مُضَافٌ إلَيْهِ.

بِشَهِيدٍ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِجِئْنَا.

وَجِئْنَا بِكَ - الوَاوُ عَاطِفَةٌ

جِئْنَا - فِعْلٌ وَفَاعِلٌ، وَهُمَا عَطْفٌ عَلَى جِئْنَا الأُولَى

بِكَ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِجِئْنَا

عَلَى هَؤُلاءِ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِشَهِيدٍ

شَهِيداً - حَالٌ.

يَوْمَئِذٍ - يَوْمَ ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بِيَوَدُّ. وإذ ظَرْفٌ مُضَافٌ إلى الظَّرْفِ والتَّنوينُ عِوضُ جُمْلَةٍ. والتَّقْدِيرُ يَومَ إذْ جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ،وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.

يَوَدُّ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ.

الَّذِينَ كَفَرُوا - الَّذِينَ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ رَفْعِ فَاعِلٍ

كَفَرُوا - فِعْلٌ ماضٍ وَفَاعِلٌ. وَجُمْلَةُ كفروا صِلَةُ المَوْصُولِ وَجُمْلَةُ يَوَدُّ مُسْتَأْنَفَةٌ.

وَعَصَوُا الرَّسُولَ - الوَاوُ عَاطِفَةٌ وَعَصَوُا الرَّسُولَ مَعْطُوفٌ عَلَى كَفَرُوا

لَوْ - مَصْدَرِيَّةٌ بَعْدَ فِعْلٍ، وهي مُؤَوَّلَةٌ مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمَصْدَرٍ مَفْعُولٌ بِهِ لِيَوَدُّ أي يَتَمَنَّوْنَ تَسْوِيَةَ الأَرْضِ بِهِمْ بِحَيْثُ يُدْفَنُونَ فِيهَا.

والأَرْضُ - نَائِبُ فَاعِلٍ لِتُسَوَّى

وَلَا يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً - عَطْفٌ عَلَى يَوَدُّ؛ وَيَجُوزُ أن تَكُونَ للاسْتِئْنَافِ

يَكْتُمونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِثُبُوتِ النُّونِ

اللّهَ - مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الخَافِضِ

حَدِيثاً - مَفْعُولٌ بِهِ أي لَا يَكْتُمُونَ عَنِ اللّهِ حَدِيثاً. وأجازَ بَعْضُهُم أنْ يَكُونَ اسْمُ الجَلالَةِ هُنَا مَفْعُولاً بِهِ لِيَكْتُموا لأَنَّهُ فِي رأيِهِم يَتَعدَّى لِمَفْعُولَيْنِ.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ فإذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ (النساء الآية ٥٣)

أم - عَاطِفَةٌ مُنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى (بَلْ) فَهِيَ عَطْفٌ للإِضْرَابِ والانْتِقَالِ مِنْ ذَمِّهِمْ بِتَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ إلى ذَمِّهِمْ لِشيءٍ آخَرَ، وَهُوَ إدِّعَاؤُهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ نَصِيباً مِنَ المُلْكِ.

لَهُمْ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرٍ مُقَدَّمٍ.

نَصِيبٌ - مُبْتَدأٌ مُؤَخَّرٌ.

مِنَ المُلْكِ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ صِفَةٍ لِـ (نَصِيبٌ).

فإذَنْ - الفَاءُ الفَصِيحَةُ لأَنَّها أفصحتْ عَنْ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ أي (إذَا جُعِلَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ فإذَنْ)

وإذَنْ حَرْفُ جوابٍ وَجزاءٍ وَقَدْ أُهمِلَتْ لِوُقُوعِها بَعْدَ حَرْفِ العَطْفِ عَلَى الأَفْصَحِ.

لَا - نَافِيَةٌ.

يُؤْتُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ والوَاوُ فَاعِلٌ.

النَّاسَ - مَفْعُولٌ بِهِ أوَّلُ

نَقِيراً - مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ

﴿وَلَئِنْ أصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الآية ٧٣ من سورة النساء)

الوَاوُ - عَاطِفَةٌ على مَا تَقَدَّمَها.

لَئِنْ - اللَّامُ مُوطِّئَةٌ للقَسَمِ وَإنْ شَرْطِيَّةٌ جَازِمَةٌ.

أَصابَكُمْ - فِعْلٌ ماضٍ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ والكَافُ مَفْعُولٌ بِهِ.

فَضْلٌ - فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ.

مِنَ اللهِ - مِنْ حَرْفُ جَرٍّ، واللّهِ اسْمٌ مَجْرُورٌ بِمِنْ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ صِفَةٍ.

لَيَقُولَنَّ - اللَّامُ وَاقِعَةٌ في جَوابِ القَسَمِ.

يَقُولَنَّ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ لاتِّصَالِهِ بنُونِ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةِ والجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الاعْرَابِ جَوابُ القَسَمِ لِتَقَدُّمِهِ.

كَأَنْ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَهِيَ عَامِلَةٌ. واسمُها ضَمِيرُ الشَّأْنِ محذوفٌ وُجُوباً، وَيَكُونُ خَبَرُها جُمْلَةً.

لَمْ تَكُنْ - لَمْ حَرْفُ جَزْمٍ. تَكُنْ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ بِلَمْ وَجُمْلَةُ لَمْ تَكُنْ خَبَرُ كَأَنْ.

وَجُمْلَةُ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ وَمَا فِي حَيِّزِها اعتِرَاضِيَّةٌ بَيْنَ القَوْلِ وَمَقُولَتِهِ، وقيلَ إنَّها جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ.

بَيْنَكُم - ظَرْفُ مَكانٍ. والكَافُ مُضَافٌ إليه.

وَبَيْنَهُ - ظَرْفُ مَكانٍ والهَاءُ مُضَافٌ إليه.

والظَّرْفُ بَيْنَكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفِ خَبَرِ تَكُنْ المُقَدَّمِ. وبَيْنَهُ اسْمٌ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ.

مَوَدَّةٌ - اسْمُ تَكُنْ المُؤَخَّرُ.

يَا لَيْتَنِي - اليَاءُ حَرْفُ نِداءٍ والمُنَادَى مَحْذُوفٌ (أو هِيَ لِمُجَرَّدِ التَّنبِيهِ) والأَوَّلُ أَوْلَى.

لِيتَني ـ لَيتَ مُشَبَّهٌ بالفِعْلِ . والنُّونُ للوِقَايَةِ والياءُ اسْمُها.
وَجُمْلَةُ كُنْتُ . . خَبَرُ لَيْتَ.
كُنْتُ ـ كَانَ واسْمُها
مَعَهُمْ ـ ظَرْفُ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفِ خَبَرِ كُنْتُ.
فأفُوزَ ـ الفَاءُ فَاءُ السَّبَبِيَّةِ. أفُوزَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بأنْ مُضْمَرةٍ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ.
فَوْزاً ـ مَفْعُولٌ مُطلَقٌ.
عَظِيماً ـ صِفَةُ فَوْزاً.

﴿يَا أَيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلالاً طَيِّباً﴾ (الآية ١٦٨ من سورة البقرة)

يَا ـ حَرْفُ نِدَاءٍ
أَيُّها ـ أيُّ مُنَادَى نَكِرةٌ مَقْصُودَةٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ و(ها) لِلتَّنْبِيهِ.
النَّاسُ ـ بَدَلٌ مِنْ أيٍّ.
كُلُوا ـ فِعْلُ أمرٍ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النُّونِ. والوَاوُ فَاعِلٌ.
مِمَّا ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ (مِنْ مَا) مُتَعَلِّقَانِ بِكُلُوا.
فِي الأَرْضِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ صِلَةِ المَوْصُولِ.
حَلالاً ـ مَفْعُولٌ بِهِ لِكُلُوا أو حَالٌ مِنْ (مَا)
طَيِّباً ـ صِفَةٌ.

﴿يَا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكم القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بالحُرِّ والعَبْدُ بالعَبْدِ والأُنْثَى بالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أخِيهِ شَيءٌ فاتِّبَاعٌ بالمَعْرُوفِ وأداءٌ . . . ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الآية ١٧٨ من سورة البقرة).

يَا ـ أداةُ نِدَاءٍ
أَيُّها ـ أيُّ مُنَادَى نَكِرَةٌ مَقْصُودَةٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ و(هـا) للتَّنْبِيهِ.
الَّذِينَ ـ اسْمٌ مَوْصُولٌ بَدَلٌ مِنْ أيٍّ.
آمَنُوا ـ فِعْلٌ مَاضٍ والوَاوُ فَاعِلٌ.
كُتِبَ ـ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ.

عَلَيْكُمُ ـ الجَارُّ والمَجْرُورِ مُتَعَلِّقَانِ بِكُتِبَ.
القِصَاصُ ـ نَائِبُ فَاعِلٍ مَرْفُوعٌ.
فِي القَتْلَى ـ فِي حَرْفُ جَرٍّ والقَتْلَى اسْمٌ مَجْرُورٌ بِفي. والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذِوفِ حَالٍ أو بالقِصَاصِ.
وَجُمْلَةُ النِّدَاءِ مَسُوقَةٌ لِبَيانِ حُكْمِ القِصَاصِ في عُرْفِ الشَّرْعِ.
الحُرُّ ـ مُبْتَدأٌ
بالحُرِّ ـ جَارٌّ وَمجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ خَبَرٍ (يُقْتَلُ بالحُرِّ).
والعَبْدُ بالعَبْدِ ـ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلِهِ.
والأُنْثَى بالأُنْثَى ـ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ
فَمَنْ ـ الفَاءُ الفَصِيحَةُ لأَنَّهَا أفْصَحَتْ عَنْ بَعْضِ التَّفَاصِيلِ التَّي تَخْطُر عَلَى البَالِ
مَنْ ـ اسْمُ شَرْطٍ جَازِمٌ فِي مَحَلِّ رَفْعِ مُبْتَدأ
عُفِيَ ـ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلمَجْهُولِ فِي مَحَلِّ جَزْمِ فِعْلُ الشَّرْطِ
لَهُ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِعُفِيَ
مِنْ أخِيه ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ حَالٍ (أي حَالَةَ كَوْنِهِ مِنْ دمِ أخِيهِ).
شَيْءٌ ـ نَائِبُ فَاعِلِ عُفِي مَرْفُوعٌ
فَاتِّبَاعٌ ـ الفَاءُ رَابِطَةٌ لِجَوابِ الشَّرْطِ لأنَّهُ جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ. واتِّبَاعٌ مُبْتدأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ مُقَدَّمٌ عَليهِ فَعَلَيْهِ اتِّبَاعٌ. والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَزْمِ جَوابُ الشَّرْطِ. وفِعْلُ الشَّرْطِ وَجَوابُهُ خَبَرُ: (مَنْ)
بالمَعْرُوفِ ـ جارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ باتِّبَاعٌ.
ذَلِكَ ـ اسْمُ إشارةٍ مُبْتَدأ
تخفِيفٌ ـ خَبَرٌ
مِنْ رَبِّكُم ـ جَارٌّ وَمَجرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ صِفَةٍ والجُمْلَةُ مُسْتَأنَفَةٌ

﴿قالوا إنْ هَذان لَساحِرانِ يُريدان أنْ يُخْرِجاكُمْ مِن أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ويَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلى﴾ (سورة طه الآية ٦٣).

قالُوا ـ فِعْلٌ ماضٍ وَفاعِلٌ
إنْ ـ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ومُهْمَلَةٌ.
هَذانِ ـ اسْمُ إشارَةٍ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدأ
لَساحِرانِ ـ اللاَّمُ فارِقَةٌ. وسَاحِرانِ خَبَرُ هَذانِ
يُرِيدَانِ ـ فِعْلٌ مُضارِعٌ وَفاعِلٌ وَجُمْلَةُ يُريدانِ صِفَةٌ لِسَاحِرانِ.
أنْ ـ حَرْفُ نَصْبٍ.
يُخْرِجَاكُمْ ـ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بأنْ وَعَلامَةُ نَصْبِهِ حَذْفُ النُّونِ.
مِنْ أرْضِكُمْ ـ جَارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيُخْرِجَاكُمْ والكَافُ مُضَافٌ إليه.
بِسِحْرِهِما ـ جارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِحالٍ أي حَالَ كَوْنِهِما مُتَلَبِّسَيْنِ بِسِحْرِهِمَا.
ويَذْهَبا ـ عَطْفٌ عَلَى يُخْرِجَاكُمْ
بِطَرِيقَتِكُمْ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيَذْهَبَا.
المُثْلى ـ صِفَةٌ لِطَرِيقَتِكُمْ.

﴿قَالَتْ إنِّي أعُوذُ بالرَّحْمنِ مِنْكَ إنْ كُنتَ تَقِيّاً﴾ (مريم ١٨).

قَالَتْ ـ فِعْلٌ مَاضٍ، والتَّاءُ هي تَاءُ التأنيث الساكنة، والفاعل هي.
إنِّي ـ إنَّ واسْمُهَا
أعوذُ ـ فِعْلٌ مُضارِعٌ والفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرهُ أنَا.
بالرَّحْمَنِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بأعُوذُ
مِنْكَ ـ جَارٌّ ومَجْرورٌ مُتَعَلِّقَانِ بأعُوذُ أيْضاً.
وَجُمْلَةُ أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْكَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرُ إنَّ.
إنْ ـ حَرْفُ شَرْطٍ جَازِمٌ
كُنْتَ ـ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ والتَّاءُ اسْمُهُ.
تَقِيّاً ـ خَبَرُ كُنْتَ
وجَوابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ لتقدُّمِ معناهُ. والمَعْنَى: إنْ كَانَ يُرْجى مِنْكَ أنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ وتَخْشَاهُ، وَتَحْفِلَ بالاسْتِعَاذَةِ بِهِ، فإنِّي عَائِذَةٌ بِهِ مِنْكَ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشَّياطِين ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً. ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أيُّهُمْ أشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً﴾ (الآيَتَان ٦٩ و ٧٠ من سورة مريم).

فَوَرَبِّكَ ـ الفَاءُ عَاطِفَةٌ وَالوَاوُ لِلْقَسَمِ
رَبِّكَ ـ مَجْرُورٌ بواوِ القَسَمِ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أُقْسِمُ.
لَنَحْشُرَنَّهُمْ ـ اللاَّم وَاقِعَةٌ فِي جَوابِ القَسَمِ.
نَحْشُرَنَّهُمْ ـ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ لاتِّصالِهِ بِنُونِ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةِ والفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ نَحْنُ والهاءُ مَفْعُولٌ بِهِ.
والشَّياطِينَ ـ الوَاوُ عَاطِفَةٌ والشَّيَاطِينَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الهَاءِ. أو الوَاو بِمَعْنَى مَع، والشَّياطِينَ مَفْعُولٌ مَعَهُ.
ثُمَّ ـ حَرْفُ عَطْفٍ للتَّراخِي.
لَنُحْضِرَنَّهُمْ ـ مَعْطُوفٌ عَلَى لَنَحْشُرَنَّهُمْ
حَوْلَ ـ ظَرْفُ مَكانٍ مُتَعَلِّقٌ بِنُحْضِرَنَّهُمْ.
جَهَنَّمَ ـ مُضافٌ اليه.
جِثِيّاً ـ حالٌ.
ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ ـ عَطْفٌ عَلَى لَنُحْضِرَنَّهُمْ
مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِنَنْزِعَنَّ. وَشِيعَةٍ مُضافٌ إليْهِ.
أيُّهُمْ ـ اسْمٌ مَوْصُولٌ بِمَعْنَى الَّذي وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عِنْدَ سِيبَويه لأنَّها أُضِيفَت (أيُّ) وَحُذِفَ صَدْرُ صِلَتِها. وهِيَ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ لِنَنْزِعَنَّ.
أشَدُّ ـ خَبَرٌ لِمُبَتدأ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (هُوَ) والجُمْلَةُ صِلَةُ المَوْصُولِ (أيُّ)
عَلَى الرَّحْمَنِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بأشَدُّ، أو بِمَحْذُوفِ حَالٍ.
عِتِيّاً ـ تمييز.

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الآية ٦٥ من سورة الحج)

وَيُمْسِكُ ـ الوَاوُ عَاطِفَةٌ، ويُمْسِكُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.
السَّمَاءَ ـ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصوبٌ.

أنْ تَقَعَ ـ مَصْدَر مُؤَوَّلٌ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَفْعُولٌ لأَجْلِهِ (أي كَرَاهَةَ أَنْ تَقَعَ أو لِئَلاَّ تَقَعَ) أو بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ السَّمَاءِ، أي ويُمْسِكُ وُقُوعَهَا بِمَعْنَى يَمْنَعُهُ.

عَلَى الأَرْضِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَقَعَ.
إِلَّا بِإِذْنِهِ ـ إِلَّا أداةُ حَصْرٍ. بِإِذْنِه جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفِ حَالٍ أي مُتَلَبِّسَةً بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وإِذْنِهِ والبَاءُ لِلْمُلاَبَسَةِ.

إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ـ جُمْلَةٌ تَعْلِيلِيَّةٌ.

إن واسْمُهَا ـ وبِالنَّاسِ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِرَؤُوفٌ. والـلَّامُ المُزَحْلَقَةُ، وَرَؤُوفٌ خَبَرٌ أَوَّلُ ورَحِيمٌ خَبَرٌ ثَانٍ.

﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِين ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾ (الآية ٣ من سورة الأنبياء).

أي أخَذُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَتَحدَّثُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سِرّاً، فَقَالَ الكُفَّارُ (الَّذِينَ ظَلَمُوا) هَلِ الرَّسُولُ إِلَّا بَشَرٌ يَأْكُلُ كَمَا تَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُ كَمَا تَشْرَبُونَ، أي يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً حَقّاً).

وأَسَرُّوا النَّجْوَى ـ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ.
الَّذِينَ ـ بَدَلٌ مِنْ وَاوِ (وأَسَرُّوا) إشْعَاراً بِأَنَّهُمْ المَوْسُومُونَ بِالظُّلْمِ الفَاحِشِ الَّذِي جَاؤوا بِهِ.

ظَلَمُوا ـ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ، وجُمْلَةُ ظَلَمُوا صِلَةُ المَوْصُولِ (الَّذِينَ).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (الآية ١٨ من سورة المؤمنون).

وَلَقَدْ ـ اللاَّمُ جَوابٌ لِلْقَسَمِ المَحْذُوفِ، وَقَدْ حَرْفُ تَحْقِيقٍ.

خَلَقْنَا ـ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ
فَوْقَكُمْ ـ ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بِخَلَقْنَا
سَبْعَ طَرَائِقَ ـ مَفْعُولُ خَلَقْنَا وَطَرَائِقَ مُضَافٌ إِلَيْهِ
وَمَا ـ الوَاوُ حَالِيَةٌ. وَ(ما) نَافِيَةٌ.
كُنَّا ـ كَانَ واسْمُهَا
عَنِ الخَلْقِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِغَافِلِينَ
غَافِلِينَ ـ خَبَرُ كُنَّا مَنْصُوبٌ بالياءِ

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾ (الآية ٢٠ من سورة المؤمنون)

وَشَجَرةً ـ الوَاوُ عَاطِفَةٌ. وَشَجرةً مَعْطُوفٌ عَلَى جَنَّاتٍ.
تَخْرُجُ ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَجُمْلَةُ تَخْرُجُ صِفَةٌ لِشَجَرةٍ.
مِنْ طَورِ سَيْنَاء ـ جَارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَخْرُجُ.
تَنْبُتُ ـ فِعْلٌ مُضَارِعٌ، والجُمْلَةُ صِفَةٌ ثَانِيةٌ لِشَجَرةٍ.
بالدُّهْنِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الحَالِ أي مُتَلَبِّسَةً بالدُّهْنِ وَمَصْحُوبَةً بِهِ.
وَصِبْغٍ ـ أي إدام يُصْبَغُ بِهِ الخُبْزُ أي يُغْمَسُ فِيهِ للائْتِدَام.
وللآكِلِينَ ـ صِفَةٌ لِصِبْغٍ

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً واحِدَةً، وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الآية ٩٢ من سورة الأنبياء)

إنَّ ـ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بالفِعْلِ.
هَذِهِ ـ اسْمُ إِشَارَةٍ، اسْمُ إنَّ
أُمَّتُكُمْ ـ خَبَرُ إنَّ مَرْفُوعٌ.
أُمَّةً ـ حَالٌ لازِمَةٌ، وَقِيلَ بَدَلٌ مِنْ (هَذِهِ) مَنْصُوبٌ.
وَاحِدَةً ـ صِفَةٌ لأُمَّةً مَنْصُوبَةٌ.
وأَنَا ـ الوَاوُ عَاطِفَةٌ، وأنا مُبْتَدأٌ.
رَبُّكُمْ ـ خَبَرٌ مَرْفُوعٌ
فَاعْبُدُونِي ـ الفَاءُ الفَصِيحَةُ، واعْبُدُونِي فِعْلُ أمْرٍ وَفَاعِلٌ، وَيَاءُ المُتَكَلِّمِ مَحْذُوفَةٌ لِرَسْمِ المُصْحَفِ مَفْعُولٌ بِهِ.

﴿خلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَد تَرَوْنَهَا، وأَلْقَى في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (الآية ١١ من سورة لقمان).

خلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَد تَرَوْنَهَا ـ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ للتدليلِ عَلَى قُدْرَةِ اللّهِ سُبْحَانَهُ.

خلَقَ ـ فِعْلٌ مَاض، وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.
السَّمَاوَاتِ ـ مَفْعُولٌ بِهِ.
بغَيْرِ عَمَدٍ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ وَمُضَافٌ إلَيْهِ، فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الحَالِ (أي خَالِيَةً مِنَ العَمَدِ).
تَرَوْنَهَا ـ فِعْلٌ وفاعلٌ ومفعول بِهِ
وألقى ـ عَطْفٌ عَلَى خلَقَ، وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ تقْدِيرُهُ هُوَ يَعُودُ عَلَى اللّهِ تَعَالى.

فِي الأَرْضِ ـ جَارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بألقى.
رَوَاسي ـ صِفَةٌ لِمَفْعُولٍ بِهِ مَحْذُوفٍ أي جِبالاً رَوَاسِيَ.
أنْ تَمِيدَ بِكُمْ ـ وأنْ واسْمُها وَمَا فِي حَيِّزِها فِي مَحلِّ نَصْبِ مَفْعُولٌ لأجْلِهِ أي أنْ لا تَمِيدَ بِكُمْ أو كَرَاهَةَ أنْ تَمِيدَ بِكُمْ.

بِكُمْ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَمِيدَ
وَبَثَّ ـ عَطْفٌ عَلَى ألْقى.
فِيهَا ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِبثَّ.
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ـ مِنْ كُلِّ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ وَكُلِّ دَابَّةٍ مُضَافٌ وَمُضَافٌ إلَيْهِ.

والجُمْلَةُ صِفَةٌ لِمَفْعولٍ بِهِ مَحْذُوفٍ أي حَيَوانَاتٍ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٢٨ من سورة سبأ).

وَمَا ـ الوَاوُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ. وَمَا نَافِيَةٌ.
أرْسَلْنَاكَ ـ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ.
إلاَّ ـ أدَاةُ حَصْرٍ.

كَافَّةً ـ حَالٌ مِنْ كَافِ (أرْسَلْنَاكَ)، أوْ مِنَ النَّاسِ أي لِلنَّاسِ كَافَّةً عَلَى رَأيِ مَنْ يُجِيزُ تَقْدِيمَ الحَالِ عَلَى الجَارِّ والمَجْرُورِ، أو هُوَ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ. أي إرسَالَةً كَافَّةً لِلنَّاسِ.

(والأصْلُ فِي الحَالِ أنْ تَتَأخَّرَ عَنْ صَاحِبِها، ولَكِنَّهَا تُقَدَّمُ وُجُوباً فِي ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ:

أ ـ إذَا كَانَ صَاحِبُهَا نَكِرَةً مَحْضَةً (أي غَيْرَ مُضَافَةٍ وَلاَ وَارِدَةٍ بَعْدَ نَفْيٍ أو اسْتِفْهَامٍ) مثل قَوْلِكَ (قَدِمَ مُسْرِعاً رَجُلٌ)

(وإنَّما أوْجَبُوا تَقْدِيمَها لِكَيْلا تَلْتَبِسَ بِنعتِ صَاحِبِهَا المَنْصُوبِ مثل قَوْلِكَ (رَأيْتُ رَجُلاً رَاكِباً).

ب ـ إذَا كَانَ صَاحِبُهَا مَحْصُوراً (ما سَافَرَ مَاضِياً إلاَّ أبُوكَ).

ج ـ إذَا كَانَ مُضَافاً إلى ضَمِيرٍ يُلابِسُها (أي يَعُودُ عَلَى شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهَا أو بِمُتَعلِّقِها مِثْلِ قَوْلِكَ (جَاء يَأخُذُ بِثَارِ كُلَيْبٍ أخُوهُ). و (وَسَارَ يُدِيرُ البَاخِرَةَ رُبَّانُها).

ويَجِبُ تَأخِيرُ الحَالِ فِي ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ:
آ ـ إذَا كَانَتْ مَحْصُورة (مَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إلاَّ مُبَشِّرِينَ)
ب ـ إذا كَانَتْ جُمْلَةً مُرْتَبِطَةً بالواوِ (جاءني الغُلامُ وَهُوَ يَحْمِلُ البُشْرَى).
ج ـ إذَا كَانَ صَاحِبُهَا مَجْرُوراً بِالمُضَافِ أو بِالحَرْفِ:

(عَجِبْتُ مِنْ ذِهَابِ الأميرِ مَاشِياً) و (مَرَرتُ بِهِنْدٍ جَالِسَةً).

للنَّاسِ ـ صِفَةٌ لِكَافَّةً
بَشِيراً وَنَذِيراً ـ حَالاَنِ مِن الكاف.
لَكِنَّ ـ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بالفِعْلِ.
أكْثَرَ ـ اسْمُ (لكِنَّ) مَنْصُوبٌ.
النَّاسِ ـ مُضَافٌ إلَيْهِ مَجْرُورٌ بالكَسْرَةِ.
لاَ يَعْلَمُونَ ـ لا نافِيَةٌ، يَعْلَمُونَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِثُبوتِ النُّونِ.
وَجُمْلَةُ (لا يَعْلَمُونَ) فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرُ (لكِنَّ).

﴿فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجراً عظيماً﴾ (الآيـة ١٠ من سورة الفتح).

فَمَنْ - الفاءُ اسْتِئْنافِيَّةٌ. وَمَنْ اسْمُ شَرْطٍ جازِمٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدأً.
نَكَثَ - فِعْلٌ مَاضٍ فِي مَحَلِّ جَزْم فِعْلُ الشَّرْطِ.
فإنَّما - الفاءُ رَابِطَةٌ، وإنَّما كَافَّةٌ ومَكْفُوفَةٌ.
يَنْكُثُ - فِعْلٌ مُضارِعٌ، مَرْفُوعٌ، والفَاعِلُ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.
عَلَى نَفْسِهِ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيَنْكُثُ. والجُمْلَةُ في مَحَلِّ جَزْمٍ جوابُ الشَّرْطِ.
وَمَنْ أوْفَى - الواوُ عَاطِفَةٌ. وَمَنْ اسْمُ شَرْطٍ جَازِمٌ مُبْتَدأً. وأوْفَى فِعْلُ الشَّرْطِ.
بِمَا - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بأوْفَى.
عَاهَدَ - فِعْلٌ مَاضٍ. وَجُمْلَةُ عَاهَدَ صِلَةُ المَوْصُولِ.
عَلَيْهُ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِعَاهَدَ.
وَضُمَّتْ الهاءُ، مع أنَّها تُكْسَر بَعْدَ اليَاءِ، لمجيء سُكُونٍ بَعْدَها فَيَجُوزُ الضمُّ والكَسْر.

اللَّهَ - لَفْظُ الجَلالَةِ مَفْعُولٌ بِهِ.
فَسَيُؤْتِيه - الفَاءُ رَابِطَةٌ لِجَوابِ الشَّرْطِ، يُؤْتِيهِ فِعْلٌ مُضارِعٌ وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ (الهاء)

أجْراً - مَفْعُولٌ بِهِ ثانٍ.
عَظِيماً - صِفَةٌ لأجْراً.

﴿أن لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى. وأنْ لَيْسَ للانسَانِ إلاَّ مَا سَعَى﴾ (الآيتان ٣٨ و ٣٩ من سورة النجم).

أنْ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ واسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ (أنَّه)
لاَ تَزِرُ - لاَ نَافِيَةٌ، وَتَزِرُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ (خَبَر أنْ)
وَازِرَةٌ - فاعِلُ تَزِرُ
وِزْرَ أُخرَى - مَفْعُولٌ (تزر) وأُخْرَى مُضَافٌ إلَيْهِ.
وأنْ - مَعْطُوفٌ عَلَى (أنْ لا تَزِرُ)، فَهِيَ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ مثلها.
لَيْسَ - فِعْلٌ مَاضٍ جَامِدٌ. وَجُمْلَةُ لَيْسَ خَبَرُ أنْ.
للإنْسَانِ - خَبَرٌ مُقَدَّمٌ لِلَيْسَ.
إلاَّ - أداةُ حَصْرٍ
مَا - مَصْدَرِيَّةٌ
سَعَى - فِعْلٌ ماضٍ (والمَصْدَرُ المُؤَوَّلُ اسْمُ لَيْسَ).

وَأنْ وَمَا فِي حَيِّزِهَا بَدَلٌ مِنْ (ما) فِي صُحُفِ مُوسَى فَهِيَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ. أوْ خَبَرٌ لِمُبتدأ مَحْذُوفٍ هُوَ (أنْ لاَ تزِرُ) فَهِيَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ.

﴿وَأنَّهُ هُوَ أضْحَكَ وأبْكَى﴾ (الآية ٤٣ من سورة النجم)

الوَاوُ - لِلْعَطِف.
أنَّهُ - أنَّ واسْمُهَا
هُوَ - مُبْتَدأً
أضْحَكَ - فِعْلٌ مَاضٍ والفَاعِلُ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ وَجُمْلَةُ أضْحَكَ خَبَرُ هُوَ. والجُمْلَةُ (هُوَ أضْحَكَ) خَبَرُ أنَّ
وأبْكَى - مَعْطُوفٌ عَلَى أضْحَكَ.
(وَيُمْكِنُ إعْرَابُ (هُوَ) تأكِيداً لاسم أنَّ).
وَقَالَ بَعْضُهُمْ إنَّها ضَمِيرُ فَصْلٍ، وَهَكَذَا تَكُونُ جُمْلَةُ أضْحَكَ خَبَرُ (أنَّ).

﴿فَمـا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (الآية ٣٦ من سورة المعارج)

الفَاءُ اسْتِئْنَافِيَّةٌ
مَا - اسْمُ اسْتِفْهَام فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدأً.
لِلَّذِينَ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِخَبَرِ (مَا). أي فأي شيء ثَبَتَ لَهُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى النَّظَرِ إلَيْكَ والتَّفَرُّقِ.
كَفَرُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ، والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ بَدَلٍ مِنَ الَّذِينَ.
قِبَلَكَ - ظَرْفُ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفِ حَالٍ، أو بِمُهْطِعِينَ أي كَـائِنِينَ فِي الجِهَـةِ الَّتِي قِبَلَكَ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ.
مُهْطِعِينَ - حَالٌ مِنَ الَّذِينَ.

﴿الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ﴾ (الآيات ١ و٢ و٣ من سورة الحاقة)

الحَاقَّةُ - مُبْتَدأٌ أو هِيَ نَعْتٌ لِمَعْطُوفٍ.

مَا الحَاقَّةُ - (ما) اسْمُ اسْتِفهامٍ تَعْظِيمِيٌّ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدأ.

الحَاقَّةُ - خَبَرُ (ما).

والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ خَبَرُ الحَاقَّةُ. والرَّابِطُ هُوَ إعادَةُ المُبْتَدأ بِلَفْظِهِ.

ومَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ

الوَاوُ - عَاطِفَةٌ.

(ما) - اسْمُ اسْتِفْهامٍ لِلتعْظِيمِ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدأ.

أدْرَاكَ - فِعْلٌ مَاضٍ والفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ أنْتَ.

وَجُمْلَةُ أدْرَاكَ خَبَرُ (مَا).

وَما - اسْتِفْهَامٌ للتَّعظِيمِ أيْضاً فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدأ.

الحَاقَّةُ - خَبَرُ (ما).

والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ لأدْرَاكَ.

﴿إلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنَّه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ (الآية ٢٧ من سورة الجن)

إلَّا - أدَاةُ حَصْرٍ. والاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ (أي لَكِنْ مَنْ ارتَضَاهُ فإنَّهُ يُظْهِرُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ غَيْبِهِ بالوَحْيِ).

مَنْ - اسْمٌ مَوْصُولٌ أو شَرْطِيةٌ، مُبْتَدأ.

وإذَا اعْتُبِرَتْ شَرْطِيةً فإن جُمْلَةَ (فإنَّه) تَكُونُ فِي مَحَلِّ جَزْمِ جَوَابَ الشَّرْطِ. وَفِعْلُ الشَّرْطِ وَجوابُهُ خَبَرُ المُبْتَدأ وَيَجُوزُ أنْ يَكونَ الاسْتِثْنَاء مُتَصِلاً أيْ (إلَّا رَسُولاً ارْتضَاهُ) فَتُعرَبُ (مَنْ) بَدَلاً مِنْ أحَدٍ.

ارْتَضَى - فِعْلٌ ماضٍ وَفاعِلُهُ مُضْمَرٌ تَقْدِيرُهُ اللَّهُ.

مِنْ - حَرْفُ جَرٍّ.

رَسُولٍ - اسْمٌ مَجْرورٌ بِمَنْ والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتَعلِّقَانِ بارْتَضَى.

فإنَّه - الفاء وَاقِعَةٌ فِي جَوابِ الشَّرْطِ

إنه - إنَّ واسْمُهَا

يَسْلُكُ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بالضَّمَةِ.

مِنْ - حَرْفُ جَرٍّ

بَيْنِ - ظَرْفُ مَكَانٍ مَجْرُورٌ بِمَنْ.

بَيْن يديه - مُضَافٌ ومُضَافٌ إلَيْهِ مُتَعلِّقَانِ بِيَسْلُكُ.

وَمِنْ خَلْفِهِ - ظَرْفٌ مَعْطُوفٌ عَلَى مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ.

رَصَداً - مَفْعولُ يَسْلُك

وَجُمْلَةُ يَسْلُكُ خَبَرُ إنَّ أيْ يَسْلُكُ مَلائِكَةً رَصَداً.

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَومِ القِيَامَةِ﴾ (الآية ١ من سورة القيامة)

لَا أُقْسِمُ - قَال الزمَخْشَري إدْخَالُ (لَا) عَلَى فِعْلِ القَسَمِ مُسْتَفِيضٌ فِي كَلامِ العَرَبِ. وإنَّما كَانَ دُخُولُ (لا) النَّافِيةِ قَبلَ القَسَمِ شَائِعاً فِي لِسَانِ العَرَبِ لأنَّهُ يَكُونُ غالِباً لِرَدِّ دَعْوَى الخَصْمِ وَنَفْيِهَا. فالتَّقْدِير: وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ وَحَقِّ أبِيكَ. وَيقُولُ الزَّمَخْشَرِيُّ إن فَائِدَة إدْخَالِ (لَا) عَلَى القَسَمِ لِتَوْكِيدِهِ.

وَقَالُوا إنَّها صِلَةٌ مِثْلُها في (لِئَلَّا يَعْلَمَ أهْلُ الكِتَابِ). واعْتَرَضُوا عَلَيْهِ بأنَّهَا تُزَادُ فِي وَسَطِ الكَلامِ لَا فِي أوَّلِهِ. والأَصَحُّ أن يُقَال إنَّهَا للنَّفْيِ، والمَعْنَى أنَّهُ لَا يُقْسِمُ بالشَّيْءِ إلَّا إعْظَاماً لَهُ؛ يَدُلُّك عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعالَى **﴿فَلا أُقسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وإنَّهُ لَقَسمٌ لَوْ تَعلَمونَ عَظِيمٌ﴾**.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ﴾ (الآية ٢٠ من سورة القيامة)

كَلَّا - حَرْفُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ

بَلْ - للإضْرَابِ والانْتِقَالِ

تُحِبُّونَ - فِعْلٌ مُضارِعٌ مَرْفُوعٌ. والوَاوُ فَاعِلٌ والخِطَابُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ.

العَاجِلَةَ - مَفْعُولٌ بِهِ أيْ الدُّنْيَا.

﴿بَلْ يُرِيدُ الإنْسَانُ لِيَفْجُرَ أمَامَهُ﴾ (الآية ٥ من سورة القيامة)

بَلْ - حَرْفُ عَطْفٍ للإضْرَابِ والانْتِقَالِ.

يُرِيدُ - مَعْطُوفٌ عَلَى أيَحْسَبُ فَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِثْلَهُ اسْتِفهاماً

وأنْ يَكُونَ إيجاباً. ويَجُوزُ أنْ تكُونَ (بَلْ) لِمُجَرَّدِ الإِضْرابِ الانْتِقالِيِّ مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ، كَأنَّهُ أضْرَبَ عَنِ الكَلامِ الأوَّلِ، وأخَذَ في آخَرَ. ويُرِيدُ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَرْفُوعٌ.

الإنْسانُ ـ فاعِلٌ. ومَفْعُولُ (يُرِيدُ) مَحْذُوفٌ. والمَعْنَى بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ الثَّباتَ والدَّيْمُومَةَ عَلَى ما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ التَّقَيُّدِ بالإيمانِ لِيَسْتَرْسِلَ عَلَى فُجُورِهِ، وَيَدُومَ عَلَى غَيِّهِ.

لِيَفْجُرَ ـ اللّامُ للتَّعْلِيلِ. ويَفْجُرَ فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بأنْ مُضْمَرَةٍ بَعْدَ لامِ التَّعْلِيلِ وفاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ يَعُودُ عَلَى الإنْسانِ.

أمامَهُ ـ ظَرْفُ مَكانٍ اسْتُعِيرَ للزَّمانِ، أي لِيَسْتَمِرَّ عَلَى فُجُورِهِ، وَيَدُومَ عَلَيْهِ فِيما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الأوْقاتِ، وفِيما يَسْتَقْبِلُهُ مِنَ الزَّمانِ.

﴿مِمَّا خطيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً﴾ (الآية ٢٥ من سورة القيامة)

مِمَّا (مِنْ ما) ـ مِنْ حَرْفُ جَرٍّ وَما زائِدَةٌ.

خَطِيئاتِهِم ـ مَجْرُورٌ بِمَنْ التَّعْلِيلِيَّةِ والجارُّ والمَجْرُورُ مُتَعَلِّقانِ بأُغْرِقُوا.

أُغْرِقُوا ـ فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ.

فَأُدْخِلُوا ـ عَطْفٌ عَلَى أُغْرِقُوا.

وَجَعَلَ دُخُولَ النّارِ مُتَعَقِّباً لاغْراقِهِم نَظَراً لاقْتِرابِهِ، ولأنَّهُ كائِنٌ لا مَحالَةَ.

ناراً ـ مَفْعُولٌ بِهِ ثانٍ عَلَى السَّعَةِ.

فَلَمْ يَجِدُوا ـ مَعْطُوفٌ مُتَعَقِّبٌ أيضاً.

وَلَمْ ـ حَرْفُ جَزْمٍ، ويَجِدُوا فِعْلٌ مُضارِعٌ مَجْزُومٌ بِلَمْ.

لَهُمْ ـ جارٌّ وَمَجْرُورٌ في مَوْضِعِ المَفْعُولِ الثّاني.

مِنْ دُونِ اللَّهِ ـ مِنْ حَرْفُ جَرٍّ، وَدُونِ مَجْرُورٌ بِمَنْ، واللَّهِ مُضافٌ إلَيْهِ والجُمْلَةُ في مَحَلِّ نَصْبِ حالٍ.

أَنْصاراً ـ مَفْعُولٌ بِهِ أوَّلُ لِيَجِدُوا.

﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ (الآية رقم ٣٣ من سورة القيامة)

أوْلَى لَكَ ـ قالَ الجَوْهَرِيُّ تَقُولُ العَرَبُ أوْلَى لَكَ تَهدِيدٌ وَوَعِيدٌ. واخْتَلَفَ اللُّغَوِيونَ والنَّحْوِيُّونَ حَوْلَ اللَّفظَةِ:

قَالَ الأصْمَعِيُّ إنَّها فِعْلٌ ماضٍ بِمَعْنَى قارَبَ ما يُهْلِكُكَ. والأكْثَرُونَ عَلَى أنَّها اسْمٌ.

فَقالَ بَعْضُهُم إنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ (الوَلْيِ) وَهُوَ القُرْبُ. وَقِيلَ مِنَ (الوَيْلِ). وإعْرابُ اللَّفْظَةِ يَخْتَلِفُ:

فإذا قُلْنا إنَّها اسْمٌ فَفِيه أوجُهٌ:

ـ إنه مُبْتَدأٌ، وَلَكَ خَبَرُهُ. وَتَقْدِيرُهُ فالهَلاكُ لَكَ.

ـ إنَّهُ خَبَرٌ لِمُبْتَدأ مُضْمَرٍ تَقْدِيرُهُ العِقابُ أو الهَلاكُ أوْلَى لَكَ أيْ أقْرَبُ وأدْنَى.

وَيَجُوزُ أنْ تَكُونَ اللّامُ بِمَعْنَى الباءِ (أي أدْنَى وأحَقُّ بِكَ).

ـ أوْلَى ـ مُبْتَدأ، وَلَك يَتَعلَّقُ بِهِ. واللّامُ بِمَعْنَى الباءِ والمَعْنَى أوْلَى بِكَ أن يُقارِبُكَ الهَلاكُ.

ـ وإذَا قُلْنا إنَّهُ فِعْلٌ ماضٍ فَفاعِلُهُ مُضْمَرٌ، يَدُلُّ عَلَيهِ السِّياقُ كَأَنَّهُ قِيلَ فأوْلَى هُوَ أيِ الهَلاكُ. وَهَذا ظَاهِرُ عِبارَةِ الزَّمَخْشَرِي إذْ قالَ مَعْناهُ الدُّعاءُ عَلَيْهِم بِأنْ يَلِيَهُمُ الهَلاكُ.

وَقَالَ صاحِبُ الصِّحاحِ: قَوْلُ العَرَبِ: أوْلَى لَكَ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ.

وَقالَ الجَلالُ: الكَلِمَةُ اسْمُ فِعْلٍ واللّامُ لِلتَّبيِينِ أيْ مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّكُونِ لا مَحَلَّ لَها مِنَ الإعْرابِ. والفاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى ما يُفْهَمُ مِنَ السِّياقِ وَهُوَ كَوْنُ هَذِهِ الكَلِمَةِ تُسْتَعْمَلُ فِي الدُّعاءِ بالمَكْرُوهِ.

فاوْلَى ـ للتَّأكِيدِ وَزِيادَةِ التَّهْدِيدِ. والفاءُ عاطِفَةٌ.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ (الآية ١ من سورة الإنسان)

هَلْ ـ لَها وَجْهَانِ:

١) ـ بِمَعْنَى (قَدْ)

٢) ـ هَلْ اسْتِفْهَامٌ للتَّوْبِيخِ والتَّقْرِيعِ عَلَى ما بِهَا مِنَ الاسْتِفْهَامِ المَحْضِ.

وَهُوَ تَقْرِيعٌ لِمَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ فَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقُولَ نَعَمْ قَدْ مَضَى دَهْرٌ طَوِيلٌ لا إِنْسَانَ فِيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَن أَحْدَثَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يكُنْ، وَكَوْنُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ، كَيْفَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ بَعْثُهُ وَإِحْيَاؤُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ) أَيْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَ شَيْئاً بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، قَادِرٌ عَلَى إِعادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَعَدَمِهِ. فَقَدْ جَعَلَها للاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ لا للاسْتِفْهَامِ المَحْضِ (لأَنَّ الاسْتِفْهَامَ لا يَرِدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالى). والأَصْلُ في الاسْتِفْهَامِ الهَمْزَةُ ولِذَلِكَ كَانَ لَهَا تَمَامُ التَّصْدِيرِ فِي الكَلَامِ. وأَصْلُ (هَلْ) بِمَعْنَى (قَدْ) هُو أَهَلْ. لَكِنْ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ فِيهِ صَارَتْ الهَمْزَةُ مَنْسِيَّةً فِي حَيِّزِ الإِهْمَالِ.

أَتَى ـ فِعْلٌ مَاضٍ.

عَلَى الانْسَانِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَتَى.

حِينٌ ـ فَاعِلٌ.

مِنَ الدَّهْرِ ـ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ نَعْتٌ لِحِينٌ.

وَجُمْلَةُ (لَمْ يَكُنْ) فِيها وَجْهَانِ:

١) ـ أَنَّها فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الحَالِ مِنَ الإِنْسَانِ. أَيْ هَلْ أَتَى عَلَيْهِ حِينٌ فِي هَذِهِ الحَالَةِ (وَهُوَ الأَرْجَحُ).

٢) ـ أَنَّها فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ نَعْتاً لِـ (حينٌ) بَعْدَ نَعْتٍ. وَعَلَى هَذَ فالعَائِدُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ حِينٌ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْئاً مَذْكُوراً.

شيئاً ـ خَبَرُ كَانَ.

مَذْكُوراً ـ صِفَةٌ لِـ (شَيْئاً).

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الثاني

فهرس الجزء الثالث